



موسوعة العقيدة والأديان
والفروع والمذاهب المعاصرة

هو سید محمد

العَصِيَّةُ وَالْأَوْيَاكُ وَالْفَرْجُ وَالْمُنْهَابُ وَالْمُعَاصِرَةُ

تَصْنِيفُ وَإِعْدَادُ

مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَكَادِمِيِّينَ وَالْبَاحِثِينَ الْمُتَخَصِّصِينَ فِي جَامِعَاتِ الْعَالَمِ

مُرْاجَعَةٌ وَتَقْدِيمٌ

عَدَدٌ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُخْتَصِّينَ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ

المشرف العام

صَاحِبُ السُّمُو الْأَمِيرِ

سید سعید بن سیدان بن محمد آل سید حیدر

أستاذ العقيدة والذاهب الشارح في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض

العقيدة

الجزء الأول (أ - ب)

كَلَامُ الْعَوَّلِ حَيْدَرُ الْبَيْتِ

ح سعود بن سلمان بن محمد آل سعود، ١٤٣٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية / إثناء النشر

آل سعود، سعود بن سلمان بن محمد

موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة . / سعود

ابن سلمان بن محمد آل سعود - الرياض، ١٤٣٩ هـ

٦ مج.

ردمك ٩-٥٨٤٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٥-٥٨٥٠-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)

١- العقيدة الإسلامية ٢- المذاهب - موسوعات أ- العنوان

١٤٣٩/٢٠٥٥

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٢٠٥٥

ردمك: ٩-٥٨٤٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٥-٥٨٥٠-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م



موسوعة العقيدة والأديان
والفرق والمذاهب المعاصرة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص.ب ٧٤٨٠ الرمز البريدي ١١٤٦٢

<http://IslamicCreed.net>

info@islamiccreed.net

دار التوحيد للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب. ١٠٤٦٤ الرمز البريدي ١١٤٣٣

هاتف ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ - فاكس ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤

darattawheed@yahoo.com



موسوعة العقيدة والأديان
والفرق والمذاهب المعاصرة
Encyclopedia of the Creed, Religions,
Sects, and Contemporary Ideologies

موسوعة عقيدتنا

العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة

تصنيف وإعداد

مجموعة من الأكاديميين والباحثين المختصين في جامعات العالم

مراجعة وتقديم

عبد من بكار العلماء والمختصين في العالم الإسلامي

المشرف العام

صاحب السمو الأمير

د. سعيد بن سلطان بن محمد آل سعيد

أستاذ العقيدة والمذاهب الساركة في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض

العقيدة

الجزء الأول (أ - ب)

دار التوحيد للنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المشرف العام

صاحب السمو الأمير د. سعود بن سلمان بن محمد آل سعود

أستاذ العقيدة والمذاهب المشارك في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض

اللجنة العليا للموسوعة

أ. د. سعود بن عبد العزيز الخلف

رئيس اللجنة العليا للموسوعة

عميد كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة سابقاً

أ. د. عبد الله بن دجين السهلي

أستاذ العقيدة والمذاهب بجامعة الملك سعود

د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري

أستاذ العقيدة والمذاهب المساعد بجامعة الملك سعود

أ. د. حمد بن عبد المحسن التويجري

أستاذ العقيدة والمذاهب بجامعة الإمام محمد بن سعود

د. محمد بن عبد العزيز الشايع

أستاذ العقيدة والمذاهب المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود

لجنة تحكيم الموسوعة

أ. د. صالح بن محمد العقيل

رئيس لجنة تحكيم الموسوعة

أستاذ العقيدة والمذاهب بالجامعة الإسلامية بالمدينة

أ. د. سعيد بن محمد معلوي

أستاذ العقيدة والمذاهب بالجامعة الإسلامية بالمدينة

أ. د. عبد القادر بن محمد عطا صوفي

أستاذ العقيدة والمذاهب بالجامعة الإسلامية بالمدينة

أ. د. عبد الله بن محمد السند

أستاذ العقيدة والمذاهب بجامعة الإمام محمد بن سعود

د. أحمد بن عبد العزيز القصير

أستاذ العقيدة والمذاهب المشارك بجامعة الدمام

د. محمد باكريم محمد باعبد الله

أستاذ العقيدة والمذاهب المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة

أ. د. سعود بن عبد العزيز الخلف

عميد كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة سابقاً

أ. د. سليمان بن محمد الدبيخي

أستاذ العقيدة والمذاهب بجامعة القصيم

أ. د. عبد الله بن عمر الدميحي

أستاذ العقيدة والمذاهب بجامعة أم القرى

أ. د. علي بن محمد الدخيل الله السويلم

أستاذ العقيدة والمذاهب بجامعة الإمام محمد بن سعود

د. سهل بن رفاع بن سهيل العتيبي

أستاذ العقيدة والمذاهب المشارك بجامعة الملك سعود

د. محمد بن عبد العزيز الشايع

أستاذ العقيدة والمذاهب المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود

أسماء الباحثين المشاركين في كتابة الموسوعة

الاسم	الجنسية
١ - د. أحمد رمضان جالو	سراليون
٢ - د. أرزقي محمد السعيد سعيدي	الجزائر
٣ - د. أسعد بن فتحي بن سعيد الزعتري	فلسطين
٤ - د. أطفاف الرحمن بن ثناء الله	الهند
٥ - أ. د. آمال بنت عبد العزيز العمرو	السعودية
٦ - د. أمير قروي	الجزائر
٧ - بوفلجة بن بلقاسم بن عباس	الجزائر
٨ - د. تميم بن عبد العزيز القاضي	السعودية
٩ - د. خالد بن ناصر العتيبي	السعودية
١٠ - خالد العلمي	الجزائر
١١ - د. سعد بن فلاح العريفي	السعودية
١٢ - أ. د. سعود بن عبد العزيز الخلف	السعودية
١٣ - أ. د. سعيد بن محمد بن معلوي	السعودية
١٤ - أ. د. سليمان بن محمد الديخي	السعودية
١٥ - د. سهل بن رفاع العتيبي	السعودية
١٦ - د. صالح عبد الله داود	اليمن
١٧ - د. عبد الرزاق بن محمد بشر	باكستان
١٨ - د. عبد السميع بن عبد الأول	أفغانستان
١٩ - د. عبد العزيز بن عبد الله المبدل	السعودية
٢٠ - د. عبد الله بن عبد الرحمن الهذيل	السعودية
٢١ - د. عز الدين مرير	الجزائر
٢٢ - د. عبد القادر عبد حרسي	الصومال
٢٣ - د. علي بن سعيد بن علي العبيدي (رحمته الله)	السعودية
٢٤ - د. علي بن عبد الحفيظ الكيلاني	سوريا
٢٥ - د. فوز بنت عبد اللطيف بن كامل كردي	السعودية
٢٦ - د. محمد بن عبد الله مختار	السودان
٢٧ - د. محمد بن سعيد عثمان طيسة	إرتيريا
٢٨ - د. محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني	السعودية
٢٩ - د. محمد غالب حسان	اليمن
٣٠ - د. محمد محمد بن محمد جميل النورستاني	أفغانستان
٣١ - د. محمد طاهر تيقموني	الجزائر
٣٢ - د. معتز وسام المحتسب	الأردن
٣٣ - د. حسام حمدان	الأردن
٣٤ - د. أحمد سردار محمد شيخ	باكستان
٣٥ - د. عبد السلام حمداش	الجزائر
٣٦ - د. غزمند عمر مهمتي	كسوف

تقديم المشرف العام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ربي لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ملء السماوات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله معلم البشرية الخير، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

فأحمد الله على فضله وإحسانه وتوفيقه أن يسر إنجاز هذا العمل الكبير الجليل «موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، القسم الأول: العقيدة»، كان حلمًا فأصبح حقيقة، بفضل الله ثم بجهود المخلصين، الذين بذلوا طاقتهم في الإعداد والتخطيط الدقيق، ثم تكوين اللجان المختلفة، ثم الكتابة والتحكيم والمراجعة من المتخصصين، ثم المراجعة العامة في كل الفنون - اللغة والبلاغة والتخريج وغيرها -، وخاتمة المطاف مراجعة أصحاب السماحة والمعالي والفضيلة، علماء الأمة الإسلامية في أقطار شتى، من الهند شرقًا إلى أقصى الغرب، الذين تفضلوا بمراجعة الموسوعة كاملة أو بعض الأجزاء حسبما سمحت به أوقاتهم، وبفضل جهود هؤلاء العلماء وطلاب العلم، الذين واصلوا ليلهم بنهارهم، وبذلوا سنوات من أوقاتهم، فجمعوا في هذه الموسوعة خلاصة علمهم وتجاربهم وخبراتهم، حتى تم هذا العمل وخرج إلى النور، هذا باختصار شديد قصة إعداد هذه الموسوعة وإنجازها.

وهذه الموسوعة موضوعها أشرف العلوم وأساسها، ولب الدين وقاعدة الإيمان، وهو علم العقيدة الإسلامية، عقيدة السلف الصالح، أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم إلى يوم الدين، واحتضنتها وتولت الإشراف عليها الجمعية العلمية المختصة في العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، والتي ينتسب لها علماء أفاضل، ونخبة من

الباحثين المختصين في العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، وهي «الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب»، والتي هي من أهم الجمعيات العلمية في المملكة العربية السعودية، أحلنا إليها مقترح إعداد الموسوعة، فتحملوا على كواهلهم هذه المسؤولية الثقيلة، وهذه الأمانة العظيمة، حتى أنجزوها وأحسنوا الإنجاز.

ومن أهم ما يميّز هذه الموسوعة المباركة، أنه شارك في كل مرحلة من مراحل أعمالها، أعيان العالم الإسلامي وعلمائؤه، ونوابغ رجاله، على اختلاف الأعراق والأجناس، والألوان واللغات، كما هو واضح في أسماء أصحاب السماحة والمعالي والفضيلة العلماء المراجعين لها، وفي أسماء الباحثين والعاملين فيها، فهي موسوعة عالمية بكل ما تحمل هذه الكلمة من المعاني، عالمية في جمعها وتأليفها، وإعدادها وإخراجها، وعالمية في هدفها ونشرها، ونقلها إلى معظم اللغات الحيّة - في المستقبل القريب -، وبإذن الله تعالى سيتم نشرها إلكترونياً، بكل الوسائل المتاحة، وإطلاق موقع لها، يمكن التواصل من خلاله أو من خلال البريد الإلكتروني.

ولا يسعني في هذه المقدمة إلا أن أزجي خالص الشكر والتقدير والدعاء لكل من ساهم في إعداد هذه الموسوعة، من الباحثين والمحكمين والمراجعين، وهيئة التحكيم واللجنة العليا للموسوعة، وأصحاب السماحة والمعالي الذين تفضلوا - مع كثرة أعمالهم - بمراجعة الموسوعة، كما أقدم جزيل شكري للجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب ومنسوبيها، وكل من أعان أو سأل عن هذا المشروع المبارك أو ساهم بفكرة أو دعوة صالحة، في هذا العهد الزاهر عهد سيدي خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز وولي عهده الأمين الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز حفظهما الله تعالى.

وفي الختام لا شك أن الكمال لله وحده، فالموسوعة عمل بشري، يعتريها كل ما يعتري أي عمل بشري من النقص والخلل والضعف واختلاف الآراء، وقد جعلتها وقفاً لله تعالى، فشارك في هذا الوقف المبارك بسد الخلل، وإكمال النقص، فلا ترضنّ علينا بالتواصل مشكوراً ومأجوراً، على عنوان الموسوعة، كما نرحب بكل من يريد نشرها بأي وسيلة بشرط أن النشر خيري، وعليه أخذ الموافقة الرسمية من لجنة الموسوعة، وسوف تباع بإذن الله تعالى بأقل من سعر التكلفة.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل لوجهه الكريم خالصاً، وأن يفتح له القلوب، ويكتب له القبول، وينفع به الناس، ويجزل أجر كل من شارك فيها أو سوف يشارك فيها.

والله الموفق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

المشرف العام

د. سَعُودُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ آلِ سَعُودٍ

الإيميل : info@islamiccreed.net

الرياض ص ب ٧٤٨٠ الرمز البريدي ١١٤٦٢

المملكة العربية السعودية - مدينة الرياض

مُقَدِّمَةُ الْمَوْسُوعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإن الله تعالى بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، حتى أبان لعباده دينهم ووضحه لهم، فهذا الدين العظيم أعظم وأكبر وأجل نعمة امتنَّ الله بها على البشرية، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ويعرف قدر هذه النعمة وعظمها من نظر في حال العالم، وما ظهر فيه من أنواع الفساد والانحراف العقدي والخلقي.

فأساس هذا الدين وقاعدته وأصله: العقيدة الصحيحة الخالية من كل بدعة وشائبة ضلال؛ فالعقيدة أساس قبول العمل وسبب النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، وتوحيد الله ﷻ هو أول ما يجب على المكلف، فلذا لم يبدأ الرسل عليهم الصلاة والسلام دعوتهم إلا بالتوحيد، قبل الدعوة إلى أي شيء سواه، وعلى نهج رسل الله عليهم الصلاة والسلام مضى سلف الأمة الكرام، من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وأتباعهم وأئمة المسلمين، قرناً بعد قرن.

وفي هذا العصر اشتدت الحاجة إلى عرض العقيدة الصحيحة بأسلوب سهل ميسر، يصل إلى أكبر عدد من المتلقين، فاتساع شبكة الاتصالات وسرعة نقل المعلومات وتطور وسائل التواصل بين الناس؛ سهّل لكل واحد نشر معتقداته وأفكاره، فكل صاحب فكرٍ أو دينٍ أو مبدأٍ يستخر هذه الوسائل لبث ما يدعو إليه، سواء أكان ما يدعو إليه حقاً أم باطلاً، فنتج عن ذلك انتشار العقائد الفاسدة، والأفكار المنحرفة.

فالحاجة ماسة إلى إصدار عمل يسدُّ هذه الثغرة، ويذبّ عن عقيدة الإسلام

الصادفة، ويشبع نهم الباحثين عن الحقيقة، تبنى صاحب السمو الأمير د. سعود بن سلمان بن محمد آل سعود أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الملك سعود - وفقه الله - مشروعَ إعداد موسوعة شرعية عقدية، تعرض مسائل العقيدة بطريقة علمية رصينة وأسلوب واضح.

وقد عرض صاحب السمو فكرة المشروع على الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، وبعد موافقة الجمعية عليها، دعمها بماله وجهه، وأحال الإشراف عليها وتحريرها إلى الجمعية، وكوّن مجلس إدارة الجمعية «اللجنة العليا للموسوعة»، التي واصلت اجتماعاتها، ووضعت خطة طموحة للموسوعة بعد استعراضها للموسوعات السابقة، وتواصلها مع أصحاب الخبرة، وشكّلت هذه اللجنة فريق عملها، وأشرفت على تنفيذها، وفق ما سيأتي إيضاحه في البنود الآتية بحول الله.

❁ أولاً: أقسام الموسوعة:

تشتمل الموسوعة على أربعة أقسام رئيسة، وهي:

١ - العقيدة.

٢ - الأديان.

٣ - الفرق.

٤ - المذاهب المعاصرة.

وما بين يديك - أخي القارئ - هو القسم الأول، وأما بقية الأقسام فلا يزال العمل جارياً فيها.

❁ ثانياً: أهداف الموسوعة:

١ - إعداد مرجع شامل في علوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، وفق منهج أهل السنة والجماعة، يتسم بالشمول والدقة والتوثيق.

٢ - العمل على تصحيح الأخطاء العلمية والمفاهيم المغلوطة في مسائل العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة.

٣ - تقديم مرجع ذي مصداقية لدراسة عقيدة الإسلام، بعيداً عن التشويه والمغالطة، يُترجم إلى اللغات الحية.

٤ - إثراء المكتبة الإسلامية العقدية بمصدر علمي يجمع بين غزارة المادة العلمية، وأصالة المضمون، وجودة الصياغة، وعمق الطرح.

✽ ثالثاً: الخصائص العامة للموسوعة:

- ١ - الجمع والاستيعاب: اجتهد القائمون على الموسوعة في استقراء المسائل المتعلقة بها؛ لجعلها شاملة لأكبر قدر من المواد التي تدخل في موضوعها.
- ٢ - الترتيب: رُتبت المادة العلمية في الموسوعة ترتيباً هجائياً، يقرب المادة المبحوثة لطالبيها.
- ٣ - التأصيل: اعتمد منهج الكتابة على الجمع بين العرض والنقد على ضوء ما جاء في كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ وفهم السلف الصالح.
- ٤ - التوثيق: أُحيلت جميع المعلومات الواردة في الموسوعة إلى مصادرها، وروعي في ذلك الرجوع إلى المصادر الأصلية.
- ٥ - اللغة والأسلوب: تمت صياغة الموسوعة بلغة عربية سليمة، سَمَتْها: الوضوح والدقة، والتوسط بين الإسهاب الممل والاختصار المخل، والبعد عن الغموض والتعقيد والإيهام؛ بحيث يكون فهمها في متناول المثقفين والباحثين المتخصصين على حدّ سواء.
- ٦ - التجرد في الطرح، والعدل في الحكم: فقد تم الرجوع إلى مصادر الفرق والمقالات، وعُرضت أقوالهم من خلالها، وتمت مناقشتها بمنهج أهل السُنّة الذي يجمع بين بيان الحق ورحمة الخلق، بعيداً عن الظلم والتجني.
- ٧ - سهولة الوصول إلى المعلومات والإفادة منها: فقد اعتمد القائمون على الموسوعة قالباً موحّداً لكل مواد الموسوعة؛ لضمان استيعاب العناصر المتعلقة بها، وسهولة الوصول إليها، كما رتبت مواد الموسوعة ترتيباً هجائياً، وذُيّلت بفهارس كاشفة.
- ٨ - تعدّد الباحثين واختلاف بلدانهم وتخصصاتهم الدقيقة: فقد شارك في كتابة مواد الموسوعة مجموعة من أساتذة الجامعات في عدد من دول العالم؛ إذ شارك في إعدادها أكثر من (٣٦) عالماً وباحثاً، من (١٥) جنسية، كما راجعها عدّد من كبار العلماء في العالم الإسلامي، أو أجزاء منها بحسب ما سمحت به أوقاتهم.
- ٩ - التحكيم العلمي: فقد حكمت جميع مواد الموسوعة من قِبَل فاحصين علميين من ذوي التخصص الدقيق، ثم راجعها بعد ذلك رئيس هيئة التحكيم، وبعد ذلك تم اختيار عدد من كبار العلماء في العالم الإسلامي لمراجعتها.

❁ رابعًا: مراحل العمل في المشروع:

- ١ - مرحلة التخطيط .
- ٢ - مرحلة الإعداد والصياغة .
- ٣ - مرحلة المراجعة والتدقيق .
- ٤ - مرحلة الفهرسة والإخراج .

❁ خامسًا: اللجان الرئيسية العاملة في الموسوعة:

- ١ - اللجنة العليا: وهي اللجنة المشرفة على المشروع، والمخوّلة بتشكيل اللجان وتكليفها، وإعداد الخطة العامة واعتماد الخطط الفرعية وتعديلها، وتقدير المكافآت، إلى غير ذلك مما يتعلق بعمل الموسوعة .
- ٢ - لجنة جمع مواد الموسوعة وتصنيفها: وتضم عددًا من المتخصصين في فروع التخصص الدقيقة، وتولت استقراء وتنسيق مواد الموسوعة في جميع أقسامها، وكذا ما يندرج تحتها من مسائل وفق القالب المعتمد .
- ٣ - الفرق البحثية: وتتكوّن من عدد كبير من الباحثين، وقد روعي في اختيارهم تناسب المواد البحثية مع التخصص الدقيق لهم .
- ٤ - لجنة التحكيم: من ذوي التخصص الدقيق والكفاءة، وتولّت تحكيم جميع مواد الموسوعة .
- ٥ - لجنة المراجعة اللغوية: وتتألف من متخصصين في علوم اللغة، وتولت المراجعة اللغوية لجميع مواد الموسوعة .
- ٦ - اللجنة الفنية: وتولت أعمال الصف والطباعة والفهرسة والإخراج .
- ٧ - اللجنة التّقنيّة: تولت تنسيق العمل التّقنيّ للموسوعة، ويشمل طباعة الموسوعة وتنسيقها، وإعداد النسخ الإلكترونية، وإنشاء موقع للموسوعة يُعلن عنه في المستقبل القريب بمشيئة الله .

❁ سادسًا: منهج كتابة الموسوعة:

- ١ - قسّمت مواد الموسوعة إلى ثلاثة أقسام:
- أ - المواد الأصلية: وهي التي يستوفى بيانها بمجرد أن تذكر، فلا تذكر تحت غيرها .
- والأصل في اعتبار المصطلح أصليًا أن يكون جديرًا بالاستقلال، بحيث تجمع

بياناته في موطن واحد، ولو كانت كثيرة، ولا يكون له موطن آخر أحقّ منه بأن تُدرج وتُفصل مادّته فيه.

والالتزام بتفصيل ما يتصل بالمصطلح لا يمنع من إحالة بعض بياناته إلى مصطلح أصلي آخر فيما يشتركان فيه، وكذلك إذا كان لعدد من المصطلحات الأصلية مصطلح أوسع يشملها كلها.

ب - المواد الفرعية: وهي المندرجة تحت مصطلح أصلي، ولا مانع من التعريف به إجمالاً، والإحالة إلى موضعه تحت المصطلح الأصلي.

ج - المواد الدلالية: وهي المصطلحات التي ذكرت لمجرد الإرشاد إلى الموطن الذي اختير لبحث الموضوع تحته، فهي مرادفات لعناوين المواد الأصلية، فهذه المصطلحات يقتصر فيها على تحديد مكان بحثها بين مواد الموسوعة.

٢ - اعتمد قالب عام لجميع مواد الموسوعة، يضم عناصر المادة المراد الكتابة فيها، لتكون جميع المواد على منوال واحد، ما عدا المصطلحات المتعلقة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والصحابة رضي الله عنهم الذين وردت في سيرهم مسائل عقدية. والهدف من اعتماد القالب الموحد توحيد أسلوب الكتابة في المصطلحات، واستيعاب جميع المادة العلمية، وإذا لم تتوفر مادة محددة في أحد عناوين القالب فإن هذا العنوان يحذف.

والقالب المعتمد لهذه الموسوعة كان على النحو التالي:

١ - التعريف، ويتضمن التعريف اللغوي والتعريف الشرعي أو الاصطلاحي، وقد روعي في التعريف اللغوي ما يلي:

- استيفاء التعريف بذكر الاشتقاق اللغوي والمعنى.

- الالتزام بالمراجع اللغوية الآتية: «مقاييس اللغة» لابن فارس، «تهذيب اللغة» للأزهري، «الصحاح» للجوهري، «القاموس المحيط» للفيروزآبادي، إلا إن رأى الباحث فائدة في غيرها، فلا بأس أن يرجع إليه.

وأما التعريف الشرعي أو الاصطلاحي فقد روعي فيه ما يلي:

- استيفاء التعريف

- المصطلح المركب يُعرف بصفته مصطلحاً مركباً دون تعريف كل جزء منه على حدة.

- إذا كان للمصطلح عدد من التعريفات فإنه يختار أجمعها وأشملها وأكثرها

اختصارًا إذا كانت غير متباينة، فإن كانت متقاربة في القوة ذُكرت جميعًا.

٢ - العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي أو الاصطلاحي، وروعي فيه ما يلي:

- استيفاء ذكر العلاقة إن كانت موجودة.

- تحديد نوع العلاقة: أهى بين المعنى اللغوي والشرعي، أم بين المعنى

اللغوي والاصطلاحي.

٣ - سبب التسمية.

٤ - الأسماء الأخرى.

٥ - الحكم.

٦ - الحقيقة.

٧ - المنزلة.

٨ - الأهمية.

٩ - الأدلة، وقد روعي فيها الآتي:

- التنوع في الاستدلال بإيراد أدلة الكتاب والسنة وآثار السلف، ودلالة العقل

والفطرة بما يجلي المسألة، مع الإيجاز قدر الإمكان.

- عزو الآيات الكريمة في المتن، وتخريج الأحاديث الشريفة والآثار في

الحاشية، ويكتفى في عزو الأحاديث بالعزو إلى الصحيحين أو أحدهما، وأما ما

كان خارجهما فإنه يعزى إلى بقية الكتب التسعة، مع ذكر الحكم عليه من أقوال أهل

العلم.

١٠ - أقوال أهل العلم، وقد روعي فيها ما يلي:

- التقدم الزمني ما أمكن من جهة، وتنوع المذاهب الفقهية من جهة أخرى،

دون ذكر الوفاة، ولا يطال في نقل كلام أهل العلم.

- الأمانة العلمية، والدقة في النقل، والتوثيق بالإحالة إلى المصادر الأصلية.

١١ - الأركان.

١٢ - الشروط.

١٣ - الأقسام.

١٤ - المراتب.

١٥ - المسائل المتعلقة.

١٦ - الفروق .

١٧ - الثمرات .

١٨ - الآثار .

١٩ - الحكمة .

٢٠ - مذهب المخالفين ، وقد روعي فيه الآتي :

- ذكره إجمالاً .

- تفصيل الرد عليهم .

- ذكر الاتجاهات ، مثال ذلك : ينفي هذه الصفة الجهمية والمعتزلة .

- ذكر مرجعين أو ثلاثة لكل فرقة .

٢١ - المصادر والمراجع ، وروعي فيها الآتي :

- في نهاية المادة إحالة عامة ، ويذكر فيها عشرة مراجع على الأقل ، إلا إذا لم

يجد الباحث للمادة التي يبحث فيها عشرة مراجع فإنه لا يُلزم بالتقيد بهذا العدد .

- ذكر المراجع المهمة الموضحة للمعلومات المرتبطة بالمادة كلها ، وليس

مراجع المعلومات الخاصة التي كتبت في المصطلح .

- رتبت المراجع هجائياً .

- ذكر اسم المؤلف مختصراً في الإحالة .

- إذا كانت الإحالة إلى كتاب هو موضوع المادة - مثل : كتاب الرؤية

للدارقطني في مصطلح (الرؤية) - ؛ فيُكتفى بذكر الكتاب دون ذكر الطبعة ، وأما في

غير ذلك ؛ فتُذكر معلومات الطبعة في المرة الأولى التي يرد فيها اسم الكتاب داخل

المصطلح الواحد .

والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به أمة

محمد ﷺ ، وكل قاصد للوصول إلى الحق .

واللجنة العليا للموسوعة تأمل من القراء الكرام تزويدها بملاحظاتهم ، ليتم

استدراكها في طبعات لاحقة إن شاء الله تعالى على وسائل التواصل السابقة في

تقديم المشرف العام .

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أَصْحَابُ السَّمَاحَةِ وَالْمَعَالِي وَالْفَضِيلَةِ الَّذِينَ رَاجَعُوا الْمَوْسُوعَةَ أَوْ بَعْضَ الْأَجْزَاءِ

- ١ - معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية.
- ٢ - معالي الشيخ أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، عضو هيئة كبار العلماء، ووزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية سابقًا.
- ٣ - معالي الشيخ أ. د. صالح بن عبد الله بن حميد، عضو هيئة كبار العلماء، وإمام الحرم المكي الشريف.
- ٤ - سماحة الشيخ أحمد المرابط الشنقيطي، مفتي عام موريتانيا، وإمام الجامع الكبير.
- ٥ - سماحة الشيخ أ. د. أحمد بن محمد هليل، وزير الأوقاف في المملكة الأردنية الهاشمية سابقًا.
- ٦ - أ. د. محمود محمد مزروعة، أستاذ العقيدة والأديان بجامعة الأزهر.
- ٧ - د. صهيب حسن عبد الغفار، رئيس جمعية القرآن، لندن - بريطانيا، وعضو المجلس الأوروبي للإفتاء.
- ٨ - أ. د. مصطفى بن محمد حلمي، سليمان، أستاذ العقيدة والمذاهب، جامعة القاهرة.
- ٩ - فضيلة الشيخ أسعد أعظمي بن محمد أنصاري، الهند، الأستاذ بالجامعة السلفية بنارس الهند، وعضو الهيئة العالمية للعلماء المسلمين برابطة العالم الإسلامي.
- ١٠ - أ. د. عبد الله شاکر جنيدي، أستاذ العقيدة، والرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية مصر.

تقديم معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين؛ وبعد:

لقد حظي كل فن من فنون العلم بجمع مصطلحات خاصة به، وحظي كل فرع من فروع الفن الواحد بجمع ما يخصه من مصطلحات لا يُشاركه في معناها الخاص غيره، وإن أشرف العلوم ما يتصل بتوحيد الله تعالى في عبادته، وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والقدر واليوم الآخر مما تركز عليه سائر مسائل الاعتقاد، وهذا الفن الشريف له ألفاظ ومصطلحات تخصه أكثر من غيره من الفنون، وربما يستأثر بها، ولهذا اشتغل الباحثون في جمع ألفاظ الاعتقاد، واختلفت حدودهم.

ولما طالعْتُ موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة التي أعدها نخبة من المختصين، وراجعها وحكمها لجنة من أساتذة وأساتذة مشاركين؛ وجدتها أوسع كتب الفهارس والمعاجم العقديّة حدودًا، ومن أكثرها مادةً وألفاظًا.

ولقد أحسن صاحبُ السموِّ الأمير د. سعود بن سلمان بن محمد آل سعود باقتراح فكرة الموسوعة، وعرض عمل المشروع على الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة، والتي جمعت أعلامًا من الداخل والخارج لتكتب موسوعةً مركزةً على عقيدة أهل السنة والجماعة، وتجعل ذهن قارئها تتمثل فيه حقيقة كون العلم رحماً بين أهله، وحقيقة أن توحيد رب العالمين - وهو رأس العلم - خير جامعة، وأقوى رابطة.

شكر الله لصاحب السموّ الأمير د. سعود بن سلمان بن محمد آل سعود أستاذ العقيدة والمذاهب المشارك في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض، وأصحاب الفضيلة رئيس وأعضاء اللجنة العليا للموسوعة، ورئيس وأعضاء هيئة تحكيم الموسوعة، والباحثين المشاركين في كتابتها وإعدادها.

وأسأل الله تعالى أن يجزيهم خير الجزاء على هذا العمل الجليل وأن يعمّ بنفعه المسلمين، كما أسأله سبحانه أن يعينهم على إتمامه.

وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

مكتب الوزير

(٢٦١)

الرقم: _____
التاريخ: _____
المشروعات: _____

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :
لقد حظي كلُّ فنٍّ من فنون العلم بجمع مُصطلحات خاصّة به ، وحظي كلُّ فرع من فروع الفنّ الواحد بجمع ما يخصّه من مصطلحات لا يُشاركه في معناها الخاصّ غيره ، وإنّ أشرفَ العلوم ما يتّصل بتوحيد الله تعالى في عبادته ، وربوبيّته وأسماءه وصفاته ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والقدر واليوم الآخر مما ترتكز عليه سائر مسائل الاعتقاد ، وهذا الفنّ الشريف له ألفاظٌ ومُصطلحات تخصّه أكثر من غيره من الفنون ، وربّما يستأثر بها ، ولهذا اشتغل الباحثون في جمع ألفاظ الاعتقاد ، واختلفت حدودهم . ولما طالعتُ موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة التي أعدها نخبةٌ من المختصّين ، وراجعتها وحكمتها لجنةٌ من أساتذة وأساتذة مشاركين : وجدتُها أوسعَ كُتب الفهارس والمعاجم العقديّة حدوداً ، ومن أكثرها مادةً وألفاظاً .

ولقد أحسن صاحبُ السموّ الأميرد . سعود بن سلمان بن محمد آل سعود باقتراح فكرة الموسوعة ، وعرضَ عمل المشروع على الجمعيّة العلميّة السعودية لعلوم العقيدة ، والتي جمعت أقالماً من الداخل والخارج لتكتب موسوعةً مركّزةً على عقيدة أهل السنة والجماعة ، وتجعل ذهن قارئها تتمثّل فيه حقيقة كون العلم رحماً بين أهله ، وحقيقة أنّ توحيد ربّ العالمين - وهو رأس العلم - خيرُ جامعة ، وأقوى رابطة . شكر الله لصاحب السموّ الأميرد . سعود بن سلمان بن محمد آل سعود أستاذ العقيدة والمذاهب المشارك في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض ، وأصحاب الفضيلة رئيس وأعضاء اللجنة العليا للموسوعة ، ورئيس وأعضاء هيئة تحكيم الموسوعة ، والباحثين المشاركين في كتابتها وإعدادها . وأسأل الله تعالى أن يجزيهم خير الجزاء على هذا العمل الجليل وأن يعمّ بنفعه المسلمين ، كما أسأله سبحانه أن يعينهم على إتمامه .

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

تقديم معالي الشيخ
أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي
عضو هيئة كبار العلماء، وزير الشؤون الإسلامية والإرشاد
في المملكة العربية السعودية سابقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد:

فقد سررت كثيراً حينما وصلتني نسخة من هذه الموسوعة المباركة، والتي أشرفت على جمعها وإصدارها الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والفِرَق والأديان والمذاهب.

وكان لصاحب السمو الأمير الفاضل سعود بن سلمان بن محمد آل سعود، الأستاذ المشارك في جامعة الملك سعود، اهتمام بهذه الموسوعة ومتابعة لها، فله ولزملائه في الجمعية الشكر والتقدير، والدعاء الخالص لله ﷻ أن يعظم لهم الأجر والثوبة، وأن يوفقهم إلى مزيد من خدمة الإسلام والمسلمين.

ولا يستغرب أن تصدر هذه الموسوعة المباركة في المملكة العربية السعودية، وبجهد من أبنائها.

فالمملكة متنزل رسالة الإسلام الخالدة على خاتم الأنبياء والمرسلين، ورحمة الله للعالمين أجمعين، رسولنا وقدوتنا محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ومن المملكة انطلق الإسلام، حملة أبنائها البررة إلى العالم أجمع، فهدى الله به البشر، وجمعهم على أفراد الله بالعبادة، وطاعته فيما أمر، والابتعاد عما نهى عنه وزجر.

وتتميز المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها وإلى الآن، والحمد لله بقيامها

على الكتاب والسنة، وفق فهم السلف الصالح، وتطبيق شرع الله، وخدمة الحرمين الشريفين وقاصديهما، والإسلام والمسلمين حيثما كانوا.

وهذه خصوصية لا توجد في غيرها من الدول والمجتمعات.

والعقيدة في الإسلام، هي أساس الدين، وهي الإيمان الحق، وترتبط بها الأعمال الصالحة، وتصلح بذلك أحوال المسلمين في دنياهم وأخراهم.

والاهتمام والعناية بها له الأولوية في حياة المسلمين، علماً ودعوة، وسلوكاً، منذ نزول الوحي على محمد ﷺ في مكة المكرمة، واستمرار المسيرة المباركة في المدينة المنورة في العهد النبوي، ثم في عهد الخلفاء الراشدين، رضي الله عنهم وأرضاهم، ثم في الدول الإسلامية المتتابة، على اختلاف بينها في بعض الأولويات والأعمال.

وإعطاء العقيدة الإسلامية وعلومها، ومصادرهما من كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع المسلمين، إعطاؤها الأهمية والعناية بها بالنسبة لعلماء المسلمين وأئمتهم، واضح كل الوضوح في سير العلماء وتاريخهم وما صدر من مؤلفات ورسائل لا تُحصى في مختلف العصور والأماكن.

وفي الوقت الحاضر تخصصت كليات وأقسام ومراكز في ذلك.

ومن نتائج ذلك أن معظم المسلمين، والحمد لله في التاريخ الإسلامي، وإلى الآن على منهج أهل السنة والجماعة في قضايا الاعتقاد خاصة، وإن ضعفت في بعض الفترات والأماكن.

ومن آثار ذلك وضوح الرؤية في المواقف من الفرق والطوائف التي لم تتقيد بمنهج أهل السنة والجماعة، سواء في مواقف ولاية الأمر منهم، أم مواقف العلماء، وعامة المسلمين، والحرص على هدايتهم وعودتهم للمنهج الحق، وهو ما كان عليه رسولنا ﷺ، وصحابته الكرام، وسلف الأمة الصالح.

وإذا تأمل الإنسان بموضوعية وعدل وأمانة أسباب خروج تلك الفرق والطوائف عن المنهج الحق، أدرك بيقين أنها نتائج لفهم خاطئ، وتصرفات فردية لظروف خاصة، وأن لأعداء الإسلام والمسلمين أثراً قوياً في ذلك.

ولو أن الأمة الإسلامية: ولاية الأمر، والعلماء والمثقفين، والإعلاميين، وذوي الشأن والتأثير، قاموا بما يجب عليهم تجاه عقيدتهم ودينهم، واجتمعوا عليها، وتحاكموا وفق شرع الله، لما كان لهذه الطوائف والفرق تأثيرها في المجتمعات الإسلامية، التي تعج الآن بالفتن والخلاف والطائفية.

ولن نياس - بإذن الله - من مواجهة التحديات واجتماع الكلمة، وعودة المسلمين إلى مكانتهم وشأنهم وحضارتهم، مصدر اعتزازهم وفخرهم. لقد سررت بالاطلاع على بعض الموضوعات في هذه الموسوعة المباركة. والأمل كبير أن تكون وافية في مجالها، مفيدة لكل من أراد التعرف على العقيدة الصحيح، والعلماء الذين خدموها في التاريخ الإسلامي. ومن أراد التعرف على المواقف المخالفة لهم وأسبابها، وإيضاح الحق في ذلك.

أداءً لأمانة العلم، وتمسكاً بالمنهج الحق، ومعرفة من يسيئون للإسلام وأهله، مستندين على أدلة غير صحيحة.

وهذه رسالة أهل العلم في الإسلام؛ فالعلماء ورثة الأنبياء، وفضلهم كبير ومكانتهم عالية، كما في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه بحظّ وافر».

وإذا قام العلماء بواجبهم في العلم الشرعي، بياناً له ودعوة إليه، وعملاً به، وبخاصة في أمر العقيدة، وتوحيد الله في عبادته، جوهر الرسالات الإلهية كلها، وما سار عليه رسل الله.

إذا قاموا بذلك قلّت البدع والشركيات، وتحققت خشية الله في نفوس المسلمين، وابتعدوا عن الفتن والخلاف والمعاصي.

إن الأمل كبير أن تكون هذه الموسوعة مرجعاً متميزاً في علوم الأديان والفرق والمذاهب، وتصحيح الأخطاء والمفاهيم المغلوطة.

وذلك من خلال استقراء المسائل العقدية، وتسهيل معرفتها للباحثين، وتوثيق النقول بأمانة وموضوعية وعدل، وتوضيح ما يحتاج إلى توضيح.

وأن مشاركة عدد من الباحثين المتخصصين من عدد من الدول تتميز به هذه الموسوعة، مما يعطيها تداولاً أوسع، واستفادة أكثر، باعتبار أن المسلمين أمة واحدة.

ومن مزاياها الواضحة: تحكيم أبحاثها من قِبَل متخصصين، وتوفير عدد من اللجان في ذلك.

كل ذلك يطمئن الباحثين والمستفيدين منها.

وإننا لنحمد الله ونشكره أننا في ظل دولة قامت على الكتاب والسنة، واعتنت بما كان عليه سلف الأمة الصالح عقيدة وشرعية، إيماناً وعملاً ودعوة.

أسأل الله أن يحفظ خادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود، وأن يوفقهما وأعوانهما إلى ما يحبه ويرضاه، مما يخدم المسلمين، ويعمق إيمانهم على الصراط المستقيم، ويجمع كلمتهم على الحق.

وأن يحفظ مملكتنا، وبلاد المسلمين كافة من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وأكرر شكري للجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والقائمين عليها، وأشكر الباحثين والمساهمين بآرائهم وإشاداتهم بهذه الموسوعة، مقدراً لسمو الأمير سعود بن سلمان بن محمد، جهده وحرصه على ما فيه الخير.

سائلاً الله أن يجعل أعمالنا وأقوالنا خالصة لوجهه الكريم، متبعين في ذلك إمامنا وقدوتنا، محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

د. عَبْدَ اللَّهِ بن عَبْدِ الْمُحْسِن التَّركي

تقديم معالي الشيخ
أ.د. صالح بن عبد الله بن حميد
 عضو هيئة كبار العلماء، وإمام الحرم المكي الشريف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ **وبعد:**
 فإن المسلم ينطلق من عقيدته الإسلامية، ترسم له معالم صليته بالله تعالى
 وبالحياة والأحياء والكون من حوله، وعليها تقوم أحكام الشريعة والنظام والأخلاق
 وفي كل جوانب الحياة، كما يضبط كل حركته بضوابطها، وتفسر الحكمة من خلقه
 ونشأته وغايته، ومصيره.

إنها عقيدة ربانية من عند الله، مبرأة من النقص، سالمة من العيب، بعيدة عن
 الحيف والظلم، وقد قال عز شأنه في هذا الدين العظيم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
 وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]؛ فدين أكمله فلن ينقص
 أبداً، ودين رضيه فلن يسخط عليه أبداً، وفي شموله وعمومه، قال في محكم تنزيله:
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
 يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

عقيدة لا تتغير ولا تبدل، فهي خير لأنفسنا، والسعادة تكمن في تنفيذها،
 والشقاء في تركها والإعراض عنها، والخير والبركة والسعادة والتوفيق والتسديد في
 التزامها وتطبيق منهجها. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم
 بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]،
 وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَنِيذًا﴾ [٩٦] وَإِذَا
 لَا تَنبَهُهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٩٨﴾ [النساء: ٦٦، ٦٨].

وإن إسلام الوجه لله وإفراده بالعبادة من أصول العقيدة، يرتقي بالمؤمن في خلقه
 وتفكيره، ويسلم من زيغ القلوب وانحراف الأهواء وظلمات الجهل وأوهام الخرافة،

ومن المحتالين والدَّجَالين وأخبار السوء ورهبانه، ممن يشترُونَ بآيات الله ثمنًا قليلًا .
التوحيد الخالص المخلص يحفظ الإنسان من الانفلات بلا قيد ولا ضابط .
وفي الكتاب الكريم يقول المولى ﷺ: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ
عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢] .

ولا يتحقق الفلاح والسعادة والسرور في الدارين إلا بالعلم بهذه العقيدة،
والقيام بها قولاً وعملاً واعتقاداً، ثم التفقه في الشريعة المبنية عليها والعمل بها .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والمقصود هنا: أن السعادة التي هي كمال
البهجة والسرور واللذة ليس هي نفس العلم، ولا تحصل بمجرد العلم؛ بل العلم
شرط فيها؛ بل لا بد من العلم بالله، وبأمره، كما قال النبي في الحديث المتفق على
صحته: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» .

فكل من أراد الله به خيراً، فلا بد أن يفقهه في الدين، فمن لم يفقهه في الدين لم
يرد به خيراً، فليس كل من فقهه في الدين قد أراد به خيراً؛ بل لا بد مع الفقه في الدين
من العمل به، فالفقه في الدين شرط في حصول الفلاح، فلا بد من معرفة الرب - تعالى -،
ولا بد مع معرفته من عبادته، والنعيم واللذة حاصل بذلك، لا أنه هو ذلك»^(١) .

أما اسم العقيدة فلم تجر به أقلام العلماء المتقدمين ولم يظهر في استعمالهم
كاصطلاح لهذا العلم، وإنما استعملوا ما يدل عليها؛ كالسُّنَّة والشريعة والإيمان، كما
في عناوين مصنفاتهم في ذلك، وإن كان لفظ العقيدة يعبر بمشتقاته عما يدل على جزم
القلب واطمئنانه في أقوال الصحابة واستعمالات التابعين ومن جاء بعدهم، ولعل أول
من استعمل لفظة العقيدة كاصطلاح علمي إن لم يكن - والله أعلم - أولهم: الإمام أبا
عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللهُ في عنوان كتابه: «عقيدة السلف أصحاب الحديث» .

هذا؛ وقد اعتنى علماء الإسلام بتدوين هذا الفن العظيم أيًا ما كان اسمه؛
فألَّفوا فيه المختصرات المطولات تحقيقاً لأصول الدين ومبانيه، وامتد هذا التدوين
إلى وقتنا الحاضر .

وقد استقرأ بعض الباحثين دواعي وبواعث تدوين العقيدة فكان محصل ما
توصلوا إليه الآتي :

أولاً: رغبة طلاب العلم والمهتمين من العلماء التأليف في مسألة أو نازلة

علمية أو الرد على شبهات بعض أهل الزيغ ونحو ذلك، وهذا كثيرًا ما يصرحون به في بداية مصنفاتهم بيانًا لبواعث التصنيف.

ثانيًا: انتشار مذاهب أهل البدع ومقالاتهم فلم يسع العلماء من أهل السُّنة السكوت، فصدعوا بالحق وأفاضوا في البيان حتى لا يغتر العامة والدهماء بمثل هذه الشبهات.

ثالثًا: الجهل ببعض المسائل وعدم التفريق بين الأصول الكبار التي لا يعذر فيها بالجهل وبين المسائل التي للنظر والاجتهاد فيها مجال، فحصلت الفرقة والشقاق، فاحتاج أهل العلم للتأليف في بعض تلك المسائل لبيان الحق وتضييق الخلاف.

رابعًا: قصد بعض الأئمة إلى بيان عقيدته حتى لا ينسب إليه شيء لم يقل به خاصة، وأن من عادة أهل البدع الكذب على أئمة أهل السُّنة وعلمائهم.

خامسًا: تعرّض بعض أهل العلم لبعض الفتن والأحداث التي تدعوه إلى بيان موقفه الصحيح من بعض القضايا العقديّة، ولعل المثل الذي يستحضر دائمًا فتنة اللفظ التي أودى بسببها الإمام البخاري، ومن أجلها ألف كتابه العظيم: «خلق أفعال العباد» حتى يبين الحق في المسألة ويرد التهمة عن نفسه أداءً منه للأمانة وإبراءً للذمة.

سادسًا: خشية ضياع العلم بسبب موت العلماء من الصحابة ومن بعدهم رضوان الله عليهم أجمعين.

سابعًا: دور الحكام والأمراء في توجيه العلماء لتدوين العلم أو التأليف عمومًا.

ثامنًا: المؤثرات الخارجية من احتكاك المسلمين بغيرهم من أهل الملل والنحل، ولا سيما بعد الفتح الإسلامي الكبير لبلدان الدنيا.

تاسعًا: مسائل العقيدة المستجدة، ومن أهمها: مسائل الصفات، وما يتعلق بالإيمان ومسائل القضاء والقدر، فهذه المسائل العظيمة وغيرها، كانت دافعًا قويًا وباعثًا لأهل العلم ليسيئوا الحق فيها.

وعلى تعدّد تلك البواعث، تنوّعت المؤلفات في العقيدة من حيث طريقتها وعرض محتواها؛ فمن أنواع المؤلفات في علم العقيدة: المؤلفات الشاملة لأبواب العقيدة، والمؤلفات في باب معين من أبواب الاعتقاد، أو مسألة خاصة من مسائله، والمؤلفات في ذكر البدع والتحذير منها والردل على المبتدعة.

وامتدت عناية أهل الاختصاص إلى تبني الأعمال الشمولية في تدوينها، ومن أجل تلك العناية، جاء تدوين الموسوعات العلمية الجامعة لأصول العلم ومصطلحاته، ومسالك العلماء فيه، وتجلية مضامينه وفق عرض مدرّوس، كاشف

لذلك العلم ومسائله في قالب علمي يسهل معه الوصول للمعلومة، وبصياغات ميسرة للباحثين التصور والفهم، وقد يكون هذا مما اختص بها عصرنا لتوسُّع العلوم والمعارف، وتنوُّع المصادر، وتقريب الوصول إليها، وسهولة استعمالها.

ومن تلك الأعمال: «موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة»، الصادرة عن الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، بإشراف صاحب السمو الأمير الدكتور سعود بن سلمان بن محمد آل سعود - حفظه الله - فهو عمل علمي متين في فكرته، وموضوعاته، وترتيبه، وصياغته.

وهذا العمل بلا شك، عمل ريادي يبرز الدور العلمي والعملية للجمعيات العلمية المتخصصة، كما يعكس أثر الجهد العلمي الجماعي المؤسسي في بناء العلم وخدمته، فإن الأفكار والمشاريع العلمية الرائدة هي التي تحقق رغبات المهتمين والمتخصصين من حيث التواصل المعرفي والبناء العلمي لكل قاصد للتعلُّم والتعليم. ومن وقف على أهداف هذه الموسوعة، وخصائصها، ومراحل العمل بها، ومنهج تدوينها أدرك مقدار الجهد المبذول فيها، لا حرم الله القائمين عليها الأجر والثوبة والرفعة في الدارين.

وأشكر الله تعالى أن وفق المشرف العام على الموسوعة صاحب السمو الأمير الدكتور سعود بن سلمان بن محمد آل سعود - حفظه الله - لهذه الفكرة الرائدة، فهي لبنة علمية في جدار الحفظ والتحصيل لمنهج أهل السُّنة والجماعة، كما أشكر الله على تسديده لأعضاء اللجان والباحثين من أصحاب الفضيلة، والفنيين في هذا المشروع في عملهم، وأسأله تعالى أن يتمه على الوجه الذي يرضيه.

كما أشيد بالجهود المبذولة من «الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب»، فيما يعزز عقيدة أهل السُّنة والجماعة بياناً، وتأصيلاً، وتقريباً لعموم المسلمين تحقيقاً لوحدة الأمة واجتماع صفها على كتاب الله وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام وفق منهج السلف الصالح.

سائلاً المولى العليّ القدير أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى. وصلى الله وسلّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

كتبه

د. صالح بن عبد الله بن حميد

١٤٣٨/٧/٢٩ هـ

الرقم / ٢١٦٥٩
التاريخ / ١٤٣٨ / ٧ / ٢٩ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الملك عبدالعزيز بن سعود آل سعود

والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فإن المسلم ينطلق من عقيدته الإسلامية، ترسم له معالم صليته بالله تعالى وبالحياة والأحياء والكون من حوله، وعليها تقوم أحكام الشريعة والنظام والأخلاق وفي كل جوانب الحياة، كما يضبط كل حركة بضوابطها، وتفسر الحكمة من خلقه ونشأته وغايته، ومصيره.

أما عقيدة ربانية من عند الله، مبرأة من النقص، سالمة من العيب، بعيدة عن الحيف والظلم، وقد قال عز شأنه في هذا الدين العظيم : { ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا .. } (٣) سورة المائدة. فدين أكمله فلن ينقص أبداً، ودين رضيه فلن يستخط عليه أبداً، وفي شموله وعمومه قال في محكم تنزيله: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (٩٠) سورة النحل.

عقيدة لا تتغير ولا تبدل، فهي خير لأنفسنا، والسعادة تكمن في تنفيذها، والشقاء في تركها والإعراض عنها، والخير والبركة والسعادة والتوفيق والتسديد في التزامها وتطبيق منهجها: قال تعالى: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } . (الأعراف: ٩٦). وقال تعالى: { وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا (٦٦) وَإِذَا لَأَتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا } (النساء: ٦٦-٦٧).

وإن إسلام الوجه لله وإفراده بالعبادة من أصول العقيدة، يرتقي بالمؤمن في خلقه وتفكيره، ويسلم من زيف القلوب والانحراف الأهواء وظلمات الجهل وأوهام الخرافة، ومن المحتالين والدجالين وأخبار السوء ورهبانه، ممن يشتركون بآيات الله ثمناً قليلاً.

التوحيد الخالص المخلص يحفظ الإنسان من الانفلات بلا قيد أو ضابط. وفي الكتاب الكريم يقول المولى جل وعلا: { بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } ، (البقرة: ١١٢)

ولا يتحقق الفلاح والسعادة والسرور في الدارين إلا بالعلم بهذه العقيدة، والقيام بها قولاً وعملاً واعتقاداً، ثم التفقه في الشريعة المبنية عليها والعمل بها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " والمقصود هنا أن السعادة التي هي كمال البهجة والسرور واللذة ليس هي نفس العلم ، ولا تحصيل

بمجرد العلم ، بل العلم شرط فيها ، بل لا بد من العلم بالله ، وبأمره ، كما قال النبي في الحديث المتفق على صحته : (مَنْ يَرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُقَفِّهِ فِي الدِّينِ) .



فكل من أراد الله به خيراً ، فلا بد أن يفقهه في الدين ، فمن لم يفقهه في الدين لم يرد به خيراً ، وليس كل من فقهه في الدين قد أراد به خيراً ، بل لا بد مع الفقه في الدين من العمل به ، فالفقه في الدين شرط في حصول الفلاح ، فلا بد من معرفة الرب - تعالى - ، ولا بد مع معرفته من عبادته ، والتعظيم واللذة حاصل بذلك ، لا أنه هو ذلك" (الصفدية، ٢/٢٦٦).

أما اسم العقيدة فلم تجر به أقلام العلماء المتقدمين ولم يظهر في استعمالهم كاصطلاح لهذا العلم، وإنما استعملوا ما يدل عليها، كالسنة والشرعية، والإيمان كما في عناوين مصنفاتهم في ذلك، وإن كان لفظ العقيدة يعبر بمشتقاته عما يدل على جزم القلب واطمئنانه في أقوال الصحابة واستعمالات التابعين ومن جاء بعدهم، ولعل من أول من استعمل لفظة العقيدة كاصطلاح علمي ان لم يكن والله اعلم اوظهم الإمام أبا عثمان الصابوني - رحمه الله - في عنوان كتابه: (عقيدة السلف أصحاب الحديث).

هذا وقد اعتنى علماء الاسلام بتدوين هذا الفن العظيم اياما كان اسمه، فالتوافيه المختصرات المطولات تحقيقاً لأصول الدين ومبانيه، وامتد هذا التدوين إلى وقتنا الحاضر،

وقد استقرأ بعض الباحثين دواعي وبواعث تدوين العقيدة فكان محصل ما توصلوا إليه الآتي:

أولاً: رغبة طلاب العلم والمهتمين من العلماء التأليف في مسألة أو نازلة علمية أو الرد على شبهات بعض أهل الزيغ ونحو ذلك وهذا كثيراً ما يصرحون به في بداية مصنفاتهم بياناً لبواعث التصنيف.

ثانياً: انتشار مذاهب أهل البدع ومقالاتهم فلم يسع العلماء من أهل السنة السكوت، فصدعوا بالحق وأفاضوا في البيان حتى لا يغتر العامة والدعاة بمثل هذه الشبهات.

ثالثاً: الجهل ببعض المسائل وعدم التفريق بين الأصول الكبار التي لا يعذر فيها بالجهل وبين المسائل التي للنظر والاجتهاد فيها مجال فحصلت الفرقة والشقاق فاحتاج أهل العلم للتأليف في بعض تلك المسائل لبيان الحق وتضييق الخلاف.

رابعاً: قصد بعض الأئمة إلى بيان عقيدته حتى لا ينسب إليه شيء لم يقل به خاصة وأن من عادة أهل البدع الكذب على أئمة أهل السنة وعلمائهم.

خامساً: تعرض بعض أهل العلم لبعض الفتن والأحداث التي تدعوه إلى بيان موقفه الصحيح من بعض القضايا العقدية ولعل المثل الذي يستحضر دائماً فتنة اللفظ التي أودى بسببها الإمام أ



لبخاري ومن أجلها ألف كتابه العظيم ((خلق أفعال العباد)) حتى يبين الحق في المسألة ويرد التهمة عن نفسه أداءً منه للأمانة وإبراءً للذمة.

سادساً: خشية ضياع العلم بسبب موت العلماء من الصحابة ومن بعدهم رضوان الله عليهم أجمعين .

سابعاً: دور الحكام والأمراء في توجيه العلماء لتدوين العلم أو التأليف عموماً.

ثامناً: المؤثرات الخارجية من احتكاك المسلمين بغيرهم من أهل الملل والنحل، ولا سيما بعد الفتح الإسلامي الكبير لبلدان الدنيا .

تاسعاً: مسائل العقيدة المستحجة ومن أهمها مسائل الصفات، وما يتعلق بالإيمان ومسائل القضاء والقدر، فهذه المسائل العظيمة، وغيرها كانت دافعاً قوياً وباعثاً لاهل العلم ليبينوا الحق فيها.

وعلى تعدد تلك البواعث تنوعت المؤلفات في العقيدة من حيث طريقتها وعرض محتواها، فمن أنواع المؤلفات في علم العقيدة: المؤلفات الشاملة لأبواب العقيدة ومنها، والمؤلفات في باب معين من أبواب الاعتقاد، أو مسألة خاصة من مسائله، والمؤلفات في ذكر البدع والتحذير منها والرد على المبتدعة.

وامتدت عناية أهل الاختصاص إلى تبني الأعمال الشمولية في تدوينها، ومن أجل تلك العناية، جاء تدوين الموسوعات العلمية الجامعة لأصول العلم ومصطلحاته، ومسالك العلماء فيه، وتجليه مضامينه، وفق عرض مدروس، كاشف لذلك العلم ومسائله، في قالب علمي يسهل معه الوصول للمعلومة، وبصياغات ميسرة للباحثين التصور والفهم، وقد يكون هذا مما اختص بها عصرنا لتوسع العلوم والمعارف، وتنوع المصادر، وتقريب الوصول إليها، وسهولة استعمالها.

ومن تلك الأعمال (موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة)، الصادرة عن الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، بإشراف صاحب السمو الأمير الدكتور/ سعود بن سلمان بن محمد آل سعود - حفظه الله - فهو عمل علمي متين في فكرته، وموضوعاته، وترتيبه، وصياغته.

وهذا العمل بلا شك، عمل ريادي يبرز الدور العلمي والعملية للجمعيات العلمية المتخصصة، كما يعكس أثر الجهد العلمي الجماعي المؤسسي في بناء العلم وخدمته، فإن الأفكار والمشاريع العلمية الرائدة هي التي تحقق رغبات المهتمين والمتخصصين من حيث التواصل المعرفي والبناء العلمي لكل قاصد للتعليم والتعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الجمهورية العربية السعودية

ومن وقف على أهداف هذه الموسوعة، وخصائصها، ومراحل العمل فيها، ومنهج تدوينها أدرك مقدار الجهد المبذول فيها، لا حرم الله القائمين عليها الأجر والثوبة والرفعة في الدارين.

وأشكر الله تعالى أن وفق المشرف العام على الموسوعة صاحب السمو الأمير الدكتور/ سعود بن سلمان بن محمد آل سعود - حفظه الله - لهذه الفكرة الرائدة، فهي لبنة علمية في جدار الحفظ والتحصيل لمنهج أهل السنة والجماعة، كما أشكر الله على تسديده لأعضاء اللجان والباحثين من أصحاب الفضيلة، والفنيين في هذا المشروع في عملهم، وأسأله تعالى أن يتمه على الوجه الذي يرضيه.

كما أشيد بالجهود المبذولة من (الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب)، فيما يعزز عقيدة أهل السنة والجماعة بياناً، وتأصيلاً، وتقريباً لعموم المسلمين تحقيقاً لوحدة الأمة واجتماع صفها على كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وفق منهج السلف الصالح.

سائلاً المولى العلي القدير أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

٢٠١٧/١٢/٢٩
كتبه
د. صالح بن عبد الله بن حميد

تقديم سَمَاحَةِ الشَّيْخِ
أَحْمَدَ الْمُرَابِطِ الشَّنْقِيطِيِّ
نُفْيَ غَامِ ثُرَيَّا نِيَا، وَإِمَامِ الْجَامِعِ الْكَبِيرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى
بهدهاء؛ أما بعد:

فمن المعلوم من دين الإسلام ضرورة أن أساس الإسلام الذي يقوم عليه
مبناه: هو عقيدة توحيد الله تعالى في ألوهيته وفي ربوبيته وفي أسمائه وصفاته، لذلك
اقتصر الوحي من بدئه على تقريرها طيلة ثلاث عشرة سنة، وضمن الله تعالى أقسامها
الثلاثة فاتحة كتابه، إضافة إلى تقريرها فيما لا يحصى من الآيات المحركات اللاتي
هنَّ أمُّ الكتاب، والأحاديث كثيرة مستفيضة في الباب، فدلَّ ذلك على أنَّ أهم ما
يهتم به المؤلفون والباحثون هو تطوير التأليف والبحث فيها، وتخليصها وتنقيتها من
شوائب البدع والضلالات والخرافات.

وفي هذا الميدان أصدرت الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان
والفِرَق والمذاهب «موسوعة العقيدة والأديان والفِرَق والمذاهب المعاصرة» بإشراف
المشرف العام عليها: صاحب السمو الأمير الدكتور سعود بن سلمان بن محمد آل
سعود، أستاذ العقيدة والمذاهب، المشارك في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة
الملك سعود، ولقد اطلعتُ استجابةً لسمو الأمير على البعض من القسم الأول منها:
قسم العقيدة الإسلامية، فلمستُ غزارة في العلم، وسلاسة في العبارة، ووضوحًا في
الاستدلال، وتمكُّنًا في منهجية البحث.

لذلك؛ أوصي بكامل العناية بها طبعًا ونشرًا، كما أنصح طلاب العلم بالرجوع
إليها، والجد في الحصول عليها.

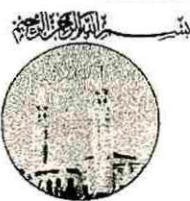
شكر الله مساعي الساعين فيها من: مشرفها العام صاحب السمو الأمير الدكتور
سعود بن سلمان بن محمد آل سعود، إلى لجنتها العليا، إلى هيئة تحكيمها، إلى
الباحثين المشاركين في كتابتها، كل باسمه، وجميل اسمه.
وصلّى الله على نبينا وعلى آله وصحبه وسلّم.

قاله وأمله مفتي عام موريتانيا

أحمد المُرابط الشنقيطي

Moufti Général
Et Imam de La Grande Mosquée
AHMED MOURABIT
Chinguetti

Tél : Bureau : 00 222 45 29 51 02
Fax : 00 222 45 29 36 99
Domicile : 00 222 45 25 82 62 - 00 222 45 25 05 47
GSM : 00 222 46 40 75 79 - 00 222 22 66 57 38
00 222 22 40 75 79 - 00 222 22 41 79 07
E-mail : ah.mourabit@gmail.com
BP : 842 - Nouakchott - Mauritanie



المفتي العام
وإمام الجامع الكبير
الشيخ / أحمد المرابط
الشنقيطي

هاتف المكتب : ٠٠ ٢٢٢ ٤٥ ٢٩ ٥١ ٠٢
فاكس : ٠٠ ٢٢٢ ٤٥ ٢٩ ٣٦ ٩٩
المنزل : ٠٠ ٢٢٢ ٤٥ ٢٥ ٨٢ ٦٢ - ٠٠ ٢٢٢ ٤٥ ٢٥ ٠٥ ٤٧
الجوال : ٠٠ ٢٢٢ ٤٦ ٤٠ ٧٥ ٧٩ - ٠٠ ٢٢٢ ٢٢ ٦٦ ٥٧ ٣٨
٠٠ ٢٢٢ ٢٢ ٤١ ٧٩ ٠٧ - ٠٠ ٢٢٢ ٤٠ ٧٥ ٧٩
البريد الإلكتروني : ah.mourabit@gmail.com
ص ب : ٨٤٢ - أنواكشوط - موريتانيا

الرقم :
التاريخ :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه

أما بعد؛

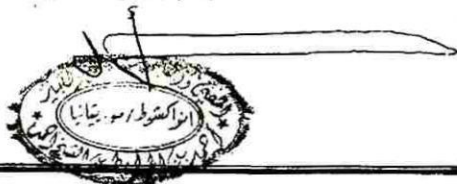
فمن المعلوم من دين الإسلام ضرورة أن أساس الإسلام الذي يقوم عليه مبناه هو عقيدة توحيد الله تعالى في ألوهيته وفي ربوبيته وفي أسائه وصفاته، لذلك اقتصر الوحي من بدئه على تقريرها طيلة ثلاث عشرة سنة، وضمن الله تعالى أقسامها الثلاثة فاتحة كتابه إضافة إلى تقريرها فيما لا يحصى من الآيات المحكمات اللاتي هن أم الكتاب، والأحاديث كثيرة مستفيضة في الباب، فدل ذلك على أن أهم ما يهتم به المؤلفون والباحثون هو تطوير التأليف والبحث فيها، وتخليصها وتنقيتها من شوائب البدع والضلالات والخرافات،

وفي هذا الميدان أصدرت الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب (موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة) بإشراف المشرف العام عليها صاحب السمو الأمير الدكتور: سعود بن سلمان بن محمد آل سعود، أستاذ العقيدة والمذاهب المشارك في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود، ولقد أطلعت استجابة لسمو الأمير على البعض من القسم الأول منها: قسم العقيدة الإسلامية، فلمست غزارة في العلم، وسلاسة في العبارة، ووضوحاً في الاستدلال، وتمكناً في منهجية البحث،

لذلك أوصي بكامل العناية بها طبعاً ونشراً، كما أنصح طلاب العلم بالرجوع إليها، والجد في الحصول عليها.

شكر الله مساعي الساعين فيها من مشرفها العام صاحب السمو الأمير الدكتور سعود بن سلمان بن محمد آل سعود إلى لجنتها العليا إلى هيئة تحكيمها إلى الباحثين المشاركين في كتابتها، كل باسمه، وحمل اسمه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. قاله وأمله/مفتي عام موريتانيا أحمد المرابط الشنقيطي



تَقْدِيمُ سَمَاحَةِ الشَّيْخِ
أ.د. أَحْمَدَ مُحَمَّدَ هَلِيلَ
رَئِيسِ الأَوْفَافِ فِي المَلَكَةِ الأُرْدُنِيَّةِ الرَّهاسِيَّةِ سَابِقًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن «موسوعة العقيدة والأديان والفِرَق والمذاهب المعاصرة»، تعتبر عملاً عظيماً، وجهذاً موفقاً كريماً، وهي إضافة نوعية فريدة، ينهل منها طلبة العلم ويسترشد بها الباحثون والدارسون، ويهتدي بعلومها ومعارفها أبناء العالم الإسلامي، عقيدة وعبادة وثقافة وفكرًا، تستحق الشكر والتقدير والعرفان والتوقير.

ذلك أن الأمة الإسلامية بحاجة ماسة إلى هذه الموسوعة الشاملة، لتكون مرجعية في موضوعها بأسلوب ميسر وصورة متكاملة، مع العناية الفائقة بالبحث والتدقيق، والمراعاة اللائقة بالتحقيق والتوثيق، والحرص الشديد، والاهتمام الأكيد بالاستقراء الوافي، والاستيعاب الضافي لموضوعات هذه الموسوعة وما يتعلق بها من مسائل بما يخفف العناء عن القارئ والباحث والسائل، ومراعاة حسن التبويب ودقة الترتيب.

مع الالتزام بمرجعية تنطق بالحق، وتهدي إلى الصدق، مرجعية الكتاب والسنة، بفهم السلف الصالح للأمة، من خير القرون، ومن هم على نهجهم سائرون، والإفادة من أقوال الأئمة والفقهاء، دون تعصّب أو انتقاء، أو تحييز أو إقصاء، وفق الأحكام الشرعية، والقواعد المرعية.

وفي الأثر المعروف: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

فكان هذا العمل المبارك، وكانت هذه الموسوعة العقدية بإشراف: صاحب السمو الأمير العالم الدكتور سعود بن سلمان بن محمد آل سعود، أستاذ العقيدة

والمذاهب بجامعة الملك سعود بالرياض، فقد وجَّه وأشرف، وراجع وناقش، فأثرى وتابع، حتى أخرج هذا العمل الجليل، نسأل الله ﷻ أن يجزيه به الأجر الجزيل، والذكر الجميل.

تؤازر سموه لجنة علمية عليا رفيعة المستوى، قدمت عملاً فريداً، بديع المحتوى، ﴿كَرَّجَ أَخْرَجَ سَطَّعَهُ فَفَازَهُ فَاسْتَغْلَظَ﴾ [الفتح: ٢٩] وعلى سوقه بفضل الله استوى، وهيئة تحكيم من الأساتذة الفضلاء، والعلماء الأجلاء، دققت وفحصت، وحققت ومحصت، ثم توثقت، وبما رأت حكمت وأوصت.

وللأساتذة الباحثين الأكارم، والعلماء الأفاضل، الشكر والتقدير، والامتنان على جهدهم الميمون.

فأي تشريف للعلم والعلماء أعظم وأي إجلال لهم أزكى وأكرم من تزكية الله ﷻ لشهادتهم له بوحدايته، ومطلق قسطه وعدالته، وبإلغ عزته وحكمته، مقرونة بجلال شهادته، وموافقة لشهادة ملائكته. قال الله ﷻ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَابِئًا بِأَلْفُسٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

ثم أي شهادة في الوجود أجل من الشهادة لله ﷻ بالتوحيد، والإقرار لجلاله بالصمدانية والتمجيد سبحانه لا إله غيره ولا رب سواه، ﴿...لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، له الحمد والثناء والشكر، وله خالص الدعاء والعبادة والذكر، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، ولا مبدل لما حكم، قوله فصل، وعطاؤه فضل، وحكمه حق وعدل.

وثمة نعمة أنعم الله بها على عبده المؤمن لا تُحصى بركاتها ولا تُعد ولا تُستقصى خيراتها ولا تُحد، أن تفضل الله ﷻ على هذا العبد فقسم بين ذاته العلية وبينه سورة الحمد، سورة التمجيد والتمجيد والتوحيد، ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ② قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ③ قال الله تعالى: أننى عليّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ④ قال: مجدني عبدي، وقال مرة: فوض عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ⑤ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدني ما سأل، فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا

الصَّارِطُ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل^(١).
أسأل الله جلّت قدرته، وعزّت حكمته، أن يجزي خير الجزاء، كل من خدم
هذه الموسوعة، وأن يجزل لهم المثوبة والعطاء، وأن يحقق لهم الأمل والرجاء، إنه
سميع قريب مجيب الدعاء.
والحمد لله ربّ العالمين.

أ.د. أحمد محمد هليل

وزير الأوقاف الأسبق - المملكة الأردنية الهاشمية

(٢) أخرجه أحمد (٥٨٢/٢)، ومسلم (٥٩٣/٦٩٢/١) وغيرهما: أبو داود والترمذي والنسائي.

تَقْدِيم
أ.د. مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ مَرْوَعَة
أَسَازُ الْعَقِيدَةِ وَالْإِدْرَافِ بِجَامِعَةِ الْأَزْهَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رحمة الله إلى العالمين، وعلى إخوانه النبيين المرسلين، وآله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المهديين الهادين، والتابعين لهم، والتمسكين بهديهم إلى يوم الدين؛ **أما بعد:**

فلقد جاء رسول الله ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فبلغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ولقي ربه - سبحانه - راضياً عن أصحابه رضوان الله عليهم. لكن رسول الله ﷺ لم يبلغ رسالة ربه فقط، بل تولّى ﷺ تحذير المسلمين من الافتراق، وكثيرة هي تلك الأحاديث الصحيحة التي تناولت تحذير المسلمين من الاختلاف والتفرّق، ولم يكن ذلك التحذير يصدر عن رسول الله ﷺ على الهيئة التحذيرية أو النهي أو التخويف والترهيب؛ بل يأتي على هيئة التبليغ.

فإذا ما عرفنا أن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، وأن أخباره - في قضايا الدين - لا تكذب أبداً لأنها وحي من الله، واجبة التبليغ، أدركنا أنها واقعة لا محالة. وأما أخباره ﷺ في أمور الدنيا فشيء آخر، مثل: تأبير النخل.

ومن أمثلة تلك الأحاديث: حديثه ﷺ الذي يقول فيه: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، وتختلف أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة». وحديث النبي ﷺ عن اتباع أمته سنن من كان قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه، لكن رسول الله ﷺ لم يقف عند هذه الأخبار المفرعة؛ بل جاء بالمبشرات مسنداً إياها لِقِيل من أمته، حيث أخبر أن طائفة من أمته ما تزال ملتزمة جانب الحق، لا يضرهم من ضلّ حتى تقوم الساعة وهم على ذلك.

وهذه الطائفة التي استأثرت بفضل الله - سبحانه - عليها، فضّلها الله تعالى بأمر أهمها:

- ١ - آمنت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا ورسولًا، وثبتت على ذلك.
- ٢ - التزمت في إيمانها المتّقد الوحيين الشريفين: الكتاب والسنة.
- ٣ - آمنت بأنها لم ترَ محمدًا ﷺ ولا صحبته، ولكنها أخذت دينها عن أخذ عن محمد ﷺ من الصحابة، والتابعين وأتباع التابعين وأتباعهم، حتى جاء عصر التدوين، فالتزموا ما كان عليه محمد وأصحابه.
- ٤ - لم يقفوا عند إيمانهم وتبعات أنفسهم، وإنما حملوا هموم الأمة كلها، فتابعوا جهاد رسول الله ﷺ، وجهاد أصحابه وأتباعه في إحقاق الحق، وإبطال الباطل، ونفي بدع المبتدعين، وضلالات المضلّين. ولم يقفوا عند قول الله: (لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم)؛ بل فهموا من الآية الكريمة ما فهم أبو بكر والأخيار معه - رضوان الله عليهم - فأروا هداية الآخرين حقًّا لله ورسوله عليهم، فقاموا بذلك.

٥ - لم يكن ذلك الأمر سهلًا ولا ميسورًا؛ إلا بالاستعانة بالله الذي لا سهل إلا ما سهّلَه، فاستعانوا بالله - سبحانه -، وتوكلوا عليه.

٦ - احتاج الأمر إلى لجان، ثم من بعدها لجان، ثم من بعدها كذلك. كما احتاج الأمر إلى أموال ومتاعب ومشقات، فضحّوا بكل ذلك محتسبين الأجر والمثوبة عند الله ﷻ.

وهذا العمل الذي بين أيدينا هو من آثارهم، وجهاد من جهادهم، وليس لنا - نحن العجزة - إلا أن نسأل الله لهم التوفيق والسداد، وأن يجعل ذلك، وما سبقه من مقصد ونيات مقبولًا عنده، وأن يجعله في موازين حسناتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

والله ﷻ من وراء القصد.

وصلّى الله وسلّم وبارك على النبيّ الكريم.

أ.د. محمود محمّد مرزوقة

جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

تَقْدِيم
أ. د. مُصْطَفَى بْنِ مُحَمَّدٍ حَلِيمِي سُلَيْمَان
أَسَازُ الْعَقِيدَةِ وَالْمَذَاهِبِ بِجَامِعَةِ الْأَزْهَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضيلة أ. د. سعود بن سلمان بن محمد آل سعود - حفظه الله - .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ **وبعد:**

فقد تسلمت شاكرًا كتابكم رقم ٣٩/أ/خ/٣٨ بتاريخ ١٩/٢/١٤٣٨هـ، مع موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، وهي ثمرة بحوث مضية بذل فيها أهل العلم قصارى جهدهم في عرض المذاهب والأديان، تحليلًا ونقدًا بأدلة شرعية وعقلية، وموثقة بالاستناد إلى مصادر ومراجع متعددة، وقد سدّت فراغًا كبيرًا في المكتبة الإسلامية المعاصرة.

جزاكم الله خيرًا، ونفع بعلمكم الإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مُصْطَفَى بْنُ مُحَمَّدٍ حَلِيمِي سُلَيْمَان

جامعة القاهرة - جمهورية مصر العربية

تقديم فضيلة الشيخ أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

الأستاذ بجامعة السلفية بنارس الهند
وعضو الهيئة العالمية للعلماء المسلمين برابطة العالم الإسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ أما بعد:

فإن هذا السفر القيم «موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة» من أنفع الأعمال العلمية التي يمكن بها إثراء المكتبة الإسلامية، ويكون لها دور كبير - بإذن الله - في غرس العقيدة الصحيحة وإزالة المفاهيم المغلوطة، ومن مميزات هذه الموسوعة أنها أعدت على منهج علمي دقيق وأسلوب واضح وميسر، وشارك في إعدادها ومراجعتها المتخصصون من علماء الأمة من أنحاء العالم.

جزى الله صاحب السمو الأمير الدكتور سعود بن سلمان آل سعود على عرض الفكرة وتبني المشروع، وجزى كل من ساهم فيها من أعضاء اللجان المختلفة، وتقبل مساعيهم، وبارك في جهودهم، وجعلها في ميزان حسناتهم. وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلّى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

رئيس تحرير مجلة صوت الأمة، بنارس، الهند

الأستاذ بالجامعة السلفية، بنارس، الهند

عضو الهيئة العالمية للعلماء المسلمين برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة



Asad Aazmi S/o Mohd Ansari

Chief Editor Monthly Sautul-Ummah. Varanasi
Lecture Jamia Salafia. Varanasi. India
Member I.O.M.S. Muslim World League
Makkah Mukarrama

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

رئيس تحرير مجلة صوت الأمة، بنارس، الهند
الأستاذ بالجامعة السلفية، بنارس، الهند
عضو الهيئة العالمية للعلماء المسلمين برابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة

Date: 05-02-2017

الرقم: ٢٣٤

التاريخ: ٧/٥/١٤٣٨ هـ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد!
فإن هذا السفر القيم ”موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة“ من أنفع
الأعمال العلمية التي يمكن بها إثراء المكتبة الإسلامية، ويكون لها دور كبير - بإذن الله - في
غرس العقيدة الصحيحة وإزالة المفاهيم المغلوطة، ومن مميزات هذه الموسوعة أنها أعدت على
منهج علمي دقيق وأسلوب واضح وميسر، وشارك في إعدادها ومراجعتها المتخصصون من علماء
الأمة من أنحاء العالم.

جزى الله صاحب السمو الأمير الدكتور سعود بن سلمان آل سعود على عرض الفكرة وتبني
المشروع، وجزى كل من ساهم فيها من أعضاء اللجان المختلفة، وتقبل مساعيهم، وبارك في
جهودهم، وجعلها في ميزان حسناتهم. وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.
وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

رئيس تحرير مجلة صوت الأمة، بنارس، الهند
الأستاذ بالجامعة السلفية، بنارس، الهند
عضو الهيئة العالمية للعلماء المسلمين برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

تَقْدِيم
أ.د. عَبْدُ اللَّهِ شَاكِرُ الْجُنَيْدِي
أَسَازُ الْعَقِيدَةِ وَالرَّئِيسُ الْعَامُّ لِمَجَاعَةِ أَنْصَارِ السُّنَّةِ الْمُحَدَّثَةِ بِمِصْرَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين؛ **وبعد:**

فمن نعمة الله على هذه الأمة أن أكمل لها الدين وأتم عليها النعمة، ورضي لها الإسلام ديناً، ولم يقبض الله تعالى نبيه ﷺ إليه إلا بعد أن بلغ البلاغ المبين وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، وقد أخبر ﷺ أن أمته سيجري فيها ما جرى في الأمم السابقة من التفرق والاختلاف، وقد وقع ما أخبر به ﷺ، غير أن الله تعالى أبقي فيها الطائفة الظاهرة المنصورة المتمسكة بالحق إلى يوم الدين، وهم بحمد الله متوافرون في سائر أرجاء المعمورة، فلا يخلو منهم زمان، ويحرصون على تصحيح العقيدة والدفاع عن السُّنَّة ومحاربة البدع ومحدثات الأمور، وقد أَلَّفُوا الكتب النافعة في أصول الدين واجتهدوا في إبراز عقيدة ومنهج سلف الأمة الصالحين، كما تناولوا بالعلم والتحقيق الرد على المخالفين الخارجين على منهج السلف القويم.

ومما انشرح له صدري العمل العلمي التي تقوم به الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفِرَق والمذاهب، وذلك في موسوعة مباركة تتعلق بهذا الشأن، وشاء الله - تبارك وتعالى - أن أطلع على جزء من هذا العمل المبارك، فألفيته دقيقاً نافعاً، قام به ثلَّة من الباحثين المتخصصين ممن لهم قدم صدق في هذا الباب، وهم بهذا العمل يقربون المعتقد الصحيح بين يدي الأمة بأسلوب سهل ميسور، يتميز بالبساطة في العرض مع غزارة المادة العلمية وقوتها، واستيعاب

لرؤوس المسائل وما يتفرع عنها، وقد أحالوا إلى المراجع العلمية الأصيلية التي تدعم أقوالهم وتثبت مصداقيتهم في العرض والطرح، وهم بهذا يقطعون الطريق على أهل الأهواء الذين يشنّعون على منهج السلف ويصفونه بما ليس فيه بغياً وظلماً، والموسوعة بهذا الحجم ثري المكتبة الإسلامية، وتسد جانباً مهماً في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها.

جزى الله - تبارك وتعالى - جميع الباحثين والقائمين عليها خير الجزاء، وأخص بالشكر صاحب فكرة هذا المشروع الضخم: صاحب السمو الأمير الدكتور سعود بن سلمان بن محمد آل سعود.
وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

أ.د. عَبْدَ اللَّهِ شَاكِرُ الْجُنَيْدِي

أستاذ العقيدة الإسلامية

والرئيس العام لأنصار السنّة المحمدية

هَوَسُوعَتَا

العقيدة والأدب والفكر والمذهب المعاصرة

تصنيف وإعداد

مجموعة من الأكاديميين والباحثين المختصين في جامعات العالم

مراجعة وتقديم

عدد من كبار العلماء والمختصين في العالم الإسلامي

المشرف العام

صاحب السمو الأمير

د. سعود بن سلمان بن محمد آل سعود

أستاذ العقيدة والمذهب المشارك في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض

الحقيقة

الجزء الأول (أ - ب)



حرف الألف

وذهب جماعة من أهل اللغة إلى أنه عربي، لكن اختلفوا في سبب تسميته، وأشهرها قول من قال: إنه من الأدمة، والهمزة والdal والميم أصل واحد يدل على الموافقة والملاءمة؛ أي: أن آدم خُلِقَ من أدمة الأرض؛ أي: من باطنها، والأدمة في الأصل تطلق على باطن الجلد، وهي أحسن ملاءمة للحم من البَشَرَة^(٣).

وقيل: الآدم من الناس هو الأسمر؛ يقال: رجل آدم، وعلى هذا سمي آدم به؛ لأنه كان أسمر، ويقال: الآدم في الإبل والظباء هو البياض، يقال: بعير آدم وناقة أدماء، وظبي آدم، وظبية أدماء، وعلى هذا يقولون: كان آدم ﷺ أبيض^(٤).

والصواب في ذلك أن يقال: إن آدم ﷺ سُمِّيَ بهذا الاسم قبل أن توجد اللغات، واللغات إنما وجدت بعد ذلك، فالله تعالى أعلم بحقيقة كلمة آدم

اسمه ونسبه:

آدم ﷺ هو أصل البشرية، يقال له: أبو البشر، خلقه الله تعالى بيديه من طين لازب؛ تكريماً له وتشريعاً، وإليه ترجع جميع الأنساب، فهو أصل نسب الإنسان^(١).

معنى اسمه لغة:

اختلف في سبب تسمية آدم أبي البشر ﷺ بهذا الاسم؛ فذهب جماعة من أهل اللغة إلى أن كلمة (آدم) التي سمي بها أبو البشر ﷺ هي كلمة أعجمية، وأن (آدم) اسم أعجمي، لا اشتقاق فيه، وهو مثل أزرق، وشالخ، وغيرها، وقالوا: دعوى الاشتقاق لا تخلو من تعسف؛ لأن الاشتقاق إنما يكون من الأسماء العربية لا الأعجمية^(٢).

(١) انظر: المسائل العقيدية المتعلقة بآدم ﷺ، لألطف الرحمن بن ثناء الله (١٢٣).

(٢) انظر: الكشف للزمخشري (٢٥١/١) مكتبة العبيكان، ط١، ومدارك التنزيل للنسفي (٣٦/١) [دار الكلم الطيب، ط١]، وفتح الباري لابن حجر (٣٦٤/٣) [دار المعرفة، بيروت].

(٣) مقاييس اللغة (٧١/١ - ٧٢) [دار الجيل، بيروت].

(٤) انظر: تهذيب اللغة (٢١٤/١٢) [الدار المصرية]، والصحاح للجوهري (١٨٥٨/٥) [دار العلم للملايين، ط٣]، وتفسير القرطبي (٢٧٩/١) [دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ].

وأدخل آدم ﷺ إلى الجنة ثم أخرج منها إلى الأرض؛ بسبب أكله وهو وزوجه من الشجرة التي نهاها عنهما.

نبوته:

أوحى الله تعالى إلى آدم ﷺ، وأمره ونهاه، وأحلَّ له وحرمَّ عليه، وهذا من معاني النبوة^(٣).

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْثَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَتَذَكَّرُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿فَذَلَّلْنَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَيْنَاهُمَا رَجُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا

التي سُمِّي بها أبو البشر ﷺ، لكن بالنظر في هذه الكلمة من حيث قواعد اللغة وإلى أصلها يترجح أنها أعجمية الأصل، ثم إنها وقعت للعرب فعربتها بالسنتها فصارت عربية، فهي قبل التعريب كانت أعجمية، وبعد التعريب صارت عربية^(١).

خَلْقُهُ:

خلق الله آدم ﷺ من تراب وماء؛ أي: من طين لازب، بيديه، ونفخ فيه من روحه، في يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة، بين العصر والليل.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خلق الله ﷻ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم ﷺ بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل»^(٢).

وقالوا: الصحيح أنه موقوف على كعب الأخبار، وهذا مما أنكره الحدائق على الإمام مسلم. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣٦/١٤). لكن خلق آدم يوم الجمعة ثبت في أحاديث أخرى صحيحة أخرجه مسلم وغيره، وسيأتي ذكرها.

(٣) انظر: قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار (١٠) [المكتبة التجارية، ط٤]، والنبوة والأنبياء للصابوني (١٣٢) [مكتبة الغزالي، دمشق، ط٣، ١٤٠٥هـ].

(١) انظر: جوهرة اللغة لابن دريد (٢/٢٥٨) [دار صادر]، والمعرب من الكلام الأعجمي للجوالقي (٩٢) [دار القلم، دمشق، ط١]، والمسائل العقدية المتعلقة بآدم ﷺ (٦٦).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم ٢٧٨٩). وقد اختلف في صحة هذا الحديث، وفي رفعه، فأعله بعض أئمة الحديث، وقدحوا فيه،

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «النبوة في الآدميين هي من عهد آدم رَحِمَهُ اللهُ فإنه كان نبياً، وكان بنوه يعلمون نبوته وأحواله بالاضطرار»^(٤).

دعوته:

دلَّت قصة ابني آدم رَحِمَهُ اللهُ على مسائل عقديّة وأخلاقيّة في دعوة آدم رَحِمَهُ اللهُ، ودلَّت بطريق الأولى على نبوته رَحِمَهُ اللهُ.

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة].

فهذه القصة فيها دلالة على أن أولاد آدم رَحِمَهُ اللهُ كانوا على رسالة وشرعية وهداية من الله رَحِمَهُ اللهُ، وكانوا يتقربون إلى الله تعالى بالقربانين، وكانوا يعرفون أهمية الإخلاص والخوف من الله تعالى، وأنه لا يتقبل إلا ممن كان قائماً بالتقوى والإخلاص له تعالى، وكانوا يعلمون أن

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٣٢﴾ [طه].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «آدم كان هو النبي رَحِمَهُ اللهُ أيام حياته بعد أن أهبط إلى الأرض، والرسول من الله جلّ ثناؤه إلى ولده، فغير جائز أن يكون معنياً - وهو الرسول رَحِمَهُ اللهُ - بقوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ [البقرة: ٣٨] خطاباً له ولزوجته: فإذا يأتينكم مني أنبياء ورسول»^(١).

وأما من السُّنَّة: فقد جاء عن أبي أمامة رَحِمَهُ اللهُ «أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: «نعم. مكلم». قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون»»^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رَحِمَهُ اللهُ قال: قال رسول الله رَحِمَهُ اللهُ: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما نبي يومئذ آدم فما سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»^(٣).

(١) تفسير الطبري (١/ ٥٩٠) [دار هجر، ط. ١٤٢٢هـ].

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (كتاب التاريخ، رقم ٦١٩٠) [الرسالة، ط ٢]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٠٣٩) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وصححه الحاكم وابن كثير على شرط مسلم. انظر: البداية والنهاية (١/ ٢٣٧) [دار هجر، ط ١]، وصححه الألباني أيضاً في السلسلة الصحيحة (٦/ ٣٥٩) [مكتبة المعارف، ط ١].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (أبواب التفسير، رقم ٣١٤٨) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم

(٤٣٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب

والترهيب (رقم ٣٥٤٣) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٤) شرح العقيدة الصهبانية (١٦٢) [مكتبة الرشد، ط ١].

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة...»^(٣).

وأما عن مكان دفنه فقد اختلفت أقوال المؤرخين والمفسرين فيه؛ ف قيل: توفي بمكة ودفن بغار أبي قبيس، وقيل: دفن عند مسجد الخيف بمنى، وقيل: في المسجد الحرام بين الكعبة وبين بئر زمزم، وغيرها من الأقوال^(٤).

لكن لم يثبت شيء صحيح يستند إليه في ذلك، وهذا عام في قبور الأنبياء عليهم السلام جميعاً، اللهم إلا قبر نبينا محمد ﷺ، أو ما ذكر في قبر إبراهيم الخليل عليه السلام على اختلاف فيه.

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله عن قبور الأنبياء عليهم السلام: أهى هذه القبور التي تزورها الناس اليوم؟ مثل: قبر نوح، وقبر الخليل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ويونس، وإلياس، واليسع،

صحيح"، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٣٧٣).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٠٤٧)، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٣٧٤)، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٦٣٦)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٩١٠)، وصححه النووي في الأذكار (١١٥) [دار الفكر]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١٤/٤).

(٤) انظر: تاريخ الملوك والأمم للطبري (١/١٠١) [دار الكتب العلمية، ط ١]، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (١/٢٢٧)، والبدية والنهاية لابن كثير (١/٩٨، ٣٢٦ - ٣٢٨)، وغيرها.

هناك ثواباً وعقاباً، وأن الظالمين لهم عذاب النار، فهذا وغيره يشعر بأن دعوة آدم ﷺ كانت قائمة على التوحيد، وإثبات المعاد، والنهي عن الفساد في الأرض بالقتل^(١).

وقد جاءت الأدلة من القرآن والسنة على أن دعوة الأنبياء كلهم واحدة، وأصل دينهم واحد، وهو التوحيد وإفراد الله بالعبادة، وبهذا بعث الله الرسل إلى أممهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وفاته:

توفي آدم ﷺ يوم الجمعة، كما ورد ذلك في بعض الأحاديث الصحيحة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم وفيه أُدخل الجنة وفيه أُخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»^(٢).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩٤/٦)، وأنبياء الله لأحمد بهجت (٣٣) [دار الشروق، القاهرة، ط ٣]، والمسائل المتعلقة بآدم ﷺ (٨٠٦ - ٨٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٥٤)، وأبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٠٤٦)، والترمذي (أبواب الجمعة، رقم ٤٩١)، وقال: «وهذا حديث

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: خصائص وفضائل

آدم عليه السلام:

كرم الله آدم وفضله بخصائص عظيمة، جاء ذكرها في القرآن والسنة، منها:

١ - خَلَقَهُ اللهُ تعالى بيديه الكريمتين، كما قال تعالى: ﴿قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ [ص: ٧٥].

٢ - ونفخ فيه من روحه، وهي من خصائصه عليه السلام التي انفرد بها عن سائر الخلق، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (٧٦) [ص].

وهذه الروح هي من جملة المخلوقات، وأضافه الرب تعالى إلى نفسه المقدسة إضافة خلق وملك، لا كما يزعمه أهل الباطل من الأقوال الفاسدة، التي يعلم بطلانها بضرورة الشرع والعقل.

قال ابن القيم رحمه الله: «الروح الذي نفخ منها في آدم عليه السلام روح مخلوقة غير قديمة، وهي مادة روح آدم، فروحه أولى أن تكون حادثة مخلوقة» (٤).

٣ - وأسجد له ملائكته بعد خلقه، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (٧٦) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٧﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ

وشعيب، وموسى، وزكريا وهو بمسجد دمشق...؟ فأجاب رحمه الله بقوله: «الحمد لله: القبر المتفق عليه هو قبر نبينا عليه السلام، وقبر الخليل فيه نزاع، لكن الصحيح الذي عليه الجمهور أنه قبره، وأما يونس، وإلياس، وشعيب، وزكريا فلا يعرف» (١).

وقال أيضاً: «حتى قال طائفة من العلماء - منهم عبد العزيز الكناني -: كل هذه القبور المضافة إلى الأنبياء لا يصح شيء منها، إلا قبر النبي عليه السلام» (٢).

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: «لم يثبت في حديث مرفوع أن إسماعيل عليه السلام، أو غيره من الأنبياء الكرام دفنوا في المسجد الحرام، ولم يرد شيء من ذلك في كتاب من كتب السنة المعتمدة؛ كالكتب الستة، ومسند أحمد، ومعجم الطبراني الثلاثة، وغيرها من الدواوين المعروفة... وغاية ما روي في ذلك آثار معضلات، بأسانيد واهيات موقوفات، أخرجها الأزرقى في: «أخبار مكة»، فلا يلتفت إليها، وإن ساقها بعض المبتدعة مساق المسلمات» (٣).

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/٤٤٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ٢، ١٤٢٥هـ].

(٢) المصدر نفسه (٢٧/٤٤٦).

(٣) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (١٠١).

[مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٤) الروح (٢٨٢) [دار إحياء العلوم، بيروت، ط ١].

أَسْتَكْبَرُ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾ [ص].

٤ - وأدخله وزوجه جنته، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَادَّامُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥].

وقد جاءت هذه الخصائص مجتمعة في حديث الشفاعة الطويل؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنّا مع النبي صلى الله عليه وآله في دعوة فرُفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة وقال: «أنا سيّد القوم يوم القيامة، هل تدرون بمن؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيصبرهم الناظر، ويُسَمِّعهم الداني، وتدنو منهم الشمس. فيقول بعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس: أبوكم آدم، فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟» (١).

- المسألة الثانية: صفات آدم عليه السلام:

كان آدم طويل القامة، طوله ستون ذراعاً، وفي غاية الحسن والجمال.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً،

ثم قال: اذهب فسلّم على أولئك الملائكة فاستمع ما يحيونك، تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل خلق ينقص حتى الآن» (٢).

والدليل على حسن الخلقة والجمال: قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين]، وآدم هو أصل الإنسان، فما كان الله ليخلقه إلا في أحسن الصور.

قال ابن كثير: «فإن الله خلق آدم عليه السلام وصوره بيده الكريمة، ونفخ فيه من روحه، فما كان ليخلق إلا أحسن الأشباه» (٣).

- المسألة الثالثة: دعوى توسل آدم عليه السلام بحق النبي صلى الله عليه وآله:

ادعى أهل الأهواء والبدع أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة المحرمة عليه في الجنة، توسل بحق نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وجاهه، فقبل الله توبته.

واستدلوا بحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ أنه قال: قال

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٢٦)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤١).
(٣) البداية والنهاية (١/٩٧).

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٤٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤)، واللفظ للبخاري.

تيمية: «ليس له أصل، وهو من جنس ما يرويه بعض العامة من الموضوعات، ولا يوجد في أئمة الإسلام من احتج بها، ولا اعتمد عليها»^(٤).

الثاني: أن آدم ﷺ قد تلقى من ربه كلمات فتاب عليه، ولم يثبت أنه توسل بحق النبي ﷺ أو بجاهه، فلو كان ثابتاً لما عدل عن ذكره المفسرون من السلف، عند تفسيرهم للكلمات.

الثالث: أن التوبة تكون بالذنب والإقرار له والاستغفار منه، ويتضمن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّنا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف]، وإذا حصلت المغفرة بالتوبة حصل المقصود بها، ولا حاجة إلى غيره^(٥).

الرابع: لو كان آدم ﷺ قد قال هذا، وبه حصلت التوبة لكانت أمة محمد ﷺ أحق به منه، ولأمرهم النبي ﷺ أن يدعوا بهذا الدعاء، وشرعه لهم، لكن لم يأمر أمته به، ولم يشرعه لهم، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة الأخيار، ولم ينقل عن أحد من العلماء الأبرار، فدل على فساد وبطلانه.

عبد الهادي (٦٠) [مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي]، والتوسل أنواعه وأحكامه للألباني (١١٥) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤].
(٤) الاستغاثة (٦٧/١).

(٥) انظر: الاستغاثة (٦٩/١)، الوجه الثاني والثالث.

رسول الله ﷺ: «لما اقترب آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك. قال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي. ادعني بحقه، فقد غفرت لك، ولولا محمد لما خلقتك»^(١).

قالوا: إن آدم ﷺ توسل بالنبي ﷺ قبل وجوده، لا يمكن أن يكون قد توسل بدعائه، وإنما ذلك توسل منه بحق النبي ﷺ وجاهه عند الله^(٢).

وبطلان هذه الدعوة من عدة أوجه:

أحدها: أن الحديث موضوع وكذب، لم يثبت عن النبي ﷺ، ففي إسناده من هو متهم بالكذب والوضع^(٣). قال ابن

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣١٣/٦) [دار الحرمين]، والحاكم في المستدرک (كتاب آيات رسول الله ﷺ، رقم ٤٢٢٨) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وعنه البيهقي في دلائل النبوة (٤٨٩/٥) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٢) انظر: تلخيص الاستغاثة لابن كثير (٥٢/١) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط ١]، وشفاء السقام للسبكي (١٦١) [دار الأفاق الجديدة، ط ٢]، وسعادة الدارين في الرد على الفرقتين للسمنودي (١٥٦) [مطبعة جريدة الإسلام، مصر]، وشواهد الحق للنبهاني (١٥٦) [دار الفكر، بيروت].

(٣) انظر: الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن

والجواب من عدة أوجه^(٤):

أحدها: أن آدم عليه السلام لم يحتج بالقدر على فعل المعصية، وإنما احتج بالقدر على المصيبة التي أصابته وذريته، فهو عليه السلام أجل من أن يحتج بالقدر على فعل المعاصي.

الثاني: أن آدم عليه السلام تاب وندم واستغفر من خطيئته، فتاب الله عليه، وهو يدل على أن القدر ليس بحجة في فعل المعاصي؛ إذ لو كان ذلك كذلك لم يكن هناك حاجة تدعو إلى الندم والتضرع والاستغفار، بل كان يكفيه القدر حجة واعتذاراً.

الثالث: أن موسى عليه السلام لم يلمه على فعل المعصية، بل إنما لامه على المصيبة، التي وقعت لبنيه من بعده؛ لأن آدم عليه السلام كان قد تاب من ذنبه فتاب الله عليه، ثم إن موسى أجل من أن يلوم أباه آدم عليه السلام على فعل المعصية، مع علمه بتوبته وقبولها من الله تعالى.

الرابع: لو أن موسى عليه السلام لام آدم عليه السلام على فعل المعصية لأجابه آدم عليه السلام بأنه قد تاب منها، وأن الله تاب

الخامس: من المعلوم بالاضطرار أن من هو دون آدم عليه السلام من الكفار والفساق إذا تاب أحدهم إلى الله تاب عليه، وإن لم يقسم عليه بأحد، فكيف يحتاج آدم عليه السلام في توبته ما لا يحتاج إليه أحد من المذنبين لا مؤمن ولا كافر^(١).

- المسألة الرابعة: مناظرة موسى عليه السلام لآدم عليه السلام:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «احتج آدم وموسى؛ فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. قال له آدم: يا موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدّر الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟! فحجّ آدم موسى، فحجّ آدم موسى»^(٢).

احتج الجبرية بهذا الحديث على فعل المعاصي، وترك الواجبات، بناء على أصلهم الفاسد في احتجاجهم بقدر الله على نفي أفعال العباد الاختيارية، وزعموا أن آدم احتج بالقدر على ما وقع منه من مخالفة الأمر الإلهي بالأكل من الشجرة المحرمة^(٣).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢/٣٢٥) و(٨/١٠٨)، ٣٢١، ٤٥٤ و(١٠/١٦٠) و(١١/٢٥٩) و(١٧/٩٨)، ومنهاج السنة (٣/٨٠)، وشفاء العليل (١٤)، والبداية والنهاية (١/٨٥)، وشرح الطحاوية (١٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، وإيثار الحق على الخلق لابن الوزير اليماني ٢٨٠ [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (١/١٣١ - ١٣٢)، الوجه الرابع والخامس.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٦٧٤٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٨/١٧٩)، ومنهاج السنة (٣/٤٣)، وشفاء العليل (١٤).

آل البيت

التعريف لغة:

الآل: مُشْتَقٌّ مِنْ: آلٌ يؤول؛ إذا رجع، يُقال: آل الرجل رعيته؛ إذا أحسن سياستها. فال الرجل وآل كل شيء: شخصه - لأنهم يُعبرون عنه بآله - وهم: أهله وعشيرته وأتباعه وأولياؤه. وتأويل الكلام: عاقبته وما يؤول إليه^(١).

البيت: هو المأوى والمآب ومجمع الشمل، وجمعه: بيوت وأبيات وأبايت؛ كأقوال وأقاويل. وهو أيضًا: عيال الرجل والذين يبيت عندهم. وبات يفعل كذا؛ إذا فعله ليلاً، كما يُقال: ظل يفعل كذا؛ إذا فعله نهاراً^(٢).

التعريف شرعاً:

آل بيت النبي ﷺ: هم من حرمت عليهم الصدقة، وهم: أزواجه وذريته، وقرباته من بني هاشم وبني المطلب، وموالي الرجال منهم^(٣).

(١) انظر: مقاييس اللغة (١/١٥٩ - ١٦٢) [دار الفكر، ط٢]، والقاموس المحيط (١٢٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط٥].

(٢) انظر: الصحاح (١/٢٤٤) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومقاييس اللغة (١/٣٢٤).

(٣) انظر: المجموع للنووي (٣/٤٦٧) [دار الفكر، بيروت]، ومجموع الفتاوى (٢٢/٤٦٠)، وجلاء الأفهام (٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٥٠) [دار عالم الفوائد، ط١]، وتفسير ابن كثير (٦/٤١٠، ٤١٥) =

عليه، ولقال له: وأنت أيضًا يا موسى قتلت رجلاً لم تؤمر بقتله، ولكن آدم ﷺ لم يجب بذلك، فدلّ على أن لوم موسى ﷺ لم يكن لأجل المعصية، وإنما كان لأجل المصيبة، ونحو ذلك من الأوجه الكثيرة التي تبطل هذا المذهب وترده.

المصادر والمراجع:

- ١ - «آدم أبو البشر»، لعبد الله بن حسين الموجدان.
- ٢ - «آدم ﷺ»، للبهي الخولي.
- ٣ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.
- ٤ - «تحفة النبلاء من قصص الأنبياء»، لابن كثير، انتخب كتابه ابن حجر العسقلاني.
- ٥ - «قصص الأنبياء المعروف بالعرائس»، لأبي إسحاق الثعلبي.
- ٦ - «قصص الأنبياء»، للسعدي.
- ٧ - «قصص الأنبياء القصص الحق»، لشيبة الحمد.
- ٨ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ٢)، لابن أبي العز.
- ٩ - «المعارف»، لابن قتيبة.
- ١٠ - «المسائل العقدية المتعلقة بآدم»، لألطف الرحمن بن ثناء الله [رسالة ماجستير].

❁ سبب التسمية:

الناس حظًا في الأخذ بوصيته ﷺ ورعاية حقهم.

سمي آل بيت الرجل بهذا الاسم؛ لأنهم يرجعون ويضافون إليه، ويؤولهم - أي: يسوسهم - فيكون مآلهم إليه^(١).

❁ الأسماء الأخرى:

ويجب على المسلم أن يتولى أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

- أهل البيت.

- آل محمد ﷺ.

❁ الحكم:

ويعتقد أيضًا: أن من لم يكرمه الله ويهديه للإيمان والإسلام من أهل البيت؛ فلا يفيد شرف النسب شيئًا، ولا تجوز موالاته ومحبته؛ فإن الله تعالى رتب الجزاء والثواب على الأعمال لا على الأنساب^(٢).

يجب على المسلم أن يعتقد: أن أهل بيت النبي ﷺ هم أشرف الناس على وجه الأرض فخرًا وحسبًا ونسبًا، فيجب على كل مسلم حفظ حقهم ووصية رسول الله ﷺ فيهم يوم غدیر خم، ومعرفة قدرهم ومنزلتهم، وتوليهم، وحبهم، وتوقيرهم، والثناء عليهم، وإكرامهم، والإحسان إليهم، والصلاة والتسليم عليهم، وإنزالهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف لا بالهوى والتعسف، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة كما كان عليه سلفهم ﷺ، والحذر من إيذائهم أو الإساءة إليهم أو تنقصهم بقول أو عمل؛ فإن توقيرهم وبرهم من توقير رسول الله ﷺ وبره، وأهل السنة والجماعة هم أسعد

❁ الأدلة:

من الأدلة على فضل آل البيت وعلو مكانتهم: قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب].

وأمر الله تعالى الأمة بالصلاة على

(٢) انظر: الشفا للقاضي عياض (٢/٦٠٤، ١١٠٦) [طبعة عيسى البابي الحلبي]، ومجموع الفتاوى (٣/ ١٥٤ - العقيدة الواسطية، ٤/٤٩٦)، وتفسير ابن كثير (٧/٢٠١) [دار طيبة، ط٢]، وفضل أهل البيت للعباد (١٣)، والعقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط لسليمان السحيمي (٥٩) [مكتبة الإمام البخاري بالقاهرة، ط١]، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء (٢٧٩) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالسعودية، ١٤٢١هـ].

= [دار طيبة، ط٢]، وفتح الباري لابن حجر (٧/٧٨، ١١/١٦٠) [دار المعرفة]، وفضل أهل البيت للعباد (٦) [دار ابن الأثير، ط١].
(١) انظر: جلاء الأفهام (٢٢٩).

رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً - بين مكة والمدينة -؛ فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد؛ ألا أيها الناس؛ فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله؛ فيه الهدى والنور؛ فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»^(٣).

وثبت في «الصحيحين»؛ أن أبا بكر قال لعلي رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده؛ لقراءة رسول الله ﷺ أحبّ إليّ أن أصل من قرأته»^(٤).

والأحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة معلومة.

❖ أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: «ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ، وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برئ من النفاق»^(٥).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة) برقم (٢٤٠٨).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، برقم ٣٧١٢)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، برقم ١٧٥٩)، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وفيه قصة.

(٥) العقيدة الطحاوية (٣٠) [دار ابن حزم، بيروت، ط ١].

نبيه محمد ﷺ وعلى آله بالتبع؛ فقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [الأحزاب].

ولما سئل ﷺ: كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم؟ قال: «قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد»^(١)، وصلاة الله على نبيه ﷺ معناها: ثناؤه عليه في الملا الأعلى، وإظهار شرفه وفضله، والعناية به، وإظهار دينه، فأى شرف لأهل البيت أعظم من هذا الشرف؟

وثبت في «صحيح مسلم»، من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»^(٢).

وفي «صحيح مسلم» أيضاً، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، برقم ٣٣٧٠)، ومسلم (كتاب الصلاة، برقم ٤٠٦) - وعنده: «كما صليت على آل إبراهيم... كما باركت على آل إبراهيم» -، من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، برقم ٢٢٧٦).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ - في بيان عقيدة وأهل بيته وذريته رَحِمَهُ اللهُ أجمعين^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حقوق آل البيت:

١ - دخولهم في الصلاة والسلام على النبي ﷺ.

حكم الصلاة والسلام عليهم؛ فنقول: الصلاة عليهم مشروعة مع الصلاة على النبي ﷺ بالإجماع، وجائزة مفردة. والسلام له نفس حكم الصلاة؛ بل هو أوسع وأعم في المشروعية والجواز.

٢ - اعتقاد فضلهم:

أهل السُّنة والجماعة يعتقدون وجوب محبة أهل بيت رسول الله ﷺ، ويعرفون ما يجب لهم من الحقوق، ويتولونهم جميعاً، ويحفظون وصية النبي ﷺ فيهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ولا ريب أن لآل محمد ﷺ حقاً على الأمة لا يشركهم فيه غيرهم، ويستحقون من زيادة المحبة والموالة ما لا يستحقه سائر بطون قريش»^(٣).

٣ - حقهم من الغنيمة والفىء:

ومن حقوق آل البيت التي يجب رعايتها: ما جعل الله لهم من الغنيمة الفىء، وهو الخمس، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال]،

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ - في بيان عقيدة أهل السُّنة والجماعة -: «ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ؛ حيث قال يوم غدیر خم: «أذكركم الله في أهل بيتي»، وقال أيضاً للعباس عمه - وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفون بني هاشم - فقال: «والذي نفسي بيده؛ لا يؤمنون حتى يحبوكم الله ولقرايتي»... ويتولون أزواج رسول الله ﷺ - أمهات المؤمنين -، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصاً: خديجة رَحِمَتُهَا اللهُ، أم أكثر أولاده، أول من آمن به وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية، والصديقة بنت الصديق رَحِمَتُهَا اللهُ... ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين ييغضون الصحابة ويسبونهم، وأن يتبرأ أيضاً من طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة...»^(١).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «ولا تنكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم؛ فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسُّنة النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة، كما كان عليه سلفهم؛ كالعباس وبنيه، وعلي

(٢) تفسير ابن كثير (٧/٢٠١).

(٣) منهاج السُّنة النبوية (٤/٣٦٣).

(١) مجموع الفتاوى (٣/١٥٤ - العقيدة الواسطية).

وقال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الحشر: ٧].
أيضاً: «من ادّعى قومًا ليس له فيهم؛ فليتبوأ مقعده من النار»^(٤).

- المسألة الثالثة: أهل الكساء:

وهم أخص آل بيت النبي ﷺ، وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، والدليل على تقديمهم في الفضل على باقي أهل البيت من قرابة رسول الله ﷺ وذريته: ما أخرجه مسلم في «صحيحه»، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل^(٥) من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» ﴿٣٣﴾ [الأحزاب: ٦]، ولا يعني هذا قصر أهل البيت على هؤلاء الأربعة؛ بل فيه دلالة على أنهم أخص أهل بيت النبي ﷺ وأولى بالدخول فيهم من غيرهم^(٧).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «ويجب تفقد من في بلاد المسلمين من ذوي القربى، ويعطون ما فرض الله ورسوله، من الحق في الفياء والغنيمة، فإن هذا من أكد الحقوق وألزمها، لمكانهم من رسول الله ﷺ، والمراد بهم من عرف التوحيد والتزمه، وأهل الإسلام ما صالوا على من عاداهم إلا بسيف النبوة وسلطانها»^(١).

- المسألة الثانية: تحريم الانتساب

إلى آل البيت بغير حق:

ومن المسائل المتعلقة أيضاً^(٢): التنبيه على تحريم الانتساب بغير حق إلى أهل البيت، وأن من وقع في هذا المحذور وانتسب لهذا النسب الشريف بغير حق فقد وقع في الحرام، وتشبع بما لم يعط، وقد قال النبي ﷺ: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»^(٣)، وقال

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، برقم ٣٥٠٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، برقم ٦١)، من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(٥) المرط: كساء يغطي به، والمرحل: هو الذي عليه صورة رجال الإبل.

(٦) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم)، برقم ٢٤٢٤.

(٧) انظر: آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة لطله حامد الدليمي (٢٩ - ٣٠).

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٤/ ٧٠) [ط٦، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: فضل أهل البيت للعباد (٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، برقم ٥٢١٩)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، برقم ٢١٣٠)، من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها. وأخرجه مسلم أيضاً (كتاب اللباس والزينة، برقم ٢١٢٩)، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

- المسألة الرابعة: شرف النسب لا ينفع مع عدم الإيمان:

وأما الدليل على أن شرف النسب لا ينفع مع عدم الإيمان: قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْقَلَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٌ وَمِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢]، وقول النبي ﷺ: «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»^(١)؛ والمعنى^(٢): أن من أبطأ به عمله في بلوغ الدرجات العالية في الجنة أو كان عمله ناقصاً؛ لم يسرع به نسبه في بلوغ هذه الدرجات؛ فينبغي ألا يتكل على شرف النسب وفضيلة الآباء ويقصر في العمل!

وثبت في «الصحيحين»^(٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﷻ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء] قال: «يا معشر قريش - أو كلمة نحوها -؛ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً! يا بني عبد مناف؛ لا أغني عنكم من الله شيئاً! يا عباس بن عبد المطلب؛ لا أغني

عنك من الله شيئاً! يا صفية عمة رسول الله؛ لا أغني عنك من الله شيئاً! ويا فاطمة بنت محمد؛ سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً؛ ففي الحديث دلالة ظاهرة على أن الجزاء والثواب مرتب على الأعمال لا على الأنساب، وهؤلاء المذكورون في الحديث هم من أهل بيته ﷺ.

- المسألة الخامسة: شرف النسب لا يقتضي التقديم مطلقاً:

وأما الدليل على أن شرف النسب لا يقتضي التقديم مطلقاً: فهو ما جاء في تقديم النبي ﷺ أبا بكر للصلاة مع وجود العباس وعلي رضي الله عنهما. فقد روى البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه، فحضرت الصلاة، فأذن فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» الحديث^(٤).

وعنها رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أبا بكر، أباك، وأخاك، حتى أكتب كتاباً، فأني أخاف أن يتمني متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»^(٥). فلو كان هناك من هو أفضل

(١) قطعة من حديث طويل رواه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم ٢٦٩٩)، من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢٢/١٧)، وجامع العلوم والحكم (٣٠٨/٢) [مؤسسة الرسالة بيروت، ٨ ط، ١٤١٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الوصايا، برقم ٢٧٥٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، برقم ٢٠٤).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦٦٤)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤١٨).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب المرضى، رقم ٥٦٦٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، رقم ٢٣٧٨)، واللفظ له.

يضم الله ﷺ أصحاب الكساء وهم من أهل بيته بلا ريب إلى نسائه اللاتي نزلت فيهن الآية في المعنى الذي تضمنته الآية وهو إرادة التطهير ورفع الرجس.

ومن صريح الأدلة الدالة على دخول زوجاته ﷺ في أهل بيته: حديث الإفك الذي رواه الشيخان وفيه أن النبي ﷺ قال: «من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهل بيتي...»^(٢). فقد وصف النبي ﷺ زوجه عائشة المصونة المبرأة من فوق سبع سماوات بأنها من أهل بيته.

ومن الأدلة على ذلك أيضاً: حديث أبي هريرة ؓ؛ أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قَوْتاً»^(٣). ولا ريب أن أزواجه من آله ﷺ^(٤).

- المسألة السابعة: ادعاء عصمة أهل البيت:

الحق في هذه المسألة أن علو منزلة أهل البيت ورفيع مكانتهم ليس دليلاً على عصمتهم، فهم وإن كانوا على مرتبة رفيعة من الفضل، إلا أنهم معرضون للوقوع في الذنب والخطأ غير معصومين من الوقوع فيه، شأنهم شأن سائر البشر

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٥٠)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤٦٠)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٥٥)، واللفظ له.

(٤) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٣٠٢/١٧)، والإيضاح للمرداوي (٧٩/٢)، وجلاء الأفهام لابن القيم (٢١٦) [دار العروبة، ط ٢، ١٤٠٧هـ].

من أبي بكر الصديق ؓ لقدمه النبي ﷺ.

- المسألة السادسة: دخول زوجات النبي ﷺ في أهل بيته:

آية التطهير إنما نزلت في نساء النبي ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْنَا لَكَ إِذْ نَزَّلْنَا الْكِتَابَ فِي آلِكَ مِثْلُ آبَائِكَ حَرْفًا لَّا مُخَاصَاةَ فِيهِ﴾. فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً^(٢٢) وقرن في يؤتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأمنن الصلوة وأتينن الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً^(٢٣) وأذكركن ما يتلى في يؤتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً^(٢٤) [الأحزاب]، فالذي يراعي سياق هذه الآيات يوقن أنها في نساء النبي ﷺ خاصة^(١).

ومما يؤكد أن الآية لم تنزل في أصحاب الكساء ؓ بل في نساء النبي ﷺ خاصة: حديث الكساء نفسه، ذلك أن رسول الله ﷺ في حديث الكساء دعا لأصحاب الكساء بأن يذهب الله عنهم الرجس، فإذا كانت الآية نزلت فيهم وقد أخبر الله فيها بإذهاب الرجس فما الداعي لدعاء كهذا من رسول الله ﷺ؟! وإنما أراد رسول الله من دعائه هذا أن

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤١٠/٦) [دار طيبة، ط ٢].

المرجئة من الجهمية والكلابية والكرامية والأشاعرة وغيرهم، ومن وافقهم كالمعتزلة والخوارج، النافين لذلك، والقائلين بأن الإيمان شيء واحد لا يتعدد، وأهله فيه سواء؛ فهو لا يزيد ولا ينقص!

ومن الثمرات أيضًا: أن العبد إذا علم أن مقياس التفاضل بين الخلق في الشرع إنما هو بالتفاضل بينهم في العبودية، وأن أفضل الخلق أكملهم وأتمهم عبودية لله؛ «فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله، وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية؛ ازداد كماله وعلت درجته»^(٣)، وأن النسب لا ينفع صاحبه إذا لم يأت بالإيمان والإسلام؛ كان في ذلك أكبر الأثر في حثه وتحريضه على السعي لتحقيق العبودية لله تعالى على أكمل صورها؛ مما يقوي إيمانه بربه، ويزيد يقينه بوعده ﷺ وموعوده.

✽ مذهب المخالفين:

قصر جمهور الشيعة أهل البيت على أصحاب الكساء الخمسة؛ وهم: النبي ﷺ، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وأجمعوا على عدم دخول أمهات المؤمنين في مسمى آل البيت^(٤)!

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/١٧٦).

(٤) انظر: تفسير فرات الكوفي (١٢٣) [المطبعة الحيدرية بالنجف]، وتفسير القمي (١٩٣/٢) [مطبعة النجف]، ٢٦، ١٣٨٧هـ، وبحار الأنوار للمجلسي (٣٥/٢١٧)، =

غير الأنبياء. وأما قوله تعالى في حقهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب]، فقد جاء تفسير هذه الآية في قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا»^(١).

فطلب ﷺ من الله لهم إذهاب الرجس والتطهير؛ لأن الإرادة الواردة في الآية ليست الإرادة الكونية التي تستلزم وقوع المراد، وإنما هي الإرادة الشرعية المتضمنة للمحبة والرضا، فالآية ليس فيها إخبار بطهارة أهل البيت وذهاب الرجس عنهم، وإنما فيها الأمر لهم بما يوجب طهارتهم وذهاب الرجس عنهم^(٢).

✽ الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على اعتقاد فضل أهل البيت وعلو مكانتهم: إثبات تفاضل المؤمنين في الإيمان - وهذا التفاضل يكون بأعمال القلوب وبأعمال الجوارح -، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وفي هذا ردٌّ على

(١) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٧١) وقال: حسن صحيح، وأحمد (١٧٣/٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٥٥٨) وصححه، وصححه الألباني في تعليقه على جامع الترمذي.

(٢) انظر: منهاج السنة (٢١/٤) [جامعة الإمام، ط ١]، والعقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط (٣٦٩).

وغيره - بالقول والعمل^(٤).

والسُّنة وسط بين الغالي والجافي؛
فأهل السُّنة وسط بين الإفراط والتفريط
والغلو والجفاء؛ فيعطون لكل ذي حق
حقه، ويتولون أهل الدين والاستقامة
من أهل البيت وغيرهم، ويتبرؤون
ممن خالف السُّنة وانحرف عن نهج
السلامة.

المصادر والمراجع:

١ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب
والسُّنة»، لنخبة من العلماء.

٢ - «تفسير القرآن العظيم» (ج ٦)،
٧، لابن كثير.

٣ - «جلاء الأفهام»، لابن القيم.

٤ - «العقيدة في أهل البيت بين
الإفراط والتفريط»، لسليمان السحيمي.

٥ - «فتح الباري» (ج ٧، ١١)، لابن
حجر.

٦ - «فضل أهل البيت»، لعبد المحسن
العباد.

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣، ٢٢)،
لابن تيمية.

٨ - «المجموع شرح المذهب»
(ج ٣)، للنووي.

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (١/١٧٦)، والتبصير في
الدين للإسفرائيني (٤٥، ٦٨) [عالم الكتب بيروت،
ط ١، ١٤٠٣هـ]، والمُلل والنُحل للشهرستاني (٤٩)
[دار الفكر بيروت]، ومجموع الفتاوى (١٩/٨٩).

ثم غلوا فيهم، وادَّعوا عصمتهم،
وقدّموهم على الأنبياء والمرسلين - بما
فيهم أولو العزم -، ووصفهم بصفات
الألوهية والربوبية، ومنهم من يتوسل بهم
ويتخذهم أرباباً من دون الله تعالى^(١)!
وهم مع ذلك يغضون الصحابة ويسبونهم
ويكفرون عامتهم، ويطعنون في أمهات
المؤمنين ويكفرونهم، وفي أولاد
النبي ﷺ، وباقي أولاد بني هاشم^(٢)!
فهم غلاة في أصحاب الكساء، نواصب
في الصحابة وباقي أهل البيت!

كما أنهم يكفرون بعض بني فاطمة؛
كزيد بن علي بن الحسين، وبني
العباس^(٣).

وعلى النقيض من ذلك: تعرض
النواصب - من الخوارج وبعض المعتزلة
وغيرهم - للطعن في أهل البيت - كعلي

= (٣٣٣) [مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ]
(١) انظر: بضائر الدرجات الكبرى للصفار (٥/٢٤٧)
[طبعة إيران، ١٢٨٥هـ]، والفصول المهمة في أصول
الأئمة للحر العاملي (١٥١) [مكتبة بصيرتي بقم]،
وبحار الأنوار للمجلسي (٩٧/٢٣، ١٠١، ٨٦/
٢٤٠، ١٠١/٣٦٩). وانظر للتفصيل: أصول مذهب
الشيعة للقفاري (١/٣٠٧ - ٣٩٩، ٢/٤٢٧ - ٥٢٤،
٦١٣، ٧٧٥).

(٢) انظر: تفسير العياشي (١/١٩٩) [المكتبة العلمية
بطهران]، وتفسير الصافي (١/٣٨٩) [مؤسسة
الأعلمي]، وبحار الأنوار للمجلسي (٢٢/٢٢٧).
وانظر للتفصيل: أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/
٧١٦ - ٧٣٧).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (٦٥) [مكتبة النهضة
المصرية، ١٣٨٩هـ]، والفرق بين الفرق (٢٥) [دار
الآفاق الجديدة].

٩ - «منهاج السُّنة النبوية» (ج٧)، ما أقسم عليه^(٢).
لابن تيمية.

التعريف شرعاً:

١٠ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج٢)، للحليمي.

الأبرار: هم الذين قاموا بأداء ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه، باطنًا وظاهرًا، فبرّت بواطنهم بالإيمان وسلامة القلب، وبرّت جوارحهم بأعمال الخير وصالح الأخلاق.

الأبرار

التعريف لغة:

الأبرار في اللغة: جمع بَرٍّ، وهو اسم فاعل من الفعل: بَرَّ، يقال: رجل بَرٌّ من قوم أبرار، وبرٌّ من قوم بررة، والمصدر: البرُّ.

والبرُّ في اللغة: يأتي بمعنى: الصدق، والصلاح، والصُّلة، والطاعة، والخير.

يقال: بَرَّ فلان بوعده؛ أي: صدق، وبرّت يمينه؛ أي: صدّقت، ومن ذلك قولهم: يَبْرُ رَبِّه؛ أي: يُطِيعه، وهو من الصُّدق، والبرُّ: هو الصادق، والبيع المبرور: الذي لا شبهة فيه ولا كذب ولا خيانة.

قال ابن الأعرابي: «البرُّ: فعل كل خير من أي ضرب كان»^(١).

ويقال: بَرَّ يَبْرُ؛ إذا صَلَح، وَبَرَّ في يَمِينِهِ يَبْرُ؛ إذا صَدَقَهُ وَلَمْ يَحْنَثْ، وَبَرَّ رَجْمَهُ يَبْرُ؛ إذا وَصَلَهُ، وَبَرَّ يَبْرُ؛ إذا هَدَيْ، وإبرار القَسَم: إجابة المقسم إلى

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «الأبرار: جمع بَرٍّ، وهم الذين برّوا الله بأداء فرائضه، واجتناب محارمه. وقد كان الحسن يقول: هم الذين لا يؤذون شيئًا حتى الذرُّ»^(٣).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في تعريف الأبرار: «هم: الذين برّت قلوبهم، بما فيها من محبة الله ومعرفته، والأخلاق الجميلة، فبرّت جوارحهم، واستعملوها بأعمال البرِّ»^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعاني اللغوية المذكورة للبر (الصدق، والصلاح، والصلة، والطاعة، والخير) مندرجة تحت المعنى الشرعي العام للبر (اسم جامع للخيرات كلها؛

(٢) انظر: مقاييس اللغة (١/١٧٧) [دار الجيل، ط ٢]، وتهذيب اللغة (١٥/١٣٧ - ١٣٨) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م]، ولسان العرب (٤/٥٢ - ٥٣) [دار صادر، ط ١].

(٣) تفسير الطبري (٢٤/٢٩٠).

(٤) تفسير السعدي (٩٠١) [مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ].

(١) لسان العرب (٤/٥٥).

تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (١٢)
[الانفطار]، وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ
لَفِي عَلَيِّنَ﴾ (١٨) [المطففين].

❁ الحقيقة:

البر اسم شامل لجميع أنواع الخير
والكمال، فيندرج في مسماه سائر أنواع
العبادة والطاعة والتقوى، وجميع شعب
الإيمان القولية والفعلية والاعتقادية،
ولذا يكثر التعبير ببر القلب، وهو أن
يجد طعم الإيمان وحلاوته في القلب،
ويلزم عن ذلك أو يجد الطمأنينة
والانشرح والفرح بالإيمان في قلبه، كما
أن من لازمه مفارقة جميع المعاصي^(١).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال
رسول الله: ﷺ «الحج المبرور ليس له
جزاء إلا الجنة»^(٢).

قال سفيان رضي الله عنه: «تفسير المبرور:
طيب الكلام، وإطعام الطعام».

وقيل: هو المقبول، المقابل بالبر،
وهو الثواب، يقال: برَّ الله حجه؛ أي:
أثابه على حجه، ومن علامة البر أن
يرجع خيراً مما كان، ولا يعاود
المعاصي.

❁ المنزلة:

لقد بين الله في كتابه علو منزلة

خيرات الدنيا والآخرة، فالمعنى
الشرعي أعم من المعنى اللغوي من هذه
الجهة.

ومن جهة أخرى؛ فإن البر الشرعي
الذي يحمد الإنسان عليه، ويثاب عليه
من الشارع هو ما كان من هذه الأعمال
خالصاً لوجه الله، صواباً على وفق سنة
مصطفاه ﷺ، فقد يعمل العامل شيئاً من
أعمال الصلة والصدقة ولا يريد به
وجه الله، أو لا يوافق فيه السنة، فلا
يشمله المسمى الشرعي للبر، ولا يكون
من الأبرار عند الله بذلك، ومن هذه
الجهة فالمعنى الشرعي أخص من المعنى
اللغوي.

❁ سبب التسمية:

إنما سمي الأبرار بذلك لقيامهم
بأعمال الخير الباطنة والظاهرة،
وملازمتهم لها، وتحليلهم بمقتضاها،
حتى صارت وصفاً لازماً لهم.

❁ الحكم:

الحكم الشرعي للبر يختلف بحسب
ما يندرج في هذا الاسم من أعمال البر
والخير، فعلاً وتركاً، باطناً وظاهراً.

فما دلّ الدليل على وجوبه منها حكم
بوجوبه، وما دلّ على استحبابه حكم
باستحبابه.

وأما الحكم الأخروي للأبرار، فهو
الوعد بالجنة والنعيم، كما في قوله

(١) انظر: الرسالة التبوكية (٨) [مكتبة المدني].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٧٧٣)، ومسلم
(كتاب الحج، رقم ١٣٤٩).

لم يُفتقدوا، وإن حضروا لم يدعوا، ولم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة»^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال مالك بن دينار رحمته الله: «إن الأبرار تغلي قلوبهم بأعمال البر، وإن الفجار تغلي قلوبهم بأعمال الفجور»^(٢).

وقال ابن القيم رحمته الله: «حقيقة البر هو الكمال المطلوب من الشيء، والمنافع التي فيه والخير»^(٣).

وقال الحافظ ابن رجب رحمته الله: «البر... يدخل فيه جميع الطاعات الباطنة؛ كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله، والطاعات الظاهرة؛ كإنفاق الأموال فيما يحبه الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصبر على الأقدار؛ كالمرض والفقر، وعلى الطاعات؛ كالصبر عند لقاء العدو»^(٤).

✽ المراتب:

لفظ الأبرار من الألفاظ التي تختلف

(١) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٣٩٨٩)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٧٩/٤) [دار العربية، ٢٢]: (فيه عبد الله بن لهيعة، وهو ضعيف)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٢٠٢٩). وأخرجه الحاكم في المستدرک (كتاب الإيمان، رقم ٤) من طريق آخر، وصححه.

(٢) تاريخ مدينة دمشق (٤٠٣/٥٦) [دار الفكر، ١٩٩٥م].

(٣) الرسالة التبوكية (٧).

(٤) جامع العلوم والحكم (٩٩/٢) [موسسة الرسالة، ط ٧، ١٤٢٢هـ].

الأبرار، وسمو قدرهم في الجنة، فقال عز من قائل: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ ۝١٨ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُونَ ۝١٩ كِتَابٌ مَرْفُوعٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ ۝٢١ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ۝٢٥ خِتَمُهُمُ مِنْ مِسْكِ ۝٢٦ فِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝٢٧ عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا الْمُرْسَلُونَ ۝٢٨﴾ [المطففين].

✽ الأدلة:

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآَمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۝١٩٣﴾ [آل عمران].

وقال تعالى بعدها بوضع آيات: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ۝١٩٨﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ [الإنسان].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٢﴾ [الأنفطار]، و: [المطففين: ٢٢].

وقال رحمته الله: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ ۝١٨﴾ [المطففين].

وأما من السنة:

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب الأبرار الأنقياء الأخفياء، الذين إذا غابوا

حالتان:

دالتها باعتبار الاقتران والانفراد، فله

الحالة الأولى: الانفراد؛ أي: أن

يذكر اسم الأبرار في نصٍّ بمفرده، من غير ذكر (المقربين أو السابقين) في ذلك النص، فإنه يشمل كل تقيٍّ، من السابقين والمقتصدین، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۚ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار].

الحالة الثانية: الاقتران؛ أي: أن

يذكر اسم الأبرار مقروناً باسم المقربين في نصٍّ واحد، فيكون لكلٍّ منهما تفسيراً، فيدل كل اسم منهما على مرتبة من مراتب أهل الجنة.

فالمرتبة الأولى: مرتبة السابقين؛

وهم المقربون، وهم الأعلى في الدرجة، إذا تقربوا إلى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض بحسب الإمكان، وترك المكروه والمحرم، فمرتبتهم هي مرتبة الفضل بعد العدل.

والمرتبة الثانية: مرتبة الأبرار؛ وهم

أصحاب الميمنة، وهم الذين تقربوا إلى الله بأداء الفرائض الواجبة، وترك المحرمات ظاهراً وباطناً، ومرتبتهم هي مرتبة العدل.

وقد جاء ذكر هاتين المرتبتين من مراتب أهل الجنة والقرن بينهما في عدة سور، ومن ذلك ما جاء في سورة

المطففين في شراب الأبرار: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلْيُونَ ۚ﴾ [١٩] ﴿كِتَابٌ مَرْفُومٌ ۚ﴾ [٢٠] ﴿يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ ۚ﴾ [٢١] ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۚ﴾ [٢٢] ﴿عَلَى الْأَرْكَامِ يُنْظَرُونَ ۚ﴾ [٢٣] ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۚ﴾ [٢٤] ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ ۚ﴾ [٢٥] ﴿خَتَمَهُ مِسْكَ ۚ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۚ﴾ [٢٦] ﴿وَمِرْجَاهُ مِنْ تَنْسِيمٍ ۚ﴾ [٢٧] ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۚ﴾ [٢٨] [المطففين].

ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره عن عین تسنیم: «يشرب بها المقربون صِرْفًا، ويمزج لأصحاب اليمين مزجًا» وروي نحوه عن قتادة وغيره ^(١).

المسائل المتعلقة:

- قولهم: (حسنات الأبرار سيئات المقربين):

هذه المقالة نقلت عن الجنيد، ونقلت عن غيره. وهي مبنية على ما تقدم في المراتب، وأن مرتبة السابقين المقربين فوق منزلة الأبرار من أصحاب اليمين.

ولهذه العبارة معنيان صحيحان، ومعنى فاسد، فالمعنيان الصحيحان:

أحدهما: أن أعلى حال للأبرار، مشابهة لأدنى حال للمقربين، وبيان ذلك: أن المقربين حالهم هي الحال العليا، فهم ملازمون للنوافل مع

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٠١) [الرسالة، ط١].

الأول لكان ذلك سيئة في حقّه، ومثال ذلك: أن العامي يؤمر بسؤال العلماء، وتقليدهم، وذلك حسن منه، ولكن العالم - القادر على الاجتهاد - لو فعل ذلك التقليد لكان سيئة في حقّه، فالأول كحال الأبرار، والثاني كحال المقربين.

والمعنى الفاسد لهذه العبارة: أن تحمل الحسنات والسيئات على المعنى الشرعي، فيعتقد أن نفس الحسنة التي أمر الله بها جميع الناس من عبادات الظاهر والباطن كالصلاة والتوكل تكون سيئات في حق المقربين، فهذا قول فاسد^(١).

الضروق:

الفرق بين البر والتقوى:

لفظ البر إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ [الانفطار].

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْإِبْرَ مَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: ١٨٩].

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣٠٩/١) [دار الشعب]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٧٧/٨) و(٥١/١٥)، وجامع الرسائل له (٢٥١/١ - ٢٥٥)، ومختصر الفتاوى المصرية له (١٠٧/١) [دار ابن القيم، ط ٢، ١٤٠٦هـ]، ومدارج السالكين (٢٥٧/١) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ]، والموافقات للشاطبي (٣/ ٢٤٥ - ٢٤٧) (٦٣/٤) [دار المعرفة]، وعمدة القاري للعيني (١٨٠/٧) (٢٧٩/٢٢) [دار إحياء التراث العربي].

الفرائض، واجتناب المحرمات مع المكروهات.

وأما الأبرار فحالهم دون ذلك، فهم يقتصرون على فعل الواجبات، وترك المحرمات.

وهذا الاقتصار من الأبرار يعتبر كالسيئة بالنظر لحال المقربين، فقرن بين الحاليتين من هذه الجهة، وسميت تلك ذنوباً لعظم مقدار فاعلها، لا لذاتها، ولا حملاً لها على المعنى الحقيقي للذنوب.

ولذا كان من طريقة المقربين استغفار الله من التقصير عن فعل الواجبات والمستحبات أيضاً؛ كترك الذكر المستحب، فاعتبروها كالذنوب، بل ربما اعتبروا الانشغال بالمفضول عن الفاضل كذلك، والله أعلم.

وعلى هذا المعنى؛ فإن السيئات في هذه المقالة لم يقصد بها معناها الشرعي ما يعاقب تاركه، ولكن معناها: ما يخرج صاحبه من المقام الأعلى إلى ما هو دونه، فإن هذا مما يسوء الطالب للمقام الأعلى.

والمعنى الثاني: أن من العباد من يؤمر بفعل، يكون حسناً منه، إما واجباً، وإما مستحباً؛ لأن هذا مبلغ علمه وقدرته، ولكن من هو أعلم وأقدر منه لا يؤمر بذلك الفعل، بل يؤمر بما هو أعلى منه، إذ لو اقتصر الثاني على ما فعله

المصادر والمراجع:

- ١ - «أدب الدين والدنيا»، للماوردي.
- ٢ - «البر في القرآن الكريم»، لهناء عبد الله سليمان أبو داود [أطروحة ماجستير في جامعة أم القرى].
- ٣ - «البر والصلة»، لابن الجوزي.
- ٤ - «البر والصلة»، للحسين بن الحسن المروزي.
- ٥ - «تفسير الطبري».
- ٦ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب الحنبلي.
- ٧ - «جامع الرسائل»، لابن تيمية.
- ٨ - «الرسالة التبوكية» (زاد المهاجر إلى ربه)، لابن القيم.
- ٩ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.
- ١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

إبراهيم

اسمه ونسبه:

إبراهيم بن آزر - ويقال له: تارخ - بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ^(٣).

(٣) انظر: تاريخ الرسل والملوك لابن جرير (٢٣٣/١) [دار المعارف، مصر]، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٢٥٨/١) [دار الكتب العلمية، ط١]، والبداية والنهاية لابن كثير (٣٢٤/١) [دار هجر، ط١].

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مِنْ ءَمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ
عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ
وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا
عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ
الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].

فالبر إذا أطلق كان مسماه مسمى
التقوى، والتقوى إذا أطلقت كان
مسماه مسمى البر، ثم قد يجمع
بينهما، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالنَّفْيِ﴾ [المائدة: ٢].

يفسر كل واحد منهما بتفسير.

ف قيل: يفسر البر بفعل المأمورات،
والتقوى بترك المحظورات ^(١).

وقيل: إن «الفرق بينهما فرق بين
السبب المقصود لغيره، والغاية المقصودة
لنفسها. فإن البر مطلوب لذاته؛ إذ هو
كمال العبد وصلاحه الذي لا صلاح له
بدونه. وأما التقوى فهي الطريق الموصل
إلى البر، والوسيلة إليه، ولفظها يدل
على هذا...؛ فلفظها دالٌّ على أنها من
الوقاية؛ فإن المتقي قد جعل بينه وبين
النار وقاية، والوقاية من باب دفع
الضرر ^(٢).

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣٥/٢٠).

(٢) الرسالة التبوكية (١١).

حسنة، وأنبته الله نبأً حسناً، وقد آتاه الله رشده وعلمه الحكمة منذ كان صغيراً^(٤)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١) [الأنبياء].

وقد أراه الله تعالى ملكوت السماوات والأرض، فكان أعظم الناس يقيناً وعلماً، وقوة في دين الله، ورحمة بالعباد؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (٧٥) [الأنعام].

نبوته:

دلَّ على نبوة إبراهيم عليه السلام القرآن والسنة:

فمن القرآن: قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٥) [آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِم نَبَأُ الَّذِينَ

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «لا يختلف جمهور أهل النسب ولا أهل الكتاب في ذلك، إلا في النطق ببعض هذه الأسماء»^(١).

معنى اسمه لغة:

قال بعض أهل العلم: إن إبراهيم بالعربية وبالسريانية معناه: أب راحم؛ لرحمته بالأطفال^(٢).

مولده ونشأته:

ولد الخليل إبراهيم عليه السلام في زمن الملك نمرود بن كنعان، الذي كان ملكاً للشرق والغرب، وهذا الذي عليه عامة السلف من أهل العلم، واختلف أهل العلم في الموضع الذي كان منه، وفي الموضع الذي ولد فيه واستقر به على أقوال، ومما قيل في ذلك: إنه ولد بحرّان أرض الكنعانيين، ثم نقله أبوه إلى بابل أرض الكلدانيين، وقيل: العكس، وأنه ولد ببابل وانتقل إلى بلاد المقدس، واستقر بأرض الكشديانيين بحرّان^(٣).

وقد نشأ إبراهيم عليه السلام نشأة صالحة

(١) فتح الباري لابن حجر (٣٨٩/٦) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٣٤٩/٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وفتح الباري لابن حجر (٤٤٨/٦).

(٣) انظر: تاريخ الرسل والملوك لابن جرير (٢٣٣/١)، والمنتمظم في تاريخ الملوك والأمم (٢٥٨/١)، والبداية والنهاية (٣٢٤/١).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٤٠٢/١)، وقصص الأنبياء للسعدي (٤٤) [أضواء السلف، ط١].

مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح.
قال: قلت: من هذا؟ قال: هذا
إبراهيم^(٢).

وغيرها من الدلائل الواضحة البيّنة
على نبوة إبراهيم عليه السلام، وقد اتفقت
الأديان الثلاثة: اليهودية والنصرانية
والإسلام على إثبات نبوة إبراهيم عليه السلام،
وعلى تقديسه وتعظيمه، حتى وصل الأمر
بالديانتين الباطلتين: اليهودية والنصرانية
إلى الدعوى بأن إبراهيم عليه السلام كان يهوديًا
أو نصرانيًا، وقد أبطل الله هذه الدعوى
الباطلة؛ فقال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ آلُكَ
لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ
وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٥)
هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ
تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا
نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ (١٧) إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ
الْمُؤْمِنِينَ (١٨) [آل عمران].

دلائل نبوته:

من دلائل نبوته عليه السلام:

١ - ما قصّه الله تعالى من خبر النار
التي أراد قومه إحراقه بها، وكيف أنها
صارت بردًا وسلامًا على إبراهيم عليه السلام،

مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ
أَنْتُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ [التوبة: ٧٠]،
وغيرها من الآيات الكثيرة في هذا
المقام.

ومن السُّنة: ما جاء في حديث
الشفاعة الطويل: عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال: كنّا مع النبي صلى الله عليه وآله في دعوة فرفع
إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها
نهسة وقال: «أنا سيد القوم يوم
القيامة... فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت
نبي الله وخليفه من أهل الأرض، اشفع
لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟
ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم
إبراهيم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم
يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله،
وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى
غيري...» الحديث^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة
الإسراء والمعراج: أن رسول الله صلى الله عليه وآله
وجد في السماوات: إدريس وموسى
وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم
أجمعين، ولم يُثبت لي كيف منازلهم،
غير أنه قد ذكر أنه وجد آدم عليه السلام في
السما الدنيا وإبراهيم في السادسة...
قال: «... ثم مررت بإبراهيم عليه السلام فقال:

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم
٣٣٤٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤)،
واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم
٣٣٤٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤١٥).

✽ كتابه:

أنزل الله تعالى على إبراهيم ﷺ صحفًا، ذكر بعض أحكامها في القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَلْبَسْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُوسَىٰ ۖ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۖ (٣٧) أَلَا نَزَّرْنَا وَإِزْرًا ۖ وَزَرَ آخَرَىٰ ۖ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۖ (٣٩)﴾ [النجم]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۖ (٤٠) صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ۖ (٤١)﴾ [الأعلى]، واختلف في عود اسم الإشارة؛ أهو عائد على السورة بأكملها، وأن كل ما ذكر فيها من أحكام وأخبار هو في صحف إبراهيم وموسى، أم أنه عائد إلى أقرب مذكور؟^(٢).

ولم يرد شيء في بيان حقيقة هذه الصحف، اللهم إلا بعض الأخبار التي لا تصح.

✽ دعوته:

دعا إبراهيم ﷺ قومه إلى أفراد الله بالعبادة، وترك عبادة الأصنام والكواكب، وكانوا أهل شرك وكفر، وكان قد بدأ دعوته بأبيه؛ لأنه أقرب الناس إليه، وأحق الناس بإخلاص النصيحة له، فدعاه بالطف عبارة، وأحسن إشارة^(٣)، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي

فانتفت عنها صفة الإحراق التي هي من طبيعتها وخلقتها. قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۖ (٦٨) قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۖ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ۖ (٧٠)﴾ [الأنبياء].

٢ - بشارة الله تعالى له بغلام عليم، وهو شيخ كبير، وامرأته عجوز عقيم، فوهب له إسحاق ﷺ. قال تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيزٍ ۖ (٦٩) فَلَمَّا رَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُّوطٍ ۖ (٧٠) وَأَمْرَانَهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءَهُ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ۖ (٧١) قَالَتْ يَوْنِيئِي ءَالِدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۖ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۖ (٧٣)﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَشَرًا فِي صَرْفٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۖ (٦٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۖ (٧٠)﴾ [الذاريات].

قال السعدي رحمه الله: «إن إتيان الولد، والبشارة به من سارة، وهي عجوز عقيم، يُعدُّ معجزة لإبراهيم، وكرامة لسارة، ففيه معجزة نبي، وكرامة ولي»^(١).

(١) انظر: قصص الأنبياء للسعدي (٥٩).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤٤٨/٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٤/٢) [دار هجر، ط١]،

وتفسير القرطبي (٢٣٦/٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]،

وتفسير ابن كثير (٢٣٧/١٤) [مؤسسة قرطبة، ط١]، =

الْكَلْبِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابَت لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَابَت إِلَيَّ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَابَت لِمَ تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَابَت إِلَيَّ أَخَافُ أِنْ يُمَسِّكِ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ [مريم].

وكذلك دعا قومه إلى إفراد الله بالعبادة، وترك عبادة الأوثان والأصنام، وغيرها من المعبودات الباطلة، قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت].

وقد سلك في دعوته طرقاً وأساليب ناجحة، أقام عليهم الحجة، ودحض جميع شبههم وكسرها، مع قوة وصبر وثبات.

منها: مناظرته المشهورة التي قال الله جلَّ جلاله فيها: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ

مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُنْقِضُوا إِلَيَّ بَرِيءٌ وَمَا أَتُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام].

ومنها: كسره للأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى، إلا صنماً كبيراً أبقاه لهم؛ ليقيم الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الْفٰلِغِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِتِنَا يَتَابَرُهِمْ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَظْهَرُونَ ﴿٦٣﴾ فَارْجِعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ

جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا
يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ [البقرة]، وقال
تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾﴾
[النحل]، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾
[الممتحنة: ٤].

❁ قومه وموقفهم منه:

المعروف أن قوم إبراهيم عليه السلام كانوا
صابئة يعبدون الكواكب والنجوم، وكانوا
من أهل حرّان، وكانوا يعتقدون في
الكواكب أنها أجسام للملائكة،
ويتخذون لها صوراً في الأرض من
التمائيل والأصنام، فدعاهم إبراهيم إلى
توحيد الله تعالى، وإلى ترك عبادة
الأصنام، فقابلوه بالعصيان، وخوّفوه
بآلهتهم، وما زاده تخويفهم إلا إيماناً
بالله ﷻ، بل وهددوه بالحرق والقتل،
لكن الله ﷻ نجاه منهم، قال الله تعالى:
﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ اتَّخِذُوا فِي اللَّهِ وََقَدِّ
هَدْيِي وَلَا تَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ
يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا
أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا
أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا
لَمْ يُزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ
أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾
[الأنعام].

وقال تعالى مبيّناً ما هموا به من قتله
وحرقه بالنار، وكيف أنه تعالى نجاه من

فَقَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ الظَّالِمُونَ ﴿١٢٦﴾ ثُمَّ نَكْسُوهُ
عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِفُونَ
﴿١٢٧﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿١٢٨﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾
[الأنبياء].

ومنها: مناظرته للملك النمرود بن

كنعان الذي ادّعى الربوبية، قال تعالى:
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ
آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي
الَّذِي يُعْجِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ
قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ
الْمَشْرِيقِ فَأَتَتْهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٨﴾﴾
[البقرة].

فأبطل الخليل إبراهيم عليه السلام دليله،
وبيّن كثرة جهله، وقلة عقله، وأجمه
الحجة، وأوضح له المحجة، فبهت
الذي كفر.

وهكذا ظل إبراهيم عليه السلام يدعو إلى
توحيد الله تعالى، وإلى ترك عبادة
الأصنام، ويناظر ويقىم الحجة على
المعاند والمكابّر، بالأدلة الشرعية،
والبراهين العقلية، قولاً وفعلاً، فكان في
دعوته أعظم العبر، حتى صار إماماً
يقتدى به، وصار كل من جاء بعده
مأموراً باتباع ملته الحنيفية؛ قال تعالى:
﴿وَإِذْ أَمَرْنَا إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَمَّنَّ قَالَ إِنِّي

قبور الأنبياء ﷺ: هل هي هذه القبور التي تزورها الناس اليوم؟ مثل: قبر نوح، وقبر الخليل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ويونس، وإلياس، واليسع، وشعيب، وموسى، وزكريا وهو بمسجد دمشق...؟ فأجاب رحمه الله بقوله: «الحمد لله: القبر المتفق عليه هو قبر نبينا ﷺ، وقبر الخليل فيه نزاع، لكن الصحيح الذي عليه الجمهور أنه قبره، وأما يونس، وإلياس، وشعيب، وزكريا فلا يعرف»^(٣).

ولكن هاهنا قاعدة عامة، وهو أنه ليس في معرفة قبور الأنبياء ﷺ بأعيانهم فائدة شرعية، وليس حفظ ذلك من الدين، ولو كان من الدين لحفظه الله، كما حفظ سائر الدين، وذلك أن عامة من يسأل عن ذلك إنما قصده الصلاة عندها، والدعاء بها، ونحو ذلك من البدع المنهي عنها^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: خصائص

إبراهيم ﷺ وفضائله:

١ - اتخذه الله تعالى خليلاً، والخلة أعلى وأرفع درجات المحبة، وهذه الدرجة خاصة بإبراهيم ﷺ، وبنبيينا محمد ﷺ، لم ينلها أحد سواهما، كما

القوم الظالمين: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (٦٨) ﴿قُلْنَا يَنْتَظِرُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦٩) ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (٧٠) ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (٧١) [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧٤) [العنكبوت].

وفاته:

ذكر في وفاة إبراهيم ﷺ وطريقة مجيء ملك الموت لقبضه أخبار عن أهل الكتاب، الله أعلم بصحتها، لكن الذي عليه جمهور أهل العلم أنه دفن وقبر في المربعة التي بناها سليمان بن داود ﷺ ببلد حبرون، وهو البلد المعروف بالخليل اليوم، لكن تعيينه منها ليس فيه خبر صحيح عن معصوم، لكن ينبغي أن تجلّ أن يداس في أرجائها، خشية أن يكون قبر الخليل ﷺ تحتها^(١).

قال الشيخ محمد بن الجزري: «لا يصح تعيين قبر غير قبر نبيينا ﷺ، نعم قبر إبراهيم ﷺ الخليل في تلك القرية، لا بخصوص تلك البقعة»^(٢).

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/٤٤٥) [مجمع الملك فهد

لطباعة المصحف، ط ٢].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/٤٤٤).

(١) انظر: البداية والنهاية (١/٤٠٣، ٤٠٥ - ٤٠٦).

(٢) تحفة الذاكرين (٦٣)، وكشف الخفاء (٢/٤٩٨)،

وتاريخ الكعبة المعظمة (١٦٥).

به، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، قال ﷺ: ﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمُنْصِلِيهِ﴾ [العنكبوت].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «فكل كتاب أنزل من السماء على نبي من الأنبياء بعد إبراهيم الخليل فمن ذريته وشيعته، وهذه خلعة سنّية لا تضاهى، ومرتبة عليّة لا تباهى» (٢).

وغيرها من الخصال الحميدة، والصفات الرفيعة العليّة، التي يطول المقام والمقال بذكرها، وكل واحدة من هذه الخصال يطول الشرح بذكرها وبيانها، فكيف بمجموعها.

٣ - أول من يكسى يوم القيامة هو إبراهيم عليه السلام؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً». ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء]، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم (٣).

(٢) البداية والنهاية (١/٣٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٤٩)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٠).

قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء].

ومن السنّة: روى جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا» (١).

٢ - أثنى الله تعالى عليه في غير ما موضع من كتابه، ووصفه بصفات الخير والجمال والكمال، فقال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِينَ﴾ [١٢٠] إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [البقرة]، وقال: ﴿إِن إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٢١] شَاحِكًا لِأَنعَمِهِ أَجْبَنَهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِينَ﴾ [١٢٢] ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [النحل]، وقال: ﴿إِن إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء].

وقد جعله الله ﷻ إمامًا للناس يقتدى

(١) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣٢).

الخليل ﷺ» (٤).

الثاني: يحتمل أنه قال ذلك قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، ثم أعلم أنه أفضل وأكرم البشر على الإطلاق.

- المسألة الثالثة: معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]:

اختلف أهل العلم في بيان المراد بذلك؛ أهو مقام نظر أم مناظرة؟ على قولين مشهورين:

القول الأول: وهو أن المقام مقام مناظرة، وإقامة للحجة، لا مقام نظر واعتقاد، وبيان ذلك من وجهين:

أحدهما: أن إبراهيم ﷺ قالها لما ناظر قومه في إبطال عبادة الكواكب والقمر والشمس، ولم يقلها معتقداً لربوبيتها، وإنما قالها مقيماً للحجة عليهم، ومبطلاً لألوهيتها وربوبيتها، والمناظر قد يقول الشيء الذي لا يعتقد له ليبيّن عليه حجته، وليقيم الحجة على خصمه، كما قال في تكسيره الأصنام لما قالوا له: ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يٰأَهْلِهِنَا يٰتَابَرِهَيْمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢]، فأشار إلى الصنم الذي لم يكسره؛ فقال: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، ومعلوم أن غرضه إلزامهم بالحجة، وقد حصلت، فالمعنى: هذا ربي بزعمكم الباطل.

(٤) البداية والنهاية (١/٣٩٥).

- المسألة الثانية: وجه الجمع بين قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»، وبين قوله ﷺ: «ذلك إبراهيم ﷺ» لما قيل له: «يا خير البرية»:

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع» (١). فنص الحديث مع غيره من الأدلة الأخرى من القرآن والسنة أن محمداً ﷺ هو أفضل البشرية على الإطلاق، وهو أفضل من سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

لكن جاء في السنة ما يدل على أن إبراهيم هو خير البرية؛ فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا خير البرية. فقال رسول الله ﷺ: «ذاك إبراهيم ﷺ» (٢). وقد أجيب عن ذلك بجوابين (٣):

أحدهما: أن ذلك من النبي ﷺ على جهة التواضع والإجلال، لمقام إبراهيم ﷺ وأبوتاه وخلته.

قال ابن كثير رضى الله عنه: «وهذا من باب الهضم والتواضع مع والده

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٦٩).

(٣) انظر: المعلم بفوائد مسلم (٢٢٦/٣) [المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، ط ١]، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/١٨٠) [دار ابن كثير، ط ١]، وشرح مسلم للنووي (١٢١/١٥) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط ١].

عَلَى قَوْمِهِ ﴿[الأنعام: ٨٩]، والعلم عند الله تعالى (٢).

القول الثاني: أن إبراهيم قالها في حال نظره، وكان ذلك في صغره وطفولته، وقبل قيام الحجة عليه، وتلك حال لا يكون فيها كفر ولا إيمان، ويرى بعض أهل العلم الإقرار بظاهر خبر الله تعالى بذلك، وممن قال بذلك: ابن جرير الطبري رحمه الله.

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الأنعام]، قالوا: وهذا يدل على نوع تحير (٣).

ومما يبطل هذا القول: أن الله نفى الشرك عن إبراهيم في الماضي؛ فقال تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٢٥﴾ [الأنعام]، ونفي الكون الماضي يستغرق جميع الزمن الماضي، فثبت أنه لم يتقدم عليه شرك يومًا ما (٤).

وأما ما استدلوا به من القرآن فالجواب عنه: أنه ما زال الأنبياء ﷺ يسألون الهدى، ويتضرعون في دفع الضلال عنهم، كما في قوله تعالى:

الثاني: أنه قال ذلك على وجه الاستفهام الإنكاري والتوبيخي فمعنى الكلام: أهذا ربي؟ والمراد: ليس هذا ربي. والعرب قد تفعل مثل ذلك، فتحذف الألف التي تدل على معنى الاستفهام.

وقد رجح هذا القول جماعة من أهل العلم المتقدمين؛ كابن كثير، وابن حجر، ووافقهم عليه جمع من المتأخرين؛ كالسعودي، ومحمد الأمين الشنقيطي، ومحمد خليل هراس (١).

ومما يدل على صواب هذا القول، وأنه أولى بالحق؛ وأنه كان جازماً بربوبية الرب تعالى واستحقاقه الألوهية: دلالة ترتيب قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ [الأنعام] إلى آخره بالفاء، على قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ [الأنعام]، فدل على أنه قال ذلك موقناً مناظراً ومحاجاً لهم، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ الآية [الأنعام: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٩٧/٦ - ١٠٠)، وفتح الباري لابن حجر (٤٥١/٦)، وتفسير السعدي (٢٩٢)، وقصص الأنبياء له (٤٤ - ٤٥)، وأضواء البيان (٢/٢٣٧) [دار عالم الفوائد، ١٦]، ودعوة التوحيد لمحمد خليل هراس (١٢٩ - ١٣١) [دار الكتب العلمية، ١٦].

(٢) انظر: أضواء البيان (٢/٢٣٧).

(٣) انظر: جامع البيان لابن جرير (٣٦١/٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٧٤/٣) [المكتب الإسلامي، ط ٣].

(٤) انظر: أضواء البيان (٢/٢٣٧).

وفي هذه الأحاديث إطلاق وصف الكذب على إبراهيم عليه السلام، وهذا مشكل؛ لأن الكذب محرم عقلاً وشرعاً، وتشدد حرمة على من اختاره الله ﷻ واصطفاه لرسالته من الأنبياء ﷺ.

والجواب: أن إطلاقه الكذب على تلك الأمور الثلاث سوَّغه أنه قال قولاً يعتقده السامع كذباً، لكنه إذا حقق لم يكن كذباً؛ لأنه من باب المعاريض المحتملة للأمرين، فليست بكذب محض، فقلوه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات]: يحتمل أن يكون معناه: سأسقم، ويحتمل: أني سقيم بما قدر عليّ من الموت، وهذا من باب التورية واستعمال المعاريض، أو سقيم النفس لكفركم وشرككم، أو سقيم الحجة على الخروج معكم. وأما قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]: فقال له تمهيداً للاستدلال على أن الأصنام ليست بآلهة، وقطعاً لقومه في قولهم: إنها تضر وتنفع. وأما قوله لزوجه: «أخبريه أنك أختي»: فيعترف عنه بأن مراده أنها أخته في الإسلام (٤).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٣٥) [إبراهيم]، والله تعالى قد أتى إبراهيم رشد من قبل، وأراه ملكوت السماوات والأرض ليكون موقناً، فكيف لا يعصمه عن مثل هذا التحير؟ (١).

- المسألة الرابعة: كذبات إبراهيم عليه السلام:

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال ﷺ: «لم يكذب إبراهيم النبي قط إلا ثلاث كذبات؛ ثنتين في ذات الله؛ قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (٨٩). وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾. وواحدة في شأن سارة» الحديث (٢).

وفي حديث الشفاعة الطويل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في دعوة فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة وقال: «أنا سيد القوم يوم القيامة... فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول إبراهيم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله...» وذكر كذباته (٣).

(٣٣٤٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤)، واللفظ للبخاري.

(٤) انظر: المعلم بفوائد مسلم (٣/٢٢٩)، وشرح مسلم للنووي (١٥/١٢٤)، وتفسير القرطبي (١٤/٢٢١) - (٢٢٢) (١٨/٥٢)، وفتح الباري لابن حجر (٦/٤٥٠ - ٤٥١).

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣/٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٥٨)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٥٨).

يتحصل بالعلم والخبر، فأراد الترقى من علم اليقين إلى عين اليقين.

قال ابن كثير رحمه الله: «وقد كان إبراهيم عليه السلام يعلم قدرة الله تعالى على إحياء الموتى علماً يقينياً، لا يحتمل النقيض، ولكن أحب أن يشاهد ذلك عياناً، ويترقى من علم اليقين إلى عين اليقين، فأجابه الله إلى سؤاله، وأعطاه غاية مأوله» (٣).

وعلى هذا يكون معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» : أنه لو كان إبراهيم شاكاً، لكننا نحن أحق بالشك منه، ونحن لا نشك؛ فإبراهيم عليه السلام أخرى أن لا يشك، وإنما قال ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تواضعاً منه، أو أنه قبل أن يعلم أنه أفضل من إبراهيم وسائر الأنبياء عليهم السلام.

فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام، وهذا القول هو الذي يظهر صوابه، وأنه أقرب للشرع والعقل، وقد رجحه كثير من أهل العلم؛ كابن عطية، وابن كثير، والقرطبي، والسعدي، وغيرهم (٤).

ويؤيد هذا القول قوله: ﴿وَلَكِنْ

المسألة الخامسة: معنى قول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»:

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم؛ إذ قال: رب أرني كيف تحيي الموتى. قال: أو لم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي، ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي» (١).

اختلف السلف في المراد بالشك هاهنا على أقوال، أظهرها قولان لأهل العلم (٢):

القول الأول: وهو أن إبراهيم عليه السلام لم يشك في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، فإن الشك تردد بين أمرين، لا مزية لأحدهما على الآخر، ومحال أن يقع فيه صفوة الخلق من أنبياء الله، وعلى رأسهم إمام الحنفاء عليه السلام، فالشك يبعد عن ثبوت قدمه في الإيمان، فكيف بمرتبة النبوة والخلة، وذكروا في تفسير ذلك أوجهاً؛ أشهرها وأظهرها: أنه أراد أن يتحصل بالمشاهدة والمعينة غير ما

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٧٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥١).

(٢) انظر: تفسير ابن عطية (١/٣٥٢ - ٣٥٣) [دار الكتب العلمية]، وتفسير الطبري (٤/٦٢٤ - ٦٣٠)، وتفسير القرطبي (٤/٣٠٩ - ٣١٢)، وتفسير ابن كثير (٢/٤٥٥)، وفتح الباري لابن حجر (٦/٤٧٤ - ٤٧٥).

(٣) البداية والنهاية (١/٣٨٧).

(٤) انظر: تفسير ابن عطية (١/٣٥٢)، وتفسير القرطبي (٤/٣٠٩ - ٣١٢)، وتفسير ابن كثير (٢/٤٥٥)، وفتح الباري لابن حجر (٦/٤٧٤ - ٤٧٥)، وتفسير السعدي (١١٤)، وغيرها.

الموتى للبعث والجزاء، فأخبر تعالى عن خليفه إبراهيم أنه سأل أن يريه ببصره كيف يحيي الموتى؛ لأنه قد تيقن ذلك بنظر الله تعالى، ولكن أحب أن يشاهده عياناً، ليحصل له مرتبة عين اليقين، فلهذا قال الله له: ﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَظْمِنَ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وذلك أنه بتوارد الأدلة اليقينية مما يزداد به الإيمان، ويكمل به الإيقان، ويسعى في نيته أولو العرفان^(٥).

القول الثاني: وهو أنه على ظاهره، وأن إبراهيم عليه السلام شك في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، وذكروا في توجيه ذلك أمرين:

أحدهما: أن ذلك كان قبل النبوة؛ حيث لا تكليف بالإيمان.

الثاني: وهو أنه دخل على إبراهيم عليه السلام ما يدخل على قلوب الناس من الوسوس والخطرات، ولكنها لم تستقر، ولا زلزلت الإيمان الثابت، وأن إبراهيم عليه السلام سأل ربه أن يريه إحياء الموتى؛ للعارض الشيطاني، فلا يقدر الشيطان بعد ذلك أن يلقي في قلبه الشك، ورجح هذا القول الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله^(٦).

وهذا القول باطل مردود بما تقدم تقريره

لِيَظْمِنَ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ومعنى الآية: ليزداد يقيني، أو ليزداد إيماني، روى ذلك ابن جرير الطبري رحمه الله عن جماعة من أئمة السلف؛ منهم: سعيد بن جبير، وقتادة بن دعامة، والضحاك بن مخلد، والربيع بن أنس، وإبراهيم النخعي، وغيرهم^(١).

قال ابن بطه رحمه الله: «يريد: لأزداد إيماناً إلى إيماني، بذلك جاء التفسير»^(٢).

وقد احتج بها أبو عبد الله البخاري في «صحيحه» على زيادة الإيمان ونقصانه^(٣).

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «وأما قوله: ﴿وَلَا إِذْ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَظْمِنَ قَلْبِي﴾ الآية... [البقرة: ٢٦٠]، فمن أعظم الأدلة على تفاوت الإيمان ومراتبه حتى الأنبياء، فهذا طلب الطمأنينة مع كونه مؤمناً، فإذا كان محتاجاً إلى الأدلة التي توجب له الطمأنينة فكيف بغيره»^(٤).

وقال السعدي رحمه الله: «وهذا فيه أيضاً أعظم دلالة حسية على قدرة الله، وإحيائه

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٦٣٠).

(٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٨٣٣) [دار الراية للنشر والتوزيع، ط ١].

(٣) صحيح البخاري (٦٠).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٧٣) [نشر جامعة الإمام محمد بن سعود].

(٥) تفسير السعدي (١١٤).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٦٣٠).

فارس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «التاء والباء والعين أصل واحد لا يشدُّ عنه من الباب شيء، وهو: التَّلَوُّ والقَفْوُ. يقال: تَبِعْتُ فلانًا: إذا تَلَوْتَهُ وَاتَّبَعْتَهُ. وَاتَّبَعْتُهُ؛ إذا لَحِقْتَهُ»^(٢).

وَاتَّبَعَ الْقُرْآنُ: ائْتَمَّ بِهِ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ. والاتباع في الأصل اقتفاء أثر الماشي، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي الْعَمَلِ بِمِثْلِ عَمَلِ الْغَيْرِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَلْحَسِنُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي امْتِثَالِ الْأَمْرِ، وَالْعَمَلِ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ الْمَتَّبِعُ، فَهُوَ الْاِئْتِمَارُ^(٣).

والاتباع في الأصل اقتفاء أثر الماشي، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي الْعَمَلِ بِمِثْلِ عَمَلِ الْغَيْرِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَلْحَسِنُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي امْتِثَالِ الْأَمْرِ، وَالْعَمَلِ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ الْمَتَّبِعُ، فَهُوَ الْاِئْتِمَارُ^(٣).

التعريف شرعًا:

الاتباع في الشرع: هو الأخذ بما جاء في القرآن وضح في السُّنَّةِ، والتسليم لهما، والائتمار بأوامرهما، والانتهاء عن نواهيهما.

قال الإمام السمعاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الاتباع عند العلماء هو: الأخذ بسنن رسول الله ﷺ التي صحت عنه عند أهلها وَنَقَلَتْهَا وَحَفَظَهَا، وَالْخُضُوعُ لَهَا، وَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا تَقْلِيدٌ لِمَنْ أَمَرَ اللَّهُ بِتَقْلِيدِهِ، وَالْاِئْتِمَارُ بِأَمْرِهِ، وَالْاِئْتِمَارُ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»^(٤).

(٢) مقاييس اللغة (١/ ٣٦٢) [دار الجيل، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٤٢٣ - ٤٢٤) [دار سخنون، ١٩٩٧م].

(٤) الانتصار لأصحاب الحديث لأبي المظفر السمعاني (٥٥) [مكتبة أضواء المنار، ط ١، ١٤١٧هـ].

في القول الأول، والله أعلى وأعلم.

المصادر والمراجع:

١ - «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج ١)، للقاضي عياض.

٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.

٣ - «تحفة النبلاء من قصص الأنبياء»، لابن كثير، انتخب كتابه الحافظ ابن حجر العسقلاني.

٤ - «دعوة التوحيد: أصولها - الأدوار التي مرت بها - مشاهير دعائها»، لمحمد خليل هراس.

٥ - «قصص الأنبياء (المعروف بالعرائس)»، لأبي إسحاق الثعلبي.

٦ - «قصص الأنبياء»، للسعدي.

٧ - «قصص الأنبياء القصص الحق»، لعبد القادر شيبه الحمد.

٨ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ٢)، لابن أبي العز الحنفي.

٩ - «المعارف»، لابن قتيبة.

الاتباع

التعريف لغة:

الاتباع مصدر الفعل: اتَّبَعَ، يقال: تَبِعَهُ تَبْعًا، وَاتَّبَعَهُ اتِّبَاعًا^(١). قال ابن

(١) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٢/ ٥٦) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يتفق المعنى اللغوي والشرعي للاتباع بالنظر إلى أصل المعنى، وهو التلوّ والقفو.

وأما عند النظر إلى الأمر المُتَّبِع، وإلى منهج الاتباع وطريقته، فإن العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي للاتباع تكون علاقة عموم وخصوص؛ فإن المعنى اللغوي للاتباع شامل لاتباع أي متبوع، على أي طريقة كانت، سواء كان محموداً أم مذموماً، وأما الاتباع الشرعي فإنه مختص باتباع أمر الله وأمر رسوله ﷺ، على وفق ما شرعه الله ورسوله.

الحكم:

لقد أوجب الله على عباده طاعة رسوله ﷺ، وأمرهم بطاعته واتباع أمره، وحذّره من مخالفته ومعصيته وترك طاعته، كما سيأتي ذلك في الأدلة.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «ففرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله ﷺ، فقال في كتابه: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة]...، فذكر الله الكتاب، وهو: القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول:

الحكمة سنة رسول الله ﷺ، وأن الله افترض طاعة رسوله وحتم على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقوله: فرض، إلا لكتاب الله ثم سنة رسوله ﷺ^(١)، «وكل ما سنّ فقد ألزمنّا الله اتباعه، وجعل في اتباعه طاعته، وفي العنود^(٢) عن اتباعها معصيته التي لم يعذر بها خلقاً، ولم يجعل له من اتباع سنن رسول الله مخرجاً»^(٣).

الحقيقة:

اتباع أمر الله وأمر رسوله ﷺ يكون بأمور؛ منها:

١ - الاقتداء بالنبي ﷺ والتأسي به^(٤).
قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب].

٢ - تحكيم السنة والتحاكم إليها.
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء].

٣ - الرضا بحكم الرسول ﷺ وشرعه.

(١) الرسالة للإمام الشافعي (٧٦ - ٧٨) [دار الكتب العلمية، تحقيق: أحمد شاكر].
(٢) العنود: العتو والطغيان، أو الميل والانحراف.
(٣) المرجع السابق (٨٨).
(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣٩١/٦).

«ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام»^(٣).

❁ الأهمية:

المتابعة لله ولرسوله من أعظم الأصول التي قررها أهل السنة والجماعة، والتي تميزوا بها عن عامة الطوائف المبتدعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ثم من طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا»^(٤).

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُوهَا كَانَتْ آبَاءُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقال رحمته الله: ﴿ذَلِكَ يَأْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ [محمد].

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وفي «الصحيح» مرفوعًا: «ذاق طعم الإيمان: من رضي الله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا»^(١).

٤ - الوقوف عند حدود الشريعة؛ فلا يزيد عليها بإحداث وابتداع، ولا ينقص منها شيئًا بالقول أو الفعل.

ومما يعلم من الشريعة أن الاتباع المحض المطلق لا يكون إلا لله وللرسول ﷺ، وأما طاعة الآخرين - كالوالدين، وولاة الأمر من العلماء والأمراء - فإنها تابعة لطاعة الله ورسوله^(٢).

❁ المنزلة:

الاتباع لأمر الله ورسوله، هو أصل دين الإسلام، وهو أحد شرطي قبول العمل، فلا يكون العمل مقبولًا إلا إذا تحقق فيه إخلاص القصد لله، واتباع سنة مصطفىه ﷺ.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمته الله:

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣/٣٤٦ -

٣٤٧) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، ومحبة الرسول ﷺ

بين الاتباع والابتداع لعبد الرؤوف محمد عثمان

(١٠٩ - ١٢٠) [أطروحة ماجستير، جامعة أم

القرى].

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/٢٣١) [مؤسسة الرسالة، ط ١٠، ١٤١٧هـ].

(٤) العقيدة الواسطية (١٩ - ٢٠) [مطابع جامعة الإمام،

١٤٠١هـ].

ومما ورد في السُّنة في الاتباع:

قوله ﷺ في أول رسالته إلى هرقل عظيم الروم: «سلام على من اتبع الهدى»^(١).

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه، فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء. فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصباحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق»^(٢).

✽ أقوال أهل العلم:

لقد ثبت النقل عن أئمة أهل العلم في الأمر باتباع النصوص، وترك أقوالهم وأقوال غيرهم من العلماء إذا خالفوها؛ فمن ذلك:

قول الإمام الشافعي رحمه الله: «أجمع الناس على أن من استبان له سُنَّة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد»^(٣).

وقال ابن القيم رحمه الله قبل ذكر هذا الأثر بقليل: «فمن عرض أقوال العلماء على النصوص ووزنها بها وخالف منها ما خالف النص لم يهدر أقوالهم ولم يهضم جانبهم، بل اقتدى بهم؛ فإنهم كلهم أمروا بذلك، فمتبعهم حقًا من أمثل ما أوصوا به لا من خالفهم».

كما جاء عن جمع من أئمة الفقهاء من المذاهب الأربعة الرجوع إلى النص ولو خالف مذهب إمامهم.

فعن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال: «كل ما قلت فكان عن النبي بخلاف قولي مما يصح، فحديث النبي أولى، ولا تقلدونني»، وقال أيضًا: «إذا صح الحديث وقلت قولًا فأنا راجع عن قولي وقائل بذلك»^(٤).

وقال أصبغ بن الفرغ المالكي رحمه الله: «المسح - يعني: على الخفين - عن النبي وعن أكابر أصحابه في الحضرة أثبت عندنا وأقوى من أن نتبع مالكا على خلافه»^(٥).

✽ المسائل المتعلقة:

حكم الخروج عن شريعة النبي ﷺ: من اعتقد أنه يسع أحدًا من الخلق الخروج عن شريعة النبي محمد ﷺ،

(٤) تفسير ابن كثير (١/٦٥٤) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٥) فتح الباري لابن حجر (١/٣٠٦) [دار المعرفة]

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٩٤١)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنة، رقم ٧٢٨٣)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٣).

(٣) الروح لابن القيم (٣٩٥ - ٣٩٦) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ].

طريقاً إلى الله غير متابعة محمد ﷺ، أو لا يجب عليه اتباعه، أو أن لغيره خروجاً عن اتباعه، أو قال: أنا محتاج إليه في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، أو قال: إن من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ﷺ كفر في هذا كله»^(٣).

❁ الفرق:

الفرق بين التقليد والاتباع:

التقليد والاتباع يفترقان في تعريفهما، وفي حكمهما:

فأما الاتباع فإنه: قبول قول من قوله حجة - وهو النبي ﷺ - أو قبول قول القائل مع بيانه الحجة، فيشمل الصور الأربع التي سبق بيانها في حقيقة الاتباع. وهو محمود مطلقاً بهذا المعنى، بل هو أساس الاستسلام لحكم الله ورسوله ﷺ.

وأما التقليد فإنه: قبول قول القائل من غير معرفة الدليل والمطالبة بالحجة. والأصل فيه المنع، إلا في حق العامي الذي لا يدرك معنى الدليل واستنباط

كما وسع الخضر أن يخرج على شريعة موسى ﷺ، فقد وقع في ناقض من نواقض الإسلام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة؛ يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فإن ظن أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن من الأولياء من يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ﷺ، فهذا كافر يجب قتله بعد استتابته؛ لأن موسى عليه السلام لم تكن دعوته عامة، ولم يكن يجب على الخضر اتباع موسى عليه السلام، بل قال الخضر لموسى: «إني على علم من الله علمنيهِ الله لا تعلمه، وأنت على علم من الله علمكهِ الله لا أعلمه»، فأما محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام فهو رسول الله إلى جميع الثقلين؛ الجن والإنس؛ عربهم وعجمهم؛ دانيهم وقاصيهم، ملوكهم ورعيته؛ زهادهم وغير زهادهم»^(٢).

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله: «ومن اعتقد أن لأحد

(٣) الرسائل الشخصية للإمام محمد بن عبد الوهاب (٦٨) [مطابع الرياض، ط١]، وانظر: نواقض الإسلام له، ضمن المرجع السابق (٢١٤)، وتيسير العزيز الحميد (٣٠٦) [عالم الكتب، ط١، ١٩٩٩م].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٥٩/٢٧).

وأقوال السلف فيما يرجع إلى الدين، وإنما ورد الكتاب والسنة بالاتباع، وقد قالوا: إن التقليد قبول قول الغير من غير حجة، وأهل السنة إنما اتبعوا قول رسول الله ﷺ، وقوله نفس الحجة، فكيف يكون هذا قبول قول الغير من غير حجة^(٤)

وقال ابن القيم رحمه الله: «وقد فرّق الإمام أحمد بين التقليد والاتباع، فقال أبو داود: سمعته يقول: الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه رضي الله عنهم، ثم هو من بعد التابعين مخير^(٥)».

وقد ذهب بعض العلماء إلى عدم التفريق بين معنى التقليد والاتباع، ورأوا أن كليهما ينقسم إلى مشروع وممنوع، وإن كان الغالب استعمال الاتباع في الاتباع المشروع، والتقليد في الاتباع المذموم^(٦).

الثمرات

إن من ثمرات الاتباع لأمر الله ورسوله ﷺ ما يلي:

١ - تحقيق الهداية من الله، والخروج من الظلمات إلى النور.

(٤) الانتصار لأصحاب الحديث للسماعي (٥٩ - ٦٠).

(٥) إعلام الموقعين (٢/ ٢٠٠ - ٢٠١)، وينظر: (٢/ ١٩٠).

(٦) انظر: التقليد في باب العقائد (٢٠ - ٢٣).

الحكم منه، أو الشخص الذي بذل جهده في اتباع ما أنزل الله، وخفي عليه بعضه، فقلّد فيه من هو أعلم منه^(١).

قال ابن خويز منداد: «كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قبوله لدليل يوجب ذلك فأنت مقلده، والتقليد في دين الله غير صحيح، وكل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله فأنت متبعه، والاتباع في الدين مسوغ، والتقليد ممنوع^(٢)».

وقال ابن عبد البر: «والتقليد عند جماعة العلماء غير الاتباع؛ لأن الاتباع: هو أن تتبع القائل على ما بان لك من فضل قوله وصحة مذهبه، والتقليد: أن تقول بقوله وأنت لا تعرف وجه القول، ولا معناه، وتأبى من سواه أو أن يتبين لك خطؤه فتتبعه مهابة خلافه، وأنت قد بان لك فساد قوله، وهذا محرم القول به في دين الله سبحانه^(٣)».

وقال أبو المظفر السمعاني: «إن الدين هو الاتباع... وأما لفظ التقليد فلا نعرفه جاء في شيء من الأحاديث

(١) ينظر: جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٨٩) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤١٦هـ]، وإعلام الموقعين (٢/ ١٨٨) [دار الجيل، ط ١٩٧٣م]، والاعتصام للشاطبي (٢/ ٣٤٢ - ٣٤٣) [دار المعرفة، ١٤٠٢هـ]، والتقليد في باب العقائد وأحكامه (٢٦ - ٢٧).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٩٣).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٧٨٧).

- ٢ - تحقيق محبة الله للعبد، ومغفرته له .
 ٣ - تحقيق السلامة .
 ٤ - مجانية الضلال والشقاء .

٥ - الانتفاع بالندارة، والفوز بالمغفرة والأجر الكريم .

✽ مذهب المخالفين:

لقد وقع الضلال في باب الاتباع في صور عديدة^(١) من المخالفة، وهي صور ترجع إلى طريقتين، بينهما تلازم؛ وهما:

الطريق الأول: ترك الاتباع المحمود:

وذلك بترك ما شرعه الله، وأمر به رسوله ﷺ، وعدم اتباع سنته، إما لداعي شبهة، وإما لشهوة. ويندرج في ذلك ما عليه أهل الابتداع المخالفون لطريقة السلف الصالح، بجميع طوائفهم، سواء كان ابتداعهم عملياً، أم كان اعتقادياً.

الثاني: سلوك الاتباع المذموم:

ولذلك صور عديدة؛ ومنها:

١ - اتباع الآباء والسادة في مخالفة أمر الشارع. ولذا كان اتباع الآباء والسادة سبباً في ردّ دعوات الأنبياء من قبل أقوامهم المشركين، كما جاء بيانه في آيات كثيرة من كتاب الله.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾

[البقرة: ١٧٠]، وقال: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب].

٢ - اتباع الهوى، سواء كان الهوى في أمور الشهوات، أم في أمور الديانات، وهو الأعظم^(٢)، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْ هُدَىٰ مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

٣ - اتباع الظن الفاسد والأوهام.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس: ٣٦].

٤ - اتباع الشيطان.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١].

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «اتباع السنن واجتناب البدع»، لضياء الدين المقدسي .
 ٢ - «الاتباع»، لابن أبي العز الحنفي .
 ٣ - «الاتباع؛ أنواعه وآثاره»، لمحمد مصطفى السيد .
 ٤ - «اتباع الهوى: مظاهره، خطره، علاجه»، لسليمان الغصن .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣٢/٢٨)، واتباع الهوى لسليمان الغصن (٤ - ٨) [دار العاصمة، ط ٢].

(١) يُنظر: الاتباع أنواعه وآثاره في بيان القرآن لمحمد مصطفى السيد (٣٥٣/٢ - ٥٧٨) [المنتدى الإسلامي].

- ٥ - «الاتباع بين أهل السُّنة ومخالفهم»، لسيرين إلمان.
- ٦ - «إعلام الموقعين»، لابن القيم.
- ٧ - «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع»، للسيوطي.
- ٨ - «الانتصار لأصحاب الحديث»، لأبي المظفر السمعاني.
- ٩ - «التقليد في باب العقائد وأحكامه»، لناصر الجديع.

١٠ - «محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع»، لعبد الرؤوف محمد عثمان [أطروحة ماجستير، جامعة أم القرى].

اللاتحاد

التعريف لغة:

اللاتحاد من مادة: (وَحَدَ)، والأصل في معنى هذه المادة: الانفرد، قال ابن فارس: «الواو والحاء والذال: أصلٌ واحد يدل على الانفرد، من ذلك الوَحْدَةُ»^(١)، وجاء في الصحاح «ويقال: وَحَدَهُ وَأَحَدَهُ، كما يقال: ثَنَاهُ وَثَلَّثَهُ، وَرَجُلٌ وَحْدٌ وَوَحْدٌ ووَحِيدٌ؛ أي: منفردٌ»^(٢). ومجيء هذه المادة على بناء (الافتعال) يفيد المشاركة في حصول المعنى إن كان بين اثنين فأكثر، يقال:

(٣) محيط المحيط، لبطرس البستاني (٩٦٠) [مكتبة لبنان].
(٤) المعجم الوسيط (١٠١٦/٢) [المكتبة الإسلامية، ط ٢].

(٥) قال أحمد فارس أفندي: «وأغرب من ذلك أنه ليس من أئمة اللغة من ذكر اتحاد الشيء بالشيء» الجاسوس على القاموس (ص ٥٢٦) [مطبعة الجوائب، قسطنطينية ١٢٩٩هـ].

(٦) التعريفات (٢٩) [عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٧هـ]، وانظر: التوقيف على مهمات التعاريف (٣١) [دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٧) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧٢/٢).

(١) مقاييس اللغة (٩٠/٦) [دار الجبل، ط ١، ١٤١١هـ].

(٢) الصحاح (٥٤٨/٢) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ]، وانظر: مقاييس اللغة (٦٧/١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

وأشدها في هذه الصورة. والكفر في هذا القول أبين من أن يخفى على من يؤمن بالله ورسوله»^(٢). وقال أيضًا: «وبالجمله فلا خلاف بين الأمة أن من قال بحلول الله في البشر، واتحاده به، وأن البشر يكون إلهاً، وهذا من الآلهة، فهو كافر مباح الدم»^(٣).

يلاحظ أنه لم يرد كلام عن لفظ الاتحاد في كتب اللغة المتقدمة، لكن تصريفات اللفظ تدل على أن الاتحاد يعني صيرورة الشئين أو الأشياء، شيئاً واحداً، وهذا هو المعنى الاصطلاحي.

الحقيقة:

سبب التسمية:

الاتحاد هو حقيقة قول أهل وحدة الوجود من الصوفية، ومذهب وحدة الوجود مذهب الذين يجعلون الله مع العالم واحداً، ويزعمون أن كل شيء هو الله، وأن الله هو الوجود المطلق، والعالم مظهر من مظاهر الذات الإلهية. وهو مذهب قديم أخذت به الرواقية، والأفلاطونية الحديثة، والصوفية^(٤).

يقول ابن تيمية مبيناً سبب تسمية أهل وحدة الوجود اتحاديةً: «وأما وجه تسميتهم اتحاديةً فيه طريقتان؛ أحدهما لا يرضونه؛ لأن الاتحاد على وزن الاقتران، والاقتران يقتضي شئين، اتحد أحدهما بالآخر، وهم لا يقرّون بوجودين أبداً، والطريق الثاني صحة ذلك، بناء على أن الكثرة صارت وحدة»^(١).

الحكم:

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ مَبِيناً حقيقة مذهب أهل وحدة الوجود: «حقيقة قول هؤلاء أن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى، ليس وجودها غيره، ولا شيء سواه البتة»^(٥).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «ومن هؤلاء الحلولية والاتحادية من يخص الحلول والاتحاد ببعض الأشخاص؛ إما ببعض الأنبياء كالمسيح، أو ببعض الصحابة كقول الغالية في علي، أو ببعض الشيوخ كالحلاجية ونحوهم، أو ببعض الملوك، أو ببعض الصور كصور المُرَد، ويقول أحدهم: أنا أنظر إلى صفات خالقي

(٢) مجموع الفتاوى (٢١/٢٥٦)، وانظر: مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام (١/٧٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٢/٤٨١).

(٤) انظر: المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/٥٦٩) [دار

الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م].

(٥) مجموع الفتاوى (٢/١٤٠).

(١) مجموع الفتاوى (٢/١٤٠ - ١٤١) [مكتبة النهضة

الحديثة، ١٤٠٤هـ].

القول، فإذا كان الجميع له ومملكه ومخلوقه، امتنع أن يكون شيء من ذلك ذاته، فإن المملوك ليس هو المالك، والمربوب ليس هو الرب، والمخلوق ليس هو الخالق^(٣)، ومن هذه الآيات:

قوله ﷻ: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٨٤) ﴿قُلْ لِلَّهِ قُلُوبُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٨٥) ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٨٦) ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِوُكُمْ﴾ (٨٧) [المؤمنون].

كذلك الآيات التي تُنزّه الله عن المثل والند تردّ عليهم، ومنها قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى].

ومن الأدلة على بطلان الاتحاد: الآيات التي تكفر النصارى لقولهم بالاتحاد؛ كقوله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ آلُ اللَّهِ فَأَلْكَ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

وكذلك الآيات التي تصف الله بالعلو والاستواء على العرش، وبأنه في السماء، ومنها قوله ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه]، وغيرها كثير.

❁ أقوال أهل العلم:

من كلام السلف والأئمة في الرد على

في كيفية الاتحاد على عدة أقوال: منهم من فسر الاتحاد باختلاط والامتزاج، وهذا مذهب طوائف من اليعقوبية والنسطورية والملكانية؛ قالوا: إن الكلمة خالطت جسد المسيح ومازجته كما مازج الخمر الماء أو اللبن، فصارت شيئاً واحداً وصارت الكثرة قلة.

وقال بعض النصارى: المراد بالاتحاد ظهور اللاهوت على الناسوت؛ كظهور الصورة في المرأة، والنقش في الخاتم. وذهب كثير من هذه الطوائف إلى أن المراد بالاتحاد الحلول^(١)، وعندهم أن الاتحاد لفظة مشتقة من الواحد^(٢).

وعلى هذا؛ فالمراد بلفظ الاتحاد عند النصارى: هو القول باختلاط وممازجة الكلمة لجسد المسيح، أو اقتران الذات الإلهية بالمسيح، أو حلول الذات الإلهية في المسيح.

❁ الأدلة:

الأدلة على بطلان الاتحاد، وإفراد الله بالوحدانية كثيرة، فإن كل آية في القرآن تبين أن الله ما في السماوات والأرض وما بينهما ونحو ذلك؛ فإنها تبطل هذا

(١) انظر: الجواب الصحيح (٧٩/٤) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ]، والتمهيد للباقلاني (٨٦ - ٨٧) [دار الفكر العربي]، والمغني للقاضي عبد الجبار (٨٢/٥ - ٨٣) [الدار المصرية للتأليف والترجمة].

(٢) انظر: مفاتيح العلوم (٥٢) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤٠٩هـ].

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٥٢٥/٢) [مؤسسة قرطبة].

الخاص؛ كقول النصارى باتحاد الله وَجَلَّ في عيسى عليه السلام، على اختلاف بينهم في كيفية الاتحاد، وقول غلاة الرافضة والصوفية في أئمتهم ومشايخهم، تعالى الله عن قولهم.

٢ - القائلون بالاتحاد المطلق أو العام، وهم الذين يقولون: إن الله وَجَلَّ حال متّحد بكل شيء، أو الوجود واحد، وهم القائلون بوحدة الوجود من ملاحظة الجهمية والصوفية؛ كابن عربي، وابن فارض، وغيرهم ^(٥).

المسائل المتعلقة:

يظهر القول بوحدة الوجود، وبصورة جديدة، عند بعض فلاسفة الغرب، فهذا سبينوزا، الفيلسوف اليهودي الأصل، تظهر في فلسفته ملامح وحدة الوجود، إذ يتصور الطبيعة أنها ذات مظهرين؛ فهي فعالة حيوية خالقة من جهة، وهي منفعة مخلوقة من جهة أخرى، وأن هذا الجانب المنفعلة هو المادة، وما تشتمل عليه الطبيعة من أشياء، وهذه الطبيعة كلها من إنتاج الجانب الفعال وخلقها، وهو يقول: «إن كل شيء كامن في الله، وكل شيء يحيا ويتحرك في الله».

(٥) انظر: درء التعارض (١٥١/٦)، (١٧٠/٥) [مكتبة ابن تيمية]، وبيان تلبيس الجهمية (٥٢١/٢)، ومجموع الفتاوى (٣٦٤/٢ - ٣٦٨، ٤٣٥، ٤٦٥ - ٤٦٨)، (٥٩/١٠)، (٢٩٣/١٢)، والجواب الصحيح (٩٥/١).

الاتحادية، الأثر المشهور عن ابن المبارك رحمته الله أنه قيل له: كيف نعرف ربنا وَجَلَّ؟ قال: «في السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية إنه هاهنا في الأرض» ^(١)، فقيل هذا لأحمد بن حنبل، فقال: «هكذا هو عندنا» ^(٢).

وقال الدارمي رحمته الله: «وعلمنا يقيناً بلا شك أن الله فوق عرشه، فوق سمواته كما وصف، بائن من خلقه» ^(٣).

وقال أيضاً: «الأمة كلها والأمم السالفة قبلها، لم يكونوا يشكّون في معرفة الله تعالى، أنه فوق السماء بائن من خلقه، غير هذه العصابة الزائغة عن الحق، المخالفة للكتاب، وأثار العلم كلها» ^(٤).

الأقسام:

ينقسم الاتحادية إلى قسمين:

١ - القائلون بالاتحاد المقيّد أو

(١) أخرجه بنحوه الدارمي في الرد على المريسي ٢٤، ١٠٣ [دار الكتب العلمية]، والبخاري في خلق أفعال العباد ١٥ [الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٥هـ]، والبيهقي في الأسماء والصفات ٥٣٨ [دار الكتب العلمية]، وصححه الذهبي في مختصر العلو ١٥١ [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠١هـ]، والألباني في تعليقه عليه، وابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (٥٢٥/٢).

(٢) انظر: مختصر العلو ١٥١، وبيان تلبيس الجهمية (٥٢٥/٢).

(٣) الرد على الجهمية ٣٦ [الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٤) الرد على الجهمية للدارمي (٥٤).

ويقول: «إن أعظم الخير هو معرفة الاتحاد بين العقل والطبيعة». فهو يرى أن الحقيقة هي أن انفصالنا الفردي مجرد وهم، وأنا أجزاء من مجرى القانون والسبب العظيم^(١). كما يظهر في فلسفة كل من هيجل (١٧٧٠ - ١٨٣١م)، وشيلنج (١٧٧٥ - ١٨٥٤م)، وغيرهما من المثاليين الألمان، القول بوحدة الوجود، وأن المطلق هو الوجود الحقيقي، وأن الكثرة في حقيقتها واحدة^(٢).

والجحد^(٣).

الرد على الاتحادية:

اتفقت طوائف الأمة في الرد على الاتحادية؛ من أهل الوحدة، أو النصارى، وبيان باطلهم.

وأدلة إبطال قولهم كثيرة، ومن وجوه الرد عليهم:

أولاً: ما سبق ذكره في الأدلة على بطلان الاتحاد.

ثانياً: أن الاتحادية يجمعون بين النفي العام والإثبات العام، فعندهم أن ذاته لا يمكن أن ترى بحال، إذ هو الوجود المطلق الذي لا يتعين، وهو من هذه

ثالثاً: يقول الرازي رحمته الله: «وأما القول بالاتحاد فهو أيضاً باطل؛ لأن الشئيين إذا اتحدا فهما حال الاتحاد إن كانا باقيين فهما اثنان لا واحد، وإن عدا معاً كان الحاصل ثالثاً مغايراً لهما، وإن بقي أحدهما وفني الآخر امتنع الاتحاد أيضاً؛ لأن الموجود لا يكون عين المعدوم، فثبت بما ذكرنا أن القول بالحلول والاتحاد باطل»^(٤).

رابعاً: أن تصور مذهب هؤلاء كاف في بيان فسادهم، ولا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر، وإنما تقع

(٣) انظر: بغية المرئاد (٤٧٣) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٤) الأربعين في أصول الدين (١/١٦٦) [مكتبة الكليات الأزهرية، ط ١، ١٤٠٦هـ]، وانظر: المطالب العالية (١٠٥/٢) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٧هـ].

(١) انظر: قصة الفلسفة لول ديورانت (٢١٦ - ٢١٧، ٢٣٤) [مكتبة المعارف، ط ٦، ١٤٠٨هـ].

(٢) انظر: قصة الفلسفة (٢٤٦)، وموسوعة الفلسفة لعبد المنعم الحفني (٥١١ - ٥١٢، ٢٦٥) [دار ابن زيدون، ط ١]، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/ ٥٦٩).

أحدهما بالآخر، في حين أن القول بالوحدة ينفي الاثنينية؟ ولتناقض قولهم فهم يقبلون بوصف الاتحادية بناء على أن الكثرة صارت وحدة^(٣).

إلا أن القائلين بالاتحاد الخاص والحلول الخاص، لا يسمون أهل وحدة، ولا ينطبق عليهم ذلك؛ لأن الاتحاد والحلول الخاص يكون في ذات واحدة وليس في الوجود بأسره، فكل من قال بوحدة الوجود فهو قائل بالاتحاد والحلول العام، وكل من قال بالحلول والاتحاد الخاص فليس من أهل الوحدة.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستقامة» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٢ - «بغية الميرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد»، لابن تيمية.
- ٣ - «جهود البقاعي في محاربة إلحاد الاتحادية والبدع العلمية»، لمحمد مسلم [رسالة ماجستير].
- ٤ - «الجواب الصحيح» (ج ٤)، لابن تيمية.
- ٥ - «الرد على القائلين بوحدة الوجود»، لعللي القاري.

الشبهة؛ لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم، لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة^(١). فالاتحادية بجميع طوائفها عقيدة فاسدة، تبطل توحيد الربوبية، فضلاً عن توحيد الألوهية.

الفروق:

الفرق بين القول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد:

القائلون بوحدة الوجود هم اتحادية، وحلولية، فهم يقولون بالحلول تارة، وبالاتحاد أخرى، وبالوحدة تارة، ولأن مذهبهم متناقض في نفسه فهم يلبسون على من لم يفهمه^(٢).

والحلول يقارب معنى الاتحاد من صيرورة الشئين شيئاً واحداً، لذا يطلق على الاتحادية بأنهم حلولية، كما يطلق على النصارى بأنهم حلولية؛ لأن بعضهم يفسر الاتحاد بالحلول، ولقرب معناهما من بعض، ويختلف الحلول عن الاتحاد عند البعض في الكيفية التي يتم بها اقتران الذاتين ليكونا ذاتاً واحدة.

كما يختلف الاتحاد والحلول عن القول بالوحدة، بأنهما يقتضيان شئين منفصلين تم اتحادهما، أو حلول

(١) انظر: مجموعة الرسائل لابن تيمية (٥/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣٦٨/٢) بتصرف.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٠/٢ - ١٤١) بتصرف.

محلّ الدّين وغيره، وقد صرّفه الخليل فقال: أجل هذا الشيء، وهو يأجل، والاسم: الأجل نقيض العاجل^(١).

الأجل: الوقت المضروب المحدود في المستقبل، ومُدّة الشيء، والأجل: غاية الوقت في الموت وحلول الدّين، والجمع: آجال، والاسم: الأجل نقيض العاجل، والأجيل: المرّجأ؛ أي: المؤخر إلى وقت، والتأجيل: تحديد الأجل، والآجلة: الآخرة^(٢).

التعريف شرعاً:

الأجل: نهاية العمر بالانقضاء، وأجل الشيء: هو نهاية عمره، وعمره مدة بقائه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «سائر الحيوان والأشجار لها آجال، لا تتقدم ولا تتأخر؛ فإن أجل الشيء: هو نهاية عمره، وعمره مدة بقائه، فالعمر مدة البقاء، والأجل نهاية العمر بالانقضاء»^(٣).

الحكم:

يجب على كل مؤمن أن يؤمن بأن الله

(١) مقاييس اللغة (١/٦٤) [دار الجيل - بيروت، ط، ١٤٢٠هـ].

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (١١/١٣٢) [دار إحياء التراث، بيروت، ط، ٢٠٠١م]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (١/٦٢) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ]، والقاموس المحيط (٩٦٠) [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط، ١٤٢٦هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٨/٥١٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط، ١٤٢٥هـ].

٦ - «شن الغارات على أهل وحدة الوجود وأهل المعية للذات»، لابن أبي مجين الديماني، [محقق في رسائل علمية].

٧ - «مدارج السالكين» (ج ١)، لابن القيم.

٨ - «منهج المتكلمين والفلاسفة المنتسبين للإسلام في الاستدلال على وجود الله»، ليوسف الأحمد، [رسالة دكتوراه].

٩ - «موقف الطوائف المنتسبة إلى الإسلام من وجود الله وإيجاده للمخلوقات»، لسيرين إمان، [رسالة ماجستير].

١٠ - «وحدة الوجود في ضوء العقيدة الإسلامية»، لخضر سوندك.

١١ - «وحدة الوجود عند الصوفية»، لأحمد القصير، [رسالة دكتوراه].

الإتيان

يراجع مصطلح (المجيء والإتيان).

الأجل

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الهمزة والجيم واللام يدل على خمس كلمات متباينة...، فالأجل: غاية الوقت في

كتب الآجال لمّا كتب أقدار بني آدم، وأن الآجال لا تتقدم ولا تتأخر فكل فرد من بني آدم له ساعة إذا جاءت جاءه الموت وفق قدر الله عليه، وكتابة الآجال جزء من كتابة القدر العام الذي كتبه الله ﷻ وفق علمه وتقديره ﷻ، فالإيمان بكل ذلك جزء من الإيمان بالقدر الذي هو أحد أركان الإيمان.

وقد نصّ كثير من أهل العلم في عقائدهم: «أن من مات مات بأجله، وكذلك من قُتل قُتل بأجله»^(١).

الأدلة:

الأجل ثابت بالكتاب والسنة:

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١].

ومن السنة: حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات

والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»^(٢).

وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض»^(٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنْ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكاً بأربع كلمات، فيكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخل النار»^(٤).

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لا يموت أحد قبل أجله، ولا يتأخر أحد عن أجله، بل سائر الحيوان

(١) مقالات الإسلاميين لابن الحسن الأشعري (٢٢٩/١) [المكتبة العصرية ط ١، ١٤٢٦هـ]، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية (١٥) [مطبعة المدني، القاهرة]، ومنهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس لعبد اللطيف آل الشيخ (٦٧) [دار الهداية للنشر]، وغاية الأماني في الرد على النهباني لمحمود الألوسي (١/١٤١) [مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣١٩١).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٣).

وأن ذلك السبب الذي كان فيه حتفه هو الذي قدره الله تعالى عليه وقضاه عليه وأمضاه فيه، ولم يكن له بد منه ولا محيص عنه ولا مفر له ولا مهرب ولا فكاك ولا خلاص، وأنى وكيف وإلى أين ولات حين مناص^(٣).

❖ الأقسام:

الأجل قسمان؛ **أحدهما**: الأجل الذي ينقضي به عمر كل أحد، وهو الأجل الخاص، وهذا مما تعرفه الملائكة، الذين يكتبون رزق العبد وأجله وعمله. **والثاني**: الأجل المسمى عند الله تعالى؛ وهو أجل القيامة العامة، وهذا لا يعلمه إلا الله ﷻ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [سورة الأنعام: ٢] فالأجل الأول: هو أجل كل عبد؛ الذي ينقضي به عمره، والأجل المسمى عنده: هو أجل القيامة العامة، ولهذا قال: ﴿مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾؛ فإن وقت الساعة لا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل؛ كما قال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَفَيْهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، بخلاف ما إذا قال: مسمى؛ كقوله: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ

والأشجار لها آجال، لا تتقدم ولا تتأخر؛ فإن أجل الشيء: هو نهاية عمره، وعمره مدة بقاءه، فالعمر مدة البقاء، والأجل نهاية العمر بالانقضاء... والأجل أجلان: أجل مطلق: يعلمه الله، وأجل مقيد^(١).

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله عند شرحه لقول أبي جعفر الطحاوي رحمه الله: «وضرب لهم أجالاً»: «إن الله ﷻ قدّر آجال الخلائق، بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون»^(٢).

وقال حافظ الحكمي رحمه الله عند بيانه لمعنى الإيمان بالموت: «ومنها: أن كلاً له أجل محدود وأمد ممدود ينتهي إليه لا يتجاوزه ولا يقصر عنه، وقد علم الله تعالى جميع ذلك بعلمه الذي هو صفته، وجرى به القلم بأمره يوم خلقه، ثم كتبه الملك على كل أحد في بطن أمه بأمر ربه ﷻ عند تخليق النطفة في عينه، في أي مكان يكون وفي أي زمان، فلا يزداد فيه ولا ينقص منه ولا يغير ولا يبدل عما سبق به علم الله تعالى وجرى به قضاؤه وقدره، وأن كل إنسان مات أو قتل أو حرق أو غرق أو بأي حتف هلك بأجله لم يستأخر عنه ولم يستقدم طرفه عين،

(١) مجموع الفتاوى (٥١٦/٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ٢، ١٤٢٥هـ].

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١٢٧/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١٣، ١٤١٩هـ].

(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٧٠٤/٢) [دار ابن القيم، الدمام، ط ١، ١٤١٠هـ].

تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام].

ومن السُّنَّة: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» ^(١).

وقبل ذكر أقوال أهل العلم نبين أن المسلمين متفقون على أن الله ﻋَﻠَﻤَ كل شيء، وأن علمه لا يتغير ولا يتبدل، وأنه سبحانه عَلم الأشياء كما هي عليه في حقيقتها وواقعها ومن ذلك آجال الناس وأعمارهم وأعمالهم.

واختلفوا في معنى حديث أنس رضي الله عنه السابق على أقوال:

الأول: أن هذه الزيادة ليست على حقيقتها في السنين والأيام والساعات وإنما في شيء آخر؛ فمنهم من قال: إن هذه الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك، فيُوفَّق بأن يعمل في الزمن القصير ما لا يعمله غيره إلا في الزمن الكثير. ومنهم من قال: إن الزيادة تكون في العلم الذي ينتفع به من بعده والصدقة الجارية عليه والذرية الصالحة التي تدعو

أَجَلٍ مُّسَمًّى [البقرة: ٢٨٢]، إذ لم يقيد بأنه مسمى عنده، فقد يعرفه العباد. وأما أجل الموت: فهذا تعرفه الملائكة الذين يكتبون رزق العبد، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد... وأما أجل القيامة المسمى عنده فلا يعلمه إلا هو ^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: معنى قول النبي ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» ^(٢):

اختلف أهل العلم في الجمع بين ما دلَّت عليه بعض النصوص من أن الأجل لا يتغير؛ فلا يزيد ولا ينقص، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ [الأعراف]، وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون] وما دلَّت عليه نصوص أخرى من زيادة العمر ونقصه، ومنها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر]، وقوله

(١) مجموع الفتاوى (٤٨٩/١٤).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٩٨٦)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٩٨٦)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٥٧).

حيث قال: «قول النبي ﷺ حق، وصلة الرحم من أسباب طول العمر، ومن أسباب سعة الرزق، وإذا قدر أن الإنسان وصل رحمه علمنا أنه فعل السبب الذي يكون به طول العمر وسعة الرزق، ولا يختلف هذا عن قوله تعالى فيمن عمل صالحاً بأنه يدخل الجنة؛ لأننا نعلم أنه متى فعل السبب وجد المسبب، وإذا لم يفعله لم يوجد المسبب، فهذا الرجل إذا لم يصل رحمه لم يطل عمره ولم يبسط له في رزقه؛ لأنه لم يفعل السبب، لكن إذا وصل رحمه طال عُمره واتسع رزقه، ونعلم أن هذا الرجل قد كُتِبَ أصلاً عند الله بأنه وَصُولُ رحمه، وعمره ينتهي في الوقت المحدد، ورزقه يكون إلى الساعة المحددة، ونعلم أن الرجل الآخر لم يكتب أن يصل رحمه، فكتب رزقه مضيقاً، وكتب عمره قاصراً من الأصل، فليس هناك شيء يزيد وينقص عن الذي كتب في الأزل. إذا ما الفائدة من قول الرسول ﷺ هذا الكلام؟

نقول: الفائدة من ذلك الحث على صلة الرحم، وإذا كان الله قد كتب هذا الرجل وَصُولاً لرحمه سيصل رحمه، لكن كتابة الله ﷻ لهذا الرجل أن يكون وَصُولاً للرحم أمر مجهول لنا ولا نعلمه، لكن الأمر الذي بأيدينا هو أن نعمل، وما

له، فيبقى له عمل صالح ممتد. ومنهم من قال: يبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت. ومنهم من قال: الزيادة بنفي الآفات عن الواصل لرحمه في فهمه وعقله.

الثاني: أن الزيادة والنقص حقيقية في العمر^(١)، ولهم في تفسير ذلك وجهان:

١ - أن صلة الرحم سبب في زيادة العمر، وقطعها سبب في نقص العمر وكل ذلك معلوم مقدر بسببه. وبه قال ابن حزم رحمته الله، حيث قال: «وإنما معناه: أن الله ﷻ لم يزل يعلم أن زياداً سيصل رحمه، وأن ذلك سبب إلى أن يبلغ من العمر كذا وكذا، وكذا كل حي في الدنيا؛ لأن من علم الله تعالى أن سيعمره كذا وكذا من الدهر، فإنه تعالى قد علم وقدر أنه سيتغذى بالطعام والشراب ويتنفس بالهواء ويسلم من الآفات القاتلة تلك المدة التي لا بُدَّ من استيفائها، والمسبب والسبب كل ذلك قد سبق في علم الله ﷻ كما هو لا يبدل»^(٢).

وهو ما رجحه ابن عثيمين رحمته الله،

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (١٦/١١٥) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ]، وإكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/٢١) [دار الوفاء، مصر، ط ١، ١٤١٩هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١٠/٤١٦) [دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ].

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٣/٥٠) [مكتبة الخانجي، القاهرة].

وراء ذلك فهو عند الله وَعِنْدَهُ ^(١).

هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود فقال: رب كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب، زده من عمري أربعين سنة، فلما قضى عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود قال: فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته ^(٢).

ثم قال شيخ الإسلام: «فهذا داود كان عمره المكتوب أربعين سنة ثم جعله ستين، وهذا معنى ما روي عن عمر أنه قال: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنِي شَقِيًّا فامحني واكتبني سعيداً فإنك تمحو ما تشاء وتثبت» ^(٣)، والله سبحانه عالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون؛ فهو يعلم ما كتبه له وما يزيده

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٧٦)، وقال: حسن صحيح، والحاكم في المستدرک (كتاب التفسير، رقم ٣٢٥٧) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٢٠٨).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧٣٥/٤) [دار طيبة، ط ٨، ١٤٢٣هـ]، وابن بطّة في الإبانة (١٣١/٤) [دار الراجعية، الرياض]، وسنده حسن.

وروي نحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه، انظر: القضاء والقدر للبيهقي (٢١٥) [مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤٢١هـ].

٢- أن الزيادة والنقص بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو ذلك، فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه، فإن وصلها زيد له أربعون، وقد علم الله وَعِنْدَهُ ما سيقع له من ذلك، وهو من معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد]، فلا زيادة بالنسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره، أما بالنسبة إلى ما يكون في أيدي الملائكة وعلمهم فهو وارد وعليه يحمل الحديث.

وهذا ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية، ويبين أن التغيير يكون في علم الملائكة وكتبهم التي في أيديهم، فقال: «والجواب المحقق: أن الله يكتب للعبد أجلاً في صحف الملائكة، فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب. وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب»، واستدل شيخ الإسلام لذلك بحديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب، من

(١) شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (١/٣٥٦ - ٣٥٩) [دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ].

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَّعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١١) [فاطر]:

لأهل العلم في المراد بزيادة العمر ونقصه في هذه الآية عدة أقوال؛ منها:

الأول: أن المقصود أن عمر من يطول عمره ومن ينقص عمره بأن يكون أقل من هذا الذي طال عمره كل ذلك معلوم لله ﷻ، وقد كتبه ﷻ في كتاب فسيلغ من كتب له طول العمر ما كتب له، وكذلك من كان عمره أنقص من المعمر فإنه سيلغ ما كتب له. وهو الذي رجحه ابن جرير الطبري وابن حزم وابن كثير والسعدي رحمهم الله.

الثاني: ما يطول عمر أحد، ولا يذهب من عمره شيء فيُنْقَصُ إلا وهو في كتاب عند الله مكتوب، قد أحصاه وعلمه، فيكون الضمير يعود على المعمر الأول، فنقص عمره بأن يقال: ذهب من عمره يوم، ذهب من عمره شهر، ذهب من عمره سنة، وهكذا حتى ينقضي عمره.

الثالث: أن المقصود بالمعمر من بلغ الستين، ومن نقص عنها فهو ممن نقص عمره، وبعضهم قال: المعمر هو من وصل سن الهرم ومن نقص من عمره من هو دون ذلك.

إياه بعد ذلك، والملائكة لا علم لهم إلا ما علمهم الله، والله يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها. فلهذا قال العلماء: إن المحو والإثبات في صحف الملائكة وأما علم الله سبحانه فلا يختلف ولا يبدو له ما لم يكن عالمًا به، فلا محو فيه ولا إثبات^(١).

كما ردَّ شيخ الإسلام على القائلين بالبركة وزيادة النفع في العمل بقوله: «وقد قال بعض الناس: إن المراد به البركة في العمر بأن يعمل في الزمن القصير ما لا يعمل به غيره إلا في الكثير، قالوا: لأن الرزق والأجل مقدران مكتوبان. فيقال لهؤلاء: تلك البركة، وهي الزيادة في العمل والنفع، هي أيضًا مقدرة مكتوبة وتتناول لجميع الأشياء»^(٢).

وقال السفاريني: «وأما الأحاديث التي فيها أن بعض الطاعات تزيد في العمر، مثل صلة الرحم، ونحو ذلك مما جاء أنه يقصر العمر، فهذا في الصحف التي يقع فيها المحو، والإثبات، وعلم الله تعالى لا يقع فيه تغيير ولا زيادة ولا نقصان»^(٣).

- المسألة الثانية: معنى الزيادة في العمر والنقص منه الوارد في قوله ﷻ:

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٤/٤٩٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٢) المصدر السابق.

(٣) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/٣٤٩).

وهذه الأقوال كلها باطلة؛ فإن القدر قد فرغ منه، وكل إنسان قد كتب عليه ما كتب بأسبابه الموصلة إليه، فمن قدر عليه أن يموت بالقتل في المكان المعين وبالكيفية المعينة سيكون ذلك ولا يمكن أن يتخلف، وكلام المعتزلة فرض لما لا يقع.

قال ابن حزم رحمته الله في ردّه عليهم في هذه المسألة: «وقد تحيرت المعتزلة ها هنا حتى قال بعضهم: لو لم يقتل زيد لعاش، وقال أبو الهذيل: لو لم يقتل لمات، وشغب القائلون بأنه لو لم يقتل لعاش بقول الله وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ [فاطر: ١١]، وبقول رسول الله وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ: «من سرّه أن ينسأ له في أجله، فليصل رَحِمَهُ»^(٣). قال أبو محمد: وكل هذا لا حجة لهم فيه، بل هو بظاهره حجة عليهم؛ لأن النقص في اللغة التي بها نزل القرآن إنما هو من باب الإضافة، وبالضرورة علمنا أن من عمّر مائة عام وعمّر آخر ثمانين سنة فإن الذي عمّر ثمانين نقص من عدد عمر الآخر عشرين عاماً، فهذا هو ظاهر الآية ومقتضاها

١، [١٣٨٤هـ]، ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (٢٠٤/١) [مرجع سابق]، والفرق بين الفرق لأبي منصور البغدادي (٣٣٠) [دار الآفاق الجديدة، بيروت ٢، ١٩٧٧م]، ولوامع الأنوار للسفاريني (٣٤٩/١) [مرجع سابق].

(٣) سبق تخريجه بلفظ مقارب.

الرابع: أن المقصود من زيد في عمره بسبب عمل صالح كصلة الرحم، وذلك وفق حديث أنس رضي الله عنه السابق، ومن نقص من عمره بسبب ارتكابه للمعاصي كالعقوق ونحوه؛ فكل ذلك معلوم لله تعالى مسجل في كتاب ما زيد فيه وما نقص منه^(١).

❁ مذهب المخالفين:

أقرّ أهل السُنّة عموماً أن لكل إنسان أجله الذي لا يتقدم ولا يتأخر كما دلت على ذلك الأحاديث، وخالفهم في مسألة المقتول؛ أمات بأجله أم أنه لو لم يقتل لعاش إلى أجل من وراء ذلك المعتزلة، ولهم فيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه لو لم يقتل لكان يموت قطعاً، وبه قال أبو الهذيل.

القول الثاني: أنه لو لم يقتل لكان يعيش قطعاً، وهو قول البغدادية منهم.

القول الثالث: أنه يجوز أن يحيا وأن يموت ولا يقطع بأحد الأمرين، وهو قول عبد الجبار المعتزلي شارح الأصول الخمسة^(٢).

(١) انظر الأقوال في: تفسير الطبري (٤٤٨/٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط، ١٤٢٠هـ]، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٥٠/٣) [مرجع سابق]، وتفسير القرطبي (٣٣٤/١٤) [دار الكتب المصرية، القاهرة ط ٢، ١٣٨٤هـ]، وتفسير ابن كثير (٥٣٩/٥) [دار طيبة للنشر، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وتفسير السعدي ٦٨٥ [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٩٢/١٤).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة (٧٨٢) [مكتبة وهبه،

البدء ضرورة، ولكان غير عليم بما يكون، متشككاً فيه؛ يكون أم لا يكون، جاهلاً به جملةً، وهذه صفة المخلوقين لا صفة الخالق، وهذا كفر ممن قال به، وهم لا يقولون بهذا. قال أبو محمد: ونص القرآن يشهد بصحة ما قلنا، قال الله تعالى: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ [الأحزاب: ١٦]، وقال تعالى: ﴿أَتَيْنَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] ^(١).

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عن سؤال عن المقتول؛ أمات بأجله أم قطع القاتل أجله؟ فأجاب: «المقتول كغيره من الموتى، لا يموت أحد قبل أجله ولا يتأخر أحد عن أجله، بل سائر الحيوان والأشجار لها آجال لا تتقدم ولا تتأخر، فإن أجل الشيء هو نهاية عمره، وعمره مدة بقاءه، فالعمر مدة البقاء، والأجل نهاية العمر بالانقضاء» ثم ذكر النصوص الدالة على كتابة القدر وتقدير الآجال، ثم قال: «والله يعلم ما كان قبل أن يكون؛ وقد كتب ذلك فهو يعلم أن هذا يموت بالبطن أو ذات الجنب أو الهدم أو الغرق أو غير ذلك من الأسباب وهذا يموت مقتولاً: إما بالسهم وإما

على الحقيقة، لا ما يظنه من لا عقل له من أن الله تعالى جار تحت أحكام عباده؛ إن ضربوا زيداً أماته وإن لم يضربوه لم يمته، ومن أن علمه غير محقق فربما أعاش زيداً مائة سنة وربما أعاشه أقل، وهذا هو البدء بعينه، ومعاذ الله تعالى من هذا القول، بل الخلق كله مصرف تحت أمر الله رَحِمَهُ اللهُ وعلمه، فلا يقدر أحد على تعدي ما علم الله تعالى أنه يكون ولا يكون البتة، إلا ما سبق في علمه أن يكون، والقتل نوع من أنواع الموت فمن سأل عن المقتول؛ لو لم يقتل لكان يموت أو يعيش؟ فسؤاله سخيف! لأنه إنما يسأل لو لم يموت هذا الميت أكان يموت؟ أو كان لا يموت؟ وهذه حماقة جداً؛ لأن القتل علة لموت المقتول كما أن الحمى القاتلة والبطن القاتل وسائر الأمراض القاتلة علل للموت الحادث عنها ولا فرق. وأما قول رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْسَأَ لَهُ فِي أَجَلِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» فصحيح موافق للقرآن ولما توجبه المشاهدة، وإنما معناه: أن الله رَحِمَهُ اللهُ يزل يعلم أن زيداً سيصل رحمه، وأن ذلك سبب إلى أن يبلغ من العمر كذا وكذا وكذا...، والمسبب والسبب كل ذلك قد سبق في علم الله رَحِمَهُ اللهُ كما هو لا يبدل، قال تعالى: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩]، ولو كان على غير هذا لوجب

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٣/ ٥٠).

بالسيف وإما بالحجر وإما بغير ذلك من
أسباب القتل»^(١).
واحد يدل على تَصَامُّ الشيء، يقال:
جمعت الشيء جمعًا.

وللإجماع في اللغة معنيان:

الأول: العزم المؤكد، فيقال: أجمع فلان على السفر إذا عزم عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]؛ أي: اعزموا أمركم.

الثاني: الاتفاق، فيقال: أجمع القوم على كذا؛ أي: اتفقوا عليه^(٢).

التعريف اصطلاحًا:

يعرّف الإجماع في الاصطلاح بأنه: اتفاق مجتهدى أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من الأعصار على حكم شرعي^(٣).

الحكم:

حجية الإجماع:

الإجماع: حجة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم الاتفاق على حجتيته، والعمل به واجب^(٤).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٤٧٩/١) [دار الجبل، ط٢]، ولسان العرب (٥٧/٨ - ٥٨) [دار صادر، ط١]، والقاموس المحيط (١٤/٣)، [المطبعة المنيرية، ط٣].

(٣) انظر: الجدل لابن عقيل (٦١) [مكتبة التوبة، ط١، ١٤١٨هـ]، والعدة لأبي يعلى (١٧٠/١)، والتمهيد لأبي الخطاب (٦١/١) [طبعة جامعة أم القرى، ط١]، وقواطع الأدلة في الأصول (٤٦١/١) [مكتبة التوبة، ط١، ١٤١٩هـ]، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٠/٢٠) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وشرح الكوكب المنير لابن النجار (٢١١/٢) [طبعة جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ].

(٤) انظر: أصول السرخسي (٢٩٥/١) [دار المعرفة]، وقواطع الأدلة في الأصول (١٨٨/١)، والتبصرة =

المصادر والمراجع:

١ - «جهود شيخ الإسلام في توضيح الإيمان بالقدر»، لتامر محمد متولي.

٢ - «شفاء العليل في مسائل الإيمان والقدر والحكمة والتعليل»، لابن القيم.

٣ - «إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان»، لمرعي الكرمي.

٤ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٥ - «شرح الأصول الخمسة»، للقاضي عبد الجبار.

٦ - «شرح المواقف»، السيد الشريف علي الجرجاني.

٧ - «القضاء والقدر في الإسلام»، لفاروق أحمد الدسوقي.

٨ - «القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه»، لعبد الرحمن المحمود.

٩ - «القضاء والقدر»، لعمر سليمان الأشقر.

الإجماع

التعريف لغةً:

الإجماع مصدر للفعل الرباعي: أَجْمَعَ. والجيم والميم والعين أصل

(١) مجموع الفتاوى (٥١٨/٨).

❁ الحقيقة:

ومن ذلك ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في إجماع الصحابة على كفر من سب النبي صلى الله عليه وسلم، حيث استعمل في ذلك الإجماع السكوتي الإقاربي، فقال: «وأما إجماع الصحابة رضي الله عنهم، فلأن ذلك نقل عنهم في قضايا متعددة ينتشر مثلها ويستفيض، ولم ينكرها أحد منهم، فصارت إجماعاً، واعلم أنه لا يمكن ادعاء إجماع الصحابة على مسألة فرعية بأبلغ من هذا الطريق»^(٤).

ومن الطرق التي يقرر بها الإجماع في العقائد في هذا المقام، أن يكون ظاهر النص يدل على حكم بين ظاهر، ثم نرى السلف الصالح من الصحابة فمن بعدهم من القرون المفضلة يسمعون تلك النصوص، ثم يجرونها على ظاهرها، ويقررون بها، ولا يتكلم أحد منهم بتحريفها عن معناها الظاهر لها، فهذا يدل دلالة بيّنة على إجماعهم على المعنى الظاهر من تلك النصوص.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فمن المعلوم أن القرآن نطق بالعلو في مواضع كثيرة جداً، حتى قد قيل: إنها نحو ثلاثمائة موضع، والسنن متواترة عن

الإجماع في أبواب الاعتقاد قد يكون إجماعاً نطقياً، ويسمى الإجماع القولي، أو الصريح، وذلك بأن يتفق مجتهدو الأمة جميعهم على النطق بصريح الحكم في مسألة ما، وذلك كإجماعهم على أن الإيمان قول وعمل^(١).

وقد يكون إجماعاً استقرائياً، بأن يستقرئ العالم أقوال العلماء في مسألة ما، فلا يجد فيها خلافاً، أو أن يشتهر القول في القرآن، ولا يعلم أن أحداً أنكره، فهذا الإجماع حجة، وهو قطعي إذا احتقت به القرائن^(٢). ومنه ما ذكره الإمام سفيان بن عيينة رحمته الله بقوله: «أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة، منهم: عمرو بن دينار، يقولون: كلام الله ليس بمخلوق»، وقد نقل ذلك عنه الإمام البيهقي رحمته الله، ثم سمى بعض من ذكر ذلك من السلف، ثم قرر أن هذا «حكاية إجماع منهم»^(٣).

= للشيرازي (١٥٣) [دار الفكر، ط ١، ١٤٠٣هـ]، والموافقات للشاطبي (٣٧/١) [دار المعرفة]، والإحكام للأمدى (٢٥٧/١) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٤هـ]، مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧/١)، وإعلام الموقعين (١٥٢/٤) [دار الجيل، ١٩٧٣م].

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإلكاني (١٩٤/١) رقم (٣٢٠)، و(٩٥٦/٥) رقم (١٥٩٣)، والإبانة الكبرى لابن بطة (٨١٤/٢) - (٨٢٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠٩/٧).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٦٧/١٩).

(٣) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (١٠٥، ١٠٦) [دار الآفاق الجديدة، ط ١، ١٤٠١هـ].

(٤) الصارم المسلول (٣٧٨/٢) [دار ابن حزم، ط ١، ١٤١٧هـ]، وانظر أمثلة أخرى لذلك في رسالة: دعوى الإجماع عند المتكلمين في مسائل أصول الدين لياسر يحيى (٣٩ - ٥٠)، [أطروحة ماجستير، جامعة الإمام].

النبي ﷺ بمثل ذلك، وكلام السلف المنقول عنهم بالتواتر يقتضي اتفاقهم على ذلك، وأنه لم يكن فيهم من ينكره^(١).

ثم إن العلماء بعدما قرروا حجية الإجماع تكلموا على ما يفيد الإجماع؛ أيفيد القطع أم الظن؟ والتحقيق في ذلك التفصيل:

فما اتفق عليه العلماء المعتبرون فإنه حجة قطعية، أما ما اختلفوا فيه؛ كالإجماع السكوتي الذي لم تحتف به القرائن، أو ما ندر مخالفته، فإنه حجة ظنية.

قال ابن تيمية: «والصواب التفصيل بين ما يقطع به من الإجماع، ويعلم يقيناً أنه ليس فيه منازع من المؤمنين أصلاً، فهذا يجب القطع بأنه حق...»^(٢).

٢ - قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] والوسط: العدل الخيار^(٣).

وجه الاستدلال: أن الله تعالى وصف هذه الأمة بالعدالة والشهادة، فدل على أن قبول قولهم واجب؛ لأنه لا يجوز أن يصفهم بالعدالة ويجعلهم شهداء على الناس ثم لا يقبل قولهم ولا يجعله حجة، فإنه تعالى وهو العليم

(٣) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١/١٤٣) [طبعة وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ]، والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/٤٠٠) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢١هـ]، وقواطع الأدلة في الأصول (١/٤٦٤)، وروضة الناظر (١/١٣١)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٩/١٧٨ - ١٧٩)، وإعلام الموقعين (٤/١٥٢).

(٤) انظر: صحيح البخاري (٤/١٦٣٢)، وسنن الترمذي (٢٠٧/٥).

١ - قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

(١) منهاج السنة النبوية (٢/٦٤٥) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٠٦هـ]، وانظر: دعاوى الإجماع عند المتكلمين (٥٥ - ٦١).

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٧/٣٩)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٩/٢٧٠)، وروضة الناظر لابن قدامة (١/٣٨٦ - ٣٨٧) [مكتبة الرشد، ط ٤، ١٤١٦هـ].

❁ الأدلة:

مما استدل به العلماء على حجية الإجماع:

١ - قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها، وإنما تكون الغفلة في الفرقة، فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافة غفلة عن معنى كتاب ولا سنة ولا قياس إن شاء الله»^(٣).

٤ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم»^(٤).

(٣) الرسالة للإمام الشافعي (٤٧٥) [دار الكتب العلمية، تحقيق: أحمد شاكر].
(٤) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٣٩٥٠)، وضعفه البوصيري في مصباح الزجاجة (١٦٩/٤) [دار العربية، ط ٢، ١٤٠٣هـ]، وأخرجه أحمد (٤٥/٢٠١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والطبراني في الكبير (٢٨٠/٢) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، عن أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه بنحوه. قال الهيثمي: وفيه راو لم يسم. مجمع الزوائد (٢٢١/٧) [مكتبة القدسي]، وأخرجه الترمذي (كتاب الفتن، رقم ٢١٦٧)، من حديث ابن عمر رضي الله عنه، وقال: حديث غريب، وروي عن غيرهم من الصحابة أيضًا. انظر: المقاصد الحسنة (٧١٦) [دار الكتاب العربي، ط ١].
والحديث ضعّفه ابن حزم في الأحكام (٥٢٧/٤) [دار الحديث، ط ١، ١٤٠٤هـ]، والنووي في شرحه على مسلم (٦٧/١٣) [دار إحياء التراث، ط ٢]، لكن أشار الحافظ ابن حجر إلى أن هذا حديث مشهور له طرق كثيرة، لا يخلو واحد منها من مقال، وساق من رواية ابن أبي شيبة (كتاب الفتن، رقم ٣٨٣٤٧) [دار القبلة، ط ١] أن أبا مسعود رضي الله عنه قال: «وعليكم بالجماعة؛ فإن الله لا يجمع أمة محمد على ضلالة»، وصحح سنده، وقال: «ومثله لا يقال من قبل الرأي». التلخيص الحبير (٢٩٥/٣ - ٢٩٦) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤١٦هـ]، وحسنه الألباني بمجموع طرقه. السلسلة الصحيحة (٣/٣٢٠).

الحكيم يمتنع أن يصف أمة بالخيرية ليشهدوا على كل الناس وهو عالم بأنهم كلهم يقدمون على الكذب فيما يريدون، فدل على أنه تعالى علم أنهم لا يقدمون إلا على الحق حيث وصفهم بما وصفهم^(١).

٣ - ومن السنة: ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ أنه ﷺ قال: «من أراد بحبوبة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد»^(٢).

ووجه الدلالة: ما ذكره الإمام الشافعي رحمته الله في شرح قوله ﷺ: «فليلزم الجماعة»، حيث قال: «إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان فلا يقدر أحد أن يلزم جماعة وأبدان قوم متفرقين... فلم يكن في لزوم الأبدان معنى؛ لأنه لا يمكن، ولأن اجتماع الأبدان لا يصنع شيئاً، فلم يكن للزوم جماعتهم معنى إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما، ومن

(١) انظر: الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٤٠٦/١)، وقواطع الأدلة في الأصول (٤٦٤/١)، والإبهاج شرح المنهاج للسبكي (٣٥٨/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٤هـ]، إرشاد الفحول (١٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢١٦٥) وصححه، وأحمد (٢٦٨/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والنسائي في الكبرى (كتاب عشرة النساء، رقم ٩١٧٧)، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٧٢٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٩٢/١).

«الطريق الرابع [أي: من الطرق التي تثبت بها الأحكام الشرعية]: الإجماع، وهو متفق عليه بين عامة المسلمين من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث والكلام وغيرهم في الجملة، وأنكره بعض أهل البدع من المعتزلة والشيعة»^(٤).

✽ المسائل المتعلقة^(٥):

- المسألة الأولى: الإجماع المعتبر: لقد قرر جمع من العلماء - كابن تيمية وغيره - أن «الإجماع الذي ينضبط: هو ما كان عليه السلف الصالح، إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة»^(٦).

وعلى هذا فإن خلاف أهل البدع في العقائد لا يعتد به، ولا يقدح في انعقاد الإجماع في أبواب العقيدة.

يقول ابن القطان رحمته الله: «الإجماع عندنا إجماع أهل العلم، فأما من كان من أهل الأهواء فلا مدخل له فيه»^(٧). بل إن أئمة السلف لم يكونوا يعدون أهل

(٤) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١١/٣٤١).

(٥) الإجماع دليل من أدلة الشرع، ومحل تفصيله كتب أصول الفقه، وقد تكلم الأصوليون على الكثير من المسائل المتعلقة بالإجماع، وأفاضوا فيها، وليس هذا محل بحثها، وإنما نذكر هنا ما يتعلق منها بالعقيدة.

(٦) العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣/١٥٧)، وانظر: قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر لصديق حسن خان (١٤٤) [شركة الشرق الأوسط للطباعة، ط١، ١٤٠٤هـ].

(٧) نقله عنه الزركشي في البحر المحيط (٣/٥١٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ].

وفي رواية: «إن الله تعالى قد أجاز أمتي أن تجتمع على ضلالة»^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

لقد عنون الإمام اللالكائي رحمته الله لكتابه في العقائد بـ: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم»، ومما ذكره في مقدمته قوله: «فإن أوجب ما على المرء: معرفة اعتقاد الدين، وما كلف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلائل واليقين، والتوصل إلى طرقها، والاستدلال عليها بالحجج والبراهين، وكان من أعظم مقول وأوضح حجة ومعقول: كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون»^(٢).

وقال ابن عبد البر رحمته الله: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوباً في كتاب الله، أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أجمعت عليه الأمة»^(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله:

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤١/١) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ]، من حديث أنس رضي الله عنه، وحسنه الألباني، كما تقدمت الإشارة إليه قريباً.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩/١) [دار طيبة، ١٤٠٢هـ].

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٦) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ].

السلف الصالح من أئمة القرون
المفضلة، الصحابة والتابعين وأتباع
التابعين، دون من جاء بعدهم، ودون
من عاصرهم من أصحاب البدع.

وأهل السُّنَّة والجماعة متفقون
والحمد لله على سائر أصول الاعتقاد.

قال شيخ الإسلام رحمته الله: «إن أئمة
السُّنَّة والحديث لم يختلفوا في شيء من
أصول الدين»^(٤)، وقرر «أن أقوال الأئمة
في أصول الدين متفقة»^(٥).

- المسألة الثانية: حكم من خالف
الإجماع:

المخالف للإجماع على نوعين:

الأول: من أنكر حجية الإجماع،
ونفى أن يكون دليلاً، فمن العلماء من
حكم بكفره^(٦)، ومنهم من قال: إنه لا
يكفر، بل يبدع أو يفسق^(٧).

الثاني: مخالفة حكم ثبت بالإجماع،
وذلك على مراتب:

١ - أن يكون الحكم معلوماً من
الدين بالضرورة، وقد انعقد عليه إجماع
الخاصة والعامة؛ كتوحيد الله تعالى،

البدع من العلماء أصلاً، ولا يقبلون
شهادتهم، فضلاً عن أن يعتدوا بخلافهم
في العقائد.

قال ابن عبد البر المالكي رحمته الله:
«أجمع أهل الفقه والآثار من جميع
الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيف،
ولا يُعَدُّون عند الجميع في جميع
الأمصار في طبقات العلماء، وإنما
العلماء أهل الأثر والتفقه فيه،
ويتفاضلون فيه بالإتقان»^(١).

ثم حكى قول الإمام مالك بن
أنس رحمته الله: «لا تجوز شهادة أهل البدع
وأهل الأهواء»^(٢).

ونقل بعدها عن محمد بن أحمد بن
إسحاق بن خويز منداد المصري
المالكي رحمته الله في تأويل قول مالك
السابق قوله: «أهل الأهواء عند مالك
وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل
متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع،
أشعرياً كان أو غير أشعري، ولا تقبل له
شهادة في الإسلام أبداً، ويهجر، ويؤدب
على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب
منها»^(٣).

وعليه؛ فالإجماع المعتبر في حكاية
عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة هو إجماع

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٥).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) درء تعارض العقل والنقل (١٠/٣٠٦).

(٥) درء التعارض (٢/٣٠٨)، وانظر: المسائل العقدية
التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع (٥٨ - ٦٧).

(٦) انظر: كشف الأسرار (٣/٢٦٦).

(٧) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان
علي حسن (١/١٤٩ - ١٥٠) [مكتبة الرشد، ط ٤،
١٤١٨هـ].

المصادر والمراجع:

- ١ - «إعلام الموقعين»، لابن القيم.
- ٢ - «الأم»، للإمام الشافعي.
- ٣ - «دعاوى الإجماع عند المتكلمين في مسائل أصول الدين»، لياسر اليحيى [أطروحة ماجستير، جامعة الإمام].
- ٤ - «الرسالة»، للإمام الشافعي.
- ٥ - «الفقيه والمتفقه»، للخطيب البغدادي.
- ٦ - «قواطع الأدلة في الأصول»، لأبي المظفر السمعاني.
- ٧ - «مجموع الفتاوى»، لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٨ - «المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع»، لخالد الجعيد، وعلي العلياني، وناصر الجهني.
- ٩ - «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد»، لعثمان بن علي حسن.
- ١٠ - «نقد مراتب الإجماع»، لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ونبوة محمد ﷺ، وأصول الشرائع من الصلاة والزكاة وغيرها، فمنكر هذا لا شك في كفره، وقد حكي الاتفاق على تكفيره.
- ٢ - حكم ثبت بالإجماع القطعي؛ كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، وتحريم الكذب على رسول الله ﷺ، فمنكر هذا يكفر أيضًا؛ لأنه أنكر حكمًا قد ثبت بالإجماع القطعي.
- ولكن هذا القسم دون سابقه، ولهذا فرّق بعض العلماء في هذا القسم بين ما كان معلومًا مشتهرًا من الإجماعات، فيكفر منكرها، وبين ما لم يكن كذلك، بل لا يعلمه إلا العلماء، فلا يكفر منكره من العامة، بل يعذر لجهله.
- ٣ - حكم ثبت بالإجماع الظني؛ كالإجماع السكوتي الذي لم تحتف به قرائن تفيد قطعيتها، فهذا قد حكي الاتفاق على عدم تكفيره، وإنما يُبدع ويفسّق؛ لأنه خالف دليلًا يجب العمل بمقتضاه عند الجمهور وإن كان ظنيًا^(١).

(١) انظر: الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٤٣٤/١)،

وشرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٥/١) [دار

إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ]، والفروق

للقرافي (٢٥٩/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١،

١٤١٨هـ]، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٧/

٣٩)، و(١٩/٢٦٩ - ٢٧٠)، والإحكام للأمدي (١/

٣٤٤)، والبحر المحيط للزركشي (٣/٥٦٦ - ٥٦٩)،

وإيضاح الحق على الخلق لابن الوزير (١١٢) [دار

الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٨٧م]، وتيسير التحرير

(٣/١٥٣، ٢٥٩) [دار الفكر]، وشرح الكوكب

الاحتجاج بالقدر

يراجع مصطلح (القدر).

المنير (٢/٢٦٣)، وحاشية البتاني (١/٢٠١ - ٢٠٢)

[دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ]، ومنهج

الاستدلال على مسائل الاعتقاد (١/١٤٩ - ١٥٠).

الاحتضار

التعريف لغة:

الحاء والضاد والراء: أصل يدل على إيراد الشيء، ووروده ومشاهدته، والحضور نقيض المغيب والغيبة، يقال: حضر يحضر حضوراً وحضارةً، وأحضر الشيء وأحضره إياه، وكان ذلك بحضرة فلان وحضرته وحضرته وحضره ومَحْضَرِه، وكَلَمْتُهُ بِحُضْرَةِ فلان وبِمَحْضَرٍ منه؛ أي: بِمَشْهَدٍ منه، وحُضِرَ المريض واحتُضِرَ؛ إذا نزل به الموت^(١).

التعريف اصطلاحاً:

الاحتضار: هو حضور الموت، ونزوله بالعبد^(٢).

الأدلة:

أما من القرآن؛ فقول الله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)﴾ [المؤمنون].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ

اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِكُمْ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)﴾ [المنافقون].

وقوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقْبَلُوا تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٢٠)﴾ [فصلت]، وهذا عند الاحتضار، كما ذكر جمع من المفسرين^(٣).

وقوله ﷺ يصف حال المشركين عند اقتراب الموت: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ جِئْنَا بِحُجْرٍ كَثِيرٍ (٢٢)﴾ [الفرقان].

ومن السنة: قول النبي ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب لقاء الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره لقاءه لقاءه»، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا نبي الله أكرهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، فقال: «ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه»^(٤).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/٦٠) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (٤/١٩٦) [دار صادر، ط٣].

(٢) انظر: أحوال المحتضر دراسة عقليّة لمحمد العليص (٧١) [بحث محكم منشور ضمن مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة، عدد ١٢٤، سنة ١٤٢٤هـ].

(٣) تفسير ابن كثير (١/٢٨٤)، وتفسير السعدي (٧٤٨).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٧)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٤).

البصر»^(٤).

✿ أقوال أهل العلم:

قال ابن كثير رحمه الله: «فكل مُفَرِّط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة ولو شيئًا يسيرًا، يستعجب ويستدرك ما فاتته، وهيهات كان ما كان، وأتى ما هو آت، وكل بحسب تفريطه»^(٥).

وقال السعدي رحمه الله: «يخبر تعالى عن حال من حضره الموت من المفرطين الظالمين أنه يندم في تلك الحال، إذا رأى مآله، وشاهد قبح أعماله، فيطلب الرجعة إلى الدنيا، لا للتمتع بلذاتها، واقتطاف شهواتها، وإنما ذلك ليقول: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ من العمل، وفرطت في جنب الله»^(٦).

وقال الشنقيطي رحمه الله: «وما تضمنته الآية الكريمة من أن الكافر والمفرط في عمل الخير، إذا حضر أحدهما الموت طلبا الرجعة إلى الحياة؛ ليعملا العمل الصالح الذي يدخلهما الجنة، ويتداركا به ما سلف منهما من الكفر والتفريط»^(٧).

وفي الحديث الصحيح: «وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»^(١). وفتنة الموت: فتنة الاحتضار أو القبر، وأضيفت إلى الموت؛ لقربها منه^(٢).

وكان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فقال رجل: يا رسول الله تخاف علينا وقد آمنا بك وصدقناك بما جئت به؟! فقال: «إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن ﷻ يقلبها»^(٣).

وقال ﷺ: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر... وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد

(١) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣٢)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٨٩).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٨٥/٥) [دار إحياء التراث العربي، ط٢]، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (١١٧/٦) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب القدر، رقم ٢١٤٠) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٣٤) واللفظ له، وأحمد (١٦٠/١٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٢٧) وصححه، وصححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (٣٧/١) [المكتب الإسلامي، ط٣].

(٤) أخرجه أحمد (٤٩٩/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والبيهقي في الشعب (٦١٠/١) [مكتبة الرشد، ط١]، وغيرهما من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، قال البيهقي: هذا حديث صحيح الإسناد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٤/١).

(٥) تفسير ابن كثير (١٣٣/٨).

(٦) تفسير السعدي (٥٠٨) [مؤسسة الرسالة، ط٤].

(٧) أضواء البيان (٨٢١/٥) [المطابع الأهلية، ١٤٠٣هـ].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: علامات الاحتضار:

للاحتضار علامات تظهر على كثير من المحتضرين ومن نزل بهم الموت، وقد عرفت بدليل الحس والمشاهدة والتتبع لكثير من المحتضرين، من نحو: برودة الأطراف والقدمين، وعرق الجبين للمؤمن، والهذيان والهلع والإغماء عند البعض منهم، والحشجة التي تكون في الصدر، والغرغرة في الحلق، والنشاط والخفة، فبعض المحتضرين يجد قبل موته خفة ونشاطاً لم يُعهدها عليه من قبل، كأن يكون مريضاً ومغمى عليه مدة طويلة، ثم قبل وفاته يستيقظ من إغمائه وكأنه صحيح معافى، ويجد هذا النشاط، وهذا ليس على الإطلاق^(١)

- المسألة الثانية: أقسام الناس عند الاحتضار وتمايزهم في قبض الروح وخروجها:

جاء تقسيم الناس عند الاحتضار في آخر سورة الواقعة إلى ثلاثة أقسام: مقربين، وأصحاب يمين، ومكذبين ضالين^(٢)، قال

(١) انظر: كيف تغسل ميتاً (٢٤) [نسخة إلكترونية بالمكتبة الشاملة، لأسامة بن غرم الغامدي].

(٢) المقربون: هم الذين تقربوا إلى الله بأداء الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات، وفضول المباحات. وأصحاب اليمين: وهم الذين أدوا الواجبات وتركوا المحرمات، وإن حصل منهم بعض التقصير في بعض الحقوق، التي لا تخل بإيمانهم وتوحيدهم. والمكذبون الضالون: هم الذين

تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٨٨) ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ (٨٩) ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٩٠) ﴿فَسَلَ لَكَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٩١) ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ﴾ (٩٢) ﴿فَنُزِّلٌ مِنْ جَمِيمٍ﴾ (٩٣) [الواقعة].

قال السعدي: «ذكر الله تعالى أحوال الطوائف الثلاث: المقربين، وأصحاب اليمين، والمكذبين الضالين في أول السورة في دار القرار، ثم ذكر أحوالهم في آخرها، عند الاحتضار والموت»^(٣)، ثم ساق الآيات بتفسيرها.

وعليه؛ فيختلف قبض الأرواح وانتزاعها، وكيفية خروجها، وما ينالها بعد ذلك من شخص لآخر.

قال ﷺ: «نفس المؤمن تخرج رشحاً، ونفس الكافر تخرج من شذقه كما تخرج نفس الحمار»^(٤).

وقد جاءت السنة بالتفريق بين نزاع روح المؤمن وروح الكافر وما يعقب ذلك، كما في قوله ﷺ: «... إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم

كذبوا بالحق، وضلوا عن الهدى. انظر: تفسير السعدي (٨٣٦).

(٣) تفسير السعدي (٨٣٦).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣٣/١٠) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٢٣) [مكتبة القدسي]، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٤/٥).

وقد علّق النووي على الحديث بقوله: «قال العلماء: هذا تحذير من القنوط، وحثُّ على الرجاء عند الخاتمة، وقد سبق في الحديث الآخر قوله ﷺ: «أنا عند ظن عبدي بي»^(٣)، قال العلماء: معنى «حسن الظن بالله تعالى: أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، قالوا: وفي حالة الصحة يكون خائفاً راجياً، ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه؛ لأن مقصود الخوف: الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى، والإذعان له، ويؤيده الحديث المذكور بعده: «يبعث كل عبد على ما مات عليه»، ولهذا عقبه مسلم للحديث الأول. قال العلماء: معناه: يبعث على الحالة التي مات عليها»^(٤).

وقد استحسن بعض العلماء أن يذكر المريض بسعة رحمة الله ولطفه وبره، ليحسن ظنه بربه؛ وكذا تلقينه محاسن عمله عند موته؛ لكي يحسن ظنه بربه^(٥)،

كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت ﷺ حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء... وإن العبد الكافر، إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول...»^(١).

- المسألة الثالثة: إحسان الظن بالله تعالى عند الاحتضار، وسؤال المغفرة والرحمة:

ينبغي للمسلم عند الاحتضار أن يتفكر في سعة رحمة الله ومغفرته وعفوه؛ لقوله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ»^(٢)، وفي هذا تغليب لجانب الرجاء.

(١) أخرجه أحمد (٤٩٩/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والبيهقي في الشعب (٦١٠/١) [مكتبة الرشد، ط١]، وغيرهما من حديث البراء بن عازب، قال البيهقي: هذا حديث صحيح الإسناد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٤/١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٥).

(٤) شرح النووي على مسلم (٢٥٦/٩).

(٥) انظر: سبل السلام (٩٠/٢) [مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط٤، ١٣٧٩هـ].

ويدل على قبول التوبة حال الاحتضار وقبل المعاينة والنزع: ما ثبت في «الصحيحين» من دعوة النبي ﷺ عمه أبا طالب إلى التوحيد وهو في حال الاحتضار^(٥)، قال ابن مفلح مفسراً لحضور الوفاة: «المراد قربت وفاته وحضرت دلائلها، وذلك قبل المعاينة والنزع، ولو كان في حال المعاينة والنزع لما نفعه الإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتْتُ أَنَا فِي التَّوْبَةِ﴾» [النساء: ١٨]، ويدل على أنه قبل المعاينة محاورته للنبي ﷺ مع كفار قريش^(٦).

ولما ثبت في «الصحيحين» من دعوته ﷺ للغلام اليهودي - الذي عاده في مرض موته - إلى التوحيد^(٧)، فأسلم ومات عليه، فكان من الناجين، ومن الصحابة المرضيين.

ومما يستدل به في هذا الباب: «أن من قربت نفسه من الزهوق فمات له ميت أنه يرثه، وإن قدر على النطق فأسلم، فإنه مسلم يرثه المسلمون من أهله، وأنه إن شخص ولم يكن بينه وبين الموت إلا نفس واحد فمات من أوصى

[المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤).

(٦) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٦٢/١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٧هـ].

(٧) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٦).

كما فعل ابن عباس مع عائشة رضي الله عنها عند موتها.

ومن إحسان الظن بالله تعالى عند الاحتضار الدعاء بالمغفرة والرحمة؛ تأسيًا بالنبي ﷺ، فإنه كان يقول في ساعة الاحتضار: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى»^(١).

- المسألة الرابعة: تقبل توبة المحتضر ما لم يغرغر:

لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧]. والتوبة من قريب هي التوبة قبل حضور الموت؛ أي: قبل الغرغرة^(٢).

ويمكن القول: إن الغرغرة تكون آخر وقت الاحتضار بعد رؤية الملك وانتزاعه الروح، وفي الحديث: «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»^(٣)؛ أي: ما لم تبلغ روحه حلقومه^(٤).

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٤٩٦) وصححه، وأحمد (١٠٣/٤٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وأصله في الصحيحين بغير هذا اللفظ.

(٢) انظر: روح البيان (١٤٣/٢) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٣٧) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٥٣)، وأحمد (١٣٢/٢) [عالم الكتب، ط ١]، وابن حبان (كتاب الرقاق، رقم ٦٢٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٦/١) [المكتب الإسلامي].

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٦٦٥/٣).

- المسألة الخامسة: تمنى الكافر والمفرط استئناف الحياة عند الاحتضار:

وذلك لإصلاح ما قد أفسد؛ لأنه في تلك الساعة ينكشف له الغطاء عما ينتظره من عذاب؛ لسوء عمله، فيحاول تدارك ذلك بالعودة إلى الحياة مرة ثانية، وإعادة التجربة مرة أخرى، ولكن هيهات، فقد فات الآوان، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ [المؤمنين].

قال ابن كثير مفسراً الآية: «يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو المفرطين في أمر الله تعالى، وقيلهم عند ذلك، وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا؛ ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته» (٤).

- المسألة السادسة: تمنى الموت حال الاحتضار:

يختلف حكم تمنى الموت حال الاحتضار عنه حال الحياة المستمرة، فيجوز في الأولى دون الثانية.

قال التبريزي لما تكلم على حديث: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» (٥) ما نصه:

له بوصية فإنه قد استحقها، فمن قتله في تلك الحال قيد به» (١)، بخلاف ما إذا بلغت الروح الحلقوم، فإنه «لا تصح وصيته ولا صدقته ولا شيء من تصرفاته باتفاق الفقهاء» (٢).

أما ساعة معاينة ملك الموت ونزع الروح فإن التوبة لا تقبل؛ للحديث المتقدم في الغرغرة، ولقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتْتُ عَلَىٰ أَلْفَنَ﴾ [النساء: ١٨]، فهذا هو المعائن الذي لا تقبل توبته؛ كتوبة فرعون لما رأى الملائكة وأدركه الغرق قال: ﴿ءَاْمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاْمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس]، فكان الجواب: ﴿ءَاْلَفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس].

قال القرطبي: «التوبة مبسوبة للعبد حتى يعاين قابض الأرواح، وذلك عند غرغرتة بالروح، وإنما يغرغر به إذا قطع الوتين، فشخص من الصدر إلى الحلقوم، فعندها المعاينة، وعندها حضور الموت... فيجب على الإنسان أن يتوب قبل المعاينة والغرغرة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُكَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧]» (٣).

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) التذكرة للقرطبي (٥٢/١) [دار قباء].

(٤) تفسير ابن كثير (٢٥٦/٣) [دار الفكر].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٧)، =

«المحتضر؛ يغمى عليه لما يعاني من سكرات الموت»^(٢).

وفي «صحيح البخاري»: أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: إن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء - يشك عمر - فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات»، ثم نصب يده، فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض، ومالت يده، قال أبو عبد الله: العلبة من الخشب والركوة من الأدم»^(٣).

وهل شدة السكرات دليل على نقص المرتبة؟

أجاب ابن حجر بقوله: «شدة الموت لا تدل على نقص في المرتبة؛ بل هي للمؤمن إما زيادة حسنات، وإما تكفير سيئات»^(٤).

- المسألة الثامنة: قول الخير عند المحتضر والدعاء له بالمغفرة إذا قبض:

عن أم سلمة رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ قال: «إذا حضرتم الميت فقولوا خيراً، فإن الملائكة تؤمن على ما تقولون»، قالت:

(٢) أيسر التفاسير (٢٧٩/٣) [مكتبة العلوم والحكم، طه، ١٤٢٤هـ]، وانظر: بيان المعاني (٢٨/٦) [مطبعة الترقى، ١٣٨٢هـ]، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٩٣٣/١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقائق، رقم ٦١٤٥).

(٤) فتح الباري (٣٦٦/١١) [دار الفكر].

«محبة لقاء الله لا تدخل في النهي عن تمني الموت؛ لأنها ممكنة مع عدم تمني الموت؛ كأن تكون المحبة حاصلة لا يفترق حاله فيها بحصول الموت ولا بتأخره، وأن النهي عن تمني الموت محمول على حالة الحياة المستمرة، وأما عند الاحتضار والمعاناة فلا تدخل تحت النهي؛ بل هي مستحبة»^(١).

- المسألة السابعة: سكرات الموت عامة، وهي على الكفار والعصاة أشد: سكرات الموت كرباته وغمراته وشدته نتيجة الألم، وهي عامة للمؤمن والكافر.

وقد ذكر الحق تعالى السكرات في قوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق]، وهي المرادة بقوله تعالى في الغشي: ﴿فَدَّ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعُودِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [١٨] أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَوُكُم بِاللِّسَانِ جَدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [١٩]. [الأحزاب].

والذي يغشى عليه من الموت، هو

= ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٤).
(١) مشكاة المصابيح (٥٨٧/٥).

- المسألة العاشرة: التلقين المشروع للميت يكون وقت الاحتضار:
لقلوه ﷺ: «لقلنوا موتاكم لا إله إلا الله»^(٤).

قال النووي: «معناه: من حضره الموت، والمراد: ذكروه لا إله إلا الله؛ لتكون آخر كلامه، كما في الحديث: «من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة»^(٥)»^(٦).

وهل الأمر بالتلقين للاستحباب أم للوجوب؟ وهل يكرر على المحتضر؟

أجاب النووي عن ذلك فقال: «الأمر بهذا التلقين أمر ندب، وأجمع العلماء على هذا التلقين، وكرهوا الإكثار عليه والموالاة؛ لئلا يضجر بضيق حاله وشدة كربته؛ فيكره ذلك بقلبه ويتكلم بما لا يليق، قالوا: وإذا قاله مرة لا يكرر عليه إلا أن يتكلم بعده بكلام آخر، فيعاد التعريض به؛ ليكون آخر كلامه»^(٧).

فلما مات أبو سلمة قلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «قولي: اللَّهُمَّ اغفر له، واعقبنا عقبى صالحه» قالت: فأعقبني الله محمداً ﷺ^(١).

- المسألة التاسعة: عرض الإسلام على المحتضر الكافر:

فعن سعيد بن المسيب، عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال النبي ﷺ: «أي عم، قل: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فنزلت: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة]^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩١٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٣٩٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٦).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩١٦).

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٦)، وأحمد (٣٦٣/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ١٦]، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٢٩٩) وصححه، وصححه الألباني في الإرواء (رقم ٦٨٧).

(٦) شرح صحيح مسلم للنووي (٢١٩/٦) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ].

(٧) شرح صحيح مسلم للنووي (٢١٩/٦)، وانظر: بذل المجتهد (١/١٦٤) [دار الفكر]، وشرح فتح القدير (٢/١٠٤) [دار الفكر، ط ٢].

وفي تخيير محمد ﷺ قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «لن يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخير»، فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة، ثم أفاق، فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: «اللَّهُمَّ الرفيق الأعلى»، قلت: إذا لا يختارنا، وعلمت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح، قالت: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها: «اللَّهُمَّ الرفيق الأعلى»^(٤).

قال ابن الجوزي: «إن قال قائل: ما وجه التخيير بعد أن يرى مقعده من الجنة، ولو أن أحدنا رأى مكانه من الجنة لم يتخير الدنيا عليه؟ فالجواب: أن التخيير يكون إكراماً له؛ ليكون قبض روحه عن أمره، فيجوز أن يختار تعجيل معاناة الموت لما يصير إليه، ويجوز أن يختار تأخير الموت عنه مع علمه بمنزلته؛ إيثاراً لطاعة الله على حظ النفس»^(٥).

- المسألة الثانية عشرة: حضور الشيطان ساعة الاحتضار للإفساد على المحتضر:

دلّ على ذلك ظاهر قوله تعالى:

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤٦٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٤).

(٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ٥٤٠)، [دار الوطن، ١٤١٨هـ].

- المسألة الحادية عشرة: التخيير بتأخير الموت عند الاحتضار خاص بالأنبياء:

لقوله ﷺ: «ما من نبي يمرض إلا خيّر بين الدنيا والآخرة»^(١)؛ أي: «بين الإقامة في الدنيا والرحلة إلى الآخرة؛ لتكون وفادته على الله وفادة محب مخلص مبادر»^(٢).

وفي تخيير موسى عليه السلام قال ﷺ: «جاء ملك الموت إلى موسى، فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عين ملك الموت ففأها، قال: فرجع الملك إلى الله ﷻ، فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، قال: فرد إليه عينه، قال: ارجع إلى عبدي فقل له: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة، فضع يدك على متن ثور، فما وارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب، قال: رب أدني من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال رسول الله ﷺ: لو أنني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٥٨٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٤)، واللفظ للبخاري.

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (٧١٣/٢) [مكتبة الإمام الشافعي، ط ٣، ١٤٠٨هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٣٩)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٢).

الفناء والنقلة إلى دار الآخرة، فيختم له بسوء، ويلقى الله وهو ساخط عليه. وقد روي أن الشيطان لا يكون في حال أشد على ابن آدم منه في حال الموت، يقول لأعوانه: دونكم هذا، فإنه إن فاتكم اليوم لم تلحقوه بعد اليوم»^(٤).

- المسألة الثالثة عشرة: حضور الملائكة عند الاحتضار وبشارتها المتوفى بالمصير والمآل:

تحضر الملائكة الموكلة بقبض الأرواح العبد حال الاحتضار، وتبشره بما ينتظره من رحمة أو عذاب، وبما هو صائر إليه من خير أو شر.

فأما السعداء فقال تعالى يصف حالهم ومآلهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٢) ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ (٣٣) ﴿قُلْ لَا مَنِّ مِّنْ غَفْوَرٍ رَّحِيمٍ﴾ (٣٤) [فصلت]، فيبشرون حال احتضارهم بالخيرات وحصول المسرات^(٥).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوْفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ يَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٥) [النحل].

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٢٨٧/٤) [دار

الكتب العلمية، ٢، ١٤١٥هـ].

(٥) تفسير ابن كثير (٣/٣١٤).

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ (٩٨) [المؤمنون]، قال الشنقيطي رحمه الله: «والظاهر... أن المعنى: أعوذ بك أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري كائنًا ما كان، سواء كان ذلك وقت تلاوة القرآن... أو عند حضور الموت، أو غير ذلك من جميع الشؤون في جميع الأوقات»^(١).

وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرْدِي، والهدم، والغرق، والحريق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرًا، وأعوذ بك أن أموت لديقًا»^(٢).

وتخبط الشيطان للمحتضر يكون بإفساد دينه أو عقله^(٣)، وذلك بأن «يستولي عليه الشيطان عند مفارقتة الدنيا فيضله، ويحول بينه وبين التوبة، أو يعوقه عن إصلاح شأنه والخروج من مظلمة تكون قبله، أو يؤيسه من رحمة الله تعالى، أو يكره له الموت ويؤسفه على حياة الدنيا، فلا يرضى بما قضاه الله من

(١) أضواء البيان (٣٥٣/٥) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥٥٢)، والنسائي (كتاب الاستعاذة، رقم ٥٥٣١)، وأحمد (٢٨١/٢٤) [مؤسسة الرسالة، ١٦]، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٤٨) وصححه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٧٤/٥) [مؤسسة غراس، ١٦، ١٤٢٣هـ].

(٣) انظر: الكتاب: التيسير بشرح الجامع الصغير (١/

٤٨٨) [مكتبة الإمام الشافعي، ط ٣، ١٤٠٨هـ].

قال ابن كثير: «هذا خبر عن

السعداء... أخبر تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون؛ أي: مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء، وأن الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة»^(١).

وأما الأشقياء فقال تعالى يصف حالهم ومآلهم: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان]؛ والمعنى: «أي: هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم؛ بل يوم يرونهم لا بشرى يومئذ لهم، وذلك يصدق على وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار والغضب من الجبار»^(٢).

ولا دليل لمن قال بمشروعية السواك عند الاحتضار، بدعوى أنه يسهل خروج الروح^(٣).

ولم يرد نص معتبر في توجيه المحتضر إلى القبلة بغرض تسهيل خروج الروح، ولم يرد في توجيه نقل أصلاً، ولذا اختلف السلف في تقبيل المحتضر، والجمهور على مشروعيته واستحبابه، وقد حكوا للتوجيه صورتين:

- المسألة الرابعة عشرة: أحاديث وأمر لا تصح تتعلق بالاحتضار:

- لا يصح: «اقرأوا يس على موتاكم»^(٤)؛ بل لم يصح حديث في القراءة على المحتضر أصلاً.

- ولا يصح حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: متى تنقطع معرفة العبد من الناس؟ قال:

(١) المصدر السابق (٢/٥٦٢).

(٢) المصدر السابق (٣/٣١٤).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣١٢١)، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٤٨)، وأحمد (٣٣/٤١٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وضعفه النووي في الخلاصة (٢/٩٢٥) [الرسالة، ط ١]، والألباني في السلسلة الضعيفة (١٢/٧٨٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٥٣)، وقال الألباني: «ضعيف جداً». ضعيف ابن ماجه (رقم ١٤٤٣) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٥) أخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (١/١٢٤) [دار الكتب العلمية، ط ٢]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٨/٣٠٢)، رقم ٣٨٣٩.

(٦) أخرجه أحمد (٤٩١/٤١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والبيهقي في الشعب (١٢/٤٥٦) [مكتبة الرشد، ط ١]، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٨٩٦).

(٧) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٠)، وأحمد (٢٤/٢٥٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه النووي في الخلاصة (٢/٩٠٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والألباني في صحيح الجامع (٦٦٣١).

(٨) انظر: الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع (١/٣٥) [دار الفكر - بيروت].

لأن أهوالها يغمرن من يقعن به^(٤).

المصادر والمراجع:

١ - «الآداب الشرعية» (ج ١)، لابن مفلح.

٢ - «الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع» (ج ١)، للشربيني.

٣ - «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة» (ج ١)، للقرطبي.

٤ - «سبل السلام» (ج ٢)، للصنعاني.

٥ - «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (ج ٢)، المناوي.

٦ - «القيامة الصغرى»، للأشقر.

٧ - كتب التفسير عند الأدلة القرآنية الأنفة.

٩ - «كيف تغسل ميتاً»، لأسامة بن غرم.

١٠ - «نيل الأوطار» (ج ٤)، للشوكاني.

١١ - «أحكام الجنائز»، للألباني.

الأحد

التعريف لغة:

أصله: وَحَدَّ، ثم قلبت الواو همزة، قال ابن فارس: «الواو والحاء والdal

(٤) زاد المسير (٨٧/٣) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٤هـ].

الصورة الأولى: وهي الأرفق بالمحتضر: أن يرفع صدره قليلاً، وتكون رجلاه إلى جهة القبلة، فيكون مستقبلاً للقبلة بصدرة وبوجهه.

والصورة الثانية: أن يكون مستقبلاً للقبلة كحال من أُلحِد في القبر، بأن يضجع على شقه الأيمن على جهة القبلة^(١).

الفروق:

الغرغرة ليست هي الاحتضار؛ بل هي الحشجة عند الموت وتردد النفس^(٢)، ولا يمنع أن تكون بعضه، ويدل على الفرق قبول التوبة حال الاحتضار لا حال الغرغرة كما تقدم بيانه.

وأما غمرات الموت المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣]، فهي شدائده وسكراته وكُرْبَاتِهِ^(٣)، وسميت بذلك؛

(١) انظر: درر الحكام شرح غرر الأحكام (٢/٢٤٣)، وسبل السلام [مصطفى البابي الحلبي، ط ٤، ١٣٧٩هـ]، ونصب الراية لأحاديث الهداية (٢/٢٥٢) [مؤسسة الريان، ط ١، ١٤١٨هـ]، ونيل الأوطار (٤/٥٠) [إدارة الطباعة المنيرية]، وفتح القدير (٣/٣٢٢)، وشرح زاد المستقنع للشنقيطي [شرح صوتي، درس ٤١٧]، وقال الألباني في أحكام الجنائز (٢٤٣): «أنكره سعيد بن المسيب، ولا يصح فيه حديث».

(٢) انظر: الصحاح (٢/٣٢٩) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، وتاج العروس (٥/٤٨٣) [دار الهداية]، والقاموس المحيط (٢٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٢].

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٠٢).

أصل واحد يدل على الانفراد^(١).
والأحد بمعنى: الواحد، وهو أول العدد، تقول: أحد واثنان، وهو يدل على الانفراد، ومن ذلك الوَحْدَة، واستأحد الرجل: انفرد، وهو اسم علم على يوم من أيام الأسبوع^(٢).

قال الأزهري: «الأحد بُني لنفي ما يُذكرُ معه من العدَد، والواحدُ اسمٌ لمُفتتح العدَد، وأحدٌ يصلح في الكلام في موضع الجحد، وواحدٌ في موضع الإثبات، تقول: ما أتاني منهم أحدٌ، وجاءني منهم واحدٌ، ولا يقال: جاءني منهم أحدٌ؛ لأنك إذا قلت: ما أتاني منهم أحدٌ فمعناه: لا واحدٌ أتاني ولا اثنان، وإذا قلت: جاءني منهم واحدٌ فمعناه: أنه لم يأتني منهم اثنان^(٣)».

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي يلتقي تمامًا مع المعنى الشرعي، بل هما بمعنى واحد.

الحكم:

يجب إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء، ومن ذلك: اسم الله الأحد، الدال على أنه تعالى لا شريك له في ربوبيته وألوهيته، ولا في أسمائه الحسنی وصفاته العليا^(٦).

الحقيقة:

الأحد: «هو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر^(٧)»، المنفرد

(٤) بيان تلبس الجهمية (٤٦١/٣) [مجمع الملك فهد، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٥) تفسير السعدي (٩٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٦) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠٨/١٧).

(٧) النهاية في غريب الأثر (٢٧/١)، ولسان العرب (٣/٧٠)، وتاج العروس (٣٧٦/٧).

التعريف شرعًا:

الأحد: أحد أسماء الله الحسنی؛ يعني: انفراد الله في جميع خصائصه عن المخلوقين.

(١) مقاييس اللغة (٦٢٣/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٦٧/١) و(٩٠/٦) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، والنهاية في غريب الحديث (٢٧/١) [دار

الفكر، ١٣٩٩هـ]، والصحاح (٤٤٠/٢) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٤٠٧هـ]، ولسان العرب (٧٠/٣) [دار صادر، ط ١، ١٤١٠هـ]، والقاموس المحيط (٣٣٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧هـ].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٢٦/٥) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

الحسنى، من ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص].

وروى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقلوه: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفؤًا أحد»^(٥).

وجاء أيضًا من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه أنه قال: «سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو وهو يقول: اللّهُمَّ إني أسألك، بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤًا أحد، قال: فقال: والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»^(٦).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن منده رحمته الله: «ومن أسماء الله ﷻ: الأحد الصمد، قال أهل التأويل: معناه: الواحد الأحد

بوحدانيته في ذاته، وصفاته»^(١)، وأفعاله، وربوبيته، وإلهيته، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفؤًا أحد»^(٢).

والصفة التي دلَّ عليها اسم الأحد هي صفة الوحداية لله تعالى، فله الأحدية في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. و«لا يوصف شيء بالأحدية غيره، لا يقال: رَجُلٌ أَحَدٌ، ولا دِرْهَمٌ أَحَدٌ، كما يقال: رجل وَحَدٌ أي: فَرْدٌ؛ لأنَّ (أَحَدًا) صفةٌ من صفات الله التي استأثر بها، فلا يَشْرُكُهُ فيها شيء»^(٣)، «فأحدية تعالى تدل على ثلاثة أمور عظيمة: نفي المثل والند والكف من جميع الوجوه. وإثبات جميع صفات الكمال بحيث لا يفوته منها صفة ولا نعت دالٌّ على الجلال والجمال. وأن له من كل صفة من تلك الصفات أعظمها وغايتها ومنتهأها»^(٤).

❁ الأدلة:

دلَّت النصوص من الكتاب والسنة على أن الأحد اسم من أسماء الله

(١) شرح أسماء الله الحسنی فی ضوء الكتاب والسنة (٥٨) [مؤسسة الجريسي، ط ١١، ١٤٢٧هـ]، وانظر: تاج العروس (٣٧٦/٧).

(٢) والله الأسماء الحسنی لعبد العزيز الجليل (٧٧).

(٣) تهذيب اللغة (١٢٧/٥)، وانظر: القاموس المحيط (٣٣٨) [مؤسسة الرسالة].

(٤) فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام لابن سعدي (٥١)، [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٩٧٤).

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٣)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٤٧٥) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٩/٥).

﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، وقال: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [٤٩] [الكهف]، وقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦]، فهو أبليغ في إثبات الوجدانية من اسم الواحد^(٥).

وقال ابن كثير: «ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله ﷻ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله»^(٦).

- المسألة الثانية: صلة اسم الأحد بالصمد:

جاء اسمه ﷻ (الأحد) مقترناً مع اسمه ﷻ (الصمد) في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١] ﷻ الصَّمَدُ [٢] [الإخلاص] كما جاء أيضاً مقترناً بالصمد في السُّنَّة الصحيحة كما سيأتي، ومنه أخذ العلماء فائدتين:

الفائدة الأولى: أن اسم الأحد والصمد مع أسماء أخرى مقترنة بهما هما الاسم الأعظم؛ فقد دلت السُّنَّة على أن اسم الأحد والصمد والأسماء المقترنة معهما يؤلف الاسم الأعظم، الذي إذا دعي به سبحانه أجاب، وذلك من حديث بريدة رضي الله عنه قال: سمع

الموحد الذي يعبد بتوحيده ويشهد له بالوحدانية^(١).

وقال ابن القيم رحمته الله: «الأحد: المتضمن لانفراده بالربوبية والإلهية»^(٢)، وقال أيضاً: «في الأحد نفي لكل شريك لذي الجلال»^(٣).

وقال ابن كثير رحمته الله في تفسير اسم الله الأحد: «هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا وزير، ولا نديد ولا شبه ولا عدل، ولا يُطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله ﷻ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله»^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اختصاص اسم (الأحد) بالله تعالى:

اسم الله الأحد هو من الأسماء الخاصة بالله، فلا يجوز تسمية المخلوق به على سبيل الإطلاق، وأنه لا يستعمل في حق المخلوق إلا في سياق النفي، أو الإضافة، قال ابن تيمية: «اسم الأحد لا يستعمل في حق غير الله إلا مع الإضافة، أو في غير الموجب؛ كقوله:

(١) كتاب التوحيد لابن منده (٢/٦٠) [تحقيق: د. علي الفقيهي، مطابع الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ].

(٢) بدائع الفوائد (١/١٤٦) [دار نزار الباز، ط١].

(٣) زاد المعاد (٤/١٨١) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٤) تفسير ابن كثير (١٤/٥١٣) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٢١هـ].

(٥) درء التعارض لابن تيمية (٧/١٢١) [جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ].

(٦) تفسير ابن كثير (١٤/٥١٣).

قال شيخ الإسلام رحمته الله: «اسمه: الأحد يتضمن نفي المثل، واسمه الصمد يتضمن جميع صفات الكمال»^(٤)، وقال ابن القيم رحمته الله: «فإن في سورة الإخلاص من كمال التوحيد العلمي الاعتقادي، وإثبات الأحدية لله، المستلزمة نفي كل شركة عنه، وإثبات الصمدية المستلزمة لإثبات كل كمال له»^(٥).

- المسألة الثالثة: دلالة اسم الأحد على بطلان التمثيل وإثبات التنزيه:

من أعظم الأدلة على بطلان التمثيل نقلاً أسماء الله الحسنى؛ فقد سمى الله نفسه المقدسة بأسماء كثيرة تدل على تفرد المطلق بما له من الخصائص والصفات، ومنها اسمه الأحد؛ أي: المتفرد بمعاني الكمال؛ فليس له مثل في ذاته، ولا نظير في صفاته، ولا شريك في أفعاله؛ قال ابن تيمية رحمته الله: «الله سبحانه منزّه عن أن يوصف بشيء من الصفات المختصة بالمخلوقين، وكل ما اختص بالمخلوق فهو صفة نقص، والله

أصناف الكمال، وهو في المفهم للقرطبي (٧/٧٤) مع اختلاف يسير، وأسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة (١٢٣) [دار سلسبيل، ط ١، ١٤٢٦هـ]، وشرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة (١٦٧).

(٤) منهاج السنة النبوية (٢/٥٣٠) [مؤسسة قرطبية]، وانظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/٤٥٩) [مطبعة الحكومة، ط ١، ١٣٩٢هـ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم].

(٥) الطب النبوي (١٥٤) [دار الكتاب العربي، ط ١].

النبي صلوات الله عليه رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فقال: «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب»^(١).

وهذا أحد أقوال أهل العلم في تعيين الاسم الأعظم، قال ابن حجر: «وجملة ما وقفت عليه من ذلك أربعة عشر قولاً...، التاسع: الله لا إله إلا هو، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه... من حديث بريدة، وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك»^(٢).

الفائدة الثانية: إن هذين الاسمين يستلزمان سائر أسماء الله الحسنى وما فيها من الكمال؛ فالأحد يدل على أنه سبحانه المنفرد بأسمائه وصفاته وأفعاله عن كل ما سواه، كما أن الصمدية تعني السيادة المطلقة في كل وصف على حدة؛ فالصمد هو السيد الذي له الكمال المطلق في كل شيء، وهو الكامل في جميع صفاته وأفعاله، وليس فوقه أحد في كماله»^(٣).

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) فتح الباري (١١/٢٢٤ - ٢٢٥).

(٣) انظر: فتح الباري (٩/٦١)؛ فقد نقل كلاماً مفيداً عن القرطبي حول تضمن هذين الاسمين جميع

من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد]، كما ورد هذا الاسم في جميع طرق حديث تعيين الأسماء المشهور^(٣)، كما أورده جميع من اعتنى بجمع الأسماء الحسنی وشرحها من أهل العلم.

- المسألة الخامسة: اسم الله الأحد متضمن صفة الوجدانية:

الوجدانية صفة من الصفات الإلهية، ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، وقد جاء بيان ذلك وإثباته في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة^(٤). وعليه يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

فمن أدلة إثباتها كل نص ورد في الواحد والأحد، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَسْرِئُونَ﴾ [الزمر]، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ

منزه عن كل نقص، ومستحق لغاية الكمال، وليس له مثل في شيء من صفات الكمال، فهو منزه عن النقص مطلقاً، ومنزه في الكمال أن يكون له مثل، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١] ﴿لِلَّهِ الصِّمَّةُ﴾ [٢] ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [٣] ﴿[الإخلاص]﴾ [٤].

- المسألة الرابعة: من الأسماء المقاربة لاسم (الأحد):

اسمه تعالى الواحد، ولفظه مأخوذ من الأصل الثلاثي (وَحَد) الدال على الانفراد. وهذا الاسم يدل على أن الله ﷻ هو الذي توحد بجميع الكمالات، وتفرّد بكل كمال، ومجد وجلال، وجمال، وحمد، وحكمة، ورحمة، وغيرها من صفات الكمال فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه^(٥).

وقد ورد اسم الواحد في مواضع عدة

(١) منهاج السُّنة (٢/ ٥٣٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٦٥)، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٥٧)، واشتقاق أسماء الله (٩٠)، وشأن الدعاء (٨٢)، والتوحيد لابن منده (٢/ ٦٠)، والاعتقاد للبيهقي (٦٣ - ٦٧)، والحجة في بيان المحجة (١/ ١٦٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣٤٣)، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٦٧)، وفقه الأسماء الحسنى (١٠٧) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ]، والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/ ٨٦ - ٨٨) [مكتبة الذهبی، ط ٢].

(٣) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٧٩ - ٨٤).

(٤) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (٣٦٣) [دار الهجرة الرياض، ط ٣، ١٤٢٦هـ].

وَحْدَهُ، كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ [غافر].

الفروق:

يختلف الأحد عن الواحد من جهات عدة؛ منها:

١ - أن الواحد اسم لمفتتح العدد بخلاف الأحد فإنه ينتفى معه العدد.

٢ - أن الأحد أبلغ وأعم في إثبات الوجدانية من الواحد.

٣ - أن الأحد لا يمكن جعله وصفاً لأي أحد غير الله تعالى، بخلاف الواحد فإنه يجوز فيه ذلك.

ونقل الزجاج عن بعض أصحاب المعاني في الفرق بين الواحد والأحد: «أن الواحد يفيد وحدة الذات فقط، والأحد يفيد بالذات والمعاني، وعلى هذا جاء في التنزيل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] أراد المنفرد بوجدانيته في ذاته وصفاته تعالى الله علواً كبيراً» (٤).

وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: «والفرق بين الواحد والأحد: أن الواحد هو المنفرد بالذات لا يضمه آخر، والأحد: هو المنفرد بالمعنى لا يشاركه فيه أحد، ولذلك قيل للمتناهي في العلم والمعرفة: هو أحد الأَحْدِينَ. ومما

(٣) المصدر نفسه (١٠٩ - ١١٠).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٥٨)، وانظر: درء التعارض لابن تيمية.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من تعار من الليل، فقال: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللَّهُمَّ اغفر لي، أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته» (١).

- المسألة السادسة: ما يقتضيه إثبات صفة الوجدانية لله تعالى:

يقتضي إثبات الوجدانية: «توحد الرب بجميع الكمالات بحيث لا يشاركه فيها مشارك، وأن الواجب على العباد أن يوحده عقداً وقولاً وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرد بالوجدانية، ويفردوه بأنواع العبادة» (٢).

كما يقتضي «نفي المثل والنند والكفاء من جميع الوجوه، فهو تبارك وتعالى الأحد الذي لا مثيل له ولا نظير، قال تعالى: ﴿هَلْ نَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مریم]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

(١) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٥٤).

(٢) فقه الأسماء الحسنى (١٠٨).

أَبْصِرُ ﴿١١﴾ [الشورى]، وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة] (٣).

✽ مذهب المخالفين:

تعلق المعطلة من الجهمية والفلاسفة ومن تأثر بهم باسم الله الأحد والواحد على نفي صفات الكمال عن الله، حيث ذكروا أن القديم واحد، والواحد هو الذي لا يتجزأ ولا ينقسم، وأن إثبات الصفات يدل على تعدد القديم وهو خلاف التوحيد.

قال الغزالي رحمه الله: «الواحد: هو الذي لا يتجزأ ولا يشق... والله تعالى واحد بمعنى أنه يستحيل تقدير الانقسام في ذاته» (٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما كون القديم واحداً أو الواجب واحداً فهذا إنما يعرف عن الجهمية من المتكلمين والفلاسفة، فإنهم قالوا: القديم واحد وهو لفظ مجمل يراد به أن الإله القديم واحد وهذا حق ويراد به أن

يفترقان به في معاني الكلام: أن الواحد في جنس المعدود، وقد يفتح به العدد. والأحد ينقطع معه العدد» (١).

وقال أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله: «والفرق بين الواحد والأحد: أن الواحد هو المنفرد بالذات، لا يضامه آخر، والأحد هو المنفرد بالمعنى لا يشاركه فيه أحد، قيل: إن الأحد يصلح في موضع الجحود، والواحد في موضع الإثبات، يقال: لم يأتني من القوم أحد، وجاءني منهم واحد ولا يقال: جاءني منهم أحد» (٢).

✽ الآثار:

أن الله هو الواحد الأحد، والإله الحق الذي لا شريك له ولا نظير، ولا مثيل له ولا نديد، لا في ذاته وأفعاله، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، فمن آثار هذا الإيمان أن لا يشبه الله بشيء من مخلوقاته، مع إثبات ما أثبتته لنفسه، أو أثبتته له رسوله من صفات الكمال، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله من النقائص والعيوب، وأن لا يصرف نوع من أنواع العبادة لغيره كائناً من كان، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

(٣) انظر: النهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لمحمد بن حمود النجدي (٨٩/٢) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت]، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٧٤ - ٧٥) [شركة مكتبة الإمام الذهبي، ط٤، ١٤٣١هـ].

(٤) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي (١٣٣) [مكتبة الجفان والجاني، ط١، ١٤٠٧هـ]، وانظر: الإرشاد للجويني (٥٢) [مكتبة الخانجي، ١٣٦٩هـ].

(١) شأن الدعاء للخطابي (٨٣/١) [دار الثقافة العربية، ط٣، ١٤١٢هـ].

(٢) الحجة في بيان المحجة (١٧٥/١) [دار الراية، ط٢، ١٤١٩هـ].

واصطلاح أحدثه قوم آخرون بعد انقراض عصره، وعصر الذين خاطبهم بلغته وعادته... بل لفظ التوحيد والأحد والواحد الموجود في كلام الله ورسوله يدل على نقيض قولهم وأنه موصوف بالصفات الثبوتية، كما تقدم التنبيه عليه من أنه لا يعرف مسمى الواحد في لغة العرب إلا ما كان كذلك، ومن أن الله وصف هذا الواحد بالصفات الثبوتية وسماه بالأسماء المتضمنة للمعاني الثبوتية في غير موضع، فلو قدر أن لفظ الواحد فيه اشتراك وإجمال لكان ما بيّنه القرآن من اتصافه بالصفات الثبوتية رافعاً للإجمال والاشتراك موافقاً لقول أهل الإثبات دون النفاة.

وهذه الأدلة كلما تدبرها العاقل تبين له قطعاً أن هؤلاء النفاة مناقضون للرسول، هم في جانب والرسول في جانب؛ كمناقضة القرامطة الباطنية وأمثالهم، وأن استدلال هؤلاء بنصوص الأنبياء على نفيهم، من جنس استدلال القرامطة على شريعتهم الإلحادية بنصوص الأنبياء^(٢).

وقال الشيخ ابن سحمان رحمته الله: «إن قول أهل البدع في الواحد أنه الذي لا ينقسم ولا يتجزأ قول مبتدع لم يقل به أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هو من

مسمى القديم واحد ثم قالوا: لو أثبتنا له الصفات لكان القديم أكثر من واحد. وقالت جهمية الفلاسفة: الواجب واحد، وهو مجمل يراد به الإله الواجب بذاته، وهذا حق ويراد به مسمى الواجب. ثم قالوا: لو أثبتنا له الصفات لتعدد الواجب^(١).

❁ الرد عليهم:

لا شك أن جعل مفهوم الواحد والأحد تجرد الذات الإلهية عن صفات الكمال ونعوت الجلال من أبطل الباطل؛ لمناقضته الكتاب والسنة واللغة التي نزل بها الشرع، بل هو في حقيقته نفي لوجود خالق الموجودات سبحانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ومعلوم أن التوحيد الذي في القرآن هو الأول لا هذا، وكذلك التوحيد الذي جاءت به السنة واتفق عليه الأئمة، فتبين أن لفظ التوحيد والواحد والأحد في وضعهم واصطلاحهم غير التوحيد والواحد والأحد في القرآن والسنة والإجماع وفي اللغة التي جاء بها القرآن، وحينئذ فلا يمكنهم الاستدلال بما جاء في كلام الله ورسوله وفي لفظ التوحيد على ما يدعونه هم؛ لأن دلالة الخطاب إنما تكون بلغة المتكلم وعادته المعروفة في خطابه لا بلغة وعادة

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٢٢ - ١٢٣).

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٢٢).

كلام من ينتسب إلى أهل السُّنة والجماعة من المتكلمين وغيرهم^(١).
١٠ - «المنهاج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج ١)، لزين محمد شحاتة.

❁ المصادر والمراجع:

١ - «أسماء الله الحسنى؛ جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسُّنة»، لماهر مقدم.

٢ - «أسماء الله الحسنى»، لعبد الله بن صالح الغصن.

٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٤ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للأصبهاني.

٥ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

٦ - «فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن»، للسعدي.

٧ - «قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني»، للشيخ عبد المحسن العباد.

٨ - كتاب «التوحيد» (ج ٢)، لابن منده.

٩ - «معتقد أهل السُّنة والجماعة في توحيد الأسماء الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

١١ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج ٢)، لمحمد بن حمود النجدي.

❁ الإحسان ❁

❁ التعريف لغة:

الإحسان مصدر للفعل: أَحَسَنَ، وهو مشتق من الحُسْن، والحُسْن ضدُّ القبح، والإحسان هو الإفضال، والإتيان بما هو حسن، وهو ضد الإساءة.

والإحسان يتعدى إلى، وباللام، تقول: أَحَسَنْتَ إِلَى فلان، وَأَحَسَنْتَ لفلان، إذا أَوْصَلْتَ إِلَيْهِ النِّفْعَ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ، كما يتعدى الإحسان بالباء، ومنه قوله تعالى في قصة يوسف **﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾** [يوسف]؛ أي: أَحَسَنَ إِلَيَّ.

والإحسان قد يكون إلى الغير، وإلى النفس؛ فعلى الأول تكون الهمزة في (أحسن) للتعدي، وعلى الثاني تكون الهمزة للصيرورة، يقال: أَحَسَنَ الرَّجُلُ؛ إذا صار حسناً أو دخل في شيء حسن^(٢).

(١) تنبيه ذوي الأبواب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة لسليمان بن سحمان (٣٠) [دار العاصمة].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٥٧/٢) و(٥٠٨/٤) [دار الجيل، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، والصحاح (٥/٢٠٩٩) =

التعريف شرعاً:

الحكم:

لقد جاء الأمر بالإحسان في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وسيأتي ذكر الأدلة على ذلك.

والإحسان في حكمه على درجات ومراتب:

أ - فمن الإحسان ما لا يصح الإيمان إلا به؛ كالإيمان بالله ورسوله ﷺ.

ب - ومن الإحسان ما يكون واجباً، يأثم تاركه ولا يكفر، ويندرج فيه:

- الإحسان بأداء العبادات الواجبة - سوى ما تقدم - كإحسان الظن بالله، وبر الوالدين، والإحسان في الذبح فيما جاز ذبحه، وإحسان الوضوء والصلاة، وعامة الطاعات الواجبة داخلة في ذلك.

- ومن الإحسان الواجب: أن يأتي بهذه الواجبات على وجه الكمال الواجب.

- ومن الإحسان الواجب: الإحسان في ترك المحرمات، بالانتهاء عنها، وترك ظاهرها وباطنها، كما قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْآثِمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، فهذا القدر من الإحسان فيها واجب.

- ومن الإحسان الواجب في معاملة الخلق ومعاشرتهم: القيام بما أوجب الله من حقوق ذلك كله.

ج - ومن الإحسان ما يكون من

الإحسان جاء تعريفه في حديث جبريل عليه السلام، وهو: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١).

والإحسان ضد الإساءة، وهو فعل الحسن، سواء كان لازماً لصاحبه، أو متعدياً إلى الغير^(٢).

والإحسان هو فعل المعروف، والإتقان فيه، وصنع الجميل للنفس أو للغير^(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي بيّنة، وذلك أن المعاني الشرعية للإحسان - من الإحسان في عبادة الله، والإحسان للنفس وللغير - هي الإتيان بما هو حسن في حق من يتوجه له الإحسان، وهي بخلاف معنى القبح، كما إن الإحسان إلى الغير هو إفضال يوجهه المرء لغيره.

= [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ولسان العرب (١١٤/١٣) [دار صادر، ط ١]، وتاج العروس (١٨/١٤٢) [دار الهداية]، والكلييات (٥٣) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم أيضاً (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى (٣٠٠/٣٦٤) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢].

(٣) انظر: المفردات (١١٨ - ١١٩) [دار المعرفة]، والكليات (٥٣)، والإحسان في ضوء الكتاب والسنة (٢٠/١).

المستحبات، التي يثاب فاعلها امتثالاً، ولا يستحق العقاب تاركها؛ كصدقة التطوع، ونحوها.

ومن الإحسان المستحب: الإتيان بالواجبات على وجه الكمال المستحب^(١).

«والإحسان المأمور به ما يمكن اجتماعه مع العدل، فأما ما يرفع العدل فذاك ظلم، وإن كان فيه نفع لشخص، مثل نفع أحد الشريكين إعطاءً أكثر من حقه، ونفع أحد الخصمين بالمحاباة له، فإن هذا ظلم، وإن كان فيه نفع قد يُسمى إحساناً»^(٢).

❁ الحقيقة:

لقد بين النبي ﷺ حقيقة الإحسان حين سأله جبريل عليه السلام عنه، فقال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٣).

فقوله ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه»: «يشير إلى أن العبد يعبد الله تعالى على هذه الصفة، وهو استحضار قرب، وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية

والخوف والهيبة والتعظيم... ويوجب أيضاً النصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها»^(٤).

فالإحسان في حق الله، هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، حتى يغلب عليه مشاهدة الله بقلبه كأنه يراه بعينه، وهذا يقتضي تمام الإتيان والإخلاص والمتابعة والخشية والتعظيم، مع النصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها»^(٥).

فالإحسان في عبادة الله يتضمن أمرين: «أحدهما: مقام الإخلاص، وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه، وإطلاعه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى؛ لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل.

والثاني: مقام المشاهدة، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه، وهو أن يتنور القلب

(٤) جامع العلوم والحكم (١/٣٥).

(٥) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٤/٤٩)، والاستقامة لابن تيمية (٢/٣٠٨) [طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٣هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٦٢٢)، وجامع العلوم والحكم (١/٣٥ - ٣٦)، وفتح الباري لابن حجر (١/١٢١)، والإحسان في ضوء الكتاب والسنة (١/١٢٦).

(١) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (٦/٢١) [مطبعة المدني]، وجامع المسائل له (٦/٣٥ - ٣٨) [دار عالم الفوائد، ط ١]، وجامع العلوم والحكم (١/١٥١ - ١٥٢)، والإحسان في ضوء الكتاب والسنة (١/١١٠).

(٢) جامع المسائل لابن تيمية (٦/٣٨).

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

بالإيمان، وتنفذ البصيرة في العرفان،
حتى يصير الغيب كالعيان.

المنزلة:

مرتبة الإحسان هي أسمى مراتب الدين وأكملها، فهو غاية مراد العابدين، ومنتهى آمال المتقين، وأهله أشرف خلق الله أجمعين.

فهو أعلى مراتب الدين الثلاث، والتي جاء ذكرها في حديث جبريل عليه السلام، وهي: الإسلام، وأعلى منه: الإيمان، وأعلى منه: الإحسان.

والمرتبتان اللتان قبله داخلتان فيه، فكل محسن فإنه مسلم مؤمن، وليس كل مسلم محسنًا، ولا كل مؤمن محسنًا، فالإحسان أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه ^(٤).

يقول العلامة ابن القيم مبيّنًا أهمية منزلة الإحسان من بين منازل السائرين إلى الله: «ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين: منزلة الإحسان. وهي لبُ الإيمان وروحه وكماله، وهذه المنزلة تجمع جميع المنازل، فجميعها منظوية فيها، وكل ما قيل من أول الكتاب إلى ههنا فهو من الإحسان» ^(٥).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم (١/١٥٢).

(٤) انظر: الإيمان الكبير لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى (٧/١٠ - ١١٧).

(٥) مدارج السالكين (٢/٤٥٩) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ]، وقد ذكر ابن القيم قبل منزلة الإحسان اثنتين وخمسين منزلة.

وهذا هو حقيقة مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام، ويتفاوت أهل هذه المقامات فيه بحسب قوة نفوذ البصائر ^(١).

ومن الإحسان المشروع الإحسان إلى الخلق، كبر الوالدين، وصلة الرحم، وإكرام الضيف، والإحسان إلى الجار.

وأعلى منازل الإحسان إلى الخلق «هو أن يقابل إساءة المسيء إليه بالإحسان، فيحسن إليه كلما أساء هو إليه، ويهون هذا عليه: علمه بأنه قد ربح عليه، وأنه قد أهدى إليه حسناته ومحاسنها من صحيفته، وأثبتها في صحيفة من أساء إليه، فينبغي لك أن تشكره وتحسن إليه بما لا نسبة له إلى ما أحسن به إليك» ^(٢).

ومن الإحسان في ولاية الخلق وسياستهم: القيام بواجبات الولاية كلها، والقدر الزائد على الواجب في ذلك كله إحسان ليس بواجب.

ومن ذلك: الإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب، بإزهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها وأرجاها، من غير زيادة في التعذيب، فإنه إيلا م لا

(١) جامع العلوم والحكم (١/٣٥)، وانظر: معارج القبول (٣/٩٩٩).

(٢) مدارج السالكين (٢/٣٢٠).

«ومشهد الإحسان أصل أعمال القلوب كُلُّهَا، فإنه يوجب الحياء والإجلال والتعظيم والخشية والمحبة والإنابة والتوكل والخضوع لله سبحانه والذل له»^(١).

ولما كان الإحسان أعلى مراتب الدين، وصف الله به صفوة خلقه، وأفضل رسله، فقال عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الصفات]. وقال عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [الصفات]. وقال عن موسى وهارون عليهما السلام: ﴿سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾ [الصفات]. وقال عن خاتم رسله محمد عليه السلام: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ لَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الزمر]، ويدخل في هذه الآية كل من دعا إلى توحيد الله، وتصديق رسله، والعمل بما ابتعث به رسوله من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنين به^(٢).

كما أن الإحسان إلى الخلق وبذل

(١) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (٤٤) [دار عالم الفوائد، ط ١].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٨٩/٢١ - ٢٩١) [مؤسسة الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، ط ١، ١٤٢٠هـ].

المعروف لهم صفة من صفات الأنبياء، كما قال صاحب السجدة لنبي الله يوسف عليه السلام: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف].

وقد غفر الله للمرأة البغي التي أسقت كلباً في يوم حارٍّ وهو يطوف بالبرّ^(٣)، فالإحسان إلى الناس أعظم منزلة، وأعلى قدرًا.

❁ الأهمية:

أهمية منزلة الإحسان تتبين من خلال الأمور التالية:

١ - أنه أعلى مراتب الدين الثلاث، كما تقدم، وأصحابه أحسن الناس ديانة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥].

٢ - محبة الله للمحسنين، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة].

٣ - الإحسان صفة من صفات الأنبياء عليهم السلام وقد تقدمت أدلة ذلك.

٤ - أن الكافر في الآخرة يتمنى أن يكون في الدنيا ليكون من أهل الإحسان، قال تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٦٧)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٤٥).

شفرته فليرح ذبيحته» (٣).

✽ أقوال أهل العلم:

عن عبيد الله بن عدي بن خيار: أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور فقال: «إنك إمام عامّة، ونزل بك ما نرى، ويصلي لنا إمام فتنة ونتحرج. فقال عثمان: «الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم» (٤).

وقال سفيان الثوري رحمته الله: «الإحسان أن تحسن إلى المسيء، فإن الإحسان إلى المحسن تجارة» (٥).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «والعمل الصالح هو الإحسان، وهو فعل الحسنات، وهو ما أمر الله به، والذي أمر الله به هو الذي شرعه الله، وهو الموافق لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد أخبر الله تعالى أنه من أخلص قصده لله وكان محسنًا في عمله فإنه مستحق للثواب، سالم من العقاب» (٦).

✽ الأركان:

مرتبة الإحسان ركن واحد، وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، رقم ١٩٥٥).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦٩٥ معلقًا).

(٥) تفسير البغوي (١/ ٢٧٥) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ].

(٦) الاستقامة (٢/ ٣٠٨).

﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزمر].

٥ - عظم عناية القرآن والسنة بالإحسان، فقد تكررت لفظة الإحسان وما يتصرف بها في مواضع كثيرة جدًا يصعب حصرها (١).

✽ الأدلة:

١ - قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة].

٢ - وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠].

٣ - وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [النمل: ٣٤].

٤ - وعن عمر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (٢).

٥ - وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبيح، وليحد أحدكم

(١) انظر: الإحسان في ضوء الكتاب والسنة (١/ ١٠٣ - ١٠٧).

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

فهو يراك^(١).

الشروط:

لمرتبة الإحسان شروط ثلاثة؛ هي:

الأول: الإخلاص لله في العمل.

الثاني: المتابعة للنبي ﷺ.

الثالث: المشاهدة، وهو أن تعبد الله

كأنك تراه^(٢).

الأقسام:

الإحسان على أقسام ثلاثة:

الأول: الإحسان في عبادة الله تعالى،

وهو ما تقدم بيانه في حديث جبريل عليه السلام:

«أن تعبد الله كأنك تراه...». وهو عام

لجميع ما يقوم به الإنسان من عبادات

ظاهرة وباطنة.

الثاني: إحسان الإنسان مع نفسه،

وذلك بتطهيرها وتزكيتها من أمراض

الظاهر والباطن، وتحليتها بالعبادات

القلبية واللسانية والعملية. والإحسان إلى

النفس يتضمن إخلاص العبادة وكمال

الطاعة، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ

لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]

الثالث: الإحسان مع الخلق، ويكون

بفعل ما أوجب لهم من الإحسان، وترك

ما لا يجوز من الإساءة. والإحسان إلى

الخلق مراتب وأنواع، ومنها:

- الإحسان إلى الوالدين، وهو أعلاها

قدرًا وأوجبها، ولذا قرن الله حق

الوالدين بحقه فقال أمرًا بالإحسان

إليهما: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

- الإحسان للأقارب والفقراء

والجيران، وقول الحسنی للناس جميعًا،

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي

إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا

لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

- الإحسان في حق الحيوان.

- الإحسان في كل شيء، كما جاء في

قول النبي ﷺ: «إن الله كتب الإحسان

على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة،

وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة»^(٣).

وهذه الأقسام الثلاثة للإحسان (في

حق الله، وفي حق النفس، وفي حق

الخلق) غير متميزة، بل متداخلة أو

متلازمة، فمن أحسن في عبادته لله فهو

محسن لنفسه، ومن أحسن إلى الناس

فهو محسن لنفسه أيضًا^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الإحسان يزيد

وينقص:

لما كانت منزلة الإحسان متضمنة

(١) انظر: ثلاثة الأصول لمحمد بن عبد الوهاب، ضمن

مجموع مؤلفاته (١/ ١٩١) [طبعة جامعة الإمام].

(٢) انظر: الإحسان في ضوء الكتاب والسنة (١/ ١٣٤).

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٠/ ٣٦٥).

وقد وردت كلمة الحسنى في كتاب الله ﷻ في عدة مواضع، وتعدد المراد بها بحسب مواضعها. فمن معاني الحسنى في كتاب الله ﷻ:

١ - الحسنى بمعنى العليا^(٥)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وذلك أن «أسماءه ﷻ» كلها أسماء مدح وثناء وتمجيد، ولذلك كانت حسنى^(٦).

٢ - الحسنى بمعنى الجنة، وذلك في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فالحسنى هنا بمعنى الجنة، والزيادة هي رؤية المؤمنين وجهه الله تعالى في الجنة، وهذا ما عليه جماهير المفسرين^(٧). وكذا في قوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الرعد: ١٨]^(٨).

- المسألة الثالثة: معنى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷻ: «وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٥٦] له دلالة بمنطوقه ودلالة بإيمائه وتعليقه بمفهومه؛ فدلالته

للإيمان والإسلام، ولَمَّا كان الإيمان يزيد وينقص كما دلَّت على ذلك النصوص، والإسلام كذلك، ويتفاضل أهلها فيهما تفاضلاً كبيراً، علم بالضرورة أن الإحسان كذلك يتفاضل ويزيد وينقص.

قال ابن رجب ﷻ - بعدما ذكر مقامى الإحسان، وهما الإخلاص والمشاهدة -: «ويتفاوت أهل هذه المقامات فيه بحسب قوة نفوذ البصائر»^(٩).

- المسألة الثانية: المراد بالحسنى:

الحسنى في اللغة: تأنيث الأحسن يقال: الاسم الأحسن، والأسماء الحسنى^(١٠)، وليست جمعاً لـ (الحسن)، فهي اسم تفضيل معرّف باللام، وذلك يدل على ما بلغ في الحسن غايته وكماله ومنتهاه، فكان حسناً تام الحسن^(١١). قال شيخ الإسلام: «الحسنى: هي المفضلة على الحسنة، والواحد: الأحاسن»^(١٢).

(١) جامع العلوم والحكم (١/٣٥).

(٢) تهذيب اللغة. [دار إحياء التراث العربي ط ١].

(٣) انظر: العواصم والقواصم لابن الوزير (٧/٢٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤١٥هـ]، والقواعد المثلى لابن عثيمين ضمن مجموع فتاواه (٣/٢٦٩) [دار الوطن، ط ١، ١٤٠٧هـ]، وفقه الأسماء الحسنى لعبد الرزاق البدر (٢٩) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ]، ومعتقد أهل السنة في أسماء الله الحسنى لمحمد خليفة التميمي (٣٩٦) [دار إيلاف، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٦/١٤١).

(٥) انظر: تفسير البحر المحيط (٤/٤٢٩) [دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٣هـ].

(٦) مدارج السالكين (١/١٢٥).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٥/٦٢)، وتفسير ابن كثير (٤/٢٦٣).

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٦/٤١٦)، وتفسير البغوي (٤/٣٠٩).

الاستيفاء عدل، والعفو إحسان، والإحسان هنا أفضل. ويدخل في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٩٩) [الأعراف]. ومن هذا القسم:

لكن هذا الإحسان لا يكون إحساناً إلا بعد العدل، وهو أن لا يحصل بالعفو ضرر، فإذا حصل منه ضرر، كان ظلماً من العافي، إما لنفسه، وإما لغيره، فلا يشرع.

فالعدل واجب في جميع الأمور، والإحسان قد يكون واجباً، وقد يكون مستحباً.

ومن العدل الواجب: أن الظالم لا يجوز أن يظلم، بل لا يعتدى عليه إلا بقدر ظلمه، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة]، وقال: ﴿فَمَنْ آعَدَكُمُ عَلَى كُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ يُمْثِلْ مَا آعَدَكُمُ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٩٠].

وقول النبي ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة» (٢). فتبين أن الإحسان واجب حتى في القتل المستحق بإحسان

بمنطوقه على قرب الرحمة من أهل الإحسان، ودلالته بإيمائه وتعليله على أن هذا القرب مستحق بالإحسان، وهو السبب في قرب الرحمة منهم، ودلالته بمفهومه على بعده من غير المحسنين. فهذه ثلاث دلالات لهذه الجملة. وإنما اختص أهل الإحسان بقرب الرحمة لأنها إحسان من الله ﷻ أرحم الراحمين، وإحسانه تبارك وتعالى إنما يكون لأهل الإحسان؛ لأن الجزاء من جنس العمل، وكلما أحسنوا بأعمالهم أحسن إليهم برحمته، وأما من لم يكن من أهل الإحسان فإنه لما بعد عن الإحسان بعدت عنه الرحمة، بعد ببعد وقرب بقرب، فمن تقرب إليه بالإحسان تقرب الله إليه برحمته، ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته» (١).

- المسألة الرابعة: ما الأفضل؛ العدل بين الناس، أم الإحسان إليهم؟ لا تخلو المسألة من حالتين:

الأولى: في حكم الحاكم بين الناس غيره، والقسم بينهم. فالعدل بين الناس هو المتعين، وهو الأفضل، فلا يحسن لأحدهم دون أحد، بل العدل بينهم هو تحقيق للإحسان إليهم جميعاً.

الثانية: فيما بين الإنسان وبين خصمه، في الدم والمال والعرض. فإن

القتلة والذبيحة^(١).

الجزاء لأصحابه، فما جاء في ذلك^(٤):

❁ الفرق:

الفرق بين الإحسان والإنعام:

الفرق بين الإحسان والإنعام: أن الإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره، تقول: أحسنت إلى نفسي، والإنعام لا يكون إلا لغيره، فالإحسان أعم من الإنعام^(٢).

الفرق بين العدل والإحسان:

العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له. والإحسان هو أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له. فالعدل إنصاف، والإحسان تفضل، فالإحسان زائد على العدل.

وتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع^(٣).

❁ الثمرات:

لَمَّا كانت منزلة الإحسان أعلى منازل الدين، وَلَمَّا كانت المنازل التي قبلها (الإسلام والإيمان) داخلة فيها، كانت كل ثمرة ترتب على أمر من أمور الدين وشرائعه مندرجة تحت ثمرات الإحسان، ولهذا جاءت النصوص ببيان عظم أجر الإحسان، وتعليق أعظم الأجور وأوفر

١ - ثبوت محبة الله لأهله، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة).

٢ - ثبوت معية الله للمحسنين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾ (النحل).

٣ - قرب رحمة الله من المحسنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف).

٤ - مضاعفة الأجر للمحسنين. فعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله»^(٥).

٥ - الفوز بالجنة والخلود فيها، قال تعالى: ﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة).

٦ - النظر إلى وجه الله في الجنة، وذلك أعلى النعيم فيها، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. وقد ثبت في «صحيح مسلم» عن

(٤) انظر: نضرة النعيم في محاسن أخلاق الرسول الكريم (٩٠/٢)، الإحسان في ضوء الكتاب والسنة (١١٤/١) و(٨٣٧/٢ - ٨٥٣).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٢٩).

(١) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٣٨/٦ - ٤٠).

(٢) انظر: المفردات للراغب (١١٩)، لسان العرب (١١٧/١٣).

(٣) انظر: المفردات للراغب (١١٩)، والكليات (٦٤٠).

النبي ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى في الجنة^(١)، وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان، ولأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله عياناً في الآخرة^(٢).

❏ أحسن الخالقين ❏

يراجع مصطلح (الخلق).

❏ أحكم الحاكمين ❏

يراجع مصطلح (الحكم).

❏ الأحلام ❏

يراجع مصطلح (الرؤى).

❏ الأحوال ❏

❏ التعريف لغة:

الأحوال جمعُ حال، قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «حول: الحاء والواو واللام أصلٌ واحد، وهو تحرُّكٌ في دَوْر...»^(٣). وهو في اللغة كَيْفَةُ الإنسان وما هو عليه^(٤)، وما كان عليه الإنسان أو الحيوان أو الشيء من هيئة وصفات. ولفظُ الحال يُذَكِّرُ ويؤنِّثُ^(٥)، وكلاهما

❏ المصادر والمراجع:

١ - «الإحسان في ضوء الكتاب والسُّنة»، لأحمد الغامدي، [رسالة دكتوراه].

٢ - «الاستقامة»، لابن تيمية.

٣ - «الإيمان الكبير»، ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية.

٤ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

٥ - «جامع المسائل»، لابن تيمية.

٦ - «رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه».

٧ - «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيم.

٨ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٩ - «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، لابن القيم.

(٣) مقاييس اللغة (٢/١٢١) [دار الجيل، ١٩٩٩م].

(٤) القاموس المحيط (١٢) [دار الرسالة، ط ٢، ١٩٨٧م].

(٥) الرائد (٣٣١) [دار العلم للملايين، ط ٣، ٢٠٠٥م].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٩٨).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٣٥)، وانظر: معارج القبول (٣/١٠١).

الكمال لله ﷻ، وإثبات صفة لا موجودة ولا معدومة أمر لا يقبله العقل، فضلاً عن تفسيرها، ولذلك قال بعض السلف: عجائب الكلام التي لا حقيقة لها ثلاثة: طفرة النظام، وأحوال أبي هاشم، وكسب الأشعري، وأنشد في ذلك:

مما يقال ولا حقيقة تحته
معقولة تدنو إلى الأفهام
الكسب عند الأشعري، والحال عند
مد البهشمي وطفرة النظام^(٤).

الحقيقة:

الأحوال التي اخترعها أبو هاشم الجبائي وتبعه من تبعه من المتكلمين لا حقيقة لها إن لم تكن هي الصفات، ولذلك جزم من جزم من السلف أن الحال مما يقال ويذكر ولا حقيقة تحته، أما ما سبق من محاولات تعريفه، وأنه واسطة بين الموجود والمعدوم؛ فإنه أمر لا وجود له.

الأهمية:

أهمية نظرية الأحوال عند من قال بها من المعتزلة مرتبطة بأهمية الموضوع، فيما أنهم بحاجة إلى تسويغ نفهم للصفات التي يثبتها الله سبحانه لنفسه، ويثبتها له نبيه محمد ﷺ؛ فلا بد من تسويغ لهذا النفي، وإلا؛ فكيف يمكن

- الحال والحالة - بمعنى واحد، إلا أن الأول: يُنبئ عن الإبهام، فيناسب الإجمال، والثاني: يدلُّ على الأفراد، فيناسب التفصيل^(١).

التعريف اصطلاحاً:

عرّفه الإيجي بأنه: «الواسطة بين الموجود والمعدوم»^(٢).

وقال الكفوي: «وأثبت بعض المتكلمين واسطة بين الموجود والمعدوم، وسماها الحال، وعرف بأنها صفة لا موجودة ولا معدومة، لكنها قائمة بموجود؛ كالعالمية، وهي النسبة بين العالم والمعلوم»^(٣).

وسياّتي شرح التعريف بعد استعراض نشأة نظرية الحال.

الأسماء الأخرى:

يدل على الحال أسماء أخرى؛ منها: الكيفية، والمقام، والهيئة، والصفة، والصورة.

الحكم:

نظرية الأحوال نظرية باطلة لا تعني سوى المماحكة اللفظية، والتستر وراء الألفاظ في محاولة دفع مدلولات النصوص التي تثبت صفات

(١) انظر: الكليات للكفوي (٣٧٤) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٣م]، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا (٤٣٧/١ - ٤٣٨) [الشركة العالمية للكتاب، ١٤١٤هـ].

(٢) المواقف للإيجي (٥٧) [عالم الكتب، بيروت].

(٣) الكليات للكفوي (٣٧٤).

(٤) انظر: منهاج السنّة النبوية (٤٥٩/١) [جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦هـ].

الجمع بين وصف الله سبحانه نفسه بالصفات، وبين كون إثباتها له منافياً للتوحيد على زعم المعتزلة؟

وهي نظرية من أشهر النظريات التي اخترعها أبو هاشم الجبائي لبيان استحقاق الله ﷻ للصفات، إلا أنه لا يسميها صفات؛ بناء على زعم المعتزلة أن إثبات الصفات يلزم منه تعدد القدماء.

ونظرية الأحوال شاهدة على تخبط المعتزلة في هذه المسألة المهمة من أصول الدين؛ إذ حاول أبو هاشم التخلص من استعمال لفظة (الصفات)، وسماها أحوالاً، وهي: إما هي الصفات، وإما لا حقيقة لها، والاحتمال الأخير هو المقرر بالنظر إلى إصرار أبي هاشم على أن أحواله لا هي موجودة ولا هي معدومة، وأنها ليست صفات.

❁ أقوال أهل العلم:

أقوال أهل العلم في بيان بطلان نظرية الأحوال كثيرة؛ منها:

١ - قول شيخ الإسلام ابن تيمية فيمن يقول (عالم بالذات): «فإن كان يظن أن الذات التي لا تكون إلا عالمة قادرة يمكن وجودها مجردة عن العلم والقدرة، كما يقوله النفاة؛ فهو كلام ضال متناقض؛ فإن إثبات عالم بلا علم، وقادر بلا قدرة، وحي بلا حياة، وسميع

بلا سمع، وبصير بلا بصر؛ مما يعلم فسادَه بالضرورة عقلاً وسمعاً، وهذا بمنزلة: متكلم بلا كلام، ومريد بلا إرادة، ومتحرك بلا حركة، ومحِب بلا محبة، ومصل بلا صلاة، وصائم بلا صيام، وحاج بلا حج، وأبيض بلا بياض، وأسود بلا سواد، وحلو بلا حلاوة، ومر بلا مرارة، وطويل بلا طول، وقصير بلا قصر؛ ونحو ذلك من الألفاظ المشتقة: كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المعدول عنها. فإن لم يكن هذا باطلاً في بدائة العقول عقلاً وسمعاً لم يكن لنا طريق إلى معرفة الحق من الباطل، ولهذا كان هؤلاء النفاة يعودون في آخر الأمر إلى السفسطة في العقلية، والقرمطة في السمعية»^(١).

وبيّن شيخ الإسلام أيضاً أن مثبتي الأحوال من نفاة الصفات «يعترفون بما يستلزم إثباتها؛ فإنهم يثبتون كونه حياً عالماً قادراً، وهذا بعينه يستلزم إثبات الصفات»^(٢).

٢ - وقال الإيجي عن الحال: «وبطلانه ضروري؛ لما عرفت أن الموجود ما له تحقق، والمعدوم ما ليس

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣٣/٥ - ٣٤) [جامعة الإمام، الرياض، ط١، ١٤٠١هـ].

(٢) شرح الأصبهانية لشيخ الإسلام (٩١) [دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ].

أي: الثابتة الدائمة، والصفة أعم منها؛ لأنها تطلق على ما هو في حكم الحركات؛ كالصوم، والصلاة. والحال أعم من الصورة؛ لصدق الحال على العرض أيضًا^(٤).

المصادر والمراجع:

١ - «تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل»، للباقلائي.

٢ - «الشامل في أصول الدين»، للجويني.

٣ - «نهاية الأقدام»، للشهرستاني.

٤ - «محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين»، للرازي.

٥ - «أبكار الأفكار» (ج ٣)، للآمدي.

٦ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٥)، لابن تيمية.

٧ - «مصطلحات في كتب العقائد»، لمحمد بن إبراهيم الحمد.

٨ - «المعتزلة وأصولهم الخمسة»، لعواد المعتقد.

٩ - «المعتزلة»، لزهدي حسن جار الله.

١٠ - «في علم الكلام: المعتزلة والأشاعرة»، لأحمد محمود صبحي.

(٤) انظر: الكليات (٣٧٤)، والمعجم الفلسفي (١/ ٤٣٨).

كذلك، ولا واسطة بين النفي والإثبات ضرورة واتفاقًا^(١).

٣ - وقال البيجوري: «والمختار عند المحققين: أنه لا حال، وأن الحال محال...»^(٢).

وقد رد على القائلين بهذه النظرية كثيرون^(٣).

الفروق:

هناك فروق بين الحال وبين المصطلحات المقاربة لها، وهي: الكيفية، والمقام، والهيئة، والصفة، والصورة.

أما الفرق بين الحال والمقام: فالحال كيفية سريعة الزوال، مثل الحرارة، والبرودة، واليبوسة، والرطوبة العارضة، وهذه الكيفية إذا دامت وصارت ملكة سميت مقامًا.

والفرق بين الحال والملكة: إذا أطلق لفظ الحال على الهيئة النفسانية، تسمى الهيئة النفسانية أول حدوثها قبل أن ترتسخ حالًا، وبعد أن ترتسخ ملكة. والحالة: عبارة عن المعاني الراسخة؛

(١) المواقف للإيجي (٥٧).

(٢) تحفة المريد للبيجوري (٧٧) [دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ].

(٣) انظر: الفصل، لابن حزم (٥١/٥ - ٥٣)، والفرق بين الفرق، للبيغدادي (١٩٥ - ١٩٦) [المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١هـ]. والمعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتقد (٩٨ - ١٠١) [مكتبة الرشد، الرياض، ط ٢، ١٤١٦هـ].

تنتهي إليه أمور الخلاق كلها. قال ابن القيم رحمته الله: «الآخر الذي انتهت إليه عبوديتها وإرادتها ومحبتها، فليس وراء الله شيء يُقصد ويُعبد ويُتأله، كما أنه ليس قبله شيء يخلق ويبرأ»^(٧). والصفة من اسم الآخر: هي البقاء والآخرية فهي صفة ذاتية^(٨).

سبب التسمية:

إن الله تعالى هو الآخر الذي لا يزال آخرًا ودائمًا وباقيًا، وهو الذي انتهت إليه عبودية الخلق وإرادتهم ومحبتهم، فليس وراء الله شيء يُقصد ويُعبد ويُتأله.

الحكم:

الإيمان بأن الآخر اسم من أسماء الله تعالى وأنه موصوف بالآخرية رحمته الله، كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة.

الحقيقة:

أما على المعنى الأول؛ فالله تعالى ليس بعده شيء، ولا نهاية له، الباقي بعد فناء خلقه. واسم الآخر بهذا المعنى صفة ذاتية^(٩)، فهو سبحانه المتفرد بالبقاء بعد هلاك ما كتب عليه الفناء من الخلاق، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^(١٠) وَيَبْقَى

(٧) طريق الهجرتين (٤١) [دار ابن القيم، ط٢، ١٤١٤هـ]، وانظر: المصدر نفسه (٤٩).

(٨) انظر: صفات الله رحمته الله الواردة في الكتاب والسنة ٣٨٨ [دار الهجرة، ط٣، ١٤٢٦هـ].

(٩) انظر: الاعتقاد للبيهقي (٣٧) [عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥هـ].

الآخر (من أسماء الله تعالى)

التعريف لغة:

الآخر: نقيض المتقدم^(١)، وقيل: خلاف الأول^(٢)، تقول: جاء آخرًا؛ أي: أخيرًا، وتقديره: فاعل، والأثنى: آخره، والجمع أواخر^(٣)، «والآخر بالفتح: أحد الشيئين، وهو اسم على أفعل، والأثنى: أخرى»^(٤).

التعريف شرعًا:

صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «أنت الآخر فليس بعدك شيء»^(٥).

وللآخر معنيان في الشرع:

١ - المعنى الأول: الذي ليس بعده شيء، ولا نهاية له، الباقي بعد فناء خلقه. قال ابن منده رحمته الله: «معنى الآخر هو الآخر الذي لا يزال آخرًا دائمًا باقيًا، الوارث لكل شيء، بديموميته وبقائه»^(٦).

٢ - المعنى الثاني: هو الغاية الذي

(١) تهذيب اللغة (٢٢٧/٧) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ولسان العرب (١١/٤) [دار صادر، ط١].

(٢) لسان العرب (١١/٤)، والقاموس المحيط (٤٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(٣) المصباح المنير (١٠/١) [المكتبة العصرية]، ومختار الصحاح (١٥) [المكتبة العصرية، ط١، ١٤١٦هـ].

(٤) الصحاح (٥٧٦/٢) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٣).

(٦) التوحيد لابن منده (٨٢/٢) [مطابع الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٠٩هـ].

الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر»^(٢).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن منده: «معنى الآخر: هو الآخر الذي لا يزال آخرًا دائمًا باقياً، الوارث لكل شيء، بديموميته وبقائه»^(٣). وقال الزجاج: «هو المتأخر عن الأشياء كلها ويبقى بعدها»^(٤).

وقال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى الآخر... هو الباقي بعد فناء خلقه كله، ناطقه وصامته»^(٥).

وقال ابن القيم: «الآخر الذي انتهت إليه عبوديتها وإرادتها ومحبتها، فليس وراء الله شيء يقصد ويعبد ويتأله، كما أنه ليس قبله شيء يخلق ويبرأ»^(٦).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اسم الأول مع اسم الآخر يدل على كمال حياته تعالى:

اسم الأول والآخر يدل على كمال

وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ [الرحمن]، ولهذا يرث خلقه بعد موتهم كما قال: ﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر].

وعلى المعنى الثاني، فإن الله وَجَّكَ هو الغاية الذي تنتهي إليه أمور الخلائق كلها. واسم الآخر بهذا المعنى يتعلق بالمخلوقين، فهو الذي تنتهي إليه أمور الخلائق كلها إيجاداً وإمداداً، وبقاء والتجاء، وقضاء وتقديراً، فبيده سبحانه تصريف المقادير، فهو نهاية مطلبهم وسؤالهم، والغاية، والصمد الذي تصمد إليه المخلوقات بتأهلها، ورغبتها، ورهبتها، وجميع مطالبها^(١).

✽ الأدلة:

ورد هذا الاسم في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد]، وأثبتته النبي ﷺ مفسراً في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ

(١) انظر: المقصد الأسنى (٢١٦) مكتبة الجفان والجابري، ط ١، ١٤٠٧هـ، وشرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة (٧٨) مؤسسة الجبريسي، ط ١١، ١٤٢٧هـ، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٠)، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة، [العدد ١١٢، ١٤٢١هـ]، وأسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة (٢٦٨) مكتبة سلسيل، ط ١.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء، رقم ٢٧١٣).

(٣) التوحيد لابن منده (٨٢/٢).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى (٦٠).

(٥) النهاية في غريب الحديث (٢٩/١) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (١١/٤)، وانظر مزيداً من الأقوال في: مدارج السالكين (١١٣/٣) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ]، وتفسير السعدي (٩٤٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٦) طريق الهجرتين (٤١) [دار ابن القيم، ط ٢، ١٤١٤هـ]، وانظر: المصدر نفسه (٤٩).

إلى أوليته، وكل آخر انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بعده، فالأول قدمه، والآخر دوامه وبقاؤه، والظاهر علوه وعظمته، والباطن قربه ودنوه... فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد، فهو الأول في آخريته، والآخر في أوليته، والظاهر في بطونه، والباطن في ظهوره، لم يزل أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا»^(٤).

- المسألة الثالثة: اسم الأول والآخر يقتضيان تجريد النظر لسبق فضل الله ورحمته، وعدم الوقوف مع الأسباب:

إن عبودية الله باسمه الأول تقتضي التجرد من مطالعة الأسباب، والوقوف أو الالتفات إليها، وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته، وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد؛ إذ لا وسيلة له في العدم قبل وجوده.

كما أن عبوديته سبحانه باسمه الآخر

حياته، فهو الأول الذي لم يسبق وجوده عدم، وهو الآخر الذي ليس لحياته زوال، فله وحده البقاء والدوام من أزل الأزل إلى أبد الأبد^(١).

قال ابن القيم رحمه الله: «التعلق بالآخر سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول، فالمتعلق به حقيق أن لا يزول ولا ينقطع، بخلاف التعلق بغيره مما له آخر يفنى به»^(٢).

وقال الحلبي رحمه الله: «إذا كان موجودًا لا عن أول ولا بسبب لم يجز عليه الانقضاء والعدم، فإن كل منقض بعد وجوده وإنما يكون انقضاؤه لانقطاع سبب وجوده، فلما لم يكن لوجود القديم سبب فيتوهم أن ذلك السبب إن ارتفع عدم علمنا أنه لا انقضاء له»^(٣).

- المسألة الثانية: الأسماء الأربعة (الأول والآخر والظاهر والباطن) تدل على الإحاطة، وهي إحاطتان: زمانية ومكانية:

قال ابن القيم رحمه الله: «مدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، وهي إحاطتان: زمانية ومكانية، فإحاطة أوليته وآخريته بالقبل والبعد، فكل سابق انتهى

(٤) طريق الهجرتين (٤٦ - ٤٧)، وانظر: الاستقامة لابن تيمية (١٤١/١) [جامعة الإمام، ١٤٠٣هـ]، وانظر: علة ورود هذه الأسماء معطوفة بعضها على بعض بحرف الواو في بدائع الفوائد (١/١٩٨، ١٩٩) [دار نزار الباز، ط ١].

(١) انظر: أسماء الله الحسنى لزين شحاته (٩٤) [دار خضر، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٢) طريق الهجرتين (٤٠).

(٣) الأسماء والصفات (١/٤٤) [مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ].

توجب للعبد صحة الاضطراب إلى الله وحده، ودوام الفقر إليه دون كل شيء سواه، وأن الأمر ابتدأ منه وإليه يرجع، فهو المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة، وإليه تنتهي الأسباب والوسائل^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستقامة» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٢ - «أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة»، لمحمود عبد الرزاق الرضواني.
- ٣ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، البيهقي.
- ٤ - «الاعتقاد»، للبيهقي.
- ٥ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.
- ٦ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٢)، لابن تيمية.
- ٧ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٨ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٩ - «التوحيد» (ج ٢)، لابن منده.
- ١٠ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

- ١١ - «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة»، لسعيد القحطاني.

تقتضي أيضًا عدم ركونه ووثوقه بالأسباب والوقوف معها، فإنها تنعدم لا محالة، وتنقضي بالآخرية، ويبقى الدائم الباقي بعدها.

فالتعلق بها تعلق بعدم وينقضي، والتعلق بالآخر سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول، فالتعلق به حقيق أن لا يزول ولا ينقطع، بخلاف التعلق بغيره مما له آخر يفنى به^(١).

- المسألة الرابعة: صفة الآخرية لله تعالى لا تمنع أن يوصف غيره بدوام البقاء والخلود:

لا يمنع اسم الآخر أن تكون هناك مخلوقات لها صفة الديمومة؛ كالجنة والنار وغيرهما من المخلوقات، لكن من غير نفسها؛ بل من الله، وهذا ردُّ على الجهمية الذين قالوا: لا بدَّ من فناء كل شيء إلا الله، فقد زعموا أن الله يكون الآخر بعد الخلق، فلا تبقى جنة ولا نار، ولا ثواب ولا عقاب، ولا عرش ولا كرسي، وزعموا أن شيئًا مع الله لا يكون هو الآخر كما كان، وهذا باطل؛ فهذه الأشياء باقية بإبقاء الله لها، لا من نفسها، وبقاء الله صفة ذاتيه له غير مكتسبة من أحد.

الآثار:

إن العبودية باسم الله الأول والآخر

(٢) انظر: طريق الهجرتين (٤٠).

(١) انظر: طريق الهجرتين لابن القيم (٤٠).

١٢ - «صفات الله وَجَبَتْ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السَّقَاف.

١٣ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

الإخبارات

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الخاء والباء والتاء أصل واحد، يدل على خشوع، يقال: أَحْبَبْتُ يَخْبِتُ إخبارًا إذا خَشِعَ»^(١). ويجمع على أخبات وخبوت. وقال ابن الأعرابي: «الْحَبْتُ ما اطمأنَّ من الأرض واتسع»^(٢). وقد فسَّر ثعلب الإخبارات في قوله تعالى: ﴿فَتُخْبِتُ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤] بالتواضع. وفي قوله: «واجعلني لك مخبِتًا»^(٣)؛ أي: خاشعًا مطيعًا^(٤).

التعريف شرعًا:

عرَّف ابن القيم الإخبارات بقوله: «فالإخبارات سكون الجوارح على وجه التواضع والخشوع لله»^(٥).

الحكم:

الإخبارات من أعمال القلب التي تدخل في باب الإيمان، فلا يصرف إلا لله تعالى^(٦).

الحقيقة:

حقيقة الإخبارات تدور حول معنى:

(٦) المحرر الوجيز (٩٣٩) [دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (١٩٤/١٠)، ومدارج

السالكين (٨/٢ - ٩) [دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ].

(١) مقاييس اللغة (٢/٢٣٨).

(٢) لسان العرب (٢/٢٧) [دار الفكر، ط١، ١٤١٠هـ].

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) انظر: المفردات للراغب (٢٧٢) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ].

ولسان العرب (٢/٢٧ - ٢٨)، والقاموس المحيط (١٩٣) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(٥) شفاء العليل (١٨٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ].

﴿...فَالْهَكُمُ إِلَهُ وَحْدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (٢٤) الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ [الحج]، وقوله: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٦) [الحج].

ومن السنة المطهرة: ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنه قال: كان النبي ﷺ يدعو يقول: «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تَعْنِ عَلَيَّ، وانصُرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر هداي إلي، وانصُرني على من بغى علي، اللَّهُمَّ اجعلني لك شاكراً، لك ذاكراً، لك راهباً، لك مطوعاً، إليك مخبتاً - أو منياً -، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي» (٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الطبري: «المخبتين: الذين تخشع قلوبهم لذكر الله، وتخضع من خشيته، وجلًا من عقابه، وخوفًا من سخطه» (٣).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥١٠)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٥١) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٣٠)، وابن حبان (كتاب الرقاق، رقم ٩٤٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (رقم ١٣٥٣).

(٣) تفسير الطبري (٥٥٢/١٦) [دار هجر].

الخشوع، والتواضع، والإنابة، والطمأنينة، والخوف.

والمخبت لله تعالى هو الخاضع له بالطاعة، المذعن له بالعبودية، والمنيب إليه بالتوبة (١).

والإخبات: لا يكون إلا بالاجتهاد في الطاعة، واطمئنان القلب بالإيمان، قال تعالى: ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ٢٣].

❁ المنزلة:

يُعَدُّ الإخبات من أرفع أحوال القلب وأسمائها، فلا يتصف به إلا من اطمأن قلبه بالإيمان، واجتهد في تحقيق طاعة الرحمن، ومما يدل على علو منزلة الإخبات أن صاحبه يخشع قلبه إذا ذكر الله، ويصبر على ما أصابه من نوائب الدهر ونكباته، ويدوم على إقامة الصلاة وعلى الإنفاق مما رزقه الله، ثم عاقبته الحميدة أن يكون من أصحاب الجنة الخالدين فيها.

❁ الأدلة:

من القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٣) [هود]، وقوله:

(١) انظر: تفسير الطبري (٦٢٨/١٨)، وزاد المسير (٦٤٨ - ٦٤٩) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٢٣هـ]، ومدارج السالكين (٣/٢) [دار الكتب العلمية ط ١، ١٤٠٣هـ]، وشفاء العليل (١٨٣).

٣ - إقامة الصلوات الخمس، إقامة تامة بشروطها وواجباتها وسننها .

٤ - الإحسان إلى عباد الله بالإنفاق عليهم .

قال تعالى: ﴿...فَالْتَهُكُمْ إِلَهُ وَحْدٌ فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج]. قال ابن القيم: «فذكر للمخبتين أربع علامات: وجل قلوبهم عند ذكره - والوجل: خوف مقرون بهيبة ومحبة -، وصبرهم على أقداره، وإتيانهم بالصلاة قائمة الأركان ظاهراً وباطناً، وإحسانهم إلى عباد الله بالإنفاق مما آتاهم، وهذا إنما يتأتى للقلب المخبت»^(٣).

❁ الفروق:

الفرق بين الإخبات والإنابة:

١ - قيل: لا فرق بينهما، فمعناها واحد، وعلى ذلك فسر بعض السلف الإخبات بالإنابة، كما تقدم.

٢ - وقيل: الإنابة أقرب إلى معنى التوبة والرجوع إلى الله تعالى، وإن كانت أخص من التوبة، وأما الإخبات فأقرب إلى معنى الخضوع والخشوع والتذلل^(٤).

وقال ابن تيمية عن معنى الإخبات وتأثيره على القلب -: «فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يلتذ ولا يسر ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه. ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن، إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه ومن حيث هو معبوده ومحبوه ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة»^(١).

وقال ابن القيم: «اعلم أنه متى استقرت قدم العبد في منزلة الإخبات وتمكن فيها ارتفعت همته، وعلت نفسه عن خطفات المدح والذم، فلا يفرح بمدح الناس، ولا يحزن لذمهم. هذا وصف من خرج عن حظ نفسه، وتأهل للفناء في عبودية ربه، وصار قلبه مطرَحاً لأشعة أنوار الأسماء والصفات، وباشر حلاوة الإيمان واليقين قلبه»^(٢).

❁ المسائل المتعلقة:

علامات المخبتين:

١ - وجل القلوب وهيبتها عند ذكر الله تعالى، مع المحبة والتعظيم.

٢ - الصبر عند المصيبة، رضا بقضاء الله وقدره.

(٣) شفاء العليل (١٨٣).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٣/٢).

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٩٤).

(٢) مدارج السالكين (٨/٢) [دار الكتاب العربي، ط٣].

❁ الثمرات:

من ثمرات الإخبات:

- «أنه أول درجات الطمأنينة والثقة بالله وحسن الظن به.
- أن للمخبت البشرى من الله بالجنة.
- الإخبات من الأحوال القلبية الموجبة للالتفات عما سوى الله.
- الإخبات يورث صاحبه العزة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

- الإخبات يقي من الفتنة.

- بالإخبات ترتفع الهمة وتعلو النفس عن الرغبة في المدح أو الخشية من الذم.
- بالإخبات يباشر القلب حلاوة الإيمان واليقين^(١).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «إصلاح القلوب»، لعبد الهادي حسين وهبي.
- ٢ - «أعمال القلوب؛ حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة ومخالفهم»، لسهل العتيبي.
- ٣ - «أعمال القلوب وأثرها في الإيمان»، لمحمد دوكوري.
- ٤ - «أمراض القلوب وشفائها ضمن

مجموع الفتاوى» (ج ١٠)، لابن تيمية.

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٢/ ١٢٣) [دار الوسيلة، ط ٤].

٥ - «تفسير ابن كثير» (ج ٤، ٥).

٦ - «تفسير الطبري» (ج ١٢، ١٦).

٧ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ٩، ١٢)، للقرطبي.

٨ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

٩ - «المحرر الوجيز»، لابن عطية.

١٠ - «مدارج السالكين».

❁ الإخلاص ❁

❁ التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه»^(٢). يقال: خلص الشيء يخلص خلوصاً؛ أي: صار خالصاً. وخلص السمن: ما خلص منه؛ لأنهم إذا طبخوا الزبد ليتخذوه سمناً طرحوا فيه شيئاً من سويق أو تمر، فإذا جاد وخلص من الثفل، فذلك السمن هو الخلاصة. والثفل الذي يبقى هو الخلوص، والمصدر منه الإخلاص، وقد أخلصت السمن^(٣).

❁ التعريف شرعاً:

هو «تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك»^(٤). وقيل: هو

(٢) مقاييس اللغة (٣٠٩) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١].

(٣) انظر: الصحاح (٤/ ١٧٤) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٤) معارج القبول (١/ ٣٣١) [دار الحديث، ط ١٩٩٩م].

تعالى وحده في العبادة، فلا يُشرك معه شيء في ذلك^(٣).

المنزلة:

هو حقيقة الإسلام، إذ الإسلام هو الاستسلام لله لا لغيره. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر]، فمن لم يستسلم له فقد استكبر، ومن استسلم لله ولغيره فقد أشرك، وكل من الكبر والشرك ضد الإسلام، والإسلام ضد الشرك والكبر^(٤).

قال ابن تيمية: «فإن الإسلام هو الاستسلام، وهو يتضمن الخضوع لله وحده، والانقياد له، والعبودية لله وحده؛ وهذا قد يتضمن خوفه ورجاءه»^(٥).

الأهمية:

أهميته تتجلى في كونه أحد شروط كلمة التوحيد^(٦)، وأحد شرطي العمل المقبول، فإن العمل المقبول ما توفر فيه

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (١٨٨)، [دار عالم الفوائد، ط١]، وانظر: مدارج السالكين (٧٣/٢).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/١٠)، و(١١٥/٢٠)، واقتضاء الصراط المستقيم (٥٦٠) [دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (٤٢٦/٧).

(٦) الدرر السنية (٢٤٤/٢)، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٦، (٣٥٩) [ط٧، ١٤٢٥هـ].

إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة. وقيل: هو التوقي عن ملاحظة الخلق حتى عن نفسك^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي واضحة؛ لأن المعنى الشرعي موافق للغة في كونه تصفية، فإنه تصفية للعمل، وتهذيبه عن الشوائب.

سبب التسمية:

سمي به لأن خلوص العمل عن الشرك وشوائبه يحصل به.

الحكم:

هو من أهم الواجبات، وآكد الأعمال القلبية التي اندرجت في الإيمان. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الأعمال القلبية: «وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين، مثل محبة الله ورسوله، والتوكل على الله، وإخلاص الدين لله، والشكر له، والصبر على حكمه، والخوف منه، والرجاء له، وهذه الأعمال جميعًا واجبة على جميع الخلق باتفاق أئمة الدين»^(٢).

الحقيقة:

حقيقة الإخلاص هي أن يقصد الله

(١) انظر: مدارج السالكين (٦٨/٢ - ٦٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٥ - ٦) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١٩٩٥هـ].

على وجوب الإخلاص؛ كقوله تعالى: ﴿...فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ﴾ [الزمر]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ﴾ [الزمر]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة].

وقال النبي ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»^(٤)، وقال النبي ﷺ: «إن الله تعالى حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»^(٥).

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «أرأيت رجلاً غزا يلمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: لا شيء له، فأعادها ثلاث مرات، يقول له رسول الله ﷺ: لا شيء له، ثم قال: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتغي به وجهه»^(٦).

الشرطان: الإخلاص، والمتابعة، والمردود ما فقد منه الوصفان أو أحدهما، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الملك]. قال الفضيل بن عياض: «هو أخلص العمل وأصوبه»، فسئل عن معنى ذلك، فقال: «إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، ثم قرأ قوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف]^(١)، ولهذا كان السلف حريصين على تحقيق الإخلاص في أعمالهم، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً»^{(٢)(٣)}.

الأدلة:

قد دلت أدلة كثيرة من الكتاب والسنة

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩٥/٨) [دار الكتاب العربي، ط٤]. وانظر: [إعلام الموقعين (١٢٤/٢) دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ].

(٢) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (٩٧/١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ]، وأبو الشيخ الأصبهاني في طبقات المحدثين بأصبهان (٢٦١/٤) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٢هـ].

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٥٥٨)، ومجموع الفتاوى (١٨٨/٢٢).

(٤) أخرجه البخاري، (كتاب العلم، رقم ٩٩).

(٥) أخرجه البخاري، (كتاب الصلاة، رقم ٤٢٥)، ومسلم، (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٣٣).

(٦) أخرجه النسائي (كتاب الجهاد، رقم ٣١٤٠)، والطبراني في الكبير (١٦٥/٨) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وجوّد إسناده ابن حجر في فتح الباري (٦/٢٨) [دار المعرفة]، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٥٢).

وقد اتفق العلماء على وجوبه^(١).
توفر فيه الشرطان: الإخلاص، والمتابعة.

✽ أقوال أهل العلم:

قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله:
«فطن الأكياس في تفسير الإخلاص، فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركاته، وسكونه في سره وعلا نيته لله وحده لا شريك له لا يمازجه شيء لا نفس، ولا هوى، ولا دنيا»^(٢).

وقال الفضيل بن عياض: «ترك العمل من أجل الناس هو الرياء، والعمل من أجل الناس هو الشرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما»^(٣).

وقال أبو سفيان صالح بن مهران: «الإخلاص: اليقين»^(٤).

وقال سعيد بن جبير: «الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله، فلا يراني بعمله أحدًا، ويكون ذلك في سبيل الحق كله»^(٥).

✽ المسائل المتعلقة:

- حالات العمل:

الأولى: ما كان مقبولًا، وهو ما

٣ - أن يريد الله تعالى بعمله والناس، فيريد أداء فرضه والجزاء والشكور من الناس كمن يريد الحج ليسقط الفرض عنه، ويقال: فلان حج، فهذا لا يقبل منه العمل. وإن كانت النية شرطًا في سقوط الفرض وجبت عليه الإعادة، فإن حقيقة الإخلاص لم توجد، والحكم المعلق بالشرط عدم عند عدمه، والدليل

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/١٠)، ومدارج السالكين (٨٤/١).

(٢) السنن الصغير للبيهقي (١٣/١) [جامعة الدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤٠٠هـ].

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٨٤/٩) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٤) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٩١/١٠) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٠٩هـ].

(٥) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٥٦٦/٢) [مكتبة الدار، ط ١، ١٤٠٦هـ].

«إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يستغني بذلك وجه الله»، وكان أحق بالأمن من غيره، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) [الأنعام].

٢ - من حقق الإخلاص، صرف الله عنه السوء والفحشاء، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٤) [يوسف] (٥).

٣ - قد يعمل العبد عملاً واحداً بإخلاص تام، وعبودية كاملة، فيكون سبباً لمغفرته، كما في الترمذي وابن ماجه وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «بصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فيقال: هل تنكر من هذا شيئاً، فيقول: لا يا رب، فيقول: لا ظلم عليك، فتخرج له البطاقة قدر الكف فيها شهادة أن لا إله إلا الله، فيقول: أين تقع هذه البطاقة مع هذه السجلات، فتوضع هذه البطاقة في كفة، والسجلات في كفة، فثقلت البطاقة وطاشت السجلات» (٦)، فلما قالها بإخلاص

عليه قول النبي ﷺ (١): «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» (٢).

الفروق:

فرق العلماء بين الإخلاص والصدق

بما يلي:

الأول: أن الإخلاص مبني على توحيد مقصود العبد، فلا يكون مقصوده منقسماً، والصدق مبني على توحيد القصد، فلا يكون قصده منقسماً.

الثاني: أن الصدق بذل الوسع والطاقة، والإخلاص توحيد المطلوب (٣).

الثالث: الإخلاص «التوقي عن ملاحظة الخلق حتى عن نفسك، والصدق التنقي من مطالعة النفس، فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له، ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق، ولا الصدق إلا بالإخلاص، ولا يتمان إلا بالصبر» (٤).

الثمرات:

للإخلاص ثمرات جليلة أهمها ما يلي:

١ - من حقق الإخلاص نجا من دخول النار، كما سبق في الحديث:

(١) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٨٥).

(٢) انظر: إعلام الموقعين (١٢٤/٢) [دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ].

(٣) انظر: مدارج السالكين (٨٤/١)، و (٧٣/٢).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٧٣/٢).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٢١٥، ٢١٦، ٢٩٧).

(٦) أخرجه الترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٣٩) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٣٠٠)، =

٤ - من كان أتم إخلاصًا لله كان أحق بالشفاعة كما تقدم في الحديث: «أسعد الناس بشفاعتي...». وأما من علق قلبه بأحد من المخلوقين يرجوه ويخافه، فهذا من أبعد الناس عن الشفاعة^(٥).

٥ - أن الإخلاص يورث الاتفاق، والشرك يورث التفرق، فأهل الإخلاص متفقون، وأهل الإشراك متفرقون؛ لأن أهل الإخلاص معبودهم واحد وهو الله تعالى، فإياه يعبدون، وأهل الإشراك لكل قوم طاغوت يعبدونه من دون الله تعالى^(٦).

المصادر والمراجع:

١ - «إعلام الموقعين» (ج ٢)، لابن القيم.

٢ - «الدرر السنية» (ج ٢)، جمع عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم النجدي.

٣ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٠)، لابن تيمية.

٤ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.

٥ - «معارج القبول» (ج ١)، للحافظ الحكمي.

٦ - «أمراض القلوب وشفائها»، لابن تيمية.

وصدق ترجح به حسناته، وكان سببًا لمغفرته، وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا النار كلُّهم يقولون: لا إله إلا الله، ولم يترجح قولهم على سيئاتهم كما ترجَّح قول صاحب البطاقة^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق، فأخره، فشكر الله له، فغفر له»^(٢).

فهذا الرجل لما نحى الشوك عن الطريق، وكان الباعث على ذلك الإخلاص التام في قلبه غفر الله له، وليس كل من فعل ذلك يغفر له.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا قال: قال النبي ﷺ: «بينما كلب يطيف بركية، كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها، فسقته، فغفر لها به»^(٣).

فهذه المرأة لما سقت الكلب بإيمان تام، وإخلاص في قلبها غفر الله لها، وإلا فليس كل بغي سقت كلبًا يغفر لها^(٤).

= وأحمد (٥٧٠/١١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب الإيمان، رقم ٢٢٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٥).

(١) انظر: منهاج السُّنة (٢١٩/٦ = ٢٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦٥٢)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩١٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٦٧)، ومسلم (كتاب الآداب، رقم ٢٢٤٥).

(٤) انظر: منهاج السُّنة (٢١٩/٦ - ٢٢٠) [جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ٢، ١٤١١هـ].

(٥) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٥٥٢).

(٦) انظر: المصدر نفسه (٥٦٢).

الصالح والأخ الصالح. فقلت: من هذا؟
قال: إدريس^(٢)، ولم يقل: الولد
الصالح، والابن الصالح، كما قال آدم
وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام^(٣).

✽ معنى اسمه لغة:

قيل: سمي بذلك؛ لأنه أول من درّس
الوحي المكتوب، أو لكثرة درسه
لكتاب الله تعالى^(٤)، وذهب بعضهم إلى
أنه أعجمي؛ وليس بعربي؛ لأنه ممنوع
من الصرف^(٥).

✽ نبوته:

ذكر الله تعالى نبوته في القرآن
الكريم، فقال ﷻ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ
إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا
عَلِيًّا (٥٧) [مريم]، وقال: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِدْرِيْسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصّٰدِقِيْنَ
(٨٥)﴾ [الأنبياء].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة
الإسراء والمعراج: «فأتينا السماء

٧ - «اقتضاء الصراط المستقيم»
(ج ٢)، لابن تيمية.

٨ - «الكلمات النافعة في المكفرات
الواقعة»، لعبد الله بن محمد بن
عبد الوهاب.

٩ - «غاية الأمان في الرد على
النبهاني» (ج ٢)، لمحمود شكري
الآلوسي.

١٠ - «حاشية كتاب التوحيد»،
لعبد الرحمن بن محمد النجدي.

✽ إدريس عليه السلام

✽ اسمه ونسبه:

إدريس عليه السلام هو: خنوخ - أو أخنوخ،
وقيل: حنوخ - بن يرد - وقيل: يرد - بن
هلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن
آدم عليه السلام، وقيل: إنه جد أبي نوح عليه السلام،
وأنه في عمود نسب محمد رسول الله ﷺ،
وهذا الذي رجحه ابن كثير، وغيره^(١).

وقيل: إنه من أنبياء بني إسرائيل؛
أخذًا من حديث الإسراء الآتي؛ إذ قال
في سلامه على النبي ﷺ: «مرحبًا بالنبي

(١) انظر: المنتظم في التاريخ (٢٣٣/١) [دار الكتب
العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ]، والجامع لأحكام القرآن
القرطبي (٤٦٦/١٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١،
١٤٢٧هـ]، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٣٤/١)
[مجمع للطباعة والنشر، ط ١، ١٤١٧هـ]، وفتح
الباري لابن حجر (٤٣١/٦) [تحقيق شببة الحمد،
ط ١، ١٤٢١هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم
٣٣٤٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٣).

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٥٠٢/١) [دار
الوفاء، ط ١، ١٤١٩هـ]، والجامع لأحكام القرآن
للقرطبي (٤٦٦/١٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١،
والبداية والنهاية (٢٣٤/١)].

(٤) انظر: المنتظم في التاريخ (٢٣٣/١)، والجامع
لأحكام القرآن (٤٦٦/١٣)، وفتح الباري لابن حجر
(٤٣١/٦).

(٥) انظر: الكشف للزمخشري (٢٨/٤) [مكتبة
العيكان، ط ١، ١٤١٨هـ].

وقالوا: ذلك معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾ [الأعلى]؛ يعني: أن من بين الصحف الأولى: صحف إدريس (٥).

لكن لضعف الحديث السابق ضعفاً شديداً، وخفاء وجه الاستدلال بالآية، فإنه لا يمكن القطع بثبوت هذا القول، إلا إذا ورد دليل صحيح صريح يقتضي نسبة تلك الصحف إلى إدريس (٦).

وفاته:

اختلف في وفاة إدريس (عليه السلام)؛ أكانت في الأرض أم في السماء؟

ف قيل: إنه توفي في الأرض ثم رفع إلى السماء الرابعة، - أو السادسة على قول - فقبضت روحه فيها.

وقيل: إنه توفي بعد رفعه إلى السماء الرابعة؛ أي: أن روحه قبضت هناك.

وقيل: إنه رُفِعَ حيّاً ولم يمت، كما رفع عيسى (عليه السلام)، وهذا فيه نظر.

والصحيح: أنه توفي حقيقة إما في الأرض، وإما في السماء الرابعة بعد رفعه (٦)، والأظهر الأول لقوله تعالى

(٤٧٠) [دار طيبة، ط ٢]، وقال الألباني: «ضعيف جداً». انظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١/٣٨٧) [دار باوزير، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٥) انظر: تاريخ الطبري (١/١٧١).

(٦) انظر: معالم التنزيل للبيهقي (٥/٢٣٩) [دار طيبة، ١٤١١هـ]، والبداية والنهاية (١/٢٣٥).

الرابعة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قيل: نعم، قيل: مرحباً به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على إدريس، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من أخ ونبي (١).

وقال بعض أهل العلم: إنه أول نبي أُعطي النبوة بعد آدم (عليه السلام)، وهو أول من خط بالقلم (٢).

كتابه:

قال علماء السير والتاريخ وغيرهم: إن الله تعالى نبأ إدريس (عليه السلام) في حياة آدم (عليه السلام)، وأنزل عليه ثلاثين صحيفة (٣).

واستدلوا بحديث أبي ذر (رضي الله عنه) المشهور وفيه أنه قال: قال لي رسول الله (ﷺ): «يا أبا ذر أربعة - يعني: من الرسل - سريانئون: آدم وشيث ونوح وأخنوخ، وهو أول من خط بالقلم، وأنزل الله تعالى على أخنوخ ثلاثين صحيفة» (٤).

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٢٠٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢).

(٢) انظر: المنتظم في التاريخ (١/٢٣٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٤٦٧)، والبداية والنهاية (١/٢٣٤). وسيأتي مزيد تفصيل في أول رسول إلى أهل الأرض في المسائل.

(٣) انظر: تاريخ الطبري (١/١٧١) [دار المعارف، مصر، ط ٢]، والمنتظم في التاريخ المملوك (١/٢٣٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٤٦٦).

(٤) أخرجه ابن جرير في تاريخه (١/١٧١) [دار التراث، ط ٢] - واللفظ له -، وابن حبان (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٦١)، وأشار إلى ضعفه ابن كثير في التفسير (٢/

وقد أجاب بعض أهل العلم عن ذلك بأجوبة:

أحدهما: المراد به هو النهي عنه والزجر عن تعاطيه؛ لأن خط ذلك النبي كان علمًا لنبوته، وقد انقطعت نبوته، ولم يقل: ذلك الخط حرام؛ دفعًا لتوهم أن خط ذلك النبي حرام^(٣).

الثاني: معناه: من وافق خطه فهو مباح له، لكن لا طريق لنا إلى العلم باليقين بالموافقة، فلا يباح، والقصد أنه لا يباح إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقين^(٤).

الثالث: ويحتمل أن سبب إصابة صاحب الخط هو موافقته لخط ذلك النبي، فمن وافق خطه فقد أصاب، لكن لما كانت الإصابة نادرة بالنسبة إلى الخط، ولا طريق إلى اليقين بالموافقة، صار ذلك بالنسبة إلى من يتعاطاه من أنواع الكهانة لمشاركته له في المعنى^(٥).

- المسألة الثانية: رفع إدريس إلى السماء ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (٥٧) [مريم]. قال أهل التفسير: رُفِع إدريس ﷺ إلى السماء وهو حي.

(٣) انظر: فيض القدير للمناوي (٥٤٥/٤) [دار المعرفة، ط ٢، ١٣٩١هـ].

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٢٣/٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ].

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد (٧٤٣/٢) [دار الصميعي، ط ١، ١٤٢٨هـ].

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه] والله أعلم بذلك.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: نسبة الخط في الأرض إلى إدريس ﷺ:

قال طائفة من أهل العلم: إن إدريس ﷺ هو المشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي ﷺ لما سأل رسول الله ﷺ عن الخط في الرمل؛ حيث قال معاوية: ومنا رجال يخطون. قال رسول الله ﷺ: «كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك»^(١).

ويزعم كثير من المنجمين أنه أول من تكلم في ذلك، ويسمونه: «هَرْمِس الهَرَامِسة»، ويكذبون عليه أشياء كثيرة^(٢).

وهذا يشكل عليه أن الخط على الأرض نوع من الكهانة، وهو محرم، والكلام على هذه المسألة من وجهين:

أحدهما: حكم خط ذلك النبي، وهو أن خطه كان آية من آيات الله تعالى، ودليلاً من دلائل نبوته، وبوحي من الله تعالى.

الآخر: حكم خط غيره، وهل يسوغ الاحتجاج بخطه؟

(١) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣٧).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١/٢٣٤).

وقد تقدم حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة الإسراء والمعراج: «فلما مر جبريل بإدريس قال: مرحبًا بالنبيِّ الصالح والأخ الصالح. فقلت: من هذا؟ قال: إدريس»^(١).

واختلف أهل العلم في مسألتين:

إحداهما: أيُّ السماء التي رفع إليها إدريس عليه السلام؟ فقال بعضهم: السماء الرابعة، وقال بعضهم: السماء السادسة^(٢). لكن ورد في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه السابق: «فأتينا السماء الرابعة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قيل: نعم، قيل: مرحبًا به ولننعم المجيء جاء، فأتيت على إدريس، فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بك من أخ ونبي»^(٣).

وأنه وجد في السماء السادسة موسى عليه السلام، وهذا مما يقوي القول الأول: وهو أنه رفع إلى السماء الرابعة، ويضعف القول بأنه رفع إلى السماء السادسة.

وقد ورد الحديث من طريق أخرى

الأخرى: هل رفع كما رفع عيسى عليه السلام حيث لم يمت، أم أنه مات في السماء الرابعة بعد رفعه، أو في السماء السادسة على القول الآخر، على قولين:

الأول: أنه رفع كما رفع عيسى عليه السلام، ولم يمت، كما ورد عن مجاهد بن جبر وغيره. قال مجاهد بن جبر: «إدريس رُفِع فلم يمت، كما رفع عيسى»^(٤).

الثاني: أنه رفع كما رفع عيسى عليه السلام، لكنه مات في السماء الرابعة، وقبضت روحه فيها، وهذا مروى عن كعب الأخبار.

قال ابن كثير رحمته الله معلقًا على قول مجاهد: «إن أراد أنه لم يمت إلى الآن ففي هذا نظر، وإن أراد أنه رفع حيًّا إلى السماء، ثم قبض هناك، فلا ينافي ما تقدم عن كعب الأخبار»^(٥).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣١٥٧)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأحمد (٢١/٢٨٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني.

(٥) البداية والنهاية (٢٣٦/١).

(٦) تفسير الطبري (٥٦٣/١٥).

(٧) البداية والنهاية (٢٣٥/١).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٣٤٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥٦٢/١٥ - ٥٦٥) [دار هجر، ط ١]، والجامع لأحكام القرآن (٤٦٧/١٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٢٠٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢).

القول الثاني: وهو أن إدريس عليه السلام لم يكن أول رسول أرسل بعد آدم عليه السلام، بل نوح عليه السلام هو أول من أرسل إلى الأرض بعده، وهذا الذي رجحه بعض أهل العلم المتقدمين؛ كابن العربي المالكي، والقرطبي، ورجحه جماعة من أهل العلم المعاصرين^(٥).

واستدلوا من القرآن والسنة؛ فمن القرآن: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]؛ يعني: وحياً؛ كإيحائنا إلى نوح والنبين من بعده، وهو وحي الرسالة.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٦]؛ أي: الذي قبل نوح لا يكون من ذريته.

ومن السنة: حديث الشفاعة الطويل عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض»^(٦) الحديث.

قال الحاكم النيسابوري رحمه الله: «وأكثر

وبعضهم قال: إن المراد بالرفع هو أنه رفع إلى الجنة، وقال بعضهم: هو رفع معنوي؛ وهو علو المكانة والمنزلة في رتبة الدنيا^(١).

قال ابن حجر: «وكون إدريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية»^(٢).

والصواب: أن المراد بالرفع ما ثبت في الحديث الصحيح: «ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا. فإذا أنا بإدريس فرحب ودعا لي بخير». قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] فهو كسائر الأنبياء عليهم السلام أرواحهم في السماء.

- المسألة الثالثة: هل إدريس عليه السلام هو أول رسول بعد آدم عليه السلام؟
اختلف أهل العلم في ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن إدريس عليه السلام هو أول رسول أرسل بعد آدم عليه السلام، وهذا الذي عليه جماعة من المؤرخين والنسابة، وبعض المفسرين^(٤).

(١) انظر: معالم التنزيل (٢٣٨/٥).

(٢) فتح الباري (٣/٣٧٥).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢).

(٤) انظر: المنتظم في التاريخ (٢٣٣/١)، ومعالم التنزيل

للبيهقي (٢٣٨/٥)، والبداية والنهاية (١/٢٣٣).

(٥) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/٣١٥) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ]، والجامع لأحكام القرآن القرطبي (٥/٩٤)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٦٥ - ٦٦) [دار ابن الجوزي، ط ٤، ١٤٢٤هـ].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٤٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤).

الصحابة أن نوحًا كان قبل إدريس صلى الله عليهما^(١).

وقال ابن عثيمين رحمته الله: «وأما إدريس فذهب كثير من المؤرخين أو أكثرهم، وبعض المفسرين أيضًا إلى أنه قبل نوح، وأنه من أجداده، لكن هذا قول ضعيف جدًا، والقرآن والسنة تردده، والصواب ما ذكرنا»^(٢).

القول الثالث: وهو الجمع بين الأقوال، وذكروا في ذلك وجهين:

أحدهما: وهو إن قام الدليل على أن إدريس عليه السلام كان نبيًا، وأنه قد بعث، لم يصح قول النسابة: إنه قبل نوح عليه السلام؛ لحديث الشفاعة السابق، وإن لم يقدّم دليل جاز قولهم: إنه قبل نوح عليه السلام، ويحمل على أنه كان نبيًا غير مرسل^(٣).

والحق أن الدليل من القرآن والسنة قائم على أن إدريس عليه السلام كان نبيًا.

الثاني: بأن يقال: اختص نوح عليه السلام بالبعث إلى أهل الأرض كافة، كنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ويكون إدريس عليه السلام بعث لقومه خاصة؛ كموسى عليه السلام، وغيره من الرسل^(٤).

وهذا يشكل عليه أن نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم مما اختص به عموم بعثته إلى أهل الأرض.

ويظهر من صنيع الحافظ ابن كثير أنه فرق بين النبوة والرسالة؛ فهو يرى أن إدريس عليه السلام كان قبل نوح عليه السلام، وأنه أول من أعطي النبوة بعد آدم عليه السلام^(٥)، إلا أنه صرح في موضع آخر أن نوحًا عليه السلام هو أول رسول إلى أهل الأرض، بعد ظهور الشرك؛ استنادًا على حديث الشفاعة^(٦)، وهذا كما يقال: إن آدم عليه السلام هو أول نبي بُني من الله تعالى، وهذا لا يتعارض مع القول بأن نوحًا عليه السلام هو أول رسول إلى أهل الأرض، والله أعلم.

المصادر والمراجع:

١ - «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج ١)، للقاضي عياض.

٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.

٣ - «تحفة النبلاء من قصص الأنبياء»، لابن كثير، انتخب كتابه ابن حجر العسقلاني.

٤ - «دعوة التوحيد: أصولها، الأدوار التي مرت بها، مشاهير دعائها»، لمحمد خليل هراس.

(٥) انظر: البداية والنهاية (١/٢٣٣).

(٦) انظر: المصدر نفسه (١/٢٣٨، ٢٥٠).

(١) المستدرك (٢/٦٤٢) [دار الحرمين، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٢) شرح العقيدة الواسطية (١/٦٦).

(٣) انظر: المعلم بفوائد مسلم للمازري (١/٣٤١) [المؤسسة الوطنية، بيت الحكمة، تونس، ط ٢، ١٩٩١م].

(٤) انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (١/٥٧٥-٥٧٦).

التعريف شرعاً:

الإرادة: صفة فعلية ثابتة لله تعالى على ما يليق به. وهي نوعان: تقدير الله الكوني الأزلي النافذ في جميع الموجودات ويكون وقوعه حتماً لا محالة، سواء كان محبوباً أم غير محبوب. **والثاني:** تقديره الشرعي المراد من العباد شرعاً، وهذا قد يقع وقد يتخلف وقوعه وهذا لا يكون إلا محبوباً لله تعالى، وهي إرادة قديمة أزلية من حيث النوع ومتجددة من حيث تعلقها بالمعین^(٢).

الحكم:

يجب على المسلم إثبات صفة الإرادة لله تعالى، على الوجه اللائق به ﷻ وأن إرادته تعالى - التي بمعنى المشيئة - هي إرادة نافذة في جميع الكائنات، فهو ﷻ إذا أراد شيئاً فعله. ويعتقد المسلم أن إرادة الله تعالى - التي بمعنى: المحبة - هي تقديره الشرعي، الذي لا يلزم فيه وقوع المراد، ولا يكون المراد فيه إلا محبوباً إلى الله تعالى.

المنير (١/٢٤٥) [المكتبة العلمية]، والمفردات للراغب الأصفهاني [دار القلم، والدار الشامية، ط١، ١٤١٢هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٥٨٣) (١٦/٣٠١ - ٣٠٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١٤١٦هـ]، ومنهاج السنة (٣/١٨٠، ٥/٤١٣) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٠٦هـ].

٥ - «قصص الأنبياء المعروف

بالعرائس»، للثعلبي.

٦ - «قصص الأنبياء»، للسعدي.

٧ - «قصص الأنبياء القصص الحق»،

لشيبه الحمد.

٨ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ٢)،

لابن أبي العز الحنفي.

٩ - «المعارف»، لابن قتيبة.

١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، لحافظ

حكمي.

الإرادة

التعريف لغة:

الإرادة: أصلها من (رَوَدَ) بمعنى: المشيئة والطلب والاختيار. والرود: المهلة في الشيء. وقالوا: رويداً؛ أي: مهلاً. والإرادة في الأصل: جعلت اسماً لنزوع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنه يفعل أو لا يفعل، وقد يستعمل مرة في المبدأ، وهو نزوع النفس إلى الشيء، وتارة في المنتهى، وهو الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل. وقد تكون بحسب القوة التسخيرية والحسية، وقد تكون بمعنى القوة الاختيارية، والإرادة قد تكون محبة وغير محبة^(١).

(١) انظر: الصحاح للجوهري (٢/٤٧٨ - ٤٧٩) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ولسان العرب (٣/١٨٩) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ]، والمصباح

❁ الأدلة:

وصفة الإرادة لله ﷻ كما هي ثابتة شرعاً، فالعقل أيضاً يدل عليها، وقد أشار شيخ الإسلام في شرح العقيدة الأصفهانية إلى أن أشهر دليل يستخدم في إثبات صفة الإرادة: أن الله ﷻ عندما خلق العالم جعل فيه تخصيصات كثيرة، مثل تخصيص كل شيء بما له من القدر والصفات والحركات كطول وقصره، وطعمه ولونه، وريحه وحياته، وقدرته وعلمه وسمعه وبصره، وسائر ما فيه، وهذا التخصيص دليل على وجود إرادة عند المخصص وهو الخالق ﷻ، فلو لم تكن هناك إرادة لما كان هناك تخصيص (٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللهُ: «ومن مذهب أهل السنة والجماعة: أن الله ﷻ يريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها، ولم يؤمن أحد إلا بمشيئته، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولو شاء أن لا يُعصى ما خلق إبليس. فكفر الكافرين وإيمان المؤمنين بقضائه ﷻ وقدره، وإرادته ومشيئته، أراد كل ذلك وشاء وقضاه» (٤).

وقال ابن تيمية: «وأما ما يوصف به

أما من القرآن؛ فمن الأدلة على الإرادة التي بمعنى المشيئة: قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٢٥٦) [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (١) [المائدة]. ومن الأدلة على الإرادة التي بمعنى المحبة: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومن السنة: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أن النبي ﷺ قال: «... حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الله الملائكة: أن يخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود» الحديث (١).

وحديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «وَكَلَّ اللَّهُ بِالرَّحْمِ مَلَكًا، فيقول: أي رب نقطة، أي رب علقه، أي رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها، قال: أي رب، أذكر أم أنثى، أشقي أم سعيد، فما الرزق، فما الأجل، فيكتب كذلك في بطن أمه» (٢).

ومسلم (في كتاب القدر، رقم ٢٦٤٦).

(٣) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٢ - ٦٣) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٨٥ - ٢٨٦) [دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٩هـ].

(١) أخرجه البخاري في (كتاب الأذان، رقم ٨٠٦)،

ومسلم (في كتاب الإيمان، رقم ١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في (كتاب القدر، رقم ٦٥٩٥)،

كونية، لا بدَّ فيها من وقوع المراد، وقد يكون المراد فيها محبوباً أو غير محبوب. وهذه الإرادة بمعنى المشيئة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَهْدِهِ يَسَّرْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

والثاني: إرادة شرعية، فلا يلزم فيها وقوع المراد ولا يكون المراد فيها إلا محبوباً إلى الله تعالى. وهذه الإرادة هي بمعنى: المحبة ودليلها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧] (٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة تتعلق بالأمر، وإرادة تتعلق بالخلق. فالإرادة المتعلقة بالأمر أن يريد من العبد فعل ما أمره به، وأما إرادة الخلق فإن يريد ما يفعله هو. فالإرادة الأمر هي المتضمنة للمحبة والرضا وهي الإرادة الدينية، والثانية المتعلقة بالخلق هي المشيئة وهي الإرادة الكونية القدرية» (٥).

المسائل المتعلقة:

- **المراد نوعان:** مراد لذاته ومراد لغيره.

هذه المسألة مبنية على قول البعض:

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥٨٣/١٠)، ومنهاج السنة

(٣/١٨٠، ٥/٤١٣) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٥) منهاج السنة النبوية (٣/١٥٦).

الرب من الكلام والإرادة، فقد دلت عليه أسماؤه الحسنى، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به وأن كلامه غير مخلوق، وأنه يريد بإرادة قائمة به، وأن إرادته ليست مخلوقة» (١).

وقال أيضاً: «إنه - سبحانه - لم يزل مريداً بإرادات متعاقبة، فنوع الإرادة قديم وأما إرادة الشيء المعين فإنما يريد في وقته. وهو سبحانه يقدر الأشياء ويكتبها ثم بعد ذلك يخلقها. فهو إذا قدرها علم ما سيفعله وأراد فعله في الوقت المستقبل لكن لم يرد فعله في تلك الحال فإذا جاء وقته أراد فعله فالأول عزم والثاني قصد» (٢).

وقال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمحققون من أهل السنة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية. فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضا، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث» (٣).

الأقسام:

الإرادة تنقسم إلى قسمين: إرادة

(١) شرح العقيدة الأصفهانية (٣٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٠١/١٦ - ٣٠٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٣) شرح الطحاوية (٦٩) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط١، ١٤١٨هـ].

لكان خلق النار عبثاً، وقد أشار الله تعالى إلى هذا المعنى في قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۚ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ لَخَلْقُهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود]، فتبين أن المراد الكوني - الذي يكون مكروهاً لله - يكون مراداً لغيره^(٢).

❁ الفروق:

الفرق بين الإرادة والمشیئة:

هناك فرق بين الإرادة والمشیئة. فالإرادة عامة تشمل الإرادة الكونية. وهذه هي المشیئة، وتشمل الإرادة الشرعية. وليست هي المشیئة، فالمشیئة إذن: موافقة للإرادة الكونية، فهي أخص من الإرادة، والإرادة بشكل عام أعم: تشمل المشیئة والإرادة الشرعية^(٣).

الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية:

الإرادة الكونية: هي مشیئته سبحانه الشاملة لجميع الحوادث، تتعلق بخلقه وأمره الكوني، وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكرهه، كله داخل تحت مشیئته، كما خلق إبليس وهو يبغضه وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال

كيف يريد الله أمراً ولا يرضاه ولا يحبه؟ وكيف تجتمع إرادته له وبغضه وكراهته؟ فالجواب: أن المراد نوعان:

النوع الأول: مراد لذاته؛ وهو المحبوب، فالشيء المحبوب يريده من يريده لذاته كالإيمان، فالإيمان مراد لله كوناً وشرعاً؛ لأنه مراد لذاته.

النوع الثاني: المراد لغيره؛ بمعنى أن الله تعالى يقدره لا لأنه يحبه، ولكن لما يترتب عليه من المصالح فهو مراد لغيره، فيكون من هذه الناحية مشتملاً على الحكمة، وإن كان مكروهاً له من حيث نفسه وذاته، إلا أنه مراد له من حيث قضاؤه وإيصاله إلى مراده، فيجتمع فيه الأمران: بغضه وإرادته، ولا يتنافيان، لاختلاف متعلقهما^(١).

«مثال ذلك: الكفر مكروه لله ﷻ ولكن الله يقدره على العباد؛ لأنه لو لا الكفر لم يتميز المؤمن من الكافر، ولم يكن المؤمن محلاً للثناء؛ لأن كل الناس مؤمنون، وأيضاً لو لم يقع الكفر فلم يكن هناك جهاد فمن يجاهد المؤمن إذا؟ ولو لم يقع الكفر ما عرف المؤمن قدر نعمة الله عليه بالإسلام، ولو لم يقع الكفر، وكان الناس كلهم مسلمين ما ظهر للإسلام فضل، ولو لم يقع الكفر

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٠١/٣) [دار الوطن، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٣) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (٤٧ - ٤٨).

(١) انظر: شرح الطحاوية (٢٢٩) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط ١، ١٤١٨هـ].

✿ مذهب المخالفين:

- ذهب الكلابية والأشعرية إلى أن الإرادة واحدة قديمة، وإنما يتجدد تعلقها بالمراد، ونسبتها إلى الجميع واحدة، ولكن من خواص الإرادة أنها تخصص بلا مخصص. فهم يقولون: إن العالم حدث في الوقت الذي تعلق الإرادة القديمة بحدوثه فيه من غير حدوث إرادة ومن غير أن تتغير صفة القديم (٢).

✿ الرد عليهم:

يقال: إن فساد هذا المذهب معلوم بالاضطرار، ولم يقل به أحد من العقلاء. وبطلانه من جهات؛ من جهة جعل إرادة هذا غير إرادة ذاك، ومن جهة جعل الإرادة تخصص لذاتها، ومن جهة أن هذا المذهب لم يجعل عند وجود الحوادث شيئاً حدث حتى تخصص أو لا تخصص، بل تجددت نسبة عدمية، ليست وجوداً، وهذا ليس بشيء. فلم يتجدد شيء، فصارت الحوادث تحدث وتخصص بلا سبب حادث ولا مخصص (٣).

(٢) انظر: كتاب المسامرة بشرح المسامرة لكمال الدين القدسي مع حواشيه (٦٤ - ٦٥) [المكتبة التجارية الكبرى، مصر]، وأساس التقديس للرازي (٢١٧) [مطبعة الحلبي، ط ١٣٥٤هـ]. وإنما وقع الأشاعرة في ذلك بسبب مذهبهم القائم على نفي الصفات الاختيارية عن الله تعالى، كالاستواء والمجيء والغضب والرضا وغيرها، فأثر ذلك في إنباتهم لهذه الصفات السبع والتي منها الإرادة.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٠٢/١٦).

المسخوطة له وهو يبغضها، فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله.

وأما الإرادة الشرعية: فهي المتضمنة للمحبة والرضا، تتعلق بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على السنة رسله. وعلى هذا فبالنسبة لوقوع المراد، وفي أي الإرادتين يتعلق تكون الأقسام أربعة:

أحدهما: ما تعلق به الإرادتان الكونية والدينية، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة، فهذه مرادة شرعاً؛ لأنها أعمال صالحة مأمور بها، ومرادة كوناً؛ لأنها وقعت.

الثاني: ما تعلق به الإرادة الشرعية فقط، وهو ما أمر الله به من الطاعات والأعمال الصالحة، فعصى ذلك الكفار ولم يأتوا به، فهذا مراد شرعاً؛ لأنه من الأعمال الصالحة، وغير مراد كوناً؛ لأنه لم يقع من الكفار والعصاة.

الثالث: ما تعلق به الإرادة الكونية فقط؛ كالمباحات والمعاني التي لم يأمر بها الله إذا فعلها العصاة، فهي غير مرادة ديناً، ولكنها مرادة كوناً لأنها وقعت.

الرابع: ما لم تتعلق به الإرادتان، وذلك مما لم يقع ولم يوجد من أنواع المباحات والمعاصي (١).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٨٩/٨)، وشفاء العليل (٤٧ - ٤٨)، وشرح الطحاوية (٦٩).

- ذهب الجهمية والمعتزلة إلى نفي قيام الإرادة بالله تعالى، ثم هم إما أن يقولوا بنفي الإرادة، وإما يفسروها بنفس الأمر والفعل، وإما يقولوا بحدوث إرادة لا في محل؛ كقول البصريين منهم^(١). وكل هذه الأقوال قد علم أيضاً فسادها، وما تقدم من الأدلة وأقوال أهل العلم كاف في الرد عليهم^(٢).
- الإسلامي، لخليل الرحمن عبد الرحمن [رسالة ماجستير بجامعة أم القرى].
- ٨ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.
- ٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٠، ١٦)، لابن تيمية.
- ١٠ - «منهاج السنة النبوية» (ج ٣)، لابن تيمية.

المصادر والمراجع:

الإرادة الشرعية

يراجع مصطلح (الإرادة).

الإرادة الكونية

يراجع مصطلح (الإرادة).

أرحم الراحمين

يراجع مصطلح (الرحمة).

الأزلي

التعريف لغة:

الأزلي: من الأزل، وهو القديم، قال ابن فارس رحمه الله: «وَأَمَّا الهمزة والزاء واللام: فأصلان: الضيق، والكذب، قال الخليل: الأزل: الشدة... وأما الكذب: فالإزل... وأما الأزل الذي هو القَدَمُ: فالأصل ليس بقياس، ولكنه كلامٌ موجزٌ مُبدلٌ، إنما كان لم يزل،

١ - «الإرادة الكونية والإرادة الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية»، لنوال علي محمد الزهراني.

٢ - «الإرادة عند المعتزلة والأشاعرة: دراسة فلسفية إسلامية»، لعبد الباري محمد داود.

٣ - «التبيان في أقسام القرآن»، لابن القيم.

٤ - «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، لابن القيم.

٥ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٢، ٦، ٨)، لابن تيمية.

٦ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.

٧ - «صفة الإرادة الإلهية في الفكر

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٤٤٠) [مكتبة وهبة، ط ٣، ١٤١٦هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٣٠١/١٦ - ٣٠٣)، وانظر: درء التعارض (٢/٣٩٠) و(٦/٢٦٩) و(٨/١٠٨) و(١٠/١١٤)، ومنهاج السنة النبوية (٣/٢٣٨).

على أنه يؤخذ من كلام الكفوي وجود علاقة بين المعنيين حتى على كونه بمعنى الضيق، حيث قال: «الأزل اسم لما يضيق القلب عن تقدير بدايته من الأزل، وهو الضيق»^(٥).

❁ سبب التسمية:

سمي دوام القدم في الماضي بالأزلي لما فيه من استمرار القدم، فهو قديم ولا يزال قديمًا.

❁ الأسماء الأخرى:

بعضهم يطلقه مرادفًا للقديم، ولكنه لا يصح؛ لأن بينهما فروقًا، كما سيأتي في الفروق.

❁ الحكم:

حكم إطلاق الأزلي على الله تعالى وعلى صفاته: سيأتي بيانه في المسائل المتعلقة.

❁ الحقيقة:

حقيقة الأزلي: إثبات الأبدية والدوام في الماضي، كما أن الأبدية إثبات الدوام في المستقبل.

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رحمته الله: «وليس الأزل وقتًا محدودًا، بل هو عبارة عن الدوام في الماضي، الذي لا ابتداء له، الذي

(٥) انظر: الكلبيات (٨٠) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٣م].

فأرادوا النسبة إليه فلم يستقيم، فنسبوا إلى يزل، ثم قلبوا الياء همزة فقالوا: أزلي، كما قالوا في ذي يزن حين نسبوا الرُمح إليه: أزيي»^(١).

❁ التعريف اصطلاحًا:

عُرِّف الأزلي بتعريفات عدة متقاربة؛ ومنها:

قال ابن تيمية رحمته الله: «فالأزلي هو الذي لم يزل كائنًا»^(٢). وقال أيضًا: «بل الأزل عبارة عن عدم الابتداء، وما لا ابتداء له فهو أزلي»^(٣).

وقال الجرجاني رحمته الله: «الأزل هو الشيء الذي لا بداية له... أو يقال: الأزل هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية من جانب الماضي»^(٤).

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

العلاقة واضحة؛ حيث إن الأزل مبدل من (لم يزل) على غير قياس، كما سبق في كلام ابن فارس، فما لم يزل فهو قديم، والأزلي هو الذي لا ابتداء له، فالعلاقة واضحة.

(١) مقاييس اللغة (٩٦/١ - ٩٧) [دار الجيل، ١٩٩٩م]، وانظر: القاموس المحيط (١٢٤١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢].

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٢/٢٢٥) [جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط ١، ١٤٠١هـ].

(٣) المصدر السابق (٣/٣٧).

(٤) التعريفات للجرجاني (٢١) [دار الكتب العلمية، ط ١].

لم يسبق بعدم، الذي ما زال^(١).

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: «الأزل عبارة عما لا افتتاح له، سواء كان وجوديًا؛ كذات الله وصفاته، أو عدميًا؛ كإعدام ما سوى الله؛ لأنَّ العدم السابق على العالم قبل وجوده لا أول له، فهو أزلي^(٢)».

وقال الجرجاني رَحِمَهُ اللهُ: «الأزل هو الشيء الذي لا بداية له... أو يقال: الأزل هو استمرار الوجود في أزمنة مقدره غير متناهية من جانب الماضي^(٣)».

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: مسألة أزلية الصفات:

مذهب أهل السُّنَّة إثبات جميع الصفات، سواء كانت أزلية، أم فعلية.

أما المخالفون:

- فبعضهم لا يثبت الصفات أصلاً؛ كالجهمية والمعتزلة.

- وبعضهم يثبت بعضها، وهي الصفات العقلية، ولكنه يجعلها كلها أزلية، وينفي الصفات الاختيارية، وهؤلاء هم الأشاعرة.

- ومنهم - وهم الماتريدية - من يذهب إلى التفريق بين صفات الأفعال المتعدية واللازمة، فيذهبون إلى إثبات قيام القسم الأول به تعالى، وهذا صحيح موافق لمذهب السلف، ولكنهم يرون أن جميع صفات الأفعال المتعدية ترجع إلى صفة واحدة، وهي التكوين، كما أنهم يرون أن التكوين صفة أزلية لا تتجدد حسب مشيئته تعالى وقدرته، والتجدد في متعلقاتها فقط.

فهم مع السلف في أول الطريق، ومتأرجحون بين الطائفتين في وسطه، ومع الأشاعرة في النهاية.

أما الصفات الفعلية اللازمة: فينكرونها، وهذا يزيد مذهبهم تناقضاً؛ لأنَّ هذا التفريق بين الأفعال المتعدية واللازمة ليس له أي مسوغ ومعنى.

ومما سبق يتضح الفرق بين موقف السلف وبين موقف الأشاعرة والماتريدية في هذه الصفات التي لا يختلفون من حيث المبدأ في إثباتها، ويتضح بذلك مقصودهم من التركيز على أزليتها، فمراهم بذلك: نفي الجانب المتعلق بمشيئته وإرادته في هذه الصفات^(٤).

(٤) للتفصيل في هذا الموضوع انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود (٣/ ١٠٥٣ - ١٠٥٤) [مكتبة الرشد، الرياض، ط ١]، والماتريدية، لأحمد الحربي (٢٩٣) وما بعدها [دار الصميعي، ط ٢، ١٤٢١هـ].

(١) الصفدية (١/ ٢٨٣) [دار الهدى النبوي].

(٢) منهج ودراسات لآيات الصفات، للشنقيطي (٩٤)

[دار عالم الفوائد، مكة، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٣) التعريفات للجرجاني (٢١) [دار الكتب العلمية، ط ١].

- المسألة الثانية: حكم إطلاق الأزلي على الله تعالى وعلى صفاته:

أ - أما حكم إطلاق ذلك على الله تعالى: فلم يرد التصريح بذلك في شيء من نصوص الكتاب والسنة، كما لم يرد التصريح بإطلاق القديم عليه، ولكن لا إشكال في إطلاق الأزلي على الله تعالى؛ لأن معناه: إثبات الدوام لله تعالى في الماضي، وأن الله تعالى لا ابتداء له ولا افتتاح له، وأنه لم يسبق بعدم، فهو الأزلي الذي لم يزل موجوداً، كما أنه هو الأبدي الذي لا يزال.

قال الإمام ابن خزيمة رحمته الله: «نقول: الله القديم لم يزل، والخلق محدث مربوب...»^(١).

وبهذا المعنى أطلقوا على الله تعالى أنه قديم، قال الإمام الطحاوي رحمته الله: «قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء»^(٢). وقد نبّه شارحه الإمام ابن أبي العز رحمته الله إلى أن معنى ما ذكره الطحاوي هو معنى اسميه: الأول والآخر، كما نبّه أن التعبير بالأسماء الحسنی الواردة في الكتاب والسنة هو الأولى، وأن الأسماء الأخرى لا يمكن أن تؤدي المعنى الذي

تشتمل عليها الأسماء الحسنی، وأن الشرع جاء «باسمه (الأول)، وهو أحسن من (القديم)؛ لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه، وتابع له، بخلاف القديم، والله تعالى له الأسماء الحسنی، لا الحسنه»^(٣).

ب - أما إطلاق الأزلية على صفات الله تعالى:

فمذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى أزلي بذاته وصفاته، وقد لخص مذهبهم الإمام الطحاوي رحمته الله قائلاً: «ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً؛ كذلك لا يزال عليها أبدياً»^(٤).

فالله تعالى متصف بصفاته أزلاً وأبداً.

ولكن ليس معنى كون اتصافه بصفات أزلاً نفي الصفات الاختيارية، أو نفي الجانب الاختياري من الصفات الأزلية، بل الصحيح إثبات ذلك، كما سبق في المسألة الأولى.

وقد نفى الكلابية - ومن تبعهم من الأشاعرة والماتريدية - جميع الصفات الاختيارية، كما نفوا الجانب المتعلق بمشيئته في الصفات الفعلية؛ بحجة أن ذلك يستلزم حلول الحوادث بذات الله

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٦٥/١) [مكتبة الرشد بالرياض، ٦ط، ١٤١٨هـ].

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٧٥/١) [مؤسسة الرسالة، ١ط، ١٤٠٨هـ].

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٧٥/١ - ٨٧).

(٤) المصدر السابق (٩٦/٢).

تعالى، ومذهبهم باطل لا أساس له من وجوديًّا، كذات الله متصفة بصفات الكمال والجلال»^(٣).

الفرق:

الفرق بين الأزل والأبد:

الأزل: ما لا بداية له في أوله؛ كالقدم، والأبد: ما لا نهاية له في آخره؛ كالبقاء.

الفرق بين الأزلي والقديم:

من الفروق التي ذكروها بينهما:

أن القديم أخص من الأزلي؛ لأن القديم هو الموجود الذي لا ابتداء لوجوده، والأزلي ما لا ابتداء له، وجوديًّا كان أو عدميًّا، فكل قديم أزلي ولا عكس^(١).

فالأزلي أعم من القديم؛ لأن أعدام الحوادث أزلية، وليست بقديمة^(٢).

وهذا الفرق أوضحه الشنقيطي بقوله: «والقدم في الاصطلاح عندهم عبارة عن سلب العدم السابق، إلا أنه عندهم أخص من الأزل؛ لأن الأزل عبارة عما لا افتتاح له، سواء كان وجوديًّا؛ كذات الله وصفاته، أو عدميًّا؛ كإعدام ما سوى الله؛ لأن العدم السابق على العالم قبل وجوده لا أول له، فهو أزلي، ولا يقال فيه قديم. والقدم عندهم عبارة عما لا أول له بشرط أن يكون

المصادر والمراجع:

١ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز.

٢ - «التعريفات الاعتقادية»، لسعد بن محمد آل عبد اللطيف.

٤ - «التعريفات»، للجرجاني.

٥ - «كشاف اصطلاحات الفنون» (ج ١)، للتهانوي.

٦ - «الكليات»، للكفوي.

٧ - «منهج ودراسات لآيات الصفات»، للشنقيطي.

٨ - «منهاج السُّنة النبوية»، لابن تيمية.

٩ - «التحفة المهدية في شرح رسالة التدمرية»، لفالح الدوسري.

١٠ - «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية»، لآمال بنت عبد العزيز العمرو.

الأسباب

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «السين والباء حدّه بعض أهل اللغة - وأظنه ابن دريد -:

(٣) منهج ودراسات لآيات الصفات، للشنقيطي (٩٤) [دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(١) لوازم الأنوار البهية للسفاريني (٣٨/١) [المكتب الإسلامي، ودار الخاني، ط ٣، ١٤١١هـ].

(٢) الكليات للكفوي (٨١).

الحكم:

يجب الإقرار بأن الله ربط الأسباب بمسبباتها؛ شرعاً وقدرًا، وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني الشرعي، وأمره الكوني القديري، فإنكار الأسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات، وقدح في العقول والفطر، ومكابرة للحس، وجحد للشرع^(٥).

الحقيقة:

جعل الله ﷻ الكون كله قائمًا على الفعل وأثر الفعل، أو إن شئت قلت: السبب والمسبب، قال ابن القيم: «بل الموجودات كلها أسباب ومسببات، والشرع كله أسباب ومسببات، والمقادير أسباب ومسببات»^(٦).

الأدلة:

لا نجد كتابًا من الكتب أعظم إثباتًا للأسباب من القرآن؛ فالقرآن يدل على إثبات الأسباب الكونية والشرعية، من وجوه كثيرة؛ منها:

١ - كل موضع في القرآن رتب فيه الحكم الشرعي أو الجزائي على الوصف أفاد كونه سببًا له، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً

أن أصل هذا الباب القطع، ثم اشتق منه الشتم... وأما الحبل: فالسبب، فمممكن أن يكون شاذًا عن الأصل الذي ذكرناه، ويمكن أن يقال: إنه أصل آخر يدل على طول وامتداد، ومن ذلك السبب^(١).

والأسباب: جمع (سبب)، والسبب الحبل، وكل شيء يتوصل به إلى غيره، وفي القرآن: ﴿...وَأَيُّ شَيْءٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾^(٨٥) [الكهف]، والقراءة، والمودة، والباب، يقال: ما لي إليك سبب طريق^(٢).

التعريف اصطلاحًا:

الأسباب: هي ما يتوصل بها إلى مسبباتها، ويحصل بها المقصود المطلوب، كالوطء لإنجاب الأولاد، والسقي للحرث، والنار للحرق، وكالعمل الصالح لتحصيل الإيمان، ونحوها من الأسباب القدرية والشرعية^(٣).

الأسماء الأخرى:

التولّد؛ إذ يقال في تعريفه: «تولد الشيء من الشيء؛ أي: حدث»^(٤).

(١) مقاييس اللغة (٣/٦٣ - ٦٤) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ]

(٢) انظر: مقاييس اللغة (١/٦٤)، والمعجم الوسيط

(٣) انظر: شفاء العليل لابن القيم (٣١٩) [دار الكتب العلمية، ط ٣].

(٤) شمس العلوم لنشوان الحميري (١١/٧٢٩٦) [دار

الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٥) انظر: منهاج السُّنة (٥/٣٦١ - ٣٦٨)، ومجموع

الفتاوى (٨/١٣٨ - ١٤٠، ١٧٥ - ١٧٧).

(٦) شفاء العليل (١/١٨٨) [دار المعرفة، ١٣٩٨هـ].

بالقلب، والتعرض بالأسباب أفعال تختص البدن ولا تناقض التوكل»^(٢).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «بل كان رسول الله ﷺ جامعاً كاملاً، له من كل مقام ذروة سنامه ووسيلته، فيعلم أن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً قدح في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، ويعلم أن عليه أن يجاهد المشركين ويقيم الدين بكل ما يقدر عليه من جهاده بنفسه وماله وتحريضه للمؤمنين، ويعلم أن الاستنصار بالله والاستغاثة به والدعاء له فيه أعظم الجهاد وأعظم الأسباب في تحصيل المأمور ودفع المحذور»^(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الأصل الرابع: أنه سبحانه ربط الأسباب بمسبباتها شرعاً وقدرًا، وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني والشرعي، وأمره الكوني القدري، ومحل ملكه وتصرفه... والشرع كله أسباب ومسببات، والمقادير أسباب ومسببات، والقدر جار عليها، متصرف فيها؛ فالأسباب محل الشرع والقدر، والقرآن مملوء من إثبات الأسباب»^(٤).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣٥٥/٤).

(٣) منهاج السنة النبوية (٨٠/٨) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٤) شفاء العليل (٣١٥) [دار الكتب العلمية].

يَمَّا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ﴿٣٨﴾ [المائدة: ٣٨].

٢- كل موضع تضمن الشرط والجزاء أفاد سببه الشرط والجزاء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧) [إبراهيم].

٣- كل موضع ذكرت فيه الباء تعليلًا لما قبلها بما بعدها أفاد التسبب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (٢٤) [الحاقة].

٤- كل موضع صرح فيه بأن كذا جزاء لكذا أفاد التسبب، كما في قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّمْ يُفْعَلْ بِهِ لَكُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١) [آل عمران: ١٥٩].

٥- كل موضع أضاف الفعل فيه إلى مخلوق فهو من إضافة المسبب إلى السبب، وهو الأكثر ومنه، قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠]، وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ (٩) [ق].

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «إن التوكل والثقة بالله سبحانه لا ينافيان العمل بالأسباب، بدليل قوله: «اعقلها وتوكل»، وهذا لأن التوكل عمل يختص

(١) شفاء العليل (١٨٨/١) [دار المعرفة].

❖ الأقسام:

المسببات أربعة أنواع، ترجع إلى أربعة أسباب:

الأول: مسببات ليس للمخلوق فيها سوى أنه محل لها، وسببها فعل الخالق وحده ﷻ، وذلك مثل الأفعال الخارقة للعادة، وهي المعجزات والكرامات وكذلك الهداية وخلق التوفيق في قلب العبد أو الضلال والخذلان في قلب العبد.

الثاني: مسببات طبيعية قد جعلها الله ﷻ في أصل خلقتها تحدث مسبباتها إذا لقيت مواضعها المناسبة لذلك ولم يكن هناك موانع، وذلك كالنار في الإحراق، والماء في الإغراق، والشمس في النور والحرارة والدفء، والقمر في الضياء. فسبب الإحراق النار، وسبب الإغراق الماء، وسبب النور الشمس، وسبب الضياء في الليل القمر. والبعض يسمي هذه المسببات بالمتولّدات.

الثالث: مسببات من المخلوقات ذات الإرادة والفعل؛ كالجن والإنس وسائر الحيوان، فهي أسباب في وجود المسببات؛ فأفعالها لها مسببات وهي تنسب إليهم فعلاً وكسباً، وتنسب إلى الله ﷻ خلقاً وإيجاداً.

الرابع: المتولّدات، وهي سبب ناتج عن سبب؛ كالحجر إذا تدحرج فضرِب

حجرًا تدحرج فأصاب شخصًا، فهذا ينسب كل سبب إلى مسببه، فمن دحرج الحجر الأول ينسب إليه فعله، والحجر الأول ينسب إليه دحرجة الحجر الثاني، والحجر الثاني ينسب إليه إصابة الشخص، والكل خلق الله وإيجاده، وهو في نفس الوقت فعل لمن قام بالفعل.

ويجب على المسلم أن يعلم أنه لا بد في الأسباب من ثلاثة أمور؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «لكن ينبغي أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور:

أحدها: أن السبب المعين لا يستقل بالمطلوب بل لا بُدَّ معه من أسباب أُخَر، ومع هذا فلها موانع، فإن لم يكمل الله الأسباب ويدفع الموانع لم يحصل المقصود، وهو ﷻ ما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، وما شاء الناس لا يكون إلا أن يشاء الله.

الثاني: لا يجوز أن يعتقد أن الشيء سبب إلا بعلم، فمن أثبت شيئاً سبباً بلا علم أو يخالف الشرع كان مبطلاً، مثل: من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء، وقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر، وقال: «إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل»^(١).

(١) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦٠٨)، ومسلم (كتاب النذر، رقم ١٦٣٩)، عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

الثالث: أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيء سبباً إلا أن تكون مشروعة؛ فإن العبادات مبناهما على التوقيف؛ فلا يجوز للإنسان أن يشرك بالله فيدعو غيره، وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه، وكذلك لا يعبد الله بالبدع المخالفة للشرعة، وإن ظن ذلك؛ فإن الشياطين قد تعين الإنسان على بعض مقاصده إذا أشرك، وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعض أغراض الإنسان فلا يحل له ذلك؛ إذ المفسدة الحاصلة بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة به، إذ الرسول ﷺ بعث بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، فما أمر الله به فمصالحته راجحة، وما نهى عنه فمفسدته راجحة^(١).

القول الأول: قالوا: إن الإنسان لا يكون فاعلاً في غير محل قدرته، فلماذا قالوا: إن الأمور التي تقع بأثر الفعل هي من خلق الله وإرادته وليس للعبد فيها فعل، وهو قول الأشاعرة ومن وافقهم.

القول الثاني: قول المعتزلة، ولهم في ذلك رأيان:

- ١ - أنها تحصل بالطبع في المحل؛ أي: المحل الواقع عليه الفعل، وهو قول النظم ومعمّر.
- ٢ - أنها تحصل بالطبع في أفعال الجوارح، وهو قول الجاحظ.

والناظر في هذه الأقوال يتبين له خطأ بعضها وقصور بعضها عن الحق، فإن المعتزلة وإن أجاز بعضهم نسبتها إلى العبد فإنهم ينفون خلق الله ﷻ للفعل وأثره. أما الأشعرية فإنهم يمنعون أن ينسب الأثر الواقع بفعل الإنسان إليه.

القول الثالث وهو الصحيح - وهو قول أهل السنة والمنسجم مع أصولهم في القدر - وهو: أن الفعل وأثره ينسبان إلى الله خلقاً وإيجاداً، وينسبان إلى العبد فعلاً وكسباً، فقد اشترك في وقوعه الإنسان والسبب المتصل به، ولم يستقل

المسائل المتعلقة:

- **المسألة الأولى:** المتولدات: وهي من: تولّد الشيء من الشيء؛ أي: حدث، يقال: تولدت البغضاء بينهم. والتولّد: وقوع الفعل لأجل فعل غيره قبله^(٢)، فيقال: هذا الأمر يتولّد عنه كذا، وهذا يُولّد كذا، وقد تولّد عن ذلك الأمر كيت وكيت لكل سبب اقتضى مسبباً من الأقوال والأعمال^(٣)؛

(١) مجموع الفتاوى (١/١٣٧).

(٢) شمس العلوم للحميري (١١/٧٢٩٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/١٣٣).

فيها إبراهيم عليه السلام، وفي الذي مر على قرية وهي خاوية فأماته الله مائة عام، فقد حفظه الله من أن تأكله الأرض ونحو ذلك^(٢).

- المسألة الثانية: التأثير:

لفظ التأثير لفظ مجمل يحتمل حقًا وباطلاً؛ فإن أريد به الانفراد والاختراع والإبداع، فهذا باطل، يتبرأ منه أهل السُّنَّة، وإنما هو المعزوز إلى أهل الضلال من المعتزلة ومن وافقهم. وإن أريد به نوع معاونة؛ إما في صفة من صفات الفعل، وإما في وجه من وجوهه، كما قاله كثير من المتكلمين، فهو أيضًا باطل، بما بطل به التأثير في ذات الفعل.

وإن أريد به خروج الفعل من العدم إلى الوجود، بتوسط القدرة المحدثه؛ بمعنى: أن القدرة المخلوقة هي سبب وواسطة في خلق الله تعالى الفعل، كما خلق النبات بالماء، وخلق جميع المسببات بوسائط وأسباب فهذا حق، وليست إضافة التأثير بهذا التفسير إلى قدرة العبد شركاً^(٣).

كل واحد منهما بالفعل، وقد نسب الله تعالى إلى الإنسان فقال عز من قائل: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣]، وقال: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥]، وقال: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: ٢١]، وقال: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٩]، والقتل لا يكون إلا بواسطة في الغالب إلا أن يكون خنقًا ونحوه، وكذلك القطع والنحت، وقد نسب الله تعالى إلى الإنسان باعتبار أنه من فعله وكسبه لهذا، فإن الإنسان يجازي على فعله وعلى أثر فعله، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١١]، وقال عليه السلام في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»^(١).

والله تعالى خالق فعل العبد وخالق السبب والمسبب، ولو شاء لجعل من الموانع ما يمنع من أثر الفعل مع وجود سببه، كما هو الحال في النار التي ألقى

(٢) انظر الأقوال في: الإرشاد للجويني (٢٠٦)، وأصول الدين للبغدادي (١٣٧ - ١٣٨)، وتمهيد الأوائل للباقلاني (٣٣٥)، وشرح الأصول الخمسة (٣٨٧ - ٣٩٠)، ودرء التعارض (٣٤١/٩)، ومجموع الفتاوى (١٣٧/٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٨٩/٨ - ٣٩٠).

(١) أخرجه مسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٧٤).

❁ مذهب المخالفين:

المشهور من أقوال المخالفين ثلاثة أقوال:

القول الأول: هو قول الفلاسفة الذين يجعلون السببية هي أساس الوجود كله، فهو بين علة ومعلول وسبب ومسبب، ولكنهم ينكرون أن الله وَجَّكَ له صفة أو فعل، فليس لله وَجَّكَ فعل مباشر في خلقه ولا أثر حقيقي يقوم به أو يؤثر في خلقه - تعالى الله عن قولهم -؛ فالأسباب والسببية تعود عندهم إلى طبائع الأشياء؛ فالشمس طبيعتها الضوء والحرارة، وطبيعة الماء الري، وطبيعة الطعام الشبع، وطبيعة النار الإحراق، وطبيعة الحجر إذا دحرج السقوط إلى أسفل، وطبيعة النار الصعود إلى أعلى^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فلما كان أصل قولهم أن صانع العالم لا يمكنه تغيير العالم ولا له قدرة ولا اختيار في تصرفه من حال إلى حال جعلوا يريدون أن ينسبوا جميع الحوادث إلى أمور طبيعية ليطرد قولهم ويسلم عن التناقض، وهو قول فاسد متناقض في نفسه»^(٢).

القول الثاني: قول المعتزلة، وهم ينكرون أن الله خالق أفعال العباد، ويقولون: إن العباد هم الخالقون لأفعالهم^(٣)؛ فالأسباب ومسبباتها عندهم هي من فعل العباد ولا فاعل لها سواهم، ولا ينسب إلى الله وَجَّكَ شيء من ذلك سوى خلق ذواتهم^(٤).

❁ والرد عليهم:

إن هؤلاء مبطلون للحقائق غائبون عن موجبات العقول؛ وذلك أن كل ما في العالم من جسم أو عرض في جسم أو أثر من جسم فهو خلق الله وَجَّكَ، فكل ذلك فعل الله وَجَّكَ؛ بمعنى: أنه خلقه

❁ والرد عليهم:

أن مقالاتهم كلها مبنية على أصل فاسد: وهو إنكار وجود الله وَجَّكَ الوجود الذاتي، وكذلك إنكار صفاته وأفعاله، وهذا معلوم البطلان بضرورة الشرع والعقل، وما كان مبنياً على فاسد هو فاسد.

(٢) الصفية لابن تيمية (٩)، [مكتبة ابن تيمية، مصر، ط ٢].

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة (٣٢٣)، والمختصر في أصول الدين للقاظمي عبد الجبار (٣٢٨) [ضمن رسائل العدل والتوحيد]، ومنهاج السنة (٢/٢٩٥ - ٢٩٧).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري (٢/٢٩٩) [المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(١) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية لماجد فخري (١٣١)، وتلخيص منطق أرسطو لابن رشد (٤٧١/٥)، وآراء أهل المدينة الفاضلة (٦١)، وانظر رسالة: السببية عند أهل السنة ومخالفهم من خلال مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية لتوفيق المحيش (٦١٣ - ٦٢٨) [منشورة إلكترونياً].

القول الثالث: قول الأشاعرة ومن وافقهم، الذين ينكرون أن تكون الأسباب أسباباً، وهؤلاء يقولون: إن الله وَعَلَى يفعل عند التقاء السبب بالمسبب الأثر المطلوب، فالنار ليست محرقة بنفسها ولكن الله وَعَلَى أجرى العادة بأن يقع الإحراق عند التقائها بما هو قابل للاحتراق، فهم ينكرون أن يكون للعباد أثر في وقوع الفعل، ويقولون: إن قدرة العبد غير مؤثرة في وقوع الفعل وأن الفعل في حقيقته منسوب إلى الله وَعَلَى، فعليه يقولون: إن الله يخلق المسبب عند وقوع السبب، لهذا عرفوا السبب بذلك^(٢).

الرد عليهم:

إن الآيات الدالة على أن الله يخلق الأشياء بالأسباب - لا كما يقوله هؤلاء: إنه يفعل عندها لا بها - أكثر من أن تحصر، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [٩] وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا

(٢) انظر: المستصفى للغزالي (١/٧٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ]، وتهافت الفلاسفة للغزالي (٢٣٧) [دار المعارف، القاهرة، ط٦]، وتخريج الفروع على الأصول لمحمود الزنجاني (٣٥٢) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، وقواعد الأحكام في مصالح الأنام للغزالي (١/١٨) [مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤١٤هـ].

وكل ذلك مضاف بنص القرآن وبحكم اللغة إلى ما ظهرت منه من حي أو جماد، قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، فنسب وَعَلَى الاهتزاز والإنبات والربو إلى الأرض. وقال تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، فأخبر تعالى أن النار تelfح. وقال تعالى: ﴿وَأِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]، فأخبر وَعَلَى أن الماء يشوي الوجوه. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، فسمى تعالى المخطئ قاتلاً وأوجب عليه حكماً، وهو لم يقصد قتله قط، لكنه تولد عن فعله، ونحو ذلك.

ولم تختلف أمة ولا لغة في صحة قول القائل: مات فلان، وسقط الحائط، فنسب الله تعالى وجميع خلقه الموت إلى الميت والسقوط إلى الحائط والانهيار إلى الجرف؛ لظهور كل ذلك منها، ليس في القرآن ولا في السنن ولا في العقول شيء غير هذا الحكم، ومن خالف هذا فقد اعترض على الله تعالى وعلى رسول الله ﷺ وعلى جميع الأمم وعلى جميع عقولهم^(١).

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٣٨/٥).

فإنكار الأسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات، وقدح في العقول والفطر، ومكابرة للحس، وجحد للشرع والجزاء والثواب والعقاب.

قال ابن تيمية رحمته الله: «وأن هؤلاء الذين اتبعوا جهماً في الجبر، ونفوا حكمة الله ورحمته، والأسباب التي بها يفعل، وما خلقه من القوى وغيرها هم مبتدعة مخالفون للكتاب والسنة وإجماع السلف، مع مخالفتهم لصريح المعقول»^(٢).

وقد تفرع عن قول الأشاعرة في إنكار الأسباب قول آخر باطل، وهو: إلغاء الأسباب اعتماداً على القدر، وقال بهذا بعض الصوفية الذين أبطلوا الأسباب وعطلوها وزعموا أن لا أثر لها في وجود الأشياء، وسموا فعلهم ذاك توكلاً.

وهذا من الأصول الفاسدة التي تسلموها من الجهمية الجبرية، مع قلة العلم الذي أوجب لهم هذا التخليط، ولو عرفوا ماهية التوكل لعلموا أنه ليس بينه وبين الأسباب تضاد؛ وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده، وذلك لا يناقض حركة البدن في التعلق بالأسباب ولا ادخار المال؛ فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ

طَلْعُ نَفْسِيذٍ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾ [ق]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف]، وأمثال ذلك.

يقول ابن تيمية: «ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة؛ يخبر الله تعالى أنه يحدث الحوادث بأسباب»^(١).

وأما الآيات الدالة على ثبوت القوى والقدرة والطبائع التي جعلها الله في الإنسان، وأنها مؤثرة في حصول المقدورات فكثيرة هي كذلك.

منها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت]، وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشِبْهَهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم].

فالله سبحانه ربط الأسباب بمسبباتها شرعاً وقدرًا، وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني والشرعي، وأمره الكوني القدري، ومحل ملكه وتصرفه،

(١) منهاج السنة (٣/١١٣)، وانظر: شرح الأصبهانية (١٧٦ - ١٧٩)، فقد أفاض بذكر الأدلة القرآنية على ثبوت الأسباب وأنها لها تأثير في مسبباتها.

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/٢٧١).

لما خلق له^(٣) . . . فكيف يمكن أن يشهد أن الله لم ينصب على توحيدِهِ دليلاً، ولا جعل للنجاة من عذابه وسيلة، ولا جعل لما يفعله المتوكل من عباده سبباً، وهو مسبب الأسباب، وخالق كل شيء بسبب منه، لكن الأسباب كما قال فيها أبو حامد وأبو الفرج ابن الجوزي وغيرهما: «الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً تغيير في وجه العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع».

والتوكل معنى يلتزم من معنى التوحيد والعقل والشرع؛ فالموحد المتوكل لا يلتفت إلى الأسباب، بمعنى: أنه لا يطمئن إليها، ولا يثق بها، ولا يرجوها، ولا يخافها؛ فإنه ليس في الوجود سبب يستقل بحكم، بل كل سبب فهو مفتقر إلى أمور أخرى تضم إليه، وله موانع وعوائق تمنع موجهه، وما ثم سبب مستقل بالإحداث إلا مشيئة الله وحده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وما شاء خلقه بالأسباب التي يحدثها ويصرف عنه الموانع، فلا يجوز التوكل إلا عليه^(٤).

اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا [النساء: ٥]؛ أي: قواماً لأبدانكم، وقال ﷺ: «نعم المال الصالح مع الرجل الصالح»^(١)، وقال ﷺ: «أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عائلة يتكففون الناس»^(٢).

واعلم أن الذي أمر بالتوكل أمر بأخذ الحذر فقال: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، وقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال: ﴿فَأَسْرِ بِعَبَادِي لَيْلًا﴾ [الدخان: ٢٣].

قال ابن تيمية: «ولا ريب أن هذا الأصل الفاسد مخالف للكتاب والسنة، وإجماع السلف وأئمة الدين، ومخالف لصريح المعقول، ومخالف للحس والمشاهدة».

وقد سئل النبي ﷺ عن إسقاط الأسباب نظراً إلى القدر، فرد ذلك؛ كما ثبت في «الصحيحين» عنه ﷺ أنه قال: «ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار» قالوا: يا رسول الله، أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب؟ فقال: «لا؛ اعملوا فكل ميسر

(١) أخرجه أحمد (٢٩٨/٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان في صحيحه (كتاب الزكاة، رقم ٣٢١٠)، والحاكم في المستدرک (كتاب البيوع، رقم ٢١٣٠) وصححه، وصححه الألباني أيضاً في غاية المرام (رقم ٤٥٤) [المكتب الإسلامي، ط ٣].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب النفقات، رقم ٥٣٥٤)، ومسلم (كتاب الهبات، رقم ١٦٢٨)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضی اللہ عنہ.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٩٤٩)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٧).

(٤) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٥/٣٦٢ - ٣٦٨).

المصادر والمراجع:

- ١ - «منهاج السُّنة النبوية»، لابن تيمية.
- ٢ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٣ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.
- ٤ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٥ - «التدمرية»، لابن تيمية.
- ٦ - «القضاء والقدر في الإسلام»، لفاروق أحمد الدسوقي.
- ٧ - «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، لابن حزم.
- ٨ - «السببية عند أهل السُّنة ومخالفهم من خلال مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية»، لتوفيق المحيش.
- ٩ - «مبدأ السببية عند الأشاعرة: دراسة نقدية»، لجمعان بن محمد الشهري [رسالة ماجستير].
- ١٠ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

الأسباط

اسمهم ونسبهم:

الأسباط: هم أحفاد أولاد يعقوب الاثنا عشر^(١).

معنى الأسباط لغة:

الأسباط: هم أولاد الولد، والسبط واحد الأسباط. قال الجوهري: «والسبُط: واحد الأسباط، وهم ولد الولد. والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب»^(٢).

وفي «تهذيب اللغة»: «الأسباط: القبائل... والحسن والحسين سبط النبي ﷺ؛ أي: هما طائفتان منه؛ قطعتان منه... والسبط: القرن الذي يجيء بعد قرن... والصحيح: أن الأسباط في ولد إسحاق ﷺ بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل.

فولد كل ولد من أولاد يعقوب سبط، وولد كل ولد من أولاد إسماعيل قبيلة، وإنما سُمّوا هؤلاء بالأسباط، وهؤلاء بالقبائل؛ ليفصل بين ولد إسماعيل وولد إسحاق ﷺ.

قال: ومعنى ولد إسماعيل في القبيلة معنى الجماعة... وأما الأسباط فمشتق من السبط، والسبط: ضرب من الشجر ترعاه الإبل.

يقال: الشجرة لها قبائل، وكذلك الأسباط من السبط، كأنه جعل إسحاق بمنزلة شجرة، وجعل إسماعيل بمنزلة شجرة أخرى»^(٣).

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٤١/٢) [دار عالم الكتب، الرياض]، وقصص الأنبياء لابن كثير (٣٠٩/١) [مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط ١، ١٣٨٨هـ].

(٢) الصحاح (١١٢٩/٣) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٣) تهذيب اللغة (٢٤٠/١٢) [دار إحياء التراث العربي، =

المظفر السمعاني: «فإن أولاد يعقوب كلهم كانوا أنبياء»^(٢).

وقال محمد بن عمر الرازي في قوله تعالى في حق يوسف: ﴿وَوَيْتَهُ نِعْمَةً عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٦]:

«واعلم أنا لما فسرنا هذه الآية بالنبوة لزم الحكم بأن أولاد يعقوب كلهم كانوا أنبياء، وذلك لأنه قال: ﴿وَوَيْتَهُ نِعْمَةً عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾، وهذا يقتضي حصول تمام النعمة لآل يعقوب، فلما كان المراد من إتمام النعمة هو النبوة لزم حصولها لآل يعقوب، ترك العمل به في حق من عدا أبناءه، فوجب أن لا يبقى معمولاً به في حق أولاده. وأيضا أن يوسف ﷺ قال: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف: ٤]، وكان تأويله أحد عشر نفساً لهم فضل وكمال ويستضيء بعلمهم ودينهم أهل الأرض؛ لأنه لا شيء أضوأ من الكواكب وبها يهتدى، وذلك يقتضي أن يكون جملة أولاد يعقوب أنبياء ورسلاً.

فإن قيل: كيف يجوز أن يكونوا أنبياء وقد أقدموا على ما أقدموا عليه في حق يوسف ﷺ؟ قلنا: ذاك وقع قبل النبوة، وعندنا العصمة إنما تعتبر في وقت النبوة لا قبلها»^(٣).

ومن خلال هذا يعرف أن الأسباط له عدة معان؛ فهو يطلق على ولد الابن، وولد البنت، وعلى القبائل، والقرن الذي يجيء بعد قرن، والمراد به هنا: القبائل.

نبوتهم:

يرى بعض المفسرين أن الأسباط أنبياء، وهم أبناء يعقوب ﷺ؛ حيث ذكرهم الله ضمن أنبيائه الموحى إليهم من عنده، فقال ﷺ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ [النساء: ١٦٣].

وقال الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

المسائل المتعلقة:

- من هم الأسباط؟

اختلف في المراد بالأسباط على أقوال:

القول الأول: وهو لجماعة من المفسرين، أن المراد بالأسباط: أولاد يعقوب الاثنا عشر، وأنهم أنبياء، واحتجوا لذلك بالآية الثانية^(١). قال أبو

= بيروت، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣٣٤/٢) [المكتبة العلمية، بيروت].

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٢٩/٩)، وقصص الأنبياء لابن كثير (٣٠٩/١).

(٢) تفسير السمعاني (٨/٣) [دار الوطن، الرياض، ط ١].

(٣) تفسير الرازي (٤٢١/١٨) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ].

حينئذ كانت فيهم النبوة؛ لأنه لا يعرف أنه كان فيهم نبي قبل موسى إلا يوسف^(٢)، كما قال تعالى مخاطباً قوم موسى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ [غافر: ٣٤].

الثالث: أن تفسير الأسباط بأولاد يعقوب لصلبه مخالف لتفسير بعض السلف، فقد روى ابن أبي حاتم بسند جيد^(٣) عن أبي العالية قال: «الأسباط هم يوسف وأخوته بنو يعقوب اثنا عشر رجلاً، ولد كل رجل منهم أمة من الناس فسموا الأسباط»^(٤).

وروى نحوه ابن جرير الطبري بسند حسن^(٥) عن قتادة أنه قال: «الأسباط: يوسف وإخوته بنو يعقوب، ولد اثني عشر رجلاً، فولد كل رجل منهم أمة من الناس، فسموا أسباطاً»^(٦).

وقال البخاري: «الأسباط: قبائل بني إسرائيل»^(٧).

(٢) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٣/٢٩٨) [دار عالم الفوائد].

(٣) انظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور لحكمات بشير ياسين (١/٢٤٦) [دار المآثر، المدينة النبوية، ط١]، والبداية والنهاية لابن كثير (١/٤٥٩) [دار هجر، ط١].

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١/٢٤٣) [مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، ط٣، ١٤١٩هـ].

(٥) انظر: الصحيح المسبور (١/٢٤٦).

(٦) تفسير الطبري (٢/٥٩٨) [دار هجر، ط١].

(٧) صحيح البخاري (٤/١٦٩٨) [دار ابن كثير].

القول الثاني: أن المراد بالأسباط هم شعوب بني إسرائيل، وأن أولاد يعقوب ليسوا أنبياء سوى يوسف عليه السلام، قال بهذا جمع من العلماء، منهم: أبو العالية وقتادة والبخاري والقرطبي وابن تيمية وابن كثير. واحتجوا لهذا بأمور:

الأول: أن الله نصَّ على نبوة يوسف من بين إخوته نصّاً صريحاً، فقال ﴿يُوسُفُ﴾: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤].

وثبت من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ أنه قال في يوسف: «الكريم ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام»^(١).

ويضاف إلى هذا اعتراف إخوة يوسف بتفضيل الله إياه عليهم: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩١].

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [١٥٩] وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَفِيسًا أَسْبَاطًا أُمَّمًا [الأعراف]، يدل على أن تسميتهم بالأسباط حدثت من عهد موسى، ومن (١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٩٠).

النبي ﷺ بل ولا عن أصحابه خبر بأن الله تعالى نبأهم، وإنما احتج من قال: إنهم نُبِّئُوا؛ بقوله في آيتي البقرة والنساء: ﴿وَالْأَسْبَاطُ﴾ [البقرة: ١٣٦، النساء: ١٦٣] وفسر الأسباط بأنهم أولاد يعقوب، والصواب: أنه ليس المراد بهم أولاده لصلبه بل ذريته، كما يقال فيهم أيضًا: (بنو إسرائيل)، وكان في ذريته الأنبياء، فالأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من بني إسماعيل... فسموا الأسباط لكثرتهم، فكما أن الأغصان من شجرة واحدة، كذلك الأسباط كانوا من يعقوب. ومثل السبط: الحافد، وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله ﷺ، والأسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثني عشر. وقال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٢٩) وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا [الأعراف]، فهذا صريح في أن الأسباط هم الأمم من بني إسرائيل، كل سبط أمة، لا أنهم بنوه الاثنا عشر؛ بل لا معنى لتسميتهم قبل أن تنتشر عنهم الأولاد أسباطًا، فالحال أن السبط هم الجماعة من الناس. ومن قال: الأسباط أولاد يعقوب، لم يرد أنهم أولاده لصلبه؛ بل أراد ذريته، كما يقال: بنو إسرائيل وبنو آدم، فتخصيص الآية بينيه لصلبه غلط، لا يدل عليه اللفظ ولا المعنى، ومن ادعاه فقط

ولذا ضَعَّف ابن كثير هذا التفسير فقال: «ومن استدل على نبوتهم بقوله: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وزعم أن هؤلاء هم الأسباط فليس استدلاله بقوي؛ لأن المراد بالأسباط شعوب بني إسرائيل، وما كان يوجد فيهم من الأنبياء الذين ينزل عليهم الوحي من السماء والله أعلم. ومما يؤيد أن يوسف ﷺ هو المختص من بين إخوته بالرسالة والنبوة أنه نصَّ على نبوته والإيحاء إليه في غير ما آية في كتابه العزيز، ولم ينص على واحد من إخوته سواه، فدل على ما ذكرناه»^(١).

وقال القرطبي: «والأسباط: ولد يعقوب ﷺ، وهم اثنا عشر ولدًا، ولد لكل واحد منهم أمة من الناس، واحدهم سبط. والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد إسماعيل»^(٢).

الرابع: أنه لا دليل على نبوة إخوة يوسف، بل الدليل قائم على عدم نبوتهم. قال ابن تيمية: «الذي يدل عليه القرآن واللغة والاعتبار أن إخوة يوسف ليسوا بأنبياء، وليس في القرآن ولا عن

(١) البداية والنهاية (٤٥٩/١)، وانظر: قصص الأنبياء لابن كثير (٣٠٩/١).

(٢) تفسير القرطبي (١٤١/٢)، وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢٨٤/٣) [مكتبة المؤيد].

أخطأ خطأً بيّناً^(١).

الأُمور العظيمة، من عقوق الوالد، وقطيعة الرحم، وإرقاق المسلم وبيعه إلى بلاد الكفر، والكذب البين، وغير ذلك مما حكاه عنهم، ولم يحك شيئاً يناسب الاصطفاء والاختصاص الموجب لنبوتهم، بل الذي حكاه يخالف ذلك، بخلاف ما حكاه عن يوسف.

ثم إن القرآن يدل على أنه لم يأت أهل مصر نبياً قبل موسى سوى يوسف؛ لآية غافر، ولو كان من إخوة يوسف نبي لكان قد دعا أهل مصر، وظهرت أخبار نبوته، فلما لم يكن ذلك علم أنه لم يكن منهم نبي. فهذه وجوه متعددة يقوي بعضها بعضاً.

وقد ذكر أهل السير أن إخوة يوسف كلهم ماتوا بمصر، وهو أيضاً، وأوصى بنقله إلى الشام، فنقله موسى.

والحاصل: أن الغلط في دعوى نبوتهم حصل من ظن أنهم هم الأسباط، وليس كذلك، إنما الأسباط ذريتهم الذين قطعوا أسباطاً من عهد موسى، كل سبط أمة عظيمة. ولو كان المراد بالأسباط أبناء يعقوب لقال: «يعقوب وبنيه»، فإنه أوجز وأبين. واختير لفظ: (الأسباط) على لفظ: (بنو إسرائيل) للإشارة إلى أن النبوة إنما حصلت فيهم من حين تقطيعهم أسباطاً من عهد موسى. والله أعلم^(٢).

وفي موضع آخر ذكر شيخ الإسلام جملة من الأدلة على نفي نبوة إخوة يوسف، فقال: «ومما يؤيد هذا أن الله تعالى لما ذكر الأنبياء من ذرية إبراهيم قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾» الآيات [الأنعام: ٨٤]، فذكر يوسف ومن معه، ولم يذكر الأسباط، فلو كان إخوة يوسف نبثوا كما نبئ يوسف لذكروا معه.

وأيضاً؛ فإن الله يذكر عن الأنبياء من المحامد والثناء ما يناسب النبوة، وإن كان قبل النبوة، كما قال عن موسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [القصص: ١٤]، وقال في يوسف كذلك، وفي الحديث: «أكرم الناس يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، نبي من نبي من نبي»، فلو كانت إخوته أنبياء كانوا قد شاركوه في هذا الكرم، وهو تعالى لما قص قصة يوسف وما فعلوا معه ذكر اعترافهم بالخطيئة وطلبهم الاستغفار من أبيهم، ولم يذكر من فضلهم ما يناسب النبوة، ولا شيئاً من خصائص الأنبياء، بل ولا ذكر عنهم توبة باهرة كما ذكر عن ذنبه دون ذنبهم، بل إنما حكى عنهم الاعتراف وطلب الاستغفار. ولا ذكر سبحانه عن أحد من الأنبياء - لا قبل النبوة ولا بعدها - أنه فعل مثل هذه

قال أبو الثناء الألوسي: «إن الأسباب في ولد إسحاق كالقبائل في أولاد إسماعيل، وقد بعث منهم عدة رسل، فيجوز أن يكون أراد سبحانه بالوحي إليهم الوحي إلى الأنبياء منهم، كما تقول: أرسلت إلى بني تميم، وتريد أرسلت إلى وجوههم، ولم يصح أن الأسباب الذين هم إخوة يوسف ﷺ كانوا أنبياء»^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «صحيح البخاري» (ج ٤).
- ٢ - «تفسير الطبري» (ج ٢).
- ٣ - «تفسير ابن أبي حاتم» (ج ١).
- ٤ - «تفسير القرطبي» (ج ٢).
- ٥ - «قصص الأنبياء» (ج ١)، لابن كثير.
- ٦ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.
- ٧ - «الصحيح المسبور من التفسير» (ج ١)، لحكمت بشير ياسين.
- ٨ - «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (ج ٣).

الاستثناء في الإسلام

يراجع مصطلح (الاستثناء في الإيمان).

وأما احتجاج الرازي على نبوة جميع أولاد يعقوب بقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ فِئْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٦] فلا نص فيه على نبوة جميع أولاد يعقوب من صلبه؛ بل جعل الله النبوة في نسل يعقوب فيوسف وموسى، ومن بعده عدا محمد بن عبد الله هم من ذريته، كما أن إخوة يوسف نالهم كثير من هذه النعمة بسبب يوسف، ولذا قال العلامة السعدي في تفسيرها: «ولما تمت النعمة على يوسف، حصل لآل يعقوب من العز والتمكين في الأرض والسرور والغبطة ما حصل بسبب يوسف»^(١).

وأما قوله المتقدم: «إن يوسف ﷺ قال: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف: ٤] وكان تأويله: أحد عشر نفساً لهم فضل وكمال ويستضيء بعلمهم ودينهم أهل الأرض؛ لأنه لا شيء أضوأ من الكواكب وبها يهتدى وذلك يقتضي أن يكون جملة أولاد يعقوب أنبياء ورسلاً»^(٢) فهذا الاستدلال غير صحيح؛ لأنه لو كانت الآية تدل على نبوة الجميع لما أمر يعقوب يوسف بكتمان رؤياه عن إخوته خوفاً من كيد إخوته له.

وعلى هذا القول يكون معنى الإيحاء إلى الأسباب؛ أي: إلى الأنبياء منهم.

(١) تفسير السعدي (٤٠٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٢) تفسير الرازي (٤٢١/١٨) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ].

(٣) تفسير الألوسي (٣/١٩١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ].

التعريف شرعاً:

الاستثناء في الإيمان هو أن يُعَلَّقَ الشخص إيمانه على ما لا يدل على الجزم والقطع بكمال الإيمان؛ كأن يعلقه على مشيئة الله، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله، أو: مؤمن أرجو، ونحو ذلك، فلا يقطع بكمال الإيمان لنفسه^(٣).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الاستثناء أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، أو مؤمن أرجو، أو آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، أو إن كنت تريد الإيمان الذي يعصم دمي فنعيم، وإن كنت تريد ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] فالله أعلم»^(٤).

وقال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ: «الاستثناء في الإيمان... هو: أن يقول - أي: الرجل -: أنا مؤمن إن شاء الله»^(٥).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي للاستثناء في الإيمان مندرج تحت عموم المعنى اللغوي للشئ، وهو الرجوع والتكرار، فبعد أن أقر القائل لنفسه بالإيمان بقوله: «أنا مؤمن»، انثنى ورجع ليعلق ذلك الإقرار

الاستثناء في الإيمان

التعريف لغة:

الاستثناء في اللغة: بمعنى المنع والصرف، وأصل الاستثناء مأخوذ من الشئ، وهو ردُّ الشيء بعضه على بعض. والشئ العطف، وكل شيء عطفته فقد ثنيته؛ كما يطلق الشئ على تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين متواليين أو متباينين، ومن ذلك عدد الاثنين. والاستثناء يشمل أمرين:

١ - الاستثناء الوضعي، وهو الذي يكون بأداة الاستثناء، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ [العصر]

٢ - الاستثناء العرفي، وهو ما لم يكن بأداة الاستثناء، بل يكون الموجود كلمة الشرط، كما جاء في قوله تعالى: ﴿...إِذْ أَقْسَمُوا لِيَصْرِمَنَهَا مُصْرِمِينَ﴾ (١٧) وَلَا يَسْتَنُونَ [القلم]؛ أي: لا يقولون: إن شاء الله^(١). ومنه قول القائل: لأفعلن كذا إن شاء الله، أو: أنا مؤمن إن شاء الله^(٢).

(١) انظر: تفسير البغوي (١٩٥/٨) [دار طيبة، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣٩١/١) [دار الجيل، ط ٢]، ولسان العرب (١١٥/١٤ - ١٢٥) [دار صادر، ط ١]، والكلديات للكفوي (٩١)، وبدائع الصنائع للكاساني (١٥٣/٣ - ١٥٤) [دار الكتاب العربي، ط ٢].

(٣) انظر: بيان اللجنة الدائمة للإفتاء، فتوى رقم (٢١٤٣٦)، صادرة بتاريخ (١٤٢١/٤/٨هـ).

(٤) مجموع الفتاوى (٦٦٦/٧).

(٥) شرح الطحاوية (٣٩٥)، وانظر: السُّنة لعبد الله بن أحمد (٣٤٧/١) [دار ابن القيم، ط ١، ١٤٠٦هـ].

الحالة الثانية: إن أريد أصل الإيمان، فلا يخلو ذلك من حالتين:

١ - إن كان الاستثناء على جهة الشك: فإنه لا يجوز. سئل الإمام أحمد رحمته الله: يستثنى في الإيمان؟ قال: «نعم، أقول: أنا مؤمن إن شاء الله، أستثنى على اليقين لا على الشك»^(٣).

٢ - وأما إن كان الاستثناء من باب أنه يجوز في الأمور المتحققة المتيقنة ذكر مشيئة الرب، لا على جهة الشك في أصل الإيمان، بل لأن الأمور كلها إنما تكون بمشيئة الرب؛ فإن الاستثناء جائز. قال ابن تيمية رحمته الله: «وأما جواز إطلاق القول بأني مؤمن، فيصح إذا عني أصل الإيمان دون كماله، والدخول فيه دون تمامه»^(٤). وقال: «ولهذا كان الصحيح أنه يجوز أن يقال: أنا مؤمن، بلا استثناء، إذا أراد ذلك - يعني: أصل الإيمان -، لكن ينبغي أن يقرن كلامه بما يبين أنه لم يرد الإيمان المطلق الكامل، ولهذا كان أحمد يكره أن يجيب على

بأمر آخر، وهو مشيئة الله، فيقول: «إن شاء الله».

وهذا مندرج تحت المعنى الثاني من المعاني اللغوية، وهو الاستثناء العرفي الذي يعلق فيه الأمر على مشيئة الله بغير أداة الاستثناء.

الحكم:

حكم الاستثناء في الإيمان عند أهل السنة:

الاستثناء في الإيمان له حالتان:

الحالة الأولى: إذا أريد كمال الإيمان: يكون الاستثناء مشروعاً.

وذلك لما يلي:

١ - أن الإيمان الكامل يشمل فعل كل ما أمر الله به، وترك كل ما نهى الله عنه، ولا يدعي أحد أنه جاء بذلك كله على التمام والكمال.

٢ - أن الإيمان النافع هو المتقبل عند الله، والإنسان لا يدري؛ أتقبل الله منه أم لا، فلذلك صح له أن يستثنى.

٣ - البعد عن تزكية النفس.

٤ - أن الإيمان الكامل يقتضي دخول الجنة، والإنسان لا يدري بما يختم له^(١)، فيستثنى لعدم العلم بالعاقبة^(٢).

(١) انظر حول التعليل بعدم العلم بالخاتمة: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٢/١٣).

(٢) انظر حول التعليل بعدم العلم بالعاقبة: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨٩/٣)، وحول هذا الوجه وبقية الوجه انظر: الشرح والإبانة (المسمى بالإبانة

الصغرى) لابن بطة (١٧٩ - ١٨١) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٢٣هـ]، والرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة لابن الحنبلي (٨١٤/٢ - ٨١٥) [مجموعة التحف النفائس الدولية، ط ١، ١٤٢٠هـ]، والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٧٨١ - ٧٩٢) [دار أضواء السلف، ط ١]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٩٦/٧)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٣٩٨) [المكتب الإسلامي، ط ٤].
(٣) السُّنة للخلال (٥٩٦/٣) [دار الراية، ط ١، ١٤١٠هـ].
(٤) مجموع الفتاوى (٦٦٩/٧).

٤ - الإجماع، فإن الاستثناء في الإيمان - إذا أريد به كماله - هو مذهب جماهير السلف، بل هم مجمعون على مشروعيته في هذه الحال^(٣).

يقول الإمام يحيى بن سعيد القطان رحمته الله: «ما أدركت أحدًا من أصحابنا إلا على الاستثناء»^(٤).

ب - ومما يدل على أن الإيمان إذا أريد به أصله فإن الإنسان لا يستثنى باعتبار الشك في الأصل ما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿قُولُوا ءَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَإِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لِلَّهِ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة].

فأمر المؤمنين بالإقرار بالإيمان، ولم يذكر الاستثناء؛ لأن ما ذكر في الآية هي أصول الإيمان، فهي مما يجب أن يجزم الإنسان به لنفسه من دون شك.

ج - ومما يدل على أن الاستثناء

(٣) انظر: السنّة لعبد الله بن أحمد (١/٣٤٧)، والإبانة لابن بطّة (٢/٨٧٣) [دار ابن القيم، ط ١، ١٤٠٦هـ]، وشعب الإيمان للبيهقي (١/٢١٢)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٤٣٨، ٤٣٩، ٥٠٥، ٦٦٦). وقد عدد اللالكائي أسماء من روي عنهم الاستثناء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، كما في: شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة (٥/١٠٤٧).

(٤) رواه الخلال في السنّة (٣/٥٩٥).

المطلق بلا استثناء يقدمه... فعلم أن أحمد وغيره من السلف كانوا يجزمون ولا يشكون في وجود ما في القلب من الإيمان في هذه الحال، ويجعلون الاستثناء عائدًا إلى الإيمان المطلق المتضمن فعل المأمور، ويحتجون أيضًا بجواز الاستثناء فيما لا يشك فيه، وهذا مأخذ ثان وإن كنا لا نشك فيما في قلوبنا من الإيمان^(١).

الأدلة:

أ - جزم المرء بالإيمان الكامل لنفسه هو من تزكية النفس، ومما يدل على مشروعية البعد عن تزكية النفس ما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم].

٢ - وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٩].

وليس هناك تزكية للنفس أعظم من الشهادة لها بالإيمان الكامل.

٣ - ويشهد لهذا ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه عندما قال رجل عنده: «أنا مؤمن»، فقال له ابن مسعود: «أفأنت من أهل الجنة؟» قال: «أرجو»، قال ابن مسعود: «أفلا وكلت الأولى كما وكلت الأخرى»^(٢).

(١) المصدر نفسه (٧/٤٤٩ - ٤٥٠).

(٢) أخرجه أبو عبيد في الإيمان (٣٥) [مكتبة المعارف، ط ١]، والأجري في الشريعة (٢/٦٦٥) [دار الوطن، ط ٢].

الإيمان، لا على جهة الشك - نعوذ بالله من الشك في الإيمان - ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا؟ وذلك أن أهل العلم من أهل الحق إذا سئلوا: أمؤمن أنت؟ قال: آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والجنة والنار وأشباه هذا، فالناطق بهذا والمصدق بقلبه مؤمن، وإنما الاستثناء في الإيمان، لا يدري أهو ممن يستوجب ما نعت الله به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا؟ هذا طريق الصحابة والتابعين لهم بإحسان، عندهم أن الاستثناء في الأعمال لا يكون في القول والتصديق في القلب، وإنما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم قول الرجل لغيره: أمؤمن أنت؟

لقد أنكر السلف سؤال الرجل لغيره: أمؤمن أنت، بل عدّوا ذلك السؤال من البدع والتعمق والتكلف، والإيمان القائم بالإنسان علمه عند الله، فمن شهد لنفسه بالإيمان لم تكن شهادته موجبة له أن يدخل الجنة، كما أن من لم يشهد لنفسه بالإيمان الكامل لم يكن تركه لتلك

يجوز في الأمور المتحققة المتيقنة قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، فذكر الله الاستثناء، مع أن دخولهم للمسجد الحرام شيء مستيقن^(١).

أقوال أهل العلم:

سأل رجل الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: يا أبا سعيد، أمؤمن أنت؟ فقال له: «الإيمان إيمانان:

- فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والبعث والحساب: فأنا به مؤمن.

- وإن كنت تسألني عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [٤] [الأَنْفَال] فوالله ما أدري أنا منهم أم لا»^(٢).

وقال الآجري: «من صفة أهل الحق، ممن ذكرنا من أهل العلم الاستثناء في

(١) انظر: الإيمان لأبي عبيد (٣٨ - ٣٩)، والسنة للخلال (٣/ ٥٩٤)، مجموع الفتاوى (٢٨٩/٣) و(٤٢٩/٧ - ٤٦٠)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٩٤ - ٤٩٦) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١١هـ].

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ٣٦٧) [دار الشعب].

(٣) الشريعة للآجري (٢/ ٦٥٦ - ٦٥٧).

بالعمل؟ قال: لا. قال: فكيف تعيب أن يقول: «إن شاء الله» ويستثنى؟»^(٥).

- المسألة الثانية: في حكم من قال: «أنا مؤمن إن شاء الله» على جهة الشك: حسب ما تقدم من تفصيل، فإن من استثنى قاصداً الشك ففيه تفصيل:

أ - إن قصد الشك في أصل الإيمان، فهذا محرم، وقد يخرج به صاحبه عن الديانة.

ب - وإن كان قاصداً الشك في كمال الإيمان، فلا استثناء هنا مشروع، وتقدم تفصيل ذلك وبيان علته^(٦).

- المسألة الثالثة: في حكم من قال: «أنا مؤمن كامل الإيمان» ولم يستثن:

من أثبت لنفسه كمال الإيمان بدون استثناء فقد وقع في المحذور، ويخشى عليه الإثم لوقوعه في تزكية النفس المنهي عنها في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم]^(٧).

قال الإمام أحمد رحمته الله: «لا نجد بدءاً من الاستثناء؛ لأنه إذا قال: «أنا مؤمن» فقد جاء بالقول، فإنما الاستثناء بالعمل لا بالقول»^(٨).

الشهادة موجباً له أن لا يدخلها^(٩).

قال إبراهيم النخعي رحمته الله: «سؤال الرجل الرجل: أمؤمن أنت؟ بدعة»^(١٠).

وقيل للإمام أحمد رحمته الله: «إذا سألت الرجل: أمؤمن أنت؟ قال: سؤاله إياك بدعة، لا يشك في إيمانك، أو قال: لا نشك في إيماننا»^(١١).

وقال سفيان بن عيينة رحمته الله: «إذا سئل أمؤمن أنت؟ إن شاء لم يجبه، ويقول: سؤالك إياي بدعة، ولا أشك في إيماني»^(١٢).

ووجه كراهة السلف لهذا السؤال: أنه قد جاء من قبل المرجئة؛ فقد سأل رجل الإمام أحمد رحمته الله فقال له: «قيل لي: أمؤمن أنت؟» قلت: نعم، هل عليّ في ذلك شيء؟ هل الناس إلا مؤمن وكافر؟ فغضب الإمام أحمد، وقال: هذا كلام الإرجاء، وقال الله تعالى: ﴿وَالْآخِرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦]، من هؤلاء؟ ثم قال أحمد: ليس الإيمان قولاً وعملاً؟ قال الرجل: بلى، قال: فجئنا بالقول؟ قال: نعم، قال: فجئنا

(١) انظر: الشريعة للأجري (٢/٦٧٣ - ٦٧٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٨/١١) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٠٩هـ]، وعبد الله بن أحمد في السنّة (١/١٤١)، والأجري في الشريعة (٢/٦٧١).

(٣) انظر: السنّة للخلال (٣/٦٠١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٤٤٨).

(٤) انظر: السنّة للخلال (٣/٦٠٢)، مجموع الفتاوى

(٧/٤٥٠).

(٥) السنّة للخلال (٣/٥٩٧)، وانظر: الشريعة للأجري (٢/٦٧٣ - ٦٧٤)، الإبانة لابن بطة (٢/٨٨٣).

(٦) انظر: السنّة للخلال (٣/٥٩٦)، [دار الراية، ط ١، ١٤١٠هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٦٦٩).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٦٦٩).

(٨) رواه الخلال في السنّة (٣/٦٠١).

الاستثناء في الإسلام فيقول أحدهم: أنا مسلم ولا يستثني، هذا هو الأصل عندهم في هذه المسألة، بخلاف الإيمان، فالغالب عندهم فيه الاستثناء كما تقدم^(٣).

سئل الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ عن الاستثناء في الإيمان، فقال: «نحن نذهب إلى الاستثناء»، فقليل له: فأما إذا قال: أنا مسلم فلا يستثني؟ فقال: «لا يستثني إذا قال: أنا مسلم، قال الزهري: نرى الإسلام الكلمة، والإيمان العمل»^(٤). إلا أن الإمام أحمد قد تعددت عنه الروايات في ذلك:

فالرواية الأولى: منع الاستثناء في الإسلام، وهي الرواية المشهورة عنه^(٥).

ومما يستدل به على ذلك:

١ - أن نصوص الشريعة قد دلّت على الشهادة للنفس بالإسلام بدون ذكر الاستثناء، ومن ذلك:

- قوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ

(٣) انظر: الفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٣/١٣) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، والتحبير شرح التحرير للمرداوي (٥٣١/٢) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢١هـ]، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٤٣٨/١) [مؤسسة الخافقين، ط ٢].

(٤) الشرح والإبانة (المسمى بالإبانة الصغرى) لابن بطة (٨٧٦/٢).

(٥) انظر: الإيمان لابن منده (٣١١/١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ]، والسنة للخلال (٣/٦٠٤)، والإبانة الصغرى لابن بطة (٨٧٦/٢)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٣/٧) و(٤٣/١٣).

وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك نرى مذهب الفقهاء الذين كانوا يتسمون بهذا الاسم - يعني: الإيمان - بلا استثناء، فيقولون: نحن مؤمنون... إنما هو عندنا منهم على الدخول في الإيمان، لا على الاستكمال... فأما على مذهب من قال: «كإيمان الملائكة والنبیین» فمعاذ الله، ليس هذا طريق العلماء»^(١).

وقال الإمام ابن بطة العكبري رَحِمَهُ اللهُ: «فهذه سبيل المؤمنين، وطريق العقلاء من العلماء، لزوم الاستثناء والخوف والرجاء، لا يدرون كيف أحوالهم عند الله، ولا كيف أعمالهم، أمقبولة هي أم مردودة... فهل يجوز لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يجزم أن أعماله الصالحة من أفعال الخير وأعمال البر كلها مرضية، وعنده زكية، ولديه مقبولة؟! هذا لا يقدر على حتمه وجزمه إلا جاهل مغتر بالله، نعوذ بالله من الغرة بالله، والإصرار على معصية الله»^(٢).

- المسألة الرابعة: الاستثناء في الإسلام:

المشهور عند أهل السنة والجماعة؛ كالإمام أحمد بن حنبل وغيره هو عدم

(١) الإيمان لأبي عبيد (٤٠ - ٤١).

(٢) الإبانة لابن بطة (٨٧٢/٢ - ٨٧٣).

أن الإسلام له إطلاقان عند الإمام أحمد:

الإطلاق الأول: أن يراد بالإسلام: الكلمة. وهذا الإطلاق مشهور عن ابن شهاب الزهري رحمته الله. والمراد بالكلمة: الشهادتان ^(٤).

وعليه؛ ف«يكون مراد الزهري أن المرء يُحكم بإسلامه ويسمى مسلماً إذا تلفظ بالكلمة؛ أي: كلمة الشهادة، وأنه لا يسمى مؤمناً إلا بالعمل، والعمل يشمل عمل القلب والجوارح... وأما الإسلام المذكور في حديث جبريل فهو الشرعي الكامل المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ^(٥) [آل عمران].

وعلى هذا الإطلاق تحمل رواية المنع من الاستثناء في الإسلام عند الإمام أحمد؛ لأن النطق بالشهادتين هو مما يجزم به كل مسلم ولا يجوز الشك فيه.

الإطلاق الثاني: أن يراد بالإسلام فعل الواجبات الظاهرة كلها كما أمر به الله.

فعلى هذا الإطلاق تحمل رواية جواز

تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا [الحجرات: ١٤]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذه الآية - يعني: آية الحجرات السالفة - مما احتج بها أحمد بن حنبل وغيره على أنه يُستثنى في الإيمان دون الإسلام... قال الميموني: سألت أحمد بن حنبل عن رأيه في: أنا مؤمن إن شاء الله، فقال: أقول: مؤمن إن شاء الله، وأقول: مسلم ولا أستثنى، قال: قلت لأحمد: تُفرّق بين الإسلام والإيمان؟ فقال لي: نعم، فقلت له: بأي شيء تحتج؟ قال لي: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]» ^(١).

٢ - أن كل من نطق بالشهادتين صار مسلماً، متميزاً عن سائر الكافرين، تجري عليه أحكام المسلمين، وهذا أمر لا شك في تحققه عند جميع المسلمين، فجزم به بلا استثناء ^(٢).

والرواية الثانية: تجويز الاستثناء في الإسلام ^(٣).

وليس بين هاتين الروایتين تعارض، وبيان ذلك:

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٥٣/٧).

(٢) انظر: الإيمان الكبير ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤١٥/٧)، زيادة الإيمان ونقصانه لعبد الرزاق البدر (٤٩٥ - ٤٩٦) [دار القلم والكتاب، ط١، ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤١٥/٧).

(٤) انظر: عون المعبود للعظيم آبادي (٢٨٧/١٢) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٥م]، ومراقبة المفاتيح لعلي قاري (٥٤٢/٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٥) فتح الباري لابن حجر (٨١/١ - ٨٢) [دار المعرفة].

يقال: صليت إن شاء الله، وصمت إن شاء الله، وحججت إن شاء الله، القول فيها كالقول في الاستثناء في الإيمان؛ إذ هي أفراد الإيمان؛ فإن كان المقصد خوف التزكية، أو الخوف من عدم الإتيان بالعمل الصالح على وجه الكمال شرع له الاستثناء، وإن كان المقصد مجرد الإخبار عن العمل كأن يقول: صليت وصمت وحججت فلا يستثني.

قال ابن تيمية: «وخوف من خاف من السلف أن لا يتقبل منه لخوفه أن لا يكون أتى بالعمل على الوجه المأمور، وهذا أظهر الوجوه في استثناء من استثنى منه في الإيمان، وفي أعمال الإيمان؛ كقول أحدهم: أنا مؤمن إن شاء الله، وصليت إن شاء الله؛ لخوف أن لا يكون أتى بالواجب على الوجه المأمور به، لا على جهة الشك فيما بقلبه من التصديق»^(٣).

✽ مذهب المخالفين:

للمخالفين عدة أقوال في حكم الاستثناء في الإيمان:

القول الأول: القول بوجوب الاستثناء

في الإيمان. وهو قول الكلابية^(٤) وجمهور الأشاعرة^(٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٤٩٦/٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨٩/٣) (٤٣٠/٧)، والاستقامة لابن تيمية (١٥٠/١) (طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٣هـ).

(٥) انظر: أصول الدين للبغدادى (٢٥٣) [دار زاهد =

الاستثناء، فيُستثنى في الإسلام كما يُستثنى في الإيمان^(١).

فالحاصل: أنه إن أريد أصل الإسلام، وهو النطق بالشهادتين: مُنع الاستثناء.

وإن أريد كمال الإسلام، المتضمن لفعل الواجبات وترك المحرمات على ما أمر به الله جاز الاستثناء.

- المسألة الخامسة: الاستثناء في

الماضي المعلوم المتيقن:

الاستثناء في الماضي المعلوم المتيقن، مثل قولهم: هذه شجرة إن شاء الله، أو محمد رسول الله إن شاء الله، وأنه قد صلى بالأمس إن شاء الله، فهذا بدعة مخالفة للعقل والدين، ولم يكن عليه أحد من أهل الإسلام السابقين، وأئمة الدين، ولم يأت في الكتاب ولا السنة استثناء في الماضي، بل كل ما ورد فهو في المستقبل؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿[الكهف]﴾^(٢).

- المسألة السادسة: الاستثناء في

الأعمال الصالحة:

الاستثناء في الأعمال الصالحة بحيث

(١) انظر حول هذا التفصيل: الإيمان الكبير ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٥٩/٧، ٤١٥)، والتجوير شرح التحرير للمرداوي (٥٣١/٢ - ٥٣٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٢١/٨، ٤٢٥).

وعَلَّلُوا ذلك بأمرين:

ويوافي به ربه ^(٢).

وهذا تناقض منهم؛ لأنهم يقولون: إن الإيمان هو التصديق؛ لأنه في اللغة كذلك، ثم يقولون: الإيمان في الشرع هو ما يوافي به العبد ربه، وجعلوا الاستثناء واجباً لأجل ذلك، فهذا عدول منهم عن معنى الإيمان في اللغة إلى معنى آخر، فأبطلوا استدلالهم اللغوي في بيان حد الإيمان ^(٣).

القول الثاني: من يحرم الاستثناء في الإيمان. وهو قول المرجئة والجهمية ^(٤) والماتريدية ^(٥)، وبعض الأشاعرة ^(٦)، ونحوهم ممن يجعل الإيمان شيئاً واحداً، وهو التصديق والإقرار. قال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله: «أول الإرجاء ترك الاستثناء» ^(٧).

وعَلَّلُوا التحريم بقولهم: إن الإيمان شيء واحد، والاستثناء يقتضي الشك، فإن من استثنى في إيمانه فهو شاك، ومن تردد في تحقيق الإيمان لم يكن مؤمناً،

١ - أن الإيمان هو ما مات عليه الإنسان، وكذلك الكفر هو ما مات عليه الإنسان، فالإنسان إنما يكون عند الله مؤمناً أو كافراً باعتبار الموافاة، وما سبق في علم الله أنه يكون عليه، وما قبل ذلك فلا عبرة به.

٢ - البعد عن تزكية النفس بالشهادة لها بالإيمان ^(١).

وهم قد وافقوا السلف في الاعتبار الثاني دون الاعتبار الأول، فإن الاعتبار الأول مبني على قولهم بنفي الصفات الاختيارية عن الله، وهو ما يسمونه بمنع حلول الحوادث، ومن ثم قالوا: إن الحب والبغض والسخط والغضب صفات أزليه قديمة، فلا يكون الله مبغضاً لشخص - حال كفره - ثم يصير محباً له بعد إيمانه، بل لم يزل محباً له في الأزل إذا علم أنه يموت على الإيمان، ولم يزل مبغضاً له في الأزل إذا علم أنه يموت على الكفر.

ثم قرنوا مسألة الاستثناء في الإيمان بهذا القول، وأوجبوه، بناء على أن الإنسان لا يعلم على أي شيء يموت عليه، والإيمان هو ما يموت عليه المرء

= القدسي، وشرح المقاصد للتفتازاني (٢٥٣) [دار المعارف النعمانية، ١٤٠١هـ].

(١) انظر: الإرشاد للجويني (٣٣٦) [مكتبة الخانجي، ط ٣، ١٤٢٢هـ].

(٢) انظر: الإيمان لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى (٤١٨/٧).

(٣) انظر: الإيمان لابن تيمية (١٣٧ - ١٣٨)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/١٣٧١) [مكتبة الرشد، ط ١].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤٢٩/٧).

(٥) انظر: التوحيد للماتريدي (٣٨٨) [دار الجامعات المصرية]، وتآويلات أهل السنة (٢٦٥) [مطبعة الإرشاد، ١٤٠٤هـ]، وبحر الكلام لأبي المعين النسفي (٤٠) [مطبعة الكردي، ١٩١١هـ].

(٦) انظر: أصول الدين للبغداد (٢٥٣).

(٧) السنة للخلال (٣/٥٩٨).

- بل ذهب بعضهم إلى تكفير من قال بالاستسقاء^(١).
- وقولهم هذا في غاية البطلان، فإن الإيمان الشرعي يطلق على جميع الاعتقادات والأقوال والأعمال الشرعية، وليس شيئاً واحداً (التصديق) كما زعمه هؤلاء، فالاستسقاء راجع إلى تحقيق كمال الأقوال والأعمال، لا إلى أصل التصديق الذي لا شك فيه.

الاستسقاء بالأنواء

التعريف لغة:

الاستسقاء بالأنواء مصطلح مركب من كلمتين هما:

١ - الاستسقاء: وهو استفعال من طلب السقيا، والاسم السُقيا بالضم، يقال: استسقيت فلاناً؛ إذا طلبت منه أن يسقيك.

٢ - الأنواء: هي النجوم واحدها نوء، قيل: إنما سمي نوءاً؛ لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق، يُنوء نوءاً؛ أي: نهض وطلع، وذلك النهوض هو النوء، فسُمي النجم به.

قال أبو عبيد: «الأنواء، ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف، يسقط منها في كل ثلاث

عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وكلاهما معلوم مسمى»^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإيمان»، لأبي عبيد القاسم بن سلام.
- ٢ - «السنة»، للخلال.
- ٣ - «الشرعة»، للأجري.
- ٤ - «الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة» (المسمى بالإبانة الصغرى)، لابن بطة العكبري.
- ٥ - «الإبانة الكبرى»، لابن بطة العكبري.
- ٦ - «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للالكائي.
- ٧ - «الحجة في بيان المحجة»، لإسماعيل بن محمد الأصبهاني.

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي (٢٥٣)، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم المصري (٤٦/٢) [طبع سعيد كمبني، كراتشي]، وإتحاف السادة المتقين (٢/٢٧٨) [دار الفكر]، وكذلك: زيادة الإيمان ونقصانه لعبد الرزاق العباد (٥١٩)، وانظر في الرد على هذا القول: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤١/١٣).

(٢) تهذيب اللغة (٢٣٢/٥)، وانظر: لسان العرب (١/١٧٤).

التعريف شرعاً:

الاستسقاء بالأنواء هو: طلب السقيا من النجوم أو نسبة ذلك بعد وقوعه إليها.

قال سليمان بن عبد الله: «المراد نسبة السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء جمع نوء وهي منازل القمر»^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنيان متطابقان؛ فالاستخدام واحد في اللغة والشرع.

الأسماء الأخرى:

الاستسقاء بالكواكب، الاستسقاء بالنجوم.

الحكم:

ورد النهي عن الاستسقاء بالأنواء، وذم فاعله ونسبته إلى الكفر في عدد من الأحاديث، فمن ذلك حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»^(٢).

والاستسقاء بالأنواء ينقسم من جهة حكمه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يدعو الأنواء

بالسقيا؛ كأن يقول: يا نوء كذا! اسقنا أو أغثنا، أو ينسب حصول الأمطار إلى هذه الأنواء أو إلى بعضها على أنها هي الفاعلة بنفسها دون الله ولو لم يدعها، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

القسم الثاني: شرك أصغر، وهو أن

يجعل هذه الأنواء سبباً لنزول المطر مع اعتقاده أن الله هو الخالق الفاعل؛ لأن كل من جعل سبباً لم يجعله الله سبباً لا بوحيه ولا بقدره، فهو مشرك شركاً أصغر.

القسم الثالث: اختلف فيه العلماء،

وهو إذا قال ذلك معتقداً أن نزول المطر من الله تعالى وأن الكواكب ليست سبباً في ذلك، وإنما هي ميقات وظرف لذلك، في العادة، فقال ذلك مريداً للوقت، وللعلماء في ذلك قولان:

أحدهما: كراهة ذلك والمنع منه؛

لظاهر الحديث، ولأن ذلك من أمر أهل الجاهلية، وقد نهينا عن مشابهتهم.

القول الثاني: الإباحة مع كراهة اللفظ

كراهة تنزيه؛ لأنه إنما قصد معنى جائزاً وهو وقت نزول المطر، فكأنه قال: مطرنا في وقت كذا، أو شهر كذا^(٣).

الحقيقة:

الاستسقاء بالأنواء كان عند العرب

(١) تيسير العزيز الحميد (٤٥١) [المكتب الإسلامي، ط ٦٦، ١٤٠٥هـ].

(٣) انظر: شرح مسلم للنووي (٢/٦٠)، والقول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (١٨/٢ - ١٩).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٣٤).

ينزل الله الغيث فيقولون: الكوكب كذا وكذا^(٤).

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح على إثر سماء كانت من الليل قال: «أتدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فمن قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، ومن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب»^(٥).

❁ أقوال أهل العلم:

قال القرطبي رحمته الله: «وكانت العرب إذا طلع نجم من الشرق، وسقط آخر من المغرب فحدث عند ذلك مطر أو ريح، فمنهم من ينسبه إلى الطالع، ومنهم من ينسبه إلى الغارب نسبة إيجاد واختراع، ويطلقون ذلك القول المذكور في الحديث، فنهى الشارع عن إطلاق ذلك؛ لئلا يعتقد أحد اعتقادهم ولا يتشبه بهم في نطقهم»^(٦).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «وقد ذمَّ سبحانه من كفر بعد إيمانه، كما قال: ﴿قُلْ مَنْ يُنْحِكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾»

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان رقم ٧٢).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، برقم ٨٤٦)، ومسلم (كتاب الإيمان برقم ٧١).

(٦) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (٣٢٧) [مطبعة السنة المحمدية، ط ٧، ١٣٧٧هـ].

في الجاهلية مرتبطًا بسقوط نجم وطلوع آخر، قالوا: لا بُدَّ من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح، فكانوا إذا نزل مطر في وقت نجم معين نسبوا المطر إلى ذلك النجم، فيقولون: مطرنا بنوء كذا، أو هذا مطر الوسمي، أو هذا مطر الثريا، وينسبون إنزال الغيث إلى النجم^(١).

❁ الأدلة:

من القرآن: قوله ﷻ: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة]. قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها: «يقول: شكركم على ما أنزلت عليكم من الغيث والرحمة تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ قال: فكان ذلك منهم كفرًا بما أنعم عليهم»^(٢). وهكذا قال مجاهد والضحاك وغير واحد^(٣).

وأما من السنة: ما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين،

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (٣٨٧ - ٣٨٨) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٢٣هـ]، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١٢٢/٥) [دار الكتب العلمية]، والتمهيد لابن عبد البر (٢٨٧/١٦) [وزارة عموم الأوقاف بالمغرب].

(٢) تفسير الطبري (١١/٦٦٢ - ٦٦٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ]، وتفسير ابن كثير (٤/٢٩٨ - ٢٩٩) [مكتبة دار التراث].

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١/٦٦٢ - ٦٦٣)، وتفسير ابن كثير (٤/٢٩٩).

القسم الأول: شرك أكبر مخرج من الملة، وله صورتان:

الأولى: أن يدعو الأنواء بالسقيا؛ كأن يقول: يا نوء كذا! اسقنا، أو أغثنا، وما أشبه ذلك، فهذا شرك أكبر في الألوهية والعبادة؛ لأنه دعاء لغير الله، ودعاء غير الله من الشرك الأكبر، وهو متضمن للشرك في الربوبية؛ لأنه لم يدعها إلا وهو يعتقد أنها تنفع، وتقضي الحاجات. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس].

الثانية: أن ينسب حصول الأمطار إلى هذه الأنواء، أو إلى بعضها، على أنها هي الفاعلة بنفسها دون الله، ولو لم يدعها، فهذا شرك أكبر في توحيد الربوبية، وهو ما كان عليه أهل الجاهلية.

قال الإمام الشافعي رحمته الله: «من قال: مطرنا بنوء كذا، وهو يريد أن النوء أنزل الماء، كما عني بعض أهل الشرك من الجاهلية بقوله فهو كافر، حلال دمه، إن لم يتب»^(٤).

وقال ابن الأثير رحمته الله: «وإنما غلط

الآية [الأنعام: ٦٣]. فهذا في كشف الضر، وفي النعم قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾ [الواقعة]؛ أي: شكركم، وشكر ما رزقكم الله، ونصيبكم تجعلونه تكذيباً وهو الاستسقاء بالأنواء»^(١).

وقال ابن رجب رحمته الله: «ولا تضاف النعم إلى الأسباب، بل إلى مسببها ومقدرها، كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه صلى بهم الصبح في أثر سماء ثم قال: «أندرون ما قال ربكم الليلة؟ قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما المؤمن فقال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما الكافر فقال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»^(٢). وهذا مما يدل على أن المراد نفي تأثير هذه الأسباب بنفسها من غير اعتقاد أنها بتقدير الله وقضائه، فمن أضاف شيئاً من النعم إلى غير الله مع اعتقاده أنه ليس من الله فهو مشرك حقيقة، ومع اعتقاد أنه من الله فهو نوع شرك خفي»^(٣).

الأقسام:

الاستسقاء بالأنواء ينقسم من جهة حكمه إلى ثلاثة أقسام:

(١) مجموع الفتاوى (٣٢/٨ - ٣٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٣) لطائف المعارف (٧١) [دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٤) الأم للشافعي (١/٢٥٢).

قال النووي - بعد ذكر الخلاف في ذلك -: «والأظهر كراهته لكنها كراهة تنزيه، لا إثم فيها، وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره، فيساء الظن بصاحبها، ولأنها شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم»^(٣).

الفروق:

الفرق بين الاستسقاء بالأنواء والتنجيم:

الاستسقاء بالأنواء نوع من أنواع التنجيم، وذلك أن التنجيم عامٌّ في كلِّ ما يعتقد الإنسان في النجوم من الكفر والضلال والباطل من استسقاء وغيره، والاستسقاء خاصٌّ بمسألة واحدة من مسائل التنجيم، وهي مسألة طلب السقيا من النجوم أو نسبة ذلك إليها^(٤).

الفرق بين قول: مطرنا بنوء كذا ومطرنا في نوء كذا:

قال العلماء: (الباء) في قوله: مطرنا بنوء كذا للسببية؛ أي: بسبب نوء كذا، وأما (في) في قوله: مطرنا في نوء كذا فهي للظرفية؛ أي: إن هذا النوء كان وقتاً لنزول المطر، ولهذا أجاز العلماء قول: مطرنا في نوء كذا بخلاف قول: مطرنا بنوء كذا كما سيأتي.

النبي ﷺ في أمر الأنواء؛ لأن العرب كانت تسبب المطر إليها^(١).

القسم الثاني: شرك أصغر؛ وهو أن يجعل هذه الأنواء سبباً لنزول المطر مع اعتقاده أن الله هو الخالق الفاعل؛ لأن كل من جعل سبباً لم يجعله الله سبباً لا بوحيه ولا بقدره، فهو مشرك شركاً أصغر.

القسم الثالث: اختلف فيه العلماء؛ وهو إذا قال ذلك معتقداً أن نزول المطر من الله تعالى، وأن الكواكب ليست سبباً في ذلك، وإنما هي ميقات وظرف لذلك، في العادة، فقال ذلك مريداً للوقت، وللعلماء في ذلك قولان:

أحدهما: كراهة ذلك، والمنع منه؛ لظاهر الحديث؛ ولأن ذلك من أمر الجاهلية، وقد نهينا عن مشابهتهم. قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ - بعد كلامه عن الباء في قوله: بنوء كذا، وهل هي سببية، أو ظرفية -: «الأقرب المنع ولو قصد الظرفية»^(٢).

القول الثاني: الإباحة مع كراهة اللفظ كراهة تنزيه؛ لأنه إنما قصد معنى جائزاً، وهو وقت نزول المطر، فكأنه قال: مطرنا في وقت كذا، أو أشهر كذا.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٢٢/٥) [دار الكتب العلمية].

(٢) القول المفيد (١٢٨/٥) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٦٠/٢).

(٤) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٤٩) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٤هـ].

❖ الآثار:

قال ابن مفلح رحمته الله: «وإضافة المطر إلى النوء دون الله كفر، ولا يُكره: في نوء كذا».

قال ابن مفلح رحمته الله: «وإضافة المطر إلى النوء دون الله كفر، ولا يُكره: في نوء كذا».

- تعلق القلب بغير الله الخالق المدبر.

واختلف العلماء فيما إذا قال: مطرنا بنوء كذا، وأراد الظرفية.

- وقوع صاحبه في أعمال الجاهلية.
- وقوع صاحبه في الكفر.
- الوقوع في شناعة الظلم حيث نسب النعمة والفضل إلى غير مستحقها، وهو الله سبحانه ^(٣).

قال ابن عثيمين رحمته الله: «قال أهل العلم: إنه إذا قال: مطرنا بنوء كذا وجعل الباء للظرفية فهذا جائز، وهذا وإن كان له وجه من حيث المعنى، لكن لا وجه له من حيث اللفظ؛ لأن لفظ الحديث: «من قال: مطرنا بنوء كذا»، والباء للسببية أظهر منها للظرفية، وهي وإن جاءت للظرفية كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ لَمَمُونٌ عَلَيْهِمْ مُّصْحِحِينَ ۖ ﴿٢٧﴾ وَبِئْسَ أَفْئَالًا تَعْقِلُونَ ۖ ﴿٢٨﴾﴾ [الصافات]، لكن كونها للسببية أظهر، والعكس بالعكس، (في) للظرفية أظهر منها للسببية وإن جاءت للسببية، كما في قوله رحمته الله: «دخلت امرأة النار في هرة» ^(١).

❖ مذهب المخالفين:

قد أخبر النبي ﷺ أن مما يبقى من أمر الجاهلية في أمته: الاستسقاء بالأنواء، فوقع ما أخبر به ﷺ ووجد في هذه الأمة من ينسب نزول المطر إلى الظواهر الطبيعية، فيعتقدون أن الكون له محركات غير الله ﻋَظِيمٌ، أو يعتقدون سبباً لم يسببه الله جلّ في علاه فيقولون مثلاً: غداً ستهطل الأمطار بسبب المنخفضات الجوية، أو الظواهر الطبيعية، أو هبوب الرياح الشمالية، فينسبون المطر إلى غير الله جلّ في علاه، ولذلك فإنّ النبي ﷺ ذمهم، ويبيّن أن هذه الأفعال من اعتقادات الجاهلية، وعلى المرء أن ينأى بنفسه

والحاصل: أن الأقرب المنع ولو قصد الظرفية، لكن إذا كان المتكلم لا يعرف من الباء إلا الظرفية مطلقاً، ولا يظن أنها تأتي سببية، فهذا جائز، ومع ذلك فالأولى أن يقال لهم: قولوا: في نوء كذا» ^(٢).

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٣١٨)،

ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٤٢).

(٢) القول المفيد (١٢٨/٥) [دار العاصمة، ١٤١٥هـ].

(٣) انظر: إعانة المستفيد للفوزان (٢٥/٢) [مؤسسة

الرسالة، ط ٣، ١٤٢٣هـ]، والتمهيد لشرح كتاب

التوحيد (٣٤٩، ٣٥٣) [دار التوحيد، ١٤٢٤هـ].

عن هذا الاعتقاد ولو بالقول^(١)، فقال النبي ﷺ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونها، وذكر منها: الاستسقاء بالنجوم»^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «التمهيد»، لابن عبد البر.
- ٢ - «التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام»، لعبد المجيد المشعبي.
- ٣ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٤ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.
- ٥ - «فتح الباري»، لابن حجر.
- ٦ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن.
- ٧ - «القول المفيد شرح كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ٨ - «القول في علم النجوم»، للخطيب البغدادي.
- ٩ - كتاب «الفروع»، لأبي عبد الله محمد بن مفلح.
- ١٠ - «مجموع الفتاوى»، لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ١١ - «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير.

الاستطاعة

التعريف لغة:

الاستطاعة في اللغة: من الطَّوْعُ، قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الطاء والواو والعين أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على الإصحاب والانقياد. يقال: طاعه يَطُوعه؛ إذا انقاد معه ومضى لأمره.

والاستطاعة مشتقة من الطَّوْع؛ كأنها كانت في الأصل الاستطواع، فلما أسقطت الواو جعلت الهاء بدلاً منها، وتقول العرب: تطاوَّعَ لهذا الأمر حتى تستطيعه. ثم يقولون: تطوَّعَ؛ أي: تكَلَّفَ استطاعته^(٣). والاستطاعة الإِطَاقَةُ. والاستطاعة: القُدْرَةُ على الشَّيْءِ والقُوَّةُ والوَسْعُ^(٤).

التعريف شرعاً:

الاستطاعة: هي القدرة التي بها يكون الفعل، وهي على نوعين:

الأول: الاستطاعة التي تكون قبل الفعل، وهي القدرة والمُكْنَةُ وسلامة الآلات التي هي شرط في وقوع الفعل.

والثاني: التي تكون مع الفعل وهي أداء الفعل.

وكلاهما في الشرع أطلق عليه

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٣٤٢).

(٤) لسان العرب (٨/٢٤٠)، ومختار الصحاح (١٩٣)، والتعريفات للجرجاني (٣٥).

(١) انظر: إعانة المستفيد للفوزان (٢/٢٣٦ - ٢٣٧)، وخطبة بعنون (نعمة المطر) لابن عثيمين.

(٢) تقدم تخريجه.

الاستطاعة^(١).

الأدلة:

دلت الأدلة على أن الاستطاعة نوعان: استطاعة قبل الفعل، واستطاعة مع الفعل.

ومن الأدلة على الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿فَالْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنا نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم في شدة الحر، فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن وجهه من الأرض بسط ثوبه، فسجد عليه»^(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(٣).

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٧٣/٨)، وشفاء العليل لابن القيم (١٨٠)، وشرح العقيدة الطحاوية (٦٣٨/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١٣، ١٤١٩هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب العمل في الصلاة، رقم ١٢٠٨)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٦٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الصوم، رقم ١٩٠٥)، ومسلم (كتاب النكاح، رقم ١٤٠٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجبله»^(٤).

أما النوع الثاني من الاستطاعة: وهي التي تكون مع الفعل، فقد استدلوا لها بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠].

قال الطبري رحمه الله في معنى الآية: «والصواب من القول في ذلك عندنا، ما قاله ابن عباس وقتادة، من أن الله وصفهم - تعالى ذكره - بأنهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع منتفع، ولا يبصرونه إبصار مهتد، لا اشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين، عن استعمال جوارحهم في طاعة الله، وقد كانت لهم أسماع وأبصار»^(٥)، وهذا بيان منه صلى الله عليه وسلم أن القدرة والاستطاعة التي هي سلامة السمع والبصر موجودة لكن ذلك لم يحقق لهم الاستطاعة النافعة وهي الاستفادة من ذلك الهدى ودعوة الأنبياء إلى الخير.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَظَاةٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٧].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الطهارة، رقم ٢٤٦).

(٥) تفسير الطبري (٢٨٧/١٥).

قال ابن حزم رحمته الله: «فالاستطاعة كما قلنا شيان؛ أحدهما: قبل الفعل وهو سلامة الجوارح وارتفاع الموانع، والثاني: لا يكون إلا مع الفعل وهو القوة الواردة من الله تعالى بالعون والخذلان وهو خلق الله تعالى للفعل فيمن ظهر منه، وسمي من أجل ذلك فاعلاً لما ظهر منه، إذ لا سبيل إلى وجود معنى غير هذا البتة، فهذا هو حقيقة الكلام في الاستطاعة بما جاءت به نصوص القرآن والسنن والإجماع وضرورة الحس وبديهة العقل»^(٤).

❁ الأقسام:

الاستطاعة ثلاثة أقسام:

الأولى: هي القدرة وسلامة الحواس، وهذه التي تكون قبل الفعل وهي التي يتجه إليها الأمر والنهي والطلب، وهي شرط في وقوعه وهي الصالحة للفعل والترك، وعليها يتكلم الفقهاء، وهي الغالبة في عرف الناس. وسبق ذكر الأدلة عليها، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران].

ولو كانت هذه الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل لما وجب الحج إلا على من حج، ولما عصى أحد بترك الحج،

وقال الطبري رحمته الله في نفي السمع عنهم: ﴿وَكَاوُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾^(١): «وكانوا لا يطيقون أن يسمعوا ذكر الله الذي ذكرهم به، وبيانه الذي بينه لهم في أي كتابه، بخذلان الله إياهم، وغلبة الشقاء عليهم، وشغلهم بالكفر بالله وطاعة الشيطان، فيتعظون به، ويتدبرون، فيعرفون الهدى من الضلالة، والكفر من الإيمان»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الطحاوي رحمته الله في عقيدته: «والاستطاعة التي يجب بها الفعل، من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به تكون مع الفعل. وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع، والتمكين وسلامة الآلات فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب»^(٢).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «والصواب الذي دلّ عليه الكتاب والسنة: أن الاستطاعة متقدمة على الفعل، ومقارنة له، وتقارنه أيضاً استطاعة أخرى لا تصلح لغيره؛ فالاستطاعة نوعان: متقدمة صالحة للضدين، ومقارنة لا تكون إلا مع الفعل، فتلك هي المصححة للفعل المجوزة له، وهذه هي الموجبة للفعل، المحققة له»^(٣).

(١) تفسير الطبري (١٨/١٢٤).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٤٣٣)

[وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض ١٤١٨هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٨/٣٧٢) [مجمع الملك فهد

لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٢٥هـ].

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٣/

١٩) [مكتبة الخانجي، القاهرة].

✽ مذهب المخالفين:

خالف في الاستطاعة ثلاث فرق:

الأولى: الجهمية: وهم من غلاة الجبرية، وينكرون الاستطاعة للمخلوق. قال ابن حزم رحمته الله: «فذهبت طائفة إلى أن الإنسان مجبر على أفعاله وأنه لا استطاعة له أصلاً، وهو قول جهم بن صفوان وطائفة من الأزارقة»^(٢).

وهذا قول ظاهر البطلان؛ إذ إنه لا يؤيده شرع ولا عقل، وسبق بيان ما يتعلق بالجبرية والرد عليهم في مصطلح القدر.

الثانية: المعتزلة ومن وافقهم من الفرق؛ كالشيعة والزيدية الذين قالوا: إن الاستطاعة لا تكون إلا قبل الفعل وهي سلامة الآلات وصحتها^(٣).

وهذا القول من المعتزلة - والذي قصروا فيه الاستطاعة على صحة الحواس وارتفاع الموانع وهو ما يسمى الاستطاعة قبل الفعل - هو مشي منهم على قاعدتهم التي ساروا عليها في باب

ولا كان الحج واجباً على أحد قبل الإحرام به؛ بل قبل فراغه.

الثانية: هي المحققة لوجود الفعل والمقارنة له وهي التي يتعلق بها قضاء الله وَبِإِذْنِهِ وأمره الكوني القدري، وبالأداء يتعلق الثواب والعقاب.

ومن الدليل عليها: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٧]، فهم مع سلامة آلاتهم وقدرتهم على سماع الأصوات وفهم الخطاب وصفوا بأنهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٧]، فالاستطاعة المنفية هنا هي المقارنة للفعل المحققة له، وهو الاهتداء والإيمان.

الثالثة: الاستطاعة الشرعية؛ وهي الاستطاعة المشروطة في الشرع، وهي أخص من الاستطاعة التي يمتنع الفعل مع عدمها؛ فإن الاستطاعة الشرعية قد تكون ما يُتصور الفعل مع عدمها، وإن لم يعجز عنه، فالشارع ييسر على عباده، ويريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر، والمريض قد يستطيع القيام مع زيادة المرض، وتأخر برئه، فهذا في الشرع غير مستطيع؛ لأجل حصول الضرر عليه، وإن كان قد يسمى مستطيعاً، فالشارع لا ينظر في الاستطاعة الشرعية إلى مجرد إمكان الفعل؛ بل ينظر إلى لوازم ذلك^(١).

العليل لابن القيم (١٨٠)، وشرح العقيدة الطحاوية (٦٣٨/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١٣، ١٤١٩هـ].

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١٤/٣).

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٣٩٠) [مكتبة وهبة]، ومقالات الإسلاميين للأشعري (١٨٤/١)، [المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٦هـ]، والمختصر في أصول الدين للقاضي عبد الجبار (٢٤٦) [ضمن رسائل العدل التوحيد، تحقيق: محمد عمارة، دار الشروق]، والفصل لابن حزم (١٤/٣).

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٧٣/٨)، وشفاء

«فَالْوَجْهُ: القطع بأن القدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها أصلاً، وليس من شرط تعلق الصفة أن تؤثر في متعلقها؛ إذ العلم معقول تعلقه بالمعلوم مع أنه لا يؤثر فيه، وكذلك الإرادة المتعلقة بفعل العبد لا تؤثر في متعلقها»^(٢).

وهذا القول منهم غلو في إثبات القدر ونفي قدرة العبد، وقد سبق بيان هذا في مصطلح أفعال العباد، كما أن الأدلة الصريحة في إثبات قدرة العبد والاستطاعة التي سبق ذكرها في النوع الأول من الاستطاعة تثبت قدرة العبد واستطاعته قبل الفعل؛ لأن ذلك هو مناط التكليف، وهو شرط العمل، كما أن القول بأن الاستطاعة مع الفعل يلزم منها أن الفعل لا يجب إلا على من وقع منه الفعل؛ فقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، يجعل الحج لا يجب إلا على من فعل الحج وهذا خلف في الكلام ينزه كلام العليم الحكيم عنه.

قال ابن تيمية بعد أن ذكر الآية السابقة: «ولو كانت هذه الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل لما وجب الحج إلا على من حج، ولما عصى أحد بترك الحج ولا كان الحج واجباً على أحد قبل الإحرام به؛ بل قبل فراغه. وقال

القدر، وهي إنكار مشيئة الله ﷻ وخلقه لأفعال العباد؛ فاعتبروا أن العدل هو جعل العبد مستطيعاً من ناحية سلامة جوارحه وقدرته ليتحقق ابتلاء الناس عموماً وتساويهم في نعمة الله الدينية فلا يهدي أحداً ولا يعين ولا يخذل ولا يدفع عن أحد شيئاً، لهذا حكي عن بعضهم أنه لا يقول: «حسبنا الله ونعم الوكيل»^(١).

وقدر الله ﷻ ثابت بالنصوص الكثيرة الواضحة الظاهرة، ومن ضمن ذلك: إثبات أن مشيئة الله ﷻ، وخلقه للأعمال هي الموجبة لوقوع الفعل من العبد، وقد سبق بيان هذا تفصيلاً في مصطلح القدر، ومشيئة الله، وأفعال العباد.

الثالثة: الأشعرية ومن وافقهم؛ قالوا: إن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل ولا تتقدمه. وهذا القول منهم يتفق مع مذهبهم الذي يميلون فيه إلى الجبر، وينفون فيه عن العبد القدرة المؤثرة في وجود الفعل، لذا عللوا ذلك كما يقول الجويني: «إن العبد يستحيل أن ينفرد بمقدور دون الرب تعالى؛ فإن فرضنا للقدرة الحادثة أثراً، وحكمنا بثبوته للعبد فقد خرمنا اعتقاد وجوب كون الرب قادراً على كل شيء مقدور». ثم قال:

(٢) الإرشاد للجويني (٢٠٩ - ٢١٠) مكتبة الخانجي،

الكافر يلزم بالإيمان في وقت كفره فيلزم من ذلك الجمع بين الضدين، وهذا كله خلف في الكلام، وانحراف ناتج عن انحرافهم في قولهم بأفعال العباد وغلوهم في ذلك، والحق التوسط بين القولين وهو ما سبق ذكره عن أهل السُّنة في تقسيم الاستطاعة إلى قسمين؛ قبل الفعل، وهي الموجبة للتكليف وشرط وجوب العمل، ومع الفعل، وهي الموجبة لوقوع الفعل والمحقة لفعل الأمر الشرعي والمفرغة لذمة العبد من المطالبة الشرعية وبه يجتمع الأمر الشرعي والأمر الكوني القدري.

قال ابن تيمية: «فإن كل أمر علق في الكتاب والسُّنة وجوبه بالاستطاعة، وعدمه بعدمها لم يرد به المقارنة، وإلا لما كان الله قد أوجب الواجبات إلا على من فعلها، وقد أسقطها عمن لم يفعلها، فلا يأثم أحد بترك الواجب المذكور. وأما (الاستطاعة المقارنة الموجبة) فمثل قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود]، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف]، فهذه الاستطاعة هي المقارنة الموجبة؛ إذ الأخرى لا بد منها في التكليف، **فالأولى:** هي الشرعية التي هي مناط الأمر والنهي والثواب والعقاب، وعليها يتكلم الفقهاء، وهي الغالبة في عرف

تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فأمر بالتقوى بمقدار الاستطاعة ولو أراد الاستطاعة المقارنة لما وجب على أحد من التقوى إلا ما فعل فقط؛ إذ هو الذي قارنته تلك الاستطاعة. وقال تعالى: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، و(الوسع): الموسوع، وهو الذي تسعه وتطيقه، فلو أريد به المقارن لما كلف أحد إلا الفعل الذي أتى به فقط دون ما تركه من الواجبات. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤]، والمراد به: الاستطاعة المتقدمة؛ وإلا كان المعنى؛ فمن لم يفعل الصيام فإطعام ستين فيجوز حينئذ الإطعام لكل من لم يصم ولا يكون الصوم واجباً على أحد حتى يفعله. وقال النبي ﷺ: «وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»^(١)، ولو أريد به المقارنة فقط لكان المعنى: فأتوا منه ما فعلتم، فلا يكونون مأمورين إلا بما فعلوه...»^(٢).

كما أن ذلك مؤدٍ للتكليف بما لا يطاق؛ إذ إنه يلزم فاعل المعصية أن يفعل الطاعة في نفس الوقت، كما أن

(١) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنة، رقم ٧٢٨٨)، ومسلم (الحج، رقم ١٣٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٧٣/٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

واحد، وهو: الالتجاء إلى الشيء، ثم يحمل عليه كل شيء لصق بشيء أو لازمه^(٢). وعُدَّتْ به أعوذ عودًا وعِيَاذًا ومَعَاذًا؛ أي: لَجَأْتُ إليه وتحصَّنت، والمعاذ: المصدر والمكان والزمان^(٣).

✽ التعريف شرعًا:

اختلفت عبارات العلماء في تعريف الاستعاذة شرعًا على أقوال متقاربة، نكتفي بذكر تعريفين منها:

١ - قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هي: الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر»^(٤).

٢ - وقال عبد الرحمن بن حسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هي: اللّجؤ إلى الله وَتَكَلُّفًا، والاعتصام به من شر كل ذي شر»^(٥).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

لما كانت الاستعاذة في اللغة تطلق على الالتجاء إلى الشيء والتحصن به، أطلقت في الاصطلاح على ما يعتقد فيه ذلك بحيث يتعلق القلب به، وقد يكون في حقيقة أمره ليس كذلك، وأما فيما يتعلق بالتعريف الشرعي فقد

الناس. **والثانية:** هي الكونية التي هي مناط القضاء والقدر، وبها يتحقق وجود الفعل؛ فالأولى للكلمات الأمريات الشرعيات، والثانية للكلمات الخلقيات الكونية، كما قال: ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا﴾ [التحریم: ١٢]^(١).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٢ - «منهاج السنة النبوية»، لابن تيمية.
- ٣ - «النبوات»، لابن تيمية.
- ٤ - «قدرة الله وقدره العبد بين السلف ومخالفهم»، لأحمد بن صالح بن حسن الزهراني.
- ٥ - «القضاء والقدر»، لمحمد بن إبراهيم الحمد.

٦ - «القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه»، لعبد الرحمن بن صالح المحمود.

٧ - «جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح الإيمان بالقدر»، لتامر محمد متولي.

✽ الاستعاذة

✽ التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «العين والواو والذال أصل صحيح يدل على معنى

(٢) مقاييس اللغة (٤/١٨٤)، وانظر: الصحاح (٢/١٢٨).

(٣) انظر: المفردات للراغب (٥٩٤ - ٥٩٥)، والنهاية في غريب الحديث (٣/٦٠٢).

(٤) تفسير ابن كثير (١٦/١) [مكتبة دار السلام، دمشق، ط ١، ١٤١٣هـ].

(٥) قرة عيون الموحدين (٥٥).

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/٣٧٣).

خص ذلك بالله تعالى دون سواه.

الحكم:

قولهم للبيت الذي في أصل الشجرة: عوذ؛ لأنه عاذ بالشجرة واستتر بأصلها، وكذلك العائد قد استتر من عدوه بمن استعاذ به منه.

والثاني: أنه مأخوذ من المجاورة والالتصاق، ومنه قولهم للحم إذا لصق بالعظم فلم يتخلص منه: عوذ؛ لأنه استمسك به واعتصم، وفي المثل: أطيب اللحم عوده، وهو: ما التصق منه بالعظم، وكذلك العائد قد استمسك بالمستعاذ به واعتصم به ولزمه^(٣). قال ابن القيم بعد ذكره لهذين القولين: «والقولان حق، والاستعاذة تنتظمهما جميعاً؛ لأنّ المستعيذ مستتر بمعاذه مستمسك به»^(٤).

المنزلة:

الاستعاذة تُعد من أعظم أنواع العبادة، فهي من التوحيد، وهي تجعل قلب العبد معلقاً بربه ومعبوده، لاهجاً في طلب العوذ به من شرور الدنيا والآخرة، وهي استعانة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن دفع الشرور الباطنة والظاهرة، التي لا يقدر على دفعها ومنعها إلا الله الذي خلقها.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ

الاستعاذة بالله تعالى من العبادات التي لا يجوز صرفها إلا لله سبحانه، فلا يُستعاذ إلا بالله ﷻ وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا وكلماته التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر، ومن استعاذ بغيره فقد أشرك بالله العظيم.

قال ابن تيمية: «الاستعاذة لا تكون إلا بالله في مثل قول النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك»، «وأعوذ بكلمات الله التامات»، «وأعوذ برضاك من سخطك» ونحو ذلك، وهذا أمر متقرر عند العلماء»^(١).

الحقيقة:

حقيقة الاستعاذة: الهرب من شيء يخافه الإنسان إلى من يعصمه منه. قال ابن القيم: «وحقيقة معناها - أي: الاستعاذة -: الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، ولهذا يسمى المستعاذ به معاذاً، كما يسمى ملجأً وورزاً»^(٢).

وقد اختلف في أصل كلمة الاستعاذة على قولين:

أحدهما: أنه مأخوذ من الستر، ومنه

(١) مجموع الفتاوى (٢٧٣/٣٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، طبعة: ١٤١٦هـ]، وانظر المصدر نفسه: (١/٣٣٦).

(٢) بدائع الفوائد (٢/٢٠٠) [دار الكتاب العربي، بيروت].

(٣) انظر: بدائع الفوائد (٢/٢٠٠ - ٢٠١).

(٤) المرجع السابق (٢/٢٠٠).

الاستعاذة الاحتراز من شر الوسوسة، ومعلوم أن الوسوسة كأنها حروف خفية في قلب الإنسان، ولا يطلع عليها أحد، فكأن العبد يقول: يا من هو على هذه الصفة التي يسمع بها كل مسموع، ويعلم كل سر خفي أنت تسمع وسوسة الشيطان وتعلم غرضه فيها، وأنت القادر على دفعها عني، فادفعها عني بفضلك»^(٥).

وقال ابن القيم: «فإن الاستعاذة به منه ترجع إلى معنى الكلام قبلها، مع تضمنها فائدة شريفة، وهي كمال التوحيد، وأن الذي يستعيذ به العائد ويهرب منه إنما هو فعل الله ومشيئته وقدره، فهو وحده المنفرد بالحكم. فإذا أراد بعبده سوءاً لم يعذه منه إلا هو، فهو الذي يريد به ما يسوءه، وهو الذي يريد دفعه عنه. فصار سبحانه مستعاضاً به منه باعتبار الإرادتين: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، فهو الذي يمس بالضرر، وهو الذي يكشفه، لا إله إلا هو؛ فالمهرب منه إليه، والفرار منه إليه، والملجأ منه إليه، كما أن الاستعاذة منه، فإنه لا رب غيره ولا مدبر للعبد سواه، فهو الذي يحركه ويقلبه، ويصرفه كيف يشاء»^(٦).

هَمَزَتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ [الفلق].

ومن السُّنَّة: ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: «قولوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»^(١). وقوله ﷺ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»^(٢)، وقوله: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ»^(٣)، وقوله ﷺ حين نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] فقال: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الرازي: «إن الغرض من

(١) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٩٠)، من حديث ابن عباس، وهذا لفظه، وأخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٧٧)، من حديث أبي هريرة بنحوه.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٠٨).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٦).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٦٢٨).

(٥) مفاتيح الغيب (٧١/١) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠هـ].

(٦) طريق الهجرتين (٢٨٨) [دار السلفية، ط ٢، ١٣٩٤هـ].

جمع اسم الله واسم رسوله في ضمير واحد، و(ثم) إنما تقتضي الترتيب فقط، فجاز ذلك لعدم المانع^(٣).

- المسألة الثانية: تنقسم الاستعاذة باعتبار المستعاذ به، إلى ثلاثة أنواع:
الأول: الاستعاذة بصفة من صفاته.

هذا النوع من الاستعاذة مشروع جاءت به السُّنة كالاستعاذة بكلامه سبحانه، وعظمته، ورضاه، ووجهه الكريم، ونحو ذلك، ومما ورد في ذلك قوله ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»^(٤)، وقوله: «أعوذ برضاك من سخطك»^(٥)، وقوله ﷺ: «حين نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، فقال: «أعوذ بوجهك»^(٦).

وحقيقة هذه الاستعاذة هي الاستعاذة بالله تعالى؛ فإن الاستعاذة بصفة من صفاته استعاذة به تبارك وتعالى، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والاستغاثة برحمته استغاثة به في الحقيقة كما أن الاستعاذة بصفاته استعاذة به في الحقيقة»^(٧).

وقال البَجَرَمِي المصري رَحِمَهُ اللهُ: «ومن لطائف الاستعاذة أن قوله: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إقرار من العبد بالعجز والضعف، واعتراف من العبد بقدرة الباري ﷻ، وأنه الغني القادر على رفع جميع المضرات والآفات، واعتراف العبد أيضًا بأن الشيطان عدو مبين. ففي الاستعاذة التجاء إلى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغوي الفاجر وأنه لا يقدر على دفعه عن العبد إلا الله تعالى»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم قول: أعوذ بالله وبك:

جاء عن إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللهُ أنه كره أن يقول المسلم: أعوذ بالله وبك، وجوز أن يقول: بالله ثم بك^(٢)، وذلك لأن (الواو) تفيد أن ما بعدها مساو لما قبلها، بخلاف (ثم)، فإنها إنما تفيد التعقيب.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ - في تعليقه على هذا الأثر -: «وذلك - والله أعلم - لأن الواو تقتضي مطلق الجمع، فمنع منها للجمع؛ لئلا توهم الجمع بين الله وبين غيره، كما منع من

(١) تحفة الحبيب على شرح الخطيب (٢/٦٢) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف (١١/٢٧)، رقم (١٩٨٠٩).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٥٩٥).

(٤) تقدم تخريجه قريباً.

(٥) تقدم تخريجه قريباً.

(٦) تقدم تخريجه قريباً.

(٧) مجموع الفتاوى (١/١١١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، بالمدينة النبوية].

الثاني: الاستعاذة بالأموات ونحوهم.

وقد نقل الشيخ سليمان بن عبد الله الإجماع على ذلك، فقال: «وقد أجمع العلماء على أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله، ولهذا نهوا عن الرقى التي لا يعرف معناها؛ خشية أن يكون فيها شيء من ذلك»^(٤).

الاستعاذة بالأموات ونحوهم كالجن أو الأحياء غير القادرين على العوذ شرك بالله تعالى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن]. قال القرطبي رحمه الله: «ولا خفاء أن الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كفر وشرك»^(١).

القول الثاني: جواز ذلك بمن يقدر على العوذ من البشر، بل وربما يمكن العوذ به من الأماكن ونحوها.

وقد بَوَّبَ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في «كتاب التوحيد» باباً في الاستعاذة بغير الله، وجزم فيه بالحكم بالشرك، فقال: «باب من الشرك الاستعاذة بغير الله»^(٢).

واستدلوا بما ورد في عدد من الأحاديث من إطلاق لفظ العوذ والمعاذ على المخلوقين، ومن ذلك: قوله ﷺ - في ذكر الفتن -: «من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به»^(٥).

الثالث: الاستعاذة بالمخلوق فيما

يقدر عليه.

وهذا النوع من الاستعاذة قد اختلف فيه العلماء على قولين:

وقد بَوَّبَ جابر بن عبد الله: «أن امرأة من بني مخزوم سرقَت، فأَتى بها النبي ﷺ فعاذت بأم سلمة...» الحديث^(٦).

قالوا: فهذه الأحاديث وغيرها تدل على جواز الاستعاذة بالمخلوق إذا كان قادراً على ذلك، وأما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يجوز أن يطلب من المخلوق.

القول الأول: عدم جواز الاستعاذة بالمخلوق مطلقاً، قالوا: لأن الاستعاذة عمل قلبي، فلا يكون إلا لله تعالى، وهذا القول هو المشهور عن عدد من الأئمة، كما قال ابن تيمية: «وقد نص الأئمة - كأحمد وغيره - على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق»^(٣).

والقول الراجح في هذه المسألة هو: جواز ذلك، وأما ما نقل عن الأئمة

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢١٢).

(١) تفسير القرطبي (١٩/١٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧٠٨١)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراف الساعة، رقم ٢٨٨٦).

(٢) كتاب التوحيد مع شرحه تيسير العزيز الحميد (٢٠٩) [المكتب الإسلامي، ط ٧، ١٤٠٨هـ].

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الحدود، رقم ١٦٨٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/٢٢٧).

من المنع فيحمل ذلك على أمرين:

١ - أن ذلك ينصرف إلى ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وهذا ظاهر كلامهم.

٢ - أن ذلك المنع فيما تعلق القلب به، وأظهر اضطرابه إليه، واعتصامه به، وتفويض أمر نجاته إليه دون سواه، وهذا بلا شك لا يكون إلا لله تعالى.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله - في تعليقه على كلام شيخ الإسلام في نقله المنع عن الأئمة -: «وهذا ليس على إطلاقه، بل مرادهم مما لا يقدر عليه إلا الله؛ لأنه لا يعصمك من الشر الذي لا يقدر عليه إلا الله سوى الله... أما الاستعاذة بمخلوق فيما يقدر عليه فهي جائزة... وهذا مقتضى الأحاديث الواردة... وهذا مقتضى النظر، فإذا اعترضني قطاع طريق، فعذت بإنسان يستطيع أن يخلصني منهم، فلا شيء فيه، لكن تعليق القلب بالمخلوق لا شك أنه من الشرك، فإذا علقت قلبك ورجاءك وخوفك وجميع أمورك بشخص معين، وجعلته ملجأ، فهذا شرك؛ لأن هذا لا يكون إلا لله»^(١).

الضروق:

الفرق بين العياذ واللياذ:

يطلق العياذ على دفع الشر والمكروه

أو رفعه، وأما اللياذ فيطلق على طلب الخير والمحبوب. قال ابن كثير: «والعياذ يكون لدفع الشر واللياذ لطلب الخير»^(٢).

ومنه قول المتنبي في مدح أحد الرؤساء:

يا من ألوذ به فيما أؤمله

ومن أعوذ به فيما أحاذره

لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره

ولا يهيضون عظمًا أنت جابره^(٣)

ولا شك أن مثل هذا المدح لا يصلح إلا لله تعالى.

قال ابن القيم: «ولو قال ذلك في ربه وفطره لكان أسعد من مخلوق مثله»^(٤).

الفرق بين الدعاء والاستعاذة:

الدعاء والاستعاذة بينهما عموم وخصوص؛ فكل استعاذة داخله في الدعاء والطلب، ولا عكس، فالدعاء عام في الاستعاذة وغيرها.

الفرق بين الاستعاذة والاستعانة:

الاستعاذة: الالتجاء والتحيز، فهي نوع من أنواع الدعاء، وأما الاستعانة فهي: الثقة بالله تعالى، والاعتماد عليه، فهي أقرب إلى معنى التوكل.

الاستعاذة سببها الخوف من مكروه،

(٢) تفسير ابن كثير (١/١٦).

(٣) البيتان قالهما المتنبي في مدح جعفر بن كيغلغ، في قصيدة طويلة، انظر: ديوانه (٤١).

(٤) شفاء العليل، لابن القيم (٢/١٩١).

(١) القول المفيد (١/٢٥٥ - ٢٥٦) [دار ابن الجوزي، ط ٣، ١٤١٩هـ].

وأما الاستعاذة فهي مطلوبة من العبد على الدوام، وفي جميع الأحوال.

الفرق بين الاستعاذة والاستغاثة:

أن كلاً منهما داخل في الدعاء والطلب، قال ابن تيمية: «الاستعاذة والاستغاثة والاستغاثة كلها من نوع الدعاء أو الطلب، وهي ألفاظ متقاربة»^(١).

وأن الاستغاثة تختص بطلب العون في حال الشدة والكربة، بخلاف الاستعاذة.

الآثار:

من آثار الاستعاذة:

- ١ - أنها حصن للعبد يتحصن به من الشيطان الرجيم.
- ٢ - أن فيها إظهاراً للضعف والانكسار لله، وتلك حقيقة العبودية.
- ٣ - أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث، وتطيب له.
- ٤ - الاستعاذة تزيل الغضب وتريح النفس.
- ٥ - أنها وقاية للعبد من جميع الشرور الظاهرة والباطنة.

٦ - أنها سبب لزوال الغضب، وما ينتج عنه من آثار سيئة.

٧ - أن بها تحصل الإعانة على الطاعات وذلك بعد طرد الشيطان.

(١) مجموع الفتاوى (١٥ - ٢٢٧).

مذهب المخالفين:

جوّز بعض مشركي هذه الأمة من عبّاد القبور الاستعاذة بالأموات وأصحاب القبور، وقالوا: إذا جاز سؤال الحي فال ميت كذلك، بل هو طاعة؛ لأن الله - في زعمهم - أمر به في قوله: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]. ويقولون: إذا قلتم: إن الطلب عبادة يقتضي ألا فرق بين الحياة والممات^(٢). ولا شك أن الاستعاذة من أنواع الدعاء، فلا تصرف إلا لله تعالى. ولهذا جاء في النصوص الاستعاذة بالله والاستعاذة بوجهه، فهي خاصة بالله فلا يسوى فيها بين الخالق والمخلوق.

ومن دعا الأموات وأصحاب القبور وقع في الشرك الأكبر^(٣)، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «نعلم بالضرورة أنه - أي: النبي ﷺ - لم يشرع لأئمة أن تدعو أحداً من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم لا

(٢) انظر: تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس (٨١ - ٨٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٢هـ]، وصيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (٢٤) [المطبعة السلفية، ط ٣].

(٣) انظر: كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين، لعبد الرحمن بن حسن (٨١) [مكتبة المؤيد، ط ١، ١٤١١هـ].

المعاونة والمظاهرة على الشيء، يقال: فلان عوني؛ أي: معيني، وقد أعنته، والاستعانة: طلب العون، والتعاون: التظاهر^(٢)، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢].

قال ابن منظور: «تقول: أعنته إعانة، واستعنته واستعنت به فأعاني، وإنما أعل استعان وإن لم يكن تحته ثلاثي معتل، أعني: أنه لا يقال: عان يعون كقام يقوم؛ لأنه وإن لم ينطق بثلاثيه؛ فإنه في حكم المنطوق به»^(٣).

التعريف شرعاً:

الاستعانة: هي المتضمنة كمال الدُّل من العبد لربه مع الثقة به والاعتماد عليه في جلب النفع ودفع الضرر.

قال السعدي: «والاستعانة: هي طلب الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار مع الثقة به في تحصيل ذلك»^(٤).

وقال ابن تيمية: «الاستعانة: طلب العون من الله، ويطلب من المخلوق ما يقدر عليه من الأمور»^(٥).

بلفظ الاستغاثة ولا غيرها ولا بلفظ الاستعاذة ولا غيرها، كما أنه لم يشرع لأئمة السجود لميت ولا لغير ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله تعالى ورسوله^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
- ٢ - «تفسير ابن عطية».
- ٣ - «تفسير ابن كثير».
- ٤ - «تفسير الطبري».
- ٥ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٦ - «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي.
- ٧ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن.
- ٨ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١٠ - «المغني»، لابن قدامة.

الاستعانة

التعريف لغة:

الاستعانة لغة: مصدر استعان يستعين، وأصلها من العون، بمعنى:

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٥٩٨)، والصحاح للجوهري (٢١٨٦/٦)، ولسان العرب (٢٩٨/١٣) - (٣٠٩).

(٣) لسان العرب (٢٩٨/١٣).

(٤) تفسير السعدي (٣٩) [مؤسسة الرسالة، ١، ١٤٢٣هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (١٠٣/١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف].

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة (الرد على البكري) (٢/ ٧٣١) [مكتبة الغرباء، ط ١، ١٤١٧هـ].

نَسْتَعِثُ ﴿٥﴾ [الفاتحة]، وقال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٧٨﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ ﴿١١٧﴾ [الأنبياء].

ومن السُّنَّة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» ^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنه؛ أنه قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» ^(٤).

وقال الآلوسي: «الاستعانة: هي طلب ما يتمكن به العبد من الفعل، ويوجب السير عليه» ^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

لما كانت الاستعانة في اللغة مأخوذة من العون، بمعنى المعاونة على الشيء، أطلق في الاصطلاح على ذلك المعنى، وحدد في الاستعانة الشرعية بأن تكون بالله تعالى، وذلك بكمال الاعتماد عليه والثقة به.

الحقيقة:

حقيقة الاستعانة بالله تعالى تجتمع في أصليين عظيمين هما: الثقة بالله، والاعتماد عليه.

قال ابن القيم: «الاستعانة تجمع أصليين: الثقة بالله، والاعتماد عليه؛ فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس، ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه، فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به» ^(٢).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

(١) تفسير الآلوسي (١/ ٨٧) [دار إحياء التراث، بيروت].

(٢) مدارج السالكين (١/ ٨٦) [دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٦٤).

(٤) أخرجه الثرمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٥١٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد =

❁ أقوال أهل العلم:

حول ولا قوة إلا بالله. والمعنى: أن العبد لا يتحول حاله من حال إلى حال ولا قوة له على ذلك إلا بالله وَعَلَيْكَ ^(٣).

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله: «لا تستعن بغير الله، فيكلك الله إليه» ^(١).

❁ الأقسام:

أقسام الاستعانة باعتبار حكمها: تنقسم الاستعانة من حيث حكمها إلى أنواع ثلاثة:

أحدها: الاستعانة المشروعة:

وهذا النوع من الاستعانة على قسمين:

١ - الاستعانة بالله تعالى:

وهذا القسم هو أعظم الأقسام المشروعة، وهو الذي أمر الله به، وجعله قرين العبادة التي هي غاية الخلق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة].

والعبد محتاج إلى الاستعانة بربه وخالقه أعظم من حاجته إلى ضروريات حياته، وذلك لعجزه عن الاستقلال بذلك عن ربه تبارك وتعالى.

قال ابن رجب رحمته الله: «أما الاستعانة بالله وَعَلَيْكَ دون غيره من الخلق؛ فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله وَعَلَيْكَ، فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول. . . فالعبد محتاج إلى

وقال ابن القيم رحمته الله: «التوكل نصف الدين. والنصف الثاني: الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة» ^(٢).

قال ابن رجب رحمته الله: «العبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله وَعَلَيْكَ. فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه الله، ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله إلى من استعان به، فصار مخذولاً وهو كذلك في أمور الدنيا لأنه عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه جميعاً إلا الله وَعَلَيْكَ، فمن أعانه الله فهو المعان ومن خذله الله فهو المخذول. وهذا هو تحقيق معنى قول العبد: لا

= (٤/٤٨٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/٤٩٧).

(١) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/٤٨٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٧، ١٤٢٢هـ].

(٢) مدارج السالكين (٢/١١٣ - ١١٤) [دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/٤٨١ - ٤٨٢).

قال السعدي رحمته الله - في تفسير هذه الآية الكريمة -: «أمرهم الله أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه، وهو الصبر على طاعة الله حتى يؤديها، والصبر عن معصية الله حتى يتركها، والصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، فبالصبر وحبس النفس على ما أمر الله بالصبر عليه معونة عظيمة على كل أمر من الأمور، ومن يتصبر يصبره الله، وكذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، يستعان بها على كل أمر من الأمور»^(٢).

الثاني: الاستعانة الممنوعة:

وهي الاستعانة بغير الله تعالى ممن لا يقدر على الإعانة، إما لكون ذلك من خصائص الله تعالى، وإما لعجز ذلك المستعان به عن تحقيق العون والمظاهرة؛ لكونه ميتاً أو غائباً؛ كمن يطلب العون من الأموات ونحوهم، أو الأحياء فيما هو مختص بالله تعالى؛ كغفران الذنوب وإنزال المطر، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وهذا كله داخل في الشرك الأكبر المخرج من الملة.

قال ابن القيم رحمته الله في بيان مفسد التعلق بالقبور: «ومنها: اعتقاد المشركين

الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله وَعَلَى. فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه... ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله إلى من استعان به، فصار مخذولاً»^(١).

والاستعانة بالله تعالى تكون على وجهين:

أحدهما: أن يسأل الله تعالى من أطفاه ما يقوي دواعيه ويسهل الفعل عليه، ومتى لطف به بأن يعلمه أن له في فعله الثواب العظيم زاد ذلك في نشاطه ورغبته.

والآخر: أن يطلب باستعانتها بقاء كونه قادراً على طاعته المستقبلية، بأن تجدد له القدرة حالاً بعد حال.

٢ - الاستعانة بالأعمال الصالحة:

ورد في جملة من النصوص الأمر بالاستعانة ببعض الأعمال الصالحة؛ كالصبر والصلاة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٧٧) [المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٣هـ].

(٢) تفسير السعدي (٥١).

أمية عن أبيه صفوان - وكان حينها على دين قومه: أن رسول الله ﷺ استعار منه يوم حنين أدراعًا فقال: أغصبًا يا محمد؟ فقال: «بل عارية مضمونة»^(٤).

وقد نصَّ العلماء على جواز الاستعانة بغير المسلمين عند الحاجة إلى ذلك ما لم يكن فيه ضرر عليهم في دينهم أو دنياهم^(٥). قال النووي: «تجوز الاستعانة بأهل الذمة وبالمشركين في الغزو، ويشترط أن يعرف الإمام حسن رأيهم في المسلمين، ويأمن خيانتهم»^(٦). وقال ابن القيم: «إن الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة»^(٧). وقال ابن

أن بها يكشف البلاء، وينصر على الأعداء، ويستنزل غيث السماء، وتفرج الكروب، وتقضي الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف، إلى غير ذلك»^(١).

الثالث: الاستعانة الجائزة:

وهي الاستعانة بالمخلوق الحي القادر فيما له قدرة عليه؛ كالاستعانة به في تعليم الصناعة، أو حمل المتاع معه، أو الاستعانة به على العدو، أو السبع، ونحو ذلك، إذا كان قادرًا على عونته ونصرته، وهذا جائز شرعًا في حق المستعين، ومحمود شرعًا في حق المعين، ومن ذلك قوله ﷺ: «تعين صانعًا أو تصنع لأخرق»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الاستعانة بغير المسلمين:

دلَّت الأدلة من السُّنة المطهرة على جواز الاستعانة بغير المسلمين، من ذلك: ما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها؛ أنها قالت: «... واستأجر رسول الله ﷺ، وأبو بكر رجلًا من بني الدليل هاديًا خريثًا، وهو على دين كفار قریش»^(٣). وجاء عن أمية بن صفوان بن

(١) إغاثة اللهنان (١٩٧/١) [دار المعرفة، بيروت].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب العتق، رقم ٢٥١٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإجارة، رقم ٢٢٦٤).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب البيوع، رقم ٣٥٦٢)، وأحمد (١٣/٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والطبراني في الأوسط (١٧٦/٢) [دار الحرمين]، وضعفه ابن حزم في المحلى (١٤٠/٨) [دار الفكر]، وقال ابن عبد الهادي: «رواته ثقات، وقد أُعلِّ». المحرر (٥٠٤/١) [دار المعرفة، ط٣].

لكن له شواهد يقوى بها، كما ذكر البيهقي في الكبرى (كتاب العارية، رقم ١١٤٨١)، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٦٣١).

(٥) انظر: نصب الراية للزيلعي (٤٢٤/٣) [مؤسسة الريان، ط١، ١٤١٨هـ]، وفتح الباري (٢٣٨/٧) [دار المعرفة، ط٩، ١٣٧٩هـ]، وشرح النووي على مسلم (١٩٩/١٢) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ]، ومسند أحمد (٩٢/٤)، وطبقات ابن سعد (١٤/٢) [دار صادر، ط١، ١٩٦٨م]، والأموال لابن زنجويه (٤٦٩ - ٤٧١) [مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٦) روضة الطالبين وعمدة المفتين (٢٣٩/١٠) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١٢هـ].

(٧) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢٦٨/٣) [مؤسسة =

عثيمين: «وأما الاستعانة بهم - أي: الكفار - فهذا يرجع إلى المصلحة، وإن كان في ذلك مصلحة؛ فلا بأس، بشرط أن نخاف من شرهم وغائلتهم، وألا يخدعونا، وإن لم يكن في ذلك مصلحة؛ فلا يجوز الاستعانة بهم؛ لأنهم لا خير فيهم»^(١).

وتقرب بأنواع العبادات، أو بالكفر بالله ﷻ والعياذ بالله، بإهانة المصحف، أو بامتهانه أو نحو ذلك؛ ولهذا فإن تلك الاستعانة بجميع أنواعها لا تجوز، فمنها ما هو شرك - كالاستعانة بشياطين الجن - يعني: الكفار - ومنها ما هو وسيلة إلى الشرك، كالاستعانة بمسلمي الجن^(٢).

- المسألة الثانية: الاستعانة بالجن:

الفروق:

الفرق بين الاستعانة والعبادة:

- ١ - العبادة هي الغاية التي خلق الخلق لأجلها، والاستعانة وسيلة إليها.
- ٢ - العبادة المطلقة تتضمن الاستعانة من غير عكس، فكل عابد لله عبودية تامة، فهو مستعين به.
- ٣ - الاستعانة طلب منه ﷻ، والعبادة طلب له.
- ٤ - العبادة لا تكون إلا من مخلص، والاستعانة تكون من مخلص ومن غير مخلص.
- ٥ - العبادة حق الله الذي أوجبه على العبد، والاستعانة طلب العون على العبادة^(٣).

الفرق بين الاستعانة والاستعاذة:

- ١ - الاستعاذة الالتجاء والتحيز، فهي نوع من أنواع الدعاء، وأما الاستعانة

الاستعانة بالجن سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين وسيلة من وسائل الشرك، فلا يجوز طلب الإعانة من مسلمي الجن؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم لم يطلبوا ذلك منهم، وهم أولى أن تخدمهم الجن، وأن تعينهم. وأصل الاستعانة بالجن من أسباب إغراء الإنسي بالتوسل إلى الجني، وبرفعة مقامه، وبلاستمتاع به، وقد قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرُ الْجِنُّ قَدِ اسْتَكْرَرُوا مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا﴾ [الأنعام: ١٢٨]، فيحصل الاستمتاع من الجني بالإنسي: بأن الإنسي يتقرب إليه، ويخضع له، ويذل، ويكون في حاجته، ويحصل الاستمتاع من الإنسي بالجني بأن يخدمه الجني، وقد يكون مع ذلك الاستمتاع ذبح من الإنسي للجني،

(٢) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٦١٥) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: المرجع السابق (٨٧/١ - ٨٨).

= الرسالة، ط ٢٧، ١٤١٥هـ]. وانظر: الكافية الشافية (٣٧) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٤١٧هـ].

(١) الباب المفتوح (٣/٢٠)، لقاء ٤٦، سؤال (١١٤٠).

فهي الثقة بالله تعالى، والاعتماد عليه، فهي أقرب إلى معنى التوكل.

٢ - الاستعانة سببها الخوف من مكروهه، وأما الاستعانة فهي مطلوبة من العبد على الدوام، وفي جميع الأحوال.

الآثار:

١ - الاستعانة بالله وسيلة إلى عبادته وتوحيده.

٢ - الاستعانة بالله حفظ للعبد من الشرور والأخطار.

٣ - الاستعانة بالله تعالى سبب للغلبة على الأعداء.

٤ - الاستعانة بالله تعالى خير سبيل إلى القوة ونفي العجز.

٥ - الاستعانة بالله تعالى بها يرتبط العبد بربه.

مذهب المخالفين:

ممن خالف في الاستعانة:

١ - ذهبت القدرية إلى أن العبد مستغنى عن ربه غير محتاج إليه؛ لأن الله - حسب زعمهم - لا يُقدر معبوده على شيء من أفعاله لا الخير ولا الشر، وأنه قد فعل بالعبد جميع مقدره من الألطاف، وأنه لم يبق في مقدره إعانة له على الفعل، فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها، وتعريف الطريق، وإرسال الرسل، وتمكينه من الفعل، فلم

يبقى بعد هذا إعانة مقدورة يسأله إياها، بل قد ساوى بين أوليائه وأعدائه في الإعانة، فأعان هؤلاء كما أعان هؤلاء، ولكن أوليائه اختاروا لنفوسهم الإيمان، وأعداءه اختاروا لنفوسهم الكفر، من غير أن يكون الله سبحانه وفق هؤلاء بتوفيق زائد أوجب لهم الإيمان، وخذل هؤلاء بأمر آخر أوجب لهم الكفر، فهؤلاء لهم نصيب منقوص من العبادة، لا استعانة معه، فهم موكولون إلى أنفسهم، مسدود عليهم طريق الاستعانة والتوحيد، قال ابن عباس رضي الله عنه: «الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض تكذيبه توحيده»^(١).

٢ - الذين يستعينون بالأموال وبقبور الأولياء ويتبركون بأحجارها وينذرون لهم ويتخذونهم وسيلة عند الله. ويقولون: أمرنا الله بالاستعانة بالأعراض قال صلى الله عليه وسلم: «وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ» [البقرة: ٤٥]، ولم يقل: استعينوا بالله^(٢)؛ بل إن كبراءهم يكفرون من قال: لا ينبغي الاستعانة بغير الله، لمخالفته نص الكتاب في قوله صلى الله عليه وسلم: «وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ»^(٣).

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السُّنة (٤٢٢/٢) [دار ابن القيم، ط١]، والفرغابى في القدر (١٦٠) [أضواء السلف، ط١]، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٤٥) [دار المكتبة العلمية، ط١].

(٢) انظر: صلح الإخوان لابن جرجيس (١٣٨) [ط١، نخبة الأخبار، ١٣٠٦هـ].

(٣) انظر: شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق =

❁ والرد عليهم:

٦ - «روح المعاني»، لمحمود الألوسي.

٧ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٨ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

٩ - «نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، لعدد من المؤلفين، بإشراف الشيخ صالح بن حميد.

أن هذه الآية الكريمة لا علاقة لها بجواز طلب الاستعانة بالأموات عند الكربات؛ بل هذه الآية من أقوى الأدلة، وأعظم البراهين، على وجوب الالتجاء إلى الله ﷻ وطلب الاستعانة به عند الملمات، والتوسل إليه تعالى بالأعمال الصالحات، والصبر والصلاة من أعظم الأعمال الصالحات التي يتوسل بها إلى الله عند الكربات.

وأما الاستعانة بالصلاة لما فيها من أنواع العبادة مما يقرب إلى الله تعالى قرباً يقتضي الفوز بالمطلوب والعروج إلى المحبوب^(١).

❁ المصادر والمراجع:

١ - «إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان»، لابن القيم.

٢ - «تفسير ابن كثير».

٣ - «تفسير السعدي».

٤ - «جامع العلوم والحكم»، لابن

رجب.

٥ - «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» (ج ٣)، لشمس الدين الأفغاني.

❁ الاستغاثة ❁

❁ التعريف لغة:

الاستغاثة لغة: مصدر استغاث يستغيث، وأصله الغوث بمعنى: الإغاثة والنصرة عند الشدة، واستغثته: طلبت الغوث منه. ويقال: الغيث، وهو المطر^(٢).

والاستغاثة نوع من أنواع الطلب والدعاء؛ لأن الفعل الثلاثي إذا تقدمه السين والتاء دلّ على الطلب، يقال: عَوَّث الرجل، واستغاث: إذا صاح وأَعَوَّثاه! أي: طلب الغوث والنصرة، ويقول الواقع في البلية: أغثني؛ أي: فرج عني^(٣).

❁ التعريف شرعاً:

تنوعت عبارات العلماء في تعريف الاستغاثة، ومن ذلك يلي:

١ - قال ابن تيمية: «الاستغاثة: طلب

= للنبهاني (٤٤٧، ٤٥١) [دار الفكر، بيروت].

(١) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية

(٣/١٢٦١ - ١٢٦٢) [دار الصميعي، ط ١،

١٤١٦هـ].

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٦١٧).

(٣) انظر: لسان العرب (١٧٤/٢)، والقاموس المحيط

(٢٢٢)، ومقدمة الاستغاثة في الرد على البكري

(٥٧/١).

الغوث، وهو لإزالة الشدة»^(١).

٢ - وقال الفوزان: «والاستغاثة: طلب الغوث، ولا تكون إلا في وقت الشدة»^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يتفق المعنى الشرعي مع المعنى اللغوي في تعريف الاستغاثة، وأنها بمعنى: طلب الغوث والنصرة حال الشدة.

الحكم:

سيأتي حكم الاستغاثة حسب أقسامها في فقرة الأقسام.

الحقيقة:

حقيقة الاستغاثة تتضح في أنها دعاء بطلب رفع المكروه أو دفعه من مكروب حال الشدة.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُُمِدِّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْسِلِينَ﴾ [الأنفال]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفِ لَكُمْ أَنِّي أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْثِرَانِ اللَّهَ وَيَلُكُ آَمِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الأحقاف: ١٧]، وقال تعالى:

(١) الاستغاثة في الرد على البكري (١/٣٦٧).

(٢) إعانة المستفيد (١/٢٦٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٢هـ].

﴿أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل].

ومن السنة المطهرة: حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه في تحذير النبي ﷺ من فتنة الدجال، وفيه: «وإن من فتنته أن معه جنة وناراً، فناره جنة، وجنته نار، فمن ابتلي بناره، فليستغث بالله، وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه برداً وسلاماً»^(٣) الحديث.

وعن جابر رضي الله عنه قال: أتت النبي ﷺ بواك، فقال: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غِيثًا مَغِيثًا، مَرِيئًا مَرِيئًا، نافعًا غير ضار، عاجلاً غير آجل»^(٤).

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رحمته الله: «ومن الشرك أن يدعو العبد غير الله؛ كمن يستغيث في المخاوف والأمراض والفاقات بالأموات والغائبين. فيقول: يا سيدي الشيخ فلان؛ لشيخ ميت أو غائب، فيستغيث به ويستوصيه ويطلب منه ما يطلب من الله من

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٧٧)، وقال ابن كثير في تفسيره (٢/٤٦١) [دار طيبة، ط ٢]: «غريب جداً من هذا الوجه»، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٨٧٥) [المكتب الإسلامي].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١١٦٩)، وابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ١٤١٦)، والحاكم (كتاب الاستسقاء، رقم ١٢٢٢)، وصححه وصححه النووي في الخلاصة (٢/٨٧٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والألباني في صحيح أبي داود (٤/٣٣٣) [مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٣هـ].

❁ الأقسام:

للاستغاثه أنواع كثيرة، إلا أنها من حيث الحكم تجتمع في أنواع ثلاثة:

الأول: الاستغاثه المشروعة:

وهذه الاستغاثه هي التي جاءت النصوص بشرعيتها وجوازها، إما أمراً واجباً، وإما ندباً، وإما أخباراً على وجه الإقرار، وهذا النوع ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ - الاستغاثه بالله تعالى، وهذا القسم هو أعظم أقسام الاستغاثه، وهو الذي أمر الله به، ومدح المؤمنين على فعله، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَوْيَ مُيُذِّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَكَةِ مُرَدِّفٍ﴾ [الأنفال].

قال السعدي رحمه الله - في تفسير الآية، وبيان امتنان الله عليهم بالتوفيق للاستغاثه به سبحانه -: «اذكروا نعمة الله عليكم، لما قارب التقاؤكم بعدوكم، استغثتم بربكم، وطلبتهم منه أن يعينكم وينصركم ﴿فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾ وأغاثكم بعدة أمور؛ منها: أن الله أمدكم: ﴿بِالْفِ مِنْ الْمَلَكَةِ مُرَدِّفٍ﴾؛ أي: يردف بعضهم بعضاً... ومن نصره واستجابته لدعائكم:

النصر والعافيه؛ فإن هذا من الشرك الذي حرّمه الله ورسوله باتفاق المسلمين»^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: «ومن أنواعه - أي: الشرك -: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثه بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم؛ فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، فضلاً عما استغاث به وسأله قضاء حاجته، أو أن يشفع له إلى الله»^(٢).

وقال الشنقيطي رحمه الله: «فعلى كل مسلم أن يفهم أن العبد إذا دهمته الكروب، وجاءته البلايا والمحن والزلازل، أن التجاء في ذلك الوقت يجب انصرافه إلى ما صرف إليه النبي ﷺ التجاء في ذلك الوقت، وهو الاستغاثه بخالق السماوات والأرض ﷻ، والله قد بين لنا معاشر المسلمين أن الإنسان إذا اضطر بأن دهمته الكروب، وأحدقت به النوائب والحوادث، أن الالتجاء في ذلك الوقت من خصائص خالق السماوات والأرض ﷻ، فلا يجوز صرفه لغيره كائناً من كان، وأوضح الله لنا هذا إيضاحاً شافياً في آيات كثيرة من كتابه»^(٣).

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٦٣ - ٦٦٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٧٥) [دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ].

(٣) العذب النمبر (٤/ ٥٣١ - ٥٣٢) [دار عالم الفوائد، ط ٢، ١٤٢٦هـ].

الثاني: الاستغاثة الممنوعة:

وهذا النوع من الاستغاثة هو ما جاء الشرع بالمنع منه وتحريمه، وهو أقسام متعددة؛ أهمها ما يلي:

١ - الاستغاثة بالصالحين من الأموات، سواء كانوا أنبياء، أو ممن يعتقد فيهم الولاية، وأن لهم بعض التصرف في الكون، من النفع والضرر، ونحو ذلك؛ فيستغاث بهم في طلب غفران الذنوب، وشفاء المرضى، والنصر على الأعداء، ونحو ذلك مما لا يقدرون عليه في حياتهم فكيف بعد مماتهم؟! فهذا من الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام والعياذ بالله تعالى، وهو شرك أهل الجاهلية الذين أنكر الله سماعهم لهم، فكيف تُرجى إغااثهم، قال الله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ۖ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ (٧٣) [الشعراء].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ومن أنواعه - أي: الشرك -: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم؛ فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، فضلاً عما استغاث به وسأله قضاء حاجته، أو أن يشفع له إلى الله» (٤).

أن أنزل عليكم ناعساً ﴿يُغْشِيكُمْ﴾؛ أي: فيذهب ما في قلوبكم من الخوف والوجل، ويكون ﴿أَمْنَةً﴾ لكم وعلامة على النصر والطمأنينة. ومن ذلك: أنه أنزل عليكم من السماء مطراً ليطهركم به من الحدث والخبث، وليطهركم به من وساوس الشيطان ورجزه» (١).

فالله ﷻ هو غياث المستغيثين، ومجيب دعوة المضطرين، وفارج كربات المكروبين، فلا مغيث على الإطلاق إلا هو ﷻ، وكل إغاثة من عباده فهي من عنده، وهو موفق لها والمحمود عليها.

٢ - الاستغاثة بصفات الله تعالى؛ كالرحمة ونحوها، وهي داخلة في الاستغاثة به ﷻ، وقد دلّ على مشروعية الاستغاثة بالصفة قوله ﷻ: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث» (٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والاستغاثة برحمته استغاثة به في الحقيقة، كما أن الاستعاذة بصفاته استعاذة به في الحقيقة، وكما أن القسم بصفاته قسم به في الحقيقة» (٣).

(١) تفسير السعدي (٣١٦) مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٢هـ.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٣٣٠)، والحاكم في المستدرک (كتاب الدعاء، رقم ٢٠٠٠) وصححه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٢٢٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١/١١١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف].

(٤) مدارج السالكين (١/٣٧٥) [دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ].

فيغيثهم، وأما ما لا يقدر عليه فكانوا يطلبون منه الدعاء فيدعو لهم، ومن ذلك أيضًا استغاثه أهل الموقف به ﷺ يوم القيامة.

قال ابن تيمية: «وما زال الناس يستغيثون به في حياته كما يستغيثون به يوم القيامة... والاستغاثه به في حياته فيما يقدر عليه لم يناع في أحد»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- شبهة المخالفين في إجازة الاستغاثه بالأموات والغائبين:

مما احتج به المخالفون القائلون بجواز الاستغاثه بالأموات والغائبين في الكربات: حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي روي مرفوعاً: «إذا انفلقت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا فإن لله حاضراً سيحبسه»^(٣). وبحديث: «إذا ضل أحدكم شيئاً - أو أراد أحدكم عوناً - وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله أعينوني، يا عباد الله أعينوني، يا عباد الله أعينوني، فإن لله

(٢) الاستغاثه في الرد على البكري (١/٤٠٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٠١/١ - ١٠٥).

(٣) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (١٧٧/٩) [دار المأمون، ط١]، والطبراني في الكبير (١٠/٢٦٧) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٥٥) [دار القبلة]، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/١٣٢): (فيه معروف بن حسان، وهو ضعيف)، وفيه انقطاع أيضاً، وقد ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٦٥٥).

٢ - الاستغاثه بالأحياء سواء كانوا حاضرين أو غائبين فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فهذا أيضاً داخل في الشرك الأكبر؛ لكونه من خصائص الله تعالى، فإذا قصد به غيره صار ذلك شركاً به ﷻ.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمته الله: «كل ما قصد به غير الله مما لا يقدر عليه إلا الله؛ كدعوة الأموات والغائبين، فهو من الشرك الذي لا يغفره الله، والأدلة على ذلك من القرآن والسنة أكثر من أن تحصر»^(١).

الثالث: الاستغاثه الجائزة:

وهذا النوع من الاستغاثه يشترط في جوازه ثلاثة شروط:

١ - أن يكون ذلك فيما يقدر عليه المخلوق، لا فيما هو من خصائص الله تعالى.

٢ - أن يكون المستغاث به حياً؛ إذ لا يجوز أن يستغاث بالأموات، ولو كانوا من الأنبياء والصالحين.

٣ - أن يكون المستغاث به حاضراً قادراً على الإغاثة، فلا يستغاث بالغائب والعاجز ونحوهما.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستغيثون بالنبي ﷺ في حياته فيما يقدر عليه

(١) قرأه عيون الموحدين (٩١) [الرئاسة العامة للإفتاء، الرياض، ط٣، ١٤٠٤هـ].

عبادًا لا نراهم»^(١).

فالجواب:

١ - الحديثان ضعيفان؛ الأول: في سنده معروف بن حسان وهو منكر الحديث، والحديث الثاني: في سنده عبد الرحمن بن شريك وهو واهي الحديث، وفي سنده انقطاع بين زيد بن علي وعتبة بن غزوان^(٢).

٢ - وعلى تقدير صحة الحديثين فليس فيهما حجة لهؤلاء المبطلين على جواز دعاء الأموات والغائبين؛ لأنه قال فيه: «فإن لله حاضرًا سيحبه»، وفي الحديث الثاني: «فإن لله عبادًا لا نراهم». والمعنى: أن لله عبادًا لا نعلمهم - وما يعلم جنود ربك إلا هو - قد وكلهم سبحانه بهذا الأمر. وهذا يدل على أن هؤلاء الذين أمر بمناداتهم حاضرون أحياء، جعل الله لهم قدرة على ذلك، فمناديهم ينادي من يسمع ويقدر على ذلك، لقوله: «فإن لله حاضرًا سيحبه». وهذا كما ينادي الإنسان أصحابه الذين

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٧/١٧) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، من حديث عتبة بن غزوان، وقال الهيثمي في المجمع (١٣٢/١٠): (رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم، إلا أن زيد بن علي لم يدرك عتبة)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٦٥٦).

(٢) انظر: مجمع الزوائد (١٣٢/١٠)، وشرح الأذكار لابن علان (١٥٠/٥ - ١٥١) [دار إحياء التراث العربي]، ولسان الميزان (٢٨٠/٧) [مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٣]، وسلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (٦٥٦).

معه في السفر أن يردوا عليه دابته إذا انفلتت. وكل عاقل يتيقن أن النبي ﷺ لا يأمر بمناداة من لا يسمع ولا يعين من ناداه. ومن استدل بذلك على جواز الاستغاثة بالأموات والغائبين فهو ضال مبتدع^(٣).

❁ الفروق:

الفرق بين الاستغاثة والدعاء:

أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب حال الشدة، وأما الدعاء فإنه أعم من ذلك؛ إذ إنه يكون من المكروب وغيره، فبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في دعاء المكروب، وينفرد الدعاء عنها في غير ذلك، فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة.

الفرق بين الإغاثة والاستغاثة:

أن المراد بالاستغاثة: هو طلب الغوث والإعانة من قبل المضطر أو المكروب، أما الإغاثة: فهي تقديم ذلك العون لمن هو في حاجة إليه.

الفرق بين الاستغاثة والاستعاذة:

١ - أن كلاً منهما داخل في الدعاء والطلب، قال ابن تيمية: «الاستعاذة، والاستجارة، والاستغاثة كلها من نوع

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (٢٠٣ - ٢٠٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٣هـ]، وتأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس (١٣٤ - ١٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٢هـ]، وصيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (٣٨٤) [المطبعة السلفية، ط ٣].

الدعاء أو الطلب، وهي ألفاظ متقاربة^(١).

٢ - أن الاستغاثة تختص بطلب العون في حال الشدة والكربة، بخلاف الاستعاذة.

٣ - بالاستغاثة تقوى عزيمة الإنسان لمعرفته بأن من يستغيث به قادر على إغاثة.

الفرق بين الاستغاثة والاستعانة:

١ - الاستغاثة سببها الكرب والشدة، وأما الاستعانة فهي فيما يتعلق بالعبد مع ربه مطلوبة على الدوام، وفي جميع الأحوال.

٤ - الاستغاثة سبب من أسباب النصر كما حدث للمسلمين يوم بدر.

٥ - الاستغاثة تقوي الروح المعنوية للمستغيث، وتعلمه بأن الفرج قريب.

٦ - الاستغاثة مجلبة للخير، وبها يعم الخير العباد والبلاد^(٢).

٢ - الاستغاثة هي طلب العون حال الشدة، فهي أقرب إلى معنى الدعاء، وأما الاستعانة فهي الثقة بالله تعالى، والاعتماد عليه، فهي أقرب إلى معنى التوكل، وإن كان كل منهما داخلاً في معنى الدعاء والطلب.

٣ - أن بين الاستغاثة والاستعانة عمومًا وخصوصًا من وجه؛ وذلك أن كل استغاثة داخلة في الاستعانة؛ إذ هي طلب العون والمساعدة، إلا أن الاستغاثة خاصة بوقت الشدة، بخلاف الاستعانة فقد تكون حال شدة وقد لا تكون.

الآثار:

١ - فيها صرف الهممة كلها إلى الله المتصرف في الكون كله بكمال قدرته، واليقين بأن الخلق ينفذون قدره وأمره.

جوز أهل الضلال من القبور طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم^(٣)، وهذا أصل شرك العالم؛ فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فضلًا عما استغاث به أو سأل أن يشفع له إلى الله، قال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ

(٢) انظر: نضرة النعيم (٢/ ٢٥١) [دار الوسيلة، ط ٤].

(٣) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (٣/ ٣٣٨) [دار عالم الكتب]، ومقالات الكوثري (٣٨٥) [مكتبة الأنوار، القاهرة]، وشواهد الحق للنبهاني (١٤٩ - ١٥٠).

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٢٧).

- إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١٧٧﴾ [المؤمنون]،
لذا فإن من استغاث بالأموال ودعاهم
من دون الله أو مع الله، سواء كان
المستغاث به نبياً أم غير نبي، أو
استغاث بالغائبين فقد وقع في الشرك
الأكبر المخرج من ملة الإسلام والعباد
بالله. والأنبياء صلوات الله عليهم إنما
بُعِثُوا لدعوة الناس إلى إفراد الله تعالى
وحده بالعبادة والدعاء، وأنه سبحانه
وحده المستعان لا شريك له، وأنه
وحده يُدعى، وأنه وحده يُنادى عند
البلیات، والكربات^(١).
- ٧ - «قرة عيون الموحدين»،
لعبد الرحمن بن حسن.
- ٨ - «القول المفيد»، لابن عثيمين.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١٠ - «مدارج السالكين»، لابن
القيم.
- ١١ - «نصرة النعيم في مكارم أخلاق
الرسول الكريم»، لعدد من المختصين،
بإشراف: د. صالح بن حميد.

الاستهزاء

التعريف لغةً:

الهاء والزاء والهمزة كلمة واحدة،
يقال: هَزَيْتُ واستَهْزَأْتُ؛ إذا سَخَرْتُ.
وَالْهَزُّ: السَّخَرَةُ. هُزِيَ بِهِ وَمِنْهُ. وَهَزَأَ
يَهْزَأُ فِيهِمَا هُزْأً وَهَزُؤًا وَمَهْزَأَةً، وَتَهَزَّأَ
وَاسْتَهْزَأَ بِهِ: سَخَرَ^(٢).

التعريف اصطلاحاً:

الاستهزاء: هو حمل الأقوال
والأفعال على الهزل واللعب لا على
الجد والحقيقة^(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاح:

العلاقة ظاهرة؛ وذلك أن الاستهزاء
في كلام العرب يدور حول السخرية

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستغاثة في الرد على
البكري»، لابن تيمية.
- ٢ - «إعانة المستفيد بشرح كتاب
التوحيد»، لصالح الفوزان.
- ٣ - «تفسير التحرير والتنوير»، لابن
عاشور.
- ٤ - «تفسير السعدي».
- ٥ - «تيسير العزيز الحميد»،
لسليمان بن عبد الله.
- ٦ - «الجامع لأحكام القرآن»،
للقرطبي.

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٣٥٣)، وتطهير الاعتقاد
عن أدراج الإلحاد (٦٧ - ٦٨) [مطبعة سفير،
الرياض، ١، ١٤٢٤هـ]، وغاية الأمان في الرد
على النبهاني للألوسي (١/٣٤٤) [مكتبة الرشد،
ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٢) مقاييس اللغة ١٠٣١، ولسان العرب (٦/٣٣١).
(٣) بيان الدليل على بطلان التحليل (٣٨) [المكتب
الإسلامي].

عَلَيْهِمْ سُورَةُ نُنِيتُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ
اسْتَهْزَؤُا بِآيَاتِ اللَّهِ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ ﴿١٤﴾
وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ
وَنُلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ
تَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٥﴾ لَا تَعْذِرُوا فَدَّ كُفْرُكُمْ بَعْدَ
إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ
طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٦﴾ [التوبة]

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا
قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة].

ومن السُّنَّة: عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن
أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ
وتقع فيه، فبناها فلا تنتهي ويزجرها،
فلا تنزجر. قال: فلما كانت ذات ليلة
جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ
المغول فوضعه في بطنها واتكأ عليها
فقتلها، فوقع بين رجلها طفل، فلطخت
ما هناك بالدم، فلما أصبح ذُكر ذلك
للنبي ﷺ فجمع الناس فقال: «أنشد الله
رجلاً فعل ما فعل لي عليه حقٌّ إلا قام».
قال: فقام الأعمى يتخطى الناس وهو
يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ،
فقال: يا رسول الله أنا صاحبها، كانت
تشتك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي،
وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل
اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت
البارحة جعلت تشتك وتقع فيك،
فأخذت المِغُولَ فوضعتَه في بطنها

والاستخفاف، وهذا عام يكون في كل
مسخور به، وأشدّها السخرية
والاستخفاف بالله - تعالى وتقدس عن
قولهم - أو بدينه، أو رسله ﷺ.

الحكم:

إن الاستهزاء بالله ﷻ وبآياته وبرسوله
كل واحد منها كفر لا ريب فيه؛ لأن
الاستهزاء كفر وحده بالضرورة ^(١).

الحقيقة:

ذلك أن الاستهزاء بهذه الأمور
متلازم، فإن من استهزأ بآيات الله تعالى
التي جاء بها الرسول ﷺ فهو مستهزئ
بالرسول ﷺ ضرورة، ومن استهزأ
بالرسول ﷺ فهو مستهزئ برسالته
حقيقة، ومن استهزأ بآياته ورسوله فهو
مستهزئ به، ومن استهزأ بالله فهو
مستهزئ بآياته ورسوله بطريق الأولى ^(٢).

المنزلة:

يعتبر الاستهزاء بالرب ﷻ، أو
بالدين الإسلامي، أو بالرسول ﷺ من
أعظم الكفر؛ بل هو أعظمها وأشدّها
خطورة على المرء.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ نَنْزَلَ

(١) انظر: الاستغاثة في الرد على البكري لابن تيمية
(٣٧٦) [دار المنهاج، الرياض].

(٢) انظر: الاستغاثة في الرد على البكري (٣٧٦) -
(٣٧٧).

ونبيًا من أنبياء الله - صلوات الله وسلامه عليهم - قتل إذا كان مظهرًا للإسلام بلا استتابة، ومنهم من يجعلها ردة يستتاب منها، فإن تاب وإلا قتل» (٤).

واتكأت عليها حتى قتلتها، فقال النبي ﷺ: «ألا اشهدوا: إن دمها هدر» (١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ اللهُ: «أجمع المسلمون على أن من سبَّ الله، أو سبَّ رسوله ﷺ، أو دفع شيئًا مما أنزل الله ﷻ، أو قتل نبيًا من أنبياء الله ﷻ أنه كافر، وإن كان مقرًا بكل ما أنزل الله» (٢).

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «اعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه، أو سبَّهما، أو جحده، أو حرفًا منه أو آية، أو كذب به أو بشيء منه، أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر، أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك، أو شك في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع» (٣).

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «ومن شتم الله تبارك وتعالى أو شتم رسوله ﷺ أو شتم

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: «ومن سبَّ الله تعالى كفر، سواء كان مازحًا أو جادًا، وكذلك من استهزأ بالله تعالى، أو بآياته أو برسوله، أو كتبه، قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُوا إِنَّ اللَّهَ خُجِرٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ (٦٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦)﴾ [التوبة]، وينبغي أن لا يكتفى من الهازئ بذلك بمجرد الإسلام، حتى يؤدي أدبًا يزره عن ذلك، فإنه إذا لم يكتف ممن سبَّ رسول الله ﷺ بالتوبة فممن سبَّ الله تعالى أولى» (٥).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إن سبَّ الله أو سبَّ رسوله كفر ظاهرًا وباطنًا، سواء كان الساب يعتقد ذلك محرماً، أو كان مستحلاً له، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده،

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الحدود، رقم ٤٣٦١)، والنسائي (كتاب تحريم الدم، رقم ٤٠٧٠)، والحاكم في المستدرک (كتاب الحدود، رقم ٨٠٤٤)، وصححه على شرط مسلم، وكذا قال الألباني في الإرواء (٩٢/٥) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٢) الصارم المسلول (٥١٣/١) [دار ابن حزم، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٣) الشفا (٣٠٤/٢) [دار الكتب العلمية].

(٤) الكافي في فقه أهل المدينة المالكي (١٠٩١/٢) [مكتبة الرياض الحديثة، ط ٢، ١٤٠٠هـ].

(٥) المغني (٢٩٨/١٢ - ٢٩٩) [دار عالم الكتب، ط ٣، ١٤١٧هـ].

هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حِكْمَانَا الَّذِي نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ

﴿٣٧﴾ [المؤمنون]، وما قالته اليهود

للرغيل الأول من الصحابة كما حكاها الله تبارك وتعالى عنهم: ﴿وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامِنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفِّرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران]، وكذلك ما أثر عن أهل البدع من العبارات التي فيها استخفاف بشعائر الدين؛ كالآذان والصلاة، والاستخفاف بكتب الفقه الشرعي.

الثالث: الاستهزاء بالرسول ﷺ

وأتباعهم، ومن صور ذلك: سخرية قوم نوح به ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَصَنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرْ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود]، وكذلك استهزأوهم بشعيب ﷺ، فيما حكى الله عنهم: ﴿قَالُوا يَشْعَبُ مَا تَفْقَهُ كَثِيرًا وَمَا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود]، وسخرية المشركين بالنبي ﷺ وإلقاء سلى الجزور على ظهره وهو ساجد، وكتحية اليهود للنبي ﷺ بقوله: السام عليك، يعنون الموت، وكاستهزاء المنافقين بالنبي ﷺ وأصحابه في عدة مواقف كغزوة تبوك وبنو المصطلق. ومنها ما ابتليت به الأمة من فتنة

هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل^(١).

❁ الأقسام:

يمكن تقسيم الاستهزاء بحسب متعلقه إلى ثلاثة أقسام، ولكل قسم صور توضحه^(٢):

الأول: الاستهزاء بالله تبارك وتعالى؛ ومن صور ذلك: اتخاذ الشركاء مع الله تعالى؛ لأن الشرك هضم لحق الربوبية، وكذلك وصفه بالصفات التي يتنزه عنها؛ كوصف اليهود - لعنهم الله - له بأنه فقير وأن يده مغلولة، وكقول غلاة الملاحدة الحلولية بأن الرب عبد والعبد رب، وأنه هو العاشق والمعشوق - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً -، وكاستهزاء الناس بالقرآن الكريم الذي هو كلام الله تبارك وتعالى، وامتهانه وتمزيقه، وكتاتبة أسماء الله الحسنى على ثوب امرأة فاسقة متبرجة في عرض للأزياء والله المستعان.

الثاني: الاستهزاء بالدين؛ ومن صور ذلك: عبادة النصارى للصليب من دون الله، وإنكار الكفار والمشركين للبعث والنشور يوم القيامة: ﴿يَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ﴾ [٣٥]

(١) الصارم المسلول (١/٥١٣) [دار ابن حزم، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: الاستهزاء بالدين لأحمد القرشي (١٥٨)، (٣٥٦). [دار ابن الجوزي].

المنافقين وبقوا في الظلمة بعد النور متحيرين»^(١).

وقال قوام السُّنَّة الأصبهاني رَحِمَهُ اللهُ: «وتولى الذب عنهم [أي: عن المؤمنين] حين قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ [البقرة]، فقال: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، وقال: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، وأجاب عنهم فقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣]؛ فأجل أقدارهم أن يوصفوا بصفة عيب، وتولى المجازاة لهم، فقال: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ وقال: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾؛ لأن هاتين الصفتين إذا كانتا من الله؛ لم تكن سفهًا؛ لأن الله حكيم، والحكيم لا يفعل السفه، بل ما يكون منه يكون صوابًا وحكمة»^(٢).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ رَدًّا على الذين يدعون أن هناك مجازًا في القرآن: «وكذلك ما ادعوا أنه مجاز في القرآن كلفظ (المكر) و(الاستهزاء) و(السخرية) المضاف إلى الله، وزعموا أنه مسمى باسم ما يقابله على طريق المجاز، وليس كذلك، بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة؛ كانت ظلمًا له، وأما إذا فعلت بمن فعلها

الوضاعين في الحديث النبوي، وما أدخلوه على المسلمين في دينهم، وكذلك ما يلقاه أتباع الأنبياء في كل عصر من السخرية والاستهزاء عبر التاريخ إلى يومنا الحاضر، والله المستعان.

المسائل المتعلقة:

- صفة استهزاء الله تعالى بالمستهزئين.

استهزاء الله ﷻ بمن يستهزئ بالمؤمنين في الدنيا هو سخريته منهم في الدنيا والآخرة، وهو من الصفات الفعلية الصادرة منه ﷻ المقيدة والمقابلة لاستهزاء المنافقين، إذ الاستهزاء لما كان جزاء على من فعل ذلك بمثل فعله كان عدلًا حسنًا.

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «والصواب: إثبات صفة استهزاء الله بالمنافقين على ما يليق به وليس كاستهزاء المخلوقين، ومن صور هذا الاستهزاء: أنه تعالى يمد الظالم في ظلمه وفي طغيانه ويعطيه ما يشتهي حتى يرد بعد ذلك إلى ما لم يكن يحتسب من الله، ومن استهزائه بهم: أن زين لهم ما كانوا فيه من الشقاء والأحوال الخبيثة حتى ظنوا أنهم مع المؤمنين لما لم يسلط الله المؤمنين عليهم، ومن استهزائه بهم يوم القيامة: أن يعطيهم مع المؤمنين نورًا ظاهرًا، فإذا مشى المؤمنون بنورهم طفق نور

(١) انظر: تفسير الطبري (١/٢١٤).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/١٨١).

وقال ابن القيم رحمته الله: «فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقاً بل تمدح في موضع وتذم في موضع، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله مطلقاً، فلا يقال إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد، والمقصود: أن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق فكيف من الخالق سبحانه» ^(٤).

✽ الآثار:

إن من استهزأ بالله وآياته ورسوله ﷺ، فقد خلا قبله من تعظيم خالقه ﷻ، وما أنزله عليه على لسان رسوله ﷺ، وبالتالي فإنه ينجر وراء اتباع كل ما تهواه نفسه، وأملاه عليه شيطانه، ولا غرابة فإنه ليس بعد الكفر ذنب.

✽ مذهب المخالفين:

أنكر اتصاف الله بالاستهزاء بالكافرين الجهمية وأهل الكلام من معتزلة وأشاعرة ومن وافقهم، وقالوا: إن هذا من قبيل المشاكلة ومقابلة اللفظ باللفظ ليزدوج الكلام ^(٥).

(٤) مختصر الصواعق (٢/ ٧٤٥ - ٧٤٦).

(٥) ينظر مثلاً: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١/ ٣٨٦ - ٣٨٧)، ومشكل الحديث وبيانه لابن فورك (٣٢٧)، والكشاف للزمخشري (١/ ١٨٤ - ١٨٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٥ - ٣٦)، ومفاتيح الغيب للرازي (١/ ٣٠٨) و(٤/ ٧٣)، وأقاويل الثقات للكرمي (٧٥).

بالمجني عليه عقوبة له بمثل فعله؛ كانت عدلاً» ^(١).

وقال رحمته الله: «ولهذا كان الاستهزاء بهم فعلاً يستحق هذا الاسم كما روي عن ابن عباس؛ أنه يفتح لهم باب من الجنة وهم في النار فيسرعون إليه فيغلق، ثم يفتح لهم باب آخر فيسرعون إليه فيغلق، فيضحك منهم المؤمنون» ^(٢). قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين].

وعن الحسن البصري: إذا كان يوم القيامة خمدت النار لهم كما تخمد الإهالة من القدر فيمشون فيخسف بهم. وعن مقاتل: إذا ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فيبقون في الظلمة فيقال لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً. وقال بعضهم: استهزاؤه: استدراجه لهم. وقيل: إيقاع استهزائهم ورد خداعهم ومكرهم عليهم. وقيل: إنه يظهر لهم في الدنيا خلاف ما أبطن في الآخرة. وقيل: هو تجهيلهم وتخطئتهم فيما فعلوه؛ وهذا كله حق وهو استهزاء بهم حقيقة» ^(٣).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ١١١).

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤٣٧) [مكتبة السوادى، ط ١].

(٣) الإيمان الكبير (٩٣ - ٩٤).

ذلك، فكيف بصدورها من الله تعالى على سبيل الجزاء بمن يستحقها^(٤).

٣ - أما قولهم: إنه ﷺ يعاملهم معاملة المخادع، فهذا لا يتصور أن يعاملهم هذا المعاملة من غير أن تقوم به هذه الصفة.

٤ - وأما قولهم: إنما هو على وجه الجواب، وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة، فنافون على الله ﷻ ما قد أثبتته الله ﷻ لنفسه، وأوجبه لها. وسواء قال قائل: لم يكن من الله - جل ذكره - استهزاء ولا مكر ولا خديعة ولا سخرية بمن أخبر أنه يستهزئ ويسخر ويمكر به، أو قال: لم يخسف الله بمن أخبر أنه خسف به من الأمم، ولم يغرق من أخبر أنه أغرقه منهم^(٥).

٥ - وأما تعليلهم بأن الاستهزاء عبث ولعب والله منزّه عنه. فيقال لهم: «إن كان الأمر عندك على ما وصفت من معنى الاستهزاء، أفلمست تقول: (الله يستهزئ بهم)، و(سخر الله منهم) و(مكر الله بهم)، وإن لم يكن من الله عندك هزاء ولا سخرية؟

فإن قال: لا، كذب بالقرآن، وخرج عن ملة الإسلام.

وإن قال: بلى. قيل له: أفنقول من

وعلموا ذلك بأن الاستهزاء من باب العبث والله تعالى منزّه عن ذلك^(١)، وأنه «لا ينفك عن التلبيس، وهو على الله محال، ولأنه لا ينفك عن الجهل؛ لقوله: ﴿لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبُحُوا بِقَرَّةٍ قَالُوا أَنْتُمْ جُنُودٌ هَزُوا﴾ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٧﴾» [البقرة]، والجهل على الله محال^(٢).

وقيل: إنها على الجواب؛ كقول الرجل لمن كان يخذعه إذا ظفر به: أنا الذي خدعتك، ولم تكن منه خديعة، ولكن قال ذلك إذ صار الأمر إليه. وكذلك المكر والاستهزاء، والله لا يكون منه المكر ولا الهُزء، والمعنى: أن المكر والهُزء حاق بهم^(٣).

الرد عليهم:

١ - قرّر أهل العلم أن صفات الله تعالى لا يدخلها المجاز، وأن الله ﷻ خاطب العرب بما تعهد من كلامها، فوجب حملها على حقيقتها المعهودة عندهم.

٢ - أنها إذا كانت على وجه الظلم والعدوان كانت مذمومة، وأما إذا كانت على وجه الحق فهي عدل بمن يستحق

(١) ينظر: تفسير النسفي (١/٥٣)، وأقوايل الثقات (٧٥).

(٢) مفاتيح الغيب (١/٣٠٨)، وينظر: الكشف للزمخشري (١/١٨٤ - ١٨٥).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١/٣٠١).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/١١١).

(٥) جامع البيان للطبري (١/٣٠٤).

- الوجه الذي قلت: (الله يستهزئ بهم) (وسخر الله منهم) - (يلعب الله بهم) (يعبث) - ولا لعب من الله ولا عبث؟
 فإن قال: نعم! وصف الله بما قد أجمع المسلمون على نفيه عنه، وعلى تخطئة واصفه به، وأضاف إليه ما قد قامت الحجة من العقول على ضلال مضيفه إليه.
- ٦ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
 ٧ - «مقاييس اللغة»، لابن فارس.
 ٨ - «الصارم المسلول»، لابن تيمية.
 ٩ - «الشفاف في حقوق المصطفى»، للقاظمي عياض.
 ١٠ - «الاستغاثة في الرد على البكري»، لابن تيمية.

❖ الاستواء ❖

❖ التعريف لغةً:

السين والواو والياء أصل يدل على استقامة واعتدال^(٢)، فأصل مادة: (س.و.ي) يدل على الكمال، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سُوءَ﴾ [الأعلى]. وقال الأخفش: «استوى؛ أي: علا، ويقول: استويت فوق الدابة وعلى ظهر الدابة؛ أي: علوته»^(٣).

وباستقراء استعمالات مادة: (س.و.ي) في اللغة العربية يتبين أنها على خمسة أوجه:

- ١ - معداة ب(على)، مثل: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ومعناها: العلو والارتفاع، كما سبق عن الأخفش وغيره.
 ٢ - معداة ب(إلى)، مثل قوله تعالى:

وإن قال: لا أقول: (يلعب الله بهم) ولا (يعبث)، وقد أقول: (يستهزئ بهم) (يسخر منهم). قيل: فقد فرقت بين معنى اللعب والعبث، والهزاء والسخرية، والمكر والخديعة. ومن الوجه الذي جاز قيل هذا، ولم يجز قيل هذا، افترق معنيهما. فعلم أن لكل واحد منهما معنى غير معنى الآخر^(١).

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستهزاء بالدين؛ أحكامه وآثاره»، لأحمد بن محمد القرشي.
 ٢ - «أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات»، لمرعي الكرمي.
 ٣ - «جامع البيان»، لابن جرير الطبري.
 ٤ - «الحجة في بيان المحجة»، لإسماعيل الأصبهاني.
 ٥ - «لسان العرب»، لابن منظور.

(٢) مقاييس اللغة (١١٢/٣).

(٣) تهذيب اللغة (١٣/١٢٥)، والصاح (٥٢١) [دار المعرفة، ط ١، ١٤٢٦هـ]، ولسان العرب (١٤/٤١٤).

(١) جامع البيان للطبري (١/٣٠٤، ٣٠٦).

والاستواء على العرش هو العلو والارتفاع على العرش، وذلك بعد خلق السماوات والأرض بالكيفية التي يعلمها الله ﷻ ولا نعلمها^(٥).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الاستواء علو خاص وردت به النصوص، وهي صفة فعلية (اختيارية) خبرية، ونصوصه من أدلة إثبات علو الله تعالى، وقد سبق أن الاستواء لغة يأتي لمعان، ولكنه نص في العلو والارتفاع إذا كان مقيداً بـ(على)، فالعلاقة واضحة.

الحكم:

يجب إثبات صفة الاستواء لله ﷻ، كما أجمع عليه السلف، فهو ﷻ مستو على عرشه استواء حقيقياً يليق بجلاله وعظمته، وهي صفة فعلية.

الحقيقة:

استواء الله تعالى على عرشه هو علوه

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]، ومعناها كالمعداة بـ(على)، وقال بعض أهل العلم: الاستواء هنا بمعنى القصد والإقبال، واختاره الفراء والزجاج وثعلب وابن كيسان والجوهري وغيرهم من اللغويين^(١).

٣ - مقرونة بالواو؛ كقولهم: استوى الماء والخشبة؛ بمعنى: تساوى الماء والخشبة^(٢).

٤ - معداة بـ(مع)، مثل: استوى الشيء مع كذا وكذا، ومعنى هذين الوجهين واحد.

٥ - مجردة؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾ [القصص: ١٤]، ومعناه: الكمال. وقيل: إن معنى (استوى) ههنا: بلغ الأربعين. وكلام العرب: أن المجتمع من الرجال والمستوى هو الذي تم شبابه^(٣).

التعريف شرعاً:

الاستواء إلى السماء: هو بمعنى: العلو، وقيل: هو بمعنى: القصد، فاستوى إلى السماء بمعنى: قصد إليها^(٤).

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٣/١٢٤)، والصاح (٥٢١)، وتفسير السمعاني (١/٦٣)، ولسان العرب (١٤/٤١٤).

(٢) تهذيب اللغة (١٣/١٢٥)، ولسان العرب (١٤/٤١٠).

(٣) تهذيب اللغة (١٣/١٢٥).

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد (١٣/٤١٤) -

مع الفتوح - [دار الريان، ط٢، ١٤٠٩هـ]، وتفسير الطبري (١/٤٥٧) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ]، وتفسير أبي المظفر السمعاني (٥/٣٩)، ومعالم التنزيل (٤/١٢٦)، وتفسير ابن كثير (١/٨٧) [مؤسسة الريان، بيروت، ط٣، ١٤٢٨هـ]، والقواعد المثلى لابن عثيمين (٥٢ - ٥٣) [عمادة خدمة المجتمع بالجامعة الإسلامية، ط٣، ١٤٢١هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٥/٥٢١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]. وانظر: القصيدة النونية (٨٥)، الأبيات (١٣٥٣ - ١٣٥٥) [عالم الفوائد، ط١]، ذكره ضمن أدلة العلو، في الدليل السادس عشر.

أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾ [يونس].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد].

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾﴾ [طه].

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْئَلُ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفرقان].

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [السجدة].

الموضع السابع: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

عليه، لكن الاستواء علو خاص، فكل مستو على شيء عال عليه، وليس كل عال على شيء مستو عليه، ولهذا لا يقال لكل ما كان عاليًا على غيره: إنه مستو عليه، واستوى عليه، ولكن كل ما قيل فيه: إنه استوى على غيره فإنه عال عليه، فنشبت لله ﷻ الاستواء على العرش والاستواء إلى السماء بالكيفية التي هو ﷻ يعلمها^(١).

الأدلة:

الأدلة على إثبات صفة الاستواء لله ﷻ كثيرة، وهي صفة كمال وجلال تمدح بها رب السماوات والأرض، ووردت بصيغة (استوى) معداة بـ(على) في سبع آيات من القرآن الكريم، والقرينة على أنها صفة كمال وجلال أن الله ما ذكرها في كتابه إلا مصحوبة بما يبهز العقول من صفات جلاله وكماله التي هي منها، وهذه الآيات هي - على ترتيب المصحف -:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿إِن رَّبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/٥٢٢).

تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أهل السُّنة والحديث وسلف الأمة متفقون على أنه فوق سماواته على عرشه، بائن من خلقه، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، وعلى ذلك نصوص الكتاب والسُّنة، وإجماع سلف الأمة وأئمة السُّنة؛ بل على ذلك جميع المؤمنين والأولين والآخرين^(٤). وأهل السُّنة وسلف الأمة متفقون على أن من تأول (استوى) بمعنى: استولى، أو بمعنى آخر ينفي أن يكون الله فوق سماواته فهو جهمي ضال»^(٥).

٤ - وقال الذهبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هذه الصفات من الاستواء، والإتيان، والنزول، قد صَحَّت بها النصوص، ونقلها الخلف عن السلف، ولم يتعرضوا لها بردًّا ولا تأويل، بل أنكروا على من تأولها، مع اتفاقهم على أنها لا تشبه نعوت المخلوقين، وأن الله ليس كمثله شيء، ولا تنبغي المناظرة ولا التنازع فيها، فإن في ذلك مخولة للرد على الله ورسوله، أو حومًا على التكيف أو التعطيل»^(٦).

المسائل المتعلقة:

- قول أهل السُّنة: إن الله تعالى فوق

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخذ بيده فقال: «يا أبا هريرة إن الله خلق السماوات والأرضين وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يوم السابع»^(١).

أقوال أهل العلم:

١ - قال الإمام ابن المبارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا نقول كما قالت الجهمية: إنه في الأرض ههنا، بل على العرش استوى. وقيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: فوق سماواته على عرشه»^(٢).

٢ - وقال الإمام نصر بن إبراهيم المقدسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الذي أدركت عليه أهل العلم، ومن لقيتهم وأحدث عنهم، ومن بلغني قوله من غيرهم، ممن يعول عليه ويرجع في النوازل إليه... فذكر جمل اعتقاد أهل السُّنة، وفيها: «وأن الله مستو على عرشه، بائن من خلقه...»^(٣).

٣ - وقال شيخ الإسلام ابن

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (كتاب التفسير، رقم ١١٣٢٨)، وقال ابن كثير: «تكلم في هذا الحديث علي بن المديني والبخاري والبيهقي وغيرهم من الحفاظ». البداية والنهاية (١/٣٢) [دار هجر، ط ١]، وقال الألباني: «جيد الإسناد». مختصر العلو (١١٢).

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١٥/٢) (١٣) [دار أطلس الخضراء، الرياض، ١٤٢٥هـ]، وغيره.

(٣) مختصر الحجة على تارك المحجة (٢/٣٣٤، ٣٤٣) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٤) يقصد: سوى الجهمية ومن تأثر بهم.

(٥) التسعينية لشيخ الإسلام (٢/٥٤٥) [مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٦) سير أعلام النبلاء (١١/٣٧٦).

سماواته على عرشه، بائن من خلقه:

كيف، أحاط بكل شيء علماً^(٣).

ذكر أهل العلم أن الله تعالى فوق عرشه، بائن من خلقه، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، وعلى ذلك نصوص الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة وأئمة السنة.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «والله تعالى بائن من خلقه، مباين لهم في صفاته ونعوت جلاله»^(٤).

الفروق:

الفرق بين الاستواء والعلو:

الاستواء: علو خاص وردت به النصوص، وهو صفة فعلية (اختيارية) خبرية.

قال ابن بطه رَحِمَهُ اللهُ: «باب الإيمان بأن الله رَحِمَهُ اللهُ على عرشه، بائن من خلقه وعلمه محيط بجميع خلقه».

أما العلو: فصفة ذاتية لازمة للذات، فهو تعالى لم يزل في علوه، وهي في الوقت نفسه سمعية وعقلية، ثابتة بالسمع والعقل والفترة^(٥).

وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله رَحِمَهُ اللهُ على عرشه فوق سماواته، بائن من خلقه وعلمه محيط بجميع خلقه»^(١).

مذهب المخالفين:

المخالفون هنا أصناف:

الصف الأول:

- منهم من ينفي جميع الصفات، وأولئك هم المعتزلة، فهم ينفون هذه الصفة، كما ينفون غيرها من الصفات، ويؤولون الاستواء بالاستيلاء^(٦)، وبعض

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وهو سبحانه فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، وهو سبحانه غني عن العرش وعن سائر المخلوقات، لا يفتقر إلى شيء من مخلوقاته، بل هو الحامل بقدرته العرش، وحملة العرش»^(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ «الله رَحِمَهُ اللهُ على عرشه بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله رَحِمَهُ اللهُ بلا

(٣) حاشية ابن القيم (٣٥/١٣) [دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤١٥هـ].

(٤) تفسير السعدي (٧٦٣/١) [مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١٢١/٥ - ١٢٢)، وشرح حديث النزول (٣٩٥) [دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٦) انظر: المختصر في أصول الدين - ضمن رسائل العدل والتوحيد - (٣٣٣) [دار الشروق، ط ٢، ١٤٠٨هـ]، وشرح الأصول الخمسة للقاضي =

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (١٣٦/٣) [دار الراية، السعودية، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٣٦٧/١).

وهذا بسبب أصلهم في منع حلول الحوادث، والذي لأجله نفوا الصفات الفعلية كلها.

ومذهب السلف وأئمة السُّنَّة: أن هذه الصفات الفعلية تقوم بذات الله تعالى^(٥)، كما سبق عند بيان مذهب أهل السُّنَّة في هذه الصفة.

✽ الرد عليهم إجمالاً:

١ - إن زعم المتكلمين أنه يمتنع حمل نصوص الاستواء وغيرها من نصوص الصفات على معانيها الحقيقية: اعتداء صارخ على النصوص، وانتهاك لحرمتها، بل واستدراك على ربِّ العالمين، وهذا ليس من التأويل في شيء، بل هو تحريف للنصوص، ويسمى في اصطلاح الأصوليين: لعباً وليس تأويلاً^(٦)، كما يسميه أهل السُّنَّة تحريفاً^(٧)، وطالما سلكه المتكلمون باسم التأويل والمجاز، وهو عين التحريف المذموم في القرآن، وفيه سوء أدب مع النصوص، فليس للعقل أن يحيل ما ذكره الله في كتابه عن نفسه، أو

متأخريهم - كالزَمخشري وغيره - يجعلها من باب التمثيل والتخييل^(١).

- ومنهم من ينفي العلو، وينفي الصفات الخبرية، ولا يثبت سوى الصفات العقلية، وهؤلاء هم متأخرو الأشاعرة. وهؤلاء نفوا صفة الاستواء، وأولوها بالاستيلاء، تماماً كتأويل المعتزلة^(٢). وبعضهم يرى أنها من قبيل التخييل كذلك^(٣).

الصنف الثاني: من يثبت الصفات الذاتية، ومنها العلو، وكثيراً من الصفات الخبرية، وهؤلاء هم الكلائية، وقدماء الأشاعرة. وموقفهم من الاستواء: أنهم يثبتونه إلا أنهم يجعلونه لازماً لا يتعلق بالمشيئة^(٤).

= عبد الجبار (٢٢٦) [مكتبة وهبة، ٣، ١٤١٦هـ]، ومتشابه القرآن له (٧٣، ٣٥١، ٤٠٣) [دار التراث، القاهرة، ١٩٦٩م]، وانظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٥٦) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢].

(١) انظر: الكشف (٥٤/٣) و(٦٨٧/١) [٦٨٨ - ٦٨٩] [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٢١هـ].

(٢) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (٨٧ - ٨٨) [دار ومكتبة الهلال، ط ١، ١٩٩٣م]، وطوالع الأنوار للبيضاوي (١٩٠) [المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧م]، والإيضاح في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة (١٣١) [دار إقرأ، دمشق، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٣) انظر: شرح المقاصد للفتازاني (١٧٤/٤ - ١٧٥) [عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٩هـ].

(٤) شرح حديث النزول (٢٦٢) [دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٨هـ]، وضمن مجموع الفتاوى (٤٣٧/٥)، وانظر: فتح الباري لابن حجر (٤١٧/١٣) [دار الريان للتراث، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٩هـ].

(٥) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٢١٤ - ١٢١٥) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٦) انظر: مذكرة أصول الفقه للشنقيطي (١٧٧) [دار القلم، بيروت]، ومعالم أصول الفقه عند أهل السُّنَّة والجماعة (٣٩٤) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤١٩هـ].

(٧) انظر التفصيل في: الصواعق المرسلّة لابن القيم (١/ ٢١٥) [دار العاصمة، ط ٣، ١٤١٨هـ].

ذكره رسوله في السُّنة الصحيحة، وإنما وظيفة العقل هو التلقي والفهم عن الله ﷻ ورسوله ﷺ.

٢ - إضافة إلى سوء الأدب مع النصوص، والذي سبقت الإشارة إليه، يلاحظ هنا خطأ آخر يرتكبه المتكلمون، والذي كان سبباً في الخطأ الأول، وهذا الخطأ هو الانحراف في فهم المعنى الحقيقي لهذه النصوص؛ إذ إنه عند المتكلمين هو ما يليق بالمخلوقين من معاني هذه الألفاظ.

وهذا من أبرز الأخطاء التي ارتكبتها جميع الذين ردّوا شيئاً من النصوص باسم التشبيه، حيث لم يفهموا منها إلا ما يليق بالمخلوقين، وهذه نظرة سقيمة، بعيدة عن هدي اللغة أولاً، ثم عن هدي النصوص والعقل ثانياً.

أما اللغة: فالمعنى الحقيقي للفظ هو الذي استعمل له في الإطار المعروف في اللغة، وهو يتحدد من خلال السياق، ومن مفاصد تقسيم الألفاظ إلى الحقيقة والمجاز: أنه يصطدم بهذه الحقيقة؛ ويجعل لكل لفظ معنىً معجمياً هو حقيقته الموضوعية له، ويستبعد بقية المعاني التي يستعمل ذلك اللفظ فيها في اللغة، ويجعلها مجازاً، لتكون مرشحة لكل أحكام المجاز التي بنيت على أساس كون هذه المعاني خلاف الأصل.

والأهم في هذا الأمر: أنهم يتحكمون في تحديد (ظاهر) النص وحقيقته، ثم يبنون عليه الأحكام الأخرى، التي بنيت على الأساس الخاطيء، ومن هذا الباب حددوا حقيقة معاني النصوص بأنها ما يليق بالمخلوقين، ثم جزموا بكونه مستحيلاً يحتاج إلى تأويل.

وأما شرعاً وعقلاً: فالواجب أن يعلم أن ما جاء في القرآن والسُّنة من وصف الخالق تعالى: فصفته لائقة بكماله وجلاله، كما أن صفة المخلوق مناسبة لحاله وفنائه وعجزه وافتقاره، وأن بين صفة الخالق والمخلوق من المنافاة والمخالفة: كمثّل ما بين ذات الخالق والمخلوق، وحسبك بوناً بذلك.

إذن؛ فالمعنى الحقيقي يتحدد بالإضافة، فبمجرد إضافة الصفة إليه ﷻ يتبادر إلى الفهم أنه لا مناسبة بين تلك الصفة الموصوف بها الخالق، وبين شيء من صفات المخلوقين، وهل ينكر عاقل أن السابق إلى الفهم، المتبادر لكل عاقل هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته؟ لا ينكر ذلك إلا مكابر^(١).

٣ - ما ذكره من تأويل الاستواء بالاستيلاء: هو قول الجهمية والمعتزلة،

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٢٠) [١٤٠٣هـ].

استوائه على العرش هو استيلاؤه عليه،
كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق

من غير سيف ودم مهراق

لأن الاستيلاء هو القدرة والقهر، والله تعالى لم يزل قادراً قاهراً، عزيزاً، مقتدرًا، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن، فبطل ما قالوه^(٣).

٤ - إن ما ذكره من تأويل الاستواء بالاستيلاء: قد رده أئمة اللغة قديماً وحديثاً.

قال الإمام داود الظاهري: كنا عند ابن الأعرابي [ت ٢٣١هـ]، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله، ما معنى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾؟ قال: هو على عرشه كما أخبر، فقال الرجل: ليس كذلك، إنما معناه: استولى، فقال: اسكت! ما يدريك ما هذا؟! العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد، فأيهما غلب؟ قيل استولى، والله تعالى لا مضاد له، وهو على عرشه كما أخبر، ثم قال: الاستيلاء بعد المغالبة، قال النابغة:

إلا لمثلك أو من أنت سابقه

سبق الجواد إذا استولى على الأمد^(٤).

كما سبق، وقد ردّ عليهم أئمة الأشاعرة المتقدمون، منهم أبو الحسن الأشعري نفسه، حيث عقد فصلاً مستقلاً للاستواء في كتابه «الإبانة»^(١)، قال في أوله: «إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله ﷻ يستوي على عرشه استواء يليق به...».

ثم ذكر الآيات الواردة في ذلك، ثم قال: «فصل: وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن قول الله ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه]: إنه استولى، وملك، وقهر، وأن الله في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله ﷻ على عرشه - كما قال أهل الحق - وذهبوا في الاستواء إلى القدرة...»، ثم ردّ عليهم بتوسع.

ومنهم الباقلاني، حيث قال: «فإن قالوا: فهل تقولون إنه في كل مكان؟ قيل: معاذ الله! بل هو مستو على العرش، كما خبر في كتابه فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾... ولو كان في كل مكان: لكان في جوف الإنسان، وفمه، وفي الحشوش، والمواضع التي يرغب عن ذكرها، تعالى عن ذلك...»^(٢).

ثم قال: «ولا يجوز أن يكون معنى

(١) (٩٧ - ١٠٣).

(٢) تمهيد الأوائل للباقلاني (٢٦١ - ٢٦٢) [المكتبة المشرقية، بيروت، ١٩٥٧م].

(٣) تمهيد الأوائل (٢٦١ - ٢٦٢).

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة =

وروى الحافظ ابن حجر من طريق أبي إسماعيل الهروي عن محمد بن أحمد بن النضر الأزدي؛ أنه قال:

سمعت ابن الأعرابي يقول: أرادني أحمد بن أبي دؤاد أن أجد له في لغة العرب ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١) بمعنى: استولى! فقلت: والله ما أصبت هذا^(٢).

١ - لأن معناه معلوم في اللغة، وهو العلو والارتفاع وما في معناه، وبذلك نص أئمة اللغة، كما سبق.

٢ - ولأنه بذلك المعنى بعينه فسره السلف.

٣ - ولأن أئمة اللغة قد ردّوا تأويله بالاستيلاء، كما سبق.

٤ - وقبل ذلك كله: قد جاء في الآيات والأحاديث بهذا المعنى، ومما يؤكد ذلك: أنه اطرّد في الآيات ذكر استواء الرب تعالى «المعدى بأداة (على) المعلق بعرشه، المعرف باللام، المعطوف بـ(ثم) على خلق السماوات والأرض، المطرّد في موارده على أسلوب واحد ونمط واحد»^(٣)، وهذا كله للتأكيد على أنه لا يحتمل إلا معنى واحداً فقط.

وكل هذا يدل على أنه نص لا يحتمل التأويل، فلا يجوز تأويله، وعامة نصوص الصفات من هذا القسم، «وهذا القسم إن سلط عليه التأويل: عاد الشرع كله مأولاً؛ لأنه أظهر أقسام القرآن ثبوتاً، وأكثرها وروداً، ودلالة القرآن عليه متنوعة غاية التنوع، فقبول ما سواه للتأويل أقرب من قبوله بكثير»^(٤).

وهذا يدل على أن الجهمية حاولوا أن ينتزعوا اعتراف بعض أئمة اللغة بأن (استوى) يأتي بمعنى الاستيلاء، دون أن تلقى تلك الجهود قبولاً لدى أئمة اللغة.

٥ - من المعلوم أنه لما كان وضع الكلام للدلالة على مراد المتكلم، وكان مراده لا يعلم إلا بكلامه؛ انقسم كلامه إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما هو نص في مراده، لا يحتمل غيره.

الثاني: ما هو ظاهر في مراده، وإن احتمل أن يريد غيره.

الثالث: ما ليس بنص ولا ظاهر في المراد، بل هو مجمل يحتاج إلى البيان^(٢).

فلننظر إلى الاستواء من أي قسم هو؟

= والجماعة (٤٤٢/٣) [دار طيبة، ط٦، ١٤٢٠هـ]، وذكره ابن منظور في لسان العرب (٤١٤/١٤)، وغيره.

(١) فتح الباري لابن حجر (٤١٧/١٣).

(٢) الصواعق المرسلة لابن القيم (٣٨٢/١).

(٣) المصدر السابق (٩٣٨/٣).

(٤) المصدر السابق (٣٨٣/١ - ٣٨٤).

عدة أوجه، كما أن تلميذه الإمام ابن القيم رحمته الله أبطل ذلك في «الصواعق المرسلة» من اثنين وأربعين وجهًا^(٤)، وغيرهما أيضًا^(٥)، وكلها تقطع دابر هذا التأويل الباطل من قبل الجهمية ومن تبعهم من الأشاعرة والماتريدية.

- وأخيرًا نتساءل ونقول: هل نجا المتكلمون من التشبيه بعد تأويلهم الاستواء بالاستيلاء؟

والجواب: أنهم لم يتخلصوا مما فروا منه، وهو التشبيه، بل هم واقعون - بعد تأويلهم بالاستيلاء - في شر مما فروا منه، وذلك لأن المؤول زعم أن الاستواء يوهم غير اللائق بالله؛ لاستلزامه مشابهة استواء الخلق، وجاء بدله بالاستيلاء؛ لأنه هو اللائق به في زعمه، ولم ينتبه؛ لأن تشبيه استيلاء الله على عرشه باستيلاء بشر بن مروان على العراق هو أفظع أنواع التشبيه، وليس بلائق قطعًا؛ لأن الاستيلاء لا يكون إلا فيما كان منازعًا مغالبًا، فإذا غلب أحدهما صاحبه قيل: استولى، والله تعالى

مع التنزل مع الخصم، والاعتراف بأن الاستواء من القسم الثاني، وهو ما كان ظاهرًا في مراد المتكلم، ولكنه يقبل التأويل؛ فلا بد من مراعاة قاعدة مهمة في هذا القسم، وهي: أنه «ينظر في وروده، فإن اطرده استعماله على وجه واحد؛ استحال تأويله بما يخالف ظاهره؛ لأن التأويل إنما يكون لموضع جاء خارجًا عن نظائره، منفردًا عنها، فيؤول حتى يرد إلى نظائره... ومثال ذلك: اطراد قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٦)، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٧) في جميع موارد - من أولها إلى آخرها - على هذا اللفظ، فتأويله باستولى باطل، وإنما كان يصح أن لو كان أكثر مجيئه بلفظ استولى، ثم يخرج موضع عن نظائره، ويرد بلفظ استوى، فهذا كان يصح تأويله باستولى»^(٨).

وهذا الذي ذكرته ليس خاصًا بالاستواء فقط، بل إذا تأملت نصوص الصفات - التي لا تسمح الجهمية بأن يسموها (نصوصًا)، فإذا احترموها قالوا: ظواهر سمعية، وقد عارضتها القواطع العقلية - وجدتها كلها من هذا الباب^(٩).

وقد أبطل شيخ الإسلام رحمته الله في عدد من كتبه^(١٠) تأويل الاستواء بالاستيلاء من

- ٤٠٣، ٣٤٧/١٧ - ٣٧٩، والتدمرية (٨١ - ٨٤)، ودرء تعارض العقل والنقل (٢٧٨/١ - ٢٧٩)، وقد أشار ابن القيم - في النونية (٣١٠/١ - ٣١١) - إلى أن لشيخ الإسلام كتابًا مستقلًا في ذلك.

(٤) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٨٨٨/٣ - ٩٤٦).

(٥) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٣١/٧) [وزارة

الأوقاف المغربية]، والحجة في بيان المحجة (٢/

١١٠) [دار الراجية، ط ١، ١٤١١هـ]، ومجموع

الفتاوى (١٤٧/٥).

(١) المصدر السابق (٣٨٤/١ - ٣٨٦).

(٢) المصدر السابق (٣٨٨/١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٤/٥ - ١٤٩) (٣٩٥/١٦).

لم ينازعه أحد في العرش حتى يقال: إنه تيمية.

استولى عليه^(١). ٢ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»،

إلا إن المؤول يقول: إن الاستيلاء لابن القيم.

المزعوم منزّه عن مشابهة الخلق. ٣ - «مختصر الصواعق المرسلة»،

فنقول: إذا علمت أنه لا بد من تنزيه لابن القيم.

أحد اللفظين - أي: لفظ استوى الذي ٤ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن

نزل به قرآن يتلى، ولفظ استولى الذي عثيمين.

جاء به قوم من تلقاء أنفسهم من غير ٥ - «موقف ابن تيمية من الأشاعرة»،

استناد إلى نص من كتاب الله، ولا سُنّة لعبد الرحمن المحمود.

رسوله ﷺ ولا قول أحد من السلف -: ٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في

فأي الكلمتين أحق بالتنزيه؟

أهي كلمة القرآن المنزلة من الله ٧ - «جهود الإمام ابن القيم في تقرير

على رسوله؟ أم كلمتكم التي جئتم بها توحيد الأسماء والصفات»، لوليد العلي.

من تلقاء أنفسكم من غير مستند أصلاً؟^(٢).

٨ - «المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع: جمعاً ودراسة»،

لعدد من الباحثين. ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

١١ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

١٢ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

١٣ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

١٤ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

١٥ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

١٦ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

١٧ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

١٨ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

١٩ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

٢٠ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

إسحاق

اسمه ونسبه:

هو إسحاق بن إبراهيم الخليل بن آزر.

معنى اسمه لغة:

إسحاق اسم أعجمي عبراني،

المصادر والمراجع:

١ - «بيان تلبيس الجهمية»، لابن

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٣١/٧)، والحجة في

بيان المحجة (١١٠/٢)، مجموع الفتاوى (١٤٧/٥).

(٢) أضواء البيان (٤٥٤/٧)، وصفات الله ﷻ (٨٥).

معناه: الضحاك^(١).

وذكروا أن عمر أمه سارة حين بشرت به
كان تسعين سنة^(٤).

مولده ونشأته:

نبوته:

ذكر الله ﷺ نبوته فقال: ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ
إِبْرَاهِيمَ ۖ ﴿١٦﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّهُ مِنْ
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ
الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الصافات].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عِدَدَنَا إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا
أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّمَا عِدَدُنَا
لِلنَّاصِطِينَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل
للنبي ﷺ: من أكرم الناس؟ قال:
«أكرمهم أبقاهم». قالوا: يا نبي الله:
ليس عن هذا نسألك، قال: «فأكرم
الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن
نبي الله ابن خليل الله. قالوا: ليس عن
هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب
تسألوني؟» قالوا: نعم، قال: «فخياركم
في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا
فقهوا»^(٥).

دلائل نبوته:

إن الله تعالى أخبر بها في كتابه

(٤) انظر: البدء والتاريخ (٦٣/٣)، والبدية والنهاية
لابن كثير (٤٤٧/١) [دار هجر، ط ١]، ونظم الدرر
للبقاعي (٣٣٢/٦)، والأنس الجليل بتاريخ القدس
والخليل للعليمي (٦٤/١) [مكتبة دنديس، عمان].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم
٣٣٧٤)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٨).

أرسل الله تعالى إلى خليله إبراهيم عليه السلام
وهو ببית المقدس ملائكة يبشرونه
بإسحاق^(٢)، بعد أن كبر إبراهيم وزوجه
سارة في السن كبراً شديداً، كما قال
تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ
بِالبُّشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ
جَاءَهُ عِجْلٌ خَبِيرٌ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا
تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا
لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ لُوطٍ ﴿٧٠﴾
وَأَمْرَانَهُ قَائِمَةٌ فَضَجَّكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ
وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَوَئِلَىٰ ذَا هَذَا لَشَيْءٌ
عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ
اللَّهِ وَرِكَزُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ
مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود]. وذكر الواقدي أن
إسحاق ولد بين العماليق بالشام^(٣). وقد
ذكر بعض المؤرخين أنه عليه السلام ولد بعد
إسماعيل عليه السلام بثلاث عشرة سنة، وقيل
بأربع عشرة سنة، وقيل: بعشر سنين،
وقيل: غير ذلك، ولأبيه مائة سنة،

(١) الإتقان في علوم القرآن (٧٠/٤) [الهيئة المصرية
العامة للكتاب]، والإعلام بأصول الأعلام الواردة
في قصص الأنبياء للدكتور ف. عبد الرحيم (٣٦)
[دار القلم، دمشق].

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي
(١٠٢/٧) [دار الكتب العلمية، بيروت].

(٣) انظر: البدء والتاريخ لابن طاهر المقدسي (٦٣/٣)
[مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد].

والخضوع والمحبة والتذلل والانقياد^(٢).

وفاته:

ذكر أصحاب السير أن إسحاق عليه السلام توفي بفلسطين بعد أن عاش مائة وستين سنة، ودفن فيها بجوار قبر إبراهيم^(٣). وقيل: عاش مائة وثمانين سنة^(٤).

وما ذكره أصحاب السير لا يفيد تحديد موقع قبر إبراهيم وعليه فلا يعرف قبر نبي إلا قبر محمد بن عبد الله ﷺ.

المصادر والمراجع:

- ١ - «البدء والتاريخ» (ج ٣)، لابن طاهر المقدسي.
- ٢ - «قصص الأنبياء المسمى بالعرائس»، للثعلبي.
- ٣ - «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (ج ١)، لابن الجوزي.
- ٤ - «صحيح قصص الأنبياء» لابن كثير، لسليم الهلالي.
- ٥ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.

- ٦ - «نظم الدرر» (ج ٦)، للبقاعي.
- ٧ - «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» (ج ١)، لمجير الدين العلمي.

فقال الله تعالى: ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۖ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَبَشَرْنَاهُ إِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ۝﴾ [الصافات].

وقال عز وجل: ﴿فَلَمَّا أَعْتَرَكُم مَّا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝﴾ [مريم].

وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدِيًّا ۝﴾ [الأنعام: ٨٤].

دعوته:

أرسل الله إسحاق إلى الشام في حياة أبيه^(١)، يدعوهم إلى الملة الحنيفية التي جاء بها الخليل عليه السلام، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ونبذ الشرك، كما يفهم هذا من قول الله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝﴾ [البقرة]. حيث نصوا على أنهم سيستمرون على عبادة معبود آبائهم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وهو الإله الواحد، ويستسلمون له وحده بالطاعة

(١) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٣٠٧/١) [دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١]، وانظر: مختصر سيرة الرسول لمحمد بن عبد الوهاب (٢٢) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤٧٧/١) [دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢].

(٣) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٣٠٨/١).

(٤) انظر: تاريخ بيت المقدس لابن الجوزي (٧٦) [مكتبة الثقافة الدينية].

وقعتا قبل الهجرة للنبي ﷺ ليلاً بروحه وجسده يقظة، من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى، بواسطة البراق، بصحبة جبريل ﷺ، ثم العروج به في نفس الليلة من المسجد الأقصى إلى الملأ الأعلى عند سدرة المنتهى، ورؤيته الآيات الكبرى، ثم الرجوع به ﷺ إلى بيته في مكة في ليلته تلك^(٣).

٨ - «مختصر السيرة»، لمحمد بن عبد الوهاب.

٩ - «قصص الأنبياء ومناقب القبائل من التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن الملقن، دراسة وتحقيق: أحمد حاج محمد عثمان.

١٠ - «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء»، لإبراهيم العلي.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لا يختلف المعنى اللغوي لكلمتي الإسراء والمعراج عن معناهما في اصطلاح الشرع؛ فالإسراء لغة هو: التسيير ليلاً، والمعراج هو: آلة الصعود، وهما في اصطلاح الشرع: الإسراء بالنبي ﷺ ليلاً، ثم العروج به إلى السماوات العلى. فيظهر بهذا أن بين المعنيين توافقاً وتناسباً.

الحكم:

ويعتقد المسلم: أن الإسراء والمعراج كانا يقظة وحقيقة لا مناماً، من أول الرحلة إلى آخرها، بروحه وجسده ﷺ معاً، لا بروحه فقط، وهو مذهب

الإسراء والمعراج

التعريف لغةً:

الإسراء: مصدر الفعل الثلاثي المزيد أسرى، ومعناه: سَيَّرَهُ ليلاً، يُقال: أسراه وأسرَى به. ومنه: السارية: سحابة تسري ليلاً^(١).

المِعْرَاج: اسم آلة على وزن مِفْعَال من العُرُوج؛ وهو: السُّلَّم والمصعد، وجمعه: معارج ومعارج، مثل: مفاتيح ومفاتيح، يُقال: عَرَجَ عُرُوجًا وَمَعْرَجًا: ارتقى وصعد. وَعَرَجَ يَعْرِجُ عَرَجًا: إذا صار أَعْرَجَ^(٢).

التعريف شرعاً:

الإسراء والمعراج: حادثان متلازمان

(٣) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء (١٨٧ - ١٩٠) [وزارة الشؤون الإسلامية، ط ١، ١٤٢١هـ]، ونصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (٢٤٧/١) [دار الوسيلة، ط ٤]، وشرح الطحاوية (١٩٥) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط ١، ١٤١٨هـ].

(١) انظر: الصحاح (٢٣٧٦/٦) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، وتهذيب اللغة (٥٢/١٣) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، والقاموس المحيط (١٦٦٩) [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٤١٦هـ].
(٢) انظر: الصحاح (٣٢٨/١)، وتهذيب اللغة (١/٣٥٥)، والقاموس المحيط (٢٥٣).

ثم عرج به ﷺ من بيت المقدس إلى السماء الدنيا ثم باقي السماوات إلى السماء السابعة ورأى الأنبياء في السماوات على منازلهم، وسلّم عليهم ورحبوا به، ثم صعد إلى سدره المنتهى، ورأى جبريل ﷺ عندها على الصورة التي خلقه الله عليها، ثم فرض الله عليه الصلوات الخمس تلك الليلة وكلمه الله بذلك، ثم نزل إلى الأرض، وكان الإسراء والمعراج في ليلة واحدة^(٣) ..

جمهور السلف والخلف وأئمة النقل. ولا يعني هذا إنكار أن يكون النبي ﷺ قد رأى قبل الإسراء به منامًا كما تحمل عليه بعض الروايات^(١)، ثم تحقق ذلك معه يقظة في هذه الحادثة؛ لأنه ﷺ كما قالت عائشة رضي الله عنها: «كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»^(٢)، ويكون هذا من باب التوطئة والتثبيت والإيناس له ﷺ.

❁ الحقيقة:

الإسراء والمعراج آيتان عظيمتان أيد الله بهما النبي ﷺ قبل الهجرة حيث أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكباً على البراق بصحبة جبريل ﷺ حتى وصل بيت المقدس، فربط البراق بحلقة باب المسجد، ثم دخل المسجد وصلى فيه بالأنبياء إماماً، ثم جاءه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاختر اللبن على الخمر فقال له جبريل: هديت للفطرة. والإسراء كان بروح النبي ﷺ وجسده، يقظة لا مناماً.

الإسراء والمعراج آيتان عظيمتان أيد الله بهما النبي ﷺ قبل الهجرة حيث أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكباً على البراق بصحبة جبريل ﷺ حتى وصل بيت المقدس، فربط البراق بحلقة باب المسجد، ثم دخل المسجد وصلى فيه بالأنبياء إماماً، ثم جاءه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاختر اللبن على الخمر فقال له جبريل: هديت للفطرة. والإسراء كان بروح النبي ﷺ وجسده، يقظة لا مناماً.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٤٤٦/١٤) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ]، والشفا للقاضي عياض (٢٣١/١) [طبعة عيسى البابي الحلبي]، وزاد المعاد (٩٩/١) و(٣/٣٤ - ٤١)، والبداية والنهاية (٣٩١/١) و(٣/١٣٥)، والفصول في سيرة الرسول ﷺ (١٠٦، ٢٨٧) [مؤسسة علوم القرآن بدمشق ومكتبة دار التراث بالمدينة المنورة، ط٣، ١٤٠٣هـ]، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٧٠/١) [مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٧هـ]، والمواهب اللدنية للقسطلاني (٧/٣) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٢٥هـ]، والآية الكبرى في شرح قصة الإسراء للسيوطي.

(١) انظر: صحيح البخاري (كتاب المناقب برقم ٣٥٧٠، وكتاب التوحيد برقم ٧٥١٧). وانظر أيضاً: زاد المعاد لابن القيم (١٠٠/١، ٤٢/٣) [مؤسسة الرسالة، ط٢٧، ١٤١٥هـ]، وتفسير ابن كثير (٧/٥) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، والبداية والنهاية له (٣/١٤٢) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٠٨هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١٩٧/٧) [دار المعرفة ببيروت، ١٣٧٩هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٩٥٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٠).

﴿لَنُرِيَهُ مِنْ أَيْنَأَنْتَ﴾ على المعراج؛ إذ بين

سبحانه أنه أسرى بالنبي ﷺ ليريه من آياته، «ومعلوم أن الأرض قد رأى سائر الناس ما فيها من الآيات؛ فعلم أن ذلك ليريه آيات لم يرها عموم الناس»^(١)، وهذا لا يكون إلا في السماء؛ فالآية دليل على صحة الإسراء والمعراج معاً، والحمد لله.

﴿أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: «والمعراج حق، وقد أسرى بالنبي ﷺ وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى، ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم]؛ فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى»^(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: «ثم أسرى بروحه وجسده ﷺ إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى فوق السماوات بجسده وروحه إلى الله ﷻ؛ فخاطبه وفرض عليه الصلوات. وكان ذلك مرة واحدة؛ هذا أصح الأقوال... وكان ذلك بعد المبعث بالاتفاق»^(٣).

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (١٦٥/٦) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ].

(٢) العقيدة الطحاوية (١٥) [دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٣) زاد المعاد (٩٩/١).

﴿المسائل المتعلقة:

من المسائل المتعلقة بالإسراء والمعراج:

- المسألة الأولى: الإسراء والمعراج بعد البعثة:

وأما الدليل على أن الإسراء والمعراج كانا بعد البعثة الشريفة: فكل الأدلة السابقة قطعية في الدلالة على ذلك، كما اتفق عليه العلماء^(٤).

وأما ما وقع في رواية شريك عن أنس رضي الله عنه من قوله: «... قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام... فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى»^(٥) مما يوهم وقوع الإسراء والمعراج قبل البعثة؛ فمحمول على^(٦): أن المجيء الأول في المنام - ولم يسر به ﷺ في تلك الليلة - والمجيء الثاني كان بعد بعثته ﷺ والوحي إليه؛ إذ لم تذكر هذه الرواية أن هذا المجيء كان قبل أن يوحى إليه، ولم يعين الراوي المدة التي بين المجيئين؛ فلا إشكال في حملها على ذلك؛ إذ لا

(٤) انظر: الشفا للقاضي عياض (٢٥٤/١)، وإكمال المعلم بفوائد مسلم له (٤٩٧/١)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٩/٢)، وزاد المعاد (١/٩٩)، والبدية والنهاية (١٣٨/٣)، وفتح الباري لابن حجر (٤٨٠/١٣)، وسبل الهدى والرشاد للصالحي (٦٤/٣).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، ٧٥١٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢).

(٦) انظر: زاد المعاد (٩٩/١)، والبدية والنهاية (٣/١٣٨)، وفتح الباري لابن حجر (٤٨٠/١٣، ٤٨٥).

أو مرارًا؛ بعضها في المنام وبعضها في اليقظة، ولا كان كل واحد منهما في ليلة على حدة؛ كما قاله من قاله!

وأما الدليل على أن الإسراء والمعراج كانا في اليقظة في ليلة واحدة، ولم يقعا إلا مرة واحدة: فهو ظاهر الروايات الصحيحة التي فيهما الجمع بينهما في سياق واحد، وعدم الدليل على تعدد وقوعه، ومن قال بتعدد الإسراءات والمعارج فإنما دعاه إلى ذلك الجمع بين الروايات المختلفة والمتعارضة في الباب، فكلما اختلفت عليهم الروايات واشتباه عليهم لفظ عددوا الوقائع وزادوا مرة للتوفيق! ومن كان هذا مسلكه في الجمع بين الروايات؛ «فقد أبعد وأغرب، وهرب إلى غير مهرب، ولم يحصل على مطلب»^(٤)!

ثم إن هذا في غاية البعد والاستحالة؛ إذ جميع الروايات قد اتفقت على: السلام على الأنبياء، وسؤاله ﷺ عن كل واحد منهم، وعلى فرض الصلوات، وعلى ترده ﷺ بين ربه ﷻ وبين موسى ﷺ؛ فكيف يمكن أن يدعى تعدد وقوع ذلك؟! وكيف ساغ لمن قال ذلك أن يظن في كل مرة تفرض عليه ﷺ الصلاة خمسين، ثم يتردد بين ربه تعالى وبين موسى حتى تصير خمسينًا، إلى غير ذلك؟!!

(٤) تفسير ابن كثير (٤٢/٥).

فرق بين أن تكون تلك المدة ليلة واحدة أو ليالي كثيرة أو عدة سنين. وقيل: يحتمل أن يكون المعنى: قبل أن يوحى إليه في شأن الإسراء والمعراج؛ بمعنى: أن ذلك وقع بغتة قبل أن ينذر ويعلم به ﷺ؛ ويؤيده ما وقع في رواية أبي ذر رضي الله عنه: «فرج سقف بيتي وأنا بمكة؛ فنزل جبريل...» الحديث^(١)؛ فالحكمة من هذا الانفراج^(٢): أن الملك انصب من السماء انصبابة واحدة، ولم يعرج على شيء سواه؛ مبالغة في مفاجأته ﷺ بذلك، وتنبيهًا له على أن الطلب وقع على غير ميعاد، وأن المراد منه أن يعرج به إلى جهة العلو؛ كرامة له ﷺ. ومن لم يرتض هذين التأويلين لما وقع في رواية شريك؛ فليحمل هذا على أنه من أغلاط شريك رضي الله عنه. والله أعلم.

- المسألة الثانية: الإسراء والمعراج مرة واحدة:

كان الإسراء والمعراج كلاهما في ليلة واحدة، ولم يقعا إلا مرة واحدة، بعد بعثته الشريفة بنحو عشر سنين وقبل هجرته ﷺ^(٣)، فلم يتعددا ويقعا مرتين

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، برقم ٣٣٤٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، برقم ١٦٣).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/٤٦٠، ٧/٢٠٤)، والمواهب اللدنية للقسطلاني (٣/٢٤).

(٣) انظر: الإسراء والمعراج ومسائل العقيدة فيهما لعمر صالح القرموشي (١٣١) [رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، عام: ١٤١٨هـ].

وإنما الصواب في ذلك: أن هذا الاختلاف محمول على اختلاف عبارات الرواة في أداء الحديث، أو أن بعضهم ذكر ما لم يذكره الآخر، فزاد بعضهم فيه ونقص آخرون، أما الاختلاف في الروايات التي لا يتم التوفيق والجمع بينها إلا بالمصير إلى التعدد؛ فهذا معدود في أغلاط ومخالفات شريك^(١) رحمه الله في روايته لحديث الإسراء المخرج في «الصحيحين»؛ ولذا فإن الإمام مسلماً رحمه الله ذكر طرفاً من روايته للحديث في «صحيحه»^(٢)، ثم قال: «وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني، وقدم فيه شيئاً وأخر، وزاد ونقص»، ولم يسرد تمام روايته؛ تنبيهاً على غلطه وأوهامه واضطرابه في هذا الحديث وعدم ضبطه له، ومخالفته لسائر الروايات الصحيحة في الباب، والخطأ جازر على من عدا الأنبياء ﷺ.

- المسألة الثالثة: الإسراء والمعراج

كان يقظة بروحه وجسده ﷺ:

جمهور العلماء على أن الإسراء والمعراج كان يقظة بالروح والجسد، والدليل على ذلك قول الله تعالى:

(١) أوصلها الحافظ ابن حجر رحمه الله إلى اثنتي عشرة مخالفة؛ انظرها مع الجواب عنها في: فتح الباري (١٣/٤٨٥)، وانظر: الشفا للقاضي عياض (١/٢٥٤)، وإكمال المعلم له (١/٤٩٧)، وشرح النووي على مسلم (٢/٢٠٩)، وتفسير ابن كثير (٥/٧).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، برقم ١٦٢).

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]؛ فالله تعالى وصف نبيه ﷺ بـ(العبد)، ولم يقل: (بروح عبده)؛ فالعبد عند الإطلاق (كالإنسان) عبارة عن مجموع الروح والجسد معاً لا الروح فقط. وأما ما يدل على أنها يقظة ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من أئمة المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] أنهم قالوا: إنها رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس^(٣). وقال تعالى أيضاً: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم]، والبصر من آلات الذات والجسد لا الروح فقط. ومما يدل على ذلك أيضاً: أن الإسراء لو كان مناماً؛ لم يكن دليلاً على نبوته ﷺ ولا حجة له على رسالته، ولم يكن أمراً مستعظماً، ولما بادر كفار قريش إلى تكذيب النبي ﷺ في ذلك واستبعادهم وقوع ذلك، ولما ارتد جماعة ممن كان قد أسلم؛ إذ إمكان حدوث مثل ذلك لآحاد الناس وأبعد منه في المنام ليس بعيداً وليس فيه كبير شيء حتى يستبعد ويكذب قائله؛ فدل هذا على أنه ﷺ أخبرهم بأنه أسري به يقظة بروحه وجسده، لا مناماً أو بروحه فقط.

(٣) كما جاء عن ابن عباس عند البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٨٨٨).

المسجد الحرام؛ فيكون هذا الاستيقاظ استيقاظًا من نوم آخر بعد وصوله لا استيقاظًا من النوم الأول. وهذان التأويلان الأخيران أولى من تغليب الراوي^(٤).

- المسألة الرابعة: رؤية النبي ﷺ لربه:

الصحيح: أنه ﷺ لم ير ربه؛ وإنما رأى نور الحجاب، وسمع كلامه ﷺ، وما أوحاه إليه من فرض الصلاة؛ ففي «صحيح مسلم»: أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أتى أراه؟!»، وفي رواية: «رأيت نورًا»^(٥)، وهذا نص قاطع في محل النزاع^(٦).

- المسألة الخامسة: المفاضلة بين ليلة القدر وليلة الإسراء:

ليلة الإسراء أفضل في حق النبي ﷺ، وليلة القدر أفضل في حق الأمة؛ لأن حظ النبي ﷺ الذي اختص به ليلة المعراج منها أكمل من حظه ليلة القدر، وحظ الأمة من ليلة القدر أكمل؛ لعظم ثواب العمل والتعبد لله تعالى فيها، أما

وأما ما وقع في رواية أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه: «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان»^(١)؛ فهذا محمول على ابتداء الحال؛ فيكون هذا حاله ﷺ أول وصول الملك إليه، ثم لما خرج ﷺ إلى باب المسجد كان به أثر النعاس، فلما أركبه الملك البراق استفاق واستمر في يقظته، وليس في الحديث ما يدل على أنه ﷺ كان نائمًا في القصة كلها^(٢)!

وما وقع في رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس رضي الله عنه: «... وهو نائم في المسجد الحرام»، وفيها: «فيما يرى قلبه، والنبي ﷺ نائمة عيناه ولا ينام قلبه»، وفي بعضها في آخرها: «واستيقظ وهو في المسجد الحرام»^(٣)؛ فهذا معدود في غلطات شريك، أو محمول على الانتقال من حال إلى حال يسمى (يقظة)، وله شواهد من السنة، فيكون معناه: استفاق مما كان فيه، ويحتمل أن يكون بمعنى: أصبح. ولو حمل اللفظ على ظاهره فيكون معناه: أنه نام بعد أن هبط من السماء فاستيقظ وهو عند

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، برقم ٣٢٠٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، برقم ١٦٤).

(٢) انظر: الشفا للقاضي عياض (٢٥٣/١)، وإكمال المعلم (٤٩٩/١)، وشرح النووي على مسلم (٢/٢١٠)، وفتح الباري (٢٠٤/٧).

(٣) أخرج روايته البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٧٠)، و(كتاب التوحيد، رقم ٧٥١٧).

(٤) انظر: الشفا للقاضي عياض (٢٥٣/١)، والبيدابة والنهاية (١٤١/٣)، وفتح الباري (٢٠٤/٧) (١٣/٤٨١).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٨).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٠٧/٦) - (٥١٠)، وفتح الباري لابن حجر (٦٠٨/٨).

الإسراء أنه ﷺ نزل من البراق فصلى بطيبة، ثم بطور سيناء، ثم بيت لحم، وهذا منكر غريب لم يصح^(٢).

ومما نبّه عليه بعض العلماء^(٣): أن الدنو والتدلي المذكور في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَلَّكَ﴾ (٨) ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (٩) [النجم] هو دنو جبريل عليه السلام وتدليه من نبينا محمد ﷺ أول البعثة؛ فكان منه قدر قوسين أو أدنى، كما قالته عائشة وابن مسعود وأبو هريرة رضي الله عنهم^(٤)، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة، وهو ظاهر من سياق الآيات؛ ولهذا قال تعالى بعدها: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١٢) ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ (١٤) [النجم]. وأما ما ورد

ليلة الإسراء فلم يرد في فضل العمل فيها حديث، لا صحيح ولا ضعيف! فلا يجوز تخصيصها بعبادة زائدة أو اعتقاد فضلها على سائر الليالي. وقيل: بل ليلة القدر أفضل مطلقاً؛ لأن ليلة الإسراء - وإن حصل للمصطفى ﷺ فيها ما لم يحصل له في غيرها - لا يلزم تفضيلها على غيرها؛ إذ لا يلزم إذا أعطى الله نبيه فضيلة في مكان أو زمان أن يكون ذلك الزمان أفضل من جميع الأمكنة والأزمنة، هذا إن فرض أن إنعامه عليه ليلة الإسراء كان أعظم من إنعامه عليه بإنزال القرآن ليلة القدر وغير ذلك من النعم التي أنعم عليه بها، ولم يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل ليلة الإسراء فضيلة على غيرها، لا سيما ليلة القدر! هذا مع أن ليلة الإسراء لم يقيم دليل مقطوع به على شهرها فضلاً عن عينها! وللتوقف في هذه المسألة مجال. والله أعلم^(١).

- المسألة السادسة: أشياء لا تصح

في الإسراء والمعراج:

ما روي في بعض روايات حديث

- (١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٥/٢٨٦)، والفتاوى الكبرى له (٥/٣٧٩) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ]، وزاد المعاد لابن القيم (١/٥٧)، وبدائع الفوائد له (٣/١١٠٣) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ]، والمواهب اللدنية للسقلاوي (٣/١٤)، وسبل الهدى والرشاد للصلحي (٣/١٥)، وفيض القدير للمناوي (٥/٣٩٥) [دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩١هـ].

(٢) أخرجه النسائي (كتاب الصلاة، برقم ٤٥٠)، من حديث أنس رضي الله عنه، وقال ابن كثير في تفسيره (٥/١٢) عن هذه الرواية: «فيها غرابة ونكارة جداً» - وانظر منه: (٥/٢٧) -، وقال الألباني في ضعيف سنن النسائي: «منكر»، وانظر: زاد المعاد (٣/٣٤)، والإسراء والمعراج للألباني (٤٤) [المكتبة الإسلامية، بعمان، ط ٥، ١٤٢١هـ].

(٣) انظر: زاد المعاد لابن القيم (٣/٣٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣/١٣٩)، وتفسيره (٧/٤٤٧)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/٢٧٦).

(٤) انظر: صحيح البخاري (كتاب بدء الخلق، برقم ٣٢٣٢، ٣٢٣٥)، وصحيح مسلم (كتاب الإيمان، برقم ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧). وانظر أيضاً: تفسير الطبري (٢٢/١٣)، وتفسير البغوي (٧/٤٠١)، ومدارج السالكين (٣/٣١٩) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ]، وتفسير ابن كثير (٧/٤٤٤، ٤٤٧).

تعالى. انظر للتفصيل مصطلح: المفاضلة بين الأنبياء.

ومن الثمرات أيضًا: إثبات وجود الجنة والنار وخلقهما؛ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

✽ الحكمة:

حكمة الإسراء هي: إرادة الله تعالى إراءة نبيه ﷺ آياته الكبرى ودلائل وعجائب قدرته وعظمته سبحانه، بعد ازدياد أذى المشركين له وتعرضهم له ﷺ ولأصحابه ﷺ؛ تأييدًا منه سبحانه لنبيه ﷺ، ليزداد يقينًا وإيمانًا، ولتجديد عزمه على السير قدمًا في مواصلة الدعوة إلى الله تعالى، وليكون في هذا إظهار لصدقه ﷺ وصحة رسالته بعد إخبار المشركين بهذه المعجزة الكبرى والآية العظمى، فيكون في هذا سبب لقوة إيمان المؤمنين، وزيادة في شقاء المعاندين الجاحدين^(١).

✽ مذهب المخالفين:

أنكر الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من المعطلة المعراج؛ فقالوا: إن النبي ﷺ لم يعرج به إلى الله تعالى

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم التيمي (٤٩٩/١)، والجواب الصحيح لابن تيمية (٦/١٦٧)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/٢٧٧)، وفتح الباري لابن حجر (٧/١٩٦، ١٩٧، ٢٠٠)، والمواهب اللدنية للقسطلاني (٣/١١٥)، وسبل الهدى والرشاد للصالحي (٣/١٧).

في الدنو والتدلي في حديث الإسراء فلا يثبت؛ لأنه من رواية شريك وقد وقع فيها بعض الأغلاط والمخالفات، وعد بعض العلماء هذه الزيادة من مخالفاته.

✽ الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على الإيمان بالإسراء والمعراج: إثبات علو الله تعالى على خلقه؛ كما دلّت عليه آيات القرآن الكريم، والسنة المتواترة الصحيحة، والفطرة السوية، وصريح المعقول، وأجمعت عليه كافة الملل من اليهود والنصارى والمسلمين.

ومن الثمرات أيضًا: إثبات كلام الله تعالى بالوحي، وأنه ﷻ يتكلم حقيقة متى شاء كيف شاء بما شاء، وأنه يسمع من شاء من خلقه كلامه كما سمع منه نبينا ﷺ في المعراج.

ومن الثمرات أيضًا: بيان عظمة الله تعالى وكمال قدرته سبحانه، وأنه على كل شيء قدير؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

ومن الثمرات أيضًا: اعتقاد فضل النبي ﷺ على سائر إخوانه من الأنبياء والرسل ﷺ، والإشادة بفضله وشرفه وكرامته على ربه ﷻ.

ومن الثمرات أيضًا: اعتقاد تفاضل الأنبياء فيما بينهم في منزلتهم عند الله

وفيما سبق من الأدلة على معجازه ﷺ حقيقة كفاية في معرفة المعتقد الحق الواجب على كل مسلم اتباعه، وأن الواجب إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه من الصفات العلى، من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل، وإثبات لوازم ذلك.

✽ المصادر والمراجع:

١ - «الإسراء والمعراج» الرواية المتكاملة الصحيحة، لمحمد طرهوني.

٢ - «الإسراء والمعراج»، للألباني.

٣ - «الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء»، للسيوطي.

٤ - «البداية والنهاية» (ج ١، ٣)، لابن كثير.

٥ - «زاد المعاد» (ج ١، ٣)، لابن القيم.

٦ - «سبل الهدى والرشاد» (ج ٣)، للصالح.

٧ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز الحنفي.

٨ - «الشفاء» (ج ١)، للقاضي عياض.

٩ - «الفصول في سيرة الرسول ﷺ»، لابن كثير.

١٠ - «المواهب اللدنية» (ج ٣)، للقسطلاني.

حقيقة، ولم يرفع من عند موسى إلى عند ربه مراراً، وقالوا: كل هذا كان في المنام! وحجتهم في هذا: الخوف من تمثيل وتشبيه الخالق بالمخلوقين؛ لأن (من) و(إلى) في حق الله محال عندهم؛ لأنها تستلزم المكان ابتداء وانتهاء^(١)! وهذا بناء على مذهبهم في إنكار صفات الله تعالى وتعطيلها بما أخرجها عن حقائقها وأوجب تعطيل الرب تعالى عن صفات كماله! تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً.

وذهب بعض الغلاة من الفلاسفة والصوفية إلى أن معراج رسول الله ﷺ هو ترقيه بفكره إلى الأفلاك! وأن الأنبياء الذين رآهم هم الكواكب: فآدم هو القمر، ويوسف هو الزهرة، وإدريس هو الشمس، والأنهار الأربعة هي العناصر الأربعة... إلخ هذا الهذيان والكفر والضلال! وهذا في حقيقته مبني على اعتقاد الصابئة الضالة المنجمين^(٢)!

(١) انظر: الحجة لأبي القاسم التيمي (٤٢١/١، ٤٨٧)، ومجموع الفتاوى (٥٥٥/٥، ٢١٤/٦، ٤١٤/٣٥)، وبيان تلبس الجهمية (٥٤٩/١) [مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ط ١، ١٣٩٢هـ]، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (١٩٥/٤، ٦٢٩/٦)، والصواعق المرسلة (١١٥٣/٣) [دار العاصمة، ط ٣، ١٤١٨هـ]، واجتماع الجيوش الإسلامية (٥١)، وبذائع الفوائد (١٣٧٩/٣).

(٢) انظر: الرد على المنطقيين لابن تيمية (٥٨٨) [مؤسسة الريان، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ]، ومجموع الفتاوى له (٦٢/٤)، ونقض المنطق (٢٣٧/١٣).

في عموم وجوب الإيمان بالملائكة،
الذي هو الركن الثاني من أركان الإيمان.

❖ إسرافيل ❖

❖ التعريف لغة:

إسرافيل بكسر الهمزة: خماسي همزته أصلية، وهو اسم ملك معروف. وإسرافين لغة فيه، كما قالوا: جبرين، وإسماعين، وإسرائيلين^(١)، والسرف في اللغة: الشرف والقدر الكبير، ومنه الحديث: «لا ينتهب الرجل نهبة ذات سرف وهو مؤمن»^(٢)؛ أي: ذات شرف وقدر كبير^(٣). وذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن (جبر) و(ميكأ) و(إسراف) هي كلها بالأعجمية، بمعنى: عبد، ومملوك. و(إيل): اسم الله تعالى^(٤).

❖ الأدلة:

قال تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة] وإسرافيل عليه السلام داخل في عموم الملائكة أيضًا. وقد ورد ذكره عليه السلام على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كان يقول في دعائه الذي كان يفتتح به صلاة الليل: «اللَّهُمَّ رَبَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة»^(٥).

❖ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: فضل إسرافيل:

لا شك في أن تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم له مع جبريل وميكائيل في دعائه الذي كان يفتتح به صلاة الليل فقال: «اللَّهُمَّ رَبَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة» دلالة على فضل وتشريف الثلاثة عليهم السلام على سائر الملائكة^(٦).

- المسألة الثانية: وظيفته:

اشتهر أن صاحب الصور هو

(٥) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧٠).

(٦) ينظر: عون المعبود (٢/٤٧١) [دار الفكر، ط ٣، ١٣٩٩هـ].

❖ التعريف شرعاً:

إسرافيل عليه السلام ملك من الملائكة الكرام، بل من أعيانهم، ورد ذكره في السنة، وله وظائف يقوم بها بأمر الله تعالى.

❖ الحكم:

الإيمان بإسرافيل عليه السلام واجب ويدخل

(١) ينظر: القاموس المحيط (١٣١١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧هـ]، ومختار الصحاح (١٢٥) [مكتبة لبنان، ١٩٨٦م]، ولسان العرب (١١/٣٣٥) [دار صادر].

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: أحمد (٤٤٩/٣١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٩هـ]، والبزار (٢٨٦/٨) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، من حديث عبد الله بن أبي أوفى، وحسن إسناده محقق المسند.

(٣) محيط المحيط (٤٠٨) [مكتبة لبنان، ١٩٩٣م].

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢/٢٩٦) [دار هجر، ط ١].

- إسرافيل عليه السلام، ونقل الحليمي^(١) والقرطبي^(٢) الإجماع على أن الذي يتفخ في الصور هو إسرافيل؛ إلا أن ذلك لم يثبت فيه حديث صحيح يعول عليه^(٣)، والله أعلم.
- ❁ المصادر والمراجع:
- ١ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة»، لنخبة من العلماء.
- ٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.
- ٣ - «جامع البيان» (ج ٢)، للطبري.
- ٤ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ١، ٢)، للقرطبي.
- ٥ - «الجامع لشعب الإيمان» (ج ١)، للبيهقي.
- ٦ - «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.
- ٧ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٨ - «عالم الملائكة الأبرار»، لعمر الأشقر.
- ٩ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ١)، للسفاريني.

- ١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكمي.
- ١١ - «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، لمحمد العقيل.
- ١٢ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج ١)، للحليمي.

❁ أسرع الحاسبين ❁

يراجع مصطلح (الحاسب).

❁ الإسلام ❁

❁ التعريف لغة:

الإسلام في اللغة: هو الانقياد والإذعان، يقال: أسلم لله؛ أي: انقاد له وصار مسلماً. ومنه قوله ﷺ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤]، وقوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [١:٢] [الصفات].

قال ابن فارس رحمته الله: «السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية... ومن الباب أيضاً: الإسلام، وهو: الانقياد؛ لأنه يسلم من الإياء والامتناع»^(٤).

(١) ينظر: فتح الباري (٣٧٦/١١) [المكتبة السلفية، ط ٢، ١٤٠٠هـ].

(٢) ينظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١/٤٨٨) [دار المنهاج، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٣) ينظر: فتح الباري (٣٧٦/١١).

(٤) مقاييس اللغة (٩٠/٣) [دار الجيل، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

✽ التعريف شرعاً:

وشرعي عام وشرعي خاص، إلا أنه عند الإطلاق ينصرف إلى الإسلام الشرعي الخاص^(٣).

الإسلام في نصوص الكتاب والسنة يطلق على أحد أمرين:

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الإسلام في الشرع - سواء كان إسلاماً كونياً أو شرعياً - راجع إلى معنى الإسلام اللغوي، وهو الاستسلام والانقياد.

فإن الإسلام الكوني هو استسلام جميع الكائنات وانقيادها وإذعانها لمشيئة الله (قضاء الله الكوني)، فهو استسلام قهري من تلك الكائنات لربها.

أما الإسلام الشرعي (بنوعيه: العام والخاص) فإنه استسلام عباد الله المطيعين له لأمر ربهم، وإذعانهم وانقياد قلوبهم وجوارحهم له، فهو استسلام اختياري من عباد الله لله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «الإسلام: هو الاستسلام وهو يتضمن الخضوع لله وحده والانقياد له والعبودية لله وحده»^(٤).

✽ سبب التسمية:

أما الإسلام العام: فإنما سمي بذلك لاشتراك جميع الأنبياء والرسل في الدعوة إليه، فهم قد اشتركوا في أصول

(٣) المصدر نفسه (٩٤/٣).

(٤) المصدر السابق (٤٢٦/٧).

الأمر الأول: الإسلام الكوني، ويسمى: الإسلام القدري.

ومعناه: الاستسلام لأمر الله وقدره الكوني، وهذا الإسلام يدخل فيه المؤمن والكافر، بل يدخل فيه سائر المخلوقات، من الشجر والحجر وغيرها.

الأمر الثاني: الإسلام الشرعي، وهو على نوعين:

النوع الأول: الإسلام العام، وهو: الدين الذي بعث الله به جميع الرسل. وقد عرفه الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله بأنه: «الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله»^(١).

النوع الثاني: الإسلام الخاص، وهو: الدين الذي بعث به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جهة الخصوص، وهو الذي لا يقبل الله من أحد غيره^(٢).

ويشار هنا إلى أن لفظ الإسلام وإن تعددت إطلاقاته ما بين إسلام كوني

(١) ثلاثة الأصول وأدلتها، انظر: شرح الأصول الثلاثة للعثيمين (٦٨) [دار الإيمان، ٢٠٠١م]، وينحو ذلك عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في: مجموع الفتاوى (٦٣٦/٧) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٣٥/٧ - ٦٣٦).

الدين والعقيدة، وتنوعت شرائعهم في العبادات وصفاتها.

❁ الأسماء الأخرى:

الإسلام العام يسمى بالإسلام المشترك، والحنيفية، وملة إبراهيم، ودين الله ﷻ^(١).

❁ الحكم:

دين الإسلام الذي بعث الله به نبيّه محمداً ﷺ هو الدين الحق الذي لا يقبل الله من أحد سواه، ومن لم يدن الله به كان كافراً تجب البراءة منه، وكان مستحقاً للنار في الآخرة.

وقد أجمع العلماء على فرضية هذه الأركان الخمس، ووجوبها على جميع المكلفين، وكفر جاحد وجوبها، بل إن ذلك مما يعلم من الدين بالضرورة^(٢).

❁ الحقيقة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦٣٦/٧)، وجواب الشيخ عبد الله أبا بطين في تعريف العبادة والإخلاص ضمن كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٢٩٣ - ٢٩٤).

(٢) انظر: الإيمان للعذني (٦٧) [الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٧هـ]، وروضة الناظر (١٣١/١) [طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ٢، ١٣٩٩هـ]، وأحكام أهل الذمة (١٤٤١/٣) [دار ابن حزم، ط ١، ١٤١٨هـ]، وحادي الأرواح (٢٥٥) [دار الكتب العلمية]، وجامع العلوم والحكم (٩٦، ١٢٧)، والشمس الداني (٨٦) [المكتبة الثقافية]، وكشف الشبهات (١٧٦) [مطابع الرياض، ط ١].

- مبيناً حقيقة الإسلام العام، الذي اشتركت الرسل في الدعوة إليه -: «الذي يحصل لأهل الإيمان عند تجريد توحيد قلوبهم إلى الله وإقبالهم عليه دون ما سواه، بحيث يكونون حنفاء له مخلصين له الدين، لا يحبون شيئاً إلا له، ولا يتوكلون إلا عليه، ولا يوالون إلا فيه، ولا يعادون إلا له، ولا يسألون إلا إياه، ولا يرجون إلا إياه، ولا يخافون إلا إياه. يعبدونه ويستعينون له وبه، بحيث يكونون عند الحق بلا خلق، وعند الخلق بلا هوى؛ قد فنت عنهم إرادة ما سواه بإرادته، ومحبة ما سواه بمحبته، وخوف ما سواه بخوفه، ورجاء ما سواه برجائه، ودعاء ما سواه بدعائه، هو أمر لا يعرفه بالذوق والوجد إلا من له نصيب، وما من مؤمن إلا له منه نصيب. وهذا هو حقيقة الإسلام الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه. والله سبحانه أعلم»^(٣).

وقال ابن القيم رحمه الله: «والله سبحانه خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له، التي هي أكمل أنواع المحبة مع أكمل أنواع الخضوع، وهذا هو حقيقة الإسلام وملة إبراهيم التي من رغب عنها فقد سفه نفسه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ

(٣) الفتاوى الكبرى (٢٨٦/٥) [دار المعرفة].

أنواع العبادة سواه»^(٢).

الاهمية:

«هذا الدين الإسلامي هو الدين المقبول عند الله النافع لصاحبه، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأَسْلَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران].

وهذا الإسلام هو الإسلام الذي امتن به على محمد ﷺ وأُمَّته، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَضْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]^(٣).

الأدلة:

أولاً: الإسلام الكوني، ويدخل فيه جميع المخلوقات، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَفْغَيْرَ دِينٍ اللَّهُ يَبْغُوتُ وَلَهُ أَسْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران].

قال ابن كثير ﷻ: «فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله، والكافر مستسلم لله كرهاً، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم، الذي لا يخالف ولا يمانع»^(٤).

(٢) الدرر السنية (٥١٨/١) [ط، ٦، ١٤١٧هـ]، وانظر: (٨٣/٢).

(٣) شرح الأصول الثلاثة لابن عثيمين (٢١) [دار الإيمان، ٢٠٠١م].

(٤) تفسير ابن كثير (٦٩/٢) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

مِلَّةَ آبَائِهِمْ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ، وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَوَصَّى بِهَا آبَاءَهُمْ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٥﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ عَابَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٦﴾ [البقرة]^(١).

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب ﷻ: «إن أصل الإسلام وقاعدته: شهادة أن لا إله إلا الله، وهي أصل الإيمان بالله وحده، وهي أفضل شعب الإيمان، وهذا الأصل، لا بد فيه من العلم والعمل والإقرار، بإجماع المسلمين. ومدلوله: وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، والبراءة من عبادة ما سواه، كائناً من كان، وهذا هو الحكمة التي خلقت لها الجن والإنس، وأرسلت لها الرسل وأنزلت بها الكتب، وهي تتضمن كمال الذل والحب، وتتضمن كمال الطاعة والتعظيم، وهذا هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين... إن دين الإسلام هو الاستسلام لله وحده والخضوع له وحده وأن لا يُعبد بجميع

(١) الجواب الكافي (١٨٨) [دار المعرفة، المغرب، ط ١، ١٤١٨هـ].

ثانيًا: الإسلام الشرعي، وهو على قسمين:

أ - الإسلام العام المشترك، الذي بُعثَ به جميع الأنبياء، ويدل عليه ما يلي:

١ - قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران].

٢ - وقال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة].

٣ - وقال تعالى عن نوح: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس].

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات؛ أمهاتهم شتى ودينهم واحد»^(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «والعلات - بفتح المهملة -: الضرائر، وأصله أن من تزوج امرأة، ثم تزوج أخرى؛ كأنه علٌّ منها، والعلل: الشرب بعد الشرب، وأولاد العلات: الأخوة من الأب، وأمهاتهم شتى... ومعنى

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٤٣).

الحديث: أن أصل دينهم واحد، وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع»^(٢).

ب - الإسلام الشرعي الخاص، الذي بعث به نبينا محمد ﷺ، والذي لا يقبل الله من أحد غيره، ويدل على ذلك ما يلي:

١ - قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران].

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة - يهودي ولا نصراني - ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»^(٣).

٣ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»^(٤).

٤ - حديث جبريل المشهور، وفيه قال جبريل عليه السلام: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا

(٢) فتح الباري لابن حجر (٤٨٩/٦) [دار المعرفة].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦).

وهو يجمع معنيين: **أحدهما**: الانقياد والاستسلام.

والثاني: إخلاص ذلك وإفراده، وعنوانه: قول: (لا إله إلا الله).

وله معنيان: **أحدهما**: الدين المشترك، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، الذي بعث به جميع الأنبياء، كما دلَّ على اتحاد دينهم نصوص الكتاب والسنة.

والثاني: ما اختص به محمد ﷺ من الدين والشرعة والمنهاج وهو الشريعة والطريقة والحقيقة.

وله مرتبتان: **إحدهما**: الظاهر من القول والعمل، وهي المباني الخمس.

والثانية: أن يكون ذلك الظاهر مطابقاً للباطن^(٤).

وقال أيضاً: «وهذا الدين هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً غيره لا من الأولين ولا من الآخرين، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام، قال الله تعالى عن نوح: ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٦]... فالإسلام يتضمن

الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته، والمشرِك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده، وطاعته

رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال أبو العالية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الإسلام: الإخلاص لله وحده، وعبادته لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وسائر الفرائض لهذا تبع»^(٢).

وقال قتادة: «الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودل عليه أوليائه، لا يقبل غيره، ولا يجزى إلا به»^(٣).

وقال ابن تيمية ذاكراً استعمال لفظ (الإسلام) في الشرع: «لفظ: (الإسلام) يستعمل على وجهين:

١ - متعدياً، كقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

٢ - ويستعمل لازماً؛ كقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

(١) أخرجه بهذا اللفظ مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه البخاري بنحوه (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٢٧٥ - ٢٧٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٢٧٥) [مؤسسة الرسالة].

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٦٣٥ - ٦٣٦).

وحده. فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره، وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت بفعل ما أمر به في ذلك الوقت»^(١).

ثم قال ﷺ: «وقد تنازع الناس فيمن تقدم من أمة موسى وعيسى، هل هم مسلمون أم لا؟ وهو نزاع لفظي؛ فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمدًا ﷺ المتضمن لشريعة القرآن ليس عليه إلا أمة محمد ﷺ، والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا، وأما الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبيًا فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء، ورأس الإسلام مطلقًا شهادة أن لا إله إلا الله، وبها بعث جميع الرسل»^(٢).

الأركان:

أركان الإسلام خمسة، وهي:

- ١ - شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.
- ٢ - إقام الصلاة.
- ٣ - إيتاء الزكاة.
- ٤ - صوم رمضان.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩١/٣ - ٩٢).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩٤/٣)، وانظر: المرجع السابق (١٤/١) و(١٥٩/١٥ - ١٦٠) و(٢٧/٢٧)، والإيمان الأوسط له (١٧٠) [دار طيبة، ١٦، ١٤٢٢هـ]، واقتضاء الصراط المستقيم (٤٥٥/١) [مطبعة السنة المحمدية، ط ٢، ١٣٦٩هـ].

٥ - حج بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً.

وقد قيل لهذه الخمسة الأمور: (أركان ودعائم)؛ لقوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس؟»، فشبهه بالبنیان المركب على خمس دعائم، فهذه الأركان دعائم الإسلام، فلا يثبت الإسلام بدونها^(٣).

وقد يطلق على أركان الإسلام: مباني الإسلام^(٤)، وهي تسمية مأخوذة من حديث: «بني الإسلام على خمس...».

كما قد يطلق عليها بعض العلماء: العبادات الخمس^(٥).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم (٤٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٧، ١٤١٧هـ]، ومعارج القبول (٦١٩/٢).

(٤) انظر: المغني لابن قدامة (٢١/٩) [دار الفكر، ط ١، ١٤٠٥هـ]، وشرح العمدة لابن تيمية (٧٦/٢) [مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٣هـ]، مجموع الفتاوى له (٨٢/٣٢) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، ودقائق التفسير (٣٣٦/١) [مؤسسة علوم القرآن، ط ٢، ١٤٠٤هـ]، وجامع العلوم والحكم (٢٥)، والمبدع (٤٠١/٢) [المكتب الإسلامي، ط ١٤٠٠هـ]، كشف القناع (٢٥٧/٢) [دار الفكر].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١٥/٢٤)، والمبدع (٩/١٧٢)، والإنصاف (٣٢٧/١٠) [دار إحياء التراث العربي]، والفروع (٢٥٧/١) [دار الكتب العلمية، ط ١]. وهناك من صنف بهذا الاسم؛ كأبي الخطاب، وابن الجوزي، وأبي هبيرة، وغيرهم. انظر: المقصد الأرشد (٥٠٥/٢)، و (١٠٨/٣)، ومعجم الكتب لابن عبد الهادي (٧٠/١)، ٨٠، ٩٠، ٩١، والإنصاف للمرداوي (٣٢٠/٢)، والفروع (٢٥٨/١).

الشروط:

ما يثبت به الإسلام الحكمي:

هناك أربعة طرق يكون بها الشخص مسلمًا حكمًا:

الطريق الأول: بالنص، ويكون بما

يلي:

١ - النطق بالشهادتين، سواء كان ذلك الناطق صادقًا أو كاذبًا، لحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله...»^(١). الحديث، وسيأتي، وفي حديث آخر: «... حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها، وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله»^(٢).

فيدخل في الإسلام الحكمي من أسلم صدقًا، ويدخل فيه المنافق الذي أظهر الدخول في الإسلام وأسر الكفر.

٢ - النطق بما يقوم مقام الشهادتين؛ كقول الشخص: (أسلمت)، أو: (إني مسلم)، لحديث المقداد رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، إني لقيت كافرًا فاقتلنا، فضرب يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، وقال: أسلمت لله، أقتله بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ: «لا تقتله» قال: يا رسول الله، فإنه طرح

إحدى يدي، ثم قال ذلك بعد ما قطعها، أقتله؟ قال: «لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال»^(٣).

ولا بد من التلفظ بالشهادتين أو ما يقوم مقامهما عند التمكن والقدرة على ذلك.

أما غير القادر على النطق - كالأخرس - فيعذر بذلك، ويصدق عذره إن تمسك به بعد زوال المانع.

الطريق الثاني: التبعية، ومعناها: أن يأخذ التابع حكم المتبوع في الإسلام، وهي على نوعين:

١ - تبعية الابن الصغير لخير أبويه دينًا.

فقد اتفق الفقهاء على أنه إذا أسلم الأب وله أولاد صغار، أو من في حكمهم - كالمجنون إذا بلغ مجنونًا - فإن هؤلاء يحكم بإسلامهم تبعًا لأبيهم.

وذهب الجمهور (الحنفية والشافعية والحنابلة) إلى أن العبرة بإسلام أحد الأبوين، أبًا كان أو أمًا، فيحكم بإسلام الصغار تبعًا لخير أبويهم دينًا؛ لأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه.

٢ - التبعية لدار الإسلام.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٢٥)، ومسلم

(كتاب الإيمان، رقم ٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٣٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الديات، رقم ٦٨٦٥)،

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩٥).

فيدخل في ذلك:

شعائر الدين أجريت عليه أحكام أهله،
ما لم يظهر منه خلاف ذلك»^(٣).

قال ابن مفلح رحمته الله: «وإذا صَلَّى الكافر على اختلاف أنواعه حكم بإسلامه نص عليه - أي: الإمام أحمد - وظاهره أن العصمة تثبت بالصلاة، وهي لا تكون بدون الإسلام؛ ولأنها عبادة تختص شرعنا، أشبهت الأذان... ولا فرق بين أن تكون صلاته في دار الإسلام أو الحرب جماعة أو فرادى»^(٤).

٢ - الأذان والإقامة، لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا غزا قومًا لم يغز حتى يصبح، فإن سمع أذانًا أمسك، وإن لم يسمع أذانًا أغار بعدما يصبح»^(٥).

٣ - الحج؛ لأنه من شعائر الإسلام الظاهرة»^(٦).

قال ابن أبي العز رحمته الله: «وهنا مسائل تكلم فيها الفقهاء؛ كمن صلى ولم يتكلم بالشهادتين، أو أتى بغير ذلك من خصائص الإسلام ولم يتكلم بهما، هل

- الصغير إذا سبي ولم يكن معه أحد من أبويه، إذا أدخله السابي إلى دار الإسلام.

- لقيط دار الإسلام، حتى لو كان ملتقطه ذميًا.

- اليتيم إذا مات أبواه، وكفله أحد المسلمين، فإنه يتبع كافله وحاضنه في الدين»^(١).

الطريق الثالث: بالدلالة، والمقصود بها: أن يفعل فعلًا يستدل به على كون الشخص مسلمًا حكمًا، ومن الأفعال التي يستدل بها على ذلك:

١ - إقامة الصلاة؛ لحديث أنس رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته»^(٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله - في شرحه لهذا الحديث -: «وفيه أن أمور الناس محمولة على الظاهر، فمن أظهر

(١) انظر: المغني لابن قدامة (١٤٠/٨) [دار الفكر، ط ١٤٠٥هـ]، وشفاء العليل لابن القيم (٢٩٨) [دار الفكر، ١٣٩٨هـ]، والفواكه الدواني للنفراوي (٢٨٥/١) [دار الفكر، ١٤١٥هـ]، وحاشية العدوي (٥١٧/١) [دار الفكر، ١٤١٢هـ]، وشرح منتهى الإزادات (٦٢٧/١) [دار عالم الكتب، ط ٢، ١٩٩٦م]، والموسوعة الفقهية الكويتية (٢٦٦/٤) - (٢٧١) [دار السلاسل، ط ٢].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٣٩١).

(٣) فتح الباري (١/٦٤٢).

(٤) المبدع في شرح المقنع (٣٠٢/١) [المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ]، وانظر: الشرح الممتع لابن عثيمين (٢/٢٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٩٤٣)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٣٨٢).

(٦) انظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي (٣٩٢/٢) [دار المنهاج، ط ١، ١٤٢١هـ]، وبدائع الصنائع (٧/١٠٣) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٨٢هـ].

أحدهما: باعتبار الإسلام الحقيقي، وهو دين الإسلام الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلِئْسَلُمُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

والثاني: باعتبار الاستسلام ظاهراً مع عدم إسلام الباطن، إذا وقع خوفاً، كإسلام المنافقين»^(٣).

وسمي الإسلام الحكمي بذلك؛ لأن صاحبه (والذي يسمى بمستور الحال) قد أتى بما يحكم عليه بإسلامه، فتجرى عليه أحكام الإسلام في الدنيا، سواء مسلماً حقيقياً، وهو المسمى بالمسلم الحقيقي، أو لم يكن كذلك، وهو المنافق.

فالإسلام الحكمي يتعلق بأحكام الإسلام في الدنيا فقط، ولذا فإنه قد يسمى به (الإسلام الظاهري)^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم من ثبت له الإسلام الحكمي:

من أقر بالإسلام ظاهراً، أو أتى بشعيرة من شعائره الخاصة عصم ماله ودمه، وثبتت له أحكام الإسلام، وعومل معاملة المسلم في جميع الأحكام

(٣) فتح الباري لابن رجب (١/١١٧) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر: فيض الباري للكشميري (١/٩٤).

يصير مسلماً، أم لا؟ والصحيح: أنه يصير مسلماً بكل ما هو من خصائص الإسلام^(١).

الطريق الرابع: شهادة رجل مسلم عدل له بالإسلام^(٢).

الاقسام:

تقدم ذكر تقسيم الإسلام إلى كوني وشرعي، والشرعي إلى عام وخاص في التعريف الشرعي، للحاجة إليه هناك.

والإسلام الشرعي الخاص ينقسم - باعتبار قيام المكلف به - إلى قسمين:

١ - الإسلام الحقيقي:

وهو الإسلام الذي تتوقف عليه الأحكام الدنيوية والأخروية، ويكون لمن أتى بشعائر الإسلام الظاهرة والباطنة معاً، وكان صادقاً في ذلك.

٢ - الإسلام الحكمي:

هو الإسلام الذي تتوقف عليه الأحكام الدنيوية، ويكون لمن أتى بالشهادتين، أو بشعيرة من شعائر الإسلام الخاصة، صادقاً كان أو كاذباً.

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله: «أن الإسلام يطلق باعتبارين:

(١) شرح الطحاوية (٧٥) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٢) انظر: شرح كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني (٢٢١٦/٥) [تحقيق: عبد العزيز أحمد]، وانظر فيما سبق: قواعد في بيان حقيقة الإيمان للشيخاني (٣٠٨ - ٣١٤)، والموسوعة الفقهية الكويتية (٢٦٦/٤ - ٢٧٣).

والمعاملات الدنيوية (كأحكام النكاح، والمواريث، والجنائز، والشهادات، والولاية، والذبائح والتغسيل عند الموت، ودفنه مع المسلمين، وغيرها)، ويسمى من كان هذه حاله بـ(المسلم المستور الحال).

قال الشافعي رحمه الله: «إن حكم الله تعالى في الدنيا قبول ظاهر الآدميين، وإنه تولى سرائرهم، ولم يجعل لنبي مرسل ولا لأحد من خلقه أن يحكم إلا على الظاهر، وتولى دونهم السرائر؛ لانفراده بعلمها»^(١).

وسبب ذلك: أن الشارع قد رتب الأحكام على ما يظهر للعيان، وأما الباطن فموكول علمه إلى الله، فلا حاجة إلى تتبع حاله، أو التبين فيه.

فالكافر إذا أتى بالشهادتين، اعتبر مسلمًا، ثم أُلزم بما بعدها من شعائر الإسلام؛ كالصلاة والزكاة، وهذا الالتزام شرط لصحة إسلامه، ولكننا لا نتوقف في الحكم له بالإسلام حتى يأتي وقت الصلاة والزكاة، بل نحكم بإسلامه ابتداء دون انتظار، فإذا جاء وقت الصلاة أُلزم بها، فإن أبى حكم برده واستتيب، ويكون قد أتى بناقض من نواقض الإسلام؛ لأن الإقرار بالشهادتين يتضمن تصديق القلب والالتزام بالإتيان بالأحكام

الشرعية، والخضوع والاستسلام لأمر الله، والانقياد لأمر نبيه ﷺ، فإذا رجع عن ذلك كان قد نقض إقراره.

وأما من لم يظهر منه عدم الالتزام بذلك بعد إقراره، فإنه يبقى على الأصل، وتجرى عليه أحكام المسلمين في الدنيا، ولم يمتحن في إسلامه، ولا يتوقف فيه الحكم له بالإسلام وإجراء أحكام المسلمين عليه^(٢).

ومما يدل على الإسلام الحكمي: ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»^(٣).

قال النووي في فوائد هذا الحديث: «وفيه صيانة مال من أتى بكلمة التوحيد ونفسه، ولو كان عند السيف، وفيه أن الأحكام تجري على الظاهر، والله تعالى يتولى السرائر»^(٤).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (٨٤ - ٨٥) مؤسسة الرسالة، والفواكه الدواني للنفراوي (٦٦٨/٢) [دار الفكر]، حاشية العدوي (٥١٧/١) [دار الفكر]، والشرح (٢٠/٢)، وقواعد في بيان حقيقة الإيمان للشيخاني (٢٩٧ - ٣٠١) [دار أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٢١٢/١) [دار =

(١) الأم للشافعي (١٦٥/٦).

النجاسات، وقد حرمت عليهم طيبات عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئاً، ولا يحرمون شيئاً، بل أباحوا ما دب ودرج.

بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها، وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرّم عليهم الخبائث من ذلك، فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجملها، ومن الأعمال أفضلها، ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ كاملين؛ ليكونوا: ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الأمة بالقبول فهو مقبول، وما شهدت له بالرد فهو مردود» (٢).

- المسألة الثالثة: لماذا خصت هذه العبادات الخمس بكونها أركاناً للإسلام:
من المعلوم أن ما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة أكثر من هذه الأركان الخمسة، فلماذا خصّ أركان الإسلام ومبانيه وحصرها بهذه الخمس؟

تعددت أقوال العلماء في بيان ذلك: فقال بعضهم: إن هذه الخمس هي

وقال البغوي رحمه الله: «وفي الحديث دليل على أن أمور الناس في معاملة بعضهم بعضاً إنما تجري على الظاهر من أحوالهم دون باطنها وأن من أظهر شعار الدين أجري عليه حكمه» (١).

وحديث أنس مرفوعاً: «من صلى صلاتنا...» وقد تقدم.

- المسألة الثانية: وسطية الإسلام بين الديانات:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. قال الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية: «أي: عدلاً خیاراً، وما عدا الوسط فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة وسطاً في كل أمور الدين:

- وسطاً في الأنبياء بين من غلا فيهم كالنصارى، وبين من جفاهم كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك.

- ووسطاً في الشريعة، لا تشديدات لليهود وأصارهم، ولا تهاون النصارى.

- وفي باب الطهارة والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يظهرهم الماء من

= [إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ].

(١) شرح السنّة للبغوي (٧٠/١) [المكتب الإسلامي،

ط ٢، ١٤٠٣هـ].

(٢) تفسير السعدي (٧٠) [مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ].

أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيام العبد بها يتم إسلامه، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده، ولأن فيها ما يكفي عن غيرها وليس في غيرها ما يكفي عنها^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والتحقيق: أن النبي ﷺ ذكر الدين الذي هو استسلام العبد لربه مطلقاً، الذي يجب لله عبادة محضة على الأعيان، فيجب على كل من كان قادراً عليه ليعبد الله بها مخلصاً له الدين، وهذه هي الخمس، وما سوى ذلك فإنما يجب بأسباب لمصالح، فلا يعم وجوبها جميع الناس.

بل إما أن يكون فرضاً على الكفاية؛ كالجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وما يتبع ذلك من أمانة، وحكم، وفتيا، وإقراء، وتحديث، وغير ذلك. وإما أن يجب بسبب حق للأدمين يختص به من وجب له وعليه، وقد يسقط بإسقاطه... مثل: قضاء الديون، ورد الغصب، والعواري، والودائع، والإنصاف من المظالم من الدماء والأموال والأعراض... وتجب على شخص دون شخص، في حال دون حال، لم تجب عبادة محضة لله على كل

عبد قادر... وكذلك ما يجب من صلة الأرحام وحقوق الزوجة والأولاد والجيران والشركاء والفقراء، وما يجب من أداء الشهادة والفتيا والقضاء والإمارة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، كل ذلك يجب بأسباب عارضة على بعض الناس دون بعض لجلب منافع ودفع مضار لو حصلت بدون فعل الإنسان لم تجب، فما كان مشتركاً فهو واجب على الكفاية، وما كان مختصاً فإنما يجب على زيد دون عمرو، لا يشترك الناس في وجوب عمل بعينه على كل أحد قادر سوى الخمس^(٢).

الفرق:

الفرق بين الإسلام الحكمي والإسلام الحقيقي:

يظهر الفرق بينهما من ناحية الحقيقة، ومن ناحية الحكم.

١ - أما من ناحية الحقيقة، فإن المسلم الحكمي هو من أتى بالشهادتين أو شعائر الإسلام الظاهرة، سواء كان صادقاً في إسلامه (مسلم حقيقة) أو كاذباً (وهو المنافق).

أما المسلم الحقيقي فهو الذي أتى بالشهادتين والتزم شعائر الإسلام ظاهراً وباطناً.

٢ - أما من ناحية الحكم؛ فإن

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣١٤/٧)، وحجة الله البالغة (١/٣٤٥) [دار الكتب الحديثة].

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٣١٤ - ٣١٥).

- الإسلام الحكمي تتعلق به أحكام الدنيا،
وأما الحقيقي تتعلق به أحكام الدنيا
والآخرة.
- ١١ - يحصل صاحبه ومتبعه على كمال
الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة.
- ١٢ - الإسلام يحقق الأمان في
المجتمع فيعيش كل فرد آمناً من أذى
أخيه قولاً وفعلاً.
- فالحاصل: أن الإسلام الحكمي أعم
من الإسلام الحقيقي.

🌸 الثمرات:

من فوائد الإسلام^(١):

- ١ - عصمة المال والدم والعرض.
- ٢ - إخراج العباد من عبادة العباد إلى
عبادة الله وحده.
- ٣ - تحقيق العدالة الاجتماعية
والرحمة والمساواة.
- ٤ - القضاء على النظم الوضعية
والمناهج الإلحادية.
- ٥ - حفظ كرامة الإنسان وحقوقه
ومكتسباته.
- ٦ - يورث هداية القلب.
- ٧ - الفوز بالجنة والنجاة من النار.
- ٨ - حصول الألفة والمحبة والتآخي
بين الناس.
- ٩ - مصدر العزة والسعادة في
الدارين.

🌸 مذهب المخالفين:

خالف في حكم الإسلام الحكمي:
فرقة الأحنسية من الخوارج، أصحاب
أحنس بن قيس، حيث قالوا بالتوقف عن
جميع من في دار التقية من منتحلي
الإسلام وأهل القبلة إلا من قد عرفوا منه
إيماناً فيوالونه، أو كفراً فيتبرؤون منه
لأجله^(٢).

كما خالف فيه من الفرق المعاصرة
جماعة التكفير والهجرة، حيث أتوا
بدعة: التوقف والتبيين، وهي أنهم لا

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٩٧) [دار
إحياء التراث العربي، ط٣]، والتبصير في الدين
للاسفراييني (٥٧) [دار عالم الكتب، ط١،
١٤٠٣هـ]، والفرق بين الفرق للبغدادى (٨١) [دار
الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٧م]، والملل والنحل
للشهرستاني (١/١٣٢) [دار المعرفة، ١٤٠٤هـ]،
وشرح المواقف للإيجي (٦٩٥) [دار الجيل، ط١،
١٤١٧هـ].

١٠ - يخرج الناس من الظلمات إلى
النور، فيعز الناس بالذل إلى الله سبحانه
فيحصلون على شرف العبودية له.

(١) نقلاً عن موسوعة: نضرة النعيم في مكارم أخلاق
الرسول الكريم (٢/٣٤٨) [دار الوسيلة، ط٤].

يحكمون بإسلام أحد، بل يتوقفون في الحكم عليه حتى يتبينوا في حاله^(١).

✽ المصادر والمراجع:

١ - «الإيمان الأوسط»، لابن تيمية.

٢ - «تفسير ابن كثير».

٣ - «تفسير الطبري».

٤ - «ثلاثة الأصول وأدلتها»،

لمحمد بن عبد الوهاب.

٥ - «جامع العلوم والحكم»، لابن

رجب.

٦ - «الجواب الكافي»، لابن القيم.

٧ - «حد الإسلام وحقيقة الإيمان»،

لعبد المجيد الشاذلي.

١٠ - «الدرر السنية من الفتاوى

النجدية».

١١ - «شرح الأصول الثلاثة»، لابن

عثيمين.

١٢ - «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.

١٣ - «فتح الباري»، لابن رجب.

١٤ - «فضل الإسلام»، لمحمد بن

عبد الوهاب.

١٥ - «قواعد في بيان حقيقة

الإيمان»، لعادل الشبخاني.

١٦ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٧ - «معارج القبول»، لحافظ

الحكمي.

(١) انظر: التوقف والتبين لمحمد سرور.

١٨ - «الموسوعة الفقهية الكويتية».

١٩ - «نصرة النعيم في مكارم أخلاق

الرسول الكريم».

✽ الإسلام الحقيقي

يراجع مصطلح (الإسلام).

✽ الإسلام الحكمي

يراجع مصطلح (الإسلام).

✽ الإسلام الخاص

يراجع مصطلح (الإسلام).

✽ اسم الله الأعظم

✽ التعريف لغة:

كلمة (اسم) مشتقة من السُمُو وهو بمعنى: الرُّفْعَةُ والعُلُو. وَالْأَصْلُ فِيهِ: (سِمُو) بِالْوَاوِ، وَجَمْعُهُ: أَسْمَاء، مِثْل: قِنُو وَأَفْنَاء^(٢). قال الجوهري: «والاسم مشتق من سَمَوْتُ؛ لَأَنَّهُ تَنَوَّهَ وَرَفَعَهُ»^(٣). ولأن صاحبه بمنزلة المرتفع به^(٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٠/١) [دار

عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨هـ]. وتهذيب اللغة (١٣/

٧٩) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

(٣) الصحاح (٢٣٨٣/٦) [دار العلم، ط ٤، ١٩٩٠م].

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠١/١)

[دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ].

دُعي الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى^(٥).

سبب التسمية:

سمي بالاسم الأعظم لجمعه جميع الأسماء الحسنى ودلالته على عظيم معانيها، ولأنه من دعا به استجيب له^(٦).

الحكم:

يجب الإيمان بما دلت عليه الأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ التي جاءت بإثبات الاسم الأعظم وأنه من أسماء الله الحسنى، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

الحقيقة:

حقيقة اسم الله الأعظم: أنه «اسم جنس لا يراد به اسم معين، فإن أسماء الله نوعان:

أحدهما: ما دل على صفة واحدة أو صفتين أو تضمن أوصافاً معدودة.

والثاني: ما دل على جميع ما لله من صفات الكمال، وتضمن ما له من نعوت العظمة والجلال والجمال، فهذا النوع هو الاسم الأعظم لما دل عليه من المعاني التي هي أعظم المعاني وأوسعها.

(٥) انظر: زاد المعاد (١٨٧/٤) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٥هـ]. والكافية الشافية (٣٧) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٤١٧هـ].
(٦) انظر: المصدر السابق.

والنحاة لم يعرفوا الاسم؛ وذلك لوضوحه عندهم، ولذلك اكتفى سيبويه عن تعريف الاسم - بعد تعريف الفعل والحرف - بقوله: «الاسم: رجل، وفرس، وحائط»^(١). وقد عرّفه بعضهم بأنه «اللفظ الذي وضع دلالة على المعنى، والمعنى هو الشيء الموجود في العيان - إن كان من المحسوسات - كزيد وعمرو - وفي الأذهان - إن كان مع المعقولات - كالعلم والإرادة»^(٢).

الله: اسم الجلالة، مشتق من (الإله)، والمراد بالاشتقاق؛ أي: «أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله»^(٣). قال ابن سيده: «والإلهة والألوهة والألوهية: العبادة»^(٤).

الأعظم: صيغة أفعل التفضيل من عظيم، ومعناه: الذي تظهر علو منزلته وشرفه، حيث أعطي قدرًا زائدًا على غيره.

التعريف شرعاً:

اسم الله الأعظم: هو الذي إذا

(١) انظر: الكتاب لسبويه (١٢/١) [مكتبة الخانجي، ط ٣، ١٤٠٨هـ].
(٢) نتائج الفكر في النحو للسهيلي (٣٠/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ].
(٣) بدائع الفوائد لابن القيم (٢٢/١) [دار الكتاب العربي].
(٤) لسان العرب (٤٦٨/١٣) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ].

وحديث أنس رضي الله عنه؛ أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً ورجل يصلي، ثم دعا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنْ لَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ»، فقال النبي ﷺ: «لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(٣).

وحديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ قال: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّا نَعْبُدُكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة]، وفاتحة سورة آل عمران: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران]، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران]»^(٤).

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رحمته الله: «ولهذا كان

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٥)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٤٤)، والنسائي (كتاب السهو، رقم ١٣٠٠)، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٨)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٨٩٣)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٨٥٦) وصححه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٣/٥) [مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٦)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٤٧٨) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٥)، وأحمد (٥٨٤/٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ]، وسنده ضعيف، لكن له شاهد يرتقي به إلى الحسن. انظر: صحيح أبي داود للألباني (٢٣٤/٥).

فالله اسم أعظم، وكذلك الصمد، وكذلك الحي القيوم، وكذلك الحميد المجيد، وكذلك الكبير العظيم، وكذلك المحيط. وهذا التحقيق هو الذي تدل عليه التسمية وهو مقتضى الحكمة، وبه أيضاً تجتمع الأقوال الصحيحة كلها، والله أعلم»^(١).

الأدلة:

من النصوص الواردة عن النبي ﷺ في بيان وإثبات الاسم الأعظم لله، ما يلي:

حديث عبد الله بن بريدة الأسلمي، عن أبيه رضي الله عنه، قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو وهو يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»، قال: فقال: «والذي نفسي بيده لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(٢).

(١) فتح الرحيم الملك العلامة للسعدي (٢٦ - ٢٧) [دار ابن الجوزي، ط ٣]، وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى له (١٦٦) [مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢، السنة ٣٣، ١٤٢١هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٣) [المكتبة العصرية]، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٤٧٥) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٧)، وأحمد (٦٤/٣٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٧هـ] وصححه الألباني في أصل صفة الصلاة (١٠١٦/٣) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢٧هـ].

والله أعلم»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: من يرى أن الاسم الأعظم هو لفظ الجلالة الله:

من العلماء من ذهب إلى أن اسم الله الأعظم: هو لفظ الجلالة (الله)، وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنه، والشعبي، وجابر بن زيد، وابن المبارك، وأبي حنيفة، والطحاوي وابن العربي، والطرطوشي وقال: «وبهذا المذهب قال معظم العلماء». وإليه أشار الخطابي والقرطبي. ورجحه المباركفوري^(٤).

واستدلوا على ذلك بأمور:

١ - أن لفظ الجلالة (الله) هو الاسم المذكور في كل الأحاديث الواردة.

٢ - لأن هذا الاسم هو المأثور عن السلف رضي الله عنهم. كما تقدم عن ابن عباس وجابر بن زيد والشعبي وابن المبارك. وعليه جمهور العلماء من بعدهم كما تقدم.

٣ - لما لهذا الاسم من الخصائص والمزايا المعنوية واللفظية ما لا يوجد في غيره، منها:

أ - أن هذا الاسم ما أطلق على غير الله تعالى.

أعظم آية في القرآن: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾ [البقرة]، وهو الاسم الأعظم؛ لأنه استلزم جميع الصفات فلو اكتفى في الصفات بالتلازم لاكتفى بالحي^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: «ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى: هو اسم الحي القيوم»^(٢).

وقال السعدي رحمه الله: «والتحقيق: أن الاسم الأعظم اسم جنس لا يراد به اسم معين، فإن أسماء الله نوعان:

أحدهما: ما دل على صفة واحدة أو صفتين أو تضمن أوصافاً معدودة.

والثاني: ما دل على جميع ما لله من صفات الكمال، وتضمن ما له من نعوت العظمة والجلال والجمال، فهذا النوع هو الاسم الأعظم لما دل عليه من المعاني التي هي أعظم المعاني وأوسعها. فالله اسم أعظم، وكذلك الصمد، وكذلك الحي القيوم، وكذلك الحميد المجيد، وكذلك الكبير العظيم، وكذلك المحيط. وهذا التحقيق هو الذي تدل عليه التسمية وهو مقتضى الحكمة، وبه أيضاً تجتمع الأقوال الصحيحة كلها،

(١) مجموع الفتاوى (٣١١/١٨)، بتصرف.

(٢) زاد المعاد (١٨٧/٤) [مؤسسة الرسالة]. وانظر:

الكافية الشافية (٣٧) [مكتبة ابن تيمية، ط٢،

١٤١٧هـ].

(٣) فتح الرحيم الملك العلام للسعدي (٢٦ - ٢٧).

(٤) انظر: تخريج هذه الأقوال في كتاب: اسم الله

الأعظم للدميحي (١٣٠ - ١٣١).

الواردة في نصوص القرآن والسنة الصحيحة دون أن يتجاوزوا هذه النصوص، أو أن يقحموا العقل أو الذوق في إثباتها؛ إذ لا يمكن للعقل أو الذوق إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص.

إلا أن بعض الصوفية ذهبوا إلى إثبات ألفاظ لم ترد بها النصوص الشرعية، زعموا أنها من أسماء الله تعالى، منها لفظ (هو)، وقالوا: إنه من أخص أسماء الله تعالى التي يدعى بها، بل زادوا على ذلك وجعلوه اسم الله الأعظم^(٢).

وما ذهبوا إليه لا حجة عليه، بل هو لفظ مبتدع لا أصل له في الدين، فكيف يكون اسم الله الأعظم؟! وكل دعاء ينادى الله فيه بلفظ: (يا هو)، فهو ذكر باطل محدث، قائله واقع في الإثم والضلال؛ لأن النبي ﷺ يقول: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد»^(٣).

والله تعالى أمرنا أن ندعوه ونتعبده بأسمائه الحسنى التي سمى بها نفسه

ب - أن هذا الاسم هو الأصل في أسماء الله، وسائر الأسماء مضافة إليه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فأضاف سائر الأسماء إليه، ولا محالة أن الموصوف أشرف من الصفة.

ج - أن هذا الاسم دالٌّ على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا، وذلك لأنه مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال.

د - هذا الاسم له خاصية غير حاصلة في سائر الأسماء، وهي أن سائر الأسماء والصفات إذا دخل عليه النداء أسقط عنه الألف واللام، إلا هذا الاسم فإنه يصح أن يقال: يا الله، وذلك أن الألف واللام في هذا الاسم صار كالجزء الذاتي، فلا جرم لا يسقطان حال النداء. وفيه إشارة لطيفة، وذلك لأن الألف واللام للتعريف، لعدم سقوطهما عن هذا الاسم يدل على أن هذه المعرفة لا تزول أبداً البتة^(١).

- المسألة الثانية: بطلان قول من يزعم أن الاسم الأعظم هو لفظ (هو):

من القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله تعالى: أن أسماء الله توقيفية، بمعنى: أنهم يثبتون ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء الحسنى

(٢) انظر: تفسير الرازي (١/ ١٤٠) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠هـ]، ولوامع البيّنات شرح أسماء الله تعالى والصفات للرازي (٩٤، ١٠٧) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٤هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الصلح، رقم ٢٦٩٧)، ومسلم (كتاب الأفضية، رقم ١٧١٨).

(١) اسم الله الأعظم للدميحي (١٣١ - ١٣٥)، باختصار.

تعالى بهذا الاسم فتتحقق الإجابة، وهذا مما يعود على الناس بتحقيق العبادة لله وحده والفوز برضاه في الدنيا والآخرة^(٢).

الثمرات:

١ - أن الدعاء به سبب لإجابة الدعوة.

٢ - ذكر هذا الاسم للعباد هو من فضل الله تعالى ورحمته بهم.

٣ - محبة الله والسعي إلى القرب منه؛ لأنه المألوه المعبود وحده وهو المنعم المتفضل وحده الذي له الأسماء الحسنى والصفات العليا.

٤ - تعظيم الله ﷻ وإجلاله وإخلاص العبودية له وحده.

٥ - الشعور بالعزة به ﷻ والتعلق به وحده^(٣).

الحكمة:

لقد حثنا النبي ﷺ على دعاء الله ﷻ باسمه الأعظم، ويُن لنا خصائص هذا الاسم وأماكن وجوده، ورغب في الاجتهاد لإصابته ومعرفته، لكي نبقي جادين في طلبه، مجتهدين في الشاء

(٢) المصدر السابق (١٦٣).

(٣) انظر: والله الأسماء الحسنى فادعوه بها؛ دراسة تربوية للأثار الإيمانية والسلوكية لأسماء الله الحسنى (٨٠ - ٨٤) لعبد العزيز بن ناصر الجليل [دار طيبة، ط ١، ١٤٢٩هـ].

وسماه بها رسوله ﷺ وهي الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة، ومن سمي الله تعالى بما لم يسم به نفسه وقع في الإلحاد^(١)، يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف].

- المسألة الثالثة: طريق معرفة اسم الله الأعظم:

لا شك أن طريق معرفة هذا الاسم توقيفي، والأحاديث المثبتة لهذا الاسم ليست صريحة في تحديده، وإنما هي إشارات وإيماءات وبيان لمواطن وجوده، وخصائصه، وعليه؛ فمعرفة هذا الاسم على وجه القطع غير متيسرة.

- المسألة الرابعة: الحكمة في عدم تحديد اسم الله الأعظم:

إن الشارع الحكيم قد أخفى عنا تحديد هذا الاسم، والحكمة في ذلك - والله أعلم - حفز النفوس على الاجتهاد في طلب هذا الاسم، بالثناء على الله ودعائه بجميع أسمائه الحسنى، والالهج بأسمائه ﷻ والتوسل إليه بأكبر قدر ممكن من أسمائه الحسنى، خاصة ذات الشرف والفضل، لعلنا نظفر بدعوة الله

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٥/٣٤٢)، ومجموع الفتاوى (٥/١٩٧)، وبدائع الفوائد (١/٢٩٧ - ٢٩٩)، ومختصر الصواعق المرسلة (٣/٨٦٢).

سيوفق لإصابته، فإن الله تعالى هو الجواد المطلق الذي لا ينتهي لجوده وكرمه، وهو يحب الجود على عباده، ومن أعظم ما جاد به عليهم تعرفه لهم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا^(٤).

على الله ودعائه بجميع أسمائه الحسنى قدر الإمكان؛ لعلنا نظفر بالفضل الذي أخبر عنه النبي ﷺ في الأحاديث.

✽ مذهب المخالفين:

١ - من ينكر اسم الله الأعظم:

يعتقد الصوفية أن اسم الله الأعظم سرٌّ مكتوم لا يعرفه أي أحد إلا من أطلعه الله عليه من الأنبياء والأولياء الذين خصَّهم الله بالكرامات^(١).

٢ - وهناك من يغلو في اسم الله الأعظم ويرى أنه: الضمير الغائب (هو) وهؤلاء هم الصوفية^(٢). وزعمت الرافضة أن الله تعالى علّم اسم الله الأعظم لجعفر الصادق^(٣).

وهذا كله من الظنون الخاطئة والاعتقادات الباطلة التي لم تأت الأدلة الصحيحة على إثباتها، فإن الله تبارك وتعالى حشّا على معرفة أسمائه وصفاته، وأثنى على من عرفها، وتفقه فيها، ودعاء الله بها دعاء عبادة وتعبّد ودعاء مسألة، ولا ريب أن الاسم الأعظم منها. فمن اجتهد وواظب على ذلك فإنه

(١) انظر: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى للغزالي (١٦٨ - ١٦٩) [مكتبة الجفان والجابي، ط ١].

(٢) انظر: لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات للرازي (٩٤، ١٠٧) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٤هـ].

(٣) انظر: فرق الشيعة للنوختي (٥٢) [دار الرشد، ط ١، ١٤١٢هـ].

✽ المصادر والمراجع:

١ - «اسم الله الأعظم»، لعبد الله الدميحي.

٢ - «أسماء الله الحسنى»، لعبد الله الغصن.

٣ - «تحفة الذاكرين»، للشوكاني.

٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٥ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ١)، للقرطبي.

٦ - «الدر المنظم في الاسم الأعظم ضمن الحاوي للفتاوى»، للسيوطي.

٧ - «فتح الباري» (ج ١١)، لابن حجر العسقلاني.

٨ - «فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن»، للسعدي.

٩ - «قاعدة في الاسم والمسمى ضمن مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٦٥) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط. العدد ١١٢، السنة ٣٣، ١٤٢١هـ].

العيان - إن كان من المحسوسات - كزيد وعمرو - وفي الأذهان - إن كان مع المعقولات - كالعلم والإرادة^(٦).

فالاسم يظهر به المسمى ويعلو، فيقال للمسمى: سَمَّه؛ أي: أظهره، وأعلِّه؛ أي: أعلِّ ذكره بالاسم الذي يذكر به. فالاسم هو: اللفظ الدال على المسمى.

وأما المسمى فهو: الشيء الموجود في الأعيان أو الأذهان.

وأما التسمية فهي: فعل المُسمِّي ووضعه الاسم للمسمى. كما أن التحلية عبارة عن فعل المُحلِّي ووضعه الحلية للتحلية. ولهذا تقول: سَمَّيتَ هذا الشخص بهذا الاسم، كما تقول: حليتَه بهذه التحلية، والحلية غير المحلِّي^(٧).

والتسمية: مصدر سَمَّى يُسمِّي تسمية، فالتسمية نطق بالاسم وتكلم به وليست هي الاسم نفسه^(٨).

فهنا ثلاث حقائق: (اسم) و(مسمى) و(تسمية)؛ كحلية ومحلِّي وتحلية، وعلامة ومُعَلِّم وتعليم، ولا سبيل إلى جعل لفظين منهما مترادفين على معنى واحد، لتباين حقائقهما، وإذا جعلت

(٦) نتائج الفكر في النحو للسبيلي (٣٠/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٧) بدائع الفوائد (١٦/١ - ١٧) [دار الكتاب العربي].

(٨) قاعدة في الاسم والمسمى ضمن مجموع الفتاوى (١٩٥/٦).

١٠ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لمحمد النجدي.

الاسم والمسمى

التعريف لغة:

الاسم: كلمة مشتقة من السَّمُو وهو بمعنى: الرِّفْعَةُ والعُلُو. وَالْأَصْلُ فِيهِ: سَمُوَ بِالْوَاوِ، وَجَمَعَهُ أَسمَاء، مِثْلَ قِنُو وَأَقْنَاء^(١). قال الجوهري: «والاسم مشتق من سَمَوْتُ؛ لَأَنَّهُ تَنَوَّهَ وَرَفَعَهُ»^(٢). ولأن صاحبه بمنزلة المرتفع به^(٣). قال ابن تيمية: «فالاسم يظهر به المسمى ويعلو»^(٤).

والنحاة لم يعرفوا الاسم؛ وذلك لوضوحه عندهم، ولذلك اكتفى سيبويه عن تعريف الاسم - بعد تعريف الفعل والحرف - بقوله: «الاسم: رجل، وفرس، وحائط»^(٥). وقد عرفه بعضهم بأنه «اللفظ الذي وضع دلالة على المعنى، والمعنى هو الشيء الموجود في

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٠/١) [دار عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨هـ]، وتهذيب اللغة (١٣/٧٩) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

(٢) الصحاح (٢٣٨٣/٦) [دار العلم، ط ٤، ١٩٩٠م].

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠١/١) [دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ].

(٤) قاعدة في الاسم والمسمى ضمن مجموع الفتاوى (٢٠٨/٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف].

(٥) انظر: الكتاب لسبويه (١٢/١) [مكتبة الخانجي، ط ٣، ١٤٠٨هـ].

الأدلة:

الاسم هو المسمى، بطل واحد من هذه الثلاثة ولا بد^(١).

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه]، وقال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: ٢٤].

التعريف اصطلاحاً:

الاسم والمسمى: مصطلح مجمل من المصطلحات المتعلقة بباب الأسماء والصفات، لم يرد في الكتاب والسنة، وإنما نشأ لما أنكر أئمة السنة على الجهمية قولهم: الاسم غير المسمى.

الحكم:

ومن السنة المطهرة: ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة»^(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد قط إذا أصابه هم وحزن: اللَّهُمَّ إني عبدك، وابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك»^(٤). ومما قاله ابن القيم رحمه الله

الصواب أن يقال: «الاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك فهذا المراد به المسمى نفسه، وإذا قلت: الله اسم عربي، والرحمن اسم عربي، والرحمن من أسماء الله ونحو ذلك فالاسم هاهنا هو المراد لا المسمى، ولا يقال غيره، لما في لفظ الغير من الإجمال. فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له، حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم؛ فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى»^(٢).

(١) بدائع الفوائد (١٧/١).

(٢) شرح الطحاوية (٨٢) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٩٢)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٧).

(٤) أخرجه أحمد (٣٤١/٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ]، وابن حبان (الرقائق، رقم ٩٧٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٢١٠/١٠) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٤١٥هـ]، والحاكم (الدعاء، رقم ١٨٧٧)، وقال الهيثمي في المجمع (١٣٦/١٠): «رجال أحمد رجال الصحيح، غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان»، وصححه ابن القيم =

ويسمى قاسماً ولم يقسم شيئاً قط، وإنما الله - جل ثناؤه - اسمه منه، ولا نقول: اسمه هو، بل نقول: اسمه منه، فإن قال قائل: إن اسمه ليس منه، فإنه قال: إن الله مجهول، فإن قال: إن له اسماً وليس به فقال: إن مع الله ثانياً^(٣).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «فصل: في الاسم والمسمى: هل هو هو أو غيره؟ أو لا يقال هو هو ولا يقال هو غيره؟ أو هو له؟ أو يفصل في ذلك؟ فإن الناس قد تنازعوا في ذلك والنزاع اشتهر في ذلك بعد الأئمة بعد أحمد وغيره والذي كان معروفاً عند أئمة السنة أحمد وغيره: الإنكار على الجهمية الذين يقولون: أسماء الله مخلوقة، فيقولون: الاسم غير المسمى وأسماء الله غيره وما كان غيره فهو مخلوق؛ وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف وغلظوا فيهم القول؛ لأن أسماء الله من كلامه وكلام الله غير مخلوق؛ بل هو المتكلم به وهو المسمى لنفسه بما فيه من الأسماء. والجهمية يقولون: كلامه مخلوق وأسماءه مخلوقة، وهو نفسه لم يتكلم بكلام يقوم بذاته ولا سمى نفسه باسم هو المتكلم به، بل قد يقولون: إنه تكلم به وسمى به،

تعليقه على هذا الحديث: «فالاسم ههنا للمسمى ولا يقال غيره لما في لفظ الغير من الإجمال، فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه اسماً أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم؛ فهذا من أعظم الضلال والإلحاد؛ فقلوه في الحديث: «سميت به نفسك» ولم يقل خلقته لنفسك ولا قال سماك به خلقك، دليل على أنه سبحانه تكلم بذلك الاسم وسمى به نفسه كما سمى نفسه في كتبه التي تكلم بها حقيقة بأسمائه^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وأما الذين يقولون: الاسم للمسمى كما يقوله أكثر أهل السنة فهؤلاء وافقوا الكتاب والسنة والمعقول^(٢)».

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو داود السجستاني رحمته الله: «من زعم أن الاسم غير المسمى فقد زعم أن الله غير الله، وأبطل في ذلك؛ لأن الاسم غير المسمى في المخلوقين؛ لأن الرجل يسمى محموداً وهو مذموم،

= في الجواب الكافي (٢٠٨) [دار المعرفة، ط ١]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٩) [مكتبة المعارف، ط ١].

(١) شفاء العليل (٢٧٧) [دار المعرفة، ط ١٣٩٨هـ].

(٢) قاعدة في الاسم والمسمى ضمن مجموع الفتاوى (٢٠٦/١ - ٢٠٧).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/٢٣٧ - ٢٣٨) (رقم ٣٤٨) [دار طيبة، ط ٨].

ثم منهم من أمسك عن القول في هذه المسألة نفياً وإثباتاً؛ إذ كان كل من الإطلاقيين بدعة كما ذكره الخلال عن إبراهيم الحربي وغيره^(٢).

وقال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ: «وطالما غلط كثير من الناس في ذلك، وجهلوا الصواب فيه؛ فالاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك فهذا المراد به المسمى نفسه، وإذا قلت: الله اسم عربي، والرحمن اسم عربي، والرحمن من أسماء الله ونحو ذلك - فالاسم هاهنا هو المراد لا المسمى، ولا يقال غيره، لما في لفظ الغير من الإجمال: فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له، حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم؛ فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى»^(٣).

❁ الأقسام:

تنقسم الأسماء باعتبار دلالتها على مسمى واحد إلى قسمين:

أحدهما: أن يدل عليه باعتبار الذات

(٢) قاعدة في الاسم والمسمى ضمن مجموع الفتاوى (١٨٥/٦ - ١٨٧).

(٣) شرح الطحاوية (٨٢) [وزارة الشؤون الإسلامية].

نفسه بهذه الأسماء بمعنى أنه خلقها في غيره، لا بمعنى أنه نفسه تكلم بها الكلام القائم به. فالقول في أسمائه هو نوع من القول في كلامه. والمقصود هنا أن المعروف عن أئمة السُّنة إنكارهم على من قال: أسماء الله مخلوقة، وكان الذين يطلقون القول بأن الاسم غير المسمى هذا مرادهم؛ فلهذا يروى عن الشافعي والأصمعي وغيرهما أنه قال: إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة، ولم يعرف أيضاً عن أحد من السلف أنه قال الاسم هو المسمى^(١)؛ بل هذا قاله كثير من المنتسبين إلى السُّنة بعد الأئمة وأنكره أكثر أهل السُّنة عليهم.

(١) وتوضيح قولهم فيما ذكره شيخ الإسلام عنهم، حيث قال: «وهؤلاء الذين قالوا: إن الاسم هو المسمى لم يريدوا بذلك أن اللفظ المؤلف من الحروف هو نفس الشخص المسمى به؛ فإن هذا لا يقوله عاقل. ولهذا يقال: لو كان الاسم هو المسمى لكان من قال: نار احترق لسانه. ومن الناس من يظن أن هذا مرادهم ويشنع عليهم وهذا غلط عليهم؛ بل هؤلاء يقولون: اللفظ هو التسمية والاسم ليس هو اللفظ؛ بل هو المراد باللفظ؛ فإنك إذا قلت: يا زيد يا عمر فليس مرادك دعاء اللفظ؛ بل مرادك دعاء المسمى باللفظ وذكرت الاسم فصار المراد بالاسم هو المسمى. وهذا لا ريب فيه إذا أخبر عن الأشياء فذكرت أسماؤها فقول: «تَحْمَدُ رَسُوْلُ اللهِ» وَتَحَاكَّرَ أَلَيْتَيْنِ «وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيْمًا» فليس المراد أن هذا اللفظ هو الرسول وهو الذي كلمه الله. وكذلك إذا قيل: جاء زيد وأشهد على عمرو وفلان عدل ونحو ذلك فإنما تذكر الأسماء والمراد بها المسميات وهذا هو مقصود الكلام. مجموع الفتاوى (١٨٨/٦).

الثاني: ما كان في حق المخلوقين، فقد يُسمى الرجلُ باسم لا يطابق حقيقته، فيكون اسمه صالحًا ومسماه ليس كذلك، أو يكون اسمه محمودًا وهو عند الناس مذموم؛ فالأسماء التي يتسمى بها الناس لا تطابق غالبًا حقيقة المسمى بها المطابقة المطلقة.

✽ مذهب المخالفين:

ذهبت المعتزلة إلى أن الاسم غير المسمى ^(٢). وهذا مبني على قولهم: إن أسماء الله مخلوقة، حيث زعموا أن الله تعالى كان في الأزل بلا اسم ولا صفة، فلما خلق الخلق جعلوا له أسماء وصفات، فإذا أفناهم بقي بلا اسم ولا صفة، وهذا القول من أعظم الإلحاد في أسماء الله تعالى، مخالف للأدلة ولما أجمعت عليه الأمة ^(٣).

أما الأشاعرة والماتريدية فذهبوا إلى أن الاسم عين المسمى: فهؤلاء وإن أظهروا موافقة أهل السنة في اللفظ، لكنهم أبطنوا موافقة الجهمية والمعتزلة في المعنى. فهم قالوا بقول أهل السنة: إن أسماء الله غير مخلوقة. ولكن لم يكن مقصودهم هو مقصود أهل السنة؛ لأن مرادهم بهذه العبارة أن الله بذاته غير

فقط فهذا النوع هو المترادف ترادفًا محضًا، وهذا كالحنطة والقمح والبر، والاسم والكنية واللقب، إذا لم يكن فيه مدح ولا ذم وإنما أتى به لمجرد التعريف.

والثاني: أن يدل على ذات واحدة باعتبار تباين صفاتها كأسماء الرب تعالى وأسماء كلامه وأسماء نبيه وأسماء اليوم الآخر، فهذا النوع مترادف بالنسبة إلى الذات متباين بالنسبة إلى الصفات، فالرب والرحمن والعزیز والقدير والملك يدل على ذات واحدة باعتبار صفات متعددة، وكذلك البشير والنذير والحاشر والعاقب والمآحي، وكذلك يوم القيامة ويوم البعث ويوم الجمع ويوم التغابن ويوم الآزفة ونحوها، وكذلك القرآن والفرقان والكتاب والهدى ونحوها، وكذلك أسماء السيف فإن تعددها بحسب أوصاف وإضافات مختلفة كالمهند والعضب والصارم ونحوها ^(١).

وينقسم الاسم باعتبار مطابقته للمسمى إلى قسمين:

الأول: ما كان في حق الله تعالى، فالاسم يطابق المسمى حقيقة، فما تسمى الله ﷻ باسم إلا وقد وصف به؛ فأسماءه متضمنة لكل ما ينبغي أن يحمله الاسم من معاني.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٥٤٢) [مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤٠٨هـ].

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/١٠١) [دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ].

(١) روضة المحبين لابن القيم (٥٤) [دار الكتب العلمية].

٢ - «جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير المسائل المتعلقة بأسماء الله الحسنى وشرحها والرد على المخالفين»، لسعيداني أرزقي.

٣ - «صريح السُّنة»، لابن جرير الطبري.

٤ - «قاعدة في الاسم والمسمى ضمن مجموع الفتاوى» (ج ٦)، لابن تيمية.

٥ - «معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٦ - «موقف ابن تيمية من الأشاعرة»، لعبد الرحمن بن صالح المحمود.

٧ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لمحمد النجدي.

❏ الأسماء الحسنى ❏

❁ التعريف لغة:

الأسماء: جمع اسم، والاسم كلمة مشتقة من (السُّمُو) وهو بمعنى: الرُّفعة والعُلُو، وَالْأَضْلُ فِيهِ: سَمَوٌ بِالْوَاوِ، وَجَمَعَهُ أَسْمَاءٌ، مَثَلُ قَيْنُو وَأَقْنَاءُ^(٤). قال الجوهري: «والاسم مشتق من سَمَوْتُ؛ لَأَنَّهُ تَنَوَيْتُ وَرَفَعْتُهُ»^(٥)، ولأن صاحبه بمنزلة

مخلوق، وهذا مما لا تنازع فيه مع الجهمية والمعتزلة. وأطلقوا القول بأن التسميات مخلوقة، والتسميات عندهم هي الأسماء؛ كالعليم، والعزيز، والرحيم، وبذلك وافقوا الجهمية والمعتزلة في المعنى^(١).

والحق أن الاسم للمسمى، إذ هو دليل على المسمى وَعَلِمَ عَلَيْهِ، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال النبي ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا» الحديث^(٢)؛ فالله تعالى له الأسماء الحسنى وهو المسمى بها، والاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، فالمراد به المسمى نفسه، وإذا قلت: الله اسم عربي، والرحمن من أسماء الله، فالاسم هنا هو المراد لا المسمى، وهذا اختيار أكثر أهل السُّنة^(٣)، وهو القول الراجح الموافق للكتاب والسُّنة.

❁ المصادر والمراجع:

١ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.

(١) قاعدة في الاسم والمسمى ضمن مجموع الفتاوى (١٩٢/٦).

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

(٣) قاعدة في الاسم والمسمى ضمن مجموع الفتاوى (١٨٧/٦، ١٩٨، ٢٠٩)، وشرح الطحاوية (٨٢) [وزارة الشؤون الإسلامية].

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٠/١) [دار عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨هـ]. وتهذيب اللغة (١٣/٧٩) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

(٥) الصحاح (٢٣٨٣/٦) [دار العلم، ط ٤، ١٩٩٠م].

المرتفع به^(١). قال ابن تيمية رحمته الله: «فالاسم يظهر به المسمى ويعلو»^(٢).
والسُّنَّة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها»^(٣).

سبب التسمية:

سبب تسميتها بالحسنى: أنها مشتملة على مدح الموصوف بها وهو الله تعالى وحمده والثناء عليه، ومتضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

الحكم:

يجب الإيمان بكل ما أخبر الله تعالى من أسمائه وأنها بالغة في الحسن غايته، ولتضمنها صفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

المنزلة:

لا شك أن للأسماء الحسنى في الدين منزلة رفيعة وأهمية عظيمة، فهي أصل العلم والإيمان، وبها استحقاق الله وحده العبادة، ولا تكاد تخلو آية من آياته من ذكر لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا؛ بل لا يقوم الدعاء ولا يتحقق إلا بها.

الأدلة:

من القرآن الكريم: قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾

(٧) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (١٩) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ]. وانظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات لمحمد بن خليفة التميمي (٢٩) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ].

والنحاة لم يعرفوا الاسم وذلك لوضوحه عندهم، ولذلك اكتفى سيبويه عن تعريف الاسم - بعد تعريف الفعل والحرف - بقوله: «الاسم: رجل، وفرس، وحائط»^(٣). وقد عرّفه بعضهم بأنه «اللفظ الذي وضع دلالة على المعنى، والمعنى هو الشيء الموجود في العيان - إن كان من المحسوسات - كزيد وعمرو - وفي الأذهان - إن كان من المعقولات - كالعلم والإرادة»^(٤).

الحسنى: ضد السُّوْأى^(٥). والحسنى: «تأنيث الأحسن. يقال: الاسم الأحسن والأسماء الحسنى»^(٦). ومعنى حسنى: أي: بالغة في الحسن غايته لتضمنها معاني كاملة عظيمة.

التعريف شرعاً:

الأسماء الحسنى: «هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/١٠١) [دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ].

(٢) قاعدة في الاسم والمسمى ضمن مجموع الفتاوى (٢٠٨/٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف].

(٣) انظر: الكتاب لسبويه (١/١٢) [مكتبة الخانجي، ط ٣، ١٤٠٨هـ].

(٤) نتائج الفكر في النحو للسهيلى (١/٣٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٥) الصحاح (١/٦٢) [دار العلم، ط ٤، ١٩٩٠م].

(٦) تهذيب اللغة (٤/١٨٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو بكر الإسماعيلي رحمته الله - وهو يحكي مذهب أهل السنة والجماعة -: «ويعتقدون أن الله تعالى مدعو بأسمائه الحسنى وموصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم» (٣).

وقال ابن بطة العكبري رحمته الله: «إن الله لم يزل عليماً سميماً بصيراً متكلماً، تاماً بصفاته العليا وأسمائه الحسنى، قبل كون الكون، وقبل خلق الأشياء، لا يدفع ذلك ولا ينكره إلا الضال الجحود الجهمي المكذب بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم» (٤).

وقال أبو الحسن القابسي رحمته الله: «أسماء الله وصفاته لا تعلم إلا بالتوقيف من الكتاب أو السنة أو الإجماع ولا يدخل فيها القياس» (٥).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «وليس في

فله الأسماء الحسنى» [الإسراء: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (٨) [طه]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

ومن السنة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة» (١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما قال عبد قط إذا أصابه هم وحزن: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله صلى الله عليه وسلم همَّه، وأبدله مكان حزنه فرحاً، قالوا: يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: أجل، ينبغي لمن سمعن أن يتعلمهن» (٢).

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

(٣) أخرجه ابن قدامة في ذم التأويل (١٧) [الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٦هـ]، والذهبي في العلو للعلي الغفار (٢٣٠) [مكتبة أضواء السلف، ط ١، ١٤١٦هـ]، وفي كتاب الأربعين في صفات رب العالمين (٩٤ - ٩٥) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤١٣هـ]، وقال: وهذا المعتقد سمعناه بإسناد صحيح عنه.

(٤) الإبانة الكبرى لابن بطة - الكتاب الثالث: الرد على الجهمية - (٢١٤/١ - ٢١٥) [دار الراجعية، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٥) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري (٢١٧/١١) [دار المعرفة، ط ١٣٧٩هـ].

فالمراد به المسمى نفسه، وإذا قلت: الله اسم عربي، والرحمن من أسماء الله، فالاسم هنا هو المراد لا المسمى، وهذا اختيار أكثر أهل السُّنة^(٣)، وهو القول الراجح الموافق للكتاب والسُّنة.

الثاني: أن الاسم هو المسمى، وهو قول طائفة من أهل السُّنة^(٤)، رادّين بذلك على الجهمية والمعتزلة الذين قالوا: إن الاسم غير المسمى.

الثالث: أن الاسم غير المسمى، وهو قول المعتزلة^(٥). وهذا مبني على قولهم: إن أسماء الله مخلوقة، حيث زعموا أن الله تعالى كان في الأزل بلا اسم ولا صفة، فلما خلق الخلق جعلوا له أسماء وصفات، فإذا أفناهم بقي بلا اسم ولا صفة، وهذا القول من أعظم الإلحاد في أسماء الله تعالى، مخالف للأدلة ولما أجمعت عليه الأمة^(٦).

- المسألة الثانية: تفاضل الأسماء الحسنى:

إن أسماء الله تعالى متباينة من جهة

أسمائه الحسنى إلا اسم يُمدح به، ولهذا كانت كلها حسنى^(١).

الشروط:

لكي يكون الاسم من أسماء الله الحسنى لا بد له من شروط، هي:

١ - أن يرد ثبوته في الكتاب والسُّنة الصحيحة.

٢ - أن يقتضي المدح والثناء بنفسه، بحيث يكون دالاً على صفة كمال عظيمة.

٣ - أن يُدعى الله به.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الاسم والمسمى:

هل الاسم هو المسمى أو هو غيره أو له؟ اختلف في ذلك على ثلاثة أقوال:

الأول: أن الاسم للمسمى؛ إذ هو دليل على المسمى وعلم عليه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً» الحديث^(٢)؛ فالله تعالى له الأسماء الحسنى وهو المسمى بها، والاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده،

(١) منهاج السُّنة النبوية (٥/٢٨٢) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ]. وانظر: بيان تلبس الجهمية (٣/٢٩٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ومجموع الفتاوى (٦/١٤٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف].

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

(٣) قاعدة في الاسم والمسمى ضمن مجموع الفتاوى (٦/١٨٧، ١٩٨، ٢٠٩)، وشرح الطحاوية (٨٢) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط١، ١٤١٨هـ].

(٤) قاعدة في الاسم والمسمى ضمن مجموع الفتاوى (٦/١٨٧ - ١٨٨).

(٥) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٥٤٢) [مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ].

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/١٠١) [دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ].

معانيها^(١)، فكل اسم يدل على معنى غير المعنى الذي يدل عليه الآخر، فهناك أسماء تدل على صفة واحدة، وهناك أسماء تدل على أكثر من صفة؛ كاسم الخالق؛ فإنه يدل على صفة الخلق بالمطابقة وعلى صفتي العلم والقدرة بالالتزام، لذلك وقع التفاضل فيها. وعلى هذا يعتقد أهل السُّنة والجماعة أن أسماء الله الحسنى متفاضلة فيما بينها. وأيضًا التفاضل فيها من جهة اشتمال كلام الله تعالى عليها، وكلام الله تعالى بعضه أفضل من بعض كما دل على ذلك نصوص الكتاب والسُّنة^(٢).

- المسألة الثالثة: أسماء الله الحسنى غير محصورة:

من القواعد المقررة عند أهل السُّنة والجماعة في باب الأسماء: أن أسماء الله تعالى كلها حسنى - كما تقدم -، وأن من أوجه حسننها: أنها أسماء كثيرة ليست محصورة بعدد معين، يعجز الخلق عن الإحاطة بها معرفةً وعلمًا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إن الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تُحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات

مع التنبية على أنها مترادفة من جهة كونها أسماء لذات واحدة.

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٢/١٧ - ٥٣)، والقواعد المثلى لابن عثيمين (١١) [الجامعة الإسلامية، ط ٣، ١٤٢١هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٢/١٧ - ٥٣)، والقواعد المثلى لابن عثيمين (١١) [الجامعة الإسلامية، ط ٣، ١٤٢١هـ].

وأما قوله رَحِمَهُ اللهُ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»^(٦).

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧١٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤)، بنحوه.

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٦).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الشروط، رقم ٢٧٣٦)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٧).

من القواعد المقررة عند أهل السُّنة والجماعة في باب الأسماء والصفات: أن أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف، فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول، مترادفة لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله ﷻ وبالاعتبار الثاني متباينة لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص فالحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم كلها أسماء لمسمى واحد، وهو الله ﷻ، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا.

- المسألة السادسة: دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام:

من القواعد المقررة عند أهل السُّنة والجماعة في باب الأسماء: أن كل اسم من أسماء الله الحسنی يدل على ذاته والصفة المختصة به بطريق المطابقة، وعلى أحدهما بطريق التضمن، وعلى الصفة الأخرى بطريق اللزوم. فإنَّ اسم السميع يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة، وعلى الذات وحدها، وعلى السمع وحده بالتضمن، ويدل على اسم الحي وصفة الحياة بالالتزام^(٢).

فالكلام جملة واحدة. وقوله: «ومن أحصاها دخل الجنة» صفة لا خبر مستقبل. والمعنى: له أسماء متعددة، مِن شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها. وهذا كما تقول: لفلان مئة مملوك قد أعدهم للجهاد، فلا ينفي هذا أن يكون له ممالك سواهم معدون لغير الجهاد، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه^(١).

- المسألة الرابعة: أسماء الله توقيفية:

من القواعد المقررة عند أهل السُّنة والجماعة في باب الأسماء والصفات: أن أسماء الله توقيفية، بمعنى: أنهم يثبتون ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء الحسنی الواردة في نصوص القرآن والسُّنة الصحيحة دون أن يتجاوزوا هذه النصوص؛ أو أن يقحموا العقل في إثباتها، إذ لا مجال للعقل فيها؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص.

- المسألة الخامسة: أسماء الله أعلام وأوصاف:

فهي مترادفة باعتبار دلالتها على الذات، ومتباينة باعتبار دلالتها على الصفات.

(٢) انظر ما يتعلق بالمسألة الخامسة والسادسة: القواعد المثلى لابن عثيمين (٨ - ١١).

(١) بدائع الفوائد (١/ ٢٩٣ - ٢٩٤) [دار الكتاب العربي].

- المسألة السابعة: أسماء الله تعالى منها ما يطلق عليه مفردًا ومقترنًا بغيره ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقرونًا بمقابله:

«إن أسماء الله تعالى منها ما يطلق عليه مفردًا ومقترنًا بغيره وهو غالب الأسماء؛ كالقدير والسميع والبصير والعزيز والحكيم وهذا يسوغ أن يدعى به مفردًا ومقترنًا بغيره، فتقول: يا عزيز يا حلیم يا غفور يا رحيم، وأن يفرد كل اسم، وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه بما يسوغ لك الأفراد والجمع، ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقرونًا بمقابله؛ كالمانع والضار والمنتقم، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله؛ فإنه مقرون بالمعطي والنافع والعفو، فهو المعطي المانع، الضار النافع، المنتقم العفو، المعز المذل؛ لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله؛ لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية وتدبير الخلق والتصرف فيهم عطاءً ومنعًا ونفعًا وضرًا وعفوًا وانتقامًا، وأما أن يشنى عليه بمجرد المنع والانتقام والإضرار فلا يسوغ، فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد، الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد، ولذلك لم تجئ مفردة، ولم تطلق عليه إلا مقترنه، فاعلمه. فلو قلت: يا مذل يا

ضار يا مانع وأخبرت بذلك لم تكن مثنيًا عليه ولا حامدًا له حتى تذكر مقابلها»^(١).

- المسألة الثامنة: ضابط الإيمان بأسماء الله تعالى:

لتحقيق الإيمان بالأسماء الحسنى لا بد من:

- ١ - الإيمان بالاسم.
 - ٢ - الإيمان بما دلَّ عليه من المعنى.
 - ٣ - الإيمان بما يتعلق به من الآثار.
- فنؤمن بأن الله رحيمٌ ذو رحمة وسعت كل شيء. قدير ذو قدرة، ويقدر على كل شيء. عليم ذو علم ويعلم كل شيء. غفور ذو مغفرة ويغفر لعباده^(٢).

- المسألة التاسعة: الإلحاد في أسماء الله تعالى:

نهى الله تعالى عن الإلحاد في أسمائه فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف].

فدلَّت الآية على وجوب مجانية الإلحاد في أسماء الله الحسنى، والإلحاد في أسماء الله سبحانه: هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وهو أنواع عديدة يجمعها هذا

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (١/١٦٧).

(٢) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية لعبد العزيز السلطان (٢٧). [ط ١٢، ١٤١٨هـ].

الوصف. وبهذه القاعدة المهمة حمى أهل السُّنة جناب أسماء الله الحسنى^(١).

وهو أنواع:

الأول: أن تسمى الأصنام بأسماء الله؛ كتسميتهم العزى من العزيز.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله؛ كتسمية النصارى له أباً.

الثالث: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص؛ كقول اليهود: إنه فقير.

الرابع: تعطيل الأسماء عن معانيها، ووجد حقائقها؛ كقول الجهمية: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر.

الخامس: تمثيل صفاته تعالى بصفات خلقه.

- المسألة العاشرة: حكم التسمي بأسماء الله تعالى:

ينقسم التسمي بأسماء الله تعالى إلى قسمين:

أ- ما لا يجوز التسمي بها، وهي الأسماء المختصة بالله تعالى؛ كلفظ الجلالة الله والرحمن والخالق والباري والقيوم أو غير ذلك مما لا ينبغي إلا لله تعالى. ومن سَمَّى غير الله باسم من الأسماء المختصة بالله تعالى، فهو مشرك في الأسماء والصفات^(٢).

(١) انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين (١٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/٦)، وتحفة المودود

ب- ما كان من الأسماء له معنى كلي تتفاوت فيه أفراده؛ كالملك والعزيز والرحيم والجبار، فيجوز تسمية غيره بها، فقد سَمَّى الله نفسه بهذه الأسماء وسَمَّى بعض عباده بها؛ كقوله تعالى:
﴿قَالَتْ أَمَرْتُ الْغَزِيْزَ﴾ [يوسف: ٥١]،
وقوله كذلك: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر] ولا يلزم من ذلك التماثل؛ لأن الإضافة تقتضي التخصيص، فما يضاف إلى الله منها يخصه ويليق به سبحانه وبجلاله وكماله، وما يضاف منها إلى المخلوق فعلى معنى خاص يليق بالمخلوق وبنقصه وبضعفه^(٣).

- المسألة الحادية عشر: معنى الإحصاء الوارد في الحديث:

أسماء الله تعالى كلها حسنى - كما تقدم -، وأن من أوجه حسنها أنها أسماء كثيرة ليست محصورة بعدد معين، يعجز الخلق عن الإحاطة بها معرفة وعلمًا.

وقوله ﷺ: «من أحصاها دخل الجنة»^(٤) فيه خمسة أقوال:

أحدها: من استوفاهها حفظًا.

بأحكام المولود (١٢٥) [مكتبة دار البيان، ط١، ١٣٩١هـ].

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (المجموعة الثانية) (٢/ ٣٦٨ - ٣٦٩) [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء]. وانظر أيضًا: التدمرية لابن تيمية (٢١ -

٢٤) [مكتبة العبيكان، ط٦، ١٤٢١هـ].

(٤) تقدم تخريجه قريبًا.

ولعل النبي ﷺ لم يبينها لحكمة؛ وهي: أن يطلبها الناس ويتحروها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فيحصل لهم بذلك التعب لله تعالى بجميع أسمائه^(٤)، والله أعلم. قال ابن العربي رحمه الله: «أخفيت هذه الأسماء المتعددة في جملة الأسماء الكلية، لندعوه بجميعها، فنصيب العدد الموعود به فيها»^(٥).

الثمرات:

من ثمرات معرفة أسماء الله الحسنى:

١ - أن معرفة الأسماء الحسنى ودلالاتها من أعظم الطرق إلى معرفة الرب تعالى وكمال صفاته^(٦).

٢ - أن «من عرف أسماء الله ومعانيها فآمن بها كان إيمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الأسماء بل آمن بها إيماناً مجملًا»^(٧).

٣ - أن من عرف أسماء الله الحسنى

والثاني: من أطاق العمل بمقتضاها، مثل أن يعلم أنه سميع فيكف لسانه عن القبيح، وأنه حكيم فيسلم لحكمته.

والثالث: من عقل معانيها.

والرابع: من أحصاها عدداً وإيماناً بها. قاله الأزهرى.

والخامس: أن يكون المعنى: من قرأ القرآن حتى يختمه لأنها فيه^(١).

والذي يترجح أن الإحصاء يشمل أموراً ثلاثة:

أحدها: إحصاء ألفاظها وعددها.

الثاني: فهم معانيها ومدلولها.

الثالث: دعاء الله تعالى بها^(٢).

- المسألة الثانية عشر: هل يمكن معرفة الأسماء التسعة والتسعين على وجه التعيين؟

لا يمكن معرفة الأسماء التسعة والتسعين على وجه التعيين؛ لأنه لم يصح عن النبي ﷺ تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيف، والصحيح: أن سردها إدراج من بعض الرواة^(٣).

(١) انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٢١٩/١) - (٢٢٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ]، وشأن الدعاء للخطابي (٢٦) [دار الثقافة العربية، ط ٣، ١٤١٢هـ].

(٢) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (١٦٤/١)، والقول المفيد (٢٥٨/٢) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٨٣/٦)،

ومدارج السالكين (٤٣٣/٣)، وتفسير ابن كثير (٢/٤٢٥)، وبلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر (٤١٩) [دار الفلق، ط ٧، ١٤٢٤هـ]، وسبل السلام للصنعاني (٥٥٤/٢) [دار الحديث]، وأحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين للديبجي (٢٠٧) [دار المنهاج، ط ١، ١٤٠٧هـ].

(٤) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٢٣/١) [دار الوطن، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٣٤٠/٢) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ]. وانظر: فتح الباري لابن حجر (٢٢١/١١) [دار المعرفة، ط ٣٧٩هـ].

(٦) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٣/٣٣١) [جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ].

(٧) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣٣/٧ - ٢٣٤).

سميع بذاته، عليم بذاته^(٤)، وإنما نفوا الصفات لاعتقادهم أنها أعراض، وأن قيام العرض بالله يقتضي حدوثه، فقالوا حينئذ: إن القرآن مخلوق، وجعلوا جميع ما يضاف إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى الخالق^(٥).

٣ - الأشاعرة: لا ينكرون ثبوت الأسماء الحسنى، لكنهم لا يثبتون جميع الصفات التي تدل عليها الأسماء الحسنى، وبذلك فرقوا بين الأسماء والصفات في الثبوت والتوقيف^(٦)، وذهب بعض الأشاعرة إلى جواز إطلاق بعض الأسماء لله وإن لم يرد بها نص ولا إجماع، وذلك كاسم القديم، والذات وغيرهما^(٧).

وما ذهب إليه هؤلاء هو خلاف مذهب السلف القائم على إثبات الأسماء

واستقرأ آثارها في الخلق والأمر، رأى الخلق والأمر منتظمين بها أكمل انتظام.

٤ - أن أعرف الناس بأسماء الله وصفاته أشدهم حباً له.

٥ - أن معرفة الأسماء الحسنى وإحصاءها سبب لدخول الجنة.

٦ - أن إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم من خلق أو أمر^(٨).

✽ مذهب المخالفين:

١ - مذهب الفلاسفة والجهمية المحضة: وهو نفي جميع الأسماء الحسنى، ووصف الله تعالى بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون له إلا وجوداً مطلقاً يمتنع تحققه في الأعيان، بل لا حقيقة له إلا في الأذهان^(٩).

٢ - المعتزلة ومن وافقهم: الذين أثبتوا أسماء الله تعالى ولكنهم نفوا أن تدل الأسماء على معان ومدلولات، وقد أرجعوا الصفات إلى الذات^(١٠)، فقالوا:

(١) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٣٧٥ - ٣٧٨) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٢) انظر: النبوات لابن تيمية (٥٧٨/١) [أضواء السلف، ط ١، ومجموع الفتاوى (٧/٣ - ٨)، (٣١١/١٢)].

(٣) وهذا قول باطل بلا شك؛ لأننا إذا قلنا: ذاته علمه فهذا يوجب التغاير. كذلك فإن حقيقة السمع مغايرة لحقيقة العلم ولحقيقة القدرة، فلو كان الكل عبارة

عن حقيقة ذاته لزم القول بأن الحقائق الثلاثة حقيقة واحدة، وهذا عندهم باطل. انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها لعواد المعتز (٨٧) [دار العاصمة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي (١٨٣) [مكتبة وهبة، ط ٢]، والمعتزلة وأصولهم الخمسة (١٠٠).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٧/٦ - ١٤٨).

(٦) انظر: الأسماء الحسنى معانيها وآثارها والرد على المبتدعة فيها لرفيع أوونلا بصيري (٤٤٣) [رسالة دكتوراه مقدمة لقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة، عام ١٤١٣هـ].

(٧) انظر: المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١٨٨/١) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩هـ]، والأسماء والصفات لليهقي (٣٧/١) [مكتبة السوادى، ط ١، ١٤١٣هـ].

والصفات وإجرائها على حقيقتها اللائقة بالله تعالى إثباتاً دون تمثيل وتنزيهاً دون تعطيل، كما أنه تعالى قد أمر العبد بالتوقف عما ليس له به علم فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء].

قال ابن عبد البر رحمته الله: «وما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر ولا خبر في صفات الله إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فلا نتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير فإنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى]»^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «أسماء الله الحسنى»، للغصن.
٢ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.

٣ - «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة»، لسعيد بن علي القحطاني.

٤ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.

٥ - «القواعد الكلية في الأسماء

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٤٥) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ].

والصفات»، لإبراهيم البريكات.

٦ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

٧ - «مختصر الصواعق المرسلّة»، لابن الموصلي.

٨ - «المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها»، لعواد بن عبد الله المعتق.

٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

١٠ - «مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات»، لمحمد بن خليفة التميمي.

١١ - «الله الأسماء الحسنى فادعوه بها؛ دراسة تربوية لآثار الإيمان والسلوكية لأسماء الله الحسنى»، لعبد العزيز بن ناصر الجليل.

إسماعيل

اسمه ونسبه:

هو: نبي الله إسماعيل بن إبراهيم الخليل ﷺ بن آزر. وجمهور أهل النسب على أن اسم والد إبراهيم هو تارح^(٢)، وهو مخالف لصريح القرآن،

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٣٢٩، ٣٥٤) [دار هجر، ط١]، وصحيح قصص الأنبياء لابن كثير، لسليم الهلالي (١٠٣) [دار غراس، ط١، ١٤٢٢هـ].

هاجر؛ لعل الله أن يرزقهما منها ولدًا، فتزوجها، فولدت له إسماعيل عليه السلام، وكان نبي الله إبراهيم وقتئذ قد بلغ في الكبر تسعين سنة، وقيل: تسعة وتسعين سنة، وقد جاء في كتاب الله ما يدل على بلوغ إبراهيم الكبر عندما رزق بإسماعيل، كما قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وبعد مولد إسماعيل اشتدت غيرة سارة من هاجر، فطلبت من إبراهيم عليه السلام أن يغيب وجه هاجر عنها، فصار بها وبولدها حتى وضعهما في مكة وتركهما هناك، ولما أخذ في الرجوع عنهما قالت له: أين تذهب وتتركنا وليس معنا ما يكفيننا؟ فلما ألحت عليه بالسؤال ولم يجبها، قالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: فإذا لا يضيعنا^(٣). ولما ابتعد عنهما قليلاً واختفى عنهما أخذ يدعو ربه قائلاً: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي رِزْقٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبْنَيْهِ أَعَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤]، ولذا نصَّ ابن جرير الطبري على أن الصواب في اسم والد إبراهيم هو آزر، وذكر احتمالين؛ وهما: أنه قد يكون له اسمان علمان، أو أحدهما لقب، والآخر علم، وهذا الاحتمال وإن كان وارداً - كما يقول ابن كثير^(١) - فإن صريح القرآن مقدم على غيره من الاحتمالات والله أعلم.

معنى اسمه لغة:

إسماعيل اسم أعجمي عبراني، معناه: الله يسمع؛ لأن نبي الله إبراهيم عليه السلام كان يدعو ربه أن يهبه ولداً صالحاً قائلاً: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصفات] فوهبه إسماعيل عليه السلام^(٢).

مولده ونشأته:

تأخر نبي الله إبراهيم عليه السلام عن الإنجاب من زوجته الأولى سارة، فعرضت على إبراهيم الزواج من جارتها

(٣) ورد ذلك في حديث صحيح أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٦٤). وانظر: قصص الأنبياء المسمى بالعرائس للشعلبي (١١١) [مكتبة الجمهورية العربية، الأزهر]، والمنظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (٣٠٤/١) [دار الكتب العلمية]، والبدية والنهاية (٣٥٦/١)، وصحيح قصص الأنبياء لسليم الهلالي (١٢٤ - ١٢٥)، ونظم الدرر للبقاعي (٣٣٢/٦) [دار الكتب العلمية].

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٤٤/٩) [دار هجر، ط١]، والبدية والنهاية (١/٣٣٠).

(٢) المعرب من الكلام الأعجمي للجواليقي (٩٥ - ٩٦)، وكذا الحاشية رقم (٤)، و(ص ١٠) [دار القلم، ط١]، والإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء للدكتور ف. عبد الرحيم (٣٩) [دار القلم، ط١].

المنطق^(٢) من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال: رب ﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] حتى بلغ: ﴿يَشْكُرُونَ﴾^(٣٧)، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال: يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في

تَهْوَى إِلَيْهِمْ وَارْزُقَهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ [إبراهيم]. وبقيت أم إسماعيل مع ابنها الرضيع في هذا الوادي، ولما نفذ ما عندهما من الماء عطشت وعطش الطفل وأخذ يصيح، فتركته في محله، وبدأت تبحث عن الماء، فطلعت على الصفا فلم تر شيئاً، وسعت نحو المروة حتى طلعت عليه فلم تر شيئاً، وهكذا كررت السعي بين الصفا والمروة سبع مرات، وفجأة خرج ماء زمزم برحمة رحمان الدنيا والآخرة، ولما سمعت قبيلة جرهم العربية بخروج ماء زمزم في هذا الوادي استأذنوها في النزول بجنبها والشرب من هذا الماء فسمحت لهم، وهكذا نشأ إسماعيل بين هذه القبيلة في مكة وتعلم منهم العربية، ولما كبر زوجه من بناتهم، ثم طلقها بوصية أبيه وتزوج منهم بأخرى فأنجب منها اثني عشر ولداً، منهم نبايوت وقيدار وكان من نسلهما عرب الحجاز^(١).

وقد تضافرت الأحاديث في بيان قصة ذهاب إبراهيم بإسماعيل وأمه إلى مكة ونشأة إسماعيل فيها في أحاديث عديدة، منها: ما رواه البخاري بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «أول ما اتخذ النساء

(٢) المنطق: واحد مناطق، وهو «أن تليس المرأة ثوبها، ثم تشد وسطها بشيء وترفع وسط ثوبها، وترسله على الأسفل عند معاناة الأشغال؛ لثلاث عشرة في ذيلها». النهاية في غريب الحديث والأثر (٧٥/٥).

(١) انظر فيما يتعلق بأولاده: السيرة النبوية لابن هشام (٤/١) [مطبوعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ٢٢]، وصحيح قصص الأنبياء للهلال (١٨٩).

أسفل مكة، فرأوا طائرًا عائفًا، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريًا أو جريين، فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا، قال: وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «ألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس»، فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجته امرأة منهم وماتت أم إسماعيل...»^(١).

وإسماعيل أول من ركب الفرس، وكانت قبله وحوشًا^(٢)، وهو أول من تكلم بالعربية الفصيحة كما جاء من حديث علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٦٤).

(٢) انظر: الأوائل لأبي الهلال العسكري (٤٢٥) [دار البشير، طنطا، ط ١، ١٤٠٨هـ]، والبداية والنهاية لابن كثير (١/٤٤٤)، وصحيح قصص الأنبياء للهلال (١٨٨).

(٣) ذكره ابن حجر في الفتح (٤٠٣/٦) [دار المعرفة، بيروت]، وذكر أنه من رواية: «الزبير بن بكار في النسب من حديث علي بإسناد حسن»، وأورده =

الأرض يليها فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي، رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة، فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا، ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فذلك سعي الناس بينهما»، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا، فقالت: صه تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضًا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غوث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه - أو قال: بجناحه - حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم، - أو قال: لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عينًا معينًا»، قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة؛ فإن ها هنا بيت الله، يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعًا من الأرض؛ كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرّت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في

دعوته:

كانت دعوة إسماعيل عليه السلام دعوة حنيفة قائمة على تحقيق التوحيد ونبذ الشرك؛ حيث أخبر الله تعالى أنه عهد إلى كل من إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام أن يطهرا بيته العتيق من الشرك والأوثان وعبادة غير الله كائناً ما كان، فقال ﷺ: **«وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ»** [البقرة]، وكانت نبوة إسماعيل بعد نبوة أبيه عليه السلام.

قومه وموقفهم منه:

ذكر المؤرخون أن الله أرسل إسماعيل إلى العماليق وقبيلة جرهم وقبائل اليمن، فنهاهم عن الشرك وعبادة الأوثان، فأمنت به طائفة وكفر به أكثرهم (٢).

وفاته:

مات نبي الله إسماعيل عليه السلام، وكان قد عاش سبعا وثلاثين ومئة سنة (٣)، وقيل: ثلاثين ومئة سنة (٤)، وقيل: إنه دفن مع أمه في الحجر (٥)، وقد نصت اللجنة

(٢) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/٣٠٤).

(٣) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/٣٠٥)، وتفسير القرطبي (٢/١٣٥) [دار عالم الكتب، الرياض].

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (١/٥)، وتفسير القرطبي (٢/١٣٥).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (١/٥)، وصحيح قصص الأنبياء للهلال (١٨٩).

قال ابن كثير: «أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة، وكان قد أخذ كلام العرب من جرهم الذين نزلوا عند أمه هاجر بالحرم... ولكن أنطقه الله بها في غاية الفصاحة والبيان، وكذلك كان يتلفظ بها رسول الله ﷺ» (١).

نبوته:

نص الله تعالى على كون إسماعيل عليه السلام نبياً ورسولاً فقال سبحانه: **«وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا»** [مريم].

وذكره تعالى ضمن أنبيائه الموحى إليهم من عنده فقال تعالى: **«إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَاللَّيْنِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا»** [النساء].

وبرأه من كل ما نسب إليه الجاهلون فقال الله ﷻ: **«أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ غَمَّا تَعْمَلُونَ»** [البقرة].

= الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/٥٠٤) [المكتب الإسلامي].

(١) البداية والنهاية (١/٢٨٣).

الدائمة للإفتاء على عدم صحة هذا^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: في من هو الذبيح في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَأَمَّا بَلْعُ مَعَهُ السَّعَى قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٢) [الصفافات]:

اختلف العلماء في هذه المسألة على أقوال:

الأول: أن الذبيح هو إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام، قال به طائفة من الصحابة؛ كأبي هريرة وابن عمر وابن عباس عليه السلام، وسعيد بن جبير والشعبي والإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وغيرهم.

الثاني: أن الذبيح هو إسحاق، وحكي هذا القول عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن عباس وابن عمر وجابر عليه السلام ومقاتل والسدي وعطاء ومالك بن أنس والطبري وغيرهم.

الثالث: التوقف والإمساك عن الكلام فيه^(٢).

والصحيح القول الأول؛ لأمر كثيرة، منها: قول الله تعالى في قصة تبشير إبراهيم وآله بإسحاق ومن ورائه بيعقوب: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزْهَبْنَا إِيكَ قَوْمَ لُوطٍ (٧٠) وَأَمْرَانَهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَا فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءَهُ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) [هود]، فقد بُشِّرَا بأمرين: الابن وابن الابن؛ أي: بمولود سيولد لهما، وبابن لهذا المولود، وهذا يقتضي أنه يعيش. وهذا يتنافى مع القول بأمر أبيه بذبحه وهو صغير ولم يولد له يعقوب بعد^(٣). وذكر ابن كثير أن استدلال من استدلل بهذه الآية على أن الذبيح إسماعيل هو من أحسن الاستدلال وأصححه وأبينه، فقال: «استدل من استدلل بهذه الآية، على أن الذبيح إنما هو إسماعيل، وأنه يمتنع أن يكون هو إسحاق؛ لأنه وقعت البشارة به، وأنه سيولد له يعقوب، فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير، ولم يولد

و(٩٩/١٥ - ١٠١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤/

٣٣١ - ٣٣٥) [مجمع الملك فهد لطباعة

المصحف]، وتفسير ابن كثير (٧/٣٢ وما بعدها)

[دار طيبة]، والبداية والنهاية (١/٣٦٣ - ٣٧٠)،

وفتح القدير للشوكاني (٤/٤٦٣) [دار ابن كثير،

ودار الكلم الطيب، ط ١].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٣٣٥).

(١) انظر: اللجنة الدائمة للإفتاء (٣/٢٠٧).

(٢) انظر لهذه الأقوال: تفسير الطبري (١٩/٥٨٧ -

٦٠٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٧/٧٢)

[المكتب الإسلامي]، وتفسير القرطبي (١١/١١٤)

له بعد يعقوب الموعود بوجوده . ووعده الله حق لا خلف فيه، فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه، فتعين أن يكون هو إسماعيل، وهذا من أحسن الاستدلال وأصححه وأبينه، والله الحمد^(١).

ومنها: أن إسحاق ﷺ وصف بأنه غلام عليم، في حين أن هذا الغلام الذبيح وصف بأنه غلام حليم، ووعده أباه بالصبر عند الذبح، وهذا الوصف مناسب لحال إسماعيل ﷺ، فقد وصفه ربه بالصبر والصدق في الوعد بقوله: ﴿وإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٥) [الأنبياء]، وقال سبحانه: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ (٥١) [مريم].

ومنها: أن قصة الذبيح وقعت في مكة دون خلاف، ولم ينقل أحد لا من أهل الكتاب ولا من غيرهم أن إسحاق ذهب إلى مكة^(٢).

وذكر ابن القيم أن الذبيح عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم هو إسماعيل، وأن القول بأنه إسحاق باطل بأكثر من عشرين وجهًا، ثم نقل نحوه عن شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -

قدس الله روحه - يقول: هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب، مع أنه باطل بنص كتابهم، فإن فيه: إن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره، وفي لفظ: وحيد، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده، والذي غر أصحاب هذا القول أن في التوراة التي بأيديهم: اذبح ابنك إسحاق، قال: وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم؛ لأنها تناقض قوله: اذبح بكرك ووحيك، ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف، وأحبوا أن يكون لهم، وأن يسوقوه إليهم ويحتازوه لأنفسهم دون العرب، ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله. وكيف يسوغ أن يقال: إن الذبيح إسحاق، والله تعالى قد بشر أم إسحاق به وبابنه يعقوب، فقال تعالى عن الملائكة: إنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى: ﴿...قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَانَهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود]؟! فمحال أن يبشرها بأنه يكون لها ولد ثم يأمر بذبحه، ولا ريب أن يعقوب ﷺ داخل في البشارة، فتناول البشارة لإسحاق ويعقوب في اللفظ واحد، وهذا ظاهر الكلام وسياقه^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٤).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٣٣٥).

(٣) زاد المعاد لابن القيم (١/ ٧١ - ٧٢) [مؤسسة =

والخلاصة: أن الذي يجب القطع به لدلالة الكتاب والسُّنة والدلائل المشهورة، وقول علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم به: أن الذبيح هو إسماعيل، وأن القول بأن الذبيح هو إسحاق باطل، وهو متلقى عن أهل الكتاب ومخالف لما في التوراة التي بأيدي أهل الكتاب^(١).

وأما القول بالتوقف فهو باطل أيضاً؛ لأنه توقف عما يجب القطع به دون مستند.

- المسألة الثانية: قصة الذبيح:

رُزق نبي الله إبراهيم بابنه إسماعيل عليه السلام بعد أن بلغ في الكبر مبلغاً كبيراً، ولكن لما شب هذا الولد وكبر وبلغ سعيه سعي أبيه في العمل، أمره الله في المنام بذبحه، فأخبر إبراهيم ابنه بالأمر وسأله عن رأيه فيه، فما كان من هذا الابن البار الصابر إلا أن أشار على أبيه بأن يمثل أمر ربه فيه، ويذبحه تنفيذاً لأمر الله، ووعد بالصبر على هذا الابتلاء، ولما أسلما لأمر الله وجهز إبراهيم ابنه للذبح جاء الفرج والمخرج من عند الله تعالى، حيث فذاه الله بكبش

= الرسالة، ط ٢٧، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٣٢/٤).

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٣١/٤)، وزاد المعاد (٧١/١)، والبداية والنهاية (٣٦٦/١)، وصحيح قصص الأنبياء للهلال (١٨٦).

عظيم، ونودي إبراهيم فالتفت فإذا بكبش عظيم، فذبحه مكان ابنه، كما جاء عن السدي^(٢) بسند حسن^(٣) قال الله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ١٠٦ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ١٠٧ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَجَدَ فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ١٠٨ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَقَلَهُ لِلْجَيْنِ ١٠٩ وَوَدَّيْنَهُ أَنْ يَبْتَازَ إِبْرَاهِيمُ ١١٠ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١١١ إِنَّ هَذَا لَهَوٌ ابْتَلَاؤُا الْمُؤْمِنِينَ ١١٢ وَوَدَّيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ ١١٣ [الصفحات].

- المسألة الثالثة: مشاركة إسماعيل عليه السلام في بناء الكعبة:

كان نبي الله إبراهيم عليه السلام بعد أن وضع ذريته في مكة بأمر الله، يزورهم أحياناً، وفي إحدى المرات لما جاء إبراهيم عليه السلام وجد ابنه إسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريبة من ماء زمزم، فلما رآه قام إليه وصنع ما يصنعه الولد بالوالد، والوالد بالولد، ثم ذكر إبراهيم لابنه إسماعيل أن الله أمره بأمر، فقال إسماعيل عليه السلام: اصنع ما أمرك ربك، فقال: وتعينني، قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً، وأشار

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥٨٠/١٩).

(٣) انظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور لحكمت بشير ياسين (٢٠٨/٤) [دار المآثر، المدينة النبوية، ط ١].

إلى أكمة مرتفعة على ما حولها .

فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].^(١)

- المسألة الرابعة: نشأة إسماعيل بمكة وزواجه:

لما أخرج الله ماء زمزم وعلمت به قبيلة جرهم استأذنوا أم إسماعيل في النزول قريباً منها، فسمحت لهم، ونشأ إسماعيل بينهم وتعلم العربية منهم، ولما شب تزوج منهم ثم طلقها بإشارة من أبيه، وتزوج بأخرى منهم، وعاش معها وكان من نسله النبي العربي ﷺ، وقد جاءت تفاصيل القصة من حديث ابن عباس الطويل في الصحيح، وفيه: «وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف»، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم - أو قال: لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عيناً معيناً»، قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها

الملك: لا تخافوا الضيعة؛ فإن ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول، فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك، حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم، مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جرياً أو جريين^(٢)، فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا، قال: وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك، فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس»، فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام، وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بشرٌ نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال:

(٢) الجري هو: الرسول، وسمي به لجريه وراء الحوائج. انظر: فتح الباري لابن حجر (١/٩٨).

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٦٤). وانظر: سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام ﷺ لصالح عبد الواحد (١/٥٧) مكتبة الغرباء الأثرية.

فأخبرته فسألني: كيف عشنا؟ فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال: ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «السيرة النبوية» (ج ١)، لابن هشام.
 - ٢ - «تفسير الطبري» (ج ٩، ١٩).
 - ٣ - «الأوائل»، لأبي الهلال العسكري.
 - ٤ - «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» (ج ١)، لابن الجوزي.
 - ٥ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤)، لابن تيمية.
 - ٦ - «زاد المعاد» (ج ١)، لابن القيم.
 - ٧ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.
 - ٨ - «صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير)»، لسليم الهلالي.
 - ٩ - «سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام» (ج ١)، لصالح عبد الواحد.
 - ١٠ - «الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور»، لحكمت بشير ياسين.
- (١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٦٢، ٣٣٦٣، ٣٣٦٤).

فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له: يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غير عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقني بأهلك، فطلقها وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد، فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله، فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شربكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء، قال النبي ﷺ: «ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه»، قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومريه يثبت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه فسألني عنك،

الناس في ساعة، فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة. أو: أنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم؛ فلقلة الوقت الذي تقوم فيه سماها ساعة^(٦).

فأشراط الساعة: هي علامات القيامة التي تسبقها وتدل على قربها^(٧). وقيل: «ما ينكره الناس من صغار أمورهم قبل أن تقوم الساعة»^(٨).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

دلالة المعنى اللغوي على المعنى الشرعي بيّنة، وذلك أن أشراط الساعة هي علاماتها التي تسبقها في الوقت للدلالة عليها.

سبب التسمية:

سميت بذلك لدلالاتها على قرب الساعة ووقوعها.

الأسماء الأخرى:

تسمى أيضًا: أمارات الساعة، والأمانة هي العلامة^(٩)، وهذه التسمية ثابتة من حديث جبريل عليه السلام المشهور، وفيه: «قال: فأخبرني عن أمارتها»^(١٠).

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٦١٤)، وتاج العروس (٢٤١/٢١) [دار الهداية].

(٧) أشراط الساعة (٧٤) [دار ابن الجوزي، ط٢٧، ١٤٣٠هـ].

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر (٦٣٧).

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٦).

(١٠) رواه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨).

أشراط الساعة

التعريف لغة:

الأشراط: جمع شَرَط، والمراد به العلامة التي تميز الشيء عن غيره. قال ابن فارس رحمته الله: «الشين والراء والطاء أصلٌ يدل على عَلَمٍ وعلامة»^(١). وأشراط الشيء أوائله، ومنه: شُروط السلطان، وهم خيار أصحابه المقدمون على غيرهم من أتباعه، جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها للأعداء^(٢).

والساعة: من مادة: (س.و.ع)، و«السين والواو والعين يدل على استمرار الشيء، ومُضَيِّه»^(٣)، والساعة سميت بذلك؛ لأنها تمضي وتستمر، والساعة: جزء من أجزاء الزمان^(٤).

التعريف شرعاً:

الأشراط: هي «العلامات التي يعقبها قيام الساعة»^(٥).

والمراد بالساعة: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسميت كذلك لأنها تفجأ

(١) مقاييس اللغة (٥٣٣) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩هـ].

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (٥٣٣)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٦٣٧) [مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ١٤٣٢هـ].

(٣) مقاييس اللغة (٤٧٦).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (٤٧٦)، ومفردات القرآن للراغب (٤٣٤) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ].

(٥) فتح الباري (٧٩/١٣).

رسول الله متى الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها»^(٣).

✽ أقوال أهل العلم:

قال الطحاوي رحمته الله: «ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها»^(٤). وقال أبو عمر الداني: «إن الإيمان واجب بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثبت بالنقل الصحيح، وتداول حمله المسلمون من ذكر وعيد الآخرة، وذكر الطوام، وأشراط الساعة، وعلاماتها، واقترباتها»^(٥). وقال السخاوي: «الوارد في أشراط الساعة وعلاماتها كثير، ومنه ما هو محتج به، ومنه ما لا يثبت»^(٦). وقال صديق حسن خان: «ويجب الإيمان بكل ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، وصح به الخبر عنه، مما شهدناه أو غاب عنا أنه صدق وحق، سواء في ذلك ما عقلناه، أو جهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه، وكان يقظة لا

وفي رواية: «قال: فأخبرني عن أماراتها»^(١). وتسمى كذلك: علامات الساعة، ثبت ذلك في حديث أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما عند النسائي، وفيه: «ولكن لها علامات تعرف بها»^(٢).

✽ الحكم:

الإيمان بأشراط الساعة واجب، فهي جزء من الإيمان باليوم الآخر الذي هو من أركان الإيمان.

✽ الأهمية:

الساعة غيب من غيب الله لا يعلم أحد بوقوعها إلا الله تعالى، لكن الله جعل لها علامات تدل على قربها، فالإيمان بوقوع هذه العلامات دليل على الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان.

✽ الأدلة:

هذه الأشراط قد ذكرها الله جملة في القرآن، فقال: ﴿فَهَلْ يُظُنُّونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]؛ أي: دنت. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه: قال: يا

(٣) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٧٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩).

(٤) شرح الطحاوية (٧٦٠) [الرسالة العالمية، ط ٢، ١٤٣٣هـ].

(٥) الرسالة الوافية (٢٤٣) [دار الإمام أحمد، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٦) القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٧٣)، [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٢هـ]، بتصرف.

(١) أخرجه أبو داود (كتاب القدر، رقم ٤٦٩٥)، والنسائي (كتاب الإيمان وشرائعه، رقم ٤٩٩٠)، وأحمد (٤٣٤/١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٨هـ]، وقال أحمد شاكر، في تعليقه على الحديث رقم (٣٦٧): إسناده صحيح.

(٢) أخرجه النسائي (كتاب الإيمان وشرائعه، رقم ٤٩٩١)، وصححه الألباني. إرواء الغليل (٣٣/١).

منامًا، ومن ذلك: أشراط الساعة^(١).

❁ الأقسام:

تنقسم أشراط الساعة إلى قسمين باعتبار وقت خروجها^(٢):

أ - أشراط صغرى: وهي التي تسبق الساعة وتتقدمها بأزمة بعيدة، مثل: قبض العلم، وتفشي الجهل، والتطاؤل في البنيان. وهي من حيث ظهورها على ثلاثة أنواع:

١ - أشراط ظهرت وانقضت، مثل: انشقاق القمر في عهد رسول الله ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما»^(٣).

٢ - أشراط ظهرت ولا تزال تظهر، وهي أغلب أشراط الساعة الصغرى، مثل التطاؤل في البنيان، كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما ذكر رسول الله ﷺ بعض أمارات الساعة، فقال: «وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاه يتطاولون في البنيان»^(٤).

(١) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (١٢٧) [تحقيق: عاصم القريوتي، ط ١، ١٤٠٤هـ].

(٢) ينظر: صحيح أشراط الساعة (٢١) [مكتبة السوادي، ط ٣، ١٤١٦هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٨٦٨)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨٠٠).

(٤) رواه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨).

ومثل: قبض العلم، وتفشي الجهل، وكثرة القتل، كما ورد في حديث عبد الله بن مسعود، وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن بين يدي الساعة أيامًا ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج» والهرج: القتل^(٥). وتفشي الجهل وقبض العلم إنما هو بموت العلماء، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد؛ ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهلًا فسئلوا؛ فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»^(٦).

٣ - أشراط لم تظهر بعد، مثل ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال ويفيض، وحتى يخرج الرجل بركة ماله فلا يجد أحدًا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا»^(٧). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنسن، ويكلم الرجل عذبة سوطه،

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧٠٦٢).

(٦) ومسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٧٢).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١٠٠)، ومسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٧٣).

(٨) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٥٧).

وتنقسم أشراط الساعة من حيث موافقتها للعادة، إلى قسمين:

أ - ما اعتاد الناس وقوعه؛ كالتطاول في البنيان، وتفشي الجهل، وقبض العلم.

ب - نوع غير معتاد، مثل طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة. قال ابن أبي العز رحمته الله: «خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف ثم مخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر فأمر خارج عن مجاري العادات» ^(٣).

✽ الثمرات:

- ١ - الاستعداد الدائم لليوم الآخر.
- ٢ - معرفة العبد أن خلقه لم يكن عبثاً.
- ٣ - أن الدنيا عبارة عن محطة للآخرة.

٤ - تحقق معجزة النبي محمد ﷺ، وصدقه في كل ما أخبر به ﷺ.

٥ - من صفات المؤمنين الإيمان بالغيب، وأشراط الساعة هي غيب بالنسبة للمؤمن حتى تقع.

✽ الحكمة:

شاء الله ﻋَﻠَﻴْكَ أن يكون موعد الساعة من الغيب الذي لم يطلع عليه أحد من عباده، إذ لو كان معلوماً لهم؛ لتكدت

وشرأك نعله، ويخبره فخذُه بما أحدث أهله بعده» ^(١).

ب - أشراط كبرى: وهي الآيات العظام التي تقارب قيام الساعة مقاربة وشيكة، وتلك الأشراط علامة لانتهاج الدنيا وانقضائها، وهي على قسمين:

١ - قسم يدل على قرب الساعة مثل: ظهور الدجال، ونزول عيسى ﷺ، وخروج يأجوج ومأجوج، والخسوف.

٢ - قسم يدل على حصولها، مثل: طلوع الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس ^(٢).

كما تنقسم أشراط الساعة باعتبار مكان وقوعها إلى قسمين:

أ - أشراط يكون وقوعها في السماء، مثل: انشقاق القمر، ومنها طلوع الشمس من مغربها.

ب - أشراط يكون وقوعها على الأرض وهي أكثر أشراط الساعة.

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢١٨١) وصححه، وأحمد (٣١٥/١٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم في المستدرک (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٤٤٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤١/٦) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ] وقال: «هذا إسناد صحيح»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٢).

(٢) ينظر: لوامع الأنوار البهية (١٤٠/٢) [المكتب الإسلامي، ومكتبة أسامة، والبحور الزاخرة في علوم الآخرة (٥٤٩/١) [دار غراس، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٣) شرح الطحاوية (٧٥٨) [مؤسسة الرسالة، ط٢].

ذلك، قال ابن أبي العز: «خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له: يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع»^(٤)، وقال ابن حجر: «قد شاع فاشياً عمل الصحابة والتابعين بخبر الواحد من غير تكبير؛ فاقترض الاتفاق منهم على القبول»^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»، لصديق خان.
- ٢ - «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.
- ٣ - «أشراط الساعة»، ليوسف الوابل.
- ٤ - «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج ٣)، للقرطبي.
- ٥ - «البحور الزاهرة في علوم الآخرة» (ج ١)، للسفاريني.
- ٦ - «شرح صحيح مسلم» (ج ١٨)، للنووي.
- ٧ - «صحيح أشراط الساعة»، لمصطفى أبو النصر الشلبي.
- ٨ - «فتح الباري» (ج ١٣)، لابن حجر.
- ٩ - «القناعة في ما يحسن الإحاطة

حياتهم، وتوقف نشاطهم، ولربما أصابهم اليأس والقنوط. لذا فإنه لا مصلحة للعباد في معرفة وقت الساعة؛ وإنما جعل الله دلائل وعلامات دالة عليها؛ ليكونوا من موعدها في حذر دائم واستعداد مستمر. قال القرطبي: «قال العلماء رحمهم الله: والحكمة في تقديم أشراط الساعة ودلالة الناس عليها: تنبيه الناس عن رقتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة؛ كيلا يعافصوا»^(١) بالحول بينهم وبين تدارك الفوارط منهم. فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانفطموا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها، والله أعلم»^(٢).

مذهب المخالفين:

ذهب بعض أهل الكلام وتبعهم بعض المعاصرين^(٣) إلى رد بعض أشراط الساعة؛ لأنها أخبار آحاد، وأن الآحاد لا تثبت بها العقائد بزعمهم، وهذه حجة واهية؛ إذ إن الأمة مجمعة على قبول خبر الآحاد، بل السلف مجمعون على

(١) غص الشيء: ثناه وعطفه، والمراد: أنه قد يقع للبعد ما يثنى عن أن يتدارك ما وقع منه من تفريط. ينظر: لسان العرب (٥٥/٧) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ].

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١٢١٧/٣).

(٣) ينظر: أشراط الساعة للوابل [دار ابن الجوزي، ط ٢٧، ١٤٣٠هـ].

(٤) شرح الطحاوية (٥٤١) [دار الرسالة العالمية، ط ٢، ١٤٣٣هـ].

فتح الباري (٢٣٤/١٣).

(٥) فتح الباري (٢٣٤/١٣).

من أشراف الساعة»، للسخاوي.
١٠ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ٢)،
للسفاريني.

الحكم:

١١ - «النهاية أو الفتن والملاحم»
(ج ١)، لابن كثير.
يجب إثبات صفة الأصابع لله ﷻ من
غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكيف ولا
تمثيل، لثبوتها عن النبي ﷺ.

الأصابع

الأدلة:

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمه الله: «الصاد والباء
والعين أصل واحد، ثم يستعار، فالأصل
إصبع الإنسان، واحدة أصابعه. قالوا:
هي مؤنثة. وقالوا: قد يذكّر»^(١).

والأصْبَعُ: واحدة الأصابع، يذكر
ويؤنث، وفيه لغات؛ يقال: إصْبَعُ،
بتثنية الهمزة، ومع كل حركة تُثَلَّثُ
الباء، فهذه تسع لغات، والعاشر:
أَصْبُوعٌ^(٢)، ويقال: صَبَعْتُ بفلانٍ وعلى
فلانٍ أَصْبَعُ صَبْعًا؛ إذا أشرت نحوه،
مغتائبًا له، وصَبَعْتُ فلانًا على فلان:
دلته عليه بالإشارة^(٣).

التعريف شرعًا:

الأصابع: صفة ذاتية خبرية ثابتة لله ﷻ

وفي لفظ آخر: «إذا كان يوم القيامة
جعل الله السماوات على إصبع،
والأرضين على إصبع، والشجر على
إصبع، والماء والثرى على إصبع،
وسائر الخلائق على إصبع فيقول:

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٣٣٠) [دار الجبل، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: القاموس المحيط (٧٣٦) [مؤسسة الرسالة،
ط ٨]، وتاج العروس (٣١٢/ ٢١) [دار الهداية].

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٣٣٠ - ٣٣١)، والصاح
(٣/ ١٢٤١) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ]،
ولسان العرب (٧/ ٢٧٩) [دار إحياء التراث العربي،
ط ٣، ١٤١٩هـ].

(٤) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية
لمحمد أمان جامي (٣٠٩) [الجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية، ط ٢، ١٤١٣هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، برقم ٧٥١٣)،
ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم
٢٧٨٦).

أنا الملك»^(١).

هذا الحديث صحيح، وإن الذي ذهبوا إليه في تأويل الإصبع لا يشبه الحديث؛ لأنه ﷺ قال في دعائه: «يا مقلب القلوب! ثبت قلبي على دينك». فقالت له إحدى أزواجه: أو تخاف يا رسول الله على نفسك؟ فقال: «إنَّ قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله ﷻ»، فإن كان القلب عندهم بين نعمتين من نعم الله تعالى؛ فهو محفوظ بتينك النعمتين؛ فلا شيء دعا بالتشيت؟ ولم احتج على المرأة التي قالت له: أتخاف على نفسك؟ بما يؤكد قولها؟ وكان ينبغي أن لا يخاف إذا كان القلب محروساً بنعمتين. فإن قال لنا: ما الإصبع عندك ها هنا؟ قلنا: هو مثل قوله في الحديث الآخر: «يحمل الأرض على إصبع»، وكذا على إصبعين، ولا يجوز أن تكون الإصبع ها هنا نعمة، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، ولم يجز ذلك. ولا نقول: إصبع كأصابعنا، ولا يد كأيدنا، ولا قبضة كقبضاتنا؛ لأن كل شيء منه ﷻ لا يشبه شيئاً منّا»^(٥).

وقال ابن خزيمة في كتابه «التوحيد»: «باب إثبات الأصابع لله ﷻ»، وذكر بأسانيده ما يثبت ذلك، ثم قال:

(٥) تأويل مختلف الحديث (٣٠٣) [المكتب الإسلامي، ط ٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكسر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». فقلت: يا رسول الله آمناً بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كما يشاء»^(٢).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: «الميزان بيد الرحمن إن شاء يرفع أقواماً ويضع آخرين، وقلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه»^(٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن»^(٤).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن قتيبة رحمه الله: «ونحن نقول: إنَّ

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، برقم ٤٨١١)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم ٢٧٨٦).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب القدر، رقم ٢١٤٠) وحسنه، وأحمد (١٦٠/١٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٨٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ١٩٩)، وأحمد في مسنده (١٧٨/٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم في المستدرک (كتاب الدعاء، رقم ١٩٢٦) وصححه على شرط مسلم، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٦/٥).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٤).

قال عبد الله بن مانع: سألت شيخنا - يعني: ابن باز رَحِمَهُ اللهُ - عن حديث إثبات الأصابع لله هل هو للحصر، وأن الأصابع خمس؟

الجواب: «نعم؛ لأن الأصابع استوعبت الخلائق، وسائر الخلق على إصبع»^(٤).

- المسألة الثانية: بيان معنى قول النبي ﷺ: «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن»:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأما قوله: «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن»: فإنه ليس في ظاهره أن القلب متصل بالأصابع، ولا مماس لها، ولا أنها في جوفه، ولا في قول القائل: هذا بين يدي ما يقتضي مباشرته ليديه، وإذا قيل: السحاب المسخر بين السماء والأرض، لم يقتض أن يكون مماساً للسماء والأرض، ونظائر هذا كثيرة»^(٥).

مذهب المخالفين:

أنكر اتصاف الله تعالى بالأصابع: الجهمية المعطلة ومن سار على طريقتهم من معتزلة وأشاعرة وغيرهم، فمنهم من نفى ثبوت الخبر بها، ومنهم من لم يسعه إنكار الخبر فأول الصفه على المجاز؛

«والصواب والعدل في هذا الجنس مذهباً، مذهب أهل الآثار ومتبعي السنن، واتفقوا على جهل من يسميهم مشبهة، إذ الجهمية المعطلة جاهلون بالتشبيه كيف يكون مشبهاً من يثبت لله أصابع على ما بينه النبي المصطفى ﷺ للخالق الباري»^(١).

وقال الآجري: «باب الإيمان بأن قلوب الخلائق بين إصبعين من أصابع الرب ﷻ، بلا كيف»^(٢).

وقال البغوي: «والإصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله ﷻ، وكذلك كل ما جاء به الكتاب أو السنة من هذا القبيل من صفات الله تعالى؛ كالنفس، والوجه، والعين، واليد، والرجل، والإتيان، والمجيء، والنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك، والفرح»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: عدد الأصابع لله ﷻ:

ورد في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ السابق ذكر خمسة أصابع، وهذا مما يفيد أن الله تعالى خمسة أصابع.

(١) كتاب التوحيد (١/١٩١) [مكتبة الرشد، ط١].

(٢) الشريعة للأجري (٣/١١٥٦) [دار الوطن، ط١].

(٣) شرح السنة (١/١٦٨) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٤) مسائل الإمام ابن باز (٣٧) [دار التدمرية، ط١].

(٥) مجموع الفتاوى (٣/٤٥).

المصادر والمراجع:

١ - «أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات»، لمرعي بن يوسف الكرمي.

٢ - «بيان تلبيس الجهمية»، لابن تيمية.

٣ - «تأويل مختلف الحديث»، لابن قتيبة الدينوري.

٤ - «التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ»، لابن خزيمة.

٥ - «شرح السنة»، للبخاري.

٦ - «الشرعة»، لأبي بكر الآجري.

٧ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة»، لمحمد أمان جامي.

٨ - «الصفات الإلهية»، لمحمد خليفة التميمي.

٩ - «صفات الله ﷻ»، لعلوي السقاف.

١٠ - «العلو للعلي الغفار»، للذهبي.

فقالوا: هي النعمة، أو القدرة، كما أولوا اليدين بذلك، أو أنها إصبع للملائكة ونحو ذلك^(١).

وبطلان مذهبهم يتبين بما يأتي:

الأول: أن إطلاق لفظ الأصابع على القدرة أو النعمة خلاف الأصل، وهو خلاف الظاهر.

الثاني: أن تأويل الأصابع بالقدرة أو النعمة صرف للفظ عن الأصل والظاهر بغير دليل وهو مردود.

الثالث: أن الأحاديث الواردة في ذكر الأصابع لا تحتل تأويلها بالقدرة، أو النعمة؛ لأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه، ولا يمكن أن يقال هي بين نعمتين، أو قدرتين.

الرابع: وكذلك ما ورد أنه يضع الخلائق على إصبع، ونحو ذلك، يمنع تأويلها بالقدرة، أو النعمة^(٢).

وحاصل الرد عليهم: هو أن من تأول الأصابع بالقدرة، والنعمة، يرد عليه بمثل من تأول اليد بالنعمة، أو القدرة.

أصحاب الكبيرة

يراجع مصطلح (الكبيرة).

أصحاب اليمين

يراجع مصطلح (مراتب المؤمنين).

(١) يُنظر: الأسماء والصفات للبيهقي [دار الجيل، ط ١].

(٢) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص ٣٠٣)، وبيان تلبيس الجهمية (٣٧٢/٧ - ٣٧٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١]، ومختصر الصواعق المرسلات للموصلي (٣٩١ - ٣٩٩)، والعقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية لأحمد بن حجر البعلبي (١١٥/١ - ١١٦).

والعملية كالصلاة والزكاة وغيرهما .

يقول شيخ الإسلام: «أصول الدين إما أن تكون مسائل يجب اعتقادها قولاً، أو قولاً وعملاً؛ كمسائل التوحيد، والصفات، والقدر، والنبوة، والمعاد، أو دلائل هذه المسائل»^(٥). وقال أيضاً: «بل الحق أن الجليل من كل واحد من الصنفين»^(٦) مسائل أصول، والدقيق مسائل فروع، فالعلم بوجوب الواجبات؛ كمباني الإسلام الخمس، وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة؛ كالعلم بأن الله على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وأنه سميع بصير، وأن القرآن كلام الله، ونحو ذلك من القضايا الظاهرة المتواترة؛ ولهذا من جحد تلك الأحكام العملية المجمع عليها كفر، كما أن من جحد هذه كفر»^(٧).

وهناك منحيان لما يشمل مصطلح أصول الدين من مسائل:

الأول: أن أصول الدين: اسم لكل ما اتفقت فيه الشرائع مما لا ينسخ ولا يغير؛ سواء كان علمياً أو عملياً. ويدخل فيه عبادة الله وحده ومحبته وخشيته.

(٥) مجموع الفتاوى (٣/٢٩٥) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ]، وانظر: درء التعارض (١/٢٧) [مكتبة ابن تيمية].

(٦) أي المسائل الخيرية والعملية.

(٧) مجموع الفتاوى (٦/٥٦ - ٥٧).

أصول الدين

التعريف لغة:

الأصل: واحد الأصول، وهو أساس الشيء^(١). وفي تهذيب اللغة: «الأصل أسفل كل شيء، ويقال: استأصلت هذه الشجرة؛ أي: ثبَّت أصلها»^(٢).

أما الدين: فيقول ابن فارس: «الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها، وهو جنس من الانقياد والذل، فالدين: الطاعة، يقال: دَانَ له يدين ديناً، إذا أَصْحَبَ وائقاد وطاع»^(٣). والدين: الجزاء والمكافأة، والطاعة، والدين الإسلام، والدين: العادة والشأن، تقول العرب: ما زال ذلك ديني وديديني؛ أي: عادتي^(٤). ولم يرد مصطلح أصول الدين بهذا التركيب في لغة العرب، لكن معناه بحسب مفرداته: أساس الدين، وأساس الإسلام والانقياد.

التعريف اصطلاحاً:

أصول الدين: هي المسائل الكبار من الأمور الاعتقادية والعملية؛ الاعتقادية؛ كالعلم بالله وأسمائه وصفاته ونحوها،

(١) انظر: الصحاح (٤/١٦٢٣) [دار العلم للملايين، ط ٣]، مقاييس اللغة (١/١٠٩) [دار الجيل، ط ١].

(٢) تهذيب اللغة (٤/٢٢٣) [الدار المصرية للتأليف].

(٣) مقاييس اللغة (٢/٣١٩).

(٤) انظر: لسان العرب (١٣/١٦٩) [دار صادر].

الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، ولأن حاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، ولأنه لا بُدَّ للعبد من معرفة ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، كما أن العقيدة الصحيحة تعصم الدم والمال، وتمنع صاحبها من الخلود في النار^(٣)؛ بل إن أعمال العبد لا تنفعه مهما كثرت إلا مع العقيدة الصحيحة.

✽ المسائل المتعلقة:

انتقد ابن تيمية وابن القيم تقسيم الدين إلى أصول وفروع، وذكروا أنه تقسيم بدعي، مأخوذ عن المعتزلة وغيرهم من المتكلمين. يقول ابن تيمية: «وجماهير أئمة الإسلام ما قسموا المسائل إلى مسائل أصول يكفر بإنكارها، ومسائل فروع لا يكفر بإنكارها. فأما التفريق بين نوع وتسميته مسائل الأصول، وبين نوع آخر وتسميته مسائل الفروع، فهذا الفرق ليس له أصل لا عن الصحابة، ولا عن التابعين لهم بإحسان، ولا أئمة الإسلام، وإنما هو مأخوذ عن المعتزلة، وأمثالهم من أهل البدع، وعنهم تلقاه من ذكره من الفقهاء في كتبهم، وهو تفريق متناقض»^(٤).

وهذا اصطلاح غلب على أهل الحديث والتصوف وعليه أئمة الفقهاء وطائفة من أهل الكلام.

الثاني: أن أصول الدين: هي الاعتقاد والعلم بالله، ولا يتعلق بالعمل. وهذا اصطلاح كثير من المتفكّهة والمتكلمة المتأخرين، وإن اختلفت مقاصدهم^(١).

وأصول الدين: لفظ مجمل، حقيقة معناه عند أهل السُّنة، تختلف عن مراد مخالفهم، بناء على الاختلاف بينهم في بعض مسائل الاعتقاد، ولما يدخله المتكلمون من البدع في أصول الدين.

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الصلة واضحة بينهما، فالأصل في اللغة الأساس، وكذا علم العقيدة هو أساس الدين.

✽ الأسماء الأخرى:

السُّنة، العقيدة، الشريعة، علم الأصول، الفقه الأكبر، التوحيد، ويخصه المتكلمون بعلم الكلام^(٢).

✽ المنزلة:

علم أصول الدين أشرف العلوم؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه

(٣) انظر: شرح الطحاوية (٥/١ - ٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٢٣/٣٤٦)، (٦/٥٦)، وانظر:

مختصر الصواعق (٢/٥٠٩ - ٥١٠) [دار الندوة الجديدة، ١٤٠٥هـ].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٩/١٣٤) بتصرف.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٩/١٣٤، ٣٠٧).

وهذا النقد يحتاج إلى توضيح وتعليل؛ لأننا نجد أن هذا المصطلح (أصول الدين) وارد عند بعض السلف المتقدمين^(١)، بل شيخ الإسلام يستخدم هذا الاصطلاح كثيرًا في التعبير عن مسائل الاعتقاد، وكذلك ابن القيم^(٢)؛ لذا يفسر انتقادهم لهذا التقسيم بالنظر للأسباب الباعثة عليه وهي:

أولاً: ما يريده المتكلمون بأصول الدين، وما أدخلوه فيه من الباطل من نفي الصفات والقدر، والكلام في الجواهر والأعراض ونحوها من الألفاظ المحدثه، التي فيها ما يناقض أصول الدين.

ثانيًا: ما ترتب عند المتكلمين على هذا التقسيم حيث كفروا من ينكر الأصول، ولم يكفروا منكر الفروع، وهو تفريق باطل^(٣).

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لللكاني (١٩٨/١) [دار طيبة، ط١]، ورد الإمام الدارمي على بشر المريسي (١٤١) [دار الكتب العلمية]، واعتقاد أهل السنة للإسماعيلي (٥٥) [دار الريان، ط١، ١٤١٣هـ]، والإبانة لابن بطة (٥٥٨/٢) [دار الراية، ط٢، ١٤١٥هـ].

(٢) انظر على سبيل المثال: مجموع الفتاوى (٣/٣٤١)، (٣٥٥/١٠)، ودرء التعارض (٤١/١)، (٧٣)، والصواعق المرسلة (٣٤٨/١) [دار العاصمة، ط٣، ١٤١٨هـ]، وإعلام الموقعين (٣٧٥/٤) [دار الجيل، ١٩٧٣].

(٣) مجموع الفتاوى (٣٤٦/٢٣)، (٥٦/٦ - ٥٧)، وانظر: مختصر الصواعق (٥٠٩/٢ - ٥١٠)، ومسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه

المصادر والمراجع:

١ - «التعريفات الاعتقادية»، لسعد آل عبد اللطيف.

لخالد عبد اللطيف (٤٠/١) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٥٦/٦ - ٥٧)، (٢٩٥/٣)، ودرء التعارض (٢٧/١).

(٥) انظر: أصول الدين للبغدادي، ومعالم أصول الدين، والأربعون في أصول الدين، والمسائل الخمسون في أصول الدين، ثلاثتها للرازي.

(٦) درء التعارض (٣٨/١).

٢ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ١)، لابن تيمية. فيه. واعتصم العبدُ بالله تعالى، إذا امتنع. واستعصم: التجأ^(١).

٣ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز.

٤ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٩، ٢٣)، لابن تيمية.

٥ - «مختصر الصواعق المرسله»، للموصلي.

التعريف شرعاً:

٦ - «مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه» (ج ١)، لخالد عبد اللطيف.

٧ - «أصول الدين»، للبغدادى.

٨ - «معالم أصول الدين»، للرازي.

٩ - «الأربعون في أصول الدين»، للرازي.

١٠ - «المسائل الخمسون في أصول الدين»، للرازي.

الاعتصام بالكتاب والسنة

التعريف لغة:

والرد إلى الله تعالى هو الرد إلى كتابه. والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه نفسه في حياته، والرد إلى سنته بعد وفاته. وهذا التفسير مجمع عليه بين أهل العلم^(٤).

الاعتصام: مشتق من الفعل: عَصَمَ، وهو لمعنى الإمساك والملازمة والمنع.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «عصم: العين والصاد والميم أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على إمساكٍ ومنعٍ وملازمة. والمعنى في ذلك كله معنى واحد، من ذلك العَصْمَةُ: أن يعصم الله تعالى عبده من سوءٍ يقع

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٣٣١)، [دار الجيل، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: لسان العرب (١٢/ ٤٠٤) [دار صادر، ط ١].

(٣) فتح القدير (١/ ٥٣٠) [دار الفكر].

(٤) حكى هذا الإجماع ابن القيم كما في: إعلام الموقعين (١/ ٤٩، ٢٢٧) [دار الجيل]، وانظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٠٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وجامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٨٧) [دار الكتب =

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنى الشرعي للاعتصام بالكتاب والسنة لا يخرج عن عموم المعنى اللغوي للاعتصام.

فمن معاني الاعتصام في اللغة: الإمساك والمنع، وكذا المعتصم بالكتاب والسنة، فإنه مستمسك بهديهما، وملازم لهما، تلاوة وتعلماً، وتفكيراً وتدبراً، وقولاً وعملاً، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف].

ومن معاني العصمة أيضاً: المنع والحفظ، وكذا المعتصم بالله، فإنه ممتنع به، فهو يرجو باعتصامه أن يمنعه الله من الزيغ والضلال، وأن يحفظه في دينه ودنياه، والعصمة من معانيها الحفظ^(١).

الحكم:

لقد اتفق أهل السنة والجماعة على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة، والرد إليهما عند النزاع، وأنه لا يسوغ لأحد أن يتبع ما ورد على عقله وقلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة، وخصوصاً في أبواب الاعتقاد^(٢).

قال الشوكاني رحمه الله: «اعلم أنه إذا وقع الخلاف بين المسلمين في أن هذا الشيء بدعة أو غير بدعة، أو مكروه أو غير مكروه، أو محرم أو غير محرم، أو غير ذلك، فقد اتفق المسلمون - سلفهم وخلفهم - من عصر الصحابة إلى عصرنا هذا - وهو القرن الثالث عشر منذ البعثة المحمدية - أن الواجب عند الاختلاف في أي أمر من أمور الدين بين الأئمة المجتهدين هو الرد إلى كتاب الله سبحانه، وسنة رسوله ﷺ، الناطق بذلك الكتاب العزيز: ﴿فَإِنْ لَنُزَعَمَنَّ فِي شَيْءٍ فَرْدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، ومعنى الرد إلى الله سبحانه: الرد إلى كتابه، ومعنى الرد إلى رسوله ﷺ: الرد إلى سنته بعد وفاته، وهذا مما لا خلاف فيه بين جميع المسلمين»^(٣).

وأما من ترك هذا الأصل، فإنه على خطر عظيم، كما قال الإمام أحمد رحمه الله: «من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة»^(٤).

يقول ابن حزم رحمه الله: «فلم يسع مسلماً يقر بالتوحيد أن يرجع عند التنازع إلى غير القرآن والخبر على رسول الله ﷺ،

(٣) شرح الصداور بتحريم رفع القبور، ضمن الجامع الفريد للشوكاني (٥٩٣) [مطبعة العبيكان، ط ٣، ١٤٠٨هـ].

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٩٧/١١) [مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤١٣هـ].

= العلمية، ١٣٩٨هـ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/٣٥)، وأضواء البيان للشنقيطي (٢٠٠/٤) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(١) انظر: لسان العرب (١٢/٤٠٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢٠٩/١١) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢].

وإذا أخبرك عن شيء أنزلته منزلة ما تراه بعينك، وإذا أخبرك عن الله بخبر أنزلته منزله ما تسمعه من الله بإذنك، وبالجمله فتجعل الرسول شيخك وأستاذك ومعلمك ومربيك ومؤدبك، وتسقط الوسائط بينك وبينه إلا في التبليغ، كما تسقط الوسائط بينك وبين المرسل في العبودية، ولا تثبت وساطة إلا في وصول أمره ونهيه ورسالته إليك، وهذان التجريدان هما حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والله وحده هو المعبود المألوه الذي لا يستحق العبادة سواه، ورسوله المطاع المتبع المهتدى به، الذي لا يستحق الطاعة سواه، ومن سواه فإنما يطاع إذا أمر الرسول بطاعته، فيطاع تبعاً للأصل، وبالجمله فالطريق مسدودة إلا على من اقتفى آثار الرسول، واقتدى به في ظاهره وباطنه»^(٢).

والرد إلى الكتاب والسنة والاعتصام بهما يتضمن أموراً عدة، من أهمها ما يلي:

١ - الاعتقاد الجازم بأنه لا يتحقق إسلام المرء إلا بالإيمان اليقيني التام بما جاء في القرآن وصح في السنة (المتواترة أو الأحاد)، والقطع التام بصدق ما فيهما، وأن الباطل لا يتطرق إليهما بحال.

ولا أن يأبى عما وجد فيهما، فإن فعل ذلك بعد قيام الحجة عليه فهو فاسق، وأما من فعله مستحلاً للخروج عن أمرهما، وموجباً لطاعة أحد دونهما فهو كافر، لا شك عندنا في ذلك، وقد ذكر محمد بن نصر المروزي أن إسحاق بن راهويه كان يقول: من بلغه عن رسول الله ﷺ خبر يقر بصحته ثم رده بغير تقية فهو كافر»^(١).

الحقيقة:

بيّن ابن القيم حقيقة هذا الأصل الأصل من أصول العبودية لله بقوله: «وحقيقتها - يعني: طريق العبودية - التأدب بآداب رسول الله باطنًا وظاهرًا، وتحكيمه باطنًا وظاهرًا، والوقوف معه حيث وقف بك، والمسير معه حيث سار بك، بحيث تجعله بمنزلة شيخك الذي قد ألقيت إليه أمرك كله، سره وظاهره، واقتديت به في جميع أحوالك، ووقفت مع ما يأمر بك به، فلا تخالفه البتة، فتجعل رسول الله لك شيخًا وإمامًا وقُدوةً وحاكمًا، وتعلق قلبك بقلبه الكريم، وروحانيتك بروحانيته، كما يعلق المريد روحانيته بروحانية شيخه، فتجيبه إذا دعاك، وتقف معه إذا استوقفك، وتسير إذا سار بك، وتقبل إذا قال، وتنزل إذا نزل، وتغضب لغضبه، وترضى لرضاه،

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ١٤٣ - ١٤٤) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(١) الإحكام (١/ ٩٥) [دار الحديث، ط ١، ١٤٠٤هـ].

٢ - الوقف في الاستدلال في أبواب الاعتقاد على ما جاء في الكتاب وصح في السنة.

قال الإمام أحمد رحمته الله: «ولا يوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ... ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك، نؤمن بالقرآن كله، محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنعته»^(١).

وقال السجزي رحمته الله: «وقد اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفًا، وكذلك شرحها لا يجوز إلا بتوقيف... ولا يجوز أن يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ»^(٢).

وقال ابن القيم رحمته الله: «فقد استدل النبي ﷺ على مسائل أصول الدين بالقرآن، وأرشد الصحابة لاستنباطها منه، خلافاً لمن زعم أن كلام الله ورسوله لا يفيد العلم بشيء من أصول الدين، ولا يجوز أن تستفاد معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله منه، وعبر عن ذلك بقوله: الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين!»^(٣).

(١) ذم التأويل لابن قدامة (٢٢) [الدار السلفية، ط١].

(٢) الرد على من أنكر الحرف والصوت (١٢١) [دار الراية، ط١، ١٤١٤هـ].

(٣) التبيان في أقسام القرآن (٤١) [دار الفكر] بتصرف يسير.

٣ - الانقياد والالتزام بما ورد فيهما من أوامر ونواه؛ أي: أن يعتقد المسلم أنه مخاطب بتلك الأوامر والنواهي، داخل تحت خطاب الشارع.

٤ - أن يكون المرجع عند التنازع إلى ما جاء فيهما.

٥ - عدم الاحتكام في شيء من أمور الدين إلى ما سواههما، من الآراء الفاسدة، أو الكتب السابقة المنسوخة المحرفة.

قال الإمام الشافعي رحمته الله: «حرام على العقول أن تمثل الله تعالى، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى الخواطر أن تحيط، وعلى العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسه في كتابه، أو على لسان نبيه ﷺ»^(٤).

٦ - أن ما عارض الكتاب والسنة من الآراء أو الحجج فإنه يجزم ببطلانه، حتى وإن لم يتبين للناظر الرد التفصيلي على ذلك المعارض، بل مجرد تحقق المعارضة كافٍ في الحكم عليه بالبطلان.

قال ابن تيمية رحمته الله: «وأما خبر الله ورسوله فهو صدق موافق لما الأمر عليه في نفسه، لا يجوز أن يكون شيء من

(٤) ذم التأويل لابن قدامة (٢٣).

التفاوت الذي بين العامة وأهل العلم بالطب»^(٢).

٨ - ومن تمام الاعتصام بالكتاب والسنة: مراعاة الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة، وخصوصاً ما يتعلق بأمور الغيب، وعدم استعمال الألفاظ والمصطلحات المحدثثة في ذلك، خصوصاً إذا كانت محتملة لمعنى غير صحيح، ف«أهل السنة والحديث فيهم رعاية لألفاظ النصوص وألفاظ السلف»^(٣).

قال ابن تيمية: «وباب الأسماء والصفات يتبع فيها الألفاظ الشرعية، فلا نطلق إلا ما يرد به الأثر»^(٤).

المنزلة:

لا شك أن الرد إلى الكتاب والسنة والاعتصام بهما من أعلى مقتضيات الإيمان وموجباته، بل هو أساس دين الإسلام، إذ هو لازم الإقرار بالشهادتين، وهو معنى أن يكون الإنسان قد رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

قال الطحاوي في عقيدته: «إنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله ﷻ ولرسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه عليه

أخباره باطلاً ولا مخالفاً لما هو الأمر عليه في نفسه، ويعلم من حيث الجملة أن كل ما عارض شيئاً من أخباره وناقضه فإنه باطل، من جنس حجج السوفسطائية، وإن كان العالم بذلك قد لا يعلم وجه بطلان تلك الحجج المعارضة لأخباره، وهذه حال المؤمنين للرسول الذين علموا أنه رسول الله الصادق فيما يخبر به، يعلمون من حيث الجملة أن ما ناقض خبره فهو باطل، وأنه لا يجوز أن يُعارض خبره دليل صحيح، لا عقلي ولا سمعي»^(١).

٧ - وحتى لو وجد الإنسان من عقله - القاصر - منازعة لشيء مما جاء في الكتاب وصح في السنة، فإنه لا يلتفت إليه، بل يقطع ببطلان هذا الوارد العقلي، ويقطع بصدق الكلام الشرعي.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فإذا علم الإنسان بالعقل أن هذا رسول الله، وعلم أنه أخبر بشيء، ووجد في عقله ما ينازعه في خبره، كان عقله يوجب عليه أن يسلم موارد النزاع إلى من هو أعلم به منه، وأن لا يقدم رأيه على قوله، ويعلم أن عقله قاصر بالنسبة إليه، وأنه أعلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته واليوم الآخر منه، وأن التفاوت الذي بينهما في العلم بذلك أعظم من

(٢) درء التعارض (١/١٤١).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٢/١١٠) [مطبعة الحكومة، ط ١، ١٣٩٢هـ].

(٤) قاعدة في المجبة (٥٣) [دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(١) درء التعارض (٥/٢٥٥) [طبعة جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٣هـ].

نصوصه، ولا نحرف كلامه عن حقيقته
لخيال يسميه أصحابه معقولاً»^(٢).

الأدلة:

لقد تكاثرت وتواترت الأدلة من
الكتاب والسنة في الأمر بالاعتصام
بكتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، تصديقاً
لأخبارهما، وطاعة لأوامرهما، وكفّاً عن
نواهيهما، وردّاً عند التنازع إليهما، ومن
ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١١) يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تُؤْمِنُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران].

٢ - وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسُيِّدْ لَهُمْ فِي رَحْمَةِ مَنَّهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (١٧٥) [النساء].

٣ - وقوله: ﴿فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٨٨) [الحج].

٤ - وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩) [النساء].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية:

إلى عالمه»^(١). وقال ابن أبي العز في شرحه: «أي: سلّم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة... فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً، أو نحمله شبهة أو شكاً، أو نقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فنوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما نوحّد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما، توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا نحاكم إلى غيره، ولا نرضى بحكم غيره، ولا نوقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه، وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه... بل إذا بلغه الحديث الصحيح يعد نفسه كأنه سمعه من رسول الله ﷺ، فهل يسوغ أن يؤخر قبوله والعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وكلامه ومذهبه، بل كان الفرض المبادرة إلى امتثاله من غير التفات إلى سواه، ولا يستشكل قوله لمخالفته رأي فلان، بل يستشكل الآراء لقوله، ولا يعارض نصّه بقياس، بل نهدر الأقيسة ونتلقى

(١) الطحاوية مع شرح ابن أبي العز (٢٠٤) [المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٣٩١هـ].

(٢) المرجع السابق (٢١٦ - ٢١٨).

وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ [النور].

٨ - وقد ذم الله المنافقين بتركهم لهذا الأصل، وصدودهم عن الرد إلى الله والرسول، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [التوبة]... إلى قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة].

٩ - وروى مالك في «الموطأ»؛ أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتما بهما: كتاب الله وسنة نبيه»^(١).

قال ابن عبد البر عن هذا الحديث: «وهذا أيضًا محفوظ معروف مشهور عن النبي ﷺ عند أهل العلم شهرة يكاد

قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله».

وهذا أمر من الله ﷻ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ أي: ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٥٩﴾.

٥ - وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال].

٦ - وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

٧ - ولقد وصف الله المؤمنين بتمام استجابتهم وسمعتهم وطاعتهم عندما يُدْعَوْنَ إلى الرد لله وللرسول ﷺ، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا

(١) الموطأ (كتاب القدر، رقم ٣٣٣٨) [مؤسسة زايد بن سلطان، ط ١]، وفي سنده انقطاع، لكن له شاهد من حديث ابن عباس عند الحاكم (كتاب العلم، رقم ٣١٨)، وقد قواه به الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠/٤).

أقوال أهل العلم:

قال الإمام مالك بن أنس رحمته الله: «السنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»^(٣).

وقال الإمام الشافعي رحمته الله: «آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله»^(٤).

وقال ابن عبد البر رحمته الله: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوفاً في كتاب الله، أو صح عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له، ولا يناظر فيه»^(٥).

قال أبو سليمان الداراني رحمته الله: «إنه ليقع في قلبي النكته من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسنة»^(٦).

وقال أبو القاسم الجنيد رحمته الله: «علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح

يستغني بها عن الإسناد، وروي في ذلك من أخبار الآحاد أحاديث من أحاديث أبي هريرة وعمر بن عوف...» ثم روى بسنده حديثاً «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني قد خلفت فيكم اثنتين لن تضلوا بعدهما أبداً: كتاب الله وسنتي»^(١).

كما أن إجماع الأمة قد دلّ على هذا الأصل، وقد سبق تقرير ذلك، وقد أشار الإمام الشافعي رحمته الله إلى هذا الإجماع، حيث قال: «ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحداً أخبر عن رسول الله ﷺ إلا قيل خبره، وانتهى إليه، وأثبت ذلك سنة»^(٢).

إلى أن قال: «وصنع ذلك الذين بعد التابعين، والذين لقيناهم، كلهم يثبت الأخبار ويجعلها سنة، يُحمد من تبعها ويُعاب من خالفها، فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارق سبيل أصحاب النبي ﷺ وأهل العلم بعدهم إلى اليوم، وكان من أهل الجهالة» انتهى.

(٣) ذكره الزواوي في مناقب مالك (١٤٨) [مكتبة طيبة، ١٤١١هـ]، والسيوطي في مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (١٢٩) [دار الهادي النبوي، الكويت].

(٤) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢/٤) (٣٥٤/٦).

(٥) جامع بيان العلم وفضله (٩٦/٢).

(٦) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢١٠/١١)، والصفدية (٢٥٣/١) [دار الفضيلة، ١٤٢١هـ]، ومدارج السالكين لابن القيم (١٤٢/٣).

(١) التمهيد (٣٣١/٢٤) [طبعة وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧هـ].

وأخرجه أيضاً البزار في مسنده (٣٨٥/١٥) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، والحاكم (كتاب العلم، رقم ٣١٩).

قال الهيثمي: فيه صالح بن موسى الطلحي، وهو ضعيف. مجمع الزوائد (١٦٣/٩) [مكتبة القدسي].

(٢) الأم للشافعي (١٥١/٢)، وانظر: مفتاح الجنة للسيوطي (٥٤) [تحقيق: أشرف عبد المقصود].

له أن يتكلم في علمنا» أو قال: «لا يقتدى به»^(١).

يشمر ثمرات عظيمة، ومنها:
١ - تحقيق الإيمان التام بالله واليوم الآخر.

٢ - الاهتداء التام إلى الحق التام، والعصمة من الضلال، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ أَلْبَلُغُ الْمُبِينِ﴾ [النور: ٥٤]. وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

قال ابن القيم رحمه الله: «ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه ولم يكن كافياً = لم يأمر بالرد إليه؛ إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فضل النزاع»^(٥).

٣ - نيل الخيرية المطلقة، والعاقبة الحسنة.

٤ - الفوز برحمة الله.

٥ - الفوز العظيم بثواب الله وجناته، والنجاة من أليم عقابه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٦١]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «على كل مسلم أن ينظر فيما أمر الله به ورسوله فيفعله، وما نهى الله عنه ورسوله فيتركه، هذا هو طريق الله وسبيله ودينه، الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين»^(٢).

وقال رحمه الله حاكياً الإجماع على هذا الأصل: «بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء، أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعتة لرسول الله، وموافقته لأمره ونهيه»^(٣).

وقال: «فأما المستقيمون من السالكين كجمهور مشايخ السلف... فهم لا يسوغون للسالك - ولو طار في الهواء أو مشى على الماء - أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين، بل عليه أن يفعل المأمور، ويدع المحذور إلى أن يموت، وهذا هو الحق الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف»^(٤).

الثمرات:

الاعتصام بالكتاب والسنة والردُّ إليهما

(١) مجموع الفتاوى (١١/٢١٠)، والصفدية (١/٢٥٤)،

ومدارج السالكين (٣/١٤٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٢٦).

(٣) المصدر السابق (١١/٢١٤).

(٤) المصدر السابق (١٠/٥١٦ - ٥١٧).

ب - تحقيق الاقتداء الصحيح بأئمة الإسلام، حيث إنهم قد أوصوا أتباعهم وتلاميذهم بمتابعة الدليل، وطرح أقوالهم إذا دلّ الدليل على خلافها^(٢).

الآثار:

لقد كان تمسك أهل السنة والجماعة بالكتاب والسنة، والرد إليهما من أعظم مَن الله عليهم، وقد أثمر لديهم ذلك سلامة منهجهم، واستقامة طريقهم، واجتماع كلمتهم على الحق والهدى

قال قوام السنة الأصبهاني: «السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة، وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء، فأورثهم الافتراق والاختلاف، فإن النقل والرواية من الثقات والمتقين قلما يختلف، وإن اختلف في لفظ أو كلمة فذلك اختلاف لا يضر الدين ولا يقدح فيه، وأما دلائل العقل فقلما تتفق، بل عقل كل واحد يري صاحبه غير ما يرى الآخر، وهذا بين والحمد لله»^(٣).

وقال ابن تيمية: «وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم - يعني: أهل السنة - : اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من

٦ - السلامة من الاختلاف والنزاع والشقاق، وتحقيق الجماعة والألفة، ونبذ الفرقة والاختلاف، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال]، وذلك أن الناس «متى تركوا الاعتصام بالكتاب والسنة فلا بد أن يختلفوا، فإن الناس لا يفصل بينهم إلا كتاب منزل من السماء، كما قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة]»^(١).

٧ - السلامة من الفتنة والعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور].

٨ - أن الرجوع فيما تنازع فيه الأئمة الأعلام إلى الكتاب والسنة، وجعلهما الميزان لصحيح الأقوال وسقيمتها، ونبذ التعصب لما سواهما يحقق أمرين:

أ - معرفة الحق في المسائل المختلف

فيها.

(٢) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة (٣٠٩/١) [مكتبة الرشد، ط ٤].

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٤١).

(١) درء التعارض (٥/٢٨٤).

١٢ - «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السُّنَّة والجماعة»، لعثمان بن علي حسن.

❖ إعجاز القرآن ❖

❖ التعريف لغة:

الإعجاز: مصدر الفعل الثلاثي المزيد (أعجزَ)، والعين والجيم والزاي أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على الضَّعْف؛ يُقال: عَجَزَ عن الشيء يعِجِزُ عَجْزًا فهو عاجز؛ أي: ضعيف، ويُقال: أعجزني فلان؛ إذا عَجَزْتُ عن طلبه وإدراكه، والمُعْجِزَةُ: ما أُعْجِزَ به الخصم عند التَّحْدِي، والهَاءُ للمُبَالِغَةِ^(٢).

القرآن: مصدر الفعل (قرأ) يقرأ قراءةً وقرآنًا؛ أي: تلا وجمعَ وضمَّ بعضه إلى بعض، سُمِّي القرآن بذلك لأنه يجمع السور فيضمها^(٣).

❖ التعريف شرعًا:

إعجاز القرآن: هو «إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به»^(٤)، أو: «ارتقاؤه إلى أن يخرج عن

الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يُقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم»^(١).

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «الإحكام في أصول الأحكام»، لابن حزم.
 - ٢ - «الاعتصام بحبل الله بين الواقع والمبشرات»، لمحمود هاشم عنبر.
 - ٣ - «إعلام الموقعين»، لابن القيم.
 - ٤ - «جامع بيان العلم وفضله»، لابن عبد البر.
 - ٥ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة.
 - ٦ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.
 - ٧ - «ذم التأويل»، لابن قدامة.
 - ٨ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
 - ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
 - ١٠ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.
 - ١١ - «مفتاح الجنة في الاعتصام بالسُّنَّة»، للسيوطي.
- (١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢٨/١٣).

(٢) انظر: الصحاح (٨٨٣/٣) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٢٣٢/٤) [دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (٦٦٣) [مؤسسة الرسالة بيروت، ط ٥، ١٤١٦هـ].
(٣) انظر: الصحاح (٦٦/١)، والقاموس المحيط (٦٢).
(٤) مناهل العرفان للزرقاني (٣٣١/٢) [مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، ط ٣].

طوق البشر ويعجزهم عن معارضته»^(١)؛ بغرض الدلالة على نبوة النبي ﷺ وصدقه وصحة الرسالة واتباعها.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يدور المعنى اللغوي للإعجاز حول: الضعف وعدم القدرة على طلب الشيء وإدراكه، وهذه حقيقة إعجاز القرآن في اصطلاح الشرع؛ فالمقصود من إثباته: إثبات عجز الخلق وضعفهم عن الإتيان بمثله أو ما يقاربه، أو معارضته؛ للدلالة على صدق الرسول ﷺ والرسالة واتباعهما. فيظهر بهذا أن بين المعنى اللغوي والشرعي تناسباً وتوافقاً واضحاً.

الأسماء الأخرى:

إعجاز القرآن هو: معجزة القرآن، وما يدور حولها من معان؛ كالمعجز، والتحدي بالقرآن، ونحو ذلك.

الحقيقة:

حقيقة الإيمان بإعجاز القرآن: أنه يجب على المسلم أن يعتقد أن محمداً ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، ورسول رب العالمين إلى جميع الثقلين،

أرسله الله ﷻ لدعوة الناس جميعاً إلى توحيده ودينه، وأيده - بعلمه وقدرته وغناه - بما لم يؤيد به نبياً قبله من دلائل النبوة الكثيرة المتنوعة؛ الدالة على صدق نبوته وصحة رسالته، ومن هذه الدلائل: الآيات والبيّنات والبراهين، والتي اصطلح المتأخرون على تسميتها بالمعجزات.

وأن القرآن الكريم هو أعظم معجزاته ﷻ، وأبهر آياته، وأبين الحجج الواضحات وأدلها على نبوته وصدقه وصحة رسالته، مع أن هذا الكتاب هو رسالته ومضمون دعوته. ويدل على هذا أن المشركين لما تعنتوا وطلبوا آيات حسية تدل على صدق النبي ﷻ لم يجبههم الله تعالى إلى ذلك، وأنكر عليهم عدم اكتفاءهم بأعظم آياته، وهو: القرآن الكريم؛ فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [العنكبوت]؛ فدل هذا على أن القرآن أعظم الآيات، وأبين المعجزات والحجج الواضحات.

فهو الحجة الباقية على الآباد، الذي لا تنقضي عجائبه، «ولا يدرك غاية إعجازه ولا يندرس بمرور الأعصار، ولا يمل مع التكرار؛ بل يجلى مع ذلك

(١) الكليات للكفوي (١٤٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٩هـ]، بتصريف يسير. وانظر: التعريفات للجرجاني (١١٢) [دار الكتاب العربي ببيروت، ط١، ١٤٠٥هـ]، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٢٧٠) [دار الفكر ببيروت، ط١، ١٤١٠هـ].

ويتجلى، ويعلو على غيره ولا يعلى،

وكل معجزة قبله انقضت بانقضاء زمانها ولم يبق إلا تذكراها، وهو كل يوم براهينه في مزيد، ومعجزاته في تجديد، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: (١)]، وهو كالبدري يهدي الناس في ظلمات الليل، وكالشمس ضوءها يغشى مشارق البلاد ومغاربها!

ويعتقد المسلم أيضًا: أن وجه دلالة القرآن على نبوة نبينا محمد ﷺ وصحة رسالته: أنه ليس في مقدور أحد - كائنا من كان - أن يأتي بهذا القرآن إلا رب العالمين ﷻ؛ فهو كلامه سبحانه، وهو لا يشبهه شيء من خلقه، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ فأنى يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق؟! قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٣٧]؛ والمعنى: لا يكون هذا القرآن إلا من عند الله تعالى، فما كان لأن يفتري من قبل أحد من البشر، «فلم ينف مجرد فعله؛ بل نفى احتمال فعله، وأخبر بأن مثل هذا لا يقع؛ بل يمتنع وقوعه. فيكون المعنى: ما يمكن ولا يحتمل ولا يجوز أن يفتري هذا القرآن من دون الله؛ فإن الذي يفتريه من دون الله مخلوق، والمخلوق لا يقدر

على ذلك!» (٢).

ولذا، تحدى الله تعالى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله، فقال سبحانه: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: (٨٨)]، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الطور: (٢٣)]، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صدقيين ﴿صَدِيقِينَ﴾ [الطور: (٢٤)]؛ فعجزوا عن ذلك، مع توافر دواعي أعداء رسول الله ﷺ الفصحاء البلغاء على معارضته وإبطال قوله، وشدة عدواتهم للدعوة ونبينا ﷺ! ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فعجزوا! قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [١٣]، فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٤] [هود]، ثم تنازل إلى التحدي بسورة من مثله فعجزوا عنه! قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٧]، أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٢٨] [يونس]، وقطع عليهم أنهم عاجزون - ولو

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/٤٢٥)

[دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ].

(١) معارج القبول (٣/١١٢١) [دار ابن القيم، ط ١].

يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ومثل هذا لا مدخل للعلاج والدواء فيه؛ فعرف من عرف منهم أنه عبد الله ورسوله^(١).

ويدل على هذا: ما ثبت في «الصححين»، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»^(٢)، والمعنى: «ما من نبي إلا أعطى من المعجزات ما آمن عليه البشر؛ أي: ما كان دليلاً على تصديقه فيما جاءهم به، واتبعه من اتبعه من البشر، ثم لما مات الأنبياء لم يبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهدته في زمانه، فأما الرسول الخاتم للرسالة محمد ﷺ فإنما كان معظم ما آتاه الله وحياً منه إليه، منقولاً إلى الناس بالتواتر؛ ففي كل حين هو كما أنزل؛ فلهذا قال: «أأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً»، وكذلك وقع؛ فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء؛ لعموم رسالته ودوامها إلى قيام الساعة، واستمرار معجزته»^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، برقم ٤٩٨١)، ومسلم (كتاب الإيمان، برقم ١٥٢).

(٣) تفسير ابن كثير (١/٢٠)، وانظر منه: (١/٢٠١)، ٤/٤٦١.

والفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي (٦/٥٠) [دار ابن كثير ودار =

تظاهروا وتعاونوا - عن معارضته والإتيان بمثله في الحال والاستقبال؛ فقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٢٤) [البقرة].

وهكذا وقع؛ فإنه من لدن رسول الله ﷺ وإلى زماننا هذا لم ولن يستطيع أحد أن يأتي بنظيره ولا نظير سورة منه! وهم يعلمون عجزهم وتقصيرهم عن ذلك، وأن هذا ما لا سبيل لأحد إليه أبداً! فالفصاحة كانت من سجاياهم، وكانوا أعلم الخلق بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضروبه؛ فأشعارهم ومعلقاتهم إليها المنتهى في هذا الباب، لكن جاءهم من الله ما لا قبل لأحد من البشرية به! ولهذا آمن من آمن منهم بما عرف من بلاغة هذا الكلام وحلاوته وجزالته؛ «فكانوا أعلم الناس به وأفهمهم له، وأتبعهم له، وأشدهم له انقياداً، كما عرف السحرة - لعلمهم بفنون السحر - أن هذا الذي فعله موسى ﷺ لا يصدر إلا عن مؤيد مسدد مرسل من الله، وأن هذا لا يستطيع لبشر إلا بإذن الله! وكذلك عيسى ﷺ؛ بعث في زمان علماء الطب ومعالجة المرضى؛ فكان

ومن دلائل عجزهم عن هذا التحدي أيضًا: أن النبي ﷺ بقي يطالبهم بهذا التحدي مدة عشرين سنة، مظهرًا لهم النكير، حتى نابذوه وناصبوه الحروب، فهلكت في ذلك النفوس، وأريقت المهج، وقطعت الأرحام، ويتم الأولاد، وزهبت الأموال؛ فعلم بذلك أنه لو كان في وسعهم وتحت أقدارهم معارضته والإتيان بمثله - أو بأقل سورة من مثله - لم يتكلفوا هذه الأمور الخطيرة، مع اتصافهم بالرزانة وكمال العقل! وإلا فلو كانوا صادقين في زعمهم أن هذا القرآن مفترى على الله من قبل النبي ﷺ - وحاشاه - فهو بشر مثلكم، وأنتم فصحاء بلغاء مثله؛ فلتفتروا كما افترى ولتأتوا بمثل ما أتى به؛ فيظهر بذلك كذبه وتسقط الكلفة عنكم في معاناة تكذيبه وتسففيه والخصومه معه! فدل هذا بوضوح على إعجاز القرآن وإثباته عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، بحيلة وبغير حيلة! والحمد لله.

ويعتقد أيضًا: أن القرآن معجز في نفسه، لا يستطيع أحد - كائنًا من كان - الإتيان بمثله ولا يقوى على معارضته؛

= الكلم الطيب بدمشق، ط ١، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٨٨/٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢]، وفتح الباري لابن حجر (٦/٩) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

فليس إعجاز القرآن بأمر خارج عنه - كما تقول المعترلة فيما يعرف بالصرقة^(١) - وأن الله صرف همم العرب ودواعيهم عن معارضته وسلبهم القدرة على ذلك، مع إمكانهم معارضته والإتيان بمثله في حقيقة الأمر! بل الحق أن القرآن في نفسه معجز وهم عاجزون حقيقة وفي نفس الأمر عن معارضته والإتيان بمثله، «ولو تعاضدوا وتناصروا على ذلك، بل لا تقدر الرسل - الذين هم أفصح الخلق وأعظم الخلق وأكملهم - أن يتكلموا بمثل كلام الله، وهذا القرآن - الذي يبلغه الرسول ﷺ عن الله - أسلوب كلامه لا يشبه أساليب كلام رسول الله ﷺ، وأساليب كلامه ﷺ - المحفوظة عنه بالسند الصحيح إليه - لا يقدر أحد من الصحابة ولا من بعدهم أن يتكلم بمثل أساليبه في فصاحته وبلاغته - فيما يرويه من المعاني بألفاظه الشريفة -؛ بل وأسلوب كلام الصحابة أعلى من أساليب كلام التابعين، وهلم جراً إلى زماننا. وعلماء السلف أفصح وأعلم، وأقل تكلفاً - فيما يروونه من المعاني بألفاظهم - من علماء الخلف، وهذا يشهد من له ذوق بكلام الناس، كما يدرك تفاوت ما بين أشعار العرب في زمن الجاهلية وبين أشعار المولدين

(١) انظر: مذهب المخالفين.

الذين كانوا بعد ذلك!»^(١).

على إعجازه! ولا تناقض في ذلك؛ بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له»^(٢)؛ فمن هذه الوجوه: فصاحته وبلاغته ووجازته وجزالته وحلاوته وطلاوته - التي لا تجارى ولا تدانى - في دلالة اللفظ على المعنى، ونظمه وأسلوبه، واشتماله على العلوم الكثيرة والمعاني العزيزة النافعة في الدنيا والآخرة - التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على نبي مرسل -، وإخباره بالغيبات الماضية والآتية، وعدم تناقضه، وغير ذلك كثير؛ «فلفظه آية، ونظمه آية، وإخباره بالغيوب آية، وأمره ونهيته آية، ووعدته ووعيده آية، وجلالته وعظمته وسلطانه على القلوب آية، وإذا ترجم بغير العربي كانت معانيه آية! كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم»^(٣)، والإعجاز واقع بجميع هذه الوجوه وغيرها، لا بكل واحد على انفراده؛ فهو مشتمل على الجميع وزيادة!

ويمكن جمع وجوه إعجاز القرآن في أربعة أوجه: الإعجاز البياني (الفصاحة والبلاغة والنظم والأسلوب)، والإعجاز العلمي (الآيات الكونية)، والإعجاز التشريعي (العقيدة والشريعة والأخلاق)،

ولو تنزلنا مع الخصم - على سبيل المجادلة والمنافحة عن الحق - فالقول بالصرفه يقرر إعجاز القرآن أيضًا بوضوح؛ لأنه لو كان في إمكان العرب معارضته والإتيان بمثله، ولم يفعلوا ذلك جميعًا - مع قيام الدواعي العظيمة وشدة عدواتهم وتكذيبهم للنبي ﷺ - لصرف الله لهم؛ كان ذلك دليلًا من أبلغ الآيات الخارقة للعادات على أن هذا القرآن من عند الله تعالى! لكن القول بالصرفه قول باطل غير مرضي عند أهل السنة والجماعة.

ويعتقد المسلم أيضًا: أن القرآن في نفسه معجز ولو لم يتحد به - كسائر المعجزات -؛ فهو دالٌّ على وجود الله تعالى، وربوبيته ووحدانيته سبحانه، والمبدئ والمعاد، وإثبات حياته وقدرته وإرادته، وعلمه بالكليات والجزئيات، وعلى نبوة محمد ﷺ وصدقه وصحة رسالته، وعلى كمال الشرع وإحكامه وعدله وصدق أخباره.

ويعتقد أيضًا: أن وجوه إعجاز القرآن - التي لأجلها كان القرآن معجزًا للثقلين - كثيرة متنوعة لا تحصى، «وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجازه هو حجة

(٢) الجواب الصحيح لابن تيمية (٤٢٩/٥)، بتصرف يسير، وانظر منه: (٤١١/٥).

(٣) النبوات لابن تيمية (١٢٠) [المطبعة السلفية بالقاهرة، ط ١، ١٣٨٦هـ].

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٧٧/٦) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٠٨هـ].

والإعجاز الغيبي (الماضي والحاضر والمستقبل). والله أعلم.

قال ﷺ: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بِكْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٢) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ [الطور].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري: «من أشرف تلك المعاني التي فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله: نظمه العجيب، وورصفه الغريب، وتأليفه البديع، الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سورة منه الخطباء،

الكتب العلمية، ط ١، [معارج القبول (١٠٩٩/٣)، والنبأ العظيم لمحمد دراز (٨٠، ٧٦، ٨٦) دار الثقافة بالدوحة، ١٤٠٥هـ]، والتحرير والتنوير (١/ ١٠١، ٣٤٦) [دار سحنون بتونس، ١٩٩٧م]، ومباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم (١٢١) [دار المسلم بالرياض، ط ٢]، والأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد لسعود العريفي (٥٢٢) [دار عالم الفوائد، ط ١]، والقرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفهم لمحمد هشام طاهري (٣٨٩/١)، ٣٩٥، ٤٠٧، ٦٤٥، ٦٥٠] [دار التوحيد بالرياض، ط ١]، وفضائل القرآن الكريم لعبد السلام الجار الله (٣٢٩) [دار التدمرية، ط ١].

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

ويعتقد المسلم أيضاً: أن الإعجاز والتحدي بالنظم والبلاغة والفصاحة والأسلوب خاص بالقرآن الكريم دون غيره من الكتب السماوية السابقة؛ فالكتب السابقة لم تنزل على أنها معجزة للأنبياء السابقين تبرهن على صدقهم وصحة رسالتهم، ولم يقع بها التحدي، وإن كانت لا تخلو من بعض وجوه الإعجاز - كالإخبار بالغيبات، واشتمالها على التشريعات المحكمة العادلة -، والله أعلم^(١).

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٤٣/١٢) [دار هجر، ط ١]، وبيان إعجاز القرآن للخطابي (٢١) [ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف بمصر، ط ٣]، والشفا للقاضي عياض (٣٥٨/١) [طبعة عيسى البابي الحلبي]، وتفسير القرطبي (٧٢/١) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام له (٣٢٥) [دار التراث العربي بالقاهرة، ١٣٩٨هـ]، والجواب الصحيح لابن تيمية (٤٢٧/١)، ٤٢٣، ٤٠٩/٥، ٤٢٩، وشرح العقيدة الأصفهانية له (٢٠٨) [مكتبة الرشد بالرياض، ط ١]، وبدائع الفوائد لابن القيم (١٥٤٧/٤) [دار عالم الفوائد، ط ١]، وتفسير ابن كثير (٢٠/١)، ٢٠١، ١٩٨، ٢٠٣، ٣/ ٥٣٥، ٢٦٨/٤، ٣١٠، ٤٦١، ٦٠٣، ٢٨٦/٦ [دار طيبة، ط ٢]، والبداية والنهاية (٩٩/٢)، ٧٧/٦، ٢٨٨، والفصول في سيرة الرسول ﷺ كلاهما له (٢٨٧، ٢٢٨) [مؤسسة علوم القرآن بدمشق ومكتبة دار التراث بالمدينة المنورة، ط ٣]، وفتح الباري لابن حجر (٥٨٢/٦)، ٦/٩، والإتقان في علوم القرآن (١٨٧٣/٥) [طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١]، ومعتزك الأقران (٣/١) [دار

وكَلَّتْ عن وصف شكل بعضه البلغاء، وتحيرت في تأليفه الشعراء، وتبلدت - قصورًا عن أن تأتي بمثله - لديه أفهام الفهماء؛ فلم يجدوا له إلا التسليم والإقرار بأنه من عند الواحد القهار، مع ما يحوي - مع ذلك - من المعاني التي هي: ترغيب وترهيب، وأمر وزجر، وقصص وجدل ومثل، وما أشبه ذلك من المعاني التي لم تجتمع في كتاب أنزل إلى الأرض من السماء! ^(١)

وقال ابن تيمية: «والقرآن مما يعلم الناس - عربهم وعجمهم - أنه لم يوجد له نظير، مع حرص العرب وغير العرب على معارضته؛ فلفظه آية، ونظمه آية، وإخباره بالغيوب آية، وأمره ونهيه آية، ووعدده ووعيده آية، وجلالته وعظمته وسلطانه على القلوب آية، وإذا ترجم بغير العربي كانت معانيه آية! كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم» ^(٢).

وقال ابن كثير: «ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونًا ظاهرة وخفية، من حيث اللفظ ومن جهة المعنى... فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة، عند من يعرف ذلك تفصيلًا وإجمالًا ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير؛ فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة، سواء كانت

مبسوطة أو وجيزة، وسواء تكررت أم لا، وكلما تكرر حلا وعلا! لا يخلق عن كثرة الرد، ولا يمل منه العلماء! وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات؛ فما ظنك بالقلوب الفاهمات؟! وإن وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان، ويشوق إلى دار السلام ومجاورة عرش الرحمن... وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي؛ اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب، والنهي عن كل قبيح رذيل ذني... وإن جاءت الآيات في وصف المعاد وما فيه من الأحوال، وفي وصف الجنة والنار وما أعد الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم والملاذ والعذاب الأليم؛ بشرت به وحذرت وأنذرت، ودعت إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات، وزهدت في الدنيا ورغبت في الآخرة، وثبتت على الطريقة المثلى، وهدت إلى صراط الله المستقيم وشرعه القويم، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم» ^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: استعمال لفظ (المعجزة):
- لفظ: (المعجزة) لا يعرف في

(١) تفسير الطبري (٢/١).

(٢) النبوات (١٢٠).

(٣) تفسير ابن كثير (١/١٩٨).

✿ الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على الإيمان بإعجاز القرآن: إثبات وجود الله تعالى، وربوبيته ووحدانيته سبحانه، وإثبات حياته وقدرته وإرادته، وعلمه بالكيلات والجزئيات، وصدق رسالة الرسل الكرام، والمبدأ والمعاد.

ومن الثمرات أيضاً: بيان عظمة القرآن الكريم وكماله وكبير فضله وشرفه، وهيمنته على الكتب السماوية السابقة، وتقدمه عليها؛ فهو كلام الله تعالى وأعظم كتبه، أنزله على خير خلقه ﷺ بواسطة خير رسله من الملائكة جبريل عليه السلام، لخير أمة أخرجت للناس، في أشرف ليلة وأشرف شهر. والحمد لله رب العالمين.

✿ الحكمة:

تقدم أن الحكمة من إثبات إعجاز القرآن: الدلالة على نبوة النبي ﷺ وصدقه وصحة رسالته واتباعها.

✿ مذهب المخالفين:

ذهب المعتزلة إلى القول بالصرقة^(٣)؛ بمعنى: أن الله تعالى صرف همم العرب ودواعيهم عن معارضته وسلبهم القدرة على ذلك، مع قدرتهم على معارضته والإتيان بمثله في حقيقة الأمر!

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢٢٥) [دار إحياء التراث العربي ببيروت، ط٣].

الكتاب والسنة؛ وإنما في القرآن لفظ: الآية، والبيّنة، والبرهان، وهذه الأسماء تدل على مقصود آيات الأنبياء، وتختص بها ولا تقع على غيرها، بخلاف: (المعجزة) و(خرق العادة)، وإن كان ذلك من بعض صفاتها؛ فهي لا تكون آية وبرهاناً حتى تكون قد خرقت العادة وعجز الناس عن الإتيان بمثلها^(١).

- المسألة الثانية: اختلاف المفسرين في معنى الحروف المقطعة التي في أوائل بعض السور:

وقيل في معناها أقوال كثيرة، ورجح كثير من المحققين أن الحكمة في ذكر هذه الحروف في أوائل بعض السور: بيان إعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته والإتيان بمثله؛ هذا مع أنه تركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها! ويدل على هذا الترجيح: أن كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد - كما هو معلوم باستقراءها - أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته. والله أعلم^(٢).

(١) انظر: الجواب الصحيح (٤١٢/٥)، والنبوات (٢٢٠).

(٢) انظر: الكشف للزمخشري (١٣٦/١) [مكتبة العبيكان، ط١]، وتفسير الرازي (٢٤٩/٢) [دار إحياء التراث العربي ببيروت]، وتفسير ابن كثير (١/٢٥٦) [مكتبة أولاد الشيخ للتراث بمصر، ط١]، وأضواء البيان للشقيطي (٧/٣).

يمكنه أن يأتي بمثل هذا القرآن^(٣)! نعوذ بالله من الضلال.

واشترط المعتزلة والأشاعرة والماتريدية وقوع التحدي لثبوت إعجاز القرآن - بناء على اشتراطهم التحدي في جنس المعجزات عمومًا ؛- ويلزم على هذا: أن القرآن ليس معجزًا في نفسه عندهم!

المصادر والمراجع:

- ١ - «بيان إعجاز القرآن»، للخطابي.
- ٢ - «الشفاء» (ج ١)، للقاضي عياض.
- ٣ - «الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام»، للقرطبي.
- ٤ - «الجواب الصحيح» (ج ١، ٥)، لابن تيمية.
- ٥ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.
- ٦ - «بدائع الفوائد» (ج ٤)، لابن القيم.
- ٧ - «تفسير القرآن العظيم» (ج ١، ٣)، لابن كثير.
- ٨ - «معترك الأقران»، للسيوطي.
- ٩ - «مباحث في إعجاز القرآن»، لمصطفى مسلم.

- ١٠ - «الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد»، لسعود العريفي.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق (٢٤٧).

فحقيقة قولهم: نفي إعجاز القرآن، وأنه ليس معجزًا في نفسه؛ إذ جعلوا الإعجاز لشيء خارج عن نفس القرآن! وهذا باطل؛ بل القرآن في نفسه معجز، والعرب عاجزون حقيقة وفي نفس الأمر عن معارضته والإتيان بمثله، ولو تعاضدوا وتناصروا على ذلك.

وهذا القول في حقيقته متفرع على قول المعتزلة بخلق القرآن^(١)، وأن الله - تعالى عما يقولون - خلقه في غيره، فلا فرق عندهم - إذن - بين مخلوق ومخلوق (يعني: لا فرق بين القرآن وكلام البشر؛ فكلاهما مخلوقان عندهم).

ومن العجب أن المعتزلة وقعوا بسبب هذه المسألة في تناقض عجيب؛ فالقول بالصرفة على مذهبهم مستحيل! لأن أفعال العباد لا تدخل في مقدرات الله عندهم - تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا ؛- فكيف صرف الله العباد وأعجزهم عن المعارضة والكلام والكتابة، وهذه مفعولات للعبد غير مخلوقة لله - بزعمهم -؟! فيلزمهم إما أن يتركوا القول بالصرفة وإما القول بعدم خلق أفعال العباد^(٢)!

وادعى الحلاج من غلاة الصوفية أنه

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٧٧/٦).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (٢٢٧)، والفرق بين الفرق (٩٥) [دار الآفاق الجديدة ببيروت، ط ٢]، والقرآن الكريم وميزته بين السلف ومخالفهم (١/٦٤٨).

التعريف شرعاً:

«المكان المرتفع، وهو سور عال بين الجنة والنار... عليه أهل الأعراف، وهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم»^(٧).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

خصص الشرع المعنى اللغوي من كل عال مشرف مرتفع على المرتفع المشرف بين الجنة والنار.

سبب التسمية:

لأنه مكان مشرف مرتفع، ولأن أصحابه يعرفون الناس بسيماهم.

الحكم:

يجب الإيمان بوجود الأعراف بين الجنة والنار، وأن عليه رجالاً استوت حسناتهم وسيئاتهم.

الحقيقة:

أنه مكان مرتفع على سور عال حقيقي بين الجنة والنار، ويكون عليه من استوت حسناتهم وسيئاتهم^(٨)، كما يفهم

الأعراف

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمته الله: «العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدلُّ أحدهما على تتابع الشيء متصلاً بعضه ببعض، والآخر على السكون والطَّمَانِينَة. فالأول العُرْف: عُرْفُ الفَرَس. وسمي بذلك لتتابع الشعر عليه... والأصل الآخر المَعْرِفَة والعرفان، تقول: عَرَفَ فلانٌ فلاناً عرفاناً ومَعْرِفَة. وهذا أمر معروف، وهذا يدلُّ على ما قلناه من سُكونه إليه؛ لأنَّ مَنْ أنكر شيئاً تَوَحَّشَ منه ونَبَا عنه»^(١)، قال السُّدِّي: «سمي الأعراف أعرافاً؛ لأن أصحابه يعرفون الناس»^(٢) والأعراف جمع العُرْف^(٣)، وقيل: واحده وجماعته أعراف^(٤)، وهو كل عال مرتفع^(٥)، قال ابن عباس رضي الله عنه: «الأعراف: الشيء المشرف»^(٦).

(١) مقاييس اللغة (٧٥٩) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ].

(٢) جامع البيان (٢٤٠/٥) [دار ابن حزم، ط١]، وتفسير ابن كثير (٣٠٦/٦) [دار عالم الكتب، ط١].

(٣) جامع البيان (٢٤٠/٥).

(٤) تفسير القرطبي (٢٢٧/٩) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٥) تهذيب اللغة (٣٤٦/٢) [الدار المصرية]، ولسان العرب (١٩٨/٦) [دار الحديث، ١٤٢٣هـ]، والكلييات (١٤٣) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ].

(٦) جامع البيان (٢٤٠/٥)، وتفسير ابن كثير (٣٠٦/٦).

(٧) طريق الهجرتين (٨٣٠) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ]، وجامع البيان (٢٤١/٥)، والمفردات (٥٦٢) [دار القلم، ط٣]، والبعث والنشور (١٠٤) [مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، ط١]، وتفسير القرطبي (٢٢٦/٩)، وتفسير ابن كثير (٣٠٦/٦).

(٨) وقد رجح هذا كثير من العلماء كالقرطبي في التذكرة (٧٣٣/٢) [دار المنهاج، ط١]، وابن القيم في طريق الهجرتين (٨٣٣)، وابن حجر في فتح الباري (٥٢٢/١١) [دار السلام، ط١، ١٤٢١هـ].

يضرب بينهم له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب كما ذكر في سورة الحديد: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتُلْكُمْ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَابُ بَاطِنِهِ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ يَنْهَاهُمْ يُسَوِّرُ لَهُ الْبَابُ بَابُ بَاطِنِهِ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ يَنْهَاهُمْ﴾ [الآية (٥)]، واختلف العلماء كذلك في أهل الأعراف، فقال شرحبيل: «هم قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم فقتلوا»^(٦)، وقال مجاهد: «هم قوم رضي عنهم أحد الأبوين دون الآخر»^(٧)، وقال مجاهد أيضاً: «هم قوم صالحون فقهاء علماء»^(٨)، وقال عبد العزيز الكناني: «هم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدلوا دينهم»^(٩)، وقيل: هم أطفال المشركين^(١٠)، وقال الحسن: «هم أهل الفضل من المؤمنين»^(١١)، وقال أبو مجلز: «هم رجال من الملائكة»^(١٢)، والراجح هو أنهم من تساوت سيئاتهم وحسناتهم لبعض آثار

هذا من أثر لحذيفة رضي الله عنه في أصحاب الأعراف: «قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم»^(١).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوُا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [٤٦] وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [٤٧] وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ [٤٨] أَهْلَؤَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ [٤٩]

[الأعراف]. قال حذيفة رضي الله عنه في أصحاب الأعراف: «قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم»^(٢). وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف»^(٣).

أقوال أهل العلم:

اختلف أهل العلم في الأعراف، فقليل: جبال بين الجنة والنار عليها أهل الأعراف^(٤)، وقيل: هو السور الذي

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٥٣/١٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٤٨٥) [مكتبة نزار الباز، ط ٣]، بأسانيد صحيحة عن حذيفة رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٤١١)، ومن طريقه الطبري في تفسيره (٤٥٣/١٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٤) طريق الهجرتين (٨٣٠).

(٥) طريق الهجرتين (٨٢٩).

(٦) تفسير الطبري (٢٤٥/٥)، وتفسير البغوي (٢٣٢/٣) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ] طريق الهجرتين (٨٣١).

(٧) تفسير البغوي (٢٣٢/٣)، وطريق الهجرتين (٨٣٢).

(٨) تفسير الطبري (٢٤٥/٥).

(٩) تفسير البغوي (٢٣٢/٣)، وطريق الهجرتين (٨٣٢).

(١٠) تفسير البغوي (٢٣٢/٣)، وطريق الهجرتين (٨٣٢).

و (٨٥٨).

(١١) تفسير البغوي (٢٣٢/٣)، طريق الهجرتين (٨٣٢).

(١٢) تفسير الطبري (٢٤٦/٥).

الصحابة الصحيحة في ذلك^(١).

■ الأعز ■

❁ الحكمة:

يراجع مصطلح (العزة).

إظهار عدل الله ﷻ حيث جعل الأعراف مكان من استوت حسناته وسيئاته فلا يظلمهم بجعلهم في النار، ثم يظهر أثر غلبة رحمته جلّ وعلا على غضبه فيدخلهم الجنة، والله أعلم.

■ الأعلى ■

يراجع مصطلح (العلو).

■ الأعلم ■

يراجع مصطلح (العلم).

❁ المصادر والمراجع:

١ - «البعث والنشور»، للبيهقي.

٢ - «التذكرة» (ج ٢)، للقرطبي.

٣ - «تفسير ابن أبي حاتم» (ج ٥).

٤ - «تفسير القرآن العظيم» (ج ٦)،

لابن كثير.

٥ - «جامع البيان» (ج ٥)، للطبري.

٦ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ٩)،

للقرطبي.

٧ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

٨ - «فتح الباري» (ج ١١)،

لابن حجر.

٩ - «الكليات»، للكفوي.

١٠ - «معالم التنزيل» (ج ٣)،

للغوي.

١١ - «مفردات ألفاظ القرآن»،

للمراغب.

■ أعمال القلوب ■

❁ التعريف لغة:

أعمال: جمع عمل، قال ابن فارس رَحَّلَهُ: «العين والميم واللام أصل واحد صحيح، وهو عام في كل فعل يُفعل»^(٢).

القلوب: جمع قلب، و«القلب: الفؤاد، وقد يعبر به عن العقل. قال الفراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق]؛ أي: عقل. وقلبت الشيء فانقلب؛ أي: انكب»^(٣).

وقال ابن فارس رَحَّلَهُ: «القاف واللام والباء، أصلاً صحيحان: أحدهما يدل على خالص شيء وشريفه، والآخر على

(٢) مقاييس اللغة (٤/١٤٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٣) الصحاح (١/٢٢٤-٢٢٥) [دار العلم، ط ٤، ١٩٩٠م].

(١) طريق الهجرتين (٨٣٢)، وتفسير الطبري (٥/٢٤٦)،

وتفسير ابن كثير (٦/٣٠٦).

رد شيء من جهة إلى جهة. فالأول:

القلب: قلب الإنسان وغيره، سمي؛ لأنه أخلص شيء فيه وأرفعه، وخالص كل شيء وأشرفه قلبه^(١). وقال الفيروزآبادي: «والقلب: الفؤاد، أو أخص منه، والعقل، ومحض كل شيء»^(٢). وقال الخليل: «القلب مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط»^{(٣)(٤)}.

التعريف شرعاً:

أعمال القلوب هي التي تتعلق فعلها بالقلب، دون سائر الجوارح، سواء كانت حسنة؛ كالخوف من الله ومحبة وإنابته إلى الله ورغبته ورهيبته، أو كانت سيئة؛ كالحسد والبغض ونحو ذلك^(٥).

الأسماء الأخرى:

- منازل السائرين.

- مقامات العارفين^(٦).

(١) مقاييس اللغة (١٧/٥).

(٢) القاموس المحيط (١٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط٨].

(٣) النياط: «عرق علق به القلب من الوتين، فإذا قطع مات صاحبه». لسان العرب (٤١٨/٧) [دار صادر، ط٣].

(٤) العين (١٧٠/٥) [مكتبة هلال].

(٥) انظر: التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة (١٠٦) [دار طيبة، ط١]، وأعمال القلوب وأثرها في الإيمان (١٢٣/١) [رسالة دكتوراه مقدمة لقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية عام ١٤١٧هـ].

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١٩٠/٧).

الحكم:

أحكام أعمال القلوب تنقسم إلى:

١ - أعمال القلوب الواجبة والمستحبة؛ كالإخلاص والتوكل والمحبة والخوف والرجاء والنية في العبادة.

٢ - أعمال القلوب المباحة؛ كالحب الطبيعي والخوف الطبيعي، وبغض بعض الأشياء^(٧).

٣ - أعمال القلوب المحرمة والمكروهة؛ كالنفاق والكفر والكبر والرياء والعجب والحسد^(٨).

الحقيقة:

حقيقة ما في القلب: هو القول والعمل، فقول القلب: هو تصديقه وإقراره ومعرفته وعلمه واعتقاده، سواء كان هذا الاعتقاد صحيحاً أو فاسداً. وأما عمل القلب: فهو حركته نحو محبة الخير أو إرادة الشر؛ أي: أن أعمال القلب هي التي تؤثر في الإرادة وتوجهها فعلاً أو تركاً لما تصوره القلب^(٩).

المنزلة:

أعمال القلوب هي أصل الدين،

(٧) انظر: الاستقامة لابن تيمية (١٢٣/٢) [جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٣هـ].

(٨) انظر: مدارج السالكين (١٣٣/١) [دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ].

(٩) انظر: التنبيهات اللطيفة للسعدي (١٠٦).

وأساس الفوز بالجنة والنجاة من النار، وهي أصل أعمال الجوارح والمحركة لها، وبها تزكو النفس وتسمو.

ومن الأدلة على أعمال القلوب القبيحة:

قول الله تعالى: ﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمَنَافِقُونَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاءٌ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتِزِدُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥].

❁ أقوال أهل العلم:

قال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللهُ: «مبدأ التكليف كلها ومحلها أو مصدرها القلوب... صلاح الأجساد موقوف على صلاح القلوب، وفساد الأجساد موقوف على فساد القلوب»^(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال التي ميزت بينهما؟ وهل يمكن أحد الدخول في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه؟ وعبودية القلب أعظم من

وأعمال القلوب كما هي مصدر للخير والسعادة، هي مصدر للشّر والشقاوة كذلك؛ وهل يميز بين المؤمن والمنافق إلا بما في القلوب؛ فمن اتقى قلبه اتقت جوارحه، ومن فجر قلبه فجرت جوارحه.

ولهذا؛ فالثواب والعقاب، والمدح والذم، وتوابع ذلك، هو للقلب أصلاً، وللجوارح تبعاً، وعليه فمعرفة أحكام أعمال القلوب أهم من معرفة أحكام أعمال الجوارح؛ لأنها أفرض على العبد منها، ومستحبها أحب إلى الله من مستحب أعمال الجوارح^(١).

❁ الأدلة:

من الأدلة على أعمال القلوب الصالحة:

قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ

(١) انظر: التحفة العراقية في أعمال القلوب لابن تيمية (٢٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٦هـ]، وبدائع الفوائد (٣/ ١٨٧ - ١٨٨) [دار الكتاب العربي]، وتجريد التوحيد للمقريزي (٦٤) [الجامعة الإسلامية، ١٤٠٩هـ].

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ١٩٧) [مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤١٤هـ].

فالحب في الله والبغض في الله، والتصديق والخوف والرجاء والتوكل ونحو ذلك من أعمال القلوب كلها تتفاوت من حال إلى حال ومن إنسان لآخر؛ بل التفاوت في أعمال الجوارح إنما هو انعكاس للتفاوت في أعمال القلوب، وذلك للتلازم بينهما، وهذا متفق عليه عند أهل السُّنة لا خلاف فيه^(٣).

- المسألة الثانية: التلازم بين عمل القلب وعمل الجوارح:

العلاقة بين عمل القلب وعمل الجوارح؛ هي علاقة تلازم وارتباط وثيق، بحيث لا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر، فعمل القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة، ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر، وانتفاء عمل الجوارح دليل انتفاء عمل القلب. وعلى ذلك أدلة من الكتاب والسُّنة وأقوال السلف^(٤).

(٣) انظر: أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها عند أهل السُّنة والجماعة ومخالفهم لسهل العتيبي (٢/٥٥١ - ٥٧٦) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٢٠٤، ٥٤١، ٥٥٤، ٥٧٧، ٦١٦، ٦٢١)، والفوائد لابن القيم (٨٥) [دار الكتب العلمية، ط٢]، والصلاة وحكم تاركها لابن القيم (٤٩ - ٥٠) [ط. مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة].

عبودية الجوارح وأكثر وأدوم فهي واجبة في كل وقت، ولهذا كان الإيمان واجب القلب على الدوام، والإسلام واجب الجوارح في بعض الأحيان، فمركب الإيمان القلب، ومركب الإسلام الجوارح^(١).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «وأما أعمال القلب فهي حركته التي يحبها الله ورسوله، وضابطها محبة الخير وإرادته الجازمة، وكراهية الشر والعزم على تركه، وهذه الأعمال القلبية تنشأ عنها أعمال الجوارح»^(٢).

❁ الأقسام:

تنقسم أعمال القلوب إلى قسمين:

أ - أعمال صالحة مثل: حب الله رَحِمَهُ اللهُ، والتوكل، والصدق، والطمأنينة والإنابة، ونحو ذلك.

ب - أعمال سيئة مثل: الحسد، والغل، والحقد، والبغض، ونحو ذلك.

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تفاضل أعمال

القلوب:

تقدم معنا أن أعمال القلوب هي أصل الإيمان، وأهل السُّنة والجماعة متفقون على أن الإيمان يتفاضل وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

(١) بدائع الفوائد (٣/١٩٣).

(٢) التنبيهات اللطيفة (١٠٦).

- المسألة الثالثة: أسباب زيادة عمل القلب^(١):

١ - أن يُشغل القلب بالفكر بما فيه صلاحه وفلاحه المحقق.

٢ - تكثير الشواهد النافعة في القلب، لتقوى صلته بالله تعالى.

٣ - إصلاح القلب بالحب لله ولرسوله ولما يحبه الله ورسوله ﷺ، وتطهيره مما يخالف هذا ويناقضه.

٤ - معرفة الله ﷻ بأسمائه والحسنى وصفاته العلى.

٥ - طلب العلم الشرعي.

٦ - التأمل في آيات الله الكونية ومخلوقاته ﷻ.

٧ - الإكثار من ذكر الله تعالى.

٨ - البعد عن المعاصي.

الآثار:

١ - أن بصلاح أعمال القلوب تصلح أعمال الجوارح.

٢ - أعمال القلوب هي أساس الفوز بالجنة والنجاة من النار.

٣ - أعمال القلوب هي المحسنة والمجملة لأعمال الجوارح.

٤ - أعمال القلوب هي أساس

تحصيل الإحسان، وهو أعظم مرتبة في الدين؛ ذلك لأن الإحسان بُني على المراقبة، والمراقبة من أعمال القلوب.

٥ - الأعمال القلبية هي المحركة والدافعة لأعمال الجوارح.

٦ - أنها تُكثّر أعمال الجوارح، بل تكاد أعمال الجوارح لا تصح بدونها.

٧ - عند العجز عن القيام ببعض أعمال الجوارح تكون الأعمال القلبية معوضة عنها، وتقوم مقامها^(٢).

مذهب المخالفين:

خالف في ذلك:

١ - الجهمية والأشاعرة؛ حيث لم يدخلوا أعمال القلوب في حقيقة الإيمان^(٣).

٢ - أما الخوارج والمعتزلة: فوافقوا أهل السنة والجماعة في دخول أعمال القلوب في حقيقة الإيمان، إلا أنهم يرون عدم تفاضلها وعدم تجزئها، فلو زال جزء منها زال المسمى كله فلا

(٢) انظر: العبادات القلبية وأثرها في حياة المؤمن (٣٦) - (٤٤) [دار المجتمع، ط ٢، ١٤١٩هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٩٥/٧)، ومقالات الإسلاميين للأشعري (١١٤/١) [المكتبة العصرية، ط ١]، وتمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني (٣٤٦ - ٣٤٧) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١]. وشرح المقاصد للتفتازاني (٢٥٠/٢) [دار عالم الكتب، ط ١]. أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها (٧٨٧/٢).

(١) انظر: زيادة الإيمان ونقصانه (١٨٣) (وما بعدها) لعبد الرزاق البدر [كنوز إشبيلية، ط ٢، ١٤٢٧هـ]، وأسباب زيادة الإيمان له (٤٢ - ٤٦) [ط ١، ١٤٢٧هـ].

يسمى إيمانًا، وإنما يسمى كفرًا^(١).

❁ الرد عليهم:

هذا لا شك مخالف لما دلت عليه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الصحيحة وما أجمع عليه سلف الأمة من دخول الأعمال في مسمى الإيمان مع تفاضل الناس فيها، وقد تقدم معنا الأدلة على ذلك.

والذين زعموا أن العمل ليس داخلًا في الإيمان أخرجوا في كلامهم عن التوحيد ما له علاقة بالعمل وهو توحيد الألوهية، فتهاونوا بأعظم الأصول الدينية وهو توحيد الألوهية، وكفى بهذا أثرًا فاسدًا لإخراجهم الأعمال عن مسمى الإيمان.

ويقال للوعيدية: إن الإيمان مركب من ثلاثة أشياء، وهو القول والاعتقاد والعمل، وزوال جزء منه لا يزيل مُسمّاه ما لم يكن في ذلك الجزء هو الأصل الذي يبنى عليه الدين كله^(٢).

❁ المصادر والمراجع:

١ - «أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة ومخالفهم»، لسهل العتيبي.

(١) انظر: مشارق أنوار العقول للسالمي (١٩٧/٢) [دار الجيل، ط١]، ومتشابه القرآن للقاضي عبد الجبار (٣١٢/١) [دار التراث]، وأعمال القلوب حقيقتها وأحكامها (٧٩١/٢).

(٢) انظر: مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى (٣٦٥)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (٤٣).

٢ - «أعمال القلوب عند شيخ الإسلام»، جمع وترتيب: صالح الغصن.

٣ - «أعمال القلوب وأثرها في الإيمان»، لمحمد دوكوري.

٤ - «إغاثة الלהفان من مصائد الشيطان» (ج ١)، لابن القيم.

٥ - «التحفة العراقية في أعمال القلوب»، لابن تيمية.

٦ - «رسالة في القلب وأنه خلق ليعلم به الحق ويستعمل فيما خلق له»، لابن تيمية.

٧ - «عبادة القلب»، لعبد الرحمن المحمود.

٨ - «عبودية القلب لرب العالمين في القرآن الكريم»، لعبد الرحمن البرادعي.

٩ - «القلب في القرآن وأثره في سلوك الإنسان»، لسيد محمد ساداتي.

١٠ - «موسوعة فقه القلوب»، لمحمد التويجري.

❁ الافتراق ❁

❁ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الفاء والراء والقاف أصل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين»^(٣).

(٣) مقياس اللغة (٤٩٣/٤) [دار الفكر].

والافتراق خلاف الاجتماع، مأخوذ من: المفارقة والمفاصلة والمزايلة، يقال: تفرق القوم وافترقوا؛ أي: فارق بعضهم بعضاً^(١).

التعريف شرعاً:

قيل: هو الخروج عن السنة والجماعة في أصل كلي أو جزئيات كثيرة.

قال الشاطبي: «ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة»^(٢).

سبب التسمية:

سمي افتراقاً؛ لما يحصل من التفرق والمفارقة لجماعة المسلمين، ومنه قيل للناقة التي تذهب في الأرض ناذة من وجع المخاض: فارق وفارقة، وبها شُبِّهت السحابة المنفردة؛ ف قيل: فارق^(٣).

الأسماء الأخرى:

للافتراق أسماء أخرى، مثل: التفرق، والتنازع، والتحزب، والاختلاف، والتقاطع، والتدابير، وغيرها من الأسماء التي تدل على

الاختلاف الموجب للقطيعة.

الحكم:

التفرق والافتراق وصف مذموم في الشرع؛ بل هو محرّم نهى الله ﷻ عنه، وحذّر منه، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١٠٥) [آل عمران].

وقال ﷻ: ﴿وَأَعِصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ الآية [آل عمران: ١٠٣].

قال قتادة: «إن الله ﷻ قد كره لكم الفرقة، وقدم إليكم فيها، وحذركموها، ونهاكم عنها، ورضي لكم السمع والطاعة والألفة والجماعة، فارضوا لأنفسكم ما رضي الله لكم إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله»^(٤).

كما حذّر النبي ﷺ أمته من الافتراق، مع إخباره بوقوعه كوناً وقدرًا، وهذا في أحاديث كثيرة، مما يبين عنايته ببيان هذا الأمر الخطير، وتنفيره منه؛ بل كان ﷺ يغضب ويعرف ذلك في وجهه، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما حين سمع ﷺ أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج يعرف في وجهه الغضب، وقال: «إنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم في الكتاب»^(٥).

(١) انظر: كتاب العين (١٤٦/٥) [دار ومكتبة الهلال]، وجمهرة اللغة (٧٨٥/٢) [دار العلم للملايين، ط ١].

(٢) الافتراق: مفهومه - أسبابه - سبل الوقاية منه، لناصر العقل (٧) [دار القاسم].

(٣) المفردات في غريب القرآن (٦٣٤) [دار القلم، ط ١].

(٤) تفسير الطبري (٧٤/٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٥) أخرجه مسلم، (كتاب العلم، برقم ٢٦٦).

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا
وَأَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران].

وقوله: ﴿...وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمَشْرِكِينَ
(٢١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا
شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [٢٢]
[الروم].

وقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا
فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ
سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
(١٥٢)﴾ [الأنعام].

وأما من السُّنَّة؛ فقوله ﷺ: «عليكم
بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان
مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من
أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة فإن
الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين
أبعد» (٤).

وقوله ﷺ: «إنما أهلك الذين من
قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على
أنبيائهم» (٥).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢١٦٥) وصححه،
وأحمد (١/٢٦٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن
حبان (كتاب السير، رقم ٤٥٧٦)، والحاكم في
المستدرک (كتاب العلم، رقم ٣٨٧) وصححه،
وصححه الألباني أيضًا في الإرواء (٢١٥/٦).
(٥) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة،
٧٢٨٨)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ١٣٣٧)،
واللفظ له.

ومن تحذيره ﷺ من الافتراق ما رتبته
على من أراد تفرقة الأمة، حيث قال:
«ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن
يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه
بالسيف كائناً من كان» (١).

كما بين أن «من مات مفارقاً للجماعة
مات ميتة جاهلية» (٢).

فهذه النصوص وغيرها دالة على النهي
عن الافتراق ومفارقة جماعة المسلمين.

الحقيقة:

حقيقة الافتراق ترجع إلى (٣):

- مفارقة جماعة المسلمين، ومخالفة
إجماعهم.
- مفارقة أهل السُّنَّة والجماعة في
أصل من أصول الدين في العقيدة.
- الخروج عن جماعة المسلمين
وإمامهم.

الأدلة:

أما من القرآن؛ فقوله ﷻ:
﴿وَاغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ
بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ الآية
[آل عمران: ١٠٣].

(١) أخرجه مسلم، (كتاب الإمارة، برقم ١٨٥٢).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧٠٥٤)، ومسلم
(كتاب الإمارة، رقم ١٨٤٩) من حديث ابن
عباس ؓ، واللفظ للبخاري.
(٣) انظر: الافتراق، لناصر العقل (٧) [دار القاسم].

تفترق وتختلف حتى يوالي الرجل طائفة ويعادي طائفة أخرى بالظن والهوى بلا برهان من الله تعالى»^(٤).

وقال الشاطبي: «الفرقة مشعرة بتفرق القلوب المشعر بالعداوة والبغضاء، ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: التحذير من البدع: فالبدع مظنةٌ وسببٌ وقوع الافتراق؛ بل إنها مقرونة به، وقد وضح هذا المعنى شيخ الإسلام حيث قال: «والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة»^(٦).

فوقوع الافتراق راجع إلى الأهواء المضلات والبدع المحدثات، ولذلك اشتد نكير السلف على أهل البدع المفرقين لجماعة المسلمين، المفارقين لأهل الحق، فإن البدع سبب الاختلاف المؤدي إلى الافتراق.

- المسألة الثانية: خطر الاختلاف المؤدي إلى الافتراق:

جاءت النصوص الشرعية مبينة خطر

(٤) مجموع الفتاوى (٤١٩/٣) [طبعة مجمع الملك فهد].

(٥) الاعتصام (٤٠٩/٢) [دار ابن عفان، ط١].

(٦) الاستقامة (٤٢/١) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٠٣هـ].

وقوله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم»^(١).

أقوال أهل العلم:

قال الآجري: «أمرنا ﷺ بلزوم الجماعة، ونهانا عن الفرقة، وكذلك حذرنا النبي ﷺ من الفرقة وأمرنا بالجماعة، وكذلك حذرنا أئمتنا ممن سلف من علماء المسلمين، كلهم يأمرون بلزوم الجماعة، وينهون عن الفرقة»^(٢).

وقال قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني: «وكان السبب في اتفاق أهل الحديث، أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة، وطريق النقل؛ فأورثهم الاتفاق والائتلاف. وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء، فأورثهم الافتراق والاختلاف»^(٣).

وقال ابن تيمية: «جعل الله عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعض، وجعلهم إخوة، وجعلهم متناصرين متراحمين متعاطفين، وأمرهم سبحانه بالائتلاف، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف... فكيف يجوز مع هذه لأمة محمد ﷺ أن

(١) أخرجه مسلم، (كتاب الأحكام، برقم ١٧١٥).

(٢) الشريعة (٢٧٠/١) [دار الوطن، ط٢].

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢٤١/٢) [دار الراية، ط٢].

فاختلفوا فيها، فأورث اختلافهم في ذلك التولي والإعراض والتدابير والتقاطع، وربما ارتقى إلى التكفير علمت أن ذلك ليس من أمر الدين في شيء، بل يجب على كل ذي عقل أن يجتنبها ويعرض عن الخوض فيها^(٢).

وهذا الاختلاف المذموم هو الذي يؤدي إلى الافتراق، وهو الذي جاء التحذير منه، ويكون بسبب البغي والحسد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا إِلَيْكَ أَلْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩].

قال ابن كثير رحمته الله: «أي: بغي بعضهم على بعض، فاختلّفوا في الحق؛ لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرههم، فحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله، وإن كانت حقاً»^(٣).

- المسألة الثالثة: ذم التفرق عن الإمام والخروج عن الطاعة:

من الأمور المتقررة عند أهل السنة والجماعة وجوب السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين في المعروف، وتحريم الخروج عليهم، ما لم يقع منهم الكفر الصريح، وقد دل على هذا الأصل الكتاب والسنة والإجماع.

الاختلاف ومحدّرة منه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران]، فنهانا أن نكون كأهل الكتاب الذين تفرّقوا واختلفوا فاستحقوا هذه العقوبة التي هي العذاب واللعنة.

ومن المعلوم أن الاختلاف إما أن يكون في الأقوال؛ كاختلاف الفقهاء الذين يتكلمون في مسائل العلم، ولا يدعون إلى أقوال مبتدعة، فهؤلاء أهل اجتهاد، وليس هذا موطن الذم.

وإما أن يكون الاختلاف في القول والعمل، غير أن الأقوال مبنية على تأويل فاسد؛ اتباعاً للهوى وغير ذلك^(١).

فهذا النوع من الاختلاف يكون مضاداً للنصوص الشرعية وهو الذي يؤدي إلى الافتراق والتنازع وهو أكثر أنواع الاختلاف وأخطرها، ومثاله ليست من مسائل الإسلام في شيء.

قال ابن القيم رحمته الله: «فكل مسألة حدثت في الإسلام فخاض فيها الناس واختلفوا، ولم يورث هذا الاختلاف بينهم عداوة ولا نقصاً ولا تفرقاً، بل بقيت بينهم الألفة والنصيحة والمودة، والرحمة والشفقة علمنا أن ذلك من مسائل الإسلام...، وكل مسألة حدثت

(٢) الصواعق المرسلة (٦٠٠) [دار الحديث القاهرة، ط ١].

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٢٥) [دار طيبة، ط ٢].

(١) ذم الفرقة والاختلاف للغنيمان (١٥ - ١٦) [مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ٦٥، ٦٦، ١٤٠٥هـ].

بالكفر ولا المفارقة ولا الخروج من السنة.

٣ - أن الاختلاف قد يكون عن اجتهاد وعن حسن نية ويؤجر عليه المخطئ ما دام متحريًا للحق، في حين أن الافتراق لا يكون عن اجتهاد، ولا عن حسن نية غالبًا، وصاحبه لا يؤجر عليه، بل هو مذموم وآثم على كل حال، ومن هنا فهو لا يكون إلا عن ابتداع أو عن اتباع هوى، أو تقليد مذموم، أو جهل مطبق.

٤ - أن الافتراق كله شذوذ وهلكة، وهو كله مذموم، أما الاختلاف فليس كذلك.

الآثار:

إن للفرق آثارًا كثيرة وخيمة على الفرد والمجتمع، منها:

١ - أنه موجب للشرك، منافع لحقيقة التوحيد. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا التفرق والاختلاف يوجب الشرك وينافي حقيقة التوحيد الذي هو إخلاص الدين كله لله، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) مُبِينٌ إِلَيْهِ وَآتَقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا

وهذه الطاعة المأمور بها هي للمحافظة على جماعة المسلمين، واتفاق كلمتهم والحذر من الافتراق، وتمزيق صفهم.

قال ابن حجر: «والحكمة في الأمر بطاعتهم؛ المحافظة على اتفاق الكلمة لما في الافتراق من الفساد»^(١).

- المسألة الرابعة: الضابط الذي يحصل به الافتراق:

يقع الافتراق ومفارقة أهل السنة والجماعة بمخالفتهم في أمرٍ كليٍّ في الدين وقاعدة من قواعد الشريعة.

ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات كذلك، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة^(٢).

الفروق:

الفرق بين الافتراق والاختلاف^(٣):

١ - أن الافتراق أشد أنواع الاختلاف، فقد يصل الاختلاف إلى حد الافتراق، وقد لا يصل.

٢ - أنه ليس كل اختلاف افتراقًا، فكثير من المسائل التي يتنازع فيها المسلمون هي من المسائل الخلافية، ولا يجوز الحكم على المخالف فيها

(١) فتح الباري (١٣/١١٢) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٢) انظر: الاعتصام (٢/٧١٢).

(٣) انظر: الافتراق لناصر العقل (٩ - ١١).

لَدَيْهِمْ فَرْحُونَ ﴿٣٢﴾ [الروم: (١)]

المصادر والمراجع:

- ١ - «الشرعة»، للأجري.
- ٢ - «تفسير الطبري».
- ٣ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السنّة التيمي.
- ٤ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٥ - «الاستقامة»، لابن تيمية.
- ٦ - «الاعتصام»، للشاطبي.
- ٧ - «فتح الباري»، لابن حجر.
- ٨ - «المفردات في غريب القرآن»، للراغب.
- ٩ - «الافتراق: مفهومه - أسبابه - سبل الوقاية منه»، لناصر العقل.

أفعال العباد

التعريف لغة:

الفاء والعين واللام أصلٌ يدلُّ على إحداث شيء من عمل وغيره، من ذلك: فَعَلْتُ كَذَا أَفَعَلُهُ فَعَلًا. وكانت من فلانٍ فَعَلَةً حَسَنَةً أو قَبِيحَةً. والفِعَال جمع فِعْلٍ^(٥).

والعباد: جمع عبد، والعبد هو

٢ - أنه مؤذن بالفشل وذهاب القوة، وسبب مباشر لتسلط الأعداء، كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَفَشَلُوا وَتَدَّهَبَ رِجَالُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: (٤٦)].

قال شيخ الإسلام: «وهذا التفريق الذي حصل من الأمة علمائها ومشايخها، وأمرائها وكبرائها، هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها... وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا أصلحوا وملكوا؛ فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب»^(٢).

٣ - أنه سبب للفساد وتعطيل الأحكام، فإن التفرق والاختلاف يقوم فيه من الشر والفساد وتعطيل الأحكام ما يعلمه أهل العلم العارفون بما جاء من النصوص في فضل الجماعة والإسلام^(٣).

٤ - أنه سبب للعذاب، وهذا مصداق لقول الله ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [١٠٥]. [آل عمران].

وقال ﷺ: «الجماعة رحمة، والفرقة عذاب»^(٤).

(٣٠/٣٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن أبي عاصم في السنّة (٤٣٥/٢) [المكتب الإسلامي، ط١]، وقال المنذري: إسناده لا بأس به. الترغيب والترهيب (٤٦/٢) [دار الكتب العلمية، ط١]، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٦/٢)، رقم (٦٦٧).

(٥) مقاييس اللغة (٥١١/٤) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(١) مجموع الفتاوى (٤٣/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٢١/٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤٧٧/٢٧).

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند

الإنسان حرًّا كان أو رقيقًا يُذْهَبُ بذلك إلى أنه مربوب لباريه ﷻ^(١).

أبو عبد الله البخاري: حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة^(٦).

التعريف اصطلاحًا:

أفعال العباد: هي الأفعال الاختيارية التي تقع من الناس؛ كالطاعات والمعاصي التي يقدم عليها العبد بإرادته؛ قاصدًا نتائجها. ويخرج من ذلك الأفعال الاضطرارية التي تحدث رغمًا عنهم ودون اختيار منهم^(٢).

أقوال أهل العلم:

روى البخاري رحمه الله عن حذيفة رضي الله عنه: «أن الله خلق كل صانع وصنعه وإن الله خلق صانع الخزم^(٣) وصنعه^(٤)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «العجز والكيس من القدر^(٥)»، وقال البخاري رحمه الله: «سمعت عبد الله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما زلت أسمع من أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة، قال

(١) لسان العرب (٢٧٣/٣) [دار صادر، بيروت، ط ١].

(٢) انظر: تفسير سورة الشمس (٢٣٣/١٦) [ضمن مجموع الفتاوى].

(٣) الخَزْمُ: شجر يُتَّخَذُ من لحائه الحبال والواحدة خزمة والمراد بصانع الخزم: صانع ما يتَّخَذُ من الخَزْم، انظر: الفائق في غريب الحديث (٣٦٧/١) [دار المعرفة، لبنان، ط ٢]، وخلق أفعال العباد (١٠٦) [دار المعارف، الرياض].

(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٤٦) [دار المعارف، ط ٢].

(٥) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٤٧) [دار المعارف، ط ٢]، والفريابي في القدر (٢٢٣) [أضواء السلف، ط ١].

الحكم:

إن الإيمان بأن الله ﷻ خالق أفعال العباد مرتبة من مراتب الإيمان بالقدر، فلا يتم الإيمان بالقدر إلا بالإقرار بأن الله ﷻ خالق أفعال العباد، كما لا يتم الإقرار بعموم ربوبية الله ﷻ حتى يتم الإيمان بخلق أفعال العباد، فإن العالم قسمان: أعيان، وأفعال. وكما أن الله خالق الأعيان فهو خالق الأفعال التي تصدر عنها^(٩).

(٦) خلق أفعال العباد (٤٦) [دار المعارف، ط ٢].

(٧) اعتقاد أئمة الحديث لأبي بكر الإسماعيلي الجرجاني (٦) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٨) رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (٥٨) [عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٣هـ].

(٩) الشريعة للأجري (٧/٢)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٧٤١/٤)، والرد على =

❁ الحقيقة:

يتضمن الإيمان بهذه المسألة الحقائق التالية:

الأولى: أن الله تعالى خالق كل شيء ومن ذلك أفعال العباد، وأنه لا يقع فعل ولا حركة ولا سكنة إلا بمشيئته وخلقته فتنسب أفعال العباد إلى الله وَعَلَيْكَ خَلْقًا وإيجادًا وهي لا تقوم به سبحانه ولا يتصف بها، ولا تعود إليه أحكامها وإنما تقوم في المحل الذي خلقها فيه، كما يقال: شمس حارة، وهواء بارد، ومطر غزير، ورجل عالم، وامرأة صالحة، فهي أعمال وصفات تقوم بهم ولا تقوم بالله وَعَلَيْكَ، وإنما الذي يوصف به سبحانه هو ما كان من فعله فهو الذي علم الفعل وكتبه وشاءه وخلقته، فهذه تنسب إلى الخالق ولا تنسب إلى المخلوق.

الثانية: أن الأعمال والأقوال، ومنها الطاعات والمعاصي؛ هي أفعال العباد وأكسابهم التي قامت بهم، فهم الذين عملوها فتنسب إليهم فعلًا وكسبًا، ولا تنسب إلى الخالق عَلَّاهُ ولا تقوم به، وإنما تقوم بالمخلوقين، وما كان منها بإرادتهم واختيارهم فيحاسبون عليه إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

الثالثة: وبناء على ذلك فلا شركة بين

الرب وبين العبد لاختلاف جهة الإضافة؛ كما إذا قلنا: هذا الولد من هذه المرأة؛ بمعنى أنها ولدتها، ومن الله؛ بمعنى أنه خلقه، وليس في ذلك تناقض، وإذا قلنا: هذه الثمرة من هذه الشجرة، وهذا الزرع من هذه الأرض؛ بمعنى أنه حدث فيها، ومن الله؛ بمعنى أنه خلقه فيها؛ وليس في هذا تناقض ^(١).

❁ المنزلة:

الإيمان بخلق الله تعالى لأفعال العباد هو المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر، فلا يصح الإيمان بالقدر إلا بالإقرار بذلك.

❁ الأهمية:

تتبين أهمية هذه المسألة في كونها المسألة التي يعود إليها أكثر المسائل التي تتعلق بالقدر.

فالقدرية النفاة سموا مجوسًا؛ لإنكارهم لخلق أفعال العباد، والجبرية سموا بذلك لغلوهم في هذه المسألة، فمن التزم منهج السلف المؤسس على الكتاب والسنة فقد نجى من محارات مسائل القدر ومزالقه، ومن وقع في الخطأ في هذه المسألة والانحراف، فانحرفه في غيرها من مسائل القدر من اللوازم المحققة.

= الجهمية للدارمي (٣٨/١) [دار ابن الأثير، الكويت، ط ٢]، وانظر: مجموع الفتاوى (٣٢٩/١٢).

(١) انظر: منهاج السنة (٣/ ١٤٥ - ١٤٩).

❁ الأدلة:

هذه المسألة أشكلت على كثير من

الفرق؛ بل على بعض المثبتين للقدر
فنذكر الأقوال المخالفة ثم نذكر قول
أهل السنة:

اعتمد أهل السنة في تقرير أن الله
خالق أفعال العباد على القرآن الكريم
والسنة النبوية.

قالت المعتزلة القدرية ومن وافقهم:
هي فعل العبد وحده، وأنكروا أن
يكون الله ﷻ له إرادة أو مشيئة أو خلق
لفعل العبد كما هو معروف من
مذهبهم^(٢).

ومن الأدلة على ذلك: قوله تعالى:
﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ
كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
وَكِيلٌ﴾ [الأنعام]، وقوله تعالى
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقِيرًا﴾ [الفرقان].

وقالت الجبرية: فعل الله تعالى
وحده، وأنكروا أن تكون فعلاً للعبد
واعتبروا نسبتها إلى العبد على سبيل
المجاز.

ومن النصوص الدالة على ذلك
بخصوصه: قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا
نَحْنُ بِمُخْلِقِيهِ﴾ [٤٥] وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿[٩٦]﴾
[الصافات].

وقال آخرون من الجبرية بالاحتمال
الثالث؛ وهي أنها خلق الله ﷻ وفعل
العبد، واختلفوا فيما ينسب إلى الله ﷻ
من ذلك وما ينسب إلى العبد، على
أقوال^(٣).

ومن السنة: حديث حذيفة رضي الله عنه قال
عن النبي ﷺ قال: «إن الله يصنع كل
صانع وصنعه»^(١) وتلا بعضهم عند
ذلك: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٩٦]
[الصافات].

والصحيح من ذلك هو الذي دلت
عليه النصوص الشرعية وهو المعقول
المقبول، وهو: أن ينسب إلى الله ﷻ
ما هو فعله، وينسب إلى العبد ما هو

❁ المسائل المتعلقة:

- وجه الجمع بين كون فعل العبد
واقعاً بخلق الله وقدرته وبين كونه واقعاً
بفعل العبد واختياره وإرادته، وهل هذه
متعارضة أم لا؟

(٢) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل لعبد الجبار
(٣/٨)، ورسائل الشريف المرتضى (١٢) [منشورات
دار القرآن، إيران، ط٣، ١٤١١هـ].

(٣) انظر: أصول الدين لأبي منصور البغدادي (١٣٤)
[دار الكتب العلمية، بيروت ط٣]، وقواعد العقائد
لأبي حامد الغزالي (١٩٦) [عالم الكتب، بيروت،
ط٢]، والمواقف في علم الكلام للقاضي الإيجي
(٣١١) [عالم الكتب، بيروت].

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٤٦) [دار
المعارف، ط٢]، وابن أبي عاصم في السنة (٢٥٨/١)
[المكتبة الإسلامية، ط١]، والحاكم في المستدرک
[كتاب الإيمان، رقم ٨٦] وصححه، وصححه الألباني
في السلسلة الصحيحة (رقم ١٦٣٧).

فعله، والجهتان منفصلتا التعلق، كما أن الجهتين بينهما تلازم؛ فإذا فرضنا مصلياً فإن المنسوب إلى الله ﷻ هو ما تعلق به من ذلك وهو علمه وكتابته ومشئته وخلقه، والمقصود بخلقه هنا هو صفته القائمة به، والتي يتعلق بها إيجاد الأشياء، أما ما يتعلق بالعبد فهو إرادته ومشئته التابعة لمشئته الله ﷻ ومباشرته للفعل وهو في نفس الوقت مخلوق لله، فالله هو الذي جعل العبد مصلياً، والمصلي هو العبد وليس الله ﷻ، فلزم من خلق الله وجود الفعل من العبد ولزم من وجود الفعل من العبد خلق الله للفعل.

قال ابن القيم رحمه الله عن أهل السنة: «إنهم يشبّون قدرة الله ﷻ على جميع الموجودات من الأعيان والأفعال ومشئته العامة، وأنه هو الذي يجعل المسلم مسلماً والكافر كافراً والمصلي مصلياً والمتحرك متحركاً، وهو الذي يسير عبده في البر والبحر، وهو المسير والعبد السائر، وهو المحرك والعبد المتحرك، وهو المقيم والعبد القائم، وهو الهادي والعبد المهتدي، وأنه المطعم والعبد الطاعم، وهو المحيي المميت والعبد الذي يحيا ويموت، ويشبّون مع ذلك قدرة العبد وإرادته واختياره وفعله حقيقة لا مجازاً، وهم متفقون على أن الفعل غير المفعول كما

حكاه عنهم البغوي وغيره، فحركاتهم واعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة وهي مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة، والذي قام بالرب ﷻ علمه وقدرته ومشئته وتكوينه، والذي قام بهم هو فعلهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم، فهم المسلمون المصلون القائمون القاعدون حقيقة، وهو سبحانه هو المقدر لهم على ذلك القادر عليه الذي شاء منهم وخلقه لهم، ومشئتهم وفعلهم بعد مشئته، فما يشاؤون إلا أن يشاء الله، وما يفعلون إلا أن يشاء الله، وإذا وازنت بين هذا المذهب وبين ما عداه من المذاهب وجدته هو المذهب الوسط والصراط المستقيم، ووجدت سائر المذاهب خطوياً عن يمينه وعن شماله فقريب منه وبعيد وبين ذلك»^(١).

(١) شفاء العليل (٥٢).

الطائفة الثانية: الجبرية، وهم الجهمية، ومن وافقهم، قابلو القدرية النفاة، فنفوا عن العباد القدرة والاختيار والمشیئة، وقالوا: إن الله أجبر العباد على المعاصي، وأضافوا الأفعال كلها خیرها وشرها إلى الله تعالى^(٣).

ومذهبهما باطل بنص القرآن والسنة والإجماع.

فالقرآن الكريم: أثبت الله تعالى المشیئة التامة، والقدرة النافذة، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الله خالق أفعال العباد، وخالق حركاتهم وسكناتهم، كما أثبت للعباد مشیئة وقدرة تامة مؤثرة في حصول المقدور، لكنها لا تخرج عن قدرة الله تعالى وخلقته ومشیئته.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٩٦] [الصفات]، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر].

ومن السنة: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء

فهو مباین له قائم بالمخلوق، وفعل العبد الذي أحدثه قائم به، فلا يكون العبد فاعلاً للفعل بمشیئته وقدرته حتى يجعله الله ﻋَظَّمَ كذلك؛ فيحدث قدرته ومشیئته، والفعل الذي كان بذلك؛ وإذا جعله الله فاعلاً وجب وجود ذلك، فخلق الرب لفعل العبد يستلزم وجود الفعل، وكون العبد فاعلاً له بعد أن لم يكن يستلزم كون الرب خالقاً له، بل جميع الحوادث بأسبابها هي من هذا الباب»^(١).

❁ مذهب المخالفين:

خالف في مسألة خلق أفعال العباد طائفتان من أهل الأهواء والبدع، كلاهما على طرفي نقيض:

الأولى: قول المعتزلة القدرية؛ أنكروا خلق الله تعالى لأفعال العباد، وزعموا أن العباد هم الخالقون لأفعالهم وأنكروا أن يكون الله ﻋَظَّمَ شاءها أو خلقها، وذلك عام عندهم في جميع أفعال الإنسان الاختيارية؛ فعندهم أنه سبحانه لا يقدر أن يهدي ضالاً ولا يضل مهتدياً، ولا يقدر أن يجعل المسلم مسلماً والكافر كافراً والمصلي مصلياً، وإنما ذلك بجعلهم أنفسهم^(٢).

(١) منهاج السنة (٣/٢٣٩).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة (٣٢٣)، والمختصر في أصول الدين للفاضل عبد الجبار (٣٢٨) [ضمن رسائل العدل والتوحيد]، ورسائل الشريف

المرتضى، المجموعة الثالثة (١٢) [منشورات دار القرآن، إيران]، ومنهاج السنة (٢/٢٩٥ - ٢٩٧).

(٣) انظر: الشامل في أصول الدين للجويني (١٨٢) [المعارف، ١٩٦٦م]، ومقالات الأشعري لابن فورك (١٣٢) [مكتبات الكليات الأزهرية، ١٩٨٦م]، وانظر: خلق أفعال العباد للبخاري (٢/٢٩٩) [دار أطلس الخضراء، ط ١، ١٤٢٥هـ]، ومجموع الفتاوى (٨/٤٥٩ - ٤٦٠) [مجمع الملك فهد، ١٤٢٥هـ].

قال ابن تيمية: «والثوري، والزبيدي، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم نهوا أن يقال: إن الله جبر العباد، وقالوا: إن هذا بدعة في الشرع، وهو مفهم للمعنى الفاسد. قال الأوزاعي وغيره: إن السُّنة جاءت بجبر، ولم تأت بجبر»^(٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، لابن القيم.
- ٢ - «منهاج السُّنة»، لابن تيمية.
- ٣ - «القضاء والقدر»، لابن تيمية.
- ٤ - «خلق أفعال العباد»، للبخاري.
- ٥ - «الانتصار في الرد على المعتزلة القدريّة الأشرار»، ليحيى بن أبي الخير العمراني.
- ٦ - «التكليف في ضوء القضاء والقدر»، لأحمد علي عبد العال.
- ٧ - «أقوم ما قيل في القضاء والقدر»، لابن تيمية.
- ٨ - «القضاء والقدر في الإسلام»، لفاروق أحمد الدسوقي.

بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز»^(١).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «إن الله خلق كل صانع وصنعه، إن الله خلق صانع الخزم وصنعه»^(٢).

وأمثال ذلك مما فيه إبطال مذهب القدريّة النفاة.

ومما يبطل مذهب الجبرية: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ [٣٦] لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) [المذثر]. وأمثال ذلك مما يدل على أن للعباد مشيئة وقدرة، لكنها لا تخرج عن قدرة الله تعالى.

وأما من السُّنة: فقوله ﷺ لأشج بن عبد القيس: «إن فيك خلتين يحبهما الله: الحلم والأناة. قال: يا رسول الله أنا أتخلق بهما، أم الله جبلني عليهما؟ قال: بل الله جبلك عليهما. قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٢٢٥)، وفي سنده ضعف، لكن له شاهد عند أحمد (٣٦١/٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وشاهد آخر عند البخاري في الأدب المفرد (٢٠٦) [دار البشائر، ط ٣]، فيتقوى بهما، وقد صححه الألباني في صحيح

الأدب المفرد (٢١٩) [دار الصديق، ط ٤].

(٤) مجموع الفتاوى (١٤١/١٦)، وانظر: السُّنة للخلال (٥٤٩/٣) [دار الراجية، ط ١، ١٤١٠هـ]، والإبانة لابن بطّة (٢٥٧/٣) [دار الراجية، ط ١، ١٤١٥هـ]، فقد أسند القول بذلك إلى بعض أولئك الأعلام.

٩ - «القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسُّنة ومذاهب الناس فيه»، لعبد الرحمن بن صالح المحمود.

١٠ - «جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح الإيمان بالقدر»، لتامر محمد متولي.

❁ الأسماء الأخرى:

الصفات الفعلية، وتسمى أيضًا (٤): «الصفات الاختيارية، وهي الأمور التي يتصف بها الرب ﷻ فتقوم بذاته؛ بمشيئته وقدرته؛ مثل كلامه وسمعه...» (٥).

❁ أفعال الله

❁ الحكم:

يجب إثبات ما أثبتته الله لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ من الأفعال اللازمة والمتعدية على ما يليق به سبحانه من غير تمثيل ولا تكيف، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

❁ الحقيقة:

أفعال الله تقوم به، فهو سبحانه يفعل ما يشاء متى شاء كيف شاء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (١٧: هود).

❁ الأدلة:

دلَّت النصوص من الكتاب والسُّنة على إثبات أفعال الله ﷻ وعلى اتصافه تعالى بها على الوجه اللائق به ﷻ، من

❁ التعريف لغة:

الأفعال: جمع فعل، وهو إحداث الشيء وإيجاده، قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الفاء العين واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على إحداث شيء من عمل وغيره. من ذلك: فَعَلْتُ كذا أَفَعَلُهُ فَعَالًا. وكانت مِن فُلَانٍ فَعَلُهُ حَسَنَةً أو قبيحة. والفِعَال جمع فِعْلٍ. والفِعَال، بفتح الفاء: الكرم وما يُفَعَّل من حَسَنٍ» (١).

❁ التعريف اصطلاحًا:

أفعال الله: هي الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئة الله وقدرته إن شاء فعلها وإن لم يشأ لم يفعلها (٢).

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٥١١) [دار الجيل، ط ٢]، وانظر: تهذيب اللغة (٢/ ٢٤٥) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١].

(٢) انظر: شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (١٥٥) [دار الوطن، ط ١]، والصفات الإلهية تعريفها وأقسامها للتميمي (٦٩) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٢هـ]. والقواعد المثلى لابن عثيمين (٣٤) [مكتبة السُّنة، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(٣) الصفات الإلهية للتميمي (٦٩).

(٤) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن بن صالح المحمود (١/ ٤١٨) [مكتبة الرشد، ط ١].

(٥) جامع الرسائل لابن تيمية (٣/ ٢) [دار العطاء، الرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ].

ففي هذه النصوص بيان اتصاف الله بجملة من أفعاله اللازمة؛ كالاستواء على العرش والإتيان والمجيء ونحوها، وبعض أفعاله المتعدية؛ كالخلق والرزق والإحياء والإماتة وغيرها.

✽ أقوال أهل العلم:

قال الإمام البخاري رحمه الله: «ف فعل الله صفة الله، والمفعول غيره من الخلق»^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الصفات الاختيارية: وهي الأمور التي يتصف بها الرب عز وجل فتقوم بذاته؛ بمشيئته وقدرته، مثل كلامه وسمعه وبصره وإرادته ومحبته ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه، ومثل خلقه وإحسانه وعدله، ومثل استوائه ومجيئه وإتيانه ونزوله ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة»^(٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين في الحديث القدسي من رواية أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه سبحانه: «من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»^(٤): «وهذا

(٢) خلق أفعال العباد للبخاري (٣٠٠/١) [دار أطلس الخضراء، ط١، ٢٠٠٥م].

(٣) جامع الرسائل لابن تيمية (٣/٢).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٧)، وأخرجه البخاري (كتاب التوحيد، ٧٤٠٥)، من حديث أبي هريرة.

ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف] وقوله ﷻ:

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوُ﴾ [يونس].

فخلق السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، واستواؤه على العرش، ومجيئه تعالى وإتيانه يوم القيامة، وتديره أمور خلقه، هذه كلها أفعال الله وهي من صفاته، وبها أوجد الله المفعولات.

وجاءت في السنة أحاديث كثيرة في بيان اتصاف الله بأفعال عديدة كما يليق بجلاله وعظمته، منها ما ثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»^(١).

وأخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٤٥)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٥٨).

القسم الثاني: الأفعال المتعدية؛ وهي ما قام بالله وتعدى أثره إلى المخلوق؛ كالخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحوها. كما يدل عليه كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم.

قال ابن تيمية رحمته الله: «والأفعال نوعان: متعد ولازم. فالمتعدي مثل: الخلق والإعطاء ونحو ذلك، واللازم: مثل الاستواء والنزول والمجيء والإتيان.

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]، فذكر الفعلين: المتعدي واللازم، وكلاهما حاصل بقدرة ومشيئته وهو متصف به»^(٤).

وقال ابن القيم: «فأفعاله نوعان: لازمة ومتعدية، كما دلت النصوص التي هي أكثر من أن تحصر على النوعين»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- قيام الأفعال بالله تعالى:

الفعل هو إحداث الشيء وتخليقه كما تقدم في تعريفه اللغوي، وهذا الإحداث والتخليق صفة للفاعل، والشيء المحدث والمخلوق مفعول للفاعل، وهو مخلوق

(٤) جامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ٢٢) [دار العطاء، الرياض، ١٤٢٢هـ].

(٥) مختصر الصواعق المرسلة لمحمد بن محمد الموصلي (٤٤٩) [دار الحديث القاهرة، ١٤٢٢هـ].

الحديث كغيره من النصوص الدالة على قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى، وأن سبحانه فعال لما يريد، كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر]، وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه]، وقوله ﷻ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر»^(١)، وقوله ﷻ: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه»^(٢)، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على قيام الأفعال الاختيارية به تعالى»^(٣).

الأقسام:

تنقسم أفعال الله من جهة تعلقها بمتعلقاتها إلى قسمين:

القسم الأول: الأفعال اللازمة؛ وهي ما قام بالله ولم يتعد أثره إلى المخلوق؛ كالنزول والاستواء والمجيء والضحك والرضا والغضب.

(١) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠١٤).

(٣) القواعد المثلى (١٢٦ - ١٢٧).

محدث، فينبغي إذن أن نعرف أن هناك ثلاثة أشياء؛ وهي: الفعل والفاعل والمفعول، مثل قولك: خلق الله السماوات والأرض، فهنا عندنا الفعل وهو الخلق، وعندنا الفاعل الذي قام بالفعل وهو الله تعالى، وعندنا المفعول وهو السماوات والأرض، إذن الخلق غير المخلوق فالأول صفة للفاعل، والثاني مخلوق وهو غير الخالق. فالفعل إذن: كان من الله فهو من صفاته، وأما إذا كان من العباد فإنه ينسب إليهم كسبًا وينسب إلى الله خلقًا.

❁ الفرق:

الفرق بين الفعل والمفعول:

الفعل صفة من صفات الله، وأما المفعول فهو مخلوق، كما هو مبين في الفقرة السابقة.

❁ مذهب المخالفين:

انحرف المخالفون في أفعال الله في باب الصفات من جهة عدم تفريقهم بين الفعل والمفعول حيث جعلوها شيئًا واحدًا مخلوقًا، وبالتالي جعلوا ما اتصف الله به من صفات الأفعال مخلوقة.

قال الإمام البخاري رحمته الله: «واختلف الناس في الفاعل والمفعول والفعل... قالت الجهمية: الفعل والمفعول واحد، لذلك قالوا: لـ (كن) مخلوق»^(١).

فالمخالفون؛ كالجهمية «المحضنة من المعتزلة ومن وافقهم، يجعلون هذا كله

ومن هنا فرق أهل السُّنة بين الفعل وبين المفعول، وبين الخلق وبين المخلوق، فالأول عندهم صفة للذات والثاني مخلوق وهو غيرها.

وقد دلت النصوص على ذلك، قال الله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١]، ففرق تعالى بين فعله وهو الخلق، وبين مفعوله وهو السماوات والناس، ففعله من ربوبيته، والسماوات والناس من مفعولاته، فالأول من صفاته، والثاني من مفعولاته ومخلوقاته.

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا «هو المأثور عن السلف، وهو الذي ذكره البخاري... وجماهير الطوائف، وهو قول جمهور أصحاب أحمد؛

(١) شرح حديث النزول (٤٠١ - ٤٠٢) [دار العاصمة، ط ١]، وانظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٦٥٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١٠، ١٤١٧هـ].

(٢) خلق أفعال العباد للبخاري (١/ ٣٠٠).

هدي الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على أن الخلق غير المخلوق، وأن الفعل غير المفعول، قال الله تعالى: ﴿مَّا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الكهف: ٥١]، ففرق بين فعل السماوات والسموات، وكذلك فعل جملة الخلق^(٣).

وعلى هذا التفريق يدل أيضًا صريح المعقول، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإذا كان الخلق فعله والمخلوق مفعوله وقد خلق الخلق بمشيئته دل على أن الخلق فعل يحصل بمشيئته ويمتنع قيامه بغيره، فدل على أن أفعاله قائمة بذاته مع كونها حاصلة بمشيئته وقدرته، وقد حكى البخاري إجماع العلماء على الفرق بين الخلق والمخلوق وعلى هذا يدل صريح المعقول؛ فإنه قد ثبت بالأدلة العقلية والسمعية أن كل ما سوى الله تعالى مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن، وأن الله انفرد بالقدم والأزلية؛ وقد قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان: ٥٩]. فهو حين خلق السماوات ابتداء؛ إما أن يحصل منه فعل يكون هو خلقًا للسماوات والأرض وإما أن لا يحصل منه فعل؛ بل وجدت المخلوقات بلا

(٣) انظر: دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام للغصن (٢٤٨) [دار ابن الجوزي، ط١]، شرح حديث النزول لابن تيمية (٤٠١ - ٤٠٢).

مخلوقًا منفصلًا عن الله تعالى. والكلابية ومن وافقهم، يثبتون ما يثبتون من ذلك: إما قديمًا بعينه لازمًا لذات الله، وإما مخلوقًا منفصلًا عنه. وجمهور أهل الحديث وطوائف من أهل الكلام، يقولون: بل هنا قسم ثالث قائم بذات الله متعلق بمشيئته وقدرته، كما دلت عليه النصوص الكثيرة.

ثم بعض هؤلاء قد يجعلون نوع ذلك حادثًا، كما تقوله الكرامية، وأما أكثر أهل الحديث ومن وافقهم فإنهم لا يجعلون النوع حادثًا، بل قديمًا، ويفرقون بين حدوث النوع وحدث الفرد من أفرادها^(١).

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن نزاع الناس في أفعال الله اللازمة؛ كالاستواء والنزول والمجيء والأفعال المتعدية؛ كالخلق والإحسان والعدل مبني على نزاعهم في هذه المسألة هنا^(٢).

الرد عليهم:

لا شك أن هذا ضلال وانحراف عن

(١) درء تعارض العقل والنقل (١٤٧/٢) [جامعة الإمام، ط٢]، وانظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٢١٨، ٢٢٩) [مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦هـ]، والإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للقاضي أبي بكر الباقلاني (١٦) [المكتبة الأزهرية للتراث، ط٢، ١٤٢١هـ]، والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني (٤٤) [مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٦٩هـ].

(٢) انظر: شرح حديث النزول (٤٠١ - ٤٠٢).

فعل، ومعلوم أنه إذا كان الخالق قبل خلقها ومع خلقها سواء وبعده سواء لم يجز تخصيص خلقها بوقت دون وقت بلا سبب يوجب التخصيص»^(١).

❖ الأقرب ❖

يراجع مصطلح (القرب).

❖ الأقوى ❖

يراجع مصطلح (القوة).

❖ الأكبر ❖

يراجع مصطلح (الكبير).

❖ الإكراه ❖

❖ التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الكاف والراء والهاء أصل صحيح واحد يدل على خلاف الرضا والمحبة»^(٢). يقال: كرهت الشيء أكرهه كَرِهًا، والكُره: الاسم، وقيل: بل المشقة، والكُره: أن تكلف الشيء، فتعمله كارهًا، ويقال: أكرهت فلانًا: يقول: حملته على أمر هو له كاره^(٣).

❖ التعريف شرعًا:

«هو إلزام الغير بما لا يريد»^(٤). أو «هو حمل الغير على ما يكرهه

❖ المصادر والمراجع:

١ - «جامع الرسائل» (ج ٢)، لابن تيمية.

٢ - «خلق أفعال العباد» (ج ١)، للبخاري.

٣ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٢)، لابن تيمية.

٤ - «دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية»، لعبد الله بن صالح الغصن.

٥ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ٢)، لابن أبي العز الحنفي.

٦ - «شرح حديث النزول»، لابن تيمية.

٧ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.

٨ - «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى»، لابن عثيمين.

٩ - «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين»، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان.

١٠ - «مختصر الصواعق المرسلات»، للموصللي.

(١) مجموع الفتاوى (٢٣٠/٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، عام ١٤١٦هـ].

(٢) مقاييس اللغة (٨٩٠) [دار إحياء التراث العربي، ط ١].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١١/٦) [دار إحياء التراث العربي، ط ١]، والصحاح (٩٧/٧) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٤) فتح الباري (٣٧٥/١٢) [دار الحديث، ط ١٩٩٨م].

بالوعيد الشديد»^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

لا خلاف بين المعنى اللغوي والاصطلاحي في كون المراد بهما هو خلاف الرضا والمحبة.

الأسماء الأخرى:

الجبر^(٢).

الحكم:

المُكره لا يؤخذ بما أكره عليه من الإقرار بالكفر ونحو ذلك؛ لأن الله ﷻ أباح النطق بالكفر عند الإكراه، فقال: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وعلى هذا اتفق العلماء فقالوا: إن المكره على الكفر لا يلزمه شيء من الكفر عند الله تعالى، ولا يترتب عليه أحكام الكفر؛ كإباحة دمه، وماله، أو فراق زوجته، وعليه يحمل فروع الشريعة كلها، فإذا وقع الإكراه عليها لم يؤاخذ به، ولم يترتب عليه حكم^(٣).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (٥٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١١م].

(٢) درء التعارض (٢٥٥/١) [جامعة الإمام، ط ٢].

(٣) انظر: الأم (١٦١) [بيت الأفكار الدولية]، ومراتب الإجماع لابن حزم (١٠٩) [دار ابن حزم، ط ١]، وتفسير القرطبي (٤٣٤/١٢ - ٤٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَنِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ [النحل].

ومن السنة: قول النبي ﷺ: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه»^(٤).

وعن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: «أخذ المشركون عمار بن ياسر، فلم يتركوه حتى سبَّ النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه؛ فلما أتى رسول الله ﷺ قال: «ما وراءك؟» قال: شرُّ يا رسول الله، والله ما تُرِكْتُ حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: «كيف تجد قلبك؟» قال: مطمئن بالإيمان، قال: «إن عادوا فعد»، زاد في رواية فنزلت: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَنِ﴾ [النحل: ١٠٦]^(٥).

أقوال أهل العلم:

قال الشافعي رحمه الله في قول الله ﷻ:

(٤) أخرجه ابن ماجه (كتاب الطلاق، رقم ٢٠٤٥)، والحاكم في المستدرک (٢١٦/٢) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في إرواء الغليل (رقم ٨٢).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢٤٩/٣) [دار صادر، ط ١]، والطبري في تفسيره (٣٠٤/١٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وهو مرسل، لكن ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (٣١٢/١٢) [دار المعرفة] عدة مراسيل أخرى تشهد له، وقال: وهذه المراسيل يقوى بعضها ببعض. وانظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٧ - ٣٥٨) [عالم الكتب، ط ١].

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]: «فجعل قولهم الكفر مغفوراً لهم مرفوعاً عنهم في الدنيا والآخرة، فكان المعنى الذي عقلنا أن قول المكره كما لم يقل في الحكم، وعقلنا أن الإكراه هو أن يغلب بغير فعل منه»^(١).

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: «اتفقوا على أن المكره على الكفر، وقلبه مطمئن بالإيمان؛ أنه لا يلزمه شيء من الكفر عند الله تعالى. واختلفوا في إلزامه أحكام الكفر، واتفقوا أن خوف القتل إكراه»^(٢).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «تأملت المذهب، فوجدت الإكراه يختلف باختلاف المكره عليه، فليس الإكراه المعتبر في كلمة الكفر كالإكراه المعتبر في الهبة ونحوها»^(٣).

الشروط:

شروط الإكراه:

الأول: أن يكون فاعله قادراً على إيقاع ما يهدد به، والمأمور عاجزاً عن الدفع ولو بالفرار.

الثاني: أن يغلب على ظنه أنه إن امتنع أوقع به ذلك.

الثالث: أن يكون ما هُدد به فورياً، فلو قال له مثلاً: إن لم تفعل كذا ضربتك غداً؛ لا يُعدّ مكرهاً، ويستثنى منه حالتان؛ **الأولى:** أن يذكر زمناً قريباً جداً. **الثانية:** أن يعرف من عادة المكره أنه لا يخلف.

الرابع: أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره^(٤).

ومنهم من جعل الشروط ثلاثة؛ وهي: **أحدها:** أن يكون المكره قادراً بسلطان أو تغلب؛ كاللص ونحوه.

الثاني: أن يغلب على ظن المكره نزول الوعيد به إن لم يجبه إلى ما طلبه.

الثالث: أن يكون مما يتضرر به ضرراً كبيراً؛ كالقتل، والضرب الشديد، والحبس والقيود الطويلين، وأخذ المال الكثير^(٥).

الأقسام:

قسّم العلماء الإكراه إلى نوعين؛ إكراه تام؛ وهو ما يوجب الإلجاء والاضطرار طبعاً؛ كالقتل، والقطع، والضرب الذي يخاف فيه تلف النفس، أو العضو قلّ الضرب أو كثر.

(٤) انظر: فتح الباري (١٢/ ٣٧٥ - ٣٧٦)، والمبسوط للسرخسي (٢٤/ ٣٩ - ٤٠) [دار المعرفة، ط ٣]، والإقناع (٢/ ٩٩).

(٥) انظر: المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٢) و١٥٤ - ١٥٥)، والمغني (١٠/ ٣٥٤ - ٣٥٣) [دار عالم الكتب، ط ٣، ١٤١٧هـ].

(١) الأم (٧/ ٧٦) [دار المعرفة، ١٣٩٣].

(٢) مراتب الإجماع لابن حزم (١٠٩) [دار ابن حزم، ط ١].

(٣) الفتاوى الكبرى (٥/ ٤٩٠) [دار الكتب العلمية، ط ١].

الثاني: إكراه ناقص؛ وهو ما لا

يوجب الإلجاء والاضطرار وهو الحبس

والقيد، والضرب الذي لا يخاف منه

التلف، وليس فيه تقدير لازم سوى

أن يلحقه منه الاغتمام البيّن من

هذه الأشياء: الحبس، والقيد،

والضرب^(١).

المسائل المتعلقة:

المسألة الأولى: حكم الانقياد

للإكراه:

اتفق العلماء على أنه يجوز للمكره

أن يوالي الكافر إبقاءً لمهجته، ويجوز

له أن يستقتل كما كان بلال رضي الله عنه يأبى

عليهم ذلك، والمشركون يعذبونه، وهو

يقول: أحد أحد^(٢)، وكذلك حبيب بن

زيد الأنصاري رضي الله عنه لما قال له مسيلمة

الكذاب: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟

فيقول: نعم. ولما قال له: أتشهد أنني

رسول الله؟ فقال له: أنا أصم،

فقتله^(٣).

المسألة الثالثة: حكم تكليف

المكره بترك فعل ما أكره عليه:

اختلف في المكره؛ أيكلف بترك فعل

ما أكره عليه أم لا؟ فذكر بعضهم

الإجماع على أن المكره على القتل

مأمور باجتنب القتل والدفع عن نفسه،

وأنه يأثم إن قتل من أكره على قتله،

وذلك يدل أنه مكلف حالة الإكراه،

وافتح الباري (٣٧٦/١٢).

(١) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١٧٥/٧) [دار الكتاب العربي، ط ١٩٨٢م].

(٢) أخرج قصته ابن ماجه (المقدمة، رقم ١٥٠)، وأحمد (٣٨٢/٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وحسنه الألباني.

(٣) أخرج قصته ابن أبي شيبة في مصنفه (كتاب السير، رقم ٣٣٧٠٨) [دار القبله، ط ١]، عن الحسن

مرسلًا. قال الألباني: (وهذه قصة جيدة، لولا أنها من مراسيل الحسن البصري)، وذكر لها شاهدًا

مرسلًا آخر. انظر: السلسلة الضعيفة (٧٢٥/١٢) [دار المعارف، ط ١]، وانظر أيضًا: تفسير ابن كثير (٣٥٧/٨ - ٣٥٨) [دار عالم الكتب].

(٤) انظر: البيان والتحصيل لابن رشد (١١٨/٦ - ١١٩)

[دار الغرب الإسلامي، ط ٢]، وتفسير القرطبي

(٤٣٥/١٢ - ٤٣٦) [مؤسسة الرسالة ط ١]، والفتاوى

الكبرى لابن تيمية (٥٦/١) [دار المعرفة، ط ١]،

وفتح الباري (٣٧٦/١٢).

وعن شريح رحمته الله قال: «القيد كره، والسجن كره، والوعيد كره»^(٤).

المصادر والمراجع:

١ - «مجموع الفتاوى» (ج ١)، لابن تيمية.

٢ - «الاستقامة» (ج ٢)، لابن تيمية.

٣ - «المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد»، لعبد الرحمن بن حسن.

٤ - «سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك»، لحمد بن علي بن عتيق.

٥ - «شرح كشف الشبهات»، لمحمد بن إبراهيم.

٦ - «شرح العقيدة السفارينية»، لابن عثيمين.

٧ - «الأم» (ج ٧)، للإمام الشافعي.

٨ - «الإشراف على مذاهب العلماء» (ج ٥)، لابن المنذر.

٩ - «الإنصاف (مع المقنع والشرح الكبير)» (ج ٢٢)، للمرداوي.

١٠ - «بدائع الصنائع» (ج ٧)، للكاساني.

١١ - «البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة» (ج ٦)، لابن رشد.

[٣٣٧١٧] [دار القبة، ط ١].

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (كتاب الحدود، رقم

٢٨٨٩٠) [دار القبة، ط ١].

والذي يقتضيه كلام أهل العلم - كما ذكره الحافظ ابن حجر - تخصيص الخلاف بما وافق فيه داعية الإكراه داعية الشرع؛ كالإكراه على قتل الكافر، وإكراهه على الإسلام. أما ما خالف فيه داعية الإكراه داعية الشرع كالإكراه على القتل، فلا خلاف في جواز التكليف به، وإنما الخلاف في تكليف الملجأ وهو من لم يجد مندوحة عن الفعل كمن ألقى من شاهق وعقله ثابت، فسقط على شخص فقتله، فلا مندوحة له عن السقوط، ولا اختيار له في عدمه، بل هو آلة محضة، ولا نزاع في أنه غير مكلف إلا ما أشار إليه بعض المتكلمين من التفريع على تكليف ما لا يطاق^(١).

الآثار:

عن عمر رضي الله عنه: «ليس الرجل بأمين على نفسه، إن أجعته، أو أخفته أو حبسته»^(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ما من كلام أتكلم به بين يدي سلطان يدرأ عني به ما بين سوط إلى سوطين إلا كنت متكلمًا به»^(٣).

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٢/٤٣٥ - ٤٣) [مؤسسة الرسالة]، وفتح الباري (١٢/٣٧٥ - ٣٧٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (كتاب الحدود، رقم ٢٨٨٩١) [دار القبة، ط ١]، والبيهقي في السنن الكبرى (كتاب الحدود، ٧/٣٥٨) [مجلس دار المعارف النظامية في الهند، ط ١، ١٣٤٤هـ].

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (كتاب الحدود، رقم

- ١٢ - «الجامع لأحكام القرآن» [العلق: ٣] يدل على الحصر، ولم يقل: (ج ١٢)، للقرطبي.
- ١٣ - «فتح الباري» (ج ١٢)، لابن حجر العسقلاني.
- ١٤ - «المبسوط» (ج ٢٤)، السرخسي.
- ١٥ - «المغني» (ج ١٠)، لابن قدامة المقدسي.

الحكم:

يجب الإيمان باسم الله الأكرم لدلالة النصوص على ثبوته لله سبحانه.

الحقيقة:

قال ابن تيمية: «وهو سبحانه أخبر أنه الأكرم بصيغة التفضيل والتعريف لها، فدل على أنه الأكرم وحده، بخلاف ما لو قال: (وربك أكرم)؛ فإنه لا يدل على الحصر. وقوله: ﴿الْأَكْرَمُ﴾ [العلق] يدل على الحصر، ولم يقل: (الأكرم من كذا)، بل أطلق الاسم؛ ليبين أنه الأكرم مطلقاً غير مقيد. فدل على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه»^(٤).

وذكر السعدي أن اسم الله الأكرم يدل على أن الله «كثير الصفات واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود، الذي من كرمه أن علم بالعلم»^(٥).

الأدلة:

دلَّت النصوص الشرعية على ثبوت

الأكرم

التعريف لغة:

الأكرم: اسم تفضيل بوزن (الأفعل) يدل على الحصر والمبالغة في الكرم، وفي بيان معنى الكرم يقول ابن فارس: «الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان؛ أحدهما: شرف في الشيء في نفسه، أو شرف في خلق من الأخلاق، والكرم في الخلق يقال: هو الصفح عن ذنب المذنب»^(١).

التعريف شرعاً:

الأكرم: هو المتفرد بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه^(٢).

قال ابن تيمية: «وقوله: ﴿الْأَكْرَمُ﴾

(١) مقاييس اللغة (١٧١/٥ - ١٧٢)، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩٥/١٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة (٧٨ - ٧٩) لسعيد القحطاني [مؤسسة الجريسي].

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩٥/١٦).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) تفسير السعدي (٩٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

للمحاسن والمحامد، لا يراد به مجرد الإعطاء، بل الإعطاء من تمام معناه؛ فإن الإحسان إلى الغير تمام المحاسن، والكرم كثرة الخير ويسرته^(٤).

وقال ابن القيم في قول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق]: «ثم أعاد الأمر بالقراءة مخبراً عن نفسه بأنه الأكرم، وهو الأفعال من الكرم، وهو كثرة الخير، ولا أحد أولى بذلك منه سبحانه، فإن الخير كله بيديه، والخير كله منه، والنعم كلها هو موليها، والكمال كله، والمجد كله له، فهو الأكرم حقاً»^(٥).

الفروق:

الفرق بين الكريم والأكرم:

من الفروق التي قيلت بين الاسمين: أن الكريم يعود إلى صفة فعلية، والأكرم إلى صفة ذاتية، وقد يتفق الاسمان فيأتي أحدهما بمعنى الآخر، قال الخطابي: «والأكرم هو أكرم الأكرمين، لا يوازيه كريم، ولا يعادله فيه نظير، وقد يكون الأكرم بمعنى الكريم»^(٦).

وقال القرطبي: «إن أردت التفرقة بين

اسم الله (الأكرم)، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق].

وجاء عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنهما كانا يقولان بين الصفا والمروة: «رب اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم»^(١).

وهذا مما لا مجال فيه للرأي فيكون له حكم المرفوع^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال الخطابي رحمته الله: «والأكرم هو أكرم الأكرمين، لا يوازيه كريم، ولا يعادله فيه نظير، وقد يكون الأكرم بمعنى الكريم»^(٣).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «قوله: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق] سمي الأكرم ما لم يعلم»^(٤). [العلق] سمي ووصف نفسه بالكرم وبأنه الأكرم بعد إخباره أنه خلق؛ ليتبين أنه ينعم على المخلوقين ويوصلهم إلى الغايات المحمودة، ولفظ الكرم لفظ جامع

(١) أخرجهما ابن أبي شبة في المصنف (كتاب الحج، رقم ١٥٨٠٨، ١٥٨١٢) [دار القبة، ط ١]، والبيهقي في السنن الكبرى (كتاب الحج، رقم ٩٣٥١، ٩٣٥٢) [دار الكتب العلمية، ط ٣]، وصحح إسنادهما الألباني في مختصر مناسك الحج والعمرة (٢٧) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: صفات الله سبحانه لعلوي السقاف (٢٤٨ - ٢٤٩) [الدرر السنية، ودار الهجرة، ط ٣، ١٤٢٦هـ].

(٣) شأن الدعاء للخطابي (١٠٣ - ١٠٤) [دار الثقافة العربية، ط ٣]. وانظر: تفسير السمعاني (٢٥٦/٦) [دار الوطن، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٢٩٣/١٦).

(٥) مفتاح دار السعادة (٥٨/١) [دار الكتب العلمية]. وانظر: تفسير السعدي (٩٣٠)، وأضواء البيان (٩/١٧) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٦) شأن الدعاء للخطابي (١٠٣ - ١٠٤)، وانظر: تفسير السمعاني (٢٥٦/٦).

٦ - «معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

٧ - «مفتاح دار السعادة» (ج ١)، لابن القيم.

٨ - «المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، لزيد شحاتة.

٩ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لمحمد حمود النجدي.

الإلحاد

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «اللام والحاء والdal أصلٌ يدل على ميل عن استقامة، يقال: ألحد الرجل، إذا مال عن طريقة الحق والإيمان»^(٣)، ويقول الجوهري: «ألحد في دين الله؛ أي: حاد عنه وعدل، ولحد لغةً فيه... والتحد مثله. وألحد الرجل؛ أي: ظلم في الحرم، وأصله من قوله وَجَلَّ: «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَاكِ بِظُلْمٍ» [الحج: ٢٥]»^(٤). واللحد الشق الذي يكون في جانب القبر موضع الميت؛ لأنه قد أميل عن وسطه إلى جانبه»^(٥). وعلى هذا

(٣) مقاييس اللغة (٢٣٦/٥) [دار الجيل، ط ١].

(٤) الصحاح (٥٣٤/٢) [دار العلم للملايين، ط ٣]، وانظر: العين (١٨٢/٣ - ١٨٣) [دار مكتبة الهلال]، ولسان العرب (٣٨٨/٣ - ٣٨٩) [دار صادر].

(٥) لسان العرب (٣٨٨/٣ - ٣٨٩).

الأكرم والكريم، جعلت الأكرم الوصف الذاتي، والكريم الوصف الفعلي»^(١).

الأثار:

ينبغي على كل عبد أن يعلم أن الإكرام الحقيقي هو إكرام الله للعبد بالتقوى، وبحسبها تكون منزلة العبد عند الأكرم تعالى^(٢)، فيسعى العبد إلى تحقيق العبودية للكريم الأكرم ليكرمه، ولا يلتفت إلى غير الله ليهان، ومن يهن الله فما له من مكرم.

وإذا أيقن العبد بأن الله هو الأكرم، انقطع رجاؤه فيه، وقويت عزائمه في طلب الكرم من ماله سبحانه والمتفرد بإعطائه لمستحقه.

المصادر والمراجع:

١ - «أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة»، لماهر مقدم.

٢ - «أضواء البيان» (ج ٩)، للشنقيطي.

٣ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

٤ - «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة»، لسعيد القحطاني.

٥ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٦)، لابن تيمية.

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١/١١٢) [دار الصحابة، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها لماهر مقدم (٤٦) [مكتبة الإمام الذهبي، ط ٤].

فلفظ الإلحاد في اللغة؛ يعني: الميل، والظلم، والعدول عن الاستقامة أو الدين أو الحق.

✽ التعريف شرعاً:

لفظ الإلحاد يقتضى ميلاً عن شيء إلى شيء باطل^(١)، فهو «الميل عما يجب اعتقاده، أو عمله»^(٢)، ويقول الطبري معرّفًا الإلحاد: «الإلحاد في الدين وهو المعاندة بالعدول عنه والترك له»^(٣). والإلحاد المصطلح عليه في هذا العصر هو إنكار وجود الله، والقول بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، واعتبار تغيرات الكون قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار ظاهرة الحياة، وما تستتبع من شعور وفكر عند الإنسان، من أثر التطور الذاتي في المادة^(٤).

أما الإلحاد في أسماء الله ﷻ فيقول الإمام ابن القيم في تعريفه: «والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها»^(٥)، وقال

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/١٢٤) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ].

(٢) فتاوى الشيخ ابن عثيمين (٢٣/٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٣٣/١٥) [دار الفكر، ١٤٠٨هـ].

(٤) كواشف زبوف في المذاهب الفكرية المعاصرة لعبد الرحمن الميداني (٤٠٩) [دار القلم]، وانظر: مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب (٦٠٥) [دار الشروق].

(٥) بدائع الفوائد (١٦٩/١) [مكتبة الرياض الحديثة].

أيضاً في بيان معنى هذا اللفظ: «الإلحاد في أسماء الله تارة يكون بجحد معانيها وحقائقها، وتارة يكون بإنكار المسمى بها، وتارة يكون بالتشريك بينه وبين غيره فيها»^(٦).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الإلحاد في اللغة؛ يعني: الميل، والعدول عن الحق، ومعناه الشرعي كذلك؛ يعني: الميل عن الدين، وتركه، أو عن بعضه.

✽ الأسماء الأخرى: الزندقة.

✽ الحكم:

الإلحاد كفر وجحود للرب.

✽ الأدلة:

من الأدلة التي تنهى عن الإلحاد:

قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف].

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي عَائِلَتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَنُؤَلِّقُ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَ ءَامِنًا يَوْمَ الْقِسْمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت].

(٦) الصواعق المرسلة (١/٢١٧) [دار العاصمة، ط ١].

❁ الأقسام:

الإلحاد قسمان:

الأول: إلحاد كلي، وهو إنكار وجود الله ﷻ، وهو كفر ظاهر.

والثاني: إلحاد جزئي، وهو الإلحاد في أسمائه ﷻ، وصفاته. وهو خمسة أقسام^(١):

أحدها: أن تسمى الأصنام بها؛ كسميتهم اللات من الإلهية، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهاً، وهذا إلحاد حقيقة، فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم، وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله؛ كتسمية الفلاسفة له موجباً بذاته، أو علة فاعلة بالطبع، ونحو ذلك، مما حقيقته الكفر^(٢).

وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص؛ كقول أخبث اليهود: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وهذا كفر^(٣).

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها؛ كقول من يقول من

الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني. وهذا كفر بالله ﷻ^(٤).

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه - تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً - وهذا كفر^(٥).

❁ المسائل المتعلقة:

لم يكن الإلحاد في التاريخ الإنساني ظاهرة بارزة، ذات تجمع بشري، أو مذهباً مدعماً بمنظمات ودول، وإنما كان ظاهرة فردية شاذة، وربما اجتمع عليه فئات قليلة، وانتشر الإلحاد منذ القرن التاسع عشر، حيث صيغت العلوم الإنسانية، وجذور العلوم البحتة، على أسس الإلحاد بالله، والتفسيرات المادية^(٦)، وانتشر انتشاراً لا سابق له في الجاهليات القديمة. إلا أنه في أواخر القرن العشرين وأوائل الحادي والعشرين، وجد شيء من التدين في الأوساط الغربية الملحدة، وشهد العالم سقوط الشيوعية، ثم بدأنا نشاهد عودة ما يسمى باليمين المسيحي المتطرف، كل ذلك بعد أن ذاقوا ويلات البعد عن

(٤) انظر في حكمهم: شرح الطحاوية (٨٥/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ]، الإنصاف (٢٨٤/١٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ]، الفروع (١٠/١٨٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٥) انظر: شرح الطحاوية (٨٥/١).

(٦) انظر: كواشف زیوف (٤١١).

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/١٦٩ - ١٧٠)، ومدارج السالكين (١/٢٩ - ٣٠) [دار الكتاب العربي، والمفردات للأصفهاني (٧٣٧)].

(٢) انظر: الصفدية (١/٨ - ٩، ٢/٢٥١ - ٢٥٢) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وبغية المرناد (٣٥٧) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، ومنهاج السنّة (١/٣٤٢) [مؤسسة قرطبة، ط ١].

(٣) انظر: التدمرية (١٣٢ - ١٣٣) [مكتبة العبيكان، ط ٦].

- الدين، والعيش في ظلمة الإلحاد. ومع وجود هذه الظواهر الجزئية فقد ظل الإلحاد متغلغلاً في تلك الأوساط، مرتدياً عباءة العلم، والحضارة. وأئمة الإلحاد من الفلاسفة كثيرون، منذ عهد الإغريق، حتى عصرنا الحاضر، وهم الذين كانت لهم آراء ظاهرة، حاولوا فيها تفسير الوجود، والكون، وظاهراته، والتغيرات التي تجري فيه، تفسيرات تستبعد استبعاداً كلياً فكرة وجود خالق، ومن هؤلاء:

- ١ - ديموقريطس، وهو فيلسوف إغريقي (٤٧٠ - ٣٦١ ق.م).
 - ٢ - أبيقور، وهو فيلسوف إغريقي (٣٤١ - ٢٧٠ ق.م).
 - ٣ - توماس هوبز، فيلسوف إنجليزي، وهو أول الماديين المحدثين (١٥٨٨ - ١٦٧٩م).
 - ٤ - دافيد هيوم، فيلسوف اسكتلندي (١٧١١ - ١٧٧٦م).
 - ٥ - شوبنهاور، فيلسوف ألماني (١٧٨٨ - ١٨٦٠م).
 - ٦ - كارل ماركس، يهودي ألماني مؤسس الشيوعية (١٨١٨ - ١٨٨٣م).
 - ٧ - بخنر، فيلسوف ألماني (١٨٢٤ - ١٨٩٩م).
 - ٨ - نيتشه، فيلسوف ألماني (١٨٤٤ - ١٩٠٠م).
 - ٩ - سبنسر، فيلسوف إنجليزي (١٨٢٠ - ١٩٠٣م).
 - ١٠ - برتراند رسل، فيلسوف إنجليزي (١٨٧٣ - ١٩٧٠م)^(١).
- ✽ المصادر والمراجع:
- ١ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.
 - ٢ - «تاريخ الإلحاد»، لعبد الرحمن بدوي.
 - ٣ - «تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد»، للصنعاني.
 - ٤ - «التعريفات الاعتقادية»، لسعد آل عبد اللطيف.
 - ٥ - «تلبس إبليس»، لابن الجوزي.
 - ٦ - «الصفدية» (ج ١)، لابن تيمية.
 - ٧ - «قضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي»، لسارة بنت عبد المحسن آل سعود.
 - ٨ - «مذاهب فكرية معاصرة»، لمحمد قطب.
 - ٩ - «الملل والنحل» (ج ٢)، للشهرستاني.
 - ١٠ - «الموسوعة الفلسفية»، لعبد المنعم الحفني.

(١) انظر: كواشف زيف (٤١٩ - ٤٢٠)، قصة الفلسفة لأول ديورانت (٣٨٨) وما بعدها [مكتبة المعارف، ط ٦]، قضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي لسارة بنت عبد المحسن (٣٧، ١٧٣، ٧٦٣) [مكتبة العيكان، ط ١].

١١ - «كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة»، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.

١٢ - «نواقض الإيمان القولية والعملية»، لعبد العزيز آل عبد اللطيف.

الحساب: إذا رددته إلى الجملة^(٤).

التعريف اصطلاحاً:

هي الألفاظ المحدثه التي تحتمل حقاً وباطلاً، مثل: الجسم والجهة والحيز^(٥).

سبب التسمية:

سميت بذلك: لأنها تحتمل حقاً وباطلاً.

الحكم:

يجب على المسلم أن يتوقف في إطلاق هذه الألفاظ، فلا يثبتها ولا ينفيها، وإنما يستفسر عن معانيها؛ فإن كان حقاً قبل وإن كان باطلاً رد، وعلى المتكلم أن يعبر بالألفاظ الشرعية التي جاءت في النصوص.

الحقيقة:

حقيقة هذه المسألة: أن يعلم أن الألفاظ نوعان:

١ - ما جاء في الكتاب والسنة، فهذا يجب الإقرار به، فيثبت ما أثبتته الله ورسوله، وينفي ما نفاه الله ورسوله.

(٤) انظر: الصحاح (١٦٦٢/٤).

(٥) انظر: روضة الناظر لابن قدامة (٥١٦/١) [مؤسسة الريان، ط٢]، وشرح مختصر الروضة (٦٤٧/٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]. وانظر أيضاً: موقف ابن تيمية وابن القيم من الألفاظ المجملة المتعلقة بأبواب التوحيد والقضاء والقدر (٤٨) [رسالة ماجستير مقدمة لقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام ١٤٢٨هـ].

الألفاظ المجملة

التعريف لغة:

الألفاظ: جمع لفظ، قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «اللام والفاء والظاء كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء»^(١). تقول: «لَفَظَ بالكلام يَلْفِظُ لَفْظًا. وَلَفَظْتُ الشيءَ من فمي. وَلَفَظَ بالكلام وتَلَفَّظَ به: تكلم به، واللَّفْظُ واحد الألفاظ وهو في الأصل مصدر»^(٢)، واللَفْظ قد يرد بمعنى المصدر وقد يرد بمعنى المفعول، فيراد به الملفوظ نفسه.

المجملة: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الجيم والميم واللام أصلان: أحدهما تَجَمُّعٌ وَعِظْمُ الْخَلْقِ، والآخر حُسْنٌ. فالأوّل قولك أَجَمَلْتُ الشيءَ، وهذه جُمْلَةُ الشيءَ. وأَجَمَلْتُهُ حَصَلَتُهُ»^(٣). والمجمل: ما جعل جملة واحدة، لا ينفرد بعض آحادها عن بعض.

قال الجوهري: «وقد أجملت

(١) مقاييس اللغة (٢٥٩/٥) [دار الفكر، ط١٣٩٩هـ].

(٢) لسان العرب (٤٦١/٧) [دار صادر، ط٣]، ومختار الصحاح (٢٨٣) [المكتبة العصرية، ط٥].

(٣) مقاييس اللغة (٤٨١/١).

٢ - ألفاظ ليست في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها؛ فالأصل في حكم إطلاقها هو المنع، لكن إذا دعت الحاجة إلى ذلك، ونظر في مقصود قائلها وكانت المعاني صحيحة، جاز إطلاقها. أما في حال عدم الحاجة إلى إطلاقها فإن السلف كرهوا التكلم بها^(١).

الأدلة:

أولاً: نصوص عامة:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام]، فالقرآن نزل مفصلاً حتى يتميز طريق الحق من طريق المجرمين، والتفصيل هو خلاف الإجمال. قال السعدي رحمه الله: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾؛ أي: نوضحها ونبينها، ونميز بين طريق الهدى من الضلال، والغي والرشاد، ليهتدي بذلك المهتدون، ويتبين الحق الذي ينبغي سلوكه. ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام]، الموصلة إلى سخط الله وعذابه، فإن سبيل المجرمين إذا استبان وتوضحت، أمكن اجتنابها، والبعد منها، بخلاف ما لو كانت مشتبهة ملتبسة، فإنه لا يحصل هذا المقصود الجليل^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ

فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف]. فهو سبحانه بينه وأنزله على عباده بعلم ليس كمن يتكلم بلا علم.

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]، فكلمة (راعنا) لفظ مجمل، أراد منه اليهود معنى باطلاً، ألا وهو تنقص النبي ﷺ، فأمرنا القرآن أن نبتعد عن الإجمال، وأن نستخدم ألفاظاً واضحة، بقوله: ﴿وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾.

وقال النبي ﷺ: «لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك، اسق ربك، وليقل: سيدي ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي، أمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي»^(٣). فأمر النبي ﷺ أن يعدل عن اللفظ المجمل إلى لفظ غير مجمل؛ لأن العبودية والربوبية ألفاظ يفهم منها معنى صحيح ومعنى باطل. فاستخدام الألفاظ الواضحة غير المشتبهة هو الواجب.

أقوال أهل العلم:

سئل الإمام الأوزاعي رحمه الله عن الجبر فقال: «ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ولا السنة، فأهاب أن أقول ذلك، ولكن: القضاء والقدر والخلق والجبل، فهذا يعرف في القرآن والحديث عن

(٣) أخرجه البخاري (كتاب العتق، رقم ٢٥٥٢)، ومسلم (كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، رقم ٢٢٤٩).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٣٠٦، ١١٣/١٢ - ١١٤).

(٢) تفسير السعدي (٢٥٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

رسول الله ﷺ^(١).

(كلام الله غير مخلوق)، (الحد):

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمته الله: «وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها؛ فإن كان معنى صحيحاً قبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص، دون الألفاظ المجملة، إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد»^(٢).

١ - قولهم: «بائن من خلقه»: هذا اللفظ من الألفاظ المعروفة التي بينت معانيها، وهي من الألفاظ التي أثرت عن السلف رحمهم الله، وهذه الألفاظ إنما تستعمل في باب الإخبار عن الله تعالى، ولا تسمى في باب الأسماء. والسلف رحمهم الله استعملوا هذا اللفظ رداً على الجهمية الحلوية، فقالوا: إن الله بائن من خلقه غير مختلط بهم، والجهمية هم الذين ينكرون مباينة الله لخلقه، فهذا اللفظ يحمل معاني صحيحة دلت عليها النصوص. وهذا النوع من الألفاظ يجيز جمهور أهل السنة استعماله^(٤).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها، فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده؛ فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقر به، وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكره. ثم التعبير عن تلك المعاني إن كان في ألفاظه اشتباه أو إجمال عبّر بغيرها أو بيّن مراده بها، بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرعي؛ فإن كثيراً من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة ومعان مشبهة»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- حكم استعمال: (بائن من خلقه)،

٢ - قولهم: «كلام الله غير مخلوق»: هذا اللفظ من الألفاظ التي تكلم السلف بها للتوضيح والبيان، وكلمة (غير مخلوق) لم ترد عن رسول الله تعالى، ولا عن أصحابه رحمهم الله، لكن لما كان المبتدعة يتلفظون بألفاظ مجملة، يريدون من ورائها تقويض مذهب السلف، ونفي صفة الكلام عن الله تعالى، بيّن أهل السنة أنه واجب على المسلم أن يقول: (غير مخلوق)، ومن لم يقل بهذه الكلمة بدع وعد من الواقفة الذين وصفوا بأنهم

(١) أخرجه الخلال في السنة (٥٥٥/٣) [دار الراية، ط ٢].

(٢) شرح الطحاوية (١٨٩ - ١٩٠) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط ١]. وانظر: مجموع الفتاوى (٤١/٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١١٤/١٢).

(٤) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (٢٧) [دار ابن الأثير، ط ٢]، ومجموع الفتاوى (٣٠٦/٣) (١٢/١١٣ - ١١٤).

سواه، فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلاً، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجوب الرب ونفي حقيقته، وأما الحد بمعنى العلم والقول، وهو أن يحده العباد، فهذا منتف بلا منازعة بين أهل السُّنة^(٢).

من السلف من أثبتته ومنهم من نفاه، قال شيخ الإسلام: «فإن المشاهير بالإمامة في السُّنة أثبتوه، كما ذكره عثمان بن سعيد عنهم وسمى ابن المبارك^(٣)».

ومراد السلف من ذلك سد الطريق على الجهمية فيما ادعوه من أن الله تعالى في كل مكان.

وأما ما جاء عن الإمام أحمد من روايات في نفي الحد عن الله تعالى، فقد وجه ذلك شيخ الإسلام بقوله: «فهذا الكلام من الإمام أبي عبد الله أحمد رحمته الله، يبين أنه نفى أن العباد يحدون الله تعالى أو صفاته بحد، أو يقدرون ذلك بقدر، أو أن يبلغوا إلى أن يصفوا ذلك، وذلك لا ينافي ما تقدم من إثبات أنه في نفسه له حد يعلمه هو لا يعلمه غيره، أو أنه هو يصف نفسه. وهكذا كلام سائر أئمة السلف يشبتون الحقائق وينفون علم العباد بكنهها^(٤)».

(٢) شرح الطحاوية (١٩٠).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٣/٦٩٧).

(٤) بيان تلبيس الجهمية (٢/٦٢٨) و(٣/٧٠٦)، وسير =

شر من الجهمية؛ لأنهم شكوا في كلام الله تعالى. وبعضهم يستعمل هذا اللفظ (تقية) من أجل إخفاء تجهمه. فكان علامة السُّني أن يفصل القول ويقول: كلام الله غير مخلوق.

ولهذا لما سئل الإمام أحمد بن حنبل: هل لهم رخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله تعالى ثم يسكت؟ فقال: ولم يسكت؟ ولولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا لأي شيء لا يتكلمون؟!^(١).

٣ - قولهم: «الحد»: هذا اللفظ من الألفاظ الحادثة التي لم يكن يعرفها الصدر الأول من السلف الصالح، ولم ترد في النصوص الشرعية نفيًا ولا إثباتًا.

وموقف السلف من ذلك الاستفصال: فإن أراد بإثبات الحد أن الله بائن من خلقه منفصل عنهم فهو حق، وإن أراد بنفي الحد أن الله لا يقدر حده إلا هو سبحانه فهذا أيضًا حق، وإن قصد بالنفي أن الله في كل مكان، فهذا باطل مردود.

قال ابن أبي العز رحمته الله: «ومن المعلوم أن الحد يقال على ما ينفصل به الشيء ويتميز به عن غيره، والله تعالى غير حال في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيوم القائم بنفسه، المقيم لما

(١) أخرجه أبو داود في مسائله عن أحمد (٣٥٥)، رقم

(١٧٠٥) [مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤٢٠هـ].

❁ الآثار:

التجهيل (٣).

❁ الحكمة:

الحكمة من منع إطلاق الألفاظ
المجملة:

- ١ - لحماية جناب الدين من عبث المضلين.
- ٢ - لئلا يقال على الله بغير علم.

٣ - لكي تفهم الألفاظ الشرعية الفهم الصحيح الموافق لمراد الله ومراد رسوله ﷺ.

٤ - ولقطع الطريق على أهل الهواء والبدع الذين اتخذوا الألفاظ المجملة مطية لنشر عقائدهم الباطلة وتميرها على الناس، لذا كان موقف أهل السنة حازماً جداً، حيث امتنعوا عن إطلاق تلك الألفاظ نفياً وإثباتاً إلا بعد الاستفسار والتفصيل، لكي يثبت المعنى الحق وينفى المعنى الباطل.

❁ مذهب المخالفين:

أهل الأهواء يستخدمون الألفاظ المجملة، المشتملة على حق وباطل، للتلبيس على الناس في عقيدتهم، وجرحهم إلى الاختلاف، لذلك ذم السلف هذا المسلك، وذمهم له ليس لمجرد

لا شك أن الألفاظ المجملة تركت آثاراً سيئة وأضراراً كبيرة في الأمة، وقد حذر منها العلماء كما جاء عن ابن القيم رحمه الله أنه قال: «إياك ثم إياك والألفاظ المجملة المشتبهة التي وقع اصطلاح القوم عليها، فإنها أصل البلاء وهي مورد الصديق والزنديق»^(١).

ومما يدل على خطورة ذلك أمور:

١ - تحريف نصوص الكتاب والسنة: فبسبب تأثر المتكلمين بهذه الألفاظ واعتنائهم بها، وقعوا في تحريف نصوص الشرع ومعارضتها بحيث إن جاء نص يخالف ذلك اللفظ المجمل صار يحرفه عن مدلوله البين الواضح، وقالوا: هذه أدلة لفظية لا تفيد اليقين، وإنما اليقين في معقولات اليونان^(٢).

٢ - الانحراف عن الحق وتباين المواقف في النصوص؛ فالمبتدعة لما اهتموا بالطرق البدعية والأدلة المبتدعة المركبة من الألفاظ المجملة - لا سيما فيما يتعلق بإثبات الخالق - انحرفوا عن سواء السبيل، وصاروا ثلاث طوائف: أهل التخيل، وأهل التأويل، وأهل

= أعلام النبلاء (٢٠/٨٥ - ٨٦).

(١) مدارج السالكين (٣/١٤٣) [دار الكتاب العربي، ط ٣].

(٢) موقف ابن تيمية وابن القيم من الألفاظ المجملة (٧٤). وانظر: درء التعارض (١/٢٢١، ٢٠٩)، والصواعق المرسلة (٣/٩٢٥ - ٩٢٦).

(٣) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (٢٧٤ - ٢٧٧) [دار الصميعي، ط ٢]، ومجموع الفتاوى (٣١/٥ - ٣٥)، ودرء التعارض (١/٨ - ٢٠، ٢٠١ - ٢٠٨)، والصواعق المرسلة (٣/١٠٤٨ - ١٠٥١).

- الاصطلاحات المولدة فيه؛ بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه الألفاظ والعبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه، فهي مشتملة على معان مجملة في النفي والإثبات، وهذا يؤدي إلى الالتباس وعدم بيان الحق، فأكثر اختلاف الناس سببه هذه الألفاظ المجملة، والمعاني المشبهة^(١).
- ٦ - «الصواعق المرسله» (ج ٣)، لابن القيم.
- ٧ - «القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف (القاعدة التاسعة)»، لإبراهيم البريكاني.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣، ٥، ١٧)، لابن تيمية.
- ٩ - «مدارج السالكين» (ج ٣)، لابن القيم.

١٠ - «النفي في باب صفات الله ﷻ بين أهل السنة والجماعة والمعطلة»، لأرزقي بن محمد سعيداني.

الإله

التعريف لغة:

الإله: من أَلَّه يَأْلُهُ؛ بمعنى: عبد. قال الزجاجي: «إله: فِعَالٌ بمعنى مفعول؛ كأنه مألوه؛ أي: معبود مستحق للعبادة، يعبد الخلق ويؤلهونه، ومعنى قولنا: إله إنما هو الذي يستحق العبادة، وهو الله تعالى المستحق لها دون ما سواه».

فالإله: على وزن: فِعَالٌ، يقال: أَلَّه يَأْلُهُ إلهٌ وألوهٌ وألوهيةٌ وألّهانية، فهو إله بمعنى مألوه، فِعَالٌ بمعنى مفعول؛ أي: معبود، والتأله التَّعَبُّدُ، فلما دخلت عليه الألف واللام حُذِفَتِ الهمزة تخفيفاً؛ لكثرة في الكلام، وقُطِعَتِ الهمزة في

والواجب التزام نصوص الكتاب والسنة وترك الألفاظ المجملة الموهمة؛ لأنها تحتل حقاً وباطلاً، وليس لها ضابط يضبطها، بل كل طائفة تستعملها لتأييد اعتقادها، فلا يجوز اتخاذ الألفاظ المجملة تكأة لنفي وتأويل ما ثبت بالكتاب أو السنة.

المصادر والمراجع:

- ١ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٣)، لابن تيمية.
- ٢ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٣ - «روضة الناظر وجنة المناظر» (ج ١)، لابن قدامة.
- ٤ - «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.
- ٥ - «الصفات الإلهية؛ تعريفها، أقسامها»، لمحمد خليفة التميمي.

(١) انظر: درء التعارض (١/٤٤، ٢٣٢).

النداء للزومها تفخيماً لهذا الاسم ^(١).

التعريف شرعاً:

الإله: هو المألوه المعبود، المستحق لإفراد بالعبادة، لما اتصف به من صفات الكمال والجلال ^(٢).

وقال الطبري: «إن الألوهية هي العبادة، وإن الإله هو المعبود»، ثم نقل أثرًا عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه قرأ: ﴿وَيَذَرُكَ الْهَتَكُ﴾ [الأعراف: ١٢٧] قال: «عبادتك» ^(٣).

الأدلة:

دلّ الكتاب العزيز والسُّنة النبوية على أن (الإله) بمعنى المألوه المعبود، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكُتُبُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَوُ لَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ٦٤]. حيث اتفق المفسرون على أن قول: ﴿وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ﴾ تفسير لقوله: ﴿كَلِمَةٍ﴾.

(١) انظر: العين (٩٠/٤) [دار ومكتبة الهلال، ط ١]، وتهذيب اللغة (٤٢٢/٦) [الدار المصرية، ط ١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (٢٢٢٣/٦) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٢) انظر: قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (٤٦) - (٤٧) [أضواء السلف، ط ٢]، وقاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة (٦٦) [دار العاصمة، ط ١]، ومنهاج السُّنة النبوية (٣/٣٣٤ - ٣٣٥) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ]، وبدائع الفوائد (٢/٢١٢) [دار الخاني ودار الخير، ط ١، ١٤١٤هـ].

(٣) تفسير الطبري (١/١٢٣) [مؤسسة الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١، ١٤٢٠هـ].

وقال تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢٢] ﴿أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ [يس]، وقوله تعالى: ﴿أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في قصة سؤال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم حين قال: ما الإسلام؟ قال: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً» ^(٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «ولما عبّر بالعبادة احتاج إلى أن يوضحها بقوله: «ولا تشرك به شيئاً»، ولم يحتج في رواية عمر رضي الله عنه لاستلزامها ذلك» ^(٥).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن قال: «فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله» ^(٦).

والأحاديث في بيان أن الإله بمعنى المألوه المعبود المطاع كثيرة جداً، يطول ذكرها.

ولم ينقل عن الصحابة رضي الله عنهم لمعنى «الإله» معنى آخر سوى أنه المعبود، وقد بين ابن عباس رضي الله عنه أن اسمه تعالى (الله) بقوله: ذو الألوهية والمعبودية على خلقه

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١/١١٩).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٥٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩).

أجمعين^(١). وقد قرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَحْدٌ﴾ [الأنبياء: ١٠٨].
ويعبدك وإلا هتك بكسر الهمزة؛ أي: وعبادتك.

وأجمع وأحسن ما قيل في معنى هذا الاسم ولفظ الجلالة (الله): ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين^(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في بيان معنى اسم (الإله): «والإله هو المألوه؛ أي: المستحق لأن يؤله؛ أي: يعبد، ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلا الله وحده، وكل معبود سواه من لدن عرشه إلى قرار أرضه باطل، وفعال بمعنى مفعول، مثل لفظ الركاب والحمال، بمعنى المركوب والمحمول... فهو الإله الحق لا إله غيره، فإذا عبده الإنسان فقد وحده ولم يجعل معه إلهًا آخر ولا اتخذ إلهًا غيره. ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢٢].»^(٤)

ولفظ الجلالة واسمه تعالى (الله) مشتق من الإله كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال ابن القيم رحمته الله: القول الصحيح: أن (الله) أصله: (الإله)، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم^(٥).

ونقل الشيخ سليمان بن عبد الله في شرحه لكتاب «التوحيد» عن عدة من أهل العلم من السلف والخلف تفسير الإله بأنه المعبود، ثم قال: «وهو إجماع منهم أن الإله هو المعبود، خلافًا لما يعتقده عبّاد القبور وأشباهم في معنى (الإله) أنه الخالق أو القادر على الاختراع أو نحو هذه العبارات!»^(٢).

وجماع القول: أن الكتاب العزيز والسنة النبوية وإجماع الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم من أهل العلم واضح تمامًا في تفسير (إله) بأنه المعبود، وأن التفاسير الواردة بخلافه تفاسير ومعان مخترعة مبتدعة لا مستند لها من كتاب ولا سنة ولا قول صاحب وإمام لغة معتبر.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: أن من أسماء الله تعالى الحسنى (الإله):

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ كُفْرُ إِلَهِ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٢٢٠] وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَحْدًا﴾ [التوبة: ٣١]، وقال

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١/١٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٢) تيسير العزيز الحميد (٧٦).

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) مجموع الفتاوى (١٣/٢٠٢ - ٢٠٥).

(٥) بدائع الفوائد (٢/٧٨٢) [دار عالم الفوائد].

وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ [الأنعام].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عقب ذكره لهذه الآية: «فالمخلوق ليس بإله في نفسه، لكن عابده اتخذهُ إلهًا وجعله إلهًا وسماه إلهًا، وذلك كله باطل لا ينفع صاحبه بل يضره... فغير الله لا يصلح أن يتخذ إلهًا يعبد ويدعى، فإنه لا يخلق ولا يرزق، وهو سبحانه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد... فغير الله لا مالك لشيء ولا شريك في شيء ولا معاون للرب في شيء»^(٢).

- المسألة الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤]:

وهذه الآية ليس فيها دليل للحلولية من الجهمية على أن الله تعالى وتقدس حال في الأرض، ولا أن الإله متعدد، وإنما معناها: أن الله تعالى معبود في السماء والأرض، وهذا فيه إغراء وحث على الالتزام بالتوحيد لأهل الأرض بأن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئًا كما عبده أهل السماء فلم يشركوا به أحدًا^(٣).

- المسألة الرابعة: كل معبود فهو إله سواء كان بحق أو بباطل:

كما قال تعالى عن آلهة المشركين:

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٢٠٢ - ٢٠٥).

(٣) انظر: طلب الحسنى في إحصاء أسماء الله الحسنى

(١٨ - ١٩) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٩هـ].

ولفظ الجلالة (الله) لا يؤخذ منه صفة فعلية - كالخلق والرزق ونحو ذلك - وإنما يدل على صفة ذاتية هي استحقاقه تعالى للعبادة، وهذا يدل على خطأ فهم أهل الكلام لمعنى (الإله) ولما يدل عليه اسمه تعالى (الله)، حيث فهموا أنه يدل على صفة فعلية هي الخلق والقدرة على الاختراع، وقد بين الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى عدم صحة دلالة اسمه تعالى (الله) على صفة فعلية حيث قال: وليس (الله) من الأسماء التي يجوز فيها اشتقاق فعل كما يجوز في (الرحمن الرحيم)^(١).

- المسألة الثانية: أن تسمية المشركين لمعبوداتهم التي يعبدونها من دون الله (آلهة) لا يمنحها شيئًا من خصائص الألوهية ولا يعطيها حق الألوهية:

كما قال تعالى في شأن اللات والعزى ومناة: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ٢٣]، وحكى عن يوسف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله لصاحبي السجن: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٤٠]، وحكى عن إبراهيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله لأبيه أزر: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا إِلَهَةً إِنْجِ أَرْثَكَ﴾

(١) كتاب العين (٤/٩١).

القول، فقال: «واختلف أصحابنا في معنى (الإله)، فمنهم من قال: إنه مشتق من الإلهية، وهي قدرته على اختراع الأعيان، وهو اختيار أبي الحسن الأشعري»^(٣)، وذكر الرازي مذاهب الناس في أصل اشتقاق اسم الله تعالى الله فقال: «القول السابع: الإله من له الألوهية، وهي القدرة على الاختراع، والدليل عليه أن فرعون لما قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؟ [الشعراء] قال موسى في الجواب: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الشعراء: ٢٤]، فذكر في الجواب عن السؤال الطالب لماهية الإله: القدرة على الاختراع، ولولا أن حقيقة الإلهية هي القدرة على الاختراع لم يكن هذا الجواب مطابقاً لذلك السؤال»^(٤).

وبهذا التفسير لمعنى إله ظن أهل الكلام أنهم قد أتوا بالتوحيد وحققوا منه غايته وأن عبادة غير الله؛ كدعاء الأموات والاستغاثة بهم في الكربات وسؤالهم قضاء الحاجات، والنذر لهم في الملمات، وسؤالهم الشفاعة عند رب الأرض والسموات، إلى غير ذلك من أنواع العبادات... لا يتنافى مع هذا التوحيد.

﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠١]، فسمى الله تعالى معبودات المشركين آلهة، لكنها آلهة باطلة، أما اتصاف الله تعالى بالإلهية فهو الحق^(١).

✽ مذهب المخالفين:

اختلف المخالفون لأهل السُّنة والجماعة في تعيين أخص وصف الإله على ثلاثة أقوال^(٢):

الأول: مذهب الفلاسفة الذين قالوا: إن أخص وصف الإله هو وجوب الوجود.

الثاني: وهو مذهب المعتزلة القائلين بأن أخص وصف الإله هو القدم، وهذا مبني على مذهبهم في نفي الصفات، وأنه لا يوصف الرب تعالى إلا بالقدم، ومن وصفه بسائر صفاته المثبتة في القرآن والسُّنة فإنه قائل بتعدد الإله، فجعلوا القول بالصفات يلزم منه تعدد الآلهة.

الثالث: وذهب المتكلمون من الأشعرية ومن وافقهم إلى أن أخص وصف الإله: هو القدرة على الاختراع، فرتبوا عليه القول بأن الإله معناه: القادر على الاختراع، فقد نسب البغدادى إلى أبي الحسن الأشعري أنه اختار هذا

(٣) أصول الدين للبغدادى (١٢٣).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧٠/٣).

(١) لسان العرب (١٣/٤٦٧).

(٢) انظر: درء التعارض (١٠/٢٧٩).

الرد عليهم:

الاختراع هو تفسير باللازم، ومما هو متقرر أن القدرة على الاختراع هي من معاني الربوبية، والرب في لغة العرب بمعنى المالك، والسيد، والمطاع، فالفرق بين المعنيين ظاهر.

فهذا القول الذي ذكروه غير معروف عند أهل اللغة، ولذلك لم يحتج من قال بهذا القول بشاهد من شواهد لغة العرب، ولا بنقل إمام معتبر من أئمة اللغة^(٤).

وبالجملة؛ فإن تفسير (الإله) بالقادر على الاختراع قول محدث مبتدع لا مستند له من نص شرعي ولا نقل لغوي، فهو في غاية الفساد والبطلان.

الثاني: هذا المعنى الذي ذكروه في تفسير الإله كان مشركو قريش يقرون به في الجملة ولم يكونوا منكرين له، والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (١١) **اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** (١٢) وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٣) [العنكبوت]، والآيات في تقرير هذا المعنى كثيرة جداً.

الأول: إن أخص وصف الإله هو ما لا يتصف به غيره^(١)، والإله متميز عن غيره بجميع خصائصه، وليس أخص وصف الإله هو شيء واحد؛ بل كل واحد مما ذكر عن المخالفين هو من أخص أوصافه، ومن خصائصه أنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، وأنه رب العالمين، وأنه الرحمن الرحيم، ونحو ذلك^(٢).

قال ابن تيمية: «والرب تعالى متميز عن غيره بجميع خصائصه، والناس تكلموا في أخص وصفه: فقال من قال من المعتزلة هو القدم، وقال الأشعري، وغيره هو القدرة على الاختراع، وقال من قال من الفلاسفة: هو وجوب الوجود. والتحقيق: أن كل وصف من هذه الأوصاف فهو من خواصه، ومن خواصه: أنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، وأنه الله الذي لا إله إلا هو، وأنه الرحمن الرحيم»^(٣).

الثاني: وهو في الرد على الأشاعرة ومن وافقهم، وذلك من عدة أوجه:

أحدهما: الإله في لغة العرب كما تقدم تقريره هو بمعنى المعبود المألوه، المستحق للعبادة، فتفسيره بالقادر على

(١) انظر: المصادر نفسه.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧٠/٣)، ودرء التعارض

(٤٦/٥)، ومنهاج السنة (٤٨٨/٢).

(٣) درء التعارض (٢٧٩/١٠).

(٤) تيسير العزيز الحميد (٧٦ - ٨١).

السؤال عن ماهية الشيء فرع عن الإقرار به، وهو لا يقر بالله متظاهراً، فمن لم يقر بشيء لا يسأل عن ماهيته، فمن سأل عن ماهية الإنسان فقال: ما الإنسان؟ فإن ذلك فرع إقراره بوجوده، وكذلك هنا^(٣).

ولذلك؛ فإن فرعون لم يكن قد سأل عن حقيقة الإلهية وإنما سأل عن وصف الرب الذي يتظاهر بإنكاره، ويوضح هذا آية أخرى وهي: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَىٰ﴾ [طه]، ومعلوم أن (من) لا يسأل بها عن ماهية الشيء وحقيقته، وإنما حقيقة معنى الإلهية هي: استحقاق الله للعبادة بما له من صفات الكمال وتنزهه عن صفات النقص، وقد دلت الأدلة على ذلك.

وقد ترتب على هذا التفسير مفاسد كثيرة:

منها: أن الإقرار بالربوبية أول واجب على المكلف، وهذا من أعظم الباطل لمخالفته القرآن والسنة ودعوات الأنبياء لأقوامهم وحال المشركين^(٤).

ومنها: إغفال توحيد الألوهية وعدم الاعتناء به، وهذا ما أوقع فناءً منهم في الإشراك بالله، من الاستغاثة بغير الله

فلو كان معنى (إله): القادر على الاختراع، كان معنى (لا إله إلا الله)؛ أي: لا خالق إلا الله، ولا قادر على الاختراع إلا هو، وهذا المعنى كان يقول به المشركون كما تقدم، ولذلك احتج الله عليهم بمعرفتهم هذه بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة]؛ أي: تعلمون أنه لا ربّ لكم غيره، كما فسر به بذلك جمع من المفسرين^(١).

ولو كان المعنى ما ذكره هؤلاء المتكلمون لما استقام الإنكار على المشركين الذين يقرون بأن الله هو خالقهم وخالق كل شيء، وإنما كان شركهم في الألوهية^(٢).

الثالث: وأما استدلالهم لذلك بما جرى بين موسى ﷺ وفرعون في السؤال عن حقيقة الرب وتفسيرهم لجواب موسى ﷺ بأن معناه: القادر على الاختراع، فجوابه: أن فرعون كان متظاهراً بإنكار وجود رب العالمين، بل كان يدعي أنه هو ربّ العالمين بقوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ أَتَعْلَمُونَ﴾ [النازعات]، ولذلك كان سؤاله بقوله: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٢]؟ سؤال عن وصف الرب تعالى، وليس سؤالاً عن الماهية، إذ

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/٣٣٤).

(٤) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين،

لعبد الرحيم السلمي (٤٧٦ - ٤٧٧).

(١) جامع البيان لابن جرير (١/٣٩٠ - ٣٩٥).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٧٦ - ٨١).

والذبح لغيره وغير ذلك من صرف حق الله تعالى لغيره من الأنداد.

❖ الإلهام ❖

❖ التعريف لغة:

الإلهام: في اللغة مشتق من مادة: (لَهَمَ)، هو بمعنى: الابتلاع والالتقام.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «اللام والهاء والميم أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ابتلاع شيء، تقول العرب: التَّهَمَ الشَّيْءُ: التَّقَمَهُ»^(١).

ويقال: أَلْهَمَهُ اللهُ خَيْرًا؛ أي: لَقَّنَهُ خَيْرًا، وَنَسْتَلِهُمُ اللهُ الرَّشَادَ. ويقال: أَلْهَمَ اللهُ فلانًا الرُّشْدَ إلهامًا: إذا ألقاه في رُوعِهِ، فتلَقَّاه بِفَهْمِهِ^(٢).

❖ التعريف اصطلاحًا:

لقد عرّف الإلهام في الاصطلاح بعدة تعريفات، أشملها هو ما ذكره الإمام ابن القيم وغيره بقوله: الإلهام: هو الإلقاء في القلب^(٣)، والبعض يقول: هو الإلقاء في الروع^(٤).

كما عرّفه الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «الإلهام في الاصطلاح: إيقاع شيء في القلب، يثلج له الصدر، من غير استدلال بوحى، ولا نظر في حجة عقلية،

ومنها: أن الذي قالوه هو الذي فتح باب الشرك على المسلمين؛ لظنهم أن التوحيد هو أفراد الله بالربوبية.

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «تجريد التوحيد المفيد»، للمقرئزي.
- ٢ - «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.
- ٣ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٤ - «حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين»، لعبد الرحيم السلمي.
- ٥ - «حقيقة التوحيد والفرق بين الربوبية والألوهية»، لعلي العلياني.
- ٦ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، لعبد الله الغنيمان.
- ٧ - «الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما»، لابن جبرين.
- ٨ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن.

٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ - «منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى»، لخالد نور.

(١) مقاييس اللغة (٥/٢١٧) [دار الجيل، ط ٢]، وانظر: الصحاح، [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٦/١٦٩) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

(٣) شفاء العليل (٥٥) [دار الفكر، ١٣٩٨هـ].

(٤) انظر: الصحاح، مادة: (لهم).

يختص الله به من يشاء من خلقه»^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنى الشرعي للإلهام - وهو الإلقاء في الروح - راجع إلى المعنى اللغوي - وهو الابتلاع؛ إذ إن من ألقى في روعه شيء فإنه شبيه بمن التهم ذلك الشيء والنقمة^(٢).

الأسماء الأخرى:

من الأسماء الأخرى للإلهام:

١ - التحديث.

٢ - واعظ الله في قلب المؤمن.

٣ - الوحي (بالمعنى العام غير المختص بالأنبياء).

الحكم:

مدى حجية الإلهام:

أ - الإلهام إن أريد به هداية الله لمن شاء من خلقه هداية بيان وتوفيق، وما جاء في الشرع من المعاني المقاربة له؛ كالتحديث، والواعظ على قلوب المؤمنين، ولمة الملك، والوحي العام، فذلك حق ولا ريب فيه.

(١) أضواء البيان (٣/ ٣٢٣ - ٣٢٤) [دار الفكر، ١٤١٥هـ]. وانظر: الإحكام في أصول الأحكام (١/ ٤١) [دار الحديث، ط ١، ١٤٠٤هـ]، وقواطع الأدلة في الأصول (٢/ ٣٤٨) [دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ]، والتجوير شرح التحرير للمرداوي (٢/ ٧٨٤) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢١هـ].
(٢) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٢١٧).

ب - وأما إن جعل الإلهام لغير الأنبياء دليلاً مستقلاً يعرف به أخبار الغيبات وأحكام الشرعيات باستقلال - كما هو الحال عند بعض المتصوفة - فهذا لا شك في بطلانه.

فكل ما ادعي إلهاماً للنفس فإن سبيل العلم بصحته أو بطلانه هو عرضه على الكتاب والسنة، فإن وافقهما قيل، وإلا رد، فلا يستقل الإلهام بنفسه في معرفة الحق، سواء كان ذلك فيما يتعلق بحق الله أو بحق العباد.

فأما ما يتعلق بحق الله: فإن الإلهام ليس دليلاً مستقلاً يثبت به من ادعاه حكماً من أحكام الشرع، سواء أحكام الشرع الخبرية؛ كالعقائد، أو العملية، كأحكام الفروع.

وأما ما يتعلق بحقوق العباد: فإنه لا يحل للحاكم أن يحكم لأحد المتخاصمين بمجرد دعوى الإلهام.

ففي «الصحيح» عن أم سلمة عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذ، فإنما أقطع له قطعة من النار»^(٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الحيل، رقم ٦٩٦٧)، ومسلم (كتاب الحدود، رقم ١٧١٣).

وهذا الإلهام هو الوحي الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١]، كما ذكر ذلك مجاهد وغيره، وقرره ابن تيمية^(٥).

- كما أن هذا الإلهام هو المقصود بالتحديث الذي جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ؛ أنه كان يقول: «قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم». قال ابن وهب [أحد رواة الحديث]: تفسير محدثون: ملهون^(٦).

قال ابن تيمية: «فهذا الوحي يكون لغير الأنبياء، ويكون يقظة ومنامًا، وقد يكون بصوت هاتف يكون الصوت في نفس الإنسان، ليس خارجًا عن نفسه يقظة ومنامًا، كما قد يكون النور الذي يراه أيضًا في نفسه»^(٧).

- كما أن هذا الإلهام العام واعظ الله في قلب كل مؤمن، والذي

فأخبر النبي ﷺ أنه يقضي بين المتخاصمين بالسمع، لا بالإلهام، فلو كان الإلهام طريقًا للحكم بين العباد لكان النبي أحق بذلك، وكان الله يوحى إليه معرفة صاحب الحق، فلا يحتاج إلى بيّنة^(١).

والقول ببطلان الإلهام - على أنه مصدر من مصادر التشريع - هو ما قرره جماهير علماء الأصول^(٢)، بل ذهب جمع منهم إلى رد شهادة من يرى الإلهام موجبًا للعلم؛ لأنه قد يشهد بذلك الإلهام المدعى، ويكون ذلك كذبًا^(٣).

❁ الحقيقة:

الإلهام: هو من جنس الوحي العام الذي لا يختص بالأنبياء، كما في قول تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّفْلِ﴾ الآية [النحل: ٦٨]، فذكر أن الوحي يكون إلى النحل، فالإنسان من باب أولى^(٤).

(١) انظر: منهاج السُّنة النبوية (٦٩/٨ - ٧٠) [مؤسسة قرطبة، ط ١]، وبغية المراتد (٣٨٥) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، ومجموع الفتاوى (٢٢٦/٢)، ومذارج السالكين (٤٣١/٣).

(٢) انظر: أصول السرخسي (١٨٥/٢) [دار المعرفة]، والإحكام (٢٠/١)، وقواطع الأدلة (٣٤٨/٢)، والتحبير شرح التحرير (٧٨٤/٢)، والبحر المحيط في الأصول للزركشي (٤٠٠/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وكشف الأسرار للبخاري (٥١٨/٣)، وتيسير التحرير (١٨٥/٤)، والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد لابن بدران (٢٩٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]، وأضواء البيان للشنقيطي (٣٢٣/٣ - ٣٢٤).

(٣) انظر: كشف الأسرار للبخاري (٣٨/٣).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥٢٨/١٧ - ٥٢٩) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢].

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٢٦/٣) [دار السورور]، وتفسير القرطبي (٥٣/١٦) [دار الشعب]، ومجموع الفتاوى (٥٢٦/١٧)، وفتح القدير للشوكاني (٤/٥٤٤) [دار الفكر].

(٦) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٨)، وأخرجه البخاري أيضًا (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وانظر: فتح الباري لابن حجر (٥٠/٧) [دار المعرفة]، حيث حكى تفسير المحدث بالملهم عن الأكثرين، وارتضاه.

(٧) مجموع الفتاوى (٣٩٨/١٢).

العصمة في ذلك الإلهام^(٣).

❁ الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم أناس محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر»^(٤)، وعند مسلم: «فإن عمر بن الخطاب منهم»^(٥). قال ابن وهب [أحد رواة الحديث]: تفسير محدثون: ملهون^(٦).

وفي رواية أخرى عند البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «قد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال، يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر»^(٧).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الشاطبي رحمته الله - بعد كلامه على الإلهام والكشف -: «هذه الأمور لا يصح أن تراعى وتعتبر إلا بشرط: أن لا تخرم حكماً شرعياً، ولا قاعدة دينية، فإن ما يخرم قاعدة شرعية أو حكماً

جاء في حديث النبواس بن سمان الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعاً، ولا تتعرجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم»^(١).

قال ابن القيم رحمته الله: «فهذا الواعظ في قلوب المؤمنين هو الإلهام الإلهي بواسطة الملائكة»^(٢).

وهذه الأدلة وغيرها تدل على عموم هذا الإلهام لغير الأنبياء، وعدم اختصاصه بهم، وإنما الذي اختصوا به:

(٣) انظر: كشف الأسرار للبخاري (٣/٣٠٥، ٣١٠)، والمعرفة في الإسلام عبد الله القرني (٦٦ - ٧٢) [دار عالم الفوائد، ١٦، ١٤١٩هـ].

(٤) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٥) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٦) صحيح مسلم (٤/١٨٦٤)، وانظر: فتح الباري لابن حجر (٧/٥٠) [دار المعرفة]، حيث حكى ابن حجر تفسير المحدث بالملهم عن الأكثرين، وارتضاه.

(٧) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٦٨٩).

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الأمثال، رقم ٢٨٥٩) وحسنه، وأحمد (١٨١/٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤٥) وصححه، وصححه أيضاً ابن كثير في التفسير (١/١٣٨ - ١٣٩) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٢٣٤٧) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٢) مدارج السالكين (١/٤٦) [دار الكتاب العربي، ط ٢]، وانظر: مجموع الفتاوى (١٠/٤٧٥).

شرعياً ليس بحق في نفسه، بل هو: إما خيال، أو وهم، وإما من إلقاء الشيطان^(١).

٢ - أن يكون الإلهام في الترجيح بين المباحات، أو في مواطن الاشتباه التي لا يمكن التحقق فيها من الحكم الشرعي لتكافؤ الأدلة عند الناظر فيها.

٣ - أن لا يعتقد أن ذلك الأمر الذي رجحه بالإلهام هو حكم الله تعالى؛ إذ الإلهام لا عصمة معه كما سبق، وبناء عليه؛ فلا يلزم غيره بذلك الأمر الذي تبدى له، والله أعلم.

❁ الأقسام:

الإلهام على أقسام:

القسم الأول: إلهام الوحي، وهذا له طريقان:

- ١ - أن يجعله الله بلا واسطة^(٥).
- ٢ - أن يكون بواسطة ملك من ملائكته؛ كأن يلقي الخير والعلم الصادق والشبات في قلوب العباد، كما قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢].

وقد جاء لفظ (الإلهام) في كتاب الله في قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾  [الشمس].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله ضمن كلامه على الإلهام: «إذا اجتهد السالك في الأدلة الشرعية الظاهرة، فلم ير فيها ترجيحاً وألهم حينئذ رجحان أحد الفعلين، مع حسن قصده، وعمارته بالتقوى، فاللهام مثل هذا دليل في حقه، قد يكون أقوى من كثير من الأقيسة الضعيفة، والأحاديث الضعيفة، والظواهر الضعيفة، والاستصحابات الضعيفة التي يحتج بها كثير من الخائضين في المذهب والخلاف وأصول الفقه»^(٢)، ثم استطرد في تقرير ذلك والاستشهاد له، إلى أن قال: «وليس المقصود هنا بيان أن هذا وحده دليل على الأحكام الشرعية، لكن أن مثل هذا يكون ترجيحاً لطالب الحق إذا تكافأت عنده الأدلة السمعية الظاهرة، فالترجيح بها خير من التسوية بين الأمرين المتناقضين قطعاً؛ فإن التسوية بينهما باطلة قطعاً»^(٣).

❁ الشروط:

من شروط الإلهام المعبر^(٤):

١ - ألا يخالف الإلهام حكماً شرعياً،

(٥) وقوع هذا الإلهام لغير الأنبياء بلا واسطة قال به ابن تيمية، كما في: مجموع الفتاوى (٥٢٨/١٧)، ومال ابن القيم إلى التوقف فيه، وأن الجزم والإنبات موقوف على الدليل، كما في: مدارج السالكين (٤٦/١).

(١) الموافقات (٢/٢٦٦) [دار المعرفة].

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٤٧٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٤٧٧).

(٤) انظر: المعرفة في الإسلام (٨٠ - ٨٣).

التوفيق المختصة لأهل الطاعة، أو هداية الخذلان المختصة بأهل المعصية^(٣).

والقول الثاني هو الموافق للمعنى الشرعي السالف الذكر، ولعله أظهر من الأول؛ وذلك «لأن الإلهام استعمله مشهور في إلهام القلوب، لا في التبيين الظاهر الذي تقوم به الحجة»^(٤)، «ومن فسر الآية من السلف بالتعليم والتعريف فمراده: تعريف مستلزم لحصول ذلك [أي: إلقاء الهداية في القلب وجعله تقيًا أو فاجرًا]، لا تعريف مجرد عن الحصول، فإنه لا يسمى إلهامًا»^(٥).

وبهذا يكون الإلهام في الآية شاملاً لكلا المعنيين السابقين، فإن الثاني وإن كان أقوى إلا أن الأول لازم له، والله أعلم.

القسم الثاني: إلهام الوسوسة، وهو الإلهام المذموم.

وهذا الإلهام يكون بواسطة وسوسة الشيطان ونزغه، وتسويله وإملائه، وإيحائه واستيلائه، وفتنته وأزه وهمزه، وتزيينه عمل السوء، وصدّه عن العمل الصالح، واستحواذه على حزبه، كما جاءت بهذه الألفاظ نصوص الكتاب.

وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن

وقد فسر أئمة السلف الإلهام في الآية بأحد أمرين:

الأول: أن المراد بالإلهام: البيان والتعليم والتعريف؛ أي: أن الله تعالى علّم هذه النفس وعرفها طريق الخير والطاعة، وطريق الشر والمعصية.

الثاني: أن المراد بالإلهام: أنه تعالى هدى النفس المؤمنة إلى الإيمان والعمل الصالح، ووفقها، وجعلها تقية مهتدية، ويسر العمل الصالح لها، كما أنه هو الذي جعل المصلي مصلياً، والمسلم مسلماً، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ فَأَلَيْمَنَّ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧]. كما أنه هدى النفس الكافرة إلى عملها السيئ^(١)، وخذلها، وجعلها فاجرة كافرة، على ما يعتقده أهل السنة من أن الله هو الخالق لأفعال العباد، خيرها وشرها^(٢).

فالإلهام الأول هو هداية البيان العام لجميع الناس، والإلهام الثاني هو هداية

(١) حول إطلاق لفظ (هدى) على الإضلال انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٦/٤٥٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٤/٤٥٥ - ٤٥٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وتفسير البغوي (٨/٤٣٨) [دار طيبة، ط٤]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/٥٨٣)، (١٦/١٤٥ - ٢٣٣ - ٢٣٥)، وشفاء العليل (٥٥) [دار الفكر، ١٣٩٨هـ]، والروح (١٤٩) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ]، وتفسير ابن كثير (٨/٤١١ - ٤١٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٥/٩٨ - ٩٩) (١٦/١٤٥).

(٤) مجموع الفتاوى (١٦/١٤٥)، وانظر: شفاء العليل (٥٥).

(٥) شفاء العليل (٥٥).

قال السمعاني رَحِمَهُ اللهُ: «واعلم أن إنكار أصل الإلهام لا يجوز... ونقول في التمييز بين الحق والباطل من ذلك: إن كل من استقام على شرع النبي ﷺ، ولم يكن في الكتاب والسُّنة ما يردّه: فهو مقبول. وكل ما لا يستقيم على شرع النبي ﷺ: فهو مردود، ويكون ذلك من تسويلات النفس، ووساوس الشيطان، ويجب رده، على أننا لا ننكر زيادة نور الله تعالى كرامة للعبد، وزيادة نظر له، فأما على القول الذي يقولونه - وهو: أن يرجع إلى قوله في جميع الأمور - فلا نعرفه»^(٣).

الفرق بين الإلهام والتحديث والفراسة:

أولاً: الفرق بين التحديث والإلهام:

التحديث أخص من الإلهام، فالإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم، فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان.

وأما التحديث فهو إلهام خاص، وهو الوحي إلى غير الأنبياء^(٤).

ثانياً: الفرق بين الفراسة والإلهام:

أن الفراسة تكون فيما عليه قرائن ودلائل إذا تنبّه لها الإنسان عرفها، وقد تكون بصناعة متعلمة وكسب وتحصيل،

للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة؛ فأما لمة الشيطان فيإعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فيإعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم»^(١).

الفرق:

الفرق بين الإلهام المحمود والإلهام المذموم:

الإلهام قد يقع ولا يشعر به الإنسان، سواء كان من وحي الملائكة العام، أو من وساوس الشيطان، وإنما يكون التمييز بين الإلهامين بالموافقة أو المخالفة للكتاب والسُّنة، فما وافقهما فهو الإلهام المحمود، وما خالفهما فهو المذموم، وليس لأحد أن يطلق القول على ما يقع في نفسه أنه وحي، لا في يقظة ولا في المنام إلا بدليل يدل على ذلك، فإن الوسواس غالب على الناس، والله أعلم»^(٢).

(١) أخرجه أبو داود في الزهد (١٦٤) [دار المشكاة، ط ١]، والطبري في تفسيره (٥٧٢/٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والطبراني في المعجم الكبير (٩/١٠٤) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢] موقوفاً، وروي مرفوعاً، لكن الموقوف هو الصحيح. انظر: العلل لابن أبي حاتم (٦٣٧/٥) [مطابع الحمضي، ط ١].

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٥٣٢/١٧)، وانظر: المرجع نفسه (٢٢٦/٢)، (٥٣٢ - ٥٢٣/١٧)، والروح (٢٥٦).

(٣) قواطع الأدلة في الأصول (٣٥٢/٢).

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/٦٨ - ٦٩).

موسى ﷺ أن تلقيه في اليم.

وإن إلهام النفس المؤمنة الهدى هو ثمرة لإخلاص تلك النفس عملها لله، ومداومتها على عبادته، وهو من نعمة الله وإحسانه، وهو «إلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم، فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشد الذي حصل له به الإيمان»^(٤)، كما أن إلهام النفس الفاجرة الفجور هو عقوبة لها لعدم إخلاصها، وتركها ما خلقت له، وفطرت عليه من تقوى الله وتمايم عبوديته، وكل ذلك إنما يقع بحكمة الله البالغة، وعدله التام، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ [الكهف]^(٥).

مذهب المخالفين:

لقد غلت طوائف من أهل البدع والأهواء - كبعض الصوفية والجهمية والرافضة^(٦) - في الإلهام، حتى عدّه بعضهم مصدرًا مستقلًا من مصادر التشريع، وتوهموا أن ما يلقي إليهم من الخيالات هو من الآيات البينات، وأنها من الله تعريفات، فلا تعرض على السُّنَّة والقرآن، ولا تقابل إلا بالقبول

فيستدل بالأشكال الظاهرة على الأخلاق والأمر الباطنة.

وأما الإلهام فموهبة مجردة، لا تنال بكسب البتة، ولا يعرف لها الملهم سببًا ظاهرًا، وهو مرتبة من الغيب قد أطلع الله عليها بعض الخلق فيلقئها الملك على الخاطر^(١).

الحكمة:

الإلهام المحمود هو نوع كرامة يكرم الله بها من يشاء من أوليائه، فينتفعون بها، إما في الأمور الدينية، وذلك في هداية البيان والتوفيق إلى الخير الثابت في الشرع^(٢)، كما جاء في واعظ الله في قلوب المؤمنين، والذي ينهاهم عن ولوج أبواب المعاصي، وكأن يلهم العالم رجحان شيء من المباحات، أو ما تكافأت فيه الأدلة عنده^(٣).

وإما أن يكون الانتفاع بالإلهام في أمر دنيوي، فيكشف لهم به كربًا، أو يدفع ضرًا، كما حصل من إلهام أم

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي (٤٢٤/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ]، ومدارج السالكين (٦٨/١) - (٦٩)، وفيض القدير (١٤٣/١) [المكتبة التجارية الكبرى، ط ٦]، والقائد إلى تصحيح العقائد للمعلمي (٨٠) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٤هـ].

(٢) لا إلى تشريع لم يعلم إلا بذلك الإلهام، فقد تقدم أن الإلهام ليس دليلًا على أحكام الشريعة، وانظر ما تقدم في: فقرة (الأقسام).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤٧٧/١٠).

(٤) مدارج السالكين (٤٤/١).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٥١٣/٨ - ٥١٤) (٣٣٢/١٤) - (٣٣٣)، ومنهاج السُّنَّة (٢٠٨/٨)، والحسنة والسيئة (٩٣) [مطبعة المدني].

(٦) انظر: قواطع الأدلة (٣٤٨/٢)، والإحكام (٧٦/١) (٢٢٤/٢)، والتحبير شرح التحرير (٧٨٤/٢)، وتيسير التحرير (١٨٥/٤)، والبحر المحيط في الأصول (٤٠٠/٤).

كما أخطأ الذين جعلوه طريقاً شرعياً على الإطلاق^(٤).

وقد تقدم بيان التفصيل في مدى حجية الإلهام، وأنه لا يعتبر دليلاً مستقلاً للأحكام أو الأخبار.

وبطلان قول الصوفية الغلاة ونحوهم ممن جعل الإلهام لغير الرسل دليلاً يتضح بأمور:

١ - أننا مأمورون عند النزاع أن نرجع إلى الكتاب والسنة، لا إلى الإلهام ولا غيره، كما دلّت على ذلك النصوص القطعية، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء].

٢ - أن لازم كلامهم أنه لا يستفاد من خبر الرسول ﷺ شيء من الأمور العلمية، بل إنما يدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من الإلهامات والكشوفات، وهذا أصل الإلحاد، فإن كل ذي مكاشفة إن لم يزنها بالكتاب والسنة وإلا دخل في الضلالات^(٥).

٣ - أن النصوص الواردة في الإلهام وما جرى مجراه لم تجعل الإلهام

والإذعان^(١)، حتى صرح الغزالي أن النصوص الشرعية إنما تقبل إذا وافقت ما يرد على القلب من الكشف ونحوها^(٢).

وبعض غلاتهم جعل الإلهام خطاباً محضاً لهم من الله بلا واسطة ولا حجاب، وجعلوه أعظم من تكليم الله لموسى عليه السلام^(٣).

الرد عليهم:

لا شك أن ما ذهب إليه هؤلاء من أعظم الضلال، وما هذا الذي يدعونه إلا من الكذب والافتراء، أو أنه من إحياء الشيطان ووسوسته، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُخَوِّنَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقول هؤلاء لا شك في بطلانه، كما أن من أنكر الإلهام على الإطلاق فقله باطل أيضاً، قال ابن تيمية رحمه الله: «الذين أنكروا كون الإلهام طريقاً على الإطلاق أخطؤوا،

(١) إغائة اللهفان (١١٩/١) [دار المعرفة، ط ٢، ١٣٩٥هـ] بتصرف، وبيان كشف الألفاظ للامثلي (٣).

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (١/١٠٤) [دار الندوة الجديدة]، وانظر إبطال قوله في: درء التعارض (٥/٣٤٧ - ٣٥٧) [جامعة الإمام، ط ١]، وانظر في أقوالهم أيضاً: الفتوحات المكية لابن عربي (١/١٠٠) (٢/٨٦) (٤/١٢٨)، وعوارف المعارف للسهروردي (٤٠٤) [مكتبة القاهرة، ١٣٩٣هـ]، واليوافق والجواهر للشعراني (١/٢٤ - ٢٥) (٢/٨٥) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٨هـ].

(٣) انظر: بغية المرئاد لابن تيمية (٣٨٦ - ٣٨٧)، ودرء التعارض (٥/٣٥٤).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/٤٧٣)، وانظر: قواطع الأدلة في الأصول (٢/٣٥٢).

(٥) درء التعارض (٥/٣٤٨)، بتصرف.

مصدرًا لتلقي الأحكام، بل هو تثبيت من الله للمؤمن، أو بشارة له.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ بعد كلامه على الإلهام: «وبالجملة؛ فلا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه وما يتقرب إليه به من فعل وترك إلا عن طريق الوحي، فمن ادعى أنه غني في الوصول إلى ما يرضي ربه عن الرسل وما جاؤوا به - ولو في مسألة واحدة - فلا شك في زندقته، والآيات والأحاديث الدالة على هذا لا تحصى، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء] ولم يقل: حتى نلقي في القلوب إلهامًا... وبذلك تعلم أن ما يدعيه كثير من الجهلة المدعين التصوف من أن لهم ولأشياخهم طريقًا باطنة توافق الحق عند الله ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع... زندقة وذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام بدعوى أن الحق في أمور باطنة تخالف ظاهره»^(١).

٤ - أن الذي ضمنت لنا عصمته هو كتاب الله وسُنَّةُ مصطفاه ﷺ، وأما الإلهام - لغير الأنبياء - فلم تضمن عصمته.

(١) أعضاء البيان (٣/٣٢٤)، وانظر: تفسير القرطبي (١١/٤٠ - ٤١).

قال الجنيد: قال أبو سليمان الداراني: «ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أيامًا، فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين من الكتاب والسُنَّة»^(٢).

وهؤلاء قد صرح كثير منهم بعصمة أقوال أئمتهم من الخطأ^(٣)، وهذه الدعوى تضاهي دعوى النبوة، قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ودعوى العصمة تضاهي المشاركة في النبوة فإن المعصوم يجب اتباعه في كل ما يقول، لا يجوز أن يخالف في شيء، وهذه خاصة الأنبياء... فمن جعل بعد الرسول معصومًا يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة وإن لم يعطه لفظها... وكثير من الغلاة في المشايخ يعتقد أحدهم في شيخه نحو ذلك، ويقولون: الشيخ محفوظ، ويأمرون باتباع الشيخ في كل ما يفعل، لا يخالف في شيء أصلاً... ومعلوم أن كل هذه الأقوال مخالفة لدين الإسلام للكتاب والسُنَّة وإجماع سلف الأمة وأئمتها»^(٤).

٥ - «أن الذي ثبت بالنص أنه كان ملهمًا: هو الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كما في «الصحيح» عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «قد كان في الأمم

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٥/٣٤٩)، وإغاثة اللهفان (١/١٢٤).

(٣) انظر: البواقيت والجواهر للشعراني (١/٢٤ - ٢٥).

(٤) منهاج السُنَّة النبوية (٦/١٨٧ - ١٨٩).

حلمًا وكشفه غير حقيقي، وإن تبين في الوجود صدقة، واعتيد ذلك فيه، وأُطرد فإمكان الخطأ والوهم باق، وما كان هذا شأنه لم يصح أن يقطع به حكم^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أضواء البيان»، للشنقيطي.
- ٢ - «بغية المرتاد»، لابن تيمية.
- ٣ - «التحبير شرح التحرير»، للمرداوي.
- ٤ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٥ - «قواطع الأدلة في الأصول»، للسمعاني.
- ٦ - «كشف الأسرار»، لعبد العزيز البخاري.
- ٧ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٨ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.
- ٩ - «المعرفة في الإسلام»، لعبد الله القرني.
- ١٠ - «منهاج السُّنة النبوية»، لابن تيمية.

إلياس

اسمه ونسبه:

إلياس بن تسبي، ويقال: إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن

(٣) الموافقات (٤/ ٨٣ - ٨٤)، وانظر حججًا أخرى في إبطال قولهم في: قواطع الأدلة في الأصول (٢/ ٣٥٠).

قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي فعمراً، ومع هذا فلم يكن يجوز لعمر أن يفتي ولا يقضي ولا يعمل بمجرد ما يلقي في قلبه حتى يعرض ذلك على الكتاب والسُّنة، فإن وافقه قبله، وإن خالفه رده^(١).

٦ - أن ما يرد على بعض الناس من الإلهامات فإنه لا يستطيع أن يقطع بكونه إلهامًا من الملك، بل قد يختلط على البعض ما يكون من إلهام الملك وما يكون من وسواس الشياطين، كما قد يكون من أحاديث النفس، فصار الأمر معرضًا للاحتمال، فيبطل به الاستدلال^(٢).

٧ - أن إرجاع الأحكام الشرعية الثابتة إلى الإلهام وما في معناه يجعلها عرضة للاختلاف والاضطراب، إذ كل إنسان سيدعي أن الإلهام دلّه على كذا، ولا حجة لأحدهم على الآخر.

قال الشاطبي رحمه الله: «اعلم أن النبي ﷺ مؤيد بالعصمة، معضود بالمعجزة... وأما أمته: فكل واحد منهم غير معصوم، بل يجوز عليه الغلط والخطأ والنسيان، ويجوز أن تكون رؤياه

(١) منهاج السُّنة (٨/ ٧٠)، وانظر: بغية المرتاد (٣٨٧ - ٣٨٨)، ودرء التعارض (٥/ ٣٤٩)، والحديث سبق تخريجه قريبًا، وهو في الصحيحين.

(٢) انظر: درء التعارض (٥/ ٣٥٢)، وقواطع الأدلة (٢/ ٣٥٠ - ٣٥١)، وتيسير التحرير (٤/ ١٨٥).

الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٦﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَنْفُونَ ﴿١٢٧﴾
أَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٨﴾ اللَّهُ
رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٩﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَتَاهُمُ
الْمُحْضَرُونَ ﴿١٣٠﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٣١﴾
وَرَكَّعًا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣٢﴾ سَلَّمَ عَلَى إِلَاسِينَ
﴿١٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ إِنَّهُ مِنْ
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٥﴾ [الصافات].

كتابه:

بعث إلياس عليه السلام بتجديد التوراة،
وهكذا كان أنبياء بني إسرائيل الذين
جاؤوا من بعد موسى عليه السلام، إنما كانوا
يبعثون بتجديد ما اندرس من شرائع
التوراة (٣).

دعوته:

بعث إلياس عليه السلام إلى أهل بعلبك
غربي دمشق، فدعاهم إلى عبادة الله تعالى
وحده، وأن يتركوا عبادة صنم لهم كانوا
يسمونه بعلًا؛ كما قال عليه السلام: ﴿وَأَنَّ إِلَاسَ
لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٢٦﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَنْفُونَ
﴿١٢٧﴾ أَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ
﴿١٢٨﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٩﴾

[الصافات].

قومه وموقفهم منه:

كذب أهل بعلبك بدعوة إلياس عليه السلام،
إلا القليل ممن آمن معه، فأوعدهم الله
تعالى بعذاب في الدنيا والآخرة، وقيل:

(٣) انظر: تاريخ ابن جرير الطبري (٤٦١/١).

هارون بن عمران، وقيل: إلياس بن
العازر بن العيزرا بن هارون بن
عمران (١).

معنى اسمه لغة:

إلياس: اسم أعجمي عبراني، ويعرف
عند أهل الكتاب بإيليا، أو إلياس
التشبي. ويسمى أيضًا: ياسين، وإلياسين
أو إل ياسين. والعرب يتصرفون في
النطق به على ما يناسب أبنية كلامهم؛
فيقولون مثلاً: إبراهيم وإبراهام وإبرهام،
وإسرائيل وإسرائين، وهكذا؛ فكذا
إلياس وإلياسين هو واحد (٢).

نبوته:

قال الله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ
وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٨٥﴾، ثم
قال الله تعالى بعد ذلك عنهم: ﴿أُولَئِكَ
الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾
[الأنعام]، وقال عليه السلام: ﴿وَأَنَّ إِلَاسَ لَمِنَ

(١) انظر: تاريخ الرسل والملوك للطبري (٤٦١/١) [دار
المعارف، مصر، ط ٢]، والمنظوم في تاريخ الملوك
والأمم لابن الجوزي (٣٨٢/١) [دار الكتب
العلمية، ط ١]، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٧٢/٢)
[دار هجر، ط ١].

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية للقيسي (٦١٥٧/٩)
[جامعة الشارقة، ط ١]، وتفسير القرطبي (٣٢/٧)،
(١١٨/١٥) [دار إحياء التراث العربي، بيروت]،
والدُر المصون للسمين الحلبي (٣٢٦/٩) [دار
القلم، دمشق]، وتفسير ابن كثير (٣٧/٧) [دار
طيبة، ط ٢]، وفتح الباري لابن حجر (٣٧٣/٦) [دار
المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ].

في الآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ [الصافات].

وَرَكْرَكًا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ [الأنعام]، أما إدريس عليه السلام - على قول المؤرخين - فهو جد أبي نوح، فهما اثنان وإليسا بواحد.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الاختلاف في

اسمه عليه السلام:

وقع خلاف بين أهل العلم حول اسمه عليه السلام: (١).

ف قيل: إن إلياس هو نبي الله إدريس عليه السلام (٢)، وله اسمان، مثل: يعقوب وإسرائيل. وهذا غير صحيح؛ بل هو غيره؛ لأن الله تعالى ذكر إلياس في ولد نوح، فهو من ذريته، قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٤)

وقيل: بل إلياس الوارد في الحديث غير إلياس النبي عليه السلام.

- المسألة الثانية: بطلان دعوى أن إلياس لم يموت:

خالف في القول بموت نبي الله إلياس عليه السلام: الصوفية والشيعة؛ فقالوا ببقائه حيًّا إلى الآن، وأنه لم يموت؛ فأما الصوفية: فقالوا بأنهم يلقونه في الفلوات؛ ليؤكدوا مزاعمهم ومزاعم شيوخهم الباطلة في الاجتماع به والأخذ والتلقي عنه!

وأما الشيعة: فتمسكوا بهذا القول لتعليل طول أمد غيبة إمامهم (مهديهم) المنتظر، والذي تجاوزت مدة غيابه الألف ومائة سنة! فيقولون: إن بقاء مهديهم كبقاء إلياس (٣).

(٣) انظر في قول الصوفية: الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٣٧/٥) [دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٤١٦هـ]. وللشيعة: الغيبة لمحمد بن جعفر الطوسي (٧٩) [مكتبة الألفين، الكويت]، وإلزام الناصب للحائري (٢٨٣/١) [مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ٤، ١٣٩٧هـ].

(١) انظر: المعارف لابن قتيبة (٥١) [دار المعارف، مصر، ط ٤]، وتاريخ الطبري (٤٦١/١) [دار المعارف، مصر، ط ٢]، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٠٥/٩) [دار الفكر، بيروت، ط ١]، وتفسير البغوي (١٦٥/٣، ٥٢/٧) [دار طيبة، ط ٤]، وتفسير القرطبي (٣٢٧/١٥، ١١٥/١٥)، وتفسير ابن كثير (٧/٣٧)، والبداية والنهاية (٣٩٣/١) [دار إحياء التراث العربي، ط ١]، وفتح الباري لابن حجر (٣٧٣/٦، ٣٧٥)، والتحرير والتنوير (٣٤٠/٧، ٣٦٤/١٥، ١٦٦/٢٣) [دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م].

(٢) قال البخاري رحمه الله: «يذكر عن ابن مسعود وابن عباس: أن إلياس هو إدريس. صحيح البخاري (٥٨٧) (كتاب الأنبياء) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

وأدلة موته ﷺ^(١) كثيرة؛ منها: قول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ لَخُلَدُونَ﴾ [الأنبياء]، وإلياس عليه السلام بشر من ذرية نوح عليه السلام؛ فهو داخل في هذا العموم لا محالة.

قال ابن تيمية: «الصواب الذي عليه محققو العلماء: أن إلياس والخضر ماتا»^(٣).

وقال ابن كثير: «إن الذي يقوم عليه الدليل: أن الخضر مات، وكذلك إلياس عليه السلام»^(٤).

ويقال أيضاً^(٥): «إن القول بحياة إلياس عليه السلام هو في حقيقته قول بإثبات أنبياء بعد نبينا ﷺ - الذي جعله الله خاتم أنبيائه ورسله؛ فلا نبي بعده ولا رسول -؛ فهذا القول خروج عن عقيدة (ختم النبوة) المعلومة من الدين بالضرورة».

ويقال أيضاً: «إن هذه المسألة لا تثبت إلا بدليل شرعي، والرافضة والصوفية ليس لهم عليها دليل صحيح».

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران]؛
فإلياس عليه السلام - كغيره من الأنبياء - داخل في هذا الميثاق؛ لئن بعث محمد ﷺ وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، فلما لم يكن إلياس عليه السلام من أتباعه ﷺ؛ دل ذلك على أنه ميت غير حي.

وثبت في حديث جابر رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال قبل موته بشهر: «ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ»^(٢)؛ وإلياس إن لم يكن قد أدرك زمان رسول الله ﷺ - وهذا هو

(٣) منهاج السنة النبوية (٩٦/١) [طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٤) البداية والنهاية (٣٩٤/١).

(٥) انظر: الفصل لابن حزم (٣٨/٥)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٢١٩/٦) [دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط ١]، وتفسير القرطبي (٤٠/١١)، وأضواء البيان (٢٠٦/٤). والكلام في أكثر هذه المراجع عن الخضر، وما يقال فيه يقال في إلياس عليه السلام.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٣٧/٤، ١٨/٢٧)، والمنار المنيف لابن القيم (٦٧) [مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ١٤٠٣هـ]، والبداية والنهاية (١/٣٩٠، ٣٩٤)، وأضواء البيان (٢١٠/٤) [دار عالم الفوائد، ط ١]. والكلام في أكثر هذه المواضع على الاستدلال لموت الخضر، ويستدل بها أيضاً على موت إلياس عليه السلام.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة ﷺ)، رقم (٢٥٣٨).

❁ المصادر والمراجع:

❁ الإمامة ❁

❁ التعريف لغة:

الإمامة: مصدر من فعل أمّ، وهو أصل واحد يدل على أربعة معانٍ متقاربة المعنى ترجع إلى ثلاثة أصول: القامة، والحين، والقصد؛ يقول ابن فارس رحمه الله: «وأما الهمزة والميم فأصل واحد، يتفرع منه أربعة أبواب، وهي الأصل، والمرجع، والجماعة، والدين، وهذه الأربعة متقاربة، وبعد ذلك أصول ثلاثة، وهي القامة، والحين، والقصد»^(١).

وأصل هذا الباب كله من القصد، يقال: أمّته: إذا قصدته، فمعنى الأمة في الدين: أن مقصدهم واحد، ومعنى الأمة القامة: سائر مقصد الجسد، ومعنى الأمة في الرجل المنفرد الذي لا نظير له: أن قصده منفرد من قصد سائر الناس، فليس يخرج شيء من هذا الباب عن أن الأصل في معنى أمّته؛ أي: قصدت^(٢).

والإمامة: الإمامة، يقال: فلان أحق بإمامة هذا المسجد؛ أي: بالإمامة، والإمام كل من أئتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم، أو كانوا ضالين،

١ - «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج ١)، للقاضي عياض.

٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.

٣ - «تحفة النبلاء من قصص الأنبياء» لابن كثير، انتخب كتابه: ابن حجر العسقلاني.

٤ - «دعوة التوحيد: أصولها، الأدوار التي مرت بها، مشاهير دعائها»، لمحمد خليل هراس.

٥ - «قصص الأنبياء المعروف بالعرائس»، لأبي إسحاق الثعلبي.

٦ - «قصص الأنبياء»، للسعدي.

٧ - «قصص الأنبياء القصص الحق»، لشيبة الحمد.

٨ - كتاب «تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين من كتاب المستدرك على الصحيحين» (ج ٢)، للحاكم النيسابوري.

٩ - «المعارف»، لابن قتيبة.

١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، لحافظ حكيم.

❁ الإمامة ❁

(١) مقاييس اللغة (٢١/١) [دار الجيل، ط ١٤٢١هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٦٣٥/١٥ - ٦٣٦) [دار الكتاب العربي].

والنبي ﷺ إمام أمته، والخليفة إمام رعيته، والقرآن إمام المسلمين^(١). السلطنة، وغيرها^(٥).

الحكم:

يجب على الأمة عقد الإمامة، ونصب الإمام؛ إذ هي من فروض الكفايات، ولا قيام للدين والدنيا إلا بها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين؛ بل لا قيام للدين والدنيا إلا بها؛ فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع؛ لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد عند الاجتماع من رأس»^(٦).

الحقيقة:

الإمامة العظمى مشتملة على سياسة الأمة، ومعرفة معاهد الشريعة، وضبط الجيوش، وولاية الأكفء، وعزل الضعفاء، ومكافحة الأعداء والأعداء، وتصريف الأموال وأخذها من مظانها، وصرفها في مستحقاتها إلى غير ذلك^(٧).

المنزلة:

منزلة الإمامة في الدين رفيعة، وأهميتها عظيمة؛ لما يقوم به الإمام من مصالح تنتظم بها أمور الدين والدنيا، ولكن ليست

التعريف اصطلاحًا:

الإمامة: في الاصطلاح عند الإطلاق يراد بها الإمامة العظمى، وموضوعها تولي أمور الناس، وأما عند التقييد فإنها تنصرف إلى المقصود من المتكلم^(٢). فبالمعنى العام المطلق عرّفها الماوردي بقوله: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة، في حراسة الدين، وسياسة الدنيا»^(٣).

وقال ابن خلدون: «هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليهم؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع، في حراسة الدين، وسياسة الدنيا بها»^(٤).

الأسماء الأخرى:

الولاية العامة، الخلافة، الإمارة أو إمارة المؤمنين، الرئاسة العامة،

(١) انظر: تهذيب اللغة (٦٣٨/١٥)، ومقاييس اللغة (١)، ٢٨، ولسان العرب (٢٢/١٢، ٢٥) [دار صادر، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤)، ١٣٥، [دار الجيل، ط ١٤٠٥هـ].

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية (٣) [مكتبة دار ابن قتيبة، ط ١، ١٤٠٩هـ].

(٤) مقدمة ابن خلدون (١٩٠) [دار الباز، ط ٤، ١٣٩٨هـ].

(٥) انظر: مآثر الإنافة في معالم الخلافة للفلقشندي (١)، ٨ [مطبعة حكومة الكويت، ط ٢، ١٩٩٠هـ]، ومقدمة ابن خلدون (١٩٠).

(٦) مجموع الفتاوى (٣٩٠/٢٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١].

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٣٩٠/٢٨).

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩].
ومن السُّنَّة: عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن
النبي ﷺ قال: «ألا كلِّم راع وكلِّم
مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على
الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته» ^(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال
رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ من ولي من أمر
أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه،
ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم
فارفق به» ^(٥).

وعن حذيفة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ
قال له: «تلزم جماعة المسلمين
وإمامهم» ^(٦).

وقال ﷺ: «من بايع إماماً فأعطاه
صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع
فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا رقبة
الآخر» ^(٧).

أقوال أهل العلم:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا
بد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة،
قليل له: هذه البرة قد عرفناها، فما بال
الفاجرة؟ قال: يؤمن بها السبيل، ويقام
به الحدود، ويجاهد به العدو، ويقسم

هي أهم المطالب في أحكام الدين، كما
يقوله الرافضة، بل الإيمان بالله
ورسوله ﷺ في كل زمان ومكان، أعظم
من مسألة الإمامة، فلم تكن في وقت من
الأوقات، لا الأهم، ولا الأشرف ^(١).

الأهمية:

الإمامة موضوعة لإقامة الدين وسياسة
الدنيا، فلا بد للأمة من إمام يقيم الدين،
وينصر السُّنَّة، ويقمع البدعة، وينصف
المظلومين، ويستوفي الحقوق، ويضعها
مواضعها ^(٢).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ
إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا
مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ
بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

قال القرطبي: «هذه الآية أصل في نصب
إمام وخليفة يُسَمَّع له ويطاق؛ لتجتمع به
الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة» ^(٣).

وقال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ
خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا
تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ [ص: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجمعة، رقم ٨٩٣)، ومسلم
(كتاب الإمامة، رقم ١٨٢٩).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٨٢٨).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٦٠٦)،
ومسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٨٤٧).

(٧) أخرجه مسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٨٤٤).

(١) انظر: منهاج السُّنَّة النبوية (١/٧٨ - ٧٩).

(٢) انظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب (٤/
١٠٨) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ].

(٣) تفسير القرطبي (١/٣٩٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

بها الفيء»^(١).

شرط كمال، وهي على النحو التالي^(٤):

الأول: أن يكون من قریش، بشرط إقامتهم للدين، وطاعتهم لله ﷻ، ورسوله ﷺ، فإن خالفوا أمر الله ﷻ فغيرهم ممن يطيع الله تعالى، وينفذ أوامره أولى منهم، وعلى هذا إجماع الصحابة، ومن جاء بعدهم من أئمة السلف، ولم يخالف في هذا إلا شذوذ من أهل الأهواء والبدع.

قال رسول الله ﷺ: «إن هذا الأمر في قریش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين»^(٥).

قال ابن حجر: «ما أقاموا الدين: أنهم إذا لم يقيموا الدين خرج الأمر عنهم»^(٦).

وقال رسول الله ﷺ: «الناس تبع لقریش في هذا الشأن»^(٧).

قال القاضي عياض رحمه الله: «هذه الأحاديث وما في معناها في هذا الباب حجة أن الخلافة لقریش، وهو مذهب كافة المسلمين وجماعتهم، وبهذا احتج أبو بكر وعمر على الأنصار يوم السقيفة، فلم يدفعه أحد عنه، وقد عدّها الناس

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن المعلوم أن الناس لا يصلحون إلا بولاية...، كما يقال: ستون سنة مع إمام جائر خير من ليلة واحدة بلا إمام...، والناس لا يمكنهم بقاء أيام قليلة بلا ولاية أمور بل كانت تفسد أمورهم»^(٢).

وقال الشوكاني: «ويجب على المسلمين شرعاً نصب إمام، وهذا معلوم لا يخالف فيه أحد، بل هو إجماع المسلمين أجمعين، منذ قبض رسول الله ﷺ إلى هذه الغاية، فما هو مرتبط بالسلطان من مصالح الدين والدنيا، ولو لم يكن منها إلا جمعهم على جهاد عدوهم، وتأمين سبلهم، وإنصاف مظلومهم من ظالمه، وأمرهم بما أمرهم الله به، ونهيهم عما نهاهم الله عنه، ونشر السنن، وإماتة البدع، وإقامة حدود الله فمشروعية نصب السلطان هي من هذه الحيثية»^(٣).

الشروط:

اشترط أهل العلم للإمام شروطاً، منها: ما هو شرط صحة، ومنها: ما هو

(٤) انظر: غياث الأمم للجويني (٦٠) [دار الدعوة، ط ١]، والأحكام السلطانية لأبي يعلى (٢٠) [دار الكتب العلمية]، وتفسير القرطبي (٤٠٤/١)، وأضواء البيان (٧٣/١ - ٨٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الأحكام، رقم ٧١٣٩).

(٦) فتح الباري (١٤٦/١٣) [دار الكتب العلمية: ط ١].

(٧) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٤٩٥)، ومسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٨١٨).

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٥٤٨/١). وأخرج عبد الرزاق في مصنفه (كتاب اللقطة، رقم ١٨٦٥٤) عن علي رضي الله عنه قال: (لا بد للناس من إمام، يعمل فيها المؤمن، ويستمتع فيها الفاجر والكافر).

(٢) منهاج السنة النبوية (٥٤٧/١ - ٥٤٨).

(٣) السيل الجرار (٥٠٤/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١].

كونه حرًا، فلا يجوز أن يكون عبدًا، وأجمعت الأمة على ذلك.

فإن قيل: ورد في «الصحيح» ما يدل على جواز إمامة العبد، فقد أخرج البخاري في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»^(٦).

فالجواب عنه من أوجه؛ أظهرها^(٧):

الأول: يتصور ولاية العبد إذا ولّاه بعض الأئمة، أو تغلب على البلاد بشوكته وأتباعه، فإنه يسمع له حينئذ ويطاع.

الثاني: أنه قد يضرب المثل بما لا يقع في الوجود، فإطلاق العبد الحبشي لأجل المبالغة في الأمر بالطاعة، وإن كان لا يتصور شرعًا أن يلي ذلك ابتداءً.

الثالث: أن يكون أطلق عليه اسم العبد نظرًا لاتصافه بذلك سابقًا، مع أنه وقت التولية حر، ونظيره إطلاق اليتيم على البالغ باعتبار اتصافه به سابقًا.

الرابع من شروطه: أن يكون بالغًا،

في مسائل الإجماع؛ إذ لم يؤثر عن أحد من السلف فيها خلاف، قولًا ولا عملًا، قرنًا بعد قرن، إلا ذلك، وإنكار ما عداه^(٨).

الثاني: من شروط الإمام الأعظم: كونه ذكرًا، فلا يجوز تولية المرأة الإمامة، وهو قول جمهور أهل العلم؛ بل قد حكى بعض أهل الإجماع على عدم تولية المرأة الإمامة، لما ثبت عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى. قال: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»^(٩).

قال أبو عبد الله القرطبي: «وأجمعوا على أن المرأة لا يجوز أن تكون إمامًا»^(١٠).

وقال ابن حجر رحمته الله: «والمنع من أن تلي المرأة الإمامة والقضاء قول الجمهور»^(١١).

وقال الشنقيطي: «من شروط الإمام الأعظم كونه ذكرًا، ولا خلاف في ذلك بين العلماء»^(١٢).

الثالث: من شروط الإمام الأعظم:

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاظم عياض (٢١٤/٦) [دار الوفاء، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤٢٥).

(٣) تفسير القرطبي (١/٤٠٤).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٩/٥٨٤) [دار طيبة، ط ١].

(٥) أضواء البيان (١/٧٨).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الأحكام، رقم ٧١٤٢).

(٧) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاظم عياض

(٢٢٠/٦) [دار الوفاء، ط ١، ١٤١٩هـ]، وشرح

صحيح مسلم للنووي (١٢/٢٤٢) [المطبعة المصرية

بالأزهر، ط ١، ١٣٤٧هـ]، وفتح الباري بشرح

صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (١٦/٦٢٦)،

وأضواء البيان للشنقيطي (١/٧٨ - ٧٩).

أهل الحل والعقد على اختيار الإمام ومبايعته، وقال بعض العلماء: إن إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه كانت من هذا القبيل أيضًا، وكذلك إمامة عثمان بن عفان رضي الله عنه كانت بمبايعة الناس له، ولم يتخلف عنها أحد.

قال ابن قدامة: «فإن أبا بكر ثبتت إمامته بإجماع الصحابة على بيعته»^(٣).

وقال ابن تيمية: «عثمان لم يصر إمامًا باختيار بعضهم، بل بمبايعة الناس له، وجميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفان، ولم يتخلف عنه أحد»^(٤).

وأهل الحل والعقد: هم أهل الاختيار، من أهل العقل والعلم، ووجهاء الناس ورؤسائهم. أو هم أهل الشوكة والقدرة، ممن تحصل بمبايعتهم للإمام القدرة والتمكن والسلطان.

قال ابن تيمية: «فإنه لا يشترط في الخلافة إلا اتفاق أهل الشوكة والجمهور، الذين يقام بهم الأمر، بحيث يمكن أن يقام بهم مقاصد الإمامة»^(٥).

الطريق الثالثة: العهد: وهو أن يعهد الإمام إلى خليفته من بعده، سواء بالمقال أو بالكتابة، كما وقع من أبي بكر الصديق رضي الله عنه للفاروق عمر رضي الله عنه.

(٣) المغني (١٢/٢٤٣) [دار عالم الكتب، ط ٣].

(٤) منهاج السنّة (١/٥٣٢).

(٥) منهاج السنّة (٨/٣٣٦)، وانظر: المصدر نفسه (١/٥٢٧).

فلا تجوز إمامة الصبي إجماعًا؛ لعدم قدرته على القيام بأعباء الخلافة.

الخامس: أن يكون عاقلًا، فلا تجوز إمامة المجنون ولا المعتوه، وهذا لا نزاع فيه.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: طرق انعقاد الإمامة:

ذكر أهل العلم أن الإمامة العظمى تنعقد بأربعة طرق^(١):

الطريق الأولى: أن ينص النبي ﷺ أن فلانًا هو الإمام، وقال بعض العلماء: إن إمامة الصديق أبي بكر رضي الله عنه كانت من هذا القبيل.

وهذه الطريق مبنية على ثبوت ذلك عن النبي ﷺ من أصله، وأنه نص على خلافة أبي بكر رضي الله عنه - سواء كان بالنص الجلي، كما ذهب إليه جماعة من أهل العلم، أو كان بالإشارة أو النص الخفي -، أو لم ينص عليه؛ أي: أنه لم يستخلف أحدًا بعد موته^(٢).

الطريق الثانية: الاختيار: وهو اتفاق

(١) انظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى (٢٣)، والأحكام السلطانية للماوردي (٤)، وإكمال المعلم للقاضي عياض (٦/٢٢٠)، وتفسير القرطبي (١/٤٠١ - ٤٠٣)، وأضواء البيان (١/٧٢ - ٧٣) [دار عالم الفوائد].

(٢) انظر: المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى (٢٢٣) [دار الجيل، ط ٢]، والفصل في الملل لابن حزم (٤/١٧٦) [دار الجيل، ط ٢]، وتفسير القرطبي (١/٣٩٦)، ومنهاج السنّة (١/٤٨٧).

حتى أقروا له، وأذعنوا بطاعته، وبايعوه صار إمامًا يحرم قتاله، والخروج عليه، فإن عبد الملك بن مروان خرج على ابن الزبير فقتله، واستولى على البلاد وأهلها، حتى بايعوه طوعًا وكرهًا، فصار إمامًا يحرم الخروج عليه^(٥).

- المسألة الثانية: السمع والطاعة للأئمة وإن كانوا ظلمة فاسقين، وعدم الخروج عليهم، وإشهار السيف وقتالهم:
من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة السمع والطاعة لولاة الأمر دون معصية الله، وعدم الخروج عليهم، سواء كانوا برة أم فجارًا، إلا إذا رأى الناس كفرا بواحا عندهم فيه من الله برهان، وقدروا على إزالته، دون ترتب المفساد، وذلك لورود الأمر بطاعتهم في الكتاب والسنة، وإجماع أئمة سلف هذه الأمة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].
وأولو الأمر في أحد الأقوال هم: الأمراء والولاة، وعلى ذلك جماهير السلف والخلف؛ قال النووي: «قال العلماء: المراد بأولي الأمر من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء، هذا قول جماهير السلف والخلف؛ من المفسرين والفقهاء، وغيرهم»^(٦).

قال ابن قدامة: «وعمر ثبتت إمامته بعهد أبي بكر»^(١).

وقال ابن تيمية: «وأما عمر فإن أبا بكر عهد إليه، وبايعه المسلمون بعد موت أبي بكر، فصار إمامًا لما حصلت له القدرة والسلطان بمبايعتهم له»^(٢).

وأجمع أهل العلم على جواز انعقاد الإمامة بالعهد، قال الماوردي: «وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله فهو مما انعقد الإجماع على جوازه، ووقع الاتفاق على صحته»^(٣).

الطريق الرابعة: التغلب: وهي أن يتغلب الإمام بسيفه على الناس، وينتزع الخلافة بالقوة، فيستتب له الأمر، ويدخل الناس في طاعته.

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: «والسمع والطاعة للأئمة، وأمير المؤمنين، البر والفاجر، ومن ولي الخلافة، فاجتمع الناس عليه، ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف، حتى صار خليفة، وسمي أمير المؤمنين»^(٤).

وقال ابن قدامة: «ولو خرج رجل على الإمام، فقهرة، وغلب الناس بسيفه

(١) المغني (١٢/٢٤٣).

(٢) منهاج السنة (١/٥٣٢).

(٣) الأحكام السلطانية (١١).

(٤) اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل ضمن كتاب أصول

اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/١٨٠)

[مؤسسة الحرمين الخيرية، ط ٨، ١٤٢٤هـ]

(٥) المغني (١٢/٢٤٣).

(٦) شرح صحيح مسلم للنووي (١٢/٢٢٣) [المطبعة =

وأما من السُّنَّة: فالأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً: منها ما جاء عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: «إلا أن تروا كفراً بواحا عندكم فيه من الله برهان»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»^(٢).
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٣).

وقال أبو الحسن الأشعري رحمته الله: «الإجماع الخامس والأربعون: وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل من ولي شيئاً من أمورهم، عن رضا أو غلبة، وامتدت طاعته، من بر وفاجر، لا يلزم الخروج عليهم بالسيف، جار أو عدل»^(٤).

وقال الحافظ النووي رحمته الله: «وأما الخروج عليهم، وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السُّنَّة أنه لا ينزل

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم سترون بعدي أثره وأموراً تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم، وتسالون الله الذي لكم»^(٥).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم سترون بعدي أثره وأموراً تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم، وتسالون الله الذي لكم»^(٥).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم سترون بعدي أثره وأموراً تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم، وتسالون الله الذي لكم»^(٥).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم سترون بعدي أثره وأموراً تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم، وتسالون الله الذي لكم»^(٥).

= المصرية بالأزهر، ط ١، ١٣٤٧هـ.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧٠٥٥، ٧٠٥٦)، ومسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٧٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧٠٥٣)، ومسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٨٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأحكام، رقم ٧١٤٤)، ومسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٨٣٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٦٦٤٤)، ومسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٨٤٣).

(٥) الشرح والإبانة، الإبانة الصغرى (١٨٣ - ١٨٦) [دار الأمر الأول، ط ٢، ١٤٣٣هـ].

(٦) رسالة إلى أهل الثغر (٢٩٦ - ٢٩٧) [مكتبة العلوم والحكم، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

السلطان بالفسق»^(١).

قال ابن تيمية: «إن الحاكم إذا ولّاه ذو الشوكة لم يمكن عزله إلا بفتنة، ومتى كان السعي في عزله مفسدة أعظم من مفسدة بقاءه، لم يجز الإتيان بأعظم الفسادين، لدفع أذاهما، وكذلك الإمام الأعظم، ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ؛ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم دون قتال ولا فتنة، فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أذاهما، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته»^(٢).

وقال ابن باز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إلا إذا رأى المسلمون كفرًا بواحا عندهم من الله فيه برهان، فلا بأس أن يخرجوا على هذا السلطان لإزالته، إذا كان عندهم قدرة، أما إذا لم يكن عندهم قدرة فلا يخرجوا، أو كان الخروج يسبب شرًا أكثر فليس لهم الخروج رعاية للمصالح العامة، والقاعدة الشرعية المجمع عليها: أنه لا يجوز إزالة الشر بما هو أشد منه، بل يجب درء الشر بما يزيله،

وأما أقوالهم فكثيرة جدًا: قال ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله ﷻ عنه من معصية ولاة الأمور، وغشهم، والخروج عليهم بوجه من الوجوه، كما قد عرف من عادات أهل السنة والدين قديمًا وحديثًا، ومن سيرة غيرهم، وقد ثبت في «الصحيح» عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدره»، قال: «وإن من أعظم الغدر؛ يعني: بإمام المسلمين»^(٣). وهذا حدث به عبد الله بن عمر لما قام قوم من أهل المدينة يخرجون عن طاعة ولي أمرهم ينقضون بيعته»^(٤).

وأما الخروج على الإمام إذا رأى الناس منه الكفر البواح فهو مشروط بالقدرة والتمكن على الإزالة، وعدم ترتب المفاسد والشُرور عند إزالته.

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٢/٢٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧١١١)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٣٥)، ولفظ ابن عمر كما عند البخاري: أنه جمع حشمه وولده فقال بعد رواية الحديث: «وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله وإني لا أعلم غدرًا أعظم من أن يبايع رجل بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحدًا منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيل ببيني وبينه».

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/٣٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٤) منهاج السنة (٣/٣٩١).

الكتاب والسُّنة على تحريم الخروج على
الحكام وإن كانوا ظلمة فسقة، وفعل
أولئك الأئمة ومن وافقهم مخالف لتلك
النصوص، وهم مجتهدون في ذلك،
ومعذورون، لكن لا يجوز تقديم فعلهم
على صريح وصحيح النصوص.

ثانيًا: خالفهم في فعلهم ذلك جمع
كبير من الصحابة، والتابعين، وأنكروا
عليهم صنيعهم، ولم يحمدا على ذلك،
وهم أولى بالاتباع؛ لأن القرآن والسُّنة
حجة لهم.

قال ابن تيمية: «وكان أفاضل
المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في
الفتنة، كما كان عبد الله بن عمر،
وسعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين،
وغيرهم، ينهون عام الحرة عن الخروج
على يزيد، وكما كان الحسن البصري،
ومجاهد، وغيرهما ينهون عن الخروج
في فتنة ابن الأشعث»^(٣).

ثالثًا: وهو أن يقال: إن خروج أولئك
الأئمة، وغيرهم كان في أول الأمر،
وقد كان عن تأويل، أو عن عدم بلوغ
الحجة لديهم، أو نحو ذلك، هذا وإن
كان أكثرهم قد تاب ورجع وندم، لكن
بعد ذلك استقر أمر أهل السُّنة والجماعة
على المنع من الخروج، وإشهار
السيف، وقتال السلطان، وعلى وجوب

أو يخففه، أما درء الشر بشر أكثر منه
فلا يجوز بإجماع المسلمين»^(١).

وقال ابن عثيمين رحمته الله: «وإذا رأينا
هذا مثلاً - يعني: الكفر البواح الذي
عندنا فيه من الله برهان - فلا تجوز
المنازعة حتى تكون لدينا قدرة على
إزاحته، فإن لم يكن لدينا قدرة فلا تجوز
المنازعة؛ لأنه ربما إذا نازعنا وليس
عندنا قدرة يقضي على البقية الصالحة،
وتتم سيطرته»^(٢).

**- المسألة الثالثة: حكم الخروج على
الإمام الجائر:**

من أصول مذهب الخوارج والمعتزلة
الخروج على الحاكم الظالم، ومنابدته
بالسيف، وقتاله، وهذا المذهب مخالف
لنصوص القرآن والسُّنة، وإجماع سلف
الأمة، وقد تقدم تقرير ذلك.

هذا وقد يستدل الخوارج وأتباعهم في
كل عصر على فعل بعض التابعين في
الصدر الأول، الذين خرجوا على
الحجاج بن يوسف الثقفي، أو بفعل
الحسين بن علي بن أبي طالب،
وعبد الله بن الزبير مع بني أمية،
وغيرهم، وقد أجيب على ذلك بأجوبة
من أظهرها:

أولاً: قد دلت النصوص الشرعية من

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٢٠٣/٨).

(٢) شرح رياض الصالحين (٥١٥/٤) [دار الوطن].

(٣) منهاج السُّنة (٥٢٩/٤).

ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم. قيل: يا رسول الله أفلا ننايذهم بالسيف؟ فقال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولا تكلم شيئاً تكرهونه فاكروهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة»^(٣).

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «نهانا كبارؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ قال: لا تسبوا أمراءكم ولا تغشوههم ولا تبغضوهم واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب»^(٤).

روى أبو بكر الخلال عن أبي بكر المروزي أنه قال: «سمعت أبا عبد الله وذكر الخليفة المتوكل رحمته الله. فقال: إني لأدعو له بالصلاح والعافية»^(٥).

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمته الله: «ولا نرى الخروج على أئمتنا، وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة، ما لم يأمرُوا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافة»^(٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل، وغيرهما يقولون: لو كان لنا دعوة

السمع والطاعة، وإن كانوا ظلمة، وهذا الذي يذكره أهل السُّنة في عقائدهم، ويحكيه الآخر عن الأول.

قال القاضي عياض في بعض الأجوبة: «وقيل: بل كان في هذا الخلاف أولاً، ثم وقع الاتفاق بعد على ترك القتال»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد كلامه السابق: «ولهذا استقر أمر أهل السُّنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة، وترك قتالهم، وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين»^(٢).

- المسألة الرابعة: تحريم سب الأئمة ولعنهم:

من عقيدة أهل السُّنة والجماعة الدعاء للأئمة بالخير والصلاح، وتحريم سبهم ولعنهم، لما يفضي من اللعن والسب إلى إيغال صدور العامة عليهم، مما قد يترتب على ذلك من المفاسد العظيمة، في الدين والدنيا.

روى عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم

(١) إكمال المعلم (٦/٢٤٧).

(٢) منهاج السُّنة (٤/٥٢٩).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٨٥٥).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنة (٢/٤٨٨) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٠هـ]، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/٦٩) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ]، وقال الألباني: إسناده جيد. ظلال الجنة (٢/٤٨٨).

(٥) السُّنة للخلال (١/٨٤) [دار الراية، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٦) العقيدة الطحاوية مع شرح ابن أبي العز (٢/٥٤٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١٣، ١٤١٩هـ].

مجابة لدعونا بها للسلطان»^(١).
- المسألة الخامسة: تعدد الأئمة، ولها صورتان:

الأولى: أن تنعقد الإمامة ابتداء لإمامين في وقت واحد، وفي بلد واحد، وهذا حكمه المنع مطلقاً، وعليه انعقد الإجماع. قال القرطبي: «فأما إقامة إمامين أو ثلاثة في عصر واحد، وبلد واحد، فلا يجوز إجماعاً»^(٢).

دليل المنع أحاديث من السنة النبوية:
منها: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»^(٣).

ومنها: قوله ﷺ: «من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا رقبة الآخر»^(٤).

ومنها: قوله ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»^(٥).

الثانية: وهي عقد الإمامة لخليفتين كلاهما مستقل بقطر دون الآخر: الصواب في هذا جواز ذلك نظرًا للحاجة. قال ابن تيمية: «والسنة أن يكون للمسلمين إمام واحد، والباقون نوابه، فإذا فرض أن الأمة خرجت عن ذلك، لمعصية من

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله: «الأئمة مجتمعون من كل مذهب، على أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا؛ لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرفون أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم»^(٦).

وقال الشوكاني: «وأما بعد انتشار الإسلام، واتساع رقعته، وتباعد أطرافه، فمعلوم أنه قد صار في كل قطر أو أقطار الولاية إلى إمام أو سلطان، وفي القطر الآخر، أو الأقطار كذلك، ولا ينفذ لبعضهم أمر ولا نهى في قطر الآخر، وأقطاره التي رجعت إلى ولايته، فلا بأس بتعدد الأئمة، أو السلاطين، ويجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة له على أهل القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه، وكذلك صاحب القطر الآخر، فإذا قام من ينازعه في القطر الذي قد ثبتت فيه ولايته، وبإيعه أهله، كان الحكم فيه أن يقتل إذا لم يتب، ولا تجب على أهل القطر الآخر

(١) مجموع الفتاوى (٣٩١/٢٨).

(٢) تفسير القرطبي (٤٠٨/١).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٨٥٣).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٨٤٤).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٨٥٢).

(٦) مجموع الفتاوى (١٧٥/٣٥).

(٧) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٥/٩).

طاعته، ولا الدخول تحت ولايته؛ لتباعد الأقطار، فإنه قد لا يبلغ إلى ما تباعد منها خبر إمامها أو سلطانها، ولا يدر من قام منهم، أو مات، فالتكليف بالطاعة والحال هذه تكليف بما لا يطاق»^(١).

طاعة، وللمسلمين مصلحة»^(٣).
وقال النووي: «قال العلماء: المراد بأولي الأمر: من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء، هذا قول جماهير السلف والخلف؛ من المفسرين والفقهاء، وغيرهم»^(٤).

- المسألة السادسة: المراد بأولي الأمر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]:

القول الثاني: أن المراد بهم العلماء وأهل الفقه، وقد روي عن جماعة من الصحابة؛ كابن عباس وجابر رضي الله عنهما، وقال به مجاهد وغيره.

اختلف أهل العلم بالمراد بأولي الأمر في هذه الآية على أقوال؛ أظهرها ثلاثة أقوال^(٢):

القول الثالث: وهو أن الآية عامة في الأمراء والعلماء، وهو قول جماعة من أهل العلم المحققين؛ كأبي عبد الله القرطبي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وغيرهم من المتأخرين من أهل العلم.
قال القرطبي: «وأصح هذه الأقوال الأول والثاني»^(٥).

القول الأول: المراد بأولي الأمر في الآية: هم الأمراء والولاة، وإلى هذا القول ذهب جماعة من الصحابة والتابعين؛ كأبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما ومن وافقهم من الأئمة؛ كابن جرير الطبري، بل نقله الحافظ النووي عن جماهير السلف والخلف.

وقال ابن تيمية: «فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء والأمراء، فإذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه للأحمسية لما سألت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح؟ قال: ما استقامت لكم أئمتكم»^(٦)، ويدخل فيهم الملوك

قال ابن جرير: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الأمراء والولاة؛ لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله

(١) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار / (٤) (٤٨١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٤هـ].

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧٦/٧) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط ١]، وزاد المسير (١١٦/٢) [المكتب الإسلامي، ط ٣]، وتفسير القرطبي (٤٢٨/٦).

(٣) تفسير القرطبي (١٨٢/٧).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (٢٢٣/١٢) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط ١، ١٣٤٧هـ].

(٥) تفسير القرطبي (٤٣٠/٦).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٨٣٤).

من رجل أو امرأة، أو حر أو عبد، أو كافر أو مسلم، ولهم حقوق وواجبات: فمن أظهر واجبات الرعية: السمع والطاعة لولاة الأمر فيما أمروا به، إلا في معصية، وعدم الخروج عليهم، أو قتالهم، كما تقدم تقريره.

ومن أظهرها أيضًا: بذل النصح لولاة الأمر كما ورد في الحديث «الصحيح» عن تميم الداري؛ أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة». قلنا: لمن؟ قال: «الله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٣).

وحقيقة النصيحة لهم: معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه، وأمرهم به وتذكيرهم به بلطف ورفق، وعلى أحسن الوجوه، وتحريم الخروج عليهم، والصلاة خلفهم، والجهد معهم، والدعاء لهم بالتوفيق والصلاح، ونحو ذلك^(٤).

وقد تخص النصيحة لولاة الأمر بتذكيرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وهذه النصيحة من شرطها أن لا تكون على الملأ وعلانية، بل يجب أن تبذل لهم النصيحة سرًا فيما بينهم.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: «قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أنني لا أكلمه إلا أسمعكم! والله

والمشايع، وأهل الديوان، وكل من كان متبوعًا فهو من أولي الأمر، وعلى كل واحد من هؤلاء أن يأمر بما أمر الله ﷻ به، وينهى عما نهى الله ﷻ عنه، وعلى كل واحد ممن عليه طاعته أن يطيعه في طاعة الله ﷻ، ولا يطيعه في معصية الله»^(١).

وقال ابن القيم: «والقولان ثابتان عن الصحابة في تفسير الآية، والصحيح أنها متناولة للصنفين معًا؛ فإن العلماء والأمراء ولادة الأمر الذي بعث الله به رسوله، فإن العلماء ولاته حفظًا وبيانًا وذنبًا عنه، وردًا على من أُلحد فيه وزاغ عنه، وقد وكلهم الله بذلك؛ فقال تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءُ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام]، فإيا لها من وكالة أوجبت طاعتهم، والانتفاء إلى أمرهم، وكون الناس تبعًا لهم، والأمراء ولاته قيامًا وعناية وجهادًا وإلزامًا للناس به، وأخذهم على يد من خرج عنه، وهذان الصنفان هما الناس، وسائر النوع الإنساني تبع لهما ورعية»^(٢).

- المسألة السابعة: واجبات وحقوق الرعية:

الرعية هم كل من تحت ولاية الإمام،

(١) قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية (٨٢) [مكتبة المدني، جدة].

(٢) الرسالة التبوكية (٤٦) [دار عالم الفوائد].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٥٥).

(٤) انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٣٠٧/١)،

وشرح النووي على مسلم (٣٨/٢).

ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم
فارفق به»^(٤).

وكذلك النصح للرعية، والنصيحة
كلمة جامعة لأنواع الخير كلها، فهي
بذل المعروف للرعية، وإزالة المنكر عنها
وكل ما هو مؤذٍ.

دخل عبيد الله بن زياد على معقل بن
يسار في مرضه. فقال معقل: إني
محدثك بحديث لولا أنني في الموت لم
أحدثك به؛ سمعت رسول الله ﷺ
يقول: «ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم
لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم
الجنة»^(٥).

وفي رواية أخرى: «ما من
عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت
وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه
الجنة»^(٦).

✽ مذهب المخالفين:

١ - المخالفون في الإمامة على
مذهبين:

المذهب الأول: من يرى الخروج
على الإمام، وقتاله، وأن ليس له طاعة
أو بيعة إذا ظلم، أو عصى، وهم
الخوارج والمعتزلة، ومن وافقهم،

لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن
أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من
فتحه»^(١).

قال القاضي عياض في شرحه للأثر:
«يعني: في المجاهرة بالنكير، والقيام
بذلك على الأمراء، وما يخشى من سوء
عقبه، كما تولد من إنكارهم جهازاً على
عثمان بعد هذا، وما أدى إلى سفك
دمه، واضطراب الأمور بعده. وفيه
التلطف مع الأمراء، وعرض ما ينكر
عليهم سراً»^(٢).

وغير ذلك من الواجبات، وأما حقوق
الرعية فكثيرة هي أيضاً، وهي من
واجبات الأئمة والولاة والأمراء تجاه
رعيته:

فمن أظهرها: إقامة العدل في الرعية،
وإعطاء كل ذي حق حقه، وإنصاف
المظلوم، والأخذ على يد الظالم.

قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين
عند الله على منابر من نور عن يمين
الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون
في حكمهم، وأهلهم، وما أولوا»^(٣).

وكذلك الرفق بالرعية، ورفع المشقة
عليهم، لقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ من ولي من
أمر أمتي شيئاً فشق عليهم، فاشق عليه،

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٢٨).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٤٢).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الأحكام، رقم ٧١٥٠).

ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٤٢).

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٦٧).

ومسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٨٩).

(٢) إكمال المعلم (٥٣٨/٨).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٢٧).

ومذهبهم باطل بنص القرآن والسُّنة.

الثاني: من يرى أن الإمامة أعظم ركن من أركان الإسلام، وأصل أصيل من أصول الإيمان لا يتم إيمان المرء إلا باعتقادها، ولا يقبل منه عمل إلا بتحقيقها^(١)، وهذا باطل، مخالف للكتاب والسُّنة، والإجماع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رادًا على ادعاءات ابن المطهر الحلبي السابقة في الإمامة: «إن قول القائل: إن مسألة الإمامة أهم المطالب في أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين، كذب بإجماع المسلمين سنيهم وشيعتهم، بل هذا كفر؛ فإن الإيمان بالله ورسوله، أهم من مسألة الإمامة، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام؛ فالكافر لا يصير مؤمنًا حتى يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وهذا هو الذي قاتل عليه الرسول ﷺ الكفار أولًا كما استفاض عنه في الصحاح وغيرها... وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَعِدُّوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، فأمر بتخليه سبيلهم إذا تابوا من الشرك، وأقاموا الصلاة، وآتوا

الزكاة، وكذلك قال لعلي لما بعثه إلى خيبر، وكذلك كان النبي ﷺ يسير في الكفار فيحقن دماءهم بالتوبة من الكفر، لا يذكر لهم الإمامة بحال، وقد قال تعالى بعد هذا: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ١١] فجعلهم إخوانًا في الدين بالتوبة، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ولم يذكر الإمامة بحال، ومن المتواتر أن الكفار على عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا أسلموا أجرى عليهم أحكام الإسلام، ولم يذكر لهم الإمامة^(٢).

٢ - هذا، وقد ادعى الرافضة عصمة الإمام، وأنه لا يجوز عليه الخطأ، والنسيان، وهو باطل، مخالف للشرع والعقل.

ويُردّ عليهم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]؛ فليس يخلو أولو الأمر من أن يكونوا الفقهاء، أو الأمراء، أو الإمام الذي يدعونه، فإن كان المراد الفقهاء والأمراء فقد بطل أن يكون الإمام، والفقهاء والأمراء يجوز عليهم الغلط، والسهو، والتبديل، والتغيير، وقد أمرنا بطاعتهم، وهذا يبطل أصل الإمامة؛ فإن شرط الإمامة عندهم أن يكون معصومًا لا يجوز عليه الغلط،

(١) انظر: عقائد الشيعة الإمامية الاثني عشرية الرافضة لأشرف الجيزاوي (٥٩) [دار اليقين، ط ١، ١٤٣٠هـ].

(٢) منهاج السُّنة لابن تيمية (١/ ٧٥ - ٧٦).

الموّلّى عليهم طاعتهم ما لم يأمرهم بمعصية، وكذلك حكمهم بعد النبي ﷺ في لزوم اتباعهم، وطاعتهم ما لم تكن معصية^(١).

٣ - خالف في وجوب نصب الإمامة، وأن الأمة لا بد لها من إمام: شذوذ من طوائف أهل الأهواء والبدع؛ كالنجدات من فرق الخوارج، وكأبي بكر الأصم المعتزلي، وغيرهم، ولا عبرة بخلافهم.

قال ابن حزم رحمه الله: «اتفق جميع أهل السُّنَّة، وجميع المرجئة، وجميع الشيعة، وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل؛ يقيم فيهم أحكام الله ﷻ، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ﷺ، حاشا النجدات من الخوارج؛ فإنهم قالوا: لا يلزم الناس فرض الإمامة، وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم، وهذه فرقة ما نرى بقي منهم أحد، وهم المنسوبون إلى نجدة بن الحنفي القائم باليمامة»^(٢).

وقال أبو عبد الله القرطبي: «ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة، ولا بين الأئمة، إلا ما روي عن الأصم، حيث كان عن الشريعة أصم»^(٣).

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١٧٧/٣ - ١٧٨) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ].

(٢) الفصل في الملل والنحل (١٤٩/٤).

(٣) تفسير القرطبي (٣٩٥/١).

والخطأ، والتبديل، والتغيير، ولا يجوز أن يكون المراد الإمام؛ لأنه قال في نسق الخطاب: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَردُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] فلو كان هناك إمام مفروض الطاعة لكان الرد إليه واجباً، وكان هو يقطع الخلاف والتنازع، فلما أمر برد المتنازع فيه من الحوادث إلى الكتاب والسُّنَّة دون الإمام؛ دل ذلك على بطلان قولهم في الإمامة، ولو كان هناك إمام تجب طاعته لقال: فردوه إلى الإمام؛ لأن الإمام عندهم هو الذي يقضي قوله على تأويل الكتاب والسُّنَّة، فلما أمر بطاعة أمراء السرايا والفقهاء، وأمر برد المتنازع فيه من الحوادث إلى الكتاب والسُّنَّة دون الإمام ثبت أن الإمام غير مفروض الطاعة في أحكام الحوادث المتنازع فيها، وأن لكل واحد من الفقهاء أن يردّها إلى نظائرها من الكتاب والسُّنَّة.

وزعمت هذه الطائفة أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا تأويل فاسد؛ لأن أولي الأمر جماعة، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه رجل واحد، وأيضاً فقد كان الناس مأمورين بطاعة أولي الأمر في زمان رسول الله ﷺ، ومعلوم أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يكن إماماً في أيام النبي ﷺ، فثبت أن أولي الأمر في زمان النبي ﷺ كانوا أمراء، وقد كان

❏ الأمر ❏

يراجع مصطلح (القدر).

❏ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ❏

❁ التعريف لغة:

- **المعروف:** قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلاً بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة. فالأول العُرف؛ عرف الفرس... والأصل الآخر: المعرفة والعرفان؛ تقول: عرف فلان فلاناً عرفاناً ومعرفة، وهذا أمر معروف، وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه؛ لأن من أنكر شيئاً توحش منه، ونبا عنه»^(١).

والعُرف: المعروف، وسمي بذلك لأن النفوس تسكن إليه، والمعروف: ما يستحسن من الأفعال، وهو كل ما تعرفه النفس من الخير، وهو ضد المنكر^(٢).

- **المنكر:** قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «النون والكاف والراء أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب، ونكر الشيء وأنكره: لم يقبله قلبه، ولم يعترف به لسانه»^(٣).

٤ - خالف ضرار بن عمرو الكوفي في تقديم إمامة القرشي إذا اجتمع مع غيره، فقال: إذا اجتمع قرشي وحبشي كلاهما قائم بالكتاب والسنة قدم الحبشي؛ لأنه أسهل لخلعه إذا حاد، وهذا مخالف للأحاديث الصحيحة الواردة في وجوب تقديم القرشي على غيره، ومخالف لإجماع الصحابة، ومن بعدهم، وقد تقدم تقرير ذلك.

❁ المصادر والمراجع:

١ - «الأحكام السلطانية»، للقاضي أبي يعلى.

٢ - «الأحكام السلطانية»، للماوردي.

٣ - «المعتمد في أصول الدين»، للقاضي أبي يعلى.

٤ - «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، لابن حزم.

٥ - «منهاج السنة النبوية»، لابن تيمية.

٦ - «الآداب الشرعية»، لابن مفلح.

٧ - «معاملة الحكام في ضوء الكتاب السنة»، لعبد السلام برجس.

٨ - «ضوابط معاملة الحكام عند أهل السنة والجماعة»، لخالد ضحوي الظفيري.

(١) مقاييس اللغة (٤/٢٨١) [دار الجليل، ١٤٢١هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٤/٢٨١)، ولسان العرب (٤/٢٨٩٩) [دار المعارف، القاهرة].

(٣) مقاييس اللغة (٥/٤٧٦).

الخرج عن الباقيين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف^(٥).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد بعينه، بل هو على الكفاية، كما دل عليه القرآن»^(٦).

لكن يتعين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون فرض عين في حالات خاصة؛ وهي:

أولاً: ما يقوم بالقلب، فهذا يجب على كل أحد فعله، إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس بمؤمن بالإيمان الكامل^(٧)؛ كما قال رسول الله ﷺ: «ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»^(٨).

ثانياً: إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجته، أو ولده، أو غلامه على منكر، أو تقصير في المعروف^(٩).

المنزلة:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي (٢٣/٢) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط ١، ١٣٤٧هـ].

(٦) مجموع الفتاوى (١٢٦/٢٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤٢٥هـ].

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (١٢٧/٢٨).

(٨) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٥٠).

(٩) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٢٣/٢).

والمنكر من الأمر: خلاف المعروف، والنكر والنكراء: المنكر، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾^(٧٤) [الكهف]، وجمعه مناكير، والإنكار تغيير المنكر^(١).

التعريف شرعاً:

المعروف: هو كل ما أمر الله به ورسوله ﷺ، والمنكر: هو كل ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ^(٢)، أو المعروف هو ما عرف بالشرع، والعقل حسنه، والمنكر ما عرف بالشرع، والعقل قبحه^(٣).

الحكم:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من حيث الحكم العام هو من فروض الكفاية؛ إذا قام به البعض سقط عن الباقيين، كما هو قول جمهور أهل العلم^(٤).

قال النووي رحمته الله: «ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به بعض الناس سقط

(١) انظر: لسان العرب (٤٥٣٩/٦)، وترتيب القاموس المحيط (٤٣٦/٤) [دار عالم الكتب للطباعة، ط ١].

(٢) انظر: الاستقامة لابن تيمية (٢٠٩/٢ - ٢١٠) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ٢، ١٤١١هـ].

(٣) انظر: تفسير السعدي (١٤٩) [دار السلام، الرياض، ط ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر: الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعبد الرحمن بن أبي بكر الدمشقي (١/٣٨ - ٣٩)، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ١، ١٤١٨هـ.

من أوجب الأعمال، وأفضلها، وأحسنها^(١)، وهما العمادان العظيمان من أعمدة هذا الدين، والركنان الكبيران من أركانه^(٢).

وهما من أظهر علامات الإيمان والصلاح؛ كما قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران].

وهما من أعظم أسباب الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨) ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٩).

[المائدة].

فرق ما بين المؤمنين والمنافقين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كما قال تعالى: ﴿الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]، ثم قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، فدلّ على أن أخص أوصاف أهل الإيمان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٣).

الأهمية:

مناط الخيرية لهذه الأمة موصول بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران].

ومن أعظم أسباب الاستمرار في التمكين في الأرض: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كما قال تعالى:

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/١٣٤).

(٢) انظر: السيل الجرار (٥٥٧/٥) [دار الكتب العلمية].

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٧٣/٥) [مؤسسة الرسالة].

وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان].

وقال تعالى في صفة نبيِّنا محمد ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً لم نؤذ من فوقنا. فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً» (٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري: «وأصل المعروف كل ما كان معروفاً فعله، جميلاً مستحسناً، غير مستقبح في أهل الإيمان بالله، وإنما سميت طاعة الله معروفاً؛ لأنه مما يعرفه أهل الإيمان، ولا يستنكرون فعله، وأصل المنكر ما أنكره الله، ورأوه قبيحاً فعله، ولذلك سُميت معصية الله منكراً؛ لأن أهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها، ويستعظمون ركوبها» (٤).

وقال ابن تيمية في عقيدة أهل السنة والجماعة: «ثم هم مع هذه الأصول: يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، على ما توجبه الشريعة» (٥).

وقال الشوكاني: «وفي الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة، وهو من أعظم واجبات الشريعة

ومن السنة: حديث أبي سعيد الخدري ﷺ؛ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (١).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» (٢).

وعن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الشركة، رقم ٢٤٩٣).

(٤) تفسير الطبري (٦٧٦/٥ - ٦٧٧) [دار هجر، ط١].

(٥) مجموع الفتاوى (١٥٨/٣).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٥٠).

المطهرة، وأصل عظيم من أصولها، وركن شديد من أركانها، وبه يكمل نظامها، ويرتفع سنامها»^(١).

الشروط:

شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي على النحو التالي^(٢):

أولاً: أن يكون مكلفاً؛ لأن غير المكلف لا يلزمه وجوب أمر، ولا نهْي، لكن لغير المكلف الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويثاب عليه.

ثانياً: أن يكون مسلماً، فليس للكافر أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ لما فيه من السلطنة والعزة.

ثالثاً: أن يكون قادراً بلا ضرر يلحقه؛ فإن لحقه ضرر فلا يجب عليه، لكن إن صبر وقام به فهو أفضل، كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾^(٣) [لقمان].

رابعاً: أن يكون عالماً غير جاهل، عالماً بحكم الشرع فيما يأمر وينهى،

(١) فتح القدير (١/٦٠٥) [دار الوفاء].

(٢) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمن إحياء علوم الدين للغزالي (١١٩٦/٧) [دار الشعب، القاهرة]، والكنز الأكبر (١/١٨٣)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢/٣٣٠ - ٣٣٤) [دار ابن الجوزي، ط ٢]، وأضواء البيان للشنقيطي (٢/٢٠٦) [دار عالم الفوائد]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه لخالد السبت (١٦٣) [ط ١، ١٤١٥هـ].

وعالماً بحال المأمور، وعالماً بحال المأمور حال تكليفه؛ أقام بالفعل أم لا؟ قال ابن الجوزي رحمته الله: «فأما إذا كان الأمر بالمعروف جاهلاً، فإن الشيطان يتلاعب به، وربما كان إفساده في أمره أكثر من إصلاحه؛ لأنه ربما نهى عن شيء جائز بالإجماع، وربما أنكر ما قد تأول فيه صاحبه، وتبع بعض المذاهب، وربما كسر الباب، وتسور الحيطان، وضرب أهل المنكر، وقذفهم، فإن أجابه بكلمة تصعب عليه صار غضبه لنفسه، وربما كشف ما قد أمره الشرع بستره»^(٣).

خامساً: أن لا يترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مفسدة أعظم من السكوت، فإن ترتب عليها ذلك، فإنه لا يلزمه، بل لا يجوز له أن يأمر وينهى.

قال ابن تيمية: «فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة، ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له؛ فإن كان الذي يفوت من المصالح، أو يحصل من المفاصد أكثر لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته»^(٤).

المراتب:

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(٣) تلبس إبليس (٢/٨٥١) [دار الوطن للنشر، ط ١].

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/١٢٩).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند أهل الأهواء والبدع:

خالف في مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طائفتان من أهل الأهواء والبدع: الخوارج، والمعتزلة، ومن وافقهم، فيرون أن الخروج على الأئمة، وقتالهم، وإشهار السيف، هو من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهذا المفهوم باطل، مخالف للكتاب والسنة، وإجماع أهل السنة.

قال الآجري رحمته الله: «لم يختلف العلماء قديماً وحديثاً أن الخوارج قوم سوء، عصاة لله تعالى ورسوله، وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، ويظهرون الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم... ثم إنهم خرجوا بعد ذلك من بلدان شتى، واجتمعوا وأظهروا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»^(٣).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة: لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة، وترك القتال في الفتنة، وأما أهل الأهواء؛ كالمعتزلة، فيرون القتال للأئمة من

ثلاث مراتب، دل عليها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه السابق^(١):

المرتبة الأولى: الإنكار باليد، وهذه لا تكون إلا لمن له القدرة والسلطة؛ كالحاكم ونوابه، وكالوالد في أهل بيته، ونحوهم، وهذه أكمل المراتب وأعلاها. **المرتبة الثانية:** الإنكار باللسان، وهذا يكون مع عدم القدرة باليد، وقد قيل: إن هذه المرتبة للعلماء، وهي أوسط المراتب.

المرتبة الثالثة: الإنكار بالقلب، وقد قيل عن هذه المرتبة: إنها مرتبة الضعفاء؛ أي: لعوام الناس، وهذه أدنى المراتب.

وليس معنى قوله: «ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»: أنه لم يبق معه شيء من الإيمان، وأنه ذهب عنه أصله، بل المراد: أنه لم يبق بعد هذا الإنكار ما يدخل في الإيمان حتى يفعله المؤمن، بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان، فجعل المؤمنين ثلاث طبقات، وكل منهم فعل الإيمان الذي يجب عليه، لكن الأول لما كان أقدرهم كان الذي يجب عليه أكمل مما يجب على الثاني، وكان ما يجب على الثاني أكمل مما يجب على الثالث^(٢).

(١) انظر: تفسير القرطبي (٧٥/٥ - ٧٦)، ومجموع الفتاوى (٤٣٨/٧)، والآداب الشرعية لابن مفلح (١٨٤/١) [مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ١].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤٢٨/٧).

(٣) الشريعة (٣٢٥/١ - ٣٢٧) [دار الوطن، ط ١].

«يعني: في المجاهرة بالنكير، والقيام بذلك على الأمراء، وما يخشى من سوء عقابه، كما تولد من إنكارهم جهاراً على عثمان بعد هذا، وما أدى إلى سفك دمه، واضطراب الأمور بعده. وفيه التلطف مع الأمراء، وعرض ما ينكر عليهم سرّاً»^(٤).

وقال ابن النحاس رحمته الله بعد أن قرر تغيير المنكر باليد: «**تنبيه:** هذا الذي ذكرناه في هذا الفصل، والذي قبله إنما هو فيما إذا كان المنكر على غير السلطان، فإذا كان السلطان فليس لأحد منعه القهر باليد، ولا أن يشهر عليه سلاحاً، أو يجمع عليه أعواناً؛ لأن ذلك تحريك للفتن، وتهيج للشر، وإذهاب لهيبة السلطان من قلوب الرعية، وربما أدى ذلك إلى تجريئهم على الخروج عليه، وتخریب البلاد، وغير ذلك مما لا يخفى»^(٥).

وقال ابن باز رحمته الله: «ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع، ولكن الطريقة المتبعة

(٤) إكمال المعلم (٥٣٨/٨).

(٥) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أعمال الهالكين (٤٥) [دار الحديث الحسنية، ط١٣٨٧].

أصول دينهم، ويجعل المعتزلة أصول دينهم خمسة: التوحيد الذي هو سلب الصفات، والعدل الذي هو التكذيب بالقدر، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: الذي هو قتال الأئمة»^(١).

وقال ابن القيم رحمته الله: «وأخرجت الخوارج قتال الأئمة والخروج عليهم بالسيف في قالب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»^(٢).

- المسألة الثانية: أمر ولاية الأمر بالمعروف، ونهيهم عن المنكر:

من النصيحة لولاة الأمر أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، لكن بشرط أن لا يكون ذلك علانية، وأن يكون بالوعظ والتذكير، وأن لا يترتب عليه ضرر ومفسدة عظيمة؛ كالقتل، أو نحوه.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه؛ أنه قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: «أترون أني لا أكلمه إلا أسععكم، والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه»^(٣).

قال القاضي عياض في شرحه للأثر:

(١) مجموع الفتاوى (١٢٨/٢٨).

(٢) إغاثة اللهفان (٤٤٦/٢) [دار المعرفة، ط١].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٦٧)، ومسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٨٩).

اشتراط بعضهم أن يكون الأمر والناهي سليماً من الذنوب والمعاصي، وأن لا يأمر بما لا يفعله، ولا ينهى عما يرتكبه، وقد نسب القرطبي إلى المبتدعة عموماً^(٢). واستدلوا من القرآن بقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُنُوا مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف].

واستدلوا من السنة بحديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهى عن المنكر؟! قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية»^(٣).

لكن هذا القول ضعيف، والصحيح الذي عليه علماء السلف والخلف أن الأمر عليه أن يأمر بالمعروف ولو لم يفعله، وينهى عن المنكر وإن فعله؛ لأن كلاً من الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر، لكن يقبح من العالم أن يأمر بالمعروف ولا يأتية،

عند السلف: النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجهه إلى الخير، وإنكار المنكر يكون من دون ذكر الفاعل، فيُنكر الزنا، وينكر الخمر، وينكر الربا، من دون ذكر من فعله، ويكفي إنكار المعاصي، والتحذير منها، من غير ذكر أن فلاناً يفعلها، لا حاكم ولا غير حاكم، ولما وقعت الفتنة في عهد عثمان قال بعض الناس لأسامة بن زيد رضي الله عنه: ألا تنكر على عثمان؟ قال: أنكر عليه عند الناس! لكن أنكر عليه بيني وبينه، ولا أفتح باب شر على الناس، ولما فتحوا الشرف في زمن عثمان رضي الله عنه وأنكروا على عثمان جبهة تمت الفتنة والقتال والفساد، الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم، حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية، وقتل عثمان وعلي بسبب ذلك، وقُتل جم كثير من الصحابة، وغيرهم بسبب الإنكار العلني، وذكر العيوب علناً، حتى أبغض الناس ولي أمرهم، وحتى قتلوه، نسأل الله السلامة والعافية»^(١).

- المسألة الثالثة: هل من شرط الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون سليماً من المعاصي والآثام، أو هل للأمر أن يأمر بما لا يفعل، وينهى عما يفعله؟

(١) فتوى هامة للشيخ ابن باز ضمن رسالة حقوق الراعي والريعية للشيخ ابن عثيمين (٢٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٧٤/٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٦٧)، ومسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٨٩).

المنكر، أثر إنكاره، وإذا لم يكن متنزّها لم يكد إنكاره يعمل، فينبغي للمُنكر أن ينزّه نفسه؛ ليؤثر إنكاره»^(٣).

قال الإمام مالك رحمته الله: «قال سعيد بن جبير: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف، ولا نهى عنه. قال مالك: ومن هذا الذي ليس فيه شيء»^(٤).

- المسألة الرابعة: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]:

غلط فريق من الناس فذهب إلى ترك ما يجب من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر تأويلاً لهذه الآية. قال ابن كثير: «وليس في الآية مستدل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان فعل ذلك ممكناً»^(٥).

والصحيح في تأويلها هو ما ورد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ أنه قال: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله

وينهى عن المنكر ويأتيه، لورود الوعيد الشديد بذلك»^(١).

قال ابن كثير رحمته الله: «كل من الأمر بالمعروف وفعله واجب، ولا يسقط أحدهما بترك الآخر، على أصح قولي العلماء من السلف والخلف، وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها، وهذا ضعيف، وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية؛ فإنه لا حجة لهم فيها، والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف، وإن لم يفعله، وينهى عن المنكر، وإن ارتكبه... ولكنه والحال هذه مذموم على ترك الطاعة، وفعله المعصية؛ لعلمه بها، ومخالفته على بصيرة؛ فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم، ولهذا جاءت الأحاديث في الوعيد في ذلك»^(٢).

وقد عدّ ابن الجوزي هذه الطريقة من تلبس إبليس؛ فقال رحمته الله: «وقد يلبس إبليس على بعض المتعبدین فيرى منكراً فلا ينكره، ويقول: إنما يأمر وينهى من قد صلح، وأنا ليس بصالح، فكيف أمر غيري. وهذا غلط؛ لأنه يجب عليه أن يأمر وينهى، ولو كانت تلك المعصية فيه، إلا أنه متى أنكر متنزّها عن

(٣) تلبس إبليس (٢/ ٨٥٥).

(٤) الجامع في السنن والآداب لابن أبي زيد القيرواني (١٥٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٣هـ].

(٥) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٩٤).

(١) انظر: تفسير القرطبي (٥/ ٧٤)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٨٢) [مؤسسة قرطبة، ط ١]، والكنز الأكبر (٢/ ٧١١).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٨٢).

بعقاب منه»^(١).

الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال ابن جرير رحمته الله: «وأولى هذه الأقوال وأصح التأويلات عندنا بتأويل هذه الآية: ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيها، وهو: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ الزموا العمل بطاعة الله، وبما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم عنه، ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ يقول: فإنه لا يضركم ضلال من ضل إذا أنتم لزمتم العمل بطاعة الله، وأديتم فيمن ضل من الناس ما ألزمكم الله به فيه؛ من فرض الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الذي يركبه أو يحاول ركوبه، والأخذ على يديه، إذا رام ظلماً لمسلم، أو معاهد، ومنعه منه، فأبى النزوع عن ذلك، ولا ضير عليكم في تماديه في غيه وضلاله، إذا أنتم اهتديتم وأديتم حق الله تعالى ذكره فيه»^(٢).

الآثار:

آثار إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة؛ منها:

١ - حصول الخيرية لهذه الأمة، والتحقق بها كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

٢ - إقامة الملة والشريعة، وحفظ الدين والعقيدة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٥١].

٣ - التمكين في الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١].

٤ - انتشار عوامل الصلاح والخير، وانطماس عوامل الشر والفساد، ويحصل بذلك ارتفاع العقوبة وزوالها؛ كما قال ﷺ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [١٦١] وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١٦٢﴾ [هود: ١٦٢].

وأما عن الآثار في ترك إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكثيرة؛ منها^(٣):

١ - انتفاء الخيرية من الأمة؛ إذ مناطها كما تقدم مرتبط بإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الملاحم، رقم ٤٣٣٨)، والترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢١٦٨) وصححه، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٠٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٦٤).

(٢) تفسير الطبري (٥٤/٩).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣٨/٢٨) - (١٤٢)، وتفسير السعدي (٢٦٦)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لخالد السبت (٧٤ - ٩٨).

لكان ملومًا.

الثالثة: رجاء النفع للمأمور؛ كما قال تعالى: ﴿مَعْذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ﴾ (١٦٤).

المصادر والمراجع:

١ - «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، للخلال.

٢ - «تلبس إبليس»، لابن الجوزي.

٣ - «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، لعبد الغني المقدسي.

٤ - «الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، لعبد الرحمن بن أبي بكر الدمشقي.

٥ - «قاعدة في الأمر بالمعروف والنهي»، لابن تيمية.

٦ - «الحسبة في الإسلام»، لابن تيمية.

٧ - «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية.

٨ - «آداب الحسبة»، لعبد الله السقطي الأندلسي.

٩ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب الحنبلي.

١٠ - «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة»، لعبد العزيز بن أحمد المسعود.

٢ - حلول العقاب من الله تعالى في الدنيا؛ إذ انتشار المعاصي دون إنكارها من أعظم أسباب وقوع المصائب، كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤١) [الروم].

وإنما كان السكوت عن المنكر مع القدرة موجبًا للعقوبة لما فيه من المفساد العظيمة؛ منها: أن مجرد السكوت فعل معصية، وإن لم يباشرها الساكت.

الحكمة:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له ثلاث حكم ظاهرة، هي (١):

الأولى: إقامة حجة الله ﷻ على خلقه؛ كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٦٥) [النساء]

الثانية: خروج الأمر من عهدة التكليف بالأمر بالمعروف، كما قال ﷻ في صالحه القوم الذين اعتدى بعضهم في السبب: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُنثَىٰ مِنْهُمْ لِمَ يُعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ﴾ (١٦٦) [الأعراف]، وقال ﷻ: ﴿فَنُؤَلِّ عَنَّهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمُلُومٍ﴾ (٥٤) [الذاريات]، فدل على أنه لو لم يخرج من العهدة

التعريف لغة:

جانب الخوف من الله ﷻ، فلا يفلح من يأمن مكر الله ﷻ.

كما أنه يجب عليه أن يعتقد تحريم الأمن من مكر الله وأنه من كبائر الذنوب^(٨)، وقد أخبر الله تعالى أنه من صفات أهل الخسران، وهو ليس في درجة واحدة، فقد يناقض أصل التوحيد أو يناقض كماله، كما سيأتي في الأقسام.

الحقيقة:

حقيقة الأمن من مكر الله: أن يطمئن قلب الإنسان ولا يبالي ولا يخاف عقوبة الله، إما لجهله، وإما لغروره بأنه موحد وأن المعاصي لا تضره، وإما لأسباب أخرى غرته بالله، فتساهل بالمعاصي وأمن العقوبة، وهذا من كبائر الذنوب، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف، ٩٩]، فالذي لا يخاف عقوبة الله، ولا يخاف نقمته لا في الدنيا ولا في الآخرة هذا آمن من مكر الله، وهو على خطر عظيم وقد سماه الله فاسقًا، نسأل الله العافية.

ويكون الأمن من مكر الله كفرًا وردة^(٩) في حال انعدام الخوف من الله

الأمن في اللغة: عدم توقع مكروه في الزمن الآتي، وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف^(١). وقال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها: سكون القلب، والآخر: التصديق»^(٢).

المكر في اللغة: هو الاحتيال والخداع^(٣). أو هو: «احتيال في خفية»^(٤). وقال بعضهم: «المكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة»^(٥). وقيل: «هو التوصل إلى الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر»^(٦).

التعريف شرعًا:

الأمن من مكر الله: هو عدم الخوف من الله تعالى أو ضعفه، والطمأنينة إلى إمهاله وتأخير عقابه، وذلك بارتكاب نهيه، ومخالفة أمره^(٧).

الحكم:

الواجب على العبد: أن يعظم في قلبه

- (١) انظر: تاج العروس (١٨٤/٣٤) [وزارة الإعلام بالكويت، ١٤٠٨هـ].
- (٢) مقاييس اللغة (١/١٣٣) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].
- (٣) المصدر السابق (٥/٣٤٥).
- (٤) العين (٥/٣٧٠) [مكتبة هلال].
- (٥) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٢/٣٨١) [دار القلم].
- (٦) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/١٠١) [دار ابن الجوزي، ٢٢٤هـ].
- (٧) انظر: الفوائد لابن القيم (١٦٤) [دار الكتب

العلمية، ط ٢، [والجديد في شرح كتاب التوحيد لمحمد بن عبد العزيز القرعاوي (٣١١) [مكتبة السوادي، ط ٥].

(٨) انظر: الكبائر للذهبي (٢٢٧) [دار الندوة الجديدة].

﴿فَلَمَّا سَوَوْا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: (٢)].

وحدث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ يروي عن ربه ﷻ أنه قال: «وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين إذا خافني في الدنيا أمنت يوم القيامة وإذا أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة» (٣).

✽ أقوال أهل العلم:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «الكبائر الإشرار بالله ﷻ، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله» (٤).

قال الحسن البصري رضي الله عنه: «من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له» (٥).

وقال قتادة رضي الله عنه: «بغت القوم أمر الله!

تعالى، فمن لم يكن معه خوف من الله ﷻ أصلاً، فقد أمن، فهو كافر.

إذن: من كان عنده خوف قليل ويأمن كثيراً فإنه من أهل الذنوب لا من أهل الكفر، فإن لم يكن معه خوف أصلاً، فإنه كافر بالله ﷻ (١).

✽ الأدلة:

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [٩٧] وَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا ضَعِيفًا وَهُمْ يَلْعَبُونَ [٩٨] أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ [٩٩]

[الأعراف].

وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [٤٤]

[النحل].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [٤٤]

[الأنعام].

ومن السنة: حديث عقبة بن عامر؛ أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله ﷺ:

(١) انظر: شرح الطحاوية (٣١٣) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٢) يُراجع: شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ [شرح صوتي/ الشريط التاسع والعشرون].

(٣) أخرجه أحمد (٥٤٧/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والطبري في تفسيره (٢٤٨/٩) [دار هجر، ط ١]، وحسنه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١٤٧٧) [دار ابن حزم، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٤١٣) [مكتبة المعارف، ط ١].

(٤) أخرجه البزار في المسند (٣٤٢/١٤) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، وابن حبان في صحيحه (كتاب الرقائق، رقم ٦٤٠)، وأعله الدارقطني بالإرسال. العلل (٣٨/٨) [دار طيبة، ط ١]، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٧٤٢) [مكتبة المعارف، ط ١].

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤٥٩/١٠)، رقم (١٩٧٠١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧١/٩) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢].

وما أخذ الله قوما قط إلا عند سلوتهم وغرَّتْهم ونعمتهم، فلا تغفروا بالله»^(١).
 وقال إسماعيل بن رافع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «من

المسائل المتعلقة:

- صور من مكر الله تعالى:

١ - أن يؤخر عن العباد عذاب الأفعال، فيحصل منهم نوع اغترار، فيأنسوا بالذنوب، فيجيئهم العذاب على حين غرة.

٢ - أن يغفل الناس عن ربهم ومعبودهم وينسوا ذكره، فيتخلى عنهم إذا تخلوا عن ذكره وطاعته، فيسرع إليهم البلاء والفتنة فيكون مكره بهم تخلية عنهم.

٣ - أن يعلم من ذنوبهم وعيوبهم ما لا يعلمونه من نفوسهم، فيأتيهم المكر من حيث لا يشعرون.

٤ - أن يمتحنهم ويبتليهم بما لا صبر لهم عليه فيفتنون به، وذلك مكر^(٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «تفسير السعدي».
- ٢ - «الخوف من الله تعالى»، لمحمد شومان الرملي.
- ٣ - «الزواج عن اقتراف الكبائر» (ج ١)، لابن حجر الهيتمي.

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥٠٧ - ٥١٣) [دار الكتاب العربي، ط ٣]، وشرح كتاب التوحيد لعبد الرحيم السلمي [تحت باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾].
 (٥) انظر: كتاب الفوائد (١٦٤) [دار الكتب العلمية، ط ٢].

الأمّن من مكر الله إقامة العبد على الذنب؛ يتمنى على الله المغفرة»^(٢).

الأقسام:

الأمّن من مكر الله ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: هو الأمّن المطلق من مكر الله ﷻ، وذلك حين يزول الخوف من الله ﷻ من قلب العبد بالكلية، وهذا النوع من الكفر الأكبر المخرج عن الملة.

والنوع الثاني: الأمّن من مكر الله أمناً نسبياً وجزئياً لا مطلقاً، فيوجد في الإنسان خصلة من خصال الأمّن من مكر الله ﷻ، هي التي تجرّته على المعاصي والذنوب، وتجعله يقترب كثيراً من الذنوب والمعاصي دون شعور بالخوف، ولكن لا يعني هذا انتفاء أصل الخوف؛ بل أصل الخوف من الله موجود، فإذا حُوفّ خاف، وإذا تذكر خاف، وهذا الأصل في وجود الخوف في قلب الإنسان هو أصل الإيمان، فإذا انتفى بالكلية وخرج أصل الخوف من

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٤/ ١٢٩١ رقم ٧٢٩٣) [مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ٣، ١٤١٩هـ].
 (٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٠٥) [ط دار الفكر]، وعزاه لابن أبي حاتم.
 (٣) المصدر السابق (٣/ ٥٠٧).

الطبري رحمته الله: «وفي أصل الإنابة قولان: أحدهما: أن أصله القطع، ومنه أخذ اسم الناب؛ لأنه قاطع، فكأن الإنابة هي الانقطاع إلى الله تعالى بالطاعة. الثاني: أصله الرجوع، مأخوذ من ناب ينوب إذا رجع مرة بعد أخرى، ومنه النوبة؛ لأنها الرجوع إلى عادة»^(٣).

✽ التعريف شرعاً:

الإنبابة: هي الرجوع إلى الله وانصراف دواعي القلب وجواذبه إليه، وهي تتضمن المحبة والخشية؛ فإن المنيب محب لمن أناب إليه خاضع له خاشع ذليل^(٤).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

لما كانت الإنابة في اللغة مشتقة من النوب وهو تكرار الرجوع، أطلقت بهذا المعنى في الشرع، في رجوع القلب إلى الله تعالى، وتعلقه به، وانصرافه إليه.

✽ الحكم:

الإنبابة من أعمال القلب التي تدخل في باب الإيمان، فلا تصرف إلا لله تعالى. قال ابن تيمية: «فإن العبادة لا

٤ - «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٥ - «شروح كتاب التوحيد»، لمحمد بن عبد الوهاب.

٦ - كتاب «التوحيد»، لمحمد بن عبد الوهاب.

٧ - «الكبائر»، لمحمد بن عبد الوهاب.

٨ - «الكبائر»، للذهبي.

٩ - «الفوائد»، لابن القيم.

١٠ - «مفردات ألفاظ القرآن» (ج ٢)، للراغب الأصفهاني.

✽ الإنبابة

✽ التعريف لغةً:

الإنبابة: مشتقة من النوب، وهو الرجوع، يقال: ناب نوباً ونوبةً، قال ابن فارس رحمته الله: «النون والواو والباء، كلمة واحدة تدل على اعتياد مكان ورجوع إليه»^(١). والنائبة: هي المصيبة، وهي حادثة من شأنها أن تنوب الناس دائماً^(٢).

وقيل: إن أصل الإنابة، القطع، ومنه أخذ اسم الناب؛ لأنه قاطع. قال

(١) مقاييس اللغة (٥/٣٦٧).

(٢) انظر: المفردات للراغب (٨٢٧) [دار القلم، ط ٢]، والصاحح (١/٢٢٨)، ولسان العرب (٧٧٤ - ٧٧٦)، والقاموس المحيط (١٧٩٩).

(٣) تفسير الطبري (٣١/١٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٤) طريق الهجرتين (١/٢٧٣) [دار الوطن]، وانظر: الفوائد لابن القيم (٣٤١) [دار البيان، ط ١، ١٤٠٨هـ].

تصلح إلا لله وحده، وكذلك الإِنَابَةُ»^(١).

❁ الحقيقة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ - في معرض كلامه عن الإِنَابَةِ -: «وهي تتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، فلا يستحق اسم المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع، وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور على ذلك»^(٢).

❁ المنزلة:

الإِنَابَةُ تُعَدُّ من أعلى مقامات التوحيد، وهي غاية التوكل، ومقصد الأواهين، وبها مُدِّح المرسلون، وأمر بها سبحانه في كتاب المبين، وأخبر أن آياته إنما يتبصر بها ويتذكر أهل الإِنَابَةِ، والعباد لو خُلُّوا وفطروهم لما عدلوا عن الإِنَابَةِ إلى ربهم، وأخبر ﷺ أن ثوابه وجنته لأهل الخشية والإِنَابَةِ. فما أعظمها من منزلة، وما أحملها من غاية^(٣).

❁ الأدلة:

(١) جامع الرسائل لابن تيمية (١٩٦/٢) [دار العطاء، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٢) المرجع السابق (١/٤٦٧)، وانظر: طريق الهجرتين (١٧٣)، والفوائد (٣٤١)، وزاد المعاد (٢/٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٧، والصواعق المرسلات (٤/١٤٣٦) [دار العاصمة، ط ١].

(٣) انظر: مدارج السالكين (٤٣٣ - ٤٣٤) [دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ].

قال تعالى: ﴿مُتَّيِّبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم]، وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُتَّيِّبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم]، وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [سبأ]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ [الزمر: ١٧]، وغيرها من الآيات.

ومن السُّنَّة: حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كان النبي ﷺ يدعو يقول: «رب أعني ولا تُعن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر عليّ، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى عليّ، رب اجعلني لك شَكَارًا، لك ذَكَارًا، لك رهَابًا، لك مطوَاعًا، لك مخْبَتًا، إليك أَوْاهًا منيًّا، ربَّ تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبّت حجتي، وشدّد لساني، واهد قلبي، واسلّ سخيمة صدري»^(٤).

وقول النبي ﷺ: «لا بل مؤمن منيب، لا بل مؤمن منيب» الحديث^(٥).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥١٠)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٥١) وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٣٠)، وأحمد في المسند (٤٥٢/٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (رقم ١٣٥٢).

(٥) أخرجه أحمد (٤٦/٣٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، =

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو بكر الوراق رحمته الله: «علامة المنيب أن يكون عارفاً لحرمته، وموالياً له، متواضعاً لجلاله، تاركاً لهوى نفسه»^(١).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «وأمر باتباع سبيل من أناب إليه، وسبيل أهل الإِنَابَةِ هي سبيل المؤمنين المتقين، أهل طاعة الله ورسوله»^(٢).

وقال ابن القيم رحمته الله: «الإِنَابَةُ هي عكوف القلب على الله تعالى، كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته، وذكره بالإجلال والتعظيم وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله، ومن لم يعكف قلبه على الله وحده عكف على التماثيل المتنوعة»^(٣).

❁ الأقسام:

أقسام الإِنَابَةِ:

١ - إِنَابَةُ لربوبية الله تعالى: وهي إِنَابَةُ جميع مخلوقات الله تعالى، وهذه الإِنَابَةُ يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر

= والنسائي في الكبرى (كتاب التفسير، رقم ١١٨٠)، وقال الهيثمي: «رجال أحمد رجال الصحيح».

مجمع الزوائد (٣٥٩/٩) [مكتبة القدسي].
(١) أوردته القرطبي في تفسيره (٢١/١٧) [دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ].

(٢) جامع المسائل لابن تيمية (٢٧٥/٤) [عالم الفوائد].

(٣) الفوائد لابن القيم (١٩٦) [دار الكتب العلمية، ط ٢].

والفاجر، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم: ٣٣]، فهذا عام في حق كل داع أصابه ضرر، وهذه الإِنَابَةُ لا تستلزم الإيمان ولا الإسلام، بل تجامع الشرك والكفر؛ كما قال تعالى في حق هؤلاء: ﴿...ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَالَيْنَهُمْ [الروم]، فهذا حالهم بعد إِنَابَتِهِمْ.

٢ - إِنَابَةُ لِلْهِيةِ الله تعالى: وهي إِنَابَةُ عبودية ومحبة وخضوع واستسلام لله تبارك وتعالى، وهذه الإِنَابَةُ لا يمكن أن تجتمع مع الشرك والكفر؛ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ [الزمر: ١٧]. وهذه الإِنَابَةُ هي إِنَابَةُ أنبياء الله تعالى، وأهله وأوليائه، وأهل خشيته^(٤).

أقسام الناس ودرجاتهم تجاه الإِنَابَةِ:

١ - المنيب بالرجوع عن المخالفات والمعاصي:

وهذه الإِنَابَةُ هي المرادفة للتوبة، ومصدرها مطالعة وعيد الله تعالى للعصاة بالعذاب، والحامل على هذه الإِنَابَةِ هو العلم بالله تعالى، والخوف من عقابه.

٢ - المنيب بالتقرب بأنواع العبادات:

وهذه الإِنَابَةُ أكمل من إِنَابَةِ القسم الأول، حيث تجد المنيب ساعياً إلى الله

(٤) المرجع السابق (٤٦٧/١) بتصرف.

السُّنة وموافقة للقرآن الكريم، ثم إناية **الخواص** (التوكل من غير فعل الأسباب)، ثم إناية خاصة الخاصة (الفناء)، ثم إناية خلاصة خاصة الخاصة (وحدة الوجود)^(٣).

✽ الرد عليهم:

هذا تقسيم باطل لم يرد في الكتاب، ولا في السُّنة، ولا في كلام الصحابة والتابعين، وإنما غايته مدح الطريقة الشريكة التي يسلكونها، التي تنتهي إلى القول بالحلول ووحدة الوجود، وهو أن لا يبقى ذات معبودة وذات عابدة، وإنما تصبح الذاتان ذاتًا واحدة - والعياذ بالله -، وهذا هو الكفر الصُّراح، وفي هذا التقسيم التحقير من طريقة أهل السُّنة وأنها طريقة العوام، ولم يدركوا أنها طريقة الأنبياء القائمة على تحقيق الإناية بالعبودية والمحبة والخضوع والاستسلام لله تبارك وتعالى، والافتقار والتضرع إليه في سؤال الحاجات كلها، والرجوع إليه مع التوبة والإقبال على الطاعات. فمن حاد عن هذه الطريقة، وقع في الضلال والخسران^(٤).

تعالى بكل جهده، وقد حُبب إليه فعل الطاعات والقربات. ومصدر هذه الإناية الرجاء، ومطالعة الوعد والثواب، ومحبة الكرامة من الله تعالى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ بعد ذكره لهذا القسم من الناس: «وهؤلاء أبسط نفوسًا من أهل القسم الأول، وأشرح صدورًا، وجانب الرجاء ومطالعة الرحمة والمنة أغلب عليهم، وإلا فكل واحد من الفريقين منيب بالأمرين جميعًا، ولكن خوف هؤلاء اندرج في رجائهم فأناخوا بالعبادات، ورجاء الأولين اندرج تحت خوفهم فكانت إنابتهم بترك المخالفات»^(١).

٣ - المنيب إلى الله تعالى بالدعاء والتضرع:

وهذه الإناية، إنما تكون بالافتقار والتضرع إلى الله تعالى في سؤال الحاجات كلها.

ومصدر هذه الإناية هو شهود الفضل والمنة والغنى والكرم والقدرة، فإنابة أصحاب هذا القسم من هذه الجهة مع قيامهم بالأمر والنهي^(٢).

✽ مذهب المخالفين:

يقسم غلاة الصوفية الإناية إلى أقسام:

إناية العوام: وهي التي عليها أهل

(١) طريق الهجرتين (١٧٣).

(٢) انظر: المرجع السابق (١٧٣).

(٣) انظر: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام للكاشاني (٢٤٨/١ - ٢٤٩) [مطبعة دار الكتب المصرية]، والمعجم الصوفي (٤٤٣ - ٤٤٩) [رسالة دكتوراه من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة]، وموسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي (٩٧ - ٩٨) [مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٩م].

(٤) انظر: منهاج السُّنة النبوية (٣٤٦/٥) [جامعة الإمام =

المصادر والمراجع:

- ١ - «تفسير الطبري».
- ٢ - «تفسير القرطبي».
- ٣ - «زاد المعاد»، لابن القيم.
- ٤ - «الصواعق المرسله»، لابن القيم.
- ٥ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.
- ٦ - «غذاء الألباب شرح منظومة الآداب»، للسفاريني.

- ٧ - «فتح الباري»، لابن حجر.
- ٨ - «الفوائد»، لابن القيم.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١٠ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

الأنبياء المختلف في نبوتهم

يراجع مصطلح (النبوة).

انتفاع الميت بسعي الحي

التعريف لغة:

نفع: كلمة تدلُّ على خلاف الضرر^(١)، ونفعه نفعاً: أفاده وأوصل إليه خيراً، فهو نافع ونفّاع^(٢)، ويقال: رجل نفّاع: إذا كان ينفع الناس ولا يضرهم^(٣).

ونفعه: مبالغة في نفعه، وانتفع به:

= محمد بن سعود، ط ١، ١٤٠٦هـ، ومدارج السالكين (٣/٣٥١).

(١) مقاييس اللغة (٥/٢٧١) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ].

(٢) المعجم الوسيط (٢/٩٤٢) [دار الدعوة].

(٣) تهذيب اللغة (٦/٣) [دار إحياء التراث العربي، ط ١].

حصل منه على منفعة، واستنفع فلاناً: طلب نفعه، والمنفعة: كلُّ ما يُنتَفَعُ به، وجمعه منافع، والنفع: الفائدة والمنفعة، والنفع: الخير وما يتوصل به الإنسان إلى مطلوبه^(٤).

الميت: من فارق روحه جسده فراقاً كلياً^(٥).

سعى: سعى الرجل يسعى سعياً كرعى: قصد، وعمل، ومشى، وعدا، ونم، وكسب^(٦)، وأصل السَّعي في كلام العرب: التصرف في كلِّ عَمَلٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم]، معناه: إلا ما عَمِلَ، ومعنى قوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]: فاقصِدُوا.

والسَّعي الكسب، وكلُّ عملٍ من خير أو شرٍّ: سعي، والفعل كالْفِعْلِ، وفي التنزيل: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَى﴾ [طه]. وسعى لهم وعليهم: عَمِلَ لهم وكسب، وأسعى غيره: جَعَلَهُ يَسْعَى^(٧).

الحي: معروف.

(٤) انظر: المعجم الوسيط (٢/٩٤٢).

(٥) راجع: مصطلح الموت.

(٦) انظر: الصحاح (١/٣١٨) [دار العلم للملايين، ط ٤]، والقاموس المحيط (١٦٧٠) [دار الفكر].

(٧) لسان العرب (١٤/٣٨٤) [دار صادر، ط ٣]، وانظر:

المحكم والمحيط الأعظم (٢/٢٢١) [دار الكتب العلمية].

التعريف اصطلاحاً:

وصول أثر أعمال الحي وأقواله المقصودة إلى الميت؛ لينتفع بها في زيادة أجر، سواء كان قد تسبب فيه أو لا^(١).

الحقيقة:

الاعتقاد الجازم بأن الميت ينتفع بثواب الأعمال الصالحة التي يؤديها الحي عنه أو يهديها إليه، وكذا انتفاعه بأقواله المقصودة كالدعاء له والاستغفار، وسؤال الثبیت له عند فتنة القبر، وكذا انتفاعه بالثناء عليه بعد الموت، والتصديق بجميع ما ورد في ذلك من نصوص.

المنزلة:

انتفاع الأموات بسعي الأحياء من الأمور الغيبية المتعلقة بحياة البرزخ التي لا تعرف إلا بالوحي.

الأدلة:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ» [يس: ١٢].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»^(٣).

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمتي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: «نعم، حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضية؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء»^(٤).

وقد ذكر ابن القيم مسألة: أنتفع أرواح الموتى بشيء من سعي الأحياء، أم لا؟ وبيّن أنها تنتفع من سعي الأحياء بأمرين مجمع عليهما بين أهل السنة من الفقهاء وأهل الحديث والتفسير.

أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته.

والثاني: دعاء المسلمين له، واستغفارهم له، والصدقة، والحج على نزاع؛ ما الذي يصل من ثوابه، هل ثواب الإنفاق؟ أو ثواب العمل؟

فعند الجمهور: يصل ثواب العمل

(٢) الروح (١١٧) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الصوم، رقم ١٩٥٢)، ومسلم (كتاب الصيام، رقم ١١٤٧).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٨٥٢).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٠٦/٢٤ - ٣٠٧)، الروح لابن القيم (١١٧ - ١١٨)، وشرح الطحاوية (١/ ٤٥٦).

أحمد، وأبي حنيفة، وطائفة من أصحاب مالك، والشافعي^(٥).

وقال محمد بن مفلح رحمته الله: «كل قرربة فعلها المسلم وجعل ثوابه للمسلم نفعه ذلك، وحصل له الثواب؛ كالدعاء، والاستغفار، وواجب تدخله النيابة، وصدقة التطوع، وكذا العتق، ذكره القاضي وأصحابه أصلاً، وذكره أبو المعالي، وشيخنا، وصاحب المحرر. وكذا حج التطوع، وفي المجرد: من حج نفلاً عن غيره وقع عمن حج؛ لعدم إذنه، وكذا القراءة والصلاة والصيام. ونقل الكحل في الرجل يعمل شيئاً من الخير من صلاة أو صدقة أو غير ذلك ويجعل نصفه لأبيه أو أمه: أرجو، وقال: الميت يصل إليه كل شيء من الخير من صدقة أو صلاة أو غيره^(٦).

وقال إبراهيم بن مفلح رحمته الله: «وأي قرربة فعلها: من دعاء، واستغفار، وصلاة، وصوم، وحج، وقراءة، وغير ذلك، وجعل ثواب ذلك للميت المسلم نفعه ذلك^(٧)، ثم ذكر قول أحمد الأنف.

وأحمد (٣٠٧/١١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال الهيثمي في المجمع (١٩٢/٤) [مكتبة القدسي]: «فيه الحاج بن أرتاة، وهو مدلس»، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (١٧٣) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٥) الفتاوى الكبرى (٦٣/٣) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٦) الفروع وتصحيح الفروع (٢٣٩/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٧) المبدع شرح المقنع [دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ].

وقال النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال الطحاوي رحمته الله: «وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموال^(٢).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «وأما القراءة والصدقة وغيرهما من أعمال البر، فلا نزاع بين علماء السنة والجماعة في وصول ثواب العبادات المالية؛ كالصدقة والعتق، كما يصل إليه أيضاً الدعاء، والاستغفار، والصلاة عليه صلاة الجنائز، والدعاء عند قبره. وتنازعوا في وصول الأعمال البدنية: كالصوم، والصلاة، والقراءة، والصواب: أن الجميع يصل إليه، فقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»، وثبت أيضاً أنه: «أمر امرأة ماتت أمها وعليها صوم أن تصوم عن أمها^(٣)»، وفي المسند عن النبي ﷺ أنه قال لعمر بن العاص رضي الله عنه: «لو أن أباك أسلم فتصدقت عنه، أو صمت، أو أعتقت عنه؛ نفعه ذلك^(٤)»، وهذا مذهب

(١) أخرجه مسلم (كتاب الوصية، رقم ١٦٣١).

(٢) شرح الطحاوية (٤٥٢) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصيام، رقم ١١٤٨).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الوصايا، رقم ٢٨٨٣)،

فمذهب الإمام أحمد وجمهور السلف وصولها، وهو قول بعض أصحاب أبي حنيفة... والمشهور من مذهب الشافعي ومالك: أن ذلك لا يصل^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ينتفع الميت بالأعمال التي تسبب فيها قبل موته:

لقوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ [يس: ١٢]، ولقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم]، ولقوله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»^(٣)، وقوله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سنةً حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجرهم شيء»^(٤). وقوله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ: «قال الفقهاء في ذلك: وأي قربة فعلها مسلم من دعاء، واستغفار، أو حج، أو قراءة، أو غير ذلك، وجعل ثوابها لمسلم حي أو ميت نفعه ذلك»^(١).

وكلام العلماء وأقوالهم في المسألة في القديم والحديث كثير.

الأقسام:

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ مسألة: هل تنتفع أرواح الموتى بشيء من سعي الأحياء، أم لا؟ وبين: أنها تنتفع من سعي الأحياء بأمرين مجمع عليهما بين أهل السنة من الفقهاء وأهل الحديث والتفسير.

أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته.

والثاني: دعاء المسلمين له، واستغفارهم له، والصدقة، والحج على نزاع؛ ما الذي يصل من ثوابه، هل ثواب الإنفاق؟ أو ثواب العمل؟

فعند الجمهور: يصل ثواب العمل نفسه، وعند بعض الحنفية إنما يصل ثواب الإنفاق.

الثالث: اختلفوا في العبادة البدنية؛ كالصوم، والصلاة، وقراءة القرآن، والذكر.

(٢) الروح (١١٧) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٧٤).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠١٧).

(١) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٧٨/٥) [مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ١٣٩٩هـ].

صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته»^(١).
 صالحًا»، قالت: فأعقبني الله محمدًا ﷺ^(٣).

٣ - الدعاء له عند الصلاة عليه، لقوله ﷺ: «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون له، إلا شفّعوا فيه»^(٤). وهذا له صور:

١ - الدعاء العام المطلق، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر]، وكما في قوله ﷺ: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل»^(٢). وهذا الدعاء ينتفع به الحي والميت على حد سواء.

وعن خارجة بن زيد، عن عمه يزيد بن ثابت ﷺ، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فلما وردنا البقيع إذا هو بقبر جديد، فسأل عنه؟ ف قيل: فلانة، فعرفها، فقال: «ألا أذنتموني بها؟» قالوا: يا رسول الله، كنت قائلاً صائماً فكرهنا أن نؤذذك، فقال: «لا تفعلوا، لا يموتن فيكم ميت ما كنت بين أظهركم ألا أذنتموني به، فإن صلاتي عليه له رحمة» قال: ثم أتى القبر، فصقنا خلفه، وكبر عليه أربعاً^(٥).

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء»^(٦).

٢ - الدعاء له قبل الصلاة عليه وقبل الدفن، لقوله ﷺ: «إذا حضرتم الميت، فقولوا خيراً، فإن الملائكة تؤمن على ما تقولون»، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «قولي: اللَّهُمَّ اغفر له وأعقبنا عقباً»

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩١٩).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٤٧).

(٥) أخرجه النسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٢٢)، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٥٢٨)، وأحمد (٧/ ١١٦) [دار الفكر، ط ١]، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣٠٨٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (٨٩) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣١٩٩)، وابن

ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٩٧)، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣٠٧٦)، وقال ابن حجر: «فيه =

(١) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ٢٤٢)، وابن خزيمة في صحيحه (كتاب الزكاة، رقم ٢٤٩٠)، وحسنه ابن الملقن في البدر المنير (٧/ ١٠٢) [دار الهجرة، ط ١]، والألباني في أحكام الجنائز (١٧٧) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٣٣).

٤ - الدعاء له بالتثبيت عند فتنة القبر، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه، فقال: «استغفروا لأخيكم، وسلوا له بالتثبيت، فإنه الآن يسأل»^(١).

- المسألة الثالثة: ينتفع الميت بالصدقة عنه:

لحديث عائشة رضي الله عنها؛ أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أُمِّي افْتُلِتْ نَفْسُهَا، وَأُظْنِهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ تَصَدَّقْتُ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»^(٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنه؛ أن سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه توفيت أمه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله، إن أُمِّي توفيت وأنا غائب عنها، أينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟ قال: «نعم»، قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عليها! ^(٦).

- المسألة الرابعة: ينتفع الميت بقضاء الدين عنه:

لحديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ أتى بجنازة ليصلي عليها، فقال: «هل عليه من دين؟» قالوا: لا، فصلى عليه، ثم أتى بجنازة أخرى،

(٤) أخرجه ابن ماجه (كتاب الأدب، رقم ٣٦٦٠)، وأحمد (٣٥٦/١٦) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وصححه سننه ابن كثير في تفسيره (١٤٣/٤) [دار طيبة، ط٢]، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٩٨).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٨٨)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٠٤).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الوصايا، رقم ٢٧٥٦).

٥ - الدعاء له عند الزيارة والسلام؛ لحدث عائشة رضي الله عنها؛ أنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»^(٢).

٦ - الشهادة له بالخير؛ لحدث عمر رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «أيما مسلم يشهد له أربعة بخير إلا أدخله الله الجنة» فقلنا: وثلاثة؟ قال: «وثلاثة»، فقلنا: واثنان؟ قال: «واثنان»، ثم لم نسأله عن الواحد^(٣).

٧ - الدعاء له من الولد الصالح؛

= ابن إسحاق، وقد عنعن، لكن أخرجه ابن حبان من طريق أخرى عنه مصرحاً بالسماع. التلخيص الحبير (٢٤٨/٢) [مؤسسة قرطبة، ط١]، وحسنه الألباني في الإرواء (رقم ٧٣٢).

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٢١)، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٣٧٢) وصححه، وحسنه النووي في الخلاصة (١٠٢٨/٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (١٥٦) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٨).

وقعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن امرأة ركبت البحر، فنذرت إن نجاها الله أن تصوم شهرًا، فنجأها الله فلم تصم حتى ماتت، فجاءت ابنتها أو أختها إلى رسول الله ﷺ فأمرها أن تصوم عنها^(٤).

- المسألة السادسة: ينتفع الميت بالحج عنه:

وورد في ذلك صورتان:

١ - الحج الذي نذره الميت على نفسه:

لحديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمني نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: «نعم، حُجِّي عنها، أرايت لو كان على أمك دين أكنت قاضية؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء»^(٥).

٢ - الحج الفريضة الذي مات ولم يؤده:

لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: لبيك عن شبرمة، فقال رسول الله ﷺ: «من شبرمة؟»، قال: قريب لي، قال: «هل حججت قط؟» قال: لا، قال: «فاجعل

فقال: «هل عليه من دين؟»، قالوا: نعم، قال: «صلوا على صاحبكم»، قال: أبو قتادة: عليّ دينه يا رسول الله، فصلى عليه^(١).

وفي رواية عن جابر رضي الله عنه قال: توفي رجل فغسلناه وحنطناه وكفنناه، ثم أتينا به رسول الله ﷺ يصلي عليه، فقلنا: تصلي عليه فخطا خطي، ثم قال: «أعليه دين؟» قلنا: ديناران، فانصرف، فتحملهما أبو قتادة، فأتيناه، فقال أبو قتادة: الديناران علي، فقال رسول الله ﷺ: «قد أوفى الله حق الغريم وبرئ منهما الميت» قال: نعم، فصلى عليه، ثم قال بعد ذلك بيوم: «ما فعل الديناران؟» فقال: إنما مات أمس، قال: فعاد إليه من الغد فقال: لقد قضيتهما، فقال رسول الله ﷺ: «الآن بردت عليه جلده»^(٢).

- المسألة الخامسة: ينتفع الميت بالصيام عنه:

لحديث عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الحوالات، رقم ٢٢٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب البيوع، رقم ٣٣٤٣)، وأحمد (٤٠٦/٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، والحاكم (كتاب البيوع، رقم ٢٣٤٦)، وحسنه النووي في الخلاصة (رقم ٣٣٠٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والألباني في أحكام الجنائز (١٦) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٣٣٠٨)، والنسائي (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٣٨١٦)، وأحمد (٣٥٦/٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن خزيمة (كتاب الصيام، رقم ٢٠٥٤)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (١٦٩) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٨٥٢).

هذه عن نفسك، ثم حج عن شبرمة»^(١).
ومنهم من لا يرى التوسع في هذا الباب^(٤).

- المسألة السابعة: ينتفع الميت بعفو المظلوم عنه:

وقد صدرت فتوى للجنة الدائمة في حكم إهداء ثواب القرب للأموات عموماً، ونصها: «لم يثبت عن النبي ﷺ - فيما نعلم - أنه قرأ القرآن ووهب ثوابه للأموات من أقربائه أو من غيرهم، ولو كان ثوابه يصل إليهم لحرص عليه، وبينه لأمته؛ لينفعوا به موتاهم، فإنه ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم، وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده وسائر أصحابه على هديه في ذلك ﷺ، ولا نعلم أن أحداً منهم أهدى ثواب القرآن لغيره، والخير كل الخير في اتباع هديه ﷺ، وهدى خلفائه الراشدين وسائر الصحابة ﷺ، والشر في اتباع البدع ومحدثات الأمور؛ لتحذير النبي ﷺ من ذلك بقوله: «ياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»، وقوله: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وعلى هذا لا تجوز قراءة القرآن للميت، ولا يصل إليه ثواب هذه القراءة بل ذلك بدعة.

أما أنواع القربات الأخرى فما دلّ دليل صحيح على وصول ثوابه إلى الميت وجب قبوله؛ كالصدقة عنه،

لقله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

- المسألة الثامنة: البر بالوالدين بعد وفاتهما:

ففي الحديث الصحيح: «إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي»^(٢).

ففي الحديث فضل صلة لأصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم وهو متضمن لبر الأب وإكرامه لكونه بسببه، وتلتحق به أصدقاء الأم وغيرهم^(٣).

- المسألة التاسعة: هل ينتفع الميت بثواب قراءة القرآن؟

هذه المسألة خلافية بين أهل العلم؛ فمنهم من رأى أن الميت ينتفع بها،

(١) أخرجه أبو داود (كتاب المناسك، رقم ١٨١١)، وابن ماجه (كتاب المناسك، رقم ٢٩٠٣)، والبيهقي في الكبرى (كتاب الحج، رقم ٨٦٧٥) [دار الكتب العلمية، ط ٣] وقال: هذا إسناد صحيح، وصححه الألباني في إرواء الغليل (رقم ٩٩٤).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٥٢).

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٠٩/١٦ - ١١٠.

(٤) انظر: حكم القراءة للأموات؛ هل يصل ثوابها إليهم (٩) فما بعد [مكتبة التوعية الإسلامية، ط ٥، ١٤٠٦هـ].

٢ - كما أنها تزيد في الروابط الأسرية والاجتماعية، فلا تنقطع بالموت، ولها آثارها على الأحياء وعلى الأموات.

الحكمة:

لعل من الحكم تحفيز العباد على السعي لأنفسهم حال الحياة بما ينفعهم بعد الممات، وخاصة بما يغلب على الظن استمرار تدفق أجره طويلاً، وهو الثلاثة المذكورة في الحديث: الصدقة الجارية، والعلم الذي ينتفع به، والولد الصالح الذي يدعو لوالديه، وما يتفرع عن هذه الثلاثة من أعمال عظيمة.

ثم إن هذه الثلاثة يترتب عليها الكثير من الحكم التي فيها صلاح الأفراد والمجتمعات وقيام الدين لمن تأمل.

وأيضاً الأحاديث الواردة في الباب تذكير للعباد بسرعة أداء الواجبات والفروض التي عليهم قبل أن يحال بينهم وبين أدائها، فيلحقهم تبعثها أو يشقوا على غيرهم في القيام بها.

مذهب المخالفين:

ذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام إلى عدم وصول شيء البتة، لا الدعاء ولا غيره، وقولهم مردود بالكتاب والسنة، لكنهم استدلوا بالمشابهة من قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم] قالوا: «وقد ثبت عن

والدعاء له، والحج عنه، وما لم يثبت فيه دليل فهو غير مشروع حتى يقوم عليه الدليل.

وعلى هذا لا تجوز قراءة القرآن للميت، ولا يصل إليه ثواب هذه القراءة في أصح قولي العلماء، بل ذلك بدعة^(١).

وكذلك جاء فيها: «لا تجوز الصلاة عن الوالدين ولا غيرهما، ولا إهداء ثواب الصلاة لهما، وما ورد من الصدقة عنهما يقتصر فيه على موضع النص فقط وهو الصدقة؛ لأن القياس لا يجوز في مثل ذلك، ولم يرد عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه رضوان الله عليهم ما يدل على جواز إهداء الصلاة إلى الميت»^(٢).

الثمرات:

ينتفع الميت بسعي الحي، فيزداد أجره وترتفع درجته، أو تحط عنه سيئاته فيرتفع عنه العذاب أو يخفف، وقد يوقى به الشر كما لو استغفر له وسأل له الثبات عند فتنة القبر.

الآثار:

١ - تعد هذه الأعمال من صور البر بالميت.

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٤٣/٩ - ٤٤)، وراجع لهذه المسألة: مجموع الفتاوى (٣١٦/٢٤)، ٣٢٢، ٣٢٤، الروح لابن القيم (٣٤٥ - ٣٤٦)، مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (٣٧٤/١)، ٣٧٩.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٦٣/٩).

وهكذا هذا إذا تبرع له الغير بسعيه نفعه الله بذلك، كما ينفعه بدعائه له، والصدقة عنه، وهو ينتفع بكل ما يصل إليه من كل مسلم، سواء كان من أقاربه، أو غيرهم، كما ينتفع بصلاة المصلين عليه ودعائهم له عند قبره»^(٢).

وأما استدلالهم بالحديث، فأجاب عنه ابن أبي العز رحمته الله بقوله: «وأما استدلالهم بقوله رحمته الله: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله» فاستدلال ساقط، فإنه لم يقل: انقطاع انتفاعه، وإنما أخبر عن انقطاع عمله، وأما عمل غيره فهو لعامله، فإن وهبه له وصل إليه ثواب عمل العامل لا ثواب عمله هو، وهذا كالدين يوفيه الإنسان عن غيره ف تبرأ ذمته، ولكن ليس له ما وفى به الدين»^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام الجنائز»، للألباني.
- ٢ - «حكم القراءة للأموات؛ هل يصل ثوابها إليهم»، لمحمد أحمد.
- ٣ - «الروح»، لابن القيم.
- ٤ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٥ - «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.
- ٦ - «فتاوى اللجنة الدائمة».

النبي ﷺ أنه قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده»، فأخبر أنه إنما ينتفع بما كان تسبب فيه في الحياة، وما لم يكن تسبب فيه في الحياة فهو منقطع عنه^(١).

ولا ممسك لهم فيما استدلوا به، قال شيخ الإسلام رحمته الله في معرض رده على هؤلاء: «وأما احتجاج بعضهم بقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم]، فيقال له: قد ثبت بالسنة المتواترة وإجماع الأمة: أنه يصلى عليه، ويدعى له، ويستغفر له وهذا من سعي غيره، وكذلك قد ثبت ما سلف من أنه ينتفع بالصدقة عنه، والعق، وهو من سعي غيره، وما كان من جوابهم في موارد الإجماع فهو جواب الباقيين في مواقع النزاع. وللناس في ذلك أجوبة متعددة. لكن الجواب المحقق في ذلك أن الله تعالى لم يقل: إن الإنسان لا ينتفع إلا بسعي نفسه، وإنما قال: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم]، فهو لا يملك إلا سعيه، ولا يستحق غير ذلك. وأما سعي غيره فهو له، كما أن الإنسان لا يملك إلا مال نفسه، ونفع نفسه. فمال غيره ونفع غيره هو كذلك للغير؛ لكن إذا تبرع له الغير بذلك جاز.

(٢) الفتاوى الكبرى (٣/٦٣) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٤٥٢).

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٤٥٢)، وانظر: الروح

[دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ].

٧ - «فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ».

ليس بين المعنى اللغوي - على القول بأنه عربي أصيل - والشرعي للإنجيل تباين واختلاف؛ فقد أبرز عيسى عليه السلام الإنجيل لبني إسرائيل وأظهره لهم؛ ليؤمنوا بما فيه من الهدى والنور، ويلتزموا بأحكامه وأوامره.

- ٨ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
٩ - «مجموع فتاوى ومقالات ابن باز».
١٠ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

الإنجيل

التعريف لغةً:

وهذا المعنى وإن كان مشتركاً بين جميع الكتب السماوية فلا مانع من تخصيص الإنجيل به؛ فالتسمية تكون لأدنى ملابسة ولا يراعى فيها الاشتقاق والمعنى، كما هو معروف.

الإنجيل: اسم عربي مشتق من (نَجَل الشيء): استخرجته؛ كأنه أمر أُبرِز وأظهر بما فيه. وهو يؤنَّث ويذكر: فَمَنْ أَنْتَ أراد الصحيفة، وَمَنْ ذَكَرَ أراد الكتاب.

الأسماء الأخرى:

الإنجيل: هو كتاب عيسى عليه السلام، وكتاب النصارى، والكتاب المقدس عندهم.

وقيل: بل هو معرَّب من اليونانية، ومعناه: الخبر الطَّيِّب أو البشارة، وقيل غير ذلك^(١).

التعريف شرعاً:

الحكم: يجب على المسلم أن يعتقد أن الله تعالى أنزل على نبيِّه وعبده عيسى عليه السلام؛ ليكون لبني إسرائيل هدى ونوراً وموعظة للمتقين^(٢).

الإنجيل: هو اسم كتاب الله تعالى الذي أنزله على نبيِّه وعبده عيسى عليه السلام؛ ليكون لبني إسرائيل هدى ونوراً وموعظة للمتقين^(٢).

ويعتقد المسلم أيضاً: أن إنجيل عيسى عليه السلام قد فقد واندثر من زمن مبكر

(١) انظر: الصحاح (١٨٢٦/٥) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٣٩٦/٥) [دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤١٨هـ]، وتاج العروس (٤٥٨/٣٠) [مطبعة حكومة الكويت]، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (١٦١/٣) [طبعة إدارة الطباعة المنيرية بمصر].

التوراة والإنجيل لصالح بن الحسين الجعفري (١/ ٩٩) [مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٩هـ]، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (١٣٦).

(٢) راجع: الصحاح (١٨٢٦/٥)، وتاج العروس (٣٠/ ٤٥٨)، وتهذيب الأسماء واللغات (١٦١/٣)، ومحاضرات في النصرانية (١٦)، وتخجيل من حرَّف

على حفظها وتلاوتها كما يحفظون الإنجيل.

وكان الإنجيل مشتملاً على الهدى والنور والموعظة للمتقين، وكان عامته مواعظ وترقيقات ووصايا وزهد وأخلاق، وكان التحليل والتحريم فيه قليلاً.

وأنه كان على أهل الإنجيل أن يؤمنوا به ويحكموا بما أنزل فيه.

وكان في الإنجيل البشارة بنبينا محمد ﷺ (٢).

الأدلة:

هذا المعتقد ثابت بنص القرآن الكريم، وبعضه ثابت بنص الحديث النبوي:

أما الدليل من القرآن؛ فقول الله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَإِنَّمَا إِلَهُ الْإِنجِيلِ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۚ وَلَنَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۚ﴾ [المائدة، ٤٧]، وقال حكاية عن عيسى ﷺ: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ﴾ [مريم].

وثبت في حديث دعاء النوم؛ أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ رَبِّ

من تاريخ النصارى، أو انطمست آثاره ومعالمه بما وقع فيه من التحريف والتبديل والكتمان والإهمال والنسيان؛ فاختلط فيه الحق بالباطل؛ فالإنجيل التي بأيدي النصارى اليوم - وهي: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، وهي ضمن كتب العهد الجديد - وقع فيها التحريف والتبديل، ولم يسلم منها شيء؛ فليس واحداً منها هو الإنجيل الصحيح الذي نزل على عيسى ﷺ (١).

الحقيقة:

حقيقة الإنجيل: أن الإنجيل مصدق للتوراة، متبع لها، ومتمم ومكمل لها ولمحاسنها، ومحبي لشريعتها، وناسخ لبعض شريعتها وأحكامها؛ فلم يخالف التوراة إلا في قليل من الأحكام التي كان بنو إسرائيل يختلفون فيها - وكان عيسى ﷺ يحفظ هذا وهذا -؛ فليس هو شريعة مستقلة لهم، ولهذا لم يكن بد لمن اتبع المسيح من أن يقرأ التوراة ويتبع ما فيها، وكان النصارى متفقين

(١) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (١/١١٦، ٢/٢٥٩، ٥/٧٢، ٣٥١) [دار العاصمة، ط١]،

ومجموع الفتاوى (١٦/٤٣، ١٩/١٨٤)، وجلاء الأفهام (٢٢٤) [عالم الفوائد، ط١]، ومدارج السالكين (٢/٤٥٨) [دار الكتاب العربي، ط٢]،

وتفسير ابن كثير (٢/٤٤، ٤٥، ٣/١٢٦، ٦/٢٤٣، ٧/٣٠٢) [دار طيبة، ط٢]، ومحاضرات في النصرانية لمحمد أبو زهرة (١٦)، وتعليق محقق

كتاب تخجيل من حُرِّف التوراة والإنجيل (١/٩٩)، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (١٣٦).

بعض المحرمات. وهذا كله في القرآن، وهو في القرآن أكمل^(٤).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنزل عليه الإنجيل، فيه مواعظ وترقيات، وقليل من التحليل والتحريم، وهو في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة؛ فالعمدة هو التوراة»^(٥).

❁ الأقسام:

أنواع الأناجيل:

يطلق على إنجيل النصارى اسم العهد الجديد المشتمل على الأناجيل الأربعة وعلى الرسائل الملحقة بها، وهذه الأناجيل الأربعة هي المعتمدة عند النصارى، وهي: (إنجيل متى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا، إنجيل يوحنا). ولم تأخذ هذه الأناجيل الأربعة صفة القداسة عند النصارى إلا في القرن الرابع الميلادي بإقرار مجمع نيقية المنعقد في سنة (٣٢٥م)، واعتبرت الأناجيل الأخرى غير قانونية؛ كإنجيل برنابا، الذي طبع في زمن متأخر، وهو ما ينكره كثير من النصارى، وذلك لمصادمته لكثير من الاعتقادات الباطلة التي يؤمن بها النصارى، ومنها تقريره لبشرية المسيح ورسالته، ونفيه الألوهية عنه، وأنه لم يصلب، وأن الذبيح هو

السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان؛ أعوذ بك من شر كل شيء...» الحديث^(١).

والدليل على إنزال الإنجيل في شهر رمضان: ما ورد في حديث واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان...» الحديث^(٢). إلى غير ذلك من الأدلة.

❁ أقوال أهل العلم:

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «الإنجيل: اسم لكتاب الله تعالى المنزل على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٣).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «عامّة ما امتاز به الإنجيل عن التوراة بمكارم الأخلاق المستحسنة، والزهد المستحب، وتحليل

(١) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم ٢٧١٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٠٧/٤) [مؤسسة قرطبة بمصر]، والطبراني في المعجم الكبير (٧٥/٢٢) [مكتبة العلوم والحكم بالموصل، ط ٢]، وقال الهيتمي في المجمع (١٩٧/١) [مكتبة القدسي]: (فيه عمران بن داود القطان، وضعه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقيّة رجاله ثقات)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٧٥).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١٦١/٣).

(٤) الجواب الصحيح (٧٣/٥).

(٥) تفسير ابن كثير (٣٠٢/٧).

الإنجيل مبدلة لا يجوز العمل بما فيها، ومن عمل اليوم بشرائعها المبدلة والمنسوخة فهو كافر؛ فهذا الكلام ونحوه حق لا شيء على قائله. والله أعلم^(٢).

- المسألة الثانية: حكم قراءة الإنجيل:

حكم النظر والاطلاع على الإنجيل الموجود بين أيدي النصارى اليوم - وهي مرتبة على تحريف الإنجيل -؛ فيقال: لا يجوز النظر في كتب أهل الكتاب عموماً؛ لأن النبي ﷺ غضب حين رأى مع عمر كتاباً أصابه من بعض أهل الكتاب، وقال: «أُمَّتُهُوْكَونَ فِيهَا يَابْنَ الْخَطَابِ؟!» الحديث^(٣).

حتى وإن كانت مشتملة على الحق والباطل؛ لما في ذلك من ضرر فساد العقائد، اللهم إلا لمن كان متضلعا بعلوم الكتاب والسنة، مع شدة التثبت وصلابة الدين والفطنة والذكاء؛ وكان ذلك للرد عليهم وكشف أسرارهم

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠٠/٣٥)، بتصرف. وكانت الفتوى عن التوراة ودين اليهود، والإنجيل ودين النصارى يأخذان نفس الحكم، والله أعلم.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨٧/٣) [مؤسسة قرطبة بمصر]، والدارمي في سننه (كتاب العلم، رقم ٤٤٩)، قال الهيثمي: «فيه مجاهد بن سعيد، ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما». مجمع الزوائد (١٧٤/١) [مكتبة القدسي].

لكن له شواهد، حسنه بها الألباني في إرواء الغليل (٣٤/٦) [المكتب الإسلامي ببيروت، ط ٢].

إسماعيل عليه السلام، والتصريح بنبوته نبينا محمد ﷺ^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم سب الإنجيل:

يقال في حكم سب أو لعن الإنجيل: «ليس لأحد أن يسب أو يلعن الإنجيل، بل من أطلق سبه أو لعنه فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وإن كان يعرف أنها منزلة من عند الله، وأنه يجب الإيمان بها؛ فهذا يقتل بشتمه لها، ولا تقبل توبته - في أظهر قولي العلماء - . وأما إن لعن دين النصارى الذي هم عليه في هذا الزمان فلا بأس به في ذلك؛ فإنهم ملعونون هم ودينهم، وكذلك إن سب الإنجيل الذي عندهم بما يبين أن قصده ذكر تحريفه؛ مثل أن يقال: نسخ هذا

(١) انظر: الإنجيل والصليب لعبد الأحد داود (١٥) [طبعة: ١٣٥١هـ، القاهرة]، وقاموس الكتاب المقدس (١٧٢) [دار الثقافة بالقاهرة، ط ٩]، ودائرة المعارف الكتابية (١٤٢/٢) [مطبعة سيورس، ط ٢]، والأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام (٧٣)، (٩٥) [دار نهضة مصر، القاهرة]، وما هي النصرانية (٢٢٨) [مكتبة دار العلوم، كراتشي، ١٤٠٣هـ]، وإظهار الحق (١٠١/١ - ١٥٧، ٥٣١/٢ - ٥٣٢) لرحمة الله الهندي [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط ٤]، والمسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب (٥٣ - ٧٣) [مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١]، ومحاضرات في النصرانية (٤١ - ٧٤) [دار الفكر العربي، ط ٣]، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (٢١٥ - ٢٢٤) [مكتبة أضواء السلف، ط ٣].

وهتك أستارهم^(١).

- المسألة الثالثة: حكم مس الإنجيل للمحدث:

حكم مس الإنجيل وحمله للمحدث؛ فيجوز - عند الجمهور -؛ لأنه ليس قرآنًا، والنص ورد في القرآن دون غيره، ثم هي مبدلة منسوخة^(٢).

- المسألة الرابعة: بيان تحريف الأنجيل الموجودة:

أخبر الله سبحانه عن وقوع التحريف في الإنجيل بقوله: ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا فَضَّلْنَا خُذْنَا مِنْهُمْ قَسْوًا فَهَلْ أَهَبْنَا دَرَكًا مِنْهُمْ لِيَتَّقُوا فَمَا لَهُمْ حَكْمًا ذَكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٤]. وغيرها من الآيات.

وجود التحريف في التوراة والإنجيل هو الصبغة العامة التي يتسم بها، إلا أنه

(١) راجع: فتح الباري لابن حجر (٥٢٥/١٣) [دار المعرفة ببيروت]، وكشاف القناع للبهوتي (٤٣٤/١) [دار الفكر ببيروت]، ومطالب أولي النهى لمصطفى الرحيباني (٦٠٧/١) [المكتب الإسلامي ببيروت]، وفتاوى اللجنة الدائمة (٤٣٣/٣).

(٢) راجع: المجموع شرح المذهب للنووي (٧٠/٢) [دار الفكر ببيروت]، وكشاف القناع (١٣٥/١).

لا تزال فيه بقايا من الوحي الإلهي، ومعرفة ذلك يكون بموافقتها لما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وأما أنواع التحريف الواقعة فيه فهي: تحريف بالتبديل، وتحريف بالزيادة، وتحريف بالنقص^(٣).

- المسألة الخامسة: نسخ الأنجيل:

الإنجيل الذي جاء به المسيح ﷺ؛ بل الأديان السابقة جميعها قد نسخت بالقرآن المنزل على محمد ﷺ، قال ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. وإن كان النسخ في الأصل واردًا على إنجيل عيسى ﷺ فوروده على ما بأيدي النصارى من الأنجيل المحرفة من باب أولى.

ومما يؤكد نسخ الديانة النصرانية، ما تحويه أنجيلهم الحالية من شهادات وإشارات صادرة عن المسيح ﷺ وعن غيره، التي تومئ بظهور نبي بعد المسيح ﷺ يجب اتباعه^(٤).

(٣) انظر: إظهار الحق (٤٢٥/٢ - ٥٣٩)، ومجموع الفتاوى (١٠٤/١٣، ١٠٥)، والجواب الصحيح (١/٣٥٦، ٣٦٧، ٥/٢، ٣/٢٦٤)، وهداية الحيارى (١٠٥) [الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة].

(٤) انظر: المصادر السابقة، وانظر أيضًا: دائرة معارف القرن العشرين (١/٦٥٥) [دار المعرفة، بيروت، ط ٢]، والموسوعة العربية الميسرة (١/٢٣٩) [دار القلم ومؤسسة فرانكلين، القاهرة]، ومعجم المصطلحات الدينية لخليل أحمد خليل (٣٦) [دار الفكر اللبناني، ط ١].

❁ الفروق:

الفروق بين أناجيل النصارى:

إنجيل متى: هو أول الأناجيل في العهد الجديد، وهو أطولها؛ إذ يحوي ثمانية وعشرين إصحاحًا. ويزعم النصارى أن (متى) هو أحد الحواريين، وكان قبل اتباعه للمسيح عشارًا (جابي ضرائب). إلا أن النصارى لا يملكون دليلًا على صحة نسبة هذا الكتاب إلى (متى)، فهم لم ينقلوه بالسند.

أما إنجيل مرقس: وهو الثاني في ترتيب الأناجيل لدى النصارى وهو أقصرها؛ إذ إنه يحوي ستة عشر إصحاحًا فقط. ينسبونه إلى مرقس، واسمه يوحنا، ومرقس لقب له، وهو رجل مجهول، لم تتوفر معلومات عن دينه وعلمه وأمانته، سوى أنه كان رفيقًا لبولس في دعوته ثم افترق عنه، فلا يملك النصارى صحة نسبة هذا الإنجيل إلى كاتبه.

أما إنجيل لوقا: فهذا الإنجيل الثالث في ترتيب النصارى للعهد الجديد، ويحوي أربعة وعشرين إصحاحًا، ويزعم النصارى أن كاتبه كان أحد الوثنيين الذين آمنوا بالمسيح بعد رفعه وكان رفيقًا لبولس، فهو يعد أيضًا شخصية مجهولة، ولا يوجد لدى النصارى دليل يعتمد عليه في صحة نسبة الكتاب إليه.

أما إنجيل يوحنا: فهو الإنجيل الرابع في ترتيب العهد الجديد، وهو يختلف عن الأناجيل الثلاثة قبله، إذ تلك متشابهة إلى حد كبير، أما هذا فإنه يختلف عنها؛ لأنه ركز على قضية واحدة، وهي: إبراز دعوى ألوهية المسيح وبنوته لله بنظرة فلسفية، ولذلك فهو يعد الكتاب الوحيد من بين الأناجيل الأربعة الذي صرح بهذا الأمر تصريحًا واضحًا.

وهذا الإنجيل كسابقيه، لا يملك النصارى لإثبات صحته أي دليل، فكاتبه يوحنا كما يذكر النصارى كان يمتحن الصيد، مما يدل على أنه بعيد عن الفلسفة ومصطلحاتها.

وهذه الأناجيل بينها تناقض واختلاف كثير^(١).

❁ مذهب المخالفين:

حرف النصارى الإنجيل المنزل على عيسى ﷺ عن وجهه الصحيح، إلى وثنية خالصة وعقائد منحرفة لم يعرفها المسيح ﷺ ولا حواريوه، فأصبح الإنجيل بعد التحريف قائمًا على ثلاثة أسس، وهي: التثليث، والصلب والفداء، ومحاسبة المسيح للناس.

ويدّعي النصارى أن هذه الأناجيل الموجودة لديهم مقدسة، وأن مؤلفيها

(١) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية (١٥١ - ١٥٨).

- ٥ - «دعوة التقريب بين الأديان: دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية»، لأحمد القاضي.
- ٦ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز.
- ٧ - «محاضرات في النصرانية»، لمحمد أبو زهرة.
- ٨ - «مصادر النصرانية: دراسة ونقدًا»، لعبد الرزاق آلارو.
- ٩ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكمي.
- ١٠ - «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»، لابن القيم.

الأنداد

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمته الله: «النون والبدال أصل صحيح يدل على شرود وفراق، ونَدَّ البعير نَدًّا وندودًا: ذهب على وجهه شاردًا، ومن هذا الباب: النَّد والنديد: الذي ينأى في الأمر؛ أي: يأتي برأي غير رأي صاحبه»^(٢).

والأنداد: جمع نَدَّ، وهو مثل الشيء الذي يُضادُّه في أموره، ويُنادُّه؛ أي: يخالفه، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ أُنْدَادًا﴾ [فصلت: ٩]؛ أي: أضدادًا وأشباهاً^(٣).

(٢) مقاييس اللغة (٣٥٥/٥) [دار الجليل].

(٣) انظر: لسان العرب (٨٩/١٤) [دار إحياء التراث =

كتبوها بوحى وإلهام من الله، وهذا باطل لا مزية فيه؛ إذ لا يملكون أدنى دليل على ما ادعوه، إنما اعتمدوا على كتبهم المحرفة التي اعترفوا هم أنفسهم بانقطاع إسنادها إلى من تنسب إليهم، فضلاً عن نسبتها إلى المسيح عليه السلام وكذلك اليهود لا يؤمنون بنبي الله عيسى عليه السلام ولا بالإنجيل الذي أرسل به، وقد أخبر القرآن عنهم، أنهم قالوا: ﴿لَيْسَتْ الْنَصْرَى عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣]؛ أي: ليست النصرانية في دينها على صواب، إنما قالوا ذلك لأنهم يكفرون بعيسى، ولا يرون شريعته دينًا. بل قام بعض اليهود بالعمل على تحريف الإنجيل وتبديله، كما فعل بولس (شاؤول اليهودي)^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إظهار الحق»، لمحمد رحمت الله الهندي.
- ٢ - «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل» (ج ١)، لصالح الجعفري.
- ٣ - «الجواب الصحيح» (ج ١، ٢، ٥)، لابن تيمية.
- ٣ - «دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية»، لسعود الخلف.

(١) انظر: إسرائيل حرّفت الأناجيل لأحمد عبد الوهاب (٤١) وما بعدها [مكتبة وهبة، ط ٢]، والكتب المقدسة بين الصحة والتحريف (٥٣) وما بعدها (١٧٧) [دار الوفاء، ط ١]، ودراسات في اليهودية والنصرانية (١٤٠، ١٩١، ٢٤٥).

التعريف شرعاً:

كيسير الرياء، وقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ونحو ذلك^(٢).

الحقيقة:

حقيقة الأنداد: هم النظراء والأشباه والأمثال، وهذا يرجع إلى التفسير بالمعنى، أو الذين يُجعلون شركاء لله فيما يختص به، سواء رجع ذلك إلى ألوهيته أو إلى ربوبيته، أو إلى أسمائه وصفاته، وهذا يرجع إلى التفسير بالمراد^(٣).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢) [البقرة]، وقال: ﴿وَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، وقال: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الزمر: ٨]، وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وأما السنة؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»^(٤).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو

النظراء، والأشباه، والأمثال، أو الشركاء لله في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته^(١).

الأسماء الأخرى:

الأمثال، الأشباه، الأضداد، الأصنام، الأنصاب، الأوثان.

الحكم:

اتخاذ الأنداد أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، كما تضافرت بذلك نصوص الكتاب والسنة.

واتخاذ الندّ على قسمين:

أولهما: أن يجعل لله شريكاً في نوع العبادة أو بعضها، فهذا شركٌ أكبر موجبٌ للنار محبّطٌ للعمل، مبيحٌ للمال والدم، ناقضٌ للتوحيد.

ثانيهما: ما كان من نوع الشرك الأصغر؛ كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، وكيسير الرياء، فهذا منافيٌ لكمال التوحيد الواجب.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمته الله: «واعلم أنّ دعاء الندّ على قسمين: أكبر وأصغر، فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو الشرك الأكبر، والأصغر

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/٢٥٠) [دار الصميعي، ط ١].

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٢١٠).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٢٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٦).

= العربي، ط ٣، والقاموس المحيط (٣٢٢).

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٢٠٩ - ٢١٠) [دار ابن الجوزي، ط ٢].

يدعو الله ندًا دخل النار»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الأنداد: هو الشرك، أخفى من ديب النمل، على صفة سوداء، في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلان، هذا كله شرك»^(٢).

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رحمته الله: «الأنداد: الآلهة التي جعلوها معه، وجعلوا لها مثل ما جعلوا له»^(٣).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله فأعظمه الشرك بالله، وهو أن يدعو مع الله إلهاً آخر كالشمس والقمر والكواكب، أو كملك من الملائكة، أو نبي من الأنبياء، أو رجل من الصالحين، أو أحد من الجن، أو تماثيل هؤلاء أو قبورهم، أو غير ذلك مما يدعى من دون الله تعالى، أو

يستغاث به، أو يسجد له، فكل هذا وأشباهه من الشرك الذي حرمه الله على لسان جميع رسله»^(٤).

وقال ابن القيم رحمته الله: «والمقصود: أن الشرك لما كان أظلم الظلم وأقبح القبائح وأنكر المنكرات كان أبغض الأشياء إلى الله تعالى وأكرهها له وأشدّها مقتاً لديه، ورتّب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه، وأخبر أنه لا يغفره، وأن أهله نجس، ومنعهم من قربان حرمه، وحرّم ذبائحهم ومناكحتهم، وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين، وجعلهم أعداء له سبحانه ولملائكته ورسله وللمؤمنين، وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبنائهم، وأن يتخذوهم عبيداً؛ وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية وتنقيص لعظمة الإلهية وسوء ظن ربّ العالمين»^(٥).

❁ مذهب المخالفين:

المشركون وأهل الكتاب وبعض أهل البدع كالرافضة وبعض الصوفية هم أكثر الناس انحرافاً في هذا الباب؛ فقد عمروا المشاهد، وعطلوا المساجد^(٦)، وجعلوا أهل القبور أنداداً من دون الله،

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٤٩٧) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٢/١) [مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١]، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣٠٩/١) [مؤسسة قرطبة، ط١]، وسنده حسن.

(٣) تفسير الطبري (٣٩٢/١) [دار هجر، ط١].

(٤) الاستقامة (٢/٢١٠) [جامعة الإمام، ط٢].

(٥) إغاثة اللهفان (١/٦٠) [طبعة دار المعرفة، بيروت].

(٦) انظر: منهاج السُّنة (١/٣٤٢) [جامعة الإمام، ط١].

لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع^(٢).

«فبين أنهم لا يملكون مثقال ذرة استقلالاً ولا يشركونه في شيء من ذلك، ولا يعينونه على ملكه، ومن لم يكن مالكا ولا شريكا ولا عوناً فقد انقطعت علاقته»^(٣)، «فلم يبق إلا الشفاعة فنفاها عن آلهتهم، وأخبر أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فهو الذي يأذن للشافع، فإن لم يأذن له لم يتقدم بالشفاعة بين يديه»^(٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إغاثة اللفان» (ج ٢)، لابن القيم.
- ٢ - «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير.
- ٣ - «القول السديد في مقاصد التوحيد»، لابن سعدي.
- ٤ - «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.
- ٥ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٦ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (ج ٢)، لعبد الله الغنيمة.

يستغيثون بها، ويسألونها تفريج الكربات، ويسمون ذلك شفاعة وتشفعا، قال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]. وقال ﷺ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وقد ردَّ الله عليهم زعمهم هذا بأن هذا شيء لا حقيقة له، ولا يعدو أن يكون اسماً ليس تحته مسمى حقيقي، ﴿أَتُنَبِّئُوكَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨]، وقال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ٢٣]، وقال: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين بمجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك، وسدتها عليهم أحكم سد وأبلغه؛ فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه، وإلا فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلق قلبه به^(١).

فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع، والنفع

(٢) مدارج السالكين (١/٣٤٣) [دار الكتاب العربي].

(٣) اقتضاء الصراط (١/٣٥٧) [مطبعة السنة المحمدية].

(٤) الصواعق المرسلة (٢/٤٦٢).

(١) الصواعق المرسلة (٢/٤٦١) [دار العاصمة].

الأنصاب، فيُذبح عندها للآلهة، ويُتقرب لها عندها.

٧ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن.

الثاني: هي الأنصاب، والأوثان، والأحجار، ونحوها مما ينصب ويعبد من دون الله تعالى.

٨ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٩ - «القول المفيد في مهمات التوحيد»، لعبد القادر عطا صوفي.

الحكم:

اتَّخَذَ الْأَنْصَابُ - سواء كانت أحجاراً يُذبح لها أو أوثاناً يُتَقَرَّبُ إليها، أو قبوراً تشيّد ويُعكف عندها - كلّ ذلك من الشرك الأكبر المخرج من الإسلام، والموجب للخلود في النار^(٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فَالْأَنْصَابُ لِلشَّركِ وَالْعِبَادَةِ، وَالْأَزْلَامُ لِلتَّكْهَنِ، وَطَلَبُ عِلْمٍ مَا اسْتَأْثَرَ اللهُ بِهِ، هَذِهِ لِلْعِلْمِ، وَتِلْكَ لِلْعَمَلِ، وَدِينُ اللهِ ﷻ مُضَادٌّ لِهَذَا، وَهَذَا، وَالَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُبْطِلُهُمَا، وَكَسَرَ الْأَنْصَابَ وَالْأَزْلَامَ»^(٥).

الحقيقة:

الأنصاب: هي كل ما نصب وعبد من دون الله تعالى أو معه من شجر أو حجر أو قبر أو غير ذلك^(٦)..

الأنصاب

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «النون والصاد والباء أصل صحيح يدل على إقامة شيء وإهداف في استواء، يقال: نصبت الرُّمَحَ وغيره أنصبه نصباً»^(١).

الأنصاب: جمع نُصْب، والنَّصْب: وضع الشيء وضعاً ناتئاً وبارزاً، والنَّصْب والنَّصْب: العلم المنسوب، والنَّصْبِيَّة والنَّصْب: كل ما نُصِب فجُعل علماً، والنَّصَائِب حجارة تنصب حوالي شفير البئر، فتجعل عضائد^(٢).

التعريف شرعاً:

الأنصاب في كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ يراد بها أُمُرَان^(٣):

أحدهما: الأحجار التي تنصب عند

(٤) انظر: الرد على شبهات المستعنيين بغير الله (ص ٧٦) أحمد بن عيسى [مطبعة دار طيبة]، وإغاثة اللهفان (٢٠٩/١).

(٥) إغاثة اللهفان (٣٨٥/١).

(٦) انظر: زاد المسير (٢/ ٢٨٣ - ٢٨٤)، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٥٦١) [مكتبة الرشد]، وإغاثة اللهفان (٣٨٣/١).

(١) مقاييس اللغة (٤٣٤/٥) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: لسان العرب (١٤/ ١٥٥) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣]، ومقاييس اللغة (٤٣٤/٥)، والصحاح (١/ ٢٢٤ - ٢٢٥) [دار العلم للملايين، ط ٣].

(٣) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٣٨٣) [دار ابن الجوزي]، وتفسير السعدي (٢٦٨) [دار السلام بالرياض، ط ٢].

الأدلة:

ويبدّلونها إذا شاءوا بحجارة أعجب إليهم منها^(٤). وقال مثل ذلك قتادة بن دعامة السدوسي، والضحاك بن مزاحم^(٥).

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «والنُصب: الأوثان من الحجارة، جماعة أنصاب، كانت تجمع في الموضع من الأرض، فكان المشركون يقربون لها، وليست بأصنام»^(٦).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «والمقصود: أن الناس قد ابتلوا بالأنصاب والأزلام، فالأنصاب للشرك والعبادة، والأزلام للتكهن وطلب علم ما استأثر الله به، هذه للعلم، وتلك للعمل، ودين الله ﷻ مضاد لهذا وهذا، والذي جاء به رسول الله ﷺ إبطالهما، وكسر الأنصاب والأزلام، فمن الأنصاب ما قد نصبه الشيطان للمشركين من شجرة أو عمود أو وثن أو قبر أو خشبة أو عين ونحو ذلك، والواجب هدم ذلك كله ومحو أثره»^(٧).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تحريم الذهاب إلى أماكن الأنصاب:

يحرم زيارتها إلا لهدمها، أو الإنكار

(٤) تفسير الطبري (٧٠/٨) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٥) تفسير الطبري (٧٠/٨)، وانظر: الأصنام لأبي المنذر الكلبي (٤٢) [دار الكتب المصرية، ط ٣، وأخبار مكة لأبي الوليد الأزرق (١٨٥/١) مكتبة الأسدي، ط ١].

(٦) تفسير الطبري (٧٠/٨).

(٧) إغائة اللفهان (٣٨٥/١).

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠].

وقال تعالى في ذكر جملة مما حرّمه على عباده: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]. وللعلماء قولان في المراد بالنصب^(١):

أحدهما: أنها أصنام تنصب فتعبد من دون الله؛ أي: وما ذبح على اسم النصب، أو لأجلها.

الثاني: أنها حجارة كانوا يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها ويعظمونها. وعن أبي سعيد الخدري رَحِمَهُ اللهُ قال: قال النبي ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: تتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال عبد الله بن عباس رَحِمَهُ اللهُ: «الأنصاب حجارة كانوا يذبحون لها»^(٣).

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾: «حجارة حول الكعبة، يذبح عليها أهل الجاهلية،

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٢٨٣/٢ - ٢٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٥٨١)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٣).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١١٩٨/٤) [مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ١، ١٤١٧هـ].

هدمها محافظة على توحيد الله ﷻ، فعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ لمَّا خرج إلى حنين مرَّ بشجرة للمشركين، يقال لها: ذات أنواط، يعلِّقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «سبحان الله: هذا كما قال قوم موسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم»^(٣).

قال أبو بكر الطرطوشي رحمته الله: «فانظروا - رحمكم الله - أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، وينوطون بها المسامير والخرق؛ فهي ذات أنواط؛ فاقطعوها»^(٤).

- المسألة الرابعة: اتخاذ نصب الجندي المجهول، أو أنصاب وجهاء الناس، ومن لهم منزلة وشأن في بناء الدولة علمياً، أو اقتصادياً، أو سياسياً:

هذا الفعل من أعمال الجاهلية، وضرب من الغلو فيه، وإقامة الحفلات عندهم، ووضع الزهور تكريماً لها، هو شبيه بالوثنية الأولى، وذريعة إلى الشرك

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢١٨٠) وصححه، وأحمد (٢٢٥/٣٦) مؤسسة الرسالة، ط١.

(٤) الحوادث والبعد (٣٨ - ٣٩) [دار ابن الجوزي].

على عابديها ونحو ذلك، فعن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»^(١).

- المسألة الثانية: لا يجوز عبادة الله عندها:

حتى لا يكون ذلك ذريعة إلى عبادتها، وحتى لا يتشبه المسلم بعابديها، فعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانة، فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة. فقال النبي ﷺ: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟». قالوا: لا. قال: «هل كان فيها عيد من أعيادهم؟». قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ: «أوف بنذرك؛ فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»^(٢).

- المسألة الثالثة: وجوب هدمها: الأنصاب التي تعبد من دون الله يجب

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجناز، رقم ٩٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٣٣١٣)، والطبراني في الكبير (٧٥/٢) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٥١٨/٩) [دار الهجرة، ط١]، وابن حجر في البلوغ (١٨٥/٢) [دار أطلس، ط٣]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٧٢). وجملته: «وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك»: رواها البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠٤٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١١٠).

الأكبر، والعياذ بالله، فيجب القضاء على

هذه التقاليد، محافظة على عقيدة التوحيد، ومنعاً للإسراف دون جدوى، وبعداً عن مجارة الكفار ومشابھتهم في عاداتهم وتقاليدهم، التي لا خير فيها، بل تفضي إلى شر مستطير^(١).

الآثار:

أخبر الله تعالى أن في اتخاذ الأنصاب وغيرها من المنكرات مفسد عظيمة في الدين والدنيا؛ منها^(٢):

أنها رجس؛ أي: خبث ونجس، وإن لم تكن نجسة نجاسة حسية، والأمور الخبيثة مما يجب اجتنابها.

وأنها من عمل الشيطان، الذي هو أعدى الأعداء للإنسان، وأعماله مما توقع المرء في المهلكة، فوجب الحذر منها.

وأنه لا يمكن الفلاح للعبد إلا باجتنابها؛ فإن الفلاح هو الفوز بالمحسوب، والنجاة من المرهوب، واتخاذ الأنصاب، ونحوها مما يمنع من الفلاح.

وأنها تصد القلب عن ذكر الله وعن الصلاة، ويتبعه البدن في ذلك، وغيرها من الآثار السيئة.

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١/٤٧٨ - ٤٧٩) [دار المؤيد]، وانظر: فتاوى إسلامية (١/٢٠) جمع وترتيب: محمد بن عبد العزيز المسند [دار الوطن للنشر والتوزيع، ط ٢].
(٢) انظر: تفسير السعدي (٢٦٨).

المصادر والمراجع:

١ - «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار»، للأزرقي.

٢ - «الأصنام»، للكلبي.

٣ - «إكمال المعلم» (ج ٧)، للقاضي عياض.

٤ - «البدع والحوادث»، لأبي بكر الطرطوشي.

٥ - «الباعث على إنكار البدع والحوادث»، لأبي شامة.

٦ - «اقتضاء الصراط المستقيم» (ج ٢)، لابن تيمية.

٧ - «إغاثة اللهفان» (ج ١)، لابن القيم.

٨ - «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، لابن حجر العسقلاني.

٩ - «التعريفات الاعتقادية»، سعد آل عبد اللطيف.

١٠ - «الشرك ومظاهره»، لمبارك بن محمد الملي.

الأنصار

يراجع مصطلح (الصحابة).

الانقياد

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «القاف والواو والdal أصل صحيح يدل على امتداد في

الرجل مسلماً إلا إذا انقاد لأحكام الله ﷻ، ولم يتكبر ويعرض عنها، فإن هذا داخل في معنى الإسلام. ومن مقتضياته أن تتلقى أحكام الله تعالى بالتسليم المحض، ولا يعارض ذلك بشيء آخر من ذوق، أو وجد، أو قياس، أو سياسة، أو تقليد، وأن لا يكون في قلبه شبهة تنازع إيمانه، ولا تكون له شهوة تمنعه من تنفيذها^(٥).

الحقيقة:

حقيقة الانقياد إنما تظهر بالتسليم لأمر الله تعالى ومتابعته ظاهراً وباطناً، ومخالفة الهوى، وعدم توقف امتثال الأمر على معرفة حكمته، فإنه مناف للانقياد، قاذح في الامثال^(٦).

الأهمية:

أهميته عظيمة تتجلى فيما يلي:

١ - لأنه داخل في معنى الإسلام، فإن الإسلام يجمع معنيين:

الأول: الانقياد والاستسلام، فلا يكون المسلم متكبراً.

والثاني: الإخلاص.

٢ - لأنه داخل في معنى العبادة، فإن أصل العبادة التذلل والخضوع، وسميت

(٥) انظر: طريق الهجرتين (٣٦-٣٧) [دار الحديث، ط ٤].
(٦) انظر: الوابل الصيب (٢٤) [دار الكتاب العربي، ط ١]، وشرح العقيدة الطحاوية (٢٣٩/١) [وزارة الشؤون الإسلامية، ط ١]، ومعارج القبول (٥٩١/٢).

الشيء، ويكون ذلك امتداداً على وجه الأرض وفي الهواء، من ذلك القود: جمع قوداء، وهي الناقة الطويلة العنق^(١).

والانقياد: الخضوع، تقول: قدته فانقاد لي: إذا أعطاك مقادته، ويقال: أعطيت فلاناً مقادتي؛ أي: انقدت له^(٢).

التعريف شرعاً:

هو «الاستسلام والإذعان، وعدم التعقب لشيء من أحكام الله تعالى»^(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لا يختلف المعنى الشرعي عن اللغوي إلا أن الشرعي خضوع خاص مقيد بأحكام الله تعالى.

الأسماء الأخرى:

الطاعة^(٤).

الحكم:

يجب على المسلم الانقياد لأحكام الله تعالى، والاستسلام له وحده، ولا يصير

(١) مقاييس اللغة (٨٣٨) [دار إحياء التراث العربي، ط ١].
(٢) انظر: الصحاح (٩٠/٣) [دار العلم للملايين، ط ٤]، وتهذيب اللغة (١٩٣/٩) [دار إحياء التراث العربي، ط ١].

(٣) الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما (١٠٩) [دار طيبة]، وانظر: الصارم المسلول (٥١٩) [عالم الكتب]، ومعارج القبول (٤٢١/٢) [دار ابن القيم، ط ١].

(٤) انظر: الصلاة وحكم تاركها (٤٧) [دار الإيمان].

وظائف الشرع على المكلفين عبادات؛ لأنهم يلتزمون بها ويفعلونها خاضعين لله تعالى، والعبادة في الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة، والخضوع، والخوف.

٣ - لأن أحد شروط كلمة التوحيد الانقياد المنافي للترك^(١).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

أقوال أهل العلم:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦٣٥/٧) [مجمع الملك فهد]، وتفسير ابن كثير (٢١٤/١) [دار عالم الكتب، ط ١]، وتيسير العزيز الحميد (٥٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ١]، والدرر السنية (٢٤٤/٢) و(٢٥٤/٢)، ٢٥٦، ٣٥٩، ومعارج القبول (١/٣٢٩ - ٣٣٠).

تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]: «يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة: أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكِّمَ الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [٦٥]؛ أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلمون لذلك تسليمًا كليًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة»^(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الآية المذكورة: «أقسم سبحانه بأجل مقسم به - وهو نفسه ﷺ - على أنه لا يثبت لهم الإيمان، ولا يكونون من أهله، حتى يحكموا رسوله في جميع موارد النزاع في جميع أبواب الدين، فإن لفظة (ما) من صيغ العموم، فإنها موصولة تقتضي نفي الإيمان إذا لم يوجد تحكيمه في جميع ما شجر بينهم. ولم يقتصر على هذا حتى ضم إليه انشراح صدورهم بحكمه حيث لا يجدون في أنفسهم حرجًا - وهو الضيق والحصر - من

(٢) تفسير ابن كثير (٤/١٤٠).

بهذا التسليم والانقياد، وليس هذا مما يحصل معناه بالعبرة، بل هو أمر قد انشق له القلب، واستقر في سويدائه لا تفي العبارة بمعناه، ولا مطمع في حصوله بالدعوى والأمانى^(١).

وقال أيضًا: «كما أن من تواضع لله رفعه، فكذلك من تكبر عن الانقياد للحق أذله الله ووضعه وصغره وحقّره. ومن تكبر عن الانقياد للحق ولو جاءه على يد صغير أو من يبغضه أو يعاديه، فإنما تكبره على الله؛ فإن الله هو الحق وكلامه حق، ودينه حق، والحق صفته، ومنه وله فإذا رده العبد وتكبر عن قبوله، فإنما رد على الله وتكبر عليه»^(٢).

✽ المسائل المتعلقة:

- الانقياد يكون بعمل القلب والجوارح:

الانقياد لا بد فيه من أمرين:

الأول: انقياد القلب، وهو الخضوع التام بالقلب لأحكام الله تعالى، فيرضى بها، ويستسلم لها بانشرح صدر.

والثاني: الانقياد بالجوارح، فيمثل أحكام الله تعالى. والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عِاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان].

حكمه، بل يقبلوا حكمه بالانشرحاح، ويقابلوه بالتسليم لا أنهم يأخذونه على إغماض، ويشربونه على قذى، فإن هذا مناف للإيمان، بل لا بد أن يكون أخذه بقبول، ورضا، وانشرحاح صدر.

ومتى أراد العبد أن يعلم هذا فلينظر في حاله، ويطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه، أو على خلاف ما قلده فيه أسلافه من المسائل الكبار وما دونها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [١٤] وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿[١٥]﴾ [القيامة]

فسبحان الله! كم من حزازة في نفوس كثير من الناس من كثير من النصوص وبودهم أن لو لم ترد؟ وكم من حرارة في أكبادهم... ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم إليه قوله تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [١٥]، فذكر الفعل مؤكدًا بمصدره القائم مقام ذكره مرتين. وهو التسليم والخضوع له، والانقياد لما حكم به طوعًا ورضا، وتسليمًا لا قهرًا ومصابرة، كما يسلم المقهور لمن قهره كرها، بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيء إليه، يعلم أن سعادته وفلاحه في تسليمه إليه، ويعلم بأنه أولى به من نفسه وأبر به منها، وأرحم به منها، وأقدر على تخليصها. فمتى علم العبد هذا من الرسول ﷺ استسلم له، وسلم إليه، وانقادت كل ذرة من قلبه إليه، ورأى أن لا سعادة له إلا

(١) الرسالة النبوية (٢٥ - ٢٧) [دار عالم الفوائد، ط ١].

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٣٣) [دارالكتاب العربي].

- قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يقول تعالى مخبراً
عمن أسلم وجهه لله؛ أي: أخلص له
العمل، وانقاد لأوامره واتبع شرعه ﴿وَهُوَ
مُحْسِنٌ﴾؛ أي: في عمله باتباع ما به أمر
وترك ما عنه زجر ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَى﴾؛ أي: فقد أخذ موثقاً من الله متيناً
أنه ألا يعذبه»^(١). وقال حافظ
الحكمي رَحِمَهُ اللهُ: «ومعنى: يسلم وجهه؛
أي: ينقاد، وهو محسن موحد»^(٢).

❖ إهداء ثواب الأعمال ❖

يراجع مصطلح (انتفاع الميت بسعي
الحي).

❖ أهل الأثر ❖

❖ التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الهمزة والشاء
والراء، له ثلاثة أصول: تقديم الشيء،
 وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي...
وأما حديث عمر: «ما حلفت بعدها أثراً»
ولا ذاكراً»^(٣) فإنه يعني بقوله: (أثراً):
مخبراً عن غيري... من قولك: أثرت
الحديث، وحديث مأثور»^(٤).

وحديث مأثور؛ أي: يخبر الناس به
بعضهم بعضاً.

وحديث مأثور: يأثره عدل عن
عدل^(٥).

❖ التعريف اصطلاحاً:

هم المتمسكون بالقرآن، وما ثبت من

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأيمان والنذور، رقم
٦٦٤٧)، ومسلم (كتاب الأيمان، رقم ١٦٤٦).

(٤) مقاييس اللغة (٥٣/١)، مادة: (أثر) [دار الجبل].

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (٨٦/١٥) [دار إحياء التراث
العربي، ١٤٢١هـ].

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «الدرر السنية في الأجوبة
النجدية» (ج ١، ٢)، جمع:
عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.
- ٢ - «الرسالة التبوكية»، لابن القيم.
- ٣ - «الوابل الصيب من الكلم
الطيب»، لابن القيم
- ٤ - «مدارج السالكين» (ج ٢)،
لابن القيم.
- ٥ - «مجموع الفتاوى» (ج ٧)،
لابن تيمية.
- ٦ - «شرح العقيدة الطحاوية»، ابن
أبي العز الحنفي.
- ٧ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن
حسن.

- ٨ - «تيسير العزيز الحميد»،
لسليمان بن عبد الله.

(١) تفسير ابن كثير (٧٦/١١).

(٢) معارج القبول (٢٢٩/١ - ٢٣٠) [دار الحديث].

نَنْزَعُهُمْ فِي شَيْءٍ فَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٦٥﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو حاتم الرازي رحمه الله: «علامة أهل البدع الوقعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة حشوية»^(٤) فعبّر عن (أهل السنة) بـ(أهل الأثر)^(٥).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، رقم ٤٦٠٧)، والترمذي (أبواب العلم، رقم ٢٦٧٦) وصححه، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٤٢)، وأحمد في مسنده (٣٧٣/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٨٧١/٣) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٩هـ].

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٢٠٠ - ٢٠١)، وينظر: (١/٢٠٤) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٦هـ].

(٥) وهو استعمال دارج عند أهل السنة، ينظر: التوحيد لابن خزيمة (١/٥٦، ٥٧) [دار الرشد، ط ٦]، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٢٠٢)، والحجة في بيان المحجة (١/١٩٢) (٢/٢٠٣، ٥١١) =

السنة النبوية، أو عن الصحابة الكرام، والتابعين لهم بإحسان، ولم يتلبسوا بمقالات أهل الأهواء والبدع^(١).

❁ سبب التسمية:

سُمِّي أهل السنة بهذا الاسم لاعتمادهم على المأثور عن الله تعالى، ورسوله ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، تلك الطريق السالمة من البدع والشوائب. والنسبة إلى هذا اللقب: أثري، أو: الأثري. ولذا قال السفاريني بعدما أشار إلى الإمام أحمد رحمه الله: «فإنه إمام أهل الأثر فمن نحا منحاه فهو الأثري»^(٢).

❁ الأسماء الأخرى:

أهل السنة والجماعة، الجماعة، السلف، أهل الحديث، السواد الأعظم، الطائفة المنصورة، الفرقة الناجية.

❁ الحكم:

يجب لزوم منهج أهل الأثر؛ لأنه المنهج المعتمد على الكتاب والسنة، وفهم سلف هذه الأمة.

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ

(١) ينظر: لوائح الأنوار (١/٦٤)، وينظر: (١/٧٣، ٩٤، ٢٤١) [دار المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٥هـ].

(٢) لوائح الأنوار (١/٤١).

٧ - «التحف في مذاهب السلف»، للشوكانى.

٨ - «معرفة علوم الحديث»، للحاكم.

٩ - «إكمال المعلم»، للقاضى عياض.

١٠ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

❏ أهل الحديث أو أصحاب الحديث ❏

❁ التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمته الله: «الحاء والذال والشاء أصل واحد، وهو كون شيء لم يكن، يُقال: حدث أمرٌ بعد أن لم يكن، والحديث من هذا؛ لأنه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء»^(٣). «والحديث: ما يُحدَّث به المحدث حديثاً»^(٤). «والحديث: الخبر، يأتي على القليل والكثير»^(٥).

❁ التعريف اصطلاحاً:

يقصد بهذا المصطلح: الذين اعتمدوا ما صح من حديث النبي ﷺ - بالإضافة إلى كتاب الله تعالى - مصدرًا من مصادر التلقي، واهتموا به رواية ودراية؛ وعملاً بمقتضاه^(٦).

وقال ابن الجوزي رحمته الله: «ولا ريب في أن أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار أصحابه هم أهل السُّنة؛ لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث، وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺ وأصحابه»^(١).

وقال السفاريني رحمته الله في بيان معنى أهل الأثر: هم «الذين إنما يأخذون عقيدتهم من المأثور عن الله جلَّ شأنه في كتابه، أو في سُنَّة النبي ﷺ، أو ما ثبت وصح عن السلف الصالح من الصحابة الكرام، والتابعين الفخام، دون زبالات أهل الأهواء والبدع»^(٢).

❁ المصادر والمراجع:

١ - «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة»، للالكائي.

٢ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنة الأصبهاني.

٣ - «لوامع الأنوار»، للسفاريني.

٤ - «وسطية أهل السُّنة بين الفرق»، لمحمد باكريم.

٥ - «درء التعارض»، لابن تيمية.

٦ - «فضل علم السلف على الخلف»، لابن رجب.

= [دار الراية، ط ٢]، ودرء التعارض (١/ ٢٧٥) - [جامعة الإمام، ط ١].

(١) تلييس إبليس (٢٧ - ٢٨) [دار الجيل، ١٤٠٨هـ].

(٢) لوامع الأنوار (١/ ٦٤)، وينظر: (١/ ٧٣، ٩٤،

٢٤١) [دار المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٥هـ].

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (٢/ ٣٦) [دار الجيل].

(٤) تهذيب اللغة (٤/ ٢٣٤) [دار إحياء التراث العربي].

(٥) الصحاح (١/ ٢٤٦) [دار إحياء التراث العربي، ط ١].

(٦) ينظر: شرح الأصول للالكائي (١/ ٢٣ - ٢٦) [دار =

❁ سبب التسمية:

وعملًا بمقتضاه؛ إيمانًا وتصديقًا، وطاعةً وانقيادًا، واقتراءً واتباعًا، ظاهرًا وباطنًا. وهم بهذا يتميزون من غيرهم ممن اعتمد على خيال فلسفي، أو رأي قياسي، أو غير ذلك من الآراء والمبتدعات، مقدمًا إياها على ما صحَّ وثبت عن النبي المصطفى ﷺ^(١)، وقد يكون من أهل الحديث صناعة، وليس هو من أهل السنَّة، لكونه مبتدعًا، ولذا فإن هذا الاسم كثيرًا ما كان يطلق في مقابل: (أهل الكلام) أو (أهل الرأي)^(٢).

❁ الأدلة:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
[النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].
وقال النبي ﷺ: «عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ»^(٣).

قال الشافعي رحمه الله: «ولا أعلم من

أنهم اعتمدوا ما صح من حديث النبي ﷺ - بالإضافة إلى كتاب الله تعالى - مصدرًا من مصادر التلقِّي، واهتموا به رواية ودراية، وعملًا واتباعًا، وتصديقًا وانقيادًا، ولم يعارضوه بعقل أو قياس؛ لأنَّ العقل عندهم تابع لا متبوع، بل لا تعارض عندهم بين نقل صحيح وعقل صريح.

❁ الأسماء الأخرى:

أهل السنَّة والجماعة، الجماعة، السلف، أهل الأثر، السواد الأعظم، الطائفة المنصورة، الفرقة الناجية.

❁ الحكم:

يجب لزوم منهج أهل الحديث، أهل السنَّة والجماعة.

❁ الحقيقة:

يقصد بهذا المصطلح معنى أوسع مما قد يتبادر إلى الذهن عند المتأخرين خاصة، ممن يريد به: مَنْ يُعْنَى بدراسة الحديث النبوي صناعةً وتخصُّصًا.

فيقصد به: مَنْ اهتموا به رواية ودراية؛ حفظًا له ومعرفةً بصحيحه وسقيمه، وفقهًا فيه، وفهمًا لمعانيه،

(١) ينظر: تأويل مختلف الحديث (٨٢) [دار الكتب العلمية]، ومجموع الفتاوى (٤/٩٤، ٩٥).

(٢) ينظر: مقدمة ابن قتيبة لكتابه: تأويل مختلف الحديث، وشرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي، والاتصار لأصحاب الحديث للسمعاني.

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

= طيبة، ط ٤، ١٤١٦هـ، ومعرفة علوم الحديث (٣٥) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤١١هـ، ومجموع الفتاوى (٤/٨٥، ٩٤، ٩٥)، ومنهاج السنَّة (٤/٢٨٧) [طبعة جامعة الإمام، ط ١، ١٣٩٧هـ].

والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف وقرناً عن قرن إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذوا أصحاب رسول الله، وأخذوا أصحاب رسول الله عن رسول الله... وأما سائر الفرق فطلبوا الدين لا بطريقه؛ لأنهم رجعوا إلى معقولهم وخواطهم وآرائهم، فطلبوا الدين من قبله، فإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم فإن استقام قبلوه وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه، فإن اضطروا إلى قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة، والمعاني المستنكرة، فحادوا عن الحق، وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السنة تحت أقدامهم، تعالى الله عما يصفون... ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق: أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار؛ وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، وفعلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا ولا تفرقاً في شيء ما وإن قل.

بل لو جمعت جميع ما جرى على

الصحابة ولا من التابعين أحداً أخبر عن رسول الله ﷺ إلا قبل خبره، وانتهى إليه، وأثبت ذلك سنة^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال اللالكائي رحمه الله مبيّناً سبب تسمية أهل السنة بأهل الحديث: «كل من اعتقد مذهباً فإلى صاحب مقالته التي أحدثها يُنسب وإلى رأيه يستند، إلا أصحاب الحديث، فإن صاحب مقالتهم رسول الله ﷺ، فهم إليه ينتسبون، وإلى علمه يستندون، وبه يستدلون، وإلى يفتزعون، وبرأيه يقتدون، وبذلك يفتخرون، وعلى أعداء سنته - بقربهم منه - يصولون، فمن يوازيهم في شرف الذكر، ويباهيهم في ساحة الفخر وعلو الاسم؟!»^(٢).

وللإمام السمعاني كلام نفيس في بيان أن الحق والعقيدة الصحيحة مع أهل الحديث، مع الإشارة إلى ما يميزهم عن غيرهم من سائر الفرق، فيقول رحمه الله: «غير أن الله تعالى أبى أن يكون الحق

(١) نقلاً عن مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي (٣٤) [طبعة الجامعة الإسلامية، ٣، ١٢٩٩هـ].

(٢) شرح الأصول (٢٤/١)، وأشار رحمه الله إلى مأخذ آخر لهذه التسمية فقال (٢٤/١ - ٢٥): «فهم مترددون في انتسابهم إلى الحديث بين ما ذكر الله ﷻ في كتابه، فقال تعالى ذكره: ﴿اللَّهُ زَكَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] فهو القرآن، فهم حملة القرآن وأهله وقراؤه وحفظته، وبين أن ينتموا إلى حديث رسول الله ﷺ، فهم نقلته وحملته، فلا شك أنهم يستحقون هذا الاسم لوجود المعنيين فيهم».

المصادر والمراجع:

- ١ - «شرف أصحاب الحديث»، للخطيب البغدادي.
- ٢ - «تأويل مختلف الحديث»، لابن قتيبة.
- ٣ - «الانتصار لأصحاب الحديث»، للسمعاني.
- ٤ - «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للالكائي.
- ٥ - «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»، للصابوني.
- ٦ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

أهل الحل والعقد

يراجع مصطلح (الإمامة).

أهل السنة والجماعة

التعريف لغة:

السُّنَّة في اللغة^(٤): الطريقة والسير، حسنة كانت أو قبيحة.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة، والأصل قولهم: سَنَنْتُ الماء على وجهي أسنهُ سَنًا؛ إذا أرسلته إرسالًا... ومما اشتق منه:

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (٣/٦٠) [دار الجيل]، وتهذيب اللغة (١٢/٢١٠) [دار إحياء التراث العربي]، ولسان العرب (١٣/٢٢٥) [دار العلوم والحكم، ط ٢١].

أُستَهِم، ونقلوه عن سلفهم؛ وجدته كأنه جاء من قلب واحد وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟ وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع رأيتهم متفرقين مختلفين، وشيعًا وأحزابًا، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدع بعضهم بعضًا، بل يرتقون إلى التكفير...»^(١).

وقال ابن تيمية: «مذهب أهل الحديث، وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف...»^(٢).

فإذن - كما قال ابن تيمية -: نحن لا نعني بأهل الحديث هنا: المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته، بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهرًا وباطنًا، واتباعه باطنًا وظاهرًا، وكذلك أهل القرآن، وأدنى خصلة في هؤلاء: محبة القرآن والحديث، والبحث عنهما وعن معانيهما، والعمل بما علموه من موجبهما^(٣).

ومما تقدم يتضح جليًا أن هذا المصطلح يطلق كثيرًا عند المتقدمين ويقصدون به أهل السنة والجماعة.

(١) الانتصار لأصحاب الحديث (٤٤ - ٤٦)، وينظر: تأويل مختلف الحديث (٧١)، وشرف أصحاب الحديث (٩) [دار إحياء السنة النبوية].

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٣٥٥).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/٩٥).

❁ سبب التسمية:

لأنهم مستمسكون بالسُّنَّة، مجمعون على لزومهما، لم يتفرقا في الدين، ولم يشقوا صفَّ المسلمين كما فعل أهل الأهواء والبدع.

❁ الأسماء الأخرى:

أهل الحديث، الجماعة، السلف، أهل الأثر، السواد الأعظم، الطائفة المنصورة، الفرقة الناجية.

❁ الحكم:

يجب لزوم منهج أهل السُّنَّة والجماعة، وعدم الخروج عنه.

❁ الحقيقة:

مصطلح (أهل السُّنَّة والجماعة) أصبح شعاراً ولقباً لمن التزم الكتاب والسُّنَّة، ولذا فلا ينبغي أن يُفهم من هذا الإطلاق أنهم مقتصرون على السُّنَّة - أي: الحديث - دون الكتاب، فالسُّنَّة هنا معنى أوسع من مجرد الحديث.

قال الشاطبي رحمته الله: «ويطلق أيضاً - أي: لفظ السُّنَّة - في مقابلة البدعة، فيقال: (فلان على سُنَّة) إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي ﷺ، كان ذلك مما نص عليه في الكتاب أولاً، ويقال: (فلان على بدعة) إذا عمل على خلاف ذلك، وكأن هذا الإطلاق إنما اعتبر فيه

السُّنَّة، وهي: السيرة، وسُنَّة رسول الله ﷺ: سيرته... وإنما سُميت بهذا لأنها تجري جرياً، ومن ذلك قولهم: امض على سَنِكَ وسُنِكَ؛ أي: وجهك، وجاءت الريح سنائن، إذا جاءت على طريق واحدة»^(١).

وقولهم: فلان من أهل السُّنَّة، معناه: من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة^(٢). وأما الجماعة، فقال ابن فارس: «الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تَضَام الشيء، يُقال: جمعت الشيء جمعاً»^(٣).

والإجماع: الإعداد والعزيمة على الأمر، وأجمع أمره؛ أي: جعله جميعاً بعدما كان متفرقاً.

والجمع: أن تجمع شيئاً إلى شيء، والإجماع: أن تجعل المتفرق جميعاً. والجماعة: عدد كل شيء وكثرته^(٤).

❁ التعريف شرعاً:

هم الملتزمون طريقة النبي ﷺ، وأصحابه وتابعيهم، الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ قبل ظهور البدع والمقالات^(٥).

(١) مقاييس اللغة (٣/٦٠).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (١٢/٢١٢).

(٣) مقاييس اللغة (١/٤٧٩).

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (١/٢٥٣).

(٥) ينظر: شرح العقيدة الواسطية لهراس (٦١) [دار الهجرة، ط٣]، وينظر: جامع العلوم والحكم

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «وكثير من العلماء المتأخرين يخص اسم (السنة) بما يتعلق بالاعتقادات؛ لأنها أصل الدين، والمخالف فيها على خطر عظيم»^(٥).

❖ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [٥٩] [النساء].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [٦٥] [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»^(٦).

وأخرج اللالكائي رَحِمَهُ اللهُ بسنده عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ بَيَضُ وُجُوهٌُ وَسَوْدُ وُجُوهٌُ﴾ [آل عمران: ١٠٦]: «فأما الذين ابيضت وجوههم: فأهل السنة والجماعة وأولو العلم، وأما الذين اسودت

عمل صاحب الشريعة، فأطلق عليه لفظ السنة من تلك الجهة، وإن كان العمل بمقتضى الكتاب.

ويطلق أيضًا لفظ السنة على ما عمل عليه الصحابة، وجد ذلك في الكتاب أو السنة أو لم يوجد؛ لكونه اتباعًا لسنة ثبتت عندهم لم تنقل إلينا، أو اجتهادًا مجتمعة عليه منهم أو من خلفائهم»^(١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأما أهل الحديث والسنة والجماعة فقد اختصوا باتباعهم الكتاب والسنة الثابتة عن نبيهم ﷺ في الأصول والفروع، وما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ»^(٢).

كما أن السلف عندما يطلقون هذا المصطلح (أهل السنة) أو (السنة) فكثيرًا ما يقصدون به الكلام في قضايا الاعتقاد خاصة^(٣).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ولفظ: (السنة) في كلام السلف يتناول السنة في العبادات وفي الاعتقادات، وإن كان كثير ممن صنف في السنة يقصدون الكلام في الاعتقادات»^(٤).

(١) الموافقات (٤/٣ - ٤) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وينظر: وسطية أهل السنة بين الفرق لمحمد باكرم (٣٢) [دار الراية، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٢) منهاج السنة (٣/٤٦٣) [جامعة الإمام، ط ١].

(٣) وللسنة إطلاقات أخرى أخص، تختلف باختلاف العلوم وتنوعها، فلها عند المحدثين معنى، وعند الأصوليين معنى آخر، وهكذا عند الفقهاء.

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/١٧٨).

(٥) جامع العلوم والحكم (٢/١٢٠).

(٦) تقدم تخريجه قريبًا.

وجوهم: فأهل البدع والضلالة»^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال البربهاري رحمه الله: «والسنة: سنة رسول الله ﷺ، و(الجماعة) ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان»^(٢).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «ثم من طريقة أهل السنة والجماعة أتباع آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وأتباع وصية رسول الله ﷺ، حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعصوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة». ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي

محمد ﷺ على هدي كل أحد. ولهذا سُموا أهل الكتاب والسنة، وسُموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة»^(٣).

وقال ابن حزم رحمه الله: «وأهل السنة الذين نذكرهم: أهل الحق - ومن عداهم فأهل البدعة - فإنهم الصحابة رضي الله عنهم، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين، رحمهم الله ثم أصحاب الحديث، ومن اتبعهم من الفقهاء جيلًا فجيلًا إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم»^(٤).

✽ المسائل المتعلقة:

قد يطلق لفظ: (أهل السنة) فيُقصد به المعنى العام، وذلك في مقابل الرافضة، فيُراد به ما عدا الرافضة، من المنتسبين للإسلام، وهو اصطلاح العامة.

قال ابن تيمية وهو يتحدث عن الرافضة: «ولهذا كانوا هم المشهورين عند العامة بالمخالفة للسنة، فجمهور العامة لا تعرف ضد السنّي إلا الرافضي، فإذا قال أحدهم: أنا سنّي، فإنما معناه: لست رافضيًا»^(٥).

(٣) العقيدة الواسطية بشرح الهراس (٢٥٥).

(٤) الفضل (٣٧١/١) [دار الكتب العلمية، ط١]، ويظر: تلبس إبليس (٢٦ - ٢٧) [دار الجيل، ١٤٠٨هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (٣/٣٥٦)، وينظر: (٢٨/٤٨٢).

(١) شرح الأصول (٧٩/١) [دار طيبة، ط٤]، وأورده البغوي في معالم التنزيل (٣٣٩/١) [دار المعرفة، ط٤]، وابن كثير تفسيره (٥٨٤/١) [دار الكتب العلمية، ط١]، والسيوطي في الدر المنثور (٣/٧٢١) [دار هجر، ط١]، وعزاه لابن أبي حاتم، واللالكائي، وأبي نصر في الإبانة، والخطيب في تاريخه، كما ذكر هذا الأثر مرفوعًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وعزاه للخطيب والديلمي، وذكره مرفوعًا أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وعزاه لأبي نصر في الإبانة.

(٢) شرح السنة (٩٩ - ١٠٠)، وينظر: (٣٥) [دار المنهاج، ط١].

ويطلق ويراد به: المعنى الخاص، كما هنا؛ أي: السنة المحضة الخالية من البدع والشوائب.

قال ابن تيمية: «لفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من ثبت الصفات لله تعالى، ويقول: إن القرآن غير مخلوق، وإن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة»^(١).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «واعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول. وأما أهل السنة قالوا: الأصل الاتباع، والعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء صلوات الله عليهم، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء»^(٢).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «فكثير من الناس يخبر عن هذه الفرق بحكم الظن والهوى، فيجعل طائفته والمنتسبة إلى متبوعه الموالية له هم أهل السنة والجماعة؛ ويجعل من خالفها أهل البدع، وهذا ضلال مبين، فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر؛ وطاعته في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، فمن جعل شخصاً من الأشخاص غير

❁ مذهب المخالفين:

ولا يخفى أن كثيراً من أتباع الفرق المنتسبة للإسلام يدّعي أن فرقته وطائفته التي ينتسب إليها هم الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، لا سيما الأشاعرة، فإنهم لا يفتئون يرددون ذلك في كثير من كتبهم.

والحق أن كل دعوى لا بدّ لها من بيّنة وبرهان يدل على صحتها، والبيّنة والبرهان والمعيّار الدقيق الذي يستحق به هذا اللقب هو: الاتباع وعدم الابتداع، والتعويل على نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، وجعلهما أصلاً، فمن خالف ذلك فعارض الكتاب والسنة بعقله،

(٢) الانتصار لأصحاب الحديث (٨١ - ٨٢) [دار أضواء

المنار، ط١، ١٤١٧هـ].

(١) منهاج السنة (٢/ ٢٢١).

- ٦ - الموافقات، للشاطبي.
- ٧ - «وسطية أهل السنة بين الفرق»، لمحمد باكريم.
- ❏ **أهل الفترة** ❏
- وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية: أهل الحديث والسنة؛ الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ^(١).
- ومن المهم هنا التأكيد على أن من جعل النقل أصلاً واجتهد في موافقة السنة، - فوافق السلف في كثير من أصولهم - فهو من أهل السنة وإن أخطأ في فهم بعض نصوصها، فلا نخرجه من السنة بمقالة زلّ فيها، أو فهم أخطأ فيه^(٢)، والله تعالى أعلم.

❏ المصادر والمراجع:

- ١ - «شرح السنة»، للبرهاري.
- ٢ - «الانتصار لأصحاب الحديث»، للسمعاني.
- ٣ - «منهاج السنة»، لابن تيمية.
- ٤ - «العقيدة الواسطية»، لابن تيمية، بشرح الهراس.
- ٥ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- (١) مجموع الفتاوى (٣/٣٤٦)، وينظر: مختصر الصواعق (٤/١٥٩٢، ١٥٩٩) [دار أضواء السلف، ط١].
- (٢) ينظر: وسطية أهل السنة (٧٢).
- ❏ **التعريف لغة:** ❏
- قال ابن فارس: «الفاء والتاء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على ضَعْفٍ في الشيء. من ذلك: فُتِرَ الشيءُ يَفْتُرُ فُتُورًا. والظَرْفُ الفاتر: الذي ليس بحديد شَرُزْر...»^(٣)، وَفُتِرَ فلانٌ يَفُتِرُ فُتُورًا؛ إذا سَكَنَ عن حَدِّه ولانَ بعد شدِّته^(٤)، والفترة: الانكسار والضعف^(٥).
- ❏ **التعريف شرعاً:** ❏
- الفترة: ما بين كل رسولين من رسل الله ﷺ من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة^(٦). وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ فِي تعريف الفترة: «وزمان الفترة هو ما بين الرسولين من المدة التي لا وحي فيها»^(٧). وقال الألوسي: «وهي عند جميع المفسرين انقطاع ما بين الرسولين»^(٨)، وأهل الفترة «هم الأمم
- (٣) مقاييس اللغة (٤/٤٧٠) [دار الجبل، ط١].
- (٤) انظر: تهذيب اللغة (٤/٥).
- (٥) انظر: الصحاح (٢/٧٧٧) [دار العلم للملايين، ط٣]، لسان العرب (٥/٤٣) [دار صادر].
- (٦) انظر: الصحاح (٢/٧٧٧)، لسان العرب (٥/٤٤).
- (٧) فتح الباري (المقدمة/١٦٥) [دار الفكر].
- (٨) روح المعاني (٦/١٠٣) [دار إحياء التراث العربي].

ناجياً»^(٣)، ونص بعض الأئمة على دخول أطفال المشركين الجنة دون غيرهم من أهل الفترة؛ كابن حزم، والنووي، والقرطبي، وابن الجوزي، وذكر ابن حجر أنه ترجيح البخاري^(٤).

القول الثاني: أنهم في النار، وهو قول جماعة من المتكلمين، وأهل التفسير، وأحد الوجهين لأصحاب أحمد^(٥). كما هو قول جماعة من أصحاب أبي حنيفة^(٦).

القول الثالث: التوقف في أمرهم، وهو منقول عن الحمادين وابن المبارك وإسحاق بن راهويه، «وليس عن مالك فيه شيء منصوص، إلا أن المتأخرين من أصحابه ذهبوا إلى أن أطفال المسلمين في الجنة، وأطفال الكفار خاصة في المشيئة»^(٧).

القول الرابع: أنهم يمتحنون في

الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول، ولا أدركوا الثاني كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي ﷺ^(١)، ثم صار يطلق عند كثير من العلماء على كل من لم تبلغهم الدعوة، بما فيهم أطفال المشركين^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

أصل معنى الفتور في اللغة الضعف، والفترة في المعنى الشرعي ضعف وجود الرسالة إلى حد الانقطاع، وأهل الفترة من كان في وقتها.

الأسماء الأخرى:

من لم تبلغه الدعوة.

الحكم:

اختلف العلماء في أهل الفترة ومن في حكمهم على أقوال، أشهرها أربعة، وهي:

القول الأول: أن من مات ولم تبلغه الدعوة مات ناجياً، قال السيوطي رحمه الله: «وقد أطبقت أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام والأصول، والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت

(١) إكمال إكمال المعلم للأبي (٣٧٠/١) [دار الكتب العلمية]، وانظر: الحاوي للفتاوي (١٩٨/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٢) انظر: نواقض الإيمان الاعتقادية (٢٢٨/١).

(٣) الحاوي للفتاوي (٢٠٢/٢).

(٤) انظر: الفصل لابن حزم (١٢٧/٤) [دار الجيل، ١٤٠٥هـ]، وشرح صحيح مسلم للنووي (٢٠٨/١٦) [دار الفكر، ١٤٠١هـ]، وفتح الباري (٢٤٦/٣)، وتفسير القرطبي (٣١٧/٧) [دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ]، ومجموع الفتاوى (٣٧٢/٢٤).

(٥) انظر: أحكام أهل الذمة (٦٢٣/٢) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٩٨٣م].

(٦) انظر: الجواب الصحيح (٣١١/١) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ].

(٧) التمهيد لابن عبد البر (١١١/١٨)، (١١٢) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ]، وانظر: فتح الباري (٢٤٦/٣)، وأهل الفترة لموفق شكري (٩٨).

المصرحة بأن أهل الفترة ومن لم تبلغه الدعوة يمتحنون يوم القيامة، ومن أشهرها ما رواه الأسود بن سريع؛ أن النبي ﷺ قال: «أربعة يحتجون يوم القيامة؛ رجل أصم، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في الفترة، فأما الأصم فيقول: ربّ لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: ربّ لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبر، وأما الهرم فيقول: ربي لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: ربّ ما أتاني لك رسول. فيأخذ موثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفسي بيده لو دخلوها كانت عليهم برداً وسلاماً»^(٤). وعن أبي هريرة رضي الله عنه مثل هذا غير أنه قال في آخره: «فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها سحب إليها»^(٥).

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٨/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (رقم ٧٣٥٧) [مؤسسة الرسالة، ط٢] واللفظ له، والطبراني في الكبير (٢٨٧/١) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وصححه عبد الحق الإشبيلي وابن القيم. انظر: طريق الهجرتين (٣٩٧ - ٣٩٨) [دار السلفية، ط٢]، وصححه الألباني أيضاً في السلسلة الصحيحة (٤١٩/٣).

(٥) أخرجه أحمد (٢٣٠/٢٦) واللفظ له، وابن أبي عاصم في السنة (١٧٦/١) [المكتب الإسلامي]، وصححه البيهقي في الاعتقاد (١٦٩) [دار الآفاق الجديدة، ط١]، وابن القيم في أحكام أهل الذمة (٦٥٤/٢)، والسيوطي في الحاوي (٢٠٥/٢)، والألباني في الصحيحة (٤١٩/٣).

عرصات القيامة بنار يأمرهم الله ﷻ بدخولها، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها فقد عصى الله ﷻ فهو من أهل النار، وهذا قول جمهور السلف، حكاه الأشعري عنهم^(١)، وممن قال به محمد بن نصر المروزي، والبيهقي، وابن تيمية وابن القيم، وابن كثير وغيرهم^(٢). وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها^(٣).

الأدلة:

من أهم أدلة القول الرابع نوعان من الأدلة:

الأول: استدلوا بالآيات الدالة على نفي التعذيب قبل بلوغ الحجة، مثل قوله ﷻ: «تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كَلَّمَ اللَّهُ فَوْجًا فَلَمَّ خَزَنَتَهَا أَلَّا يَأْتُواكِ نَذِيرٌ» [الملك: ٨]، وقوله ﷻ: «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» [الإسراء: ١٥] وغيرها من الآيات الدالة على عذر أهل الفترة بأنهم لم يأتهم رسول.

الثاني: استدلوا بعدد من الأحاديث

(١) انظر: الإبانة للأشعري (٢٠، ٧٨) [مطابع جامعة الإمام محمد، ١٤٠٠هـ]، ومجموع الفتاوى (٢٤/٣٧٢ - ٣٧٣)، وأحكام أهل الذمة (٦٤٨/٢ - ٦٤٩).

(٢) انظر: درء التعارض (٨/٤٠١)، وأحكام أهل الذمة (٦٤٨/٢ - ٦٥٠)، والاعتقاد للبيهقي (١١٢) [عالم الكتب، ط١، ١٤٠٣هـ]، وتفسير ابن كثير (٥/٥٧ - ٥٨) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥٨/٥).

المسائل المتعلقة:

المسألة الأولى: أطفال المشركين يدخلون في حكم من مات ولم تبلغه الدعوة:

وهو أنهم يُختبرون في يوم القيامة، كما سبق بيانه في فقرة الحكم. وقد سئل النبي ﷺ عن ذراري المشركين فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»^(١). والصحيح في معناه قول شيخ الإسلام: «يعني: أن الله يعلم ما يعملون لو بلغوا، وقد روي أنهم في القيامة يبعث إليهم رسول، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار»^(٢)، فيظهر ما علمه فيهم من الطاعة والمعصية»^(٣). فالنبي ﷺ لم يخبر بأن الله يعذبهم على علمه فيهم، وإنما أخبر بأنه أعلم بما هم عاملون من الخير أو الشر لو بلغوا، فإذا امتحنوا في الآخرة وعملوا بمعصيته، ظهر معلومه فيهم، فعاقبهم بما هم عاملون، لا بمجرد علمه.

المسألة الثانية: والدا النبي ﷺ:

اختلف العلماء في حكم أبوي الرسول ﷺ في الآخرة^(٤):

القول الأول:

- (١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، برقم ١٣٨٤)، ومسلم (كتاب القدر، برقم ٢٦٥٩).
- (٢) سبق تخريج الأحاديث الدالة على هذا.
- (٣) مجموع الفتاوى (٦٩/٨).
- (٤) انظر: عون المعبود (٣٢٤/١٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ].

روى أنس رضي الله عنه؛ أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «في النار». فلما قفى دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار»^(٥). قال النووي: «فيه: أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تنفعه قرابة المقربين، وفيه: أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذه قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم، وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم»^(٦).

القول الثاني: أنهما في الجنة، وهو قول السيوطي فأثبت لهما الإيمان والنجاة، وصنّف الرسائل العديدة في ذلك منها رسالة «التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله في الجنة».

القول الثالث: التوقف.

والراجح القول الأول وهو أنهما في النار؛ لصراحة الحديث في ذلك. وكل ما ورد بإحياء والديه ﷺ وإيمانهما، ونجاتهما، أكثره موضوع مكذوب مفترى، وبعضه ضعيف جداً لا يصح بحال؛ لاتفاق أئمة الحديث على وضعه. قال في عون المعبود: «العلامة السيوطي متساهل جداً، لا عبرة بكلامه

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠٣).

(٦) شرح النووي على مسلم (٧٩/٣).

في هذا الباب، ما لم يوافقه كلام الأئمة
النقاد»^(١).

❏ أهل بدر ❏

يراجع مصطلح (الصحابه).

❏ المصادر والمراجع:

١ - «أحكام أهل الذمة» (ج ٢)،
لابن القيم.

٢ - «أهل الفترة ومن في حكمهم»،
لموفق شكري.

٣ - «الآيات والأحاديث والآثار
الواردة في أهل الفترة ومن في
حكمهم»، لمروان أحمد حمدان،
[رسالة ماجستير].

٤ - «التمهيد» (ج ١٨)، لابن عبد البر.

٥ - «درء التعارض» (ج ٨)،
لابن تيمية.

٦ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

٧ - «نواقض الإيمان الاعتقادية
وضوابط التكفير عند السلف»، لمحمد
الوهيبي.

❏ أهل الوعد ❏

يراجع مصطلح (الوعد والوعيد).

❏ أهل الوعيد ❏

يراجع مصطلح (الوعد والوعيد).

❏ أهل بيعة الرضوان ❏

يراجع مصطلح (الصحابه).

❏ أهل بيعة العقبة ❏

يراجع مصطلح (الصحابه).

❏ أهوال القيامة ❏

❏ التعريف لغة:

الأهوال: جَمْعُ هَوٍ، وهو الخَوْفُ
والأمرُ الشَّدِيدُ، وقد هَالَهُ يَهْوُلُهُ فهو
هَائِلٌ ومَهْوُولٌ، ومنه حديث أبي ذَرٍّ رضي الله عنه:
«لا أَهْوَلُنَا»؛ أي: لا أَخِيفُكَ فلا تَخَفْ
مِنِّي، ومنه حديث الوَحْيي: «فَهَلْتُ»؛
أي: خِفْتُ وَرَعَبْتُ^(٢). وفي تهذيب
اللغة: «الهَوْلُ: المخافة من الأمر لا
تدري على ما تَهْجُمُ عليه منه، كَهَوْلِ
الليل، وهَوْلِ البحر»^(٣).

❏ التعريف اصطلاحًا:

أهوال القيامة: الأمور الشديدة العظام

(٢) انظر: لسان العرب (١١/٧١١) [دار صادر، ط ٣]،
والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥/٦٦١) [دار
الفكر].

(٣) تهذيب اللغة (٦/٢١٩) [دار إحياء التراث العربي،
ط ١، ٢٠٠١م].

الآخر الغيبية، التي تقع بعد البعث وقبل دخول الجنة لمستحقها.

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [١٩] ﴿[الصفات]، قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أي: إنما هو أمر واحد من الله تَعَالَى، يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الأرض، فإذا هم قيام بين يديه ينظرون إلى أهوال يوم القيامة» (٢).

وقال سبحانه: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذْ كَانُوا عَلَىٰ رِجِّكَ خَمَتًا مَّقْضِيًّا﴾ [٦١] ﴿[مریم].

وقال سبحانه: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذْ أَلْقَوْا لَدَىٰ الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ﴾ [غافر].

وقال تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [٢٢] ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [٢٣] ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [٢٤] ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّ وَتُزَلُّ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [٢٥] ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَىٰ الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [٢٦] ﴿[الفرقان].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى العين، فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ أَشْقَتْ﴾» (٣).

التي تقع بعد البعث من الحساب والميزان والمرور على الصراط وغيرها، وبعدها دخول الجنة أو النار.

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

إن المعنى الاصطلاحي أخص من اللغوي، فهو المخافة من أمور عظام جاء ذكرها في نصوص الكتاب والسنة.

❁ سبب التسمية:

موافقة لحقيقة ما يجري في ذلك اليوم من الأمور الشديدة الهائلة المخيفة.

❁ الأسماء الأخرى:

ذهب بعض أهل العلم إلى أن أهوال القيامة هي الفزع الأكبر المذكور في قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، قال ابن جزي: «﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ أهوال القيامة على الجملة، وقيل: ذبح الموت، وقيل: النفخة الأولى في الصور» (١).

❁ الحكم:

الاعتقاد الجازم بحصولها كما أخبر الوحي، والتصديق بكل ما ورد بشأنها من صحيح الأخبار.

❁ المنزلة:

أهوال القيامة أحد مفردات اليوم

(٢) تفسير ابن كثير (٨/٧) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].
(٣) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣٣٣)، =

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٣٠) [نسخة إلكترونية، المكتبة الشاملة].

وقال النبي ﷺ: «إن الله يمسك

السموات يوم القيامة على أصبع، والأرضين على أصبع، والجبال والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الله»^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللهُ: «ويؤمن أهل الدين والسُّنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبكل ما أخبر الله سبحانه ورسوله ﷺ من أهوال ذلك اليوم الحق»^(٢).

وقال الأشقر رَحِمَهُ اللهُ: «ومن أعظم تلك الأهوال: ذلك الدمار الكوني الشامل الرهيب الذي يصيب الأرض وجبالها، والسماء ونجومها وشمسها وقمرها.

يحدثنا ربنا: أن الأرض تزلزل وتدكُّ، وأن الجبال تُسَيَّر وتنسف، والبحار تُفَجَّر وتُسَجَّر، والسماء تتشقق وتمور، والشمس تُكْوَر وتذهب، والقمر يخسف، والنجوم تنكدر ويذهب ضوءها

= وأحمد (٤٢٣/٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، والحاكم (كتاب الأهوال، رقم ٨٧١٩) وصححه، ووافقه الذهبي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٨١).

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥١٣)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٦).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٧٥) [الدار السلفية، ١٤٠٤هـ].

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تعدد أهوال القيامة: أهوال القيامة كثيرة ومتنوعة، منها ما يتعلق بالدمار الكوني الشامل الذي سيشهده الناس بعد البعث، وقد صوّرته سورة التكوير، والانفطار، والانشقاق، كما دلَّ عليه حديث ابن عمر المتقدم.

ومن مفردات أهوال ذلك اليوم:

كون الأرض بجميع أجزائها قبضة الرب تعالى والسموات السبع مطويات يمينه، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينَهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر].

وقال ﷺ: «يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء يمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟»^(٤).

وفي تفصيل لما يجري في ذلك اليوم، قال عبد الله بن مسعود رَحِمَهُ اللهُ: جاء خبر من اليهود إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على أصبع، والأرضين على أصبع، والجبال والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق

(٣) الفياضة الكبرى (٥٦) [مكتبة الفلاح، ط ١، ١٤٠٧هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٨١٢).

ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٧).

العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً». قال: وأشار رسول الله بيده إلى فيه (٢).

وكون الناس في ذهول شديد لما يرون الأهوال، جاء في قوله تعالى مخبراً عما يستقبل الناس من أهوال القيامة: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾ [الحج].

وكون المجرمين يؤخذون بالنواصي والأقدام جاء في قوله سبحانه: ﴿يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١)﴾ [الرحمن].

وقال تعالى حكاية لقليل الكفار عند رؤية الأهوال: ﴿وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠)﴾ [الصافات].

قال ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى عن قيل الكفار يوم القيامة: أنهم يرجعون على أنفسهم بالملامة، ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا،

على أصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الله. فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال الخبر تصديقاً له، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٧)﴾ [الزمر] (١).

وكون الأرض والجبال تدك، كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٢) وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥)﴾ [الحاقة]، وقال ﷺ: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (١٦)﴾ [الفجر]، وقال ﷺ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَغِيًّا مَهِيلاً (١٧)﴾ [المزمل]، وقال ﷺ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٦) لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٧)﴾ [طه].

وكون الشمس تدنو من رؤوس الخلق، كما قال ﷺ: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل». - قال سليم بن عامر [أحد رواة هذا الحديث]: فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين - قال: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٤).

(١) تقدم تخريجه قريباً.

قال الرازي: «يَبَيِّنُ تعالى أن من اتبع هداه بحقه علماً وعملاً، بالإقدام على ما يلزم والإحجام عما يحرم، فإنه يصير إلى حال لا خوف فيها ولا حزن... وجمع قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٩) جميع ما أعد الله تعالى لأوليائه؛ لأن زوال الخوف يتضمن السلامة من جميع الآفات، وزوال الحزن يقتضي الوصول إلى كل اللذات والمرادات.

وقدّم عدم الخوف على عدم الحزن؛ لأن زوال ما لا ينبغي مقدم على طلب ما ينبغي، وهذا يدل على أن المكلف الذي أطاع الله تعالى لا يلحقه خوف في القبر، ولا عند البعث، ولا عند حضور الموقف، ولا عند تطاير الكتب، ولا عند نصب الموازين، ولا عند الصراط، كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] (٣).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (٨٥) وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا (٨٦) [مریم].

قال الألوسي: «استدل بالآية على أن أهوال القيامة تختص بالمجرمين؛ لأن المتقين من الابتداء يحشرون مكرمين، فكيف ينالهم بعد ذلك شدة» (٤).

وفي الحديث القدسي قال الله ﷻ:

فإذا عاينوا أهوال القيامة نَدِمُوا كُلَّ النَّدَمِ حيث لا ينفعهم الندم، ﴿وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾ (٦٠)، فتقول لهم الملائكة والمؤمنون: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٦١)، وهذا يقال لهم على وجه التقرير والتوبيخ...» (١).

- المسألة الثانية: خوف الكافرين عند البعث ومشاهدة الأهوال:

قال تعالى يصف حال الكافرين عند مبعثهم من قبورهم، ورؤيتهم لأهوال القيامة العظام: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِفَةُ﴾ (٦) تَبْعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ (٩) [النازعات]، قال ابن الجوزي مفسراً: «﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (٨)؛ أي: شديدة الاضطراب لما عاينت من أهوال القيامة، ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ (٩)؛ أي: ذليلة لمعاينة النار. قال عطاء رَحِمَهُ اللهُ: وهذه أبصار من لم يمت على الإسلام، ويدل على هذا أنه ذَكَرَ منكري البعث فقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنْأَنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ (١٠) [النازعات]» (٢).

- المسألة الثالثة: المؤمنون المطيعون لا يلحقهم خوف أو حزن عند أهوال القيامة:

لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٨) [البقرة].

(١) تفسير ابن كثير (١٠/٧).

(٢) زاد المسير (١١٨/٦) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٣) تفسير الرازي (٤٧٢/٣) [دار الفكر، ط ٣].

(٤) روح المعاني (٤٥٢/٨) [دار إحياء التراث، ط ٤].

«وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين، إذا خافني في الدنيا أمنت يوم القيامة، وإذا أمني في الدنيا أخفته في الآخرة»^(١).

وقد صحت الأخبار بدخول طائفة من هذه الأمة الجنة كذلك؛ لقوله ﷺ: «عرضت عليَّ الأمم، يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي ليس معه أحد، والنبي معه الرهط، فرأيت سوادًا كثيرًا فرجوت أن يكون أمتي، فقليل: هذا موسى وقومه، ثم قيل: انظر، فرأيت سوادًا كثيرًا، فقليل: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب»^(٢).

وسياتي ما يفيد أن هناك أسبابًا للأمن من أهوال القيامة، مما يفيد أن أهوال القيامة خاصة بالكفار وبعض المقصرين دون المتقين المطيعين.

- المسألة الرابعة: أسباب الأمن من أهوال القيامة:

١ - الخوف من الله تعالى في الدنيا المقتضي للإيمان والطاعة والرغبة والرهبة:

جاء في شأن الأبرار - يعني: المؤمنين الصادقين في إيمانهم المطيعين لربهم -: أنهم ﴿يُؤْتُونَ بِالَّذِرِّ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ [الإنسان]، وأن عملهم هذا كان طلبًا لرضا الرب تعالى، وخوفًا من يوم القيامة، قال تعالى حكاية لقولهم: ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرُوحِ اللَّهِ لَا نَرْبُدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿١٠﴾ [الإنسان]، وكانت الثمرة كما قال تعالى: ﴿فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ [الإنسان]، قال أهل التفسير: «قوله: ﴿فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾؛ أي: دفع عنهم بأس ذلك اليوم وشدته وعذابه...، فإن الله تعالى لما حكى عنهم أنهم أتوا بالطاعات لغرضين؛ لأجل رضا الله تعالى، والخوف من القيامة، بيّن هنا أنه أعطاهم هذين الغرضين: وهو أنه حفظهم من أهوال القيامة، وهو قوله جلّ ثنائه: ﴿فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾، وأما طلبهم رضا الله فأعطاهم الله بسببه نضرة في الوجه؛ أي: حسنًا، حين رأوه، وسرورًا في القلب»^(٣).

أخرجه البزار في المسند (٣٤٢/١٤) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، وابن حبان في صحيحه (كتاب الرقائق، رقم ٦٤٠)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٧٤٢) [مكتبة المعارف، ط ١].

أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٥٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٢٠).

(١) أخرجه البزار في المسند (٣٤٢/١٤) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، وابن حبان في صحيحه (كتاب الرقائق، رقم ٦٤٠)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٧٤٢) [مكتبة المعارف، ط ١].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٥٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٢٠).

(٣) تفسير اللباب لابن عادل (٢٧/٢٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ].

مريضاً، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازياً، أو دخل على إمام يريد تعزيره وتوقيره، أو قعد في بيته فسلم الناس منه وسلم من الناس»^(٤).

قال المناوي: «معنى أنه ضامن على الله: أن ينجيه من أهوال القيامة»^(٥).

٤ - ما يصيب المؤمن في الدنيا من المحن والبلايا:

لقوله ﷺ: «لا تخيرونني من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور»^(٦).

قال ابن بطال: «قال المهلب: وقوله ﷺ: «أم جوزي بصعقة الطور» فيه دليل أن المحن في الدنيا، والهموم، والآلام يرجى أن يخفف الله بها يوم القيامة كثيراً من أهوال القيامة، وأما كفارة الذنوب بها فمنصوص عليه من النبي ﷺ

وجاء في «التفسير المنير»: «أنه سبحانه وصفهم بالخوف من أهوال القيامة في موضعين: في قوله المتقدم: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾^(٧) وقوله هنا: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُيُوبًا فَكُنْ لَهُمْ رَحِيمًا رَحِيمًا﴾^(٨) ثم أوضح الله تعالى أنه حقق للأبرار الهدفين، وذكر ما سيجزيهم على أعمالهم وإخلاصهم...»^(٩).

٢ - الإيمان بالله تعالى والجهد في سبيله:

قال ﷺ: «انتدب الله لمن يخرج في سبيله، لا يخرج به إلا الإيمان بي والجهد في سبيلي، أنه ضامن حتى أدخله الجنة بأيهما كان، إما بقتل، وإما وفاة، أو أن يرده إلى مسكنه الذي خرج منه ينال ما نال من أجر أو غنيمة»^(١٠).

ومعنى ضامن على الله: أي: «في ضمان الله وحمايته والمعنى: أنه ينجيه من أهوال القيامة ويدخله الجنة»^(١١).

٣ - عيادة المريض، والخروج مع الجنازة، والغزو، وتوقير الإمام، وكف الأذى:

لقوله ﷺ: «خمس من فعل واحدة منهن كان ضامناً على الله ﷻ: من عاد

(١) التفسير المنير (٢٩/٢٨٨ - ٢٩٠) [دار الفكر المعاصر].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٣٦) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٧٦).

(٣) الأربعين للنسوي [دار البشائر الإسلامية، ط١].

(٤) أخرجه أحمد (٤١٢/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن أبي عاصم في السنّة (٢/٤٩٠، ٤٩١) [المكتب الإسلامي، ط١]، وابن خزيمة في صحيحه (كتاب الإمامة في الصلاة، رقم ١٤٩٥)، والطبراني في الكبير (٣٧/٢٠) [مكتبة العلوم والحكم، ط٢]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٤٢) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٥) التيسير بشرح الجامع الصغير (١٠٩/٢) [مكتبة الإمام الشافعي، ط٣، ١٤٠٨هـ].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٦٣٨)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٤).

بقوله: «حتى الشوكة يشاكها»^(١)»^(٢).

- المسألة الخامسة: أهوال القيامة من محصيات المقصرين.

قال ابن تيمية رحمته الله: «الذنوب لا توجب دخول النار مطلقاً إلا إذا انتفت الأسباب المانعة من ذلك وهي عشرة: منها: التوبة، ومنها: الاستغفار، ومنها: الحسنات الماحية، ومنها: المصائب المكفرة، ومنها: شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها: شفاعة غيره، ومنها: دعاء المؤمنين، ومنها: ما يهدى للميت من الثواب والصدقة والعتق، ومنها: فتنة القبر، ومنها: أهوال القيامة»^(٣).

وقد ذكر ابن القيم رحمته الله أن من لم يحصه البرزخ وما يجري فيه، فإنه «يمحس بين يدي ربه في الموقف بأربعة أشياء: أهوال القيامة، وشدة الموقف، وشفاعة الشفعاء، وعفو الله عز وجل».

فإن لم تف هذه الثلاثة بتمحيصه فلا بد له من دخول الكير رحمة في حقه؛ ليتخلص ويتمحص ويتطهر في النار، فتكون النار طهرة له وتمحيصاً لخبثه، ويكون مكثه فيها على حسب كثرة الخبث وقلته وشدته وضعفه وتراكمه، فإذا خرج خبثه وصفى ذهبه وصار

خالصاً طيباً أخرج من النار وأدخل الجنة»^(٤).

- المسألة السادسة: وقت أهوال القيامة:

الذي يظهر أن أهوال القيامة تقع بعد بعث الناس من قبورهم ثم تتابع، وهي قبل استقرار أهل الدارين فيما أعد الله لهم.

جاء في تفسير الزلزلة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج] خلاف بين أهل العلم، قال الشنقيطي: «اختلف العلماء في وقت هذه الزلزلة المذكورة هنا، هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عرصات القيامة؟ أو هي عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من القبور؟ فقالت جماعة من أهل العلم: هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا وأول أحوال الساعة، وممن قال بهذا القول: علقمة، والشعبي، وإبراهيم وعبيد بن عمير، وابن جريج وهذا القول من حيث المعنى له وجه من النظر، ولكنه لم يثبت ما يؤيده من النقل؛ بل الثابت من النقل يؤيد خلافه، وهو القول الآخر... وأما حجة أهل القول الآخر القائلين: بأن الزلزلة المذكورة كائنة يوم القيامة بعد البعث من القبور، فهي ما ثبت في

(١) أخرجه البخاري (كتاب المرضى، رقم ٥٦٤٠)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٧٢).

(٢) شرح البخاري (٥٣/١٢) [مكتبة الرشد، ط ٢].

(٣) مجموع الفتاوى (٤٣٢/٤) [دار عالم الكتب].

(٤) مدارج السالكين (١٤٣/١) [دار الكتاب العربي، ط ٢].

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر]. قال أهل التفسير: «أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ»، قيل: هو عذاب النار، وقيل: أهوال القيامة، وقيل: هموم الدنيا، والصواب العموم في ذلك كله^(٤).

وقال السمعاني: «الأولى أن يحمل على جميع الأحزان، فهم ينجون عن كلها، ومن المعروف أن الحزن: هو حزن أهوال القيامة»^(٥).

- المسألة الثامنة: هول أهوال القيامة وما جرى للرسل ﷺ سبب شيب النبي ﷺ؟ لقوله ﷺ: «شيبتني هود وأخواتها»^(٦)، وفي رواية: «شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت»^(٧).

قال المناوي في المعنى: «شيبتني هود وما أشبهها مما فيه من أهوال القيامة وشدائدها، وأحوال الأنبياء وما جرى لهم»^(٨).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (١٦٤١).

(٥) تفسير القرآن (٣٦٠/٤) [دار الوطن، ط ١٤١٨هـ].

(٦) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٨٤/٢) [دار المأمون، ط ١]، والطبراني في المعجم الكبير (١٢٣/٢٢) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وسيأتي الحكم عليه قريباً.

(٧) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٢٩٧) وحسنه، وابن أبي شيبه في مصنفه (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٠٨٩٧) [دار القبلة، ط ١]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٣١٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٥٥).

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل (١٦٤١).

«الصحيح» عن النبي ﷺ من تصريحه بذلك، وبذلك تعلم أن هذا القول هو الصواب كما لا يخفى^(١).

وساق لذلك عدة أحاديث منها: قول رسول الله ﷺ: «يقول الله: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار! قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد...»^(٢).

ودلالة الحديث على المقصود ظاهرة. وقد تقدم أن أهوال القيامة كثيرة غير ما يتعلق بالدمار الكوني الشامل، وكلها تقع فيما قبل استقرار أهل الدارين، قال الخلوتي: «الفرع الأكبر، وسائر أهوال القيامة إنما يقع قبل دخول الجنة»^(٣).

وأما مكان الأهوال فعرصات القيامة التي يكون معظمها في أرض المحشر والعلم عند الله.

- المسألة السابعة: حمد المؤمنين ربهم عند دخولهم الجنة لما أذهب عنهم الحزن، ومنه أهوال القيامة:

قال تعالى حكاية لقول أهل الجنة:

(١) أضواء البيان (٢٥٧/٤) فما بعد [دار الفكر].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٢٢).

(٣) روح البيان (٨١/٨) [دار إحياء التراث العربي].

☆ الضروق:

☆ الآثار:

الفرق بين أهوال القيامة الصغرى
وأهوال القيامة الكبرى:

أن القيامة الكبرى تكون يوم الحشر،
والقيامة الصغرى حالة الموت، وفي هذه
القيامة يكون الإنسان وحده، وأما في
القيامة الكبرى الجامعة لأصناف الخلائق
فلا يكون وحده.

وأهوال القيامة الصغرى تحاكي
وتماثل أهوال القيامة الكبرى، إلا أن
أهوال الصغرى تخصك وحدك، وأهوال
الكبرى تعم الخلائق أجمعين. وأهوال
القيامة الكبرى أعظم بكثير من أهوال
القيامة الصغرى وهذه الأمثلة لأهوال
تلك، فإذا قامت عليك هذه بموتك فقد
جرى عليك ما كأنه جرى على كل
الخلائق، فهي أنموذج للقيامة الكبرى.
ونسبة القيامة الصغرى إلى القيامة الكبرى
كنسبة الولادة الصغرى وهي: الخروج
من الصلب والترائب إلى فضاء الرحم
إلى الولادة الكبرى: وهي الخروج من
الرحم إلى فضاء الدنيا، ونسبة سعة عالم
الآخرة الذي يقدم عليه العبد بالموت إلى
فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا إلى
الرحم؛ بل أوسع وأعظم بما لا
يحصى (١).

من أعظم ثمرات العلم بأهوال
القيامة: الزجر عن المعاصي، والترغيب
في الطاعات، والاستعداد للقاء الله (٢)،
والصبر على طاعة الله وعدم الاغترار
بالدنيا، وعدم الحزن على ما فات منها،
فإنها إلى زوال ونهاية، والتشمير للجهد
لما يكون بعد الموت.

☆ الحكمة:

ذكر الله تعالى أهوال القيامة وفي ذلك
الكثير من الحكم، ولعل من أبرزها:

١ - امتحان الخلائق في الإيمان
بالغيب.

٢ - إظهار عظمة الرب تعالى للخلائق
يوم أن تكون الأرض قبضته والسموات
مطويات بيمينه.

٣ - إظهار عدل الله تعالى في عدم
التسوية بين المؤمنين والكافرين في
مواقف القيامة.

٤ - إظهار حسرة الكافرين وندمهم في
وقت لا ينفع في التحسر والندم.

٥ - إظهار فضل المؤمنين الطائعين،
وتحقيق وعد الله تعالى بوقايتهم شر ذلك
اليوم وأهواله.

٦ - تمحيص من لم يكفه التمحيص
في برزخه من المؤمنين قبل بعثه.

(١) انظر: دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات
الفنون) (٧٨/٣) [دار الكتب العلمية، ط ١]،
والكشكول (١٠٠/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٢) انظر: الأنوار الساطعات لآيات جامعات (٣/٢٩٠).

❁ مذهب المخالفين:

ذهب طائفة من المتكلمين: إن أهوال القيامة كما تصل إلى الكفار والفساق تصل إلى المؤمنين، مستدلين بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢]، فإذا انكشفت تلك الأهوال، وصاروا إلى الجنة والرضوان صار ما تقدم كأن لم يكن؛ بل ربما كان زائداً في الالتذاذ بما يجده من النعيم.

وأجيبوا: بأن هذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] أخص من قوله: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢]، والخاص مقدم على العام.

فإن قيل: هذا يقتضي نفْي الخوف والحزن مطلقاً في الدنيا والآخرة، وليس الأمر كذلك؛ لأنهما حصلا في الدنيا للمؤمنين أكثر من حصولهما لغير المؤمنين، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

وأيضاً فالمؤمن لا يمكنه القطع بأنه أتى بالعبادات كما ينبغي، فخوف التقصير حاصل، وأيضا فخوف سوء العاقبة حاصل.

قلنا: قَرَأْنُ الكلام تدلّ على أن المراد نفيهما في الآخرة لا في الدنيا؛ ولذلك حكى الله عنهم أنهم قالوا حين

دخلوا الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، لما وعد الله من اتبع الهدى بالأمن من العذاب والحزن عقبه بذكر كمن أعد له العذاب مثال الذين كفروا^(١).

وأيضا قد تقدم ما يدل على استثناء المطيعين من خوف أهوال القيامة، وأن هناك أسباباً للنجاة منها.

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «أضواء البيان»، للشنقيطي.
- ٢ - «تفسير ابن كثير».
- ٣ - «التسهيل»، لابن جزي.
- ٤ - «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، للصابوني.
- ٥ - «القيامة الكبرى»، للأشقر.
- ٦ - «الأنوار الساطعات لآيات جامعات»، للسلمان.
- ٧ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.
- ٨ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

❁ الأوثان

❁ التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمه الله: «الواو والشاء والنون كلمة واحدة؛ هي: الوثن واحد الأوثان: حجارة كانت تعبد وأصلها استوثن الشيء: قوي، وأوثن فلان

(١) انظر: تفسير اللباب (٤٦٣/١) [دار الكتب العلمية].

الحمل: كثره، وأوثنت له: أعطيته جزيلًا^(١).

اتخاذ الأوثان أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر، وأظلم الظلم، وأعظم المحادة لله تعالى ولرسوله ﷺ، فهي أساس الشرك الأكبر وقاعدته، وأصله ومنبعه، وما بعث الله تعالى رسله، وأنزل كتبه إلا للقضاء على الأوثان، وهدمها وتخليص الناس من العبودية لها، وتطهير قلوبهم من رجس الأوثان وأقدارها^(٤).

الحقيقة:

حقيقة اتخاذ الأوثان أن تقصد بنوع من أنواع العبادة، من دون الله تعالى، أيًا كانت، حجرًا، أو قبرًا، أو شجرًا، أو نبيًا، أو رجلًا صالحًا أو طالحًا، رضوا بذلك أم لم يرضوا بذلك، وأصل عبادة الأوثان كان من باب التعظيم لأهل الصلاح، وللبقع المباركة.

قال ابن السائب الكلبي رَحِمَهُ اللهُ - عن السبب الذي حمل بعض العرب على الشرك -: «كان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان، والحجارة: أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرًا من حجارة الحرم؛ تعظيمًا للحرم، وصباية بمكة، فحيثما حلوا وضعوه، وطافوا به كطوافهم بالكعبة، تيمُّنًا منهم بها، وصباية بالحرم وحبًا بها، ... ثم سلخ ذلك بهم إلى أن

(٤) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٤٥/٥).

والوثن والوثن: المقيم الراكد الثابت الدائم، والوثن الصنم ما كان، وقيل: الصنم الصغير وقد يطلق الوثن على غير الصورة، الجمع: أوثان ووثن ووثن وأثن، وأصل الأوثان عند العرب: كل تمثال من خشب، أو حجارة، أو ذهب، أو فضة، أو نحاس، أو نحوها، وكانت العرب تنصبها وتعبدوها^(٢).

التعريف شرعًا:

الوثن: اسم جامع لكل ما عُبدَ من دون الله، لا فرق بين الأشجار، والأحجار، والأبنية، ولا بين الأنبياء، والصالحين، والطالحين، رضوا بذلك أم لم يرضوا^(٣).

الأسماء الأخرى:

الأمثال، الأصنام، الأنصاب، الأنداد.

(١) مقاييس اللغة (٨٥/٦) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: لسان العرب (٢١٣/١٥ - ٢١٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣]، وترتيب القاموس المحيط (٥٧٤/٤) [دار عالم الكتب، ط ٤، ١٤١٧هـ].

(٣) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٤٥/٥) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ]، وفتح المجيد (١٠١، ٢٩٥) [دار ابن الأثير، ط ١٥]، والقول السديد في مقاصد التوحيد لابن سعدي، ضمن المجموعة الكاملة (٢٩/٣) [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط ٢]، والقول المفيد على كتاب التوحيد (١١٦/١، ٤٥٥) [دار ابن الجوزي، ط ٣].

كان فيها عيد من أعيادهم؟» قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ: «أوف بنذرِك؛ فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»^(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٤).

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: «يا عدي اطرح عنك هذا الوثن»^(٥).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الإيمان والنذور، رقم ٣٣١٣)، والطبراني في الكبير (٧٥/٢) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٥١٨/٩) [دار الهجرة، ط ١]، وابن حجر في البلوغ (١٨٥/٢) [دار أطلس، ط ٣]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٧٢).
وجملة: «وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك»: رواها البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠٤٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١١٠).

(٤) أخرجه البزار في مسنده، كما في كشف الأستار (٢٢٠/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، ومن طريقه ابن عبد البر في التمهيد (٤٣/٥) [وزارة الأوقاف المغربية]، وقال الهيثمي: «فيه عمر بن صهبان، وقد اجتمعوا على ضعفه». مجمع الزوائد (٢٨/٢) [مكتبة القدسي].

وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه أحمد (٣١٤/١٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال الهيثمي: «فيه إسحاق بن أبي إسرائيل، وفيه كلام لوقفه في القرآن، وبقية رجاله ثقات». مجمع الزوائد (٢/٤) [مكتبة القدسي]، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (٢١٧) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٩٥)، والطبراني في الكبير (٩٢/١٧) [مكتبة ابن تيمية، =

عبدوا ما استحبوا، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل وغيره، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم»^(١).

الأدلة:

قال ﷺ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(٢) [الحج]، وقال: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقال: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه في قصة إسلامه؛ «أنه قال لرسول الله ﷺ: ما أنت؟ قال: أنا نبي، فقلت: وما نبي؟ قال: أرسلني الله، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء»^(٣).

وعن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانة فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة. فقال النبي ﷺ: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» قالوا: لا. قال: «هل

(١) كتاب الأصنام (٦) [دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط ٣].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨٣٢).

✽ أقوال أهل العلم:

جعلت تلك الصور أجسادًا لها ظل، ثم جعلت أصنامًا وعبدت مع الله»^(٣).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «فمن دعا غير الله، أو عبده، فقد اتخذه وثناً، وخرج بذلك عن الدين، ولم ينفعه انتسابه إلى الإسلام، فكم انتسب إلى الإسلام من مشرك، وملحد، وكافر، ومنافق، والعبرة بروح الدين وحقيقته، لا بمجرد الأسماء، والألفاظ التي لا حقيقة لها»^(٤).

✽ الأقسام:

اتخاذ الأوثان من الأحجار، والقبور، والتمثيل، ونحوها بحسب الحكم أقسام^(٥):

أولاً: أن يتخذها أمكنة للعبادة، والتقرب فيها إلى الله بأنواع من القربات؛ كالصلاة عندها، أو الذبح، ونحوه، فهذا من أعظم وسائل الشرك الأكبر، ومن أكبر ذرائعه، ويدل على ذلك عن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانة فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة. فقال النبي ﷺ: «هل كان فيها وثن من أوثان

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه، وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله، الذين صلُّوا إلى قبور أنبيائهم، واتخذوها قبلة ومسجداً، كما صنعت الوثنية بالأوثان، التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها، وذلك الشرك الأكبر، فكان النبي ﷺ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه، وأنه مما لا يرضاه خشية عليهم امتثال طريقهم»^(١).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «ولا ريب أن الأوثان يحصل عندها من الشياطين، وخطابهم، وتصرفهم، ما هو من أسباب ضلال بني آدم، وجعل القبور أوثاناً هو أول الشرك»^(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ومن أعظم مكايده - أي: الشيطان - التي كاد بها أكثر الناس، وما نجا إلا من لم يرد الله فتنته: ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه وأوليائه، من الفتنة بالقبور حتى آل الأمر فيها، إلى أن عبَدَ أربابها من دون الله، وعبدت قبورهم، واتخذت أوثاناً وبنيت عليها الهياكل وصورت صور أربابها، ثم

(٣) إغاثة اللهفان (١/٣٤٦) [دار ابن الجوزي].

(٤) القول السديد في مقاصد التوحيد (١/٢٩).

(٥) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد (٣/٢٧)،

وحاشية كتاب التوحيد للقسام (١٥٣) [ط ٥،

١٤٢٤هـ].

= ط ٢، وحسنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧/

٦٧)، والألباني في أحكامه على جامع الترمذي.

(١) التمهيد (٥/٤٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١/١٦٨) [مجمع الملك فهد

لطباعة المصحف، ط ١٤٢٥هـ].

ثانيًا: أن يتخذها معبودات من دون الله تعالى، يتقرب إليها بالذبح، والنذر، والطواف، ونحوه فهذا شرك أكبر، مخرج من الملة، وهذا ظاهر لا خفاء فيه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧].

قال الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رَحِمَهُ اللهُ: «والمقصود: أنه إذا كانت عبادة الله عند القبور منهيًا عنها، ومغلظًا فيها، فكيف بعبادة صاحب القبر، فإن ذلك شرك أكبر»^(٥).

❁ الفرق:

الفرق بين الوثن والصنم:

اختلف أهل العلم في الفرق بينهما على ثلاثة أقوال^(٦):

أحدهما: أنه ليس بينهما فرقًا، فالصنم هو الوثن، والوثن هو الصنم، ويدل على ذلك قوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، وإنما كانوا يعبدون الأصنام، فدلَّ على إطلاق الوثن على الصنم، وهذا ظاهر قول قتادة بن دعامة السدوسي رَحِمَهُ اللهُ؛ حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

الجاهلية يعبدون؟﴾ قالوا: لا. قال: «هل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ: «أوف بنذرِك؛ فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»^(١).

وقد تواترت الأحاديث الصحيحة في المنع من اتخاذ القبور مساجد؛ لما تفضي إليها من الشرك بها، وعبادتها من دون الله تعالى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فمن أعظم المحدثات، وأسباب الشرك: الصلاة عندها، واتخاذها مساجد، أو بناء المساجد عليها، فقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهاي عن ذلك، والتغليظ فيه»^(٢).

وقال ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده»^(٣). قال الشارح عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ: «أي: الرجل الصالح؛ فإن عبادته هي الشرك الأكبر، وعبادة الله عنده وسيلة إلى عبادته، ووسائل الشرك محرمة؛ لأنها تؤدي إلى الشرك الأكبر، وهو أعظم الذنوب»^(٤).

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٣٥٠).

(٣) كتاب التوحيد ضمن تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٦٦) [دار الصميعي، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٤) فتح المجيد (٢٥٥) [دار ابن الأثير، ط ١، ١٤٣٤هـ].

(٥) حاشية كتاب التوحيد (١٥٣).

(٦) انظر: تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٤٥ - ٢٤٦،

٥٩٩)، وفتح المجيد (١٠١).

أَوْثَانًا: «أَصْنَامًا»^(١)، وقد ورد عنه تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّهِنَّ أَصْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] مرة بالأصنام، ومرة بالأوثان^(٢)، مما يدل على أنه لا يرى فرقًا بينهما.

الثالث: أن بينهما عمومًا وخصوصًا؛ فالوثن أعم من الصنم، فالوثن كل ما عُبدَ من دون الله سواء كان مصورًا، أو غير مصور، وأما الصنم فما كان على أي صورة، بشرية، أو غير بشرية.

قال ابن عبد البر رحمته الله: «الوثن: الصنم، وهو الصورة من ذهب كان، أو من فضة، أو غير ذلك من التمثال، وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن، صنمًا كان أو غير صنم»^(٦).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمته الله: «يقال: إن الوثن أعم، وهو قوي؛ فالأصنام أوثان، كما أن القبور أوثان»^(٧).

الآثار:

لقد نتج عن اتخاذ الأوثان قديمًا وحديثًا آثار سلبية، ومفاسد كثيرة، منها: أن الوقوع في ذلك يوجب صرف العبادة عن مستحقها ﷻ، ويوقع صاحبه

ولم يصحح هذا القول بعض أهل العلم إلا مع التقييد: منهم الشيخ سليمان بن عبد الله؛ حيث قال: «وقيل: الوثن هو الصنم، والصنم هو الوثن، وهذا غير صحيح إلا مع التجريد؛ فأحدهما قد يعنى به الآخر، وأما مع الاقتران فيفسر كل واحد بمعناه»^(٣).

الثاني: وهو أن الصنم ما كان على صورة البشر، أو كان على أي صورة ما، وعُبدَ من دون الله، وأما الوثن فهو كل ما عُبدَ من دون الله، مما لم يكن على صورة؛ كالحجر، والبنيان، والقبر، ونحوه.

قال مجاهد بن جبر رحمته الله: «والصنم: التمثال المصور، ما لم يكن صنمًا فهو وثن»^(٤).

وقال سليمان بن عبد الله رحمته الله: «الصنم: ما كان منحوتًا على صورة

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣٠٤٣/٩) رقم (١٧٢١٠) [مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١]، وتفسير الطبري (٣٧٣/١٨) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٦٨٨/١٣).

(٣) تفسير العزيز الحميد (٥٩٩/١).

(٤) تفسير الطبري (٦٨٧/١٣).

(٥) تيسير العزيز الحميد (٢٤٥/١ - ٢٤٦)، وانظر: المصدر نفسه (٥٩٩/١).

(٦) التمهيد (٤٥/٥) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

(٧) فتح المجيد (١٠١).

الحق، فلو كان فيهما آلهة غير الله لم يكن إلهًا حقًا؛ إذ الله لا سمي له ولا مثل له؛ فكانت تفسد لانتفاء ما به صلاحها^(٢).

✽ مذهب المخالفين:

ادعى أهل الشرك والعناد في هذا الزمان أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية عبادة الأوثان، وأن اتخاذ القبور، والبناء عليها، والتقرب إلى أصحابها، والاستغاثة بهم، ونحوها، ليست من عبادة الأوثان^(٣)، وقالوا: إن عبادة الأوثان هي عبادة الأصنام، والتمثيل، التي كان مشركو العرب يفعلونها، وأما ما يفعله فئام من الناس عند المشاهد، والقبور، فليس هو من الشرك، بل هو من التوحيد، وليس معهم حجة، إلا الهوى، واتباع الشيطان الرجيم^(٤).

✽ والرد عليهم:

أن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا وبشر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم» قلنا: يا

(٢) مجموع الفتاوى (٤٣/١).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (١/٦٤٥).

(٤) انظر من كتب القوم: الدرر السنية لزيني دحلان (١٥، ٣٤) [مكتبة الحقيقة بإسطنبول]، وشواهد الحق ليوسف بن إسماعيل (٦٩) [المطبعة الميمية لمصطفى البابي الحلبي وأخويه]، وبراء الأشعريين لابن مرزوق (١/٣٨٨) [مطبعة العلم بدمشق، ط ١٣٨٨هـ]، وغيرها من كتب الشرك والبدعة.

في الشرك الأكبر المخرج من الملة، فبدل أن يطلب النفع والضر من الله مالكة يتوجه ويتذل ويتضرع لغير الله.

قال أبو شامة متحدًا عن آثار الموالد البدعية وما يقارنها من الشرك بالله: «ثم إن غالب هذه الاحتفالات بالموالد مع كونها بدعة لا تخلو من اشتغالها على منكرات أخرى؛ كاختلاط النساء بالرجال واستعمال الأغاني والمعارف وشرب المسكرات والمخدرات وغير ذلك من الشرور، وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك وهو الشرك الأكبر، وذلك بالغلو في رسول الله أو غيره من الأولياء ودعائه والاستغاثة به وطلبه المدد واعتقاد أنه يعلم الغيب ونحو ذلك من الأمور الكفرية التي يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم بمولد النبي وغيره ممن يسمونهم بالأولياء»^(١).

✽ الحكمة:

الحكمة من تحريم اتخاذ الأوثان من دون الله هي: أن اتخاذ الأوثان من دون الله أعظم الظلم، وأقبح الذنوب؛ وما كان حاله كذلك فحقه أن يحرم أشد التحريم.

ولأن اتخاذ الوثن خراب للعالم كله، العلوي منه والسفلي والأرض والسموات؛ فإن قوامهما بأن يؤله الإله

(١) الباعث على إنكار البدع (١١٠).

قال ابن القيم رحمه الله - في سياق ذكر الفوائد من قصة إسلام ثقيف وهدم اللات -: «ومنها: أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت، بعد القدرة على هدمها، يومًا واحدًا؛ فإنها شعائر الشرك والكفر، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور، التي اتخذت أوثانًا وطواغيت تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك، والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض، مع القدرة على إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، أو أعظم شركًا عندها، والله المستعان، ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق، وتميت وتحيي، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها، ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلخوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وأخذوا مأخذهم شبر بشبر، وذراعًا بذراع، وغلب الشرك على أكثر النفوس؛ لظهور الجهل، وخفاء العلم» ^(٧).

المصادر والمراجع:

١ - «التمهيد»، لابن عبد البر.

(٧) زاد المعاد (٣/ ٥٠٦ - ٥٠٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٢٦].

رسول الله اليهود والنصارى. قال: «فمن؟» ^(١). وفي رواية: قلنا: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: «ومن الناس إلا أولئك» ^(٢).

ومما هو معلوم بالأحاديث الصحيحة أن اليهود والنصارى قد اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ومعابد، وقد حذرنا رسول الله من متابعتهم ^(٣)، وقد وقع فعلاً ما أخبر به، وما حذر أمته منه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة. وذو الخلصة طاغية» ^(٤).

قال أبو عبد الله البخاري: «وذو الخلصة: طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية» ^(٥).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى» ^(٦).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم ٧٣٢٠)، ومسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم ٧٣١٩).

(٣) انظر: ما أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٢٧، ٤٢٤)، و(كتاب الجنائز، رقم ١٣٤١)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢٨ - ٥٣٢).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧١١٦)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراف الساعة، رقم ٢٩٠٦).

(٥) صحيح البخاري (١٢٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراف الساعة، رقم ٢٩٠٧).

٢ - «إغاثة اللفهان في مصايد الشيطان»، لابن القيم.

٣ - «بدع القبور»، لصالح العصيمي.

٤ - «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد»، للألباني.

٥ - «رسالة الشرك ومظاهره»، لمبارك الملي.

٦ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن.

٧ - «القول السديد في مقاصد التوحيد»، لابن سعدي.

٨ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٩ - «مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور»، لعبد العزيز الراجحي.

١٠ - «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.

التعريف شرعاً:

الأول: اسم من أسماء الله الحسنى وهو الذي ليس قبله شيء، السابق للأشياء كلها بلا ابتداء؛ المتضمن صفة الأولوية المطلقة من كل وجه^(٤).

سبب التسمية:

سمي بالأول؛ لأنه لا شيء قبله ولا بدء لوجوده، فهو الأول بالأزلية والآخر بالأبدية، فلم يسبقه عدم، ولا يلحقه عدم.

الحكم:

وجوب الإيمان بهذا الاسم كما دلّت عليه النصوص، وأنه من أسماء الله الحسنى، دالٌّ على أنه سبحانه لم يسبقه في الوجود شيء، وأنه المستغني بنفسه، والإيمان بما دل عليه من صفة الأولوية.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد].

وقد جاء تفسير هذه الآية في حديث

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣٢٨/١٥) [دار إحياء التراث العربي، ط١]، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٥٩) [دار الثقافة العربية].

(٣) انظر: لسان العرب (٧١٨/١١) [دار صادر، ط٣].

(٤) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٨٧) [دار الشقافة العربية، ط٣، ١٤١٢هـ].

الأول

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الهمزة والواو واللام أصلان: ابتداء الأمر وانتهاءه.

أما الأول: فالأول، وهو مبتدأ الشيء^(١). وآل يؤول: إذا نجا وسبق، ويطلق على التقدم والسبق، فالأول: من

(١) مقاييس اللغة (١٥٨/١) [دار الفكر، ط٣، ١٣٩٩هـ].

الوجود بنفسه لا يقبل العدم، وهذه كانت معدومة ثم وجدت، فعدمها ينفي وجودها، ووجودها ينفي امتناعها، وما كان قابلاً للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور] يقول سبحانه: أحدثوا من غير محدث أم هم أحدثوا أنفسهم؟ ومعلوم أن الشيء المحدث لا يوجد نفسه، فالممكن الذي ليس له من نفسه وجود ولا عدم لا يكون موجوداً بنفسه، بل إن حصل ما يوجده، وإلا كان معدوماً، وكل ما أمكن وجوده بدلاً عن عدمه، وعدمه بدلاً عن وجوده، فليس له من نفسه وجود ولا عدم لازم له^(٤).

- وقال ابن القيم: «فأولية الله ﷻ سابقة على أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه، فأوليته: سبقه لكل شيء، وآخريته: بقاؤه بعد كل شيء، وظاهريته سبحانه: فوقيته وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونه سبحانه: إحاطته بكل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه، هذا لون وهذا لون. فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، وهي

أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»^(١)، وقال النبي ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

- قال ابن جرير الطبري: «هو الأول قبل كل شيء بغير حدٍّ، والآخر بعد كل شيء بغير نهاية، وإنما قيل ذلك كذلك؛ لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها»^(٣).

- وقال ابن أبي العز الحنفي: «فقول الشيخ - أي: الطحاوي -: «قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء» هو معنى اسمه الأول والآخر. والعلم بثبوت هذين الوصفين مستقر في الفطرة، فإن الموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته؛ قطعاً للتسلسل، فانت تشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك، وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة، فإن الممتنع لا يوجد، ولا واجبة الوجود بنفسها، فإن واجب

(١) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣١٩١).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/٣٨٥) [دار هجر، ط ١].

(٤) شرح الطحاوية (٦٦) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط ١، ١٤١٨هـ].

- إفراده وحده بالذل والالتجاء، وعدم الالتفات إلى غيره أو التوكل على سواه.

- التجرد من التعلق بالأسباب والالتفات إليها إلى التعلق بمن منه الإمداد ومنه الإعداد، وفضله سابق على الوسائل والأسباب^(٢).

الآثار:

من آثار الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن التعبد لله باسمه الأول يقتضي التجرد من مطالعة الأسباب والوقوف عليها والالتفات إليها، وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته، وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد.

٢ - أنه يوجب له فقراً خاصاً وعبودية خاصة، يؤدي إلى عدم ركونه ووثوقه بالأسباب، فإن الأسباب تعدم لا محالة وتنقضي، فالتعلق بها تعلق بما يعدم وينقضي، والتعلق بالآخر وَبِالْآخِرِ وَجَّكَ تَعْلُقُ بالحي الذي لا يموت ولا يزول.

٣ - أنه يوجب صحة الاضطراب إلى الله وحده ودوام الفقر إليه دون كل شيء سواه، وأن الأمر ابتدأ منه وإليه يرفع، فهو المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة، وإليه ينتهي الأمر حيث

إحاطتان زمانية ومكانية، فأحاطت أوليته وآخريته بالقبل والبعد، فكل سابق انتهى إلى أوليته، وكل آخر انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بعده، فالأول قدمه، والآخر دوامه وبقاؤه، والظاهر علوه وعظمته، والباطن قربه ودنوه. فسبق كل شيء بأوليته وبقي بعد كل شيء بآخريته، وعلا على كل شيء بظهوره، ودنا من كل شيء ببطونه، فلا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضاً، ولا يحجب عنه ظاهر باطن؛ بل الباطن له ظاهر، والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب، والسر عنده علانية، فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد، فهو الأول في آخريته والآخر في أوليته، والظاهر في بطونه والباطن في ظهوره، لم يزل أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا^(١).

الثمرات:

من ثمرات الإيمان باسم الله الأول:

- معرفة أن أولية الله سابقة على كل شيء، ومنها: سابقيته بالفضل والإحسان.

(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنی لعبد الرزاق البدر (١٧٣) [دار التوحيد للنشر، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(١) طريق الهجرتين (٢٤/١) [الدار السلفية، ط ٢].

٦ - «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيم.

٧ - «فقه الأسماء الحسنی»، لعبد الرزاق البدر.

٨ - «المعاني الإيمانية في شرح الأسماء الحسنی الربانية»، لوحيّد بن عبد السلام بن بالي.

٩ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی»، لمحمد الحمود النجدي.

١٠ - «ولله الأسماء الحسنی فادعوه بها؛ دراسة تربوية لآثار الإيمانية والسلوكية لأسماء الله الحسنی»، لعبد العزيز بن ناصر الجليل.

تنتهي الأسباب والوسائل فهو أول كل شيء وآخره.

٤ - أنه يوجب إفراد الله تعالى بالتعبّد والتألّه، فالله ﷻ هو الأول الذي ابتدأت منه المخلوقات، والآخر الذي انتهت إليه عبوديتها وإرادتها ومحبتها، فليس وراء الله شيء يقصد ويعبد ويتألّه، كما أنه ليس قبله شيء يخلق ويبرأ، فكما كان واحدًا في إيجادك فاجعله واحدًا في تألهك وعبوديتك، وكما ابتدأ وجودك وخلقك منه فاجعله نهاية حبك وإرادتك وتألهك إليه لتصح لك عبوديته باسمه الأول والآخر^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «تفسير أسماء الله الحسنی»، للسعدي.

٢ - «تفسير أسماء الله الحسنی»، للزجاج.

٣ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٩)، لابن تيمية.

٤ - «شرح أسماء الله الحسنی في ضوء الكتاب والسنة»، لسعيد بن وهف القحطاني.

٥ - «شرح أسماء الله تعالى الحسنی وصفاته الواردة في الكتب الستة»، لحصة بنت عبد العزيز الصغير.

أولو الأمر

يراجع مصطلح (الإمامة).

أولو العزم

التعريف لغة:

العزم: الجِدُّ والثبات والصبر واللُّزوم والقَطْع، وما عَقِدَ عليه القلب من الأمر المتيقّن، ومنه: الرجل يَعِزُّم الطريق؛ أي: يَمْضِي فيه لا يَنْتَنِي^(٢).

التعريف شرعًا:

أولو العزم: هم مجموعة من الرسل

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٥٢/٢) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٣٠٨/٤) [دار الفكر، بيروت، ط ٢]، والقاموس المحيط (١٤٦٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٥].

(١) انظر: طريق الهجرتين (١٩/١ - ٢٠).

العلائق بينهم وبين من لم يؤمن من الذين بعثوا إليهم^(٤).

الحقيقة:

حقيقة الإيمان بأولى العزم من الرسل: أن يعتقد المسلم أن الله تعالى قد اصطفى من بين عباده رسلاً كراماً جعلهم وسائط في إبلاغ الدين لخلقه وعباده، فبلغوا رسالات ربهم أتم بلاغ وأكملة، وكانوا جميعاً من أهل العزم والصبر والثبات على هذه الرسالات، وعلى الدعوة إلى دين الله تعالى، وكان من بينهم - على أشهر الأقوال - خمسة بلغوا النهاية في هذا العزم والجهد؛ فصار هذا الوصف (أولو العزم) إذا أطلق منصرفاً إليهم، وهم أفضل المرسلين.

المنزلة:

أولو العزم من الرسل هم أفضل الرسل، بل أفضل الخلق على الإطلاق.

الأدلة:

استدل أصحاب هذا القول المشهور على أن هؤلاء الخمسة عليهم السلام هم المعنيون بوصف (أولي العزم) بعدد من الأدلة^(٥):
منها: أن الله تعالى خصَّهم بالذكر

من أولي الثبات والصبر والجهد، الذين أمر نبينا ﷺ أن يصبر كصبرهم، في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]؛ فصار مثلهم.

واختلف في تعيينهم على أقوال كثيرة، أشهرها: أنهم خمسة؛ وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، وهذا قول جمع كبير من المفسرين.

وقيل: بل هم كل الرسل، و(من) في آية الأحقاف السابقة بيانية لا تبعيضية؛ فما من نبي ولا رسول إلا وهو من أولي العزم والصبر والمجاهدة^(١).

والقول الأول لا يعني نفي العزم عن سوى الخمسة من الرسل ﷺ؛ بل معناه^(٢): أن هؤلاء الخمسة هم أكثر الرسل استحقاقاً لوصف العزم والمصابرة؛ لكمال وعظم صبرهم على أذية قومهم، وتحملهم المشاق في سبيل الدعوة إلى الله تعالى؛ بحيث إذا أطلق هذا الوصف انصرف إليهم.

سبب التسمية:

سمُّوا بذلك لأنهم «عزموا على أمر الله فيما عهد إليهم»^(٣)، أو: لأنهم «قطعوا

(٤) مقاييس اللغة (٤/٣٠٩).

(٥) انظر: معالم التنزيل (٧/٢٧٢)، ومجموع الفتاوى (١١/١٦١)، وتفسير ابن كثير (٦/٣٨٢)، (٧/٣٠٥) [دار طيبة، ط ٢]، وأضواء البيان (٧/٤٣٤)، معارج القبول (٢/٦٧٩).

(١) راجع في الرد على هذا القول: أضواء البيان (٧/٤٣٤) [دار عالم الفوائد، ط ١].

(٢) انظر: معارج القبول (٢/٦٧٩) [دار ابن القيم، ط ١].

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (١/٥٣٣) [دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م]، والقاموس المحيط (١٤٦٨).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رحمته الله: «وأفضل أولياء الله هم أنبياءه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين: أولو العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليه السلام... وأفضل أولي العزم: محمد عليه السلام؛ خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وخطيبهم إذا وفدوا...» (٣).

✽ الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على الإيمان بأولي العزم من الرسل: الإيمان بهؤلاء الرسل الكرام عليهم السلام تفصيلاً، ومحبتهم وتوقيرهم، والاعتراف بفضلهم وشرفهم، والاقتداء بهم في الصبر والجد والثبات على الحق والدين والدعوة إلى الله تعالى، والجهاد في سبيله عليه السلام.

ومن الثمرات أيضاً: إثبات التفاضل بين أنبياء الله تعالى ورسله؛ كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

فأولو العزم من الرسل أفضل من إخوانهم من باقي الرسل الكرام عليهم السلام.

(٣) مجموع الفتاوى (١٦١/١١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

على انفرادهم في موضعين من القرآن الكريم في سياق العزم والجد والثبات؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، فذكر تعالى أخذه الميثاق من النبيين جملة، ونص منهم على هؤلاء الخمسة، وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [الشورى: ١٣].

ومن ذلك: أن هؤلاء الخمسة عليهم السلام هم الذين يتراجعون الشفاعة بعد أبيهم آدم عليه السلام حتى تنتهي إلى نبينا محمد عليه السلام؛ كما في حديث الشفاعة المشهور (١).

وأخرج الحاكم والبزار - واللفظ له - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «خيار ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد عليهم السلام، وخيرهم محمد عليه السلام» (٢)، ولفظ الحاكم: «سيد الأنبياء خمسة، ومحمد عليه السلام سيد الخمسة...» فذكره.

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، برقم ٤٧١٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، برقم ١٩٤).

(٢) أخرجه البزار في مسنده (١٤١/١٧) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، والحاكم في المستدرک (كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، رقم ٤٠٠٧) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، وإن كان موقوفاً على أبي هريرة»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٥/٨) [دار الكتب العلمية]: «رجاله رجال الصحيح».

❁ مذهب المخالفين:

ولم تقف جرأة بعض فرق الشيعة عند هذا الحد؛ فعد (القرامطة) - وهم من غلاة الشيعة - علياً عليه السلام ومحمد بن إسماعيل من أولي العزم! وقالوا: إن محمد بن إسماعيل هو القائم المهدي، ومعنى القائم: أي: الذي يبعث بالرسالة، وبشريعة جديدة ينسخ بها شريعة نبيِّنا محمد عليه السلام! فأولو العزم عندهم سبعة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وعلي، ومحمد بن إسماعيل^(٤)! وفساد هذا القول وظهور بطلانه وكفر قائله يغني عن تكلف الرد عليه.

وقد شارك الشيعة في بعض هذا الضلال والكفر: غلاة الصوفية؛ الذين قسموا مقامات الأولياء إلى أربعة مقامات: فمنهم من يقوم مقام خلافة النبوة (وهم العلماء)، ومنهم من يقوم مقام خلافة الرسالة (وهم الأبدال)، ومنهم من يقوم مقام خلافة أولي العزم (وهم الأوتاد)، ومنهم من يقوم مقام خلافة أولي الاصطفاء (وهم الأقطاب)^(٥)! فمقام بعض الأولياء

خالف الرافضة الإمامية في تعليل وصفهم بأولي العزم من الرسل؛ فقالوا: «إنما سمي أولو العزم أولي العزم؛ لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده، والمهدي وسيرته، وأجمع عزمهم على أن ذلك كذلك، والإقرار به!» وقالوا أيضاً: «إنما صاروا أولي العزم بحبهم»^(١)! وفساد هذا وظهور بطلانه وكفر قائله يغني عن تكلف الرد عليه.

وتجراً غلاتهم أيضاً على ما هو أعظم من هذا وأشد؛ فنصَّ بعض علمائهم على أن أئمتهم أفضل من جميع الأنبياء وأعلم، بما فيهم أولو العزم من الرسل^(٢)! وهذا كفر بالإجماع، لا يمتري فيه أحد^(٣).

(١) الكافي للكليني (٤١٦/١) [دار الكتب الإسلامية ب طهران، ط ٣]. وانظر: تفسير الصافي للকাশاني (٨٠/٢) [تصحیح: حسین الأعلمی، مؤسسة الأعلمی]، وتفسير القمي (٦٥/٢) [تصحیح وتعلیق: طیب الموسوي، ط ٢]، وبحار الأنوار للمجلسي (٣٥/١١، ٢٦/٢٦، ٢٧٨) [دار إحياء التراث، ط ٣]. بواسطة: أصول مذهب الشيعة، لناصر القفاري (٥٨/١، ٦١٤/٢).

(٢) انظر: بصائر الدرجات الكبرى للصفار (٢٤٧/٥) [طبعة إيران، ١٢٨٥هـ]، والفصول المهمة في أصول الأئمة للحر العاملي (١٥١) [مكتبة بصيرتي بقم]، وعيون أخبار الرضا لابن بابويه القمي (٢٦٢/١) [طبعة إيران، ١٣١٨هـ]، والحكومة الإسلامية للخميني (٥٢) [نشر: الحركة الإسلامية بإيران، ومطبعة الخليج بالكويت]. وانظر: أصول مذهب الشيعة للقفاري (٦١٣/٢).

(٣) راجع: الشفا للقاضي عياض (١٠٧٨/٢) [طبعة

عيسى البابي الحلبي]، ورسالة في الرد على الرافضة لابن عبد الوهاب (٢٩) [مطابع الصفا، مكة، ١٤٠٢هـ].

(٤) انظر: فرق الشيعة للحسن التوختي وسعد بن عبد الله القمي (٨٢) [دار الرشد بالقاهرة، ط ١].

(٥) انظر: جامع الأصول في الأولياء للكمشخاوي (٥)

[المطبعة الوهيبية بطرابلس، ١٣٩٨هـ]، والفتوحات =

عندهم يكون فوق مقام أولي العزم من
الرسل، فضلاً عن مقام النبوة والرسالة!
للشنقيطي.

١٢ - «أضواء البيان» (ج ٧)،
للمحمد خليل هراس.

١٣ - «شرح الواسطية»، لمحمد خليل
هراس.

١٤ - «الرسل والرسالات»، لعمر
سليمان الأشقر.

المصادر والمراجع:

١ - «النكت والعيون» (ج ٥)،
للمواردي.

٢ - «معالم التنزيل» (ج ٧)، للبغوي.

٣ - «الجامع لأحكام القرآن»
(ج ١٦)، للقرطبي.

٤ - «مجموع الفتاوى» (ج ١١)،
لابن تيمية.

٥ - «تفسير القرآن العظيم» (ج ٦)،
لابن كثير.

٦ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ٢)،
لابن أبي العز.

٧ - «الدر المنثور» (ج ١٣)،
للسيوطي.

٨ - «مفحّمات الأقران في مبهمات
القرآن»، للسيوطي.

٩ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ٢)،
للسفاري.

١٠ - «توضيح المقاصد وتصحيح
القواعد» (ج ٢)، لأحمد بن إبراهيم
عيسى.

١١ - «معارج القبول» (ج ٢)، لحافظ
الحكمي.

= الإلهية لابن عجيبة الحسيني (٢٦٤) [عالم الفكر
بالقاهرة، ١٩٨٣ م].

الإيجاب

التعريف لغة:

الإلزام والإسقاط والإيقاع، وهو
مشتق من الوجوب، ف«الواو والجيم
والباء أصل واحد، يدل على سقوط
الشيء ووقوعه»^(١)، و«وجب الشيء؛
أي: لزم، يجب وجوباً، وأوجبه الله،
واستوجبه؛ أي: استحقه»^(٢).

التعريف شرعاً:

للإيجاب معنيان:

عام: وهو أمر الله تبارك وتعالى
وإلزامه لعباده بشرعه المنزل على
رسله ﷺ. وهذا المعنى العام شامل
لكل ما شرعه الله ﷻ لعباده من أوامر
ونواه على سبيل الوجوب والجزم
والإلزام بامثاله فعلاً أو تركاً.

وخاص: وهو أمر الله تبارك وتعالى

(١) مقاييس اللغة (٦/٨٩) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ]،
وانظر: تهذيب اللغة (١١/٢٢٢) [الدار المصرية
للتأليف والترجمة، ط ١٣٨٤هـ]، والقاموس
المحيط (١٤١) [مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٤هـ].
(٢) الصحاح (١/٢٣١) [دار العلم للملايين، ط ٤].

الحكم:

وجوب إثبات صفة الإيجاب لله تبارك وتعالى على حقيقتها من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ إذ هو ﷻ المشرع وحده لا شريك له، يوجب على عباده الواجبات، ويحرم عليهم المحرمات، وهذا من خصائص ربوبيته سبحانه على خلقه، والواجب على العباد إثبات ما وصف الله به نفسه والتعبد له بمقتضى هذه الصفات العظيمة.

الأدلة:

كل ما أمر الله به عباده أمر بإيجاب والإزام فهو دليل على هذه الصفة، وكل ما نهاهم عنه نهى تحريم فهو إيجاب منه عليهم للترك والانتهاء عما نهوا عنه، وهو كذلك دليل على هذه الصفة.

ومن الأدلة على ذلك:

١ - قول الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (٢٨) [الأحزاب].

٢ - وقوله ﷻ: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٢) [التحريم].

ومن السنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس قد

والزماه لعباده بفعل الواجبات التي ألزمهم بها في شرعه المنزل على رسله ﷺ.

وهذا خاص بفعل الواجبات، ويقابله هنا: التحريم وهو: نهى الله تبارك وتعالى وإلزامه لعباده بترك المحرمات التي أمرهم بتركها في شرعه المنزل على رسله ﷺ.

التعريف اصطلاحاً:

الإيجاب في اصطلاح أهل الأصول: الإثبات والإلزام، وطلب الفعل طلباً جازماً، فمعنى إيجاب الله تعالى علينا الصلاة إثباتها علينا، وإلزامه إيانا بها.

وحقيقة هذا الإيجاب والإلزام هو تصيير الشيء واجباً ولازماً، والتصيير صفة فعلية لله تبارك وتعالى (١).

وفي معنى الإيجاب: الفرض، يقال: أوجب عليه كذا: إذا فرضه عليه؛ ألزمه به، وعنه: إيجاب الله على عباده طاعته.

ويطلق الإيجاب على: كلام يصدر من أحد المتعاقدين من أجل إنشاء العقد، وكلام الثاني إذا كان موافقاً لكلام الأول يسمى قبولاً (٢).

الأسماء الأخرى:

التشريع، الفرض.

(١) انظر: شرح مختصر الروضة (٢٥٩/١) مؤسسة الرسالة، وإرشاد الفحول (٧٢/١) [دار الفضيلة، ط ١].

(٢) انظر: معجم لغة الفقهاء (٩٨) [دار النفائس، ط ١].

إيجاب الله ﷻ الجنة للصائم يوماً واحداً إذا جمع مع صومه صدقة وشهود جنازة وعبادة مريض.

٢ - وقال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «وأما قول إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] فإنه إن يكن قال ذلك قبل إيجاب الله فرض تحريمه على لسانه على خلقه؛ فإنما عنى بذلك تحريم الله إياه الذي حرّمه بحياته إياه وكلاءته من غير تحريمه إياه على خلقه على وجه التعبد لهم بذلك، وإن يكن قال ذلك بعد تحريم الله إياه على لسانه على خلقه على وجه التعبد، فلا مسألة لأحد علينا في ذلك»^(٥).

٣ - وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الحلف بصفاته كالحلف به كما لو قال: وعزة الله تعالى، أو لعمر الله، أو والقرآن العظيم... وإذا كان كذلك فالحلف بالنذر والطلاق ونحوهما هو حلف بصفات الله؛ فإنه إذا قال: إن فعلت كذا فعليّ الحج. فقد حلف بإيجاب الحج عليه وإيجاب الحج عليه حكم من أحكام الله تعالى وهو من صفاته، وكذلك لو قال: فعليّ تحرير رقبة، وإذا قال: فامرأتي طالق وعبدي حر. فقد حلف بإزالة ملكه الذي هو تحريمه عليه،

(٥) تفسير الطبري (٥٤٣/٢) [دار هجر، ط ١].

فرض الله عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكلّ عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم...»^(١)، «وقوله: «لوجبت»؛ أي: لأوجبها الله ﷻ»^(٢). قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «... فلهذا كان دين المؤمنين بالله ورسوله أن الأحكام الخمسة: الإيجاب، والاستحباب، والتحليل، والكراهية، والتحريم، لا يؤخذ إلا عن رسول الله ﷻ، فلا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله، ولا حرام إلا ما حرّمه الله ورسوله»^(٣).

✽ أقوال أهل العلم:

كلام العلماء في هذا كثير، لا سيما الأصوليين؛ لأن من الأحكام الشرعية الواجب والمجرم، والواجب لا يكون واجباً إلا بإيجاب الله له، والمحرّم لا يكون محرّماً إلا بتحريم الله له، فهو المشرع سبحانه للأحكام لا شريك له.

ومن كلامهم ما يلي:

١ - بؤب ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ في «صحيحه»^(٤) باباً قال فيه: «باب: ذكر

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الحج، رقم ١٣٣٧).

(٢) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (٦٦) [دار الهجرة، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢/٢٢٦ - ٢٢٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٥هـ].

(٤) (٣٠٤/٣) [المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ].

وسبحانه خالق كل شيء ومليكه، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن العباد لا يوجبون عليه شيئاً، ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال: إنه كتب على نفسه، وحرم على نفسه لا أن العبد نفسه يستحق على الله شيئاً، كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير، فهو الخالق لهم، وهو المرسل إليهم الرسل، وهو الميسر لهم الإيمان والعمل الصالح. ومن توهم من القدرية والمعتزلة ونحوهم أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الأجير على من استأجره فهو جاهل في ذلك. وإذا كان كذلك لم تكن الوسيلة إليه إلا بما من به من فضله وإحسانه، والحق الذي لعباده هو من فضله وإحسانه؛ ليس من باب المعاوضة، ولا من باب ما أوجبه غيره عليه فإنه سبحانه هو يتعالى عن ذلك»^(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فصل: وكذلك الكلام في الإيجاب في حق الله سواء؛ الأقوال فيه كالأقوال في التحريم، وقد أخبر سبحانه عن نفسه أنه كتب على نفسه وأحق على نفسه، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ

والتحريم من صفات الله كما أن الإيجاب من صفات الله، وقد جعل الله ذلك من آياته في قوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣١]. فجعل صدوره في النكاح والطلاق والخلع من آياته؛ لكنه إذا حلف بالإيجاب والتحريم فقد عقد اليمين لله كما يعقد النذر لله، فإن قوله: عليّ الحج والصوم عقد لله»^(١).

❁ الأقسام:

- ١ - إيجاب الله على عباده، وهو المراد تقريره فيما تقدم.
- ٢ - إيجاب الله ﷻ على نفسه، وهذا سيأتي في المسائل المتعلقة.

❁ المسائل المتعلقة:

- إيجاب الله ﷻ على نفسه:

أوجب الله ﷻ على نفسه أموراً وأخبرنا أنه أوجبه على نفسه بإيجابه هو لا بإيجاب أحد من خلقه، فإنه سبحانه أعلى وأعظم وأجل من أن يوجب عليه أحد من خلقه شيئاً.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأما الإيجاب عليه ﷻ والتحريم بالقياس على خلقه، فهذا قول القدرية، وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول، وأهل السنة متفقون على أنه

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣١٠ - ٣١١) [دار أشبيليا، ط ٢، ١٤١٩هـ].

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٢٧٣ - ٢٧٤).

هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِ
وَقَتَلُوا وَقَتَلُوا لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَا تُدْخِلْنَهُمْ جَنَّةٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿٥٤﴾
[آل عمران: ١٩٥]، وقوله: ﴿فَلَنَسْتَأَنَّ
الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَأَنَّ الْمُرْسَلِينَ
﴿١﴾﴾ [الأعراف: ... إلى أمثال ذلك من
صيغ القسم المتضمن معنى إيجاب
المقسم على نفسه أو منعه نفسه، وهو
القسم الطلبي المتضمن للحظر والمنع،
بخلاف القسم الخبري المتضمن للتصديق
والتكذيب، ولهذا قسم الفقهاء وغيرهم
اليمين إلى موجب للحظر والمنع أو
التصديق والتكذيب، قالوا: وإذا كان
معقولا من العبد أن يكون طالبا من نفسه
فتكون نفسه طالبة منها، لقوله تعالى:
﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣]،
وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ
عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١]، مع كون العبد
له أمر وناه فوقه، فالرب تعالى الذي
ليس فوقه أمر ولا ناه، كيف يمتنع منه
أن يكون طالبا من نفسه فيكتب على
نفسه ويحق على نفسه ويحرم على نفسه؟
بل ذلك أولى وأحرى في حقه من تصوره
في حق العبد، وقد أخبر به عن نفسه
وأخبر به رسوله. قالوا: وكتابه ما كتبه
على نفسه وإحقاقه ما حقه عليها متضمن
لإرادته ذلك ومحبه له ورضاه به وأنه لا

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ
كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴿٥٤﴾ [الأنعام:
٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآثِهِمْ لَهُمْ
الْجَنَّةُ يُقَدِّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ﴾ [التوبة: ١١١].

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ
قال لمعاذ ﷺ: «أتدري ما حق الله على
عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال:
حقه عليهم أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا.
أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا
ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال:
حقهم عليه أن لا يعذبهم»^(١)، ومنه
قوله ﷺ في غير حديث: من فعل كذا
كان على الله أن يفعل به كذا وكذا في
الوعد والوعيد، ونظير هذا ما أخبر
سبحانه من قسمه ليفعلن ما أقسم عليه؛
كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢]، وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ
لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ
جَهَنَّمَ جِثَا ۝﴾ [١٨] ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ
أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِثًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم: ١٩]،
وقوله: ﴿لَنُهْلِكَنَّ الْأَطْلَامِينَ﴾ [١٣]﴾ [إبراهيم: ١٣]،
وقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ
أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥]، وقوله: ﴿فَالَّذِينَ

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨٥٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٠).

- ٢ - «اقتضاء الصراط المستقيم» (ج ٢)، لابن تيمية.
- ٣ - «تفسير الطبري» (ج ٢)، للطبري.
- ٤ - «صحيح ابن خزيمة» (ج ٣).
- ٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.
- ٦ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣٥)، لابن تيمية.
- ٧ - «معجم لغة الفقهاء»، لمحمد قلعجي وزميله.
- ٨ - «مفتاح دار السعادة» (ج ٢)، لابن القيم.

الحكمة:

الحكمة من إيجاب الله على خلقه الواجبات: تحقيق العبودية التي خلقوا من أجلها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة]؛ أي: هملاً لا يؤمر ولا ينهى! (٢). فالله ﷻ لما خلقنا لم يتركنا هملاً بل أرسل إلينا رسلاً بالشرع الواجب علينا التزامه وعبادة الله به، فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [١٥] فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا [١٦] [المزمل] (٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إرشاد الفحول» (ج ١)، للشوكاني.

يقول ابن فارس: «الواو والجيم والdal يدل على أصل واحد، وهو الشيء يُلفيه، ووَجَدت الضالة وَجَدَانًا» (٤). «وَوُجِدَ الشيء عن عدم فهو موجود... وأَوْجَدَهُ الله» (٥). و«الوجود خلاف العدم، وأَوْجَدَ الله الشيء من العدم فَوَجَدَ فهو موجود، من النوادر» (٦). والمعاني السابقة تدل على أن الإيجاد في اللغة؛ يعني: خلق الشيء بعد أن كان عدماً، وأن الموجود خلاف

(١) مفتاح دار السعادة (١١٠/٢) [دار الكتب العلمية].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥٢٦/٢٣).

(٣) انظر: ثلاثة الأصول ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٣٤/٦) [ط ٢، ١٤٢٣هـ].

(٤) مقاييس اللغة (٨٦/٦) [دار الجيل، ط ١].

(٥) الصحاح (٥٤٧/٢) [دار العلم للملايين، ط ٣].

(٦) المصباح المنير (٨٩١/٢) [دار القلم].

المعدوم، والوجود خلاف العدم، وهو

الحكم:

لفظ الإيجاد من الألفاظ التي يخبر بها عن الله ﷻ ولكن لا يوصف به؛ لأن الله ﷻ لم يصف نفسه به ولم يصفه به رسوله ﷺ، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وأما لفظ الموجد فلم يقع في أسمائه سبحانه، وإن كان هو الموجد على الحقيقة، ووقع في أسمائه الواحد وهو بمعنى الغني الذي له الوجود، وأما الموجد فهو مفعول من أوجد وله معنيان: أحدهما: أن يجعل الشيء موجودًا وهو تعدية وجده وأوجده... والمعنى الثاني: أوجده جعل له جدة وغنى»^(٥). وقال مبيِّنًا الاسم الشرعي: «وأما الموجد فقد سمى نفسه بأكمل أنواعه؛ وهو الخالق الباري المصور، فالموجد كالمحدث والفاعل والصانع، وهذا من دقيق فقه الأسماء الحسنى»^(٦).

مذهب المخالفين:

يفسّر كثير من المتكلمين الإيجاد بالخلق، والتكوين، والاختراع، وما في معناه، يقول الرازي: «أما الخلق بمعنى الإحداث والإيجاد فعندنا أنه سبحانه منفرد به»^(٧). ومما قالوا في معنى الإيجاد: «التكوين والاختراع والإيجاد

الكون والثبوت.

التعريف اصطلاحًا:

لم يتحدث أهل السُّنة كثيرًا عن لفظ الإيجاد؛ لأن له مرادفًا شرعيًا واردًا في الكتاب والسُّنة وهو لفظ: الخلق، قال ابن تيمية: «إيجاد الله للخلق هو خلقه لهم»^(١). وقال ابن القيم: «فالخلق: الإيجاد»^(٢)، ويبيِّن ابن القيم أن الإيجاد من معاني الجعل فقال: «وأما الجعل فقد أطلق على الله سبحانه بمعنيين أحدهما: الإيجاد والخلق، والثاني: التصيير»^(٣). وقد فسر ابن كثير قوله ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [المَلِك: ٢] فقال: «ومعنى الآية: أنه أوجد الخلائق من العدم»^(٤)، ومن خلال النقول السابقة يمكن القول: إن معنى الإيجاد هو الخلق.

الأسماء الأخرى:

المرادف الشرعي للإيجاد هو الخلق، ويعبّر عنه المتكلمون بالتكوين، والاختراع، ويعبر عنه الفلاسفة بالإبداع، وسيأتي التعليق على هذه التسميات.

(٥) شفاء العليل (١٣٢).

(٦) مدارج السالكين (٤١٦/٣).

(٧) المطالب العالية من العلم الإلهي (١٣٧/٩) [دار

الكتاب العربي].

(١) الصنفية (١٩٠/٢) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢].

(٢) شفاء العليل (٦٥) [مكتبة الرياض الحديثة، ط ١].

(٣) شفاء العليل (١٣٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٤٢٢/٤) [دار الكتب العلمية].

إلى أنه يرادف الإبداع»^(٥). وتعريف الإبداع عند ابن سينا: «هو اسم مشترك لمفهومين؛ أحدهما: تأسيس الشيء لا عن شيء، ولا بواسطة شيء، والمفهوم الثاني: أن يكون للشيء وجود مطلق عن سبب بلا متوسط، وله في ذاته أن لا يكون موجوداً، وقد أفقد الذي له من ذاته إفقاداً تاماً»^(٦). والإبداع بهذا المعنى أعلى رتبة عند الفلاسفة من الإحداث والتكوين^(٧). فالإبداع عند الفلاسفة - باختصار - هو إيجاد شيء غير مسبوق بالعدم، وغير مسبوق بمادة أو زمان، وهذا المعنى الذي ذكره ابن سينا للإبداع باطل، يقول ابن تيمية معلقاً عليه: «ومعلوم أن هذا المعنى ليس هو المعروف من لفظ الإبداع في اللغة التي نزل بها القرآن، كما في قوله ﷺ: ﴿يَدِيعُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧، الأنعام: ١٠١] ونحو ذلك، ولفظ الخلق أبعد عن هذا المعنى، فإن هذا المعنى يعلم بالاضطرار أنه ليس هو المراد بلفظ الخلق في القرآن والسنة»^(٨).

والخلق ألفاظ تشترك في معنى وتباين بمعان، والمشارك فيه كون الشيء موجداً من العدم ما لم يكن موجوداً»^(١). وتفسير الإيجاد بالخلق يتفق أهل السنة فيه مع المتكلمين؛ ولكن يعود النقد إلى معنى الخلق عند المتكلمين وموقفهم من صفات الفعل. وأما الماتريدية فيقول البزدوي: «إن التكوين والإيجاد صفة لله تعالى غير حادث بل هو أزلي»^(٢)، وذلك لأن الماتريدية ترجع جميع صفات الفعل عندهم إلى التكوين، ويقولون بأزلية صفات الفعل، وعدم تعددها، وعدم تعلقها بمشيئة الرب، وهذا باطل.

وأما الفلاسفة فيقول ابن رشد: «ليس الإيجاد شيئاً إلا قلب عدم الشيء إلى الوجود»^(٣)، وهذا يشبه قول من قال: إن المعدوم شيء، حيث يرون أن الشيء قبل أن يوجد فيه قوة للوجود، فإن العدم عندهم ذات ما^(٤)، فهم يفرقون بين الوجود والثبوت، وهذا باطل، فالمعدوم ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون فيه قوة للوجود، بل وجود الشيء هو ثبوته. وفي كتاب «دستور العلماء»: «الإيجاد إعطاء الوجود، وفي الإشارات إشارة

(٥) موسوعة مصطلحات دستور العلماء (١٩١) [مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٧م].

(٦) الحدود ضمن كتاب المصطلح الفلسفي (٢٦٢) [المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٩٧م]، وانظر: معيار العلم (٢٨٤) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٧) انظر: الإشارات لابن سينا (٩٥/٣) [دار المعارف].

(٨) بغية المراتد (٢٣٧) [مكتبة العلوم والحكم، ط١].

(١) تلخيص المحصل للطوسي على هامش كتاب المحصل (١٨٧) [مكتبة الكليات الأزهرية].

(٢) أصول الدين (٦٩ - ٧٠) [دار الكتب العلمية، ط٣].

(٣) تهافت التهافت (٩١) [دار الألباب، ط١، ١٤١٩هـ].

(٤) انظر: تهافت التهافت (٧٧).

المصادر والمراجع:

إلا أن الإيمان إنما يطلق على التصديق الذي معه أمن، وليس على مجرد التصديق فقط. قال الجوهري: «وأصل آمن: أأمن بهمزين لُيِّنَت الثانية»^(٢)، وهو من الأمن ضد الخوف^(٣)، وقال الراغب: «أصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف»^(٤)، وقال أيضًا: «قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾^(٥) [يوسف] قيل: معناه: بمصدق لنا، إلا أن الإيمان هو التصديق الذي معه أمن»^(٥).

التعريف شرعًا:

الإيمان شرعًا: قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية^(٦).

الحكم:

يجب على المكلف الاعتقاد بأن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وبأنه يتجزأ ويتبعض وتدخله الزيادة والنقصان، فيزيد بفعل الطاعات وينقص باقتراف الزلات^(٧).

الحقيقة:

حقيقة الإيمان أنه مبني على القول

١ - «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية جمع ودراسة»، لآمال العمرو [رسالة دكتوراه].

٢ - «بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية»، لابن تيمية.

٣ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

٤ - «الصفدية» (ج ٢)، لابن تيمية.

٥ - «عقيدة التوحيد في القرآن الكريم»، لمحمد ملكاوي.

٦ - «تهافت التهافت»، لابن رشد.

٧ - «المطالب العالية من العلم الإلهي»، للرازي.

٨ - «موسوعة مصطلحات جامع العلوم»، لمجموعة من المؤلفين.

٩ - «موسوعة مصطلحات الإمام فخر الدين الرازي»، لسميح دغيم.

١٠ - «موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب»، لجيرار جهامي.

الإيمان

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر: التصديق»^(١).

(١) مقاييس اللغة (١/١٣٣) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) الصحاح (٥/٢٠٧١) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٣) الصحاح (٥/٢٠٧١)، والقاموس المحيط (١١٧٦) [مؤسسة الرسالة، ط ٨، ١٤٢٦هـ].

(٤) مفردات ألفاظ القرآن (١/٤٨) [دار القلم].

(٥) المصدر السابق (١/٤٨).

(٦) انظر: العقيدة الواسطية (١١٣) [أضواء السلف، ط ٢].

(٧) انظر: الشريعة للأجري (٢/٦١١) [دار الوطن].

على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد.

- فمما يدل على أن الإيمان قول باللسان قوله تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦].

- ومما يدل على أن الإيمان اعتقاد بالقلب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال].

- وأما الأدلة على أن عمل الجوارح من الإيمان قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]. قال حافظ الحكمي: «ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله، وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح سمّاها الله تعالى إيماناً في قول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة: فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(٤).

وجاء في حديث وفد عبد قيس؛ أن النبي ﷺ قال لهم: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن

والعمل والاعتقاد، فهو جميع الطاعات الباطنة والظاهرة؛ فالباطنة: كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وكل ما له تعلق بأعمال القلب. والظاهرة: هي جميع أفعال البدن من الواجبات والمندوبات^(١).

الأهمية:

تظهر أهمية الإيمان في الأمور الآتية:

- ١ - كونه أعظم واجب كُلف به الإنسان في هذه الحياة.
- ٢ - كونه حق الله ﷻ على عباده.
- ٣ - أن من حققه كان له الفوز والفلاح والتمكين في الأرض، ومن أخلّ به كان له الخسران المبين.
- ٤ - أن اسم الإيمان قد تكرر ذكره في القرآن والحديث أكثر من ذكر سائر الألفاظ.
- ٥ - أنه أصل الدين.
- ٦ - به يخرج الناس من الظلمات إلى النور.
- ٧ - به يفرق بين السعداء والأشقياء ومن يوالى ومن يعادى^(٢).

الأدلة:

لقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة

(٣) انظر: معارج القبول (٧٤٨/٢) [دار ابن القيم].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٥)، واللفظ له.

(١) انظر: الصلاة لابن القيم (٥٤) [دار الوطن، ط ٢].

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨٩/٧).

ونطق باللسان، حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث: كان مؤمناً، دلَّ على ذلك الكتاب والسُّنة وقول علماء المسلمين^(٤).

وقال ابن عبد البر رحمته الله: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان... وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر، منهم: مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وداود بن علي، وأبو جعفر الطبري، ومن سلك سبيلهم، فقالوا: الإيمان: قول وعمل، قول باللسان وهو الإقرار، اعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح مع الإخلاص بالنية الصادقة، قالوا: وكل ما يطاع الله تعالى به من فريضة ونافلة، فهو من الإيمان»^(٥).

الأركان

أركان الإيمان ترجع إلى ثلاثة أصول: اعتقاد القلب - ويدخل فيه

محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس...»^(١).

أقوال أهل العلم:

قال الشافعي رحمته الله: «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة [إلا] بالآخر»^(٢).

وقال البخاري رحمته الله: «لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص»^(٣).

وقال الآجري رحمته الله: «اعلموا - رحمنا الله تعالى وإياكم - أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق، إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب،

(١) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩٥٦/٥ رقم ١٥٩٣) [دار طيبة، ط ٨].

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (٣٢٠)، وأورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢٥٦/٢) [ط دار الفكر، بيروت]، وصححه ابن حجر في الفتح (٦٦/١) [دار المعرفة، ط ١٣٧٩هـ].

(٤) الشريعة للآجري (٦١١/٢) [دار الوطن، ط ٢].

(٥) التمهيد (٩/٢٣٨ - ٢٤٣) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ط ١٣٨٧هـ].

وَالْأَسْبَاطُ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ
النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٢٣١﴾ [البقرة].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن
رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل
الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن
قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه
إلا بحقه، وحسابه على الله» ^(٢).

قال ابن تيمية: «من لم يصدق بلسانه
مع القدرة، لا يسمى في لغة القوم
مؤمنًا، كما اتفق على ذلك سلف الأمة
من الصحابة والتابعين لهم بإحسان» ^(٣).

وقال: «فمن صدق بقلبه، ولم يتكلم
بلسانه فإنه لا يعلق به شيء في أحكام
الإيمان، لا في الدنيا، ولا في الآخرة» ^(٤).

والمراد بقول اللسان الذي يكون
إيمانًا في الباطن والحقيقة هو الملازم
لاعتقاد القلب وتصديقه، وإلا فالقول
المجرد عن اعتقاد الإيمان ليس إيمانًا
باتفاق المسلمين ^(٥).

ثالثًا: عمل القلب: وهو انقياده
بالأعمال المناسبة له؛ كالمحبة والخوف
والرجاء ^(٦). قال النبي ﷺ: «يا معشر من

الأركان الستة السابقة -، وقد تقدم أن
اعتقاد القلب يتضمن قول القلب ومعرفته
أو تصديقه ويتضمن أعمال القلوب،
والركن الثاني: أعمال الجوارح، والركن
الثالث: قول اللسان، وهذا بيان
تفصيلها:

أولًا: قول القلب: هو معرفته للحق،
واعتقاده، وتصديقه، وإقراره، وإيقانه
به؛ وهو ما عقد عليه القلب، وتمسك
به، ولم يتردد فيه، قال الله تبارك
وتعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾
[المجادلة: ٢٢]، وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ
لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ
الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ
قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال: ﴿وَالَّذِي
جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أَوَلَّيْنَاكَ هُمُ
الْمُنْقُوتُونَ﴾ ^(٧) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ
ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٤﴾ [الزمر]، فإذا
زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء،
فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها،
وكونها نافعة ^(٨).

ثانيًا: قول اللسان: وهو نطق اللسان
بذلك التصديق؛ أي: بالشهادتين، إقرارًا
والتزامًا بهما، وقول اللسان هو الأصل
في ثبوت وصف الإيمان الظاهر، قال
تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة،
رقم ٧٢٨٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/٣٣٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٧/١٤٠).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٥٥٠).

(٦) انظر: الإيمان لابن منده (٢/٣٦٢) مؤسسة الرسالة،

ط ٢، ١٤٠٦هـ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية =

(١) كتاب الصلاة لابن القيم (٥٤).

﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا
وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ
جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي
الَّذِينَ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج].

وهي جزء من مسمى الإيمان، لا
يصح بدونها، وأعمال الجوارح تابعة
لأعمال القلوب، ولازمة لها، فالقلب
«إذا كان فيه معرفة وإرادة، سرى ذلك
إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن
يختلف البدن عما يريده القلب، ولهذا
قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «ألا
وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت،
صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد
لها سائر الجسد، ألا وهي القلب»^(٤)»^(٥).

المراتب:

مراتب الإيمان ثلاثة:

المرتبة الأولى: أصل الإيمان،
ويسمى أيضًا بمطلق الإيمان؛ وهو
اعتقاد القلب؛ وهو يتضمن أمرين:
أحدهما: قول القلب؛ وهو المعرفة،
والعلم، والتصديق. **والثاني:** عمل
القلب، وهو الانقياد بالأعمال القلبية؛
كالمحبة، والخضوع، والخشية،
والخوف، والرجاء، ونحو ذلك.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٢)، ومسلم
(كتاب المساقاة، رقم ١٥٩٩).

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨٧/٧).

أمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه»^(١).
«وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد
الصدق، فأهل السنة مجمعون على زوال
الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء
عمل القلب»^(٢).

رابعًا: عمل اللسان^(٣): وهي العبادات
التي تكون باللسان كقراءة القرآن والذكر
ونحوها. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ
كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ
تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر]

وقال: ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ
ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب]

خامسًا: عمل الجوارح: مثل
الصلاة، والقيام، والركوع، والسجود،
والصيام، والصدقات، قال تعالى:

= (١٨٦/٧، ١١٩/١٤)، ومعارج القبول (١٨/٢)
[دار ابن القيم، ط١]، وأعمال القلوب؛ حقيقتها
وأحكامها عند أهل السنة والجماعة، لسهل العتيبي
(١٤٦/١) [جامعة الإمام، ط١].

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٨٨٠)، وأحمد
(٢٠/٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وجود إسناده
العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٦٦١) [دار ابن
حزم، ط١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب
والترهيب (رقم ٢٣٤٠) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٢) كتاب الصلاة لابن القيم (٥٤).

(٣) كثير من السلف من يكتفي بقول اللسان عن ذكر
عمل اللسان، فيجعلونه شاملاً للنطق بالشهادتين
وللعبادات القولية من الأذكار ونحوها، ومنهم من
فصل بين الأمرين؛ كابن تيمية في الواسطية، وغيره،
والخلاف هنا لفظي، انظر: نواقض الإيمان القولية
والعملية لعبد العزيز العبد اللطيف (٢٣) [دار
الوطن، ط١].

لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار لما جاءت له الرسل والأنبياء، وعقد القلب على ما ظهر من لسانه»^(٥).

وقال ابن تيمية: «فالمؤمن الذي آمن بالله بقلبه وجوارحه إيمانه يجمع بين علم قلبه، وحال قلبه، - تصديق القلب، وخضوع القلب - ويجمع قول لسانه، وعمل جوارحه، وإن كان أصل الإيمان هو ما في القلب، أو ما في القلب واللسان، فلا بد أن يكون في قلبه التصديق بالله والإسلام له، هذا قول قلبه، وهذا عمل قلبه، وهو الإقرار بالله»^(٦).

وهذه المرتبة لا بد منها، وفاقد هذه المرتبة خارج عن دائرة الإسلام، كافر بالله العظيم، مستحق للخلود الأبدي في النار، ولسائر أحكام الكفرة في الدنيا والآخرة، ومن ثبتت له هذه المرتبة مع لازمها فهو من أهل الإسلام، يثبت له من أحكامه في الدنيا والآخرة ما يثبت لكل مسلم؛ فإن أصل الإيمان هو الذي يفارق به الكفار ويخرجه من النار^(٧).

قال محمد بن نصر المروزي: «أصل الإيمان هو التصديق، وعنه يكون الخضوع، فلا يكون مصدقاً إلا خاضعاً، ولا خاضعاً إلا مصدقاً»^(١).

وقال ابن منده: «فأصل الإيمان التصديق بالله، وبما جاء من عنده، وإياه أراد النبي ﷺ بالإيمان أن تؤمن بالله، وعنه يكون الخضوع لله؛ لأنه إذا صدق بالله خضع له، وإذا خضع له أطاع»^(٢).

وقال ابن تيمية: «فالإيمان في القلب لا يكون إيماناً بمجرد تصديق ليس معه عمل القلب، وموجبه من محبة الله ورسوله، ونحو ذلك، كما أنه لا يكون إيماناً بمجرد ظن وهوى، بل لا بد في أصل الإيمان: من قول القلب، وعمل القلب»^(٣).

وقال أيضاً: «فأصل الإيمان في القلب؛ وهو قول القلب، وعمله، وهو إقرار بالتصديق، والحب والانقياد»^(٤).

ويدخل في أصل الإيمان: قول اللسان، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

قال قوام السنّة الأصفهاني: «قال بعض العلماء: أصل الإيمان: شهادة أن

(٥) الحجّة في بيان المحجة (٢/٢٨٨) [دار الراية، ط ٢].

(٦) مجموع الفتاوى (٢/٣٨٢)، وانظر: تعظيم قدر الصلاة (٢/٥١٦ - ٥١٩، ٧١٢ - ٧١٥)، وعمدة القاري (١/١٢٨) [دار إحياء التراث العربي].

(٧) انظر: مختصر الفتاوى المصرية (١/٢٥٣) [دار ابن القيم]، ومجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٣/٩) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤١٢هـ].

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/٧١٥) [مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٢) الإيمان لابن منده (٢/٣٤٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/٥٢٩).

(٤) المصدر نفسه (١٤/١١٩).

وذلك أن «الكفر ضد لأصل الإيمان؛

لأن للإيمان أصلًا وفرعًا، فلا يثبت الكفر حتّى يزول أصل الإيمان الذي هو ضدّ الكفر»^(١)، «فكما أن أصل الإيمان الإقرار بالله، فأصل الكفر الإنكار لله»^(٢)، ولذا فإنه «لا بد في الإسلام من تصديق يحصل به أصل الإيمان وإلا لم يثبت عليه»^(٣)، «وبهذا تبين أن الرجل قد يكون مسلمًا لا مؤمنًا ولا منافقًا مطلقًا، بل يكون معه أصل الإيمان دون حقيقته الواجبة»^(٤).

المرتبة الثانية: كمال الإيمان

الواجب، أو الإيمان الواجب: وهو يتضمن فعل الطاعات الواجبة، واجتناب المحرمات، وهذه المرتبة لا بد لكل مؤمن الإتيان بها، لكن من أخلّ بشيء منها؛ كمن يترك بعض الواجبات، أو يقع في بعض المحرمات، فإنه لا يخرج عن دائرة الإسلام، بل يكون مؤمنًا ناقص الإيمان.

المرتبة الثالثة: كمال الإيمان

المستحب، أو الإيمان الكامل بالمستحبات؛ وهو الإتيان بالمستحبات مع فعل الواجبات، واجتناب المكروهات، مع ترك المحرمات، وقد

يطلق عليه الإيمان المطلق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأهل السنّة والحديث يقولون: جميع الأعمال الحسنة واجبتها ومستحبها من الإيمان؛ أي: من الإيمان الكامل بالمستحبات، ليست من الإيمان الواجب، ويفرق بين الإيمان الواجب، وبين الإيمان الكامل بالمستحبات، كما يقول الفقهاء: الغسل ينقسم إلى مجزئ وكامل، فالمجزئ ما أتى فيه بالواجبات فقط، والكامل ما أتى فيه بالمستحبات، ولفظ الكمال قد يراد به الكمال الواجب، وقد يراد به الكمال المستحب»^(٥).

المسائل المتعلقة:

المسائل التي تدخل تحت مسألة الإيمان كثيرة جدًا، وسيقتصر على ذكر أهمّها:

- المسألة الأولى: شُعَبُ الإيمان:

إن للإيمان شعبًا وخصالًا وأعمالًا، باستكمالها يكمل الإيمان وبنقصها يكون نقصانه، وهذه الشُعَبُ أشار إليها النبي ﷺ بقوله: «الإيمان بضع وستون شعبة: فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(٦). يقول ابن القيم رحمه الله: «الإيمان له شعب متعددة،

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/٢١٥).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٣٥٤).

(٣) المرجع السابق (٧/٣٦٢).

(٤) المرجع السابق (٧/٥٢٥).

(٥) مجموع الفتاوى (٧/١٩٧ - ١٩٨).

(٦) تقدم تخريجه.

«فمن قال: إنَّ المنفي هو الكمال فإنَّ أراد أنه نفي الكمال الواجب الذي يذمُّ تاركه ويتعرض للعقوبة فقد صدق، وإنَّ أراد أنه نفي الكمال المستحب فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله، ولا يجوز أن يقع؛ فإنَّ مَنْ فعلَ الواجب كما وجب عليه، ولم ينتقص من واجبه شيئاً لم يجز أن يقال: ما فعله لا حقيقة ولا مجازاً»^(٣).

وقال أيضاً: «فإنَّ الله ورسوله لا ينفي اسمَ مسمًى أمرٍ - أمَرَ الله به ورسوله - إلا إذا ترك بعض واجباته؛ كقوله: «لا صلاة إلا بأَمِّ القرآن»^(٤)، وقوله: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»^(٥).

ونحو ذلك. فأما إذا كان الفعل مستحباً في العبادة لم ينفيها لانتفاء المستحب، فإنَّ هذا لو جاز لجاز أن ينفي عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة والزكاة والحج؛ لأنَّه ما من عمل إلا وغيره أفضل منه»^(٦).

فلهذا يعتقد أهل السُّنَّة أن مرتكب

وكل شعبة منها تسمى إيماناً، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والحج والصيام، والأعمال الباطنة؛ كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه، حتى تنتهي هذه الشعب إلى إمطة الأذى عن الطريق فإنه شعبة من شعب الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إمطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إمطة الأذى ويكون إليها أقرب»^(١).

- المسألة الثانية: نفي الإيمان:

ورد في نصوص القرآن والسُّنَّة نفي الإيمان، والمراد به أمران:

الأمر الأول: نفي أصل الإيمان، وهذا يلزم منه تكفير صاحبه، وأنه خارج من دائرة الإسلام.

الأمر الثاني: نفي كمال الإيمان، ويراد به كمال الإيمان الواجب، لا كمال الإيمان المستحب^(٢)، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

(١) الصلاة وأحكام تاركها (٥٥) [مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة]، وانظر: شرح الطحاوية (٣٢٣) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/٦١٢)، [مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط ١]، وشرح الواسطية لابن عثيمين (٢/٦٥١)، [مكتبة طبرية، الرياض، ط ١].

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/٧).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٣٩٤)، بلفظ:

«لا صلاة لمن لم يقرأ بأَمِّ القرآن».

(٥) أخرجه أحمد (٣٧٦/١٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]،

وابن حبان (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤)، الأحاديث

المختارة (٥/٧٤) وقال الضياء: إسناده صحيح.

وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم

٣٠٠٤) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٦) مجموع الفتاوى (١٤/٧ - ١٥).

رمضان، والزكاة، والحج، وعامة الفرائض من غير جحود بها أنا لا نكفره، يرجى أمره إلى الله بعد؛ إذ هو مقرر، فهؤلاء المرجئة الذين لا شك فيهم»^(٢).

وقال أبو بكر الآجري رحمته الله: «فالأعمال - رحمكم الله - بالجوارح تصديق عن الإيمان بالقلب واللسان، فمن لم يصدق الإيمان بعمله بجوارحه؛ مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج وأشباه لهذه، ورضي من نفسه بالمعرفة والقول لم يكن مؤمناً، ولم تنفعه المعرفة والقول، وكان تركه للعمل تكذيباً لإيمانه، وكان العمل بما ذكرناه تصديقاً منه لإيمانه»^(٣).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «الإيمان عند أهل السنة قول وعمل، كما دلَّ عليه الكتاب والسنة، وأجمع عليه السلف، وعلى ما هو مقرر في موضعه، فالقول تصديق الرسول، والعمل تصديق القول، فإذا خلا العبد عن العمل بالكلية لم يكن مؤمناً، والقول الذي يصير به مؤمناً قول مخصوص، وهو الشهاداتتان، فكذلك العمل هو الصلاة... وأيضاً فإن حقيقة الدين هو الطاعة والانقياد، وذلك إنما

الكبيرة وهو ما يسمى بـ(فاسق أهل القبلة) أو (الفاسق المَلِي) لا ينفي عنه مطلق الإيمان (أصل الإيمان) بفسوقه، ولا يوصف بالإيمان التام (الإيمان المطلق)، ولكن هو مؤمن ناقص الإيمان. أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته. فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم»^(١).

أما من ارتكب ناقصاً من نواقض الإسلام، فإنه يُنفي عنه الإيمان بالكلية، ويصير كافراً خارجاً عن ملة الإسلام.

- المسألة الثالثة: العلاقة بين الإيمان الباطن والإيمان الظاهر:

الإيمان الظاهر لازم من اللوازم التي لا تنفك عن الإيمان الباطن، فعمل الباطن يوجب عمل الظاهر ويقتضيه، بحيث لو قُدر انتفاء الإيمان الظاهر بالكلية دلَّ على انتفاء الإيمان الباطن الشرعي الذي يخرج به صاحبه من الكفر إلى الإيمان.

وقد تتابعت أقوال السلف في بيان هذا المعنى والتأكيد عليه، والرد على من خالفه، فمن ذلك:

قال إسحاق بن راهويه رحمته الله: «غلت المرجئة، حتى صار من قولهم: إن قوماً يقولون: من ترك المكتوبات، وصوم

(٢) مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، لحرب الكرمانى (٣٧٧)، وفتح الباري لابن رجب (٢٥/١).

(٣) الشريعة (٦١٤/٢) [دار الوطن، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وانظر: نفس المرجع (٦١١/٢).

(١) معارج القبول (١٠١٧/٣) [دار ابن القيم، ط١، ١٤١٠هـ]، وانظر: مجموع الفتاوى (١٥١/٣).

وقال ابن القيم رحمته الله: «والله تعالى أمر عباده أن يقوموا بشرائع الإسلام على ظواهرهم، وحقائق الإيمان على بواطنهم، ولا يقبل واحدًا منهما إلا بصاحبه وقرينه،... فكل إسلام ظاهر لا ينفذ صاحبه منه إلى حقيقة الإيمان الباطنة فليس بنافع حتى يكون معه شيء من الإيمان الباطن، وكل حقيقة باطنة لا يقوم صاحبها بشرائع الإسلام الظاهرة لا تنفع ولو كانت ما كانت، فلو تمزق القلب بالمحبة والخوف ولم يتعبد بالأمر وظاهر الشرع لم ينجه ذلك من النار، كما أنه لو قام بظواهر الإسلام وليس في باطنه حقيقة الإيمان لم ينجه من النار»^(٧).

وحتى لو تكلم الشخص بالإقرار، ولم يكن ذلك متضمنًا للالتزام والانقياد، فإنه لا يعد داخلًا في الإسلام، ولذا لم ينفع اليهود الذين أقرؤا للنبي ﷺ بعلمهم أنه رسول الله؛ لأن ذلك كان منهم على سبيل الإخبار دون الالتزام بالشرعية، وكذلك الحال في أبي طالب.

قال ابن تيمية: «وأيضًا فقد جاء نفر من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: نشهد إنك لرسول، ولم يكونوا مسلمين بذلك؛

يتم بالفعل لا بالقول فقط، فمن لم يفعل شيئًا فما دان الله دينًا، ومن لا دين له فهو كافر»^(١).

وقد قرّر ابن تيمية هذا المعنى في مواطن عديدة، فبيّن أن مذهب السلف وأهل السنة أنه متى وجد الإيمان الباطن وجدت الطاعات^(٢)، وقرر أن انتفاء أعمال الجوارح مع القدرة والعلم بها لا يكون إلا مع نفاق في القلب وزندقة، لا مع إيمان صحيح، وأنه من الممتنع أن يكون الرجل مؤمنًا إيمانًا ثابتًا في قلبه بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة، ولا يصوم رمضان، ولا يؤدي زكاة، ولا يحج إلى البيت^(٣).

كما بيّن أن الرجل لا يكون مؤمنًا بالله ورسوله مع عدم شيء من الواجبات التي اختص بإيجابها محمد ﷺ^(٤)، وأنه إذا انتفت الأعمال لم يبق إيمان في القلب^(٥)، فقيام الإيمان بالقلب من غير حركة بدن أمر ممتنع^(٦).

(١) شرح عمدة الفقه لشيخ الإسلام، كتاب الصلاة (٨٦) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٣٦٣/٧) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢].

(٣) انظر: الإيمان الأوسط ضمن مجموع الفتاوى (٧/٦١٦).

(٤) انظر: المرجع السابق (٦٢١/٧).

(٥) انظر: الإيمان الكبير، ضمن مجموع الفتاوى (٧/٢٠٢، ٢٩٤)، والإيمان الأوسط ضمن نفس المجموع (٧/٥٤٤، ٥٧٩).

(٦) انظر: الإيمان الأوسط ضمن مجموع الفتاوى (٧/٥٥٦)، وانظر فيما سبق: الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين لمحمد بن محمود آل خضير (١/٢ - ٤٠) [مكتبة الرشد، ط ٣].

(٧) الفوائد (١٤٢) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

- المسألة الرابعة: أحاديث الوعيد:

أهل السُّنة يجرون أحاديث الوعيد على ظاهرها، من غير تعرض لها بتأويل؛ وذلك ليكون أبلغ في الزجر، وأقوى في الردع^(٣).

وأحاديث الوعيد تبين أن ارتكاب هذا العمل سبب في هذا العذاب، فيستفاد من ذلك تحريم الفعل وقبحه، ولا يلزم وقوع الوعيد بكل شخص قام به ذلك السبب إلا إذا انتفت جميع الموانع؛ وقد قام الدليل على ذكر الموانع، فبعضها بالإجماع، وبعضها بالنص، فالتوبة مانع بالإجماع، والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لا مدفع لها، والحسنات العظيمة الماحية مانعة، والمصائب الكبار المكفرة مانعة، وإقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص، ومن هاهنا قامت الموازنة بين الحسنات والسيئات اعتباراً بمقتضي العقاب ومانعه وإعمالاً لأرجحها^(٤).

- المسألة الخامسة: أحاديث الرجاء:

أحاديث الرجاء هي التي سيقَّت للدلالة على وعد الله ﷻ للمؤمنين والمطيعين بالشواب الجزيل، وأنه أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار،

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (المجموعة الثانية) (١/ ٣٣٥) [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء].

(٤) انظر: رفع الملام عن الأئمة الأعلام (٤٢)، ومدارج السالكين (٤/١) [دار الكتاب العربي، ط ١٤١٦هـ].

لأنهم قالوا ذلك على سبيل الإخبار عما في أنفسهم؛ أي: نعلم ونجزم أنك رسول الله، قال: «فلم لا تتبعوني؟» قالوا: نخاف من يهود^(١).

فعلِم أن مجرد العلم والإخبار عنه ليس بإيمان حتى يتكلم بالإيمان على وجه الإنشاء المتضمن للالتزام والانقياد، مع تضمن ذلك الإخبار عما في أنفسهم، فالمنافقون قالوا مخبرين كاذبين، فكانوا كفاراً في الباطن، وهؤلاء قالوها غير ملتزمين ولا منقادين، فكانوا كفاراً في الظاهر والباطن، وكذلك أبو طالب قد استفاض عنه أنه كان يعلم بنبوة محمد، وأشد عنه:

ولقد علمتُ بأنَّ دين محمد

من خير أديان البرية دينا

لكن امتنع من الإقرار بالتوحيد والنبوة حباً لدين سلفه، وكراهة أن يعيره قومه، فَلَمَّا لم يقترب بعلمه الباطن الحب والانقياد الذي يمنع ما يضاد ذلك من حب الباطل وكراهة الحق لم يكن مؤمناً^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الاستئذان والآداب، رقم ٢٧٣٣) وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (كتاب تحريم الدم، رقم ٤٠٧٨)، وأحمد (٢١/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم في المستدرک (٥٢/١) وقال: هذا حديث صحيح لا نعرف له علة بوجه من الوجوه، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٦١/٧)، وانظر: زاد المعاد (٥٥٨/٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١٤٤٠]، ومفتاح دار السعادة (٩٣/١) [دار الكتب العلمية].

ووعدهم بألوان من الأجر والجزاء، ومغفرة الذنوب فيما دون الشرك، وتكفير السيئات، وإبدالها حسنات، ونحو ذلك، ولكن هذه الأحاديث لا تتحقق إلا فيمن آمن بها حقاً، وانطلقت جوارحه بالعمل بمقتضاها؛ كقوله ﷺ: «من قال في يوم: سبحان الله وبحمده مائة مرة، حطت خطاياهُ ولو كانت مثل زبد البحر»^(١). وليس هذا مرتباً على مجرد قول اللسان؛ بل لا بد لقائلها أن يتدبر هذه الكلمات ويستحضر معناها، فيواطئ قلبه لسانه، راجياً مع ذلك ثوابها، عندئذ تحط عنه خطاياهُ بحسب ما في قلبه، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العاملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض. وكذلك الشأن في سائر الأحاديث الواردة في هذا المعنى^(٢).

- المسألة السادسة: الفرق بين مذهب أهل السنة والوعيدة:

الفرق أن أهل السنة لا يقولون بزوال الإيمان إذا زالت بعض أجزائه، فارتكاب كبيرة لا يخرج من الإيمان، أما

(١) أخرجه البخاري في (كتاب الدعوات، رقم ٦٤٠٥). ومسلم (في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٩١).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٣٩ - ٣٤٠) [دار الكتاب العربي]، ولقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (اللقاء رقم: ٣٣).

❁ الفرق:

الفرق الممكنة المذكورة في مسائل الإيمان ترجع إلى ثلاث مسائل:

أولاً: الفرق بين الإسلام والإيمان:

إن من نظر في كلام أئمة السلف وجد أن عباراتهم اختلفت في بيان معنى الإسلام والإيمان، على ثلاثة أقوال:

١ - من ذهب إلى التفريق بين الإسلام والإيمان، منهم: عبد الله بن عباس رضي الله عنه، والحسن، ومحمد بن سيرين، والزهري، وحمام بن زيد، وأحمد^(٤). وقد استدلوا بقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، ففرق بين قولهم: آمنا وقولهم: أسلمنا، ولكن لما لم يذوقوا طعم الإيمان قال: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾

(٣) انظر: معارج القبول (٢/ ٦٠٢).

(٤) انظر: الإيمان لابن منده (١/ ٣١١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ].

النبى ﷺ قال لهم: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس...»^(٤).

٣ - وأما أصحاب القول الثالث فقالوا: إن الإسلام والإيمان بينهما تلازم، بحيث إذا اجتماعا افترقا وإذا افترقا اجتماعا، وهذا القول يجمع بين القولين السابقين، ويوضح العلاقة بين الإسلام والإيمان.

قال ابن الصلاح: «فخرج مما ذكرناه وحققناه أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان وأن كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً»^(٥).

وقال ابن تيمية: «لكن التحقيق ابتداء هو ما بيّنه النبى ﷺ لما سئل عن الإسلام والإيمان، ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة، فليس لنا إذا جمعنا بين الإسلام والإيمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبى ﷺ، وأما إذا أفرد اسم الإيمان فإنه يتضمن الإسلام، وإذا أفرد الإسلام فقد يكون مع الإسلام مؤمناً بلا

ووعدهم ﷺ مع ذلك على طاعتهم أن لا ينقصهم من أجور أعمالهم شيئاً^(١). واستدلوا أيضاً بحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً وسعد جالس، فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إلي، فقلت: يا رسول الله ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً، فقال: «أو مسلماً». فسكت قليلاً، ثم غلبنى ما أعلم منه فعدت لمقاتلي فقلت: ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً، فقال: «أو مسلماً»، ثم غلبنى ما أعلم منه، فعدت لمقاتلي، وعاد رسول الله ﷺ قال: «يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكبه الله في النار»^(٢).

٢ - من ذهب إلى أن الإسلام والإيمان مترادفان، وأنهما اسمان لمسمى واحد، وهو قول المالكية والشافعية^(٣).

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥) ﴿فَمَا وَحَدَّا فِيهَا عِزِّ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٦) [الذاريات]، وبحديث وفد عبد قيس، وفيه: أن

(١) انظر: مدارج السالكين (٩٢/٣).

(٢) رواه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٢٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٠).

(٣) انظر: التمهيد (٢٥٠/٩) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب]، وانظر: تعظيم قدر الصلاة للمروزي (١/٤١٨ - ٤٢٤) [مكتبة الدار، ١].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٣)، ومسلم (كتاب التوحيد، رقم ١٧).

(٥) صيانة صحيح مسلم (١٣٥) [دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٨هـ].

نزاع، وهذا هو الواجب»^(١).

ثانيًا: الفرق بين مطلق الإيمان والإيمان المطلق:

مطلق الإيمان هو أصل الإيمان الذي لا بد منه لكل مؤمن ومسلم، وأما الإيمان المطلق فهو الإيمان الكامل، وهو لا يطلق إلا على المؤمن حقًا، الذي أتى بما أمره الله به كله، واجتنب ما نهاه عنه كله، ولا يطلق على العاصي إلا مقيّدًا، فيقال: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

يقول ابن تيمية: «ولا يسلبون الفاسق الملى اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة؛ بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله ﷺ: «لا

يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينهب نهبه ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»^(٢)، ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم»^(٣).

ويقول ابن القيم: «فالإيمان المطلق لا يطلق إلا على الكامل الكمال المأمور به، ومطلق الإيمان يطلق على الناقص والكامل، ولهذا نفى النبي ﷺ المطلق عن الزاني، وشارب الخمر، والسارق، ولم ينف عنه مطلق الإيمان»^(٤).

وقال عبد الرحمن بن حسن - بعد ذكره لحديث: «لا يزني الزاني...»: «فالمنفى في هذه الأحاديث كمال الإيمان الواجب، فلا يطلق الإيمان على مثل هذه الأعمال إلا مقيّدًا بالمعصية أو بالفسوق، فيكون معه من الإيمان بقدر ما معه من الأعمال الباطنة والظاهرة، فيدخل في جملة أهل الإيمان على سبيل إطلاق أهل الإيمان كقوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٥٩ - ٢٦٠). وانظر للمزيد: معالم السنن (٤/ ٣١٥)، والإيمان لابن منده (١/ ٣٤٦ - ٣٤٧)، وإكمال المعلم (١/ ٢٠٢ - ٢٠٤)، والإيمان بين السلف والمتكلمين للغامدي (٢٩ - ٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٧٥)، ومسلم: (كتاب الإيمان، رقم ٥٧).
(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥١)، وانظر: (٧/ ٣٦١).
(٤) بدائع الفوائد (٤/ ١٣٢٤) [دار عالم الفوائد].

فهؤلاء اجتمعت لهم الأعمال الظاهرة والباطنة، ففعلوا ما أوجبه الله عليهم، وتركوا ما حرم الله عليهم^(١).

ثالثاً: الفرق بين كمال الإيمان الواجب، وبين الإيمان الكامل بالمستحبات:

هو أن الأول لا بدّ لكل مؤمن الإتيان به، لكن من أخلّ بشيء منه فلا يخرج من دائرة الإسلام، بل يقال عنه: مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، وصاحب هذه المرتبة متعرض للعقوبة والذم والعقاب إن أخلّ بها، وأما الثاني فالإتيان به هو من كمال الإيمان؛ إذ المستحبات وإن كانت من الإيمان فتركها لا يوجب اللوم أو الذم أو الإثم، وهذه المرتبة أعلى من المرتبة الأولى.

قال ابن تيمية: «فإن أعمال القلوب التي يسميها بعض الصوفية أحوالاً ومقامات أو منازل السائرين إلى الله، أو مقامات العارفين أو غير ذلك، كل ما فيها مما فرضه الله ورسوله فهو من الإيمان الواجب، وفيها ما أحبه ولم يفرضه فهو من الإيمان المستحب، فالأول لا بد لكل مؤمن منه، ومن اقتصر عليه فهو من الأبرار أصحاب

وأما المؤمن الإيمان المطلق الذي لا يتقيد بمعصية ولا بفسوق وبنحو ذلك، فهو الذي أتى بما يستطيعه من الواجبات مع تركه لجميع المحرمات، فهذا هو الذي يطلق عليه اسم الإيمان من غير تقيد، فهذا هو الفرق بين مطلق الإيمان والإيمان المطلق؛ والثاني هو الذي لا يصر صاحبه على ذنب، والأول هو المصر على بعض الذنوب. وهذا الذي ذكرته هنا هو الذي عليه أهل السُنّة والجماعة في الفرق بين الإسلام والإيمان، وهو الفرق بين مطلق الإيمان والإيمان المطلق، فمطلق الإيمان هو وصف المسلم الذي معه أصل الإيمان الذي لا يتم إسلامه إلا به، بل لا يصح إلا به؛ فهذا في أدنى مراتب الدين، إذا كان مصراً على ذنب أو تاركاً لما وجب عليه مع القدرة عليه.

والمرتبة الثانية من مراتب الدين:

مرتبة أهل الإيمان المطلق الذين كمل إسلامهم وإيمانهم بإتيانهم بما وجب عليهم، وتركهم ما حرمه الله عليهم، وعدم إصرارهم على الذنوب؛ فهذه هي المرتبة الثانية التي وعد الله أهلها بدخول الجنة، والنجاة من النار كقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَعْرِفِي مَن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦٦﴾ [الحديد]،

(١) الإيمان والرد على أهل البدع (٤ - ٥) [دار العاصمة، ط ٣، ١٤١٢هـ].

اليمين، ومن فعله وفعل الثاني كان من المقرين السابقين»^(١).

❁ الثمرات:

من ثمرات تحقيق الإيمان:

- الفوز بالجنة والنجاة من النار.
- نيل محبة الله تعالى.
- حصول البشرى لأهل الإيمان في الدنيا والآخرة.

وفساد هذا القول ظاهر؛ فإن نصوص الكتاب والسنة - التي تقدم شيء منها - دالة وصريحة على تبعض الإيمان وتفاضله وزيادته ونقصانه.

- **ثانيًا:** المرجئة الذين يخرجون العمل من الإيمان، وهؤلاء على أصناف ثلاثة:

الأول: صنف يقولون: الإيمان مجرد المعرفة القلبية. وهذا لا شك قول باطل يلزم منه أن يكون إبليس وفرعون ومن في حكمهما مؤمنين كاملي الإيمان. ومنهم من يقول: هو مجرد التصديق، وهم أكثر المرجئة.

الثاني: صنف يقولون: هو مجرد قول اللسان، وهذا هو قول الكرامية.

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٦٣٢) [مكتبة وهبة، ٣ط]، والفصل في الملل والنحل لابن حزم (١٨٨/٣) [دار المعرفة، ٢ط]، وأصول الدين للبغدادى (٢٤٩) [مطبعة الدولة باستانبول، ١٣٤٦هـ]، وانظر أيضًا: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٨/١٣).

- أن الله يدافع عن أهل الإيمان.
- التنعم بالحياة الطيبة.
- الفوز بولاية الله تعالى.
- حصول هداية القلب.
- أهل الإيمان أحق بالأمن من غيرهم.
- حصول معية الله الخاصة لهم.
- عبادة الله تعالى على نور وبصيرة.
- الوعد بالنصر والتمكين.
- رفع الدرجات في الدنيا والآخرة.
- استغفار الملائكة لأهل الإيمان^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

جاء موقف المخالفين لأهل السنة والجماعة في الإيمان على قسمين:

- **أولًا:** الخوارج والمعتزلة الذين قالوا: إن الإيمان قول واعتقاد وعمل، فهم يدخلون الأعمال في الإيمان،

(١) مجموع الفتاوى (١٩٠/٧).

(٢) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي (٦٩ - ٩٠) [أضواء السلف، ١ط، ١٤١٩هـ].

- الثالث:** صنف يقولون: هو تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو قول مرجئة الفقهاء^(١).
- وهذه الأقوال جميعها شذت عن الحق وخالفت الصواب الوارد في الكتاب والسنة، والمنقول عن سلف الأمة في تعريف الإيمان وأنه شامل للأقوال والاعتقادات والأعمال، وقولهم هو الحق الذي لا ريب فيه، وقول ما عداهم هو الباطل لبعده عن الكتاب والسنة.
- ٧ -** «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان»، للسعدي.
- ٨ -** «الجامع لشعب الإيمان»، لأبي بكر البيهقي.
- ٩ -** كتاب «الإيمان من صحيح البخاري ومسلم».
- ١٠ -** «مجموع الفتاوى» (ج ٧)، لابن تيمية.
- الإيمان المطلق**
- يراجع مصطلح (الإيمان).

المصادر والمراجع:

- ١ -** «أصول الإيمان»، لمحمد بن عبد الوهاب.
- ٢ -** «الإيمان»، لأبي بكر ابن أبي شيبة.
- ٣ -** «الإيمان»، لابن منده.
- ٤ -** «الإيمان بين السلف والمتكلمين»، للغامدي.
- ٥ -** «الإيمان ومعالمه وسننه واستكمال درجاته»، لأبي عبيد القاسم بن سلام.
- ٦ -** «زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه»، لعبد الرزاق البدر.
- الإيمان بالرسل**
- يراجع مصطلح (الرسل).
- الإيمان بالكتب**
- يراجع مصطلح (الكتب السماوية).
- الإيمان باليوم الآخر**
- يراجع مصطلح (اليوم الآخر).
- أيوب**
- اسمه ونسبه:**
- أيوب عليه السلام هو ابن موص - وقيل: أموص - ابن رزاح - وقيل: رازح، وقيل: ابن رغويل - ابن العيص بن إسحاق بن إبراهيم

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١٤١ - ١٤٥) [مطبعة الحلبي، ط ١٣٨٧هـ]، ومقالات الإسلاميين للأشعري (١١٤/١ - ١٢١) [المكتبة العصرية]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٩٥/٧).

سليمان بن داود، وقيل غير ذلك^(٧)، وذكروا أن من ولده من اسمه: بشر، وهو الذي يزعم كثير من الناس أنه ذو الكفل الذي بعثه الله نبياً^(٨).

معنى اسمه لغة:

اختلف في أيوب؛ أهو عربي أم عبراني؟ فقال بعضهم: إنه لا يعرف معناه على التحقيق، وقال بعضهم: إنه قريب من اللفظ العربي (أيب)، فربما يعني: الراجع إلى الله، أو التائب، وبعضهم يرى أن أيوب عليه السلام كان عربياً، وكان ساكناً في أرض حوران بالشام، وعلى كل فإذا كان هذا الاسم عربياً يكون (فيعولاً) من الأوب، ولعل سبب منعه من الصرف هو مجيئه مع أسماء أنبياء آخرين عن طريق العبرية إلى العربية فعومل معاملتها^(٩).

نبوته:

أيوب عليه السلام هو من جملة أنبياء الله الذين نصّ كتاب الله الكريم على إحياء الله إليهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

الخليل﴾^(١)، وهذا هو المشهور؛ لأنه من ذرية إبراهيم عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ﴾ [الأنعام: ٨٤]، ووجه الدلالة: أن الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ عائد على إبراهيم عليه السلام دون نوح عليه السلام على الصحيح^(٢)، وقيل: إن أباه كان ممن آمن بإبراهيم عليه السلام^(٣)، ومعنى هذا أنه ليس من ذرية إبراهيم عليه السلام. والصحيح: أنه من ذرية العيص بن إسحاق، كما يقول ابن كثير^(٤).

وذكر بعضهم أن أيوب عليه السلام جاء بعد يونس عليه السلام^(٥)، وقيل: إن أيوب كان نبياً في عهد يعقوب^(٦) وقيل: إنه كان بعد

(١) انظر: تاريخ الرسل والملوك للطبري (١/١٩٤) [دار الكتب العلمية، ط١]، وقصص الأنبياء المسمى بالعرائس (١٦٨) [مكتبة الجمهورية العربية، الأزهر]، والمنظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (١/٣٢٠) [دار الكتب العلمية، ط١]، ١٤١٢هـ، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي (١/١٦) [المطبعة الحسينية المصرية، ط١]، وتاريخ ابن الوردي (١/١٦) [دار الكتب العلمية، ط١]، ١٤١٧هـ.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١/٥٠٦).

(٣) انظر: المعارف لابن قتيبة (٤٢) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٢م]، وتاريخ الرسل والملوك للطبري (١/١٩٤)، والمنظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (١/٣٢٠)، والبداية والنهاية (١/٥٠٦).

(٤) انظر: البداية والنهاية (١/٥٠٦).

(٥) انظر: المصدر نفسه (١/٥٠٧).

(٦) انظر: المختصر في أخبار البشر (١/١٦).

(٧) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٢/١٣٠) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ].

(٨) انظر: تاريخ الطبري (١/١٩٥)، والمختصر في أخبار البشر (١/١٦)، والبداية والنهاية (١/٥١٥)، والإتقان في علوم القرآن (٢/١٣٠).

(٩) انظر: المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم للجواليقي (١٠٧) [دار القلم، ط١]، ١٤١٠هـ، والإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء للدكتور ف. عبد الرحيم (٥٥ - ٥٦) [دار القلم، ط١]، ١٤١٣هـ.

عظيمًا لثمان عشرة سنة بأمراض شديدة في بدنه كله سوى قلبه ولسانه، وابتلي في ماله وولده، حيث كان له من الدواب والأنعام والحرث والولد شيء كثير ومنازل مرضية، ففقد كل ذلك،

وعافه الجليس ونفر منه الأنيس، ولم يجد من يحنو عليه، ويقوم بخدمته، سوى رجلين من إخوانه وزوجته، التي حفظت له سابقته من الإحسان إليها وشفقته عليها، فكانت ترعاه وتعينه على أموره وتطعمه حتى نفذ ما عندها،

فكانت تخدم الناس لتطعمه، وهو صابر محتسب على ذلك كله، مقبل على الله يلهج بذكره وشكره^(٣)، حتى أصبح مضرب المثل في الصبر فيما بعد، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يتلى الرجل على حسب دينه،

فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه»^(٤). وقد أخبر الله تعالى بأن أيوب ﷺ كان مبتلى صابراً وأثنى عليه ﷺ بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص]، وتوجه إلى ربه بالدعاء والاستغاثة والإلحاح في

كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنِّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ [النساء: ١٦٣].

دعوته:

ذكر غير واحد من المؤرخين أن أيوب عاش بعد زوال المرض عنه سبعين سنة في بلاد الشام على الحنفية السمحة ملة إبراهيم ﷺ مع قومه، وبعد موته غير أتباعه ملة إبراهيم^(١).

وفاته:

ذكر المؤرخون أن نبي الله أيوب عاش بالشام بعد زوال البلاء والمرض عنه سبعين سنة، ثم مات عن ثلاث وتسعين سنة. وقيل: إنه عاش أكثر من ذلك، والله أعلم^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ابتلاء أيوب ﷺ وصبره عليه، وبيان ما أكرمه الله به من معجزة عظيمة في شفائه:

لقد ابتلي نبي الله أيوب ﷺ ابتلاء

(١) انظر: البداية والنهاية (١/٥١٤) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ]، وصحيح قصص الأنبياء لسليم الهلالي (٢٣٣) [دار غراس، ط ١]، وقصص الأنبياء ومناقب القبائل من التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملتن (١٥٧) [المكتبة المكية، ومؤسسة الريان، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: تاريخ الطبري (١/١٩٥)، والبداية والنهاية (١/٥١٤ - ٥١٥).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١/٥٠٧ - ٥٠٨).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الزهد، رقم ٢٣٩٨) وصححه، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٢٣)، وأحمد (٧٨/٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم في المستدرک (كتاب الإيمان، رقم ١٢٠)، وقال الألباني: «هذا سند جيد». السلسلة الصحيحة (رقم ١٤٣).

قال: «وكان يخرج في حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجع»^(٣).

فرحمه الله، واستجاب دعاءه، وكشف ما به من ضر، وأزال عنه البلاء، وأكرمه ببعض النعم، كما قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾^(٨٤) [الأنبياء].

جاء عن الحسن وقتادة بسند حسن^(٤)؛ أنهما قالا في قوله سبحانه: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾: «أحيا الله أهله بأعيانهم، وزاده إليهم مثلهم»^(٥).

وقال الله ﷻ: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغَسِّلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾^(٤٢) وَوَعَيْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ^(٤٣) وَخَذْ بِيَدِكَ صِفْئًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَافِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ^(٤٤) [ص].

ففي هذه الآية - كما جاء عن قتادة بسند حسن^(٦) - أمر الله نبيه أيوب ﷺ أن يضرب برجله أرضاً يقال لها:

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠٩/٢٠ - ١١٠) [دار هجر، ط ١]، وابن حبان في صحيحه (كتاب الجنائز، رقم ٢٨٩٨)، والحاكم في المستدرک (كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، رقم ٤١١٥) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٣/١ - ٥٤) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٤) انظر: الصحيح المسبور (٢٢٦/٤).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٣٦٦/١٦).

(٦) انظر: الصحيح المسبور (٢٢٦/٤).

سؤاله؛ لرفع البلاء عنه، كما حكي الله ذلك بقوله ﷻ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٨٢) [الأنبياء]، وقال الله ﷻ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ يَنْصِبْ وَعَذَابٍ﴾^(٤١) [ص].

أخرج الطبري بسند حسن^(١) عن قتادة في هذه الآية الأخيرة أنه قال: «ذهاب المال والأهل، والضر الذي أصابه في جسده»^(٢).

وعن أنس بن مالك؛ أن النبي ﷺ قال: «إن نبي الله أيوب لبث به بلاءه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخص إخوانه له، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين. قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه ربه فيكشف ما به. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول، غير أن الله ﷻ يعلم أنني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق»،

(١) انظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور لحكمت بشير ياسين (٢٢٦/٤) [دار المآثر، المدينة النبوية ط ١].

(٢) تفسير الطبري (١٠٦/٢٠) [دار هجر، ط ١].

بعد ذلك كله صحة ظاهرة وباطنة،
وجمالاً تاماً، ومالاً كثيراً، حتى صب له
من المال صباً مطراً عظيماً جرّاداً من
ذهب، وأخلف الله له أهله^(٤).

فمن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ
قال: «بينما أيوب يغتسل عرياناً خرّ عليه
رجل جرّاد من ذهب، فجعل يحثي في
ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب، ألم أكن
أغنيّتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب،
ولكن لا غنى لي عن بركتك»^(٥).

- المسألة الثانية: مدة مكثه ﷺ في
البلاء:

اختلف أهل العلم في مدة مكث
أيوب ﷺ في البلاء، فقليل: إنها ثلاث
سنين لا تزيد ولا تنقص. وقيل: سبع
سنين وأشهرًا^(٦)، وذكر بعضهم أنها
ثمانية عشرة سنة^(٧)، وهذا هو الصحيح؛
لحديث أنس بن مالك؛ أن النبي ﷺ
قال: «إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه
ثمانية عشرة سنة»^(٨).

- المسألة الثالثة: رخصة الله لعبده
أيوب في حلفه على جلد زوجته مائة
جلدة:

هذه المسألة ذكرها غير واحد من

الجبابة^(١)، فضربها برجله، فإذا عيان
تنبعان، فشرب من إحدهما، واغتسل
من الأخرى^(٢).

وجاء في حديث أنس الطويل وفيه:
«فلما كان ذات يوم أبطأت عليه
فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن:
﴿اَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾^(٣)
[ص] فاستبطأته فتلقته تنظر، وأقبل عليها
قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو على
أحسن ما كان، فلما رآته قالت: أي
بارك الله فيك؛ هل رأيت نبي الله هذا
المبتلى؟ فوالله على ذلك ما رأيت رجلاً
أشبه به منك إذ كان صحيحاً. قال: فإني
أنا هو، قال: وكان له أندران؛ أندر
للقمح وأندر للشعير، فبعث الله صاحبين
فلما كانت إحدهما على أندر القمح
أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت
الأخرى في أندر الشعير الورق حتى
فاض»^(٣).

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿اَرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾
[ص: ٤٢]؛ أي: اضرب الأرض برجلك،
فامتثل ما أمر به، فأنبع الله له عينا باردة
الماء، وأمر أن يغتسل فيها، ويشرب
منها، فأذهب الله عنه ما كان يجده من
الألم والأذى والسقم والمرض، الذي
كان في جسده ظاهراً وباطناً، وأبدله الله

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠٧/٢٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠٨/٢٠).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) البداية والنهاية (١/٥١٣).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٩١).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٠٦/٢٠)، والمنظّم في
التاريخ (١/٣٢٣).

(٧) وانظر لجميعها: البداية والنهاية (١/٥٠٩).

(٨) تقدم تخريجه تحت المسألة الأولى.

المؤرخين^(١) وكذا بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَحُذِّ بِيدِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾ [ص: ٤٤].

وخلاصتها: أن نبي الله أيوب حلف في أثناء مرضه على جلد زوجه مائة جلدة، واختلف في سبب الجلد؛ ف قيل: لبيعها ضفائرها حين نفذ كل ما عندها في أثناء مرض زوجها نبي الله أيوب ﷺ، وقيل: لاعتراض الشيطان عليها في صورة طيب، يصف لها دواء لأيوب ﷺ فجاءته وأخبرته الخبر، فعلم ﷺ أنه الشيطان، ولما عافاه الله رخص الله له وخفف على زوجته، فأمره الله أن يضربها بما يبر قسمه ولا يحنث، ولا يضر زوجها الصابرة المحتسبة، وهو أن يأخذ حزمة تصل المائة من عيدان الأعشاب الرطبة فيضربها مرة واحدة^(٢)، وهذه رخصة من الله أكرم الله بها نبيه أيوب ﷺ.

قال ابن جرير في تفسير الآية: «وقلنا لأيوب: خذ بيدك ضغثًا، وهو ما يجمع من شيء مثل حزمة الرطبة، وكملء الكف من الشجر أو الحشيش والسماريخ

ونحو ذلك مما قام على ساق»^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «المعارف»، لابن قتيبة.
- ٢ - «تفسير الطبري» (ج ٢٠).
- ٣ - «تاريخ الرسل والملوك» (ج ١)، للطبري.
- ٤ - «قصص الأنبياء المسمى بالعرائس»، للثعلبي.
- ٥ - «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» (ج ١)، لابن الجوزي.
- ٦ - «الكامل في التاريخ» (ج ١)، لابن الأثير.
- ٧ - «المختصر في أخبار البشر» (ج ١)، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي.
- ٨ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.
- ٩ - «صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير)»، لسليم الهلالي.
- ١٠ - «قصص الأنبياء ومناقب القبائل من (التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن)»، لأحمد حاج محمد عثمان.



(١) انظر: المنتظم في التاريخ (١/٣٢٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (١/٥١٤).

(٢) انظر: المنتظم لابن الجوزي (١/٣٢٠)، والبداية والنهاية لابن كثير (١/٥١٤)، وصحيح قصص الأنبياء للشيخ سليم الهلالي (٢٣٣).

(٣) تفسير الطبري لابن جرير الطبري (٢٠/١١١).

حرف الباء

التعريف شرعاً:

البارئ: هو الذي برأ الخلق و اخترعه وأحدثه، وهو دالٌّ على صفة البرء، وهي من صفات الأفعال المتعدية، التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها ﷻ^(٤).

الحكم:

يجب الإيمان بشبوت اسم البارئ لله تعالى، وأنه دالٌّ على فعله، وهو خلقه للمخلوقات، وهو دالٌّ على انفراده بذلك ﷻ لا يشركه فيه مشارك^(٥).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَثَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٩٢].

(٤) انظر: شفاء العليل (١٢١) [دار الفكر، ١٣٩٨هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى لابن سعدى (١٧٠).

(٥) انظر: تفسير السعدي (١٠٠٧) [دار السلام، ط ٢].

(٦) انظر: تفسير الطبري (١/ ٦٨٥) [دار هجر، ط ١]، ومعالم التنزيل (٩٦/١) [دار طيبة، ط ١٤٠٩هـ].

البارئ

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الباء والراء والهمزة فأصلان إليهما ترجع فروع الباب؛ أحدهما: الخلق؛ يقال: برأ الله الخلقَ يبرؤهم برءاً، والبارئ: الله جلَّ ثناؤه؛ قال الله تعالى: ﴿فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]... والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومزايته؛ من ذلك البرء، وهو السلامة من السقم»^(١).

وبرأ الله الخلقَ، من باب قطع، فهو البارئ، والبرية الخلق، تركوا همزها إن لم تكن من البري^(٢)، وأصل البرء: خلوص الشيء عن غيره، إما على سبيل التقصّي منه، وعليه قولهم: برأ فلان من مرضه، والمديون من دينه، ومنه استبرأت الجارية، وقيل: البارئ: الخالق؛ البريء من التفاوت والتنافر المخلّين بالنظام، وإما على سبيل الإنشاء، ومنه: برأ الله النسمة^(٣).

(١) مقاييس اللغة (٢٣٦/١) [دار الجبل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مختار الصحاح (١٨) [مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ].

(٣) انظر: فتح الباري (٣٩١/١٣) [دار المعرفة، بيروت].

قال أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرية استفاد اسم البارئ»^(٥).

قال الشيخ عبد العزيز الراجحي: «المعنى: أن أسماء الله تَعَالَى اسمه الخالق، واسمه البارئ، ولم يزل له هذا الاسم، والبارئ؛ أي: الذي خلق الخلق، وبرأ البرية وأحدثها، ولم يزل له الأسماء الحسنى؛ لأنه تَعَالَى قادر على الفعل في أي وقت»^(٦).

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «الخالق البارئ المصور: الذي خلق جميع الموجودات وبرأها، وسوّاها بحكمته، وصورها بحمده وحكمته، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم»^(٧).

الفروق:

الفرق بين البارئ والخالق والمصور: ذكر أهل العلم فروقاً بين هذه الأسماء، حاصلها: أن الخالق هو مقدر الأشياء أولاً، والبارئ: هو الإيجاد على وفق ذلك التقدير، والمصور: هو اختراع صور الأشياء، وترتيبها في الوجود على أحسن الوجوه، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

(٥) العقيدة الطحاوية ضمن شرحها لابن أبي العز الحنفي (١٠٩/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١٣، ١٤١٩هـ].

(٦) الهداية الربانية في شرح العقيدة الطحاوية (٨٨/١) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٣٠هـ].

(٧) تفسير أسماء الله الحسنى (١٧٠).

عن أبي جحيفة رَحِمَهُ اللهُ قال: قلت لعلي: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: «والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة». قلت: وما في الصحيفة؟ قال: «العقل وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر»^(١).

أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «البارئ الذي برأ الخلق فأوجدهم»^(٢).

وقال الزجاج رَحِمَهُ اللهُ: «البارئ؛ يقال: برأ الله الخلق، فهو يبرؤهم برءاً؛ إذا فطرهم»^(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «البارئ المصور: تفصيل لمعنى اسم الخالق»^(٤).

المسائل المتعلقة:

لم يزل ولا يزال الرب تعالى متّصفاً بالبرء، والخلق، والتدبير، فلم يستفد بإحداث البرية اسم البارئ، كما أنه ليس بعد أن خلق الخلق استفاد اسم الخالق، وهذا مبني على أصل إثبات الصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله تعالى وقدرته.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠٤٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٥٥٥).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٧) [دار الثقافة].

(٤) شفاء العليل (١٢١) [دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ].

فألحق **أولاً**؛ لأنه تقدير الأشياء على إحكام واستواء، ثم البرء **ثانياً**؛ لأنه الإبراز والإيجاد على وفق التقدير السابق، ثم التصوير **ثالثاً**؛ لأنه اختراع صور الأشياء وترتيبها في الوجود على أحسن الوجوه^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٢ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٤ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.
- ٥ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لمحمد حمود النجدي.
- ٦ - «أسماء الله الحسنى»، للغصن.
- ٧ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.
- ٨ - «الأسئلة والأجوبة الأصولية»، لعبد العزيز السلمان.
- ٩ - «فقه أسماء الله الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

«البارئ المصور تفصيل لمعنى اسم الخالق، فالله سبحانه إذا أراد خلق شيء قدره بعلمه وحكمته، ثم برأه؛ أي: أوجده وفق ما قدره في الصورة التي شاء سبحانه»^(١).

وقال ابن كثير رحمته الله: «الفرق بين الخالق والبارئ أن الخلق التقدير، والبرء هو الفري، وهو التنفيذ، وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله سبحانه. قال زهير بن أبي سلمى يمدح رجلاً:

ولأنت تفري ما خلقت وبع

ض القوم يخلق ثم لا يفري

أي: أنت تنفذ ما خلقت؛ أي: قدرت، بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع ما يريد، فالخلق: التقدير، والفري: التنفيذ، ومنه يقال: قدر الجلال ثم فري؛ أي: قطع على ما قدره بحسب ما يريده»^(٢).

وقد ظن بعض الناس أن هذه الأسماء مترادفة، وليس كذلك؛ قال محمد خليل هراس: «والحاصل أن هذه الأسماء الثلاثة ليست مترادفة على معنى واحد، بل لكل منها معنى يخصه، وهي متكاملة لا بد منها جميعاً على هذا الترتيب؛

(١) شفاء العليل (١٢١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٤ - ٣٤٥) [دار الفكر].

(٣) عقيدتنا عقيدة القرآن والسنة (١٦٦) [دار الكتاب والسنة، ١، ١٤٢٤هـ].

التعريف شرعاً:

«البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب، فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية فهو من الدين الذي شرعه الله»^(٥).

ويقول الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ في تعريف البدعة: «هي طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية»^(٦).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

البدعة في اللغة أعم منها في الشرع كما يظهر من خلال التعريفين اللغوي والشرعي؛ ذلك أن البدعة في اللغة هي ما أحدث لا على مثال سابق، وسواء كانت محمودة أو مذمومة، والبدعة في الشرع هي إحداث أمر في الدين، وليس لها نظير فيما سلف، وهي لا تكون إلا مذمومة^(٧).

(٥) مجموع الفتاوى (١٠٧/٤ - ١٠٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، ١٤١٦هـ].

(٦) الاعتصام (٤٣/١) [الدار الأثرية، ط ٢، ١٤٢٨هـ].
(٧) انظر: تفسير الطبري (٤٦٤/٢)، والاعتصام للشاطبي (٤١/١)، واقتضاء الصراط المستقيم (٥٩٣/٢) [مكتبة الرشد، وفتح الباري (٢٥٣/١٣) دار المعرفة].

الباطن

يراجع مصطلح (الظاهر الباطن)

البدعة

البدعة لغة:

البدعة من: بَدَعَ، وتأتي على معنيين؛ أحدهما: ابتداء الشيء لا عن مثال سابق، والثاني: الانقطاع والكلال؛ قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الباء والdal والعين أصلان: أحدهما: ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر: الانقطاع والكلال»^(١).

ويدل على المعنى الأول: قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٠١]؛ أي: خالقهما ومحدثهما ومنشئهما على غير مثال سابق^(٢).

وأما المعنى الثاني: فيدل عليه ما جاء في السُّنَّة في حديث الهدي: «فأزحفت عليه بالطريق فعيّ لسأنها إن هي أبدعت»^(٣)؛ أي: انقطعت عن السير بكلال، أو ظلع؛ كأنه جعل انقطاعها عمّا كانت مستمرة عليه من عادة السير؛ أي: إنشاء أمر خارج عمّا اعتيد منها^(٤).

(١) مقاييس اللغة (٢٠٩/١) [دار الجبل، بيروت].
(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٥٧/٩) [دار هجر، وتفسير ابن كثير (١٢٢/٦) [مؤسسة قوطبة، ط ١].
(٣) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٢٥).
(٤) انظر: لسان العرب (٣٤٣/١) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ].

❖ سبب التسمية:

قال الشاطبي: «من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي لا من نصوص الشرع ولا من قواعده؛ إذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثم بدعة، ولكان العمل داخلاً في عموم الأعمال المأمور بها أو المخير فيها»^(٣).

❖ الحكم:

❖ الأدلة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عَائِلِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَتَهُ ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى].

ومن السنة: حديث عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(٤)، وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٥).

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛

سميت البدعة بدعة؛ لأنها أحدثت على غير مثال سابق؛ أي: أن صاحبها ابتدأ طريقة في الدين لم يسبق إليها، ولهذا سمي المبتدع في الدين مبتدعاً؛ لإحداثه فيه ما لم يسبق إليه غيره^(١).

البدع كلها مذمومة منهي عنها في الشرع، فلا توجد بدعة حسنة كما يزعم محسنو البدع؛ لأن البدع مصادمة للشرعية مضادة لها، فهي مذمومة على كل حال^(٢).

❖ الحقيقة:

هي طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية، فيدخل فيها العبادات والعادات، وقيدت بالابتداع في الدين؛ لأن صاحبها إنما يضيفها إلى الدين، فيخرج ما كان مخترعاً لأجل الدنيا؛ كإحداث الصنائع والوسائل، ونحوها، ويخرج كذلك ما كان من العلوم النافعة المستحدثة؛ كعلم النحو والصرف، وغيرها من العلوم الخادمة للشرعية؛ إذ لها أصولها في الشرع، وهذه مما تدخل تحت المصالح المرسلة.

(٣) انظر: الاعتصام (١/٣٢١ - ٣٢٢).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الصلح، رقم ٢٦٩٧)،

ومسلم (كتاب الأفضية، رقم ١٧١٨).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الأفضية، رقم ١٧١٨).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢/٤٤٦)، وتفسير ابن كثير

(٦/١٢٢)، والاعتصام (١/٤١).

(٢) انظر: الاعتصام (١/٣٢١ - ٣٢٢)، وجامع العلوم

والحكم (١/٢٦٦).

أن رسول الله ﷺ كان يقول: «فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»^(١).

يراهما حسنة زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فما لم يكن يومئذ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا»^(٥).

ومنها كذلك حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه وفيه: أن رسول الله ﷺ قال: «إنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثير فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعصوا عليها بالنواجز، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»^(٢).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن عمر رضي الله عنهما: «كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة»^(٣).

قال أبو قلابة رضي الله عنه: «ما ابتدع رجل بدعة إلا استحل السيف»^(٤).

قال ابن الماجشون رضي الله عنه: سمعت مالكا يقول: «من ابتدع في الإسلام بدعة

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٦٧).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، رقم ٤٦٠٧)، والترمذي (أبواب العلم، رقم ٢٦٧٦) وصححه، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٤٢)، وأحمد في مسنده (٣٧٣/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٨٧١/٣) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٩هـ].

(٣) أخرجه المروزي في السنة (٢٩) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١]، ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/٣٣٩) [دار الراية]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/١٠٤) [دار طيبة، ط ٨]، وسنده صحيح.

(٤) رواه الدارمي في سننه (٥٨/١).

✽ الشروط:

يشترط في البدعة أن تكون مما لا أصل لها في الدين، وأما إن كان لها أصل في الشريعة فهذه لا تدخل تحت

(٥) الاعتصام للشاطبي (١/٦١) [دار ابن عفان، ط ١].

(٦) مجموع الفتاوى (١١/٦٨٤ - ٦٨٥).

بدعة ضلالة»^(٤)، واللغوية كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن جمعه للصحابه لصلاة التراويح جماعة والاستمرار عليه: «نعم البدعة هذه»^(٥).

٢ - تقسيم البدعة إلى بدعة حقيقية وبدعة إضافية: فالبدعة الحقيقية هي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا من سنة، ولا من إجماع، أو قياس، وهي في الأصل بمعنى البدعة المعرفة التعريف الشرعي، ومن أمثلتها التي ذكرها أهل العلم: بدعة قراءة القرآن بالإدارة على صوت واحد، وبدعة المولد النبوي، وغيرها، وهذه وإن كانت أقرب إلى البدع الإضافية، لكن لما صارت تلك الأوصاف ملازمة لها صارت من البدع الحقيقية.

وأما البدعة الإضافية: فهي التي لها شائبتان: **إحداهما**: لها من الأدلة متعلق، فلا تكون من تلك الجهة بدعة.

والأخرى: ليس لها تعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية، ومن أمثلته: الجهر بالنية في الصلاة، وكرفع الصوت بالتكبير عند قراءة الآية، وغيرها^(٦).

٣ - تقسيم البدعة إلى بدعة مكفرة،

مسمى البدعة، بل هي تدخل تحت المصالح المرسله النافعة.

قال ابن رجب رحمته الله: «والمراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغة»^(١).

وقال ابن حجر رحمته الله: «والمراد بها ما أحدث وليس له أصل في الشرع، ويسمى في عرف الشرع بدعة، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة، فالبدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة، فإن كل شيء أحدث على غير مثال يسمى بدعة، سواء كان محموداً أو مذموماً»^(٢).

❁ الأقسام:

تعددت تقسيمات أهل العلم للبدعة، وذلك لاعتبارات مختلفة، منها ما هو معتبر في الشرع، ومنها ما هو غير معتبر في الشرع:

فبالاعتبار الأول: وهو ما كان تقسيمه معتبر شرعاً، فيدخل فيه عدة تقسيمات:

١ - تقسيم البدعة إلى شرعية ولغوية^(٣)؛ فالشرعية هي ما تدخل تحت قوله ﷺ: «وشر الأمور محدثاتها وكل

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٦٧).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب صلاة التراويح، رقم ٢٠١٠).

(٦) انظر: الاعتصام (١٢٧/٢) [الدار الأثرية، ط ٢]،

وحقيقة البدعة وأحكامها (٧/٢ - ٣٥).

(١) جامع العلوم والحكم (٢١/٧٨١) [دار السلام، ط ٢].

(٢) فتح الباري (١٣/٢٥٣) [دار المعرفة، بيروت].

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/١١٦).

البجلي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنةً سيئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(٣).

وهذا الحديث خارج محل النزاع؛ إذ إن سببه يبين المقصود؛ فقد ورد في الحث على الصدقة، فأصل الفعل مشروع، يوضحه ما جاء في بيان سبب وروده في أوله؛ حيث قال جرير بن عبد الله رضي الله عنه: «كنا عند رسول الله في صدر النهار، قال: فجاء قوم حفاة عراة مجتأبي التمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١] إلى آخر الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ والآية التي في الحشر: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلَتُنْظَرُوا نَفْسَكُمْ مَا قَدْ كُنْتُمْ لِعَدُوِّهِ﴾ [الحشر: ١٨] تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره - حتى قال: ولو بشق تمره». قال: فجاء رجل من الأنصار

وبدعة غير مكفرة؛ أي: مفسقة^(١)؛ فالبدعة المكفرة: هي التي يلزم منها إنكار أمر مجمع عليه، أو متواتر من الشرع، أو معلوم من الدين بالضرورة، أو نحو ذلك؛ كبدعة الجهمية، والقدرية الغلاة، وأما البدعة غير المكفرة: فهي التي لا يلزم منها تكذيب بالكتاب، ولا شيء مما أرسل الله به رسله، ونحوها.

وهناك تقسيمات أخرى: كتقسيمهم البدعة إلى بدعة تعبدية وبدعة عادية، وإلى بدعة مركبة وبسيطة، وإلى فعلية وتركيفية، وغيرها من التقسيمات الكثيرة^(٢).

وأما **بالاعتبار الثاني** - وهو ما لم يكن تقسيمه معتبراً شرعاً - فيدخل فيه أيضاً هو عدة تقسيمات:

١ - تقسيم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة، وهذا التقسيم يذكره محسنو البدع، ليسوّغوا ما هم عليهم من البدع المنكرة، ويستدلون ببعض الأحاديث والآثار.

فمن أشهر الأحاديث التي يستدلون بها: حديث عن جرير بن عبد الله

(١) انظر: معارج القبول (٢/٦١٧) [الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد].

(٢) أكثر من عرف عنه الاعتناء بتقاسيم البدعة الشاطبي في كتابه الاعتصام، وكل من جاء بعده فإنما اتبعه في ذلك، ولمزيد من التفصيل ينظر: حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي (٢/١٩٢) [مكتبة الرشد].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، ١٠١٧).

قيام رمضان، ويرغب فيه، وكان الناس في زمنه يقومون في المسجد جماعات متفرقة ووحداً، وهو ﷺ صلى بأصحابه في رمضان غير ليلة، ثم امتنع من ذلك معللاً ذلك بأنه خشي أن يكتب عليهم، فيعجزوا عن القيام به، وهذا قد أُنْمن بعده ﷺ» (٤).

ثانياً: المراد بقول عمر بن الخطاب ﷺ: «نِعَم البدعة» هذه البدعة اللغوية لا الشرعية؛ لأن البدعة في اللغة تعني كل ما ليس له مثال سابق، وأما البدعة الشرعية فهي كل ما لم يدل عليها دليل من الشرع، أو ما ليس له أصل في الدين.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ثم نقول أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية؛ وذلك أن البدعة في اللغة تعني كل ما فعل ابتداءً من غير مثال سابق وأما البدعة الشرعية فكل ما لم يدل عليه دليل شرعي» (٥).

٢ - تقسيم البدعة على وفق الأحكام التكليفية الخمسة (٦): بدعة واجبة، وبدعة

بُصْرَة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبٌ» ثم ذكر الحديث السابق (١).

ومن أشهر الآثار التي يستدلون بها قول عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في اجتماع الناس على صلاة التراويح: «نِعَم البدعة هذه» (٢).

وهذا باطل من أوجه؛ أهمها:

أولاً: أن النبي كان قد صلى التراويح جماعة في أول أيام رمضان ثم تركها خشية أن تفرض على أمته، فلا يطبقونها، فصلاة التراويح جماعة لها أصل شرعي من سُنَّة المصطفى ﷺ.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فأما صلاة التراويح فليست بدعة في الشريعة، بل هي سُنَّة... ولا صلاتها جماعة بدعة؛ بل هي سُنَّة في الشريعة؛ بل قد صلاها رسول الله ﷺ في الجماعة في أول شهر رمضان ليلتين بل ثلاثاً، وصلاها أيضاً في العشر الأواخر في جماعة مرات» (٣).

وقال ابن رجب: «ومراده: أن هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت، ولكن له أصل من الشريعة يرجع إليها؛ فمنها أن النبي ﷺ كان يحث على

(١) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، ١٠١٧).

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٥٩١).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/٧٨٤).

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٥٩٣).

(٦) انظر: قواعد الأحكام (٢/١٧٢ - ١٧٤) [دار الكتب العلمية]، حاشية ابن عابدين (١/٥٦٠) [دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ]، وشرح الزرقاني على الموطأ (١/٣٤٠) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (١١/١٢٦) [دار إحياء التراث العربي].

الأعمال المأمور بها أو المخير فيها، فالجمع بين تلك الأشياء بدعاً، وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو نذرها أو إباحتها جمع بين متنافيين»^(٤).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله: «كل بدعة ضلالة» قاعدة شرعية كلية بمنطوقها ومفهومها، أما منطوقها فكأن يقال حكم كذا بدعة، وكل بدعة ضلالة، فلا تكون من الشرع؛ لأن الشرع كله هدى، فإن ثبت أن الحكم المذكور بدعة صحت المقدمتان وأنتجتا المطلوب، والمراد بقوله: «كل بدعة ضلالة» ما أحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص ولا عام»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: دخول البدعة في الأمور العادية:

اختلف أهل العلم في وقوع الابتداء في الأمور العادية؛ فذهب أكثر أهل العلم إلى أن الابتداء لا يدخل في الأمور العادية مطلقاً. وذهب بعض العلماء ومنهم: العز بن عبد السلام والقرافي رحمهم الله إلى أن البدع تدخل في الأمور العادية مطلقاً^(٦).

وذهب بعض أهل العلم؛ منهم: ابن

مندوبة، وبدعة مستحبة، وبدعة مكروهة، وبدعة محرمة، وهو تقسيم مبتدع، لا أصل له؛ إذ قوله رَحِمَهُ اللهُ: «وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»^(١) قاعدة شرعية كلية تبطل جميع البدع المحدثّة في الدين، التي ليس لها أصل ترجع إليه.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «فقوله رَحِمَهُ اللهُ: «كل بدعة ضلالة» من جوامع الكلم، لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وهو شبيه بقوله رَحِمَهُ اللهُ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(٢)، فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين، يرجع إليه فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة»^(٣).

وقال الشاطبي: «هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي، بل هو في نفسه متدافع؛ لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي لا من نصوص الشرع ولا من قواعده؛ إذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوب أو نذب أو إباحة لما كان ثم بدعة، ولكان العمل داخلياً في عموم

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

(٣) جامع العلوم والحكم (١/٢٦٦).

(٤) الاعتصام (١/٣٢١ - ٣٢٢).

(٥) فتح الباري (١٣/٢٥٣) [دار المعرفة، بيروت].

(٦) انظر: المبتدعة وموقف أهل السنة والجماعة منهم

لمحمد يسري (٤٩).

تيمية^(١) وابن رجب^(٢) والشاطبي رحمهم الله إلى التوسط بين القولين، وهو التفصيل في المسألة بمعنى: أن الابتداع لا يدخل في الأمور العادية إلا من جهة ما فيها من معنى التعبد^(٣). قال الشاطبي رحمته الله: «وإن العاديات من حيث هي عادية لا بدعة فيها، ومن حيث يتعبد بها أو توضع وضع التعبد تدخلها البدعة، وحصل بذلك اتفاق القولين وصار المذهبان مذهباً واحداً وبالله التوفيق»^(٤).

فالذي يترجح «أن البدع لا تدخل في العادات والمعاملات إلا من الوجه العبادي فيها، فإذا ألحق المكلف حكماً شرعياً، أو قصد الطاعة والأجر والثواب بعمل هو في حقيقته الشرعية ليس كذلك فقد ابتدع»^(٥).

- المسألة الثانية: حكم المبتدع:

أولاً: حكم المبتدعة على سبيل الإجمال من ناحية دخولهم في الإسلام أو عدمه، فهم على نوعين:

١ - من أهل البدع من يكون زنديقاً منافقاً فهذا كافر خارج عن الإسلام، وهذا يكثر في الرافضة والجهمية.

٢ - ومن أهل البدع من لا يكون كافراً ولا منافقاً، بل من المسلمين، فمن هؤلاء من يكون فيه إيمان باطنياً وظاهراً، يكون فيه جهل وظلم، حتى أخطأ ما أخطأ من السنة، وقد يكون عاصياً، أو فاسقاً، وقد يكون مخطئاً متأولاً، مغفوراً له خطؤه، وقد يكون مع هذا معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه من ولاية الله تعالى بقدر إيمانه وتقواه، وقد يكون مجتهداً مخطئاً يغفر الله خطأه، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وهؤلاء قد لا تكون مقالتهم كفرًا بنفسها.

وقد تكون مقالتهم كفرًا، ولكن لا يحكم على قائلها المعين بالكفر حتى تقوم عليه الحجة الرسالية التي يكفر تاركها، فيكون قائلها معذوراً؛ كمن لم يبلغه الخطاب؛ كحديث العهد بالإسلام، أو من نشأ ببادية بعيدة^(٦).

ثانياً: حكم المبتدعة من أهل القبلة من جهة الشهادة لهم بالجنة والنار، فهذا ينظر إليه من جهتين:

الأولى: جهة العموم، يقال: إن الفرق المبتدعة قد جاء الوعيد بأنها في النار، وذلك في قوله ﷺ: «افترقت

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٩٥/٤).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم له (٥٧) [دار المعرفة].

(٣) انظر: المصدر السابق (٤٩).

(٤) حقيقة البدعة وأحكامها، لسعيد الغامدي (١٢٤/٢)

[مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٥) انظر: جامع العلوم والحكم (٤٩).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧٩/٣).

٣٥٠ - ٣٥٤ (٣٥٤/٢٣).

فإن المنازع قد يكون مجتهدًا مخطئًا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول والقانت وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك فهذا أولى^(٣).

ثالثًا: الأحكام المترتبة على حكم المبتدع:

فمن الأحكام المترتبة على الحكم على المبتدع: الصلاة على المبتدع، والدعاء له، والاستغفار له، والصلاة خلفه، وقبول روايته، وقتله، وقبول توبته، ونحوها فالكلام فيها طويل، وقد وقع الخلاف في بعضها، والقول المختصر فيها أن يقال:

من كانت بدعته بدعة مكفرة، فهذا لا يصلى عليه، ولا يدعى له، ولا يستغفر له، ولا يصلى خلفه، ولا ينكح، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ونحو ذلك، وهذا ما ورد عن أئمة السلف في الجهمية، والرافضة.

قال الإمام البخاري رحمته الله: «وسئل عبد الله بن إدريس عن الصلاة خلف أهل البدع فقال: لم يزل في الناس إذا

^(٣) المناظرة في الواسطية ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧٩/٣).

اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»^(١).

وفي رواية: «كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»^(٢).

فيحكم على هذه الفرق الثنتين والسبعين بالهلاك واستحقاق النار على سبيل العموم، وهذا الاستحقاق لا يعني التخليد في النار كخلود الكافرين، بل هو وعيد كالوعيد الذي جاء لأصحاب الكبائر من أهل القبلة، من مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِهِمْ تُلْمًا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(١٠) [النساء].

والأخرى: جهة التعيين، فإنه لا يحكم للواحد المعين من هؤلاء بأنه في النار، «وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكًا،

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٥٩٦)، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٣٩٩٢)، والترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٤٠) وقال: حسن صحيح، وأحمد في مسنده (١٢٤/١٤) مؤسسه الرسالة، [١]، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ١٠)، وصححه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣/٣٤٥)، والألباني في الصحيحة (رقم ٢٠٣).

(٢) أخرجه بهذه الزيادة: ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٣٩٩٣)، وابن أبي عاصم في السنّة (١/٣٢) [المكتب الإسلامي، ط ١]، من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/١٨٠) [دار العربية، ط ٢]، والألباني في ظلال الجنة (٣٢/١).

بمعصية أو مُسرّاً لبدعة غير مكفرة، فإن هذا لا يهجر، وإنما يهجر الداعي إلى البدعة؛ إذ الهجر نوع من العقوبة، وإنما يعاقب من أظهر المعصية قولاً أو عملاً، وأما من أظهر لنا خيراً فإننا نقبل علانيته، ونكل سريرته إلى الله تعالى، فإن غايته أن يكون بمنزلة المنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله، لما جاؤوا إليه عام تبوك، يحلفون ويعتذرون، ولهذا كان الإمام أحمد رحمه الله، وأكثر من قبله وبعده من الأئمة، كمالك رحمه الله، وغيره، لا يقبلون رواية الداعي إلى بدعته، ولا يجالسونه، بخلاف الساكت، وقد أخرج أصحاب الصحيح عن جماعات ممن رمي ببدعة من الساكتين، ولم يخرجوا عن الدعاة إلى البدع^(٤).

الفروق:

الفرق بين البدع والمصالح المرسلة:

يظهر الفرق من عدة أوجه؛ أهمها^(٥):

١ - ترجع المصالح المرسلة في غالب أحوالها إلى أصل شرعي من الكتاب أو السنة أو الإجماع، وأما البدع فلا أصل شرعي لها تعود إليه.

٢ - تعود المصالح المرسلة عند

كان فيهم مرضي أو عدلٌ فصل خلفه. قلت: فالجهمية؟ قال: لا؛ هذه من المقاتل؛ هؤلاء لا يُصلى خلفهم، ولا يناكحون وعليهم التوبة^(١).

وقال أيضاً: «ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي، أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم، ولا يعادون، ولا يناكحون، ولا يشهدون، ولا تؤكل ذبائحهم»^(٢).

وأما من كانت بدعته بدعة مفسقة، أو غير مكفرة، فهذا إن كان داعية إلى بدعته، أو مظهرًا لها، فلا تقبل روايته، ويهجر، ويؤدب ويعاقب من طرف الحاكم، لكن يصلى عليه إذا مات، ويستغفر له، ويدفن في مقابر المسلمين، ونحو ذلك، فيعامل معاملة أصحاب الكبائر من أمة محمد ﷺ، وأما إن لم يكن داعية إلى بدعته، وكان مستترًا بها، فهذا يعامل معاملة المسلمين في الظاهر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فبهذا ونحوه^(٣) رأى المسلمون أن يهجروا من ظهرت عليه علامات الزيف من المظهرين للبدع، الداعين إليها، والمظهرين للكبائر، فأما من كان مستترًا

(١) خلق أفعال العباد (١٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٣].

(٢) خلق أفعال العباد (١٣).

(٣) أي: بما ورد عن النبي ﷺ من هجر كعب بن مالك وصاحبيه، وما ورد في أمر عمر بن الخطاب مع صبيغ بن عسل التيمي حيث أمر المسلمين بهجره.

(٤) مجموع الفتاوى (١٧٤/٢٤).

(٥) انظر: الاعتصام (٣٨/١، ١٨٥، ١٩٢) (١١١/٢)،

(١٦٢)، واقتضاء الصراط (٥٩٠/٢ - ١٦٣)، وحقيقة

البدعة وأحكامها (١٨٧/٢).

اللجنة من الله تعالى، ومن الملائكة، ومن الناس، كما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «المدينة حرم فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف»^(١)، وهذا وإن كان خاصاً بالمدينة إلا أن فيه الوعيد الشديد لأصحاب البدع، وما يترتب على بدعهم من النكال والتقريع.

ومنها: أن أصحاب البدع يمنعون ويذادون عن حوض النبي ﷺ يوم القيامة كما قال النبي الكريم ﷺ: «أَلَا لِيُذَادَنَّ رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً»^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستقامة»، لابن تيمية.
- ٢ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤)، لابن تيمية.
- ٣ - «الاعتصام»، لأبي إسحاق الشاطبي.
- ٤ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل المدينة، رقم ١٨٧٠)، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٧٠)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المساقاة، رقم ٢٣٦٧)، ومسلم (كتاب الطهارة، رقم ٢٤٩)، واللفظ له.

ثبوتها إلى جلب المنافع، ودفع المضار، فهي وسائل تعود إلى تحقيق مقاصد الشريعة، وهذا بخلاف البدع فإنها تعود على الفرد والمجتمع بالمفاسد الدنيوية والأخروية، وتفوت عليهم المصالح الدنيوية والأخروية.

٣ - موضوع المصالح المرسلة يكون فيما عقل معناه على التفصيل، وهذا لا يكون إلا في العادات والمعاملات، وأما العبادات فلا يعقل معناها على التفصيل، وفيها تكثر البدع، هذا وإن كانت العادات والمعاملات إنما يدخلها الابتداع من جهة ما فيها من التعبد لا بإطلاق.

الآثار:

مما لا شك فيه أن للبدعة آثاراً سيئة على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة:

فمن آثارها: حلول العقاب من الله تعالى إما في الدنيا وإما في الآخرة؛ لأنها سنة الله في خلقه، كما قال ﷻ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم].

ومنها: تهاون الناس بشرائع الدين المشروعة، وإماتة السنن المأثورة؛ لأنه كلما أحييت البدع، انطفأ نور السنة، فاستبدل الناس الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ومنها: أن البدع تجلب لأصحابها

٥ - «فتح الباري»، لابن حجر.

٦ - «حقيقة البدعة وأحكامها»، لسعيد الغامدي.

٧ - «الحوادث والبدع»، لأبي بكر الطرطوشي.

٨ - «البدع والنهي عنها»، لابن وضاح.

٩ - «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع»، للسيوطي.

١٠ - «المبتدعة وموقف أهل السنة والجماعة منهم»، لمحمد يسري.

البدعة الحقيقية

يراجع مصطلح (البدعة).

البدعة السيئة

يراجع مصطلح (البدعة).

البدعة العادية

يراجع مصطلح (البدعة).

البدعة العملية

يراجع مصطلح (البدعة).

البدعة الفعلية

يراجع مصطلح (البدعة).

البدعة الكلية

يراجع مصطلح (البدعة).

البدعة المفسدة (غير المكفرة)

يراجع مصطلح (البدعة).

البدعة المكفرة

يراجع مصطلح (البدعة).

البدعة الإضافية

يراجع مصطلح (البدعة).

البدعة التركيبية

يراجع مصطلح (البدعة).

البدعة التعبدية

يراجع مصطلح (البدعة).

البدعة الجزئية

يراجع مصطلح (البدعة).

البدعة الحسنة

يراجع مصطلح (البدعة).

صرف إلى فعيل، كما صرف مسمع إلى سميع، وعذاب مؤلم إلى أليم، ومبدع السماوات إلى بديع وما أشبه ذلك^(٥).

التعريف شرعاً:

إن الله ﷻ هو مبدع السماوات ومحدثها على غير مثال سابق، المنفرد بذلك تعالى، الذي أحسن كل شيء صنعا^(٦).

الأسماء الأخرى:

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: «فاطر، والبديع، والمبدئ، والبارئ، والخالق واحد»^(٧).

الحكم:

يجب الإيمان بأن الله ﷻ بديع السماوات والأرض، الذي أحسن كل شيء صنعا.

الحقيقة:

للبيدع ثلاثة معانٍ:

المعنى الأول: المبدع والمنشئ للسماوات والأرض على غير مثال سابق، قال الطبري: «يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة:

(٥) انظر: تفسير الطبري (٤٣١/١) [دار الفكر].

(٦) المستدرک علی فتاوی ابن تیمیة (٣٧/١) [جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٧) انظر: صحيح البخاري (٢٥٦٤/٦) [دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٠هـ].

البديع

يراجع مصطلح (بديع السماوات والأرض).

بديع السماوات والأرض

التعريف لغة:

«أَبْدَعْتُ الشيء قولاً أو فعلاً؛ إذا ابتدأته لا عن سابق مثال»^(١)، و«الْبَدْعُ: إحداث شيء لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر ولا معرفة»^(٢)، و«البديع: يقال: أبدعت الشيء إبداعاً؛ إذا جئت به فرداً لم يشاركك فيه غيرك، وهذا بديع من فعل فلان؛ أي: مما يتفرد به»^(٣)، وقال ﷻ: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] «أي: مبتدعها ومبتدئها لا على مثال سبق، قال أبو إسحاق: يعني: أنه أنشأها على غير حذاء ولا مثال»^(٤).

بديع السماوات والأرض: مبدعهما، وإنما هو (مُفْعِل) فَصُرِفَ إلى (فَعِيل)، كما صُرِفَ المؤلم إلى الأليم، والمسمع إلى السميع، وأصل بصير: مبصر من قول القائل: أبصرت فأنا مبصر، ولكن

(١) مقاييس اللغة (٢٠٩/١) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) كتاب العين (٥٤/٢) [دار ومكتبة الهلال].

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦٤) [دار المأمون].

(٤) تاج العروس (٣٠٧/٢٠) [دار الهداية].

[١١٧]: مبدعها... ومعنى المبدع: المنشئ والمحدث ما لم يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد، ولذلك سمي المبتدع في الدين مبتدعاً، لإحداثه فيه ما لم يسبقه إليه غيره^(١).

المعنى الثاني: المنفرد بخلق السماوات والأرض: روى الطبري رحمه الله في «تفسيره» عن الربيع قال: «﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ابتدع خلقها، ولم يشركه في خلقها أحد^(٢)»، وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن أبي العالية: يعني قوله: «﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾»: ابتدع خلقها ولم يشركه في خلقها أحد^(٣).

فالبديع من أبدعت الشيء إبداعاً؛ إذا جئت به فرداً لم يشاركك فيه غيرك، وهذا بديع من فعل فلان؛ أي: مما يتفرد به، وقال تعالى: «﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾» أراد به: أنه المنفرد بخلق السماوات والأرض^(٤).

المعنى الثالث: أنه يدل على إتقان وإحكام خلق السماوات والأرض: قال السعدي رحمه الله: «﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾»؛ أي: خالقهما ومبدعهما في غاية ما يكون من الحسن، والخلق

البديع، والنظام العجيب المحكم^(٥). ويؤخذ من اسم «﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾» صفة البدع، بمعنى: المبدع والمنشئ للخلق على غير مثال سابق، قال ابن منظور رحمه الله: «فبديع فاعل بمعنى فاعل، مثل قدير بمعنى قادر، وهو صفة من صفات الله تعالى؛ لأنه بدأ الخلق على ما أراد على غير مثال تقدمه^(٦)».

الأدلة:

ورد اسم «﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾» مرتين في كتاب الله تعالى، في قوله: «﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٧﴾﴾» [البقرة]، وقوله: «﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ، صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾» [الأنعام]، وجاء في السنة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً ورجل يصلي ثم دعا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحمد لا إله إلا أنت، المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: «لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى^(٧)».

(١) تفسير الطبري (٢/ ٥٤٠) [مؤسسة الرسالة].

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٥٤١).

(٣) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (١/ ٢٢٢) [دار المآثر، المدينة النبوية، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦٤)، ولسان العرب (٦/ ٨).

(٥) تفسير السعدي (٩٤٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٦) لسان العرب (٦/ ٨).

(٧) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٥)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٤٤)، والنسائي =

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «البديع: لم يقع إلا مضافاً في قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في موضعين، بديع؛ أي: مبدعهما»^(١).

وهذا الاسم من الأسماء المضافة، وممن يعده كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، قال: «وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك، مما ثبت في الكتاب والسنة، وثبت في الدعاء بها بإجماع المسلمين»^(٢).

وعده السعدي رَحِمَهُ اللهُ في الأسماء الحسنى في تفسيره^(٣).

والمأمل في الحديث السابق يجد أن ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ورد مع أسماء الله الحسنى في سياق الدعاء، وفيه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ

والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم».

❁ المسائل المتعلقة:

١- المسألة الأولى: قيل: إن اسم الله الأعظم: يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام^(٤):

لما ذكر ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ اختلاف الآثار في تعيين الاسم الأعظم قال: «وجملة ما وقفت عليه من ذلك أربعة عشر قولاً»، ثم ذكر منها القول السادس والسابع وفيها اسم «بديع السماوات والأرض» مع أسماء أخرى، فقال: «السادس: الحنان، المنان، بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام، الحي القيوم، ورد ذلك مجموعاً في حديث أنس عند أحمد والحاكم، وأصله عند أبي داود والنسائي، وصححه ابن حبان، السابع: بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام، أخرجه أبو يعلى^(٥) من طريق السري بن يحيى عن رجل من طي،

(٤) انظر: تاج العروس (٣٠٧/٢٠).

(٥) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٦٥/١٣) [دار المأمون، ط١]، من طريق السري بن يحيى عن رجل من طيء - وأثنى عليه خيراً - قال: كنت أسأل الله ﷻ أن يريني الاسم الذي إذا دعيت به أجاب، فرأيت مكتوباً في الكواكب في السماء: «يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام». قال الهيثمي: «رجاله ثقات». مجمع الزوائد (١٠/١٥٨) [مكتبة القدسي]، لكن لا يخفى أنه غير مرفوع.

= (كتاب السهو، رقم ١٣٠٠)، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٨)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٨٩٣)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٨٥٦) وصححه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٣/٥) [مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ].

(١) المستدرک على فتاوى ابن تيمية (٣٧/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٨٥/٢٢).

(٣) انظر: تفسير السعدي (٩٤٨).

وأثنى عليه^(١).

منده^(٦)، والبيهقي^(٧)، والخطابي^(٨)، وابن حجر^(٩).

ولم يثبت ابن العربي^(١٠)، والأصبهاني^(١١)، وابن حزم^(١٢)، وابن عثيمين^(١٣).

والصواب: أنه لا يثبت اسماً من أسماء الله تعالى لما يأتي:

١ - لم يرد (البديع) اسماً مفرداً في النصوص، وعمدة من اعتمده حديث الأسماء، فإن الذين أثبتوا اسم (البديع) إنما قلدوا الرواية المشهورة عند الترمذي من طريق الوليد بن مسلم وهي ضعيفة.

٢ - أن الذين أثبتوا اسم (البديع) إنما أطلقوه بطريق الاشتقاق، وهذا الاسم لم يرد إطلاقه في النصوص؛ بل جاء مضافاً، قال ابن تيمية رحمته الله: «البديع: لم يقع إلا مضافاً في قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] في موضعين، بديع؛ أي: مبدعهما»^(١٤)، وقد سبق بيان أن الأسماء المضافة لا يصح قطعها عن إضافتها عند اسم (الأحكم).

(٦) التوحيد (٨٩/٢).

(٧) في الأسماء والصفات (٧٠/١).

(٨) شأن الدعاء (٩٦).

(٩) فتح الباري (٢١٩/١١).

(١٠) أحكام القرآن (٨٠٨/٢) [دار الجبل].

(١١) المحجة في بيان المحجة (١٦٦/١) [دار الراية].

(١٢) المحلى (٢٨٢/٦) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ].

(١٣) القواعد المثلى (١٥) [دار ابن القيم، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(١٤) المستدرک على فتاوى ابن تيمية (٣٧/١).

- المسألة الثانية: الحكمة من إضافة الله تعالى الإبداع للسماوات والأرض:

لما أضاف الله تعالى الإبداع لأعظم المخلوقات التي يشاهدها الإنسان، ولا تغيب عنه دل على كمال قوة الله وحكمته، قال ابن عثيمين: «إذن ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] يستفاد منها القوة، والقدرة، والحكمة»^(٢).

- المسألة الثالثة: تسمية الله بديع بالبديع:

عدّ جمع من أهل العلم (البديع) ضمن أسماء الله تعالى كما ورد في طريق الوليد بن مسلم عند الترمذي^(٣)، وابن حبان^(٤)، والحاكم^(٥).

وقد عدّه في الأسماء كل من: ابن

(١) فتح الباري (٢٢٤/١١) [دار المعرفة]، وقد ذكره أيضاً: الطحاوي في بيان مشكل الآثار (٩٦/١) [مؤسسة الرسالة]، والبغوي في شرح السنة (٣٦/٥) [المكتب الإسلامي]، وابن تيمية في جامع المسائل (٢٨٦/٣) [دار عالم الفوائد]، وابن القيم في جلاء الأنفهام (١٥٢) [دار العروبة، ط ٢]، ومحمد آبادي في عون المعبود (٢٥٤/٤) [دار الكتب العلمية، ط ٢].

(٢) تفسير القرآن للعثيمين (١٣/٤).

(٣) جامع الترمذي (كتاب الدعوات، رقم ٣٥٠٧).

(٤) صحيح ابن حبان (كتاب الرقاق، رقم ٨٠٨).

(٥) المستدرک (كتاب الإيمان، رقم ٤١)، وقد تقدم في (مبحث الأسماء الحسنی) أن هذا الحديث ضعيف، وأن سرد الأسماء إدراج من بعض رواته، وسيأتي التنبيه على ذلك قريباً.

❁ المصروق:

الفرق بين الإبداع والخلق:

١ - قيل: الإبداع أعم من الخلق، فالإبداع يكون في إيجاد الشيء من لا شيء، وإيجاده من شيء، وأما الخلق فهو إيجاد شيء من شيء، ولذا قال: ﴿يَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، وقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [النحل: ٤] ولم يقل بديع الإنسان^(١).

٢ - وقيل: الخلق كذلك يستعمل كاستعمال الإبداع، فيستعمل فيما في إيجاد الشيء من لا شيء، وإيجاده من شيء سابق. فالخلق أصله التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء^(٢).

وذكر ابن القيم أن هاهنا ألفاظاً وهي: فاعل وعامل ومكتسب وكاسب وصانع ومحدث وجاعل ومؤثر ومنشئ وموجد وخالق وبارئ ومصور وقادر ومريد، وهذه الألفاظ ثلاثة أقسام: لم يطلق إلا على الرب سبحانه، كالبارئ والبديع والمبدع. **وقسم** لا يطلق إلا على العبد، كالكاسب والمكتسب. **وقسم** وقع إطلاقه على الرب والعبد كاسم: صانع وفاعل وعامل ومنشئ ومريد وقادر، وأما الخالق والمصور فإن

استُعْمِلَا مطلقين غير مقيدين لم يُطلقا إلا على الرب؛ كقوله: ﴿الْخَلْقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وإن استُعْمِلَا مقيدين أُطلقا على العبد، كما يقال لمن قدر شيئاً في نفسه أنه خلقه... وبهذا الاعتبار صح إطلاق خالق على العبد، في قوله تعالى: ﴿فَبَارِكْ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]؛ أي: أحسن المصورين والمقدرين... قال مجاهد رحمته الله: يصنعون ويصنع الله، والله خير الصانعين... وقال مقاتل رحمته الله: يقول تعالى هو أحسن خلقاً من الذين يخلقون التماثيل وغيرها، التي لا يتحرك منها شيء، وأما البارئ فلا يصح إطلاقه إلا عليه سبحانه، فإنه الذي برأ الخليقة، وأوجدها بعد عدمها، والعبد لا تتعلق قدرته بذلك، إذ غاية مقدوره التصرف في بعض صفات ما أوجده الرب تعالى وبراه، وتغييرها من حال إلى حال على وجه مخصوص، لا تتعداه قدرته، ليس من هذا برئت القلم؛ لأنه معتل لا مهموز، ولا برأت من المرض؛ لأنه فعل لازم غير متعد، وكذلك مبدع الشيء وبديعه لا يصح إطلاقه إلا على الرب، كقوله: ﴿يَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، والإبداع إيجاد المبدع على غير مثال سبق، والعبد يسمى مبتدعاً لكونه أحدث قولاً لم تمض به سنة، ثم يقال

(١) انظر: التعريفات (٢١) [دار الكتاب العربي، ط١]، والكلبيات للكفوي (١٩) [مؤسسة الرسالة].

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (١٥٧) [دار القلم].

لمن اتبعه عليه: مبتدع أيضًا^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٢ - «جامع المسائل» (ج ٣)، لابن تيمية.

٣ - «شرح ابن القيم لأسماء الله الحسنى»، لعمر الأشقر.

٤ - «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة»، لسعيد القحطاني.

٥ - «أسماء الله الحسنى»، للغصن.

٦ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

٧ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.

٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

٩ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لمحمد حمود التجدي.

يمينه: صدقت، وأبرّها: أمضاها على الصدق، والبر: خلاف العقوق، يقال: فلان ببر خالقه، ويتبرره يطيعه، والبر: الصلة، والجنة، والخير، والاتساع في الإحسان والحج، ويقال: برّ حجك وئر: بفتح الباء وضمها فهو مبرور^(٣).

التعريف شرعاً:

هو بالمعنى العام: فعل جميع الطاعات الظاهرة والباطنة، وبالمعنى الخاص: معاملة الخلق بالإحسان إليهم. قال ابن تيمية: «لفظ: (البر) إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به»^(٤). وقال ابن رجب: «لأن البر يطلق باعتبارين: أحدهما: باعتبار معاملة الخلق بالإحسان إليهم... والمعنى الثاني: من معنى البر: أن يراد به فعل جميع الطاعات الظاهرة والباطنة»^(٥).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لا يختلف المعنى الشرعي عن اللغوي؛ لأنه في اللغة بمعنى الطاعة والصلة، والصدق، وهي كلها داخلة في المعنى الشرعي.

البر

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَكَّ اللَّهُ: «الباء والراء في المضاعف أربعة أصول: الصدق، وحكاية صوت، وخلاف البحر، ونبت»^(٢). فمن الصدق قولهم: برّت

(١) انظر: شفاء العليل (١/ ٢٤ - ٢٥) [دار الفكر].

(٢) مقاييس اللغة (٨٩) [دار إحياء التراث العربي، ط ١].

(٣) مقاييس اللغة (٨٩)، والصباح (٣/ ١٥٠) [دار العلم للملايين، ط ٤]، والقاموس المحيط (٣٢٧) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢].

(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ١٦٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف]، وانظر: الرسالة التبوكية (٦ - ٨).

(٥) جامع العلوم والحكم (٣٠٢ - ٣٠٣) [مؤسسة فؤاد بعينو، ط ١، ١٤٢٤هـ].

الحكم:

وإذا أفرد كل واحد منهما دخل في مسمى الآخر؛ إما تضامناً، وإما لزوماً، ودخوله فيه تضامناً أظهر؛ لأن البر جزء مسمى التقوى، والتقوى جزء مسمى البر^(٤).

الحقيقة:

حقيقة البر هو الكمال المطلوب من الشيء والمنافع التي فيه والخير، كما يدل عليها اشتقاق هذه اللفظة وتصاريفها في الكلام^(٢).

وإذا أفرد البر كان المراد به الدين كله، وكان مسماه مسمى التقوى، فهي كلمة جامعة لجميع أنواع الخير، والكمال المطلوب من العبد، ويقابله الإثم، وإذا اقترن البر بالتقوى أريد بالبر: ما هو مطلوب لذاته من الطاعات؛ إذ بها كمال العبد وصلاحه الذي لا صلاح له بدونها. وبالتقوى: الطريق الموصل إلى البر والوسيلة إليه، وهي باجتناب المنهيات، فلفظها دالٌّ على أنها من الوقاية، فإن المتقي قد جعل بينه وبين النار وقاية، فالوقاية من باب دفع الضرر، والبر من باب تحصيل النفع، فالتقوى كالحماية، والبر كالعافية والصحة^(٣).

الأهمية:

البر هو جماع الدين، ومجامع الخير، وقد وصف الله من أتى بأفعال البر بالصادقين، والمتقين كما سيأتي ذكره^(٥).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].

وقال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الأنفطار].

وقال: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٦٤/٧ - ١٦٥)، وجامع العلوم والحكم (٢٠٢ - ٢٠٣).

(٢) الرسالة التبوكية لابن القيم (٥ - ٦) [دار عالم الفوائد].

(٣) الرسالة التبوكية (١١).

(٤) الرسالة التبوكية ضمن مجموع الرسائل (٥).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/١٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف]، والرسالة التبوكية (٥)، وتفسير ابن كثير (١٥٦/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ قال: «أبر البر أن يصل الرجل وُد أبيه»^(٤).

✽ أقوال أهل العلم:

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله في تفسير قول الثوري رحمته الله: في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِبْرَ مِنْ أَمَنِ بِاللَّهِ﴾ الآية، أن «هذه أنواع البر كلها»، «وصدق رحمته الله فإن من اتصف بهذه الآية، فقد دخل في عرى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كله»^(٥).

وقال ابن جرير رحمته الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِبْرَ مِنْ أَمَنِ بِاللَّهِ﴾: «فتأويل الآية إذا: وليس البر أيها الناس بأن تأتوا البيوت في حال إحرامكم من ظهورها، لكن البر من اتقى الله، فخافه، واجتنب محارمه، وأطاعه بأداء فرائضه التي أمره بها، فأما إتيان البيوت من ظهورها، فلا بر لله فيه، فأتوها من حيث شئتم من أبوابها وغير أبوابها ما لم تعتقدوا تحريم إتيانها من أبوابها في حال من الأحوال، فإن ذلك غير جائز لكم اعتقاده لأنه مما لم أحرمه عليكم»^(٦).

(٤) ابن تيمية، ط ٢، قال ابن رجب: «إسناد جيد».

جامع العلوم والحكم (٩٥/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٧]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٧٣٥) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٥) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة، رقم، ٢٥٥٢).

(٦) تفسير ابن كثير (١٥٦/٢).

(٦) تفسير الطبري (٥٥٧/٣).

الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ [البقرة].

وقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة].

وعن البراء رضي الله عنه قال: «كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيوت من ظهرها، فأنزل الله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]»^(١).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم، فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»^(٢).

وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه يقول: قلت: يا رسول الله! أخبرني بما يحل لي وما يحرم عليّ، قال: فصعد النبي ﷺ وصوب في النظر، فقال النبي ﷺ: «البر ما سكنت إليه النفس، وأطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس، ولم يطمئن إليه القلب، وإن أفتاك المفتون»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٥١٢).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٥٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢٧٨/٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، ومن طريقه الطبراني في الكبير (٢١٩/٢٢) [مكتبة

وقال القاضي عياض رحمته الله: «البر بمعنى الصلة، وبمعنى الصدق، بمعنى اللطف والمبرة، والتحفي، وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة»^(١).

✽ الفروق:

الفرق بين البر والإحسان:

البر إذا أطلق كان مسماه أعم لتناوله جميع الطاعات الظاهرة، والباطنة بخلاف الإحسان، فإنه أخص؛ لأنه إما أن يراد به ما يخص بمعاملة الخالق، وهو أعلى مراتب الإيمان كما في الحديث: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك»^(٥)، وإما أن يراد به معاملة الخلق بحسن الخلق، وكلا المعنيين داخلان في معنى البر، وقد يراد بالإحسان الطاعة، وعلى هذا يكون معناه معنى البر كما في قوله تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٦) [البقرة]

✽ الآثار:

قال ابن عباس رحمتهما الله في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: «ليس البر أن تصلوا ولا أن تعملوا، فهذا حين تحول من مكة إلى المدينة، ونزلت الفرائض والحدود،

✽ المسائل المتعلقة:

- مسألة: بر الكافر:

لا يختص البر بالمسلم، بل إن كان كافراً جاز به، والإحسان إليه إذا كان له عهد، لا سيما إذا كان الكافر والدين أو أحدهما، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: «قدمت عليّ أُمِّي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدتهم مع أبيها، فاستفتت رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن أُمِّي قدمت عليّ وهي راغبة فأصلها؟ قال: نعم صليها»^(٢). قال ابن عيينة رحمته الله: فأنزل الله ﻋَﻠَﻴْﻬَا فيها: ﴿لَا يَنْهَكُوكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨]^(٣). وقال ﻋَﻠَﻴْﻜُ في حق الوالدين إذا كانا كافرين: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ﴾ [لقمان: ١٥].

فأمر الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٥٣/١٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وانظر: تفسير ابن كثير (١٥٦/٢).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩).

(٦) انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (١٧/٨)، وتفسير القرطبي (٢٣١/٢)، وجامع العلوم والحكم (٤٨ - ٤٩ - ١٨٢ - ١٨٣ - ٣٠٢ - ٣٠٣).

(١) إكمال المعلم للقاضي عياض (١٧/٨) [دار الوفاء، ط١]، وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/١١) [دار إحياء التراث العربي، ط٢].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجزية، رقم ٣١٨٣)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٠٣).

(٣) الأدب المفرد رقم (٢٧) [دار البشائر الإسلامية، ط٣].

- فأمر الله بالفرائض والعمل بها^(١).
- ٧ - «الرسالة التبوكية»، لابن القيم.
- ٨ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.
- ٩ - «تفسير ابن كثير».
- ١٠ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
- وعن الضحاك بن مزاحم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنه قال: «ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا غير ذلك. وهذا حين تحوّل من مكة إلى المدينة، فأنزل الله الفرائض وحدّ الحدود بالمدينة، وأمر بالفرائض أن يؤخذ بها».
- وعن مجاهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله: «ولكن البر ما ثبت في القلوب من طاعة الله»^(٢).
- وقال الثوري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «﴿وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ الآية؛ قال: هذه أنواع البر كلها»^(٣).

البراء

يراجع مصطلح (الولاء والبراء).

البرزخ

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإيمان»، لأبو عبيد القاسم بن سلام.
- ٢ - «السُّنَّة» (ج ٤)، للخلال.
- ٣ - «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (ج ٢)، لابن بطة العكبري.
- ٤ - «تفسير الطبري».
- ٥ - «تفسير ابن أبي حاتم».
- ٦ - «مجموع الفتاوى» (ج ٧) و(٢٠)، لابن تيمية.

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «البرزخ: الحائل بين الشيئين كأن بينهما برازاً؛ أي: متسعاً من الأرض، ثم صار كل حائل برزخاً»^(٤).

فالبرزخ: هو الحاجز والحد بين الشيئين، ومنه قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠]، وجمعه برازخ، وأصله برزة فَعَرَّبَ^(٥).

التعريف شرعاً:

البرزخ: هو ما بين الدنيا والآخرة

- (١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٤/٣) مؤسسة الرسالة، ط ١، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٨٧) مكتبة الباز، ط ٣.
- (٢) أخرجهما الطبري في تفسيره (٣٣٦/٣ - ٣٣٧) دار عالم الكتب، ط ١، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٨٧) المكتبة العصرية، وانظر: تفسير ابن كثير (١٥٦/٢).
- (٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨٧/١)، وانظر: تفسير ابن كثير (١٥٦/٢).

(٤) مقاييس اللغة (٣٠٨/١).

(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (١١٨) [دار القلم، ط ٢]، ولسان العرب (٨/٣) [دار صادر، ط ٣]، والتعريفات (٦٣) [دار الكتاب العربي، ط ٢]، والكليات (٢٢٦، ٢٤٩)، وترتيب القاموس المحيط (٢٤٨/١) [دار الفكر، ط ٣].

الإيمان، وعذاب الكفار، وبعض العصاة قد يعذبون على بعض ذنوبهم. والموت هو بداية الحياة البرزخية، ويكون بمفارقة الروح للجسد، قال الله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ [المؤمنون]، وتنتهي هذه الحياة بقيام الناس لرب العالمين للحساب يوم القيامة (٣).

المنزلة:

البرزخ من مقدمات اليوم الآخر، وأول منازل الآخرة التي يقع فيه النعيم أو العذاب على مستحقه قبل يوم القيامة؛ لقوله ﷺ: «القبر أول منازل الآخرة، فإن ينج منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه» (٤).

الأدلة:

جاء لفظ البرزخ في القرآن الكريم دون السُّنة المطهرة، في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون]، وأما الأدلة على معناه

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥٣/١٨)، تفسير ابن كثير (٥/٤٩٤).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الزهد، رقم ٢٣٠٨) وحسنه، ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٧)، وأحمد (٥٠٣/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الرقاق، رقم ٧٩٤٢) وصححه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٦٨٤) [المكتب الإسلامي].

قبل الحشر، من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ (١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي مأخوذ من الحقيقة اللغوية، إلا أنه حاجز وحائل خاص، وهو الحد بين حياة الدنيا ويوم القيامة.

الأسماء الأخرى:

يسمى البرزخ أيضًا: المعاد الأول، والبعث الأول كما نص عليه ابن القيم (٢)، وأما القيامة الصغرى فهي الموت وهي من مقدمات اليوم الآخر.

الحكم:

يجب الإيمان بالبرزخ وما يكون فيه من أهوال وأحوال، كما جاءت بذلك نصوص الكتاب والسُّنة، وهو أحد مفردات الإيمان باليوم الآخر.

الحقيقة:

الحياة البرزخية: هي ما بين الموت إلى البعث، والتي تتمثل في نعيم أهل

(١) انظر: لسان العرب (٨/٣)، وتفسير الطبري (٩/٢٤٣) [دار الكتب العلمية، ط ١]، ومعالم التنزيل (٤٢٨/٥) [دار طيبة]، وزاد المسير (٤٩٠/٥) [المكتب الإسلامي، ط ٤]، وتفسير القرطبي (١٢/١٥٠) [دار إحياء التراث العربي]، وتفسير ابن كثير (٢٥٦/٣) [دار الفكر، ١٤٠٦هـ]، وفتح القدير (٣/٤٩٩) [دار الفكر، ١٤٠٣هـ].

(٢) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (٤٢٤/١) [دار العاصمة، ط ١]، وطريق الهجرتين لابن القيم (٢٩٩) [دار ابن القيم، ط ٢].

وما يجري فيه فكثيرة جدًا، وهي متناثرة ضمن الكلام على مفردات البرزخ.

❁ أقوال أهل العلم:

سئل مجاهد رحمته الله عن قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ وَرَّاهُمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون]، قال: «هو ما بين الموت إلى البعث»^(١).

- المسألة الثانية: إدراك الأحياء للحياة البرزخية:

دار البرزخ من الغيب النسبي الذي يمكن أن يدرك بالحس والمشاهدة؛ لقوله عليه السلام: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله ﷻ أن يسمعكم من عذاب القبر»^(٥)، فذكر عذاب القبر وعلة عدم السماع.

وفي حديث أم مبشر قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا في حائط من حوائط بني النجار فيه قبور منهم، قد ماتوا في الجاهلية، فسمعهم وهم يُعَذَّبُونَ، فخرج وهو يقول: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» قالت: قلت: يا رسول الله، وإنهم ليعذبون في قبورهم؟ قال: «نعم، عذابًا تسمعه البهائم»^(٦).

(٤) الروح (١١٤، ١١٥)، وشرح العقيدة الطحاوية (٣٩٦) [المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٣٩١هـ].

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٨).

(٦) أخرجه أحمد (٥٩٢/٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١،

وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١٢٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٥٦/٣) [مكتبة القدسي]: «رجال رجال الصحيح». وصححه الألباني على شرط مسلم. انظر: السلسلة الصحيحة (رقم ١٤٤٤).

وقال النحاس رحمته الله: «روي أن رجلًا قال بحضرة الشعبي رحمته الله: رحم الله فلانًا قد صار من أهل الآخرة، قال: لم يصير من أهل الآخرة ولكن صار من أهل البرزخ، وليس من الدنيا ولا من الآخرة»^(٢).

وقال ابن القيم رحمته الله: «ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة... وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة»^(٣).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الحياة البرزخية:

تختص الحياة البرزخية عن غيرها بأحكام، وتختلف بها عن دار الدنيا ودار القرار، فدور العبد ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وقد جعل الله لكل دار أحكامًا تختص بها، وركب هذا

(١) أخرجه هناد بن السري في الزهد برقم (٣١٤).

(٢) إعراب القرآن (١٢٣/٣) [عالم الكتب، ١٤٠٩هـ].

(٣) الروح (١٢٨) [دار الكتاب العربي، ط ٤، ١٤١٠هـ].

- المسألة الثالثة: حياة الأنبياء في البرزخ:

البرزخية أكمل من الذي لهم، ولكن لا يلزم من هذه الحياة أنه يعلم الغيب، أو يعلم أمور أهل الدنيا، أو يعمل لأحد من الناس، أو يستغفر لهم^(٣).

❁ الثمرات والآثار:

التفكر في البرزخ، والوقوف على الأدلة التي تبين أحواله وما يجري فيه من نعيم أو عذاب من أكبر الأسباب الباعثة على فعل الخير والطاعة، والزاجرة عن الشر والمعصية.

❁ مذهب المخالفين:

لما كانت الحياة البرزخية مقرها القبر، فإن المخالفين فيها، هم الذين خالفوا فيما يقع في القبر من النعيم والعذاب.

فمن المخالفين من أنكر عذاب القبر ونيمة بالكلية.

وهذا مذهب بعض المعتزلة^(٤)،

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ٣٥٤ - ٣٥٥)، والصارم المنكي لابن عبد الهادي (٢٢٥)، مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٢/ ٣٨٦).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ١٦٦) [المكتبة العصرية]، والإبانة عن أصول الديانة (١٣، ١٤) [دار الكتاب العربي، ط١]، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١١٧) [دار الجيل]، وعقائد الثلاث وسبعين فرقة (١/ ٣٥٢، ٤١٦) [مكتبة العلوم، ط١]، ولوائح الأنوار السنية (٢/ ١٥٠) [مكتبة الرشد، ط١]، ولوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٠) [المكتب الإسلامي، ط٣]، وفتح الباري (٣/ ٢٧٥) [دار الفكر].

الذي عليه أهل العلم أن الأنبياء أحياء في قبورهم حياة برزخية لا يعلم كُنْهَها وكيفيتَها إلا الله سبحانه، وليست من جنس حياة أهل الدنيا، بل هي نوع آخر، ففي الحديث الصحيح: «أن النبي ﷺ رأى ليلة المعراج آدم في السماء الدنيا، ورأى في السماء الثانية عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا ﷺ، ورأى في السماء الثالثة يوسف ﷺ، وهكذا سائر الأنبياء الذين رآهم»^(١).

وعن أنس بن مالك؛ أن رسول الله ﷺ قال: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»^(٢).

وهذه الحياة البرزخية أكمل من حياة الشهداء التي أخبر الله عنها سبحانه بقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران]. فتكون لهم من الحياة

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤).

(٢) أخرجه البزار (١٣/ ٢٩٩) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، وأبو يعلى (٦/ ١٤٧) [دار المأمون، ط١]، وصححه المناوي في فيض القدير (٣/ ١٨٤) [المكتبة التجارية الكبرى، ط١]، وقال ابن الملقن: قال البيهقي: وهذا إسناد صحيح. وهو كما قال؛ لأن رجاله كلهم ثقات، البدر المنير (٥/ ٢٨٥)، وجوّد الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة (٢/ ١٨٩).

قوله: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آتِنَا آثَنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا آثَنَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، وقوله: ﴿كَيْفَ نَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَتَمُونَ فَأَخَيَّكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]، وإنما ذكر أنه يحييهم مرة في الدنيا وأخرى في الآخرة^(٥).

والآيتان هما عمدة من أنكر عذاب القبر من المعتزلة والخوارج ومن نحا نحوهما^(٦).

ويجانون بأن مذهبهم مخالف لما عليه جمهور السلف، فالمشهور من أقوال المفسرين في الموتين والحياتين:

أن المراد بالموت الأول: العدم السابق، وبالثاني: الموت المعهود في الدار الدنيا.

والمراد بالإحياء الأول: حياة الدنيا، وبالثاني: البعث للقيامة الكبرى.

وقد رجح هذا القول الطبري^(٧)، وابن الجوزي^(٨) ونسبه لابن عباس، وقتادة، والفراء، وشعلب، والزجاج، وابن الأنباري، وهو قول ابن كثير^(٩)، وعليه جمهور السلف^(١٠).

وعلى هذا القول فإنه ليس فيه ما ينفي

والروافض^(١١)، والخوارج^(١٢).

وذهب بعضهم إلى وقوع العذاب والنعيم على الروح دون الجسد. وقيل: بوقوع العذاب للكافرين، والنعيم للمؤمنين^(١٣).

ولا شك أن هذه الأقوال كلها باطلة: فإن عذاب القبر ونعيمه قد جاء به القرآن الكريم، والسنة الصحيحة المتواترة، وأجمع عليه السلف الصالح، فلا يجوز إنكاره.

ومن الشبه النقلية التي أثاروها قولهم: إن الله لم يذكر حياة القبر في

(١) انظر: عقائد الثلاث وسبعين فرقة (١/٤٥٢)، ولطوائفها في ذلك تأويلات فاسدة، انظر: الإسماعيلية المعاصرة (٩٤) [ط ١، ١٤١٤هـ]، والبابية عرض ونقد (٢٠٥) [دار ترجمان السنة، ط ٦، ١٤٠٤هـ].

(٢) ورد في بعض كتب الشيعة الاثني عشرية إثبات لعذاب البرزخ ونعيمه، ولكنه إثبات مشوه مخالف لما دلّت عليه نصوص الوحي إذ يجعلون مقر النعيم والعذاب أرضاً في هذه الدنيا. والشيعة الغلاة لا يؤمنون بحقيقة البرزخ؛ لقولهم بتناسخ الأرواح، ومن الشيعة الغلاة في هذا الباب: الفرق القديمة القائلة بحلول روح الإله في الأئمة، نحو: السنيّة، والكيسانية، والكاملية، وغلاة الاثني عشرية... وغيرهم، ومن الغلاة المعاصرين: الإسماعيلية وسائر الفرق الباطنية الأخرى التي لها وجود اليوم، مثل: الدروز، والنصيرية، والبابية، والبهاية وغيرهم، والذي يجمعهم القول بالتناسخ والظاهر والباطن. راجع للتفصيل: الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (٢/١٠٨ - ٢٠٤) [رسالة دكتوراه، جامعة الإمام].

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/١١٦)، والفصل (٤/١١٧)، وفتح الباري (٣/٢٧٥).

(٤) انظر: رسائل الآخرة (١/٢٢٥ - ٢٦٠).

(٥) انظر: تفسير الرازي (١/١٦٦) [دار الفكر، ط ٣]، والفصل (٤/١١٧).

(٦) انظر: الفصل (٤/١١٧).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١/٢٢٥) [دار الكتب العلمية].

(٨) انظر: زاد المسير (١/٥٧) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٩) تفسير ابن كثير (١/٦٨).

(١٠) انظر: فتح القدير (٤/٤٨٤) [دار الفكر].

- ٨ - «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيم.
 ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
 ١٠ - «مجموع فتاوى الشيخ ابن باز».

البشيشة

التعريف لغة:

البشاشة في اللغة: الفرح والضحك عند اللقاء، يقال: بَشِشْتُ به وأَبَشْتُ بَشًا وبشاشة، ويقال: لقيته فتبشش بي، وأصله: تَبَشَّشَ، فأبدلوا من الشين الوسطى فاء الفعل؛ طلبًا للتخفيف في النطق والكلام^(١).

التعريف شرعًا:

البشاشة أو البشيشة صفة فعلية اختيارية خبرية ثابتة لله تبارك وتعالى، كما يليق بجلاله وعظمته^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

البشاشة والبشيشة كلتاهما تدلان على

حياة القبر؛ لأن إثبات الموتين والحياتين المذكورتين في الآيتين لا ينفي وجود غيرهما؛ كما دل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، فأثبت لهم حياة زائدة يتبعها موت، والدلائل القرآنية في هذا المعنى كثيرة.

وأيضًا فحياة القبر، وعود الروح إلى الجسد للمساءلة، وما يتبع ذلك من العذاب أو النعيم قد ثبت بصحيح السُّنة، فلا يجوز إنكاره.

ولا بدَّ من الجمع بين نصوص الكتاب والسُّنة، والأخذ بهما معًا دون تفريق، كما فعل جمهور السلف المفسرون لمعنى الآيتين الآتيتين.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد»، للفوزان.
- ٢ - «الجواب الصحيح»، لابن تيمية.
- ٣ - «رسائل الآخرة»، للعبيدي.
- ٤ - «الروح»، لابن القيم.
- ٥ - «الزهد»، لهناد بن السري.
- ٦ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.
- ٧ - «الصارم المنكي في الرد على السبكي»، لابن عبد الهادي.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٩٨/١) [دار الكتب العلمية]، والصاح (٩٩٦/٣) [دار العلم للملايين].

(٢) انظر: إبطال التأويلات لأخبار الصفات للقاضي أبي يعلى (٢٤٣/١) [دار إيلاف الدولية، الكويت، ط١]، والنبوات لابن تيمية (٤٤٩/١) [أضواء السلف، ط١]، وصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنة للسقاف (٦٧ - ٦٨) [دار الهجرة، الرياض، ط١]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٧٢) [مكتبة العيكان، ط٢].

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: «يَتَبَشَّشُ»: هو من البَشَاشَةِ، وهو (يتفَعَّلُ)»^(٤).

قال أبو يعلى الفراء رَحِمَهُ اللهُ معقَّباً على كلام ابن قتيبة: «فحمل الخبر على ظاهره ولم يتأوله»^(٥).

وقال أيضاً: «وكذلك القول في البشيشة؛ لأن معناه يقارب معنى الفرح، والعرب تقول: رأيت لفلان بشاشة وهشاشة وفرحاً، ويقولون: فلان هش بش فرح، إذا كان منطلقاً، فيجوز إطلاق ذلك كما جاز إطلاق الفرح»^(٦).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأما الضحك فكثير في الأحاديث، ولفظ البشيشة جاء أيضاً أنه يتبشش للداخل إلى المسجد؛ كما يتبشش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم»^(٧).

✽ الآثار:

الإيمان بهذه الصفة يغرس في قلب

الفرح والضحك، والله ﷻ يفرح ويضحك ويبش، كما جاء في الحديث.

✽ الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل، لدلالة الحديث النبوي على ذلك^(١).

✽ الحقيقة:

البشاشة أو البشيشة هي إظهار السرور عند لقاء الحبيب وعودته إليه بعد الغياب، والله ﷻ يفرح بعبده ويبش له إذا توطن المساجد للصلاة والذكر، وعاد إليها مرة بعد أخرى^(٢).

✽ الأدلة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «ما توطن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر إلا تبشش الله له، كما يتبشش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم»^(٣).

المستدرك (كتاب الإمامة وصلاة الجماعة، رقم ٧٧١) وصححه، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة (١/١٠٢) [دار العربية، ط ٢]، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٢٧) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٤) غريب الحديث (٤١٤/١) [وزارة الأوقاف، الجمهورية العراقية، ط ١، ١٣٩٧هـ].

(٥) إبطال التأويلات لأخبار الصفات (١/٢٤٣).

(٦) المصدر السابق نفسه.

(٧) النبوات (٤٤٩/١) [أخوة السلف، ط ١].

(١) انظر: الرسالة التدمرية (٧، ٣٠) [مكتبة العبيكان، ط ٨]، والعقيدة الواسطية مع شرحها لابن عثيمين (٥٦ - ٩٢) [دار الثريا، الرياض، ط ٢].

(٢) انظر: إبطال التأويلات لأخبار الصفات للقاضي أبي يعلى (١/٢٤٣)، وكتاب النبوات لابن تيمية (١/٤٤٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب المساجد والجماعات، رقم ٨٠٠)، وأحمد (١٤/٩٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ٣٥٩)، وابن حبان (كتاب الصلاة، رقم ١٦٠٧)، والحاكم في

غير غموض ولا خفاء، ولمضي السلف الصالح على ذلك^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» (ج ١)، للقاضي أبي يعلى الفراء.

٢ - «التدمرية»، لابن تيمية.

٣ - «شرح الواسطية»، لابن عثيمين.

٤ - «شرح الواسطية»، لمحمد خليل هراس.

٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٦ - «غريب الحديث» (ج ١)، لابن قتيبة.

٧ - كتاب «النبوات» (ج ١)، لابن تيمية.

٨ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعامر عبد الله فالح.

٩ - «نقض عثمان بن سعيد على المريسي العنيد»، للدارمي.

العبد محبة الله ﷻ، ويحث المرء على مواظبة الأعمال الصالحة والمداومة عليها ولا سيما الذهاب إلى المساجد، ويرغبه في التوبة والإنابة والعودة إليه سبحانه، ويسد باب اليأس والقنوط ويفتح باب الأمل والرجاء؛ لأنه يعلم أن ربه يفرح به ويبش له إذا عاد إليه وأناب إليه.

مذهب المخالفين:

البشاشة والبشاشة صفة فعلية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلائية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال لله تعالى، ويرجعونها إلى الثواب أو يؤولونها بالرضا، والرضا يؤولونه بالإرادة، وهكذا يفتحون أمامهم سلسلة من التأويلات لإنكار صفات الباري تبارك وتعالى... وهذه الصفة صفة مدح وكمال له سبحانه، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه، والرسول ﷺ هو الذي وصف الله تعالى بهذه الصفة، وهو أعلم الناس بالله ﷻ وأكثرهم تعظيمًا وتعبدًا له سبحانه، ولذلك الحق الصحيح الذي لا مرية فيه أنه يجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، لإخبار الصادق الأمين نبيًا محمد ﷺ بذلك، ولدلالة الحديث النبوي عليه دلالة واضحة من

(١) انظر: نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد (٥٥٦ - ٥٧٠) [أضواء السلف، الرياض، ط ١]، والنبوات لابن تيمية (٤٤٩/١)، وشرح الواسطية لمحمد خليل هراس (٧٢) [عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط ١٣]، وانظر من كتب المعتزلة: الفائق في الغريب للزمخشري (١/ ١١٠) [دار الفكر، بيروت]، ومن كتب الأشاعرة: أساس التقديس للرازي (١٩٦) [مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة].

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

البصير: مشتق من البصر، ومعناه: الرؤية والعلم والمعرفة، وقد سمي الله به نفسه؛ لأنه ﷺ عليم خبير بصير، ويبصر ويرى جميع مخلوقاته في جميع أحوالهم.

الحكم:

يجب الإيمان بهذا الاسم وما دل عليه من الصفة، وهو اتصاف الله تعالى بصفة البصر القائمة بذاته، ورؤيته سبحانه لجميع المبصرات والمرئيات، وذلك لدلالة الكتاب والسنة عليهما، ويجب إثباتهما لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل^(٤).

الحقيقة:

البصر: يأتي بمعنى: العلم وبمعنى: الرؤية، والله ﷻ لا يعزب عنه مثقال ذرة، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو سبحانه عليم خبير بصير، يبصر ويرى جميع مخلوقاته في جميع أحوالهم، يعلم جميع أمورهم وأحوالهم وأعمالهم في كل وقت وفي كل مكان^(٥).

البصير

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الباء والصاد والراء أصلان: أحدهما: العلم بالشيء؛ يقال: هو بصير به... والبصيرة الترس فيما يقال. والبصيرة: البرهان. وأصل ذلك كله وضوح الشيء. ويقال: رأيت له لمحًا باصرًا؛ أي: ناظرًا بتحديق شديد. ويقال: بصرت بالشيء إذا صرت به بصيرًا عالمًا، وأبصرته إذا رأيته. وأما الأصل: الآخر فبُصِرَ الشيء غلظه. ومنه البَصْر، هو أن يضم أديم إلى أديم، يخاطان كما تخاط حاشية الثوب...»^(١). والمراد به هنا هو الأصل الأول، فالْبصير خلاف الضير، وهو مأخوذ من البصر الذي معناه: الرؤية والوضوح والعلم^(٢).

التعريف شرعًا:

البصير: اسم من أسماء الله الحسنى، فهو سبحانه يرى ويبصر جميع مخلوقاته، ولا يعزب عنه مثقال ذرة^(٣).

(١) مقاييس اللغة (١/١٣٢) [دار الكتب العلمية، ط ١].
(٢) انظر: الصحاح (٢/٥٩١ - ٥٩٢) [دار العلم للملايين].

(٣) انظر: رسالة إلى أهل النغر للأشعري (٢٢٣، ٢٣٤) [عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط ٢]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/١٩٦) [طبعة مجمع الملك فهد]، والتدمرية له (٢٢) [مكتبة العبيكان، الرياض، ط ٨].

(٤) انظر: التدمرية (٧، ٢٢ - ٢٣)، والواسطية مع شرحها لابن عثيمين (٥٦ - ٩٢، ٢٧٥ - ٢٧٨) [دار الشريعة، ط ٢].

(٥) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/١١٤ - ١١٥) =

الأدلة:

تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ولا ريب أن مقصوده بذلك تحقيق الصفة، لا تمثيل الخالق بال مخلوق»^(٣).

أقوال أهل العلم:

قال عبد الله بن يزيد المقرئ رَحِمَهُ اللهُ: «إن الله سميع بصير؛ يعني: إن الله سمعاً وبصراً». قال أبو داود رَحِمَهُ اللهُ تقريراً لقوله وتعقيباً عليه: «وهذا ردٌّ على الجهمية»^(٤).

وقال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ: «نحن نقول: لربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى وتحت الأرض السابعة السفلى، وما في السماوات العلى، وما بينهما من صغير وكبير، لا يخفى على خالقنا خافية في السماوات السبع، والأرضين السبع، ولا مما بينهن، ولا فوقهن، ولا أسفل منهن، لا يغيب عن بصره من ذلك شيء، يرى ما في جوف البحار ولججها، كما يرى عرشه الذي هو مستو عليه»^(٥).

طريقه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٦٢/١) [مكتبة السوادى، ط ١]، وابن حبان (كتاب الإيمان، رقم ٢٦٥)، وقال ابن حجر في الفتح (٣٧٣/١٣) [دار المعرفة]: «أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم»، وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (٤٧٢٨).

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية (٧٤) [دار الكتب الإسلامية].

(٤) سنن أبي داود (٧٠٩ - ٧١٠) (كتاب السنّة، بعد ذكره الحديث برقم ٤٧٢٨).

(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة (١١٤/١ - ١١٥).

هذا الاسم تكرر وروده في القرآن الكريم في أكثر من أربعين موضعاً، منها: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر]، وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَأْتِ بِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ [مريم].

وعن أبي موسى الأشعري رَحِمَهُ اللهُ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كَبَرْنَا، فقال النبي ﷺ: «أيها الناس! اربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، ولكن تدعون سميعاً بصيراً»^(١).

وعن سليم بن جبير مولى أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ قال: سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء] قال: رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه. قال أبو هريرة رَحِمَهُ اللهُ: رأيت رسول الله ﷺ يقرأها، ويضع إصبعيه^(٢). قال ابن

= [مكتبة الرشد، ط ٥]، والحجة في بيان المحجة (١/ ١٩٦ - ١٩٧) [دار الراية، الرياض، ط ٢].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٨٤)، واللفظ له، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم ٢٧٠٤).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٢٨)، ومن

والمرئيات كلها، وهو عليم خبير، فجميع معاني هذه الصفة ثابتة لله ﷻ، والأدلة على اتصاف الله بهذه الصفة كثيرة، ويصعب حصر أفرادها، وقد أجمع أهل السنة على هذا، قال أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله: «طريقتنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، ومما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملاً بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول، لم يزل عالماً بعلم، بصيراً ببصر، سميعاً بسمع...» (٢).

- المسألة الثانية: إن نظر الله إلى عباده ومخلوقاته ورؤيته لهم ولأعمالهم عام شامل محيط بجميع الخلق وأعمالهم:

وهو الذي تدل عليه عامة الأدلة من القرآن والسنة، ولكن الله ﷻ قد يخص بعض خلقه بالنظر إليهم على وجه الخصوص، وفي ذلك مزيد فضل وشرف وعناية وحفظ ورعاية ونصر وتأييد لهم، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَخَافُ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه] وقوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾ [هود: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَالْقَبْطُ عَلَيْكَ حَبَّةٌ مِّثْقَى وَلِأَصْنَعُ عَلَى عَيْنَيَّ﴾ [طه].

وقال قوام السنة أبو القاسم التيمي رحمه الله: «واجب على كل مؤمن أن يثبت من صفات الله ﷻ ما أثبتته الله لنفسه، وليس بمؤمن من ينفي عن الله ما أثبتته الله لنفسه في كتابه، فرؤية الخالق لا تكون كرؤية المخلوق، وسمع الخالق لا يكون كسمع المخلوق، قال الله تعالى: ﴿فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] وليس رؤية الله تعالى بني آدم كرؤية رسول الله ﷺ والمؤمنين، وإن كان اسم الرؤية يقع على الجميع... جلّ وتعالى عن أن يشبه صفة شيء من خلقه صفته، أو فعل أحد من خلقه فعله، فالله تعالى يرى ما تحت الثرى وما تحت الأرض السابعة السفلى وما في السماوات العلى، لا يغيب عن بصره شيء من ذلك ولا يخفى، يرى ما في جوف البحار ولججها، كما يرى ما في السماوات، وبنو آدم يرون ما قرب من أبصارهم، ولا تدرك أبصارهم ما يبعد منهم، ولا يدرك بصر أحد من الآدميين ما يكون بينه وبينه حجاب، وقد تتفق الأسماء وتختلف المعاني» (١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اسم الله البصير يدل على اتصاف الله تعالى بصفة البصر: فهو سبحانه يرى المبصرات

(٢) نقله عنه الذهبي في: العلو للعلي الغفاري (١٧٦)

[المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط ٢، ١٣٨٨هـ].

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٩٦ - ١٩٧).

قال ابن تيمية: «وقد جاء في القرآن والسُّنة في غير موضع أنه يخص بالنظر والاستماع بعض المخلوقات... وتخصيص من يحب بالنظر والاستماع المذكور يقتضي أن هذا النوع منتف عن غيرهم»^(١).

✽ الآثار:

إن رؤية الله لأعمال العباد وأفعالهم ليس المقصود بها الإخبار عن مجرد الرؤية والاطلاع، بل هو متضمن الوعيد بالحساب والجزاء عليها، وذلك يقتضي من العبد الشعور بدوام المراقبة، والخوف والخشوع والذل والخضوع لله، والإحسان في العبادة، والبعد عن المعاصي والذنوب.

✽ مذهب المخالفين:

لا شك أن البصير اسم من أسماء الله الحسنی، ولم ينكر ذلك إلا الجهمية وشيوخهم من الفلاسفة وتلاميذهم من غلاة الصوفية وزنادقة الباطنية، والذين ينكرون جميع أسماء الله الحسنی وصفاته العلی.

وهذا الاسم يدل على اتصاف الله ﷻ بصفة البصر، وهذا أمر متفق عليه عند جميع أهل الإثبات مع شيء من الاختلاف بين أهل السُّنة والجماعة

وبين الأشاعرة ومن وافقهم.

والكتاب والسُّنة والإجماع والقياس كل ذلك يرد على من أنكر هذا الاسم أو نفى هذه الصفة عن الله ﷻ^(٢). قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إن النافي ليس معه حجة لا سمعية ولا عقلية، وأن الأدلة العقلية الصريحة موافقة لمذهب السلف وأهل الحديث، وعلى ذلك يدل الكتاب والسُّنة مع الكتب المتقدمة؛ التوراة والإنجيل والزبور، فقد اتفق عليها نصوص الأنبياء وأقوال السلف وأئمة العلماء، ودلت عليها صرائح المعقولات؛ فالمخالف فيها كالمخالف في أمثالها ممن ليس معه حجة لا سمعية ولا عقلية»^(٣).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «الرسالة التدمرية»، لابن تيمية.
- ٢ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنة التيمي.
- ٣ - «رسالة إلى أهل الثغر»، للأشعري.
- ٤ - «الصواعق المرسلية» (ج ٣)، لابن القيم.

(٢) انظر من كتب أهل السُّنة: سنن أبي داود (٧٠٩ - ٧١٠) [مكتبة المعارف، ط ١]، ونقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد (١٢٨ - ١٥٣) [أضواء السلف، ط ١]، ومن كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٢٢٧) [مكتبة وهبة، ط ٢]، والكشاف للزمخشري (٣١٠/١)، ٥٧٣، ٢٢٦/٤ [مكتبة العيكان، ط ١].

(٣) مجموع الفتاوى (٢٥٧/٦).

(١) مجموع الفتاوى (١٣/١٣).

- ٥ - «العقيدة الواسطية وشرحها»، لابن عثيمين.
- ٦ - «العلو للعلي الغفار»، للذهبي.
- ٧ - كتاب «التوحيد»، لابن خزيمة.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٥ و ١٣)، لابن تيمية.
- ٩ - «منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى» (ج ٢)، لخالد بن عبد اللطيف.
- ١٠ - «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد»، لعثمان بن سعيد الدارمي.
- عليه في الدنيا حيًا، بعد النفخة الثانية في الصور.
- قال السفاريني: «جمع أجزاء الإنسان بعد تفريقه ثم إحياء الأبدان بعد موتها»^(٥).
- وهذا التعريف يشمل بعث الإنسان والجآن والجماد.
- وأما البعث الذي يترتب عليه الثواب والعقاب في الآخرة، والذي يكفر العلماء منكره فهو: إعادة الإنسان حيًا بعد الموت، على هيئته التي كان عليها في الدنيا، من عجب الذنب بعد نفخة الصور الثانية^(٦).

البعث

الأسماء الأخرى:

التعريف لغة:

البعث: قال ابن فارس: «الباء والعين والثاء أصل واحد: وهو الإثارة، يقال: بعثت الناقة إذا أثرتها»^(١)، ويأتي بمعنى: الإرسال، والنشر^(٢)، والمعاد^(٣). يقال: بعثه إذا أرسله وأوصله^(٤).

التعريف شرعًا:

البعث: إعادة الخلق الفاني، كما كان

(١) انظر: مقاييس اللغة (١/٢٦٦) [دار الفكر].

(٢) انظر: الصحاح (١/٢٧٣) [دار العلم للملايين، ط ٤]، ولسان العرب (٢/١١٧) [دار صادر، ط ٣].

(٣) انظر: لسان العرب (٣/٣١٧).

(٤) انظر: القاموس المحيط (٢١١)، والمصباح المنير (٧٢/١).

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢/١٥٨).

(٦) انظر: رسائل الآخرة (٣/٦٧٨)، وراجع: تفسير ابن كثير (٥/٣٩٠)، فتح الباري (١١/٣٩٣).

الحكم:

الإيمان بالبعث واجب؛ إذ هو جزء من الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان، فلا يصح إيمان إلا به، ومنكره كافر؛ لقوله ﷻ: ﴿وَأَن تَعْبَجَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ [الرعد]، وقوله ﷻ: ﴿...وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عِمًّا وَنَكَمًا وَصُمًّا مَّاوَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ [الإسراء].

يمر بها الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نَظْفَةً مِّن مَّيِّ يَتَّىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَعَلَ مِنَ الرِّجَالِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ [القيامة].

وقد أقسم الله تعالى بوقوع البعث، كما في قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ [النساء].

وقال ﷺ: «يُخْ بَخ لَخَمْسٍ مِنْ لَقِي اللَّهَ مُسْتَقِيمًا بِهِنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ: يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَبِالْحِسَابِ» (٢).

وفي حديث جبريل ﷺ لما سأل النبي ﷺ ما الإيمان، قال: «تَوْمَنُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ» (٣).

وقال ﷺ: «قال الله: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَرُزِعِمَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ

(٢) أخرجه أحمد (٤٣٠/٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الهيثمي: «رجاله ثقات». مجمع الزوائد (١/٤٩) [مكتبة القدسي]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٢/٣).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ أحمد (٣١٥/١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الإيمان، رقم ١٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٧٩٨).

الحقيقة:

يراد بالبعث هنا: إحياء الأموات وخروجهم من قبورهم ونحوها إلى حكم يوم القيامة، ليحاسبهم الله ﷻ على أعمالهم (١).

الأدلة:

تضافرت الأدلة على إثبات المعاد بأساليب كثيرة ومتنوعة، فمن ذلك:

- الاستدلال بالبده على الإعادة، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ [العنكبوت].

- الاستدلال بالأجل الأعظم على الأيسر الأصغر، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيِّجْ لِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ [الأحقاف].

- الاستدلال بالأطوار والمراحل التي

(١) انظر: فتح الباري (١١/٣٩٣).

فقوله: لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدًا»^(١).

- المسألة الأولى: عموم البعث:

إن البعث عام يشمل الجن والإنس والجماد والنبات والحيوان وكل رطب ويابس، ومن شواهد ذلك: قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات]، وقوله ﷺ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْرَرْتُ مِنْ الْإِنْسِ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

وقال ﷺ في المؤذن: «لا يسمع صوته شجر ولا مدر ولا حجر ولا جن ولا إنس إلا شهد له»^(٧).

وقال ﷺ فيه أيضًا: «المؤذن يغفر له مدى صوته، ويشهد له كل رطب ويابس»^(٨).

- المسألة الثانية: أول من يبعث يوم القيامة:

إن النبي ﷺ أول الناس بعثًا من الخلائق؛ لقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم

وكان ﷺ يقول إذا أصبح: «اللَّهُمَّ بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير»^(٢).

وقد حكى الإجماع على كفر منكر البعث غير واحد، قال ابن حزم: «اتفق جميع أهل القبلة - على تناقض فرقهم - على القول بالبعث، وعلى تكفير من أنكر ذلك»^(٣).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن عبد البر: «وقد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث، فلا إيمان له ولا شهادة»^(٤).

وقال ابن كثير: «البعث هو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة»^(٥). إلى غير ذلك من أقوال أهل العلم^(٦).

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٤٨٢).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٠٦٨)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٣٩١) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٦٨)، وأحمد (٢٩٠/١٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، واللفظ له، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٦٢).

(٣) الفصل (١٣٧/٤) [دار الجيل، ١٤٠٥هـ]، وانظر: الدرر فيما يجب اعتقاده (٢١٥) [مطبعة المدني، ط ١].

(٤) التمهيد (١١٦/٩) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ].

(٥) تفسير ابن كثير (٢٠٦/٣).

(٦) انظر: مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والمعتقدات (١٩٦) [دار الآفاق الجديدة، ط ١]، والدرر فيما يجب اعتقاده (٢٠٦)، والفصل (٤/١٣٧) [دار الجيل].

(٧) أخرجه ابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ٣٨٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/٥٦) [مكتبة المعارف، ط ٥]، وأصله عند البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦٠٩) بلفظ: «لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء، إلا شهد له يوم القيامة».

(٨) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ٥١٥)، وابن ماجه (كتاب الأذان، رقم ٧٢٤)، وأحمد (٥٢/١٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ٣٩٠)، وابن حبان (كتاب الصلاة، رقم ١٦٦٦)، قال الحافظ في الفتح (٨٨/٢): وصححه ابن السكن، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (رقم ٥٢٨) [مؤسسة غراس، ط ١].

من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان بم كسينا هذه؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ، واصعد في درجة الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ، هذا كان أو ترتيلاً^(٥).

- المسألة الرابعة: تمييز أمة النبي ﷺ عند البعث:

إن الله يميّز أمة محمد ﷺ يوم القيامة عند البعث فتكون على تل في العرصات، قال ﷺ: «يبعث الناس يوم القيامة، فأكون أنا وأمتي على تل، ويكسوني ربي تبارك وتعالى حلة خضراء، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول، فذاك المقام المحمود»^(٦).

الحكمة:

إحياء الله تعالى للعباد، وبعثهم يوم

(٥) أخرجه ابن ماجه (كتاب الأدب، رقم ٣٧٨١)، وأحمد (٤١/٣٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، والدارمي (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٤٣٤)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (١٥٩/٧) [مكتبة القدسي]، وحسنه ابن كثير في تفسيره (١٥٢/١) [دار طيبة، ط ٢]، وذكر لبعض ألفاظه شواهد.

(٦) أخرجه أحمد (٦٠/٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٤٧٩)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٥١/٧) [مكتبة القدسي]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٣٧٠).

يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر...»^(١).

- المسألة الثالثة: يبعث الإنسان على ما مات عليه:

وإن الإنسان يبعث على ما مات عليه من نية وعمل وحال، لقوله ﷺ: «يبعث كل عبد على ما مات عليه»^(٢)، وقوله ﷺ: «إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم»^(٣)، وقوله ﷺ في الحاج الذي وقصته الناقة: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً»^(٤).

وإن القرآن أول ما يلقي المؤمن عند بعثه؛ لقوله ﷺ: «... وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره، كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك! فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك! فيقول: أنا صاحبك القرآن، الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٦٥)، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١٢٠٦).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٨).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٠٦) [دار ابن كثير، ط ٤، ١٤١٠هـ].

القيامة، ليحاسبهم على ما قدموا من خير وشر، وبذلك يظهر عدل الله تعالى في عبادته، ورحمته سبحانه بالموحدين.

الْقِيَامَةُ، لِيَحْأَسِبَهُمْ عَلَى مَا قَدَّمُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَبِذَلِكَ يَظْهَرُ عَدْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ، وَرَحْمَتُهُ سَبْحَانَهُ بِالْمُؤَحِّدِينَ.

✽ مذهب المخالفين:

خالف في المعاد طائفتان؛ فطائفة أنكرت بالكلية، وطائفة أنكرت بعث الأجساد دون الأرواح.

أما الطائفة الأولى فيمثلها الدهرية، ومشركو العرب، والتناسخية.

وإنكار الدهرية مبني على إنكارهم للخالق ﷻ، وقد حكى الله مقولتهم في القرآن ونقضها في نفس الموضع، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الباقية].

وأما مشركو العرب فإنكارهم مبني على الاستبعاد دون إنكار الخالق، قال سبحانه: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف]، ومع ذا قالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ [الدخان]، وقال فريق منهم: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَسَيِّئًا خَلَقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [ص]، وقد ردَّ الله ﷻ هذا الاستبعاد، فقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنبياء] الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ

وأما التناسخية من الباطنية^(١) وغلاة الشيعة^(٢) فإنكارهم مبني على زعمهم انتقال الأرواح إلى أبدان أخرى بعد الموت وفيها يكون النعيم والعذاب، وهو مذهب باطل لمناقضته لنصوص الوحي كما تقدم، ولكونه في أصله متلقى «من المجوس المزدكية، والهند البرهمية، ومن الفلاسفة والصابئة»^(٣)، وما كان كذلك فمردود، قال الأشعري عن هذه الطوائف الغالية: «أهل الغلو: ينكرون القيامة والآخرة، ويقولون: ليس قيامة ولا آخرة، وإنما هي أرواح تناسخ في الصور، فمن كان محسنًا جوزي بأن يُنْقَلَ روحه إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر ولا ألم، ومن كان مسيئًا جوزي بأن يُنْقَلَ روحه إلى أجسام يلحق الروح في

(١) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (١١١) [دار عالم الكتب، ط ٢]، والأصول الإيمانية لدى الفرق الإسلامية (٤٨٣) [دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠م]، والباقية عرض ونقد (٢٠٥ - ٢٠٨) [دار ترجمان الشئ، ط ٦]، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٦٣، ٣٨٧، ٣٩٦) [الندوة العالمية، ط ٢، ١٤٠٩هـ].

(٢) انظر: الملل والنحل (٢٠٥/١) [دار المعرفة، ط ١]، ومقالات الإسلاميين (٦٧/١، ٧٨) [المكتبة العصرية].

(٣) الملل والنحل (٢٠٦/١).

والقائل به مكذب لصريح القرآن والسنة وهذا كفر وضلال، وقد عرض الغزالي رحمته الله لمذهب المتفلسفة الإسلاميين كابن سينا والفارابي وغيرهما، فقال: إن «مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلاً، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها، وتبديعهم في سبعة عشر»^(٥)، وذكر مما يوجب تكفيرهم: إنكارهم لحشر الأجساد، وقال شيخ الإسلام رحمته الله: «والملاحدة المنكرون للمعاد تعود شبههم كلها إلى ما ينفي علم الرب تعالى أو قدرته أو مشيئته أو حكمته، ونفي العي^(٦) يثبت هذه الصفات، فتنتفي أصول شبهتهم»^(٧).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأصول الإيمانية لدى الفرق الإسلامية»، لعبد الفتاح أحمد.
- ٢ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ١، ٧)، لابن تيمية.
- ٣ - «الدرة فيما يجب اعتقاده»، لابن حزم.
- ٤ - «الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية»، لابن فياض.
- (٥) المنقذ من الضلال (٩٨، ١٠٦).
- (٦) المقصود بالعي ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَعْيَبْنَا بِأَلْعَلِّيَّ الْأَوَّلِ﴾ [ق: ١٥]، فليس المقصود به الإعياء الذي هو التعب، وإنما عدم الهداية لوجه الأمر.
- انظر: درء تعارض العقل والنقل (٣٨٣/٧).
- (٧) درء تعارض العقل والنقل (٣٨٤/٧).

كونه فيها الضرر والألم، وليس شيئاً غير ذلك، وأن الدنيا لا تزال أبداً هكذا»^(١).

والتناسخ يهدف في حقيقة الأمر إلى هدم عقيدة المعاد التي جاءت بها الرسل؛ لأن مضمونه إنكار البعث والحشر والحساب والجنة والنار وسائر أمور الآخرة.

وأما الطائفة الثانية فيقولون ببعث الأرواح دون الأجساد، وهم طائفة من الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام ومنهم ابن سينا والفارابي^(٢)، ووافقهم بعض أهل الكلام من المعتزلة والكرامية^(٣).

ومن أبرز شبهاتهم: زعمهم امتناع إعادة المعدوم بعينه؛ لأنه يتحلل ويتحد بغيره^(٤).

وهذا يبطله ما تقدم من النصوص المتواترة في بعث الأجساد كما تقدم،

(١) مقالات الإسلاميين (١/١١٩).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٧/٣٨٤، ٣٨٦) [جامعة الإمام، ط ١]، وإغاثة اللفهان (٢/٣٨١) [المكتب الإسلامي، ط ٢]، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/٥٩٠، ٥٩٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، ولوامع الأنوار البهية (٢/١٥٧) [المكتب الإسلامي، ط ٣]، ولوائح الأنوار السنية (٢/٢٢٠) [مكتبة الرشد، ط ١].

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/١٣٨)، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة (٢/٣٤٣) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، ولوائح الأنوار البهية (٢/١٥٧)، ولوائح الأنوار السنية (٢/٢٢٠).

(٤) انظر: تاريخ الفرق الإسلامية (٢٦٠) [دار المنار، ط ١]، والمنقذ من الضلال (١٠٦) [دار الأندلس]، ولوائح الأنوار البهية (٢/١٥٧)، ولوامع الأنوار السنية (٢/٢٢٠).

٥ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
المنكرة كما يليق بجلاله وعظمته^(٣).

❁ الأسماء الأخرى:

الكره، والسخط، والمقت.

❁ الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل؛ لدلالة الأحاديث النبوية عليها.

❁ الحقيقة:

حقيقة البغض هو المقت والكره الشديد، والله ﷻ يبغض الكفر والشرك والظلم والجور والبدع والفسق والفجور وغيرها من المعاصي والذنوب والسيئات ويبغض أهلها ومرتكبيها ومروجيها، ولذلك لا يحبهم ولا يتولاهاهم ولا يفرح بهم^(٤).

❁ الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا أحب عبدًا

٦ - «فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام»، لغالب عواجي.

٧ - «لوائح الأنوار السنية»، للسفاريني.

٨ - «لوامع الأنوار البهية»، للسفاريني.

٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ - «مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والمعتقدات»، لابن حزم.

❁ البغض

❁ التعريف لغة:

البغض: ضد الحب، قال ابن فارس رحمته الله: «الباء والغين والضاد أصل واحد، وهو يدل على خلاف الحب، يقال: أبغضته وأبغضه^(١)، ويقال: بَغَضَ الرجل بغاضَةً؛ أي: صار بغيضًا، ويقال: بَغَضَ الله إلى الناس تبغيضًا، فأبغضوه؛ أي: مقتوه، فهو مُبَغَضٌ^(٢).

❁ التعريف شرعًا:

البغض: صفة من صفات الله الفعلية، فهو سبحانه يبغض ويكره أهل الكفر والشرك والفسق والفجور وأعمالهم

(٣) انظر: كتاب النبوات لابن تيمية (٢٨٨/١) [أضواء السلف، ط١]، والصواعق المرسلة لابن القيم (٤/١٤٥١) [دار العاصمة، ط٣]، وصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (٦٩ - ٧٠) [دار الهجرة، الرياض، ط١].

(٤) انظر: الحجة في بيان المحجة (٤٦٣/١) [دار الراية، الرياض، ط٢]، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٧٥/١٠٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(١) مقاييس اللغة (١٤٣/١) [دار الكتب العلمية، ط١].
(٢) انظر: الصحاح (١٠٦٦/٣ - ١٠٦٧) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «إن الله لا يُحبّ الشرك، ولا تكذيب الرسل، ولا يرضى ذلك، بل هو يُبغض ذلك ويمقته ويكرهه؛ كما ذكر الله في سورة بني إسرائيل ما ذكره من المحرمات، ثم قال: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٢٨]»^(٥). وقال أيضًا: «ومن المعلوم أنه قد دلّ الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة على أن الله يحب ويرضى ما أمر بفعله من واجب ومستحب، وإن لم يكن ذلك موجودًا، وعلى أنه قد يريد وجود أمور يبغضها ويسخطها من الأعيان والأفعال كالفسق والكفر»^(٦).

وقال ابن القيم رحمه الله: «إن ما وصف الله سبحانه به نفسه من المحبة، والرضا، والفرح، والغضب، والبغض، والسخط من أعظم صفات الكمال؛ إذ في العقول أنا إذا فرضنا ذاتين:

إحدهما: لا تحب شيئًا، ولا تبغضه، ولا ترضاه، ولا تفرح به، ولا تبغض شيئًا، ولا تغضب منه، ولا تكرهه، ولا تمقته.

والذات الأخرى: تحب كل جميل من الأقوال والأفعال والأخلاق والشيم، وتفرح به، وترضى به، وتبغض كل قبيح

دعا جبريل، فقال: إني أحب فلانًا فأحبه. قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبه؛ فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل، فيقول: إني أبغض فلانًا فأبغضه. قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه. قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض»^(١).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق؛ فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الإمام أحمد رحمه الله: «إن الله يحب ويكره، ويبغض ويرضى، ويغضب ويسخط، ويرحم، ويعفو، ويغفر، ويعطي، ويمنع»^(٣).

وقال قوام السنة أبو القاسم التيمي رحمه الله: «عندنا يريد الله ما لا يحبه ولا يرضاه، بل يكرهه ويسخطه ويبغضه، والإرادة غير المحبة والرضا»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٨٥)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٣٧) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٧٨٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٧٥).

(٣) ذكره عنه قوام السنة في الحجة (١/٤٦٣).

(٤) الحجة في بيان المحجة (١/٤٦٤).

(٥) كتاب النبوات (١/٢٨٨).

(٦) مجموع الفتاوى (١٠/٧٥).

يسمى، وتكرهه، وتمقتة، وتمقت أهله،
وتصبر على الأذى، ولا تجزع منه، ولا
تتضرر به، كانت هذه الذات أكمل من
تلك الموصوفة بصفات العدم والموات
والجهل الفاقدة للحس؛ فإن هذه
الصفات لا تسلب إلا عن الموات أو
عمن فقد حسه أو بلغ في النهاية
والضعف والعجز والجهل إلى الغاية التي
لم تدع له حبًا ولا بغضًا ولا غضبًا^(١).

المسائل المتعلقة:

إن باب الصفات أوسع من باب
الأسماء، وهذه الصفة وإن كانت
ثابتة لله ﷻ ولكن لا يصح اشتقاق
الاسم منها، ولذلك المبغض ليس من
أسماء الله ﷻ^(٢).

الفروق:

الكره والبغض كلاهما يشتركان في
أصل المعنى، وهو نفور النفس عن شيء
وعدم رغبتها فيه وعدم حبها له وعدم
رضاها به، ولكن البغض أقوى وأشد
دلالة على المعنى، فإن البغض هو الكره
الشديد، ولذلك يستعمل الكره فيما لا
يستعمل فيه البغض، فيقال مثلاً: أكره
الكره والبغض كلاهما يشتركان في

(١) الصواعق المرسلة (٤/١٤٥١).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (١/٢٨٤ - ٢٨٥) [دار عالم
الفوائد]، ومدارج السالكين (٣/٤١٥) [دار الكتاب
العربي]، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله
الحسنى لمحمد التميمي (٢٤١ - ٢٤٢) [أضواء
السلف، ط١].

الآثار:

١ - إن الله ﷻ أهلك الكفرة والظلمة
والطغاة والجبابرة، والقرآن الكريم مملوء
بذكر أخبارهم وقصصهم، ولا شك أن
هذا من آثار بغض الله ﷻ إياهم وعدم رضاه
بهم؛ فإن الله ﷻ يبغض الكفر والشرك
والظلم وأصحابه، ولذلك دمرهم.

٢ - إن الله ﷻ إذا أبغض عبداً فلا
يوضع له القبول ولا يبقى له الذكر
الحسن بل يبغضه أهل السماء والأرض.
٣ - إن الله ﷻ يبغض الكفر والشرك
والظلم والجور والبدع والفسق والفجور
وغيرها من المعاصي والذنوب والسيئات
ويبغض أهلها ومرتكبيها ومروجيها،
وعلم العبد بذلك ويقينه به يجعله يبتعد
من تلك الأمور البغيضة والأعمال
المكروهة.

مذهب المخالفين:

البغض صفة من صفات الله الفعلية،
وقد اتفق أهل السنة والجماعة على
إثباتها لله ﷻ، وخالف في ذلك غلاة
المعطلة الذين ينكرون جميع الأسماء
والصفات وهم الفلاسفة والجهمية وغلاة
الصوفية، ووافقهم على ذلك المعتزلة

(٣) انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (١٢٩)
[دار العلم والثقافة، القاهرة، ١٤١٨هـ].

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات» (ج ٢)، للبيهقي.
 - ٢ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.
 - ٣ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، لأبي القاسم التيمي.
 - ٤ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.
 - ٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
 - ٦ - «الصواعق المرسلة» (ج ٤)، لابن القيم.
 - ٧ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التيمي.
 - ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٠)، لابن تيمية.
 - ٩ - «مدارج السالكين» (ج ٣)، لابن القيم.
 - ١٠ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لأبي عبد الله عالم عبد الله فالح.
 - ١١ - «النبوات» (ج ١)، لابن تيمية.
- الذين ينفون عن الله ﷻ قيام الصفات بذاته سبحانه، والكلابية يثبتون هذه الصفة ونحوها من الصفات الفعلية ولكنهم جعلوها صفة ذاتية واحدة أزلية، وبذلك خالفوا مذهب السلف، وكذلك الأشاعرة والماتريدية لا يثبتون هذه الصفة، ويؤولونها بالإرادة أو يفوضونها، ولكن يلزمهم في تأويلهم لها بالإرادة مثل ما فروا منه في إثبات صفة البغض، فإن المخلوق أيضًا عنده إرادة، فالمعنى الذي صرفوا إليه ألفاظ النصوص مثل المعنى الذي صرفوا عنه، فإن جاز هذا جاز ذلك، وإن امتنع هذا امتنع ذاك، ونصوص الكتاب والسنة ترد على من أول هذه الصفة بغيرها أو نفاهها عن الله ﷻ، وأقوال السلف في ذلك كثيرة. وأما تفويض معاني هذه النصوص فهذا أيضًا باطل؛ لأنه يلزم من ذلك أن الله خاطب بما لا يفهم ولا يعقل، وأن النبي ﷺ لم يفهم مراد الله أو فهم ولكن لم يبلغ الصحابة، وأن الصحابة لم يفهموا معاني هذه النصوص، فدعوى التفويض فيها تجهيل للسلف وطعن على الله ورسوله ﷺ^(١)، والله تعالى أعلم.

البقاء

التعريف لغة:

البقاء: ضد الفناء، قال ابن فارس: «الباء والقاف والياء أصل واحد وهو

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٤٦٩ - ٤٧٠)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٦٨ - ٦٨٩). ومن كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (١٨٢ - ١٨٣) [مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤٠٨هـ].

لوجهه بالبقاء ونفى الهلاك عنه»^(٣).
 فالله ﷻ أخبر في هذه الآية ببقاء وجهه
 تبارك وتعالى، ونفى عنه الهلاك والفناء،
 والوجه صفة من صفات الله الذاتية التي
 لا تنفك عنه في حال من الأحوال، وبقاء
 الوجه يقتضي بقاء الذات؛ لأنه لا بقاء
 للوجه بدون الذات^(٤).

ومن الأدلة التي دلت على معنى
 البقاء، ولكن بلفظ آخر: قوله
 تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾
 [الحديد: ٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان
 رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا
 أن نقول: «اللَّهُمَّ رب السماوات، ورب
 الأرض، ورب العرش العظيم، ربنا ورب
 كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل
 التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من
 شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللَّهُمَّ
 أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت
 الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر
 فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس
 دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من
 الفقر»^(٥).

فالله ﷻ هو الآخر الذي ليس بعده

الدوام، قال الخليل عليه السلام: يقال: بَقِيَ
 الشيءُ يَبْقَى بقاءً، وهو ضد الفناء^(١).

التعريف شرعاً:

بقاء الله ﷻ صفة ذاتية له وخاصة به
 سبحانه؛ فهو سبحانه يبقى بنفسه إلى ما
 لا نهاية له؛ فلا يلحقه زوال ولا يأتيه
 فناء البتة^(٢).

الأسماء الأخرى:

وهناك ألفاظ أخرى جاءت بمعنى هذه
 الصفة وهي: الدوام، والخلود،
 والآخرية.

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة، ويجب
 إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه
 وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا
 تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل؛ للدلالة
 القرآن على ذلك.

الأدلة:

من الأدلة التي وردت بلفظ البقاء:
 قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
 وَالْإِكْرَامِ﴾^(٦) [الرحمن].

قال ابن خزيمة رحمته الله: «أثبت الله لنفسه
 وجهًا وصفه بالجلال والإكرام، وحكم

(١) مقاييس اللغة (١/١٤٤) [دار الكتب العلمية]،
 وانظر: الصحاح (٦/٢٢٨٣ - ٢٢٨٤) [دار العلم
 للملايين، ط ٤].

(٢) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة
 للسقاف (٧٠ - ٧١) [دار الهجرة، الرياض، ط ١].

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/٢٥) [مكتبة الرشد].

(٤) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (١/٢٩٠ - ٢٩١)
 [دار ابن الجوزي، ط ٦، ١٤٢١هـ].

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة
 والاستغفار رقم ٢٧١٣).

إذ لم يثبت دليل عليه، وأسماء الله توقيفية لا يثبت منها شيء إلا بالدليل، وعلى هذا كلام أهل العلم المحققين، فقد جاء في «معجم المناهي اللفظية»: «الباقي: هذا ليس من أسماء الله ﷻ، والكلام عليه نحو الكلام على لفظ القديم»^(٥).

الآثار:

إن الله ﷻ موصوف بالبقاء والدوام، فهو سبحانه يبقى بنفسه إلى ما لا نهاية له؛ لا يلحقه زوال، ولا يأتيه فناء البتة، وأما ما عداه من المخلوقات فمصيرها إما إلى الموت والفناء والزوال، وهي عامة المخلوقات، وإما أنها تبقى ولكن لا تبقى بنفسها بل تبقى بإبقاء الله لها مثل الجنة والنار وأهلها، وهذا يقتضي من العباد أن يفرّدوا ربهم الباقي الدائم بالعبادة كلها، وأن لا يشركوا معه من ليس موصوفاً بهذه الصفة، ولذلك استدل إبراهيم عليه السلام بأفول الشمس والقمر والكوكب على عدم استحقاتها للعبادة.

المصادر والمراجع:

١ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، للبيهقي.

٢ - «أصول السنة»، لابن أبي زمنين.

(٥) معجم المناهي اللفظية (١٧١) [دار العاصمة، ط ٣]، وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الثانية (٢/ ٣٥٢) وموقع الشيخ صالح الفوزان.

شيء، وهذا دليل على بقاء الله تعالى ودوامه سبحانه.

أقوال أهل العلم:

قال ابن أبي زمنين رحمه الله: «الآخر: الباقي إلى غير نهاية لا شيء بعده»^(١).

وقال البيهقي رحمه الله: «الباقي: هو الذي دام وجوده، والبقاء له صفة قائمة بذاته»، وقال أيضاً: «الدائم: هو الموجود لم يزل ولا يزال، ويرجع معناه إلى صفة البقاء»^(٢).

وقال أبو القاسم التيمي رحمه الله: «معنى الباقي: الدائم، الموصوف بالبقاء، الذي لا يستولي عليه الفناء، وليست صفة بقائه ودوامه كبقاء الجنة والنار ودوامهما، وذلك أن بقاء أبدي أزلي، وبقاء الجنة والنار أبدي غير أزلي، فالأزلي ما لم يزل والأبدي ما لا يزال، والجنة والنار كائنتان بعد أن لم تكونا»^(٣).

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «البقاء من صفات الله، فإذا أسند إلى إنسان؛ فهو من الشرك»^(٤).

المسائل المتعلقة:

(الباقي): ليس من أسماء الله تعالى؛

(١) أصول السنة (٦١) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط ١].

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (٥٢ - ٥٣) [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط ٢].

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٤٠) [دار الراية].

(٤) الفتاوى والرسائل (١/ ٢٠٧) [مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ط ١، ١٣٩٩هـ].

ولأمير المؤمنين خليفة رسول الله ﷺ
ألقاب متعددة، أشهرها:

١ - العتيق: لقَّبه به النبي ﷺ، فقد
قال له: «أنت عتيق الله من النار»،
فسمي عتيقاً^(٢).

وفي رواية عائشة رضي الله عنها قالت: دخل
أبو بكر الصديق على رسول الله ﷺ،
فقال له رسول الله ﷺ: «أبشر، فأنت
عتيق الله من النار»^(٣).

فمن يومئذ سُمي عتيقاً، وقد ذكر
المؤرخون أسباباً أخرى لهذا اللقب.

٢ - الصديق: لقَّبه به النبي ﷺ، ففي
حديث أنس رضي الله عنه؛ أنه قال: إن النبي ﷺ
صعد أحداً، وأبو بكر، وعمر، وعثمان،
فرجف بهم فقال: «اثبت أحد، فإنما
عليك نبيٌّ وصديق وشهيدان»^(٤).

وقد لُقِّب بالصديق؛ لكثرة تصديقه
للنبي ﷺ، وفي هذا تروي أم المؤمنين
عائشة رضي الله عنها فتقول: «لما أسري بالنبي ﷺ
إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث

٣ - «الاعتقاد والهداية إلى سبيل
الرشاد»، للبيهقي.

٤ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)،
لأبي القاسم التيمي.

٥ - «شرح الواسطية» (ج ١)،
لابن عثيمين.

٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في
الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر
السقاف.

٧ - «فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن
إبراهيم» (ج ١).

٨ - كتاب «التوحيد» (ج ١)،
لابن خزيمة.

٩ - كتاب «التوحيد» (ج ٢)،
لابن منده.

١٠ - «معتقد أهل السنة والجماعة في
أسماء الله الحسنی»، لمحمد بن خليفة
التميمي.

١١ - «معجم المناهي اللفظية»، لبكر
أبو زيد.

أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ

اسمه ونسبه:

عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن
كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن
لؤي بن غالب القرشي التيمي^(١).

(١) الإصابة لابن حجر (٤/١٤٤، ١٤٥) [دار الكتب
العلمية، بيروت].

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢٨٠/١٥)
[مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١]، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٦٧٩)
وقال: «غريب»، وضعفه الألباني في السلسلة
الصحيحة (١٠٢/٤)، لكن له شاهد عند ابن حبان
(كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم
٦٨٦٤)، قال الألباني: «سنده جيد». السلسلة
الصحيحة (١٠٣/٤).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ،
رقم ٣٦٧٥).

المقصود هنا هو: أبو بكر رضي الله عنه؛ فعن أنس أن أبا بكر حدثه فقال: قلت للنبي ﷺ وهو في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه! فقال النبي ﷺ: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»^(٣).

والأحاديث في كونه كان معه في الغار كثيرة شهيرة، ولم يشركه في هذه المنقبة غيره^(٤).

❁ مولده ووفاته: مولده:

لم يختلف العلماء في أنه ولد بعد عام الفيل، وإنما اختلفوا في المدة التي كانت بعد عام الفيل، فبعضهم قال: بثلاث سنين، وبعضهم ذكر أنه ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، وآخرون قالوا: بسنتين وأشهر، ولم يحددوا عدد الأشهر^(٥).

وقد نشأ نشأة كريمة طيبة في حضان أبوين لهما الكرامة والعز في قومهما، مما جعل أبا بكر ينشأ كريم النفس، عزيز المكانة في قومه^(٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٣٦٥٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٨١).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (١٤٨/٤).

(٥) سيرة وحياة الصديق، لمجدي فتحي السيد (٢٩)، وتاريخ الخلفاء (٥٦) [دار صادر، بيروت، ط ١].

(٦) تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين (٣٠).

الناس بذلك، فارتد ناس كانوا آمنوا به وصدقوه، وسعى رجال إلى أبي بكر، فقالوا: هل لك إلى صاحبك؟ يزعم أن أسري به الليلة إلى بيت المقدس! قال: وقد قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك فقد صدق. قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟! قال: نعم، إنني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبو بكر: الصديق^(١).

وقد أجمعت الأمة على تسميته بالصديق؛ لأنه بادر إلى تصديق الرسول ﷺ، ولازمه الصدق فلم تقع منه هناة أبداً^(٢).

٣- **الصاحب:** لقَّبه به الله ﷻ في القرآن الكريم، فقال: ﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة].

وقد أجمع العلماء على أن الصاحب

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٤٠٧) وصححه، وصححه الألباني بشاهده انظر: السلسلة الصحيحة (رقم ٣٠٦).

(٢) الطبقات الكبرى (١٧٢/٢) [دار صادر، بيروت].

وفاته:

وقد ثبت عن أبي الدرداء؛ أن رسول الله ﷺ قال حين خاصم بعض الصحابة أبا بكر: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت..»^(٥).

والخلاف في أول من أسلم خلاف مشهور قديم، وجمع القرطبي رحمه الله بين أقوال أهل العلم بقوله: «كان إسحاق بن إبراهيم بن راهويه الحنظلي يجمع بين هذه الأخبار، فكان يقول: أول من أسلم من الرجال أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان علي، ومن الموالى زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال. والله أعلم»^(٦).

فضائله:

أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، لا يشك في ذلك ولا يرتاب فيه من وفقه الله إلى المعتقد الصحيح الواجب اعتقاده، وقد ورد في فضله ومنزله آيات في كتاب الله تبارك وتعالى، منها:

١ - قول الله تعالى: ﴿إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ

توفي أبو بكر الصديق وهو ابن ثلاث وستين سنة، مجمع على ذلك في الروايات كلها، استوفى سن رسول الله ﷺ، وغسلته زوجته أسماء بنت عميس، وكان قد أوصى بذلك^(١)، ودفن بجانب رسول الله ﷺ، وقد جعل رأسه عند كتفي رسول الله ﷺ^(٢)، وصلى عليه خليفته عمر بن الخطاب، ونزل قبره عمر وعثمان وطلحة وابنه عبد الرحمن، وألصق اللحد بقبر رسول الله ﷺ^(٣).

إسلامه:

كان أبو بكر الصديق ملازمًا للنبي ﷺ في الجاهلية؛ بحكم ما يجمعهما من تقارب في السن، وكونهما من بلد واحد، وتلازمهما في التجارة، وتشابههما في السجيا والأخلاق التي جعلت نفسيهما طاهرتين من عقيدة الوثنية، وميالتين إلى الحق والفضيلة.

وقد ساعدت هذه العوامل الصديق بعد توفيق الله له على سرعة الاستجابة للإسلام، والإيمان برسالة النبي محمد ﷺ لأول وهلة من غير تردد^(٤).

(١) الطبقات لابن سعد (٢/٣، ٢٠٣، ٢٠٤) [دار صادر، بيروت]، وإسناده صحيح.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي، عهد الخلفاء الراشدين (١٢٠) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٧هـ].

(٣) أصحاب رسول الله (١/١٠٦) [مكتبة أبي حذيفة السلفي، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٤) أبو بكر الصديق، لعلي الطنطاوي (٧١ - ٧٢) [دار

المنارة، جدة، ط ٣]، والخلفاء الراشدون لمحمد بن إسماعيل إبراهيم (١٨) [دار الفكر العربي، ط ١].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٦٤٠).

(٦) تفسير القرطبي (٨/٢٣٧) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٦٥م].

بإسناده (٣) إلى علي عليه السلام قال: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ»، قال: محمد ﷺ، «وَصَدَّقَ بِهِ»، قال: أبو بكر عليه السلام.

«والصحابا الذين كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، وأن القرآن حق، هم أفضل من جاء بالصدق وصدق به، بعد الأنبياء» (٤)، وأبو بكر الصديق عليه السلام أولى من تحقق فيه هذا الوصف عليه السلام.

٣ - وقوله ﷺ: «وَأَن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» [التحریم]؛ وقد جاء عن كثير من المفسرين من الصحابة وغيرهم أن المراد به (صالح المؤمنين): أبو بكر وعمر عليه السلام (٥).

٤ - وقال الله تبارك وتعالى: «وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» [النور]، قال الألوسي رحمه الله: «واستدل بها على فضل الصديق عليه السلام؛ لأنه داخل في أولي الفضل قطعاً؛ لأنه وحده أو مع جماعة سبب النزول، ولا يضر في ذلك عموم الحكم لجميع المؤمنين» (٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/٢٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٤) منهاج السنة (٢/٣٣).

(٥) ينظر لذلك: جامع البيان (٢٨/١٦٢).

(٦) روح المعاني (١٨/١٢٥ - ١٢٦) [دار إحياء التراث العربي، بيروت].

لِصَحْبِهِ لَا تَحْزَنَ إِنَّ اللَّهَ مَعَكَ» [التوبة: ٤٠].

وهذه الآية من أوضح ما يدل على فضيلة أبي بكر الصديق عليه السلام، وقد أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب المذكور في الآية هو: أبو بكر الصديق عليه السلام (١).

قال ابن تيمية رحمه الله: «لا ريب أن الفضيلة التي حصلت لأبي بكر في الهجرة لم تحصل لغيره من الصحابة بالكتاب والسنة والإجماع، فتكون هذه الأفضلية ثابتة له دون عمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة، فيكون هو الإمام، فهذا هو الدليل الصدق الذي لا كذب فيه. يقول الله: «إِلَّا نَضْرِبُ فَعْدَ نَصْرِهِ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَكَ» [التوبة: ٤٠]، ومثل هذه الفضيلة لم تحصل لغير أبي بكر قطعاً... والأفضلية إنما تثبت بالخصائص لا بالمشركات» (٢).

٢ - وقول الله جل جلاله: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» [الزمر]، فقد روى ابن جرير

(١) ينظر: الإصابة (٢/٣٣٥)، وتاريخ الخلفاء (٤٨)، والروض الأنيق في إثبات إمامة الصديق (٩٩)، وغيرها.

(٢) منهاج السنة (٧/١٢١) [جامعة الإمام، ط ١].

بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سدَّ إلا باب أبي بكر»^(٣).

٣ - أبو بكر الصديق ﷺ أحب الرجال إلى النبي ﷺ:

فعن عمرو بن العاص ﷺ؛ أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: «أي الناس أحب إليك؟» قال: «عائشة»، فقلت: من الرجال؟ فقال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب» فعد رجالاً»^(٤).

٤ - شهادة النبي ﷺ له بالجنة بعينه:

فعن عبد الرحمن بن عوف، قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»^(٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٣٦٥٤).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٣٦٦٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٨٤).

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٤٧)، وأحمد (٢٠٩/٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٠) [المكتب الإسلامي].

وأما عن فضله في سُنَّة النبي ﷺ فكثيرة ومتنوعة الدلائل، ومن ذلك:

١ - اشتراكه مع النبي ﷺ في معية الاختصاص والنصرة:

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: حدثني أبو بكر فقال: «كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رأنا، قال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(١).

فهذا الحديث تضمن منقبة عظيمة ظاهرة لأبي بكر ﷺ، وتلك منقبة أنه كان ثاني اثنين ثالثهما رب العالمين^(٢).

٢ - أبو بكر الصديق أعلم الناس بالنبي ﷺ ومراده:

فعن أبي سعيد الخدري قال: خطب رسول الله ﷺ، الناس وقال: «إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله»، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه: أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيّر، فكان رسول الله ﷺ هو المخيّر، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: «إن من أمّن الناس علي في صحبته وماله أبا

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٣٦٥٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٨١).

(٢) الصحابة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، لصالح طه (٤٠) [مكتبة الغرباء، الأردن، ط٢، ١٤٣٥هـ].

نبيها أبو بكر ثم عمر»^(٤).

وقال ابن تيمية أيضًا: «سأل الرشيد مالك بن أنس عن منزلتهما [يعني: أبا بكر وعمر] من النبي ﷺ في حياته، فقال: منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما منه بعد مماته. وكثرة الاختصاص والصحة، مع كمال المودة والائتلاف والمحبة والمشاركة في العلم والدين، تقتضي أنهما أحق بذلك من غيرهما. وهذا ظاهر بين لمن له خبرة بأحوال القوم. أما الصديق فإنه مع قيامه بأمر من العلم والفقه عجز عنها غيره - حتى بينها لهم - لم يحفظ له قول مخالف نصًا.

هذا يدل على غاية البراعة. وأما غيره فحفظت له أقوال كثيرة خالفت النص؛ لكون تلك النصوص لم تبلغهم»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ثباته ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ:

قال الحافظ ابن رجب: «ولما توفي رسول الله ﷺ اضطرب المسلمون؛ فمنهم من دهش فحولط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر

وفضائل هذا الصحابي الجليل كثيرة، وما ذكر إنما هو نزر يسير، وفيه ما يكفي، والله الهادي.

مكانته:

يكفي في إبراز مكانة هذا الصحابي الجليل أن الأمة أجمعت على أنه خير البشر بعد الأنبياء والمرسلين، ومن تلك النقول التي تبرز هذه الفضيلة العظيمة وتحكيها إجماعًا عن الأمة ما يلي:

- روى البيهقي بإسناده عن الإمام الشافعي قوله: «ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة...»^(١).

- وقال الحافظ ابن حجر: «ونقل البيهقي في الاعتقاد بسنده إلى أبي ثور عن الشافعي أنه قال: أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي»^(٢).

- وقال النووي: «اتفق أهل السنة على أن أفضلهم أبو بكر ثم عمر»^(٣).

- وقال ابن تيمية: «وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن علي بن أبي طالب أنه قال: خير هذه الأمة بعد

(٤) الوصية الكبرى (٣٢) [مكتبة الصديق، الطائف، ط١].

(٥) مجموع الفتاوى (٤٠٣/٤) [طبعة مجمع الملك فهد، ط١، ١٤١٦هـ].

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (١٩٢) [دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٢) فتح الباري (١٧/٧).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٤٨/١٥).

موته بالكلية»^(١).

فرس من مسكنه بالسبح، حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة فتيّم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين؛ أما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها^(٥)، وخرج أبو بكر وعمر يتكلم، فقال: اجلس يا عمر، وهو ماض في كلامه وفي ثورة غضبه، فقام أبو بكر في الناس خطيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه، فقال: «أما بعد، فإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصَرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران] فشج الناس ليكون^(٦).

قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعمرت، حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات^(٧).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤٥٢).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٣٦٦٨).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤٥٤).

قال القرطبي مبيناً عظم هذه المصيبة وما ترتب عليها من أمور: «من أعظم المصائب المصيبة في الدين... قال رسول الله ﷺ: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي؛ فإنها أعظم المصائب»^(٢)، وصدق رسول الله ﷺ؛ لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة؛ انقطع الوحي، وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه»^(٣).

وقال ابن إسحاق: «ولما توفي رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة فيما بلغني تقول: لما توفي النبي ﷺ ارتدت العرب، واشربأت اليهودية والنصرانية، ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم»^(٤).

ولما سمع أبو بكر الخبر أقبل على

(١) لطائف المعارف (١١٤) [دار ابن حزم، ط١].

(٢) أخرجه الدارمي (كتاب دلائل النبوة، رقم ٨٦) عن عطاء مرسلاً، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٢/

٧٧) [دار الكتب العلمية] عن عبد الرحمن بن سابط مرسلاً أيضاً، وذكر له الألباني في السلسلة الصحيحة

(رقم ١١٠٦) شواهد أخرى، وقال: وبالجملية فالحديث بهذه الشواهد صحيح.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٧٦/٢).

(٤) السيرة لابن هشام (٣٢٣/٤) [دار إحياء التراث].

الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، وتداولوا الأمر بينهم في اختيار من يلي الخلافة من بعده (٤).

والتف الأنصار حول زعيم الخرج سعد بن عبادة رضي الله عنه، ولما بلغ خبر اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة إلى المهاجرين، وهم مجتمعون مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه لترشيح من يتولى الخلافة (٥)، قال المهاجرون لبعضهم: انطلقوا بنا إلى إخواننا من الأنصار، فإن لهم في هذا الحق نصيباً (٦).

قال عمر رضي الله عنه: فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلين صالحين (٧)، فذكر ما تمالأ عليه القوم، فقالوا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالوا: لا؛ عليكم أن لا تقربوهم، اقضوا أمركم، فقلت: والله لنأتينهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمل بين ظهرائهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ قالوا: يوعك. فلما جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو

قال القرطبي: «هذه الآية أدل دليل على شجاعة الصديق وجراسته؛ فإن الشجاعة والجرأة حدما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي ﷺ، فظهرت شجاعته وعلمه، قال الناس: لم يمت رسول الله ﷺ، منهم عمر، وخرس عثمان، واستخفى علي، واضطرب الأمر، فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسنع» (١١).

كان موت محمد ﷺ مصيبة عظيمة، وابتلاء شديداً، ومن خلالها وبعدها ظهرت شخصية الصديق كقائد للأمة، فذ لا نظير له ولا مثيل (٢).

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «فوالله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه، فتلقاها منه الناس، فما يسمع بشر إلا يتلوها» (٣).

- المسألة الثانية: مبايعته في سقيفة بني ساعدة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم على ذلك:

لما علم الصحابة رضي الله عنهم بوفاة رسول الله ﷺ اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة في اليوم نفسه، وهو يوم

(٤) التاريخ الإسلامي (٢١/٩).

(٥) عصر الخلافة الراشدة للعمرى (٤٠) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة].

(٦) عصر الخلافة الراشدة للعمرى (٤٠).

(٧) الرجلان هما: عويم بن ساعدة، ومعن بن عدي رضي الله عنهما.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٢/٤).

(٢) أبو بكر رجل الدولة، مجدي حمدي (٢٥ - ٢٦) [دار طيبة - الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤٥٤).

أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثرت اللغات، وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف فقلت: أبسط يدك، فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار^(٤).

وفي رواية أحمد: «... فتكلم أبو بكر ﷺ فلم يترك شيئاً أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلا وذكره، وقال: ولقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال: «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادي الأنصار»، ولقد علمت يا سعد^(٥) أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: «قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجر الناس تبع لفاجرهم»، فقال له سعد: صدقت، نحن الوزراء وأنتم الأمراء^(٦).

وبهذا حصل الإجماع على خلافة أبي بكر الصديق رضوان الله عليه^(٧).

والمحكك: الذي يحتك به كثيراً، أراد: أنه يستشفي برأيه، والعديق: أي: النخلة؛ أي: الذي يعتمد عليه.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الحدود، رقم ٦٨٣٠).

(٥) يعني: سعد بن عبادَةَ الخزرجي ﷺ.

(٦) أخرجه أحمد (١٩٨/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١] عن حميد بن عبد الرحمن الحميري، وقال الهيثمي: «رجاله ثقات، إلا أن حميد بن عبد الرحمن لم يدرك أبا بكر». مجمع الزوائد (١٩١/٥) [مكتبة القدسي]، لكن لجملة: «قريش ولاة هذا الأمر...» شواهد. انظر: السلسلة الصحيحة (رقم ١١٥٦).

(٧) ينظر: الموقف من خصائص وخلافة أبي بكر الصديق للدكتور حامد محمد الخليفة (٣٨٩) [وزارة الشؤون الإسلامية، قطر، ط ١، ١٤٣٢هـ].

أهله، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم - معشر المهاجرين - رهط، وقد دفت دافة من قومكم^(١). فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر^(٢)، فلما سكت أردت أن أتكلم - وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر - وكنت أداري منه بعض الحد، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت، فقال: ما ذكرتكم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم - فأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا - فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسول إلي نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن.

فقال قائل من الأنصار: أنا جزيلها المحكك، وعذيقها المرجب^(٣)، منا

(١) أي: عدد قليل.

(٢) أي: يخرجونا من أمر الخلافة.

(٣) الجذيل: عود ينصب للإبل الجربى لتحكك به،

النبي ﷺ عن ثلاثين ألف مسلم، كل قال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله، ورضوا به من بعده ﷺ» (٤).

ب - وقال أبو الحسن الأشعري: «أثنى الله ﷻ على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام، ونطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار في مواضع كثيرة، وأثنى على أهل بيعة الرضوان، فقال ﷻ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، قد أجمع هؤلاء الذين أثنى عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق ﷺ، وسموه خليفة رسول الله وبايعوه وانقادوا له وأقروا له بالفضل، وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة في العلم والزهد، وقوة الرأي وسياسة الأمة، وغير ذلك» (٥).

- المسألة الثالثة: إنفاذ أبي بكر الصديق جيش أسامة ﷺ:

في العام الحادي عشر نذب النبي ﷺ الناس لغزو الروم بالبلقاء وفلسطين، وفيهم كبار المهاجرين والأنصار، وأمّر عليهم أسامة ﷺ» (٦).

(٤) تاريخ بغداد (١٠/١٣٠، ١٣١) [دار الكتب العلمية].

(٥) الإبانة عن أصول الديانة (٦٦) [ط. الجامعة الإسلامية].

(٦) ذكره ابن بطلان في شرحه على البخاري (٨/٢٨٥) [مكتبة الرشد، ط ٢].

فأهل السُّنة والجماعة سلفاً وخلفاً على أن أحق الناس بالخلافة بعد النبي ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ؛ لفضله وسابقته، ولتقديم النبي ﷺ إياه في الصلوات على جميع الصحابة.

وقد فهم أصحاب النبي ﷺ مراد المصطفى ﷺ من تقديمه في الصلاة، فأجمعوا على تقديمه في الخلافة ومتابعته ولم يتخلف منهم أحد، ولم يكن الرب ﷻ ليجمعهم على ضلالة، فبايعوه طائعين وكانوا لأوامره ممتثلين ولم يعارض أحد في تقديمه (١).

فعندما سئل سعيد بن زيد: متى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة (٢)، وقد نقل جماعة من أهل العلم المعبرين إجماع الصحابة ومن جاء بعدهم من أهل السُّنة والجماعة على أن أبا بكر ﷺ أولى بالخلافة من كل أحد (٣)، وهذه بعض أقوال أهل العلم:

أ - قال الخطيب البغدادي: «أجمع المهاجرون والأنصار على خلافة أبي بكر، قالوا له: يا خليفة رسول الله، ولم يسم أحد بعده خليفة. وقيل: إنه قبض

(١) عقيدة أهل السُّنة والجماعة في الصحابة (٢/٥٥٠) [مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١٣هـ].

(٢) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، لإبراهيم شعوط (١٠١) [المكتب الإسلامي].

(٣) عقيدة أهل السُّنة والجماعة في الصحابة (٢/٥٥٠).

قال الحافظ ابن حجر: «كان تجهيز أسامة يوم السبت قبل موت النبي ﷺ بيومين، وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي ﷺ، فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر، ودعا أسامة فقال: سر إلى موضع مقتل أبيك، فأوْطَئْهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش»^(١).

ثم مرض النبي ﷺ بعد البدء بتجهيز هذا الجيش بيومين، واشتد وجعه ﷺ، فلم يخرج هذا الجيش وظل معسكرًا بالجرف، ورجع إلى المدينة بعد وفاة النبي الكريم ﷺ.

وقد حصل اضطراب بعد وفاته ﷺ بارتداد بعض العرب، ونجوم النفاق لبث الفتنة بين المسلمين، فرأى بعض الصحابة رضي الله عنهم عدم إنفاذ جيش أسامة رضوان الله عليه^(٢).

فلما تولى الصديق الخلافة أمر ﷺ رجلًا في اليوم الثالث من متوفى رسول الله ﷺ أن ينادي في الناس: ليتم بعث أسامة، ألا لا يبيتن في المدينة أحد من جيش أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف.

لاحتياجه إليه فيما هو أهم الآن مما جهز بسببه في حال السلامة، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب، فامتنع الصديق من ذلك، وأبى أشد الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ، ولو أن الطير تخطفنا، والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين، لأجهز جيش أسامة. فجهزه وأمر الحرس يكونون حول المدينة، فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح، والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أربعوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة. فغابوا أربعين يومًا، ويقال: سبعين يومًا، ثم أبوا سالمين غانمين، ثم رجعوا فجهزهم حينئذ مع الأحياء الذين أخرجهم لقتال المرتدة، ومانعي الزكاة، على ما سيأتي تفصيله.

وهذا دليل على قوة إيمان الصديق، وقوة امتثاله لما أمر به النبي ﷺ، ولهذا حصل النفع العظيم بإنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه كما هو معلوم.

- المسألة الرابعة: قتال أبي بكر الصديق رضي الله عنه للمرتدين:

لما كانت الردة قام أبو بكر رضي الله عنه في الناس خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «الحمد لله الذي هدى فكفى،

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «لما وقعت هذه الأمور أشار كثير من الناس على الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة؛

(١) فتح الباري (٨/١٥٢) [دار المعرفة، ط ١].

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٦٦٥ - ٦٦٦).

وأعطى فأعفى. إن الله بعث محمدًا ﷺ والعلم شريد، والإسلام غريب طريد، قد رث حبله وخلق ثوبه وضل أهله منه، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيرًا لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شرًا لشر عندهم، وقد غيروا كتابهم وألحقوا فيه ما ليس منه، والعرب الآمنون يحسبون أنهم في منعة من الله لا يعبدونه ولا يدعونه، فأجهدهم عيشًا وأظلمهم دينًا، في ظلف من الأرض مع ما فيه من السحاب، فختمهم الله بمحمد وجعلهم الأمة الوسطى، ونصرهم بمن اتبعهم، ونصرهم على غيرهم، حتى قبض الله نبيه فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزل عليه، وأخذ بأيديهم، وبغى هلكتهم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. إن من حولكم من العرب قد منعوا شاتهم وبيعيرهم، ولم يكونوا في دينهم - وإن رجعوا إليه - أزهدهم منهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا على ما قد تقدم من بركة نبيكم، وقد وكلكم إلى المولى الكافي الذي وجده ضالًا فهداه وعائلًا فأغنائه: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

حتى ينجز الله وعده ويوفي لنا عهده، ويقتل من قتل منا شهيدًا من أهل الجنة، ويبقى من بقي منها خليفته وذريته في أرضه، قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خلف له: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥] (١).

وقد أشار بعض الصحابة - ومنهم عمر - على الصديق بأن يترك مانعي الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم، ثم هم بعد ذلك يزكون، فامتنع الصديق عن ذلك وأباه (٢).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر رضي الله عنه: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله»؟ فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. وفي رواية: والله لو منعوني عقالا، كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر فعرفت أنه

(١) البداية والنهاية (٣١٦/٦).

(٢) المصدر نفسه (٣١٥/٦).

والله لا أَدَعُ أن أقاتل على أمر الله

- وقول أبي سليمان الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: «ومما يجب أن يعلم هاهنا أن الذين يلزمهم اسم الردة من العرب كانوا صنفين:

١ - صنف منهم ارتدوا عن الدين وناذوا الملة وعادوا الكفر، وهم الذين عناهم أبو هريرة بقوله: «وكفر من كفر من العرب»؛ وهم: أصحاب مسيلمة، ومن سلك مذهبهم في إنكار نبوة محمد ﷺ.

٢ - والصنف الآخر: هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة؛ فأقروا بالصلاة وأنكروا الزكاة^(٦)، وهؤلاء على الحقيقة أهل بغي، وإنما لم يدعوا بهذا الاسم على الاختصاص به لدخولهم في غمار أهل الردة، فأضيف الاسم في الجملة إلى الردة؛ إذ كانت أعظم الأمرين خطباً...»^(٧).

- وقول القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «وكان أهل الردة ثلاثة أصناف:

الحق^(١)، ثم قال عمر بعد ذلك: والله لقد رجح إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة جميعاً في قتال أهل الردة^(٢).

لقد كان أبو بكر رَحِمَهُ اللهُ أبعد الصحابة نظراً وأحقهم فهماً وأربطهم جناحاً في هذه الطامة العظيمة^(٣)، والمفاجأة المذهلة، ومن هنا أتى قول سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللهُ: «وكان أفقهم - يعني: الصحابة - وأملهم رأياً^(٤)».

• وهنا لا بد من التنبيه إلى أن الذين قاتلهم أبو بكر الصديق رَحِمَهُ اللهُ أصناف، كما يوضح ذلك تقارير أهل العلم، ومن ذلك:

- قول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «وأهل الردة بعد رسول الله ﷺ ضربان:

١ - منهم قوم كفروا بعد الإسلام، مثل: طليحة، ومسيلمة، والعنسي، وأصحابهم.

٢ - ومنهم قوم تمسكوا بالإسلام ومنعوا الصدقات^(٥).

(٦) وقد ذكر رَحِمَهُ اللهُ في موضع آخر صنفًا آخر من مانعي الزكاة فقال: «وقد كان في ضمن هؤلاء المانعين للزكاة من كان يسمح بالزكاة ولا يمنعها، إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك الرأي وقبضوا على أيديهم في ذلك؛ كبنو يربوع؛ فإنهم قد جمعوا صدقاتهم وأرادوا أن يبعثوا بها إلى أبي بكر رَحِمَهُ اللهُ فمنعهم مالك بن نويرة عن ذلك وفرقها فيهم»، معالم السنن (٤/٢) [المطبعة العلمية، حلب، ط١].

(٧) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري (٧٤١/١) [مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٩هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٣٩٩، ١٤٠٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (١٤٣/١) [مكتبة الرشد، ط١]، عن عمر رَحِمَهُ اللهُ قال: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم»، وصححه سننه البخاري في المقاصد الحسنة (٥٥٥) [دار الكتاب العربي، ط١]. وانظر أيضاً: حروب الردة (٢٤) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٣) حركة الردة، للعتوم (١٦٥) [مكتبة الرسالة الحديثة].

(٤) البدء والتاريخ للمقدسي (١٥٣/٥).

(٥) الأم (٢٢٦/٤) [دار المعرفة، بيروت].

١ - الخطابى رَحِمَهُ اللهُ، فقال: «فلاستخلاف سُنَّةِ اتفق عليها الملاء من الصحابة، وهو اتفاق الأمة، لم يخالف فيه إلا الخوارج المارقة الذين شقوا العصا، وخلعوا ربقة الطاعة»^(٢).

٢ - وابن حزم الظاهري^(٣)، وأقره ابن تيمية على ذلك^(٤)؛ بل جعلها ابن حزم أول وجوه عقد الإمامة وأفضلها وأصحها^(٥)، فقال: «وهذا هو الوجه الذي نختاره ونكره غيره؛ لما في هذا الوجه من اتصال الإمامة، وانتظام أمر الإسلام وأهله، ورفع ما يتخوف من الاختلاف والشغب، مما يتوقع في غيره من بقاء الأمة فوضى، ومن انتشار الأمر، وارتفاع النفوس، وحدوث الأطماع»^(٦)، وغيرهم.

موقف المخالفين منه:

من أبرز المخالفين لأهل السُنَّة

(٢) انظر: معالم السنن (٦٠٥/٣) و(١٩٨/٤ - ١٩٩) [المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ]، وانظر كذلك لمعرفة موقف الإمام الخطابي من هذه المسألة، وغيرها من مسائل المعتقد كتاب: الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة، لأبي عبد الرحمن الحسن العلوي، وقد ذكر مسألة نصب الإمام عند الإمام الخطابي (٤٨٧ - ٤٩٦).

(٣) انظر: مراتب الإجماع (١٢٦) [دار الكتب العلمية]، والفصل (١٢٩/٤ - ١٣٠) [مكتبة الخانجي].

(٤) كما في حاشية مراتب الإجماع (نقد مراتب الإجماع).

(٥) انظر: الفصل (١٣٠/٤)، وما بعدها.

(٦) الفصل (١٣١/٤).

١ - صنف كفر بعد إسلامه، ولم يلتزم شيئاً، وعاد لجاهليته، أو اتبع مسيلمة أو العنسي وصدق بهما.

٢ - وصنف أقر بالإسلام إلا الزكاة فجحدها، وأقر بالإيمان والصلاة، وتأول بعضهم أن ذلك كان خاصاً للنبي ﷺ...

٣ - وصنف اعترف بوجوبها، ولكن امتنع من دفعها إلى أبي بكر رَحِمَهُ اللهُ، وقال: إنما كان قبضها للنبي ﷺ خاصة لا لغيره ممن يقوم مقامه بعده، وفرقوا صدقاتهم بأيديهم، فرأى أبو بكر والصحابة رَحِمَهُمُ قتل جميعهم، الصنفان الأولان لكفرهم، والثالث لامتناعه بزكاته، شمل جميعهم اسم الردة؛ إذ كانوا الأكثر، حتى لم يكن صُلِّيَ لله إلا في المدينة ومكة وجَوَّاثًا^(١).

- المسألة الخامسة: استخلاف أبي بكر لعمر بن الخطاب رَحِمَهُمَا:

ما قام به أبو بكر الصديق رَحِمَهُ اللهُ من استخلاف عمر الفاروق عليه رَحِمَهُ اللهُ هو منهج شرعي أجمع عليه أهل العلم قاطبة؛ وقد نقل الإجماع على ذلك عدد من أهل العلم؛ منهم:

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢٤٣/١ - ٢٤٤) [دار الوفاء، مصر، ط١]، وقد نقل غير واحد تقسيم القاضي عياض؛ كالحافظ في الفتح (٢٧٦/١٢ - ٢٧٧)، والنووي في شرح مسلم (٢٠٢/٢ - ٢٠٣)، واستحسنه.

معه إلى الغار إلا خوفاً منه أن يخبر المشركين بمكانه ﷺ (٧).

كما أجمع علماء الشيعة على وجوب لعن الشيخين، وعلى التبرؤ منهما ﷺ؛ بل وعدوا ذلك من ضروريات دين الإمامية (٨)، ومنكر الضروري عندهم كافر، وأن من لعنهما في المساء لم يكتب عليه ذنب حتى يصبح (٩)، وقال المجلسي: «إن أبا بكر وعمر كانا كافرين، الذي يحبهما فهو كافر أيضاً» (١٠).

وأنه ما أهرق في الإسلام من دم، ولا اكتسب مال من غير حله، ولا نكح فرج حرام، إلا كان ذلك في عنق أبي بكر وعمر ﷺ (١١)، و«إنهما لم يكن عندهما مثقال ذرة في الإسلام» (١٢).

وحكم علماء الشيعة: على من زعم بأن لأبي بكر وعمر ﷺ نصيب في الإسلام: أن الله تعالى لا يكلمه يوم القيامة، ولا يزكيه، وله عذاب أليم (١٣). ويسمونهما ﷺ بفرعون وهامان (١٤)،

والجماعة في مسائل الصحابة عموماً وفي أبي بكر الصديق ﷺ على وجه الخصوص الرافضة الإمامية الاثنا عشرية، وفيما يلي أبرز أقوالهم ومواقفهم المخزية في الصديق ﷺ:

لقد أعلن علماء الشيعة التكفير والتفسيق واللعن... لأبي بكر ﷺ ولم يتبعوا أئمتهم في ذلك، ومما يعتقدونه فيه ﷺ:

أنه ﷺ أمضى أكثر عمره مقيماً على الكفر، خادماً للأوثان (١)، عابداً للأصنام (٢)، وأن إيمانه ﷺ كإيمان اليهود والنصارى (٣).

وأنه ﷺ «كان له صنم يعبد» ويسجد عليه في زمن الجاهلية والإسلام سرّاً، واستمر على ذلك إلى أن توفي رسول الله ﷺ، فأظهر ما في قلبه (٤).

وجزم شيخهم المجلسي بعدم إيمانه ﷺ (٥)، وأن علماء الشيعة اطلعوا على باطنه ﷺ، فتبين لهم أنه كافر (٦).

وأن الرسول ﷺ لم يأخذ أبا بكر ﷺ

(٧) الطوائف في معرفة مذهب الطوائف، لابن طاوس الحسيني (٤٠١).

(٨) الاعتقادات، للمجلسي (٩٠ - ٩١).

(٩) ضياء الصالحين، لمحمد صالح الجوهرى (٥١٣).

(١٠) حق اليقين، للمجلسي (٥٢٢)، وكشف الأسرار، للخميني (١١٢).

(١١) رجال الكشي (٤١).

(١٢) وصول الأخبار إلى أصول الأخبار، للعالمى (٩٤).

(١٣) أصول الكافي (١/٣٧٣ - ٣٧٤).

(١٤) قرة العيون، للكاشاني (٤٣٢ - ٤٣٣).

(١) ذكر ذلك البياضي في الصراط المستقيم (١٥٥/٣)،

والكاشاني في علم اليقين (٧٠٧/٢).

(٢) بحار الأنوار (١٧٢/٢٥).

(٣) الكشكول، للآملي (١٠٤).

(٤) الأنوار النعمانية، للجزائري (١١١/٢).

(٥) مرآة العقول، للمجلسي (٤٢٩/٣ - ٤٣٠).

(٦) الاستغاثة في بدع الثلاثة، لأبي القاسم الكوفي (٢٠).

وأفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم، عياداً بالله من ذلك.

وهذا يدلُّ على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن؛ إذ يسبون من رضي الله عنهم؟! وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه، ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون، ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون^(٥)، والله المستعان.

وأما عن موقف الخوارج - فكما قال أبو الحسن الأشعري -: «والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر...»^(٦).

وقال الرازي: «سائر فرقهم... يعظمون أبا بكر وعمر»^(٧).

وأما المعتزلة فجمهورهم على عدالة الصحابة جميعاً - بما في ذلك أبو بكر وعمر - خاصة ما قبل الفتنة، إلا من شذ منهم، فوقع في الشيخين ﷺ؛ كالنظام مثلاً^(٨).

وبالوثنيين^(١)، وبالللات والعزى^(٢).

وصرح علماء الشيعة بأن مهديهم المنتظر يحيي أبا بكر وعمر ﷺ ثم يصلبهما على جذع نخلة، ويقتلهما كل يوم ألف قتلة^(٣).

فهذا الافتراء والطعن كله مصادم لما سبق نقله وتقريره من نصوص الكتاب والسنة في فضل هذا الصحابي الجليل ﷺ، كما أن الذي يقع في هذا الصحابي الجليل - وغيره من الصحابة ﷺ - هو على خطر عظيم، فإن «حرمة سب الصحابة ﷺ مما لا ينبغي أن ينتطح فيه كبشان أو يتنازع فيه اثنان»^(٤).

يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان؛ فيا ويل من أبغضهم أو سبهم، أو أبغض أو سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول ﷺ وخيرهم وأفضلهم؛ أعني: الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة ﷺ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٨٤ - ٣٨٥).

(٦) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٤) [مكتبة النهضة المصرية، ط ١، ١٣٦٩هـ].

(٧) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٤٦).

(٨) ينظر: أصحاب رسول الله ﷺ ومذاهب الناس فيهم لعبد العزيز العجلان (١٧٥) [دار طيبة، ط ١، ١٤٣١هـ].

(١) انظر: تفسير العياشي (٢/ ١١٦)، بحار الأنوار (٥٨/ ٢٧).

(٢) إكمال الدين، لابن بابويه القمي (٢٤٦)، ومقدمة البرهان، لأبي الحسن العاملي (٢٩٤).

(٣) إيقاظ من الهجعة بتفسير البرهان على الرجعة، للحر العاملي (٢٨٧).

(٤) الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهوتية (١٤٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ»، لإبراهيم شعوط.
- ٢ - «أبو بكر رجل الدولة»، لمجدي حمدي.
- ٣ - «أصحاب رسول الله ﷺ ومذاهب الناس فيهم»، لعبد العزيز العجلان.
- ٤ - «الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق»، لعلي الصلابي.
- ٥ - «الخلفاء الراشدون»، لمحمد بن إسماعيل إبراهيم.
- ٦ - «سيرة وحياء الصديق»، لمجدي فتحي السيد.
- ٧ - «الصحابة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه»، لصالح بن طه.
- ٨ - «عصر الخلافة الراشدة»، لأكرم ضياء العمري.
- ٩ - «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة».
- ١٠ - «العواصم والقواصم»، لابن الوزير اليماني.
- ١١ - «الموقف من خصائص وخلافة أبي بكر الصديق»، لحامد محمد الخليفة.

البيت المعمور

التعريف لغة:

البيت في اللغة: اسم لما يُبات فيه ويُمكث فيه، وهو المسكن، وبيت الله: المسجد، والبيت المعمور: هو البيت المبني، وهو المنزل الكثير الماء والكلاء والناس، والذي يعمر بكثرة زائريه^(١).

التعريف شرعاً:

بيت في السماء السابعة بحيال الكعبة من فوقها تقصده الملائكة تعبداً^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان من معاني عمران البيت في اللغة هو كثرة زائريه، فهذا المعنى يتحقق في البيت المعمور الذي في السماء، حيث يكثُر زواره من الملائكة، فهو معمور بهم ﷺ وعبادتهم، ولا يعلم عدد من يغشى هذا البيت ويعمره بالعبادة من الملائكة إلا الله ﷻ.

سبب التسمية:

سمي بالبيت المعمور؛ لأنه معمور

(١) ينظر: القاموس المحيط (٥٧١) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، والمعجم الوسيط (٦٢٧) [المكتبة الإسلامية، ط٢].

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٥٦٢/٢١) [دار هجر، ط١]، والتبيان في أيمان القرآن (٤٠١ - ٤٠٢) [عالم الفوائد، ط١].

بلوغ الحجة

يراجع مصطلح (قيام الحجة).

بكثرة زائريه من الملائكة^(١).

✽ الأسماء الأخرى:

الضُّرَّاح: ويقال: الضُّرَّيح، وكعبة أهل السماء.

✽ الحكم:

يجب الإيمان بالبيت المعمور على ما وردت به النصوص؛ إذ إن الإيمان به يدخل ضمن وجوب الإيمان بالملائكة ﷺ وما ورد فيهم.

✽ المنزلّة:

الإيمان بالبيت المعمور يدخل في الإيمان بالملائكة ﷺ وما جاء فيهم، والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، وأصل من أصوله العظيمة.

✽ الأهمية:

البيت المعمور هو كعبة الملائكة ﷺ، فهي تحج إليه، وتصلّي وتتعبد فيه، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يتعبدون فيه ويطوفون، كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم كذلك ذاك البيت»^(٢).

✽ الأدلة:

أقسم الله تعالى بالبيت المعمور في قوله تعالى: ﴿وَأَلَيْتَ الْمَعْمُورَ﴾

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥٦٢/٢١)، والتبيان في أيمان القرآن (٤٠٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٢٧/٧ - ٤٢٨).

[الطور]، وورد ذكره في حديث الإسراء الطويل، حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «فُزِّعَ لي البيت المعمور، فسألتُ جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»^(٣). وسئل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن البيت المعمور، فقال: «بيت في السماء يقال له: الضُّرَّاح، وهو بحيال الكعبة من فوقها، حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة، ولا يعودون فيه أبداً»^(٤)، ولهذه الزيادة شاهد مرسل من رواية قتادة قال: «ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: هل تدرون ما البيت المعمور؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه مسجد في السماء، تحته الكعبة، لو خَرَّ لخرَّ عليها»^(٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٥٥/٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والبيهقي في الشعب (٤٥٢/٥) [مكتبة الرشد، ط١]، وقال الألباني: «رجاله ثقات غير خالد بن عرعة، وهو مستور». السلسلة الصحيحة (٨٥٩/١).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٥٦/٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الألباني: «هذا إسناد مرسل صحيح... وجملة القول أن هذه الزيادة (حيال الكعبة) ثابتةٌ بمجموع طرقها». انظر: السلسلة الصحيحة (٨٥٩/١ - ٨٦٠).

المسائل المتعلقة:

المسألة الأولى: مكان البيت

المعمور:

هو في السماء السابعة، كما دلَّ عليه حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه، وفيه: «فأتينا السماء السابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟! مرحبًا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه فقال: مرحبًا بك من ابن ونبي، فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور»^(١).

كما أنه فوق الكعبة، والكعبة تحته، وأنه لو سقط لسقط على الكعبة كما دلَّت عليه الأحاديث السابق ذكرها، منها قوله ﷺ: «هو بحيال الكعبة من فوقها»، وقوله ﷺ: «إنه مسجد في السماء، تحته الكعبة، لو خرَّ لخرَّ عليها».

المسألة الثانية: لا يعتبر دخول

الملائكة البيت المعمور حبًّا بالمعنى الشرعي المتعارف عليه:

والذي تدلُّ عليه الأحاديث أن قصد الملائكة البيت المعمور هو للصلاة فيه، لكننا لا نعلم حقيقة هذه الصلاة، ولا تدلُّ الأحاديث أن المراد الحج والطواف^(٢)، والله أعلم.

الثمرات:

١ - تعظيم بيوت الله تعالى، وفي مقدمها الكعبة المشرفة، والإكثار من إعمارها بالصلاة والذكر وسائر أنواع العبادة المشروعة.

٢ - الاقتداء بالملائكة في إعمار بيوت الله بالعبادة، وأهمها الصلاة.

الحكمة:

لعلَّ من الحكم في وجود البيت المعمور ما يلي:

١ - تذكير المسلمين بأهمية الصلاة ومنزلتها عند الله.

٢ - أهمية صلاة الجماعة، كما دلَّ عليه قوله ﷺ: «يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك».

٣ - فيه إشارة إلى أهمية قصد البيت الحرام للصلاة فيه، وللحج أو للعمرة.

٤ - ترغيب المسلمين في المسارعة إلى الخيرات وأداء العبادات، وذلك أن الملائكة مع أنهم في عبادة الله لا تنقطع، كما قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٣) [الأنبياء]؛ إلا أنهم يقصدون البيت المعمور تعبُّدًا لله تعالى.

مذهب المخالفين:

فسَّرت طائفة من الصوفية البيت

والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (١٢٧ - (١٢٨) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٧)،

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤).

(٢) ينظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى

- المعمور بأنه النبي محمد ﷺ^(١)، وذهبت طائفة أخرى إلى أن المراد بالبيت المعمور هو قلب الإنسان الذي وسع الحق، تعالى الله عما يقول الجاحدون علواً كبيراً، يقول ابن عربي: «والبيت المعمور وهو القلب الذي وسع الحق فهو عامره»^(٢)، ويقول في موضع آخر مقراً بوحدة الوجود - في وصفه لمعراجة الروحاني -: «ثم رأيت البيت المعمور فإذا به قلبي، وإذا بالملائكة تدخله كل يوم، وقد تجلى الحق له في سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، فهو يتجلى فيها لقلب عبده»^(٣).
- ولا شك في أن ما ذهبت إليه الصوفية تأويل باطل وقول فاسد، وتكذيب للنبي ﷺ، وردُّ للأحاديث الصحيحة والصريحة في أن المراد بالبيت المعمور هو على ظاهره، وأنه يقصده الملائكة للصلاة، وأنه في السماء السابعة، وقد رآه النبي حينما أسري به، ورأى إبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إليه.
- المصادر والمراجع:**
- ١ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب
- ٢ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٣ - «شعب الإيمان» (ج ٦)، للبيهقي.
- ٤ - «عالم الملائكة الأبرار»، للأشقر.
- ٥ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكمي.
- ٦ - «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، للعقيل.

البيعة

يراجع مصطلح (الإمامة).

(١) ينظر: روح البيان للبروسوي (١٨٧/٩) [دار إحياء التراث العربي]، وموسوعة الكتزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان (٤٠١/٣) [دار المحبة، ط ١].

(٢) الفتوحات المكية (٥٢٦/٣) [الطبعة الميمينية الأولى].

(٣) الفتوحات المكية (٣٥٠/٣).

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
آدم ﷺ	٥	الاستغناء	١٨٢
آل البيت	١٣	الاستهزاء	١٨٩
الأبرار	٢٢	الاستواء	١٩٦
إبراهيم ﷺ	٢٧	إسحاق ﷺ	٢٠٦
الأتباع	٤٠	الإسراء والمعراج	٢٠٩
الاتحاد	٤٧	إسرافيل	٢١٨
الأتیان	٥٣	أسرع الحاسين	٢١٩
الأجل	٥٣	الإسلام	٢١٩
الإجماع	٦٢	الإسلام الحقيقي	٢٣٣
الاحتجاج بالقدر	٦٨	الإسلام الحكمي	٢٣٣
الاحتضار	٦٩	الإسلام الخاص	٢٣٣
الأحد	٨٠	اسم الله الأعظم	٢٣٣
الإحسان	٨٩	الاسم والمسمى	٢٤٠
أحسن الخلقين	٩٩	الأسماء الحسنی	٢٤٥
أحكم الحاكمين	٩٩	إسماعيل ﷺ	٢٥٥
الأحلام	٩٩	أشراط الساعة	٢٦٥
الأحوال	٩٩	الأصابع	٢٧٠
الآخر (من أسماء الله تعالى)	١٠٣	أصحاب الكبيرة	٢٧٣
الإخبات	١٠٧	أصحاب اليمين	٢٧٣
الإخلاص	١١٠	أصول الدين	٢٧٤
إدريس ﷺ	١١٦	الاعتصام بالكتاب والسنة	٢٧٧
الإرادة	١٢٢	إعجاز القرآن	٢٨٧
الإرادة الشرعية	١٢٧	الأعراف	٢٩٧
الإرادة الكونية	١٢٧	الأعز	٢٩٩
أرحم الراحمين	١٢٧	الأعلى	٢٩٩
الأزلي	١٢٧	الأعلم	٢٩٩
الأسباب	١٣١	أعمال القلوب	٢٩٩
الأسباط	١٤١	الافتراق	٣٠٤
الاستثناء في الإسلام	١٤٦	أفعال العباد	٣١٠
الاستثناء في الإيمان	١٤٧	أفعال الله	٣١٧
الاستسقاء بالأنواء	١٥٦	الأقرب	٣٢٢
الاستطاعة	١٦٢	الأقوى	٣٢٢
الاستعانة	١٦٨	الأكبر	٣٢٢
	١٧٥	الإكراه	٣٢٢
		الأكرم	٣٢٧

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الإلحاد	٣٢٩	الإيمان المطلق	٤٨٤
الألفاظ المجملة	٣٣٣	الإيمان بالرسول	٤٨٤
الإله	٣٣٨	الإيمان بالكتب	٤٨٤
الإلهام	٣٤٥	الإيمان باليوم الآخر	٤٨٤
إلياس عليه السلام	٣٥٥	أيوب عليه السلام	٤٨٤
الإمامة	٣٥٩	حرف الباء	
الإمامة	٣٥٩	البارئ	٤٩١
الأمر	٣٧٦	الباطن	٤٩٤
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣٧٦	البدعة	٤٩٤
الأمن من مكر الله	٣٨٦	البدعة الإضافية	٥٠٥
الإنابة	٣٩٠	البدعة التركيبية	٥٠٥
الأنبياء المختلف في نبوتهم	٣٩٤	البدعة التعبدية	٥٠٥
انتفاع الميت بسعي الحي	٣٩٤	البدعة الجزئية	٥٠٥
الإنجيل	٤٠٤	البدعة الحسنة	٥٠٥
الأنداد	٤١٠	البدعة الحقيقية	٥٠٥
الأنصاب	٤١٤	البدعة السيئة	٥٠٥
الأنصار	٤١٧	البدعة العادية	٥٠٥
الانقياد	٤١٧	البدعة العملية	٥٠٥
إهداء ثواب الأعمال	٤٢١	البدعة الفعلية	٥٠٥
أهل الأثر	٤٢١	البدعة الكلية	٥٠٥
أهل الحديث أو أصحاب الحديث	٤٢٣	البدعة المفسقة (غير المكفرة)	٥٠٥
أهل الحل والعقد	٤٢٦	البدعة المكفرة	٥٠٥
أهل السنة والجماعة	٤٢٦	البدع	٥٠٦
أهل الفترة	٤٣١	بدع السماوات والأرض	٥٠٦
أهل الوعد	٤٣٥	البِرّ	٥١١
أهل الوعيد	٤٣٥	البراء	٥١٥
أهل بدر	٤٣٥	البرزخ	٥١٥
أهل بيعة الرضوان	٤٣٥	البشيشة	٥٢٠
أهل بيعة العقبة	٤٣٥	البصير	٥٢٣
أهوال القيامة	٤٣٥	البعث	٥٢٧
الأوثان	٤٤٥	البغض	٥٣٣
الأول	٤٥٣	البقاء	٥٣٦
أولو الأمر	٤٥٦	أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ	٥٣٩
أولو العزم	٤٥٦	بلوغ الحجة	٥٥٥
الإيجاب	٤٦٠	البيت المعمور	٥٥٥
الإيجاد	٤٦٥	اليعة	٥٥٨
الإيمان	٤٦٨		



موسوعة العقيدة والأديان
والفرق والمذاهب المعاصرة

هو سید محمد

العَقِيدَةُ وَاللُّوْكَاهُ وَالْفِرْقَةُ وَالْمَنْزَعَةُ وَالْمُعَاوَرَةُ

تَصْنِيفٌ وَإِعْدَادٌ

مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَكَادِمِيِّينَ وَالْبَاحِثِينَ الْمُتَخَصِّصِينَ فِي جَامِعَاتِ الْعَالَمِ

مُزَاجَعَةٌ وَتَقْدِيمٌ

عَدَدٌ مِنْ بَكَارِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُتَخَصِّصِينَ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ

المشرف العام

صَاحِبُ السَّمَوَاتِ الْأَمِيرِ

د. سید محمود دین سیدان بن محمد آل سید محمود

أستاذ العقيدة والذاهب المشارك في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض

العقيدة

الجزء الثاني (ت-ح)

أَمَّا التَّوْحِيدُ فَحَيْدُ الْإِنْسَانِ

هَوَسُوعَتَا

العَصِيَّةُ وَاللُّؤْلُؤُكَ وَالْفَرْقُ وَالْمُتَلَهِّبُ وَالْمُعَاصِرَةُ

ت - ح

ح سعود بن سلمان بن محمد آل سعود، ١٤٣٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية / إثناء النشر

آل سعود، سعود بن سلمان بن محمد

موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة . / سعود

ابن سلمان بن محمد آل سعود - الرياض، ١٤٣٩ هـ.

٦ مج.

ردمك ٩-٥٨٤٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٥-٥٨٥٠-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)

١- العقيدة الإسلامية ٢- المذاهب - موسوعات أ- العنوان

١٤٣٩/٢٠٥٥

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٢٠٥٥

ردمك: ٩-٥٨٤٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٥-٥٨٥٠-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م



موسوعة العقيدة والأديان
والفرق والمذاهب المعاصرة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص.ب ٧٤٨٠ الرمز البريدي ١١٤٦٢

<http://IslamicCreed.net>

info@islamiccreed.net

دار التوحيد للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب. ١٠٤٦٤ الرمز البريدي ١١٤٣٣

هاتف ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ - فاكس ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤

darattawheed@yahoo.com



موسوعة العقيدة والأديان
والفرق والمذاهب المعاصرة
Encyclopedia of the Creed, Religions,
Sects, and Contemporary Ideologies

موسوعة عقيدتنا

العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة

تصنيف وإعداد
مجموعة من الأكاديميين والباحثين المختصين في جامعات العالم

مراجعة وتقديم
عبد من كبار العلماء والمختصين في العالم الإسلامي

المشرف العام
صاحب السمو الأمير
د. سعيد بن سلطان بن محمد آل سعيد
أساذ العقيدة والمذاهب الشاركة في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض

الجزء الثاني

الجزء الثاني (ت - ح)

دار التوحيد للنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حرف التاء

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنى اللغوي موافق للمعنى الشرعي .

الأسماء الأخرى:

الإقسام على الله .

الحكم:

التألي على الله محرم؛ لتحريم الإدلال عليه ﷺ، ووجوب التأدب معه في الأقوال والأحوال، وأن حق العبد أن يعامل نفسه بأحكام العبودية، ويعامل ربه بما يجب له من أحكام الإلهية والربوبية^(٥).

الأدلة:

ما ورد عن جنذب رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ حدث: «أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحببت عملك»^(٦).

الأقسام:

القسم على الله ينقسم إلى أقسام:

الأول: أن يقسم بما أخبر الله به

(٥) إبطال التنديد لابن عتيق (١٦٥).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٢١).

التألي على الله

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «قولهم: آلى يُولي؛ إذا حَلَفَ أَلِيَّةً وَأَلُوَةً... قال الفراء: يقال: ائتلى الرَّجُلُ؛ إذا حلف،... ويقال لليمين: أَلُوَةٌ وَأَلُوَةٌ وإِلْوَةٌ وَأَلِيَّة»^(١). وقال النووي: «معنى يتألى: يحلف، والألِيَّة اليمين»^(٢). فالتألي على الله: الحلف عليه ﷺ.

التعريف شرعاً:

التألي على الله: هو الحلف والإقسام على الله على جهة الحَجَرِ على الله، والْقَطْع بحصول الْمُقَسِّمِ عليه^(٣)، وفي مرقاة المفاتيح: «يتألى: أي: يتحكم علي ويحلف باسمي»^(٤).

(١) مقاييس اللغة (١٢٧/١ - ١٢٨) [دار الجيل]، وانظر: تهذيب اللغة (٤٣٠/١٥) [الدار المصرية للتأليف والترجمة].

(٢) شرح النووي على مسلم (١٧٤/١٦) [دار الفكر].

(٣) انظر: إبطال التنديد لابن عتيق (١٦٤) [دار نشر الثقافة، ط٢، ١٣٨٠هـ].

(٤) مرقاة المفاتيح (٢٤٤/٥) [دار الكتب العلمية، ط١].

«الأنام»، لفهد الشتوي [بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى].

٣ - «أحكام الإيمان وكفاراتها في الفقه الإسلامي»، لأحمد عائض. رسالة ماجستير.

٤ - «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (كتاب الإيمان)»، للمرداوي.

٥ - «الإيمان في القرآن»، لعادل الشدي.

٦ - «الحلف والإيمان دراسة عقدية»، ليويسف السعيد.

٧ - «الفروع (كتاب الإيمان)»، لابن مفلح.

٨ - «القول المفيد» (ج ٢) (باب ما جاء في الإقسام على الله)، لابن عثيمين.

٩ - «شرح النووي على صحيح مسلم» (ج ١٦).

١٠ - «مطالب أولي النهى (كتاب الإيمان)»، للبهوتي.

١١ - «المغني (كتاب الإيمان)»، لابن قدامة.

❖ التأويل ❖

❖ التعريف لغة:

التأويل: التصيير، من آل يؤول إلى كذا إذا صار إليه، وأولته إلى كذا؛ أي: صيرته إليه.

ورسوله من نفي أو إثبات؛ فهذا لا بأس به، وهذا دليل على يقينه بما أخبر الله به ورسوله، مثل: والله ليشفعن الله نبيّه في الخلق يوم القيامة، ومثل: والله؛ لا يغفر الله لمن أشرك به.

الثاني: أن يقسم على ربه لقوة رجائه وحسن الظن بربه، فهذا جائز؛ لقوله ﷺ: «رب أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره»^(١).

الثالث: أن يكون الحامل له هو الإعجاب بالنفس، وتحجر فضل الله، وسوء الظن به ﷺ، فهذا محرم، وهو وشيك بأن يحبط الله عمل هذا المقسم^(٢).

❖ الفرق:

الفرق بين القسم على الله والتألي على الله:

أن التألي على الله هو ما يحرم من الإقسام عليه ﷺ، فالقسم على الله له أنواع منها التألي على الله.

❖ المصادر والمراجع:

١ - «إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد»، لحمد ابن عتيق.

٢ - «أحكام الإقسام على الله وعلى

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٢٢).

(٢) القول المفيد لابن عثيمين (٢/ ٤٩٧ - ٤٩٩) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ فِي مادة: «الهمزة» واحد^(٤).

✽ التعريف شرعاً:

التأويل في اصطلاح المتقدمين يأتي لمعنيين: أحدهما: بمعنى التفسير.

وثانيهما: بمعنى الحقيقة والعاقبة التي يؤول إليها الأمر، ولذا عرّفه ابن عثيمين بقوله: «رد الكلام إلى الغاية المرادة منه بشرح معناه، أو حصول مقتضاه»^(٥).

وهذا معنى ما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «وأما لفظ التأويل في التنزيل فمعناه: الحقيقة التي يؤول إليها الخطاب، وهي نفس الحقائق التي أخبر الله عنها، فتأويل ما أخبر به عن اليوم الآخر: هو نفس ما يكون في اليوم الآخر. وتأويل ما أخبر به عن نفسه: هو نفسه المقدسة الموصوفة بصفاته العلية. وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله، ولهذا كان السلف يقولون: الاستواء معلوم والكيف مجهول، فيثبتون العلم بالاستواء وهو التأويل الذي بمعنى التفسير، وهو معرفة المراد بالكلام حتى يتدبر ويعقل ويفقه، ويقولون: الكيف مجهول وهو التأويل الذي انفرد الله بعلمه، وهو الحقيقة التي لا يعلمها إلا هو»^(٦).

والواو واللام أصلان: ابتداء الأمر، وانتهائه. أما الأوّل فالأوّل، وهو مبتدأ الشيء... والأصل الثاني: قال الخليل: الأيل الذكّر من الوُعول، والجمع أيائل، وإنّما سميّ أيلاً؛ لأنّه يؤول إلى الجبل يتحصّن... وآل يؤول؛ أي: رجع... ومن هذا الباب تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يؤول إليه، وذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف ٥٣]. يقول: ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم^(١).

وقال الأزهري رَحِمَهُ اللهُ: «وأما التأويل فقليل: من أوّل يؤول تأويلاً، وثلاثيه: آل يؤول؛ أي: رجع وعاد... قلت: ألت الشيء: جمعته وأصلحته، فكان التأويل جمع معان مشكلة بلفظ واضح لا إشكال فيه... والتأوّل والتأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصح إلا ببيان غير لفظه»^(٢).

وقال الجوهري رَحِمَهُ اللهُ: «التأويل: تفسير ما يؤول إليه الشيء. وقد أوّلته وتأوّلته تأويلاً بمعنى»^(٣).

وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال: التأويل والمعنى والتفسير

(٤) لسان العرب (١/١٧٢) [دار المعارف، بيروت].

(٥) تقريب التدمرية لابن عثيمين (٧٥) [دار ابن

الجوزي].

(٦) درء تعارض العقل والنقل (٣/٩٥) [جامعة الإمام

محمد بن سعود، ٢، ١٤١١هـ].

(١) مقاييس اللغة (١/١٥٨ - ١٦٢) [دار الجبل، ط ٢].

(٢) تهذيب اللغة (١٥/٣٢٩) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) الصحاح (٦٣) [دار المعرفة، بيروت، ط ١].

❁ التعريف اصطلاحاً:

وأما في اصطلاح المتكلمين فهو «رد الظاهر إلى ما إليه مآله في دعوى المؤول»^(١). وقال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «التأويل عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر»^(٢).

❁ الحكم:

يحرم التأويل الذي بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر بدون دليل؛ لأنه تحريف للكلم عن مواضعه والتحريف مذموم، وهو من صنع اليهود، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُوا لِلْكَذِبِ سَمْعًا لِّقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِتُوحِيدٍ عَلَىٰ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١].

❁ الحقيقة:

حقيقة التأويل: هو صرف اللفظ عن ظاهر معناه وإخراجه إلى معنى آخر، فإن كان هذا الصرف والإخراج عن الظاهر لدليل صحيح صار هذا التأويل صحيحاً وجائزاً، وإلا صار فاسداً.

فحقيقة التأويل الجائز إما أنه بيان

للحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فإن كان خبراً كان تأويله وقوعه كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣]؛ أي: وقوع ما أخبر به من العذاب والنكال والجنة والنار^(٣)، وإن كان أمراً كان تأويله امتثاله؛ كحديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي»؛ يتأول القرآن^(٤)؛ أي: يعمل بما جاء فيه من الأمر بالتسبيح والتحميد والاستغفار^(٥)، وإن كان تركاً كان تأويله تركه.

وإما أنه بيان لمعنى النص وتفسير لمدلوله؛ كقول بعض السلف - كابن جرير وغيره -: القول في تأويل قوله تعالى كذا؛ أي: تفسيره ومعناه.

وحقيقة التأويل المذموم هو التحريف والتغيير للكلم عن مواضعه؛ لأنه صرف لدلالة اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر ليس لدليل من الكتاب والسنة؛ لأن هذا محل اتفاق، وهو يعتبر تفسيراً، وإنما لشيء يتوهمه المؤول، كمن يصرف لفظ استوى عن ظاهر معناه - وهو: علا وارتفع - إلى استولى، فهذا تحريف؛

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٥)، وتفسير السعدي (٢٩١).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٦٨) ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٤).

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧٣٤) [دار المعرفة]

(١) البرهان في أصول الفقه (١/ ٣٣٦) [دار الوفاء، مصر، ط ٤]، وانظر: مدارج السالكين (٢/ ٨٥) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣]، وجناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية لأحمد محمد لوح (١٠) [دار ابن عثمان].

(٢) المستصفي للغزالي [دار الكتب العلمية، ط ١].

أحدها: وهو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله: أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح؛ لدليل يقترب به...

الثاني: أن التأويل بمعنى التفسير وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن كما يقول ابن جرير رحمته الله وأمثاله من المصنفين في التفسير...

الثالث من معاني التأويل: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ الَّذِينَكَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣] (٣).

وقال ابن القيم: «التأويل (تفعيل) من: آل يؤول إلى كذا؛ إذا صار إليه، فالتأويل: التصيير، وأولته تأويلاً؛ إذا صيرته إليه فال وتأول، وهو مطاوع أولته. وقال الجوهري: التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء وقد أولته وتأولته تأوُّلاً بمعنى... ثم تسمى العاقبة تأويلاً؛ لأن الأمر يصير إليها، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَنْتَرَعَنَّهُمْ فِي شَوَّاءٍ قَرَدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء]. وتسمى حقيقة الشيء المخبر به: تأويلاً؛ لأن الأمر ينتهي إليها، ومنه قوله: ﴿هَلْ

لأنه ما دلَّ عليه دليل؛ بل الدليل على خلافه (١)، ولذا يعبر ابن تيمية رحمته الله عن واقعهم هذا فيقول: «وأما التأويل المذموم والباطل: فهو تأويل أهل التحريف والبدع الذين يتأولونه على غير تأويله ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله، بغير دليل يوجب ذلك» (٢).

الأدلة:

دلت النصوص الشرعية على التأويل الصحيح وهو ما كان بمعنى التفسير، وبمعنى حقيقة ما يؤول إليه الأمر.

أما الأول: ففي قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجَنَ فَتَبَيَّنَ قَالِ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَنِتِّي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَنِتِّي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف].

وأما الثاني: ففي قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ الَّذِينَكَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رحمته الله: «لفظ التأويل قد صار بتعدد الاصطلاحات مستعملاً في ثلاثة معان:

(١) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (١/ ٨٩) [دار ابن الجوزي، ط ٥].

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣/ ٦٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٥٥ - ٥٦).

المراد هو المعنى المؤول به .

الرابعة: سلامة دليل التأويل من معارض أقوى منه ^(٣) .

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والتأويل عليه وظيفتان: بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي ادعاه وبيان الدليل الموجب للصرف إليه عن المعنى الظاهر» ^(٤) .

❁ الأقسام:

ينقسم التأويل إلى قسمين:

القسم الأول: التأويل الصحيح، وهو نوعان:

النوع الأول: تأويل التفسير، وهو بيان الكلام بذكر معناه المراد به . ومنه ما حكاه الله تعالى عن صاحبي السجن وهما يخاطبان نبي الله يوسف رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي آخِصِرَ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف] .

قال ابن تيمية: «ويجوز باتفاق المسلمين أن تفسر إحدى الآيتين بظاهر

يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِي شَاءَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ» [الأعراف: ٥٣] فالتأويل في كتاب الله رَحِمَهُ اللهُ المراد به حقيقة المعنى الذي يؤول اللفظ إليه، وهي الحقيقة الموجودة في الخارج» ^(١) .

وقال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ: «قد صار اصطلاح المتأخرين في معنى التأويل: أنه صرف اللفظ عن ظاهره، وبهذا تسلط المحرفون على النصوص، وقالوا: نحن نتأول ما يخالف قولنا، فسموا التحريف تأويلاً، تزييناً له وزخرفة ليقبل، وقد ذمَّ الله الذين زخرفوا الباطل، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]» ^(٢) .

❁ الشروط:

يشترط لصحة التأويل وقبوله الأمور الآتية:

الأولى: أن يكون اللفظ الذي يراد تأويله يحتمل المعنى المؤول به لغة أو شرعاً .

الثانية: احتمال السياق للمعنى المؤول به .

الثالثة: قيام دليل معتبر شرعاً على أن

(٣) انظر: شرح الرسالة التدمرية لمحمد الخميس (٢٩٤ - ٢٩٥) [دار أطلس الخضراء]، وجناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية لمحمد لوح (١٣)، ومصطلحات في كتب العقائد لمحمد الحمد (١٥) - (١٦) [دار ابن خزيمة] .

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨٨/١٣) وانظر: المصدر نفسه (٢١/٦) .

(١) الصواعق المرسله (١/ ١٧٥ - ١٧٧) [دار العاصمة] .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٥١) .

الصواب رجع عن تأويله إلى الحق، فهذا معفو عنه؛ لأنه بذل ما في وسعه في طلب الحق، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الثاني: أن يكون صادرًا عن هوى وتعصب، وله وجه في اللغة العربية، فهو فسق وليس بكفر، إلا أن يتضمن نقصًا أو عيبًا في حق الله فيكون كفرًا.

الثالث: أن يكون صادرًا عن هوى وتعصب وليس له وجه في العربية، فهذا كفر؛ لأن حقيقته التكذيب حيث لا وجه له. مثل أن يقول في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] المراد بيديه: السماوات والأرض، فهو كفر؛ لأنه لا مسوغ له في اللغة العربية، لكن إن قال: المراد باليد النعمة أو القوة فلا يكفر؛ لأن اليد في اللغة تطلق بمعنى النعمة^(٣).

- **المسألة الثانية:** تفسير النص ببعض معانيه أو بلازمه ليس تأويلًا:

لا شك أن تفسير النص ببعض معانيه أو بعض لوازمه الحق ليس من التأويل في شيء، مثال ذلك لفظ المعية فإنه يدل على العلم ويدل على المصاحبة، ثم إذا أضيفت فيكون معناها على حسب ما تضاف إليه، فتفسير المعية بأحد المعنيين

الأخرى، ويصرف الكلام عن ظاهره؛ إذ لا محذور في ذلك عند أحد من أهل السُّنَّة، وإن سمي تأويلًا وصرقًا عن الظاهر، فذلك لدلالة القرآن عليه، ولموافقة السُّنَّة والسلف عليه؛ لأنه تفسير القرآن بالقرآن؛ ليس تفسيرًا له بالرأي. والمحذور إنما هو صرف القرآن عن فحواه بغير دلالة من الله ورسوله والسابقين^(١).

النوع الثاني: ما كان بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الأمر، كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ سُوءُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣].

القسم الثاني: التأويل الباطل، وهو: صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل معتبر شرعًا، وهذا هو المشهور عند المؤولة للصفات وهو مردود لما سيأتي^(٢).

✽ المسائل المتعلقة:

- **المسألة الأولى:** حكم المتأول:

يختلف حكمه باختلاف أحوال المتأولين، وبيان هذا على النحو التالي:

الأول: أن يكون التأويل صادرًا عن اجتهاد وحسن نية، بحيث إذا تبين له

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢١/٦).

(٢) لمعرفة أنواع التأويل انظر: مجموع الفتاوى (٥٥/٣).

- (٥٦)، وجناية التأويل الفاسد لمحمد لوح (١١)،

و (١٨).

(٣) انظر: الشرح الممتع لابن عثيمين (١٤/٤١٢ -

٤١٣) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٨هـ].

الدماء، ورُوِّعت الأنفس البريئة. وهل قُتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان، وقتل الحسين، وخرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الروافض، وتتابعت فرق الضلال والبدعة إلا بسبب التأويل الفاسد؟^(٣).

✽ مذهب المخالفين:

ذهب المؤولة جميعاً إلى صرف النصوص الشرعية عن ظاهرها إلى معان أخرى لا يدل عليها اللفظ بغير دليل معتبر شرعاً، زاعمين أن هذا حقيقة التنزيه للرب سبحانه، وسمّوا هذا تأويلاً^(٤).

✽ الرد عليهم:

لا شك أن صرف النصوص عن دلائلها الظاهرة بغير دليل معتبر شرعاً في غاية الفساد، ويتضح ذلك من خلال التالي:

أولاً: أن القول بتأويل النصوص عن ظاهرها بغير حجة هو تحريف بيّن وتعطيل صراح عند الأئمة، وهو

(٣) انظر: الكافية الشافية لابن القيم (١٠٤ - ١٠٦) [عالم الفوائد]، وشرح الطحاوية (٢٠٨/١ - ٢٠٩).

(٤) انظر: أساس التقديس (٢٢٠ - ٢٢١) [مكتبة الكليات الأزهرية]، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٥٣/٣) والصفدية لابن تيمية (٢٣٧/١) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وبيان تلبيس الجهمية (٣٤١/٦ - ٣٤٤) [مجمع الملك فهد]، والصواعق المرسلة (٢١٩/١)، وجناية التأويل الفاسد لمحمد لوح (٢٢٢ - ٢٣٢، ٢٧١ - ٢٧٦، ٤٦٦، ٥٢٣، ٥٢٨).

ليس تأويلاً، ومن ذلك تفسير السلف للمعية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] بالعلم؛ لأنه لا يمكن لأي إنسان يعرف قدر الله ويعرف عظمته أن يخطر في باله أنه تعالى بذاته مع الناس في أمكنتهم ودورهم^(١).

✽ الفرق:

الفرق بين التأويل والتحريف:

يختلف التأويل عن التحريف من وجوه؛ منها:

الأول: أن التحريف جاء في الشرع ذمه، كما في قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١]، بخلاف التأويل؛ فإنه مع ورود ذكره في الشرع لم يأت ذمه.

الثاني: أن التحريف لفظ صريح في دلالاته على التغيير والتبديل، بخلاف التأويل فهو لفظ مجمل قد يحتمل معنى صحيحاً وقد يحتمل معنى فاسداً^(٢).

✽ الآثار:

إن التأويل الفاسد جر إلى الإسلام وأهله مفاسد عديدة، وترك فيهم أثراً سيئاً؛ فبسببه دب تحريف الأسماء والصفات بين بعض المجتمعات المسلمة، وانتشرت البدع، وسفكت

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٧٣/٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦٥/٣) ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٨١/١).

ظاهر الفساد^(١).

النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص. وهذا الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم، وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم^(٥).

رابعاً: أن المتأولين عاجزون عن تحقيق الفرق بين ما يسوغ تأويله وما لا يسوغ^(٦).

خامساً: أن تأويل المؤولة ناشئ عن سوء فهمهم لمعاني النصوص، حيث جعلوا النصوص دالة على معاني باطلة ثم أخذوا يصرفونها عن ظاهرها فجمعوا بين التشبيه والتعطيل^(٧).

سادساً: القول بالتأويل يلزم منه لوازم فاسدة؛ منها:

١ - أن يكون الله سبحانه قد أنزل في كتابه وسنة نبيه من هذه الألفاظ ما يكون ظاهره سبباً في إضلالهم وإيقاعهم في التشبيه والتمثيل^(٨).

٢ - نسبة أهل القرون المفضلة إلى الكتمان أو التجهيل؛ لأنه لم يؤثر عنهم التأويل الذي سلكه المعطلة^(٩).

قال ابن تيمية رحمته الله: «وأما التأويل المذموم والباطل، فهو تأويل أهل التحريف والبدع، الذين يتأولونه على غير تأويله، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك، ويدعون أن في ظاهره من المحذور ما هو نظير المحذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل، ويصرفونه إلى معان هي نظير المعاني التي نفوها عنه، فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه، فإن كان الثابت حقاً ممكناً كان المنفي مثله، وإن كان المنفي باطلاً ممتنعاً كان الثابت مثله»^(٢).

ثانياً: أن في القول بالتأويل فتحاً للباب للمضلين ينفذون منه لإبطال الشرع بشتى التأويلات الباطلة^(٣).

ثالثاً: أن تأويل التحريف هو تركة يهودية مشؤومة؛ لأنه مأخوذ من الأصل عن اليهود، فهم الراسخون فيه، وهم شيوخ المحرفين وسلفهم^(٤).

قال ابن أبي العز رحمته الله: «وأما من أبى إلا تحريفها بما يسميه تأويلاً، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب، أسهل من تأويلها على أرباب التأويل، ولا يشاء مبطل أن يتأول

(٥) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/٢٠٨ - ٢٠٩).

(٦) انظر: الصواعق المرسلة (١/٢٢٣).

(٧) انظر: المصدر السابق (١/٢٣٨).

(٨) انظر: المصدر السابق (١/٣١٤).

(٩) انظر: الصواعق المرسلة (١/٣١٥).

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/٢٩٥).

(٢) الرسالة التدمرية (٧١) [جامعة الإمام، ط ٤].

(٣) انظر: الصواعق المرسلة (١/٢١٦ - ٢٤٨).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/٢١٥ - ٢١٦).

✽ المصادر والمراجع:

ويراد بها أيضًا: زيادة الخير ونماؤه ودوامه^(٢). والتبريك: الدعاء للإنسان وغيره بالبركة^(٣). قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء، والمبارك: ما فيه ذلك الخير»^(٤).

✽ التعريف شرعًا:

التبرك: هو طلب البركة ورجاؤها من الله تعالى.

والتبرك بشيء ما: هو طلب حصول الخير بمقاربة ذلك وملاسته^(٥).

وقيل: هو أن يلتمس العبد البركة في ذات أو قول أو فعل أو زمن أو مكان، بإذن الشارع، على كيفية مخصوصة بوسائل مشروعة^(٦).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي تكمن في أن البركة معناها

١ - «جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية»، لمحمد أحمد لوح.

٢ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٣)، لابن تيمية.

٣ - «الرسالة التدمرية»، لابن تيمية.

٤ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز.

٥ - «شرح العقيدة الواسطية» (ج ١)، لابن عثيمين.

٦ - «الصفدية» (ج ١)، لابن تيمية.

٧ - «الصواعق المرسله» (ج ١)، لابن القيم.

٨ - «الكافية الشافية»، لابن القيم.

٩ - «مدارج السالكين» (ج)، لابن القيم.

١٠ - «ذم التأويل»، لابن قدامة.

✽ التبرك

✽ التعريف لغة:

التبرك: مصدر تبرَّك يتبرَّك تبرُّكًا، وهو طلب البركة، والتبرك بالشيء: طلب البركة بواسطته. والبركة في أصلها تعني: الثبوت وال لزوم، يقال: برك البعير؛ أي: ثبت في مكانه ولزمه^(١).

[٣] ط، والنهاية في غريب الحديث والأثر (١/١٢٠) [المكتبة العلمية].

(٢) انظر: الصحاح (٤/١٥٧٥) [دار العلم للملايين، ط ٤]، ولسان العرب (١٠/٣٩٥)، وبدائع الفوائد (٢/١٨٦) [دار الكتاب العربي].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٠/١٣١) [دار إحياء التراث].

(٤) مفردات ألفاظ القرآن (١/٨٣ - ٨٤) [دار القلم].

(٥) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه لناصر الجديد (٣٩) [مكتبة الرشد، ١٤١١هـ].

(٦) انظر: التبرك المشروع والتبرك الممنوع لعلي بن نفع العلياني (١١، ٢٨) [دار الوطن، ط ١]، والتبرك أنواعه وأحكامه (٣٨، ٣٠).

(١) انظر: مقاييس اللغة (١/٢٢٧) [دار الفكر]، وتاج العروس للزبيدي (٢٧/٥٨) [وزارة الإعلام بالكويت]، ولسان العرب (١٠/٣٩٦) [دار صادر،

﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١]، وقال: ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكِ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

ومن السُّنَّة: ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بأنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فربما جاءوه في الغداة الباردة، فيغمس يده فيها»^(١). وجاء عن أبي جحيفة رضي الله عنه أنه قال: «خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وبين يديه عنزة، قال: وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم، قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك»^(٢).

أما أحاديث التبرك بدعاء الله وطلب البركة منه فكثيرة، منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال عن المدينة: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي ثَمَارِنَا، وَفِي مَدَنَّا، وَفِي صَاعِنَا بِرَكَّةَ مَعَ بَرَكَةِ»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «فمن قصد بقعة يرجو

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٢٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٥٣).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٧٣).

العام: هي زيادة ونماء في شيء يريده المتبرك في تبركه بما تبرك به، وهذه البركة قد تكون في ذوات، وقد تكون في صفات، وقد تكون في أمكنة، وهذا على مقتضى ورودها اللغوي.

❁ الحكم:

التبرك: عبادة مشروعة جاء الشرع بإثباتها، لكن لا تتحقق إلا بما ثبت في الشرع جوازها، والبركة بيد الله لا تطلب إلا منه ﷻ، فهو الذي يملك البركة ﷻ، فيمنحها من يشاء ويمنعها ممن يشاء، فلا يملكها أحد غيره، لا ملك ولا نبي ولا ولي ولا حجر ولا شجر. وعلى هذا فمن طلب البركة من غير الله فقد وقع في الشرك. كما أنه لا يجوز لمخلوق أن يقول: باركت على الشيء، أو أبارك فعلكم؛ لأن البركة لا تكون من المخلوق بل هي من الخالق ﷻ.

❁ الحقيقة:

حقيقة التبرك: تكون في طلب ثبوت الخير ودوامه، أو كثرة الخير وزيادته، أو اجتماعهما معاً.

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك]، وقال: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وقال:

الخير بقصدها، ولم تستحب الشريعة ذلك، فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، سواء كانت البقعة شجرة أو عين ماء أو قناة جارية، أو جبلاً، أو مغارة، وسواء قصدتها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقراً عندها، أو ليذكر الله سبحانه عندها، أو ليتنسك عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عيناً ولا نوعاً. وأقبح من ذلك أن ينذر لتلك البقعة دهنًا لتنور به، ويقال: إنها تقبل النذر، كما يقول بعض الضالين. فإن هذا النذر نذر معصية باتفاق العلماء، ولا يجوز الوفاء به»^(١).

وقال الشاطبي: «ثبت في الصحاح عن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتبركون بأشياء من رسول الله ﷺ، وبعد موته ﷺ لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه، إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فهو كان خليفته، ولم يفعل به شيء من ذلك، ولا عمر رضي الله عنه، وهو كان في الأمة بعده، ثم كذلك عثمان، ثم علي، ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركًا تبرك به على أحد تلك

الوجه أو نحوها؛ بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي ﷺ، فهو إذاً إجماع منهم على ترك تلك الأشياء كلها»^(٢).

وقال ابن رجب: «وكذلك التبرك بالآثار، فإنما كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم ببعض ولا يفعله التابعون مع الصحابة، مع علو قدرهم، فدل على أن هذا لا يفعل إلا مع النبي ﷺ مثل التبرك بوضوئه وفضلاته وشعره وشرب فضل شرابه وطعامه. وفي الجملة فهذه الأشياء فتنة للمعظم وللمعظم لما يخشى عليه من الغلو المدخل في البدعة، وربما يترقى إلى نوع من الشرك»^(٣).

❁ الأقسام:

التبرك نوعان:

الأول: التبرك المشروع: وهو ما ورد الشرع بجوازه؛ كالتبرك بأسماء الله تعالى، والتبرك بكلماته ﷻ، والتبرك بآثار المصطفى ﷺ.

الثاني: التبرك الممنوع: وهو التبرك الذي لم يرد الشرع بجوازه، وهو قسمان:

القسم الأول: تبرك شرعي، وهو ما

وقال الشاطبي: «ثبت في الصحاح عن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتبركون بأشياء من رسول الله ﷺ، وبعد موته ﷺ لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه، إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فهو كان خليفته، ولم يفعل به شيء من ذلك، ولا عمر رضي الله عنه، وهو كان في الأمة بعده، ثم كذلك عثمان، ثم علي، ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركًا تبرك به على أحد تلك

(٢) انظر: الاعتصام (١/ ٤٨١ - ٤٨٢) [دار ابن عفان].

(٣) الحكم الجديدة بالإذاعة (٤٦) [دار المأمون، ط١].

(١) اقتضاء الصراط (٢/ ١٥٨) [دار عالم الكتب، ط٧].

غيرهم، سواء بذواتهم أو بآثارهم، أو أرشد إلى شيء من ذلك. فترك الصحابة جميعهم فعل التبرك مع غير النبي ﷺ يعد إجماعاً منهم على تحريم التبرك بغيره ﷺ من الصالحين وغيرهم^(١).

وأما قياس الصالحين على الرسول ﷺ في جواز التبرك بذواتهم وآثارهم فغير صحيح؛ فإن إجماع الصحابة ﷺ على ترك التبرك بالذوات والآثار مع غير النبي ﷺ - مع وجود مقتضياته - يدل على أن هذا من خصائصه ﷺ؛ حيث إن الله تعالى اختص نبيه بجعل البركة في ذاته وآثاره، تكريماً وتشريفاً لصفوة خلقه ﷺ. ولو كان ذلك الفعل مشروعاً لسارعوا إلى فعله، ولم يجمعوا على تركه، فهم أحرص الناس على فعل الخير. والقول بمنع التبرك بالصالحين هو من باب سد ذريعة الشرك؛ لأن جواز التبرك بآثار الصالحين يفضي إلى الغلو فيهم، وعبادتهم من دون الله ﷻ^(٢).

- المسألة الثانية: حكم التبرك الممنوع:

التبرك الممنوع منه ما هو بدعة؛ كالتبرك بالقرآن بواسطة تعليقه على الجدران وفي السيارات ونحو ذلك. ومنه ما هو من الشرك الأصغر؛ كطلب

(١) انظر: الاعتصام (١/٤٨٢)، والحكم الجديدة بالإذاعة (٤٦).

(٢) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه (٢٦١ - ٢٦٨).

كان فيه طلب البركة من غير الله تعالى، أو أن يعتقد المتبرك أن المتبرك به - غير الله تعالى - يعطي الخير والنماء فوق الأسباب العادية؛ كأن يقول: يا عبد القادر الجيلاني! بارك لي في زوجتي، أو يا بدوي! من علي بكذا، فهذا فيه صرف العبادة لغير الله.

القسم الثاني: تبرك بدعي، وهو طلب البركة من الله تعالى، ولكن بواسطة شيء لم يرد الشرع به؛ كطلب البركة من الله تعالى بواسطة ستار الكعبة أو طلب البركة من الله تعالى بواسطة استلام الحجرة النبوية أو بالتمسح بالصالحين الأحياء، ونحو ذلك مما لم يرد به الكتاب والسنة. وهذا حكمه: أنه شرك أصغر.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم التبرك بالصالحين:

تقدم في الأدلة أن الصحابة ﷺ كانوا يتبركون بالنبي ﷺ، وهذا خاص به ﷺ، حيث كرمه وشرفه الله تعالى بذلك، وإقرار النبي ﷺ لهم بفعل ذلك من أصرح الأدلة على جوازه. إلا أننا نجد أن الصحابة ﷺ لم يفعلوا ذلك مع غير النبي ﷺ، سواء في حياته ﷺ أو بعد وفاته، ولم يؤثر عن النبي ﷺ أنه أمر بالتبرك بغيره من الصحابة ﷺ أو

٢ - أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينقل عن أحد منهم أنه تبرك بشيء من تلك المواضع. فتحري هذه الأماكن ليس من سُنَّة الخلفاء الراشدين التي حثَّ الرسول ﷺ على التمسك بها؛ بل هو مما ابتدع.

٣ - أن منع هذا التبرك من باب سد الذريعة، ويمكن إيضاح ذلك من عدة وجوه:

أحدها: أن النهي عن هذا الفعل سد للذريعة الشرك والفتنة، فهو وسيلة إلى الفتنة بتلك المواضع، وتعظيمها، وربما أفضى ذلك إلى جعلها معابد.

الثاني: أن ذلك الفعل يشبه الصلاة عند المقابر، إذ هو ذريعة إلى اتخاذ تلك الآثار مساجد.

والنصوص الشرعية تحرم اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

الثالث: أن هذا الفعل ذريعة إلى التشبه بأهل الكتاب في أفعالهم.

الوجه الرابع: أن بركة ذوات الأنبياء والمرسلين لا تتعدى إلى الأمكنة الأرضية، والله أعلم، وإلا لزم أن تكون كل أرض وطئها النبي، أو جلس عليها، أو طريق مر بها تطلب بركتها، ويتبرك بها، وهذا لازم باطل قطعاً، فانتهى الملزوم إذا.

وبهذه الأوجه وغيرها يستدل على

البركة من الله تعالى بواسطة ستار الكعبة، أو طلب البركة من الله تعالى بواسطة استلام الحجرة النبوية، أو بالتمسح بالصالحين الأحياء، ونحو ذلك مما لم يرد به الكتاب والسُنَّة. ومنه ما هو من الشرك الأكبر: كطلب البركة من غير الله تعالى، مع اعتقاد أن المتبرك به - غير الله تعالى - يعطي الخير والنماء فوق الأسباب العادية؛ كأن يقول: يا عبد القادر الجيلاني! بارك لي في زوجتي، أو يا بدوي! مُنَّ علي بكذا، فهذا فيه صرف العبادة لغير الله.

- **المسألة الثالثة:** التبرك بالأماكن التي صلى فيها الأنبياء، أو أقاموا فيها: المواضع التي صلى فيها الأنبياء ﷺ - مما لم يقصد بذاته -، لا تشرع الصلاة فيها على سبيل القصد، والقربة، والتبرك. وكذلك البقاع والجبال التي جلسوا أو أقاموا فيها - ما عدا المشاعر - لا تقصد العبادة فيها التماساً للبركة. وكذا الآبار التي شربوا منها - ما عدا بئر زمزم - أو اغتسلوا منها، لا تقصد تبركاً واستشفاء، وذلك لما يأتي:

١ - لا يوجد دليل من النصوص الشرعية يفيد جواز ذلك الفعل أو استحبابه. ولا شك أن الجلوس في تلك المواضع للصلاة أو الدعاء أو الذكر ونحو ذلك قربة وتبركاً من أنواع العبادة، والعبادات مبناهما على الاتباع لا على الابتداع.

عدم مشروعية التبرك المذكور^(١).

❁ الآثار:

للتبرك الممنوع آثار سيئة ومفاسد عظيمة، منها:

- الوقوع في الشرك المناقض للتوحيد.

- التبرك الممنوع ابتداء في الدين، ليس عليه دليل من الكتاب والسنة، ولم يفعله السلف الصالح.

- يؤدي إلى انتهاك الحرمات، ووقوع كثير من المفاسد والمنكرات، ومن أمثلة ذلك ما يحصل في أعياد المولد النبوي من لهو وطرب واستعمال الأغاني وما يتبع ذلك من الرقص وغير ذلك.

- الوقوع في أنواع من الكذب، وذلك لأجل الاستدلال على شرعيته، أو لغرض تعيين موضع التبرك أو محله.

- تحريف النصوص الشرعية وتحميلها ما لا تحتمل.

- إضاعة السنن، فما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة.

- التغرير بالجهال، وإضلال الأجيال^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

ذهبت الصوفية إلى أن التبرك: هو

(١) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه (٣٤٣ - ٣٤٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤٨٣ - ٤٩٦).

التماس البركة في ذوات الأولياء وقبورهم وآثارهم، ومن ذلك شد الرحال لزيارة قبورهم، والصلاة فيها، والدعاء عندها، والتمسح بترابها وجدراؤها طلباً للخير والبركة والنماء، وعامتهم يخلط بين التبرك والتوسل، ويساوي بينهما^(٣).

ومن شبههم التي بنوا عليها مقاتلهم:

١ - الملازمة بين إثبات الجاه وجواز التبرك.

٢ - المساواة بين التبرك والتوسل.

٣ - قياس الصالحين على النبي ﷺ في شرعية التبرك بالذوات والآثار.

٤ - القول بأن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم كما كانت في حياتهم.

٥ - الاعتماد على الرؤى والمنامات.

❁ الرد عليهم:

- أن البركة كلها إنما هي من الله وحده، فهو مالكها وواهبها، فلا تطلب من غيره.

- أن الشيء لا يكون سبباً في حصول البركة إلا بدليل صحيح؛ إذ الأصل في ذلك التوقيف.

- طريقة التبرك بما ثبتت بركته شرعاً

(٣) انظر: السنن والمبتدعات للشقيري (١٧١) [دار الكتب العلمية]، وعمدة الكلام في إثبات التوسل والتبرك بخير الأنام لجميل الحسيني (٨) [دار المشارع، ط ٢]، ومعجم مصطلحات الصوفية لممدوح الزوبيط (٧٦٧٧) [دار الجيل، ط ١]، ومفاهيم يجب أن تصحح لمحمد المالكي (١٥٦) [دار الكتب العلمية، ط ٢].

- ينبغي أن تكون شرعية، وأن لا يتبدع في ذلك هيئات وطرائق لم يفعلها السلف.
- ٢ - «اقتضاء الصراط المستقيم» (ج ٢)، لابن تيمية.
- ٣ - «التبرك أنواعه وأحكامه»، للجديع.
- ٤ - «التبرك المشروع والتبرك الممنوع»، للعلاني.
- ٥ - «التبرك المشروع والممنوع»، لناصر العوفي.
- ٦ - «التوسل أنواعه وأحكامه»، للألباني.
- ٧ - «دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام»، لعبد الله الغصن.
- ٨ - «الرد على الإحنائي»، لابن تيمية.
- ٩ - «شبهات المبتدعة في توحيد العبادة» (ج ٣)، لعبد الله الهذيل.
- ١٠ - «هذه مفاهيمنا»، لصالح آل الشيخ.

التجلي

التعريف لغةً:

التجلي في اللغة: هو الظهور والانكشاف، والجلي ضد الخفي، قال ابن فارس: «الجيم واللام والحرف المعتل أصل واحد وقياس مطرد، وهو انكشاف الشيء وبروزه»^(٢)، ومنه يقال:

(٢) مقاييس اللغة (١/ ٢٤٠) [دار الكتب العلمية].

- ١ - أن بركة ذوات الأنبياء لا تتعدى إلى الأمكنة الأرضية، وإلا لزم أن تكون كل أرض وطنها أو جلس عليها، أو طريق مر بها - تطلب بركتها ويتبرك بها، وهذا لازم باطل قطعاً، فانتهى الملزوم.
- ٢ - أن الأمكنة الأرضية لا تكون مباركة إلا بدوام الطاعة فيها، وهي سبب إعطاء الله البركة، حتى المساجد فإنها مباركة لذلك، إلا أن بركتها لا تدوم مع زوال الطاعات عنها.
- ٣ - أن التبرك بالآثار المكانية وسيلة إلى ما هو أعظم من تقديسها، والاعتقاد فيها، وهذا محذور.
- ٤ - أن تعظيم الرسول ﷺ، والتماس بركته وتحريها إنما يكون في هذا العصر باتباعه والعمل بسنته.
- ٥ - فعل الصحابة مع النبي ﷺ لا يقاس عليه غيره من الصالحين.
- ٦ - إذا ثبتت الخصوصية للنبي ﷺ، فإنها تقتضي أن حكم غيره ليس كحكمه^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إغاثة اللهفان» (ج ١)، لابن القيم.

(١) انظر: التبرك المشروع والتبرك الممنوع للعلاني (١٦ - ١٨)، والتبرك أنواعه وأحكامه (٣٣٣) وما بعدها، ودعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٨) [دار ابن الجوزي].

جلا لي الخبر؛ أي: وضع، ويقال: تجلى الشيء: إذا ظهر وبان وانكشف^(١).

التعريف شرعاً:

تجلي الله ﷻ صفة فعلية خبرية اختيارية، فهو سبحانه بان وظهر وتجلي للجبل، لما قال له موسى ﷺ: أرني أنظر إليك، وكذلك سيتجلي سبحانه لعباده المؤمنين يوم القيامة^(٢).

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل؛ لدلالة الكتاب والسنة على ذلك.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا بَلَغَ رَجُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ

(١) انظر: الصحاح (٣/٢٣٠٣ - ٢٣٠٥) [دار العلم للملايين]، ومقاييس اللغة (١/٢٤٠).

(٢) انظر: كتاب التوحيد لابن منده (٣/٤٠) [الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١]، ومجموع الفتاوى (٣٧/٦ و ٧٦/٢٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف]، وصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (٩٢) [دار الهجرة، ط٣].

وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾ [الأعراف].

وعن جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ في حديث طويل، وفيه: «...فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: حتى ننظر إليك فيتجلي لهم يضحك...» الحديث^(٣).

أقوال أهل العلم:

قال ابن قتيبة: «وعدل القول في هذه الأخبار: أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها، فنؤمن بالرؤية والتجلي، وأنه يعجب وينزل إلى السماء الدنيا، وأنه على العرش استوى، وبالنفس واليدين من غير أن نقول في ذلك بكيفية أو حد أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت، فنرجو أن نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غداً إن شاء الله تعالى»^(٤).

وقال ابن منده: «إن الله يتجلي لعباده كيف شاء»^(٥).

وقال ابن عبد البر: «وقول رسول الله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» عندهم مثل قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩١).

(٤) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة (٥٣) [دار الراية الرياض، ط١، ١٤١٢هـ].

(٥) كتاب التوحيد لابن منده (٣/٤٠).

استوى على العرش، وأنه كلم موسى تكليماً، وأنه تجلّى للجبل فجعله دكاً؛ وأمثال ذلك»^(٢). وقال أيضاً: «وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة: أنه إذا تجلّى لهم يوم القيامة سجد له المؤمنون، ومن كان يسجد في الدنيا رياءً يصير ظهره مثل الطبق»^(٣)»^(٤).

المسائل المتعلقة:

ليس في هذه الدنيا بشر تجلّى له الرب تبارك وتعالى وظهر، وكلمه مشافهة ومواجهة من غير حجاب، ولا رسول، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ عَزِيزٍ﴾ [الشورى] وإنما يتجلّى الرب تبارك وتعالى للمؤمنين في الآخرة فيراهم ويروونه تبارك وتعالى، ويكلمهم من غير حجاب ولا رسول ولا ترجمان.

وأما ما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: «يا جابر! ما لي أراك منكسراً؟» قلت: يا رسول الله! استشهد أبي، قتل يوم أحد،

(٢) مجموع الفتاوى (٣٧/٦).

(٣) جاء هذا عند البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٩١٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعةً، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً».

(٤) المصدر السابق (٧٦/٢٣).

تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴿[الأعراف: ١٤٣]، ومثل قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر]، كلهم يقول: يَنْزِلُ وَيَتَجَلَّى ويحيى، بلا كيف، لا يقولون: كيف يحيى؟ وكيف يتجلى؟ وكيف ينزل؟ ولا من أين جاء؟ ولا من أين تجلى؟ ولا من أين ينزل؟ لأنه ليس كشيء من خلقه، وتعالى عن الأشياء، ولا شريك له، وفي قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] دلالة واضحة أنه لم يكن قبل ذلك متجلياً للجبل، وفي ذلك ما يفسر معنى حديث التنزيل... لا يرى في الدنيا؛ لأن أبصار الخلائق لم تعط في الدنيا تلك القوة»^(١).

وقال ابن تيمية: «والله تعالى في القرآن يثبت الصفات على وجه التفصيل، وينفي عنه - على طريق الإجمال - التشبيه والتمثيل. فهو في القرآن يخبر أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه عزيز حكيم، غفور رحيم، وأنه سميع بصير، وأنه غفور ودود، وأنه تعالى - على عظم ذاته - يحب المؤمنين، ويرضى عنهم، ويغضب على الكفار، ويسخط عليهم، وأنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم

(١) التمهيد (١٥٣/٧) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية].

عبد الله بن حرام والد جابر كان بعد الموت، لم يكن في الدنيا»^(٣).

الفروق:

التجلي يكون من الرب تعالى، والرؤية تكون من العباد، والتجلي يسبق الرؤية، فإن المؤمنين يرونه سبحانه بعدما يتجلي ويظهر لهم^(٤).

الحكمة:

إن الله ﷻ لم يتجل للعباد في هذه الدنيا ليتحقق لهم الإيمان بالغيب، ولأنهم لا يطيقون رؤيته في هذا الدنيا، ويتجلى للمؤمنين في الآخرة من باب الإكرام لهم وتمام الإنعام عليهم، وعندما يكشف عن ساقه يخبر له المؤمنون ساجدين، وأما المنافقون الذين كانوا يسجدون رياء وسمعة فلا يتمكنون من السجود، فيتميز أهل التوحيد والإخلاص من أهل الرياء والنفاق.

مذهب المخالفين:

الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم يؤولون تجلي الرب تبارك وتعالى بظهور قدرته وسلطانه وآياته؛ وذلك تبعاً لاعتقادهم أن رؤية الله تعالى غير جائزة^(٥)، وهو قول

(٣) الصواعق المرسلية (١٢٤٧/٤ - ١٢٤٨) [دار العاصمة، الرياض، ط ٣، ١٤١٨هـ].

(٤) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٥٣/٧)، ومجموع الفتاوى (٧٦/٢٣).

(٥) انظر من كتب أهل السنة: المحرر الوجيز لابن عطية =

وترك عيالاً ودِينًا. قال: «أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله. قال: «ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك؛ فكلمه كفاحاً، فقال: يا عبدي تمن علي أعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية. قال الرب ﷻ: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون...» الحديث^(١).

فلا شك أن هذه منقبة له، ولكنه لا يتعارض مع الآية الكريمة، فإنها تتعلق بدار الدنيا، قال ابن القيم معلقاً عليها: «فلما أخبر أنه يكلم البشر من وراء حجاب دلّ على أنه قد يكلم غيرهم مع رفع ذلك الحجاب، كما قال النبي لجابر بن عبد الله ﷺ: «إن الله ما كلم أحداً إلا من وراء حجاب، وإنه أحيا أباك وكلمه كفاحاً»، وكما في الحديث: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه وبينه حجاب يحجبه ولا ترجمان»^(٢)، فلا يناقض هذا ما دلّت عليه الآية، فإن هذا في الدنيا وما دلّت عليه السنة في دار الآخرة وتكليم

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠١٠) وحسنه، وابن ماجه (المقدمة، رقم ١٩٠)، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٢٢)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٩١٤) وصححه، وصححه الألباني أيضاً في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٣٦١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٤٣)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠١٦).

٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٦ - «الصواعق المرسله» (ج ٤)، لابن القيم.

٧ - «كتاب التوحيد» (ج ٣)، لابن منده.

٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٦ و ٢٣)، لابن تيمية.

٩ - «المحرر الوجيز» (ج ٢)، لابن عطية.

١٠ - «مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري»، لمحمد الشيخ عليو محمد.

باطل ورأي فاسد؛ لكونه مخالفاً لنصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، وأما آيات الله وسلطانه وقدرته فهي واضحة ظاهرة بادية في كل وقت وحين لدى جميع أولي الأبصار والنهى، وليس ذلك مقصوراً على المؤمنين، ولا خاصاً بيوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة].

المصادر والمراجع:

١ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.

٢ - «الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة»، لابن قتيبة الدينوري.

٣ - «التمهيد» (ج ٧)، لابن عبد البر.

٤ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ٩)، للقرطبي.

التحريف

التعريف لغة:

التحريف لغة: التغيير والتبديل، قال ابن فارس: «الحاء الراء والفاء ثلاثة أصول: حد الشيء، والعُدول، وتقدير الشيء. فأما الحدّ فحرّف كل شيء حدّه؛ كالسيف وغيره، ومنه الحَرْف، وهو الوجه. تقول: هو من أمره على حَرْفٍ واحد؛ أي: طريقة واحدة... والأصل الثاني: الانحراف عن الشيء، يقال: انحرَفَ عنه يَنحَرِفُ انحرافاً. وحرفته أنا عنه؛ أي: عدلتُ به عنه. ولذلك يقال: مُحَارَفٌ، وذلك إذا

= (٤٥١/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١]، واجتماع الجيوش الإسلامية (١٨٤) [مكتبة دار البيان، دمشق، ط ٣]، ومناهج اللغويين في تقرير العقيدة لمحمد الشيخ (١٥٥) [دار المنهاج، الرياض، ط ١]، وانظر من كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٢٣٢ - ٢٧٧) [مكتبة وهبة، ط ٢]، ومن كتب الأشاعرة: أساس التقديس للرازي (١٠٥، ١٢٩ - ١٣٠) [مكتبة الكليات الأزهرية].

الحكم:

يحرم تحريف كلام الله وكلام رسوله ﷺ؛ لما فيه من إبطال الشرع، ولأن الله ذم فاعليه في كتابه الكريم فقال: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١].

الحقيقة:

حقيقة التحريف هو التغيير وزناً ومعنى، فهو نفي للمعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص واستبداله بمعنى آخر غير صحيح^(٦)، ومنه صنيع اليهود حين أمرهم الله أن يدخلوا الباب سُجَّدًا ويقولوا حطة فبدلوا كلام الله وحرفوه فقالوا حبة في شعرة، فقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قيل لبني إسرائيل: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، فبدلوا، فدخلوا يزحفون على أستاهم، وقالوا: حبة في شعرة»^(٧).

الأدلة:

من النصوص التي دلت على تحريم

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٦٥/٢) [دار طيبة، ط ٢]، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء (٧٨) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٧) أخرجه البخاري (كتاب الأنبياء، رقم ٣٤٠٣).

حُورِفَ كَسْبُهُ فَمِيلَ بِهِ عَنْهُ، وَذَلِكَ كَتَحْرِيفِ الْكَلَامِ، وَهُوَ عَدْلُهُ عَنْ جِهَتِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]. **والأصل الثالث:** المحرف، حديدة يقدر بها الجراحات عند العلاج^(١).

وقال الأزهري: «وقال الليث: التحريف في القرآن: تغيير الكلمة عن معناها، وهي قريبة الشبه، كما كانت اليهود تُغَيِّرُ مَعَانِيَ التَّوْرَةِ بِالْأَشْبَاهِ، فَوَصَّفَهُمُ اللَّهُ بِفِعْلِهِمْ فَقَالَ: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]، قال: وإذا مال إنسان عن شيء يقال: تحرف وأنحرف وأحرورف»^(٢).

التعريف شرعاً:

هو: «العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره»^(٣).

وبعبارة أخرى هو «تفسير للنصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليها بوجه من الوجوه»^(٤).

أو «هو تغيير النص لفظاً أو معنى»^(٥).

(١) مقاييس اللغة (٤٢/٢ - ٤٣) [دار الجيل، ط ٢].
(٢) تهذيب اللغة (١٢/٥) [دار إحياء التراث العربي].
(٣) الصواعق المرسلة (٢١٥/١) [دار العاصمة، ط ١].
(٤) التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة (٢٢)، وانظر: مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (٢٣).
(٥) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (١٨) [دار الوطن].

لِيُقْبَلَ، وقد ذمَّ الله الذين زخرفوا الباطل، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، والعبرة للمعاني لا للألفاظ، فكم من باطل قد أقيم عليه دليل مزخرف عورض به دليل الحق^(٣).

قال ابن عثيمين: «وأما التحريف، فهو تغيير لفظها، أو صرف معناها عما أراد الله بها ورسوله ﷺ، مثل أن يقول: استوى على العرش؛ أي: استولى، أو: ينزل إلى السماء الدنيا؛ أي: ينزل أمره»^(٤).

❁ الأقسام:

ينقسم التحريف إلى قسمين:

الأول: تحريف اللفظ بزيادة أو نقص أو تغيير شكل - سواء تغير معه المعنى أو لم يتغير، وإن كان هذا الثاني لا يقع إلا من جاهل - وذلك كقول اليهود: حنطة، لما قيل لهم: (قولوا حطة)، وكقراءة بعض المبتدعة: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، بنصب لفظ الجلالة.

الثاني: تحريف المعنى، وهو تغييره مع إبقاء لفظه على حاله، وذلك كتفسير

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢٥١) مؤسسة الرسالة.

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ١٢٦) دار ابن الجوزي، ط ٥، ١٤١٩هـ.

التحريف للكلم عن مواضعه قول الله سبحانه: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مَيِّتَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

وقوله: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: ٤٦].

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «تحريف الكلم عن مواضعه كما ذمَّه الله تعالى في كتابه وهو إزالة اللفظ عما دلَّ عليه من المعنى، مثل تأويل بعض الجهمية لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] أي: جرحه بأظافير الحكمة تجريحًا»^(١).

وقال ابن القيم: «من فسد من العلماء فاستعمل أخلاق اليهود من تحريف الكلم عن مواضعه وكتمان ما أنزل الله إذا كان فيه فوات غرضه وحسد من آتاه الله من فضله... إلى غير ذلك من الأخلاق التي ذمَّ بها اليهود من الكبر واللي والكتمان والتحريف والتحيُّل على المحارم، وتلبيس الحق بالباطل فهذا شبهه باليهود ظاهر»^(٢).

وقال ابن أبي العز رحمته الله: «فسموا التحريف تأويلًا؛ تزيينًا له وزخرفة

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ١٦٥).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٤٤٠ - ٤٤١) عالم الفوائد، ط ٢.

الآية بالحديث عن بيان إحاطة علم الله بكل معلوم، ثم ختمت به أيضاً، فدل هذا على أن المقصود بالمعية هنا هو المعية العلمية.

والآخر: الصلاة، فهي لغة الدعاء، لكن حدّد الشرع معناها الشرعي بالعبادة ذات الأقوال والأفعال المخصوصة المفتحة بالتكبير والمختمة بالتسليم.

- المسألة الثانية: السلامة من التحريف:

التحريف أمره خطير وشرّه مستطير، فهو تغيير وتبديل للمعاني والألفاظ عما هي عليه، فتتغير الحقائق، ويبطل الخطاب، وتفسد المعاني، ويدب التعطيل.

وسبيل الوقاية منه يكون بأمور؛ منها:

- لزوم الشرع والانقياد له، والاعتقاد الجازم بأنه طريق الهداية.

- المحافظة على ألفاظ الشرع والعناية بها. ومما يدل على ذلك حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: «قال لي رسول الله ﷺ: إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللَّهُمَّ أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رهبة ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت،

الغضب بإرادة الانتقام، وكقولهم: معنى الرحمة إرادة الإنعام^(١).

قال ابن القيم: «والتحريف نوعان: تحريف اللفظ: وهو تبديله، وتحريف المعنى: وهو صرف اللفظ عنه إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ»^(٢).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تحديد المعاني الشرعية موقوف على النصوص:

لا شك أن تعيين المعاني الشرعية لا سبيل إليه إلا عن طريق النصوص الشرعية، فهي التي تبين المعنى المراد شرعاً وتحدده. ونكتفي بمثالين:

أحدهما: تفسير المعية بالعلم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة].

فدلّت الآية هنا على تحديد المعنى الشرعي للمعية، وهو العلم؛ حيث بدأت

(١) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٤٩) [الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة]، ومختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (٢٣)، وفتح رب البرية (١٨)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات لمحمد التميمي (٧٠) [دار إيلاف الدولية، ط ١].

(٢) الصواعق المرسلة (١/٣٥٨).

- هجر من تلبس بهوى وبدعة.
- كشف التحريف والمحرفين وبيان حالهم وفضحهم باللسان والقلم.
- الحجر على علماء ومفتي الضلالة لمن أمكنه ذلك^(٣).

❁ الفرق:

الفرق بين التحريف والتأويل:

يختلف التحريف عن التأويل من الوجوه التالية:

الأول: أن التحريف جاء في الشرع ذمه كما في قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١]، بخلاف التأويل فإنه مع ورود ذكره في الشرع لم يأت ذمه.

الثاني: أن التحريف لفظ صريح في دلالاته على التغيير والتبديل، بخلاف التأويل، فهو لفظ مجمل قد يحتمل معنى صحيحاً وقد يحتمل معنى فاسداً^(٤).

❁ الآثار:

ذكر أهل العلم أن التحريف شيء ممقوت، وتركه مشؤومة ورثها المعطلة

لابن تيمية (١٩ - ٢٠) [عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٣) انظر لهذه الثلاث: تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال ليكر أبو زيد (٤٣).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦٥/٣)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٨١/١) [جمع وترتيب: فهد السليمان، دار الوطن، ودار الشريعة، ١٤١٣هـ].

وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت مت على الفطرة، فاجعلهن آخر ما تقول. فقلت أستذكرهن: وبرسولك الذي أرسلت. قال: لا، وبنبيك الذي أرسلت^(١).

- أن يفهم معاني النصوص الشرعية على ضوء فهم السلف الصالح الذين تلقوه من فم النبي ﷺ، فقد كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقهم علماً، وأسدّهم رأياً، وأبعدهم عن التكلف، وأحرصهم على امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وأنصحهم للخلق بعد نبيهم، ومرضياً عنهم رضا مطلقاً.

قال ابن تيمية: «فمن لم يأخذ معاني الكتاب والسنة من الصحابة والتابعين... لم يكن له طريق أصلاً إلا ما يرد عليه من الآفات... من عدل عما فسّر به رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون القرآن فأحد الأمرين لازم له: إما أن يعدل إلى تفسيره بما هو دون ذلك؛ فيكون محرّفاً للكلم عن مواضعه، وإما أن يبقى أصم أبكم لا يسمع من كلام الله ورسوله إلا الصوت المجرد، الذي يشركه فيه البهائم ولا يعقله، وكل من هذين الأمرين باطل محرم^(٢).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣١١)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٠).

(٢) جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية

على آثارهم الراضية، فهم أشبه بهم من القذة بالقذة، والجهمية؛ فإنهم سلكوا في تحريف النصوص الواردة في الصفات مسالك إخوانهم من اليهود، ولما لم يتمكنوا من تحريف نصوص القرآن حرفوا معانيه، وسطوا عليها، وفتحوا باب التأويل لكل ملحد يكيد الدين فإنه جاء فوجد باباً مفتوحاً وطريقاً مسلوكة، ولم يمكنهم أن يخرجوه من باب أو يردوه من طريق قد شاركوه فيها وإن كان الملحد قد وسع باباً هم فتحوه وطريقاً هم اشتقوه»^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال»، لبكر أبو زيد.
- ٢ - «التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية»، لفالح بن مهدي.
- ٣ - «التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة»، للسعدي.
- ٤ - «جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية»، لابن تيمية.
- ٥ - «شرح العقيدة الواسطية» (ج ١)، لابن عثيمين.
- ٦ - «الصواعق المرسلّة في الرد على الجهمية المعطلة» لابن القيم (ج ١)، تحقيق: علي محمد الدخيل الله.

عن اليهود، وفتحوا بها باباً واسعاً يلج منه كل ملحد للقدح في الإسلام، والطعن في أصوله العظام، قال ابن تيمية رحمته الله: «ولما فسر هؤلاء الأفول بالحركة، وفتحوا باب تحريف الكلم عن مواضعه، دخلت الملاحدة من هذا الباب، ففسّر ابن سينا وأمثاله من الملاحدة الأفول بالإمكان الذي ادعوه»^(١).

وقال ابن القيم رحمته الله: «ذكر الله سبحانه التحريف وذمّه، حيث ذكره وذكر التفسير وذكر التأويل، فالتفسير هو إبانة المعنى وإيضاحه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان]، وهذا غاية الكمال أن يكون المعنى في نفسه حقاً، والتعبير عنه أفصح تعبير وأحسنه، وهذا شأن القرآن وكلام الرسول.

والتحريف العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه، والنوعان مأخوذان من الأصل عن اليهود، فهم الراسخون فيهما، وهم شيوخ المحرفين وسلفهم، فإنهم حرفوا كثيراً من ألفاظ التوراة، وما غلبوا عن تحريف لفظه حرفوا معناه، ولهذا وصفوا بالتحريف في القرآن دون غيرهم من الأمم، ودرج

٧ - «فتح رب البرية بتلخيص

الحموية»، لابن عثيمين.

التحسين والتقييح العقليان هما الحكم على الشيء بأنه حسن أو قبيح، وما يترتب عليه من استحقاق الثواب أو العقاب بدليل العقل.

٨ - «مجموع فتاوى ورسائل ابن

عثيمين» (ج ١).

٩ - «مختصر الأسئلة والأجوبة

الأصولية على العقيدة الواسطية»، لعبد العزيز السلمان.

١٠ - «معتقد أهل السنة والجماعة في

توحيد الأسماء والصفات»، لمحمد التيمي.

الحكم:

١ - أن حسن الأشياء وقبحها، بمعنى استحقاق الثواب والعقاب عليها يعرف من جهة العقل، لكن لا يعاقب أحدٌ إلا بعد بلوغ الرسالة^(٤). ومن الأفعال ما يكتسب صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع^(٥). فلا يصح حصر معرفة الحسن والقبح بالعقل، كما أن القول بترتيب الثواب والعقاب على معرفة الحسن والقبح بالعقل وقبل ورود الشرع مخالف لنصوص الكتاب، ويلزم منه وصف الله بالظلم.

تحريف الكتب السماوية

يراجع مصطلح (الكتب السماوية).

التحسين والتقييح العقليان

التعريف لغة:

٢ - أن نفي الحسن والقبح العقليين مطلقاً فلم يقله أحد من سلف الأمة ولا أئمتها؛ بل نفي ذلك من البدع التي حدثت في الإسلام^(٦).

قال ابن فارس: «الحاء والسين والنون أصلٌ واحد، فالْحُسْن ضد الْقُبْح. يقال: رجل حَسَن وامرأة حسناء... والمحاسن من الإنسان وغيره: ضد المساوي^(١). فالقبح نقيض الحسن، وَقَبَّحه الله؛ أي: نَحَّاه عن الخير^(٢)، والمقبوح: الذي يُرَدُّ وَيَحْضَأُ^(٣).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٣٠٩/٨ - ٣١٠)، والرد على المنطقيين (٤٢١)، ودرء التعارض (٤٩٣/٨)، ومفتاح دار السعادة (٧/٢) [دار الكتب العلمية].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٤٣٤/٨ - ٤٣٦)، والرد على المنطقيين (٤٢٠ - ٤٢١)، ودرء التعارض (٨/٤٩٣).

(٦) انظر: درء التعارض (٥٠/٩)، والرد على المنطقيين (٤٢١)، ومنهاج السنة (٤٥٠/١).

(١) مقياس اللغة (٥٧/٢ - ٥٨) [دار الجيل، ط ١].

(٢) انظر: الصحاح (٣٩٣/١) [دار العلم للملايين، ط ٣]، مقياس اللغة (٤٧/٥).

(٣) انظر: لسان العرب (٥٥٢/٢) [دار صادر].

❁ الحقيقة:

للحُسْن والقُبْح معانٍ ثلاثة^(١):

الأول: أن الحسن هو ملاءمة الطبع، والقبح هو منافرة؛ كقولنا: إنقاذ الغريق حسن، واتهام البريء قبيح.

الثاني: أن الحسن هو الكمال، والقبح هو النقص كقولنا: العلم حسن، والجهل قبيح.

الثالث: أن الحسن هو استحقاق الثواب والمدح، والقبح استحقاق العقاب والذم.

قال القرافي رحمته الله: «والأولان عقليَّان إجماعاً»^(٢)، كما يمكن معرفتها بالشرع^(٣)، واختلفوا في المعنى الثالث؛ هل يعرف بالعقل أم بالشرع؟

ويرى ابن تيمية أن هذه المعاني ترجع لمعنى واحد، فالحسن هو الملائم والموافق للطبع، وما تلتذ به النفس من الكمال والثواب والمدح، والقبح هو المنافي للطبع وما تتألم منه النفس من النقص والذم والعقاب. يقول رحمته الله:

«وتنازعوا في الحسن والقبح بمعنى كون الفعل سبباً للذم والعقاب؛ هل يعلم بالعقل أم لا يعلم إلا بالشرع؟ وكان من أسباب النزاع أنهم ظنوا أن هذا

(١) انظر: الذخيرة للقرافي (٧١/١) [دار الغرب، ١٩٩٤م]، ومجموع الفتاوى (٣٠٩/٨ - ٣١٠).

(٢) الذخيرة للقرافي (٧١/١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٩٠/٨).

القسم مغاير للأول، وليس هذا خارجاً عنه، فليس في الوجود حسن إلا بمعنى الملائم، ولا قبيح إلا بمعنى المنافي، والمدح والثواب ملائم، والذم والعقاب منافي، فهذا نوع من الملائم والمنافي... ومن الناس من أثبت قسماً ثالثاً للحسن والقبح وادعى الاتفاق عليه، وهو كون الفعل صفة كمال أو صفة نقص، وهذا القسم لم يذكره عامة المتقدمين المتكلمين في هذه المسألة؛ ولكن ذكره بعض المتأخرين؛ كالرازي، وأخذه عن الفلاسفة. والتحقيق أن هذا القسم لا يخالف الأول، فإن الكمال الذي يحصل للإنسان ببعض الأفعال هو يعود إلى الموافقة والمخالفة، وهو اللذة أو الألم، فالنفس تلتذ بما هو كمال لها، وتتألم بالنقص، فيعود الكمال والنقص إلى الملائم والمنافي»^(٤).

أما الخلاف في المعنى الثالث فهو كالآتي:

القول الأول: أن حسن الأشياء وقبحها، والثواب عليها والعقاب يعرف من جهة الشرع، وأن الفعل لا يكون حسناً أو قبيحاً لنفسه وجنسه وصفة لازمة له؛ بل يعرف ذلك من الشرع وحده، وهو قول جماهير الأشاعرة^(٥)، وطائفة

(٤) مجموع الفتاوى (٣٠٩/٨ - ٣١٠).

(٥) انظر: الإرشاد (٢٥٨) [مكتبة الخانجي، ١٣٩٦هـ]، =

ويرى أهل السُّنة ومن وافقهم أن الأفعال ثلاثة أنواع^(٨):

أحدها: أن يكون الفعل مشتملاً على مصلحة أو مفسدة ولو لم يرد الشرع بذلك، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم، والظلم يشتمل على فسادهم؛ لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقباً في الآخرة إذا لم يرد شرع بذلك.

النوع الثاني: أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسناً، وإذا نهى عن شيء صار قبيحاً، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع.

والنوع الثالث: أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد هل يطيعه أم يعصيه، ولا يكون المراد فعل المأمور به، كما أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه.

الأدلة:

أدلة أهل السُّنة في إثبات الحسن والقبح العقليين:

استدلوا بأدلة نقلية وعقلية؛ منها:

- قوله ﷺ: ﴿وإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنِّي أَلْفَحْشَةً قَالُوا لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَةِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٨)﴾ [الأعراف]، فقد أخبر الله عن نفسه في سياق الإنكار عليهم أنه

من المنتسبين للسُّنة من أصحاب الأئمة؛ مالك والشافعي وأحمد^(١).

القول الثاني: أن حسن الأشياء وقبحها، والثواب عليها والعقاب يعرف من جهة العقل، وإن لم يرد سمع، وهو قول المعتزلة^(٢) والرافضة^(٣)، ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة وغيرهم^(٤).

القول الثالث: أن حسن الأشياء وقبحها، بمعنى استحقاق الثواب والعقاب عليها يعرف من جهة العقل، لكن لا يعاقب أحدٌ إلا بعد بلوغ الرسالة، وهو قول أهل السُّنة والجماعة^(٥)، وجمهور الماتريدية^(٦) والكرامية^(٧).

= والإحكام للآمدي (١١٩/١ - ١٢٦) [دار الكتاب العربي، ط١]، والمواقف للإيجي (٣٢٣) [عالم الكتب]، وشرح المقاصد (٢٨٢/٤) [عالم الكتب، ط١، ١٤٠٩هـ].

(١) انظر: درء التعارض (٤٩٣/٨)، ومجموع الفتاوى (٩٠/٨).

(٢) انظر: المغني للقاضي عبد الجبار (٧/١٤)، ١٥١ - (١٧٣) [الدار المصرية، ١٣٨٥هـ]، وشرح الأصول الخمسة (٥٦٥) [مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ].

(٣) انظر: أصول الفقه لمحمد رضا الشيعي (١٢٢/٢).

(٤) انظر: درء التعارض (٤٩٣/٨)، ومجموع الفتاوى (٩٠/٨).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣٠٩/٨ - ٣١٠)، والرد على المنطقيين (٤٢١)، ودرء التعارض (٤٩٣/٨)، ومفتاح دار السعادة (٧/٢).

(٦) انظر: الماتريدية دراسة وتقويمًا (١٥١ - ١٥٤) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٣هـ].

(٧) انظر: الملل والنحل (١١٣/١) [دار المعرفة].

(٨) انظر: مجموع الفتاوى (٤٣٤/٨ - ٤٣٦)، والرد على المنطقيين (٤٢٠ - ٤٢١)، ودرء التعارض (٤٩٣/٨).

أئمتها، وهذا يؤخذ من كلام الأئمة والسلف في تعليل الأحكام، وبيان حكمة الله في خلقه وأمره، فنفي ذلك من البدع التي حدثت في الإسلام^(٤).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رحمته الله: «أن الفعل تارة يكون حسنه من جهة نفسه، وتارة من جهة الأمر به، وتارة من الجهتين جميعاً. ومن أنكر أن يكون للفعل صفات ذاتية لم يحسن إلا لتعلق الأمر به، وأن الأحكام بمجرد نسبة الخطاب إلى الفعل فقط، فقد أنكر ما جاءت به الشرائع من المصالح والمفاسد، والمعروف والمنكر، وما في الشريعة من المناسبات بين الأحكام وعللها، وأنكر خاصة الفقه في الدين، الذي هو معرفة حكمة الشريعة ومقاصدها ومحاسنها»^(٥).

وقال ابن القيم رحمته الله: «كل من تكلم في علل الشرع ومحاسنه، وما تضمنه من المصالح ودرء المفاسد، فلا يمكنه ذلك إلا بتقرير الحسن والقبح العقليين، إذ لو كان حسنه وقبحه بمجرد الأمر والنهي؛ لم يتعرض في إثبات ذلك لغير الأمر والنهي فقط»^(٦).

لا يأمر بالفحشاء، فدل ذلك على أنه منزّه عنه، فلو كان جائزاً عليه لم يتنزه عنه فعلم أنه لا يجوز عليه الأمر بالفحشاء، وذلك لا يكون إلا إذا كان الفعل في نفسه سيئاً وقيحاً^(١).

- وقوله ﷺ: «وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا»^(٢) [الإسراء].
فقد علل ﷺ النهي عنه بما اشتمل عليه من أنه فاحشة وأنه ساء سبيلاً، فلو كان إنما صار فاحشة وساء سبيلاً بالنهي لما صح ذلك؛ لأن العلة تسبق المعلول لا تتبعه^(٢).

وأن من أنكر أن يكون للفعل صفات ذاتية لم يحسن إلا لتعلق الأمر به، وأن الأحكام بمجرد نسبة الخطاب إلى الفعل فقط، فقد أنكر ما جاءت به الشرائع من جلب المصالح ودرء المفاسد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما في الشريعة من المناسبات بين الأحكام وعللها، وأنكر خاصة الفقه في الدين الذي هو معرفة حكمة الشريعة ومقاصدها ومحاسنها^(٣).

وأن نفي الحسن والقبح العقليين مطلقاً لم يقله أحد من سلف الأمة ولا

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/١٥)، ومفتاح دار السعادة (٩/٢ - ١٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/١٥ - ٩)، ومفتاح دار السعادة (٧/٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٣٥٤)، ومفتاح دار السعادة (٢/٢).

(٤) انظر: الرد على المنطقيين (٤٢١)، ومنهاج السنة (١/٤٥٠)، ودرء التعارض (٩/٥٠).

(٥) مجموع الفتاوى (١١/٣٥٤).

(٦) مفتاح دار السعادة (٢/٤٢).

المسائل المتعلقة:

- الإيجاب والتحريم العقليان:

«الإيجاب والتحريم طلب للفعل والترك على سبيل الاستعلاء»^(١)، وهل يعرف بالعقل أم بالشرع؟ فيه خلاف مبني على الخلاف في التحسين والتقبيح العقليين، والأقوال فيه ثلاثة:

القول الأول: المعتزلة قالوا: يجب على العبد عقلاً بعض الأفعال الحسنة، ويحرم عليه القبيح، ويستحق الثواب والعقاب على ذلك، وأنه يجب على الرب ﷻ فعل الحسن ورعاية الصلاح والأصلح، ويحرم عليه فعل القبيح والشر وما لا فائدة فيه كالعبث، ووضعوا بعقولهم شريعة أوجبوا بها على الرب ﷻ وحرّموا عليه، وشبهوه بخلقه في أفعاله بحيث ما حسن منهم حسن منه، وما قبح منهم قبح منه.

القول الثاني: الأشاعرة جوّزوا عليه ﷻ ما يتعالى ويتنزه عنه لمنافاته حكمته وكماله، ونفوا ما أوجبه وحرّمه على نفسه، ونفوا حكمته، فهم يرون أن الحسن والقبح راجع للأمر والنهي والإرادة، وليس لصفات في الفعل.

القول الثالث: أهل السنة أثبتوا له ﷻ ما أثبتة لنفسه من الإيجاب، والتحريم الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته، الذي

(١) مفتاح دار السعادة (٥٢/٢).

لا يليق به نسبته إلى ضده؛ لأنه موجب كماله وحكمته وعدله، ولم تدخله تحت شريعة وضعها بعقولها، كما فعل المعتزلة، ولم تجوّز عليه ما نزه نفسه عنه كما فعلت الأشاعرة، وأن العقل يعرف الحسن والقبح، لكن ترتيب الثواب والعقاب بعد بلاغ الرسل^(٢).

مذهب المخالفين:

أولاً: مذهب الأشاعرة في التحسين والتقبيح:

نفى الأشاعرة الحسن والقبح العقليين، واستدلوا لنفي التحسين والتقبيح العقليين بقوله ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء] ونحوها^(٣).

وقد أجاب أهل السنة بأن هذه الآية ونحوها لا تنفي اشتغال الأفعال على الصفات الحسنة والسيئة، ولكنها تنفي العذاب قبل بعثة الرسل، وهذا مسلم، فالأفعال متصفة بصفات حسنة وسيئة تقتضي الحمد والذم، ولكن لا يعاقب أحدٌ إلا بعد بلوغ الرسالة^(٤).

كما استدلوا بأدلة عقلية^(٥)، وقد

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة (٥٢/٢ - ٦١)، ولوامع الأنوار البهية (١/٢٨٧ - ٢٨٨) [مؤسسة الخافقين، ط ٢].

(٣) انظر: شرح المقاصد (٤/٢٨٤).

(٤) انظر: درء التعارض (٨/٤٩٣)، ومجموع الفتاوى (١٩/٢١٥)، ومفتاح دار السعادة (٢/٣٩).

(٥) انظر: شرح المقاصد (٤/٢٨٤)، والإحكام (١/١٢٣).

أجاب عنها أهل السنة^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «التحسين والتقبيح العقليان وأثرهما في مسائل أصول الفقه»، لعايض الشهراني.

٢ - «التحسين والتقبيح وجذوره في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة»، لعللي الزهراني.

٣ - «الحكمة والتعليل في أفعال الله»، لمحمد المدخلي.

٤ - «درء التعارض» (ج ٨، ٩)، لابن تيمية.

٥ - «الرد على المنطقيين»، لابن تيمية.

٦ - «مجموع الفتاوى» (١٩)، لابن تيمية.

٧ - «مفتاح دار السعادة» (ج ٢)، لابن القيم.

كتب المخالفين:

٨ - «درء القول القبيح في التحسين والتقبيح»، للطوفي.

تحقيق التوحيد

يراجع مصطلح (التوحيد).

التحليل والتحريم

التعريف لغة:

التحريم مأخوذ من حرم، ف«الحاء والراء والميم أصل واحد، وهو المنع

ثانيًا: قول المعتزلة في إيجاب الثواب العقاب بالعقل وإن لم يرد سمع. وقد رد عليهم أهل السنة بما يلي:

١ - النصوص الكثيرة في القرآن التي تدل على أن الله لا يعذب أحدًا إلا بعد بلوغ الرسالة؛ كقوله ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء]، وغير ذلك من الآيات التي تؤكد هذا المعنى^(٢).

٢ - أن الله تعالى قد أخبر في غير موضع أنه لا يكلف نفسًا إلا وسعها؛ كقوله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فهذه الآية وأمثالها تدل على أن المكلف لا يؤاخذ بما فعله أو تركه مما لم ينه عنه الشرع، أو لم يأمر به؛ لأنه خارج عن قدرته واستطاعته^(٣).

٣ - أن مؤاخذة وتعذيب من لم يأت إليه شرع ظلم، والله ﷻ نزه نفسه عن الظلم في مواضع كثيرة من القرآن^(٤).

فهذه بعض أدلة أهل السنة والجماعة في إثبات التحسين والتقبيح العقليين دون ترتيب الثواب والعقاب عليهما.

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٢٤/٢ - ٢٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤٣٥/٨) (٢١٥/١٩)، ودرء التعارض (٤٩٣/٨)، ومفتاح دار السعادة (٣٩/٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢١٦/١٩ - ٢١٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢١٥/١٩ - ٢١٦).

والتشديد. فالحَرَام: ضد الحلال^(١).
والتَّحْرِيم: ضد التحليل^(٢).
والتحليل مأخوذ من حَلَّ، وله فروع كثيرة، ولكن أصله الجامع: فتح الشيء. ومنه الحلال، والحلال: من: حَلَلْتُ الشيء، إذا أبحت وأوسعته لأمر فيه^(٣).

إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل؛ لدلالة الكتاب والسُّنة على ذلك، ويجب «إفراد الله تعالى بالطاعة في تحريم ما حرَّمه وتحليل ما أحلَّه»^(٥).

التعريف شرعاً:

الحقيقة:

التحريم والتحليل صفتان فعليتان ثابتتان بالكتاب والسُّنة^(٤)، وخاصتان بالله ﷻ، فليس لأحد من الخلق أن يحرم ما أحلَّه الله، ولا أن يحلل ما حرَّمه الله تعالى.

التحليل والتحريم تشريع، وهو ما يختص به الرب ﷻ من تنزيل الأحكام، بالمنع أو الإباحة، لحكم سبقت في علمه ﷻ. وهو من خصائص الرب ﷻ، فلا يجوز أن يطاع فيه أحد من المخلوقين غير الرسل.

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

الأهمية:

المعنى الشرعي للتحريم والتحليل مرتبط بالمعنى اللغوي في أصله، وزاد تخصيصاً بربطه بالأحكام والعبادات في الإسلام، وجعله من خصائص الرب.

من حقَّ الله على العباد إفراده بالطاعة فيما أحلَّ وحرَّم، وفيما نهى وأمر، وهو داخل في إفراده بالعبادة. وقد اختصت أحكامه ﷻ بأنها صالحة لكل زمان ومكان، فهو العليم بما يصلح لعباده من الأحكام.

الأسماء الأخرى:

التشريع، الفرض، الإيجاب.

الأدلة:

الحكم:

الأدلة على اختصاص الرب تبارك وتعالى بالتحليل والتحريم كثيرة، منها قوله ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وقوله ﷻ: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ

يجب الإيمان بهاتين الصفتين ويجب

(١) مقاييس اللغة (٤٥/٢) [دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ].

(٢) انظر: الصحاح (١٨٩٦/٥) [دار العلم للملايين].

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٢٠/٢).

(٤) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب

والسُّنة للسقاف (٧٦) [دار الهجرة، الرياض، ط ٣،

١٤٢٦هـ].

(٥) إعانة المستفيد (١٣١/١) [مؤسسة الرسالة ناشرون].

النبي ﷺ قال: «من أكل من هذه الشجرة الخبيثة شيئاً فلا يقربنا في المسجد»، فقال الناس: حرمت حرمت. فبلغ ذاك النبي ﷺ فقال: «أيها الناس! إنه ليس بي تحريم ما أحل الله لي، ولكنها شجرة أكره ريحها»^(٢).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس! قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكل عام؟ يا رسول الله! فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: نعم! لوجبتم ولما استطعتم...»^(٣).

وقوله: «لوجبتم»؛ أي: لأوجبها الله ﷻ.

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رضى الله عنه: «الحلف بالنذر والطلاق ونحوهما هو حلف بصفات الله، فإنه إذا قال: إن فعلت كذا فعلي الحج فقد حلف بإيجاب الحج عليه وإيجاب الحج عليه حكم من أحكام الله تعالى وهو من صفاته، وكذلك لو قال: فعلي تحرير رقبة، وإذا قال: فامرأتي طالق وعبدي حر فقد حلف بإزالة ملكه الذي هو تحريمه عليه والتحريم من صفات الله

(٢) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٦٥).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٣٧).

وَرَهْبَنَهُمْ أَزْكَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢١﴾ [التوبة]، وقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرُّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨٧) [المائدة]، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَىٰ مَرَضَاتِ أَرْوَاكِ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَّحِيمٌ﴾ (١) [التحريم]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

وعن عدي بن حاتم رضى الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يا عدي اطرح عنك هذا الوثن»، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿اتَّخَذُوا أَجْدَارَهُمْ وَرَهْبَنَهُمْ أَزْكَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾، قال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٩٥) وقال: «غريب»، والطبراني في الكبير (٩٢/١٧) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وذكر له الألباني شواهد وقال: فهو بمجموع طرقه حسن إن شاء الله تعالى، انظر: السلسلة الصحيحة (٨٦٢/٧ - ٨٦٥).

كما أن الإيجاب من صفات الله^(١).

من اعتقد في المحرمات المعلوم

تحريمها أنها حلال كفر^(٤).

وقال: «فمن تاب من هذه الاعتقادات الفاسدة - وهو استحلال شيء من المحرمات أو التدين بشيء منها - قبل الله توبته، وأما من استحل ذلك أو تدين به وإن لم يفعل، فالذي يفعل ذلك وهو معتقد للتحريم خير منه، فإن هذا مؤمن مذب، وأما الاستحلال لها، والتدين بها فهو كفر^(٥).

- المسألة الثانية: طاعة الأمراء والعلماء في تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحلّ الله على وجهين:

الأول: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحلّ الله اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب^(٦).

وقال الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٠]: «فقوله: ﴿هَلُمْ شُهَدَاءُكُمْ﴾ صيغة تعجيز، فهم عاجزون عن بيان مستند التحريم، وذلك واضح في أن غير الله لا يتصف بصفات التحليل ولا التحريم^(٢).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: «الشرك الأكبر أن يجعل الإنسان ندّاً إما في أسمائه وصفاته... وإما أن يجعل له ندّاً في العبادة... وإما أن يجعل لله ندّاً في التشريع بأن يتخذ مشرعاً له سوى الله، أو شريكاً لله في التشريع يرتضي حكمه ويدين به في التحليل والتحريم؛ عبادة وتقرباً وقضاء وفصلاً في الخصومات، أو يستحله وإن لم يره ديناً^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: من أحلّ محرماً أو حرّم حلالاً عالماً بحكمه، غير متأول، فقد كفر، حتى لو لم يفعله:

يقول شيخ الإسلام: «ولا ريب أن

(١) مجموع الفتاوى (٢٧٣/٣٥) [مجمع الملك فهد].

(٢) أضواء البيان (١٠٨/٧ - ١٠٩) [دار الكتب العلمية].

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (١/٧٤٦ - ٧٤٧) رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط ٣، ١٤١٩هـ.

(٤) الصارم المسلول (٥١٦) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ].

(٥) الاستقامة (٢/١٩٤) [مكتبة ابن تيمية].

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٧٠ - ١٩٥/٤) [مكتبة =

- المسألة الثالثة: بيان المراد بقوله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]:

كالصلاة والصوم والحج وسائر أعمال البر... وشرع الدين يشرعه شرعاً؛ أي: سنَّه^(٤)، و«التشريع: سنّ القوانين»^(٥). والتشريع هو بمعنى الإيجاب، والفرض، والتحليل والتحريم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أي: حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقد متم عليه غيره فهذا هو الشرك، كقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]»^(١).

قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى].

ويقول القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾؛ أي: في تحليل الميتة ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾»، فدلّت الآية على أن من استحل شيئاً مما حرم الله تعالى صار به مشركاً، وقد حرم الله سبحانه الميتة نصّاً؛ فإذا قبل تحليلها من غيره فقد أشرك»^(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «من سرّه أن يلقي الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن؛ فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام

- المسألة الرابعة: التشريع فعل من أفعال الله تعالى:

وهو من خصائص ربوبيته سبحانه، ومن نازعه فيها كفر، وهو صفة فعلية ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة^(٣)، والشرعية: «ما سنّ الله من الدين وأمر به

= النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ، وتفسير القرطبي (٧/ ٧٧)، وأضواء البيان (٣٠٧/١) [دار الفكر، ١٤١٥هـ]، وفتح القدير (٤٧٢/٢)، وإعانة المستفيد (١٣١/١).

(١) تفسير ابن كثير (١٧١/٢) [دار التراث].

(٢) تفسير القرطبي (٧٧/٧).

(٣) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (١٠٠ - ١٠١) [دار الهجرة، الرياض، ٣ ط].

(٤) المحكم لابن سيده (٣٧٠/١) [دار الكتب العلمية].

(٥) المعجم الوسيط (٤٧٩) [مكتبة الشروق الدولية، ط ٤].

في الصف»^(١).

وفصلاً في الخصومات، أو يستحله وإن لم يره ديناً^(٥).

وكذلك كثر إطلاق أهل العلم لكلمة الشارع والمشرع على الله ﷻ من باب الصفة^(٦).

❁ الحكمة:

الإنسان مخلوق عاجز ضعيف، وقوة سمعه وبصره وعقله وفكره محدودة بحد لا تجاوزه، وكذلك جسمه وعمره وحياته ووقته محدود بأمَد ينتهي إليه، والأشياء التي سخرها الله تعالى له، وجعلها في وسعه ومتناول يده كثيرة جداً، لكن منها ما ينفعه، ومنها ما يضره.

فكان من فضل الله ورحمته أنه لم يترك الإنسان بغير هدى ولا إرشاد بل أرسل أنبياءه ورسله، وبَيَّن عن طريقهم كل شيء يضر الإنسان من المآكل والمشارب والملابس والأقوال والأفعال والأخلاق والعقائد فحرمها عليه، ولم يحرم عليه شيئاً منها يقول عنه عاقل: لو ما حرمه علينا لكان أحسن لنا، كما بيَّن كل ما ينفع الإنسان ويفيده في جسمه وروحه ودينه ودنياه فأباحه له، ولم يحل له شيئاً يقول عنه عاقل: لو ما أحله لنا

وقد ورد إضافة التشريع إلى الله تعالى في أقوال أهل العلم، ومن ذلك ما قاله الشنقيطي رحمه الله: «والعجب ممن يحكم غير تشريع الله ثم يدعي الإسلام»^(٢). وقال أيضاً: «وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على السنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله ﷻ على السنة رسله صلى الله عليه وسلم، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم»^(٣). وقال أيضاً: «ولما كان التشريع وجميع الأحكام، شرعية كانت أو كونية قدرية، من خصائص الربوبية، كما دلَّت عليه الآيات المذكورة كان كل من اتبع تشريعاً غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرع رباً، وأشركه مع الله»^(٤).

وقد تقدم نقل كلام اللجنة الدائمة في بيان اتخاذ ند لله تعالى في التشريع بأن يتخذ مشرعاً له سوى الله أو شريكاً لله في التشريع يرتضي حكمه ويدين به في التحليل والتحريم؛ عبادة وتقرباً وقضاء

(١) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٦٥٤).

(٢) أضواء البيان (٣/٣٢٥) [دار الكتب العلمية].

(٣) المصدر نفسه (٤/٦٦).

(٤) المصدر نفسه (٧/١٠٩).

(٥) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١/٧٤٦ - ٧٤٧) [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط ٣، ١٤١٩هـ].

(٦) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (١٠١).

- ٤ - «تاريخ التشريع الإسلامي»، لمناع القطان.
- ٥ - «تفسير القرطبي» (ج ٧).
- ٦ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٧ - «القول المفيد»، لابن عثيمين.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٧)، لابن تيمية.
- ٩ - «فتاوى اللجنة الدائمة» (ج ١)، جمع وترتيب: أحمد الدويش.
- ١٠ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ١١ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- لكان أحسن، فهذه رحمة كبيرة ومنة عظيمة من الله ﷻ على عباده.
- قال ابن تيمية: «ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد، فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منه عليهم: أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبَيَّن لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم بل أشر حالاً منها، فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية، ومن ردّها وخرج عنها فهو من شر البرية، وأسوأ حالاً من الكلب والخنزير والحيوان البهيم»^(١).

فبيان الله ﷻ الحلال من الحرام، وتمييزه الطيب من الخبيث، والنافع من الضار رحمة كبيرة ومنة عظيمة منه ﷻ على عباده، لكونهم عاجزين عن معرفة ذلك على الوجه الصواب المطلوب مع شدة حاجتهم إلى بيانه وتوضيحه، فله الحمد والمنة على تفضله وإنعامه.

المصادر والمراجع:

١ - «أضواء البيان»، لمحمد الأمين الشنقيطي.

٢ - «إعانة المستفيد»، لصالح الفوزان.

٣ - «اقتضاء الصراط المستقيم»

(ج ١)، لابن تيمية.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/١٠٠).

التردد

التعريف لغة:

التردد: من الرد، وأصله المطرد المنقاس: الرجوع، ومنه يقال: ترددت إلى فلان؛ أي: رجعت إليه مرة بعد أخرى، ويقال: تردد في الأمر: إذا اشتبه عليه فلم يجزم به^(٢). وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «التردد: تعارض إرادتين»^(٣)،

(٢) انظر: مقاييس اللغة (١/٤٦٠ - ٤٦١) [دار الكتب العلمية]، والصحاح (٣/٤٧٣) [دار العلم للملايين]، والمصباح المنير (١٨٧)، والمعجم الوسيط (٣٣٨) [مكتبة الشروق الدولية، ط ٤].

(٣) مجموع الفتاوى (٥٨/١٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف].

هذا المعنى هو الأنسب هنا .

تكيف، ولا تمثيل^(٢) .

التعريف شرعاً:

الحقيقة:

إن الله ﷻ يريد قبض روح المؤمن الصالح عند نزول موته وحلول أجله وانقضاء أمدته، ولكنه ﷻ في الوقت نفسه لا يريد أن يسوءه بقبض روحه لمحبتته له، فهذا هو التردد المضاف إلى الله ﷻ في قبض روح المؤمن^(٣) .

تردد الله ﷻ في قبض روح المؤمن صفة فعلية خبرية ثابتة لله ﷻ، فهو سبحانه يريد قبض روح المؤمن عند حلول أجله ولكنه تعالى في الوقت نفسه يكره إساءته بقبض روحه إليه، والتردد المنسوب إليه لا يشابه تردد المخلوقين؛ بل هو كما يليق بجلاله وعظمته^(١) .

الأدلة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن؛ يكره الموت وأنا أكره مساءته»^(٤) .

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

التردد هو تعارض إرادتين، والله ﷻ من أجل محبته لعبده المؤمن الصالح لا يريد أن يسوءه بقبض روحه إليه، ولكن من أجل انتهاء وقته ونزول موته يريد أن يتوفاه ويقبضه إليه، فهو سبحانه يتردد بين هاتين الإرادتين عند قبض روح عبده المؤمن .

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة الحديث النبوي عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، على الوجه الوارد في الحديث، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا

(٢) انظر: التدمرية (٧) [مكتبة العبيكان، ط ٨]، ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن بار (٩/ ٤١٧)، والعقيدة الواسطية مع شرحها لابن عثيمين (٥٦ - ٩٢) [دار الثريا، الرياض، ط ٢، ١٤٢٦هـ] .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٥٨/١٠ - ٥٩)، ولقاءات الباب المفتوح لابن عثيمين (٣/ ٢٨٥ - ٢٨٦)، اللقاء، ٥٩، رقم السؤال: (١٣٦٧) [دار البصيرة، الإسكندرية] .

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٢) .

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٨/١٠ - ٥٩)، ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن بار (٩/ ٤١٧) [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط ٢، ١٤٢١هـ]، وصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (٧١) [دار الهجرة] .

❁ أقوال أهل العلم:

ما يعلم عاقبة الأمور لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا؛ فإن الله ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ثم هذا باطل؛ فإن الواحد منا يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب، وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد، فيريد الفعل لما فيه من المصلحة، ويكرهه لما فيه من المفسدة، لا لجهل منه بالشيء الواحد الذي يحب من وجه ويكره من وجه؛ كما قيل:

الشيب كره وكره أن أفارقه

فاعجب لشيء على البغضاء محبوب

وهذا مثل إرادة المريض لدوائه الكريه؛ بل جميع ما يريده العبد من الأعمال الصالحة التي تكرهها النفس هو من هذا الباب، وفي الصحيح: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»^(٢)، وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌُ﴾ الآية [البقرة: ٢١٦]. ومن هذا الباب يظهر معنى التردد المذكور في هذا الحديث؛ فإنه قال: «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»؛ فإن العبد الذي هذا حاله صار محبوباً للحق محباً له، يتقرب إليه أولاً بالفرائض وهو يحبها، ثم اجتهد في

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «بَيَّنَّ سبحانه أنه يتردد؛ لأن التردد تعارض إرادتين، فهو سبحانه يحب ما يحب عبده، ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت، فهو يكرهه كما قال: «وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»، وهو سبحانه قد قضى بالموت فهو يريد أن يموت، فسمى ذلك تردداً. ثم بَيَّنَّ أنه لا بد من وقوع ذلك»^(١).

وسئل ابن تيمية عن معنى تردد الله في هذا الحديث؟ فأجاب: «هذا حديث شريف، قد رواه البخاري من حديث أبي هريرة، وهو أشرف حديث روي في صفة الأولياء، وقد ردَّ هذا الكلام طائفة، وقالوا: إن الله لا يوصف بالتردد، وإنما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور، والله أعلم بالعواقب، وربما قال بعضهم: إن الله يعامل معاملة المتردد. والتحقيق: أن كلام رسوله حق، وليس أحد أعلم بالله من رسوله، ولا أنصح للأمة منه، ولا أفصح ولا أحسن بياناً منه، فإذا كان كذلك؛ كان المتحذلق والمنكر عليه من أضل الناس وأجهلهم وأسوئهم أدباً؛ بل يجب تأديبه وتعزيره، ويجب أن يصابن كلام رسول الله ﷺ عن الظنون الباطلة والاعتقادات الفاسدة، ولكن المتردد منا، وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤٨٧)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٢٢).

يليق بالله تعالى لا يعلم كيفيته إلا هو سبحانه، وليس كترددنا، والتردد المنسوب لله لا يشابه تردد المخلوقين؛ بل هو تردد يليق به سبحانه، كسائر صفاته تبارك وتعالى»^(٢).

وقال ابن عثيمين رحمته الله: «إثبات التردد لله تعالى على وجه الإطلاق لا يجوز؛ لأن الله تعالى ذكر التردد في هذه المسألة: «ما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن»، وليس هذا التردد من أجل الشك في المصلحة، ولا من أجل الشك في القدرة على فعل الشيء؛ بل هو من أجل رحمة هذا العبد المؤمن، ولهذا قال في نفس الحديث: «يكره الموت، وأكره إسأته، ولا بد له منه». وهذا لا يعني أن الله تعالى موصوف بالتردد في قدرته أو في علمه، بخلاف الآدمي فهو إذا أراد أن يفعل الشيء يتردد، إما لشكه في نتائجه ومصلحته، وإما لشكه في قدرته عليه: هل يقدر أو لا يقدر؟ أما الرب تعالى فلا»^(٣).

✽ مذهب المخالفين:

إن تردد الله تعالى في قبض روح عبده المؤمن صفة فعلية، فهي من جملة

النوافل التي يحبها ويحب فاعلها، فأتى بكل ما يقدر عليه من محبوب الحق، فأحبه الحق لفعل محبوبه من الجانبين بقصد اتفاق الإرادة؛ بحيث يحب ما يحبه، ويكره ما يكرهه محبوبه، والرب يكره أن يسوء عبده ومحبوبه، فلزم من هذا أن يكره الموت؛ ليزداد من محاب محبوبه، والله تعالى قد قضى بالموت، فكل ما قضى به؛ فهو يريده، ولا بد منه؛ فالرب يريد لموته لما سبق به قضاؤه، وهو مع ذلك كاره لمساءة عبده، وهي المساءة التي تحصل له بالموت، فصار الموت مراداً للحق من وجه، مكروهاً له من وجه، وهذا حقيقة التردد، وهو أن يكون الشيء الواحد مراداً من وجه مكروهاً من وجه، وإن كان لا بد من ترجح أحد الجانبين، كما ترجح إرادة الموت، لكن مع وجود كراهة مساءة عبده، وليس إرادته لموت المؤمن الذي يحبه ويكره مسأته كإرادته لموت الكافر الذي يبغضه ويريد مسأته... أن الشيء المعين يكون محبوباً من وجه مكروهاً من وجه، وأن هذا حقيقة التردد، وكما أن هذا في الأفعال؛ فهو في الأشخاص، والله أعلم»^(١).

وقال ابن باز رحمته الله: «التردد وصف

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٩/٤١٧).

(٣) لقاءات الباب المفتوح (٣/٢٨٥ - ٢٨٦)، اللقاء ٥٩،

رقم السؤال: (١٣٦٧).

(١) مجموع الفتاوى (١٨/١٢٩ - ١٣٥).

بالانتظار، وأن الله ينتظر من ذلك العبد أن يأتي بعمل يكون سبباً للفسحة في أجله؛ كالدعاء أو الصدقة أو صلة الرحم ونحوها، فإن أتى بذلك السبب شفاه الله وأخر أجله، وإن لم يأت بذلك السبب مات بالأجل الأول^(٤).

ولكن التأويلات المذكورة بعيدة جداً ولا تتفق مع اللغة ولا مع ألفاظ الحديث^(٥). قال ابن تيمية: «والتحقيق: أن كلام رسوله حق، وليس أحد أعلم بالله من رسوله، ولا أنصح للأمة منه، ولا أفصح ولا أحسن بياناً منه، فإذا كان كذلك؛ كان المتحذلق والمنكر عليه من أضل الناس وأجهلهم وأسوئهم أدباً؛ بل يجب تأديبه وتعزيره، ويجب أن يصاب كلام رسول الله ﷺ عن الظنون الباطلة والاعتقادات الفاسدة، ولكن المتردد منا، وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة الأمور لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا؛ فإن الله ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ثم هذا باطل؛ فإن الواحد منا يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب، وتارة

الصفات التي أنكرتها الجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلاية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال لله تعالى^(١).

وقد أول بعضهم هذا التردد من الله تعالى بترديد الملائكة إلى ذلك العبد المؤمن لقبض روحه كما في قصة موسى ﷺ، وأوله بعضهم بمرض العبد المؤمن مرضاً مهلكاً ثم حصول الشفاء له من ذلك المرض^(٢)، وأوله بعضهم بأن المؤمن يكون له تركيب معين يحتمل عمراً معيناً - خمسين سنة مثلاً - فإذا بلغ قدر هذا التركيب ومرض دعا الله تعالى بالعافية فشفاه الله وقواه، فعاش عشرين سنة أخرى مثلاً، وبذلك بلغ أجله المكتوب له، وهو سبعون سنة مثلاً، فهو حمل التردد على تغيير التركيب وتبليغه إلى الأجل المكتوب^(٣)، وأوله بعضهم

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢٩/١٨ - ١٣٥) وانظر أيضاً: (٥/٤١٠ و ٥١٠).

(٢) انظر: أعلام الحديث للخطابي (٣/٢٢٥٩ - ٢٢٦٠) [معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط ١]، والتوشيح شرح الجامع الصحيح للسيوطي (٩/٣٨٦٣) [مكتبة الرشد، ط ١]، ومن كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (١٥١) [مكتبة وهبة، ط ٢]، ومن كتب الأشاعرة: أهل السنة الأشاعرة، إعداد: حمد السنان، وفوزي العنجري (١٧١ - ٢١٢) [دار الضياء للنشر].

(٣) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٣/٥٢٧) [دار الوطن الرياض، ط ١].

(٤) انظر: قطر الولي على حديث الولي للشوكاني (٥١٥) [دار إحياء التراث العربي].

(٥) انظر: قطر الولي (٤٨٨ - ٤٩٦)، وأحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين (٢٦٠ - ٢٦٨) [مكتبة دار المنهاج، ط ١].

٢ - «أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري» (ج ٣)، للخطابي.

٣ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٤ - «قطر الولي على حديث الولي»، للشوكاني.

٥ - «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (ج ٣)، لابن الجوزي.

٦ - «لقاءات الباب المفتوح مع الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين».

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٥ و ١٠ و ١٨)، لابن تيمية.

٨ - «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (ج ٩)، للشيخ عبد العزيز بن باز.

٩ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

التركيب

التعريف لغة:

قال الجوهري: «تقول في تركيب الفَصِّ في الخاتم، والنَّصْل في السهم: رَكَّبْتُهُ فتركب، فهو مُرَكَّبٌ وركيب. والمُرَكَّبُ أيضًا: الأصل والمنبِت، يقال: فلان كريم المُرَكَّب؛ أي: كريم أصل منبِت في قومه»^(٣).

(٣) الصحاح (٤٢٤) [دار المعرفة، بيروت، ط ١].

لما في الفعلين من المصالح والمفاسد، فيريد الفعل لما فيه من المصلحة، ويكرهه لما فيه من المفسدة، لا لجهل منه بالشيء الواحد الذي يحب من وجه ويكره من وجه؛ كما قيل:

الشيب كره وكره أن أفارقه

فاعجب لشيء على البغضاء محبوب

وهذا مثل إرادة المريض لدوائه الكريه؛ بل جميع ما يريده العبد من الأعمال الصالحة التي تكرهها النفس هو من هذا الباب، وفي الصحيح: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»^(١)، وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ﴾ الآية [البقرة: ٢١٦]. ومن هذا الباب يظهر معنى التردد المذكور في هذا الحديث^(٢)، فالصحيح: أن تردد الله ﷻ في قبض روح عبده المؤمن صفة فعلية، يجب إثباتها لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة الحديث النبوي على ذلك، وما عداه من الأقوال فهي باطلة، والله موفق.

المصادر والمراجع:

١ - «أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين جمعًا ودراسة»، لسليمان بن محمد الديبجي.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤٨٧)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٢٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/١٢٩ - ١٣٠).

حقيقته واحدة»^(٦).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنى الشرعي للتركيب هو المعنى اللغوي بعينه.

العلاقة بين المعنى اللغوي

والاصطلاحي:

المعنى الاصطلاحي لا علاقة له بالمعنى اللغوي؛ بل كل منهما بعيد عن الآخر.

الحكم:

لفظ التركيب من الألفاظ المجملة التي أحدثها المبتدعة، وهي تحتل حقاً وباطلاً، فلا يجوز إثباتها لله ولا نفيها عنه إلا بعد معرفة مراد قائلها، فإن أراد بها باطلاً يتوقف في لفظها ورد معناها، وإن أراد بها حقاً يتوقف في لفظها، وقبل معناها وعبر عنه باللفظ الشرعي^(٧).

الحقيقة:

حقيقة التركيب لدى المعطلة هي الصفات المتعددة التي وصف الله بها نفسه، قال ابن تيمية في بيان مقصودهم بالتركيب: «وإنما أرادوا تعدد المعاني التي يتصف بها، وهذا لا دليل على نفيه

و«استركبته فأركبني. وركب الفص في الخاتم، والسنان في القناة فتركب فيه. وركبته: ضربت ركبته»^(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار] ويقال لغة: ركب الباب في موضعه، وقد يقال: المركب لما كان متفرقاً فجمع كجمع الأدوية والأغذية المركبة^(٢).

التعريف شرعاً:

قال ابن القيم رحمه الله: «التركيب: تركيب الشيء في غيره، كقوله: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار]»^(٣).

التعريف اصطلاحاً:

التركيب: «في علم الفلسفة: تأليف الشيء من مكوناته البسيطة، ويقابله التحليل»^(٤).

وقال محمد بن عمر الرازي: «التركيب عبارة عن اجتماع الوحدات»^(٥).

وقال ابن القيم بعد أن ذكر معنى التركيب في لغة الشرع: «ثم اصطلح عليه بعض الناس وجعل كل ما تميز منه شيء عن شيء مركباً، وإن كان

(١) أساس البلاغة (١/٣٧٩) [دار الكتب العلمية].

(٢) انظر: الصفدية لابن تيمية (١/١٠٥) [دار الفضيلة، الرياض، ط ٢، ١٤٠٦هـ].

(٣) الصواعق المرسلة (٢/٦٧٦) [دار العاصمة، ط ١].

(٤) المعجم الوسيط (١/٣٦٨) [دار الدعوة].

(٥) أساس التقديس للرازي (٧٧).

(٦) الصواعق المرسلة (٢/٦٧٦).

(٧) انظر: الصفدية (٢/٦٢)، ودرء التعارض (١/٢٢٩).

بل الأدلة تستلزم ثبوته»^(١).

تساعدهم على ذلك، فقالوا: لا تفيد اليقين»^(٣).

✽ أقوال أهل العلم:

من الألفاظ المبتدعة التي أحدثها الفلاسفة وتبعهم عليها المتكلمون لفظ التركيب.

وقال ابن أبي العز: «التركيب من الذات والصفات، هم سموه تركيباً؛ لينفوا به صفات الرب تعالى، وهذا اصطلاح منهم لا يعرف في اللغة، ولا في استعمال الشارع، فلسنا نوافقهم على هذه التسمية ولا كرامة. ولئن سموا إثبات الصفات تركيباً، فنقول لهم: العبرة للمعاني لا للألفاظ، سموه ما شئتم، ولا يترتب على التسمية بدون المعنى حكم! فلو اصطلاح على تسمية اللبن خمراً، لم يحرم بهذه التسمية»^(٤).

قال ابن تيمية: «لفظ التركيب لفظ مجمل وأنه إن أريد ما ركه غيره، أو ما كان مفترقاً فاجتمع، أو ما يمكن انفصال بعضه عن بعض فهذا منتف وذلك غير لازم من اتصافه بالصفات والأفعال. وهم لم يريدوا هذا، وإنما أرادوا تعدد المعاني التي يتصف بها، وهذا لا دليل على نفيه بل الأدلة تستلزم ثبوته»^(٢).

✽ الأقسام:

ينقسم التركيب إلى أقسام عدة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عنهم: «فقالوا: التركيب خمسة أنواع وكلها يجب نفيها عن الله:

الأول: التركيب من الوجود والماهية، فلا يكون له حقيقة سوى الوجود المطلق بشرط الإطلاق؛ لأنه لو كان له حقيقة مغايرة لذلك لكانت موصوفة بالوجود، وحينئذ فيكون الوجود الواجب لازماً ومعلولاً لتلك الحقيقة، فيكون الواجب معلولاً.

الثاني: التركيب من العام والخاص؛

ذكر ابن القيم أن التركيب «اصطلاح عليه بعض الناس وجعل كل ما تميز منه شيء عن شيء مركباً، وإن كان حقيقته واحدة، فالعرب إنما تطلق لفظ التركيب والمركب في نحو: تركيب الدواء، وتركيب الخشبة على الجدار، وتركيب المادة في صورة من الصور، ولا يسمى الهواء مركباً ولا النار ولا الماء ولا التراب، وإنما المركب عندهم: ما ركب فيه شيء على شيء. خالف المتأخرون الاصطلاح الحادث، ثم نفوا مسماه الاصطلاحي عن الربِّ سبحانه، ورأوا الأدلة اللفظية من القرآن والسنة لا

(١) الصفدية (٦٢/٢).

(٣) الصواعق المرسلة (٦٧٦/٢).

(٢) الصفدية (٦٢/٢).

(٤) شرح الطحاوية (٢٤١/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١٠].

هذا الكلام المجمل المتشابه الذي يذكرونه وليس له أصل في كتاب الله وسُنَّة رسوله ضل من ضلّ، كما وصف ذلك الأئمة وذموا المتكلمين بمثل هذا الكلام؛ كقول الإمام أحمد: فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يُلبسون عليهم^(٢).

✽ مذهب المخالفين:

يرى الفلاسفة وأهل الكلام الذين قلّدوهم في أصولهم الفاسدة، أن إثبات صفات متعددة لذات واحدة تركيب وتجسيم، وأن المركب مفتقر إلى جزئه وجزء غيره، وهذا كله غير لائق بالله؛ لأن واجب الجود غني عن غيره، وبالتالي نفوا صفات الله تعالى^(٣).

✽ الرد عليهم:

تسمية الأشياء بأسماء ما، لا يغير من

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٥/٤٤٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف]، وانظر: درة التعارض (٣/٤٣٥).

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (١٩٥) [مكتبة وهبة، ط ٣، ١٤١٦هـ]، وأساس التقديس للرازي (١٩ - ٢٠، ٧٧) [مكتبة الكليات الأزهرية]، والصفدية (١/١٠٤ - ١٠٥) والبيهقي وموقفه من الإلهيات لأحمد الغامدي (١٩٣ - ١٩٤) [الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ٢]، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود (٢/٨٥٤) [مكتبة الرشد، ط ١].

كتركيب النوع من الجنس والفصل وهذا يجب نفيه.

الثالث: التركيب من الذات والصفات، وهذا يجب نفيه. وهذه الثلاث تركيبات في الكيفية.

الرابع: التركيب في الكم وهو تركيب الجسم من أعضائه، إما من الجواهر المفردة، وهو التركيب الحسي، وإما من المادة والصورة، وهو التركيب العقلي، وهذان النوعان هما الرابع والخامس^(١).

✽ الآثار:

من الآثار السيئة التي جرّها القول بالتركيب، نفي صفات الكمال، ونعوت الجلال عن الحق جلّ في علاه، فكل من أراد تعطيل الله عن كماله المطلق، تسلق على هذا المصطلح الكلامي المحدث المشؤوم، وتقنع بهذا اللفظ المجمل ليظهر بمظهر أهل التنزيه، فانطلت حقيقة حاله على كثير من الناس، وبث من ورائه النفي والتعطيل لصفات الباري سبحانه بهذا التلبس.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في ردّه على من نفى الصفات متكئاً على هذا اللفظ المبتدع: «وإنما أردت ما سميتموه أنتم تأليفاً وتركيباً كما سمى المنطقيون الموصوف بالصفات مركباً مؤلفاً، وبمثل

(١) الصفدية (١/١٠٤ - ١٠٥).

بها مفتقرًا إلى مركب غيره فهو كافر عند مثبتة الصفات^(٢).

الرابع: إن مما يبين فساد قولهم بالتركيب: «أن المعنى الذي يقصدونه بذلك، يجب أن يتصف به كل موجود سواء كان واجبًا أو ممكنًا، وأن القول بامتناع ذلك يستلزم السفسطة المحضنة وتبين أن كل أحد يلزمه أن يقول بمثل هذا المعنى الذي سماه تركيبًا حتى الفلاسفة»^(٣).

الخامس: يقال لمن نفى الصفات بزعمه أن إثباتها يلزم منه التركيب: ماذا تقصد به؟ إن كنت تقصد بالتركيب ما ركه غيره، أو ما كان متفرقًا فاجتمع، أو ما يمكن تفريق بعضه عن بعض؟ فلا شك أن هذا باطل والله منزه عنه.

وإن كنت تعني ما تميز منه شيء عن شيء؛ كتميز العلم عن القدرة، أو ما تركب من الذات وصفاتها فهذا حق، وتسميته تركيبًا هو اصطلاح حادث لا يدل عليه شرع ولا لغة^(٤).

المصادر والمراجع:

١ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٣)، لابن تيمية.

٢ - «البيهقي وموقفه من الإلهيات»، لأحمد الغامدي.

(٢) انظر: درء التعارض (٣/ ٤٣٥) [جامعة الإمام، ٢].

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٤٤١).

(٤) موقف ابن تيمية (٣/ ١١٠٢ - ١١٠٣).

حقائق المسميات، فإذا كان اتصاف الله بما يليق به من صفات الكمال المتعددة يسميه هؤلاء تركيبًا في اصطلاحهم، فيجب إثباته لله على الوجه اللائق به سبحانه؛ لدلالة الكتاب والسنة على اتصاف الله به، وأما نفيه عنه فهو باطل ويمكن بيان هذا من وجوه عديدة، منها:

الأول: أن إخضاع النصوص لمصطلحات حادثه فاسدة هو في غاية البطلان.

الثاني: أن إطلاق التركيب على الذات المتصفة بما يليق بها من الصفات، لا يعرفه أهل اللسان الذي نزل به الشرع، فهو إذن إطلاق مردود.

وبعبارة أخرى أن تسمية الواحد الموصوف بصفاته مركبًا؛ كتسمية الحي العالم القادر الموصوف بالحياة والعلم والقدرة مركبًا هذا اصطلاح لهم لا يعرف في شيء من الشرائع، ولا اللغات ولا عقول جماهير العقلاء جعل هذا تركيبًا ولا تسميته مركبًا^(١).

الثالث: أن من أثبت ذاتًا متصفة بصفات تليق بها لا يقال: إنه أثبت لها ما تفتقر فيه إلى مركب يركبه معها؛ لأن صفاته تعالى القديمة لازمة لذاته لا يفتقر فيها إلى أحد سواه، ومن جعل اتصافه

(١) انظر: الرد على المنطقيين (٢٦٧)، وشرح حديث النزول

(٨٥) [دار العاصمة، ١٦]، والصفدية (٢/ ٦٢).

- ٣ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج/٣)، لابن تيمية.
- ٤ - «الرد على المنطقيين»، لابن تيمية.
- ٥ - «شرح الطحاوية» (ج١)، لابن أبي العز الحنفي.
- ٦ - «شرح حديث النزول»، لابن تيمية.
- ٧ - «الصفدية» (ج١)، لابن تيمية.
- ٨ - «الصواعق المرسلة» (ج٣)، لابن القيم.
- ٩ - «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (ج٣)، لعبد الرحمن بن صالح المحمود.

التعريف شرعاً:

التسبيح هو تنزيه الله تعالى عن كل نقص وعيب، وتعظيمه وإجلاله.

قال ابن تيمية: «(سبحان الله) يتضمن مع نفي صفات النقص عنه، إثبات ما يلزم ذلك من عظمته، فكأن التسبيح تعظيم له مع تبرئته من السوء»^(٣).

وقال ابن القيم: «ومعنى هذه الكلمة: تنزيه الرب تعالى وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق به»^(٤).

الحكم:

التسبيح - الذي هو تعظيم الله بنفي جميع النقائص وإثبات جميع الكمالات اعتقاداً - أوجب الواجبات، سواء كان ذلك في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته، أو في خلقه وأمره^(٥)، وأما

التسبيح

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «السين والباء والحاء أصلان؛ أحدهما: جنس العبادة، والآخر: جنس من السعي. فالأول: السُّبْحَة: وهي الصلاة، ويختص بذلك ما كان نفلاً غير فرض... ومن الباب: التسبيح... والتنزيه: التباعد»^(١).

التسبيح: التنزيه، والتنزيه: التباعد، والعرب تقول: سبحان من كذا؛ أي: ما أبعد، ومنه تنزيه الله من السوء: تبعيده منه، وتسبيحه تبعيده، من قولك: سبحت

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٤/١٩٦) [دار إحياء التراث العربي]، ومقاييس اللغة (٣/١٢٥) [دار الجيل]، ولسان العرب (٢/٤٧١) [دار صادر].

(٣) درء التعارض (٦/١٧٧) [جامعة الإمام، ط٢].

(٤) حادي الأرواح (٤١٧) [مطبعة المدني، القاهرة].

(٥) انظر: جامع الرسائل لشيخ الإسلام (١/١٣٠) [دار العطاء، الرياض، ط١]، ومنهاج السنة (٢/٥٢٢) [جامعة الإمام، ط١]، وجلاء العينين (٤١٢) [مطبعة المدني، ط١]، والتوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين - ضمن مجموع فتاوى السعدي - =

(١) مقاييس اللغة (٣/١٢٥) [دار الجيل].

ومن السنّة: قول ابن عمر رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ يسبّح على الرحلة قبل أي وجه توجه، ويوتر عليها؛ غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة»^(٦).

ويطلق ويراد به: الذكر عمومًا، ففي الحديث: «رأيت رسول الله يعقد التسبيح»^(٧).

قال ابن تيمية: «ويراد بالتسبيح: جنس ذكر الله تعالى، يقال: فلان يُسبّح، إذا كان يذكر الله. ويدخل في ذلك التهليل والتحميد، ومنه سُميت السبّاحة للإصبع التي يشير بها، وإن كان يشير بها في التوحيد، ويراد بالتسبيح قول العبد: سبحان الله، وهذا أخصُّ به»^(٨).

ويطلق ويراد به: الاستثناء، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَّا أَقُلْ لَكُمْ أَنْ لَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم]. قال ابن جرير رحمته الله: «يقول: هلا تستثنون إذ قلتم: لنصرمتها مصبحين، فتقولوا إن

التسبيح قولًا فعند الجمهور مستحب في الصلاة وغيرها، وأوجب بعض السلف التسبيح قولًا في الصلاة»^(٩).

❁ الحقيقة:

حقيقة التسبيح تعظيم الله ﷻ بنفي النقائص، وإثبات الكمالات، ويطلق التسبيح ويراد به التعظيم لله، فقد جاء عن علي رضي الله عنه: «أنه سئل عن التسبيح فقال: «تعظيم جلال الله»»^(١٠).

قال ابن القيم رحمته الله: «ومعنى هذه الكلمة: تنزيه الرب تعالى وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق به»^(١١).

ويطلق ويراد به الصلاة: قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كل تسبيح في القرآن فهو صلاة»^(١٢)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [١٢٠]. [طه]، فقد ورد أن المراد بالتسبيح هنا: الصلاة»^(١٣).

وتفسير البغوي (٢/٢٨٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣/٢٦٠) [دار الكتب العلمية، ط ٣].
(٦) أخرجه البخاري (كتاب تقصير الصلاة، رقم ١٠٩٨)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين، رقم ٧٠٠).
(٧) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥٠٢)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٤١١) وحسنه، والنسائي (كتاب السهو، رقم ١٣٥٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥/٢٣٧) [مؤسسة غراس، ط ١].
(٨) جامع المسائل لابن تيمية (٣/٢٩٢) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٢هـ].

= (٦/٤٣٢)، والحق الواضح المبين ضمن مجموع فتاوى السعدي (٦/٥٠٨) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر].
(١) انظر: شرح السنّة للبغوي (٣/١٠٣) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١].
(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء (٥٠٠) [دار الكتب العلمية، ط ١].
(٣) حادي الأرواح (٤١٧).
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/١٩١) [مؤسسة الرسالة، ط ١].
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٦/٢٠٩) [دار هجر]،

عيد الله ﷻ، قال: سألت رسول الله ﷺ عن تفسير سبحان الله، فقال: «هو تنزيه الله من كل سوء»^(٣).

وأما لفظ: (سبحان الله) فقد ورد في أحاديث كثيرة؛ منها: قوله ﷺ: «سبحان الله! إنَّ المسلم لا ينجس»^(٤)، وقوله ﷺ: «سبحان الله! ماذا أنزل الليلة من الفتنة، ماذا أنزل من الخزائن، من يوقظ صواحِب الحجرات؟ يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة»^(٥).

ومما ورد في فضائلها: قوله ﷺ: «من تعار من الليل، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللَّهُمَّ اغفر لي، أو دعا، استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته»^(٦)، وقوله ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرة، حُطَّت

شاء الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»^(١).

المنزلة:

منزلة التسبيح في الشرع عظيمة؛ لما لها من تعلق بتوحيد الأسماء والصفات، وتنزيه الله تعالى عن صفات النقص، وتبرئته ﷻ عما لا يليق به في شرعه وخلقه وأمره^(٢).

الأدلة:

جاءت كلمة التسبيح في القرآن في آيات كثيرة؛ منها: قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْأَطْيَارُ صَفَّتْ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

وقد ورد في السُّنَّة بيان معنى التسبيح، ومن ذلك: ما رواه طلحة بن

(١) تفسير الطبري (١٨٢/٢٣)، وانظر: تفسير ابن كثير (١٩٦/٨) [دار طيبة، ٢، عام ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢٣/١٦)، والحق الواضح المبين ضمن مجموع فتاوى السعدي (٥٠٨/٦)، وشرح العقيدة الواسطية لهراس (٧٦) [دار الهجرة، السعودية]، وشرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (٢١١) [دار الوطن، السعودية].

(٣) أخرجه البزار في مسنده (١٦٤/٣) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، الطبري في تفسيره (٣١/١٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم في المستدرک (كتاب الدعاء، رقم ١٨٤٨) وصححه، لكن تعقبه الذهبي بقوله: «بل لم يصح؛ فإن طلحة منكر الحديث... وحفص واهي الحديث»، فسنده الحديث ضعيف جدًا.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الغسل، رقم ٢٨٣)، ومسلم (كتاب الحيض، رقم ٣٧١).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٢٦).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٥٤).

خطاياهم، وإن كانت مثل زبد البحر»^(١).
السوء والنقائص المتضمن إثبات
المحاسن والكمال»^(٢).

✽ أقوال أهل العلم:

✽ الأقسام:
ينقسم تسبيح الله تعالى إلى قسمين
رئيسيين؛ هما: التنزيه، والتعظيم
والإجلال.

والتنزيه قسمان: تنزيهه عن المماثلة،
وتنزيهه عن النقص؛ فهو يجمع أمرين،
تنزيهه عن صفات النقص، وتنزيهه عن
مماثلة المخلوق في صفات الكمال»^(٧).

قال ابن تيمية: «فإنه كما يجب تنزيه
الرب عن كل نقص وعيب يجب تنزيهه
عن أن يماثله شيء من المخلوقات في
شيء من صفات الكمال الثابتة له وهذان
النوعان يجمعان التنزيه الواجب لله»^(٨).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تسبيح
المخلوقات:

ذكر الله سبحانه في كتابه تسبيح
المخلوقات في ثلاث عشرة آية، في
بعضها ذكر عموم تسبيح المخلوق، ومن
ذلك قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ
الْكَرِيمِ﴾ [الجمعة]، وفي آيات

(٦) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢٢٨/٥) [دار الكتب
العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٧) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (١٦٣).

(٨) مجموع الفتاوى (٣٢٥/١٧).

قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]: «تنزيه الله
نفسه عن كل سوء»^(٢). وقال معمر بن
المثنى: «سبحان الله: تنزيهه الله
وتبرئته»^(٣).

قال ابن جرير الطبري في تفسير قوله
تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٩٣]:
«يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا
محمد لهؤلاء المشركين من قومك،
القائلين لك هذه الأقوال: تنزيهاً لله عما
يصفونه به، وتعظيماً له من أن يؤتى به
وبملائكته، أو يكون لي سبيل إلى شيء
مما تسألوني»^(٤).

وقال ابن تيمية: «سبحان الله: يتضمن
مع نفي صفات النقص عنه، إثبات ما
يلزم ذلك من عظمته، فكان التسبيح
تعظيم، له مع تبرئته من سوء»^(٥).

وقال أيضاً: «إن التسبيح فيه نفي

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٤٠٥)،
ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،
رقم ٢٦٩١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٢٣/٤) [مكتبة
الباز، ط ٣]، والمحامي في أماليه (٣٨٢) [المكتبة
الإسلامية، ط ١]، والطبراني في الدعاء (٤٩٩) [دار
الكتب العلمية].

(٣) أخرجه الطبراني في الدعاء (٥٠٠).

(٤) تفسير الطبري (٨٧/١٥).

(٥) درة تعارض العقل والنقل (١٧٧/٦).

٢ - كثرة الثواب الذي لا يحصيه إلا الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه»^(٥).

٣ - الثقل في الميزان يوم القيامة، ومن ثقل ميزانه فقد أفلح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «كلمتان حبیبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»^(٦).

✽ مذهب المخالفين:

يخالف أهل الحق في مسألة تنزيه الله عما لا يليق به طوائف، ذكرها فيما يلي:

أولاً: تسبيح المشركين عبدة الأوثان؛ فإنهم تركوا توحيد الله في عبادته؛ تنزيهاً له وتعظيماً - في ظنهم - زاعمين أنه أجل من أن يقصد بالعبادة مباشرة، فعبدوا وسائط بينهم وبينه، قال شيخ الإسلام

ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٩١).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٩٢).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٦٣)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٩٤).

أخرى ورد ذكر تسبيح مخلوقات بعينها كالطير والرعد^(١). ولا يصح قصر تسبيحها على تسبيح الحال فقط؛ بل الصواب: أن ثم تسبيحاً آخر زائداً على ما فيها من الدلالة^(٢).

- المسألة الثانية: في المواضع التي يشرع فيها التسبيح:

يشرع التسبيح في الصلاة في سبعة مواضع؛ منها: في الافتتاح، والركوع والسجود، وعند قراءة آية فيها سجدة، وعندما ينبه المصلي لأمر نابه، وبديل قراءة الفاتحة لمن لا يعرفها، ودبر الصلوات، ويشرع التسبيح أيضاً عند الهبوط في الأماكن المنخفضة، وعند سماع الرعد، وعند التعجب، وعند النوم وغير ذلك من المواطن^(٣).

✽ الثمرات:

ثمرات التسبيح لا يمكن إحصاؤها؛ لكثرتها، ولكن نذكر هنا بعضها:

١ - غفران الذنوب وإن كانت في الكثرة مثل زبد البحر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر»^(٤).

(١) انظر: التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٣٣١) [دار المنهاج، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٠٥ - ٤٠٦).

(٣) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٥١٤ - ١١٠/٢).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٤٠٥)،

ووصف وفعل، وهو عند المعتزلة: نفي الصفات اللائقة بالله ﷻ، وعند الكلائية: نفي الصفات الاختيارية، وعند الأشاعرة: نفي الصفات الخيرية^(٤).

رابعاً: تسبيح القدريّة؛ فإن التسبيح عندهم هو نفي قدر الله عن أفعال عباده، ويريدون بذلك - في زعمهم - تنزيهه عن إضافة الشر إليه، وعن الظلم والعيب، وعن مشيئة القبائح وخلقها^(٥)، قال شيخ الإسلام: «فالقدرية من المعتزلة وغيرهم قصدوا تعظيم الرب وتنزيهه عما ظنوه قبيحاً من الأفعال وظلماً؛ فأنكروا عموم قدرته ومشيئته ولم يجعلوه خالقاً»^(٦)، وقال ابن القيم: «وكذلك فعل الذين نفوا القدر السابق تنزيهاً لله عن مشيئة القبائح وخلقها، ونسبوه إلى أن يكون في ملكه ما لا يشاء، ويشاء ما لا يكون، ولا يقدر على أن يهدي ضالاً، ولا يضل مهتدياً، ولا يقلب قلب العاصي إلى الطاعة ولا المطيع إلى المعصية»^(٧).

في معرض ذكره لبعض العقائد المخالفة: «وكقول عبدة الأوثان: هو أجل من أن نعبد: بل نعبد الوسائط: وهو أجل من أن يبعث بشراً رسولاً، فجحداً توحيداً ورسالة على وجه التعظيم له»^(١).

ثانياً: تسبيح الممثلة؛ فالتسبيح عندهم تشبيه الخالق بالمخلوق، وادّعوا أنهم بذلك ينزهون الله تعالى ويجرون صفاته على ظاهرها^(٢)، والحقيقة أن تمثيل صفات الله بصفات خلقه يستلزم النقص للخالق، ويقتضي بطلان العبودية الحقّة لله تعالى، قال ابن عثيمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «القول بالمماثلة بين الخالق والمخلوق يستلزم نقص الخالق سبحانه؛ لأن تمثيل الكامل بالناقص يجعله ناقصاً... القول بمماثلة الخالق للمخلوق يقتضي بطلان العبودية الحق؛ لأنه لا يخضع عاقل لأحد ويذل له على وجه التعظيم المطلق إلا أن يكون أعلى منه»^(٣).

ثالثاً: تسبيح المعطلة؛ فإن المعطلة في نفهم لما يجب إثباته لله ﷻ - على تنوع طوائفهم - يتفقون أن ذلك من باب تسبيح الله تعالى وتنزيهه، فالتنزيه عند الجهمية: أن ينزه العبد ربه عن كل اسم

(١) جامع الرسائل لابن تيمية (١/١٠٧).

(٢) انظر: الفتاوى الحموية لابن تيمية (٥٤١) [دار الصميعي، ٢، ١٤٢٥هـ].

(٣) تقريب التدمرية (٢٣) [دار ابن الجوزي، ١].

(٤) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/٣٥٣)، وبغية المراتد لابن تيمية (٤٢٥) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، وبيان تلبيس الجهمية (١/٤٣٠) (٥/٨٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١]، ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي (٤٨) [الدار السلفية، الكويت، ط١].

(٥) التسبيح في الكتاب والسنة (٤٨٠).

(٦) مجموع الفتاوى (١٧/٩٩).

(٧) الصواعق المرسلّة (١/٢٣٥) [دار العاصمة، ط١، ١٤٠٣هـ].

المصادر والمراجع:

- ١ - «التسبيح في الكتاب والسنة»، لمحمد كندو.
- ٢ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٦، ١٧)، لابن تيمية.
- ٣ - «شرح العقيدة السفارينية»، لابن عثيمين.
- ٤ - «الصواعق المرسله» (ج ١)، لابن القيم.
- ٥ - «جامع المسائل» (ج ٣)، لابن تيمية.
- ٦ - «حادي الأرواح»، لابن القيم.
- ٧ - «الفتاوى الكبرى» (ج ٦)، لابن تيمية.
- ٨ - «بغية المرتاد»، لابن تيمية.
- ٩ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ١)، لابن تيمية.
- ١٠ - «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات»، لمحمد الأمين الشنقيطي.
- ١١ - «شرح السنة»، للبغوي.

التسلسل

التعريف لغة:

التسلسل: مصدر للفعل: تسلسل، يقول الجوهرى: «وتسلسل الماء في الحلق جرى، وسَلَسَلْتُه أنا صببته فيه، وماء سَلَسَلٌ وسَلَسَالٌ: سهل الدخول في الحلق لعدوخته وصفائه... ويقال معنى

يتسلسل؛ أنه إذا جرى أو ضربته الريح يصير كالسلسلة»^(١). وقال ابن فارس: «قال بعض أهل اللغة: السلسلة: اتصال الشيء بالشيء، وبذلك سميت سلسلة الحديد»^(٢). فالسلسلة سميت بذلك؛ لأنها ممتدة في اتصال^(٣). ويظهر مما سبق أن معنى التسلسل في اللغة هو التابع والاتصال والامتداد.

التعريف اصطلاحاً:

التسلسل من الألفاظ المجملة، التي أحدثها المتكلمون، ويراد به عند الإطلاق: «ترتيب أمور غير متناهية»^(٤). ويتضح تعريفه ببيان أقسامه.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحى:

علاقة المعنى اللغوي بالاصطلاحى

- (١) الصحاح (١٧٣١/٥ - ١٧٣٢) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ]، وانظر: العين (١٩٣/٧) [مكتبة الهلال]، ومقاييس اللغة (٦٠/٣) [دار الجيل، ط ١].
- (٢) مقاييس اللغة (٦٠/٣)، وانظر: الصحاح (١٧٣٢/٥)، لسان العرب (٣٤٣/١١ - ٣٤٤) [دار صادر].
- (٣) انظر: مقاييس اللغة (٦٠/٣)، ولسان العرب (١١/٣٤٥).
- (٤) التعريفات للجرجاني (٨٤) [عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٧هـ]، وانظر: العين والأثر لعبد الباقي الحنبلي (٥١) [دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٧هـ]، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوى (١٧٥) [دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤١٠هـ]، موسوعة مصطلحات جامع العلوم لأحمد نكري (٢٤٧) [مكتبة لبنان ناشرون، ط ١، ١٩٩٧م]، وتوضيح المقاصد لابن عيسى (٣٧٠/١) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٦هـ].

وهذا هو التسلسل الممتنع .

٢ - التسلسل في المفعولات، والآثار المتعاقبة، «بأن يكون الحادث الثاني موقوفاً على حادث قبله، وذلك الحادث موقوف على حادث قبل ذلك، وهلم جرّاً»^(٣). وهو التسلسل في الحوادث، وقد وقع فيه خلاف، والناس فيه على ثلاثة أقوال:

الأول: قيل يجوز مطلقاً، وهذا قول أئمة السُّنَّة، وأساطين الفلاسفة، لكن المسلمين، وسائر أهل الملل، وجمهور العقلاء من جميع الطوائف يقولون أن كل ما سوى الله مخلوق حادث بعد أن لم يكن، في حين قالت الفلاسفة بقدوم العالم.

الثاني: أنه لا يجوز لا في الماضي ولا في المستقبل. وهو قول الجهم بن صفوان، وأبي الهذيل العلاف.

الثالث: أنه يجوز في المستقبل دون الماضي، وهو قول كثير من أهل الكلام ومن وافقهم^(٤).

(٢٨٣) (٢٢٨/٩) [مكتبة ابن تيمية]، والصفدية (١/ ٤٩ - ٥٣) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وبدائع الفوائد (١٢٧/٤) [مكتبة الرياض الحديثة]، وشرح الطحاوية (١٠٦/١ - ١٠٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٣) درء التعارض (٣٢١/١).

(٤) انظر: منهج السُّنَّة (٤٣٧/١ - ٤٣٨) (٣٩٣/٢) [مؤسسة قرطبة، ط ١]، ودرء التعارض (٣٢١/١ - ٣٢٢)، والصفدية (١٠/١ - ١١)، وشرح الطحاوية (١٠٥/١).

واضحة فالتسلسل مأخوذ من السَّلسلة وهي اتصال الشيء بالشيء، والسَّلسلة «وهي قابلة لزيادة الحلق إلى ما لا نهاية له، فالمناسبة بينهما عدم التناهي بين طرفيهما، ففي السلسلة مبتدؤها ومنتهاهما، وأما في التسلسل فطرفاه هما الزمن الماضي والمستقبل»^(١).

❁ الأسماء الأخرى:

حوادث لا أول لها، ودوام أفعال الله ﷻ.

❁ الأقسام:

ينقسم التسلسل إلى ثلاثة أنواع، تفصيلها فيما يلي:

١ - التسلسل في المؤثرات، والفاعلين، والعلل، بأن يكون للفاعل فاعل، وللفاعل فاعل، إلى ما لا نهاية له، وهذا باطل بصريح العقل واتفاق العقلاء.

ومنه: التسلسل في تمام كون المؤثر مؤثراً؛ كأن يقال: الحادث لا بد له من سبب حادث، وذلك السبب لا بد له من سبب حادث، وهذا باطل بصريح العقل أيضاً. ومنه: التسلسل الذي في معنى الدور، مثل أن يقال: لا يحدث حادث أصلاً حتى يحدث حادث، وهذا أيضاً باطل بضرورة العقل واتفاق العقلاء^(٢).

(١) القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف للبريكاني (٢٠٨) [دار الهجرة، ط ١، ١٤١٤هـ].

(٢) انظر: درء التعارض (٣٢١/١ - ٣٢٢) (٢٨٢/٢).

الإمكان الذاتي، وهذا قول المعتزلة والجهمية ومن وافقهم من الشيعة، وهو قول الكرامية وأئمة الشيعة كالهاشمية وغيرهم. وحزب قالوا: صار الفعل ممكنًا بعد أن كان ممتنعًا منه، وهو قول ابن كلاب والأشعري ومن وافقهما^(٤).

القول الثاني: أن الحوادث لا أول لها. وهم من قال بتسلسل الحوادث في الماضي، وينقسمون إلى حزبين:

الأول: الفلاسفة الذين قالوا بقديم العالم.

والثاني: جماهير سلف الأمة الذين يقولون بأن العالم حادث.

- المسألة الثانية: القول بحدوث لا أول لها ودوام فاعلية الرب، لا يستلزم القول بقديم العالم:

يوضح شيخ الإسلام هذه المسألة بقوله: «فيقال لأرسطو وأتباعه ممن رأى دوام الفاعلية ولوازمها: العقل الصريح لا يدل على قدم شيء بعينه من العالم، لا فلك ولا غيره؛ وإنما يدل على أن الرب لم يزل فاعلاً. وحينئذ فإذا قدر أنه لم يزل يخلق شيئاً بعد شيء كان كل ما سواه مخلوقاً محدثاً مسبوقاً بالعدم، ولم يكن من العالم شيء قديم، وهذا التقدير ليس معكم ما يبطله فلماذا تنفونه؟»^(٥).

(٤) انظر: منهاج السُّنة (١/١٥٦).

(٥) مجموع الفتاوى (٥/٥٦٣).

وهذا النوع هو التسلسل الممكن^(١)؛ لأنه ممكن وجائز الوقوع وليس بواجب.

٣ - تسلسل أفعال الرب في الأزل والأبد، وقد دلَّ العقل والشرع على دوام أفعال الرب ﷻ، وأن ربنا لم يكن قط في وقت من الأوقات معطلاً عن كماله من الكلام والإرادة والفعل^(٢). وهذا هو التسلسل الواجب^(٣). وسيأتي بيان المخالفين فيه.

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: مسألة حوادث لا أول لها:

تتعلق هذه المسألة بمصطلح التسلسل، والخلاف هنا مبني على الأقوال في تسلسل الحوادث، وفي ذلك قولان:

القول الأول: أن الحوادث لها أول، حيث إن من منع تسلسل المخلوقات في الماضي، يمنع وجود حوادث لا أول لها، وأصل هذا القول من الجهمية، وتبعهم الكلابية، والأشعرية، والكرامية، في القول بأن للحوادث أول. وهؤلاء حزبان: حزب قالوا: إنه صار قادراً على الفعل بعد أن لم يكن قادراً عليه؛ لكون الفعل صار ممكنًا بعد أن كان ممتنعًا، وأنه انقلب من الامتناع الذاتي إلى

(١) انظر: شرح الطحاوية (١/١٠٧).

(٢) انظر: شفاء العليل (١٥٦) [مكتبة الرياض الحديثة،

ط، ١٣٢٣هـ]، شرح الطحاوية (١/١٠٧).

(٣) شرح الطحاوية (١/١٠٧).

وقال ﷺ: «فقد تبين أن مع القول بجواز حوادث لا أول لها؛ بل مع القول بوجود ذلك، يمتنع قدم العالم أو شيء من العالم، وظهر الفرق بين دوام الواجب بنفسه القديم الذي لا يحتاج إلى شيء، وبين دوام فعله أو مفعوله وقدم ذلك، فإن الأول سبحانه هو قديم بنفسه واجب غني، وأما فعله فهو شيء بعد شيء، فإذا قيل هو قديم النوع وأعيانها حادثة، لزم حدوث كل ما سواه، وامتناع قدم شيء معه، وأنه يمتنع أن يكون شيء من مفعولاته قديماً»^(١).

- المسألة الرابعة: أول المخلوقات:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب، وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»^(٢).

اختلف العلماء: هل القلم أول المخلوقات، أو العرش؟ على قولين، **أصحهما**: أن العرش قبل القلم، لما ثبت في الصحيح؛ أن رسول الله ﷺ قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»^(٣). فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، بحديث عبادة هذا. ولا يخلو قوله: «أول ما خلق الله القلم...»، إما أن يكون جملة أو جملتين. فإن كان جملة

- المسألة الثالثة: الله ﷻ موصوف بصفات الكمال:

مذهب أهل السنة والجماعة أن الرب موصوف بصفات الكمال أزلاً وأبداً، وأنه يفعل بمشيئته وإرادته، وأن أفعاله قائمة بذاته، يقول شيخ الإسلام: «وأما قيام الأفعال الاختيارية، وقيام الصفات بالله تعالى، فهو قول سلف الأمة وأئمتها الذين نقلوه عن الرسول ﷺ، وهو القول الذي جاء به التوراة والإنجيل، وهو القول الذي يدل عليه صريح المعقول مطابقاً لصحيح المنقول، وحينئذ فنعلم بالعقل الصريح أن العالم حادث كما أخبر به الرسل، مع أن الرب لم يزل ولا يزال متصفاً بصفات الكمال، لم

(٢) المصدر السابق (١/ ١٣٠).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، رقم ٤٧٠٠)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣١٩) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٧٨/٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٠١٨).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٣).

(١) الصنفية (٢/ ٥٠ - ٥١).

موضع، وفي «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ أنه قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»^(٣). فأخبر ﷺ أن تقدير هذا العالم المخلوق في ستة أيام كان قبل خلق السماوات بخمسين ألف سنة، وأن عرش الرب ﷻ كان حينئذ على الماء.

ودليل صحة هذا القول من وجوه:

أحدها: أن قول أهل اليمن: «جنناك لنسألك عن أول هذا الأمر»، هو إشارة إلى حاضر مشهود موجود، والأمر هنا بمعنى المأمور؛ أي: الذي كونه الله بأمره. وقد أجابهم النبي ﷺ عن بدء هذا العالم الموجود، لا عن جنس المخلوقات؛ لأنهم لم يسألوه عنه، وقد أخبرهم عن خلق السماوات والأرض حال كون عرشه على الماء، ولم يخبرهم عن خلق العرش، وهو مخلوق قبل خلق السماوات والأرض^(٤).

❁ مذهب المخالفين:

١ - منع المتكلمون تسلسل المفعولات في الأزل، وقالوا باستحالتها، وقد اعتقدوا أن القول بجوازه يفضي إلى

- وهو الصحيح - كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: اكتب. كما في اللفظ: «أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب» بنصب (أول) و(القلم).

وإن كان جملتين، وهو مروى برفع (أول) و(القلم)، فيتعين حملة على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، فيتفق الحديثان^(١).

- المسألة الخامسة: حديث: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: «اقبلوا البشري يا بني تميم، قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن، فقال: اقبلوا البشري يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قبلنا، جنناك لتنفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان، قال: كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء»^(٢)، والصحيح في معنى هذا الحديث أن المراد إخباره عن مبدأ خلق هذا العالم المشهود، الذي خلقه الله في ستة أيام ثم استوى على العرش، كما أخبر القرآن بذلك في غير

(١) انظر: الصنفية (٧٩/٢ - ٨٢)، بغية المراتد

(٢٨٥)، وشرح الطحاوية (٣٤٥/٢).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، ٧٤١٨).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر باقي الوجوه في: مجموع الفتاوى (٢١٠/١٨ -

٢٤٣)، وشرح الطحاوية (١١٣/١).

منها^(٢). فليس مع الله شيء من مفعولاته قديم معه؛ بل هو خالق كل شيء، وكل ما سواه مخلوق محدث.

ثانيًا: يقال للفلاسفة: هب أن الحوادث لم تزل تحدث شيئًا بعد شيء، فمن أين لكم أن الأفلاك قديمة؟ وهلا جاز أن تكون حادثة بعد حوادث قبلها؟ بل يقال: هذا يبطل قولكم، فإنها إذا كانت متسلسلة، امتنع أن تكون صادرة عن علة تامة موجبة، فإن العلة التامة لا يتأخر عنها شيء من معلولها، والحوادث متأخرة، فيمتنع صدورها عن علة تامة^(٣).

ثالثًا: التسلسل الواجب: جمهور أهل السنة يقولون: لم يزل الله خالقًا فاعلاً، وأنه إذا عرضنا على صريح العقل من يقدر على الأفعال المتعاقبة الدائمة، ويفعلها دائمة متعاقبة، ومن لا يقدر على الدائمة المتعاقبة، كان الأول أكمل^(٤).

أما المتكلمون من المعتزلة والأشاعرة فينفون أن تقوم صفات الأفعال بالله؛ لتعلقها بقدرته ومشيئته، وهي التي يطلقون عليها نفي حلول الحوادث، كما ينفون تسلسلها، وهذا باطل، فقولهم: إن الرب في الأزل لم يكن قادرًا ثم صار قادرًا، ونحوه، ليس بصحيح؛ بل

القول بقدوم العالم. وقد اعترض عليهم في قولهم بجواز دوام الحوادث في المستقبل دون الماضي، بأنه لا دليل لهم على التفريق بينهما^(١).

وأما الفلاسفة فقالوا بجواز تسلسل المفعولات؛ بل قال بعضهم إن ذلك واجب؛ وأخذوا من ذلك دليلًا للقول بقدوم العالم، ولم يفرقوا بين الآحاد والنوع.

وكلا القولين باطل، وقد ردَّ عليهم أهل السنة وبينوا أن ذلك لا يعني القول بقدوم العالم، فكل ما سوى الله سبحانه مخلوق حادث بعد أن لم يكن، وإن تسلسل في الأزل والأبد.

❁ ومن هذه الردود:

أولًا: أن هؤلاء المتكلمين، والدهرية من الفلاسفة، اشتركوا في أصل فاسد تفرعت عنه مقالاتهم؛ وهو أن تسلسل الحوادث، ودوامها، يستلزم قدم العالم، وهذا باطل؛ فإن تسلسل الحوادث ودوامها لا يقتضي قدم أعيان شيء

(١) انظر: درء التعارض (٣٥٨/٢ - ٣٩٥) (١٨٦/٩)، وانظر رأي المتكلمين في: المطالب العالية للرازي (١٤١/١ - ١٥٧) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٧هـ]، والمباحث المشرقية له (٥٩٦/١ - ٦٠٢) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٢) انظر: درء التعارض (١٤٧/٩ - ١٤٨)، ومجموعة الرسائل (٣٥٧/٥ - ٣٦١) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وشفاء العليل (١٥٦)، وشرح الطحاوية (١) (١٠٣ - ١٠٨).

(٣) انظر: درء التعارض (١٤٨/٩).

(٤) انظر: درء التعارض (٢٦٨/٢، ٢٢٠).

هذا فيه سلب صفة الكمال من الرب، وإثبات التغير بلا سبب يقتضيه، وذلك مخالفة لصريح المعقول والمنقول^(١).

والذي دفع المتكلمين إلى هذا القول؛ هو خشيتهم أن يفسد عليهم دليل حدوث العالم، فيقال لهم: إن قدم أفعال الرب لا تستلزم قدم شيء من مفعولاته؛ بل هو خالق كل شيء، وكل ما سواه مخلوق له، محدث كائن بعد أن لم يكن. وأما جعل المفعول المعين مقارناً له أزلاً وأبداً، فهذا في الحقيقة تعطيل لخلقه وفعله، فإن كون الفاعل مقارناً لمفعوله أزلاً وأبداً، مخالف لصريح المعقول^(٢).

وأما الفلاسفة فإنهم ينفون عن الله كل صفة، ويثبتونه وجوداً مطلقاً، لا صفة له ولا فعل^(٣)، وقد أضافوا إلى ذلك قولهم بقديم العالم، وهؤلاء هم أتباع أرسطو، وأما أساطين الفلاسفة قبل أرسطو فلم يحفظ عنهم القول بقديم العالم، والمنقول عنهم هو حدوث الأفلاك، ونُقل عن بعض أئمتهم القول بإثبات الصفات لله، وبإثبات الأمور الاختيارية القائمة بذاته، وهذا قول من يقرب منهم إلى صريح

(١) انظر: درء التعارض (١٨٥/٩).

(٢) انظر: مجموعة الرسائل (٣٦٢/٥)، وشفاء العليل (١٥٦).

(٣) انظر: النجاة لابن سينا (١٠٨/٢) [دار الجيل، ط ١، ١٤١٢هـ]. وانظر من كتب أهل السُنَّة: بيان تلبس الجهمية (٤٦٥/١) [مؤسسة قرطبة].

المعقول، وصحيح المنقول^(٤).

أما قول المتكلمين بامتناع حوادث لا نهاية لأولها فمما يبطله - إضافة إلى ما سبق - أن نقول: إن الحادث إذا حدث بعد أن لم يكن محدثاً فلا بد أن يكون ممكناً، والإمكان ليس له وقت محدود، وما من وقت يقدر إلا والإمكان ثابت فيه، فليس لإمكان الفعل مبدأ ينتهي إليه، فيجب أنه لم يزل الفعل ممكناً جائزاً صحيحاً، فيلزم أنه لم يزل الرب قادراً عليه، فيلزم جواز حوادث لا نهاية لأولها^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «بدائع الفوائد» (ج ٤)، لابن القيم.
- ٢ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٢، ٨، ٩)، لابن تيمية.
- ٣ - «شرح الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز الحنفي.
- ٤ - «الصفدية» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٥ - «قدم العالم وتسلسل الحوادث بين شيخ الإسلام ابن تيمية والفلاسفة»، لكاملة الكواري.
- ٦ - «القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف»، لإبراهيم البريكان.
- ٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٨، ١٢)، لابن تيمية.

(٤) انظر: درء التعارض (٢٨٦/٨).

(٥) انظر: شرح الطحاوية (١٠٣/١).

- ٨ - «منهاج السنّة» (ج ١)، لابن تيمية .
 ٩ - «المباحث المشرقية» (ج ١)،
 للرازي .
 ١٠ - «المطالب العالية من العلم
 الإلهي» (ج ١)، للرازي .

التسمي بقاضي القضاة

الأسماء الأخرى:

- ١ - أفضى القضاة .
 ٢ - موبذ الموبذان: وهذا لفظ
 فارسي، وهو بمعنى: قاضي القضاة،
 قال ابن رجب الحنبلي: «كان المجوس
 يسمون قاضيهم: موبذ موبذان، يَعبُون
 بذلك: قاضي القضاة»^(٤) .
 ٣ - قاضي الجماعة .

التعريف لغة:

مصطلح قاضي القضاة مركب من
 كلمتين؛ هما: (القاضي) و(القضاة)،
 وكلاهما مشتق من القضاء؛ وهو الحكم
 والقطع والفضل، يقال: قَضَى يَقْضِي
 قَضَاءً فهو قاضٍ؛ إذا حَكَمَ وفَصَلَ وقطع
 في الأمر^(١) .

التعريف اصطلاحًا:

قاضي القضاة: هو رئيس القضاة الذي
 يتصرف في القضاء تقليدًا وعزلًا^(٢) .

وقيل: هو الذي وصل إلى مرتبة في
 القضاء أو في العلم أعلى من درجة
 القاضي، فصار قاضي القضاة^(٣) .

سبب التسمية:

الذين أطلقوا هذه التسمية لا يعنون

الحكم:

اختلف العلماء في حكم التسمي
 بقاضي القضاة، وهل يلحق بلقب ملك
 الأملاك، على قولين:

القول الأول: أن التسمي بقاضي

القضاة لا يجوز؛ لأن ذلك من الألفاظ
 المطلقة في التعظيم التي لا تليق
 بالمخلوق، وإنما تليق بالخالق ﷻ،

(١) انظر: لسان العرب (١٨٦/١٥) [دار صادر، ط ٣،
 ١٤١٤هـ]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٤/
 ٧٨) [المكتبة العلمية، ط ١٣٩٩هـ] .

(٢) انظر: درر الحكام في شرح مجلة الأحكام (٤/
 ٦١٠) [دار الجبل، ط ١، ١٤١١هـ] .

(٤) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣٤/١) [دار
 الكتب، ط ١، ١٤١٧هـ] .

(٣) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٧٢) [دار
 التوحيد، ط ١، ١٤٢٤هـ] .

العلماء الذين تولوا القضاء في أزمان متفاوتة؛ كأبي يوسف، صاحب أبي حنيفة، والماوردي - رغم إنكاره على من تسمى بملك الملوك من ملوك عصره -، وابن حجر العسقلاني، والعيني.

والقول الأول هو الراجح - والله أعلم - قياساً على لقب ملك الأملاك؛ لأن العلة واحدة، وقد رجحه جمع من العلماء كما تقدم (٢).

❁ الحقيقة:

١ - حقيقة معنى هذا الاسم:

قاضي القضاة: قاضي بمعنى: حاكم، والقضاة؛ أي: الحكام، و(أل) للعموم. والمعنى: التسمي بحاكم الحُكَم ونحوه، مثل ملك الأملاك، وسلطان السلاطين وما أشبه ذلك، مما يدل على النفوذ والسلطان الشامل أو المطلق. وهذا الوصف يليق بالله ﷻ خاص به، فهو الذي يقضي بين العباد، بين القضاة وبين العبيد، فهو قاضي القضاة على الحقيقة ﷻ وإنما نُهي عنه؛ لأن قاضي القضاة بهذا المعنى الشامل العام لا يليق بالمخلوق، وإنما لا يصلح إلا لله ﷻ، فمن تسمى بذلك فقد جعل نفسه شريكاً لله ﷻ فيما لا يستحقه

وقد ورد النهي عن إطلاق مثل هذه الألفاظ على غير الله، كما جاء ذلك مصرحاً به في لقب ملك الأملاك، في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُخْنِع اسم عند الله ﷻ رجل تسمى مَلِك الأملاك؛ لا مَالِك إلا الله» (١)؛ فإذا نُهي عن لقب (ملك الأملاك) فإن لقب (قاضي القضاة) يأخذ الحكم نفسه؛ لأنَّ العلة في اللقبين واحدة، وهي التعظيم الزائد في حق المخلوق. وهذا القول قد قال به كثير من العلماء، منهم: القاضي ابن جماعة، وابن أبي جمرة، وابن القيم، وعلم الدين العراقي، وزين الدين المليباري الشافعي، وغيرهم.

القول الثاني: أن التسمي بلقب قاضي القضاة جائز، لعدم ورود النص في ذلك، والأصل هو الجواز، وقد أطبق على ذلك اللقب قضاة المسلمين منذ زمن أبي يوسف، صاحب أبي حنيفة، ولم ينكر ذلك أحد من العلماء رغم كثرة ذلك وشهرته فيما بينهم. وقد قال بذلك أبو عبد الله الصيمري الشافعي، وأبو الطيب الطبري وأبو محمد التميمي الحنبلي، وذلك حينما استفتي الفقهاء والقضاة في حادثة وقعت في عصرهم سنة (٤٢٩هـ)، كما سُمي بذلك كثير من

(٢) انظر: زاد المعاد (٣١٠/٢، ٤٢٨) مؤسسة الرسالة، ط ٧، ١٤٠٥هـ، وفتح الباري لابن حجر (١٠/٥٩٠)، وفتح المجيد (٥٠٣)، وإعانة المستفيد (٢/٢٥١) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٢هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٢٠٥)، ومسلم (كتاب الأدب، رقم ٢١٤٣) واللفظ له.

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ [الملك].

ومن السنة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُخْنِعَ اسْمُ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكُ الْأَمْلاكِ لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ»، وفي لفظ عنه رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أَغِيظُ رَجُلٌ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأُخْبِثُهُ وَأَغِيظُهُ عَلَيْهِ، رَجُلٌ كَانَ يُسَمَّى مَلِكُ الْأَمْلاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن رجب: «وكان شيخنا أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكتاني الشافعي - قاضي الديار المصرية، وابن قاضيها - يمنع الناس أن يخاطبوه بقاضي القضاة، أو يكتبون له ذلك، وأمرهم أن يبدلوا ذلك بقاضي المسلمين، وقال: إِنَّ هَذَا اللَّفْظَ مَأْثُورٌ عَنِ عَلِيِّ رضي الله عنه»^(٤).

قوال ابن القيم - في معرض كلامه على لقب ملك الملوك -: «فإن ذلك ليس لأحد غير الله؛ فتسمية غيره بهذا من أبطل الباطل، والله لا يحب الباطل، وقد ألحق بعض أهل العلم بهذا قاضي القضاة، وقال: ليس قاضي القضاة إلا من يقضي الحق وهو خير الفاصلين الذي

إلا الله ﷻ؛ لأنه لا أحد يستحق أن يكون قاضي القضاة أو حاكم الحكام أو ملك الأملاك إلا الله ﷻ، فهو القاضي فوق كل قاضٍ، وإليه يرجع الحكم كله^(١).

٢ - بداية إطلاق لقب قاضي القضاة:

يذكر المؤرخون أن أول من لقب بهذا اللقب من القضاة هو القاضي أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم الكوفي، وذلك في منتصف القرن الثاني، وقد كان أبو يوسف ولي القضاء ببغداد لموسى الهادي والمهدي والرشيد. وقد اشتهر هذا اللقب بعد ذلك وشاع بين قضاة الأقاليم الإسلامية في بلاد المشرق دون أهل المغرب^(٢).

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُزِيلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٢٤٩) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٠/١٨٧) [دار هجر، ط١، ١٤١٧هـ].

(٣) أخرجه بهذا اللفظ: مسلم (كتاب الآداب، رقم ٢١٤٣)، وأما اللفظ الأول فقد تقدم تخريجه قريباً.

(٤) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣/٦٩).

قال ابن القيم رحمته الله: «ولما كان المُلْك الحق لله وحده ولا مَلِك على الحقيقة سواه، كان أخنع اسم وأوقعه عند الله وأغضبه له اسم (شاهان شاه)؛ أي: ملك الملوك وسلطان السلاطين، فإن ذلك ليس لأحد غير الله، فتسمية غيره بهذا من أبطل الباطل، والله لا يحب الباطل، وقد ألحق بعض أهل العلم بهذا: قاضي القضاة، وقال: ليس قاضي القضاة إلا من يقضي الحق وهو خير الفاصلين، الذي إذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن فيكون. ويلى هذا الاسم في الكراهة والقبح والكذب: سيد الناس وسيد الكل، وليس ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة كما قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر». فلا يجوز لأحد أن يقول عن غيره: إنه سيد الناس وسيد الكل، كما لا يجوز أن يقول: إنه سيد ولد آدم» ^(٤).

وقال ابن رجب رحمته الله: «إن التلقب بملك الملوك إنما كان من شعائر ملوك الفرس من الأعاجم المجوس ونحوهم، وكذلك كان المجوس يسمون قاضيهم: (موبد موبدان)، يعنون بذلك: قاضي القضاة، فالكلمتان من شعائرهم، ولا ينبغي التسمية بهما، والله أعلم» ^(٥).

إذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن فيكون» ^(١).

وقال ابن حجر: «التسمية بقاضي القضاة وجدت في العصر القديم من عهد أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، وقد منع الماوردي من جواز تلقب الملك الذي كان في عصره بملك الملوك، مع أن الماوردي كان يقال له: أقضى القضاة، وكأن وجه التفرقة بينهما: الوقوف مع الخبر، وظهور إرادة العهد الزماني» ^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم التسمي بملك الأملاك:

التسمي بملك الأملاك لا يجوز؛ لورود النهي عن ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك» ^(٣). ولأن ذلك من الألفاظ المطلقة في التعظيم والتي لا تليق إلا بالله تعالى. وهذا القول قد قال به كثير من العلماء منهم، القاضي الماوردي، وابن جماعة، وابن الجوزي، والقرطبي، والنووي، وابن حجر، وابن القيم وغيرهم.

(١) زاد المعاد (٢/ ٣١٠) [مؤسسة الرسالة، ط ٧].

(٢) فتح الباري (١٠/ ٥٩٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٢٠٥)،

ومسلم (كتاب الآداب، رقم ٢١٤٣).

(٤) زاد المعاد (٢/ ٣١١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢٧].

(٥) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٣٤) [دار الكتب، ط ١].

- المسألة الرابعة: حكم التسمي

بشاهان شاه:

شاهان شاه: وهو لفظ أعجمي،
معناه: ملك الأملاك، وقد كان الفرس
يلقبون به ملوكهم.

قال ابن حجر: «إن لفظ: شاهان
شاه، كان قد كثر التسمية به في ذلك
العصر، فنبه سفيان على أن الاسم الذي
ورد الخبر بزمه لا ينحصر في ملك
الأملاك؛ بل كل ما أدى معناه بأي لسان
كان فهو مراد بالذم»^(٥).

والصحيح: أنه لا يجوز التسمي به،
قال ابن القيم: «من المحرم التسمية
بملك الملوك وسلاطين السلاطين وشاهن
شاه»^(٦)، ثم استدل على ذلك بحديث
أبي هريرة رضي الله عنه.

❁ الفرق:

- الفرق بين قاضي القضاة وقاضي
الجماعة:

لا فرق بينهما في المنصب الذي
يشغله كل منهما، فكلما الاسمين يُطلق
على كبير القضاة، إلا أن قاضي القضاة
اشتهر التسمي به في أهل الشرق، وهي
تسمية محرمة كما تقدم بيانه، أما قاضي
الجماعة فقد اشتهر التسمي بها في بلاد
المغرب، وهذه التسمية (قاضي الجماعة)

وقال العيني رحمته الله: «وإنما كان (ملك
الأملاك) أبغض إلى الله وأكره إليه أن
يسمى به مخلوق؛ لأنه صفة الله تعالى،
ولا يليق بمخلوق صفات الله وأسماءه؛
لأن العباد لا يوصفون إلا بالذل
والخضوع والعبودية»^(١).

- المسألة الثانية: حكم التسمي
بأقضى القضاة:

لا يجوز التسمي بأقضى القضاة؛ لأنه
في معنى (أحكم الحاكمين)، وهذا لا
يكون إلا لله وحي^(٢).

قال العيني رحمته الله: «يمتنع أن يقال:
أقضى القضاة؛ لأن معناه: أحكم
الحاكمين، والله سبحانه هو أحكم
الحاكمين، وهذا أبلغ من: قاضي
القضاة»^(٣).

- المسألة الثالثة: حكم التسمي
برئيس القضاة:

يجوز التسمي برئيس القضاة؛ لأن
المراد به: من يرجع إليه في أمور القضاء
وتنظيماته ومُجرياتة^(٤).

(١) عمدة القاري (٢٢/٢١٥) [دار إحياء التراث العربي].
(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (٥٣٢) [المكتب
الإسلامي، ط ١، ١٤٢٣هـ]، وفتح الباري لابن حجر
(١٠/٥٩٠) [دار المعرفة، ط ١٣٧٩هـ]، وطرح
الثريب في شرح التقريب للعراقي (٨/١٥٢) [دار
إحياء التراث العربي]، وحاشية البجيرمي على
الخطيب (٤/٣٤٣) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٣) عمدة القاري (٢٢/٢١٥).

(٤) انظر: إعانة المستفيد (٢/١٨١) [مؤسسة الرسالة،
ط ١، ١٤١٢هـ].

(٥) فتح الباري (١٠/٥٩٠).

(٦) تحفة المودود (٨١) [دار الكتب العلمية، ط ١].

ذلك اللقب لا يصلح إلا لله تعالى دون غيره من الخلق.

قال ابن عثيمين: «إن من تسمي بهذا الاسم فقد جعل نفسه شريكاً لله؛ لأنه لا أحد يستحق أن يكون قاضي القضاة، أو حكم الحكام، أو ملك الأملاك إلا الله ﷻ، فالله هو القاضي فوق كل قاضٍ»^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.
- ٢ - «فتح الباري»، لابن حجر.
- ٣ - «تحفة المودود بأحكام المولود»، لابن القيم.
- ٤ - «زاد المعاد»، لابن القيم.
- ٥ - «ذيل طبقات الحنابلة»، لابن رجب.
- ٦ - «البداية والنهاية»، لابن كثير.
- ٧ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٨ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ٩ - «إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد»، للفوزان.
- ١٠ - «معجم المناهي اللفظية»، لبكر أبي زيد.

لا بأس بها؛ لأنه ليس فيها ما يقتضي التعظيم والتقدیس الذي لا يكون إلا لله تعالى، فهي كمن يتسمي بقاضي المسلمين ونحو ذلك^(١).

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: «يلتحق بملك الأملاك قاضي القضاة، وإن كان اشتهر في بلاد الشرق من قديم الزمان إطلاق ذلك على كبير القضاة، وقد سلم أهل المغرب من ذلك، فاسم كبير القضاة عندهم: قاضي الجماعة»^(٢).

الآثار:

١ - أن صاحب ذلك يكون وضیعاً عند الله تعالى؛ لقوله ﷻ: «إن أخنع اسم عند الله»، لا سيما إذا كان هو الذي سمى نفسه بذلك.

٢ - أن التسمي بذلك الاسم ونحوه قد يبعث على التكبر على عباد الله والتعظيم على الضعفاء، ولذلك كان أحب الأسماء إلى الله ما دلّ على التواضع والتذلل لله تعالى؛ كعبد الله وعبد الرحمن ونحوهما.

الحكمة:

الحكمة في النهي عن التسمي بقاضي القضاة وما في معناه ظاهرة في كون

(١) انظر: طرح التثريب (١٥١/٨)، وفتح الباري لابن حجر (٥٩١ - ٥٩٠/١٠).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٥٩٠/١٠ - ٥٩١).

(٣) القول المفيد (٣/٣) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٥هـ].

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

لما كان الشؤم في اللغة يطلق على الشرّ والمكروه، الذي هو ضدّ اليمن وهو الخير والبركة، أُطلق بهذا المعنى في الشرع، فصار يطلق على كل ما يُتوهم حصول المكروه من جهته.

الأسماء الأخرى:

الطيرة.

الحكم:

التشاؤم محرّم؛ لما فيه من التعلق بغير الله ﷻ والتطير بالوحوش والطيور، وقد تعددت الأحاديث في النهي عن التشاؤم والطيرة، فمن ذلك قوله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»^(٥)؛ بل ورد التصريح بجعل ذلك من الشرك الأصغر، كما في قوله ﷺ: «الطيرة شرك»^(٦).

الحقيقة:

كل توهم يترتب عليه ما يؤدي إلى إحجام الإنسان عن فعل الأسباب أو عن الإقدام على الأشياء، سواء كان إحجاماً

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٠٧)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٠).

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٩١٠)، والترمذي (أبواب السير، رقم ١٦١٤) وصححه، وابن ماجه (كتاب الطب، رقم ٣٥٣٨)، وأحمد (٦/ ٢١٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٤٢٨).

التشاؤم

التعريف لغةً:

التشاؤم: (تفاعل) من الشؤم وهو ضد اليمن، يقال: تشاءمت بالشيء وتيمنت به، والشؤم: الشرّ، ويقال: رجل مشؤوم؛ أي: جر الشؤم على قومه، ورجل ميمون؛ أي: جر الخير واليمن عليهم، وأصل هذه الكلمة يدل على الجانب اليسار، ولذا سميت أرض الشام شامًا؛ لأنها عن يسار الكعبة^(١).

التعريف شرعاً:

هو توهم حصول مكروه بمرئي أو معلوم أو مسموع^(٢).

قال ابن العربي رحمه الله: «الشؤم: اعتقاد وصول المكروه إليك مما يتصل بك من ملك أو خلطة»^(٣).

وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله: «والتشاؤم: هو عد الشيء مشؤومًا؛ أي: يكون وجوده سببًا في وجود ما يحزن ويضر»^(٤).

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٥١١/٢) [دار الكتب العلمية]، ولسان العرب (٣١٤/١٢) [دار الفكر، ط١، ١٤١٠هـ]، والقاموس المحيط (١٤٥٣) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٥٩ - ٥٦٠) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٤هـ].

(٣) عارضة الأحوذني لابن العربي (١٠/ ٢٦٤) [دار الكتب العلمية].

(٤) التحرير والتنوير (٦٦/٩) [الدار التونسية، ١٩٨٤م].

أَنْ تَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٣٧﴾ [الحديد].

ومن السُّنَّة: قول النبي ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل» قالوا: وما الفأل؟ قال: «كلمة طيبة»^(٢)، وقال ﷺ: «من ردت الطيرة من حاجة فقد أشرك، قالوا: يا رسول الله ما كفارة ذلك؟ قال: أن يقول أحدهم: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الحلبي رحمه الله: «وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال»^(٤).

وقال ابن القيم رحمه الله - عند كلامه على حديث -: «إن يكن من الشؤم شيء حق، ففي الفرس، والمرأة، والدار»^(٥): «فإخباره بالشؤم أنه يكون في هذه الثلاثة

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٧٦)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٤).

(٣) أخرجه أحمد (٦٢٣/١١) مؤسسة الرسالة، ط ١، قال الشيخ سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد (ص ٣٧٦): وفي إسناده ابن لهيعة وفيه اختلاف، وبقية رجاله ثقات. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/٥٤).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢١٥/١٠) [دار المعرفة، ط ١٣٧٩هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥٠٩٤)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٥) واللفظ له.

قلبيًا أو إحجامًا عمليًا، بدون سبب شرعي وإنما لمجرد سماع كلمة أو نظر إلى شيء لا يعجبه أو خطر له خاطر فأعرض عن العمل كل ذلك يعتبر من التشاؤم، وهو نوع من الطيرة. وهذا كله ناتج عن ضعف الإيمان والتوكل على الله. فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله تعالى، واقتراف الذنوب، فإنها تسخط الله ﷻ، فإذا سخط على عبده، شقي في الدنيا والآخرة، كما أنه إذا رضي عن عبده سعد في الدنيا والآخرة. فالعاصي مشؤوم على نفسه، وعلى غيره، فإنه لا يؤمن أن ينزل عليه عذاب فيعم الناس، خصوصًا من لم ينكر عليه عمله، فالبعد عنه متعين»^(١).

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَلَيْهِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣٢﴾﴾ قَالُوا طَلَيْتُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ

(١) انظر: لطائف المعارف (٧٤ - ٧٧) [دار ابن حزم، ط ١].

التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع، فإذا استعملها الإنسان فرجع بها عن سفره وامتنع بها عما عزم عليه؛ فقد قرع باب الشرك؛ بل ولجه وبرئ من التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله، وذلك قاطع له عن مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فيصير قلبه متعلقاً بغير الله، وذلك شرك فيفسد عليه إيمانه، ويبقى هدفاً لسهام الطيرة، ويقضي له الشيطان من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه، وكم ممن هلك بذلك وخسر الدنيا والآخرة^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الجمع بين نصوص تحريم الشؤم والطيرة، وما ورد مما يشعر ظاهره شؤم بعض الأعيان: روى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال: «إنما الشؤم في ثلاثة: في الفرس والدار والدابة»^(٣).

وقد اختلف العلماء في الجمع بين هذا الحديث وما في معناه، وبين الأحاديث المشتملة على النهي عن الشؤم والطيرة، على أقوال، أهمها ما يلي:

القول الأول: الأخذ بظاهر الحديث،

(٢) تيسير العزيز الحميد (٣٧٦) [المكتب الإسلامي، ط ١].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨٥٨)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٥).

ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعياناً مشؤومة على من قاربها وسكنها، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر، وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولداً مباركاً يريان الخير على وجهه، ويعطي غيرهما ولداً مشؤوماً ندلاً يريان الشر على وجهه، وكذلك ما يعطاه العبد ولاية أو غيرها، فكذلك الدار والمرأة والفرس، والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعوداً مباركة ويقضي سعادة من قارنها وحصول اليمن له والبركة، ويخلق بعض ذلك نحوساً يتنحس بها من قارنها، وكل ذلك بقضائه وقدره كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة فكما خلق المسك وغيره من حامل الأرواح الطيبة ولذذ بها من قارنها من الناس، وخلق ضدها وجعلها سبباً لإيذاء من قارنها من الناس، والفرق بين هذين النوعين يدرك بالحس؛ فكذلك في الديار والنساء والخيول، فهذا لون والطيرة الشركية لون آخر^(١).

وقال سليمان بن عبد الله - عند كلامه على حديث: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك» -: «وذلك أن التطير هو

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٥٧) [دار الكتب العلمية].

القول الثالث: أن ذلك جاء على سبيل الإخبار عن حكم الله الثابت في الدار والفرس والمرأة بكون الشؤم فيها عادة أجراها، وقضاء أنفذه، ويوجدته حيث شاء منها ومتى شاء.

وهذا قول بعض العلماء، ورجحه ابن القيم، فقال: «فإخباره ﷺ بالشؤم أنه يكون في هذه الثلاثة، ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق أعياناً مشؤومة على من قاربها وسكنها، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها شؤم ولا شر، وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولداً مباركاً يريان الخير على وجهه، ويعطي غيرهما ولداً مشؤوماً يريان الشر على وجهه... والفرق بين النوعين يدرك بالحس فكذلك في الديار والنساء والخيل، فهذا لون والطيرة الشركية لون آخر»^(٤).

وهذا القول الأخير هو أقرب الأقوال إلى معنى الحديث^(٥).

- المسألة الثانية: نماذج مما يتشاءم منه الناس:

١ - التطير ببعض الأزمنة من الشهور والأيام؛ كشهر صفر وشوال، وكيوم الثلاثاء والأربعاء، ونحو ذلك.

٢ - التشاؤم ببعض الطيور

والقول باستثناء هذه الأعيان الثلاث من عموم النهي عن الطيرة. وهذا قول الإمام مالك، وبه قال ابن قتيبة، ورجحه الشوكاني.

قال ابن قتيبة: «إن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون، فنهاهم النبي ﷺ وأعلمهم أنه لا طيرة، فلما أبوا أن ينتهوا، بقيت الطيرة في هؤلاء الثلاثة...»^(١).

وقال الشوكاني: «والراجع ما قاله مالك... فيكون حديث الشؤم مخصصاً لعموم حديث: «لا طيرة»»^(٢).

القول الثاني: الطعن في ثبوت حديث: «إنما الشؤم في ثلاث»، وهذا القول مشهور عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما، وقد حملت ذلك عائشة على أن النبي ﷺ كان يخبر عما يعتقده أهل الجاهلية من شؤم المرأة والدار والدابة، وقد كانت عائشة رضي الله عنها تنكر على أبي هريرة رضي الله عنه هذا الحديث، قال ابن حجر - بعد ذكره لمن وافق أبا هريرة رضي الله عنه في روايته لحديث الشؤم -: «ولا معنى لإنكار ذلك على أبي هريرة مع موافقة من ذكرنا من الصحابة له في ذلك»^(٣).

(١) فتح الباري لابن حجر (٧٢/٦).

(٢) نيل الأوطار للشوكاني (١٨٥/٧) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ].

(٣) فتح الباري (٧٢/٦).

(٤) مفتاح دار السعادة (٦٠٦) [مكتبة حميدو، مصر، ط ٣].

(٥) انظر: التوكل على الله تعالى، للدبيجي (٢٤١) [دار الوطن، ط ١، ١٤١٧هـ].

وهذه الأشياء كلها لا شؤم فيها؛ لأنها مخلوقة كغيرها من المخلوقات، لا تأثير لها في جلب نفع ولا دفع ضرر، فالمتشاؤم بها حقيقة علق قلبه بأمر لا حقيقة له؛ بل هو وهم وتخيل، ولا توجد رابطة بين هذه الأمور وبين ما يحصل له، وهذا لا شك أنه يخل بالتوحيد؛ لأن التوحيد عبادة واستعانة.

❁ الفرق:

الفرق بين الطيرة والتشاؤم:

الطيرة أعم من التشاؤم؛ لأنها تشمل أمرين: التشاؤم والفأل الذي يحمل الإنسان على فعل الشيء، فهذا طيرة وليس فألًا مشروعًا، ولهذا جاء في الحديث: «ما أمضاك أو ردك»، وأما التشاؤم فهو توهم المكروه.

الفرق بين الفأل والتشاؤم:

- التشاؤم منهى عنه، أما الفأل فمحبوب مندوب إليه.

- التشاؤم فيه تعلق القلب بغير الله تعالى، أما الفأل فليس فيه تعلق القلب بغير الله.

- التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والفأل حسن ظن بالله تعالى، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال.

- الفأل مجرد طمأنينة في النفس لا يحمل على عمل معين، ولا يعتقد

والحيوانات؛ كالبومة والغراب، وبحركات الطيور وغيرها من الحيوان.

٣ - التشاؤم من ذوي العاهات من بني آدم؛ كالأعور والأعرج ونحوهما.

٤ - التشاؤم ببعض الأرقام؛ كرقم سبعة أو عشرة أو ثلاثة عشر، وكذا التشاؤم بالأبراج وغيرها.

٥ - التشاؤم ببعض الألوان؛ كاللون الأسود؛ لأنه يدل على الحزن والضيق، ولذا ربطوا بين هذا اللون وبين ما يكرهون، حتى نسبوا السواد إلى الأيام، فقالوا: فلان نهاره أسود؛ إشارة إلى وقوع ما يكره في ذلك اليوم، وكثيرًا ما يتشاءمون بهذا اللون إذا رأوه مع بداية السنة.

٦ - وبعضهم إذا سافر مثلاً أو خرج إلى عمل ما وتلف أحد إطارات سيارته في الطريق يترك السفر ويرجع إلى أهله؛ تشاؤمًا بما حصل.

٧ - «وبعض الناس قد يفتح المصحف لطلب التفاضل، فإذا نظر ذكر النار تشاءم، وإذا نظر ذكر الجنة قال: هذا فأل طيب؛ فهذا مثل عمل الجاهلية الذين يستقسمون بالأزلام»^(١).

٨ - التشاؤم بمن يشبك أصابعه أو يكسر عودًا في مجلس عقد النكاح.

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٥٦٧) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

الطيرة إنما تتضمن الشرك بالله تعالى والخوف من غيره وعدم التوكل عليه والثقة به، كان صاحبها غرضاً لسهام الشر والبلاء، فيتسرع نفوذها فيه؛ لأنه لم يتدرّع من التوحيد والتوكل بجنة واقية، وكل من خاف شيئاً غير الله سُلّط عليه كما أن من أحب مع الله غيره عذب به ومن رجا مع الله غيره خذل من جهته، وهذه أمور تجربتها تكفي عن أدلتها»^(٣). وقال أيضاً: «فأوضح ﷺ لأُمته الأمر وبين لهم فساد الطيرة؛ ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة ولا فيها دلالة، ولا نصبها سبباً لما يخافونه ويحذرونه؛ لتطمئن قلوبهم ولتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى التي أرسل بها رسله وأنزل بها كتبه وخلق لأجلها السماوات والأرض وعمر الدارين الجنة والنار، فبسبب التوحيد ومن أجله جعل الجنة دار التوحيد وموجباته وحقوقه، والنار دار الشرك ولوازمه وموجباته، فقطع علق الشرك من قلوبهم؛ لئلا يبقى فيها علقة منها ولا يتلبسوا بعمل من أعمال أهله البتة»^(٤).

المصادر والمراجع:

١ - «الإخلاص والشرك الأصغر»، لعبد العزيز العبد اللطيف.

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/٢٥٦).

(٤) المصدر السابق (٢/٢٣٤).

حصول شيء، أما التشاؤم فالإنسان يعتقد حصول شيء.

- الفأل يكون فيه العبد متوكلاً على الله، متعلقاً به، فيسمع الكلمة التي تسره فيزداد تعلقاً بالله، بخلاف التشاؤم الذي يكون قلب العبد فيه متعلقاً بما يسمع أو يرى.

- الفأل لا يقصده العبد بل يأتي عرضاً، وأما التشاؤم فإنه يقصده ويطلبه.

الفرق بين التشاؤم والنحس:

النحس والشؤم يشتركان في المنشأ والسبب، فكل منهما منشؤه وسببه الكفر والمعاصي، إلا أن النحس أعم، فيطلق على الشؤم وعلى الجهد والشدة والبلاء والشر أيضاً^(١).

الحكمة:

الحكمة في النهي عن التشاؤم: أن فيه سوء ظن بالله تعالى، وتعلقاً بغير الله سبحانه، قال الحليمي رَحِمَهُ اللهُ: «التشاؤم سوء ظن بالله ﷻ بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال»^(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وسر هذا أن

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/١٩٤) [دار الكتب العلمية]، وأضواء البيان (٧/١٩) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (٢/٢٥) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩هـ].

- ٢ - «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد»، لصالح الفوزان.
- ٣ - «التمهيد»، لابن عبد البر.
- ٤ - «التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب»، لعبد الله الدميحي.
- ٥ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٦ - «رسالة الشرك ومظاهره»، لمبارك الملي.
- ٧ - «فتح الباري»، لابن حجر.
- ٨ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.
- ٨ - «فتاوى ورسائل»، محمد بن إبراهيم آل الشيخ.
- ٩ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ١٠ - «مفتاح دار السعادة»، لابن القيم.

التشبيه

التعريف لغة:

التشبيه: مصدر الفعل (شَبَّهَ)، يقال: شَبَّهْتُ هذا بهذا؛ إذا اشتراكا في بعض الصفات.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً. يقال: شَبَّهَ وشَبَّهَ وشَبَّيه. والشَّبَّه من الجواهر: الذي يشبه الذهب. والمشبّهات من الأمور:

الحكم:

التشبيه لفظ مجمل يحتمل معنى صحيحاً

- (١) مقاييس اللغة (٢٤٣/٣) [دار الجبل، ط ٢].
- (٢) الصحاح (٥٣٣) [دار المعرفة، ط ١، ١٤٢٦هـ].
- (٣) لسان العرب (٦١٠/١١) [دار صادر، ط ٣]، وانظر: مقاييس اللغة (٢٩٦/٥)، والقواعد المثلى للشيخ ابن عثيمين (٢٧) [الجامعة الإسلامية، ط ٣، ١٤٢١هـ]، ومقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها لجابر إدريس (٧٧/١) [أضواء السلف، الرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ].
- (٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٣٢٧/٥) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ٢، ١٤١١هـ].

ومعنى باطلاً، فإذا أريد به معنى صحيح - كنفي مماثلة المخلوق لله في شيء من خصائص الرب - فهذا منفي عن الله بدلالة الشرع، فيقبل المعنى ويتوقف في اللفظ. وأما إذا أريد به معنى باطل فهو محرم؛ كإثبات شيء من خصائص المخلوق الضعيف الناقص للخالق القوي الكامل الذي لا يلحقه نقص بأي وجه من الوجوه، أو صرف شيء الخالق للمخلوق لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

الأدلة:

قال الله ﷻ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

أقوال أهل العلم:

بيّن أهل العلم مفهوم التشبيه وخطورته، ومن ذلك: قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ الإمام البخاري رحمهما الله: «من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس ما وصف الله به نفسه ورسوله ﷺ تشبيه»^(١).

وقال المقرئ الميرزي رحمه الله: «اعلم أن حقيقة الشرك: تشبيه الخالق بالمخلوق، وتشبيه المخلوق بالخالق»^(٢).

الحقيقة:

حقيقة التشبيه هو جعل خصائص الخالق مثل خصائص المخلوق، أو وصف المخلوق بخصائص الخالق؛ كمن

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥٨٨/٣) [دار طيبة، ط ٨، ١٤٢٣هـ].
(٢) تجريد التوحيد المفيد (٢٧) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤١٧هـ].
(٣) انظر: إغاثة اللهفان من مصاديق الشيطان (٢٢٦/٢) [دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٥هـ].
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥٨٧/٣) - (٥٨٨).

إثبات شيء من خصائص المخلوق للخالق كوصف اليهود للخالق بالفقر والبخل، وأنه يتعب ونحو ذلك من صفات النقص^(٣)، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨١].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: القدر المشترك بين صفة الخالق والمخلوق:

المقصود بالقدر المشترك: اشتراك الموصوفين في المعنى العام كالوجود مثلاً، فكل من الخالق والمخلوق يخبر عنه بأنه موجود، فمعنى الوجود مفهوم وهو ضد العدم، فكل من الخالق والمخلوق يشترك في هذا المعنى العام وهو الوجود، وهو المسمى بالقدر المشترك بين الموصوفين، ثم كل منها يأخذ منه المعنى المتناسب معه، فوجود الخالق واجب، ووجود المخلوق ممكن، فمن هنا يختلف وجود الخالق عن وجود المخلوق، وهكذا في الأسماء والصفات، ومن هنا يقول علماء التوحيد: ليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير؛ أي: السمع والبصر المضافان إلى الله يختلفان في الحقائق

ويزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ونعيم بن حماد، وغيرهم بدم المشبهة، وبيّنوا المشبهة الذين ذمّوهم؛ أنهم الذين يمثلون صفات الله بصفات خلقه، فكان ذمهم لما في قولهم من مخالفة الكتاب والسنة، إذ دخلوا في التمثيل^(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فمن تدبر هذا الفصل حق التدبر تبين له كيف وقعت الفتنة في الأرض بعبادة الأصنام، وتبين له سر القرآن في الإنكار على هؤلاء المشبهة الممثلة، ولا سيما إذا جمعوا إلى هذا التشبيه تعطيل الصفات والأفعال كما هو الغالب عليهم، فيجمعون بين تعطيل الرب سبحانه عن صفات كماله وبين تشبيه خلقه به»^(٢).

الآقسام:

ينقسم التشبيه المنهي عنه إلى قسمين:

الأول: تشبيه المخلوق بالخالق، وهو إثبات شيء من خصائص الخالق للمخلوق كقول النصاري: إن الله هو المسيح ابن مريم، وأنه خالق السماوات والأرض، وعلام الغيوب ونحو ذلك مما تفرد الله به من صفات الكمال.

الثاني: تشبيه الخالق بالمخلوق، وهو

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٢٦٠) [دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٩هـ]، وجامع المسائل لابن تيمية (١١١/ ٢) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(١) بيان تلبس الجهمية (٣٨٧/ ١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١، ١٤٢٦هـ].
(٢) إغاثة اللهفان (٢٣٣/ ٢) [دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٥هـ].

أولاً: ذمّ إمامهم أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ للتشبيه والمشبهة أمر مشهور لدى أهل العلم وطلابه، وكذا بعض كبار أئمة المذهب قال أبو يعلى رَحِمَهُ اللهُ: «وقد أنكر أحمد التشبيه، فقال في رواية حنبل: المشبهة تقول: بصر كبصري، ويد كيدي، وقدّم ققدمي ومن قال ذلك فقد شبّه الله بخلقه، وقال في رواية يوسف بن موسى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى]»^(٥).

وقال أبو يعلى في أحاديث الصفات: «والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات لله تعالى لا تشبهه سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا نعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن شيخنا وإمامنا أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، وغيره من أئمة أصحاب الحديث، أنهم قالوا في هذه الأخبار: أمروها كما جاءت، فحملوها على ظاهرها في أنها صفات لله تعالى لا تشبه سائر الموصوفين»^(٦).

ثانياً: أن ما نسب إليهم من القول بالتشبيه فلا يخلو من أحد الأمور التالية،

وهي:

- إما أن نسبته إليهم كذب محض قصد به تشويه سمعتهم والتنفير من مذهبهم.

(٥) أورده أبو يعلى في: إبطال التأويلات لأخبار الصفات (٤٣/١) [إلاف الدولية، الكويت].

(٦) أورده أبو يعلى في إبطال التأويلات (٤٣/١ - ٤٤).

عن السمع والبصر الموصوف بهما المخلوق وهكذا^(١).

- **المسألة الثانية:** وهي براءة السلف والحنابلة من التشبيه:

لا شك في براءة السلف والحنابلة من التشبيه. فمما يدل على براءة السلف من التشبيه على سبيل الإيجاز ما رواه البيهقي بسنده عن أبي داود الطيالسي؛ أنه قال: «كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون، يروون الحديث، لا يقولون كيف، وإذا سئلوا أجابوا بالأثر»^(٢).

وروى اللالكائي بإسناده عن إسحاق بن راهويه أنه قال: «من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم؛ لأنه وصف بصفاته، إنما هو استسلام لأمر الله ولما سنّ الرسول»^(٣).

ومما يدل على براءة الحنابلة - على وجه الخصوص - من التشبيه الذي رموا به^(٤):

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٣٢٧/٥)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١١٢/١) [دار ابن الجوزي، ٦٦، ١٤٢١هـ].

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (٣٣٤/٢ - ٣٣٥).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥٣٢/٣).

(٤) وممن رماهم بالتشبيه: الرازي، انظر: أساس التقديس في علم الكلام (٤٤) [مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٦، ١٤١٥هـ].

وموصوف بالأفعال القائمة بنفسه، وإن كانت حادثة. ولما قيل لهم: هذا يقتضي أن يكون جسمًا، قالوا: نعم هو جسم لا^(٥) كالأجسام، وليس ذلك ممتنعًا دائمًا، وإنما الممتنع أن يشابه المخلوقات فيما يجب ويجوز ويمتنع^(٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ومن قال: هو جسم، فالمشهور عن نظار الكرامية وغيرهم ممن يقول: هو جسم، أنه يفسر ذلك بأنه الموجود أو القائم بنفسه، لا بمعنى المركب.

وقد اتفق الناس على أن من قال: إنه جسم، وأراد هذا المعنى، فقد أصاب في المعنى، لكن إنما يخطئه من يخطئه في اللفظ^(٧).

ولا شك أن إطلاق لفظ الجسم على الله هو قول مبتدع، موهم للتشبيه، وموقع في لوازم بدعية التزمها الكرامية، وعلى كلِّ فإن الوقائع التي كانت تحدث بين الكرامية وبين متكلمة الأشاعرة تدل على أن الكرامية كانت أقرب إلى الحق من الأشاعرة في تلك المسائل^(٨).

- وإما أنه صادر ممن يعتقد أن إثبات الصفات الواردة في الشرع لله تشبيه، وقد كان الحنابلة في الجملة يثبتون لله ما أثبتته لنفسه من الصفات^(١).

- وإما أنه كان قولًا لبعض المنتمين إلى المذهب الحنبلي، وأنهم ليسوا من أئمة المذهب وفضلائه، وهذا مما لم تسلم منه المذاهب الأخرى؛ بل يوجد عند غيرهم ما لا يقارن بما عندهم^(٢)، وعليه فلا يصح التشنيع به على الحنابلة فقط.

- المسألة الثالثة: هل الكرامية من المشبهة؟

الكرامية لم يثبت كونهم من المشبهة وإنما رماهم به خصومهم فيما يظهر؛ لأنهم كانوا يثبتون من صفات الله كثيرًا مما ينفيه خصومهم بحجة أن إثابتها تجسيم^(٣)، وعيب الكرامية أنهم بالغوا في إثبات الصفات، فأطلقوا على الله لفظ الجسم^(٤) وقالوا: بأن الله «موصوف بالصفات، وإن قيل: إنها أعراض،

(١) ويبدو أن هذا الوجه هو الأظهر من كلام السجزي. انظر: رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (١٨٥) [دار الراية، ط ١، ١٤١٤هـ].

(٢) انظر: بيان تلبس الجهمية (١/٢٣١، ٢٥٠، ٢٥١، ٥٤٤/٣ - ٥٤٨).

(٣) انظر: المرجع نفسه (١/٣٠٣، ٣٩٦، ٣٩٧).

(٤) انظر: الفرق الكلامية المشبهة - الأشاعرة - الماتريدية: نشأتها وأصولها وأشهر رجالها ومواقف السلف منها لناصر العقل (٣٢ - ٣٣) [دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٥) سقطت (لا) النافية من هنا والصواب إثباتها كما ذكر المحقق، وانظر أيضًا: سير أعلام النبلاء (١١/٥٢٤).

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٦/٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، وانظر: الفرق الكلامية لناصر العقل (٣٢ - ٣٣).

(٧) منهاج السُّنة النبوية (٢/٥٤٨).

(٨) انظر: الفرق الكلامية لناصر العقل (٣٣).

❁ الفروق:

الفرق بين التشبيه والتمثيل:

مصطلح التشبيه قريب من مصطلح التمثيل، لكن بينهما فرق ينبغي التنبه له، وهو:

أولاً: أن التمثيل يكون بين الشيئين المتفقين في جميع الصفات، والتشبيه يكون بين المتفقين في أكثرها.

ثانياً: أن نفي التمثيل منصوص عليه في القرآن، والتشبيه ليس كذلك.

ثالثاً: أن نفي التمثيل هو على إطلاقه، وأما نفي التشبيه على إطلاقه فغير صحيح؛ لأنه ما من موجودين إلا وبينهما اشتراك من بعض الوجوه، ونفي التشبيه مطلقاً نفي لهذا القدر المشترك بينهما.

قال ابن عثيمين رحمته الله: «والتشبيه كالتمثيل، وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات، والتشبيه التسوية في أكثر الصفات، لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]»^(١).

وقال أيضاً: «نفي التشبيه على الإطلاق غير صحيح؛ لأن ما من شيئين من الأعيان أو من الصفات إلا وبينهما اشتراك من بعض الوجوه، والاشتراك

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (٢٧).

نوع تشابه، فلو نفيت التشبيه مطلقاً، لكنت نفيت كل ما يشترك فيه الخالق والمخلوق في شيء ما.

مثلاً: الوجود، يشترك في أصله الخالق والمخلوق، هذا نوع اشتراك ونوع تشابه، لكن فرق بين الوجودين، وجود الخالق واجب ووجود المخلوق ممكن. وكذلك السمع فيه اشتراك؛ الإنسان له سمع، والخالق له سمع، لكن بينهما فرق، لكن أصل وجود السمع مشترك.

فإذا قلنا: من غير تشبيه، ونفيها مطلق التشبيه، صار في هذا إشكال»^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

غلط المتكلمون في مفهوم التشبيه، فجعلوا إثبات ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله ﷺ من الصفات العليا تشبيهاً، وتوهموا أن هذا هو التشبيه المنفي عن الله تعالى؛ بل اعتبروا مجرد الاشتراك في اللفظ والمعنى العام في صفة ما بين الخالق والمخلوق هو التشبيه المنهي عنه، فعطلوا الله ﷻ عن كماله المقدس، وهذا أمر مقرر في كتبهم^(٣).

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١١٢/١).

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (١٩٥ - ١٩٧) [مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٣، ١٤١٦هـ]، والشامل في أصول الدين للجويني (٥١١) [مكتبة المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٩م]، وابن تيمية ليس سلفياً لمنصور عويس (١٩) [دار النهضة العربية، ط ١، ١٩٧٠م].

ونقله عنهم غير واحد من العلماء^(١).

✽ الرد عليهم:

خصائصه فهو صحيح، ولكن يعبر عنه بالمعنى الشرعي ويتوقف في اللفظ. ومعلوم أنهم يريدون به نفي الصفات وهو مردود.

رابعاً: أن نفي الاشتراك في المعنى العام عن الموصوفين واعتبار إثباته تشبيهاً هو تعطيل للوجود، وهو ظاهر البطلان^(٣).

خامساً: أن ما دلّت عليه النصوص من الاشتراك في المعنى العام بين الموصوفين يدل عليه أيضاً العقل الصريح؛ كالألوان مثلاً؛ فهي تشترك في كونها ألواناً وفي احتياجها إلى محل تقوم فيه مع تباينها في حقائقها، فاللون الأبيض مختلف عن اللون الأسود، وكذلك الأجسام كالملح والدقيق والسكر هي في حقائقها متباينة، وإن كانت مشتركة في المعنى العام وهو الجسم والقيام بالنفس^(٤).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «إغاثة اللفهان» (ج ٢)، لابن القيم.
- ٢ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٢، و ٣)، لابن تيمية.
- ٣ - «جامع المسائل» (ج ٢)، لابن تيمية.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٥/٣٢٧).

(٤) انظر: مقالة التشبيه لجابر إدريس (١/٩١ - ٩٦).

أولاً: أن مفهومهم للتشبيه على ما تقدم فاسد؛ لمخالفته الشرع ومأثور سلف الأمة؛ حيث إن النصوص الشرعية دلّت على نفي المثل عن الله تعالى مع إثبات صفات الكمال لله تعالى، وأجمع السلف على مقتضاها، فعدّ إثبات الصفات لله على ما يليق به سبحانه من التشبيه باطل.

ثانياً: أن مما يؤكد بطلانه أن أئمة السلف بعد أن ظهر هذا المفهوم الخاطئ للتشبيه بينوا التشبيه المنفي عن الله وذموا أهله، ومن ذلك ما جاء عن إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد رحمته الله حيث قال: «المشبهة تقول: بصر كبصري، ويد كيدي، وقدمٌ كقدمي ومن قال ذلك فقد شبه الله بخلقه»^(٢).

ثالثاً: أن لفظ التشبيه لم يأت الشرع بنفيه ولا بإثباته لله، وإنما هو لفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلاً، فإذا أرادوا به نفي الصفات الثابتة لله فهو في غاية البطلان، وإن أرادوا به نفي ما نفاه الشرع عن الله من مماثلة غيره به، في شيء من

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٧٠)، والرد على المنطقيين ضمن مجموع الفتاوى (٤/١٥٠)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/١١١).

(٢) وأورده أبو يعلى في إبطال التأويلات لأخبار الصفات (١/٤٣)، وابن تيمية في درء التعارض (٢/٣٢).

٤ - «الجواب الصحيح» (ج ٢)، لابن تيمية .
نفسه، ولأن الكذب لا قوة له، هو باطل»^(١).

٥ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٢، ٥)، لابن تيمية .
وأصل هذا من قولهم: شيء صدق؛ أي: صلب. ورمح صدق. ويقال: صدقوهم القتال، وفي خلاف ذلك كذبوهم. والتصديق: الملازم للصدق، أو الدائم التصديق^(٢).

✽ التعريف شرعاً:

التصديق: هو قول القلب، ومعرفته، وإقراره بألوهية الله تعالى، وبربوبيته، وبأسمائه وصفاته، وبكل ما جاء به على ألسنة رسله ﷺ .
قال أبو نصر المروزي رَحِمَهُ اللهُ: «التصديق: هو المعرفة بالله، والاعتراف له بالربوبية، وبوعده، ووعيده، وواجب حقه، وتحقيق ما صدق به من القول والعمل»^(٣).

✽ الحكم:

التصديق الجازم بخبر الله ﷻ وخبر رسوله ﷺ واجب من الواجبات على قلب المؤمن، وركن من أركان الإيمان، لا يتم الإيمان إلا به، وهو أمر متفق

- ٨ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين .
٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات»، لمحمد التيمي .
١٠ - «مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها» (ج ١، ٢)، لجابر إدريس .
١١ - «منهاج السنة» (ج ٤)، لابن تيمية .

✽ التشريع ✽

يراجع مصطلح (التحليل والتحريم).

✽ التصديق ✽

✽ التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الصاد والذال والقاف أصل يدل على قوة في الشيء قولاً وغيره؛ من ذلك الصدق: خلاف الكذب، سمي لقوته في

(١) مقاييس اللغة (٣/٣٣٩) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ]

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣/٣٣٩)، والصحاح للجوهري (٤/١٥٠٦) [دار العلم للملايين، ط ٤]، ولسان العرب لابن منظور (٧/٣٠٧) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ].

(٣) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/٦٩٥) [مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٦هـ].

عليه، ومثله الإخلاص والتوكل،

والمحبة، والبر، والإنابة^(١).

❖ الحقيقة:

حقيقة التصديق: هو قول القلب،

وإيقانه، وإقراره، ومعرفته، وإذعانه
لخبر الله ورسله ﷺ، المتضمن للقبول
والانقياد، فهو نوع من العلم والقول،
وهو غالباً ما يستعمل في جنس الأخبار،
غيبية كانت أو مشاهدة، وقد يستعمل في
العمل والإرادة.

قال ابن تيمية رحمه الله: «فإن الإيمان
بحسب كلام الله ورسالته، وكلام الله
ورسالته يتضمن أخباره وأوامره، فيصدق
القلب أخباره تصديقاً يوجب حالاً في
القلب، يحس المصدق به، والتصديق
هو نوع من العلم والقول، وينقاد لأمره
ويستسلم، وهذا الانقياد والاستسلام هو
نوع من الإرادة والعمل، ولا يكون مؤمناً
إلا بمجموع الأمرين»^(٢).

وقال أيضاً: «والتصديق يستعمل في
الخبر، وفي الإرادة؛ يقال: فلان صادق
العزم، وصادق المحبة، وحملوا حملة
صادقة»^(٣).

(١) انظر: مدارج السالكين (١/١٢٩) [دار الكتاب
العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ].

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول (٣/٩٦٧ -
٩٦٨) [رمادي للنشر، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٧/٥٣٣) [مجمع الملك لطباعة
المصحف الشريف بالمدينة، ط ٢، ١٤٢٥هـ].

❖ المنزلة:

للتصديق منزلة عظيمة؛ فهو يعتبر
أصل كل قول وعمل من أقوال وأعمال
الإيمان والدين^(٤).

❖ الأدلة:

قال تعالى في مدح الصديقين: ﴿وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ
وَالشَّٰهَدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ الْحَجِيرِ ۝١٩﴾ [الحديد].

ومن السنة: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه،
عن النبي ﷺ قال: «من سأل الله القتل
في سبيله صادقاً من قلبه أعطاه الله أجر
الشهادة»^(٥).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: أتيت
النبي ﷺ ومعني نفر من قومي فقال:
«أبشروا وبشروا من وراءكم، أنه من
شهد أن لا إله إلا الله صادقاً بها
دخل الجنة»^(٦).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/٤٩).

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٥٤١،
والترمذي (أبواب فضائل الجهاد، رقم ١٦٥٤)
وصححه، والنسائي (كتاب الجهاد، رقم ٣١٤١)،
وأحمد (٣٦/٣٤٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]،
وصححه الألباني في صحيح أبي داود (رقم
٢٢٩١).

(٦) أخرجه أحمد (٣٢/٣٧٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]،
قال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٦/٤٠٨)
[دار الوطن للنشر، الرياض ط ١]: هذا إسناد
صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة
(رقم ٧١٢).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «تصديق القلب يتبعه العمل، فالقلب إذا صدق بما يستحقه الله من الألوهية، وما يستحقه الرسول من الرسالة، تبع ذلك لا محالة محبة الله ورسوله، وتعظيم الله ورسوله، والطاعة لله ورسوله أمر لازم لهذا التصديق، لا يفارقه إلا لعارض، من كبر، أو حسد، أو نحو ذلك»^(٤).

المراتب:

التصديق على ثلاثة أضرب:

١ - إما بغلبة الظن، وهو أن يكون عليه دلالة وقد يعترضه شبه توهنه وتبطله.

٢ - وإما بعلم اليقين، وهو أن يصير بحيث يعلم ويعلم أنه يعلم ولا تعترضه شبه توهنه.

٣ - وإما بعين اليقين، وهو أن يرى بعقله الشيء ويعانيه ببصيرته^(٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: علاقة التصديق بالإيمان:

من المسائل المتعلقة بالتصديق وعلاقته بالإيمان: أنه من المعلوم أن قول القلب وقول اللسان وعمل القلب

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة»^(١).

أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري رحمته الله: «فإذا كان الإيمان في كلامها - يعني: في كلام العرب -: التصديق، والتصديق يكون بالقلب واللسان والجوارح، وكان تصديق القلب: العزم والإذعان، وتصديق اللسان الإقرار، وتصديق الجوارح السعي والعمل، كان المعنى الذي يستحق العبد المدح، والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه المعاني الثلاثة»^(٢).

قال ابن بطة العكبري رحمته الله: «اعلموا - رحمكم الله - أن الله - جل ثناؤه - وتقديست أسماؤه - فرض على القلب المعرفة به، والتصديق له، ولرسوله، ولكتبه، وبكل ما جاءت به السنة، وعلى الألسن النطق بذلك، والإقرار به قولاً، وعلى الأبدان والجوارح العمل بكل ما أمر به، وفرضه»^(٣).

(٤) شرح الأصبهانية (٦٦٥) [دار المنهاج، ط١، ١٤٣٠هـ].

(٥) تفصيل الشأتين وتحصيل السعادتین (٨٨) [دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣م].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٣٦) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٧٦).

(٢) تهذيب الآثار (٢/ ٦٨٥) [مطبعة المدني، القاهرة].

(٣) الإبانة الكبرى (٢/ ٧٦٠).

يُطبع على قلوبهم حتى يزول عنها التصديق»^(٢).

- المسألة الثانية: التصديق يكون بالفعل:

كما أن التصديق يكون بالقلب واللسان، فكَذلك يكون بالفعل والعمل، كما قال النبي ﷺ في الحديث المشهور: «والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «التصديق يكون بالقلب واللسان وسائر الجوارح»^(٤).

- المسألة الثالثة: التصديق شرط في كلمة التوحيد:

والمراد بذلك أن يكون صادقاً في قول: (لا إله إلا الله) واعتقاد مدلولها، صادقاً ينافي الكذب ظاهراً، ويمنع من النفاق، فلا يخالف ظاهره باطنه؛ بل يتواطأ ظاهره مع باطنه، وما في داخل قلبه مع ما يقوله بلسانه، ويجري على جوارحه من الأعمال. وهذا هو الصدق الذي يمنع من النفاق باطنًا.

كَذلك لا يظهر على جوارحه ما يناقض ما في قلبه من الاعتقاد بمدلول (لا

وعمل الجوارح إذا زال زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع التصديق: فأهل السُّنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول ﷺ بل ويقولون به سرًّا وجهراً ويقولون ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به^(١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «تصديق القلب يتبعه العمل، فالقلب إذا صدَّق بما يستحقه الله من الألوهية، وما يستحقه الرسول من الرسالة، تبع ذلك لا محالة محبة الله ورسوله، وتعظيم الله ورسوله، والطاعة لله ورسوله أمر لازم لهذا التصديق، لا يفارقه إلا لعارض، من كبر، أو حسد، أو نحو ذلك من الأمور التي توجب الاستكبار عن عبادة الله، والبغض لرسوله، ونحو ذلك من الأمور التي توجب الكفر؛ ككفر إبليس، وفرعون وقومه، واليهود، وكفار مكة، وغير هؤلاء من المعاندين الجاحدين، ثم هؤلاء إذا لم يتبعوا التصديق بموجبه من عمل القلب واللسان وغير ذلك، فإنه قد

(٢) شرح الأصبهانية (٦٦٥) [دار المنهاج، ط١، ١٤٣٠هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الاستئذان، رقم ٦٢٤٣)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٧).

(٤) الإيمان لابن تيمية (١٠١).

(١) انظر: الصلاة وحكم تاركها (٥٦) [مكتبة الثقافة، المدينة المنورة].

يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار والطمأنينة، وذلك لأن التصديق إنما يعرض للخبر فقط، فأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر وكلام الله خبر وأمر، فالخبر يستوجب تصديق المخبر والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام، وهو عمل في القلب جماعه الخضوع والانقياد للأمر، وإن لم يفعل المأمور به فإذا قوبل الخبر بالتصديق والأمر بالانقياد فقد حصل أصل الإيمان في القلب وهو الطمأنينة والإقرار.

الفرق الثالث: لفظ التصديق في اللغة يقابل التكذيب، ولفظ الإيمان يقابل الكفر، فالإيمان تصديق مع موافقة وموالاته وانقياد، والتصديق جزء من مسمى الإيمان.

✽ مذهب المخالفين:

خالف المرجئة بجميع أصنافهم في حقيقة التصديق المطلوب شرعاً، فكانوا على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: مرجئة الفقهاء، ومن وافقهم، فقد جعلوا التصديق باللسان والقلب كافياً في ثبوت الإيمان الكامل، دون التصديق بالعمل^(٣).

إله إلا الله) ومقتضاها، واليقين به، وهذا هو الصدق الذي ينافي الكذب ظاهراً^(١).

والدليل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣) [العنكبوت].

✽ الفرق:

الفرق بين التصديق والإيمان^(٢):

الفرق الأول: أن الإيمان وإن تضمن التصديق، فليس هو مرادفاً له في اللفظ والمعنى:

فإن الفعل (آمن) لا تتعدى إلا بحرف؛ إما الباء، وإما اللام، فلا يتعدى بنفسه إلا أن يقال: أمنت؛ من الأمان ضد الإخافة، كما تدل على ذلك شواهد القرآن، وأما التصديق فإنه يتعدى بنفسه إلى المصدق به.

وأما في المعنى: فالإيمان بمعنى الإقرار والطمأنينة، وهو لا يقال إلا في الخبر الغائب الذي يؤتمن عليه، وأما التصديق فيقال في كل خبر عن شهادة أو غيب، فيكون الإيمان أخص من التصديق.

الفرق الثاني: أن الإيمان وإن كان

(١) المفيد في مهمات التوحيد (٧٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٢٢/٧)، ١٩٦، ٢٩٠، (٥٢٩)، وشرح الأصبهانية (٦٦٩)، والصارم المسلول (٩٦٦/٣)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٤٧٠/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١٣، ١٤١٩هـ].

(٣) انظر: شرح الفقه الأكبر للماتريدي (١٥٠) [مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند، ط ١٣٢١هـ]، ومجموع الفتاوى (١٩٥/٧).

والقول والعمل إذا^(٣).

وأما من السُّنَّة: فمنها حديث شعب الإيمان المشهور عن رسول الله؛ أنه ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»^(٤).

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «فإذا كان الإيمان في كلامها - يعني: في كلام العرب -: التصديق، والتصديق يكون بالقلب واللسان والجوارح، وكان تصديق القلب: العزم والإذعان، وتصديق اللسان الإقرار، وتصديق الجوارح السعي والعمل، كان المعنى الذي يستحق العبد المدح، والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه المعاني الثلاثة»^(٥).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وبكل حال فالعمل تحقيق لمسمى الإيمان وتصديق له، ولهذا قال طائفة من العلماء؛ كالشيخ أبي إسماعيل الهروي، وغيره: الإيمان كله تصديق؛ فالقلب يصدق ما جاءت به الرسل، واللسان يصدق ما في القلب، والعمل يصدق القول؛ كما

الدرجة الثانية: وهم الجهمية، ومن وافقهم من الأشعرية، فقد جعلوا التصديق بالقلب فقط كافياً في تحقيق الإيمان الكامل، دون تصديق اللسان والعمل»^(١).

الدرجة الثالثة: وهم الكرامية حيث جعلوا التصديق باللسان وحده كاف في تحقيق الإيمان الكامل، دون تصديق القلب والجوارح»^(٢).

وهذه المذاهب الثلاثة باطلة بنص القرآن والسُّنَّة والإجماع، فلا بد من تصديق القلب وعمله، وتصديق اللسان، وتصديق الجوارح في تحقيق الإيمان الكامل.

فمن القرآن: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۚ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال].

فبيّن أن جميع ما تقدم من الأمور القلبية، والأعمال الظاهرة مما يصير بها المؤمن مؤمناً، فلا بد من تصديق القلب

(١) انظر: اللمع لأبي الحسن الأشعري (١٢٣) [١٩٥٥م]، والإنصاف للباقلاني (٥٢) [المكتبة الأزهرية للتراث، ط ٢٣، ١٤٢١هـ]، وأبكار الأفكار للآمدني (٩/٥) [مكتبة دار الكتب والوثائق القومية، ط ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: الإيمان لابن منده (٣٣١/١) [مطبعة الجامعة الإسلامية، ط ١]، ومجموع الفتاوى (١٩٥/٧).

(٣) انظر: مسائل الإيمان لأبي يعلى (١٦٢) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٥) واللفظ له.

(٥) تهذيب الآثار (٦٨٥/٢) [مطبعة المدني القاهرة].

يقال: صدق عمله قوله^(١).

جميل الصورة^(٢).

المصادر والمراجع:

١ - «أعلام السُّنة المنشورة»، لحافظ حكيم.

٢ - «آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام»، لعبد الله السند.

٣ - «تعظيم قدر الصلاة»، للمروزي.

٤ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للتمي.

٥ - «ذم التأويل»، لابن قدامة.

٦ - «زيادة الإيمان ونقصانه»، لعبد الرزاق البدر.

٧ - «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (ج ٣)، لابن حزم.

٨ - «مسائل الإيمان»، للقاضي أبي يعلى.

٩ - «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.

١٠ - «المفيد في مهمات التوحيد»،

لعبد القادر محمد عطا صوفي.

التعريف شرعاً:

التصوير المضاف إلى الله ﷻ صفة فعلية له ﷻ، كما يليق بجلاله وعظمته، وقد جاء بيان ذلك وإثباته في القرآن والحديث^(٣).

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل.

الحقيقة:

إعطاء شيء صورة معينة، والله ﷻ الذي صور جميع الموجودات، وأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة خاصة يتميز بها عن غيره من الموجودات مع كثرتها وتعدد أنواعها.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي

التصوير (صفة لله)

التعريف لغةً:

التصوير: مصدر للفعل صَوَّرَ يُصَوِّرُ، يقال: صَوَّرَهُ الله؛ أي: جعل له صورة، وصورة كل مخلوق، هي هيئة خلقته، ويقال: رجل صَيَّرَ: إذا كان

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٢/٢٥) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ]، والصحاح (٢/٧١٧) [دار العلم للملايين، ١٩٩٠م].

(٣) انظر: شرح أسماء الله الحسنى للقططاني (١٦٨) [مؤسسة الجريسي، الرياض، ١٤٠٩هـ]، وصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنة للسقاف (٢٣٣ - ٢٣٤) [دار الهجرة الرياض، ١٤١٤هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٩٣) [مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(١) مجموع الفتاوى (٧/٥٥٥).

وقال البغوي: ﴿الْخَلْقُ﴾: المقدر والمقلب للشيء بالتدبير إلى غيره، كما قال: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: ٦]، ﴿الْبَارِئُ﴾: المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود، ﴿الْمُصَوِّرُ﴾: الممثل للمخلوقات

بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض، يقال: هذه صورة الأمر؛ أي: مثاله، فأولاً يكون خلقاً ثم برءاً ثم تصويراً^(٤).

وقال معين الدين الإيجي الشافعي: ﴿الْخَلْقُ﴾ المقدر ﴿الْبَارِئُ﴾ المبرز الموجد لما قدر ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ الممثل للمخلوقات الموجد لصورها^(٥).

وقال السعدي: «الخالق البارئ المصور: الذي خلق جميع الموجودات، وبرأها، وسواها بحكمته، وصورها بحمده وحكمته، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم»^(٦).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: من أسماء الله الحسنى (المصور):

فقد ورد ذلك في القرآن الكريم بصيغة الاسم، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ

(٤) تفسير البغوي (٥/٢٢٠) [دار الفكر، ط ١].

(٥) جامع البيان للإيجي (٩٦٤) [دار غراس، ط ١].

(٦) تفسير السعدي (٥/٦٢٤)، ملحق في آخر الجزء بعنوان: «أصول وكميات من أصول التفسير وكمياته لا يستغني عنها المفسر» [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط ٢، ١٤١٢هـ].

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر]، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُورَهُ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦].

عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله ﷺ؛ أنه كان إذا سجد قال: «اللَّهُمَّ لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين»^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقاً لا يتمالك»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري: «يقول تعالى ذكره: هو المعبود الخالق، الذي لا معبود يصلح له العبادة غيره، ولا خالق سواه، البارئ الذي برأ الخلق، فأوجدهم بقدرته، المصور خلقه كيف شاء، وكيف يشاء»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦١١).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/٥٥٥) [دار هجر، ط ١].

الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» [الحشر: ٢٤] وقد عدّه من أسماء الله الحسنى وذكره فيها جميع من اعتنى بأسماء الله تعالى وصنف فيها بلا استثناء^(١).

- المسألة الثانية: حكم تصوير ذوات الأرواح:

لقد وردت أحاديث نبوية كثيرة تدلّ على تحريم عموم التصوير، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون»^(٢)، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتكم»^(٣). وعن أبي جحيفة رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نهى عن ثمن الدم، وثن الكلب، وكسب البغي، ولعن أكل الربا، وموكله، والواشمة، والمستوشمة، والمصور»^(٤). وعن ابن عباس رضي الله عنه فقال: سمعت محمداً صلى الله عليه وسلم يقول: «من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافع»^(٥).

- (١) انظر: معتقد أهل السنة الجماعة في أسماء الله الحسنى (١٩٤) [دار إيلاف الدولية، الكويت، ط١].
(٢) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥٤)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٧).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥١)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٨).
(٤) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٦٢).
(٥) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٦٣).

وعن سعيد بن أبي الحسن قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إني رجل أصور هذه الصور، فأفتني فيها. فقال له: ادن مني. فدنا منه. ثم قال: ادن مني. فدنا حتى وضع يده على رأسه، قال: أنبتك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه في جهنم» وقال: إن كنت لا بد فاعلاً، فاصنع الشجر، وما لا نفس له^(٦).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه هتكه، وتلون وجهه، وقال: «يا عائشة! أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاھون بخلق الله». قالت عائشة: فقطعناه، فجعلنا منه وسادة أو وسادتين^(٧).

والعلماء لهم في حكم التصوير كلام وتفصيل؛ ولا خلاف بينهم في أن نحت التماثيل محرم شرعاً، وأغلبهم على تحريم الصور عمومًا إلا ما دعت الضرورة إليه كالصور اللازمة للتعريف بالشخص في الرخص والبطاقات وجوازات السفر وغير ذلك من المستجدات، أما تصوير ما لا روح فيه

ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).

(٧) أخرجه مسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٧).

كالشجر والجبل والسيارات ونحو ذلك فلا حرج فيه، والله أعلم^(١).

✽ الفروق:

الفرق بين الخلق والبرء والتصوير:

إذا ورد ذكر الخالق والبارئ والمصور مقروناً في مكان واحد؛ فالخالق هو المقدر قبل الإيجاد، والبارئ هو الموجد من العدم على مقتضى الخلق والتقدير، والمصور هو المشكّل لكل موجود على الصورة الخاصة التي أوجده عليها، فالخالق عام، والبارئ أخص من الخالق، والمصور أخص منهما. وهذه الفروق تعرف عند اجتماع هذه الأسماء، وأما عند افتراقها فكل اسم من هذه الأسماء يشمل معناه ومعاني الاسمين الآخرين^(٢)، والله أعلم.

✽ مذهب المخالفين:

التصوير صفة فعلية ثابتة لله ﷻ، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلابية والأشاعرة

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٢٥٢/٣) - [دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٨هـ]، وفتاوى كبار العلماء في التصوير، جمع وإعداد: عبد الرحمن الشثري [مكتبة الرضوان، مصر، ط٣، ١٤٢٩هـ].

(٢) انظر: شفاء العليل لابن القيم (٢٠٨) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٣هـ].

والماتريدية الذين ينكرون صفات الأفعال لله تعالى، والحق الصحيح: أنه يجب إثباتها لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، لدلالة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على ذلك.

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «تفسير السعدي» (ج ٥).
- ٢ - «تفسير الطبري» (ج ٢٢).
- ٣ - «جامع البيان»، للإيجي.
- ٤ - «شرح أسماء الله الحسنى»، لسعيد القحطاني.
- ٥ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ٧ - «فتاوى كبار العلماء في التصوير»، جمع وإعداد: عبد الرحمن بن سعد الشثري.
- ٨ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ٩ - «تفسير البغوي» (ج ٥).
- ١٠ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.
- ١١ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

التعريف شرعاً:

هو اتخاذ الصور ذوات الأرواح؛ ويشمل ذلك الصانع والمستعمل، ولا فرق في التصوير بين أن تكون الصورة لها ظل أو لا، ولا بين أن تكون مدهونة أو منقوشة أو منقورة أو منسوجة^(٤).

التعريف اصطلاحاً:

ذهب بعض الباحثين إلى أن التصوير لا يمكن تعريفه تعريفاً عاماً؛ لاختلاف وسائله، ولا بدّ من تعريف كل نوع منه على النحو التالي:

- التصوير اليدوي: هو «فن تمثيل الأشخاص والأشياء بالألوان»^(٥).

- التصوير الضوئي الفوتوغرافي: هو «آلة تنقل صورة الأشياء المجسمة بانبعاث أشعة ضوئية من الأشياء تسقط على عدسة في جزئها الأمامي ومن ثم إلى شريط أو زجاج حساس في جزئها الخلفي، فتطبع عليه الصورة بتأثير الضوء فيه تأثيراً كيمياوياً»^(٦).

التصوير

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الصاد والواو والراء كلمات كثيرة متباعدة الأصول، وليس هذا الباب باب قياس ولا اشتقاق»^(١).

التصوير مشتق من الأصل الثلاثي: (صور) الدالّ على إمالة الشيء إليك، وقيل: إنه مشتق من: صار يصير، وعليه تكون الصورة هي منتهى الأمر ومصيره. والفعل: صَوَّرَ يَصَوِّرُ تصويراً وصورة فهو مَصَوَّرٌ ومُصَوِّرٌ؛ إذا جعل له هيئة وصورة، والصورة: الهيئة والخلقة والشكل، وما يُنْتَقَشُ به الأعيان، والتصوير: نقش صورة الأشياء أو الأشخاص على لوح أو حائط ونحوه بالقلم أو بآلة التصوير^(٢). فالصورة تأتي بمعنى حقيقة الشيء وهيئته وصفته، وبمعنى الصنف، والوجه، وتطلق على كل ما أخذ عن أصله مطابقاً له، وعلى ما يرسم في الذهن^(٣).

(١) مقاييس اللغة (٣/٣١٩) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٢/١٥٩) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، والصحاح للجوهري (٢/٧١٦ - ٧١٧) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٣/٣٢٠)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٤٩٧) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والمعجم الوسيط (١/٢٨) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٦/٥٨، و١٢/١٦٠)،

والصحاح للجوهري (٢/٧٠٥، ٧١٧)، والقاموس المحيط (٤٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ]، ولسان العرب (٤/٤٧٣) [دار صادر، ط١]، ومعجم لغة الفقهاء (٢٧٨) [دار النفائس، ط٢، ١٤٠٨هـ].

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/٣٨٩ - ٣٩٠).

(٥) أحكام التصوير في الفقه الإسلامي لمحمد بن أحمد واصل (٣٨).

(٦) المعجم الوسيط (١/٥٢٨) [مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي للتصوير هو جزء من المعنى اللغوي؛ لأن المعنى اللغوي واسع؛ إذ إنه يشمل حقيقة الأمر، وما يرسم في ذهن ونحو ذلك.

الأسماء الأخرى:

هناك أسماء بعضها بمعنى الصورة، وبعضها مقارب لها في المعنى، منها:

١ - التمثال.

٢ - الرسم.

٣ - النحت.

الحكم:

يحرم تصوير ذوات الأرواح من غير ضرورة؛ لما ثبت عن الله ﷻ ورسوله ﷺ من تحريم ذلك، كما جاء من حديث أبي هريرة رضى الله عنه؛ أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «قال الله ﷻ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة أو شعيرة»^(١). وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتكم»^(٢). وعن ابن

عباس رضى الله عنه قال: سمعت محمداً ﷺ يقول: «من صور صورة في الدنيا كُلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ»^(٣).

الأدلة:

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون»^(٤).

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: سمعت محمداً ﷺ يقول: «من صور صورة في الدنيا كُلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ»^(٥).

وعن سعيد بن أبي الحسن قال: «جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إني رجل أصور هذه الصور، فأفتني فيها. فقال له: ادن مني. فدنا منه. ثم قال: ادن مني. فدنا حتى وضع يده على رأسه، قال: أنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه في جهنم» وقال: إن كنت لا بد فاعلاً، فاصنع الشجر، وما لا نفس له»^(٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٦٣)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥٠)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٩).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٦٣)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٥٩)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥١)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٨).

وعن عائشة رضي الله عنها: «أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فقام النبي ﷺ بالباب فلم يدخل، فقلت: أتوب إلى الله مما أذنبت، قال: ما هذه النمرقة؟ قلت: لتجلس عليها وتوسدها، قال: إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وإن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصورة»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال النووي رحمته الله: «قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: تصوير صورة الحيوان شديد التحريم، وهو من الكبائر؛ لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور في الأحاديث، وسواء صنعه بما يمتهن، أو بغيره فصنعتة حرام بكل حال؛ لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالى، وسواء ما كان في ثوب، أو بساط، أو درهم، أو دينار، أو فلس، أو إناء، أو حائط، أو غيرها، وأما تصوير صورة الشجر، ورحال الإبل، وغير ذلك، مما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام»^(٢).

وقال ابن حجر رحمته الله في حديث عائشة رضي الله عنها السابق: «وإنما قدم الجملة الأولى عليها؛ اهتماماً بالزجر عن اتخاذ

الصور؛ لأن الوعيد إذا حصل لصانعيها فهو حاصل لمستعملها؛ لأنها لا تصنع إلا لتستعمل، فالصانع متسبب والمستعمل مباشر، فيكون أولى بالوعيد، ويستفاد منه: أنه لا فرق في تحريم التصوير بين أن تكون الصورة لها ظل أو لا، ولا بين أن تكون مدهونة أو منقوشة أو منقورة أو منسوجة، خلافاً لمن استثنى النسيج وادّعى أنه ليس بتصوير»^(٣).

وقال ابن باز رحمته الله ردّاً على سؤال نصّه: «ما قولكم في حكم التصوير الذي قد عمت به البلوى وانهمك فيه الناس؟ تفضلوا بالجواب الشافي عما يحل منه وما يحرم، أثابكم الله تعالى».

الجواب: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد، فقد جاءت الأحاديث الكثيرة عن النبي ﷺ في الصحاح والمسانيد والسنن دالة على تحريم تصوير كل ذي روح، آدمياً كان أو غيره، وهتك الستور التي فيها الصور، والأمر بطمس الصور ولعن المصورين، وبيان أنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة. وأنا أذكر لك جملة من الأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الباب... وهذه الأحاديث وما جاء في معناها دالة دلالة ظاهرة على تحريم

(١) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥٧)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٧).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٤/٨١) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط ١، ١٣٤٧هـ].

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/٣٨٩ - ٣٩٠).

والتصوير الآلي أنواع:

١ - التصوير الفوتوغرافي: وهو التقاط الصورة عن طريق جهاز الكاميرا من خلال تصويبه نحو الهدف^(٤).

٢ - التصوير السينمائي: وهو الذي ينقل الصورة المتحركة مع الصوت لمدة زمنية محددة^(٥).

٣ - التصوير التلفزيوني: وهو الذي ينقل الصوت والصورة في وقت واحد بطريق الدفع الكهربائي^(٦).

٤ - التصوير بالأشعة: وهو أنواع متعددة لأغراض مختلفة جداً، لكن العين الباصرة لا ترى عند التصوير إلا الأشعة الضوئية فقط^(٧).

وأما التصوير باعتبار الصورة فهو من جهة الروح ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تصوير ما له روح؛ كالإنسان والحيوان، وهذا النوع من التصوير حرام للنصوص السابقة. ويستثنى منه ما تمس إليه الحاجة فيباح منه على قدر الحاجة.

القسم الثاني: تصوير ما ليس له روح؛ كالأنهار والبحار والجبال

التصوير لكل ذي روح، وأن ذلك من كبائر الذنوب المتوعد عليها بالنار. وهي عامة لأنواع التصوير، سواء كان للصورة ظل أم لا، وسواء كان التصوير في حائط أو ستر أو قميص أو مرآة أو قرطاس أو غير ذلك؛ لأن النبي ﷺ لم يفرق بين ما له ظل وغيره، ولا بين ما جعل في ستر أو غيره؛ بل لعن المصور، وأخبر أن المصورين أشد الناس عذاباً يوم القيامة، وأن كل مصور في النار، وأطلق ذلك ولم يستثن شيئاً^(١).

الأقسام:

ينقسم التصوير إلى عدة أقسام، فهو باعتبار الوسيلة التي يتم بها التصوير ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التصوير اليدوي، وهو ما يتم بمباشرة اليد لعملية التصوير، بالقلم أو الفرشة أو المنشار أو المنحات ونحو ذلك^(٢).

القسم الثاني: التصوير الآلي، وهو: «العلم والفن المعنيان بتكوين وتثبيت صورة على شريط أو لوح صنع حساساً للضوء»^(٣).

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٤/٢١٠ - ٢١٥) [جمع: محمد الشويعر، دار القاسم للنشر، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: أحكام التصوير في الفقه الإسلامي (٦٣).

(٣) الموسوعة العربية الميسرة (١/٥٢٨)، وأحكام التصوير في الفقه الإسلامي (٦١ - ٦٢).

(٤) انظر: المصدر السابق (٦٤).

(٥) انظر: المصدر السابق (٦٥).

(٦) انظر: أحكام التصوير في الفقه الإسلامي (٦٥)، والموسوعة العربية الميسرة (١/٥٤٤).

(٧) انظر: أحكام التصوير في الفقه الإسلامي (٦٧ - ٦٨).

والشمس والقمر، وهذا مباح^(١).

وباعتبار الجسم وعدمه ينقسم إلى قسمين أيضاً:

القسم الأول: الصورة المجسمة، وهي كل صورة لها جسم شاخص، ويكون لها ظل إذا قابلت الضوء^(٢).

القسم الثاني: الصورة المسطحة أو غير المجسمة.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: في مجيئ التصوير **صفة لله ﷻ:**

من أسماء الله الحسنى: اسم الله (المصور)، الدال على إثبات صفة التصوير لله على الوجه اللائق به تعالى، قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: ٢٤].

ووصف الله بها نفسه فقال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦]، وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]، وقال الله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَ الْإِنْسَانَ مَا يَحْكُمُ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [٦] الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّدَكَ فَعَدَلَكَ [٧] فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ [٨] [الانفطار]. قال الأزهري:

«فالمصور من صفات الله تعالى؛ لتصويره صور الخلق»^(٣)، وقال السمعاني: «وقوله: ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] هو التصوير المعلوم، يصور كل خلق على ما يشاء»^(٤). وقال ابن كثير: «وقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] الخلق: التقدير، والبرء: هو الفري، وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله ﷻ، قال الشاعر يمدح آخر: ولأنت تفري ما خلقت وبع

ضُ القوم يخلق ثم لا يفري أي: أنت تنفذ ما خلقت؛ أي: قدرت، بخلاف غيرك؛ فإنه لا يستطيع ما يريد. فالخلق: التقدير. والفري: التنفيذ. ومنه يقال: قدر الجلال ثم فري؛ أي: قطع على ما قدره بحسب ما يريده.

وقوله تعالى: ﴿الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]؛ أي: الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن، فيكون على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار؛ كقوله: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [٨] [الانفطار]، ولهذا قال: ﴿الْمُصَوِّرُ﴾؛ أي: الذي ينفذ ما يريد إيجاده على

(٣) تهذيب اللغة (١٢/ ١٦٠).

(٤) تفسير السمعاني (٥/ ٤١٠) [دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ].

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/ ٢٦٤) [دار الوطن ودار الثريا، ١٤١٣هـ].

(٢) انظر: أحكام التصوير في الفقه الإسلامي (٧٠ - ٧١).

الصفة التي يريدونها»^(١).

وقال الشنقيطي: «و﴿الْمُصَوِّرُ﴾ المشكّل لكل موجود على الصورة التي أوجده عليها، ولم يفرد كل فرد من موجوداته على صورة تختص به إلا الله ﷻ، كما هو موجود في خلق الله للإنسان والحيوان والنبات كل في صورة تخصه»^(٢).

- المسألة الثانية: فيما قيل من التفريق في الحكم بين الصورة المجسمة والصورة غير المجسمة:

ذهب بعض أهل العلم إلى أن التصوير المحرم هو تصوير ما كان له ظل، وأما ما ليس له ظل فهو جائز مطلقاً، وعزا النووي هذا القول إلى محمد بن القاسم^(٣)، وعزاه إليه أيضاً ابن حجر؛ فذكر أنه «نقله ابن أبي شيبة عن القاسم بن محمد بسند صحيح»^(٤)، ثم ساق لفظه.

ومحمد بن القاسم هذا هو أحد الفقهاء السبعة في عصر التابعين، ف«يحتمل أنه تمسك بعموم قوله: «إلا رقماً في ثوب»؛ فإنه أعم من أن يكون معلقاً أو مفروشاً»^(٥).

وهذا الحديث قطعة من حديث بسر بن سعيد عن زيد بن خالد عن أبي طلحة رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ قال: «إن رسول الله ﷺ قال: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصورة»، قال بسر: ثم اشتكى زيد فعُدناه، فإذا على بابه ستر فيه صورة، فقلت لعبيد الله - ربيب ميمونة زوج النبي ﷺ -: ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول؟ فقال عبيد الله: ألم تسمعه حين قال: «إلا رقماً في ثوب»^(٦). وأشار ابن باز إلى من تعلق بهذا الحديث على هذا التفريق فقال: «وأما ما ورد عنه ﷺ أنه قال: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة إلا رقماً في ثوب»، فهذا الحديث لا شك في صحته، وقد تعلق به بعض من أجاز الصور الشمسية»^(٧)، وقال الشيخ أيضاً: «ولعل زيذاً رضي الله عنه لم يعلم الستر المذكور، أو لم تبلغه الأحاديث الدالة على تحريم تعليق الستور التي فيها الصور، فأخذ بظاهر قول النبي ﷺ: «إلا رقماً في ثوب» فيكون معذوراً لعدم علمه بها.

وتبنى بعض المتأخرين هذا القول وتعلقوا لإثباته - إضافة إلى هذا الحديث - بقوله تعالى: ﴿وَصَوِّرَكُمْ فَاَحْسَنَ

(١) تفسير ابن كثير (٨٠/٨) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) أضواء البيان (٧٧/٨) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٨٢/١٤).

[دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ].

(٤) فتح الباري لابن حجر (٣٨٨/١٠).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥٧).

ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٧).

(٧) مجموع فتاوى ابن باز (٣/٢٢٤).

الأحاديث، الصحيحة؛ كحديث مسروق الذي في البخاري، قال: سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون»^(٣). . .
فهذه الأحاديث الصحيحة وأمثالها دلّت بعمومها على منع التصوير مطلقاً^(٤).

وقال أيضاً: «وأما الصور المخططة في البياض من الورق وغيره فهي ملحقة بها في التحريم، لعموم الأدلة، ولوجود حقيقة العلة. نعم بعض من كان لهم نصيب من اتباع المتشابه وترك المحكم يتعلقون بحديث: «إلا رقماً في ثوب»، فلا يمنعون من الصور إلا ما كان مجسداً. وأتباع الأئمة الأربعة وسائر السلف على المنع عملاً بالمحكم إلا من شذ، وتقديماً له على المتشابه، وحمل المتشابه على حالة لا تعارض المحكمات»^(٥).

وقال ابن باز بعد أن سرد جملة من الأحاديث الواردة في هذا الباب: «إن الأحاديث الواردة في تحريم التصوير، ولعن المصورين، والتصريح بأنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة مطلقة عامة،

صُورَكُمْ» [غافر: ٦٤]، كما جاء في سؤال ورد على الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ عما كتبه أحدهم في مجلة «الهدي النبوي» من الفتوى بشأن التصوير الشمسي، والفتوى بجوازه مطلقاً واستدلّاه بالحديث والآية السابقين^(١).

ومما احتجوا به أيضاً زعمهم أن التصوير الشمسي هو «نظير ظهور الوجه في المرآة ونحوها من الصقيلات»^(٢).

الرد عليهم:

لا شك أن هذا التفريق في الحكم بين الصورة المجسمة فتحرم، وغير المجسمة فتحل هو تفريق غير صحيح؛ لأمر:

الأمر الأول: مصادمته لعموم الأحاديث التي فيها النهي عن التصوير ولعن المصورين وبيان جزائهم يوم القيامة، كما تقدمت تحت فقرة الأدلة.

ولذا ردّ عليهم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بقوله: «وجوابي عن ذلك أن أقول: تصوير ما له روح لا يجوز، سواء في ذلك ما كان له ظل وما لا ظل له، وسواء كان في الثياب والحيطان والفرش والأوراق وغيرها. هذا الذي تدل عليه

(٣) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥٠)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٩).

(٤) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٨٣/١ - ١٨٤).

(٥) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (١/١٨٠).

(١) انظر: فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١/١٨٣)، جمع وترتيب: محمد بن القاسم [مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ط ١، ١٣٩٩هـ].

(٢) انظر: فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١/١٨٧).

وقال ابن تيمية في قوله ﷺ: «إلا رقمًا في ثوب»^(٤): «فالمراد بها - والله أعلم - ما رقم من الصور التي لا روح فيها أو كان يوطأ ويداس من الصور في الثياب»^(٥).

ورد ابن باز بوجوه كثيرة على من قال بالتفريق اعتمادًا منه على حديث: «إلا رقمًا في ثوب»، **منها**: «أنه ﷺ لما رأى الصور المشبهة للشمسية، وهي الصور الموجودة في الستور والحيطان، غضب وتلون وجهه، وأمر بهتك الستور التي فيها الصور، ومحو الصور التي في الجدران، وبأشر محوها بنفسه لما رآها في جدران الكعبة...

ومنها: أن الاستثناء المذكور، إنما ورد في سياق الأحاديث الدالة على امتناع الملائكة من دخول البيت الذي فيه تصاوير، ولم يرد في سياق الأحاديث المانعة من التصوير، وفرق عظيم بين الأمرين.

ومنها: أن قوله: «إلا رقمًا في ثوب» يجب أن يحمل على النقوش التي ليست بصور، أو على الصور التي قطع رأسها أو طمس، أو التي في الثياب التي تمتهن باتخاذها وسائل وبسطة ونحو ذلك، لا فيما ينصب ويرفع كالستور

ليس فيها تقييد ولا استثناء، فوجب الأخذ بها والتمسك بعمومها وإطلاقها»^(١).

الأمر الثاني: مخالفته لصريح حديث عائشة رضي الله عنها: «أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فقام النبي ﷺ بالباب فلم يدخل، فقلت: أتوب إلى الله مما أذنبت. قال: «ما هذه النمرقة؟» قلت: لتجلس عليها وتوسدها، قال: «إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وإن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه الصورة»»^(٢).

قال النووي: «وقال بعض السلف: إنما ينهى عما كان له ظل، ولا بأس بالصور التي ليس لها ظل، وهذا مذهب باطل؛ فإن الستر الذي أنكره النبي ﷺ الصورة فيه لا يشك أحد أنه مذموم، وليس لصورته ظل، مع باقي الأحاديث المطلقة في كل صورة. وقال الزهري: النهي في الصورة على العموم، وكذلك استعمال ما هي فيه، ودخول البيت الذي هي فيه، سواء كانت رقمًا في ثوب أو غير رقم، وسواء كانت في حائط أو ثوب أو بساط ممتهن أو غير ممتهن، عملاً بظاهر الأحاديث، لا سيما حديث النمرقة الذي ذكره مسلم، وهذا مذهب قوي»^(٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥٨)،

ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٦).

(٥) شرح العمدة لابن تيمية (٣٩٥) [دار العاصمة، ط ١].

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٢٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥٧).

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٨٢/ ١٤).

فحتى القائلون بالتفريق في الحكم بينهما يسمون الصورة غير المجسمة بالصورة، وما دام اسم الصورة يطلق عليها فإن الحكم الشرعي - وهو تحريم التصوير بصفة عامة - يشملها ويعمها.

وأما استدلالهم بالآية وهي قوله تعالى: ﴿وَصَوِّرْكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤] فهو استدلال فاسد؛ فإن جعلهم الآية «معارضة لما دلت عليه النصوص النبوية بعمومها تارة وبظاهرها أخرى فهذا من أفحش الغلط، ومن أبين تحريف الكلم عن مواضعه، فإن التصوير الشمسي وإن لم يكن مثل المجسد من كل وجه فهو مثله في علة المنع، وهي إبراز الصورة في الخارج بالنسبة إلى المنظر»^(٣).

و«زعم بعض مجيزي التصوير الشمسي أنه نظير ظهور الوجه في المرآة ونحوها من الصقيلات»^(٤)، فهذا جمع بين المختلفات وقياس مع الفارق، وهو «فاسد؛ فإن ظهور الوجه في المرآة ونحوها شيء غير مستقر، وإنما يرى بشرط بقاء المقابلة، فإذا فقدت المقابلة فقد ظهور الصورة في المرآة ونحوها، بخلاف الصورة الشمسية، فإنها باقية في الأوراق ونحوها مستقرة، فإلحاقها

على الأبواب والجدران والملابس، فإن الأحاديث الصحيحة صريحة في تحريم ذلك، وأنه يمنع من دخول الملائكة كما ورد ذلك في حديث عائشة وأبي هريرة وغيرهما.

وبما ذكرناه يتضح الجمع بين الأحاديث وأن الاستثناء إنما ورد في سياق الأحاديث الدالة على امتناع دخول الملائكة البيت الذي فيه الصور، وأن المراد بها الصور الممتحنة في الوسائد والبسط ونحوها، أو مقطوعة الرأس، والله ولي التوفيق»^(١). وعليه ف«من علم الأحاديث الصحيحة، الدالة على تحريم نصب الستور التي فيها الصور، فلا عذر له في مخالفتها. ومتى خالف العبد الأحاديث الصحيحة الصريحة اتّباعاً للهوى، أو تقليداً لأحد من الناس، استوجب غضب الرب ومقتته، وخيف عليه من زيغ القلب وفتنته»^(٢).

الأمر الثالث: أن كلاً من الصورتين المجسمة وغير المجسمة يطلق عليهما: صورة، لغةً وشرعاً وعرفاً، والقول بأن حقيقة الصورة يطلق على الصورة المجسمة فقط هو خروج عن اللغة والشرع والعرف، وهو مردود. أما اللغة والشرع فقد تقدم بيانهما، وأما العرف

(٣) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (١/١٨٦).

(٤) المصدر السابق (١/١٨٧).

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٣/٢٢٤ - ٢٢٥).

(٢) المصدر نفسه (٤/٢١٨).

والنساء الخليعات وغيرهم، علم الكثير من حكمة الشارع في النهي عن التصوير والتحذير منه، وعرف الكثير من مفاسد ذلك ومضاره على المجتمع في دينه وأخلاقه، وفي دنياه وسلوكه وفي سائر أحواله وشؤون، ولقد غلط غلطاً فاحشاً من فرق بين التصوير الشمسي والتصوير النحتي، وبعبارة أخرى بين التصوير الذي له ظل والذي لا ظل له؛ لأن الأحاديث الصحيحة الواردة في هذه المسألة تعم النوعين وتنتظمهما انتظاماً واحداً، ولأن المضار والمفاسد التي في التصوير النحتي وما له ظل مثل المفاسد والأضرار التي في التصوير الشمسي؛ بل التصوير الشمسي أعظم ضرراً وأكثر فساداً من وجوه كثيرة^(٢).

- المسألة الثالثة: فيما يباح تصويره:

الحديث على هذه المسألة يشمل أمرين:

الأمر الأول: تصوير ما ليس له روح:

حكم هذا الأمر قد يكون مفهوماً من المسألة الثانية، ولكن لا بد من إبرازه هنا.

وعليه؛ فتصوير ما لا روح فيه جائز، وبه قال الجمهور^(٣)، وجاء ما يدل عليه

(٢) مقدمة الشيخ ابن باز لكتاب: إعلان النكير على المفتونين بالتصوير لحمود التويجري (٣ - ٤) [دار الهجرة].

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٣/٢٢١) [دار الكتب =

بالصور المنقوشة باليد أظهر وأوضح وأصح من إلحاقها بظهور الصورة في المرأة ونحوها، فإن الصورة الشمسية وبدو الصورة في الأجرام الصقيلة ونحوها يفترقان في أمرين:

أحدهما: الاستقرار والبقاء.

الثاني: حصول الصورة عن عمل ومعالجة. فلا يطلق لا لغة ولا عقلاً ولا شرعاً على مقابل المرأة ونحوها أنه صور ذلك، ومصور الصور الشمسية مصور لغة وعقلاً وشرعاً، فالمسوي بينهما مسوً بين ما فرق الله بينه. والمانعون منه قد سوا بين ما سوى الله بينه، وفرقوا بين ما فرق الله بينه، فكانوا بالصواب أسعد، وعن فتح أبواب المعاصي والفتن أنفر وأبعد، فإن المجيزين لهذه الصور جمعوا بين مخالفة أحاديث رسول الله ﷺ ونفث سموم الفتنة بين العباد بتصوير النساء الحسان، والعاريات الفتان، في عدة أشكال وألوان، وحالات يقشعر لها كل مؤمن صحيح الايمان، ويطمئن إليها كل فاسق وشيطان^(١).

وقال ابن باز: «وكل من تأمل الأحاديث الواردة في هذا الباب، وما أحدثه الناس اليوم من التوسع في التصوير، وانتشاره في كل مكان، والعناية بتصوير الزعماء والرؤساء

(١) المصدر السابق (١/١٨٧).

المصورون»^(٤)، وبحديث: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقًا كخلقي»^(٥)، وحديث: «أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة الذين يضاؤون بخلق الله»^(٦).

والحق أن هذه الأحاديث وما في معناها محمولة على تصوير ما له روح، كما فعل ابن عباس رضي الله عنهما، حيث أفتى السائل بقوله: «فاصنع الشجر وما لا نفس له»^(٧). وفي بعضها القرينة واضحة؛ كقوله: «يقال لهم: أحيوا ما خلقتكم»^(٨)، فقوله: «أحيوا ما خلقتكم» قرينة قوية توضح أن المقصود بالصور المنهي عنها والمتوعد على صناعتها واستعمالها هي صور ذوات الأرواح^(٩).

قال النووي: «وأما الشجر ونحوه مما لا روح فيه فلا تحرم صنعته ولا التكسب به، وسواء الشجر المثمر وغيره، وهذا مذهب العلماء كافة إلا مجاهدًا، فإنه جعل الشجر المثمر من المكروه. قال القاضي: لم يقله أحد غير مجاهد،

(٤) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥٠)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٩).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٥٩)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١١).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥٤)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٧) واللفظ له.

(٧) أخرجه مسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).

(٨) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥١)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٨).

(٩) انظر: أحكام التصوير في الفقه الإسلامي (١٧٦).

عن سعيد بن أبي الحسن قال: «جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إني رجل أصور هذه الصور فأفتني فيها، فقال له: ادن مني، فدنا منه، ثم قال: ادن مني، فدنا حتى وضع يده على رأسه، قال: أنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفسًا فتعذبه في جهنم»، وقال: إن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له»^(١٠).

وقال ابن باز: «فإن الاستوديو يصور الجائز والممنوع، فإذا صور فيه ما هو جائز من السيارات والطائرات والجبال وغيرها مما ليس فيه روح، فلا بأس أن يبيع ذلك ويصور هذه الأشياء التي قد يحتاج إليها الناس وليس فيها روح»^(١١).

وذهب بعض أهل العلم كمجاهد والقرطبي^(١٢) إلى منع التصوير مطلقًا، سواء كان له روح أم لا. واحتجوا بعموم الأحاديث المانعة من التصوير؛ كحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة

= المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ومرفقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٨٥٥) [دار الفكر، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(١) أخرجه مسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٣٨٠).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٣/ ٢٢١، و ٢٢٢).

إليه الناس كالتابعة التي يحتاجها الناس، وتسمى حفيظة النفوس، فلا بأس، وهكذا جواز السفر، والشهادة العلمية التي لا تحصل إلا بالصورة، وهكذا تصوير المجرمين ليعرفوا ويتحرز من شرهم، وهكذا أشباه ذلك مما تدعو إليه الضرورة^(٦).

❁ الفرق:

الفرق بين التصوير والخلق والبرء:

لفظ التصوير والخلق والبرء كلها متقاربة المعنى، وهي مراحل الخلق والإيجاد من العدم، دلَّ عليها قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وفي بيان الفروق بينها قال القرطبي: «الخالق هنا: المقدر، والبارئ: المنشئ المخترع، والمصور: مصور الصور ومركبها على هيئات مختلفة؛ فالتصوير مرتب على الخلق والبراءة وتابع لهما. ومعنى التصوير: التخطيط والتشكيل. وخلق الله الإنسان في أرحام الأمهات ثلاث خَلَقَ: جعله علقه، ثم مضغه، ثم جعله صورة، وهو التشكيل الذي يكون به صورة وهيئة يعرف بها ويتميز عن غيره بسمتها. فتبارك الله أحسن الخالقين...»

وقد جعل بعض الناس الخلق بمعنى التصوير، وليس كذلك، وإنما التصوير

واحتمج مجاهد بقوله تعالى: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقًا كخُلِقِي»^(١)، واحتج الجمهور بقوله ﷺ: «ويقال لهم: أحيوا ما خلقتكم»؛ أي: اجعلوه حيوانًا ذا روح كما ضاهيتم، وعليه رواية: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقًا كخُلِقِي»^(٢)، ويؤيده حديث ابن عباس رضي الله عنهما المذكور في الكتاب: «إن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له»^{(٣)(٤)}.

الأمر الثاني: تصوير ما له روح عند الاضطرار:

وأما تصوير ما فيه روح عند الاضطرار فلا بأس به، لكن لا بد من تقدير هذه الضرورة بقدرها، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطَرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا اضْطَرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾: «إلا في حال الاضطرار، فإنه يباح لكم ما وجدتم»^(٥). وقال ابن باز: «أما تصوير ذوات الأرواح من بني الإنسان أو الدواب والطيور فلا يجوز إلا للضرورة، كما لو صور شيئًا مما يضطر

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٥٩)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٥٩)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١١).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).

(٤) شرح النووي على مسلم (٩١/١٤).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/٣٢٣).

(٦) مجموع فتاوى ابن باز (٦/٣٨٠).

الدين وفشو الجهل بين كثير منهم قال الشيخ حمود التويجري: «وقد عظمت البلوى بصناعة الصور وبيعها وابتاعها، وافتتن باقتنائها واقتناء الجرائد والمجلات والكتب التي فيها ذلك كثير من المنتسبين إلى العلم من معلمين ومتعلمين فضلاً عن غيرهم، وصار نصبها في المجالس والدكاكين عادة مألوفة عند كثير من الناس، ومن أنكر ذلك عليهم أو أنكر صناعتها فأقل الأحوال أن يستهزئوا به، ويهمزوه ويلمزوه، وهذا دليل على استحكام غربة الإسلام وظهور الجهل بما بعث الله به رسوله محمداً ﷺ وما أمر به من هدم الأوثان وكسر الأصنام والصلبان وطمس الصور ولطخها، فالله المستعان.

وهذا المنكر الذميمة - أعني: صناعة الصور ونصبها في المجالس وغيرها - موروثة عن قوم نوح، ثم عن النصاري ومن بعدهم، وكذلك عن مشركي العرب، فإنهم كانوا يصنعون الصور وينصبونها»^(٤).

الحكمة:

الحكمة من تحريم التصوير:

أولاً: أنه وسيلة إلى الغلو فيها، وربما يؤدي في النهاية إلى الوقوع في الشرك بالله، من الخضوع للصور

آخرًا والتقدير أولاً والبراية بينهما. ومنه قول الحق: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [المائدة: ١١٠]^(١).

وقال الشنقيطي: «فالخالق: هو المقدر قبل الإيجاد. والبارئ: الموجد من العدم على مقتضى الخلق والتقدير، وليس كل من قدر شيئاً أوجده إلا الله. والمصور: المشكّل لكل موجود على الصورة التي أوجده عليها، ولم يفرد كل فرد من موجوداته على صورة تختص به إلا الله ﷻ، كما هو موجود في خلق الله للإنسان والحيوان والنبات، كل في صورة تخصه»^(٢).

الآثار:

هناك آثار سيئة للتصوير، منها:

- ظهور الشرك بين قوم نوح كما هو مبين في الفقرة التالية.
- انحراف كثير من الناس و«نفث سموم الفتنة بين العباد بتصوير النساء الحسان، والعاريات الفتان في عدة أشكال وألوان، وحالات يقشعر لها كل مؤمن صحيح الإيمان، ويطمئن إليها كل فاسق وشيطان»^(٣).

- بسبب انتشار الصور أصيب كثير من المسلمين بقلّة الإحساس بما يخالف

(١) تفسير القرطبي (٤٨/١٨).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧٧/٨).

(٣) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (١٨٧/١).

(٤) إعلان النكير على المفتونين بالتصوير للتويجري (٩).

وجبه، وقال: «يا عائشة! أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله». قالت عائشة: فقطعناه، فجعلنا منه وسادة أو وسادتين^(٤).

وعن أبي زرعة قال: دخلت مع أبي هريرة رضي الله عنه في دار مروان فرأى فيها تصاوير، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة»^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام التصوير في الفقه الإسلامي»، لمحمد بن أحمد واصل.
- ٢ - «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (ج ٨)، للشنقيطي.
- ٣ - «إعلان النكير على المفتونين بالتصوير»، لحمود بن عبد الله التويجري.
- ٤ - «التصوير: أنواعه وحكمه»، لعبد الله بن عبد الحميد.
- ٥ - «تفسير السمعاني» (ج ٥).
- ٦ - «فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ» (ج ١).
- ٧ - «فتح الباري» (ج ١١)، لابن حجر.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥٤)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٧) واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٥٩)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١١).

والتقرب إليها وتقديسها كما حصل لقوم نوح، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح] أنه قال عن هؤلاء أنهم: «أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبت»^(١). قال ابن حجر: «والمشهور أنهم كانوا على صورة البشر، وهو مقتضى ما تقدم من الآثار في سبب عبادتها»^(٢).

فأضلت كثيراً من الناس كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٤]، قال الإمام ابن كثير: «يعني: الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقاً كثيراً، فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم»^(٣).

الأمر الثاني: أنه لما في التصوير من المضاهاة لخلق الله، كما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه هتكه، وتلون

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٢٠).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٨/٦٦٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/٢٣٦).

٨ - «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ

عبد العزيز بن باز» (ج ٣).

التعبيد لغير الله: هو تسمية المولود

باسم مُعَبَّد لمخلوق، سواء كان ذلك المعبد له إنساناً أو جماداً أو غيرهما^(٣).

٩ - «الملخص في شرح كتاب

التوحيد»، لصالح الفوزان.

١٠ - «شرح صحيح مسلم» (ج ١٤)،

للنووي.

سبب التسمية:

سبب التسمية ظاهر في كون ذلك التعبيد منسوباً إلى غير الله تعالى، ولذلك سُمي بهذا الاسم، فدخل في ذلك كل ما عبّد للمخلوق، ولم يُعبد للخالق ﷻ.

الأسماء الأخرى:

أطلق بعض العلماء على هذا النوع من التعبيد اسم (الشرك في التسمية)، لكون ذلك إنما يقع في التسمية دون غيرها^(٤).

الحكم:

اتفق العلماء على تحريم التعبيد لغير الله تعالى، إلا أن بعض العلماء حكى خلافاً في اسم عبد المطلب كما سيأتي في المسائل.

ومسألة التعبيد لغير الله يختلف تحريمها باختلاف نية صاحبها وحقيقة فعله؛ فإن كان مع هذه التسمية عابداً لغير الله على

(٣) انظر: تحفة المودود (٨١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ]، وفتح المجيد (٥١٩) [دار

الحديث، القاهرة].

(٤) انظر: إعانة المستفيد للفوزان (٢/ ٢٨٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٢هـ]، وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، لشمس الدين الأفغاني (١/ ٣٨٤) [دار الصميعي، الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ].

تطائير الصحف

يراجع مصطلح (الصحف).

التطرف

يراجع مصطلح (الغلو).

التعبيد لغير الله

التعريف لغة:

التَّعْبِيدُ لغة: التذليل. يقال: طريق مُعَبَّد: مسلك مُذَلَّل، والتعبيد والاعتباد والاستعباد بمعنى. واستعبدت فلاناً: اتخذته عبداً، وتعبد فلان فلاناً؛ إذا صيرَه كالعبد له وإن كان حراً، وأعبد فلان فلاناً؛ أي: جعله عبداً^(١)، ويأتي التعبيد بمعنى: التأليه^(٢).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢٠٦/٤) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (٢٧٤/٣) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ]، والقاموس المحيط (٢٩٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٨، ١٤٢٦هـ].
(٢) انظر: الصحاح (٢٢٢٤/٦) [دار العلم، ط ٤].

- ما ورد من تسمية بعض الصحابة رضي الله عنهم في الجاهلية بأسماء معبدة لغير الله، ثم لما أسلموا غيرها النبي ﷺ فمن ذلك: ما ورد عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه قال: «كان اسمي عبد عمرو - وفي رواية عبد الكعبة -، فلما أسلمت سماني رسول الله ﷺ عبد الرحمن» (٢).

- وما رواه يزيد بن هاني رضي الله عنه قال: «سمع النبي ﷺ قومًا يسمون رجلًا منهم: عبد الحجر، فقال النبي ﷺ: «ما اسمك؟» قال: عبد الحجر، قال: «لا، أنت عبد الله» (٣).

- إجماع العلماء على تحريم كل اسم معبد لغير الله تعالى (٤).

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وشريعة الإسلام الذي هو الدين

(٢) أخرجه البزار (٢٢٠/٣) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، والطبراني في الكبير (١٢٦/١) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، والحاكم (معرفة الصحابة، رقم ٥٣٣٦)، والضياء في المختارة (٣/١٠٤) [دار خضر، ط٣]، وقال: سنده حسن.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٨٢) [دار البشائر، ط٣]، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٢٦٢) وصححه الألباني في في صحيح الأدب المفرد (١/٣٠٢).

(٤) كما قال ابن حزم رحمته الله: «اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله؛ كعبد عمر وعبد الكعبة وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب». مراتب الإجماع (١٥٤). وقد نقله العلماء عنه، واحتجوا به على تحريم ذلك.

الحقيقة متعلقًا بذلك خوفه ورجاؤه ومحبه، كما هي الحال بالنسبة لله تعالى، فذلك داخل في الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام، وإن لم يكن كذلك وإنما مجرد تسمية من غير تعلق وعبادة، فذلك داخل في الشرك الأصغر (١).

الحقيقة:

حقيقة التعبيد لغير الله تعالى هو: نسبة تعبيد المخلوق إلى مخلوق مثله تعظيمًا له، وذلك - وإن كان في الأسماء دون اعتقاد حقيقتها - إلا أنه داخل في نسبة إسداء النعمة إلى غير الله تعالى والتطاول على حقه ﷻ.

الأدلة:

وردت أدلة كثيرة في بيان عبودية الخلق لله تعالى والنهي عن تعبدهم لغيره ﷻ، فمن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩]. فالتعبيد لغير الله إذا لم يكن فيه عبادة حقيقية، فهو ذريعة إلى عبادة غير الله تعالى.

(١) انظر: مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٢٧/١٦)، والشرك في القديم والحديث (١/٢١٩) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ]، وإعانة المستفيد (٢/٢٨٨)، والقول المفيد (٣/٦٥) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٥هـ].

ابن عبد المطلب»^(٤)، قال ابن حزم: «اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله... حاشا عبد المطلب»^(٥).

والراجع: عدم جواز التسمي بذلك، وأن هذا الاسم في التحريم كغيره من الأسماء المعبدة لغير الله تعالى، وقد تقدم تغيير النبي ﷺ لعدد من الأسماء المعبدة لغير الله، وعلى هذا القول أكثر العلماء والمحققين من أتباع المذاهب، وقد أجاب ابن القيم عن القول الأول، بقوله: «أما قوله: «أنا ابن عبد المطلب» فهذا ليس من باب إنشاء التسمية بذلك، وإنما هو باب الإخبار بالاسم الذي عرف به المسمى دون غيره، والإخبار بمثل ذلك على وجه تعريف المسمى لا يحرم، ولا وجه لتخصيص أبي محمد بن حزم ذلك بعبد المطلب خاصة، فقد كان الصحابة يسمون بني عبد شمس وبني عبد الدار بأسمائهم ولا ينكر عليهم النبي، فباب الإخبار أوسع من باب الإنشاء، فيجوز ما لا يجوز في الإنشاء»^(٦).

وقال سليمان بن عبد الله: «لا تجوز التسمية بعبد المطلب ولا غيره مما عبّد لغير الله، وكيف تجوز التسمية وقد

الخالص لله وحده: تعبيد الخلق لربهم كما سنّه رسول الله ﷺ وتغيير الأسماء الشركية إلى الأسماء الإسلامية، والأسماء الكفرية إلى الأسماء الإيمانية، وعامة ما سمي به النبي ﷺ عبد الله وعبد الرحمن، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠] فإن هذين الاسمين أصل بقية أسماء الله تعالى»^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: «لا تحل التسمية بعبد علي، ولا عبد الحسين، ولا عبد الكعبة...»^(٢).

وقال ابن باز رحمه الله: «أجمع العلماء على أنه لا يجوز التعبيد لغير الله سبحانه، فلا يجوز أن يقال: عبد النبي، أو عبد الحسين، أو عبد الكعبة، أو نحو ذلك؛ لأن العبيد كلهم عبيد الله ﷻ»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم التسمية

بـ(عبد المطلب):

ذهب ابن حزم إلى جواز التسمية بـ(عبد المطلب)، وإن كان فيه تعبيدًا لغير الله تعالى، وذلك لقوله ﷺ في غزوة الحديبية: «أنا النبي لا كذب، أنا

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨٦٤)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٧٦)

(٣/١١٢١ رقم ١٧٧٦).

(٥) مراتب الإجماع (١٥٤) [دار الكتب العلمية].

(٦) تحفة المودود (٨١).

(١) مجموع الفتاوى (١/٣٧٩).

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (٨٠).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٢٧/١٦).

أجمع العلماء على تحريم التسمية بعبد النبي، وعبد الرسول، وعبد المسيح، وعبد علي، وعبد الحسين، وعبد الكعبة؟ وكل هذه أولى بالجواز من عبد المطلب لو جازت التسمية به^(١).

- المسألة الثانية: نسبة التعبيد لغير الله إلى آدم عليه السلام:

ذكر المفسرون - في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف] - روايات كثيرة في المراد بالآية الكريمة، ونسبة التعبيد لغير الله إلى آدم وحواء عليه السلام، فمن ذلك ما روي عن مجاهد رحمه الله أنه قال في تفسير الآية الكريمة: «كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد، فقال لهما الشيطان: إذا ولد لكما ولد، فسمياه: عبد الحارث! ففعلا وأطاعاه، فذلك قول الله: ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ الآية [الأعراف]^(٢).

وعن قتادة رحمه الله قال: «شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته»^(٣).

وبناء على ما تقدم من كلام ابن عباس رضي الله عنهما وما نقله المفسرون من

الأول: أن المعني بالآية الكريمة هو آدم وحواء عليه السلام ونسبة الشرك إليهما في قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾؛ أي: في التسمية، ولم يكن ذلك في العبادة. وقد رجح هذا القول الطبري والبخاري وغيرهما من المفسرين، وقد سرد الطبري عددًا من الروايات عن السلف تدل على أن المراد بالآية هو آدم وحواء عليه السلام، كما أشار إلى القول الثاني في المسألة ثم قال: «وأولى القولين بالصواب، قول من قال: عني بقوله: ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ في الاسم لا في العبادة، وأن المعني بذلك آدم وحواء، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك»^(٤).

القول الثاني: أن المعني بالآية الكريمة، ليس آدم وحواء عليه السلام وإنما ذرية آدم عليه السلام، وهذا هو المنقول عن الحسن البصري رحمه الله، حيث قال في قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾: «عني بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده»^(٥).

وقد رجح هذا القول وانتصر له ابن كثير رحمه الله، وأجاب عن الآثار التي

(١) تيسير العزيز الحميد (٦٣٣) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ].

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٣١٢/١٣) [دار الفكر، بيروت، بدون، ١٤٠٥هـ].

(٣) رواه أيضًا الطبري في تفسيره (٣١٢/١٣).

(٤) تفسير الطبري (٣١٥/١٣).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٣١٥/١٣).

غير الله، فهو ذريعة من ذرائع الشرك، كما أن ذلك كفر لنعمة الله تعالى بنسبة التعبد إلى غير الله.

المصادر والمراجع:

- ١ - «تحفة المودود في أحكام المولود»، لابن القيم.
- ٢ - «تفسير ابن جرير الطبري».
- ٣ - «تفسير ابن كثير».
- ٤ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٥ - «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية»، لشمس الدين الأفغاني.
- ٦ - «روضة المحبين ونزهة المشتاقين»، لابن القيم.
- ٧ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن.
- ٨ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١٠ - «مراتب الإجماع»، لابن حزم.

التعطيل

التعريف لغة:

التعطيل: مصدر للفعل عَطَّلَ، قال ابن فارس: «العين والطاء واللام أصلٌ صحيح واحد، يدل على خُلُوٍ وقَرَاغٍ. تقول: عَطَّلْتُ الدار، ودار مُعَطَّلة. ومتى

استدل بها أصحاب القول الأول، بأنها من الآثار المأخوذة عن أهل الكتاب، فقال: «وهذه الآثار يظهر عليها - والله أعلم - أنها من آثار أهل الكتاب... وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمته الله في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد المشركون من ذريته»^(١).

وقد اختار هذا القول ابن القيم رحمته الله فقال: «فالنفس الواحدة وزوجها آدم وحواء، واللذان جعلاً له شركاء فيما آتاها المشركون من أولادهما، ولا يلتفت إلى غير ذلك مما قيل: إن آدم وحواء كانا لا يعيش لهما ولد...»^(٢).

وهذا القول هو الراجح في هذه المسألة، وقد أبطل الشيخ ابن عثيمين القول الأول من سبعة أوجه، ثم قال: «فهذه الوجوه تدل على أن هذه القصة باطلة من أساسها، وأنه لا يجوز أن يعتقد في آدم وحواء أن يقع منهما شرك بأي حال من الأحوال، والأنبياء منزّهون عن الشرك مبرؤون منه باتفاق أهل العلم»^(٣).

الحكمة:

التعبد لغير الله تعالى وسيلة إلى عبادة

(١) تفسير ابن كثير (٣٠٦/٢) [دار الفتح، ط ١، ١٤١٣هـ].

(٢) روضة المحبين (٢٨٩) [دار الكتب العلمية].

(٣) القول المفيد لابن عثيمين (٦٨/٣).

الباري ﷻ^(٦). والتعريفان الأخيران قد ركّزا على أن التعطيل هو نفي الخالق؛ وهذا جزء من التعطيل، والتعطيل أعم من ذلك.

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي للتعطيل وهو الخلوّ والفراغ، هو المستعمل في الشرع؛ إذ يعني: خلو الرب تعالى من الصفات، أو تفرغ الصفات من معانيها ومدلولاتها الصحيحة، وخلو الكون من خالق.

✽ الأسماء الأخرى:

الزندقة، الإلحاد، نفي الصفات؛ وإن كان لفظ التعطيل أعم من نفي الصفات.

✽ الحقيقة:

بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية حقيقة قول المعطلة بجميع أصنافهم، حيث قال عن نفاة الصفات: «لهذا كان السلف والأئمة يسمون نفاة الصفات معطلة لأن حقيقة قولهم تعطيل ذات الله تعالى؛ وإن كانوا هم قد لا يعلمون أن قولهم مستلزم للتعطيل... فآل بهم إغراقهم في نفي التشبيه، إلى أن وصفوه بغاية التعطيل. ثم إنهم لم يخلصوا مما فروا منه؛ بل يلزمهم على قياس قولهم

تركت الإبل بلا راع، فقد عُطِلَتْ»^(١) ويقول الجوهرى في تعريف العطل: «والعَطْلُ أيضًا، مصدر عَطَلَت المرأة، وتعَطَّلت، إذا خلا جيدها من القلائد... وقد يستعمل العَطْلُ في الخلوّ من الشيء، وإن كان أصله في الحلي»^(٢). قال ﷻ: ﴿وَيَبْرُ مُعْطَلَةٌ﴾ [الحج: ٤٥]. فالتعطيل يدل على خلوّ الشيء وفراغه مما ينبغي له.

✽ التعريف شرعاً:

التعطيل: هو نفي وإنكار الخالق، أو نفي صفاته وأسمائه جزئياً أو كلياً. وقيل: التعطيل إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات؛ سواء كان كلياً أو جزئياً، وسواء كان ذلك بتحريف أو بجحود^(٣). يقول شيخ الإسلام: «فمن نفى ما لا بد منه كان معطلاً»^(٤). وقيل: «المعطلة الذين يزعمون أن الأشياء كائنة من غير تكوين، وأنه ليس لها مكون ولا مدبر»^(٥). وفي مفاتيح العلوم: «المعطلة: الذين لا يثبتون

(١) مقاييس اللغة (٣٥١/٤) [دار الجيل، ط ١].

(٢) الصحاح (١٧٦٧/٥) [دار العلم للملايين، ط ٣].

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٩١/١) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤١٥هـ].

(٤) الصفدية (١٠١/١) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٤٠٦هـ].

(٥) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملط (٩١ -

٩٢) [المكتبة الأزهرية، ١٤١٣هـ]، وانظر:

المفردات (٥٧٢) [دار القلم، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٦) مفاتيح العلوم (٥٥) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤٠٩هـ].

❁ الأقسام:

التعطيل ثلاثة أقسام^(٥):

١ - تعطيل المصنوع عن صانعه

وخالقه.

٢ - تعطيل الصانع ﷻ عن كماله المقدس، بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله.

٣ - تعطيل معاملته ﷻ عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد.

والنوع الأول والثاني من أنواع التعطيل من الشرك في الربوبية، والنوع الثالث من الشرك في الألوهية.

❁ الآثار:

من آثار مقولات المعطلة:

١ - الطعن في نصوص الوحي، وما ترتب عليه من الطعن في الدين وإثارة الشبه والشكوك فيه.

٢ - تهميش النصوص الشرعية، وتضخيم جانب العقل، وتقديمه على النقل.

٣ - ما ترتب على قول الجهمية من المقولات الفاسدة في الصفات والتي انبثقت من قول الجهمية، وتأثرت بها.

٤ - تشكيك الناس في عقائدهم بما جاؤوا به من فكر فلسفي وافد، مبني على أصول وثنية.

(٥) الجواب الكافي (٩٠) [مكتبة الرياض الحديثة]،

وانظر: تيسير العزيز الحميد (٤٣ - ٤٤، ١١٥).

أن يكونوا قد شبهوه بالمتنع الذي هو أخس من الموجود والمعدوم الممكن^(١).

وقال عن حقيقة قول أهل الوحدة: «والفائلون بوحدة الوجود حقيقة قولهم هو قول ملاحدة الدهرية الطبيعية؛ الذين يقولون: ما ثم موجود إلا هذا العالم المشهود، وهو واجب بنفسه، وهو القول الذي أظهره فرعون^(٢)».

وقال ابن القيم مبيناً حقيقة قول الفلاسفة: «هو إنكار ماهية الرب الزائدة على وجوده، وإنكار صفات كماله، وأنه لا سمع له، ولا بصر، ولا قدرة ولا حياة، ولا إرادة ولا كلام ولا وجه، ولا يدين، وليس فيه معنيان متميز أحدهما عن الآخر البتة^(٣)».

وقال الإمام أحمد: «فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يثبتون شيئاً ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في العلانية^(٤)».

(١) مجموع الفتاوى (٣٢٦/٥ - ٣٢٧)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣٥٤/٣ - ٣٥٥) (١٢/٥٠٧، ١٥٦) (١٣/١٥٠، ١٨٦) (١٦/٤٥٤).

(٢) درء التعارض (٣/١٦٣)، وانظر حقيقة غيرهم من المعطلة في: مجموع الفتاوى (٢/٢٤٨)، الصفدية (١/٢٤٤) (١/٢٤٤).

(٣) الصواعق المرسلة (٣/٩٢٩)، وانظر: بيان تلبس الجهمية (١/٤٦٤ - ٤٦٥)، ومجموع الفتاوى (٦/٥١٦ - ٥١٧).

(٤) الرد على الزنادقة والجهمية.

❁ مذهب المخالفين:

٣ - «التعريفات الاعتقادية»، لسعد

آل عبد اللطيف.

٤ - «الرد على الزنادقة والجهمية»،

للإمام أحمد.

٥ - «شرح العقيدة الواسطية» (ج ١)،

لابن عثيمين.

٦ - «الصفدية» (ج ١)، لابن تيمية.

٧ - «الصواعق المرسلة» (ج ١)، لابن

القيم.

٨ - «القواعد الكلية للأسماء

والصفات»، للبريكان.

٩ - «مقالة التعطيل»، لمحمد التميمي

[بحث منشور].

١ - الجهمية والفلاسفة قالوا بإنكار

جميع الأسماء والصفات^(١).

٢ - مذهب المعتزلة إثبات الأسماء

ونفي الصفات^(٢).

٣ - مذهب الكلابية والأشاعرة

والماتريدية إثبات الأسماء وبعض

الصفات، على اختلاف بينهم فيما يثبت

من الصفات، وفي قيام الصفة بذات

الرب، وهل هي قديمة أم لا^(٣).

وقولهم في تعطيل صفات الرب باطل

مخالف لنصوص الصفات في الكتاب

والسنة.

❁ التعظيم

❁ المصادر والمراجع:

❁ التعريف لغة:

١ - «بغية المرتاد»، لابن تيمية.

٢ - «بيان تلبيس الجهمية»، لابن

تيمية.

التعظيم: مشتق من: العَظُم وهو:

الكِبَر والقوة، مصدر الشيء العظيم.

وأعظم الأمر وعظمه؛ أي: فَخَّمه وأجله

وأكبره.

فالتعظيم إذن: التكبير، والتفخيم،

والتبجيل، والإجلال، والإكبار^(٤).

❁ التعريف شرعاً:

التعظيم: هو التكبير والإجلال

(١) انظر: النجاة لابن سينا (١٠٨/٢) [دار الجيل،

ط ١، ١٤١٢هـ]، وتفسير ما بعد الطبعة لابن رشد

(٥٤٧) [دار المشرق، ١٩٧٣م]، والمواقف للإيجي

(٢٧٩)، وانظر في كتب أهل السنة: درء التعارض

(٢٤/٤ - ٢٥ - ٣٠٢/٥ - ٣١٠).

(٢) انظر: المواقف للإيجي (٤١٥)، وانظر في كتب

أهل السنة: درء التعارض (٢٤/٤ - ٢٥ - ٣٠٢/٥ -

٣١٠).

(٣) انظر: الإرشاد للجويني (١٤٣ - ١٤٤)، المواقف

للإيجي (٢٧٩ - ٣١١)، والتمهيد لأبي المعين

النسفي (٢٨)، وشرح الفقه الأكبر لملا علي

قاري (٣٥)، ومقالات الإسلاميين (٢٤٩/١ -

٢٥٠، ٢٢٥/٢)، وانظر في كتب أهل السنة:

الاستقامة (١٠٥/١).

(٤) انظر: مقاييس اللغة (٣٥٥/٤) [دار الجيل،

١٤٢٠هـ]، وتهذيب اللغة (٣٠٢/٢) [الدار

المصرية، ط ١، ١٣٨٤هـ]، والصاح (١٩٨٨/٥)

[دار العلم للملايين، ط ٤، ١٤٠٧هـ]، والقاموس

المحيط (١١٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٧، ١٤٢٤هـ].

وهذا التعظيم من منازل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وهي منزلة تابعة للمعرفة فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب. وأعرف الناس به: أشدهم له تعظيماً وإجلالاً وتعظيماً لما عظمه سبحانه.

وقد ذمَّ الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته ولا عرفه حق معرفته ولا وصفه حق صفته، فقال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]؛ أي: لا ترجون لله عظمة^(٢).

الحقيقة:

التعظيم: رتبة فوق المحبة، وحقيقته التبجيل والإكبار للمُعَظَّم؛ لما له في نفسه من الصفات العلية، ولما يتعلق به من حاجات المُعَظَّم التي لا قضاء لها إلا عنده ويلزمه من مننه التي لا قوام له بشكرها وإن جد واجتهد. ويتحقق هذا التعظيم بإجلال المُعَظَّم وتقديره والقيام بحقه وأمره وابتغاء مرضاته واجتناب مساخطه ونهيه وتعظيم ما عظمه كما أمر بتعظيمه^(٣).

المنزلة:

دين الإسلام قائم على تعظيم الله ﷻ وتعظيم ما عظمه سبحانه، ولا تستقر

والتبجيل لله ﷻ ولكل ما عظمه سبحانه، وذلك يقتضي حفظ حقه من الإضاعة، وتوفية الواجب فيه كما أمر الله ﷻ في كتابه وسُنَّة رسوله ﷺ من غير تعد لحدوده بغلو وإفراط أو جفاء وتفريط^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

إن تعظيم الله ﷻ وتعظيم ما عظمه يتضمن الإجلال والإكرام والإكبار والتبجيل الذي هو معنى التعظيم في لغة العرب.

الحكم:

دين الإسلام قائم على تعظيم الله ﷻ وتعظيم ما عظمه سبحانه، فواجب على كل عبد آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً رسولاً أن يعظم الله التعظيم المطلق المقتضي توحيده وإفراده بكل خصائص الربوبية والألوهية والأسماء الحسنى والصفات الكاملة العلى، والتمسك بدينه، وتعظيم كل ما عظمه سبحانه من الأوامر والنواهي والأشخاص والأزمنة والأمكنة كما عظمها في كتابه وسُنَّة رسوله ﷺ.

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٣٤/١٦) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ]، وتفسير البغوي (٣٨٣/٥) [دار طيبة، ١٤١١هـ]، وتفسير ابن كثير (٢٩٢/٣) [مؤسسة الريان، ط ٢، ١٤١٧هـ]، ومدارج السالكين (٩٠/٢) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٢) انظر: مدارج السالكين (٦١٧/٢ - ٦١٨).

(٣) انظر: شعب الإيمان (٩٥/٣) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٣هـ].

ففي (سبحان الله): إثبات عظمته، ولهذا قال ﷺ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة].

والأمر بتسبيحه يقتضي أيضاً تنزيهه عن كل عيب وسوء وإثبات صفات الكمال له. فإن التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها. فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده.

وفي (سبحان الله وبحمده) والحمد لله: إثبات تنزيهه وتعظيمه وإلهيته وحمده والثناء عليه بأوصاف الكمال والجلال.

وفي (الله أكبر): إثبات عظمته، فإن الكبرياء تتضمن العظمة.

فالدين كله قائم على التعظيم، وما يضاد التعظيم من الاستخفاف والتقص والاستهزاء مناف لدين الله بالكلية، ومسقط للهبة والاحترام والتعظيم لله ولرسوله ولدينه، فقيام المدحة والثناء والتعظيم والتوقير قيام الدين كله وسقوط ذلك سقوط الدين كله^(١).

❁ الأدلة:

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/١٣٦، ١٠/٢٤٨ - ٢٥٤، ١١/٥٢٣ - ٥٢٤، ١٤/٢١٤، ١٦/١٢، ١٢٥، ٢٨/١٧٨)، والصارم المسلول (٢/٣٩٧).

لعبد قدم في الإسلام بدون تعظيم لله ﷻ ولدينه وشرعه وشعائره ونبيه الكريم ﷺ. فإن الدين قول وعمل، وأصل العمل عمل القلب وهو الحب والتعظيم المنافي للبغيض والاستكبار.

وحقيقة التوحيد الذي هو أصل الإسلام وأساس دعوة الرسل: أن لا يعبد إلا الله. وهذه العبادة التي هي الغاية من خلق الإنس والجن وعليها مدار الدين تتضمن كمال الحب المتضمن معنى الحمد، وتتضمن كمال الذل المتضمن معنى التعظيم، ففي العبادة حبه وحمده على المحاسن، وفيها الذل له الناشئ عن عظمته وكبريائه. ففيها إجلاله وإكرامه. وهو سبحانه المستحق لغاية الإجلال وغاية الإكرام.

وهذا تحقيق قولنا: (لا إله إلا الله)؛ فإن الإله هو الذي تأله القلوب؛ لكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإعظام والإكرام والرجاء والخوف ونحو ذلك.

فأصل الدين وقاعدته يتضمن أن يكون الله هو المعبود الذي تحبه القلوب وتخشاه وتعظمه وتكبره ولا يكون لها إله سواه.

ومعاني التعظيم كما هي ظاهرة في كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فهي ظاهرة كذلك في بقية الباقيات الصالحات: (سبحان الله) و(الحمد لله) و(الله أكبر)،

وقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر].

وقوله: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢٦) وَآذِن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَاسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ آلَنَعْمُ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ﴾ (٢٨) ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٢٩) ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ أَلْأَنَعْمُ إِلَّا مَا يَتَلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنْ أَلْأَوْتَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (٣٠) حُفَّاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ أَلْرِيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (٣١) ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْتَرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى أَلْقُلُوبٍ﴾ (٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلَاهَا إِلَى أَلْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج].

وأما الأدلة من السُّنَّة على التعظيم فكثيرة نصًّا ومعنى؛ ومنها:

حديث صلح الحديبية الذي رواه عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه، وفيه قوله ﷺ: «والذي نفسي

بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها» (١).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا شهرنا هذا، قال: ألا أي بلد تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا بلدنا هذا، قال: ألا أي يوم تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا يومنا هذا، قال: فإن الله تبارك وتعالى قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا هل بلغت؟ ثلاثًا، كل ذلك يجيبونه: ألا نعم. قال: ويحكم أو ويلكم لا ترجعن بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» (٢).

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في المشبهات كراع يرمى حول الحمى يوشك أن يواقع، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد

(١) أخرجه البخاري (كتاب الشروط، رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحدود، رقم ٦٧٨٥).

الجسد كله، ألا وهي القلب»^(١).

✽ الأقسام:

التعظيم: على ثلاث درجات:

الأولى: تعظيم الأمر والنهي. وهو: أن لا يعارضا بترخص جاف، ولا يعرضاً لتشدد غال، ولا يحملاً على علة توهم الانقياد. وهذه الدرجة تتضمن تعظيم الحكم الديني الشرعي.

الدرجة الثانية: تعظيم الحكم؛ أن يُبغى له عوج، أو يدافع بعلم، أو يرضى بعوض. وهذه الدرجة تتضمن تعظيم الحكم الكوني القدري.

الدرجة الثالثة: تعظيم الحق سبحانه، وهذه الدرجة تتضمن تعظيم الحاكم سبحانه صاحب الخلق والأمر.

ومن تعظيم الله ﷻ ثلاثة أشياء:

أحدها: أن لا تجعل دونه سبباً؛ أي: لا تجعل للوصلة إليه سبباً غيره؛ بل هو الذي يوصل عبده إليه، فلا يوصل إلى الله إلا الله.

الثاني: أن لا يرى عليه حقاً؛ أي: لا ترى لأحد من الخلق - لا لك ولا لغيرك - حقاً على الله؛ بل الحق لله على خلقه.

الثالث: أن لا ينازع له اختياراً؛ أي: إذا رأيت الله ﷻ قد اختار لك أو لغيرك شيئاً إما بأمره ودينه وإما بقضائه وقدره فلا تنازع اختياره؛ بل ارض باختيار ما اختاره لك، فإن ذلك من

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «التوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرج به عن حد الوقار»^(٢).

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «وله التعظيم والإجلال، في قلوب أوليائه وأصفيائه. قد ملئت قلوبهم من تعظيمه، وإجلاله، والخضوع له، والتذلل لكبريائه...»^(٣).

٣ - وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة التعظيم. وهذه المنزلة تابعة للمعرفة فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب. وأعرف الناس به: أشدهم له تعظيماً وإجلالاً. وقد ذمَّ الله تعالى من لم يعظمه حق عظمتة ولا عرفه حق معرفته ولا وصفه حق صفته... وروح العبادة: هو الإجلال والمحبة فإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت فإذا اقترن بهذين الشئ على المحبوب المعظم فذلك حقيقة الحمد، والله سبحانه أعلم»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٢)، ومسلم (كتاب المساقاة، رقم ١٥٩٩).

(٢) الصارم المسلول (٢/٨٠٣) [رمادي للنشر، ط١، ١٤١٧هـ].

(٣) تفسير السعدي (٩٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٤) مدارج السالكين (٢/٦١٧ - ٦١٨).

تعظيمه سبحانه (١).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تحريم تعظيم ما

لم يعظمه الله ﷻ:

مثل: الكفر، والمعاصي، والأنصاب، والأوثان، والتمثيل، وعلم الدولة (تحية العلم؛ أي: القيام له)، وأزمة أو أمانة غير مخصوصة بالشرع، ونحو ذلك (٢).

- المسألة الثانية: تحريم مجاوزة

الحد في التعظيم المشروع:

ومن ذلك: الغلو في تعظيم الصالحين، وطاعة أي مخلوق في معصية الخالق (٣).

وهذا لأن تعظيم أي شيء يشترط له في الشرع شرطان:

الأول: تعظيم الشرع له.

الثاني: التزام حدود الشرع في هذا التعظيم.

فما لم يعظمه الشارع فلا يجوز تعظيمه، وما عظمه يجب التزام حدود الشارع وشرطه في هذا التعظيم، من غير غلو وإفراط ولا جفاء وتفريط.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «يجب أن

يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء؛ بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله. وكل ما أحب لغير الله فمحبه فاسدة، وما عظم بغير أمر الله كان تعظيمه باطلاً» (٤).

وقال أيضاً: «فإن كل ما عظم بالباطل من مكان أو زمان أو حجر أو شجر أو بنية يجب قصد إهانتها، كما تهان الأوثان المعبودة، وإن كانت لولا عبادتها لكانت كسائر الأحجار» (٥).

✽ الثمرات:

من ثمرات تعظيم الله وتعظيم حرماته:

١ - نيل الخيرية عند الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

٢ - تحقيق التقوى الجامعة لكل خير: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْتِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٢٢].

٣ - صلاح القلب بازدياد محبة الله ﷻ والخوف منه ورجاء رحمته، ونحو ذلك من أعمال القلوب التي تقوى كلما قوي تعظيم الله في القلب، وتضعف كلما ضعف تعظيم الله وتعظيم حرماته.

٤ - مراقبته سبحانه، والاستحياء منه

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/٦١٨ - ٢٢٥)، و(٢/٩١ - ١٠٩).

(٢) انظر مثلاً: فتاوى اللجنة الدائمة (١/٢٣٦، ١٢/٢٠) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٣) انظر: المصدر نفسه.

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/١٥٣).

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٥٣٥) [دار أسبيليا - ط ٢ - ١٤١٩هـ].

التعظيم ولا يلتزمون بحدود الشرع في ذلك، فيعظمون الله أو شعائره لكن بغير ما شرع؛ كمن يعظم الله بنفي أسمائه وصفاته أو شيء منها بشبهة نفي التشبيه؛ فيقعون فيما فروا منه من تعطيل الله عن كمال صفاته وحسن أسمائه وجلاله، وكمن يعظم الأنبياء والصالحين برفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها فيدعي فيهم شيئاً من خصائص الربوبية أو الألوهية، ويصرف لهم شيئاً من العبادات التي لا تكون إلا لله وحده، ونحو ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وقد كان أصل عبادة الأوثان من تعظيم القبور، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح]. قال السلف كابن عباس رضي الله عنه وغيره: «كان هؤلاء قومًا صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم» ^(٢) ^(٣).

ثانيًا: الجفافة: وهم الذين لا يعظمون الله حق التعظيم، أو لا يعظمون ما عظمه الله وأمر بتعظيمه، فعندهم استخفاف بحرمات الله وشعائره. وهذه سمة الكفرة والمشركين، ومن شابههم من عصاة الموحدين أهل الكبائر لا سيما المجاهرون بالمعاصي منهم.

من تقصير في واجب أو فعل محرم ولو كان صغيراً، فإن المعظم لله لا ينظر إلى صغر المعصية ولكن ينظر إلى عظمة من عصاه، فيحول ذلك بينه وبين الذنوب ^(١).

٥ - حفظ حقوق الله وحقوق عباده، وإعطاء كل ذي حق حقه من غير غلو ولا جفاء.

٦ - الاستقامة على دين الله والتمسك به تعلمًا وعملاً به، وتعليمًا ودعوة إليه.

٧ - حراسة الدين وحماية شعائره ومقدساته من أن تنتهك حرمتها أو تمتن عظمتها، والوقوف ضد عبث الملحدين وأشباههم بها.

٨ - الفوز بالقرب من الله ونيل رضاه ودخول جنته، والنجاة من سخطه وناره.

❁ مذهب المخالفين:

الناس في التعظيم طرفان ووسط:

أما الوسط: فهم أهل الحق أتباع المرسلين؛ وهؤلاء يعظمون الله ويعظمون ما عظمه الله جل جلاله وأمر بتعظيمه، وتعظيمهم كله وفق شرع الله تعالى وكما أمر بلا تعد لحدود الله وشرعه.

وأما الطرفان فهما:

الغلاة: وهم من يعظمون ما لم يعظمه الله تعالى، أو يتعدون الحدود في

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٢٠).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢٤/٢٧).

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٣٦٢)، الجواب الكافي (٤٦).

التغلب

يراجع مصطلح (الإمامة).

التفاضل

التعريف لغة:

تدور معاني المفاضلة حول المقارنة بين أمرين في صفة ما وغلبة أحدهما فيه. قال ابن فارس رحمته الله: «الفاء والضاد واللام أصل صحيح يدل على زيادة في شيء. من ذلك الفضل: الزيادة والخير. والإفضال: الإحسان. ورجل مُفضِّل. ويقال: فضل الشيء يفضِّل، وربما قالوا: فضل يفضِّل، وهي نادرة. وأما المتفضل فالمدعي للفضل على أضرابه وأقرانه. قال الله تعالى في ذكر من قال: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٤]»^(١).

وقال ابن منظور رحمته الله: «والتفاضل: التمازي في الفضل. وفضله: مزاه. والتفاضل بين القوم: أن يكون بعضهم أفضل من بعض. ورجل فاضل: ذو فضل. ورجل مفضول: قد فضله غيره. ويقال: فضل فلان على غيره إذا غلب بالفضل عليهم. وقوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا

وهذا الغلو والجفاء موجود في كل الفرق الخارجة عن أهل السنة والجماعة؛ فإن انحرافهم عن سبيل الفرقة الناجية - الصراط المستقيم - يكون إما بسبب الغلو إما بسبب الجفاء، وهدى الله إلى الوسط الحق أهل السنة والجماعة الذين يمثلون الامتداد الصافي للإسلام الحق الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

المصادر والمراجع:

- ١ - «اقتضاء الصراط المستقيم» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٢ - «الجواب الكافي» (ج ١) ابن القيم.
- ٣ - «تفسير البغوي» (ج ٥).
- ٤ - «تفسير الطبري» (ج ١٦، ٢٣).
- ٥ - «تفسير ابن كثير» (ج ٥).
- ٦ - «شعب الإيمان» (ج ٣)، للبيهقي.
- ٧ - «الصارم المسلول»، لابن تيمية.
- ٨ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.
- ٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ١، ١٠، ١١، ١٤، ١٦، ٢٧، ٢٨)، لابن تيمية.
- ١٠ - «تفسير السعدي».

(١) مقاييس اللغة (٥٠٨/٤) [دار الجيل، ط ٢].

تَفْضِيلًا ﴿٧﴾ [الإسراء] (١).

✽ التعريف شرعًا:

المفاضلة هي المقارنة بين شيئين وتغليب أحدهما على الآخر في الفضل (٢).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي هو المعنى اللغوي بعينه؛ لأن كليهما يدل على اشتراك شيئين في الفضل مع غلبة أحدهما فيه.

✽ الحكم:

يجب الإيمان بكل ما ورد في الشرع ومنه التفاضل بين بعض الأمور كالأسماء والصفات والأنبياء والرسل، وغير ذلك مما ورد في شرع الله المطهر.

✽ الحقيقة:

حقيقة التفاضل: هو التمازي في الفضل كما تقدم، ويقع التفاضل بين أسماء الله؛ كتفضيل اسم الله الأعظم على سائر الأسماء الحسنی، وبين صفاته؛ كتفضيل صفة الرحمة على صفة الغضب وسبقها له، وبين أمره ونهيه؛ فما ينسخ الله من آية سواء كان فيها أمر أو نهى إلا ويأتي بخير منها، وبين

الملائكة؛ كتفضيل جبريل على سائرهم، وبين الكتب؛ كتفضيل القرآن على الكتب السابقة، حيث جعله الله مهيمناً عليها، وحجة باقية ومعجزة خالدة إلى قيام الساعة، وبين الأنبياء والرسل؛ كتفضيل أولي العزم على سائر الأنبياء، ومن أولي العزم الخليلان، وأفضل الخليلين محمد ﷺ، وبين الصحابة؛ كتفضيل الصديق على هذه الأمة، وبين الأمكنة؛ كتفضيل المسجد الحرام على سائر المساجد، ثم بعده المسجد النبوي، ثم المسجد الأقصى، وبين الأزمنة؛ كتفضيل شهر رمضان على سائر الشهور، وتفضيل يوم عرفة على سائر الأيام، وتفضيل ليلة القدر على سائر الليالي، وتفضيل بني آدم على كثير من خلق الله، إلى غير ذلك.

✽ الأدلة:

وردت نصوص عديدة في بيان تفاضل بعض الأمور على بعض فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَحْشِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧﴾ [الإسراء].

وقوله سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ ﴿٣٥﴾ [الإسراء].

وقوله تعالى: ﴿وَلَكَ حُجَّتْنَا أَتَيْنَاهَا

(١) لسان العرب (١١/٥٢٤) [دار صادر، ط ١].

(٢) مباحث المفاضلة في العقيدة لمحمد أبو سيف (١٣) [دار عفان].

أدلة ذلك ما ثبت عن النبي ﷺ في غير ما حديث، منها حديث أنس رضي الله عنه قال: «كنت مع رسول الله ﷺ جالساً في الحلقة، ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد فتشهد، ثم قال في دعائه: اللَّهُمَّ إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك، فقال النبي ﷺ: «أتدرون بما دعا الله؟» قال: فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»^(٤).

فاسمه الأعظم أفضل من بقية الأسماء، وعليه ففي هذه الرواية وأمثالها «دلالة ظاهرة على تفاضل الأسماء الحسنی لدلالاتها على أن في الأسماء الحسنی اسم أعظم يفضلها فهو أعظمها»^(٥).

ومنها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٣)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٤٧٥) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٧)، وأحمد (٦٤/٣٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في أصل صفة الصلاة (١٠١٦/٣) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢٧هـ].
(٥) مباحث المفاضلة في العقيدة (٦٩).

إِزْهِيهِمْ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ شَأْنٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٢﴾ [الأنعام].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(١).

وعنه رضي الله عنه قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: التفاضل بين أسماء الله الحسنی:

أسماء الله تعالى أفضل الأسماء وأحسنها، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والحسنی تأنيث الأحسن وهو الأفضل، فدل ذلك على أنها أحسن الأسماء وأفضلها، وهي فيما بينها تتفاضل أيضاً، فبعضها أفضل من بعض، وإن كانت لمسمى واحد وهو الله سبحانه، ومن

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٥).

أحصاها دخل الجنة»^(١).

فمن له هذه الخصوصية من أسماء الله الحسنى وهي أن من أحصاها دخل الجنة، لا شك أنه أفضل من الأسماء الأخرى.

- المسألة الثانية: التفاضل بين صفات الله تعالى:

صفات الله كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ومع ذلك فهي متفاوتة في الفضل، بعضها أفضل من بعض لدلالة النصوص على ذلك، منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق، كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي»^(٢). وفي رواية: «سبقت غضبي»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فوصف رحمته بأنها تغلب وتسبق غضبه، وهذا يدل على فضل رحمته على غضبه من جهة سبقها وغلبتها»^(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٩٢)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣١٩٤)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٢٢)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥١).

(٤) مجموع الفتاوى (٩١/١٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، عام ١٤١٦هـ].

رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول: «اللَّهُمَّ أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»^(٥).

وجه الدلالة: أن المستعاذ به أفضل من المستعاذ منه^(٦).

بل؛ إن التفاضل قد يقع في الصفة الواحدة كالتفاضل في صفة الكلام ونحوها، فجميع الكتب المنزلة على أنبياء الله ورسله مع كونها كلام الله، فهي متفاوتة في الفضل، فالقرآن الكريم أفضلها قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِّنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال سبحانه: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥].

بل؛ إن القرآن متفاضل فيما بينه، فبعض آياته وسوره أفضل من بعض، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٦).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٩١/١٧).

هداة للخلق، وسفراء بينه وبينهم، فهم الواسطة بينه وبين عباده في تبليغ الدين، ثم فضل الله الأنبياء والرسل بعضهم على بعض، بخصائص ومميزات ليست لجميعهم؛ كالتكليم ورفع الدرجات ونحوهما كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

قال ابن كثير: «يخبر تعالى أنه فضل بعض الرسل على بعض كما قال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾» [الإسراء: ٥٥]، وقال هاهنا: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]؛ يعني: موسى ومحمدًا صلى الله عليه وسلم وكذلك آدم، كما ورد به الحديث المروي في صحيح ابن حبان^(٤) عن أبي ذر^(٥).

والرسول أفضل من النبي^(٦)، وأفضل الأنبياء والرسل: أولو العزم، وأفضلهم نبينا محمد ﷺ.

(٤) كما في الإحسان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٩٠) من حديث أبي أمامة، لا من حديث أبي ذر. وأخرجه أيضًا الحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٠٣٩) [دار الكتب العلمية، ١٤]، وصححه الحاكم وابن كثير على شرط مسلم. انظر: البداية والنهاية (١/٢٣٧) [دار هجر، ١٤]، وصححه الألباني أيضًا في السلسلة الصحيحة (٣٥٩/٦) [مكتبة المعارف، ١٤].

(٥) تفسير ابن كثير (١/٦٧٠) [دار طيبة، ٢].

(٦) انظر: لوامع الأنوار للسفاريني (١/٥٠) [مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ٢٠١٤هـ]، ومباحث المفاضلة في العقيدة (١٢٤).

أعظم؟ قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قال: فضرب في صدري، وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر^(١).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟» قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن^(٢).

وعن النواس بن سمعان الكلابي، قال: سمعت النبي ﷺ، يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة، وآل عمران»، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: «كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما»^(٣).

- المسألة الثالثة: التفاضل بين الأنبياء والرسل ﷺ:

لقد اصطفى الله أنبياءه ورسله، فجعلهم

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨١٠).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨١١) من حديث أبي الدرداء، وأخرجه البخاري أيضًا (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠١٥) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب كتاب صلاة المسافرين وقصرها رقم ٨٠٥). وانظر لمزيد بيان حول هذه المسألة: مباحث المفاضلة في العقيدة (٨٠).

فأخبر الله تعالى أنه يصطفي لرسالاته من هو أهل لها بعلمه الذي أحاط بكل شيء، وجعل الأنبياء في صدارة المنعم عليهم من البشر.

- المسألة الخامسة: التفاضل بين الصحابة رضي الله عنهم:

لقد دلت النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على فضل الصحابة رضي الله عنهم بصفة عامة، وأنهم عدول بتعديل الله ورسوله لهم، قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُهم فِي وُجُوهِهم مِن أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مِثْلُهُم فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلُهُم فِي الْإِنْجِيلِ كَرِجَ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَتَارَزه فَاسْتَعَاظَ فَاَسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد، ذهبًا ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه» ^(٢).

قال ابن حجر: «واتَّفَقَ أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة» ^(٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ رقم ٣٦٧٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٤١).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٩/١) [دار نهضة مصر].

فعن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون» ^(١).

فهذه النصوص - وغيرها كثير - تدل على تفاضل الأنبياء فيما بينهم.

- المسألة الرابعة: التفاضل بين الأنبياء والرسل وبين سائر البشر:

لا شك أن الأنبياء والرسل ﷺ لا يلحقهم في الفضل وعلو القدر أحد من البشر كائنًا من كان، فقد اصطفاهم الله برسالاته، وجعلهم أمناه على وحيه، وهداة خلقه، وحملة شرعه كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَكِينٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج].

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء].

(١) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢٣).

بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ [الحديد].

وهناك تفاصيل كثيرة حول تفضيل أمهات المؤمنين وغيرهن يمكن الرجوع إلى بعض الكتب المختصة فيها^(٣).

- المسألة السادسة: التفاضل بين المؤمنين في الإيمان:

المؤمنون ليسوا على درجة واحدة؛ بل هم متفاضلون فيما بينهم في الإيمان؛ لأن الإيمان يزيد بزيادة الطاعات، وينقص بارتكاب المعاصي واقتراف السيئات، وهذا يؤدي إلى تفاضل أهل الإيمان، كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة ومأثور سلف الأمة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال]، ففي هذه الآية التصريح بزيادة الإيمان، وكل ما كان قابلاً للزيادة فهو قابل للنقصان؛ ولذا قال ابن حجر وهو يتحدث عن استدلال البخاري على زيادة الإيمان: «ثم شرع المصنف يستدل لذلك بآيات من القرآن مصرحة بالزيادة، وبشبهاتها يثبت المقابل؛ فإن كل قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة»^(٤).

ثم هم فيما بينهم متفاضلون وليسوا على درجة واحدة، فأفضلهم أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي أبو السبطين عليه السلام. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهما»^(١).

وبعد الخلفاء الأربعة: بقية الستة من أصحاب الشورى، وهم: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، ثم أهل بدر من المهاجرين، ثم أهل بدر من الأنصار، وذهب بعض العلماء إلى أن أفضل الصحابة بعد الأربعة: بقية العشرة من المبشرين بالجنة وهم: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأبو عبيدة بن الجراح، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة الرضوان^(٢).

ومما ورد في تفضيل السابقين الأولين على من بعدهم قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولَيْكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ

(٣) انظر على سبيل المثال: مباحث المفاضلة في العقيدة (٢٧٤).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٤٧/١) [دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٣٦٥٥).

(٢) انظر: تدريب الراوي (٢/ ٢٤٤ - ٢٤٧) [دار العاصمة، ط ١]، ومباحث المفاضلة في العقيدة (٢٦٥).

عَلَى الْقَلْعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ [النساء].

ومما سبق يتضح أن التفاضل يقع بسبب الزيادة في الاعتقاد والقول والعمل لأن مسمى الإيمان يشمل هذه الثلاث.

وبناء على هذا التفاضل في الإيمان يقع التفاضل الأخروي بين المؤمنين في البرزخ والمحشر والحساب، والمرور بالصرط، إلى درجات الجنة^(٣).

- المسألة السابعة: التفاضل بين الملائكة:

دلّت النصوص الشرعية على وجود التفاضل بين الملائكة؛ منها: قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجَبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٩٨﴾ [البقرة].

ووجه الدلالة: أن التنصيص على جبريل وميكال مع شمول لفظ الملائكة لهما دالٌّ على تشریفهما^(٤).

وثبت عن النبي ﷺ أنه كان إذا قام من الليل افتتح صلاته بقوله: «اللَّهُمَّ رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(١).

والناس يتفاوتون في الإتيان بهذه الشعب وفي تحقيقها قولاً وفعلاً واعتقاداً، فمنهم مكثر منها ومنهم مقل، وعلى هذا يقع التفاضل بينهم، فإيمان الأنبياء ليس كإيمان آحاد الناس، وهكذا.

وعلى ضوء هذه النصوص الدالة على زيادة الإيمان ونقصانه أجمع السلف كما حكاه عنهم غير واحد، منهم الإمام البخاري: «لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص»^(٢).

وأما النصوص الدالة على تفاضل المؤمنين فكثيرة؛ منها: قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَلْعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَلْعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ

(١) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٥).

(٢) نقله ابن حجر في الفتح (٤٧/١) عن اللالكائي وصححه إسناده. وانظر: شرح أصول الاعتقاد (١/ ١٩٣ - ١٩٧).

(٣) انظر: مباحث المفاضلة في العقيدة (٣٨٤ - ٤١٣).

(٤) تفسير القرطبي (٣٦/٢) [دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ].

وينقل شيخ الإسلام كلام هؤلاء المانعين ثم يبين بطلانه فيقول: «قال هؤلاء: صفات الله كلها متوافرة في الكمال متناهية إلى غاية التمام لا يلحق شيئاً منها نقص بحال. ثم لما اعتقد هؤلاء أن التفاضل في صفات الله ممتنع ظنوا أن القول بتفضيل بعض كلامه على بعض لا يمكن إلا على قول الجهمية من المعتزلة وغيرهم، القائلين: بأنه مخلوق، فإنه إذا قيل: إنه مخلوق أمكن القول بتفضيل بعض المخلوقات على بعض، فيجوز أن يكون بعضه أفضل من بعض. قالوا: وأما على قول أهل السنة والجماعة الذين أجمعوا على أن القرآن كلام الله غير مخلوق فيمتنع أن يقع التفاضل في صفات الله القائمة بذاته. ولأجل هذا الاعتقاد صار من يعتقده يذكر إجماع أهل السنة على امتناع التفضيل في القرآن، كما قال أبو عبد الله بن الدراج في مصنف صنفه في هذه المسألة، قال: «أجمع أهل السنة: على أن ما ورد في الشرع مما ظاهره المفاضلة بين أي القرآن وسوره، ليس المراد به تفضيل ذوات بعضها على بعض؛ إذ هو كله كلام الله وصفة من صفاته؛ بل هو كله لله فاضل كسائر صفاته الواجب لها نعت الكمال». وهذا النقل للإجماع هو بحسب ما ظنه لازماً لأهل السنة، فلما علم أنهم يقولون:

إلى صراط مستقيم»^(١). يقول ابن القيم رحمته الله: «فذكر هؤلاء الثلاثة من الملائكة لكمال اختصاصهم، واصطفائهم، وقربهم من الله، وكم من ملك غيرهم في السماوات، فلم يسم إلا هؤلاء الثلاثة. فجبريل: صاحب الوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل: صاحب القطر الذي به حياة الأرض والحيوان والنبات، وإسرافيل: صاحب الصور الذي إذا نفخ فيه أحييت نفخته بإذن الله الأموات، وأخرجتهم من قبورهم»^(٢).

✽ مذهب المخالفين:

أولاً: من أنكر التفاضل بين الصفات:

أنكر بعض الناس القول بالتفاضل بين صفات الله؛ كالقرآن مثلاً، زاعمين أن التفاضل إنما يقع بين المخلوقات، وأن القول بالتفاضل بين كلام الله لا يتأتى إلا على قول الجهمية والمعتزلة القائلين بخلق القرآن، وأما على مذهب أهل السنة القائلين بأنه كلام الله منزل غير مخلوق، فلا يمكن القول بالتفاضل، وهذا وهم مخالف لصريح الكتاب والسنة في أن صفات الله تتفاضل، وقد تقدمت النصوص في ذلك.

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧٠).

(٢) زاد المعاد (٤٣/١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢٧، ١٤١٥هـ].

من يوم بعثه بالنبوة إلى أن مات. قال ابن حزم: «إن الجبائي قال: جائز إن طال عمر امرئ يعمل ما يوازي عمل نبي من الأنبياء، وقال الباقلاني: جائز أن يكون في الناس من هو أفضل من رسول الله ﷺ من حيث بعث بالنبوة إلى أن مات»^(٤).

ب - من يفضل الولي على الأنبياء والرسل:

وهناك من قال بتفضيل الولي على النبي، وتولى كِبَر هذه الضلالة: ابن عربي الصوفي الاتحادي، ومما جاء عنه في هذا قوله:

«مقام الرسالة عند الثرى
ويظهر ذلك عند الرسول»
إلى أن قال:

«سماء النبوة في برزخ
دوين الولي وفوق الرسول»^(٥).

ويدندن ابن عربي كثيراً حول تفضيل الولي على النبي والرسول، ويسرد كل ما هب ودب للتدليل عليه وهو كلام في منتهى الهذيان، نعوذ بالله من الخذلان.

ج - من يفضل الأئمة عليهم:

تشتبك الروافض مع الصوفية في المبالغة على مقام الأئمة، وترى أنهم

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٩٢/٤) مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٥) التنزلات الموصلية في أسرار الطهارات والصلوات والأيام الأصلية لابن عربي (٣٥) [دار صادر].

القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وظن هو أن المفاضلة إنما تقع في المخلوقات لا في الصفات، قال ما قال. وإلا فلا ينقل عن أحد من السلف والأئمة أنه أنكر فضل كلام الله بعضه على بعض»^(١).

وقال أيضاً: «أما كونه لا يفضل بعضه على بعض، فهذا القول لم ينقل عن أحد من سلف الأمة وأئمة السُّنة، الذين كانوا أئمة المحنة كأحمد بن حنبل وأمثاله، ولا عن أحد قبلهم»^(٢).

والخلاصة: أن «دلالة النصوص النبوية، والآثار السلفية، والأحكام الشرعية، والحجج العقلية، على أن كلام الله بعضه أفضل من بعض، هو من الدلالات الظاهرة المشهورة»^(٣).

ثانياً: من يفضل أحداً من البشر على أنبياء الله ورسله:

أ - من يجوز أن يكون في البشر من يوازي عمل نبي من الأنبياء، أو من يكون أفضل من النبي محمد ﷺ:

عزا ابن حزم إلى رئيس المعتزلة القاضي عبد الجبار جواز أن يكون في البشر - إن طال عمره - أن يعمل ما يوازي عمل نبي من الأنبياء، وحكى أيضاً عن الباقلاني تجويز أن يكون في الناس من هو أفضل من النبي محمد ﷺ

(١) مجموع الفتاوى (٧٣/١٧).

(٢) المصدر نفسه (٧٦/١٧).

(٣) المصدر نفسه (٥٧/١٧).

الآية فقلوه تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] وأما الحديث فقلوه ﷺ: «أما والله، إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له»^(٣).

فدلَّت الآية الكريمة على أن التفاضل عند الله إنما يكون بالتقوى، ودلَّ الحديث على أن النبي ﷺ أتقى هذه الأمة لله وأخشاها له.

قال ابن تيمية في إبطال هذه التراهاات: «فأما الغلو في ولي غير النبي حتى يفضل على النبي، سواء سمي ولياً أو إماماً أو فيلسوفاً، وانتظارهم للمنتظر الذي هو: محمد بن الحسن، أو إسماعيل بن جعفر، نظير ارتباط الصوفية على الغوث، وعلى خاتم الأولياء، فبطلانه ظاهر بما علم من نصوص الكتاب والسنة، وما عليه إجماع الأمة، فإن الله جعل الذين أنعم عليهم أربعة: النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فغاية من بعد النبي أن يكون صديقاً كما كان خير هذه الأمة بعد نبيها صديقاً»^(٤).

ثالثاً: المخالفون في ترتيب الصحابة في الفضل:

أولاً: الروافض:

وهم يفضلون أئمتهم على أنبياء الله ورسله ﷺ، وإذا كان هذا حالهم مع

أرفع قدرًا وأعلى مقامًا من الأنبياء والرسول ﷺ فيقول قائلهم في الأئمة: «إن فضلهم لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا من دون ذلك»^(١).

ويقول الخميني: «وإن من ضروريات مذهبنا: أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل»^(٢).

الرد عليهم:

لا شك أن هذه الدعاوى في منتهى السقوط؛ لأن النبوة والرسالة اصطفاء من الله، وليس بالادعاء والشقشقة، وأن الإنسان مهما عمل لا يدرك منزلة النبوة، وإن طول العمر وكثرة العمل، ليس مناط المفاضلة بين الأنبياء وبقية البشر، وكذا من ادعى كون الولي أو الإمام أفضل من النبي والرسول، فهذا القول أيضًا من البطالان بمكان كبير، فإن للنبي ﷺ والرسول من التسديد والتوفيق، وصدق الإخلاص، وقوة التوكل على الله، وحسن الأداء للعبادات، ورعاية الله له ما ليس لغيره من البشر، وأما تجويز أن يكون في الأمة المحمدية من هو أفضل من سيد ولد آدم محمد بن عبد الله ﷺ فهذا القول ينبئ عن خذلان صاحبه، ويكفي في بيان فساده آية وحديث؛ أما

(١) الكافي للكليني (١٠/٨) [تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٤، ١٣٦٢ ش].

(٢) الحكومة الإسلامية للخميني (٥٢).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصيام، رقم ١١٠٨).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٦٤/١١).

الإقرار بخلافة الخلفاء الثلاثة الأول.

قال ابن تيمية: «وليس في المعتزلة من يطعن في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان رضوان الله تعالى عليهم أجمعين؛ بل هم متفقون على تثبيت خلافة الثلاثة.

وأما التفضيل، فأئمتهم، وجمهورهم كانوا يفضلون أبا بكر، وعمر عليهما السلام، وفي متأخريهم من توقف في التفضيل، وبعضهم فضل عليًّا، فصار بينهم وبين الزيدية نسب واشج من جهة المشاركة في التوحيد، والعدل، والإمامة، والتفضيل» (٤).

❁ الرد عليهم:

لا شك أن تفضيل علي على الصحابة عليهم السلام، فيه خروج عن سبيل المؤمنين، الذين أجمعوا على تقديم الخلفاء الثلاثة الأول، وإزراء بهم كما قال غير واحد من أئمة السلف، قال الإمام الثوري: «من فضل عليًّا على أبي بكر، وعمر، وغيرهما، فقد أزرى بالمهاجرين، والأنصار» (٥).

بل إن عليًّا عدّ تفضيله على أبي بكر وعمر افتراء يعاقب عليه عقابًا أليمًا، فقال: «لا يفضلني أحد على أبي بكر

الأنبياء والرسل، فمن باب أولى أن يفضلوا أئمتهم على أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، ولذا يرون أن عليًّا أفضل البشر بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله، ويروون عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك كذبًا أنه قال: «علي خير البشر، ومن أبي فقد كفر» (١).

بل إنهم يكفرون الصحابة عليهم السلام ويقولون بارتدادهم جميعًا بعد موت النبي صلى الله عليه وآله، إلا عددًا قليلًا، لا يتجاوز عدد الأصابع، ومن أقوالهم في هذا الصدد ما نسبته الكليني إلى أبي جعفر أنه قال: «كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا ثلاثة فقلت [أي: الراوي]: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي» (٢).

ثانيًا: الزيدية وبعض المعتزلة:

أما الزيدية فهم مجمعون على تفضيل علي على الصحابة عليهم السلام مع الإقرار بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان عليهم السلام.

قال أبو الحسن الأشعري: «وأجمعت الروافض والزيدية على تفضيل علي على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أنه ليس بعد النبي صلى الله عليه وآله أفضل منه» (٣).

وأما بعض المعتزلة فقد ذهبوا أيضًا إلى تفضيل علي على الصحابة عليهم السلام مع

(١) الأماشي للصدوق (١٣٥) مؤسسة البعثة، ط ١.

(٢) الكافي للكليني (٢٤٥/٨).

(٣) مقالات الإسلاميين (٧٤ - ٧٥) [دار التراث العربي، ط ٣]، وانظر: مباحث المفاضلة في العقيدة (٣٠٧).

(٤) منهاج السنة (٧٠/١) [جامعة الإمام، ط ١].

(٥) رواه أبو نعيم في الحلية (٢٨/٧) [دار الكتاب

العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥هـ].

وعمر عليه السلام إلا جلده حد المفترى»^(١).

وأما تكفير الصحابة عليهم السلام، أو القدر في دينهم، ونفي عدالتهم، فهذا مروق عن هدي الإسلام، وارتداد بين عن الملة؛ لما في ذلك من تكذيب الله ورسوله عليه السلام فيما أخبرا به من تزكيتهم ومدحهم والثناء عليهم، وتعديلهم، والشهادة لهم بالفلاح في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّامًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح]، وقال عليه السلام: ﴿كُنْتُمْ حَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران].

ولما في تكفيرهم والطعن فيهم من إبطال الشرع، الذي هم حملته ونقلته.

قال أبو زرعة الرازي: «إذا رأيت

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنّة (٥٦٢/٢) [دار ابن القيم، ط ١]، وفي زوائده على فضائل الصحابة (٢٩٤/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وله طريق آخر عند العشاري في فضائل أبي بكر الصديق (٣٦) [دار الصحابة، ط ١]، فالأثر يتقوى بمجموع هذين الطريقين.

الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله عليه السلام فاعلم أنه زنديق. وذلك أن الرسول عليه السلام عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله عليه السلام، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنّة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»^(٢).

رابعاً: المخالفون في تفاضل المؤمنين في الإيمان:

خالف في هذا الباب طائفتان: المرجئة والوعيدية:

أما المرجئة بمختلف فرقهم فنفاو دخول الأعمال في مسمى الإيمان، كما نفوا أيضاً زيادة الإيمان ونقصانه بصورة عامة.

وهم محجوجون بالأدلة الصريحة الدالة على دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وعلى أن الإيمان يزيد وينقص، وعلى تفاضل أهله فيه، وبإجماع السلف على ذلك أيضاً.

وأما الوعيدية - الخوارج والمعتزلة - فقد وافقوا السلف في إدخال الأعمال في مسمى الإيمان ولكن خالفوهم بأن جعلوا الإيمان جزءاً لا يتجزأ، فإذا ذهب بعضه ذهب كله، وبناء عليه جعلوا

(٢) رواه الخطيب في الكفاية (٤٩) [المكتبة العلمية، المدينة المنورة].

فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم^(٢).

المصادر والمراجع:

١ - «السُّنَّة» (ج ٢)، لعبد الله بن أحمد.

٢ - «مقالات الإسلاميين» (٧٤ - ٧٥).

٣ - «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» (ج ١)، للالكائي.

٤ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٧، ٩١)، لابن تيمية.

٥ - «منهاج السُّنَّة» (ج ١)، لابن تيمية.

٦ - «زاد المعاد» (ج ١)، لابن القيم.

٧ - «فتح الباري» (ج ١)، لابن حجر.

٨ - «لوامع الأنوار» (ج ١)، للسفاريني.

٩ - «مباحث المفاضلة في العقيدة»، لمحمد بن عبد الرحمن أبو سيف.

١٠ - «الآثار الواردة عن الإمام سفيان الثوري في العقيدة جمعاً ودراسة»، لمحمد سعيد عثمان محمد [رسالة ماجستير].

تفاضل القرآن

يراجع مصطلح (القرآن).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥١ - ١٥٢).

مرتكب الكبيرة خارجاً عن الملة في الدنيا عند الخوارج، وفي منزلة بين المنزلتين عند المعتزلة ثم في الآخرة خالد في النار عندهما جميعاً.

والذي دلت عليه النصوص وصار عليه سلف الأمة: أن المؤمنين متفاضلون في الإيمان، وأن أهل الكبائر لا يكفرون بمطلق المعاصي؛ بل يقولون في العاصي: إنه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة، أن الدين والإيمان: قول، وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح. وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعل الخوارج؛ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه في آية القصص: ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَإِذَا عَفَا بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]... ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة... ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته

(١) الآثار الواردة عن الإمام سفيان الثوري في العقيدة جمعاً ودراسة (٤٠٦ - ٤٠٩).

ليس قوله إحدى الحجج - فيما يقول أو يفعل، معتقداً للحقيقة فيه، من غير نظر في الدليل^(٢).

والمقصود بالتقليد هنا: التقليد في العقائد، وهو أن يعتقد الإنسان قول غير المعصوم في أصول الدين الكبار؛ كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم والآخر والقدر خيره وشره من غير نظر في الدليل.

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المعنى الاصطلاحي للتقليد راجع إلى المعنى اللغوي، وذلك أن من قلّد غيره في قول أو فعل فكأنه قد جعل قول هذا الغير أو فعله قلادة في عنقه^(٣).

❁ الحكم:

حكم التقليد في مسائل الاعتقاد (أصول الدين):

الذي عليه مذهب أهل السنة والجماعة هو أن المطلوب من المكلف

(٢) انظر: الإحكام لابن حزم (٢٧٠/٦) [دار الحديث، ط ١، ١٤٠٤هـ]، والفتاوى والمفتحة (١٢٨/٢) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢١هـ]، وجامع بيان العلم (١١٧/٢)، والتلخيص في أصول الفقه للجويني (٣/١٢٨) [دار البشائر الإسلامية، ١٤١٧هـ]، والتعريفات للجرجاني (٩٠) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٥هـ]، وإرشاد الفحول للشوكاني (٤٤٢/١) - (٤٤٣) [دار الفكر، ط ١].

(٣) التعريفات للجرجاني (٩٠)، وإرشاد الفحول للشوكاني (٤٤٢/١).

❁ تقديم النقل على العقل

يراجع مصطلح (العقل).

❁ التقديم والتأخير

يراجع مصطلح (المقدم والمؤخر).

❁ التقرب

يراجع مصطلح (القرب).

❁ التقليد

❁ التعريف لغة:

التقليد في اللغة: مصدر: قلّد يُقلّد تقليداً، ويدل على تعليق شيء على شيء، وليّه به. والقلادة هي ما جعل في العنق، يقال: قلّدت المرأة، إذا جعلت القلادة في عنقها، وتقليد البدنة هو أن يعلّق في عنقها شيء ليُعَلَم أنها هديّة. ومن ذلك: تقليد الولاة الأعمال، يقال: قلّد فلان فلاناً عملاً تقليداً، ومنه أيضاً: التقليد في الدين^(١).

❁ التعريف اصطلاحاً:

التقليد: هو اتباع الإنسان غيره - ممن

(١) مقاييس اللغة (١٩/٥) [دار الجيل، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وتهذيب اللغة (٤٧/٩) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م]، والصحيح (٥٢٧/٢) [دار العلم للملايين، ط ٤]، ولسان العرب (٣/٣٦٥ - ٣٦٦) [دار صادر، ط ١].

أن يعرف الحق ويعتقده، ويجزم به،

فيطمئن قلبه بأصول الإيمان؛ كالإيمان بالله، سواء حصل ذلك الاعتقاد عن نظر شرعي واستدلال، أو عن طريق التقليد.

فأهل السُّنة - ويوافقهم على ذلك بعض المتكلمين - يقولون بصحة إيمان العوام المقلدين من غير تأثيم إذا حصل منهم الاعتقاد الجازم الذي لا شك معه، سواء كان ذلك بنظر واستدلال أو بغير ذلك، وإن كانت مرتبة الاستدلال الصحيح أرقى ولا شك ممن اكتفى بالتقليد، إلا أن الكلام في صحة الإيمان وعدم التأثيم^(١).

قال السفاريني رَحِمَهُ اللهُ: «والحق الذي لا محيد عنه، ولا انفكك لأحد منه، صحة إيمان المقلد تقليدًا جازمًا صحيحًا، وأن النظر والاستدلال ليسا بواجبين، وأن التقليد الصحيح محصل للعلم والمعرفة»^(٢).

(١) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للعرماني (١٢٩/١) [دار أضواء السلف، ط ١، ١٩٩٩م]، وصيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط لابن الصلاح (١٤٣/١ - ١٤٤) [دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٨هـ]، وشرح مسلم للنووي (٢١٠ - ٢١١) [دار إحياء التراث، ط ٢، ١٣٩٢هـ]، ودرء تعارض العقل والنقل (٣٥٥/٧ - ٣٦١، ٤٥٩ - ٤٦٢) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ]، والتقليد في باب الاعتقاد لناصر الجديع (١١٠ - ١١٥).

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢٦٩/١) [مؤسسة الخافقين، ط ٢، ١٤٠٢هـ].

الحقيقة:

التقليد المذموم يخرج منه ما يلي:

١ - قبول قول النبي ﷺ والعمل به، فإنه ليس من التقليد في شيء؛ لأن قوله ﷺ وفعله نفس الحجة، ومن سماه تقليدًا - كما يفهم من كلام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ - فإنه لم يرد بالتقليد المعنى الاصطلاحي السابق؛ بل قصد به قبول قوله من غير السؤال عن وجهه.

٢ - العمل بالإجماع.

٣ - رجوع العامي إلى المفتي.

٤ - رجوع القاضي إلى شهادة العدول.

٥ - قبول رواية الرواة.

والسبب في كونها ليست تقليدًا: أنه قد قامت الحجة على الأخذ بها^(٣).

الأدلة:

أولاً: الاحتجاج بفطرية المعرفة بالله:

ومن أدلة ثبوت الفطرة:

١ - قوله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم].

٢ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد

(٣) انظر: الكليات (٣٠٥)، وإرشاد الفحول (١/٤٤٣).

لمناقضته لتلك الفطرة^(٣).

ثانيًا: عموم أحوال النبي ﷺ:

فقد علم بالاضطرار من دينه أنه كان يدعو الكفار إلى عبادة الله والنطق بالشهادتين، وهذا مشهور من حاله ﷺ، «والنبي ﷺ لم يدع أحدًا من الخلق إلى النظر ابتداء، ولا إلى مجرد إثبات الصانع؛ بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان، وبذلك أمر أصحابه»^(٤).

فما ورد في ذلك:

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن قال: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله...»^(٥).

٢ - حديث يزيد بن الشخير، وفيه: «من محمد النبي ﷺ لبني زهير بن أقيش، أنهم إن شهدوا أن لا إله إلا الله،

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٠٢/٢٠) (٣/ ٣١٢)، ودرء التعارض (٤٢٦/٧).

(٤) درء التعارض (٦/٨)، وانظر: المرجع نفسه (٧/ ٤٠٨)، ورسالة البيان عن حقيقة الإيمان، ضمن رسائل ابن حزم (٣/ ١٩٣، ١٩٦، ١٩٩) [المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢، ١٩٨٧م]، والعواصم والقواصم لابن الوزير (٣/ ٣٨٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤١٥هـ]، والبرهان القاطع له (٩٧ - ٩٩) [دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٩هـ]، وإجابة السائل شرح بغية الآمل للأمير الصنعاني (٤٠٦) [دار الرسالة، ط ١، ١٩٨٦م]، وفواتح الرحموت (٢/ ٤٣٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٥٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩).

على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء. ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ آلَتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ أَلَيْسَ أَلْفَيْمٌ﴾ [الروم: ٣٠]»^(١).

فالأصل في بني آدم ثباتهم على تلك الفطرة، «فالنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقرة لله بالإلهية محبة له، تعبه لا تشرك به شيئًا، ولكن يفسدها ما يزين لها شياطين الإنس والجن بما يوحي بعضهم إلى بعض من الباطل»^(٢).

وإن كان قد يحصل عند بعضهم انحراف عن هذه الفطرة، فذلك أمر عارض، لقوله: «فأبواه يهودانه...».

وإذا كان الإقرار بالله أمرًا فطريًا، لم يكن هناك من ضرورة إلى الاستدلال على هذا الأمر الفطري الضروري إلا عند من انحرفت فطرته وفسدت، فإنه يخاطب حينها بالطرق النظرية الصحيحة.

فمن قلّد غيره في الاعتقاد بوجود الله، فإنه في الحقيقة قد وافق الفطرة التي فطره الله عليها، فلم يكن مؤاخذًا بذلك، وهذه هي حال العوام من المسلمين، بخلاف من قلّد الآباء والأتباع في الباطل، فإنه يكون مؤاخذًا بذلك،

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٨).

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢٩٦/١٤).

لنفسه، ولا كمعرفة الأنبياء له؛ بل إذا حصلت للإنسان المعرفة بالأدلة من القرآن، أو أخذ ذلك بالتلقين من أبويه في الصغر، أو بتقليده للعلماء والصالحين في صغره، ثم بلغ وصمم على هذه العقيدة، فإنه مؤمن كامل الإيمان، وإن لم يحصل له المعرفة بالأدلة التي ربَّها المتكلمون ووضعوها؛ بل قد صرح العلماء من أهل الحديث والفقهاء المشهورون بتحريم الكلام، وقالوا: هو محدث وبدعة في الدين»^(٣).

وقال أبو عمرو بن الصلاح رحمته الله - تعليقاً على حديث أنس رضي الله عنه، والذي فيه سؤال ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه عن مسائل من أصول الديانة، وقول النبي ﷺ بعدها: «أفلح إن صدق»^(٤) -: «وفي هذا الحديث دلالة على صحة ما ذهب إليه أئمة العلماء في أن العوام المقلدين مؤمنون، وأنه يكتفى منهم بمجرد اعتقادهم الحق جزماً من غير شك وتزلزل، خلافاً لمن أنكر ذلك من المعتزلة، وذلك أنه ﷺ قرر ضمناً على ما اعتمد عليه في تعرف رسالته وصدقه ﷺ، من مناشدته ومجرد إخباره إياه بذلك، ولم ينكر عليه ذلك قائلاً له: إن الواجب عليك أن تستدرك ذلك من

وأن محمداً رسول الله، وفارقوا المشركين، وأقروا بالخمس في غنائمهم، وسهم النبي ﷺ، وصفيه، فإنهم آمنون بأمان الله ورسوله»^(١).

قال النووي في شرحه لهذا الحديث: «فيه دليل على أن من أقر بالشهادتين واعتقد ذلك جزماً كفاه ذلك في صحة إيمانه، وكونه من أهل القبلة والجنة، ولا يكلف مع هذا إقامة الدليل والبرهان على ذلك، ولا يلزمه معرفة الدليل، وهذا هو الصحيح الذي عليه الجمهور»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال العلامة يحيى العمراني رحمته الله: «فمتى حصل للإنسان المعرفة بالله وبصفاته، وعلم أن ما جاء به النبي ﷺ حق: حصلت له المعرفة، وأدنى المعرفة: ما لا يجمعها الشكوك. وأعلى معارف الخلق لله: معارف الأنبياء والملائكة لله، وهم بذلك متفاضلون، ولم يكلف الله الخلق أن يعرفوه كمعرفته

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الخراج والإمارة والفيء، رقم ٢٩٩٩)، والنسائي (كتاب قسم الفيء، رقم ٤١٤٦)، وأحمد (٣٤٠/٣٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وجوّده ابن كثير في تفسيره (٩٣/٣) [دار طيبة، ط ٢]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٥٧).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٥/٥)، وانظر: تشنيف المسامع بجمع الجوامع للزركشي (٢٣٤/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٣) الانتصار في الرد على المعتزلة الأشرار (١٢٩/١).
(٤) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١١).

النظر في معجزاتي، والاستدلال بالأدلة

القطعية التي تفيدك العلم»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: هل النظر واجب؟

الأصل في بني آدم أن معرفة الله والإقرار المجمل بربوبيته أمر فطري ضروري فيهم، وإذا كان كذلك فإن النظر لا يكون واجباً في حق المكلفين، فضلاً عن كونه أول واجب على المكلف؛ بل يخاطب الناس بلازم تلك المعرفة من الإقرار بالألوهية، والنطق بالشهادتين.

وأما من تبدلت فطرته، وذهل عن أصل تلك المعرفة، ولم تتحصل له إلا بالنظر، فإنه يخاطب بالنظر، ويكون واجباً في حقه، وهذا استثناء عن الأصل، وليس هو الأصل^(٤).

كما أشار بعض أهل العلم إلى أن النظر يتوجه أيضاً في حق من بلغه الإسلام، فأسلم تقليداً، لكن نفسه لم

وقال النووي رحمته الله تعليقاً على حديث أبي هريرة رضي الله عنه المرفوع: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله...» الحديث^(٢): «وفيه دلالة ظاهرة لمذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف أن الإنسان إذا اعتقد دين الإسلام اعتقاداً جازماً لا تردد فيه كفاه ذلك، وهو مؤمن من الموحدين، ولا يجب عليه تعلم أدلة المتكلمين ومعرفة الله تعالى بها، خلافاً لمن أوجب ذلك وجعله شرطاً في كونه من أهل القبلة، وزعم أنه لا يكون له حكم المسلمين إلا به، وهذا المذهب هو قول كثير من المعتزلة، وبعض أصحابنا المتكلمين، وهو خطأ ظاهر، فإن المراد التصديق الجازم، وقد حصل، ولأن النبي ﷺ اكتفى بالتصديق بما جاء به ﷺ، ولم يشترط المعرفة بالدليل، فقد تظاهرت بهذا أحاديث في «الصحيحين» يحصل بمجموعها التواتر بأصلها والعلم القطعي»^(٣).

(١) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط لابن الصلاح (١٤٣/١ - ١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٩٤٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢١).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢١٠/١ - ٢١١)، وانظر: الفصل لابن حزم (٣٦/٤)، ورسالة البيان عن حقيقة الإيمان، ضمن رسائل ابن حزم (٣).

(١٩٨)، الفتاوى للعز بن عبد السلام (١٥٢) [دار الكتب العلمية]، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٨٢/١) [دار ابن كثير، ط ١، ١٤١٧هـ]، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٢٦٩)، فواتح الرحموت (٤٠١/٢)، ورسائل وفتاوى الشيخ عبد الله أبا بطين ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٦٥١) [دار العاصمة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، وشرح الأصول من علم الأصول لابن عثيمين (٦٣٧ - ٦٣٨)، وشرح العقيدة السفارينية له (٣٠٥ - ٣١٢)، والتقليد في باب العقائد وأحكامه لناصر الجديع (١١٠ - ١١٥) [دار العاصمة، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٤) انظر: رسالة البيان عن حقيقة الإيمان، ضمن رسائل ابن حزم (١٩٣/٣).

- المسألة الثانية: هل يعذر أهل الضلال من المسلمين بالتقليد في مسائل الاعتقاد؟

الذي يظهر من كلام الأئمة هو القول بعذر أهل التقليد، وأنه من جنس العذر بالتأويل والجهل.

فإذا قبل عذر من وقع في الكفر متأولاً رغم علمه واجتهاده، فعذر من يقلده من العوام الجاهل من باب أولى. قال ابن تيمية رحمته الله بعدما تكلم على كفر وضلال أهل الحلول والاتحاد من غلاة المتصوفة؛ كابن سبعين وابن عربي وابن الفارض وأمثالهم: «... فكل من كان أخبر بباطن هذا المذهب، ووافقهم عليه، كان أظهر كفرًا، وإلحادًا، وأما الجاهل الذين يحسنون الظن بقول هؤلاء ولا يفهمونه، ويعتقدون أنه من جنس كلام المشايخ العارفين الذين يتكلمون بكلام صحيح لا يفهمه كثير من الناس، فهؤلاء تجد فيهم إسلامًا وإيمانًا، ومتابعة للكتاب والسنة بحسب إيمانهم التقليدي، وتجد فيهم إقرارًا لهؤلاء وإحسانًا للظن بهم، وتسليمًا لهم بحسب جهلهم وضلالهم، ولا يتصور أن يثني على هؤلاء إلا كافر ملحد، أو جاهل ضال»^(٤).

المحيط في أصول الفقه (٣٧/١) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٦٧/٢).

تسكن إلى الإيمان، ولم يطمئن قلبه به، فكان اعتقاده عن غير جزم، فمثل هذا قد يجب عليه النظر الشرعي حتى يحصل له اليقين، ويندفع عنه الشك، بخلاف من استقر قلبه للتصديق والإيمان، فلا يجب عليه مثل هذا النظر، ولا يأثم بتركه^(١).

وقريب من هؤلاء: من كان مطمئنًا بالإيمان ولو من غير نظر، ولكن وردت عليه شبهة مشكلة من مشكك في الدين، وخاف أن تزلزله عما آمن به، ولم يتمكن من إزالتها إلا بشيء من النظر، فيقال فيه ما قيل في سابقه^(٢).

وبهذا يعلم أن مثل هذه الأحوال التي يجب فيها النظر إنما هي استثناء من الأصل، لا أنها هي الأصل.

وإذا ما خوطب أمثال هؤلاء بالنظر، فإن المراد به النظر الشرعي الصحيح، الذي جاءت أصوله في كتاب الله؛ كالاستدلال بالخلق على الخالق، وبالحادث على المحدث، لا بالطرق المبتدعة التي قصدها من أوجب النظر على الإطلاق^(٣).

(١) انظر: الفصل لابن حزم (٤/٣٠ - ٣١)، ودرء التعارض (٨/٨)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/٣٥١)، ولوامع الأنوار البهية (١/٢٦٩)، والتقليد في باب الاعتقاد وأحكامه (١١٥ - ١١٧).

(٢) انظر: العواصم والقواصم لابن الوزير (٤/٩٣).

(٣) انظر: فتاوى العز بن عبد السلام (١٥٢)، وقواعد الأحكام له (١/١٧١)، والفتاوى له (١٥٢)، والبحر

وواضح من كلامه معذرة من قلّد هؤلاء الغلاة لجهله بحقيقة كلامهم ومذاهبهم.

أحدها: الجاهل المقلد الذي لا بصيرة له، فهذا لا يكفر ولا يفسق، ولا ترد شهادته إذا لم يكن قادراً على تعلم الهدى، وحكمه حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله غفوراً رحيمًا.

القسم الثاني: المتمكن من السؤال وطلب الهداية ومعرفة الحق، ولكن يترك ذلك اشتغالاً بدياه وراثته ولذته ومعاشه وغير ذلك، فهذا مفطر مستحق للوعيد آثم بترك ما وجب عليه من تقوى الله بحسب استطاعته، فهذا حكمه حكم أمثاله من تارك بعض الواجبات، فإن غلب ما فيه من البدعة والهوى على ما فيه من السنة والهدى ردت شهادته، وإن غلب ما فيه من السنة والهدى قبلت شهادته.

القسم الثالث: أن يسأل ويطلب ويتبين له الهدى، ويتركه تقليدًا أو تعصبًا، أو بغضًا ومعاداة لأصحابه، فهذا أقل درجاته أن يكون فاسقًا، وتكفيره محل اجتهاد وتفصيل^(٢).

(٢) الطرق الحكمية (١٧٤، ١٧٥) [مطبعة الميداني، ط ١٣٨١هـ]، وانظر نفس التفصيل في: النونية مع شرح ابن عيسى عليها (٢/ ٢٤١، ٢٤٤) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٦هـ].

بل؛ إنه قد قرر معذرة من يقلد الشيوخ وعلماء الضلال حتى فيما كان من جنس الشرك، فقد قال رَحِمَهُ اللهُ بعد كلام له على هذا الموضوع: «فكل عبادة غير مأمور بها فلا بد أن ينهى عنها، ثم إن علم أنها منهي عنها وفعلها استحق العقاب، فإن لم يعلم لم يستحق العقاب، وإن اعتقد أنها مأمور بها وكانت من جنس المشروع فإنه يثاب عليها، وإن كانت من جنس الشرك فهذا الجنس ليس فيه شيء مأمور به، لكن قد يحسب بعض الناس في بعض أنواعه أنه مأمور به، وهذا لا يكون مجتهدًا؛ لأن المجتهد لا بد أن يتبع دليلًا شرعيًا، وهذه لا يكون عليها دليل شرعي، لكن قد يفعلها باجتهاد مثله، وهو تقليده لمن فعل ذلك من الشيوخ والعلماء، والذين فعلوا ذلك قد فعلوه لأنهم رأوه ينفع، أو لحديث كذب سمعوه، فهؤلاء إذا لم تقم عليهم الحجة بالنهي لا يعذبون»^(١).

ويفصل ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في بيان أقسام أهل البدع فيقول: «وأما أهل البدع الموافقون أهل الإسلام، ولكنهم مخالفون في بعض الأصول؛ كالرافضة

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٢/ ٢٠).

آبائه، وهذا هو التقليد الذي حرمه الله ورسوله، وهو أن يتبع غير الرسول فيما خالف فيه الرسول، وهذا حرام باتفاق المسلمين على كل أحد، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(٣).

٢ - تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل أن يؤخذ بقوله:

وذلك بأن يقلد أقواماً ورؤساء يجهل أحوالهم، ولم يعلم أهليتهم وأحقيتهم للتقليد، أو يقلدهم لمجرد الهوى.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء].

فنهى المسلم أن يقفوا ما ليس له بعلم، والشخص إذا قلّد من لم يعرف أهليته للتقليد فقد قفا ما ليس له به علم^(٤).

٣ - التقليد بعد ظهور الدليل على خلاف قول المقلد:

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك» فطرحته، فأنهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة، فقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْكَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] حتى فرغ منها، فقلت: إنا

مما سبق يتبين لنا إعدار الأئمة لمن وقع في الكفر تقليداً إن كان جاهلاً لا بصيرة له ولا فقه، أما إن كان قادراً على فهم الحجة وفطر في طلبها فإنه يأثم، ولكنه لا يكفر إلا بعد قيام الحجة والله أعلم^(١).

- المسألة الثالثة: التقليد المذموم:

ثمة أنواع من التقليد قد جاء ذمها في الشرع^(٢)، ومن ذلك:

١ - تقليد الآباء والرؤساء، مع الإعراض عن الكتاب والسنة:

وهذا هو صنيع الكفار زمن الرسول ﷺ، ومن قبلهم من أعداء الأنبياء، حيث أعرضوا عن دعوة رسلهم، ونصبوا لهم العداء تقليداً لرؤسائهم.

وقد جاء في ذم هذا النوع من التقليد آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «قد ذم الله تعالى في القرآن من عدل عن اتباع الرسل إلى ما نشأ عليه من دين

(١) انظر: نواقض الإيمان الاعتقادية للوهبي (٢/ ٤٩ - ٥٥) [دار المسلم، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

(٢) انظر: إعلام الموقعين (٢/ ١٨٧ - ١٨٨) [دار الجيل، ١٩٧٣م]، والتقليد في باب العقائد وأحكامه (٨٠ - ٩٥).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٩/ ٢٦٠).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٧٢).

- المسألة الرابعة: مراد بعض السلف بالتقليد:

ورد ذكر التقليد عند بعض السلف على غير المعنى المشهور؛ فقد أطلقه بعض الأئمة على اتباع الدليل. قال الإمام أحمد رحمته الله: «من قلّد الخبر، رجوت له أن يسلم إن شاء الله»^(٤).

وقال حرب الكرماني: «ومن زعم أنه لا يرى التقليد، ولا يقلد دينه أحد فهذا قول فاسق مبتدع عدو لله ولرسوله صلّى الله عليه وآله، ولدينه، ولكتابه، ولسنة نبيه صلّى الله عليه وآله، إنما يريد بذلك إبطال الأثر، وتعطيل العلم، وإطفاء السنة، والتفرد بالرأي، والكلام، والبدعة والخلاف»^(٥).

ومرادهم بذلك الالتزام بالنص، والتقيّد به، وعدم الخروج عنه إلى رأي أو منام أو قياس ونحو ذلك، وإن كان النص حجة في نفسه^(٦).

✽ مذهب المخالفين:

لقد ذهب عامة المخالفين من

لسنا نعبدهم، فقال: «أليس يحرمون ما أحلّ الله فتحرمونه، ويحلون ما حرّم الله فتستحلونونه؟» قلت: بلى، قال: «فتلك عبادتهم»^(١).

فالله تعالى قد ذمّ النصاري على تقليدهم لأخبارهم ورهبانهم في تغيير ما علموه من شرع الله، «ولهذا اتفق العلماء أنه إذا عرف الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه»^(٢).

٤ - تقليد من ورد النص بالنهي عن تقليده أو التشبه به:

كتقليد الكفار، والتشبه بهم في شيء من أمور دينهم، أو ما اختصوا به من أمور دنياهم.

قال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة].

وقال صلّى الله عليه وآله: «من تشبّه بقوم فهو منهم»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٩٥) وقال: «غريب»، والطبراني في الكبير (٩٢/١٧) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وذكر الألباني له شواهد وقال: فهو بمجموع طرقه حسن إن شاء الله تعالى. السلسلة الصحيحة (٧/٨٦٢ - ٨٦٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٧١) (١٩/٢٦٢) (٢٠/٢٢٥)، والاتباع لابن أبي العز (٢٣) [المكتبة السلفية، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب اللباس، رقم ٤٠٣١)، وأحمد (٩/١٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وجوّد سنده شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم

(١/٢٦٩) [دار العاصمة، ط ٦]، وحسن إسناده الألباني في الإرواء (٥/١٠٩).

(٤) العدة في أصول الفقه لأبي يعلى (٤/١٢١٧) [ط ٢، ١٤١٠هـ]، والمسودة (٤١١) [ط. المدني].

(٥) مسائل أحمد وإسحاق لحرب الكرماني (٣/٩٧٨) [جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ]. وانظر قول الإمام الشافعي في: الأم (٧/٢٦٥) [دار المعرفة، ط ٢، ١٣٩٣هـ]، والبريهاري في شرح السنة (٩٥) [دار المنهاج، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٦) انظر: المسودة (٤١١).

تقدمت الأدلة على ذلك، وأن النظر إنما يجب على من حصل عنده من الشكوك والشبه ما يباعدة عن مقتضى الفطرة، فيشرع في حقه النظر الشرعي والتفكير الصحيح، دون الطرق البدعية الحادثة^(٢).

على أن من أهل الكلام من بالغ حتى قال بتكفير المقلدين، الذين اعتقدوا الحق ولكن لم يعرفوا دليله، ويلزم على هذا القول تكفير عامة المسلمين ممن رسخ اعتقادهم، إلا أنهم لم ينظروا في الدليل عليه^(٣).

ولذا؛ أنكر بعض أئمة المتكلمين ذلك، وعدوه من الغلو والإسراف، قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: «من أشد الناس غلوًا وإسرافًا طائفة من المتكلمين، كفروا عوام المسلمين، وزعموا أن من لم يعرف الكلام معرفتنا، ولم يعرف العقائد الشرعية بأدلتها التي حررناها كافر، فهؤلاء ضيقوا رحمة الله الواسعة أولاً، وجعلوا الجنة وقفًا على شردمة سيرة من المتكلمين، ثم جهلوا ما تواتر من السنة ثانيًا، إذ ظهر لهم في عصر

المتكلمين وغيرهم إلى القول بمنع التقليد في العقيدة وأصول الدين، وأنه لا بد من النظر والاستدلال للوصول إلى الإيمان بالله، ووافقهم على ذلك غيرهم من الأصوليين.

ومبنى قول هؤلاء راجع إلى مسألة معرفة الله، حيث سبق أن أهل السنة يقولون بأنها فطرية ضرورية، وأما المتكلمون فقد قالوا بأنها نظرية مكتسبة، واشترط أكثرهم أن تكون محصلة بالنظر على وفق الطرق التي ابتدعوها؛ كدليل الأعراض وحدوث الأجسام المبتدع، وأنكروا أن تكون معرفة الله فطرية^(١).

فلما أنكر هؤلاء فطرية المعرفة لله، أوجبوا النظر الموصل إليها، ولم يكتف كثير منهم بذلك؛ بل جعلوا النظر الواجب هو النظر البدعي، والذي يرجع إلى دليل الأعراض وحدوث الأجسام، وجعلوا ذلك أول واجب على المكلف.

والحق أن أول واجب على المكلف: هو توحيد الله والإتيان بالشهادتين، لا مجرد المعرفة المجردة عن الإقرار بالشهادتين والتزام مقتضاهما، كما

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠/٢٠٢)، والبحر المحيط (٦/٢٧٩) [طبعة وزارة الأوقاف بالكويت، ط ٢، ١٤١٣هـ]، وإرشاد الفحول (٢٦٧) [دار المعرفة، ط ١٣٩٩هـ].

(٣) انظر: أبحاث الأفكار للآمدي (١/١٦٤) [مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط ١٤٢٣هـ]، وشرح المواقف (١/١٦٨)، وفواتح الرحموت (٢/٤٣٢).

(١) شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي (٥١)، ٥٢، ٨٨، ٨٩ [مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤٠٨هـ]، والشامل (١٤٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ]، والمواقف للإيجي (٣٩) [دار عالم الكتب]، وانظر: شرح المواقف للجرجاني (١/١٤٧ - ١٤٨) [دار الجيل، ط ١].

رسول الله ﷺ وعصر الصحابة رضي الله عنهم حكمهم بإسلام طوائف من أجلاف العرب كانوا مشغولين بعبادة الوثن، ولم يشتغلوا بعلم الدليل، ولو اشتغلوا به لم يفهموه، ومن ظن أن مدرك الإيمان الكلام والأدلة المجردة والتقسيمات المرتبة فقد أبعد عن الإنصاف^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإحكام»، لابن حزم.
- ٢ - «إرشاد الفحول»، للشوكاني.
- ٣ - «إعلام الموقعين»، لابن القيم.
- ٤ - «التقليد في باب الاعتقاد وأحكامه»، لناصر الجديع.
- ٥ - «جامع بيان العلم وفضله»، لابن عبد البر.

- ٦ - «رسالة البيان عن حقيقة الإيمان»، ضمن رسائل ابن حزم.
- ٧ - «شرح النووي على صحيح مسلم».
- ٨ - «لوامع الأنوار البهية»، للسفاريني.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١٠ - «نواقض الإيمان الاعتقادية»، لمحمد الوهيبي.

(١) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة للغزالي (٩٢/٣) [دار الكتب العلمية]، وانظر: قواعد العقائد للغزالي (١٥٢ - ١٥٣) [دار عالم الكتب، ط ٢، ١٤٠٥هـ]، وانظر في بيان هذا اللازم في: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٣٦/٤)، ودرء التعارض (٣٥٧/٧ - ٣٦١، ٤٣٩ - ٤٥٢).

التقوى

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمه الله: «الواو والقاف والياء: كلمة واحدة تدل على دفع شيء عن شيء بغيره. ووقيته أقيه وقياً. والوقاية: ما يقي الشيء. واتفق الله: توقيه؛ أي: اجعل بينك وبينه كالوقاية»^(٢).

التقوى: مصدر وقى، والتقوى والتقى واحد، يقال: وقاه الله وقاية: حفظه، ويقال: وقيت الشيء أقيه: إذا صنته وسترته عن الأذى، ووقاه: حماه وصانه، والوقاية والوقاية والوقاية: كل ما وقيت به شيئاً^(٣).

التعريف شرعاً:

قال ابن كثير رحمه الله: «التقوى: اسم جامع لفعل الطاعات وترك المنكرات»^(٤).

الحكم:

يتفاوت حكم التقوى فتكون واجبة إذا كانت التقوى بفعل واجب، أو ترك محرم، وتكون مستحبة إن كانت بفعل

(٢) مقاييس اللغة (١٣١/٦) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: الصحاح (٢٥٢٦/٦) [دار العلم للملايين، ط ٣، ولسان العرب (٣٧٧/١٥) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ].

(٤) تفسير ابن كثير (٤٩٢/١) [دار طيبة، ط ٢].

حقيقتها هي طاعة الله ورسوله في كل شيء^(٤).

الأدلة:

الآيات الآمرة بالتقوى كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

ومن السنة: ما رواه أبو أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: «اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا إذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم»^(٥).

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمر»^(٦).

وقوله ﷺ: «من حلف على يمين، ثم

(٤) انظر: أضواء البيان (٥١/٨) [دار الفكر]، ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (١٧٠/٢) [الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط١].

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب السفر، رقم ٦١٦) وصححه، وابن حبان (كتاب السير، رقم ٤٥٦٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٨٦٧).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤١٧)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠١٦).

مندوب، أو ترك مكروه^(١). ولهذا كانت التقوى إما حماية القلب والجوارح عن الآثام والمحرمات، أو حميتها عن المكروهات، حميتها عن الفضول وما لا يعني.

فالأولى: تعطي العبد حياته، والثانية: تفيده صحته وقوته، والثالثة: تكسبه سروره وفرحه وبهجته^(٢).

الحقيقة:

حقيقة التقوى: اتخاذ وقاية من عذاب الله بفعل الأوامر، وترك النواهي. قال ابن القيم رحمه الله: «أما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً، أمراً ونهيًا، فيفعل ما أمر الله به إيماناً بالأمر وتصديقاً بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيماناً بالنهي وخوفاً من وعيده»^(٣).

المنزلة:

منزلة التقوى تتبين من حيث أن الله تعالى أمر بها عباده، كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وتتبين في كونها هي الدافع على كل خير، والرادع عن كل شر، ذلك أن

(١) انظر: شرح عمدة الفقه لابن تيمية (٦٢٧/٣) [مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ].

(٢) انظر: الفوائد لابن القيم (٣١) [دار الكتب العلمية].

(٣) انظر: الرسالة التبوكية (١٣) [مكتبة المدني، جدة].

رأى أتقى لله منها، فليأت التقوى»^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال طلق بن حبيب: «إذا وقعت الفتنة فادفعوها بالتقوى» قالوا: وما التقوى؟ قال: «أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله»^(٢).

قال الذهبي معلقاً عليه: «أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بترؤ من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا يقال: فلان تارك المعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفاً من الله، لا ليمدح بتركها، فمن داوم على هذه الوصية فقد فاز»^(٣).

وقال ابن تيمية: «والتقوى: هي الاحتماء عما يضره، بفعل ما ينفعه؛ فإن الاحتماء عن الضار يستلزم استعمال النافع، وأما استعمال النافع فقد يكون معه أيضاً استعمال لضرار، فلا يكون صاحبه من المتقين، وأما ترك استعمال الضار والنافع فهذا لا يكون؛ فإن العبد

إذا عجز عن تناول الغذاء كان مغتدياً بما معه من المواد التي تضره حتى يهلك، ولهذا كانت العاقبة للتقوى وللمتقين؛ لأنهم المحتمون عما يضرهم، فعاقبتهم الإسلام والكرامة، وإن وجدوا ألماً في الابتداء لتناول الدواء والاحتماء»^(٤).

وقال ابن رجب: «أصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه»^(٥).

✽ الفروق:

يقارب التقوى الورع إلا أن الفرق بينهما أن التقوى أخذ عدة، والورع دفع شبهة، والتقوى متحققة السبب، والورع مظنون السبب، والورع تجاف بالنفس عن الانبساط فيما لا يؤمن عاقبته»^(٦).

✽ الثمرات:

ثمرات التقوى كثيرة لا تحصى إلا بتكلف، ولا تستقصى لغزارتها وتنوعها، فهي أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر، فكل خير في الدنيا والآخرة من ثمرات التقوى.

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٥١).

(٢) أخرجه ابن أبي شعبة (٣٥١/١٢) برقم ٣٦١٦٩ [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٥هـ]، وهناد بن السري في الزهد (٢٩٦/١ - ٢٩٧ برقم ٥٢٢) [دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط ١]، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٦٤)، وغيرهم.

(٣) سير أعلام النبلاء (٦٠١/٤) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٢هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/١٤٤).

(٥) جامع العلوم والحكم (٣٩٨/١) [مؤسسة الرسالة، ط ٧، ١٤٢٢هـ].

(٦) نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (٢١٩) [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ].

- ٢ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.
- ٣ - «الحلية»، لأبي نعيم.
- ٤ - «الزهد»، للإمام أحمد.
- ٥ - «الزهد»، لأبي بكر البيهقي.
- ٦ - «الفوائد»، لابن القيم.
- ٧ - «الرسالة التبوكية»، لابن القيم.
- ٨ - «شرح عمدة الفقه»، لابن تيمية.
- ٩ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

❖ التكفير ❖

❖ التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الكاف والفاء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنى واحد، وهو السُّرُّ والتَّغْطِية»^(٢).

وسُمِّيَ الفَلَّاحُ كافرًا - كما في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ [الحديد: ٢٠] - وذلك لتغطية الحَبِّ بالتراب، وسمي الليل كافرًا لتغطية كل شيء^(٣).

❖ التعريف شرعًا:

التكفير: هو الحكم الشرعي بالكفر

فبها يحصل فلاح الدارين، وبها ينال العبد رضوان الله الذي هو أعظم من الجنة وما فيها، وبها يدخل العبد الجنة، وبها ينجو من النار.

ومن ثمارها الظاهرة: تفريج الكربات، وتحصيل الأرزاق، وتسهيل الأمور؛ وتكفير السيئات، وتعظيم الأجور؛ قال تعالى: ﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق]، وقال تعالى: ﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [٤] ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [٥] [الطلاق].

ومن ثمارها أيضًا: نيل ولاية الله تعالى، والفوز بالبشرى في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا إِيَّاكَ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٦] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [٧] لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس].

بالجملة فالتقوى هي سبب لكل خير وفلاح ونجاح في الدنيا والآخرة. قال ابن تيمية: «الخير كله في لزوم التقوى واجتناب المحرمات»^(١).

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «الفتاوى الكبرى» (ج ٦)، لابن تيمية.

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١١٧/٦) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٢) مقاييس اللغة (١٩١/٥) [دار الجيل، ط ٢].

(٣) انظر: لسان العرب (١٤٤/٥) [دار صادر، ط ١]، والقاموس المحيط (٤٧٠)، وتاج العروس (٥٠/١٤) [دار الهداية]، ومفردات القرآن (٧١٤) [دار المعرفة]، والمعجم الوسيط (٧٩١).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَبُّوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَلَسَلَّمَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ [النساء: ٩٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِر، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا» ^(٣).

وفي رواية لمسلم: «إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعْتَ عَلَيْهِ» ^(٤).

وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ تَرْكُ الصَّلَاةِ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ» ^(٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٧٥٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٠).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦١٠٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٠).

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٢١) وصححه، والنسائي (كتاب الصلاة، رقم ٤٦٣)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، رقم ١٠٧٩)، وأحمد (٢٠/٣٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٥٦٤) [مكتبة المعارف، ط ٥].

على مقالة، أو على طائفة، أو على شخص مُعَيَّن، بسبب قيام موجب التكفير من جحد لربوبية الله أو ألوهيته، أو للرسالة، أو لما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو للقيام بقول أو فعل حكم الشارع بأن فاعله يكون كافراً، وإن لم يجحده، بعد قيام الحجة.

الحكم:

التكفير حكم شرعي، وهو حق لله تعالى، والكافر من كفره الله ورسوله ﷺ، فليس الكفر حقاً لأحد من الناس؛ بل هو حق الله تعالى، ومعنى ذلك ألا نحكم على فعل ما أنه كفر، وأن فاعله كافر إلا بموجب نص من الكتاب أو صحيح السنة ^(١).

قال ابن تيمية رحمته الله: «الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطأ في العقل، يكون كفراً في الشرع، كما أنه ليس كل ما كان صواباً في العقل، تجب في الشرع معرفته» ^(٢).

(١) انظر: الشفا للقاضي عياض (١٠٦٥/٢) [دار الكتاب العربي]، وفيصل التفرقة للغزالي (١٢٨)، ١٤٦، ١٥٨ [مكتبة الجندي]، الرد على البكري (٢٥٧) [الدار العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٢) درء التعارض (٢٤٢/١) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ]، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢/٤٢١) [دار الفكر]، والصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي (٧٨) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ].

✽ أقوال أهل العلم:

قال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «الكفر حكم شرعي كالرِّقِّ والحرية مثلاً، إذ معناه: إباحة الدم والحكم بالخلود في النار، ومدركه شرعي، فيدرك إما بنص وإما بقياس على منصوص»^(١).

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ في مطلع كلامه على المكفرات القولية: «اعلم أن تحقيق هذا الفصل، وكشف اللبس فيه، مورده الشرع، ولا مجال للعقل فيه»^(٢).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فلهذا كان أهل العلم والسُّنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك، وزنى بأهلك، ليس لك أن تكذب عليه، ولا تزني بأهله؛ لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق الله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله»^(٣).

✽ الشروط:

الشرط الأول: أن يقصد المعين بكلامه المعنى المكفر:

وذلك يشتمل على أمرين:

١ - أن لا يُكفر المعين بلازم القول

(١) فيصل التفرقة (١٢٨)، وانظر: (ص ١٤٦، ١٥٨).

(٢) الشفا (١٠٦٥/٢).

(٣) الرد على البكري (٢٥٧)، وانظر: منهاج السُّنة النبوية (٢٤٤/٥) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٠٦هـ]، والعواصم والقواصم لابن الوزير (٤/١٧٨، ١٧٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤١٥هـ].

(إذا كان لازم القول كفراً)، إلا إذا علم المعين ذلك اللازم والتزمه.

٢ - أن من الألفاظ ما يكون مجملاً ومحملاً لأكثر من معنى بعضها كفر وبعضها ليس بكفر، فربما قصد الشخص المُعَيَّن من اللفظ معنى غير المعنى الكفري، فلا يجوز أن يحكم عليه بالكفر حينها حتى نتأكد من مُرادِه»^(٤).

الشرط الثاني: قيام الحجة، وزوال الشبهة:

وذلك ببلاغ الحجة الرسالية للشخص المعين، وتمكُّنه من استماعها وتدبرها.

وذلك يختلف باختلاف المقالات والأشخاص والأحوال والأزمنة والأماكن، فما كان معلوماً من الدين بالضرورة ليس كالأمر الخفيَّة، وحديث العهد بالإسلام ليس كغيره، والجاهل بدلالات الألفاظ ليس كالعالم بها، والبلد التي يظهر فيها العلم والسُّنة ليست كغيرها، وكذا الحال في الزمان الذي ينتشر فيه العلم، فليس كأزمنة الجهل والفترات^(٥).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٠٦/٥ - ٣٠٧).

(٥) (٢١٧/٢٠ - ٢١٨)، والرد على البكري (٣٤١).

٣٤٢، ومنهج ابن تيمية في مسألة التكفير للمشعبي

(٢٠٩ - ٢١١، ٢٢٤) [دار أضواء السلف، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١١٢/١) (٦٠/٦ - ٦١).

(٤٦٦/١٢) (٥٤ - ٥٣/١٨) (٣٧/٢٠ - ٣٨)، والرد

على البكري (٢١١، ٢١٤، ٢٥٩)، وبغية المرتاد =

وإن مما يعتبر في تكفير المعين: انتفاء موانع التكفير عنه. وموانع التكفير هي:

١ - الخطأ؛ أي: ما لم يكن عن عمد، فكل من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر؛ بل يُغفر له خطؤه، وإن حصل منه نوع تقصير في طلبه للحق فذلك التقصير ذنب، لكن لا يجب أن يبلغ به حد الكفر، حتى ولو أُطلق أن ما وقع به كفراً^(١). قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

٢ - الجهل؛ فمن أنكر أمراً من أمور الشرع جاهلاً به، ولم تبلغه الحجة، فلا يكفر بذلك الإنكار^(٢). قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. ويندرج في حكم الجاهل: المقلد، إذا عجز عن الاجتهاد في الوصول للحق^(٣).

٣ - العجز؛ فمن عجز عن الوصول إلى الحق، بعد بذل الجهد في طلبه، فوقع تبعاً لذلك في أمر مكفر، فإن عجزه يكون مانعاً من إيقاع الكفر عليه، وكذا لو عجز عن القيام بما شرعه الله، من الأقوال والأعمال، وذلك كحال النجاشي الذي عجز عن أداء ما أوجبه الله عليه من إظهار الدين ونشره في قومه، فعذره الله لعجزه^(٤).

٤ - الإكراه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِحَاثَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [١٥]. كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [النحل: ١٠٦].

فأباح الله أن ينطق الرجل بالكفر عند الإكراه، إذا كان قلبه مطمئناً

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠٦/٢ - ١٠٧، ١٣١ - ١٣٣، ٣٧٨، ٢٦١/١٩) (٢٦١ - ٣٢٢/٢٠) (٣٣ - ٢٣/٢٣)، ونواقض الإيمان الاعتقادية (٣٩/٢ - ٥١).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/٤٧٨ - ٤٧٩) (١٩/١).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٦٢).

= (٣١١) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٠٨هـ]، وضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة لعبد الله القرني (٢٢٥ - ٢٦١) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٣هـ]، ومنهج ابن تيمية في مسألة التكفير، للشعبي (٢١٢).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١٣/١) (٢٢٩/٣ - ٢٣٠، ١٨٠/١٢) (٤٦٦ - ٣٢/٢٠) (٣٣ - ١٠٠/٣٥)، والاستقامة (١٦٣/١ - ١٦٥)، وفتح الباري (١١/٥٥١)، ونواقض الإيمان الاعتقادية للوهبي (١/٣٠٢) [دار المسلم، ط ٢، ١٤٢٢هـ]، ومنهج ابن تيمية في مسألة التكفير للشعبي (٢٣٠، ٢٤٩).

(٢) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (٧٤٥) [دار ابن القيم، ط ١، ١٤٠٦هـ]، والتمهيد لابن عبد البر (٤٦/١٨ - ٤٧)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١/١١٣) (٢٣١/٣) (٤٠٦/١١) (٤٦٦/١٢)، والرد على الإخنائي (٦١ - ٦٢) [الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد، ط ٢]، ومنهج ابن تيمية في مسألة التكفير (٢٥١)، ونواقض الإيمان الاعتقادية (١/٢٢٥).

❖ الأقسام:

(التكفير) على قسمين: مطلق ومعين.

القسم الأول: التكفير المطلق:

وهو التكفير المضاف إلى من اتصف بوصف معين مخرج عن الإسلام، أو من انتسب إلى فرقة أو مذهب حكم العلماء أنه خارج على الإسلام، دون أن يضاف هذا التكفير إلى شخص بعينه.

والتكفير المطلق في كلام السلف على نوعين:

النوع الأول: التكفير بالمقالة أو الوصف:

فيقال: من قال كذا، أو فعل كذا، أو اعتقد كذا كفر، وهذا هو الغالب.

كقول نعيم بن حماد وغيره: «من شبّه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر»^(٣).

وكقول جماهير السلف؛ كسفيان الثوري وأبي ثور ووکیع وغيرهم: «من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر»^(٤).

وهذا التكفير المطلق لا يلزم فيه النظر إلى الشروط والموانع، من الجهل

بالإيمان، فالإكراه يسقط الأحكام المترتبة على النطق بالكفر بإجماع العلماء^(١).

٥ - التأويل؛ فالتأويل الذي أخطأ في تأويله لشبهة، وكان في قوله ما يخالف نصاً أو إجماعاً، وهو لم يتبين له تلك المخالفة، فإنه يعذر بذلك التأويل، وإن كان قد يلحقه شيء من الإثم بحسب تقصيره وتفريطه في الاجتهاد الواجب، لكنه لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة الرسالية، ويعاندها مشاقاً ما جاء به الرسول، ومتبعاً غير سبيل المؤمنين^(٢).

والعذر بهذه الموانع ليس على إطلاقه؛ بل لكل واحدٍ منها تفصيل لا يتسع المقام لذكره.

(١) انظر: تفسير القرطبي (٤٣٢/٣) [دار إحياء التراث العربي، ط٢]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٢٣١) (٢١٩/٧ - ٢٢٠) (٥٠٤/٨)، ومنهاج السنة (٦/٤٢٤)، الاستقامة (٢/٣١٩ - ٣٢٠)، وفتح الباري (١٢/٣١٤)، وضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة (٢٦٧)، ونواقض الإيمان الاعتقادية (٥/٢).

(٢) انظر: شرح الأصفهانية لابن تيمية (١٤٤ - ١٤٥) [دار الكتب الحديثة]، ومجموع الفتاوى (٣/٢٢٩ - ٢٣١)، والرد على البكري (٢٥٨)، ومدارج السالكين (١/٣٦٧) [دار الكتاب العربي، ط١٣٩٢هـ]، وإيثار الحق على الخلق لابن الوزير (٤٣٥) [دار الكتب العلمية، ط١٣١٨هـ]، وتوضيح الكافية الشافعية للسعدي (١٥٦ - ١٥٨) [مكتبة ابن الجوزي، ط١، ١٤٠٧هـ]، وضوابط التكفير عند أهل السنة (٢٦١)، ونواقض الإيمان الاعتقادية (٢/٣٠ - ٢٠).

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/٥٣٢) [دار طبية، ط١٤٠٢هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (١٢٠) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٣٩١هـ].

(٤) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (١/١١٥) [دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٦هـ]، والشريعة للأجري (١/٤٨٩) [دار الوطن، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/١٧٢) (٢/٢٥٨)، والإبانة للأشعري (٩٥) [دار الأنصار، ط١، ١٣٩٧هـ].

ولكل من القسمين أحكامه المختصة.

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الحكم بالتكفير يكون بالظاهر:

فالحكم على الشخص بالإسلام أو الكفر إنما يكون بما ظهر لنا، وليس لنا أن نتقحم الغيب ونحكم على الناس بالظنون والأوهام، فإن ما عدا الظاهر غيب، والغيب علمه موكول إلى الله، وتكليف العباد به تكليف بما لا يطاق ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]

والمراد ههنا الحكم بالظاهر بالإسلام أو الكفر، وإجراء الأحكام الدنيوية على المعين، أما الحكم على الحقيقة فلا سبيل إليه.

يقول الإمام الشاطبي رحمته الله: «إن أصل الحكم بالظاهر مقطوع به في الأحكام خصوصاً، وبالنسبة إلى الاعتقاد في الغير عمومًا، فإن سيد البشر مع إعلامه بالوحي يجري الأمور على ظواهرها في المنافقين وغيرهم، وإن علم بواطن أحوالهم، ولم يكن ذلك بمخرجه عن جريان الظواهر على ما جرت عليه...» (٣).

ومما يدل على هذا الضابط:

١ - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

والإكراه ونحوها؛ بل يذكر حكمه مطلقًا، فيقال على سبيل المثال: من سبَّ الرسول ﷺ فقد كفر.

النوع الثاني: التكفير بالفرقة:

كتكفيرهم لغلاة الجهمية والرافضة والقدرية (١).

القسم الثاني: تكفير المعين:

وهو الحكم بالكفر على شخص بعينه، بعد تلبسه بمكفر من المكفرات، مع توفر شروط التكفير، وانتفاء موانعه (٢).

والكفار على قسمين:

١ - الكفار الأصليون، وهم الذين لم يدخلوا في الإسلام أصلاً؛ كالمشركين واليهود والنصارى.

٢ - المرتدون، وهم من كان منتسباً إلى الإسلام، غير أنه قد حكم بكفرهم الكفر الأكبر من أهل العلم الراسخين لقيام موجب التكفير فيهم وانتفاء مانعه.

(١) انظر: خلق أفعال العباد للبخاري (٣٢) [مكتبة التراث الإسلامي]، والسنة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٠٤ - ١٠٩)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧٨) (٣٣٢/٢)، والصفدية (١٦٥/٢)، والنونية لابن القيم مع شرح ابن عيسى (٤٧/١، ٢٩٠) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٦هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٢٣٠ - ٢٣١) (٢٣١/١٢) ٤٩٧ - ٤٩٨)، والاستقامة (١/ ١٦٣ - ١٦٥)، وبغية المرتاد (٣٥٤)، ومنهج ابن تيمية في مسألة التكفير (١/ ١٩٣).

(٣) الموافقات للشاطبي (٢/ ٢٧١، ٢٧٢) [دار المعرفة].

الإقدام على قتل من تلفظ بالتوحيد وتحذير صريح من تجاوز الظاهر والحكم على ما في القلب دون بينة^(٤).

- المسألة الثانية: خطورة التكفير:

وفي ذلك يشار إلى الأمور التالية:

١ - أن البحث في التكفير متعلق بمسألة (الأسماء والأحكام)؛ أي: اسم صاحب الكبيرة في الدنيا، وحكمه في الآخرة، وهي من أعظم مسائل الاعتقاد، فبها تتعلق السعادة والشقاوة للشخص، واستحقاقه للجنة أو النار^(٥).

٢ - خطورة الوقوع في (التكفير) بغير علم، أو مع الهوى، وفتنة التكفير هي أول البدع التي ظهرت في الأمة، من قبل فرقة الخوارج، حيث وقعوا في تكفير خيار الناس، من صحابة رسول الله ﷺ ومن بعدهم، فكانت هذه الفتنة منبعاً لكثير من الانحرافات العقدية والفكرية والسلوكية في تاريخ الأمة.

ولذا جاءت الأحاديث في ذم هذه الفتنة والفرقة القائلة بها بما لم يأت مثله في الفرق الأخرى، بياناً لخطورتها^(٦).

٣ - أن الغلط في الحكم بالتكفير يرجع على المكفر - إن حكم بغير

ءَامَنُوا إِذَا ضَرَيْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَبُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتُغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [النساء: ٩٤].

قال الشوكاني رحمه الله: «والمراد هنا: لا تقولوا لمن ألقى بيده إليكم واستسلم: لست مؤمناً... والمراد نهى المسلمين عن أن يهملوا ما جاء به الكافر مما يستدل به على إسلامه ويقولوا: إنه إنما جاء بذلك تعوذاً وتقية»^(١).

٢ - ومن الأدلة الصريحة في ذلك: قصة أسامة بن زيد رضي الله عنه المشهورة، قال: «بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلاً، فقال: لا إله إلا الله، قطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أقال لا إله إلا الله وقتلته؟! قال: قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا، فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ»^(٢) (٣).

والحديث فيه زجر شديد وتحذير من

(١) فتح القدير (٥٠١/١) [دار الفكر، ط ٢].

(٢) حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ: (أي: لم يكن تقدم إسلامي؛ بل ابتدأت الآن الإسلام ليمحو عني ما تقدم). شرح النووي (١٠٤/٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٦٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩٦).

(٤) انظر: مسلم بشرح النووي (١٠٤/٢، ١٠٧)، ونواقض الإيمان الاعتقادية (١/٢٠٢ - ٢٠٩).

(٥) انظر: الكيلانية ضمن مجموع الفتاوى (١٢/٤٦٨)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (٣٠).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٩/٧١ - ٧٢).

الكفر إلى فعلٍ معين، أو فرقة معينة، من غير اعتبار لقيام الشروط وانتفاء الموانع فيه.

وأما التكفير المعين فلا بد فيه من توفر شروط التكفير (كالعلم المنافي للجهل والنسيان، والاختيار المنافي للإكراه)، وكذا انتفاء الموانع، وهي المقابلة للشروط.

وعليه؛ فإن الذنب قد يكون كفرًا، ولا يكون جميع الفاعلين كفرًا، فقد يتلبس الشخص المعين بفعل مكفر، ولا يحكم على عينه بالكفر، لجهله، أو للإكراه؛ كحديث الإسلام إذا أنكر وجوب الصلاة أو تحريم الخمر، أو حجٍّ لغير الله، إذا لم تبلغه الحجة^(١).

- المسألة الرابعة: حكم التكفير مرجعه إلى أهل العلم:

ولما كان الحكم بتكفير المعين من الخطورة بمكان، سواء في حق المُكفّر أو المكفّر، ولما كان ذلك الحكم متوقفًا على شروط دقيقة، وعلى قرائن الأحوال لذلك الشخص؛ كالتحقق من كون الذنب كفرًا أكبر مخرجًا من الملة، وأنه ليس

اجتهاد - ولذا تواترت النصوص في النهي عن تكفير الناس بغير حق.

٤ - أن الحكم على المعين بالكفر ينبني عليه آثار عظيمة في الأحكام؛ كالتفرقة بين الزوجين، وحد الردة، والبراءة من المرتد، وعدم التوارث بينه وبين المسلمين، وعدم دفنه في مقابر المسلمين، وغيرها من الأحكام المذكورة في أبواب الردة في مدونات الفقه والحديث، ولذا كان الحكم على المعين بالكفر من الخطورة بمكان.

٥ - وكما أن الغلو والإفراط في التكفير مذموم، فكذلك الجفاء والتفريط في التكفير، ومن ذلك من يزعم أنه لا يكفر إلا بالأوصاف، لا بالأعيان، وينفي التكفير بالأعيان مطلقًا، وهذا باطل ومخالف لفعل السلف، فكما أن من ثبت إسلامه بيقين لم يزل إلا بيقين، فكذلك من ثبت كفره بيقين وتوفرت فيه الشروط وانتفت عنه الموانع فإنه لا يسوغ التوقف في تكفيره من قبل أهل العلم الراسخين، فثمة أحكام شرعية مهمة تتعلق بمن وقع في ذلك، من التفرقة بينه وبين زوجه المؤمن، والحكم بردته، واستتابته، وغير ذلك، والحق وسط بين الغلو والجفاء.

- المسألة الثالثة: لا يلزم من التكفير المطلق تكفير المعين:

وذلك أن التكفير المطلق هو إضافة

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٩١/٧) (١٢/٥٠٠، ٤٨٧، ٤٨٨) (٣٢٦/٢٣) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وبغية المرتاد (٣١١) [مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٠٨هـ]، وانظر: الرد على البكري (٢٥٨) [الدار العلمية، ط٢، ١٤٠٥هـ]، ومجموعة الرسائل لابن تيمية (٣٨٢/٤) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٢هـ].

فالعلماء هم الذي ينظرون في تحققها في المعين من المكلفين، وإذا كنا مأمورين بالرجوع لأهل الذكر في دقائق أمور الشريعة، فكيف بمثل هذا الحكم الذي يفرق بين الزوج وزوجه، وبيح دمه، ويخرجه عن أهل الإسلام.

- المسألة الخامسة: من حكم بكفره لا يلزم أن يُعامل معاملة المرتدين:

وذلك مقول فيمن كانت ردة بأمير خفي غير مُعلن، وإن علمه بعض الناس؛ كالمنافق ونحوه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن كثيراً من الناس - بل أكثرهم - في كثير من الأمصار لا يكونون محافظين على الصلوات الخمس ولا هم تاركوها بالجملة؛ بل يصلون أحياناً ويدعون أحياناً، فهؤلاء فيهم إيمان ونفاق، وتجري عليهم أحكام الإسلام الظاهرة في الموارث ونحوها من الأحكام، فإن هذه الأحكام إذا جرت على المنافق المحض؛ كابن أبي وأمثاله من المنافقين فلأن تجري على هؤلاء أولى وأحرى، وبيان هذا الموضع مما يزيل الشبهة، فإن كثيراً من الفقهاء يظن أن من قيل: (هو كافر) فإنه يجب أن تجري عليه أحكام المرتد ردة ظاهرة، فلا يرث ولا يورث ولا يناكح، حتى أجروا هذه الأحكام على من كفروه بالتأويل من أهل البدع، وليس الأمر كذلك، فإنه قد ثبت أن

من قبيل الكفر الأصغر، وأنه قام فعلاً بهذا المعين، وأنه قد توفرت فيه الشروط، وانتفت عنه الموانع، تعذر أن يكون الحكم بالكفر متاحاً لكل فرد من آحاد الناس، أو المتعاملين منهم؛ بل ولا على كل طالب علم، وإن أطلع على تلك الشروط، فمعرفة الشروط شيء، وتحققها على الواقع شأن آخر، وإنما المرجع في التكفير لأهل العلم الراسخين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

وقال الإمام الشاطبي رحمه الله: «من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقق به، أخذه عن أهله المتحققين به على الكمال والتمام.. فلا يؤخذ إلا ممن تحقق به، وهذا أيضاً واضح في نفسه، وهو أيضاً متفق عليه بين العقلاء، إذ من شروطهم في العالم بأي علم اتفق أن يكون عارفاً بأصوله وما ينبنى عليه ذلك العلم»^(١).

فالراسخون وأهل الاستنباط من أئمة العلم هم الذين يدركون مثل هذه الأمور والشروط التي قد يعز اجتماعها، ويخفى قيامها، وقد يتخلف بعض شروط التكفير الدقيقة فيها، وتتنوع وتخفى موانعها،

(١) الموافقات (١/ ٩١ - ٩٢).

أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٢﴾
[الزمر].

قال ابن تيمية: «ثبت بكتاب الله،
وسنة رسوله ﷺ أن كل من تاب،
تاب الله عليه. ومعلوم أن من سب
الرسول من الكفار المحاربين، وقال:
هو ساحر، أو شاعر، أو مجنون، أو
معلم، أو مفتر، وتاب تاب الله عليه.
وقد كان طائفة يسبون النبي ﷺ من أهل
الحرب؛ ثم أسلموا، وحسن إسلامهم،
وقبل النبي ﷺ منهم، منهم: أبو
سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن
عم النبي ﷺ، وعبد الله بن سعد بن أبي
السرح، وكان قد ارتد، وكان يكذب
على النبي ﷺ، ويقول: أنا كنت أعلمه
القرآن؛ ثم تاب، وأسلم، وبايعه
النبي ﷺ على ذلك» (٢).

الفروق:

الفرق بين التكفير المطلق والتكفير
المعين:

١ - التكفير المطلق - كما سبق بيانه -
لا يتعلق بالأعيان؛ بل بالأوصاف، أو
الفرق والطوائف.
وأما التكفير المعين فيناول تكفير
الشخص بعينه.

٢ - في التكفير المعين لا بد من

الناس كانوا ثلاثة أصناف: مؤمن، وكافر
مظهر للكفر، ومنافق مظهر للإسلام
مبطن للكفر، وكان في المنافقين من
يعلمه الناس بعلاوات ودلالات؛ بل من
لا يشكون في نفاقه، ومن نزل القرآن
ببيان نفاقه؛ كابن أبي وأمثاله، ومع هذا
فلما مات هؤلاء ورثهم ورثتهم
المسلمون، وكان إذا مات لهم ميت
أتوهم ميراثه، وكانت تُعَصَّم دماؤهم،
حتى تقوم السنة الشرعية على أحدهم بما
يوجب عقوبته» (١).

- المسألة السادسة: ما يمحو الكفر

بعد ثبوته على المعين:

أجمع أهل السنة والجماعة؛ على أن
الكفر إذا ثبت ووقع في حق المعين؛ لم
يمحه شيء إلا التوبة الصادقة وبشرطها
المعروفة؛ لأن التوبة تمحو جميع
الخطايا والسيئات.

والله تعالى يقبل توبة العبد الصادق
المقبل إليه إقبالا صادقا من قلبه، ويغفر
جميع الذنوب والخطايا والمعاصي
والكفر والشرك وما دونه، وإن كل من
تاب وأناب إلى الله في هذه الدنيا؛
تاب الله عليه وغفر له، وليس شيء يغفر
جميع الذنوب إلا التوبة.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ

(١) مجموع الفتاوى (٦١٧/٧)، وانظر: نفس المرجع

(٦١٧/٧ - ٦٢١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٩١/٣).

عندهم ولما يدخل إلى الكفر، لكنهم يخلدونه في الآخرة في النار، موافقين الخوارج في الحكم الأخروي.

٢ - المفرطون، وهم المرجئة، وقد تقدم أنهم طوائف متعددة، يجمعهم القول بإرجاء العمل عن مسمى الإيمان، فالأعمال عندهم لا تدخل في الإيمان. وأشهر تلك الفرق:

أ - غلاة الجهمية، والإيمان عندهم مجرد المعرفة، وعليه فالكفر عندهم هو الجهل بالله.

ويلزم على قولهم أن يكون إبليس وفرعون ونحوهم مؤمنين، لتحقيق المعرفة عندهم، وهذا أقبح المذاهب في الإيمان، وهم المرجئة المحضة الخالصة.

ب - الأشاعرة، الذين قالوا: إن الإيمان هو التصديق، وعليه فالكفر عندهم هو التكذيب فقط، أو ما زاد عليه كالجحد.

وهذا القول فاسد، فإن الكفر قد يكون بالفعل والقول، كسب الله، وقتل الرسل، والسجود للصنم، ولو كان صاحبه غير مكذب، وقد تقدم بيان الأدلة على ذلك.

ج - مرجئة الفقهاء، ممن قال: إن الإيمان قول اللسان وتصديق القلب فقط، فالكفر عندهم بعدم ذلك.

النظر في تحقق الشروط وانتفاء الموانع في حق الشخص المعين قبل الحكم عليه بالكفر.

وهذه القاعدة هي أصل قواعد أهل السنة فيما يتعلق بتكفير المعين، ولهذا كان الإمام أحمد رحمته الله مع تكفيره للجهمية الذين يقولون: إن القرآن مخلوق من حيث الحكم المطلق لا يكفر كل معين منهم بذلك. بل كان رحمته الله يدعو للخليفة وغيره ممن حبسه ويستغفر لهم، وقد حللهم من كل ما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر ولو كانوا مرتدين لم يجز الاستغفار لهم ^(١).

مذهب المخالفين:

المخالفون في التكفير على طرفي نقيض غلاة ومفرطون:

١ - الغلاة فيه، وهم الوعيدية، من الخوارج والمعتزلة، فالإيمان عندهم: قول وعمل واعتقاد لا يزيد ولا ينقص؛ بل هو كُلاً إذا زال بعضه زال جميعه.

ولذا؛ فالخوارج يكفرون بالذنب في الدنيا، ويخلدون صاحبه في النار في الآخرة. والمعتزلة لا يجعلونه مؤمناً في الدنيا؛ بل يجعلونه في منزلة بين المنزلتين، فهو قد خرج من الإيمان

(١) انظر للتفصيل في ذلك: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٨٤/١٢ - ٥٠١) [مكتبة ابن تيمية، ٢٢] وهذا اقتباس منه، وانظر: ضوابط التكفير للقرني (٦٨ - ٦٩) [مؤسسة الرسالة، ١٢، ١٤١٣هـ].

لدلالته على الأول لا لأنه في ذاته كفر، فليس عندهم الكفر إلا مجرد الجهل، ومن تأمل القرآن والسنة، وسير الأنبياء في أممهم، ودعوتهم لهم، وما جرى لهم معهم، جزم بخطأ أهل الكلام فيما قالوه، وعلم أن عامة كفر الأمم عن تيقن وعلم، ومعرفة بصدق أنبيائهم^(٣).

وقد غلط المرجئة عندما ظنوا أن ترك العمل بالكلية، وعدم الالتزام بالشرعية ليس كفرًا، ما لم يكن عن تكذيب، فكما أنه لا يكفي لتحقيق الإيمان مجرد الالتزام المجمل بالشرعية دون التصديق، فكذلك لا يكفي مجرد التصديق دون تحقيق الالتزام الإجمالي^(٤).

كما أخطأ المبتدعة - عمومًا - في دعواهم أن الكفر خصلة واحدة، بناء على ظنهم أن الإيمان شيء واحد، أو شعبة واحدة، مع أن النصوص الشرعية تدل على أن الكفر شعب متفاوتة، فهناك كفر أكبر، وهناك كفر دون كفر^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية.
- ٢ - «تعظيم قدر الصلاة»، لمحمد بن نصر المروزي.

ويجاب عنهم بنحو ما أجيب عن قبلهم من دلالة النصوص على تكفير أفعال هي من عمل الجوارح.

وقد بين ابن تيمية رحمته الله أن المرجئة قد أخطؤوا في قولهم: إن الكفر هو التكذيب من وجهين:

الأول: قولهم كل من كفره الشارع، فإنما كفره لانتفاء تصديق القلب بالرب تبارك وتعالى فحصر الكفر في مجرد التكذيب فقط^(١).

الثاني: قولهم: إن التكذيب يقوم بالباطن، بحيث ينتفي التصديق عن الكافر، مع أن كفر إبليس وفرعون واليهود ونحوهم؛ بل وغالب الأمم الكافرة، لم يكن أصله من جهة عدم التصديق والعلم، فإن إبليس مثلاً لم يخبره أحد بخبر؛ بل أمره الله بالسجود لأدم فأبى واستكبر، وكان من الكافرين، فكفره الإباء والاستكبار وما يتبع ذلك^(٢).

ولذا؛ يقول ابن القيم رحمته الله: «وهذان القسمان: (كفر الجحود والعناد، وكفر الإعراض) أكثر المتكلمين ينكرونهما، ولا يشبتون من الكفر إلا الأول (كفر التكذيب أو الجهل)، ويجعلون الثاني والثالث (كفر الجحود، والإعراض) كفرًا

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٣٦٤، ٥٥٧، ٥٥٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٥٣٤)، ومدارج السالكين (١/٣٣٧).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/٩٤) [دار الإفتاء بالرياض].

(٤) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/٨٥٠).

(٥) انظر: نواقض الإيمان القولية والعملية (٤٨).

- ٣ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.
- ٤ - «الرد على البكري»، لابن تيمية.
- ٥ - «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»، للالكائي.
- ٦ - «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى»، للقاضي عياض.
- ٧ - «الصلاة»، لابن القيم.
- ٨ - «ضوابط التكفير»، لعبد الله القرني.
- ٩ - «كشف الشبهات»، لمحمد بن عبد الوهاب.
- ١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١١ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.
- ١٢ - «نواقض الإيمان الاعتقادية»، لمحمد الوهيبي.
- ١٣ - «نواقض الإيمان القولية والعملية»، لعبد العزيز العبد اللطيف.

❖ تكليف الملائكة ❖

يراجع مصطلح (الملائكة).

❖ تكليف ما لا يطاق ❖

❖ التعريف لغة:

(التكليف) من: كَلَفَ، والكاف واللام والفاء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على

إيلاع بالشيء وتعلّق به،^(١)، وكلفه تكليفاً: أمره بما يشقّ عليه. وتكلف الشيء: تجشّمه^(٢)، والتكليف: الأمر بما يشقّ عليك^(٣). والتكليف بالأمر: فرضه على من يستطيع أن يقوم به. وكلفه أمراً: أوجبه عليه وفرض عليه أمراً ذا مشقّة، ويُقال: كلفه الأمر كذاً من الجهد أو المال: استلزمه منه^(٤).

و(يطاق) من: أطاق الشيء إطاقاً، وهو في طوقه؛ أي: في وسعه^(٥). والطَّوْقُ والإِطاقَةُ: القُدْرَةُ على الشيء. والطَّوْقُ: الطَّاقَةُ. وَقَدْ طَاقَهُ طَوْقًا وَأَطاقَهُ إِطاقَةً وَأَطاقَ عَلَيْهِ^(٦).

❖ التعريف اصطلاحاً:

تكليف ما لا يطاق: هو تكليف الخلق ما لا يطيقونه؛ كالتكليف بالمتنوع عادة؛ كالمشي على الوجوه، أو كالتكليف بالمتنوع لغيره؛ كتكليف الكافر الإيمان الذي علم الله أنه لا يؤمن، أو كتكليف ما كان محالاً لنفسه؛ كالجمع بين الضدين^(٧).

(١) مقاييس اللغة (١٣٦/٥).

(٢) مختار الصحاح (٢٧٢) [المكتبة العصرية، ط ٥].

(٣) القاموس المحيط (٨٥٠) [مؤسسة الرسالة، ط ٨].

(٤) المعجم الوسيط (٧٩٥/٢) [دار الدعوة].

(٥) مختار الصحاح (١٩٤).

(٦) لسان العرب (٢٣٢/١٠) [دار صادر، ط ٣].

(٧) انظر: مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري لابن فورك (١١٢) [مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، ١٤٢٥هـ]، والإرشاد للجويني (٢٢٦) [مكتبة =

الحكم:

تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال: دخل قلوبهم منه شيء، لم يدخل من شيء، فقالوا للنبي ﷺ، فقال: «قولوا سمعنا وأطعنا»، فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: قد فعلت، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال: قد فعلت، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ الآية، قال: قَدْ فَعَلْتُ» (٣).

ومن الأدلة أيضًا قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، قال ابن

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩٦)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٢٩٩٢) واللفظ له.

إطلاق القول بتكليف ما لا يطاق من البدع الحادثة في الإسلام؛ كإطلاق القول بأن العباد مجبورون على أفعالهم، فقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على إنكار ذلك، واذم من يطلقه (١).

الحقيقة:

هذه المسألة من مسائل المتكلمين المحدثه وهي من المسائل المرتبطة بقولهم في القدر.

وقول أهل السنة فيها أن الله ﻻ يكلف عباده إلا ما هو في طاقتهم، ولم يكلفهم ما ليس في طاقتهم، ولا حتى ما يشق عليهم على وجه العموم؛ بل لو كان هناك مشقة ففي الشرع يكون التيسير ومن قواعد أهل السنة في ذلك: أن المشقة تجلب التيسير (٢)، فلا يوجد في الشرع تكليف بما لا يطاق ولا يوجد فيه ما يشق على النفوس ويغلبها ويصعب عليها.

الأدلة:

دلَّت النصوص أن الشرع ليس فيه تكليف بما لا يطاق، من ذلك قوله

= الخانجي، ١٣٦٩هـ، وقواعد العقائد للغزالي ضمن إحياء علوم الدين (٢/ ١٩٥) [دار الشعب].

(١) انظر: درء التعارض (١/ ٦٥)، ومجموع الفتاوى (٨/ ١٣٠، ٢٩٣).

(٢) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي (٧٦) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ].

فدلالة هذه النصوص على رفع الحرج والمشقة عن هذه الأمة ظاهر، فضلاً عن التكليف بما لا يطاق.

✽ أقوال أهل العلم:

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ فِي عَقِيدَتِهِ: «وَلَمْ يَكْلِفْهُمْ اللهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يَطِيقُونَ، وَلَا يَطِيقُونَ إِلَّا مَا كْلَفَهُمْ»^(٣).

وقال مرعي الكرمي الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُكْلِفِ الْعِبَادَ مَا لَا يُطِيقُونَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يُكْلِفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وَإِنَّمَا كْلَفَهُمْ بِمَا فِي وَسْعِهِمْ وَطَاقَتِهِمْ»^(٤).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْعَبْدَ كَلِفَ بِمَا لَا يَطِيقُهُ؛ كإِطْلَاقِ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ مُجْبُورٌ عَلَى أَفْعَالِهِ؛ لِأَنَّ سَلْبَ الْقُدْرَةِ فِي الْمَأْمُورِ نَظِيرُ إِثْبَاتِ الْجَبْرِ فِي الْمَحْظُورِ. وَسَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَثْمَتُهَا يَنْكُرُونَ هَذِهِ الْإِطْلَاقَاتِ كُلَّهَا، لَا سِيَّمَا وَكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ طَرَفِي النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ عَلَى بَاطِلٍ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ حَقٌّ أَيْضًا»^(٥).

✽ الأقسام:

تكليف ما لا يطاق ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: ما لا يطاق للعجز عنه، أو

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٤٤٨) [وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٤) رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر لمرعي الكرمي (٥٠) [دار حراء، مكة، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢٩٤).

كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي الْآيَةِ: «أَي: مَا كَلَفَكُمْ مَا لَا تَطِيقُونَ، وَمَا أَلْزَمَكُمْ بِشَيْءٍ فَشَقَّ عَلَيْكُمْ إِلَّا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرْجًا وَمَخْرَجًا، فَالصَّلَاةُ - الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ - تَجِبُ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا وَفِي السَّفَرِ تَقْصُرُ إِلَى ثَنَتَيْنِ، وَفِي الْخَوْفِ يَصْلِيهَا بَعْضُ الْأُمَّةِ رَكْعَةً، كَمَا وَرَدَ بِهِ الْحَدِيثُ، وَتَصَلِّي رَجُلًا وَرَكْبَانًا، مُسْتَقْبِلِي الْقِبْلَةِ وَغَيْرِ مُسْتَقْبِلِيهَا. وَكَذَا فِي النَّافِلَةِ فِي السَّفَرِ إِلَى الْقِبْلَةِ وَغَيْرِهَا، وَالْقِيَامِ فِيهَا يَسْقُطُ بِعَذْرِ الْمَرَضِ، فَيَصْلِيهَا الْمَرِيضُ جَالِسًا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبِهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرِّخْصِ وَالتَّخْفِيفَاتِ، فِي سَائِرِ الْفَرَائِضِ وَالْوَاجِبَاتِ»^(١).

وقوله تعالى: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وقوله تعالى: ﴿لِنُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق].

قال ابن تيمية بعد أن أورد هذه الآيات: «وَقَدْ تَضَمَّنَ ذَلِكَ أَنَّ جَمِيعَ مَا كْلَفَهُمْ بِهِ؛ أَمْرًا وَنَهْيًا؛ فَهُمْ مُطِيقُونَ لَهُ، قَادِرُونَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكْلِفْهُمْ مَا لَا يَطِيقُونَ»^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٥٦) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٣٧ - ١٣٨).

❁ الرد عليهم:

مما يدل على بطلان قولهم هذا: أنهم - ومن خلال نظرهم - العقلي أبطلوا صفات الله ﷻ وقالوا أقوالاً باطلة في أفعال الله ﷻ كلها وكذلك في القدر، ومن ذلك أنهم يوجبون عليه ما لم يوجبه على نفسه ويجعلون قاعدة الصلاح والأصلح هي القاعدة التي يجب على الله ﷻ التعامل بها مع عباده.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ مبيِّناً ضلال الجبرية والقدرية في باب الإيجاب على الله ﷻ: «وأما الوجوب على الله بالثواب والعقاب فهذا مما تتباين فيه الطائفتان أعظم تباين، فأثبتت القدرية من المعتزلة عليه تعالى وجوباً عقلياً وضعوه شريعة له بعقولهم وحرموا عليه الخروج عنه وشبهوه في ذلك كله بخلقه، وبدعهم في ذلك سائر الطوائف وسفوها رأيهم فيه وبيّنوا مناقضتهم وألزموهم بما لا محيد لهم عنه، ونفت الجبرية أن يجب عليه ما أوجبه على نفسه ويحرم عليه ما حرمه على نفسه، وجوّزوا عليه ما يتعالى ويتنزه عنه وما لا يليق بجلاله مما حرمه على نفسه، وجوزوا عليه ترك ما أوجبه على نفسه مما يتعالى ويتنزه عن تركه وفعل ضده، فتباين الطائفتان أعظم تباين وهدى الله الذين آمنوا أهل السُّنة الوسط للطريقة المثلى التي جاء بها رسوله ﷺ ونزل بها كتابه؛ وهي أن العقول البشرية

لاستحالاته؛ كتكليف الزّمن المشي، وتكليف الإنسان الطيران، وكالجمع بين الضدين، فهذا غير واقع في الشرع عند جمهور أهل السُّنة المثبتين للقدر.

الثاني: ما لا يطاق للاشتغال بضده؛ كاشتغال الكافر بالكفر فإنه هو الذي صده عن الإيمان، وكالقاعد في حال قعوده، فإن اشتغاله بالقعود يمنعه أن يكون قائماً، وهذا يجوز التكليف به، فلا يمتنع أمر الإنسان ونهيه بما يقدر عليه حال الأمر والنهي لاشتغاله بضده إذا أمكن أن يترك ذلك الضد، ويفعل الضد المأمور به أمر سائع، ورجح ابن تيمية أن هذا القسم لا يطلق عليه بأنه تكليف ما لا يطاق^(١).

❁ مذهب المخالفين:

تكليف ما لا يطاق متعلق بمسألة التحسين والتقبيح العقلي، ومسألة الاستطاعة، وعليهما انبنى مذهب المخالفين فيها، وهم طائفتان:

الأولى: المعتزلة القدرية: قالوا بعدم جواز تكليف ما لا يطاق مطلقاً؛ لأنه قبيح في صريح العقل، والله تعالى منزّه عن فعل القبيح، والشرع قد منع منه^(٢).

(١) انظر: منهاج السُّنة (٣/١٠٤)، ومجموع الفتاوى (٨/٢٩٥، ٣٠١)، وشرح الطحاوية (٢/٦٥٣-٦٥٦).

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٤٠٠).

لا يطاق من البدعة المحدثه في الإسلام، التي لم ترد عن السلف نفيًا وإثباتًا.

قال شيخ الإسلام: «إطلاق القول بتكليف ما لا يطاق من البدع الحادثة في الإسلام؛ كإطلاق القول بأن العباد مجبورون على أفعالهم»^(٣).

الثاني: وهذا قول باطل؛ لأن الخطاب لعموم الكفار أو العصاة إنما هو مبني على القدرة التي خلقت فيهم وهي قابلة للضدين، كما قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البعد: ١٠]، وهذا ظاهر من نصوص الشرع؛ أي: أن الاستطاعة قبل الفعل، وهي التي تتعلق بها الخطاب الشرعي، ومن زعم أنها لا تكون إلا مع الفعل فقد قدم العذر لجميع الكفرة والعصاة في أنه لا لوم عليهم في كفرهم ومعصيتهم؛ لأنهم غير مستطيعين ولا قادرين على الفعل؛ لأن جوارحهم مشغولة، ولا يمكن لهم الانفكاك عما هم فيه من الضلالة والانحراف.

وأما استدلالهم بمطالبة أبي جهل بالإيمان مع أنه قضي عليه بالكفر، وكذلك مطالبة أبي لهب بالإيمان مع أنه لن يؤمن وهو جمع بين النقيضين فهذا من المماحكات الكلامية التي لا تقوم عليها المسائل الشرعية ولا تنهض لأن

(٣) مجموع الفتاوى (٣/٣٢٢).

بل وسائر المخلوقات لا توجب على ربها شيئًا ولا تحرمه، وأنه يتعالى ويتنزه عن ذلك، وأما ما كتبه على نفسه وحرمه على نفسه فإنه لا يخل به ولا يقع منه خلافه فهو إيجاب منه على نفسه بنفسه وتحريم منه على نفسه بنفسه فليس فوقه تعالى موجب ولا محرم^(١).

الثانية: الأشاعرة ومن وافقهم، قالوا: يجوز التكليف بما لا يطاق عقلاً وهو واقع شرعاً؛ على خلاف بينهم فيما يرونه من الممتنع فعله وهو من التكليف بما لا يطاق^(٢).

الرد عليهم:

استدل الباقلاني ومن وافقه على التكليف بما لا يطاق بمن قضى الله عليه بالكفر، وهو مخاطب بالإيمان مع أنهم لن يستجيبوا بما قضى الله عليهم به من الكفر وعدم الإيمان، والرد عليهم من أوجه:

أحدها: أن إطلاق القول بتكليف ما

(١) مفتاح دار السعادة (٩٣) [دار الكتب العلمية].

(٢) انظر: تمهيد الأوائل للباقلاني (٣٣٢) [مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ١٤٠٧هـ]، وشرح المواقف للجرجاني (٢٢٢/٨)، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (٩٧) [دار الكتب العلمية]، وقواعد العقائد للغزالي (٢٠٤) [عالم الكتب، لبنان، ٢٠٠٥هـ]، معالم أصول الدين للرازي (٩٢) [دار الكتاب العربي، لبنان]، وانظر أيضًا: الإبانة للأشعري (١٩٢ - ١٩٣)، والإرشاد للجويني (٢٠٣ - ٢٠٤)، وشرح المواقف للجرجاني (٢٢٢/٨).

يصلى النار بعد دعاء النبي ﷺ له إلى الإيمان فقد حقت عليه كلمة العذاب: كالذي يعاين الملائكة وقت الموت لم يبق بعد هذا مخاطبًا من جهة الرسول بهذين الأمرين المتناقضين. وكذلك من قال: تكليف العاجز واقع محتم بقوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، فإنه يناقض هذا الإجماع، ومضمون الإجماع نفي وقوع ذلك في الشريعة وأيضًا فإن مثل هذا الخطاب إنما هو خطاب تعجيز على وجه العقوبة لهم لتركهم السجود وهم سالمون، يعاقبون على ترك العبادة في حال قدرتهم بأن أمروا بها حال عجزهم على سبيل العقوبة لهم وخطاب العقوبة والجزاء من جنس خطاب التكوين، لا يشترط فيه قدرة المخاطب، إذ ليس المطلوب فعله^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «شرح الأصول الخمسة»، لعبد الجبار المعتزلي.
- ٢ - «منهاج السنة النبوية»، لابن تيمية.
- ٣ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.
- ٤ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٥ - «تمهيد الأوائل»، لأبي بكر الباقلاني.

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٠٢).

تكون دليلاً شرعياً؛ أما أبو جهل ومطالبته بالتصديق بأن يصدق بأنه لن يصدق فأين هذا الطلب من الله ﷻ أو من رسوله ﷺ، فالمعلوم من قصة أبي جهل أن الرسول ﷺ دعاه للإيمان واستمر يدعوه للإيمان، بل كان ينتظر أن يهديه الله ويعز به الإسلام، حتى خرج محادًا لله ورسوله في بدر فأهلكه الله ﷻ في بدر كافرًا، فتأكد أنه ممن حقت عليه كلمة العذاب، فأين أنه كان مطالبًا بأن يصدق بأنه لن يصدق!

أما أبو لهب فإن من زعم أنه مطالب بالإيمان أنه لا يؤمن بعد نزول قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣]، فهو مطالب بهذه المطالبة هل وقعت وهي دعوى تنزه الشريعة عنها؛ لأن الأصل مطالبته بالإيمان ودعوته إليه، وليس إلى الإيمان بأنه لن يؤمن، كما أن من أخبر الله ﷻ أنه لن يؤمن فما تنفعه الدعوة والشريعة منزهة عن العبث.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن تكليف الممتنع لذاته واقع في الشريعة، وهذا قول الرازي وطائفة قبله، وزعموا أن تكليف أبي لهب وغيره من هذا الباب حيث كلف أن يصدق بالأخبار التي من جملتها الإخبار بأنه لا يؤمن، وهذا غلط؛ فإنه من أخبر الله أنه لا يؤمن وأنه

لو تعلقت بالوجود تسمى إيجاداً، ولو تعلقت بالحياة تسمى إحياء، ولو تعلقت بالخلق تسمى تخليقاً، وهكذا... فالصفات الفعلية كلها راجعة إليها وليست صفات حقيقة عندهم^(٣).

✽ الحكم:

إن إثبات صفة التكوين لله تعالى من المسائل الخلافية المشهورة بين الأشاعرة والماتريدية؛ فالأشاعرة ينفون أن يكون التكوين صفة لله تعالى زائدة على الصفات السبع المعروفة المقررة لديهم، والماتريدية يقولون بتلك الصفات السبع التي قالت بها الأشاعرة ويزيدون عليها صفة التكوين، وقد اتفقت الأشاعرة والماتريدية على نفي قيام صفات الأفعال بالله تعالى؛ فالماتريدية يرجعونها إلى

(٣) انظر: معجم ألفاظ العقيدة (١٠١) [مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، والماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات الإلهية للشمس الأفغاني (٤١٨/١) [ط ٢، ١٤١٩هـ]، ومنهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى لخالد بن عبد اللطيف (٥٥٥/٢) [مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٦هـ]، وانظر من كتب الأشاعرة والماتريدية: شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (٤٢ - ٤٣) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٨هـ]، والقصيدة النونية في الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية لتاج الدين السبكي (٧١) [دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ]، والروضة البهية في ما بين الأشاعرة والماتريدية لأبي عذبة (١٢٢) [دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ]، ونظم الفرائد وجمع الفوائد لشيخ زاده (١٩١ - ١٩٤) [دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ].

٦ - «أقوم ما قيل في القضاء والقدر»، لابن تيمية.

٧ - «قدرة الله وقدره العبد بين السلف ومخالفهم»، لأحمد بن صالح بن حسن الزهراني.

٨ - «جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح الإيمان بالقدر»، لتامر محمد متولي.

٩ - «القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه»، لعبد الرحمن المحمود.

✽ التكوين

✽ التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الكاف والواو والنون أصل يدل على الإخبار عن حدوث شيء»^(١)، وجاء في «المعجم الوسيط»: «كان الشيء يكون كوناً وكياناً وكنينة: حَدَثَ، كَوَّنَ الشيءَ: رَكَّبَهُ بالتأليف بين أجزائه، وَكَوَّنَ الله الشيءَ: أخرجَه من العدم إلى الوجود»^(٢). فالتكوين معناه: الإيجاد من العدم.

✽ التعريف شرعاً:

التكوين - عند الماتريدية - صفة أزلية قائمة بذات الله يُوجَدُ بها وَيُعَدِّمُ، فهي

(١) مقاييس اللغة (٤٢٩/٢) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) المعجم الوسيط (٨٠٦) [مكتبة الشروق الدولية، ط ٤].

- صفة التكوين والأشاعرة يرجعونها إلى الإرادة والقدرة، وكلا الطائفتين قد جانبهما الصواب في هذه المسألة؛ لأنهم عطلوا بذلك كثيرًا من صفات الله تعالى، وناقضوا الكتاب والسنة وسلف هذه الأمة، وارتكبوا مخالفة العقل الصريح، والحق في ذلك أن أفعاله تعالى صفات له سبحانه وقائمة به تعالى، تتعلق بها مشيئته وقدرته، نوعها قديم وآحادها متجددة، وهذا هو الصواب في المسألة^(١)، والله أعلم.
- ٥ - «منهاج السنة النبوية» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٦ - «منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى» (ج ٢)، لخالد بن عبد اللطيف بن محمد نور.
- ٧ - «النفي في باب صفات الله ﷻ» بين أهل السنة والجماعة والمعتزلة، لأرزقي بن محمد سعيداني.

التكليف

المصادر والمراجع:

- ١ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٢ - «الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات الإلهية» (ج ١)، للشمس السلفي الأفغاني.
- ٣ - «مجموع الفتاوى» (ج ٦)، لابن تيمية.
- ٤ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالج.
- التعريف لغة:
- أصل كلمة التكليف من سؤالك عنه بكيف، وكلمة كيف: يستفهم بها عن حال الشيء وصفته^(٢).
- قال ابن فارس: «فأما كيف فكلمة موضوعة يستفهم بها عن حال الإنسان، فيقال: كيف هو؟ فيقال: صالح»^(٣).
- وإذا قلت: كيف جاء زيدًا؟ تقول: راكبًا، إذا كيّفت مجيئه^(٤).

التعريف اصطلاحًا:

- حكاية كيفية الصفة؛ كقول القائل: كيفية يد الله، أو نزوله إلى الدنيا
- (٢) انظر: المفردات للأصبهاني (٤٤٤)، والمصباح المنير للفيومي (٢٨١).
- (٣) مقاييس اللغة (١٥٠/٥)، وانظر: المعجم الوسيط (٨٠٧/٢) [دار الدعوة].
- (٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٧٧).

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٤٢٢/١ - ٤٣٢) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢١٧/٦ - ٢٣٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، وشفاء العليل لابن القيم (٢٦٠ - ٢٦٦) [دار الكتب العلمية، ط ٢]، والماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات (٤٢٠/١ - ٤٢٢)، والنفي في باب صفات الله ﷻ بين أهل السنة والجماعة والمعتزلة لأرزقي بن محمد سعيداني (٦٠١ - ٦٠٧، ٦٧٣) [مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ].

كذا وكذا^(١). وقوله ﷺ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾^(١١) [طه].

❁ أقوال أهل العلم:

قال الأوزاعي: «سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث، فقالا: أمروها كما جاءت»^(٤).

وقال الوليد بن مسلم: «سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات؟ فقالوا: أمروها كما جاءت. وفي رواية: أمروها كما جاءت بلا كيف»^(٥).

وقيل لمالك بن أنس: «يا أبا عبد الله ﷺ: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»^(٥) فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرخصاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً، فأمر به أن يخرج»^(٦).

(٤) أخرجه اللالكائي (رقم ٧٣٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٧٧/٢)، وانظر: مختصر العلو للذهبي (١٣٨).

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (برقم ٩٣٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٧٧/٢)، وابن عبد البر في التمهيد (١٤٩/٧)، وغيرهم.

(٦) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١٠٤)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (رقم ٦٦٤)، وابن عبد البر في التمهيد (١٥١/٧) وغيرهم. وانظر: مختصر العلو (١٤١ - ١٤٢)، وفتح الباري (٤٠٦/١٣)، والأثر المشهور عن مالك ﷺ في صفة الاستواء لعبد الرزاق البدر (٣٨ - ٥٠).

وقيل: هو تفسير لِكُنْهِ شيء من صفات ربنا تعالى؛ كأن يقول: استوى على هيئة كذا، أو ينزل إلى السماء بصفة كذا^(٢).

❁ الحكم:

التكليف لصفات الله تعالى وأسمائه لا يجوز؛ وبدعة شنيعة محرمة في الشرع؛ لأن ذلك قول على الله بلا علم، وكيفية ذات الله ﷻ وكيفية صفاته من أمور الغيب التي استأثر الله ﷻ بعلمها، ولا مجال للعقل البشري القاصر أن يخوض فيها^(٣).

❁ الأدلة:

لفظ التكليف لم يرد في الكتاب والسنة، إلا أنه ورد ما يدل على النهي عنه في النصوص الشرعية، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾^(٣٣) [الأعراف].

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٢/٤)، والقواعد المثلى (٦٥).

(٢) انظر: معارج القبول (٣٦٣/١)، والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية لفالح آل مهدي (٣٢) [دار الوطن، الرياض، ١٤١٤هـ].

(٣) انظر: النفي في باب صفات الله ﷻ بين أهل السنة والجماعة والمعتلة (٢٢٥) [دار المنهاج، ط٢، ١٤٣١هـ].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: قصور العقل عن

معرفة كيفية صفات الله ﷻ:

العقل قاصر عن معرفة كنه الصفات وكيفياتها وعجزه عن ذلك؛ لأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله، فوجب بطلان تكيفها. وعلم الإنسان محدود كما أخبر الله ﷻ بذلك، حيث قال: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٥٩) [الإسراء]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وإذا كانت نفس الإنسان التي هي أقرب الأشياء إليه بل هي هويته، لا يعرف الإنسان كيفيتها ولا يحيط علمًا بحقيقتها، فالخالق ﷻ أولى أن لا يعلم العبد كيفيته ولا يحيط علمًا بحقيقته (٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إن العقل قد يئس من تعرف كنه الصفة وكيفيتها، فإنه لا يعلم كيف الله إلا الله، وهذا معنى قول السلف: بلا كيف؛ أي: بلا كيف

وقال أبو عثمان الصابوني: «إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة... يثبتون له ﷻ منها ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه... ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين تحريف المعتزلة والجهمية أهلهم الله، ولا يكتفونهما بكيف، ولا يشبهونهما بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله، وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكليف والتشبيه، ومن عليهم بالتعريف والتفهم، حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه» (١).

وقال ابن تيمية: «طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبتته من الصفات من غير تكليف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه - مع ما أثبتته من الصفات - من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته» (٢).

وقال أيضًا: «ومن تمام التوحيد أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، ويصان ذلك عن التحريف والتعطيل والتكليف، والتمثيل» (٣).

تيمية (٣٥٥/٦)، واجتماع الجيوش الإسلامية (٩٤)، وتفسير ابن كثير (٢١١/٢) [دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ].

(٤) انظر: رسالة في العقل والروح (٤٤/٢) مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنبرية، والقواعد المثلى (٣٦ - ٣٧) [مكتبة السنة، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٦).

(٢) التدمرية (٦ - ٧)، وانظر: الواسطية مع شرح ابن عثيمين (٥٦) فما بعدها.

(٣) درء التعارض (١/٢٨٤). وانظر: مجموع فتاوى ابن

يعقله البشر، فإن من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته، كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته؟ ولا يقدح ذلك في الإيمان بها، ومعرفة معانيها، فالكيفية وراء ذلك، كما أننا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر، ولا نعرف حقيقة كلفيته، مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق، فعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم.

فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كله، والجمال كله، والعلم كله، والقدرة كلها، والكبرياء كلها؟ من لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما وما وراء ذلك»^(١).

فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كله، والجمال كله، والعلم كله، والقدرة كلها، والكبرياء كلها؟ من لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما وما وراء ذلك»^(١).

- المسألة الثانية: أن عدم العلم بكيفية الصفات لا ينافي إثبات الصفات ولا إثبات معانيها:

إن منهج السلف قائم على الأخذ بالنصوص الواردة في الأسماء والصفات، والإيمان بمعانيها على وجه الإجمال والتفصيل، وفوضوا إلى الله تعالى العلم بكيفياتها لا العلم بمعانيها.

فلا تنافي إذاً بين الجهل بحقيقة الصفة وكنهها وبين إثباتها وفهم معانيها، ويؤيد هذا قول الإمام مالك رحمته الله: «الاستواء

قال ابن القيم رحمته الله: «وكذلك قال ابن الماجشون والإمام أحمد وغيرهما من السلف: إنا لا نعلم كيفية ما أخبر به عن نفسه، وإن كنا نعلم تفسيره... وكذلك الصحابة والتابعون فسروا القرآن، وعلموا المراد بآيات الصفات؛ كما علموا المراد من آيات الأمر والنهي، وإن لم يعلموا الكيفية، كما علموا معاني ما أخبر الله به في الجنة والنار، وإن لم يعلموا حقيقة كنهه وكلفيته»^(٢).

❁ الفرق:

الفرق بين التكليف والتمثيل:

ذكر بعض أهل العلم أن بين التمثيل والتكليف عمومًا وخصوصًا مطلقًا، فإن كل ممثل مكيف، وليس كل مكيف ممثلًا.

وجه ذلك: أن التكليف ذكر كيفية غير مقرونة بمماثل، مثل أن تقول: لي قلم كلفيته كذا وكذا، فإن قرنت بمماثل صار تمثيلًا، مثل أن تقول: هذا القلم مثل هذا القلم، فذكرت شيئًا مماثلًا لشيء، وعرفت هذا القلم بذكر مماثله.

(٢) انظر: مدارج السالكين (٨٩/٢ - ٩٠)، والقواعد المثلى (٧٧).

(٣) الصواعق المرسلة (٩٢٤/٣)، وانظر: الحجة في بيان المحجة لأصبهاني (٤٥٨/٢).

(١) مدارج السالكين (٣٧٦/٣).

فالفرق بينهما يتضح من وجهين:

أحدهما: أن التكيف أن يحكي كيفية الشيء سواء كانت مطلقة أو مقيدة بشبيهه، وأما التمثيل فيدل على كيفية مقيدة بالمماثل. ومن هذا الوجه يكون التكيف أعم؛ لأن كل ممثل مكيف ولا عكس.

الآخر: أن التكيف يختص بالصفات، أما التمثيل فيكون في القدر والصفة والذات ومن هذا الوجه يكون أعم لتعلقه بالذات، والصفات والقدر^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.
٢ - «ذم التأويل»، لابن قدامة.
٣ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

٤ - «الصواعق المرسلة»، لابن القيم.
٥ - «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، للصابوني.

٦ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
٧ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.
٨ - «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.
٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية (٨١)، ومجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٢٢/٤)، معتقد أهل السنة والجماعة للتيمي (٦٤ - ٦٥).

توحيد الأسماء والصفات»، لمحمد بن خليفة التميمي.

١٠ - «النفي في باب صفات الله ﷻ، بين أهل السنة والجماعة والمعطلة»، لأرزقي سعيداني.

تلقين الميت

التعريف لغة:

لقن: اللَّقْنُ مصدر لَقِنَ الشيءَ يَلْقُنُهُ لَقْنًا^(٢).

قال ابن فارس: «اللام والقاف والنون كلمة صحيحة تدل على أخذ علم وفهمه، ولَقِنَ الشيءَ لَقْنًا: أخذه وفهمه، ولقنته تلقينًا: فهمته»^(٣).

ولقنه الكلام: ألقاه إليه ليعيده، ولقن المحتضر: نطق أمامه بالشهادة لينطق بها^(٤).

التعريف اصطلاحًا:

تذكير المحتضر بقول: (لا إله إلا الله)؛ لتكون آخر كلامه من الدنيا^(٥).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

التعريف الشرعي منبثق من التعريف

(٢) لسان العرب (٣٩٠/١٣) [دار صادر، ط ١].

(٣) مقاييس اللغة (٢٦٦/٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٤) انظر: المعجم الوسيط (٨٣٥/٢) [دار الدعوة].

ومعجم لغة الفقهاء (١٤٥/١) [دار النفائس، ط ٢، ١٤٠٨هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٢٧/١).

الأدلة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:
قال رسول الله ﷺ: «لَقِّنُوا موتاكم: لا إله إلا الله»^(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لَقِّنُوا هلكاكم قول: لا إله إلا الله»^(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «لَقِّنُوا موتاكم لا إله إلا الله، فإنه من كان آخر كلمته: لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يومًا من الدهر، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه»^(٦).

أقوال أهل العلم:

قال القرطبي رحمته الله في المفهم: قوله ﷺ: «لَقِّنُوا موتاكم لا إله إلا الله»؛ أي: قولوا لهم ذلك، وذكروهم به عند الموت، وسماهم موتى؛ لأن الموت قد حضرهم.

وتلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون، وذلك ليكون آخر كلامه: لا إله إلا الله، فيختم له بالسعادة، وليدخل في عموم قوله ﷺ: «من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله؛

اللغوي وأخص منه، إذ هو إفهام المحتضر وتذكيره بالشهادة.

الحكم:

مشروع بالإجماع^(١)، قال النووي: «الأمر بهذا التلقين أمر نذب، وأجمع العلماء على هذا التلقين»^(٢)، وقال القاري: «الجمهور على أنه يندب هذا التلقين، وظاهر الحديث يقتضي وجوبه وذهب إليه جمع؛ بل نقل بعض المالكية الاتفاق عليه»^(٣).

الحقيقة:

أن تذكر الشهادة عند المحتضر؛ ليسمعها فيقولها، فإن قالها وإلا قيل له أمرًا برفق: قل (لا إله إلا الله)؛ لتكون آخر ما يتكلم به من الدنيا، فينال فضلها.

المنزلة:

أحد المفردات المتعلقة بالآخرة فيما يخص المحتضر.

الأهمية:

من لقن (لا إله إلا الله)، فقالها ومات عليها وجبت له الجنة.

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩١٦).

(٥) أخرجه النسائي (كتاب الجنائز، رقم ١٨٢٧)، وصححه الألباني في نفس الموضوع، وفي الإرواء (رقم ٦٨٦).

(٦) أخرجه ابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣٠٠٤)، وأصله عند مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩١٧)، دون قوله: «فإن من كان آخر كلمته...».

(١) انظر: الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان (١٥٧/١) [دار الفكر، ط ١٤١١هـ].

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/٣٢٧) [دار إحياء التراث، ط ١٣٩٢هـ].

(٣) مرعاة المفاتيح شرح المشكاة (٥/٣٠٨) [إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، ط ١٤٠٤هـ].

دخول الجنة»^(١)»^(٢).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وقد ثبت أن النبي ﷺ أمر بتلقين لا إله إلا الله وقال: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا دخل الله الجنة»^(٣).

قال ابن القيم: «الشهادة أن لا إله إلا الله عند الموت تأثير عظيم في تكفير السيئات وإحباطها؛ لأنها شهادة من عبد موقن بها، عارف بمضمونها... لقي ربه بشهادة صادقة خالصة، وافق ظاهرها باطنها، وسرها علانياتها، فلو حصلت له الشهادة على هذا الوجه في أيام الصحة لاستوحش من الدنيا وأهلها، وفر إلى الله من الناس، وأنس به دون ما سواه، لكنه شهد بها بقلب مشحون بالشهوات وحب الحياة وأسبابها، ونفس مملوءة بطلب الحظوظ والالتفات إلى غير الله، فلو تجردت كتجردها عند الموت لكان لها نبأ آخر وعيش آخر سوى عيشها البهيمي»^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صفة التلقين:

اختلف في ذلك، فذهب جماعة إلى

تذكير المحتضر بكلمة الإخلاص دون أمره بها، وذهب جماعة إلى الأمر، وتوسط قوم ففصلوا في المسألة.

قال التبريزي: «والتلقين أن يذكره عنده، ويقول به حضرته ويتلفظ به عنده حتى يسمع؛ ليتفطن فيقوله، لا أن يأمره به، ويقول: قل لا إله إلا الله، إلا أن يكون كافرًا، فيقول له: قل، كما قال رسول الله ﷺ لعمه أبي طالب وللغلام اليهودي»^(٥).

وذهب الألباني إلى أن المراد بالتلقين الأمر لا مجرد ذكر الشهادة عند المحتضر، فقال: «وليس التلقين ذكر الشهادة بحضرة الميت وتسميعها إياه؛ بل هو أمره بأن يقولها خلافًا لما يظن البعض، والدليل حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أن رسول الله ﷺ عاد رجلًا من الأنصار، فقال: يا خال! قل: لا إله إلا الله، فقال: أخال أم عم؟ فقال: بل خال، فقال: فخير لي أن أقول: لا إله إلا الله؟ فقال النبي ﷺ: نعم»^(٦)»^(٧).

(٥) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢٠٨/٥)، وانظر: الفتاوى الهندية (١٥٧/١) [المكتبة الشاملة، نسخة إلكترونية].

(٦) أخرجه أحمد (١٨/٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والبيزار (٣٥٢/١٣) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، وقال الضياء في المختارة (٣٦/٥): إسناده صحيح، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (١١) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٧) أحكام الجنائز (١١).

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٦)، وأحمد (٣٦٣/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٢٩٩) وصححه وصححه الألباني في الإرواء (رقم ٦٨٧).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٤٧/٨) [دار ابن كثير، ط ١، ١٤٠٧هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢٧/١٠).

(٤) الفوائد (٥٥) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

إلا الله، قال: لن أقول: لا إله إلا الله، فعند الغضب يغضب بعض الناس حتى ينسى، فيقول: لا أقول: لا إله إلا الله، فما بالك بهذه الحال؟»^(٢).

وهذا التفصيل هو أعدل الأقوال فيما يظهر، والعلم عند الله.

- المسألة الثانية: عدد مرات التلقين:

يكفي في التلقين مرة واحدة، إلا أن يتكلم المحتضر فيذكر مرة أخرى؛ لتكون آخر كلامه.

قال الإمام النووي: «وكرهوا الإكثار عليه والموالاتة؛ لئلا يضجر بضيق حاله وشدة كربه فيكره ذلك بقلبه، ويتكلم بما لا يليق. قالوا: وإذا قاله مرة لا يكرر عليه إلا أن يتكلم بعده بكلام آخر، فيعاد التعريض به؛ ليكون آخر كلامه»^(٣).

- المسألة الثالثة: كلمة التلقين:

لا إله إلا الله:

دلّت النصوص الصحيحة على أن كلمة التلقين: (لا إله إلا الله) دون زيادة، لحديث: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لا إله إلا الله»^(٤)، فيقتصر عليها حال التلقين.

خلافاً لمن قال بزيادة شهادة: أن محمداً

وذهب العثيمين إلى التفصيل في المسألة بناء على حال المحتضر، فقال: «وهل يقولها بلفظ الأمر، فيقول: قل: (لا إله إلا الله)، أو يقولها بدون لفظ الأمر، بأن يذكر الله عنده حتى يسمعه؟ فالجواب: ينبغي في هذا أن ينظر إلى حال المريض، فإن كان المريض قوياً يتحمل، أو كان كافراً فإنه يؤمر، فيقال: قل: (لا إله إلا الله)، اختتم حياتك بلا إله إلا الله، وما أشبه ذلك.

وإن كان مسلماً ضعيفاً فإنه لا يؤمر، وإنما يذكر الله عنده حتى يسمع فيتذكر، وهذا التفصيل مأخوذ من الأثر والنظر.

أما الأثر: فلأن النبي ﷺ أمر عمه أبا طالب عند وفاته أن يقول: لا إله إلا الله، قال: «يا عم قل: لا إله إلا الله»^(١).

وأما النظر: فلأنه إن قالها فهو خير، وإن لم يقلها فهو كافر، فلو فرض أنه ضاق صدره بهذا الأمر ولم يقلها فهو باق على حاله لم يؤثر عليه شيئاً، وكذا إذا كان مسلماً وهو ممن يتحمل فإن أمرناه بها لا يؤثر عليه، وإن كان ضعيفاً فإن أمرناه بها ربما يحصل به رد فعل بحيث يضيق صدره، ويغضب فينكر وهو في حال فراق الدنيا، فبعض الناس في حال الصحة إذا قلت له قل: لا إله

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤).

(٢) الشرح الممتع (٢٤٧/٥) [دار ابن الجوزي، ط ١].

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٣٢٧/٣) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ]، وانظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٣٥) [دار قباء للنشر].

(٤) تقدم تخريجه.

رسول الله^(١)، فلا تشرع لعدم ورود النص .
وأيضاً فالأصل عدم الإكثار والإطالة
على المحتضر بالتلقين، سيما أنه يكون
في ساعة حرجة ومن المشقة الإطالة
عليه، وسيما أن كلمة الإخلاص تكفي
عن المزيد عليها في هذا الموقف .

ولكن لو أن المحتضر قال الشهادتين
معاً من تلقاء نفسه فلا حرج، ويصدق
عليه أن آخر كلامه من الدنيا (لا إله
إلا الله)، لا إذا قال: (أشهد أن محمداً
رسول الله) مقتصرًا عليها، قال العلامة
العثيمين: «لو جمع بين الشهادتين؛
فقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله،
لا يمنع هذا من أن يكون آخر كلامه من
الدنيا (لا إله إلا الله)؛ لأن الشهادة
للنبي ﷺ بالرسالة تابع لما قبلها وتمام
له؛ ولهذا جعلها النبي ﷺ مع الشهادة لله
بالألوهية ركنًا واحدًا، فلا يعاد تلقينه .

وظاهر الأدلة أنه لا يكفي قول
المحتضر: أشهد أن محمداً رسول الله؛
بل لا بد أن يقول: لا إله إلا الله^(٢) .

المسألة الرابعة: تلقين الكافر:

يشرع عرض الإسلام على الكافر

(١) انظر: الفتاوى الهندية (١/١٥٧)، والإنصاف في
معرفة الرائج من الخلاف على مذهب الإمام أحمد
(٢٢٦/٢) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١،
١٤١٩هـ]، ومرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح
(٣٠٨/٥) .

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٥/٢٤٧) .

المحتضر وتلقينه؛ لأن أبا طالب لما
حضرته الوفاة قال له النبي ﷺ: «يا عم
قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها
عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي
أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة
عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله
يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى
قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على
ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله
إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: أما والله
لأستغفرنَّ لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله
تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ
يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ﴾ [التوبة] (٣) .

وفي قصة الغلام اليهودي قال
أنس رضي الله عنه: «كان غلام يهودي يخدم
النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده
فقعده عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر
إلى أبيه وهو عنده! فقال له: أطمع أبا
القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو
يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»^(٤) .

وفي رواية: «أن غلامًا يهوديًا كان
يضع للنبي ﷺ وضوءه، ويناوله نعليه،
فمرض، فأتاه النبي ﷺ فدخل عليه
وأبوه قاعد عند رأسه، فقال له النبي ﷺ:

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٦) .

الدفن، مستدلينّ بأحاديث لا تصح، من نحو حديث أبي أُمّامة في التلقين بعد الدفن ونصه عن جابر بن سعيد الأزدي قال: دخلت على أبي أُمّامة وهو في النزع فقال لي: يا أبا سعيد إذا أنا مت فاصنعوا بي كما أمر رسول الله ﷺ أن يصنع بموتانا فإنه قال: «إذا مات الرجل منكم فدفنتموه، فليقم أحدكم عند رأسه، فليقل: يا فلان ابن فلانة! فإنه يستوي قاعدًا، فليقل: يا فلان ابن فلانة! فإنه سيقول: أرشدني رحمك الله، فليقل: اذكر ما خرجت عليه من دار الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، فإن منكرًا ونكيرًا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه، ويقول له: ما نصنع عند رجل لقن حجته؟ فيكون الله حجيجهما دونه»^(٣).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٩٨/٨) [مكتبة ابن تيمية، ٢ط]، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٦٤/٢) [دار المعارف، ١ط، ١٤١٢هـ]، وقال: «منكر»، وعزاه إلى القاضي الخلعي، وذكر طائفة ممن ضعفه من أهل العلم، أمثال: الدارقطني، والبيهقي، والهيثمي، والنووي، وابن الصلاح، والحافظ العراقي، وابن القيم، ثم عقب بقوله: «واعلم أنه ليس للحديث ما يشهد له، وكل ما ذكره البعض إنما هو أثر موقوف على بعض التابعين الشاميين لا يصلح شاهدًا للمرفوع؛ بل هو يعله، وينزل به من الرفع إلى الوقف. وجملة القول: أن الحديث منكر عندي إن لم يكن موضوعًا».

«يا فلان، قل لا إله إلا الله» فنظر إلى أبيه، فسكت أبوه، فأعاد عليه النبي ﷺ، فنظر إلى أبيه، فقال أبوه: أطع أبا القاسم، فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وإنك رسول الله؟ فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أخرجه بي من النار»^(١).

فأفادت هذه الرواية نطقه بالشهادتين معًا.

- المسألة الخامسة: المشروع بعد دفن الميت المسلم الدعاء له بالمغفرة والتثبيت:

لحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: «استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل»^(٢).

المسألة السادسة: تلقين الميت بعد الدفن:

ذهب قوم إلى تلقين الميت بعد

(١) أخرجه أحمد (١٨٦/٢٠) [مؤسسة الرسالة، ١ط]، وأبو يعلى (٩٣/٦) [دار المأمون، ١ط]، وقال محققه: «إسناده صحيح» [دار المأمون للتراث، ١ط، ١٤٠٤هـ]، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٢٩٦٠)، وقال شعيب في تعليقه على رواية أحمد في نفس الموضوع: «حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف، مؤمل وإن كان سبب الحفظ متابع، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم».

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٢١)، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٣٧٢) وصححه، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (١٥٦) [المكتب الإسلامي، ٤ط].

الموت أنه غير مشروع؛ بل بدعة، وكل بدعة ضلالة، وما رواه الطبراني في الكبير عن سعيد بن عبد الله الأودي عن أبي أمانة في تلقين الميت بعد دفنه ذكره الهيثمي في الجزء الثاني والثالث من مجمع الزوائد، وقال: في إسناده جماعة لم أعرفهم. اهـ.

وعلى هذا لا يحتج به على جواز تلقين الميت، فهو بدعة مردودة بقول رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

وليس مذهب إمام من الأئمة الأربعة ونحوهم كالشافعي حجة في إثبات حكم شرعي؛ بل الحجة في كتاب الله وما صح من سنة النبي ﷺ في إجماع الأمة، ولم يثبت في التلقين بعد الموت شيء من ذلك فكان مردوداً.

أما تلقين من حضرته الوفاة كلمة: (لا إله إلا الله) ليقولها وراء من لقنه إياها فمشروع؛ ليكون آخر قوله في حياته كلمة التوحيد، وقد فعل ذلك النبي ﷺ مع عمه أبي طالب، لكنه لم يستجب له؛ بل كان آخر ما قال: إنه على دين عبد المطلب^(٤).

وأما من قالوا: يجوز العمل بحديث أبي أمانة مع ضعفه؛ لكونه في

وقد ذكر ابن تيمية أن تلقين الميت بعد الدفن لم يكن من عمل المسلمين المشهور بينهم على عهد النبي ﷺ وخلفائه^(١).

وبين ابن القيم أن التلقين بعد الموت خلاف سنة النبي ﷺ: «ولم يكن يجلس يقرأ عند القبر، ولا يلقي الميت كما يفعله الناس اليوم»^(٢).

وذكر بعض أهل العلم أن التلقين بعد الدفن لم يرد فيه عن أحمد شيء، ولا يعلم فيه للأئمة قول، سوى ما رواه الأثرم عن الإمام أحمد، قال: «قلت لأبي عبد الله: فهذا الذي يصنعون إذا دفن الميت يقف الرجل ويقول: يا فلان بن فلان! اذكر ما فارقت عليه: شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: ما رأيت أحداً فعل هذا إلا أهل الشام، حين مات أبو مغيرة جاء إنسان فقال ذاك، قال: وكان أبو المغيرة يروي فيه عن أبي بكر بن أبي مريم عن أشياخهم أنهم كانوا يفعلونه، وكان ابن عياش يرويه، ثم قال فيه: إنما لأثبت عذاب القبر^(٣)، فذكر علة فعله».

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ما نصه: «الصحيح من قول العلماء في التلقين بعد

(١) الفتاوى الكبرى (٣/ ٢٥) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٢) انظر: زاد المعاد (١/ ٥٠٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٧].

(٣) انظر: المغني في الفقه (٢/ ٣٨١) [دار الفكر، ط ١].

(٤) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٨/ ٣٣٩).

[الرئاسة العامة، ط ١، ١٤١١هـ].

إلا غفر الله لها»^(٢).

وقوله ﷺ: «من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه دخل الجنة»^(٣).

وقوله ﷺ: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار»^(٤).

الحكمة:

أن من ختم كلامه من الدنيا بلا إله إلا الله كان من أهل الجنة قطعاً؛ لحديث: «من كان آخر كلمته لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يوماً من الدهر، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه»^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام الجنائز»، للألباني.
- ٢ - «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة»، للقرطبي.
- ٣ - «الروح»، لابن القيم.

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الأدب، رقم ٣٧٩٦)، وأحمد (٣٢٣/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الإيمان، رقم ٢٠٣)، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ١٦) وصححه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٢٧٨).

(٣) أخرجه أحمد (٣٢٩/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٩٠٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٤٨/٥).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١٢٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٢).

(٥) تقدم تخريجه.

الفضائل، فقد أجاب عنه محدث العصر الألباني، بقوله: «ولا يرد هنا ما اشتهر من القول بالعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، فإن هذا محله فيما ثبت مشروعيته بالكتاب أو السنة الصحيحة، أما ما ليس كذلك فلا يجوز العمل فيه بالحديث الضعيف؛ لأنه تشريع ولا يجوز ذلك بالحديث الضعيف؛ لأنه لا يفيد إلا الظن المرجوح اتفاقاً، فكيف يجوز العمل بمثله؟! فليتنبه لهذا من أراد السلامة في دينه، فإن الكثيرين عنه غافلون»^(١).

ويقال أيضاً: قد قال الله تعالى: ﴿يَبْتَئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(١٧) [إبراهيم].

فمن كان من أهل هذه الآية ثبتته الله ولو لم يلقيه أحد، ومن لم يكن من أهلها فلن يثبت ولو لقنه من في السماوات والأرض.

الثمرات:

من ثمرات التلقيين: مغفرة الذنوب، ودخول الجنة، والنجاة من النار.

لقوله ﷺ: «ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله يرجع ذلك إلى قلب موقن

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢/٦٤).

٤ - «زاد المعاد»، لابن القيم.

٥ - «شفاء الصدور في أحوال الموتى والقبور»، للسيوطي.

٦ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

٧ - «الشرح الممتع على زاد المستقنع»، لابن عثيمين.

٨ - «الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان»، لجنة علماء برئاسة نظام الدين البليخي.

٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ - «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم»، للقرطبي.

التمائم

التعريف لغة:

التمائم في اللغة: جمع تميمة، يقال: تمائم وتميم، واشتقاقها من التمام، قال ابن فارس: «كأنهم يريدون أنها تمام الدواء والشفاء المطلوب»^(١).

وقد اختلف في معناها في اللغة، فقليل: هي خرزة تنظم في سير ثم يعقد في العنق أو العضد، وقيل: هي قلادة يُجعل فيها سيور وعود.

قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «التميمة: خرزة رقطاع تنظم في السير ثم يعقد في العنق، وهي التمام والتميم... وقيل: هي:

(١) مقاييس اللغة (٣٣٩/١) [دار الجبل، ط١].

قلادة يجعل فيها سيور وعود»^(٢).

التعريف شرعاً:

هي كل ما عُلق لدفع الشر أو رفعه بعد وقوعه من أي شيء كان، سواء كان ذلك من العين أو غيرها من أنواع البلاء، وسواء كان المعلق خرزات أو خيوط أو غير ذلك^(٣).

ومن عبارات العلماء في تعريف التميمة شرعاً:

١ - قال ابن عبد البر: «التميمة في كلام العرب: القلادة، هذا أصلها في اللغة، ومعناها عند أهل العلم: ما علق في الأعناق من القلائد خشية العين، أو غيرها من أنواع البلاء»^(٤).

٢ - وقال ابن حجر: «والتمائم: جمع تميمة: وهي خرز أو قلادة تعلق في الرأس، كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع الآفات»^(٥).

٣ - وقال محمد بن عبد الوهاب: «التمائم: شيء يعلقونه على الأولاد يتقون به العين»^(٦).

وقيل غير ذلك من الأقوال.

(٢) لسان العرب (٦٩/١٢) [دار الفكر، ط١]، وانظر: الصحاح (١٨٧٧/٥ - ١٨٧٨) [دار العلم للملايين، ط٣].

(٣) انظر: التمام في ميزان العقيدة لعلّي العلّاني (٩).

(٤) التمهيد لابن عبد البر (١٦٢/١٧).

(٥) فتح الباري (١٦٦/١٠) [دار الريان للتراث، ط٢].

(٦) كتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد (١٣٧) [دار الفيحاء، دمشق، ط١، ١٤١٣هـ].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان أهل الجاهلية يعتقدون في التمام أنها تدفع العين وغيرها من الآفات، وذلك مما لم يجعله الشارع سبباً تنفى به العين، بقي المعنى على مسمى أهل الجاهلية، وأضيف إليه كل من علق شيئاً لدفع أي نوع من أنواع البلاء، أو لرفع ذلك بعد وقوعه.

سبب التسمية:

قيل: سميت التميمة بهذا الاسم لأن العرب في الجاهلية كانوا يرون أن في تعليقها تفاعلاً لإتمام الأمر الذي جعلت له، وهو الدواء والشفاء.

قال ابن الأثير: «كأنهم كانوا يعتقدون أنها توائم الدواء والشفاء»^(١).

الأسماء الأخرى:

يطلق على التمام بعض المسميات، فمن ذلك: العوذ، الحروز.

الحكم:

التمائم على نوعين:

النوع الأول: التمام من غير القرآن الكريم، سواء كانت من خرزات أو عظام أو غيرها، ويدخل في ذلك ما كان مشتملاً على بعض الطلاسم ونحوها مما لا يعرف معناه.

النوع الثاني: التمام من القرآن الكريم، ويلحق بذلك ما كان بأسماء الله تعالى وصفاته، أو ببعض الأدعية والأذكار الشرعية. وسيأتي حكم هذا في المسائل المتعلقة.

أما النوع الأول من التمام: وهو ما كان من غير القرآن؛ فمحرم باتفاق العلماء، وهو داخل في شرك الأسباب، وهذا الشرك قد يكون من الشرك الأكبر أو الأصغر بحسب ما تشتمل عليه التميمة، وبحسب قصد معلقها: فإن اشتملت التميمة على بعض الأمور الشركية كالدعاء والاستغاثة بغير الله فذلك شرك أكبر، وأما إن كانت مجرد خرزات أو طلاسم فتدخل في الشرك الأصغر، لكن إذا اقترن بتعليق التميمة اعتقاد النفع أو الضر بنفسها فإن ذلك داخل في الشرك الأكبر، وإن كان فاعلها لا يعتقد ذلك وإنما يعتقد أنها سبب للنفع أو الضر فذلك داخل في الشرك الأصغر.

قال ابن عثيمين: «قوله: «شرك» هل هي شرك أصغر أو أكبر؟ نقول: بحسب ما يريد الإنسان منها، إن اتخذها معتقداً أن المسبب هو الله فهي شرك أصغر، وإن اعتقد أنها تفعل بنفسها فهي شرك أكبر»^(٢).

(١) النهاية في غريب الحديث (١/١٩٧) [دار الكتب العلمية].

(٢) القول المفيد (١/١٧٨) [دار العاصمة، ط ١].

❁ الحقيقة:

وما رواه عقبة بن عامر رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «من تعلق تيممة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له»^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن عبد البر رحمته الله: «إن من تعلق تيممة خشية ما عسى أن ينزل أو لا ينزل قبل أن ينزل، فلا أتم الله عليه صحته وعافيته... وهذا كله تحذير ومنع مما كان أهل الجاهلية يصنعون من تعليق التمام، والقلائد، يظنون أنها تقيهم وتصرف عنهم، وذلك لا يصرفه إلا الله ﷻ وهو المعافي والمبتلي، لا شريك له، فنهاهم رسول الله ﷺ عما كانوا يصنعون في جاهليتهم»^(٥).

- قال ابن القيم رحمته الله - عند كلامه على تقليد الخيل الأوتار -: «الصحيح أن لا يقلدها وترًا من أجل العين كما كان أهل الجاهلية تفعله، وكذلك لا يعلق عليها خرزة ولا عظمًا ولا تيممة فإن ذلك كله من عمل الجاهلية»^(٦).

وقال حافظ الحكمي رحمته الله في حكم التمام التي تكون من القرآن: «ولا شك

التمائم ليست من الأسباب المشروعة ولا من الأسباب الاعتيادية لجلب خير أو دفع ضرر، وحقيقتها أنها تعاليق تتعلق بها قلوب متعلقين والقول فيها كالقول في الحلقة والخيط، فمنها ما هو شرك أكبر كالتي تشتمل على الاستغاثة بالشياطين أو غيرهم من المخلوقين، ومنها ما هو محرم كالتي فيها أسماء لا يفهم معناها لأنها تجر إلى الشرك»^(١).

❁ الأدلة:

ورد النهي عن تعليق التمام في جملة من الأحاديث، فمن ذلك: ما رواه عمران رضي الله عنه: أن النبي ﷺ رأى رجلًا في يده حلقة من صفر، فقال: «ما هذه؟» قال: من الواهنة، قال: «انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنًا؛ فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا»^(٢).

وما رواه أبو بشير رضي الله عنه أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا: «أن لا يبقين في رقبة بغير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت»^(٣).

(١) انظر: القول السيد للسعدي (٤٧) [مجموعة التحف النفائس الدولية، ط ٣].

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الطب، رقم ٣٥٣١)، وأحمد (٢٠٤/٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (٢١٦/٤)، وصححه ووافقه الذهبي [دار المعرفة].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠٠٥)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٥).

(٤) أخرجه أحمد (٦٢٣/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب الرقي والتمائم، رقم ٦٠٨٦)، والحاكم (كتاب الطب، رقم ٧٥٠١) وصححه ووافقه الذهبي (١٢٦٦).

(٥) التمهيد لابن عبد البر (١٦٣/١٧).

(٦) الفروسية (١٣٤) [دار الأندلس، ط ١، ١٤١٤هـ].

شأنًا وأقوى يقينًا من أن يتوكلوا على غير الله أو يثقوا بغيره»^(٢).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم تعليق التمام إذا كانت من القرآن:

وأما النوع الثاني من أنواع التمام: وهو ما كان من القرآن أو الأدعية النبوية؛ فقد اختلف أهل العلم من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فمن بعدهم في حكم تعليقها على قولين:

القول الأول: وهم القائلون بتحريم تعليق هذا النوع من التمام، وقد نقل ذلك عن جملة من الصحابة؛ كعبد الله بن مسعود، وابن عباس، وحذيفة، وعقبة بن عامر رضي الله عنهم، وهو قول إبراهيم النخعي، ورواية عن الإمام أحمد اختارها كثير من أصحابه، ورجحه ابن العربي المالكي، والشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ سليمان بن عبد الله، وكثير من المعاصرين؛ كالشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ الألباني وغيرهم^(٣).

القول الثاني: وهم القائلون بجواز

أن منع ذلك أسدُّ لذريعة الاعتقاد المحظور، لا سيما في زماننا هذا، فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدسة والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال، فلا أن يكره في وقتنا هذا وقت الفتن والمحن أولى وأجدر بذلك، كيف وهم قد توصلوا بهذه الرخص إلى محض المحرمات وجعلوها حيلة ووسيلة إليها، فمن ذلك أنهم يكتبون في التعاويذ آية أو سورة أو بسملة أو نحو ذلك، ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانية ما لا يعرفه إلا من اطلع على كتبهم، ومنها أنهم يصرفون قلوب العامة عن التوكل على الله تعالى إلى أن تتعلق قلوبهم بما كتبوه؛ بل أكثرهم يرجفون بهم ولم يكن قد أصابهم شيء»^(١).

وقال رحمته الله في حكم التمام التي تكون من طلاسم اليهود وعباد الهياكل: «والمقصود: أن هذه التمام التي من غير القرآن والسنة شريكة للأزلام وشبيهة بها، من حيث الاعتقاد الفاسد والمخالفة للشرع في البعد عن سيما أولي الإسلام؛ أي: عن زي أهل الإسلام، فإن أهل التوحيد الخالص من أبعد ما يكون عن هذا وهذا، والإيمان في قلوبهم أعظم من أن يدخل عليه مثل هذا، وهم أجل

(١) معارج القبول (٢/ ٦٣٨ - ٦٣٩) [دار ابن الجوزي، ط ١٤٢٧هـ].

(٢) المصدر السابق (٢/ ٦٤٠).

(٣) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٣٦)، وعارضة الأحوذ (٨/ ٢٢٢)، وتيسير العزيز الحميد (١٦٨، ١٧٤) [المكتب الإسلامي، ٦٦، ١٤٠٥هـ]، وفتح المجيد (١٢٨)، وفتاوى ابن باز (٢/ ٣٨٤) [دار الوطن، ١٦، ١٤١٦هـ]، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٥٨٥).

كان من القرآن الكريم والأذكار تولاه الله تعالى.

٢ - ما ورد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه من تعليقه بعض الأذكار على أولاده الصغار دون الكبار ^(٤).

والراجع هو القول الأول؛ لعموم أدلة النهي، ولا مخصص لهذا العموم - كما تقدم -، وأما الجواب عن أدلة أصحاب القول الثاني، فالحديث المستدل به لا يدل على جواز تعليق ما ذكر من التمام؛ فإن الله سبحانه لا يرضى أن يتعبد له إلا بما شرع، ولو كان من تعلق القرآن أو أذكار الصباح والمساء ونحوها كفاه الله تعالى لكان ذلك كافياً عن قراءتها الواردة في النصوص.

وأما ما ورد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه؛ فيجيب عنه بأن ذلك لم يصح عنه، ولو صح فلا حجة فيه مع صراحة الأحاديث في النهي عن ذلك، ثم هو يحتمل أيضاً أن يكون إنما علق ذلك ليحفظها أولاده الصغار بعد أن حفظها الكبار منهم ^(٥).

- المسألة الثانية: حكم ما يعلق على السيارات والبيوت:
تقدم أن التميمة هي كل ما علق لدفع

تعليق ذلك، وهذا القول هو المنقول عن بعض الصحابة؛ كعائشة، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وهو قول سعيد بن المسيب، وابن سيرين ^(١).
وقد استدل أصحاب القول الأول بما يلي:

١ - عموم النهي الوارد في الأحاديث المتقدمة، ولا مخصص لهذا العموم.

٢ - سد الذريعة؛ فإن تعليق التمام من القرآن والأذكار يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك من التمام الشريكية.

٣ - أن ذلك عرضة للامتهان في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك ^(٢).

وأما أصحاب القول الثاني، فاستدلوا بما يلي:

١ - قوله ﷺ: «من تعلق شيئاً وكل إليه» ^(٣).

قالوا: الحديث يدل على أن من علق التمام الشريكية وكل إليها، ومن علق ما

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦٤/١٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف]، وزاد المعاد (٤/٢١٢)، (٣٥٨) [مؤسسة الرسالة، ط٧]، وفتح الباري لابن حجر (١٤٢/٦).

(٢) انظر: فتح المجيد (١٠٩).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب الطب، رقم ٢٠٧٢)، وأحمد (٧٧/٣١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وله شاهد عند النسائي (كتاب تحريم الدم، رقم ٤٠٧٩)، وقد حسنة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٤٥٦) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٢٨)، وأحمد (٢٩٦/١١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحكم الألباني بنكارتها في السلسلة الصحيحة (١/٥٩٩).
(٥) انظر: فتح المجيد (١٠٩)، وأحكام الرقى والتمائم (٢٤٣ - ٢٥٣).

الشر أو رفعه، سواء كان ذلك من العين أو غيرها، وسواء كان المعلق خرزات أو خيوط أو غير ذلك. فالتميمة - إذا - ليست خاصة بصورة معينة؛ بل تشمل أمورًا كثيرة وتعم أصنافًا عديدة، مثل ما نراه على كثير من أهل زماننا، من تعليقهم أشياء في سياراتهم كبعض الحيوانات المجسمة، أو غيرها من الأشكال؛ كحذوة الفرس، أو يعلق خرزات، ومسابع خشبية، ونحو ذلك على المرايا الأمامية للسيارة. وبعضهم قد يعلق على مدخل الباب رأس ذئب، أو غزال، أو يضع على مطرق الباب حذوة فرس؛ اعتقادًا من أصحابها أنها تدفع العين، أو تجلب لهم النفع.

الشر أو رفعه، سواء كان ذلك من العين أو غيرها، وسواء كان المعلق خرزات أو خيوط أو غير ذلك.

فالتيممة - إذا - ليست خاصة بصورة معينة؛ بل تشمل أمورًا كثيرة وتعم أصنافًا عديدة، مثل ما نراه على كثير من أهل زماننا، من تعليقهم أشياء في سياراتهم كبعض الحيوانات المجسمة، أو غيرها من الأشكال؛ كحذوة الفرس، أو يعلق خرزات، ومسابع خشبية، ونحو ذلك على المرايا الأمامية للسيارة. وبعضهم قد يعلق على مدخل الباب رأس ذئب، أو غزال، أو يضع على مطرق الباب حذوة فرس؛ اعتقادًا من أصحابها أنها تدفع العين، أو تجلب لهم النفع.

فكل هذه أنواع، وأصناف، وصور للتمايم، أحدثها الناس على اختلاف الأزمان.

فإن قال قائل: أنا أعلق ولا أستحضر هذه المعاني؛ أعلق هذا في السيارة للزينة، أعلقه في البيت للجمال، ونحو ذلك.

والجواب: إن علق التمايم للدفع أو الرفع فإنه شرك أصغر إن اعتقد أنها سبب، وإن علقها للزينة فهو محرّم لأجل مشابهته من يشرك الشرك الأصغر.

فإذن؛ دار الأمر على أن التمايم كلها

١ - انتشار الخرافات والدجل والشعوذة، بسبب التعلق بالتمايم، لا سيما ما كان منها مشتملاً على الاستعانة بغير الله تعالى.

٢ - زيادة الوهن والبلاء بتعلق القلب بهذه التيممة؛ حيث يتعلق بها تعلقًا عظيمًا، حتى يتوهم صاحبها أمراضًا لم تكن في جسده فيسارع إليه البلاء.

٣ - أن الله تعالى يكله إلى هذه التيممة التي علقها؛ لقوله ﷺ: «من تعلق شيئًا وكل إليه»، فيكله الله إلى ضعف وحسرة.

٤ - الوقوع في الشرك، وهو ذنب عظيم، لا سيما إذا اعتقد أن تلك التيممة تنفع بنفسها، فإنه يقع في الشرك الأكبر،

(١) أخرجه أبو داود (كتاب اللباس، رقم ٤٠٣١)، وأحمد (١٢٣/٩) [مؤسسة الرسالة، ١٦]، وجوّد سنده شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم (٢٦٩/١) [دار العاصمة، ٦٦]، وحسن إسناده الألباني في الإرواء (١٠٩/٥).

(٢) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١١٠) [دار التوحيد، ١٦، ١٤٢٤هـ]، وأحكام الرقي والتمايم (٢٣٥ - ٢٣٧) [دار أضواء السلف، ١٦، ١٤١٩هـ].

- المخرج من الملة، عيادًا بالله من ذلك.
- ٣ - «التمهيد»، لابن عبد البر.
- ٤ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٥ - «الدين الخالص»، لصديق حسن خان.
- ٦ - «زاد المعاد»، لابن القيم.
- ٧ - «فتح الباري»، لابن حجر.
- ٨ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
- ٩ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١ - الجهل بالتوحيد، ولذا يقع كثير من الجهلة فيما ينافيه من الشراكيات والوثنيات، وذلك بدعاء غير الله تعالى، والتعلق بأسباب لم يشرعها، واعتقاد أنها تنفع أو تضر بنفسها.
- ٢ - ترويج أرباب الدجل والخرافة ممن يسمون بالأولياء، لهذه التمايم، لإضلال الناس، وأكل أموالهم بالباطل في مقابل عمل تلك التمايم.
- ٣ - انتشار بعض الكتب الخرافية التي تدعو إلى عمل التمايم الشركية، وبيعها بأسعار زهيدة^(١).

التمثيل

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الميم واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء. وهذا مثل هذا؛ أي: نظيره، والمِثْل والمِثَال في معنى واحد. وربما قالوا مِثِل كشيء»^(٢).

قال الجوهري: «مِثْل: كلمة تسوية. يقال: هذا مثله ومثله كما يقال: شبهه وشبهه بمعنى»^(٣).

التعريف شرعًا:

هو اعتقاد المثبت أن ما أثبتته الله من

الحكمة:

نهى النبي ﷺ عن التمايم لكون تعليقها فيه تعلق للقلب بغير الله تعالى، واعتمادًا على ما سواه في جلب النفع أو دفع الضرر، والمسلم مأمور بتعلقه بالله تعالى، وتوكله واعتماده عليه.

المصادر والمراجع:

١ - «أحكام الرقى والتمايم»، لفهد السحيمي.

٢ - «التمايم في ميزان العقيدة»، لعلي العلياني.

(٢) مقاييس اللغة (٥/٢٩٦) [دار الجبل، ط٢].

(٣) الصحاح (٩٧١) [دار المعرفة، ط١، ١٤٢٦هـ].

(١) انظر: أحكام الرقى والتمايم (٢٢٩).

❁ الأدلة:

دلّت النصوص الشرعية على اتصاف الله بصفات الكمال، وتفرد به، ونفي المماثلة بينه وبين خلقه فيها، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَكَ يَدٌ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]. ففي هذه الآيات الكريمات وصف الله نفسه بجملة من صفات الكمال التي لا يلحقها نقص بوجه من الوجوه، ثم بيّن سبحانه تفرد به، ونفي مماثلة خلقه له فيها، والمماثلة هي المساواة بين الشئيين في الصفات من كل الوجوه.

❁ أقوال أهل العلم:

روى اللالكائي بسنده عن نعيم بن حماد أنه قال: «من شبّه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه... وقال إسحاق بن راهويه رحمه الله: «من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم؛ لأنه وصف بصفاته إنما هو استسلام لأمر الله ولما سن الرسول» (٣).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/٥٣٢) [دار طيبة، ١٤٠٢هـ].

الصفات هو مثل صفات المخلوقين في الحقيقة (١).

❁ الحكم:

يجب تنزيه الرب ﷻ وإجلاله عن تمثيل صفات الله بصفات خلقه؛ لأن الله ليس كمثله شيء لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال ولا في شيء من خصائص الرب سبحانه.

❁ الحقيقة:

حقيقة التمثيل هي: إشراك المخلوق مع الله في شيء من خصائصه سبحانه. ووصف الخالق بشيء من خصائص المخلوق، فكل صفة أضيفت إلى الله فهي خاصة به لا يشركه فيها غيره كائناً من كان كصفة العلم مثلاً، فهذا لا يصلح إدخال علم المخلوقين فيه، وكذلك العلم المضاف إلى المخلوقين فهو خاص بهم لا يصلح إدخال علم الخالق فيه، وهكذا في كل ما يضاف إلى المخلوقين، ومن هذا يتضح أن إثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ على ما يليق به ليس من التمثيل في شيء (٢).

(١) انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين (٢٦) [الجامعة الإسلامية، ٣، ١٤٢١هـ].

(٢) انظر: درء التعارض (٨٩/٢ - ٩٠) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ٢، ١٤١١هـ]، والتسييح في الكتاب والسنة للدكتور محمد بن إسحاق كندو (١/١٦٠) [مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ].

وروى البيهقي بإسناده عن أبي داود الطيالسي أنه قال: «كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون، يروون الحديث، لا يقولون كيف، وإذا سئلوا أجابوا بالأثر»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: إثبات الصفات لا يستلزم التمثيل:

التمثيل: هو الاتفاق بين الشيئين في الصفات من جميع الوجوه^(٣)، وهذا قد ورد نفيه عن الله تعالى في صريح الأدلة الشرعية، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وليس المقصود به نفي التماثل الذي بمعنى التشابه بين صفات الخالق وصفات المخلوق في اللفظ والمعنى العام؛ لأن نفي هذا القدر المشترك في المعنى من بعض الوجوه كما يقول به النفاة من الجهمية وأشباههم هو تعطيل وجود كل كائن^(٤). قال ابن تيمية: «وقد بينّا فيما تقدم بالدلائل القاطعة الشرعية والعقلية: أنه يمتنع أن يكون لله مثل بوجه من الوجوه. وبينّا أن التماثل بينه وبين خلقه ممتنع لذاته وأنه يستلزم كون الشيء الواحد موجوداً معدوماً، قديماً محدثاً، خالقاً مخلوقاً،

وقال ابن كثير رحمته الله: «وأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهم، من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى]؛ بل الأمر كما قال الأئمة - منهم: نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري -: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر. وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه. فمن أثبت لله تعالى ما

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٣٤ - ٣٣٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٦ - ٤٢٧).

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٣/ ١٣٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٣/ ١٣٦).

واجباً ممكناً»^(١).

على وفق قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

فمن تلك الآثار المنقولة عن السلف ما سبق إirاده تحت (أقوال أهل العلم). منها قول شيخ البخاري نعيم بن حماد رحمته الله: «من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه»^(٣).

وقال ابن عبد البر رحمته الله: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكتفون شيئاً من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة.

وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون: أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود.

والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهم أئمة الجماعة والحمد لله»^(٤).

ويقول شيخ الإسلام في حكاية عقيدة

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/٥٣٢).

(٤) التمهيد لابن عبد البر (٧/١٤٥) [وزارة عموم الأوقاف المغربية، ١٣٨٧هـ].

وقال ابن العثيمين رحمته الله: «ولا يلزم من التماثل في الاسم، أن يتماثل الشيء في الصفة، ولهذا نقول: للإنسان يد ورجل، وللثور يد ورجل، وللفيل يد ورجل، وللنمل يد، ولا يلزم من هذا التماثل في الاسم التماثل في الحقيقة، وكل يعرف أن رجل الفيل ليست كرجل الذرة، وهذا في المخلوقات مع بعضها فكيف بالخالق؟! فتبين إذا مخالفة الخالق للمخلوق بدليل السمع والعقل والحس»^(٢).

- المسألة الثانية: بطلان رمي السلف بالتمثيل:

لا شك أن رمي السلف بالتمثيل هو بهت صريح وكذب مكشوف لا يشوبه شك، ولا يتردد فيه كل من كان مطلعاً على شيء من مؤلفاتهم العقدية، فهي تثبت كذب هذه الدعوى وتنقضها من جذورها، ويكفي في إثبات براءتهم من التمثيل بعض الآثار المنقولة عنهم، التي تبين بعدهم عنه، وذمهم له، وتكفيرهم لمتبنيه، فضلاً عن كتبهم المشحونة بالدعوة إلى نبذ التمثيل والتشبيه في أسماء الله وصفاته وجميع خصائصه، بصفات المخلوقين، مقيمين منهجهم

(١) بيان تلبس الجهمية (٢/٤٨٥).

(٢) شرح العقيدة السفارينية (١/٢٤٦ - ٢٤٧).

أَلَسَمِيعُ أَبْصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى] (٢).

الآثار:

الخلط في مفهوم التمثيل عند المعطلة أدى إلى التعطيل ونفي الصفات عن الله، حيث ظنوا أن إثبات الصفات لله يستلزم مماثلة الله لخلقه فنفوا عن الله ما وصف به نفسه كلاً أو بعضاً حسب التفاوت الذي بينهم في التعطيل، وردوا النصوص النقلية والعقلية الدالة على ثبوت صفات الكمال لله تعالى. ورموا كل من أثبت لله ما أثبتة لنفسه أو أثبتة له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات بالتشبيه والتمثيل. فانتشر بذلك التعطيل في كثير من البلاد الإسلامية، ولا شك أن هذا من الآثار السيئة لظهور هذا المفهوم الخاطئ للتمثيل الذي نهى الله عنه في كتابه الكريم، والذي دلت عليه النصوص الشرعية والعقلية وسار عليه سلف الأمة وهو ثبوت صفات الكمال لله تعالى على وجه لا يماثل فيه المخلوق، كما دلت عليه النصوص منها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ [الشورى].

أهل السُّنَّة والجماعة: «وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها: إثبات ما أثبتته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل. وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبتته من الصفات من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته» (١).

الفرق:

الفرق بين التمثيل والتشبيه:

يختلف التمثيل عن التشبيه من

جهتين:

الأولى: من جهة المعنى فإن التمثيل:

هو مساواة الشيء للشيء من كل الوجوه، وأما التشبيه فهو مساواته في بعض الوجوه، وقد يطلق أحدهما على الآخر ويعرف ذلك بالقرينة والسياق.

ثم أدخل فيه المعطلة ما ليس من معناه، فأصبح من الألفاظ المجملة حيث صاروا يطلقونه على من يثبت شيئاً من الأسماء والصفات.

الثانية: من جهة الوجود في الشرع، فإن

التشبيه لا ذكر له في النصوص الشرعية، وإنما جاء النهي عنه في أقوال السلف مراداً به التمثيل، بخلاف التمثيل فقد جاء النهي عنه صريحاً في الشرع، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

(٢) انظر: التدمرية (١١٧) [مكتبة العبيكان، ط ٦]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦٦/٣)، ومقالة التشبيه وموقف أهل السُّنَّة منها لجابر إدریس (١/ ٧٥ - ٨٣) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٢هـ]، والتسبيح في الكتاب والسُّنَّة لمحمد بن إسحاق كندو (١٦٢/١ - ١٦٥).

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٣) [جمع: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

❁ مذهب المخالفين:

ورسوله ﷺ من العيوب والنقائص على ضوء قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

وقد دلَّ الشرع والعقل على بطلان هذا الاعتقاد وفساده، أما الشرع: فقد جاءت فيه نصوص عديدة في إبطال هذا المعتقد، من ذلك قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى] وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص].

ففي هذه الآيات نفى الله أن يكون له مماثل أو سمي أو كفو في شيء من خصائصه سبحانه؛ بل هو المتفرد بصفات الكمال المطلق الذي لا يلحقه فيه أحد من الخلق.

وأما دلالة العقل على بطلان القول بالتماثل بين الخالق والمخلوق في الخصائص فبيانه من الجهة التالية؛ وهي أن الشيئين إذا تماثلا جاز على أحدهما ما يجوز على الآخر، والقول بالتماثل بين الخالق والمخلوق يلزم منه اتصاف الخالق العظيم بما يتصف به المخلوق الضعيف من الفناء والعدم والحاجة ونحوها، إضافة إلى ما في هذا القول من التناقض، حيث يصبح الشيء الواحد واجباً بنفسه وغير واجب، وهذا غاية في

ذهب الممثلة إلى جعل صفات الله كصفات المخلوقين، كما نقل ذلك عنهم غير واحد، قال الإمام أحمد رحمه الله: «المشبهة تقول: بصر كبصري، ويد كيدي، وقدّم كقدمي ومن قال ذلك فقد شبه الله بخلقه»^(١).

وفي مقابل هؤلاء الممثلة الذين حملوا صفات الله على ما يشاهدونه في المخلوقات وجد من يشاركهم في هذا المفهوم ألا وهم المعطلة، حيث فهموا من إثبات صفات الله التمثيل فنفوها عن الله؛ فراراً من التمثيل^(٢)، فوقعوا في التعطيل مع تفاوتهم فيه.

❁ الرد عليهم:

لا شك أن كلا الفريقين أُتوا من قلة علمهم، وسوء فهمهم للنصوص، وبعدهم عن هدي السلف الصالح القائم على إثبات ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء والصفات في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ على الوجه اللائق به سبحانه، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، ونفاه عنه

(١) أورده أبو يعلى في إبطال التأويلات (٤٣/١) [دار إيلاف الدولية، الكويت]، وابن تيمية في كثير من كتبه؛ منها: درء تعارض التعارض (١٤٥/٤).

(٢) انظر: الإرشاد للجويني (٣٦ - ٤٢) [مكتبة الخانجي، ١٣٦٩هـ]، وتبصرة الأدلة في أصول الدين للنسفي (١٨٦) [رئاسة الشؤون الدينية، تركيا، ١٩٩٣م]، والتمهيد لقواعد التوحيد للنسفي (١٤٩) [دار الطباعة المحمدية، ط ١، ١٤٠٦هـ].

- ٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣)، لابن تيمية.
- ٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات»، لمحمد التيمي.
- ٩ - «مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها» (ج ١)، لجابر إدريس.
- ١٠ - «منهاج السنة النبوية» (ج ٢)، لابن تيمية.

التنجيم

التعريف لغة:

التنجيم لغة: مصدر نجم، المشتق من النجم، ويطلق على الشيء إذا ظهر وطلع، قال الجوهري: «نجم الشيء ينجم - بالضم - نجوماً: ظهر وطلع، يقال: نجم السن، والقرن، والنبت»^(٢).

والمُنَجَّم والمُنَجَّم: هو الذي ينظر في النجوم ويستدل بحركتها وسيرها، والنجم في الأصل: اسم لكل كوكب في السماء، وهو بالثبوت أخص، فإذا أطلق مفرداً فإنما يراد به الثبوت^(٣).

التعريف شرعاً:

التنجيم هو: الاستدلال على

الفساد ونهاية في البطلان. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان هذا الدليل العقلي: «فإن الحقيقتين إذا تماثلتا: جاز على كل واحدة ما يجوز على الأخرى، ووجب لها ما وجب لها. فيلزم أن يجوز على الخالق القديم الواجب بنفسه ما يجوز على المحدث المخلوق من العدم والحاجة، وأن يثبت لهذا ما يثبت لذلك من الوجوب والفناء فيكون الشيء الواحد واجباً بنفسه غير واجب بنفسه موجوداً معدوماً وذلك جمع بين النقيضين، وهذا مما يعلم به بطلان قول المشبهة الذين يقولون: بصر كبصري أو يد كيدي ونحو ذلك تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً»^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٣، و٧)، لابن تيمية.
- ٢ - «التدمرية»، لابن تيمية.
- ٣ - «التسييح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه» (ج ١)، لمحمد بن إسحاق كندو.
- ٤ - «التمهيد» (ج ٧)، لابن عبد البر.
- ٥ - «درء تعارض تعارض العقل والنقل» (ج ٢، و٤)، لابن تيمية.
- ٦ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

(٢) الصحاح (٢٠٣٩/٥) [دار العلم للملايين، ط ٣].
 (٣) انظر: المرجع السابق (٢٠٣٩/٥)، ولسان العرب (٥٧٠/١٢) [دار الفكر، ط ١، ١٤١٠هـ]، والقاموس المحيط (١٤٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٢].

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨٧/٣).

عليه أهل الجاهلية من النظر في النجوم والاستدلال بسيرها وحركتها، فجاء التعريف الاصطلاحي متفقاً مع التعريف اللغوي بربط التنجيم بالأفلاك التي هي النجوم.

❖ سبب التسمية:

لما كان التنجيم هو صناعة المنجم وكان المنجم هو الذي ينظر في النجوم، اشتق له منها هذا الاسم؛ نظراً لارتباط هذه الصناعة بالنجوم في الاستدلال، واعتقاد التأثير، ونحو ذلك مما يدعيه أهل التنجيم^(٥).

❖ الحكم:

يختلف الحكم على التنجيم نظراً لاختلاف أقسامه، فأما علم التأثير فلا شك في تحريمه، وهو من جنس السحر ونحوه مما يشتمل على دعوى علم الغيب، وهذا القسم هو الذي نُهي عن تعلمه، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»^(٦).

(٥) انظر: التنجيم والمنجمون (٣٣) [أضواء السلف، ط ٢، ١٤١٩هـ].

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٩٠٥)، وابن ماجه (كتاب الأدب، رقم ٣٧٢٦)، وأحمد (٤١/٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه العراقي في تخريج الإحياء (١٤٦٠) [دار ابن حزم، ط ١]، وجوّد الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة (رقم ٧٩٣).

الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية كما يزعمون^(١).

وقيل: هو معرفة أحكام النجوم المتعلقة بالعالم السفلي، وتأثيرات النجوم فيه^(٢).

وهناك تعريف لابن خلدون؛ حيث يقول: «هو ما يزعمه أصحاب هذه الصناعة من أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها، من قبل معرفة قوى الكواكب، وتأثيرها في المولّدات العنصرية مفردة ومجمعة، فتكون لذلك أوضاع الأفلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من أنواع الكائنات الكلية والشخصية»^(٣)^(٤).

❖ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة في اشتقاق التنجيم من النجم الذي هو الكوكب، وما كان

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٩٢/٣٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف].

(٢) انظر: التنجيم والمنجمون (٣١). وانظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٧٦٢/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ]، وتيسير العزيز الحميد (٤٤١) [المكتب الإسلامي، ط ٦، ١٤٠٥هـ].

(٣) مراده بالأنواع الكلية: الحوادث التي تحدث للعالم أو للدول، وأما الأنواع الشخصية فيريد بذلك: الحوادث التي تحدث للأشخاص من موت وحياة ونحوهما.

(٤) مقدمة ابن خلدون (٦٠١) [المكتبة التوفيقية، القاهرة].

لأنه ولد في النجم الفلاني، وهذا حياته ستكون سعيدة؛ لأنه ولد في النجم الفلاني، فهذا الشخص اتخذ تعلم النجوم وسيلة لادعاء علم الغيب، وادعاء علم الغيب كفرٌ مُخرجٌ عن الملة؛ لأن الله يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل]، وهذا من أقوى أنواع الحصر؛ لأنه حصر بالنفي والاستثناء، فإذا ادعى علم الغيب فقد كذب القرآن.

٣ - أن يعتقد سبباً لحدوث الخير والشر فهذا شرك أصغر؛ أي: إنه إذا وقع شيء نسبته إلى النجوم، ولا ينسب إلى النجوم شيئاً إلا بعد وقوعه، والقاعدة: أن من اعتقد شيئاً سبباً لشيء، ولم يجعله الله كذلك فقد تعدى على الله؛ لأن مسبب الأسباب هو الله وحده.

الثاني: علم التسيير، وهو على قسمين:

١ - أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية فهذا مطلوب، وإذا كان يُعين على مصالح دينية واجبة كان تعلمها واجباً؛ كأن يستدل بالنجوم على جهة القبلة.

قال الخطابي: «فأما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والحس، الذي يعرف به الزوال ويعلم به جهة

والمراد بهذا الحديث علم النجوم وليس النجوم أنفسها؛ لأن النجوم لا يمكن أن تقتبس وتتعلم.

قال ابن أبي العز: «وصناعة التنجيم التي مضمونها الإحكام والتأثير - وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، أو المزيج بين القوى الفلكية والغوائل الأرضية - صناعة محرمة بالكتاب والسنة؛ بل على لسان جميع المرسلين...»^(١).

وهذا القسم وإن كان محرماً إلا أن تحريمه ليس على درجة واحدة؛ فمنه ما يصل إلى الشرك الأكبر ومنه ما هو دون ذلك، بحسب ما يتعلق بذلك من اعتقاد، وما يتبع ذلك من أعمال ونحوها، وبيان ذلك كما يلي:

١ - أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة، بمعنى أنها هي التي تخلق الحوادث والشرور، فهذا شرك أكبر؛ لأن من ادعى أن مع الله خالقاً فهو مشركٌ شركاً أكبر، وقد جعل المخلوق المُسَخَّر خالقاً مُسَخَّرًا.

٢ - أن يجعلها سبباً يدّعي به علم الغيب؛ فيستدل بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا؛ لأن النجم الفلاني صار كذا وكذا؛ كأن يقول: هذا الإنسان ستكون حياته شقاء؛

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٧٦٢).

يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧].

ومن السُّنَّة: ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس علماً من النجوم، اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد» ^(٤).

وقال ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد، ولكن يخوف الله به عباده؛ فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره» ^(٥).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ميمون بن مهران رحمته الله: قلت لابن عباس رضي الله عنه: أوصني. قال: «أوصيك بتقوى الله، وإياك وعلم النجوم فإنه يدعو إلى الكهانة» ^(٦).

وقال الخطيب البغدادي رحمته الله: «أراد ﷺ

القبلة، فإنه غير داخل فيما نُهي عنه» ^(١).

٢ - أن يستدل بسيرها على المصالح الدنيوية، فهذا لا بأس به وهو نوعان:

الأول: أن يستدل بها على الجهات؛ كمعرفة أن القطب يقع شمالاً، والجدي - وهو قريب منه - يدور حوله شمالاً... فهذا جائز، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكُمُ الْبُحْرَ وَأَلَنَّا لَكُمُ الْيَمِينَ﴾ [النحل]. قال البغوي: «فأخبر الله ﷺ أن النجوم طرق لمعرفة الأوقات والمسالك، ولولاها لم يهتد النائي عن الكعبة إلى استقبالها» ^(٢).

الثاني: أن يستدل بها على الفصول، وهو ما يُعرف بتعلم منازل القمر، فهذا كرهه بعض السلف، وأباحه آخرون، والصحيح أنه جائز وليس فيه كراهة؛ لأنه لا شرك فيه إلا إن تعلمها ليضيف إليها نزول المطر وحصول البرد، وأنها هي الجالبة لذلك فهذا نوعٌ من الشرك، أما مجرد معرفة الوقت بها هل هو الربيع أو الخريف أو الشتاء؟ فهذا لا بأس به ^(٣).

✽ الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكُمُ الْبُحْرَ وَأَلَنَّا لَكُمُ الْيَمِينَ﴾

(١) معالم السنن (٢١٣/٤).

(٢) شرح السُّنَّة (١٨٣/١٢) [المكتب الإسلامي، ط ٢].

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٤١)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (١٠٢/٢ - ١١٣) [دار العاصمة، ط ١].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٩٠٥)، وابن

ماجه (كتاب الأدب، رقم ٣٧٢٦)، وأحمد (٤١/٥)

[مؤسسة الرسالة، ط ١]، قال العراقي في تخريج

أحاديث الإحياء (ص ١٤٦٠) [دار ابن حزم، ط ١]،

خرجه أبو داود وابن ماجه بسند صحيح، وجوّد

الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة (رقم ٧٩٣).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الكسوف، رقم ١٠٤٤)،

ومسلم (كتاب الكسوف، رقم ٩٠١).

(٦) أخرجه الخطيب في القول في علم النجوم (١٩٠)

[دار أطلس، ط ١، ١٤٢٠هـ].

للتنجيم وبيان أنواعه، فمنهم من قسمها باعتبار اعتقادات الناس فيه، ومنهم من قسمه باعتبار حكمه، وبيان ذلك كما يلي:

تقسيم التنجيم باعتبار اعتقادات الناس فيه إلى قسمين:

١ - علم التأثير:

وهو اعتقاد تأثير الكواكب على ما يكون في الأرض من حوادث وتغيرات، وهذا العلم يسميه بعض العلماء بعلم الأحكام؛ أي: التي يحكم بها المنجمون بناء على ذلك.

٢ - علم التسيير:

وهو معرفة أقدار الأفلاك والكواكب وصفاتها ومقادير حركاتها، ومعرفة الجهات الست ونحو ذلك، وهذا العلم يطلق عليه بعض العلماء علم الحساب.

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: بيان حقيقة شرك

قوم إبراهيم ﷺ:

قوم إبراهيم هم الكشدانيون الذين كانوا يتقربون إلى الكواكب في قديم الزمان، بأنواع مختلفة من القرابين، ويزعمون أنها تشفع لهم وتقربهم إلى الله، ولا يعتقدون ربوبيتها، فكانوا يعبدون الكواكب ويدعونها ويجعلون لكل كوكب صنماً من المعادن المنسوبة إليه؛ كالذهب للشمس والفضة للقمر ليتقربوا

بالإمسك عن النجوم الكف عما يقول المنجمون فيها، من أنها فاعلة مدبرة، وأنها تسعد وتنحس، وأن ما يكون في العالم من حادث فهو بحركات النجوم، فأمر ﷺ بالإمسك عن هذا القول، وأن يقال فيها: إنها كما جعلها الله تعالى يهتدى بها في ظلمات البر، والبحر، ويعرف بالشمس، والقمر عدد السنين والحساب، وإن فيها دلالة على قدرة الله وحكمته^(١).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «قال العلماء رحمة الله عليهم: لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم، وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه؛ بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه^(٢)».

✽ الأقسام:

اختلفت عبارات العلماء في تقسيمهم

(١) القول في علم النجوم للخطيب (١٧٨ - ١٧٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٨/١٩) [دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ].

حيث استنبطوا ذلك من صناعة التنجيم، وبنوه على الحدس والتخمين، وطريقة هذا العلم: أنهم جعلوا من النقط والخطوط ستة عشر شكلاً، ميزوا كلاً منها باسم وشكل يختلف عن غيرها، وقسموها إلى سعود ونحوس، شأنهم في ذلك شأنهم في الكواكب، ويزعمون أن هذه الصناعة مبنية على تجارب، ويربطونها بالنجوم وتأثيراتها، وهذا العلم يمكن أن يعدّ فرعاً من فروع التنجيم المحرم المبني على الحدس والتخمين^(٣).

- المسألة الرابعة: معرفة الكسوف والخسوف:

معرفة وقت الكسوف والخسوف ليست داخلية في التنجيم المحرم؛ وذلك أن الكسوف والخسوف له سبب كوني، كما أن له سبباً شرعياً، فالسبب الكوني له أوقات معلومة مقدرة بالحساب، كما أن للهِلال وقتاً معلوماً مقدراً يظهر فيه، وكما أن ليليل والنهار، والشتاء والصيف، وسائر ما يتبع الشمس والقمر وقتاً مقدراً.

فالكسوف لا يكون إلا في آخر الشهر ليالي الأسرار، والخسوف لا يكون إلا في وسط الشهر ليالي الإبدار.

وأما السبب الشرعي للكسوف

إليها، فالصنم عندهما رمز للكواكب، فإذا أرادوا التقرب إلى ذلك الكوكب عبدوا ذلك الصنم، فلم تكن عبادتهم من الشرك في الربوبية، وإنما هي عبادة أصحاب الأصنام^(١).

- المسألة الثانية: بطلان نسبة التنجيم إلى الخليل عليه السلام:

ذهب بعض المنجمين في نصرة مذهبهم الباطل إلى نسبة التنجيم إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام، واستدلوا لذلك بقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ [الصافات]، ولا شك أن ذلك كذب على الخليل عليه السلام؛ حيث كان عليه السلام من أبعد الناس عن ذلك.

وأما ما ذكره الله عنه من نظره في النجوم؛ فقد قال بعض العلماء: إنه إنما نظر في النجوم تورية وتعريضاً، ليتمكن من مقصوده في كيد أصنامهم.

وقيل: إنه إنما نظر في السماء متفكراً فيما يليههم به، والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم^(٢).

- المسألة الثالثة: الخط في الأرض: وهو ما يسمى بالطرق، وعلم الرمل؛

(١) انظر: الرد على المنطقيين لابن تيمية (٢٨٦، ٣٠٥) [دار المعرفة، بيروت]، والتنجيم والمنجمون (٤٣)، والشرك في القديم والحديث (٢٦٢ - ٢٦٣) [مكتبة الرشد، ط ١].

(٢) انظر: التنجيم والمنجمون (٨٢ - ٨٣)، ومفتاح دار السعادة (٥٣٩ - ٥٤٠) [مكتبة حميدو، ط ٣، ١٣٩٩هـ].

(٣) المرجع السابق (٢٩٤).

وخصوص، فكل منجم عرّاف ولا عكس.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «المنجم يدخل في اسم العرّاف عند بعض العلماء وعند بعضهم هو في معناه»^(٣).

الفرق بين المنجم والفلكي:

الفلكي هو المنسوب لعلم الفلك، وهو: علم قائم على الأرصاد والملاحظات المنظمة، وتسميته بهذا الاسم تسمية حديثة، حلّت محل التسمية القديمة الشائعة وهي علم الهيئة.

وأما المنجم فمنسوب إلى علم التنجيم، المبني على الأوهام والخرافات، وليس على علم صحيح^(٤).

الآثار:

للتنجيم المنهي عنه آثار سيئة على عقيدة المسلم؛ فمن ذلك:

١ - أن انتشار التنجيم والمنجمين يؤدي إلى ظهور الخرافات وشيوعها بين الناس.

٢ - أن اعتقاد تأثير النجوم في هذا الكون شرك بالله تعالى، يخرج صاحبه من ملة الإسلام، ويؤدي إلى عبادتها كما هي حال الصابئة.

٣ - أن التعلق بالنجوم، والانشغال

والخسوف، فهو تخويف العباد، ليرجعوا إلى الله تعالى، كما قال ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما، فادعوا الله وصلّوا حتى ينجلي»^(١).

ومعرفة وقت الكسوف والخسوف لا ينافي كونهما آيتين لتخويف العباد؛ فإن لذلك التخويف أجلاً جعله الله تعالى في وقت محدد معلوم يدرك بالحساب، وليس ذلك من علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، ومع ذلك فقد لا يصيب المخبر بالكسوف أو الخسوف؛ بل قد يخطئ في حسابه، ولا يلزم تصديقه ولا الصلاة عند خبره، وإنما يلزم ذلك عند رؤية الشمس أو القمر في حال الكسوف أو الخسوف^(٢).

الفروق:

الفرق بين المنجم والعراف:

المنجم داخل في مسمى العراف؛ إذ إن اسم العرّاف يشمل: كل من يدعي علم الغيب من كاهن ومنجم ورمّال ونحوهم.

فبيّن العرّاف والمنجم عموم

(١) أخرجه البخاري (كتاب الكسوف، رقم ١٠٥٩)، ومسلم (كتاب الكسوف، رقم ٩١٢).

(٢) انظر: مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، ليدر

الدين البعلبي (١٤٨) [دار ابن القيم، ط ٢،

١٤٠٦هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (١٩٣/٣٥)، وانظر: (١٧٣/٣٥).

(٤) انظر: مكانة الفلك والتنجيم في تراثنا العلمي

(٣٩ - ٥٠).

ورجل نزيه الخلق: بعيد عن المطامع الدنيّة^(١).

وقال الأزهرى: «والتنزه: أن يرفع نفسه عن الشيء تكرماً، ورغبة عنه.

قال: وتنزيه الله: تسبيحه، وهو تبرئته عن قول المشركين، سبحانه الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً... التنزه: التباعد عن الأرياف والمياه؛ ومنه قيل: فلان يتنزه عن الأقدار؛ أي: يباعد نفسه عنها... ويقال: ظللنا متنزهين: إذا تباعدوا عن المياه، وهو يتنزه عن الشيء: إذا تباعد عنه، وإن فلاناً لنزيه كريم: إذا كان بعيداً من اللؤم، وهو نزيه الخلق... .

قلت: وتنزيه الله: تبعيده، وتقديسه عن الأنداد، والأضداد... يقال: هم قوم أنزاه؛ أي: يتنزهون عن الحرام، الواحد نزيه... . ورجل نزه ونزيه: ورع، وفلان يتنزه عن ملائم الأخلاق؛ أي: يترفع عما يذم منها^(٢).

التعريف شرعاً:

التنزيه: هو إجلال الله وتعظيمه عن كل ما لا يليق به شرعاً، مع إثبات الكمال المطلق له تعالى^(٣).

(٢) تهذيب اللغة (٩٢/٦) [دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م].
(٣) انظر: منهاج السنّة النبوية (١٨٦/٢ - ١٨٧) [جامعة =

بها، سبب للضلال والانحراف، حيث يشغل صاحبه عن التعلق بخالقها وموجدتها وهو الله تعالى.

المصادر والمراجع:

- ١ - «التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام»، لعبد المجيد المشعبي.
- ٢ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٣ - «شرح السنّة»، للبغوي.
- ٤ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.
- ٥ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ٦ - «القول في علم النجوم»، للخطيب البغدادي.
- ٧ - «كتاب التعريفات الاعتقادية»، لسعد آل عبد اللطيف.
- ٨ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٩ - «مفتاح دار السعادة»، لابن القيم.

التنزيه

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «النون والزاء والهاء كلمة تدل على بعد في مكان وغيره.

(١) مقاييس اللغة (٤١٧/٥) [دار الجليل، ط ٢].

إثبات الكمال المطلق له تعالى (٢).

وأما حقيقة التنزيه عند النفاة فهو: تنزيه الله عن صفات الكمال الثابتة له في الشرع؛ لأنها في اعتقادهم تفيد التجسيم والتحيز والتشبيه (٣).

الأدلة:

دلَّت النصوص العديدة على تنزيه الله عما لا يليق بجلاله وعظمته؛ منها: قوله تعالى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (٣١) [المؤمنون].

وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى].

أقوال أهل العلم:

قال أبو المظفر السمعاني الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتنزيه الله - عزَّ اسمه - ألا يوصف بوصف لا يليق به» (٤).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتنزيه الذي يستحقه الرب يجمعه نوعان: أحدهما: نفي النقص عنه، والثاني: نفي مماثلة شيء من الأشياء فيما يستحقه من صفات

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

لا شك أن المعنى الشرعي للتنزيه هو جزء من المعنى اللغوي؛ لأن المعنى اللغوي أوسع منه إذ هو يدور حول التباعد عن الشيء دون تقييد.

ولكن ينبغي أن يعلم أن اتصاف الله بما يليق به من الصفات ليس فيه مشابهة البشر في حقائق الصفات كما يتوهمه المتكلمون وسائر المخالفين، فينفون الصفات الثابتة عن الله تنزيهاً له على زعمهم.

الأسماء الأخرى:

التسبيح: وهو ما دلَّ على التنزيه والتبرئة من النقائص بدلالة المطابقة واستلزم إثبات الكمال (١).

الحكم:

يجب تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به من النقائص والعيوب ومماثلة المخلوقين؛ لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

الحقيقة:

حقيقة التنزيه في الشرع والعقل السليم هي تبرئة الله عن كل نقص وعيب في ذاته وصفاته وأفعاله وألوهيته، مع

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢/٦٠٢ - ٦٠٣)، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية لمحمد أمان الجامي (١٤٤) [مطابع الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٤٠هـ].

(٣) انظر: الصواعق المرسلية (٤/١٢٢٩ - ١٢٣٠)، والصفات الإلهية لمحمد أمان الجامي (١٤٣).

(٤) تفسير السمعاني (٦/٢٠٦).

= الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ، وبدائع الفوائد (٢/٦٠٢ - ٦٠٣) [دار عالم الفوائد، ط٢، ١٤٢٧هـ].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/٤٦) [دار طيبة، ط٢].

- عن مماثلة المخلوقين؛ كأن يجعل سمعه كسمع المخلوق، أو علمه كعلم المخلوق، أو حياته كحياة المخلوق ونحو ذلك^(٣).

المسائل المتعلقة:

- ضابط التنزيه:

جمع الله تعالى فيما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله بين التنزيه والإثبات، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى] فزده ذاته المقدسة عن النقائص والعيوب، وعن مماثلة المخلوقين وأثبت لها صفات الكمال.

وقد انحرف النفاة في مفهوم التنزيه، فجعلوا إثبات الصفات تشبيهاً وتجسيماً ونفيها عن الخالق سبحانه عين التنزيه. وهذا ضلال وانحراف عن هدي الكتاب والسنة، وخروج عن سبيل سلف الأمة.

والضابط في التنزيه: أن ينفي عن الله ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب ومماثلة المخلوقين، ويجمع ذلك: إثبات صفات الكمال لله مع نفي المماثلة له فيها^(٤).

ولما جعل المتكلمون ضابط التنزيه

الكمال، فإثبات صفات الكمال له مع نفي مماثلة غيره له يجمع ذلك، كما دلّت عليه هذه السورة^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: «إطلاق السلام على الله تعالى اسماً من أسمائه هو أولى من هذا كله، وأحق بهذا الاسم من كل مسمًى به؛ لسلامته سبحانه من كل عيب ونقص من كل وجه، فهو السلام الحق بكل اعتبار، والمخلوق سلام بالإضافة، فهو سلام سبحانه في ذاته عن كل عيب ونقص يتخيله وهم، وسلام في صفاته من كل عيب ونقص، وسلام في أفعاله من كل عيب ونقص وشر وظلم وفعل واقع على غير وجه الحكمة؛ بل هو السلام الحق من كل وجه وبكل اعتبار، فعلم أن استحقاقه تعالى لهذا الاسم أكمل من استحقاق كل ما يطلق عليه. وهذا هو حقيقة التنزيه الذي نزه به نفسه ونزّه به رسوله^(٢).

الأقسام:

ينزه الله عن:

- كل عيب؛ كالعمى والعجز واللغوب والنوم والسنة ونحوها من العيوب.

- كل نقص في كماله؛ كنقص في علمه وقدرته وعزته وحياته ونحو ذلك.

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية (١٨٦/٢ - ١٨٧)، وتقريب التدمرية لابن عثيمين (٨٦) [دار ابن الجوزي، ط١].

(٤) منهاج السنة النبوية (١٨٦/٢ - ١٨٧)، و(٥٨٩/٤ - ٥٩٠)، والصفات الإلهية للجامي (٣٩٠).

(١) منهاج السنة النبوية (١٨٦/٢ - ١٨٧)، ويعني بالسورة: سورة الإخلاص.

(٢) بدائع الفوائد (٦٠٢/٢ - ٦٠٣).

صفات المخلوقين، ومنهم من سلك مسلك التعطيل، سواء كان تعطيلاً كلياً؛ كالفلاسفة والجهمية فنفوا جميع الأسماء والصفات ولم يؤمنوا إلا بذات مجردة عن كل صفة، أو تعطيلاً جزئياً؛ كالمعتزلة^(٣) والكلابية وقدماء الأشاعرة^(٤) ومتأخريهم والماتريدية^(٥)، على ما بينهم من تفاوت في النفي والإثبات وزعموا أن التنزيه لا يمكن أن يتحقق إلا بهذا المسلك.

فالتنزيه عند الفلاسفة هو إثبات ذات مجردة عن الأوصاف، وإثبات الصفات له تعالى يعتبرونه نقصاً ينزه الله عنه؛ لأن اتصافه بها إن أوجب له كمالاً فقد استكمل بغيره، وكان ناقصاً بذاته، وإن أوجب له نقصاً فالكمال في نفيها عنه^(٦).

وأما التنزيه عند جههم وأصحابه فهو: أن ينزه العبد ربه عن الأسماء والأوصاف والأفعال^(٧).

وعند القرامطة الغلاة فإن التنزيه: هو

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٦٩/٦)، والصفات الإلهية للجامي (١٤٣).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٦٩/٦).

(٥) لمع الأدلة للجويني (١٠٧) [عالم الكتاب، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ]، وانظر: مجموع الفتاوى (٦٩/٦)، والتسبيح في الكتاب والسنة لمحمد إسحاق كندو (٤١٩ - ٤٢١).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٦٩/٦)، ومقدمة تحقيق كتاب العرش للتميمي (١/١٦٠) [عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

(٧) انظر: التسبيح في الكتاب والسنة (٤١٨/٢).

نفي التجسيم والتحيز عن الله أدى بهم هذا إلى نفي صفات الكمال^(١).

✽ الفرق:

الفرق بين التسبيح والتنزيه:

التسبيح والتنزيه بمعنى واحد، مع ملاحظة اتساع معنى التسبيح عن التنزيه فقد يطلق التسبيح على الصلاة^(٢).

✽ مذهب المخالفين:

نزّه الله تعالى نفسه المقدسة عما لا يليق بها؛ فقد سمّاها بالأسماء الحسنى ووصفها بالصفات العليا، ونفى عنها مماثلة المخلوقين له في شيء منها، ونفى عنها أيضاً كل ما لا يليق بها من النقائص والعيوب، وقد أدخل المخالفون في لفظ التنزيه معاني باطلة حسب ما عندهم من مفاهيم مختلطة واعتقادات باطلة خرجوا بها عن الجادة، حتى صار لفظ التنزيه من الألفاظ المجملة التي تحتل حَقّاً وباطلاً، حيث سلك المخالفون في حقيقة التنزيه مسالك عدة، فمنهم سلك مسلك التمثيل لتحقيق التنزيه حسب ادعائه، فزعم أن حقيقة التنزيه هو جعل صفات الخالق من جنس

(١) انظر: منهاج السنة (٤/٥٨٩ - ٥٩٠)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٦٩)، والصفات الإلهية للجامي (٣٩٠)، وتقريب التدمرية لابن عثيمين (٨٥، و٩١).

(٢) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٣/٢٨٩ - ٢٩١) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٢هـ].

من الخلق أعلم بالله من رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا»^(٣).

فما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ فيجب إثباته له، وما نزه الله نفسه عنه، أو نزهه عنه رسوله ﷺ فيجب تنزيهه عنه لا يتجاوز في هذا القرآن والحديث كما ذكر أئمة السُّنة.

والخلاصة: أن لفظ التنزيه بسبب ما أدخله أهل الكلام من الباطل صار يحتمل حقاً وباطلاً فيستفصل قائله عن مراده به فإن أراد به معنى باطلاً رد ومن استعمله وأراد به معناه الشرعي قبل منه، والله أعلم.

المصادر والمراجع:

- ١ - «التسييح في الكتاب والسُّنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه» (ج ٢)، لمحمد بن إسحاق كندو.
- ٢ - «بدائع الفوائد» (ج ٢)، لابن القيم.
- ٣ - «تقريب التدمرية»، لابن عثيمين.
- ٤ - «جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف»، لعبد العزيز الطويان.
- ٥ - «شرح الطحاوية» (ج ٢)، لابن أبي العز الحنفي.

نفي النقيضين عن الله؛ وهما: الإثبات والنفي، فلا يوصف بشيء من الإثبات حتى لا يشبه الموجودات، ولا يوصف بالنفي حتى لا يشبه المعدومات، وكل منهما تشبيه^(١). والتنزيه نفيهما عنه.

وهكذا يتفق المعطلة على تعطيل الله عن كماله الواجب مع تفاوتهم فيه ويسمون تنزيهاً، وهو في واقعه تعطيل محض، وضده يسمونه تشبيهاً وتجسيماً ونحو ذلك^(٢).

الرد عليهم:

كل هذه المفاهيم فاسدة أوصلهم إليها بعدهم عن هدي الكتاب والسُّنة، فحقيقة التنزيه في كتاب الله تعالى وسُّنة رسوله ﷺ هو تبرئة الخالق عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته من النقائص والعيوب، مع إثبات صفات الكمال ونعوت الجلال له تعالى، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى] وأما إطلاق العنان للعقول القاصرة لتقرير ما يليق بالرب سبحانه وما لا يليق، والبعد عن الوحي في هذا الباب، وردّ ما جاء فيه من صفات الكمال فهو تخرص محض؛ لأنه لا أحد أعلم بالله من الله، ولا أحد

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٢٧/٥).

(٢) انظر: الصواعق المرسلّة (٣/ ٩٣٤ - ٩٣٧) [دار

العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٢٠).

٦ - «الصفات الإلهية: تعريفها

أقسامها»، لمحمد التيمي.

٧ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.

٨ - «الصواعق المرسلة» (ج ٣)، لابن القيم.

٩ - «قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني»، لعبد المحسن العباد.

١٠ - «منهاج السنة النبوية» (ج ٢)، لابن تيمية.

التَّوَاب من أسماء الله الحسنى، ويدل على صفة التَّوْب لله تعالى، فيجب الإيمان بهذا الاسم الجليل من أسماء الله الحسنى، مع ما يدل عليه من معنى، وصفة، وعدم تأويله، أو تعطيل معناه. قال البيهقي رَحِمَهُ اللهُ: «التَّوَاب هو الذي يتوب على من يشاء من عبده»^(٢).

وقال التيمي رَحِمَهُ اللهُ: «ومن أسمائه تعالى: التَّوَاب، ومعناه: يقبل توبة عباده إذا أذنبوا، ويقبلهم إذا استقالوا والمخلوق تواب؛ لأنه يتوب إلى الله، والله تواب يقبل توبة العبد»^(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنى الشرعي موافق للمعنى اللغوي من حيث أصل المعنى.

الأسماء الأخرى:

قابل التوب.

الحكم:

التَّوَاب: من أسماء الله الحسنى، ويدل على صفة التَّوْب لله تعالى، فيجب

التَّوَاب

التعريف لغة:

تاب إلى الله تَوْبًا وَتَوْبَةً وَمَتَابًا وَتَابَةً وَتَتَوْبَةً: رَجَعَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وهو تَائِبٌ وَتَوَّابٌ. وَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ: وَقَّعَهُ لِلتَّوْبَةِ، أو رَجَعَ بِهِ مِنَ التَّشْدِيدِ إِلَى التَّخْفِيفِ، أو رَجَعَ عَلَيْهِ بِفَضْلِهِ وقبوله، وهو تَوَّابٌ على عباده. قال ابن فارس: «توب: التاء والواو والباء كلمة واحدة تدلُّ على الرجوع. يقال: تاب من ذنبه؛ أي: رَجَعَ عنه. يتوب إلى الله توبةً وَمَتَابًا، فهو تائب. والتَّوْبُ التَّوْبَةُ، قال الله تعالى: ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]^(١).

المحكم والمحيط الأعظم (٥٤١/٩) [دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م]، ولسان العرب (٢٣٣/١) [دار صادر، ١٤٠١]، والقاموس المحيط (٥٢/١) [دار الكتب العلمية، ١٤٠١].

(٢) الاعتقاد (٦٤) [دار الآفاق الجديدة، ١٤٠١هـ].

(٣) الحجة في بيان المحجة (١٥٦/١) [دار الراية، ٢٠١٠هـ].

(١) مقاييس اللغة (٣٢٦/١) [دار الجيل، ١٤٠١هـ]. وانظر:

الإيمان بهذا الاسم الجليل من أسماء الله الحسنی، مع ما يدل عليه من معنى، وصفة، وعدم تأويله، أو تعطيل معناه.

❁ الحقيقة:

إن التَّوَاب من أسماء الله تعالى الدالة على توبته على من تاب إليه - من عباده المذنبين - من ذنوبه، فهو سبحانه التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه.

كما أن توبة الله على عبده، هو أن يرزقه ذلك، ويؤوب له من غضبه عليه إلى الرضا عنه، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه.

❁ الأهمية:

إن علم العبد بهذا الاسم وباسم الله العفو والغفور والغفار «باب عظيم لنيل عالي المقامات، ولا سيما مع مجاهدة النفس على تحقيق مقتضياتها من لزوم الاستغفار، وطلب العفو، ودوام التوبة، ورجاء المغفرة، والبعد عن القنوط وتعاطف غفران الذنوب، فهو سبحانه عفو غفور، لا يتعاطمه ذنب أن يغفره مهما بلغ الذنب وعظم الجرم»^(١).

❁ الأدلة:

وردت الإشارة إلى اسم التَّوَاب في القرآن الكريم في مواضع عدة، تارة

(١) فقه الأسماء الحسنی لعبد الرزاق البدر (١٤٥) [مطابع الحميضي، ط ١، ١٤٢٩هـ].

بصيغة الاسم، وتارة بصيغة الفعل، وذلك في أحد عشر موضعاً، وجاء أحياناً مقروناً بالرحيم والحكيم، وهي: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة]، وقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة]، وقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور]، وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر].

وورد في السُّنَّة في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: إنا كنا لنعد لرسول الله ﷺ في مجلس يقول: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التَّوَّاب الرحيم»، مائة مرة^(٢).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥١٦)، والترمذي (كتاب الدعوات، رقم ٣٤٣٤)، وابن ماجه (كتاب الأدب، رقم ٣٨١٤)، وابن حبان في صحيحه (كتاب الرقائق، رقم ٩٢٧)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٦/٢)، وصححه أبي داود (برقم ١٣٥٧).

❁ أقوال أهل العلم:

عقوبة جُرمه»^(٢).

وقال التيمي رَحِمَهُ اللهُ: «ومن أسمائه تعالى: التَّوَاب، ومعناه: يقبل توبة عباده إذا أذنبوا، ويقبلهم إذا استقالوا والمخلوق تواب؛ لأنه يتوب إلى الله، والله تواب يقبل توبة العبد»^(٣).

❁ الأقسام:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

«وكذلك التَّوَاب من أوصافه والتَّوْب في أوصافه نوعان
إِذْ بَتُوبَةِ عَبْدِهِ وقبولها
بعد المتاب بمنة المنان»^(٤).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «التَّوَاب الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيين فكل من تاب إلى الله توبة نصوحًا تاب الله عليه. وتوبته على عبده نوعان:

أحدهما: أنه يوقع في قلب عبده التوبة إليه، والإنابة إليه، فيقوم بالتوبة وشروطها من الإقلاع عن المعاصي، والندم على فعلها، والعزم على أن لا يعود إليها، واستبدالها بعمل صالح.

والثاني: توبته على عبده بقبولها وإجابتها، ومحو الذنوب بها فإن التوبة

قال الزجاجي رَحِمَهُ اللهُ: «التَّوَاب من تاب يتوب؛ أي: يقبل توبة عباده... فجاء (تواب) على أبنية المبالغة؛ لقبوله توبة عباده وتكرير الفعل منهم دفعة بعد دفعة وواحدًا بعد واحد على طول الزمان، وقبوله رَحِمَهُ اللهُ ممن يشاء أن يقبل منه، فلذلك جاء على أبنية المبالغة، فالعبد يتوب إلى الله رَحِمَهُ اللهُ ويقطع عن ذنوبه، والله يتوب عليه؛ أي: يقبل توبته، فالعبد تائب والله تواب»^(١).

وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «وتأويل قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة]، أن الله جلَّ ثناؤه هو التَّوَّاب على من تاب إليه - من عباده المذنبين - من ذنوبه، التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه. وقد ذكرنا أن معنى التوبة من العبد إلى ربه، إنابته إلى طاعته، وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يَسْخَطُه من الأمور التي كان عليها مقيمًا مما يكرهه ربه. فكذا توبة الله على عبده، هو أن يرزقه ذلك، ويؤوب له من غضبه عليه إلى الرضا عنه، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه. وأما قوله: الرحيم، فإنه يعني: أنه المتفضل عليه مع التوبة بالرحمة، ورحمته إياه: إقالة عثرته، وصفحته عن

(٢) جامع البيان (٥٤٧/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٣) الحجة في بيان المحجة (١٥٦/١) [دار الراجية، ط ٢].

(٤) متن القصيدة النونية لابن القيم (٢٠٩) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٤١٧هـ].

(١) انظر: اشتقاق أسماء الله للزجاجي (٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ].

النصوص تجب ما قبلها^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: قابل التوب:

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿غَافِرٍ الَّذِي وَقَّابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]، وذكر هذا الاسم بعض أهل العلم^(٢).

والراجع عدم صحة تسمية الله ﷻ بقابل التوب؛ فإن هذا الاسم لم يرد مصرحاً تسمية الله ﷻ به في النصوص، وأغفل ذكره معظم العلماء من السلف والخلف الذين اعتنوا بجمع الأسماء الحسنى وشرحها، والله أعلم.

- المسألة الثانية: القابل:

أورد بعض أهل العلم هذا الاسم في الأسماء الحسنى؛ كجعفر الصادق وسفيان بن عيينة^(٣)، والزجاجي^(٤).

والراجع عدم صحة تسمية الله ﷻ بالقابل، فإن هذا الاسم لم يرد مصرحاً تسمية الله ﷻ به في النصوص، وأغفل

ذكره معظم العلماء من السلف والخلف الذين اعتنوا بجمع الأسماء الحسنى وشرحها، والله أعلم^(٥).

- المسألة الثالثة: لا يسمى الله

بالتائب:

لأنه ليس من أسماء الله الحسنى، ولم يرد النص به^(٦).

- المسألة الرابعة: التوب:

صفة فعلية لله تعالى مشتقة من اسمه التواب، وأيضاً ورد الفعل: تاب ويتوب في النصوص الشرعية؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَقَّ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٢٧]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦]، ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٦].

وفي السُّنَّة قوله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه»^(٧).

وهي صفة حقيقية لله تعالى تليق بجلاله.

(٥) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للمتميمي (٢٣٨) [أضواء السلف، ١، ١٤١٩هـ].

(٦) انظر: اشتقاق أسماء الله (٦٣).

(٧) رواه مسلم (كتاب الذكر والدعاء، رقم ٢٧٠٣).

(١) الحق الواضح المبين (٢٥٠)، وانظر: توضيح الكافية الشافية (٣٨٥) [ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي، ط ٢، ١٤١٢هـ].

(٢) انظر: كتاب التوحيد لابن منده (٢/٢٠٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/٣٤٢)، المستدرك على مجموع الفتاوى (١/٦٠)، إيثار الحق على الخلق لابن الوزير (١٥٩)، وتلخيص الحبير لابن حجر (٤/٤٢٥).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/٢١١) [دار الريان، ط ١، ١٤٠٧هـ].

(٤) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٨٩).

- المسألة الخامسة: التوبة هي الرجوع إلى الله تعالى:

التوبة من الذنب: سؤال الله مغفرته والرجوع إليه والإنابة إليه، مع ترك الذنب والندم عليه، والعزم على عدم الرجوع إليه، ومن السنّة صلاة ركعتين واستغفار الله بعدها، إلا أن بعض الناس - هداهم الله - يجعلون طقوسًا للتوبة مبتدعة لم يرد الشرع بها، من ذلك: حلق الرأس وغير ذلك مما حكاه ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ بقوله في سياق ذكر فيه أنواع حلق الرأس: «النوع الثالث: حلقه على وجه التعبد والتدين والزهد من غير حج ولا عمرة مثل ما يأمر بعض الناس التائب إذا تاب بحلق رأسه، ومثل أن يجعل حلق الرأس شعار أهل النسك والدين، أو من تمام الزهد والعبادة، أو يجعل من يحلق رأسه أفضل ممن لم يحلقه أو أدين أو أزهد، أو أن يقصر من شعر التائب كما يفعل بعض المنتسبين إلى المشيخة إذا تَوَّبَ أحدًا أن يقص بعض شعره، ويعين الشيخ صاحب مقص وسجادة فيجعل صلاته على السجادة وقصه رؤوس الناس من تمام المشيخة التي يصلح بها أن يكون قدوة يتوب التائبين، فهذا بدعة لم يأمر الله بها ولا رسوله وليست واجبة ولا مستحبة عند أحد من أئمة الدين، ولا فعلها أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا

شيوخ المسلمين المشهورين بالزهد والعبادة لا من الصحابة ولا من التابعين ولا تابعيهم، ومن بعدهم مثل الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي وأحمد بن أبي الحواري والسري السقطي والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري وأمثال هؤلاء، لم يكن هؤلاء يقصون شعر أحد إذا تاب ولا يأمرؤن التائب أن يحلق رأسه.

وقد أسلم على عهد النبي ﷺ جمع أهل الأرض ولم يكن يأمرهم بحلق رؤوسهم إذا أسلموا، ولا قص النبي ﷺ رأس أحد، ولا كان يصلي على سجادة؛ بل كان يصلي إمامًا بجميع المسلمين، يصلي على ما يصلون عليه ويقعد على ما يقعدون عليه، لم يكن متميزًا عنهم بشيء يقعد عليه لا سجادة ولا غيره، ولكن يسجد أحيانًا على الخميرة، وهي شيء يصنع من الخوص صغير يسجد عليها أحيانًا؛ لأن المسجد لم يكن مفروشًا؛ بل كانوا يصلون على الرمل والحصى، وكان أكثر الأوقات يسجد على الأرض حتى يبين الطين في جبهته، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا.

ومن اعتقد البدع التي ليست واجبة ولا مستحبة قربة وطاعة وطريقًا إلى الله وجعلها من تمام الدين ومما يؤمر به

قبولها منهم^(٤).

الآثار^(٥):

الإيمان بأن الله تعالى تواب يقبل التوبة من عباده يوجب للعبد المسارعة بالتوبة وعدم التسويف، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨﴾ [النساء].

وفي التوبة تحقيق الفلاح والسعادة الدنيوية والأخروية، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ۝١٧﴾ [القصاص].

وكذلك الاقتداء بالنبي ﷺ في الإكثار من التوبة والاستغفار.

والإيمان بهذا الاسم يجعله يسلك المسلك الصحيح تجاه من أساء إليه فيجاوز عنه ويصفح، عسى الله أن يتجاوز عنه، فالجزاء من جنس العمل.

الله هو وحده المتفرد بالتوبة على التائبين من عباده، لا يشركه فيها أحد

التائب والزاهد والعابد فهو ضال خارج عن سبيل الرحمن متبع لخطوات الشياطين^(١).

الفروق:

الفرق بين التواب والغفار والعفو:

التواب: هو الكثير التوب، بمعنى: الرجوع على عبده بالمغفرة وقبول التوبة. والغفار: من صيغ المبالغة على وزن فعّال، ومعناه: الكثير الستر لذنوب عباده، مأخوذ من الغفر بمعنى الستر^(٢).

والعفو: فهو الذي له العفو الشامل، الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا بما يوجب العفو عنهم من الاستغفار والتوبة والأعمال الصالحة^(٣).

وعليه؛ فالعفو هو الذي يمحو السيئات، ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريب من الغفار، ولكنه أبلغ منه، فإن الغفران ينبي عن الستر، والعفو ينبي عن المحو، والمحو أبلغ من الستر، وهذا حال الاقتران، أما حال انفراها فإن كل واحد منها يتناول معنى الآخر.

والتواب: هو الذي يتوب على من يشاء من عباده بالتوفيق للتوبة، ثم

(١) مجموع الفتاوى (١١٧/٢١ - ١١٩).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٨) [دار الثقافة العربية، ١٩٧٤م].

(٣) المصدر السابق (٤٧٠/٢).

(٤) فقه الأسماء الحسنى د. عبد الرزاق البدر.

(٥) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للحمود (١٨٤/٢).

من خلقه ولا يغفر الذنوب إلا هو سبحانه، فوجب طلب التوبة منه دون غير.

التوبة

التعريف لغة:

التوبة لغة: هي الرجوع عن المعصية، يقال: تاب يتوب توبًا؛ أي: رجع، قال ابن فارس: «التاء والواو والباء، كلمة واحدة تدل على الرجوع، يقال: تاب من ذنبه؛ أي: رجع عنه»^(١).
والتَّوَابُ: فعَّال من تاب يتوب، ورجل تَوَاب؛ أي: كثير التوبة، والتَّوَابُ: اسم من أسماء الله تعالى، لتوبته على عباده^(٢).

والتائب: يقال لبذل التوبة، ولقابل التوبة؛ فالعبد تائب إلى الله، والله تائب على عبده^(٣).

التعريف شرعًا:

التوبة: هي الرجوع من معصية الله تعالى إلى طاعته مع مداومة الندم وكثرة الاستغفار.

ومن عبارات العلماء في تعريف التوبة ما يلي:

فقد عرّفها ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «حدُّ التوبة الرجوع عن الذنب والعزم أن لا

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «تفسير الأسماء الحسنى»، للزجاج.
- ٣ - «توضيح الكافية الشافية»، للسعدي.
- ٤ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.
- ٥ - «شرح الأسماء الحسنى في ضوء الكتاب والسنة»، للقحطاني.
- ٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.
- ٧ - «فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام»، للسعدي.
- ٨ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق العباد.
- ٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنى»، للتميمي.
- ١٠ - «المفاهيم المثلى في ظلال شرح الأسماء الحسنى»، لوليد بن محمود.
- ١١ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج ٢)، للحمود.

(١) مقاييس اللغة (٣٥٧/١) [دار الجيل، ط ١]، وانظر: القاموس المحيط (٧٩) [مؤسسة الرسالة ط ٢، ١٤٠٧هـ].

(٢) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/ ١٨١) [مكتبة الإمام الذهبي، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٣) انظر: المفردات للراغب (١٦٩) [دار القلم، ط ٢].

يعود إليه والإقلاع عنه»^(١).

❁ الحقيقة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فحقيقة التوبة: هي الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال، والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل»^(٥).

وقال أيضًا: «فإن حقيقة التوبة: الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يحب، وترك ما يكره، فهي رجوع من مكروه إلى محبوب؛ فالرجوع إلى المحبوب جزء مسماهما، والرجوع عن المكروه الجزء الآخر، ولهذا علق رَحِمَهُ اللهُ الفلاح المطلق على فعل المأمور وترك المحظور بها، فقال ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور]، فكل تائب مفلح، ولا

يكون مفلحًا إلا من فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات]. وتارك المأمور ظالم، كما أن فاعل المحظور ظالم، وزوال اسم الظلم عنه إنما يكون بالتوبة الجامعة للأمرين، فالناس قسمان: تائب وظالم ليس إلا، فالتائبون هم: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَيِّدُونَ الْمُنْكِرُونَ الْبَاطِلُونَ الرَّكْعُونَ السَّاجِدُونَ الْمُسْتَعِزُّونَ بِالْمَعْرِفِ وَالنَّسَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢]، فحفظ حدود الله جزء التوبة، والتوبة هي مجموع هذه

وعرَّفها ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «التوبة: هي جماع الرجوع من السيئات إلى الحسنات»^(٢).

وعرَّفها ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «التوبة: هي رجوع العبد إلى الله ومفارقتها لصراط المغضوب عليهم والضالين»^(٣).

❁ الحكم:

اتفق العلماء رحمهم الله على وجوب التوبة من المعصية على الفور، وذلك لأمر الله تعالى بها في كتابه في جملة من الآيات؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور].

والآيات والأحاديث في الأمر بها، ووجوبها كثيرة، وهي ظاهرة لمن طلبها، قال النووي: «واتفقوا - أي: العلماء - على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة، وأنها واجبة على الفور، لا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة»^(٤).

وهي واجبة لأنها هي حقيقة الإسلام، وبها تجتمع شرائعه، ومقاماته.

(١) فتح الباري (٤٧١/١٣) [دار الريان للتراث، ط ٢].

(٢) الاستقامة (٤٦٣/١) [مكتبة ابن تيمية، القاهرة].

(٣) مدارج السالكين (١٩/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ].

(٤) شرح النووي على مسلم (٥٩/١٧).

(٥) مدارج السالكين (١٩٩/١).

الأمر، وإنما سمي تائباً لرجوعه إلى أمر الله من نهيه، وإلى طاعته من معصيته»^(١).

✽ المنزلة:

محبة الله للتائبين وفرحته بتوبتهم:

أخبر الله تعالى أنه يحب التوابين، الذين يرجعون إليه ﷻ، بعد الوقوع في المعصية، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [البقرة]، ويبيّن النبي ﷺ أن الرب تعالى يفرح بتوبة عبده أشد الفرح، فقال ﷺ: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم فقد دابته...»^(٢).

قال ابن تيمية: «وأخبر أنه تعالى يفرح بتوبة عبده التائب أعظم من فرح الفاقد لما يحتاج إليه من الطعام والشراب والمركب إذا وجده بعد اليأس...»^(٣).

✽ الأدلة:

قال تعالى: ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحریم: ٨]، وقال: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٢]. وقال: ﴿وَتَوَّابُوا إِلَى اللَّهِ

جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور]. وغيرها من الآيات.

ومن السُّنَّة: حديث عن أبي موسى ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الله ﷻ يسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٤).

وحديث ابن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده»^(٥). وحديث ابن عمر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»^(٦).

✽ أقوال أهل العلم:

قال القرطبي رحمه الله: «ولا يكفي في

(٤) أخرجه مسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٩).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٠٨)،

ومسلم (كتاب التوبة رقم ٢٧٤٤).

(٦) أخرجه الترمذي (كتاب الدعوات، رقم ٣٥٣٧)،

وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٥٣)، وأحمد

(٣٠٠/١٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان

(كتاب الرقائق، رقم ٦٢٨)، وحسنه الألباني في

صحيح الجامع (رقم ١٩٠٣).

(١) المصدر السابق (٣١٣/١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٠٨)،

ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٤٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٠٤/١٠).

تصح إلا بشروط، وسماها بعضهم أركان التوبة، فمنهم من قصرها على ثلاثة شروط، ومنهم من زاد على ذلك، بحسب نوع المعصية، وبيان ذلك كما يلي:

الشرط الأول: أن يخلص الله تعالى في التوبة.

الشرط الثاني: الندم على ما فات من فعل الذنب ومعصية الله تبارك وتعالى بذلك، والوقوع فيما يسخط الله.

الشرط الثالث: أن يقلع عن الذنب في الحال.

الشرط الرابع: أن يعزم على أن لا يعود في المستقبل.

الشرط الخامس: أن تكون التوبة في وقت قبولها، قبل أن يغلق الباب، وتمتنع التوبة، وسيأتي بيان ذلك في المباحث التالية^(٥).

الشرط السادس: إذا كانت المعصية تتعلق بحقوق الآدميين، فيشترط التحلل من صاحب ذلك الحق، ورد مظلمته إليه، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى^(٦).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: التوبة النصوح:

جاء الأمر من الله ﷻ للمؤمنين

التوبة عند علمائنا قول القائل: قد تبت، حتى يظهر منه في الثاني خلاف الأول، فإن كان مرتدًا رجع إلى الإسلام مظهرًا شرائعه، وإن كان من أهل المعاصي ظهر منه العمل الصالح، وجانب أهل الفساد والأحوال التي كان عليها، وإن كان من أهل الأوثان جانبهم وخالط أهل الإسلام، وهكذا يظهر عكس ما كان عليه^(١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فإن دين محمد ﷺ في التوبة جاء بما لم يجئ به شرع من قبله؛ ولهذا قال: «أَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ؛ وَأَنَا نَبِيُّ التَّوْبَةِ»^(٢)، وقد رفع به من الآصار والأغلال ما كان على من قبلنا»^(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ومنزل التوبة أول المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات، وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه ونزل به، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما أن حاجته إليها في البداية كذلك»^(٤).

الشروط:

ذكر العلماء رحمهم الله أن التوبة لا

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/١٠٣)، وشرح مسلم للنووي (١٧/٥٩)، ومدارج السالكين (١/٢٠٢).

(٦) انظر: شرح النووي على مسلم (٢/٤٥) (١٧/٥٩)، ومدارج السالكين (١/٢٠٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/١٨٧) [دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٥٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٣٠٤).

(٤) مدارج السالكين (١/١٩٦).

١ - المسألة الثانية: وقت التوبة:

للتوبة وقت وقَّتها الله تعالى به، ليغتنم ذلك من وقَّفه الله لاغتنامها، وهو وقت واسع يحوي جميع عمر الإنسان، إلا ما استثنى من وقت يسير تنقطع فيه التوبة ولا تقبل، وذلك كما يلي:

١ - وقت عام: يشترك فيه جميع من أدركه من بني آدم، وهو طلوع الشمس من مغربها، فإذا طلعت الشمس من مغربها، فقد انقطع وقت التوبة، فلا تقبل ممن أرادها، كما لا يقبل الإيمان ممن لم يؤمن قبل خروجها. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس، آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»^(٥).

٢ - وقت خاص: وهو المبادرة إلى

التوبة قبل معاينة الموت، وحصول الغرغرة ببلوغ الروح الحلقوم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٦)، ومسلم في (كتاب الإيمان، رقم ١٥٧).

بالتَّوْبَةِ النَّصُوحُ، ووعدهم على ذلك تكفير السيئات، ودخول الجنات، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُبَوِّأُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَهُ نَفُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمُ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحریم: ٨].

وقد اختلفت عبارات السلف والمفسرين في المراد بالتوبة النصوح، فقيل: هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن إلى الضرع^(١).

وقيل: هي أن تُبغض الذنب كما أحببته، وتستغفر منه إذا ذكرته^(٢).

وقيل المراد بها: التوبة العامة الشاملة للذنوب كلها، التي يستمر عليها في جميع أحواله^(٣).

ولعل الأرجح في تعريفها: أنها التي استكملت غاية شروطها: من الإخلاص لله، وترك الذنب، والندم على فعله، ثم العزم على عدم العودة إليه. فيجمع صاحبها العزم والصدق بكلية عليها، بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوم ولا انتظار^(٤).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦٧/١٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤١٤/٤) [دار الفحاء، ط ١، ١٤١٣هـ]، والجامع لأحكام القرآن (٩٦/٢١ - ٩٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ].

(٣) انظر: تفسير السعدي (٨٧٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٤) انظر: أضواء البيان (٥٢١/٥) [دار الفكر، ١٤١٥هـ]، ومداراج السالكين (٣١٦/١)، وفتح البارى (١٠٥/١١).

يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿١٧﴾ [النساء: ١٧]، قال ابن كثير: «يقول تعالى: إنما يتقبل الله التوبة ممن عمل السوء بجهالة، ثم يتوب ولو قبل معاينة المَلَكِ لقبض روحه قَبْلَ الْعَرَّةِ»^(١).

- المسألة الثالثة: التوبة من حقوق الآدميين:

يمكن تقسيم حقوق الآدميين، وكيفية التوبة منها إلى قسمين:

١ - حقوق مالية، سواء كانت بسرقة أو ظلم أو خيانة، وهذه لا يمكن أن تصح التوبة منها بعد الندم والعزم على عدم العودة، إلا بإرجاعها إلى أصحابها.

٢ - حقوق غير مالية؛ كالغيبة ونحوها، فهذه قد اختلف العلماء في كيفية التوبة منها على، بعد الإقلاع والندم والعزم، على قولين لأهل العلم:

أحدهما: أنه يكفي في ذلك الاستغفار للمغتاب، والدعاء له.

الثاني: أنه لا بد من إبلاغه بما حصل من اغتيابه، والتحلل منه. وقد رجح شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم، القول الأول^(٢).

- المسألة الرابعة: التوبة من ذنب دون آخر:

اختلف العلماء في صحة توبة من تاب من ذنب مع إصراره على ذنب آخر، أو أكثر من ذنب، على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن التوبة تصح من ذنب مع الإصرار على ذنب آخر، وأنه لا يشترط في صحة التوبة من ذنب عدم الإصرار على ذنب آخر، واحتج من قال بذلك بصحة إسلام الكافر وتوبته من الكفر، وإن كان مصرّاً على ذنب من الذنوب لم يتب منه.

وهذا القول قد قال به كثير من العلماء، وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد.

وقد رجحه النووي، وادعى إجماع أهل السنة على القول به، فقال: «وتصح التوبة من ذنب وإن كان مصرّاً على ذنب آخر... هذا مذهب أهل السنة»^(٣).

القول الثاني: أن التوبة لا تصح من ذنب مع الإصرار على غيره من الذنوب، قالوا: لأن التوبة هي: الرجوع إلى الله من مخالفته إلى طاعته وأي رجوع لمن تاب من ذنب واحد وأصر على ألف ذنب، وهذا القول قد ذهب إليه بعض العلماء، وهو الرواية الثانية عن الإمام أحمد.

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٠٤).

(٢) انظر: الوابل الصيب (٣٢٠ - ٣٢١) [دار البيان].

(٣) شرح النووي (١٧/٥٩).

القول الثالث: التفصيل في ذلك،

بحيث يفرق بين الذنوب، فيقال: لا تصح التوبة من ذنب مع الإصرار على آخر من جنسه، وأما ما كان من غير جنسه فتصح التوبة مع وجوده والإصرار عليه.

وقد رجح ذلك العلامة ابن القيم بعده ذكره للقولين الأولين^(١).

وهذا القول الذي ذكره ابن القيم، ورجحه هو أقرب الأقوال إلى الصواب، والله أعلم.

- المسألة الخامسة: توبة الأنبياء ﷺ:

لقد دلَّ القرآن على توبة الأنبياء ﷺ واستغفارهم لربهم وإنعامه عليهم بالمحبة والرحمة، فإن ذلك لا يؤثر في نبوتهم ولا رسالتهم؛ بل يجعله الله رفعة لدرجاتهم وعصمة لهم من أن يقرؤا على الذنوب والخطأ.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ومن اتبعهم على ما أخبر الله به في كتابه وما ثبت عن رسوله من توبة الأنبياء ﷺ من الذنوب التي تابوا منها، وهذه التوبة رفع الله بها درجاتهم فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وعصمتهم هي من أن يقرؤا على الذنوب والخطأ فإن من سوى الأنبياء يجوز عليهم الذنب الخطأ من غير توبة والأنبياء ﷺ

يستدركهم الله فيتوب عليهم ويبين لهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَخَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ٥٣﴾ [الحج] وقد ذكر الله تعالى قصة آدم ونوح وداود وسليمان وموسى وغيرهم^(٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ أيضًا: «والله تعالى قصَّ علينا قصص توبة الأنبياء لنتقدي بهم في المتاب وأما ما ذكره سبحانه أن الاقتداء بهم في الأفعال التي أقرؤا عليها فلم ينهوا عنها ولم يتوبوا منها فهذا هو المشروع. فأما ما نهوا عنه وتابوا منه فليس بدون المنسوخ من أفعالهم وإن كان ما أمروا به أبيع لهم ثم نسخ تنقطع فيه المتابعة؛ فما لم يؤمروا به أخرى وأولى^(٣).

- المسألة السادسة: توبة قاتل المؤمن عمداً:

اختلف أهل العلم في قاتل المؤمن العمد على قولين:

القول الأول: أن القاتل عمداً لا توبة له:

وهذا القول هو المشهور عن ابن

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية (١/٢٦٩) [دار العطاء، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/١٨٠).

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٢٩٨ - ٣٠٠).

عباس عليه السلام ^(١)، وإحدى الروایتين عن أحمد، ودليلهم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء]، وقالوا: إن الآية لم ينسخها شيء.

القول الثاني: أن توبته مقبولة:

وهذا هو قول جماهير أهل العلم. واستدلوا بعموم الآيات والأحاديث التي تدل على أن الله يقبل توبة التائبين، مثل: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر]، وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [٦٩] إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ

(١) جاء ذلك عنه من عدة طرق: أخرجها الطبري في تفسيره (٦٢/٩ - ٦٧)، وقد وجه بعض أهل العلم قول ابن عباس عليه السلام بأن مراده في عدم توبته لا يعني أنه مخلد في النار، أو أنه استبعد أن يكون للقاتل عمداً توبة، ورأى أنه لا يوفق للتوبة، وإذا لم يوفق للتوبة، فإنه لا يسقط عنه الإثم؛ بل يؤاخذ به. أو أنه أراد: أن لا توبة له فيما يتعلق بحق المقتول. انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٨/ ٢٢٢). وقد ثبت عنه عليه السلام أن للقاتل توبة. انظر: صحيح الأدب المفرد (باب بَرُّ الأم، رقم ٤) [دار الصديق، ط ٤، ١٤١٨هـ]، ولعل هذا هو ما استقر عليه قوله عليه السلام.

عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُدِدُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الحج]، فهذه الآيات نص صريح وواضح في قبول توبة القاتل، وكذلك فإن التوبة تصح من الكفر، فمن القتل من باب أولى. فإذا كان الإسلام ماحياً للذنوب التي قبله مهما عظمت فكذا التوبة. يقول ابن القيم رحمته الله: «فإن هدم التوبة لما قبلها كهدم الإسلام لما قبله» ^(٢).

وهذا القول هو الصحيح، فباب التوبة مفتوح لم يغلق دون كل عاص، والوعيد في آية النساء يمنعه موانع كثيرة، منها: إقامة الحد، التوبة النصوح، الحسنات الكثيرة، المصائب المكفرة ^(٣). ولكن يبقى النظر في القتل، كيف يستوفي حقه، ويوجه ذلك ابن القيم رحمته الله بقوله: «فالصواب والله أعلم أن يقال: إذا تاب القاتل من حق الله، وسلم نفسه طوعاً إلى الوارث ليستوفي منه حق موروثه سقط عنه الحقان، وبقي حق الموروث لا يضيعه الله، ويجعل من تمام مغفرته

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٤٠٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/ ٣٩٦)، وشرح مسلم للنووي (٨٢/١٧ - ٨٤) [دار إحياء التراث، ط ٢]، ومنهاج السنة لابن تيمية (٤/ ٣٢٥) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ]، وشرح الطحاوية (٣٠٨) وما بعدها [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط ١، ١٤١٨هـ]، وفتح الباري (٨/ ٤٩٥ - ٤٩٦) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، وفتح القدير (١/ ٥٧٦ - ٥٧٧) [دار ابن كثير، ط ١، ١٤١٤هـ].

هذا إذا سلم من الآفات الظاهرة والباطنة^(٢).

✽ الفروق:

الفرق بين التوبة والاستغفار:

١ - إذا ذكر الاستغفار مفردًا، فإنه يراد به التوبة، مع طلب المغفرة من الله تعالى، وهو محو الذنب ووقاية شره، والستر لازم لهذا المعنى، كما قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح]، فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار.

٢ - إذا اقترن الاستغفار بالتوبة، كان لكل منهما معنى يختص به، فيكون الاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَن اسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُؤْوُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]، فخصت التوبة بالرجوع، والاستغفار بالمفارقة.

ويقال أيضًا: الاستغفار من باب إزالة الضرر، والتوبة طلب جلب المنفعة، فالمغفرة: أن يقيه شر الذنب، والتوبة: أن يحصل له بعد هذه الوقاية ما يحبه^(٣).

الفرق بين التوبة والإنابة:

١ - أن كلاً من التوبة والإنابة تأتي

للمقاتل تعويض المقتول؛ لأن مصيبته لم تنجب بقتل قاتله، والتوبة النصوح تهدم ما قبلها، فيعوض هذا عن مظلمته، ولا يعاقب هذا لكمال توبته^(١).

- المسألة السابعة: معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ...﴾:

أخبر الله ﷻ في هذه الآية عن توبته على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار، وهذه التوبة فيها رفعة لدرجاتهم وتعظيم لحسناتهم، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وليست التوبة نقصًا؛ بل هي من أفضل الكمالات وهي واجبة على جميع الخلق.

كما دلّت هذه الآية على قدر التوبة وفضلها عند الله، وأنها غاية كمال المؤمن، فإنه سبحانه أعطاهم هذا الكمال بعد أن قضوا نحبهم، وبذلوا نفوسهم وأموالهم وديارهم لله، وكان غاية أمرهم أن تاب عليهم، ولهذا جعل النبي ﷺ يوم توبة كعب خير يوم مرّ عليه منذ ولدته أمه إلى ذلك اليوم، ولا يعرف هذا حق معرفته إلا من عرف الله، وعرف حقوقه عليه، وعرف ما ينبغي له من عبوديته، وعرف نفسه وصفاتها وأفعالها، وأن الذي قام به من العبودية بالنسبة إلى حق ربه عليه كقطرة في بحر،

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥١/١٥)، وزاد المعاد (٣/ ٥١٧ - ٥١٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٢٧٧].

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٣٤ - ٣٣٦).

(١) المصدر السابق (٤٠٢/١).

بمعنى الرجوع إلى الله تعالى، وترك

الذنوب.

١ - «الاستقامة»، لابن تيمية.

٢ - «الجامع لأحكام القرآن»،
للقرطبي.

٣ - «زاد المعاد»، لابن القيم.

٤ - «شرح النووي على مسلم».

٥ - «فتح الباري»، لابن حجر.

٦ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٧ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

٨ - «مصطلحات في كتب العقائد»،
لمحمد الحمد.

٩ - «النهج الأسمى في شرح

أسماء الله الحسنى»، لمحمد النجدي.

١٠ - «الوابل الصيب»، لابن القيم.

٢ - أن الإنابة أرق من التوبة لما
تشعر به من الاعتماد التام على الله
تعالى.

٣ - أن مقام الإنابة أعلى من مقام
التوبة، فهي تدل على معنى التوبة مع
الإقبال على الله تعالى بالعبادات.

٣ - أن الإنابة لا تكون إلا لله تعالى،
بخلاف التوبة، فقد تكون في بعض أمور
الدنيا، كما يقال: جاء فلان تائبًا إلى
الوالي^(١).

الآثار:

١ - حصول محبة الله تعالى ورضاه
عن التائب.

٢ - زيادة الإيمان.

٣ - يتجلى الله على التائب برضوانه
وإحسانه.

٤ - يُقبل الله على التائب أضعاف
إقبال عبده عليه بطاعته.

٥ - بالتوبة يذهب الضيق ويزول الهم.

٦ - بالتوبة يتطهر القلب من المعاصي
ويُمحي أثرها.

٧ - بالتوبة تُبدل السيئات حسنات.

٨ - الفوز والفلاح ودخول الجنات.

(١) انظر: حاشية ثلاثة الأصول لابن قاسم (٤٠) (طه،
١٤٠٧هـ).

التوحيد

التعريف لغة:

يقول ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الواو والحاء
والدال أصل واحد يدل على الانفراد،
من ذلك الوَحْدَة، وهو وَاحِد قَبِيلته إذا
لم يكن فيهم مثله... والوَاحِد
الْمُنْفَرِد»^(٢). وفي الصحاح: «فلانٌ واحد
دهره؛ أي: لا نظير له... وفلانٌ أوحد

(٢) مقاييس اللغة (٦/٩٠) [دار الجيل، ط١،
١٤١١هـ]. وانظر: العين (٣/٢٨٠ - ٢٨١) [مكتبة
الهلal]، وتهذيب اللغة (٥/١٩٢ - ١٩٣) [الدار
المصرية للتأليف والترجمة].

من الأسماء والصفات، والإخلاص له في الألوهية والعبادة. يقول الشيخ ابن عثيمين: «إفراد الله بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات»^(٥).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة واضحة؛ فالتوحيد في اللغة من الواحد، وهو يعني: الانفراد، وانقطاع المثل، والله فرد واحد لا مثيل له، وتوحيده إفراده بالربوبية وبما يستحق من العبادة والأسماء والصفات.

الحكم:

يجب إفراد الله بالربوبية والألوهية والكمال في أسمائه وصفاته.

المنزلة:

التوحيد بمعنى: شهادة أن لا إله إلا الله أول واجب على المكلف، وأول ما يدخل به إلى الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، وعلى التوحيد مدار آيات كتاب الله ﷻ، ولأجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب^(٦)؛ بل ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته وحده ﷻ.

الأدلة:

لم تأت كلمة التوحيد بهذه اللفظة في

أهل زمانه^(١). ووحدته توحيداً: جعله واحداً^(٢). فكلمة التوحيد في اللغة ترجع إلى لفظة: (وَحَدَ)، وفروع هذه الكلمة تدور على معنى الانفراد وانقطاع المثل والنظير.

ومن المعاني الباطلة التي أضيفت للفظ الواحد قولهم: «الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام»^(٣). وتعريف الواحد بأنه الشيء الذي لا يتجزأ ولا يقبل الانقسام ليس له أصل في لغة العرب، ولم يأت في كلام الله ولا رسوله ﷺ، ولم يذكره المتقدمون من أهل اللغة؛ كالخليل بن أحمد، والأزهري، وابن دريد، وغيرهم. وقد تأثر بعض أهل اللغة بشيء من علم الكلام فدخل كتبهم من ذلك ما ليس له أصل في لغة العرب^(٤).

التعريف شرعاً:

التوحيد: إفراد الله بالربوبية وما له

(١) الصحاح (٥٤٨/٢) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ]، وانظر: لسان العرب (٤٤٧/٣)، ٤٥١ - ٤٥٢ [دار صادر]، والقاموس المحيط (٤١٤) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ]، وتهذيب اللغة (١٩٥/٥).

(٢) انظر: القاموس المحيط (٤١٤).

(٣) لسان العرب (٤٥١/٣)، وانظر: مفردات ألفاظ القرآن (٨٥٧) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ]، وبصائر ذوي التمييز (١٧٠/٥ - ١٧١) [وزارة الأوقاف المصرية، ط٢، ١٤٠٦هـ].

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٤٨٢/١ - ٤٨٣). [مؤسسة قرطبة]، والصاحبى لابن فارس (٦٤) [مكتبة المعارف، ١٤١٤هـ].

(٥) القول المفيد (٨/١).

(٦) انظر: شرح الطحاوية (٢٣/١)، ٤٢ - ٤٣، ومدارج السالكين (٤٤٣/٣ - ٤٤٤).

كتاب الله، وإنما جاء فروع هذه الكلمة مثل: (واحد)، و(أحد)، و(وحده)، وهي

تعني: توحيد الله، الذي عليه مدار كتاب الله ﷻ. وإذا تأملت الآيات عن الله ﷻ في توحيده تجدها تشمل إفراده بالعبادة، والربوبية، وإثبات الأسماء والصفات. ففي إفراده بالعبادة قال ﷻ: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِنِيسِهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، يقول الإمام

الطبري: «إلهًا واحدًا؛ أي: نخلص له العبادة، ونوحده له الربوبية، فلا نشرك به شيئًا، ولا نتخذ دونه ربًّا»^(١). وفي إثبات الأسماء والصفات يقول ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١-٤]. وفي إفراده بالربوبية يقول ﷻ: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ [الصافات: ٢٢].

فلهذه الروايات يفسر بعضها بعضًا، وهي تدل على أن التوحيد؛ يعني: شهادة أن لا إله إلا الله؛ ويعني: عبادة الله وحده.

❁ أقوال أهل العلم:

قال الدارمي رحمه الله: «وتفسير التوحيد عند الأمة وصوابه قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له»^(٥).

وقال ابن سريج رحمه الله: «توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»^(٦).

وقال الطبري رحمه الله في تفسير قوله ﷻ: ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [البقرة: ١٣٣]: «أي: نخلص له العبادة، ونوحده له الربوبية، فلا نشرك به شيئًا، ولا نتخذ

ومن السنة: قوله ﷻ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى»^(٢)، ثم جاء تفسير

(١) تفسير الطبري (٥٦٢/١)، وانظر: تفسير ابن كثير (١٩٢/١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، برقم ٧٣٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، برقم ١٣٩٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، برقم ١٤٥٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، برقم ١٩).

(٥) رد الدارمي على المريسي (٦) [دار الكتب العلمية].

(٦) الحجة في بيان المحجة للتيمي (٩٦/١ - ٩٧) [دار الراية، ط١، ١٤١١هـ]، وبيان تلبس الجهمية (١/٤٨٧) [مؤسسة قرطبة]، وإعلام الموقعين (١٩١/٤) [دار الجيل، ١٩٧٣م].

دونه ربًّا»^(١).

❖ الأقسام:

أهل السُّنة يقسمون التوحيد إلى نوعين وإلى ثلاثة أنواع، وفيما يلي بيان ذلك:

تقسيم التوحيد إلى نوعين:

يقسمون التوحيد إلى نوعين، عبّروا عنهما بأكثر من صيغة، فمن ذلك تقسيمه إلى:

١ - التوحيد القولي العلمي.

٢ - التوحيد العملي الإرادي.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية، وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له، وهو متضمن لشيئين:

أحدهما: القول^(٥) العلمي، وهو إثبات صفات الكمال له، وتنزيهه عن النقائص، وتنزيهه عن أن يماثله أحد في شيء من صفاته، فلا يوصف بنقص بحال، ولا يماثله أحد في شيء من الكمال... والتوحيد العملي الإرادي أن لا يعبد إلا إياه، فلا يدعو إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه، ولا يخاف إلا إياه، ولا يرجو إلا إياه، ويكون الدين كله لله... وهذا التوحيد يتضمن أن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه، لا شريك

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عن التوحيد إنه: «شهادة أن لا إله إلا الله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له»^(٢). ويقول عن توحيد الرسل: إنه «يتضمن إثبات الإلهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إله إلا هو، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات»^(٣).

وعرّف ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ التوحيد بقوله: «وأما توحيد الرسل فهو إثبات صفات الكمال له سبحانه، وإثبات كونه فاعلاً بمشيئته وقدرته واختياره، وأن له فعلاً حقيقة وأنه وحده الذي يستحق أن يعبد، ويخاف ويرجى ويتوكل عليه، فهو المستحق لغاية الحب بغاية الذل، وليس لخلقه من دونه وكيل ولا ولي ولا شفيع، ولا واسطة بينه وبينهم في رفع حوائجهم إليه، وفي تفريج كرباتهم، وإغاثة لهفاتهم، وإجابة دعواتهم»^(٤).

(١) تفسير الطبري (١/٥٦٢) [دار الفكر، ١٤٠٨هـ].

(٢) التسعينية ضمن الفتاوى الكبرى (٥/٢٠٨) [طبعة دار المنار، ١٤٠٨هـ]، وانظر: بيان تلبس الجهمية (١/٤٧٨)، ومجموع الفتاوى (٣/٣٦٤) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ].

(٣) درء التعارض (١/٢٢٤) [مكتبة ابن تيمية]، وانظر: الصفدية (٢/٢٢٨) [مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٦هـ].

(٤) الصواعق المرسلة (٣/٩٣٣) [دار العاصمة، ط١،

١٤٠٨هـ]، وانظر: الروح لابن القيم (٣٨٦) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٢هـ]، ومدارج السالكين (٣/٤٥٩) [دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ].

(٥) هكذا في الأصل، ولعلها: القولي.

له في الملك»^(١).

ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي بيان أنواع التوحيد: «وهو نوعان: توحيد في المعرفة الإثبات، وتوحيد في المطلب والقصد»^(٥).

تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أنواع:

وهذا التقسيم لا يختلف عن التقسيم السابق، وإنما هو اصطلاح آخر، حيث يذكر أهل السُّنَّة أنواعًا ثلاثة للتوحيد وهي:

توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذا الأخير يسمونه أحيانًا: التوحيد العلمي الاعتقادي. يقول الإمام ابن القيم في كتابه «مدارج السالكين»: «فصل في اشتمال هذه السورة على أنواع التوحيد الثلاثة، التي اتفق عليها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم»^(٦)، ثم ذكر تقسيم التوحيد إلى نوعين؛ نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، وبَيَّن اشتمال هذين النوعين على أنواع ثلاثة؛ هي: توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية»^(٧).

وهذا التقسيم ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: «التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، ويسمى الأول: التوحيد العلمي. والثاني: التوحيد القسدي الإرادي. لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة، والثاني بالقصد والإرادة»^(٢). والقسم الأول وهو التوحيد القولي العلمي، يعبر عنه أهل السُّنَّة أحيانًا بتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، والقسم الثاني وهو التوحيد في القصد والإرادة والعمل، يعبرون عنه بتوحيد العبادة، وتوحيد الألوهية»^(٣).

وتارة يعبرون عن هذين النوعين بتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية»^(٤).

وتارة يعبرون عنهما بتوحيد الإثبات والمعرفة، وتوحيد القصد والطلب، يقول

(١) الصفدية (٢/ ٢٢٨ - ٢٢٩)، وانظر: بيان تلبس الجهمية (١/ ٤٧٩).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٤ - ٢٥)، وانظر: بدائع الفوائد (١/ ١٤٦) [مكتبة الرياض الحديثة].

(٣) انظر: الرسالة التدمرية (٤ - ٥) [ط ١، ١٤٠٥هـ]، وشفاء العليل (٢٧٣) [مكتبة الرياض الحديثة، ط ١، ١٣٢٢هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٨٣ - ٢٨٤، ٣٣١)، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧١٠) [مكتبة الرشد، ط ٣، ١٤١١هـ]، ومجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٤٢ - ٤٣) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وبيان تلبس الجهمية (٢/ ٤٥٤)، والصلاة وحكم تاركها لابن القيم (٩٨) [دار ابن حزم، ط ١، ١٤١٦هـ]، وبدائع الفوائد (٤/ ١٣٢)، وشفاء العليل (٢٢٨).

(٥) مدارج السالكين (٣/ ٤٤٩)، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٤، ٤٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٦) مدارج السالكين (١/ ٢٤ - ٢٥).

(٧) انظر: مدارج السالكين (١/ ٢٤، ٢٥، ٢٨)، وزاد المعاد (٤/ ٢٠٠) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٢هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٤)، وانظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ١٢٨ -

✽ المسائل المتعلقة:

٤ - أن التوحيد المطلوب الذي

أرسلت به الرسل، وأنزلت به الكتب، هو توحيد الألوهية الذي يتضمن توحيد الربوبية^(٣).

- المسألة الثانية: تحقيق التوحيد:

تحقيق التوحيد هو: تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي^(٤).

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «فإن تحقيق التوحيد تهذيبه وتصنيفه من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع القولية والاعتقادية، والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصي وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكمالهِ، وبالسلامة من البدع والمعاصي التي تكدر التوحيد وتمنع كماله، وتعوقه عن حصول آثاره»^(٥).

فتخلص من كلام الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ أن تحقيق التوحيد يرجع إلى ثلاثة أمور:

أولها: ترك الشرك بأنواعه؛ الأكبر والأصغر والخفي.

الثاني: ترك البدع بأنواعها.

الثالث: ترك المعاصي بأنواعها.

- المسألة الأولى: العلاقة بين أنواع التوحيد، والفروق بين توحيد الربوبية والألوهية:

١ - توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ لأن الذي يفرد الله بالعبادة فهو حتمًا يقر بربوبيته. لكن ليس كل من أقر بالربوبية أفرد بالعبادة، مثل مشركي العرب؛ فقد أقروا بربوبيته، ولم يوحدوه بالعبادة، لكن يلزم من أقر بالربِّ الخالق أن يفرد بالعبادة فيقراره بالربوبية حجة عليه^(١).

٢ - أن توحيد الألوهية توحيد عملي، فهو توحيد الله بأفعال العباد، فهو يعتمد على العبادات التي يؤديها العبد لله رَحِمَهُ اللهُ، أما توحيد الربوبية فهو توحيد الله بأفعاله وأسمائه وصفاته، فهو توحيد قولي اعتقادي.

٣ - أن بتوحيد الألوهية يكون العبد مسلمًا مؤمنًا، أما توحيد الربوبية فقد أقر به المشركون ولم يدخلهم ذلك في الإسلام^(٢).

= (١٢٩) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١١هـ]، ولوائح الأنوار السننية (٢٥٧/١) مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ.

(٣) انظر: شرح العقيدة الأصبهانية (١٠٢)، وشرح الطحاوية (٢٨/١ - ٢٩، ٣٢، ٥٣).

(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٣).

(٥) القول السديد (١٣ - ١٤).

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٤٥٤/٢)، وشرح الأصبهانية (١٠٢، ١٣٢) [دار المنهاج، ط ١، ١٤٣٠هـ]، وشرح الطحاوية (٢٨/١ - ٢٩).

(٢) التدمرية (١٨٠)، وشرح الأصبهانية (١٢٣).

فإذا قام العبد بهذه الأمور على هذا الوجه كان محققاً للتوحيد وذلك هو حقيقة الشهادتين.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله رحمته الله: «وتحقيق التوحيد: هو معرفته والاطلاع على حقيقته والقيام بها علماً وعملاً، وحقيقة ذلك هو انجذاب الروح إلى الله محبة وخوفاً، وإنابة وتوكلًا، ودعاء وإخلاصًا، وإجلالًا وهيبة، وتعظيمًا وعبادة، وبالجملة فلا يكون في قلبه شيء لغير الله، ولا إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما أمر الله وذلك هو حقيقة لا إله إلا الله»^(١).

ما يلي:

الأولى: أنه كان أمة؛ أي: قدوة وإمامًا معلمًا للخير، وإمامًا يقتدى به.

الثانية: أنه كان قانتًا لله؛ أي: خاشعًا مطيعًا، دائمًا على عبادته وطاعته، فوصفه في هاتين الصفتين بتحقيق العبودية في نفسه **أولاً:** علماً وعملاً، **وثانيًا:** دعوة وتعليمًا واقتداء به، وما كان يقتدى به إلا لعمله به في نفسه.

الثالثة: أنه كان حنيفًا، والحنف الميل؛ أي: مائلاً منحرفاً قصداً عن الشرك.

الرابعة: أنه ما كان من المشركين؛ أي: هو موحد خالص من شوائب الشرك مطلقاً، فنفى عنه الشرك على أبلغ وجوه النفي بحيث لا ينسب إليه شرك وإن قل.

وقال تعالى في الثناء على عباده المؤمنين الذين اتصفوا بصفات استحقوا بها ثناء ربهم عليه والتنويه بشأنهم إلى يوم الدين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ (٥٩) [المؤمنون].

وتكمن أهميته من حيث أن التوحيد هو الغاية التي خلق الله الخلق لأجلها وبعث رسله وأنزل كتبه للدعوة والقيام بها، وقد تكاثرت نصوص الكتاب والسنة الدالة على بيان عظم شأن تحقيق التوحيد وشرف أهله وعلو قدرهم وحسن عاقبتهم في الدارين، قال تعالى في الثناء على الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل]، فقد وصف الله ﷻ خليله إبراهيم عليه السلام في هذه الآية بهذه الصفات الحميدة التي هي أعلى درجات تحقيق التوحيد ترغيباً في اتباعه في التوحيد، وتحقيق العبودية

الذي يشمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء، والرضا به ربًّا وإلهًا، والرضا بقضائه والإذعان لأحكامه، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ومن تحقيق التوحيد أن يعلم أن الله تعالى أثبت له حقًّا لا يشركه فيه مخلوق؛ كالعبادة والتوكل والخوف والخشية والتقوى كما قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الأنعام: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢٤]» (٣).

وجماع القول: أن من حقق التوحيد بأن امتلأ قلبه من الإيمان والتوحيد والإخلاص، وصدقته الأعمال بأن انقادت لأوامر الله طائعة منيعة مخبئة إلى الله، ولم يبرح ذلك بالإصرار على شيء من المعاصي فهذا الذي يدخل الجنة بغير حساب، ويكون من السابقين إلى دخولها، وإلى تبوء المنازل منها وليس تحقيق التوحيد بالتمني، ولا بالدعاوي الخالية من الحقائق ولا بالحلي العاطلة، وإنما بما وقر من القلوب من عقائد الإيمان، وحقائق الإحسان، وصدقته الأخلاق الجميلة والأعمال الصالحة الجليلة» (٤)، فمن حقق التوحيد على هذا الوجه حصلت له جميع الفضائل التي تواترت بها النصوص.

«إن الله تعالى وصف المؤمنون السابقين إلى الجنات بصفات أعظمها الثناء عليهم بأنهم بربهم لا يشركون؛ أي: شيئًا من الشرك في وقت من الأوقات، فإن الإيمان النافع مطلقًا لا يوجد إلا بترك الشرك مطلقًا، ولما كان المؤمن قد يعرض له ما يقدر في إيمانه من شرك جلي أو خفي نفى عنهم ذلك، ومن كان كذلك فقد بلغ من تحقيق التوحيد النهاية، وفاز بأعظم التجارة ودخل الجنة بلا حساب ولا عذاب» (١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما في وصف النبي ﷺ للسبعين ألفًا من أمته الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب قال: «هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» الحديث (٢).

فقد تضمن هنا الحديث العظيم ذكر الخصال التي استحقوا بها دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب، وما كانت إلا تحقيق التوحيد المتمثل في أصله الجامع وهو التوكل على الله تعالى، والأعمال المذكورة في الحديث إنما تفرعت من هذا الأصل؛ فالتوكل على الله وصدق اللجوء إليه واعتماد القلب عليه تعالى هو خلاصة التفريد، ونهاية تحقيق التوحيد

(١) تيسير العزيز الحميد (١٠١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٠٥)،

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٢٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/١٠٦).

(٤) القول السديد (١٤).

- المسألة الثالثة: كيفية تحقيق

التوحيد:

١ - دخول الجنة بفضل الكريم الرحمن، والنجاة من النار.

٢ - الاستقرار النفسي، والسعادة الحقيقية، والشعور بالأمن.

٣ - التلذذ بالعبادة، وتذوق حلاوة الإيمان.

تحقيق التوحيد كما تقرر هو تصفيته وتخليصه من الشرك والبدع والمعاصي ولا سبيل إلى حصول ذلك إلا بأمور ثلاثة:

٤ - الموحد يزيده الله طاعة وهدى، فمن بركة التوحيد إثمار الأعمال الصالحة في كل وقت.

٥ - أنه يعصم من وساوس الشيطان، ومضلات الفتن.

٦ - أن التوحيد يكفر الذنوب، وبه تحصل مغفرة الرب.

٧ - أن به زكاة القلوب وصلاحها.

الأول: العلم؛ فلا يمكن تحقيق شيء إلا بعد العلم به، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

ثانياً: الاعتقاد؛ فإن من علم ولم يعتقد واستكبر فلم يحقق التوحيد، قال تعالى: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فالكفار لم يعتقد انفرد الله بالألوهية.

الثالث: الانقياد؛ فإن من علم واعتقد ولم ينقد فلم يحقق التوحيد، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [٢٥] وَيَقُولُونَ آيَاتُنَا لَنَآرِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ [الصفات]، فتحقيق التوحيد لا يحصل للعبد إلا بعلم واعتقاد وانقياد فمن استوفاهما تم له ما وعد الله به عباده المخلصين.

✽ الثمرات:

التوحيد شجرة طيبة مباركة، تؤتي أكلها كل حين بإذن الله، فثمرات التوحيد تظهر بركتها وتعاجل العبد في الدنيا قبل الآخرة، فيتلذذ بنعيم التوحيد في حياته وبعد مماته، ومنها:

✽ مذهب المخالفين:

١ - الفلاسفة: إن التوحيد عند الفلاسفة؛ يعني: نفي الصفات، ونفي إضافة أي معنى إليه، فتعريفهم لوحداية الله هي نفي كل شيء عنه، يقول ابن سينا: «فقد ظهر لنا أن للكل مبدأ واجب الوجود، غير داخل في جنس، أو واقع تحت حد، أو برهان، بريئاً عن الكم، والكيف، والماهية، والأين، والمتى، والحركة، لا ند له، ولا شريك، ولا ضد له، وأنه واحد من جميع الوجوه؛ لأنه غير منقسم، لا في الأجزاء بالفرض والوهم؛ كالم متصل، ولا في العقل بأن تكون ذاته مركبة من

معان عقلية متغايرة يتحد بها جملة... وليس الواحد فيه إلا على الوجه السلبي^(١). وهذه العبارات المجملة، المشتبهة، حقيقتها كما يقول ابن القيم: «هو إنكار ماهية الرب الزائدة على وجوده، وإنكار صفات كماله، وأنه لا سمع له، ولا بصر، ولا قدرة ولا حياة، ولا إرادة ولا كلام ولا وجه، ولا يدين، وليس فيه معنيان متميز أحدهما عن الآخر البتة»^(٢). كما رد الغزالي على الفلاسفة في كتابه تهافت الفلاسفة، وبين تهافت قولهم وتناقضه، وأن قولهم في معنى الواحد تحكم لا دليل عليه^(٣).

والتوحيد عند الصوفية ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد العامة، **والثاني:** توحيد الخاصة، **والثالث:** توحيد خاصة الخاصة.

فأما توحيد العامة: فهو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد، وهو التوحيد الظاهر الجلي الذي نفى الشرك الأعظم، وعليه نصبت القبلة وبه وجبت الذمة، وبه حقنت الدماء والأموال، وانفصلت دار الإسلام من دار الكفر.

والثاني: توحيد الخاصة: وهو إسقاط الأسباب الظاهرة، والصعود عن منازعات العقول، وعن التعلق بالشواهد، وهو أن لا يشهد في التوحيد دليلاً، ولا في التوكل سبباً ولا في النجاة وسيلة، فيكون مشاهداً سبق الحق بحكمه وعلمه ووضع الأشياء مواضعها، وهو الذي يصح بعلم الفناء ويصفو في علم الجمع.

وأما **الثالث:** توحيد خاصة الخاصة: فهو توحيد اختصه الحق لنفسه، واستحقه

٢ - الصوفية وأهل وحدة الوجود: التوحيد عند الصوفية هو مشاهدة الوجدانية بطريق الكشف بواسطة نور الحق، وأعلى من ذلك أن لا يرى في الوجود إلا واحداً فلا يرى نفسه^(٤). وقالوا أيضاً في تعريف التوحيد أنه:

(١) النجاة لابن سينا (١٠٨/٢) [دار الجيل، ط ١، ١٤١٢هـ]. وانظر: الفارابي في حدوده ورسومه لجعفر آل ياسين (٦٣٩) [عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٥هـ]، وتفسير ما بعد الطيبة لابن رشد (٥٤٧) [دار المشرق، ١٩٧٣م].

(٢) الصواعق المرسلة (٩٢٩/٣)، وانظر: بيان تلبس الجهمية (١/٤٦٤ - ٤٦٥)، ومجموع الفتاوى (٦/٥١٦ - ٥١٧).

(٣) انظر: تهافت الفلاسفة للغزالي (٨٧ - ١٠٩) [دار الألباب، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٤) انظر: إحياء علوم الدين (٤/٢٤٠) [طبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٨هـ]، ورسالة التوحيد للناقلي (٤٣).

(٥) اصطلاحات الصوفية للقاشاني (٢٢٠) [دار الحكمة، ط ١، ١٤١٥هـ]، وانظر: معجم كلمات الصوفية لأحمد النقشبندى (١٩٧) [مؤسسة الانتشار العربي، ط ١، ١٩٩٧م]، والمعجم الصوفي للحفني (٦٠) [دار الرشاد، ط ١، ١٤١٧هـ].

بقدره وألاح منه لائحًا إلى أسرار طائفة من صفوته وأخرسهم عن نعته وأعجزهم عن بثه، وهو إسقاط الحدث وإثبات القدم^(١).

ويبين شيخ الإسلام حقيقة هذا التقسيم، وأن التوحيد الأول الذي ذكروه هو التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وبه بعث الله الأولين والآخرين من الرسل.

وأيضاً شيخ الإسلام حقيقة هذا التقسيم، وأن التوحيد الأول الذي ذكروه هو التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وبه بعث الله الأولين والآخرين من الرسل.

وأما التوحيد الثاني الذي ذكروه وسموه توحيد الخاصة فهو الفناء في توحيد الربوبية، وهو أن يشهد ربوبية الرب لكل ما سواه، وأنه وحده رب كل شيء ومليكه.

وأما التوحيد الثالث فحقيقته الاتحاد والحلول الخاص من جنس قول النصارى في المسيح^(٢).

ومن خلال هذا التقسيم يتبين أن غاية توحيد الصوفية وهو توحيد الخاصة هو شهود توحيد الربوبية والفناء فيه، ومن المعلوم أن الإقرار بتوحيد الربوبية لم يخرج مشركي العرب عن شركهم، وذلك لأنهم لم يقوموا بلازمه وهو توحيد الألوهية وإفراد الله بالعبادة^(٣).

وقد يصل التصوف إلى القول بوحدة

(١) انظر: منازل السائرين للهروي (١٣٥)، ومنهاج السُّنة النبوية (٢٤٢/٥ - ٢٤٣)، ومدارج السالكين (٣/٣٨٠).

(٢) انظر: منهاج السُّنة النبوية (٢٤٢/٥ - ٢٥٨).

(٣) انظر: التدمرية (١٨٦ - ١٨٧)، ومجموع الفتاوى

٣ - المتكلمون: يعرف القاضي عبد الجبار؟ التوحيد فيقول: «أما في اصطلاح المتكلمين فهو العلم بأن الله - تعالى - واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً وإثباتاً على الحد الذي يستحقه، والإقرار به»^(٦).

والواحد والأحد عند المتكلمين صفة سلبية يريدون بها ثلاثة معانٍ^(٧):

(١٠/٢١٩، ١٣/١٩٨ - ١٩٩)، ومدارج السالكين (١/١٥٢ - ١٥٣، ١٥٨ - ١٦٠، ١٦٩، ٢٤٤، ٣٢٧، ٣/٣٩٧).

(٤) انظر: الصواعق المرسلة (٣/٩٣١ - ٩٣٢)، ومجموعة الرسائل لابن تيمية (١/٨٠) (٤/٦ - ٧).

(٥) انظر: مجموعة الرسائل لابن تيمية (٤/٥).

(٦) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (١٢٨) [مكتبة وهبة، ٢، ١٤٠٨هـ]، وانظر: المطالب العالية للرازي (٣/٢٦٢) [دار الكتاب العربي، ١، ١٤٠٧هـ]، وشرح المقاصد للفتاواني (٤/٣٩) [عالم الكتب، ١، ١٤٠٩هـ]، والإنصاف للباقلاني (٢٣) [المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٣هـ]، وجامع العلوم في اصطلاحات الفنون (دستور العلماء) لأحمد نكري (٣٣).

(٧) المطالب العالية (٣/٢٥٧ - ٢٥٨)، وانظر:

المباحث المشرقية للرازي (١/١٧٤) [دار الكتاب =

والسُنَّة، وكلام السلف والأئمة، باطل بلا ريب شرعاً وعقلاً ولغة. أما في اللغة فإن أهل اللغة مطبقون على أن معنى الواحد في اللغة ليس هو الذي لا يتميز جانب منه عن جانب، ولا يرى منه شيء دون شيء؛ إذ القرآن ونحوه من الكلام العربي متطابق على ما هو معلوم بالاضطرار في لغة العرب وسائر اللغات، أنهم يصفون كثيراً من المخلوقات بأنه واحد ويكون ذلك جسمًا... وإذا كان أهل اللغة متفقين على تسمية الجسم الواحد واحدًا، امتنع أن يكون في اللغة معنى الواحد: الذي لا ينقسم إذا أريد بذلك أنه ليس بجسم وأنه لا يشار إلى شيء منه دون شيء... بل لا يوجد في اللغة اسم واحد إلا على ذي صفة ومقدار»^(٢).

وقد ستروا تحت قولهم في التوحيد باطلاً كثيراً، أما قولهم: إن الله واحد في ذاته لا قسم له؛ فليس مرادهم بأنه لا ينقسم ولا يتبعض أنه لا ينفصل بعضه عن بعض، فإن هذا حق لا ريب فيه، وإنما مرادهم بذلك أنه لا يرى منه شيء دون شيء، ولا يعلم منه شيء دون شيء، بحيث أنه ليس له في نفسه حقيقة عندهم قائمة بنفسها، ويسمون ذلك نفي

١ - أن الله واحد في ذاته لا قسم له.

٢ - واحد في صفاته لا شبه له.

٣ - واحد في أفعاله لا شريك له.

ويُلحظ من خلال التعريفات السابقة أن توحيد المتكلمين يدور على العلم والإقرار، وأن الوجدانية عندهم صفة سلبية، فهي تنفي عن الله ولكن لا تثبت شيئاً من الصفات، والمثبتة منهم يثبتون بعض الصفات لا كلها، فهو واحد لا قسم له ولا شبه له ولا شريك له - كما يقولون -، ولا يذكرون التوحيد العملي وهو توحيد الألوهية، والإله عندهم هو القادر على الاختراع^(١).

وقد ردَّ أئمة أهل السُنَّة على المتكلمين، وبيَّنوا ما في قولهم في التوحيد من باطل واشتباه وتلبيس، وما فيه من مخالفة للغة التي يزعمون أنهم يوافقونها، وما فيه من مخالفة للعقل والشرع. يقول شيخ الإسلام رحمته الله: «إن ما فسَّر به هؤلاء اسم الواحد من هذه التفاسير التي لا أصل لها في الكتاب،

= العربي، ط ١، ١٤١٠هـ، والتوحيد للماتريدي (٢٠ - ٢٣، ١١٩) [دار الجامعات المصرية]، والإنصاف للباقلائي (٣٣ - ٣٤)، والمغني للقاضي عبد الجبار (٢٤١/٤ - ٢٤٢) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، والاعتقاد للبيهقي (٣٨ - ٣٩) [عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٣هـ]، ولمع الأدلة لأبي المعالي الجويني (٩٨) [عالم الكتب، ط ٢، ١٤٠٧هـ].

(٢) بيان تلبيس الجهمية (١/٤٨٢ - ٤٨٣)، وانظر: درء التعارض (١/١١٣ - ١١٤)، والتسعينية ضمن الفتاوى الكبرى (٥/٢٠٣).

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي (١٢٣) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٠١هـ]، وشرح أسماء الله الحسنى للرازي (١٢٤ - ١٢٥) [دار الكتاب العربي، ط ٢].

- التجسيم^(١). وأما قولهم واحد في صفاته لا شبه له: فقد أجملوها فجعلوا نفي الصفات أو بعضها داخلاً في نفي التشبيه^(٢). وأما قولهم: واحد في أفعاله لا شريك له؛ فهذا معنى صحيح، وهو حق، حيث اعترفوا فيه بأن الله خالق كل شيء، ومربيه ومدبره - مع خلاف المعتزلة في خلق أفعال العباد -^(٣)، ولكنهم جعلوا هذا النوع هو الغاية وأطالوا في تقريره وشرحه، مع أن المشركين كانوا يقرون به وهم مع ذلك مشركون^(٤).
- والمتكلمين»، لعبد الرحيم السلمي.
- ٥ - «حقيقة التوحيد والفروق بين الربوبية والألوهية»، لعلي العلواني.
- ٦ - «الرسالة التدمرية»، لابن تيمية.
- ٧ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز.
- ٨ - «الصواعق المرسلة» (ج ٣)، لابن القيم.
- ٩ - «كتاب التوحيد»، لمحمد بن عبد الوهاب، وشروحه.
- ١٠ - «مجموع الفتاوى» (ج ١ - ٣)، لابن تيمية.

المصادر والمراجع:

التوحيد الإرادي

يراجع مصطلح (توحيد الألوهية).

توحيد الأسماء والصفات

التعريف لغة:

التوحيد: مصدر الفعل وَّحَدَ يوَحِّدُ توحيدًا؛ إذا اعتقد انفراد الشيء وحكم به، أو علم بذلك وهو يدل في جميع تصاريفه على التوحد والتفرد.

قال ابن فارس رَكَّعَ اللَّهُ: «الواو والحاء والذال: أصل واحد يدل على الانفراد. من ذلك الوحدة. وهو واحد قبيلته: إذا لم يكن فيهم مثله»^(٥).

(٥) مقاييس اللغة (٩٠/٦) [دار الجبل، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

١ - «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية»، لآمال العمرو [رسالة دكتوراه].

٢ - «التوحيد وإثبات صفات الرب»، لابن خزيمة.

٣ - «التوحيد»، لابن منده.

٤ - «حقيقة التوحيد بين أهل السنة

(١) انظر: التسعينية ضمن الفتاوى الكبرى (٥/٢٠٣ - ٢٠٤)، وبيان تلبس الجهمية (١/٤٧٤ - ٤٧٥)، والتدمرية (١٨٤ - ١٨٥)، ومجموع الفتاوى (١٧/٤٤٩ - ٤٥٠).

(٢) انظر: التسعينية ضمن الفتاوى الكبرى (٥/٢٠٤)، والتدمرية (١٨٢ - ١٨٣)، والصواعق المرسلة (٣/١١١).

(٣) انظر: التسعينية ضمن الفتاوى الكبرى (٥/٢٠٧)، والتدمرية (١٨٠ - ١٨١).

(٤) انظر: درء التعارض (١/٢٢٦)، ومدارج السالكين (١/٧٤).

رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ^(٥).

أو هو «إفراد الله بما له من الأسماء والصفات»^(٦).

الحكم:

يجب إثبات ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ؛ لأنه جزء من الإيمان بالله تعالى.

الحقيقة:

إثبات الأسماء والصفات يرتكز على أسس ثلاث، بيانها فيما يلي:

الأول: الإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة من الأسماء الحسنی والصفات العليا، فلا يسمون الله إلا بما سمي به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف]. فأخبر تعالى بأن له أسماء سمي بها نفسه

ونقل الأزهري عن الليث: «رجلٌ وحيدٌ: لا أَحَدَ مَعَهُ يُؤْنِسُهُ، وقد وَحْدَ يَوْحُدُ وَحَادَةً وَوَحْدَةً وَوَحْدًا. قَالَ: وَالتَّوْحِيدُ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَاللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ذُو الْوَحْدَانِيَّةِ وَالتَّوْحِيدِ»^(١). والأسماء: جمع اسم، وهو مشتق من: السمو، وهو العلو والرفعة كما قال النحاة البصريون، وقيل: إنه مشتق من السمة وهي العلامة كما قال به النحاة الكوفيون. والصحيح الأول^(٢). قال الأزهري: «ومن قال: إن اسمًا مأخوذ من: وسمت فهو غلط؛ لأنه لو كان اسم من وسمت، لكان تصغيره وُسَيْمًا، مثل تصغير عدة وصلة وما أشبههما»^(٣).

والصفة لغة: هي العلامة الملازمة للشيء.

قال ابن فارس: «الواو والصاد والفاء: أصل واحد، هو تحلية الشيء. ووصفته أصفه وصفًا. والصفة: الأمانة اللازمة للشيء»^(٤).

التعريف شرعًا:

إثبات ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له

(١) تهذيب اللغة (٥/١٢٥) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٦/٢٠٧ - ٢٠٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، عام ١٤١٦هـ].

(٣) تهذيب اللغة (١٣/١١٧).

(٤) مقاييس اللغة (٦/١١٥).

(٥) انظر: التدمرية (٧) [مكتبة العبيكان، ط ٦، ١٤٢٦هـ].

(٦) القول المفيد لابن عثيمين (١/١٦) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

وأنها حسنى لدلالاتها على الصفات العليا.

الثاني: تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى]. ففي هذه الآية إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.

الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية الصفات الإلهية لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه]؛ لأن حقيقة الشيء الغائب لا تعرف إلا برؤيته، أو رؤية مثيله، أو وجود الخبر الصادق عنه وكل هذه الأمور منتفية في هذا الباب. فلم يبق إلا الوقوف حيث وقف الوحي.

المنزلة:

منزلة توحيد الأسماء والصفات سامية ومكانته عالية، ويتضح ذلك من خلال أمور عديدة، من أبرزها ما يأتي:

إن معرفة الله وتقديره حق قدره لا يتم إلا بمعرفة أسمائه الحسنی وصفاته العليا وأفعاله الكاملة، التي تعرّف الله بها على عباده فقال سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ [٢٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٢٤] [الحشر].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إن شرف العلم تابع لشرف معلومه، لوثوق النفس بأدلة وجوده وبراهينه، ولشدة الحاجة إلى معرفته، وعظم النفع بها، ولا ريب أن أجلّ معلوم وأعظمه وأكبره فهو الله الذي لا إله إلا هو ربّ العالمين، وقيوم السماوات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص، وعن كل تمثيل وتشبيه في كماله، ولا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجلّ العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومة إلى سائر المعلومات، وكما أن العلم به أجلّ العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها... فالعلم بذاته سبحانه وصفاته وأفعاله يستلزم العلم بما سواه، فهو في ذاته رب كل شيء ومليكه، والعلم به أصل كل علم ومنشؤه، فمن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل» [٢].

(١) انظر لهذه الأسس: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي (٤٤) [الدار السلفية، الكويت، ط ٤، ١٤٠٤هـ]، ومعتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات لمحمد التميمي (٧١) [أضواء السلف، ط ١].

(٢) مفتاح دار السعادة (١/٨٦) [دار الكتب العلمية].

صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»^(١).

وقد أجمع السلف الصالح ومن اتبعهم على مقتضى هذه النصوص الدالة على الإثبات مع التنزيه. قال ابن عبد البر رحمه الله: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكتفون شيئاً من ذلك»^(٢).

✽ أقوال أهل العلم:

قال الشيخ عبد العزيز الكناني الشافعي رحمه الله: «وعلى الخلق جميعاً: أن يثبتوا ما أثبت الله، وينفوا ما نفى الله، ويمسكوا عما أمسك الله»^(٣).

وقال ابن منده رحمه الله: «إن الأخبار في صفات الله ﷻ جاءت متواترة عن النبي موافقة لكتاب الله ﷻ، نقلها الخلف عن السلف قرناً بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا على سبيل إثبات الصفات لله والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله ﷻ به في تنزيهه وبينه الرسول عن كتابه مع اجتناب

إنه أحد أقسام التوحيد التي لا يتم توحيد العبد لربه إلا بالجمع بينها وتحقيقها كما هو معلوم.

✽ الأدلة:

دلّت النصوص الشرعية على توحيد الأسماء والصفات في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف].

وقال الله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

ففي الآية الأولى: أخبر تعالى بأن له أسماء سمى بها نفسه، ووصفها بأنها حسنى؛ لدلالتها على صفاته العلا، ونهى تبارك وتعالى عن الإلحاد فيها وهو الميل بها عما يجب لله فيها.

وفي الآية الثانية جمع تعالى بين نفي مماثلة المخلوقين له في شيء من حقائق أسمائه وصفاته، وبين إثبات أسمائه الحسنى الدالة على صفاته، فالسميع دالٌّ على الاسم وعلى صفة السمع وكذا اسمه البصير.

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟»، فسألوه، فقال: لأنها

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٧٥)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨١٣).

(٢) التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٤٥) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ].

(٣) الحيدة والاعتذار (٤٦) [مكتبة العلوم والحكم، ٢].

يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله نفيًا ولا إثباتًا، وإنما نحن متبعون لا مبتدعون.

فالواجب أن ينظر في هذا الباب، أعني باب الصفات، فما أثبتته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه. والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبتته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني^(٣).

الآثار:

الإيمان بانفراد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته يقطع من النفس شوائب الشرك، والالتفات إلى غيره من المخلوقين بطلب النفع أو دفع الضرر، ويحفز المرء إلى تحقيق عبادة الخالق العظيم المتفرد بالملك والخلق والتدبير، ويلجأ إليه، ويستعين به، ويتوكل عليه، ويستغيث به في جميع حوائجه؛ ويكثر من سؤاله من خيرى الدنيا والآخرة؛ لأنه الوهاب المعطي الرزاق الكريم الأكرم الواسع، لا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى، لا راد لفضله سبحانه.

مذهب المخالفين:

التوحيد عند المتكلمين هو الاعتراف بأن الله «تعالى واحد في ذاته لا قسيم

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٦٠ - ٢٦١) [مؤسسة الرسالة، ط ١٠، ١٤١٧هـ].

التأويل والجحود وترك التمثيل والتكييف، وأنه ﷻ أزلي بصفاته التي وصف بها نفسه، ووصفه الرسول غير زائلة عنه ولا كائنة دونه، فمن جحد صفة من صفاته بعد الثبوت كان بذلك جاحدًا، ومن زعم أنها محدثة لم تكن ثم كانت على أي معنى تأوله دخل في حكم التشبيه، والصفات التي هي محدثة في المخلوق زائلة بفنائها غير باقية؛ وذلك أن الله ﷻ امتدح نفسه بصفاته تعالى، ودعا عباده إلى مدحه بذلك، وصدق به المصطفى وبين مراد الله ﷻ فيما أظهر لعباده من ذكر نفسه وأسمائه وصفاته وكان ذلك مفهومًا عند العرب غير محتاج إلى تأويلها^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: «والعصمة النافعة في هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ بل ثبت له الأسماء والصفات، وتنفى عنه مشابهة المخلوقات. فيكون إثباتك منزلها عن التشبيه، ونفيك منزلها عن التعطيل^(٢)».

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «وليس لنا أن نصف الله تعالى بما لم

(١) كتاب التوحيد لابن منده (٧/٣) [الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ط ١، ١٤١٣هـ].

(٢) مدارج السالكين (٢/٨٥) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ].

وهم الممثلة حيث جعلوا أسماء الله وصفاته من جنس أسماء المخلوقين وصفاتهم، وهؤلاء خليط من عدة طوائف أولهم في المنشأ قدماء الروافض وكل من جاء بعدهم من المشبهة فقد استقى منهم ^(٤).

الرد عليهم:

لا شك أن حقيقة التوحيد الذي يدندن حوله المعطلة بكافة فرقهم تحت قناع التنزيه ليجد التعطيل طريقه إلى قلوب الدهماء من الناس هو في غاية الفساد؛ لأنهم يفسرون التوحيد بما ليس له أصل في الكتاب والسنة ^(٥)؛ فالتوحيد عند الجهمية المحضة والمعتزلة الذات المتجردة عن كل صفة وعند الصفاتية من المتكلمين يقصد به الذات المتجردة عن أكثر الصفات.

ولا شك أن هذه المفاهيم كلها فاسدة؛ لما يلي:

أولاً: أن توحيد الأسماء والصفات الذي دلّ عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة هو الجمع بين النفي والإثبات إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ،

له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

وقال أهل العدل ^(١): إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسمة ولا صفة له، وواحد في أفعاله لا شريك له فلا قديم غير ذاته، ولا قسيم له في أفعاله ^(٢).

فقولهم: (وواحد في صفاته لا شبهه له، أو لا نظير له) المقصود به توحيد الأسماء والصفات، وهم تحت نفي التشبيه عن الله يُدخلون التعطيل مع تفاوتهم فيه؛ فالجهمية تعتبر إثبات الأسماء والصفات لله تشبيهاً فنفوها عن الله، والمعتزلة تعدّ إثبات الصفات تشبيهاً فنفوها عن الله.

والكلابية وقدماء الأشاعرة رأوا في إثبات الصفات الاختيارية لله تشبيهاً فنفوها عن الله، ومتأخروا الأشاعرة والماتريدية يرون إثبات الصفات غير السبعة تشبيهاً فنفوها عن الله ^(٣).

وقابل هؤلاء المعطلة: قوم آخرون

(١) وهم المعتزلة، وسموا به أنفسهم من باب الترويج لبدعهم، وحقيقته: نفي القدر عن الله.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (٤٠/١) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤١٣هـ]، وانظر: الشامل للجويني (٣٤٥) [مكتبة المعارف، الأسكندرية، ١٩٦٩م]، وبيان تلبيس الجهمية (١١٨/٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٤٦٥/١)، والنبوات لابن تيمية (٥٧٩/١)، ومجموع الفتاوى له (١٧/١٧)، ودرر التعارض (٦/٢)، ومواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات لمحمد التميمي (٧٤).

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية (٢/٢٤٢ - ٢٤٣) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٥) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/٤٦٤).

رسوله ﷺ وهم أئمة الجماعة والحمد لله^(١).

ثانيًا: أن ادعاء وجود ذات مجردة عن الصفات لا وجود لها في الخارج، وإنما هذا شيء يفرد الذهن فقط.

ثالثًا: أن إثبات بعض الصفات ونفي بعضها الآخر هو أخذ ببعض الكتاب وكفر ببعضه الآخر وهو كفر.

رابعًا: أن من أثبت بعض الصفات ونفى بعضها الآخر كالشاعرة والماتريدية يلزمه إثبات الجميع أو نفي الجميع؛ لأن القول في بعض الصفات هو كالقول في بعضها الآخر.

خامسًا: أن من أثبت الذات ونفى الصفات كالمعتزلة ونحوهم يلزمهم إثبات الصفات؛ لأن القول في الصفات كالقول في الذات.

المصادر والمراجع:

- ١ - «بيان تلبس الجهمية» (ج ١، ٣)، لابن تيمية.
- ٢ - «التدمرية»، لابن تيمية.
- ٣ - «الحيدة والاعتذار»، للكناني.
- ٤ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز.
- ٥ - «القول المفيد» (ج ١)، لابن عثيمين.

(١) التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٤٥).

كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى]، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف]. وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَكَ يَكِلْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]؛ ففي هذه الآيات جمع الله بين التنزيه والإثبات، حيث أثبت لنفسه الأسماء ووصفها بأنها حسنى لدلالاتها على الصفات العلا، ونفى عن نفسه مماثلة المخلوقين في شيء منها، فمن لم يجمع بين الإثبات والتنزيه وصار إلى أحدهما فقد وقع في التعطيل أو التمثيل. وكل منهما غي وانحراف عن الصراط المستقيم.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «أهل السُّنَّة مَجْمَعُونَ عَلَى الْإِقْرَارِ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ كُلِّهَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِيمَانِ بِهَا وَحَمَلُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا عَلَى الْمَجَازِ إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَكْفِيهِمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَلَا يَحْدُونَ فِيهِ صِفَةً مُحْصَوْرَةً، وَأَمَّا أَهْلُ الْبِدْعِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْمَعْتَزِلَةِ كُلِّهَا وَالْخَوَارِجِ فَكُلُّهُمْ يَنْكُرُهَا، وَلَا يَحْمِلُ شَيْئًا مِنْهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَنْ أَقْرَبَ بِهَا مِثْبَةً، وَهُمْ عِنْدَ مَنْ أَثْبَتَهَا نَافُونَ لِلْمَعْبُودِ، وَالْحَقُّ فِيمَا قَالَهُ الْقَائِلُونَ بِمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ

الألوهية: مصدر ألّه يألّه إلهة وألوهة وألوهية؛ بمعنى: عبد عبادة، والتألّه: التنسك، والتعبد، قال ابن فارس: «الهمزة واللام والهاء أصل واحد: وهو التعبد، فالإله الله تعالى، وسمّي بذلك لأنه المعبود، ويقال: تأله الرجل إذا تعبد»^(٣).

والإله: في كلام العرب هو المعبود، سواء كان بحق أو باطل، وكان حق هذا الاسم أن لا يُجمع إذ لا معبود يستحق العبادة سوى الله ﷻ، لكن العرب لا اعتقادهم أن هاهنا معبودات جمعه فقال: الآلهة، وأسماءهم تتبع اعتقاداتهم، لا ما عليه الشيء في نفسه^(٤).

التعريف شرعاً:

توحيد الألوهية: هو إفراد الله ﷻ بالعبادة، مع كمال المحبة، والخوف والرجاء^(٥).

(٣) مقاييس اللغة (١/١٢٧).

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب (٢١) [مكتبة نزار مصطفى الباز]، والصحاح (٦/٢٢٢٤)، ولسان العرب (١٣/٤٦٨).

(٥) انظر: شرح الأصبهانية لابن تيمية (١٠٧) [دار المنهاج، ط١، ١٤٣٠هـ]، ومجموع الفتاوى له (١/٣٦٥، ١٤/٢، ١٠/٢٤٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢]، وشرح العقيدة الطحاوية (١/٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط١٣، ١٤١٩هـ]، وعقيدتنا عقيدة القرآن والسنة لمحمد خليل هراس (٢٩) [دار الكتاب والسنة، ط١].

٦ - كتاب «التوحيد» (ج٣)، لابن منده.

٧ - «مدارج السالكين» (ج٢، ٣)، لابن القيم.

٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات»، لمحمد التيمي.

٩ - «الملل والنحل» (ج١)، للشهرستاني.

١٠ - «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات»، لمحمد الأمين الشنقيطي.

توحيد الألوهية

التعريف لغة:

التوحيد: من وحد يوحّد توحيداً، وتدور هذه المادة على الانفراد، والاختصاص، والوحدة. يقال: رجل واحد: متقدم في بأس، أو علم، أو غير ذلك؛ كأنه لا مثل له، فهو وحده لذلك^(١). قال ابن فارس: «الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد، من ذلك الوحدة، وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله... والواحد: المنفرد»^(٢).

(١) انظر: الصحاح (٢/٥٤٧) [دار العلم للملايين، ط٣]، ولسان العرب (١٥/٢٣٠) [دار إحياء التراث العربي، ط٣].

(٢) مقاييس اللغة (٦/٩٠) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

✽ الأسماء الأخرى:

من أسمائه: توحيد العبادة، توحيد الإرادة والقصد، توحيد الطلب والعمل، أو التوحيد العملي الطلبي، أو التوحيد الفعلي^(١).

✽ الحكم:

تضافرت الأدلة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وتنوعت دلالاتها على وجوب توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة وإخلاص الدين له إذ هو أوجب الواجبات، وأهم المهمات، وأصل الأصول، وحق الله الأعظم.

✽ الحقيقة:

لما كان هذا توحيد الألوهية أصل الدين وأساس الملة ورأس الأمر فإن حقيقته تظهر في أفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، فتوحيد الألوهية هو حقيقة التوحيد الذي أرسلت من أجله الرسل، وأنزلت لأجله الكتب.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إن حقيقة التوحيد أن نعبد الله وحده، فلا يدعى إلا هو، ولا يخشى إلا هو، ولا يُتقى إلا هو، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون

(١) انظر: التسعينية لابن تيمية (٨٠١/٣) [مكتبة المعارف، ط ١]، وشرح العقيدة الطحاوية (٢٤/١)، وتيسير العزيز الحميد (١٢٠/١) [دار الصميعي، ط ١]، والحق الواضح المبين للسعدي (٢١٢/١) [ضمن المجموعة الكاملة، مركز صالح بن صالح الثقافي، ط ٢].

الدين إلا له لا لأحد من الخلق، وأن لا نتخذ الملائكة والنبيين أرباباً، فكيف بالأئمة والشيخ والعلماء والملوك»^(٢).

✽ المنزلة:

توحيد الألوهية أعظم مطلوب، وأسمى غاية خلق من أجلها الإنس والجن؛ فإن حاجة العباد إلى ربهم في عبادتهم إياه، وتألّهم له؛ كحاجتهم في خلقه لهم، ورزقه إياهم، ومعافة أبدانهم، وستر عوراتهم؛ بل حاجتهم إلى تأله ومحبه وعبوديته أعظم؛ فإن ذلك هو الغاية المقصودة لهم، ولا صلاح لهم، ولا نعيم، ولا فلاح، ولا لذة، ولا سعادة بدون ذلك بحال، ولهذا كانت: لا إله إلا الله أحسن الحسنات، وكان توحيد الإلهية رأس الأمر^(٣).

✽ الأهمية:

توحيد الألوهية أهم أنواع التوحيد وأجلها؛ إذ من أجله خلق الإنس والجن وأرسل الرسل، وأنزلت الكتب، وشرع الجهاد وفرق بين العباد إلى مؤمنين وكفار، وأعدت الجنة والنار، وعصمت به الدماء والأموال، وحاجة العباد إلى عبادة الله وحده لا شريك له في محبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا في التوكل عليه، ولا في العمل له، ولا في

(٢) منهاج السنة النبوية (٤٩٠/٣) [جامعة الإمام، ط ١].

(٣) انظر: إغاثة اللهفان (٧٥/١) [دار ابن الجوزي، ط ١].

يكون عارفًا بربه مخلصًا له جميع عبادته محققًا ذلك بترك الشرك صغيره وكبيره»^(١).

❖ الأدلة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١] وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] [النحل: ٣٦]، وغيرها من الآيات الكثيرة.

وأما من السُّنَّة: فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وحق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث

الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم والتقرب أعظم من حاجة الجسد إلى روحه، والعين إلى نورها؛ بل ليس لهذه الحاجة نظير يقاس به فإن حقيقة العبد وروحه وقلبه لا صلاح لها إلا بالله الذي لا إله إلا هو ولا تطمئن إلا بذكره، ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له ورضاه وإكرامه لها.

يقول السعدي رحمه الله مبينًا أهمية هذا التوحيد بكلام رصين متين: «وهذا الأصل العظيم أعظم الأصول على الإطلاق، وأكملها وأفضلها وأوجبها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقدته يكون أكثر الفساد وجميع الآيات القرآنية إما أمر بحق من حقوقه، أو نهى عن ضده أو إقامة حجة عليه أو بيان جزاء أهله في الدنيا والآخرة، وبيان الفرق بينهم وبين المشركين، ويقال له: توحيد الألوهية فإن الإلهية وصفه تعالى الذي ينبغي أن يؤمن به كل بني آدم، ويوقفتوا أنه الوصف الملائم له سبحانه الدال عليها الاسم العظيم وهو (الله)، وهو مستلزم جميع صفات الكمال، ويقال له: توحيد العبادة باعتبار وجوب ملازمة وصف العبودية بكل معانيها للعبد بإخلاص العبادة لله تعالى، وتحقيقها في العبد أن

(١) القواعد الحسان (١٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٧٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم ٣٠.

ويقول محمد خليل هراس رحمته الله: «التوحيد: هو صفة الله سبحانه: إما أن يكون توحيداً في إلهيته؛ بمعنى: أنه الإله المعبود بحق، الذي ينبغي أن تتأله القلوب محبة وتعظيماً، وإجلالاً، وخوفاً ورجاءً، وأن تفرد بالعبادة والتقديس، وأن تخلص له الدين في كل ما دان به عباده من أمر أو نهي، وهذا النوع هو المتبادر من لفظ التوحيد عند إطلاقه؛ نظراً لأهميته، فهو التوحيد الذي دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام أممهم، وقاتلتهم عليه، وهو الذي خلق الله الخلق جميعاً لأجله» (٤).

الأركان:

توحيد الألوهية له أركان ثلاثة؛ هي (٥):

الأول: الإخلاص: ويسمى توحيد المراد، فلا يكون للعبد مراد غير مراد واحد وهو الله سبحانه فلا يزاحمه مراد آخر.

الثاني: الصدق: ويسمى توحيد إرادة العبد، وذلك بأن يبذل جهده وطاقته في عبادة ربه وإسلام الوجه له.

الثالث: تجريد المتابعة: وهو المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء به والسير على منهاجه واقتفاء آثاره.

النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في يومهم وليتهم...» الحديث (١).

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رحمته الله: «أما التوحيد العملي الذي ذكره الله في كتابه وأنزل به كتبه وبعث به رسله، واتفق عليه المسلمون من كل ملة فهو كما قال الأئمة: شهادة أن لا إله إلا الله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما بين ذلك بقوله: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة] فأخبر أن الإله إله واحد ولا يجوز أن يتخذ إله غيره فلا يعبد إلا إياه» (٢).

ويقول السعدي رحمته الله: «فأما حده - أي: توحيد الألوهية - وتفسيره وأركانه فهو أن يعلم ويعترف على وجه العلم واليقين أن الله هو المألوه وحده المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة بأحد من المخلوقات ولا يستحقها إلا الله تعالى» (٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٧٢) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩).

(٢) التسعينية (٣/ ٧٩٧).

(٣) الحق الواضح المبين للسعدي (١/ ٢٦٨).

(٤) عقيدتنا عقيدة القرآن والسنة (٢٩).

(٥) الحق الواضح المبين للسعدي (١/ ٢٦٩).

الشروط:

لما كانت حقيقة توحيد الألوهية تظهر في تحقيق العبد لمدلول قول: لا إله إلا الله؛ إذ إن هذه الكلمة هي شهادة الحق وأعلى شعب الإيمان، وأصل الدين، ودعوة الحق، وكلمة السواء وكلمة العدل فلا يتحقق توحيد الألوهية للعبد إلا بالنطق بها ومعرفة معناها والعمل بمقتضاها، وقد دلّ استقراء نصوص الكتاب والسنة على أن لها ثمانية شروط تتمثل في الآتي:

- ١ - العلم بمعناها نفياً وإثباتاً.
- ٢ - اليقين.
- ٣ - الإخلاص المنافي للشرك.
- ٤ - المحبة المنافية لئها وهو البغضاء.
- ٥ - الصدق المنافي للكذب المانع من النفاق.
- ٦ - الانقياد المنافي للترك.
- ٧ - القبول المنافي للرد.
- ٨ - الكفر بما يعبد من دون الله تعالى^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات:

أنواع التوحيد عند أهل السنة

فدليل الإخلاص قوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ أَكْبَرُ مَخْلَصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر]، ودليل الصدق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة]، ودليل المتابعة قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «التوحيد الذي لا بد منه لا يكون إلا بتوحيد الإرادة والقصد: وهو توحيد العبادة، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله؛ أن يقصد الله بالعبادة، ويريده بذلك، دون ما سواه، وهذا هو الإسلام؛ فإن الإسلام يتضمن أصليين: أحدهما: الاستسلام لله، والثاني: أن يكون ذلك له سالمًا؛ فلا يشركه أحد في الإسلام له، وهذا هو الاستسلام لله دون ما سواه، وسورة ﴿قُلْ بِتَائِبَاتٍ الْكَافِرُونَ﴾ تفسر ذلك، ولا ريب أن العمل، والقصد مسبوق بالعلم، فلا بد أن يعلم ويشهد أن لا إله إلا الله»^(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «حقيقة الإخلاص: توحيد المطلوب، وحقيقة الصدق: توحيد الطلب والإرادة، ولا يثمران إلا بالاستسلام المحض للمتابعة»^(٢).

(١) التسعينية (٣/ ٨٠١ - ٨٠٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٧٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٣) انظر: معارج القبول (٢/ ٥١٨ - ٥٢٤) [دار ابن الجوزي، ط ٦، ١٤٣٠هـ].

والجماعة متلازمة يرتبط بعضها ببعض، ولا يمكن انفكاكها بحال، ومن ذلك ارتباط توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية؛ بمعنى: أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الألوهية، فمن أقر أن الله تعالى ربه وخالقه ومدير شؤونه، وقد دعاه هذا الخالق إلى عبادته وجب عليه أن يعبد وحده ولا يشرك به شيئاً، وقد احتج الله ﷻ على المشركين المقربين بربوبية الله تعالى بأن إقرارهم بذلك يقتضي ويستلزم إقراره بالعبادة بأن يعبدوه وحده لا شريك له، وترك عبادة كل ما سواه ولهذا قال ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة].

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية؛ بمعنى: أن توحيد الربوبية يدخل ضمناً في توحيد الألوهية، فمن عبد الله وحده لا شريك له فلا بد وأن يكون معتقداً أنه ربه وخالقه ورازقه؛ إذ لا يعبد إلا من بيده النفع والضرر، وله الخلق والأمر.

وقال ابن تيمية رحمه الله: «التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية المتضمن لتوحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له؛ فإن المشركين من العرب كانوا يقولون بتوحيد الربوبية، وأن الله خالق السماوات

والأرض واحد... وأيضاً ففي القرآن العزيز من باب استفهام الإنكار، الذي يتضمن إقرارهم بتوحيد الربوبية ما يطول ذكره عنها... وهذا في القرآن كثير مما يحتج عليهم في إثبات توحيد الإلهية بما اعترفوا به من توحيد الربوبية»^(١).

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «وتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً، وقال تعالى: ﴿إِشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل]»^(٢).

وأما العلاقة بينه وبين توحيد الأسماء والصفات فهو من وجه يستلزم توحيد الأسماء والصفات، ومن وجه متضمن لتوحيد الأسماء والصفات:

فالوجه الأول: كونه كلما قويت معرفة العبد بأسماء الله وصفاته، قوي توحيده، وتم إيمانه.

وأما الوجه الثاني: فهو أن المعبود لذاته لا بد وأن يكون متصفاً بصفات الكمال والجلال؛ فلا يستحق أن يكون معبوداً محبوباً لذاته إلا الله المتصف بتلك الصفات.

(١) شرح الأصبهانية (١٢٣ - ١٢٤).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٤١/١).

القسمين من أقسام التوحيد ومدلولها أدى إلى عدم التمييز بين التوحيد الذي أمر الله به، والشرك الذي نهى الله عنه وحذر منه، فكان لا بد من بيان أوجه الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ليعرف التوحيد الخالص والدين الحق الذي بعث الله به رسله وأنزل في كتبه، وهي كالتالي:

١ - الاختلاف في الاشتقاق اللغوي؛ فالربوبية مشتق من اسم الرب والألوهية مشتق من لفظ الإله.

٢ - الاختلاف في التعريف؛ فتوحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله، وتوحيد الألوهية هو إفراد الله بأفعال العباد.

٣ - فرق في الإقرار؛ فالمشركون مقرون بتوحيد الربوبية كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف، ٨٧]، وتوحيد الألوهية أنكره المشركون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات، ٢٥].

٤ - فرق في المدلول؛ فتوحيد الربوبية مدلوله علمي، وأما التوحيد فمدلوله عملي.

٥ - فرق في اللزوم والتضمن؛ فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وأما توحيد الألوهية فهو يتضمن توحيد الربوبية.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والإله: هو المألوه الذي تأله القلوب، وكونه يستحق الإلهية مستلزماً لصفات الكمال، فلا يستحق أن يكون معبوداً محبوباً لذاته إلا هو»^(١).

ويقول أيضاً: «فإن الإله: هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع، والعبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل»^(٢).

ويقول السعدي رَحِمَهُ اللهُ في بيان كونه متضمناً له: «وهذا النوع من التوحيد - أي: توحيد الإلهية - متضمن للنوع الأول: الذي هو توحيد الأسماء والصفات، الداخل فيها توحيد الربوبية؛ لأن الله هو الذي له صفة الإلهية، وهي صفات الكمال كلها، وكلما قوي إيمان العبد، ومعرفته بأسماء الله وصفاته، قوي توحيده وتم إيمانه»^(٣).

❁ الفرق:

الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية:

الانحراف في فهم حقيقة هذين

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٨٥٥) [مكتبة الرشد].

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٢٤٩).

(٣) الحق الواضح المبين للسعدي (١/٢٧٠).

ومن ثمراته: حصول الطمأنينة والراحة القلبية التامة، والحياة الطيبة الهنيئة، التي لا ضنك معها، ولا ضيق؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧) [النحل]، فرأس العمل الصالح، وأساس الإيمان: هو توحيد الألوهية.

فالحاصل: أن كل خير في الدنيا والآخرة فهو من ثمرات هذا التوحيد، وكل شر في الدنيا والآخرة فهو من ضده: الشرك بالله تعالى.

قال السعدي رحمه الله تعالى: «فكل خير عاجل وآجل فهو من ثمرات التوحيد، وكل شر عاجل وآجل فهو من ثمرات ضده» (٢).

✽ مذهب المخالفين:

المتكلمون لا يفرقون بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية؛ بل هما - عندهم - شيء واحد؛ فهم يفسرون الإله بالقادر على الاختراع، وهذا التفسير يدل على أن الربَّ والإله والربوبية والألوهية شيء واحد لا فرق بينهما البتة، فيفسر هذا بهذا وهذا بهذا، فكان هذا التفسير للإله أعظم أسباب دخول الشرك في الأمة.

٦ - فرق في الكفاية؛ فتوحيد الربوبية لا يكفي وحده للدخول في الإسلام، وأما الألوهية فالإقرار به هو أصل الإسلام والإقرار به يتضمن الإقرار بالربوبية.

فهذه أظهر الفروق في التمييز بينهما وبالتالي يتبين خطأ وانحراف من لم يفرق بينهما لظنه أنهما شيء واحد (١).

✽ الثمرات:

ثمرات توحيد الإلهية كثيرة لا تُحصى ولا تُعد، فكل خير في العاجل والآجل فهو من ثمرات هذا التوحيد؛ إذ هو المقصود الأول من خلق الخليقة، وهو الغاية الأسمى، والمطلوب الأعظم.

فمن أعظم ثمراته: هو الفوز بالجنة في دار كرامته؛ والتنعم بنعيمها، أبد الآباد، والنجاة من النار وعذابها، والخلود فيها، وذلك كله هو الفوز العظيم؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ومن ثمراته: حصول الأمن والاهتداء التام في الدنيا والآخرة؛ كما قال ﷺ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٧) [الأنعام].

(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن (٢١) [دار الرشد، ط١].

(١) انظر: المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة للبركان (٩٦ - ٩٧).

والقبور، وتقديم القرابين والنذور لها، فأصبحت هذه المظاهر عند أربابها ليست شرًا، وهذا عين المحادة لله ولرسوله ﷺ، وما كان المشركون الأولون الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ يفعلون مع أصنامهم وأوثانهم إلا كما يفعله هؤلاء اليوم، فأى فرق بين الفريقين؟!

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «مبينًا ما جرى من فساد وضلال في الأمة بسبب عدم التفريق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية: «ولهذا التبس على طوائف من الناس أصل الإسلام حتى صاروا يدخلون في أمور عظيمة هي شرك ينافي الإسلام لا يحسبونها شرًا، وأدخلوا في التوحيد والإسلام أمورًا باطلة ظنوها من التوحيد وهي تنافيه وأخرجوا من الإسلام والتوحيد أمور عظيمة لم يظنوها من التوحيد وهي أصله فأكثر هؤلاء المتكلمين لا يجعلون التوحيد إلا ما يتعلق بالقول والرأي واعتقاد ذلك دون ما يتعلق بالعمل والإرادة واعتقاد ذلك»^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «التوحيد وأثره على العبد»، خميس السعيد.
- ٢ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا هو، فإن المشركين كانوا يقولون بهذا وهم مشركون... بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد، فهو إله بمعنى: مألوه. لا إله بمعنى آله؛ والتوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له، والإشراك أن يجعل مع الله إلهًا آخر»^(١).

وقد تقدم في الفروق بيان الفرق بينهما، لكن هذا التفسير للألوهية بأنه الربوبية من قبل المتكلمين قد أحدث فسادًا اعتقاديًا عظيمًا وضلالًا بينًا في الأمة، يمكن إجماله في الآتي:

أولها: أن أول واجب على المكلف هو توحيد الربوبية، وهذا معلوم الفساد بالضرورة؛ لأن الإقرار بوجود الله وربوبيته أمر مركوز في الفطرة.

ثانيها: أنه لا يتصور وقوع الشرك إلا إذا اعتقد الإنسان ربوبية غير الله تعالى، وهذا الظن أدى إلى فشو مظاهر الشرك العملي في الأمة من ذبح ونذر لغير الله ودعاء واستعانة واستغاثة بغير الله، وتشديد المشاهد، وتقديس الأضرحة

٣ - «حقيقة التوحيد بين أهل السُّنة المتكلمين»، لعبد الله السلمي.

٤ - «حقيقة التوحيد والفروق بين الربوبية والألوهية»، لعلي العلواني.

٥ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٦ - «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.

٧ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٨ - «المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية»، للبريكان.

٩ - «منهج أهل السُّنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى»، لخالد نور.

١٠ - «أهمية دراسة التوحيد»، لمحمد بن عبد الرحمن أبو سيف.

توحيد الربوبية

التعريف لغةً:

التوحيد: مصدر وَّحَد الشيء يوَحِّده توحيدًا؛ إذا أفردَه وجعله واحدًا، والوحدة: الانفراد، والله تعالى هو الواحد، والأحد: ذو الوجدانية والتوحيد^(١).

الربوبية: مصدر رَبَّبَ، ومنه الربّ. والربّ هو الله ﷻ، هو ربُّ كل شيء؛ أي: مالكة ومستحقّه^(٢)، وقيل: صاحبه،

(١) تهذيب اللغة (١٢٧/٥) [دار إحياء التراث العربي، ط ١].

(٢) انظر: الصحاح (١٤٧/١) [دار العلم للملايين، ط ٤].

ولا يقال الربّ في غير الله إلا بالإضافة: فيقال: فلان ربّ هذا الشيء؛ أي: ملكه له. وكل من ملك شيئًا فهو ربه. يقال: هو رب الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت، وهن ربّات الحمال^(٣).

وكلمة (الرب) في اللغة تطلق أيضًا على المَلِك^(٤). وتطلق على السيد المطاع^(٥). ومن معاني الرب أيضًا: المصلح للشيء^(٦).

التعريف شرعًا:

توحيد الربوبية: هو إفراد الله تعالى بأفعاله، من الخلق، والملك، والتدبير^(٧).

الأسماء الأخرى:

لتوحيد الربوبية أسماء أخرى؛ منها:

١ - التوحيد العلمي.

٢ - التوحيد الخبري.

(٣) تهذيب اللغة (١٢٨/١٥).

(٤) انظر: المصدر السابق. وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٧٩/٢) [المكتبة العلمية، ط ١٣٩٩هـ].

(٥) انظر: الصحاح (١٤٧/١) [دار العلم للملايين، ط ٤]، ولسان العرب (١/٤٠٠).

(٦) انظر: مقاييس اللغة (٣٨١/٢) [دار الفكر].

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٣٣١/١٠) (٥٠/١١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ]، ودرء تعارض العقل والنقل (٣٧٧/٩) [جامعة الإمام، ط ٢]، والفتاوى السعدية (١٠) [منشورات المؤسسة السعدية بالرياض]، ولوامع الأنوار للسفاريني (١٢٨/١ - ١٢٩) [مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط ٢، ١٤٠٢هـ].

٣ - توحيد المعرفة والإثبات.

الحكم:

الرابع: أفراد الرب بالعبادة وتوحيده في الألوهية، وهذا ما تستلزمه الربوبية.

الخامس: الإيمان بأن للرب معنى الربوبية قبل أن يوجد مربوب؛ لأن الربوبية صفة قائمة بذات الرب وتصدر آحادها عنه متى شاء، فهو خالق قبل أن يوجد مخلوقًا، فمتى شاء أن يوجد المخلوق خلق.

السادس: الإيمان بأن كل شيء سوى الله ﷻ مخلوق، فالله ﷻ بصفاته العلا هو الخالق وما سواه مخلوق^(٢).

المنزلة:

تبرز منزلة توحيد الربوبية في أنه أحد أصول الاعتقاد وركائز الإيمان وأركان التوحيد، والإنسان في ضرورة إليه، وبالإيمان به تسكن نفس المسلم وتركن إلى خالقها ومدبر أمرها وتسلم له وجهها، ويحصل لها السعادة والاستقرار والطمأنينة^(٣).

ومما يدلُّ على منزلته أيضًا أنه باب توحيد الألوهية، ويقود من أقر به إلى الإقرار بألوهية الله وتحقيق عبوديته، فمن تعلق قلبه بربوبية الله تعالى ارتقى به الحال إلى توحيد الألوهية، وهذه صورة

يجب توحيد الله وإفراده بربوبيته، فهو واحد في ربوبيته لا شريك له، فليس شيء من ربوبيته لغيره، وإثبات الربوبية جزء من الإيمان لا يتم الإيمان إلا به؛ بل هو أصل في التوحيد، فمن أنكر ربوبية الله فقد جحد وكفر.

إلا أن إثبات الربوبية ليس هو كل الواجب، وليس هو مناط الإيمان والكفر، ولا مناط التوحيد والشرك، وليس بمجرد الإقرار به يكون العبد مؤمنًا موحدًا؛ بل لا بد من الإتيان بتوحيد الألوهية^(١).

الحقيقة:

توحيد الربوبية يشتمل على أمور لا بد من إثباتها؛ هي:

الأول: الإيمان بوجود الله وبوحدانيته في ذاته، وأنه واحد في ربوبيته لا شريك له، فليس شيء من ربوبيته لغيره.

الثاني: الإيمان بأفعال الله تعالى العامة؛ كالخلق، والرِّزق، والتدبير، والملك، ونحو ذلك.

الثالث: إثبات صفات الله ﷻ وإفراده بها على وجه الكمال المطلق؛ لأن أفعال الربوبية صادرة عن الصفات مثبتة لها.

(٢) انظر: مفهوم الربوبية لسعد ندا (١٢٤) [مجلة الجامعة الإسلامية - العدد ٢]، ومعنى الربوبية وأدلتها وأحكامها لمحمد بن عبد الرحمن أبو سيف الجهنّي (١٤ - ١٥).

(٣) انظر: معنى الربوبية وأدلتها وأحكامها (٢).

(١) انظر: كتاب التوحيد وإخلاص العمل لله ﷻ لابن تيمية (٥٨، ٥٩).

يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»^(١).

وحديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه مرفوعاً، وفيه: «السيد الله تبارك وتعالى...» الحديث^(٢).

ولا شك أن العقول الصريحة لا تخالف الفطر في معرفة الله وإثبات وجوده وكمال صفاته، كما أنها لا تتعارض مع النقل المشتمل على الآيات الشرعية الدالة على إثبات وحدانيته ومبايئته لمخلوقاته.

والناظر بعين عقله في الآيات الكونية وما فيها من عجائب الصنع وبديع انتظام الكون وما فيه، ليجدها دالة على عظم قدرة الله تعالى، ووحدانية خالقها، وانفراده بالربوبية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقال ﷻ:

(١) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٣).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٨٠٦)، وأحمد (٢٣٥/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٠٠٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والضياء في المختارة (٤٦٨/٩) [دار خضر، ط٣]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٧٠٠).

تبرز جلياً في طريقة دعوة القرآن الناس إلى الإيمان بالوهمية الله عن طريق احتجاجه عليهم بما يقرونه من توحيد الربوبية.

الأدلة:

توحيد الربوبية قد ثبت بالشرع والفطرة والعقل.

حيث دلت الآيات الشرعية على إثبات وجود الله ﷻ، وأنه رب كل شيء ومليكه، والخالق لهذا الكون المدبر لشؤونه، والقرآن مليء بالآيات التي تخاطب الإنسان، وتدعوه إلى استخدام العقل ليتأمل في الآيات الكونية، والنفسية وربطه ذلك بالنصوص الشرعية التي تقود إلى الإيمان بالله ﷻ وتوحيده.

ثم إن معرفة الله تعالى والإقرار بوجوده أمرٌ ضروري قد توافقت عليه جميع الفطر؛ فالله قد فطر عليه الخلق وجعله أمراً مركزاً فيهم، وشهدت به العقول السليمة، قال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَهِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ۚ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْقِيَمُ﴾ [الروم: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَخَّسَتْهُمُ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢].

ومن السنة: حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ،

قال ابن أبي العز الحنفي: «فإن توحيد الربوبية لا يحتاج إلى دليل، فإنه مركوز في الفطر، وأقرب ما ينظر فيه المرء أمر نفسه لما كان نطفة، وقد خرج من بين الصلب والترائب، والترائب: عظام الصدر، ثم صارت تلك النطفة في قرار مكين، في ظلمات ثلاث، وانقطع عنها تدبير الأبوين وسائر الخلائق، ولو كانت موضوعة على لوح أو طبق، واجتمع حكماء العالم على أن يصوروا منها شيئاً لم يقدرُوا. ومحال توهم عمل الطبائع فيها؛ لأنها موات عاجزة، ولا توصف بحياة، ولن يتأتى من الموات فعل وتدبير، فإذا تفكر في ذلك وانتقال هذه النطفة من حال إلى حال، علم بذلك توحيد الربوبية، فانتقل منه إلى توحيد الإلهية؛ فإنه إذا علم بالعقل أن له رباً أوجده، كيف يليق به أن يعبد غيره؟ وكلما تفكر وتدبر ازداد يقيناً وتوحيداً»^(٤).

وقال ابن القيم: «فإن أول ما يتعلق القلب يتعلق بتوحيد الربوبية، ثم يرتقي إلى توحيد الإلهية، كما يدعو الله سبحانه عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر، ويحتج عليهم به، ويقررهم به، ثم يخبر أنهم ينقضونه

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ يَسْتَوِي الظُّلُمَتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ﴾ [الرعد].

ومن الدلائل على ربوبية الله تعالى إثبات الأمم كلها له، لذا نجد أن ربوبية الله قد أجمع عليها جميع العقلاء؛ بل حتى المشركون يعترفون بذلك ويقررون به، ولم ينزع في ذلك إلا الدهريون والملاحدة^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «والشهادة تتضمن الإقرار بالصانع تعالى وبرسوله، لكن مجرد المعرفة بالصانع لا يصير به الرجل مؤمناً؛ بل ولا يصير مؤمناً بأن يعلم أنه رب كل شيء حتى يشهد أن لا إله إلا الله، ولا يصير مؤمناً بذلك حتى يشهد أن محمداً رسول الله»^(٢). وقال أيضاً: «والإفمجرد توحيد الربوبية قد كان المشركون يقرون به، وذلك وحده لا ينفع»^(٣).

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٧٠) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ]، والفتاوى الكبرى (٦/ ٣٦٨) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ]، والنبوات (١/ ٢٩٢ - ٢٩٣) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وشفاء العليل (٣٠٢) [دار المعرفة، ط ١٣٩٨هـ].

(٢) درء التعارض (٨/ ١١ - ١٢).

(٣) المصدر السابق (٩/ ٣٤٥).

(٤) شرح الطحاوية (٢٢٢ - ٢٢٣) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط ١، ١٤١٨هـ].

بشركهم به في الإلهية»^(١).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الإقرار بتوحيد

الربوبية وحده لا يكفي للنجاة من النار:
بيّن القرآن الكريم في مواضع عدة أن المشركين يقرون بربوبية الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت]، إلا أنه مع ذلك لم يدخلهم في الإسلام؛ بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون، وتوعدهم بالخلود في النار، وقد استباح النبي ﷺ دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققوا لازم توحيد الربوبية وهو توحيد الله في العبادة دون ما سواه.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والشهادة تتضمن الإقرار بالصانع تعالى وبرسوله، لكن مجرد المعرفة بالصانع لا يصير به الرجل مؤمناً؛ بل ولا يصير مؤمناً بأن يعلم أنه ربّ كل شيء حتى يشهد أن لا إله إلا الله، ولا يصير مؤمناً بذلك حتى يشهد أن محمداً رسول الله»^(٢). ويقول أيضاً: «وإلا فمجرد توحيد الربوبية قد كان المشركون يقرون به، وذلك وحده لا ينفع»^(٣).

(١) مدارج السالكين (١/٤١٣) [دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ].

(٢) درء التعارض (١١/٨ - ١٢).

(٣) المصدر السابق (٩/٣٤٥).

- المسألة الثانية: توحيد الربوبية

مستلزم لتوحيد الألوهية:

ومعنى ذلك: أن من أقر بتوحيد الربوبية لله، فاعترف بأنه لا خالق ولا رازق ولا مدبر للكون إلا الله ﷻ، لزمه أن يقر بأنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده، فلا يدعو إلا الله، ولا يستغيث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يصرف شيئاً من أنواع العبادة إلا لله وحده دون سواه^(٤).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فتوحيد الربوبية أعظم دليل على توحيد الإلهية، ولذلك وقع الاحتجاج به في القرآن أكثر مما وقع بغيره، لصحة دلالاته وظهورها وقبول العقول والفطر لها»^(٥).

❁ الفرق:

الفرق بين الألوهية والربوبية:

١ - أن اشتقاق الألوهية من الإله؛ أي: المعبود، والربوبية من الرب، والرب: مأخوذ من التربية والرعاية والسيادة. وعلى هذا: فهما مفهومان متغايران وليسا مترادفين.

٢ - أن متعلق توحيد الربوبية: الأمور الكونية؛ كالخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحوها.

(٤) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (٣٤) [دار ابن الجوزي، ط ٤، ١٤٢٠هـ].

(٥) طريق الهجرتين (٤٥) [دار السلفية، ط ٢، ١٣٩٤هـ].

❁ الثمرات:

إن العلم بتوحيد الربوبية، والإيمان بمقتضاه يثمر إجلال الرب وتعظيمه ورجاءه ومحبته والخوف منه.

الاستسلام والانقياد التام لقضائه وأمره الصادر عن كمال أفعاله.

حصول التقوى لمن أيقن أن له رباً خالقاً قاهراً لعباده مدبراً لشؤونهم لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

تحقيق العبودية لله تعالى: فمن آمن بربوبية الله على حقيقتها أيقن أنه هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

❁ مذهب المخالفين:

المخالفون في توحيد الربوبية طوائف

عدة:

١ - المنكرون له بالكلية؛ كالملاحدة الدهرية الذين قالوا بقدم العالم وأبديته، وأهل وحدة الوجود الذين قالوا: ما ثمَّ خالق ومخلوق بل الوجود كله شيء واحد، وكشرك فرعون الذي قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٢].

٢ - الذين أشركوا في توحيد الربوبية، مثل: المجوس الثنوية والنصارى وغلاة

ومتعلق توحيد الألوهية: الأوامر والنواهي: من الواجب والمحرم والمكروه ونحو ذلك.

٣ - أن توحيد الربوبية أقرب به المشتركون في الجملة، أما توحيد الألوهية فقد وقعت فيه الخصومة بين الرسل وأقوامهم، ولو كانت الألوهية هي الربوبية لما حصل نزاع بين الرسل وأقوامهم.

٤ - أن توحيد الربوبية هو توحيد الله بأفعاله، وهذا يستوجب التصديق والاعتقاد بموجبه لأنها أخبار من الله ﷻ. أما توحيد الألوهية فهو توحيد الله بأفعال العباد من الخوف والرغبة والرغبة والمحبة والصلاة والصوم ونحو ذلك.

٥ - توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ فمن أتى بتوحيد الربوبية، لزمه أن يأتي بتوحيد الألوهية. أما توحيد الألوهية فإنه متضمن لتوحيد الربوبية؛ فمن جاء بتوحيد الألوهية، فقد أتى ضمناً بتوحيد الربوبية.

٦ - أن الإجماع منعقد على أنه لو آمن بالربوبية ولم يأت بالألوهية لا يكون بذلك مسلماً كما أنه لو قال بدل: (لا إله إلا الله) قال: (لا خالق إلا الله) لا يتم له عقد الإسلام بذلك^(١).

(١) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين للسلمي (١٠٩ - ١١١) [دار المعلمة].

(٢) مقالة التعطيل والجعد بن درهم (٢١ - ٢٢) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٨هـ]، والجواب الكافي (١١٤ - ١١٥) [دار المعرفة، ط١]، وموسوعة الفلسفة (١/ ٥٣٩) [مؤسسة المربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٩م].

أما أصحاب الكلام فيقال لهم: إن أصل المعرفة والإقرار بالربوبية لا يقف على النظر والاستدلال، إنما يحصل بديهية وضرورة، ولهذا فإن جميع الأمم يقرّون بالصانع مع عظيم شركهم وكفرهم وأنهم لا يسلكون هذه الطرق المحدثّة عند المتكلمين. فوجود الخالق ﷻ أظهر من كل شيء على الإطلاق. ثم إن هذه المقدمات التي أحدثوها لإثبات ربوبية الله تعالى لم يستدل بها أحد من الصحابة والتابعين ولا من أئمة المسلمين، فلو كانت معرفة الله ﷻ والإيمان به موقوفة عليها للزم أنهم كانوا غير عارفين بالله ولا مؤمنين به، وهذا من أعظم الكفر باتفاق المسلمين^(٣).

يقول أبو المظفر السمعاني: «وقد علمنا أن النبي ﷺ لم يدعهم في هذه الأمور إلى الاستدلال بالأعراض والجواهر وذكر ماهيتهما ولا يمكن لأحد من الناس أن يروي في ذلك عنه ولا عن أحد من الصحابة ﷺ من هذا النمط حرقاً واحداً فما فوقه، لا في طريق تواتر ولا آحاد فعلمنا أنهم ذهبوا خلاف مذهب هؤلاء وسلكوا غير طريقهم وأن هذا طريق محدث مخترع لم يكن

الرافضة والصوفية: هؤلاء كلهم جعلوا مع الله إلهاً آخر متصرفاً ومدبراً في الكون^(١).

٣ - أهل الكلام من الفلاسفة والمعتزلة والأشاعرة، الذين ذهبوا إلى أن إثبات الربوبية قائم على النظر المؤدي إلى معرفة الله وجعلوا ذلك أول الواجبات على المكلفين؛ لأنه أصل المقاصد الشرعية وأكدها. ومنهم من بالغ في ذلك وجعل القصد إلى النظر هو أول الواجبات، ومنهم من غلا وقال: إن أول واجب على المكلف هو الشك^(٢).

❁ الرد عليهم:

أما الرد على الطائفة الأولى والثانية فإنه واضح بيّن لكل ذي بصيرة، وما سقناه من الأدلة وكلام الأئمة السالف كاف في الردّ على من أنكر ربوبية الله أو جعل معه إلهاً آخر.

(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (٣٧)، وهذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل (٣٥ - ٣٨، ١٣٣) [دار الكتب العلمية، ط ٤، ١٩٨٤م]، والخطوط العريضة لمحّب الدين الخطيب (٦٩) [تحقيق: محمد مال الله].

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (٦٠ - ٧٦) [مكتبة وهبة، ط ١٣٨٤هـ]، ومناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد (١٣٤) [مكتبة الأنجلو، ط ٢، ١٩٦٤م]، وشرح المقاصد للتفتازاني (٢٩٠ - ٣٠٣) [مكتبة الكليات الأزهرية]، والشامل في أصول الدين للجويني (١٢٠ - ١٢٢) [دار المعارف، ط ١٩٦٩م]، والتمهيد للقاضي الباقلاني (٦ - ٢٣) [المكتبة الشريفة، ١٩٥٧م].

(٣) انظر: النبوات (١/٢٧٤)، ومنهاج السنّة (١/٣٠٣)، ومجموع الفتاوى (٦/٥٠)، ودرء التعارض (٧/٢٢٣ - ٢٢٤)، وبيان تلبس الجهمية (٤/٥٧٠ - ٥٧١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١، ١٤٢٦هـ].

عليه رسول الله ﷺ ولا أصحابه رضي الله عنهم، وسلوكه يعود عليهم بالطعن والقدح ونسبتهم إلى الجهل وقلة العلم في الدين واشتباه الطريق عليهم^(١).

❁ المصادر والمراجع:

١ - «الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد»، للعرفي.
٢ - «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد»، للفوزان.

٣ - «الجواب الكافي»، لابن القيم.
٤ - «حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين»، للسلمي.

٥ - «درء التعارض» (ج ٨، ٩)، لابن تيمية.

٦ - «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز الحفني.

٧ - «قول الفلاسفة اليونان الوثنيين في توحيد الربوبية»، لسعود بن عبد العزيز الخلف.

٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٢)، لابن تيمية.

٩ - «معنى الربوبية وأدلتها وأحكامها وإبطال الإلحاد فيها»، لمحمد أبو سيف الجهني.

١٠ - «مفتاح دار السعادة»، لابن قيم الجوزية.

(١) الانتصار لأصحاب الحديث (٧٠ - ٧١) [مكتبة أضواء المنار، ط ١، ١٤١٧هـ].

❁ توحيد العبادة ❁

يراجع مصطلح (توحيد الألوهية).

❁ التوحيد العلمي الخيري ❁

يراجع مصطلح (توحيد الأسماء والصفات).

ويراجع مصطلح (توحيد الربوبية).

❁ التوحيد العملي ❁

يراجع مصطلح (توحيد الألوهية).

❁ التوحيد الفعلي ❁

يراجع مصطلح (توحيد الألوهية).

❁ توحيد القصد ❁

يراجع مصطلح (توحيد الألوهية).

❁❁ التوحيد القولي الاعتقادي ❁❁

يراجع مصطلح (توحيد الأسماء والصفات).

ويراجع مصطلح (توحيد الربوبية).

❁❁ توحيد المعرفة والإثبات ❁❁

يراجع مصطلح (توحيد الأسماء والصفات).

ويراجع مصطلح (توحيد الربوبية).

الحكم:

الإيمان بالتوراة: أنه يجب على المسلم أن يعتقد أن الله ﷻ أنزل على نبيه وعبدته موسى ﷺ كتاباً - مكتوباً في الألواح التي ألقيت عليه -، اسمه: التوراة، فهي كلام الله تعالى غير مخلوق. أنزلها عليه جملة واحدة في شهر رمضان - كباقي الكتب السماوية - بعد هلاك فرعون وجنوده.

ويعتقد المسلم أيضاً: أن التوراة الصحيحة التي نزلت على موسى ﷺ قد فقدت واندثرت من زمن مبكر، ولا يعلم عنها شيء، ويتعذر الحصول عليها، وليست هي التي بين أيدي اليهود والنصارى اليوم؛ بل هذه قد وقع فيها من التحريف والتبديل والكتمان والإهمال والنسيان الشيء الكثير؛ فاختلط فيها الحق بالباطل؛ فليس واحداً منها هو التوراة الصحيحة التي نزلت على موسى ﷺ. (٣)

الحقيقة:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «فاللألواح كانت

التوراة

التعريف لغةً:

التوراة: لفظ عبراني اتفاقاً، غير عربي، معناه: الشريعة أو الناموس، وأصله (طُورًا) بمعنى: الهدى. وقد اختلف في اشتقاقه بعد تعريبه؛ ف قيل: هو تَفْعِلَةٌ من (وَرَى) الزَّند؛ يعني: خرجت ناره وأضاء، وقيل: بل أصلها فَوَعَلَةٌ؛ فأصلها: (وَوَرَاة)، ثم قُلِبَت الواو الأولى تاء؛ كما في (تولج، وأصلها: وولج) (١).

التعريف شرعاً:

التوراة: هي اسم كتاب الله ﷻ الذي أنزله على نبيه وكليمه موسى ﷺ، وألقاه إليه مكتوباً في الألواح؛ ليكون لبني إسرائيل هدى ونوراً (٢).

الأسماء الأخرى:

التوراة: هي كتاب موسى ﷺ، وكتاب اليهود، والكتاب المقدس، والأسفار الخمسة عندهم، والعهد القديم عند النصارى.

(٣) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (١/١١٦)، ٢/ ٢٥٩، ٢٨٠، ٣٥١، ٥٥٠/٥، ٧٢، ٣٥٠، ٣٥١ [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]، ومجموع الفتاوى = (١٦/٤٣، ٤٥، ١٨/٣٦٧، ١٩/١٨٤)، وتفسير ابن كثير (١/٣٢١، ٥٠١، ٣/١١٧، ١٢٦، ٦/٢٤٢، ٢٤٣، ٧/٣٠٢)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٨٧) [دار المعرفة]، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (٦٩) وما بعدها، و(٨٣) وما بعدها.

(١) انظر: القاموس المحيط (١٧٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ]، وتاج العروس (٤٠/١٩٠) [مطبعة حكومة الكويت].

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٤٧٤) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، والفكر الديني اليهودي لحسن ظاذا (١٤)، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية لسعود الخلف (٦٥) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٨هـ].

الأصل والعمدة، وما بعدها من كتب بني إسرائيل - كالزبور والإنجيل - تبع لها ومتممة لأحكامها، لم تكن شريعة مستقلة بذاتها، وإن غايرتها في بعضها؛ ولذا كان أنبياء بني إسرائيل بعد موسى ﷺ على شريعة التوراة، يحكمون ويعملون بها.

وكانت التوراة مشتملة - بما فيها من الحلال الحرام والتشريعات - على الهدى والنور والرحمة والموعظة.

وأنه كان على بني إسرائيل أن يؤمنوا بالتوراة، وقيموها، ويحكموا بما أنزل فيها، ويقوموا بحقتها.

وكان في التوراة البشارة بنبيينا محمد ﷺ (٤).

مشتملة على التوراة. وقيل: الألواح أعطيتها موسى قبل التوراة» (١).

وهل التوراة هي نفسها صحف موسى؟ اختلف في ذلك، وسيأتي ذكر ذلك في الفروق.

وهي عند اليهود: أسفار خمسة يعتقدون أن موسى ﷺ كتبها بيده - ويسمونها: البنتاتوك، نسبة إلى (بنتا)، وهي كلمة يونانية معناها: خمسة -؛ وهي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية.

وهي في اصطلاح النصارى: هذه الأسفار الخمسة مضمومة إليها الكتب الملحقة بها، وتسمى: العهد القديم (٢).

✽ المنزلة:

التوراة: أعظم وأشرف وأهدى الكتب المنزلة على الأنبياء بعد القرآن الكريم، وليس في الكتب شريعة مستقلة جاءت بالحلال والحرام إلا التوراة والقرآن الكريم، ولذا يقرن الله تعالى بينهما كثيراً؛ «فما طرق العالم منذ خلقه الله مثل هذين الكتابين: علماً وهدي، وبياناً، ورحمةً للخلق» (٣). فالتوراة هي

✽ الأدلة:

هذا المعتقد ثابت بنص القرآن الكريم، وبعضه ثابت بنص الحديث النبوي:

قال الله تعالى: ﴿زَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ (٢) ﴿مِن قَبْلُ هَٰذَا لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران]، وقال ﷺ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَامِ مِنْ

(٤) انظر: الجواب الصحيح (١/١١٦، ٢/٢٥٩، ٢٨٠، ٣٥١، ٥٥/٥، ٧٢، ٣٥٠، ٣٥١)، ومجموع الفتاوى (١٦/٤٣، ٤٥، ١٨/٣٦٧، ١٩/١٨٤)، وتفسير ابن كثير (١/٣٢١، ٥٠١، ٣/١١٧، ١٢٦، ٦/٢٤٢، ٢٤٣، ٧/٣٠٢)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/٨٧)، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (٦٩) وما بعدها، و(٨٣) وما بعدها.

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٧٤) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، بتصرف.

(٢) راجع للتوشع: تفسير ابن كثير (٣/٤٧٤)، والفكر الديني اليهودي لحسن ظا (١٤)، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (٦٥).

(٣) تفسير السعدي (٦١٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وقد علم بالضرورة لذوي الألباب: أن الله لم ينزل كتابًا من السماء - فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه - أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ؛ وهو القرآن. وبعده في الشرف والعظمة: الكتاب الذي أنزله على موسى بن عمران ﷺ؛ وهو التوراة»^(٤).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم سب التوراة: «ليس لأحد أن يسب أو يلعن التوراة؛ بل من أطلق سبّه أو لعنه فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قُتل. وإن كان يعرف أنها منزلة من عند الله، وأنه يجب الإيمان بها؛ فهذا يقتل بشتمه لها، ولا تقبل توبته في أظهر قولي العلماء. وأما إن لعن دين اليهود الذي هم عليه في هذا الزمان فلا بأس به في ذلك؛ فإنهم ملعونون هم ودينهم، وكذلك إن سبَّ التوراة الذي عندهم بما يبين أن قصده ذكر تحريفه؛ مثل أن يقال: نسخ هذه التوراة مبدلة لا يجوز العمل بما فيها، ومن عمل اليوم بشرائعها المبدلة والمنسوخة فهو كافر؛ فهذا الكلام ونحوه حق لا شيء على قائله. والله أعلم»^(٥).

كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعَظَةٌ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا [الأعراف: ١٤٥]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وثبت في حديث احتجاج آدم وموسى ﷺ؛ أن النبي ﷺ قال: «قال له آدم: يا موسى؛ اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده...» الحديث، وفي رواية: «وكتب لك التوراة بيده»، وفي ثالثة: «وأنزل عليك التوراة»^(١).

وثبت أيضًا في حديث رجم اليهودي المشهور؛ أن النبي ﷺ قال لرجل من علمائهم: «أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى؛ أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» الحديث^(٢).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «التوراة أعظم من الإنجيل، وقد بين الله أنه لم ينزل كتابًا أهدي من التوراة والقرآن... وأيضًا؛ فإن الله تعالى إنما يخص بالذكر من الكتب المتقدمة: التوراة دون غيرها؛ فهي التي يقرنها بالقرآن»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب القدر، برقم ٦٦١٤، وكتاب التفسير، برقم ٤٧٣٦) - والرواية الثالثة له وحده -، ومسلم (كتاب القدر، برقم ٢٦٥٢) - والرواية الثانية له وحده -.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الحدود، برقم ١٧٠٠).

(٣) الجواب الصحيح (٣٥١/٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٤٣/٦).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٠٠/٣٥)، بتصرف.

- المسألة الثانية: حكم قراءة التوراة: - المسألة الرابعة: بيان تحريف التوراة:

لا يجوز النظر في كتب أهل الكتاب عموماً؛ لأن النبي ﷺ غضب حين رأى مع عمر كتاباً أصابه من بعض أهل الكتاب، وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟!...» الحديث^(١)، حتى وإن كانت مشتملة على الحق والباطل؛ لما في ذلك من ضرر فساد العقائد. اللهم إلا لمن كان متضلّعاً بعلوم الكتاب والسنة، مع شدة الثبوت وصلابة الدين والفتنة والذكاء؛ وكان ذلك للرد عليهم وكشف أسرارهم وهتك أستارهم^(٢).

وغيرها من الآيات. ووجود التحريف في التوراة هو الصبغة العامة التي يتسم بها، إلا أنه لا تزال فيه بقايا من الوحي الإلهي، ومعرفة ذلك يكون بموافقتها لما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وأما أنواع التحريف الواقعة فيه فهي: تحريف بالتبديل، وتحريف بالزيادة، وتحريف بالنقص^(٤).

المسألة الثالثة: حكم مس التوراة للمحدث:

يجوز - عند الجمهور - مس التوراة للمحدث؛ لأنها ليست قرآناً، والنص ورد في القرآن دون غيره، ثم هي مبدلة منسوخة^(٣).

- المسألة الخامسة: نسخ التوراة:

التوراة التي جاء بها موسى ﷺ؛ قد نسخت بالقرآن المنزل على محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

(٤) انظر: إظهار الحق (٢/٤٢٥ - ٥٣٩)، ومجموع الفتاوى (١٣/١٠٤، ١٠٥)، والجواب الصحيح (١/٣٥٦، ٣٦٧، ٥/٢، ٣/٢٦٤)، وهداية الحيارى (١٠٥) [الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة].

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٣٨٧) [مؤسسة قرطبة بمصر]، والدارمي في سننه (كتاب العلم، رقم ٤٤٩)، وقال الهيثمي: «فيه مجالد بن سعيد، ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما». مجمع الزوائد (١٧٤/١) [مكتبة القدسي].

لكن له شواهد، حسنه بها الألباني في إرواء الغليل (٦/٣٤) [المكتب الإسلامي ببيروت، ط ٢].

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/٥٢٥)، وكشاف القناع للبهوتي (١/٤٣٤) [دار الفكر، ١٤٠٢هـ]، ومطالب أولي النهى للرحياني (١/٦٠٧) [المكتب الإسلامي، ١٩٦١م]، وفتاوى اللجنة الدائمة (٣/٤٣٣).

(٣) انظر: المجموع شرح المذهب للنووي (٢/٧٠) [دار الفكر]، وكشاف القناع (١/١٣٥).

أنهما اثنان: الألواح مشتملة على التوراة، والصحف؟

كل هذا محتمل، وليس لدينا نص قاطع في أي من هذه المسائل.

واستدل للقول بأن الصحف غير التوراة - وأنها أنزلت قبلها - بما روي في حديث أبي ذر رضي الله عنه الطويل مرفوعاً، وفيه: «وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن...» الحديث ^(٣).

ولو صحَّ هذا لكان فاصلاً وقاطعاً للنزاع، لكن إسناده ضعيف جداً؛ بل فيه كذاب! فلا ينهض للاحتجاج به على هذه المسألة.

ثم إن ظاهر قوله رضي الله عنه: «أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان...» الحديث ^(٤) يدلُّ على أن

(٣) أخرجه ابن حبان (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٦١)، وقال الهيثمي في موارد الظمان (١/٥٤) [دار الكتب العلمية]: «فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني؛ قال أبو حاتم وغيره: كذاب». اهـ، وحكم عليه الألباني بالضعف الشديد في ضعيف الترغيب والترهيب (برقم ١٣٥٢) [مكتبة المعارف، الرياض، ١، ١٤٢١هـ].

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١٠٧/٤) [مؤسسة قرطبة بمصر]، والطبراني في المعجم الكبير (٧٥/٢٢) [مكتبة العلوم والحكم بالموصل، ط ٢]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٩٧/١): وفيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقيه رجاله ثقات. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٧٥).

فالقرآن الكريم حاكم على جميع الكتب السابقة، وناسخ لها، وإن كان النسخ في الأصل وارداً على توراة موسى عليه السلام فوروده على ما بأيدي اليهود من الأسفار المحرفة من باب أولى.

ومما يؤكد نسخ الديانة اليهودية، ما تحويه أسفارهم الحالية من شهادات وإشارات تبشر بنبيِّنا محمد عليه السلام، وأنه يجب على بني إسرائيل اتباعه ^(١).

الفرق:

الفرق بين التوراة وصحف موسى عليه السلام: صحف موسى: هي الكتب التي أنزلها الله تعالى على نبيِّه وكليمه موسى عليه السلام ^(٢).

واختلف في هذه الصحف - كما يعلم من مطالعة كتب التفسير -: أهى نفسها التوراة، أم أنها غيرها؟ ولو كانتا واحدة فهل الألواح تشملهما أو أنها غيرها؟ ولو كانت التوراة غير الصحف فهل كانتا جميعاً مكتوبتان في الألواح، أم أنهما ثلاثة: التوراة، والصحف، والألواح؟ أم

(١) انظر: إظهار الحق (٨٠/١)، ودائرة معارف القرن العشرين (٦٥٥/١) [ط ٢، دار المعرفة]، والموسوعة العربية الميسرة (٢٣٩/١) [دار القلم ومؤسسة فرانكلين، القاهرة، ١٩٦٥م]، ومعجم المصطلحات الدينية لخليل أحمد خليل (٣٦) [دار الفكر اللبناني، ط ١، ١٩٩٥م].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢٥٤/٤)، وتفسير الطبري (٣٢٥/٢٤) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ]، والجامع لأحكام القرآن (٢٤/٢٠) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٤٥هـ].

صحائف»^(٢)، لكن تقدم أن إسناده ضعيف جدًا؛ بل فيه كذاب!

وعلى القول بأنها غير التوراة؛ فلا إشكال في كونها كثيرة، وعلى القول بأنها: هي التوراة؛ فالمراد بها: «مجموع صحف أسفار التوراة»^(٣)؛ ولهذا جمعت. والله أعلم.

✽ الثمرات:

الثمرات المترتبة على الإيمان بالتوراة هي نفسها المترتبة على الإيمان بالكتب السماوية عمومًا.

✽ مذهب المخالفين:

يعتقد اليهود والنصارى أن التوراة كتاب مقدس، كله موحى به من الله، وأنه منزل من السماء ولم يدخل فيه التحريف أبدًا.

ويعترفون أن كتاب التوراة قد تعرض لفترات عديدة من الضياع، وأن أصله العبري مفقود لا وجود له، إلا أن عزرا كتبه مرة أخرى بإلهام من الله. فالتوراة الموجودة بين أيديهم اليوم لا صلة لها بموسى ﷺ، إنما هي من تأليف أبحارهم ورهبانهم الذين بدلوا وحرفوا كثيرًا مما جاء في تعاليم موسى ﷺ،

الحديث - ينطبق على صُحُف موسى. والله أعلم.

(٣) انظر: تفسير البغوي (٤١٤/٧) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ]، وفتح القدير للشوكاني (١٥٠/٥) [دار الوفاء بالمنصورة]، والتحرير والتنوير (٢٩١/٣٠).

صحف موسى هي التوراة؛ وإلا لما خصَّ صحف إبراهيم بالذكر دونها - وقد جمعنا معًا في موضعين من القرآن -، واكتفى عن ذكرها بذكر التوراة؛ فدلَّ ذلك على أنها هي نفسها.

وقد يقال في الجواب عن ذلك: يحتمل أنها لم تذكر؛ لأنها لم تنزل في شهر رمضان، والحديث إنما هو في سياق ما أنزل في رمضان! وهذا محتمل، وإن كان بعيدًا. والعلم عند الله تعالى.

وهل كانت صحف موسى كثيرة، ولهذا جمعت؟ أم أنها جمعت لكونها مضافة إلى اثنين^(١) في قوله تعالى: ﴿صُحُفْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى]، وقوله ﷺ: ﴿أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ [٣٦] وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ [٢٧] [النجم]؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ لَّنُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٤]؟ الظاهر أنها كثيرة، ويدل على هذا حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق، وفيه: «وأنزل على موسى قبل التوراة عشر

(١) انظر: تفسير الرازي (٢٧٩/٢٩) [دار إحياء التراث العربي ببيروت]، والتحرير والتنوير (٢٩١/٣٠) [دار سنحون بتونس، ١٩٩٧م].

(٢) وقد قَدَّر الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (١٣٠/٢٧) صُحُفَ إبراهيم - التي جاء في نفس الحديث أنها عشر صحائف - بناء على هذا الحديث الضَّعِيف، بأنها: «مقدار عشر ورقات بالخط القديم، تسع الورقة قرابة أربع آيات من أي القرآن؛ بحيث يكون مجموع ما في صُحُف إبراهيم: مقدار أربعين آية»، ونفس هذا التقدير - على التسليم بصحة

٩ - «معارج القبول» (ج ٢)، لحافظ الحكمي.

١٠ - «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»، لابن القيم.

❏ التوسل ❏

❁ التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الواو والسين واللام كلمتان متباينتان: الأولى: الرغبة والطلب؛ يقال: وسل: إذا رغب، والواسل: الراغب إلى الله ﷻ، وهو في قول ليبيد:

بَلْ كُلُّ ذِي دِينٍ

إِلَى اللَّهِ وَاسِلٌ

ومن ذلك القياس: الوسيلة. والأخرى السرقة: يقال: أخذ إبله توسلاً» (٢).

التوسل: مصدر توسل، يقال: توسلت إلى فلان بكذا؛ أي: تقربت إليه بذلك الشيء، وتوسلت إلى الله وسيلة؛ أي: عملت عملاً أتقرب به إليه، فمعناه: التقرب، ويأتي أيضاً بمعنى: الرغبة والطلب، يقال: وسل فهو واسل؛ أي: رغب فهو راغب إلى الله تعالى، ويقال أيضاً: وسل فلان إلى ربه وسيلة؛ يعني: أنه عمل عملاً تقرب به إليه، وتطلق الوسيلة كذلك على المنزلة العلية

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ١١٠) [دار الجبل، ط ١٤٢٠هـ].

كما أخبر الله عنهم في القرآن، ومما يدل على ذلك أيضاً ظهور ثلاث نسخ للتوراة الحالية، وهذه النسخ هي: النسخة العبرية، والنسخة اليونانية، والنسخة السامرية، وهذه النسخ فيها من الاختلاف والتناقض الشيء الكثير^(١).

❁ المصادر والمراجع:

١ - «إظهار الحق»، لمحمد رحمت الله الهندي.

٢ - «تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل» (ج ١)، لصالح الجعفري.

٣ - «الجواب الصحيح» (ج ١، ٢، ٥)، لابن تيمية.

٤ - «دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية»، لسعود الخلف.

٥ - «دعوة التقريب بين الأديان: دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية»، لأحمد القاضي.

٦ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز.

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٦، ١٨، ١٩)، لابن تيمية.

٨ - «محاضرات في النصرانية»، لمحمد أبو زهرة.

(١) انظر: إظهار الحق (٢/ ٤٤٩)، والجواب الصحيح (٢/ ٤٥٠)، وهداية الحيارى (٣٠٩) [دار القلم، ط ١]، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (٨٣) وما بعدها.

عند الملك^(١).

❖ الحقيقة:

حقيقة التوسل الوارد في نصوص الكتاب والسنة هو التقرب إلى الله بطاعته، وهذا يدخل فيه كل ما أمر الله به، وأمر به رسوله ﷺ، يتناول كل واجب ومستحب، وأما ما ليس بواجب، ولا مستحب فلا يدخل فيه، سواء كان محرماً، أو مكروهاً، أو مباحاً، والتوسل بطاعته فرض لا يتم إلا به.

وأما التوسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، فهذا نوع آخر، هو من باب قبول الله دعاءه، وشفاعته؛ لكرامته عليه^(٤).

ولفظ التوسل من الألفاظ التي وقع فيها إجمال واشتراك، وحصل بسبب ذلك لبس وخلط في أفهام بعض الناس.

يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُمُ اللَّهُ: «لفظ التوسل صار مشتركاً؛ فعباد القبور يطلقون التوسل على الاستغاثة بغير الله، ودعائه رغباً ورهباً، والذبح والنذر، والتعظيم بما لم يشرع في حق مخلوق، وأهل العلم يطلقونه على المتابعة، والأخذ بالسنة، فيتوسلون إلى الله بما شرعه لهم من العبادات، وبما جاء به عبده ورسوله محمد ﷺ، وهذا هو

فتحصل مما تقدم: أن التوسل يطلق في اللغة على الأمور التالية: القربة، والرغبة، والحاجة، والمنزلة، وهذه المعاني للوسيلة متداخلة ومتلازمة؛ فالقربة والرغبة والحاجة والمنزلة تتقارب في المعنى ويستلزم بعضها بعضاً.

❖ التعريف شرعاً:

التوسل: هو التقرب إلى الله تعالى بما شرعه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، من الواجبات، والمستحبات^(٢).

❖ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

التوسل لغة لا يخرج عن معنى التقرب أو ما يؤول إليه، وهو كذلك في الشرعي، لكنه مقيد بكونه فيما يحبه الله ويرضاه؛ ولهذا قال الراغب الأصفهاني: «حقيقة الوسيلة إلى الله: مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة»^(٣).

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٣/٦٧) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ولسان العرب (١٥/٣٠١) دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٤١هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/١٩٩ - ٢٠٢، ٢٤٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف]، والشرك ومظاهره (٢٩٣) [دار الراية، ط١، ١٤٢٢هـ]، وأضواء البيان (٦/١٣٠) [دار عالم الفوائد، ط١].

(٣) مفردات غريب القرآن للراغب (٥٢٤) [دار المعرفة].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١/١٩٩ - ٢٠٠، ٢٤٧).

والثاني: التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة، يتوسلون بشفاعته.

والثالث: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته، والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته، ولا بعد مماته، لا عند قبره، ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة، وموقوفة أو عن من ليس قوله حجة»^(٣).

وقال مبارك بن محمد الميلي رحمته الله: «وإذا استعنا بالمعنى اللغوي لتحديد المعنى الشرعي، كان معناها في الشرع: قرينة مشروع توصل إلى مرغوب فيه، والتوسل: هو التقرب إلى الله بتلك القرينة، وتوسل الداعي: هو طلبه المبني على تلك القرينة، وليس في الشرع مطلوب، ومدعو إلا الله، وليس فيه قرينة إلا ما شرعه في الكتاب والسنة»^(٤).

وقال الشنقيطي رحمته الله: «التحقيق في معنى الوسيلة: هو ما ذهب إليه عامة العلماء: من أنها التقرب إلى الله تعالى، بالإخلاص له بالعبادة، على وفق ما جاء به الرسول ﷺ، وتفسير ابن عباس داخل

التوسل في عرف القرآن والسنة... ومنهم من يطلق على سؤال الله ودعائه بجاه نبيه، أو بحق عبده الصالح، أو بعباده الصالحين، وهذا هو الغالب عند الإطلاق في كلام المتأخرين؛ كالسبكي والقسطلاني، وابن حجر؛ أي: الهيتمي»^(١).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أقحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال: «اللَّهُمَّ إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ففسقنا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رحمته الله: «لفظ التوسل يراد به ثلاثة معان:

أحدها: التوسل بطاعته، فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

(١) منهاج التأسيس (٣٣٩) [دار الهداية، ط ٢، ١٤٠٧هـ]. وانظر: دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لعبد العزيز آل عبد اللطيف (٢٤١) [دار طيبة، ط ١٤٠٩هـ].
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الاستسقاء، رقم ١٠١٠).
(٣) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ضمن مجموع الفتاوى (٢٠٢/١).
(٤) الشرك ومظاهره (٢٩٣).

كتاب الله تعالى، أو سنة نبيه ﷺ، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] (٤).

والتوسل المشروع أنواع: فمن العلماء
من أوصلها إلى سبعة ومنهم من أوصلها
إلى ستة، وعند التأمل ترجع إلى ثلاثة
أنواع:

الأول: التوسل بأسماء الله تعالى
الحسن، وصفاته العليا:

ودليله قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ والمعنى: «ادعوا الله تعالى متوسلين بأسمائه الحسنى، ولا شك أن صفاته العليا سبحانه داخلة في الطلب؛ لأن أسمائه الحسنى سبحانه صفات له خصت به تبارك وتعالى» (٥).

الثاني: التوسل بالأعمال الصالحة:

فكل عمل صالح سواء كان ذلك
العمل من أعمال القلوب، أو أعمال
الجوارح فهو وسيلة صحيحة إلى الله
تعالى، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا عَمَلْنَا
فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿١٦﴾

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: هؤلاء
الراسخون في العلم والإيمان، يتوسلون
إلى ربهم بإيمانهم؛ لمغفرة ذنوبهم،

(٤) انظر: الشرك ومظاهره للميلي (٢٩٣)، والتوسل أنواعه وأحكامه للألباني (٢٩).

(٥) التوسل بأنواعه وأحكامه للألباني، (٣١).

في هذا^(١) ؛ لأن دعاء الله، والابتغال إليه في طلب الحوائج من أعظم أنواع العبادة، التي هي الوسيلة إلى نيل رضاه ورحمته، وبهذا التحقيق: تعلم أن ما يزعمه كثير من ملاحدة أتباع الجهاد، المدَّعين للتصوف، من أن المراد بالوسيلة في الآية الشيخ الذي يكون له واسطة بينه وبين ربه، أنه تخبُّط في الجهل والعمى، وضلال مبين، وتلاعب بكتاب الله، واتخاذ الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار^(٢).

الأقسام:

قسم العلماء المحققون التوسل إلى قسمين: توسل مشروع، وتوسل ممنوع، وكل منهما ينقسم إلى عدة أنواع^(٣):

القسم الأول: التوسل المشروع:

وہو کل توسل دَلَّ علی جوازہ نصُّ من

(١) يريد بتفسيره ابن عباس: تفسيره للوسيلة بالقربية، كما أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/٤٧٤) [مؤسسة الرسالة، ١٦]، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣/١٠٣) [دار طيبة، ٢٢].

(٢) أعضاء البيان (٦/١٣٠).

(٣) انظر: تلخيص الاستغاثة (١/١١٩)، [مكتبة الغرباء الأثرية]، والدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ١١٦٠) [جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط١، ١٤١٧هـ]، وقرة عيون الموحدين لعبد الرحمن بن حسن (٤٤) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢١هـ]، وصيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للسهرسواني (٢٠٣) [٥٥، ١٣٩٥هـ]، والشرك ومظاهره للميلي (٢٩٣)، والتوسل أنواعه وأحكامه للألباني (٢٩)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٥/٢٧٩) [دار الوطن، ١٤١٣هـ].

القسم الثاني: التوسل الممنوع:

وهو التقرب إلى الله تعالى بما لم يثبت في الشرع أنه وسيلة صحيحة، فلا دليل عليه من كتاب، ولا سنة، وإطلاق اسم التوسل على تلك التوسلات البدعية لم يرد في الشرع وإنما هو من الإطلاقات المبتدعة التي ابتدعتها الجهال؛ لتسويغ دعاء غير الله تعالى باسم التوسل، والعبرة إنما هي بالمعاني والمقاصد لا بالألفاظ والأقوال.

وهو ثلاثة أنواع:

الأول: التوسل إلى الله تعالى بذات فلان أو شخصه، أو يتوسل بحق فلان، أو بجاهه، سواء كان نبياً ﷺ أو غيره من الأنبياء، أو كان أحداً من الصالحين، وذلك أن يجعل ذات المتوسل به وسيلة في قبول دعائه كأن يقول: **اللَّهُمَّ** إني أسألك بنبيك محمد ﷺ، أو يقول: أسألك بحق نبيك، أو بجاه عندك، وهذا غير جائز شرعاً.

فالتوسل بالذات: إن كانت الباء للمقسم فهو إقسام على الله تعالى بمخلوق، وهو باطل؛ لأنه إن كان الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز وهو شرك كما قال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»^(٤).

ووقايتهم عذاب النار، وهذا من الوسائل التي يحبها الله أن يتوسل العبد إلى ربه»^(١).

ومن أدلة السنة النبوية على مشروعية توسل العبد إلى ربه بالأعمال الصالحة: حديث أصحاب الغار الثلاثة الذين توسلوا بأعمالهم الصالحة، من برّ الوالدين، وترك الفواحش، وأداء الحقوق فاستجاب الله ﷻ لهم^(٢).

الثالث: التوسل بدعاء الصالحين

الأحياء الحاضرين:

وهذا النوع من التوسل جائز؛ لثبوته من فعل الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ، وإقراره ﷺ لهم على ذلك، فقد كانوا يسألونه ﷺ أن يدعو الله لهم بدعاء عام كدعاء الاستسقاء، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه «أن أعرابياً قام يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا، فرفع يديه، وما نرى في السماء قرعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر من لحيته ﷺ...» الحديث^(٣).

(١) تفسير السعدي (١/٣٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإجارة، رقم ٢٢١٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٤٣). وانظر: تلخيص الاستغاثة (١/١٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الاستسقاء، رقم ١٠٣٣)، ومسلم (كتاب صلاة الاستسقاء، رقم ٨٩٧).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الإيمان والنذور باب كراهية =

فكيف بالإقسام بالمخلوق على الخالق ﷻ .

وإن كانت الباء للسببية فالله ﷻ لم يجعل السؤال بالمخلوق سبباً للإجابة، ولم يشرعه لعباده، فهو إذاً بدعة لا يجوز التعبد بفعله^(١).

ومما يدل على بطلان التوسل بالذوات أن السؤال بالذوات سؤال بأمر أجنبي، لا يقتضي المطلوب؛ لأنه لا ارتباط بين شرف ذات المتوسل به، وبين دعاء السائل؛ بخلاف ما إذا توسل بإيمانه بتلك الذات الصالحة ﷻ فقد توسل بسبب له علاقة وارتباط به؛ لأن ذلك من أعماله الصالحة التي جعلها الله سبباً لخيري الدنيا والآخرة^(٢)؟

وأما التوسل بالحق، أو بالجاه: فهو توسل غير مشروع لم يشرعه الله تعالى لعباده ولم يرشد إليه رسول الله ﷺ أمته ولم يفعله أحد من أصحابه ﷺ؛ بل هو سؤال لله تعالى بما لا يناسب إجابة الدعاء وقد منع منه جمع من أهل العلم. ومنهم الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ: فكان

= الحلف بالأباء، رقم ٣٢٥١، والترمذي (كتاب النذور والأيمان عن رسول الله ﷺ، رقم ١٥٣٥) قال عقبه: هذا حديث حسن، وأحمد (٢٧٥/٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب الأيمان، رقم ٤٣٥٨)، وصححه الألباني في الإرواء (رقم ٢٥٦١).
(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٩٧ - ٢٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١٣، ١٤١٩هـ].
(٢) تلخيص الاستغاثة (١/١١٩ - ١٢٠).

يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام، وكذلك تلميذه أبو يوسف رَحِمَهُ اللهُ كره مثل ذلك^(٣)، والكرهية المراد بها التحريم، كما هو معلوم من إطلاقها في كتب الحنفية.

وقال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ: «هذا محذور من وجهين:
- أحدهما: أنه أقسم بغير الله.

- الثاني: اعتقاده أن لأحد على الله حقاً، ولا يجوز الحلف بغير الله، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم]»^(٤).

وأيضاً: «فلا مناسبة بين ذلك، وبين إجابة دعاء هذا السائل، فكأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي! وأي مناسبة في هذا، وأي ملازمة؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء»^(٥).

الثاني: الإقسام على الله ﷻ بالتوسل به.

وصفة هذا التوسل أن يقول الداعي في دعائه: «اللَّهُمَّ إني أقسم عليك بفلان أن

(٣) إتحاف السادة المتقين للمرتضى (٢/٢٨٥) [مؤسسة التاريخ العربي، ط ١٤١٤هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (١/٢٩٧).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٩٤).

(٥) المصدر السابق (١/٢٩٦).

وهذا عين المحادة لله ورسوله ﷺ، وهو الشرك الأكبر، الذي هو أظلم الظلم.

وهذه حجة البكري التي احتج بها قديماً على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ قال شيخ الإسلام: «هذا الرجل قد فسر الاستغاثة بالتوسل، كما تقدم قوله: إن كل من توسل إلى الله بنبيه في تفريج كربته، فقد استغاث به، سواء كان بلفظ الاستغاثة، أو التوسل أو غيره»^(٤).

وهذا الذي ذهب إليه هؤلاء هو من تحريف لغة القرآن؛ بل لا يعرف في لغة أحد من بني آدم، فلما حرفوا اللغة، حرفوا معها الشريعة؛ فكل عاقل يدرك الفرق بين الاستغاثة، وبين التوسل؛ إذ الاستغاثة طلب من المدعو المسؤول، والتوسل طلب به والمستغيث بالنبي ﷺ طالب منه، والمتوسل به لا يُدعى، ولا يُطلب منه، ولا يسأل، وإنما يطلب به، كل أحد يفرق بين المدعو والمدعو به^(٥).

والمصنّفون في أسماء الله تعالى يقولون: يجب على مكلف أن يعلم أن لا غياث، ولا مغيث على الإطلاق

تقضي حاجتي» ومما تقرر شرعاً أن الحلف لا يكون إلا بالله ﷻ؛ إذ الحلف تعظيم لا يستحقه إلا الله تعالى وحده، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»^(١).

فإذا كان الحلف بالمخلوق على المخلوق شركاً، فكيف بالحلف بالمخلوق على الخالق ﷻ؟!

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «وإن كان مراده الإقسام على الله بحق فلان فذلك محذور؛ لأن الإقسام بالمخلوق لا يجوز فكيف على الخالق؟!».

قال الشيخ عبد العزيز الحصين رحمه الله: «وأما الإقسام على الله بمخلوق فهو منهي عنه باتفاق العلماء، وهل هو منهي عنه نهي تنزيه أو تحريم؟ على قولين أحصهما أنه كراهة تحريم»^(٢).

الثالث: دعاء غير الله تعالى، والاستغاثة بغيره: أطلق المخالف على دعاء غير الله تعالى، والاستغاثة بغيره ﷻ في تفريج الكربات، وقضاء الحاجات، ونحوها: مسمى التوسل، وقالوا: لا فرق بين التوسل، والاستغاثة، والاستشفاع، فكلها من باب واحد^(٣).

في الرد على الوهابية لزيني دحلان (١٥، ١٨) [مكتبة الحقيقة باستانبول تركيا].

(٤) تلخيص الاستغاثة (١/٣٦٧).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/١٠٣ - ١ -

٤)، وتلخيص الاستغاثة (١/٣٦٨)، وغاية الأمان

في الرد على النبهاني لشكري الألوسي (٢/٢٩١).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان والنذور، رقم ٦٦٤٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤٦).

(٢) الدرر السنية (٢/٨٥).

(٣) انظر: شفاء الأسقام للسبكي (١٧١)، والدرر السنية

أَصْلُ مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْبَيِّنَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٥﴾ [الأحقاف]... فلا يصح أن نقول: إنها وسيلة؛ بل هو شرك أكبر، مخرج من الدين»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- الاستشفاع بالرسول ﷺ:

هو طلب الشفاعة من النبي ﷺ باستجلاب دعائه لربه بحصول منفعة أو دفع مضرة.

ويختلف حكم الاستشفاع بالرسول ﷺ باختلاف أحواله كما دلت على ذلك النصوص الشرعية الواردة في هذا الباب، وفيما يلي تفصيل ذلك.

الحالة الأولى: طلب الشفاعة من الرسول ﷺ حال حياته في الأمور الدنيوية، فهذا جائز، وقد وقع في حياته ﷺ، فعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاء السائل أو طُلبت إليه حاجة قال: «اشفعوا تؤجروا» ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء»^(٣).

الحالة الثانية: طلب الشفاعة الأخروية من الرسول ﷺ، وهذا موضع

إلا الله، ويقولون: ومن أسمائه المغيث والغياث^(١).

فدعاء غير الله تعالى، أو الاستغاثة بغيره تعالى، في تفريج الكربات، وقضاء الحاجات، ونحوها مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى هو من الشرك الأكبر، الذي لا يغفره الله تعالى، وصاحبه مخلد في نار جهنم، أبد الآباد، كما هو مقرر في القرآن والسنة، وهو مما يعلم بالدين من الضرورة، وإن سموا ذلك توسلاً، فالعبرة بالحقائق والمعاني، لا بالأسماء والألقاب.

قال العلامة ابن عثيمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أما توسل المشركين بأصنامهم وأوثانهم، وتوسل الجاهلين بأوليائهم، فهو توسل شركي، لا نقول توسل بدعي؛ بل هو توسل شركي، ولا يصح أن نسميه توسلاً؛ بل هو شرك محض؛ لأن هؤلاء المتوسلين يدعون من يزعمون أنهم وسيلة، يأتي الرجل إلى من يزعمه ولياً، ويقول: يا ولي الله أنقذني - بهذا اللفظ -، يا آل البيت أنقذوني، يا نبي الله أنقذني، فهذا لا يصح أن نسميه وسيلة، ولكن نسميه شركاً؛ لأن دعاء غير الله شرك في الدين، وسفه في العقل، شرك في الدين؛ لأنهم اتخذوا شريكاً مع الله، وسفه في العقل؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَنْ

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٨٨/٥) -

(٢٨٩)، وانظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية

(١٦٦/٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة رقم ١٤٣٢)، ومسلم

(كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٢٧).

(١) تلخيص الاستغاثة (٢٩٥/١).

واستشفاع الناس بالنبي ﷺ في هذا المقام يوم القيامة هو كاستشفاعهم وتوسلهم به في حال حياته، فإنهم يطلبون منه يوم القيامة أن يشفع لهم إلى الله تعالى كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن يدعو لهم في الاستسقاء وغيره.

❁ الفرق:

الفرق بين التوسل والاستغاثة:

ثمة فروق عدة بين التوسل والاستغاثة يمكن إجمالها في الآتي^(٤):

أولاً: أن لفظ الاستغاثة في الكتاب والسنة وكلام العرب إنما هو مستعمل في معنى الطلب من المستغاث به مباشرة لا بمعنى أن يكون المستغاث به وسيلة فقط، فقول القائل: أستغيث به بمعنى: أتوسل بجاهه، هذا كلام لم ينطق به أحد من الأمم لا حقيقة ولا مجازاً.

ثانياً: أنه لا يقال استغثت إليك يا فلان بفلان أن تفعل بي كذا، وإنما يقال: أستغيث بفلان أن يفعل بي كذا. فأهل اللغة يجعلون فاعل المطلوب هو المستغاث به ولا يجعلون المستغاث به واحداً والمطلوب منه آخر فالاستغاثة طلب منه لا به.

ثالثاً: أن من سأل بالنبي لا يكون مخاطباً له ولا مستغيثاً به؛ لأن قول السائل: أتوسل إليك يا إلهي بفلان إنما

تفصيل يتميز به الحق من الباطل والسنة من البدعة، وبيانه فيما يلي:

الأول: إن كان طلبها في حال حياته ﷺ وحضوره فهذا جائز بالنص والإجماع، وواقع كما في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأجمع أهل العلم على أن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كان يستشفعون به في حياتهم ويتوسلون به في حضرته»^(١).

الثاني: إن كان طلبها بعد موته ﷺ - أي: في حال الحياة البرزخية - فهذا لا يجوز بل هو من البدع المحدثه والعقائد المنكرة، ولا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا فعل صاحب أو تابع من سلف الأمة وأئمتها^(٢).

الثالث: طلب الشفاعة من الرسول ﷺ يوم القيامة، فهذا ثابت في النصوص الشرعية أن الناس يطلبونها منه ﷺ كما في حديث الشفاعة الطويل، وفيه قوله ﷺ: «فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك»^(٣).

(١) تلخيص الاستغاثة (١/٢٦٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١/٢٤١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧١٢)،

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١/١٠٣ - ١٠٥).

وصفاته، فإنه مدعاة إلى معرفتها، وتعلمها، وحفظها، والدعاء بها.

وأما من آثار التوسل الغير المشروع:

١ - الوقوع في الشرك الأكبر، والالتحاق بركب المشركين بالله في أعظم أنواع العبادة، وهو الدعاء، وذلك إذا جعل التوسل الشرعي بمعنى سؤال المخلوقين ما لا يقدر عليه إلا رب العالمين.

٢ - الوقوع في البدع المنكرة، وذلك حينما يجعل التوسل الشرعي بمعنى السؤال بجاء فلان، أو بذاته، فإن هذا من البدع التي لم تعرف في عهد السلف، وهذا مما يؤدي إلى سخط الله، وغضبه، وأليم عقابه.

٣ - التوسل البدعي ذريعة إلى الشرك الأكبر، وهذا معلوم مشاهد من عباد القبور؛ إذ إنهم لما ادعوا جواز التوسل بذوات الأنبياء، والصالحين، والتوسل بجاههم، والإقسام بها على الله تعالى، أدى بهم إلى دعوى جواز دعائهم، والاستغاثة بهم في الملمات، ونحوها مما هو حق الله الخالص، بدعوى التوسل بهم.

✽ مذهب المخالفين:

المجيزون للتوسل البدعي بأنواعه الثلاثة يحتجون لما ذهبوا إليه من تجويز التوسلات البدعية بجملة من الأحاديث

هو خطاب لله لا لذلك المتوسل به بخلاف المستغاث به، فإنه مخاطب مسؤول مباشرة، فإن كان ما طلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله وجب أن يكون الله هو المدعو فيه فقط، ولم يجز صرف ذلك لغيره ﷺ.

رابعاً: أن الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر، وأما التوسل بسؤال الله بجاء فلان أو حق فلان فهو بدعة منكرة وليست شرکاً.

✽ الآثار:

من آثار التوسل المشروع:

١ - طاعة الله تعالى، وامتنال أمره؛ إذ أمر عباده بابتغاء الوسيلة إليه، وذلك لا يكون إلا بالإيمان به، واتباع نبيه ﷺ، وفي ذلك الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

٢ - التوسل المشروع من أعظم الأسباب في نيل المطالب الدنيوية، والأخروية، وقصة أصحاب الغار أكبر شاهد على ذلك، إذ لما توسل كل واحد بعمله الصالح، انفرجت عنهم الصخرة، وذلك بفضل الله ورحمته.

٣ - هو مدعاة إلى الإكثار من الأعمال الصالحة، والمبادرة إليها، فمن علم أنه يتوسل بها لنيل المطلوب المرغوب، سارع في العمل الصالح، والإكثار منه، ومثله التوسل بأسماء الله

النبوية، ونعرض هنا ما استدلووا به على النحو التالي:

أولاً: التوسل بالذات أو الجاه أو بحرمة فلان:

استدلووا لجواز هذا النوع من التوسل البدعي بما يلي:

١ - حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه: «أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذلك، فهو خير، فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلّي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: اللَّهُمَّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربك في حاجتي هذه، فتقضى لي، اللَّهُمَّ فشفعه فيّ وشفعني فيه، قال: ففعل الرجل فبراً»^(١).

قال السبكي: «والاحتجاج من هذا الأثر بفهم عثمان رضي الله عنه ومن حضره الذين هم أعلم بالله ورسوله وفعلهم»^(٢).

والجواب عن هذا من عدة أوجه:

أولاً: أن الأعمى إنما جاء إلى النبي ﷺ ليدعو له فهو توسل إلى الله تعالى بدعائه ﷺ.

ثانياً: لو كان السر في دعاء الأعمى هو توسله بذات النبي ﷺ وجاهه دون دعائه لكان كل من دعا بهذا الدعاء من العميان مخلصاً يعافى من وقته أو بعد حين.

ثالثاً: أن النبي ﷺ وعده بالدعاء وهو ﷺ لا يخلف وعده وقد دعا له كما وعده.

رابعاً: أن النبي ﷺ علّم الأعمى دعاء يدعو به وفيه قوله: «اللَّهُمَّ فشّعه فيّ وشفعني فيه» والشفاعة هي الدعاء (فشّعه فيّ)؛ أي: شفع نبيك فيّ؛ أي: اقبل دعاءه لي بأن ترد عليّ بصري، (وشفعني فيه)؛ أي: اقبل دعائي في أن تقبل دعاء النبي ﷺ لي^(٣).

٢ - حديث أنس رضي الله عنه؛ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أقحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال: «اللَّهُمَّ إنا كنا نتوسل إليك بنبيّنا ففسقنا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا قال: فيسقون»^(٤).

وهذا الأثر ليس فيه دليل على جواز التوسل البدعي؛ بل هو دليل على التوسل الشرعي وهو طلب الدعاء من الحي الحاضر، وذلك من وجوه:

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٨٧ - ٣٨٧)، والتوصل إلى حقيقة التوسل للرفاعي (٢٢٩ - ٢٣٢).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الاستسقاء، رقم ١٠١٠).

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٧٨) وصححه، وابن ماجه (كتاب الصلاة، رقم ١٣٨٥)، وأحمد (٤٧٨/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٢٧٩).
(٢) شفاء الأسقام (٣٦٨).

الأول: أن توسل عمر رضي الله عنه بدعاء العباس لا بذاته.

الثاني: أن قول عمر رضي الله عنه: إنا كنا نتوسل إليك بنبينا هذه الجملة يفسرها ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم في حياة النبي ﷺ أنهم كانوا يطلبون من النبي ﷺ أن يدعو لهم، لا أنهم يسألون الله بذاته أو بجاهه، كما في قصة الأعرابي الذي قال للنبي ﷺ: ادعُ الله أن يغثنا، وقصة المرأة التي كانت تصرع؛ حيث جاؤوا إلى النبي وطلبوا منه الدعاء.

الثالث: لو كان التوسل بالذات جائزًا كما يدعيه المحيزون للتوسل البدعي لما عدل عمر رضي الله عنه عن التوسل بذات النبي ﷺ إلى العباس رضي الله عنه؛ لأنه ممكن لو كان مشروعًا.

٣ - حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما خرج رجل من بيته إلى الصلاة فقال: اللَّهُمَّ إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي... فإني لم أخرج بطراً ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، إلا وكّل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له، وأقبل الله ﷻ عليه بوجهه حتى يفرغ من صلاته»^(١).

فهذا الحديث ضعيف لأنه من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري وعطية ضعيف وقد حكم بضعفه جمع من الأئمة كالنووي وابن تيمية والذهبي رحمهم الله، فإذا تبين ضعفه سقط الاحتجاج به ولم يحل الاستشهاد به في مسألة كهذه، ولفظه لا حجة فيه؛ فإن حق السائلين عليه أن يجيبهم، وحق العابدين أن يشي بهم، وهو حق أحقه الله ﷻ على نفسه الكريمة، بوعده الصادق باتفاق أهل العلم، وبإيجابه على نفسه في أحد أقوالهم^(٢).

٤ - حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي، فقال الله تعالى: يا آدم كيف عرفت محمدًا، ولم أخلقك؟ قال: يا رب إنك لما خلقتني رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا: لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت إنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك»^(٣).

رقم (٧٧٨)، وأحمد (٢٤٧/١٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وضعفه البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ٩٨) [دار العربية، ط٢]، والألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٢٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٢٨٨).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٣١٣) [دار الحرمين] =

(١) أخرجه ابن ماجه (كتاب المساجد والجماعات،

٣ - «التوصل إلى حقيقة التوصل»،
لمحمد نسيب الرفاعي.

٤ - «تيسير العزيز الحميد»،
لسليمان بن عبد الله.

٥ - «الدعاء ومنزلته من العقيدة
الإسلامية»، لجيلان العروسي.

٦ - «دعوى المناوئين لدعوة الشيخ
محمد بن عبد الوهاب»، لعبد العزيز
العبد اللطيف.

٧ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن
أبي العز.

٨ - «قاعدة جلييلة في التوصل
والوسيلة».

٩ - «دعوى المناوئين لشيخ الإسلام
ابن تيمية»، لعبد الله بن صالح الغصن.

١٠ - «الواسطة بين الله وخلقه عند
أهل السنة ومخالفهم»، للمرابط
الشنقيطي.

وهذا الحديث قد حكم جمع من
الأئمة بطلانه؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية
والذهبي وابن حجر وغيرهم رحمهم الله.

فإذا تبين بطلانه فلا يحل الاحتجاج
به أو اعتقاد ما تضمنه أو العمل به، ثم
هو مخالف للقرآن لأن الله ﷻ ذكر قصة
آدم عليه السلام وتوبته وتوسله ولم يذكر أنه
توسل بالنبي ﷺ^(١).

٥ - حديث: «إذا كانت لكم إلى الله
حاجة فسلوه بجاهي فإن جاهي عند الله
عظيم» وهذا حديث باطل لا أصل له في
شيء من كتب الحديث.

قال ابن تيمية رحمه الله: «حديث باطل لم
يروه أحد من أهل العلم ولا هو في
شيء من كتب الحديث»^(٢).

وقال أيضًا: «هو من المكذوبات
التي لم يروها أحد من علماء
المسلمين، ولا هو في شيء من كتب
الحديث»^(٣).

التوكل

التعريف لغةً:

التوكل من مادة: وَكَلَّ، يقال: وَكَلَّ
بالله وتوكل واتكل^(٤).

ويطلق التوكل على: التسليم والترك،
قال الجوهري: «وَكَلَّ إِلَيْهِ الْأَمْرَ وَكَلًّا
وَوَكُولًا: سلمه وتركه»^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «تلخيص الاستغاثة»، لابن كثير.
- ٢ - «التوصل أنواعه وأحكامه»،
للألباني.

= والحاكم (كتاب آيات رسول الله ﷺ، رقم ٤٢٢٨)،
وهو حديث موضوع، حكم أهل العلم بطلانه كما
سيأتي. وانظر: السلسلة الضعيفة (رقم ٢٥).

(١) الدرر السنية (٩/٢٣٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١/٣٤٦).

(٣) المصدر السابق (٢٤/٣٣٥).

(٤) لسان العرب (١١/٧٣٤) [دار الفكر، ط١].

(٥) الصحاح (٥/١٨٤٥) [دار العلم للملايين، ط٣].

وقال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ: «هو صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها»^(٦).

وقال ابن القيم: هو «اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بدَّ مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب»^(٧).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وقيل: هو قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب»^(٨).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لَمَّا كان التوكل في اللغة يطلق على التسليم والاعتماد، أُطلق في الشرع بهذا المعنى، إلا أن ذلك خُصَّ بالتسليم لله والاعتماد عليه ﷻ دون غيره، لتفرده سبحانه بالخلق والتدبير وقدرته على كل شيء.

الأسماء الأخرى:

التفويض.

الحكم:

التوكل على الله تعالى من أوجب

ويطلق أيضًا على الاعتماد والنيابة، قال ابن الأثير: «يقال: توكل بالأمر: إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان؛ أي: أَلَجَّأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل عن القيام بأمر نفسه»^(١).

التعريف شرعًا:

التوكل شرعًا: «هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله، والإيمان بتفرده بالخلق والتدبير والنفع والضرر، فيوجب له اعتمادًا عليه، وتفويض الأمور إليه، وطمأنينة وثقة به، ويقينًا بكفايته لما توكل عليه فيه»^(٢).

وقد اختلفت عبارات العلماء في التعريف بالتوكل على الله تعالى، فمنهم من فسره بلازمه، ومنهم من فسره بأسبابه ودواعيه، ومنهم من نظر إلى ثمرته، إلى غير ذلك من التفسيرات الكثيرة^(٣)، وبيان ذلك كما يلي:

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «وجملة التوكل: تفويض الأمر إلى الله جلَّ ثناؤه، والثقة به»^(٤)، وقریبًا من ذلك قال ابن الجوزي^(٥).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٢١/٥) [دار الكتب العلمية].

(٢) التوكل على الله للدميمجي (٢٠)، وانظر: مدارج السالكين (١٢٣/٢ - ١٢٤) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٣) انظر: التوكل على الله تعالى للدميمجي (١٧).

(٤) شعب الإيمان للبيهقي (٥٧/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٥) انظر: زاد المسير (٢٢٠) [المكتب الإسلامي، ط ١].

(٦) جامع العلوم والحكم (٣٥٦/٢) [المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٣هـ].

(٧) زاد المعاد (١٥/٤) [مؤسسة الرسالة، ط ٧].

(٨) فتح الباري لابن حجر (٤٤٩/٣).

الواجبات؛ بل هو شرط في الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] قال السعدي رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية الكريمة -: «ودلّ هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله»^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله في ردّه لبعض انحرافات الصوفية: «وأما توجه الخطاب به إلى العامة: فسبحان الله! هل خاطب الله بالتوكل في كتابه إلا خواص خلقه، وأقربهم إليه، وأكرمهم عليه وشرط في إيمانهم أن يكونوا متوكلين، والمعلق على الشرط يعدم عند عدمه، وهذا يدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل، فمن لا توكل له: لا إيمان له...»^(٢).

الحقيقة:

التوكل على الله يجمع أصلين مهمين: أحدهما: علم القلب: وذلك بيقينه بكفاية الله تعالى، وكمال قيامه بما وكله إليه.

الثاني: عمل القلب: وذلك بسكونه إلى وكيله وطمأنينته إليه، وتفويضه وتسليمه أمره إليه، ورضاه بتصرفه فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه، وهذا يورثه

الاعتماد عليه، وهذه هي الثقة به ﷺ. قال ابن القيم رحمه الله: «فإن التوكل يجمع أصلين: علم القلب وعمله. أما علمه: فيقينه بكفاية وكيله، وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك. وأما عمله: فسكونه إلى وكيله، وطمأنينته إليه، وتفويضه وتسليمه أمره إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك. ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه. فبهذين الأصلين يتحقق التوكل، وهما جماعة»^(٣).

المنزلة:

التوكل على الله ﷻ من أعظم مقامات الدين ولوازم الإيمان ومقتضياته، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران]، كما جعل الله التوكل عليه شعاراً لأهل الإيمان يتميزون به عن غيرهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال].

ومما يدل على منزلة التوكل على الله تعالى من دين الإسلام، أن الله تعالى جعله شرطاً للإيمان، لا يتحقق إلا به، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة].

(١) تفسير السعدي (٢٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٢) مدارج السالكين (١٣٤/٢).

(٣) طريق الهجرتين (٢٥٧) [دار السلفية، ط ٢، ١٣٩٤هـ].

❁ الأدلة:

رسول الله ﷺ: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، ثم قال: هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون، ولا يكتون، وعلى ربهم يتوكلون»^(٢).

الأدلة على وجوب التوكل على الله تعالى كثيرة، فقد أمر الله ﷻ بالتوكل عليه وأثنى على أصحابه في كثير من الآيات، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

وأما الأحاديث في الأمر بالتوكل وبيان منزلته، فكثيرة أيضاً، فمن ذلك:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خصاصاً وتروح بطاناً»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال

❁ أقوال أهل العلم:

قال سعيد بن جبير رضي الله عنه: «التوكل على الله ﷻ جماع الإيمان»^(٣).

وقال ابن القيم رحمه الله: «التوكل معنى يلتزم من أصلين: الثقة، والاعتماد، وهو حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة]...»^(٤).

وقال سليمان بن عبد الله رحمه الله: «الأصل الجامع الذي تفرعت عنه هذه الأفعال هو التوكل على الله، وصدق الالتجاء إليه، والاعتماد بالقلب عليه الذي هو خلاصة التفريد، ونهاية تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء، والرضا به رباً وإلهاً، والرضا بقضائه؛ بل ربما أوصل التوكل العبد إلى التلذذ بالبلاء، وعده من النعماء، فسبحان من يتفضل على من يشاء بما يشاء»^(٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤٧٢)،

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (١٩) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٤) مدارج السالكين (٨٦/١).

(٥) تيسير العزيز الحميد (٨٤) [المكتب الإسلامي، ط ١]. بتصرف يسير.

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الزهد، رقم ٢٣٤٤) وصححه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤١٦٤)، وأحمد (٣٣٢/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣١٠).

❁ الأقسام:

التوكل على الله تعالى نوعان:

أحدهما: توكل عليه في تحصيل العبد الرزق والعافية وغيرها.

والثاني: توكل عليه في تحصيل طاعته ومرضاته ﷻ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «التوكل على الله

نوعان:

أحدهما: توكل عليه في تحصيل حظ العبد من الرزق والعافية وغيرهما.

والثاني: توكل عليه في تحصيل مرضاته.

فأما النوع الأول فغاياته المطلوبة وإن لم تكن عبادة لأنها محض حظ العبد؛ فالتوكل على الله في حصوله عبادة، فهو منشأ لمصلحة دينه ودنياه.

وأما النوع الثاني فغايته عبادة، وهو في نفسه عبادة، فلا علة فيه بوجه؛ فإنه استعانة بالله على ما يرضيه، فصاحبه متحقق بـ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة]، فتركه ترك لشطر الإيمان^(١).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم الأخذ

بالأسباب وأنه لا ينافي التوكل:

اختلفت مواقف الناس من الأسباب

على أقوال متعددة، أهمها ما يلي:

١ - الإعراض عن الأسباب بالكلية:

وهذا القول هو المشهور عن الصوفية، حيث ذهبوا إلى أن التوكل لا يتحقق إلا بالإعراض التام عن الأسباب، وقد جرهم ذلك إلى ترك التكسب، والسفر إلى مكة وغيرها بلا زاد ولا راحلة، ونحو ذلك من الانحرافات.

وقد أشار ابن الجوزي إلى قولهم في الأسباب، وتتبع ما تعللوا به من الشبه، وأجاب عنها، ومما ذكره في هذا المقام، قوله: «لو قال رجل من الصوفية: من أين أطمع عيالي؟ لقالوا: قد أشركت، ولو سئلوا عمن يخرج إلى التجارة لقالوا: ليس بمتوكل ولا موقن، وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين...»^(٢).

٢ - نفي تأثير الأسباب بالكلية:

وهذا القول هو قول الجبرية، أتباع الجهم بن صفوان، فعندهم: أن الله لم يخلق شيئاً بسبب، ولا جعل في الأسباب قوى وطبائع تؤثر، فليس في النار قوة الإحراق، ولا في السم قوة الإهلاك؛ بل الله يحدث هذه الآثار عند ملاقة هذه الأجسام بها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وطرد هذا المذهب مفسد للدنيا والدين؛ بل ولسائر أديان الرسل، ولهذا لما طرده قوم

(٢) تليس إبليس (٣٤٦) [دار الريان].

(١) طريق الهجرتين (٢٦٢) [دار الوطن].

- المسألة الثانية: حكم التداوي، وهل ينافي التوكل؟

اختلف العلماء في حكم التداوي وهل ينافي التوكل، على قولين:

الأول: أن التداوي مباح، وتركه أفضل لمن قدر على ذلك، وهذا القول هو المشهور عن الإمام أحمد رحمته الله، وذلك لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ أنه قال - في الذين يدخلون الجنة بغير حساب -: «... هم الذين لا يسترقون ولا يكتون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون...»^(٤).

الثاني: أن التداوي مستحب، وهذا القول هو المشهور عن الإمام الشافعي، وعليه أكثر أصحابه، وذلك لمداومة النبي ﷺ على التداوي وهو لا يفعل إلا الأفضل.

وقريباً من ذلك قول الإمام أبي حنيفة: حيث ذهب إلى تأكيد التداوي حتى قارب به الوجوب.

وقد تضمن عدد من الأحاديث الصحيحة إثبات الأسباب والمسببات، وإبطال قول من أنكرها، والأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل على الله تعالى، والله أعلم^(٥).

أسقطوا الأسباب الدنيوية وعطلوها وجعلوا وجودها كعدمها ولم يمكنهم ذلك فإنهم لا بد أن يأكلوا ويشربوا ويباشروا من الأسباب ما يدفع عنهم الحر والبرد والألم^(١).

٣ - الأخذ بالأسباب وإثبات تأثيرها، مع الاعتماد التام على مسببها:

وهذا القول هو قول أهل السنة في هذه المسألة، وهو الحق الذي دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة، فإن الأسباب لها تأثير في مسبباتها، لكن لا بذاتها؛ بل بما أودعه الله فيها من القوى الموجبة، وهي تحت مشيئة الله وقدرته، فإن شاء سبحانه أقام لها موانع وصوارف تعارض اقتضاءها وتدفعه^(٢).

والتوكل على الله تعالى لا ينافي الأخذ بالأسباب التي قدّر الله تعالى المقدورات بها، وجرت سُنّته في خلقه بذلك، قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «إن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري لا انفكاك لأحد عنه حتى الحيوان البهيم؛ بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]...»^(٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤٧٢)،

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٨).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٥٦٤/٢١)، والآداب

الشرعية (٣٥٨/٢)، وكشاف القناع (٧٦/٢) =

(١) مدارج السالكين (٥١٨/٣).

(٢) انظر: المرجع السابق (٥٢٢/٣)، وانظر: التوكل

على الله تعالى للدميحي (١٧٦).

(٣) تيسير العزيز الحميد (١١٠).

- المسألة الثالثة: التوكل على غير الله تعالى: وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على جوازها، وتكلم العلماء على أحكامها في كتب الفقه.

وأما التوكل على غير الله فهو أيضاً قسمان:

أحدهما: التوكل المحرم: وهو على نوعين:

١ - التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى؛ كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحظ والرزق والشفاعة، فهذا شرك أكبر؛ فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالى^(١).

ويسمى هذا النوع من التوكل بتوكل السر؛ لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الولي ونحوه تصرفاً سرياً في الكون^(٢).

٢ - التوكل على غير الله في الأسباب الظاهرة العادية؛ كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما جعله الله في يده من الرزق أو دفع الأذى، فهذا محرم وهو من قبيل الشرك الأصغر^(٣).

الثاني: التوكل الجائز:

ويراد به الوكالة في فعل مقدور عليه،

= والمجموع للنووي (٩٦/٥)، وتحفة المحتاج (٣/

١٨٢)، وحاشية ابن عابدين (٢١٥/٥، ٢٤٩).

(١) تيسير العزيز الحميد (٤٩٧ - ٤٩٨).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين (٥٤/٦)، والتوكل

على الله للدميجي (١٥٤).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٩٨).

فالتوكل على المخلوق فيما يقدر عليه شرك خفي ونوع شرك أصغر، والتوكل على المخلوق فيما لا يقدر عليه المخلوق، وهذا يكثر عند عباد القبور والمتوجهين إلى الأولياء والموتى، هو شرك يخرج من الملة. أما الوكالة التي ذكرها العلماء في أبواب الفقه فلا تدخل في هذا المعنى؛ بل هي من باب المعاملات، وهي بمعنى الاستئابة، وليس لها علاقة بالتوكل الذي هو عبادة قلبية محضة، والله أعلم^(٤).

(٤) انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن

إبراهيم آل الشيخ (١/١٧٠)، واللائئ البهية في

شرح العقيدة الواسطية (١/٢٦٨ - ٢٦٩) [دار

العاصمة]، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٧٦)

[دار التوحيد، ط١].

❁ الفروق:

٤ - «التوكل على الله»، لابن أبي

الدنيا.

الفرق بين التوكل والاستعانة:

٥ - «تيسير العزيز الحميد»،

لسليمان بن عبد الله.

٦ - «جامع العلوم والحكم»، لابن

رجب.

٧ - «زاد المعاد في هدي خير

العباد»، لابن القيم.

٨ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

٩ - «القول المفيد على كتاب

التوحيد»، لابن عثيمين.

١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١١ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

❁ التَّوَلَّى ❁

❁ التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «التاء والواو واللام كلمة ما أحسبها صحيحة، لكنّها قد رويت. قالوا: التَّوَلَّى جنس من السَّحَر، وقالوا: هو شيء تجعله المرأة في عنقها؛ تتحصَّن به عند زوجها»^(٢).

التَّوَلَّى والتَّوَلَّى - بكسر التاء وضمها - شبيهة بالسحر، وقيل: التَّوَلَّى - بكسر التاء - وهو الذي يحبُّ المرأة إلى زوجها، والتَّوَلَّى - بضمها -: الداهية، وقيل: التَّوَلَّى والتَّوَلَّى: ضربٌ من الخرز

التوكل أعم من الاستعانة، فهو يتناول التوكل على الله تعالى ليُعينه على فعل ما أمر، والتوكل عليه فلاستعانة تكون على الأعمال، وأما التوكل فيكون في جلب المنافع ودفع المضار^(١).

❁ الثمرات:

للتوكل على الله تعالى ثمار عظيمة، أهمها ما يلي:

- ١ - أن التوكل به يتحقق الإيمان.
- ٢ - تحصل به كفاية الله وحفظه.
- ٣ - أنه سبب لنيل محبة الله تعالى.
- ٤ - أنه سبب في جلب المنافع ودفع المضار.

- ٥ - أنه يقوي العزيمة والثبات.
 - ٦ - أنه يقي من تسلط الشيطان.
- إلى غير ذلك من ثمار التوكل الكثيرة.

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
- ٢ - «تليس إبليس»، لابن الجوزي.
- ٣ - «التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب»، لعبد الله الدميحي.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٧٧/٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف].

(٢) مقاييس اللغة (١/٣٥٩) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

بنفسها فهي شرك أكبر^(٤).

وبعض أهل العلم يجعلها من الشرك الأكبر مطلقاً؛ لأنها نوع من أنواع السحر، والسحر لا يتوصل به إلا بالاستعانة بالجن، والاستغاثة بهم، ونحو ذلك من الكفريات، كما جاء ذلك منصوصاً عليه في «فتاوى نور على الدرب»، وفي بعض شروح «كتاب التوحيد»^(٥).

الحقيقة:

حقيقة التولة هي نوع من أنواع السحر؛ وهو أن أحد الزوجين يلجأ إلى السحر والشعوذة ليتحجب إلى زوجته الآخر، فيجعل التولة سبباً لما ليست له سبباً، فيقع في الشرك الأصغر، أو يجعل التولة هي الفاعلة بنفسها فيقع في الشرك الأكبر.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوْا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾^(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/١٨٢) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

(٥) انظر: فتاوى نور على الدرب (٣/٣٢٨) - باب ما جاء في السحر: بيان أن التولة من أنواع السحر - ضمن موقع اللجنة الدائمة للإفتاء، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (١١٢، ٣٠٠).

يوضع للسحر، فتحجب بها المرأة إلى زوجها. وقيل: هي معاذة تعلق على الإنسان^(١).

التعريف شرعاً:

ضرب من السحر زعموا أنه يحجب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته^(٢).

الأسماء الأخرى:

الصرف والعطف.

الحكم:

التولة من المحرمات الشرعية، فهي ضرب من السحر الذي هو من السبع الموبقات، وقد عدها النبي ﷺ من الشرك الذي هو أعظم الذنوب، وإنما كانت من الشرك لما يراد بها من دفع المضار، وجلب المنافع من غير الله تعالى^(٣).

وهل هي شرك أكبر أم أصغر؟
الجواب: بحسب ما يريد الإنسان منها؛ إن اتخذها معتقداً أن المسبب هو الله فهي شرك أصغر، وإن اعتقد أنها تفعل

(١) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٢/١٩٠)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/٢٠)، ولسان العرب (١١/٨٣).

(٢) انظر: معالم السنن (٤/٢٢٦) [مطبعة الطباخ، ط ١، ١٣٥٢هـ]، وشرح السنّة للبخاري (١٢/١٥٨) [المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ]، وفتح الباري (١٠/١٩٦) [دار المعرفة].

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/١٩٦).

من الشرك؛ لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله»^(٣).

وقال ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «وأما التولة: فهي الصرف والعطف، وهي نوع من السحر، وكله محرم؛ لقول الله تَعَالَى:

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ فأبان سبحانه بهذه الآية أن تعليم السحر من عمل الشيطان، وأنه كفر، وأنه يتوصل إليه بعبادتهم، والتقرب إليهم بما يحبون»^(٤).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «التولة: شيء يعلقونه على الزوج، يزعمون أنه يحب الزوجة إلى زوجها، والزوج إلى امرأته، وهذا شرك؛ لأنه ليس بسبب شرعي، ولا قدرى للمحبة»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: مسألة الصرف والعطف:

ويطلق عليه اسم التولة، وهما في الحكم سواء؛ فالصرف: صرف الزوجة عن زوجها إلى غيره، أو صرف الزوج

فَلَا تَكْفُرُ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»^(١).

فعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أن النبي ﷺ قال: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»، فقليل لابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هذه الرقى والتمائم قد عرفناها، فما التولة؟ قال: «شيء يصنعه النساء يتحبن إلى أزواجهن»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «والتولة... شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر؛ وإنما كان ذلك

(١) أخرجه البخاري (كتاب الوصايا، رقم ٢٧٦٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٩).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٨٨٣)، وابن ماجه (كتاب الطب، رقم ٣٥٣٠)، وأحمد (٦/ ١١٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الرقى والتمائم، رقم ٦٠٩٠)، والحاكم (كتاب الطب، رقم ٧٥٠٤، ٧٥٠٥) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣١).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٩٦)

(٤) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٩/ ٤٥٤) [ضمن موقع اللجنة الدائمة للإفتاء].

(٥) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٨١).

- المسألة الثانية: دبرة الخطوبة:

ومما يلحق بالتولة ما يُسمى بـ: دبرة الخطوبة: وهي خاتم يشتري عند الزواج يوضع في يد الزوج، فإذا ألقاه الزوج قالت المرأة: إنه لا يحبها؛ فهم يعتقدون فيه النفع والضرر، فما دام في يد الزوج فالعلاقة بين الزوجين ثابتة، والعكس بالعكس، فإذا وجدت هذه النية فإنه من الشرك الأصغر، وإن لم توجد هذه النية - وهي بعيدة ألا تصحبها - ففيه تشبه بالنصارى فإنها مأخوذة عنهم، وإن كانت من الذهب فهي بالنسبة للرجل محذورٌ ثالث وهو لبس الذهب، فهي من الشرك، أو مضاهاة للنصارى، أو تحريم النوع إن كانت للرجال^(٤).

❁ الحكمة:

الحكمة من النهي عن عمل التولة هي أن التولة نوع من أنواع السحر، وفيها شرك بالله في الربوبية حيث إن المتخذين لها يعتقدون فيها النفع فيكون شركاً أكبر، أو يعتقدون أنها مجرد سبب للنفع فيكون شركاً أصغر، وكلا هذين الأمرين مخالف لما أرسلت به الرسل فحقه أن ينهى عنه أشد النهي.

❁ المصادر والمراجع:

١ - «التمهيد» (ج ١٧)، لابن عبد البر.

٢ - «المصطلحات المستعملة في

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٨١ - ١٨٢).

عن زوجته إلى غيرها؛ بحيث يصبح أحدهما يبغض الآخر. وأما العطف: فهو أن يعطف الزوج على زوجته دون غيرها؛ أي: يميل إليها دون غيرها، أو تعطف الزوجة إلى زوجها، فلا تميل إلى غيره^(١).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله في رسالته «نواقض الإسلام»: «الناقض السابع: السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر. والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقِّ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]»^(٢).

قال صالح الفوزان حفظه الله: «السحر في الشرع ينقسم إلى قسمين: حقيقي، وتخيلي: فالحقيقي منه عبارة عن عمل يؤثر في الأبدان، أو القلوب؛ يؤثر في الأبدان بالمرض، أو الموت... أو يؤثر في القلب فيورث به كراهة أو محبة غير طبيعيين، فهذا هو الصرف والعطف؛ بأن يعطف الإنسان يحدث فيه محبة غير عادية لبعض الأشياء، أو بعض الأشخاص، أو يكرهه لذلك الشيء، أو يبغضه إليه؛ كأن يفرق بين المرء وزوجه، أو يحب أحدهما للآخر، ويسمى بالتولة»^(٣).

(١) انظر: فتاوى نور على الدرب (١/ ٣٥٢، ٣٥٣).

(٢) نواقض الإسلام مع شرحها للفوزان (١٤٢) [مكتبة الرشد، ٤ ط، ١٤٢٨هـ].

(٣) شرح نواقض الإسلام (١٤٢ - ١٤٣).

- ٦ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن محمد آل باجير. توحيد الألوهية عند السلف» (ج ٢)، حسن.
- ٣ - «إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد»، لصالح الفوزان. «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ٤ - «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ. «المفيد في مهمات التوحيد»، لعبد القادر عطا صوفي.
- ٥ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله. «نواقض الإيمان القولية والعملية»، لعبد العزيز العبد اللطيف.
- ٧ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ٨ - «المفيد في مهمات التوحيد»، لعبد القادر عطا صوفي.
- ٩ - «نواقض الإيمان القولية والعملية»، لعبد العزيز العبد اللطيف.



حرف الجيم

جامع الناس

التعريف لغة:

جامع: مضاف، والناس: مضاف إليه، والجامع اسم فاعل من جمع يجمع جمعاً، قال ابن فارس: «الجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تَضَام الشيء... وجمع مكة سَمِي لاجتماع الناس به»^(١).

الناس: هم الذكور والإناث من البشر والجن، ودليل دخول الإناث في الناس قول أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كنت أسمع الناس يذكرون الحوض، ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ، فلما كان يوماً من ذلك، والجارية تمشطني، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيها الناس» فقلت للجارية: استأخري عني، قالت: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء، فقلت: إني من الناس، فقال رسول الله ﷺ: «إني لكم فرط على الحوض...»^(٢).

ويدل على دخول الجن في الناس

قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسير قول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، حيث قال: «كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن؛ فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم»^(٣)، فذكر ناساً من الجن كما ذكر ناساً من الإنس.

التعريف شرعاً:

جامع الناس ليوم لا ريب فيه: هو الله «الذي يجمع الخلق يوم القيام للعرض والحساب والجزاء»^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنيين واضحة، حيث يجمع الله الناس يوم القيامة للعرض والحساب والجزاء.

سبب التسمية:

كون الله ﷻ يجمع الناس ليوم الدين الذي لا ريب فيه.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧١٤).

(٤) انظر: أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها (٣٤٩)

[دار المنار، ١، ١٤٢١هـ]، وتفسير ابن كثير (٣/

٢١) [دار عالم الكتب، ١، ١٤٢٥هـ].

(١) مقاييس اللغة (٢٢٤) [دار الفكر، ٢، ١٤١٨هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٩٥).

الحكم:

في صعيد واحد...»^(٢)، أن الله يجمع الناس أجمعين ليوم لا ريب فيه؛ فمن أسمائه ﷺ جامع الناس ليوم لا ريب فيه. ونقل القرطبي رحمه الله وغيره^(٣) إجماع الأمة على ثبوته اسماً لله ﷻ.

إثبات اسم جامع الناس ليوم لا ريب فيه لله ﷻ، ووجوب الإيمان بأن الله جامع الناس ليوم لا ريب فيه.

الأدلة:

أقوال أهل العلم:

قال بعض أهل العلم^(٤): إن جامع الناس من الأسماء المضافة التي تطلق على الله تعالى، ومن هؤلاء العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: «وكذلك أسماءه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب وغير ذلك مما ثبت في الكتاب أو السنة، وثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين وليس هذا من التسعة والتسعين»^(٥). وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله وهو يعد الأسماء الحسنى: «البديع من قوله: بديع السماوات والأرض، والجامع من قوله: جامع

من الأدلة على أن الله جامع الناس ليوم لا ريب فيه قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الجن: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّارِ﴾ [التغابن: ٩]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الواقعة]، دلت الآيات السابقة على أن الله تعالى هو يجمع الناس الأولين والآخرين إنهم وجنهم، ليوم معلوم وهو يوم القيامة، ثم يفصل بينهم بالحق.

كما دلَّ حديث الشفاعة المشهور وفيه: «يجمع الله الناس يوم القيامة...»^(١). وقول النبي ﷺ: «يجمع الله الناس - الأولين والآخرين -

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧١٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٢). وانظر: الجامع لأسماء الله الحسنى (٥٦).

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٤٧٨)، والجامع لأسماء الله الحسنى (٥٦).

(٤) منهم: السعدي، وسعيد القحطاني وابن تيمية رحمهم الله. انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (١٩١).

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢/٤٨٥).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٦٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٣).

وربُّ العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب وغير ذلك مما ثبت في الكتاب أو السُّنَّة، وثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين وليس هذا من التسعة والتسعين^(٦).

الآثار:

من آثار اسم جامع الناس ليوم لا ريب فيه:

- ١ - أن يكون عباد الله على ذكر من يجمعهم لهذا اليوم الذي يجازى فيه كل واحد بعمله، فمن يعرف أن الله جامع الناس ليوم لا ريب فيه؛ يعد للقاء بكثرة حسناته، والتوبة والاستغفار عن سيئاته.
- ٢ - إحجام الظالم عن ظلمه إذ سيجمعه الله تعالى مع المظلوم في يوم لا ريب فيه ويجازيه.

المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام القرآن» (ج ٢)، ابن العربي.
- ٢ - «أسماء الله الحسنى وصفاته في معتقد أهل السُّنَّة والجماعة»، للأشقر.
- ٣ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، للبيهقي.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢/٤٨٥).

الناس^(١). وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ وهو يشرح أسماء الله تعالى: «جامع الناس ليوم لا ريب فيه، وجامع أعمالهم وأرزاقهم، فلا يترك منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وجامع ما تفرق واستحال من الأموات الأولين والآخرين، بكمال قدرته، وسعة علمه»^(٢).

ولم يعده بعض العلماء من أسماء الله الحسنى أصلاً^(٣)، بينما ذكره البعض من أسماء الله الحسنى محلي بـ (أل): الجامع، من غير إضافة^(٤).

الشروط:

من شروط إثبات اسم (جامع الناس) أن يذكر مضافاً، فإن العلماء الذين ذهبوا إلى اعتبار الأسماء المضافة من الأسماء الحسنى^(٥) اشترطوا أن تذكر مضافة كما جاء ذكرها في النص، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين،

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/٢١٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٩٤٨).

(٣) كجعفر الصادق وابن حزم وابن عثيمين.

(٤) كالخطابي، وابن منده، والحليمي، والبيهقي، قوام السُّنَّة الأصفهاني، وابن العربي، والقرطبي وابن القيم، وابن الوزير، وابن حجر والشرابصي وغيرهم.

(٥) كابن تيمية في مجموع فتاويه (٢٢/٤٨٥) [مجمع الملك فهد]، وغيره. انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (١٨٨)، وشرح أسماء الله الحسنى (١١٧)، وأسماء الله الحسنى وصفاته في معتقد أهل السُّنَّة والجماعة (٦٥) [دار النفائس، ط ٢، ١٤١٤هـ].

الجهل: ويراد به ضد الخبرة، ولا يراد به ضد العقل، كما قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] (٢).

التعريف شرعاً:

الجاهلية تطلق ويراد بها معنيان (٣):

أحدهما: اسم للحال، أو الصفة التي هي راجعة إلى الجهل، وهذا الإطلاق هو الغالب في الكتاب والسنة؛ كقوله ﷺ لأبي ذرٍّ رضي الله عنه: «إنك امرؤ فيك جاهلية» (٤).

الثاني: اسم لذي الحال، أو لذي الصفة؛ كقولهم: شاعر جاهلي، أو طائفة جاهلية، وأمثال ذلك.

وكلا المعنيين يرجعان إلى: عدم العلم، وعدم اتباع العلم، والعمل به، فالجاهلية: هي الحال التي كان عليها الناس قبل بعثة النبي ﷺ، من الأقوال والأعمال المخالفة للهدى الرباني، مما

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٥٦/٦ - ٥٧) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ولسان العرب (٤٠٢/٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ].

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٢٧/١ - ٢٣٢) [مكتبة الرشد]، وشرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ١١٠) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط ١، ١٣٤٧هـ]، ومفتاح دار السعادة (٢٦٦/٣) [دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٦هـ]، وفتح القدير (٢٧٨/٤) [دار إحياء التراث العربي]، وفتح المجيد لشرح كتاب التوحيد (٣٦٦) [دار ابن الأثير، ط ١٥].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٣٠)، ومسلم (كتاب الأيمان، رقم ١٦٦١).

٥ - «الجوائز والصلوات من جمع الأسامي والصفات»، لنور الحسن خان.

٨ - «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة»، لسعيد القحطاني.

٩ - «فتح الباري» (ج ١١)، لابن حجر.

١٠ - «كتاب التوحيد» (ج ٢)، لابن منده.

١١ - «مجموع فتاوى» (ج ٢٢)، لابن تيمية.

١٢ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد التميمي.

الجاهلية

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمته الله: «جهل: الجيم والهاء واللام أصلان: أحدهما خلاف العلم، والآخر الخفة وخلاف الطمأنينة. فالأول: الجهل نقيض العلم، ويقال للمفازة التي لا علم بها: مجهل. والثاني: قولهم للخشبة التي يحرك بها الجمر: مجهل. ويقال: استجهلت الريح الغصن، إذا حركته فاضطرب» (١).

الجاهلية: مصدر مأخوذ من الجهل الذي هو نقيض العلم يقال: جهل فلان جهلاً وجهالةً، والجاهلية الجهلاء: زمان الفترة، ولا إسلام، ويطلق

(١) مقاييس اللغة (٤٨٩/١) [دار الجبل، ط ١٤٢٠هـ].

النوع الثاني: جاهلية معصية، وهي ما كان بترك واجب، أو فعل محرّم دون الكفر، وهذه لا يكفر صاحبها عند أهل السّنة والجماعة، ومن هذا النوع قوله ﷺ لأبي ذرٍّ رضي الله عنه: «إنك امرؤ فيك جاهلية»^(٣).

قال الإمام البخاري رحمه الله: «باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك؛ لقول النبي ﷺ: «إنك امرؤ فيك جاهلية»»^(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وفيه أن الرجل مع فضله، وعلمه ودينه، قد يكون فيه بعض هذه الخصال، المسماة بجاهلية، ويهودية، ونصرانية، ولا يوجب ذلك كفره، ولا فسقه»^(٥).

الحقيقة:

حقيقة الجاهلية: هي عدم العلم، وعدم العمل بالعلم، وهي الجهل بحقوق الله تعالى؛ كعبادة غير الله تعالى، واتخاذ معبودات من دونه تعالى، ونحوها، والجهل بحقوق أنبيائه عليهم الصلاة والسلام؛ كقتلهم، وتنكب طريقهم؛ كفعل بني إسرائيل مع أنبيائهم، وعلى رأسها الجهل بحقوق خاتم النبيين محمد ﷺ؛ كالجهل عليه، والإساءة إليه

أحدثه الجاهلون، ولا يفعله إلا الجاهلون، وهذه الجاهلية العامة المطلقة.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الجاهلية في المعنى اللغوي والشرعي تجمع معنى الجهل، فهي إما عدم علم بالحق، وإما عمل بغير ما يقتضيه العلم بالحق.

سبب التسمية:

الجاهلية نسبة إلى الجهل الذي هو عدم علم بالحق، أو العمل بنقيض ذلك العلم كالخفة والطيش، وهذا حال أهل الجاهلية الأولى^(١).

الحكم:

الجاهلية كلها مذمومة محرمة، وهي نوعان^(٢):

النوع الأول: جاهلية كفر، وهي مثل الجاهلية التي كان عليها أهل الشرك والعناد، من عبادة غير الله تعالى، والذبح، والنذر، للأوثان، ونحوها من الشراكيات، والكفريات، ومنه قوله ﷺ: ﴿يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٣٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٣١٣).

(٤) صحيح البخاري (٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٤٠).

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٢٧-٢٣٢)، وتيسير العزيز الحميد (٢/٨٠٢) [دار الصميعي، ط ١].

(٢) انظر: شرح المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية (١/٦٠ - ٦٥) [دار المؤيد، ط ١].

الجاهلية»^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إذا تبيّن ذلك: فالناس قبل مبعث الرسول ﷺ كانوا في حالة جاهلية منسوبة إلى الجهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال، والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل، وإنما يفعله جاهل، وكذلك كل ما يخالف ما جاءت به المرسلون؛ من يهودية، ونصرانية فهي جاهلية، وتلك كانت الجاهلية العامة، فأما بعد مبعث الرسول ﷺ قد تكون في مصر دون مصر، كما هي في دار الكفار، وقد تكون في شخص دون شخص؛ كالرجل قبل أن يسلم، فإنه في جاهلية، وإن كان في دار الإسلام، فأما في زمان مطلق، فلا جاهلية بعد مبعث محمد ﷺ؛ فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق، إلى قيام الساعة»^(٥).

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «أعني بالجاهلية: كل من ليس من أتباع الرسل؛ كالفلاسفة، والمنجمين، والكهان، وجاهلية العرب الذين كانوا قبل النبي ﷺ»^(٦).

حيًا، وبعد موته، وتنكب سيرته، ونحو ذلك، والجهل بحقوق عباد الله تعالى؛ كالتعدي عليهم في أعراضهم، وأنفسهم، وأموالهم، ونحو ذلك^(١).

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَبْرَحْ تَبْرِجَ الْجَهْلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَهْلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٦٢].

ومن السنة: عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَطْلَبُ دَمِ امْرِئٍ بغير حق ليريق دمه»^(٢).

وعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ»^(٣).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى أهل

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٩٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٦١).

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٣٠ - ٢٣١) [مكتبة الرشد، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل].

(٦) مفتاح دار السعادة (٣/ ٢٦٦) [دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٦هـ].

(١) انظر: القول المفيد لابن عثيمين (٢/ ٢٢) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الديات رقم ٦٨٨٢).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٢١٨).

مبعث محمد ﷺ»^(٤).

وبهذا يتضح خطأ من يعمّمون الجاهلية في هذا الزمان بقول: جاهلية هذا القرن، أو جاهلية القرن العشرين، أو ما شابه ذلك؛ لأنه ببعثة النبي ﷺ زالت الجاهلية العامة.

النوع الثاني: جاهلية مقيدة، وهي الجاهلية التي تقوم في بعض البلدان، أو ببعض الأشخاص، وهذا النوع يكون حتى بعد مبعث النبي ﷺ، ومنه قوله ﷺ لأبي ذرّ رضي الله عنه: «إنك امرؤ فيك جاهلية»^(٥).

وتنقسم الجاهلية باعتبار الحكم إلى جاهلية كفر، وجاهلية دون الكفر، كما تقدم في الحكم.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الجاهلية تكون من عدم العلم، وتكون من عدم العمل بالعلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإذا تبين ذلك: فالناس قبل مبعث الرسول ﷺ كانوا في حالة جاهلية منسوبة إلى الجهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال، والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل، وإنما يفعله جاهل، وكذلك كل

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وسنة الجاهلية اسم جنس يعم جميع ما كان أهل الجاهلية يعتمدونه من أخذ الجار بجاره، والحليف بحليفه، ونحو ذلك، ويلتحق بذلك ما كانوا يعتقدونه، والمراد منه ما جاء الإسلام بتركه؛ كالطيرة، والكهانة، وغير ذلك»^(١).

الاقسام:

تنوع الجاهلية أنواعاً عدة، وذلك بحسب اعتبارات مختلفة يمكن إجمالها في الآتي^(٢):

أولاً: من حيث الإطلاق والتقييد فهي على نوعين:

النوع الأول: جاهلية مطلقة، وهي الجاهلية العامة وهي التي كانت قبل مبعث النبي ﷺ، أما بعد البعثة فلا؛ لقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فأما في زمان مطلق فلا جاهلية بعد

(١) فتح الباري (١٢/٢١١) [دار المعرفة، قام بإخراجه: محب الدين الخطيب].

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٣٠ - ٢٣١)، وشرح المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية ليوسف السعيد (١/٦٠ - ٦٥) [دار المؤيد، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٦٠، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٠٣٧).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٢٧).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٣٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٣١٣).

أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم^(٤).

ومن أمور الجاهلية المنتشرة بين الناس: تتبع الآثار التاريخية، وإحيائها، وإظهارها، والسفر إليها، وقد نهى الشرع عن تتبع ذلك، أو الذهاب إليها، والصلاة عندها، ونحوها؛ مما يؤول إلى تعظيمها، والمبالغة في الاحتفاء بها، وذلك من أكبر ذرائع الشرك ووسائله.

قال النبي ﷺ: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم»^(٥).

قال المعرور بن سويد رضى الله عنه: خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه من مكة إلى المدينة فلما أصبحنا صلى بنا الغداة ثم رأى الناس يذهبون مذهباً. فقال: «أين يذهب هؤلاء؟» فقليل: يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ فهم يأتون يصلون فيه. فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا؛ كانوا يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعاً، فمن

ما يخالف ما جاءت به المرسلون؛ من يهودية، ونصرانية فهي جاهلية»^(١).

ومما يبين أنها تكون كذلك من عدم العمل بالعلم قول الشيخ ابن عثيمين رضى الله عنه في مشركي العرب: «فمن جهلهم أنهم ينصبون النصب ويعبدونها من دون الله، ويقتل أحدهم ابنته لكي لا يعير بها، ويقتل أولاده من ذكور وإناث خشية الفقر»^(٢).

- المسألة الثانية: النهي عن إحياء أمور الجاهلية:

لقد نهى الشرع نهياً شديداً عن إحياء أمور الجاهلية، أو الفخر بها، أو الاعتزاز إلى ذلك فعن أبي مالك الأشعري رضى الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة. وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رضى الله عنه: «ذم في الحديث من دعا بدعوى الجاهلية، وأخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم، ذمًا لمن لم يتركه، وهذا كله يقتضي أن ما كان من

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٣٥).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٣)، ومسلم

(كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٨٠).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٣٠ - ٢٣١).

(٢) انظر: القول المفيد لابن عثيمين (٢/ ٢٣).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٣٤).

الخير من شر؟ قال: «نعم»^(٣)... الحديث.

قال ابن القيم رحمته الله: «والمقصود: أن الله سبحانه يحب أن تعرف سبيل أعدائه لتجنب وتبغض، كما يجب أن تعرف سبيل أوليائه لتحب وتسلك، وفي هذه المعرفة من الفوائد والأسرار ما لا يعلمه إلا الله»^(٤).

الآثار:

من أعظم الآثار المترتبة عن الجاهلية الأولى: انتشار الشرك، وعبادة الأوثان، وصرف خالص حق الله تعالى إلى غير من المعبودات، وهذا من أظلم الظلم، وأقبح الذنب، وانتشارها نذير شر، كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم].

انتشار العداوة بين الناس، والفرقة والتنازع؛ بل قد يصل الأمر إلى الاقتتال والحروب، وذلك بسبب العصبية والحمية الجاهلية، التي كانت معروفة لدى الجاهلية الأولى، قبل بعثة النبي صلوات الله عليه، ومن أعظم أسباب الفشل والهزيمة: التنازع والتناحر، والدعاء بدعوى الجاهلية، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا

أدركته الصلاة في هذه المسجد فليصل فيه ومن لا فليمض ولا يتعمدها»^(١).

- المسألة الثالثة: وجوب التعرف على أمور الجاهلية للبعد عنها:

وينبغي معرفة ما كان عليه أهل الجاهلية حتى يجتنبها المسلم، ولا يقع في أمورهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف].

قال ابن جرير الطبري رحمته الله: «وكما فصلنا لك في هذه السورة من ابتدائها وفاتحتها يا محمد إلى هذا الموضع حجّتنا على المشركين من عبدة الأوثان، وأدلتنا، وميزناها لك وبيّناها، كذلك نفصل لك أعلامنا وأدلتنا في كل حق ينكره أهل الباطل من سائر أهل الملل غيرهم، فنبينها لك، حتى تبين حقه من باطله، وصحيحه من سقيم»^(٢).

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله صلوات الله عليه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا

(١) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (٧٨) رقم (١٠٥) [مكتبة ابن تيمية، ٣، ١٤٢٩هـ]. وقال محققه: إسناده صحيح، والطحاوي في مشكل الآثار (٥٤٤/١٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام (٥٠) [مكتبة المعارف، ط ١].

(٢) جامع البيان (٣٩٤/١١) [تحقيق: أحمد شاكر].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧٠٨٤)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٤٧).

(٤) الفوائد لابن القيم (١١) [دار الكتب العلمية].

فَنَفْسَلُوا وَنَذَهَبَ رِيحُهُمْ ﴿٤١﴾ [الأنفال: ٤١]. رسول الله ﷺ أهل الجاهلية، ليوسف السعيد.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: غزونا مع النبي ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجل لَعَاب، فكسع أنصاريًا، فغضب الأنصاري غضبًا شديدًا حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فخرج النبي ﷺ فقال: «ما بال دعوى أهل الجاهلية؟» ثم قال: «ما شأنهم؟» فأخبر بكسعة المهاجرين الأنصاري، قال: فقال النبي ﷺ: «دعوها فإنها خبيثة»^(١).

❖ الجبت ❖

❖ التعريف لغةً:

الجبت في اللغة: أصله الجبس، قلبت سينه تاء؛ وهو الفسل الذي لا خير فيه، وأبدلت السين تاءً؛ تنبيهًا على مبالغته في الفسولة^(٢)، قال أهل اللغة: كل معبود من دون الله جبت وطاغوت. وهي كلمة تقع على الصنم، والكاهن، والساحر، والسحر، ونحو ذلك.. وهذا ليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف دُولَقِي^(٣).

❖ التعريف شرعًا:

اختلفت أقوال السلف في تعريف

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن (٨٥) [دار المعرفة]، وترتيب القاموس المحيط (٤٣٥/٢) [دار عالم الكتب، ط ٤، ١٤١٧هـ]. والفسل: هو الضعف والقلة؛ من ذلك الرجل الفسل: وهو الرديء من الرجال. انظر: مقاييس اللغة (٥٠٣/٤) [دار الجيل، ط ١٤٢٢هـ].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٨/١١) [الدار المصرية للتأليف، والصحاح (٢٤٥/١) [دار العلم للملايين، ط ٣].

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية.
- ٢ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٣ - «زوائد مسائل الجاهلية»، لعبد الله الدويش.
- ٤ - «السنن والآثار في النهي عن التشبه بالكفار»، لسهيل عبد الغفار.
- ٥ - «عقيدة التوحيد»، لصالح الفوزان.
- ٦ - «فتح الباري» (ج ١)، لابن حجر.
- ٧ - «القول المفيد على كتاب التوحيد» (ج ٢)، لابن عثيمين.
- ٨ - «شرح المسائل التي خالف فيها

(١) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥١٨)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٨٤).

عُد من دون الله، وبهذا يكون المعنى الشرعي واللغوي للجبت واحدًا.

❖ الأسماء الأخرى:

الجبت يطلق على كل من السحر، والساحر، والصنم، والكاهن، والشيطان، والشرك^(٤).

❖ الحكم:

تضافرت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة النبوية على تحريم الجبت سواء فُسِّر بالسحر أو بالكهانة أو بالشرك أو غيرها مما قاله العلماء في معناه.

❖ الحقيقة:

حقيقة الجبت: هو كل باطل خلاف الحق، وكل شيء لا خير فيه، وهو يعم السحر، والساحر، والكهانة، والكاهن، والشيطان، والطاغوت، والصنم، فهو يطلق على الأعيان والأفراد، من أهل الباطل والفساد، كما جاء تفسير ذلك عن بعض السلف أنه: حيي بن أخطب، وقيل: كعب بن أشرف، ويطلق الجبت على الأفعال والأقوال الباطلة والمحرمة؛ كالسحر، والكهانة، ويطلق على المعبودات من دون الله تعالى؛ كالصنم، وغير ذلك^(٥).

الجبت، فجاءت تعريفاتهم في غالبها مقصورة على بعض آحاده، غير شاملة لجميع أفرادها^(١)، ومن أجمع ما عرف به الجبت قول ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «الجبت، والطاغوت: اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله، أو طاعة، أو خضوع له، كائنًا ما كان ذلك المعظم، من حجر، أو إنسان، أو شيطان»^(٢).

فالجبت إذن اسم عام لكل ما فيه مخالفة لأمر الله تعالى، وأمر رسول الله ﷺ في باب الاعتقاد، فقد يكون الجبت سحرًا، وهو ما فُسِّر به كثير من السلف الجبت، وقد يكون الجبت: الكاهن، وقد يكون الشيء المرذول الذي يضر صاحبه^(٣).

❖ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لم يخرج المعنى الشرعي للجبت عن معناه في اللغة فالجبت عند اللغويين: هو الذي لا خير فيه، وهو كل معبود من دون الله من حجر، أو صورة، أو شيطان، وقال بعض اللغويين: إنه كل ما

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣٤/٧) [دار هجر، ط١]، وزاد المسير (١٠٧/٢) [المكتب الإسلامي، ط٣]، وتفسير ابن كثير (١١٥/٤) [مؤسسة قرطبة، ط١]، ١٤٢١هـ.

(٢) تفسير الطبري (١٣٤/٧).

(٣) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٢٨٥) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ]، والقول المفيد على كتاب التوحيد (٤٥٦/١) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٣هـ].

(٤) انظر: زاد المسير (١٠٧/٢)، وفتح الباري لابن حجر (٢٥٢/٨) [دار المعرفة].

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٤٠/٧ - ١٤١)، ومجموع =

الأدلة:

أقوال أهل العلم:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۚ﴾ [النساء].

وعن قبيصة رضي الله عنه؛ أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت»^(١).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان»^(٢).

= فتاوى ابن تيمية (٢٨/٢٠٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف]، وتيسير العزيز الحميد (١/٦٤٧) [دار الصميعي، ط ١]، وفتح المجيد (٢٩٦) [دار ابن الأثير، ط ١٥]، وحاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (١٨٧) [ط ١٤، ١٤٢٤هـ]، والقول المفيد (١/٤٥٦)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (٢٨٥).

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٩٠٧)، وأحمد (٢٥٦/٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب النجوم والأنواء، رقم ٦١٣١)، وقد اختلف أهل العلم في تضعيفه وتصحيحه، فحسَّنه النووي في رياض الصالحين (٤٠٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (رقم ١٧٩٤) [مكتبة المعارف].

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه رقم (٦٤٩) (٤/١٢٨٣) [دار الصميعي، ط ١، ١٤١٤هـ]. وذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم في صحيحه (كتاب التفسير، تفسير سورة النساء باب قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْهُومًا أَوْ عَلَيَّ سَفَرٌ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنَكُمُ مِنَ الْغَائِطِ﴾ [النساء: ٤٣])، ووصله ابن حجر في تعليق التعليق (٤/١٩٦) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٥هـ]، وقال في فتح الباري (٨/٢٥٢): «وصله عبد بن حميد في تفسيره، ومسدد في مسنده، وعبد الرحمن بن رسته في كتاب الإيمان... وإسناده قوي»، وأخرجه ابن جرير في جامع البيان (٧/١٣٥)، وغيرهم.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله: «والصواب من القول في تأويل قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ أن يقال: يصدقون بمعبودين من دون الله، فيعبدونهما من دون الله، ويتخذونهما إلهين، وذلك أن الجبت، والطاغوت: اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله، أو طاعة، أو خضوع له، كائنًا ما كان ذلك المعظم، من حجر، أو إنسان، أو شيطان، وإذا كان ذلك كذلك، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدوها، كانت معظمة بالعبادة من دون الله، فكانت جُبوَّتًا وطواغيت، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن، اللذان كان مقبولاَ منهما ما قالوا في أهل الشرك، وكذلك حييُّ بن أخطب، وكعب بن أشرف؛ لأنهما كانا مطاعين في أهل ملتهم، من اليهود في معصية الله، والكفر به وبرسوله، فكانا جبتيْن طاغوتيْن»^(٣).

وقال الحافظ المنذري رحمته الله: «والجبت بكسر الجيم كل ما عُبد من دون الله تعالى»^(٤).

وقال المناوي رحمته الله: «من الجبت؛

(٣) جامع البيان عن تأويل القرآن (٧/١٣٤ - ١٣٥).

(٤) الترغيب والترهيب للمنذري (٣/١١٢٧).

فالذي يظهر والله أعلم أن الجبت والطاغوت إذا اجتمعا افترقا في المعنى؛ حيث يراد بالجبت: الأعمال والأقوال الباطلة، والطاغوت: الطاغي من الأعيان، وأما إذا افترقا فيكون الجبت أعم من الطاغوت، فيشمل الجبت الأقوال، والأعمال، والأعيان الباطلة، وأما الطاغوت فيكون أخص منه.

أي: من أعمال السحر، فكما أن السحر حرام، فكذا هذه الأشياء، أو مماثل عبادة الجبت في الحرمة. قال القاضي: والجبت في الأصل: الفسل الذي لا خير فيه. وقيل: أصله: جبس، فأبدلت السين تاء؛ تنبيهًا على مبالغته في الفسولة، ثم استعير لما يعبد من دون الله، وللساحر والسحر، ولخساستهما، وعدم اعتبارها^(١).

الفروق:

الفرق بين الجبت والطاغوت:

جاء في بعض التفاسير المنقولة عن بعض السلف تفسير كل من الجبت والطاغوت بما يفسر به الآخر، فمن ذلك تفسيرهما بأنهما الشيطان، أو الكاهن، أو الساحر، أو الأصنام. وقد ذكر بعض أهل العلم فرقًا بينهما، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله؛ حيث قال: «فإن الطاغوت هو الطاغي من الأعيان، والجبت هو من الأعمال والأقوال، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الجبت: السحر والطاغوت: الشيطان. ولهذا قال النبي ﷺ: «العيافة والطيرة، والطرق من الجبت»^(٢)،^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «التعريفات الاعتقادية»، لسعد آل عبد اللطيف.
- ٢ - «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.
- ٣ - «التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد»، لعبد الله الدويش.
- ٤ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٥ - «تفسير الطبري».
- ٦ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن.
- ٧ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ٨ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٩ - «روح المعاني»، للألوسي.
- ١٠ - «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع»، للملطي.

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٤/ ٣٩٥ - ٣٩٦)

[دار المعرفة، ط ٢، ١٣٩١هـ].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠٠).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

إن الله ﷻ لم يزل ولا يزال متَّصفاً بالعلو والجبروت والعظمة والكبرياء والقهر والغلبة، وهو الذي يقهر العدو ويغني الفقير ويجبر الكسير ويصلح.

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل؛ لدلالة القرآن والسنة عليها.

الحقيقة:

الكبرياء والعظمة والجبر والإصلاح، والله ﷻ موصوف بالعلو والعظمة التي لا يصل إليها ولا يدانيها أحد، وهو الذي يجبر الكسير ويصلح المعوج. قال السعدي: «الجبار بمعنى: القهار، وبمعنى أنه يجبر الكسير، ويغني الفقير، ويجبر القلوب المنكسرة من أجله، ويجبر عبده المؤمن بإصلاح حاله، وهو بمعنى العلي الأعلى، وبمعنى المتكبر عن كل نقص وسوء ومثال»^(٥). وقال أيضاً: «إن للجبار من أسمائه الحسنی ثلاثة معان، كلها داخلة باسمه (الجبار) فهو الذي يجبر الضعيف، وكل قلب

(٥) توضيح الكافية الشافية (٣٨٦) [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط ٢، ١٤١٢هـ].

الجبروت

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الجيم والباء والراء أصل واحد، وهو جنس من العظمة والعلو والاستقامة»^(١). وقال الجوهري: «الجبر أن تغني الرجل من فقر أو تصلح عظمه من كسر»^(٢). ويقال: جبرت العظم فانجبر، ويقال: نخلة جبارة إذا طالت وارتفعت وفاتت اليد، ويقال: تجبر الرجل؛ أي: تكبَّر، ويقال: أجبرت فلاناً على الأمر؛ أي: أكرهته عليه، ولا يكون ذلك إلا بالقهر وجنس من التعظم عليه»^(٣). فالجبروت معناه: الجبر والإصلاح، والعلو والفوقية، والقهر والغلبة.

التعريف شرعاً:

إن الله ﷻ متَّصف بالعظمة والغلبة والقهر والعلو، وهو الذي يغني الفقير ويجبر الكسير ويصلح الأحوال»^(٤).

(١) مقاييس اللغة (٢٥٦/١) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) الصحاح (٦٠٧/٢) [دار العلم للملايين].

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٢٥٧/١)، والصحاح (٦٠٧/٢) - ٦٠٨.

(٤) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (١٩) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ]، ومعالم التنزيل للبغوي (٥/ ٢٢٠) [دار الفكر، ط ١، ١٤٢٢هـ]، وصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (٧٨) [دار الهجرة الرياض، ط ١، ١٤١٤هـ].

هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ
الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ [الحشر].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:
قال النبي ﷺ: «تكون الأرض يوم
القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده
كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً
لأهل الجنة»^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:
قال رسول الله ﷺ في حديث طويل،
وجاء فيه: «فيأتيهم الجبار في صورة غير
صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا
ربكم... فما أنتم بأشد لي مناشدة في
الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ
للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا في
إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا كانوا
يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون
معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن
وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان
فأخرجوه... فيشفع النبيون والملائكة
والمؤمنون فيقول الجبار: بقيت شفاعتي،
فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد
امتحشوا يلقون في نهر بأفواه الجنة يقال
له: ماء الحياة...»^(٣).

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه

منكسر لأجله، فيجبر الكسير، ويغني
الفقير، وييسر على المعسر كل عسير،
ويجبر المصاب بتوقيفه للثبات، والصبر،
ويعيضة على مصابه أعظم الأجر إذا قام
بواجبها، ويجبر جبراً خاصاً قلوب
الخاضعين لعظمته وجلاله، وقلوب
المحبين بما يفيض عليها من أنواع
كراماته وأصناف المعارف والأحوال
الإيمانية، فقلوب المنكسرين لأجله
جبرها دان قريب، وإذا دعا الداعي
فقال: اللَّهُمَّ اجبرني، فإنه يريد هذا
الجبر الذي حقيقته إصلاح العبد ودفع
جميع المكاره عنه.

والمعنى الثاني: أنه القهار لكل
شيء، الذي دان له كل شيء، وخضع له
كل شيء.

والمعنى الثالث: أنه العلي على كل
شيء.

فصار الجبار متضمناً لمعنى الرؤوف
القهار العلي، وقد يراد به معنى رابع،
وهو المتكبر عن كل سوء، ونقص، وعن
مماثلة أحد، وعن أن يكون له كفؤ أو
ضد أو سمي أو شريك في خصائصه،
وحقوقه^(١).

الأدلة:

قال ﷻ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٢٠)، ومسلم
(كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٣٩)،
واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٣).

(١) الحق الواضح المبين للسعدي (٢٥٢) [مركز
صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط ٢، ١٤١٢هـ].

وله مسمى ثالث وهو العلو
فليس يدنو منه من إنسان
من قولهم جبارة للنخلة الـ
عليا التي فاتت لكل بنان^(٤).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الجبار اسم من
أسماء الله الحسنى:

ورد هذا الاسم بصيغة الاسم في
القرآن الكريم مرة واحدة، وعدة مرات
في الأحاديث النبوية، وعَدَّه من
أسماء الله الحسنى وذكره فيها عامة من
اعتنى بأسماء الله تعالى وصنَّف فيها^(٥).

- المسألة الثانية: الجبروت لله وحده:

فمن تجرَّ من الخلق باء بسخط الله
واستحق وعيده سبحانه، وقد توعد الله
تعالى المتجبرين المتكبرين بالنكال
الشديد، والطبع على قلوبهم وإدخالهم
النار يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ
عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ
وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [٥٩] وَأَنبَعُوا فِي
هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿[هود]، وقال
تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ
عَنِيدٍ﴾ [١٥] مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ
صَدِيدٍ [١٦] يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ
يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا

قال: قمت مع رسول الله ﷺ ليلة، فقام
فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا
وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا
وقف فتعوذ، قال: ثم ركع بقدر قيامه،
يقول في ركوعه: «سبحانه ذي الجبروت
والملكوت والكبرياء والعظمة»^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللهُ: «جبروته: تجبُّره؛
أي: تعظمه»^(٢).

وقال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: «الْجَبَّارُ» قال
ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «الجبار هو العظيم،
وجبروت الله عظمته»، وهو على هذا
القول صفة ذات الله، وقيل: هو من
الجبر، وهو الإصلاح^(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في نونيته
المشهورة:

وكذلك الجبار من أوصافه

والجبر في أوصافه قسمان

جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلُّ قَلْبٍ قَدْ غَدَا

ذَا كَسَرَهُ فَالْجَبْرُ مِنْهُ دَان

والثان جبر القهر بالعز الذي

لا ينبغي لسواه من إنسان

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ٨٧٣)،
والنسائي (كتاب صفة الصلاة، رقم ١١٣٢)،
وصححه النووي في الخلاصة (٣٩٦/١) [مؤسسة
الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح أبي
داود (٢٧/٤) [مؤسسة غراس، ط ١].

(٢) غريب القرآن (١٩) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ].

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٢٢٠/٥).

(٤) الكافية الشافية (٧٢٦/٣) [دار عالم الفوائد، ط ١].

(٥) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله

الحسنى (١٦٢) [دار إيلاف الدولية، الكويت، ط ١].

والحكمة، وكذلك وصف الله نفسه بالغلبة والقهر والعزة والعظمة والجبروت والكبرياء، وذلك في آيات كثيرة من القرآن الكريم، وقد جمع الله ذلك في الآيات الثلاث الأخيرة من سورة الحشر، ووَصَفُ الله نَفْسَهُ بهذه الصفات دليل على أن عزة الله وجبروته وكبرياه وقهره مقرون بالحكمة والرحمة والعدل، ومنزه عن كل ظلم وجور وعن كل نقص وعيب^(٣).

- المسألة الرابعة: لا شك أن الله ﷻ موصوف بالغلبة والقهر والعزة والجبروت والكبرياء:

فهو القاهر على كل شيء، والغالب على كل شيء، وهو العزيز الجبار المتكبر، والعالم العلوي والسفلي بما فيهما من المخلوقات العظيمة كلها خاضعة له سبحانه وليس لها من الأمر شيء، ولكن الله ﷻ من كمال عدله لم يجعل العباد مجبورين على الإيمان والطاعة أو الكفر والمعصية؛ بل جعل لهم المشيئة والقدرة والاختيار، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) ﴿فَلَمَّهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٨) ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ (٩)

هُوَ بِمِيتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿٧﴾ [إبراهيم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تحتاج الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم». قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي...» الحديث^(١).

فالتجبر والتكبر لا يليق إلا بالله العزيز الجبار المتكبر، وهذا وصف كمال خاص بالله ﷻ، واتصاف المخلوق به ليس كمالات؛ بل هو ذم له ونقص، كما قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ﴾ (٢٥) [غافر] وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥] ولذلك كان مصير الجبارين المتكبرين المنازعين الرب تعالى فيما هو خاص به سبحانه إلى الذل والهوان والعار والنار^(٢).

- المسألة الثالثة: إن الله ﷻ نزه نفسه عن كل نقص وعيب:

ووصف نفسه بالرافة والرحمة

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، سورة ق، رقم ٤٨٥٠)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٦).
(٢) انظر: شفاء العليل (٢٠٨) [دار الكتب العلمية ط ٢].

(٣) انظر: شفاء العليل (٢٠٨)، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (١٢٨ - ١٢٩) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط ٤].

أحاديث الصفات على الصحيح من أقوال أهل العلم، وفيما يلي ذكر جملة من أقوال العلماء المحققين في ذلك:

قال الحافظ أبو بكر بن إسحاق - شيخ الحاكم -: «معنى قوله: (بذراع الجبار)؛ أي: جبار من جبابرة الآدميين، مِمَّنْ كان في القرون الأولى، مِمَّنْ كان أعظم خلقًا وأطول أعضاء وذراعًا من الناس»^(٣).

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: «ليس ذا من الصفات في شيء»^(٤).

الآثار:

١ - إن المؤمن حينما يدرك أن ربه وإلهه جبار، وأنه متصف بكمال العظمة والجبروت، وأن الناس لا يستطيعون أن يجبروا عظمًا والله كاسره، وأنهم لا يستطيعون أن يهيضوا عظمًا والله جابره، وأنه هو الذي يجبر الكسير ويغني الفقير ويسير العسير، فهذا الاسم يدل على أن الله رَحِمَهُ اللهُ متصف بكمال الكبرياء والجبروت وأنه متصف بكمال اللطف والرأفة والرحمة، وعلم العبد وإيمانه بهذا الاسم وبهذه الصفة لله تعالى يورث في قلبه المحبة له والاعتزاز به والافتقار إليه، فلا يطلب إصلاح نفسه وجبر قلبه ودفع

وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿١٠﴾ [الشمس]، والله رَحِمَهُ اللهُ أعلى وأجل من أن يجبر العباد ويكرههم على فعل ما يريد منهم^(١).

- المسألة الخامسة: معنى حديث غلظ جلد الكافر بذراع الجبار:

عن أبي هريرة عن النبي رَحِمَهُ اللهُ قال: «إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعًا بذراع الجبار، وضرسه مثل أحد»^(٢). فقوله: «بذراع الجبار» المقصود به بذراع الرجل الطويل الذي لا تبلغه أيدي الناس من أجل إفراطه في الطول، كما يقال: نخلة جبارة إذا طالت وارتفعت وفاتت اليد، وليس المقصود به الرب تبارك وتعالى؛ لأن تفسير الجبار في الحديث بأنه الله سبحانه يلزم منه أن يكون جلد الكافر أعظم من ذراع الله تعالى باثنين وأربعين، وهذا ممتنع؛ فالله رَحِمَهُ اللهُ أكبر من كل شيء، وهو سبحانه يطوي السماوات بيمينه، وأيضًا إن المقاسات الواردة في الحديث هي في المخلوق مثل قوله: «ضرسه مثل أحد»، فالحديث ليس من

(١) انظر: شفاء العليل (٢٢٠)، وأسماء الله الحسنى (١٢٨)، وفقه الأسماء الحسنى لعبد الرزاق البدر (٢٤٧) [مطابع الحمضي، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٢) أخرجه أحمد (١٣٤/١٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وعبد الله بن أحمد في السُّنَّة (٥١٠/٢) [دار ابن القيم، ط ١]، وابن حبان (باب صفة النار وأهلها، رقم ٧٤٨٦)، والحاكم (كتاب الأحوال، رقم ٨٧٦٠) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥١/٣) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٣) ذكره الحاكم في المستدرک بعد إخرجه الحديث المذكور.

(٤) ذكر عنه المناوي في فيض القدير (٢٥٥/٤) رقم ٥٢١٥.

غيور. فقال: «أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة»^(٢). ومن التجأ إلى الله العزيز الجبار المتكبر بصدق وإخلاص دخل في حماه ثم لا يضره، أحد كائناً من كان.

✽ مذهب المخالفين:

الجبروت صفة من صفات الله الذاتية ومن صفات الله الفعلية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلائية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال لله تعالى^(٣). وإنكار الصفات كلها يفضي إلى العدم، ولا توجد ذات مجردة عن جميع الصفات إلا في الأذهان دون الأعيان، وإنكار صفات الكمال يفضي إلى الوصف بالنقص، والله ﷻ متصف بصفات الكمال ومنزه عن كل نقص، ومعاني الجبروت الثابتة لله تعالى كلها صفات كمال، ولذا؛ فالحق الصحيح أنه يجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة القرآن والحديث على ذلك.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩١٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤١٠/٥ و ٥١٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، ومن كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (١٥١) [مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤٠٨هـ]، ومن كتب الأشاعرة: أهل السنة الأشاعرة لحمد السنان وفوزي العنجرى (١٧١ - ٢١٢) [دار الضياء للنشر].

ما أصابه وجبر ما فاته إلا من الله ﷻ، وهذا هو الجبر الذي كان يطلبه النبي ﷺ من ربه في صلاته، فعن ابن عباس : «أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدة: «اللَّهُمَّ! اغفر لي، وارحمني، واجبرني، واهدني، وارزقني»^(١).

٢ - إن الله من أسمائه الجبار ومن صفته الجبروت، فمن يظهر الافتقار إلى الله، ويلجأ إليه، ويعتصم به، ويسترجع عند المصيبة ويصبر، ويكل أمره إليه، ويرضى بقضائه وقدره فإنه سبحانه يجبر مصيبته في الحال أو المال، فعن أم سلمة  قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللَّهُمَّ أجرنى في مصيبتى وأخلف لى خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها» قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: أيّ المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إنى قلتها، فأخلف الله لى رسول الله ﷺ. قالت: أرسل إليّ رسول الله ﷺ حاطب بن أبى بلتعة يخطبني له، فقلت: إن لى بنتاً وأنا

(١) أخرجه الترمذي (كتاب مواقيت الصلاة عن رسول الله ﷺ، رقم ٢٨٤)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، رقم ٨٩٨)، وأحمد (٤٦٠/٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الإمامة، رقم ١٠٠٤) وصححه، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٧٠ رقم ٧٤٠).

المصادر والمراجع:

وذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن جبر وميكا وإسراف هي كلها بالأعجمية^(٢). وذهب بعض أهل العربية أن جبريل، وجبرين، وجبرئيل، على وزن: فعلئيل. والهمزة فيه زائدة لقولهم: جبريل. ومن معاني (جبر) في اللغة: الإصلاح والاستقامة، والعبودية^(٣).

وذكر الجوهري والأزهري وكثير من الأئمة أن جبريل: اسم مركب من اسمين: جبر، وإيل. وجبر وميك بمعنى عبد، وإيل: اسم الله؛ كقولك: عبد الله وعبد الرحمن^(٤). وبوب الإمام البخاري رحمته الله باباً بهذا الاسم في كتاب التفسير من صحيحه، فقال: «باب قوله: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧]، وقال عكرمة رحمته الله: جبر وميك وسراف: عبد، إيل: الله^(٥). وعن علي بن الحسين رحمته الله، قال: «اسم جبريل عليه السلام عبد الله واسم ميكائيل عليه السلام عبيد الله^(٦). وعلى هذا يكون جبريل اسم عبودية،

١ - «أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة»، لماهر مقدم.

٢ - «تأويل مختلف الحديث»، لابن قتيبة.

٣ - «توضيح الكافية الشافية»، للسعدي.

٤ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٥ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

٦ - «صفات الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٧ - «فقه أسماء الله الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٨ - «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (ج ٣)، لابن القيم.

٩ - «معالم التنزيل» (ج ٥)، للبغوي.

١٠ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

جبريل

التعريف لغة:

جبريل: عَلِمَ ملكٌ كان ينزل على رسول الله ﷺ بالقرآن، وهو اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة^(١).

(١) ينظر: البحر المحيط (٥٠٩/١) [دار الفكر، ١٤٢٠هـ]، وروح المعاني (٤٦٠/١) [دار الحديث، ١٤٢٦هـ].

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٩٦/٢) [دار هجر، ط ١].

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (٢١٦) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩هـ]، ولسان العرب (١١٤/٤) [دار صادر، ط ١].

والقاموس المحيط (٤٦٠) [مؤسسة الرسالة، ط ٢].

(٤) ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٩٩/١ - ١٠٠، ٢٣٠/٣) [دائرة المعارف العثمانية، ط ١، ١٣٨٤هـ]، ولسان العرب (٢٣/١١).

(٥) صحيح البخاري (كتاب التفسير).

(٦) أخرجه الإمام أحمد (٣٤٥/٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٢].

وذكر القرطبي وابن حجر رحمهما الله في اسم جبريل لغات عدة^(١).

✽ التعريف شرعاً:

جبريل عليه السلام: ملك من الملائكة الكرام، وهو رسول الله تعالى إلى أنبيائه عليه السلام، وهو من يبلغ الملائكة عليه السلام، أوامر الله تعالى كما سيأتي بيانه في وظائف جبريل عليه السلام وأعماله.

✽ أسمائه:

١ - **جبريل**: هو أشهر أسمائه عليه السلام، وقد سبق الحديث عنه.

٢ - **الروح**: ورد هذا الاسم مضافاً إلى الله تعالى إضافة تشريف كما في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [١٧] [مريم]، وورد مفرداً من غير إضافة؛ كقوله عليه السلام: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [٤] [المعارج]. وسمي جبريل عليه السلام؛ روحاً لأن الناس ينتفعون به في دينهم كانتفاعهم بالروح التي بها تحيا النفس.

٣ - **الروح الأمين**: دلّ عليه قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [١٩٦] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ [١٩٤] بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ [١٩٥] [الشعراء].

٤ - **روح القدس**: قال عليه السلام: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل]، وقال عليه السلام مخاطباً عيسى عليه السلام: ﴿إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [المائدة: ١١٠]، وقال عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة].

وروى البخاري أن عمر رضي الله عنه مر في المسجد، وحسان ينشد، فقال: «كنت أنشد فيه، وفيه من هو خير منك. ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أشدك بالله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أحب عني. اللَّهُمَّ آيِدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ. قال: نعم»^(٢). والقدس معناه: الطاهر المنزه عن العيوب^(٣).

٥ - **الناموس**: ورد في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وفيه: «فقال له ورقة: يا ابن أخي! ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢١٢).

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٧٣٦) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢١هـ]، وأضواء البيان (٣/ ٤٢٢) [عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٦٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ]، وفتح الباري (٦/ ٣٥٤، ١٥/ ٨) [المطبعة السلفية، ط ٢، ١٤٠٥هـ].

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٦﴾ [الشعراء]، ومن هنا تكمن أهمية الإيمان بوجود جبريل، إذ يلزم من إنكار وجوده، وعدم الإيمان به إبطال الشرائع كلها بما فيها الإسلام ناسخ الأديان وخاتمها، ولهذا فإن من عادى جبريل فإنما عادى الله تعالى، قال جلَّ شأنه: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة].

الأدلة:

يدلُّ على وجوب الإيمان بجبريل عليه السلام قوله تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وجبريل من الملائكة؛ بل أفضل الملائكة.

ويدل عليه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حينما أتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم في صورة البشر، وفيه: «فقال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت»^(٤).

وورد ذكر جبريل في القرآن وفي السنة في مواضع عدة، منها قوله تعالى: ﴿مَنْ

موسى^(١). والناموس صاحب السر، كما جزم به البخاري^(٢). قال ابن حجر: وهو «الصحيح الذي عليه الجمهور... والمراد بالناموس هنا: جبريل عليه السلام»^(٣). وسمي جبريل عليه السلام ناموساً؛ لأنه مخصص بالوحي والغيب اللذين لا يطلع عليهما غيره.

الحكم:

حكم الإيمان بجبريل:

الإيمان بجبريل واجب ويدخل في عموم وجوب الإيمان بالملائكة، الذي هو الركن الثاني من أركان الإيمان، ويتعين الإيمان به على وجه الخصوص للنص على اسمه في الكتاب والسنة.

الأهمية:

جبريل هو من نقل معظم ما يوحي به الله تعالى إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ومن سبقه من الأنبياء، فإنه عليه السلام لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه، وإنما ينزل بأمر ربه، كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم]. وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَنُزِّلَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٩٦].

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الوحي، رقم ٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٨٥).

(٢) صحيح البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، عقب الحديث رقم ٣٣٩٢)، وينظر: النهاية في غريب الحديث (٩٤٢)، ولسان العرب (٢٤٤/٦).

(٣) فتح الباري (٣٥/١) [المطبعة السلفية، ط ٢].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨).

كذلك وهو الموكل بالوحي، فشرفه بشرف وظيفته.

كما أن الله خصّه بالذكر في قوله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة]، فبيّن تعالى أنه من عادى واحداً فقد عادى الآخر وعادى الله أيضاً.

كما أن في تقديم جبريل على ميكائيل في هذه الآية، وتقديم النبي ﷺ له في دعائه الذي كان يفتتح به صلاة الليل فقال: «اللَّهُمَّ رَبِّ جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: فضل جبريل ﷺ على سائر الملائكة:

جبريل ﷺ أقرب الملائكة إلى الله ﷻ، حتى قال بعض السلف: «منزلته من ربه منزلة الحاجب من الملك»^(٢). وقال ﷻ عن جبريل ﷺ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير]؛ أي: له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله تعالى. قال ابن القيم رحمه الله: «وفي قوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ إشارة إلى علو منزلة جبريل، إذ كان قريباً من ذي العرش سبحانه»^(٣)، وكيف لا يكون

- المسألة الثانية: صفاته:

أثنى الله سبحانه على عبده جبريل ﷺ، في القرآن أحسن الثناء ووصفه بأجمل الصفات فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ تَمَّ أَمْرٌ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير]. فوصفه بأنه رسوله وأنه كريم عنده وأنه ذو قوة؛ أي: شديد الخلق، شديد البطش والفعل^(٥). وأنه

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين، رقم ٧٧٠).

(٢) إغاثة اللهفان (١٧٢/٢) [المكتب الإسلامي، مكتبة الخاني، ط ١، ١٤٠٧هـ].

(٣) التبيان في إيمان القرآن (١٩٤) [عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٤) ينظر: تفسير الألوسي (٤٦٣/١) [دار الحديث، ١٤٢٦هـ].

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٤٤/٧، ٣٣٨/٨) [دار طيبة، ط ٤، ١٤٢٨هـ].

يحسب بأصابعه خمس صلوات»^(٤).

ومن صفاته ﷺ: أنه ذو خَلْقٍ ومنظر حسن، سليم من الآفات والعياهات، قال تعالى في حق جبريل ﷺ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾^(٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ [النجم] قال ابن عباس رضى الله عنهما: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: «ذو منظر حسن»^(٥)، وقال ابن جرير رحمه الله: «عنى بالمرّة صحة الجسم وسلامته من الآفات والعياهات، والجسم إذا كان كذلك من الإنسان كان قويًا، والمرّة واحدة المِرَر، وإنما أريد به: ذو مرة سوية، ومنه قول النبي ﷺ: «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي»^(٦)»^(٧). ومن صفاته ﷺ: أن له ستمائة جناح، فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته، وله ستمائة جناح»^(٨).

- المسألة الثالثة: خصائصه ﷺ:

من خصائصه ﷺ: أنه صاحب الوحي إلى الأنبياء، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ

(٤) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٢١)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٦١٠).
(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٩٩/٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الزكاة، رقم ١٦٣٤)، والترمذي (أبواب الزكاة، رقم ٦٥٢) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزكاة، رقم ١٨٣٩)، وصححه الألباني بشواهده في الإرواء (رقم ٨٧٧).

(٧) تفسير الطبري (٤٣/٢٧) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ].

(٨) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٠٥٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٤).

مطاع في السماوات، فالملائكة جميعها تطيعه، وأنه أمين على الوحي، وهذا يقتضي صدقه ونصحه وإلقاءه إلى الرسل ما أمر به، من غير زيادة ولا نقصان ولا كتمان، وقد جمع له بين المكانة والأمانة والقوة والقرب من الله.

ومن صفاته ﷺ: أنه ذو علم علّمه الله إياه، فقال ﷺ مخبرًا عن عبده ورسوله محمد ﷺ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾^(٥) [النجم]؛ أي: أن الذي علّمه هو جبريل ﷺ^(١)، وهذا متضمن وصف جبريل بالعلم والتعليم، ويشهد له حديث ابن عباس رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف»^(٢). وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن»^(٣). وعن

أبي مسعود رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نزل جبريل فأمني، فصليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه».

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/٤٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢١٩)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين، رقم ٨١٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٢٠)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٠٨).

الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ لِّبَاسٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥].

حديث ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟» قال: فنزلت: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآية [مريم: (٥)].

ومن خصائصه: قتاله ودفاعه عن الرسول ﷺ هو وميكائيل عليه السلام يوم أحد، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض، ما رأيتهما قبل ولا بعد؛ يعني: جبريل وميكائيل عليه السلام»، وفي رواية: «يقاتلان عنه كأشد القتال» (٦).

ومن خصائصه: سلامه على أزواج النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «أتى جبريل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك، فاقرأ عليها السلام من ربها ﷻ ومني، وبشرها ببیت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» (٧). وعن عائشة رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ قال لها: «يا عائشة! هذا جبريل يقرأ عليك السلام. فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته،

ومنها: أن الله ﷻ ذكره قبل سائر الملائكة في القرآن، فقال سبحانه: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة: ٩٧] (١).

ومنها: أنه تعالى جعله ثاني نفسه، فقال ﷻ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَكُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: (٢)].

ومنها: أن الله تعالى سمّاه الروح، فهو ينزل بالوحي الذي به تحيا القلوب والأبدان، قال ابن القيم رحمته الله: «سمى الله سبحانه ما أنزله على رسوله روحًا؛ لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ونورًا لتوقف الهداية عليه» (٣).

ومنها: أن الله ﷻ سمّاه روح القدس، وهذا الاسم يتضمن الطهارة من كل ما لا يليق والبراءة من كل ما يعيب، كما سبق معنا.

ومنها: مزيد صحبتته لسيد الخلق على الإطلاق محمد ﷺ (٤). ويدل عليه

(٥) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢١٨)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٤٣٢).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٠٦).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٩٧)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٤٣٣).

(١) تفسير الرازي (١٦٢/٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣].

(٢) تفسير الرازي (١٦٢/٢).

(٣) الصواعق المرسلة (١٥٢/١) [دار العاصمة، ط ١].

(٤) ينظر: تفسير الألوسي (٤٦٣/١).

تري ما لا أرى. تريد النبي ﷺ^(١).

- المسألة الرابعة: وظائفه وأعماله:

تعتبر أهم وظيفة لجبريل ﷺ تبليغ وحي الله ﷻ إلى رسله ﷺ، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل].

ومن وظائف جبريل أيضاً: إبلاغ أوامر الله ﷻ إلى الملائكة، حيث يأمرهم بما أمره الله به، يدل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل: إن الله قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض»^(٢). وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجمر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل

فزع عن قلوبهم، قال: فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق فيقولون: الحق الحق»^(٣).

- المسألة الخامسة: رؤية النبي ﷺ لجبريل ﷺ:

لم يره النبي ﷺ في صورته التي خلق عليها إلا مرتين، وبقيّة الأوقات يأتيه في صورة رجل، فرآه ﷺ مرة بالأفق من ناحية المشرق، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿١٣﴾﴾ [التكوير]. ورآه مرة ثانية ليلة الإسراء في السماء وهذا ما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾﴾ [النجم]. وعن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ قال عن جبريل: «لم أره على صورته التي خلق عليها غير مرتين، رأيته منهبطاً من السماء، ساداً عِظْماً خلقه ما بين السماء إلى الأرض»^(٤). وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته، وله ستمائة جناح»^(٥). أما في صورته البشرية، فيدل عليه ما رواه

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٣٨)، وابن حبان في صحيحه (كتاب الوحي، رقم ٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال ابن القيم: «هذا الإسناد كلهم أئمة ثقات». مختصر الصواعق (٤٨٨) [دار الحديث، ط١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٩٤).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٧).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٤).

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢١٧)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٤٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٨٥)، ومسلم (كتاب البر والصلة، رقم ٢٦٣٧).

عند ابن سينا تتمّ عبر الاتصال بين النفوس المستعدّة لها وبين الأمر العقلي الذي يمثله جبريل. يقول ابن سينا: «حقيقة الوحي هو الإلقاء الخفي من الأمر العقلي بإذن الله تعالى في النفوس البشرية المستعدة لقبول مثل هذا الإلقاء، إما في حال اليقظة، ويسمى الوحي، وإما في حال النوم ويسمى النفث في الروح... وهذا الإلقاء عقلي واطلاع وإظهار، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١٦٣) عَلَى قَلْبِكَ ﴿الشعراء﴾» (٥).

ولا شكّ في أن هذا القول هو هدم للإسلام، وتكذيب للقرآن، فحقيقته أن ما أتى به الرسول ﷺ من الوحي هو تخيلات وصور عقلية، وما يسمعه في نفسه من أصوات، بمنزلة ما يراه النائم في منامه، قال ابن القيم رحمه الله: «ثم أخبر عن رؤيته ﷺ لجبريل، وهذا يتضمن أنه ملك موجود في الخارج يرى بالعيان ويدركه البصر، لا كما يقول المتفلسفة ومن قلّدهم إنه العقل الفعال، وإنه ليس مما يدرك بالبصر، وحقيقته عندهم أنه خيال موجود في الأذهان لا في الأعيان، وهذا مما خالفوا به جميع الرسل وأتباعهم، وخرجوا به عن جميع

جابر بن عبد الله ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت جبريل ﷺ، فإذا أقرب من رأيته به شبهة دحية بن خليفة» (١). وكان دحية صحابياً يضرب به المثل في حسن الصورة» (٢).

ولقد رأى النبي ﷺ ومعه الصحابة ﷺ جبريل ﷺ حينما أتى النبي ﷺ في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، فأخذ يسأل النبي عن أركان الإسلام والإيمان والإحسان، والنبي ﷺ يجيبه (٣). كما تمثل جبريل لمريم ﷺ في صورة بشر كامل الخلقة، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (٧) [مريم].

✽ مذهب المخالفين:

ذهبت الفلاسفة إلى أن المقصود بجبريل هو العقل الفعال، الذي يفيض بالمعارف العقلية على عقل مدعي النبوة، يقول الفارابي - وهو يتحدث عن رئيس المدينة الفاضلة، الذي هو عنده إما نبي أو فيلسوف -: «هذا الإنسان هو الذي يوحى إليه، فيكون الله ﷻ يوحى إليه بتوسط العقل الفعال» (٤)، وحقيقة النبوة

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٧).

(٢) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/٤٦٣) [دار الكتاب العربي].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨).

(٤) آراء أهل المدينة الفاضلة (١٢٥) [دار المشرق، ط ٧، ١٩٩٦م].

(٥) رسالة الفعل والانفعال (٣) [ضمن مجموعة رسائل ابن سينا، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ١، ١٣٥٣هـ]. وينظر لابن سينا أيضًا: رسالة في إثبات النبوات (٤٣ - ٤٧) [دار النهار، ط ٢، ١٩٩١م].

- ١٠ - «محاضرات في الإيمان بالملائكة»، لمحمد أبو سيف الجهني.
- ١١ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكمي.
- ١٢ - «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، لمحمد العقيل.
- ١٣ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج ١)، للحليمي.

الملل. ولهذا كان تقرير رؤية النبي ﷺ لجبريل أهم من تقرير رؤيته لربه تعالى؛ فإن رؤيته لجبريل هي أصل الإيمان الذي لا يتم إلا باعتقادها ومن أنكرها كفر... فنحن إلى تقرير رؤيته لجبريل أحوج منا إلى تقرير رؤيته لربه تعالى، وإن كانت رؤية الرب أعظم من رؤية جبريل، ومن دونه فإن النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها البتة»^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة»، لنخبة من العلماء.
- ٢ - «البحر المحيط» (ج ١)، لأبي حيان الأندلسي.
- ٣ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.
- ٤ - «الجامع لشعب الإيمان» (ج ١)، للبيهقي.
- ٥ - «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.
- ٦ - «روح المعاني» (ج ١)، للآلوسي.
- ٧ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٨ - «عالم الملائكة الأبرار»، لعمر الأشقر.
- ٩ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ١)، للسفاريني.

الجسم

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الجيم والسين والميم يدل على تجمُّع الشيء. فالجسم كلُّ شخص مُدْرِك. كذا قال ابن دريد^(٢). والجسيم: العظيم الجسم، وكذلك الجسام. والجُسمان: الشخص^(٣)».

وقال الأزهرى: «قال الليث: الجسمُ يَجْمَعُ البدنَ وأعضاءه من الناس والإبل والدواب ونحو ذلك مما عَظَمَ من الخلق الجسم^(٤)».

وقال الجوهري: «قال أبو زيد: الجسم: الجسد، وكذلك الجُسمان

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد (٤٧٥/١) [دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٨٧م].

(٣) مقاييس اللغة (٤٥٧/١) [دار الجيل، ط ٢].

(٤) تهذيب اللغة (٣١٦/١٠) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م].

(١) التبيان في إيمان القرآن (١٩٥ - ١٩٦).

بمعنى: البدن والجسد؛ أما في اللغة فقد تقدم بيانه، وأما في الشرع فمنه قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] ^(٣).

وأما حقيقة الجسم عند المتكلمين فهو اسم لكل ما يشار إليه، أو كل موجود أو قائم بنفسه ^(٤). وهذا المفهوم لا تؤيده لغة ولا شرع كما ترى، وستأتي مناقشته والرد عليه في موضعه إن شاء الله.

❁ أقوال أهل العلم:

يشير شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ إِلَى تعدد أقوال الناس الاصطلاحية في مفهوم الجسم فيقول: «إن لفظ الجسم للناس فيه أقوال متعددة اصطلاحية غير معناه اللغوي فإن أهل اللغة يقولون: الجسم هو الجسد والبدن، وبهذا الاعتبار فالروح ليست جسمًا، ولهذا يقولون: الروح والجسم؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وأما أهل الكلام: فمنهم من يقول: الجسم هو الموجود؛ ومنهم من يقول:

والجثمان. وقال الأصمعي: الجِسم والجُسمان: الجسد، والجُثمان: الشخص. قال: وجماعة جسم الإنسان أيضًا يقال له: الجسمان» ^(١).

❁ التعريف اصطلاحًا:

الجسم هو: «جوهر قابل للأبعاد الثلاثة، وقيل الجسم: هو المركب المؤلف من الجوهر» ^(٢).

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي

والاصطلاح:

لا علاقة بينهما؛ لأن الجسم في اللغة هو الجسد والبدن، وأما تفسيرهم له بالمؤلف والمركب ونحو ذلك فلا يعرف له أصل في اللغة.

❁ الحكم:

وأما إطلاق الجسم على الله نفيًا أو إثباتًا فلم يرد في الشرع ولا في كلام السلف، وإنما جاء عن المتكلمين وهو لفظ مجمل يحتمل حقًا وباطلًا، فلا يثبت لله ولا ينفي عنه حتى يعرف المراد به.

❁ الحقيقة:

ورد لفظ الجسم في اللغة والشرع

(١) الصحاح (١٧٢) [دار المعرفة، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني (١٠٣) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ]، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٢١٧) [مكتبة وهبة، ط ٣، ١٤١٦هـ]، وبغية المرتاد لابن تيمية (٤١١ - ٤١٢) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٣، ١٤١٥هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٢/٣ - ٣٣)، والصواعق المرسلة (٩٣٩/٣ - ٩٤٠) [دار العاصمة، ط ١].

(٤) انظر: المسائل الخمسون في أصول الدين للرازي (٣٣)، وتفسير سورة الإخلاص لابن تيمية (٢٢٩ - ٢٣٠) [الدار السلفية، الهند، ط ١، ١٤٠٦هـ].

للموصوف بها جسمًا»^(٢).

✽ الآثار:

جلب لفظ الجسم في اصطلاح المتكلمين آثارًا سيئة على عقيدة الأمة، حيث فشا التعطيل ونفي الصفات عن الله بسببه، فقد زعموا أن اتصاف الموصوف بما يناسبه من الصفات هو تركيب من أجزاء، وذكروا أن هذا خلاف التنزيه. ومعلوم أن تفسيرهم للجسم بما ذكروه لا يدل عليه شرع ولا لغة.

✽ مذهب المخالفين:

اتضح مما سبق في تعريف الجسم لغة وشرعًا بأن الجسم هو الجسد والبدن، وقد خالف في ذلك المتكلمون فجعلوا الجسم اسمًا لما يشار إليه، أو كل موجود أو قائم بنفسه^(٣)، وزعموا أن كل ما تقوم به الصفات، فهو مركب من أجزاء^(٤)، وجعلوا ذلك كله سُلَمًا لنفي صفات الله ﷻ.

✽ الرد عليهم:

إن تفسيرهم للجسم بالشيء الموجود، أو القائم بنفسه، أو بما يشار إليه لا يعرف في اللغة ولا الشرع^(٥).

(٢) الصواعق المرسلة (٣/ ٩٣٩ - ٩٤٠).

(٣) انظر: المسائل الخمسون للرازي (٣٣)، وتفسير سورة الإخلاص لابن تيمية (٢٢٩ - ٢٣٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٦٤/٥).

(٥) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (٤٣٦/٤).

هو القائم بنفسه، ومنهم من يقول: هو المركب من الجواهر المفردة، ومنهم من يقول: هو المركب من المادة والصورة، وكل هؤلاء يقولون: إنه مشار إليه إشارة حسية، ومنهم من يقول: ليس مركبًا من هذا ولا من هذا بل هو مما يشار إليه ويقال: إنه هنا أو هناك^(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «لفظ الجسم لم ينطق به الوحي إثباتًا فتكون له حرمة الإثبات، ولا نفيًا فيكون له إلغاء النفي، فمن أطلقه نفيًا أو إثباتًا سئل عما أراد به، فإن قال: أردت الجسم معناه في لغة العرب وهو البدن الكثيف الذي لا يسمى في اللغة جسم سواه، ولا يقال: للهواء جسم لغة، ولا للنار ولا للماء، فهذه اللغة وكتبها بين أظهرنا، فهذا المعنى منفي عن الله عقلاً وسمعًا، وإن أردتم به المركب من المادة والصورة، أو المركب من الجواهر المفردة فهذا منفي عن الله قطعًا، والصواب نفيه عن الممكنات أيضًا، فليس الجسم المخلوق مركبًا من هذا ولا من هذا.

وإن أردتم بالجسم ما يوصف بالصفات، ويرى بالأبصار، ويتكلم ويكلم، ويسمع ويبصر ويرضى ويغضب، فهذه المعاني ثابتة للرب تعالى، وهو موصوف بها، فلا نفيها عنه بتسميتكم

(١) مجموع الفتاوى (٣٢/٣ - ٣٣).

- اعتقادهم: أن كل ما تقوم به الصفات فهو مركب من أجزاء هو في غاية البطلان؛ لأن الله موصوف بالصفات، وليس جسمًا مركبًا لا من الجواهر المفردة، ولا من المادة والصورة كما يدّعون^(١).
- إن لفظ الجسم الذي أحدثه المتكلمون وتأثر بهم فيه بعض الناس، هو لفظ مجمل، لا يطلق على الله نفيًا ولا إثباتًا، إلا بعد معرفة مراد قائله، فيقال لهم: ماذا تعنون بالجسم؟ فإن أرادوا به جسمًا مركبًا من لحم وعظم وجلد فهذا باطل، ومنتف عن الله سبحانه؛ لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وإن أرادوا به الذات القائمة بنفسها، المتصفة بما يليق بها من صفات الكمال ونعوت الجلال فهذا حق، ولكن لا يطلق لفظه على الله لعدم ورود الدليل به، وإنما يعبر عنه بالألفاظ الشرعية^(٢).
- ١ - «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية»، لآمال بنت عبد العزيز العمرو.
- ٢ - «بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة
- والقرامطة والباطنية»، لابن تيمية.
- ٣ - «تفسير سورة الإخلاص»، لابن تيمية.
- ٤ - «تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة»، لسليمان بن سحمان.
- ٥ - «الأصول التي بنى عليها المبتدعة أصول مذهبهم في الصفات» (ج ٢)، لعبد القادر عطا صوفي.
- ٦ - «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (ج ٤)، لابن تيمية.
- ٧ - «التدمرية»، لابن تيمية.
- ٨ - «الصفات الخبرية بين الإثبات والتأويل»، لعثمان عبد الله آدم الأثيوبي.
- ٩ - «الصواعق المرسلة» (ج ٢، ٣)، لابن القيم.
- ١٠ - «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر»، لصديق حسن خان.
- ١١ - «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (ج ١)، لعبد الرحمن بن صالح المحمود.

المصادر والمراجع:

الجلال

يراجع مصطلح (الجليل).

الجليل

التعريف لغة:

الجليل: مأخوذ من الجلال، قال

(١) مجموع الفتاوى (٥/٣٦٤).

(٢) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (١/٣٩٤)،

ومجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٨/٣٣٤).

وَالْإِكْرَامُ ﴿٢٧﴾ [الرحمن]، وقال تعالى: ﴿بَارِكْ أَسْمَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن].

عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً، وقال: «اللَّهُمَّ! أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام» ^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي» ^(٥).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً ورجل يصلي، ثم دعا: اللَّهُمَّ! إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: «لقد دعا الله باسمه العظيم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى» ^(٦).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٩١).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٦٦).

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٥)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٤٤)، والنسائي (كتاب السهو، رقم ١٣٠٠)، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٨)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٨٩٣)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٨٥٦) وصححه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٣/٥) مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٣هـ.

ابن فارس رحمته الله: «الجيم واللام أصول ثلاثة؛ جَلَّ الشيء: عَظُمَ، وجُلَّ الشيء مُعَظَّمُهُ، وجلال الله: عظمته، وهو ذو الجلال والإكرام» ^(١). فالجلال بمعنى: العظمة. وهذا هو الأصل الأول لمعنى هذه الكلمة ^(٢).

التعريف شرعاً:

الجليل اسم من أسماء الله الحسنى ^(٣).

الحكم:

يجب الإيمان بهذا الاسم وما دلَّ عليه من صفة الجلال لله تعالى، ويجب إثباتهما لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

الحقيقة:

الجلال: معناه: العظمة، والله ﷻ متصف بصفات العظمة والجلال والكبرياء.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ

(١) مقاييس اللغة (٢١٣/١) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ]، وانظر: الصحاح (١٦٥٨/٤) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م].

(٢) انظر: الأصلين الثاني والثالث لمعنى هذه المادة في مقاييس اللغة (٢١٣/١ - ٢١٤).

(٣) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى لمحمد التميمي (١٢٧، ٢٠٤ - ٢٠٥) [دار إيلاف الدولية، الكويت، ط ١، ١٤١٧هـ].

صفات الذات: النفس، العلم، الحياة، القدرة، السمع، البصر، الوجه، اليد... الوحانية، الجلال، وهي التي لا تنفك عن الله^(٧).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الصحيح من قولي أهل العلم أن الجليل اسم من أسماء الله الحسنى:

وهذا الاسم لم يرد في القرآن والحديث بصورة الاسم ولكن أخذ بطريق الاشتقاق من النصوص الواردة في ذلك، منها قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن] وقد ذكره كثير من أهل العلم الذين اعتنوا بأسماء الله الحسنى وصنفوا فيها^(٨).

- المسألة الثانية: إن هذا الاسم يدل على ثبوت صفة الجلال لله تعالى:

وهي من صفات الله الذاتية، ثابتة بالقرآن والسنة^(٩).

- المسألة الثالثة: اعتبار الأسماء المضافة من الأسماء الحسنى:

ذهب جمع من أهل العلم إلى اعتبار الأسماء المضافة وعدها من الأسماء

قال ابن القيم معلّقاً على هذا الحديث: «فهذا سؤال له وتوسل إليه وبحمده، وأنه الذي لا إله إلا هو المنان، فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته، وما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعاً عند المسؤول، وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد»^(١١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن فارس: «جلال الله: عظمته، وهو ذو الجلال والإكرام»^(١٢). وقال الجوهري: «جلال الله: عظمته»^(١٣).

وقال البغوي: «ذُو الْجَلَلِ» ذو العظمة والكبرياء «وَالْإِكْرَامِ»^(١٤)؛ يعني: مكرم أنبيائه وأوليائه مع جلاله وعظمته»^(١٥).

وقال ابن القيم في نونيته المشهورة: وهو الجليل فكل أوصاف الجلال له محققة بلا بطلان^(١٦).

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي شرحه: «يعني: أن الله تعالى هو الجليل الذي له أوصاف الجلال، وهي أوصاف العظمة والكبرياء، ثابتة محققة لا يفوته منها وصف جلال وكمال»^(١٧).

وقال عبد العزيز السلطان رَحِمَهُ اللهُ: «مثال

(١) بدائع الفوائد (٢٨٢/١) [دار عالم الفوائد، ط ١].

(٢) مقاييس اللغة (٢١٣/١).

(٣) الصحاح (١٦٥٨/٤).

(٤) معالم التنزيل (١٧٠/٥) [دار الفكر، ط ١].

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٧٠٦/٣) [دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٦) الحق الواضح المبين للسعدي (٢٢٦) [مركز

صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط ٢، ١٤١٢هـ].

(٧) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية (٤٢٩) [رئاسة إدارة البحوث العلمية وإفتاء، ط ١١].

(٨) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى لمحمد التميمي (١٢٧، ٢٠٤ - ٢٠٥).

(٩) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (٧٩) [دار الهجرة، ط ١].

ما يرد مقروناً بالإكرام، والمتأمل في هذا الاقتران يجد أن أوصاف الكمال كلها راجعة إليهما، فالجلال يدل على عظمة الله وكبريائه ومجده وسعته، وهذا يورث في قلب العبد الهيبة والخشية والخوف منه سبحانه، ويحثه على تعظيمه وتكبيره وتمجيده، والإكرام يدل على الإنعام والإحسان، وهذا يورث في قلب العبد الرغبة والرجاء والمحبة والشوق، ويقتضي الحمد والشكر على إنعامه وإحسانه وإكرامه. وهذا الاقتران مثل اقتران الحميد والمجيد. قال ابن القيم: «الحمد والمجد إليهما يرجع الكمال كله، فإن الحمد يستلزم الثناء والمحبة... وأما المجد فهو مستلزم للعظمة والسعة والجلال، كما يدل عليه موضوعه في اللغة، فهو دالٌّ على صفات العظمة والجلال، والحمد يدل على صفات الإكرام، والله سبحانه ذو الجلال والإكرام، وهذا معنى قول العبد: لا إله إلا الله والله أكبر، (لا إله إلا الله) دالٌّ على ألوهيته وتفردية فيها، فألوهيته تستلزم محبته التامة، والله أكبر دالٌّ على مجده وعظمته، وذلك يستلزم تمجيده وتعظيمه وتكبيره، ولهذا يقرن سبحانه بين هذين النوعين في القرآن كثيراً»^(٤). فالجلال من جنس المجد والعظمة، والإكرام

الحسنى، قال ابن تيمية: «وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، وربُّ العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسُّنة، وثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين»^(١). وقال ابن عثيمين: «ومن أسماء الله تعالى ما يكون مضافاً مثل: مالك الملك، ذي الجلال والإكرام»^(٢). وذو الجلال والإكرام ذكره جماعة من أهل العلم في أسماء الله الحسنى^(٣)، وقد ورد النص بذلك مع الحث على الدعاء به، وعليه عمل المسلمين؛ فإنهم يدعون الله به في صلواتهم وأذكارهم كل يوم، ولذلك عدّه من أسماء الله الحسنى المضافة سائغ ومقبول، وليس عليه غبار البتة، والله أعلم.

- المسألة الرابعة: هذا الاسم من الأسماء الدالة على أوصاف عديدة ومعان متعددة، وليس على وصف واحد ومعنى مفرد، ولا سيما في حالة الاقتران:

فإن وصف الرب تعالى بالجلال كثيراً

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٤٨٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٢) القواعد المثلى (١٦) [الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ٣، ١٤٠٩هـ].

(٣) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٢٣٣)، وفقه الأسماء الحسنى للبدر (٣٢٨) [مطابع الحميضي، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٤) جلاء الأفهام (٣٦٦ - ٣٦٨) [دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٥هـ].

جنس الحمد والمحبة^(١).

- المسألة الخامسة: ذكر أهل العلم ثلاثة معانٍ لـ (ذي الجلال والإكرام)، وهي كما يلي:

أ - أن الله ﷻ مستحق أن يُجَلَّ ويُكْرَم، فلا يُجحد ولا يُكفر به.

ب - أن الله ﷻ يُجَلَّ ويُكْرَم أهل ولايته، فيوفقهم لطاعته، ويتقبل منهم أعمالهم، ويرفع درجاتهم في الدنيا والآخرة.

ج - أن أحد الأمرين وهو الجلال مضاف إلى الله تعالى، بمعنى: أنه صفة له سبحانه، والآخر وهو الإكرام مضاف إلى العبد، بمعنى الفعل منه، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْغُفْرِ﴾ [المدثر] فانصرف أحد الأمرين وهو المغفرة إلى الله سبحانه، والآخر إلى العباد وهو التقوى، فكذاك الشأن هنا.

هذه الأقوال الثلاثة أوردها ابن تيمية في مجموع فتاواه، وعزاها إلى أصحابها، وذكر أن القول الأول أقربها إلى المراد^(٢)، ثم قال: «وإذا كان مستحقاً للإجلال والإكرام لزم أن يكون متصفاً في نفسه بما يوجب ذلك، كما إذا قال: الإله هو المستحق لأن يؤله؛

أي: يُعبد، كان هو في نفسه مستحقاً لما يوجب ذلك، وإذا قيل: هو أهل التقوى؛ كان في نفسه متصفاً بما يوجب أن يكون هو المتقى^(٣).

- المسألة السادسة: حكم إطلاق (الجلالة) على مخلوق:

إن إطلاق لفظ الجلالة على مخلوق إذا كان ذا رتبة ومكانة فلا بأس بذلك، وقد سئل الشيخ محمد بن إبراهيم عن إطلاق لفظة (جلالة الملك) على الملوك فأجاب بقوله: «لا يظهر لي أن فيها بأساً؛ لأن له جلالة تناسبه»^(٤).

وجاء بيان ذلك وتقريره في فتاوى اللجنة الدائمة بشكل أوضح وتفصيل أكثر فجاء فيها: «إن كثيراً من الأسماء مشتركة بين الله تعالى وبين غيره من مخلوقاته في اللفظ والمعنى الكلي الذهني، فتطلق على الله بمعنى يخصه تعالى ويليق بجلاله سبحانه، وتطلق على المخلوق بمعنى يخصه ويليق به، فيقال مثلاً: الله حليم، وإبراهيم الخليل ﷺ حليم، وليس حلم إبراهيم كحلم الله... والله تعالى جليل كريم ذو الجلال والإكرام على وجه الإطلاق، وكل نبي كريم جليل، وليست جلالة كل نبي وكرمه كجلالة غيره من الأنبياء وكرمه

(٣) مجموع الفتاوى (٣١٩/١٦).

(٤) الفتاوى والرسائل (٢٠٦/١) [مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ط ١، ١٣٩٩هـ].

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢٠/١٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣١٧/١٦ - ٣١٩).

الباطنية ينكرون جميع أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، فهذا الاسم من جملة تلك الأسماء التي ينكرونها هؤلاء النفاة. وهذا الاسم يدل على اتصاف الله بصفة الجلال، وهي من صفات الله الذاتية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية. ولا يمكن وجود ذات في الخارج مجردة عن جميع الصفات، فهذا القول في الحقيقة يفضي إلى العدم وإنكار ذات الباري تعالى، وقد جاء بيان هذا الاسم وإثباته في القرآن والسنة، فالحق الصحيح أنه يجب إثبات هذا الاسم لله تعالى، ويجب إثبات ما دل عليه من المعنى وهو اتصاف الرب بصفة الجلال كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة القرآن والحديث على ذلك.

المصادر والمراجع:

١ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.

٢ - «جلاء الأفهام»، لابن القيم.

٣ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٤ - «شرح القصيدة النونية» (ج ٢)، لمحمد خليل هراس.

٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

ولا مثل جلال الله وكرمه؛ بل لكل من الجلالة والكرم ما يخصه، والله تعالى حي، وكثير من مخلوقاته حي، وليست حياتهم كحياة الله تعالى... إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة، المذكورة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الثابتة عنه، ولا يلزم من ذلك تشبيه المخلوق بالخالق في الاسم أو الصفة، وأسلوب الكلام وما احتف به من القرائن يدل على الفرق بين ما لله من الكمال في أسمائه وصفاته وما للمخلوقات مما يخصهم من ذلك على وجه محدود يليق بهم»^(١).

الآثار:

إن إيمان العبد بهذه الصفة لله تعالى وإثباته إياها له سبحانه وشعوره بجلال الرب وعظمته يجعله يخضع له ويخافه ويحبه ويعبده وحده، ويصفه بصفات الكبرياء والكمال ونعوت العظمة والجلال اللائقة به سبحانه، ويقدسه وينزهه من جميع صفات النقص والذم والعيب.

مذهب المخالفين:

الجليل: اسم من أسماء الله الحسنى، والجهمية وشيوخهم من الفلاسفة وتلاميذهم من غلاة الصوفية وزنادقة

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١٦٣/٣ - ١٦٤) [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ٣، ط ١٤١٩هـ].

٦ - والجمع: أن تجمع شيئاً إلى شيء،
والإجماع: أن تجعل المتفرق جميعاً.
والجماعة: عدد كل شيء وكثرته^(٢).
وتجمع القوم: اجتمعوا من ههنا
وههنا.

والجمع: اسم لجماعة الناس.
والجمع: المجتمعون، وجمعه:
جُموع، والجماعة، والجميع،
والمجمع^(٣).

✽ التعريف شرعاً:

المراد بالجماعة هنا: سلف هذه
الامة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان
إلى يوم الدين، الذين اجتمعوا على
الحق الصريح من كتاب الله تعالى وسنة
رسوله ﷺ، أو على إمام موافق للسنة،
واتفقوا على تقديمه عليهم^(٤).

وهذا الاسم يطلق أحياناً مقترناً بالسنة

**٦ - فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث
العلمية والإفتاء** (ج ٣).

**٧ - فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن
إبراهيم** (ج ١).

٨ - فقه أسماء الله الحسنى،
لعبد الرزاق البدر.

٩ - القواعد المثلى، لابن عثيمين.

**١٠ - الكافية الشافية في الانتصار
للفرقة الناجية** (ج ٣)، لابن القيم.

**١١ - الكواشف الجليلة عن معاني
الواسطية،** لعبد العزيز محمد السلمان.

١٢ - مجموع الفتاوى (ج ١٦)،
لابن تيمية.

١٣ - معالم التنزيل (ج ٥)، للبغوي.

**١٤ - معتقد أهل السنة والجماعة في
أسماء الله الحسنى،** لمحمد بن خليفة
التميمي.

✽ الجماعة أو: أهل الجماعة

✽ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الجيم والميم
والعين أصل واحد، يدل على تَضَامُّ
الشيء، يُقال: جمعت الشيء جميعاً»^(١).

والإجماع: الإعداد والعزيمة على
الأمر، وأجمع أمره؛ أي: جعله جميعاً
بعدما كان متفرقاً.

(١) مقاييس اللغة (٤٧٩/١) [دار الجيل].

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (٢٥٣/١) [دار إحياء التراث
العربي، ١٤٢١هـ].

(٣) ينظر: لسان العرب (٥٣/٨) [مكتبة العلوم والحكم،
١٤١٢هـ].

(٤) ينظر: شرح السنة للبربهاري (٣٧، ١٠٠) [دار
المنهاج، ط ١، ١٤٢٦هـ]، والاعتصام للشاطبي (١/
٢١) (٣٠٩/٣ - ٣١١) [دار التوحيد، ط ١،
١٤٢١هـ]، وشرح الطحاوية (٥٤٤) [دار الرسالة،
ط ٢، ١٤١٣هـ]، وفتح الباري (٣٧/١٣)، والدين
الخالص لصديق حسن خان (٤٤/٣، ٧٢) [دار
الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ]، وجامع العلوم
والحكم (١٢٠/٢) [دار الرسالة، ط ٧، ١٤٢٣هـ]،
وشرح العقيدة الواسطية لهراس (٦١) [دار الهجرة،
ط ٣، ١٤١٥هـ].

الطائفة المنصورة، السواد الأعظم.

الحكم:

يجب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، وعدم الخروج عليهم، فإنه من فارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، كما في الحديث.

الحقيقة:

«الجماعة في الأصل: القوم المجتمعون، والمراد بهم هنا: سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ» (٣).

ويراد به أيضًا: من كان على ما عليه النبي ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين (٤).

قال أبو شامة: «وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به: لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك بالحق قليلًا والمخالف كثيرًا؛ لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه ﷺ ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم» (٥).

فيقال: (أهل السنة والجماعة) وهو الغالب، وأحيانًا يفرد بالذكر، فيقال: (الجماعة) أو: (أهل الجماعة) (١).

ولا ريب أن السنة مقرونة بالجماعة، كما أن البدعة مقرونة بالفرقة، ولذا يقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة (٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنى اللغوي يعم أي قوم مجتمعين، والشارع خصّ به الذين اجتمعوا على الحق والسنة، أو اجتمعوا على الإمام المسلم.

سبب التسمية:

أنهم مجتمعون على الحق والسنة، مجمعون على لزومهما، لم يتفرقوا في الدين، أو لاجتماعهم على الإمام الشرعي ولم يشقوا صف المسلمين كما فعل أهل الأهواء والبدع، وقد جاء النص الشرعي على تسميتهم بذلك، كما سيأتي.

الأسماء الأخرى:

أهل السنة والجماعة، السلف، أهل الحديث، أهل الأثر، الفرقة الناجية،

(٣) شرح العقيدة الواسطية لهراس (٦١)، وينظر: جامع العلوم والحكم (١٢٠/٢).

(٤) ينظر: شرح السنة للبربهاري (٣٧، ١٠٠)، والاعتصام للشاطبي (٢١/١)، وشرح الطحاوية (٥٤٤) [دار الرسالة، ٢، ١٤١٣هـ]، والدين الخالص (٤٤/٣، ٧٢).

(٥) الباعث على إنكار البدع والحوادث (٢٢) [دار النهضة الحديثة، ٢١، ١٤٠١هـ].

(١) ينظر: منهاج السنة (٤٦٨/٣) و(١٥٨/٥) [طبعة جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥٧/٣).

(٢) ينظر: الاستقامة لابن تيمية (٤٢/١) [دار الفضيلة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، ووسطية أهل السنة بين الفرق (٩١) [دار الراية، ط ١، ١٤١٥هـ].

مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^(٣).

قال النووي رحمته الله: «وأما قوله ﷺ: «ولا تفرقوا» فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين، وتآلف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام»^(٤).

ولعظم شأن الاجتماع على الحق، أو على الإمام المسلم جاء الوعيد الشديد في حق من رام شق عصا الطاعة، أو أراد أن يفرق الجماعة.

ففي «صحيح مسلم» من حديث عرفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان»، وفي رواية: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»^(٥).

وفي «الصحيحين» من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم

وهذا الاسم يطلق أحياناً مقترناً بالسنة فيقال: (أهل السنة والجماعة) وهو الغالب، وأحياناً يفرد بالذكر، فيقال: (الجماعة) أو: (أهل الجماعة)^(١).

ولا ريب أن السنة مقرونة بالجماعة، كما أن البدعة مقرونة بالفرقة، ولذا يقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة^(٢).

الأهمية:

الاجتماع على الحق وعدم التفرق فيه مقصد شرعي؛ بل هو سبيل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، كما قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى].

وبالاجتماع وعدم التفرق أمر الله عباده المؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وأخبر النبي ﷺ أن الله يرضى لعباده الاجتماع وعدم التفرق، ففي «صحيح

(١) ينظر: منهاج السنة (٣/٤٦٨) و(٥/١٥٨) [طبعة جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/١٥٧).

(٢) ينظر: الاستقامة لابن تيمية (١/٤٢) [دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٠هـ]، ووسطية أهل السنة بين الفرق (٩١) [دار الراية، ط١، ١٤١٥هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الأفضية، رقم ١٧١٥).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٢/٢٥٢).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٨٥٢).

فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: «نعم». فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن». قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنُّون بغير سنَّتِي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر». فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها». فقلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: «نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا». قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزَم جماعة المسلمين وإمامهم». فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» متفق عليه (٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية» متفق عليه (٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو شامة: «وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به: لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك بالحق قليلاً

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٦٠٦)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٤٧) واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧٠٥٤)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٤٩).

يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والشيب الزاني، والمفارق لدينه، التارك للجماعة» (١).

❁ الأدلة:

جاءت نصوص الكتاب والسنة تأمر بالجماعة ولزومها، وتنهاى عن الفرقة وتذمها، ومن ذلك - إضافة إلى ما تقدم - ما يلي:

عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة» (٢).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير،

(١) أخرجه البخاري (كتاب الديات، رقم ٦٨٧٨)، ومسلم (كتاب القسامة، رقم ١٦٧٦).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، ٤٥٩٧)، وأحمد (١٣٤/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن أبي عاصم في السنة (٧٦/١) [المكتب الإسلامي، ط ١]، وحسنه الحافظ ابن حجر، كما في السلسلة الصحيحة (٤٠٥/١) [مكتبة المعارف، ط ١]، وله عدة شواهد أشار إليها الألباني في السلسلة الصحيحة، في الموضع السابق.

وقيل: إن المراد بها: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، فأمر النبي ﷺ بلزومه، ونهى عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليهم، وإلى هذا ذهب الطبري (٤).

وهذا القول الأخير لا يخالف ما تقدمه، ولذا علّق عليه الشاطبي بقوله: «وحاصله: أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارج عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث؛ كالخوارج ومن جرى مجراهم» (٥).

وعليه نقول: كل هذه الأقوال متفقة غير متعارضة - كما تقدم - فاختلفاها من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد (٦).

قال ابن القيم: «وعادة السلف أن يذكر أحدهم في تفسير اللفظة بعض معانيها، أو لازماً من لوازمها، أو الغاية المقصودة منها، أو مثلاً ينبه السامع على نظيره، وهذا كثير في كلامهم لمن تأمله» (٧).

والحاكم (كتاب العلم، رقم ٤٤٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٣٤/٢، رقم ٢١٢٩) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٤) ينظر: الاعتصام (٣/٣٠٩)، وفتح الباري (١٣/٣٧).

(٥) الاعتصام (٣/٣١١).

(٦) ينظر: وسطية أهل السنة بين الفرق (٩٥).

(٧) مختصر الصواعق (٣/١٠٤٨) [دار أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٥هـ].

والمخالف كثيراً؛ لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه ﷺ ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم» (١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تفسير أهل العلم للجماعة الواردة في النصوص:

اختلفت عبارات أهل العلم في التعريف بالجماعة الواردة في هذه الأحاديث، وهي وإن اختلفت في اللفظ، فإنها متقاربة في المعنى والمراد (٢):

ف قيل: إنها السواد الأعظم من أهل الإسلام.

وقيل: إنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين؛ لأن الله جعلهم حجة على العالمين.

وقيل: إنها جماعة الصحابة على الخصوص، فإنهم الذين أقاموا عماد الدين، وأرسوا أوتاده، وقد قال ﷺ - كما في رواية الترمذي لحديث الافتراق -: «... وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة» قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي» (٣).

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (٢٢) [دار النهضة الحديثة، ط ١، ١٤٠١هـ].

(٢) ينظر في هذه الأقوال: الاعتصام للشاطبي (٣/٣٠٠ - ٣١١) وفتح الباري (١٣/٣٧) [دار الفكر].

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٤١)،

ولذا؛ نجد البربهاري - على سبيل المثال - في شرح السُّنة لما ذكر الجماعة قال: «هم السواد الأعظم، والسواد الأعظم: الحق وأهله»^(١).

وذكرهم في موضع آخر من الكتاب نفسه فقال: «الجماعة: ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان»^(٢).

ومثله الشاطبي فإنه ذكر الجماعة في مواضع متعددة من كتابه الاعتصام، وعبر عنها بتعبيرات مختلفة، مما يدل على أن مراده بها واحد.

فمرة عبر عنها: بالسواد الأعظم^(٣). وقال مرة: «الجماعة: ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، والتابعون لهم بإحسان»^(٤).

وقال أيضًا عنها: «إنها المتبعة للسُّنة، وإن كانت رجلاً واحداً في العالم»^(٥).

- المسألة الثانية: عام الجماعة:

سُمِّي العام الذي تنازل فيه الحسن لمعاوية رضي الله عنه بعام الجماعة؛ لاجتماع الناس فيه على معاوية، فقد سلم إليه الحسن بن علي رضي الله عنهما الأمر عام أربعين الذي يقال له عام الجماعة؛ لاجتماع

الكلمة، وزوال الفتنة بين المسلمين. وهذا الذي فعله الحسن رضي الله عنه مما أثنى عليه النبي ﷺ كما ثبت في «صحيح البخاري» وغيره عن أبي بكر رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «إن ابني هذا سيّد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(٦).

✽ مذهب المخالفين:

خالف في هذا فريقان من الناس فشدوا عن الجماعة:

أحدهما: شذوذه علمي، وهذا يتمثل في جميع الفرق المخالفة لأهل السُّنة والجماعة في الاعتقاد، من الخوارج، والشيعة، والفرق الكلامية، ونحوهم، وبطلان مذاهب هؤلاء بيّن ظاهر.

والفريق الآخر: شذوذه عملي، ويتمثل هذا في الخوارج ومن سلك سبيلهم، حيث فارقوا الجماعة فكفروا بالكبيرة، وجوّزوا الخروج على أئمة المسلمين، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وكل من خرج على أئمة المسلمين أو جماعتهم ما لم ير كفراً بواحاً فهو خارجي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فهؤلاء أصل ضلالهم: اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون... ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفراً، ثم يرتبون

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الصلح، رقم ٢٧٠٤)

(١) شرح السُّنة للبرهاري (٣٧).

(٢) شرح السُّنة للبرهاري (٩٩ - ١٠٠).

(٣) الاعتصام (١٤/١).

(٤) الاعتصام (٢١/١).

(٥) الاعتصام (٢٥٦/٢).

على الكفر أحكامًا ابتدعوها»^(١).

وقال أيضًا: «أول البدع ظهورًا في الإسلام وأظهرها ذمًا في السنة والآثار: بدعة الحرورية المارقة؛ فإن أولهم قال للنبي ﷺ في وجهه: «اعدل يا محمد فإنك لم تعدل»^(٢) وأمر النبي ﷺ بقتلهم وقتلهم، وقتلهم أصحاب النبي ﷺ مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والأحاديث عن النبي ﷺ مستفيضة بوصفهم وذمهم، والأمر بقتالهم»^(٣).

وقال أيضًا: «والخوارج هم أول من كفر المسلمين، يكفرون بالذنوب، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم، ويستحلون دمه وماله»^(٤).

وقال الآجري رحمه الله: «فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام، عدلاً كان الإمام أو جائراً، فخرج وجمع جماعة، وسل سيفه، واستحل قتال المسلمين، فلا ينبغي له أن يغتر بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صومه، ولا بحسن ألفاظه في العلم، إذا كان مذهبه مذهب الخوارج»^(٥).

وقال ابن كثير رحمه الله: «فخرجوا من بين الآباء والأمهات والأعمام والعمات، وفارقوا سائر القربات، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسموات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر والذنوب الموبقات، والعظائم والخطيئات، وأنه مما يزينه لهم إبليس وأنفسهم التي هي بالسوء أمارات»^(٦).

وإليهم أشار النبي ﷺ بقوله كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين، يقتلها أولى الطائفتين بالحق». وفي رواية قال: «تكون في أمتي فرقتان فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق»^(٧). وفي رواية أخرى قال: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(٨)، وقد تقدمت.

وهذا ما وقع منهم فعلاً، ولهذا المعنى سموا خوارج كما تقدم.

قال ابن كثير رحمه الله: «فهذا الحديث من دلائل النبوة؛ لأنه قد وقع الأمر طبق ما أخبر به الرسول ﷺ»^(٩).

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٤٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦١٦٣)، ومسلم (كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم ١٠٦٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩/٧١ - ٧٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/٢٧٩).

(٥) الشريعة (١/٣٤٥).

(٦) البداية والنهاية (١٠/٥٨١).

(٧) أخرج كلتا الروایتين: مسلم (كتاب الزكاة، برقم ١٠٦٤).

(٨) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٤٤)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٦٤).

(٩) البداية والنهاية (١٠/٥٦٣).

ثم إنهم بعد ذلك خرجوا من بلدان شتى، واجتمعوا وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى قدموا المدينة، فقتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد اجتهد أصحاب رسول الله ﷺ ممن كان بالمدينة في أن لا يقتل عثمان، فما أطاقوا على ذلك ﷺ.

ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولم يرضوا بحكمه، وأظهروا قولهم، وقالوا: لا حكم إلا لله، فقال علي رضي الله عنه: كلمة حق أرادوا بها الباطل، فقاتلهم علي رضي الله عنه، فأكرمه الله تعالى بقتلهم، وأخبر عن النبي ﷺ بفضل من قتلهم أو قتلوه، وقاتل معه الصحابة، فصار سيف علي رضي الله عنه في الخوارج سيف حق إلى أن تقوم الساعة^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «شرح السنة»، للربيهاري.
- ٢ - «منهاج السنة»، لابن تيمية.
- ٣ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٤ - «الاعتصام»، للشاطبي.
- ٥ - «وسطية أهل السنة بين الفرق»، لمحمد باكريم.
- ٦ - «لزوم الجماعة وذم التفرق»، لجمال بشير بادي.

(١) الشريعة (١/ ٣٢٥ - ٣٢٧).

ونختم بكلام نفيس للآجري رحمه الله، قال: «لم يختلف العلماء قديماً وحديثاً أن الخوارج قوم سوء، عصاة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وإن صلوا وصاموا، واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، ويظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم؛ لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون، ويموهون على المسلمين، وقد حذر الله تعالى منهم، وحذر النبي ﷺ، وحذرناهم الخلفاء الراشدون بعده، وحذرناهم الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان.

والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج، يتوارثون هذا المذهب قديماً وحديثاً، ويخرجون على الأئمة والأمرء، ويستحلون قتل المسلمين.

فأول قرن طلع منهم على عهد رسول الله ﷺ، وهو رجل طعن على رسول الله ﷺ وهو يقسم الغنائم، فقال: اعدل يا محمد، فما أراك تعدل، فقال ﷺ: «ويلك فمن يعدل إذا لم أكن أعدل؟» فأراد عمر رضي الله عنه قتله، فمنعه النبي ﷺ من قتله، وأخبر: أن هذا وأصحاباً له يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين، وأمر في غير حديث بقتالهم، وبين فضل من قتلهم أو قتلوه.

٧ - «المباحث العقدية في حديث

افتراق الأمم»، لأحمد سردار شيخ.

٨ - «موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع»، لإبراهيم بن عامر الرحيلي.

٩ - «المؤمل في الرد إلى الأمر الأول»، لأبي شامة.

الحقيقة:

إن الله ﷻ جميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فذاته سبحانه أجمل الذوات، ولا يمكن لمخلوق أن يعبر عن جمال ذاته ﷻ، وأسمائه كلها حسنى، وصفاته كلها صفات مدح وكمال، وأفعاله كلها في غاية العدل والرحمة، فهو ﷻ جميل من كل وجوه الجمال ومتصف بجميع نعوت العظمة والكمال^(٣).

الأدلة:

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة. قال: «إن الله جميل، يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»^(٤).

الجمال

يراجع مصطلح (الجميل).

الجميل

التعريف لغة:

الجميل: مأخوذ من الجمال وهو ضد القبح، يقال: جَمُلَ يَجْمُلُ جَمَالاً فهو جميل، وجُمل، على وزن فَعِيل وفُعَال، فالجميل: هو صاحب الجمال والبهاء والحسن الكثير^(١).

التعريف شرعاً:

الجميل: اسم من أسماء الله الحسنى، فهو سبحانه جميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، جميل من كل وجوه الجمال اللائق بالله ﷻ^(٢).

والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (١٦٢) - (١٦٣) [دار إيلاف الدولية، الكويت، ط ١، ١٤١٧هـ].
(٣) انظر: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٣/ ٧٠٦ - ٧٠٧) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٨هـ]، والجواب الكافي (٢٦٢) [دار ابن حزم، ط ١].
(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩١).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢٤٦/١) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ]، والصحاح (١٦٦١/٤) [دار العلم للملايين، ط ١٩٩٠م].
(٢) انظر: الحق الواضح المبين للسعدى (٢٢٦)، وتوضيح الكافية الشافية له (٣٧٨) [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط ٢، ١٤١٢هـ]، ومعتقد أهل السنة

وأفعاله؛ فلا يمكن مخلوقاً أن يعبر عن بعض جمال ذاته، حتى إن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم، واللذات، والسرور، والأفراح التي لا يقدر قدرها إذا رأوا ربهم، وتمتعوا بجماله نسوا ما هم فيه من النعيم، وتلاشى ما هم فيه من الأفراح، وودوا أن لو تدوم هذه الحال واكتسبوا من جماله ونوره جمالاً إلى جمالهم، وكانت قلوبهم في شوق دائم ونزوع إلى رؤية ربهم، ويفرحون بيوم المزيد فرحاً تكاد تطير له القلوب.

وكذلك هو الجميل في أسمائه، فإنها كلها حسنى بل أحسن الأسماء على الإطلاق وأجملها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم]، فكلها دالة على غاية الحمد، والمجد، والكمال، لا يسمى باسم منقسم إلى كمال وغيره.

وكذلك هو الجميل في أوصافه؛ فإن أوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت ثناء وحمد، فهي أوسع الصفات، وأعمها، وأكثرها تعلقاً، خصوصاً أوصاف الرحمة، والبر، والكرم، والجود.

وكذلك أفعاله كلها جميلة؛ فإنها دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يحمد عليها ويشنئ عليه ويشكر، وبين أفعال

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أمّن الكبر أن ألبس الحلة الحسنه؟ قال: «إن الله جميل يحب الجمال»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال قوام السنّة الأصبهاني رحمته الله ردّاً على من أنكر وصف الله بالجميل: «ولا وجه لإنكار هذا الاسم أيضاً؛ لأنه إذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلا معنى للمعارضة، وقد صح أنه قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله جميل يحب الجمال»؛ فالوجه إنما هو التسليم والإيمان»^(٢).

وقال ابن القيم رحمته الله: «ومن أسمائه الحسنی: الجمیل، وفي الصحيح عنه: «إن الله جميل يحب الجمال» وجماله سبحانه على أربع مراتب: جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء، فأسماءه كلها حسنى وصفاته كلها صفات كمال وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة...»^(٣).

قال السعدي رحمته الله: «وكذلك هو الجميل بذاته، وأسمائه، وصفاته،

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (كتاب الإيمان، رقم ٧٠) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ١٦٦ رقم ١٦٢٦).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٤٨٩/ ٤٩٠) [دار الراجعية، الرياض، ٢ ط، ١٤١٩هـ].

(٣) الفوائد لابن القيم (١٨٢)، وانظر: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٣/ ٧٠٦ - ٧٠٧).

التيمي الأصبهاني رَحِمَهُ اللهُ: «لا وجه لإنكار هذا الاسم أيضًا؛ لأنه إذا صح عن النبي ﷺ، فلا معنى للمعارضة، وقد صحَّ أنه قال رَحِمَهُ اللهُ: «إن الله جميل يحب الجمال»؛ فالوجه إنما هو التسليم والإيمان»^(٣).

- المسألة الثانية: إن هذا الاسم يدل على ثبوت صفة الجمال لله تعالى:

وهي من صفات الله الذاتية التي لا تنفك عنه، فله سبحانه الجمال المطلق، كما يليق بجلاله وعظمته^(٤). قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «والرب تعالى له الكمال المطلق من ذلك - أي: الجمال -، فإنه جميل يحب الجمال بل الجمال كله له»^(٥). وقال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «إن الله جميل، له الجمال المطلق، جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال»^(٦).

- المسألة الثالثة: أن الله ﷻ متصف بالجمال:

وله سبحانه الجمال المطلق الكامل من جميع الوجوه، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/٤٨٩ - ٤٩٠).

(٤) انظر: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٧٠٦/٣ - ٧٠٧)، والجواب الكافي (٢٦٢)، وصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (٨٠) [دار الهجرة الرياض، ١ ط، ١٤١٤هـ].

(٥) الجواب الكافي (٢٦٢).

(٦) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/٥٠٤) [مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ٣ ط، ١٤٠٨هـ].

العدل التي يحمد عليها لموافقتها للحكمة والحمد، فليس في أفعاله عيب ولا سفه، ولا سدى ولا ظلم، كلها خير وهدى ورحمة ورشد وعدل ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود].

فلكمال الذي لا يحصي أحد عليه به ثناءً كملت أفعاله كلها؛ فصارت أحكامه أحسن الأحكام، وصنعه وخلقه أحسن خلق وصنع، وأتقن ما صنعه: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]. وأحسن ما خلقه: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الجميل اسم من أسماء الله الحسنى:

هذا الاسم لم يرد في القرآن الكريم ولكنه ورد في الحديث النبوي بصورة الاسم، وقد ذكره كثير من أهل العلم الذين اعتنوا بأسماء الله الحسنى وجمعوها وصنفوها فيها^(٢)، فهو من أسماء الله الحسنى كما جاء في الحديث، ولا وجه لإنكاره. قال الحافظ قوام السنة أبو القاسم إسماعيل بن محمد

(١) الحق الواضح المبين للسعدي (٢٢٦)، وانظر: توضيح الكافية الشافية (٣٧٨).

(٢) انظر: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٧٠٦/٣ - ٧٠٧)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (١٦٢ - ١٦٣).

أن يهتم بتجميل باطنه وتزيين داخله وإصلاح نفسه وعمارة قلبه بالعلم النافع والعقيدة الصحيحة والأقوال الطيبة والأعمال الصالحة، كما يقتضي منه الاعتناء بجمال مظهره ومنظره وملبسه وهيئته وشكله وصورته حسب استطاعته وقدرته ووفق حدود الشريعة الإسلامية وضوابطها، فإن ذلك مما يحبه الله ﷻ ويرضاه، فإنه سبحانه جميل يحب الجمال.

❁ الآثار:

إن الله تعالى جميل، ولذلك سَمَّى نفسه بأسماء كلها حسنى، ووصف نفسه بصفات كلها مدح وكمال، ويفعل أفعالاً كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة، وكل ما في الدنيا والآخرة من الحسن والجمال والبهاء فهو من آثار اسم الله الجميل، ولا يمكن لمخلوق أن يعبر عن جمال الله تعالى ولا عن آثار حسنه وجماله في خلقه حق التعبير البتة^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

الجميل: يدل على اتصاف الله ﷻ بصفة الجمال، وهي من صفات الله الذاتية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الجهمية والمعتزلة الذين ينكرون

«المحبة لها داعيان: الجمال والإجلال، والرب تعالى له الكمال المطلق من ذلك، فإنه جميل يحب الجمال بل الجمال كله له، والإجلال كله منه، فلا يستحق أن يحب لذاته من كل وجه سواء»^(١). فالله ﷻ جميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولا مقارنة بل ولا مقاربة لأحد في شيء من ذلك، فهو سبحانه المحبوب الحقيقي الوحيد الذي يستحق أن يحب لذاته من كل وجه، وهذا يستوجب أن يكون حب الله ﷻ في نفوس عباده أشد وأكثر وأقوى من محبة جميع المحبوبين سواء، وأن يقدموا حكم الله ورضاه على أحكام غيره ورضاهم، ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم.

- المسألة الرابعة: إن الله جميل يحب الجمال:

يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيئة، يحب الجمال وأهله، وبالعكس يبغض القبيح من الأقوال والأفعال والأحوال والمعتقدات، ويبغض أهلها؛ فهذا يقتضي من المرء المسلم أن يجتنب ويبتعد عن كل ما يذهب بجماله الظاهري والباطني من الأفعال القبيحة والأقوال السيئة والمعتقدات الفاسدة الباطلة التي يبغضها الله تعالى ويكرها، ويقتضي منه

(٢) انظر: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٧٠٦/٣ - ٧٠٧)، والحق الواضح المبين (٢٢٦).

(١) الجواب الكافي (٢٦٢).

الصفات بالكلية، وهم يؤولون قوله ﷺ:

- «إن الله جميل» بتأويلات؛ فمنهم: من يزعم أن الجميل هنا بمعنى الجليل، ومنهم من يزعم أنه بمعنى مالك الجمال، ومنهم من يزعم: أنه بمعنى معطي الجمال، ومنهم يحمله على جمال الأفعال كالبر والإحسان والجزاء الكثير على العمل القليل، ويجعله مقصوراً عليها^(١)، وهذه كلها تأويلات غير مقبولة وقصر للنصوص على بعض معانيها، وإنكار لما دلَّ عليه هذا الاسم، وإنكار لجمال ذات الباري سبحانه، والحديث النبوي الذي جاءنا عن أعرف الخلق برَّبِّ العالمين يرد على من أنكر هذا الاسم أو نفى ما دلَّ عليه من اتصاف الرب تعالى بصفة الجمال، كما يليق بجلال الله وعظمته، فهو سبحانه جميل في ذاته وجميل في أسمائه، وجميل في صفاته، وجميل في أفعاله^(٢).
- ١ - «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» (ج ٢)، للقاضي أبي يعلى.
- ٢ - «توضيح الكافية الشافية»، للسعدي.
- ٣ - «الجواب الكافي»، لابن القيم.
- ٤ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ٢)، لأبي القاسم التيمي.
- ٥ - «الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين»، للسعدي.
- ٦ - «شرح النووي لصحيح مسلم» (ج ٢).
- ٧ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ٨ - «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (ج ٣)، لابن القيم.
- ٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التيمي.
- ١٠ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

الجن

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الجميم والنون أصل واحد وهو الستر»^(٣). وقال الراغب:

(٣) مقاييس اللغة (٢٠٠) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(١) انظر: تفسير أبي السعود (٥٣/٤) [مكتبة الرياض الحديثة]، وكذلك انظر هذه التأويلات مع الرد المختصر عليها في: إبطال التأويلات لأبي يعلى (٢/٤٦٥ - ٤٦٦) [دار إيلاف الدولية، الكويت، ط ١، ١٤١٦هـ]، وشرح النووي لصحيح مسلم (٢/٩٠ - ٩١) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ]، ومن كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (١٥١) [مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤٠٨هـ].

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة (٤٨٩/٢ - ٤٩٠)، وإبطال التأويلات (٢/٤٦٥ - ٤٦٦)، وشرح النووي لصحيح مسلم (٢/٩٠ - ٩١).

وأما إنكار وجودهم فهو تكذيب للنصوص، و«الصواب كفر من أنكر وجودهم لأنه جحد نص القرآن والسنن المتواترة والإجماع الضروري»^(٣).

❁ الحقيقة:

الجن حقيقة لا خرافة^(٤)، وهم «عالم ثالث غير الملائكة والبشر، وأنهم مخلوقات عاقلة واعية مدركة، ليسوا بأعراض ولا جراثيم، وأنهم مكلفون مأمورون منهيون»^(٥). قال ابن عبد البر رحمه الله: «إن الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان منزلون على مراتب: فإذا ذكروا الجن خالصًا قالوا: جني. فإن أرادوا أنه ممكن يسكن مع الناس، قالوا: عامر والجمع عمار. فإن كان ممن يعرض للصبيان، قالوا: أرواح. فإن خبث وتعزم فهو شيطان، فإن زاد على ذلك فهو مارد، فإن زاد على ذلك وقوي أمره قالوا: عفريت»^(٦).

❁ الأدلة:

الأدلة على وجود الجن كثيرة، منها: قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنْ

أَصْلِ الْجِنِّ سِتْرَ الشَّيْءِ عَنِ الْحَاسَةِ، يقال: ... جن عليه كذا ستر عليه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا﴾ [الأنعام: ٧٦]، والجنان: القلب؛ لكونه مستورًا عن الحاسة، والمجنّ والمجنّنة: الترس الذي يجنّ صاحبه، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المجادلة: ١٦]...»^(١).

❁ التعريف شرعًا:

خلق خلقهم الله من النار السموم، عقلاء فاعلون بالإرادة، يتناسلون ومكلفون على نحو ما هو عليه الإنسان، وليسوا صفات ولا أعراضًا قائمة بالإنسان أو غيره، لكنهم لا يرون على طبيعتهم ولا بصورتهم الحقيقية، ولهم قدرة على التشكل^(٢).

❁ سبب التسمية:

لأن الجن مستترة عن حواس الإنسان.

❁ الحكم:

يجب الإيمان بوجودهم لقوله تعالى: ﴿وَحِشْرَ لِّسْلَمَنَ جُنُودَهُ مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات].

(٣) انظر: الفتاوى الحديثة (١٢٣) [مطبعة مصطفى الحلبي، ط ٢].

(٤) وقاية الإنسان من الجن والشيطان (٢٠) [مكتبة التابعين، ط ١٠، ١٤١٨هـ].

(٥) عالم الجن والشياطين (١٣).

(٦) التمهيد (١١/ ١١٧ - ١١٨)، وأكام المرجان (٢١) [مكتبة القرآن، م ٢٠٠١].

(١) مفردات ألفاظ القرآن (٢٠٣ - ٢٠٤) [دار القلم، ط ٣، ١٤٢٣هـ].

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/١٠)، وعالم الجن في ضوء الكتاب والسنة (٩) [دار ابن تيمية، ط ٢، ١٤١٢هـ]، والعقائد الإسلامية (١١٣) [دار الفتح الإسلامي، ط ١٠].

فإنهما طعام إخوانكم»^(٢).

ونقل ابن تيمية رحمته الله الإجماع على وجود الجن^(٣).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن حزم: «لما أخبرت الرسل الذين شهد الله ﷻ بصدقهم بما أبدى على أيديهم من المعجزات المحلية للطبائع بنص الله ﷻ وعلى وجود الجن في العالم، وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم، وقد جاء النص بذلك وبأنهم أمة عاقلة مميزة، متعبدة، موعودة متوعدة، متناسلة، يموتون. وأجمع المسلمون كلهم على ذلك»^(٤).

وقال النووي في شرح قوله ﷻ: «فلقد هممت أن أربطه حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون أو كلكم»^(٥): «فيه دليل على أن الجن موجودون»^(٦).

وقال ابن تيمية: «لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، ولا في أن الله أرسل محمداً ﷺ إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن. أما أهل الكتاب من اليهود

الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٦﴾ [الأحقاف]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِذْنِ رَبِّهِ﴾ [سبأ: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْتُهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السُّمُورِ﴾ [الحجر: ٢٧].

وقول النبي ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»^(١). وفي حديث عند مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال، فقلنا: يا رسول الله! فقدناك، فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن»، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بكرة علف لدوابكم»، فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٥٠).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١١/١٩، و١٣).

(٤) الفصل في الملل والنحل (١٢/٥).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٦١)، ومسلم

(كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٤١).

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٣٢/٥) [دار

المعرفة، ط ١٢، ١٤٢٧هـ].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٩٦).

الجن: ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ (١٣) وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ [الجن].

- المسألة الثالثة: دخول الجنى في بدن الإنسان حق ثابت:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «دخول الجنى في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السُّنَّة والجماعة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَتُوبُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» (٤).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: إن أقوامًا يقولون: إن الجنى لا يدخل في بدن المصروع، فقال: يا بني يكذبون، هذا يتكلم على لسانه. وهذا الذي قاله أمر مشهور [ومشاهد] (٥).

- المسألة الرابعة: الجن يتشكلون بأشكال مختلفة:

لحديث أبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنه كان له جرين تمر فكان يجده ينقص فحرسه ليلة فإذا هو بمثل الغلام المحتلم فسلم (٤) أخرجه البخاري (كتاب الاعتكاف، رقم ٢٠٣٨، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢١٧٤).
(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٤/٢٧٧).

والنصارى، فهم مقرّون بهم كإقرار المسلمين، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك، كما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك» (١).

وقال أيضًا: «وجود الجن ثابت بكتاب الله وسُنَّة رسول الله واتفاق سلف الإمامة» (٢).

❁ الأقسام:

قال الرسول ﷺ: «الجن ثلاثة أصناف: فصنف يطير في الهواء، وصنف حيّات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون» (٣).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: أن الله خلق الجن قبل الإنس من نار السموم:

كما خلق الإنس بعده من حمٍ مسنون، قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ (٢١) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُومِ ﴿٢٧﴾ [الحجر].

- المسألة الثانية: الجن مكلفون كالإنسان:

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [الذاريات]، وقال عن

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/١٩).

(٢) المصدر السابق (٢٤/٢٧٧).

(٣) أخرجه ابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٥٦)، والطبراني في الكبير (٢٢/٢١٤) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٧٠٢) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١١٤).

ولكن الجن قد يخبر الحاضرين بأمور يغيب عن أعينهم، وذلك إما عن طريق استراق السمع، أو بمجيئهم من البلدان النائية لأنهم سريعو التنقل^(٢)، وفي الحديث: «يا رسول الله! إن الكهان كانوا يحدثوننا بالشيء فنجده حقاً، قال: «تلك الكلمة الحق يخطفها الجن فيقذفها في أذن وليه ويزيد فيها مائة كذبة»^(٣).

- المسألة السادسة: اختلفت أقوال أهل العلم في الاستعانة بالجن:

قال ابن تيمية رحمته الله: «إن الجن مع الإنس على أحوال، فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله، من عبادة الله وحده، وطاعة نبيّه، ويأمر الإنس بذلك فهو من أفضل أولياء الله تعالى... ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له فهو كمن استعمل الإنس في أمور مباحة له... ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله... إن استعان بهم على الكفر فهو كافر وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاصي؛ إما فاسق وإما مذنب غير فاسق، وإن لم يكن تام العلم بالشرعية فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات: مثل أن يستعين

عليه فردّ عليه السلام، فقال: أجنبي أم إنسي؟ فقال: بل جني. فقال: أرني يدك، فأراه فإذا يد كلب وشعر كلب، فقال: هكذا خلق الجن، فقال: لقد علمت الجن إنه ليس فيهم رجل أشد مني، قال: ما جاء بك؟ قال: أنبئنا أنك تحب الصدقة فجئنا نصيب من طعامك، قال: ما يجيرنا منكم قال: تقرأ آية الكرسي من سورة البقرة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: نعم. قال: إذا قرأتها غدوة أجرت منا حتى تمسي، وإذا قرأتها حين تمسي أجرت منا حتى تصبح، قال أبي: فغدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فقال: «صدق الخبيث»^(١).

- المسألة الخامسة: أن الجن لا يعلمون الغيب:

لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال في قصة موت سليمان عليه السلام: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٧٣٠)، وابن حبان (كتاب الرقاق، رقم ٧٨٤)، والحاكم (كتاب فضائل القرآن، رقم ٢٠٦٤) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٢٤٥).

(٢) فتاوى نور على الدرب لابن باز (١/ ٢٢٣) [دار الإفتاء السعودية، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٢١٣)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٨).

قولك: جنني، وإنما يفيد الاستتار، ولهذا يقال على الإطلاق: لعن الله الشيطان. ولا يقال: لعن الله الجنني.

✽ الحكمة:

الحكمة من خلق الجن هي عبادة الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١) [الذاريات].

✽ مذهب المخالفين:

اتفق أهل الكتب السماوية على وجود الجن، و«لم ينكر الجن إلا شريحة قليلة من جهال الفلاسفة والأطباء ونحوهم»^(٣)، حيث جعل الفلاسفة الجن قوى النفس الخبيثة، ولكن قولهم هذا مخالف لإجماع الأديان السماوية^(٤).

ويذكر عن المعتزلة أنهم ينكرون الجن، والحقيقة أن بعض المعتزلة؛ كالجبائي وأبي بكر الرازي وغيرهما ينكرون دخول الجن في بدن المصروع، ولم ينكروا وجود الجن، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمدًا ﷺ إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن... أنكر طائفة

بهم على الحج... ونحو ذلك فهذا مغرور قد مكروا به»^(١).

ولكن الجن من الأمور الغيبية التي يصعب على الإنسان الحكم عليهم بالإسلام، أو الكفر، أو الصلاح، أو النفاق لكثرة الكذب فيهم، ولم يثبت عن النبي ﷺ، ولا الصحابة ولا التابعين، أنهم استعانوا بهم في أمر، ومع قلة العلم قد يقع الإنسان في الشعوذة والسحر، بشبهة الاستعانة بالجن في أعمال الخير، أو يقع في مكرهم وخداعهم، ولذا أفتى كثير من العلماء بتحريم الاستعانة بالجن، لكونه شركًا أو سدًا للذريعة^(٢).

✽ الفروق:

الفرق بين الشيطان والجن:

الفرق بينهما «أن الشيطان هو الشرير من الجن، ولهذا يقال للإنسان إذا كان شريرًا: شيطان، ولا يقال: جنني؛ لأن قولك: شيطان يفيد الشر. ولا يفيد

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/١١ - ٧ - ٣٠٨)، وانظر: (٨٧/١٣ - ٨٨)، وطريق الوصول إلى العلم المأمول (١٤٢) [دار البصيرة، ط ١، ٢٠٠م]، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٩٠/١) فتوى (١١٣) [دار الثريا، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) كابن باز، وعبد العزيز آل الشيخ، عبد الله بن غديان، وبكر أبي زيد، وعبد الله بن جبرين، وابن عثيمين، وصالح الفوزان، انظر: [مجلة الدعوة ٣٤ - العدد ١٦٠٢ ربيع الأول ١٤١٨هـ]، وفتاوى اللجنة الدائمة المجموعة الثانية (٩٢/١)، والسحر والشعوذة للفوزان (٨٦) [مجالس الهدى للإنتاج، ط ١].

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/١٩) [مجمع الملك فهد، ١٤١٥هـ]، وأكام المرجان (١٨)، وانظر: روح المعاني (١٤٢/١٦).

(٤) الجن والشيطان مع الناس (٧) [مكتبة ابن تيمية، ١٩٨٥م]، وانظر: معجم ألفاظ العقيدة (١٢٤) [مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٧هـ].

والباء أصلان متقاربان؛ أحدهما: الناحية، والآخر البُعد. فأما الناحية فالجَنَاب. يقال هذا من ذلك الجَنَاب؛ أي: الناحية... ومن الباب الجَنُب للإنسان وغيره... وأما البُعد فالجَنَابَة.

فلا تَحْرِمْنِي نائلاً عن جَنَابِي
فإني امرؤٌ وَسَطُ الْقِيَابِ غَرِيبٌ
ويقال: إِنَّ الْجُنُبَ الَّذِي يُجَامِعُ أَهْلَهُ، مُشْتَقٌّ مِنْ هَذَا؛ لِأَنَّهُ يَبْعُدُ عَمَّا يَقْرُبُ مِنْهُ غَيْرُهُ، مِنَ الصَّلَاةِ وَالْمَسْجِدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ...»^(٢).

وقال الجوهري: «الجنب: معروف، تقول: قعدت إلى جنب فلان، وإلى جانب فلان بمعنى»^(٣). وقال الفيومي: «جنب الإنسان: ما تحت إبطه إلى كُشْحِهِ»^(٤).

التعريف شرعاً:

جنب الله: أي: حق الله وذكره وطاعته^(٥).

الحقيقة:

المعنى الصحيح لجنب الله الوارد في

(٢) مقاييس اللغة (١/٤٨٣ - ٤٨٤) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ].

(٣) الصحاح (١/١٠١) [دار العلم للملايين].

(٤) المصباح المنير (٩٩).

(٥) انظر: نقض الدارمي على المريسي (٥١٧ - ٥١٩).

[أضواء السلف، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ]، وإبطال التأويلات لأبي يعلى (٢/٤٢٧ - ٤٢٨) [دار إيلاف الدولية، الجھراء، ط ١، ١٤١٦هـ]، والأسماء والصفات لليهقي (٢/٢٠٩) [مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ].

من المعتزلة؛ كالجبائي وأبي بكر الرازي وغيرهما دخول الجن في بدن المصروع، ولم ينكروا وجود الجن»^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أكام المرجان»، للشبلي.
- ٢ - «التمهيد»، لابن عبد البر.
- ٣ - «الجن والشيطان مع الناس»، عبد الوهاب العثمان.
- ٤ - «الحجة في بيان» (ج ٢)، المحجة لأصبهاني.
- ٥ - «روح المعاني» (ج ١٦)، للألوسي.
- ٦ - «عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة»، لعبد الكريم عبيدات.
- ٧ - «عالم الجن والشياطين»، للأشقر.
- ٨ - «الفتاوى الحديثية»، لابن حجر الهيتمي.
- ٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٩، ٢٤)، لابن تيمية.
- ١٠ - «مفتاح الغيب» (ج ١٩)، للرازي.
- ١١ - «وقاية الإنسان من الجن والشيطان»، لوحيد بالي.

جنب الله

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الجيم والنون

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/١٠ - ١٢) بإختصار.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]: «يقول على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به، وقصرت في الدنيا في طاعة الله»^(٤).

وقال عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ اللهُ

في رده على بشر المريسي الجهمي: «وادعى المعارض أيضًا زورًا على قوم أنهم يقولون في تفسير قول الله: ﴿بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، قال: يعنون بذلك الجنب الذي هو العضو، وليس على ما يتوهمونه. فيقال لهذا المعارض: ما أرخص الكذب عندك، وأخفه على لسانك! فإن كنت صادقًا في دعواك فأشر بها إلى أحد من بني آدم قاله، وإلا فليَمَّ

تشنع بالكذب على قوم هم أعلم بهذا التفسير منك، وأبصر بتأويل كتاب الله منك، ومن إمامك؟! إنما تفسيرها عندهم: تحسر الكفار على ما فرطوا في الإيمان والفضائل التي تدعو إلى ذات الله تعالى، واختاروا عليها الكفر والسخرية بأولياء الله، فسماهم الساخرين؛ فهذا تفسير (الجنب) عندهم. فمن أنبأك أنهم قالوا: جنب من الجنوب؛ فإنه لا يجهل هذا المعنى كثير من عوام المسلمين فضلًا عن علمائهم»^(٥).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «لا يعرف عالم

الأدلة:

استدل بقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] على إثبات صفة (الجنب) لله تعالى، وأنها صفة ذاتية له وَعَلَيْكَ، ولكن هذا الاستدلال لا يخلو من النظر، وسيأتي تفصيله بوضوح في الفقرة اللاحقة عند ذكر أقوال أهل العلم في هذا الشأن.

أقوال أهل العلم:

عن مجاهد رَحِمَهُ اللهُ في قول الله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] قال: في أمر الله^(٢). وعن قتادة قال: ضيع طاعة الله^(٣).

وقال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ

(١) انظر: نقض الدارمي على المريسي (٥١٧ - ٥١٩)، وإبطال التأويلات (٤٢٧/٢ - ٤٢٨)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢٠٩/٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣٤/٢٠) [دار هجر، ط ١]، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٩/٢)، والأثر إسناده صحيح، كما في التفسير الصحيح لحكمته بن بشير يامسن (٢٤٥/٤) [دار المآثر، المدينة المنورة، ط ١].

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣٥/٢٠)، وإسناده حسن، كما في التفسير الصحيح (٢٤٥/٤).

(٤) تفسير ابن جرير (٢٣٤/٢٠).

(٥) نقض الدارمي على المريسي (٥١٧ - ٥١٩).

اللفظ إذا أضيف إلى المخلوق لا يكون ظاهره أن التفريط في نفس جنب الإنسان المتصل بأضلاعه بل ذلك التفريط لم يلاصقه فكيف يظن أن ظاهره في حق الله أن التفريط كان في ذاته»^(١).

وقال أيضًا: «فهذا إخبار عما تقوله هذه النفس الموصوفة بما وصفت به، وعليه: هذه النفوس لا تعلم أن الله جنبًا، ولا تقرر بذلك، كما هو الموجود منها في الدنيا، فكيف يكون ظاهر القرآن أن الله أخبر عنه بذلك، وقد قال في كلامهم: ﴿بَحَسَرْتُ عَلَى مَا قَرَرْتُ فِي جَنِّ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، فجعلوا التفريط في جنب الله، والتفريط: فعل أو ترك فعل، وهذا لا يكون قائمًا بذات الله، لا في جنب، ولا في غيره؛ بل يكون منفصلًا عن الله، وهذا معلوم بالحس والمشاهدة؛ فظاهر القرآن يدل على أن قول القائل: ﴿بَحَسَرْتُ عَلَى مَا قَرَرْتُ فِي جَنِّ اللَّهِ﴾ ليس أنه جعل فعله أو تركه في جنب يكون من صفات الله وأبعاضه»^(٢).

مشهور عند المسلمين، ولا طائفة مشهورة من طوائف المسلمين، أثبتوا الله جنبًا نظير جنب الإنسان، وهذا اللفظ جاء في القرآن في قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسَرَتِي عَلَى مَا قَرَرْتُ فِي جَنِّ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

فليس في مجرد الإضافة ما يستلزم أن يكون المضاف إلى الله صفة له؛ بل قد يضاف إليه من الأعيان المخلوقة وصفاتها القائمة بها ما ليس بصفة له باتفاق الخلق؛ كقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ [الشمس: ١٣]، وقوله: ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ [الصافات: ٤٠]؛ بل وكذلك قوله: ﴿رَوْحَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧] عند سلف المسلمين وأئمتهم وجمهورهم.

ولكن إذا أضيف إليه ما هو صفة له وليس بصفة لغيره، مثل: كلام الله، وعلم الله، ويد الله، ونحو ذلك كان صفة له.

وفي القرآن ما يبين أنه ليس المراد بالجنب ما هو نظير جنب الإنسان، فإنه قال: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسَرَتِي عَلَى مَا قَرَرْتُ فِي جَنِّ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

والتفريط ليس في شيء من صفات الله ﷻ، والإنسان إذا قال: فلان قد فرط في جنب فلان أو جانبه لا يريد به أن التفريط وقع في شيء من نفس ذلك الشخص؛ بل يريد به أنه فرط في جهته وفي حقه. فإذا كان هذا

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/٤١٥ - ٤١٦) [دار العاصمة، الرياض، ط ٢، ١٤١٩هـ].

(٢) بيان تلبس الجهمية (٥/٤٦٧ - ٤٦٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١، ١٤٢٦هـ]، وانظر: الصواعق المرسلية (١/٢٤٧ و ٢٥٠) [دار العاصمة الرياض، ط ٣، ١٤١٨هـ]، وبدائع الفوائد (٢/٤٠٣) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صفة الجنب لله تعالى:

لا تصح نسبة هذه الصفة إلى الله ﷻ لعدم وجود الدليل، ولم يعرف عن أحد من أهل العلم المشهورين إثباتها لله ﷻ، قال ابن تيمية: «لا يعرف عالم مشهور عند المسلمين، ولا طائفة مشهورة من طوائف المسلمين، أثبتوا لله جنبا نظير جنب الإنسان»^(١).

- المسألة الثانية: خطأ من يفسر الجنب المضاف إلى الله تعالى بالصفة:

إن من فسر الجنب المضاف إلى الله تعالى بالصفة فقد جانب الصواب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا يعرف عالم مشهور عند المسلمين، ولا طائفة مشهورة من طوائف المسلمين، أثبتوا لله جنبا نظير جنب الإنسان، وهذا اللفظ جاء في القرآن في قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]... وفي القرآن ما يبين أنه ليس المراد بالجنب ما هو نظير جنب الإنسان فإنه قال: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، والتفريط ليس في شيء من صفات الله ﷻ. والإنسان إذا قال: فلان قد فرط في جنب فلان أو جانبه لا

(١) الجواب الصحيح (٤/ ٤١٥ - ٤١٦).

يريد به أن التفريط وقع في شيء من نفس ذلك الشخص؛ بل يريد به أنه فرط في جهته وفي حقه. فإذا كان هذا اللفظ إذا أضيف إلى المخلوق لا يكون ظاهره أن التفريط في نفس جنب الإنسان المتصل بأضلاعه بل ذلك التفريط لم يلاصقه فكيف يظن أن ظاهره في حق الله أن التفريط كان في ذاته»^(٢). فإن التفريط هو فعل أو ترك فعل، وهذا لا يكون قائما بذات الله، لا في جنب، ولا في غيره؛ بل يكون منفصلا عن الله، وهذا معلوم بالحس والمشاهدة؛ فظاهر القرآن يدل على أن قول القائل: ﴿بَحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ ليس أنه جعل فعله أو تركه في جنب يكون من صفات الله، ويبيّن صحة هذا التأويل ما في سياق الآية من قوله: ﴿فَأَكُوتُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر، ٥٨]، ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُنْقِيَةِ﴾ [الزمر، ٥٧]، وهذا كله راجع إلى الطاعات، فلا يصح تفسير الجنب في الآية بالصفة لله تعالى^(٣).

المصادر والمراجع:

١ - «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» (ج ٢)، للقاضي أبي يعلى.

(٢) الجواب الصحيح (٤/ ٤١٥ - ٤١٦).

(٣) انظر: إبطال التأويلات لأخبار الصفات (٢/ ٤٢٧ - ٤٢٨)، وبيان تلبيس الجهمية (٥/ ٤٦٧ - ٤٦٨)، والصواعق المرسلة (١/ ٢٤٧ و ٢٥٠)، وبدائع الفوائد (٢/ ٤٠٣).

- ٢ - «بدائع الفوائد» (ج ٢)، لابن القيم .
 ٣ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٥)، لابن تيمية .
 ٤ - «تفسير الطبري» (ج ٢٢) .
 ٥ - «الجواب الصحيح» (ج ٤)، لابن تيمية .

✽ التعريف شرعاً:

- هي دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر^(٤) .
 ٦ - «زاد المسير في علم التفسير» (ج ٧)، لابن الجوزي .
 ٧ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف .

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

- المعنى الشرعي أخص من المعنى اللغوي؛ فالجنة في الشرع البستان الخاص الذي ينعم فيها المؤمنون في الآخرة .
 ٨ - «الصواعق المرسلة» (ج ١)، لابن القيم .
 ٩ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح .
 ١٠ - «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد»، لعثمان بن سعيد الدارمي .

✽ سبب التسمية:

سميت الجنة بهذا الاسم لكثرة أشجارها؛ فهي تستر ما بداخلها من كثرة الأشجار^(٥)، كما أنها ثواب مستور عمن هو في الدنيا^(٦) .

✽ الجنة

✽ التعريف لغةً:

- قال ابن فارس رحمه الله: «الجيم والنون أصل واحد وهو الستر والتستر؛ فالجنة ما يصير إليه المسلمون في الآخرة، وهو ثواب مستور عنهم، والجنة البستان، وهو ذاك لأنَّ الشجر بورقه يستر»^(١) .
 (٢) الصحاح (٣٠٩٤/٥) [دار العلم للملايين، ط ٣]، وتهذيب اللغة (٤٩٩/١١) [الدار المصرية للتأليف] .
 (٣) مفردات ألفاظ القرآن (٢٠٣ - ٢٠٤) [دار القلم، ط ٣] .
 (٤) عقيدة أهل السنة والجماعة لابن عثيمين (٣٦)، وانظر: الجنة والنار من الكتاب والسنة المطهرة (٩٤ ط ٣)، والغاية: مباحث علمية ودراسات حديثة حول الجنة (١٩ - ٢٠) [دار القاسم، ط ١، ١٤٢٦هـ] .
 (٥) انظر: الغاية (١٩) .
 (٦) انظر: مقاييس اللغة (٢٠٠) .
 (١) مقاييس اللغة (٢٠٠) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ] .

❖ الأسماء الأخرى:

سمعت ولا خطر على قلب بشر^(٣).

❖ الأدلة:

الأدلة على الجنة كثيرة جدًا؛ منها:
قول الله تعالى: ﴿قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَغَيَّرْ طَعْمَهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥]، وغير ذلك من الآيات الكثيرة كلها تدل على وجود الجنة وبعض صفاتها، وأنها دار المتقين الأبرار.

ومن الأدلة كذلك: قول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقروا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»^(٤)، وقوله ﷺ لما سأله ابن صياد عن تربة

من أسماء الجنة: جنة الخلد، دار السلام، دار الخلد، جنة عدن، دار المقامة، دار الحيوان، جنة النعيم، الفردوس، المقام الأمين، جنة المأوى وغيرها^(١).

❖ الحكم:

وجوب الإيمان بها، وهو من الركن الخامس من أركان الإيمان، قال النبي ﷺ: «من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»^(٢)، ويجب الإيمان بوجودها الآن، لقوله تعالى: ﴿سَاقِبُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١].

❖ الحقيقة:

الجنة: دار ذات أنهار وبساتين، ومخلوقة حقيقة، وموجودة الآن، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن

(٣) انظر الأدلة في: الجامع لأحكام القرآن (٢٨/٢٠) [مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٧هـ]، والتذكرة (٢/ ٩٢٩) وما بعدها، وشرح العقيدة الطحاوية (٤٢٠) [وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، ١٤١٨هـ]، والغاية (٣٢ - ٣٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٤٤)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٢٤).

(١) انظر: التذکر (١٠٢١/٣) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ]، وحادي الأرواح (١٣١ - ١٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٤هـ]، والغاية (٢١ - ٢٣)، والجنة والنار من الكتاب والسنة المطهرة (٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأنبياء، رقم ٣٤٣٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٨) واللفظ له.

ذهب آنيتهما وما فيهما...»^(٤)، يجمع بين ورود الجنة مفردة، وورودها بصيغة الجمع بأنها مفردة باعتبار الجنس، ومجموعة باعتبار النوع^(٥)، ولها عدة أسماء، وأن الجنات نوعان الأول لمن خاف مقام ربه وهم السابقون المقربون، ومن دونهما جنتان وهي لأصحاب اليمين كما في سورة الواقعة [١٠ - ٤٠]، وورد أن درجات الجنة كثيرة^(٦) مائة منها أعدها الله للمجاهدين، وبين كل درجتين ما بين السماء والأرض وأن أوسطها وأعلاها الفردوس لقول النبي ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن ومنه تفرج أنهار الجنة»^(٧)، وكيفية كون الفردوس أوسط الجنة وأعلاها ككون وسط القبة أعلاها، ومعنى الفردوس: البستان، وقيل: البستان الذي فيه الكرم

الجنة؟ فقال: «دَرَمَكَة بِيضَاء، مسك خالص»^(١)»^(٢) وغير ذلك من الأدلة الكثيرة حتى إن كثيراً من المحدثين خصصوا كتباً وأبواباً في جوامعهم وسننهم؛ كالبخاري ومسلم وغيره في صفة الجنة.

الشروط:

لا بدّ لدخول الجنة من الإخلاص والمتابعة، قال: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

المراتب:

يُعلم من بعض النصوص أنها أربع^(٣)؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [٤٦] [الرحمن]، ثم قال بعد أن ذكر بعض صفاتهما: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ﴾ [٦٢] [الرحمن]، وقال النبي ﷺ: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من

(١) درمك على وزن جعفر: قال النووي: معناه أنها في البياض درمكة وفي الطيب مسك، والدرمك هو الدقيق الحواري الخالص البياض. انظر: شرح مسلم للنووي (٢٥٨/١٨) [دار المعرفة، ط ١٢، ١٤٢٧هـ]، والنهاية في غريب الحديث (١/٥٦٥) [دار المعرفة، ط ٢].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراف الساعة، رقم ٢٩٢٨).

(٣) ذكر القرطبي في التذكرة أن الجنات أربع، وأسماءها متعددة. انظر: التذكرة (١٠٢١/٣) وقريباً منه قال ابن القيم في نونيته: (فصل في عدد الجنات وأجناسها... (٢٢٤)) [مطبعة التقدم العلمية بمصر، ١٣٤٤هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٧٨، و٤٨٨٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٠).

(٥) فتح القدير (٨٩٣) [دار المعرفة، ط ٤، ١٤٢٨هـ]، وتفسير سورة الذاريات لابن عثيمين.

(٦) انظر: صفة الجنة لأبي نعيم (٦١/٢) [دار المأمون للتراث، ط ٢، ١٤١٥هـ]، ونونية ابن القيم (٢١٩)، وحادي الأرواح (١١٣).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٢٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الجنة مخلوقة

موجودة الآن:

يدلُّ على ذلك الكتاب والسُّنة والإجماع، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١].

ومن السُّنة دخول النبي ﷺ فيها لما عرج به «... ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ»^(٥) وإذا ترابها المسك...»^(٦).

وأما الإجماع فقد قال ابن القيم وابن أبي العز الحنفي رحمهم الله: «لم يزل أهل السُّنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل على ذلك أهل السُّنة حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة»^(٧).

- المسألة الثانية: مكان الجنة:

الصحيح: أنها فوق السماء السابعة

(٥) جنابذ: قباب. انظر: شرح مسلم للنووي (٢/٣٩٣) [دار المعرفة، ط ١٢، ١٤٢٧هـ].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٤٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٣).

(٧) حادي الأرواح (٣٥ - ٣٦)، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (٦١٥).

والأشجار^(١)، والفردوس أعلى الجنة، وأعلى المنازل على الإطلاق هي الوسيلة، وهي لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، قال النبي ﷺ: «... سلوا لي الوسيلة؛ فإنها درجة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو...»^(٢)، وأدنى أهل الجنة منزلة، وهذه الدونية بالنسبة للأعلى وليست من الدناءة بمعنى النقص، كما قال النبي ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دني...»^(٣)، وفي الحديث: «سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: أدخل الجنة. فيقول: أي رب! كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ما كان ملك مَلِك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب. فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشر أمثاله، ولك ما اشتئت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب!...»^(٤).

(١) تهذيب اللغة (١٣/١٥١)، الصحاح (٣/٩٥٩)،

النهاية (٢/٣٥٤)، لسان العرب (٧/٥٦) [دار الحديث، ١٤٢٣هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٣٨٤).

(٣) المعجم الكبير (٦/١٦٩) [مكتبة العلوم والحكم، ط ٢، ١٤٠٤هـ].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٦٤).

- المسألة الرابعة: اختلف أهل العلم في الجنة التي أهبط منها آدم وزوجه؛ أي جنة الخلد أم غيرها؟

ذكر ابن كثير وابن القيم رحمهم الله هذا الخلاف وأطالا فيه^(٨)، ونسب ابن كثير في تفسيره القول بأنها جنة الخلد إلى الجمهور، فقال عقب قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]: «الجمهور على أن هذه الجنة جنة المأوى»^(٩)، وادعى النووي رَحِمَهُ اللهُ إجماع أهل السُّنة على ذلك حيث قال: «الجنة مخلوقة موجودة، وهو مذهب أهل السُّنة، وهي التي أهبط منها آدم، وهي التي ينعم فيها المؤمنون في الآخرة، هذا إجماع أهل السُّنة»^(١٠)، وورد عن ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في هذه المسألة قولان:

أحدهما: في مجموع الفتاوى: «الجنة التي أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمة وأهل السُّنة والجماعة: هي جنة الخلد، ومن قال: إنها جنة في الأرض بأرض الهند، أو بأرض جدة، أو غير ذلك، فهو من المتفلسفة والملحدين، أو من إخوانهم المتكلمين المبتدعين، فإن هذا

وسقفها العرش»^(١)، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ﴾ [النجم]، قال الحسن رَحِمَهُ اللهُ: «هي التي يصير إليها المتقون»^(٢)، قال ابن عباس رَحِمَهُ اللهُ: هو كقوله: ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة]، وسدرة المنتهى في السماء السابعة^(٣)، وفي الحديث: «إذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن»^(٤).

- المسألة الثالثة: أول من يستفتح الجنة:

هو النبي محمد ﷺ، لقوله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة؛ فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»^(٦)، وأمة محمد أول الأمم تدخل الجنة لقول النبي ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة»^(٧).

(١) جلاء العينين (٤٨٠) [دار المدني].

(٢) تفسير القرطبي (٢٩/٢٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٥١٨/٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٩).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٤٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٣).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٧).

(٧) أخرجه مسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٥٥).

(٨) حادي الأرواح (٤٩ - ٧٠)، ومفتاح دار السعادة

(١٤/١)، والبداية والنهاية (٦٩/١ - ٧١)، والغاية

(٣٧٩ - ٣٩٣).

(٩) النهاية في الفتن والملاحم (٣٧٩/٢) [دار الحديث].

(١٠) المنهاج شرح صحيح مسلم (٣٤/١٣) [دار المعرفة،

ط١٢٧، ١٤٢٧هـ].

يقوله من يقوله من المتفلسفة والمعتزلة، والكتاب والسنة يرد هذا القول، وسلف الأمة وأئمتها متفقون على بطلان هذا القول^(١).

والآخر: في كتاب النبوات، حيث قال: «أصح القولين أن جنة آدم جنة التكليف لم تكن في السماء، فإن إبليس دخل إلى جنة التكليف جنة آدم بعد إهباطه من السماء، وقول الله له: ﴿قَالَ فَخَرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (٢٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ [ص] وقوله: ﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْخُورًا﴾ [الأعراف: ١٨]، لكن كانت في مكان عال في الأرض من ناحية المشرق ثم لما أكل من الشجرة أهبط منها إلى الأرض^(٢).

الحكمة:

الحكمة من خلق الجنة تحقيق كمال عدل الرب تعالى، بمجازاة من عمل صالحاً، وأن عمله سيكتب له، ويجزى عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ (٢٤) أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ [القلم].

مذهب المخالفين:

١ - زعمت المعتزلة ومن وافقهم أن الجنة معدومة الآن، وينشئها الله تعالى يوم القيامة، قال ابن أبي العز رداً على

تلك المزاعم: «لم يزل أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل على ذلك أهل السنة حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك وقالت: بل ينشئها الله يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا»^(٣)، وقد دلت أدلة كثيرة على أنها موجودة معدة الآن، مثل قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢٣) [آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦١﴾ [الحديد]، وغيرها من الأدلة، والتجديد والزيادة فيها لا يناهزان وجودها الآن، فالله يزيد فيها ويزينها لعباده المتقين، وأرواح الشهداء في «أجواف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت»^(٤) قبل يوم القيامة، ويفتح من الجنة الباب إلى قبر العبد المؤمن «فيأتيه من روحها وطيبها»^(٥).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٦١٥). وانظر: حادي الأرواح (٣٥ - ٣٦).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٨٧).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (كتاب السنة، رقم =

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٣٤٧).

(٢) النبوات (١٨٢) [المطبعة السلفية، ط. عام ١٣٨٦هـ].

٢ - حكى العلماء أن الجهم بن صفوان وأتباعه زعموا أن الجنة فانية، وبذلك خالفوا سبيل المؤمنين جميعاً؛ حيث لم يحك هذا أحد عن السلف الصالح لا الصحابة ولا التابعين ولا غيرهم بل كلهم يقولون: إن الجنة باقية بإبقاء الله تعالى لها بقاءً أبدياً سرمدياً، على مَرِّ الدهور والعصور، مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧] تأكيد الخلود بالأبدية يدل دلالة صريحة أن الجنة أبدية لا تفنى، ومن الأدلة كذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، والدائم هو المستمر على مر الدهور والعصور، وقوله تعالى في أرزاق الجنة: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤] وقال تعالى عن ثمار الجنة: ﴿وَفِيكَهِنَّ كَثِيرٌ مِمَّا لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣].

قال ابن تيمية رحمته الله في إبطال القول بفناء الجنة: «حكوه عن الجهم بن صفوان وأتباعه الجهمية، وهذا مما أنكره عليه أئمة الإسلام؛ بل مما

أكفروهم به... عن خارجة بن مصعب، أنه قال: كفرت الجهمية بآيات من كتاب الله تعالى، في غير موضع بأربع آيات من كتاب الله: بقوله تعالى: ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] وهم يقولون: لا يدوم. ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، وهم يقولون: ينفد. ويقول الله تعالى: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣]، فمن قال: إنها تنقطع، فقد كفر، ويقول الله تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوزٍ﴾ [هود: ١٠٨]؛ أي: غير مقطوع. فمن قال: إنه ينقطع، فقد كفر^(١). وزاد في خلق أفعال العباد للبخاري: «أبلغوا أنهم كفار، وأن نساءهم طواقي»^(٢).

٣ - زعمت بعض الفلاسفة الباطنية ومن نحا نحوهم^(٣) أن نعيم الجنة للروح دون الجسد، وبذلك خالفوا المذهب الحق القائلين: إن نعيم الجنة للروح والجسد معاً، لا الروح فقط، والأدلة على بطلان زعم الفلاسفة الباطنية كثيرة مستفيضة منها: قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٩]، والمرسلات: [٤٣]، وقوله تعالى:

(١) الرد على من قال بفناء الجنة والنار (٤٣ - ٤٤) [دار بلنسية، ط ١، ١٤١٥هـ]، والغاية (٤١٥) عن ابن تيمية، وانظر: السنّة لعبد الله بن أحمد (١٣٠) برقم (٧٧) [دار عالم الكتب، ط ٤، ١٤١٦هـ].
(٢) خلق أفعال العباد (١٠٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٣].
(٣) الغاية (٢٢٤، ٢٢٥).

= (٤٧٥٣)، وأحمد في مسنده (٤٩٩/٣٠)، رقم (١٨٥٣٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه ابن القيم في أعلام الموقعين (١٣٧/١) [دار الكتب العلمية، ط ١]، والألباني في أحكام الجنائز (١٥٩) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

معرفته وعبادته في الدنيا؛ فأطيب ما في الدنيا معرفته، وأطيب ما في الآخرة النظر إليه سبحانه»^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإسماعيلية تاريخ وعقائد».
- ٢ - «أصول الإسماعيلية».
- ٣ - «التذكرة» (ج ٢، ٣)، للقرطبي.
- ٤ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ٢٠)، للقرطبي.
- ٥ - «حادي الأرواح»، لابن القيم.
- ٦ - «خلق أفعال العباد»، للبخاري.
- ٧ - «الرد على من قال بفناء الجنة والنار»، لابن تيمية.
- ٨ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٩ - «شرح النووي على مسلم» (ج ١٨).
- ١٠ - «صفة الجنة»، لأبي نعيم الأصبهاني.

الجهة

التعريف لغة:

الجهة: أصلها الوجه الذي يتوجه إليها الشيء والهاء عوض من الواو^(٦)،

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤/١٦٣).

(٦) انظر: لسان العرب (١٣/٥٥٦) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ]، وبيان تلبس الجهمية (٣/٦٠٧ - ٦٠٨) =

﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان، والطور: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الكهف: ٣١]؛ فالأكل والشرب والزواج واللباس والحلي والآنية إنما هي حسية، والحسية لا تكون إلا للمحسوس الذي هو الجسد^(١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والأكل والشرب في الجنة ثابت بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين، وهو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وكذلك الطيور والقصور في الجنة بلا ريب...»^(٢)، وقال في موضع آخر: «المسلمون أثبتوا جميع أنواع اللذات: سمعًا وبصرًا وشمًا وذوقًا ولمسًا للروح والبدن جميعًا، وكان هذا هو الكمال؛ لا ما يثبت به أهل الكتاب^(٣) ومن هو شر منهم من الفلاسفة الباطنية وأعظم لذات الآخرة لذة النظر إلى الله سبحانه، كما في الحديث الصحيح: «فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه»^(٤) وهو ثمرة

(١) الغاية (٢٢٣).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٣١٣) [مجمع الملك فهد، ١٤٢٥هـ].

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٣١٣ - ٣١٤) (١٣/٢٣٨).

(٤) لفظ الحديث في صحيح مسلم: «فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم رَجَاءً». انظر: صحيح مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨١).

قال ابن فارس: «الواو والجيم والهاء: أصل واحد يدل على مقابلة لشيء. والوجه: مستقبل لكل شيء»^(١). وتطلق الجهة ويراد بها: الناحية^(٢). وتأتي بمعنى: النحو، تقول: كذا على جهة كذا^(٣).

❖ الحقيقة:

الجهة: لفظ يطلقه أهل الكلام ويعبرون به عن معانٍ لم يعبر غيرهم عنها بهذه الألفاظ، فيفسرون تلك المعاني بعبارات أخرى ويبطلون ما دلَّ عليه القرآن بالأدلة العقلية والسمعية.

ومن أطلق هذا اللفظ من أهل التعطيل يريد من خلاله نفي علو الله تعالى^(٧).

❖ التعريف اصطلاحًا:

الجهة: لفظ مجمل قد يُراد به أمر وجودي وقد يُراد به أمر عدمي، وقد وُجد هذا اللفظ في عبارات أهل الكلام للتعبير به عن معانٍ خاصة^(٤).

وقيل: الجهة: لفظ مجمل لا يفهم منه عند الإطلاق معنى معين^(٥).

❖ الحكم:

يمنع إطلاق لفظ الجهة في حق الله ﷻ أو نفيه؛ لأنه لم يرد في نصوص الكتاب والسنة، ولا أثر عن أحدٍ من سلف هذه الأمة إثباته أو نفيه.

= [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ].

(١) مقاييس اللغة (٨٨/٦) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) انظر: القاموس المحيط (١٢٥٥) [مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٨٦/٦) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤٦/١٣)، وشرح الطحاوية (١٩٣) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط١، ١٤١٨هـ].

(٥) انظر: روضة الناظر (٥١٦/١) [مؤسسة الريان، ط٢، ١٤٢٣هـ]، وشرح مختصر الروضة (٦٤٧/٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧هـ].

❖ أقوال أهل العلم:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إن مسمى لفظ الجهة يراد به أمر وجودي كالفلك الأعلى، ويراد به أمر عدمي كما وراء العالم. فإذا أريد الثاني أمكن أن يقال: كل جسم في جهة. وإذا أريد الأول امتنع أن يكون كل جسم في جسم آخر. فمن قال: الباري في جهة، وأراد بالجهة أمرًا موجودًا، فكل ما سواه

(٦) انظر: التدمرية (٦٦ - ٦٧) [مكتبة العبيكان، ط٦، ١٤٢٢هـ]. وانظر: مجموع الفتاوى (٣٩/٦ - ٤٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، طعام: ١٤١٦هـ]، والصواعق المرسلية (٩٤٧/٣) [دار العاصمة، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٧) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤٦/١٣).

وقال ابن عثيمين رحمته الله: «لفظ الجهة، لم يرد في الكتاب والسنة إثباتاً ولا نفيًا، ويغني عنه ما ثبت فيهما من أن الله تعالى في السماء. وأما معناه فإما أن يراد به جهة سفلى أو جهة علو تحيط بالله أو جهة علو لا تحيط به.

فالأول باطل؛ لمنافاته لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب، والسنة، والعقل والفطرة، والإجماع.

والثاني باطل أيضًا؛ لأن الله تعالى أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته.

والثالث حق؛ لأن الله تعالى العلي فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته»^(٣).

الآثار:

لا شك أن استعمال الألفاظ المجملة الموهمة كلفظ: (الجهة) وترك الألفاظ الشرعية الواردة في الكتاب والسنة، يترك آثارًا سيئة وأضرارًا كبيرة في الأمة؛ بل إنها أصل البلاء وهي مورد الصديق والزندق^(٤). ومما يدل على خطورة ذلك أمور:

١ - أنه بسبب استخدام المتكلمين لهذه الألفاظ - والتي منها لفظ (الجهة) - واعتنائهم بها، وقعوا في تحريف

مخلوق له، ومن قال: إنه في جهة بهذا التفسير فهو مخطئ. وإن أراد بالجهة أمرًا عديمًا، وهو ما فوق العالم، وقال: إن الله فوق العالم، فقد أصاب. وليس فوق العالم موجود غيره، فلا يكون سبحانه في شيء من الموجودات. وأما إذا فسرت الجهة بالأمر العدمي، فالعدم لا شيء. وهذا ونحوه من الاستفسار، وبيان ما يراد باللفظ من معنى صحيح وباطل يزيل عامة الشبه»^(١).

ويقول ابن أبي العز الحنفي رحمته الله: «وأما لفظ الجهة: فقد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق، فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقًا، والله تعالى لا يحصره شيء، ولا يحيط به شيء من المخلوقات، تعالى الله عن ذلك. وإن أريد بالجهة أمر عديمي، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده. فإذا قيل: إنه في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح، ومعناه: أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات فهو فوق الجميع، عال عليه»^(٢).

(١) منهاج السنة النبوية (٢/٥٥٨) - جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ. وانظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٢٥٣) - جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ، وبيان تلبس الجهمية (٣/٦١٠)، والجواب الصحيح (٤/٣١٧ - ٣١٨) [دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٩هـ].
(٢) شرح الطحاوية (١٩٣).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/٢٩٣) [دار الوطن، ط ١، ١٤١٢هـ].
(٤) انظر: مدارج السالكين (٣/١٤٣) [دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ].

ويرد عليهم: بأن هذه المقدمات التي أوجبوها على أنفسهم ومن ثمَّ ألزمتهم إلى القول بنفي الجهة عن الله هي باطلة من أصلها لم يدل عليها الدليل ولم يقل بها السلف الصالح. فهم أوهموا أن إثبات العلو صفة لله يلزم منه أن يكون في جهة أو حيز أو مكان كما يكون الإنسان في بيته، ثم رتبوا على ذلك أنه يكون محتاجاً إلى غيره. والله تعالى غني عن كل ما سواه، وهذا موضع الاشتباه، ولذلك أجاب أهل السُّنة عن ذلك بالاستفصال عن المراد بهذه الألفاظ كما تقدم بيان ذلك^(٤).

نصوص الشرع ومعارضتها بحيث إن جاء نص يخالف ذلك اللفظ المجمل صار يحرفه عن مدلوله البين الواضح، وقالوا: هذه أدلة لفظية لا تفيد اليقين، وإنما اليقين في معقولات اليونان^(١).

٢ - الانحراف عن الحق وتباين المواقف في النصوص: فالمبتدعة لما اهتموا بالطرق البدعية والأدلة المبتدعة المركبة من الألفاظ المجملة لا سيما فيما يتعلق بإثبات الخالق انحرفوا عن سواء السبيل، وصاروا شيعاً وطوائف مختلفة^(٢).

✽ مذهب المخالفين:

عرّف أهل الكلام الجهة بقولهم: أما الجهة: فجهة كل شيء ما له من الغاية المحدودة له. وبناء على ذلك قالوا: كل ما هو في جهة فهو محدود محدث. وقال بعضهم: إن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان، وإثبات المكان يوجب إثبات الجسمية، فنفوا بذلك الجهة عن الله تعالى^(٣).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ج ٢)، لابن القيم.
- ٢ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٣)، لابن تيمية.
- ٣ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ١، ٦)، لابن تيمية.

والمبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين للأمدى [مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤١٣هـ]، والكلبيات للكفوي (٣٤٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٩هـ]، وحاشية السيوطي على سنن النسائي (٢٢٦/٢) [مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط ٢، ١٤٠٦هـ]، وأساس التقديس (١٠٩) [مكتبة الكلبيات الأزهرية، ط ١٤٠٦هـ].

(٤) انظر: منهاج السُّنة النبوية (٢/٣٢٣) (٥/٢٨٢)، واجتماع الجيوش الإسلامية (٢/٣٢٤) [مطابع الفرزدق التجارية، ط ١، ١٤٠٨هـ]، وشرح الطحاوية (١٩٣).

(١) انظر: موقف ابن تيمية وابن القيم من الألفاظ المجملة (٧٤). وانظر: درء التعارض (١/٢٠٩)، (٢٢١)، والصواعق المرسلّة (٣/٩٢٥ - ٩٢٦).

(٢) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (٢٧٤ - ٢٧٧) [دار الصميعي، ط ٢، ١٤٢٥هـ]، ومجموع الفتاوى (٥/٣١ - ٣٥)، ودرء التعارض (١/٨ - ٢٠، ٢٠١ - ٢٠٨) والصواعق المرسلّة (٣/١٠٤٨ - ١٠٥١).

(٣) انظر: الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد (١٤٥) [مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ١٩٩٨م].

٤ - «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٥ - «الصواعق المرسلة» (ج ٢، ٣)، لابن القيم.

٦ - «مجموع الفتاوى» (ج ٥، ٦)، لابن تيمية.

٧ - «مصطلحات في كتب العقائد»، لمحمد الحمد.

٨ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعامر بن عبد الله بن فالح.

٩ - «منهاج السنة النبوية» (ج ٢)، لابن تيمية.

١٠ - «موقف شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم من الألفاظ المجملة المتعلقة بأبواب التوحيد والقضاء والقدر»، لعبد السميع بن عبد الأول.

الجواد

التعريف لغة:

الجواد: مأخوذ من الجود، قال ابن فارس: «الجيم والواو والذال أصل واحد، وهو التسمح بالشيء، وكثرة العطاء. يقال: رجل جواد بَيِّن الجود، وقوم أجواد. والجود: المطر الغزير. والجواد: الفرس الذريع والسريع، والجمع جياذ والمصدر الجودة»^(١).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢٥٢/١) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

فالجواد معناه في اللغة: كثير العطاء.

التعريف شرعاً:

الجواد: اسم من أسماء الله الحسنى، فهو سبحانه كثير العطاءِ بِسَمَاحَةٍ وَسَخَاءٍ، الذي عَمَّ بِجُودِهِ وَكَرَمِهِ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الجود: معناه: كثرة العطاء، والله وَجَّكَ موصوف بالجود، فهو جواد كريم.

الحكم:

يجب الإيمان بهذا الاسم وما دلَّ عليه من الصفة، ويجب إثباتهما لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، لدلالة الحديث النبوي عليه^(٣).

الحقيقة:

الجود: هو العطاء بِسَمَاحَةٍ وَسَخَاءٍ، والله وَجَّكَ موصوف بأعلى أنواع الجود

(٢) انظر: كتاب التوحيد لابن منده (٩٩/٢) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (١٦٩/١) [مكتبة السوادي، جدة، ١٤١٣هـ]، والحق الواضح المبين للسعدي (٢٤٧) [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ٢٠١٢هـ].

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٥٢١/١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤٢٦هـ]، وأسماء الله الحسنى لابن القيم (٢٣٥) [دار الكلم الطيب، ٢٠١٩هـ].

فغمس فيه إبرة ثم رفعها إليه، ذلك بأنني جواد ماجد أفعل ما أريد، عطائي كلام، وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له: كن؛ فيكون»^(٢).

✽ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا ريب أن الله عند أهل الملل كريم جواد ماجد محسن عظيم المن قديم المعروف، وأن له الأسماء الحسنى التي يشئ عليه فيها بإحسانه إلى خلقه»^(٣).

وقال ابن القيم: «إن الله سبحانه غني حميد كريم رحيم، فهو محسن إلى عبده، مع غناه عنه، يريد به الخير، ويكشف عنه الضر، لا لجلب منفعة إليه سبحانه، ولا لدفع مضرة؛ بل رحمة وإحساناً وجوداً محضاً؛ فإنه رحيم لذاته، محسن لذاته، جواد لذاته، كريم

^(٢) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٩٥) وقال: «هذا حديث حسن»، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٥٧)، وأحمد (٢٩٤/٣٥، رقم ٢١٣٦٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٥٣٧٥)، والحديث أصله في صحيح مسلم، وليس فيه جملة: (أنني جواد ماجد).

لكن أخرج أبو عبيد في فضائل القرآن (٨٩) [دار ابن كثير، ط١]، والشاشي في مسنده (٨٠، رقم ٢٠) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، والبيهقي في الشعب (٢٨٧/١٣) [مكتبة الرشد، ط١]، من طريق طلحة بن عبيد الله بن كريب مرفوعاً: «إن الله جواد يحب الجود»، وهو مرسل ضعيف، لكنه يصلح شاهداً لحديث أبي ذر، والله أعلم.

^(٣) بيان تلبيس الجهمية (١/٥٢١).

والكرم، فهو سبحانه من فضله وجوده وكرمه ملاً لجميع الكائنات بنعمه الكثيرة المتنوعة، وعمَّ بها جميع المخلوقات، وخصَّ أوليائه في الآخرة بنعيم الجنة، وأعدَّ لهم فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»^(١).

✽ الأدلة:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: يا عبادي كلّم ضال إلا من هديته، فسلوني الهدى أهّدكم، وكلّم فقير إلا من أغنيت، فسلوني أرزقكم، وكلّم مذنب إلا من عافيت، فمن علم منكم أني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرت له ولا أبالي، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضة، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أشقى قلب عبد من عبادي ما نقص ذلك من ملكي جناح بعوضة، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد فسأل كل إنسان منكم ما بلغت أمنيّة فأعطيت كل سائل منكم ما سأل ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحداكم مر بالبحر

(١) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٤٧).

لذاته، كما أنه غني لذاته، قادر لذاته، حي لذاته، فإحسانه وجوده وبره ورحمته من لوازم ذاته، فلا يكون إلا كذلك، كما أن قدرته وغناه من لوازم ذاته، فلا يكون إلا كذلك»^(١).

الآثار:

١ - إن الله ﷻ جواد كريم، ولا غنى لمخلوق عن جوده وكرمه طرفة عين ولا أقل من ذلك، فكلهم ينعمون بنعم الله التي أكرمهم الله بها بجوده وكرمه، وهذا أمر مشاهد ومحسوس، ولكن الناس في نيل جود الله وكرمه على مراتب ودرجات، وذلك حسب توفيق الله لهم واتخاذهم الأسباب المقتضية لذلك.

٢ - إن الله ﷻ حثَّ على الجود والإنفاق والإيثار والكرم في آيات كثيرة من القرآن الكريم، وكذلك حثَّ النبي ﷺ على ذلك في أحاديث كثيرة، وقد كان النبي ﷺ أكرم الناس وأجود الناس، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وكان أجود ما يكون في رمضان، وكان الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم على درجة عالية من الجود والكرم والبذل والعطاء، وكانوا أجود وأكرم ممن جاء بعدهم، والمسلمون عموماً عندهم من الجود والكرم ما لا

وقال في نونيته المشهورة:

وهو الجواد فجوده عم الوجو
دَ جميعه بالفضل والإحسان
وهو الجواد فلا يخيب سائلاً
ولو أنه من أمة الكُفران^(٢)

وقال السعدي: «أنه تعالى (الجواد) المطلق الذي عم بجوده جميع الكائنات، وملاًها من فضله وكرمه ونعمه المتنوعة، وخص بجوده السائلين بلسان المقال أو لسان الحال من بر وفاجر ومسلم وكافر، فمن سأل الله أعطاه سؤاله وأناله ما طلب فإنه البر الرحيم، ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تَعَرَّوْاْ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِنَّهُ يَبْرِئَكُمُ الْيُسْرَى﴾ [النحل] ومن جوده الواسع ما أعدّه لأوليائه في دار النعيم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»^(٣).

المسائل المتعلقة:

إن هذا الاسم يدل على ثبوت صفة

(١) أسماء الله الحسنى (٢٣٥).

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٣/ ٧٢٠ - ٧٢١) [دار عالم الفوائد، ١٤٢٨هـ].

(٣) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين (٢٤٧).

(٤) انظر: بيان تلبس الجهمية (١/ ٥٢١)، وأسماء الله الحسنى لابن القيم (٢٣٥)، وصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (٨٧ - ٨٨) [دار الهجرة الرياض، ١٤١٤هـ].

كما يليق بجلال الله وعظمته.

❁ المصادر والمراجع:

١ - «أسماء الله الحسنى»، لابن القيم.

٢ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، للبيهقي.

٣ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ١)، لابن تيمية.

٤ - «الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين»، للسعدي.

٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٦ - «القواعد المثلى»، لابن العثيمين.

٧ - «الكافية الشافية» (ج ٣)، لابن القيم.

٨ - كتاب «التوحيد» (ج ٢)، لابن منده.

٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التيمي.

١٠ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالج.

عند غيرهم، وهذا أمر مشاهد ومحسوس، ولا سيما في المجتمعات البشرية التي يسكنها المسلمون وغيرهم، وكل ذلك من فضل الله وجوده وكرمه عليهم، وذلك فضل الله يعطيه من يشاء.

❁ مذهب المخالفين:

لا شك أن الجواد اسم من أسماء الله الحسنى، والجهمية وشيوخهم من الفلاسفة وتلاميذهم من غلاة الصوفية وزنادقة الباطنية ينكرون جميع أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، فهذا الاسم من جملة تلك الأسماء التي ينكرونها هؤلاء النفاة.

وهذا الاسم يدلُّ على اتصاف الله بصفة الجود، وهي من صفات الله الذاتية والفعلية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية لله تعالى^(١). وقد جاء إثبات هذا الاسم لله تعالى على لسان رسول الله ﷺ وهو أعلم الناس وأعرفهم بالله ﷻ، وأسماء الله ﷻ لا تتخلى عن معانيها، ولذا يجب إثبات هذا الاسم وما دلَّ عليه من اتصاف الرب بصفة الجود لله ﷻ.

❁ الجود

يراجع مصطلح (الجواد).

(١) انظر من كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (١٥١) [مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤٠٨هـ].

«فأما الجوهر الفرد فعبارة عن جوهر لا يقبل التجزي لا بالفعل ولا بالقوة»^(٥).

ويقول الجرجاني عنه: «جوهر ذو وضع لا يقبل الانقسام أصلاً، لا بحسب الخارج، ولا بحسب الوهم أو الفرض العقلي، تتألف الأجسام من أفرادها بانضمام بعضها إلى بعض»^(٦).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

لا يوجد علاقة ظاهرة بينهما، فهو مصطلح مبتدع لفظاً ومعنى.

الحكم:

أثبت العلم الحديث بطلان نظرية الجوهر الفرد عند المتكلمين، كما أبطلها ابن تيمية قبل عدة قرون، فقد ثبت علمياً أن الذرة والتي تقابل الجوهر الفرد عند المتكلمين، تتكوّن من إلكترونات، ونواة بها بروتونات ونيوترونات، وهذه النواة أصغر من الذرة بآلاف المرات، وأن هذه النواة تنقسم، ويولد انقسامها طاقة هائلة^(٧).

(٥) المبين (١٠٩ - ١١٠) [مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤١٣هـ]، وانظر: معيار العلم (٢٩١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٦) التعريفات (٧٥) [عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٧هـ]، وانظر: الصحائف الإلهية (٢٥٥) [مكتبة الفلاح، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٧) انظر: معجزة الذرة لهارون يحيى (١٠٣ - ١٠٦)، المعجم الفلسفي للحفني (١٢٨) [الدار الشرقية، ط ١، ١٤١٠هـ].

الجوهر الفرد

التعريف لغةً:

جاء في «الصحاح»: «والجَوْهر معرَّب، الواحدة جَوْهرة»^(١). وفي «لسان العرب»: «الجَوْهر معروف، الواحدة جوهرة، والجوهر كل حَجَر يُستخرج منه شيء يُنتفع به»^(٢). فالجوهر لفظ معرَّب، ومعناه: كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به.

والفرد كما يقول ابن فارس: «الفاء والراء والدال أصلٌ صحيح يدل على وِحدة»^(٣).

ولم يأت المصطلح مركباً في اللغة.

التعريف اصطلاحاً:

الجوهر الفرد عند المتكلمين: هو جزء غير قابل للانقسام، تتركب منه الأجسام، وهو أصغر ما تنتهي إليه الأجسام عند تجزئها^(٤).

وهو وفق مفهومهم يرادف الذرة في العلم الحديث، إلا أن الذرة قابلة للانقسام خلاف قولهم. يقول الآمدي:

(١) الصحاح (٢١٦/٢) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ]، وانظر: لسان العرب (١٥٣/٤) [دار صادر].

(٢) لسان العرب (١٥٢/٤)، وانظر: القاموس المحيط (٤٦٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧هـ].

(٣) مقاييس اللغة (٥٠٠/٤) [دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ].

(٤) موسوعة مصطلحات جامع العلوم (٣٢٤ - ٣٢٥) بتصرف.

كما أثبت العلم الحديث اختلاف ذرات الأجسام، وأنها غير متماثلة فذرات الماء ليست مماثلة لذرات الحديد على سبيل المثال. فكل جسم له ذراته الخاصة به، كما أن اختلاف الارتباط الكيميائي للذرات ببعض، ينتج أنواعًا مختلفة من المواد^(١). وبهذا تنهار نظرية الجواهر الفرد.

❁ الحقيقة:

الجواهر الفرد لم يقل به أحد من أئمة المسلمين، لا من الصحابة، ولا التابعين، ولا من بعدهم من الأئمة المعروفين؛ بل قد نفاه جمهور الأمة. وحقيقته أن الله ﷻ لم يخلق منذ خلق الجواهر المفردة شيئًا قائمًا بنفسه، لا سماء ولا أرضًا ولا حيوانًا ولا نباتًا ولا معادن ولا إنسانًا، ولا غير ذلك؛ بل إنما يحدث تركيب تلك الجواهر القديمة، فيجمعها ويفرقها، فهو يحدث صفات قائمة بتلك الجواهر، لا أعيانًا قائمة بأنفسها، وهذا خلاف ما دلَّ عليه السمع والعقل والعيان^(٢).

❁ الآثار:

الآثار السيئة المترتبة على القول بالجواهر الفرد كثيرة، منها:

❁ مذهب المخالفين:

اختلف في إثبات الجواهر الفرد ونفيه:

١ - المثبتون: أثبت الجواهر الفرد جمهور المعتزلة؛ كالجبائي وهشام الفوطي وغيرهم^(٣)، وتبعهم جمهور

(٣) انظر: منهاج السُّنة (١٤١/٢)، وبيان تلبس الجهمية (٢٨٣/١).

(٤) انظر: منهاج السُّنة (٥٣٢/٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (١٤٠/٢).

(٦) انظر: المصدر السابق (١٣٩/٢).

(٧) انظر: مقالات الإسلاميين (٣١٥ - ٣١٦) [مكتبة النهضة المصرية، ط ٢، ١٣٨٩هـ].

(١) انظر: نحو فلسفة العلوم الطبيعية، النظريات الذرية والكوانتم والنسبية لعبد الفتاح غنيمه (٦٣ - ٦٥)، ومعجزة الذرة (٦٧).

(٢) انظر: منهاج السُّنة (١٣٩/٢)، ومجموع الفتاوى (٢٤٤/١٧).

أن يتميز جانب له عن جانب، ولا يكون قابلاً للقسمة إلى غير نهاية، فإن هذا أبطل من الأول؛ بل يقبل القسمة إلى حد، ثم يستحيل إذا كان صغيراً، وليس استحالة الأجسام في صغرها محدوداً بحد واحد؛ بل قد يستحيل الصغير وله قدر يقبل نوعاً من القسمة، وغيره لا يستحيل حتى يكون أصغر منه، وبالجمله فليس في شيء منها قبول القسمة إلى غير نهاية؛ بل هذا إنما يكون في المقدرات الذهنية، فأما وجود ما لا يتناهى بين حدين متناهيين فمكابرة، وسواء كان بالفعل أو بالقوة، ووجود موجود لا يتميز جانب له عن جانب مكابرة؛ بل الأجسام تستحيل مع قبول الانقسام، فلا يقبل شيء منها انقساماً لا يتناهى^(٦). وهذا ما أثبتته العلم الحديث، حيث إن الذرة في العلم الحديث تقابل الجوهر الفرد عند المتكلمين، وقد أثبت أن لهذه الذرة نواة أصغر منها بآلاف المرات، وأن هذه النواة تنقسم، ويولد انقسامها طاقة هائلة^(٧).

ومثبو الجوهر الفرد قولهم باطل من وجوه:

الأول: أنا نعلم بالاضطرار من دين

(٦) بيان تلبيس الجهمية (٢٨٥/١)، وانظر: منهاج السُّنة (٢١٠/٢).

(٧) انظر: معجزة الذرة هارون يحيى (١٠٣ - ١٠٦)، المعجم الفلسفي للدكتور الحفني (١٢٨) [الدار الشرقية، ط١، ١٤١٠هـ].

الأشاعرة والماتريدية، حتى زعم البغدادي والجويني اتفاق المسلمين على إثباته^(١). وظنوا أن القول بإثبات الصانع، وبأنه خلق السماوات والأرض، وبأنه يقيم القيامة، لا يتم إلا بإثبات الجوهر الفرد، فجعلوه أصلاً للإيمان بالله واليوم الآخر^(٢).

٢- نفى الجوهر الفرد، طوائف أهل الكلام، ومنهم: ابن كلاب إمام أتباعه^(٣). والهشامية، والنجارية، والضرارية، وكثير من الكرامية، كما نفاه الفلاسفة^(٤). إلا أن النظام، والفلاسفة قالوا بأن الأجزاء تتجزأ إلى ما لا نهاية^(٥).

وجمهور الأمة ينكرون الجوهر الفرد، وما قيل في معناه. والتحقيق كما يقول شيخ الإسلام: «أن الأجسام إذا تصغرت أجزاءها، فإنها تستحيل، كما هو موجود في أجزاء الماء، إذا تصغر فإنه يستحيل هواءً أو تراباً، فلا يبقى موجود ممتنع عن القسمة - كما يقوله المثبتون له - فإن هذا باطل، بما ذكره النفاة من أنه لا بد

(١) انظر: أصول الدين (٣٦) [دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠١هـ]، الشامل (٤٩/١) [دار العرب، ١٩٨٨م].

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢٨٠/١)، ومجموع الفتاوى (٢٩٩/٩)، وانظر من كتب المتكلمين: التمهيد (٤١) [دار الفكر العربي]، والإنصاف (١٧) [المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٣هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/٢٤٤).

(٤) انظر: درء التعارض (٣٠٣/١) [مكتبة ابن تيمية].

(٥) انظر: الشامل (٤٩/١)، وبيان تلبيس الجهمية (١) (٢٨٤ - ٢٨٥).

الإسلام؛ أن الرسول، والصحابه، والتابعين، وأئمة المسلمين، لم يبنوا شيئاً من أمر الدين على ثبوت الجوهر الفرد، ولا انتفائه، وليس المراد بذلك أنهم لم ينطقوا بهذا اللفظ، فإنه قد تجدد بعدهم ألفاظ اصطلاحية، يعبر بها عما دلّ عليه كلامهم في الجملة، وذلك بمنزلة تنوع اللغات، وتركيب الألفاظ المفردات، وإنما المقصود أن المعنى الذي يقصده المثبتة، والنفاة، بلفظ الجوهر الفرد، لم يبين عليه أحد من سلف الأمة، وأئمتها، مسألة واحدة من مسائل الدين، ولا ربطوا بذلك حكماً علمياً ولا عملياً. وقد أطبق أئمة الإسلام على ذمّ من بنى دينه على الكلام في الجواهر والأعراض^(١).

الوجه الثالث: دعواهم أن هذا قول جمهور المتكلمين غير صحيح؛ بل هو قول أبي الهذيل العلاف، ومن اتبعه من المعتزلة، والأشاعرة. وقد نفى الجوهر الفرد كثير من أئمة المتكلمين^(٢). فهذا يدل بجلاء على بطلان القول بالجواهر الفرد، وبطلان ما بنوا عليه من مسائل في العقيدة.

المصادر والمراجع:

- ١ - «أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة»، لمنيف العتيبي [رسالة دكتوراه].
- ٢ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٣ - «دليل الحدوث أصوله ولوازمه»، لأحمد الغامدي [رسالة دكتوراه].
- ٤ - «معجزة الذرة»، لهارون يحيى.
- ٥ - «منهج المتكلمين والفلاسفة

الوجه الثاني: أن هؤلاء الذين ادعوا توقف الإيمان بالله، واليوم الآخر، على ثبوته، قد شكوا فيه، وقد نفوه في آخر عمرهم؛ كإمام المتأخرين من المعتزلة أبي الحسين البصري، وإمام المتأخرين من الأشعرية أبي المعالي الجويني، وإمام المتأخرين من الفلاسفة والمتكلمين أبي عبد الله الرازي، فإنه في كتابه بعد أن بين توقف المعاد على ثبوته، وذكر ذلك غير مرة في أثناء مناظرته للفلاسفة، قال في المسألة لما أورد حجج نفاة

(٢) بيان تلبيس الجهمية (١/٢٨٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/٢٨٤).

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/٢٨٣).

- المنتسبين للإسلام في الاستدلال على وجود الله»، ليوسف الأحمد [رسالة دكتوراه].
- ٧ - «نحو فلسفة العلوم الطبيعية، النظريات الذرية والكوانتم والنسبية»، لعبد الفتاح غنيمه.
- ٦ - «مواقف التفتازاني الاعتقادية في كتابه شرح العقائد النسفية»، لمحمد جميل [رسالة دكتوراه].
- ٨ - «المبين في بيان ألفاظ الحكماء والمتكلمين»، للآمدي.
- ٩ - «مقالات الإسلاميين»، للأشعري.



حرف الحاء

على أعمالهم^(٦)، الذي يحصي كل شيء ويقوم عليه^(٧)، العليم بعباده، الرقيب لهم، المتولي جزاءهم بالخير والشر بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها^(٨).

قال الخطابي: «والحسيب أيضًا بمعنى: المحاسب؛ كقولهم: وزير ونديم بمعنى: موارر ومنادم، ومنه قوله ﷺ: ﴿أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء]؛ أي: محاسبًا»^(٩)، وقال الطبري في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء]: «يعني بذلك جل ثناؤه: إن الله كان على كل شيء مما تعملون، أيها الناس، من الأعمال، من طاعة ومعصية، حفيظًا عليكم، حتى يجازيكم بها جزاءه، وأصل (الحسيب) في هذا الموضع

الحاسب

التعريف لغةً:

الحاسب: اسم فاعل، من حسب يحسب، من باب نصر، وزنه فاعل^(١)، والحاسب من الحسيب، ومن معاني الحسيب: العد والإحصاء^(٢).

وَالْحَسَبُ: ما عدّ، والحساب والحسابة: عدك الشيء، وحَسَبَ الشيء يحسبه بالضم حَسِبًا وحِسَابًا وحِسَابَةً: عده^(٣)، «وقوله جلّ وعز: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء]؛ أي: كفى بك لنفسك محاسبًا»^(٤)، قال الراغب الأصبهاني: «والحسيب والمحاسب من يحاسبك، ثم يعبر به عن المكافئ بالحساب»^(٥).

التعريف اصطلاحًا:

الحاسب: من الحساب، وهو من معاني الحسيب، فهو المحاسب لعباده

(١) الجدول في إعراب القرآن (١٧٣/٧) [دارالرشيد، ط٤، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٥٩/٢)، ولسان العرب (١/٣١١) [دار صادر، ط١، ١٤١٠هـ].

(٣) لسان العرب (٣١٣/١)، والقاموس المحيط (٩٤) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(٤) لسان العرب (٣١٤/١).

(٥) مفردات غريب القرآن (١١٧) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ].

(٦) المقصد الأسنى (٨٩) [دار البيروتية، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٧) أحكام القرآن (٨٠٩/٢) [دار الجيل، ١٤٠٧هـ].

(٨) انظر: تفسير السعدي (٩٤٧) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٩) شأن الدعاء (٧٠) [دار الثقافة العربية، ط١، ١٤٠٤هـ].

﴿٢٨﴾ [الجن]، وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ، قال جبرائيل: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ﴿٢٩﴾ [النبأ]، وكتب ذلك قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة^(٦).

عندي: (فصيل) من (الحساب) الذي هو في معنى الإحصاء، يقال منه: حاسبت فلاناً على كذا وكذا، وفلان حاسبه على كذا، وهو حسيبه، وذلك إذا كان صاحب حسابه^(١).

الأدلة:

- المسألة الثانية: من كمال محاسبته لعبده أنه لا يستطيع أحد أن يخفي عن الله شيئاً من أعماله:

فأوجب ذلك كمال الخوف والتعظيم، فلا سبيل إلى خداعه، ولا جدوى من الشرك أو الرياء أو النفاق، ولن ينفع الإنسان إلا ما أداه بإخلاص، فكل الأمور عند الله تعالى مقيمة ومقدرة.

ورد اسم الحاسب مرتين في القرآن بصيغة الجمع؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ [الأنعام]، وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء].

أقوال أهل العلم:

أثبت هذا الاسم لله تعالى جمع من أهل العلم؛ منهم: القرطبي^(٢)، وابن تيمية^(٣)، وابن الوزير^(٤)، ومحمد الحمود النجدي^(٥). ولم يذكره غيرهم من العلماء.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الثالثة: يدلُّ هذا الاسم على أنه تعالى المحاسب على أعمال الناس في الدنيا:

فهو سبحانه الحسيب من حيث رقابته على تصرفات عباده فيما استخلفهم فيه من أموال وغيرها.

- المسألة الأولى: يدل اسم الحاسب على كمال علمه فلا يخفى عليه مثقال ذرة من أعمال خلقه:

قال تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾

- المسألة الرابعة: كما أنه سبحانه المحاسب في الدنيا، فكذلك هو المحاسب في الآخرة، ويندرج تحت هذا مسائل:

١ - إثبات الحساب في الآخرة، بمعنى: المجازي للخليقة عند قدومها

(١) تفسير الطبري (٥٩١/٨) [مؤسسة الرسالة، ط١].
(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٢٠٧/١) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ].
(٣) المستدرک على فتاوى ابن تيمية (٤٧/١) [ط١، ١٤١٨هـ].
(٤) إثبات الحق على الخلق (١٦٠) [دار الكتب العلمية، ط٢].
(٥) النهج الأسنى (٣٤٥/١) [مكتبة الإمام الذهبي، ط١، ١٤١٣هـ].

(٦) جاء ذلك في حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم (كتاب القدر، الرقم ٢٦٥٣).

رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان»^(٣)، ولا يعارضه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤] فالمعنى «لا يكلمهم بما يحبون، وقد يكلمهم ويسألهم عن أعمالهم، ويأخذ منهم»^(٤).

٣ - أن المحاسبة على حقيقتها، وأنه تعالى يكلم العباد في أحوال أعمالهم وما لها من الثواب والعقاب، وليس كما يقوله أهل التأويل أنها «مجاز عن خلق علم ضروري فيهم بأعمالهم، وجزائها كمًّا وكيفًا، أو مجازاتهم عليها»^(٥).

٤ - التفريق بين محاسبة المؤمن والكافر، «محاسبة الله للخلائق على نوعين؛ النوع الأول: للمؤمنين؛ والنوع الثاني: للكافرين؛ أما حساب المؤمنين: فإن الله ﷻ يخلو بعبده المؤمن، ويقرره بذنوبه، ويقول له: «عملت كذا في يوم كذا» حتى يقر ويعترف، فيقول الله ﷻ له: «قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك

بحسناتها وسيئاتها إما بالجنة وإما بالنار، ومعنى الحاسب: تعريف الله عباده بمقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم بما قد نسوه، بدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]^(١)، والحساب هو المقصود من الإيمان باليوم الآخر، فإن الإيمان بالبعث معناه: الإيمان بيوم يرجع فيه الناس إلى الله فيحاسبون، فحقيقة الإيمان بالبعث هو الإيمان بالحساب؛ لأنه ما ثمَّ شيء إلا سيحاسب الله ﷻ عبده عليه.

٢ - أن الله تعالى يتولى محاسبة عباده يوم القيامة، قال ابن زمين: «ومن قول أهل السنة: أن الله ﷻ يحاسب عباده يوم القيامة ويسألهم مشافهة منه إليهم: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء]، وهل يحاسب العباد إلا الذي خلقهم وتعبدهم، وأحصى أعمالهم وحفظها عليهم حتى يسألهم عنها، فيغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، وهو العلي القدير»^(٢).

وقد دلت السنة أيضًا على هذه المسألة في أحاديث كثيرة، فمن ذلك حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال

(١) تفسير القرطبي (٢/٤٣٥) [دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ].

(٢) رياض الجنة (١١٧) [مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٥هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٩)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠١٦).

(٤) رياض الجنة (١١٩).

(٥) روح المعاني (٢/٩٠) [دار إحياء التراث العربي]، وانظر: تفسير الرازي (١/٨٣٩) [دار إحياء التراث العربي].

يخفى عليه منه خافية، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ] (٤).

والدليل عليه: قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخِطْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام]. وذكر القرطبي في تفسيره حديثاً عن النبي ﷺ أثبت فيه اسم ﴿أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (١٢) وعزاه لابن منده فقال: «خرج الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن منده في كتاب التوحيد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير فظيع: يا عبادي، أنا الله لا إله إلا أنا، أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأسرع الحاسبين، يا عبادي، لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون» (٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١١/٤١٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والمحرر الوجيز (٢/٣٥٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ]، وتفسير البغوي (٣/١٥٢) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ]، وتفسير القرطبي (٧/٧) [دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ].

(٥) تفسير القرطبي (١٠/٤١٧) [دار الكتب المصرية، ط٢]، كذا قال، والمعروف أن كتاب التوحيد لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن منده، وليس لأبي القاسم عبد الرحمن ابن منده.

ولم نقف على هذا الحديث في كتاب التوحيد لابن منده، فإله أعلم بالصواب.

وقد ذكر الديلمي هذا الحديث في الفردوس (٣/٣٧٨، رقم ٥١٥٠) [دار الكتب العلمية، ط١]،

وتفرد الديلمي بإخراج الحديث مظنةً للضعف، كما =

اليوم» (١)؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «من نوقش الحساب عذب؛ فقالت عائشة: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق]، فقال النبي ﷺ: «ذلك العرض» (٢)؛ أي: تعرض الأعمال على الشخص حتى يقر؛ فإذا أقر بها قال الله تعالى له: «سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»؛ وأما غير المؤمنين: فإنهم لا يحاسبون كذلك؛ وإنما الأمر كما قال شيخ الإسلام: «وأما الكفار، فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها» (٣).

- المسألة الخامسة: ورود النصوص بأن الله تعالى أسرع الحاسبين:

جاءت تفاسير العلماء لأسرع الحاسبين؛ أي: أنه أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم وغير ذلك من أموركم أيها الناس، وأحصاها، وعرف مقاديرها ومبالغها؛ لأنه لا يحسب بعقد يد، ولكنه يعلم ذلك ولا

(١) أخرجه البخاري (كتاب، المظالم والغصب، رقم ٢٤٤١)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٦)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/١٤٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ].

ومخالفة؛ فالصالحون لا يحبون المهلة، والكافرون بعكس حالهم، فعجلت المسرة للصالحين والمساءة للمشركين بقوله: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ﴾ [الأنعام^(٤)].

- المسألة السابعة: إن الله تعالى يحاسب الخلق يوم القيامة في وقت سريع، فهو أسرع الحاسبين:

ومما يدل على سرعة الحساب في ذلك اليوم أن الله سماه ساعة^(٥)، ولو كان غير الله وَعَلَى الحاكم بين خلقه لما قدروا عليه، ولاحتاجوا إلى خمسين ألف سنة، أو يكون مقداره على الكافر خمسين ألف سنة:

قد يتوهم متوهم أنه كيف يقال: إن الله تعالى أسرع الحاسبين وسريع الحساب، وقد وردت النصوص أن مدة يوم الفصل بين الخلائق ومحاسبتهم تبلغ خمسين ألف سنة، كما في قوله تعالى: ﴿سَأَلُكَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۖ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۚ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۖ تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۖ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۚ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَرَأَتْهُ قُرَيْبًا ۚ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۚ

وقد أثبت اسم ﴿أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ﴾ لله تعالى مجموعة من العلماء: نقله ابن العربي عن سفيان وابن شعبان^(١) ولم يقره، وأثبت ابن تيمية^(٢)، وابن الوزير^(٣).

وأما من لم يثبت فكل من ذكر أسماء الله تعالى لم يعد ﴿أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ﴾ اسمًا لله تعالى إلا ما تقدم ذكره، ولم يُذكر في إحصاء النسائي، وابن منده، والبيهقي، والأصبهاني، وابن حزم، وابن العربي، وابن حجر، وابن عثيمين وغيرهم.

- المسألة السادسة: الدلالة على سرعة تحقق الوعد للصالحين والوعيد للكافرين وعدم تخلفهما:

قال ابن عطية: «ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ﴾ [الأنعام]؛ أي: ألا له الحساب، وهو أسرع من يحاسب فلا يتأخر جزاؤه، وهذا يتضمن وعدًا ووعدًا؛ لأنه لما أتى بحرف المهلة في الجمل المتقدمة، وكان المخاطبون فريقين: فريق صالح وفريق كافر، وذكر أنهم إليه يرجعون كان المقام مقام طماعية

= هو معلوم عند أهل الحديث. والله أعلم.

(١) انظر: أحكام القرآن (٢/٨٠٥) [دار الجيل، ١٤٠٧هـ].

(٢) المستدرک علی مجموع فتاوی ابن تیمیة (١/٤٧ ط ١، ١٤١٨هـ).

(٣) إشار الحق علی الخلق (١٦٠) [دار الكتب العلمية، ط ٢].

(٤) التحرير والتنوير (٧/٢٨٠) [الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م].

(٥) انظر: تفسير البحر المحيط (٤/١١٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ].

خمسون ألف سنة، وذلك بذكر الأجوبة التالية:

الجواب الأول: أن مدة حساب الله للخلائق من الكفار والمؤمنين قصيرة، ولو تولاهما غيره لكانت طويلة حتى تبلغ خمسين ألف سنة:

قال البغوي: «وقيل معناه: لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه خمسين ألف سنة، وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس ومقاتل، قال عطاء: ويفرغ الله منه في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا، وروى محمد بن الفضل عن الكلبي قال: يقول: لو ولّيت حساب ذلك اليوم الملائكة والجنّ والإنس وطوّفتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه إلا بعد خمسين ألف سنة، وأنا أفرغ منها في ساعة واحدة من النهار»^(٤).

وقال ابن القيم: «ويوم القيامة إلى ربهم محشورون، وعند العرض عليه محاسبون بحضرة الموازين ونشر صحف الدواوين، أحصاه الله ونسوه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، لو كان غير الله وَعَلَى الْحَاكِمِ بَيْنَ خَلْقِهِ، فالله يلي

وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيماً ﴿١٠﴾ [المعارج] فهذه الآيات تتحدث عن يوم القيامة ومدته خمسين ألف سنة، كما هو ظاهر من السياق، وهو القول الراجح، فقد ذكر ابن كثير أربعة أقوال في المراد من اليوم، ومال إلى أن المراد به يوم القيامة^(١)، وهو الراجح، بدليل ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»^(٢)، وما جاء عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: تلا رسول الله ﷺ الآية: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين]، فقال رسول الله ﷺ: «كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة، ثم لا ينظر الله إليكم؟!»^(٣).

والجواب عن ذلك: أنه لا تعارض بين كون الله تعالى أسرع الحاسبين وبين النصوص التي فيها أن مدة الحساب

(١) تفسير ابن كثير (٢٢١/٨ - ٢٢٢) [دارطبية، ط ٢].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٨٧).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٧/١٣) [مكتبة ابن

تيمية، ط ٢]، والحاكم في المستدرک (كتاب الأحوال، رقم ٨٧٠٧) وصححه، وقال الهيثمي: «رجاله ثقات». مجمع الزوائد (١٣٥/٧) [مكتبة القدسي]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨١٧).

(٤) تفسير البغوي (٢٢١/٨).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة، فيهون ذلك على المؤمن كتدلي الشمس للغروب، أو إلى أن تغرب» ^(٤).

وقال إبراهيم التيمي: «ما قدر ذلك اليوم على المؤمن إلا ما قدر ما بين ظهر يومنا وعصره» ^(٥).

- المسألة الثامنة: إثبات حساب الله
لخلقه في وقت قصير بلا مشقة فيه ولا تعب له ﷻ، فهو أسرع الحاسبين، وسريع الحساب:

قال ابن جرير: «هو أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وأجالكم وغيرها من أموركم، أحصاها وعرف مقاديرها ومبالغها؛ لأنه لا يحسب بعقد يد، ولكنه يعلم ذلك، ولا يخفى عليه منه خافية، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ^(٦) [سبا]» ^(٦)، فكما أن خلقهم وبعثهم لا

الحكم بينهم بعدله بمقدار القائلة في الدنيا وهو أسرع الحاسبين» ^(١).

وقال ابن عادل الحنبلي: «وإنما خاطبهم على قدرة فهم الخلائق، وإلا فلا يشغله شأن عن شأن، وكما يرزقهم في ساعة يحاسبهم في لحظة، والمعنى: لو ولي محاسب العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة» ^(٢).

الجواب الثاني: أن مدة حساب الله تعالى للمؤمنين قصيرة جداً، وأما على الكفار فهي طويلة جداً حتى تبلغ خمسين ألف سنة، وذلك من أجل زيادة عذابهم لا أن الله غير قادر على سرعة حسابهم. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ^(٣) [المعارج]، قال: «فهذا يوم القيامة، جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة» ^(٣).

وقد وردت أحاديث في معنى ذلك؛

(٤) أخرجه أبو يعلى (١٠/٤١٥) [دار المأمون، ط ١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٣٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٤هـ]، وقال الهيثمي: في مجمع الزوائد (١٠/٣٣٧) [مكتبة القدسي]: «رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن عبد الله بن خالد، وهو ثقة»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٥٨٩) [مكتبة المعارف، ط ٥].
(٥) اللباب في علوم الكتاب (١٩/٣٥٥).
(٦) تفسير الطبري (١١/٤١٣).

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (٤٥) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٤هـ]، والأسماء والصفات (١/٢١٤) [مكتبة السوادى، ط ١، ١٤١٣هـ].
(٢) اللباب في علوم الكتاب (١٩/٣٥٥) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ].
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/٦٠٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وعزاه ابن كثير في التفسير (٨/٢٢٢) لابن أبي حاتم، وعزاه صاحب الدر المنثور (٨/٢٧٩) [دار الفكر، ١٩٩٣م] لابن المنذر والبيهقي في البعث والنشور.

القول الثاني: «أن المراد: سرعة محاسبة الله للخلق - أي: أن نفس حسابه سريع -، والثاني أبلغ؛ فإن الله وَجَلَّ يحاسب الخلائق كلها في يوم واحد، ويعطي كل إنسان ما يستحقه من ذلك الحاسب»^(٤): قال ابن جرير: «فإنه جلّ

ثناؤه سريع الحاسب؛ يعني: سريع الإحصاء، وإنما معنى ذلك: أنه حافظ على كل عامل عمله، لا حاجة به إلى عقد كما يعقده خلقه بأكفّهم، أو يعونه بقلوبهم، ولكنه يحفظ ذلك عليهم، بغير كلفة ولا مؤونة، ولا معاناة لما يعانيه غيره من الحاسب»^(٥).

وقال البغوي: «يعني: إذا حاسب فحسابه سريع لا يحتاج إلى عقد يد ولا وعي صدر ولا إلى روية ولا فكر، قال الحسن: أسرع من لمح البصر»^(٦)، «وقيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام: كيف يحاسب الله الخلائق في يوم؟ فقال: كما يرزقهم في يوم»^(٧).

وقال السعدي: «**إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**» [المائدة]؛ كقوله تعالى: «**أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ**» [الأنبياء]، ويحتمل أن

مشقة فيه قال تعالى: «**مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَجَدَهُ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعٌ بَصِيرٌ**» [لقمان]، فذلك حسابهم لا مشقة فيه ولا تأخير، قال تعالى: «**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**» [يس].

- المسألة التاسعة: ورود النصوص بأن الله تعالى سريع الحساب:

اختلف العلماء في بيان معنى سرعة الحساب في قوله تعالى: «**وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**» [البقرة] على قولين:

القول الأول: أن السرعة سرعة الزمن؛ بمعنى: أن حساب الله قريب^(١)، كما في قوله تعالى: «**وَمَا يَذْرُوكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ**» [الشورى]، وقوله تعالى: «**وَمَا يَذْرُوكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا**» [الأحزاب]، قال ابن عطية: «وقيل معنى الآية: سريع مجيء يوم الحساب»^(٢)، وقال أبو منصور الأزهري: «وقوله تعالى: «**وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**» [البقرة]؛ أي: حسابه واقع لا محالة، وكل واقع فهو سريع»^(٣).

(١) انظر: تفسير القرآن لابن عثيمين (٤/٣٥٠).

(٢) المحرر الوجيز (١/٢٦٣) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٣) تهذيب اللغة (٤/١٩٥)، وانظر: تفسير البغوي (١/٢٣٣) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ]، وروح المعاني (٣/١٠٧) [دار إحياء التراث العربي]، وفتح القدير (٢/١٤)، ولسان العرب (١/٣١٤)، وتاج العروس (٢/٢٦٨) [دار الهداية].

(٤) تفسير القرآن لابن عثيمين (٤/٣٥٠).

(٥) تفسير الطبري (٦/٢٧٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وانظر: تفسير الطبري (٤/٢٠٧).

(٦) تفسير البغوي (١/٢٣٣).

(٧) المحرر الوجيز (١/٢٦٣).

تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣٩)
[البقرة: ٢٠٢، والنور]، وقال تعالى:
﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٤١) [الرعد]،
وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾
(١٩) [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ
أَلَدُّ سَرِيعِ الْحِسَابِ﴾ (١٩٩) [آل عمران].

وورد في السُّنَّة من حديث عبد الله بن
أبي أوفى رضي الله عنه يقول: دعا رسول الله ﷺ
يوم الأحزاب على المشركين فقال:
«اللَّهُمَّ منزل الكتاب، سريع الحساب،
اللَّهُمَّ اهزم الأحزاب، اللَّهُمَّ اهزمهم
وزلزلهم» (٤).

وقد أثبتته ابن منده (٥)، ونقله ابن
العربي عن سفيان وابن شعبان (٦) ولم
يقره، والحليمي (٧)، والبيهقي (٨)،
والقرطبي (٩)، وابن تيمية (١٠)، وابن
القيم (١١).

وأما من لم يثبتته فكل من ذكر

معناه: سريع المحاسبة فيحاسب الخلق
في ساعة واحدة، كما يرزقهم ويدبرهم
بأنواع التدابير في لحظة واحدة، لا
يشغله شأن عن شأن وليس ذلك بعسير
عليه (١).

وزاد ابن الجوزي أقوالاً أخرى لمعنى
الآية - ولعلها ترجع للقولين السابقين (٢) -
فقال: «وفي معنى سرعة الحساب خمسة
أقوال؛ أحدها: أنه قلته، قاله ابن
عباس، والثاني: أنه قرب مجيئه، قال
مقاتل، والثالث: أنه لما علم ما
للمحاسب وما عليه قبل حسابه كان
سريع الحساب لذلك، والرابع: أن
المعنى: والله سريع المجازاة، ذكر هذا
القول والذي قبله الزجاج، والخامس:
أنه لا يحتاج إلى فكر وروية كالعاجزين،
قاله أبو سليمان الدمشقي» (٣).

وقد ورد اسم سريع الحساب في
القرآن في ثمانية مواضع: منها قوله

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم
٢٩٣٣)، ومسلم (الجهاد والسير، رقم ١٧٤٢).

(٥) التوحيد (١٣٧/٢) [مطابع الجامعة الإسلامية،
ط١].

(٦) انظر: أحكام القرآن (٨٠٥/٢) [دار الجيل].

(٧) الأسماء والصفات (٢١٣/١) [مكتبة السوادي،
ط١].

(٨) المرجع السابق.

(٩) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٢٠٧) [دار
الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ].

(١٠) المستدرک على فتاوى ابن تيمية (٤٧/١).

(١١) مدارج السالكين (١٩٥/٢) [دار الكتاب العربي،
ط٢، ١٣٩٣هـ].

(١) تفسير السعدي (٤٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]،
وانظر: تفسير أبي السعود (٢١٠/١) [دار إحياء
التراث العربي]، وروح المعاني (١٠٧/٣).

(٢) فالقول الثالث والرابع والخامس راجع للقول الأول،
فإنها تعتبر علل لسرعة وقت الحساب، ولذلك
اعتبرها السعدي قولين وعلل ببقية الأقوال لسرعة
المحاسبة فقال في تفسير الآية: «أي: لا تستبطؤوا
ذلك اليوم فإنه آت، وكل آت قريب. وهو أيضًا
سريع المحاسبة لعباده يوم القيامة، لإحاطة علمه
وكمال قدرته». تفسير السعدي (٧٣٥).

(٣) زاد المسير (٢١٦/١) [المكتب الإسلامي، ط٤]،
وانظر عرض هذه الأقوال في: تفسير القرطبي (٢/
٢٨٧).

٨ - «المستدرک علی مجموع فتاوی ابن تیمیة» (ج ١).

٩ - «معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة بن علي التميمي.

١٠ - «المقصد الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لزروق.

١١ - «النهج الأسمى»، لمحمد الحمود.

❏ الحافظ ❏

يراجع مصطلح (الحفيظ).

❏ الحاكم ❏

يراجع مصطلح (الحَكَم).

❏ الحب في الله والبغض في الله ❏

يراجع مصطلح (الولاء والبراء).

❏ الحثو ❏

❏ التعريف لغةً ❏

قال ابن فارس: «الحاء والثاء والحرف المعتل يدلُّ على ذَرَوِ الشيء الخفيف السَّيِّح»^(٣)، وقال ابن منظور: «والْحَثِيُّ ما رَفَعْتَ به يديك، وفي حديث الغسل «كان يَحْثِي على رأسه ثلاثَ حَثِيَّاتٍ؛ أي:

أَسْماء الله تعالى لم يعد (سريع الحساب) اسمًا لله تعالى إلا ما تقدم ذكره، ولم يُذكر في إحصاء النسائي، والأصبهاني، وابن حزم، وابن العربي، وابن حجر، وابن الوزير، وابن عثيمين^(١).

❏ الآثار: ❏

وجوب الاستعداد على العباد لهذا الحساب، وأن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا، قال القرطبي: «فيأخذ العبد لنفسه في تخفيف الحساب عنه بالأعمال الصالحة، وإنما يخف الحساب في الآخرة على من حاسب نفسه في الدنيا»^(٢).

❏ المصادر والمراجع: ❏

١ - «أسماء الله الحسنى»، لعبد الله الغصن.

٢ - «الأسماء والصفات»، لليهقي.

٣ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج ١)، للقرطبي.

٤ - «إيثار الحق على الخلق»، لابن الوزير.

٥ - «رياض الجنة بتخريج أصول السُّنة»، لابن أبي زمنين.

٦ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣)، لابن تيمية.

(١) انظر: جدول مراجع أسماء الله الحسنى للغصن (٣٥٠) [دار الوطن، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) تفسير القرطبي (٢/٤٣٥).

(٣) مقاييس اللغة (١/٣٣٦) [دار الكتب العلمية، ط ١].

من هذه الأمة ثلاث حثيات، فيدخلهم الجنة^(٤).

الأدلة:

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وعدني ربي سبحانه أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا، لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا، وثلاث حثيات من حثيات ربي ﷻ»^(٥).

وعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربي وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفًا بغير حساب، ثم يتبع كل ألف بسبعين ألفًا، ثم يحثي بكفه ثلاث حثيات»، فكبّر عمر فقال ﷺ: «إن السبعين ألفًا الأول يشفعهم الله في آبائهم وأمهاتهم وعشائهم، وأرجو أن يجعل أمتي أدنى الحثوات الأواخر»^(٦).

وعن أبي سعيد الخُبراني

ثلاث غُرْفٍ بيديه، واحدتها حَثِيَّةٌ^(١) فالحثو بالواو والحثي بالياء كلاهما يستعملان فيما يعطيه الإنسان بكفيه من غير عدٍّ ولا إحصاء ولا وزن ولا كيل.

التعريف شرعًا:

الحثو: صفة من الصفات الفعلية الخبرية الاختيارية، فقد جاء في الأحاديث النبوية: «أن الله ﷻ يوم القيامة يحثو بكفيه ثلاث حثيات من هذه الأمة، فيدخلهم الجنة»^(٢).

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل؛ لدلالة الأحاديث النبوية عليها^(٣).

الحقيقة:

الحثو: هو الإعطاء بالكفين، والله ﷻ موصوف باليدين والكفين، ويحثي بهما

(١) لسان العرب (٧٧٦/٢) [دار المعارف، القاهرة].

(٢) انظر: مختصر الصواعق (١٧١/٢) [مكتبة الرياض الحديثة، ط ١٣٤٩هـ]، وصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (٨٩ - ٩١) [دار الهجرة الرياض، ط ١، ١٤١٤هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (١٤٢ - ١٤٣) [مكتبة العيكان، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: الحجة في بيان المحجة (٥٠٤/٢) [دار الراية، الرياض، ط ٢، ١٤١٩هـ]، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (١٢٨) [مكتبة دار البيان، دمشق، ط ٣، ١٤٢١هـ]، وصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (٨٩ - ٩١).

(٤) انظر: المعجم الكبير للطبراني (١٧/١٢٦ - ١٢٧ رقم ٣١٢) [مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٤هـ]، ومختصر الصواعق المرسلة (١٧١/٢).

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٢٧) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٨٦) واللفظ له، وأحمد في المسند (٣٦/٦٣٩ رقم ٢٢٣٠٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وذكره ابن كثير في تفسيره (١/٥١٣) [مؤسسة الريان] من طريقين: وقال في الأول منهما: «وهذا إسناد جيد»، وقال في الآخر: «وهذا أيضًا إسناد حسن»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٦١٤) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٦) أخرجه الدارمي في رده على المريسي (١١٠) =

والبسطة والمصافحة والحثيات والنضح باليد»^(٣).

✽ مذهب المخالفين:

الحثو: صفة فعلية، ويكون ذلك بالكفين كما جاء ذلك منصوباً عليه في الأحاديث النبوية المذكورة، ولكن هناك طوائف أنكرت صفة الحثو لله تعالى؛ بل أنكرت صفة اليدين والكفين لله ﷻ، فزعمت أنه ليس ثمة يد ولا كف ولا حثي، وهم الجهمية، والمعتزلة، والمتأخرون من الأشاعرة، والماتريديّة^(٤)، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد جاءت بإثبات صفة اليد لله تعالى، وجاءت الأحاديث النبوية بإثبات الكفين والحثو بهما صفة لله تعالى، وهي كلها من صفات المدح والكمال، والنبوي ﷺ أعرف الناس بالله ﷻ، وأفصحهم في التوضيح والبيان، وأنصحهم للخلق، وأحرصهم على هدايتهم، وأكثرهم تعظيماً وتقديساً

(٣) مختصر الصواعق المرسلة (١٧١/٢).

(٤) انظر من كتب أهل السنة: سنن الترمذي (١٦٦ - ١٦٧) [مكتبة المعارف، ط١]، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشيئة لابن قتيبة (٤٠ - ٤٣) [دار الراجية، ط١، ١٤١٢هـ]، وانظر من كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٢٢٨ - ٢٢٩) [مكتبة وهبة، ط٢]، والكشاف للزمخشري (٢٦٥/٢ - ٢٦٧ و ٣٢٠/٥ - ٣٢٣) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ]، ومن كتب الأشاعرة: المواقف للإيجي (٢٩٨) [دار الجيل، ط١، ١٩٩٧م]، ومن كتب الماتريديّة: مدارك التنزيل للنسفي (١/ ٢٩١ و ٦٢/٤).

الأنماري ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ ربي وعدني أن يُدْخِلَ الجنةَ من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب، ويشفع لكل ألف سبعين ألفاً، ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه»^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

إن عمر بن الخطاب لما سمع قول النبي ﷺ: «ثم يحثي لي ربي بكفيه ثلاث حثيات»، كبر فرحاً، وقال: «وأرجو أن يجعلني الله في إحدى الحثيات الأواخر»^(٢).

قال ابن القيم: «ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع وروداً متنوعاً متصرفاً فيه مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك والطي والقبض

= [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٢٤٧) واللفظ له، [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ]، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ١٢٦ - ١٢٧ رقم ٣١٢) [مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٤هـ]، وجود ابن حجر إسناده في الفتح (٣/ ٢٨٨٤) [بيت الأفكار الدولية].

(١) أخرجه الدارمي في رده على المريسي (١١١) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ]، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٨٤ - ٣٨٥، رقم ٨١٤) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ]، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٣٠٤ - ٣٠٥ رقم ٧٧١)، والحديث في إسناده اضطراب، ولكنه صالح للاعتبار، والحديثان المذكوران يشهدان له. انظر للتفصيل: ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني (٢/ ٣٨٤ - ٣٨٥ رقم ٨١٤) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ].

(٢) تقدم قريباً في حديث عتبة بن عبد السلمي.

الحجزة

يراجع مصطلح (الحقو).

الحد

التعريف لغة:

الحد لغة: الحاجز بين الشيئين حتى لا يتعدى أحدهما على الآخر.

قال ابن فارس في مادة: «الحاء والداد أصلان: الأوّل المنع، والثاني طَرَف الشيء، فالحد: الحاجز بين الشيئين. وفلان محدود، إذا كان ممنوعاً»^(٢).

وقال ابن دريد: «والحد بين الشيئين: الفرق بينهما؛ لثلا يعتدي أحدهما على الآخر»^(٣). وقال الأزهري: «وقال الليث: الحد الصرف عن الشيء من الخير والشر. وتقول للرامي: اللَّهُمَّ احده؛ أي: لا توفقه للإصابة».

وتقول: حددت فلاناً عن الشر؛ أي: منعت»^(٤).

فالحد إذن هو الفاصل والمانع بين الشيئين، بحيث يتميز كل منهما عن الآخر بجوانبه وجهاته وصفاته.

وتسبيحاً لله ﷻ، فيجب الإذعان والتسليم لهذه النصوص، ويجب إثبات ما دلّت عليه من الصفات لله ﷻ، كما يليق بجلال الله وعظمته^(١)، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المصادر والمراجع:

- ١ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.
- ٢ - «الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبّهة»، لابن قتيبة.
- ٣ - «الأسماء والصفات» (ج ٢)، لليهقي.
- ٤ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ٢)، لأبي القاسم التيمي.
- ٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ٦ - «مختصر الصواعق»، لابن القيم (ج ٢)، للموصلي.
- ٧ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

٨ - «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، للدارمي.

(٢) مقاييس اللغة (٣/٢) [دار الجيل، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٣) جمهرة اللغة (٩٥/١) [دار العلم للملايين، ط ١].

(٤) تهذيب اللغة (٣/٢٧٠) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلّة (١٧١/٢)، وصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (٨٩ - ٩١)، ومعجم ألفاظ العقيدة (١٤٢ - ١٤٣).

التعريف اصطلاحاً:

الحدُّ عند من أثبتَه الله من السلف هو: حدُّ الله في نفسه، يتميز به عن غيره كبينونته من خلقه وعدم حلوله فيهم، واختلاطه معهم.

وعند من نفاه منهم فهو: العلم والإحاطة بكنه صفات الله. وعلى هذا تدل أقوال أهل العلم^(١).

الحكم:

الحدُّ لفظ مجمل فقد يطلق ويراد به: أن الله محدود يدرك العقل حده، ويحيط به المخلوق وهذا النوع باطل.

وقد يطلق ويراد به: أن الله بائن من خلقه غير حالٍّ فيهم. وهذا حق^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا المحفوظ عن السلف والأئمة من إثبات حدِّ الله في نفسه، قد بينوا مع ذلك أن العباد لا يحدونه ولا يدركونه ولهذا لم يتناف كلامهم في ذلك كما يظنه بعض الناس فإنهم نفوا أن يحد أحد الله، كما ذكره حنبل عنه^(٣) في كتاب السُّنة والمحنة»، إلى أن قال: «إن لفظ الحد

عند كل من تكلم به يراد به شيان: يراد به حقيقة الشيء نفسه، ويراد به القول الدال عليه المميز له، وبذلك يتفق الحد الوصفي والحد القدري، كلاهما يراد به الوجود العيني والوجود الذهني، فأخبر أبو عبد الله: أنه على العرش بلا حد يحده أحد أو صفة يبلغها واصف، وأتبع ذلك بقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ [الأنعام ١٠٣] بحدٍّ ولا غاية، وهذا التفسير الصحيح للإدراك به؛ أي: لا تحيط الأبصار بحدِّه ولا غايته، ثم قال: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ﴾ [الأنعام ١٠٣] وهو عالم الغيب والشهادة ليتبين أنه عالم بنفسه وبكل شيء^(٤).

وقال ابن أبي العز الحنفي: «ومن المعلوم أن الحد يقال على ما ينفصل به الشيء ويتميز به عن غيره، والله تعالى غير حالٍّ في خلقه، ولا قائم بهم؛ بل هو القيوم القائم بنفسه، المقيم لما سواه. فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلاً، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب ونفي حقيقته. وأما الحد بمعنى العلم والقول، وهو أن يحده العباد، فهذا منتف بلا منازعة بين أهل السُّنة^(٥)».

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «أن الحدَّ تارة يراد به أن الله محدود يدرك العقل

(١) انظر: شرح الطحاوية (٢٦٣/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١٠٠]، ومجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٥٤/٧) [دار الوطن، دار الثريا، ط ١، ١٤١٣هـ].

(٢) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٦٣/١)، ومجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٥٤/٧).

(٣) أي: عن الإمام أحمد.

(٤) بيان تلبيس الجهمية (٧٠٦/٣ - ٧٠٨).

(٥) شرح الطحاوية (٢٦٣/١).

العباد يحدون الله تعالى، أو صفاته بحد، أو يُقدِّرون ذلك بقدر، أو أن يبلغوا إلى أن يصفوا ذلك، وذلك لا ينافي ما تقدم من إثبات أنه في نفسه له حد يعلمه هو، لا يعلمه غيره، أو أنه هو يصف نفسه، وهكذا كلام سائر أئمة السلف يثبتون الحقائق وينفون علم العباد بكنهها»^(٣).

الاستعمال الثاني: إثبات الحد للرد به على المعطلة مثل ما جاء عن عبد الله بن المبارك أنه قال: «الرب تبارك وتعالى على السماء السابعة على العرش، قيل له: بحد ذلك؟ قال: نعم هو على العرش فوق سبع سماوات»^(٤).

فالحَد المَثَب: هو الذي بمعنى ما ينفصل به الشيء ويتميز عن غيره، وهذا حق؛ فإن الله تبارك وتعالى غير حال في خلقه ولا مختلط بهم؛ بل هو تعالى منفصل عن خلقه بائن عنهم عالٍ على عرشه. قال ابن أبي العز رحمته الله بعد ما ذكر نحو ما تقدم: «فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلاً، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب ونفي حقيقة»^(٥).

حده وتحيط به المخلوقات فهذا باطل. وتارة يراد به أنه بائن من خلقه غير حال فيهم فهذا صحيح. وبذلك تعرف أن نفي الحد وإثباته على وجه الإطلاق لا ينبغي، على أن السلامة هي أن يقال: إن الحد لا يضاف إلى الله إطلاقاً لا على سبيل وجه النفي، ولا على وجه الإثبات، لكن معناه يستفصل فيه، ويثبت الحق منه ويبطل الباطل. والله أعلم»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: استعمال السلف للفظ (الحد):

جاء عن السلف في الحد استعمالان:

الاستعمال الأول: نفي أن يحد الرب ﷻ كما فعل المشبهة، مثل ما جاء عن إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد رحمته الله لما سئل عن المشبهة من هم؟ قال: «من قال: بصر كبصري ويد كيدي وقال حنبل في موضع آخر: وقدم كقدمي، فقد شبه الله تعالى بخلقه، وهذا يحده، وهذا كلام سوء وهذا محدود، والكلام في هذا لا أحبه»^(٢).

قال شيخ الإسلام موجهًا هذا الكلام: «فهذا الكلام من الإمام أبي عبد الله أحمد رحمته الله يبين: أنه نفى أن

(٣) بيان تلبس الجهمية (٢/٦٢٨).

(٤) التمهيد لابن عبد البر (٧/١٤٢) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧هـ]، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/٣٣٥) [مكتبة السوادى، ط ١].

(٥) شرح الطحاوية (١/٢٦٣).

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٧/٢٥٤).

(٢) أورده ابن تيمية في بيان تلبس الجهمية (٢/٦٢٧).

- المسألة الثانية: مراد أهل السُّنة بقولهم: (لا يحدون):

روى البيهقي بسنده عن أبي داود الطيالسي أنه قال: «كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون»^(١).

وقال ابن عبد البر: «أهل السُّنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسُّنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكييفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة»^(٢).

فالحد المنفي: هو الذي بمعنى العلم والإحاطة بكنه صفات الخالق ﷻ، وهذا أمر لا نزاع فيه بين أهل السُّنة قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال ابن أبي العز ﷺ: «إن السلف متفقون على أن البشر لا يعلمون الله حداً وأنهم لا يحدون شيئاً من صفاته»^(٣).

وقال شيخ الإسلام ﷺ: «وهذا المحفوظ عن السلف والأئمة من إثبات حد لله في نفسه، قد بينوا مع ذلك أن العباد لا يحدونه ولا يدركونه؛ ولهذا لم يتناف كلامهم في ذلك كما يظنه بعض

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٣٤ - ٣٣٥).

(٢) التمهيد (٧/ ١٤٥).

(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٦٢).

الناس، فإنهم نفوا أن يحد أحد الله»^(٤).

ثم إن استعمال السلف للفظ الحد: أولاً: كان من باب الإخبار، وليس من باب الصفات. ثانياً: كان من باب الرد على الجهمية حيث زعموا أنه تعالى لا حدَّ له. وما كان كذلك لا يباين المخلوقات ولا يكون فوق سائر البريات، ولا مستوٍ على العرش، فاستعمل السلف لفظ الحد لما فيه من الرد على هؤلاء الجهمية فيما زعموا، ولما في معنى الحد من إثبات علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه^(٥).

✽ مذهب المخالفين:

تقدم الحديث عن استعمال السلف للفظ (الحد) للردِّ به على فريقَي التشبيه والتعطيل، الذين تشبثوا بلفظ الحد وأدخلوا فيه المعاني الفاسدة، فقد أثبتته المشبهة وقصدوا به معرفة حد الله في استوائه على عرشه، وعلم كيفيته^(٦).

(٤) بيان تلبس الجهمية (٣/ ٧٠٦).

(٥) انظر: بيان تلبس الجهمية (٣/ ٤٣)، وتعليق الدكتور محمد باكريم على رسالة الإمام السجزي إلى أهل زبيد (١٩٨ هـ/ ١٩٨٠ م) [عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ٢٠٢٣ هـ]، ومقدمة تحقيق كتاب العرش للتميمي (١/ ٢٢٣ - ٢٣٠) [أضواء السلف، ١٠، ١٤٢٠ هـ]، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٢١٦ - ١٢١٧) [مكتبة الرشد، ١٠، ١٤١٥ هـ]، والآثار الواردة عن الإمام الثوري في العقيدة جمعاً ودراسة (١٢٥).

(٦) مقالات الإسلاميين للأشعري (٣٣) [مكتبة النهضة المصرية، ط ٢، ١٣٨٩ هـ].

كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء].

ثالثاً: أن كل موجود لا بد له من صفة يكون عليها، وادعاء وجود موجود مجرد عن أي صفة ثبوتية، لا وجود له في الخارج؛ بل هو نفي لوجوده^(٢).

رابعاً: أن الحد الذي أثبتته السلف لله هو بمعنى علو الله على عرشه ومباينته لخلقه وعدم حلوله واختلاطه معهم، وتميزه عنهم بصفاته وخصائصه. وليس وراء نفي هذا كله عن الله إلا نفي وجوده وحقيقته^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إثبات الحد لله تعالى»، لمحمود بن قاسم الدشتي.
- ٢ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.
- ٣ - «بيان تلبيس الجهمية»، لابن تيمية.
- ٤ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.
- ٥ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

(٢) انظر: نقض الدارمي على الميريسي (١/٢٢٣ - ٢٢٤) [مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ].

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢/٥٧)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١/٢٦٣).

وأما المعطلة فقد توهموا في إثبات صفة الاستواء على العرش أن يكون الرب تعالى محدوداً مشابهاً لاستواء المخلوق، فنفوا عنه الحد فوقوا في التعطيل والجحد^(١).

الرد عليهم:

لا شك أن صنيع كل من المشبهة الذين ادعوا معرفة كنه الصفات ثم حملوها على ما يعرفونه من صفات المخلوقين، والمعطلة الذين نفوا الصفات فراراً من التشبيه الذي توهموه من سماع الصفات الإلهية هو صنيع فاسد لعدة أمور؛ منها:

أولاً: أنه مناقض لدلالة الشرع على الإثبات مع التنزيه، كما قال الله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

ففي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد على المشبهة وإبطال لعقيدة التشبيه بين الخالق والمخلوق في حقائق الصفات، وفي قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد على المعطلة النفاة. وهكذا اشتملت الآية الكريمة على إبطال مذهب المشبهة الضلال، ومذهب المعطلة النفاة.

ثانياً: أنه قول على الله بلا علم، وقفو بغير برهان، وهو منهي عنه غاية النهي

(١) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ].

٦ - «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين».

٧ - «مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها»، لجابر إدريس.

٨ - «مقدمة تحقيق كتاب العرش»، لمحمد بن خليفة التميمي.

٩ - «موقف ابن تيمية من الأشاعرة»، لعبد الرحمن بن صالح المحمود.

١٠ - «نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد»، للدارمي.

حديث الآحاد

التعريف لغة:

الآحاد لغة: جمع واحد. وقيل: جمع أحد؛ كالأحجار جمع حجر، والأصل في (أحد): وَحَد، بالواو، فأبدلت الواو بالهمزة، والأحد بمعنى الواحد^(١).

قال ابن فارس: «الواو والحاء والดาล: أصل واحد يدل على الانفراد... والواحد: المنفرد»^(٢).

وخبر الواحد في اللغة: هو ما يلقيه ويرويه شخص واحد، وعليه فخير

(١) انظر: مقاييس اللغة (٦٧/١)، وتهذيب اللغة (٥/١٢٦)، والقاموس المحيط (٢٣٨) [مؤسسة الرسالة]، ولسان العرب (٧٠/٣).

(٢) مقاييس اللغة (٩٠/٦)، وانظر: تهذيب اللغة (٥/١٢٤).

الآحاد ما يرويه مجموعة قليلة؛ لأن صيغة (آحاد) من صيغ جموع القلة.

التعريف اصطلاحاً:

خبر الآحاد هو: ما لم يجمع شروط التواتر من الأخبار^(٣).

ولذا؛ فمعرفة المراد بخبر الآحاد، لا تكون إلا بمعرفة قسيمه، وهو (المتواتر).

والمتواتر قد عرّفه جمع من علماء أصول الفقه ومصطلح الحديث بأنه: ما رواه جماعة يستحيل في العادة تواطئهم على الكذب عن مثلهم، وأسندوه إلى شيء محسوس^(٤).

الحكم:

ما يفيد خبر الآحاد:

اختلف العلماء فيما يفيد خبر الآحاد، هل يفيد العلم مطلقاً^(٥)، أو

(٣) انظر: الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (١٦) [المكتبة العلمية]، ونزهة النظر لابن حجر (٥٣ - ٥٦) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٣هـ]،

(٤) انظر: نزهة النظر (٥٣ - ٥٦)، والإحكام للأمدى (١٤/٢ - ٣١) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٤هـ]، وشرح الكوكب المنير (٢/٣٢٣ - ٣٢٤، ٣٤٥) [مكتبة العبيكان، ١٤١٣هـ].

(٥) وهذا قول غاية في الضعف، وإنما دُكر هنا لأن كتب أصول الفقه تذكره، والتحقيق والله أعلم أنه لم يقل به أحد، كما قال ابن تيمية في المسودة (٢٢٠) [دار المدني، القاهرة]: «إن أحداً من العقلاء لم يقل إن خبر كل واحد يفيد العلم»، وانظر: شرح الأصفهانية (٩٢/١) [رسالة دكتوراه من قسم العقيدة، بجامعة الإمام].

فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم، هذا قول عامة أهل الحديث، والمتقين من القائمين على السُّنة^(٤).

وقد قرر ابن تيمية أن «خبر الواحد المُتَلَقَّى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وهو قول أكثر أصحاب الأشعري؛ كالاسفراييني، وابن فورك»^(٥).

بل بيَّن رَحِمَهُ اللهُ أَنْ مثل هذا الخبر هو في منزلة المتواتر^(٦)، ونص على أن هذا القول هو مذهب «جمهور أهل العلم من جميع الطوائف وهو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي وأحمد، إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتَّبَعُوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك، ولكن كثيراً من أهل الكلام أو أكثرهم يوافقون الفقهاء وأهل الحديث والسلف في ذلك»^(٧).

ومما يدخل فيما تلقته الأمة بالقبول: أن يكون الحديث متفقاً عليه بين البخاري ومسلم، أو رواه أحدهما؛ لأن جمهور أحاديث «الصحيحين» قد تلقته الأمة

الظن مطلقاً، أو أنه يفيد العلم اليقيني بالقرائن.

والقول الصحيح والذي عليه عامة الفقهاء وأكثر المتكلمين^(١): أن خبر الأحاد يفيد اليقين إذا احتفت به القرائن^(٢)، ومن القرائن المعتبرة في ذلك:

١ - تلقي الأمة له بالقبول، فهذا يوجب القطع بصحته؛ لأن الأمة لا تجمع على ضلالة.

والمقصود بالأمة هنا: أهل العلم بالحديث، فإذا اتفقوا على تصحيح حديث ما قطعنا بصحته، فإن إجماعهم معصوم^(٣).

وقد بيَّن السمعاني أن هذا القول هو قول عامة السلف، فقال: «إن الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ، ورواه الثقات والأئمة، وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله ﷺ، وتلقته الأمة بالقبول،

(١) انظر: رفع الملام (مجموع الفتاوى - ٢٥٧/٢٠).

(٢) ممن قرر ذلك: الإمام ابن الصلاح في علوم الحديث (٢٥) [المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ط ٢، ١٩٧٢م]، وابن حزم في الإحكام (١٠٨/١) [دار الحديث، ط ١، ١٤٠٤هـ]، وابن قدامة، والطوفي، وابن حمدان، وابن الزاغوني، كما في شرح الكوكب المنير (٣٤٨/٢)، والآمدي في الإحكام (٣٢/٢)، وابن كثير في الباعث الحثيث (٣٣) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٠٣هـ]، وابن حجر في النكت على ابن الصلاح (٣٧١/١) [نشر الجامعة الإسلامية، ط ١].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧/١٨).

(٤) الانتصار لأصحاب الحديث (٣٤) [مكتبة أضواء المنار، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٥) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٤٠/١٨ - ٤١)، وانظر: الصواعق المرسل (٣٧٢/٢ - ٣٧٣).

(٦) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٤٨/١٨).

(٧) مقدمة التفسير ضمن مجموع الفتاوى (٣٥١/١٣).

إذا رجعوا إليهم، والندارة بكل ما جاء به الشارع من أمور الاعتقاد والأحكام.

ومن المعلوم أن الطائفة تطلق على العدد القليل الذي لم يبلغ عدد التواتر الذي اشتراطوه؛ بل يطلق على الواحد، كما قال مجاهد في هذه الآية: «الطائفة رجل»^(٣)، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنْ نَعُفْ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ [التوبة: ٦٦] قال: «الطائفة: الرجل والنفر»^(٤).

٢ - ما اشتهر واستفاض بالنقل المتواتر من بعثه النبي ﷺ آحاد الصحابة إلى النواحي والأمصار بالدعوة إلى الإسلام، وتبليغ أحكامه وعقائده وشرائعه؛ كبعثه أبا بكر رضي الله عنه على الحاج، وبعثه علياً رضي الله عنه قاضياً إلى اليمن، وبعثه معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن داعياً للإسلام، وغير ذلك من الوقائع^(٥).

وقد كان هؤلاء الصحابة موكلون بنقل الشريعة بعقائدها وأحكامها؛ بل كانت العقائد أول ما أمروا بالدعوة إليه، كما في حديث بعثة معاذ رضي الله عنه، حيث قال له ﷺ: «فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله»^(٦).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٩١٢/٦) [المكتبة العصرية، ط ١].

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٣١/٦).

(٥) انظر: الرسالة للإمام الشافعي (٤١٣ - ٤١٥).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٧٢) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩).

بالقبول، وأئمة الحديث يعلمون علماً قطعياً أن النبي ﷺ قد قالها، وسائر الناس تبع لهم في ذلك، ويستثنى من ذلك أحاديث قليلة فيهما قد انتقدها بعض الحفاظ، وأحاديث قد وقع التجاذب بين مدلوليها ولم يظهر الترجيح^(١).

٢ - ومن القرائن: أن يكون الحديث مستفيضاً مشهوراً، إذا كانت له طرق متباعدة سالمة من ضعف الرواة والعلل.

٣ - ومن القرائن: أن يكون الحديث مسلسلاً بالحفاظ المتقنين^(٢).

الأدلة:

دلّ على حجية خبر الآحاد في الاعتقاد والأعمال أدلة كثيرة، ومنها:

١ - قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة].

وجه الدلالة: أن الله أمر الطائفة النافرة بالتفقه في الدين، ثم إنذار قومهم

(١) انظر: مقدمة ابن الصلاح (١٤، ١٥)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢٥٧/١) (١٣/٣٥٠، ٣٥١) (١٨/١٧، ٤٩)، وفتح المغيث (٥١/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ]، وتدريب الراوي (١/١٣٤) [دار إحياء السنة النبوية، ط ٢، ١٣٩٩هـ]، ونزهة النظر (٩، ٧٤ - ٧٥)، وتوضيح الأفكار (١/١٢٣ - ١٢٥) [مكتبة الخانجي، ط ١، ١٣٦٦هـ]، وإرشاد الفحول (٤٩، ٥٠) [دار المعرفة، ١٣٩٩هـ]، وشرح نخبة الفكر للقياري (٤٢ - ٤٣) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ].

(٢) انظر: نزهة النظر (٧٦).

٣ - بعثه ﷺ الكتب للملوك في زمانه، والتي دعاهم فيها إلى الإسلام وأصول العقيدة، وقد كانت هذه الكتب تكتب من شخص واحد، ويحملها شخص واحد، ومع ذلك فقد قامت بها الحجة ولا شك، ولو كانت العقائد موقوفة على من يبلغون حد التواتر وشرطه، لبعث إلى كل ملك جماعة متفرقين يبلغون حد التواتر، ويستحيل تواطؤهم على الكذب، وهذا ما لم يقع قطعاً، فعلم بذلك أن خبر الواحد الثقة حجة في العقائد^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال الإمام الشافعي: «لم أحفظ عن فقهاء المسلمين اختلفوا في تثبيت خبر الواحد»^(٢).

وبؤب البخاري لذلك فقال: «ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق»، وذكر فيه خمسة عشر حديثاً.

قال ابن حجر: «المراد بالإجازة: جواز العمل به والقول بأنه حجة، وقصد بالترجمة الرد على من يقول: إن خبر الواحد لا يحتاج به إلا إذا رواه أكثر من شخص واحد يصير كالشهادة ويلزم منه

الرد على من شرط أربعة أو أكثر»^(٣).

وقال ابن عبد البر: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله، أو صحَّ عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الأحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له، ولا يناظر فيه»^(٤).

وقال ابن بطال: «انعقد الإجماع على القول بالعمل بأخبار الأحاد»^(٥).

✽ الأقسام:

خبر الأحاد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- ١ - المشهور، وهو: ما له طرق محصورة بأكثر من اثنين.
- ٢ - العزيز: وهو أن لا يرويه أقل من اثنين عن اثنين.
- ٣ - الغريب، وهو ما يتفرد بروايته شخص واحد في أي موضع وقع التفرد به من السند.

وأخبار الأحاد - بأقسامها الثلاثة السابقة - تنقسم - من حيث القبول والرد - إلى صحيح وحسن وضعيف^(٦)، وثمة تقسيمات أخرى لعلماء المصطلح والأصول ليس هذا موطنها.

(٣) فتح الباري (١٣/٢٣٣) [دار المعرفة].

(٤) فتح الباري (١٣/٣٢١).

(٥) جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٦) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ].

(٦) انظر: نزهة النظر (٦٢ - ٧١).

(١) انظر: العدة (٣/٨٦٣ - ٨٦٤)، والإحكام لابن حزم

(١٠٩/١ - ١١٠)، وأخبار الأحاد في الحديث

النبوي لابن جبرين (١٢٣ - ١٢٨) [دار عالم

الفوائد، ط ١].

(٢) الرسالة للإمام الشافعي (٤٥٧) [دار الكتب العلمية].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حجية الصحيح من أخبار الآحاد في مسائل الاعتقاد:

بما سبق تقريره يتبين لنا أن خبر الآحاد إذا صحَّ كان حجة في مسائل الاعتقاد، فإن كل حديث صح عن النبي ﷺ في العقيدة وجب اعتقاد ما يدل عليه، آحادًا كان أو متواترًا، هذا ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة.

وقد حكى ابن عبد البر الإجماع على ذلك، فقال رحمه الله: «أكثر أهل الفقه والأثر... كلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها، ويجعلها شرعًا ودينًا في معتقده، على ذلك جماعة أهل السنة»^(١).

وقد تقدم كلام السمعاني وابن تيمية في أن ما تلقته الأمة بالقبول أفاد العلم اليقيني، وكان محتجًا به في مسائل الاعتقاد.

ومع ذلك فيقال أيضًا: إن خبر الآحاد حتى لو خلا من إحدى القرائن السابقة التي تجعل خبر الآحاد مفيدًا للعلم اليقيني، وكان خبر الآحاد صحيحًا أو حسنًا ويفيد غلبة الظن، فإن ذلك الخبر يكون حجة في مسائل الاعتقاد أيضًا.

يقول ابن القيم: «إن هذه الأخبار لو

(١) التمهيد (٨/١) [طبعة وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧هـ].

لم تفد اليقين، فإن الظن الغالب حاصل منها، ولا يمتنع إثبات الأسماء والصفات بها، كما لا يمتنع إثبات الأحكام الطليقة بها، ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام، ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جَوَّز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الأخبار عن الله وأسمائه وصفاته...»^(٢).

فما كانت دلالة قطعية من أخبار الآحاد في العقائد قطعنا بموجبه، وما كان راجحًا - لا قاطعًا - قلنا بموجبه، فلا نقطع في النفي ولا الإثبات إلا بدليل يوجب القطع، وإذا قام دليل يرجح أحد الجانبين بينا رجحان أحد الجانبين^(٣).

- المسألة الثانية: وجوب العمل بخبر

الواحد:

وهذا قول جمهور الأمة؛ بل عليه إجماع السلف قاطبة، وإنما حدث الخلاف فيه بعد ظهور علم الكلام، وبقي الخلاف قولًا شاذًا لشراذم من أهل البدع. وتقدمت الإشارة إلى أدلة ذلك^(٤).

(٢) مختصر الصواعق (٢/٤١٢) [مكتبة الرياض الحديثة].

(٣) انظر: درء التعارض (٣/٣٨٣ - ٣٨٤) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ].

(٤) انظر: قواطع الأدلة (١/٣٣٥ - ٣٣٨) [دار الكتب

العلمية، ١٤١٨هـ]، والمسودة لآل تيمية (٢١٥ - ٢٢٥)

[دار المدني]، والتحبير شرح التحرير (٤/١٨٢٨، =

✽ مذهب المخالفين:

أولاً: موقف المتكلمين من إفادة خبر الأحاد للعلم:

تقدّم البيان بأن الأحاد خلاف المتواتر، وأن المتواتر عُرّف عند جمع من الأصوليين والمتكلمين بأنه: ما رواه جماعة يستحيل في العادة تواطئهم على الكذب عن مثلهم، وأسندوه إلى شيء محسوس.

وهذا التعريف للمتواتر منتقد، وهو حدّ قاصر وضعيف؛ بل الحق أن كل ما أفاد علماً لسامعه سُمّي متواتراً، وإفادة الخبر للعلم قد يكون من كثرة عدد المخبرين به (كما في حد المتكلمين للمتواتر)، وقد يحصل بأمور أخرى؛ كصفات المُخبرين، وتمايم ديانتهم، وعلو ضبطهم وإمامتهم في الحفظ، وقد يحصل بقرائن أخرى تفيد العلم اليقيني بمجموعها، ويحصل كذلك بأن تتلقاه الأمة بالقبول، تصديقاً له، أو عملاً به، فمثل هذا يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف^(١).

ثم إن استفادة العلم من أي خبر يختلف فيها الناس، ما بين عالم وجاهل، فائمة الفقه والحديث قد تواتر

= وما بعدها [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢١هـ]، وانظر: أخبار الأحاد في الحديث النبوي لابن جبرين.

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٤٨/١٨ - ٥١) [مكتبة ابن تيمية، ط٢].

عندهم من السُّنة ما لم يتواتر عند غيرهم، فمن حصل له العلم من الخبر وجب عليه التصديق به، ولمن لم يحصل عنده العلم به من العامة فعليه أن يسلم ذلك لأهل العلم بالسُّنة، الذين أجمعوا على صحته^(٢).

ثانياً: موقف المتكلمين من إفادة خبر الأحاد في مسائل الاعتقاد:

بناء على ما سبق، فقد ذهب كثير من المتكلمين، من المعتزلة، وكثير من الأشعرية وغيرهم، إلى أن خبر الأحاد إنما يفيد الظن دون العلم، وبنوا على ذلك عدم الاحتجاج به في الاعتقاد، فردوا تبعاً لذلك نصوصاً كثيرة من نصوص العقائد بناء على كونها من أخبار الأحاد، وأنه لا يحتج بالأحاد في الاعتقاد^(٣).

ولا شك أن هذا القول قول مبتدع في الأمة، قد اخترعه المعتزلة، ثم انتقل بعدهم إلى كثير من المتكلمين والفقهاء، كما قرر ذلك الإمام السمعاني بقوله:

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٥١/١٨).

(٣) انظر من كتب الأشاعرة: مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (٢٢)، والتمهيد للباقلاني (٣٨١ - ٣٨٦)، وأصول الدين للبغداد (١٢، ١٨)، والإرشاد للجويني (١٦١، ٣٥٩، ٤١٦) [مكتبة الخانجي، ١٣٦٩هـ]، والشامل له (١٠٠، ٥٥٧)، وأساس التقديس للرازي (١٦٨، ٢١٥)، ومن كتب المعتزلة: الانتصار لابن الخياط (١٢٠) [مكتبة الثقافة الدينية]، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٢٦٩، ٢٧٢، ٦٩٠، ٧٦٩) [مكتبة وهبة، ط٢].

مضادة الأدلة البينة التي سبق إيرادها في لزوم الأخذ بأخبار الآحاد في الاعتقاد، من أدلة الكتاب والسنة، وعمل النبي ﷺ وأصحابه من بعده بقبولها في العمل والاعتقاد.

كما أن الرد لأخبار الآحاد في الاعتقاد يلزم عليه الطعن في روايتها، ولازم ذلك الطعن في الشريعة، مما يؤدي لزوال الدين، إذ إن رواة هذه الأخبار هم رواة الأحكام، وعليهم الاعتماد في بيان الحلال والحرام في الدين^(٤).

ثم إن هذه الأحاديث قد اتفق الحفاظ على نقلها وروايتها وتخريجها في الصحاح والمسانيد وتدوينها في الدواوين وحكم الحفاظ عليها بالصحة، وعلى روايتها بالإتقان والعدالة، فطرحها مخالف للإجماع، خارج عن أهل الاتفاق، فلا يلتفت إليه ولا يعرج عليه^(٥).

ثم إن رد أخبار الآحاد الصحيحة في الاعتقاد وقبولها في الشرائع العملية فيه تناقض واضح، فإن عمل الإنسان بأحد الشرائع لا بد وأن يصحبه اعتقاد بمشروعيته، والثواب على فعله، والعقاب على تركه إن كان واجباً، وكل هذه أمور اعتقادية ملازمة للأمور

«هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به: شيء اخترعته القدريّة والمعتزلة، وكان قصدهم منه رد الأخبار، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت، ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول»^(١).

فالتفريق بين الآحاد والمتواتر في إفادة العلم أمر لم يعرفه الصحابة والتابعون، فإن رسل الله عليهم الصلاة والسلام قد صدقهم المؤمنون فيما أخبروا به دون حاجة إلى تواتر المخبرين^(٢)، وكذلك الرسول ﷺ كان يصدق أصحابه فيما يخبرون به، وكذا الصحابة كان يصدق بعضهم بعضاً فيما يخبرون به عن النبي ﷺ، ولم يثبت أن أحداً منهم قال لما حدثه: خبرك خبر واحد، لا يفيد العلم حتى يتواتر، وكذا التابعون يلتقون بالصحابة ويأخذون عنهم العلم ويصدقونهم فيه دون طلب التواتر المزعوم، فالقول بعدم إفادة خبر الآحاد التواتر خرق لإجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الإسلام^(٣).

وهذا القول المبتدع يلزم عليه لوازم باطلة، منها:

(١) الانتصار لأصحاب الحديث (٣٥).

(٢) انظر: الرسالة للإمام الشافعي (٤٣٦ - ٤٣٧).

(٣) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٣٦١ - ٣٦٢).

(٤) انظر: تحريم النظر في علم الكلام لابن قدامة (٥٦ - ٥٧).

(٥) انظر: تحريم النظر في علم الكلام لابن قدامة (٥٦).

العملية، فالتفريق بينهما تناقض^(١).

❖ الحرف والصوت ❖

❖ المصادر والمراجع:

١ - «أخبار الآحاد في الحديث النبوي»، لابن جبرين.

٢ - «الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد»، لسليم الهلالي.

٣ - «حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام»، لعبد الله عبد الرحمن الشريف.

٤ - «خبر الآحاد وحجيته في إثبات العقيدة»، لعبد الله السرحاني، [أطروحة دكتوراه في جامعة أم القرى].

٥ - «خبر الواحد وحجيته»، لأحمد الشنيطي.

٦ - «الرسالة»، للإمام الشافعي.

٧ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٨ - «مختصر الصواعق المرسلة»،

للموصللي.

٩ - «موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة»، لسليمان بن صالح الغصن.

١٠ - «وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين»، للألباني.

يراجع مصطلح (الكلام).

❖ الحركة ❖

❖ التعريف لغة:

الحركة ضد السكون قال ابن فارس: «الحاء والراء والكاف أصل واحد، فالحركة ضد السكون. ومن الباب الحاركان، وهما ملتقى الكتفين؛ لأنهما لا يزالان يتحركان»^(٢).

وقال الأزهري: «حرك؛ الليث: تقول: حرك الشيء يحرك حركاً وحركة وكذلك يتحرك وتقول: قد أعيا فما به حراكاً. قال. وتقول: حركت محركه بالسيف حركاً، والمحرك: مُنتهى العُنُق عند مفصل الرأس. والحراك: أعلى الكاهل»^(٣).

❖ التعريف اصطلاحاً:

الحركة هي: «الخروج من القوة إلى الفعل على سبيل التدريج... وقيل هي شغل حيز بعد أن كان في حيز آخر، وقيل: الحركة كونان في آئين في مكانين»^(٤).

(٢) مقاييس اللغة (٢/٤٥) [دار الجيل، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٣) تهذيب اللغة (٤/٦٠) [دار إحياء التراث العربي].

(٤) التعريفات للجرجاني (١١٤) [دار الكتاب العربي].

(١) انظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص

الكتاب والسنة لسليمان الغصن (١/٢٢٧ - ٢٢٩)

[دار العاصمة، ط١، ١٣١٦هـ].

الحكم:

والهشامية والكرامية وغيرهم من أهل الكلام والفلسفة الذين صرحوا بلفظ الحركة^(٢)، وقال به الإمام أبو سعيد الدارمي ونصره على أنه قول أهل السنة^(٣). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وذكر عثمان بن سعيد الدارمي إثبات لفظ الحركة في كتاب نقضه على بشر المريسي ونصره على أنه قول أهل السنة والحديث، وذكره حرب بن إسماعيل الكرمانى: لما ذكر مذهب أهل السنة والأثر، عن أهل السنة والحديث قاطبة، وذكر ممن لقي منهم على ذلك: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه؛ وعبد الله بن الزبير الحميدي، وسعيد بن منصور»^(٤).

القول الثاني: نفي الحركة عن الله. وأول من عرف بهذا القول هم الجهمية والمعتزلة، ثم تبعهم على ذلك الكلابية والأشعرية والسالمية ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة^(٥).

القول الثالث: التوقف والإمساك عن النفي والإثبات وهو اختيار كثير من أهل الحديث والفقه والتصوف^(٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٧٦/٥)، والاستقامة (٧٠/١) [جامعة الإمام، ١٤٠٣هـ].

(٣) انظر: نقض الدارمي على المريسي (٣٣٨/١) [مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٥٧٧/٥).

(٥) انظر: المصدر السابق (٥٧٦/٥).

(٦) انظر: المصدر السابق (٥٧٨/٥).

لفظ الحركة لم يرد في الكتاب ولا في السنة إثباتاً ولا نفيًا، وإنما هو من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقًا وباطلاً، لذا فلا يقبل في حق الله بإطلاق لعدم وروده في النص، ولا احتمال له معنى غير لائق بالله، ولا ينفي بإطلاق لعدم الدليل النافي له، وخوفًا من نفي ما هو حق، وإنما الواجب الاستفسار عن المراد به، فإن قصد به المعنى الصحيح قبل المعنى وعبر عنه باللفظ الشرعي، وتوقف في اللفظ، وإن أريد به المعنى الفاسد رد المعنى.

الحقيقة:

الحركة ضد السكون فهي جنس الفعل، فكل من فعل فعلاً فقد تحرك؛ وتسمى أحوال النفس حركة، فيقال: تحركت فيه المحبة، وتحركت فيه الحمية، وتحرك غضبه^(١).

أقوال أهل العلم:

اختلف العلماء في إطلاق لفظ الحركة على الله ونفيه عنه على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الله يوصف بالحركة وهو قول الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤٥/٢)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٦٨/٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف].

وذكر ابن القيم أن هذا القول أسلم وأسعد بالصواب من غيره حيث قال: «وأما الذين أمسكوا عن الأمرين وقالوا: لا نقول يتحرك وينتقل، ولا ننفي ذلك عنه، فهم أسعد بالصواب والاتباع، فإنهم نطقوا بما نطق به النص، وسكتوا عما سكت عنه، وتظهر صحة هذه الطريقة ظهوراً تاماً فيما إذا كانت الألفاظ التي سكت النص عنها جملة محتملة لمعنيين: صحيح وفاسد؛ كلفظ الحركة والانتقال... ونحو ذلك من الألفاظ التي تحتها حق وباطل، فهذه لا تقبل مطلقاً ولا ترد مطلقاً، فإن الله سبحانه لم يثبت لنفسه هذه المسميات ولم ينفها عنه، فمن أثبتها مطلقاً فقد أخطأ، ومن نفاها مطلقاً فقد أخطأ؛ فإن معانيها منقسمة إلى ما يمتنع إثباته لله، وما يجب إثباته له»^(١).

❁ مذهب المخالفين:

تذرع المعطلة لنفي الصفات عن الله بألفاظ مجملة، وعلل علية، يضعون لها مقدمات طويلة عقيمة، فيقولون مثلاً: إن وصف الله بكذا فيه تجسيم، أو يلزم منه حركة وهي من أمارات الحدوث، وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث فتوصلوا أخيراً إلى نفي الصفات الثابتة لله تعالى

في الكتاب والسنة تنزيهاً لله عن صفات الحدوث على حسب زعمهم. فانظر مثلاً إلى الغزالي وهو يتحدث عن قواعده في العقائد: «الأصل الخامس: التنزه عن الجسمية: العلم بأن الله تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر؛ إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر، وإذ بطل كونه جوهراً مخصوصاً بحيز بطل كونه جسمًا؛ لأن كل جسم مختص بحيز، ومركب من جواهر، فالجواهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار، وهذه سمات الحدوث»^(٢).

وقد تقدم بيان مفهوم الحركة عندهم وهو انتقال الجسم من مكان إلى مكان، بحيث يكون قد فرغ الحيز الأول وشغل الثاني، وبناء على هذا المفهوم نفوا بعض الصفات الإلهية؛ كالاستواء والنزول ونحوهما من الصفات الاختيارية.

وهذا باطل؛ لأن الله أعلم بنفسه من غيره، وقد وصف نفسه بصفة الاستواء والنزول وغيرهما من الصفات العليا في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ؛ فالواجب إثبات ما أثبتته لنفسه وما أثبتته له رسوله

(٢) قواعد العقائد (١٥٩ - ١٦٠) [عالم الكتب، لبنان، ط ٢، ١٤٠٥هـ]، وانظر أيضاً: درء التعارض (١/١) [جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ].

(١) انظر: مختصر الصواعق (٤٧٢) [دار الحديث، مصر، ط ١، ١٤٢٢هـ].

[رسالة ماجستير، في الجامعة الإسلامية بالمدينة].

الحساب

التعريف لغةً:

الحساب: العدّ والإحصاء.

قال ابن فارس: «حسب: الحاء والسين والباء أصول أربعة، فالأول: العدّ. تقول: حسبْتُ الشيءَ أَحْسَبُهُ حَسْبًا وَحُسْبَانًا»^(١)، وقال الأزهري: «الحَسْبُ: العدُّ والإحصاء»^(٢)، و«الحِسَابُ والحِسابَة: عدُّك الشيءَ»^(٣).

التعريف شرعاً:

الحساب: هو تعريف الله عباده مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم بما قد نسوه من ذلك بدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]^(٤).

وقيل: توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم، خيراً كانت أو شراً تفصيلاً^(٥).

(١) مقاييس اللغة (٥٩/٢) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) تهذيب اللغة (١٩١/٤) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) لسان العرب (٣١٣/١) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ].

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٣٥/٢) [دار إحياء التراث العربي]، ولوائح الأنوار السنية (٢٣٢/١) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٥) انظر: لوائح الأنوار (١٦٥/٢)، والحياة الآخرة لغالب عواجي (٩٠٨/٢).

كما يليق بجلاله وعظمته، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ، والكف عن الألفاظ المبتدعة التي ما أنزل الله بها من سلطان، كما هو واضح من أقوال العلماء السابقة.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستقامة» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٢ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٣ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.
- ٤ - «الصفات الخيرية بين الإثبات والتأويل»، لعثمان عبد الله آدم الأثيوي.
- ٥ - «مجموع الفتاوى» (ج ٥)، لابن تيمية.
- ٦ - «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» (ج ٣).
- ٧ - «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (ج ٥)، لابن باز.
- ٨ - «مختصر الصواعق المرسلة»، للموصلي.

٩ - «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (ج ٣)، لعبد الرحمن بن صالح المحمود.

١٠ - «موقف شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم من الألفاظ المجملة المتعلقة بأبواب التوحيد والقضاء والقدر»، لعبد السميع بن عبد الأول

الحكم:

الخلائق ويخلو بعبده المؤمن كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم، ولكن تُعد أعمالهم فتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها»^(٢).

يجب الإيمان بالحساب، فإنه أحد أفراد الإيمان باليوم الآخر، لدلالة النصوص الشرعية عليه.

الحقيقة:

يأتي الله تعالى يوم القيامة لفصل القضاء وسيحاسب عباده على ما قدموه من عمل في الدنيا، فأما المؤمنون فإنهم سيحاسبون حساباً يسيراً، وأما الكافرون فسيحاسبون حساباً عسيراً.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: إن الله تعالى هو من يتولى حساب الخلائق:

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(٢١) [البقرة]، فإن الله تعالى يأتي «يوم القيامة لفصل القضاء بين الأولين والآخرين، فيجزئ كل عامل بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر»^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالْبَنِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٢٢) [الزمر]، والمعنى: «أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق جلَّ للخلائق لفصل القضاء»^(٤).

- المسألة الثانية: مقدار يوم القيامة خمسون ألف سنة:

جاء في «صحيح مسلم» من حديث

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(٢٣) [النساء]، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَسَأَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢٤) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٢٥) [الحجر]، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾^(٢٦) [المجادلة: ٦]، وقال ﷺ: ﴿وَأِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبًا﴾^(٢٧) [الأنبياء].

أقوال أهل العلم:

قال قوام السنة الأصبهاني: «يحاسب الله عباده في القيامة ويناقشهم، يحاسب بالعرض من قضى له بالمغفرة، ويناقش بالحساب من قضى عليه بالعذاب»^(١).

وقال ابن تيمية: «يحاسب الله

(٢) الواسطية مع شرح هراس (٢٨٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٤٦/١) [دار الفكر، ط ١٤٠٦هـ].

(٤) تفسير ابن كثير (٦٥/٤).

(١) الحجة في بيان المحجة (٥٤٦/٢).

أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما

من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها

حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: ولا

صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر^(١) أوفر ما كانت لا يفقد منها فصلاً واحداً، تطؤه بأخفافها، وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أولاهم رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله؛ إما إلى الجنة، وإما إلى النار. قيل: يا رسول الله،

فالبقر، والغنم؟ قال: ولا صاحب غنم ولا بقر لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح له بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً، ليس فيها عقضاء، ولا جلحاء، ولا عضباء^(٢) تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها، كلما مر عليه أولاهم رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله؛

وَمَعْنَى: «نَوْقَشَ الْحِسَابَ»؛ أَي:

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٨٧).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٧)،

ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٦).

(١) أي: بسط لها ومد لها بأرض مستوية.

(٢) العقضاء: المتوتية القرون، والجلحاء: التي لا قرون لها، والعضباء: التي انكسر قرنهما الداخل.

يقول القرطبي: «فإذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التي يؤتوها بعد البعد حوسبوا بها»^(٣).

فإذا أوتي الناس صحائف أعمالهم يمتاز المؤمنون في الموقف في مكان، والكفار في مكان آخر.

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذُ يَفْقَرُونَ﴾ [١٤] [الروم]، وقال تعالى: ﴿وَأَمْتَرُوا أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [٥٩] [يس].

فإذا انقضى الحساب للعباد كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها^(٤).

- المسألة الخامسة: محاسبة الكفار:

اختلف أهل العلم في مسألة محاسبة الكفار، والصحيح أن الحساب يراد به الإحاطة بالأعمال وكتابتها في الصحف وعرضها على الكفار وتوبيخهم على ما عملوه، فهذا الضرب من الحساب ثابت بالاتفاق، وقد يراد بالحساب وزن الحسنات بالسيئات ليتبين أيهما أرجح، فالكافر لا حسنات له توزن بسيئاته، إذ أعماله كلها حابطة، وإنما توزن لتظهر خفة

استقصي عليه، ومعنى العرض والحساب المذكور في الآية: أن الحساب المذكور إنما هو أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منة الله عليه في سترها عليه في الدنيا، وفي عفوه عنها في الآخرة^(١).

ويوضح هذا حديث ابن عمر؛ أن النبي ﷺ قال: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته. وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهداد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود]^(٢).

- المسألة الرابعة: متى يكون الحساب؟

يظهر من قوله ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [٧] ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [٨] ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [٩] [الانشقاق]، من تقديم الله تعالى ذكر الكتاب - وهي الصحائف - على ذكر الحساب، على تقديم أخذ الصحف، على الحساب.

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٨/١٧)، وفتح الباري (٤٠٢/١١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٤١)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٨).

(٣) التذكرة (٢٥٥).

(٤) انظر: التذكرة (٣٠٩).

موازينه لا ليتبين رجحان حسنات له^(١).

فالكفار لا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم، ولكن تُعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها^(٢).

وأما أعمالهم الصالحة من بر وصدقة وإحسان فيعجل لهم ثوابها في الدنيا، وليس لهم في الآخرة شيء يجزون به؛ لقوله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها»^(٣).

- المسألة السادسة: أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة:

أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من حقوق الله: الصلاة، فإن صلحت أفلح ونجح وإلا خاب وخسر، يقول النبي ﷺ: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر»^(٤).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤٨٦/٦ - ٤٨٧).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٤/٣٣) [دار عالم الكتب، ط ١٤١٢هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨٠٨).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ٨٦٤)، والترمذي (أبواب الصلاة، رقم ٤١٣) واللفظ له،

وأول ما يحاسب عليه العبد فيما يتعلق بحقوق العباد في الدماء: «أول ما يقضى بين الناس في الدماء»^(٥).

✽ مذاهب المخالفين:

أنكر الطبايعيون من الفلاسفة القيامة والجنة والنار والحساب، وما يكون من أمور عظام في اليوم الآخر^(٦). ولا شك في كفر من لا يؤمن باليوم الآخر.

وخالفت المعتزلة حيث أنكرت الحساب، وقالت بأنه مجاز لا حقيقة له، وتبعهم في ذلك الشيعة الزيدية بسائر فرقها^(٧).

واحتجت المعتزلة لمذهبها بقوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء]، وقوله سبحانه: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العايات]، قالوا: وهذا دليل على أن ما هناك حساب ولا نشر صحيفة^(٨).

وهذا قول باطل مردود؛ لما فيه من

وقال: حسن غريب، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، رقم ١٤٢٥)، وأحمد (٢٩٩/١٥) [مؤسسة الرسالة، ١٤]، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (رقم ٨١٠) [مؤسسة غراس، ١٤].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الديات، رقم ٦٨٦٤)، ومسلم (كتاب القسامة، رقم ١٦٧٨).

وراجع: التذكرة للقرطبي (٣٢١).

(٦) انظر: شرح الأصفهانية لابن تيمية (١٤٤).

(٧) انظر: عقائد الثلاث والسبعين فرقة (٣٥٢/١).

(٨) ٤٢٦، ٤٥٢ [مكتبة العلوم، ١٤]، ١٤١٤هـ.

(٨) انظر: عقائد الثلاث والسبعين فرقة (٤٢٦/١).

- رد لنصوص الوحي التي أفاد ظاهرها وقوع الحساب حقيقة، ولما فيه من مخالفة لما انعقد عليه إجماع الأمة من ثبوت الحساب.
- وقد خالف بعض الطوائف في كون الله تعالى هو من يتولى حساب العباد، فذهبت بعض الفرق من المعتزلة إلى اعتقادهم بأن المسيح هو الذي يحاسب الخلائق يوم القيامة^(١).
- وذهبت الإسماعيلية الباطنية إلى أن القائم محمد بن إسماعيل هو من يتولى حساب الخلائق ومجازاتهم؛ لأنه الله الواحد القهار بزعمهم^(٢).
- وهذا معتقد فاسد باطل مخالف لما عليه المسلمون من الاعتقاد بأن الله تعالى هو الذي يتولى حساب الخلائق يوم القيامة، وهو الذي يجازي ويعاقب ويعفو، وأن الخلق كلهم لا يملكون شيئاً من ذلك، وقد شهدت النصوص بذلك.
- ٣ - «الحجة في بيان المحجة» (٢/٥٤٦)، للتمي.
- ٤ - «رسائل الآخرة»، للعبدي.
- ٥ - «شرح الأصفهانية»، لابن تيمية.
- ٦ - «عقائد الثلاث والسبعين فرقة»، لليمني.
- ٧ - «شرح الواسطية»، لمحمد خليل هراس.
- ٨ - «الفرق بين الفرق»، للبغداد.
- ٩ - «لوائح الأنوار السنية»، للسفاري.
- ١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١١ - «الملل والنحل»، للشهرستاني.

الحسب

يراجع مصطلح (الحسيب).

الحسد

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحَلَهُ: «الحاء والسين والdal أصل واحد، وهو الحسد»^(٣).

الحسد: معروف، والفعل حسد يحسد حسداً، وأصل الحسد القشر؛ لأنه يَقْشَرُ القَلْبَ كما يَقْشَرُ القُرَادَ الجلد فيمتص دمه؛ ولهذا يسمى القُرَادُ الحسداً^(٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإسماعيلية تاريخ وعقائد»، لإحسان إلهي ظهير.
- ٢ - «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة»، للقرطبي.

(١) انظر: الملل والنحل (٧٤/١) [دار المعرفة، ط ١، ١٤١٠هـ]، والفرق بين الفرق (٢٢٨) [المكتبة العصرية، ط ١٤١١هـ].

(٢) الإسماعيلية تاريخ وعقائد (٤٤٧ - ٤٤٩) [إدارة ترجمة السُّنة، ط ١٤٠٥هـ].

(٣) مقاييس اللغة (٦١/٢) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٤) انظر: تهذيب اللغة (٢٨٠/٤ - ٢٨٢) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ولسان العرب (١٦٦/٣ - ١٦٧) =

التعريف شرعاً:

النفس، مركوز في طباع البشر، وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلا قليل من الناس، ولهذا يقال: ما خلا جسد من حسد، لكن اللئيم يبيده، والكريم يخفيه، وهو كراهة الإنسان أن يفوقه أحد من بني جنسه، في شيء من الفضائل، سواء الدنيوية أو الآخروية، لكن منهم من يسعى في زوال نعمة المحسود بالفعل أو بالقول، ومنهم من يسعى في نقله إلى نفسه، ومنهم من يسعى في زوال النعمة عليه دون نقله إلى نفسه، وهذا هو الحسد المنهي عنه^(٤).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والحاسد ليس له غرض في شيء معين، لكن نفسه تكره ما أنعم به على النوع، ولهذا قال من قال: إنه تمنى زوال النعمة، فإن من كره النعمة على غيره، تمنى زوالها بقلبه»^(٥).

الأدلة:

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ» [البقرة: ١٠٩]، وقال تعالى: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

الحسد: الكراهية، والبغض لما يرى على المنعم عليه من الإحسان، وتمنى الحاسد زوال النعمة من المحسود منه، وإن لم يصر للحاسد مثلها^(١).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وأصل الحسد هو بغض نعمة المحسود عليه، وتمنى زوالها»^(٢).

الحكم:

الحسد: الذي هو تمنى زوال النعمة على المنعم عليه، وكراهية ذلك: هو من كبائر الذنوب، ومن المحرمات بإجماع الأمة، لورود النصوص الشرعية بالنهي عنه، وذمه، وتقبيح أهله^(٣).

الحقيقة:

حقيقة الحسد: هو كراهة النعمة، وتمنى زوالها، وهما أمران متلازمان؛ فإن من كره النعمة على غيره، تمنى زوالها بقلبه، وهو مرض من أمراض

= [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ]، وترتيب القاموس المحيط (٦٣٨/١) [دار عالم الكتب، ط ٤، ١٤١٧هـ].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١١/١٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ٥، ١٤٢٥هـ]، وشرح صحيح مسلم للنووي (٩٧/٦) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط ١، ١٣٤٧هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٢٩٤/١) [دار طيبة، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٢) بدائع الفوائد (٧٥٦/٢) [دار عالم الفوائد].

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٩٧/٦)، وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٢٤٨/٦) [مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط ٥، ١٤٢٥هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٢٤/١٠)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (٩٦٨/٣) [دار السلام، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (١١٢/١٠).

فَضْلٍ ﴿النساء: ٥٤﴾، وقال جلَّ: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ ﴿٥﴾ [الفلق].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال» ^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :
قال النبي ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين ؛
رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في
الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي
بها ويعلمها » ^(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فهو يقول: لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل. ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه في حقه فيقول: لو أوتيت مثل ما أوتي عملت فيه مثل ما يعمل» ^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام: «ومن أمراض القلوب: الحسد؛ كما قال بعضهم في حده: إنه أدى يلحق بسبب العلم بحسن

(١) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠٧٦)،
ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ٧٣)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨١٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٢٨).

حال الأغنياء، فلا يجوز أن يكون
الفاضل حسودًا؛ لأن الفاضل يجري
على ما هو الجميل. وقد قال طائفة من
الناس: إنه تمني زوال النعمة عن
المحسود، وإن لم يصير للحاسد مثلها،
بخلاف الغبطة: فإنه تمني مثلها من غير
حب زوالها عن المغبوط. والتحقيق أن
الحسد هو البغض والكراهة لما يراه من
حسن حال المحسود»^(٤).

وقال ابن القيم: «والحسد خلق نفس
ذميمة وضیعة ساقطة، ليس فيها حرص
على الخير، فلعلجها ومهانتها تحسد من
يكسب الخير والمحامد ويفوز بها دونها،
وتتمنى أن لو فاته كسبها حتى يساويها
في العدم»^(٥).

قال ابن حجر رحمته الله: «الحسد تمنى زوال النعمة عن المنعم عليه، وخصه بعضهم بأن يتمنى ذلك لنفسه، والحق أنه أعم، وسببه أن الطباع مجبولة على حب الترفع على الجنس، فإذا رأى غيره ما ليس له أحب أن يزول ذلك عنه له ليرتفع عليه، أو مطلقاً ليساويه، وصاحبه مذموم إذا عمل بمقتضى ذلك من تصميم، أو قول، أو فعل، وينبغي لمن خطر له ذلك أن يكرهه، كما يكره ما وضع في قلبه من حب المنهيات» ^(٦).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/١١١).

(٥) كتاب الروح (٢/٧٠٥).

(٦) فتح الباری (٢٩٤/١) [دار طيبة، ط ١، ١٤٢٦ھ].

❁ الأقسام:

قسّم العلماء الحسد إلى قسمين^(١):

الأول: كراهة النعمة مطلقاً، فهذا هو الحسد المذموم، وإذا أبغض ذلك فإنه يتألم ويتأذى بوجود ما يبغضه، فيكون ذلك مرضاً في قلبه، ويلتذ بزوال النعمة عنه، وإن لم يحصل له نفع بزوالها، لكن نفعه زوال الألم الذي كان في نفسه، والحاسد ليس له غرض في شيء معين، لكن نفسه تكره ما أنعم به على النوع، ولهذا قال: إنه تمني زوال النعمة، فإن من كره النعمة على غيره تمنى زوالها بقلبه.

الثاني: أن يكره فضل ذلك الشخص عليه، فيحب أن يكون مثله، أو أفضل منه، فهذا حسد، وهو الذي سموه الغبطة، وقد سماه النبي ﷺ، كما في الأحاديث السابقة، فهذا الحسد هو الذي نهى عنه النبي ﷺ إلا في موضعين هو الذي سماه من سماه من العلماء بالغبطة: وهو أن يحب مثل حال الغير، ويكره أن يفضل عليه.

❁ المراتب:

مراتب الحسد ثلاثة^(٢):

أحدها: الحسد الذي ينتج عنه سعي

الحاسد في إزالة النعمة عن المحسود فقط، دون نقلها إلى نفسه.

الثانية: الحسد الذي ينتج عنه - مع تمنى زوال النعمة عن المحسود - نقلها إلى نفس الحاسد.

الثالثة: الحسد الذي يتعدى بصاحبه إلى البغي والعدوان إما بالقول أو بالفعل على المحسود.

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: أحوال الناس مع الحسد:

لما كان الحسد من أمراض القلوب التي قلّ من يسلم منها، فقد عفي منها بعض الحالات، وبعضها لم يعف عنها، وهي ثلاث حالات^(٣):

الحالة الأولى: من وجد في نفسه حسداً لغيره، ولم يعمل بمقتضاه، ولم ييغ على المحسود بقول أو فعل، وعمل على دفعه، أو كتمانها في صدره، فهذا مما قد عفي عنه.

الحالة الثانية: من وجد في نفسه حسداً على غيره، فلم يجاهد في دفعه؛ بل يحدث به نفسه اختياراً، مستروحاً بذلك؛ بل قد يتعدى إلى الظلم والاعتداء، إما بالقول أو الفعل، كان صاحبه مستحقاً للعقوبة، إلا أن يتوب،

(١) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (٩٧/٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١١١/١٠ - ١١٣).

(٢) جامع العلوم والحكم (٩٦٨/٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٢١/١٠ - ١٢٥)، وجامع العلوم والحكم (٩٧٠/٣ - ٩٧٢).

فهذا ليس عنده من الحسد شيء، ولهذا يتبلى غالب الناس بهذا القسم الثاني، وقد تسمى المنافسة، فيتنافس الاثنان في الأمر المحبوب المطلوب، كلاهما يطلب أن يأخذه، وذلك لكراهية أحدهما أن يتفضل عليه الآخر، كما يكره المستبقان كل منهما أن يسبقه الآخر^(٣).

فالغبطة: إن كانت لكراهة التفضيل، مع حب المماثلة، فهي منهي عنها، إلا فيما خصه الدليل الشرعي كما تقدم في الأحاديث، وأما إذا أحب أن يعطى مثل ما أعطي الآخر مما يقربه إلى الله فهذا لا بأس به، وإعراض القلب عن ذلك كله هو الأفضل.

قال ابن تيمية: «فالحاسد المبغض للنعمة على من أنعم الله عليه بها ظالم معتد، والكاره لتفضيله، المحب لمماثلته منهي عن ذلك، إلا فيما يقربه إلى الله، فإذا أحب أن يعطى مثل ما أعطي مما يقربه إلى الله فهذا لا بأس به، وإعراض قلبه عن هذا بحيث لا ينظر إلى حال الغير أفضل»^(٤).

الضروق:

الفرق بين الحسد والغبطة^(٥):

الحسد: هو كراهية النعمة مطلقاً،

وكان المحسود مظلوماً، مأموراً بالصبر والتقوى.

الحالة الثالثة: وهو من وجد في نفسه حسداً، وسعى في إزالته من قلبه، وبإبداله بمحبة الخير له، مع الإحسان إلى المحسود، والدعاء له، ونشر فضائله، فهذه بأعلى المنازل.

- المسألة الثانية: في حقيقة الغبطة، ولماذا أطلق عليها النبي ﷺ اسم الحسد:
عرّفها بعض أهل العلم بقولهم: الغبطة أن تمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها، ولا أن تتحول عنه^(١).

وعرّفها ابن تيمية بقوله: «هو أن يحب مثل حال الغير، ويكره أن يفضل عليه»^(٢).

فإن قيل: لماذا سماها النبي حسداً، وإنما أحب أن ينعم الله عليه؟

الجواب: هو أن مبدأ هذا الحب هو نظره إلى إنعامه على الغير، وكراهته أن يتفضل عليه، ولولا وجود ذلك الغير لم يحب ذلك، فلما كان مبدأ ذلك كراهته أن يتفضل عليه كان حسداً؛ لأن كراهته تتبعها محبة، وأما من أحب أن ينعم الله عليه، مع عدم التفاته إلى أحوال الناس،

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٩٧/٦)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٣٣٩/٣ - ٣٤٠)، وفتح الباري لابن حجر (٢٩٤/١).

(٢) مجموع الفتاوى (١١٣/١٠).

(٣) مجموع الفتاوى (١١٣/١٠).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/١٢٠ - ١٢١).

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٩٧/٦)، وجامع العلوم والحكم (٩٧١/٣)، وفتح الباري (٢٩٤/١).

حسد صاحبه، وربما أصابت عينه نفسه. فالعائن أخص من الحاسد، فهو حاسد أخص، وهو أضر من الحاسد، فكل عائن حاسد ولا بد، وليس كل حاسد عائنًا، فإذا استعاذ من شر الحسد دخل فيه العين.

❁ الآثار:

من آثار الحسد: ذهاب الدين، والمروءة، وضعف الإيمان في قلب العبد، وهذا حال كل من تلبس بالمعاصي والذنوب.

ومن آثاره: دخول الحاسد في جملة الظالمين المعتدين، وقد توعد الله تعالى الظلمة في الدنيا والآخرة، ووعد بنصره لعباده المظلومين.

ضنك المعيشة، وضيق القلب، ودوام حزنه، وتألمه وحسرتة، فهو من جملة الأمراض القلبية التي تورث صاحبها الذل والهوان في الدنيا، قبل الآخرة.

قال ابن عثيمين رحمته الله: «الحسد جمرة في القلب، والعياذ بالله، كلما أنعم الله على عبده نعمة احترق هذا القلب والعياذ بالله؛ حيث أنعم الله تعالى على عباده، فتجده دائمًا في نكد وقلق»^(٢).

❁ المصادر والمراجع:

١ - «الروح»، لابن القيم.

وتمني زوال النعمة عن صاحبها، سواء كانت في أمور الدين أو الدنيا، وهذا حرامٌ بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة.

والغبطة: وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير تمني زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحةً، وقيل: لا خير فيها، وإن كانت طاعةً فهي مستحبة، وإن كانت في المعصية فهي مذمومة.

الحسد: منهى عنه مطلقًا، ومذموم في كل الأحوال.

وأما الغبطة: فليست مذمومة ولا محمودة مطلقًا؛ بل قد تدم إذا كره أن يفضل عليه، وقد تحمد إذا كانت من باب المنافسة في الطاعات، وأمور الآخرة.

الفرق بين العائن والحاسد^(١):

يشتركان في شيء، ويفترقان في شيء:

فيشتركان في أن كل واحد منهما تتكيف نفسه، وتتوجه نحو من يريد أذاه، فالعائن تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته، والحاسد يحصل له ذلك عند غيبة المحسود، وحضوره.

وفيفترقان: أن العائن قد يصيب من لا يحسده، من جماد، أو حيوان، أو زرع، أو مال، وإن كان لا يكاد ينفك من

(٢) شرح رياض الصالحين (٢٤٩/٦).

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٧٥١/٢ - ٧٥٦).

٢ - «رياض الصالحين»، النووي. خلاف السيئة^(٢).

٣ - «شرح رياض الصالحين»، لابن عثيمين.

٤ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

٥ - «غذاء الألباب شرح منظومة

الآداب»، للسفاريني.

٦ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٧ - «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير.

٨ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.

٩ - «معالم السنن»، للخطابي.

١٠ - «مجموع رسائل ابن رجب».

الظن: يدل على معنيين مختلفين يقين وشك، فأما اليقين فقول القائل: ظننت ظناً؛ أي: أيقنت، قال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، أراد والله أعلم: يوقنون، والأصل الآخر: الشك، يقال: ظننت الشيء إذا لم يتيقنه، ومن ذلك الظُّنَّة: التهمة، والظنين: المتهم^(٤).

التعريف شرعاً:

حسن الظن بالله: هو رجاء الخير من الله تعالى، مع حسن العمل، وانعقاد أسباب النجاح^(٥).

الحكم:

حسن الظن بالله: واجب من واجبات

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣/٤٦٢)، ولسان العرب (٣/١٧٧) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ]، وترتيب القاموس المحيط (١/٦٤٣) [دار عالم الكتب، ط ٤، ١٤١٧هـ].

(٣) مقاييس اللغة (٣/٤٦٢).

(٤) انظر: الصحاح (٥/٢٠٩٩) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ]، ولسان العرب (٨/٢٧١)، وترتيب القاموس المحيط (٣/١٣٠).

(٥) انظر: معالم السنن (١/٣٠١) [المطبعة العلمية بحلب، ط ١، ١٣٥٢هـ]، والداء والدواء (٤٨ - ٥٠) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

حسن الظن بالله

التعريف لغة:

الحُسن من مادة: (ح. س. ن)، قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الحاء والسين والنون أصل واحد، فالحسن ضد القبح، يقال: رجل حسن، وامرأة حسناء وحسّانة، والمحاسن من الإنسان وغيره: ضد المساوي»^(١).

الحُسْن: ضد القبح ونقيضه، والمحاسن: خلاف المساوي والحسن: ما حسن من كل شيء، يقال: حسّنت الشيء تحسّيناً: زينته، وأحسنّت إليه وبه، وهو يحسن الشيء؛ أي: يعملّه، ويستحسنه: يعدّه حسناً، والحسنة:

(١) مقاييس اللغة (٢/٥٧ - ٥٨) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

منه، فالذي حمّله على العمل حسن الظن، فكلما حسن ظنه حسن عمله، وإلا فحسن الظن مع اتباع الهوى عجز^(٤).

الأهمية:

حسن الظن بالله تعالى من أجلّ العبادات القلبية وأشرفها وأعلاها شأنًا، فقد أثنى الله تعالى على أهله المتصفين به، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٠].

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتأمل كيف جعل رجاءهم مع إيمانهم بهذه الطاعات؟ فالرجاء إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله تعالى، شرعه وقدرته، وثوابه وكرامته، ولو أن رجلاً له أرض يؤمل أن يعود عليه من مغلها ما ينفعه فأهملها ولم يحراثها ولم يبذرها، ورجا أنه يأتي من مغلها مثل ما يأتي من حرث وزرع وتعاهد الأرض؛ لعدّه الناس من أسفه السفهاء، فكذلك من حسن ظنه بربه، وقوى رجاءه في الفوز بالدرجات العلا والنعيم المقيم من غير طاعة، ولا تقرب إلى الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه»^(٥).

التوحيد، لقوله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن»^(١)، ولقوله تعالى: ﴿يُطْمَئِنُّ بِاللَّهِ غَيْرَ آلْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] فهذه النصوص تدل على وجوب إحسان الظن بالله تعالى وتحريم إساءة الظن به^(٢).

الحقيقة:

حقيقة حسن الظن بالله تعالى هو حسن العمل نفسه؛ فهو فرع عن الإحسان في عبادته، والقيام بها وفق مراده، وبعدها تأميل الخير من الله تعالى، ورجاؤه في حسن المجازاة.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنما يحسن بالله الظن من حسن عمله، فكأنه قال: أحسنوا أعمالكم يحسن ظنكم بالله، فإن من ساء عمله ساء ظنه؛ وقد يكون أيضاً حسن الظن بالله من ناحية الرجاء وتأميل العفو والله جواد كريم، لا آخذنا الله بسوء أفعالنا ولا وكلنا إلى حسن أعمالنا برحمته»^(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن تأمل هذا الموضع حق التأمل علم أن حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه، فإن العبد إنما يحمله على حسن العمل ظنه بربه أن يجازيه على أعماله ويشبه عليها ويتقبلها

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٧).

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (٩٢).

(٣) معالم السنن (٣٠١/١).

(٤) الداء والدواء (٤٨).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٤٤٩/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١٣، ١٤١٩هـ].

❖ أقوال أهل العلم:

قال النووي رحمته الله: «قال العلماء: معنى حسن الظن بالله: أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه»^(٣).

وقال ابن القيم رحمته الله: «ومن تأمل هذا الموضوع حق التأمل: علم أن حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه»^(٤).

وقال ابن عثيمين رحمته الله: «والظن بالله سبحانه على نوعين: **الأول**: أن يظن بالله خيراً. **الثاني**: أن يظن بالله شراً. **والأول**: له متعلقان:

١ - متعلق بالنسبة لما يفعله في هذا الكون، فهذا يجب عليك أن تحسن الظن بالله سبحانه فيما يفعله سبحانه في هذا الكون، وأن تعتقد أن ما فعله إنما هو لحكمة بالغة، قد تصل العقول إليها، وقد لا تصل، وبهذا تتبين عظمة الله وحكمته وتقديره، فلا يظن أن الله إذا فعل شيئاً في الكون فعله لإرادة سيئة، حتى الحوادث والنكبات، لم يحدثها الله لإرادة السوء المتعلق بفعله، أما المتعلق بغيره بأن يحدث ما يريد به أن يسوء هذا الغير، فهذا واقع كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنْ أَلَلِهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧].

٢ - متعلق بالنسبة لما يفعله بك،

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/٢١٠) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط ١، ١٣٤٧هـ].

(٤) الداء والدواء (٤٨).

وبالجملة؛ فحسن الظن بالله تعالى من أخص صفات أهل الإيمان، وأشرفها وتحقيقه منهم كان بحسن العمل بفعل الأوامر، وترك المناهي والاجتهاد في ذلك رجاء مغفرة الله تعالى وحسن جزائه وثوابه.

❖ الأدلة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّكَ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَكُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر].

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل وفاته بثلاث يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني»^(٢).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٥).

فهو من باب الأمانى، والرجاء شيء والأمانى شيء آخر، فكل راج خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات، وهو سبحانه كما جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة، فكذلك جعل الخوف لأهل الأعمال الصالحة.

فعلم أن الرجاء والخوف النافع هو ما اقترن به العمل، والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن، ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف^(٢).

وجماع القول: أن حسن الظن لا يتأتى لأحد إلا مع إحسان العمل، وهذه حال الأنبياء والمرسلين وأتباعهم كما قال تعالى في وصفهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء].

- المسألة الثانية: إحسان الظن بالله تعالى عند الموت:

استحب السلف للعبد عند خروجه من الدنيا أن يقوي جانب الرجاء وحسن الظن بالله تعالى على جانب الخوف، وقد دلّ على هذا حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن

فهذا يجب أن تظن بالله أحسن الظن، لكن بشرط أن يوجد لديك السبب الذي يوجب الظن الحسن، وهو أن تعبد الله على مقتضى شريعته مع الإخلاص، فإذا فعلت ذلك، فعليك أن تظن أن الله يقبل منك، ولا تسيء الظن بالله بأن تعتقد أنه لن يقبل منك، وكذلك إذا تاب الإنسان من الذنب فيحسن الظن بالله أنه يقبل منه، ولا يسيء الظن بالله بأن يعتقد أنه لا يقبل منه^(١).

✽ المسائل المتعلقة:

المسألة الأولى: ضابط حسن الظن بالله تعالى:

حسن الظن بالله تعالى لا يكون إلا مع إحسان العمل والاجتهاد في إيقاعه على الوجه المشروع، وأما مع ترك العمل والتمادي في الذنوب والمعاصي اعتمادًا على سعة رحمة الله ومغفرته وكريم عفوهِ فليس من حسن الظن في شيء.

يقول ابن القيم رحمته الله: «ومما ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئًا استلزم رجاؤه ثلاثة أمور:

أحدها: محبة ما يرجوه.

الثاني: خوف من فواته.

الثالث: سعيه في تحصيله قدر الإمكان.

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك

(١) القول المفيد (٢/ ٣٨٢ - ٣٨٣) [دار ابن الجوزي،

يموت بثلاث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن»^(١).

✽ الفروق:

الفرق بين حسن الظن بالله تعالى والتمني:

حسن الظن بالله لا بد أن يعتمد على عمل صالح وإلا أصبح غرورًا وأمانيًا، وهذا ما قرره ابن القيم رحمته الله بقوله: «والفرق بينه [أي: الرجاء] وبين التمني أن التمني يكون مع الكسل، ولا يسلك صاحبه طريق الجد والاجتهاد، والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل»^(٦).

وقال رحمته الله: «حسن الظن إن حمل على العمل، وحث عليه، وساق إليه؛ فهو صحيح، وإن دعا إلى البطالة، والانهماك في المعاصي؛ فهو غرور، وحسن الظن هو الرجاء، فمن كان رجاءه حاديًا على الطاعة، زاجرًا له عن المعصية فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطالته رجاء، ورجاؤه بطالة وتفريطًا، فهو مغرور»^(٧).

وقال ابن حجر رحمته الله: «والمقصود من الرجاء: أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله، ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجيًا عدم

ونقل البغوي في شرح السنة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إذا رأيتم الرجل بالموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن به، وإذا كان حيًا، فخوفوه بربه ﷻ»^(٢)، وقال معمر بن سليمان رحمته الله: «قال أبي عند موته: يا معمر حدثني بالرخص لعلني ألقى الله وأنا حسن الظن به»^(٣).

وقال الفضيل بن عياض رحمته الله: «الخوف أفضل من الرجاء، ما دام العبد صحيحًا، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل»^(٤).

وقال النووي رحمته الله: «في حال الصحة يكون خائفًا راجيًا ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح، فإن دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه؛ لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال، فاستحب إحسان الظن المتضمن الافتقار

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٧).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرفائق (١٤٨)، رقم (٤٤١) [دار الكتب العلمية].

(٣) شرح السنة للبغوي (٢٧٥/٥).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤٣٢/٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٢هـ].

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (٢١٠/١٧).

(٦) مدارج السالكين (٤٥٨/١) [مؤسسة المختار، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٧) الجواب الكافي (٨٦).

المصادر والمراجع:

١ - «إعانة المستفيد بشرح كتاب»،
للفوزان.

٢ - «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد
والرد على أهل الشرك والإلحاد»،
للفوزان.

٣ - «تيسير العزيز الحميد»،
لسليمان بن عبد الله.

٤ - «الداء والدواء»، لابن القيم.

٥ - «رسائل في العقيدة»، محمد
الحمد.

٦ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن
أبي العز الحنفي.

٧ - «حسن الظن بالله»، لابن أبي
الدنيا.

٨ - «أعمال القلوب: حقيقتها
وأحكامها عند أهل السنة»، لسهل العتيبي.

٩ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

١٠ - «الآداب الشرعية»، لابن
مفلح.

الحسن بن علي

اسمه ونسبه:

الحسن بن علي بن أبي طالب بن
عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف،
أبو محمد القرشي الهاشمي، سبط
رسول الله ﷺ وريحانته، أمه فاطمة بنت
رسول الله ﷺ، سماه النبي الحسن،

المؤاخذه بغير ندم ولا إقلاع فهذا في
غرور»^(١).

الثمرات:

إذا كان حسن الظن بالله تعالى في
محله وعلى وجهه الصحيح وجادته
القويمة فإنه يثمر ثمرات عظيمة وفوائد
جمّة؛ منها:

١ - إظهار العبودية والفاقة والحاجة
إلى ما يرجوه العبد من ربه ويستشرفه من
إحسانه، وأن لا يستغني عن فضله،
وإحسانه طرفة عين.

٢ - أن حسن الظن بالله محبوب لله،
فهو سبحانه يحب من عباده أن يحسنوا
ظنهم بربهم، ويأملوه، ويسألوه من فضله
لأنه الملك الحق الجواد فهو أجود من
سئل وأكرم من أعطى.

٣ - إحسان الظن بالله حاد يحدو
بالعبد في سيره إلى الله، ويطيب له
المسير، ويحثه عليه، ويبعثه على
ملازمته.

٤ - أنه يوجب المزيد من معرفة الله
وأسمائه ومعانيها، والتعلق بها.

٥ - أن الخوف مستلزم للرجاء وحسن
الظن بالله، والرجاء وحسن الظن بالله
مستلزم للخوف، فكل راج خائف، وكل
خائف راج^(٢).

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣٠١/١١).

(٢) رسائل الشيخ الحمد في العقيدة (١٣/٨).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سألتني أُمِّي: متى عهدك؟ تعني: بالنبي صلى الله عليه وآله، فقلت: ما لي به عهد منذ كذا وكذا، فنالت مني، فقلت لها: دعيني آتي النبي صلى الله عليه وآله فأصلي معه المغرب، وأسأله أن يستغفر لي ولك، فأتيت النبي صلى الله عليه وآله فصليت معه المغرب، فصلى حتى صلى العشاء، ثم انفتل فتبعته فسمع صوتي، فقال: «من هذا؟ حذيفة؟» قلت: نعم. قال: «ما حاجتك؟ غفر الله لك ولأهلك»، قال: «إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم عليّ، ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة» ^(٧).

- أن الله تعالى أصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله الكريم، فقد ثبت من حديث أبي بكرة رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وآله أخرج ذات يوم الحسن فصعد به على المنبر فقال: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» ^(٨).

- أنه ريحانة النبي صلى الله عليه وآله من الدنيا، لما ثبت من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛

^(٧) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٨١)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وأحمد (٣٨/٣٥٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب إخباره صلى الله عليه وآله عن مناقب الصحابة، رقم ٦٩٦٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٢٦/٢).

^(٨) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٦٢٩).

وعق عنه يوم سابعه، وحلق شعره وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة ^(١).

مولده ووفاته:

ولد في نصف شهر رمضان المبارك، سنة ثلاث من الهجرة النبوية، وقيل: ولد في شعبان منها، وقيل: سنة أربع، وقيل: سنة خمس ^(٢). وذكر الحافظ ابن حجر أن القول الأول أثبت ^(٣). ومات بالمدينة سنة تسع وأربعين للهجرة ^(٤)، وهو ابن سبع وأربعين، وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل: بعدها ^(٥).

فضائله:

- أنه هو وأخاه الحسين رضي الله عنهما سيّدا شباب أهل الجنة؛ لما ثبت من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة» ^(٦).

(١) انظر: طبقات خليفة بن خياط (٣٠) [دار الفكر]، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣٨٣/١) [دار الجيل، بيروت]، وأسد الغاية في معرفة الصحابة (١٣/٢) [دار الكتب العلمية]، وسير أعلام النبلاء (٢٤٥/٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٣]، والإصابة في تمييز الصحابة (٦٨/٢) [دار الجيل، بيروت ط ١].

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٤٦/٣).

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٦٨/٢).

(٤) الطبقات لخليفة بن خياط (٣٠).

(٥) انظر: تقريب التهذيب (رقم ١٢٦٤).

(٦) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٦٨) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأحمد (٣١/١٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب إخباره صلى الله عليه وآله عن مناقب الصحابة، رقم ٦٩٥٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ٧٩٦).

لقربتهما من رسول الله ﷺ، فرض لكل منهما خمسة آلاف درهم^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: خلافة الحسن بن علي

ببيع الحسن بن علي بالخلافة بعد وفاة أبيه مقتولاً سنة أربعين^(٥). وقد دلّ على خلافته حديث سفينة مولى رسول الله ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك - أو ملكه - من يشاء». قال سعيد: «قال لي سفينة: أمسك عليك أبا بكر سنتين، وعمر عشراً، وعثمان اثنتي عشرة، وعلي كذا»^(٦).

قال الإمام ابن كثير: «والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة من طرق عن سفينة مولى رسول الله ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً»، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/٢٥٩).

(٥) انظر: تاريخ خليفة بن خياط (١٩٩) [دار القلم، ومؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٣٩٧هـ].

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٦٤٦)، والترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢٢٢٦) وحسنه، وأحمد (٣٦/٢٤٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/١٢٩) - (١٣٠) [دار المعارف، ط ١].

أنه قال: قال النبي ﷺ: «هما ريحانتي من الدنيا»^(١)؛ يعني: الحسن والحسين

- أنه حبّ رسول الله ﷺ، لما ثبت من حديث البراء رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي علي عاتقه يقول: «اللهم إني أحبه، فأحبه»^(٢).

- أنه رضي الله عنه شبه النبي ﷺ خلقه، لما جاء عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ وكان الحسن يشبهه»^(٣).

مكانته:

الحسن بن علي رضي الله عنه كانت له منزلة كبرى ومكانة عظيمة، فهو ابن بنت النبي ﷺ فاطمة، وأبوه ابن عم النبي ﷺ وأحد الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ولذا كان الصحابة يحبونه ويكرمونه ويعظمونه، وينزلونه منزلته اللائقة به هو وأخاه الحسين.

وكان أيضاً الخليفة الراشد عمر بن الخطاب يلحق الحسن والحسين بمنزلة أبيهما في العطاء، فقد ذكر الإمام الذهبي «أن عمر لما دوّن الديوان، ألحق الحسن والحسين بفريضة أبيهما؛

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٣٧٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٣٧٤٩)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٤٣).

الناس، من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز؛ فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه، وقولا له واطلبا إليه، فأتياه فدخلوا عليه، فتكلما وقالوا له فطلبنا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالوا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لي بهذا؟ قالوا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قالوا: نحن لك به، فصالحه^(٤). فقبل منه الحسن هذا العرض مقابل شروط اشترطها عليه، وهي: «أن يسلم له ثلاث خصال: يسلم له بيت المال، فيقضي منه دينه ومواعيده ويتحمل منه هو وآله، ولا يُسب عليٌّ وهو يسمع، وأن يحمل إليه خراج فسا ودراجرد كل سنة إلى المدينة، فأجابه معاوية، وأعطاه ما سأل»^(٥).

وقال ابن تيمية: «إن الحسن تخلى عن الأمر وسلمه إلى معاوية ومعه جيوش العراق، وما كان يختار قتال المسلمين قط، وهذا متواتر من سيرته»^(٦).

في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من أكبر دلائل النبوة^(١).

وقال الإمام الذهبي في الحسن رضي الله عنه: «بقي في الخلافة بعد أبيه سبعة أشهر»^(٢).

- المسألة الثانية: تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه:

لما قُتل الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بايع الذين كانوا تحت إمرته ابنه الحسن، وهو لم تكن له رغبة في قتال أحد، لكن الذين معه غلبوه على رأيه، وحملوه على الاستعداد لقتال أهل الشام؛ معاوية رضي الله عنه ومن معه من المسلمين^(٣)، ولما رأى معاوية رضي الله عنه الجيوش الكبيرة المتجهة إليه عرض الصلح على الحسن رضي الله عنه. يوضح هذا حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: سمعت الحسن رضي الله عنه يقول: «استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية - وكان والله خير الرجلين -: أي عمرو؛ إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور

(٤) رواه البخاري (كتاب الصلح، رقم ٢٧٠٤).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/٢٦٤).

(٦) منهاج السنة النبوية (٤٢/٤) [جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ].

(١) البداية والنهاية (١١/١٣٤) [دار هجر، ط١].

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٢٦٠).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١١/١٣١ - ١٣٢).

الباقية، وحقنه دماء هذه الأمة، فنزل عن الخلافة وجعل الملك بيد معاوية، حتى تجتمع الكلمة على أمير واحد»^(٣).

وقد كان الحسين عليه السلام غير راض بتنازل أخيه الحسن عن الخلافة. قال الإمام ابن كثير: «وقد لام الحسين أخاه الحسن على هذا الرأي، فلم يقبل منه، والصواب مع الحسن عليه السلام»^(٤).

- المسألة الثالثة: فيما قيل من موت الحسن عليه السلام مسموماً:

قيل: إن الحسن بن علي عليه السلام مات بالسم، وأن من سمه هي زوجته جعدة بنت الأشعث، فقد ذكر المجلسي أن الحسن «مات مسموماً، سمته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي»^(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما موته، فقد قيل: إنه مات مسموماً، وهذا شهادة له وكرامة في حقه، لكن لم يمت مقاتلاً»^(٦).

وفي موضع آخر قال: «والحسن عليه السلام قد نقل عنه أنه مات مسموماً»^(٧).

وفي السبب والدافع لها على ذلك ذكرت أقوال عديدة، منها: أن أباه

وهكذا تنازل له عن الخلافة، وحقنت بذلك دماء المسلمين، واجتمعت كلمة المسلمين على معاوية عليه السلام، وسمي هذا العام عام الجماعة.

قال الإمام ابن كثير: «المشهور أن مبايعة الحسن لمعاوية كانت في سنة أربعين، ولهذا يقال له: عام الجماعة؛ لاجتماع الكلمة فيه على معاوية، والمشهور عند ابن جرير وغيره من علماء السير أن ذلك كان في أوائل سنة إحدى وأربعين»^(١).

وممن جزم بأن تنازل الحسن كان في عام إحدى وأربعين شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: «كان إصلاح ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن بن علي السيد، بين فئتين من المؤمنين، بنزوله عن الأمر عام إحدى وأربعين في شهر جمادى الأولى، وسمي: عام الجماعة؛ لاجتماع الناس على معاوية، وهو أول الملوك»^(٢).

ولا شك أن تنازله عن الخلافة من الأمور العظيمة؛ لما تضمنه من أهداف نبيلة، وغايات كريمة، أشار إلى طائفة منها الإمام ابن كثير بقوله: «وقد مدحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على صنيعة هذا، وهو تركه الدنيا الفانية، ورغبته في الآخرة

(١) البداية والنهاية (١١/١٣٣).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٩/٣٥).

(٣) البداية والنهاية (١١/١٣٤)، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٤٦٦).

(٤) البداية والنهاية (١١/١٣٣).

(٥) بحار الأنوار للمجلسي (٣٤/٣٣٠) [١ط].

(٦) منهاج السنة النبوية (٤/٤٢).

(٧) المصدر نفسه (٤/٤٦٩).

الأشعث بن قيس هو الذي أمرها بذلك؛ لأنه كان ناقماً على علي والحسن، ولو كان معه في الظاهر. **ومنها:** أن يزيد بن معاوية أمرها بقتله؛ لتكون الخلافة له بعد أبيه، لا للحسن كما اتفق عليه في الصلح بينهما، وأنه سيتزوجها من بعده. وقيل: إن معاوية هو الذي أمر جعدة بنت الأشعث، وقيل: إن زوجته ربما سمته لغرض آخر؛ لأنه كان رجلاً مطلقاً^(١).

قال ابن الأثير: «وكان سبب موته أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس سقته السم»^(٢).

وهذه الأقوال ليس عليها دليل يمكن أن يعتمد عليه. قال ابن تيمية في أثناء رده على الحلي: «وأما قوله: «إن معاوية سم الحسن» فهذا مما ذكره بعض الناس، ولم يثبت ذلك ببينة شرعية، أو إقرار معتبر، ولا نقل يُجزم به. وهذا مما لا يمكن العلم به؛ فالقول به قول بلا علم... والحسن عليه السلام قد نقل عنه أنه مات مسموماً، وهذا مما يمكن أن يعلم، فإن موت المسموم لا يخفى، لكن يقال: إن امرأته سمته، ولا ريب أنه مات بالمدينة، ومعاوية بالشام، فغاية ما يظن الظان أن يقال: إن معاوية أرسل إليها وأمرها بذلك. وقد يقال: بل سمته

امرأته لغرض آخر مما تفعله النساء؛ فإنه كان مطلقاً لا يدوم مع امرأة... وإذا قيل: إن معاوية أمر أباه، كان هذا ظناً محضاً، والنبى عليه السلام قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»^(٣). وبالجملة؛ فمثل هذا لا يحكم به في الشرع باتفاق المسلمين، فلا يترتب عليه أمر ظاهر، لا مدح ولا ذم»^(٤).

وقال الذهبي ردّاً على من زعم أن الذي سم الحسن زوجته بإيعاز من معاوية عليه السلام: «هذا شيء لا يصح، فمن الذي اطلع عليه؟»^(٥).

وأما اتهام الأشعث عليه السلام بأنه أمر ابنته بوضع السم للحسن فهذا باطل؛ لما هو معروف من أن الأشعث عليه السلام مات بالكوفة قبل الحسن بعشر سنين، وهو الذي صلى عليه^(٦)، قال خليفة ابن خياط: «مات في آخر سنة أربعين بعد قتل علي قليلاً»^(٧)، وتقدم في ترجمة الحسن أنه توفي سنة تسع وأربعين بالمدينة.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥١٤٣)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٦٣).

(٤) منهاج السنة (٤٦٩/٤ - ٤٧١).

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي (٤٠٣/٢) [دار الغرب الإسلامي، ط ١].

(٦) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٠٠/٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٣٤/١)، وسير

أعلام النبلاء (٣٦٥/٣).

(٧) الطبقات لخليفة بن خياط (١٣١).

(١) انظر: المصدر نفسه (٤٦٩/٤ - ٤٧١).

(٢) أسد الغابة (١٣/٢).

وقال المفيد في بيان عقيدة الإمامية: «واعتقاد إمامة الحسن والحسين من بعده، وأن الأئمة بعد الحسين من ولده بالنص عليهم، والتوقيف على إمامتهم، والدعوة إلى اعتقاد فرض طاعتهم»^(٤).

الرد عليهم:

هذا الحديث المذكور من أحاديث الروافض الموضوعة على الحسن بن علي عليه السلام، فأقدم من ساقه - فيما يظهر - هو المفيد في «علل الشرائع»، يدل ذلك متنه على أنه يحرم عزوه إلى الحسن، فضلاً عن الاحتجاج به على النص المزعوم؛ لما فيه من الأباطيل. يقول فيه: «عن أبي سعيد عقيصاً قال: قلت للحسن بن علي بن أبي طالب: يا ابن رسول الله لم داهنت معاوية وصالحته؟ وقد علمت أن الحق لك دونه، وأن معاوية ضال باغ؟ فقال: يا أبا سعيد ألسنتُ حجة الله تعالى ذكره على خلقه، وإماماً عليهم بعد أبي؟ قلت: بلى، قال: ألسنت الذي قال رسول الله لي ولأخي: الحسن والحسين إمامان، قاما أو قعدا؟ قلت: بلى، قال: فأنا إذن إمام لو قمت وأنا إمام إذن لو قعدت، يا أبا سعيد علة مصالحتي لمعاوية، علة

قال ابن تيمية: «ثم إن الأشعث بن قيس مات سنة أربعين، وقيل: سنة إحدى وأربعين، ولهذا لم يذكر في الصلح الذي كان بين معاوية والحسن بن علي، في العام الذي كان يسمى عام الجماعة، وهو عام أحد وأربعين، وكان الأشعث حمياً^(١) الحسن بن علي، فلو كان شاهداً لكان يكون له ذكر في ذلك، وإذا كان قد مات قبل الحسن بنحو عشر سنين، فكيف يكون هو الذي أمر ابنته أن تسم الحسن؟ والله تعالى أعلم بحقيقة الحال، وهو يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون. فإن كان قد وقع شيء من ذلك، فهو من باب قتال بعضهم بعضاً كما تقدم، وقاتل المسلمين بعضهم بعضاً بتأويل، وسب بعضهم بعضاً بتأويل، وتكفير بعضهم بعضاً بتأويل؛ باب عظيم، ومن لم يعلم حقيقة الواجب فيه وإلا ضل»^(٢).

موقف المخالفين منه:

- الروافض:

يزعم الروافض أن الحسن بن علي عليه السلام هو إمام بالنص، ومما احتجوا به لهذا: ما نسبوه إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في الحسن والحسين: «ابنَي هذان إمامان، قاما أو قعدا»^(٣).

١٣٨٥هـ، والإرشاد للمفيد (٢/ ٣٠) [دار المفيد

للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(٤) أحكام النساء للمفيد (١٥ - ١٦) [تحقيق: مهدي

نجف، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢،

١٤١٤هـ].

(١) كذا: «حمياً»، وفي بعض النسخ: «حمو»، والصواب

الأول، ذكره محقق الكتاب. والمراد به أبو الزوجة.

(٢) منهاج السنّة لابن تيمية (٤/ ٤٧١).

(٣) علل الشرائع للصدوق (١/ ٢١١) [المكتبة الحيدرية،

٣ - «أسد الغابة في معرفة الصحابة» (ج ٢)، لابن الأثير.

٤ - «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج ٢)، لابن حجر.

٥ - «البداية والنهاية» (ج ١١)، لابن كثير.

٦ - «تاريخ خليفة ابن خياط».

٧ - «سير أعلام النبلاء» (ج ٣)، للذهبي.

٨ - «طبقات خليفة بن خياط».

٩ - «علل الشرائع» (ج ١)، للصدوق.

١٠ - «منهاج السنة النبوية» (ج ٤)، لابن تيمية.

الحسب

التعريف لغة:

الحسب من الحسب، ويطلق على عدة معانٍ، فمن ذلك:

١ - «الكفاية، تقول شيء حسَبٌ؛ أي: كافٍ، ويقال: أحسَبْتُ فلاناً، إذا أعطيتَه ما يرضيه؛ وكذلك حَسَبْتَه»^(٣)، ويقال: حسَبنا الله: أي: كافينا هو^(٤).

فالحسب فعل بمعنى مُفْعِل، من أحسبني الشيء: إذا كفاني، وأحسبته وحسبته بالتشديد: أعطيته ما يرضيه حتى

مصالحة رسول الله لبني ضمرة، وبني أشجع، ولأهل مكة حين انصرف من الحديدية، أولئك كفار بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل^(١).

وما نسبوه هنا إلى الحسن عليه السلام هو من عقائدهم التي افتروها ثم نسبوها إليه، ومعلوم أن روايات الروافض بلا خطام ولا زمام، هكذا شأنها، وما كان كذلك فهو ساقط.

وتنازل الحسن عليه السلام عن الخلافة، يبطل قول الرافضة بأن الإمامة بالنص؛ لأنه كيف يسوغ للحسن أن يتنازل عنها وهي فرض لازم عليه، ويخالف الرسول ﷺ وأباه بذلك؟ وكيف يعطيها للكافر بالتأويل حسب وصفهم لمعاوية عليه السلام؟ وحاشاه من ذلك؛ بل فعل عليه السلام عين الصواب، وتحقق فيه قول جده رسول الله ﷺ: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»^(٢). وفي هذا الحديث وغيره مما في معناه تكذيب للروافض في وصفهم معاوية عليه السلام ومن معه بالكفر.

المصادر والمراجع:

١ - «الإرشاد» (ج ٢).

٢ - «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج ١)، لابن عبد البر.

(٣) مقاييس اللغة (٥٩/٢) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٤) انظر: مفردات غريب القرآن (١١٧) [دار القلم،

ط ١، ١٤١٢هـ].

(١) علل الشرائع للصدوق (٢١١/١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٦٢٩).

يقول حسبني»^(١).

٢ - الكرم^(٢).

٣ - العد والإحصاء، والحَسَب: ما عد^(٣)، والحساب والحسابة: عدك الشيء، وحَسَبَ الشيء يحسبه بالضم حَسْبًا وحِسَابًا وحِسَابَةً: عدّه^(٤).

قال الراغب الأصبهاني: «والحسيب والمحاسب من يحاسبك، ثم يعبر به عن المكافئ بالحساب»^(٥).

التعريف شرعاً:

الحسيب يأتي بمعنى:

١ - الكافي، فهو المعطي عباده كفايتهم وحسبهم.

٢ - المحاسب لعباده على أعمالهم.

٣ - أن صفات المجد والشرف ونعوت الكمال والجلال لله تعالى، فالله سبحانه الكريم العظيم المجيد، الذي له علو الشأن ومعاني الكمال^(٦).

(١) انظر: النهاية في غريب الأثر (٣٨١/١) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (٣١٠/١) [دار صادر، ط ١، ١٤١٠هـ]، والقاموس المحيط (٩٤) [مؤسسة الرسالة، ط ٢].

(٢) لسان العرب (٣١٠/١)، والقاموس المحيط (٩٤).

(٣) لسان العرب (٣١١/١)، وانظر: مقاييس اللغة (٢/٥٩).

(٤) لسان العرب (٣١٣/١)، والقاموس المحيط (٩٤).

(٥) مفردات غريب القرآن (١١٧).

(٦) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى (٤٩) [دار المأمون، ط ٥، ١٤٠٦هـ]، وشأن الدعاء للخطابي (٦٩-٧٠) [دار الثقافة العربية، ط ١، ١٤٠٤هـ]، والاعتقاد للبيهقي (٣٥) [عالم الكتب، ط ٢،

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

إن الحسيب هو الذي يكافئ عباده، ويحاسبهم، إلا أن المعنى اللغوي يراد به هنا اختصاص معاني الكمال والجلال اللائقة بالله ﷻ، فله الأسماء الحسنى والصفات العليا.

الحكم:

الإيمان بأن الحسيب اسم من أسماء الله تعالى كما دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة.

الأدلة:

الحسيب اسم له ثابت بالكتاب والسنة:

فقد ورد في القرآن ثلاث مرات: في قوله تعالى: ﴿وَكُنِيَ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء]، وقوله: ﴿وَكُنِيَ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب].

ومن السنة: حديث أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مُحَالَةَ؛ فَلْيَقُلْ: أَحْسَبُ كَذَا، وَكَذَا - إِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ -، وَحَسِيهِ اللَّهُ، وَلَا يُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا»^(٧).

١٤٠٥هـ]، والأسماء والصفات له (١٢٧/١) [مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ]، وجامع المسائل لابن تيمية (٢٩٨/٤)، وتفسير السعدي (٩٤٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وشرح القصيدة النونية للهراس (١٠٣/٢) [مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٧هـ].

(٧) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠٦١)، =

❖ أقوال أهل العلم:

قال قوام السُّنَّة الأصبهاني: «ومن أسمائه الحسيب، قال الله ﷻ: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ١].»

وقال ابن القيم في نونيته المشهورة:
وهو الحسيب كفايةً وحمايةً
والحسب كافي العبد كلَّ
أوان^(٢).

وقال أيضًا: «وأما الملك فهو الأمر الناهي، المعز المذل، الذي يصرف أمور عباده كما يحب، ويقلبهم كما يشاء، وله من معنى الملك ما يستحقه من الأسماء الحسنى؛ كالعزيز الجبار الحكيم العدل العظيم الجليل الكبير الحسيب إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك»^(٣).

وعده السعدي في الأسماء الحسنى وقال: «الحسيب هو العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر، بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها»^(٤).

= ومسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٣٠٠٠).

(١) الحجة في بيان المحجة (١/١٣٠).

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٣/٧٢٧) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٣) بدائع الفوائد (٢/٤٧٣).

(٤) تفسير السعدي (٥/٦٢٥)، (ملحق في آخر الجزء بعنوان: أصول وكمليات من أصول التفسير وكملياته لا يستغني عنها المفسر للقرآن) [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط ٢، ١٤١٢هـ].

وقال أيضًا: «والحسيب بمعنى الرقيب: المحاسب لعباده، المتولي جزاءهم بالعدل، وبالفضل، وبمعنى الكافي عبده همومه، وغمومه، وأخص من ذلك أنه الحسيب للمتوكلين ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]؛ أي: كافيه أمور دينه ودنياه»^(٥).

وعده أيضًا من الأسماء الحسنى الشيخ ابن عثيمين في القواعد المثلى^(٦).
إلى غير ذلك من أقوال أهل العلم^(٧).

❖ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اسم الحسيب بمعنى الشريف:

يدل على كمال الله تعالى في أسمائه وصفاته، فإن له صفات المجد والكرم والشرف فهو الشريف المكتفي بما هو له من ذات لها الحسن المطلق، والكمال المطلق، والأسماء الحسنى، والمجد والشرف الأسمى، وكل من هم دونه في حاجة ماسة ودائمة إليه.

- المسألة الثانية: اسم الحسيب يدل على أن الله تعالى هو الكافي الحافظ:

فمن أراد الحفاظ والكفاية فليتوكل

(٥) توضيح الكافية الشافية (٣٨٦) [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط ٢، ١٤١٢هـ].

(٦) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٣/٢٧٧).

(٧) التوحيد لابن منده (٢/١١٠)، والأسماء والصفات للبيهقي (١/١٢٨).

قال ابن القيم بعد ذكره للآية السابقة: «أي: الله وحده كافيك وكافي أتباعك فلا تحتاجون معه إلى أحد فإن الحسب والكفاية لله وحده كالتوكل والتقوى والعبادة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال]، ففرق بين الحسب والتأييد، فجعل الحسب له وحده، وجعل التأييد له بنصره وعباده، وأثنى الله سبحانه على أهل التوحيد والتوكل من عباده حيث أفردوه بالحسب، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران]، ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله، فإذا كان هذا قولهم ومدح الرب تعالى لهم بذلك فكيف يقول لرسوله: الله وأتباعك حسبك، وأتباعه قد أفردوا الرب تعالى بالحسب ولم يشركوا بينه وبين رسوله فيه، فكيف يشرك بينهم وبينه في حسب رسوله؟! هذا من أمحل المحال وأبطل الباطل»^(٢).

- المسألة الرابعة: كفاية الله تعالى لخلقه عامة وخاصة:

إن حسب الله ﷻ وكفايته لعباده نوعان^(٣): عام وخاص، فالكفاية

على الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، ذلك لأن له الإحاطة التامة بكل الأمور، فمن لاذ به واعتصم به واكتفى به سيجده نعم الحسب ونعم الكافي، فهو خالقهم وبارئهم ورازقهم وكافيهم في الدنيا والآخرة، لا يشاركه أحد أبداً، وهذا هو المعنى لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال]، وهو المعنى الذي اختاره أكثر العلماء^(١)، والذي تؤيده الأدلة الكثيرة.

- المسألة الثالثة: حكم إضافة الحسب إلى غير الله تعالى:

ذكر أهل العلم أن الحسب والكافي هو الله وحده ﷻ، وقد دلت النصوص الشرعية على ذلك، قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال]؛ أي: الله كافيك وكافي المؤمنين المتقين، هذا الذي اتفق عليه السلف، فلهذا قال المؤمنون: حسبنا الله، ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله، كما قالوا: سيؤتينا الله من فضله ورسوله، فإن الحسب هو الكافي، والله وحده كافي عباده.

(١) اختاره ابن جرير في تفسيره (٢٦/١٠)، واقتصر عليه ابن كثير (٢/٢٢٤)، واختاره الشنقيطي في أضواء البيان (٢/٣١٠).

(٢) زاد المعاد (١/٣٥). وانظر: جامع المسائل لابن تيمية (٤/٢٩٨).

(٣) انظر: شرح أسماء الله الحسنى للقمطاني (١٣٢) =

أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ [الحجر].

وكتب معاوية رضي الله عنه إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن اكتبني إلي كتاباً توصيني فيه، ولا تكثري علي، فكتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية رضي الله عنه: سلام عليك، أما بعد! فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس»، والسلام عليك ^(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت نبيكم ﷺ يقول: «من جعل الهموم همًّا واحدًا همَّ المعاد كفاه الله همَّ دنياه. ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديته هلك» ^(٣).

وقال ابن القيم: «من اشتغل بالله عن نفسه كفاه الله مؤونة نفسه، ومن اشتغل

العامة، تشمل جميع المخلوقات، وذلك بخلقها وإيجادها، ورزقها وإمدادها، وحفظها ورعايتها، وإعدادها لما خلقت، وتوفير الأسباب اللازمة لها.

وأما الكفاية الخاصة فهي مقصورة على عباده المؤمنين الموحدين المخلصين، يكون بالنصر والتمكين، والدفع عنهم كل ما يكرهون.

قال السعدي: «والحسب بمعنى: الكافي عبده همومه، وغمومه، وأخص من ذلك أنه الحسب للمتوكلين ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]؛ أي: كافيه أمور دينه ودنياه» ^(١).

- المسألة الخامسة: إن كفاية الله للعبد تكون بحسب ما قام به من الإخلاص والاتباع، والعبودية والمتابعة، وإصلاح ما بينه وبين الله، والتوكل عليه:

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ [الحجر]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ

= [مؤسسة الجريسي، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ]، وفقه الأسماء الحسنى لعبد الرزاق البدر (٢٣٤) [مطابع الحميضي، ط ١، ١٤٢٩هـ]، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٢١١ - ٢١٢) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط ٤، ١٤٣١هـ].

(١) توضيح الكافية الشافية (١٢٦، ١٢٧)، وانظر: جامع الأصول لابن الأثير (١٧٩/٤)، وشرح النونية للهراس (١٠٤/٢).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الزهد، رقم ٢٤١٤)، وابن حبان (كتاب البر والإحسان، رقم ٢٧٦)، وأعله أبو حاتم الرازي بالوقف. العلل (٥٩/٥، ٩٠) [مطابع الحميضي، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٣١١).

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤١٠٦)، والبخاري في مسنده (٦٨/٥) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، والبيهقي في الشعب (٣١٢/٣) [مكتبة الرشد، ط ١]، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٤٦/٣، رقم ٣٣٣٠) [مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ].

عبد هوموم، وغموم، ويأتي أيضًا بمعنى المحاسب.

قال ابن تيمية: «الحسب: جاء في قوله: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء]، وفي قوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء]، والحاسب: جاء في قوله: ﴿وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء]، ومفضلًا في قوله: ﴿وَهُوَ أَشْرَعُ الْحَسِينَ﴾ [الأنعام]، وسريع الحساب: في نحو سبعة مواضع»^(٤).

الآثار:

١ - إن إيمان العبد بهذا الاسم وما تضمنه من الصفات لله تعالى واعتقاده أن الله حسيبه، وأنه سبحانه يحصي ويعد له أعماله وأقواله وحركاته وسكناته كلها، وأنه سبحانه سيحاسبه ويجازيه عليها إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، فهذا الاعتقاد يجعل العبد يشعر بمراقبة الله له، فيمتنع من المعاصي والذنوب، ويحرص على الأعمال الصالحة، ويواظب على الطاعات^(٥).

٢ - إن إيمان العبد بهذا الاسم وما دلَّ عليه من الصفة واعتقاده أن الله تعالى هو الذي يتولى جميع شؤونه ويكفيه جميع حاجاته يغرس في قلبه حب الله وتعظيمه، ويزيده في حمده وشكره

بالله عن الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن اشتغل بنفسه عن الله وكله الله إلى نفسه، ومن اشتغل بالناس عن الله وكله الله إليهم»^(١).

- المسألة السادسة: على العبد المؤمن أن يبذل أسباب كفاية الله له، ولا ينبغي له أن يستبطئ كفاية الله له إذا بذل أسبابها:

فإن الله بالغ أمره في الوقت الذي قدره له^(٢)، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ قال ابن القيم: «فلما ذكر كفايته للمتوكل عليه فربما أوهم ذلك تعجيل الكفاية وقت التوكل، فعقبه بقوله: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(٣)؛ أي: وقتًا لا يتعده، فهو يسوقه إلى وقته الذي قدره له؛ فلا يستعجل المتوكل ويقول: قد توكلت ودعوت، فلم أر شيئًا ولم تحصل لي الكفاية، فالله بالغ أمره في وقته الذي قدره له»^(٣).

الفرق:

الفرق بين الحاسب والحسب:

الحاسب: هو المحاسب لعباده على أعمالهم، وأما الحسب، فهو الكافي

(١) الفوائد (١٤٦) [مكتبة المنارات، مصر، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنى للبدر (٢٣٦).

(٣) إعلام الموقعين (٤٩/٦) [دار ابن الجوزي، ط ١].

(٤) المستدرك على فتاوى ابن تيمية (٤٧/١).

(٥) انظر: أسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٢١٣ - ٢١٤).

الحسين بن علي

اسمه ونسبه:

هو: أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، سبط رسول الله وريحانته من الدنيا، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ. (٢)

مولده ووفاته:

ولد الحسين بن علي ﷺ في المدينة لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع للهجرة، وهذا قول الزبير بن بكار (٣)، وقيل: سنة ثلاث (٤)، وقيل: سنة ست وخمسة أشهر ونصف، وهذا منقول عن قتادة، فقد ساقه ابن عساكر بإسناده عنه أنه قال: «ولدت فاطمة حسيناً بعد حسن بسنة وعشرة أشهر، فمولده لست سنين وخمسة أشهر ونصف من التاريخ، وقتل يوم الجمعة يوم عاشوراء لعشر مضي من المحرم، سنة إحدى وستين، وهو ابن

(٢) الطبقات لخليفة بن خياط (٣٠) [دار الفكر]، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٤١/١) [دار الغرب الإسلامي]، وتاريخ دمشق لابن عساكر (١١١/١٤) [دار الفكر]، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٢/٢٤) [دار الكتب العلمية]، وسير أعلام النبلاء (٣/٢٨٠) [مؤسسة الرسالة، ط٣]، والبداية والنهاية (٤٧٣/١١) [دار هجر].

(٣) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣٩٢/١) [دار الجيل، بيروت]، وتاريخ دمشق (١١٥/١٤)، والبداية والنهاية (٤٧٣/١١).
(٤) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣٩٢/١).

وعبادته، ويورثه الطمأنينة والسعادة والثقة والتوكل على الله، والافتقار واللجوء إليه سبحانه، والاستغناء عن غيره تعالى (١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «الاعتقاد»، للبيهقي.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٤ - «تفسير السعدي».
- ٥ - «توضيح الكافية الشافية»، لابن سعدي.
- ٦ - «جامع المسائل»، لابن تيمية.
- ٧ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٨ - «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة»، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني.
- ٩ - «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.
- ١٠ - «شرح القصيدة النونية»، للهراس.
- ١١ - «متن القصيدة النونية»، لابن القيم.
- ١٢ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.

(١) انظر: فقه الأسماء الحسنى للبدر (٢٣٤)، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٢١٣ - ٢١٤).

- أنه محبوب رسول الله ﷺ؛ لما ثبت من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ أنه كان يأخذه والحسن ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا، فَأَحِبَّهُمَا»، أو كما قال (٦).

وعن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينًا، حسين سبط من الأسباط» (٧).

مكانته:

الحسين بن علي كانت له منزلة كبرى، ومكانة عظيمة، فهو ابن بنت النبي ﷺ فاطمة، وأبوه ابن عم النبي ﷺ وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ولذا كان الصحابة يحبونه ويكرمونه ويعظمونه، وينزلونه منزلته اللائقة به هو وأخاه الحسن.

ثبت من حديث عبد الرحمن بن أبي نعم قال: «سمعت عبد الله بن عمر وسأله عن المحرم؟ قال شعبة: أحسبه يقتل الذباب؟ فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ!» (٨).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٣٧٤٧).
(٧) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٧٥) وقال: «هذا حديث حسن»، وابن ماجه (المقدمة، رقم ١٤٤)، وأحمد (١٠٢/٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وجوّد الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٢٧).
(٨) أخرجه البخاري (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٣٧٥٣).

أربع وخمسين سنة وستة أشهر ونصف» (١). حضر مع أبيه معركة الجمل وصفين وقتال الخوارج في يوم النهروان (٢).

وقتل مظلومًا في كربلاء من ناحية الكوفة، في يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وله ست وخمسون سنة (٣).

فضائله:

- أنه هو وأخاه الحسن رضي الله عنهما سيّد شباب أهل الجنة، لما صحّ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيّد شباب أهل الجنة» (٤).

- أنه ريحانة النبي ﷺ من الدنيا؛ لما ثبت من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «هما ريحانتاي من الدنيا» (٥)؛ يعني: الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(١) تاريخ دمشق لابن عسّكر (١١٦/١٤) وانظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤٧٤ - ٤٧٥).
(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٧٨/٢).
(٣) انظر: الطبقات لخليفة بن خياط (٣٠)، والمعارف لابن قتيبة (٢١٣) [الهيئة المصرية العامة للكتاب]، والبدایة والنهاية (٤٧٣/١١)، وتقريب التهذيب (رقم ١٣٣٤).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٦٨) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأحمد (١٧/٣١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب إخباره عن مناقب الصحابة، رقم ٦٩٥٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ٧٩٦).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٣٧٥٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم خروج

الحسين:

تواردت كتب أهل العراق إلى الحسين يطلبون الخروج إليهم، ويعدونه فيها بمؤازرته على إقامة العدل، فظن أنه سيتمكن من تحقيق ذلك، وخرج مع ما بذله أفاضل أهل العلم والدين من الصحابة والتابعين لثنيه عن الخروج؛ خوفاً عليه من غدر أهل العراق به، ومؤكدين له أن عدم الخروج هو المطلوب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«لما أراد الحسين عليه السلام أن يخرج إلى أهل العراق لما كاتبوه كتباً كثيرة، أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين؛ كابن عمر وابن عباس وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن لا يخرج، وغلب على ظنهم أنه يقتل، حتى إن بعضهم قال: أستودعك الله من قتيل، وقال بعضهم: لولا الشناعة لأمسكتك، وهم في ذلك قاصدون نصيحته طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين. والله ورسوله ﷺ إنما يأمر بالصالح لا بالفساد، لكن الرأي يصيب تارة ويخطئ أخرى. فتبين أن الأمر على ما قاله أولئك، ولم يكن في الخروج لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا؛ بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله ﷺ حتى قتلوه مظلوماً شهيداً، وكان في

خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن حصل لو قعد في بلده؛ فإن ما قصده من تحصيل الخير، ودفع الشر لم يحصل منه شيء؛ بل زاد الشر بخروجه وقتله، ونقص الخير بذلك، وصار ذلك سبباً لشر عظيم وكان قتل الحسين مما أوجب الفتن، كما كان قتل عثمان مما أوجب الفتن، وهذا كله مما يبين أن ما أمر به النبي ﷺ من الصبر على جور الأئمة، وترك قتالهم، والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح؛ بل فساد»^(١).

- المسألة الثانية: فيمن يزعم أن قتل الحسين كان بحق:

يعتقد بعض الناس أن قتل الحسين كان بحق؛ لأنه خرج ليفرق أمر الجماعة، وقد قال النبي ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»^(٢).

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى هذا الفريق ومزاعمه بقوله: «وإن كان بعض الناس يقول: إنه قتل بحق؛ ويحتج بقول النبي ﷺ: «من جاءكم وأمركم على رجل واحد...» رواه مسلم، فزعم هؤلاء أن الحسين أتى الأمة وهم مجتمعون

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٤/ ٥٣٠ - ٥٣١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٥٢).

فأراد أن يفرق الأمة؛ فوجب قتله»^(١).

الرد عليهم:

لا شك أن هذا القول باطل؛ لأن «الحسين عليه السلام قتل مظلوماً شهيداً، وقتلته ظالمون متعدون»^(٢)، وأن استدلال هؤلاء لا ينطبق على حال الحسين كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «وهذا بخلاف من يتخلف عن بيعة الإمام ولم يخرج عليه، فإنه لا يجب قتله، كما لم يقتل الصحابة سعد بن عباد مع تخلفه عن بيعة أبي بكر وعمر، وهذا كذب وجهل؛ فإن الحسين عليه السلام لم يقتل حتى أقام الحجة على من قتله، وطلب أن يذهب إلى يزيد، أو يرجع إلى المدينة، أو يذهب إلى الثغر، وهذا لو طلبه آحاد الناس لوجب إجابته، فكيف لا يجب إجابة الحسين عليه السلام إلى ذلك، وهو يطلب الكف والإمساك»^(٣).

موقف المخالفين منه:

- الروافض:

نسج الروافض حول الحسين طائفة من العقائد الزائفة، والأباطيل البينة، فمنها:

- قولهم بالنص على إمامته:

يعتقد الروافض في الحسين بن

علي عليه السلام أنه إمام بعد الحسن عليه السلام بالنص من النبي صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب عليه السلام، فقد قال المفيد: «واتفقت الإمامية على أن النبي نص على إمامة الحسن والحسين بعد أمير المؤمنين، وأن أمير المؤمنين أيضاً نصّ عليهما كما نص الرسول»^(٤).

وقال أيضاً في بيان عقيدة الإمامية: «واعتقاد إمامة الحسن والحسين من بعده، وأن الأئمة بعد الحسين من ولده بالنص عليهم، والتوقيف على إمامتهم، والدعوة إلى اعتقاد فرض طاعتهم»^(٥).

الرد عليهم:

القول بالنص على إمامة الحسين عليه السلام، أو غيره ممن يدعي فيهم الروافض ذلك، وفرض طاعتهم؛ هو قول لا تسنده حجة، ولا يسعفه برهان، وإنما هو مبني على روايات مكذوبة، وحكايات مجوجة، وما كان كذلك فهو في غاية البطلان ونهاية الفساد.

المصادر والمراجع:

١ - «أحكام النساء»، للمفيد.

٢ - «الاستيعاب في معرفة

(٤) أوائل المقالات للمفيد (٤٠) [تحقيق: إبراهيم الأنصاري، دار المفيد للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(٥) أحكام النساء للمفيد (ص ١٥ - ١٦) [تحقيق: مهدي نجف، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(١) المسائل والأجوبة لابن تيمية (٧٧).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه (٧٧ - ٧٨).

التعريف شرعاً:

هو: حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعاً إلى الموقف^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

إن لفظ الحشر في الشرع مستمد من التعريف اللغوي؛ إلا أنه حشر خاص كما وردت به النصوص الشرعية.

الحكم:

يجب الإيمان بما يكون يوم القيامة من الحشر والحساب وغيرها؛ لأنها من الإيمان باليوم الآخر، وهو أحد الأركان الستة للإيمان.

الحقيقة:

يحشر يوم القيامة العباد إلى ربّ العالمين، فيحاسب الله عباده على ما قدموا من خير أو شر، ويكون بعد ذلك الحساب والجزاء ودخول الجنة أو النار.

الأهمية:

الإيمان بالحشر له أثر عظيم على المؤمن، فإنه يورث العبد الخوف مما يكون ذلك اليوم، فيخشى من الحساب والعذاب، ويدفعه ذلك لفعل الطاعات وترك المنكرات.

الأصحاب» (ج ١)، لابن عبد البر.

٣ - «أسد الغابة في معرفة الصحابة»

(ج ٢)، لابن الأثير.

٤ - «أوائل المقالات»، للمفيد.

٥ - «البداية والنهاية» (ج ١١)، لابن

كثير.

٦ - «تاريخ بغداد» (ج ١)، للخطيب

البغدادي.

٧ - «تاريخ دمشق» (ج ١٤)، لابن

عساكر.

٨ - «سير أعلام النبلاء» (ج ٣)،

للذهبي.

٩ - «الطبقات»، لخليفة بن خياط.

١٠ - «المعارف»، لابن قتيبة.

الحشر

التعريف لغةً:

الحاء والشين والراء أصل يدل على الاجتماع والسوق والبعث والانبعاث^(١). فأصل الحشر: الجمع، لكنه مع سوق^(٢). ومن معانيه: الجلاء عن الأوطان^(٣).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٦٦/٢) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) انظر: لسان العرب (١٩٠/٤) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ]، والمصباح المنير (١٤٨/١) [دار الفكر]، القاموس المحيط (٤٨٠)، وترتيب القاموس (١/ ٦٤٦) [دار الفكر، ط ٣].

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٩٦٧)، ولسان العرب (١٩٠/٤) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ].

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣٧٩/١١)، ورسائل الآخرة (٨٠٢/٤).

❁ الأدلة:

وقال سعيد بن جبير: «يحشر الناس حفاة عراة، فأول من يلقي بثوب إبراهيم عليه السلام» (٤).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: أرض المحشر:

أرض المحشر هي الأرض المبدلة، وفيها قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٤٨) [إبراهيم]، وأما صفة هذه الأرض فكما قال ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء» (٥)؛ كقرصة نقي (٦)، قال سهل أو غيره: ليس فيها معلم لأحد (٧) (٨).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «أرض كالفضة نقية لم يسلم فيها دم، ولم يعمل فيها خطيئة، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، حفاة عراة قيامًا، أحسب أنه قال: كما خلُقوا، حتى يلجمهم العرق قيامًا» (٩).

قال الله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٤٧) [الكهف]، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشَرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ [مريم: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٧٨) [الأنعام].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً» قلت: يا رسول الله: النساء والرجال جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض» (١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد فينادى: أين المتقون» (٢).

وقال ابن القيم: «قال حذيفة وعبد الله بن مسعود وغيرهما: يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف، فمن رجحت حسناته على سيئاته بواحدة دخل الجنة» (٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٢٧)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٥٩).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥٥٢/٣) [دار طيبة، ٨ط].

(٣) طريق الهجرتين (٥٦٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (برقم ٣٧٠٩٩).

(٥) العفر: بياض ليس بناصع، وقيل: يضرب إلى الحمرة، وقيل: خالصة البياض.

(٦) أي: الدقيق النقي من الغش، والتخال.

(٧) أي: مستوية. انظر فيما سبق: فتح الباري (١١/ ٣٨٢ - ٣٨٣) [دار الريان، ط ١، ١٤٠٧هـ].

(٨) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦١٥٦)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٩٠).

(٩) أخرجه الطبري (٤٧/٧) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ]، والحاكم (كتاب الأحوال، رقم ٨٦٩٩)، وقال ابن حجر في الفتح (٣٧٥/١١) [دار المعرفة]: «رجاله رجال الصحيح، وهو موقوف، وأخرجه البيهقي من وجه آخر مرفوعًا، وقال: الموقوف =

يعلوهم كل شيء من الصغار، حتى يدخلوا سجنًا في جهنم يقال له: بولس، فتعلوهم نار الأنيار، يسقون من طينة الخبال: عصارة أهل النار»^(٣).

وأما الكفار فإنهم يحشرون على وجوههم؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾] [الفرقان].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة». قال قتادة: بلى وعزة ربنا^(٤).

- المسألة الخامسة: حال الناس في المحشر:

من أعظم الأمور التي جاءت بها النصوص من أحوال الناس في المحشر: دنو الشمس من رؤوس العباد حتى يكون

^(٣) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٩٢) وحسنه، وأحمد (٢٦٠/١١) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ]، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٤٠/٢) [المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ].

^(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٢٣)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨٠٦).

- المسألة الثانية: يحشر الناس حفاة عراة غرلاً:

لقوله ﷺ: «إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً» ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء]^(١).

- المسألة الثالثة: تميز أمة محمد ﷺ في أرض المحشر:

لقوله ﷺ: «يبعث الناس يوم القيامة، فأكون أنا وأمتي على تل، ويكسوني ربي تبارك وتعالى حلة خضراء، ثم يؤذن لي، فأقول ما شاء الله أن أقول، فذاك المقام المحمود»^(٢).

- المسألة الرابعة: حشر الناس على صور شتى:

إن المتكبرين يحشرون كأمثال الذر من الصغار؛ لقوله ﷺ: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس،

= أصح، وأخرجه الطبري والحاكم من طريق عاصم عن زر بن حبیش عن ابن مسعود بلفظ: «أرض بيضاء كأنها سبيكة فضة»، ورجاله موثقون أيضًا.

^(١) أخرجه البخاري (كتاب الأنبياء، رقم ٣٣٤٩)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٠).

^(٢) أخرجه أحمد (٣٤٩/٥) [دار الفكر، ط ١، ١٤١١هـ]، وابن أبي عاصم في السُّنة (٣٦٤/٢) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١٣هـ]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٤٧٩)، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٣٨٣) وصححه، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٥١/٧) [مكتبة القدسي]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٣٧٠) [مكتبة المعارف، ط ٢، ١٤١٦هـ].

٢ - الكرب والخوف الذي يكونون

فيه:

قال سبحانه: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَآ لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَيَمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (١٨) [غافر].

ب - حال بعض عصاة المؤمنين:

إن بعض عصاة الموحدين قد ورد فيهم العذاب الأليم يوم القيامة، ومن ذلك عذاب مانع الزكاة، ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بَطَحَ لها بقاع قرقر^(٢) أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً، تطوّه بأخفافها، وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أولاهها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله؛ إما إلى الجنة، وإما إلى النار. قيل: يا رسول الله،

(٢) أي: بسط لها ومد لها بأرض مستوية.

بينها وبينهم إلا مقدار ميل واحد، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً. يقول النبي ﷺ: «تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل»، قال سليم بن عامر [أحد رواة الحديث]: فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين. قال: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً»^(١).

أ - من أحوال الكفار:

أما الكفار فإنه ينزل بهم من الكروب والعظائم ما سطره الله تعالى في القرآن وذكره النبي ﷺ في صحيح سُنَّته، فمن ذلك:

١ - الذل والهوان والحسرة التي

يكونون فيها:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَّاءَ كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ (٤٣) خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكِ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (٤٤) [المعارج].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،

ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأه ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»^(٤).

- المسألة السادسة: مدة الوقوف في

أرض المحشر:

ورد في الحديث الصحيح أن وقوف الناس يكون: خمسين ألف سنة، ففي الحديث السابق: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» الحديث^(٥).

- المسألة السابعة: حشر بقية

المخلوقات غير الثقلين للقصاص:

من تمام حكمة الله تعالى وعدله بين العباد وغيرهم، أن يقتص الخلق يوم القيامة بعضهم من بعض، حتى

فالبقر، والغنم؟ قال: ولا صاحب غنم ولا بقر لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح له بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا، ليس فيها عقصاء، ولا جلهاء، ولا عضباء^(١) تنطحه بقرونها، وتطوؤه بأظلافها، كلما مر عليه أولاهها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله؛ إما إلى الجنة، وإما إلى النار»^(٢).

ومن ذلك: قوله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر؛ ليقطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل ماء، فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك»^(٣).

ج - من أحوال الأتقياء:

عندما يكون الناس في الموقف العظيم تحت وهج الشمس القاسي، ويذوقون من البلاء الشيء الهائل يكون فريق من الأخيار الأتقياء الأنقياء في ظل عرش الرحمن، لا يعانون الكربات التي يقاسي منها الآخرون. يقول النبي ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦٦٠)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٣١).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٨٧). وانظر: التذكرة للقرطبي (٢٦٩).

(١) العقصاء: المتوتية القرون، والجلحاء: التي لا قرون لها، والعضباء: التي انكسر قرنهما الداخل.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المساقاة، رقم ٢٣٦٩).

مولدها ووفاتها:

قيل: إنها ولدت قبل البعثة بخمس سنين^(٣)، وتوفيت في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في شعبان سنة خمس وأربعين للهجرة، عن ستين سنة^(٤).

إسلامها:

أسلمت قبل الهجرة، وهاجرت إلى المدينة مع زوجها خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي، ثم مات عنها بعد بدر^(٥)، وذكر ابن الأثير أنه مات متأثراً بجراحات أصابته في غزوة أحد^(٦).

فضائلها:

- أنها من المهاجرات اللاتي نلن شرف الهجرة في سبيل الله^(٧).
- أنها من المبشرات بالجنة.
- أنها زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة.
- أن الله ﷻ شهد لها بكثرة الصيام والقيام.

الحيوانات فيما بينها، يقول النبي ﷺ: «لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «التذكرة»، للقرطبي.
- ٢ - «تفسير ابن كثير».
- ٣ - «حادي الأرواح»، لابن القيم.
- ٤ - «رسائل الآخرة»، للعبيدي.
- ٥ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.
- ٦ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.
- ٧ - «فتح الباري»، لابن حجر.
- ٨ - «لوامع الأنوار البهية»، للسفاريني.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١٠ - «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.

حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنها

اسمها ونسبها:

حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب، القرشية العدوية، أم المؤمنين^(٢).

- (١) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، برقم ٢٥٨٢). وانظر: التذكرة للقرطبي (٣٠٨)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٣٧/١٦).
- (٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٧/٥٨١، و٤/٥٨٨) [دار

- الجيل، بيروت، ط١]، وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/١٨١١) [دار الجيل، بيروت، ط١].
- (٣) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٨١) [دار صادر]، والإصابة في تمييز الصحابة (٧/٥٨٢).
- (٤) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٨١ - ٨٦)، والبدية والنهاية (١١/١٧٢) [دار هجر، ط١].
- (٥) انظر: سير أعلام النبلاء - سيرة (١/٣٧٤) [مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ]، والبدية والنهاية (١١/١٧٢).
- (٦) انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (١/٦٢٤) [دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ].
- (٧) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٨١).

وقال ابن القيم: «ومن خصائصها ما ذكره الحافظ أبو محمد المقدسي في مختصره في السيرة؛ أن النبي ﷺ طلقها فأتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة؛ فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة»^(٥).

❁ مكائنها:

مكائنها عظيمة ومنزلتها عالية، ويكفي في ذلك كونها ممن نالت شرف الهجرة، فهي من المهاجرات الأول، وزوجة النبي المصطفى ﷺ، وأم المؤمنين، وبنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: طلاق النبي ﷺ لحفصة رضي الله عنها ونزول الوحي بمراجعتها إياها:

كان زواج النبي ﷺ بها بعد زواجه بعائشة، سنة ثلاث من الهجرة على الراجح، وقيل: سنة اثنتين من الهجرة. وكانت حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل زواج النبي ﷺ منها تحت خنيس بن

- أن الله أمر نبيه ﷺ بإرجاعها حين طلقها.

يدلُّ لذلك بعض الأحاديث، منها حديث أنس رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ: «طلق حفصة تطليقة، فأتاه جبريل، فقال: يا محمد طلقت حفصة تطليقة وهي صوامة قوامة، وهي زوجتك في الدنيا وفي الجنة»^(١). وعن عقبة بن عامر «أن رسول الله ﷺ طلق حفصة، فأتاه جبريل فقال: راجعها فإنها صوامة قوامة»^(٢).

قال الألباني بعد كلامه على روايات الحديث المتقدم: «وجملة القول أن تطليقه ﷺ لحفصة ثابت عنه من طرق، وكونه أمر بإرجاعها ثابت من حديث أنس الصحيح، وقول جبريل له: «راجعها فإنها صوامة...» إلخ، حسن كما ذكرنا. والله أعلم»^(٣).

ومما يدلُّ على ذلك أيضًا حديث عمر بن الخطاب؛ أن رسول الله ﷺ: «طلق حفصة ثم راجعها»^(٤).

(١) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٧/١٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والطبراني في الأوسط (١/٥٤) [دار الحرمين]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٦٧٥٤)، وسنده ضعيف، لكنه يعتضد بشواهد كما سيأتي.

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٦/١٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وسنده ضعيف، لكنه يعتضد بشواهد أيضًا كما سيأتي.

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١٨/٥) [مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الطلاق، رقم ٢٢٨٣)، وابن

ماجه (كتاب الطلاق، رقم ٢٠١٦)، وابن حبان (كتاب الطلاق، رقم ٤٢٧٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٤/٢) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٩هـ].

(٥) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام لابن القيم (٢٤١) [دار العروبة، الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ].

حذافة بن قيس بن عدي السهمي رضي الله عنه، ثم مات عنها، فعرضها أبوها - بعد انقضاء عدتها - على عثمان بعد وفاة رقية منه، فاعتذر بأنه لا يريد الزواج الآن، ثم عرضها على أبي بكر رضي الله عنه فلم يرد عليه ^(١)، وقد روى ذلك الإمام البخاري بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ «أن عمر بن الخطاب، حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، فتوفي بالمدينة، فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان، فعرضت عليه حفصة، فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي ثم لقيني، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إليّ شيئاً، وكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ، فأنكحها إياه، فلقيني أبو بكر، فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: قلت: نعم، قال أبو

بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي، إلا أنني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها» ^(٢).
فهذا صريح في أن عمر عرض ابنته على عثمان فاعتذر إليه عثمان بقوله: «قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا»، وأما ما جاء من أن عثمان هو الذي طلب من عمر أن يزوجه ابنته حفصة لكنه لم يجبه إلى ذلك فقد ذكره الحافظ، وذكر وجوهاً في الجمع بينه وبين ما تقدم في الصحيح، فقال: «قوله: أتيت عثمان فعرضت عليه حفصة، فقال: سأنظر في أمري، إلى أن قال: قد بدا لي أن لا أتزوج، هذا هو الصحيح، ووقع في رواية ربعي بن حراش عن عثمان عند الطبري وصححه هو والحاكم: أن عثمان خطب إلى عمر بنته فرده، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فلما راح إليه عمر قال: «يا عمر ألا أدلك على ختن خير من عثمان وأدل عثمان على ختن خير منك؟» قال: نعم يا نبي الله، قال: «تزوجني بنتك، وأزوج عثمان بنتي»، قال الحافظ الضياء: إسناده لا بأس به، لكن في الصحيح أن عمر عرض على عثمان حفصة فرد عليه: قد بدا لي أن لا

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٨١ - ٨٤)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨١١)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٣/ ١٨٥)، و/ ٥/ (٢١٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ]، والكامل في التاريخ (٢/ ١٧١) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ]، والإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٥٨١ - ٥٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥١٢٢).

أتزوج، قلت: أخرج ابن سعد من مرسل الحسن نحو حديث ربعي، ومن مرسل سعيد بن المسيب أتم منه، وزاد في آخره: فخار الله لهما جميعاً، ويحتمل في الجمع بينهما أن يكون عثمان خطب أولاً إلى عمر فرده كما في رواية ربعي، وسبب رده يحتمل أن يكون من جهتها، وهي أنها لم ترغب في التزوج عن قرب من وفاة زوجها، ويحتمل غير ذلك من الأسباب التي لا غضاضة فيها على عثمان في رد عمر له، ثم لما ارتفع السبب بادر عمر فعرضها على عثمان رعايةً لخاطره كما في حديث الباب، ولعل عثمان بلغه ما بلغ أبا بكر من ذكر النبي ﷺ لها، فصنع كما صنع من ترك إفشاء ذلك، ورد على عمر بجميل^(١).

- المسألة الثانية: إفشاء حفصة سر النبي ﷺ إلى عائشة في قصة شرب النبي ﷺ العسل وما ترتب عليها:

وخلاصة هذه القصة: أن النبي ﷺ كان يمكنه بعض الوقت عند زينب بنت جحش ﷺ ويشرب عندها عسلاً، وفي يوم من الأيام اتفقت عائشة وحفصة ﷺ على أن تقول كل منهما للنبي ﷺ بأنه يشم منه رائحة مغاير، وهو نبت ذو رائحة كريهة، ولما دخل النبي ﷺ على حفصة قالت له ذلك، وكان النبي ﷺ

يحب الطيب، فكره أن تنسب إليه ريح كريهة، وأخبرها بأنه شرب عسلاً عند زينب، وأنه لن يعود إلى شربه، وأمرها بالكتمان، لكنها أفشته لعائشة، فأخبر الله تعالى نبيه ﷺ بإفشائها سره، فذكر لها النبي ﷺ بعض ما أفشته وأعرض عن البعض الآخر تكرماً وسترًا، وعاتبه الله على تحريم الحلال على نفسه - وهو إما شرب العسل، وإما مارية القبطية وإما الاثنين معاً حسب ما سيأتي بيانه في سبب نزول الآية - مراعاةً لخاطر بعض زوجاته، وأنزل تبارك وتعالى آيات في تأديب أمهات المؤمنين، وتوجيههن نحو الأكمل والأفضل في معاملة النبي ﷺ والبعد عما يحزنه ويقلقه، ودعا كلاً من عائشة وحفصة ﷺ إلى التوبة، وبين لهما بأنه قد وجد منهما ما يوجب التوبة، حيث مالت قلوبهما إلى محبة ما يكرهه النبي ﷺ، وأنه إذا تعاونتا على نبيه ﷺ بما يسوؤه، فإن الله وليه وناصره، وجبريل والملائكة وصالح المؤمنين، وهددهن تعالى بأن يستبدل بهن زوجاتٍ آخرَ لنبيه ﷺ هن خير منهن، مسلمات مؤمنات قانتات ثابتات عابدات سائحات ثيبات وأبكار. وهذا يدل على أن الله يختار لنبيه ﷺ أفضل النساء، وأن الله لما لم يستبدلهن بغيرهن دلَّ على أنهنَّ أفضل النساء وأكملهن^(٢).

(٢) انظر: تفسير السعدي (٨٧٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(١) فتح الباري لابن حجر (١٧٦/٩ - ١٧٧).

وفي الجمع بين هذا السبب، وهو تحريم الجارية عليه، وبين تحريم العسل على نفسه في نزول الآية يقول الحافظ ابن حجر: «يحتمل أن تكون الآية نزلت في السبين معاً»^(٤).

وقال الشوكاني: «فهذان سببان صحيحان لنزول الآية، والجمع ممكن بوقوع القصتين؛ قصة العسل، وقصة مارية، وأن القرآن نزل فيهما جميعاً، وفي كل واحد منهما أنه أسر الحديث إلى بعض أزواجه»^(٥). بقي التنبيه على ما جاء في بعض الأحاديث من أن إفشاء حفصة رضي الله عنها سر النبي ﷺ أدى إلى اعتزال النبي ﷺ عن زوجاته شهراً كاملاً، وجاء في بعضها أن سبب الاعتزال كان سؤالهن النبي ﷺ النفقة^(٦)، وجمع الحافظ ابن حجر بينهما فقال: «يمكن الجمع بأن يكون القضيتان جميعاً سبب الاعتزال، فإن قصة المتظاهرتين خاصة بهما، وقصة سؤال

والحاكم في المستدرک (كتاب التفسير، رقم ٣٨٢٤) وصححه، وصحح إسناده ابن حجر في الفتح (٩/ ٣٧٦) [دار المعرفة]، والألباني في صحيح سنن النسائي (٦٣/٣) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٩هـ]، وأورده الشيخ مقبل في الصحيح المسند من أسباب النزول (٢١٨) [مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٤، ١٤٠٨هـ].

(٤) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٥٧).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٠٠) [دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط ١، ١٤١٤هـ].

(٦) جاء هذا في صحيح مسلم (كتاب الطلاق، رقم ١٤٧٨). وانظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٢١).

فقد روى الشيخان من طريق عبيد بن عمير عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ «كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً، فتواصيت أنا وحفصة أن آتينا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني أجد منك ريح مغاير، أكلت مغاير؟ فدخل على إحدهما، فقالت له ذلك، فقال: «لا؛ بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له»، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى ﴿إِنْ تُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ [التحریم: ١ - ٤] لعائشة وحفصة ﴿وَإِذْ أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ [التحریم: ٣] لقوله: بل شربت عسلاً»^(١).

قال النووي: «وهذا أحد الأقوال في معنى السر، وقيل: بل ذلك في قصة مارية، وقيل غير ذلك»^(٢).

يشير بقصة مارية إلى ما رواه النسائي من حديث أنس: «أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى آخر الآية»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطلاق، رقم ٥٢٦٧) واللفظ له، ومسلم (كتاب الطلاق، رقم ١٤٧٤).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٠/ ٧٧) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ]، وانظر: تفسير القرطبي (١٨/ ١٧٧ - ١٧٩) [دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ].

(٣) أخرجه النسائي (كتاب عشرة النساء، رقم ٣٩٥٩)،

وصي النبي ﷺ من بعده، وفي كلا الأمرين يقولون بتأمر الأربعة على وضع السم للنبي ﷺ^(٤).

- تصريحهم بتكفيرها؛ لأن الله قال فيها وفي عائشة: ﴿إِنْ نُوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٤]؛ أي: زاعت، والزيع الكفر^(٥). واستباحوا لعنها ولعن حفصة ولعن أبويهما^(٦)، وجعلوا بالإجماع البراءة منهم شرطاً لصحة الإيمان^(٧).

الرد عليهم:

لا شك أن هذه الطعون في غاية الفساد لما يأتي:

أولاً: أن حفصة وعائشة وأبا بكر وعمر رضي الله عنهم من المبشرين بالجنة، فالقدح فيهم ولعنهم وتكفيرهم تكذيب لله ﷻ ورسوله ﷺ في ذلك، وهو كفر صريح لا يشوبه إيمان.

(٤) انظر: موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة لعبد القادر عطا صوفي (١٢٥٠).

(٥) انظر: كتاب الأربعين للقمي (٦٢٧).

(٦) انظر: تهذيب الأحكام للطوسي (٣٢١/٢) [تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرساني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ٤ط]، والمحتضر لحسن بن سليمان الحلبي (١١١) [تحقيق: علي أشرف، المكتبة الحيدرية، ١٤٢٤هـ]، وبحار الأنوار للمجلسي (٨٢/٢٦٢) [تحقيق: إبراهيم الميانجي ومحمد الباقر البهودي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٣ط، ١٤٠٣هـ].

(٧) انظر: الاعتقادات في دين الإمامية للصدوق (١٠٥) - (١٠٦) [تحقيق: عصام عبد السيد، دار المفيد، بيروت، ١٤١٤هـ].

النفقة عامة في جميع النسوة، ومناسبة آية التخيير بقصة سؤال النفقة أليق منها بقصة المتظاهرتين^(١).

موقف المخالفين منها:

الروافض:

أطلق الروافض طعنهم في أم المؤمنين حفصة زوج النبي ﷺ، وحشدوا لإثبات ذلك كل ما هب ودب من القصص والروايات الباطلة^(٢). وبيان هذا على النحو التالي:

- ادّعوا بأنها تأمرت هي وعائشة مع أبويهما على النبي ﷺ، وسقته السم حتى مات بسببه، وزعموا أن قوله تعالى: ﴿فَإِذْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] نزل فيهم. وذكروا أن سبب هذا التآمر هو إفشاء حفصة إلى عائشة الحديث الذي أسره النبي ﷺ إليها، وهو عند بعضهم: أن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده ﷺ^(٣)، ولما وصل الخبر إلى أبي بكر وعمر استعجلا الأمر.

وعند بعضهم الآخرين: هو أن علياً

(١) فتح الباري لابن حجر (٥٢١/٨).

(٢) انظر: الكافئة للمفيد (١٦) [دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢ط، ١٤١٤هـ].

(٣) انظر: الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي (٣/١٠٠) [تحقيق: محمد الباقر البهودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية]، وكتاب الأربعين لمحمد طاهر القمي (٦٢٧) [تحقيق: السيد مهدي الرجائي ط ١، ١٤١٨هـ].

«قال لأصحاب محمد معاتبهم على ما كان منهم من الهلع والجزع - حين قيل لهم بأحد: إن محمدًا قتل - ومقبحًا إليهم انصراف من انصرف منهم عن عدوهم وانهزامه عنهم: ﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] محمدًا أيها القوم لانقضاء مدة أجله، أو قتله عدوكم، ﴿أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ يعني: ارتددتم عن دينكم الذي بعث الله محمدًا بالدعاء إليه، ورجعتم عنه كفرًا بالله بعد الإيمان به، وبعد ما قد وضحت لكم صحة ما دعاكم محمد إليه، وحقيقة ما جاءكم به من عند ربه»^(٣). فشتان بين هذا المعنى الذي فسر به السلف الآية، وبين تحريف الرافضة المخالف للحقيقة والواقع.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج ٤)، لابن عبد البر.
- ٢ - «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج ٤ و ٧)، لابن حجر.
- ٣ - «الاعتقادات في دين الإمامية»، للصدوق.
- ٤ - «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج ٥)، للقاضي عياض.
- ٥ - «البداية والنهاية» (ج ١١)، لابن كثير.

(٣) تفسير الطبري (٩٦/٦ - ٩٧).

ثانيًا: إن ما ذكره في الحديث المسر الذي نزلت الآية فيه باطل^(١). وقد سبق أن الصحيح في سبب نزول آيات صدر التحريم أمران اثنان؛ **أحدهما:** شرب العسل وتحريمه على نفسه ﷺ، **وثانيهما:** تحريم النبي ﷺ مارية القبطية على نفسه.

ثالثًا: إن تفسيرهم لـ ﴿صَغَتْ﴾ بزاعت، والزيغ: الكفر؛ هو من ضلالاتهم وسوء نياتهم تجاه الصحابة؛ فإن معنى ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: مالت وأحبت ما كرهه الرسول ﷺ، وليس معناه: ارتدت وكفرت كما زعم الروافض. قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري: «يقول تعالى ذكره: ﴿إِنْ نُوَبِّأْ إِلَى اللَّهِ﴾ [التحريم: ٤] أيتها المرأتان فقد مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله ﷺ من اجتنابه جاريته، وتحريمها على نفسه، أو تحريم ما كان له حلالًا مما حرمه على نفسه بسبب حفصة»^(٢).

رابعًا: أما زعمهم بأن حفصة وعائشة وأبويهما قتلوا النبي ﷺ بالسم واحتجاجهم على هذا بقوله تعالى: ﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ فهو ضرب من الأكاذيب، مبني على تحريف ممجوج، يرده تفسير السلف للآية قال الإمام ابن جرير في تفسيرها:

(١) انظر: موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة لعبد القادر عطا صوفي (١٢٥١).

(٢) تفسير الطبري (٩٣/٢٣) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٢].

- ٦ - «تفسير الطبري» (ج ٢٣).
 ٧ - «سير أعلام النبلاء (سيرة)» (ج ١)، للذهبي.
 ٨ - «شرح صحيح مسلم» (ج ١٠)، للنووي.
 ٩ - «الطبقات الكبرى» (ج ٨)، لابن سعد.
 ١٠ - «فتح الباري» (ج ٨)، لابن حجر.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لا شك في أن هناك تلازمًا بينهما، فالملائكة ترعى بني آدم وتحفظهم بإذن الله تعالى.

سبب التسمية:

سموا بذلك لكونهم موكلين بحفظ الإنسان.

الحَفْظَةُ

التعريف لغةً:

الحفظ هو مراعاة الشيء، قال ابن فارس: «الحاء والفاء والطاء أصلٌ واحد، يدلُّ على مراعاة الشيء»^(١). والحفظ نقيض النسيان وهو التعاهد وقلة الغفلة، والحافظ، والحفيظ: الموكّل بالشيء يحفظه، يقال: فلان حفيظنا عليكم، وحافظنا. وحفظت الشيء حفظًا أي: حرصته، والمحافظة: المراقبة^(٢).

التعريف شرعًا:

هم الملائكة الذين يحفظون العبد بأمر الله تعالى من كل ما يضره؛ فإذا جاء القدر أسلموا أمره إلى الله تعالى. وهم غير ملازمين للإنسان ملازمة

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَفَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ

(٣) معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (١٧٩ - ١٨٠) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(١) مفاتيح اللغة (٢٥٦) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩هـ].

(٢) ينظر: لسان العرب (٧/ ٤٤٠) [دار صادر].

قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»^(٢).

الضروق:

أن الحفظة يحفظون العبد بأمر الله تعالى من كل ما يضره؛ إلا ما قُدِّرَ عليه، وأما الكتبة فإنهم يحفظون على العبد أعماله ويحصونها عليه^(٣).

الآثار:

١ - مراقبة العبد لربه تعالى والحياء منه، إذ تكفل ﷺ بحفظ عبده من كل مكروه، فواجب على العبد أن يحفظ جوارحه عن معصية الله تعالى.

٢ - أن المرء يراقب الله وينتهي عن الإثم إذا استشعر من معه من ملائكة الله.

٣ - تقوية توكل العبد على ربه، وتعزيز الإيمان بالقدر.

المصادر والمراجع:

١ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة»، لنتيجة من العلماء.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب مواقيت الصلاة، رقم ٥٥٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٦٣٢).

(٣) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/٢٣٦ - ٢٤٠).

أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ [الأنعام]، وقال ﷺ: «لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ [الرعد]، وقال ﷺ: «إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ [الطارق]».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ الحديث... وفيه: «فقال لي رسول الله ﷺ: ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يا رسول الله! زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها؛ فخليت سبيله. قال: ما هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تخرم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير. فقال النبي ﷺ: أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليل يا أبا هريرة؟ قال: لا. قال: ذاك شيطان»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري (كتاب الوكالة، رقم ٢٣١١).

٢ - «الجامع لشعب الإيمان» (ج ١)، الشيء حَفِظًا»^(١).

وللهيقي. وقال الجوهري: «حفظت الشيء

٣ - «شرح العقيدة السفارينية»، لابن حفظًا؛ أي: حرصته»^(٢).

عشيمين.

✽ التعريف شرعًا:

الحفيظ والحافظ: اسمان ثابتان لله ﷻ

يدلان على أن الله يحرس عباده ويصونهم عن أسباب الهلاك في أمور دينهم ودنياهم، وله معنيان:

الأول: أنه قد حفظ على عباده ما

عملوه من خير وشر وطاعة ومعصية؛ وهذا المعنى من حفظه يقتضي إحاطة علم الله بأحوال العباد كلها ظاهرها وباطنها وكتابتها في اللوح المحفوظ وفي الصحف التي في أيدي الملائكة، وعلمه بمقاديرها، وكمالها، ونقصها، ومقادير جزائها في الثواب والعقاب ثم مجازاته عليها بفضله وعدله.

والثاني: أنه تعالى الحافظ لعباده من

جميع ما يكرهون»^(٣).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

تظهر العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي في أن الحفظ في كل منهما يدل

٤ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن

أبي العز.

٥ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ٢)،

لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

٦ - «عالم الملائكة الأبرار»،

للأشقر.

٧ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ١)،

للسفاريني

٨ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكمي.

٩ - «معتقد فرق المسلمين واليهود

والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، للعقيل.

١٠ - «المنهاج في شعب الإيمان»

(ج ١)، للحليمي.

١١ - «الحبائك في أخبار الملائك»،

للسيوطي.

✽ الحفيظ

✽ التعريف لغةً:

الحفيظ والحافظ: اسمان مشتقان من

الفاعل: حَفِظَ يَحْفَظُ حِفْظًا، بمعنى:

مراعاة الشيء وحراسته. قال ابن فارس: «الحاء والفاء والظاء أصل واحد يدل على مراعاة الشيء، يقال: حَفِظْتُ

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٨٧) [دار الجيل، ١٣٩٩هـ].

(٢) الصحاح (٣/ ٣٠٨) [دار العلم للملايين، ٤هـ].

(٣) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٦٧ - ٦٨) [دار المأمون، ١هـ، ١٤٠٤هـ]، المنهاج لشعب الإيمان (٢٠٤/ ١) [دار الفكر، ١هـ، ١٣٩٦هـ]، تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٨٣ - ١٨٤).

❁ الحقيقة:

إن حفظ الله ﷻ يتضمن أمرين:

أولهما: كمال علمه وإحاطته بجميع الأشياء، وعدم نسيان شيء منها، وكتابتها في اللوح المحفوظ، وفي الصحف التي بأيدي الملائكة، كما يقتضي علمه بمقاديرها في كمالها ونقصها، ومقادير جزائها في الثواب والعقاب، ثم مجازاتهم عليها بفضلها وعدله (٢).

ثانيهما: حفظه لعباده وهو نوعان:

الأول: هو حفظه العام لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها ويحفظ بنيتها، وتمشي إلى هدايته، وإلى مصالحها بإرشاده، وهدايته العامة التي قال عنها: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه].

الثاني: حفظه الخاص لأوليائه سوى ما تقدم، بحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل إيقانهم من الشبه، والفتن، والشهوات، ويحفظهم من أعدائهم من الجن وعن جميع ما يضرهم في دينهم ودنياهم (٣).

❁ الأدلة:

ورد ثبوت اسمي الله تعالى (الحافظ) و(الحفيظ) في القرآن الكريم. قال

على الحراسة ومراعاة الشيء، وتعهده وعدم الغفلة عنه. غير أن المعنى الشرعي أوسع لاشتماله على حفظ الله للعباد وحفظه لأعمالهم من خير وشر، ولكونه في حق الله ﷻ يشمل جميع الخلائق، لا يعزب عن حفظه شيء في الأرض ولا في السماء، بخلاف حفظ المخلوق القاصر المحدود. وقد وصف الله ﷻ بعض خلقه بالحفظ فقال - حكاية عن يوسف ﷺ -: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾ [يوسف]؛ أي: حفيظ للذي أتولاه، فلا يضع منه شيء (١).

فتبين أن حفظ المخلوق ليس كحفظ الله ﷻ؛ فالله حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة، يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر، ولا يخفى عليه خافية.

❁ سبب التسمية:

وسمي الحافظ حافظاً لحفظه ورعايته للشيء.

❁ الحكم:

يجب إثبات هذين الاسمين لله ﷻ والإيمان بما تضمننا من المعاني اللائقة بجلال الله ﷻ كما دلّت على ذلك النصوص.

(٢) انظر: شرح التوبة للهراس (٢/٤٧٣).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٨٣ - ١٨٤).

(١) تفسير السعدي (٤٠٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ

الرَّحِيمِينَ ﴿٦٤﴾ [يوسف]، وقال: ﴿إِنَّ رَبِّي

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٥٧﴾ [هود]، وقال:

﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٦١﴾ [سبأ]،

وقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ

حَفِيزٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦١﴾

[الشورى].

❁ الأقسام:

حفظ الله ﷻ لعباده نوعان: حفظه العام لجميع مخلوقاته وحفظه الخاص لأوليائه.

❁ المسائل المتعلقة:

- اسم الله الحافظ:

قال ابن منده رحمه الله تعالى: «ومن أسماء الله ﷻ: الحافظ والحفيظ»^(٥)، إلا أن هذا الاسم ورد مفضلاً^(٦)، كما في قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٦٤﴾ [يوسف]». قال الطبري: «بمعنى: والله خيركم حفظاً»^(٧).

وقد عدّه الحافظ ابن حجر من جملة الأسماء التي استدرکها على من سبقه، واستدل له بالآية السابقة، واستدل له أيضاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِيزُونَ ﴿٩٦﴾ [الحجر]»^(٨).

ويظهر من صنيع بعض أهل العلم المعاصرين أنهم عدّوا (الحافظ) من أسماء الله تعالى؛ إذ قرنوه باسمه الحفيظ، وفسروهما بمعنى واحد.

❁ أقوال أهل العلم:

قال الطبري في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٥٧﴾﴾ «يقول: إن ربي على جميع خلقه ذو حفظ وعلم»^(١).

وقال أيضاً: «وربك يا محمد على أعمال هؤلاء الكفرة به، وغير ذلك من الأشياء كلها ﴿حَفِيزٌ ﴿٥٧﴾﴾ لا يعزب عنه علم شيء منه، وهو مجاز جميعهم يوم القيامة بما كسبوا في الدنيا من خير وشر»^(٢).

وقال ابن القيم:

«وهو الحفيظ عليهم وهو الكفي

ل بحفظهم من كل أمر عان»^(٣).

وقال السعدي: «الحفيظ: الذي حفظ

ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أوليائه من وقوعهم في الذنوب والهلكات، ولطف بهم في الحركات، والسكنات، وأحصى على العباد

(٤) تفسير السعدي (٩٤٧).

(٥) كتاب التوحيد (٣٤٨).

(٦) انظر: المستدرک على الفتاوى لابن تيمية (٥٨/١).

(٧) تفسير الطبري (١٦/١٦٠).

(٨) انظر: فتح الباري (٢١٨/١١) [دار المعرفة].

(١) تفسير الطبري (٣٦٥/١٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٢) تفسير الطبري (٣٩٣/٢٠).

(٣) النونية لابن القيم (٢٠٧/٢) [مكتبة ابن تيمية،

١٤١٧هـ].

يقول الشيخ محمد خليل هراس: «الحافظ والحفيظ مأخوذ من الحفظ؛ وهو الصيانة، ومعناه: الذي يحفظ عبادة بالحفظ العام؛ فييسر لهم أقواتهم، وبقية أسباب الهلاك والعطب، وكذلك يحفظ عليهم أعمالهم، ويحصي أقوالهم، ويحفظ أوليائه بالحفظ الخاص؛ فيعصمهم من مواقعة الذنوب، ويحرصهم من مكاييد الشيطان، وعن كل ما يضرهم في دينهم، ودنياهم»^(١).

الآثار:

من آثار حفظ الله لعباده:

١ - كمال علمه سبحانه فلا ينسى، وكمال إحصائه فلا يضيع شيء من أعمال العباد.

٢ - حفظه لعباده بأقواله وأفعاله وبملائكته من جميع الشرور والهالك.

٣ - حفظه للقلوب وحراسة الدين عن الكفر والنفاق، وأنواع الفتن وفنون الأهواء والبدع حتى لا يزلّ عن الطريقة المثلى^(٥).

٤ - حفظه لكتابه العزيز من التحريف والتبديل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٦).

٥ - حفظه سبحانه للسموات السبع والأرض وما فيهما، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾^(٧) [الأنبياء].

والله يحفظ ذلك كله بلا مشقة ولا كلفة، ودون أدنى تعب أو نصب، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(٨) [البقرة].

مذهب المخالفين:

وقد خالف في هذا الاسم الجهمية

ولا شك أن الله خير من حفظ، فهو الذي حفظ نبيه يوسف عليه السلام بعد أن كاد له إخوانه. فهو من باب وصفه بأكمل ما يتضمنه صفة الحفظ، والله تعالى أعلم.

الثمرات:

١ - يجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه هو الحافظ لجميع الكائنات^(٢).

٢ - وأنه تعالى حفيظ الأشياء يعلم جملها وتفصيلها علماً لا زوال فيه، ولا سهو، ولا نسيان^(٣).

٣ - فيجب عليه أن يحفظ نفسه من الهلاك ودينه من الضياع، ويحفظ حدود الله، وهي أوامره ونواهيه وجميع شرائع الدين، وفي مقدمة ذلك قضية

(١) شرح العقيدة الواسطية (١٠٥) [دار الهجرة، ط٣].

(٢) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٣١١).

(٣) الجامع لأسماء الله الحسنى لحامد أحمد الطاهر

(٧٩) [دار الفجر للتراث، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٤) انظر: فقه الأسماء الحسنى للبدر (١٦٧).

(٥) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٣١١).

- ٦ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٧ - «صفات الله الواردة في الكتاب والسنة»، للسقاف.
- ٨ - «فقه الأسماء الحسنی»، لعبد الرزاق البدر.
- ٩ - «المنهاج لشعب الإيمان»، للحليمي.
- ١٠ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی»، للحمود.

❏ الحق ❏

❏ التعريف لغة: ❏

الحق: مصدر (حقَّ)، يقال: حق الشيء؛ إذا وجب وثبت، وهو يأتي بمعنى: نقيض الباطل، وبمعنى: الثبات وعدم الزوال، والوجوب، والمطابقة، والصدق والعدل، وغيرها من المعاني.

قال ابن فارس: «الحاء والقاف أصل واحد، وهو يدل على إحكام الشيء وصحته. فالحقُّ نقيضُ الباطل، ثم يرجع كلُّ فرع إليه بجمود الاستخراج وحسن التلقيق ويقال: حقَّ الشيء وجب. قال الكسائي: يقول العرب: إنك لتعرف الحقَّ عليك، وتُعفي بما لديك»^(٢).

❏ التعريف شرعاً: ❏

الحقُّ: هو الله ﷻ الحق في ذاته

(٢) مقاييس اللغة (١٥/٢) [دار الجبل، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

والمعتزلة؛ فالجهمية لا يثبتون لله أي اسم لا حفيظ ولا غيره؛ فالله عندهم لا يسمى بشيء، وذلك لظنهم أن إثبات الأسماء يلزم منه التشبيه، والمعتزلة أثبتوا الأسماء مجردة عن الصفات، فالله عندهم حافظ بلا حفظ كما أنه عالم بلا علم، وقادر بلا قدرة وحي بلا حياة... إلخ^(١). وهذه الأقوال كلها مخالفة لما دلَّت عليه نصوص الكتاب والسنة من وجوب إثبات أسماء الله وصفاته كما أثبتتها الله لنفسه في كتابه وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تأويل ومن غير تشبيه ولا تعطيل.

❏ المصادر والمراجع: ❏

- ١ - «أسماء الله الحسنی في الكتاب والسنة»، لمحمود عبد الرزاق.
- ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنی»، للقرطبي.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنی»، للزجاج.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنی»، للسعدي.
- ٥ - «الجامع لأسماء الله الحسنی»، لحامد أحمد الطاهر.

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/٢٣٥) [مكتبة التخصصية المصرية، ط ٣]، ومجموع الفتاوى (٦/٣٤ - ٣٥) [دار الوفاء، ط ٣، ١٣٢٦هـ]، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/٥٢٦) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٠٦هـ].

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (٢٥)
 [النور]. وقال الله سبحانه: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ
 الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
 الْكَرِيمِ﴾ (١٦٦) [المؤمنون]. قال ابن
 كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الآية: «﴿فَتَعَالَى اللَّهُ
 الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤]؛ أي: تنزهه
 وتقدس الملك الحق، الذي هو حق،
 ووعدته حق، ووعيده حق، ورسله حق،
 والجنة حق، والنار حق، وكل شيء منه
 حق» (٤).

وثبت من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أنه
 قال: «كان النبي ﷺ إذا قام من الليل
 يتهجد قال: اللَّهُمَّ لك الحمد، أنت قيم
 السماوات والأرض ومن فيهن، ولك
 الحمد، لك ملك السماوات والأرض
 ومن فيهن، ولك الحمد، أنت نور
 السماوات والأرض ومن فيهن، ولك
 الحمد، أنت ملك السماوات والأرض
 ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك الحق،
 ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق،
 والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ
 حق، والساعة حق» (٥).

أقوال أهل العلم:

تضافرت النقول عن أهل العلم في
 شرح وبيان معنى اسم الله (الحق)، وفيما
 يلي أذكر بعضها:

(٤) تفسير ابن كثير (٣٧١/٩) [مؤسسة قرطبة، ط١].
 (٥) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٢٠)، ومسلم
 (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٦٩).

وصفاته وأفعاله، الموجود الثابت الذي
 وجوده من لوازم ذاته، وكل ما ينسب
 إليه فهو حق (١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنيين قوية مع ملاحظة
 وسع المعنى اللغوي على المعنى
 الشرعي، فقد قيد الشرع الحق في باب
 الصفات بالمعنى اللائق بالله.

الحكم:

يجب إثبات اسم الله الحق لورود
 النصوص الشرعية بإثباته لله ﷻ اسماً،
 كما يليق بجلاله وعظمته (٢).

الحقيقة:

الحق هو: الحق في ذاته وصفاته
 وأفعاله، وكل ما ينسب إليه فهو حق،
 وهو سبحانه الموجود الواجب الثابت
 الذي لا يزول، فوجوده من لوازم ذاته،
 لم يسبق بعدم ولا يلحقه عدم (٣).

الأدلة:

من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب
 والسنة اسمه (الحق)، قال الله ﷻ:

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٨٤/٦) وتفسير
 السعدي (٩٤٩).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٨٤/٦)، وتفسير
 السعدي (٩٤٩).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٨٤/٦)، وفتح الباري
 لابن حجر (٤/٣، و١٥٣/٧) [دار المعرفة]،
 وتفسير السعدي (٩٤٩).

❖ الرد عليهم:

الواجب إثبات الاسم وما دلَّ عليه من المعاني والصفات على الوجه اللائق بالله تعالى .

فتأويلهم لاسم الله (الحق) بأنه يحق الحق، ولو كان هذا صحيحاً في حق الله، كما قال ﷺ: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَوِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال] وقال الله سبحانه: ﴿وَمَنْعُ اللَّهِ الْبَاطِلَ وَيُخَوِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ﴾ [الشورى: ٢٤] فإن اسم (الحق) دالٌّ على اتصاف الله بنعوت الجلال وصفات الكمال، فلا بد من الإقرار بهذا وذاك .

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله الحسنى»، لماهر مقدم .
- ٢ - «أسماء الله الحسنى»، لعبد الله بن صالح الغصن .
- ٣ - «بدائع الفوائد» (ج ٤)، لابن القيم .
- ٤ - «التوحيد» (ج ٢)، لابن منده .
- ٥ - «تفسير السعدي» .
- ٦ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للأصبهاني .
- ٧ - «شرح أسماء الله الحسنى»، لسعيد القحطاني .

- ٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي .

قال أبو القاسم الأصبهاني: «ومن أسمائه تعالى: الحق: وهو المتحقق كونه ووجوده وكل شيء صح وجوده وكونه فهو حق»^(١) .

وقال ابن تيمية: «اسم الحق يقع على ذات الله تعالى وعلى صفاته القدسية»^(٢) .

وقال السعدي: «الحق في ذاته وصفاته، فهو واجب الوجود، كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به . فهو الذي لم يزل ولا يزال بالجلال والجمال والكمال موصوفاً، ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفاً .

فقوله حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورساله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لا شريك له هي الحق، وكل شيء ينسب إليه فهو حق»^(٣) .

❖ مذهب المخالفين:

سبق بيان اشتغال دلالة اسم (الحق) على ذات الله المقدسة، وعلى صفاته العليا، والملاحظ لدى المخالفين من الصفاتية أنهم يؤولون اسم الله الحق، بأنه يحق الحق^(٤) .

(١) الحجة في بيان المحجة (١/١٤٦) [دار الراية ط ٢، ١٤١٩هـ] .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/٣٨٤) .

(٣) تفسير السعدي (٩٤٩) .

(٤) شرح أسماء الله الحسنى للقسيري (١٨٦) [دار آزال، ط ٢، ١٤٠٦هـ] .

٩ - «المنهاج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج ١)، لزين محمد شحاتة.

١٠ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج ٢)، لمحمد بن الحمود النجدي.

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خلق الله الخلق، فلما فرغ منه، قامت الرحم، فأخذت بحَقِّوِ الرحم، فقال لها: مَهْ! قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب. قال: فذاك لك»، قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد] (٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن الرحم شُجْنَةٌ آخِذَةٌ بِحُجْرَةِ الرحمن، يصل من وصلها، ويقطع من قطعها» (٥).

(٣) انظر: إبطال التأويلات (٢٠٨/١)، وبيان تلبيس الجهمية (٢٠٦/٦ - ٢١٠ - ٢١٣ و ٢٢٢).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٣٠)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٥٤).

(٥) أخرجه أحمد (١١٠/٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٩هـ]، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١/٢٣٧ - ٢٣٨) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٠هـ]، وقال الهيثمي: «فيه صالح مولى التوأمة، وقد اختلط، وبقيّة رجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٨/ ١٥٠) [مكتبة القدسي]، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ١٣٢ - ١٣٣، رقم ١٦٠٢) [مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ].

الحَقُّو

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الحاء والقاف والحرف المعتل أصل واحد، وهو بعض أعضاء البدن. فالحقو الخصر ومشد الإزار» (١).

التعريف شرعاً:

الحَقُّو: صفة من الصفات الذاتية لله تعالى، ثبت له كما يليق بجلاله وعظمته (٢).

الأسماء الأخرى:

الحُجْرَة.

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة، ويجب

(١) مقاييس اللغة (٨٨/٢) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ]، وانظر: الصحاح (٢٣١٧/٦) [دار العلم للملايين].

(٢) انظر: إبطال التأويلات لأبي يعلى (٢٠٨/١) [دار إيلاف الدولية، الكويت، ط ١، ١٤١٦هـ]، وبيان تلبيس الجهمية (٢١٠/٦ - ٢١٣ و ٢٢٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١]، وصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة للسقاف (٩١ - ٩٣) [دار الهجرة الرياض، ط ١، ١٤١٤هـ].

❁ أقوال أهل العلم:

في زعمه أن هذا الحديث مما يجب تأويله: «هذا من الأخبار التي يقرها من يقر نظيره، والنزاع فيه كالنزاع في نظيره، فدعواك أنه لا بد فيه من التأويل بلا حجة تخصه لا يصح»^(٥).

وقال أيضًا: «إن هذا الحديث في الجملة من أحاديث الصفات التي نصّ الأئمة على أنه يمر كما جاء، وردوا على من نفى موجه»^(٦).

❁ المسائل المتعلقة:

الظاهر: أن الحقو والحجزة متقاربان في المعنى، ويطلق أحدهما على الآخر، والحقو معناه: مشد الإزار كما تقدم، وأما معنى الحجزة فقد قال ابن فارس: «الحاء والجيم والزاء أصل واحد مطرد القياس، وهو الحول بين الشيئين. وذلك قولهم: حجزت بين الرجلين، وذلك أن يمنع كل واحد منهما من صاحبه، وحجزة الإزار: معقده. وحجزة السراويل: موضع التكة، وهذا على التشبيه والتمثيل؛ كأنه حجز بين الأعلى والأسفل»^(٧)؛ فالحقو والحجزة كلاهما بمعنى: مشد الإزار ومعقد الإزار.

وقال القاضي أبو يعلى الحنبلي في معرض كلامه عن حديث الحجزة:

قال ابن أبي حاتم: «سألت أبي عن تفسير حديث النبي ﷺ: «الرحم شجنة من الرحمن، وإنها آخذة بحقو الرحمن» فقال: قال الزهري: على رسول الله ﷺ

البلاغ ومنا التسليم، قال: أمرؤا حديث رسول الله ﷺ على ما جاء»^(١).

وقال الحافظ أبو موسى المدني: «وفي الحديث: «إن الرحم أخذت بحجزة الرحمن» ثم ذكر تفسيرين للحديث، ثم قال: «وإجراؤه على ظاهره أولى»^(٢).

وقال القاضي أبو يعلى الحنبلي: «ونظير هذا الحديث قوله ﷺ في الرحم: «ياخذ بحقو الرحمن»، قد أخذ أحمد بظاهره»^(٣).

وقال الحسن بن حامد الحنبلي: «ومما يجب التصديق به: أن الله حقوا، وهذه أحاديث ماثورة عن النبي ﷺ في الرحم والحقو، فأما الحديث في الرحم والحقو فحديث صحيح، ذكره البخاري، وقد سئل إمامنا عنه فأثبته، وقال: يمضى الحديث كما جاء»^(٤).

وقال ابن تيمية في ردّه على الرازي

(١) كتاب العلل لابن أبي حاتم (٦/٤٦٥ - ٤٦٧ رقم السؤال: ٢١١٨) [ط، ١٤٢٧هـ].

(٢) المجموع المغني في غريب القرآن والحديث (١/٤٠٥) [جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ط، ١٤٠٦هـ].

(٣) إبطال التأويلات لأخبار الصفات (١/٢٠٨).

(٤) نقله عنه ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (٦/٢١٠ - ٢١٣).

(٥) بيان تلبيس الجهمية (٦/٢٠٦).

(٦) المصدر السابق (٦/٢٢٢).

(٧) مقاييس اللغة (٢/١٤٠)، وانظر: الصحاح (٣/٨٧٢ - ٨٧٣).

٣ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٦)، لابن تيمية.

٤ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (ج ٢)، لعبد الله بن محمد الغنيان.

٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٦ - «الفتوى الحموية الكبرى»، لابن تيمية.

٧ - كتاب «العلل» (ج ٦)، لابن أبي حاتم.

٨ - «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر»، لمحمد صديق حسن خان القنوجي.

٩ - «المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث» (ج ١)، لأبي موسى محمد المدني.

١٠ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

«ونظير هذا الحديث قوله ﷺ في الرحم: «يأخذ بحقو الرحمن»، قد أخذ أحمد بظاهره»^(١).

✽ مذهب المخالفين:

الحقو: صفة من صفات الله الذاتية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية^(٢)، والذين يقولون بإثبات الصفات الخبرية الذاتية بعضهم لم يعدوا هذا الحديث من أحاديث الصفات، وذهبوا إلى تأويله، والصحيح: أن هذا الحديث من أحاديث الصفات، ويجب قبوله والتسليم له، وإمراره كما جاء، وهذه هي طريقة الصحابة التابعين وأتباعهم، وهذه هي طريقة جمهور أئمة الحديث وأئمة الفقهاء^(٣).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» (ج ١)، للقاضي أبي يعلى.
- ٢ - «الأسماء والصفات» (ج ٢)، للبيهقي.

✽ حقوق الرسول ﷺ ✽

✽ التعريف لغة:

هذا المصطلح مرگب من كلمتين، الأولى: حقوق، وهي من مادة: (حقق)، قال ابن فارس: «الحاء والقاف أصل واحد، وهو يدل على إحكام الشيء وصحته. فالحق: نقيض الباطل،

(١) إبطال التأويلات لأخبار الصفات (١/٢٠٨).

(٢) انظر من كتب الأشاعرة: أساس التقديس للرازي (١٠٨) [مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٦هـ]، وانظر أيضًا ما ذكره عنهم ابن تيمية في: بيان تلبيس الجهمية (٦/٢٣٨).

(٣) انظر: بيان تأسيس الجهمية (٦/٢٣٨ - ٢٤٠)، والفتوى الحموية الكبرى (٦٥ - ٧٠) [دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ].

وتعزيره وتوقيره واتباعه ومحبته ونحو ذلك، وكذا الأمور التي حرّمها عليهم لحرمة نبّيه مما يباح أن يفعل مع غيره^(٦).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

معلوم أن المعنى اللغوي أوسع من المعنى الشرعي، كما هو الحال هنا، حيث شمل المعنى اللغوي عدة معان، ومنها: الواجب الثابت، وهذا بعينه هو المعنى الشرعي.

الحكم:

يجب الإيمان بحقوق النبي ﷺ على أمته والقيام بها بقدر الطاقة؛ لثبوتها بدلالة الكتاب والسنة، وقد قال الله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَلْنَكُمُ الرَّسُولَ فَخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهَوْا﴾ [الحشر: ٧].

الأهمية:

حقوق النبي ﷺ لها أهمية كبرى؛ إذ لا يتحقق الإيمان لأحد إلا بها، ولا يصح الإسلام بدونها، فمن لا يؤمن بالرسول، ولا يقر بصدقه، ولا يطيع له أمراً، ولا يجتنب له نهياً، ولا يوقره؛ بل يستهزئ به فهذا لا حظ له في

ثم يرجع كل فرع إليه بجودة الاستخراج وحسن التلفيق، ويقال: حق الشيء: وجب^(١). وقال الجوهري: «الحق: خلاف الباطل. والحق: واحد الحقوق. والحقّة أخص منه. يقال: هذه حقّي؛ أي: حقّي»^(٢). والمقصود به هنا: الشيء الواجب والثابت.

وأما الكلمة الأخرى فهي: الرسول، وهي من مادة (رسل)، قال ابن فارس: «الراء والسين واللام أصل واحد مطرد منقاس، يدل على الانبعاث والامتداد»^(٣). تقول: «أرسلت فلاناً في رسالة، فهو مُرْسَل ورسول، والجمع: رُسُل ورُسُل»^(٤).

وقال الفيروزآبادي: «والرسول أيضاً: المرسل، ج: أُرْسِل ورُسُل ورُسلاء، والموافق لك في النضال ونحوه. ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء]، لم يقل: رُسُل؛ لأن (فعلولاً) و(فعليلاً) يستوي فيهما المذكر والمؤنث، والواحد والجمع»^(٥).

التعريف شرعاً:

هي الأمور التي أوجبها الله ﷻ لرسوله ﷺ على أمته؛ كالإيمان به

(١) مقاييس اللغة (١٥/٢) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) الصحاح (١٤٦٠/٤) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٣) مقاييس اللغة (٣٩٢/٢).

(٤) الصحاح (١٧٠٩/٤).

(٥) القاموس المحيط (١٠٠٦).

(٦) انظر: الصارم المسلول (٨٠١/٣)، و(٨٠٧) [رمادي للنشر، والمؤمن للتوزيع، ط ١، ١٤١٧هـ].

❖ أقوال أهل العلم:

قال القاضي عياض: «القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ: . . . وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في أربعة أبواب على ما ذكرناه في أول الكتاب، ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه في سنته وطاعته ومحبة ومناصحته وتوقيره وبره ﷺ» (١).

وقال ابن تيمية: «إن الله ﷻ أوجب لنبينا ﷺ على القلب واللسان والجوارح حقوقاً زائدة على مجرد التصديق بنبوته . . . وحرم سبحانه لحرمة رسوله - مما يباح أن يفعل مع غيره - أموراً زائدة على مجرد التكذيب بنبوته؛ فمن ذلك: أنه أمر بالصلاة عليه والتسليم، بعد أن أخبر أن الله وملائكته يصلون عليه . . . ومن ذلك: أنه أخبر أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن حقه أن يجب أن يؤثره العطشان بالماء والجائع بالطعام، وأنه يجب أن يوقى بالأنفوس والأموال، كما قال ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [التوبة: ١٢٠] . . . ومن حقه: أن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه وولده وجميع الخلق . . . ومن كرامته المتعلقة بالقول: أنه فرق بين أذاه وأذى المؤمنين

الإسلام، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابُ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء]. وقال ﷻ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن]، وقال تعالى: ﴿...قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [١٥] لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة].

❖ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿فَقَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ [الأعراف: ١٥٨].
وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٥٧].
[الأعراف].

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٢) [دار الفكر،

الإيمان به ظاهراً وباطناً، وتصديقه في نبوته ورسالته؛ لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، وقوله سبحانه: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنَّورَ الَّتِي أُنزِلَتْ﴾ [التغابن: ٨].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» (٤).

فالإيمان بالنبي ﷺ واجب متعين لا يتم الإيمان لأحد إلا به، ولا يصح له الإسلام إلا معه؛ لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: ٥].

وثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار» (٦).

- المسألة الثانية: وجوب طاعته، وعدم الخروج عن شريعته (٧):

من حقوق النبي الكريم ﷺ على أمته: طاعته فيما أمر به ونهى عنه،

فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨) [الأحزاب: ١١].

وقال السعدي في قوله تعالى: ﴿تَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الفتح: ٩]: «أي: بسبب دعوة الرسول لكم، وتعليمه لكم ما ينفعكم، أرسلناه لتقوموا بالإيمان بالله ورسوله، المستلزم ذلك لطاعتهما في جميع الأمور. ﴿وَتَعَزَّوْهُ وَتُوقِرُوهُ﴾؛ أي: تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه؛ أي: تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة برقابكم. ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾؛ أي: تسبحوا لله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٩) أول النهار وآخره، فذكر الله في هذه الآية الحق المشترك بين الله وبين رسوله، وهو الإيمان بهما، والمختص بالرسول، وهو التعزيز والتوقير، والمختص بالله، وهو التسبيح له والتقدیس بصلاة أو غيرها» (٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: وجوب الإيمان بالنبي ﷺ الكريم (٣):

من حقوق النبي ﷺ على أمته:

(١) الصارم المسلول (٣/ ٨٠١ - ٨٠٧).

(٢) تفسير السعدي (٧٩٢).

(٣) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء (١٧٣) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٢٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٢).

(٥) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٩/ ٢).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

(٧) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢).

يبعث الله رسولاً ولا يوجب له هذه الحقوق»^(٣).

ومن لم يلتزم بشريعة النبي ﷺ، أو اعتقد جواز الخروج عنها فقد وقع في ناقض من نواقض الإسلام، ولهذا عدّ أهل العلم أن من اعتقد أن أحداً يسعه الخروج عن شريعة النبي ﷺ، كما وسع الخضر ﷺ الخروج عن شريعة موسى ﷺ فقد ارتد عن الإسلام.

قال ابن قدامة رحمه الله: «ومن اعتقد لأحد طريقاً إلى الله غير متابعة محمد ﷺ، أو لا يجب عليه اتباعه، أو أن لغيره خروجاً عن اتباعه، أو قال: أنا محتاج إليه في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، أو قال: إن من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى كفر في هذا كله»^(٤).

- المسألة الثالثة: وجوب نصرته ﷺ:

من حقوق النبي ﷺ على أمته نصرته، وتأييده في نشر دعوته، والوقوف معه في حياته بالسيف والسنان واللسان، وأما بعد موته فنشر سنته والدعوة إليها والذب عنها، وقد عاتب الله من ترك نصرته النبي ﷺ فقال: ﴿إِلَّا نَضْرِبُوهُ فَقَدْ

فتمثل أوامره بقدر الطاقة، وتجتنب نواهيه جملة وتفصيلاً؛ لقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكُم فَتَجِدُ كَثِيرًا مِّنَ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [النور: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمَيْتِ﴾ [النور: ٥٤]، ولما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»^(١)، وثبت من حديث جابر رضي الله عنه أنه قال: رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: «لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»^(٢).

قال ابن تيمية: «وأما ما أوجبه من طاعته، والانقياد لأمره، والتأسي بفعله، فهذا باب واسع، لكن ذاك قد يقال: هو من لوازم الرسالة، وإنما الغرض هنا أن ننبه على بعض ما أوجبه الله له من الحقوق الواجبة والمحرمة، مما يزيد على لوازم الرسالة، بحيث يجوز أن

(١) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم ٧٢٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٢٩٧).

(٣) الصارم المسلول (٣/٨٠٧).

(٤) الإقناع مع شرحه كشاف القناع (٦/١٧١).

نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ
أَنْتَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ [التوبة: ٤٠]،
وقد بين الله ثواب من قام بهذا الحق
ونحوه، فقال سبحانه: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا
بِهِ وَعَزَّوْهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٥٧)
[الأعراف].

وتعظيمه لازم كما كان حال حياته^(٥).
وقال ابن تيمية: «التوقير: اسم جامع
لكل ما فيه سكينه وطمأنينة من الإجلال
والإكرام، وأن يعامل من التشريف
والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما
يخرجه عن حد الوقار»^(٦).

وتعظيم النبي ﷺ بالقول له صور؛
منها:

- عدم التقدم بالكلام بين يدي
النبي ﷺ، وعدم رفع الصوت فوق
صوته ﷺ؛ لقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَأَنقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾
[الحجرات]؛ ففي هاتين الآيتين بيان
لبعض حقوق النبي ﷺ، ومنها أن الله
«حرم التقدم بين يديه بالكلام حتى
يأذن، وحرم رفع الصوت فوق
صوته»^(٧).

وقال ابن تيمية في قوله تعالى:
﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾
[الفتح: ٩]: «التعزيز: اسم جامع لنصره
وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه»^(٨).

- المسألة الرابعة: وجوب تعظيم
النبي ﷺ حياً وميتاً وإجلاله وبره،
وتعظيم أمره^(٩):

من حقوق النبي ﷺ الثابتة له على
أمرته تعظيمه وإجلاله، كما قال الله ﷻ:
﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾
[الفتح: ٩].

روى ابن جرير بسنده حسن^(١٠) عن
قتادة؛ أنه قال: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: ينصروه،
﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: أمر الله بتسويده وتفخيمه^(١١).
قال القاضي عياض: «واعلم أن
حرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره

قال ابن القيم: «أي: لا تقولوا حتى
يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا
حتى يفتي، ولا تقطعوا أمراً حتى يكون
هو الذي يحكم فيه ويمضيه... والقول

(١) الصارم المسلول (٤٢٥).

(٢) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٣٤/٢ - ٣٥)،
وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (١٧٦).

(٣) انظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور لحكمت
بشير ياسين (٣٥٣/٤) [دار المآثر، المدينة المنورة،
١٤١١هـ].

(٤) تفسير الطبري (٣٥٣/٤) [دار هجر، ط١].

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٤٠/٢).

(٦) الصارم المسلول (٨٠٣/٣).

(٧) الصارم المسلول (٨٠٦/٣)، وانظر: دلائل النبوة
للبيهقي (٣٥٤/٦) [دار الكتب العلمية، ط١،
١٤٠٥هـ]، والخصائص الكبرى للسيوطي (٤٤٤/٢)
[دار الكتب العلمية]، والسيرة النبوية بين الآثار
المروية والآيات القرآنية.

بل يقول: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ قُلٌّ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتَن تَرِدْنَ تَرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الأحزاب: ٢٨] (٣).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات].

ففي هذه الآية الكريمة نهى الله المؤمنين عن أن يجهروا للنبي ﷺ: «بالقول كجهر بعضهم لبعض؛ أي: ينادونه باسمه: يا محمد، يا أحمد، كما ينادي بعضهم بعضاً، وإنما أمروا أن يخاطبوه خطاباً يليق بمقامه، ليس كخطاب بعضهم لبعض؛ كأن يقولوا: يا نبي الله أو يا رسول الله ونحو ذلك.

وقوله: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ﴾؛ أي: لا تفعلوا ذلك لئلا تحبط أعمالكم، أو ينهاكم عن ذلك كراهة أن تحبط أعمالكم، ﴿يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٢)؛ أي: لا تعلمون بذلك... وقد دلت آيات من كتاب الله على أن الله تعالى لا يخاطبه في كتابه باسمه، وإنما يخاطبه بما يدل على التعظيم والتوقير؛ كقوله: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ﴾ [التوبة: ٧٣]... مع أنه ينادي غيره من الأنبياء بأسمائهم» (٤).

الجامع في معنى الآية: لا تعجلوا بقول ولا فعل قبل أن يقول رسول الله ﷺ أو يفعل... فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم، فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه؟ أليس هذا أولى أن يكون محبباً لأعمالهم؟» (١).

وقال الشنقيطي في تفسير آية الحجرات: «هذه الآية الكريمة علّم الله فيها المؤمنين أن يعظموا النبي ﷺ ويحترموا ويوقروه، فنهاهم عن رفع أصواتهم فوق صوته» (٢).

- مخاطبته ﷺ بما يليق بمقامه، ك: يا نبي الله، ويا رسول الله، وعدم مناداته باسمه كما يفعل الناس فيما بينهم. فقد خصّ الله نبيه محمداً «في المخاطبة بما يليق به فقال: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، فنهى أن يقولوا: يا محمد أو يا أحمد أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله يا نبي الله، وكيف لا يخاطبونه بذلك والله ﷻ أكرمهم في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحداً من الأنبياء، فلم يدعه باسمه في القرآن قط؛

(١) إعلام الموقعين (١/٤١).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/٤٠١) [دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ]. وانظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٣٥ - ٣٦).

(٣) الصارم المسلول (٣/٨٠٣ - ٨٠٤).

(٤) أضواء البيان (٧/٤٠١ - ٤٠٢)، وانظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٣٥ - ٣٦).

- المسألة الخامسة: في وجوب محبته ﷺ، وتقديمها على محبة النفس وجميع الخلق^(١):

فقد ثبت من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»^(٢). وبين النبي ﷺ علو شأن محبته، حيث إنها مما تنال بها حلاوة الإيمان، كما جاء من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...»^(٣).

وعن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر»^(٤).

وقد توعد الله من قَدَّم على محبة الله

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١٨/٢)، والخصائص الكبرى للسيوطي (٤٤٤/٢)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ١٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ١٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان والنذور، رقم ٦٦٣٢).

ومحبة رسوله ﷺ محبة غيرهما كائنًا من كان بالعقاب، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة].

- المسألة السادسة: من حقوق النبي ﷺ الصلاة والسلام عليه:

لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب]، وثبت عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي؛ فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً»^(٥)، وعن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً»^(٦).

والصلاة على النبي ﷺ «تتضمن ثناء الله عليه، ودعاء الخير له، وقربته منه، ورحمته له. والسلام عليه يتضمن: سلامته من كل آفة، فقد جمعت الصلاة عليه والتسليم جميع الخيرات، ثم إنه يصلي سبحانه عشراً على من يصلي عليه

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٣٨٤).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٨).

﴿٥٩﴾ [النساء]، وقال ﷺ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ ﴿٦٥﴾ [النساء].

- المسألة الثامنة: محبة أصحابه ﷺ وأهل بيته وموالاتهم^(٤):

من حقوقه ﷺ على أمته محبة أصحابه وأهل بيته وموالاتهم جميعاً، والاستغفار لهم، و«الحذر من تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء؛ فإن الله قد أوجب على هذه الأمة موالاته أصحاب نبيه، وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم، وسؤال الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم»^(٥). قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر]، وثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أن أحداكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»^(٦)، وثبت من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله:

مرة واحدة؛ حضاً للناس على الصلاة عليه؛ ليسعدوا بذلك وليرحمهم الله بها^(١). وللصلاة على النبي صيغ عديدة، منها ما جاء عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى؛ فأهدى لي فقال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم، قال: «قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٢). ولها مواطن تكون فيها^(٣).

- المسألة السابعة: وجوب التحاكم إليه:

لقد أمر الله المؤمنين بالتحاكم إلى النبي ﷺ وردّ المتنازع فيه إلى هديه، فقال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

(٤) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (١٧٩).

(٥) المصدر السابق.

(٦) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ،

رقم ٣٦٧٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم

٢٥٤٠).

(١) الصارم المسلول (٨٠١/٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم

٣٣٧٠)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٦).

(٣) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم، وغيره.

والشهادة له بذلك، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعَمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وجاء من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب. فقلنا: يا رسول الله ﷺ إن هذه لموعظة مودع، فما تعهد إلينا؟ قال: «قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هلك»^(٦).

وقد شهد له أصحابه الكرام بأنه بلغ رسالة ربه وأدى الأمانة ونصح الأمة، كما ثبت من حديث جابر رضي الله عنه الطويل، وفيه قوله ﷺ: «قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به؛ كتاب الله، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللَّهُمَّ اشهد، اللَّهُمَّ اشهد»، ثلاث مرات^(٧).

- المسألة العاشرة: إنزاله مكانته اللائقة به:

من حقوقه ﷺ على أمته: إنزاله

«أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»^(١). ففي هذا الحديث «أمر النبي ﷺ بالإحسان إلى أهل بيته، وأن يعرف لهم قدرهم وحقهم، لقربهم منه وشرفهم»^(٢).

قال الطحاوي في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم. ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم. ولا نذكرهم إلا بخير. وحبهم دين وإيمان وإحسان، وببغضهم كفر ونفاق وطغيان»^(٣).

وقال القاضي عياض: «واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره ﷺ، وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته»^(٤).

- المسألة التاسعة: الشهادة له ﷺ بتبليغ رسالة ربه على أكمل وجه ونصحه للأمة^(٥):

من حقوقه ﷺ على أمته: الإيمان الجازم بأنه بلغ رسالة ربه بلاغاً كاملاً،

(٦) أخرجه بهذا اللفظ: ابن ماجه (المقدمة، رقم ٤٣)، وأحمد (٣٦٧/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ١٦]، والحاكم (كتاب العلم، رقم ٣٣١)، وأبو نعيم في المستخرج (٣٦/١) [دار الكتب العلمية، ١٦]، وقال: «هذا حديث جيد»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٣٧).
(٧) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٢١٨).

(١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٨).
(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (١٨٠).
(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٦٨٩/٢).
(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٤٠/٢).
(٥) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (١٧٤).

عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾
[الفرقان]، وقال ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ
عَلَى عَبْدِهِ عَائِدَتَهُ يَنْتَبِئُ لِيُخْرِجَهُمْ مِّنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ
رَّحِيمٌ﴾ [الحديد]، وأمره سبحانه أن
يخبر الناس بأنه بشر، كما في قوله
تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ
أَنَّمَ إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

- المسألة الحادية عشرة: سؤال الله
الوسيلة له ﷺ:

وهي درجة في الجنة لا تكون إلا
لعبد واحد، ورجا ﷺ؛ أن يكون هو
ذلك العبد^(٣)، فغن عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنه سمع النبي ﷺ يقول:
«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول،
ثم صلوا علي؛ فإنه من صلى علي صلاة
صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي
الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي
إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا
هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له
الشفاعة»^(٤). وهذا «ليس من باب
سؤالهم؛ بل أمره بذلك لهم؛ كأمره لهم
بسائر الطاعات التي يثابون عليها، مع
أنه ﷺ له مثل أجورهم في كل ما
يعملونه»^(٥).

المكانة التي أنزله الله إياها، دون غلو أو
جفاء، فهو عبد الله ورسوله، وهو من
البشر، فقد ثبت من حديث عمر رضي الله عنه؛
أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا
تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛
فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله
ورسوله»^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن رجلاً
قال: يا محمد، يا سيدنا وابن سيدنا،
وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ:
«يا أيها الناس، عليكم بتقواكم، ولا
يستهويناكم الشيطان، أنا محمد بن
عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب
أن ترفعوني فوق منزلتي التي
أنزلني الله ﷺ»^(٢).

وقد وصفه ربه ﷺ في معرض
المدح بأنه عبد الله، فقال تعالى:
﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي
بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِسْرَاءِ، وَهُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء]، وقال
سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا
يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن]،
وقال ﷺ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٤٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٣/٢٠)، رقم ١٢٥٥١، مؤسسة
الرسالة، ط ١، وأخرجه الضياء في المختارة (٢٦/٥)
وقال: إسناده صحيح. وصححه الألباني على شرط
مسلم. انظر: السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٩٧).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/٧٠٢)
[مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٣٨٤).

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/١٣٢).

«أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي ﷺ يبعث إلى قومه خاصة، وبعث إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة»^(٣). ونحو ذلك مما دلت عليه النصوص الشرعية.

❁ الثمرات:

القيام بحقوق النبي ﷺ له ثمرات طيبة؛ منها:

أولاً: أنه بذلك يتحقق للعبد الإيمان ويصح له الإسلام، قال الله ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [١] ﴿[الأنفال]، وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٥٧] ﴿[الأعراف]، وقال الله سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [١] ﴿[الأنفال].

ثانياً: أنه ينال بذلك رحمة الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [٥٦] ﴿[النور].

ثالثاً: أنه مما ينال به الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، كما قال الله

- المسألة الثانية عشرة: أن الله حرم على الأمة أذيته بأمر، ولو كان فعله مباحاً للأمة فيما بينها؛ تمييزاً له:

لقد حرم الله على الأمة أذية رسوله ﷺ بأي أمر، ولو كان مباحاً بين أفراد الأمة؛ كنكاح زوجاته من بعده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض حديثه عن حقوق النبي ﷺ على أمته: «ومن ذلك: أنه حرم على الأمة أن يؤذوه بما هو مباح أن يعامل به بعضهم بعضاً؛ تمييزاً له، مثل نكاح أزواجه من بعده، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [٥٣] ﴿[الأحزاب]، وأوجب على الأمة لأجله احترام أزواجه، وجعلهن أمهات في التحريم والاحترام، فقال ﷻ: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [٦٦] ﴿[الأحزاب]»^(١).

- المسألة الثالثة عشرة: الإقرار له ﷺ بكل ما ثبت في حقه من الخصائص السامية العالية الرفيعة والفضائل العظيمة، والمناقب الجمة الجليلة والثناء بها عليه ونشر ذلك بين الناس^(٢):

كما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) الصارم المسلول (٣/٨٠٧).

(٢) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (١٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٨)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١).

تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ الَّذِي هُوَ يَتَّقُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء].

بل تجاوز الأمر بهم حتى رفعوا النبي ﷺ إلى مقام الربوبية، كما في آيات صاحب البردة التي منها:

«يا أكرم الرسل ما لي من ألؤذ به
سواك عند حلول الحادث العمم»^(٣)
إلى غير ذلك من الآيات الشريكة.

الرد عليهم:

لا شك أن هذا غلو مقيت مصادم لصريح الكتاب والسنة، فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، والسنة ما ثبت من حديث عمر رضي الله عنه؛ أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»^(٤)، وجاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا

رابعاً: أنه بذلك يتحقق له معية المنعم عليهم من عباد الله الصالحين، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء].

مذهب المخالفين:

من حقوق النبي ﷺ: إنزاله مكانته التي أنزله الله إياها دون غلو أو جفاء، وقد حاد عن الجادة في هذا طوائف:

- الغلاة: يعتقد الغلاة - وهم من الصوفية وغيرهم - بأن النبي ﷺ خلق من نور، وأن هذا النور خلق من نور الله^(١)، متعلقين بحديث منسوب إلى جابر بن عبد الله؛ أنه قال: قلت: يا رسول الله

(٢) ذكره ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية (٤٤) [دار الفكر، بيروت]، ونسبه إلى عبد الرزاق، وهو غير صحيح؛ فلم يخرج عبد الرزاق ولا أحد غيره في دواوين السنة. انظر: النور المحمدي (٤٦)، وخصائص المصطفى بين الغلو والجفاء (٩٥ - ٩٦)، وعزاه إلى الفتوحات المكية لابن عربي (١١٩/١) ولم نهتد إلى موضعه فيه.

(٣) ديوان البوصيري (٢٥٢).

(٤) تقدم تخريجه قريباً.

(١) انظر: البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان إلهي ظهير (١٠٢ - ١٠٣) [إدارة ترجمان السنة، ط١، ١٤٠٣هـ]، والنور المحمدي بين هدي الكتاب المبين وغلو الغالين لعداد محمود الحمش (٤٦) [دار إحسان، ودار الأماني، ط١، ١٤٠٧هـ]، وخصائص المصطفى بين الغلو والجفاء للصادق محمد (٩٣) [مكتبة الرشد].

محمد، يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس عليكم بتقواكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ»^(١).

وأما ما نسبوه إلى النبي ﷺ من رواية جابر فهو حديث باطل^(٢) وموضوع على النبي ﷺ^(٣).

وأيضا ما نسبوه إلى النبي ﷺ من رواية جابر فهو حديث باطل^(٢) وموضوع على النبي ﷺ^(٣).

وأيضا ما نسبوه إلى النبي ﷺ من رواية جابر فهو حديث باطل^(٢) وموضوع على النبي ﷺ^(٣).

- بعض الصوفية: حيث إنهم يقررون بعبارات مختلفة وألفاظ متباينة مؤداها واحد أن مقام الولي فوق مقام النبي ﷺ، وأن الولاية أفضل من النبوة والرسالة، وأن الأولياء اخترقوا ما عجز عنه الأنبياء ووقفوا حيارى أمامه^(٦)، وزعم أحدهم أن لواء يوم القيامة أعظم من لواء محمد ﷺ^(٧).

وأيضا ما نسبوه إلى النبي ﷺ من رواية جابر فهو حديث باطل^(٢) وموضوع على النبي ﷺ^(٣).

(٤) انظر: الاعتقادات في دين الإمامية لابن بابويه (٩٢) [دار المفيد، ط ٢، ١٤١٤هـ]، وتنزيه الشيعة الاثني عشرية عن الشبهات الواهية لأبي طالب التجليل (٥٧)، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية لناصر القفاري (٣٠٨/١)، وجهود المفسرين في الرد على الرافضة من خلال كتب التفسير المطبوعة لمحمد سعيد عثمان (١٠٨) [رسالة علمية، الجامعة الإسلامية بالمدينة].

- الجفافة: وهم الذين لم يعطوا النبي ﷺ حقه من إفراده بالطاعة والتعظيم والتوقير عن سائر الناس، حيث جعلوا معه متبوعين، وأنزلوهم منزلة

(٥) انظر: الحكومة الإسلامية للخميني (٥٢) [ط ٣، ١٣٨٩هـ]، ومشارك أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين لرجب البرسي (٢٢٥) [مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١، ١٤١٩هـ].

(١) تقدم تخريجه قريباً.
(٢) انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (٨٢٠/١) (تحت رقم ٤٥٨).

(٦) انظر: الطبقات الكبرى للشعراني (٣٧٧) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ]، والفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (٩٥).

(٣) انظر: خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء (٩٥) - (٩٦).

(٧) انظر: تلبس إبليس لابن الجوزي (٤١٨) [دار الكتاب =

الرد عليهم:

النبوة والرسالة فهذا هذان لا يستحق أدنى حظ من النظر. ويكفي لبيان هذا أنه مصادم بصفة عامة لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مَنِ الْكَرِيمِ﴾ [الحج: ٧٥]، ولقوله ﷺ بصفة خاصة: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» (٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة»، لنخبة من العلماء.
- ٢ - «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (ج ٧)، للشنقيطي.
- ٣ - «تفسير السعدي».
- ٤ - «تفسير الطبري» (ج ٤).
- ٥ - «حقوق النبي على أمته في ضوء الكتاب والسنة».
- ٦ - «الخصائص الكبرى» (ج ٢)، للسيوطي.

- ٧ - «دلائل النبوة» (ج ٦)، للبيهقي.
- ٨ - «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» (ج ٢)، للقاضي عياض.
- ٩ - «الصارم المسلمون على شاتم الرسول» (ج ٣)، لابن تيمية.
- ١٠ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٠)، لابن تيمية.

لا شك أن هذا الزعم في غاية الدجل والبهتان؛ لمناقضته صريح القرآن والسنة الدال على أن الله أرسل نبيه محمداً رحمة للعالمين، وأمره بإبلاغ رسالة الله، وأوجب طاعته على الناس كافة، والأخذ عنه وحده، وجعل طاعته سبحانه في طاعة رسوله، وربط الهداية باتباعه واقتفاء أثره، فقال ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رَحْمَةً وَنَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال سبحانه: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرُّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال ﷺ: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

ولما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» (١).

وأما ما يتعلق بتفضيل غير النبي ﷺ على النبي ﷺ وتفضيل الولاية على

= العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم ٧٢٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٧٨).

حُكْمٌ حقيقة إلا حُكْمُهُ، ولا حَكَمَ إلا هو سبحانه^(٤).

■ الحكم ■

✽ التعريف لغة:

الحكم والحاكم: اسمان مشتقان من الفعل: حَكَمَ يَحْكُمُ حُكْمًا، وهو حَاكِمٌ وَحَكَمٌ، ومعناه: الفصل والقضاء، وأصل معنى (حكم): المنع، وسمي الحاكم حاكمًا لمنعه الناس عن التظالم. قال ابن فارس: «الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحُكْم وهو المنع من الظلم، وسميت حَكَمَةُ الدابة لأنها تمنعها»^(١).

وقال الجوهري: «الحكم: مصدر قولك: حَكَمَ بينهم يَحْكُمُ؛ أي: قضى، وحكم له وحكم عليه»^(٢).

ونقل الأزهري عن الليث أنه قال: «الحكم: العلم والفقه، و﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾ [مريم]؛ أي: علمًا وفقها»^(٣).

✽ التعريف شرعًا:

الحكم: وصف ثابت لله ﷻ يدل على أن الله ﷻ هو الذي يحكم بين الخلائق في الدنيا والآخرة، وهو الذي سُلِّمَ له الحكم ورُدَّ إليه فيه الأمر، ولا

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

تظهر العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي في أن الحكم في كلٍّ منهما؛ يعني: الفصل والقضاء، لكن المعنى الشرعي يختص بالله ﷻ ويدل على اختصاصه بالحكم وانفراده به، فالحكم وإن نسب إلى الخلق إلا أن حكمه مستفاد من الله تعالى، فلا غنى لأحد عن حكمه، ولا حكم إلا حكمه.

✽ الحكم:

يجب الإيمان بأن الله ﷻ هو الحكم، وأنه لا حُكَمَ إلا حكمه.

✽ الحقيقة:

حقيقة وصف الله ﷻ بالحكم يدل على العلمية والوصفية، فيوصف الله تعالى بأنه الحكم، وأن له الحكم، ويكون من الصفات الذاتية الثابتة له، ومن شأنها أن الله ﷻ هو الذي يحكم بين الخلق، ولا حكم سوى حكمه كما تقدم بيانه.

«وقد تضمن هذا الاسم جميع الصفات العلا والأسماء الحسنى؛ إذ لا يكون حكمًا إلا سميع بصير عالم خبير

(١) مقاييس اللغة (٩١/٢) [دار الجيل].

(٢) الصحاح (١٧٩/٥) [دار العلم، ط ٤، ١٩٩٠م].

(٣) تهذيب اللغة (٤٧٥/١) [دار إحياء التراث العربي،

ط ١، ٢٠٠١م].

(٤) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٦١) [دار المأمون،

ط ١، ١٤٠٤هـ]، والمنهاج لشعب الإيمان للحليمي

(٢٠٧/١) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٦هـ].

وقوله تعالى: ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ﴾ [الأنعام]؛ أي: له الحكم وحده لا شريك له لكمال علمه وحفظه لأعمالهم^(٥).

- وأما اسمه تعالى: (الحاكم) فقد ورد في القرآن بصيغة الجمع في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ أَكْهَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود].

وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين].

❁ أقوال أهل العلم:

قال الطبري في قوله تعالى: ﴿أَفْغَيْرَ﴾ اللَّهُ أَتَبَغَى حَكَمًا: «أي: قل: فليس لي أن أتعدى حكمه وأتجاوزَه؛ لأنه لا حَكَمَ أعدل منه، ولا قائل أصدق منه»^(٦).

وقال الزجاج: «فالله تعالى هو الحاكم وهو الحكم بين الخلق؛ لأنه الحكم في الآخرة ولا حكم غيره،

إلى غير ذلك، فهو سبحانه الحكم بين العباد في الدنيا والآخرة، في الظاهر والباطن»^(١).

❁ الأدلة:

ورد وصف الله تعالى بالحكم في القرآن والسنة، وأنه هو الذي يحكم بين عباده، وإليه الحكم في نصوص كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿أَفْغَيْرَ اللَّهِ أَتَبَغَى حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

ومن السنة: حديث شريح؛ أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه، سمعهم يكتفون بأبي الحكم، فقال له ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ»^(٢).

قال الشيخ ابن عثيمين: «وفي الحديث دليل على أن من أسمائه تعالى: الْحَكَمُ»^(٣).

ومنها: قوله تعالى: ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص] قال الطبري: «يقول: له الحكم بين خلقه دون غيره، ليس لأحد غيره معه فيهم حكم»^(٤).

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٤٤٠) [دار الصحابة، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٩٥٥)، والنسائي (كتاب آداب القضاة، رقم ٥٣٨٧)، وابن حبان (كتاب البر والإحسان، رقم ٥٠٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٣٦).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/ ٢٤) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٦٤٣).

(٥) تفسير السعدي (٢٥٩).

(٦) تفسير الطبري (١٢/ ٦٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

الأول: الحكم الشرعي الديني، فهذا حقه أن يتلقى بالمسالمة والتسليم وترك المنازعة بل بالانقياد المحض، وهذا تسليم العبودية المحضة فلا يعارض بذوق ولا وجد ولا سياسة ولا قياس ولا تقليد ولا يرى إلى خلافه سبيلاً البتة، وإنما هو الانقياد المحض والتسليم والإذعان والقبول. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُونَ﴾ [المائدة].

والثاني: الحكم الكوني القدري الذي يجري على العبد بغير اختياره، ولا طاقة له بدفعه، ولا حيلة له في منازعته، فهذا حقه أن يتلقى بالاستسلام والمسالمة وترك المخاصمة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَتْرَجَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَيْ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف].

والثالث: الحكم الكوني الذي للعبد فيه كسب واختيار وإرادة والذي إذا حكم به يسخطه ويبغضه ويذم عليه، فهذا حقه أن ينازع ويدافع بكل ممكن ولا يسالم البتة؛ بل ينازع بالحكم الكوني أيضاً، فينازع حكم الحق بالحق للحق فيدافع به وله^(٦).

والحكام في الدنيا إنما يستفيدون الحكم من قبله، تعالى علواً كبيراً^(١).

وقال سليمان بن عبد الله: «أما الحكم فهو من أسمائه تبارك وتعالى»^(٢).

وقال السعدي في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾: «أحاكم إليه، وأنقيد بأوامره ونواهيه. فإن غير الله محكوم عليه لا حاكم. وكل تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل على النقص، والعيب، والجور، وإنما الذي يجب أن يتخذ حاكماً، فهو الله وحده لا شريك له، الذي له الخلق والأمر»^(٣).

وقال السعدي أيضاً: «ومن أسمائه: الحكم العدل الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة»^(٤).

قال ابن عثيمين: «وفي الحديث دليل على أن من أسمائه تعالى: الحكم»^(٥).

المسائل المتعلقة:

١- المسألة الأولى: أقسام حكم الله ﷻ:

ذكر ابن القيم وغيره أن لحكم الله ﷻ على العبد ثلاثة أقسام:

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٤٤) [دار الثقافة العربية، ط ١٩٧٤م].

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص ٥٥٦).

(٣) تفسير السعدي (٢٧٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٤) تفسير السعدي (٦٢٧/٥).

(٥) القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/ ٢٤) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٦) انظر: طريق الهجرتين (٦٦ - ٦٩) [دار ابن القيم، =

- المسألة الثانية: أحكم الحاكمين:

ومما ورد ذكره في أوصاف الله تعالى: ﴿أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾ (٤٥)، وهو من الأسماء المضافة الوارد في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾ (٤٥)، وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَكَمِينَ﴾ (٨).

قال الشنقيطي: «وأحكم الحاكمين، قيل: أفعل تفضيل من الحكم؛ أي: أعدل الحاكمين كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ حَدًّا﴾ (٤٩) [الكهف]، وقيل: من الحكمة؛ أي: في الصنع والإتقان والخلق، فيكون اللفظ مشتركاً، ولا يبعد أن يكون من المعنيين معاً، وإن كان هو في الحكم أظهر؛ لأن الحكيم من الحكمة يجمع على الحكماء» (١).

ومعناه: أن الله أحكم الحاكمين بالحق، فلا أحكم منه ولا أعدل ولا أفضل حكماً ولا أقدر على الحكم سواه، ومفاد ذلك مرجعية الحكم إليه وحده لا شريك له.

- المسألة الثالثة: خير الحاكمين:

ومن أوصافه ﷺ: ﴿خَيْرُ الْحَكَمِينَ﴾ (٨٧)، وهو من الأوصاف المضافة الوارد

في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَكَمِينَ﴾ (٨٧) [الأعراف]، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَكَمِينَ﴾ (١٠٩) [يونس].

ومعنى: خير الحاكمين؛ أي: خير من يفصل وأعدل من يقضي؛ لأنه لا يقع في حكمه ميل إلى أحد، ولا محاباة لأحد (٢).

وقد أطلق بعض أهل العلم هذين الوصفين ﴿أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾ (٤٥)، و﴿خَيْرُ الْحَكَمِينَ﴾ (٨٧) على الله ﷻ اسماً، كما في جمع ابن منده (٣) وابن الوزير (٤)، وفي ثبوتهما ضمن أسماء الله الحسنى نظر، وذلك لعدم توفر شرط الإطلاق فيهما، وقد بين أهل العلم ممن ألفوا في باب الأسماء أن من شرط الأسماء الحسنى صحة الإطلاق، وذلك بأن يرد الاسم في النص مفرداً مطلقاً دون إضافة متعلق أو قيد أو قرينة ظاهرة تحد من الإطلاق، بحيث يفيد المدح والثناء على الله بنفسه؛ لأن الإضافة والتقييد يحدان من إطلاق الحسن والكمال على قدر ما أضيف إليه الاسم أو قيد به،

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/٥٦١).

(٣) كتاب التوحيد لابن منده (٢/٢٠٤) [مطابع الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٠٩هـ].

(٤) إيشار الحق على الخلق لابن الوزير (١٥٩) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٧م].

= ط٢، ١٤١٤هـ، مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/٤١٢) - (٤١٣) [دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ].

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٩/١٠ - ١١) [دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ].

تعداد الأسماء في حديث أبي هريرة لم تصح، ورواية ابن خزيمة التي أدرج فيها اسم الحاكم مخالفة للرواية الأخرى، قال ابن حجر: «ووقع في صحيح ابن خزيمة في رواية صفوان أيضًا مخالفة في بعض الأسماء، قال الحاكم بدل الحكيم، والقريب بدل الرقيب، والمولى بدل الوالي، والأحد بدل المغني»^(٥).

❁ الفرق:

الفرق بين الحكم والحاكم:

أن الحكم يقتضي أنه أهل لأن يُحاكم إليه، والحاكم الذي من شأنه أن يحكم، فالوصف بحكم أكثر مدحًا؛ وذلك أن (حاكم) اسم فاعل جار على الفعل فقد يحكم الحاكم بغير الصواب، أما (حكم) فصفة مشبهة دالة على الثبوت^(٦)، لكنهما في حق الله ﷻ يدلان على كمال المدح والثناء وأن الله ﷻ أهل للحكم وإليه الحكم كله.

الفرق بين أحكم الحاكمين وخير الحاكمين:

هو أن أحكم الحاكمين يقتضي أن الله ﷻ أعدل وأفضل من حكم، وأقدر على الحكم من كل حاكم، وخير

وهذان الاسمان مقيدان بالمقارنة وأفعال التفضيل، وعليه فإن ﴿أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾^(٧) و﴿خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(٨) أوصاف من الحكم أو من الحكمة، لكنها أضيفت إلى الحاكمين فكان ذلك يقتضي إثبات الصفة لا الاسم، والله تعالى أعلم^(٩).

- المسألة الرابعة: إطلاق اسم: (الحاكم) على الله تعالى:

سبق بيان أن الحاكم لم يرد في القرآن والسنة الصحيحة التسمية بذلك، وقد أطلق بعض أهل العلم هذا الاسم على الله ﷻ، ومنهم: أبو منصور الأزهري، حيث قال: «ومن صفات الله: الحكم، والحكيم، والحاكم، وهو أحكم الحاكمين، ومعاني هذه الأسماء متقاربة»^(١٠).

وذكره في الأسماء الحسنى ابن الوزير في إيثار الحق^(١١). كما أطلقه من المؤلفين الحمود^(١٢).

ولعل هذا الإطلاق بسبب أنه ورد في طريق من طرق حديث أبي هريرة إطلاقه، وهي رواية ابن خزيمة، إلا أن

(١) انظر: أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة لمحمود عبد الرزاق، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٥٠) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٢) تهذيب اللغة (٦٩/٤).

(٣) انظر: إيثار الحق على الخلق (١٥٩).

(٤) انظر: النهج الأسامي (٢٢٥/١) [مكتبة الإمام الذهبي، ط ١، ١٤١٣هـ].

(٥) فتح الباري (٢١٦/١١) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٦) معجم الفرق اللغوية للعسكري (١٩٥) [مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، ١٤١٢هـ].

وإن كان على نفسه كما قال تعالى: ﴿كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] ^(١).

مذهب المخالفين:

خالف في هذا الاسم الجهمية والمعتزلة، فالجهمية لا يثبتون لله أي اسم؛ لا حكماً ولا حاكماً ولا غيرهما، فالله عندهم لا يسمى بشيء، وذلك لظنهم أن إثبات الأسماء يلزم منه التشبيه، والمعتزلة أثبتوا الأسماء مجردة عن الصفات، فالله عندهم حاكم بلا حكم كما أنه عالم بلا علم، وقادر بلا قدرة وحي بلا حياة... إلخ ^(٢).

الرد عليهم ^(٣):

١ - أن الله تعالى وصف أسمائه بأنها حسنى، وأمرنا بدعائه بها، وهذا يقتضي أن تكون دالة على معاني عظيمة تكون وسيلة لنا في دعائنا، فلو كانت أعلاماً

الحاكمين يقتضي أنه خير من كل من حكم وأفضل من كل من حكم على الإطلاق.

ثمرات:

١ - يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا حكم إلا الله تعالى وحده، وأن كل أفعاله أحكام وقضايا، وكل أقواله حكم ووصايا.

٢ - أن حكم الله ﷻ قد نطق به أنبياءه ورسله، لهذا لم يفوض تبارك وتعالى الحكم إلى أحد غيره سوى رسله ﷺ؛ لأنهم الناطقون بحكمه، والمبلغون لحكمه بين عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

٣ - ويجب على كل مسلم إذا دُعي إلى حكم الله تعالى أن يجيب إلى ذلك، وينقاد لحكم الله تعالى عليه، فإن فعل ذلك كان من المفلحين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور].

٤ - ويجب على الحكام أن لا يتعدوا حكم الله الذي شرعه لهم ونصبه فصلاً بين عباده، وأن يحكم الحاكم بالحق،

(١) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٤٤٠ - ٤٤١) [دار الصحابة، ١٥، ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٢٣٥) [مكتبة التخصصية المصرية، ط ٣، ١٣٨٩هـ]، ومجموع الفتاوى (٣٤/ ٣٥ - ٣٦) [دار الوفاء، ط ٣، ١٣٢٦هـ]، ومنهاج السنة النبوية (٢/ ٥٢٦) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٣) انظر: تقريب التدمرية لابن عثيمين (٢٩، ٣١) [دار الوطن، ١٤٢٤هـ].

- محضة لكانت غير دالة على معنى سوى تعيين المسمى، فضلاً أن تكون حسنى ووسيلة في الدعاء.
- ٢ - أن الله تعالى يسمي نفسه باسمين أو أكثر في موضع واحد؛ كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر]، فلو كانت الأسماء مترادفة ترادفًا محضًا لكان ذكرها مجتمعة لغوًا من القول لعدم الفائدة.
- ٣ - أن الاتفاق في الاسم العام لا يقتضي تماثل المسميات في ذلك الاسم عند الإضافة والتقييد والتخصيص، فما سَمَّى الله به نفسه اختص به عند الإضافة، وكذلك ما تسمى به العبد اختص به^(١).

حُكْم المبتدع

يراجع مصطلح (البدعة).

الحُكْم بغير ما أنزل الله

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الحاء والكاف والميم أصل واحد هو المنع»^(٢). وقال الراغب الأصفهاني: «حَكَمَ: أصله منع منعًا لإصلاح، ومنه سميت اللجام: حكمة الدابة، فقليل: حَكَمْتَهُ وَحَكَمْتُ الدابة: منعتها بالحكمة، وأحكمتها جعلتُ لها حكمة»^(٣). وقال الفيومي: «والحكم القضاء، وأصله المنع، يقال:

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٢ - «إيثار الحق على الخلق»، لابن الوزير.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٩١) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (١/ ٢٥١) [دار القلم].

(١) انظر: التدمرية لابن تيمية (٢٠ - ٢١) [مكتبة العبيكان، ٨، ١٤٢٤هـ].

❁ الحقيقة:

التحاكم لغير ما أنزل الله حقيقته أنه ليس في درجة واحدة فقد يكون في باب المعاملات والحدود. وقد يكون في التحاكم إلى دستور كامل في أمور كفرية صريحة مثل حرية الدين والمساواة بين المسلمين وغيرهم.

❁ الأدلة:

قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة]، وقال ﷻ: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء]، وغير ذلك من الآيات.

ومن السنة: حديث شريح بن هانئ عن أبيه: «أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله ﷺ، فقال: «إن الله هو الحكم، وإليه الحكم، فلم تكني أبا الحكم؟» فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، فقال رسول الله ﷺ: «ما

حكمت عليه بكذا إذا منعه من خلافه فلم يقدر على الخروج من ذلك، وحكمت بين القوم فصلت بينهم فأنا حاكم»^(١)، ويقول العرب أيضًا: حكمت وأحكمت وحكمت بمعنى منعت ورددت، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس: حاكم؛ لأنه يمنع الظالم من الظلم»^(٢). ويطلق لفظ: (الحكم) في القرآن على معان عدة، منها: الفقه، والحكمة، والفصل، والقضاء، والموعظة، والفهم، والعلم، والنبوة، وحسن التأويل، والأمر الشرعي.

❁ التعريف شرعًا:

الحكم بغير ما أنزل الله هو: عدم تحاكم الناس إلى الشرع، سواء كان في كل ما شَجَرَ بينهم، في أمر دينهم ودنياهم، أو في بعضه.

❁ الحكم:

لقد حرّم الله تعالى الحكم بغير شرعه وسمّى ذلك كفرًا وظلمًا وفسقًا، والحاكم بغير ما أنزل الله أخلّ بطاعة الله وحادّ عن الانقياد له، وكل حاكم مفروض عليه أن يحكم بشرع الله المنزل على نبيه ﷺ، ومن حكّم بغير ما أنزل الله فهو كافر، أو ظالم، أو فاسق. بحسب ما سيأتي في الأقسام.

(١) المصباح المنير (١/١٤٥) [المكتبة العلمية].

(٢) تهذيب اللغة (٤/٦٩) [دار إحياء التراث العربي، ط١].

بالسنيين، وشدة المؤونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله، وعهد رسوله، إلا سَلَطَ الله عليهم عدوًّا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ مَعْقِبًا على ما ذكره من النصوص التي أمرت الرسول ﷺ وغيره بالحكم بما أنزل الله: «وأمره أن يحكم بما أنزل الله، وحذره أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله، وأخبره أن ذلك هو حُكْمُ الله، ومن ابتغى غيره فقد ابتغى حكم الجاهلية، وقال: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾» [المائدة]. ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلًا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر؛ فإنه ما من أمة إلا

أحسن هذا، فما لك من الولد؟» قال: لي شريح، ومسلم، وعبد الله، قال: «فمن أكبرهم؟» قلت: شريح، قال: «فأنت أبو شريح»^(١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أن النبي ﷺ قال: «خمس بخمس: ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنيين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر»^(٢). وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ، فقال: «يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤٥/١١) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وقال المنذري: «سند قريب من الحسن، وله شواهد». الترغيب والترهيب (٣١٠/١) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٧/١)، رقم (٧٦٥) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤٥/١١) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٥/٣) [مكتبة القدسي]: «فيه إسحاق بن عبد الله بن كيسان، لينه الحاكم، وبقية رجاله موثقون، وفيهم كلام»، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٧/١)، رقم (٧٦٥) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠١٩)، وأبو نعيم في الحلية (٣٣٤/٨) [دار السعادة، ١٣٩٤هـ]، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٦٢٣) وصححه، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ١٠٦) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٥هـ].

وظاهراً، لكن عصى واتبع هواه، فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة.

وهذه الآية مما يحتج بها الخوارج على تكفير ولاية الأمر الذين لا يحكمون بما أنزل الله، ثم يزعمون أن اعتقادهم هو حكم الله. وقد تكلم الناس بما يطول ذكره هنا، وما ذكرته يدل عليه سياق الآية.

والمقصود: أن الحكم بالعدل واجب مطلقاً، في كل زمان ومكان على كل أحد ولكل أحد، والحكم بما أنزل الله على محمد ﷺ هو عدل خاص، وهو أكمل أنواع العدل وأحسنها، والحكم به واجب على النبي ﷺ وكل من اتبعه، ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر. وهذا واجب على الأمة في كل ما تنازعت فيه من الأمور الاعتقادية والعملية^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: «وهذا تأويل ابن عباس وعامة الصحابة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾» [المائدة] قال ابن عباس: ليس بكفر ينقل عن الملة؛ بل إذا فعله فهو به كفر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر^(٢)، وكذلك

وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم؛ بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله ﷻ؛ كسوالف البادية، وكأوامر المطاعين فيهم، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة. وهذا هو الكفر؛ فإن كثيراً من الناس أسلموا، ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية لهم التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك؛ بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار، وإلا كانوا جهالاً، كمن تقدم أمرهم.

وقد أمر الله المسلمين كلهم إذا تنازعوا في شيء أن يردوه إلى الله والرسول، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء]. فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزماً لحكم الله ورسوله باطناً

(١) منهاج السنة النبوية (١٣١/٥) [جامعة الإمام، ١٤٠٦].

(٢) أخرج هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما بعدة ألفاظ:

الطبري في تفسيره (٣٥٦/١٠) [مؤسسة الرسالة،

ط١]، وابن أبي حاتم في تفسيره (١١٤٣/٤) [مكتبة =

اعتقد أنه غير واجب، وأنه مخير فيه، مع تيقُّنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر، وإن جهله وأخطأه فهذا مخطئ، له حكم المخطئين»^(١).

وقال ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «والحاكم بغير ما أنزل الله يختلف، فقد يحكم بغير ما أنزل الله ويعتقد أنه يجوز له ذلك، أو أنه أفضل من حكم الله، أو أنه مساو لحكم الله، هذا كفر، وقد يحكم وهو يعرف أنه عاص ولكنّه يحكم لأجل أسباب كثيرة، إما رشوة، وإما لأن الجند الذي عنده يطيعونه، أو لأسباب أخرى، هذا ما يكفر بذلك مثل ما قال ابن عباس: كفر دون كفر وظلم دون ظلم. أما إذا استحل ذلك ورأى أنه يجوز الحكم بالقوانين وأنها أفضل من حكم الله، أو مثل حكم الله، أو أنها جائزة، يكون عمله هذا ردة عن الإسلام حتى لو كان ليس بحاكم، حتى لو هو من أحد أفراد الناس»^(٢).

وقال أيضًا: «فإذا سنَّ قانونًا يتضمن أنه لا حدّ على الزاني أو لا حدّ على السارق أو لا حدّ على شارب الخمر، فهذا قانون باطل، وإذا استحله الوالي كفر»^(٣).

قال طاوس، وقال عطاء: هو كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق. ومنهم من تأول الآية على ترك الحكم بما أنزل الله جاحدًا له، وهو قول عكرمة، وهو تأويل مرجوح، فإن نفس جحوده كفر، سواء حكم أو لم يحكم. ومنهم من تأولها على ترك الحكم بجميع ما أنزل الله، قال: ويدخل في ذلك الحكم بالتوحيد والإسلام، وهذا تأويل عبد العزيز الكناني، وهو أيضًا بعيد، إذ الوعيد على نفي الحكم بالمنزل، وهو يتناول تعطيل الحكم بجميعة وبيعه. ومنهم من تأولها على الحكم بمخالفة النص، تعمّدًا من غير جهل به ولا خطأ في التأويل، حكاة البغوي عن العلماء عموماً. ومنهم من تأولها على أهل الكتاب، وهو قول قتادة، والضحاك وغيرهما، وهو بعيد، وهو خلاف ظاهر اللفظ، فلا يصار إليه. ومنهم من جعله كفرًا ينقل عن الملة.

والصحيح: أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكافرين، الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعدل عنه عصيَانًا، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا كفر أصغر، وإن

(١) مدارج السالكين (١/٣٤٥ - ٣٥٦) [دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ].

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٢٨/٢٧٠ - ٢٧١).

(٣) المصدر السابق (٧/١١٩ - ١٢٠).

= [الباز، ط ٣]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٢١٩) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٣/٦).

❁ الأقسام:

ينقسم الحكم بغير ما أنزل الله إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الحكم بغير ما أنزل الله كفر مخرج عن الملة، كمن جحد أحقية حكم الله ورسوله، أو استحل الحكم بغير ما أنزل الله.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى (الياساق)^(١) وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين»^(٢).

القسم الثاني: الحكم بغير ما أنزل الله كفر غير مخرج عن الملة. وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله، مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى؛ فهذا معصية عظمى لا يكون كالقسم الأول. يقول ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ: «إِنْ حَكَمَ بِمَا عِنْدَهُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؛ فَهُوَ تَبْدِيلُ لَهُ يُوجِبُ الْكُفْرَ، وَإِنْ حَكَمَ بِهِ هَوَى

(١) الياساق أو الياسا: هو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنية شرعاً متبعاً، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسُنَّةِ رسوله ﷺ. تفسير ابن كثير (١٣١/٣).

(٢) البداية والنهاية (١٧/١٦٢ - ١٦٣) [دار هجر، ط ١].

ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السُّنَّة في الغفران للمذنبين»^(٣).

القسم الثالث: من حكم بدستور كامل كما هو الحال في الدساتير الغربية المتضمنة لأمر كفريه صريحة؛ كحرية الأديان والمساواة بين الإسلام والكفر، وليس المقصود التحاكم في أمور معينة من المعاملات والحدود فهذا كفر، وعلى هذا يحمل كلام ابن كثير السابق، وكذا كلامه في التفسير: «ومن فعل ذلك منهم فهو كافر ويجب قتاله»^(٤).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم تكفير المعين الذي لم يحكم بما أنزل الله - كما في الحالة التي في القسم الأول -:

لا بد! أن يُعلم: أن من وقع في شيء من المكفرات لا يلزم منه كفره، إلا بعد أن تُقام عليه الحجة، وذلك يكون بتحقيق شروط التكفير وانتفاء موانعه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط؛ حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة. ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزُلْ ذلك عنه بالشك؛

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (١٢٧/٢)، وانظر: أضواء البيان (١/٤٠٧)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٢٦٨).

(٤) تفسير ابن كثير (١٣١/٣).

بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة»^(١).

المجمع عليها فهو يكفر بذلك^(٣).

❁ الآثار:

من آثار الحكم بغير ما أنزل الله:

- تغيير حال الدولة إلى الضنك والشقاء.

- وقوع البأس الشديد بين من لم يحكم بما أنزل الله.

- خذلان الله وعدم نصرته لمن لم يحكم بشرعه.

- فشو الفقر فيهم.

- فقدان الأمن وإثارة الفوضى والانقلاب على الأحكام الوضعية؛ لأنها من وضع البشر.

- انتشار المبادئ والمعتقدات والأفكار الهدامة.

- استحقاق غضب الله وسخطه وحلول عقابه بمن خالف أمره ونهيه وتحاكم إلى غير شرعه^(٤).

❁ المصادر والمراجع:

١ - «البرهان والدليل على كفر من حكم بغير التنزيل»، لأحمد بن ناصر غنيم.

٢ - «تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن»، لإسماعيل بن إبراهيم الإسعدي.

- المسألة الثانية: المراد بقوله

تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾...

دلّت الآية الكريمة على أن تحكيم الشرع فرض على الناس، وذلك في كل ما شَجَرَ بينهم، في أمر دينهم ودنياهم، في أصول دينهم وفروعه، وعليهم كلهم إذا حكم بشيء، ألا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما حكم، ويسلموا تسليمًا، وأن من ترك التحاكم إلى الشرع كان من أهل الوعيد، لم يكن قد أتى بالإيمان الواجب الذي وعد أهله بدخول الجنة بلا عذاب، فإن الله إنما وعد بذلك من فعل ما أمر به، وأما من فعل بعض الواجبات وترك بعضها، فهو معرض للوعيد^(٢).

- المسألة الثالثة: حكم سنّ القوانين المخالفة للشرع:

القوانين التي تخالف الشرع لا يجوز سنّها، فإذا سنّ مثلاً قانونًا يتضمن أنه لا حدّ على الزاني، أو لا حدّ على السارق، أو لا حدّ على شارب الخمر، فهذا قانون باطل، وصاحبه من أهل الوعيد، وإذا استحلّه كفر، لكونه استحل ما يخالف النص والإجماع، وهكذا كل من استحل ما حرّم الله من المحرمات

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (١١٩/٧ - ١٢٠).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٨٨/٣٥).

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٦٦/١٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٣٧/٧).

٣ - «الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه»، لعبد الرحمن المحمود.

٤ - «الحكم بغير ما أنزل الله مناقشة تأصيلية علمية هادئة»، لبندر العتيبي.

٥ - «الحكم والتحاكم في خطاب الوحي»، لعبد العزيز مصطفى كامل.

٦ - «رسالة في تحكيم القوانين»، لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ.

٦ - «شبهات حول السُّنة»، و«رسالة: الحكم بغير ما أنزل الله»، لعبد الرزاق عفيفي.

٧ - «فتنة التكفير والحكم بغير ما أنزل الله»، للألباني.

٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣، ٧)، لابن تيمية.

٩ - «وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في كل عصر»، لصالح بن غانم السدلان.

١٠ - «وجوب تحكيم شرع الله»، لابن باز.

✽ التعريف شرعاً:

هي الغاية التي يفعل لأجلها، وتكون هي المطلوبة بالفعل، ويكون وجودها أولى من عدمها^(٣).

وقيل: الغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته، وهي ما تنتهي إليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة^(٤).

✽ الأسماء الأخرى:

يطلق على الحكمة: العلة، والعلة الغائية، والغاية والقصد.

✽ الحكم:

الحكمة: ثابتة في أفعال الله ﷻ

(١) مقاييس اللغة (٩١/٢) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: لسان العرب (١٤٠/١٢) [دار صادر، ط ٣].

وتاج العروس (٥١٢/٣١) [دار الهداية]، والمعجم

الوسيط (١٩٠/١) [دار الدعوة].

(٣) مدارج السالكين (٣/٣٤٠).

(٤) مجموع الفتاوى (١٩/٣).

✽ الحكمة

✽ التعريف لغةً:

الحكمة: من (حَكَمَ)؛ قال ابن فارس: «الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع. وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم. وسميت حكمة الدابة؛ لأنها تمنعها، يقال: حكمت

ولها وجود، خلافاً للنفاة الذين يقولون:
إن الحكمة نتيجة للفعل، وهي أثر من
آثاره، وليست مقصودة له.

٢ - يعود على الله تعالى منها حكم،
وتتعلق به تعالى، كما يعود على عباده
منها حكم، خلافاً للقدرية.

٣ - أنها حكمة في الأفعال وفي
المخلوقات وفي المأمورات^(٣).

الأدلة:

وصف الله ﷻ نفسه بالحكمة: قال
تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٢٤] [الحشر]،
وقال: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [١٠٠] [يوسف].

التصريح بلفظ الحكمة وما تصرف منه:
قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ [القمر: ٥]،
وقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ
الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:
٢٦٩]، وقال: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ
مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩].

إخباره أنه فعل كذا لكذا، وأنه أمر
بكذا لكذا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا
خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦]
[الذاريات]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ

وأمره ونهيه، فهو الحكيم سبحانه، وهو
يأمر ويخلق لذلك، ويجب إثبات ذلك
له ﷻ كما هو مذهب أهل السنة، وهو
ما دلّت عليه الأدلة^(١).

المنزلة:

هذه المسألة عظيمة، ذات شعب
عديدة؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية:
«هذه المسألة كبيرة، من أجل المسائل
الكبار، التي تكلم الناس فيها، وأعظمها
شعوباً وفروعاً، وأكثرها شبهاً
ومحارات؛ فإن له تعلقاً بصفات الله
وبأسمائه، وأفعاله، وأحكامه، والأمر
والنهي، والوعد والوعيد، وهي داخلة
في خلقه وأمره، فكل ما في الوجود
متعلق بهذه المسألة، فإن المخلوقات
جميعها متعلقة بها، وهي متعلقة بالخالق
سبحانه، وكذلك الشرائع كلها، الأمر
والنهي، والوعد والوعيد متعلقة بها،
وهي متعلقة بمسائل القدر والأمر،
وبمسائل الصفات والأفعال، وهذه
جوامع علوم الناس»^(٢).

الحقيقة:

تتضح حقيقة الحكمة لله ﷻ بما يأتي:
١ - أنها حكمة مقصودة من الفعل،
وليست مترتبة عليه؛ بل سابقة لوجودها

(١) مجموع الفتاوى (٨/٣٥ - ٣٧، ٣٧٧)، ومنهاج
السنة (١/١٤١، ٤٥٥) (٣/١٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٨١٩).

(٣) جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح الإيمان
بالقدر (٢/١٠٩٦).

والأمر، وهذا قول جمهور أهل الإسلام وأكثر طوائف النظار وهو قول الفقهاء قاطبة؛ إلا من خلى الفقه ناحية وتكلم بأصول النفاة فعادى فقهه أصول دينه»^(٤).

❁ الأقسام:

الحكمة لله ﷻ ثابتة في فعله وخلقه وأمره، والحكمة: صفة من صفاته ﷻ فهو الحكيم، وأهل العلم يقسمون حكمة الله ﷻ إلى قسمين:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وكل ما خلقه الله فله فيه حكمة كما قال: ﴿صُنِعَ اللَّهُ أَلَدَىٰ أُنْقَنَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال: ﴿أَلَدَىٰ أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧]، وهو سبحانه غني عن العالمين. فالحكمة تتضمن شيئين:

أحدهما: حكمة تعود إليه يحبها ويرضاها.

والثاني: إلى عبادِهِ هي نعمة عليهم يفرحون بها ويلتذنون بها؛ وهذا في المأمورات وفي المخلوقات»^(٥).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: وصف الحكمة بالغرض:

لفظ الغرض لفظ يعبر به أهل الكلام،

بَيِّنْهُمْ لِنَعْمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٣٠﴾ [الطلاق]، وقوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء].

❁ أقوال أهل العلم:

قال قتادة رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَقِيرُ﴾ ﴿١٣٨﴾: «حَكِيمٌ فِي أَمْرِهِ خَبِيرٌ بَخْلَقِهِ»^(١).

وقال الطبري: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨]: «فِي تَدْبِيرِهِ فِي خَلْقِهِ، وَفِي تَصْرِيفِهِ إِيَّاهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِ عَلَيْهِ» ﴿١٣٨﴾ بعواقب تدبيره إياهم، وما إليه صائرة أمرهم من خير وشر»^(٢).

وقال الذهبي: «وقال جمهور السُّنَّة: بل هو حكيم في خلقه وأمره»^(٣).

وقال ابن القيم بعد أن ذكر المنكرين للحكمة وتهافت قولهم أمام البرهان الواضح البين قال: «إنه سبحانه يفعل بمشيئته وقدرته وإرادته، ويفعل ما يفعله بأسباب وحكم وغايات محمودة، وقد أودع العالم من القوى والطبائع والغرائز والأسباب والمسببات ما به قام الخلق

(٤) شفاء العليل (٣٤٣، ٣٤٤)، وانظر: النبوات (١/ ٢٥٠)، ومجموع الفتاوى (١٩/٣)، ومنهاج السُّنَّة (١٤١/١).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٦/٨).

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بَطَّة (٢/ ٢١٩) [دار الراجية، ٢، ١٤١٨هـ].

(٢) تفسير الطبري (١١٨/١٢) [مؤسسة الرسالة، ١].

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي (٣٦).

وأهل السُّنة يتجنبونه؛ لأنه يشعر بالحاجة ولم يعبر به الشارع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما لفظ الغرض فالمعتزلة تصرح به... وأما الفقهاء ونحوهم فهذا اللفظ يشعر عندهم بنوع من النقص: إما ظلم وإما حاجة، فإن كثيراً من الناس إذا قال: فلان له غرض في هذا، أو فعل هذا لغرضه، أرادوا أنه فعله لهواه ومراده المذموم، والله منزّه عن ذلك. فعبر أهل السُّنة بلفظ الحكمة والرحمة والإرادة ونحو ذلك مما جاء به النص»^(١).

وقال: «وأما لفظ: (الغرض) فتطلقه طائفة من أهل الكلام كالتفديرية. وطائفة من المثبتين للقدر أيضاً يقولون: إنه يفعل لغرض، كما ذكر ذلك من يذكره من مثبتة القدر: أهل التفسير والفقهاء وغيرهم. ولكن الغالب على الفقهاء وغيرهم من المثبتين للقدر أنهم لا يطلقون لفظ: (الغرض) وإن أطلقوا لفظ الحكمة لما فيه من إيهاً الظلم والحاجة، فإن الناس إذا قالوا: فلان فعل هذا لغرض، وفلان له غرض مع فلان، كثيراً ما يعنون بذلك المراد المذموم من ظلم وفاحشة أو غيرهما، والله تعالى منزّه عن أن يريد ما يكون مذموماً بإرادته»^(٢).

(١) منهاج السُّنة النبوية (١/٤٥٥).

(٢) منهاج السُّنة النبوية (٢/٣١٤).

المسألة الثانية: السؤال عن الحكمة:

طلب معرفة الحكمة جائز في الشرع؛ فإن كان منصوفاً عليها في الشرع فيجب القول بها، وإن لم ينص عليها فيجوز السعي إلى معرفتها بدون تكلف، ولا يرتبط بمعرفتها الامتثال للأمر الشرعي.

والسؤال عن الحكمة جائز لكن لا يجب معرفتها كما حكى الله ﷻ ذلك عن الملائكة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة]. فالملائكة سألوا عن حكمة خلق بني آدم مع ما سيحدث منهم من سفك للدماء وإفساد، فلم يخبرهم الله ﷻ بها وأخبرهم بإحاطته بكل شيء علماً.

«والعباد متفاوتون في معرفة حكمة الرب، كلما ازداد العبد علماً بحقائق الأمور؛ ازداد علماً بحكمة الله وعذله، ورحمته وقدرته، وإذا علم العبد؛ من حيث الجملة، أن الله فيما خلقه وأمر به حكمة عظيمة؛ كفاه هذا، وكلما ازداد علماً وإيماناً ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يبهّر عقله، ويبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه حيث قال: ﴿سَرِّبْهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ

والفرق بين العلة الغائية والعلة الفاعلية من حيث الوجود أن العلة الغائية متقدمة في التصور والإرادة والعلة الفاعلية متأخرة في الوجود^(٥).

حَتَّى يَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٢﴾ [فصلت: ١٠٣].

❁ الفرق:

وعليه؛ يتبين أن العلة الفاعلية هي السبب، والعلة الغائية هي الحكمة فلا فرق بين العلة الغائية والحكمة.

الفرق بين العلة والحكمة:

العلة يعبر بها عما لأجله يفعل الفعل؛ فيقال: فعل الفعل لعل كذا أو لم يفعل لعل كذا^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

المخالفون في إثبات الحكمة لله ﷻ على الوجه الصحيح طائفتان:

الطائفة الأولى: المعتزلة: أثبت المعتزلة أن أفعال الله ﷻ معللة ولها حكمة، وأن الله ﷻ لا يفعل إلا لحكمة، إلا أنهم يقولون: إن الحكمة تعود إلى الخلق وليس هناك حكمة تعود إلى الخالق؛ لأنهم ينكرون صفات الله ﷻ ويزعمون أن الله لا يوصف بالإرادة بل له إرادة مخلوقة ولا يقوم به وصف يسمى الإرادة، وإنما إرادته للشيء هو وجوده^(٦). وينصون على أن الحكمة من إيجاد الخلق هي نفعهم. قال الأشعري: «وأجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه خلق عباده لينفعهم لا ليضرهم، وأن ما كان من الخلق غير مكلف فإنما خلقه لينتفع به المكلف ممن خلق وليكون عبرة

والعلة نوعان: علة غائية وعلة فاعلية. فالعلة الفاعلية هي جميع الأمور المعتمدة في وجود الفعل، وهي المقتضى التام لوجود الفعل، أو هي سبب وجود الفعل^(٣).

والعلة الغائية أو الحكمة الغائية هي المقصودة بالفعل؛ التي تصلح أن تكون جواب: (لم)، وهي المقرونة باللام في قول المجيب: لكذا، وهي التي تنصب على المفعول له إذا حذفت اللام بأن تكون العلة مصدرًا فعلاً لفاعل الفعل المعلل ومقارنة له في الزمان؛ كما تقول: فعلت هذا ابتغاء وجه الله ونحو ذلك^(٤).

(١) مجموع الفتاوى (٩٧/٨)، وانظر أيضًا: (٥١٣/٨).

(٢) انظر: المصباح المنير (٧٧/٢)، ولسان العرب (٤٩٥/١٣)، والتعريفات (٢٠١ - ٢٠٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٨٥/٨)، ودرء تعارض العقل والنقل (٣٢٩/١ - ٣٣٠).

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١٩٧/١ - ١٩٨)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٨٧/٨).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٨٤/١٠) و(١٨٧/٨).

(٦) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١٥٢/١) [المكتبة العصرية، ط ١، ١٤١٦هـ].

وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف]، فأبي منفعة لهم وهم سيدخلون النار؟! ومتاع الدنيا قليل مهما كان؛ لا يساوي شيئاً مع عذاب الله؛ بل هو شر عليهم وزادهم إلى النار نسأل الله المعافاة كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّنا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران]، فما يكون لهم في الدنيا من النعيم هو زادهم للعذاب يوم القيامة، نسأل الله المعافاة.

ودعوى المعتزلة أن الله ﷻ خلق الخلق لينفعهم دعوى باطلة، وهي قائمة على النظر العقلي القاصر مع أن الحكمة الربانية لا يمكن معرفتها إلا من خلال النص أو إشاراته الواضحة، ولو نظرنا في كلام الملائكة ﷺ نجد أنهم نظروا إلى مقام العبودية للخالق فلذا استفسروا عن الحكمة من خلق بني آدم مع انتهاكهم لهذا المقام؛ بالإفساد في الأرض وسفك الدماء.

فهذا يبين بطلان دعوى المعتزلة أن الحكمة هي أن الله خلق الخلق لينفعهم، أما إقرارهم بتعليل أفعال الله ﷻ وأن الشرع مبني على مصالح العباد فهو حق.

الطائفة الثانية: نفاة الحكمة

والتعليل، وهم جمهور الأشاعرة، ومن وافقهم من فقهاء المذاهب، نفوا الحكمة

لمن يخلقه ودليلاً^(١). وقال القاضي عبد الجبار: «وتعلم أنه لا يجوز في حكمه أن يمرض أو يسقم إلا لمنفعة، وكل من قال خلاف ذلك فقد جَوَزَ على الله ﷻ الظلم ونسبه إلى السفه»^(٢).

الرد عليهم:

المعتزلة أحسنوا هنا بإثبات الحكمة لله ﷻ فيما يتعلق بأمره وخلقته، ولكنهم أخطؤوا في أمرين:

الأول: إنكارهم الحكمة التي تعود إلى الخالق.

الثاني: زعمهم أن الله ﷻ خلق الخلق لينفعهم، فحصرُوا الحكمة في ذلك، مع أن الحكمة بابها واسع جداً ولا يمكن حصرها بما ذكروا.

ومن أظهرها قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات]، ومنها الابتلاء والامتحان، كما قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، كما أن القول بأن الحكمة هي منفعة العباد يعارضه سؤال كبير، وهو أن أكثر العباد هم من الكفار المستحقين للخلود في النار، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]،

(١) مقالات الإسلاميين (١/١٩٩).

(٢) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٧٠) [مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٨م].

والاستكمال بالغير، وذلك نقص في ذاته ﷺ، وهو ممتنع في حقه ﷺ؛ لأنه ينافي غناه المطلق.

✽ الرد عليهم (٣):

أحدها: قولهم: إن إثبات الحكمة يستلزم أن يكون ناقصًا بذاته: يقال لهم: أتعنون به أنه كان عاديًا شيئًا من الكمال الذي كان يجب أن يكون له قبل حدوث ذلك المراد، أم تعنون به أن يكون عاديًا لما ليس كمالًا قبل وجوده، أم تعنون به معنى ثالثًا؟.

فإن ادعيتم الأول: كان ممنوعًا؛ فالله متصف بالكمال أزلاً وأبدًا، والكمال هو من لوازم ذاته؛ إذ هو الغني الحميد، فلا يفتقر إلى غيره ﷺ، لا في أفعاله، ولا في ذاته، ولا في صفاته.

وإن ادعيتم الثاني: فهو حجة عليكم؛ لأن عدم الشيء في الوقت الذي لم تقتض الحكمة وجوده فيه كمال، كما أن وجوده في وقت اقتضاء الحكمة وجوده فيه كمال، فليس عدم كل شيء نقصًا؛ بل عدم ما يصلح وجوده هو النقص، كما أن وجود ما لا يصلح وجوده نقص، فيكون حينئذٍ نافي الحكمة هو الذي وصف الله تعالى بالنقص لا مثبتها.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤٦/٨)، وشرح الأصبهانية (٤١١)، وشفاء العليل (١٢٧/٢).

والتعليل عن خلق الله وفعله، وزعموا أن الفعل تابع للإرادة، والحكمة هي وقوع الفعل وفق العلم والإرادة، وهذا أصل الجهمية.

يقول ابن تيمية: «وذهب طائفة من أهل الكلام، ونفاة القياس إلى نفي التعليل في خلقه وأمره، وهو قول الأشعري ومن وافقه، وقالوا: ليس في القرآن لام تعليل في فعل الله وأمره، ولا يأمر الله بشيء لحصول مصلحة أو دفع مفسدة؛ بل ما يحصل من مصالح العباد ومفاسدهم بسبب من الأسباب وإنما خلق ذلك عندها، لا أنه يخلق هذا لهذا، ولا هذا لهذا، واعتقدوا أن التعليل يستلزم الحاجة، والاستكمال بالغير، وأنه يفضي إلى التسلسل»^(١).

وللقوم حجج وشبه أشهرها قولهم^(٢): إن التعليل في أمره وخلقته يستلزم الحاجة

(١) مجموع الفتاوى (٣٧٧/٨)، وانظر: المصدر نفسه (٣٨/٨)، وانظر من كتب الأشاعرة: مقالات الأشعري لابن فورك (١٣٠، ١٣٢) [مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، ١٤٢٥هـ]، ونهاية الإقدام للشهرستاني (٣٩٧)، والأربعين في أصول الدين للرازي (١/٣٥٠) [دار القلم، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٢) جمع الرازي حجج القوم وشبههم في هذا الباب في كتابه الأربعين في أصول الدين (١/٣٥٠ - ٣٥٢)، وقد أوصلها إلى خمس حجج، وبعضها قد ذكرها من تقدمه كالباقلاني في كتابه تمهيد الأوائل (٥٠)، وانظر: غاية المرام للأمدى (١٩٧)، وغيرها. وقد أجاب عنها الإمام ابن تيمية في شرح الأصبهانية (٤١٠ - ٤٣٢)، وكذا ابن القيم أجاب عنها بتوسع أكثر في شفاء العليل (١٢٧/٢).

٧ - «القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة»، لعبد الرحمن بن صالح المحمود.

٨ - «جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح الإيمان بالقدر»، لتامر محمد متولي.

❖ الحَكِيم ❖

❖ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحكم وهو المنع من الظلم، وسميت حَكَمَة الدابة؛ لأنها تمنعها، يقال: حكمت الدابة وأحكمتها، ويقال: حكمت السفينة وأحكمتها إذا أخذت على يديه»^(١).

الحَكِيم: فعيل بمعنى مُفْعِل من أحكم الأشياء يُحَكِّمُها؛ أي: يتقنها، فالحكيم هو المحكم للأشياء والملتزم لها^(٢).

❖ التعريف شرعاً:

الحكيم: اسم من أسماء الله تعالى يدل على أن الله ﷻ هو الذي يُحَكِّم الأشياء ويتقنها ويحسن التدبير لها، لا يفعل ولا يقول إلا الصواب^(٣).

(١) مقاييس اللغة (٩١/٢) [دار الجيل].

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٥٢) [دار

الثقافة العربية، ١٩٧٤م].

(٣) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٧٣) [دار المأمون، ط ١، ١٤٠٤هـ]، والمنهاج لشعب الإيمان للحليمي =

الثاني: وهو قولهم: «مستكملاً بغيره» كلام مجمل؛ فإنه يقال لهم: أتعون به أن الحكمة التي يجب وجودها حصلت له من شيء غني عنه، أم تعنون به أن تلك الحكمة نفسها هي الغير، وأنه استكمل بها؟

فإن عنيتم الأول: فهو باطل؛ لأنه لا محدث لشيء من الأشياء إلا هو، فلا رب سواه، ولا خالق سواه، ولم يستفد من أحد غيره شيئاً؛ بل العالم كله إنما استفاد الكمال الذي فيه منه ﷻ.

وإن عنيتم الثاني: فلك الحكمة صفته ﷻ، وصفاته ليست غيراً له؛ فإن حكمته قائمة به، وهو الحكيم الذي له الحكمة، كما أنه العليم الذي له العلم، فثبوت حكمته لا يستلزم استكمال بغير منفصل عنه، كما أن كماله ﷻ بصفاته، وهو لم يستفدها من غيره.

❖ المصادر والمراجع:

١ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

٢ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٣ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

٤ - «الحكمة والتعليل في أفعال الله

تعالى»، لمحمد ربيع هادي المدخلي.

٥ - «الرسالة التدمرية»، لابن تيمية.

٦ - «شرح مراقبي السعود»،

للشنقيطي.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لا يختلف المعنى الشرعي عن المعنى اللغوي؛ حيث جاء الحكيم في كلٍّ منهما بمعنى الإحكام والإتقان، لكن المعنى الشرعي يحمل على الكمال المطلق في حق الله ﷻ؛ لاختصاصه سبحانه بالحكمة المطلقة الشاملة لكمال علمه وقدرته على الخلق والإتقان وحسن التدبير.

سبب التسمية:

وسمي الحكيم حكيماً؛ لأنه الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه، وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدر في حكمته مقال^(١).

الحكم:

يجب إثبات اسمه تعالى: الحكيم والإيمان بأن الله ﷻ ذو حكمة بالغة في كل ما خلق من الأشياء وشرع من الأحكام، وأن له الحكمة البالغة في أمره وقضائه وقدره سبحانه.

الحقيقة:

حقيقة اسمه تعالى: الحكيم أن الله موصوف بالحكمة وهو نوعان كما قال ابن القيم:

= (١٩١/١) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٦هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٨٦).
(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٨٦).

«وهو الحكيم وذاك من أوصافه
نوعان أيضاً ما هما عدمان
حُكم وإحكام فكل منهما
نوعان أيضاً ثابتا البرهان
والحكم شرعيٌّ وكونيٌّ ولا
يتلازمان وما هما سيّان»^(٢).

وقال السعدي: «والحكمة نوعان:

أحدهما: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق، ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به؛ بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات، وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته، وهيبته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً.

النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب وأرسل الرسل ليعرفه العباد، ويعبدوه، فأى حكمة أجلّ من هذا، وأى فضل، وكرم أعظم من هذا، فإن معرفته تعالى، وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص العمل له وحده، وشكره، والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق، وأجل الفضائل لمن من الله عليه بها، وأكمل سعادة، وسروراً للقلوب، والأرواح، كما أنها هي السبب

(٢) النونية لابن القيم (٢٠٥/٢) [مكتبة ابن تيمية].

❖ أقوال أهل العلم:

قال الطبري - في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل] -: «الحكيم في تدبيره، فلا يدخل تدبيره خلل، ولا خطأ»^(٣).

وقال ابن كثير: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾؛ أي: في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره^(٤).

وقال ابن القيم: «إنه سبحانه حكيم، لا يفعل شيئاً عبثاً، ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل؛ بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل، وقد دلّ كلامه وكلام رسوله على هذا، وهذا في مواضع لا تكاد تحصى، ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها»^(٥).

وقال السعدي: «والحكيم: الموصوف بكمال الحكمة، وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم، والاطلاع على مبادئ الأمور، وعواقبها، واسع الحمد تام القدرة غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه، وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدر في حكمته مقال»^(٦).

الوحيد للوصول إلى السعادة الأبدية، والنعيم الدائم.

فلو لم يكن في أمره، وشرعه إلا هذه الحكمة العظيمة التي هي أصل الخيرات، وأكمل اللذات، ولأجلها خلقت الخليقة، وحق الجزاء، وخلقت الجنة، والنار لكانت كافية شافية^(١).

❖ الأهمية:

تظهر أهمية هذا الاسم في كون جميع أفعال الله ﷻ صادرة منه راجعة إليه، فله الحكمة البالغة في خلقه وشرعه وأمره.

❖ الأدلة:

ورد اسمه تعالى: ﴿الْحَكِيمُ﴾ [١٨] في القرآن الكريم ما يقرب من مائة مرة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ أَفْقَاهُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء].

فهذه الآيات صريحة في إثبات اسمه تعالى: الحكيم، وقد ذكره جمهور من جمع أسماء الله الحسنى^(٢).

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٩٤) [دار طيبة، ط ٢].

(٥) شفاء العليل (١٩٠) [مكتبة الرياض الحديثة، ط ١].

(٦) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٨٦).

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٨٦ - ١٨٧).

(٢) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (١٦٦) [دار إيلاف، ط ١، ١٤١٧هـ].

المسائل المتعلقة:

والثاني: حكمة تعود إلى عباده هي

نعمة عليهم يفرحون بها، ويلتذون بها^(٣).

- المسألة الثانية: ذكر بعض أهل العلم من أسماء الله تعالى: (الأحكم) أخذًا من قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ أَكْهَمُ الْحَكِيمِينَ﴾ [هود]:

وهو صنيع ابن حزم وابن الوزير، والصحيح: أن الأحكم ليس من أسماء الله تعالى، إذ لم يرد إطلاقه اسمًا لله تعالى، ووروده في هذه الآية مضافًا لا يحقق فيه شرط الإطلاق^(٤).

الثمرات:

يجب على كل مكلف أن يعلم بأن الله ﷻ خلق الخلق بالحق، ومشتغلًا على الحق، وكان نهايته وغايته الحق، أوجده بأحسن نظام ورتبه بأكمل إتقان، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، ولو اجتمعت جميع العقول على أن يقترحوا مثل أو أحسن من هذه الموجودات لم يقدرُوا على ذلك، كما قال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الْذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

ويجب كذلك أن يعلم بأن الله ﷻ إنما خلق هذا الخلق من الإنس والجن

- المسألة الأولى: أن اسمه تعالى (الحكيم) يدلُّ على وصفه سبحانه بالحكمة صفة ذاتية على ما يليق بجلاله: فقد وصف الله نفسه بها وبين أنه هو الذي يعطيها وينزلها على من يشاء من عباده.

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وقال: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩]، وقال: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]. ولا شك أن معطي الحكمة غيره يكون حكيماً، إذ فاقد الشيء لا يعطيه^(١).

وقد أجمع المسلمون على أن الله تعالى موصوف بالحكمة، وأنه لا يجوز أن يخلو فعل الحكيم من الحكمة، ولا تكون الحكمة إلا من فاعل مختار، يكون قاصداً بفعله تلك الحكمة^(٢).

وحكمته سبحانه تتضمن شيئين:

أحدهما: حكمة تعود إليه يحبها ويرضاها.

(١) انظر: الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى لمحمد ربيع المدخلي (٤٥) [مكتبة لينة، دمنهور، ١٤٠٩هـ].

(٢) انظر: منهاج السنَّة النبوية (١/١٤١) [مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ]، والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (٤٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٣٥ - ٣٦).

(٤) انظر: أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنَّة (١/٣٠) [ط١، ١٤٢٦هـ].

يعود إلى الله تعالى من الحكمة شيء^(٣).
وجميع هؤلاء قد جانبوا الصواب، إذ
لو كانت الحكمة غير مطلوبة بالفعل
وحاصلة من غير قصد ولا إرادة لا تعد
من الحكمة في شيء بل تكون رمية من
غير رام؛ فإن الحكمة لا تكون إلا من
فاعل مختار يريد بها ويقصدها^(٤).

وما تقدم من الأدلة وأقوال أهل العلم
وإجماعهم ترد على نفاة الحكمة في
أفعال الله تعالى وأوامره، فقد
وصف الله ﷻ نفسه بالحكمة في آيات
كثيرة، كما نزه نفسه عن أن يكون خلق
الأشياء عبثاً كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا
خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾^(٥٧)
[ص]، وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا
خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٥٨)
[المؤمنون]، وصنع الأشياء بغير علة عبثٌ
مما يترفع عنه العقلاء فمن باب أولى
أن يتنزه الله عن ذلك. فما نشاهده من
حسن خلق الله وبديع صنعه لم يفعله الله
عبثاً ولغواً؛ بل في كل ذلك غاية
باهرة وحكمة ظاهرة لا تنكرها إلا

لعبادته فقط، كما قال تعالى: ﴿وَمَا
خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٥٩)
[الذاريات]^(١).

وليعلم أن كل ما يحصل للعباد من
خير وشر، وما يظهر فيهم من تفاوت في
العطاء، فهذا غني وهذا فقير، وهذا
سليم وهذا مريض، كل ذلك بمقتضى
حكيمته سبحانه ليعلم من يشكره على
نعمه وفضله، ولو تساوى الجميع في
النعمة والعافية لم يعرف صاحب النعمة
قدرها ولم يبذل شكرها.

✽ مذهب المخالفين:

أنكر عموم المتكلمين من الجهمية
والمعتزلة والأشاعرة أن يوصف الله ﷻ
بالحكمة.

أما الجهمية والأشاعرة، فقد أنكروا
حكيمته، وقالوا: ليس في أفعاله وأوامره
لام (كي)، لا يفعل شيئاً لشيء، ولا
يأمر بشيء لشيء؛ وإنما الحكمة مترتبة
على الفعل وحاصلة بعده من غير أن
تكون مقصودة ومرادة بالفعل^(٢). وأما
المعتزلة فقد زعموا أن الحكمة مخلوقة
منفصلة مقصورة على الخلق، وأن الله
إنما خلق الخلق للإحسان إليهم ومراعاة
مصلحتهم وإيصال المنافع إليهم، وأنه لا

(٣) انظر: نهاية الإقدام للشهرستاني (٣٩٧ - ٣٩٨)
[مكتبة المثنى ببغداد]، وشرح الأصول الخمسة
للقاضي عبد الجبار (٧٧، ٨٣، ٥١٤ - ٥١٥)
[مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤٠٨هـ]، وانظر: المواقف
للإيجي (٢/ ٢٩٤ - ٣٠٠) [دار الجبل، ط ١،
١٩٩٧م]

(٤) انظر: الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (٣٧).

(١) انظر: فقه الأسماء الحسنی للبدر (١٧٦ - ١٧٧)
[ط ١، ١٤٢٩].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤٦٦/٨).

العقول السقيمة^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة»، لمحمود عبد الرزاق.
- ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٥ - «الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى»، لمحمد ربيع المدخلي.
- ٦ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٧ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٨ - «صفات الله الواردة في الكتاب والسنة»، للسقاف.
- ٩ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ١٠ - «المنهاج لشعب الإيمان»، للحليمي.

لازمه. ومن الباب: الحَلِف؛ يقال: حلف يحلف حَلِفًا، وذلك أن الإنسان يلزمه الثبات عليها^(٢).

الحَلِفُ والحَلِفُ: القسم؛ لغتان. حَلَفَ؛ أي: أقسم، يحلف حَلْفًا وحَلِفًا ومَحْلُوفًا، ويقولون: محلوْفَةً بالله؛ أي: أحلف بالله، والحلف اليمين وأصلها العقد بالعزم والنية، والحلف: العهد، يقال: حالف فلان فلانًا فهو حليفه؛ لأنهما تحالفا بالإيمان أن يكون أمرهما واحدًا بالوفاء^(٣).

التعريف شرعًا:

تأكيد الكلام بذكر مخلوق معظم بأحد حروف القسم الثلاثة: الواو، والباء، والتاء^(٤). وقيل بأنه: تأكيد الشيء بذكر معظم بصفة مخصوصة بالواو أو الباء أو التاء^(٥).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

الحلف في اللغة: تأكيد الكلام بذكر

الحلف بغير الله تعالى

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «حلف: الحاء واللام والفاء أصل واحد: وهو الملازمة؛ يقال: حالف فلان فلانًا؛ إذا

(١) انظر: الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (٤٤).

(٢) مقاييس اللغة (٩٨/٢) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: الصحاح (١٣٤٦/٤) [دار العلم للملايين، ط ١٤٠٤هـ]، وتهذيب اللغة (٦٦/٥ - ٦٧) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ولسان العرب (٢٨٥/٣ - ٢٨٦) [دار إحياء التراث العربي، ط ١٤١٩هـ].

(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٥٦) [دار التوحيد، ط ١٤٢٤هـ].

(٥) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢١٣/٢) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

شرك أكبر بلا ريب، وإلا فهو شرك أصغر، إذا كان لمجرد الحلف بغير الله^(٣).

❁ الحقيقة:

حقيقة الحلف بغير الله هي تأكيد المتكلم كلامه بذكر مخلوق يعظمه؛ ليبرهن عزمه على إيقاع ما حلف، إن كان من باب الإنشاء، أو أن مضمون كلامه مطابق للواقع إن كان من باب الإخبار.

❁ الأدلة:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»^(٤).

وفي رواية أخرى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم». قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ.

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (١٠٢٣/٢ - ١٠٢٤)، وحاشية كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن قاسم (٣٠٢ - ٣٠٣) [ط ١٤٢٤هـ]، والقول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٢١١، ٢١٤)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٥٦).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٦٦٤٦)، ومسلم (كتاب الأيمان، رقم ١٦٤٦).

شيء يعظمه الحالف، والحلف بغير الله تأكيد الكلام بذكر مخلوق معظم بأحد حروف القسم الثلاثة الواو، والباء، والتاء، ففي كلٍّ منهما تأكيد للكلام بذكر شيء معظم عند المتكلم، لكن التعريف الشرعي خاص بما إذا كان هذا المعظم مخلوقاً، واللغوي أعم منه حيث يشمل الشرعي الجائز، والحلف الذي هو نوع من الشرك.

❁ الحكم:

الحلف بغير الله أمر محرم بالنصوص الشرعية، ونقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم^(١)، وقد أطلق الشرع الحنيف عليه بأنه شرك بالله؛ وحينئذ لا اعتبار بمن قال من المتأخرين: إن ذلك على سبيل الكراهة، فهذا قول باطل، وإنما اختلف أهل العلم هل هو من الشرك الأكبر الناقل عن الملة، أم من الشرك الأصغر، والذي عليه الجمهور: أنه من الشرك الأصغر^(٢).

والتحقيق: أن القسم بغير الله إن اعتقد الحالف أن المقسم به بمنزلة الله في العظمة وأنه مساوٍ له، أو أنه أعظم وأجل، وأخوف عنده من الله تعالى فهو

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٤/ ٣٦٦ - ٣٦٧)، وتيسير العزيز الحميد (١٠١٨/٢) [دار الصميعي، ط ١].

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (١٠١٨/٢ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣).

ذاكرًا ولا آثرًا^(١).

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا بالطواغي ولا بأبائكم»^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»^(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا»^(٤).

قال ابن تيمية: «لأن الحلف بغير الله شرك، والحلف بالله توحيد، وتوحيد معه كذب خير من شرك معه صدق؛ ولهذا كان غاية الكذب أن يعدل بالشرك»^(٥).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل، على صفة سوداء، في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلانة، ويقول:

(١) أخرجه البخاري (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٦٦٤٧)، ومسلم (كتاب الأيمان، رقم ١٦٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الأيمان، رقم ١٦٤٨).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٣٢٥١)، والترمذي (أبواب النذور والأيمان، رقم ١٥٣٥) وقال: «هذا حديث حسن»، وأحمد (٩/ ٤٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب الأيمان، رقم ٤٣٥٨)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (رقم ٢٥٦١).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (كتاب الأيمان والنذور، رقم ١٥٩٢٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الأيمان والنذور والكفارات، رقم ١٢٢٨١) [مكتبة الرشد، ط ١].

(٥) مجموع الفتاوى (٨١/١).

لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصحابه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلان، هذا كله شرك»^(٦).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن عبد البر رحمته الله: «لا يجوز الحلف بغير الله ﷻ، في شيء من الأشياء، ولا على حال من الأحوال، وهذا أمر مجتمع عليه. والحلف بالمخلوقات كلها في حكم بالحلف بالآباء، لا يجوز شيء من ذلك»^(٧).

وقال ابن تيمية: «ليس لأحد أن يحلف لا بملك، ولا نبي، ولا غير ذلك من المخلوقات، ولا يحلف إلا باسم من أسماء الله، أو صفة من صفاته»^(٨).

وقال ابن القيم: «ومن الشرك به سبحانه: الشرك به في اللفظ؛ كالحلف بغيره، كما رواه الإمام أحمد، وأبو داود عنه رضي الله عنه؛ أن قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك». صححه الحاكم، وابن حبان»^(٩).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٢/١)، رقم (٢٢٩) [مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ١، ١٤١٧هـ]، وسنده حسن.

(٧) التمهيد (٣٦٦ - ٣٦٦/١٤).

(٨) المستدرک على مجموع الفتاوى (٢٨/١).

(٩) الداء والدواء (٣١٠) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: العلة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى:

الباعث للحالف على الحلف هو تعظيم المحلوف به لتقرير شيء أو نفيه، ولا شك أن التعظيم المطلق ينبغي أن يكون لله تعالى وحده، وقد أشار ابن حجر إلى هذا المعنى حيث قال: «والسر في النهي عن الحلف بغير الله تعالى أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده»^(١).

- المسألة الثانية: هل الحلف بغير الله تعالى شرك أكبر أم شرك أصغر؟

أطلق النبي ﷺ وصف الكفر أو الشرك على من حلف بغير الله تعالى كما في قوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» فما نوع الشرك أو الكفر المراد في الحديث؟

اختلف أهل العلم في ذلك على قولين؛ **أحدهما**: أنه شرك أكبر، ينقل عن الملة. **الثاني**: أنه شرك أصغر^(٢).

وقال بعض أهل العلم: إن إطلاق الكفر، أو الشرك عليه هو من باب التغليظ، وليس هو كفر أو شرك ينقل عن الملة^(٣).

لكن التحقيق: أن ذلك راجع إلى اعتقاد الحالف بالمحلوف به: فإن اعتقد أنه بمنزلة الله في التعظيم، أو أنه أعظم، وأجلّ، وأكثر تخويفاً من الله فهذا شرك أكبر ينقل عن ملة الإسلام، وأما إن لم يعتقد ذلك، وأنه مجرد الحلف بغير الله: فهو مشرك الشرك أصغر.

قال النووي: «قال الأصحاب: فلو اعتقد الحالف في المحلوف به من التعظيم، ما يعتقده في الله تعالى: كفر»^(٤).

وقال سليمان بن عبد الله: «لكن الذي يفعله عبّاد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان صادقاً أو كاذباً، فإذا طلبت منه اليمين بالشيخ أو تربته أو حياته، ونحو ذلك لم يُقدم على اليمين به إن كان كاذباً فهذا شرك أكبر بلا ريب؛ لأن المحلوف به عنده أقوى وأجلّ وأعظم من الله فمن كان جهد يمينه الحلف بالشيخ، أو بحياته، أو بتربته، فهو شرك أكبر منهم، فهذا هو تفصيل القول في هذه المسألة»^(٥).

وقال ابن عثيمين: «والحلف بغير الله

[١٤١٧هـ]، ورياض الصالحين (٤١٧) [مكتبة المورد، ط ١].

(٤) روضة الطالبين (٧/٨) [دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ].

(٥) تيسير العزيز الحميد (١٠٢٣/٢ - ١٠٢٤).

(١) فتح الباري (١١/٦٤٧) [دار المعرفه].

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (١٠٢٢/٢ - ١٠٢٣).

(٣) انظر: سنن الترمذي (٣٦٣) [مكتبة المعارف، ط ١،

- المسألة الرابعة: الجواب عن

حديث: «أفلح وأبيه إن صدق»^(٥)،
وأمثاله:

استقر الشرع العام لأمة محمد ﷺ على تحريم الحلف بغير الله تعالى، وأن من حلف بغير الله فقد أشرك شركاً أصغر، والأحاديث في النهي عن الحلف بغير الله ﷺ بلغت مبلغ التواتر، وهي من قضايا الاعتقاد التي لا خلاف فيها بين المسلمين^(٦).

ومقابل هذا ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «أفلح وأبيه إن صدق»، وأجاب أهل العلم عن هذا بعدة أجوبة؛ منها^(٧):

١ - أنه منسوخ بأحاديث التشريع العام، وهذا الجواب هو الأقرب إلى الصواب والحق إن شاء الله تعالى وأقواها؛ لدلالة النصوص عليه.

٢ - أنه على تقدير محذوف: «ورب أبيه».

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١١)، وأخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه وليس فيه: «وأبيه»، انظر: (كتاب الإيمان، رقم ٤٦) (كتاب الصوم، رقم ١٨٩١)، وغيرها.

(٦) انظر: معجم المناهي اللفظية (١١٣) [دار العاصمة].

(٧) انظر: معالم السنن للخطابي (١/١٢١) [المطبعة العلمية بحلب، ط١، ١٣٥٢هـ]، والتمهيد لابن عبد البر (١٤/٣٦٧)، وشرح مسلم للنووي (١/١٦٨) [المطبعة المصرية، ط١]، وفتح الباري لابن حجر (١٠٦/١ - ١٠٨)، وتيسير العزيز الحميد (٢/١٠١٩)، ومعجم المناهي اللفظية (١١٣).

شرك أكبر إن اعتقد أن المحلوف به مساو لله تعالى في التعظيم، والعظمة، وإلا فهو شرك أصغر^(١).

- المسألة الثالثة: انتشار الحلف بغير الله ﷺ في هذا الزمن:

إن مما شاع في عصرنا هذا من الحلف بغير الله القسم بشرف حزب من الأحزاب السياسية أو القسم بمبدأ من المبادئ الأرضية، فيُعد هذا شركاً يجب على صاحبه التوبة منه والنطق بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) كما أرشد إلى ذلك النبي ﷺ بقوله: «من حلف فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله»^(٢).

وقد بوب عليه البخاري بقوله: «لا حلف باللات والعزى والطواغيت»^(٣).

قال ابن تيمية: «ونحن المخلوقون ليس لنا أن نقسم بها - أي: المخلوقات - بالنص والإجماع؛ بل ذكر غير واحد الإجماع على أنه لا يقسم بشيء من المخلوقات وذكروا إجماع الصحابة على ذلك؛ بل ذلك شرك منهى عنه»^(٤).

(١) القول المفيد (٢/٢١٤)، وانظر: حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (٣٠٢ - ٣٠٣)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٥٦ - ٤٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان والنذور، رقم ٦٦٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤٧).

(٣) صحيح البخاري (١١٤٧) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٤) مجموع الفتاوى (١/٢٩٠).

٣ - أنه خاص به ﷺ، وهذا يفتقر

إلى دليل الخصوصية.

٤ - تصحفت من قوله: «والله»، وقد استنكره بعض أهل العلم، وقال: لا بد من الجزم بصحة روايات الثقات.

مذهب المخالفين:

٥ - أنه لفظ يجري على الألسن بدون قصد الحلف؛ كما جرى: عقرى، حلقي، وما أشبههما، وهذا الذي رجحه النووي، وغيره، وهو غير مرضي؛ لأن أحاديث الباب عامة، ليس فيها تفريق بين من قصد، ومن لم يقصد.

٦ - أنه لفظ يقصد به مجرد التأكيد لا التعظيم، وهذا أفسد من سابقه، وهل يقصد بالحلف إلا تأكيد المحلوف عليه، بذكر من يعظمه الحالف والمحلوف له.

٧ - أنه لفظ غير محفوظ فهو ضعيف منكر، ترده الأحاديث الصحاح، وهذا الذي رجحه ابن عبد البر.

٨ - أنه لفظ غير محفوظ، فهو شاذ.

وعلى كل حال فمثل هذه الوقائع النادرة لا تقضي على التشريع العام للأمة الذي بلغت به النصوص مبلغ التواتر، وجُلُّها ناهية بالنص عن الحلف بالآباء، وكلها مُعلّلة له بأنه شرك، والشرك لا يدخله نسخ، ولا تخصيص، فتعين أن تكون الأحاديث المذكورة مؤولة، أو

منسوخة، والله أعلم^(١).

القول الأول: وهو الذي ذهب إليه

بعض أهل العلم إلى أن الحلف بغير الله مكروه، ولا يصل إلى درجة التحريم وهذا هو المشهور عند المالكية، وقول جمهور الشافعية وقول عند الحنفية والحنابلة.

(١) انظر: معجم المناهي اللفظية (١١٤).

والقول الثاني: أن الحلف بغير الله تعالى محرم مطلقاً، وهو المشهور عند الحنفية والحنابلة، وجزم به الظاهرية، وهو قول عند المالكية والشافعية، وهو الذي تؤيده النصوص الشرعية الكثيرة عن الحلف بغير الله والمعللة بأن ذلك شرك أو كفر.

❖ الحلول ❖

❖ التعريف لغةً:

الحُلُول: مصدر من حَلَّ يَحِلُّ حُلُولًا، وهو نزول القوم بمحلَّة، وهو نقيض الارتحال^(٢).

وقال الجوهرى: «وَحَلَّ العذاب يَحِلُّ بالكسر؛ أي: وَجِبَ، ويَحُلُّ بالضم؛ أي: نَزَلَ»^(٣).

وفي الكلبيات: «الحُلُول: هو أن يكون الشيء حاصلًا في الشيء ومُخْتَصًا به، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، تحقيقًا أو تقديرًا»^(٤).

فالحلول من يحُلُّ بمعنى النزول وهو نقيض الارتحال، والحلول من: يحِلُّ بمعنى الوجوب.

❖ التعريف اصطلاحًا:

لفظ الحلول لفظ مجمل يراد به معنى باطل، ويراد به معنى حق، وقد جاء في

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وقد قصر ما شاء الله أن يقصر من قال: إن ذلك مكروه، وصاحب الشرع يجعله شركًا، فرتبته فوق رتبة الكبائر»^(١).

❖ المصادر والمراجع:

١ - «أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين»، لسليمان الديبكي.

٢ - «الأيمان والنذور»، لمحمد أبو فارس.

٣ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٤ - «شرح مشكل الآثار»، للطحاوي.

٥ - «فتح الباري»، لابن حجر.

٦ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٧ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٨ - «المرويات الواردة في الحلف بالله أو بغيره»، لباسم الجوابرة.

(١) إعلام الموقعين (٤/٤٠٣).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣/٤٣٥) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، والعين (٣/٢٦) [دار مكتبة الهلال]، والصاحح (٤/١٦٧٢) [دار العلم للملايين، ط٣].

(٣) الصاحح (٤/١٦٧٤).

(٤) الكلبيات (٣٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ].

كما يطلق على النصارى بأنهم حلولية؛ لأن بعضهم يفسر الاتحاد بالحلول، ولتقارب معناه، ويختلف الحلول عن الاتحاد في الكيفية التي يتم بها اقتران الذاتين ليكونا ذاتاً واحدة.

✽ الحكم:

يقول شيخ الإسلام: «ومن هؤلاء الحلولية والاتحادية من يخص الحلول والاتحاد ببعض الأشخاص: إما ببعض الأنبياء كالمسيح، أو ببعض الصحابة كقول الغالية في علي، أو ببعض الشيوخ كالحلاجية ونحوهم؛ أو ببعض الملوك؛ أو ببعض الصور كصور المرد، ويقول أحدهم: أنا أنظر إلى صفات خالقي وأشهدها في هذه الصورة. والكفر في هذا القول أبين من أن يخفى على من يؤمن بالله ورسوله»^(٣).

وقال أيضاً: «وبالجملة فلا خلاف بين الأمة أن من قال بحلول الله في البشر، واتحاده به، وأن البشر يكون إلهاً، وهذا من الآلهة، فهو كافر مباح الدم»^(٤).

والحلولية من الصوفية والنصارى جعلوا توحيدهم هو القول بالحلول، وقد كان أئمة القوم يحذرون عن مثل هذا،

كلام الأنبياء لفظ الحلول بالمعنى الصحيح، فتأوله من في قلبه زيغ كالنصارى، وأشباههم على المعنى الباطل، وقابلهم آخرون أنكروا هذا الاسم بجميع معانيه، وكلا الأمرين باطل، فالناس يقولون: أنت في قلبي، أو ساكن في قلبي، وأنت حالٌّ في قلبي، ونحو ذلك، وهم لا يريدون أن ذاته حلَّت فيه ولكن يريدون أن تصوره وتمثله وحبه وذكره حلٌّ في قلبه^(١). والمصطلح عليه في الحلول هو القول بحلول ذات الله في شيء من مخلوقاته، أو في جميعها، قال شيخ الإسلام مبيناً معنى الحلول عند الحلولية: «وهو حلول الحق في الخلق»^(٢).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

الحلول: بمعناه الاصطلاحي مأخوذ من معنى الحلول اللغوي وهو النزول؛ أي: أن ذات الله نزلت وسكنت مخلوقاً - تعالى الله عن ذلك -.

✽ الأسماء الأخرى:

الحلول: يقارب معنى الاتحاد من صيرورة الشئين، شيئاً واحداً، لذا يقال للاتحادية أهل الوحدة: إنهم حلولية،

(١) انظر: الجواب الصحيح (٣٧١/٤) (٣٤٥/٣).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٠٨/٢)، وانظر:

مجموعة الرسائل والمسائل له (٧٩/١).

(٣) مجموع الفتاوى (٢١/٢٥٦)، وانظر: مجموعة

الرسائل والمسائل (٧٩/١).

(٤) مجموع الفتاوى (٢/٤٨١).

فقال: هكذا هو عندنا^(٤).

❖ الأقسام:

أولاً: أقسامه بالنظر إلى كيفية الحلول:
ينقسم إلى قسمين:

١ - **الحلول السرياني:** عبارة عن اتحاد الجسمين، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر؛ كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى الساري حالاً والمسري فيه محلاً.

٢ - **الحلول الجوّاري:** عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر؛ كحلول الماء في الكوز^(٥).

ثانياً: أقسامه بالنظر إلى المحلول فيه:
ينقسم إلى قسمين:

١ - **الحلول المقيد أو الخاص؛** كقول النصارى، وغلاة الرافضة، والصوفية؛ الذين يقولون بحلول الله ﷻ في عيسى عليه السلام أو في علي، أو غيره.

٢ - **الحلول المطلق أو العام،** وهم الذين يقولون: إن الله ﷻ حال في كل شيء أو متحد بكل شيء أو الوجود واحد^(٦). والقائلون بالحلول العام هم

سئل الجنيّد عن التوحيد فقال: هو إفراد الحدوث عن القدم، فبيّن أنه لا بد للموحد من التمييز بين القديم الخالق، والمحدث المخلوق، فلا يخلط أحدهما بالآخر^(١).

أما سلف الأمة وأئمتها، فقد أثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة، من غير تحريف للكلم عن مواضعه، أثبتوا أن الله فوق سمواته، على عرشه، بائن من خلقه، وهم بائون منه، وهو أيضاً مع العباد عموماً بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية، وهو أيضاً قريب مجيب^(٢). وهذا لا يستلزم حلوله في خلقه.

❖ أقوال أهل العلم:

من كلام السلف والأئمة في الرد على الحلولية، الأثر المشهور عن ابن المبارك أنه قيل له: كيف نعرف ربنا ﷻ؟ قال: في السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية: إنه هاهنا في الأرض^(٣)، فقيل هذا لأحمد بن حنبل،

(١) انظر: المصدر السابق (١٢٦/٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٢٦/٥).

(٣) أخرجه بنحوه الدارمي في الرد على المريسي (٢٤)، (١٠٣) [دار الكتب العلمية]، والبخاري في خلق أفعال العباد (١٥) [الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٥هـ]، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٣٨) [دار الكتب العلمية]، وصححه الذهبي في مختصر العلو (١٥١) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠١هـ]، والألباني في تعليقه عليه، وابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (٥٢٥/٢).

(٤) انظر: مختصر العلو (١٥١)، وبيان تلبيس الجهمية (٥٢٥/٢).

(٥) انظر: التعريفات (١٢) [عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٧هـ]، والأربعين للرازي (٤) [مكتبة الكليات الأزهرية، ط ١، ١٤٠٦هـ]، والكليات (٣٩٠)، وموسوعة النكري (٣٨١ - ٣٨٢) [مكتبة لبنان ناشرون، ط ١، ١٩٩٧م].

(٦) انظر: درء التعارض (١٥١/٦) (١٧٠/٥) [مكتبة =

صيرورة الشئين، شيئاً واحداً، لذا يطلق على الاتحادية، بأنهم حلولية، كما يطلق على النصارى بأنهم حلولية؛ لأن بعضهم يفسر الاتحاد بالحلول، ولتقارب معناهما، ويختلف الحلول عن الاتحاد عند البعض في الكيفية التي يتم بها اقتران الذاتين ليكونا ذاتاً واحدة.

كما يختلف الاتحاد والحلول عن القول بالوحدة، بأنهما يقتضيان شيئين منفصلين تم اتحادهما، أو حلول أحدهما بالآخر، في حين القول بالوحدة ينفي الاثنينية. ولتناقض قولهم فهم يقبلون بوصف الاتحادية بناء على أن الكثرة صارت وحدة^(٤).

إلا أن القائلين بالاتحاد الخاص والحلول الخاص، لا يسمّون أهل وحدة، ولا ينطبق عليهم ذلك، فبينهما عموم وخصوص فكل من قال بوحدة الوجود فهو قائل بالاتحاد والحلول، وليس كل من قال بالحلول والاتحاد هو من أهل الوحدة.

✽ مذهب المخالفين:

الحلولية هم القائلون بحلول ذات الله ﷻ في مخلوقاته ومنهم غلاة الرافضة، الذين يقولون بحلول ذات الله في علي أو بعض أئمتهم، والصوفية الذين يقولون بحلول الله ﷻ في بعض

الحلولية الذين يزعمون أن الله ﷻ في كل مكان بذاته، وينزهونه عن استوائه على عرشه، وعلوه على خلقه، ولم يصنوه عن أقبح الأماكن، وأقذرهما وهؤلاء هم قدماء الجهمية^(١).

وهناك معنى صحيح للحلول وهو حلول معرفة الشيء، ومحفته ومثاله العلمي في القلب^(٢)، مثل قولك لمن تحب أنت ساكن في قلبي.

✽ الفروق:

الفرق بين القول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد:

القائلون بوحدة الوجود هم اتحادية، وحلولية، فهم يقولون بالحلول تارة، وبالاتحاد أخرى، وبالوحدة تارة، ولأن مذهبهم متناقض في نفسه فهم يلبسون على من لم يفهمه^(٣).

والحلول يقارب معنى الاتحاد من

= ابن تيمية، وبيان تلبس الجهمية (٥٢١/٢) مؤسسة قرطبة، ومجموع الفتاوى (٣٦٤/٢ - ٣٦٨ - ٤٣٥، ٤٦٥ - ٤٦٨) (٥٩/١٠) (٢٩٣/١٢) مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ، والجواب الصحيح (٩٥/١) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ]. ومن كتب المتكلمين: الفرق بين الفرق (٢٤١) وما بعدها [مكتبة دار التراث]، والمعجم الصوفي للحفني (٨١ - ٨٢) [دار الرشاد، ط ١، ١٤١٧هـ].

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧٢/٢)، ودرء التعارض (١٧٠/٥)، وبيان تلبس الجهمية (٢/٥٢١)، ومعارج القبول (٣٧٠/١) [مطبوعات الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء].

(٢) انظر: الجواب الصحيح (٣٤٥/٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٦٨/٢) بتصرف.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٠/٢ - ١٤١) بتصرف.

شيوعهم كالحلاجية ونحوهم.

ومن الحلولية أصحاب القول بوحدة الوجود وهم الذين يقولون: إن الله وَكَلَّ حال في كل شيء، أو متحد بكل شيء، أو الوجود واحد^(١). ويزعمون أن الله وَكَلَّ في كل مكان بذاته، وينزهونه عن استوائه على عرشه، وعلوه على خلقه، ولم يصونوه عن أقبح الأماكن، وأقذرها وهؤلاء هم قدماء الجهمية^(٢).

✽ المصادر والمراجع:

١ - «الاستقامة» (ج ١)، لابن تيمية.

٢ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٢)، لابن تيمية.

٣ - «الجواب الصحيح» (ج ٣، ٤)، لابن تيمية.

٤ - «درء التعارض» (ج ٥، ٦)، لابن تيمية.

٥ - «الرد على القائلين بوحدة الوجود»، لعلي القاري.

٦ - «شن الغارات على أهل وحدة الوجود وأهل المعية للذات»،

(١) انظر: درء التعارض (١٥١/٦) (١٧٠/٥)، وبيان تلبيس الجهمية (٥٢١/٢)، ومجموع الفتاوى (٢/ ٣٦٤ - ٣٦٨، ٤٣٥) (٥٩/١٠) (٢٩٣/١٢)، ومن كتب المتكلمين: الفرق بين الفرق (٢٤١) وما بعدها. وانظر: المعجم الصوفي للحفني (٨١ - ٨٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧٢/٢)، ودرء التعارض (١٧٠/٥)، وبيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٢١)، ومعارج القبول (٣٧٠/١) [مطبوعات الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء].

للدليماني، محقق برسائل علمية.

٧ - «عقيدة الحلول، عرض ونقض»، لمحمد العلي.

٨ - «وحدة الوجود في ضوء العقيدة الإسلامية»، لخضر سوندك.

٩ - «وحدة الوجود عند الصوفية»، لأحمد القصير، [رسالة دكتوراه].

١٠ - «مجموع الفتاوى» (ج ٢ - ٥)، لابن تيمية.

✽ حلول الحوادث ✽

يراجع مصطلح (الحوادث).

✽ الحليم ✽

✽ التعريف لغة:

الحليم: فاعل بمعنى فاعل من الحَلَمَ (بكسر الحاء) وهو خلاف الطيش وترك العجلة أو الأناة والعقل يقال: حَلُمْتُ عنه أَلُحَمٌ، فأنا حَلِيمٌ.

والحُلَم (بالضم): يطلق على الرؤيا، ويقال: حَلَمَ في نومه حُلْمًا وحُلْمًا إذا رأى في المنام رؤيًا^(٣).

✽ التعريف شرعًا:

الحليم: ذو الأناة فلا يعجل على

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٩٣/٢) [دار الجيل]، والقاموس المحيط (١٤١٦) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٧هـ].

عباده بعقوبتهم على ذنوبهم^(١).

الأدلة:

ورد اسمه تعالى الحليم في أكثر من آية؛ منها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء]، وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب].

كما في ورد في السُّنة في حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب، «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ السماوات والأرض ربُّ العرش العظيم»^(٣).

وقد ذكر القرطبي إجماع الأمة على تسمية الله تعالى بالحليم^(٤).

أقوال أهل العلم:

قال الطبري - في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [٤١] -: «يقول تعالى ذكره: إن الله كان حليماً عمن أشرك وكفر به من خلقه في تركه تعجيل عذابه له، غفوراً لذنوب من تاب منهم، وأنان إلى الإيمان به، والعمل بما يرضيه»^(٥).

وقال أبو القاسم الأصبهاني: «ومن

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تظهر العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي في أن الحلم في كلٍّ منهما خلاف العجلة، وهو في حق الله على ما يليق بجلاله وعظمته، وفي حق الإنسان على ما يليق به، حيث جاز وصف الإنسان بالحلم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ إِنْزَاهِيَهُمْ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة]، لكن ليس الحليم كالحليم، وإن اتفق الوصف، فلا تماثل بين الموصوف.

الحكم:

يجب الإيمان بأن الله تعالى حليم وذو حلم لا يتعجل في عقوبة العاصين؛ بل يتأنى في تعامله معهم لعلهم أن يتوبوا، وأن الحليم اسم من أسمائه الحسنی يدل على صفة الحلم.

الحقيقة:

حلم الله تعالى بأهل الكفر والفسوق والعصيان هو إمهالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة، إذ الذنوب تقتضي ترتب آثارها عليها من العقوبات العاجلة المتنوعة، ولكن حلمه تعالى اقتضى إمهالهم^(٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٤٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٣٠).

(٤) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنی (١/٩٣) [دار الصحابة، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٥) تفسير الطبري (٢٠/٤٨٢).

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/١١٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: شرح النونية لهراس (٢/٤٧٠).

الصفات الثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، وتدلل على سعة صبره وحكمته وتأنيه في تعامله مع خلقه حيث لا يسارع بعقوبة من يعصيه مع تمام قدرته على ذلك، لكنه يمهلهم لعلهم يرجعون إلى الطاعة والصواب، فهو سبحانه ذو الصفح والأناة الذي لا يستفزه غضب، ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عِصْيَانُ عاصٍ (٥).

- المسألة الثانية: الحليم من الأسماء المشتركة بين الله وخلقه:

فقد جاء إطلاقه على بعض أنبياء الله ﷻ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة]، وقوله تعالى - حكاية عن قوم شعيب -: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود]، وقوله تعالى: ﴿فَسَرَّزْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصفات]، وقوله ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة» (٦). لكن هذا الإطلاق لا يلزم منه تماثل المسميات، فليس حلم الله كحلم المخلوق، فالفرق بينهما كالفرق بين الخالق والمخلوق.

قال أبو القاسم الأصبهاني: «وهذا

أسماء الله تعالى: (الحليم): حليم عمن عصاه؛ لأنه لو أراد أخذه في وقته أخذه، فهو يحلم عنه ويؤخره إلى أجله» (١).

وقال ابن القيم:

«وهو الحليم فلا يعاجل عبده

بعقوبة ليتوب من عصيان» (٢).

وقال ابن كثير - في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ -: «أي: أنه تعالى لا يعاجل من عصاه بالعقوبة؛ بل يؤجله وينظره، فإن استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر» (٣).

وقال السعدي: «الحليم الذي له الحلم الكامل، والذي وسع حلمه أهل الكفر، والفسوق، والعصيان، ومنع عقوبته أن تحل بأهل الظلم عاجلاً، فهو يمهلهم ليتوبوا، ولا يمهلهم إذا أصروا، واستمروا في طغيانهم، ولم ينيبوا» (٤).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: يوصف الله ﷻ

بالحلم:

لأن اسمه الحليم يدل على العَلَمِيَّة والوصفية معاً، فيكون الحلم من

(١) الحجة في بيان المحجة (١/١٥٦) [دار الراية، ١٤١٩هـ].

(٢) النونية لابن القيم (٢/٢٠٤) [مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ].

(٣) تفسير ابن كثير (٥/٨١) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٨٩).

(٥) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٦٣) [دار الثقافة

العربية، ط ٣، ١٤١٢هـ]، وصفات الله الواردة في الكتاب والسنة لعلوي السقاف (١٠١) [دار الهجرة، ط ١، ١٤١٤هـ].

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧).

❖ الآثار:

إن آثار حلمه ﷺ على عباده ظاهرة، فمن أبرزها:

١ - حلمه عمن يكفر به ويعصيه وهو يراه، وعليم به وقادر عليه لكنه يمهله ولا يعجل عقوبته.

فقد أخبر سبحانه عن هذا الحلم وأنه لو كان يؤاخذهم بمعاصيهم أولاً بالأول لما أبقى على ظهر الأرض من دابة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ١١]. فكم نرى من يكفر ويعصي ويقع في أنواع من مساخط الله يستوجب العقوبة، لكن الله يحلم عنهم، ويسوق إليهم أنواع الطيات، ويرزقهم ويعافهم (٤).

٢ - ومن آثار حلمه سبحانه أنه لا يؤاخذنا عما يخطر في قلوبنا وما يعرض لها من شهوات، لكن الله يحلم ويعفو ولا يؤاخذنا عليه، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١].

٣ - ومن آثار حلمه سبحانه إمساكه للسماء أن تقع على الأرض، وإمساكها أن تزولا مع كثرة ذنوب بني آدم

الاسم وإن كان مشتركاً يوصف به المخلوق، فحلم المخلوقين حلم لم يكن في الصغر ثم كان في الكبر، وقد يتغير بالمرض والغضب والأسباب الحادثة، ويفنى حلمه بفنائها، وحلم الله ﷻ لم يزل ولا يزول، والمخلوق يحلم عن شيء ولا يحلم عن غيره، ويحلم عمن لا يقدر عليه، والله تعالى حليم مع القدرة (١).

❖ الثمرات:

١ - يجب على من عرف أن ربه حليم على من عصاه أن يحلم هو على من خالف أمره، فذلك به أولى، حتى يكون حليماً، فينال من هذا الوصف بمقدار ما يكسر سورة غضبه، ويرفع الانتقام عن من أساء إليه؛ بل يتعود الصفح حتى يعود الحليم له سجيّة، فكما تحب أن يحلم عنك مالكك، فاحلم أنت عمن تملك؛ لأنك متعبّد بالحلم مثاب عليه (٢).

٢ - من عرف هذا الاسم حفظ الود، وأحسن العهد، وأنجز الوعد، وستر العيوب، وتخلق بخلق الحلم؛ لأنه من الأخلاق التي يحبها الله ورسوله (٣).

(١) الحجة في بيان المحجة (١/١٥٦).

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٩٧ - ٩٨).

(٣) انظر: شرح أسماء الله الحسنى وصفاته للرازي (١٨٩) [ط١، ١٣٢٣هـ].

(٤) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٩٧)، وفقه أسماء الله الحسنى للبدر (٢٠٩) [ط١، ١٤٢٩هـ].

ومعاصيهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّكَ﴾

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَكِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ [فاطر]. فما أعظم حلمه وأوسع فضله، وأجزل عطاءه وله الحمد والشكر كما ينبغي لوجهه الكريم.

✽ مذهب المخالفين:

وقد خالف في هذا الاسم الجهمية والمعتزلة، فالجهمية لا يثبتون لله أي اسم لا حليم ولا غيره، فالله عندهم لا يسمى بشيء، وذلك لظنهم أن إثبات الأسماء يلزم منه التشبيه، والمعتزلة أثبتوا الأسماء مجردة عن الصفات، فالله عندهم حليم بلا حلم كما أنه عالم بلا علم، وقادر بلا قدرة وحي بلا حياة إلخ^(١).

✽ الرد عليهم^(٢):

١ - أن الله تعالى وصف أسماء بأنها حسنى، وأمرنا بدعائه بها، وهذا يقتضي أن تكون دالة على معانٍ عظيمة تكون وسيلة لنا في دعائنا، فلو كانت أعلامًا محضة لكانت غير دالة على معنى سوى تعيين المسمى، فضلًا عن

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (٢٣٥/١) [مكتبة التخصصية المصرية، ط٣]، ومجموع الفتاوى (٦/ ٣٤ - ٣٥) [دار الوفاء، ط٣، ١٣٢٦هـ]، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (٥٢٦/٢) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٢) انظر: تقريب التدمرية لابن عثيمين (٢٩، ٣١) [دار الوطن، ١٤٢٤هـ].

أن تكون حسنى ووسيلة في الدعاء.

٢ - قولهم بأن الله تعالى حليم بلا حلم، وعليم بلا علم قول باطل مخالف لمقتضى اللسان العربي وغير العربي؛ لأن من المعلوم أن المشتق دالٌّ على المعنى المشتق منه، وأنه لا يمكن أن يقال عليم لمن لا علم له وحليم لمن لا حلم له.

٣ - أن الله تعالى يسمى نفسه باسمين أو أكثر في موضع واحد؛ كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر]، فلو كانت الأسماء مترادفة ترادفًا محضًا لكان ذكرها مجتمعة لغوا من القول لعدم الفائدة.

٤ - أن الاتفاق في الاسم العام لا يقتضي تماثل المسميات في ذلك الاسم عند الإضافة والتقييد والتخصيص، فما سمى الله به نفسه اختص به عند الإضافة، وكذلك ما تسمى به العبد اختص به^(٣).

✽ المصادر والمراجع:

١ - «أسماء الله الحسنى في الكتاب

(٣) النقطة (٤)، انظر: التدمرية (٢٠ - ٢١) [مكتبة العيكان، ط٨، ١٤٢٤هـ].

- والسُّنة»، لمحمود عبد الرزاق.
- ٢ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٣ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

✽ التعريف شرعاً:

- الحمد: ذكر محاسن المحمود والإخبار بها، مع حبه وإجلاله وتعظيمه.
- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «الحمد خبر بمحاسن المحمود مقرون بمحبته»^(٣).
- وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الحمد: إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه»^(٤).
- الحكم: ✽

- الحمد: على الإطلاق لا يكون إلا لله، فهو المستحق للحمد كله، وبالنظر لأفعال العبد وتعلق الحمد بها، فإنه يكون واجباً؛ كالحمد في خطبة الجمعة، ويكون مستحباً كالحمد بعد العطاس، ويكون مكروهاً كالحمد حال قضاء الحاجة، ويكون محرماً إذا تضمن

إلا لله، فهو المستحق للحمد كله، وبالنظر لأفعال العبد وتعلق الحمد بها، فإنه يكون واجباً؛ كالحمد في خطبة الجمعة، ويكون مستحباً كالحمد بعد العطاس، ويكون مكروهاً كالحمد حال قضاء الحاجة، ويكون محرماً إذا تضمن

✽ الحمد ✽

✽ التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الحاء والميم والذال كلمة واحدة وأصل واحد يدل على خلاف الذم. يقال: حمدت فلاناً أحمدته. ورجل محمود ومحمد، إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة»^(١).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (١٠٠/٢)، والصحاح للجوهري (٤٦٦/٢) [دار العلم للملايين، ط ٣]، ولسان العرب (٣١٤/١٥) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣].

(٣) منهاج السُّنة النبوية (٤٠٤/٥) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ]، وانظر: دقائق التفسير (٣٦٦/٢) [مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط ٢، ١٤٠٤هـ].

(٤) بدائع الفوائد (٩٣/٢) [دار الكتاب العربي، بيروت].

(١) مقاييس اللغة (١٠٠/٢) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

وما يبين منزلة الحمد أن الحمد شرع
أمام كل خطاب مع التوحيد.

❖ الحقيقة:

ففي الفاتحة الشكر والتوحيد،
والخطب الشرعية لا بد فيها من الشكر
والتوحيد. والباقيات الصالحات نوعان؛
فسبحان الله وبحمده فيها الشكر والتنزيه
والتعظيم، ولا إله إلا الله، والله أكبر
فيها التوحيد والتكبير، وكثير من الأذكار
تضمنت التحميد لله تعالى (٣).

❖ الأدلة:

أدلة الحمد في القرآن كثيرة جداً،
منها على سبيل المثال: قوله تعالى:
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢)
[الفاتحة]، وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ
ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١)
[الأنعام]، وقوله سبحانه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا
﴾ [الكهف].

ومن السُّنَّة: حديث أبي مالك
الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ:
«الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ
الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن
- أو: تملأ - ما بين السماوات والأرض،
والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر

منهياً كالشرك بالله (١).

وصف المحمود بالكمال والإنعام،
مع حبه وإجلاله وتعظيمه، أو الشناء
بالكلام على الجميل، على وجه
التعظيم، فمورده اللسان والقلب، وهو
يكون في مقابلة النعمة، وغيرها (٢).

❖ المنزلة:

إن منزلة الحمد منزلة عظيمة في
الشريعة الإسلامية، فالحمد أوسع
الصفات وأعم المدائح والطرق إلى العلم
به في غاية الكثرة، والسبيل إلى اعتباره في
ذرات العالم وجزئياته وتفاصيل الأمر
والنهي واسعة جداً؛ لأن جميع أسمائه
تبارك وتعالى حمد، وصفاته حمد وأفعاله
حمد، وأحكامه حمد، وعدله حمد،
وانتقامه من أعدائه حمد، وفضله في
إحسانه إلى أوليائه حمد، والخلق والأمر
إنما قام بحمده، ووجد بحمده، وظهر
بحمده، وكان الغاية هي حمده، فحمده
سبب ذلك وغايته ومظهره وحامله، فحمده
روح كل شيء، وقيام كل شيء بحمده،
وسريان حمده في الموجودات وظهور
آثاره فيه أمر مشهود بالأبصار والبصائر.

(١) انظر: الحمد على ضوء الكتاب والسُّنَّة وأقوال
السلف الصالح لوليد السعدون (٣٢٥) [دار رواء،
القاهرة، ط ١].

(٢) انظر: فتح المجيد (٣٤) [دار ابن الأثير، ط ١٥٥]،
وحاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (٩) [ط ١٥٥].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣١١/١٤) [مجمع الملك فهد
لطباعة المصحف الشريف، ط ٢، ١٤٢٥هـ]، وطريق
الهجرتين (١٢٥/١) [دار السلفية، القاهرة، ط ٢].

يستلزم الإلهية؛ فإن الإلهية تتضمن كونه محبوباً؛ بل تتضمن أنه لا يستحق كمال الحب إلا هو، والحمد هو الإخبار عن المحمود بالصفات التي يستحق أن يجب، فالإلهية تتضمن كمال الحمد، ولهذا كان الحمد لله مفتاح الخطاب، وكل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم^(٥).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فالحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود على وجه الحب له، ومحاسن المحمود تعالى إما قائمة بذاته، وإما ظاهرة في مخلوقاته، فأما المعدوم المحض الذي لم يخلق ولا خلق قط فذاك ليس فيه محاسن ولا غيرها، فلا محامد فيه البتة، فالحمد لله الذي يملأ المخلوقات ما وجد منها، وما يوجد هو حمد يتضمن الثناء عليه بكماله القائم بذاته، والمحاسن الظاهرة في مخلوقاته»^(٦).

❁ الأقسام:

يقسم الحمد باعتبارات مختلفة:
أولاً: باعتبار الإطلاق والتقييد، حيث ينقسم إلى قسمين:
الحمد المطلق: وهو الذي لا يكون مقيداً بزمان أو حال أو فعل.

ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»^(١).

وعن ابن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع ظهره من الركوع قال: «سمع الله لمن حمده، اللَّهُمَّ ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «من تعارَّ من الليل، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللَّهُمَّ اغفر لي، أو دعا، استجيب له، فإن تَوْضُأً وصلى قبلت صلاته»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والحمد إنما يكون على المحاسن، وقرن بين الحمد والتعظيم كما قرن بين الجلال والإكرام؛ إذ ليس كل معظم محبوباً محموداً ولا كل محبوب محموداً معظمًا»^(٤).

وقال أيضاً: «التحميد يتضمن التعظيم ويتضمن إثبات ما يحمد عليه وذلك

(١) صحيح مسلم (كتاب الطهارة، رقم ٢٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٧٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٥٤).

(٤) دقائق التفسير (٢/ ٣٦٥).

(٥) المصدر السابق.

(٦) طريق الهجرتين (١/ ٢٤١ - ٢٤٢) [دار عالم

الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

به، وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(٤).

قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: «هذا الكلام يتأول على وجهين؛ أحدهما: أن من كان طبعه وعادته كفران نعمة الناس وترك الشكر لمعروفهم كان من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له سبحانه.

والوجه الآخر: أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ويكفر بمعروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر»^(٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما أهل السنة فيقولون: الحمد لله كله، وإنما للعبد حمد مقيد، لكون الله تعالى أنعم عليه، كما للعبد ملك مقيد. وأما الملك المستقل والحمد المستقل والملك العام والحمد العام فهو لله رب العالمين»^(٦).

الفروق:

الفرق بين الحمد والشكر:

الحمد أعم من الشكر من جهة

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٨١١)، والترمذي (أبواب البر والصلة، رقم ١٩٥٤) وصححه، وأحمد (٤٧٢/١٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٧٧٦) [مكتبة المعارف، ط٥ ١٤٢٥هـ].

(٥) معالم السنن (١١٣/٤) [المطبعة العلمية بحلب، ط١ ١٣٥٢هـ].

(٦) جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ٢٨٥) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٢هـ].

والحمد المقيد: وهو الذي يكون مقيداً بزمان أو حال أو فعل^(١).

ثانياً: يقسم باعتبار تعلقه بالله إلى نوعين:

١ - حمد لله على ما يستحقه بنفسه.

٢ - وحمد على إحسانه لعبده^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: قول: (الحمد

كله لله) له معنيان:

أحدهما: أنه محمود على كل شيء وبكل ما يحمد به الم محمود التام وإن كان بعض خلقه يحمد أيضاً كما يحمد رسله وأنبياءه وأتباعهم؛ فذلك من حمده تبارك وتعالى؛ بل هو الم محمود.

المعنى الثاني: أي: الحمد التام الكامل فهذا مختص بالله ﷻ ليس لغيره فيه شركة.

والتحقيق أن له الحمد بالمعنيين جميعاً^(٣).

- المسألة الثانية: حكم حمد

المخلوق:

حمد المخلوق إذا كان من باب شكرهم على حسن أفعالهم ولا يتضمن تعظيماً ولا حباً لا يليق إلا بالله فلا بأس

(١) انظر: الحمد على ضوء الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح (١٧٣).

(٢) التحفة العراقية (٥٨) [المطبعة السلفية، القاهرة].

(٣) طريق الهجرتين (١/ ١١٥) [دار السلفية، القاهرة، ط٢].

الفرق بين الحمد والمدح:

المدح: الإخبار عن محاسن الغير إخبارًا مجردًا من حب وإرادة.

والحمد: إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه^(٤).

الفرق بين الحمد والذم:

الحمد: خبر بمحاسن المحمود مقرون بمحبته.

والذم: خبر بمساوئ المذموم مقرون ببغضه؛ فلا يكون حمد لمحمود إلا مع محبته، ولا يكون ذم لمذموم إلا مع بغضه^(٥).

الآثار:

الحمد: هو من جملة الذكر، ولذا ذكر عمومًا آثار كثيرة: منها طمأنينة القلب، وسكونه وراحته كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ومن آثاره: الرضا بكل ما يقدره الله تعالى للعبد؛ إذ إن الحمد يشرع على كل حال، سواء كان في السراء أو الضراء، وهذا مما يورث التسليم والانقياد والقبول لأوامر الله تعالى، ولقضائه وقدره.

أسبابه؛ فإنه يكون على نعمة وعلى غير نعمة، والشكر أعم من جهة أنواعه؛ فإنه يكون بالقلب واللسان واليد^(١).

والحمد: يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان الإحسان إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته. والحمد أعم من جهة المتعلقات، وأخص من جهة الأسباب؛ ومعنى هذا: أن الشكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانة، وباللسان ثناء واعتراقًا، وبالجوارح طاعة وانقيادًا. ومتعلقه: النعم، دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه. وهو المحمود عليها. كما هو محمود على إحسانه وعدله، والشكر يكون على الإحسان والنعم، فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس. فإن الشكر يقع بالجوارح. والحمد يقع بالقلب واللسان»^(٣).

بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ، وانظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣٨٧/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٤) مدارج السالكين (٩٣/٢).

(٥) منهاج السنة النبوية (٤٠٤/٥) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٠٨/١٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٣٣/١١ - ١٣٤).

(٣) مدارج السالكين (٢٣٧/٢) [دار الكتاب العربي،

وله العزة، والحكمة، وهذه الأربعة إنما يثبتها السلف وأتباعهم، فمن قصر عن معرفة السُّنة، فقد نقص الرب حقه^(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فهؤلاء لم يثبتوا له كمال الحمد - يعني: الجبرية -، كما لم يثبت له أولئك كمال الملك - يعني: القدرية -، وكلا القولين منكر عند السلف وجمهور الأمة»^(٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «التحفة العراقية»، لابن تيمية.
- ٢ - «التسييح»، لمحمد بن إسحاق كندو.
- ٣ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
- ٤ - «الحمد على ضوء الكتاب والسُّنة وأقوال السلف الصالح»، لوليد بن عيسى السعدون.
- ٥ - «جامع المسائل» (ج ٣)، لابن تيمية.
- ٦ - «دقائق التفسير»، لابن تيمية.
- ٧ - «طريق الهجرتين» (ج ١)، لابن القيم.
- ٨ - «منهاج السُّنة النبوية»، لابن تيمية.
- ٩ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.

ومنها: زيادة النعم ونماؤها، وحصول البركة في الرزق والمال والأهل، كما قال رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

مذهب المخالفين:

القدرية يرون العبد خالقاً لفعله، وأن الله لم يقدر له الطاعات، فعلى أصلهم هذا لا يستحق الله الحمد على التوفيق وعمل الطاعات، إذ كان ما أعطاهم من القدرة والتمكين وإزاحة العلة قد أعطى الكفار مثله^(١).

وحقيقة قول الجبرية أنه سبحانه لا يستحق الحمد على عمل الطاعات وترك السيئات؛ لأن العبد مجبور عليها، وليس لله نعمة على العبد في صرفه عن معصيته، ولا له في ذلك حكمة^(٢).

وأما بيان بطلان مذهبهم فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وعلى مذهب السلف: له الملك وله الحمد تامين، وهو محمود على حكمته، كما هو محمود على قدرته ورحمته، وقد قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَالِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران]، فله الوجدانية في إلهيته، وله العدل،

(١) انظر: جامع المسائل (٣/٢٨٣)، وطريق الهجرتين (٢٤٦/١) [دار عالم الفوائد، ١ ط، ١٤٢٩هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/٣٠٩)، وطريق الهجرتين (٢٤٦/١) [دار عالم الفوائد، ١ ط، ١٤٢٩هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/٣٠٩ - ٣١٠).

(٤) طريق الهجرتين (١/٢٤٧) [دار عالم الفوائد، ١ ط، ١٤٢٩هـ].

- ١٠ - «معالم السنن» (ج ٤)، للخطابي.
 ١١ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
 ومن حوله يسبحون ويستغفرون
 للمؤمنين»^(٥).

حَمَلَةُ الْعَرْشِ

التعريف لغة:

الحَمَلُ: إقلال الشيء على الظهر أو الرأس^(١).

الأسماء الأخرى:

الكَرُوبِيُّونَ: المقربون.

الحكم:

يجب الإيمان بالملائكة حملة العرش على ما وردت به النصوص، والإيمان بهم يدخل في عموم وجوب الإيمان بالملائكة.

المنزلة:

الإيمان بالملائكة حملة العرش يدخل في الإيمان بالملائكة عليهم السلام، والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، وأصل من أصوله العظيمة.

العرش: في كلام العرب يدل على ارتفاع شيء مبني. ومن معانيه: سرير الملك، ومن ذلك سرير ملكة سبأ، سماه الله عرشاً، فقال تعالى حكاية عن هدهد سليمان: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل، ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وعرش البيت سقفه، وكل بناء يُستظَلُّ به يسمى عرشاً، وعرشاً^(٢).

التعريف شرعاً:

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [غافر: ٧]، وقال عليه السلام: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من

هم الملائكة الذين تعبدهم الله ﷻ بحمل عرشه سبحانه^(٣)، وهم يحملونه بقدرة الله تعالى^(٤)، قال شيخ الإسلام

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢٦٤) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٧٢٥)، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٦٣/٣) [عالم الكتب، ط ١، ١٤١٤هـ].

(٣) انظر: الأسماء والصفات (٢٧٢/٢) [مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ].

(٤) انظر: كتاب العرش (٢٩٧/١) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (٥٥٠/٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ].

- المسألة الثانية: الكَرُوبِيُّونَ:

هم الْمُقَرَّبُونَ من الملائكة^(٤): أطلق كثير من العلماء هذا الاسم على حملة العرش ﷺ ومن حولهم^(٥)، وهذه التسمية لم ترد في القرآن الكريم، ولا في صحيح السنّة، وغاية ما ورد فيها أحاديث ضعيفة جداً أو منكورة^(٦). وسموا بذلك: لأجل ما يعلوهم من الكرب والشدة^(٧)، ولعل ذلك من حمل العرش، إذ إن العرش أثقل المخلوقات كما دلّ عليه قول النبي ﷺ: «لَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ جَوِيرِيَّةٌ ﷺ»: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»^(٨)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فهذا يبيّن أن زنة العرش أثقل الأوزان»^(٩)، وقيل: من (الكَرْب) بمعنى: الشدّة والحزن، وكأن وصفهم

ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام»^(١).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الملائكة حملة

العرش هم أقرب الملائكة إلى الرحمن: يدلّ عليه حديث ابن عباس ﷺ؛ أن النبي ﷺ قال: «ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبّح حملة العرش، ثم سبّح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال. قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا»^(٢).

أما عدد حملة العرش من الملائكة، فهو ثمانية كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة]، واختلف السلف: هل المقصود ثمانية من الملائكة أم ثمانية صفوف من الملائكة، وليس هناك نصّ صريح عن النبي ﷺ في المسألة^(٣).

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٢٧)، وصححه الذهبي في العلو (رقم ٢٣٤)، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٩).

(٣) انظر: كتاب العرش (١/٢٩٧).

(٤) انظر: غريب الحديث (١/٤٤٠) [جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٧٩٦) [دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ].

(٥) انظر: الجبائك في أخبار الملائكة (١٣٣) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ]، ومعتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (٥٨) [أضواء السلف، ١٤٢٢هـ].

(٦) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢/٣٢٣) [دار المعارف، ١٤١٢هـ].

(٧) انظر: الجبائك في أخبار الملائكة (٢٥١).

(٨) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٢٦).

(٩) مجموع الفتاوى (٦/٥٥٣).

بذلك لأنهم أشد الملائكة خوفاً^(١)، والله حملة العرش^(٢).
أعلم.

- المسألة الرابعة: العرش:

العرش سرير ذو قوائم^(٣)، يدل عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان صعق أم حوسب بصعقته الأولى»^(٤).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «أصول الإيمان»، لابن أبي زمنين
- ٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.
- ٣ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٤ - «عالم الملائكة الأبرار»، للأشقر.
- ٥ - «العلو للعلي العظيم» (ج ١)، للذهبي.
- ٦ - «القول المفيد على كتاب التوحيد» (ج ١)، لابن عثيمين.

(٦) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٤٣٢) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٧) انظر: الأسماء والصفات (٢/٢٧٢)، والاعتقاد (١١٦) [دار الفضيحة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، والعلو للعلي العظيم (١/٥٦٢) [دار الوطن، ط ١، ١٤٢٠هـ]، والبداية والنهاية (١/٢٠) [دار هجر، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٨) أخرجه البخاري (كتاب الخصومات، رقم ٢٤١٢)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٤).

- المسألة الثالثة: المقربون:

هم الملائكة الذين قربهم الله ورفع منازلهم على غيرهم من خلقه^(١). وهذه التسمية وردت في قول الله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]، وقوله تعالى: ﴿يَشْهَدُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين]، قال ابن كثير: «هم الملائكة»^(٢)، ومما يشهد لهذه التسمية قول النبي ﷺ: «ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال. قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا»^(٣). قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «فمنهم حملة العرش، ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش، وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة؛ وهم المقربون»^(٤)، وقال ابن عثيمين: «الملائكة المقربون

(١) روح المعاني (٢٤/٤٠٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٦/٣٨) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ].

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٨/٣٥٢) [دار طيبة، ط ٤، ١٤٢٨هـ].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٩).

(٥) أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب (١/٢٥٣).

٧ - كتاب «العرش» (ج ١)، للذهبي. وصفاته وأفعاله، وشرعه وقدره^(٣).

٨ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ٢)، للسفاريني.

٩ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكمي.

١٠ - «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، للعقيل.

١١ - «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لا يختلف المعنى اللغوي عن المعنى الشرعي، حيث جاء الحميد في كلٍّ منهما بمعنى خلاف الذم، وذكر الخصال المحموده، غير أن المعنى الشرعي يختص بالله ﷻ، فهو أحق بالحمد والثناء لكمال ذاته وجمال أسمائه وعلو صفاته، فهو الموصوف بالكمال بكل لسان وحال.

الْحَمِيد

الحكم:

يجب إثبات اسمه تعالى (الحميد) والإيمان بأن الله ﷻ ذو الحمد المستحق لجميع المحامد لاتصافه بجميع الكمالات.

الحقيقة:

حقيقة الحميد: دلالة على الاسمى والوصفية، وأنه حميد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وشرعه وقدره، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها، وأحسنها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل، والعدل، وهذا الاسم تضمن

التعريف لغةً:

الحميد: صيغة مبالغة على وزن (فعل) بمعنى (مفعول)، وهو خلاف الذم، يقال: حَمِدْتُ فلانًا أَحْمَدُهُ، ورجل محمود ومحمد، إذا كُثرت خصاله المحموده غير المذمومة^(١).

ويطلق الحمد أيضًا على الشكر والرضا والجزاء وقضاء الحق، والحمد والشكر مُتَقَارِبَانِ، والحمد أَعْمُّهَا؛ لَأَنَّكَ تَحْمَدُ الإنسانَ على صفاته الذَّاتِيَّةِ وعلى عطائه ولا تَشْكُرُهُ على صفاته^(٢).

التعريف شرعاً:

الحميد: المحمود في ذاته وأسمائه

(١) مقاييس اللغة (٢/١٠٠) [دار الجيل].

(٢) انظر: القاموس المحيط (٣٥٥) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٧هـ]، والنهاية في غريب الحديث (١/٤٣٧) [مؤسسة التاريخ العربي]

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/٥٧٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وشأن الدعاء للخطابي (٧٨) [دار المأمون، ط ١، ١٤٠٤هـ]، وتفسير أسماء الحسنی للسعدي (١٩٠).

محمد كما صَلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد، اللَّهُمَّ بَارِكْ على محمد وعلى آل محمد كما بَارَكْتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد»^(٢).

وقد أجمعت الأمة على ثبوت هذا الاسم^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الخطابي: «هو المحمود الذي استحق الحمد بِفِعَالِهِ، وهو فَعِيل بمعنى مفعول، وهو الذي يحمده في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء؛ لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط ولا يعترضه الخطأ فهو محمود على كل حال»^(٤).

وقال ابن تيمية: «فإن الله سبحانه أخبر أن له الحمد وأنه حميد مجيد وأن له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم ونحو ذلك من أنواع المحامد»^(٥).

وقال ابن القيم: «فإنه المحمود على ما خلقه وأمر به ونهى عنه، فهو المحمود على طاعات العباد ومعاصيهم وإيمانهم وكفرهم، وهو المحمود على

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٧٠)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٦).

(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ١٨٧) [دار الصحابة، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٤) شأن الدعاء للخطابي (٧٨).

(٥) مجموع الفتاوى (٨٣/٦ - ٨٤) [دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦هـ].

وصف الله ﷻ بأنه حميد شكور يرضى عن أعمال العباد ويجازيهم عليها، وأنه حكيم في أفعاله لا يجري فيه الغلط ولا يعترضه الخطأ، وهو الذي يحمده في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء فهو محمود بكل لسان وعلى كل حال^(١).

❁ الأدلة:

ورد اسمه تعالى: الحميد في القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الحج: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

كما ورد في السُّنَّة في حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه؛ أنه قال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علّمنا كيف نُسَلِّم؟ قال: «قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ على محمد وعلى آل

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٥٧٠)، وشأن الدعاء للخطابي (٧٨)، تفسير أسماء الحسنى للسعدي (١٩٠).

من نعوت كماله، وهذا الحمد لا يكون إلا على ما هو في نفسه مستحق للحمد، وإنما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال، والله من تلك الصفات أكملها وأعظمها، فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله لأنها دائرة بين أفعال الفضل، والإحسان، وبين أفعال العدل، والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدريّة وأحكامه الشرعية، وأحكام الجزاء في الأولى، والآخرة، وتفاصيل حمده، وما يحمد عليه لا تحيط بها الأفكار، ولا تحصيها الأقاليم^(٣).

المسائل المتعلقة:

يوصف الله ﷻ بالحمد، وهو من الصفات الذاتية الثابتة له، فالله ﷻ حميد وذو حمد، حمد نفسه على كماله وعظمته، وحمده جميع الخلائق من إنسه وجنه قال سبحانه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦) وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧) [الجاثية].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٨٣/٦ - ٨٤)، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٩١)، وفقه الأسماء الحسنى للبدر (١٩٨ - ٢٠٠) [ط ١، ١٤٢٩هـ].

خلق الأبرار والفجار والملائكة والشياطين، وعلى خلق الرسل وأعدائهم، وهو المحمود على عدله في أعدائه كما هو المحمود على فضله وإنعامه على أوليائه، فكل ذرة من ذرات الكون شاهدة بحمده، ولهذا سبج بحمده السماوات السبع والأرض ومن فيهن، وإن من شيء إلا يسبح بحمده^(١).

وقال ابن كثير - في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (٣٧) - «وهو الحميد؛ أي: المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، لا إله إلا هو، ولا رب سواه»^(٢).

الأقسام:

أنواع الحمد في حق الله ﷻ:

الأول: حمده على إحسانه إلى عباده، وهو من الشكر، وذلك لأن النعمة موجبة لحمد المنعم، والنعمة كلها من الله فهو الذي خلقهم، ورزقهم، وأسدى عليهم النعم الظاهرة، والباطنة الدينية، والدنيوية، وصرف عنهم النقم، والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلا هو، فيستحق منهم أن يحمده في جميع الأوقات، وأن يشنوا عليه، ويشكروه بعدد اللحظات.

والثاني: حمده لما يستحقه هو بنفسه

(١) طريق الهجرتين (١٩٢) [دار ابن القيم، ط ٢].

(٢) تفسير ابن كثير (٦٩٩/١) [دار طيبة، ط ٢].

❁ الفروق:

الفرق بين الحمد والشكر:

الحمد: هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية.

والشكر: لا يكون إلا على المتعدية، ويكون بالجنان واللسان والأركان.

والحمد أعم من الشكر من حيث ما يقع عليه؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، تقول: حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه. وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول، والشكر أعم من حيث ما يقع عليه؛ لأنه يكون بالقول والعمل، والنية، وهو أخص؛ لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية، لا يقال: شكرته لفروسيته، وتقول: شكرته على كرمه وإحسانه إليّ، والله تعالى أعلم^(١).

❁ الثمرات:

١ - يجب على كل مكلف أن يعتقد أن الحمد على الإطلاق إنما هو لله، وأن الألف واللام للاستغراق لا للعهد، فهو الذي يستحق جميع المحامد بأسرها، فنحمده على كل نعمة وعلى كل حلٍّ بمحامده كلها ما علم منها وما لم يعلم.

٢ - ويجب عليه أن يسعى في خصال الحمد، وهي التخلق بالأخلاق الحميدة

(١) تفسير ابن كثير (١/١٢٨).

والأفعال الجميلة، ويترك نقيضها ويدع سفسفها^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

خالف في هذا الاسم الجهمية والمعتزلة، فالجهمية لا يثبتون لله أي اسم لا حميد ولا غيره، فالله عندهم لا يسمى بشيء، وذلك لظنهم أن إثبات الأسماء يلزم منه التشبيه، والمعتزلة أثبتوا الأسماء مجردة عن الصفات، فالله عندهم حميد بلا حمد كما أنه عالم بلا علم، وقادر بلا قدرة وحي بلا حياة... إلخ^(٣).

❁ الرد عليهم:

١ - أن الله تعالى وصف أسمائه بأنها حسنى، وأمرنا بدعائه بها، وهذا يقتضي أن تكون دالة على معاني عظيمة تكون وسيلة لنا في دعائنا، فلو كانت أعلاماً محضة لكانت غير دالة على معنى سوى تعيين المسمى، فضلاً عن أن تكون حسنى ووسيلة في الدعاء.

٢ - قولهم بأن الله تعالى حكيم بلا حكمة وعليم بلا علم قول باطل مخالف لمقتضى اللسان العربي وغير العربي؛

(٢) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/١٨٩ - ١٩٠).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/٢٣٥) [المكتبة التخصصية، ط ٣، ١٣٨٩هـ]، ومجموع الفتاوى (٦/٣٤ - ٣٥) [دار الوفاء، ط ٣، ١٣٢٦هـ]، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/٥٢٦) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٠٦هـ].

لأن من المعلوم أن المشتق دالٌّ على المعنى المشتق منه، وأنه لا يمكن أن يقال عليم لمن لا علم له وحكيم لمن لا حكمة عنده.

٣ - أن الله تعالى يسمي نفسه باسمين أو أكثر في موضع واحد كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) [الحشر]، فلو كانت الأسماء مترادفة ترادفًا محضًا لكان ذكرها مجمعة لغوًا من القول لعدم الفائدة^(١).

٤ - أن الاتفاق في الاسم العام لا يقتضي تماثل المسميات في ذلك الاسم عند الإضافة والتقييد والتخصيص، فما سمي الله به نفسه اختص به عند الإضافة، وكذلك ما تسمى به العبد اختص به^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة»، لمحمود عبد الرزاق.
- ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

(١) انظر: تقريب التدمرية لابن عثيمين (٢٩، ٣١) [دار الوطن، ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: التدمرية لابن تيمية (٢٠ - ٢١) [مكتبة العبيكان، ٨، ١٤٢٤هـ].

٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٥ - «الجامع لأسماء الله الحسنى»، لحامد أحمد الطاهر.

٦ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

٧ - «صفات الله الواردة في الكتاب والسنة»، للسقاف.

٨ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٩ - «المنهاج لشعب الإيمان»، للحلي.

١٠ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للحمود.

الْحَنَانُ

التعريف لغة:

الْحَنَانُ: بتخفيف النون مصدر من الفعل حَنَّ عليه يَحْنُّ حَنَانًا إِذْ رَحِمَهُ وَأَشْفَقَ عَلَيْهِ.

قال ابن فارس: «الحاء والنون أصل واحد، وهو الإشفاق والرفقة والحنان: الرحمة. قال الله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: ١٣] وتقول: حَنَانُكَ؛ أَي: رَحْمَتُكَ»^(٣).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (٢٤/٢ - ٢٥) تحقيق: عبد السلام محمد [دار الجيل].

بالرحمة والتعطف، ولو أعرضوا عنه.

❖ الأدلة:

ورد ثبوت صفة الحنان لله ﷻ في الكتاب والسنة.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿يَجِيءُ خُذِ الْكِتَابَ يَقُودُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۝ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ۝﴾ [مريم].

ذهب جمهور المفسرين إلى أن الحنان في هذه الآية بمعنى رحمته سبحانه، وأن قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾؛ أي: رحمة من عندنا^(٥). ورأى ابن كثير رَحْمَةً بأن الحنان في الآية وصفٌ ليحيى، فقال: «أي: وجعلناه ذا حنان وزكاة، فالحنان هو المحبة في شفقة وميل»^(٦).

والصواب: ما ذهب إليه الجمهور، وعليه فإن الآية دليل على إثبات صفة الحنان لله ﷻ لما سيأتي من الأقوال.

ومن السنة: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الطويل، في وضع الصراط بين ظهري جهنم، وجاء فيه: «ثم يتحنن الله برحمته على من فيها، فما يترك فيها عبدًا في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا أخرجه منها»^(٧).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨/١٥٦ - ١٥٨) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٦) تفسير ابن كثير (٥/٢١٧) [دار طيبة، ط٢].

(٧) أخرجه أحمد (١٧/١٤٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، =

والحنان بالتشديد: ذو الرحمة من تحنن عليه: ترحم عليه، يقال: والله الحنان المنان: الرحيم بعباده^(١).

❖ التعريف شرعًا:

الحنان: الذي يقبل على من أعرض عنه^(٢). وقيل: ذو الرحمة والعطف^(٣).

❖ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين؛ لأن الحنان في كلٍّ منهما؛ يعني: الرحمة، لكن المعنى الشرعي يختص بكون الحنان صفة من صفات الله ﷻ، وهذا يقتضي حمله على غاية الكمال والجمال في حقه سبحانه.

❖ الحكم:

يجب إثبات صفة الحنان لله ﷻ كما يليق بجلاله، وهي صفة من صفات الله الفعلية الدالة على سعة رحمته وعطفه على عباده^(٤).

❖ الحقيقة:

حنان الرب ﷻ هو إقباله على عباده

(١) تهذيب اللغة للأزهري (١/٤٤١) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

(٢) النبوات لابن تيمية (١/٣٦٥) [ط١، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ].

(٣) الحجة للتميمي (١/١٧٧).

(٤) انظر: صفات الله الواردة في الكتاب والسنة علوي السقاف (١٠٢) [دار الهجرة، ط١، ١٤١٤هـ].

✽ أقوال أهل العلم:

يدعو به الناس، خاصّهم وعامّهم، وإن لم تثبت به الرواية عن رسول الله ﷺ قولهم: (الْحَنَانُ الْمَنَّانُ)، وقوله: الْحَنَانُ: معناه: ذو الرحمة والعطف»^(٥).

ونقل القرطبي عن ابن العربي، أنه قال: «وهذا الاسم لم يرد به قرآن ولا حديث صحيح، وإنما جاء من طريق لا يعول عليه، غير أن جماعة من الناس قبلوه وتأولوه، وكثر إيرادهم في كتب التأويل والوعظ»^(٦).

وقد أخرج ابن حبان في باب الأدعية دعاء: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْحَنَانُ الْمَنَّانُ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»^(٧).

وقد بين الألباني بأن المحفوظ في لفظ الحديث - كما في زوائد ابن حبان للهيثمي - قوله: «أنت المَنَّان»، وأنّ زيادة: «الحنان» شاذة^(٨).

وعليه؛ فإن الصحيح أن الحَنَانُ ليس من أسماء الله الحسنی؛ لأن باب الأسماء توقيفي على النص، ولم يرد فيه نص قرآني ولا حديث نبوي صحيح،

قال الطبري «وقوله: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ يقول تعالى ذكره: ورحمة منا ومحبة له أتيناها الحكم صبيّا»^(١).

وقال الحلبي: «وهو الواسع الرحمة، وقد يكون المبالغ في إكرام أهل طاعته إذا وافوا دار القرار؛ لأن من حن من الناس إلى غيره أكرمه عند لقائه، وكلف به عند قدومه»^(٢).

ونقل البيهقي عن ابن الأعرابي أنه قال: «الحنان من صفات الله الرحيم»^(٣).

وقال السعدي في قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾: «أي: رحمة ورأفة، تسرت بها أموره، وصلحت بها أحواله، واستقامت بها أفعاله»^(٤).

✽ المسائل المتعلقة:

الحنان: ذكر بعض أهل العلم (الْحَنَانُ) من أسماء الله تعالى، ومنهم: الحلبي، والبيهقي، والقرطبي واحتجوا بقبول الناس لهذا الاسم ودعاءهم به. قال أبو سليمان الخطابي: «ومما

(٥) شأن الدعاء للخطابي (١٠٥) [دار المأمون، ط١، ١٤٠٤هـ].

(٦) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنی (٢٦٥/١) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ].

(٧) صحيح ابن حبان (كتاب الرقاق، رقم ٨٩٣) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ].

(٨) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٢١٢/٧) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٢هـ].

= والحاكم في المستدرک (كتاب الأهوال، رقم ٨٧٣٨) وصححه، وقال البوصيري: «رواه ثقات». إتحاف

الخيرة المهرة (١٦٨/٨) [دار الوطن، ط١].

(١) تفسير الطبري (١٥٥/١٨).

(٢) المنهاج للحلبي (٢٠٧/١) [دار الفكر، ط١].

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (٢٠٨/١) [مكتبة السوادي، ط١].

(٤) تفسير السعدي (٤٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط١].

الصفة، ويكون رحيماً عطوفاً ذا شفقة ورأفة في تعامله مع عباد الله ﷻ، وقد حث الله على هذه الصفة وذم نقيضها، فقال: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

✽ مذهب المخالفين:

أنكر عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة أن يوصف الله ﷻ بالحنان وما في معناها كالرأفة والرحمة كما يليق بجلاله، فصرفوها عن ظواهرها وعطلوها عن حقائقها، وقالوا: إن الرأفة والرحمة هي رقة تعتري القلب، وهي من الكيفيات النفسية والله منزه عنها، ثم أولوا رأفته ورحمته بمعنى إرادة إنعامه وإحسانه ولطفه على عباده (٣).

✽ الرد عليهم:

الأول: أن يقال: لم أثبت له إرادة وأنه يريد حقيقة ونفيت حقيقة الرأفة والرحمة والحنان ونحو ذلك. فإن قال: الإرادة التي نثبتها لله ليست مثل إرادة المخلوقين.

قال له أهل الإثبات: وكذلك الرحمة

وقد رجح عدد من الباحثين المعاصرين عدم ثبوته (١).

✽ الفرق:

الفرق بين الحنان والرحمة والرأفة:

الحنان والرحمة والرأفة كلها بمعنى الرقة والتعطف، غير أن الحنان تحمل معنى زائداً وهو المحبة، فهي رحمة مقرونة بالمحبة والشفقة والميل، بخلاف الرحمة، الرأفة فقد تكون معهما المحبة وقد لا تكون، كما فرق بينهما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١] والعطف يقتضي المغايرة. فيكون الحنان أوسع منهما والرأفة أوسع من الرحمة (٢).

✽ الثمرات:

١ - يجب على أن من علم أن الله حنان ذو رحمة وعطف على عباده أن يتعبده بمقتضى هذه الصفة، ويؤمن بأن الله بحنانه سيرحمه ويعطف عليه، فيقبل عليه بالتوبة والاستغفار مهما عظمت ذنوبه وكثرت خطاياها.

٢ - ثم إنه ينبغي عليه أن يتخلق بهذه

(١) انظر: صفات الله الواردة في الكتاب والسنة لعلوي السقاف (١٠٨)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنی (٢٨٠) [دار إيلاف، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة (١٧٤/١) [دار الراجية، ط٢، ١٤١٩هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (٢٠٨، ٢٠٥/١) [مكتبة السوادي، ط٢، ١٤٢٧هـ].

(٣) انظر: الكشف للزمخشري (٤٥/١) [دار إحياء التراث]، والإنصاف للباقلاني (٣٩) [المكتبة الأزهرية، ط٢]، وتفسير الرازي (٢٨٦/١٤) [دار التراث العربي]، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٧١/١٠) [مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ].

الثاني: أن هذه التفسيرات يلزمهم فيها ما فروا منه، «فإن الفعل المعقول لا بد أن يقوم أولاً بالفاعل، والثواب والعقاب المفعول إنما يكون على فعل ما يحبه ويرضاه، ويسخطه ويبغضه المثير المعاقب، فهم إن أثبتوا الفعل على مثل الوجه المعقول في الشاهد للعبء مثلوا، وإن أثبتوه على خلاف ذلك، فكذلك سائر الصفات»^(٤).

والرأفة والحنان التي نثبته لله ليست مثل رحمة المخلوق ورأفة المخلوق.

ومعلوم عند كل عاقل أن إرادتنا ومحبتنا ورحمتنا بالنسبة إلينا كإرادته ورحمته ومحبته بالنسبة إليه، فلا يجوز التفريق بين المتماثلين؛ فتثبت له إحدى الصفتين وتنفي الأخرى، وليس في العقل ولا في السمع ما يوجب التفريق^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٣ - «تفسير ابن كثير».
- ٤ - «تفسير الطبري».
- ٥ - «الحجة في بيان المحجة»، لأبي القاسم الأصبهاني.
- ٦ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٧ - «صفات الله الواردة في الكتاب والسنة»، للسقاف.
- ٨ - «المنهاج لشعب الإيمان»، للحليمي.
- ٩ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للحمود.
- ١٠ - «التدمرية»، لابن تيمية.
- ١١ - «مختصر الصواعق»، للموصلي.

الثاني: أن إرادة الإحسان هي من لوازم الرحمة، والرأفة والحنان، فإذا انتفت حقيقة هذه الصفات، انتفى لازمها وهو إرادة الإحسان «لأن ثبوت لازم الحقيقة مع انتفائها ممتنع، فالحقيقة لا توجد منفكة عن لوازمها»^(٢).

وأما تفسيرهم للرحمة والرأفة والحنان بالإحسان والإنعام والثواب فهذا باطل من وجوه:

الأول: «أن الله تعالى فرق بين رحمته ورضوانه وثوابه المنفصل. فقال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة]. فالرحمة والرضوان صفتة والجنة ثوابه»^(٣).

(١) انظر: شرح الأصفهانية لابن تيمية (٣٦ - ٣٧، والتدمرية (٣١ - ٣٢)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٤٧٣)، والصفات الإلهية للجامي (٣٧٧).

(٢) مختصر الصواعق (٨٧٩/٣).

(٣) المصدر السابق (٨٧٨/٣).

(٤) التدمرية (٤٦).

المشركين^(٢).

الحنيفية

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

لما كانت ملة إبراهيم التي هي الإسلام في حقيقتها ميلاً عن الشرك إلى التوحيد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وكان الميل في اللغة هو أحد معاني الحنف، أطلق ذلك على ملة إبراهيم ﷺ التي هي الإسلام، لكونها ميلاً عن الشرك.

سبب التسمية:

والحنيف: المسلم: وإنما قيل للمسلم: حَنِيفًا لاستقامته على الحق، وميله عن الشرك وعبادة الأوثان إلى عبادة الله تعالى وتوحيده^(٣).

الأسماء الأخرى:

ملة إبراهيم، الإسلام، التوحيد، الإخلاص.

الحقيقة:

الحنيفية: هي الفطرة التي ارتضاها الله تعالى لعباده ولا يقبل غيرها، وهي ملة الإسلام ودين أهل التوحيد في كل زمان ومكان الذي عليه الأنبياء

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨٨/٣٥)، والفتاوى الكبرى له (٢٨١/١)، والجواب الكافي (١٣٥).

(٣) انظر: لسان العرب (٥٦/٩).

التعريف لغةً:

الحنيفية في اللغة: مشتقة من الحَنَف: وهو الاعوجاجُ في الرجل، وذلك بإقبال كل واحدة من القدمين على الأخرى بإبهامها، ومنه سُمي الأحنف بن قيس، لحنف كان في رجله، والحنف أيضاً: الميل، يقال: تَحَنَّفَ فلان إلى الشيء تَحَنُّفًا: إذا مال إليه^(١).

التعريف شرعاً:

الحنيفية هي الإسلام العام: عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بكتبه ورسله واليوم الآخر، فهي حقيقة الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا فِيمَا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦].

و ضد الحنيفية: الشرك بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٠٥]. [يونس]. فمن ترك الحنيفية صار من

(١) انظر الصحاح (١٣٤٧/٤)، والنهاية في غريب الحديث (٤٥١/١)، والقاموس المحيط (١٠٣٦)، وتفسير الطبري (٥٩٤/١)، وزاد المسير (٩٠).

السَّمَاءَ فَتَخَفَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيحٍ ﴿٣٦﴾ [الحج]، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِّى فَطَرْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٧٩﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة].

ومن السُّنَّة: حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهن عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً» ^(٢).

وحديث ابن عباس رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: «الحنيفية السمحة» ^(٣).

قال ابن القيم رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: «فهي حنيفة في التوحيد وعدم الشرك سمحة في العمل وعدم الأضرار

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٥).

(٣) أخرجه أحمد (١٧/٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وعلقه البخاري في صحيحه (كتاب الإيمان، باب الدين يسر)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ٨٨١) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٥هـ].

والمرسلون ﷺ، وهي الاعتقاد المائل عن كل دين باطل لا يرضي الله إلى الدين المستقيم الذي يرضي الله، وتحقيقها يكون بالاستسلام للخالق ﷻ والانقياد له بالطاعة، والخلوص له من الشرك، وذلك بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه ^(١).

المنزلة:

هي التي يفطر عليها كل مولود. وهي دين الأنبياء جميعهم، واعتقاد الرسل كلهم، لم يختلفوا عنها فيما بينهم.

وهي الدين الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه.

وهي الدين - الإسلام - الذي من يبتغي غيره كان يوم القيامة من الخاسرين.

وهي الدين القويم الذي من ثبت عليه فاز بسعادة الدارين.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٥﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ

(١) انظر: العذب النمبر للشنقيطي (٢/٢٦٠) [دار عالم الفوائد، ط ٢، ١٤٢٦هـ].

الحنيف هو الإقبال على الله وحده والإعراض عما سواه، وهو الإخلاص الذي ترجمته كلمة الحق والكلمة الطيبة لا إله إلا هو، اللَّهُمَّ ثبتنا عليها في الدنيا وفي الآخرة ولا حول ولا قوة بالله^(٣).

وقال أيضًا: «وأما الكتب السماوية المتواترة عن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فمناطق بآن الله لا يقبل من أحد دينًا سوى الحنيفية، وهي الإسلام العام عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بكتبه ورسله واليوم الآخر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّالِحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة]، وبذلك أخبرنا عن الأنبياء المتقدمين وأممهم^(٤).

وقال ابن القيم: «الحنيفية: ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران]، وهي ملة إبراهيم عليه السلام التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء^(٥).

والأغلال بتحريمهم من الطيبات الحلال فيعبد سبحانه بما أحبه ويستعان على عبادته بما أحله^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال الطبري: «فإن قال: فكيف أضيف الحنيفية إلى إبراهيم وأتباعه على ملته خاصة، دون سائر الأنبياء قبله وأتباعهم؟ قيل: إن كل من كان قبل إبراهيم من الأنبياء كان حنيفًا متبوعًا طاعة الله، ولكن الله تعالى ذكره لم يجعل أحدًا منهم إمامًا لمن بعده من عباده إلى قيام الساعة؛ كالذي فعل من ذلك بإبراهيم، فجعله إمامًا فيما بينه من مناسك الحج والختان، وغير ذلك من شرائع الإسلام، تعبدًا به أبدًا إلى قيام الساعة، وجعل ما سق من ذلك علمًا مميزًا بين مؤمني عباده وكفارهم، والمطيع منهم له والعاصي، فسمي الحنيف من الناس: حنيفًا؛ باتباعه ملته، واستقامته على هديه ومنهاجه، وسمي الضال عن ملته بسائر أسماء الملل، فقيل: يهودي، ونصراني، ومجوسي، وغير ذلك من صنوف الملل^(٢).

وقال ابن تيمية: «الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام فإن الحنف هو الميل عن الشيء بالإقبال على آخر، فالدين

(٣) الفتاوى الكبرى (١/٢٨١).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٥/١٨٨).

(٥) الجواب الكافي (١٣٥).

(١) شفاء العليل (٣٠٣) [دار المعرفة، ط. ١٣٩٨هـ].

(٢) تفسير الطبري (١/٥٦٦).

المسائل المتعلقة:

١- المسألة الأولى: الحنيفية دين

جميع الأنبياء ﷺ:

لما كانت الحنيفية هي الإسلام الذي هو عبادة الله تعالى وتوحيده، فهي دين جميع الأنبياء ﷺ، الذي لا يقبل الله سواه، وضد ذلك مأخوذ عن المشركين والصابئين، أعداء إبراهيم إمام الحنفاء ﷺ^(١).

٢- المسألة الثانية: إضافة الحنيفية إلى

ملة إبراهيم ﷺ:

أضيفت الحنيفية إلى ملة إبراهيم ﷺ، ووصف ﷺ بذلك في عدد من الآيات القرآنية؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البقرة)، وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة].

وأما سبب إضافة الحنيفية إلى ملة إبراهيم ﷺ دون غيره من الأنبياء ﷺ ممن كان قبله، فذلك راجع إلى أمرين:

١- أن الله ﷻ جعله إمامًا في التوحيد والبراءة من الشرك والمشركين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً

قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل].

٢- أن إبراهيم ﷺ، هو أول إمام لزم العباد - الذين كانوا في عصره ومن جاؤوا بعده إلى قيام الساعة - اتباعه في مناسك الحج، وفي الختان، ولذا فسر بعض السلف الحنيفية، بأنها حج البيت والختان^(٢).

٣- المسألة الثالثة: معنى حديث:

«خلقت عبادي حنفاء...»:

الحديث يدل على أن الله تعالى فطر العباد مائلين عن الشرك إلى التوحيد. مستقيمين منييين لقبول الهداية، وقيل: المراد حين أخذ عليهم العهد في الذر وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، فأزالتهن الشياطين عما كانوا عليه، وصرفتهن عن عبادة ربهم والإقرار بالوهيته سبحانه^(٣).

ثم لا بد من البيان أنه لا تعارض بين حديث: «خلقت عبادي حنفاء...» وحديث: «كلكم ضال إلا من هديته...»، والجواب عن ذلك أن يقال:

١- أن الله خلق بني آدم وفطرهم على قبول الإسلام، والميل إليه، لكن لا بد للعبد من تعلم الإسلام بالفعل؛ لأنه قبل التعلم يكون جاهلاً.

٢- أن الإنسان يولد مفطوراً على

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/٥٦٦).

(٣) انظر: شرح مسلم للنووي (٩٧/١٧) [دار إحياء التراث، ط ٢، ١٣٩٢هـ].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٨٨/٣٥) (٧٣/١٠)، وتفسير ابن عطية (١٣٦).

١ - أن الفطرة ليست مرادفة للإسلام والحنيفية، وإنما يراد بها السلامة من الكفر والإيمان، واحتج أصحاب هذا القول، بأن الإنسان يولد لا يعلم شيئاً كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]. وقد ذهب إلى هذا القول طائفة من أهل العلم ورجحه ابن عبد البر وغيره^(٣).

٢ - أن الفطرة مرادفة للحنيفية والإسلام، فقد فطر الناس على الإسلام، وعلى هذا تدل الآية المتقدمة، حيث أمر الله بإقامة الوجه للدين الحنيف، وأخبر سبحانه أنه هو الفطرة التي فطر الناس عليها، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم حيث ذكر في الحديث ملل الكفر دون ملة الإسلام، فعلم أنه يتحول من الإسلام إلى غيره بفعل الأبوين، وهذا القول هو قول عامة السلف رحمهم الله، ورجحه ابن تيمية وابن القيم وغيرهما من المحققين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الآثار المنقولة عن السلف لا تدل إلا على هذا القول الذي رجحناه لا تدل على أنه حين الولادة لم يكن على فطرة سليمة

قبول الحق، فإن هداه الله سبب له من يعلمه الهدى.

قال ابن رجب: «وقوله: «كلكم ضال إلا من هديته»، قد ظن بعضهم أنه معارض لحديث: يقول الله تعالى: «خلقت عبادي حنفاء»، وليس كذلك، فإن الله خلق بني آدم وفطرهم على قبول الإسلام، والميل إليه دون غيره، والتهيؤ لذلك والاستعداد له بالقوة، لكن لا بد للعبد من تعلم الإسلام بالفعل»^(١).

الفروق:

الفرق بين الحنيفية والفطرة:

ورد لفظ الفطرة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، كما ورد ذلك في السنة في عدد من الأحاديث الصحيحة؛ كقوله تعالى في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه»^(٢).

وقد اختلف العلماء في المراد بالفطرة الواردة في النصوص، هل هي مرادفة للحنيفية والإسلام على أقوال كثيرة، أهمها قولان:

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٤١).

(٢) رواه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٨٥)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٨).

(٣) التمهيد لابن عبد البر (٧٠/ ١٨)، وانظر: عقيدة الإمام ابن عبد البر، لسليمان الغصن (٤٣٥).

قال ابن فارس: «الحاء والذال والشاء أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن. يقال: حدث أمر بعد أن لم يكن. والرجل الحدث: الطريُّ السنّ. والحديث من هذا؛ لأنه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء. ورجل حدث: حسن الحديث»^(٣).

وقال الفيروزآبادي: «حدث حدثاً وحداثة: نقيض قَدُم وتضم داله إذا ذكر مع قَدُم. وحدثان الأمر بالكسر: أوله وابتدأؤه كحدثته، ومن الدهر: نوبه كحوادثه وأحداثه. والأحداث: أمطار أول السنة. ورجل حدث السن وحديثها بين الحداثة والحدوثة: فتي. والحديث: الجديد والخبر»^(٤).

التعريف اصطلاحاً:

الحوادث أو الحادث في اصطلاح المتكلمين: «ما يكون مسبوقاً بالعدم»^(٥).

والحدوث: «عبارة عن وجود الشيء بعد عدمه»^(٦). ويقصد المتكلمون بهذا أفعال الله الاختيارية^(٧).

(٣) مقاييس اللغة (٣٦/٢) [دار الجيل، ط٢].

(٤) القاموس المحيط (١٦٧) [مؤسسة الرسالة، ط٨].

(٥) التعريفات للجرجاني (١١٠) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ].

(٦) التعريفات للجرجاني (١١٣).

(٧) انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة للجويني (٤٤ -

٤٥) [مكتبة الخانجي، ١٣٦٩هـ]، والإنصاف فيما

يجب اعتقاده للباقلاني (٣٨) [عالم الكتب، لبنان، =

مقتضية للإيمان مستلزمة له لولا المعارض»^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «تحفة المودود»، لابن القيم.
- ٢ - «تفسير الطبري» (ج ١).
- ٣ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

- ٤ - «الجواب الكافي»، لابن القيم.
- ٥ - «درء التعارض»، لابن تيمية.
- ٦ - «زاد المسير في علم التفسير»، لابن الجوزي.

- ٧ - «عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان»، لسليمان الغصن.
- ٨ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٩ - «الفتاوى الكبرى» (ج ١)، لابن تيمية.

- ١٠ - «النهاية في غريب الحديث»، لابن الأثير.

الحوادث

التعريف لغة:

الحوادث: جمع حادثة مؤنث حادث^(٢)، وهو اسم فاعل من الفعل حَدَثَ يقال: حَدَثَ حدوثاً وحداثة، والحدث نقيض القَدَم.

(١) درء التعارض (٨/٤١٠)، وانظر: تحفة المودود (١١٣).

(٢) انظر: المعجم الوسيط (١/١٥٩) [دار الدعوة].

الحكم:

الثاني: أن أفعاله تعالى من جهة آحادها فهي حادثة؛ أي: أنها متجددة وواقعة حسب مشيئته وإرادته.

وهذا النوع ينفيه المتكلمون عن الله بحجة أنه قول بحلول الحوادث في ذات الله، والله منزّه عنه حسب زعمهم، وهو نفي باطل. وأما ما يتعلق بالمخلوقات فهو أيضًا على نوعين:

النوع الأول: بالنظر إلى أعيان المخلوقين فهم مسبوقون بالعدم فما من مخلوق إلا وهو مسبوق بالعدم.

النوع الثاني: بالنظر إلى نوع المخلوقات فهي قديمة لا أول لها؛ لأن الله لم يزل فعلاً لما يريد.

الحقيقة:

حقيقة الحوادث المنفية عن الله عند المتكلمين هي الصفات الفعلية الاختيارية التابعة لمشيئة الله تعالى كالاستواء والنزول والرضا والغضب، والفرح والخلق والإحسان ونحوها، فإذا قالوا: إن الله منزّه عن الحوادث لم يكن مقصودهم إلا نفي صفاته وأفعاله هذه ونحوها؛ لأن الله عندهم لا تقوم به مشيئة ولا حب ولا عدل ولا إتيان ولا مجيء ولا نزول ولا غيرها من صفات الله^(٣).

لفظ الحوادث هو لفظ مجمل فقد يطلق ويراد به فعل الرب تعالى، وقد يطلق أيضًا ويراد به المخلوقات.

فالأول يتعلق بالخالق، والثاني يتعلق بالمخلوقات، أما ما يتعلق بالخالق وهي صفاته الفعلية فهي بالنظر إلى نوعها وآحادها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: بالنظر إلى نوعها وأصلها فهي قديمة، وأنه تعالى متصف بها أولاً كما قال الطحاوي في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة: «ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه، لم يزد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليًا، كذلك لا يزال عليها أبدًا»^(١).

يقول ابن أبي العز الحنفي في توضيح هذا الكلام: «أي: أن الله تعالى لم يزل متصفًا بصفات الكمال: صفات الذات، وصفات الفعل. ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفًا بها؛ لأن صفاته سبحانه صفات كمال، وفقدتها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفًا بضده»^(٢).

= ط ١، ١٤٠٧هـ، ودرء التعارض (٢٤/٤) [جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ].

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز (٩٦/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١٠، ١٤١٧هـ].

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز (٩٦/١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٥١/٨)، والصواعق =

✽ أقوال أهل العلم:

يتكلم بقدرته ومشيتته، ولا ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، ولا يأتي يوم القيامة ولا يجيء، ولا يغضب بعد أن كان راضيًا، ولا يرضى بعد أن كان غضبان، ولا يقوم به فعل البتة ولا أمر مجدد بعد أن لم يكن، ولا يريد شيئًا بعد أن لم يكن مريدًا له^(٢).

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «وحلول الحوادث بالرب تعالى، المنفي في علم الكلام المذموم، لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال؛ فإن أريد بالنفي أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثه، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن - فهذا نفي صحيح. وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية، من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحد من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته - فهذا نفي باطل»^(٣).

✽ المسائل المتعلقة:

تسلسل الحوادث:

التسلسل لغة: اتصال الشيء بالشيء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لفظ: (الحوادث والمحدثات) قد يفهم ما يحدثه الإنسان من الأفعال المذمومة والبدع التي ليست مشروعة أو ما يحدث للإنسان من الأمراض ونحو ذلك. والله تعالى يجب تنزيهه عما هو فوق ذلك مما فيه نوع نقص فكيف تنزيهه عن هذه الأمور؟ ولكن لم يكن مقصود المعتزلة بقولهم: هو منزّه عن الأعراض والحوادث إلا نفي صفاته وأفعاله»^(١).

وذكر الإمام ابن القيم أن لفظ حلول الحوادث من الألفاظ المجملة التي توهم تنزيه الله عن النقص وفي حقيقتها يراد بها التعطيل فيحكي عن المتكلمين أنهم يقولون: «نحن ننزهه عن الأعراض وحلول الحوادث، فيسمع الغرّ المخدوع هذه الألفاظ، فيتوهم منها أنهم ينزهون الله عما يفهم من معانيها عند الإطلاق، من العيوب والنقائص والحاجة، فلا يشك أنهم يمجّدونه ويعظمونه، ويكشف الناقد البصير ما تحت هذه الألفاظ فيرى تحتها الإلحاد وتكذيب الرسل وتعطيل الرب تعالى عما يستحقه من كماله، فتتنزيهه عن الأعراض وأما حلول الحوادث فيريدون به أنه لا

(٢) الصواعق المرسله (٣/ ٩٣٤ - ٩٣٥).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٩٧)، وانظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه (٢١٣ - ٢١٤) [المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ط ١].

= المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة (٢/ ٦٧٤) [دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٦٧).

الطوائف يقولون: إن كل ما سوى الله مخلوق حادث بعد أن لم يكن.

القول الثاني: أنه لا يجوز لا في الماضي ولا في المستقبل، وهو قول الجهم بن صفوان وأبي الهذيل العلاف.

القول الثالث: أنه يجوز في المستقبل دون الماضي، وهو قول أكثر أتباع جهم وأبي الهذيل من الجهمية والمعتزلة والأشعرية والكرامية ومن وافقهم^(٤).

الثالث: التسلسل الواجب، وهو تسلسل أفعال الرب ودوامها أزلاً وأبداً؛ فكل فعل مسبوق بفعل آخر قبله. وقد دلّ الشرع والعقل على هذا النوع^(٥).

❦ الفروق:

الفرق بين نوع الحوادث وآحادها هو أن نوعها قديم؛ أي: أنه ما من مخلوق إلا وهو مسبوق بمخلوق آخر؛ لأن الله فعال لما يريد أزلاً وأبداً، وإن كان كل مخلوق مسبوقاً بعدم.

وأما آحاد الحوادث فمخلوقة محدثة بعد أن لم تكن فهي حادثه؛ أي: متجددة حسب مشيئة الله وإرادته^(٦) فقد

(٤) انظر: الصفدية (١٠/١ - ١١) [مكتبة ابن تيمية، مصر، ط ٢، ١٤٠٦هـ]، ومنهاج السنّة (١/١٧٦، و٤٣٧ - ٤٣٨، و٣٩٣/٢) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٠٥/١).

(٥) شفاء العليل (١٥٦) [دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ].

(٦) انظر: درء التعارض (١٤٧/٩ - ١٥٠)، ومنهاج =

إلى ما لا نهاية. وبذلك سميت سلسلة الحديد لاتصال حلقاتها بعضها ببعض، وسلسلة البرق المستطيلة في عرض السحاب^(١).

وأما في الاصطلاح فقد عُرّف بأنه: «ترتيب أمور غير متناهية»^(٢).

ولفظ: (تسلسل الحوادث) لفظ مجمل لم يرد في الشرع إثباته ولا نفيه، وإنما هو من الألفاظ المبتدعة.

وهو ثلاثة أنواع:

الأول: التسلسل الممتنع، وهو التسلسل في العلل والفاعلين والمؤثرات: وذلك بأن يكون للفاعل فاعل، وللفاعل فاعل إلى ما لا نهاية له، وهذا ممتنع باتفاق العقلاء، وباطل بإجماع العلماء^(٣).

الثاني: التسلسل الممكن، وهو التسلسل في المفعولات والآثار، وذلك بأن يكون كل حادث موقوفاً على حادث قبله وهكذا إلى ما لا نهاية، وهذا فيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه يجوز مطلقاً وهذا قول أئمة السنّة والحديث وأساطين الفلاسفة لكن المسلمون وسائر أهل الملل وجمهور العقلاء من جميع

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/٦٠).

(٢) التعريفات للجرجاني (٨٠) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٣) انظر: درء التعارض (١/٣٢١ - ٣٢٢).

خاطب الله كل نبي في زمانه .

عطلوا الله عن أفعاله في الأزل .

✽ مذهب المخالفين:

يتلخص موقف المخالفين في مسألة قيام الحوادث بالله، ومسألة حوادث لا أول لها في الآتي:

أما ما يتعلق بقيام الحوادث بالله فقد أنكر المتكلمون قيام الصفات الاختيارية بالله تعالى، وقالوا: إن هذا قول بحلول الحوادث في ذات الله، والله منزّه عنه؛ لأن ما لا يخلو عن الحادث فهو حادث، فنفوا من أجل هذا الصفات الاختيارية عن الله سبحانه^(١).

وأما مسألة حوادث لا أول لها: فقد نفوها أيضًا وقالوا: إن هذا قول بتسلسل الحوادث وهو ممتنع لأنه: «كان الله ولا شيء معه؛ أي: لا مخلوق، ولا فعل، ولا مفعول، ثم صار يخلق ويفعل بعد أن لم يكن يفعل ويخلق، وهذا هو قول الجهمية، والمعتزلة^(٢)، ووافقهم الأشاعرة والكرامية^(٣)، وبناء على هذا

= السُّنَّة النبوية (١٦٦/١) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ]، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله الغنيمان (٣٨١/١) [مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط ١].

(١) انظر: الإرشاد للجويني (٤٤ - ٤٥)، والإنصاف فيما يجب اعتقاده للباقلاني (٣٨)، ومجموع الفتاوى (١٤٧/٦، و٢٢٠، و٤٣٦/١٢).

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٣٧٩/١) وانظر: مجموع الفتاوى (٢٢٠/٦).

(٣) انظر: الصفدية (١٠/١ - ١١)، ومنهاج السُّنَّة النبوية (١٧٦/١، و٤٣٧ - ٤٣٨، و٣٩٣/٢)، وشرح

✽ الرد عليهم:

أولاً: بيان بطلان قولهم في نفي الصفات الاختيارية عن الله تعالى:

لا شك أن نفي الصفات الاختيارية عن الله هو قول باطل لما يأتي:

١ - لمصادمته دلالة الشرع على قيام الصفات الاختيارية بالله تعالى، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصاص: ٦٨]، وقال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر]، إلى غير ذلك من صفات الله المتعلقة بمشيئته وإرادته سبحانه.

٢ - لفظ: (حلول الحوادث) هو لفظ مجمل، فقد يطلق ويراد به نفي حلول شيء من مخلوقات الله على ذات الله، أو أنه تعالى لا تتجدد له صفة لم تكن له من قبل وهذا صحيح، وقد يطلق ويراد به نفي صفات الله الاختيارية؛ كالاستواء والنزول والمجيء ونحو ذلك وهذا النفي في غاية البطلان؛ لمخالفته صريح الشرع^(٤).

٣ - أن القول في أفعال الله القائمة به، الحادثة بمشيئته وقدرته سبحانه؛ كالقول في أفعاله التي هي المفعولات

العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٠٥/١).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (٩٧/١).

القول بقدم العالم كما يقول الفلاسفة الدهرية؛ لأن كل مخلوق مسبوق بالعدم؛ أي: أن المخلوق المعين وجد بعد أن كان عدماً محضاً. أما فعل الله الذي هو صفته فلا أول له، وعليه فالله لم يكن معطلاً في وقت من الأوقات؛ بل هو كل يوم في شأن^(٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٢ - «الرد على الجهمية والزنادقة»، للإمام أحمد.
- ٣ - «شرح الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز.

- ٤ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (ج ١)، لعبد الله الغنيمة.
- ٥ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٦ - «الصفات الخيرية بين الإثبات والتأويل»، لعثمان عبد الله آدم الاثيوبي.
- ٧ - «الصفدية» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٨ - «الصواعق المرسلة» (ج ٢)، لابن القيم.

- ٩ - «قدم العالم وتسلسل الحوادث بين شيخ الإسلام ابن تيمية والفلاسفة»، لكاملة بنت محمد الكواري.

المنفصلة، التي يحدثها بمشيئته وقدرته^(١).

٤ - أن تنزيههم لله عن حلول الحوادث هو في حقيقته جحد لوجود الله وألوهيته وربوبيته، وحياته وقيوميته، ولا يتقرر ألوهية الله للعباد وربوبته للعالمين إلا بتنزيهه عن هذا التنزيه^(٢).

٥ - أن نفي قيام الأفعال بالله هو خروج عن صريح المعقول ومكابرة بيّنة لما فيه من التزام حصول مفعول بلا فعل، ومخلوق بلا خلق، وتعطيل الحي الفاعل عن كل فعل^(٣).

ثانياً: بيان بطلان نفيهم حوادث لا أول لها:

١ - أن نفي حوادث لا أول لها هو تعطيل للخالق العظيم عن أفعاله في الأزل، ومعلوم أن الله فعال لما يريد على سبيل الإطلاق، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَاعِلٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (١٧: ١٧) [هود].

٢ - أن نفيهم (حوادث لا أول لها) قائم على توههم لزوم القول بقدم العالم، وهذا باطل لأمرين:

الأول: أن هذا هو قول السلف الذي دلّت عليه النصوص، ويؤيده العقل.

الثاني: أن هذا القول لا يلزم منه

(٤) انظر: نقض الدارمي على الميرسي (١/ ١٦٢) [١٤١٨هـ]، ودرء التعارض (٩/ ١٤٧-١٤٨)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمة (١/ ٣٨١).

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٤/ ٣).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة (٣/ ٩٤٨).

(٣) انظر: الصواعق المرسلة (٣/ ٩٤٨).

أمة محمد ﷺ، فمن شرب منه لم يظماً بعده أبداً^(٤).

١٠ - «منهاج السنّة» (ج ١، ٢)، لابن تيمية.

قال ابن تيمية: «وفي عرصات القيامة الحوض المورود للنبي ﷺ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، أنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لا يظماً بعدها أبداً»^(٥).

١١ - «نقض الدارمي على المريسي» (ج ١).

الحوض

التعريف لغة:

الحوض: مُجتمع الماء، والجمع أخواض وحياض^(١)، والمُحَوّض؛ كالحوض يُجعل للنخلة تشرب منه^(٢).

سبب التسمية: سمي الحوض بذلك؛ لاجتماع الماء فيه.

وقيل: وسمي مجتمع الماء به؛ لأن الماء يحيض إليه؛ أي: يسيل. قال الأزهرى: «والعرب تدخل الواو على الياء، والياء على الواو؛ لأنهما من حيز واحد. وقيل: الحوض من حاض الماء يحوضه حوضاً، إذا جمعه وحاطه»^(٣).

الحكم:

الاعتقاد الجازم بوجوده الآن، وأن الناس يردون إليه يوم القيامة، والإيمان بما ورد من صفاته لثبوتة وتواتر النصوص بذلك، وهو أحد مفردات اليوم الآخر.

التعريف شرعاً:

هو حوض حقيقي مخلوق، يكون في الموقف يوم القيامة، يصب ماؤه من الكوثر، طوله وعرضه واحد، ماؤه أشد بياضاً من اللبن والثلج والفضة، وأطيب ريحاً من المسك، وأحلى مذاقاً من العسل، وأبرد من الثلج، أنيتها أكثر من عدد نجوم السماء، يرده من شاء الله من

الحقيقة:

حوض حقيقي مخلوق وموجود الآن، طوله وعرضه واحد، فيه ميزابان ينثعبان من الكوثر (نهر الجنة) أحدهما: من ورق والآخر: من ذهب، ماؤه أشد بياضاً من اللبن والثلج والفضة، وأطيب

(٤) انظر: التذكرة للقرطبي (٣٤٧)، شرح صحيح مسلم للنووي (٥٣/١٥، ٥٩)، فتح الباري (١١/٤٦٦)، رسائل الآخرة (١١٨٢/٢).

(٥) شرح العقيدة الواسطية لهراس (٢٨٣)، وانظر: شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين (٤٠).

(١) لسان العرب (١٤١/٧) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ].

(٢) مقاييس اللغة (١٢٠/٢) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٣) انظر: تاج العروس (٣٠٨/١٨) [دار الهداية].

وأما السُّنَّة فثابت بالتواتر^(٥)، ومما جاء فيه:

قوله ﷺ: «إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً»^(٦).

وقوله ﷺ: «إن لي حوضاً ما بين أيلة إلى صنعاء، عرضه كطولهِ، فيه ميزابان ينشعبان من الجنة، من ورق، والآخر من ذهب، أحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأبيض من اللبن، من شرب منه لم يظماً حتى يدخل الجنة، فيه أباريق عدد نجوم السماء»^(٧).

وفي حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنتم بجزء من مائة ألف جزء ممن يرد علي الحوض يوم القيامة» فقليل لزيد: وكم أنتم يومئذ؟ قال: فقال: بين الست مائة إلى السبع مائة^(٨).

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٥٣/١٥) [دار الكتب العلمية]، ونظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٥٢) [دار الكتب السلفية، ط٢]، ولقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة (٢٥١) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٨٣)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٩٠).

(٧) أخرجه أحمد (١٨٨/٧) [دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٤٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٦٢١) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٨) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٤٦)، وأحمد (١٧/٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٢٥٧) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٣).

ريحاً من المسك، وأحلى مذاقاً من العسل باللبن، أبرد من الثلج، آتية آنية الجنة من ذهب وفضة، أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصححية، يردّه من شاء الله من أمة محمد ﷺ في عرصات القيامة، فمن شرب منه لم يظماً آخر ما عليه^(٩).

المنزلة:

أحد مفردات يوم القيامة الكائنة في العرصات بعد البعث وقبل دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

الأدلة:

ثبوت الحوض بظاهر القرآن فيه احتمال وليس بصريح^(٢)؛ للاختلاف في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر] «هل هو الحوض، أو الخير الكثير، أو النهر الذي في الجنة»^(٣).

وقد نقل القرطبي في معنى الكوثر ستة عشر قولاً صحح منها قول من فسره بالحوض والنهر الذي في الجنة^(٤).

(١) رسائل الآخرة (١٨٢/٢).

(٢) انظر: أعلام السُّنَّة المنشورة (١١٤)، ولوائح الأنوار السُّنية (١٧٣/٢) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ]، ولوائح الأنوار (٢٠٢/١٢) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١١هـ].

(٣) لوائح الأنوار السُّنية (١٧٤/٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢١٦/٢٠ - ٢١٨) [دار إحياء التراث العربي].

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «وفي عرصات القيامة الحوض المورد للنبي ﷺ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً»^(١).

وقال محمد صديق حسن خان: «وفي عرصة القيامة الحوض المورد للنبي ﷺ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً»^(٢).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حوض النبي ﷺ مخلوق وموجود الآن:

لقوله ﷺ: «إني والله لأنظر إلى حوضي الآن»^(٣).

قال الإمام النووي: «هذا تصريح بأن الحوض حوض حقيقي على ظاهره، وأنه مخلوق موجود اليوم»^(٤).

- المسألة الثانية: النبي ﷺ فرط أمته على الحوض:

لقوله ﷺ: «أنا فرطكم على

الحوض»^(٥)؛ أي: سابقكم إليه.

- المسألة الثالثة: المهاجرون أول الأمة وروداً الحوض؛ لفضلهم ورفع قدرهم:

لقوله ﷺ: «إن حوضي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأكاويه عدد النجوم، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين»، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم الشعث رؤوساً الدنس ثياباً، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تفتح لهم أبواب السدد»، فقال عمر بن عبد العزيز: لقد نكحت المتنعمات، وفتحت لي السدد، إلا أن يرحمني الله، والله لا جرم أن لا أدهن رأسي حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ»^(٦).

- المسألة الرابعة: لكل نبي حوض:

قال ﷺ: «إن لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارداً، وإني أرجو أن

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٨٩)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٩).

(٦) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٤٤)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٣٠٣)، وأحمد (٥٠/٣٧) مؤسسه الرسالة، [ط١]، والأجري في الشريعة (١٢٥٦/٣) [دار الوطن، ط٢]، وغيرهم، وصحح المرفوع منه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٨٢).

(١) شرح العقيدة الواسطية لهراس (٢٨٣)، وانظر: شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين (٤٠).

(٢) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الثمر (١٢٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٤٤)،

ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٩٦).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (٥٩/١٥).

أكون أكثرهم واردة^(١).

- المسألة الخامسة: أسباب الحرمان من ورود الحوض:

دلت النصوص على جملة من الأسباب، منها: طاعة الأمراء في المعصية، والارتداد والإحداث في الدين، دلّ على الأول قوله ﷺ: «سيكون عليكم أمراء يأمرونكم بما لا يفعلون، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه، ولن يرد علي الحوض»^(٢).

ودل على الثاني قوله ﷺ: «بينا أنا قائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار

(١) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرفائق والورع، رقم ٢٤٤٣)، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (١/٣٢٧، رقم ٧٣٤) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١٣هـ]، وقد أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/١٢٠)، وذكر له شواهد، وقال: «وجملة القول: إن الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح» [مكتبة المعارف، ط ٢، ١٤١٦هـ].

(٢) أخرجه أحمد (٥١٤/٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند (رقم ٥٧٠٢): إسناده صحيح. وأخرجه البزار (١٢/٢٣٠) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»^(٣)، وقوله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن معي رجال منكم، ثم ليختلجن دوني، فأقول: يا رب، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»^(٤).

وقد استدلل الشاطبي بمثل هذه الأحاديث، على أن البدع مانعة من شفاعة محمد ﷺ، وقال: «إن الارتداد لم يكن ارتداد كفر، لقوله: «وإنه سيؤتي رجال من أمتي» ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لما نسبوا إلى أمته»^(٥).

- المسألة السادسة: معنى قوله ﷺ: «لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»:

يقول النبي ﷺ: «ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: كما قال العبد الصالح: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَّا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الْرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [١٧] إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٨٧).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٧٦) واللفظ له، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٩٧).

(٥) الاعتصام (١/١٢٠) [دار الفكر].

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧٨﴾ [المائدة] قال: فيقال لي إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم^(١).

وقد تمسك الرافضة بمثل النصوص الأنفة للقدح في الصحابة الكرام وإكفارهم إلا قليلاً، وزعموا ردتهم بعد نبئهم ﷺ، قال ابن قتيبة: «وهذه حجة الروافض في إكفارهم أصحاب رسول الله ﷺ إلا علياً، وأبا ذر، والمقداد، وسلمان، وعمار بن ياسر، وحذيفة»^(٢).

ولا ممسك لهم فيما ذهبوا إليه البتة؛ لأنهم تعاملوا عن بعض النصوص ولم يفهموا بعضها الآخر.

فقد جاء في بعض الروايات: «أصحابي» بالتصغير مما يفيد قلتهم، قال ﷺ: «ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني، حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلي اختلجوا دوني، فلاقولن: أي رب أصحابي أصحابي، فليقلن لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»^(٣).

قال الحافظ ابن حجر: «ويدل قوله: «أصحابي» بالتصغير على قلة عددهم»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٦٢٥)، ومسلم (الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٠).
(٢) تأويل مختلف الحديث (٢٧٧) [المكتب الإسلامي، ط ١].
(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٨٢)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٩٧) واللفظ له.

(٤) فتح الباري (٣٨٥/١١) [دار الفكر].

وأيضاً فالصحابي الوارد فيه الذم، هو الصحابي المنسوب لصحبة النبي ﷺ لإظهاره الإسلام والصحبة، لا أنه ممن نالته فضيلة الصحبة^(٥)، وهو الصحابي اللغوي لا العرفي، قال الوزاني: «ليس المراد بالصحابي العرفي، وهو من اجتمع مؤمناً... إلخ؛ لأن هذا التعريف حادث بعد النبي ﷺ فلا يشكل بأنهم عدول لا يقع منهم تبديل؛ بل المراد اللغوي»^(٦).

واختلف أهل العلم في المراد من الحديث على أقوال: فمنهم من قال: المراد به المنافقون المرتدون، وقيل: من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده، وقيل أيضاً: المراد به: أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام.

قال الخطابي: «لم يرتد من الصحابة أحد، وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب ممن لا نصرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين»^(٧).

فليس المراد من الحديث: الصحابة الكرام البررة، وإنما يشمل من كان من أمته ﷺ، وأتباعه.

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم النووي (١٢٨/١٧).
(٦) النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب (٣٩٢/٢) [المطبعة الإسلامية، ط ١، ١٣٥٢هـ].
(٧) انظر: فتح الباري (٣٨٥/١١).

ونهى عن سبهم أو التعرض لهم بأذى، فقال: «ولا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»^(٣).

وقد أجمعت الأمة على عدالتهم، قال النووي: «اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم، وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين»^(٤).

فقبَّح الله من يسب أصحاب محمد ويكفرهم، وقبَّح الله من لم يترحم على صغيرهم وكبيرهم، وأولهم وآخرهم، ومن لم يذكر محاسنهم وينشر فضائلهم، ويقتدي بهديهم، ويقتفي آثارهم^(٥)، وقبَّح الله من لم يظهر ما مدحهم الله به، وشكرهم عليه من جميل أفعالهم، وجميل سوابقهم^(٦).

وحق من سبهم أن يقال له ما قاله رسول الله ﷺ: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(٧).

قال ابن عبد البر: «كل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه والله أعلم، وأشدّهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم مثل الخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم يبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطمسيس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون، بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجميع أهل الزيغ والأهواء والبدع كل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بهذا الخبر ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد ليس في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان»^(١).

وقد عدل الصحابة الحق تعالى بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُتَحَرِّينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة]، وكذا النبي ﷺ بقوله: «خير الناس قرني»^(٢).

(١) التمهيد (٢٠/٢٦٢). وانظر: إكمال المعلم (٢/٥١، ٥٢، ٢٦٩/٧)، وشرح مسلم للنووي (٣/١٣٦ - ١٣٧)، والتذكرة (٢/٧١٠ - ٧١١)، والاعتصام (١/٢٢٠)، وفتح الباري لابن حجر (١١/٣٨٥ - ٣٨٦، ٤/١٣ - ٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٥٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٣٦٧٣) من حديث أبي سعيد، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة.

(٤) شرح مسلم للنووي (١٥/١٤٩)، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/١٦٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ]، ومقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصلاح (ص ٤٢٧) [دار الكتب، ١٣٩٣هـ].

(٥) انظر: الإبانة الصغرى (٢٦٣ - ٢٦٥).

(٦) انظر: الإمامة (٣٤١) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٠٧هـ].

(٧) أخرجه الآجري في الشريعة (٥/٢٥٠٢) [دار الوطن، =

✽ الثمرات:

✽ الرد عليهم:

هذا التأويل صرف لظاهر اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز «من غير استحالة عقلية، ولا عادية تلزم من حمله على ظاهره وحقيقته، ولا حاجة تدعو إلى تأويله»^(٥)، وما كان كذلك فمردود، وأيضاً: فهذا الإنكار والتأويل مخالف لما ثبت بالسُّنة الصريحة المتواترة، ومخالف لما أجمعت عليه الأمة كما تقدم؛ فلا يعتد به.

من أعظم ثمرات ورود الحوض أن من شرب منه لم يظماً آخر ما عليه؛ لقوله: «والذي نفسي بيده لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة، من شرب منها لم يظماً آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظماً، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، مأؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل»^(١).

✽ المصادر والمراجع:

✽ مذهب المخالفين:

- ١ - «الاعتصام»، للشاطبي.
- ٢ - «أعلام السُّنة المنشورة»، للحكمي.
- ٣ - «إكمال المعلم»، للقاضي عياض.
- ٤ - «التذكرة»، للقرطبي.
- ٥ - «التمهيد»، لابن عبد البر.
- ٦ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.
- ٧ - «فتح الباري» (ج ١١)، لابن حجر.
- ٨ - «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (ج ٤)، لابن حزم.
- ٩ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ٢)، للسفاريني.
- ١٠ - «مقالات الإسلاميين» (ج ٢)، للأشعري.

أنكر الحوض الخوارج وبعض المعتزلة^(٢)، قال ابن حزم: «ولا ندري لمن أنكره متعلقاً إلا الجهل بالآثار»^(٣)، أما المعتزلة فتأولته حيث قالت: الحوض عبارة عن الرضا والرضوان، يتفضل الله به على من يشاء من عباده»^(٤).

= [ط ٢] من حديث أنس رضي الله عنه، وقد حسنه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (٤٤٦/٥).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٠٠).

(٢) انظر: الإبانة (١٤١)، ومقالات الإسلاميين (٢/ ١٦٥) [المكتبة العصرية، ١٤١١هـ]، وفتح الباري (٤٦٧/١١)، وروح المعاني (٢٤٥/٣٠) [دار إحياء التراث، ط ٤]، ولوائح الأنوار (١٧٣/٢)، ولوامع الأنوار (٢٠٢/٢).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١١٥/٤) [دار الجبل، ط ١٤٠٥هـ].

(٤) القول المفيد شرح وسيلة العبيد في علم التوحيد (٦٣) [دار العاصمة، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٥) فتح الباري (١١/٤٧٥).

النصوص، والإيمان بما يستلزمه من سعة رحمته وكمال جوده وعظيم عفوه وحلمه.

❖ الحياء (صفة لله تعالى) ❖

❖ التعريف لغةً:

الحياء: مصدر قولهم: حيي، ويدل على الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة. وبالنسبة للعبد: انقباض النفس عن القبائح وتركه لذلك^(١).

والحياء والاستحياء بمعنى واحد. قال الأزهري: «قال الليث: الحياء من الاستحياء؛ ممدود قلت: وللعرب في هذا الحرف لغتان: يقال: استحي فلان يستحي، بياء واحدة، واستحيا فلان يستحيي بيايين، والقرآن نزل باللغة التامة»^(٢).

❖ التعريف شرعاً:

صفة تليق بالله ﷻ، وهي ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته وكمال جوده وكرمه وعظيم عفوه وحلمه^(٣).

❖ الحكم:

الواجب على كل مكلف أن يثبت هذه الصفة لله تعالى على ما يليق به، وأن يحياءه ليس كحياء المخلوقين؛ بل حياء يليق به سبحانه على ما دلّت عليه

❖ الحقيقة:

حياؤه تعالى وصف يليق به ليس كحياء المخلوقين الذي هو تغير وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يعاب أو يذم؛ بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته وكمال جوده وكرمه وعظيم عفوه وحلمه. فالعبد يجاهره بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه، وأضعفه لديه ويستعين بنعمه على معصيته، ولكن الرب سبحانه مع كمال غناه وتمام قدرته عليه يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهيؤه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر. وكذلك يستحيي سبحانه ممن يدعوه ويمد إليه يديه أن يردهما خاليتين، وهو من أجل أنه حيي ستر يحب أهل الحياء والستر من عباده، فمن ستر مسلماً ستر الله عليه في الدنيا والآخرة^(٤).

❖ الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (١/ ٢٨٢) [ط. دار القلم].

(٢) تهذيب اللغة (٥/ ١٨٧) [دار إحياء التراث العربي، ١٣٠١م].

(٣) انظر: شرح النونية «الكافية الشافية» للهراس (٢/ ٨٦) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤١٥هـ].

(٤) شرح النونية «الكافية الشافية» (٢/ ٨٦ - ٨٧) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤١٥هـ].

بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال ﷺ: «إن الله ﷻ حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستر»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن القيم: «وأما حياء الرب تعالى من عبده: فذاك نوع آخر لا تدركه الأفهام ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كرم وبر وجود وجلال، فإنه تبارك وتعالى حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً. ويستحيي أن يعذب ذا شبهة شابت في الإسلام. وكان يحيى بن معاذ يقول: سبحان من يذنب عبده ويستحيي هو. وفي أثر: «من استحيا من الله استحيا الله منه»^(٤).

وقال المباركفوري: «قوله: «إن الله حيي»: فعيل من الحياء؛ أي: كثير الحياء. ووصفه تعالى بالحياء يحمل على ما يليق له، كسائر صفاته، تؤمن بها ولا نكيفها»^(٥).

وقال ابن باز: «فإن الله يوصف

ومن السُّنة: حديث أبي واقد الليثي ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما: فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر: فجلس خلفهم، وأما الثالث: فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»^(١).

وحديث سلمان ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم، يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه، أن يردهما صفراً»^(٢). فقد أثبت صفة الحياء لله ﷻ، وهو قطعاً حياء واستحيا لا يشبه حياء، واستحيا البشر بحال من الأحوال.

- وحديث يعلى بن أمية ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبراز

(١) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ٦٦)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢١٧٦).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٨٨)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٥٦) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٦٥)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٨٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (رقم ١٧٥٧) [المكتب الإسلامي].

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الحمام، رقم ٤٠١٢)، والنسائي (كتاب الغسل والتيمم، رقم ٤٠٦)، والإمام أحمد في المسند (٤٨٤/٢٩)، رقم ١٧٩٧٠ [مؤسسة الرسالة، ١، ١٤٢١هـ]، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٣٦٧/٧).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٢/٢٥٠) [دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ].

(٥) تحفة الأحوذى (٩/٣٨١ - ٣٨٢) [ط. دار الكتب العلمية].

يثمر له حياء من ربه سبحانه وإجلالاً، وعلى حسب معرفة العبد بربه وأسمائه وصفاته يكون حياؤه منه، وهذا هو حياء العبودية الذي عرفه ابن القيم بقوله: «هو حياء ممتزج من محبة وخوف، ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده وأن قدره أعلى وأجلّ منها فعبوديته له توجب استحياء منه لا محالة»^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

ذهب أهل الكلام إلى نفي صفة الحياء عن الله تعالى بدعوى نفي التشبيه، وبأن الصفات أعراض، والأعراض لا تحل بالله إنما هي للأجسام، والله ليس بجسم. وقالوا: الحياء انكسار وتغير، وهذا لا يليق بالله تعالى. وأولوا الأحاديث الواردة في إثبات هذه الصفة، فقالوا: المراد بها: الترك، وقيل: الكراهية، وقيل: الرحمة، وقيل: عدم العقاب^(٣).

❁ الرد عليهم:

ما ذهب إليه أهل الكلام مخالف لظاهر النصوص الصريحة الدالة على إثبات هذه الصفة لله على الوجه

بالحياء الذي يليق به، ولا يشابه فيه خلقه، كسائر صفاته، وقد ورد وصفه بذلك في نصوص كثيرة، فوجب إثباته له على الوجه الذي يليق به. وهذا قول أهل السنة في جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة، وهو طريق النجاة، فتنبه واحذر، والله أعلم^(١).

❁ الآثار:

من آثار الإيمان بهذه الصفة:

أولاً: محبة الله ﷻ وإجلاله وتعظيمه وحمده وشكره والثناء عليه وذلك بما تقتضيه هذه الصفة الكريمة من الحلم والكرم والعفو والستر منه سبحانه على عباده، وحق لمن هذه صفاته أن يجرد له الحب كله والإخلاص والتعظيم، والحمد والثناء، واللهج بشكره والتقرب إليه بطاعته.

ثانياً: حياء العبد من ربه سبحانه وانكساره بين يديه ومقت النفس، والاعتراف بتقصيرها، حيث ينعم سبحانه على عباده ويحلم عنهم ويسترهم وهم متمادون في معاصيه.

إن التعبد لله سبحانه بهذه الصفة يثمر عند المؤمن الحياء منه سبحانه من أن يكون على حالة مشينة يكرهها الله سبحانه ويسخطها فشعور العبد بجنائته

(١) تعليقات الشيخ ابن باز على فتح الباري، انظر: فتح الباري (٣٨٩/١) [المكتبة السلفية].

(٢) مدارج السالكين (٢/٢٥٢).

(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/٢٢٣) (٢/٤٣٤) [مكتبة السوادى، ط ١، ١٤١٣هـ]، وشرح

مسلم للنووي (١٤/١٥٩) [دار إحياء التراث، ط ٢]،

والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٥٣٥) [دار

الصحابة للتراث بطنطا، ط ١، ١٤١٦هـ]، وحاشية

السندي على سنن النسائي (١/٢٠٠) [مكتب

المطبوعات الإسلامية، ط ٢، ١٤٠٦هـ].

- ٩ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لمحمد الحمود النجدي.
- ١٠ - «الله الأسماء الحسنى فادعوه بها»، لعبد العزيز الجليل.

الحياء

التعريف لغة:

الحياء من (حَيَّ)، والحاء والياء والحرف المعتل أصلان؛ أحدهما: البقاء الذي هو خلاف الموت. والآخر: الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة^(١).

قال ابن سيده: «واستحياء: أبقاه حيًا، والحياء: التوبة والحشمة. وقد حَيَّ منه حياءً واستحيا واستحى، حذفوا الياء الأخيرة كراهية التقاء الياءين، والأخيرتان تتعديان بحرف وبغير حرف، يقولون: استحيا منك واستحياك، واستحى منك واستحاك»^(٢).

التعريف شرعًا:

الحياء: خلق يبعث على فعل الحسن وترك القبيح.

وحياء العبد من الله سبحانه: خلق

اللائق به سبحانه، ومضاد لمنهج السلف الصالح القائم على إثبات ما أثبتته الله لنفسه من الصفات التي أخبر عنها سبحانه أو أخبر عنها رسوله ﷺ، فكما أن ذات الله تعالى لا تماثل الذوات المخلوقة فكذلك صفاته ﷻ لا تماثل صفات المخلوقين، مع وجوب تنزيهه سبحانه أن يلحقه نقص أو عيب في كل صفة اتصف الله ﷻ بها، فالله تعالى موصوف بالحياء على ما يليق به ﷻ، حياء لا يماثله ولا يشابهه فيه أحد.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٤ - «تفسير الطبري» (ج ٥).
- ٥ - «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة»، لسعيد بن وهف القحطاني.
- ٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، للسقاق.
- ٧ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٨ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.

(١) انظر: مقاييس اللغة (١٢٢/٢) [دار الجيل]، وتهذيب اللغة (٢٨٩/٥) [الدار المصرية، ط ١، ١٣٨٤هـ]، والصحاح (٢٣٢٣/٦) [دار العلم للملايين، ط ٤]، والقاموس المحيط (١٢٧٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٧].

(٢) المحكم والمحيط الأعظم (٣٩٦/٢ - ٣٩٩) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ].

إرادة تمنعه عن فعل القبح بخلاف الوقح الذي ليس بحَيٍّ فلا حياة معه ولا إيمان يزجره عن ذلك^(٢).

الحكم:

الحياة خلق إيماني عظيم على العبد التحلي به لأنه من الإيمان كما قال ﷺ: «والحياة شعبة من الإيمان»^(٣).

وهذا الحياة منه ما هو واجب وهو: ما يبعث على ترك المحرمات وفعل الواجبات. ومنه ما هو مستحب وهو: ما يبعث على ترك المكروهات وفضول المباحات وفعل المستحبات والمسارة فيها^(٤).

الحقيقة:

حقيقة الحياة خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق^(٥).

ومن ذلك الحياة من الله، وحقيقته: حسن مراقبة الله ﷻ في السر والعلانية، وتعظيمه سبحانه أن لا يراك حيث نهاك، وأن لا يفتقدك حيث أمرك^(٦).

يبحث على مراقبة الله وفعل أوامره وترك مناهيه^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

خُلِقَ الحياء: من الحياة التي لا ينعم بها إلا بترك ما يخجل منه لاستقباحه. وهذا المعنى الشرعي للحياة شامل للمعنيين اللغويين المذكورين سابقاً.

سبب التسمية:

الحياة مشتق من الحياة؛ فإن القلب الحي يكون صاحبه حياً فيه حياة يمنعه عن القبائح، فإن حياة القلب هي المانعة من القبائح التي تفسد القلب.

وهذا بخلاف الميت الذي لا حياة فيه؛ فإنه يسمى وقحاً، والوقاحة الصلابة وهو اليبس المخالف لرطوبة الحياة، فإذا كان وقحاً يابساً صليب الوجه لم يكن في قلبه حياة توجب حيائه، وامتناعه من القبح كالأرض اليابسة لا يؤثر فيها وطء الأقدام بخلاف الأرض الخضرة. ولهذا كان الحي يظهر عليه التأثير بالقبح وله

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠٩/١٠ - ١١٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٥هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٥).

(٤) انظر: شعب الإيمان (١٠/١٦٨) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٣هـ]، وفتح الباري (١/١٠٢) [دار السلام، ط ١].

(٥) انظر: رياض الصالحين (٢٠٨).

(٦) من وصية سلمة بن دينار لسليمان بن عبد الملك كما =

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب (١/١٤٠) [دار المعرفة، ورياض الصالحين (٢٠٨ - ٢٠٩) [دار الأرقم]، والآداب الشرعية (٢/٢٢٧) [مكتبة ابن تيمية]، ومدارج السالكين (٢/٣٢٧)، وبصائر ذوي التمييز (٢/٥١٥) [المكتبة العلمية]، والتعريفات (١٢٦) [دار الكتاب العربي، ط ٤، ١٤١٨هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١/٧٣)، والتوقيف على مهمات التعاريف (٢٠٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١١م].

وكبير أهميته. ومن أعظم الدلائل على ذلك إفراذه بالذكر من بين أعمال القلوب الأخرى في حديث شعب الإيمان: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياة شعبة من الإيمان»^(٢)، فأفرد هنا لكونه باعثاً على فعل الطاعة وحاجزاً عن فعل المعصية، فهو كالداعي إلى باقي شعب الإيمان، إذ الحي يخاف فضيحة الدنيا والآخرة فيأتمر وينزجر^(٣).

و«سمة الخير الدعة والحياة، وسمة الشر القحة والبذاء، وكفى بالحياة خيراً أن يكون على الخير دليلاً، وكفى بالقحة والبذاء شراً أن يكونا إلى الشر سبيلاً»^(٤).

هذا الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدراً وأكثرها نفعاً؛ بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتها الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء، وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤد شيئاً من الأمور المفترضة عليه، ولا انتهى عن شيء حرم عليه، ولم يرع لمخلوق حقاً، فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني وهو

ولن نجد أجمع ولا أجمل ولا أكمل في كلام الناس من قول سيدهم ﷺ في حقيقة الحياء: «الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»^(١).

والمؤمنون متفاوتون في تحقيق الحياء من الله وهم في ذلك على مراتب، فحياء المقربين السابقين يحمل أصحابه على فعل الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات، وحياء المقتصدين أصحاب اليمين يحمل أصحابه على فعل الواجبات وترك المحرمات، وحياء الظالمين لأنفسهم حياء فيه ضعف لكنه يحملهم على الحفاظ على أصل الإسلام بفعل بعض الواجبات وترك بعض المحرمات.

المنزلة:

«الحياء خير كله»، و«الحياء لا يأت إلا بخير»، و«الحياء شعبة من الإيمان»، و«الحياء من الإيمان»: هذه كلها كلمات من جوامع كلم حبيبنا محمد ﷺ تبين بجلاء منزلة خلق الحياء وعظيم مكانته

= رواها الدارمي في سننه (٥٠٢/١) [دار المغني، ط١]، وانظر: البصائر والذخائر للتوحيد (١٥٧/٢) [دار صادر، ط١]، وشعب الإيمان (١٠/١٦٨).
(١) سيأتي تخريجه في الأدلة.
(٢) تقدم تخريجه قريبا.
(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (٧٣/١).
(٤) أدب الدنيا والدين للماوردي (٢٥٧) [دار اقرأ، ط٤].

عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال رسول الله ﷺ: «دعه فإن الحياء من الإيمان»^(٣).

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير»^(٤). وفي رواية لمسلم: «الحياء خير كله». قال: أو قال: «الحياء كله خير»^(٥).

❖ أقوال أهل العلم:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه مات قلبه»^(٦).

قال إياس بن معاوية بن قرة رحمته الله قال: «كنت عند عمر بن عبد العزيز فذكر عنده الحياء فقالوا: الحياء من الدين. فقال عمر: بل هو الدين كله»^(٧).

(٧٩١٥)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني بشواهد في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٧٢٤) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٢٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٦).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦١١٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٧).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٧).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في الحلم (٧٧) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١]، والطبراني في الأوسط (٢/ ٣٧٠) [دار الحرمين]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٠٢) [مكتبة القدسي]: «وفيه دويد بن مجاشع، ولم أعرفه، وبقي رجاله ثقات».

(٧) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٣٨).

رجاء عاقبتها الحميدة، وإما دنيوي علوي وهو حياء فاعلها من الخلق^(١).

❖ الأدلة:

من أدلة القرآن على الحياء وفضله: قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءَ﴾ [القصص: ٢٥]، وقوله: ﴿يَتْلَاهُمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْظِرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا إِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَبِرُوا وَلَا مُسْتَسِينِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

ومن السنة: حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء. قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله. قال: ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»^(٢).

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (١/ ٢٧٧ - ٢٧٨) [دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٥٨)، وأحمد (٦/ ١٨٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الرقاق، رقم

وحياء محبة، وحياء عبودية، وحياء شرف وعزة، وحياء المستحي من نفسه^(٤).

✽ المسائل المتعلقة:

الحياء من صفات الله سبحانه:

الحياء صفة ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسُّنة، ومن أسمائه الحسنی: (الحيي). قال ابن القيم رحمه الله بعد حديثه عن حياء العباد: «وأما حياء الرب تعالى من عبده: فذاك نوع آخر، لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كرم وبر وجود وجلال؛ فإنه تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً، ويستحي أن يعذب ذا شيبة شابت في الإسلام. وكان يحيى بن معاذ يقول: «سبحان من يذنب عبده ويستحيى هو». وفي أثر: «من استحيا من الله استحيا الله منه»^(٥).

✽ الفروق:

الفرق بين الحياء والخجل:

الحياء خير كله ولا يأتي إلا بخير، وأما الخجل فليس بحياء وإن سماه بعض الناس حياء؛ لأن الخجل ضعف وعجز مانع من فعل الحق وأدائه، بخلاف الحياء فإنه يحمل على ترك القبيح وعدم

وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: «خمس من علامات الشقوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل»^(١).

✽ الأقسام:

ينقسم الحياء باعتبار عدة؛ منها: باعتبار من يُستحي منه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: الحياء من الله تعالى، ويكون بامتنال أو امره والكف عن زواجه.

والثاني: الحياء من الناس، ويكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح.

والثالث: الحياء من النفس، ويكون بالعفة وصيانة الخلوات^(٢).

وباعتبار مصدره ينقسم إلى نوعين: **أحدهما:** (نفساني): ما كان خلقاً وجيلةً غير مكتسب.

والثاني: (إيماني): ما كان مكتسباً من معرفة الله، ومعرفة عظمتة وقربه من عباده^(٣).

وباعتبار سببه عشرة أقسام:

«حياء جنائية، وحياء تقصير، وحياء إجلال، وحياء كرم، وحياء حشمة، وحياء استصغار للنفس واحتقار لها،

(١) مدارج السالكين (٢/٣٢٨).

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين (٢٥٨ - ٢٥٩).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم (٢٤٢) [ط٤،

١٤٢٤هـ]، والتعريفات (١٢٦).

(٤) مدارج السالكين (٢/٣٢٩ - ٣٣٢)، وفيه شرح هذه الأنواع.

(٥) مدارج السالكين (٢/٣٢٩).

- ٢ - محبة الله والقرب منه وتقديم محابه على كل من سواه.
- ٣ - صلاح القلب وسعادته وذوقه لحلاوة الإيمان.
- ٤ - أداء حقوق الله كما أمر سبحانه ومجاهدة النفس على عدم التقصير فيها، وعند حصول التقصير المبادرة للتوبة.
- ٥ - أداء حقوق الخلق وإعطاء كل ذي حق حقه.
- ٦ - اكتساب الأخلاق الحسنة والمروءة الجامعة لفعل ما يجمله ويزينه وترك ما يقبحه ويشينه.
- ٧ - محبة الله ﷻ للمستحي منه من عباده، واستحيائه تعالى منه، وبالتالي إجابة دعائه، وحفظه وتولييه ونصرته، وإلقاء محبته في قلوب أهل السماء وأهل الأرض ووضع القبول له.
- ٨ - الحكمة ووزن الكلام قبل التفوه به، ووزن التصرفات قبل فعلها، ومجانبة ما يحتاج إلى الاعتذار منه، وترك إجابة السفیه حلمًا عنه^(٢).
- ٩ - الفوز برضا الله وجنته والنجاة من سخطه وناره.

المصادر والمراجع:

- ١ - «أدب الدنيا والدين»، للماوردي.

(٢) انظر: شعب الإيمان (١٠/١٦٩) [مكتبة الرشد - ط ١

التقصير في القيام بالحق الذي عليه. ولذلك جاء في صحيح مسلم^(١): أن أبا قتادة حدث قال: «كنا عند عمران بن حصين في رهط منا وفينا بُشير بن كعب، فحدثنا عمران يومئذ قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء خير كله». قال: أو قال: «الحياء كله خير». فقال بشير بن كعب: إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة أن منه سكينه ووقارًا لله، ومنه ضعف. قال: فغضب عمران حتى احمرتا عيناه وقال: ألا أرى أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه؟! قال: فأعاد عمران الحديث، قال: فأعاد بشير، فغضب عمران. قال: فما زلنا نقول فيه إنه منا يا أبا نجيد إنه لا بأس به».

الثمرات:

إذا حقق العبد هذا الخلق العظيم (الحياء) فإنه سيحمله على: ترك كل مستقبح عند الله وعند خلقه، وأداء كل حق إلى أهله وعدم التقصير فيه. ومن ثمرات هذا الخلق على وجه التفصيل:

- ١ - تحقيق مراقبة الله وتقواه المتمثلة في: حفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، وإرادة الآخرة وترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء.

(١) تقدم تخريجه في الأدلة.

- ٢ - «الآداب الشرعية» (ج ٢)، لابن مفلح.
- ٣ - «بصائر ذوى التمييز» (ج ١)، للفيروزآبادي.

٤ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

٥ - «الحياء في حياة المسلم»، للجار الله.

- ٦ - «شعب الإيمان» (ج ٦)، للبيهقي.
- ٧ - «فتح الباري» (ج ١)، لابن حجر.

٨ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.

٩ - «المفردات في غريب القرآن» (ج ١)، للراغب.

١٠ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٠)، لابن تيمية.

١١ - «مفتاح دار السعادة» (ج ١)، لابن القيم.

الحياة البرزخية

يراجع مصطلح (البرزخ).

الحي (من أسماء الله)

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما:

خلاف الموت، والآخر: الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة»^(١). وقال ابن منظور: «الحياة: نقيض الموت والحي من كل شيء: نقيض الميت»^(٢).

التعريف شرعاً:

الحي: اسم من أسماء الله الحسنى، المتضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال وفناء. الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها^(٣).

الحكم:

يجب الإيمان باسم الله الحي كما دلّت عليه النصوص، وأنه يتضمن صفة الحياة الأبدية التي تشمل جميع صفات الكمال الذاتية كما يليق بجلاله.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، وآل عمران: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ إِلَٰهٍ إِلَدَىٰ لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ

(١) مقاييس اللغة (٢/ ١٢٢) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) لسان العرب (١٤/ ٢١١ - ٢١٢) [دار صادر، ٣]. وانظر: القاموس المحيط (١٢٧٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٨]، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٥٦) [دار الثقافة العربية].

(٣) القواعد المثلى لابن عثيمين (٦ - ٧) [الجامعة الإسلامية، ط ٣، ١٤٢١هـ]، وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٦٥) [مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢، السنة ١٤٢١هـ].

ولا يبيد، ولا يفنى، وذلك الله الذي لا إله إلا هو»^(٣).

وقال ابن القيم: «إنه سبحانه حي حقيقة، وحياته أكمل الحياة وأتمها، وهي حياة تستلزم جميع صفات الكمال ونفي أضدادها من جميع الوجوه، ومن لوازم الحياة الفعل الاختياري فإن كل حي فعال، وصدور الفعل عن الحي بحسب كمال حياته ونقصها، وكل من كانت حياته أكمل من غيره كان فعله أقوى وأكمل وكذلك قدرته، ولذلك كان الربُّ سبحانه على كل شيء قدير وهو فعال لما يريد. وقد ذكر البخاري في كتاب خلق الأفعال عن نعيم بن حماد أنه قال: «الحي هو الفعال» وكل حي فعال فلا فرق بين الحي والميت إلا بالفعل والشعور»^(٤).

وقال الشيخ محمد خليل الهرّاس: «ومعنى الحي: الموصوف بالحياة الكاملة الأبدية، التي لا يلحقها موت ولا فناء؛ لأنها ذاتية له سبحانه، وكما أنّ قيوميته مستلزمة لسائر صفات الكمال الفعلية؛ فكذا حياته مستلزمة لسائر صفات الكمال الذاتية من العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والعزة والكبرياء والعظمة ونحوها»^(٥).

الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادَعُوهُ مَخْصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ، كان يقول: «اللَّهُمَّ لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللَّهُمَّ إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت، أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون»^(١).

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطبري: «و(الحي): الذي لا يموت ولا يبيد كما يموت كل من اتخذ من دونه ربًّا، ويبيد كل من ادّعى من دونه إلهًا، واحتج على خلقه بأن: من كان يبيد فيزول، ويموت فيفنى، فلا يكون إلهًا يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت، ولأن الإله هو الدائم الذي لا يموت،

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٨٣)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٧).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٢٤)، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٣٣٠) مؤسسه الرسالة، ١، ١٤٢١هـ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٢٧) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٣) تفسير الطبري (١٧٦/٥) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٤) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (١٨٧) [دار المعرفة، ط ٨، ١٣٩٨هـ].

(٥) شرح النونية لابن القيم (١٠٣/٢) [دار الفاروق الحديثة].

✽ الثمرات:

من ثمرات الإيمان بهذا الاسم:

١ - أن من عرف أن الله تعالى حي، توكل عليه حق التوكل، يقول الله ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

٢ - ومن ثمار ذلك أيضاً: أن حظ المسلم من هذا الاسم (الحي) أن يعلم أن من صار حي القلب بالله لم يمت، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) [آل عمران] فعليه أن يتعبد لله بهذا الاسم رغبا ورهبا وحبا في الحياة الطيبة في الدارين (١).

٣ - أن الإيمان بهذا الاسم يثمر محبة الله ﷻ وإجلاله وتوحيده.

٤ - أنه يثمر الزهد في هذه الحياة الدنيا الفانية وعدم الاغترار بها؛ لأنه مهما أعطي العبد من العمر فلا بد من الموت، أما الحياة الدائمة التي يهبها (الحي القيوم) لعباده المؤمنين فهي في الدار الآخرة في جنات النعيم، وهذا الشعور يدفع المسلم إلى الاستعداد للآخرة والسعي لنيل مرضات الله ﷻ في الحياة السرمدية في جنات النعيم.

٥ - أن التعبد لله ﷻ باسمه (الحي)

يوجب التعبد لله سبحانه بجميع صفاته وأسمائه الحسنی كلها وأن آثارها إنما هي آثار لاسمه سبحانه (الحي) (٢).

✽ مذهب المخالفين:

ذهبت الجهمية إلى عدم وصف الله تعالى بأنه حي؛ لأن ذلك تشبيه له بالأحياء (٣).

أما المعتزلة فقالوا: إنه حي بحياة، وحياته ذاته، حيث جعلوا الحياة صفة غير زائدة عن الذات (٤).

✽ الرد عليهم:

ما ذهب إليه أهل التعطيل مخالف لظاهر النصوص الصريحة الدالة على إثبات هذا الاسم لله على الوجه اللائق به سبحانه، ومضاد لمنهج السلف الصالح القائم على إثبات ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء التي أخبر عنها سبحانه أو أخبر عنها رسوله ﷺ، فكما أن ذات الله تعالى لا تماثل الذوات المخلوقة فكذلك أسمائه وما تضمنته من صفات لا تماثل صفات المخلوقين، مع

(٢) انظر: والله الأسماء الحسنی فادعوه بها لعبد العزيز الجليل (١٥٩ - ١٦١) [دار طيبة، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٣) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادی (٢١١ - ٢١٢)

[مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر]، ومقالات

الإسلاميين للأشعري (٣٣٨/١) [المكتبة العصرية،

ط ١٤١١هـ].

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (١٨٢)

[مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤٠٨هـ].

(١) انظر: الأسماء الحسنی: معانيها وآثارها لرفيع

أوونلا بصيري (٦٦٣) [رسالة دكتوراه مقدمة لقسم

العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة، عام ١٤١٣هـ].

١٠ - «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها»، لعبد العزيز الجليل.

الحيز

التعريف لغة:

الحِيزُ: هو الناحية والمجمع، يقال: انحاز عن القوم إذا اعتزلهم، وصار في ناحية أخرى. وانحاز إليهم إذا انضم إليهم. ذكر ابن فارس في مادة: (حيز) أن ياءه ليست أصلية، وإنما منقلبة عن واو، وأصل المادة: (حَوَز)، فقال: «الحاء والياء والزاء ليس أصلاً؛ لأن ياءه في الحقيقة واو. من ذلك: الحِيزُ: الناحية. وانحاز القوم، وقد ذكر في بابه»^(١).

وقال الأزهري: «قال أبو عبيد: التحَوَزُ هي التنحي. وفيه لغتان: التحَوَزُ والتحِيزُ. وقال الله جلَّ وعز: ﴿أَوْ مُتَحِيزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾ [الأنفال: ١٦] فَالتَّحَوَزُ تَفْعُلُ والتحِيزُ التَّفْعِيلُ، ونحو ذلك قال الفراء وحذاق النحويين»^(٢).

التعريف اصطلاحاً:

عرّفه الجرجاني بقوله: «الحِيزُ عند المتكلمين: هو الفراغ المتوهم، الذي يشغله شيء ممتد كالجسم، أو غير ممتد

وجوب تنزيهه سبحانه أن يلحقه نقصٌ أو عيب في كل اسم تسمّى به وفي كل صفة اتصف الله ﷻ بها، فالله تعالى من أسمائه (الحيّ) وهو موصوف بالحياة على ما يليق به ﷻ، حياة كاملة تستلزم جميع صفات الكمال.

المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله الحسنى»، لعبد الله الغصن.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٤ - «تفسير الطبري» (ج ٥).
- ٥ - «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة»، لسعيد بن وهف القحطاني.
- ٦ - «شرح أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته الواردة في الكتب الستة»، لحصة بنت عبد العزيز الصغير.
- ٧ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٨ - «المعاني الإيمانية في شرح الأسماء الحسنى الربانية»، لوحيد بن عبد السلام بن بالي.

٩ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لمحمد الحمودي النجدي.

(١) مقاييس اللغة (٢/ ١٢٣) [دار الجيل، ط ٢].

(٢) تهذيب اللغة (٥/ ١١٥) [دار إحياء التراث العربي،

بيروت، ط ١، ٢٠٠١م].

كالجواهر الفرد^(١).

وعرّفه الحافظ السيوطي بقوله:
«الحَيِّزُ: هو الفراغ المتوهم المشغول
بالشيء»^(٢).

العالم ولا داخله فهذا باطل معناه؛
لأن الله مستوٍ على عرشه بائن عن خلقه
وأما اللفظ فيتوقف فيه فلا يثبت ولا
ينفي^(٣).

❖ الحقيقة:

حقيقة المتحيز عند المتكلمين هو
الموجود ولو كان خارج المخلوقات؛
لأنهم يعتقدون أن الحيز من لوازمه،
فمن أثبت موجوداً قائماً بنفسه مبايناً
للمخلوقات، خارجاً عنها فقد جعله
عندهم متحيزاً أو في حيز، وإن لم يكن
في جهة موجودة^(٤).

❖ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «لفظ التحيز: إن أراد
به أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم
وأكبر؛ بل قد وسع كرسيه السماوات
والأرض، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا
قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا
بِقَبْضَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ
بِيمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]. وقد ثبت في
الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال:
«يقبض الله الأرض ويطوي السماوات
بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك

❖ العلاقة بين المعنى اللغوي

والاصطلاحي:

هما يلتقيان في كون الحيز أو المتحيز
هو ما كان في جهة موجودة تحيط به
وناحية مخلوقة تحوزه، ويختلفان من
جهة إطلاقهم الحيز أو المتحيز في
اصطلاحهم على الموجود خارج
المخلوقات.

❖ الحكم:

لا يجوز إطلاق الألفاظ المجملة
المبتدعة كالحيز والتحيز والمتحيز في
حق الله، وإنما الواجب في ذلك التقيد
بما ورد في الكتاب والسنة من صفات الله
الكاملة؛ لأن هذا الباب توقيفي لا مجال
للعقل في الخوض فيه.

فإذا أطلق لفظ المتحيز وأريد به أن الله
منحاز عن المخلوقات ومنفصل عنها
فهذا حق ولكن التعبير عنه بهذا اللفظ
البدعي خطأ فيتوقف عن هذا اللفظ فلا
يثبت ولا ينفي، وإن أريد به أن
المخلوقات تحوزه، أو أنه ليس خارج

(٣) انظر: التدمرية (٤٦) [جامعة الإمام، ط٤،
١٤٠٨هـ].

(٤) انظر: أساس التقديس للرازي (١٦)، والفتاوى
الكبرى لابن تيمية (٣٥٧/٦)، والتدمرية (٤٤)،
والكليات لأبي البقاء الكفوي (٣١٦) [مؤسسة
الرسالة، ١٤١٩هـ].

(١) التعريفات للجرجاني (١٢٧) [دار الكتاب العربي،
بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ].

(٢) معجم مقاليد العلوم (٧٢) [مكتبة الآداب، ط١].

ليس في الكتاب والسُّنة إثباته ولا نفيه عن الله تعالى، فليس فيهما أنه في حيز، أو متحيز، ولا أنه ليس كذلك، وفي النصوص ما يغني عنه مثل الكبير المتعال. وقد اضطرب المتأخرون في إثبات ذلك لله تعالى أو نفيه عنه، فإذا أجريناه على القاعدة قلنا: أما اللفظ فلا نشبهه ولا نفيه لعدم ورود السمع به، وأما المعنى فينظر ماذا يراد بالحيز أو المتحيز أيراد به أن الله تعالى تحوزه المخلوقات وتحيط به؟ فهذا معنى باطل منفي عن الله تعالى لا يليق به فإن الله أكبر، وأعظم، وأجل من أن تحيط به المخلوقات وتحوزه^(٤).

مذهب المخالفين:

سبق بيان ما يحتمله لفظ الحيز أو التحيز أو المتحيز من المعاني الباطلة والمعاني الصحيحة وقد جعله المتكلمون سلمًا لنفي الصفات الثابتة لله كالعلو والاستواء على العرش ونحوهما بحجة أن إثباتها يلزم منه أن يكون الله متحيزًا.

والمتحيز في المتعارف عليه عند النظار وغيرهم: هو الجرم الشاغل قدرًا من المساحة^(٥)، والحيز هو المكان، أو

الأرض؟^(١). وإن أراد به أنه منحاز عن المخلوقات؛ أي: مبين لها منفصل عنها ليس حائلًا فيها، فهو سبحانه كما قال أئمة السُّنة: فوق سُمواته على عرشه بائن من خلقه^(٢).

وقال صديق حسن خان: «وأما الألفاظ المبتدعة في النفي والإثبات مثل قول القائل في جهة وهو متحيز أو ليس بمتحيز ونحوها من الألفاظ التي تنازع فيها الناس فليس مع أحدهما نصٌّ لا عن الرسول ﷺ ولا عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أئمة المسلمين... من قال: إن الله متحيز، أو قال: ليس بمتحيز، إن أراد بقوله متحيز: أن المخلوقات تحوزه وتحيط به فقد أخطأ، وإن أراد منحاز عن المخلوقات بائن عنها عال عليها فقد أصاب، ومن قال: ليس بمتحيز: إن أراد أن المخلوقات لا تحوزه فقد أصاب، وإن أراد أنه ليس بمباينًا عنها؛ بل هو لا داخل فيها ولا خارج عنها فقد أخطأ^(٣)».

وقال ابن عثيمين: «فإذا قال قائل: هل نصِّفُ الله تعالى بأنه متحيز أو في حيز؟ قلنا: لفظ: (التحيز) أو (الحيز)

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨١٢)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٧).

(٢) التدمرية (٤٦).

(٣) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (٤٢، ٤٤)، (ط١، ١٤٠٤هـ).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (١٥٥/٤) [دار الوطن ودار الثريا، ١٤١٣هـ].

(٥) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (٧٨) [دار التراث العربي، القاهرة، ١٣٩٨هـ].

تقدير المكان؛ أي: كونه في المكان^(١). ولا يقتصرون في نفى الحيز عن الله على الحيز المخلوق، بل يعنون ما هو أوسع من ذلك وهو ما كان قائماً بنفسه مبيئاً لغيره بالجهة وإن لم يكن في شيء موجود^(٢). وعليه فهم يقصدون نفى علو الله على خلقه واستوائه على عرشه. قال الرازي: «إن جمهور العقلاء

المعتبرين، اتفقوا على أنه تعالى ليس بمتحيز ولا مختص بشيء من الجهات، وأنه تعالى غير حال في العالم، ولا مبين عنه في شيء من الجهات»^(٣).

الرد عليهم:

أولاً: أن هذه الألفاظ التي تدّرّع بها النفاة لنفي الصفات ليس لها أصل في شرع الله المطهر، ولا نطق بها الصحابة ولا التابعون لهم بإحسان، لا إثباتاً ولا نفياً. وأول من نطق بها نفياً وإثباتاً هم الجهمية والمعتزلة ومشبهة الرافضة، والمبتدعة^(٤).

ثانياً: أن إطلاق التحيز على بعض الصفات الثابتة لله؛ كالعلو والاستواء والنزول فيه خروج عن المصطلحات الشرعية وهو لا يجوز.

ثالثاً: أن الموقف الصحيح من هذه

الألفاظ الموهمة المبتدعة هو أن يتوقف في ألفاظها، ويستفسر عن معانيها، فيقال لهم: إن أردتم أن الله مختلط بخلقه لئلا يلزم أن يكون متحيزاً، فنحن نكفر بقولكم هذا، ونتيقن أنه باطل، وهو مردود شرعاً وعقلاً. وإن أردتم: أن الله لا حقيقة له تميزه عن خلقه، فكذلك هذا كفر وضلال.

وإن أردتم أن الله تعالى متميز من خلقه، وأنه بائن منه، فهذا حق، والنصوص فيه أكثر من أن تحصى، وهو ما يعتقده المسلمون ويؤمنون به، واتفق عليه سلف هذه الأمة وأئمتها قبل ظهور المعتزلة والفرق الضالة^(٥).

رابعاً: أن ما يذكره هؤلاء النفاة من أن الله غير حال في العالم ولا مبين عنه في شيء من الجهات، كما صرح به الرازي فيما تقدم فهو وإن كان شطره الأول صحيحاً، فإن شطره الثاني تعطيل محض ونفي صرف لوجود الله وهو باطل؛ لأن ما لا يكون داخل العالم ولا خارجه فهو المعدوم كما لا يخفى على كل ذي بصيرة. والله تعالى عليّ فوق خلقه مستو على عرشه بائن من برياته كما قال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه].

(١) الكليات للكفوي (٤٨٦ - ٤٨٧).

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى (٣٥٧/٦).

(٣) أساس التقديس للرازي (١٦).

(٤) انظر: المتقى من منهاج السنّة للذهبي (١١٠).

(٥) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١٨٠/٢) [مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١].

✽ المصادر والمراجع:

- والتأويل»، لعثمان عبد الله آدم الأثيوبي.
- ١ - «تقريب التدمرية»، لابن عثيمين.
- ٢ - «توضيح مقاصد المصطلحات العلمية في الرسالة التدمرية»، لمحمد الخميس.
- ٣ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ١، ٥)، لابن تيمية.
- ٤ - «الرسالة التدمرية»، لابن تيمية.
- ٥ - «شرح الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز.
- ٦ - «الصفات الخيرية بين الإثبات والتأويل»، لعثمان عبد الله آدم الأثيوبي.
- ٧ - «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر»، لمحمد صديق خان.
- ٨ - «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» (ج ٣، ٤).
- ٩ - «المنتقى من منهاج السُّنة»، للذهبي.
- ١٠ - «موقف شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم من الألفاظ المجملة المتعلقة بأبواب التوحيد والقضاء والقدر»، لعبد السميع بن عبد الأول.



الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
حرف التاء	٥٥٩	التعطيل	٦٦٥
التألي على الله	٥٥٩	التعظيم	٦٦٨
التأويل	٥٦٠	التغلب	٦٧٥
التبرك	٥٦٨	التفاضل	٦٧٥
التجلي	٥٧٤	تفاضل القرآن	٦٨٨
التحريف	٥٧٨	تقديم النقل على العقل	٦٨٩
تحريف الكتب السماوية	٥٨٤	التقديم والتأخير	٦٨٩
التحسين والتقبيح العقليان	٥٨٤	التقرب	٦٨٩
تحقيق التوحيد	٥٨٩	التقليد	٦٨٩
التحليل والتحریم	٥٨٩	التقوى	٦٩٩
التردد	٥٩٥	التكفير	٧٠٢
التركيب	٦٠٠	تكليف الملائكة	٧١٤
التسبيح	٦٠٥	تكليف ما لا يطاق	٧١٤
التسلسل	٦١١	التكوين	٧٢٠
التسمي بقاضي القضاة	٦١٨	التكليف	٧٢١
التشاؤم	٦٢٤	تلقين الميت	٧٢٥
التشبيه	٦٣٠	التمائم	٧٣٣
التشريع	٦٣٧	التمثيل	٧٣٩
التصديق	٦٣٧	التنجيم	٧٤٥
التصوير (صفة لله)	٦٤٣	التنزيه	٧٥٢
التصوير	٦٤٧	التوابع	٧٥٧
تطايير الصحف	٦٦١	التوبة	٧٦٣
التطرف	٦٦١	التوحيد	٧٧٢
التعبيد لغير الله	٦٦١	التوحيد الإرادي	٧٨٤

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
توحيد الأسماء والصفات	٧٨٤	الجهة	٩٠٤
توحيد الألوهية	٧٩١	الجواد	٩٠٨
توحيد الربوبية	٨٠٠	الجود	٩١١
توحيد العبادة	٨٠٧	الجوهر الفرد	٩١٢
التوحيد العلمي الخبري	٨٠٧	حرف الحاء	٩١٧
التوحيد العملي	٨٠٧	الحاسب	٩١٧
التوحيد الفعلي	٨٠٧	الحافظ	٩٢٦
توحيد القصد	٨٠٧	الحاكم	٩٢٦
التوحيد القولي الاعتقادي	٨٠٧	الحب في الله والبغض في الله	٩٢٦
توحيد المعرفة والإثبات	٨٠٧	الحثو	٩٢٦
التوراة	٨٠٨	الحجزة	٩٢٩
التوسل	٨١٤	الحد	٩٢٩
التوكل	٨٢٦	حديث الأحاد	٩٣٤
التولة	٨٣٣	الحرف والصوت	٩٤١
حرف الجيم	٨٣٩	الحركة	٩٤١
جامع الناس	٨٣٩	الحساب	٩٤٤
الجاهلية	٨٤٢	الحسب	٩٤٩
الجبث	٨٤٨	الحسد	٩٤٩
الجبروت	٨٥٢	حسن الظن بالله	٩٥٥
جبريل	٨٥٨	الحسن بن علي عليه السلام	٩٦٠
الجسم	٨٦٦	الحسيب	٩٦٧
الجلال	٨٦٩	الحسين بن علي عليه السلام	٩٧٣
الجليل	٨٦٩	الحشر	٩٧٧
الجماعة أو: أهل الجماعة	٨٧٥	حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنها	٩٨٢
الجمال	٨٨٣	الحفظة	٩٨٩
الجميل	٨٨٣	الحفيظ	٩٩١
الجن	٨٨٧	الحق	٩٩٥
جنب الله	٨٩٣	الحقو	٩٩٨
الجنة	٨٩٧	حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم	١٠٠٠

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الحَكَم	١٠١٥	الحَوِيد	١٠٦٤
حُكَم المبتدع	١٠٢١	الحَنَانُ	١٠٦٨
الحُكَم بغير ما أنزل الله	١٠٢١	الحَنِيفِيَّة	١٠٧٣
الحِكْمَة	١٠٢٨	الحَوَاث	١٠٧٨
الحَكِيم	١٠٣٥	الحَوْض	١٠٨٤
الحلف بغير الله تعالى	١٠٤٠	الحَيَاء (صفة لله تعالى)	١٠٩١
الحلول	١٠٤٦	الحَيَاء	١٠٩٤
حلول الحَوَاث	١٠٥٠	الحَيَاة البرزخية	١١٠٠
الحليم	١٠٥٠	الحَي (من أسماء الله)	١١٠٠
الحَمْد	١٠٥٥	الحِيز	١١٠٣
حَمَلَة العرش	١٠٦١		



موسوعة العقيدة والأديان
والفرق والمذاهب المعاصرة

هو الله

العقيدة والادراك والفكر والمنهج المعاصرة

تصنيف وإعداد

مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَكَادِمِيِّينَ وَالْبَاحِثِينَ الْمُتَخَصِّصِينَ فِي جَامِعَاتِ الْعَالَمِ

مُراجعة وتقديم

عَدَدٌ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُخْتَصِّينِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ

المشرف العام

صاحبُ السَّمَوَاتِ الْأَمِيرِ

د. شیخ محمد بن سلیمان بن محمد آل شیخ محمد

أستاذ العقيدة والذاهب الشارح في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض

الحضرة

الجزء الثالث (خ-س)

خَاتَمُ التَّوْحِيدِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ

هَوَسُوعَاتِنَا

العَقِيدَةُ وَالْإِسْلَامُ وَالْفِرْقَةُ وَالْمَنَاجِدُ وَالْعَامَّةُ

خ - س

ح سعود بن سلمان بن محمد آل سعود، ١٤٣٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل سعود، سعود بن سلمان بن محمد

موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة . / سعود

ابن سلمان بن محمد آل سعود - الرياض، ١٤٣٩ هـ

٦ مج.

ردمك ٩-٥٨٤٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٩-٥٨٥٢-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٣)

١- العقيدة الإسلامية ٢- المذاهب - موسوعات أ- العنوان

١٤٣٩/٢٠٥٥

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٢٠٥٥

ردمك: ٩-٥٨٤٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٩-٥٨٥٢-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٣)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م



موسوعة العقيدة والأديان
والفرق والمذاهب المعاصرة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص.ب ٧٤٨٠ الرمز البريدي ١١٤٦٢

<http://IslamicCreed.net>

info@islamiccreed.net

دار التوحيد للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب. ١٠٤٦٤ الرمز البريدي ١١٤٣٣

هاتف ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ - فاكس ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤

darattawheed@yahoo.com



موسوعة العقيدة والأديان
والفرق والمذاهب المعاصرة
Encyclopedia of the Creed, Religions,
Sects, and Contemporary Ideologies

موسوعة عقيدتنا

العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة

تصنيف وإعداد

مجموعة من الأكاديميين والباحثين المختصين في جامعات العالم

مراجعة وتقديم

عدد من كبار العلماء والمختصين في العالم الإسلامي

المشرف العام

صاحب السمو الأمير

د. سعود بن سلطان بن محمد آل سعود

أستاذ العقيدة والمذاهب الشارح في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض

العقيدة

الجزء الثالث (خ - س)

دار التوحيد للنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حرف الخاء

من (النُّبوة)؛ أي: الارتقاء؛ كأنه مُفَضَّل على الناس بَرَفَع منزلته. والاسم: النُّبوة^(٢).

خاتم الأولياء

يراجع مصطلح (الولي).

التعريف شرعاً:

المراد بمسألة خاتم النبيين (ختم النبوة): «انقطاع حدوث وصف النبوة في أحد من الثقلين بعد تحليه ﷺ بها في هذه النشأة»^(٣)؛ «فلا تبدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشريعته ﷺ»^(٤).

وبعبارة مختصرة: «انتهاء إنباء الله للناس، وانقطاع وحي السماء»^(٥).

سبب التسمية:

سُمي نبينا محمد ﷺ بخاتم النبيين؛ لأنه ختمهم وختموا به؛ أي: جاء آخرهم؛ فقد ختم الله تعالى به النبوة؛ فلا نبي بعده.

(٢) انظر: الصحاح (١/٧٤، ٦/٢٥٠٠)، ومقاييس اللغة (٥/٣٨٤)، والقاموس المحيط (٦٧).

(٣) روح المعاني للآلوسي (٢٢/٣٤) [إدارة الطباعة المنيرية بمصر].

(٤) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/٢٧٧) [المكتب الإسلامي، بيروت].

(٥) عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية لأحمد بن سعد الغامدي (١٦) [دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٤٥هـ].

خاتم النبيين ﷺ

التعريف لغة:

الخَاتِم: بكسر التاء: اسم فاعل من الفعل الثلاثي (ختم)؛ بمعنى: آخر الشيء، وبفتحها: ما يُخْتَم به، ويُقال له: الخَاتِم والخَاتَام والخَيْتَام والخَيْتَام والخَتْم والخَاتِيَام، والجمع: خَوَاتِم وخَوَاتِيم. والْخَاء والتَّاء والميم أصل واحد؛ وهو: بلوغ آخر الشيء، يُقال: ختمت العمل، وختم القارئ السورة، والْخَتْم: الطبع على الشيء، وهو لا يكون إلا بعد بلوغ آخره في الأحراز^(١).

النَّبِيِّين: جمع نبيٍّ ونبيء؛ وهو: الْمُخْبِر عن الله ﷻ؛ مأخوذ من (النَّبَأ)؛ أي: الخبر؛ لأنه أنبأ عن الله ﷻ؛ فهو فعيل بمعنى مفعول. وقيل: بل مأخوذ

(١) انظر: الصحاح (٥/١٩٠٨) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٢/٢٤٥) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٤٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ].

جميع الشرائع السابقة؛ فرسالته ﷺ كافية شافية عامة، لا تحوج إلى سواها، وهو ﷺ - بفضل ربه تعالى - لم يحوج أمته إلى أحد من بعده؛ وإنما حاجتهم إلى من يبلغهم عنه ما جاء به.

فلا نبي ولا رسول معه ولا بعده، وكل دعوى للنبوة بعده، أو ادعاء نزول الوحي على غيره بعده - وإن لم يدع النبوة -؛ فهي كذب وإفك وضلال وافتراء، يكفر صاحبها، ويقتل إن أصر عليها. وكذا من جحد ختمه ﷺ للنبوة، ولو كان مقرراً بأنه ﷺ رسول الله لجميع الثقلين.

ويعتقد المسلم أيضاً: أنه لا يسع أحداً من الناس إلا الإيمان به ومتابعة ما جاء به من الكتاب والسنة، باطنًا وظاهرًا، في دقيق الأمور وجليلها، في العلوم والمعارف والأعمال، ولا يجوز متابعة غيره من الرسل السابقين بعد بعثته ﷺ ونزول الوحي عليه، فلو أدركه الأنبياء ﷺ ما وسعهم إلا اتباعه؛ فلا شرع إلا شرعه، ولا يُتبعد الله تعالى بغير ما جاء به ﷺ، فمن ابتغى غير دينه وشرعه دينًا وشرعًا فلن يقبل منه، ومن سمع به ﷺ ومات ولم يؤمن به - بحجة اتباع غيره من الأنبياء ﷺ - فهو من أصحاب النار، وكذا من سَوَّغ اتباع شريعة غير شريعته ﷺ فهو كافر بالإجماع.

أو: تشيئًا له ﷺ بالخاتم الذي يختم به المكتوب؛ فهو كالخاتم والطابع لهم، فكأنه طبع على النبوة فلا تفتح لأحد بعده، أو كأن ظهوره ﷺ كان غلقًا لها^(١).

❁ الأسماء الأخرى:

خاتم النبيين هو: نبيُّنا محمد ﷺ، والخاتم، والعاقب.

❁ الحقيقة:

حقيقة الإيمان بختم النبوة بنبيِّنا محمد ﷺ أنه يجب على المسلم أن يعتقد أن من خصائص نبيِّنا محمد ﷺ التي انفرد بها عمن قبله من الأنبياء - مما هو معلوم بالنقل المتواتر من دين الإسلام بالضرورة -: أنه خاتم النبيين والمرسلين، ورسول ربِّ العالمين إلى جميع الثقلين: إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، دانيهم وقاصيهم، ملوكهم ورعيّتهم، زهادهم وغير زهادهم، الأولياء منهم وغيرهم؛ فبه أكمل الله الدين، وأتم علينا به النعمة، ونسخ به

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٥٨٤٤/٩) [طبعة جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ]، وتفسير البغوي (٣٥٨/٦) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ]، وتفسير القرطبي (١٩٥/١٤) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، وفتح القدير للشوكاني (٣٧٦/٤) [دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٢هـ]، وروح المعاني (٢٢/٣٤)، وتحفة الأحوذى (٥١/٩) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ]، والتحرير والتنوير (٤٧/٢٢) [دار سخون، تونس، ١٩٩٧م].

فشرعه ﷺ باق بقاء الليل والنهار إلى يوم القيامة؛ ولذا فهو ﷺ أكثر الأنبياء تابعا يوم القيامة^(١).

الأدلة:

دلّ على هذا المعتقد: الكتاب، والسنة المتواترة، وإجماع الأمة:

فمن الكتاب: قول الله تعالى: ﴿كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٢٥/٧) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، ط ٢، ١٤٢٨هـ]، والشفاء للمقاضي عياض (١٠٧٠/٢) [طبعة عيسى البابي الحلبي]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/٢٣٤، ٢٠٤/٤، ٤٩٦/١٢، ٥٩/٢٧، ٥٢٤/٢٨، ٢٠٧/٣٤)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤٤٥/٥) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ]، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/٢٧٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ]، وإعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/٣٧٥) [دار الجيل، ١٩٧٣م]، وتفسير ابن كثير (١/٥، ٢/٢٦، ٣/٤٨٩، ٦/٤٢٨) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفى (١/١٥٦، ١٦٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٩]، ولوامع الأنوار البهية (٢/٢٦٩، ٢٧٧) [المكتب الإسلامي]، والخصائص الكبرى للسيوطي (٢/٢٧٩) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ]، والمواهب اللدنية للمقسطاني (٢/٦٤٥) [المكتب الإسلامي، ط ٢]، وروح المعاني (٢٢/٣٤، ٤١)، ومعارج القبول (٣/١١١٥) [دار ابن القيم، ط ١، ١٤١٠هـ]، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٢/٤٥)، وعقيدة ختم النبوة للغامدي (١٧) وما بعدها، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (٢/١٨٦) [طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، ط ٢، ١٤١٢هـ]، والإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان لبكر أبو زيد (٨٣) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٧هـ].

عَلِيًّا ﴿٤١﴾ [الأحزاب]؛ وهي نص صريح في الدلالة على ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ، والرسالة بطريق الأولى والأحرى؛ فلا نبي بعده ولا رسول، سواء على قراءة الفتح أو الكسر للثناء في قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ﴾. وقوله ﴿وَكُنَّا﴾: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ووجه الدلالة من الآية: أن الله تعالى امتن على هذه الأمة وأتم عليها النعمة بإكمال الدين؛ «فهذه أكبر نعم الله ﷻ على هذه الأمة؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم؛ فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن؛ فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق، لا كذب فيه ولا خلف»^(٢).

وأما من السنة: فقد ثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه)؛ أن النبي ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي: كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية؛ فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٢٦)، بتصرف يسير.

وثبت في حديث ثوبان رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «... وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين؛ لا نبي بعدي»^(٦). والأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تحصر.

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة^(٧) على أنه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، ورسول رب العالمين إلى جميع الثقلين، وعرف ذلك بين الصحابة معرفة ضرورية يقينية، وتواتر بينهم، وفي الأجيال من بعدهم؛ ولذلك أجمعوا على قتال المتنبئين بعد وفاة رسول الله ﷺ، ولم يترددوا في تكفير مسيلمة والأسود العنسي. فصارت هذه العقيدة معلومة من الدين بالضرورة، فمن أنكر ختم النبوة به ﷺ فهو كافر خارج عن الإسلام بالإجماع، ولو كان مقراً بأن محمداً ﷺ رسول الله للناس كلهم. وهذا مبثوث

قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»^(١)، وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «فأنا موضع اللبنة؛ جئت فختمت الأنبياء»^(٢). وفي «صحيح مسلم»، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ»، فذكر منها: «وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»^(٣).

وثبت في «الصحيحين» عن جبير بن مطعم رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب، والعاقب: الذي ليس بعده نبي»، وفي رواية لمسلم: «وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد»^(٤).

وفيهما أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء؛ كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي...» الحديث^(٥).

(١) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٣٥)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٧).

وأخرجه البخاري أيضاً (كتاب المناقب، رقم ٣٥٣٤)، دون هذه الزيادة.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٣٢)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٥٤) واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٢٢٨٦).

(٣٤٥٥)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٤٢).

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الفتن، رقم ٤٢٥٢)، والترمذي (أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، رقم ٢٢١٩) وصححه، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٣٩٥٢)، وأحمد في مسنده (١١٧/٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٢/٤) [مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٧) انظر: مراتب الإجماع لابن حزم (١٦٧ و ١٧٣) [دار الكتب العلمية]، والمحرم الوجيز لابن عطية (٧/ ١٢٥)، والشفا للقاضي عياض (١٠٧١/٢)، وروح المعاني للآلوسي (٤١/٢٢)، والتحرير والتنوير (٤٥/٢٢).

عن اتباعه وطاعته وأخذ ما بعث به من الكتاب والحكمة؛ فهو كافر»^(٢).

وقال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب]؛ كقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]؛ فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأخرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة؛ فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس. وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة... فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد صلوات الله وسلامه عليه إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له. وقد أخبر تعالى في كتابه، ورسوله في السنة المتواترة عنه: أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك، دجال ضال مضل، ولو تخرق وشعب^(٣)، وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنجريجات^(٤)! فكلها محال وضلال عند أولي الألباب»^(٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/٥٩).

(٣) تخرق الكذب: اختلقه وابتدعه. وشعب - مثل:

شعوذ -: ما يريه لغيره مما ليس له حقيقة كالسحر.

(٤) النجريجات: ما يلبسه المشعوذ ونحوه على غيره مما يشبه السحر.

(٥) تفسير ابن كثير (٦/٤٢٨ - ٤٣٠).

متكاثر في كلام الأئمة وكتب العقائد قديمًا وحديثًا، والحمد لله.

وأيضًا من الأدلة على ختم النبوة به ﷺ: أدلة عموم رسالته إلى جميع الثقلين؛ فهذا العموم مستلزم لكونه خاتم النبيين، وكونه خاتم النبيين مستلزم لعموم رسالته.

✽ أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي: «وإن محمدًا عبده المصطفى، ونبيّه المجتبى، ورسوله المرتضى، وإنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين، وحبیب رب العالمين، وكل دعوى النبوة بعده فغبي وهوى، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، بالحق والهدى، وبالنور والضياء»^(١).

وقال ابن تيمية: «محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هو رسول الله ﷺ إلى جميع الثقلين؛ الجن والإنس، عربهم وعجمهم، دانيهم وقاصيهم، ملوكهم ورعيّتهم، زهادهم وغير زهادهم... وهو خاتم الرسل؛ ليس بعده نبي ينتظر ولا كتاب يرتقب؛ بل هو آخر الأنبياء، والكتاب الذي أنزل عليه مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه. فمن اعتقد أن لأحد من جميع الخلق - علمائهم وعبادهم وملوكهم - خروجًا

(١) العقيدة الطحاوية (١٢) [دار ابن حزم، بيروت،

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: استشكل بعضهم اختصاصه ﷺ بختم النبوة والرسالة به دون غيره من الأنبياء ﷺ، بما تواتر من نزول المسيح عيسى ابن مريم ﷺ إلى الأرض آخر الزمان؛ فهذا يوهم أنه هو آخر الأنبياء وخاتمهم لا نبينا محمد ﷺ: وأجيب عن ذلك ^(١): بأنه لا إشكال في ذلك؛ فعيسى ﷺ إنما كان نبياً قبل تحلي نبينا ﷺ بالنبوة في هذه النشأة، وهو حين ينزل يكون باقياً على نبوته السابقة لا يعزل عنها، لا أنه يوحى إليه بعد وفاة النبي ﷺ، وختم النبوة معناه - كما سبق -: أنه لا تبدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشريعته ﷺ، ولا يتصف بذلك أحد بعده، وعيسى ﷺ إنما نبئ وأرسل قبله ﷺ لا بعده؛ فظهر أنه لا منافاة ولا إشكال، والحمد لله.

ثم إن عيسى ﷺ إذا نزل إنما يتعبد الله بشريعة نبينا محمد ﷺ - أصولاً وفروعاً - لا بشريعته المتقدمة المنسوخة، ويكون خليفة لرسول الله ﷺ وحاكماً من حكام ملته بين أمته بما علمه الله تعالى في السماء قبل نزوله؛ فيحكم بالقرآن، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ولا يقبل من أهل الكتاب إلا الإسلام؛ وكل هذا إقرار وتأييد منه بختم

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٢٧٧)، وروح المعاني للآلوسي (٢٢/ ٣٤).

النبوة بنبينا محمد ﷺ، والحمد لله.

- المسألة الثانية: ما ذكره بعض أهل السير من احتمال اختصاص نبينا ﷺ بخاتم النبوة بين كتفيه دون إخوانه من الأنبياء ﷺ:

وذكر أهل العلم في الحكمة من ذلك ذلك عدة معان؛ منها: الإشارة إلى أنه خاتم النبيين، وليس هذا لأحد غيره، ولأن باب النبوة ختم به فلا يفتح بعده أبداً، وقيل غير ذلك ^(٢). والله أعلم.

- المسألة الثالثة: هل شرع من قبلنا شرع لنا؟

الصحيح: أنه شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه؛ وفي هذا استدلال أيضاً لختم النبوة بنبينا ﷺ؛ فشرعه هو المهيمن والناسخ لشرع من قبله؛ فما نسخه شرعنا أو جاء بخلافه فلا يعمل به ولا يصح أن يكون معارضاً لشرعنا، وما وافقه كان صحيحاً معمولاً به، وما كان مسكوتاً عنه في شريعتنا فالصحيح: أنه شرع لنا؛ لقول الله تعالى - بعد أن ذكر مجموعة من أنبيائه ورسله ﷺ -: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبُهِدْ لَهُمْ أَقْصَدُهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقوله ﷻ: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي

(٢) انظر: الروض الأنف للسيهلي (٢/ ١٧٨) [دار النصر للطباعة، مصر، ١٣٨٧هـ]، وسبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي (٢/ ٤٩، ٥٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ]، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٢٧٠).

فَقَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١١﴾ [يوسف: ١١١]، وغير ذلك من الأدلة المبسطة في مظانها من كتب أصول الفقه.

✽ الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على الإيمان بختمه ﷺ للنبوّة: استقرار التشريع وكمال الدين لدى الأمة، وهذا له أكبر الأثر في قوة إيمانها، وصدق اليقين بوعد ربها تعالى، ورسوخ القدم في الثبات على الدين وأحكام الشرع؛ كما امتن الله تعالى علينا بهذا في قوله ﷺ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ومن الثمرات أيضًا: القطع بتكذيب كل دعوى للنبوّة بعده ﷺ دون نظر أو تأمل، وفي هذا عصمة للأمة المحمدية من اتباع الدجالين الكذابين المتنبئين.

ومن الثمرات أيضًا: إبراز فضل هذه الأمة المحمدية على غيرها من الأمم السابقة، وفضل علمائها وأمرائها وخلفائها - الذين يسوسون الناس بالشرع - في حفظ أمر الدين والدنيا؛ فبهم حفظ الله الدين، وجدد معالمه، ونفى عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. بخلاف بني إسرائيل؛ فإنهم كانت تسوسهم الأنبياء ﷺ^(١).

(١) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء (١٨٣) [مجمع الملك فهد، ط ١، ١٤٢١هـ].

ومن الثمرات أيضًا: اعتقاد فضل النبي ﷺ على سائر إخوانه من الأنبياء والرسل ﷺ، والتنويه بفضله وشرفه وكرامته على ربه ﷻ، وكمال رسالته وشرعه ودعوته.

✽ الحكمة:

تقدم تقرير أن عموم الرسالة المحمدية إلى جميع الثقليين هو من خصائص نبينا محمد ﷺ التي انفرد بها عمن قبله من الأنبياء ﷺ، وأنه ﷺ أتى بشريعة ورسالة كافية شافية عامة، لا تحوج إلى سواها، وهو ﷺ - بفضل ربه تعالى - لم يحوج أمته إلى أحد من بعده؛ وإنما حاجتهم إلى من يبلغهم عنه ما جاء به؛ فكان من لوازم هذا العموم (عمومه بالنسبة إلى المرسل إليهم، وعمومه بالنسبة إلى كل ما يحتاج العباد إليه في أصول الدين وفروعه) أن يكون ﷺ خاتم أنبياء الله ورسله، وأن يكون كتابه - القرآن الكريم - هو خاتم كتب الله المنزلة، ومهيمنًا عليها وناسخًا لها، وجامعًا لأصولها ومحاسنها، وبقايا وخالدًا إلى قيام الساعة؛ ومن هنا ظهرت المناسبة في كونه ﷺ خاتم النبيين دون غيره من الرسل، الذين كانت رسالتهم مؤقتة لأقوام معينين في أزمنة خاصة، ولم تكن عامة لمن بعدهم. والله أعلم.

✦ مذهب المخالفين:

لهم بهذا الوحي، وقيام الأئمة مقام النبي ﷺ في النبوة والحجة^(٣)؛ بل تجرأ غلاتهم على ما هو أعظم من هذا؛ فنصّ بعض علمائهم على أن أئمتهم أفضل وأعلم من جميع الأنبياء والمرسلين، بما فيهم أولو العزم من الرسل^(٤)! وهذا في حقيقته قلدح وخذش في عقيدة ختم النبوة واختصاص نبينا ﷺ بها، فضلاً عن كونه كفرًا بالإجماع لا يمتري فيه أحد^(٥).

وجوّز الفلاسفة وغلاة الصوفية إمكان تحقق النبوة لأنفسهم، واكتسابهم لها بصفاء القلب ونقاء السريرة؛ فادعى ابن عربي - بعد ادعائه إثبات النبوة العامة - نزول الوحي عليه خاصة، وأنه خاتم

ادعى النبوة من زعماء الفرق الحديثة الباطنية كل من: الباب (واسمه: السيد علي محمد) زعيم البابية، وبهاء الله (واسمه: ميرزا حسين علي) زعيم البهائية، و(غلام أحمد بن غلام مرتضي القادياني) زعيم القاديانية (الأحمدية)^(١)!

وزعم الغرابية - من غلاة الشيعة - أن القرآن والوحي حق لعليّ، وأخطأ جبريل عليه السلام وأعطاه لمحمد ﷺ؛ لشدة شبه علي به كما يشبه الغراب الغراب! ومثلهم الباطنية؛ الذين يزعمون أن النبي ﷺ أخذ القرآن عن سلمان الفارسي^(٢)!

وأثبت الشيعة الإمامية الاثنا عشرية نزول الوحي بعد وفاة رسول الله ﷺ على فاطمة وأئمتهم، وكلام الملائكة

(١) انظر: التحرير والتنوير (٤٥/٢٢)، وعقيدة ختم النبوة للغامدي (٢٠١ - ٢٧٠).

(٢) انظر: المعارف لابن قتيبة (٣٤٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٧هـ]، واعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين للرازي (٥٩) [مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٣٩٨هـ]، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي لمحمد أحمد الخطيب (٣٠٣) [عالم الكتب، الرياض، ط ٢، ١٤٠٦هـ].

(٣) انظر: أصول الكافي للكليني (١٧٦/١، ٢٧١، ٢٤٠) [دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٨٨هـ]، وبحار الأنوار للمجلسي (١٧/١٥٥، ٤٤/٢٦، ٦٨، ٧٣، ٥٤/٢٣٧) [دار إحياء التراث،

ط ٣، ١٤٠٣هـ]، وبصائر الدرجات الكبرى لمحمد الصفار (٤٣، ٩٣) [طبعة النجف، ١٣٧٠هـ]، والشفا للقاضي عياض (١٠٧٠/٢). ولمزيد من التفصيل راجع: أصول مذهب الشيعة للقفاري (١/٣١٠، ٢/٥٨٦، ٦١٢، ٦٢٣)، وعقيدة ختم النبوة للغامدي (١٤٣).

(٤) انظر: بصائر الدرجات الكبرى (٥/٢٤٧) [طبعة إيران، ١٢٨٥هـ]، والفصول المهمة في أصول الأئمة للحر العاملي (١٥١) [مكتبة بصيرتي، قم]، وعيون أخبار الرضا لابن بابويه القمي (١/٢٦٢) [طبعة إيران، ١٣١٨هـ]، والحكومة الإسلامية للخميني (٥٢) [الحركة الإسلامية بإيران، ومطبعة الخليج بالكويت]. وانظر: أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٦١٣).

(٥) راجع: الشفا للقاضي عياض (١٠٧٨/٢)، ورسالة في الرد على الرافضة لمحمد بن عبد الوهاب (٢٩) [تحقيق: ناصر بن سعد الرشيد، مطابع الصفا، مكة، ١٤٠٢هـ].

بعده ولا رسول -؛ فهذا القول خروج عن عقيدة ختم النبوة المعلومة من الدين بالضرورة.

والأولياء عند بعض غلاة الصوفية يتفاضلون؛ فأفضلهم خاتم الأولياء، وهو عندهم أفضل من خاتم الأنبياء! وقدم هؤلاء بعض أوليائهم في المنزلة على منزلة الأنبياء والمرسلين، بما فيهم أولو العزم منهم^(٣)! فذهبوا إلى تقسيم مقامات الأولياء إلى أربعة مقامات: فمنهم من يقوم مقام خلافة النبوة (وهم العلماء)، ومنهم من يقوم مقام خلافة الرسالة (وهم الأبدال)، ومنهم من يقوم مقام خلافة أولي العزم (وهم الأوتاد)، ومنهم من يقوم مقام خلافة أولي الاصطفاء (وهم الأقطاب)^(٤)! فمقام بعض الأولياء عند هؤلاء الغلاة يكون فوق مقام أولي العزم من الرسل، فضلاً عن مقام النبوة والرسالة! فالله المستعان، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ومن الحركات المعاصرة المناقضة لعقيدة ختم النبوة: الحركات الداعية إلى

الأولياء، وأن الرسل لا يقتبسون علمهم إلا من مشكاته^(١)!

وقد تجرأ الزنادقة والملاحدة من جهلة المتفلسفة والمتصوفة والباطنية على ما هو أعظم من هذا؛ فذهبوا إلى أن الولي قد يكون أفضل وأعلم من النبي، وأنه يسعه الخروج عن شريعة نبي زمانه، وأنه يعلم الغيب، وأن أتباعه وأشيائهم لهم طرق باطنة توافق الحق ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع؛ كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى^(٢)! وهذا القول ذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام؛ بل هو زندقة وكفر؛ لأنه إنكار لما علم من الشرائع؛ فأحكام الله تعالى لا تعلم إلا بوساطة الرسل، فمن قال هذا القول فقد أثبت لنفسه خاصية النبوة؛ فهو في حقيقته قول بإثبات أنبياء بعد نبينا ﷺ - الذي جعله الله خاتم أنبيائه ورسله؛ فلا نبي

(١) انظر: فصوص الحكم لابن عربي (٤٨، ٦٢، ٦٣) [دار الكتاب العربي]، والشفاء للقاضي عياض (٢/ ١٠٧٠). ولمزيد من التفصيل راجع: عقيدة ختم النبوة للغامدي (١٥٦).

(٢) انظر: الرسالة القشيرية (١٦١) [دار الكتب الحديث، مصر]، والفتوحات المكية لابن عربي (٣/ ١٨٠) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م]، والجواهر والدرر للشعراني (١٧٥، ٢٦٠) [المطبعة الأزهرية، ١٣٠٦هـ]، ودرر الغواص له (٨١) [المطبعة الأزهرية، ١٣٠٦هـ]، والطبقات الكبرى له (٢/ ١٢٢، ١٢٥، ١٣٠) [دار الفكر، بيروت]، وجواهر المعاني لعلّي حازم براءة (١/ ٢٤٦) [طبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٣م].

(٣) انظر للتفصيل: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي لمحمد أحمد لوح (٧٩/١) [دار ابن القيم ودار ابن عفان، ط ١، ١٤٢٢هـ]، ومباحث المفاضلة في العقيدة لمحمد الشظيفي (١٨٩) [دار ابن عفان، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٤) انظر: جامع الأصول في الأولياء للكمشخاوي (٥) [المطبعة الوهيبية، طرابلس، ١٣٩٨هـ]، والفتوحات الإلهية لابن عجيبة (٢٦٤) [عالم الفكر، القاهرة، ١٩٨٣م].

- وحدة الأديان الثلاثة (الإسلام، واليهودية، والنصرانية)، ووحدة الكتب السماوية، وفكرة طبع (القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل) في غلاف واحد^(١)! زيادة على أن هذه الحركات والدعاوى مناقضة لاعتقاد تحريف الكتب السماوية.
- ٧ - «تفسير ابن كثير» (ج ١، ٢، ٣، ٦).
- ٨ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز.
- ٩ - «الخصائص الكبرى»، للسيوطي.
- ١٠ - «المواهب اللدنية» (ج ٢)، للقسطلاني.

- وكل ما سبق خروج عن عقيدة ختم النبوة، المتواترة تواتراً قطعياً، والمعلومة من دين الإسلام بالضرورة، وفساد هذه الأقوال والمعتقدات، وظهور كفر أصحابها يغني عن تكلف الرد عليها، وفيما تقدم كفاية في الرد عليهم.
- ١١ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ٢)، للسفاريني.
- ١٢ - «روح المعاني» (ج ٢٢)، للألوسي.
- ١٣ - «معارج القبول» (ج ٣)، لحافظ الحكمي.

🌸 المصادر والمراجع:

- ١ - «المحرر الوجيز» (ج ٧)، لابن عطية.
- ٢ - «الشفاء» (ج ٢)، للقاضي عياض.
- ٣ - «مجموع الفتاوى» (ج ٢، ٤، ١٢، ٢٧، ٢٨، ٣٤)، لابن تيمية.
- ٤ - «الجواب الصحيح» (ج ٥)، لابن تيمية.
- ٥ - «الفتاوى الكبرى» (ج ٣)، لابن تيمية.
- ١٤ - «التحرير والتنوير» (ج ٢٢)، للطاهر بن عاشور.
- ١٥ - «عقيدة ختم النبوة»، لأحمد الغامدي.
- ١٦ - «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد» (ج ٢)، للفوزان.
- ١٧ - «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان»، لبكر أبو زيد.

🌸 خازن الجنة 🌸

🌸 التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الخاء والزاء والنون أصل يدل على صيانة الشيء»^(٢).

- ٦ - «إعلام الموقعين» (ج ٤)، لابن القيم.

(١) انظر تفصيل هذه المؤامرات والرد العلمي عليها في كتاب: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، لبكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله.

(٢) مقاييس اللغة (١٧٨/٢) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

والخزن: حفظ الشيء، ويعبر به عن كل

حفظ، كحفظ السر ونحوه، والخازن: الحافظ للشيء، والأمين عليه، والحارس له^(١).

الحكم:

يجب الإيمان بخازن الجنة كما ورد به النص. أيضًا فإن الإيمان به يدخل في عموم وجوب الإيمان بالملائكة.

التعريف شرعاً:

الملك المؤمن على الجنة والحافظ لها بأمر الله تعالى^(٢).

المنزلة:

الإيمان بخازن الجنة يدخل في الإيمان بالملائكة ﷺ، والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، وأصل من أصوله العظيمة.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي ظاهرة فلا شك في أن خزنة الجنة حفاظ وأمناء على ما أتمنهم الله عليه.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت. لا أفتح لأحد قبلك»^(٤).

سبب التسمية:

سمي خازن الجنة بهذا الاسم لما في هذا الاسم من دلالة واضحة على العمل الذي يقوم به بأمر الله، فهو حافظ للجنة، ومؤتمن عليها بأمر الله ﷻ.

الأسماء الأخرى:

المشهور عند العلماء أن اسم خازن الجنة: رضوان، وجاء ذكره في بعض الأحاديث التي في ثبوتها نظر^(٣)، والله أعلم.

شعب الإيمان (٦/٢٤٧، رقم ٣٤٢١) [وزارة الأوقاف القطرية، ١٤٢٩هـ]، وسنده ضعيف جداً. وفي حديث أنس عند الدارقطني في الرؤية (١٧٩) [مكتبة المنار، ط ١، ١٤١١هـ]، وهو حديث منكر لا أصل له.

قال محقق كتاب حادي الأرواح (١/٢٢٢ الحاشية): «وفي الباب أحاديث عن أبي بن كعب، وعن أبي سعيد الخدري، وعائشة. ولا يصح في هذا الباب شيء».

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٧).

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٢٨٠) [دار القلم، ط ١، ١٤١٢هـ]، ولسان العرب (١٣/١٣٩) [دار صادر].

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراس (١/٢٢١) [عالم الفوائد، ط ٢، ١٤٣٢هـ].

(٣) روي ذلك في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند البيهقي في

المسائل المتعلقة:

٨ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكمي.

٩ - «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، للعقيل.

١٠ - «الجبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.

خازن النار

يراجع مصطلح (مالك).

ختم النبوة

يراجع مصطلح (خاتم النبيين).

الختم

يراجع مصطلح (الضلال).

خداع الله للمنافقين

التعريف لغة:

الخاء والبدال والعين أصل واحد، الإخداع: إخفاء الشيء^(٢) الخدع: إظهار خلاف ما تُخفيه. وَخَدَعَهُ يَخْدَعُهُ خَدْعًا وَخِدَاعًا أَيضًا؛ أي: ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم، والاسم: الخديعة^(٣).

دلت نصوص الوحيين على أن لخازن الجنة أعواناً، هم خزنة الجنة، وخازن الجنة هو المقدم فيهم، منها: قول الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعت خزنة الجنة أي قُلْ هَلُمَّ»^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة»، لنخبة من العلماء.

٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.

٣ - «البعث»، لأبي داود السجستاني.

٤ - «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، لابن القيم.

٥ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٦ - «عالم الملائكة الأبرار»، للأشقر.

٧ - «فتح الباري» (ج ٦)، لابن حجر.

(٢) مقاييس اللغة (٢٨٨).

(٣) لسان العرب لابن منظور (٢/٢٣١).

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢١٦)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٢٧).

التعريف اصطلاحًا:

الخداع: هو إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي^(١).

وقيل: المخادعة: أن يظهر المخادع لمن يخادعه شيئًا، ويبطن خلافه لكي يتمكن من مقصوده ممن يخادع^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

العلاقة ظاهرة؛ فالخداع إظهار خلاف ما تظهره، والله يخدع المنافقين فيظهر لهم إحسانه ويمدهم به في طغيانهم فيكون سبب عذابهم عدلًا وحكمة منه سبحانه.

الأسماء الأخرى:

المكر والكيد، يقول ابن القيم رحمته الله: «فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، وكذلك الكيد والمخادعة»^(٣).

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لله وَجَلَّ وإثباتها له تعالى على الوجه الذي يليق بجلاله وعظمته سبحانه، على سبيل المقابلة، من غير إطلاق كما ورد في القرآن الكريم.

يقول ابن القيم رحمته الله في معرض رده على دعواهم أنها مجاز: «والحق خلاف هذا الظن وأنها منقسمة إلى محمود ومذموم، فما كان منها متضمنًا للكذب والظلم فهو مذموم، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح فهو حسن محمود، فإن المخادع إذا خدع بباطل وظلم حسن من المجازي له أن يخدعه بحق وعدل»^(٤).

الحقيقة:

خدع الله للمخادعين هو أن يظهر لهم من النعم والأمن في الدنيا ثم يفسدها عليهم في الآخرة بما أعده لهم من العذاب الأليم، وهو من صفاته الفعلية الصادرة منه وَجَلَّ، وهي تضاف إليه مقيدة من دون إطلاق فتقول: «إن الله تعالى يخدع المنافقين، أو خادع المنافقين، أو خادع من يخادعه؛ لأنها في هذه الحال تكون صفة كمال، ولا يجوز أن تصفه بها على سبيل الإطلاق؛ لأنها تحتمل معنى صحيحًا ومعنى فاسدًا»^(٥).

وقيل: خديعة الله للمنافقين استدراجهم من حيث لا يعلمون، وإيهامهم بأن ما هم عليه خير لهم، في حين أنها في الحقيقة شر لهم وطريق لهم إلى جهنم وبئس المصير.

(١) إعلام الموقعين (٢٥٧/٥) [دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ].

(٢) تفسير السعدي (٤٨/١).

(٣) إعلام الموقعين (٢٥٧/٥) [دار ابن الجوزي].

(٤) مختصر الصواعق (٧٤٠/٢) [أضواء السلف، ط١].

(٥) شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (١٦٠).

الأدلة:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

أقوال أهل العلم:

غاية؛ فإنما هو خادع نفسه لا شك، دون من حدثته نفسه أنه له مخادع. ولذلك نفى الله جلّ ثناؤه عن المنافق أن يكون خدع غير نفسه، إذ كانت الصفة التي وصفنا صفته^(١).

وقال ابن كثير: «لأن المكر والخداع والسخرية على وجه اللعب والعبث متنفذ عن الله ﷻ بالإجماع، وأما على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك»^(٢).

قال ابن القيم: «إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيّد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنی فإن هذه الأفعال ليست بمدوحة مطلقاً، بل تمدح في موضع وتذم في موضع. والمقصود: أن الله سبحانه لم يصف نفسه بالكيّد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق، فكيف من الخالق سبحانه»^(٣).

وأجاب ابن عثيمين عن سؤال: هل يوصف الله بالخيانة والخداع؟ فقال: «أما الخيانة؛ فلا يوصف الله بها أبداً؛ لأنها ذمّ بكل حال؛ إذ إنها مكر في موضع الإثتمان، وهو مذموم؛ قال الله

قال ابن جرير رحمه الله: «فالمنافقون لم يخدعوا غير أنفسهم؛ لأن ما كان لهم من مال وأهل، فلم يكن المسلمون ملكوه عليهم - في حال خداعهم إياهم عنه بنفاقهم ولا قبلها - فيستنقذوه بخداعهم منهم، وإنما دافعوا عنه بكذبهم وإظهارهم بالسنتهم غير الذي في ضمائرهم، ويحكم الله لهم في أموالهم وأنفسهم وذرائعهم في ظاهر أمورهم بحكم ما انتسبوا إليه من الملة، والله بما يخفون من أمورهم عالم. وإنما الخادع من ختل غيره عن شيء، والمخدوع غير عالم بموضع خديعة خادعه. فأما والمخادع عارف بخداع صاحبه إياه غير لاحقه من خداعه إياه مكروه؛ بل إنما يتجافى للظان به أنه له مخادع، استدراجاً، ليبلغ غاية يتكامل له عليه الحجة للعقوبة التي هو بها موقع عند بلوغه إياها، والمستدرج غير عالم بحال نفسه عند مستدرجه، ولا عارف باطلاعه على ضميره، وأن إمهال مستدرجه إياه، تركه معاقبته على جرمه ليلبغ المخاتل المخادع من استحقاقه عقوبة مستدرجه بكثرة إساءته، وطول عصيانه إياه، وكثرة صفح المستدرج، وطول عفوه عنه أقصى

(١) جامع البيان (٢٧٦/١ - ٢٧٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٨٤/١).

(٣) مختصر الصواعق (٣٠٧/١).

وقيل: معناها أن الله تعالى يعاملهم
معاملة المخادع^(٤).

وقيل: إنها على الجواب؛ كقول
الرجل لمن كان يخدعه إذا ظفر به: أنا
الذي خدعتك، ولم تكن منه خديعة،
ولكن قال ذلك إذ صار الأمر إليه^(٥).

الرد عليهم:

١- قرّر أهل العلم أن صفات الله تعالى
لا يدخلها المجاز، وأن الله ﷻ خاطب
العرب بما تعهد من كلامها، فوجب
حملها على حقيقتها المعهودة عندهم.

٢- أنها إذا كانت على وجه الظلم
والعدوان كانت مذمومة، وأما إذا كانت
على وجه الحق فهي عدل بمن يستحق
ذلك، فكيف بصدورها من الله تعالى
على سبيل الجزاء بمن يستحقها^(٦).

٣- أما قولهم: إنه ﷻ يعاملهم
معاملة المخادع، فهذا لا يتصور أن
يعاملهم هذا المعاملة من غير أن تقوم به
هذه الصفة.

٤- وأما قولهم: إنما هي على وجه
الجواب، فهم نافون على الله ﷻ ما قد

٣٨٧ - و(٣٩٤/٣ - ٣٩٥) و(١٠٢/٥)، تفسير
الرازي (٣٠٨/١) و(٧٣/٤) و(١٣٠/٣١)، وتفسير
ابن عطية (١٢٧/٢)، وتفسير البحر المحيط (٣/٣٩٢)،
والتحرير والتنوير (١٥٩/٣ - ١٦٠) و(٥/٢٣٩).

(٤) انظر: جامع البيان للإيجي (٤٢٢/١).

(٥) انظر: جامع البيان للطبري (٣٠١/١).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١١/٧).

تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١]، ولم
يقُل: فخانهم. وأما الخداع؛ فهو كالمكر،
يوصف الله تعالى به حين يكون مدحاً، ولا
يوصف به على سبيل الإطلاق؛ قال الله
تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ
خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]^(١).

المسائل المتعلقة:

- هل من أسماء الله المخادع؟

إن الأفعال التي تخبر عن الله ﷻ مقيدة
لا يلزم أن يشتق له منها اسم مطلق، فلا
يقال أن من أسمائه الحسنی: المضل،
والفاتن، والماكر، تعالى الله وتقدس فإن
هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها
إلا أفعال مخصوصة معينة^(٢).

مذهب المخالفين:

مخادعة الله للمنافقين صفة من
الصفات الفعلية الاختيارية الصادرة
منه ﷻ أنكرها منكرها الصفات بالكلية
من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة
المعطلة. كما أنكرها الأشاعرة ومن
وافقهم فأولّوا نصوصها وصرفوا معناها
عن الحقيقة إلى المجاز، أو دعوى أنها
على سبيل المشاكلة اللفظية فقط^(٣).

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١٧١/١).

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم (١٦٢/١) [دار الكتاب
العربي].

(٣) انظر مثلاً: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٣٨٦/١).

خديجة أم المؤمنين

اسمها ونسبها:

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية زوج النبي ﷺ، وأمها فاطمة بنت زائدة قرشية من بني عامر بن لؤي^(٢).

مولدها ووفاتها:

ذكر ابن سعد أن أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ﷺ ولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة^(٣)، وتوفيت قبيل الهجرة بثلاث سنين، وهو نفس العام الذي توفي فيه أبو طالب^(٤).

إسلامها:

كانت خديجة بنت خويلد ﷺ تدعى قبل البعثة بالطاهرة، ولما جاء الإسلام كانت أول من صدقت ببعثة النبي ﷺ مطلقاً واتبعته^(٥).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٤/٨) [دار صادر]، والإصابة في تمييز الصحابة (٦٠٠/٧) [دار الجيل]، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٥/٨).

(٤) انظر: سيرة ابن إسحاق (٢٤٣، و٢٥٤) [دار الفكر]، بيروت، ط١، ودلائل النبوة للبيهقي (٣٥٢/٢) - ٣٥٣ [دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، ط١، والبداية والنهاية (٣١٥/٤ - ٣١٦) [دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ]، والسيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمرى (١٨٥/١) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٦، ١٤١٥هـ].

(٥) انظر: سيرة ابن إسحاق (١٣٩)، وتاريخ دمشق لابن

عساكر (١٧٩/٣) [دار الفكر، ١٩٩٥م]، والإصابة =

أثبتته الله ﷻ لنفسه، وأوجه لها. وهذا نظير ما أخبر به أنه خسف من خسف به من الأمم، وأغرق من أخبر أنه أغرقه منهم. فصدقنا الله تعالى ذكره فيما أخبرنا به من ذلك، ولم نفرق بين شيء منه. فما برهانكم على تفريقكم ما فرقتم بينه، بزعمكم: أنه قد أغرق وخسف بمن أخبر أنه أغرق وخسف به، ولم يخادع من أخبر أنه قد خدعه؟^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إعلام الموقعين»، لابن القيم.
- ٢ - «تأويلات أهل السنة»، لأبي منصور الماتريدي.
- ٣ - «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير الدمشقي.
- ٤ - «جامع البيان»، لابن جرير الطبري.
- ٥ - «شرح أسماء الله الحسنى»، لسعيد القحطاني.
- ٦ - «شرح العقيدة السفارينية»، لابن عثيمين.
- ٧ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٨ - «مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين».
- ٩ - «مختصر الصواعق»، للموصلي.
- ١٠ - «مفاتيح الغيب»، للرازي.

(١) جامع البيان للطبري (٣٠٤/١).

- أنها خير نساء أهل الجنة، لما ثبت من حديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة»^(٤).

- ثناء النبي صلى الله عليه وسلم عليها بخير باستمرار، فقد روى البخاري بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما غرت على امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة، هلك قبل أن يتزوجني لما كنت أسمع يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليدبح الشاة فيهدي في خلأها منها ما يسعهن»^(٥).

- أنها من النساء الكامل، فعن قرّة بن إياس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا ثلاث؛ مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(٦).

ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣٢).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨١٥)،

ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨١٦).

(٦) ساقه ابن كثير في البداية والنهاية (٣٢٣/٤) [دار هجر، ط١] بقوله: «وروى شعبة، عن معاوية بن قرّة، عن أبيه قرّة بن إياس رضي الله عنه قال: قال...»، ثم قال: «رواه ابن مردويه في تفسيره. وهذا إسناد صحيح إلى شعبة، وبعده».

وأخرجه الطبري في تفسيره (٣٩٧/٦) [مؤسسة الرساله، ط١]، عن المثني بن إبراهيم عن آدم بن أبي إياس عن شعبة، بسنده إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وذكر الحديث.

قال ابن إسحاق: «كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وصدق ما جاء به»^(١).

وقال ابن الصلاح بعد أن أشار إلى اختلاف أهل العلم فيمن أول الناس إسلامًا: «والأورع أن يقال: أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان أو الأحداث علي، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال، والله أعلم»^(٢).

فضائلها:

- أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة، لا صخب فيه ولا نصب.

- أن الله أرسل جبريل ليقرئها السلام من الله، يدل لهذا وذاك ما رواه البخاري بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»^(٣).

= في تمييز الصحابة (٦٠٠/٧)، والبداية والنهاية (٤/٤٢)، وصحيح السيرة للألباني (٩٩) [المكتبة الإسلامية، عمان، ط١، ١٤٢١هـ].

(١) سيرة ابن إسحاق (١٣٢).

(٢) معرفة أنواع علوم الحديث لابن الصلاح (٤٠٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٢٠)،

مكانتها:

وروى الإمام مسلم أيضًا بسنده عن عائشة رضي الله عنها؛ أنها قالت: «ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا على خديجة وإنني لم أدركها». قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة فيقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة»، قالت: فأغضبه يومًا فقلت: خديجة؟ فقال: «إني رزقت حبها»^(٥).

وحق لخديجة أن تحظى بهذه المكانة العلية من خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم؛ فهي «خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل البعثة خمسة عشر سنة، وبعدها أزيد من عشر سنين، وكانت له وزير صدق بنفسها ومالها، صلى الله عليه وسلم وأرضاها»^(٦).

المسائل المتعلقة:

المسألة الأولى: اشتغال النبي صلى الله عليه وسلم في تجارة خديجة ثم زواجه منها: كانت خديجة بنت خويلد امرأة عاقلة لبية، وكانت ثيبًا قبل زواجها من النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث تزوجها أولاً أبو هالة هند بن النباش بن زرارة، ثم عتيق بن عائذ المخزومي، على الأصح كما يقول ابن عبد البر^(٧).

وذكر ابن إسحاق أن أول من تزوج

لها مكانة عظمى ودرجة سامية، فقد كانت قبل الإسلام معروفة بالطاهرة العفيفة، وأما في الإسلام فيكفي لبيان عظم مكانتها التذكير بأنها كانت «وزيرة صدق على الإسلام، كان يسكن إليها»^(١)، وأنها أم المؤمنين، وزوجة سيد المرسلين، لم يتزوج عليها النبي صلى الله عليه وسلم حتى ماتت، وكان أكثر من ذكرها بخير طيلة حياته صلى الله عليه وسلم، ويكرم صديقاتها، وأنها أم أولاده أجمعين، حاشا إبراهيم^(٢) فإنه من مارية القبطية^(٣). فقد روى مسلم بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ أنها قالت: «لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم على خديجة حتى ماتت»^(٤).

= وهذا الحديث أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤١١، ٣٤٣٣)، و(كتاب الأطعمة، رقم ٥٤١٨)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣١)، من طرق عن آدم بن أبي إياس، وعن شعبة، بغير ذكر خديجة رضي الله عنها.

والمثنى بن إبراهيم - شيخ الطبري - لم نظفر له بترجمة، وقد خالف الثقات من أصحاب آدم وشعبة في لفظ الحديث، فالظاهر أن ذكر خديجة في حديث أبي موسى غير محفوظ. والله أعلم.

(١) سيرة ابن إسحاق (٢٤٣).

(٢) انظر: سيرة ابن إسحاق (٢٤٣ - ٢٤٥، ٢٥٤)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣/ ١٣٠)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٤٦٣)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية لمهدي رزق الله أحمد (١٣٦).

(٣) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٣/ ١٢٦)، والبداية والنهاية (٤/ ٣٢١)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ٣٣١) [دار المعرفة].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣٧).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣٥).

(٦) البداية والنهاية (٢/ ٤٣١)، وانظر: سيرة ابن إسحاق (٢٤٣).

(٧) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨١٧).

[دار الجبل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ].

فقبل النبي ﷺ وأخبر أعمامه بذلك، فانطلق معه عمه حمزة، حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه، فتزوجها ﷺ وكان عمره خمسة وعشرين سنة^(٤)، وهو قول الجمهور^(٥)، وأما عمرها فقد اختلف فيه، ف قيل: كان خمسًا وثلاثين سنة، وقيل: خمسًا وعشرين^(٦) وقيل: ثمانية وعشرين، وقيل: أربعين، وقيل غير ذلك، وفي كيفية زواجه منها روايات ضعيفة تذكر تفاصيل ذلك؛ بل معظمها واهٍ^(٧).

- المسألة الثانية: دور خديجة العظيم في نصره الرسول ﷺ أول الإسلام وأثر ذلك:

خديجة بنت خويلد ﷺ زوج النبي الكريم ﷺ كانت خير معين له - بعد الله تعالى - في دعوته، حيث آزرته من أول يوم من مبعثه، حتى كان لها الأثر الطيب والمردود الحسن في تهدئة النبي ﷺ ورفع معنوياته، فقد روى البخاري بسنده عن أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي

خديجة - وهي بكر - هو عتيق بن عائذ المخزومي، فولدت له بنتًا ومات، ثم تزوجها بعده أبو هالة هند بن النباش بن زرارة فأنجب منها ولدًا وبنتًا ثم هلك^(١)، زاد ابن سعد: وتزوجت بعده صيفي بن أمية بن عابد^(٢).

وكانت خديجة ﷺ تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال على مالها مضاربة، فلما وصلها أوصاف النبي ﷺ من صدق حديثه وعظم أمانته وكريم أخلاقه، بعثت إليه وعرضت عليه أن يعمل في تجارتها، ويخرج لها إلى الشام تاجرًا مع غلام لها يقال له: ميسرة، مقابل أن تعطيه أفضل ما كانت تعطيه من التجار غيره، فوافق النبي ﷺ على ذلك، وبدأ يعمل في تجارتها، هنا وهناك فذهب هو والغلام إلى الشام، ولما قدم بمالها إلى مكة، باعت خديجة ما جاء به فأضعفت أو قريبا، وحدثها غلامها بما رآه في النبي ﷺ من الآيات والمعجزات، فرغبت في الزواج منه، وعرضت عليه نفسها، وكانت يومئذ أوسط نساء قريش نسبا، وأعظمهن شرفا، وأكثرهن مالا، كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه^(٣).

مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٧٥هـ، والبداية والنهاية لابن كثير (٤٦٢/٣ - ٤٦٣)، والسيرة النبوية الصحيحة لكرم ضياء العمري (١١٢/١ - ١١٣).
(٤) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٧٢/٢)، والبداية والنهاية (٤٦٣/٣ - ٤٦٦).

(٥) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (١٣٤).

(٦) انظر: البداية والنهاية (٤٦٦/٣).

(٧) حسبما ذكر العمري في السيرة النبوية (١١٢/١).

(١) انظر: سيرة ابن إسحاق (٢٤٥)، والطبقات الكبرى لابن سعد (١٤/٨ - ١٥)، وتاريخ دمشق (١٧٩/٣).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٥/٨).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١٨٨/١ - ١٨٩) [مطبعة

الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حيّاً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أومخرجي هم؟» قال: نعم؟ لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي^(١).

قال النووي: «قال العلماء: معنى كلام خديجة ﷺ: إنك لا يصيبك مكروه؛ لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق، وكرم السمائل، وذكرت ضرورياً من ذلك، وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء، وفيه: مدح الإنسان في وجهه في بعض الأحوال؛ نظراً لمصلحة، وفيه تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشير، وذكر أسباب السلامة له، وفيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة ﷺ وجزالة رأيها وقوة نفسها وثبات قلبها وعظم فقهها»^(٢).

الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ [العلق]، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد ﷺ فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأً قد تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من

(١) أخرجه البخاري (باب بدء الوحي، رقم ٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/٢٠٢) [دار إحياء =

- المسألة الثالثة: في المفاضلة بين خديجة وعائشة ﷺ:

اختلف أهل العلم في أيتهما أفضل، إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: تفضيل عائشة على خديجة، واحتجوا ببعض الأحاديث؛ كحديث أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(١).

وحديث عائشة ﷺ قالت: «استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك، فقال: اللهم هالة، قالت: فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلك في الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها»^(٢).

ووجه استدلالهم بهذا هو أن النبي ﷺ أقرها في قولها: إن الله أبدله خيراً منها. قال ابن التين: «في سكوت النبي ﷺ على هذه المقالة دليل على أفضلية عائشة

على خديجة، إلا أن يكون المراد بالخيرية هنا حسن الصورة وصغر السن»^(٣).

وكذلك «كانت أحب أزواج رسول الله ﷺ إليه، ولم يتزوج بكرة غيرها، ولا يعرف في سائر النساء في هذه الأمة؛ بل ولا في غيرها، أعلم منها ولا أفهم، وقد غار الله لها حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فأنزل براءتها من فوق سبع سماوات، وقد عمرت بعد رسول الله ﷺ، قريباً من خمسين سنة، تبلغ عنه القرآن والسنة، وتفتي المسلمين وتصلح بين المختلفين، وهي أشرف أمهات المؤمنين، حتى خديجة بنت خويلد أم البنات والبنين، في قول طائفة من العلماء السابقين واللاحقين»^(٤).

القول الثاني: تفضيل خديجة على عائشة ﷺ، ومما احتجوا به لذلك: حديث علي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة»^(٥).

قال الحافظ ابن حجر في هذا الحديث: «وجاء ما يفسر المراد صريحاً، فروى البزار والطبراني من

= التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٦٩)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٢١) معلقاً مجزئاً، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣٧).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٤٠/٧).

(٤) البداية والنهاية (٤٣١/٢ - ٤٣٢).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨١٥)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣٠).

فقد روى الإمام أحمد بسنده عن عائشة قالت: «كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثني عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق قد أبدلك الله ﷻ بها خيراً منها، قال: ما أبدلني الله ﷻ خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ﷻ ولدها إذ حرمني أولاد النساء»^(٥).

قال الحافظ ابن حجر في رده على كلام ابن التين: «ولا يلزم من كونه لم ينقل في هذه الطريق أنه ﷺ ردَّ عليها عدم ذلك؛ بل الواقع أنه صدر منه ردٌّ لهذه المقالة، ففي رواية أبي نجيع عن عائشة عند أحمد والطبراني في هذه القصة، قالت عائشة: فقلت: أبدلك الله بكبيرة السن حديثه السن، فغضب حتى قلت: والذي بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير، وهذا يؤيد ما تأوله ابن التين في الخيرية المذكورة والحديث يفسر بعضه بعضاً»^(٦).

ولذا؛ لما احتج الإمام ابن كثير على تفضيل عائشة على خديجة بذلك الإقرار استدرك وذكر الروايات التي صرحت برّد

حديث عمار بن ياسر رفعه: «لقد فضلت خديجة على نساء أمتي، كما فضلت مريم على نساء العالمين»^(١)، وهو من حديث حسن الإسناد، واستدل بهذا الحديث على أن خديجة أفضل من عائشة»^(٢).

وكذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»^(٣). قال الحافظ ابن حجر فيه: «وهذا نص صريح لا يحتمل التأويل»^(٤).

وأجابوا عن قول من قال: بأن النبي ﷺ أقر عائشة في قولها: إن الله أبدله خيراً من خديجة، بأن الحديث جاء صحيحاً في خارج الصحيح، وفيه التصريح بعدم إقراره إياها على قولها،

(١) أخرجه البزار في مسنده (٢٥٥/٤) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٤هـ]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٣/٩) [مكتبة القدسي]: «فيه أبو يزيد الحميري، ولم أعرفه، وبقي رجاله وثقوا»، وفي سنده ابن لهيعة أيضاً، وهو ضعيف.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣٥/٧).

(٣) أخرجه أحمد (٤٠٩/٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والنسائي في السنن الكبرى (كتاب المناقب، رقم ٨٢٩٧)، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٧٠١٠)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣٥/٧) [دار المعرفة]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٠٨).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٣٥/٧).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٣٥٦/٤١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٣٢٠/٤): «تفرد به أحمد أيضاً، وإسناده لا بأس به».

(٦) فتح الباري لابن حجر (١٤٠/٧).

براءتها من فوق سبع سماوات، وروت بعده عنه ﷺ علماً جماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور: «خذوا شطر دينكم عن الحميراء»^(٢). والحق أن كلاً منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهره وحيره، والأحسن التوقف في ذلك، ورد علم ذلك إلى الله ﷻ، ومن ظهر له دليل يقطع به، أو يغلب على ظنه في هذا الباب، فذاك الذي يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم، ومن حصل له توقف في هذه المسألة، أو في غيرها، فالطريق الأقوم والمسلوك الأسلم أن يقول: الله أعلم»^(٣).

وممن أيد هذا القول العلامة ابن عثيمين، حيث عرض الخلاف في المسألة ثم رجح هذا بقوله: «والعلماء اختلفوا في هذه المسألة؛ فقال بعض العلماء: خديجة أفضل؛ لأن لها مزايا لم تلحقها عائشة فيها. وقال بعض العلماء: بل عائشة أفضل، لهذا الحديث»^(٤)، ولأن لها مزايا لم تلحقها خديجة فيها. وفصل بعض أهل العلم، فقال: إن لكلٍّ منهما مزية لم تلحقها

النبي ﷺ على عائشة، وساق بعضها، منها الحديث السابق عن عائشة، ومنها حديث عائشة أيضاً أنها قالت: «ذكر رسول الله ﷺ يوماً خديجة فأطنب في الثناء عليها، فأدركني ما يدرك النساء من الغيرة، فقلت: لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين. قالت: فتغير وجه رسول الله ﷺ تغيراً لم أره تغير عند شيء قط، إلا عند نزول الوحي، أو عند المخيلة حتى يعلم، رحمة أو عذاب»^(١).

القول الثالث: التوقف عن المفاضلة

بينهما؛ لأن لكلٍّ منهما مزايا وفضائل ليست للأخرى، وأن كل واحدة منهما أفضل من الأخرى في بعض الجوانب.

قال ابن كثير: «وأما أهل السنة؛ فمنهم من يغلو أيضاً، ويثبت لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف، ولكن تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة؛ لكونها ابنة الصديق، ولكونها أعلم من خديجة، فإنه لم يكن في الأمم مثل عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها، ولم يكن الرسول ﷺ يحب أحداً من نسائه كمحبته إياها، ونزلت

(٢) وهو حديث موضوع. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١١/٦٦٤) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٣) البداية والنهاية (٤/٣٢٢).

(٤) يعني الحديث المتقدم، وهو: «وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

(١) أخرجه أحمد (٨٩/٤٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]،

وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٧٠٠٨)، وقال ابن

كثير في البداية والنهاية (٤/٣٢٠) [دار هجر، ط ١]:

«وهذا إسناد جيد».

- الأخرى فيها، ففي أول الرسالة لا شك أن المزايا التي حصلت عليها خديجة لم تلحقها فيها عائشة، ولا يمكن أن تساويها، وبعد ذلك، وبعد موت الرسول ﷺ حصل من عائشة من نشر العلم ونشر السنّة وهداية الأمة ما لم يحصل لخديجة، فلا يصح أن تفضل إحداها على الأخرى تفضيلاً مطلقاً؛ بل نقول: هذه أفضل من وجهه، وهذه أفضل من وجهه، ونكون قد سلطنا مسلك العدل، فلم نهدر ما لهذه من المزية، ولا ما لهذه من المزية، وعند التفصيل يحصل التحصيل. وهما وبقية أزواج الرسول في الجنة معاً^(١).
- ٨ - «صحيح السيرة»، للألباني.
٩ - «الطبقات الكبرى» (ج ٨)، لابن سعد.
١٠ - «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» (ج ٨).

الخروج على الإمام

يراجع مصطلح (الإمامة).

الخسوفات الثلاث

التعريف لغة:

هو غياب الشيء في الأرض، وخسفت الأرض خسفًا وخسوفًا: غارت بما عليها. ويقال: خسف الله بهم الأرض غيبتهم فيها. وخُسِفَ بالرجل وبالقوم: إذا أخذته الأرض ودخل فيها^(٢).

التعريف شرعاً:

الخسوفات الثلاث: من أشرار الساعة الكبرى التي ورد ذكرها في السنّة الصحيحة، وهي خسف في المشرق، وخسف في المغرب، وخسف في جزيرة العرب، كما بيّن ذلك رسول الله ﷺ^(٣).

الحكم:

يجب الإيمان بوقوع الخسوفات

المصادر والمراجع:

- ١ - «البداية والنهاية» (ج ٤)، لابن كثير.
٢ - «تاريخ دمشق» (ج ٣، و ٤)، لابن عساكر.
٣ - «دلائل النبوة» (ج ٢)، للبيهقي.
٤ - «سيرة ابن إسحاق».
٥ - «سيرة ابن هشام» (ج ١).
٦ - «السيرة النبوية الصحيحة» (ج ١)، لأكرم العمري.
٧ - «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية»، لمهدي رزق الله أحمد.

(٢) ينظر: لسان العرب (٦٧/٩) [دار صادر]، والقاموس

المحيط (١٠٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧هـ].

(٣) كما نصّت عليها الأحاديث الصحيحة الآتي ذكرها.

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٦١٥/٨) [دار

الوطن ودار الثريا، ١٤١٣هـ].

الشيخ: «ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وهذه الخسوف الثلاثة، خسوف عظيمة لم يسبق أن حدث مثلها. فالزلازل وخسوف الأرض تحدث في الأرض، وهي من آيات الله ﷻ يتلى بها ويعذب بها؛ ولكنها - أي: الخسوف الثلاثة - آيات عند قرب قيام الساعة لم يحدث لها مثل، فهي غير مألوفة. خسوف عظيمة كبيرة تكون في الشرق وفي الغرب وفي جزيرة العرب»^(٣).

المسائل المتعلقة:

ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الخسوفات قد وقعت^(٤)؛ لكن الصحيح أن شيئاً منها لم يقع بعد، وإنما وقعت خسوفات تعد من أشراط الساعة الصغرى، وقعت في أنحاء متفرقة، وفي أزمنة متفاوتة. أما هذه الخسوفات الثلاث فالنص عليها في الحديث دلالة على أنها مرادة لذاتها، وأنها تفوق غيرها من الخسوفات، وأن وقوعها عامّاً للأرض كلها، في ثلاث جهات نص

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٤٣٤/٢) [دار الحجاز، ط١، ١٤٣٣هـ].

(٤) ينظر: التذكرة للقرطبي (١٢٦٣/٣) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ]، والإشاعة لأشراط الساعة (١١١) [دار المنهاج، ط١، ١٤١٧هـ]، والبحور الزاهرة في علوم الآخرة (٤٢٣/٢) [دار غراس، ط١، ١٤٢٨هـ].

الثلاث في آخر الزمان، وأنها من الأشراف الكبرى للساعة، وهي تدخل ضمن الإيمان باليوم الآخر.

الأدلة:

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذكرون؟» قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات». فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم^(١).

أقوال أهل العلم:

قال السخاوي - وهو يذكر أشراط الساعة -: «وخسوف ثلاثة بالمشرق والمغرب وجزيرة العرب، والخسف وإن وجد في مواضع من العجم والمغرب وغيرهما، وهلك بسببه خلق كثيرون؛ فيحتمل أن يكون المراد بالثلاثة قدراً زائداً على ما وجد، كأن يكون أعظم منه قدراً أو مكاناً»^(٢). وقال صالح آل

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٠١).

(٢) القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (٨٤) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ].

❖ الخشوع ❖

❖ التعريف لغة: ❖

الخشوع في اللغة: مصدر خشع كمنع، يقال: خَشَعَ يَخْشَعُ خُشوعًا واخْتَشَعَ وَتَخَشَّعَ، ويطلق على الخضوع والسكون والذل، قال الجوهري: «الخُشوعُ: الخضوعُ، يقال: خَشَعَ واخْتَشَعَ»^(٢).

والخشوع يكون في الصوت؛ كقوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨]؛ أي: سكنت وذلت وخضعت^(٣).

كما يكون في البدن والبصر؛ كقوله تعالى: ﴿خَشَعَتِ أَبْصَارُهُمْ﴾ [القلم: ٤٣].

قال ابن القيم: «والخشوع في أصل اللغة: الانخفاض والذل والسكون»^(٤).

❖ التعريف شرعًا: ❖

الخشوع: هو جمع القلب بين يدي الله تعالى والقيام بالخضوع والذل له^(٥).

قال الطبري: «الخشوع: الخوف والخشية لله وَعَلَى»^(٦).

(٢) الصحاح (٣/١٢٠٤) [دار العلم للملايين، ط ٣].

(٣) انظر: لسان العرب (٧١/٠٨) [دار الفكر، ط ١]، والقاموس المحيط (٩٢١) [مؤسسة الرسالة ط ٢].

(٤) مدارج السالكين (٥٥٨/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ].

(٥) انظر: مدارج السالكين (٥٥٨/١).

(٦) تفسير الطبري (٤١/١٣) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ].

عليها الحديث، دون تحديد بقعة بعينها، وأن خبرها ينتشر بين الناس كافة. قال ابن حجر: «وقد وجد الخسف في مواضع ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرًا زائدًا على ما وجد، كأن يكون أعظم منه مكانًا أو قدرًا»^(١).

❖ المصادر والمراجع: ❖

١ - «الإساعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.

٢ - «أشراط الساعة»، ليووسف الوابل.

٣ - «البحور الزاخرة» (ج ١)، للسفاريني.

٤ - «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج ٣)، للقرطبي.

٥ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ٢)، لصالح آل الشيخ.

٦ - «فتح الباري» (ج ١٣)، لابن حجر العسقلاني.

٧ - «فقد جاء أشراطها»، لمحمود عطية محمد علي.

٨ - «القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة»، للسخاوي.

(١) فتح الباري (٩٠/١٣) [المطبعة السلفية، ط ٢]، وينظر: القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٨٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لَمَّا كَانَ أَصْلُ الْخُشُوعِ فِي اللُّغَةِ هُوَ: الْخُضُوعُ وَالذَّلُّ، ارْتَبَطَ ذَلِكَ الْمَعْنَى بِتَعْرِيفِ الْخُشُوعِ فِي الشَّرْعِ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ قَيَّدَ بِالْخُضُوعِ لِلرَّبِّ ﷻ وَالذَّلَّ لِعَظَمَتِهِ دُونَ سِوَاهُ.

الأسماء الأخرى:

الخشوع، الإخبات.

الحكم:

الخشوع: عمل قلبي لَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ ﷻ وَقَدْ جَاءَتْ النُّصُوصُ بِالْأَمْرِ بِهِ، وَالثَّنَاءُ عَلَى مَنْ اتَّصَفَ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

الحقيقة:

الخشوع في حقيقته: يَجْمَعُ عِدَّةَ مَعَانٍ عَظِيمَةٍ، مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمُحَبَّةِ، وَالذَّلِّ لَهُ، وَالْخُشْيَةِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: «وَالْحَقُّ أَنَّ الْخُشُوعَ مَعْنَى يَلْتَمِسُ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالْمُحَبَّةِ وَالذَّلِّ وَالْانْكَسَارِ»^(١).

وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى إِطْلَاقِ لَفْظِ الْخُشُوعِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، نَجِدُ أَنَّهُ يُطْلَقُ - كَمَا

(١) مدارج السالكين (١/٥٥٨).

ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ - عَلَى مَعَانٍ أَرْبَعَةٍ:

أحدها: إِطْلَاقُهُ بِمَعْنَى الذَّلِّ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨].

والثاني: سَكُونُ الْجَوَارِحِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون].

والثالث: بِمَعْنَى الْخَوْفِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَذْعُونَكَ رَعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء].

والرابع: بِمَعْنَى التَّوَاضُعِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة].

المنزلة:

الخشوع: مِنْ أَعْلَى مَقَامَاتِ الذَّلِّ وَالْانْكَسَارِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ مِنْ أَعْمَالِ الْإِيمَانِ، وَيُورِثُ الْقُلُوبَ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا وَوَقَارًا وَمُهَابَةً وَحَيَاءً لِلَّهِ ﷻ.

وَإِنَّمَا يَزِيدُ الْإِيمَانَ بِحَيَاةِ الْقَلْبِ، وَذَلِكَ بِالِاشْتِغَالِ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، كَمَا أَنَّهُ يَنْقُصُ بِمَرَضِ الْقَلْبِ، وَذَلِكَ بِالْانْصِرَافِ إِلَى الشَّبَهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَعَاهدَ قَلْبَهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ لِيُدْفَعَ عَنْهُ الْقَسْوَةُ؛ فَإِنَّهَا إِذَا اسْتَبَدَّتْ بِهِ مَنَعَتْهُ الْخُشُوعَ. وَاللَّهُ ﷻ يَرِيدُ مِنْ عِبَادِهِ التَّرْقِيَّ فِي سُلَمِ الْإِيمَانِ، وَدَرَجَاتِ الْيَقِينِ، وَلِذَا عَاتَبَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا قِمَّةَ الْخُشُوعِ؛ فَقَالَ:

وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله»^(٢).

وحديث أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «هل ترون قبلتي ها هنا، والله ما يخفى علي ركوعكم ولا خشوعكم، وإني لأراكم وراء ظهري»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «فخشوع القلب لذكر الله وما نزل من الحق واجب». وقد ذمَّ الله قسوة القلوب المنافية للخشوع في غير موضع»^(٤).

- وقال ابن القيم: «خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل والخجل والحب والحياء وشهود نعم الله وجناباته هو، فيخشع القلب لا محالة فيتبعه خشوع الجوارح وأما خشوع النفاق فالخاشع لله عبد قد خمدت نيران شهوته وسكن دخانها عن صدره، فانجلى الصدر وأشرق فيه نور العظمة، فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذي حشي به وخمدت الجوارح وتوقر القلب واطمأن إلى الله وذكره

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَنَسِوَتْ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد]، فدعاهم إلى خشوع القلب لذكره وما نزل من كتابه، ونهاهم أن يكونوا كالذين طال عليهم الأمد فقسَتْ قلوبهم، والذين يخشون ربهم، هم الذين إذا ذكر الله تعالى وجلت قلوبهم»^(١).

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون]، وقال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، وقال: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٨﴾﴾ [طه]، وقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَنَسِوَتْ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد]. وغيرها من الآيات.

ومن السنة المطهرة: حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الطهارة، رقم ٢٢٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٧٤١).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٠/٧) [مجمع الملك فهد بن عبد العزيز لطباعة المصحف].

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٥١٦)، والروح (٢٣٢)

[دار الكتب العلمية]، والإيمان لابن تيمية (٢٧) -

(٢٨) [المكتب الإسلامي، ط ٥، ١٤١٦هـ].

بانتظار ظهور نقائص نفسك وعملك وعيوبها لك، وذلك يجعل القلب خاشعاً - لا محالة - لمطالعة عيوب نفسه وأعماله ونقائصهما من الكبر والعجب، وضعف الصدق، وقلة اليقين، وتشئت النية.

الثالثة: تصفية القلب من مرآة الخلق، وذلك بضبط النفس بالذلل والانكسار عن البسط والإذلال الذي تقتضيه المكاشفة؛ لأنها توجب بسطاً يُخاف منه إن لم يصحبه خشوع يحفظ الحرمة، مع إخفاء أحواله عن الخلق جهده^(٤).

المسائل المتعلقة:

- **المسألة الأولى:** الخشوع لغير الله تعالى:

هو الخشوع الممنوع: وهو ما كان مخالفاً لأمر الله؛ كالخشوع والخوف الذي يكون عند قبور الأولياء ونحوهم، أو عند قراءة القصائد والأوراد البدعية ونحو ذلك:

قال ابن تيمية: «إذا أتى إلى قبر من يعظمه، ورجا أن يدعوه، أو يدعوه به، أو يدعوه عنده، فيحصل له من الخشوع والدموع ما لا يحصل في عبادة الله ودعائه في بيت الله، أو في بيت الداعي العابد، وتجد أحدهم يغضب إذا ذكر ما

بالسكينة التي نزلت عليه من ربه فصار مخبئاً له»^(١).

قال ابن رجب: «أصل الخشوع: هو خشوع القلب، وهو انكساره لله، وخضوعه وسكونه عن التفاته إلى غير من هو بين يديه، فإذا خشع القلب خشعت الجوارح كلها تبعاً لخشوعه؛ ولهذا كان النبي ﷺ يقول في ركوعه: «خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظامي»^(٢)»^(٣).

المراتب:

درجات الخشوع:

الأولى: التذلل للأمر، والاستسلام للحكم، والاتضاع لنظر الحق، أما التذلل للأمر فهو تلقّيه بذلة القبول والانقياد والامتثال مع مواطاة الظاهر الباطن، وإظهار الضعف، والافتقار للهداية، وأما الاستسلام للحكم فيشمل الحكم الشرعي بعدم معارضته برأي أو شهوة، كما يشمل الحكم القدري بعدم تلقّيه بالتسخط والكراهة والاعتراض، وأما الاتضاع لنظر الحق فهو اتضاع القلب والجوارح، وانكسارها لنظر الربّ إليها وإطلاعه على تفاصيل ما فيها.

الثانية: ترقب آفات النفس والعمل، ورؤية فضل كل ذي فضل، وتحقيق ذلك

(١) الروح (٢٣٢).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين، رقم ٧٧١).

(٣) فتح الباري لابن رجب (٦/٣٦٧).

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/٥٥٩ - ٥٦١).

اتخذهُ نَدًّا بَعِيبَ أَوْ نَقْصَ، وَيَذْكَرُ اللَّهَ بِالْعُيُوبِ وَالنَّقُوصِ فَلَا يَغْضَبُ لَهُ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْمَشْرُوكِينَ شَرْكًَا مُحَضًّا، وَفِي مَنْ فِيهِ شُعْبَةٌ مِنَ الشَّرْكِ»^(١).

وَقَالَ أَيْضًا: «وَمِثْلُ هَذَا أَنَّهُ إِذَا سَمِعَ أَحَدُهُمُ الْآيَاتِ يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ وَالْبُكَاءِ مَا لَا يَحْصُلُ لَهُ مِثْلُهُ عِنْدَ سَمَاعِ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَيَخْشَعُ عِنْدَ سَمَاعِ الْمُبْتَدِعِينَ الْمَشْرُوكِينَ، وَلَا يَخْشَعُ عِنْدَ سَمَاعِ الْمَخْلُصِينَ الْمُتَّقِينَ؛ بَلْ إِذَا سَمِعُوا آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى اشْتَغَلُوا عَنْهَا وَكَرِهَوْهَا، وَاسْتَهْزَؤُوا بِهَا وَبِمَنْ يَقْرُؤُهَا»^(٢).

- المسألة الثانية: بعض الصور المحرمة للخشوع:

١ - الخشوع الذي يكون عند قبور الأولياء وأضرحتهم، ونحو ذلك.

٢ - الخشوع الذي يكون عند قراءة القصائد والأوراد البدعية، ونحو ذلك.

٣ - خشوع النفاق: وهو أن ترى الجسد خاشعًا والقلب خاليًا لاهيًا.

٤ - خشوع الرياء والسمعة.

- المسألة الثالثة: الأسباب الجالبة للخشوع:

١ - معرفة الله تعالى وخشيته.

(١) منهاج السنّة (٣٩٦/٢) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٤٠٩هـ].

(٢) الرد على البكري (٥٨٤/٢) [دار الوطن، ط ١، ١٤١٧هـ].

٢ - العلم واليقين بلا إله إلا الله.

٣ - الذل والانكسار لله تعالى.

٤ - استحضار عظمة الله تعالى.

٥ - مطالعة عيوب النفس والأعمال.

٦ - تعويد النفس مراقبة الله في جميع الأحوال.

- المسألة الرابعة: الخضوع:

وهو الذل والانكسار بين يدي الله ﷻ، محبة له سبحانه واستسلامًا لأوامره^(٣).

ويمكن تقسيم الخضوع إلى نوعين:

١ - خضوع مشروع:

والخضوع المشروع: هو خضوع العبد المخلوق لخالقه ومولاه ﷻ، وهو واجب على كل مكلف^(٤).

٢ - خضوع ممنوع:

الخضوع الممنوع: هو الخضوع لسماع أمر محرم؛ كالخضوع لسماع الأوراد المبتدعة، أو الآيات الشركية، ونحو ذلك مما لم يأذن به الشرع^(٥).

الفروق:

الفرق بين الخشوع والخضوع:

اختلف العلماء في الفرق بين الخشوع والخضوع على قولين:

(٣) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٢٤٨) [دار العلم والثقافة، مصر]، ومدارج السالكين (٤٦١ - ٤٦٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٥٢/٢٣).

(٥) انظر: الرد على البكري (٥٨٤/٢) [دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ].

- أ - أن الخشوع والخضوع بمعنى واحد، فهما مترادفان لا فرق بينهما عند الإطلاق، وقد قال بذلك بعض أئمة اللغة كما تقدم.
- ب - وقيل: بل بينهما بعض الفروق، وهي كما يلي:
- ١ - أن الخشوع يكون في القلب، وقد يظهر على الصوت والبصر، والخضوع لا يكون في القلب وإنما يكون في البدن، قال ابن القيم: «أجمع العارفون على أن الخشوع محله القلب»^(١).
- ٢ - أن الخشوع لا يكون إلا مع خوف المخشوع ولا يقع تكلفاً، بخلاف الخضوع فقد لا يكون معه خوف^(٢).

الآثار:

- ١ - أنه يورث الخوف والرّهبة من الله تعالى.
- ٢ - يربط المسلم بعبودية الله وترك ما سواه.
- ٣ - الخشوع يؤدي إلى غضّ البصر وخفض الجناح.
- ٤ - الخشوع يذيب قسوة القلب.
- ٥ - الخشوع في الصّلاة يؤدي إلى الفلاح.
- ٦ - أنه يطرد الشيطان فلا يقربه.

الخشية

التعريف لغة:

الخشية: مصدر: خشي، ويدل على الخوف، يقال: خَشِيَ الرجلُ يخشى خشيةً؛ أي: خاف، ويقال للرجل الخائف: خَشِيَانٌ، والمرأة: خَشِيَاءٌ،

(١) مدارج السالكين (١/٥٥٨).

(٢) انظر: الفروق اللغوية (١/٢١٦)، والقاموس المحيط (٩٢١).

يقال: هذا المكان أخشى من ذاك؛ أي: أشدُّ خوفًا^(١).

وقد تستعمل بمعنى العلم كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا أَلْفَلَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٠]، قال الطبري: «وأما الغلام، فإنه كان كافرًا، وكان أبواه مؤمنين، فعلمنا أنه يرهقهما»^(٢).

التعريف شرعًا:

الخشية: هي «خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخشى منه»^(٣).

الأسماء الأخرى:

قيل: إن الخشية مرادفة لثلاثة معانٍ؛ هي: الخوف، والوجل، والرهبة.

الحكم:

الخشية من الله ﷻ من الواجبات القلبية على كل مسلم، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْكَاسَ وَأَخْشَوْا﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال: ﴿وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

الحقيقة:

خشية الله تعالى من أجل أعمال القلوب التي تقوم عليها العبادة وتكف المؤمن عن ركوب المعاصي واستباحة المحرمات والاستهانة بشرع الله وشعائره.

وخشية الله تعني: انزجار قلب المؤمن ووجله وخوفه وهربه من سخط الله وغضبه وعقوبته ووعيده في الآخرة.

ومما يشهد لهذا التعريف من عبارات العلماء ما يلي:

١ - أن الخشية: هي التي تحول بينك وبين معصية الله ﷻ، ذكره ابن كثير عن سعيد بن جبير.

٢ - وقيل: الخشية هي: الرهبة والمخافة، قاله ابن جرير الطبري^(٥).

٣ - وقال ابن القيم: «فهي خوف مقرون بمعرفة»^(٦).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/١٨٤)، والصحاح للجوهري (٢٣٢٧/٦) [دار العلم للملايين، ط ٣]، ولسان العرب (٢٢٨ - ٢٢٩) [دار الفكر، ط ١، ١٤١٠هـ].
(٢) تفسير الطبري (٨٥/١٨) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ].
(٣) المفردات للراغب الأصفهاني (٢٨٣) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٤) تفسير ابن كثير (٦٠٨/٣) [دار الفحاء، ط ١].

(٥) تفسير الطبري (٢/٢٤٣).

(٦) مدارج السالكين (١/٥٤٩) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ].

سبحانه، كما جاء من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٢٩) [الأحزاب، وأثنى تعالى على ملائكته

بشدة خشيتهم منه سبحانه فقال: ﴿وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٢٨) [الأنبياء]. ووعده الخائفين بالمغفرة والأجر الكبير فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٢) [الملك].

فخشية الله تعالى في الدنيا طريقاً للأمن في الآخرة، وسببٌ للسعادة في الدارين، فالذي يخشى الله تعالى عاقبته الأمن والسلام، وثوابه الفوز بجنة الرضوان قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْزُقُهُمْ رَبُّهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٥٢) [النور]، وقال: ﴿جَزَاءُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (٨) [البقرة].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾ (٥٧) [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْزُقُهُمْ رَبُّهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٥٢) [النور]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٢) [الملك]، وقال تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ (٢٣) [آدُلُوهُمَا]

والعبد إذا خاف مخلوقاً هرب منه، وإذا خاف الخالق هرب إليه قال تعالى: ﴿فَفِرُوا إِلَى اللَّهِ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٥٠) [الذاريات].

ومنشأ الخشية لله تكون من جلال الله واتصافه بالقوة والانتقام والغضب ممن عصاه، قال تعالى: ﴿فَاللَّهُ أَهَقُ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٣) [التوبة]. وتكون من عذابه وعقوبته ووعيده في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٥) [الأنعام].

وقد ورد لفظ الخشية في القرآن الكريم، مضافاً إلى الله تعالى، كما ورد مضافاً إلى عذاب الله، فهو يتناول خشية الله وخشية عذابه في الدنيا والآخرة، وعلى هذا تكون الخشية على مرتبتين: خشية خوف ورهبة، وخشية تعظيم وإجلال^(١).

المنزلة:

الخشية من الله **رَبِّكَ** من أجل صفات المؤمنين وأعظم خصال المتقين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، ومدح الله تعالى أنبياءه وأوليائه على خشيتهم منه

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٧٤/١٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف]، وتفسير ابن كثير (٦٠٨/٣) (٤٩٦/٤).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الخوف من الله يستلزم العلم به، والعلم به يستلزم خشيته، وخشيته تستلزم طاعته»^(٤).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «فلما زادت معرفة الرسول ﷺ بربه زادت خشيته له وتقواه، فإن العلم التام يستلزم الخشية كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] فمن كان بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه أعلم كان له أخشى وأتقى، إنما تنقص الخشية والتقوى بحسب نقص المعرفة بالله»^(٥).

❁ الأقسام:

الخشية كالخوف تنقسم إلى قسمين:

الأول: خشية عبادة وتذلل وتعظيم:

وهذه الخشية لا تصلح إلا لله تعالى، وقد مدح الله بها سادات أوليائه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [٥٧] [المؤمنون].

وهذا القسم هو ما يسميه بعض العلماء بخوف السر وخشية السر، فمن أشرك فيه مع الله غيره؛ فهو مشرك شركاً أكبر^(٦).

الثاني: خشية عادة وجبلة وطبيعة:

وهذه الخشية طبيعية جبلية، فهي في

بِسْمِ اللَّهِ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ ﴿٢٤﴾ [ق]، وغيرها من الآيات.

ومن السُّنَّة المطهرة: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم»^(١).

وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن رجلاً حضره الموت، فلما يئس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً، وأوقدوا فيه ناراً، حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشت فخذوها فاطحنوها، ثم انظروا يوماً راحاً فاذروه في السيم، ففعلوا، فجمعه الله فقال له: لِمَ فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله له»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي (أبواب فضل الجهاد، رقم ١٦٣٣) وصححه، والنسائي (كتاب الجهاد، رقم ٣١٠٨)، وأحمد (٣٣٠/١٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (رقم ٧٧٧٨) [المكتب الإسلامي].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٥٢)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٦).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف (كتاب الزهد، رقم ٣٤٥٣٢) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩هـ]، وأحمد في الزهد (١٣٠) [دار الكتب العلمية، ط١]، والبيهقي في الشعب (٢٠٤/٢) [مكتبة الرشد، ط١]، وفي سنده انقطاع.

(٤) فتح الباري لابن رجب (٩٠/١) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٧هـ].

(٥) مدارج السالكين (٥١٣/١).

(٦) انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٨٤) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ].

- الأصل مباحة؛ كمن يخشى من عدو أو سبع أو حية أو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهري، ومثل هذا لا يدخل في العبادة، وقد يوجد من كثير من المؤمنين، ولا ينافي الإيمان؛ لقوله تعالى عن هارون: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [طه: ٩٤]، وقوله عن موسى أيضاً: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا أَوْلَدَكُمْ خَشِيَةً إِمَّا لَكُمْ نَزَقْنَاهُمْ وَإِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الإسراء: ٣١].
- ٣ - تعلم العلم الشرعي فإنه يثمر الخوف والمراقبة.
- ٤ - استشعار عظمة الخالق ﷻ وتخیل كيف يكون غضب هذا العظيم إذا انتهكت محارمه.
- ٥ - معرفة قبح عواقب الذنوب والمعاصي.
- ٦ - استشعار حقارة الدنيا وسرعة انقضائها وزوال نعيمها.
- ٧ - التفكير في الموت وسكراته وشدة أحواله.
- ٨ - التفكير في أهوال الموقف وشدة الحساب يوم القيامة^(٢).

❁ الفروق:

الفرق بين الخشية والخوف:

- ١ - الخشية أخص من الخوف، فهي خوف مقرون بمعرفة وتعظيم، ولذا خص بها العلماء.
- ٢ - وقيل: الخشية تكون من عظم المخشي، وإن كان الخاشي قوياً، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيراً^(٣).
- ٣ - وقيل: الخشية أقوى من الخوف، فصاحب الخوف يلتجأ إلى الهرب، وصاحب الخشية يلتجأ إلى الاعتصام بالعلم^(٤).

❁ المسائل المتعلقة:

- أسباب الخشية:

- ١ - معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته ونعوت جلاله.
- ٢ - مراقبة الله ﷻ واستشعار أن الله يرى العبد في كل أحواله، والمداومة على ذكره.

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/٥٠٧) وما بعدها.

(٣) انظر: تفسير الرازي (١/٤٣٣٢).

(٤) انظر: المفردات، للراغب (٢٨٣)، والفروق اللغوية =

(١) انظر: المرجع السابق (٤٨٤ - ٤٨٦)، والقول

السديد، للسعدي (٩٨)، والقول المفيد (١٦٦) [دار

العاصمة، ط ١].

الفرق بين الخشية والوجل:

وتستعمل لأمر عظيم أو شخص عظيم.

٢ - الخشية: طمأنينة تبعث على السكون، وأما الرهبة: فهي الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه. فصاحب الرهبة يلتجئ إلى الهرب والإمساك وصاحب الخشية يلتجئ إلى الاعتصام بالعلم^(٤).

قال ابن القيم: «الوجل والخوف والخشية والرهبة، ألفاظ متقاربة غير مترادفة»^(٥).

الآثار:

- ١ - شدة تعلق القلب بالله تعالى.
- ٢ - تعظيم الواجبات التي أمر الله تعالى بها.
- ٣ - الحذر من المحرمات وكل ما نهى الله عنه.
- ٤ - كثرة ذكر الله تعالى.
- ٥ - الحرص على التمسك بالسنة النبوية.
- ٦ - التواضع للخلق وترك التكبر عليهم.
- ٧ - حصول المغفرة والأجر العظيم.

المصادر والمراجع:

- ١ - «أعمال القلوب حقيقتها
- (٤) انظر: مدارج السالكين (١/٥٠٨ - ٥٠٩).
- (٥) مدارج السالكين (١/٥٤٩).

١ - قيل: الوجل هو رديف الخوف، ولذا جاء التعبير به في قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة الذين جاءوا إليه في شأن قوم لوط عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ﴾ [الحجر: ٥٢] وفي موضع آخر من القصة نفسها، جاء التعبير عنه بلفظ الخوف، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ [هود: ٧٠]^(١). وإذا كان الوجل بمعنى الخوف، فقد تقدم الفرق بينه وبين الخشية.

٢ - وقيل بل بينهما فرق يسير، وذلك: أن الوجل خلاف الطمأنينة، بخلاف الخوف^(٢).

- أن الفعل (خاف) متعدّد، وليس كذلك الفعل (وجل)، وعلى هذا فالوجل يزيد على الخوف في الفرق بينه وبين الخشية، بأن الخشية طمأنينة تبعث على السكون، والوجل بخلاف^(٣).

الفرق بين الخشية والرهبة.

١ - الخشية: هي خالصة لوجه الله وهي أكبر درجة وعظمة من الرهبة، أما الرهبة: فهي الخوف والسعي للإرضاء

= للعسكري (٢٤١)، ومدارج السالكين (١/٥٤٩).

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (١٦/٥٧).

(٢) انظر: الفروق اللغوية (٢٤٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٥٧).

يخصه خصًا وخصوصًا وخصوصية... .
واختصه: أفرد به دون غيره، ويقال:
اختص فلان بالأمر وتخصص له؛ إذا
انفرد^(٢).

❁ التعريف شرعًا:

هي: «الفضائل والأمور التي انفرد بها
النبي ﷺ وامتاز بها عن إخوانه الأنبياء،
[أو] على سائر البشر»^(٣).

❁ سبب التسمية:

سمي ما تفرد به النبي ﷺ عن غيره
خصائص؛ لأن الله خصه بها دون غيره،
وميزه بها، فهي تدل على تفرد به في
الغالب إذ لا يشاركه فيها أحد.

❁ الأسماء الأخرى:

ربما أطلق على الخصائص بعض
الأسماء الأخرى المتقاربة في المعنى؛
كالفضائل، والشمائل، ودلائل النبوة.

❁ المنزلة:

خصائص النبي ﷺ التي ميزه الله ﷻ
بها تدل على شرفه وفضله ومكانته عند
ربه، فهو ﷺ إمام المرسلين وسيد ولد
آدم، وخاتم النبيين، أقسم الله تعالى
بحياته في كتابه المبين، كما أرسله ﷺ
للناس أجمعين.

وأحكامها عند أهل السنة والجماعة
ومخالفهم، لسهل العتيبي.

٢ - «أعمال القلوب وأثرها في
الإيمان»، لمحمد دوكوري.

٣ - «تيسير العزيز الحميد»،
لسليمان بن عبد الله.

٤ - «عبادة القلب»، لعبد الرحمن
المحمود.

٥ - «القول المفيد»، لابن عثيمين.

٦ - «القلب في القرآن وأثره في
سلوك الإنسان»، لسيد محمد ساداتي.

٧ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٨ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

٩ - «المفردات»، للراغب الأصفهاني.

١٠ - «موسوعة فقه القلوب»، لمحمد

التويجري.

❁ خصائص النبي ﷺ ❁

❁ التعريف لغة:

كلمة الخصائص في اللغة تعني:
التميز والتفرد، والفضل.

قال الزبيدي: «وفي البصائر:
الخصوص: التفرد ببعض الشيء مما لا
تشاركه فيه الجملة، وخصه بالود كذلك؛
إذا فضله دون غيره»^(١).

وقال ابن منظور: «خصه بالشيء

(٢) لسان العرب (٢٤/٧) [دار صادر، ط٣].

(٣) خصائص المصطفى بين الغلو والجفا (٢٤) [مكتبة
الرشد، ط١، ١٤٢١هـ].

(١) تاج العروس (١٧/٥٥٠) [دار الفكر].

اللَّهُ يَكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ [الأحزاب].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُمْ أَمْهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

وقوله تعالى: ﴿يَنْسَاءَ الَّتِي لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ أَنْفِيتَنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وأما من السُّنَّة: فقوله ﷺ: «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةَ فليصل، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبَعَثَ إِلَى النَّاسِ عَامَةً»^(٣).

وقوله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»^(٤).

وقوله ﷺ: «أُعْطِيَتْ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعُ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِثْنَيْنِ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمِثْنَانِ، وَفُضِّلَتْ بِالْمِفْصَلِ»^(٥).

والسَّبْعُ: أُولَاهَا الْبَقْرَةُ وَآخِرُهَا بَرَاءَةٌ بِجَعْلِ الْأَنْفَالِ وَبَرَاءَةٍ وَاحِدَةٍ.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التيمم، رقم ٣٣٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٦).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١٨٨/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢/٣٥١)، وذكره الألباني في الصحيحة (رقم ١٤٨٠). وقال: الحديث بمجموع طرقه صحيح.

فكم حباه ربه وفضله... وخصَّه سبحانه وخوله^(١)، وهذه الخصائص التي لم تكن لغيره هي من فضل الله تعالى على نبيه كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء].

وإنما حباه الله بها؛ إكرامًا وتأيدًا له، وإظهارًا لصدق نبوته، وبمعرفة هذه الخصائص تعرف مكانته وشرفه، فلا يُرتاب في صدقه وصدق ما جاء به، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [المؤمنون].

قال السعدي: «فإن من عرفه حق المعرفة لم يرتب في صدقه، وصدق ما جاء به من الكتاب والسُّنَّة والدين الحق»^(٢).

وبهذا تظهر منزلة هذه الخصائص في تحقيق الإيمان بالنبي ﷺ.

الأدلة:

من القرآن: قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات].

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ

(١) الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية (٨٤/١) [مكتبة أضواء السلف، ط ١، ١٩٩٨م].

(٢) التوضيح والبيان (٥١) [دار أضواء السلف، ط ١].

قسمين^(٥):

١ - خصائصه ﷺ التي اختص بها عن جميع الأنبياء:

خصَّ الله تعالى نبيَّه محمدًا ﷺ عن جميع الأنبياء بخصائص كثيرة، وهي ترجع في مجملها إلى قسمين كذلك:

أ - ما اختص به النبي ﷺ في الدنيا، ومن هذه الخصائص:

- القرآن أعظم آياته.

قال ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيتُ وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»^(٦).

- بُعث ﷺ إلى الناس عامة:

قال ﷺ: «أُعطيْتُ خمسا لم يُعطهن أحد من الناس» الحديث، وفيه: «وكان النبي يرسل إلى قومه خاصة وبُعث إلى الناس عامة»^(٧).

- نُصِر بالربع مسيرة شهر، وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً وأُحلت له الغنائم:

قال ﷺ: «أُعطيْتُ خمسا لم يُعطهن أحد قبلي: نُصرت بالربع مسيرة شهر،

والمئين: أولها ما يلي الكهف.

والمثاني: السور التي آيها مائة أو أقل أو ما عدا السبع الطوال.

والمفصل: أوله الحجرات على الأشهر، وآخره سورة الناس اتفاقاً^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «خصَّ الله تبارك وتعالى محمدًا ﷺ بخصائص ميَّزه بها على جميع الأنبياء والمرسلين، وجعل له شرعة ومنهاجاً أفضل شرعة وأكمل منهاج»^(٢).

وقال السعدي: «فُضِّل نبينا محمد ﷺ بفضائل كثيرة فاق بها جميع الأنبياء، فكل خصلة حميدة ترجع إلى العلوم النافعة والمعارف الصحيحة والعمل الصالح فلنبينا منها أعلاها وأفضلها وأكملها»^(٣).

وقال ابن عثيمين: «فالله ﷻ خصَّ نبيَّه ﷺ بخصائص لم تكن لغيره، وفضله بفضائل لم تكن لغيره، وأعطاه من الهبات ما لم تكن لغيره، فصلوات الله وسلامه عليه»^(٤).

❁ الأقسام:

خصائص النبي ﷺ تنقسم إلى

(٥) انظر: نموذج اللبيب في خصائص الحبيب للسيوطي (١١) [مطبعة النجاح، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٤٩٨١)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٢).

(٧) سبق تخريجه.

(١) انظر: فيض القدير (١/ ٧٢٢) [دار الكتب العلمية].

(٢) الجواب الصحيح (٢/ ١٠) [دار الفضيلة، ط ١].

(٣) بهجة قلوب الأبرار (٧٢).

(٤) شرح العقيدة السفارينية (٥٥٤) [دار الوطن ط ١].

- أول من يقرع ويفتح له باب الجنة:

قال ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»^(٥).

- يدخل الجنة من أمته سبعون ألفاً بلا حساب ولا عذاب:

قال ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب» الحديث^(٦).

قال العز بن عبد السلام: «من خصائصه ﷺ أنه يدخل إلى الجنة من أمته سبعون ألفاً بغير حساب، ولم يثبت ذلك لغيره ﷺ»^(٧).

٢ - خصائص النبي ﷺ التي اختص بها عن أمته، وقد يشاركه فيها بعض الانبياء:

- تنام عيناه ولا ينام قلبه:
ففي الحديث: «والنبي نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم»^(٨).

- أن زوجاته بعد موته محرمات النكاح:
قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٧).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٠٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٨).

(٧) بداية السؤل (٥٢).

(٨) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٧٠).

وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي»^(١).

- أحل الله له مكة ساعة من نهار:

قال ﷺ: «إنَّ هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار»^(٢).

ما اختص به النبي ﷺ في الآخرة، ومن ذلك:

- أول من تنشق عنه الأرض:
كما قال ﷺ: «الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض»^(٣).

- له الشفاعة العظمى:

كما في الحديث الطويل، قال ﷺ: «فيأتون محمداً فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟»^(٤).

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجزية، رقم ٣١٨٩)، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الخصومات، رقم ٢٤١٢).

وعند مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر».

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧١٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤).

❁ المسائل المتعلقة:

- الشفاعة لأهل الشرك:

أخبر النبي ﷺ أَنَّ الشفاعة النافعة إنما هي لأهل التوحيد، فقال ﷺ: «فهي نائلة - إن شاء الله - من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»^(١).

وبَيَّنَّ الله تعالى أَنَّ الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين، فقال: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر].

قال ابن كثير: «لأن الشفاعة إنما تنجح إذا كان المحل قابلاً، فأما من وافى الله كافرًا يوم القيامة فإنه له النار لا محالة، خالداً فيها»^(٢).

ونهى عن الاستغفار لهم، فقال تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة]، ولم يرد ما يدل على أَنَّ الشفاعة نافعة لأهل الشرك، غير ما جاء في حق أبي طالب من تخفيف العذاب، فقد سأل العباسُ ﷺ رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»^(٣). وفي رواية:

«لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه، يغلي منه دماغه»^(٤).

ولا تعارض بين هذا الحديث والآية السابقة؛ لأن هذه الشفاعة مما خص الله بها نبيّه ﷺ، وهي مقتصرة على تخفيف العذاب فقط دون الخروج من النار^(٥).

❁ مذهب المخالفين:

المخالفون في هذه الخصائص قسمان من الناس: أهل غلو، وأهل جفاء^(٦).

١ - أما أهل الغلو منهم: فهم الذين خرجوا عن الأمر المشروع لهم في حق النبي ﷺ، وادّعوا له خصائص ما أنزل الله بها من سلطان؛ بل تترتب عليها أمورٌ شركية؛ كجعل خصائص النبي ﷺ من جنس خصائص الربوبية والإلهية، ومن ذلك مثلاً:

- اعتقاد أَنَّ من خصائص النبي ﷺ أَنَّهُ خُلِقَ من نور الله تعالى، ثم خُلِقَ من نور النبي ﷺ بقية المخلوقات.

- واعتقاد أَنَّ من خصائصه إجابة

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٨٨٥)،

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٠).

(٥) انظر: التذكرة للقرطبي (٦٠٨/١) [دار المنهاج،

ط ١]، وشرح الطحاوية (٢٩٨/١) [مؤسسة الرسالة

ط ١٠].

(٦) انظر: خصائص المصطفى بين الغلو والجفا (٨٣ -

٣١٣) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢١هـ].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٧٣/٨) [دار طيبة، ط ٢].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٢٠٨)،

- الدعاء بعد موته، وقضاء الحاجات وتفريج الكربات.
- ٣ - «تفسير ابن كثير».
- ٤ - «الخصائص الكبرى»، للسيوطي.
- ٥ - «أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب»، للسيوطي.
- ٦ - «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٧ - «الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية»، للسفاري.
- ٨ - «التوضيح والبيان»، للسعدي.
- ٩ - «شرح العقيدة السفارينية»، لابن عثيمين.
- ١٠ - «خصائص المصطفى بين الغلو والجفا»، للصادق بن محمد بن إبراهيم.
- ١ - «تفسير ابن كثير».
- ٢ - «الخصائص الكبرى»، للسيوطي.
- ٣ - «أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب»، للسيوطي.
- ٤ - «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٥ - «الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية»، للسفاري.
- ٦ - «التوضيح والبيان»، للسعدي.
- ٧ - «شرح العقيدة السفارينية»، لابن عثيمين.
- ٨ - «الخصائص المصطفى بين الغلو والجفا»، للصادق بن محمد بن إبراهيم.
- ٩ - «تفسير ابن كثير».
- ١٠ - «الخصائص الكبرى»، للسيوطي.

الخَضِر

التعريف لغة:

الخَضِر: هو الموصوف بالخُضرة، يُقال: أخضر وخَضِر، كما يُقال: أعور وعُور، ويُطلق الخَضِر اسماً للنبت الرطب الذي ليس بشجر؛ كالقصيل والقضيب. والأخضر رمز البركة^(٢).

التعريف شرعاً:

الخَضِر والخَضِر، والخُضِر: هو لقب صاحب موسى بني إسرائيل عليه السلام، الذي

فعن أنس رضي الله عنه؛ أن رجلاً قال: يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا، فقال ﷺ: «عليكم بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ»^(١).

٢ - وأما أهل الجفاء: فهم أولئك الذين لم يعرفوا لنبينا ﷺ قدره، ولم يوقروه حق توقيره، فنفوا عنه ما أثبتته الله من له خصائصه؛ كخصيصة ختم النبوة به ﷺ؛ بل لم يقفوا عند هذا الحد حتى أضفوا على معظمتهم ومشايخهم وأئمتهم من الفضائل والمناقب ما لم يكن له ﷺ.

المصادر والمراجع:

- ١ - «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة»، للقرطبي.
- ٢ - «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، لابن تيمية.

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٩٩/٧) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، والقاموس المحيط (٤٩٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٦هـ]، والتحرير والتنوير (٧/٣٩٩، ٣٦٣/١٥) [دار سحنون بتونس، ١٩٩٧م].

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٣/٢٠، رقم ١٢٥٥١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والضياء في المختاره (٥/٢٦) وقال: إسناده صحيح. وصححه الألباني على شرط مسلم. انظر: السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٩٧).

«سأل موسى السبيل إلى لقيه»^(١). وهو عبد صالح، اختلف فيه؛ أهو

نبي أم رسول أم ولي، والصحيح - وهو قول الجمهور - أنه نبي. وأما القول بأنه ملك يتصور في صورة الآدميين فباطل أو غريب جداً^(٢).

❁ الأسماء الأخرى:

الخضر هو: صاحب موسى ﷺ، وبلياً بن ملكان.

❁ الحكم:

يجب على المسلم أن يعتقد أن الخضر هو صاحب موسى بن عمران ﷺ - نبي بني إسرائيل - الذي سأل موسى السبيل إلى لقيه، وقصَّ الله ﷻ علينا خبره معه في سورة الكهف.

وهو نبي موحى إليه من عند الله تعالى على الصحيح، وكان يسعه الخروج على شريعة موسى ﷺ؛ لأن موسى ﷺ لم يكن مبعوثاً إليه؛ بل إلى بني إسرائيل، ولا كان يجب على الخضر اتباعه؛ وإلا لوجب عليه أن يهاجر إلى موسى ويكون معه^(٥).

والصحيح: أنه مات كما مات إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولم يصح في بقائه إلى الآن شيء، وما يذكر أنه يلتقي هو وإلياس كل عام فكذب، وحديث سماع النبي ﷺ صوته موضوع مفتري. وأغلب مستند القائلين بحياته: حكايات عمن يظن بهم الصلاح،

❁ سبب التسمية:

صحَّ في سبب تلقيب الخضر بهذا اللقب عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما سمي الخضر: أنه جلس على فروة بيضاء؛ فإذا هي تهتز من خلفه خضراء»^(٣)، والفروة: الحشيش اليابس، وهو الهشيم من النبات، وقيل: بل المراد بذلك: وجه الأرض^(٤).

وهذا نصُّ صحيح صريح، لا ينبغي

(١) قطعة من حديث الخضر الطويل: أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ٧٤)، و(كتاب التوحيد، رقم ٧٤٧٨)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٨٠).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (١/٣٦٥) [دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٣٨٧هـ]، تفسير القرطبي (١١/١٦، ٤١، ٤٤) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٥/١٣٥) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ]، وتفسير ابن كثير (٥/١٨٧) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، والبداية والنهاية (١/٣٤٨، ٣٧٩) وما بعدها [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ]، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/٢٨٦) [دار الجيل، ط ١، ١٤١٢هـ]، وفتح الباري (٦/٤٣٣) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠٢).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/٤٤١) [مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر]، وتفسير ابن كثير (٥/١٨٨)، وفتح الباري لابن حجر (٦/٤٣٣).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٤٢٢، ٤٨/١١، ٢٦٣، ٤٢٥)، ومختصر الفتاوى المصرية (١٠٦) [مطبعة المدني بمصر، ١٤٠٠هـ]، ومدارج السالكين (٢/٤٧٦) [دار الكتاب العربي بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

ومنامات، وأحاديث موضوعات واهيات! وكل هذا لا تقوم به الحجة.

الحقيقة:

قيل: إن اسمه: بلياً بن ملكان (وقيل: كليمان) بن فالغ بن عامر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام؛ فعلى هذا: فمولده قبل إبراهيم الخليل؛ لأنه ابن عم الجد الثاني لإبراهيم عليه السلام.

وقيل: هو إلياس النبي عليه السلام، وروي فيه حديث^(١)؛ وهو ضعيف، في إسناده من لا يعرف. وقيل: بل إلياس الوارد في الحديث غير إلياس النبي عليه السلام.

وقيل: بل هو اليسع عليه السلام.

ولا يصح هذا ولا ذاك!

ومنامات، وأحاديث موضوعات واهيات! وكل هذا لا تقوم به الحجة.

الحقيقة:

قيل: إن اسمه: بلياً بن ملكان (وقيل: كليمان) بن فالغ بن عامر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام؛ فعلى هذا: فمولده قبل إبراهيم الخليل؛ لأنه ابن عم الجد الثاني لإبراهيم عليه السلام.

وقيل: هو إلياس النبي عليه السلام، وروي فيه حديث^(١)؛ وهو ضعيف، في إسناده من لا يعرف. وقيل: بل إلياس الوارد في الحديث غير إلياس النبي عليه السلام.

وقيل: بل هو اليسع عليه السلام.

ولا يصح هذا ولا ذاك!

وكنيته: أبو العباس، وكان من أبناء الملوك، قيل: كان أبوه ملكاً عظيماً جداً.

ومن الأدلة الدالة على نبوته: أنه «لما فسر تأويل تلك الأفاعيل لموسى، ووضح له عن حقيقة أمره وجلّى؛ قال بعد ذلك كله: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢]؛ يعني: ما فعلته من تلقاء نفسي؛ بل أمر أمرت به وأوحي إلي فيه»^(٢)؛ ذلك لأن «أمر الله إنما

وهناك أدلة قاطعة تثبت موته عليه السلام^(٥)؛ منها: قول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مَنْ قَبْلَكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [٢٥] [الأنبياء]، والخضر عليه السلام إن كان بشراً فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح عن معصوم يجب قبول خبره، والأصل عدمه حتى يثبت.

٨/٤٢٢)، والإصابة (٢/٢٨٨).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٤/٢٠٣). وانظر: البداية والنهاية (١/٣٨٢)، وفتح الباري لابن حجر (٨/٤٢٢)، والإصابة له (٢/٢٨٨).

(٤) تفسير القرطبي (١١/١٦)، بتصرف يسير.

(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٣٣٧، ٢٧/١٨)، والرد على المنطقيين له (٢٢٧) [مؤسسة الريان ببغداد، ط ١، ١٤٢٦هـ]، والمنار المنيف لابن القيم (٦٧) [مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ١٤٠٣هـ]، والبداية والنهاية (١/٣٩٠، ٣٩٤)، والإصابة (٢/٢٩٨)، وفتح الباري (٦/٤٣٤)، وأضواء البيان (٤/٢١٠).

(١) عزاء في كنز العمال (رقم ٣٤٠٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط ٥] لابن مردويه، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٢٩٤١) [المكتب الإسلامي].

(٢) البداية والنهاية (١/٣٨٣)، بتصرف يسير. وانظر: تفسير ابن كثير (٥/١٨٧)، وفتح الباري (١/٢٢٠،

عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَني مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴿الآيات [الكهف] (٤)﴾ .

ومن تأمل حوار موسى ﷺ معه تظهر دلائل نبوته جليلة واضحة: «فلو كان ولياً وليس بنبي؛ لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة، ولم يرد على موسى هذا الرد؛ بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه. فلو كان غير نبي؛ لم يكن معصوماً، ولم تكن لموسى - وهو نبي عظيم، ورسول كريم، واجب العصمة - كبير رغبة ولا عظيم طلب في علم ولي غير واجب العصمة! ولما عزم على

وثبت في حديث جابر بن عبد الله ﷺ؛ أن النبي ﷺ قال قبل موته بشهر - أو نحو ذلك -: «ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ»^(١)؛ فالخضر إن لم يكن قد أدرك زمان رسول الله ﷺ - وهذا هو المظنون الذي يترقى في القوة إلى القطع به - فلا إشكال في إثبات موته، وإن كان قد أدرك زمانه؛ فهذا الحديث يقتضي أنه لم يعيش بعد مائة سنة؛ فيكون الآن ميتاً لا حياً؛ لأنه داخل في هذا العموم لا محالة.

قال ابن الجوزي - بعد ذكره للأحاديث الصحيحة الواردة في هذا المعنى -: «فهذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر»^(٢).

المنزلة:

لا شك أن الخضر عبد صالح ذو منزلة رفيعة، وقد اختلف فيه؛ أهو نبي أم رسول أم ولي؟ والصحيح - وهو قول الجمهور - أنه نبي. وقد امتن الله تعالى عليه بالرحمة والعلم اللدني؛ وهما: رحمة النبوة وعلمها - كما يدل عليه سياق الآيات -^(٣)؛ قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا

(١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة ﷺ، برقم ٢٥٣٨)، ونحوه عند البخاري (كتاب العلم، رقم ١١٦) من حديث ابن عمر ﷺ.

(٢) نقله عنه من كتابه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر: ابن كثير في البداية والنهاية (١/٣٩٢).

(٣) انظر: أضواء البيان (٤/٢٠٢) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٤) انظر: المعارف لابن قتيبة (٤٢) [دار المعارف بمصر، ط ٤٤]، وتاريخ الطبري (١/٣٦٥) [دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٣٨٧هـ]، وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٦/٣٩٩) [دار الفكر، ط ١، ١٤١٩هـ]، وتفسير البغوي (٥/١٨٨) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ]، وتفسير القرطبي (١١/١٦، ٤١، ٤٤) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/١٧٦) [طبعة إدارة الطباعة المنيرية بمصر]، وشرحه على صحيح مسلم (١٥/١٣٥) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ]، وتفسير ابن كثير (٥/١٨٧)، والبداية والنهاية (١/٣٤٨، ٣٧٩) وما بعدها، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/٢٨٦)، وفتح الباري (٦/٤٣٣) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، والتحرير والتنوير (١٥/٣٦٣).

الذهاب إليه والتفتيش عليه، ولو أنه يمضي حقبا من الزمان - قيل: ثمانين سنة -! ثم لما اجتمع به تواضع له وعظمه، واتبعه في صورة مستفيد منه! فدل كل ذلك على أنه نبي مثله يوحى إليه كما يوحى إليه، وقد خص من العلوم اللدنية والأسرار النبوية بما لم يطلع الله عليه موسى الكليم - نبي بني إسرائيل الكريم -^(١).

الأدلة:

أما الدليل على أن الخضر هو صاحب موسى بن عمران عليه السلام: فقول الله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (٢٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا (٢٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٢٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٢٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٢٩) الآيات [الكهف].

وهذا العبد هو الخضر عليه السلام بدلالة النصوص الصحيحة على ذلك من كلام النبي ﷺ - ولا يعتد بخلاف من خالفها -؛ ومنها:

ما أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»، من حديث سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوحاً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو

موسى بني إسرائيل؛ إنما هو موسى آخر! فقال: كذب عدو الله! حدثنا أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به، قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكمل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم، فأخذ حوتاً فجعله في مكمل، ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكمل، فخرج منه فسقط في البحر، ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ (٣١)، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد، قال موسى ﴿لِفَتْنِهِ إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ (٣٢)، قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذي أمر الله به، فقال له فتاه: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخَرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَتَسْنِينُهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ (٣٣)، قال: فكان للحوت سرباً، ولموسى ولفتاه عجباً، فقال موسى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَازْتَدَا عَلَيَّ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (٣٤)، قال: رجعا يقصان

(١) البداية والنهاية (١/٣٨٢)، بتصرف يسير.

السفينة فيينا هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: ﴿...أَقَلَّتْ نَفْسًا رَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قال: وهذه أشد من الأولى، قال: ﴿...إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصِجْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴿٧٧﴾ - قال: مائل - فقام الخضر فأقامه بيده، فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيّفونا، ﴿...قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخذْتَ عَلَيْهِمْ أَجْرًا﴾ (٧٨) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ﴿٧٩﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٨٠) فقال رسول الله ﷺ: وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما^(١).

أقوال أهل العلم:

قال الإمام أحمد بن حنبل - وقد سئل عن حياة الخضر -: «من أحال على غائب لم ينتصف منه! وما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان!»^(٢).

آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى ثوباً فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام، قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً، قال: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٧٤)، يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، فقال موسى: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (٧٥)، فقال له الخضر: ﴿فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (٧٦)، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم قد حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها ﴿لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (٧٦) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٨﴾، قال: وقال رسول الله ﷺ: «وكانت الأولى من موسى نسياناً»، قال: «وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠١)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٨٠).

(٢) انظر: المغني عن الحفظ للموصلي (٧٧) [مع جنة المرتاب بنقد المغني للحويني، دار الكتاب العربي بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ]، ومجموع الفتاوى (٤/ ٣٣٧، ٢٧/ ١٠٢). وانظر: الموضوعات لابن الجوزي =

وقال ابن تيمية: «الصواب الذي عليه المحققون: أن الخضر ميت، وأنه لم يدرك الإسلام، ولو كان موجوداً في زمن النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه؛ كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره، ولكان يكون في مكة والمدينة، ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفيتهم، ولم يكن مختلفاً عن خير أمة أخرجت للناس، وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم!»^(١).

وقال الآلوسي: «المنصور: ما عليه الجمهور - يعني: القول بنبوته -، وشواهد من الآيات والأخبار كثيرة، وبمجموعها يكاد يحصل اليقين»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الرد على من استدل بقصة الخضر على جواز الخروج عن شريعة النبي ﷺ:

من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما خرج الخضر عن شريعة موسى كفر وارتكب ناقضاً من

والجواب عن عدم اتباع الخضر لشريعة موسى ﷺ: هو أن رسالة موسى ﷺ ليست عامة فرسالته خاصة لبني إسرائيل، ولم يرسل إلى الناس كافة، فهو كغيره من الأنبياء قبل محمد ﷺ، رسالاتهم خاصة إلى أقوامهم، فموسى ﷺ بعث إلى بني إسرائيل ولم يبعث إلى الناس كافة. فلا يقال: إن الخضر خرج عن شريعة موسى لأنه لم يكن من أمة موسى أصلاً حتى يقال خرج^(٣).

- المسألة الثانية: موت الخضر:

لقد ثبت موت الخضر ﷺ بنص الكتاب والسنة، من ذلك: قول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِّنْ قَبْلِكَ خُلْدًا أَفَإِنَّ مِتَّ فَهُمْ لَخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء، ٢٤]، والخضر ﷺ إن كان بشراً فقد

= (١٩٩/١) [المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ١،

١٣٨٦هـ]، والمنار المنيف لابن القيم (٦٣)،

والإصابة لابن حجر (٣٠١/٢) وفي ثلاثها نسبة هذا

الجواب لغير الإمام أحمد.

(١) مجموع الفتاوى (١٠٠/٢٧).

(٢) روح المعاني (٣٢٠/١٥) [إدارة الطباعة المنيرية].

(٣) انظر: مجموع فتاوى لابن تيمية (٤٢٦/١١)،

والرسائل الشخصية لابن عبد الوهاب (٦/٦٨)

[ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب،

وشرح نواقض الإسلام لللفوزان (١٧٥ - ١٨٠)

[مكتبة الرشد].

يدرك الإسلام، ولو كان موجوداً في زمن النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه؛ كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره، ولكان يكون في مكة والمدينة، ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم، ولم يكن مخفياً عن خير أمة أخرجت للناس وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم! (٤).

- المسألة الثالثة: المفاضلة بين موسى والخضر:

لا شك أن موسى ﷺ أفضل من الخضر، فموسى من أولي العزم من الرسل الذين أمر الله نبيه ﷺ أن يقتدي بهم، ويصبر كما صبروا، ومن الذين منحهم الله وأعطاهم من العلم ما لم يعط سواهم، ولكن في هذا في العلم الخاص، كان عند الخضر ما ليس عنده، فلهذا حرص على التعلم منه، فكان هذا من تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه.

وموسى ﷺ إنما رام أن يعلم شيئاً من العلم الذي خصَّ الله به الخضر؛ لأن الازدياد من العلوم النافعة هو من الخير، وقد قال الله تعالى تعليماً لنبيه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه]، وعليه فلا غضاظة في أن يطلب نبي الله

دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح عن معصوم يجب قبول خبره، والأصل عدمه حتى يثبت.

وثبت في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال قبل موته بشهر - أو نحو ذلك -: «ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ» (١)؛ فالخضر إن لم يكن قد أدرك زمان رسول الله ﷺ - وهذا هو المظنون الذي يترقى في القوة إلى القطع به - فلا إشكال في إثبات موته، وإن كان قد أدرك زمانه؛ فهذا الحديث يقتضي أنه لم يعيش بعد مائة سنة؛ فيكون الآن ميتاً لا حياً؛ لأنه داخل في هذا العموم لا محالة (٢).

قال ابن الجوزي بعد ذكره للأحاديث الصحيحة الواردة في هذا المعنى -: «فهذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر» (٣).

وقال ابن تيمية: «الصواب الذي عليه المحققون: أن الخضر ميت، وأنه لم

(١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، رقم ٢٥٣٨).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٣٣٧، ٢٧/ ١٨)، والرد على المنطقيين له (٢٢٧)، والمنار المنيف (٦٧)، والبداية والنهاية (١/ ٣٩٠، ٣٩٤)، والإصابة (٢/ ٢٩٨)، وفتح الباري (٦/ ٤٣٤)، وأضواء البيان (٤/ ٢١٠).

(٣) نقله عنه من كتابه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر: ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٣٩٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٠٠).

فضيلة العلم والرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور. والتأدب مع المعلم. وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب. وتواضع الفاضل للتعلم ممن دونه. وتعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يتمهر فيه ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم. والأمر بالتأني والتثبت، وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء حتى يعرف ما يراد منه وما هو المقصود. وأن الأمور تجري أحكامها على ظاهرها، وتعلق بها الأحكام الدنيوية في الأموال والدماء وغيرها. واستعمال الأدب مع الله تعالى في الألفاظ. وغير ذلك كثير.

❁ مذهب المخالفين:

يمكن تقسيم المخالفين في مسألة الإيمان بالخضر عليه السلام إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المخالفون في حقيقة الخضر ومن يكون.

القسم الثاني: المخالفون في إثبات نبوة الخضر، لغرض فاسد غير صحيح.

القسم الثالث: المخالفون في إثبات موت الخضر، لغرض فاسد غير صحيح. فأصحاب القسم الأول - وهم ممن لا يعتد بقولهم من ملاحدة الفلاسفة والمتصوفة - زعموا أن أرسطو هو الخضر - خضر موسى -! وبعضهم يزعم أنه لزم خدمة الخضر وكان من تلامذته! ^(٣).

موسى عليه السلام العلم على يد غيره، وخاصة أن هذا العلم الذي كان عند الخضر هو مما اختص الله به الخضر كما اختص الله موسى عليه السلام بعلم لا يعلمه الخضر، فالتفضيل في قوله: «أعلم منك» ليس مطلقاً، بدليل قول الخضر لموسى عليه السلام: «إنك على علم علمك الله لا أعلمه أنا، وأنا على علم علمني لا تعلمه أنت.

وكونه يعلم مسائل لا يعلمها موسى لا يوجب أن يكون أفضل منه مطلقاً، كما أن الهدد الذي قال لسليمان: ﴿أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [النمل: ٢٢] لم يكن أفضل من سليمان عليه السلام.

والخلاصة: أن تعلم موسى عليه السلام من الخضر لا يقدح في مكانة موسى وفضله، كما لا يعني بحال من الأحوال أن يكون الخضر أعلى منزلة من موسى عليه السلام. ^(١)

❁ الثمرات:

الثمرات الفوائد والأحكام التي يمكن استنباطها من قصة الخضر مع موسى عليه السلام أكثر من أن تحصر؛ وهي مبسطة في كتب التفاسير وشروح الأحاديث وغيرها؛ ومن أبرزها ^(٢):

(١) انظر: المفهم للقرطبي (٢١٦/٦) [دار ابن كثير، ط ١، ١٤١٧هـ]، ومجموع الفتاوى (٣٦٩/١١)، ومختصر الفتاوى المصرية (٥٦٠)، وفتح الباري (٢٢١/١)، وتفسير السعدي (٤٨٢).

(٢) انتقينا هذه الفوائد من: تفسير السعدي (٤٨٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: الرد على المنطقيين (٢٢٦)، ومجموع الفتاوى =

أتباعه وأشيائهم لهم طرق باطنة توافق الحق ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع؛ كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى!

وهذا قول الزنادقة والملاحدة من جهة المتفلسفة والمتصوفة والباطنية^(٣)، الذين تذرعو بهذا القول للوصول إلى هذه العقيدة الفاسدة.

وهذا القول ذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام؛ بل هو زندقة وكفر، يقتل معتقده، واختلف في استتابته، على الخلاف في استتابة الزنديق؛ لأنه إنكار لما علم من الشرائع؛ فأحكام الله تعالى لا تعلم إلا بواسطة الرسل، فمن قال: إن هناك طريقاً أخرى يعرف بها أمر الله ونهيه غير الرسل - حيث يستغنى عن الرسل -، أو قال: إنه مع النبي محمد ﷺ كالخضر مع موسى ﷺ، أو جَوَّز ذلك لأحد من الأمة؛ فهو كافر - فضلاً عن أن يكون من خاصة أولياء الله -، يقتل، وقيل: لا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى

وهذا من أظهر الكذب البارد؛ فأرسطو توفي قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة؛ أي: بعد موسى بمدة طويلة تزيد على ألف وثلاثمائة سنة! والخضر مات قبل ذلك بزمان طويل! وظهور بطلان ذلك يغني عن التكلف في رده.

وهؤلاء منهم من يفضل الفلاسفة على الأنبياء في العلم، ويقولون: الخضر أعلم من موسى؛ لأنه فيلسوف يعلم الحقائق العقلية العلمية أكثر من موسى وعيسى ومحمد ﷺ، لكن هؤلاء كانوا في القوة العملية أكمل؛ ولهذا وضعوا الشرائع العملية^(١).

وتفضيل غير الأنبياء على الأنبياء كفر بالإجماع، لا يمتري فيه أحد^(٢).

وأما أصحاب القسم الثاني: فقد قالوا بولاية الخضر، وأنه ليس بنبي ولا رسول؛ ليصلوا بذلك إلى غرض وقول فاسد؛ وهو: أن الولي قد يكون أفضل وأعلم من النبي، وأنه يسعه الخروج عن شريعة نبي زمانه، وأنه يعلم الغيب، وأن

(٣) انظر: الرسالة القشيرية (١٦١) [دار الكتب الحديث بمصر]، والفتوحات المكية لابن عربي (١٨٠/٣) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م]، والجواهر والدرر للشعراني (١٧٥، ٢٦٠) [المطبعة الأزهرية بمصر، ١٣٠٦هـ]، ودرر الغواص له (٨١) [المطبعة الأزهرية، ١٣٠٦هـ]، والطبقات الكبرى له (٢/ ١٢٢، ١٢٥، ١٣٠) [دار الفكر ببيروت]، وجواهر المعاني لعلي حرازم برادة (٢٤٦/١) [طبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٣م].

= لابن تيمية (٤/ ١٦٠)، والإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي الصوفي (١١٧/٢) [مكتبة البابي الحلبي، ١٤٠٢هـ].

(١) انظر: الرد على المنطقيين (٢٢٦، ٢٢٧)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/ ٢٣٢، ٤/ ١٦١).

(٢) راجع: الشفا للقاضي عياض (١٠٧٨/٢) [مكتبة عيسى البابي الحلبي]، ورسالة في الرد على الرافضة لمحمد بن عبد الوهاب (٢٩) [مطابع الصفا بمكة، ١٤٠٢هـ].

سؤال وجواب! (١).

وأما أصحاب القسم الثالث - وهم الصوفية والشيعة - فقد قالوا ببقاء الخضر حيًّا إلى الآن، وأنه لم يمت (٢)؛ أما الصوفية: فليؤكدوا مزاعمهم الباطلة في الأخذ والتلقي عنه والاجتماع به، بصفته صاحب شريعة وعلم باطني يختلف عن علوم الأنبياء الظاهرة، وأنه يسعه ويسعهم الخروج عن تلك الشرائع الظاهرة إلى علوم الأولياء الباطنة!

وأما الشيعة: فتمسكوا بهذا القول لتعليل طول أمد غيبة إمامهم (مهديهم

المنتظر)، والذي تجاوزت مدة غيابه الألف ومائة سنة! فيقولون: إن بقاء مهديهم كبقاء الخضر!

وقد تقدمت الأدلة الكافية لإثبات موته ﷺ بما يغني عن إعادتها هنا. مع أنه تقدم أيضًا الرد على الصوفية في اعتقادهم الفاسد هذا (في الرد على أصحاب القسم الثاني). وأما الشيعة؛ فيكفي هنا أن يقال في الرد عليهم - على تقدير حياة الخضر جدًّا - (٣): إمامكم المنتظر مسؤول في اعتقادكم عن المسلمين جميعًا في كل أمورهم، بخلاف الخضر؛ فهو ليس مكلَّفًا بهداية الأمة وقيادتها! فالمقارنة بينهما غير مسلمة!

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج ٢)، لابن حجر.
- ٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.

٣ - «تاريخ الطبري» (ج ١).

- ٤ - «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» (ج ١)، لمحمد أحمد لوح.
- ٥ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ١١)، للقرطبي.

(٣) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١٧١/١) [دار المعرفة ببيروت، ١٤٠٤هـ]، وأصول مذهب الشيعة للقفاري (٨٦٧/٢، ٨٦٨).

(١) انظر: المفهم للقرطبي (٢١٧/٦)، والجامع لأحكام القرآن (٤٠/١١)، ومجموع الفتاوى (٤٢٢/٣، ٤٢٢، ٣١٨، ٤٣٤/١٠، ٤٨/١١، ٥٢، ١٦٥، ٤٢٢، ٢٦٦/١٣، ٤٧٥/٢٨)، ومدارج السالكين (٢/٤٧٦)، وشرح العقيدة الطحاوية (٧٧٤/٢) [مؤسسة الرسالة، ٩٥هـ، ١٤١٧هـ]، والزهر النضر في حال الخضر لابن حجر (٩٦) [دار غراس، ط ٢، ١٤٢٥هـ]، والإصابة (٢/٢٨٨). وانظر: فتح الباري (١/٢٢٠، ٢٧٥/٨)، وكشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتي (١٧١/٦) [دار الفكر، ١٤٠٢هـ]، والرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦٨/٧، ٢١٤ - ضمن مجموع مؤلفاته)، وأضواء البيان (٢٠٥/٤).

(٢) انظر للصوفية: ختم الأولياء للحكيم الترمذي (٣٦٢) [المطبعة الكاثوليكية ببيروت، ١٩٦٥م]، ولطائف المنن لابن عطاء الله السكندري (٨٢) [دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٩٩٩م]، والطبقات الكبرى للشعراني (١٠٩/٢، ١٢٥)، والفصل في الملل والنحل لابن حزم (٣٧/٥) [دار الجبل ببيروت، ط ٢، ١٤١٦هـ]، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (١٧٧/١)، وللشيعة: الغيبة لمحمد بن جعفر الطوسي (٧٩) [مكتبة الألفين بالكويت]، وإلزام الناصب للحاتري (٢٨٣/١) [مؤسسة الأعلمي ببيروت، ط ٤].

ومما ورد في النصوص مباشرة الله ﷻ
لكتابته شيثان:

- ١ - التوراة المنزلة على موسى ﷺ .
- ٢ - قوله ﷻ في الحديث القدسي:
«إن رحمتي تغلب غضبي»^(٣).

✽ **العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:**

العلاقة ظاهرة؛ فالخط هو الكتابة باليد، وخط الله كتابته بيده الكريمة ﷻ .
✽ **الأسماء الأخرى:**
الكتابة.

✽ **الحكم:**

إثبات هذه الصفة (صفة الخط) لله ﷻ على حقيقتها وهي الكتابة بيده الكريمة، كما ثبت ذلك في النصوص الصحيحة الصريحة من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل.

✽ **الحقيقة:**

حقيقة صفة الخط: كتابة الله ﷻ بيده الكريمة.

✽ **الأدلة:**

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله

(٣) سيأتي في الأدلة.

٦ - «الزهر النضر في حال الخضرة»، لابن حجر.

٧ - «شرح صحيح مسلم» (ج ١٥)، للنووي.

٨ - «فتح الباري» (ج ٦)، لابن حجر.

٩ - «المعارف»، لان قتيبة.

١٠ - «نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف»، لمحمد بن عبد الله الوهيبي.

✽ الخضوع ✽

يراجع مصطلح (الخشوع).

✽ الخط (من صفات الله تعالى) ✽

✽ **التعريف لغة:**

«الخاء والطاء أصل واحد، وهو أثر يمتد امتداداً، فمن ذلك الخط الذي يخطه الكاتب»^(١).

✽ **التعريف شرعاً:**

الخط في باب صفات الله تعالى: هو كتابة الله ﷻ بيده الكريمة^(٢).

(١) مقاييس اللغة (٢/١٥٤) [دار الجليل، ١٤٢٠هـ]، وانظر: تهذيب اللغة (٦/٥٥٧) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٤٠١هـ]، والصحاح (٣/١١٢٣) [دار العلم للملايين، ١٤٠٤هـ]، والقاموس المحيط (٦٦٥) [مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: ما سيأتي في الأدلة وأقوال العلماء.

بأن الله ﷻ خلق آدم ﷺ بيده، وخط التوراة لموسى ﷺ بيده، وخلق جنة عدن بيده، وقد قيل: العرش، والقلم، وقال لسائر الخلق: كن فكان، فسبحانه^(٦).

وقال الغنيمان في رواية البخاري التي فيها: «كتب في كتابه - وهو يكتب على نفسه، وهو وضع عنده على العرش - إن رحمتي تغلب غضبي»^(٧): «قوله: «كتب في كتابه» يجوز أن يكون المعنى: أمر القلم أن يكتب، كما قال الحافظ. ويجوز أن يكون على ظاهره بأن كتب - تعالى - بدون واسطة، ويجوز أن يكون قال: كن؛ فكانت الكتابة، ولا محذور في ذلك كله، وقد ثبت في سنن الترمذي وابن ماجه في هذا الحديث: «إن الله ﷻ لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي»^(٨). ولا يصح أن يراد بالكتابة: الحكم الذي قضاه، نظير قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]؛ لقوله: «فهو عنده فوق العرش»^(٩).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: كتابة الله تعالى:

كتابة الله تعالى الواردة في النصوص

(٦) الشريعة (٧٠٤/١) [دار الفضيلة، ط ٣، ١٤٢٨هـ].

(٧) تقدم تخريجه في الأدلة.

(٨) تقدم تخريجه في الأدلة.

(٩) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢٥٦/١)

[مكتبة لينة، ط ٢، ١٤١٣هـ].

بكلامه، وخط لك بيده، أتلونني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى ثلاثاً^(١). وفي رواية لمسلم: «كتب لك التوراة بيده»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه: إن رحمتي تغلب غضبي»^(٣). وأصل الحديث في «الصحيحين»^(٤) بلفظ: «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه - وهو يكتب على نفسه، وهو وضع عنده على العرش -: إن رحمتي تغلب غضبي».

أقوال أهل العلم:

قال ابن حبان: «ذكر البيان بأن كتبه الله الكتاب الذي ذكرناه كتبه بيده»^(٥)، وذكر تحت هذه الترجمة حديث أبي هريرة السابق.

وقال الآجري: «باب الإيمان

(١) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٤٣) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٩٥)، وأحمد (٣٦٦/١٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٦٢٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٤) واللفظ له، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥١).

(٥) كما في الإحسان (كتاب التاريخ، ١٤/١٤) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٤هـ].

به؛ حتى يؤمنوا به ويعملوا على مقتضاه، أو لحكمة الله أعلم بها، وليس خوفًا من النسيان، تعالى الله^(٣).

✽ مذهب المخالفين:

على عادة أهل التعطيل في نفي صفات الله ﷻ وتحريفها عن حقيقتها كذلك نفوا هذه الصفة وحرّفوها.

ومن ذلك: ما جاء في تعليق أحدهم على «صحيح البخاري» قوله: «خط لك بيده»: أنزل عليك كتابه التوراة^(٤). وهذا من المعلق تأويل وتحريف للكلم عن مواضعه، فليس الخط في لغة العرب بمعنى الإنزال ولا هو من معانيه، والواجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما ثبتت في النصوص وبما تقتضيه لغتها العربية من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل.

وإنكار المعطلة لخط الله وكتابه بيده هو فرع عن إنكارهم لصفة اليد الثابتة لله ﷻ.

✽ المصادر والمراجع:

١ - «صحيح ابن حبان» (ج ١٤).

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/٢٥٦).

(٤) صحيح البخاري (٦/٢٤٣٩) [دار ابن كثير، ٣، ١٤٠٧هـ]، والمعلق هو: مصطفى ديب البغا، وانظر أيضًا في أقوال المخالفين: عمدة القاري للعيني (٢٣/٢٤٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ]، ومنحة الباري لتركيب الأنصاري (٩/٥٣٩) [مكتبة الرشد، ط ١].

تشمل كتابته تعالى بخطه بيده الكريمة وذلك في أشياء مخصوصة كما تقدم، وتشمل كتابته سبحانه بأمر خلق من خلقه بذلك؛ كأمره للقلم لما خلقه قال له: «اكتب. قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»^(١).

وكأمره تعالى للملائكة بكتابة أعمال العباد، كما في قوله: ﴿وَرُسُلًا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزُّحُرْف]، وقوله عن الملائكة: ﴿كِرَامًا كَتِيبِينَ﴾ [الانفطار].

- المسألة الثانية: مراتب الوجود:

«العلم له ثلاث مراتب: علم بالجنان، وعبارة باللسان، وخط بالبنان؛ ولهذا قيل: إن لكل شيء أربع وجودات: وجود عيني، وعلمي، ولفظي، ورسمي. وجود في الأعيان ووجود في الأذهان واللسان والبنان»^(٢).

✽ الحكمة:

قال الغنيمان في كتابته سبحانه: «إن رحمتي تغلب غضبي»: «كتابه تعالى ذلك؛ لتأكيد هذا الحكم، وإخبار عباده

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٠٠)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣١٩) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٧٨/٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٨) [المكتب الإسلامي].

(٢) مجموع الفتاوى (١١١/١٢ - ١١٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٥هـ].

٢ - «الشرعة» (ج ١)، للآجري.

٣ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (ج ١)، للغنيمان.

٤ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٢)، لابن تيمية.

٥ - طبعة مصطفى ديب البغا لـ «صحيح البخاري» وتعليقه عليه.

٦ - «عمدة القاري» (ج ٢٣)، العيني.

٧ - «منحة الباري بشرح صحيح البخاري» (ج ٩)، لذكرى الأنصاري.

الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦﴾ [الزخرف]؛ أي: يكونون بدلكم في الأرض، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٥٦]؛ أي: يخلف بعضكم بعضًا، والخليفة إنما يقع على الرجال خاصة، ولهذا يقال خلفاء^(٢).

والراشدة من رشد: وهي أصل واحد يدل على استقامة الطريق؛ قال ابن فارس: «الراء والشين والذال أصل واحد يدل على استقامة الطريقة»^(٣).

التعريف شرعًا:

الخلافة الراشدة هي: الخلافة على منهج النبوة وهم الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب عليهم السلام، وهي خلافة النبوة كما سماها بذلك رسول الله ﷺ^(٤).

الأدلة:

روى سفينة عليه السلام عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك - أو ملكه - من يشاء». ثم قال لي - يعني: الراوي سعيد بن

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٧/٤٠٠، ٤٠٨) [دار القومية، ١٣٨٤هـ]، ومقاييس اللغة (٢/٢١٠).

(٣) مقاييس اللغة (٢/٣٩٨).

(٤) هذا التعريف مستنبط من أحاديث رسول الله ﷺ كحديث: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين»، ومن حديث حذيفة رضي الله عنه: «ثم تكون خلافة على منهج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون..» وكلام أهل العلم في ذلك.

الخط على الأرض

يراجع مصطلح (الرمال).

الخلافة الراشدة

التعريف لغة:

الخلافة الراشدة: مرگب إضافي من: الخلافة، والراشدة.

قال ابن فارس: «الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة؛ أحدهما: أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني: خلاف قدام، والثالث: التغير»^(١).

والخلافة من خَلَفَ، وهي من الأول: وسميت خلافة؛ لأن الثاني يجيء بعد الأول قائمًا مقامه، وورد في التنزيل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي

(١) مقاييس اللغة (٢/٢١٠) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: خلافة الخلفاء الأربعة الراشدين ثابتة بالنص:

كما دلَّ على ذلك حديث سفينه رضي الله عنه المتقدم، والقرآن دلَّ على ذلك أيضًا:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور].

قال ابن قدامة المقدسي رحمته الله: «وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون الذين وعدهم الله بالاستخلاف، ووَصَّى رسول الله ﷺ باتباع سُنَّتِهِمْ لا يجوز أن تحمل الآية على استخلاف غيرهم؛ لأن وعد الله حق لا يجوز الخلف عليه، وما وجد الاستخلاف بعد النبي ﷺ مع الشروط المذكورة، في الأخبار المأثورة في جماعة غيرهم؛ كوجودها فيهم، وقد بيَّن النبي مدة خلافتهم، وحث على سُنَّتِهِمْ، ووصفهم بصفته» ^(٤).

وقال ابن حزم رحمته الله: «وفي نص القرآن دليل على صحة خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم، وعلى وجوب

عبد الله بن عثمان وهو عتيق بن أبي قحافة رضي الله عنه، وتعلم أنه يوم مات رسول الله ﷺ لم يكن على وجه الأرض أحد بالوصف الذي قدمنا ذكره غيره رحمة الله عليه، ثم من بعده على الترتيب والصفة: أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الفاروق، ثم من بعدهما على الترتيب والنعت: عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو أبو عبد الله وأبو عمرو ذو النورين، ثم على هذا النعت والصفة من بعدهم: أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو الأنزع البطين، صهر رسول الله ﷺ، وابن عم خاتم النبيين صلوات الله ورحمته وبركاته عليهم أجمعين» ^(١).

وقال ابن تيمية: «واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وهو أول الملوك، كان ملكه ملكًا ورحمة، وأما من قبله فكانوا خلفاء نبوة، فإنه قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة، ثم تصير ملكًا» ^(٢)، وكان أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم هم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون» ^(٣).

(١) الشرح والإبانة لابن بطة (١٦٥ - ١٦٧) [دار الأمر الأول، ط ٢، ١٤٣٣هـ].

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) مجموع الفتاوى (٤/٤٧٨).

(٤) مناهج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين (٣٣٥)

[دار غراس، ط ١، ١٤٢٧هـ].

لهم إلى ذلك العذاب الأليم، وما دعا أولئك الأعراب أحد بعد رسول الله ﷺ إلى قوم يقاتلونهم أو يسلمون إلا أبو بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم؛ فإن أبا بكر رضي الله عنه دعاهم إلى قتال مرتدي العرب؛ بني حنيفة، وأصحاب الأسود، وسجاح، وطليحة، والروم والفرس، وغيرهم، ودعاهم عمر إلى قتال الروم والفرس، وعثمان دعاهم إلى قتال الروم والفرس، والترك، فوجبت طاعة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بنص القرآن الذي لا يحتمل تأويلاً، وإذ قد وجبت طاعتهم فرضاً فقد صحت إمامتهم وخلافتهم رضي الله عنهم ^(١).

وقال ابن تيمية في وصف خلافة علي رضي الله عنه: «ولكن اعتقاد خلافته، وإمامته ثابتة بالنص، وما ثبت بالنص وجب اتباعه» ^(٢).

- المسألة الثانية: خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

اختلف فيها أهل العلم: أكانت بالنص الجلي، أم بالنص الخفي والإشارة، أم أنها ثبتت بالاختيار، وأن النبي ﷺ لم يستخلف أصلاً، فهذه ثلاثة أقوال ^(٣):

الطاعة لهم؛ وهو أن الله تعالى قال مخاطباً لنبيه ﷺ في الأعراب: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْعَوْكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ﴾ ^(١٨٣) [التوبة]، وكان نزول براءة التي فيها هذا الحكم بعد غزوة تبوك بلا شك، التي تخلف فيها الثلاثة المعذورون، الذين تاب الله عليهم في سورة براءة، ولم يغز ﷺ بعد غزوة تبوك، إلى أن مات ﷺ، وقال تعالى أيضاً: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرٍ لِنَأْخُذُهَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْمَدُوكُمْ أَوْ لَكُنَّا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ^(١٥) [الفتح]، فبين أن العرب لا يغزون مع رسول الله ﷺ بعد غزوة تبوك أبداً، ثم عطف ﷺ عليهم، إثر منعه إياهم مع الغزو مع رسول الله ﷺ، وغلق لهم باب التوبة فقال: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَيَّ قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ^(١٦) [الفتح] فأخبر تعالى أنه سيدعوهم غير النبي ﷺ إلى قوم يقاتلونهم أو يسلمون، ووعدهم على طاعة من دعاهم إلى ذلك بجزيل الأجر العظيم، وتوعدهم على عصيان الداعي

(١) الفصل في الملل والأهواء (٨٩/٤) [دار الجيل، ط ١٤٠٥هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٤٤٠).

(٣) انظر: المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى (٢٢٣) =

الخفي والإشارة، وإلى هذا القول ذهب جماعة من أهل الحديث، والمتكلمين، وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد، ويروى عن الحسن البصري، وغيرهم.

واستدلوا بما استدل به الأولون، وزادوا عليهم الأحاديث الواردة في تقديم أبي بكر للصلاة في آخر حياة النبي في مرضه الذي مات فيه^(٤)، وبأحاديث الرؤيا^(٥)، وغيرها.

القول الثالث: وهو أنها ثبتت بالاختيار، وهو قول جمهور العلماء، والفقهاء، وأهل الحديث، والمتكلمين، وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد.

واستدلوا من السنة بحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه؛ أنه قال: «قيل لعمر: ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله فأثنوا عليه. فقال: راغب راهب، وددت أني نجوت منها كفافاً لا لي ولا علي لا أتحمّلها حياً ولا ميتاً». قال عبد الله رضي الله عنه: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف^(٦).

(٤) أخرجه البخاري (الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم ٧٣٠٣)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤١٨).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، رقم ٣٦٦٤)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٢).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الأحكام، رقم ٧٢١٨)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٢٣).

القول الأول: وهو أن خلافة أبي بكر الصديق ثبتت بالنص الجلي، وهو قول لبعض أصحاب الحديث، وغيرهم، وكان ممن نصره ابن حزم الظاهري.

واستدل هؤلاء من السنة بأحاديث منها: ما رواه جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه. قالت: أرأيت إن جئت ولم أجذك - كأنها تقول الموت - قال: «إن لم تجدني فأتي أبا بكر»^(١).

وعن عائشة؛ أنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمني متمنٌ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»^(٢).

قال ابن حزم: «فهذا نصٌ جلي على استخلافه عليه الصلاة والسلام أبا بكر على ولاية الأمة بعده»^(٣).

القول الثاني: وهو أنها ثبتت بالنص

= [دار الجيل، ط ٢، ١٤١٦هـ]، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١٧٦/٤) [دار الجيل، ط ٢، ١٤١٦هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٩٦/١)، ومنهاج السنة (٤٨٦/١)، ومجموع الفتاوى (٤٧/٣٥).

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، رقم ٣٦٥٩)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المرضى، رقم ٥٦٦٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٨٧) واللفظ له.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٧٧/٤).

وفي تعيين خلافة أبي بكر رضي الله عنه له مسوغات شرعية؛ منها:

١ - بيان منزلة أبي بكر الصديق حينما يختاره المسلمون من غير عهد، وقد دلت النصوص على صوابهم، ورضا الله ورسوله بذلك، ففي هذا دليل على أن الصديق كان فيه من الفضائل التي بان بها غيره ما علم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة، وأن ذلك لا يحتاج فيه إلى عهد خاص، كما قال النبي ﷺ لما أراد أن يكتب لأبي بكر كتاباً فقال لعائشة: «ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فأني أخاف أن يتمنى متمنٌ ويقول: أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»^(٣).

وفي رواية أخرى قال ﷺ: «لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد: أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون»^(٤).

فبين ﷺ أنه يريد أن يكتب كتاباً خوفاً، ثم علم أن الأمر واضح ظاهر ليس مما يقبل النزاع فيه، والأمة حديثة عهد بنبيها، وهم خير أمة أخرجت للناس، وأفضل قرون هذه الأمة، فلا يتنازعون في هذا الأمر الواضح الجلي،

وعن ابن أبي مليكة قال: «سمعت عائشة وسئلت: من كان رسول الله مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر. فقليل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. ثم قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة ابن الجراح. ثم انتهت إلى هذا»^(١).

والصواب: هو كما قال ابن تيمية: «والتحقيق أن النبي ﷺ دلّ المسلمين على خلافة أبي بكر، وأرشداهم إليه بأمور متعددة، من أقواله، وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك، حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهداً، ثم علم أن المسلمين يجتمعوا عليه، فترك الكتاب اكتفاء بذلك، ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك: هل ذلك القول من جهة المرض، أو قول يجب اتباعه، ترك الكتابة اكتفاء بما علم أن الله يختاره، والمؤمنون من خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فلو كان التعيين مما يشتهه على الأمة لبينه النبي ﷺ بياناً قاطعاً للعدر، لكن لما دلتهم دلالات متعددة على أن أبا بكر هو المتعين، وفهموا ذلك، حصل المقصود»^(٢).

- المسألة الثالثة: عدم النص الصريح على خلافة أبي بكر رضي الله عنه:

عدول النبي ﷺ عن النص الصريح

(١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٨٥).

(٢) منهاج السنة (١/٥١٦ - ٥١٧).

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المرضى، رقم ٥٦٦٦).

لو لم يقدح فيهم بذلك لم يمدحوا إلا بمجرد الطاعة للأمر، فإذا كانوا برضاهم واختيارهم؛ اختاروا ما يرضاه الله ورسوله ﷺ من غير إلزام، كان ذلك أعظم قدرهم، وأعلى لدرجتهم، وأعظم في مئوبتهم، وكان ما اختاره الله، ورسوله ﷺ للمؤمنين به؛ هو أفضل الأمور له ولهم^(٢).

٣ - قد يحتج بالنص على وجوب اتباعه في كل ما يقول ولا يمكن أحد بعد موت الرسول ﷺ أن يراجع الرسول ﷺ في أمره ليرده أو يعزله، فكان أن لا ينص على معين أولى من النص، وهذا بخلاف من يوليه في حياته، فإنه إذا أخطأ أو أذنب أمكن الرسول ﷺ بيان خطئه، ورد ذنبه وبعد موته لا يمكنه ذلك، ولا يمكن الأمة عزله لتولية الرسول ﷺ إياه فكان عدم النص على معين مع علم المسلمين بدينهم أصلح للأمة وكذلك وقع^(٣).

٤ - لو نص على معين؛ لكان من يتولى بعده؛ إذا لم يكن منصوباً عليه، يظن الظان أنه لا تجوز طاعته إذ طاعة الأول، إنما وجبت بالنص ولا نص معه.

وإن قيل: كل واحد ينص على الآخر فهذا إنما يكون إذا كان الثاني معصوماً،

فإن النزاع إنما يكون لخفاء العلم، أو لسوء القصد، وكلا الأمرين منتف؛ فإن العلم بفضيلة أبي بكر جلي، وسوء القصد لا يقع من جمهور الأمة الذين هم أفضل القرون، ولهذا قال: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»، فترك ذلك لعلمه بأن ظهور فضيلة أبي بكر الصديق واستحقاقه لهذا الأمر يغني عن العهد، فلا يحتاج إليه فتركه لعدم الحاجة وظهور فضيلة الصديق واستحقاقه وهذا أبلغ من العهد^(١).

٢ - علمه عليه الصلاة والسلام بوقوع خلافة أبي بكر، وأن المؤمنين يختارونها، فاكتمى به عن النص، وترك النص مع العلم بوقوع خلافة أبي بكر أفضل؛ لأن الأمة إذا ولته طوعاً منها بغير التزام وكان هو الذي يرضاه الله ورسوله ﷺ كان أفضل للأمة، ودل على علمها ودينها، فإنها لو ألزمت بذلك لربما قيل: إنها أكرهت على الحق، وهي لا تختاره، كما كان يجري مثل ذلك لبني إسرائيل، ويظن الظان أنه كان في الأمة بقايا جاهلية من التقديم بالأنساب.

وقد يقول القائل: إنهم كانوا في الباطن كارهين لمن يأمرهم بمثل ما أمرهم به الرسول ﷺ، لكن لما ألزمهم بذلك احتاجوا إلى التزامه.

(٢) انظر: منهاج السنة ٤٥٣/٦ - ٤٥٤.

(٣) انظر: المصدر السابق ٤٥٠/٦.

(١) انظر: منهاج السنة ٥٢٤/١.

والعصمة منتفية عن غير الرسول ﷺ^(١).

وأما خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكانت بالعهد من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، واتفاق الأمة عليه.

قال موفق الدين: «وعمر ثبتت إمامته بعهد أبي بكر»^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما عمر فإن أبا بكر عهد إليه، وبإيعه المسلمون بعد موت أبي بكر، فصار إمامًا لما حصلت له القدرة والسلطان بمبايعتهم له»^(٣).

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «ونُتبت الخلافة بعد أبي بكر لعمر رضي الله عنه، وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه»^(٤).

وأما خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فكانت بمبايعة الناس له، ولم يتخلف عنها أحد.

قال الإمام أحمد: «ما كان في القوم أوكدبيعة من عثمان، كانت بإجماعهم»^(٥).

قال ابن تيمية: «عثمان لم يصير إمامًا باختيار بعضهم؛ بل بمبايعة الناس به،

وجميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفان، ولم يتخلف عنه أحد»^(٦).

وأما خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد اختلف الناس فيها، واضطربوا على أقوال متعددة أظهرها ثلاثة أقوال^(٧):

القول الأول: أن زمانه كان زمان فتنة، فلم يكن هناك خليفة عام، وهذا قول طائفة من أهل الحديث البصريين، وغيرهم.

القول الثاني: وهو أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان خليفة، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كان خليفة، وقالوا: يصح أن يولى خليفَتان، وهذا يحكى عن الكرامية، وغيرهم.

القول الثالث: وهو أن علي بن أبي طالب كان هو الخليفة والإمام، وتنازع أصحاب هذا القول فيمن كان مصيبًا في قتاله؛ أهو علي بن أبي طالب وأصحابه، أم معاوية بن أبي سفيان وأصحابه، إلى أقوال متعددة.

والصحيح الذي عليه الأئمة أن عليًا رضي الله عنه من الخلفاء الراشدين، فزمان علي كان يسمى نفسه أمير المؤمنين، والصحابة تسميه بذلك، قال الإمام أحمد: «من لم يربّع بعلي رضي الله عنه في الخلافة فهو أضل من حمار أهله»^(٨).

(١) انظر: المصدر السابق (٤٥١/٦).

(٢) المغني (٢٤٣/١٢).

(٣) منهاج السنة (٥٣٢/١).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٧١٠/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١٣، ١٤١٩هـ].

(٥) نقلًا من: منهاج السنة (٥٣٢/١).

(٦) منهاج السنة (٥٣٢/١).

(٧) انظر: منهاج السنة (٥٣٧/١ - ٥٤٠)، ومجموع الفتاوى (٤٧٩/٤).

(٨) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٧٩/٤).

القول الثاني: وهو المنع مطلقاً، وهو قول جمهور العلماء، وقد نسبوا القائل بذلك إلى الفجور.

واستدلوا على المنع^(٤): بأن الله تعالى لا يجوز أن يكون أحد خلفاً له، ولا يقوم مقامه؛ لأنه لا سمي له، ولا كفاء له، فمن جعل له خليفة فهو مشرك.

وقالوا: إن الخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت، أو غيبة، ويكون لحاجة المستخلف إلى الاستخلاف، وهذه المعاني كلها متفية عن الرب وَعَلَى، وهو منزعه عنها؛ فإنه حي قيوم، شهيد، لا يموت ولا يغيب، وهو غني يرزق ولا يرزق.

ولهذا لما قالوا لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا خليفة الله! قال: «أنا خليفة رسول الله ﷺ، وأنا راض به»^(٥)؛ بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره، قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ»^(٦)؛ وذلك لأن الله وَعَلَى حي شهيد، مهيم، قيوم، رقيب، حفيظ، غني عن العالمين، ليس

وقال عبد الله بن أحمد: «سألت أبا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن التفضيل بين أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضوان الله عليهم؟ فقال: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي الرابع من الخلفاء. قلت لأبي: إن قوماً ما يقولون: إنه ليس بخليفة؟! قال: هذا قول سوء رديء. وقال: أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون له: يا أمير المؤمنين، أفنكذبهم، وقد حج، وقطع، ورجم، فيكون هذا إلا خليفة»^(١).

- المسألة الرابعة: هل يجوز أن يقال للسلطان والملك: خليفة الله؟

اختلف في ذلك على ثلاثة أقوال^(٢):

القول الأول: وهو القول بالجواز؛ لقيام الخليفة بحقوق الله في خلقه، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، واستدلوا من السنة بحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر ما تعملون»^(٣).

(١) السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (٥٧٤/٢).

(٢) انظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى (٢٧)، والأحكام السلطانية للماوردي (٢٢)، ومنهاج السنة (٥٠٩/١)، ومفتاح دار السعادة (٤٧١/١) [دار ابن عفان، ط ١]، والمناهي اللفظية لبكر أبي زيد (٢٥٢) [دار العاصمة].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الرقاق، رقم ٢٧٤٢).

(٤) انظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى (٢٧)،

والأحكام السلطانية للماوردي (٢٢)، ومجموع الفتاوى (٥٤/٣٥)، ومنهاج السنة (٥١٠/١).

(٥) أخرجه أحمد (١/٢٢٥، ٢٢٧، رقم ٥٩، ٦٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٦هـ]، قال ابن حجر: وهو منقطع. إتحاف المهرة (٨/٢٤٥).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الحج رقم ١٣٤٢).

له شريك، ولا ظهير، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه

- المسألة الخامسة: هل الخليفة من أسماء الله تعالى؟

وقالوا في توجيه الآيات القرآنية التي استدل بها أصحاب القول الأول^(١): أن المراد بالخليفة أنه خلف من كان قبله من الخلق، فأدم ﷺ جعله الله خليفة في الأرض عمن كان قبله من الملائكة، أو الجن، والله جعل الناس يخلف بعضهم بعض، كلما هلك قرن خلفه قرن إلى أن تقوم الساعة، وكذلك تأويل الحديث الذي استدلوا به فالمراد به أن الله مستخلفكم عن الأمم التي هلكت، فتكونون خلفاء من بعدهم.

وقيل لأبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ؛ لأنه خلفه على أمته بعد موته، وكما كان النبي إذا سافر لحج، أو عمرة، أو غزوة يستخلف على المدينة من يكون خليفة له مدة معينة.

القول الثالث: وهو القول بالتفصيل الذي ذهب إليه ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: وهو أنه إن أريد بالإضافة أنه خليفة عن الله تعالى، فالقول بالمنع هو الصواب، وأما إن أريد بالإضافة أنه استخلف عن غيره ممن كان قبله، فهذا لا يمتنع فيه الإضافة، وحقيقتها خليفة الله الذي جعله الله خلفاً عن غيره^(٢).

الخليفة ليس من أسماء الله الحسنى لعدم ورود دليل صحيح صريح به على سبيل التسمية، ومن عدّه فيها وهو القرطبي فقد احتج له بحديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أن رسول الله ﷺ «كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً، ثم قال: ﴿...سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُقْتِلُونَ ﴿١٤﴾» [الزخرف]! اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرِنَا هَذَا، واطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، والخليفة في الأهل، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وكآبةِ المنظر، وسوءِ المنقلب في المال والأهل، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»^(٣).

وهذا كما ترى أيها القارئ الكريم ورد مقيداً فلا يتجاوز فيه النص، وعليه فإنه يُخبر به عن الله فيقال: هو الخليفة في الأهل، والصاحب في السفر، وهكذا، ولا يطلق عليه منهما اسم فلا يقال: من أسمائه تعالى الخليفة والصاحب.

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٤/٣٥)، ومنهاج السنة (١٠/١)، ومفتاح دار السعادة (٤٧١/٢).

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة (٤٧٢/٢).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٤٢).

الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله؛ أي: في باطنه. والخُلَّة تجمع على: خلل، يُقال: فلان كريم الخُلِّ والخُلَّة؛ أي: كريم الإخاء والمُصَادَقَة، والخليل: الصديق، ويُقال للأثني: خليله.

والخُلَّة: هي نهاية المحبة وكمالها. وإنما قيل: خليل الله؛ لأن خلته كانت مقصورة على حب الله تعالى، فليس فيها لغيره متسع ولا شركة من محاب الدنيا والآخرة، وهذه حال شريفة لا ينالها أحد بكسب ولا اجتهداد، فإن الطباع غالبه، وإنما يخص الله بها من يشاء من عباده مثل سيد المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين^(٢).

التعريف شرعاً:

الخلة: هي كمال محبة العبد لربه ونهايتها وتوحيدها - المستغرقة للمحب، والتي تخللت جميع أجزاء روحه وقلبه بحيث لم يبق فيها موضع ومسلك لغير المحبوب -، وكمال محبة الرب ﷻ لخليله، المستلزمة من العبد كمال العبودية لله تعالى، ومن الرب ﷻ كمال

وسُئلت اللجنة الدائمة: هل الخليفة والصاحب من أسماء الله تعالى؟ فأجابت: «ليس الخليفة ولا الصاحب من أسماء الله سبحانه، وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ» من باب الإخبار لا من باب التسمية^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «السُّنَّة»، لأبي بكر الخلال.
- ٢ - «السُّنَّة»، لعبد الله بن أحمد بن حنبل.
- ٣ - «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة»، للإلكائي.
- ٤ - «منهاج السُّنَّة النبوية»، لابن تيمية.
- ٥ - «الأحكام السلطانية»، لأبي يعلى الفراء.
- ٦ - «الأحكام السلطانية»، للماوردي.
- ٧ - «مفتاح دار السعادة»، لابن القيم.
- ٨ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

الخُلَّة

التعريف لغة:

الخُلَّة: والخَلَالَة والخَلَالَة والخُلَالَة:

(١) مجموع فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٣٤٠) (العقيدة، توحيد الأسماء والصفات).

(٢) انظر: لسان العرب (١١/ ٢١٧) [دار صادر، ط٣]، ومقاييس اللغة (٢/ ١٥٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، والصاح (٤/ ١٦٨٧) [دار العلم للملايين، ط٤]، وتهذيب اللغة (٦/ ٥٦٧) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، والقاموس المحيط (١٢٨٥) [مؤسسة الرسالة، ط٥].

الحكم:

فَالْخَلَّةُ صِفَةٌ تُضَافُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
وَتُضَافُ إِلَى الْمَخْلُوقِ:

فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْتَقِدَ: أَنَّ
الْخَلَّةَ صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ اخْتِيَارِيَّةٌ لِلَّهِ (مُتَعَلِّقَةٌ
بِمَشِئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَبِإِزِيدِهِ)، خَبَرِيَّةٌ (سَمْعِيَّةٌ،
نَقْلِيَّةٌ)، ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ وَيُخَالِلُ وَيُصْطَفِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ
خَلْقِهِ، كَمَا أَنَّهُ يَكْرَهُ وَيُبْغِضُ مَنْ يَشَاءُ
مِنْهُمْ. وَالْوَاجِبُ: إِثْبَاتُ هَذِهِ الصِّفَةِ لِلَّهِ
- كَسَائِرِ صِفَاتِهِ جَلَّالَهُ - عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي
يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، مِنْ غَيْرِ
تَشْبِيهِ وَلَا تَمَثِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا
تَعْطِيلٍ، وَإِثْبَاتُ لَوَازِمِهَا كَالرِّضَا،
وَاسْتِجَابَةِ الدَّعْوَةِ، وَالنَّصْرِ، وَنَحْوِ هَذَا.
فَالْخَلِيلَانِ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -
كَانَا مُحِبِّينَ لِلَّهِ، مُحْبُوبَيْنَ لَهُ وَعَلَّاهُ.

أَمَّا إِثْبَاتُ الْخَلَّةِ لِلْمَخْلُوقِينَ؛ فَيَدْخُلُ
وَيَجُوزُ عَلَيْهَا الْكِيفُ؛ فَيَقَالُ - مَثَلًا -:
تَخَلَّلَتْ مُحَبَّةُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ جَمِيعَ أَجْزَاءِ
رُوحِهِ وَقَلْبِهِ إلخ.

وَأَمَّا خَلَّةُ الْمَخْلُوقِ لِلْخَالِقِ: فَهِيَ
لَيْسَتْ لِأَيِّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا يَخْصُ اللَّهُ بِهَا
مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مِثْلَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ،
صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

الحقيقة:

الْخَلَّةُ: أَعْلَى وَأَرْفَعُ دَرَجَاتٍ وَمَقَامَاتٍ
الْمُحَبَّةِ، وَهِيَ رَتْبَةٌ لَا تَقْبَلُ الْمَشَارَكَةَ

الرَّبُّوِيَّةَ لِعِبَادِهِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ.

فَالْخَلَّةُ تَكُونُ مِنْ جَانِبِ الرَّبِّ تَعَالَى،
وَمِنْ جَانِبِ الْعَبْدِ؛ فَالْخَلِيلُ هُوَ:
الْمُحِبُّ لِلَّهِ مُحَبَّةً تَامَةً كَامِلَةً، الْمُحْبُوبُ
لَهُ وَعَلَّاهُ مُحَبَّةً تَامَةً كَامِلَةً ^(١).

سبب التسمية:

الْخَلَّةُ: أَعْلَى دَرَجَاتٍ وَمَقَامَاتٍ
الْمُحَبَّةِ، وَسُمِّيَتْ بِهَذَا؛ لِأَنَّ مُحَبَّةَ
صَاحِبِهَا لِمُحَبِّهِ تَخَلَّلَتْ جَمِيعَ أَجْزَاءِ
رُوحِهِ وَقَلْبِهِ فَصَارَتْ خِلَالَهُ - أَيِ: فِي
بَاطِنِهِ -؛ فَلَمْ تَدْعُ فِيهِ خِلَالًا إِلَّا مَلَأَتْهُ؛
بَحِثْ لَمْ يَبْقَ فِيهَا مَوْضِعٌ خَالٍ مِنْ حُبِّهِ،
فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مُحَلًّا لِمُحَبَّةٍ غَيْرِهِ،
فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيهَا مَنَازِعُ! ^(٢).

هَذَا مِنْ حَيْثُ إِضَافَةُ الْخَلَّةِ إِلَى
الْمَخْلُوقِ. أَمَّا مَعْنَى الْخَلَّةِ فِي حَقِّ اللَّهِ
تَعَالَى؛ فَيَجِبُ إِثْبَاتُهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي
يَلِيْقُ بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ وَكَمَالِهِ،
مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ وَلَا تَمَثِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ
وَلَا تَعْطِيلٍ.

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٧٢/٢) [طبعة
عيسى البابي الحلبي]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية
(٦٧/١٠، ٢٠٣)، ومذارج السالكين (٣٠/٣) [دار
الكتاب العربي، ٢، ١٣٩٣هـ]، وروضة المحبين
(٤٧) [دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ]، وشرح
الطحاوية لابن أبي العز (٣٩٦/٢) [مؤسسة الرسالة،
٩، ١٤١٧هـ]، وفتح الباري لابن رجب (٥٥٢/٢)
[دار ابن الجوزي، ٢، ١٤٢٢هـ].

(٢) انظر: المراجع السابقة، والجامع لأحكام القرآن
للقرطبي (٤٠٠/٥) [دار إحياء التراث العربي،
١٤٠٥هـ].

وصح عنه ﷺ؛ أنه قال: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»^(٢)، وفي رواية ابن مسعود: «ولكن صاحبكم خليل الله»^(٣)، وفي رواية: «ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر خليلاً؛ ولكن أخوة الإسلام ومودته»^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي: «ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وكلم الله موسى تكليماً؛ إيماناً وتصديقاً وتسليماً»^(٥).

وقال أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي: «ونعتقد أن الله تعالى اتخذ

(٢) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣٢) من حديث جندب بن عبد الله ﷺ.

وأخرج البخاري منه فقرة أبي بكر ﷺ، من أحاديث: أبي سعيد الخدري، وابن عباس، وعبد الله بن الزبير ﷺ؛ انظر: صحيح البخاري (كتاب الصلاة، برقمي ٤٦٦، ٤٦٧)، و(كتاب فضائل الصحابة، رقم ٣٦٥٨).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، رقم ٢٣٨٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٦٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، رقم ٢٣٨٢)، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

وفي رواية ابن عباس عند البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٦٧): «ولكن خلة الإسلام أفضل».

(٥) العقيدة الطحاوية (٢٠) [دار ابن حزم ببغداد، ط ١، ١٤١٦هـ].

والمزاحمة؛ والخلة لله هي نهاية مدارج السالكين إلى رب العالمين وغاية ما يصل إليه المحبون منها؛ ولذا لم يصل إلى هذا المنصب أحد من العالمين على الكمال إلا أبو الأنبياء خليل الله إبراهيم، وخاتمهم المصطفى محمد صلى الله عليهما وسلم (وهو ﷺ) الأفضل مقاماً؛ فهو منصب خالص لهما خاص بهما دون غيرهما، لا يناله أحد بكسب أو اجتهاد؛ فكانا - عليهما الصلاة والسلام - محبان لله ﷻ محبة تامة كاملة، محبوبان له سبحانه محبة تامة كاملة.

❁ الأدلة:

الخلة: صفة فعلية ثابتة لله ﷻ بنص الكتاب، والسنة، وإجماع أهل السنة:

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء].

وثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ سئل: من أكرم الناس؟ قال: «أنقاهم»؛ فقالوا: ليس عن هذا نسألك! قال: «فيوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله» الحديث^(١)؛ فيوسف ﷺ هو: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٥٣)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٨).

إبراهيم خليلًا، واتخذ نبينا محمدًا ﷺ وكل ما أحب لغيره فمحبه باطلة»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: من كان خليلًا لله

فلا يصلح أن يخالل أحدًا من الناس:

سبق تقرير القول بأن: الخلة لما

كانت هي كمال الحب المستلزم

استيعاب القلب له؛ لم يصلح لمن كان

خليلًا لله تعالى أن يخالل أحدًا من

الناس كائنًا من كان؛ ولذا تبرأ النبي ﷺ

ونفى أن يكون له خليل من أهل

الأرض. ولكن وردت بعض الأحاديث

فيها إثبات الخلة من جانب بعض

الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ؛ كقول أبي

هريرة رضي الله عنه: «أوصاني خليلي بثلاث»

الحديث^(٣)، وقول أبي ذر رضي الله عنه: «إن

خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع»

الحديث^(٤)، ونحو هذا من الأحاديث.

وهذا مشكل، وأجيب عنه^(٥): بأن ما

نفاه النبي ﷺ من أن يكون له خليل

غير الله تعالى، هو غير ما أثبتته هؤلاء

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٧٨)،

ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٢١).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٣٧).

(٥) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٥/٢٣٤)،

١٥١/١٥ [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ]،

وفتح الباري لابن حجر (٣/٥٧) [دار

المعرفة ببيروت، ١٣٧٩هـ]، وأحاديث العقيدة

المتوهم إشكالها في الصحيحين لسليمان بن محمد

الديبكي (٤٧٧).

إبراهيم خليلًا، واتخذ نبينا محمدًا ﷺ

خليلًا وحبیبًا، والخلة لهما منه على

خلاف ما قاله المعتزلة: إن الخلة: الفقر

والحاجة. والخلة والمحبة صفتان لله،

هو موصوف بهما، ولا تدخل أوصافه

تحت التكيف والتشبيه، وصفات الخلق

من المحبة والخلة جائز عليها الكيف،

فأما صفاته تعالى فمعلومة في العلم

وموجودة في التعريف، قد انتفى عنهما

التشبيه؛ فالإيمان به واجب، واسم

الكيفية عن ذلك ساقط»^(١).

وقال ابن تيمية: «الخلة أخص من

مطلق المحبة؛ بحيث هي من كمالها

وتخللها المحب؛ حتى يكون المحبوب

بها محبوبًا لذاته لا لشيء آخر؛ إذ

المحبوب لشيء غيره هو مؤخر في

الحب عن ذلك الغير! ومن كمالها: لا

تقبل الشركة والمزاحمة - لتخللها

المحب -؛ ففيها كمال التوحيد وكمال

الحب؛ فالخلة تنافي المزاحمة وتقدم

الغير؛ بحيث يكون المحبوب محبوبًا

لذاته محبة لا يزاحمه فيها غيره، وهذه

محبة لا تصلح إلا لله؛ فلا يجوز أن

يشركه غيره فيما يستحقه من المحبة،

وهو محبوب لذاته، وكل ما يحب غيره

- إذا كان محبوبًا بحق - فإنما يحب لأجله،

(١) نقله عن كتابه اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء

والصفات: ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/٨٠)،

وانظر منه: (٥/٧١، ٧٧).

وهي تدل على^(٣): أن الخلَّة أعلى وأرفع مقامات المحبة، وأنها أخص من مطلق المحبة، وأن الخليل أفضل من الحبيب خلافاً لما يعتقده بعض الغالطين من أن مقام المحبة أفضل؛ فالله تعالى يحب أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين، ويحب التوابين ويحب المتطهرين، ويحب الصابرين والمحسنين وغيرهم، ومع هذا لم يخصص بالخلَّة أحدًا من العالمين غير رسوله محمد وإبراهيم - عليهما الصلاة والسلام -! والنبى ﷺ كان يحب أبا بكر وعائشة وأسامة بن زيد وأباه ومعاذاً والأنصار وغيرهم ﷺ، وقد نفى عن أبي بكر - وهو أحب الرجال إلى قلبه - الخلَّة، وتبرأ من خلَّة المخلوقين من أهل الأرض، وأخبر أنه لو كان يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلاً لاتخذ أبا بكر خليلاً ولكان أحق الناس بذلك! وذلك لأن الخلَّة هي كمال الحب المستلزم استيعاب القلب له؛ وهذا لا يصلح إلا لله تعالى؛ فمن كان خليلاً لله فلا يصلح له أن يخالل أحدًا من الناس، كائنًا من كان! وإنما يصلح

و(كتاب التوحيد، برقمي ٧٤١٠، ٧٥١٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٥٦٧/٧، ٦٨/١٠، ٢٠٤)، ومنهاج السنة (٣٥٢/٥، ٣٧٥/٧)، وروضة المحبين (٤٩)، والداء والدواء (٤٤٦)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٦٤/١)، وفتح الباري لابن رجب (٥٥٢/٢).

الصحابة ﷺ؛ فالممتنع أن يتخذ النبي ﷺ غيره خليلاً، ولا يمنع هذا اتخاذ الصحابة النبي ﷺ خليلاً! وقيل: إن قول أبي هريرة هذا لا يعارضه ما تقدم من قوله ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر»؛ لأن الممتنع أن يتخذ هو ﷺ غيره خليلاً لا العكس، ولا يقال: إن المخاللة لا تتم حتى تكون من الجانبين لأننا نقول: إنما نظر الصحابي إلى أحد الجانبين فأطلق ذلك^(١).

كما ثبت أيضاً في القرآن إمكان وقوع الخلَّة من المخلوق للمخلوق، كما قال تعالى: ﴿يَوَلِّكُنِي لِيَتَنِيَ لِرُأْسِي أَتُخَذُ خَلِيلًا﴾ [الفرقان]. ومما سبق من الأحاديث أنفاً تؤكد ذلك أيضاً، والله أعلم.

- المسألة الثانية: وصف الخلَّة أكمل من وصف المحبة:

ثبت في حديث الشفاعة الطويل؛ أن النبي ﷺ قال: «اثبتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً»، وفي رواية للبخاري: «اثبتوا إبراهيم خليل الرحمن»، وفي ثالثة لمسلم: «ولكن عليكم بإبراهيم ﷺ؛ فإنه خليل الله - وفي رواية: خليل الرحمن -»^(٢). والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

(١) فتح الباري لابن حجر (٥٧/٣)، وانظر: شرح مسلم للنووي (١٥١/١٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٦٥)،

فلا يكون الحبيب إلا خليلاً، ولا يكون الخليل إلا حبيباً! وذهب بعضهم إلى: أن المحبة أعلى وأرفع من الخلّة، ولذا خص هؤلاء الخلّة بإبراهيم والمحبة بمحمد - عليهما الصلاة والسلام -؛ فيقولون: إبراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله^(٤)!

واستدل لقول هؤلاء ببعض الأحاديث الضعيفة والواهية والموضوعة! كحديث: «إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر» الحديث^(٥)، وحديث: «اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وموسى نجياً، واتخذني حبيباً، ثم قال: وعزتي وجلالي؛ لأوثرن حبيبي على خليلي ونجبي»^(٦)، وحديث: «إن العباس يحشر

للمخلوق: المحبة - التي هي دون الخلّة -؛ ولهذا اقتصر ﷺ في حق أبي بكر الصديق ﷺ عليها، وعبر عنها بقوله: «ولكن أخوة الإسلام ومودته»^(١).

«وهذا هو السر الذي لأجله - والله أعلم - أمر الخليل بذبح ولده وثمرة فؤاده وفلذة كبده؛ لأنه لما سأل الولد فأعطيه؛ تعلق به شعبة من قلبه، والخلّة منصب لا يقبل الشركة والقسمة؛ فغار الخليل على خليله أن يكون في قلبه موضع لغيره؛ فأمره بذبح الولد؛ ليخرج المزاحم من قلبه، فلما وطن نفسه على ذلك، وعزم عليه عزمًا جازمًا؛ حصل مقصود الأمر؛ فلم يبق في إزهاق نفس الولد مصلحة! فحال بينه وبينه، وفداه بالذبح العظيم»^(٢)؛ فكان المقصود هو: «تفريغ محل الخلّة منه؛ حتى لا تزاحم خلّة الواحد الأحد محبة الولد»^(٣)!

وذهب بعض الصوفية والمتكلمين إلى: أن الخلّة والمحبة بمعنى واحد؛

(١) سبق تخريجه.

(٢) مدارج السالكين (٣٠/٢)، وانظر: روضة المحبين (٤٨)، وزاد المعاد (٧٤/١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢٧، ١٤١٥هـ]، وجلاء الأفهام (٣١٣) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ]، وبدائع الفوائد (٣/١١٩٨) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ]، ومجموع الفتاوى (٢٠٣/١٧)، ومنهاج السُّنة النبوية (٣/٢٠٢، ٣٥٣/٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٣٩٧/٢)، وتفسير السعدي (٧٠٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٣) فتح الباري لابن رجب (٥٥٣/٢).

(٤) انظر: بحر الفوائد للكلاباذي (٢٧٦) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ]، وإكمال المعلم (٣٨٥/٧)، والشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢٨٤/١، ٢٨٧)، ومجموع الفتاوى (٢٠٤/١٠)، والداء والدواء (٤٤٦)، وروضة المحبين (٤٩)، ومدارج السالكين (٣٠/٣)، وروح المعاني للآلوسي (١٤٣/٣) [إدارة الطباعة المنيرية بمصر].

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٦١٦) وقال: هذا حديث غريب، والدارمي (كتاب دلائل النبوة، رقم ٤٨)، من حديث عبد الله بن عباس ؓ، وفيه قصة، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٤٠٧٧) [المكتب الإسلامي ببيروت، ط ٣، ١٤٠٨هـ].

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٨٥/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ]، وأشار إلى ضعفه، وابن الجوزي في الموضوعات (٢٠/٢) [مكتبة أضواء السلف، ط ١، ١٤١٨هـ]، وقال: لا يصح، وحكم بوضعه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٦٠٥). وانظر: فيض القدير للمناوي (١٠٩/١).

مقامات العبادة التي يحبها الله تعالى ويرضاها، والمسارة إلى رضاه ومحبه ﷺ؛ فكان جزاؤهما أن الله اصطفاهما فصارا خليلين له ﷺ محبوين له^(٢).

فهذا هو السر في اتخاذ الله لهما خليلين، لا من حاجة به ﷺ إليهما أو إلى خلتهم - حاشا لله -؛ ولذا قال ﷺ بعد قوله: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾: ﴿وَلَلَّه مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾^(٣) [النساء]؛ تنبيهاً على هذه النكتة^(٣)، وأنه ﷺ الغني الذي له ما في السماوات وما في الأرض، الذي يحتاج إليه الناس ولا يحتاج إليهم. والله أعلم.

قال حافظ الحكمي:

وفضل الله بعض المرسلين على

بعض بما شاء في الدنيا وما وعدوا

من ذاك أعطى لإبراهيم خلته

كذا لأحمد لم يشركهما أحد^(٤).

الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على إثبات صفة الخلَّة لله تعالى، وأن الله ﷺ يحب

بين حبيب و خليل^(١)، ونحوها من الأحاديث التي لا تثبت ولا يصلح الاعتماد عليها في هذه القضية.

وقد تقدم تقرير أن الخلَّة أخص من مطلق المحبة، وأنها أعلى وأرفع مقاماتها، وأن الخليل أفضل من الحبيب، وأن الخلَّة ثابتة لنبيِّنا محمد ﷺ، كما هي ثابتة لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

- المسألة الثالثة: اتخاذ الله تعالى

إبراهيم ومحمدًا ﷺ خليلين دون غيرهما:

على المسلم أن يعتقد: أن الخلَّة الإلهية لم يصل إليها أحد من العالمين على الكمال إلا: خليل الله إبراهيم أبا الأنبياء، وخاتم النبيين محمدًا صلى الله عليهما وسلم؛ فهو مقام خالص لهما خاص بهما، لا يناله أحد بكسب أو اجتهاد.

فإن الخليلين إبراهيم ومحمدًا - عليهما الصلاة والسلام - لم يصلا إلى مرتبة الخلَّة (التي هي أشرف وأرفع مقامات المحبة) إلا بكثرة طاعتهم لربهما، وإخلاص العبادة له ﷺ، والقيام بجميع

(١) أخرجه القاضي أبو يعلى في ستة مجالس من حديثه (٦٩، رقم ٣٨) [دار البشائر ودار الصديق، ط ١]، وفي سنده: عبد الصمد بن موسى وعبد الصمد بن علي الهاشميان، وهما ضعيفان، ولهما مناكير. وقد ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٠٤/١٠)، وقال عنه وعن أمثاله في الباب: «أحاديث موضوعة، لا تصلح أن يعتمد عليها».

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥٣٠/٧) [دار هجر، ط ١]، وتفسير ابن كثير (٤٢٢/٢، ٤٢٣) [دار طيبة، ط ٢].
(٣) انظر: تفسير الطبري (٥٣٠/٧)، وتفسير الرازي (٢٢٨/١١).

(٤) الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة للحكمي (٣٨) [مطابع البلاد السعودية بمكة، ١٣٧٣هـ].

ويحب لذاته: إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه، وأثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى، دون تشبيه ولا تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل، وعدم تعدي ذلك بوصف الله تعالى بأوصاف المحبة ومعانيها التي لم ترد في الكتاب والسنة.

ومن الثمرات أيضًا: حض المكلف وحته وتحريضه على تتبع ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال - الظاهرة والباطنة - فيتحرى العمل بها، وما يكرهه منها فيتجنبه؛ رجاء الوصول إلى درجة المحبوبة بعد المحبة؛ فيكون حبيبًا لله بعد أن كان محبًا له ﷺ.

ومن الثمرات أيضًا: أن في إثبات الخلّة لإبراهيم ونبينا محمد ﷺ دليل على القول المشهور - وحكي إجماعًا - بأن: إبراهيم هو أفضل الرسل والخلق بعد نبينا محمد ﷺ.

❁ مذهب المخالفين:

يمكن تقسيم المخالفين في مسألة الخلّة إلى قسمين:

١ - المخالفون في إثبات حقيقة الخلّة.

٢ - المخالفون في منزلة الخلّة.

القسم الأول: المخالفون في إثبات حقيقة الخلّة:

أنكرت الجهمية حقيقة المحبة بين الله

وكان أول من ابتدع هذا في الإسلام: الجعد بن درهم في أوائل المائة الثانية - وعنه أخذه الجهم بن صفوان -، فكان يقول: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا؛ فضحى به أمير العراق والمشرق بواسط خالد بن عبد الله القسري، والجهم قتله سلم بن أحوز أمير خراسان!

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/٢٩٢) [دار طيبة، ط ٤].

انفعال النفس نحو تعظيمه وطاعته وامثال أمره وإرادة عبادته، ونحو هذا، أو: محبة الثواب وما يخلقه الله لهم من النعيم، لا محبة ذاته ﷻ! فأثبتوا لوازم المحبة ونفوا حقيقتها.

وتأولوا الخلَّة أيضًا بإرادة لوازمها^(٣)؛ كالرضا، وإيصال الخير والنفع له، واستجابة الدعوة، والذكر بالخير، والنصر، والمعونة، ونحو ذلك؛ زعمًا منهم بأن الخلَّة الحقيقية تستحيل على الله؛ فأريد بها - ولا بد - لوازمها لا حقيقتها!

وهم بذلك قد وقعوا في نظير ما فروا منه! فهذه اللوازم هي مما يتصف به المخلوق أيضًا، فإن كان إثباتها لله تعالى لا يقتضي تمثيلًا ولا تشبيهًا فكذلك المحبة والخلَّة، وإلا لزم المحذور ووقعوا في التناقض لا محالة!

فالواجب - وهو المذهب الحق، مذهب أهل السُّنة والجماعة وسلف الأمة -: إثبات المحبة والخلَّة حقيقة، وأن الله نفسه ﷻ يحب عباده المؤمنين

وأصل هذا القول مأخوذ عن المشركين والصابئة، عبدة الكواكب والنجوم من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب، الذين يزعمون أن الربَّ ليس له صفة ثبوتية أصلًا! وهم ينكرون في الحقيقة أن يكون إبراهيم خليلًا وموسى كليماً!

وأخذ هذا المذهب المبتدع عن الجهمية: المعتزلة، ثم الكلابية، والأشاعرة، والماتريدية، ومن وافقهم^(١). وتأول هؤلاء محبة الله للعبد - خوفًا من تمثيل وتشبيه الخالق بالمخلوقين - بأنها^(٢): إرادة الإحسان له، ورضاه، وتيسير الخير له، وتوفيقه، ونحو ذلك من المعاني. ومحبة العبد للربَّ بأنها:

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢/٤٣٧، ٦/٦٩، ١٠/٦٦، ١٣/١٧٧)، ومنهاج السُّنة (١/٣٠٩، ٥/٣٩٢، ٣٩٩)، والنبوات (١٠١)، وجامع الرسائل لابن تيمية (٢/٣٢٧)، ومدارج السالكين (١/٩١، ٢/٢٩٢)، والصواعق المرسلة (٣/١١٥٣) [دار العاصمة، ٣ط، ١٤١٨هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/٣٩٥)، وشرح ابن عيسى على نونية ابن القيم (١/٥١) [المكتب الإسلامي ببيروت، ٣ط، ١٤٠٦هـ]، وشرح النونية لهراس (١/٢٥) [دار الكتب العلمية، ٣ط، ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر - مثلاً -: الكشف (٢/٢٥٥) [مكتبة العبيكان، ١ط، ١٤١٨هـ]، وإكمال المعلم للقاضي عياض (٧/٣٨٥) [دار الوفاء بالمنصورة، ١ط، ١٤١٩هـ]، والشفاء له (١/٢٨٥) [طبعة عيسى البابي الحلبي بمصر]، والمفهم لأبي العباس القرطبي (١/٢١٢، ٦/٥٤٣، ٦٤٣)، وتفسير الرازي (٤/١٧٤)، وتفسير البحر المحيط (١/٦٤٤، ٣/٥٢٣) [دار الكتب العلمية، ١ط، ١٤٢٢هـ]، والتحرير والتنوير (٢/٩٠، ٦/٢٣٦).

(٣) انظر - مثلاً -: الكشف للزمخشري (٢/١٥٣)، وتفسير الرازي (١١/٢٢٨)، وتفسير البحر المحيط (٣/٣٧٢)، وتفسير الخازن (١/٦٠٣) [دار الفكر ببيروت، ١٣٩٩هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٦/٣٨٩)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٥/٤١٤) [دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة]، وفيض التقدير للمناوي (١/١٠٩) [دار المعرفة ببيروت، ٢ط، ١٣٩١هـ]، والتحرير والتنوير (٥/٢١١).

محبة حقيقية، ويحب لذاته محبة حقيقية، وإثبات لوازم تلك المحبة من الجانبين - أيضًا -.

وقد سبقت الأدلة الكثيرة على إثبات المحبة والخلة لله تعالى، واتصافه بهما ﷻ، على الوجه الذي يليق بجلاله وكماله، وأنه تعالى يحب ويحب لذاته ﷻ، فلا ترد بالعقل والأقيسة والحجج الواهية الباطلة!

ثم إنه يلزم من نفي المحبة لوازم باطلة ينزه عنها الشرع؛ فأخر أمر هؤلاء النفاة المعطلة أو المؤولة: «أنه لا يبقى عندهم فرق - بالنسبة إلى الله - بين أوليائه وبين أعدائه، ولا بين الإيمان والكفر، ولا بين ما أمر به وما نهى عنه، ولا بين بيوته التي هي المساجد، وبين الحانات ومواضع الشرك! وغاية ما يثبتونه من الفرق: أن هذا علم على لذة تحصل للإنسان، وهذا علم على ألم يحصل للإنسان!»^(١).

هذا مع أن ما استندوا إليه في نفي المحبة والخلة بقولهم: «المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، ولا مناسبة بين القديم والمحدث» يجاب عنه: بأن لفظ (المناسبة) لفظ مجمل؛ فإن كان المراد بأن أحدهما أعظم من الآخر؛ فلا ينسب هذا إلى هذا؛ فهذا

معنى صحيح، ولكن «المحبة ليست مستلزمة لهذه النسبة! وإن أريد: أنه ليس في القديم معنى يحبه لأجله المحدث؛ فهذا رأس المسألة. فلم قلت: إنه ليس بين المحدث والقديم ما يحب المحدث القديم لأجله؟! ولم قلت: إن القديم ليس متصفاً بمحبة ما يحبه من مخلوقاته؟! والمحبة لا تستلزم نقصاً؛ بل هي صفة كمال؛ بل هي أصل الإرادة؛ فكل إرادة فلا بد أن تستلزم محبة؛ فإن الشيء إنما يراد لأنه محبوب أو لأنه وسيلة إلى المحبوب، ولو قدر عدم المحبة لامتنعت الإرادة؛ فإن المحبة لازمة للإرادة، فإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم، وكذلك المحبة مستلزمة للإرادة؛ فمن أحب شيئاً فلا بد أن يتضمن حبه إياه إرادة لبعض متعلقاته، ولهذا كان خلقه تعالى لمخلوقاته لحكمة، والحكمة مرادة محبوبة، فهو خلق ما خلق لمрад محبوب كما تقدم، وهو سبحانه يحب عباده المؤمنين فيريد الإحسان إليهم، وهم يحبونه فيريدون عبادته وطاعته»^(٢).

القسم الثاني: المخالفون في منزلة الخلة:

وهؤلاء طوائف وأقسام كثيرة:

١ - ذهب بعض غلاة الصوفية إلى

(٢) المرجع السابق (٥/٤٠٠)، بتصرف يسير.

(١) منهاج السنة النبوية (٥/٣٢٥).

يمتري فيه أحد^(٣).

ومن أعجب أعاجيبهم: أنهم أوردوا في كثير من تفاسيرهم المعتمدة، في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات]، عن جعفر الصادق - كذباً وافتراء - أنه قال: «أي: إن إبراهيم من شيعة علي»^(٤)! وهذا مبني على عقيدتهم السابقة في تفضيل الأئمة على الأنبياء، وفساده يغني عن إفساده!

المصادر والمراجع:

- ١ - «جامع الرسائل» (ج ٢)، لابن تيمية.
- ٢ - «الداء والدواء»، لابن القيم.
- ٣ - «روضة المحبين»، لابن القيم.
- ٤ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ٢)، لابن أبي العز.
- ٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.

وعيون أخبار الرضا لابن بابويه القمي (١/٢٦٢) [طبعة إيران، ١٣١٨هـ]، والحكومة الإسلامية للخميني (٥٢) [نشر الحركة الإسلامية بإيران، ومطبعة الخليج بالكويت]. وانظر: أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٦١٣).

(٣) راجع: الشفا للقاضي عياض (١٠٧٨/٢)، ورسالة في الرد على الرافضة لمحمد بن عبد الوهاب (٢٩) [مطابع الصفا بمكة، ١٤٠٢هـ].

(٤) راجع: البرهان في تفسير القرآن للبحراني (٤/٢٠) [طبعة طهران، ٢٢هـ]، وتفسير القمي (٢/٣٢٣) [بتصحيح وتعليق: طيب الموسوي الجزائري، ٢هـ، ١٣٨٧هـ]، وبحار الأنوار للمجلسي (١٢/٦٨) [دار إحياء التراث، ط ٣]، بواسطة: أصول مذهب الشيعة للقفاري (١/٣٤).

تقديم بعض أوليائهم في المنزلة على منزلة الخليلين - عليهما الصلاة والسلام -، اللذين اصطفاهما الله تعالى وخصهما بالخلّة من دون العالمين؛ فكانا أفضل الخلق على الإطلاق! فذهب هؤلاء إلى تقسيم مقامات الأولياء إلى أربعة مقامات: فمنهم من يقوم مقام خلافة النبوة (وهم العلماء)، ومنهم من يقوم مقام خلافة الرسالة (وهم الأبدال)، ومنهم من يقوم مقام خلافة أولي العزم (وهم الأوتاد)، ومنهم من يقوم مقام خلافة أولي الاصطفاء (وهم الأقطاب)^(١)! فمقام بعض الأولياء عند هؤلاء الغلاة يكون فوق مقام الخليلين - عليهما الصلاة والسلام -، فضلاً عن باقي أولي العزم من الرسل، فضلاً عن مقام النبوة والرسالة! فالله المستعان، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

٢ - وقد تجرأ غلاة الشيعة أيضاً على نظير هذا؛ فنص بعض علمائهم على أن أئمتهم أفضل وأعلم من جميع الأنبياء والمرسلين، بما فيهم أولو العزم من الرسل^(٢)! وهذا كفر بالإجماع، لا

(١) انظر: جامع الأصول في الأولياء للكمشخاوي (٥) [المطبعة الوهيبية بطرابلس، ١٣٩٨هـ]، والفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسيني (٢٦٤) [عالم الفكر بالقاهرة، ١٩٨٣م].

(٢) انظر: بصائر الدرجات الكبرى للصفا (٥/٢٤٧) [طبعة إيران، ١٣٨٥هـ]، الفصول المهمة في أصول الأئمة للحر العاملي (١٥١) [مكتبة بصيرتي بقم]،

«وَالْخَلْقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: ابْتِدَاءُ الشَّيْءِ عَلَى مِثَالٍ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهِ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ: الْخَلْقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى ضَرِيَيْنِ، أَحَدُهُمَا: الْإِنْشَاءُ عَلَى مِثَالٍ أْبَدَعَهُ، وَالْآخَرُ: التَّقْدِيرُ»^(٣).

فالخلق في اللغة يطلق على المصدر بمعنى: التقدير، والإنشاء، والإيجاد، والإبداع، وقد يراد به المخلوق.

❁ التعريف شرعاً:

الخلق: وصف لله ذاتي فعلي و«هو إبداع الكائنات من العدم»^(٤).

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الخلق في اللغة يأتي بمعنى الإيجاد والإبداع تارة، ويأتي بمعنى التقدير تارة أخرى، والمعنى الشرعي موافق لهذا غير أن الشارع قيده فجعل الإيجاد خاصاً بالله تعالى؛ لأنه لا يمكن للخلق جميعاً أن يوجدوا مخلوقاً مهماً كان ضعيفاً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، قال الله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، وقال سبحانه: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّكَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا

٦ - «فتح الباري» (ج ٢)، لابن رجب.

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٠)، لابن تيمية.

٨ - «مدارج السالكين» (ج ٣)، لابن القيم.

٩ - «مفتاح دار السعادة» (ج ٢)، لابن تيمية.

١٠ - «منهاج السنّة النبوية» (ج ٥)، لابن تيمية.

❁ الخلق

❁ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الخاء واللام والقفاف أصلان: أحدهما: تقدير الشيء، والآخر: مَلَأَ الشيء».

فَأَمَّا الْأَوَّلُ: فقولهم: خَلَقْتُ الْأَدِيمَ لِلسَّاءِ، إِذَا قَدَّرْتَهُ وَقَالَ زهير:

وَلَأَنْتَ تَقْرِي^(١) مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ

خُضُّ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي

والخلق: خلق الكذب وهو اختلاقه

واختراعه وتقديره في النفس ﴿وَتَخْلُقُونَ

إِنْفَكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]. وَأَمَّا الْأَصْلُ

الثاني: فصخرة خَلَقَاءُ؛ أي: مَلْسَاءُ^(٢).

(١) يقول الأزهري في تفسير هذا البيت: «يمدح رجلاً

فيقول له: أنت إذا قدرت أمراً قطعته وأمضيته، وغيرك

يقدر ما لا يقطعه؛ لأنه غير ماضي العزم، وأنت مضاء

على ما عزمته عليه». تهذيب اللغة (١٦/٧) [دار

إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م].

(٢) مقاييس اللغة (٢/٢١٣ - ٢١٤) [دار الجيل، ط ٢].

(٣) تهذيب اللغة (١٦/٧) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١ م]، وينظر: الصحاح (٣١٤) [دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٢٦ هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٦/٣٥٧) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤ هـ].

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال الله سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: ٢٤]، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَخْلُقُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

ومن السُّنَّة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: قال الله ﷻ ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة أو شعيرة»^(٣).

وقوله ﷻ: «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه - وهو يكتب على نفسه، وهو وضع عنده على العرش - إن رحمتي تغلب غضبي»^(٤).

✽ أقوال أهل العلم:

من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة الإيمان بأن الله خالق الموجودات، وأنه متصف بصفات الكمال المطلق أزلاً وأبداً، ومنها اتصافه بصفة الخلق؛ لأنه تعالى فعال لما يريد فالخلق صفة والمخلوق مفعوله فهو سبحانه يتصف بفعله وخلق لا بمفعولاته ومخلوقاته.

قال البخاري: «وقال أهل العلم: التخليق فعل الله وأفاعيلنا مخلوقة؛ لقوله

لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّكْبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٢﴾ [الحج] وأما التقدير فيوصف به المخلوق كما في قوله تعالى: ﴿قَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون]؛ أي: أحسن المقدرين^(١). وقوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُونَ إِنْكَارًا﴾ [العنكبوت: ١٧].

كما أن الخلق يطلق لغة وشرعاً بمعنى المخلوق.

✽ الأسماء الأخرى:

الفطر، والإيجاد.

✽ الحكم:

الخلق: صفة لله ذاتية فعلية فيجب الإيمان بها لدلالة نصوص الكتاب والسُّنَّة عليها.

✽ الحقيقة:

إن صفة الخلق تتضمن إبداع الكائنات وإخراجها من العدم إلى الوجود، واختراعها، وأن ذلك إليه وحده سبحانه بلا شريك ولا معين. كما يتضمن الخلق معنى التقدير^(٢).

✽ الأدلة:

دلَّت النصوص على إثبات صفة الخلق لله سبحانه؛ منها: قول الله تعالى:

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٥٩)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١١).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٤)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥١).

(١) انظر: تفسير الآية في أضواء البيان (٥/٣٢٥)، و/٦ (٨) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/٣٥٧)، وبغية المرتاد لابن تيمية (٢٤٠)، وبدايع الفوائد (٤/٩٤٣).

فمن الكتاب: قول الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: ٢٤].

ومن السُّنَّة: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أنه قال: «غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله لو سَعَرْتُ فقال: إن الله هو الخالق القابض الباسط الرزاق المسعر، وإنني لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال»^(٥).

- المسألة الثانية: من أسماء الله الحسنى (الخالق):

فهو اسم من أسماء الله الثابتة له تبارك وتعالى في كتابه العزيز، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦]. والخالق صيغة مبالغة في الخلق^(٦).

- المسألة الثالثة: اختلف العلماء في عدَّ ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٧) وغيره من الأسماء المضافة وأسماء أفعال التفضيل اسماً لله تعالى على قولين:

فذهب جمع من أهل العلم إلى اعتبار

تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٨) ألا يعلم من خلق [الملك]؛ يعني: السر والجهر من القول، ففعل الله، صفة الله، والمفعول غيره من الخلق^(٩).

وقال ابن منده: «ولم يزل موصوفاً بالخالق البارئ المصور قبل الخلق، بمعنى: أنه يخلق ويصور»^(١٠).

وقال ابن تيمية: «ومذهب الجمهور أن الخلق غير المخلوق، فالخلق فعل الله القائم به، والمخلوق هو المخلوقات المنفصلة عنه»^(١١).

وقال أيضاً: «فإنه لا يتصف بمخلوقاته ومفعولاته وإنما يتصف بخلقه وفعله كما يتصف بسائر ما يقوم بذاته»^(١٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: من أسماء الله الحسنى (الخالق):

فهو اسم من أسماء الله الحسنى دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة.

(١) خلق أفعال العباد للبخاري (٢/٢٩٩ - ٣٠) [دار أطلس الخضراء، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٢) التوحيد لابن منده (٢/٧٦) [مطابع الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٠٩هـ]. وانظر: قطف الجنى الداني شرح رسالة أبي زيد القيرواني ضمن كتب ورسائل عبد المحسن العباد (٤/٩٣) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/٤٣٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤٢٥هـ].

(٤) المصدر السابق (٢/١١٨ - ١١٩).

(٥) أخرجه بهذا اللفظ: أحمد (٢٠/٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب البيوع، رقم ٢٥٨٧)، وابن حبان (كتاب البيوع، رقم ٤٩٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٨٤٦).

وأصل الحديث عند أبي داود (كتاب البيوع، رقم ٣٤٥١) وغيره، دون ذكر لفظة: (الخالق) في متنه.

(٦) انظر: تعليق الشيخ علي فقيهي على كتاب التوحيد لابن منده (٢/١١٦) [مطابع الجامعة الإسلامية، ط١].

وأغلب من عدَّ أسماء الله تعالى لم يذكر هذه الأسماء ضمن أسماء الله تعالى بل عدَّوها صفات لله تعالى، فقالوا: أحسن الخالقين صفة وليس اسمًا^(٥).

وقد استدل من أثبت هذا الاسم بوروده في الكتاب والسنة؛ قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿أَنذَعُونَ بَعْلًا وَنَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [الصافات].

ومن السنة: حديث علي عليه السلام؛ أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة كبر وإذا سجد قال: «اللَّهُمَّ لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه، وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين»^(٦).

وجاء اسم ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ مدعواً به فيما أخرجه اللالكائي بإسناده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «إذا مكثت النطفة في رحم المرأة أربعين ليلة جاءها الملك فاختلجها، ثم عرج بها إلى الرحمن تبارك وتعالى، فيقول: اخلقها يا أحسن الخالقين»^(٧).

(١٦/٤٤٩)، ومختصر الفتاوى المصرية (١/٩٥)

[دار ابن القيم، ١٤٠٦هـ]، والنبوات له (٢٤١) [المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ].

(٥) انظر: أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة (٦١) [مكتبة سلسيل، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٦) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧١).

(٧) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/٦٧٥) =

الأسماء المضافة وأسماء أفعال التفضيل وعدّها من ضمن الأسماء الحسنى^(١)، وممن عدّه ابن الوزير^(٢)، قال شيخ الإسلام: «ترتيب أسماء الله ﷻ الظاهرة نحو مائة وخمسين موجودة في كتاب الله: مفردة، ومفرقة، ومضافة، ومشبهة بالمضافة»^(٣)، وقال: «ومن أسمائه التي ليست في التسعة والتسعين: اسمه السبوح وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة، وثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين»^(٤).

(١) انظر ترجيح هذا القول في: مجموع الفتاوى (٢٢/٤٨٥)، والمواقف (٣/٣١٣) [دار الجيل، ط١، ١٩٩٧م]، والقواعد المثلى (١٦) [دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٦هـ]، والمنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٦٦ - ٦٧) [مكتبة العواصم، ط١٠، ١٤٢٢هـ].

(٢) إيثار الحق على الخلق (١٥٩) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٧م]، وأثبتته من المعاصرين الشيخ عبد الرحمن البراك فقال في شرح الواسطية (٨١) [شرح صوتي مفرغ ولم يطبع] فقال: «لكن يمكن أن يقال: إن من أسمائه أنه تعالى أحسن الخالقين، وأنه خير الراحمين... فهل يقال لأحد: إنه أرحم الراحمين، إلا هو، وهل يقال لأحد: إنه خير الرازمين إلا الله، فهذا كله ألفاظ تختص بالرب ﷻ فيمكن أن يدعى بها تقول: يا خير الراحمين، يا خير الرازمين».

(٣) المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية (١/٣٤) [ط١، ١٤١٨هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٢/٤٩١ - ٤٩٣)، وانظر منه:

- المسألة الرابعة: الخلق غير المخلوق:

قال ابن تيمية رحمته الله: «ومذهب الجمهور أن الخلق غير المخلوق فالخلق فعل الله القائم به، والمخلوق هو المخلوقات المنفصلة عنه»^(١).

وقال أيضًا: «والذي عليه جماهير المسلمين من السلف والخلف أن الخلق غير المخلوق؛ فالخلق فعل الخالق، والمخلوق مفعوله؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيز بأفعال الرب وصفاته كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»^(٢)، فاستعاذ بمعافاته كما استعاذ برضاه»^(٣).

وقال أيضًا: «والله تعالى لا يوصف بشيء من مخلوقاته؛ بل صفاته قائمة بذاته، وهذا مطرد على أصول السلف وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم ويقولون: إن خلق الله للسموات والأرض ليس هو نفس السموات والأرض؛ بل الخلق غير المخلوق لا سيما مذهب السلف والأئمة وأهل السنة الذين وافقوهم على إثبات

صفات الله وأفعاله»^(٤).

وقال أيضًا: «فإنه لا يتصف بمخلوقاته ومفعولاته وإنما يتصف بخلقه وفعله كما يتصف بسائر ما يقوم بذاته»^(٥).

- المسألة الخامسة: إطلاق الخلق على غير الله:

ورد في «صحيح البخاري»: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة»^(٦) الحديث.

وقد ذكر بعض أهل العلم جواز إطلاق الخلق على غير الله تعالى، ولكن معناه مما يناسب المخلوق، والله تعالى ما يختص به من الأسماء والصفات ومعانيها^(٧).

الفرق:

الفرق بين الفطر والفعل:

«الفطر إظهار الحادث بإخراجه من العدم إلى الوجود كأنه شق عنه فظهر، وأصل الباب الشق ومع الشق الظهور ومن ثم قيل: تفطر الشجر إذا تشقق بالورق، وفطرت الإناء: شققته، وفطر الله الخلق أظهرهم بإيجاده إياهم كما يظهر الورق إذا تفطر عنه الشجر، ففي الفطر معنى ليس في الفعل وهو الإظهار

= رقم (١٢٣٦) [دار طيبة، ط ٢، ١٤١١هـ].

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٤٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/٢٢٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٨/١٢٦) ..

(٥) المصدر السابق (٢/١١٨ - ١١٩).

(٦) تقدم تخريجه في الأدلة.

(٧) انظر: القول المفيد لابن عثيمين (٢/٣٢٤).

دونما سواه؛ لما له من صفات الكمال والجلال، وأفعال الحمد والإحكام.

٥ - الرُّدُّ على الشبه التي يوردها المبطلون على توحيد الربوبية والألوهية؛ بأننا وهذه المخلوقات التي نشاهدها موجودون على غاية الإتقان في الإيجاد والتصوير، وهذا مستلزم أن يُوَحَّد فاطرها في العبادة.

❁ الآثار:

١ - أن العبد حينما يعتقد أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض، وما اشتملتا عليه من المخلوقات، يستشعر كمال قدرته، وسعة ملكه، وعموم رحمته، وبديع حكمته، وإحاطة علمه، فيزداد لربِّه محبة وتوكلًا عليه وطلبًا لهدايته، ويرأى من كل ما يعبد من دون الله كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ (٢١) [الزخرف].

٢ - وكذلك يُسلم وجهه لربِّه فيخلص عمله له، كما قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٩) [الأنعام]. وكما في دعاء الاستفتاح في الصلاة، ويحمد الله تعالى كما حمد سبحانه نفسه فله الحمد فاطر السماوات والأرض.

بالإخراج إلى الوجود قبل ما لا يستعمل فيه الظهور ولا يستعمل فيه الوجود^(١).

الفرق بين الخالق وبين الفاطر والرب:

«الخلق عبارة عن التقدير، وهو في حق الله تعالى عبارة عن علمه النافذ في جميع الكليات والجزئيات، وأما كونه فاطرًا فهو عبارة عن الإيجاد والإبداع، فكونه تعالى خالقًا إشارة إلى صفة العلم، وكونه فاطرًا إشارة إلى صفة القدرة، وكونه تعالى ربًّا ومرتبًّا على الأمرين فكان ذلك أكمل^(٢)».

❁ الثمرات:

١ - تعميق الإيمان بتوحيد الربوبية، بأن الله تعالى خالق كل شيء، ومالكه، ومدير أموره، وأن إيجاده للمخلوقات على أبداع ما يكون وأحكم وأتقن.

٢ - الإيمان بالمعاد؛ بأن الذي فطر ابتداء قادر على البعث والإعادة.

٣ - التفكير في خلق الله تعالى المحكم، وصنعه المتقن، بما يجعل العبد معظَّمًا لربِّه، معلق القلب به.

٤ - تحقيق توحيد الألوهية الدال عليه فطر الله تعالى للسماوات والأرض وسائر المخلوقات؛ فهو المستحق للعبادة وحده

(١) الفروق اللغوية للعسكري (٤٠٧) [مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١].

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٧/٨) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ].

أن الخلق هو المخلوق، وبعضهم يرى أنه معنى آخر غير المخلوق كالإرادة مثلاً، وليس الخلق - بزعمهم - صفة قائمة بذات الرب، يقول الجويني: «ولا ترجع من الخلق صفة متحققة إلى الذات، فلا يدل الخالق إلا على إثبات الخلق، ولذلك قال أئمتنا: لا يتصف الباري تعالى في أزله بكونه خالقاً، إذ لا خلق في الأزل، ولو وصف بذلك على معنى أنه قادر كان تجوُّزاً»^(١).

والماتريدية يجعلون الخلق من متعلقات التكوين، وليس صفة حقيقية تعود على الذات بمعنى^(٢). أما المعتزلة فمذهبهم نفي الصفات ومنها الخلق، واختلفوا في معنى الخلق، هل هو المخلوق أم إرادة الشيء، على قولين^(٣). وقد ذكر شيخ الإسلام والإمام ابن القيم شبهة المتكلمين في ذلك، وردُّوا عليهم^(٤).

وقد بين ابن تيمية المذهب الصحيح بقوله: «وأما جمهور الفقهاء، وأهل الحديث، والصوفية، وطوائف من أهل

(١) الإرشاد (١٤٣)، وانظر: الأسماء والصفات (١٣٨) [دار الكتب العلمية].

(٢) انظر: شرح الفقه الأكبر (٣٥) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ].

(٣) مقالات الإسلاميين (٥١/٢ - ٥٢) [مكتبة النهضة المصرية، ٢، ١٣٨٩هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥٢٨/٥ - ٥٣٦)، ومجموعة الرسائل (٣٢٢/٥) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ]، وشفاء العليل (١٥٣) [مكتبة الرياض الحديثة، ط ١].

كما أنه لا يشك ولا يرتاب في ربه كفعل المشركين الذين جادلوا رسلهم؛ بل هو على يقين بربوبيته وألوهيته.

٣ - وعلى العبد ألا يتخذ ولياً من دون الله الذي فطره والذي يطعمه ويسقيه، وهو منزّه عن الطعام والشراب؛ بل يتخذهُ ولياً فهو نعم المولى والولي ونعم النصير؛ كدأب الرسل ﷺ، كما قال يوسف ﷺ: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠١].

٤ - الاقتداء برسول الله في توسله بفاطر السماوات والأرض، فيتوسل به لأن يهديه الله لما اختلف فيه من الحق بإذنه؛ فإن الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ويتوسل به بأن يعينه من شُور نفسه من رياء وشرك وحقد وحسد وغيرها من الشرور، ومن شر الشيطان وشركه.

٥ - الموافقة الظاهرة لكل عاقل بين ما أنزله الله تعالى وشرعه على السنة رسله عليهم الصلاة والسلام والفطرة التي يجدها كل إنسان في نفسه مما فيه أبين الدلالة على صدق ما جاء به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

مذهب المخالفين:

١ - يرى كثير من طوائف المتكلمين

مشترك، فيقال: خلق لإفادة وجود كيف كان، ويقال: خلق لإفادة وجود حاصل عن مادة وصورة كيف كان، ويقال: خلق لهذا المعنى الثاني، بعد أن يكون لم يتقدمه وجود بالقوة؛ كتلازم المادة والصورة في الوجود»^(٤).

وبتأمل معاني الخلق التي ذكرها ابن سينا، والغزالي على أنها حد للخلق عند الفلاسفة، نجد أنها مبهمة، ليس فيها توضيح لمعنى الخلق؛ بل فيها أن الخلق؛ يعني: إفادة الوجود، دون سبق بالعدم، أو ذكر للخالق، وهذا ظاهر البطلان. فهم يريدون بخلق الملائكة وهي التي يسمونها العقول والنفوس، أنها صادرة عن الله ومعلولة له، والمعلول ملازم للعلة غير متأخر عنها، فهي ليست مخلوقة ومسبوبة بالعدم، وهذا مناقض لما ورد عن خلق الملائكة في الكتاب والسنة.

ومن وجوه الرد على الفلاسفة في تحريفهم لمعنى لفظ الخلق ما يلي:

أولاً: أن القرآن والتوراة قد نصّا أنه ﷻ خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وتواترت بذلك الأحاديث، ثم اتفق عليه أهل الملل، فكيف يجوز أن

الكلام، فيقولون: إن الفعل نفسه والخلق من صفاته، ولكن المخلوق ليس من صفاته»^(١).

وفي التفريق بين الخلق والمخلوق يقول البخاري: «باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرهما من الخلائق، وهو فعل الرب تبارك وتعالى وأمره، فالرب بصفاته وفعله وأمره وهو الخالق المكون غير مخلوق، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكن»^(٢).

وقال ابن تيمية: «لفظ الخلق المراد به الفعل الذي يسمى المصدر، كما يقال: خلق يخلق خلقاً؛ كقوله ﷻ: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَحِدَةً﴾ [لقمان: ٢٨]، وقوله: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: ٦]، وقوله: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١] وليس الكلام في لفظ خلق المراد به المخلوق ومنه قوله: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ١١]»^(٣).

وأما قول الفلاسفة في الخلق فيقول ابن سينا: «حد الخلق: هو اسم

(١) بيان تلبيس الجهمية (٥٤٦/١) [مؤسسة قرطبة]، وانظر: الاستقامة (١٨٣/١) [مكتبة ابن تيمية].

(٢) فتح الباري (٤٤٧/١٣) [دار الفكر]، وانظر: خلق أفعال العباد (١٨٨) [الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٥٤٦/١).

(٤) الحدود لابن سينا ضمن كتاب المصطلح الفلسفي عند العرب (٢٦٢) [المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢، ١٩٩٧م]، وانظر: معيار العلم (٢٨٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ].

فاطر السماء والأرض، لذلك قالت الرسل لأقوامها: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؟﴾ [إبراهيم: ١٠] إلا أن الجهمية ومن سار على نهجهم من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية - متأثرين بالفلاسفة - خالفوا ذلك، ووضعوا أصولاً وسننوا قوانين لإثبات وجود الخالق مثل دليل حدوث الأجسام والأعراض وغيرها^(٣). وجعلوا النظر في ذلك أوجب الواجبات وأولها، ويكفي لبطلانها أنها أصول وقواعد جرّتهم إلى نفي صفات الله تعالى، ولوازم فاسدة، ومخالفة لطريق الرسل وسلف الأمة، فصعّبوا ما هو سهل ومعروف لدى العام والخاص؛ إذ إن «وجوده سبحانه وربوبيته وقدرته أظهر من كل شيء على الإطلاق، فهو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار، وأبين للعقول من كل ما تعقله وتقر بوجوده، فما ينكره إلا مكابر بلسانه وقلبه وعقله وفطرته وكلها تكذبه»^(٤).

ويقول ابن القيم رحمه الله: «فأما الاستدلال بالصنعة فكثير، وأما الاستدلال بالصانع فله شأن وهو الذي أشارت إليه الرسل بقولهم لأممهم: ﴿أَفِي

يفسر بالاختراع اللازم لذاته من غير سبق مادة؟ كما ذكره في المعنى الثالث^(١).

ثانياً: أن لفظ الخلق المذكور في القرآن، يتضمن معنيين، كلاهما يناقض قولهم، يتضمن الإبداع والإنشاء المعروف، ويتضمن التقدير، وعندهم العقول والنفوس ليس لها مقدار، ولا هي أيضاً مبدعة الإبداع المعروف، والسموات ليست مبدعة الإبداع المعروف، وقد قال ﷻ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان]^(٢).

ثالثاً: أن المعنى الثاني وهو قولهم: «يقال: خلق لإفادة وجود حاصل عن مادة وصورة كيف كان»؛ يشير إلى قولهم بقدّم المادة وهو قول باطل، وينفي صفة الخلق عن الله، وهذا تضليل بين، وتحريف ظاهر، يريدون به ستر قولهم بأن العالم قديم؛ يعني: غير مخلوق الخلق المعروف.

٢ - أن معرفة الله ﷻ من الأمور التي فطر الله ﷻ الناس عليها، فمعرفة سبحانه مركوزة في النفس الإنسانية، منذ أخذ الله الميثاق والعهد على بني آدم لما أخرجهم من ظهر أبيهم آدم ﷺ، ووجوده سبحانه لا يحتاج إلى دليل، فهو أظهر من الشمس في رابعة النهار، فهو

(١) انظر: بغية المرئاد (٢٣٩).

(٢) انظر: بغية المرئاد (٢٤٠ - ٢٤١)، والصفدية (١/ ٢٤٠).

(٣) انظر أقوالهم والرد عليها في: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في نفي صفات الله ﷻ والرد عليها من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية (ج ١ و ٢ و ٣) لعبد القادر عطا صوفي [أضواء السلف، ط ٢، ١٤٢٦هـ].

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٢١٢)، وانظر: شفاء العليل (٢٥٣) [دار الفكر].

- الله شَكُّ؟ [إبراهيم: ١٠]. حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى ثم نبهوا على الدليل بقولهم: فاطر السماوات والأرض. وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء؟! وكان كثيرًا ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر

للعقول والفطر من وجود النهار ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمها^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «مجموع الفتاوى» (ج ٢، ٦، ٨، ١٢)، لابن تيمية.

٢ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج ١)، لمحمد النجدي.

٣ - «صفات الله وَجَلَّ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.

٤ - «معتمد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة بن علي التميمي.

(١) مدارج السالكين (٦٠/١).

- ٥ - «المنهاج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج ١)، لمحمد زين.
- ٦ - «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية»، لآمال العمرو [رسالة دكتوراه].
- ٧ - «خلق أفعال العباد»، للبخاري.
- ٨ - «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٩ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السنة الأصبهاني.
- ١٠ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

خلق القرآن

يراجع مصطلح (القرآن).

الخلافة (من أسماء الله)

يراجع مصطلح (الخلافة الراشدة).

خليفة الله

يراجع مصطلح (الخلافة الراشدة).

الخليل

التعريف لغة:

الْخَلِيل: الصَّدِيق، وَيُقَالُ لِلْأَنْثَى: خَلِيلَةً، مُشْتَقٌّ مِنْ (الْخُلَّة)؛ وَهِيَ الْخَلِيلَةُ وَالصَّدَاقَةُ الْمُخْتَصَّةُ لَا خَلَلَ

إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ [النساء] أي:
واتخذ الله إبراهيم محبًا له خالص
الحب، ومحبوبًا له ﷺ، محبة لا نقص
فيها ولا خلل.

ولم يصل إلى هذا المنصب أحد من
العالمين على الكمال إلا: خليل الله
إبراهيم أبا الأنبياء، وخاتم النبيين محمدًا
صلى الله عليهما وسلم (وهو ﷺ)
الأفضل مقامًا؛ فهو منصب خالص لهما
خاص بهما، لا يناله أحد بكسب أو
اجتهاد^(٣).

سبب التسمية:

الخليل (فعل) يأتي بمعنى (الفاعل)؛

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١١٢/٢) [عالم
الكتب، ببيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ]، والزاهر في
معاني كلام الناس (٤٩٣/١) [مؤسسة الرسالة،
ط ١، ١٤١٢هـ]، والتفسير البسيط للواحدي (٧/
١١٤) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ١،
١٤٣٠هـ]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢/
٧٢) [طبعة عيسى البابي الحلبي]، ومنهاج السنة
النبوية (٣٥١/٥) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ]،
ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤١/٨)، ٦٧/١٠،
٢٠٣، ومدارج السالكين (٣٠/٣) [دار الكتاب
العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ]، وروضة المحبين (٤٧،
٤٩) [دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ]، والداء والدواء
(٤٤٤) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ]، ومفتاح
دار السعادة (٣٨٣/٢) [دار ابن عفان، ط ١،
١٤١٦هـ]، والبداية والنهاية (١٩٥/١) [دار إحياء
التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ]، وشرح العقيدة
الطحاوية لابن أبي العز (١٦٤/١)، ٣٩٦/٢
[مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤١٧هـ]، وفتح الباري
لابن رجب (٥٥٢/٢) [دار ابن الجوزي بالدمام،
ط ٢، ١٤٢٢هـ].

فيها، والجمع: خلال، يُقال: فلان
كريم الخِلِّ والخُلَّة؛ أي: كريم الإخاء
والمُصادقة، والخَلالة والخَلالة
والخُلالة: الصداقة والمودة. والخُلَّة
أيضا تُطلق على: الصديق والخليل للذكر
والأنثى، والواحد والجميع.

والخليل أيضا: الفقير المُحتَلَّ
الحال، مُشتَقٌّ من (الخَلَّة) - بالفتح -
بمعنى: الحاجة والفقر، يُقال: ما أخلك
إلى هذا؟ يعني: ما أحوجك إليه^(١).

التعريف شرعًا:

الخليل: هو المحب الكامل المحبة
والعبودية لله تعالى الذي تخللت محبته
لخليله ﷺ جميع أجزاء روحه وقلبه؛
فلم يكن فيه مسلك لغيره، والمحبوب
الموفي حقيقة المحبة من قبل الله تعالى،
للذان ليس في حبهما نقص ولا خلل.

فخليل الله: هو المحب لله محبة تامة
كاملة، المحبوب له ﷺ محبة تامة
كاملة؛ «لما قام له من الطاعة التي يحبها
ويرضاها»^(٢)؛ فهو محب ومحبوب؛
فيقال: الله ﷻ خليل إبراهيم، وإبراهيم
خليل الله تعالى.

فمعنى قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ

(١) انظر: الصحاح (١٦٨٧/٤) [دار العلم للملايين،
ط ٤، ١٩٩٠م]، وتهذيب اللغة (٥٦٧/٦) [الدار
المصرية للتأليف والترجمة]، والقاموس المحيط
(١٢٨٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٦هـ].

(٢) تفسير ابن كثير (٤٢٣/٢) [دار طيبة، ط ٢].

كعليم بمعنى عالم، وبمعنى (المفعول)؛ كحبيب بمعنى محبوب، فهو محب لله، محبوب له ﷺ.

ذلك»^(٢)، والمراد: «إني أبرأ من الاعتماد والافتقار إلى أحد غير الله تعالى»^(٣).

والخليل مشتق من (الخلة)، وهي أعلى درجات ومقامات المحبة.

وسمي الخليل بهذا؛ لأن محبته لمحبته تخللت جميع أجزاء روحه وقلبه؛ فصارت خلالة؛ أي: في باطنه، فلم تدع فيه خللاً إلا ملأته؛ بحيث لم يبق فيها موضع خال من حبه، فضلاً عن أن يكون محلاً لمحبة غيره، فضلاً عن أن يكون له فيها منازع!^(١)

هذا من حيث إضافة الخلة إلى المخلوق. أما معنى الخلة في حق الله تعالى؛ فهي صفة فعلية اختيارية لله (متعلقة بمشيئته وقدرته ﷻ) خبرية (سمعية، نقلية) ثابتة بالكتاب والسنة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى وعظمته وكماله، من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تكيف ولا تعطيل.

وقيل: بل هو مشتق من الخلة - بالفتح - بمعنى: الفقر والحاجة؛ فالمعنى: أن الخليل مفتقر ومحتاج إلى الله تعالى، أو: «لم يجعل فقره وفاقته إلا إلى الله ﷻ، مخلصاً في

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١١٢/٢). وانظر:

الشفاء للقاضي عياض (٢٨٢/١) [طبعة عيسى البابي الحلبي]، وتفسير البغوي (٢٩٢/٢) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ]، وزاد المسير (٢١١/٢) [المكتب الإسلامي ببغروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ]، وتفسير القرطبي (٤٠٠/٥).

(٣) النهاية لابن الأثير (٧٢/٢).

(٤) منهج السنة النبوية (٣٥١/٥) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ١، ١٤٠٦هـ]، بتصرف يسير.

(٥) مدارج السالكين لابن القيم (٢٧/٣) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ]، وانظر منه: (٩٢/١).

(٦) انظر: التفسير البسيط للواحدي (١١٥/٧)، وتفسير البغوي (٢٩٢/٢).

(١) انظر: المراجع السابقة، تفسير القرطبي (٤٠٠/٥) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٦٤/٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ].

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] : «إنما سمي خليل الله؛ لشدة محبة ربه ﷻ له؛ لما قام له من الطاعة التي يحبها ويرضاها»^(٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «معاني القرآن وإعرابه» (ج ٢)، للزجاج.
- ٢ - «الزاهر في معاني كلام الناس» (ج ١)، لابن الأنباري.
- ٣ - «التفسير البسيط» (ج ٧)، للواحدي.
- ٤ - «النهاية في غريب الحديث والأثر» (ج ٢)، لابن الأثير.
- ٥ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٠)، لابن تيمية.
- ٦ - «منهاج السنة النبوية» (ج ٥)، لابن تيمية.
- ٧ - «جامع الرسائل» (ج ٢)، لابن تيمية.
- ٨ - «مدارج السالكين» (ج ٣)، لابن القيم.
- ٩ - «روضة المحبين»، لابن القيم.
- ١٠ - «الداء والدواء»، لابن القيم.

وفي اشتقاقه ومعناه أقوال أخرى ضعيفة^(١)، والصحيح ما ذكرناه أولاً. والله أعلم.

أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي: «ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، وكلّم الله موسى تكليمًا؛ إيمانًا وتصديقًا وتسليمًا»^(٢).

وقال أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي: «ونعتقد أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلًا، واتخذ نبيًا محمدًا ﷺ خليلًا وحبیبًا، والخلة لهما منه على خلاف ما قاله المعتزلة: إن الخلة: الفقر والحاجة. والخلة والمحبة صفتان لله، هو موصوف بهما، ولا تدخل أوصافه تحت التكيف والتشبيه، وصفات الخلق من المحبة والخلة جائز عليها الكيف، فأما صفاته تعالى فمعلومة في العلم وموجودة في التعريف، قد انتفى عنهما التشبيه؛ فالإيمان به واجب، واسم الكيفية عن ذلك ساقط»^(٣).

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (٢/ ١٤٨٠) [طبعة مجموعة بحوث الكتاب والسنة، جامعة الشارقة، ١، ١٤٢٩هـ]، وتفسير البغوي (٢/ ٢٩٢)، وزاد المسير (٢/ ٢١١)، وتفسير القرطبي (٥/ ٤٠٠).

(٢) العقيدة الطحاوية (٢/ ٣٩٤)، مع شرح ابن أبي العز الحنفي [مؤسسة الرسالة بيروت، ط ٩، ١٤١٧هـ].

(٣) نقله عن كتابه اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات: شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٨٠)، وانظر منه: (٥/ ٧١، ٧٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٢٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

تضمن المعنى الشرعي للخوف معنى
الخوف في اللغة وهو الذعر والفرع كما
هو ظاهر.

الأسماء الأخرى:

للخوف أسماء مقاربة مثل: الوجل،
والخشية، والرهبه، وهي ألفاظ متقاربة
غير مترادفة^(٥).

الحكم:

الخوف من الله ﷻ: واجب من
الواجبات، وهو من لوازم الإيمان فلا
يتخلف عنه، وهو أحد أركان الإيمان
والإحسان الثلاثة التي عليها مدار
مقامات السالكين جميعها، وهي:
الخوف والرجاء والمحبة.

وقد أمر الله سبحانه بالخوف منه في
قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُواْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾
[آل عمران]، فجعل الخوف منه
شرطاً في تحقيق الإيمان، والمعنى: إن
كنتم مؤمنين فخافوني^(٦).

وفي هذه الآية نهى الله ﷻ عن
الخوف من غيره مع الأمر بالخوف منه
سبحانه، فالمؤمن لا يجوز له أن يخاف
أولياء الشيطان، ولا يخاف الناس، كما

(٥) انظر: مدارج السالكين (١/٦٥٧).

(٦) انظر: طريق الهجرتين (٢/٦١٣ - ٦١٥) [دار عالم
الفوائد، ١، ١٤٢٩هـ].

الخوف

التعريف لغة:

الخوف هو: الذعر والفرع. قال ابن
فارس: «الخاء والواو والفاء أصل واحد
يدل على الذعر والفرع. يقال: خفت
الشيء خوفاً وخيفة. والياء مبدلة من واو
لمكان الكسرة. ويقال: خاؤني فلان
فخفته؛ أي: كنت أشد خوفاً منه»^(١).

التعريف شرعاً:

عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب
توقع مكروه في الاستقبال^(٢). وقيل:
اضطراب القلب وحركته من تذكر
المخوف^(٣).

والخوف من الله ﷻ: فرع القلب
من الله تعالى ومن عقابه وهروبه إليه
سبحانه بابتغاء مرضاته^(٤).

(١) مقاييس اللغة (٢/٢٣٠) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ]،
وانظر: تهذيب اللغة (٧/٥٩٢) [الدار المصرية
للتأليف والترجمة، ١، ١٣٨٤هـ]، والصاح (٤/
١٣٥٩) [دار العلم للملايين، ط ٤]، والقاموس
المحيط (٨٠٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٧، ١٤٢٤هـ].

(٢) مختصر منهاج القاصدين (٣٠٢) [دار البيان، دمشق
١٣٩٨هـ].

(٣) مدارج السالكين (١/٥١٢)، وانظر: (الخوف
والرجاء للشمسان (١٠)).

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب (١/١٦١)
[دار المعرفة]، وإحياء علوم الدين (٤/١٣٦) [دار
الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ]، ومدارج السالكين
(١/٦٥٧ - ٦٦١) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٦هـ]،
وبصائر ذوى التمييز (٢/٥٧٨ - ٥٧٩) [المكتبة
العلمية].

قال: ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَآخِشُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ﴾ [المؤمنون: (٣)].

والله سبحانه إنما خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه، ونصب لهم الأدلة على عظمته وكبريائه ليهابوه، ويخافوه خوف الإجلال، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدّها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال؛ ودعا عباده بذلك إلى خشيته وتقواه، والمصارعة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه، واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه، ولهذا قال بعض السلف: خوف الله تعالى حجب قلوب الخائفين عن زهرة الدنيا وعوارض الشبهات^(٤).

الأدلة:

الآيات في الخوف من الله وعقابه كثيرة؛ منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: (١٧٥)]، وقوله: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: (٢٨)]، وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: (١٥)].

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/٦٥٧)، وطريق الهجرتين (٦١٣/٢ - ٦٣٨).

(٤) انظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب (٤/٩٣ - ٩٤) [الفاروق الحديثة، ط ١، ١٤٢٥هـ].

فيكون خوف الله مأمور به، وخوف أولياء الشيطان منهي عنه^(١). فلا بدّ من إخلاص هذا الخوف لله لأنّه من الفرائض^(٢).

الحقيقة:

حقيقة الخوف تدور حول: ذعر القلب وفزعه من الله سبحانه وسخطه وعقابه؛ المثمر لتحريك القلب والجوارح بامتثال الأوامر واجتناب المناهي تعبداً لله ﷻ حباً له، ورجاء مغفرته وعفوه وثوابه، والنجاة من غضبه وعذابه.

المنزلة:

منزلة الخوف من الله ﷻ من أجل منازل الطريق إلى الله والدار الآخرة وأنفعها للقلب، وهي ركن من أركان التعبد، وفرض على كل أحد. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: (١٧٥)]، وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَآخِشُونَ﴾ [المائدة: (٣)]. ومدح أهله في كتابه وأثنى عليهم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [٥٧].

(١) مجموع الفتاوى (١/٥٧ - ٥٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٥هـ].

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٠٨) [دار عالم الكتب، ط ١، ١٤١٩هـ].

أدلى بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية،
ألا إن سلعة الله الجنة»^(٣).

✽ أقوال أهل العلم:

قال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من
خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن
لم يخف الله خاف من كل شيء»^(٤).

وقال ابن أبي مليكة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أدركت
ثلاثين من أصحاب النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كلهم
يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد
يقول: إنه على إيمان جبريل
وميكائيل»^(٥).

ويؤب البخاري في «صحيحه» باباً
فقال^(٦): «باب خوف المؤمن أن يحبط
عمله وهو لا يشعر».

✽ الشروط:

يشترط في الخوف المفروض على
أهل الإيمان: ألا يفضي إلى اليأس من
روح الله والقنوط من رحمته، ولذلك
قيل في حد الخوف المطلوب شرعاً:

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق
والورع، رقم ٢٤٥٠) وحسنه، والحاكم في
المستدرک (كتاب الرقاق، رقم ٧٨٥١)، وقال:
حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه
الذهبي.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٠٤/٢) [مكتبة
الرشد، ١، ١٤٢٣هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن
من أن يحبط عمله وهو لا يشعر) معلقاً مجزئاً،
ووصله الحافظ في فتح الباري (١/١٤٨).

(٦) صحيح البخاري (١٨/١) [دار طوق النجاة، ١].

ومن السنة: حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج
النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالت: سألت رسول الله رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا
وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] قالت
عائشة: أهم الذين يشربون الخمر
ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق،
ولكنهم الذين يصومون ويصلون
ويتصدقون وهم يخافون أن لا تقبل منهم،
أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها
سابقون»^(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا
ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ
في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في
المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا
عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات
منصب وجمال فقال: إني أخاف الله،
ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله
ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً
ففاضت عيناه»^(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال
رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من خاف أدلج، ومن

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣١٧٥)،
وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤١٩٨)، وأحمد
(١٥٦/٤٢) [مؤسسة الرسالة، ١٤]، وفي سننه
انقطاع، كما ذكر العراقي في تخريج الإحياء (١٥١١)
[دار ابن حزم، ١٤]، لكن له شاهد يعتضد به، ذكره
الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦٦٠)، ومسلم
(كتاب الزكاة، رقم ١٠٣١).

أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨﴾ وَكَيفَ أَخَافَ مَا
أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا
لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ
أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾
[الأنعام]

الثاني: أن يترك الإنسان ما أوجب الله
عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر، وبيان الحق بغير عذر إلا
لخوف من الناس، فهذا محرم.

الثالث: أن يخاف وعيد الله الذي
توعده به العصاة، وهذا الخوف من أعلى
مراتب الإيمان، ونسبة الأول إليه كنسبة
الإسلام إلى الإحسان.

الرابع: أن يخاف من عدو وسبع
وهدم وغرق ونحو ذلك، وهو الخوف
الطبيعي، وهذا لا يذم وهو الذي ذكره الله
عن موسى ﷺ في قوله: ﴿خَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا
يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١] (٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الغلو في الخوف:

إذا زاد الخوف عن حدّه المطلوب
شرعاً، بحيث يقطع عن السعي في
اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله ﷻ
لم يكن محموداً؛ فلا يحتاج إليه؛ وذلك
لأنه يصل بصاحبه إلى إيقاعه في اليأس
والقنوط وسوء الظن بالله سبحانه، وهذا
الخوف الموقع في الإيأس إساءة أدب

ما حملك على أداء الفرائض وحجزك
عن المحارم. فإن زاد على ذلك بحيث
صار باعثاً للنفوس على التشمير في
نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق
المكروهات والتبسط في فضول
المباحات؛ كان ذلك فضلاً مستحباً
محموداً (١).

الأقسام:

الخوف على أربعة أقسام:

الأول: أن يخاف من غير الله أن
يصيبه بمكروه لا يقدر عليه إلا الله، من
مرض أو فقر أو قتل ونحو ذلك بقدرته
ومشيئته، وهذا الخوف خوف السر لا
يجوز تعلقه بغير الله؛ لأنه من لوازم
الإلهية، فمن اتخذ مع الله نداً يخافه هذا
الخوف فهو مشرك.

وهذا القسم هو الواقع اليوم من عبّاد
القبور والأضرحة؛ فإنهم يخافون
الصالحين بل الطواغيت، كما يخافون الله
بل أشد.

وهذا هو الذي كان المشركون
يعتقدونه في أصنامهم وآلهتهم، ولهذا
يخوفون بها أولياء الرحمن، كما
خوفوا إبراهيم الخليل ﷺ فقال
لهم: ﴿...وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن
يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٩٥)، والتخويف من
النار لابن رجب ضمن مجموع رسائله (٤/ ١١٢).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٠٦ - ٤٠٨).

على رحمة الله تعالى التي سبقت غضبه، وجهل به^(١).

ولذلك؛ فإنَّ خوف العقاب ليس مقصودًا لذاته، وإنما هو سبب يحمل على الطاعة، ويسوق المتواني إليها، ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه.

فالقدر النافع من الخوف ما كان عونًا على التقرب إلى الله بفعل ما يحبه وترك ما يكرهه، ومتى صار مانعًا من ذلك وقاطعًا عنه فقد انعكس المقصود منه.

ولكن إذا حصل ذلك عن غلبة كان صاحبه معذورًا، وقد كان في السلف من حصل له من خوف النار أحوال شتى؛ لغلبة حال شهادة قلوبهم للنار، فمنهم من كان يلازمه القلق والبكاء، وربما اضطرب أو غشي عليه إذا سمع ذكر النار^(٢).

- المسألة الثانية: ألفاظ في الخوف لا يجوز إطلاقها:

بعض الناس يقول: يا رب إني أخافك وأخاف من لا يخافك، فهذا كلام ساقط لا يجوز؛ بل على العبد أن يخاف الله وحده ولا يخاف أحدًا، فإن من لا يخاف الله أذل من أن يُخاف، فإنه

ظالم وهو من أولياء الشيطان، فالخوف منه قد نهى الله عنه، وإذا قيل: قد يؤذيني، قيل: إنما يؤذيك بتسليط الله له، وإذا أراد الله دفع شره عنك دفعه، فالأمر لله، وإنما يسلط على العبد بذنوبه، وأنت إذا خفت الله فاتقيته وتوكلت عليه كفأك شر كل شر ولم يسلطه عليك، فإنه قال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، وتسليطه يكون بسبب ذنوبك وخوفك منه. فإذا خفت الله وتبت من ذنوبك واستغفرت له لم يسلط عليك، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٢]^(٣).

وقال ابن القيم رحمه الله: «فالخوف عبودية القلب فلا تصلح إلا لله وحده؛ كالذل والمحبة والإنابة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب»^(٤).

الفروق:

الفرق بين الخوف والخشية:

«الخشية أخص من الخوف فإن الخشية للعلماء بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] فهي خوف مقرون بمعرفة فبالخوف حركة، والخشية انجماع وانقباض وسكون.

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/٤٩٥)، والتخويف من النار لابن رجب ضمن مجموع رسائله (٤/١١٢).

(٢) انظر: التخويف من النار لابن رجب، ضمن مجموع رسائله (٤/١١٢ - ١١٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١/٥٧ - ٥٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٥هـ].

(٤) طريق الهجرتين (٢/٦٣٤).

فنسبته إلى الخوف نسبة الرأفة إلى الرحمة؛ فإنها أطف الرحمة وأرقها^(٥).

الثمرات:

للخوف من الله **وَعَبَّكَ** ثمار عظيمة كثيرة؛ منها:

١ - تصحيح الإيمان بالله وتحقيقه وزيادته.

٢ - القرب من الله **وَعَبَّكَ** واستشعار عظمته وكبريائه.

٣ - فرار القلب إلى الله سبحانه وتعلقه به، وعدم الخوف ممن سواه.

٤ - الجِد في تحصيل مرضاة الرب والتفاني في الوصول إلى عفوه وجنته بتحقيق التقوى التي جماعها فعل المأمورات واجتناب المحرمات.

٥ - الإخبات لله والانكسار والتذلل والتضرع بين يديه رجاء رحمته وخوف عقابه.

٦ - الخوف يثمر الورع.

٧ - والاستعانة.

٨ - وقصر الأمل^(٦).

٩ - دخول جنات النعيم.

١٠ - صلاح القلب وعبوديته لله وحده^(٧).

١١ - الخوف علامة صحة الإيمان

فإن الذي يرى العدو والسييل ونحو ذلك له حالتان:

إحدهما: حركة للهرب منه، وهي حالة الخوف.

والثانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه، وهي الخشية^(١).

الفرق بين الخوف والرغبة:

الرغبة: هي الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه^(٢).

الفرق بين الخوف والوجل:

الوجل: رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أو لرؤيته^(٣).

الفرق بين الخوف والهيبة:

الهيبة: خوف مقارن للتعظيم والإجلال، وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة.

والإجلال: تعظيم مقرون بالحب فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين، والإجلال للمقربين، وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية^(٤).

الفرق بين الخوف والإشفاق:

الإشفاق: رقة الخوف؛ وهو خوف برحمة من الخائف لمن يخاف عليه،

(١) المصدر نفسه (١/٦٥٨).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه (١/٦٥٨ - ٦٥٩).

(٥) المصدر نفسه (١/٦٦٥).

(٦) مدارج السالكين (٢/٣٥).

(٧) انظر: طريق الهجرتين (٢/٦٣٤).

يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾
[يوسف].

وترحله من القلب علامة ترحل الإيمان منه (١).

وهؤلاء لم يلتزموا بشرط الخوف الشرعي؛ بل تجاوزوه وغلوا فيه، ولم يقرنوا خوفهم برجاء الله واستشعار نصوص الوعد؛ فوقعوا في الخوف المذموم الذي حقيقته يأْس وقنوط من رحمة الله.

١٢ - تحقيق الخشية والرغبة والهبة والإجلال للعظيم ذي الجلال سبحانه.

الحكمة:

الخوف من الله سبحانه: سوط يُقَوِّم به الشاردين عن بابه؛ ليفروا منه إليه، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله ﷻ فإنك إذا خفته هربت إليه. ولذلك قيل: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب. وقيل: إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها، وطرده الدنيا عنها (٢).

مذهب المخالفين:

ضلَّ في فهم الخوف طائفتان (٣):

الأولى: الخوارج: الذين غلبوا نصوص الخوف والوعيد وضيّقوا باب الرجاء والوعد؛ حتى كفروا بفعل المعاصي التي دون الكفر، وكذلك طوائف من العباد الذين غلبوا جانب الخوف حتى وقعوا في القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا

الطائفة الثانية: المرجئة: الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، وهونوا من شأن العمل، ومنهم الجبرية القدرية، وفيهم قوم من غلاة المتصوفة الذين يزعمون أنهم ما يعبدون الله خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته؛ وإنما يعبدونه حباً فيه! وتبع هؤلاء من تأثر بهم في هذا الباب من العصاة والمغرورين؛ حيث اتكلوا على سعة رحمة الله ورجاء ما عنده ففرطوا في فعل الطاعات وقارفوا المنكرات، وإذا نُصِحوا في ذلك وخُوفوا من مكر الله وعقابه سردوا ما يحفظونه من نصوص الوعد بالرحمة والمغفرة، وقالوا: الإيمان بالقلب.

وهؤلاء لم يأتوا بشرط الرجاء المحمود من بذل الجهد في فعل الطاعات واجتناب المحرمات، ومن قرن رجائهم بالخوف من الله واستشعار نصوص الوعيد. فوقعوا في الرجاء المذموم الذي حقيقته تمنُّ كاذب وغرور شيطاني، واستمرؤوا التفريط في جنب الله، فأمنوا من مكروه، ولم يخافوه

(١) مدارج السالكين (١/٦٦٢).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/٦٥٩ - ٦٦٠).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٤/١٤٨)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/٦١ - ٨٣، ٢٣٩ - ٢٤٣)، والداء والدواء (٣٦ - ٧٩)، وبدائع الفوائد (٣/٨٥٠ - ٨٥٣)، وإغاثة اللفهان (٣٩٤) [دار الحديث - ط ١٤٢٣هـ].

حق خوفه، والله ﷻ يقول: ﴿أَفَأَمِنُوا

مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

والحق وسط بين طرفين وهدى بين
ضاللتين؛ وهو: مذهب أهل الحق أهل
السُّنة والجماعة الذين جمعوا بين نصوص
الوعد ونصوص الوعيد، وجعلوا الخوف
والرجاء متلازمين، فعبدوا الله بالخوف
والرجاء والحب، فلم يأمنوا مكر الله، ولم
يقنطوا من رحمة الله، ولم ييأسوا من
روح الله، فإن «القلب في سيره إلى الله ﷻ
بمنزلة الطائر؛ فالمحبة رأسه، والخوف
والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس
والجناحان فالطير جيد الطيران، ومتى قطع
الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان
فهو عرضة لكل صائد وكاسر»^(١).

فلا بدّ من اجتماع هذه الأركان
الثلاثة في عبادة العبد لربّه، فمن لم
تجتمع هذه الأركان في عبادته ضلّ وما
كان من المهتدين؛ ولذلك قال بعض
السلف: «من عبّد الله بالحب وحده فهو
زنديق، ومن عبّد الله بالخوف وحده فهو
حروري، ومن عبّد الله بالرجاء وحده فهو
مرجئ، ومن عبّد الله بالحب والخوف
والرجاء فهو مؤمن موحد»^(٢).

(١) مدارج السالكين (١/ ٦٦٤).

(٢) نسبه إلى بعض السلف شيخ الإسلام ابن تيمية في
مجموع الفتاوى (١٠/ ٨١، ٢٠٧، ١١/ ٣٩٠)، وابن
القيم في بدائع الفوائد (٣/ ٨٥١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إغاثة اللهفان في مصائد
الشیطان»، لابن القيم.
- ٢ - «بستان الواعظين»، لابن الجوزي.
- ٣ - «التخويف من النار والتعريف
بحال دار البوار»، لابن رجب.
- ٤ - «تيسير العزيز الحميد»،
لسليمان بن عبد الله.
- ٥ - «طريق الهجرتين» (ج ٢)، لابن
القيم.
- ٦ - «كلمات في المحبة والخوف
والرجاء»، للحمد.
- ٧ - «مدارج السالكين» (ج ١)، لابن
القيم.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ١)، لابن
تيمية.
- ٩ - «ولله الأسماء الحسنی فادعوه
بها»، لعبد العزيز الجليل.
- ١٠ - «الخوف والرجاء في الكتاب
والسُّنة»، لعبد الرحمن الشمسان، [رسالة
ماجستير بالجامعة الإسلامية].

خير الناصرين

يراجع مصطلح (الناصر).

خير الوارثين

يراجع مصطلح (الوارث).

حرف الدال

الحكم:

يجب الإيمان بظهور الدابة في آخر الزمان، وأنها من أشراط الساعة الكبرى، والإيمان بها من الإيمان باليوم الآخر.

الحقيقة:

تبين النصوص أن الدابة تخاطب الناس مخاطبة في عدم يقينهم بآيات الله، وتكذيبهم بالقرآن، وبمحمد ﷺ، وإنكارهم للبعث، وتسمهم على أنوفهم بالإيمان أو الكفر^(٤)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كُلَّا تفعل»؛ يعني: هذا وهذا^(٥). والآية تشهد لهذا المعنى؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل، ٨٢]، قرأ العامة: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ بتشديد اللام من الكلام وهي القراءات المتواترة، وقرئ: تُكَلِّمُهُمْ؛ بفتح التاء وإسكان الكاف وضم اللام، من الكَلَم؛ أي: الجرح؛ أي: تجرحهم. وبها قرأ ابن عباس وابن

الدابة

التعريف لغة:

الدَّبُّ والدَّيِّب: المشي الخفيف، ويستعمل ذلك في الحيوان، والدابة: كل ما يذب على الأرض، وغلب على الحيوان الذي يركب ويحمل عليه، وتطلق على المذكر والمؤنث^(١). قال ابن فارس: «الدال والباء أصل واحد صحيح منقاس، وهو حركة على الأرض أخف من المشي. تقول: دب دبيبًا. وكل ما مشى على الأرض فهو دابة»^(٢).

التعريف شرعًا:

دابة من الأرض يخرجها الله للناس في آخر الزمان عند فسادهم وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، تكلم الناس وتسمهم على خراطيمهم^(٣).

(١) ينظر: لسان العرب (٣٦٩/١) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ]، ومفردات ألفاظ القرآن (٣٠٦) [دار القلم، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٢) مقاييس اللغة (٢٦٣/٢) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٢١١/٦) [دار طيبة، الإصدار الثاني، ط ٤، ١٤٢٨هـ].

(٤) ينظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/

١٣٣٣).

(٥) تفسير ابن كثير (٢١٢/٦).

رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»^(٣).

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذكرون؟» قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات»، فذكر الدخان، والدجال، والدابة... الحديث^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي: «ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها»^(٥). وقال أبو عمرو الداني: «إن الإيمان واجب بما جاء عن رسول الله ﷺ، وثبت بالنقل الصحيح، وتداول حمله المسلمون من ذكر وعيد الآخرة، وذكر الطوام، وأشراط الساعة، وعلاماتها، واقترابها، فمن ذلك خروج الدابة، تخرج من الصفا بمكة، وتكلم الناس

جبير ومجاهد وأبو زرعة والجحدري، والقراءتان تدلان على معنيين مختلفين:

١ - المعنى الأول: أنها تكلم وتحدث الناس، وهي آية، والعادة في الحيوان أنه لا يكلم الناس، فهي تكلم الناس بلغاتهم وبما يفهمون عنها.

٢ - المعنى الثاني: أنها تكلم الناس بمعنى أنها تسم الناس، والوسم سماه الله ﷻ هنا كلفاً؛ لأنه يكون معه كلم الجلد والتأثير فيه كما يحصل في وسم الدواب، فإنه لا بد فيه من جرح فيها أو من أثر فيها، فتسم الناس: هذا مؤمن، وهذا كافر^(١).

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾^(٨٢) [النمل]، قال القرطبي: «أي: دابة تعقل وتنطق، وذلك - والله أعلم - ليقع لهم العلم بأنه آية من قبل الله تعالى ضرورة، فإن الدواب في العادة لا كلام لها ولا عقل»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

(١) ينظر: المحتسب لابن جني (١٨٩/٢) [دار الكتب العلمية، ط١]، وتفسير القرطبي (٢١٤/١٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وروح المعاني (٣٠٨/٢٠) - (٣١٠) [دار الحديث، ١٤٢٦هـ]، وشرح الطحاوية (٤٦٤/٢) [دار الآثار، ط١].

(٢) التذكرة للقرطبي (١٣٣١/٣) [دار المنهاج، ط١].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٨).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٠١).

(٥) شرح الطحاوية (٧٦٠) [مؤسسة الرسالة العالمية، ط٢].

بلسان عربي مبين»^(١). وقال السفاريني: «خروج الدابة المذكورة ثابت بالكتاب والسنة»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: هل الدابة هي الجساسة؟

ذهب بعض العلماء إلى أن الدابة هي الجساسة، التي ورد ذكرها في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، قالت: سمعت نداء المنادي - منادي رسول الله ﷺ - ينادي: الصلاة جامعة. فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ فكانت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال: «يلزم كل إنسان مصلاه»، ثم قال: «أندرون لم جمعتكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة؛ ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال. حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفؤوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب

السفينة، فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلّب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر. فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة»^(٣). وهذا القول ينسب إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه^(٤). وجمهور العلماء على خلافه، كما أن طبيعة عمل الدابتين يختلف، فالجساسة تنقل الأخبار إلى الدجال، والدابة تعنف الناس على كفرهم، وتوبخهم، على عدم يقينهم بآيات الله، وتكذيبهم بالقرآن، وبمحمد ﷺ، وإنكارهم للبعث، وتسمهم على أنوفهم بالإيمان أو الكفر^(٥)، والله أعلم.

- المسألة الثانية: صفة الدابة:

لم يثبت في صفة الدابة أو مكان خروجها دليل يعتمد عليه، قال السعدي رحمته الله: «لم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة، وإنما ذكر أثرها والمقصود منها، وأنها من آيات الله تكلم الناس كلاماً خارقاً للعادة حين يقع القول على الناس، وحين يمترون بآيات الله فتكون حجة وبرهاناً للمؤمنين

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٢).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (١٧٠١) [بيت الأفكار الدولية]. ووقع فيه: عبد الرحمن بن عمرو بن العاص، وهو تصحيف.

(٥) ينظر: أشراط الساعة (٤٠٩) [ابن الجوزي، ط ٢٧، ١٤٣٠هـ].

(١) الرسالة الوافية (٢٤٣ - ٢٤٤) [دار الإمام أحمد،

ط ١، ١٤٢١هـ].

(٢) لوائح الأنوار البهية (١٤٦/٢) [المكتب الإسلامي].

وحجة على المعاندين»^(١).

الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج: كل ذلك أمور مألوفة؛ لأنهم بشر مشاهدة مثلهم مألوفة. وأما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر؛ فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عاداتها المألوفة أول الآيات السماوية»^(٥).

لعل من الحكمة في خروج الدابة: تمييز المؤمن من الكافر، فإن خروجها يكون مع خروج الشمس من مغربها الذي به يغلق باب التوبة، ولا يبقى للإنسان إلا ما قدم، يقول ابن حجر: «الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة، ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه. قلت: والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابة تمييز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة»^(٦).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٧٥٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٣هـ]، وينظر: القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٦٢) [أخواء السلف، ط ١، ١٤٢٢هـ].
(٦) فتح الباري (٣٦١/١١) [المطبعة السلفية، ط ٢].

وقال أحمد شاكر رحمه الله: «الآية صريحة بالقول العربي أنها (دابة)، ومعنى الدابة في لغة العرب معروف واضح، لا يحتاج إلى تأويل، ووردت آثار آخر في صفتها لم تنسب إلى رسول الله ﷺ المبلغ عن ربه والمبين آيات كتابه، فلا علينا أن ندعها»^(٢).

- المسألة الثالثة: وقت خروجها:

تخرج على الناس ضحى، عقب طلوع الشمس من مغربها، كما دلّ عليه حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبته فالأخرى على إثرها قريباً»^(٣)، وفي رواية: قال عبد الله: وأظن أولهما خروجاً طلوع الشمس من مغربها»^(٤)، وهي أول الآيات غير المألوفة خروجاً، قال ابن أبي العز عن الدابة: إنها «أول

(١) تفسير السعدي (٨٥٢) [جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط ٤، ١٤٣٣هـ].

(٢) مسند أحمد بتحقيق: أحمد شاكر (٦٠/٨ - ٦١) [دار الحديث، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٠).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الملاحم، رقم ٤٣١٠) واللفظ له، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، وأخرجها ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٦٩)، وأحمد (١١/٨٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٨): رجاله رجال الصحيح.

❁ مذهب المخالفين:

الدابة تكلم الناس وتخاطبهم وتعنفهم، وتكتب على جبين الكافر: كافر، وعلى جبين المؤمن: مؤمن.

ثانيًا: أن الجرائم التي تفتك بالإنسان وصحته موجودة من أول الدنيا ومنتشرة في جميع الأرض، وأما دابة الأرض فإنما تخرج في آخر الزمان عند اقتراب الساعة.

ثالثًا: أن الجرائم أنواع لا تحصى، وأما دابة الأرض فإنما هي دابة واحدة.

رابعًا: أن الدابة التي أخبر الله بخروجها ليست من الدواب التي يعرفها الناس فضلًا عن أن تكون من الجرائم ونحوها، وإنما هي خلق عظيم هائل، من خوارق العادات؛ ولهذا تفزع الناس وترعّبهم.

❁ المصادر والمراجع:

١ - «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراف الساعة» (ج ٣)، لحمود التويجري.

٢ - «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»، لصديق خان.

٣ - «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.

٤ - «أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار»، لعبد الملك بن حبيب الأندلسي.

٥ - «أشراط الساعة»، ليوסף الوابل.

قال القرطبي: «هذه الأحاديث وما تقدم من ذكر العلماء في الدابة، ترد قول من قال من المفسرين المتأخرين: إن الدابة إنما هي إنسان متكلم يناظر أهل البدع والكفر ويجادلهم؛ لينقطعوا فيهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حي عن بيّنة. قال شيخنا أبو العباس: «وعلى هذا فلا يكون في ذلك آية خاصة خارقة للعادة. ولا تكون من جملة العشر الآيات المذكورة في الحديث؛ لأن وجود المناظرين والمحتجين على أهل البدع كثير، فلا آية خاصة، فلا ينبغي أن تذكر مع العشر». قلت: فساد ما قاله هذا المتأخر واضح وأقوال المفسرين بخلافه»^(١).

وزعم بعض المعاصرين أن الدابة هي الجرائم الخطيرة التي تفتك بالإنسان وجسمه وصحته وأمواله^(٢). وهذا زعم باطل، وتأويل فاسد، وهو من جنس تأويلات القرامطة الباطنية. وهو مردود من وجوه^(٣):

أولًا: أن النصوص بيّنت أن هذه

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١٣٣٤ - ١٣٣٥).

(٢) ينظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/ ١٨٣) [دار الصميعي، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(٣) ينظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/ ١٨٤ - ١٨٤).

- ٦ - «البحور الزاهرة» (ج ١)، وقيل: هو إيشا بن عوفيد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذ بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق^(٣).
- ٧ - «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج ٣)، للقرطبي.
- ٨ - «تفسير السعدي».
- ٩ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ١٠ - «فقد جاء أشراطها»، لمحمود عطية محمد علي.
- ١١ - «القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراف الساعة»، للسخاوي.
- ١٢ - «مسند الإمام أحمد»، بتحقيق أحمد شاكر (ج ٨).
- ١٣ - «النهاية أو الفتن والملاحم» (ج ١)، لابن كثير.

نبوته:

ذكر الله نبوة داود عليه السلام بقوله: ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وبقوله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَيَّنَّاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ﴾ [ص: ١]، فالمراد بالحكمة هنا النبوة^(٤)، وهكذا جمع الله له بين النبوة والملك.

وبقوله سبحانه: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

دلائل نبوته:

لقد أيد الله نبيه داود عليه السلام، وأكرمه بجملة من الدلائل البينة والمعجزات الباهرة على نبوته، وهي: تسخير الجبال، وحشر الطيور للتسبيح معه في أول النهار وآخره، وتليين الحديد له،

القبائل من التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملتن (٢١٣) [المكتبة المكية، ومؤسسة الريان، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير (١/١٦٩) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤١٥هـ].

(٤) انظر: تفسير الطبري (٤/٥١٣) [دار هجر، ط ١]، وتفسير ابن كثير (١/٦٦٩، ٧/٥٩) [دار طيبة، ط ٢]، وقصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار (٣١١) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣].

داود عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو: داود عبد الله ونبيه عليه السلام^(١)، وخليفته في أرضه بيت المقدس، قيل هو: ابن إيشا بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عويناذب بن إرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق ابن إبراهيم الخليل^(٢).

(١) صحيح قصص الأنبياء لابن كثير، للهاللي (٤٠٥) [دار غراس، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٢) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير (٢/٢٦٥) [مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط ١]، والبداية والنهاية (٢/٣٠٠) [دار هجر، ط ١]، وقصص الأنبياء ومناقب

مشتملاً على حكم ومواعظ^(٢)

وفاته:

توفي نبي الله داود عليه السلام بعد أن أكمل مائة عام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبص ما بين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود، فقال: رب كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة. فلما قضى عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم

قال الله تعالى: ﴿...وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ١٨ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ١٩﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَالُ آوِيَّ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ٢٠﴾ [سبأ].

كتابه:

لقد أنزل الله ﷻ على نبيه داود عليه السلام كتابه الزبور، وقد جاء ذكره في كتاب الله مرتين:

الأولى: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالذِّكْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ١٦٦﴾ [النساء]

والثانية: في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ٥٥﴾ [الإسراء].

وقد جاء في السنة ما يبين تحديد وقت نزوله، فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»^(١). والزبور كان

(١) أخرجه أحمد (١٩١/٢٨)، رقم (١٦٩٨٤) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]، والطبراني في المعجم الأوسط (٤/١١١) [دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ] واللفظ له، وقال الهيثمي في المجمع (١٩٧/١) [مكتبة القدسي]: «فيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله ثقات»، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٧٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٧/٦) [دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ].

فخطئت ذريته»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: نبأ الخصم:

لقد نسجت حول هذه القصة حكايات غريبة نسبت إلى نبي الله داود عليه السلام، وهي لا تليق بحالٍ بمقام الأنبياء عليهم السلام؛ إذ فيها غمز ولمز بهذا النبي الكريم، ولقد أجاد الإمام ابن كثير إجابة عظيمة حين قال: «وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف هاهنا قصصًا وأخبارًا أكثرها إسرائيليّات، ومنها ما هو مكذوب لا محالة، تركنا إيرادها في كتابنا قصداً؛ اكتفاءً واقتصاراً على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»^(٣).

وعليه؛ فأسعد الناس بالصواب من اكتفى باستقاء القصة من قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَارُوا إِلَى الْحَرَابِ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا نَحْفَ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (٢٧) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَةً وَلِي نَجَةٍ وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٨) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ إِلَيَّ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَنبِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٩) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ

وجاء في كيفية وفاته حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان داود النبي فيه غيرة شديدة، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب، فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع... فخرج ذات يوم، وأغلقت الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل الدار، والدار مغلقة؟ والله لتفتضحن بدادود، فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا يمتنع مني الحجاب، فقال داود: أنت والله إذن ملك الموت، مرحباً بأمر الله، فرمل داود مكانه حيث قبضت روحه حتى فرغ من شأنه، وطلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظلي على داود، فأظلت عليه الطير حتى أظلمت عليهم الأرض، فقال لها سليمان: اقبضي جناحاً جناحاً»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٧٦)، وقال: حسن صحيح، والحاكم في المستدرک (كتاب التفسير، رقم ٣٢٥٧) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٢٠٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٤/١٥)، رقم ٩٤٣٢ [مؤسسة الرسالة، ط ١]، قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (ص ١٨٤٣) أخرجه أحمد بإسناد جيد، وقال ابن كثير: «إسناده جيد». البداية والنهاية (٢/٣٢٠) [دار هجر، ط ١].

(٣) البداية والنهاية (٢/٣٠٩).

عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٢٥﴾ [ص].

وأصح ما في قصة الآية - الذي عليه الجمهور - ملخصه: أن ملكين من الملائكة تسورا المحراب على داود عليه السلام دون علمه بهما، وأتياه على هيئة الخصمين، فسأله أحدهما من باب الفتنة والاختبار؛ أي جيب ويحكم قبل أن يستمع إلى الطرف الثاني أم لا؟ وذكر له أن صاحبه ظلمه بطلب نعجته الواحدة، فأجاب قبل أن يسمع من الطرف الآخر، فاختفيا عنه، فعلم داود عليه السلام أنهما ملكان أرادا اختباره فاستغفر ربه وخرَّ راکعًا وأناب.

وهناك احتمال آخر لتفسير هذه الفتنة، يلي التفسير السابق في القوة، وهو أنهما رجلان من بني آدم، دخلا عليه مباغته فشكا إليه أحدهما ظلم صاحبه إياه في النعاج، فحكم قبل أن يستمع من الطرف الثاني، فعوتب داود على هذا الصنيع وكان عليه أن يستمع من الطرفين، فاستغفر ربه فغفر له^(١).

- المسألة الثانية: قتله لجالوت:

كان جالوت رجلاً قد أعطي بسطة في الجسم، وقوة في البطش، وشدة في الحرب، مذكوراً بذلك في الناس، وكان ملك العمالقة، وكانت بنو إسرائيل

تقاتلهم، ثم ظهر جالوت وقومه على بني إسرائيل، فضربوا عليهم الجزية، وأخذوا توراتهم، وكانت بنو إسرائيل يسألون الله أن يبعث لهم نبياً ليجاهدوا معه في سبيل الله جالوت وجنوده^(٢)، وتقدم ملا منهم بطلب إلى نبي لهم من بعد موسى أن يبعث لهما ملكاً يقاتلون معه، وأعطوه عهداً ومواثيق على الوفاء بذلك، فبعث الله لهم طالوت ملكاً، فنكث كثير منهم عن عهده في القتال معه، متشبثين ببعض الاعتراضات الواهية، ولم يثبت منهم معه إلا عدد قليل^(٣)، عددهم كعدد أصحاب بدر^(٤)، وكان من هؤلاء الثابتين نبي الله داود عليه السلام، وذلك قبل نبوته، فشرعوا مستعينين بالله في الجهاد في سبيل الله، فقتل داود جالوت ملك الكفار فهزموا، كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبِئَرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ففهمهم بإذن الله وقتل داود جالوت وءاتاه الله الملك والحكمة وعلمه ومنا يسأله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٤٤١، ٤٦٢).

(٣) راجع الآيات: من (١٤٦ - ١٤٩) من سورة البقرة.

(٤) انظر: صحيح البخاري (كتاب المغازي، الأرقام:

٣٩٥٧، ٣٩٥٨، ٣٩٥٩).

(١) انظر: فيهداهم اقتده قراءة تاصيلية في سير وقصص

الأنبياء عليه السلام لعثمان الخميس (٢٩٨ - ٢٩٩) [دار

إيلاف الدولية، ط ١، ١٤٣١هـ].

فَضِّلْ عَلَى الْعَلَمَيْنِ ﴿٢٥١﴾ [البقرة].

قال السمعاني: «فبرز جالوت وطلب البراز، وخرج إليه داود، ورماه بالمقلع الحجر بين عينيه، وخرج من قفاه، وأصاب قومًا آخرين وقتلهم»^(١)

- المسألة الثالثة: في جملة من فضائله وأحواله:

أ - أنه كان أعبد البشر:

فقد جاء من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود يحدث عنه قال: «كان أعبد البشر»^(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال له: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ﷺ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، ويصوم يومًا ويفطر يومًا»^(٣).

ب - كان جميل الصوت في قراءة الزبور:

فقد كان مضرب المثل في حسن الصوت في قراءة القرآن، لما ثبت من

(١) تفسير السمعاني (٢٥٤/١) [دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٤٩٠) وحسنه، وأخرجه البزار، كشف الأستار (١٠٥/٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٦/٨): رواه البزار وفيه حديث طويل وإسناده حسن. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٢٤/٢)، رقم ٧٠٧.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٣١)، ومسلم (كتاب الصيام، رقم ١١٥٩).

حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال له: «يا أبا موسى؛ لقد أوتيت زميرًا من زمائر آل داود»^(٤).

ج - تخفيف قراءة الزبور عليه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خُفِّفَ عَلَى داود ﷺ القرآن، فكان يأمر بدوابه فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه»^(٥).

والمراد بالقرآن هنا مصدر القراءة، لا القرآن الكريم^(٦).

د - أنه كان يأكل من عمل يده:

فعن المقدم رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود ﷺ كان يأكل من عمل يده»^(٧).

المصادر والمراجع:

١ - «تفسير الطبري» (ج ٤).

٢ - «قصص الأنبياء المسمى بالعرائس»، للثعلبي.

٣ - «تفسير القرطبي» (ج ٦).

٤ - «تفسير ابن كثير» (ج ١).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠٤٨)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٩٣).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤١٧).

(٦) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣٩٧/٨).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٠٧٢).

٥ - «قصص الأنبياء» (ج ٢)، لابن الحكم:

كثير.

يجب الإيمان بأن السماء بأمر الله ﷻ سوف تأتي بدخان في آخر الزمان، وهو من علامات الساعة الكبرى.

٦ - «صحيح (قصص الأنبياء) لابن كثير»، لسليم الهاللي.

الحقيقة:

الدخان

التعريف لغة:

الدخان: الذي يكون قبل يوم القيامة هو من علامات الساعة الكبرى، وهو دخان حقيقي، ليس خيالاً في أعين الكفار؛ بل هو عذاب على الكفار، لا يصيب المؤمن منه إلا كهيئة الزكام، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «ظاهر القرآن ما يدل على وجود دخان من السماء يغشى الناس، وهذا أمر محقق عام وليس كما روي عن ابن مسعود؛ أنه خيال في أعين قريش من شدة الجوع»^(٤)، قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان]؛ أي: واضح جلي، وليس خيالاً من شدة الجوع، ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان]؛ أي: ينادي أهل ذلك الزمان ربهم بهذا الدعاء، يسألون كشف هذه الشدة عنهم، فإنهم قد آمنوا وارتقبوا ما وعدوا من الأمور الغيبية الكائنة بعد ذلك يوم القيامة، حيث يمكن رفعه، ويمكن استدراك التوبة

الدخن: عدم الصفاء والفساد والخبث، وأصل الدخن: أن يكون في لون الدابة أو الثوب كدرة إلى سواد. قال ابن فارس: «الدال والخاء والنون أصل واحد، وهو الذي يكون عن وقود، ثم يُشَبَّه به كلُّ شيء يشبهه من عداوة ونظيرها»^(١).

الدخان: هو المستصحب للهب. ووضعت العرب الدخان موضع الشر إذا علا فيقولون: كان بيننا أمر ارتفع له دخان^(٢).

التعريف شرعاً:

الدخان: من علامات الساعة الكبرى التي دلَّ عليها الكتاب والسنة المطهرة، يأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام، ويأخذ الدخان بأنفاس الكفار وأسماعهم، ويغشى أبصارهم^(٣).

(١) مقاييس اللغة (٣٥٩) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩هـ].

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (٣١٠) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ]، ولسان العرب (١٤٩/١٣) [دار صادر].

(٣) ينظر: شرح مسلم للنووي (١٦٨٢) [بيت الأفكار الدولية].

(٤) ثبت ذلك عن ابن مسعود رَحِمَهُ اللهُ، كما عند البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٦٩٣)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٩٨).

والإنابة، والله أعلم^(١).

❖ الأدلة:

قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۖ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١١].

الساعة الكبرى -: «يأتي دخان يملأ ما بين السماء والأرض، فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام، وأما الكافر والفاجر فيدخل في أنوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق أنفاسهم»^(٤).

وقال السفاريني: «هو ثابت في الكتاب والسنة، قال ابن عباس، والحسن، وزيد بن علي: هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في أسماع الكفار والمنافقين، ويعتري المؤمنين منه كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كببت أو قد فيه، ولم يأت بعد، وهو آت»^(٥). وقال القنوجي: «من أشرط الساعة الدخان ويمكث في الأرض أربعين يوماً، قال العلماء: آية الدخان ثابتة بالكتاب والسنة»^(٦).

❖ المسائل المتعلقة:

- وقت وقوع الدخان:

اختلف العلماء رحمهم الله في الدخان الوارد في النصوص المتقدمة؛ أوقع وانتهى وقته أم لا؟ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: ذهب عبد الله بن

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟». قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات». فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم^(٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة»^(٣).

❖ أقوال أهل العلم:

قال القرطبي - وهو يذكر أشرط

(٤) التذكرة للقرطبي (١٣٤٨/٣) [دار المنهاج، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٥) البحور الزاخرة في علوم الآخرة (١/٥٦١) [غراس للنشر، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٦) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (٢١٤) [الجفان والجابي، ودار ابن حزم، ط ١، ١٤٢١هـ].

(١) النهاية أو الفتن والملاحم (١/١٧٢) [دار الكتب الحديثة، ط ١].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشرط الساعة، رقم ٢٩٠١).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشرط الساعة، رقم ٢٩٤٧).

قومك قد هلكوا فادع الله. فقراً:
﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾
﴿١٠﴾ [الدخان]، إلى قوله: ﴿عَالِدُونَ﴾
﴿١٥﴾ [الدخان]. أفيكشف عنهم عذاب
الآخرة إذا جاء ثم عادوا إلى
كفرهم»^(٢).

القول الثاني: أن الدخان من علامات
الساعة التي لم تقع بعد، وسيقع قرب
يوم القيامة، وإليه ذهب جمع من
الصحابة، وكثير من التابعين، وعليه أكثر
العلماء. ومن أدلتهم ما سبق ذكرها،
وهي قوله ﷺ: «إنها لن تقوم حتى ترون
قبلها عشر آيات». فذكر الدخان^(٣).
وقوله ﷺ: «بادروا بالأعمال ستاً: طلوع
الشمس من مغربها، أو الدخان»^(٤).

ومما استدلوا به أيضاً ما رواه الطبري
عن عبد الله بن أبي مليكة، قال: غدوت
على ابن عباس ذات يوم فقال: «ما نمت
الليلة حتى أصبحت، قلت: لم؟ قال:
قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت
أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت
حتى أصبحت»^(٥). قال ابن كثير: «وهذا
إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما، حبر

مسعود رضي الله عنه - وتبعه جماعة من السلف
واختاره الطبري^(١) - إلى أن هذا
الدخان قد وقع في عصر النبي
محمد ﷺ، وهو ما أصاب قريشاً من
الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي ﷺ
حين لم يستجيبوا له، وجعلوا يرفعون
أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا
الدخان. ودليلهم ما جاء في حديث
مسروق رضي الله عنه، قال: «بينما رجل يحدث
في كندة فقال: يجيء دخان يوم القيامة
فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم،
يأخذ المؤمن كهيئة الزكام. ففرغنا،
فأتيت ابن مسعود وكان متكئاً، فغضب
فجلس فقال: من علم فليقل ومن لم
يعلم فليقل: الله أعلم. فإن من العلم أن
يقول لما لا يعلم: لا أعلم، فإن الله
قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾^(٨٦) [ص]، وإن قريشاً
أبطؤوا عن الإسلام، فدعا عليهم
النبي ﷺ، فقال: «اللَّهُمَّ أعني عليهم
بسبع كسبع يوسف» فأخذتهم سنة حتى
هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام،
ويرى الرجل ما بين السماء والأرض
كهية الدخان. فجاءه أبو سفيان فقال:
يا محمد! جئت تأمرنا بصلة الرحم وإن

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٧٤)،

ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٩٨).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٠١).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٧).

(٥) تفسير الطبري (١٧/٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(١) ينظر: تفسير الطبري (١١٢/٢٥) [دار الفكر،

١٤٠٥هـ]، والقناعة في ما يحسن الإحاطة به من

أشراط الساعة (٨٤) [أضواء السلف، ط١،

١٤٢٢هـ].

بآخرين دخاناً على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ عندنا كذلك؛ لأن الأخبار عن رسول الله ﷺ قد تظاهرت بأن ذلك كائن، فإنه قد كان ما روى عنه عبد الله بن مسعود، فكلا الخبرين اللذين رويهما عن رسول الله ﷺ صحيح^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»، لمحمد صديق خان القنوجي.
- ٢ - «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.
- ٣ - «أشراط الساعة»، ليوסף الوابل.

- ٤ - «أشراط الساعة وذهاب الأخبار وبقاء الأشرار»، لعبد الملك بن حبيب الأندلسي.
- ٥ - «البحور الزاهرة في علوم الآخرة» (ج ١)، للسفاري.
- ٦ - «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج ٣)، للقرطبي.
- ٧ - «القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة»، للسخاوي.

- ٨ - «النهاية أو الفتن والملاحم» (ج ١)، لابن كثير.

(٣) تفسير الطبري (٢٥/ ١١٤ - ١١٥).

وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها، التي أوردوها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة. مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]؛ أي: بين واضح يراه كل أحد. وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وهكذا قوله تعالى: ﴿يَعْثَى النَّاسُ﴾ [الدخان: ١١]، يتغشاهم ويعمهم، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه: ﴿يَعْثَى النَّاسُ﴾^(١).

القول الثالث: وهو الجمع بين الأحاديث والآثار الثابتة، وهو ما قرره النووي وغيره من العلماء بأن قالوا: هما دخانان. ظهر أحدهما وهو ما كانت قريش تراه كهيئة الدخان، وبقي الآخر الذي هو من أشراط الساعة، وسيقع في آخر الزمان^(٢). قال ابن جرير الطبري: «وبعد فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم، ويكون محلاً فيما يستأنف بعد

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٤٩) [دار طيبة، ط ٤]، وينظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٣٧) [مؤسسة قرطبة، ط ١].

(٢) ينظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٣٧)، والتذكرة للقرطبي (٣/ ١٢٦٦)، والبحور الزاهرة (١/ ٥٦٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة بينهما والمناسبة واضحة جدًا؛ فإن الدعاء في اللغة كما تقدم آنفًا يطلق على الطلب والسؤال والعبادة والرغبة، وهذه المعاني موجودة في المعنى الشرعي؛ إذ الداعي سواء كان دعاء مسألة أو دعاء عبادة طالب للأجر والثواب أو طالب لحاجته من نيل مرغوب أو دفع مرهوب، فأغلب المعاني اللغوية التي للدعاء لها مناسبة جلية للمعنى الشرعي^(٤).

الحكم:

اختلف العلماء في حكم الدعاء، فهناك من أوجبه، وهناك من استحبه، فأما من أوجبه؛ فلأنه من أهم الواجبات وأعظم المفروضات كما دلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]؛ ووجه الدلالة على الوجوب هو الأمر في قوله: ﴿ادْعُونِي﴾ والأمر للوجوب ولا صارف له، والآية تدل على أن ترك العبد دعاء ربه من الاستكبار، وهو كفر، وتجنب ذلك واجب لا شك فيه^(٥).

(٤) الدعاء ومنزله من العقيدة الإسلامية (٤٨/١ - ٤٩).
(٥) انظر: تحفة الذاكرين للشوكاني (ص ٢٨) [دار الكتب العلمية]، والأهمية في أحكام الأدعية للزركشي (٣٣) [دار الفرقان، ط ١، ١٤٠٨هـ].

الدعاء

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمه الله: «الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد؛ وهو أن تميل الشيء إليك بصوت، وكلام يكون منك؛ تقول: دعوت أدعو دعاءً»^(٦).

والدعاء: واحد الأدعية، وأصله دُعَاؤٌ؛ لأنه من دعوت، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت، ويصلح أن تكون الدعوى بمعنى الدعاء. ويقال: دعا الرجل يدعو دعوة ودعواً ودعاءً؛ أي: ناداه، ويشمل الدعاء في اللغة عدة معاني: كلها ترجع إلى معنى النداء، والطلب، والسؤال^(٧).

التعريف شرعاً:

الدعاء: الرغبة إلى الله تعالى، والتوجه إليه في تحقيق المطلوب أو دفع المكروه، والابتهال إلى الله في ذلك إما بالسؤال، أو بالخضوع، والتذلل والرجاء والخوف والطمع^(٨).

(١) مقاييس اللغة (٢/٢٧٩) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].
(٢) انظر: الصحاح (٦/٣٣٣٦ - ٣٣٣٧) [دار العلم للملايين، ط ٣]، وتهذيب اللغة (٣/١١٩ - ١٢٠) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ولسان العرب (١٥/٣٥٩ - ٣٦٠) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ].
(٣) الدعاء ومنزله من العقيدة الإسلامية (٤٨/١) [مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٣٢هـ].

✽ المنزلة:

جاءت النصوص الشرعية مبينة علو شأن الدعاء وسمو مرتبته وشرف مكانته، وعظيم قدره، ولهذا ذكر في القرآن الكريم في نحو ثلاث مئة موضع، وسماه عبادة، وتوعد من تركه استكباراً بدخول جهنم ذليلاً حقيراً، ولعظم شأنه سماه الله تعالى صلاةً، كما في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وسماه ديناً، كما في قوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

ومن أشهر الأحاديث المشيرة إلى شأن الدعاء وعظيم قدره ما رواه النعمان بن بشير رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة» ^(٤).

يقول الخطابي رحمته الله مبيناً معنى هذا الحديث: «إنه معظم العبادة أو أفضل العبادة كقولهم: الناس بنو تميم، والمال الإبل» ^(٥).

✽ الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي﴾

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الوتر، رقم ١٤٨١)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٢٩٦٩) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٢٨)، وأحمد (٢٩٧/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (رقم ١٣٢٩) [مؤسسة غراس، ط ١].

(٥) شأن الدعاء للخطابي (٤ - ٥) [دار الثقافة العربية، ط ٣، ١٤١٢هـ].

وأما من استحبه - وهم جمهور العلماء ^(١) - فاستدلوا بما استدل به القائلون بالوجوب، إلا أن تلك الأدلة محمولة على الاستحباب، لا على الوجوب، فقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ المراد بالدعاء هنا: العبادة كما يدل عليه آخر الآية: ﴿عَنْ عِبَادِي﴾، وليس المراد بها دعاء المسألة، والوعيد في الآية خاص بمن ترك الدعاء استكباراً، وأما من تركه ولم يقصد الاستكبار فلا تشمله الآية.

كما أنه لم يعهد من السلف من قال بوجوب الدعاء المطلق، وكذا لم يجب منه دعاء مفرد أصلاً، إلا أنه وجب ضمن الذكر والثناء مثل دعاء الفاتحة وما اختلف فيه من الدعاء بعد التشهد، وأما الدعاء المفرد فلم يجب ^(٢).

والراجح: أن الدعاء تجري منه الأحكام الخمسة فتارة يجب، وتارة يستحب، وتارة يباح، وتارة يكره وتارة يحرم، فتختلف فيه الأحكام بحسب الاعتبارات، والأصل فيه الاستحباب ^(٣).

(١) الأذكار المنتخبة للنووي (٣٥٣) [المكتبة الإسلامية، ط ٤، ١٣٧٥هـ]، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٧/٣٠) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط ١، ١٣٤٩هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣٧٩/٢٢، ٣٨١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ٢، ١٤٢٥هـ].

(٣) انظر: الدعاء ومنزله (١/٣٩٣ - ٣٩٤).

وقال الحليمي رَحِمَهُ اللهُ: «والدعاء في الجملة من جملة التخشع والتذل؛ لأن كل من سأل ودعا، فقد أظهر الحاجة، وباح واعترف بالذلة والفقر والفاقة لمن يدعو ويُسأله، فكان ذلك في العبد نظير العبادات التي يتقرب بها إلى الله - عزَّ اسمُه -، ولذلك قال الله رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَدْعُوْكُمْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر]، فأبان أن الدعاء عبادة، والخائف فيما وصفنا كالراجي؛ لأنه إذا خاف خشع وذل لمن يخافه، وتضرع إليه في طلب التجاوز عنه»^(٤).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ولفظ الدعاء في القرآن يتناول هذا وهذا؛ الدعاء بمعنى العبادة، أو الدعاء بمعنى المسألة، وإن كان كل منهما يستلزم الآخر، لكن العبد قد تنزل به النازلة، فيكون مقصوده طلب حاجته، وتفريج كرباته، فيسعى في ذلك بالسؤال والتضرع، وإن كان ذلك من العبادة والطاعة، ثم يكون في أول الأمر قصده حصول ذلك المطلوب؛ من النصر، والرزق، والعافية مطلقاً، ثم الدعاء والتضرع يفتح له من أبواب الإيمان بالله رَحِمَهُ اللهُ، ومعرفة، ومحبة، والتنعم

أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر]، وقال: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الحج]، وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصاص].

ومن السُّنَّة: حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «من مات وهو يدعو من دون الله نداءً دخل النار»^(١).

وعن النعمان بن بشير؛ أن رسول الله ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: «ومعنى الدعاء: استدعاء العبد ربه رَحِمَهُ اللهُ العناية، واستمداده إيَّاه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتَّبرُّؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله رَحِمَهُ اللهُ، وإضافة الجود والكرم إليه، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»... وقوله: «الدعاء هو العبادة» معناه: أنه معظم العبادة، أو أفضل العبادة»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٤٩٧).

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

(٣) شأن الدعاء للخطابي (٤ - ٥).

(٤) المنهاج في شعب الإيمان (٥١٧/١) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩هـ].

المدعو لمسأله، وهذا دعاء المسألة، وكلا النوعين فيه خاصية وفائدة لا تكون في النوع الآخر، ففي الثناء والعبادة تمتلئ القلوب بالرغبة بعظمة الله وجلاله، وفي السؤال والطلب تمتلئ بالرغبة والانطراح بين يدي الله ﷻ^(٤).

وكلا نوعي الدعاء حق لله تعالى يختص بهما لا يصلحان لغيره، وصرف أي منهما لغير الله شرك ينافي أصل التوحيد.

ومن استقرأ آيات القرآن العظيم في التحذير من الشرك بالله تعالى، وجد أن أكثرها في التحذير من الشرك في الدعاء، ومن هنا صار الدعاء من صميم الاعتقاد، فمن صرف شيئاً من العبادة لغير الله تعالى فقد دعاه دعاء عبادة، وهذا كفر مخرج من الملة، ومن دعا ميتاً أو سأل أحداً شيئاً لا يقدر عليه إلا الله فإن هذا الدعاء والسؤال شرك مخرج من الملة.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: آداب الدعاء:

للدعاء آداب عدة ينبغي للداعي أن يتصف بها حال دعائه وتضرعه وابتهاله وسؤاله، وقد اجتهد العلماء في تتبعها وحصرها، فمنهم من عدّها شروطاً، ومنهم من عدّها أركاناً، ومنهم من عدّها

(٤) الدعاء ومنزله (١١٤/١).

بذكره ودعائه، ما يكون هو أحب إليه وأعظم قدراً عنده من تلك الحاجة التي أهمته، وهذا من رحمة الله بعباده، يسوقهم بالحاجات الدنيوية إلى المقاصد العلية الدينية^(١).

الأقسام:

قسّم المحققون من أهل العلم الدعاء إلى نوعين^(٢):

النوع الأول: دعاء عبادة.

والنوع الثاني: دعاء مسألة.

وهما متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة؛ فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ودفعه، وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود، ولا بد أن يكون مالكا للنفع والضر، فهو يدعو للنفع والضر دعاء مسألة، ويدعو خوفاً ورجاء دعاء العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان^(٣).

ووجه انقسام الدعاء إلى نوعين: أن القصد إلى المدعو يكون لذاته، وهذا دعاء العبادة والثناء، ويكون القصد إلى

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٧٨٧/٢) [مكتبة الرشد].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣٧/١٠)، (٢٥٨) (١٠/١٥) (٤٩٨/٢٢)، ويدائع الفوائد (٨٣٥/٣) [دار عالم الفوائد].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣٧/١٠)، (٢٥٨) (١٠/١٥).

(٤٩٨/٢٢)، ويدائع الفوائد (٨٣٥/٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد مضت السُّنة أن الحي يطلب منه الدعاء كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه. وأما المخلوق الغائب والميت فلا يطلب منه شيء»^(٢).

- المسألة الثالثة: الدعاء عند القبور:

الأصل في الدعاء أنه لا يختص بمكان معين، والمساجد بيوت بنيت لعبادة الله وحده فهي أولى الأمكنة بأن يدعى فيها؛ إذ دعاء الله وحده من أجل الطاعات، وأما الدعاء عند القبور فإن كان ذلك تبعًا للزيارة الشرعية كأن دعا لنفسه بعدما دعا للميت كقوله: اللّهُمَّ اغفر له ولنا فلا بأس بذلك، وإن كان الداعي يقصد القبور ليدعو الله عندها فلا شك أن هذا منكر يخشى أن يؤدي إلى الشرك.

- المسألة الرابعة: طلب الدعاء من

الأموات:

إن من يأتي القبور سواء كانت للأنبياء، أو الصالحين، أو نحوهم ويدعوهم، ويناديهم بأن يدعوا الله له، ويقول: يا فلان اسأل الله لي، أو ادعوا الله لي، ونحو ذلك، فعلى الصحيح من أقوال أهل العلم أنه شرك أكبر؛ بل هو أم لعدة أنواع من الإشراك بالله تعالى.

سُننًا، ومنهم من عدّها آدابًا، والسبب في ذلك أنها ليست على مرتبة واحدة في الأهمية، وهي في جملتها آداب ثبوتية، وعدمية، فأما الآداب العدمية فهي على سبيل الإجمال ثلاثة: عدم الاعتداء في الدعاء، وعدم التلبس بالحرام، وعدم الاستعجال، ونحوها.

وأما الآداب الثبوتية فهي كثيرة، وأهمها وأصحها: الإخلاص، والتوبة، والتضرع والخشوع، والإلحاح، والتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، واستقبال القبلة، ونحوها.

فهذه هي الآداب العدمية والثبوتية على سبيل الإيجاز والإجمال وبسطها وتفصيلها بكيفياتها وأدلتها يرجع إليه في مظانها من كلام أهل العلم في كتب الأدعية والأذكار^(١).

- المسألة الثانية: حكم دعاء غير الله:

يختلف حكم دعاء غير الله باختلاف الأحوال، فإن كان المدعو حيًا حاضرًا قادرًا فجائز، وإن كان المدعو ميتًا فيحرم سؤاله؛ بل هو شرك بالله، وإن كان المدعو حيًا قادرًا لكنه غير حاضر فيحرم سؤاله أيضًا بل فيه إشراك بالله في صفة السمع، وإن كان المدعو حيًا حاضرًا لكن السؤال فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو أيضًا من الشرك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإن أثبتُّ وسائط بين الله، وبين خلقه؛ كالحُجَّاب الذين بين الملك ورعيته؛ بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدي عباده، ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم، وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس؛ لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك؛ لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبت وسائط على هذا الوجه، فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا لله أندادًا»^(١).

الثمرات:

ثمرات دعاء الله تعالى كثيرة جدًا، فمن أعظم ثمراته امتثال أمر الله تعالى، وطاعته حين أمر عباده بدعائه، ووعدهم بالاستجابة، وفي ذلك الأجر الكبير، والثواب الجزيل، في العاجل والآجل.

ومنها: سلامة الداعي من الكبر، المؤدي إلى جهنم، كما دلَّت على ذلك آية غافر.

ومنها: أنه يجلب على الداعي مصالح دنيوية وأخروية، لا تعد ولا تحصى، فيفتح له من أبواب الإيمان بالله ﷻ، ومعرفته، ومحبته، والتنعيم بذكره ودعائه، ما يكون هو أحب إليه وأعظم قدرًا عنده من تلك الحاجة التي أهمته، وهذا من رحمة الله بعباده، يسوقهم بالحاجات الدنيوية إلى المقاصد العلية الدينية، وغير ذلك من الثمرات الجليلة، والمنافع العظيمة.

الآثار:

الآثار المترتبة على إفراد الله تعالى بالدعاء: أنه تحقيق للتوحيد الخالص، الذي هو أعظم مأمور، وأجل مقصود

الفروق:

الفرق بين الاستغاثة والدعاء:

الاستغاثة خاصة بما إذا كان المطلوب رفع الشدة الواقعة، أما الدعاء فيشمل ما إذا كان المطلوب حصول منفعة أو دفع شدة، كما أنه يشمل طلب منع الشدة التي لم تقع ويشمل أوقات الشدة والرخاء فهو أعم، فعلى هذا فبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان

(٢) انظر: القول السديد للسعدي، ضمن المجموعة الكاملة (٢٢/٣) [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط ٣، ١٤١٢هـ].

(١) مجموع الفتاوى (١/١٢٦)، وانظر: المصدر نفسه (١/١٥٨)، وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبرية (٣/١٤٨٧) [دار الصميعي، ط ١، ١٤١٧هـ].

والشرك عمومًا آثاره وخيمته، ومفاسده عظيمة، وهي مشاهدة ومعلومة.

✽ مذهب المخالفين:

١ - خالف بعض الطوائف وقالوا: لا حاجة إلى الدعاء، ولا فائدة منه؛ لأن الأقدار سابقة، والأقضية متقدمة، والدعاء لا يزيد فيها، وتركه لا ينقص شيئًا منها^(١).

وهذا المذهب باطل، وحكايته تغني عن سقوطه؛ لأن القرآن والسنة قد حضا على الدعاء، وأمر به، وأجمع المسلمون قديمًا وحديثًا على أن الدعاء هو من أفضل القربات والطاعات.

قال أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: «فأما من ذهب إلى إبطال الدعاء، فمذهبه فاسد، وذلك أن الله أمر بالدعاء وحض عليه، فقال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال رَجُلٌ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَا يَدْعُوا بِكُمْ بِلَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧] في آي ذوات عدد من القرآن، ومن أبطل الدعاء فقد أنكر القرآن، وردّه، ولا خفاء بفساد قوله، وسقوط مذهبه»^(٢).

٢ - خالف بعض الطوائف في أن الدعاء لا يكون عبادة، إلا إذا اعتقد في

وغاية خلق لأجلها الإنس والجن.

ومنها: أنه من أعظم الأسباب في حصول المطلوب الدنيوي والأخروي.

ومنها: أنه يجلب الراحة القلبية، والسعادة والطمأنينة للعبد الداعي؛ حيث جمع قلبه على مقصود واحد، ولم يشتت قلبه، ويصرف نظره لغيره تعالى.

ومنها: أنه يجلب أنواعًا من العبادات: كالتوكل، والخضوع، والذلة، والمحبة، والاستكانة، ونحوها، وفي ذلك الفوز العظيم، والثواب الجزيل، وغيرها من الآثار الظاهرة.

وأما عن الآثار المترتبة على صرف الدعاء لغير الله تعالى: فمنها: ظهور الشرك وانتشاره، الذي هو أقبح الذنوب على الإطلاق، وبسببه يحل العقاب، وتنزل المصائب الدنيوية والأخروية.

ومنها: ضيق القلب، وتشتته، وعدم طمأنينته وراحته، وحصول الشقاوة في الدنيا والآخرة؛ لأن هذا الداعي قد فرق عليه أمره؛ حيث صرف حق خالص الله تعالى إلى معبودات، لا تنفعه؛ بل تضره، ولا تجلب له رزقًا ولا تملك له حياة ولا نشورًا، وهذا مشاهد معلوم.

حلول المصائب والعقوبات، على الأفراد والمجتمعات، وذلك بما كسبت أيدي الناس؛ إذ إن دعاء غير الله تعالى من أعظم أنواع الشرك وأخطرها،

(١) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٦).

(٢) المصدر السابق (٨).

يقول أبو الشناء الألوسي رَحِمَهُ اللهُ: «إن الناس قد أكثروا من دعاء غير الله تعالى من الأولياء الأحياء منهم والأموات وغيرهم، مثل: يا سيدي فلان أغثنني، وليس ذلك من التوسل المباح في شيء، واللائق بحال المؤمن عدم التفوه بذلك، وأن لا يحوم حول حماه، وقد عدّه أناس من العلماء شركاً، وأن لا يكتنه فهو قريب منه، ولا أدري أحداً ممن يقول ذلك إلا وهو يعتقد أن المدعو الحي الغائب، أو الميت المُغَيَّب، يعلم الغيب، أو يسمع النداء، ويقدر بالذات، أو بالغير على طلب الخير، ودفع الأذى، وإلا لما دعاه، ولا فتح فاه، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم، فالحزم التجنب عن ذلك، وعدم الطلب إلا من الله تعالى القوي الغني الفعال لما يريد»^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
- ٢ - «تحفة الذاكرين»، للشوكاني.
- ٣ - «تصحيح الدعاء»، لبكر أبي زيد.
- ٤ - «الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية»، لأبي عبد الرحمن جيلان العروسي.

٥ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

- ٦ - «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.

(٢) روح المعاني (١٢٨/٦) [دار إحياء التراث العربي].

المدعو شيئاً من الربوبية أو التأثير: والمقصود: أن دعاء غير الله تعالى، والاستغاثة به، ونحوه لا يعتبر شركاً أكبر عندهم إلا إذا كان يعتقد فيهم التأثير، أو أنهم يخلقون، أو يرزقون، ونحو ذلك من أفراد الربوبية^(١).

وهذا من أبطل الباطل؛ يوضحه: أن كفار قريش الذين قاتلهم النبي ﷺ كانوا يدعون آلهتهم وأصنامهم من دون الله تعالى، وهم يقرون بأن الله هو الخالق، والرازق، والمدير، ونحوه، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف]، وأمثال ذلك كثير في القرآن، فكفرهم كان من جهة صرفهم لأنواع العبادة من دون الله تعالى، ومن أعظمها الدعاء، ولم يكن كفرهم وشركهم لأنهم كانوا يعتقدون فيها التأثير، أو الربوبية، كما زعم هؤلاء.

ثم ليس يخفى وجود التلازم بين دعاء غير الله تعالى، واعتقاد النفع والضرر فيه، وإلا فما الذي جرأ هؤلاء على دعائهم من دون الله تعالى، لولا أنهم يعتقدون فيهم شيئاً من الربوبية، أو شيئاً من أفرادها، وأنواعها.

(١) انظر: الدرر السنية لزيني دحلان (١٥، ٣٤ - ٣٥) [مكتبة الحقيقة بإسطنبول]، وشواهد الحق ليوسف بن النبهاني (٦٩) [المطبعة الميمنية لمصطفى البابي الحلبي]، وبراءة الأشعرين لابن مرزوق (٣٨٨/١) [مطبعة العلم بدمشق، ١٣٨٨هـ].

٧ - «فقه الأدعية والأذكار»، لعبد الرزاق البدر.

٨ - «الشرك ومظاهره»، لمبارك الملي.

٩ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

١٠ - «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية»، لشمس الدين الأفغاني.

مرجعها إلى العدل والعلم والحلم، ويقال: أحكمته التجارب، إذا كان حكيمًا، وأحكم فلان عني كذا؛ أي: منعه... وكل شيء منعه من الفساد فقد حَكَمْتُهُ، وَحَكَمْتُهُ وَأَحْكَمْتُهُ^(٢). وقال الجوهرى: «والحكيم المتقن للأمور»^(٣).

والإتقان في اللغة: الإحكام^(٤)، وفي اللسان: «وأتقن الشيء أحكمه، وإتقانه إحكامه، والإتقان الإحكام للأشياء»^(٥).

فالإحكام والإتقان معناهما واحد، وهو ضبط الشيء ومنع وقوع الفساد والخلل فيه.

التعريف اصطلاحًا:

أن إحكام وإتقان خلق السماوات والأرض، وما فيها، وخلق الإنسان، وغيره من المخلوقات، يدل على وجود خالق عليم حكيم.

الأسماء الأخرى:

يسمى الكثيرون هذا الدليل: دليل العناية، والبعض يرى أن دليل العناية زائد على الإتقان^(٦). كما يسمى دليل النظام أو التناسق^(٧).

(٢) العين (٦٧/٣) [دار مكتبة الهلال].

(٣) الصحاح (١٩٠١/٥) [دار العلم للملايين، ط٣].

(٤) انظر: العين (١٢٩/٥).

(٥) لسان العرب (٧٣/١٣) [دار صادر].

(٦) انظر: العقيدة الإسلامية لعبد الرحمن حنكة (١٣٠).

[دار القلم، ط٦، ١٤١٢هـ].

(٧) انظر: عقيدة التوحيد لملكاوي (١٤٧) [دار ابن

تيمية، ط١، ١٤٠٥هـ].

دعاء العبادة

يراجع مصطلح (الدعاء).

دعاء المسألة

يراجع مصطلح (الدعاء).

دلائل النبوة

يراجع مصطلح (النبوة).

دليل الأحكام والإتقان

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع. وأول ذلك الحُكْم، وهو المنع من الظلم. وسميت حَكْمَةُ الدابة لأنها تمنعها، يقال: حَكَمْتُ الدابة وَأَحْكَمْتُهَا. ويقال: حَكَمْتُ السفينة، وأحكمته: إذا أخذت على يديه»^(١). وقال الخليل: «الحَكْمَةُ

(١) مقاييس اللغة (٩١/٢) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ].

الحكم:

هذا دليل شرعي على وجود الله ووحدانيته^(١).

الحقيقة:

يقول الرازي في شرح هذا الدليل: «وهي^(٢) الاستدلال بما في العالم من الإحكام والإتقان على علم الفاعل، والذي يدل على علم الفاعل هو بالدلالة على ذاته أولى^(٣)». وما في العالم من عجب الصنع، وعظيم القدرة، يدل على وجود خالق عظيم منفرد بالخلق والربوبية.

المنزلة:

إتقان الخلق وإحكامه من أعظم الأدلة على وجود الله، يتفق في هذا الدليل أهل السُّنة والفلاسفة والمتكلمون، وهو يدل على علم الفاعل وحكمته، والفلاسفة والمتكلمون يلزمهم الإقرار بثبوت ذلك لله من غير تقصير في مدلول العلم والحكمة والإرادة؛ لأنه من لوازم هذا الدليل.

الأدلة:

قال رَجُلٌ: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا

(١) انظر: التوحيد لابن منده (٩٧/١) [مطابع الجامعة الإسلامية].

(٢) الضمير هنا يعود إلى الطريقة الخامسة في إثبات وجود الله.

(٣) نقله ابن تيمية في درء التعارض (٨٧/٣) [مكتبة ابن تيمية]، وانظر: المطالب العالية (٢٣٣/١) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٧هـ].

تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ ﴿٣﴾ [الملك: ٣].

وقوله رَجُلٌ: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة: ٧].

وقوله رَجُلٌ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «أفعاله المحكمة المتقنة دلت على علمه، وهذا مما وقع الاتفاق عليه من هؤلاء، فإنهم يسلمون أن الإحكام والإتقان يدل على علم الفاعل، وهذا أمر ضروري عندهم وعند غيرهم، وهو من أعظم الأدلة العقلية التي يجب ثبوت مدلولها، والإحكام والإتقان إنما هو أن يضع كل شيء في محله المناسب، لتحصل به الحكمة المقصودة منه^(٤)».

وقال ابن القيم: «ومن نظر في هذا العالم وتأمل أمره حق التأمل، علم قطعاً أن خالقه أتقنه وأحكمه غاية الإتقان والإحكام^(٥)».

الآثار:

١ - الإيمان بقدرة الرب، وعلمه، وانفراده بالربوبية.

٢ - زيادة الإيمان، باستشعار قدرة الرب وعظمته في خلقه وإحكامه للمخلوقات.

(٤) النبوات (٣٧٦).

(٥) الصواعق المرسلة (١٥٦٧/٤).

بشيءٍ خَصُوصِيَّةً، بفتح الخاء، وهو القياس لأنه إذا أُفرد واحدٌ فقد أوقع فُرْجَةً بينه وبين غيره، والعموم بخلاف ذلك»^(١).

فالاختصاص يدل على أفراد الشيء بأمر ما، يقال: تَخَصَّص فلان بالأمْر واختَصَّ به، إذا انفرد به، وَخَصَّ غيره واختَصَّه بـبَرِّه^(٢).

التعريف اصطلاحًا:

دليل الاختصاص: من الأدلة التي سلكها بعض الأشاعرة في إثبات وجود الله، وهو مبني على أن الأجسام متماثلة في الماهية، وأما صفات الأجسام فمختلفة، واستنتجوا من تخصيص كل جسم بصفته أنه ممكن ويحتاج لمخصص، ولا بد من وجوب المخصص وأنه ليس بجسم؛ منعًا للتسلسل، يقول الرازي: «قد دللنا على أن الأجسام بأسرها متساوية في تمام الماهية، وإذا كانت كذلك، كان اختصاص جسم الفلك بما به صار فلكًا، واختصاص جسم الأرض بما به صار أرضًا، أمرًا جائزًا، فلا بد له من مخصص، وذلك المخصص؛ إن كان جسمًا افتقر في تركيبه، وتألفه، إلى نفسه، وهو محال، وإن لم يكن جسمًا،

٣ - الحث على التفكير والتدبر في آيات الله في الأنفس والآفاق.

المصادر والمراجع:

١ - «الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد»، لسعود العريفي.

٢ - «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية»، لآمال العمرو.

٣ - «توحيد الخالق»، لعبد المجيد الزنداني.

٤ - «درء التعارض» (ج ٣)، لابن تيمية.

٥ - «العقيدة الإسلامية»، لعبد الرحمن حبنكة.

٦ - «عقيدة التوحيد في القرآن الكريم»، لمحمد ملكاوي.

٧ - «قلب الأدلة على الطوائف المخالفة في توحيد المعرفة والإثبات»، لتميم القاضي.

٨ - «المطالب العالية» (ج ١)، للرازي.

دليل الاختصاص

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الخاء والصاد أصلٌ مطَّرد منقاس، وهو يدلُّ على الفُرْجَة والثُّلمة. فالخَصَاص الفُرْج بين الأثافي. ويقال للقمر: بدا من خَصَاصَة السَّحاب، ومن الباب: خَصَصْتُ فلانًا

(١) مقاييس اللغة (٢/ ١٥٢ - ١٥٣) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٦/ ٥٢٥) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ولسان العرب (٧/ ٢٤) [دار صادر].

مخصص، وهو الصانع تعالى^(٤)، وهذه الصيغة أقرب للدليل إمكان الأجسام الذي يقول به ابن سينا^(٥). ثم تلتها المرحلة الأخرى وهي القول بتخصيص الصفات وحاجتها لمخصص.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المعنى اللغوي للاختصاص هو أفراد الشيء بأمر ما عن غيره، وهو المعنى المراد في الاصطلاح، إذ فحوى الدليل حول انفراد جسم ما بهيئته وصفته عن غيره، رغم تماثل الأجسام في الماهية عندهم، أو انفراد الشيء بالوجود مع احتمال أن يكون عدماً كغيره من المعدومات.

الأسماء الأخرى:

يعرف هذا الدليل بدليل إمكان الصفات^(٦)، ودليل إمكان الأعراض^(٧). وقد سبق عند شرح دليل حدوث الأعراض، دخول الاستدلال بإمكان

فهو المطلوب^(١). وقد ورد الاستدلال بالتخصيص بشكل مختصر عند المعتزلة في أثناء شرحهم للدليل حدوث الأجسام، وبنائه على حدوث الأعراض^(٢). وقد ورد دليل الاختصاص عند متقدمي الأشاعرة بصيغة أخرى، هي اختصاص الممكن بالوجود بدل العدم، حيث يقول البغدادي: «والدليل على أن الحادث لا بد له من محدث، أنه يحدث في وقت ويحدث ما هو من جنسه في وقت آخر، فلو كان حدوثه في وقته لاختصاصه، لوجب أن يحدث في وقته كل ما هو من جنسه، وإذا بطل اختصاصه بوقته لأجل الوقت، صح أن اختصاصه به لأجل مخصص خصصه به، لولا تخصيصه إياه به لم يكن حدوثه في وقته أولى من حدوثه قبل ذلك، أو بعده^(٣). ويقول الجويني: «والحادث جائز الوجود، إذ يجوز تقدير وجوده بدلاً عن عدمه، ويجوز تقدير عدمه بدلاً عن وجوده، فلما اختص بالوجود الممكن بدلاً عن العدم الجائز افتقر إلى

(١) معالم أصول الدين (٣٤) [دار الفكر اللبناني، ط ١، ١٩٩٢م]، وانظر: المطالب العالية (١/١٨٤) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٧هـ]، والمواقف (٢٦٦) [عالم الكتب].

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة (٩٦) [مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤٠٨هـ].

(٣) أصول الدين للبغدادي (٦٩) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٠١هـ].

(٤) لمع الأدلة (٩١) [عالم الكتب، ط ٢، ١٤٠٧هـ]، وانظر: الإرشاد للجويني (٢٨) [مكتبة الخانجي، ١٣٩٦هـ].

(٥) انظر: الإشارات والتنبيهات (١٩/٣ - ٢٠) [دار المعارف، ط ٣]، والمطالب العالية (١/٧٢)، وانظر تعليق ابن تيمية في: درء التعارض (٣/٧٤) [مكتبة ابن تيمية].

(٦) انظر: معالم أصول الدين (٣٤)، والمطالب العالية (١/١٨٤).

(٧) انظر: المواقف (٢٦٦).

غير متماثلة فذرات الماء ليست مماثلة لذرات الحديد، وذرات الحديد لا تماثل ذرات النحاس ولا الذهب وغيرها. فكل جسم له ذراته الخاصة به، كما أن ارتباط الذرات المختلفة ببعض، ينتج أنواعًا مختلفة من المواد^(٥).

ثالثًا: أن هذا الدليل مبني على دليل حدوث الأعراض والأجسام، وحقيقته نفي الصفات الفعلية^(٦).

فهذا الدليل فاسد، ولا أدلّ على بطلانه من اضطراب منظره في كثير مما يبنى عليه هذا الدليل كالقول بتماثل الأجسام، وتعريف الممكن، والجسم، كما لم يمكنهم إقامة دليل صحيح على ما ادعوه.

الحقيقة:

فكرة هذا الدليل مأخوذة من دليل إمكان الأجسام الذي يقول به ابن سينا وأتباعه، وهو باختصار: أن الأجسام ممكنة، وكل ممكن فوجوده من غيره، والذي أفاده الوجود إن كان ممكنًا وتسلسل فالسلسلة واجبة بغيرها، وإن لم تتسلسل الممكنات انتهت إلى واجب الوجود وهذا هو المطلوب^(٧). وهذا

الصفات فيه، وأنه أحد الطرق التي يسلكها المتكلمون في شرح دليل الأعراض^(١).

الحكم:

هذا الدليل باطل عند أكثر العقلاء^(٢)، لأمر:

أولًا: أن هذا الدليل غير وارد في الكتاب والسنة، والمتكلمون يقولون عنه: إنه مقدمة شريفة، يفرع عنها القول في الإله، والقول بالنسبة، والقول بأحوال الآخرة، والقيامة^(٣)، فكيف لا يذكر الرسول شيئًا في غاية الأهمية - كما يزعمون -؛ بل يكون الرسول لم يبلغ البلاغ الكامل، وهذا أمر بين البطلان.

ثانيًا: هذا الدليل مبني على القول بتماثل الأجسام، ولا ريب أن قولهم بتماثل الأجسام قول باطل، وقد بنوا ذلك على تركبه من الجواهر المفردة، وعلى أنها متماثلة، وهذا يبنى على صحة ذلك، وعلى إثبات الجوهر الفرد، وعلى أنه متماثل، وجمهور العقلاء يخالفونهم في ذلك^(٤). وقد أثبت العلم الحديث اختلاف ذرات الأجسام، وأنها

(١) انظر: درء التعارض (٨٢/٣) (٢٩٤/٥) (١٤١/٧)، ومن كتب المتكلمين: معالم أصول الدين (٣٤)، والمطالب العالية (١٨٤/١).

(٢) درء التعارض (٢٩٣/٥).

(٣) انظر: المطالب العالية (١٨٦/١).

(٤) انظر: التدمرية (١٢١ - ١٢٢) بتصرف [العبيكان، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٥) انظر: نحو فلسفة العلوم الطبيعية، النظريات الذرية

والكوانتم والنسبية، لعبد الفتاح غنيمه (٦٣ - ٦٥)،

وانظر: مصطلح الجوهر الفرد وموقف العلماء منه.

(٦) انظر: درء التعارض (٢٩٤/٥)، (٢٩٨).

(٧) انظر: الإشارات والتنبيهات (١٩/٣ - ٢٠)، =

كما أن قولهم باختصاص الذات الممكنة بالوجود بدل العدم هو أحد الطرق التي يسلكها المتكلمون في شرح دليل حدوث الأجسام^(٤).

ويفرق الرازي بين دليل حدوث الصفات ودليل إمكانها وهو الاختصاص بقوله: «والفرق بين الاستدلال بإمكان الصفات وبين الاستدلال بحدوثها؛ أن الأول يقتضي أن لا يكون الفاعل جسمًا، والثاني لا يقتضي ذلك»^(٥).

الآثار:

- ١ - أن هذا الدليل يفضي إلى نفي الصفات، وتعطيل الرب ﷻ عن كماله.
- ٢ - تهميش نصوص الكتاب والسنة وتقديم العقل عليها.
- ٣ - التشكيك في الاعتقاد، بما فيها من شبهات، وكلام مجمل يحمل معان باطلة.

المصادر والمراجع:

- ١ - «أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة»، لمنيف العتيبي [رسالة دكتوراه].
- ٢ - «الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات»، لعبد القادر بن محمد عطا صوفي.

ومن كتب المتكلمين: معالم أصول الدين (٣٤)، والمطالب العالية (١٨٤/١).
 (٤) انظر: التمهيد (٤٤)، والإنصاف (١٧)، وانظر من كتب أهل السنة: درء التعارض (٧٢/٣).
 (٥) نقلًا عن درء التعارض (٨٢/٣ - ٨٣) (٢٩٤/٥).

الدليل مبني على دليل حدوث الأعراض والأجسام، وحقيقته نفي الصفات الفعلية.

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام عن هذا الدليل: «وهو مبني على تماثل الأجسام، وهو باطل عند أكثر العقلاء، وهو مبني على مقدمتين: **إحدهما**: أن اختصاص كل جسم بما له من الصفات لا يكون إلا لسبب منفصل. **والثانية**: أن ذلك السبب لا يكون إلا مخصصًا ليس بجسم. قلت: وهاتان المقدمتان قد عرف نزاع العقلاء فيها، وما يرد عليهما من النقض والفساد، ومخالفة أكثر الناس لموجبهما»^(١). بل من كبار الأشاعرة من نقضها كالآمدي^(٢).

الفروق:

الاستدلال بالاختصاص وهو ما يسمى بدليل إمكان الصفات، أو دليل إمكان الأعراض؛ هو أحد الطرق التي يسلكها المتكلمون في شرح دليل حدوث الأعراض^(٣).

= والمطالب العالية (٧٢/١)، وانظر تعليق ابن تيمية في: درء التعارض (٧٤/٣).

(١) درء التعارض (٢٩٣/٥)، وتفصيل نقض هاتين المقدمتين في الدرر (٧٨/٣ - ٧٩، ٣٥١ - ٣٨٧).
 (٢) انظر: أبحاث الأفكار (٣/٣٠٩ - ٣٣٥) [مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط ٢، ١٤٢٤هـ].
 (٣) انظر: درء التعارض (٨٢/٣) (٢٩٤/٥) (١٤١/٧).

وقال الجوهري: «الدليل: ما يستدل به. والدليل: الدالّ. وقد دلّه على الطريق يدلّه دلالة ودلالة ودُلولة، والفتح أعلى»^(٣).

وأما الإمكان: فمن مادة: (مكن)، قال الجوهري: «مكنه الله من الشيء وأمكنه منه، بمعنى. واستمكن الرجل من الشيء وتمكن منه، بمعنى. وفلان لا يمكنه النهوض؛ أي: لا يقدر عليه»^(٤). فالممكن هو الشيء المقدور عليه.

التعريف اصطلاحًا:

هو الاستدلال بوجود الممكنات على أن لها خالقًا وموجدًا^(٥).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاح:

يمكن أن يقال بوجود علاقة بين المعنيين؛ فإن الممكن في اللغة هو الشيء المقدور عليه، والممكنات هي الموجودات التي أوجدها الله بقدرته العظيمة، وهي دالة على خالقها وموجدها.

الحكم:

دليل الإمكان باطل؛ لأنه دليل مبتدع

(٣) الصحاح (١٦٩٨/٤) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٤) الصحاح (٢٢٠٥/٦).

(٥) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد لإبراهيم البريكاني (٢/٤٨٠) [دار ابن القيم، الرياض، ودار ابن عفان، القاهرة، ط ١، ١٤٢٥هـ].

٣ - «درء التعارض» (ج ٣، ٥، ٧)، لابن تيمية.

٤ - «دليل الحدوث أصوله ولوازمه»، لأحمد الغامدي [رسالة دكتوراه].

٥ - «منهج المتكلمين والفلاسفة المنتسبين للإسلام في الاستدلال على وجود الله»، ليوسف الأحمد [رسالة دكتوراه].

٦ - «أبكار الأفكار» (ج ٣)، للآمدي.

٧ - «المطالب العالية» (ج ١)،

للرازي.

دليل الإمكان

التعريف لغة:

هذا المصطلح مركّب من كلمتين؛ الدليل، والإمكان، أما الدليل: فمن مادة: (دل)، قال ابن فارس: «الدال واللام أصلان؛ أحدهما: إبانة الشيء بأمانة تتعلمها، والآخر: اضطراب في الشيء. فالأول قولهم: دللت فلانًا على الطريق. والدليل: الأمانة في الشيء. وهو بين الدلالة والدلالة»^(١).

وقال الأزهرى: «الدليل يسمى هاديًا؛ لأنه يتقدم القوم ويتبعونه ويكون أن يهدهم للطريق»^(٢).

(١) مقاييس اللغة (٢/٢٥٩) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) تهذيب اللغة (٦/٢٠٤) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م].

وأتباعه المشائين، وإنما فيه أن الوجود وجود واجب، وهذا يسلمه منكرو الصانع كفرعون والذهرية المحضة من الفلاسفة والقرامطة ونحوهم، ويقولون: إن هذا الوجود واجب الوجود بنفسه^(٢).

وقال الشيخ أحمد بن عطية الغامدي: «الفلاسفة: وقد سلكوا في إثبات وجود الله تعالى طريق الوجوب والإمكان، وقسموا الموجودات إلى واجب، وممكن، بدلاً من قديم وحادث، وذلك نظراً لأنهم لا يقولون بحدوث العالم، فاستدلوا بالإمكان بدل الحدوث»^(٣).

الآثار

من الآثار السيئة التي ترتبت على الاستدلال بدليل الإمكان الذي ابتدعه الفلاسفة والمتكلمون: نفي صفات الكمال عن الله تعالى، حيث كان من نتائج هذا الدليل قولهم بإمكان الذوات وإمكان الصفات، بناء على أن الأجسام عندهم متماثلة^(٤)، ذكر شيخ الإسلام في رده على الفلاسفة أن هذا الدليل «لا يفيد إلا إثبات وجود واجب فقط، وأنها

محدث، ولا يثبت الذات الإلهية ولا يدل على وجود خالق أبدع السماوات والأرضين وما بينهما، وفيه تعقيد وطول ممل، ثم أخيراً يقرر حقيقة لا اختلاف فيها بين العقلاء المعبرين، وهي إثبات وجود الله^(١).

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية في دليل الإمكان: «فهذا الدليل مبني على مقدمتين؛ **إحدهما**: أن الممكنات موجودة. **والثانية**: أن الممكن لا يوجد إلا بواجب الوجود.

والمقدمة الأولى: لم يقررها بحال، ولا يمكن أن يسلك في ذلك طريقة ابن سينا وأمثاله من المتفلسفة، الذين قالوا: نفس الوجود يشهد بوجود واجب الوجود؛ فإن الوجود إما ممكن، وإما واجب، والممكن مستلزم للواجب، فثبت وجود الواجب على هذا التقرير، فإن هذه الطريقة وإن كانت صحيحة بلا ريب، لكن نتيجتها إثبات وجود واجب، وهذا لم يناع فيه أحد من العقلاء المعبرين، ولا هو من المطالب العالية، ولا فيه إثبات الخالق، ولا إثبات وجود واجب أبدع السماوات والأرض، كما يسلمه الإلهيون من الفلاسفة كأرسطو

(١) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (٣٢ - ٣٣) مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ.

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (٣٢ - ٣٣).

(٣) البيهقي وموقفه من الإلهيات (١١٩) [عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ٢].

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٣٠٧/١) [جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ].

الممكن، فهو عند المتكلمين: ما يجوز عليه الوجود والقدم، في حين أنه عند الفلاسفة: ما وجب وجوده بغيره^(٦).

وهذا الدليل له مقدمتان ونتيجتان:

أما المقدمتان فهما: «الأولى: أن الممكنات موجودة، والثانية: أن الممكن لا يوجد إلا بواجب الوجود»^(٧).

والنتيجتان: إمكان الذات، وإمكان الصفات^(٨).

الرد عليهم:

لا شك أن هذا الدليل غير صحيح، لما يأتي:

أولاً: أنه خالٍ عن إثبات الخالق.

الثاني: أنه خالٍ عن إثبات وجود الذات الإلهية.

الثالث: اشتماله على ألفاظ مبتدعة مجملة، مثل: واجب الوجود، والافتقار، والتركيب، ونحوها.

الرابع: ليس فيه إثبات وجود واجب مباين للمخلوقات، منفصل عنها.

الخامس: أن هذا الطريق فيه تطويل وتعقيد، بحيث إنه يحتاج إلى تعلم خاص يمكن صاحبه من إدراك ترابط

لا تفيد أنه مباين للعالم إلا بطريقة نفي الصفات، وهي باطلة^(١).

مذهب المخالفين:

جعل المتكلمون إثبات وجود الخالق أول واجب على المكلف، واستدلوا على وجود الله بما يسمونه بدليل الإمكان، وخلاصته: أن العالم ممكن، وكل ممكن محدث، فالعالم محدث، وكل حادث لا بد له من محدث، وهو الله؛ إذن: الله موجود^(٢). وبعبارة أخرى: أن العالم ممكن؛ لكونه مركباً وكثيراً، وكل ممكن فله علة مؤثرة، وهو الله^(٣). فجعلوا الممكنات دليلاً على وجود الله؛ لاستحالة وجودها بنفسها أو بممكن آخر؛ لاستغنائها به عن كل ما سواه، وافتقار الممكن إلى علته^(٤).

وهذا الدليل متفق عليه بين الفلاسفة والمتكلمين^(٥)، مع اختلافهما في مفهوم

(١) الصفدية لابن تيمية (١٩/٢) [مكتبة ابن تيمية، مصر، ط ٢، ١٤٠٦هـ].

(٢) انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني [مكتبة الخانجي، ومطبعة السعادة، ١٣٦٩هـ]، ونهاية العقول في دراية الأصول للرازي (٣٤٤/١) [دار الذخائر، بيروت].

(٣) انظر: المواقف للإيجي (٧/٣) [دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م]، وانظر: معارج القدس في مدارج معرفة النفس للغزالي (١٦٥) [دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢].

(٤) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (٣٢).

(٥) انظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات (١١٩).

(٦) انظر: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد لإبراهيم البريكاني (٤٨١/٢).

(٧) شرح العقيدة الأصفهانية (٣٢).

(٨) انظر: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد (٤٨٢/٢).

قسموا الموجود إلى محدث وقديم، وبيّنوا ثبوت القديم، أخذ هو يقسمه إلى واجب وممكن، وغرضه: إثبات وجود الواجب بدون إثبات حدوث العالم، وجعل وجود العالم ممكناً، وخالف بذلك طريقة سلفه الفلاسفة كأرسطو وأتباعه، فإن الممكن عندهم لا يكون موجوداً^(٢).

وبهذا يتبين بطلان استدلال المتكلمين والفلاسفة على إثبات الخالق بهذا الدليل وأمثاله مما عندهم، وإذا كان الأمر كذلك فإن الدليل الصحيح على إثبات الخالق هو ما توفر فيه شرطان؛ أحدهما: أن يكون مما اتفقت عليه العقول؛ أي: الفطرة العامة التي فطر الله الناس عليها ولم تفسدها الأهواء على صحته. وثانيهما: أن يكون شرعياً، بمعنى: أن الشرع استدلل به وأمر الناس أن يستدلوا به؛ كالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان^(٣).

وأما قولهم بإمكان الصفات فهذا مبني على قولهم بتماثل الأجسام^(٤)، وهو باطل؛ لأن لغة القرآن لا «تطلق لفظ المثل على كل جسم، ولا أن اللغة التي

المقدمات بعضها ببعض، فلا بد له من إثبات إمكانها بحدوثها، ثم الاستدلال بإمكانها على وجود الواجب.

السادس: أن هذا الدليل يثبت وجود واجب، وهذا القدر لا نزاع فيه بين العقلاء المعترين.

السابع: أن هذا الدليل ليس فيه إثبات موجود مباين للسموات والأرض، فضلاً عن مباينة الله للخلق.

الثامن: أن هذه الطريقة إن صحت فهي من قبيل الاستدلال بالخفي على الجلي، ومعلوم أن مناط الاستدلال هو التلازم بين الدليل والمدلول، فإذا كان المدلول أوضح من الدليل صار خطأ في البيان والدلالة، فيكون الدليل باطلاً^(١).

قال ابن تيمية: «إن طريقة ابن سينا وأتباعه في الوجود الواجب لا يفيد إلا إثبات وجود واجب فقط، وأنها لا تفيد أنه مباين للعالم إلا بطريقة نفي الصفات وهي باطلة، ولو صحت لم تفد إلا إثبات هذا الوجود المطلق، لا تفيد وجوداً مبايناً للمخلوقات منفصلاً عنها، فتفيد إثبات وجود في الذهن، أو إثبات وجود مشترك بين الموجودات، لا تفيد إثبات وجود مباين لوجود الممكنات.

وهو إنما أخذه من كلام المعتزلة لما

(٢) الصفدية لابن تيمية (١٩/٢).

(٣) انظر: النبوات لابن تيمية (١/١٩٢ - ٢٩٣) [أضواء

السلف، ١٦، ١٤٢٠هـ]، وابن تيمية السلفي لمحمد خليل هراس (٧٩ - ٨٠) [المطبعة اليوسفية بطنطا، ١٦].

(٤) انظر: درء التعارض (١/٣٠٧).

(١) انظر: شرح الأصفهانية (٣٢ - ٣٤)، ومنهج شيخ الإسلام في تقرير عقيدة التوحيد (٢/٤٨١ - ٤٨٢).

- نزل بها القرآن تقول: إن السماء مثل الأرض، والشمس والقمر والكواكب مثل الجبال، والجبال مثل البحار، والبحار مثل التراب، والتراب مثل الهواء، والهواء مثل الماء، والماء مثل النار، والنار مثل الشمس^(١). وإنما جاء المتكلمون بهذا لنفي الصفات عن الله، ولذا قال ابن تيمية: «صارت النفاة إذا أثبت أحد شيئاً من الصفات، كان ذلك مستلزماً لأن يكون الموصوف عندهم جسمًا - وعندهم الأجسام متمائلة - فصاروا يسمونه مشبهاً بهذه المقدمات التي تُلزمهم مثل ما ألزموه لغيرهم، وهي متناقضة، لا يتصور أن ينتظم منها قول صحيح، وكلها مقدمات ممنوعة عند جماهير العقلاء»^(٢).
- ٥ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.
- ٦ - «شرح حديث النزول»، لابن تيمية.
- ٧ - «الصفدية» (ج ٢)، لابن تيمية.
- ٧ - «منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد» (ج ٢)، لإبراهيم بن محمد البريكاني.
- ٨ - «النبوات» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٩ - «المواقف» (ج ٣)، لعضد الدين الإيجي.
- ١٠ - «نهاية العقول في دراية الأصول» (ج ١)، للرازي.

❏ دليل التطبيق ❏

❁ التعريف لغة:

التطبيق: في اللغة من مادة: (طَبَقَ)، ومعناها كما يقول ابن فارس: «الطاء والباء والقاف أصلٌ صحيح واحد، وهو يدل على وَضْع شيءٍ مبسوط على مثله حتى يغطيه. من ذلك الطَبَق. تقول: أَطَبَقْتُ الشيء على الشيء، فالأول طَبَقٌ للثاني؛ وقد تطابقا. ومن هذا قولهم: أَطَبَقَ الناس على كذا؛ كأن أقوالهم تساوت حتى لو ضَيَّر أحدهما طَبَقًا للآخر لصلح»^(٣). فمطابقة الشيء للشيء

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «ابن تيمية السلفي»، لمحمد خليل هراس.
- ٢ - «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد»، للجويني.
- ٣ - «البيهقي وموقفه من الإلهيات»، لأحمد الغامدي.
- ٤ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ١)، لابن تيمية.

(١) انظر: المصدر السابق (١/١١٥)

(٢) شرح حديث النزول لابن تيمية (٧٣ - ٧٤) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٥، ١٣٩٧هـ].

(٣) مقاييس اللغة (٣/٤٣٩) [دار الجيل، ط ١].

الاصطلاحى للفظ التطبيق، إلا أن المتكلمين ركبوا منه دليلاً، كما أن المثال الذي ذكره يمتنع التطبيق عليه؛ لأن فيه مساواة ما لا يتساوى.

سبب التسمية:

مأخوذ من مطابقة الشئين ببعضهما، ووضع كل جزء بمحاذاة ما طبق عليه.

الأسماء الأخرى:

يسمى: برهان القطع والتطبيق^(٢)، والبرهان التطبيقي^(٣)، ودليل التطبيق والموازنة والمسامة^(٤).

الحكم:

أولاً: أننا لا نسلم إمكان التطبيق مع التفاضل، وإنما يمكن التطبيق بين المتماثلين لا بين المتفاضلين^(٥).

ثانياً: أن التطبيق هنا يستلزم التفاضل بين الجانب المتناهي، لا بين الجانب الذي لا يتناهى، وهذا لا محذور فيه، فالجملتان اللتان طبقت إحداهما على الأخرى مع التفاوت في أحد الطرفين، وعدم التناهي في الآخر، هما متفاضلتان في الطرف الواحد، وتنطبق إحداهما على الأخرى في الطرف الآخر، فلا يصدق ثبوت مطابقة إحداهما للأخرى

مساواته له، وتطبيق الشيء على الآخر وضعه عليه من أوله حتى يساويه.

التعريف اصطلاحاً:

دليل التطبيق: من أشهر براهين المتكلمين لمنع حوادث لا أول لها، وإبطال التسلسل في الماضي، ويقوم على فرض سلسلتين زمنيتين غير متناهيتين في الأزل، إحداهما تزيد على الأخرى، بأن نفرض أن رأس الأولى يبدأ من عام ١٤٣٠هـ، إلى غير بداية في الماضي، والثانية تبدأ من ١٤٢٩هـ، إلى غير بداية في الماضي، ثم نطابق بين هاتين السلسلتين من الأعلى، وهما عام ١٤٣٠هـ وعام ١٤٢٩هـ، ذاهبين بالتطبيق نحو الماضي، فلا يخلو الأمر: إما أن يستمر التطبيق بلا نهاية فيترتب على ذلك مساواة الزائد للناقص، وهذا ظاهر البطلان، أو تنتهي الناقصة وهي ١٤٢٩هـ، فيلزم أيضاً انتهاء الزائدة؛ لأنها قد زادت عليها بقدر متناهٍ، وبذلك ينقطع التسلسل، وهو المطلوب إثباته^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والاصطلاحى:

المعنى اللغوي موافق للمعنى

(١) انظر هذا الدليل في: شرح المقاصد (١١٣/٣) -

(١١٤) (١٢٠/٢) [عالم الكتب، ط١]، والمواقف

(٩٠) [عالم الكتب]، والتعريفات (٦٩)، والمطالب

العالية (١٥١/١) [دار الكتاب العربي، ط١،

١٤٠٧هـ].

(٢) انظر: شرح المقاصد (١٢٠/٢).

(٣) انظر: التعريفات (٦٩).

(٤) انظر: منهاج السنة (٤٣٢/١).

(٥) انظر: درء التعارض (٣٠٤/١).

الجمليتين على التفصيل لم يتم الدليل في الموجودات المترتبة، فضلاً عما عداها؛ لأنه لا سبيل للعقل إلى ذلك إلا فيما لا يتناهى من الزمان»^(٣).

❁ الحقيقة:

دليل التطبيق: من أشهر براهين المتكلمين لمنع حوادث لا أول لها، وإبطال التسلسل في الماضي، وفي شرحه يقول التفتازاني: «طريق التطبيق وهو أن تفرض جملة من الحوادث المتعاقبة من الآن، وأخرى من يوم الطوفان كل منهما لا إلى نهاية، ثم نطبق بينهما بحسب فرض العقل إجمالاً، بأن تقابل الأول من هذه بالأول من تلك وهكذا، فإذا أن يتطابقا فيتساوى الكل والجزء، أو لا فتقطع الطوفانية، ويلزم انتهاء الآنية؛ لأنها لا تزيد عليها إلا بقدر متناه»^(٤). ويوضحه شيخ الإسلام بقوله: «وعمدة من يقول بامتناع ما لا نهاية له من الحوادث، إنما هي دليل التطبيق والموازنة والمسامطة، المتقضي تفاوت الجمليتين، ثم يقولون: والتفاوت فيما لا يتناهى محال، مثال ذلك: أن يقدروا الحوادث من زمن الهجرة إلى ما لا يتناهى في المستقبل أو الماضي،

مطلقاً، ولا نفي المطابقة مطلقاً؛ بل يصدق ثبوت الانطباق من أحد الطرفين وانتفاؤه من الآخر، وحينئذ فلا يكون الزائد مثل الناقص، ولا يكونان متناهيين»^(١).

ثالثاً: أن التطبيق هنا أمر يقدر في الذهن لا حقيقة له في الخارج، والاشتراك في عدم التناهي لا يستلزم المساواة في المقدار؛ كتضعيف الأعداد، فإن تضعيف الواحد أقل من تضعيف العشرة، وتضعيف العشرة أقل من تضعيف المائة، وكل ذلك لا نهاية له، لكن ليس هو أمراً موجوداً في الخارج»^(٢). وقد اعترف بعض الأشاعرة بضعف هذا البرهان، ومن ذلك قول التفتازاني بعد عرضه للدليل: «والحق أن تحصيل الجمليتين من سلسلة واحدة، ثم مقابلة جزء من هذه بجزء من تلك، إنما هو بحسب العقل دون الخارج، فإن كفى في تمام الدليل حكم العقل بأنه لا بد أن يقع بإزاء كل جزء جزء أو لا يقع، فالدليل جار في الأعداد، وفي الموجودات المتعاقبة والمجتمعة المترتبة، وغير المترتبة؛ لأن للعقل أن يفرض ذلك في الكل، وإن لم يكن ذلك؛ بل اشتراط ملاحظة أجزاء

(٣) شرح المقاصد (١٢٣/٢).

(٤) شرح المقاصد (١١٣/٣ - ١١٤)، وانظر: المرجع

نفسه (١٢٠/٢)، والمواقف (٩٠)، والتعريفات

(٦٩)، والمطالب العالية (١٠١/١).

(١) انظر: درء التعارض (٣٠٤/١)، ٣٩٠.

(٢) انظر: منهاج السُّنة (٤٣٥/١) بتصرف، وشرح

المقاصد (١٢٠/٢).

وحدوث الأعراض والأجسام، في حين أن برهان التطبيق يقوم على التطبيق الوهمي الزمني بين سلسلتين زمنيتين.

٢ - أن دليل الأعراض لإثبات وجود الله، ودليل التطبيق لمنع التسلسل في الماضي، ومنع حوادث لا أول لها.

٣ - دليل الأعراض أعظم مكانة عند المتكلمين من دليل التطبيق؛ لأنه دليل إثبات وجود الرب عندهم.

٤ - تضعيف بعض الأشاعرة لبرهان التطبيق كالتفتازاني، بخلاف دليل الأعراض^(٣).

الآثار:

١ - استخدام أدلة ضعيفة كدليل التطبيق في العقيدة، يؤدي إلى التشكيك في العقيدة، ويلقي الشبهات في نفوس من بضاعته في العلم قليلة.

٢ - إبطال تسلسل الحوادث في الماضي بهذا الدليل يؤدي إلى تعطيل الرب عن كماله المقدس من صفات الأفعال.

المصادر والمراجع:

١ - «درء التعارض» (ج ١)، لابن تيمية.

٢ - «قدم العالم وتسلسل الحوادث»، لكاملة الكواري.

(٣) انظر: شرح المقاصد (١٢٣/٢).

والحوادث من زمن الطوفان إلى ما لا يتناهى أيضًا، ثم يوازنون الجملتين، فيقولون: إن تساوتا لزم أن يكون الزائد كالناقص، وهذا ممتنع، فإن إحداهما زائدة على الأخرى بما بين الطوفان والهجرة، وإن تفاضلتا لزم أن يكون فيما لا يتناهى تفاضل وهو ممتنع^(١).

الأهمية:

دليل التطبيق: من أشهر براهين المتكلمين لمنع حوادث لا أول لها، وإبطال التسلسل في الماضي.

أقوال أهل العلم:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في إبطال هذا الدليل: «لا نسلم إمكان التطبيق؛ فإنه إذا كان كلاهما لا بداية له، وأحدهما انتهى أمس، والآخر انتهى اليوم، كان تطبيق الحوادث إلى اليوم على الحوادث إلى أمس ممتنعًا لذاته، فإن الحوادث إلى اليوم أكثر، فكيف تكون إحداهما مطابقة للأخرى؟ فلما كان التطبيق ممتنعًا جاز أن يلزمه حكم ممتنع^(٢).

الفروق:

الفرق بين دليل الأعراض ودليل التطبيق:

١ - دليل الأعراض يقوم برهانه على

(١) منهاج السُّنة (١/٤٣٢)، وانظر: درء التعارض (١/٣٠٤).

(٢) درء التعارض (٢/٣٦٧ - ٣٦٨).

يريد أحدهما تحريك جسم، والآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه، والآخر إماتته، فلما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد واحد منهما. والأول ممتنع؛ لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع؛ لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهو ممتنع، ويستلزم أيضًا عجز كل منهما، والعاجز لا يكون إلهاً، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجزاً لا يصلح للإلهية^(٢). فهو استدلال على امتناع وجود ربين خالقين للعالم.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاح:

الارتباط بينهما واضح، فالمعنى اللغوي يدل على عدم حصول ذلك الشيء، ودليل التمانع يدل على عدم وجود خالقين اثنين، وامتناع ذلك.

(٢) شرح الطحاوية (٢٨/١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وانظر: منهاج السنة (٣/٣٠٤ - ٣٠٥) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ]، ودرء التعارض (٩/٣٥٥ - ٣٥٩) [مكتبة ابن تيمية]، والصواعق المرسلة (٢/٤٦٣ - ٤٦٤) [دار العاصمة، ط١، ١٤٠٨هـ]، ومن كتب المتكلمين: التمهيد للباقلاني (٤٦) [دار الفكر العربي]، والإنصاف له (٣٤) [المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٣هـ]، وأصول الدين للرازي (٨٥ - ٨٦) [دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠١هـ]، والإرشاد للجويني (٥٣ - ٥٤) [مكتبة الخانجي، ١٣٩٦هـ]، وشرح الأصول الخمسة (٢٧٧) [مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ]، والمطالب العالية للرازي (١٣٥/٢) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ].

٣ - «شرح المقاصد» (ج٢)، للتفتازاني.

٤ - «موسوعة مصطلحات جامع العلوم»، لأحمد نكري.

٥ - «موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي»، لسميح دغيم.

دليل التمانع

التعريف لغة:

قال الخليل بن أحمد: «مَنَعْتُهُ أَمْنَعُهُ مَنَعًا فامتنع؛ أي: حُلْتُ بينه وبين إرادته، ورجل منيع لا يخلص إليه، وهو في عز ومَنَعَةٍ، ومنعة يخفف ويثقل، وامرأة منيعة، متمنعة، لا تُؤاتى على فاحشة، قد مَنَعَتْ مناعة، وكذلك الحصن ونحوه، وَمَنَعَ مَنَاعَةً إذا لم يُرْمَ»^(١). فمادة: (منع) تدل على عدم حصول الشيء، وعدم وقوعه، فمنعت الرجل فلم تحصل إرادته، والحصن المنيع لا يمكن الحصول على من بداخله.

التعريف اصطلاحاً:

دليل التمانع: برهان عقلي على توحيد الربوبية، يقول ابن أبي العز شارباً هذا الدليل: «وهو أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل: أن

(١) العين (٢/١٦٣) [دار مكتبة الهلال]، وانظر: تهذيب اللغة (٣/١٩) [الدار المصرية للتأليف والترجمة].

الحكم:

إله، لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى بشركة الإله الآخر معه؛ بل إن قدر على قهره، وتفرد بالإلهية دونه فعل. وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه، وذهب به، كما ينفرد ملوك الدنيا عن بعضهم بعضًا بممالكهم. وإذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر، والعلو عليه فلا بد من أحد أمور ثلاثة: إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه، وإما أن يعلو بعضهم على بعض، وإما أن يكون كلهم تحت قهر إله واحد، ومملك واحد، يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه، ويمتنع من حكمهم عليه، ولا يمتنعون من حكمه عليهم، فيكون وحده هو الإله الحق وهم العبيد المربوبون المقهورون»^(٣).

وقال ابن أبي العز مبيِّنًا أدلة الربوبية وإثبات صنع واحد للعالم: «والمشهور عند أهل النظر إثباته بدليل التمانع»^(٤).

المسائل المتعلقة:

يرى أهل السُّنة أن دليل التمانع برهان تام على توحيد الربوبية، وهو امتناع صدور العالم عن اثنين، وأن معنى هذا الدليل قد ورد موجزًا في قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(١).

يرى أهل السُّنة أن دليل التمانع برهان تام على توحيد الربوبية، وهو امتناع صدور العالم عن اثنين^(١)، فهو دليل صحيح لإثبات انفراد الرب ﷻ بالربوبية والخلق.

الأدلة:

معنى هذا الدليل قد ورد موجزًا في قوله ﷻ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(١) [المؤمنون].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية مبيِّنًا صحة دليل التمانع: «بل هو برهان صحيح عقلي، كما قدره فحول النظار»^(٢).

وقال ابن القيم شارحًا قوله ﷻ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(١) [المؤمنون]: «فتأمل هذا البرهان الباهر، بهذا اللفظ الوجيز البين، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقًا فاعلاً، يوصل إلى عابده النفع، ويدفع عنه الضرر، فلو كان معه ﷻ

(٣) الصواعق المرسلة (٢/٤٦٣ - ٤٦٤)، وانظر: درة التعارض (٩/٣٥٥ - ٣٥٩).
(٤) شرح الطحاوية (١/٢٨).

(١) انظر: درة التعارض (٩/٣٥٤)، والصواعق المرسلة (٢/٤٦٤)، وشرح الطحاوية (١/٢٨).
(٢) درة التعارض (٩/٣٥٤).

التي تدل على التمانع فهي قوله **وَعَلَى** [المؤمنون: ٩١].
﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

✽ مذهب المخالفين:

اعترض ابن رشد وغيره على دليل التمانع^(٣)، وقدحوا في دلالة، يقول شيخ الإسلام: «وليس الأمر كما ظنه هؤلاء؛ بل هو برهان صحيح عقلي، كما قدره فحول النظار»^(٤).

كما أبطل هذا الدليل القائلون بالثنائية، بناء على قولهم بفاعل للخير وفاعل للشر، وقولهم ظاهر البطلان، ومناقض للعقل، وقد ردَّ عليهم في قدحهم في دليل التمانع^(٥).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة»، لمنيف العتيبي، رسالة دكتوراه.
- ٢ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٩)، لابن تيمية.
- ٣ - «شرح الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز الحنفي.

(٣) انظر كتابه: مناهج الأدلة (١٥٧) [مكتبة الإنجلو المصرية، ط ٢، ١٩٦٤م]، وانظر بعض الاعتراضات في: المطالب العالية (٢/ ١٣٥ - ١٤٤).
 (٤) درء التعارض (٩/ ٣٥٤).
 (٥) انظر: المطالب العالية (٢/ ١٤٧ - ١٤٩).

عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ **﴿٩١﴾** [المؤمنون]^(١). ومن وجوه غلط المتكلمين في دليل التمانع أنهم يدللون على التمانع بقوله **وَعَلَى**: **﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾** [الأنبياء: ٢٢]، وقد غفلوا عن مضمون الآية، وإنما هي في توحيد الألوهية، وليست في توحيد الربوبية، فإنه **وَعَلَى** أخبر أنه لو كان فيهما آلهة غيره، ولم يقل أرباب.

وأيضاً فإن هذا إنما هو بعد وجودهما، وأنه لو كان فيهما - وهما موجودتان - آلهة سواه لفسدتا.

وأيضاً فإنه قال: **﴿لَفَسَدَتَا﴾** وهذا فساد بعد الوجود، ولم يقل: لم يوجد. ودلت الآية على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة؛ بل لا يكون إلا واحداً، وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الإله الواحد إلا الله **وَعَلَى**، وأن فساد السماوات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة، ومن كون الإله الواحد غير الله، وأنه لا صلاح لهما إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غير. فلو كان للعالم إلهان معبودان لفسد نظامه كله. وتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس^(٢). أما الآية

(١) انظر: درء التعارض (٩/ ٣٥٤)، والصواعق المرسله (٢/ ٤٦٤).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٤٠ - ٤١)، والصواعق المرسله (٢/ ٤٦٣ - ٤٦٤).

وحدث الشيء حدوثًا: تجدد وجوده، فهو حادث وحديث، ومنه يقال: حَدَثَ به عيب؛ إذا تجدد وكان معدومًا^(٢). والحديث نقيض القديم، والحديث الخبر، واستحدثت خبرًا أي: وجدت خبرًا جديدًا^(٣). ويتضح مما سبق أن لفظ الحدوث؛ يعني: كون الشيء بعد أن لم يكن، كما يعني تجدد وجود الشيء، والحديث نقيض القديم، والحديث الجديد.

أما الجسم: فيقول الخليل: «الجسم يجمع البدن، وأعضاءه»^(٤). وفي الصحاح: «الجسم الجسد، وكذلك الجسمان والجثمان... والجثمان الشخص»^(٥). والجسم كل شخص مُدْرَك^(٦). وعلى هذا فالجسم في اللغة هو البدن والجسد والجثمان والشخص. وحدثت الأجسام لم يذكر بهذا التركيب في كتب اللغة.

التعريف اصطلاحًا:

يقوم هذا الدليل على أن كل جسم

(٢) انظر: المصباح المنير (١٢٤/١) [دار القلم].

(٣) انظر: الصحاح (٢٧٨/١).

(٤) العين (٦٠/٦) [دار مكتبة الهلال]، وانظر: مقاييس اللغة (٤٥٧/١)، ولسان العرب (٩٩/١٢) [دار صادر].

(٥) الصحاح (١٨٨٧/٥)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (٩٩/١٢).

(٦) انظر: الجمهرة (٩٤/٢) [مكتبة الثقافة الدينية]، ومقاييس اللغة (٤٥٧/١).

٤ - «الصواعق المرسله» (ج ٢)، لابن القيم.

٥ - «منهاج السنّة» (ج ٣)، لابن تيمية.

٦ - «منهج المتكلمين والفلاسفة المنتسبين للإسلام في الاستدلال على وجود الله»، ليوسف الأحمد [رسالة دكتوراه].

٧ - «الإرشاد»، لأبي المعالي الجويني.

٨ - «التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة»، لأبي بكر الباقلاني.

٩ - «شرح الأصول الخمسة»، للقاضي عبد الجبار.

١٠ - «اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع»، لأبي الحسن الأشعري.

١١ - «المطالب العالية» (ج ٢)، للفخر الرازي.

دليل حدوث الأجسام

التعريف لغة:

الحدوث: مصدر من حَدَثَ، ومعناه كما يقول ابن فارس: «الحاء والذال والثاء أصل واحد؛ وهو كون الشيء لم يكن، يقال: حَدَثَ أمر بعد أن لم يكن»^(١).

(١) مقاييس اللغة (٣٦/٢) [دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ]، وانظر: الصحاح (٢٧٨/١) [دار العلم للملايين، ط ٣].

ولا من أئمة المسلمين، فلو كانت معرفة الرب ﷻ والإيمان به موقوفة عليه، للزم أنهم كانوا غير عارفين بالله، ولا مؤمنين به، وهذا من أعظم الكفر باتفاق المسلمين. كما أن الأنبياء والمرسلين لم يأمرُوا أحدًا بسلوك هذا السبيل ^(٢).

ثانيًا: أن الطريقة المذكورة في القرآن هي الاستدلال بحدوث الإنسان وغيره من المحدثات، المعلوم حدوثها بالمشاهدة ونحوها؛ على وجود الخالق ﷻ، لا يحتاج إلى أن يستدل على حدوثه بمقارنة التغير أو الحوادث له، والفرق بين الاستدلال بحدوثه، والاستدلال على حدوثه ^(٣).

ثالثًا: أنهم بنوا دليلهم على أن الأجسام محدثة، وكل محدث فله محدث، أما المقدمة الأولى فقد تبين تناقضهم فيها، وأنهم التزموا لأجلها إما جحد صفات الله، وأفعاله القائمة به، وإما جحد بعض ذلك ^(٤). فتعريفهم الجسم بالمعاني التي ذكروها، غير وارد في كتب اللغة، وليس هو معناه الذي قد ورد في كتاب الله ^(٥).

رابعًا: أن المقدمة الثانية في دليلهم

مُحدث، وكل مُحدث فله علة وصانع، وذلك الفاعل إن كان مُحدثًا لزم التسلسل أو الدور، وإن كان قديمًا فهو واجب الوجود لذاته. يقول الرازي في بيان هذا الدليل: «كل جسم محدث، وكل محدث فله علة وصانع، ينتج أن كل جسم فله فاعل وصانع. ثم هذا الدليل إنما يتم إذا قلنا: وذلك الفاعل إن كان محدثًا لزم التسلسل أو الدور، وإن كان قديمًا فهو واجب الوجود لذاته، وهو المطلوب» ^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

هذا الدليل مبني على معنى الجسم في اصطلاح المتكلمين، وهو مغاير تمامًا لمعناه في اللغة، وهذا من أسباب بطلان هذا الدليل كما سيأتي.

الأسماء الأخرى:

هذا الدليل يسمى: دليل حدوث الذات.

الحكم:

هذا الدليل باطل من عدة أوجه:

أولًا: أنهم يقولون: إن الإيمان بالرب موقوف على هذا الدليل، مع أنه لم يستدل به أحد من الصحابة والتابعين،

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/٦١٩) [مؤسسة قرطبة].

(٣) انظر: درء التعارض (٧/٢١٩).

(٤) انظر: المصدر السابق (٣/٧٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (١/١١٨ - ١١٩، ١٠).

(٢٩٢)، ومجموع الفتاوى (١٢/٣١٦).

(١) المطالب العالية (١/٢٠٠) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ]، وانظر: معالم أصول الدين (٣٤) [دار الفكر اللبناني، ط١، ١٩٩٢م]، وشرح الأصول الخمسة (٩٤ - ٩٥) [مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ].

- ١ - بعضهم يقول: الجسم حادث،
والحادث لا بد له من محدث ضرورة.
٢ - وبعضهم يقول: الجسم حادث،
والحادث ممكن، والممكن لا بد له من
واجب.
٣ - الاستدلال على حدوث الأجسام
بحدوث الأعراض^(٤).

المنزلة:

هذا الطريق في الاستدلال هو طريق
أكثر المعتزلة، ومن وافقهم من
الأشعرية^(٥)، حيث إن جمهور المتكلمين
لا يعولون إلا على هذا الطريق في إثبات
وجود الله^(٦).

الآثار:

- ١ - أنهم التزموا لأجل هذا الدليل
إما جحد صفات الله، وأفعاله القائمة
به، وإما جحد بعض ذلك^(٧).
٢ - تهميش نصوص الكتاب والسنة
وتقديم العقل عليها.

- ٣ - التشكيك في الاعتقاد، بما فيها
من شبهات، وكلام مجمل يحمل معان
باطلة.

(٤) انظر: التمهيد (٤٤) [دار الفكر العربي]، والإنصاف
(١٧) [المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٣هـ]، ودرء
التعارض (٧٢/٣).

(٥) انظر: درء التعارض (٢٩٢/٥).

(٦) المطالب العالية (١/٢٠٠)، وشرح الأصول الخمسة
(٩٤).

(٧) انظر: درء التعارض (٧٣/٣).

(وكل محدث فله محدث) أظهر وأعرف
وأبده في العقول من أن تحتاج إلى
بيان، فبتقدير بيانهم للمقدمتين، يكونون
قد طولوا، وداروا بالعقول دورة تبعد
على العقول معرفة الله ﷻ، والإقرار
بثبوته، وقد يحصل لها في تلك الدورة
من الآفات ما يقطعها عن المقصود^(١).

خامساً: أن بعض الفلاسفة قد بينوا
فساد هذا الدليل، ومنهم ابن رشد، يقول
في نقد هذا الدليل: «وطريقتهم التي
سلكوا في بيان حدوث الجزء الذي لا
يتجزأ - وهو الذي يسمونه الجوهر
الفرد -، طريقة معتصة، تذهب على
كثير من أهل الرياضة في صناعة الجدل،
فضلاً عن الجمهور. ومع ذلك فهي
طريقة غير برهانية، ولا مفضية بيقين،
إلى وجود الباري ﷻ»^(٢). وبهذا يتبين
أن دليل حدوث الأجسام، الذي يعول
عليه جمهور المتكلمين في إثبات
وجود الله، دليل غير صحيح.

الحقيقة:

هذا الطريق في الاستدلال هو طريق
أكثر المعتزلة، ومن وافقهم من
الأشعرية^(٣)، واستدلّاهم بهذا الدليل من
ثلاث طرق:

(١) انظر: درء التعارض (٧٣/٣، ٢٨٦).

(٢) مناهج الأدلة (١٣٥) [مكتبة الإنجلو المصرية، ط ٢،
١٩٦٤م].

(٣) انظر: درء التعارض (٢٩٢/٥) [مكتبة ابن تيمية].

٤ - أنهم قد صَعَّبُوا على العقول الوصول إلى نتيجة بديهية، وهي أن لكل حادث محدث.

المصادر والمراجع:

- ١ - «أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة»، لمنيف العتيبي [رسالة دكتوراه].
- ٢ - «الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات»، لعبد القادر بن محمد عطا صوفي.
- ٣ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٤ - «درء التعارض» (ج ٣)، لابن تيمية.
- ٥ - «دليل الحدوث أصوله ولوازمه»، لأحمد الغامدي [رسالة دكتوراه].
- ٦ - «عقيدة التوحيد في القرآن»، لمحمد ملكاوي.

ولم يأت في كتب اللغة مصطلح حدوث الأعراض، وقياسًا على معنى مفرداته في اللغة فقد يكون المعنى: كون ما يعرض للإنسان من مرض ونحوه بعد أن لم يكن.

التعريف اصطلاحًا:

يقول الرازي في بيان هذا الدليل: «الاستدلال بحدوث الصفات، والأعراض، على وجود الصانع تعالى،

- ٧ - «الإنصاف»، لأبي بكر الباقلاني.
- ٨ - «التمهيد»، لأبي بكر الباقلاني.
- ٩ - «شرح الأصول الخمسة»، للقاضي عبد الجبار.
- ١٠ - «المطالب العالية» (ج ١)، للرازي.

دليل حدوث الأعراض

التعريف لغة:

الأعراض: جمع عرض، قال

- (١) الصحاح (٣/ ١٠٨٢) [دار العلم للملايين، ط ٣]، وانظر: العين (١/ ٢٧١) [دار مكتبة الهلال].
- (٢) انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٢٧٠ - ٢٧٦) [دار الجبل، ط ١، ١٤١١هـ]، والصحاح (٣/ ١٠٨٢ - ١٠٨٣).
- (٣) انظر: العين (١/ ٢٧١ - ٢٧٦)، ومقاييس اللغة (٤/ ٢٧٠).

- (٤) انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٢٧٦، ٢٨٠)، ولسان العرب (٧/ ١٦٩ - ١٧٠) [دار صادر]، والمصباح المنير (٢/ ٤٠٢) [دار القلم].

✽ الأسماء الأخرى:

يسمى: دليل حدوث الصفات.

✽ الحكم:

أولاً: هذه الطريقة جزء من الطريقة المذكورة في القرآن، وهي التي جاءت بها الرسل، وكان عليها سلف الأمة، وأئمتها، وجماهير العقلاء من الآدميين. فإن الله ﷻ يذكر في آياته ما يحدثه في العالم؛ من السحاب والمطر والنبات والحيوان، وغير ذلك من الحوادث، ويذكر في آياته خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، ونحو ذلك، لكن القائلين بإثبات الجواهر الفرد من المعتزلة، ومن وافقهم من الأشعرية، وغيرهم، يسمون هذا استدلالاً بحدوث الصفات؛ بناء على أن هذه الحوادث المشهود حدوثها لم تحدث ذواتها؛ بل الجواهر، والأجسام، التي كانت موجودة قبل ذلك؛ لم تزل من حين حدوثها، بتقدير حدوثها، ولا تزال موجودة، وإنما تغيرت صفاتها، بتقدير حدوثها، كما تتغير صفات الجسم إذا تحرك بعد السكون، وكما تتغير ألوانه، وكما تتغير أشكاله، وهذا مما ينكره عليهم جماهير العقلاء من المسلمين، وغيرهم^(٢).

مثل صيرورة النطفة المتشابهة الأجزاء إنساناً، فإذا كانت تلك التركيبات أعراضاً حادثه، والعبد غير قادر عليها، فلا بد من فاعل آخر، ثم من ادعى العلم بأن حاجة المحدث إلى الفاعل ضروري، ادعى الضرورة هنا، ومن استدل على ذلك بالإمكان، أو بالقياس على حدوث الذوات، فكذلك يقول أيضاً في حدوث الصفات^(١).

فاستدلّهم بهذا الدليل من ثلاثة طرق:

- ١ - بعضهم يقول: الصفات حادثه، والحادث لا بد له من محدث ضرورة.
- ٢ - وبعضهم يقول: الصفات حادثه، والحادث ممكن، والممكن لا بد له من واجب.
- ٣ - وبعضهم يقول: الصفات حادثه، فلا بد لها من محدث قياساً على حدوث الأجسام.

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

يريد المتكلمون بالأعراض الصفات، وهذا التسمية غير صحيحة لغة، فالمعنى الاصطلاحي محدث.

(١) درء التعارض (٨٢/٣) [مكتبة ابن تيمية]، وانظر: معالم أصول الدين (٣٤) [دار الفكر اللبناني، ط ١، ١٩٩٢م]، والمطالب العالية (٢١٥/١) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٧هـ].

(٢) انظر: درء التعارض (٨٣/٣)، ومجموع الفتاوى (٢٤٦/١٧) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ].

وحقيقة قولهم: إن الرب لم يزل معطلاً: لا يفعل شيئاً ولا يتكلم بمشيئته وقدرته، ثم إنه أبدع جواهر من غير فعل يقوم به، وبعد ذلك ما بقي يخلق شيئاً؛ بل إنما تحدث صفات تقوم بها، وهذا باطل أنكره عليهم جماهير العقلاء من المسلمين وغيرهم^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

عن نوح الجامع قال: «قلت لأبي حنيفة: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة»^(٢).

قال شيخ الإسلام: «أما أكابر أهل العلم من السلف والخلف فعلموا أنها طريقة باطلة في نفسها، مخالفة لصريح المعقول وصحيح المنقول، وأنه لا يحصل بها العلم بالصانع ولا بغير ذلك؛ بل يوجب سلوكها اعتقادات باطلة توجب مخالفة كثير مما جاء به الرسول، مع مخالفة صريح المعقول، كما أصاب من سلوكها من الجهمية والمعتزلة والكلابية والكرامية، ومن تبعهم من الطوائف»^(٣).

ثانياً: أن الاستدلال بحدوث الصفات على طريقتهم، أخفى من الاستدلال بحدوث الأجسام، إذ حدوث الأجسام ظاهر، كما أن الصفة تبع للجسم، فإذا ثبت حدوث الجسم، ثبت حدوث الصفة.

ثالثاً: أن من اعتمد في حدوث الصفات، على أن هذا يدل على الإمكان، والممكن لا بد له من واجب، فقد أطال الدليل بدون حاجة، واستدل على الأظهر بالأخفى، وهذا بلا شك يبعد عن المقصود.

فالصواب إذاً: هو الاستدلال بحدوث المخلوقات على الخالق العظيم، وليس الاقتصار على حدوث صفاتها، كما ينبغي أن يكون الدليل خالياً من الألفاظ المجملة؛ لأنها سبب الاضطراب والاختلاف.

✽ الحقيقة:

حقيقة هذا الدليل: أن هذه الحوادث المشهود حدوثها لم تحدث ذاتها؛ بل الجواهر والأجسام التي كانت موجودة قبل ذلك، لم تزل من حين حدوثها، ولا تزال موجودة، وإنما تغيرت صفاتها كما تتغير صفات الجسم إذا تحرك بعد السكون، وكما تتغير ألوانه، وأشكاله، وهذه الصفات الحادثة لا بد لها من محدث وهو الرب ﷻ.

(١) انظر: درء التعارض (٨٣/٣ - ٨٤) بتصرف.

(٢) ذم الكلام وأهله (٢١٣/٤ - ٢١٤) [مكتبة الغرابة].

(٣) النبوات (٦٢)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣٠٣/٣ - ٥٤٣/٥).

الآثار:

الديان

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الدا والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها. وهو جنس من الانقياد والذل. فالدين: الطاعة، يقال: دان له يدين ديناً، إذا أضحَبَ وانقاد وطاع. وقومٌ دينٌ؛ أي: مُطيعون منقادون.

فأما قوله جل ثناؤه: ﴿مَا كَانَ لِأَخَاكَ فِي دِينِ أَمَلِكِ﴾ [يوسف ٧٦]، فيقال: في طاعته، ويقال: في حكمه. ومنه: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة]؛ أي: يوم الحكم. وقال قوم: الحساب والجزاء. وأي ذلك كان فهو أمر يُنقاد له^(١).

وقال الأزهري: «والديان من أسماء الله جل وعز، معناه: الحكم القاضي والديان: القهار ومنه قوله:

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب
يوماً ولا أنت ديانني فتخزوني
أي: لست بقاهر فتسوس أمري^(٢).

التعريف شرعاً:

الديان هو: الله الملك المهيمن على شؤون خلقه المتفرد بمجازاة عباده

١ - أن هذا الدليل يفضي إلى نفي الصفات، وتعطيل الرب تعالى عن كماله.

٢ - تهميش نصوص الكتاب والسنة وتقديم العقل عليها.

٣ - التشكيك في الاعتقاد، بما فيها من شبهات، وكلام مجمل يحمل معاني باطلة.

المصادر والمراجع:

١ - «أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة»، لمنيف العتيبي، رسالة دكتوراه.

٢ - «الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات»، لعبد القادر بن محمد عطا صوفي.

٣ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٣)، لابن تيمية.

٤ - «دليل الحدوث أصوله ولوازمه»، لأحمد الغامدي [رسالة دكتوراه].

٥ - «عقيدة التوحيد في القرآن»، لمحمد ملكاوي.

٦ - «الإرشاد»، لأبي المعالي الجويني.

٧ - «شرح الأصول الخمسة»، للقاضي عبد الجبار.

٨ - «المطالب العالية» (ج ١)، للرازي.

٩ - «معالم أصول الدين»، للرازي.

(١) مقاييس اللغة (٣١٩/٢ - ٣٢٠) [دار الجيل، ط ٢].

(٢) تهذيب اللغة (١٤/١٣٠ - ١٣١) [دار إحياء التراث

العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

والحكم بينهم بالعدل^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنى اللغوي منسجم تمامًا مع المعنى الشرعي؛ بل هو المعنى الشرعي بعينه.

الحكم:

يجب إثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلا، ومن هذا القبيل اسم الله (الديان) الذي سماه به رسوله ﷺ على الوجه اللائق به سبحانه^(٢).

الحقيقة:

الديان: صيغة مبالغة، وهو من دان الناس إذا قهرهم على الطاعة، وحاسبهم وجازاهم على أعمالهم، فهو يتضمن عدة معانٍ، فيطلق ويراد به الملك المطاع، والقهار، والحاكم القاضي، والمجازي والمحاسب، والمهيمن على شؤون الخلق من فوق عرشه^(٣). قال

أبو القاسم الأصبهاني: «وأما الديان فمعناه، المجازي، يقال: دنت الرجل إذا جزيته، أدبته، والدين الجزاء، ومنه المثل: «كما تدين تدان». والديان أيضًا: الحاكم^(٤).

هذه هي الحقائق اللغوية لاسم الديان، وكلها ثابتة لله كما يليق بجلاله وعظمته.

الأدلة:

الديان: اسم من أسماء الله الحسنى سماه به رسوله ﷺ فقد روى الإمام أحمد رحمه الله بسنده عن عبد الله بن أنيس الأنصاري رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الناس يوم القيامة - أو قال: العباد - عراة، غرلاً، بُهْمًا، قال: قلنا: ما بهمًا؟ قال: ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بُعد، كما يسمعه من قُرب: أنا الملك، أنا الديان»^(٥).

أقوال أهل العلم:

قال الخطابي: «الديان: وهو المجازي، يقال: دنت الرجل إذا جزيته، أدبته، والدَّين: الجزاء، ومنه المثل: كما

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/١٧٦) [دار الراجعية، ط ٢، ١٤١٩هـ].

(٢) انظر: التوحيد لابن منده (٢/١١٨) [الجامعة الإسلامية، ط ١]، والحجة في بيان المحجة (١/١٧٧)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٣)، وقطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني للعباد (٨٧).

(٣) انظر: المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لزين محمد شحاتة (١/٣١٩ - ٣٢٠) [مكتبة العواصم، ط ١، ١٤٢٢هـ]، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٢٢٧).

(٤) الحجة في بيان المحجة (١/١٧٦).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٤٣٢/٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٩هـ]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٦٣٨) وصححه، وصححه الألباني في ظلال الجنة (١/٢٢٥) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٠هـ].

ذلك يحفز به إلى إحسان العمل، والإخلاص فيه، والاجتهاد في الإكثار من الصالحات التي سيجازيه عليها الديان يوم القيامة، والبعد عن الكفر والشرك والظلم، والكف عن كل قول وعمل واعتقاد تكون عاقبته وخيمة، ونهايته سيئة^(٥).

مذهب المخالفين:

الله سبحانه هو الديان سماه بذلك رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وكل اسم من أسماء الله يدل على صفة من صفات الله العليا كما هو معلوم من دلالة نصوص الكتاب والسنة، وقد خالف في هذا الجهمية منكروا الأسماء والصفات، ومن تأثر بهم كالمعتزلة نفاة الصفات، حيث جعلوا أسماء الله أعلامًا مجردة عن صفات الكمال، فعلى مذهبهم: اسم الديان علم مجرد لا يدل على صفة كمال، ولا يتضمنها، وقلدهم الأشاعرة في أصلهم هذا^(٦).

وأما بخصوص اسم الله (الديان) فلم أقف لهم على كلام خاص به، ولكن منهجهم المتقدم يدلنا على أنهم يعطلون

تدين تَدان، والديان أيضا: الحاكم^(١). وقال ابن منده: «ومن أسماء الله ﷻ والديان»^(٢).

وقال عبد المحسن العباد: «وأسرد فيما يلي تسعة وتسعين من أسماء الله الحسنی، مرتبة على حروف الهجاء، ومع كل اسم دليله من الكتاب أو السنة»^(٣) ثم قال في حرف الدال: «الديان: دليله قول رسول الله ﷺ: «يحشر الله العباد أو قال: الناس عرا غرلاً بهماً»^(٤).

الآثار:

الإيمان باسم الله الديان له أثر عظيم في النفوس المؤمنة؛ لأنه إذا كان العبد يؤمن بأن الله هو المجازي والمحاسب على الأعمال، وأنه سبحانه مالك يوم الدين، وأنه يضع الموازين بالقسط يوم القيامة كما قال الله سبحانه: ﴿وَنُضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء]، وأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، كل

(١) شأن الدعاء (١٠٥) [دار الثقافة العربية، ط ٣، ١٤١٢هـ].

(٢) التوحيد لابن منده (١١٨/٢)، وانظر: الحجة في بيان المحجة (١٧٧/١).

(٣) قطف الجنى الداني (٨٥) [دار الفضيلة، الرياض، ط ١].

(٤) قطف الجنى الداني (٨٧)، والحديث تقدم تخريجه.

(٥) وانظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی (٥٩٤) [الناشر: مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط ٢، ١٤٣٠هـ].

(٦) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية (٣/٢ - ٧) [تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: دار المدني للنشر والتوزيع، جدة].

الصفة التي دلَّ عليها اسمه الديان. ٩ - «جامع الرسائل» (ج ٢)، لابن تيمية.

١٠ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٣)، لابن تيمية.

الدِّين

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها، وهو: جنس من الانقياد والذل. فالدين: الطاعة. يُقال: دانَ له يدين دينًا: إذا أصحب وانقاد وطاع»^(١).

ومنه: الدِّين، وجمعه الأديان، يقال: دان بكذا ديانة فهو دَيِّن، وتَدَيَّن به فهو مُتَدَيِّن. والدِّين أيضًا: العادة والشأن. والدين: الجزاء والمكافأة، يقال: دنته بفعله دينًا: جزيته، ويوم الدين: يوم الجزاء^(٢).

التعريف شرعًا:

الدين له إطلاق عام وإطلاق خاص:

أ - الإطلاق العام، وهو: ما يعتقده الإنسان ويدين به من أمور الغيب والشهادة. وهذا الإطلاق يشمل الأديان الصحيحة، والباطلة، سواء كانت الباطلة ديانة سماوية محرفة؛ كالديانة اليهودية أو

الرد عليهم:

لا شك أن نفي صفات الله تعالى تعطيل واضح وإلحاد بين نهى الله عنه وتوعد عليه بالعقاب، فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف]

المصادر والمراجع:

١ - «قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني»، لعبد المحسن العباد.

٢ - «أسماء الله الحسنى»، لعبد الله بن صالح الغصن.

٣ - «المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج ١)، لزين محمد شحاتة.

٤ - «النهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج ٣)، لمحمد الحمود.

٥ - «أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة»، لماهر مقدم.

٦ - «التوحيد» (ج ٢)، لابن منده.

٧ - «الحجة في بيان المحجة»، لأبي القاسم الأصبهاني.

٨ - «الأسماء والصفات» (ج ١)،

للبيهقي.

(١) مقاييس اللغة (٣١٩/٢) [دار الجيل، ط ٢].

(٢) انظر: مختار الصحاح (٩١) [مكتبة لبنان ناشرون،

ط ١٤١٥هـ]، ولسان العرب (١٦٧/١٣) [دار صادر].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي راجع إلى الأصل اللغوي المذكور، وهو الانقياد والذل، حيث ينقاد الإنسان لأمر من يدين له، ويكون له في غاية الذل والخضوع^(٣).

الأسماء الأخرى:

الملة.

الحقيقة:

إن حقيقة الدين قائمة على تحقيق كمال الخضوع والذل لله، وذلك متضمن لعبادة الله وطاعته، ولذا جاء في حديث جبريل ﷺ أنه جاء لتعليم الدين، وهو قد ذكر في هذا الحديث الإسلام والإيمان والإحسان، وهي مراتب الدين، ولذا كان الدين مشتملاً على أعمال الظاهر والباطن، وكانت حقيقة الدين متفاضلة ومتفاوتة زيادة ونقصاً في القائمين بها، تبعاً لما ثبت من تفاضل مراتب الدين الثلاث^(٤).

الأهمية:

تظهر أهمية الدين للبشر من خلال أمور منها:

١ - أن العقل البشري بمفرده قاصر

(٣) مقاييس اللغة (٢/ ٣٢٠).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٦٣) (١٠/ ١٥٢)، والفتاوى الكبرى (٢/ ٣٦٣)، والجواب الكافي (١٤٦) [دار الكتب العلمية].

النصرانية بعد تحريفهما ونسخهما بالشريعة الإسلامية، أو كانت ديانة وضعية غير سماوية؛ كالوثنية والبوذية^(١).

ومما يدل على هذا الإطلاق قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]

وقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون]، والخطاب في هذه السورة كان لمشركين وثنيين، ومع ذلك سماه ديناً.

٢ - الإطلاق الخاص، فيطلق ويراد به دين الإسلام، وهذا هو الأصل في إطلاق كلمة (الدين). ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

وقد جاء ذكر الإطلاقين في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٢٢].

(١) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (١٠) [دار الصميعي، ط١]، ودراسات في الأديان، اليهودية والنصرانية (٩، ١٢) [دار أضواء السلف، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: جامع الرسائل (١/ ٢١٨، ٢٢٣) [دار المدني]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٣٣٣) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، ونزهة الأعين النواظر (٢٩٥).

الفقه في الدين من العمل به، فالفقه في الدين شرط في حصول الفلاح، فلا بد من معرفة الرب تعالى، ولا بد مع معرفته من عبادته^(٣).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي مَحْمُودٌ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(٤).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ مُوسَى ﷺ حَيًّا مَا وَسَّعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^(٥).

عن معرفة الخير والشر بذاته في جميع الأمور، مجملها ومفصلها، فهو وإن أدرك شيئاً يسيراً من ذلك، إلا أن الإحاطة به مما لا تصل إليه طاقة العقل البشري، فكان من حكمة الله أن شرع لعباده الشرائع، وأنزل عليهم دينه الحق، بواسطة الرسل الذين يبلغون ذلك الدين، وأنزل عليهم الكتب التي تقودهم إلى المنهج الحق من أقرب الطرق وأيسر السبل.

٢ - أن الالتزام بالدين الحق يضمن للإنسان سعادته في دنياه وآخرها، فلا سبيل إلى السعادة والفلاح الدنيوي والأخروي إلا بالالتزام بالدين الذي أتى به رسل الله، وبالدين الحق توزن جميع الأقوال والأعمال والأخلاق، فضرورة الإنسان إلى الدين أعظم من ضرورة البدن إلى الروح، والجسم إلى الغذاء؛ بل هي أعظم الضرورات على الإطلاق^(١).

وهذه السعادة لا تكون بمجرد العلم بالدين الحق، ولا بمجرد العمل بشرائعه؛ بل بهما معاً، كما قال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(٢)، فكل من أراد الله به خيراً فلا بد أن يفقهه في الدين، ولكن لا بد مع

(٣) انظر: الصغدية (٢/٢٦٦) [دار الفضيلة، ١٤٢١هـ].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٣٤٩/٢٣) [مؤسسة

الرسالة، ط ١]، والدارمي في سننه (كتاب العلم، رقم ٤٤٩)، وحسنه الألباني بشواهد انظر: إرواء الغليل (٣٨/٦) [المكتب الإسلامي ببيروت، ط ٢].

(١) انظر: زاد المعاد (١/٦٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١٤].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ٧١)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٣٧).

✽ أقوال أهل العلم:

بالخروج عنه^(٢).

وقال ابن القيم: «الدين هو الطاعة والعبادة والخلق، فهو الطاعة اللازمة الدائمة التي صارت خلقاً وعادة، ولهذا فسر الخلق بالدين في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم]، قال الإمام أحمد: عن ابن عيينة، قال ابن عباس: لعلّ دين عظيم^(٣).

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: «أوجب النبي ﷺ الإيمان به على من سمع بأمره ﷺ، فكل من كان في أقاصي الجنوب والشمال والمشرق وجزائر البحور والمغرب وأغفال الأرض من أهل الشرك فسمع بذكره ﷺ ففرض عليه البحث عن حاله، وإعلامه والإيمان به^(١).

✽ الأقسام:

من الممكن تقسيم الديانات - بالنظر إلى الحق والباطل منها - إلى أقسام ثلاثة:

١ - الدين الحق، وهو دين الإسلام، الذي أنزله الله على رسله كلهم، من آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام.

٢ - دين باطل محرف، بأن يكون أصله من رسالة سماوية صحيحة مما أنزل على نبي من الأنبياء، ثم حرف من بعد ذلك النبي؛ كاليهودية والنصرانية.

٣ - دين وضعي أرضي؛ كالوثنية والهندوسية والبوذية ونحوها.

✽ المراتب:

الدين الذي أنزله الله على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام له ثلاث مراتب:

١ - مرتبة الإسلام.

٢ - وأعلى منها: مرتبة الإيمان.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «قد علم بالاضطرار من دين الاسلام أن رسالة محمد بن عبد الله لجميع الناس، عربهم وعجمهم، وملوكهم وزهادهم، وعلمائهم وعامتهم، وأنها باقية دائمة إلى يوم القيامة؛ بل عامة الثقلين الجن والانس، وأنه ليس لأحد من الخلائق الخروج عن متابعتة وطاعته وملازمة ما يشرعه لأمرته من الدين، وما سنّه لهم من فعل المأمورات وترك المحظورات؛ بل لو كان الأنبياء المتقدمون قبله أحياء لوجب عليهم متابعتة ومطاوعته... فإذا كان يجب اتباعه ونصره على من يدركه من الأنبياء فكيف بمن دونهم.

بل مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام أنه لا يجوز لمن بلغته دعوته أن يتبع شريعة رسول غيره؛ كموسى وعيسى، فإذا لم يجز الخروج عن شريعته إلى شريعة رسول فكيف

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٤٢٢ - ٤٢٤).

(٣) الجواب الكافي (١٤٦).

(١) الإحكام (١٠٩/٥) [دار الحديث، ط ١، ١٤٠٤هـ].

٣ - وأعلى منها: مرتبة الإحسان.

وهذه المراتب تشمل الدين الحق كله أصوله وفروعه، ظاهره وباطنه، وكل واحدة منها إذا أطلقت ولم تقترن بالأخرى فإنها تشمل الدين كله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فجعل الدين كله هو الإسلام، وفي حديث جبريل جعل الإسلام واحدًا من مراتب ثلاثة، هي بمجموعها دين الله.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: دين الأنبياء واحد، وهو دين الإسلام العام: ومن الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]

فهذا «إخبار» من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحدٍ سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد ﷺ، الذي سدد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقي الله بعد بعثته محمدًا ﷺ بدين على غير شريعته، فليس بمتقبل»^(١).

فهذه الآية تتناول دين الإسلام الذي بعث به جميع الرسل، وليست خاصة في الإسلام الذي بعث به نبينا محمد ﷺ.

(١) تفسير ابن كثير (٢/٢٥) [دار طيبة، ٢، ١٤٢٠هـ].

ومن الأدلة على أن الإسلام دين الأنبياء جميعًا:

قوله تعالى - في ذكر قول نوح ﷺ -: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٢٧] رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ [إبراهيم]. والآيات في ذلك كثيرة.

ومن الأدلة من السنة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»^(٢).

«ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وجميع الأنبياء كانوا على دين الإسلام، كما في «الصحيحين» - وساق الحديث السابق - وقد أخبر تعالى في القرآن عن نوح وإبراهيم وإسرائيل وأتباع موسى والمسيح وغيرهم أنهم كانوا مسلمين متفقين على عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يعبد بما أمر هو ﷺ، فلا يعبد

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٤٣)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٦٥).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٦/٤٨٩) [دار المعرفة].

غيره، ولا يعبد هو بدين لم يشرعه فمن

كان متبعًا لشرع التوراة أو الإنجيل الذي لم يبدل ولم ينسخ فهو على دين الإسلام... وأما من اتبع دينًا مبدلًا ما شرعه الله، أو دينًا منسوخًا، فهذا قد خرج عن دين الإسلام؛ كاليهود الذين بدلوا التوراة وكذبوا المسيح ﷺ، ثم كذبوا محمدًا ﷺ، والنصارى الذين بدلوا الإنجيل وكذبوا محمدًا ﷺ، فهؤلاء ليسوا على دين الإسلام الذي كان عليه الأنبياء؛ بل هم مخالفون لهم فيما كذبوا به من الحق، وابتدعوه من الباطل»^(١).

وبهذا يعلم أن موسى وعيسى ﷺ وجميع أنبياء الله قد جاءوا بدين واحد، اسمه الإسلام، أصوله واحدة، وإنما اختلفت شرائعه.

وأن أتباع موسى وعيسى قد حرفوا ذلك الدين من جهتين:

١ - تحريف الاسم، فاستبدلوا اسم (الإسلام) الذي جاء به أنبياءهم إلى اسم اليهودية والنصرانية، فاليهودية والنصرانية تسميات من صنع البشر، لذا نفاهما الله عن نبيّه إبراهيم ﷺ في قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران].

٢ - تحريف المضمون، بالتبديل والتغيير لما جاء في شرعهم ولنصوص كتبهم المقدسة^(٣).

- المسألة الثانية: وجوب الالتزام بدين النبي محمد ﷺ:

إن من الأمور المعلومة بالضرورة من الدين أن لا مناص لأحد من اتباع دين الإسلام الخاص الذي جاء به نبينا محمد ﷺ، وأنه لا يحل لأحد الخروج عن هذا الدين بعد بعثته ﷺ، وقد قال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»^(٤).

وقد تواترت النصوص بعموم بعثته ﷺ للناس جميعًا، قال تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتْ خَمْسًا لَمْ

(٢) وفي المسألة قول آخر لبعض العلماء، وهو أن اسم (الإسلام) مختص بهذه الأمة، ذكر هذا القول السيوطي في رسالته (إتمام النعمة باختصاص الإسلام بهذه الأمة).

(٣) انظر: الدين: مفهومه وحقيقته لبهجت عبد الرازق [بحث منشور في المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، المجلد الخامس، العدد الثاني، ١٤٢٥هـ].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٧٠ - ٣٧١)، وانظر: نفس المرجع (٩٠/ ٣).

بخلاف الديانات الأخرى، حيث لا يوجد سند متصل لكتبها المقدسة، سواء في ذلك كتب اليهود؛ كالتوراة، أو النصارى؛ كالإنجيل، أو الأديان الوضعية الكبرى؛ كالهندوس والبوذيين ونحوهم.

الثاني: فلسفة الأديان: والمراد بها: الأسس والمبادئ التي يستند إليها الدين من عقيدة وشريعة، وأخلاق ومعاملات، ومن أهم مسائل هذا القسم: مسائل ما وراء الطبيعة التي تسمى على لسان الدين: موضوع الألوهية، أو: اللاهوتية.

الثالث: مقارنة الأديان: فيدرس في هذا القسم الخصائص والمميزات لغرض المقارنة فيما بينها^(٣).

❁ الفروق:

الفرق بين الدين والملة:

الدين والملة متحدان بالذات، ومختلفان بالاعتبار، فإن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى ديناً، ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث إنها يرجع إليها تسمى مذهباً.

وقيل: الفرق بين الدين والملة والمذهب أن الدين منسوب إلى الله

يعطهنّ أحد من الأنبياء قبلي وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة^(١).

وقد علم بالضرورة من الدين وباتفاق جميع المسلمين أن من ظن أن بعض الناس يسعه الخروج عن شرعة محمد ﷺ إلى أي دين آخر فقد أتى بناقض من نواقض الإسلام^(٢).

- المسألة الثالثة: علم دراسة الأديان:

علم الأديان مصطلح عرف في العصور المتأخرة بهذا الاسم، وإن كان أصله قديماً، وهو علم يشتمل على ثلاثة مباحث:

الأول: تاريخ الأديان: ويدرس في هذا القسم نشأة الدين وتطوره وتأثيره في المجتمع.

وقد امتاز هذا المبحث عند المسلمين بالمنهج العلمي الدقيق للتحقق من المعلومات التاريخية وصحتها، وذلك باعتماد الإسناد للتحقق من تلك الروايات، سواء في المصادر الأصلية للدين وأحكامه، وهي القرآن والسنة، وكذلك ما سواهما من الأحداث، وذلك

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٨)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٤٢٢ - ٤٢٤) (٢٨/ ٥٢٤)، ومجموع مؤلفات محمد بن عبد الوهاب (١/ ٦٨)، ونواقض الإسلام له في نفس المجموع (١/ ٢١٤).

(٣) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند لمحمد الأعظمي (١٨ - ٢٠) [مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٤هـ] باختصار.

مسمًى: (الإبراهيمية)، أو: الديانة العالمية، وبين من يعممها على كل الديانات الإنسانية، كما اختلفت مبادئهم في هذه الدعوة، بين من ينطلق من منطلق إنساني، ومن ينطلق من منطلق صوفي قائم على فكرة الوحدة والاتحاد، وهم الذين يرون العالم كله هو الإله، وأن أفرادهم مثل موج البحر متعدد، ولكنه من البحر نفسه، وبناءً على ذلك فكل الأديان صحيحة لأنها صادرة عن الإله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً^(٤).

وقد عمد هؤلاء إلى العمل على المساواة بين كتاب المسلمين وعبادتهم ومساجدهم وصلاتهم مع ما يقابلها عند أصحاب الأديان الأخرى.

ولا شك أن هذه الدعوة كفر خالص، ورِدَّة عن الدين، لأمر كثيرة؛ منها:

أولاً: أنه تكذيب للقرآن والسنة في إكفار اليهودية والنصرانية وغيرها من الأديان.

قال تعالى: ﴿لَا يَكُنِ الدِّينَ كُفْرًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة].

ثانياً: أنه طعن في نبوة محمد ﷺ من

(٤) انظر: الصفدية (٢٦٨/١)، والرد على المنطقيين (٢٨٢) [دار المعرفة]، ومجموع الفتاوى (١٤/١٦٥)، ومنهاج السنة النبوية (٣/١ - ٦).

تعالى، والملة منسوبة إلى الرسول ﷺ، والمذهب منسوب إلى المجتهد^(١).

✽ مذهب المخالفين:

إن من أشهر المخالفات المتعلقة ببحث (الدين) الدعوات المنادية بتوحيد الديانات، وكذا الدعوات إلى التقريب بين الديانات، وقد نشأت هذه الدعوات المضللة في أحضان التنصير، والصهيونية العالمية^(٢)، وإن كانت لها بعض الجذور القديمة، وفيما يلي بيان لهما:

أولاً: الدعوة إلى وحدة الأديان:

إن من الدعوات الباطلة المناقضة لأصل الدين، ما نادى به بعض أهل الضلال من الدعوة إلى وحدة الأديان، وهو الاعتقاد بصحة جميع المعتقدات الدينية، وصواب جميع العبادات، وأنها طرق إلى غاية واحدة، أو أنها كالمذاهب في الدين الواحد^(٣).

وقد اختلفت طرق الداعين إلى هذا المذهب، بين من يدعو إلى الوحدة بين أديان الملل السماوية الثلاث، تحت

(١) انظر: التعريفات للمرجاني (١٤١) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٥هـ]، والكتابات للكفوي (٤٤٣ - ٤٤٤) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ].

(٢) انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر لمحمد محمد حسين (٣١٨/٢ - ٣٢٠) [دار النهضة العربية، ط ٣، ١٣٩٢هـ]، والإسلام والأديان لمحمد عوض (٣٥) [دار البشير].

(٣) انظر: دعوة التقريب بين الأديان لأحمد القاضي (٣٣٩/١) [دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ].

حيث شمولها وكفايتها وختمها لسائر النبوت، ونسخها لما قبلها من الشرائع.

ثالثاً: أنه طعن في أصول الإسلام وجذوره الأساسية مثل شهادة ألا إله إلا الله التي تقتضي الكفر بالطاغوت، والذي هو من أبرز شروطها، ودعوة وحدة الأديان تتضمن تجويزاً وتسويغاً لاتباع غير دين الإسلام، وهذا كفر مناقض لأصل الإيمان^(١).

ثانياً: التقارب بين الأديان:

من الدعوات التي كان لها انتشار واسع: الدعوة إلى التقارب بين الأديان، حيث عقد من أجلها المؤتمرات في العديد من الدول، وكان لها الكثير من المناصرين.

وأصحاب هذه الدعوة متفاوتون في مرادهم من ذلك التقارب، فمنهم من يبالغ إلى حد الاندماج الكامل والوحدة التامة بين الأديان، ودون ذلك مراتب عديدة من الدعوة للتقارب والتواصل ونبد الخلاف وأطراح عقيدة البراء بين الأديان والملل.

(١) انظر: الشفاء للقاضي عياض (١٠٧١/٢)، والإبطال لنظريه الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان لبكر أبي زيد (١٣ - ٢٤، ٩٣ - ٩٦) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٧هـ]، ودعوة التقريب بين الأديان (١٤٣٦/٤)، ١٤٦٥ - ١٤٩٢، ونواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز العبد اللطيف (٣٧٧) [مدار الوطن، ط٣، ١٤٢٧هـ]، وفتوى اللجنة الدائمة في (وحدة الأديان) برقم (١٩٤٢)، وتاريخ ١٤١٨/١/٢٥هـ.

ومن أبرز خصائص دعوة التقارب:
- أن يعتقد كل طرف إيمان الطرف الآخر، وإن لم يبلغ الإيمان التام الذي يعتقده هو، وكثير منهم من يمتنع عن القول بكفر الطرف الآخر.

- الاعتراف بالآخر، واحترام عقائده وشعائره، والتعريف على الآخر كما يريد هو أن تعرفه، وتجنب البحث والمناقشة في المسائل العقدية الشائكة، ونسيان الماضي التاريخي، والاعتذار عن أخطائه.

- إبراز أوجه التشابه والاتفاق، والقضاء على أوجه الاختلاف والافتراق، والعمل على تحقيق القيم المشتركة، وتبادل التهاني والزيارات في المناسبات الدينية، والمشاركة في عباداتهم أحياناً^(٢)، ويدخل في ذلك التأكيد على المحبة والمودة والإخاء والصدقة والثقة والاحترام المتبادل معهم.

- ويؤكدون كثيراً على أن يتعد كل طرف عن أن يجعل الحوار دعوة مبطنة لدينه، سواء للإسلام أو النصرانية^(٣).

ويتبين بهذا أن التقارب أمرٌ نسبي، فيمكن حصول التقارب إلى درجة الوحدة ويمكن الاكتفاء بالتفاهم العام القريب من حوار التعايش.

(٢) انظر: الحوار مع أهل الكتاب لخالد القاسم (١٢٤) [دار المسلم، ط١، ١٤١٤هـ].

(٣) انظر: دعوة التقريب بين الأديان (١/٣٣٥).

حكم دعوة التقارب:

بناء على اختلاف المضامين المندرجة تحت دعوات التقارب، فإن حكم الدعوة إلى التقارب بين الأديان يختلف بحسب المعاني المندرجة تحت كل دعوة:

- فمن كفر أصحاب الديانات الأخرى كاليهود والنصارى، مع القول بالتقريب على نحو ما سبق: فقلوه بدعة مخالفة لمنهج النبي ﷺ في حوارهِ مع أهل الكتاب.

- ومن لم يكفرهم، فقلوه كفر؛ لأنه تكذيب لأمرٍ قطعي في القرآن والسنة كما تقدم تفصيله.

فهي على الحالين محرمة، وذلك لأمر؛ منها:

- أنه موالة للكفار ومخالفة لعقيدة الولاء والبراء الثابتة بالضرورة من الدين، والمودة والموالاة في «حوار التقريب» هو الشعار البارز الذي يردد في اللقاءات والبيانات المشتركة^(١).

- أنه مخالفة لمنهج النبي ﷺ في حوار الأديان، وأصحابه، وأهل الإسلام قاطبة.

فأصحاب التقارب يتركون نقاط الاختلاف، ولا سيما مسائل العقائد، وهذه مناقضة لمنهج الدعوة النبوية، فإن

(١) انظر: أولويات الحركة الإسلامية في الرحلة القادمة للقرضاوي (١٧٦) [مكتبة وهبة، ط ١، ١٤١١هـ].

الرسول ﷺ دعا أهل الكتاب وغيرهم من أهل الأديان إلى تحقيق التوحيد، ونبذ الشرك، وجادلهم على ذلك، ولم يرد تركه لمخاطبتهم في العقائد والإعراض عن ذلك إلى قضايا مشتركة أخرى.

- أنه يتضمن المساواة بين الكافرين والمسلمين، يقول تعالى: ﴿أَفَتَجْعَلُ الْكُفْرَيْنَ كَالْإِسْلَامِ﴾ [القلم].

ودعوة التقريب في أساسها تقرر مبدأ المساواة الدينيّة، وهذا رفع لما وضعه الله، وتنزيل لما رفعه الله تعالى. فالتقارب يفترض المساواة بين الأديان وعدم امتلاك الحقيقة المطلقة لأي منها، وهذا شك في الإيمان والإسلام وتوسط بين الأديان^(٢).

المصادر والمراجع:

١ - «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان»، لبكر أبي زيد.

٢ - «إتمام النعمة باختصاص الإسلام بهذه الأمة»، للسيوطي.

٣ - «أحكام أهل الملل والردة من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل»، للخلال.

٤ - «الإسلام والأديان»، لمحمد عوض.

٥ - «دراسات في اليهودية والمسيحية

(٢) انظر: دعوة التقريب بين الأديان (١٤٤٨/٤).

- وأديان الهند»، لمحمد الأعظمي .
 ٨ - «الدين، مفهومه وحقيقته في ضوء القرآن والسُّنة»، لبهجت عبد الرازق .
 ٦ - «دعوة التقريب بين الأديان»، لأحمد القاضي .
 ٩ - «فتح الباري»، لابن حجر .
 ٧ - «الدين»، لمحمد عبد الله دراز .
 ١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية .



حرف الذال

الباري هي نفسه ويعبرون بها عن وجوده وحقيقته^(٣).

الذَّات

التعريف لغة:

وقيل: الذات: لفظ مولَّد يقتضي وجود صفات تضاف الذات إليها فيقال: ذات علم وذات قدرة وذات كلام^(٤).

الحكم:

يجب على المسلم الالتزام بالألفاظ الشرعية الواردة في الكتاب والسُّنة، وأن يتوقف في إطلاق الألفاظ التي لم ترد في النصوص، لا سيما إذا أُريد بها عند الإطلاق معنى غير صحيح.

ولفظ: (الذات) لم يرد في النصوص الشرعية إلا مضافاً، فيجوز إثباته على الوجه الذي ورد، أما وروده معرّفاً بأل، فلم يجئ في كلام السلف إلا في معرض الرد على أهل التعطيل ممن نفوا علو الله تعالى على عرشه، وقالوا: المقصود به علو القهر والقدر فقط. فأثبت السلف علو ذاته تعالى على العرش.

الحقيقة:

لفظ ذات في لغة العرب: تأنيث ذو،

الذات: تأنيث ذو، «قال الليث: (ذو): اسم ناقص، وتفسيره: صاحب ذلك؛ كقولك: فلان ذو مال؛ أي: صاحب مال وتقول في تأنيث (ذو): ذات، تقول: هي ذات مال، قال الأزهري: وذات الشيء: حقيقته وخاصته»^(١).

فتبين أن لفظ ذات يأتي بمعنى الحقيقة والخاصة. ويأتي بمعنى صاحبة، وعلى هذا المعنى لا يقال: «ذات الشيء» إلا لما له ذات ونعوت تضاف إليه، فكأنه يقول: صاحبة هذه الصفات والنعوت^(٢).

التعريف اصطلاحاً:

الذات: لفظ أطلقه المتكلمون، يريدون به النفس والحقيقة، ويعنون بذلك: صاحبة الصفات، ويقولون ذات

(١) تهذيب اللغة (٣٣/١٥) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٧/٢) [دار الكتاب العربي]، ومجموع الفتاوى (٢٨٣/٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: بدائع الفوائد (٦/٢)، ومجموع الفتاوى (٦/٣٤٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٩٨/٦).

وأصل الكلمة ذات الصفات؛ أي: النفس ذات الصفات. ومشيتة ونحو ذلك، ثم حذفوا الموصوف وعرفوا الصفة. فقالوا: الذات^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

- قال القاضي عياض: «وقد استعمل الفقهاء والمتكلمون الذات بالألف واللام وغلطهم في ذلك أكثر النحاة، وقالوا: لا يجوز أن تدخل عليها الألف واللام؛ لأنها من المبهمات، وأجاز بعض النحاة قولهم الذات وأنها كناية عن النفس وحقيقة الشيء أو عن الخلق والصفات»^(٤).

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولفظ: (ذات) تأنيث (ذو)، وذلك لا يستعمل إلا فيما كان مضافاً إلى غيره، فهم يقولون: فلان ذو علم وقدرة، ونفس ذات علم وقدرة. وحيث جاء في القرآن أو لغة العرب لفظ: (ذو) ولفظ: (ذات) لم يجرى إلا مقروناً بالإضافة، لكن لما صار النظر يتكلمون في هذا الباب قالوا: إنه يقال إنها ذات علم وقدرة، ثم إنهم قطعوا هذا اللفظ عن الإضافة وعرفوه؛ فقالوا: (الذات) وهي لفظ مولد ليس من لفظ العرب العرباء، ولهذا أنكره طائفة من أهل العلم؛ كأبي الفتح بن برهان وابن الدهان وغيرهما،

وقد أطلق هذا اللفظ في الشرع؛ كقول النبي ﷺ في قصة إبراهيم: «لم يكذب إبراهيم النبي ﷺ قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله»^(١). وكقول خبيب: «وذلك في ذات الإله»^(٢).

والمعنى في جهة الله وناحيته؛ أي: لأجل الله ولا ابتغاء وجهه؛ ليس المراد بذلك النفس. ونحوه في القرآن: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، وقوله: ﴿عَلِمَ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٤٣) [الأنفال]؛ أي: الخصلة والجهة التي هي صاحبة بينكم وعليم بالخواطر ونحوها التي هي صاحبة الصدور. فلفظ: (الذات) في كلام النبي ﷺ والصحابة والعربية المحضة بهذا المعنى.

أما المتكلمون فقد أطلقوا هذا اللفظ وأرادوا به: النفس صاحبة الصفات، ولما وجدوا الله قال في القرآن: ﴿تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] و﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ [الأنعام: ١٢] وصفوها، فقالوا: نفس ذات علم وقدرة، ورحمة

(٣) مجموع الفتاوى (٣٤١/٦ - ٣٤٢)، وانظر: درء التعارض (٥٤/٥).

(٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/٢٧٣) [المكتبة العتيقة].

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٥٨)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧١).

(٢) كما في قصة مقتله: التي أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠٤٥).

وجاء في قصة مقتل خبيب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال:
«ما أبالي حين أقتلُ مُسْلِمًا
على أيِّ شقٍّ كان لله مضرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يُبَارِك على أوصالِ شِلْوِ مُمَرِّعٍ»^(٤).

والمعنى: في أمر الله وطاعته؛ أي:
لأجل الله ولا ابتغاء وجهه؛ وليس المراد
بذلك النفس، كما يريد المتكلمون.
فاسم (ذات) في كلام النبي ﷺ
والصحابا والعربية المحضة: بهذا
المعنى^(٥).

✽ مذهب المخالفين:

يطلق المتكلمون هذا اللفظ في معنى
النفس والحقيقة، ويقولون: ذات الباري
هي نفسه ويعبرون بها عن وجوده
وحقيقته، ويحتجون في إطلاق ذلك
بقوله ﷺ في قصة إبراهيم: «لم يكذب
إبراهيم ﷺ إلا ثلاث كذبات، ثنتين
منهن في ذات الله ﷻ»^(٦).

وليست هذه اللفظة في اللغة والشرعية
كما زعموا، ولو كان كذلك لجاز أن
يقال: عند ذات الله، واحذر ذات الله،
كما قال تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾
[آل عمران: ٢٨]، وذلك غير مسموع، ولا

وقالوا: ليست هذه اللفظة عربية، وردَّ
عليهم آخرون كالقاضي وابن عقيل
وغيرهما. وفصل الخطاب: أنها ليست
من العربية العرباء بل من المولدة؛ كلفظ
الموجود، ولفظ الماهية، والكيفية ونحو
ذلك، فهذا اللفظ يقتضي وجود صفات
تضاف الذات إليها فيقال: ذات علم
وذات قدرة وذات كلام^(١).

وقال ابن القيم: «إذا أطلقوا لفظ
الذات من غير تقييدها بإضافة معين دلَّت
على ماهية لها صفات تقوم بها، فكأنهم
قالوا: صاحبة الصفات المخصوصة
القائمة بتلك الماهية، فدلوا بلفظ الذات
على الحقيقة وصفاتها القائمة بها،
ومحال أن يصح وجود ذات لا صفات
لها ولا قدر وإن فرضها الذهن فرضًا لا
وجود لمتعلقه في الخارج إلا كما يفرض
سائر الممتنعات، فالذات هي قابلة
للصفات والموصوفة بالصفات القائمة بها
ومنه ذات الصدور؛ أي: ما فيها من
خير وشر»^(٢).

✽ المسائل المتعلقة:

- المراد بذات الله الوارد في النصوص:

جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ
قال: «لم يكذب إبراهيم ﷺ إلا ثلاث
كذبات، ثنتين منهن في ذات الله ﷻ»^(٣).

(١) مجموع الفتاوى ٩٨/٦ - ٩٩.

(٢) الصواعق المرسلة ١٣٨٢/٤.

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠٤٥).

(٥) مجموع الفتاوى ٣٤١/٦ - ٣٤٢، وانظر: درة

التعارض (٥٤/٥).

(٦) تقدم تخريجه قريباً.

- ٢ - «التدمرية»، لابن تيمية.
 ٣ - «تفسير الطبري» (ج ١٣).
 ٤ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، لقوام السُّنة.
 ٥ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٣)، لابن تيمية.
 ٦ - «الصفات الإلهية: تعريفها، أقسامها»، لمحمد خليفة التميمي.
 ٧ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسُّنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.
 ٨ - «الصواعق المرسلة» (ج ٤)، لابن القيم.
 ٩ - «فتح الباري» (١٣)، لابن حجر.
 ١٠ - «مجموع الفتاوى» (ج ٥، ٦)، لابن تيمية.

الدَّبْح

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الذال والباء والحاء أصل واحد، وهو يدل على الشق؛ فالذبح مصدر ذبحت الشاة ذبحاً، والذَّبْح المذبوح»^(٣).

والذبح: الشق، وكل ما يُشَق فقد ذُبِح، وكذلك كل ما قُتِل وقُلِع فقد ذُبِح، والذبيحة: الشاة المذبوحة، وهي اسم

يقال إلا بحرف (في) الجارة، وحرف (في) للوعاء وهو معنى مستحيل على نفس الباري تعالى. إذا قلت: جاهدت في الله تعالى، وأحببتك في الله تعالى، محال أن يكون هذا اللفظ حقيقة لما يدل عليه هذا الحرف من معنى الوعاء، وإنما هو على حذف المضاف؛ أي: في مرضاة الله وطاعته، فيكون الحرف على بابهِ؛ كأنك قلت: هذا محبوب في الأعمال التي فيها مرضاة الله وطاعته، وأما أن تدع اللفظ على ظاهره فمحال، وإذا ثبت هذا، فقول خُبيب: «وذلك في ذات الإله»^(١). إنما يريد في الديانة والشرعة التي هي ذات الإله.

فقد بان غلط من جعل هذه اللفظة عبارة عن نفس ما أضيف إليه، والذات هنا كالجنب في قوله تعالى: ﴿بَحَسَرْتُ عَنْكَ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]؛ ألا ترى أنه لا يحسن أن يقال هاهنا: فرطت في نفس الله وحقيقته، ويحسن أن يقال: «فرط في ذات الله» كما يقال: فعل كذا في ذات الله، وقتل في ذات الله تعالى، وصبر في ذات الله، فتأمل ذلك^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «بدائع الفوائد» (ج ٢)، لابن القيم.

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٦/٢ - ٨)، ومجموع الفتاوى

لما يذبح من الحيوان، وأنث؛ لأنه

ذهب به مذهب الأسماء لا النعت. ويطلق على الذبيحة: النسك، وهي التي يتقرب بها إلى الله تعالى، وتسمى بالنسيكة، ويسمى الذبح أيضًا نحرًا، وإن كان النحر يطلق على نحر الإبل: وهو طعنها في منحرها^(١).

التعريف شرعًا:

هو إزهاق الروح، بإراقة الدم، على وجه مخصوص، ويقع عبادة: إما وجوبًا، أو استحبابًا، ويقع عادة^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

تظهر العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي حيث أن كل منهما يدل على الشق والقطع، إلا أن المعنى الشرعي مخصوص بالذبح الشرعي، الذي يقع على وجه القربة لله تعالى، أو على وجه التمتع، أو الاتجار، ونحوه.

الأسماء الأخرى:

النسك، النحر، الذكاة.

الحكم:

يختلف حكم الذبح بحسب القصد والنية، فيقع على ثلاثة أوجه^(٣):

أحدها: الذبح التعبدية، وهو ما يطلق عليه بالنسك: وهو ما يقع عبادة لله تعالى، فيقصد بذبحه التقرب إلى الله تعالى، وتعظيمه، والتذلل إليه، فهذا لا يكون إلا لله تعالى، وصرفه لغيره تعالى شرك أكبر.

الثاني: أن يقع بقصد إكرام الضيف، أو لوليمة العرس، ونحوه، فهذا مأمور به إما وجوبًا، أو استحبابًا.

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل، أو التوسيع على العيال، أو الاتجار به، ونحو ذلك، فهذا من قسم المباح.

المنزلة:

الذبح أفضل العبادات المالية؛ لأنه يجتمع فيه أمران: **الأول:** أنه طاعة لله تعالى. **والثاني:** أنه بذل ماله، وطابت به النفس، والبذل مشترك في جنس المال، لكن زاد الذبح على غيره؛ من حيث إن الحيوانات محبوبة إلى أربابها، يوجد لذبحها ألم في النفوس؛ لشدة محبتها، فإذا بذله لله تعالى، وسمحت

(١) انظر: تهذيب اللغة (٤/٤٧١ - ٤٧٢) (١٠/٥) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ومقاييس اللغة (٢/٤٢٠)، ولسان العرب (٥/٢٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ].

(٢) انظر: شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (٦٦ - ٦٧) [دار إحياء الشريعة]، وانظر: الشرك ومظاهره لمبارك الميلي (٣٦٥) [دار الراية، ط ١، ١٤٢٢هـ]، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ (١٣٨) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: الشرك ومظاهره لمبارك الميلي (٣٦٥)، وشرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (٦٦ - ٦٧)، وحصول المأمول بشرح ثلاثة أصول لعبد الله الفوزان (٩٨ - ٩٩) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٢هـ].

الفقر، وتركاً لإعانة الفقراء وإعطائهم، وسوء الظن منهم بربهم، ولهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: (٢)].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَاللَّطِيخَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فُسْقٌ﴾ [المائدة: ٣]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦] لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [١٧] [الأنعام: ١٦]، وقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْزَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

ومن السُّنَّة: عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض» (٣).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي فقدمت إلى النبي سفره فأبى أن

نفسه بإيذاق الحيوانات الموت، صار أفضل من مطلق العبادات المالية (١).

الأهمية:

الدَّبْحُ: عبادة عظيمة من أعظم العبادات، وشعيرة من أظهر شعائر الدين، قرن الله تعالى ذكرها في كتابه العزيز بالصلاة التي هي الركن الثاني من أركان الدين، ومبانيه العظام تنبيهاً على عظم شأن القرايين وإعلاماً لعباده بأن الدَّبْحَ لله وحده، ولم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله وحده مشروعاً في جميع الملل، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْزَرْ﴾ [الكوثر: ٢] أمره أن يجمع بين هاتين العبوديتين: وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع، والافتقار وحسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله، وإلى عدته وأمره، وفضله، وخلفه، عكس حال أهل الكبر والنفرة، وأهل الغنى عن الله، الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم يسألونه إياها، والذين لا ينحرون له خوفاً من

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/٥٣١ - ٥٣٢) [مجمع الملك

فهد لطباعة المصحف الشريف، طه ١٤٢٥هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الأضاحي، رقم ١٩٧٨).

(١) حاشية ثلاثة الأصول لابن قاسم (٤٤) [طه،

١٤٠٧هـ].

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «والنسك: هي الذبيحة لله تعالى ابتغاء وجهه، والمقصود: أن الصلاة والنسك هما أجل ما يتقرب به إلى الله تعالى، فإنه أتى فيها بالفاء الدالة على السبب؛ لأن فعل ذلك وهو الصلاة والنحر، سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله إياه من الكوثر، والخير الكثير، فشكر المنعم عليه، وعبادته أعظمهما هاتان العبادات وأجل العبادات المالية: النحر، وأجل العبادات البدنية: الصلاة، وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها، من سائر العبادات، كما عرفه أرباب القلوب الحية، أصحاب الهمم العالية، وما يجتمع له في نحره من إثارة الله، وحسن الظن به، وقوة اليقين، والثوق بما في يد الله أمر عجيب، إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص»^(٤).

وقال السعدي رحمه الله: «فإن نصوص الكتاب والسنة صريحة في الأمر بالذبح لله، وإخلاص ذلك لوجهه، كما هي صريحة بذلك في الصلاة، فقد قرن الله الذبح بالصلاة في عدة مواضع من كتابه، وإذا ثبت أن الذبح لله من

يأكل منها. ثم قال زيد: «إني لست أكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا أكل إلا ما ذكر اسم الله عليه». وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: «الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله؟!». إنكاراً لذلك وإعظاماً له^(١).

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته»^(٢).

وعن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانة فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة. فقال النبي ﷺ: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟». قالوا: لا. قال: «هل كان فيها عيد من أعيادهم؟». قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ: «أوف بنذرك؛ فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الصيد والذباح، رقم ١٩٥٥).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الإيمان والنذور، رقم ٣٣١٣)، وصححه ابن حجر في التلخيص الحبير (٤٣٩/٤) [دار الكتب العلمية، ط١]، والالباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٧٢).

وجملة: «وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك» رواها البخاري في صحيحه (كتاب الأدب، رقم ٦٠٤٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١١٠).
(٤) مجموع الفتاوى (١٦/٥٣٢).

تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزَلِ ذَلِكَ فَمَنْ فَسَقَ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ يَدْرِكُ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]. وهناك شروط يذكرها أهل الفقه خاصة بالذباح، والذبيحة، وآلة الذبح.

❁ الأقسام:

ينقسم الذبح إلى قسمين ظاهرين، وكل قسم ينقسم إلى أنواع^(٣):

القسم الأول: ذبح عبادة وقربة، وهو على أنواع ثلاثة:

١ - ذبح النسك: وهو ما يتقرب به إلى الله تعالى، تعظيماً له، وطاعة، وهو إما مطلق؛ أي: ليس له سبب معين، إلا مجرد التقرب والطاعة، وإما لسبب: كالهدي، والأضحية، والنذر، والعقيقة، ونحوها، وهذه منه ما هو واجب، ومنها ما هو سنة مؤكدة، أو مستحب.

٢ - الذبح البدعي: وهو أن يذبح بمكان يذبح فيه لغير الله تعالى، أو يذبح عند القبور، وإن كان الذباح قصده التقرب إلى الله تعالى، وذبح باسمه تعالى؛ لأنه وسيلة من وسائل الشرك بالله تعالى، كما سيأتي بيانه.

٣ - الذبح الشرقي: وهو من يذبح

أجل العبادات، وأكبر الطاعات، فالذبح لغير الله شرك أكبر، مخرج عن دائرة الإسلام؛ فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعاً، أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله^(١).

وقال عبد الرحمن بن قاسم رحمته الله - تحت ترجمة: باب من ما جاء في الذبح لغير الله -: «أي: من الوعيد على ذلك، وبيان أنه شرك أكبر ناقل عن الملة؛ لأنه عبادة من أجل العبادات، وقربة من أفضل القربات المالية، فصرفه لغير الله شرك؛ كمن يذبح لقبر، أو شجر، أو حجر، أو ملك، أو نبي، أو جني، أو لطلعة سلطان، أو للزيران، أو غير ذلك»^(٢).

❁ الشروط:

شروط الذبح: أن يكون الذبح لله تعالى، وأن يكون باسمه تعالى، فإن اختل أحد الشرطين، حرمت الذبيحة، ولم يجز أكلها.

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْيَتُهُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ

(٣) انظر: الشرك ومظاهره لمبارك الميلي (٣٦٥)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (٢١٤/١) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٣هـ]، وشرح ثلاثة لابن عثيمين (٦٦ - ٦٧)، وانظر: الشرك ومظاهره لمبارك الميلي (٣٦٥)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (١٣٩ - ١٤٢).

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد (٢١/٣) - ضمن المجموعة الكاملة - [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط ٢، ١٤١٢هـ].

(٢) حاشية كتاب التوحيد (٩٦) [ط ٥، ١٤٢٤هـ].

بإخلاص القصد له فيها كما قال تعالى:
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْرَ﴾ [الكوثر].

قال ابن تيمية: «والمسلم لو ذبح
لغير الله، أو ذبح باسم غير الله لم يبح،
وإن كان يكفر بذلك، فكذلك الذمي
ولأن الذبح لغير الله، وباسم غيره: قد
علمنا يقيناً أنه ليس من دين الأنبياء ﷺ،
فهو من الشرك الذي أحدثوه»^(٢).

- المسألة الثانية: حكم الذبح لله
تعالى بمكان يذبح فيه لغير الله، أو
بمكان يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية:

لما كان الذبح لله تعالى عبادة وقربة
يتقرب بها إلى الله تعالى، فقد احتاط لها
الشرع المطهر لأدائها على أكمل
الوجوه، وأظهرها عبودية وإخلاصاً لله
تعالى وذلك بالنهي عن الذبح لله تعالى
بمكان يذبح فيه لغير الله ﷻ، أو بمكان
يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية؛ سداً
لذريعة الشرك وحماية لجناح التوحيد،
ومباعدة لأهل التوحيد عن مشابهة
المشركين في الذبح لمعبوداتهم، كما دلَّ
على ذلك حديث ثابت بن الضحاك
المتقدم.

والشاهد من الحديث لهذه المسألة
قوله ﷺ: «هل كان فيها وثن من أوثان
الجاهلية يعبد؟»، «فهل كان فيها عيد من
أعيادهم؟».

لغير الله تقريباً، أو يذكر غير اسم الله
تعالى على الذبيحة؛ كمن يذبح للأنبياء،
أو للملائكة، أو للجن، أو يذبح لأهل
القبور، وأمثال ذلك.

القسم الثاني: الذبح المباح، وهو ما
يقصد فيه التمتع باللحم، والتوسيع على
الأهل والعيال، أو الاتجار به، أو نحو
ذلك.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الذبح لغير الله:

هو إراقة دم حيوان على وجه التقرب
لغير الله تعالى، أو ذكر غير اسمه تعالى
عليه، ويشمل الذبح للأنبياء،
والملائكة، والأولياء، وغيرهم، أو
بأسمائهم. قال النووي رحمه الله: «وأما
الذبح لغير الله تعالى فالمراد به: أن
يذبح باسم غير الله تعالى؛ كمن ذبح
للصنم، أو الصليب، أو لموسى أو
لعيسى صلى الله عليه وسلم، أو للكهنة
ونحو ذلك»^(١).

والذبح لغير الله تعالى تقريباً وتعظيماً
من الشرك الأكبر المناقض لملة
الإسلام، وهو مما أهل به لغير الله
تعالى، وتحريمه معلوم من الدين
بالضرورة؛ فإن الذبح من أعظم العبادات
التي شرعها الله تعالى لعباده، وأمرهم

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/١٤١) [المطبعة
المصرية بالأزهر، ط ١، ١٣٤٧هـ].

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٥٦٢) [مكتبة الرشد].

والحكمة من النهي عن ذلك تتجلى في الآتي:

الأول: أنه يؤدي إلى التشبه بالكفار، وقد نهى عن التشبه بهم، ولو كان قصد الذابح وجه الله تعالى.

الثاني: أن في ذلك إحياء للمحل الشركي، وتعظيمًا له، فيكون من أكبر الوسائل إلى وجود الشرك، ورجوعه.

الثالث: أنه يؤدي إلى الاغترار بهذا الفعل؛ لأن من رأى مسلمًا يذبح بمكان يذبح فيه المشركون ظن أن فعل المشركين جائز؛ لأن صورة الفعلين واحدة.

الثالث: أن المشركين سوف يقولون على فعلهم، إذا رأوا من يفعل مثلهم^(١).

- المسألة الثالثة: حكم الذبح عند القبور:

كان أهل الجاهلية يعقرون الإبل على قبر الرجل الجواد؛ زعمًا منهم أن ذلك مجازاة لهم على فعله الذي كان يفعله قبل موته، وهو عقر الإبل للأضياف، وإطعامهم إياها، فيعقرون عند قبره فتأكلها السباع والطير لتكون مطعمًا بعد مماته، كما كان مطعمًا في حياته، فجاء الإسلام وأبطل سنة الجاهلية.

(١) انظر: حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (١٠٣)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (١/٢٤٠) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا عقر في الإسلام»^(٢).

والعقر: هو قطع إحدى قوائم البعير أو الناقة، أو الشاة بالسيف لأجل نحره يفعل ذلك كيلا يشرد عند النحر، والمراد من الحديث النهي عما كان يفعله أهل الجاهلية عند القبور فكان من سنتهم أنهم يعقرون الإبل على قبور الموتى؛ أي: ينحرونها، ويقولون: إن صاحب القبر كان للأضياف في أيام حياته فنكفئته مثل صنيعه بعد وفاته.

وفسره الإمام أحمد بأنهم كانوا إذا مات لهم الميت نحروا جزورًا على قبره، فنهى النبي ﷺ عن ذلك.

وقد جاء اليوم في بلاد المسلمين من يحيي هذا السنة الجاهلية، وذلك بالذبح عند قبور الأولياء وأضرحتهم؛ بدعوى أنها تنحر باسم الله والله وبقصد نفع الفقراء والمساكين، وهذا فعل منكر وعمل محرم وحرمة من عدة أوجه:

أولها: أنه قد نهى النبي ﷺ عن ذلك بخصوصه وذلك في قوله ﷺ: «لا عقر في الإسلام»، وهذا الفعل مشابه لما كان يفعله أهل الجاهلية.

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٢٢)، وأحمد (٣٣٣/٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال البوصيري: «وهو إسناد صحيح على شرط مسلم». إتحاف الخيرة المهرة (١٠٢/٤)، رقم (٣٢٣٦) [دار الوطن، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وصححه الألباني أيضًا في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٤٣٦).

الثاني: لو كان هذا الفعل جائزًا لفعله سلف هذه الأمة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، فلما لم ينقل عنهم شيء من ذلك دلّ هذا على بطلانه.

الثالث: ذكر اسم الله عند الذبح عند القبر ليس هو المسوغ لجواز هذا الفعل؛ بل إن الذبح في أماكن يعظم فيها غير الله محرم وهو من البدع العظيمة والوسائل المفضية إلى الشرك، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ولا يذبح عند القبر أضحية ولا غيرها، وكان المشركون يذبحون للقبور ويقربون لها القرابين، وكانوا في الجاهلية إذا مات لهم عظيم ذبحوا عند قبره الخيل والإبل وغير ذلك؛ تعظيمًا للميت، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله، ولو نذر ذلك نذرًا لم يكن له أن يوفي به، ولو شرطه واقف لكان شرطًا فاسدًا، وكذلك الصدقة عند القبر كرهها العلماء، وشرط الواقف ذلك شرط فاسد، وأنكر من ذلك أن يوضع على القبر الطعام والشراب ليأخذه الناس، فإن هذا ونحوه من عمل كفار الترك لا من أفعال المسلمين»^(١).

الرابع: أن الواقع يكذب دعوى هؤلاء فلو كان قصده الذبح لله ثم لنفع الفقراء فإن الله يذبح له في كل مكان لم

ينه عنه، والفقراء يوجدون في أماكن عدة، فلماذا يذبح عند القبر دون سواه؟! يقول الصنعاني رحمته الله: «فإن قال: إنما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه، فقل: إن كان النحر لله فلا شيء قربت ما تنحره عند باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه؟ هل أردت بذلك تعظيمه؟ إن قال: نعم، فقل: هذا النحر لغير الله؛ بل أشركت مع الله تعالى غيره وإن لم ترد تعظيمه، فهل أردت توسيح باب المشهد وتنجيس الداخلين إليه؟ أنت تعلم يقينًا أنك ما أردت ذلك أصلًا ولا أردت إلا الأول، ولا خرجت من بيتك إلا قصدًا له، ثم كذلك دعاؤهم له، فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب»^(٢).

وبالجملة؛ فالذبح عند القبر وإن ذكر عليه اسم الله من أعظم المنكرات، وهو وسيلة من وسائل الشرك المفضية إليه، ومن تأمل حال من يذبح عند القبر لم يخرج فعلهم عما وصفه الصنعاني رحمته الله من حالهم.

- المسألة الرابعة: ما يذبح بعد الفراغ من بناء البيت:

ما يذبح في الدور والمساكن بعد الفراغ من بنائها وكمالها، له صورتان:

الأولى: أن تذبح الذبائح خوفًا من

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدان الإلحاد (٦٣) [ط١،

الجن، فهذا شرك؛ وتحرم هذه الذبائح، ولو ذكر عليها اسم الله؛ لأنه مما أهْلَ به لغير الله.

إكرامًا له، وضيافة لقدمه، ثم تطبخ وتؤكل فلا بأس بها؛ لأنها من باب الإكرام وليس شرًا.

الثاني: أن تذبح الذبائح، ويقصد بها الفرح والسرور، وشكر النعمة على اكتمال البناء، فهذا ليس محرّمًا، ولا بأس به.

قال الفوزان: «ويدخل في الذبح لغير الله أصناف: ما ذبح لغير الله على وجه التقرب، ولو قيل عليه: بسم الله، وهذا حرام بإجماع المسلمين، وهو شرك بالله ﷻ. وما يذبح عند أول نزول البيت؛ خوفًا من الجن، وهذا شرك؛ لأنه مما ذبح لغير الله ﷻ، أما ذبح ذبيحة عند نزول البيت من باب الفرح والسرور ودعوة الجيران والأقارب فهذا لا بأس به»^(١).

قال سليمان بن عبد الله معلقًا على هذه المسألة: «إن كانوا يذبحونه استبشارًا كما ذكر الرافعي فلا يدخل في ذلك، وإن كانوا يذبحونه تقربًا إليه فهو داخل في الحديث - يعني: حديث علي رضي الله عنه -: «لعن الله من ذبح لغير الله»»^(٢).

- المسألة الخامسة: ما يذبح عند قدوم السلطان:

ما يذبح عند قدوم السلطان له صورتان:

الأولى: أن تذبح الذبائح عند قدمه تعظيمًا له، وتقربًا إليه، فهذا شرك أكبر، وتحرم هذه الذبائح، وإن سمى الله عليها، ومن علامات ذلك: أن تذبح في وجهه، ثم تترك.

الثاني: أن تذبح الذبائح عند قدمه

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/١٤١).

(٣) تيسير العزيز الحميد (١/٣٦٦).

(٤) القول المفيد (١/٢١٤)، وانظر: إغاثة المستفيد للفوزان (١/٣٣٣)، والتمهيد لصالح آل الشيخ (١٤٠).

(١) إغاثة المستفيد (١/٢٣٣).

❁ الآثار:

ويجتمع فيه البخل، والعجب، والكبر، ونحو ذلك من الصفات الذميمة، والأخلاق الرديئة، فيوبق ديناه وأخراه.

❁ الحكمة:

الحكمة في التقرب إلى الله تعالى بالقرايين، والذبايح: هو الحصول على تقوى الله تعالى، وإقامة ذكر الله تعالى، بالتسمية عليها، كما قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ بِنَآلِهِ الْقَوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِهَا ۗ اللَّهُ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج].

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «إغاثة المستفيد على كتاب التوحيد»، للفوزان.
- ٢ - «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية.
- ٣ - «بدع القبور»، لصالح العصيمي.
- ٤ - «تطهير الاعتقاد»، للصنعاني.
- ٥ - «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.
- ٦ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٧ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن.
- ٨ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

من آثار الذبح لله تعالى: ظهور نعمة الله على العباد؛ إذ الذبح محفوف بنعم قبله ونعم بعده، إذ إن القيام به سبب لإنعام الله على عباده، وسعة رزقه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ].

وإخلاص الذبح لله تعالى يورث الوثوق فيما عند الله تعالى، والزهد فيما عند الناس، فيجتمع للعبد فيه من إثارة الله، وحسن الظن به، وقوة اليقين، والوثوق بما في يد الله أمر عجيب، إذا قارن ذلك الإيمان، وصدق التوجه.

مع ما في ذلك كله من الأجر الجزيل، والثواب العظيم من الله تعالى في الآخرة.

وأما آثار الذبح لغير الله تعالى: فهي على النقيض من ذلك، فيجتمع للعبد من الفقر والذلة والهوان، الشيء الكثير؛ لأن كل من أنفق ماله في غير مرضاته كان عليه حسرة في الدنيا والآخرة، كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال: ٣٦].

ويحصل للذبايح سوء ظن بالله تعالى، ويضعف يقينه وإيمانه بربه تعالى، ولا يثق في شيء مما عند الله تعالى،

مولده ووفاته:

ولد أبو ذر رضي الله عنه قبل الإسلام، وتوفي بالربذة سنة اثنتين وثلاثين، وعليه الأكثر. وقيل: سنة إحدى وثلاثين، وصلى عليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٥).

إسلامه:

أسلم أبو ذر رضي الله عنه قديمًا، فكان رابع أربعة أو خامس خمسة، ثم رجع إلى بلاد قومه بعد إسلامه، وأقام بها ثم قدم المدينة بعد غزوة الخندق، وصحب النبي ﷺ ولازمه حتى الممات، وبعد وفاة أبي بكر قدم الشام وأقام بها حتى وقع اختلاف بينه وبين معاوية، فدعاه الخليفة الراشد عثمان بن عفان إلى المدينة، ثم استأذن أبو ذر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في الانتقال إلى الربذة، فأذن له، وانتقل إليها، وفيها عاش حتى مات (٦).

وبهذا يتضح أنه من السابقين الأولين إلى الإسلام، وقصة إسلامه جاءت في «الصحيح» على صفتين متباينتين (٧)؛ فقد

[دار الجبل، بيروت، ١٤١٢هـ].

(٥) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٢١/٤)، وسير أعلام النبلاء (٥٧/٢)، و (٧٤) [مؤسسة الرسالة، ط ٣]، الإصابة في تمييز الصحابة (١٢٩/٧).

(٦) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢١١/٤) - ٢١٢، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢٥٢/١) - ٢٥٣، وتاريخ دمشق (١٧٤/٦٦) وما بعدها.

وسير أعلام النبلاء (٤٦/٢)، والبدية والنهاية لابن كثير (٢٥٦/١٠) [دار هجر، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٧) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١٢٩/٧).

الذبح لغير الله

يراجع مصطلح (الذبح).

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

أبو ذر جندب بن جنادة بن كعب بن صغير بن الوقعة بن حرام بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر (١). هكذا ساقه ابن سعد، ثم أشار إلى وجود اختلاف في هذا النسب.

ولا شك أنه اختلف في اسمه واسم أبيه وأجداده، والمحموظ في اسمه واسم أبيه أنه جندب بن جنادة (٢) بن قيس بن عمرو بن صغير بن عبيد بن حرام بن غفار. وقيل: ابن صغير بن عبيد بن حرام بن غفار. وقيل: جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار (٣)، واسم أمه: رملة بنت الوقعة الغفارية (٤).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٠٥/٤) [مكتبة الخانجي، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٢) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٢٥٢/١) [دار الجبل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٣) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢٥٢/١)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٧٤/٦٦) [دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ].

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٢٥/٧)

وميثاقاً لترشدني فعلتُ، ففعل، فأخبره، قال: فإنه حق، وهو رسول الله ﷺ، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي، ففعل. فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ، ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه، فقال له النبي ﷺ: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري»، قال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكبَّ عليه، قال: ويلكم أستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجاركم إلى الشام؟ فأنفذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها، فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه»^(٣).

وجاء من حديث عبد الله بن الصامت قال: قال أبو ذر رضي الله عنه: «خرجنا من قومنا غفار، وكانوا يحلون الشهر الحرام، فخرجت أنا وأخي أنيس وأمثنا، فنزلنا على خال لنا، فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا، فحسدنا قومه، فقالوا: إنك إذا خرجت عن أهلِكَ خالف إليهم

ثبت من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم اثني، فانطلق الأخ حتى قديمه وسمع من قوله ثم رجع إلى أبي ذر، فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتني مما أردت. فتزود وحمل شنة^(١) له فيها ماء حتى قدم مكة، فأتى المسجد، فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه بعض الليل فاضطجع، فرآه عليٌّ فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه، فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد، وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه، فمر به علي فقال: أما نال^(٢) للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه، فذهب به معه، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان يوم الثالث فعاد عليٌّ على مثل ذلك، فأقام معه، ثم قال: ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟ قال: إن أعطيتني عهداً

(١) الشنة: واحدة الشنان، وهي الأسقية المتخذة من القرب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١٢٣٧/٢) [تحقيق: محمود الطناحي وظاهر الزاوي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ].
(٢) أي: حان، يقال: نال له بمعنى: أن له، انظر: فتح الباري لابن حجر (١٧٤/٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٦١)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٧٤).

أنيس، فجاء خالنا فثا^(١) علينا الذي قيل له، فقلت: أما ما مضى من معروفك فقد كدرته ولا جماع لك فيما بعد، فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها، وتغطي خالنا ثوبه فجعل يبكي، فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة، فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها، فأتيا الكاهن فخير أنيساً فأتانا أنيس بصرمتنا ومثلها معها، قال: وقد صليت يا بن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين، قلت: لمن؟ قال: لله، قلت: فأين توجه؟ قال: أتوجه حيث يوجهني ربي، أصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقى كأي خفاء، حتى تعلوني الشمس، فقال أنيس: إن لي حاجة بمكة فاكفني، فانطلق أنيس حتى أتى مكة، فراث علي، ثم جاء، فقلت: ما صنعت؟ قال: لقيت رجلاً بمكة على دينك، يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر، - وكان أنيس أحد الشعراء - قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق، وإنهم لكاذبون، قال: قلت: فاكفني حتى أذهب فأنظر، قال: فأتيت مكة فتضعفت رجلاً منهم، فقلت:

أين هذا الذي تدعونه الصابئ؟ فأشار إلي فقال: الصابئ، فمال علي أهل الوادي بكل مدرة وعظم، حتى خرت مغشياً علي، قال: فارتفعت حين ارتفعت كأني نصب أحمر، قال: فأتيت زمزم، فغسلت عني الدماء، وشربت من مائها، ولقد لبثت يابن أخي ثلاثين بين ليلة ويوم، ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني، وما وجدت على كبدي سخفة جوع، قال: فبينما أهل مكة في ليلة قمرء إضحيان، إذ ضرب على أسمختهم^(٢)، فما يطوف بالبيت أحد، وامرأتان منهم تدعوان إسافاً ونائلة، قال: فأتتا علي في طوافهما، فقلت: أنكحاً أحدهما الأخرى، قال: فما تناهتا عن قولهما، قال: فأتتا علي، فقلت: هن مثل الخشبة، غير أنني لا أكني، فانطلقتا تولولان وتقولان: لو كان ها هنا أحد من أنفارنا، قال: فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان، قال: «ما لكما؟» قالتا: الصابئ بين الكعبة وأستارها، قال: «ما قال لكما؟» قالتا: إنه قال: لنا كلمة تملأ الفم، وجاء رسول الله ﷺ، حتى استلم الحجر وطاف بالبيت هو وصاحبه، ثم صلى،

(٢) أسمختهم: جمع سماخ، وهو ثقب الأذن الذي ينفذ فيه الصوت. انظر: مقاييس اللغة (٣/ ١٠٠) [دار الفكر]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٩٩٢).

(١) أي: أظهره لنا وحدثنا به. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٤٠).

فهل أنت مبلغ عني قومك عسى الله أن ينفعهم بك، ويأجرك فيهم»، فأتيت أنيسًا، فقال: ما صنعت؟ قلت: صنعت أني قد أسلمت وصدقت، قال: ما بي رغبة عن دينك، فإني قد أسلمت وصدقت، فأتينا أمنا فقالت: ما بي رغبة عن دينكما، فإني قد أسلمت وصدقت، فاحتملنا حتى أتينا قومنا غفارًا، فأسلم نصفهم، وكان يؤمهم إيماء بن رخصة الغفاري، وكان سيدهم، وقال نصفهم: إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم نصفهم الباقي، وجاءت أسلم، فقالوا: يا رسول الله أخوتنا نسلم على الذي أسلموا عليه، فأسلموا، فقال رسول الله ﷺ: «غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله»^(٣). والجمع بين الحديثين ممكن، وهو أن كلاً من الصحابييين حفظ عنه ما لم يحفظه الآخر، كما أفاده الحافظ ابن حجر بقوله: «ويمكن التوفيق بينهما بأنه لقيه أولاً مع علي، ثم لقيه في الطواف، أو بالعكس، وحفظ كل منهما عنه ما لم يحفظ الآخر»^(٤).

فضائله:

- أنه الصادق للهجة:

عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت

(٣) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٧٣).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٧٥/٧).

فلما قضى صلاته، قال أبو ذر: فكنت أنا أول من حياه بتحية الإسلام، قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فقال: «وعليك ورحمة الله»، ثم قال: «من أنت؟» قال: قلت: من غفار، قال: فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته، فقلت في نفسي: كره أن انتميت إلى غفار، فذهبت آخذ بيده، فقدعني^(١) صاحبه، وكان أعلم به مني، ثم رفع رأسه، ثم قال: «متى كنت ها هنا؟» قال: قلت: قد كنت ها هنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم، قال: «فمن كان يطعمك؟» قال: قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني، وما أجد على كبدي سخفة^(٢) جوع، قال: «إنها مباركة، إنها طعام طعم»، فقال أبو بكر: يا رسول الله ائذن لي في طعامه الليلة، فانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر وانطلقت معهما، ففتح أبو بكر باباً فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، وكان ذلك أول طعام أكلته بها، ثم غبرت ما غبرت، ثم أتيت رسول الله ﷺ فقال: «إنه قد وجهت لي أرض ذات نخل لا أراها إلا يشرب،

(١) أي: كَفَّنِي وَمَنَعَنِي، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٣/٤).

(٢) يعني: هزال الجوع ورقته، والسَّخْفُ بالفتح: رقة العيش، وبالضم: رقة العقل. وقيل: هي مطلق الخفة الناتجة عن الجوع، سواء في العقل أو في غيره. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٨٨٩/٢).

رسول الله ﷺ يقول: «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر»^(١).

- كثرة علمه:

فعن علي بن أبي طالب قال: «أبو ذر وعاء ملئ علمًا، ثم أوكى عليه»^(٢).

- من فضائله:

ما تقدم في كيفية إسلامه، وقد جعله الإمام النووي من فضائله، حيث بَوَّب لـ «صحيح مسلم» بابًا فقال: «باب من فضائل أبي ذر»^(٣)، ثم أورد تحته الحديثين السابقين في كيفية إسلامه.

قال الإمام الذهبي: «وكان رأسًا في الزهد، والصدق، والعلم، والعمل، قوًّا بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، على حدة فيه»^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: سبب انتقال أبي

ذر ﷺ إلى الربرة:

قد جاء بيان سبب هذا الانتقال عن

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/٢٥٥).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک (كتاب المغازي والسرائي، رقم ٤٣٧٣).

وانظر: الطبقات الكبرى (٤/٢٢١)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/٢٥٣)، وسير أعلام النبلاء (٥٧/٢).

(٧) أي: لما أثرته. يقال: هُجِّتْه فهاج. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٦/١٨٥).

(٨) أخرجه أحمد (٥٥/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والبيزار في مسنده (١/٣٤) [مكتبة العلوم والحكم، ط١].

مكانته:

كان أبو ذر ذا مكانة عالية ومنزلة سامية، وشهد أصحاب النبي ﷺ بأنه «كان من أوعية العلم المبرزين في الزهد

(١) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٠١) وحسنه، وابن ماجه (المقدمة، رقم ١٥٦)، وأحمد (٧٠/١١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٦٨/١) [مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) أورده الحافظ ابن حجر في الإصابة (١٠٨/٧) [دار الكتب العلمية، ط١]، وقال: «أخرجه أبو داود بسند جيد»، ولم نظفر به في سنن أبي داود.

(٣) صحيح مسلم (ص ١٠٠٢) [ط. بيت الأفكار الدولية].

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/٤٧).

وقد كان الناقمون على عثمان يستثيرون أبا ذر على الخروج عليه ومحاربتة، ولكنه لم يعطهم أذنًا صاغية، وذات مرة قدم ناس «من أهل الكوفة قالوا لأبي ذر وهو بالربذة: إن هذا الرجل فعل بك وفعل، هل أنت ناصب لنا راية - يعني: فنقاتله - فقال: لا، لو أن عثمان سيرني من المشرق إلى المغرب لسمعت وأطعت»^(٤).

وهنا لا بدّ من التنبيه على أمرين:

الأول: لعل المقصود بالآثار التي فيها التصريح بأن عثمان رضي الله عنه أخرج أبا ذر إلى الربذة، هو إذنه له بذلك؛ لما طلب هو الانتقال إليها، خصوصًا لما رأى استغراب الناس فيه وتجمعهم عليه^(٥)، كما في أثر زيد بن وهب المذكور، وكلام الحافظ هنا يلتقي معه، وتؤيده آثار أخرى، منها قول عثمان لأبي ذر لما قدم من الشام إلى المدينة باستدعائه: «أحببت أن أجعلك مع أصحابك، وخفت عليك جهال الناس»^(٦).

ولم يخرجه»، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٤٨٩/١٢)، رقم (٥٧١٩) [دار المعارف، الرياض، ط ١]، وبين وهّم الحاكم في تصحيحه. (٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٢٧/٤) [دار صادر، ط ١].

(٥) انظر إضافة إلى ما تقدم نقله عن صحيح البخاري: التمهيد لابن عبد البر (١٥١/١٧ - ١٥٢) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب].

(٦) سير أعلام النبلاء (٧١/٢)، والأثر قال فيه محققو السير: «رجاله ثقات».

أبي ذر نفسه، فقد روى البخاري بسنده عن زيد بن وهب قال: «مررت بالربذة، فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشّام فاختلفت أنا ومعاوية في: ﴿وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك، وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني، فكتب إلي عثمان أن أقدم المدينة، فقدمتها فكثرت علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذاك لعثمان، فقال لي: إن شئت تنحيت، فكنت قريبًا. فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمروا عليّ حبشيًا لسمعت وأطعت»^(١).

قال الحافظ ابن حجر: «وإنما سأله زيد بن وهب عن ذلك؛ لأن مبغضي عثمان كانوا يشنعون عليه، أنه نفى أبا ذر، وقد بين أبو ذر أن نزوله في ذلك المكان كان باختياره»^(٢).

وأما ما نقل من أن خروج أبي ذر إلى الربذة كان تنفيذًا منه لوصية رسول الله إياه، حيث قال له: «إذا بلغ البنيان سلعًا فاخرج منها»^(٣) فليس بصحيح.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٠٦).

(٢) فتح الباري ابن حجر (٢٧٤/٣) [دار المعرفة].

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٤٦٨)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين».

ولا سيما أن تلك الآثار التي فيها الأمر بإخراج أبي ذر رضي الله عنه إلى الربذة ضعيفة؛ كالأثر الذي ساقه الإمام الذهبي، وفيه: «وأمره أن يخرج إلى الربذة»^(١).

ومنها: ما رواه ابن إسحاق بسنده فقال: حدثنا بريدة بن سفيان، عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن مسعود، قال: «لما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة، وأصابه بها قدره، لم يكن معه إلا امرأته وغلأمه، فأوصاهما أن اغسلاني، وكفناني، وضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمر بكم قولوا: هذا أبو ذر، فأعينونا عليه. فوضعاه، وأقبل ابن مسعود في رهط من العراق عمّارًا، فلم يرعهم إلا به، قد كادت الإبل أن تطأه...»^(٢).

- المسألة الثانية: مذهب أبي ذر رضي الله عنه
في مسمى الكنز وما قيل من منعه من الإفتاء بسببه.

كان أبو ذر رأسًا في العلم والزهد والورع، وكان يرى ضرورة إنفاق ما بقي عن الحاجة على الفقراء

(١) سير أعلام النبلاء (٧١/٢)، وذكر محققو السير أن في إسناده عبد الله بن سيدان، ولا يتابع على حديثه كما قال البخاري، ومجهول لا حجة فيه، كما نقله الذهبي عن اللالكائي.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (كتاب المغازي والسرايا، رقم ٤٣٧٣)، وسنده ضعيف، وفيه انقطاع أيضًا.

والمساكين، وأنه رضي الله عنه ما كان يرى ادخار النقدين^(٣)؛ بل ولا غيرهما؛ لأن هذا هو الكنز المتوعد عليه حسب اجتهاده، وهو أهل للاجتهاد رضي الله عنه، فقد جاء في «الصحيحين» عن الأحنف بن قيس قال: «قدمت المدينة، فبينما أنا في حلقة فيها ملأ من قريش، إذ جاء رجل أخشن الثياب، أخشن الجسد، أخشن الوجه، فقام عليهم فقال: بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم، فيوضع على حلمة ثدي أحدهم، حتى يخرج من نغض كتفيه، ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل، قال: فوضع القوم رؤوسهم فما رأيت أحدًا منهم رجع إليه شيئًا، قال: فأدبر واتبعته حتى جلس إلى سارية، فقلت: ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت لهم، قال: إن هؤلاء لا يعقلون شيئًا، إن خليلي أبا القاسم رضي الله عنه دعاني فأجبتة، فقال: «أترى أحدًا؟» فنظرت ما علي من الشمس وأنا أظن أنه يبعثني في حاجة له، فقلت: أراه، فقال: «ما يسرني أن لي مثله ذهبًا أنفقه كله إلا ثلاثة دنائير». ثم هؤلاء يجمعون الدنيا لا يعقلون شيئًا، قال: قلت: ما لك ولإخوتك من قريش لا تعترتهم وتصيب منهم، قال: لا وربك لا أسألهم عن

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٧٥/٢).

ولما كان ذلك الرأي الذي تبناه أبو ذر رضي الله عنه مخالفاً لما عليه جمهور الصحابة، شكاه معاوية إلى عثمان رضي الله عنه فاستدعاه عثمان إلى المدينة كما تقدم؛ حسماً لمادة النزاع والفرقة بين الناس، وطلب منه الكف عن الإنكار على الناس، فيما عندهم من المتاع الحلال، قال الحافظ ابن حجر: «نعم، أمره عثمان بالتنحي عن المدينة؛ لدفع المفسدة التي خافها على غيره من مذهبه المذكور، فاختر الربذة»^(٥).

ويدل على هذا المخوف ما جاء عن عبد الله بن الصامت رضي الله عنه قال: «دخلت مع أبي ذر على عثمان رضي الله عنه، فلما دخل حسر عن رأسه، وقال: والله، ما أنا منهم يا أمير المؤمنين - يريد الخوارج، قال ابن شاذان: سيماهم الحلق -، قال له عثمان: صدقت يا أبا ذر! إنما أرسلنا إليك لتجاورنا بالمدينة. قال: لا حاجة لي في ذلك، ائذن لي إلى الربذة. قال: نعم، ونأمر لك بنعم من نعم الصدقة، تغدو عليك وتروح. قال: لا حاجة لي في ذلك، يكفي أبا ذر صريمته. فلما خرج قال: دونكم معاشر قريش، دنياكم فاعذموها»^(٦)، ودعونا وربنا. قال:

دنبا، ولا أستفتيهم عن دين حتى ألحق بالله ورسوله»^(١).

قال الحافظ ابن حجر: «وكان أبو ذر رضي الله عنه يحمل الحديث على إطلاقه، فلا يرى بادخار شيء أصلاً. قال ابن عبد البر: وردت عن أبي ذر آثار كثيرة، تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال مجموع، يفضل عن القوت وسداد العيش، فهو كنز يذم فاعله، وأن آية الوعيد نزلت في ذلك وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم، وحملوا الوعيد على مانعي الزكاة»^(٢).

ومما يدل على ما ذهب إليه جمهور الصحابة رضي الله عنهم حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ليس فيما دون خمس أواق صدقة، وليس فيما دون خمس ذود صدقة، وليس فيما دون خمس أوسق صدقة»^(٣).

قال الحافظ ابن حجر في هذا الحديث: «مفهومه أن ما زاد على الخمس ففيه الصدقة، ومقتضاه أن كل مال أخرجت منه الصدقة فلا وعيد على صاحبه، فلا يسمى ما يفضل بعد إخراجه الصدقة كنزاً»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٠٧، ١٤٠٨)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٩٢).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٣/٢٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٠٥)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٧٩).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٣/٢٧٢).

(٥) فتح الباري لابن حجر (٣/٢٧٤).

(٦) أي: خلوها، وأصل العذم: العض. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٢٥٨)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/٤٢٣).

ودخل عليه وهو يقسم، وعبد الرحمن بن عوف بين يديه، وعنده كعب، فأقبل عثمان على كعب، فقال: يا أبا إسحاق، ما تقول فيمن جمع هذا المال، فكان يتصدق منه ويصل الرحم؟ قال كعب: إني لأرجو له. فغضب ورفع عليه العصا، وقال: وما تدري يا ابن اليهودية، ليودنَّ صاحب هذا المال لو كان عقارب في الدنيا تلسع السويداء من قلبه^(١).

ويدل على منع أبي ذر المذكور من الإنكار على الناس قول البخاري: «وقال أبو ذر: لو وضعت الصمصامة على هذه، وأشار إلى قفاه، ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها»^(٢). وقال الحافظ ابن حجر: «هذا التعليق رويناه موصولاً^(٣) في مسند الدارمي^(٤) وغيره من طريق الأوزاعي، حدثني أبو كثير؛ يعني: مالك بن مرثد عن أبيه قال: «أتيت أبا ذر وهو جالس عند الجمرة الوسطى، وقد اجتمع عليه الناس

يستفتونه، فأتاه رجل، فوقف عليه، ثم قال: ألم تُنه عن الفتيا؟ فرفع رأسه إليه، فقال: أرقب أنت علي! لو وضعت الصمصامة...» فذكر مثله، ورويناه في الحلية^(٥) من هذا الوجه، وبين أن الذي خاطبه رجل من قريش، وأن الذي نهاه عن الفتيا عثمان رضي الله عنه، وكان سبب ذلك أنه كان بالشام فاختلف مع معاوية في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤]... وفيه دليل على أن أبا ذر رضي الله عنه كان لا يرى بطاعة الإمام إذا نهاه عن الفتيا؛ لأنه كان يرى أن ذلك واجب عليه؛ لأمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه كما تقدم، ولعله أيضاً سمع الوعيد في حق من كتم علماً يعلمه^(٦).

ولم يمنع أبا ذر من الفتوى بصفة عامة - فيما يظهر لي -؛ لما ذكره الإمام الذهبي من أن أبا ذر رضي الله عنه كان يفتي في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

ويمكن أن يقال: إنه كان يفتي في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم حتى حصل الاختلاف بينه وبين معاوية في تفسير الكنز المتوعد عليه، ثم منع بعد ذلك، والله أعلم.

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/١٦٠) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤].

(٦) فتح الباري لابن حجر (١/١٦١).

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/٤٦٦).

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/٢٣٢) [دار صادر، ط ١]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٦/١٩٧)، واللفظ له، وسند ابن سعد صحيح.

(٢) صحيح البخاري (كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل).

(٣) انظر: تعليق التعليق لابن حجر (٢/٧٩) [المكتب الإسلامي، ودار عمار، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٤) سنن الدارمي (كتاب العلم، رقم ٥٦٢).

- المسألة الثالثة: في بيان نوع الضعف الذي وُصف به أبو ذر في بعض الأحاديث:

فقد ثبت في «صحيح مسلم» من حديث أبي ذر رضي الله عنه؛ أن رسول الله قال: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرنَّ على اثنين، ولا تولين مال يتيم»^(١).

ومعلوم من سيرة أبي ذر رضي الله عنه أنه كان قويًا في دينه وبدنه، ولذا تكلم العلماء في شرح هذا الحديث وبيان المقصود به، قال الإمام النووي في شرحه هذا الحديث: «هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات، لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلاً لها، أو كان أهلاً ولم يعدل»^(٢).

وقال الإمام الذهبي: «فهذا محمول على ضعف الرأي؛ فإنه لو ولي مال يتيم لأنفق به كله في سبيل الخير، ولترك اليتيم فقيرًا، فقد ذكرنا أنه كان لا يستجيز ادخار النقدين، والذي يتأمر على الناس، يريد أن يكون فيه حلم ومدارة، وأبو ذر رضي الله عنه كانت فيه حدة - كما ذكرناه - فنصحها النبي ﷺ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٢٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢١٠/١٢) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢].

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/٧٥).

ولا شك أن الأمور تسند إلى من يجيدها وتوكل إلى من يحسن القيام بها، ومن ليس كذلك فلا تسند إليه مهما كان صالحًا تقياً؛ لأن الولاية أمانة، وقد دلت السنة الصحيحة على ذلك، منها حديث أبي ذر هذا^(٤)، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنه قال: «بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه، قال: «أين أراه السائل عن الساعة؟» قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»، قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»^(٥).

❁ موقف المخالفين منه:

وهم أنواع:

الفريق الأول: الروافض، وهؤلاء لهم مسالك في الافتراء:

المسلك الأول: ربطهم كل ما حصل بين أبي ذر من جهة وبين معاوية والخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه من جهة أخرى بمعتقدهم القائمة على

(٤) انظر: السياسة الشرعية لابن تيمية (١٢ - ١٣) [دار الآفاق الجديدة، ط ١، ١٤٠٣هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ٥٩).

(ال خليفة)، فاستقدمه عثمان إلى المدينة، فقدمها واستأنف نشر رأيه في تقييح منع الأغنياء أموالهم عن الفقراء، فعلت الشكوى منه، فأمره عثمان بالرحلة إلى الرَبْذَة - من قرى المدينة - فسكنها إلى أن مات. وكان كريماً لا يخزن من المال قليلاً ولا كثيراً، ولما مات لم يكن في داره ما يكفن به. ولعله أول اشتراكي طارده الحكومات^(٢).

الرد عليهم:

لا شك أن من تأمل ما سبق ذكره في هذا البحث من بيان سبب الاختلاف الواقع بين أبي ذر ومعاوية رضي الله عنه، ثم ما تلى ذلك من استدعاء الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه لأبي ذر إلى المدينة، وما دار بينهما من الحديث، ثم اختيار أبي ذر الانتقال إلى الربذة؛ لأسباب ذكرها للخليفة فاقنع وأذن له بذلك، وبقائه بها حتى الممات، من اطلع على هذا كله - ولا حاجة لتكراره هنا - يعلم يقيناً أن هذه الدعاوى جميعها محض تخريصات وفري؛ بل هي خرافة نسجها الكذابون وحاكها المبطلون، لتحقيق أغراض دنيئة؛ إما النيل من هؤلاء الصحابة كمعاوية وعثمان رضي الله عنهما، كما هو هدف الروافض وديدنهم، وإما تسويغ بعض مبادئ المذهب الاشتراكي

التشيع في الصحابة، ولا سيما الشيخين وعثمان ومعاوية، فزعموا أن معاوية وعثمان ومن معهم ظلمة وأهل دنيا، وأنه لا هم لهم سواها، وأن علياً كان مع أبي ذر في هذا الرأي، وكان يحثه على الثبات فيما هو فيه، ويسوقون روايات منسوبة إلى علي^(١).

المسلك الثاني: زعمهم أن عثمان نفى أبا ذر إلى الربذة.

الفريق الثاني: من يقول بأن أبا ذر رضي الله عنه كان اشتراكياً تقدماً:

افتري بعض الكتّاب على أبي ذر رضي الله عنه، فنسبوا إليه موافقة المذهب الاشتراكي في بعض مبادئه؛ كالقول بأن المال للجميع، وأخذوا يحملون بعض مواقفهم ما لا تحتل، ومن هؤلاء: الزركلي، فقد ترجم لأبي ذر ترجمة سيئة، حيث وصفه بما لا يليق بالصحابة، ثم خلص أخيراً إلى أنه أول اشتراكي حورب من قبل الحكومات، فقال: «فسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم، فاضطرب هؤلاء، فشكاه معاوية - وكان والي الشام - إلى عثمان

(١) انظر: الكافي للكليني (٢٠٦/٨ - ٢٠٨) [تحقيق وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٤]، وانظر: نهج البلاغة (١٢/٢ - ١٣) [تحقيق: محمد عبده، دار الذخائر، قم، ط ١، ١٤١٢هـ].

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج ١)، لابن عبد البر.
- ٢ - «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج ٧)، لابن حجر.
- ٣ - «البداية والنهاية» (ج ١٠)، لابن كثير.
- ٤ - «تاريخ دمشق» (ج ٦٦)، لابن عساكر.
- ٥ - «التمهيد» (ج ١٧)، لابن عبد البر.
- ٦ - «السياسة الشرعية»، لابن تيمية.
- ٧ - «سير أعلام النبلاء» (ج ٢)، للذهبي.
- ٨ - «شرح صحيح مسلم» (ج ١٢)، للنووي.
- ٩ - «الطبقات الكبرى» (ج ٤)، لابن سعد.
- ١٠ - «فتح الباري» (ج ٣)، لابن حجر.

ذرائع الشرك

التعريف لغة:

ذرائع الشرك مصطلح يتألف من كلمتين هما:

أولاً: ذرائع:

والذرائع جمع ذريعة، والذريعة في اللغة: الوسيلة التي يتوصل بها إلى الشيء، والذريعة أيضًا: السبب إلى

الماركسي الإلحادي بقصد أو غير قصد ولو في جزئية معينة تتعلق بالمال^(١).

وأبو ذر رضي الله عنه ليس عنده شيء من هذا؛ بل كل ما في الأمر أنه اجتهد في فهم آية من كتاب الله، وهو من ذوي الاجتهاد، فرأى أن المال الزائد عن الحاجة ولو زكاه صاحبه لا يخرج عن كونه كنزًا متوعدًا عليه، وعليه فلا بد أن يوزع على الفقراء والمساكين، وليس على جميع الناس، ولكن لم يوافق على هذا الصحابة الآخرون، منهم الخليفة الراشد عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وغيرهما، وهو لم يقل بسحب أموال الناس، والعبت بها كما يفعل الاشتراكيون؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِإِلَافٍ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة]، ولما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»^(٢).

فأين هذا من ذاك؟ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج].

(١) انظر: الاشتراكية الماركسية ومقاصدها السيئة لعبد الله بن زيد (٤، ٤١) [رئاسة المحاكم الشرعية في قطر، ط ٣، ١٤٠٧هـ] وغيره مما كتب في هذا الصدد.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٧٤١)، ومسلم (كتاب القسامة، رقم ١٦٧٩).

التعريف شرعاً:

هي الوسائل المفضية إلى الشرك^(٦).
ومن أقوال العلماء في تعريفها ما يلي:

١ - قال ابن تيمية: «الذريعة ما كان وسيلة وطريقاً إلى الشيء، لكنها صارت في عُرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم»^(٧).

٢ - وقال الشوكاني: «الذريعة: هي المسألة التي ظاهرها الإباحة، ويتوصل بها إلى فعل المحظور»^(٨).

الحكم:

لما كان الشرك بالله تعالى هو أعظم الذنوب على وجه الإطلاق؛ إذ هو أعظم ما نهى الله تعالى عنه، كان النهي عن كل ما يفضي إليه من أقوال وأفعال ونحوهما من أعظم الواجبات، وذلك لحرص النبي ﷺ على سد كل الطرق الموصلة إلى الشرك بالله تعالى، وحمایته لحمی التوحید.

قال ابن تيمية - في كلامه على النهي عن اتخاذ القبور مساجد -: «وصاحب الشريعة ﷺ حسم المادة وسد الذريعة، بلعنه من يتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وأن لا يصلى عندها لله، ولا

الشيء، يقال: فلان ذريعة فلان إلى كذا؛ أي: سببه إليه، قال ابن منظور: «الذريعة: الوسيلة، وقد تذرّع فلان بذريعة؛ أي: توسّل، والجمع: الذرائع والذريعة السبب إلى الشيء وأصله من ذلك الجمل، يقال: فلان ذريعتي إليك؛ أي: سببي ووصلتي الذي أتسبب به إليك»^(٩).

ثانياً: الشرك:

الشرك لغة: قال ابن فارس: «الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما: يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر: يدل على امتداد واستقامة، فالأول الشركة هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلاناً في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركت فلاناً؛ إذا جعلته شريكاً لك»^(١٠)، وَجَمْعُ الشَّرِيكَ شُرَكَاءً، ويطلق الشرك على المعاني الآتية:

١ - المخالطة، والمشاركة^(١١).

٢ - التسوية بين شيئين^(١٢).

٣ - النصيب والحظ^(١٣).

(١) لسان العرب (٩٣/٨)، وانظر: القاموس المحيط (٩٢٧).

(٢) مقاييس اللغة (٣/٢٦٥).

(٣) انظر: المفردات للراغب (٤٥١).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث (١١٤٤/٢)، ولسان العرب (٩٩/٧).

(٥) انظر: لسان العرب (٩٩/٧ - ١٠٠).

(٦) انظر: الشرك بالله أنواعه وأحكامه (٧٠٢).

(٧) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١٧٢/٦) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٨) إرشاد الفحول (١٩٣/٢).

المقصود، والنهي نوعان؛ أحدهما: ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه، والثاني: ما يكون وسيلة إلى المفسدة، فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين^(٣).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فنهى تبارك وتعالى عن سب آلهة الكفار لئلا يكون ذلك ذريعة إلى سب الله تعالى.

وكما أنه ﷺ نهى عن كلمة (راعنا) بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]، لئلا يكون ذلك ذريعة لليهود إلى سب النبي ﷺ، وأمر ﷺ نبيه محمد ﷺ أن يقول لقومه: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [٢٦] قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [٢٦] [الجن]؛ لئلا يظن أن النبي ﷺ ينفع ويضر فيغلو الناس فيه.

ومن السنة: تحذيره ﷺ عن الغلو في شخصه الكريم، بقوله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»^(٤).

ونهى عن البناء على القبور وتعظيمها،

يسأل إلا الله، وحذر أمته ذلك، فكيف إذا وقع نفس المحذور من الشرك، وأسباب الشرك^(١).

الحقيقة:

حقيقة ذرائع الشرك، هي: ما يتوصل به إلى الشرك بالله تعالى، من الأقوال والأفعال التي ليست بشرك في الحقيقة.

وإنما جاء الشرع بسدّها لخطورة الشرك بالله وكثرة النصوص في التحذير منه، ولذا قال ابن القيم - بعد كلامه عن بعض مسائل التوحيد وسد ذرائع الشرك -: «وإنما نبهنا هنا على رؤوس المسائل، وجنس الدلائل، والتنبيه على مقاصد الشريعة، وما فيها من إخلاص الدين لله، وعبادته وحده لا شريك له، وما سدته من الذريعة إلى الشرك، دقه وجله؛ فإن هذا هو أصل الدين، وحقيقة دين المرسلين، وتوحيد رب العالمين»^(٢).

الأهمية:

باب سدّ الذرائع المفضية إلى المحرمات باب عظيم في الشريعة، له مسائله وأحكامه كبقية أبواب الشريعة؛ بل هو ربع تكاليفها كما قال ابن القيم: «وباب سدّ الذرائع أحد أرباع التكليف؛ فإنه أمر ونهي، والأمر نوعان؛ أحدهما: مقصود لنفسه، والثاني: وسيلة إلى

(٣) إعلام الموقعين (٣/ ١٧١) [دار الباز، مكة المكرمة].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٤٥).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٩٤) [١، ١٤٠٤هـ].

(٢) المرجع السابق (٢/ ٨٤٤).

وجعلوها محدقة بقبره ﷺ، خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره»^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد»، للفرزان.
- ٢ - «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، لابن القيم.
- ٣ - «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية.
- ٤ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٥ - «سد الذرائع في مسائل العقيدة على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة»، لعبد الله الجنيد.
- ٦ - «الشرك بالله أنواعه وأحكامه»، لماجد الشبالة.
- ٧ - «الشرك في القديم والحديث»، لأبي بكر زكريا.
- ٨ - «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.
- ٩ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

(٥) المفهم شرح صحيح مسلم (١٢٨/٢) [دار ابن كثير، ط ١، ١٤١٧هـ].

واتخاذها أعياداً؛ وذلك سداً لذريعة التعلق بأربابها، وعبادتهم من دون الله تعالى؛ كقوله ﷺ عن النصارى: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصالح، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»^(١)، ومن ذلك قوله ﷺ: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال الشافعي: «وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً؛ مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس»^(٣). وقال ابن تيمية - في كلامه على النهي عن اتخاذ القبور مساجد -: «وصاحب الشريعة ﷺ حسم المادة وسدّ الذريعة، بلعنه من يتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وأن لا يصلى عندها لله، ولا يسأل إلا الله، وحذر أمته ذلك، فكيف إذا وقع نفس المحذور من الشرك، وأسباب الشرك»^(٤).

وقال القرطبي: «ولهذا بالغ المسلمون في سدّ الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته، وسدوا المداخل إليها

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٤)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٢).

(٣) المذهب في فقه الإمام الشافعي (١/٢٥٩) [دار الكتب العلمية].

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٩٤).

١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية . على الله تعالى بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه» (٤) .

الذكر

التعريف لغة:

وقال ابن حجر رحمته الله: «الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها، مثل: الباقيات الصالحات؛ وهي: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار ونحو ذلك، والدعاء بخيري الدنيا والآخرة، ويطلق ذكر الله أيضًا ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه؛ كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم» (٥) .

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

هناك ترابط وثيق بين معنى الذكر لغةً وشرعاً، فالمعنى الشرعي جزء من اللغوي، وقد ورد في اللغة معنى الثناء، والذكر باللسان ونحوها مما هو في معنى الذكر شرعاً .

الحكم:

تجري على الذكر الأحكام التكليفية الخمسة (٦) ، بيان ذلك فيما يلي:

الواجب: ومن ذلك تكبيرة الإحرام،

أصل الذكر لغة: التنبيه على الشيء (١)، قال ابن فارس: «الذال والكاف والراء أصلان عنهما يتفرع كلم الباب والأصل الآخر: ذكرت الشيء، خلاف نسيته. ثم حمل عليه الذكر باللسان» (٢) .

الذكر: خلاف النسيان، والذكر والذكر بمعنى واحد، يقولون: اجعله منك على ذكر بضم الذال؛ أي: لا تنسه، ويطلق على معان عدة، منها: الحفظ للشيء، والشيء يجري على اللسان، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُ مَنَسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، ويطلق على الصيت، والثناء، والعلاء، والشرف (٣) .

التعريف شرعاً:

قال ابن القيم رحمته الله: «الذكر: ثناء

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/١١١) [دار الكتب العلمية].

(٢) مقاييس اللغة (٢/٣٥٨) [دار الجبل، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٢/٣٥٨)، والصحاح للجوهري (٢/٦٦٤ - ٦٦٥) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ]، ولسان العرب (٥/٤٨) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ].

(٤) الوابل الصيب (٨٩) [دار الحديث، القاهرة، ط ٣].

(٥) فتح الباري لابن حجر (١١/٢٠٩) [دار المعرفة].

(٦) انظر: المباحث العقيدية المتعلقة بالأذكار لعلي بن عبد الحفيظ الكيلان (١/٢٩٩) [الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٢٨هـ].

وقراءة الفاتحة في الصلاة^(١).

الحرام: وذلك كونه يتضمن شرًا، أو نقصًا، أو لكونه يصحبه اعتقادات فاسدة وبدع ومحدثات؛ كالذكر بعد الجنابة بالبردة ونحوها^(٢).

المستحب: وهو غالب الأذكار المأثورة؛ كأذكار الصباح والمساء، والنوم والاستيقاظ ونحوها.

المكروه: وذلك كالذكر حال قضاء الحاجة^(٣).

المباح: أن يذكر ربه ذكرًا مطلقًا بغير الوارد شرعًا، وهذا جائز بشروط ذكرها أهل العلم^(٤).

الحقيقة:

حقيقة الذكر هو ما واطأ ذكر اللسان بالقلب، وهو يتضمن عدم الغفلة عن ذكر الله تعالى، وحضور القلب، واستشعار عظمة الرب تعالى، والثناء عليه بكل أنواع الذكر، المتضمنة لأنواع الكمالات، ويتضمن ذكر أسمائه وصفاته، وأمره ونهيه، ونحو ذلك.

(١) التمهيد لابن عبد البر (٢١٢/١٠) [وزارة عموم الأوقاف بالمغرب]، ومجموع الفتاوى (٤٣٥/٢٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٦٣/٢ - ٦٤) (٥٥٥/١٠) (٣٨٣/٢٢)، والسنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات لمحمد الحوامدي (١٠٨).

(٣) المجموع شرح المذهب للنووي (٨٨/٢) [دار الفكر، ط ١].

(٤) انظر في ذلك: تصحيح الدعاء لبكر أبي زيد (٤٢) [دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ].

قال ابن القيم رحمه الله: «وليس المراد بالذكر مجرد الذكر باللسان بل الذكر القلبى واللسانى، وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته وذكر أمره ونهيه وذكره بكلامه؛ وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله، والثناء عليه بأنواع المدح؛ وذلك لا يتم إلا بتوحيده فذكره الحقيقي يستلزم ذلك كله، ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه»^(٥).

المنزلة:

منزلة الذكر في الشريعة الإسلامية عظيمة جدًا، ذلك لما للذكر من تعلق في كثير من العبادات والتي لا يصح بعضها بغير الذكر، وأما منزلته في باب الاعتقاد، فإنه منزلة جليلة فالذكر سبب لزيادة الإيمان وتقويته، وهو يقوي جانب الرجاء فيما عند الله تعالى، والخوف من عقابه، ويقرب العبد إلى ربه تعالى، فيصير أعظم محبوب، كما هو أعظم مذكور، وبالجمله فهو يستلزم معرفة الرب تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته^(٦).

الأدلة:

ورد الحث على الذكر وبيان فضله في

(٥) الفوائد لابن القيم (١٢) [دار الكتب العلمية، ط ٢].

(٦) انظر: الفوائد (١٢)، والتوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي، ضمن مجموع مؤلفاته (١٤٠/٦) - (١٤١) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط ١، ١٤٣٢هـ].

نصوص كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

❁ أقوال أهل العلم:

قال النووي رحمته الله: «الذكر يكون بالقلب، ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل، ثم لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يظن به الرياء؛ بل يذكر بهما جميعاً، ويقصد به وجه الله تعالى»^(٥).

وقال ابن القيم رحمته الله: «الذكر: عبودية القلب واللسان، وهي غير مؤقتة؛ بل هم يأمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال؛ قياماً وقعوداً، وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان، وهو غراسها، فكذلك القلوب بور خراب، وهو عمارتها، وأساسها»^(٦).

وقال السعدي رحمته الله: «إن الذكر لله يغرس شجرة الإيمان في القلب، ويغذيها وينميها. وكلما ازداد العبد ذكراً لله قوي

ومن السنة: حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت»^(١).

وفي رواية أخرى: قال ﷺ: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلمُّوا حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا»^(٣) الحديث.

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبّث به،

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٤٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٤٠٨) واللفظ له، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٩).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٣٧٥) وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وابن ماجه (كتاب الأدب، رقم ٢٧٩٣)، وأحمد (٢٢٦/٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٨١٢) [المكتبة الإسلامية، ط ٣، ١٤١٠هـ].

(٥) الأذكار النووية (٦) [دار الملاح، ١٣٩١هـ].

(٦) مدارج السالكين (١٤٣/٢) [مؤسسة المختار، ط ١، ١٤٢٢هـ].

جميعاً، وهو المأمور به، وهي أعلى المراتب.

الثانية: الذكر بالقلب فقط، فإن كان مع عجز اللسان فحسن، وإن كان مع قدرته فترك للأفضل.

الثالثة: الذكر باللسان فقط، وهو كون لسانه رطباً بذكر الله.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الأذكار توقيفية:

الذكر عبادة، والعبادات بابها توقيفي، فعن البراء رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللَّهُمَّ أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللَّهُمَّ آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك، فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به». قال: فرددتها على النبي ﷺ، فلما بلغت: اللَّهُمَّ آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال: «لا؛ ونبيك الذي أرسلت»^(٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «وأولى

إيمانه، كما أن الإيمان يدعو إلى كثرة الذكر. فمن أحب الله أكثر من ذكره، ومحبة الله هي الإيمان؛ بل هي روحه»^(١).

الأقسام:

ينقسم الذكر إلى قسمين ظاهرين، وكل منهما مما يدخل تحت الذكر المشروع^(٢):

الأول: الذكر المطلق، الذي لم يخص له الشارع وقتاً معيناً، ولم يقيد؛ كقول: لا إله إلا الله مطلقاً، أو قول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، وأمثال ذلك، دون التقيد بزمان معين، أو حالة معينة.

الثاني: الذكر المقيّد، أو المؤقت، وهو المقيّد بزمان، أو بعدد معين، أو كيفية أو صفة معينة؛ كالأذكار المؤقتة في أول النهار وآخره، وعند المضجع، وعند الاستيقاظ من المنام، وأدبار الصلوات، والأذكار المقيّدة مثل ما يقال عند الأكل، والشرب، واللباس، وغيرها، وقد صنفت فيه المصنفات المسماة بعمل اليوم والليلة.

المراتب:

الذكر على ثلاثة مراتب متفاوتة^(٣):

الأولى: ما تواطأ فيها القلب واللسان

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي (٦/١٤٠ - ١٤١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٦٦٠ - ٦٦١).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٠/٥٦٦).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الوضوء، رقم ٢٤٧)،

ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٠).

- المسألة الثانية: حكم الذكر الجماعي: لم يرد الذكر الجماعي في سُنَّة صحيحة عن النبي ﷺ، وقد أنكره جماعة من أئمة السلف:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ولم ينقل أحد أن النبي ﷺ كان إذا صلى بالناس يدعو بعد الخروج من الصلاة هو والمؤمنون جميعاً لا في الفجر، ولا في العصر، ولا في غيرهما من الصلوات؛ بل قد ثبت عنه أنه كان يستقبل أصحابه، ويذكر الله ويعلمهم ذكر الله عقيب الخروج من الصلاة»^(١). بل وأنكره الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حين أخبر أن قوماً حلّقوا جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كَبُرُوا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هَلَلُوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سَبَّحُوا مائة، فيسبحون مائة، حتى أتى حلقة من تلك الحلقات، فوقف عليهم، فقال: «ما هذا الذي أراكم تصنعون؟» قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: «فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم

ما قيل في الحكمة في رده ﷺ على من قال الرسول بدل النبي: أن ألفاظ الأذكار توقيفية، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس، فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به»^(٢).

فلا يجوز أن تُسن أذكار وتجعل عبادة راتبه، لم يستنها الشرع، قال شيخ الإسلام: «وليس لأحد أن يسن للناس نوعاً من الأذكار والأدعية غير المسنون، ويجعلها عبادة راتبه يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس؛ بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به؛ بخلاف ما يدعو به المرء أحياناً من غير أن يجعله للناس سُنَّة، فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرماً لم يجز الجزم بتحريمه؛ لكن قد يكون فيه ذلك، والإنسان لا يشعر به، وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت، فهذا وأمثاله قريب، وأما اتخاذ ورد غير شرعي، واستئناس بغير شرعي: فهذا مما ينهى عنه، ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة، ونهاية المقاصد العلية، ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدث المبتدعة إلا جاهل أو مفرط أو متعد»^(٣).

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/١١٢).

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/٢١٥) [دار الكتب

العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٣) المرجع السابق (٢/٢٠٥).

أنهم ينسبونها إلى الأنبياء والصالحين، فيقولون: دعاء نوح، دعاء يونس، دعاء أبي بكر، فاتقوا الله في أنفسكم، لا تشتغلوا من الحديث إلا بالصحيح»^(٢).

ومن بدع الأذكار على سبيل المثال: الذكر بالاسم المفرد مظهرًا أو مضمراً؛ كقولهم: الله الله الله، أو هو هو هو.

قال ابن تيمية: «الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان كلامًا تامًا مفيدًا مثل: لا إله إلا الله، ومثل: الله أكبر، ومثل: سبحان الله والحمد لله، ومثل: لا حول ولا قوة إلا بالله، فأما الاسم المفرد مظهرًا مثل: الله الله، أو مضمراً مثل: هو هو، فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة، ولا هو مأثور أيضًا عن أحد من سلف الأمة، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين. وربما اتبعوا فيه حال شيخ مغلوب فيه، مثلما يروى عن الشبلي أنه كان يقول: الله الله. فقليل له: لم لا تقول لا إله إلا الله؟ فقال: أخاف أن أموت بين النفي والإثبات. وهذه من زلات الشبلي التي تغفر له لصدق إيمانه وقوة وجده وغلبة الحال عليه، فإنه كان ربما يجن ويذهب به إلى المارستان ويحلق لحيته»^(٣).

(٢) الفتوحات الربانية لابن علان (١٧/١).

(٣) مجموع الفتاوى (٥٥٦/١٠)، وانظر: طريق الهجرتين لابن القيم (٧٣٨/٢ - ٧٣٩) [دار عالم الفوائد، ط١].

لعل ملة هي أهدي من ملة محمد ﷺ أو مفتتحو باب ضلالة». قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير. قال: «وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وإيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم»، ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج^(١).

- المسألة الثالثة: بدع الذكر:

أولع كثير من الناس - إلا من رحم الله - بالابتداع في الأدعية، وأدخلوا في الأدعية والأذكار الشرعية بدعًا كثيرة مخالفة للأوامر الشرعية الناهية عن الابتداع.

قال القاضي عياض رحمه الله: «أذن الله في دعائه، وعلم الدعاء في كتابه لخليقته، وعلم النبي ﷺ الدعاء لأُمَّته، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأمة، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه ﷺ. وقد احتال الشيطان للناس من هذا المقام فقيض لهم قومَ سوء، يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي ﷺ، وأشد ما في الإحالة

(١) أخرجه الدارمي في سننه (كتاب العلم، رقم ٢١٠)، وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢/٥).

الآثار:

آثار الذكر كثيرة، وجليلة وعظيمة؛ منها:

- سبب للفلاح والنجاح؛ كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ١٠].

- نيل مغفرة الله تعالى، ودخول جنته؛ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَتَوْا اللَّهَ كَثِيرًا وَالَّذِينَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

- يورث القلوب جلاء وصفاء وطمأنينة؛ ويذهب قسوتها وجفاءها؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

- ذكر الله تعالى للذاكرين؛ إذ الجزاء من جنس العمل؛ كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

فهذه فيض من غيظ، وقد ذكر ابن القيم جملة صالحة منها في كتابه «مدارج السالكين»^(١).

مذهب المخالفين:

عرف مذهب الصوفية واشتهر ببدع الأذكار والأوراد، فاخترعوا وابتدعوا أذكاراً ما أنزل الله بها من سلطان، وغالبها مليئة بأنواع من الألفاظ الشريكية،

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٤٢) فما بعد [دار المعني، ط ١، ١٤١٢هـ].

والمنكرة، كما أنهم حرفوا كثيراً من الأذكار الشرعية، فزادوا فيها ونقصوا، فلم يلتزموا بالسنة فيما شرع من الأذكار. ومذهبهم باطل بنص القرآن والسنة والإجماع:

فمن القرآن: قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]؛ قال ابن كثير رَضِيتُ: «وهو الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه فلا ينقصه أبداً، وقد رضىه فلا يسخطه أبداً»^(٢).

وقال تعالى: ﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٦]. قال الفضيل بن عياض رَضِيتُ عن معنى العمل الصالح: «أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة»^(٣).

وأما من السنة: فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(٤)، وفي لفظ آخر

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٩٥) [دار الفكر].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الصلح، رقم ٢٦٩٧)، =

١٠- «المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار»، لعلي بن عبد الحفيظ الكيلاني.

ذو الطول

يراجع مصطلح (الغنى).

ذو الكفل

اسمه ونسبه:

قيل: إنه من أولاد أيوب، وقيل: إنه يوشع بن نون، وقيل: إنه اليسع بن أخطوب، وكان قبل داود، وقيل: إنه زكريا^(٣)، والذي يظهر أنه غير هؤلاء، والله أعلم.

معنى اسمه لغة:

قيل في سبب تسمية ذي الكفل عليه السلام: إنه تكفل بعمل من الأعمال، فقام به خير قيام، فأثنى الله عليه لحسن وفائه بما تكفل به، وجعله من المعدودين في عبادته، مع من حمد صبره على طاعة الله. وقيل في هذا العمل: إنه كان قد تكفل لنبي قومه أن يكفيهم أمرهم، ويقضي بينهم بالعدل، ففعل فسمي ذا الكفل، وقيل: إن الله تكفل له في سعيه، وعمله بضعف عمل غيره من الأنبياء، وقيل غير

لمسلم جاء فيه: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(١).

وعن الصديق أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: «لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به؛ فإنني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ»^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١- «الأذكار»، للنووي.
- ٢- «الأدعية والأذكار»، لعبد الرزاق البدر.
- ٣- «الدعاء ومنزلته في العقيدة الإسلامية»، لجيلان العروسي.
- ٤- «الذكر الجماعي بين الاتباع والابتداع»، لمحمد بن عبد الرحمن الخميس.
- ٥- «السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات»، لمحمد بن أحمد الشقيري الحوامدي.
- ٦- «شرح رياض الصالحين»، لابن عثيمين.
- ٧- «الوابل الصيب»، لابن القيم.
- ٨- «مجموع الفتاوى» (ج ١٠)، لابن تيمية.
- ٩- «مدارج السالكين»، لابن القيم.

(٣) انظر: المتتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/٣٨٨)
[دار الكتب العلمية، ط ١]، وتفسير للبغوي (٥/٣٤٨)
[دار طيبة، ط ١]، وتفسير القرطبي (١٤/٢٦٦)
[مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ].

= ومسلم (كتاب الأقضية، رقم ١٧١٨).
(١) أخرجه مسلم (كتاب الأقضية، رقم ١٧١٨).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣٠٩٣)، ومسلم (كتاب الجهاد، رقم ١٧٥٩).

ذلك، والله تعالى أعلم^(١).

نبوته:

اختلف أهل العلم في نبوته، هل كان نبياً مرسلًا، أو كان عبداً صالحاً على قولين:

أحدهما: أنه كان نبياً مرسلًا من جملة أنبياء الله ورسله؛ وهو المشهور؛ لأن الله تعالى أثنى عليه في القرآن الكريم مقروناً بالأنبياء؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِسَمِيعٍ وَلِإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٦) [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْآخِيَارِ﴾ (٤٨) [ص].

ومال إلى هذا القول ابن كثير من المتقدمين، والشوكاني والسعدي وحافظ الحكمي وغيرهم من المتأخرين؛ وقالوا: الظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي، عليه من ربه الصلاة والسلام، مع أمر الله لرسوله ﷺ بأن يذكرهم ليسلك مسلكهم في الصبر، وكذلك جعله الله من الأخيار؛ أي: ممن اختاره لنبوته، واصطفاه من خلقه^(٢).

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٦٨/١٦) [دار هجر، ط ١]، وتفسير البحر المحيط (٣١٠/٦) [دار الكتب العلمية، ط ١]، والمنظم في تاريخ الملوك والأمم (٣٨٨/١)، وتفسير القرطبي (٢٦٤ - ٢٦٥).
(٢) انظر: البداية والنهاية (٥١٦/١) [دار هجر، ط ١]،

الثاني: أنه لم يكن نبياً مرسلًا، وإنما كان عبداً صالحاً، وحكماً مقسطاً عدلاً، تكفل من بعض الناس بعمل من الأعمال، إما بعد نبي من الأنبياء، وإما بعد ملك من صالح الملوك، وهذا الذي ذهب إليه ابن جرير الطبري، رواه عن مجاهد بن جبر، وغيره، ونسبه القرطبي إلى الجمهور^(٣).

واستدلوا ببعض الأخبار الواردة عن بعض سلف الأمة، لكن المتبادر من سياق القرآن العظيم يثبت أنه من الأنبياء العظام الذين أمر الله رسوله ﷺ أن يتأسى بهم؛ إذ قرنه في سورة الأنبياء بجملة من عظماء المرسلين، ثم قرنه في سورة (ص) بجملة من هؤلاء السادة المرسلين بعد أن أمر محمداً ﷺ بالصبر تأسيًا بهؤلاء، ومنهم ذو الكفل ﷺ، والقاعدة عند الأصوليين أن الأصل وجوب العمل بظاهر اللفظ حتى يرد دليل يصرفه عن هذا الظاهر، ولم يرد دليل صحيح ينفي نبوة ذي الكفل ﷺ^(٤).

وفتح القدير (٥٧٦/٤) [دار الوفاء ودار الندوة العالمية، ط ٣]، وتفسير السعدي (٤٧٨) مؤسسة الرسالة، ط ١، ومعارج القبول (٨٣٢/٢) [دار ابن الجوزي، ط ٦].

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣٦٨/١٦)، وتفسير القرطبي (٢٦٦/١٤).

(٤) انظر: قصص الأنبياء القصص الحق (٢١٦) [مكتبة المعارف، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

دعوته:

تفعلين أنت هذا وما فعلته؟ اذهبي فهي لك. وقال: لا والله لا أعصي الله بعدها أبدًا. فمات من ليلته فأصبح مكتوبًا على بابه: أن الله قد غفر للكفل^(٣).

ورد في بعض طرقه: «ذو الكفل»، وهذا يشكل على نبي كريم أثنى الله عليه في كتابه، والجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الحديث منكر وضعيف لا يثبت عن النبي ﷺ بإسناد صحيح.

الثاني: أن لفظة: (ذو الكفل) وردت خطأ، كما نبّه على ذلك العلامة الألباني؛ إذ الذي ورد من مجموع طرقه: (الكفل) دون إضافة.

الثالث: ليس ذو الكفل هو الكفل؛ إذ الكفل - دون إضافة - رجل آخر غير المذكور في القرآن.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «فهو حديث غريب جدًا وفي إسناده نظر، فإن سعدًا^(٤) هذا قال أبو حاتم: لا أعرفه إلا بحديث واحد. ووثقه ابن حبان، ولم يرو عنه سوى عبد الله بن عبد الله الرازي

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٩٦)، وأحمد (٣٦٩/٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٥١٩/١) [دار هجر، ط ١]: «غريب جدًا، وفي إسناده نظر»، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٨٣/٩، رقم ٤٠٨٣).

(٤) يقال له سعد أو سعيد مولى طلحة، ويقال: طلحة مولى سعد، مجهول من الرابعة، أخرج له الترمذي في سننه. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر (١٧٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٩هـ].

لم يرد شيء في بيان دعوته، إلا ما نقل عن ابن عباس أن ذا الكفل بعث إلى أهل الشام داعيًا إلى توحيد الله تعالى^(١)، وهذا أصل دعوة الأنبياء والرسل جميعًا.

وفاته:

يذكر أن ذا الكفل أقام عمره كله بالشام إلى أن توفي بها، وهو ابن خمس وسبعين سنة^(٢)، والله أعلم.

المسائل المتعلقة:

هل ذو الكفل ﷺ هو الكفل من بني إسرائيل الذي كان لا يتورع من الذنوب، إلى أن تاب في آخر عمره؟

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يحدث حديثًا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عدّ سبع مرات، ولكنني سمعته أكثر من ذلك؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان الكفل - وفي رواية: ذو الكفل - من بني إسرائيل، لا يتورع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاه ستمين دينارًا على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت. فقال: ما يبكيك أأكرهتك؟ قالت: لا ولكنه عمل ما عملته قط، وما حملني عليه إلا الحاجة. فقال:

(١) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٣٨٨/١).

(٢) انظر: المصدر نفسه (٣٨٩/١).

هذا. فالله أعلم. وإن كان محفوظاً التي مرت بها، مشاهير دعائها، لمحمد فليس هو ذا الكفل، وإنما لفظ الحديث الكفل من غير إضافة، فهو رجل آخر غير المذكور في القرآن. فالله تعالى أعلم^(١).

ولا يغتر بمن صحح إسناده^(٢)؛ إذ هو مخالف لقوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١٨٥] وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنْ الصَّالِحِينَ [الأنبياء]، وقوله: ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨].

المصادر والمراجع:

- ١ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.
- ٢ - «تحفة النبلاء من قصص الأنبياء لابن كثير»، انتخب كتابه الحافظ ابن حجر العسقلاني.
- ٣ - «دعوة التوحيد: أصولها، الأدوار
- ٤ - «فتح الباري» (ج ٦)، لابن حجر.
- ٥ - «قصص الأنبياء المعروف بالعرائس»، للشعلبي.
- ٦ - «قصص الأنبياء»، للسعدي.
- ٧ - «قصص الأنبياء القصص الحق»، لشيبة الحمد.
- ٨ - كتاب «تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين من كتاب المستدرك على الصحيحين» (ج ٢)، للحاكم النيسابوري.
- ٩ - «المعارف»، لابن قتيبة.
- ١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، لحافظ الحكمي.

ذو المعارج

يراجع مصطلح (العلو).



(١) انظر: البداية والنهاية (٥١٩/١).

(٢) انظر: ضعيف موارد الظمان للألباني (٢٠٧).

حرف الرءاء

التعريف شرعاً:

اختلفت أقوال العلماء في التعريف
بالرؤيا:

- فمنهم من خصّها بما يكون من الملك المرسل من الله، فقال في تعريفها إنها: «أمثال مضروبة يضربها الله للعبد بحسب استعداده وإلفه على يد ملك الرؤيا، فمرة يكون مثلاً مضروباً ومرة يكون نفس ما رآه الرائي، فيطابق الواقع مطابقة العلم لمعلومه»^(٥).

ومنهم من عرّفها بما يعم أنواعها، فقال: «الرؤيا: إدراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على يدي ملك أو شيطان إما بأسمائها؛ أي: حقيقتها، وإما بكتاها؛ أي: بعبارتها، وإما تخليط»^(٦).

والحلم: اسم لما يراه الإنسان

(٥) الروح لابن القيم (١/٢٣٤ - ٢٣٥) [دار ابن تيمية، ط١، ١٤٠٦هـ]، وانظر: [إعلام الموقعين (١/١٩٥) [دار الجيل، ١٩٧٣م]، وقد قال ابن القيم بعد ذكر هذا التعريف: «وهذا أقرب.. ولكن الرؤيا ليست مقصورة عليه، بل لها أسباب أخرى.. من ملاقات الأرواح وأخبار بعضها بعضاً، ومن إلقاء الملك الذي في القلب والروح، ومن رؤية الروح للأشياء مكافحة بلا واسطة».

(٦) فتح الباري لابن حجر (١٢/٣٥٢) [دار المعرفة، والقاتل: هو أبو بكر ابن العربي المالكي.

الرؤى والأحلام

التعريف لغة:

الرؤى: جمع رؤيا، على وزن: فُعْلَى، وقد تُخفف الهمزة، فيقال بالواو: رؤيا، وهي في الأصل مصدر كُبُشْرَى، فلمّا جُعِلت اسماً لما يتخيله النائم أجريت مجرى الأسماء^(١).

والرؤيا في اللغة: ما يُرى في المنام^(٢). وأما الحُلْم، فيأتي في اللغة بمعنى التّأني وترك العجلة، كما يأتي بمعنى الرؤيا، فيطلق على رؤية الشيء في المنام^(٣).

ولكن غلب استعمال الحلم فيما يراه من الشر والقبیح، كما غلب استعمال الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وإن كان قد يستعمل كل منهما موضع الآخر^(٤).

(١) انظر: فتح الباري (١٢/٣٥٢) [دار المعرفة].

(٢) انظر: لسان العرب (١٤/٢٩٧) [دار صادر، ط١]، والمفردات للراغب (٢٠٩) [دار المعرفة].

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٢/٩٣) [دار الجيل، ط٢]، ولسان العرب (١٢/١٤٥).

(٤) انظر: لسان العرب (١٢/١٤٥)، والكليات للكفوي (٤٠٤).

حال النوم^(١).

الأدلة:

سبب التسمية:

إنما سميت رؤيا المنام بذلك لحصول وجه من الشبه بينها وبين رؤية اليقظة، من حيث إن النائم تتمثل لذنه صور وأشكال من جنس الصور التي تراها العين الباصرة، فالصور المرئية متقاربة، إلا أن رؤية اليقظة رؤية عينية، محل الإدراك فيها العين، وأما رؤيا المنام فرؤية يكون محل الإدراك فيها الذهن، والله أعلم.

وقد بين القرطبي سبب تسمية الحُلُم بذلك، وذلك أن أصل مادة (الحلم) من الأناة، وهي ضد الطيش، ولذا قيل لما يراه النائم في النوم (حُلُم)؛ لأن النوم حالة أناة وسكون، وراحة ودعة^(٢).

الحقيقة:

ما يراه الإنسان في منامه من أشخاص وأحداث أو غيرها من الحقائق فإنما هي أمثلة لتلك الحقائق التي رآها، جعلها الله دليلاً على أمور ثانية تفسر بها مما وقع من قبل، أو كان سيقع لاحقاً، هذه حقيقته باعتبار ذاتها، ثم تختلف بعد ذلك بالنظر لمصدرها، وصدقها، ودلالاتها، وحجيتها، ومن تقع له، بما سيأتي تفصيله.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧].

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح...»^(٣).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلمًا يخافه فليبصق عن يساره، وليتعوذ بالله من شرها، فإنها لا تضره»^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً... والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه»^(٥).

وعن جابر رضي الله عنه؛ أن الرسول ﷺ قال لأعرابي جاءه فقال: إني حلمت أن رأسي قطع فأنا أتبعه، فزجره النبي ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (باب بدء الوحي، رقم ٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٠).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٩٢)، ومسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦١).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٣).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٩٣/٢) [دار الجيل، ط ٢]،

لسان العرب (١٢/١٤٥)

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٩/٢٠٠).

وقال: «لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام»^(١). وفي رواية في الصحيح: فضحك النبي ﷺ، وقال: «إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه، فلا يحدث به الناس»^(٢).

✽ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «النائم يرى شيئاً، وتلك الأمور لها وجود وتحقيق، ولكن هي خيالات وأمثلة، فلما عذب [العقل] ظنها الرائي نفس الحقائق؛ كالذي يرى نفسه في مكان آخر يكلم أموالاً ويكلمونه، ويفعل أموراً كثيرة، وهو في النوم يجزم بأنه نفسه الذي يقول ويفعل؛ لأن عقله عذب عنه، وتلك الصورة التي رآها مثال صورته وخيالها، لكن غاب عقله عن نفسه حتى ظن أن ذلك المثل هو نفسه، فلما تاب إليه عقله علم أن ذلك خيالات ومثالات»^(٣).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ورؤيا الأنبياء وحي، فإنها معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة، ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بالرؤيا.

وأما رؤيا غيرهم فتعرض على الوحي

الصريح، فإن وافقته وإلا لم يعمل بها. فإن قيل: فما تقولون إذا كانت رؤيا صادقة أو تواطأت؟

قلنا: متى كانت كذلك استحال مخالفتها للوحي؛ بل لا تكون إلا مطابقة له، منبهة عليه، أو منبهة على اندراج قضية خاصة في حكمه لم يعرف الرائي اندراجها فيه، فيتنبه بالرؤيا على ذلك»^(٤).

وقال ابن جزي رَحِمَهُ اللهُ: «وحقيقتها [أي: الرؤى] عند المحققين أمثلة جعلها الله دليلاً على المعاني، كما جعلت الألفاظ دليلاً على المعاني، ولذلك منها ظاهر ومحمّل، كما في الألفاظ ظاهر ومحمّل»^(٥).

✽ الأقسام:

تنقسم الرؤيا إلى قسمين: خاص بالأنبياء، وعام لجميع الناس، وفيما يلي تفصيل ذلك:

القسم الأول: رؤيا الأنبياء:

رؤيا الأنبياء حق، وهي مصدر من مصادر الوحي؛ لأنهم معصومون، ورؤياهم معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة»^(٦).

(٤) مدارج السالكين (١/٥١) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(٥) القوانين الفقهية لابن جزي (٢٩٠).

(٦) انظر: مدارج السالكين (١/٥١).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) مجموع الفتاوى (٧٦/١٣)، وانظر: منهاج السنة

النبوية (٣٧٨/٥) مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٠٦هـ.

والنوم على الطهارة، واستقبال القبلة، وذكر الله قبل النوم^(٤).

والرؤيا الصحيحة وإن اختصت غالباً بأهل الصلاح، إلا أنها قد تقع لغيرهم، من أهل الفسوق؛ بل من أهل الكفر؛ كرؤيا الملك الذي رأى سبع بقرات، ورؤيا عبد المطلب في حفر بئر زمزم، وغيرها^(٥).

قال ابن القيم رحمته الله: «والرؤيا الصحيحة أقسام:

- **منها:** إلهام يلقيه الله سبحانه في قلب العبد، وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام، كما قال عبادة بن الصامت وغيره.

- **ومنها:** مثل يضره له ملك الرؤيا الموكل بها.

- **ومنها:** التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم.

- **ومنها:** عروج روحه إلى الله سبحانه وخطابها له.

- **ومنها:** دخول روحه إلى الجنة ومشاهدتها.

وغير ذلك^(٦).

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥١ - ٥٢).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ١٢٤) [دار الشعب]، فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٨١).

(٦) الروح (٢٩).

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِينَ﴾ [يوسف]، قال: «كانت رؤيا الأنبياء وحياً»^(١).

ويشهد لهذا المعنى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في الإسراء، وفيه: «وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم»^(٢).

ومثال ذلك ما رآه نبي الله إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه، وما جاء في حق نبينا صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ مَخْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧].

القسم الثاني: رؤيا غير الأنبياء:

وهي على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الرؤيا الصادقة

(الصحيحة)، وهي التي تكون من الله تعالى، وغالب ما تكون للمؤمنين، وهي بشرى من الله، وهي المرادة بقوله صلى الله عليه وسلم: «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»^(٣).

وصدق الرؤيا تكون بصدق الرائي، وتحريمه أكل الحلال، والتزام الشرع،

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنّة (٢٠٢/١) [المكتب الإسلامي، ط ١]، والطبري في تفسيره (١٥/ ٥٥٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وحسنه الألباني في ظلال الجنة (٢٠٢/١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٦٩٨٧)، ومسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٤).

النوع الثاني: الرؤيا التي من الشيطان:

وقد جاء وصفها بأنها: «تحزين»^(١) وأنها «تخويف»^(٢) وأنها «أهاويل من الشيطان ليحزن ابن آدم»^(٣).

كما جاء وصفها بأنها: (تلاعب من الشيطان)، وبعض العلماء يجعل (تلاعب الشيطان) نوعاً آخر غير: (التخويف والتحزين من الشيطان)^(٤).

وتدخل رؤيا الاحتلام في تلاعب الشيطان بالإنسان، ولهذا منع كثير من العلماء الاحتلام على الأنبياء، لامتناع تلاعب الشيطان بهم^(٥).

كما يدخل في تلاعب الشيطان ما قد يراه الإنسان ويحسبه ملكاً أو ولياً صالحاً، وأنه يأمره أو يخبره بما يخالف الشرع من فعل المحرمات أو ترك الواجبات^(٦).

النوع الثالث: حديث النفس:

وهو ما يحدث الرجل به نفسه في اليقظة، أو ما يهم به فيها، أو ما يتمناه،

(١) أخرجه مسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٧٠١٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب تعبير الرؤيا، رقم ٣٩٠٧)، وحسنه ابن حجر في الفتح (٤٠٧/١٢) [دار المعرفة]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٨٧٠).

(٤) قال ذلك ابن حجر، كما في الفتح (٤٠٧/١٢).

(٥) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٩٨/٣).

(٦) انظر: فتح الباري (٣٥٤/١٢).

فيرى ذلك في منامه، أو أن يرى ما يعتاده الرائي في اليقظة^(٧).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: معنى قولنا عن الرؤيا الصادقة: إنها حق:

قولنا عن الرؤيا الصادقة: إنها حق وحقيقة، يراد به ما يلي:

- أنها من الله، وهي جزء من النبوة، فالتصديق بها حق، كما في الحديث: «من رآني في المنام فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي»^(٨)، فمن قال: إنه لم يره في المنام حقاً فقد كذب قول النبي ﷺ.

- كما أن من معاني صدقها وكونها حقاً: أنها قد تتحقق في الواقع؛ أي: يتحقق تأويلها.

- فهي صور وأمثال مضروبة تكون في الذهن، لا في الخارج والواقع، وتكون بواسطة؛ أي: من إلقاء الملك، فليست خيالاً باطلاً كحديث النفس.

- ولا يقصد بكونها حقيقة أنها مثل رؤية العين المباشرة في اليقظة، والتي تكون بلا واسطة، وإلا لكان من رأى النبي ﷺ في المنام صحابياً^(٩).

(٧) انظر: فتح الباري (٣٥٤/١٢)، (٤٠٨).

(٨) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١١٠)، ومسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٦).

(٩) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧٨/١٢).

بِالْحَقِّ ﴿[الفتح: ٢٧] ورؤيا الحق هي التي لا بد من وقوعها وصدقها، فهي ليست من قبيل أضغاث الأحلام.

ومن السُّنَّة: قوله ﷺ: «والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه»^(٤).

وكذلك من قال عن هذه الرؤيا إنها حقيقة، استفسرنا منه:

أ - إن أراد أنها من الله، وقد تتحقق، وليست من حديث النفس، فهذا حق على ما تقدم تفصيله.

ب - وإن أراد: أن ما يراه النائم كرؤية اليقظة بالعين: فهذا لا يشك عاقل في بطلانه. كمن قال من المبتدعة: إذا رأى الإنسان في المنام كأنه بأفريقية وهو ببغداد فقد اخترعه الله سبحانه بأفريقية في ذلك الوقت^(٥).

وهذا باطل، بالواقع والعقل؛ أما الواقع فنحن نشاهد أن النائم عندنا، ورأى نفسه في ذلك الوقت في أفريقية مثلاً. وأما العقل: فإن النائم يرى من الأحلام من كونه مقطوع الرأس مثلاً،

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) انظر: المواقف للإيجي (١١٢/٦)، ومقالات الإسلاميين للأشعري (١٠٧/٢) [مكتبة النهضة المصرية، ط ١]، والفصل لابن حزم (٧١/٥) (١٢٣ [دار الجبل]، والأصول والفروع له (٢٤٣/١) [دار النهضة، ط ١، ١٩٧٨ م].

- وإنما يقال عنها (حقيقة) تقريراً لكونها من الله، واحترازاً عن الرؤيا التي هي حديث النفس، والذي هو خيال باطل، وكذا احترازاً عن الرؤيا التي من الشيطان^(١).

- وعلى هذا: فإذا قيل عن هذه الرؤيا: إنها (خيال)، فهذا لفظ محتمل:

أ - إن أراد القائل أنها أمثال مضروبة للذهن، وأن يفرق بينها وبين رؤيا العيان، فقولُه صحيح، ولذا قال بهذه العبارة بعض علماء السُّنَّة، كما قالوا: هي خيالات وأمثلة^(٢).

ب - وإن أراد أنها خيالات باطلة، لا حقيقة لها ولا تدل على شيء، وليست من الله، ولا صادقة، وأراد أن يسوي بينها وبين حديث النفس^(٣) فقولُه باطل، مناقض للكتاب والسُّنَّة.

فقد دلَّ كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ على أن الرؤيا تنقسم إلى ثلاثة أقسام، ومنها الرؤيا الصادقة، والتي منها رؤيا الأنبياء والتي هي من الوحي، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا

(١) قال ابن تيمية: «ولكن يقال: رآهم في المنام حقيقة فيحترز بذلك عن الرؤيا التي هي حديث النفس. فإن الرؤيا ثلاثة أقسام: رؤيا بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه في اليقظة فيراه في المنام». مجموع الفتاوى (٢٧٨/١٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧٦/١٣)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣٢٧/٢) [مطبعة المدني].

(٣) قال به بعض المعتزلة، وسيأتي ذكره.

وهو حي. فهذا تفصيل القول في رؤيا منام^(٣).
المسألة.

ومع هذا التفصيل في لفظي (الحقيقة) و(الخيال)، إلا أن لفظ الخيال والوهم كثيراً ما يطلق على النوع الناقص، وهو الباطل الذي لا حقيقة له.

كما أن لفظ (الحقيقة) غالباً ما يطلق على رؤيا الحق التي من الله.

قال شيخ الإسلام: «كثيراً ما يخص بلفظ الوهم، والخيال النوع الناقص، وهو الباطل الذي لا حقيقة له، وأما ما كان حقاً مما يتخيل ويتوهم، فيسمونه باسمه الخاص، من أنه حق وصدق ونحو ذلك، ومن أنه معلوم ومعقول، فإنه إذا كان حقاً عقله القلب، فصار معقولاً، كما يعقل أمثاله»^(١).

- المسألة الثانية: رؤية الله في المنام:

لقد ثبت أن النبي ﷺ رأى ربه في المنام، وذلك في حديث اختصاص الملائ الأعلى، وفيه قوله ﷺ: «فنعست في صلاتي حتى استثقلت، فإذا أنا بربي ﷻ في أحسن صورة...»^(٢)، فقد كانت هذه

وأما رؤية غير النبي ﷺ من المؤمنين لربهم فهي ثابتة أيضاً، فقد نقل بعض العلماء الإجماع على جواز رؤية الله في المنام، ووقوعها، ولم ينقل إنكارها إلا عن بعض المعتزلة^(٤).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة، على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه»^(٥).

ونبه الشيخ إلى أن الإنسان إذا رأى ربه في المنام فإنه «لا يجوز أن يعتقد أن الله في نفسه مثل ما رأى في المنام، فإن سائر ما يرى في المنام لا يجب أن يكون مماثلاً، ولكن لا بد أن تكون الصورة التي رآه فيها مناسبة ومشابهة لاعتقاده في ربه، فإن كان إيمانه واعتقاده مطابقاً أتي من الصور وسمع من الكلام ما يناسب ذلك، وإلا كان بالعكس»^(٦).

في تهذيب التهذيب (١٨٦/٦) [دار الفكر، ط ١].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٣٦/٢)، وزاد المعاد (١٣٦/١).

(٤) انظر: شرح السنة للبغوي (٢٢٧/١٢) [المكتب الإسلامي، ط ٢]، وشرح مسلم للنووي (٢٥/١٥)، وبيان تلبيس الجهمية (٧٣/١) [مطبعة الحكومة، ط ١، ١٣٩٢هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٣٨٧/١٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٩٠/٣)، وانظر منه: (١٠/٦١٢)، ومنهاج السنة (٣٧٦/٥).

(٦) بيان تلبيس الجهمية (٧٣/١).

(١) بيان تلبيس الجهمية (٣١٨/١) [مجمع الملك فهد للطباعة، ط ٢، ١٤٢٦هـ].

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٢٣٥) وصححه، ونقل عن البخاري تصحيحه أيضاً، وأحمد في مسنده (٤٢٢/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. وانظر: إرواء الغليل (رقم ٦٨٤).

وصححه الإمام أحمد أيضاً، وقواه ابن خزيمة، كما

اليقظة؛ أي: سيري تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها^(٧)، ويعضد ذلك ما جاء في رواية: «فقد رأى الحق».

وقيل: إن معناه: أنه سيراه يوم القيامة بمزيد خصوصية، مما يتضمن زيادة إكرام للرائي، لا بمجرد الرؤية العامة التي يراها جميع المؤمنين ممن لم يره ﷺ في المنام^(٨).

ولكن، يشترط لاعتماد الرؤية للنبي ﷺ في المنام أمران:

١ - أن يكون قد رآه على صفته الثابتة في السُّنة، ويستوي في ذلك أن يرى النبي ﷺ على صفته حال شبابه، أو رجولته، أو كهولته، أو آخر عمره، وأما إن كان قد رآه على غير صفته، فلا يعتد بذلك^(٩).

٢ - ألا يأمره بما يخالف الشرع^(١٠).

- المسألة الرابعة: الرؤيا ليست مصدرًا

من مصادر الاستدلال في الشريعة:

هذا ما ذهب إليه أهل السُّنة والجماعة وغالب طوائف الأمة، فلا يستفاد منها شيء من الأحكام الشرعية؛ بل لا بد من عرضها على الوحي، فإن وافقته وإلا ردت على صاحبها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ورؤيا الأنبياء

- المسألة الثالثة: رؤية النبي ﷺ في المنام:

لقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الذي يرى النبي ﷺ في المنام فإنه يراه حقيقة؛ لأن الشيطان لا يتمثل به.

فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ومن رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي»^(١). وفي رواية: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي»^(٢). وفي رواية: «إن الشيطان لا يتخيل بي»^(٣)، وفي رواية: «وإن الشيطان لا يتراءى بي»^(٤)، وفي رواية: «لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي»^(٥)، وفي رواية: «من رآني فقد رأى الحق»^(٦).

فدلّت هذه الأحاديث على أن من رأى النبي ﷺ في المنام، فإنه سيراه في اليقظة.

ومعنى قوله ﷺ: «من رآني فقد رآني»؛ أي: أنه قد رآه حقيقة؛ لأن الشيطان لا يتشبه بالنبي ﷺ.

ومعنى قوله ﷺ: «فسيراني في

(١) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١١٠)، ومسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٦٩٩٣)، ومسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٦٩٩٤).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٦٩٩٥).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٨).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٦٩٩٦)، ومسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٧).

(٧) انظر: فتح الباري (١٢/٣٨٥).

(٨) فتح الباري (١٢/٣٨٥).

(٩) انظر: فتح الباري (١٢/٣٨٧).

(١٠) انظر: فتح الباري (١٢/١٨٨ - ١٨٩، ٣٧٤ - ٣٧٥).

على موافقة النبوة، لا أنها جزء باق من النبوة»^(٣).

وعلى هذا؛ فإن القسم الثاني والثالث من الرؤى (ما كان من الشيطان أو من حديث النفس) لا يفيد شيئاً من علم الغيب ولا من غيره.

وأما القسم الأول (الرؤيا التي من الله) فإن الرائي يمكن أن يعرف من خلالها شيئاً مما سيقع في المستقبل أو ما غاب عنه عن طريق هذه الرؤى، ولكن ذلك جزء من الغيب النسبي لا المطلق. وأما الغيب المطلق فلا يكون بالرؤيا أبداً؛ لأنه مما يختص به الله^(٤).

الفروق:

الفرق بين الرؤيا والحلم:

معنى الرؤيا في اللغة مرادف لمعنى الحلم، إذ كلاهما يطلق على ما يراه الإنسان في منامه.

إلا أن الاصطلاح الشرعي قد غلب عليه إطلاق الرؤيا على ما كان خيراً وحسنًا، وإطلاق الحلم على الشر القبيح^(٥).

(٣) فتح الباري (١٢/٣٦٣).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٩/١٢٤)، وفتح الباري لابن حجر (١٢/٣٦٣، ٣٦٤، ٤٠٦)، وشرح النووي على مسلم (١٥/٢١)، وعلم الغيب في الشريعة الإسلامية لأحمد الغنيمان (٢٢٢ - ٢٣٢) [مكتبة العلوم والحكم، ط١].

(٥) انظر: النهاية لابن الأثير (٤٣٤) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ]، والرؤى عند أهل السنة والمخالفين (٦٤).

وحي، فإنها معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة، ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بالرؤيا.

وأما رؤيا غيرهم فتعرض على الوحي الصريح، فإن وافقته وإلا لم يعمل بها.

فإن قيل: فما تقولون إذا كانت رؤيا صادقة أو تواطأت؟

قلنا: متى كانت كذلك استحال مخالفتها للوحي؛ بل لا تكون إلا مطابقة له، منبهة عليه، أو منبهة على اندراج قضية خاصة في حكمه لم يعرف الرائي اندراجها فيه، فيتنبه بالرؤيا على ذلك^(١).

- المسألة الخامسة: الرؤيا وعلم

الغيب، ومعنى كون الرؤية جزءاً من النبوة:

تقدم ذكر الحديث الصحيح: «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»، ومعنى ذلك: أنها جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة في صدق الخبر، فإن الرؤيا الصادقة خبر صادق من الله، لا كذب فيه، وكذلك النبوة، فشابهت الرؤيا النبوة من هذا الوجه، وليس المراد بهذا أن الرؤيا مصدر من مصادر التشريع^(٢).

قال الخطابي رحمته الله: «الرؤيا تجيء

(١) مدارج السالكين (١/٥١).

(٢) انظر: فتح الباري (١٢/٣٦٣).

❁ مذهب المخالفين:

لقد تعددت أقوال الفرق المخالفة في التعريف بالرؤيا وبيان حقيقتها، وأهم ما قيل في ذلك ما يلي:

١ - قال أكثر المعتزلة: إن ما يراه الإنسان في منامه خيالات باطلة، لا حقيقة لها، ولا تدل على شيء^(٦).

وهذا القول بين البطلان، فإنه مخالف للأدلة الثابتة من القرآن والسنة المبيّنة لحقيقة الرؤى، وقد تقدم بعضها، والتي تدل على أن من الرؤى ما هو من الله، وأنها جزء من النبوة، وأن فيها اطلاع من الرائي على بعض الأمور المستقبلية، سواء كان ذلك من الأنبياء أو من غيرهم؛ كرؤيا ملك مصر التي أولها له يوسف عليه السلام، وغيرها.

٢ - وأما الأشاعرة فقد قال جمع منهم بأن الرؤيا خيالات باطلة، وهذا قريب من قول المعتزلة السابق، في حين قال بعضهم بأن الرؤى إدراكات حقيقية^(٧).

ومن غلطهم في ذلك تعريفهم الرؤيا

وقد دلّ على هذا التفريق قوله ﷺ: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان»^(١).

وقد يأتي الإطلاق بخلاف ذلك؛ كقوله ﷺ: «الرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه»^(٢).

الفرق بين الرؤيا والرؤية:

الرؤيا والرؤية هما مصدران للفعل الثلاثي رأى، إلا أن الرؤيا تطلق على ما يراه الإنسان في حال المنام، بينما تطلق الرؤية على ما يراه الإنسان في اليقظة^(٣).

هذا هو الغالب في الاستعمال، وقد تأتي (الرؤيا) ويراد بها رؤية العينين في اليقظة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، فالمراد بها: رؤية العين، وهي ما رآه ﷺ ليلة الإسراء من الآيات والعبر، كما صرح بذلك ابن عباس رضي الله عنهما^(٤)، وحكى الإمام الطبري إجماع الحجة من أهل التأويل على هذا التفسير^(٥).

(٦) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١٠٧/٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣]، وتفسير القرطبي (٩/ ١٢٤)، أبكار الأفكار للآمدي (٣٢٥/٢) [دار الكتب والآثار القومية بالقاهرة، ط ٢، ١٤٢٤هـ]، وشرح المواقف للمرجاني (١٤٢/٢) [دار الجيل، ط ١، ١٤١٧هـ]، وجواهر الكلام للإيجي (١٧٣).

(٧) نقل ذلك عنهم: الإيجي الأشعري، انظر: شرح المواقف له (١٤٢/٢).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٤٧)، ومسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: لسان العرب (١/ ٦٦٤ - ٦٦٥)، والرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين (٦٨).

(٤) انظر: صحيح البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٨٨٨).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٨٣).

بأنها: علوم علقها الله في النفس ابتداء بلا سبب.

وقد نقل هذا القول الإمام ابن القيم، ثم قال: «وهذا قول منكري الأسباب والحكم والقوى، وهو قول مخالف للشرع والعقل والفطرة»^(١).

٣ - وأما المتصوفة فقد غلوا في الرؤى، وتضاربت أقوالهم فيها.

فمنهم من زعم في بيانها أن النفس من عالم المجردات والمعقولات، فهي تستطيع أن تدرك المدركات المجردة التي تكون من جنسها إذا لم يشغلها شاغل من علائق البدن، فإذا قويت بالفضائل الروحانية وضعف سلطان القوى البدنية، اتصلت بأبيها المقدس وبالنفوس الفلكية، وتلقت عنها المغيبات في نومها، كما يقع لها في يقظتها^(٢).

وهذا القول مقارب لقول الفلاسفة في الرؤى.

وذهب بعض المتصوفة إلى أن الرؤى هي صور تقع في القلب من اللوح المحفوظ في حالة النوم، كما تقع الصورة من مرآة أخرى إذا ارتفع الحجاب بينهما^(٣).

وذهب القائلون بوحدة الوجود منهم

(١) الروح (٣٠).

(٢) هياكل النور للسهروردي (٤٣ - ٤٤) [المطبعة التجارية، ١٣٧٧هـ].

(٣) إحياء علوم الدين (٤/٥٣٧) [دار القلم، ط ١].

إلى أن الرؤيا لا تهبط من خارج، وإنما تصدر من باطن النفس؛ لأن الوجود حقيقة واحدة عندهم^(٤).

ومن ضلال المتصوفة في الرؤى زعمهم أنها مصدر يقيني من مصادر التلقي، لا يتطرق إليه الشك والغلط، فهم يبنون عليها كثيرًا من عقائدهم الباطلة، ويستندون إليها في تصحيح طرقهم، وتزكية مشايخهم وترويج كتبهم^(٥)، ويستمدون منها العقائد والأحكام، حتى ما لم يكن موجودًا في الكتاب والسنة، وربما اعتمدوا عليها في تصحيح بعض الأحاديث الضعيفة، واعتماد بعض البدعي من الأذكار^(٦).

المصادر والمراجع:

١ - «الإلهام والكشف والرؤى، هل تعد مصادر للأحكام الشرعية»، ليوسف القرضاوي.

٢ - «بيان تلبيس الجهمية»، لابن تيمية.

٣ - «الروح»، لابن القيم.

٤ - «الرؤى الصادقة: حجيتها

(٤) انظر: فصوص الحكم لابن عربي (١٣٦ - ١٣٧) [دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٥هـ]، والفتوحات المكية له (٢/٤٩٤) [دار صادر]، وانظر حول قولهم: الرؤى عند أهل السنة والمخالفين (٢٩٦).

(٥) كزعم ابن عربي أنه ألف كتابه الكفري فصوص الحكم بإذن النبي ﷺ له في المنام: فصوص الحكم (١٧).

(٦) انظر تفصيل ذلك والرد عليه في: الرؤى عند أهل السنة والمخالفين (٢٩٦ - ٣٢٥).

وضوابطها»، لـخالد بن بكر آل عابد.

٥ - «الرؤى عند أهل السُّنة والجماعة والمخالفين»، لسهل العتيبي.

٦ - «الرؤى والأحلام بين النصوص الشرعية ومدرسة التحليل النفسي»، لأسامة الرئيس.

٧ - «الرؤى والأحلام في النصوص الشرعية»، لأسامة الرئيس.

٨ - «علم الغيب في الشريعة الإسلامية»، لأحمد بن عبد الله الغنيمان.

٩ - «فتح الباري»، لابن حجر.

١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

من خلال ما تقدم من التعريف اللغوي والشرعي يتبين بأن الرؤوف في كلٍّ منهما يدل على الرحمة والرفقة، غير أن التعريف الشرعي يختص بكون الرؤوف اسمًا من أسماء الله تعالى، وهذا يقتضي حمله على غاية الكمال والجمال في حقه سبحانه.

الأسماء الأخرى:

الرحمان، اللطيف.

الرؤوف

التعريف لغة:

الرؤوف: صيغة مبالغة من اسم الفاعل: الرائف، يقال: رؤف يرأف رأفةً، ورأفةً، ومن لَيْنَ الهمزة قال: رؤف، فجعلها واوًا^(١)، قال ابن فارس: «الراء والهمزة والفاء كلمة واحدة تدل على رقةٍ ورحمة»^(٢). قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢] قال الزجاج: «لا ترحموهما فتسقطوا عنهما ما أمر الله به من الحد»^(٣).

الحكم:

يجب إثبات اسمه تعالى الرؤوف، والإيمان بما تضمنه من صفة الرأفة والرحمة واللفظ كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه من غير تحريف ولا تأويل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

الحقيقة:

اسمه تعالى الرؤوف يدل على العلمية والوصفية، فيوصف الله ﷻ بالرأفة والرحمة والتعطف على عباده المؤمنين

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/٤٧١) [دار الجبل]، وتهذيب اللغة (١٥/١٧٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ١].

(٢) مقاييس اللغة (٢/٤٧١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٢٨).

(٤) انظر: تفسير السعدي (٩٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٣هـ]، وصفات الله الواردة في الكتاب والسُّنة

لعلي السقاف (١١٩) [دار الهجرة، ط ١، ١٤١٤هـ].

«ومن أسمائه: الرؤوف، وهو (فعل) من الرأفة»^(٣).

المسائل المتعلقة:

يشتق من اسمه تعالى (الرؤوف) صفة الرأفة، وهي صفة خبرية فعلية ثابتة لله وَعَلَى، والرأفة: هي أشد الرحمة وأبلغها، يقال: فلان رحيم، فإذا اشتدت رحمته فهو رؤوف^(٤).

الفرق:

الفرق بين الرأفة والرحمة:

نظراً لاقتران صفة الرأفة بالرحمة في جميع الآيات التي وردت فيها صفة الرأفة، فقد تعددت أقوال العلماء في بيان الفرق بينهما:

١ - قيل: إن الرأفة والرحمة بمعنى واحد لا فرق بينهما^(٥).

٢ - وقيل: إن الرأفة أشد من الرحمة، وأنها منتهى الرحمة وأبلغها^(٦).

٣ - وقيل: إن الرأفة أعم من الرحمة؛ إذ الرحمة قد تكون بشيء مكروه أو عقيب البلاء، والرأفة خير من كل وجه^(٧).

بحفظهم في سمعهم وأبصارهم وحركاتهم وسكناتهم، وإن جاز تسمية غير الله بهذا الاسم كما في وصف الله لنبيه ﷺ بذلك في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْبُدُوهُ وَاسْتَعِينُوا بِهِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة]، إلا أن الله ما يختص به، وللبشر ما يختص به، فالاتفاق في الاسم لا يلزم منه تماثل المسمى.

الأدلة:

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في آيات كثيرة؛ منها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٠) [النور]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٠) [الحشر]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٥) [الحج].

أقوال أهل العلم:

١ - قال ابن جرير الطبري: «إن الله بجميع عبادته ذو رأفة، والرأفة أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا وللبعضهم في الآخرة»^(١).

٢ - قال ابن منده: «ومن أسماء الله وَعَلَى: الرؤوف الرحيم»^(٢).

٣ - قال أبو القاسم الأصبهاني:

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٧٠ - ١٧١) [مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) كتاب التوحيد لابن منده (٣٦١) [دار الفضيلة، ط ١].

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٧٤) [دار الراجعية].

(٤) انظر: الصحاح (٥/ ٤٨) [دار العلم، ط ٤]، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦٢) [دار الثقافة العربية].

(٥) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦٢).

(٦) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٩١).

(٧) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ١٧٣).

ورحمته بمعنى إرادة إنعامه وإحسانه ولطفه على عباده^(٢).

وهذا الذي قالوه باطل لمخالفته للنصوص الصريحة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل الدالة على إثبات صفة الرأفة لله ﷻ كما يليق بجلاله. وأنه يلزمهم إن نفوا الرأفة والرحمة أن ينفوا كذلك ما أثبتوه من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها؛ لأن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٤ - «أسماء الله الحسنى»، لابن القيم.
- ٥ - «أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة»، لماهر مقدم.
- ٦ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

(٢) انظر: الكشف للزمخشري (١/ ٤٥) [دار إحياء التراث]، والإنصاف للباقلاني (٣٩) [المكتبة الأزهرية، ط ٢، ١٣٢١هـ]، وتفسير للرازي (١٤/ ٢٨٦) [دار التراث العربي]، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٤٧١) [مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

والخلاصة: أن الرأفة هي غاية شدة الرحمة وأبلغها، وتعم الخير، وتختص به، بخلاف الرحمة فإنها تعم الخير والشر الذي عاقبته خير.

الآثار^(١):

من آثار اسمه تعالى الرؤوف على العباد ما يلي:

- ١ - تمام نعمته وفضله عليهم.
- ٢ - توفيقهم للقيام بحقوقه وحقوق عباده.
- ٣ - تسهيل الطاعات لهم وعدم تحميلهم ما لا يطيقون.
- ٤ - تحذيرهم من نفسه وعقابه.
- ٥ - قبوله لأعمالهم وإثابتهم عليها.
- ٦ - قبوله توبة التائبين منهم.
- ٧ - تسخيره لما في السماوات وما في الأرض لمصلحتهم.

مذهب المخالفين:

أنكر عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة أن يوصف الله ﷻ بالرأفة والرحمة كما يليق بجلاله، فصرفوها عن ظواهرها وعطلوها عن حقائقها، وقالوا: إن الرأفة والرحمة هي رقة تعتري القلب، وهي من الكيفيات النفسية والله منزه عنها، ثم أولوا رأفته

(١) انظر معظمها في: فقه الأسماء الحسنى للبدر (٢٣١ - ٢٣٢) [ط ١، ١٤٢٩هـ].

رأي أيضاً^(٣).

التعريف شرعاً:

بَيَّن ابن القَيِّم أن الرأي هو: «ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب مما تتعارض فيه الأمارات. فلا يقال لمن رأى بقلبه أمراً غائباً عنه مما يحس به: إنه رأيه، ولا يقال أيضاً للأمر المعقول الذي لا تختلف فيه العقول ولا تتعارض فيه الأمارات: إنه رأي، وإن احتاج إلى فكر وتأمل؛ كدقائق الحساب ونحوها»^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بينهما بيّنة؛ بل ربما كانت متطابقة، فكلاهما بمعنى نظر البصيرة، والتفكر في الأمور.

سبب التسمية:

كان إطلاق (الرأي) على القضية المستنتجة من الرأي من باب استعمال المصدر في المفعول، وذلك من باب استعمال المصدر في المفعول؛ كالهوى في الأصل مصدر: هويه يهواه هوى، ثم استعمل في الشيء الذي يهوى، فيقال:

٧ - «صفات الله وَجَّكَ الواردة في الكتاب والسُّنة»، للسقاف.

٨ - «معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٩ - «المنهاج لشعب الإيمان»، للحليمي.

١٠ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للحمود.

الرأي

التعريف لغة:

الرأي: مصدر: رأى رأياً، وجمعها: آراء. قال ابن فارس: «الراء والهمزة والياء أصلٌ يدلُّ على نظرٍ وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرة»^(١). وقال الليث: «الرَّأْيُ: رأي القلب». ويقال: ما أَضَلَّ آراءهم، وما أَضَلَّ رَأْيهم. ويقال من (رأي) القلب: ارتأيت.

قال الشاعر:

أَلَا أَيُّهَا الْمُرْتَبِيُّ فِي الْأُمُورِ
سَيَجْلُو الْعَمَى عَنْكَ تَبَيُّانُهَا^(٢).

ويقال للقضية المستنتجة من الرأي: رأي، ولعل هذا هو الغالب في الاستعمال.

كما قد يقال لكل قضية فرضها فافرض

(٣) انظر: إعلام الموقعين (١/٦٦) [دار الجيل، ١٩٧٣م]، الكليات للكفوي (٤٨٠) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ].
(٤) إعلام الموقعين (١/٦٦).

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٧٢) [دار الجيل، ط ٢].
(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٥/٢٢٧) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

هذا هو فلان^(١).

❖ الأقسام:

الرأي ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الرأي الصحيح، وهذا قد استعمله السلف - من الصحابة رضي الله عنهم، فمن بعدهم من أئمة المسلمين - حيث عملوا به، وأفتوا به وسوغوا القول به.

ومن ذلك؛ أن أبا بكر رضي الله عنه قال في الكلالة: «أقول فيها برأئي، فإن كان صواباً فمن الله»^(٦).

القسم الثاني: الرأي الباطل، وهذا قد نهى عنه السلف، ومنعوا من العمل والفتيا والقضاء به، وأطلقوا ألسنتهم بذمه وذم أهله.

وفيما يلي تفصيل القسمين:

القسم الأول: الرأي المحمود:

وله عدة أنواع:

النوع الأول: رأي الصحابة رضوان الله عليهم.

وهم أفقه هذه الأمة، وأعلمها بمعاني نصوص الشرع، وأكثرهم تقى، وأصفاهم فهماً وفطرة، وأبعدهم عن التكلف، وأعمقهم فهماً لمقاصد الشرع، فرأيهم في أحكام الشريعة أعلى أنواع

١٤٠٥هـ، والتعبير عن الرأي لخالد الشمراني (١/ ٢٢ - ٢٥) [أطروحة دكتوراه في جامعة أم القرى، قسم الشريعة].

(٦) أخرجه الدارمي في سننه (كتاب الفرائض، رقم ٣٠١٥)، والطبري في تفسيره (٥٤/ ٨) [مؤسسة الرسالة، ط١].

❖ الحكم:

حكم الرأي واعتماده في معرفة الحقيقة إنما يتبين بذكر أقسام الرأي. (انظر فقرة: الأقسام).

❖ الحقيقة:

الرأي يتناول جميع ما يكون في فكر الإنسان مما يستدعي التأمل والنظر للوصول إلى حكم في قضية من القضايا، وعليه فيكون الرأي شاملاً للاجتهاد في تفهم معنى النص الشرعي، وتفسيره، والتحقق من انطباقه على الواقعة المعينة^(٢)، كما يشمل أعمال الذهن في الأقيسة الشرعية، التي تستدعي النظر في علل الأحكام ومناطاتها وتعديتها إلى نظائرها^(٣)، ويتناول كذلك: أعمال الفكر للنظر في مآلات الأفعال وعواقبها^(٤)، والموازنة بين المصالح الفردية والجماعية^(٥).

(١) انظر: المصدر السابق (١/ ٦٦).

(٢) انظر: إرشاد الفحول للشوكاني (٦٧١) [دار ابن كثير، ط١، ١٤٢١هـ].

(٣) انظر: المبسوط للسرخسي (٩٠/ ٢) [دار المعرفة، ط٢].

(٤) انظر: العدة لأبي يعلى (١٨٤/ ١) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ]، الواضح لابن عقيل (٢٠٥/ ١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٥) انظر: المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي لفتح الدين (٣٦، ٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٨هـ]، والرأي وأثره في مدرسة المدينة، لأبي بكر إسماعيل (٤٠) [مؤسسة الرسالة، ط١،

الرأي بلا ريب^(١).

أحكام الشرع^(٤).

النوع الثاني: الرأي الذي يفسر النصوص، ويبيّن وجه الدلالة منها.

القسم الثاني: الرأي الباطل:

وله عدة أنواع:

النوع الأول: الرأي المخالف للنص أو الإجماع؛ كالقياس والاستحسان العقلي المعارضين للنصوص الثابتة، ولما أجمع عليه المسلمون.

قال عبدان: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: «ليكن الذي تعتمد عليه الأثر، وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث»^(٢).

النوع الثاني: إعمال الرأي في تفسير كلام الله وسُنّة رسوله ﷺ على غير ما تقتضيه اللغة العربية، وعلى خلاف ما جرت عليه النصوص الشرعية، وإنما بمحض الرأي والظن والهوى^(٥).

النوع الثالث: الذي أجمعت عليه الأمة، فهذا لا يكون إلا صوابًا، إذ الأمة معصومة من الإجماع على الخطأ^(٣).

النوع الثالث: الرأي المتضمن تعطيل أسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة والقدرية ومن ضاهاهم.

النوع الرابع: الرأي الحاصل ممن كان أهلاً للاجتهاد من أهل العلم بالشريعة، إذا نظر في المسألة ولم يجد فيها نصًا ثابتًا، ولا أثرًا لصحابي، فيجتهد برأيه، في بيان معنى النص، واستنباط الحكم منه على ما تقتضيه لغة العرب، أو الاعتبار به والقياس عليه، فينظر في ذلك ما كان أقرب إلى موافقة كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ وأقضية أصحابه، فهذا هو الرأي الذي سَوَّغَه الصحابة واستعملوه حيث لم يجدوا في المسألة نصًا، وأقر بعضهم بعضًا عليه، وهو رأي لا بد منه، لئلا تتعطل

النوع الرابع: الرأي الذي يرجع إلى الابتداع في الدين، وتغيير السنن وهجرها^(٦).

(٤) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم (١/٨٥)، والموافقات للشاطبي (٣/٤٢١) [دار المعرفة].

(٥) انظر: جامع بيان العلم (٢/١٠٣٩).

(٦) انظر: جامع بيان العلم (٢/١٠٥٢ - ١٠٥٣) [دار ابن الجوزي، ط ١]، والاعتصام (١/٩٩) [دار المعرفة، ١٤٠٢هـ]، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/٢٢٩ - ٢٣٠) [دار المعرفة]، وفتح الباري لابن حجر (١٣/٢٨٧ - ٢٨٨)، الموافقات للشاطبي (٣/٤٢١) [دار =

(١) انظر: إعلام الموقعين (١/٧٩ - ٨١).

(٢) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٢٠٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/١٦٥)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/٣٤٦)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٣٤) [دار الكتب العلمية]، والهروي في ذم الكلام وأهله (٢/١٨٦).

(٣) انظر: إعلام الموقعين (١/٨٣ - ٨٤).

✽ أقوال أهل العلم:

لقد تواترت النقول عن السلف الصالح - من الصحابة والتابعين فمن بعدهم - في ذم الرأي الباطل، فمن ذلك ما يلي:

قال أبو بكر رضي الله عنه: «أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إن قلت في آية من كتاب الله برأيي أو بما لا أعلم»^(١).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «السنة ما سنّه الله ورسوله ﷺ، لا تجعلوا خطأ الرأي سنة للأمة»^(٢).

وقال أحمد بن حنبل: «لا تكاد ترى أحداً نظر في هذا الرأي إلا وفي قلبه دغل»^(٣).

قال ابن القيم بعدما نقل هذه الأقوال وغيرها عن السلف: «والمقصود: أن

= [المعرفة]، الإبهاج شرح المنهاج للسبكي (١٧/٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٤هـ]، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٢٣/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ]، والبرهان في علوم القرآن (١٦٢/٢) [دار المعرفة، ١٣٩١هـ].

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٦٨/١) [دار الصميعي، ط ١]، وابن أبي شيبه في مصنفه (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٠١٠٧) [مكتبة الرشد، ط ١]، والطبري في تفسيره (٧٨/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وهو حسن بمجموع طرقه.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/١٠٤٧) [دار ابن الجوزي، ط ١].

(٣) انظر: جامع بيان العلم وفضله (٩٤٢/٢، ١٠٥٤) وحسن سننه المحقق، والإحكام لابن حزم (٦/٢٢١)، وتحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة (٤١) [دار عالم الكتب، ط ١، ١٤١٠هـ]، والاعتصام (٣٣٣/٢)، وإعلام الموقعين (٧٦/١).

السلف جميعهم على ذم الرأي والقياس المخالف للكتاب والسنة، وأنه لا يحل العمل به، لا فتياً، ولا قضاء، وأن الرأي الذي لا يعلم مخالفته للكتاب والسنة ولا موافقته فغايته أن يسوغ العمل به عند الحاجة إليه، من غير إلزام ولا إنكار على من خالفه»^(٤).

✽ الأدلة:

عقد البخاري في «صحيحه» باباً سمّاه: «باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، **﴿وَلَا تَقْفُ﴾** لا تقل: **﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾** [الإسراء: ٣٦].

ثم ساق فيه حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال، يستفتون فيفتون برأيهم، فيضلون»^(٥).

وساق فيه قول سهل بن حنيف رضي الله عنه: «يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل، ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ عليه لرددته، وما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر يفظعنا، إلا أسهلنا بنا إلى أمر

(٤) إعلام الموقعين (٧٧/١).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم ٧٣٠٧)، وأخرجه مسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٧٣).

نعرفه، غير هذا الأمر»^(١).

حيث اشتهر إطلاقه في علمي: العقيدة، والفقه.

فأما في إطلاقه في علم الاعتقاد، فإن المراد بمصطلح (أهل الرأي): أهل الكلام المبتدع، ممن قدم عقله ورأيه على نصوص الشرع، فنفى من العقائد ما لم يثبت برأيه وعقله، وإن كان ثابتاً في الشرع، وأثبت منها ما دلّ عليه عقله ورأيه، ولو لم يثبت النص، فيدخل فيه المعتزلة والأشاعرة ونحوهم.

وسبب الذم لهم ههنا بين؛ فإن باب الاعتقاد مقول بالتوقيف، ومصدره النص، وإعمال الرأي فيه إثباتاً ونفيّاً بلا نور من الوحي زيغ وضلال، وهل ضل أعداء الرسل إلا لما أعملوا آراءهم في مثل هذه الأبواب والأصول؟^(٤).

قال أبو بكر بن أبي داود: «أهل الرأي هم أهل البدع»^(٥).

وأما إطلاقه في علوم الفقه من العبادات والمعاملات وغيرها، فهو الإطلاق الأشهر والأكثر، حيث أطلق مصطلح (أهل الرأي) و(أصحاب الرأي) على أتباع المذهب الحنفي، ممن توسع

ثم ساق البخاري باباً قال فيه: «باب ما كان النبي ﷺ يسأل مما لم ينزل عليه الوحي، فيقول: «لا أدري»، أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي، ولم يقل برأي ولا بقياس لقوله تعالى: ﴿يَمَا أَرْكَأَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- أهل الرأي، وذم السلف لهم:

لقد شاع استعمال مصطلح (أهل الرأي) أو (أصحاب) عند السلف.

وقد جاء ذكر هذا المصطلح عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث قال: «أصحاب الرأي - وفي رواية: أهل الرأي - أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم، فإياكم وإياهم»^(٣).

ولقد اختلف المراد بمصطلح (أهل الرأي) باختلاف العلم الذي يورد فيه،

(١) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم ٧٣٠٨)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٨٥).

(٢) صحيح البخاري (١٠/٩) [دار طوق النجاة، ط ١].

(٣) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٤١ - ١٠٤٢) [دار ابن الجوزي، ط ١]، من طرق متعددة، وذكرها ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٤٤) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وقال بعدها: «وأسانيد هذه الآثار عن عمر في غاية الصحة».

(٤) حول استعمال مصطلح (أهل الرأي) في علم العقائد، انظر: التبصير في الدين لاسفراييني (١١٤)، وشرح العقيدة الأصبهانية لابن تيمية (١٤٣) [مكتبة الرشد]، ومجموع الفتاوى (٥٥/٢) مدارج السالكين (٤٣٨/٣)، وانظر: لوامع الأنوار البهية (٨/١).

(٥) الاعتصام للشاطبي (١/ ١٣٥).

من أهل الرأي في العقائد، لكون أبواب الفقه العملي يسوغ فيها من النظر والرأي والقياس ما لا يسوغ في العقائد المبنية على النص والتوقيف.

❁ الفروق:

بما تقدم من تقسيم يعلم الفرق بين الرأي المحمود والرأي المذموم، وبه يعلم الجمع بين ما نقل عن بعض السلف من ذم للرأي، وما أثر عن بعضهم من استعماله، وذلك أن الرأي نوعان:

أحدهما: رأي مجرد لا دليل عليه؛ بل هو خرس وتخمين، فهذا الذي ذمه السلف.

والثاني: رأي مستند إلى استدلال واستنباط من النص وحده، أو من نص آخر معه، فهذا من أطف فهم النصوص وأدقه ^(٤).

❁ الآثار:

لقد خَلَفَ الرأي الفاسد والقياس الباطل في تاريخ الأمة آثاراً سيئة، ما زالت الأمة تعاني من ويلاتها، ومن ذلك:

١ - رد نصوص الكتاب والسنة، الصريحة والصحيحة، لمجرد شبه فاسدة، وخيالات وأوهام، فردوا الشرع

في باب القياس والحيل، حيث قدموا آرائهم على بعض النصوص الثابتة، وهم بالمقابل يحتجون على آرائهم بالواهي من النصوص، كما كثر في فقههم الجدل وتوليد المسائل قبل وقوعها ^(١)، وهؤلاء قد وجد في كلام جمع من السلف شيء من الذم لمخالفتهم تلك.

روى ابن بطه بإسناده عن أبي داود السجستاني قال: سمعت أبا عبد الله [أحمد بن حنبل] - وذكر الحيل عن أصحاب الرأي -، فقال: «يحتالون لنقض سنن رسول الله ﷺ» ^(٢).

قال ابن القيم: «كان [الإمام أحمد] يدل على أهل المدينة، ويدل على الشافعي، ويدل على إسحاق، ولا خلاف عنه في استفتاء هؤلاء، ولا خلاف عنه في أنه لا يستفتي أهل الرأي المخالفون لسنة رسول الله ﷺ» ^(٣).

إلا أن الذم لهم دون الذم لسابقيهم

(١) حول استعمال مصطلح (أهل الرأي) في علم الفقه، انظر: سنن الترمذي (٣/٢٤٠، ٤٢٠) [الباب الحلي، ط ٢، ١٣٩٥هـ]، والطهور للقاسم بن سلام (٢٠٠) [مكتبة الصحابة، ط ١، ١٤٠٤هـ] واستعماله في هذا المعنى شائع جداً.

(٢) إبطال الحيل لابن بطة (٥٤) [المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ]، وانظر تفصيل ذلك في: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٦١، ١٠٢) وما بعدها [المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤١٩هـ]، ومجموع الفتاوى (١١/٣٤١)، وجامع العلوم والحكم (١/٢٤٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٧].

(٣) إعلام الموقعين (٤/٢٠٧).

(٤) انظر: المرجع السابق (١/٨٣).

لأمر الله له بالسجود؛ لأنه رأى أنه خير من آدم، حيث خلق آدم من طين، وخلق هو من النار، والنار - في رأيه الفاسد - أشرف من الطين، وعلى هذا سار أهل الضلال من أعداء الرسل على مر الأزمان.

قال الإمام ابن القيم رحمته الله بعدما قرر مذهب السلف من عدم المصير إلى الرأي إلا بعد الرجوع للسنن والآثار:

«وأما المتعصبون فإنهم عكسوا القضية ونظروا في السُّنة، فما وافق أقوالهم منها قبلوه، وما خالفها تحيلوا في رده أو رد دلالتة، وإذا جاء نظير ذلك أو أضعف منه سندًا ودلالة وكان يوافق قولهم قبلوه ولم يستجيزوا رده، واعترضوا به على منازعيهم وأشاحوا وقرروا الاحتجاج بذلك السند ودلالتة، فإذا جاء ذلك السند بعينه أو أقوى منه ودلالتة؛ كدلالة ذلك أو أقوى منه في خلاف قولهم دفعوه ولم يقبلوه»^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة»، لعبد الرحمن سنوسي.
- ٢ - «إعلام الموقعين»، لابن القيم.
- ٣ - «التعبير عن الرأي: ضوابطه ومجالاته في الشريعة الإسلامية»، لخالد الشمراني.

الذي ضمنت لنا عصمته، وأمرنا الله بالرجوع إليه، واعتاضوا عنه بالرأي الذي لم تضمن لنا عصمته.

٢ - وتبعًا لذلك فقد أدخلوا بالرأي الفاسد كثيرًا من البدع والخرافات والشبه الباطلات، والتي أفسدت على المسلمين عقائدهم وعباداتهم.

٣ - إدخال الشكوك على عموم الأمة بدينها، فإذا ما فتح باب الرأي في مواجهة الشرع، لم يمكن أن يغلق ذلك الباب، فكلُّ له رأيه، وكلُّ معجب بعقله.

٤ - أنهم قد فتحوا الباب لغلاة الزنادقة والملحدين والفلاسفة ليتسلطوا على نصوص الشرع بالتأويل والإبطال بالرأي المجرد، والتلاعب بالنصوص والنبوات بدعوى الرجوع للرأي. وغير ذلك من الآثار التي يطول تتبعها^(١).

مذهب المخالفين:

لقد كان منشأ الضلال عند عامة الفرق الضالة هو انحرافهم في الموقف من الرأي، حيث أعمالوا الرأي المنحرف والقياس الفاسد، وجعلوا ذلك حاكمًا على نصوص الوحيين، ولا غرو، فإمامهم في ذلك إبليس، الذي عارض أمر الله بقياسه الفاسد، حين لم يمثل

الحائض من صفرة بعد دم حيض، أو أن ترى شيئاً من أمارات الحيض قبل. والرؤيا معروفة، والجمع رؤى^(١).

التعريف شرعاً:

رؤية الله: هي رؤية المؤمنين ربهم ﷻ بأبصارهم يوم القيامة^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي هو المعنى اللغوي بعينه.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

لا اختلاف بينهما بل هما متفقان.

الحكم:

يجب الإيمان برؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة تصديقاً لخبر الله ﷻ وخبر نبيه الأمين محمد ﷺ.

الحقيقة:

حقيقة الرؤية: هي إبصار الرائي للمرئي بالعين. ورؤية الله: هي رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة عياناً من غير إحاطة ولا إدراك.

(١) مقاييس اللغة (٤٧٢/٢ - ٤٧٣) [دار الجبل، ط ٢].

(٢) انظر: الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد

(١٣٢) [دار الشببات، ط ١، ١٤٢٤هـ]، والرؤية

للدارقطني (٩١ - ٩٣) [مكتبة المنار، الأردن، ط ١،

١٤١١هـ]، والتوحيد لابن خزيمة (٥٤٨/٢) [مكتبة

الرشد، ط ٥، ١٤١٤هـ].

٤ - «جامع بيان العلم وفضله»، لابن عبد البر.

٥ - «حرية الرأي: ضوابطها ومجالاتها في الإسلام»، لعللي السحيباني.

٦ - «ذم الكلام وأهله»، للهروي.

٧ - «الرأي وأثره في الفقه الإسلامي»، لإدريس جمعة.

٨ - «الرأي وأثره في مدرسة المدينة»، لأبي بكر إسماعيل.

٩ - «المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي»، لفتحي الدريني.

١٠ - «الموافقات في أصول الفقه»، للشاطبي.

رؤية الله

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الراء والهمزة والياء أصلٌ يدلُّ على نظيرٍ وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرة. فالرأي: ما يراه الإنسان في الأمر، وجمعه الآراء. رأى فلانُ الشيء وراءه، وهو مقلوب. والرئي: ما رأت العين من حال حسنة. والعرب تقول: رَيْتُهُ في معنى رأيته وتراءى القوم؛ إذا رأى بعضهم بعضاً. وتراءى فلان يرائي، وفعل ذلك رءاء الناس؛ وهو أن يفعل شيئاً ليراه الناس. والرواء: حسن المنظر. والمرأة معروفة. والترئية وإن شئت لينت الهمزة فقلت الترية: ما تراه

الأدلة:

وأما إجماع السلف على ثبوت رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة فقد حكاه غير واحد من العلماء، منهم ابن خزيمة؛ إذ يقول: «أهل قبلتنا من الصحابة، ومن بعدهم إلى من شاهدنا من العلماء من أهل عصرنا، لم يختلفوا ولم يشكوا ولم يرتابوا أن جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم القيامة عياناً»^(٤).

أقوال أهل العلم:

قال ابن أبي زمنين: «ومن قول أهل السنة: إن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة، وأنه يحتجب عن الكفار والمشركين فلا يرونه، وقال رحمه الله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وقال: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيٰ نَاصِرُهُ ﴿٢٢﴾ إِلَٰهَ رَبِّهَا نَاطِرُهُ﴾ [القيامة: ٢٢] وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَجُولُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. فسبحان من لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير»^(٥).

وقال أبو القاسم الأصبهاني: «مذهب أهل السنة أن الله ﷻ يكرم أوليائه بالرؤية، يرونه بأعينهم كما شاء فضلاً منه ومنه، قال الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيٰ نَاصِرُهُ ﴿٢٢﴾ إِلَٰهَ رَبِّهَا نَاطِرُهُ﴾ [القيامة: ٢٢]، وحكي عن الشافعي رحمه الله في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَجُولُونَ﴾ [المطففين: ١٥] لما

دلّت النصوص من الكتاب والسنة والإجماع على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة بصريّة قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيٰ نَاصِرُهُ ﴿٢٢﴾ إِلَٰهَ رَبِّهَا نَاطِرُهُ﴾ [القيامة: ٢٢] وقال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَجُولُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

وأما أحاديث رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة فقد بلغت حد التواتر، كما قال ذلك ابن القيم رحمه الله^(١).

فمنها حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: كنا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا تضامون أو لا تضاهون في رؤيته»^(٢).

وعن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أريدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ» وزاد في رواية: «ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]»^(٣).

(١) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٢٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب مواقيت الصلاة، رقم ٥٧٣، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٦٣٣).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨١).

(٤) التوحيد لابن خزيمة (٥٤٨/٢).

(٥) كتاب السنة لابن أبي زمنين (١٢٠) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٥هـ].

حجب عنه الكفار دلّ على أن المؤمنين يرونه^(١).

وقال ابن قدامة: «والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم، ويزورونه، ويكلمهم ويكلمونه، قال الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]. وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين]، فلما حجب أولئك في حال السخط، دلّ على أن المؤمنين يرونه في حال الرضا، وإلا لم يكن بينهما فرق^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: رؤية الله تعالى في الدنيا:

لا شك أن الله لا يرى في الدنيا، وكل من ادعاها فهو كاذب لما في ذلك من النص والإجماع، أما النص فقد ثبت عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ»^(٣).

وأما الإجماع فقد ذكره ابن تيمية بقوله: «أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة وأجمعوا على أنهم لا يرونه في

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٥٢٤) [دار الراية، ط ٢].

(٢) لمعة الاعتقاد (٢٠) [الدار السلفية، الكويت، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ١٦٩).

الدنيا بأبصارهم^(٤).

وقال أيضاً: «وكل من قال من العباد المتقدمين أو المتأخرين إنه رأى ربه بعيني رأسه فهو غلط في ذلك بإجماع أهل العلم والإيمان»^(٥).

- المسألة الثانية: رؤية النبي ﷺ ربه في الدنيا:

اختلف أهل السنة والجماعة في رؤية النبي محمد ﷺ ربه ليلة المعراج؛ أراه أم لا؟ والصحيح: أنه لم ير ربه بعين رأسه، وإنما رآه بفؤاده، قال ابن تيمية رحمه الله: «وأما الرؤية؛ فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: «رأى محمد ربه بفؤاده مرتين»^(٦)، وعائشة أنكرت الرؤية. فمن الناس من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد. والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: رأى محمد ربه وتارة يقول رآه محمد؛ ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه. وكذلك الإمام أحمد؛ تارة يطلق الرؤية؛ وتارة يقول: رآه بفؤاده؛ ولم يقل أحد إنه سمع أحمد يقول رآه بعينه؛ لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين؛ كما

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٥١٢).

(٥) المرجع السابق (٣/ ٣٩٠).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٦).

خلقه»^(٤). فيكون - والله أعلم - معنى قوله لأبي ذر: «رأيت نوراً»: أنه رأى الحجاب، ومعنى قوله: «نور أنى أراه»: النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته، فأنى أراه؟ أي: فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته؟ فهذا صريح في نفي الرؤية. والله أعلم»^(٥).

وقال أيضاً: «وقد تقدم ذكر اختلاف الصحابة في رؤيته ﷺ ربه ﷻ بعين رأسه، وأن الصحيح أنه رآه بقلبه، ولم يره بعين رأسه»^(٦).

وأما قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^(٧) أفَتَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ [النجم] فالمراد بالمرئي جبريل عليه السلام، رآه مرتين في صورته التي خلق عليها^(٧).

- المسألة الثالثة: مواضع رؤية الله ﷻ يوم القيامة:

دلّت النصوص من الكتاب والسنة على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم في الموقف وفي الجنة وبيانها على النحو التالي:

- رؤية المؤمنين ربهم في الموقف، ومما يدل عليها ما جاء في «الصحيح» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن الناس

سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين. وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك؛ بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل؛ كما في «صحيح مسلم»^(١)، «عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: نور أنى أراه»^(٢).

وقال ابن أبي العز: «فإن الرؤية في الدنيا ممكنة، إذ لو لم تكن ممكنة، لما سألها موسى عليه السلام، لكن لم يرد نص بأنه رأى ربه بعين رأسه؛ بل ورد ما يدل على نفي الرؤية، وهو ما رواه مسلم في «صحيحه»، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه». وفي رواية: «رأيت نوراً»^(٣). وقد روى مسلم أيضاً عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ أنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور» - وفي رواية: النار - «لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٩).

(٥) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/٢٢٤).

(٦) المرجع السابق (١/٢٧٥).

(٧) المرجع السابق (١/٢٧٥).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٥٠٩ - ٥١٠).

(٣) أخرجهما مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٨).

تضارون في القمر ليلة البدر وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها - شك إبراهيم - فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه»^(٣).

القول الثالث: أنهم يرون الله رؤية تعريف وتعذيب^(٤)؛ لقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣١] وذكروا أن «اللقاء يدل على الرؤية والمعاناة»^(٥).

ولعل الراجح هو القول الأول لصريح القرآن في حجب الكفار عن رؤية الله^(٦)، وأما الأدلة الأخرى فليست نصًا قاطعًا في الموضوع^(٧).

- المسألة الخامسة: الرؤية القلبية:

وهي رؤية الله بالقلب، كما حصل للنبي ﷺ ليلة المعراج في أرجح الأقوال كما تقدم.

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) انظر هذه الأقوال في: مجموع الفتاوى (٦/٤٨٧ - ٤٨٨)، وشرح الطحاوية (١/٢٢١)، ورؤية الله تعالى وتحقيق القول فيها لأحمد بن ناصر (١٨٦) [جامعة أم القرى، ط ١، ١٤١١هـ].

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/٤٨٨).

(٦) وانظر أيضًا: دلالة القرآن والأثر على رؤية الله تعالى بالبصر لعبد العزيز الرومي (١٣٥ - ١٣٦) [مكتبة المعارف، الرياض].

(٧) انظر مناقشتها في كتاب: رؤية الله تعالى وتحقيق القول فيها لأحمد بن ناصر (١٨٦ - ١٨٨).

قالوا: يا رسول الله ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه»^(١).

- رؤية المؤمنين ربهم في الجنة ومما يدل عليها حديث صهيب المتقدم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة]. قال ابن خزيمة في هذه الآية: «وهذا نظر أولياء الله إلى خالقهم جلّ ثنائه بعد دخول أهل الجنة الجنة»^(٢).

- المسألة الرابعة: رؤية الكفار والمنافقين ربهم في الآخرة، وهذا فيه ثلاثة أقوال لأهل السنة:

القول الأول: أنهم لا يرون الله مطلقًا؛ لصريح قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين].

القول الثاني: يراه المنافقون فقط في الموقف ثم يحتجب عنهم ودليلهم ما جاء في حديث أبي هريرة؛ أن الناس قالوا: يا رسول الله ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٣٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٢).

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/٤٤٣).

مثل ما يرى النائم. وقد يتجلى له من الحقائق ما يشهده بقلبه فهذا كله يقع في الدنيا»^(٤).

- المسألة السادسة: رؤية الله تعالى في المنام:

دلّت بعض النصوص على رؤية النبي ﷺ ربّه في المنام، منها: حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ أنه قال: «احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح، حتى كدنا نترأى عين الشمس، فخرج سريعاً فثوب بالصلاة، فصلّى رسول الله ﷺ وتجوّز في صلاته، فلما سلّم دعا بصوته فقال لنا: «على مصافكم كما أنتم»، ثم انفتل إلينا ثم قال: «أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة: أني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي، فنعست في صلاتي فاستثقلت، فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك ربّ، قال: فيم يختصم المלא الأعلى؟ قلت: لا أدري ربّ، قالها ثلاثاً، قال: فرأيت وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي، فتجلى لي كل شيء وعرفت، فقال: يا محمد، قلت: لبيك ربّ، قال: فيم يختصم المלא الأعلى؟ قلت: في الكفارات، قال: ما هن؟ قلت: مشي الأقدام إلى الجماعات،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقلوب مفطورة على أن يتجلى لها من الحقائق ما هي مستعدة لتجليها فيها، فإذا تجلى فيها شيء أحست به إحساساً باطناً تجليه فيها».

وأيضاً فنفس مشاهدة القلوب لنفسه تبارك وتعالى أمر ممكن، وإن كان ذلك قد يقال: إنه مختص ببعض الخلق، كما قال أبو ذر وابن عباس وغيرهما من السلف: «إن نبينا ﷺ رأى ربه بفؤاده». وقال ابن عباس: رآه بفؤاده مرتين.

فهذا النوع إذا كان ممكناً، وقد قيل: إنه واقع، لم يمكن نفيه إلا بدليل»^(١).

وقال ابن القيم: «وإن قال: إنما هو كشف العيان القلبي بحيث يصير الرب سبحانه كأنه مرئي للعبد، كما قال النبي ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه» فهذا حق وهو قوة علم ومزيد يقين فقط»^(٢).

وأما الرؤية القلبية لغيره ﷺ من المؤمنين فقد ذهب غير واحد من أهل العلم إلى جواز وقوعها^(٣)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد يحصل لبعض الناس في اليقظة أيضاً من الرؤيا: نظير ما يحصل للنائم في المنام: فيرى بقلبه

(١) درء تعارض العقل والنقل (٤١/٨) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ٢، ١٤١١هـ].

(٢) مدارج السالكين (٢١٦/٣) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: رؤية الله تعالى وتحقيق القول فيها لأحمد بن

والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء في المكروهات»^(١) الحديث.

ونقل ابن القيم عن شيخه ابن تيمية أنه قال: «وقد صح عنه رحمته الله أنه قال: «رأيت ربي تبارك وتعالى» ولكن لم يكن هذا في الإسراء، ولكن كان في المدينة، لما احتبس عنهم في صلاة الصبح، ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة في منامه، وعلى هذا بنى الإمام أحمد رحمته الله، وقال: نعم رآه حقًا، فإن رؤيا الأنبياء حق ولا بد»^(٢).

وهذه الرؤية المنامية يجوز وقوعها أيضًا للمؤمنين، فيرى المؤمن ربه منامًا في صور متنوعة على حسب قوة وضعف إيمانه. قال ابن تيمية: «وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه؛ فإذا كان إيمانه صحيحًا لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة ولها تعبير وتأويل؛ لما فيها من

الأمثال المضروبة للحقائق»^(٣).

وقال أيضًا: «وما زال الصالحون وغيرهم يرون ربهم في المنام ويخاطبهم، وما أظن عاقلًا ينكر ذلك فإن وجود هذا مما لا يمكن دفعه؛ إذ الرؤيا تقع للإنسان بغير اختياره»^(٤).

- المسألة السابعة: لقاء العباد الله تعالى:

ثبت في نصوص الكتاب والسنة أن العباد يلاقون الله تعالى، فمنهم يحب لقاء الله تعالى، ومنهم من يكرهه، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، قالت عائشة، أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه»^(٥).

قال ابن عبد البر رحمته الله: «الذي أقول

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٢٣٥)، وأحمد في مسنده (٤٢٢/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال الترمذي: حسن صحيح، ونقل عن البخاري مثل ذلك.

وصححه الإمام أحمد أيضًا، وقواه ابن خزيمة، كما في تهذيب التهذيب (١٨٦/٦) [دار الفكر، ط ١]. وانظر: إرواء الغليل (رقم ٦٨٤).

(٢) زاد المعاد (٣/٣٣ - ٣٤) [مؤسسة الرسالة، ط ٣].

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٣٩٠).

(٤) بيان تلبس الجهمية (٧٣/١) [مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط ١، ١٣٩٢هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٧)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٣).

فذكر أنه يكدح إلى الله ﷻ فيلاقيه، والكدح إليه يتضمن السلوك والسير إليه واللقاء يعقبهما.

وأما المعاينة من غير مسير إليه؛ كمعاينة الشمس والقمر فلا يسمى لقاء، وقد يراد باللقاء الوصول إلى الشيء، والوصول إلى الشيء بحسبه^(٢).

وقال ابن القيم: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه أنه كراهة الموت، وأخبرهم أن هذا للكافر إذا احتضر وبشر بالعذاب؛ فإنه حينئذ يكره لقاء الله، والله يكره لقاءه، وأن المؤمن إذا احتضر وبشر بكرامة الله أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه»^(٣).

الآثار:

الإيمان برؤية المؤمن لربه يوم القيامة، يبعث في النفس التأهب لملاقاة الله، وذلك بتحقيق العبادة لله والإكثار من الأعمال الصالحة؛ ليفوز برؤية الله التي هي أعلى مطلب للمؤمن؛ لأنه لا يرى الله إلا أهل الإيمان، وشوق أهل الإيمان إلى رؤية مولا هم الرحيم الرحمن البر الكريم الواسع العليم فوق كل وصف. فمن أيقن برؤية الله في الآخرة دفعه هذا الإيمان إلى السعي لها سعيها المطلوب، وصارت همه الأكبر.

في معنى هذا الحديث ما شهدت به الآثار المرفوعة، وهي الملجأ والحجة لمن لجأ إليها، وذلك والله أعلم عند معاينة الإنسان ما يعانيه عند حضور أجله، فإذا رأى ما يكره لم يحب الخروج من الدنيا، ولا لقاء ما عاين مما يصير إليه، وأحب لو بقي في الدنيا ليتوب ويعمل صالحًا، وإن رأى ما يحب أحب لقاء الله والإسراع إلى رحمته لحسن ما يعاين من ذلك»^(١).

وقال ابن تيمية: «أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك والمسير، وقالوا: إن لقاء الله يتضمن رؤيته ﷻ، واحتجوا بآيات اللقاء على من أنكر رؤية الله ﷻ في الآخرة من الجهمية كالمعتزلة وغيرهم.

وروي عن عبد الله بن المبارك؛ أنه قال في قوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف]، ولا يرائي أو قال: ولا يخبر به أحدًا، وجعلوا اللقاء يتضمن معنيين:

أحدهما: السير إلى الملك.

والثاني: معاينته كما قال: ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَلَمَّٰلَيْهِ﴾ [الانشقاق].

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٦٢ - ٤٦٣).

(٣) إعلام الموقعين (١/ ٣٥١) [دار الجيل، ١٩٧٣].

(١) الاستذكار (٣/ ٩٣) [دار الكتب العلمية، ط ١].

❖ مذهب المخالفين:

المخالفون في الرؤية طائفتان:

الأولى: من ينفي رؤية الله تعالى في الآخرة، وهم الجهمية^(١) والمعتزلة^(٢) والروافض^(٣) والخوارج^(٤) فقد ذهبوا جميعاً إلى إنكار رؤية الله في الآخرة، وعدم تجويزها بحال.

❖ الرد عليهم:

عمدة النفاة هو تعلقهم ببعض الشبه، ولعل أبرزها تعلقهم الهزيل بقوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ تَرِنِّي﴾ الآية، من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِّي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَفَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فقالوا: إن قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ تَرِنِّي﴾ يدل على نفي الرؤية. وهذا غير صحيح؛ بل الآية تدل على الرؤية لما يلي:

الأول: أن موسى كليم الله سأل ربه أن يراه، ولا يظن به أن يسأل ما لا يجوز على الله.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله،

(١) انظر: نقض الدارمي على المريسي (٣٥٩/١) مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٨هـ.

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٢٣٢) [مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٣، ١٤١٦هـ].

(٣) انظر على سبيل المثال: رسائل المرتضى (١١/٣) [مطبعة الخيام، قم].

(٤) انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده للباقلاني (٢٤٢) [عالم الكتب، لبنان، ط ١، ١٤٠٧هـ]، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٠٧/١ - ٢٠٨).

ولو كان سؤاله منكراً لأنكره عليه كما أنكر على نوح سؤاله نجاة ابنه من الغرق، فدل ذلك على جواز الرؤية.

الثالث: أن الله أجابه بقوله: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ ولم يقل له: إني لست بمريءي أو: إني لا أرى، أو لا تجوز رؤيتي، والفرق بين الإجابتين واضح لمن تأمله.

الرابع: أن الله علّق رؤيته بأمر ممكن وهو استقرار الجبل، فإن الله قادر على أن يثبت الجبل مكانه، ولو كانت رؤية الله مستحيلة لما علقها به.

الخامس: أن الله تجلى للجبل وهو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف لا يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه المتقين؟^(٥)

السادس: أن الرؤية المنفية هنا في الآية هي الرؤية الدنيوية، والرؤية التي أثبتتها أهل السنة بناء على النصوص المتقدمة هي الرؤية الأخروية، فلا تعارض بين الآية وبين القول برؤية الله في الآخرة.

هذا كله إضافة إلى النصوص الصريحة التي تقدمت تحت فقرة (الأدلة) على ثبوت رؤية الله في الآخرة.

الطائفة الثانية: من يزعم أن الله يرى في الدنيا وأنه يسامر ويحاكي بعض الناس^(٦).

(٥) انظر: حادي الأرواح (١٩٧) وما بعدها.

(٦) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١٧١).

❁ الرد عليهم:

يدل على نفيها، وهو زعمهم أنه يرى لا في جهة، لا أمام الرائي ولا خلفه ولا يمينه ولا يساره ولا فوقه ولا تحته وهذا نفي محض.

الوجه الثاني: أن بعض الأشاعرة نفى كون الرؤية نعيمًا يتلذذ ويتنعم به المؤمنون.

وهذا كله مخالف لصريح الأدلة التي سار على مقتضاها سلف الأمة.

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «التوحيد» (ج ٢)، لابن خزيمة.
- ٢ - «حادي الأرواح»، لابن القيم.
- ٣ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ٢)، لأبي القاسم الأصبهاني.
- ٤ - «رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها»، لأحمد بن ناصر آل حمد.
- ٥ - «رؤية النبي ﷺ لربه»، لمحمد بن خليفة التميمي.
- ٦ - «رسالة إلى أهل الشجر»، لأبي الحسن الأشعري.
- ٧ - «شرح الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز.
- ٨ - كتاب «الرؤية»، للدارقطني.
- ٩ - كتاب «السنة»، لابن أبي زمين.
- ١٠ - «نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افتري على الله ﷻ من التوحيد» (ج ١).

لا شك أن هذا القول - وإن لم يذكر لنا أبو الحسن الأشعري قائله - فاسد؛ لمصادمته النص والإجماع، أما النص فلما ثبت عن المعصوم ﷺ؛ أنه قال: «تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه ﷻ حتى يموت»^(١).

وأما الإجماع فقد نقله بعض أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة، وأجمعوا على أنهم لا يرونه في الدنيا بأبصارهم»^(٢).

وقال ابن أبي العز الحنفي: «واتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة: منهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ»^(٣).

فروية الله في الدنيا لا تقع لأحد في الدنيا، ومن ادعاها فهو كاذب.

وأما الأشاعرة وإن كانوا يشتون الرؤية بشكل عام، إلا أن متأخريهم خالفوا معتقد أهل السنة من وجهين:

الوجه الأول: أنهم قيدوا الرؤية بما

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشرط الساعة، رقم ١٦٩).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥١٢/٦).

(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٢٢/١).

من أعدائه، وهو سبحانه المعز لأهل طاعته، والمذل لأهل معصيته، كما أنه سبحانه فضّل بعض خلقه على بعض^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

إن المعنى اللغوي للخفض والرفع ثابت لله ﷻ على الإطلاق، وإن كان غيره يرفع ويخفض، لكن لله من هذين المعنيين الحظ الأكمل والأوفر.

الحكم:

يجب إثبات هذين الاسمين لله ﷻ على وجه الاقتران، ويجب الإيمان بأن الله هو الرافع الخافض؛ لأن الرافع الخافض: اسمان من أسماء الله المقترنة المتقابلة، فلا يطلقان على الله إلا مقترنين معاً، فهما بمنزلة الاسم الواحد؛ لأن الكمال في اقتران كل منهما بما يقابله^(٥)، وإذا أفرد أحدهما أوهم نقصاً^(٦).

الحقيقة:

تطلق جميع أسماء الله ﷻ عليه

الراجعة

يراجع مصطلح (النفخ في الصور).

الرادفة

يراجع مصطلح (النفخ في الصور).

الرافع الخافض

التعريف لغة:

الرافع: اسم فاعل من رَفَعَ، قال ابن فارس: «الراء والفاء والعين أصل واحد يدل على خلاف الوضع، تقول: رفعت الشيء رفعاً، وهو خلاف الخَفَض»^(١). والخافض: اسم فاعل من الخفض، وهو نقيض الرفع، وقيل: هو الانحطاط بعد الرفع^(٢). قال القرطبي: «الخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة، والعز والإهانة، وربما ترتب أحدهما على الآخر بزيادة الدرجات في المكان بحسب الزيادة في المكانة»^(٣).

التعريف شرعاً:

الخافض الرافع: هو الذي يرفع من يستحق الرفع من أوليائه، القائمين بالعلم والإيمان، ويخفض من استحق الخفض

(١) مقاييس اللغة (٤١٥) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٢) تهذيب اللغة (١١٣/٧) [الدار المصرية للتأليف،

والصالح (١٠٧٤/٣) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٣) الأسنى (٣٦٥/١) [دار الصحابة بطنطا، ط ١].

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٨/٩٤)، وتفسير ابن كثير (٣/٣٨٤)، الحق الواضح المبين للسعدي (٨٩)، وراجع: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٤٠) [دار الثقافة العربية].

(٥) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٢١٢، و ٣٢٧) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ]، وانظر: شرح القصيدة النونية للهراس (١١٣/٢) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

(٦) انظر: أعلام السنة المشهورة (٢٩) [دار الزاحم، ط ١، ١٤٢٦هـ].

عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان
يخفض ويرفع»^(٤)، وقوله ﷺ:
«إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام
يخفض القسط ويرفعه»^(٥)، وفي رواية:
«إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يرفع
القسط ويخفضه»^(٦)، وقوله ﷺ:
«والميزان بيد الرحمن يرفع أقوامًا،
ويخفض آخرين إلى يوم القيامة»^(٧)،
وقوله ﷺ في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ
فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن] قال: «من شأنه أن
يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا،
ويخفض آخرين»^(٨)، وقوله ﷺ: «إن الله
يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به
آخرين»^(٩).

ونقل القرطبي إجماع الأمة على
إطلاق هذين الاسمين على الله ﷻ^(١٠).

- (٤) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١١،
٧٤١٩)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٩٣).
(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٩).
(٦) المصدر السابق.
(٧) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ١٩٩)، وأحمد
(١٧٨/٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان
(كتاب الرقاق، رقم ٩٤٣)، والحاكم (كتاب
الدعاء، رقم ١٩٢٦) وصححه، وصححه البوصيري
في مصباح الزجاجة (١٧/١)، وصححه الألباني في
صحيح الجامع (رقم ٥٧٤٧).
(٨) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ٢٠٢)، وابن حبان
(كتاب الرقاق، رقم ٦٨٩)، وحسن إسناده البوصيري
في مصباح الزجاجة (٢٨/١) [دار العربية، ط٢].
(٩) وصوب الدارقطني وقفه على أبي الدرداء ﷺ.
العلل (٢٢٩/٦).
(٩) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين، رقم ٨١٧).
(١٠) الأسنى (١/٣٦٥).

حقيقة، وحقيقة كون الله تعالى خافضًا
رافعًا، يبينها الأدلة الآتية في قسم
الأدلة، فالله تعالى «يخفض من استحق
الخفض من أعدائه، ويرفع من استحق
الرفع من أوليائه وكل ذلك حكمة منه
وصواب»^(١). وهو سبحانه «يخفض
القسط، ويرفعه، أو يخفض الكفار
بالخزي، والصغار، ويرفع المؤمنين
بالنصر والإعزاز، أو يخفض أعداءه
بالإبعاد، ويرفع أوليائه بالتقريب
والإسعاد، أو يخفض أهل الشقاء بالطبع
والإضلال، ويرفع ذوي السعادة بالتوفيق
والإرشاد»^(٢).

الأدلة:

من أدلة هذين الاسمين قول الله ﷻ:
﴿رَفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾^(٣)، وقوله
تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتُهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ
لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُرْحَانًا﴾ [الزخرف:
٣٢]، وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:
١١]، وقول النبي ﷺ: «يد الله ملأى، لا
يغيبها نفقة سحاء الليل والنهار. وقال:
أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات
والأرض فإنه لم يفيض ما في يده. وقال:

- (١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٤٠).
(٢) قوت المغتذي على جامع الترمذي (٩٠٢/٢).
(٣) هذه الجملة جزء من الآية (٨٣) في سورة الأنعام،
و(٧٦) في سورة يوسف.

❁ أقوال أهل العلم:

وقال حافظ الحكمي: «إن من

أسماء الله ﷻ ما لا يطلق عليه إلا مقترناً بمقابله، فإذا أطلق وحده أوهم نقصاً تعالى الله عن ذلك، فمنها: المعطي المانع، والضار النافع، والقابض الباسط، والمعز المذل، والخافض الرافع، فلا يطلق على الله ﷻ المانع الضار القابض المذل الخافض؛ كلاً على انفراده؛ بل لا بد من ازدواجها بمقابلاتها؛ إذ لم تطلق في الوحي إلا كذلك»^(٤).

❁ الشروط:

يشترط في إطلاق هذين الاسمين على الله ﷻ أن يكونا مقترنين؛ لأن الكمال في اقتران كل منهما بما يقابله^(٥)، وإذا أفرد أوهم نقصاً فلا يجوز إطلاق اسم: الضار، أو الخافض، أو المانع، أو المذل منفرداً بل يذكر مع مقابله، ولم يطلق قط شيء منها في الوحي كذلك، لا في الكتاب ولا في السنّة^(٦)، وقال البيهقي: «لا ينبغي أن يفرد الخافض عن الرافع في الدعاء»^(٧).

الجامعة الإسلامية، العدد ٣٣، عام ١٤٢١هـ.

(٤) معارج القبول (١١٧) [دار ابن القيم، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٥) معتقد أهل السنّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٢١٢، و٣٢٧).

(٦) أنظر: أعلام السنّة المشهورة (٢٩)، وانظر:

أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنّة (١٣٠).

(٧) الأسماء والصفات للبيهقي (١٩٢).

قال ابن تيمية: «أسماء الله المقترنة؛ كالمعطي المانع، والضار النافع، المعز والمذل، الخافض الرافع، فلا يفرد الاسم المانع عن قرينه، ولا الضار عن قرينه؛ لأن اقترانها يدل على العموم»^(١).

وقال ابن القيم: «من أسمائه: الغفور، الرحيم، العفو، الحليم، الخافض الرافع، المعز المذل، المحيي المميت، الوارث، الصبور، ولا بد من ظهور آثار هذه الأسماء، فاقترضت

حكيمته سبحانه أن ينزل آدم وذريته داراً يظهر عليهم فيها أثر أسمائه تعالى؛ فيغفر فيها لمن يشاء ويرحم من يشاء، ويخفف من يشاء ويرفع من يشاء»^(٢).

وقال السعدي: «القابض الباسط، الخافض الرافع، المعز المذل، المانع المعطي، الضار النافع، هذه الأسماء الكريمة من الأسماء المتقابلات التي لا ينبغي أن يُثنى على الله بها إلا كل واحد مع الآخر؛ لأن الكمال المطلق من اجتماع الوصفين، فهو القابض للأرزاق والأرواح والنفوس، والباسط للأرزاق والرحمة، والقلوب، وهو الرافع للأقوام القائمين بالعلم والإيمان الخافض لأعدائهم»^(٣).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٩٤/٨).

(٢) مفتاح دار السعادة (٣/١) [دار الكتب العلمية].

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٧١) [مجلة

المسائل المتعلقة:

أن يذكرنا معاً، هو الراجح، والله أعلم.

المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام القرآن»، لابن العربي.
- ٢ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٣ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج ١)، للقرطبي.
- ٤ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.
- ٥ - «إيثار الحق»، لابن الوزير.
- ٦ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
- ٧ - «بيان تلبيس الجهمية»، لابن تيمية.
- ٨ - «الجوائز والصلوات»، لنور الحسن.

- ٩ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، لقوام السُّنة.
- ١٠ - «فتح الباري» (ج ١١)، لابن حجر.

الرب

التعريف لغة:

يطلق الربّ في اللغة على معان منها: المالك، قال الله تعالى: ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١]، والمصلح؛ ربّ الشيء؛ أي: أصلحه^(٦)، قال ابن الأثير: «الربّ يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي،

(٦) تهذيب اللغة (١٥/١٧٧) [دار الكاتب العربي، ١٩٧٦م].

اختلف أقوال أهل العلم في إطلاق هذين الاسمين على الله ﷻ، فمجموعة من العلماء أثبتوا الرفع دون الخافض^(١)، ولم يذكرهما آخرون ضمن أسماء الله الحسنى^(٢)، وذكرهما بعض العلماء وأثبتوهما لله ﷻ^(٣)، ومنهم من ذكرهما ولكن اشترطوا لإطلاق هذين الاسمين على الله أن يذكرنا معاً ولا يفرد أحدهما عن الآخر^(٤)، قال البيهقي: «لا ينبغي أن يفرد الخافض عن الرفع في الدعاء»^(٥). ولعل قول من أثبتهما بشرط

(١) انظر: كتاب التوحيد لابن منده (١٢٨/٢) [الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٠٩هـ]، وابن الوزير في إيثار الحق (١٦٠) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٧هـ].

(٢) حيث ذكروا الأسماء الثابتة لله تعالى - عندهم - ولم يذكروا هذين الاسمين، انظر: فتح الباري (١١/ ٢٦٢) [دار السلام، ط ١، ١٤٢١هـ]، والمحلّى (٨/ ٣١) [المنيرية بمصر ١٣٥٢هـ]، واشتقاق أسماء الله (٢٣) وما بعدها [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ]، والقواعد المثلى لابن عثيمين ضمن مجموع فتاويه (٣/ ٢٧٧) [دار الشريعة، ط ٢، ١٤٢٣هـ]، وشرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنة (١١٣، و ١٣٠).

(٣) أحكام القرآن (٢/ ٣٤٩) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٣هـ]، ومعتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (١٣٧).

(٤) شأن الدعاء (٥٨)، والأسماء والصفات (١/ ١٩٢)، الحجة في بيان المحجة (١/ ١٥٢)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٨/ ٩٤) [مجمع الملك فهد، ١٤٢٥هـ]، وبيان تلبيس الجهمية (٣/ ٣٠٠ - ٣٠١) [مجمع الملك فهد، ط ١، ١٤٢٦هـ]، والجوائز والصلوات (٧٩) [الفاروقية، الهند، ١٢٩٧هـ]، وأعلام السُّنة المشهورة (٢٩) [دار الزاخر، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي (١٩٢).

والقيم، والمنعم^(١). ومن المعاني: الخالق والصاحب، قال ابن فارس: «فالرب: المالك، والخالق، والصاحب»^(٢).

التعريف شرعاً:

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

جميع المعاني اللغوية ثابتة لله تعالى وأنه الأكمل فيها على الإطلاق، وإن ثبت من المعاني شيء لغير الله فمقيدة أو مضافة.

الحكم:

وجوب إثبات اسم الرب لله ﷻ، ووجوب الإيمان بأن له الربوبية العامة المطلقة.

الحقيقة:

تطلق جميع أسماء الله ﷻ عليه حقيقة، كما أن بعض معاني تلك الأسماء تطلق على المخلوق حقيقة، لكن الحقيقة تختلف بين الخالق والمخلوق، فكل له حقيقة تناسبه، واختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما، وللرب تعالى منها ما يليق بجلاله، وللعبد منها ما يليق به، ويتضمن اسم الرب من المعاني كمال المالكية، والسؤدد، والتدبير، والربوبية، والقيومية، والخالقية، فالله ﷻ هو على الحقيقة مدبر لخلقه، ومربيهم وجابرهم، القائم بأمورهم، قيوم الدنيا والآخرة، كل شيء خلقه، وكل مذكور سواه عبده، وهو - سبحانه - ربه، لا يصلح إلا بتدبيره، ولا يقوم إلا بأمره، ولا يربه سواه^(٧).

الرب: هو المربي جميع عباده بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا: تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم، وأخلاقهم^(٣).

قال ابن جرير الطبري في تعريف الرب: «ربنا جل ثناؤه: السيد الذي لا شبه له، ولا مثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر»^(٤).

وقال ابن تيمية: «الرب: هو المربي، الخالق الرازق الناصر الهادي»^(٥).

وقال السعدي: «الرب: هو المربي جميع عباده بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا: تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم، وأخلاقهم»^(٦).

(١) النهاية في غريب الحديث (٦٢١/١) [دار المعرفة، ط ٢، ١٤٢٧هـ].

(٢) مقاييس اللغة (٣٨١/٢) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٣) تفسير السعدي (١/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٤) جامع البيان (١٤٢/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/١٤).

(٦) تفسير السعدي (١/١).

(٧) الأسنى (١/٣٩٥).

الأدلة:

أقوال أهل العلم:

قال ابن منده: «ومن أسماء الله ﷻ: الرب، رب كل شيء ومليكه وهو من الأسماء المستعارة لعبده إذا ملك قيل ربه»^(٥)، ونقل القرطبي إجماع الأمة على إثبات اسم الرب لله تعالى، حتى قال: «عجباً لمن سرد الأسماء في حديث أبي هريرة حيث أغفل عن هذا الاسم العظيم القدر وقد قيل: إنه اسم الله الأعظم»^(٦).

وقال ابن تيمية: «وجميع ما يفعل الله بعبده من الخير من مقتضى اسمه الرب ولهذا يقال في الدعاء: يا رب يا رب كما قال آدم: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف] وكذلك سائر الأنبياء»^(٧).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم إطلاق الرب على غير الله تعالى:

لا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة؛ فلا يقال (الرب) معرفاً بالألف واللام مطلقاً إلا الله ﷻ لأنه مالك كل شيء^(٨)، وإذا أطلق على غيره أضيف كرب الإبل ورب الدار.

ورد هذا الاسم مضافاً في القرآن الكريم أكثر من مائة مرة، منها في بداية القرآن: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة]، ومنها في ختم القرآن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس]، ومنها قوله تعالى عن عيسى ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [آل عمران: ٥١]، وهذا في القرآن الكريم كثير جداً، وورد غير مضاف في قوله تعالى: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس]، وفي قوله تعالى: ﴿بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [سبا]، وورد مضافاً وغير مضاف في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ بَيْنَ رَبِّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وورد في السنة مضافاً في حديث عائشة ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «سبح قدوس رب الملائكة والروح»^(٩)، وورد محلى بأل في قوله ﷺ: «فأما الركوع فعظموا فيه الرب»^(١٠)، غير مضاف ولا محلى بأل في قوله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً»^(١١)، ونقل القرطبي إجماع الأمة على إطلاق الرب على الله ﷻ^(١٢).

(٥) التوحيد لابن منده (٥٧/٢) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٦) الأسنى (٣٩١/١).

(٧) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٠٧/١).

(٨) اشتقاق أسماء الله للزجاجي (٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ]، وأسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة (١٢٥/٢) [دار الرضوان، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٩) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٧).

(١٠) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٧٩).

(١١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٤).

(١٢) الأسنى (٣٩١/١).

- المسألة الثانية: الفرق بين الربّ والإله:

في حديث سؤال الملكين في القبر: «من ربك؟»^(٣)؛ أي: من إلهك الذي كنت تعبد؟ وليس السؤال عن الخالق المالك المدبر؛ إذ لا يوجد من ينكر ذلك؛ بل جميع الأمم متفقون على ربوبية الله ﷻ، وإنما الخلاف في إلهيته ومعبوديته.

الربّ لغة: تقدم معناه، والإله في اللغة: هو المعبود، ويطلق الرب على الإله لا العكس، فلا يطلق الإله على معنى الرب، ومن أدلة إطلاق الرب على الإله، قول القائل:

- المسألة الثالثة: ربوبيته ﷻ عامة وخاصة:

قال السعدي: «وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة. فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا. والخاصة: تربيته لأوليائه، فيريهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا هو السرف في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب. فإن مطالبهم كلها داخلية تحت ربوبيته الخاصة»^(٤).

«أربًا واحدًا أم ألف رب
أدين إذا تقسّمت الأمور
تركت اللات والعزى جميعًا
كذلك يفعل الرجل البصير»^(١).
وقول القائل:

«أرب يبول الثعلبان برأسه
لقد ذل من بالت عليه الثعالب»^(٢)

ففي البيتين معنى الرب هو الإله المعبود، كما يدل عليه السياق، إذ لم يكن مشركو مكة يقرون بربوبية اللات والعزى بمعناه الخالق المالك المصلح، وإنما كانوا يعبدونها ويألهونها، كما يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

- المسألة الرابعة: هل الرب هو اسم الله الأعظم؟

قال القرطبي بعد أن نقل إجماع الأمة

وقد جاء الربّ بمعنى الإله المعبود

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٩)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها، رقم ٢٨٧١) واللفظ له.
(٤) تفسير السعدي (٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، وانظر: شرح العقيدة لابن عثيمين (٢٨٥) [دار ابن الجوزي، الرياض، ط٥، ١٤١٩هـ]، وشرح رياض الصالحين له (٢٥٩/٢) [دار الوطن، ط١، ١٤٢٦هـ].

(١) الملل والنحل للشهرستاني (٢/٢٤٤) [مؤسسة الحلبي].

(٢) الخصائص الكبرى للسيوطي (٢/١٩٤) (باب ما وقع في قدوم راشد بن عبد ربه) والبيت لراشد.

يوجد اسم الله الأعظم بنص صريح من النبي ﷺ، ولا يوجد فيه اسم (الرب) فدل على أن اسم الله الأعظم هو غير اسمه (الرب) ﷺ.

الثمرات:

من ثمرات هذا الاسم المبارك: كثرة دعاء الداعي بهذا الاسم؛ لأنه من التربية كما تقدم، فيدعوه الداعي بهذا الاسم ليصلح حاله إلى أحسن الأحوال، ولذا كثرت الأدعية به في القرآن الكريم، وفي الحديث: «ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب! يا رب!»^(٤)، وإذا علم العبد وآمن بأن الله هو ربه؛ أي: مالكة ومعبوده، وسيد المطاع، ومدبر أمره كله، ومربيه من النطفة إلى أكمل الخلق ثم من الصغر إلى ما هو فيه، والمنعم عليه على الحقيقة، فلا يلتجئ في شيء من الأشياء لغير ربه، فيخلص له العبادة، بأخص أخصها وهو الدعاء.

المصادر والمراجع:

١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٢ - «الأسنى»، للقرطبي.

٣ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.

٤ - «إيثار الحق»، لابن الوزير.

(٢٣٣/٥) [مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط١،

١٤٢٣هـ].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠١٥).

على إثبات اسم الرب لله تعالى: «قيل: إنه اسم الله الأعظم»^(١) ولم أقف على أحد من أهل العلم المحققين ممن عدّه اسم الله الأعظم، ولم أقف على مستند لمن عدّه من اسم الله الأعظم، قد ورد في بعض الأحاديث اسم الله الأعظم كحديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»، قال: فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»^(٢)، وكذلك في حديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ»، فقال النبي ﷺ: «لقد دعا الله باسمه العظيم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»^(٣)؛ ففي هذين الحديثين

(١) الأسنى (١/٣٩١).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٣)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٤٧٥) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٧)، وأحمد (٤٥/٣٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٩/٥) [مؤسسة غراس، ط١].

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٥)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٤٤)، والنسائي (كتاب السهو، رقم ١٣٠٠)، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٨)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٨٩٣)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٨٥٦) وصحّحه، وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود

وقال ابن الأثير: «الرَّبُّ يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم والمنعم»^(٣). فالربوبية تجمع الملك والسيادة والإصلاح والإنعام.

التعريف شرعاً:

الربوبية صفة ذاتية لله ﷻ، وهي بمعنى: السيد والمالك والمتصرف والمنعم والمربي والمصلح. يقول الإمام الطبري في معنى الربّ أنه: «السيد الذي لا شبه له ولا مثل في سؤده، والمصلح أمر خلقه بما أسخ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر»^(٤).

قال ابن تيمية: «والرب هو الذي يربي عبده، فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى جميع أحواله، من العبادة وغيرها»^(٥). وقال ابن القيم: «والرب هو السيد، والمالك، والمنعم، والمربي، والمصلح»^(٦).

(٣) النهاية في غريب الحديث (١٧٩/٢) [المكتبة الإسلامية]، وانظر: اللسان (٤٠١/١).

(٤) جامع البيان (٦٢/١) [دار الفكر، ١٤٠٨هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (٢٢/١) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ]، وانظر: (٢٨٤/١٠) من المصدر نفسه.

(٦) بدائع الفوائد (١٣٢/٤) [مكتبة الرياض الحديثة]، وانظر: مجموع الفتاوى (٩٢/١)، تفسير ابن كثير

(٢٥/١) [دار الكتب العلمية، ط١]، ومدارج

السالكين (٣٤/١ - ٣٥) [دار الكتاب العربي،

١٣٩٢هـ]، ومن كتب المتكلمين: أصول الدين

للبغدادي (١٢٥) [دار الكتب العلمية، ط٣،

١٤٠١هـ]، والمطالب العالية (٢٩١/٩) [دار الكتاب

العربي، ط١، ١٤٠٧هـ].

٥ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.

٦ - «الحجة في بيان المحجة»،

للأصفهاني.

٧ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

٨ - «فتح الباري»، لابن حجر.

٩ - «كتاب التوحيد»، لابن منده.

١٠ - «المحلى»، لابن حزم.

الرَّبُّوبِيَّة

التعريف لغة:

يقول ابن فارس: «الراء والباء يدل على أصول. فالأول إصلاح الشيء والقيام عليه. فالرَّبُّ: المالك، والخالق، والصاحب. والرَّبُّ: المصلح للشيء. يقال: رَبَّ فلانٌ ضَيْعَتَه؛ إذا قام على إصلاحها... والله جلّ ثناؤه الرب؛ لأنه مصلح أحوال خلقه»^(١).

وقال الجوهري: «رَبُّ كل شيء مالكة، والرَّبُّ اسم من أسماء الله ﷻ ولا يقال في غيره إلا بالإضافة... ورَبَّبت القوم سستهم؛ أي: كنت فوقهم... ورَبَّ الضيعة؛ أي: أصلحها وأتمها. ورَبَّ فلان ولده يربه رباً، وربيه، وتربيته، بمعنى؛ أي: رباه»^(٢).

(١) مقاييس اللغة (٣٨١/٢ - ٣٨٢) [دار الجبل، ط١]،

وانظر: الصحاح (١٣٠/١ - ١٣٢) [دار العلم

للملايين، ط٣]، ولسان العرب (٤٠١/١ - ٤٠٣) [دار صادر].

(٢) الصحاح (١٣٠/١ - ١٣٢)، وانظر: العين (٨/

٢٥٧) [دار مكتبة الهلال].

يوصف به غيره مثل كونه رب العالمين، ونحو ذلك، وإما بما لا يماثله فيه غيره كالحياة والعلم^(٢).

❁ الأدلة:

الأدلة على انفراد الله بالربوبية كثيرة، منها:

قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ ﴿١١٦﴾﴾ [الرعد].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾﴾ [الصافات].

وقال تبارك وتعالى: ﴿سَرُّهُمْ عَائِنًا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت].
والفطرة من أدلة الربوبية.

❁ الفروق:

الفرق بين الربوبية والألوهية:

١ - أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ لأن الذي يفرد الله بالعبادة فهو

وقال السعدي: «الرب هو المربي جميع عبادته بالتدبير وأصناف النعم، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه؛ بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم، وأخلاقهم»^(١).

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى متطابق لغةً وشرعاً، وقد خصص الشرع الربوبية لله ﷻ.

❁ الحقيقة:

حقيقة الربوبية وخصائصها هي ما يختص الرب به من الصفات التي لا يوصف بها غيره، والكمال المطلق الذي يتمتع وجوده في غيره. فالصفات التي يختص بها كالخلق والإحياء والإماتة والملك والأمر والرزق والأولية والآخرة والغنى والقيومية، والعظمة والكبرياء، وأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير. واختصاصه بالكمال المطلق في جميع الصفات. يقول شيخ الإسلام: «والمخلوق لا يمكن أن يكون قديماً واجباً بنفسه، رباً غنياً عما سواه، إلى غير ذلك من خصائص الرب، فهذا الكمال اختص به الرب، كما اختص الرب تبارك وتعالى من الكمال الذي يوصف العبد بما يتفق فيه الاسم؛ كالحياة والعلم والقدرة، بما لا يماثله فيه المخلوق، فالرب مختص إما بنوع لا

(٢) الصغدية (٢/٣٩) [دار الكتب الإسلامية].

(١) تفسير السعدي (٢١/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

ومن القائلين بوحدة الوجود، وقَدَمَ العالم، ونحوهم، من الذين حقيقة قولهم أو صريحه إنكار وجود الرب^(٤).

٢ - المشركون في الربوبية؛ كالنصارى، والقائلون بالتثنية.

٣ - المخالفون في بعض صفات الربوبية؛ كنفاء القدر من المعتزلة^(٥).

وقولهم ظاهر البطلان، ومخالف للفطرة، والعقل.

المصادر والمراجع:

١ - «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية»، لآمال العمرو [رسالة دكتوراه].

٢ - «بدائع الفوائد» (ج ٤)، لابن القيم.

٣ - «حقيقة التوحيد»، لعلي العلياني.

٤ - «شرح الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز الحنفي.

٥ - «الصفدية» (ج ٢)، لابن تيمية.

٦ - «عقيدة التوحيد في القرآن»، لمحمد ملكاوي.

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ١)، لابن تيمية.

٨ - «معنى الربوبية وأدلتها وأحكامها»، لمحمد الجهنى [بحث منشور].

(٤) انظر: بغية المرئاد (٢٣٨ - ٢٤٤، ٣٥٧، ٣٩٤ - ٣٩٦).

(٥) انظر: التدمرية (١٧٥ - ١٧٦، ١٨١)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢٦/١ - ٢٧).

حتماً يقر بربوبيته. لكن ليس كل من أقر بالربوبية أفردته بالعبادة، مثل مشركي العرب فقد أقرؤا بربوبيته، ولم يوحده بالعبادة، لكن يلزم من أقر بالربِّ الخالق أن يفرد بالعبادة فإقراره بالربوبية حجة عليه^(١).

٢ - أن توحيد الألوهية توحيد عملي، فهو توحيد الله بأفعال العباد، فهو يعتمد على العبادات التي يؤديها العبد لله ﷻ، أما توحيد الربوبية فهو توحيد الله بأفعاله وأسمائه وصفاته، فهو توحيد قولِي اعتقادي.

٣ - أن بتوحيد الألوهية يكون العبد مسلماً مؤمناً، أما توحيد الربوبية فقد أقر به المشركون ولم يدخلهم ذلك في الإسلام^(٢).

٤ - أن التوحيد المطلوب الذي أرسلت به الرسل، وأنزلت به الكتب، هو توحيد الألوهية الذي يتضمن توحيد الربوبية^(٣).

مذهب المخالفين:

المخالفون أصناف:

١ - الملاحدة من الدهرية والطبائعين،

(١) انظر: بيان تلبس الجهمية (٢/٤٥٤)، وشرح الأصبهانية (١٠٢، ١٣٢) [دار المنهاج، ط ١، ١٤٣٠هـ]، وشرح الطحاوية (٢٨/١ - ٢٩).

(٢) التدمرية (١٨٠)، وشرح الأصبهانية (١٢٣).

(٣) انظر: شرح الأصبهانية (١٠٢)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢٨/١ - ٢٩، ٣٢، ٥٣).

التعريف شرعاً:

عرّف الرجاء بعبارات متنوعة مرجعها إلى:

أمل العبد بربه وحسن الظن به في جلب الخير ودفع الشر مع بذل السبب^(٥).

فهو طمع فيما عند الله من النعيم المقيم بفعل الطاعات وترك المعاصي^(٦).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الرجاء شرعاً فيه معنيا الرجاء لغة: الأمل، والتنجي، «فالراجي على الحقيقة لما صارت الجنة نصب عينه ورجاءه وأمله امتد إليها قلبه، وسعى لها سعيها، فإن الرجاء هو امتداد القلب وميله، وحقق رجاءه كمال التأهب وخوف الفوت والأخذ بالحذر. وأصله من التنجي، ورجاء البئر ناحيته، وأرجاء السماء نواحيها، وامتداد القلب إلى المحبوب منقطعاً عما يقطعه عنه هو تنج عن النفس الأمانة وأسبابها وما تدعو إليه، وهذا الامتداد والميل والخوف من شأن النفس المطمئنة»^(٧).

- (٥) انظر: إحياء علوم الدين (١٢٤/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ]، والمفردات في غريب القرآن للراغب (١/١٩٠)، ومدارج السالكين (٢/٤٤) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٦هـ]، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٣/٤٥، ٥٠).
- (٦) الخوف والرجاء للشمسان (١٩٦).
- (٧) الروح (٢٤٩ - ٢٥٠) [مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ١].

الرجاء

التعريف لغة:

رجاء الشيء هو: الأمل من ناحيته وجهته.

قال ابن فارس رَحَّلَهُ: «الراء والجيم والحرف المعتل أصلان متباينان، يدُ أحدهما على الأمل، والآخر على ناحية الشيء. فالأول الرَّجَاءُ، وهو الأمل. يقال: رَجَوْتُ الأَمْرَ أَرْجُوهُ رجاءً»^(١).

وقال الفيروزآبادي: «الرجاء: ضد اليأس؛ كالرجو والرجاة والمرجاة والرجاوة والترجي والارتجاع والترجية. والرجا: الناحية»^(٢).

وقد يفسر الرجاء بالخوف، ووجهه: أن الرجاء والخوف يتلازمان^(٣). ولذلك كانت طريقة القرآن أن يقرن بين أسماء الرجاء وأسماء المخافة كقوله ﷻ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾ [المائدة]^(٤).

- (١) مقاييس اللغة (٢/٤٩٤) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].
- (٢) القاموس المحيط (١٢٨٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٧، ١٤٢٤هـ]. وانظر: تهذيب اللغة (١١/١٨١) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط ١، ١٣٨٤هـ]، والصحاح للجوهري (٦/٢٣٥٢) [دار العلم للملايين، ط ٤].
- (٣) انظر: تهذيب اللغة (١١/١٨٠)، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (١/١٩٠) [دار المعرفة]، ومجموع الفتاوى (٤/٣٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٥هـ].
- (٤) انظر: جلاء الأفهام (١٨٨) [دار عالم الفوائد، ط ٢].

❁ الأسماء الأخرى:

الرغبة^(١).

❁ الحكم:

رجاء العبد لربه وتعلق قلبه به أصل من أصول الإيمان؛ وواجب من واجبات التوحيد، وعبادة من العبادات القلبية، وهو أحد أركان العبادة الثلاثة التي لا تقوم إلا عليها ولا تصح إلا بها. وتحقيق هذا الرجاء هو تحقيق لتوحيد الله في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته.

«فالرجاء ينبغي أن يتعلق بالله ولا يتعلق بمخلوق، ولا بقوة العبد ولا عمله، فإن تعلق الرجاء بغير الله إشراك، وإن كان الله قد جعل لها أسباباً فالسبب لا يستقل بنفسه بل لا بد له من معاون، ولا بد أن يمنع المعارض المعوق له، وهو لا يحصل ويبقى إلا بمشيئة الله تعالى.

ولهذا قيل: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع. ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا فُرِغَتْ فَانْصَبْ﴾ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨) [الشرح]، فأمر بأن تكون الرغبة إليه وحده، وقال: ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢٣)

[المائدة]. فالقلب لا يتوكل إلا على من يرجوه، فمن رجا قوته أو عمله أو علمه أو حاله أو صديقه أو قرابته أو شيخه أو ملكه أو ماله غير ناظر إلى الله كان فيه نوع توكل على ذلك السبب، وما رجا أحد مخلوقاً أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فإنه مشرك: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (٢١) [الحج] (٢).

ومن الشرك في الرجاء «الرجاء فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كمن يدعو الأموات أو غيرهم راجياً حصول مطلوبه من جهتهم فهذا شرك أكبر» (٣).

❁ الحقيقة:

حقيقة الرجاء: أمل العبد بربه، وحسن ظنه به، واستبشاره بفضله مع محبته وتقواه والخوف منه. فحقيقة هذا الرجاء شموله للخوف والرجاء مع فعل السبب. فيفعل ما أمر به على نور الإيمان راجياً للثواب، ويترك ما نهى عنه على نور الإيمان خائفاً من العقاب (٤).

❁ المنزلة:

الرجاء: أحد أركان الإيمان والإحسان الثلاثة التي عليها مدار مقامات السالكين

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥٦/١٠)، وانظر: (٣٣١/١٠) - (٣٣٢).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٣١) [دار عالم الكتب، ط١].

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/٦٤٤).

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٢٠٨).

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ ﴿٥٧﴾ [الإسراء].

وأما السُّنة: فمنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»^(٤).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة»^(٥).

وعن أنس رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: «كيف تجدك؟» قال: والله! يا رسول الله! إنني أرجو الله وإنني أخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما

جميعها، وهي الرجاء، والخوف، والمحبة»^(١). وهو «عبودية وتعلق بالله من حيث اسمه (المحسن، البر)، فذلك التعلق والتعبد بهذا الاسم والمعرفة بالله: هو الذي أوجب للعبد الرجاء من حيث يدري ومن حيث لا يدري، فقوة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته، وغلبة رحمته غضبه. ولولا روح الرجاء لعطلت عبودية القلب والجوارح، وهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً؛ بل لولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة، ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات»^(٢).

الأدلة:

آيات الرجاء في القرآن كثيرة^(٣)؛ ومنها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٢١٨﴾ [البقرة].

وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمِنُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمِنُونَ كَمَا تَأْمِنُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٤١﴾ [النساء].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٤٠) وحسنه، وقال ابن رجب: «إسناده لا بأس به». جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٠٠) [مؤسسة الرسالة، ط٧]، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٧).
(٥) أخرجه البخاري (كتاب الهبة، رقم ٢٦٣١).

(١) انظر: طريق الهجرتين (٢/ ٦١٣) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٥١ - ٥٢).

(٣) انظر: طريق الهجرتين (٢/ ٧٥٢).

يرجو وآمنه مما يخاف»^(١).

أو بعضها»^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

❁ الشروط:

قال لقمان لابنه: «يا بني خف الله خوفاً يحول بينك وبين الرجاء، وارجه رجاء يحول بينك وبين الخوف. قال: فقال: أي أبه؛ إنما لي قلب واحد إذا ألزمته الخوف شغله عن الرجاء، وإذا ألزمته الرجاء شغله عن الخوف. قال: أي بني! إن المؤمن له قلب كقلبين، يرجو الله ﷻ بأحدهما ويخافه بالآخر»^(٢).

شرط الرجاء أن يكون مقروناً بأمور ثلاثة:

الأول: خوف من الله؛ حتى لا يصير أمناً من مكروه.

الثاني: محبة الله ﷻ ومحبة ما يرجوه منه.

والثالث: بذل الجهد في عمل الصالحات لله ﷻ، حتى لا يكون تمنياً وغروراً مذموماً.

قال أبو علي الروذباري: «الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهب صار الطائر في حد الموت»^(٥).

وقال ابن القيم عن حد الرجاء المحمود: «ومما ينبغي أن يعلم: أن من رجا شيئاً استلزم رجاؤه أموراً:

أحدها: محبة ما يرجوه.

الثاني: خوفه من فواته.

الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان.

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأمانى، والرجاء شيء والأمانى شيء آخر، فكل راج خائف،

وقال ابن تيمية: «الخشية أبداً متضمنة للرجاء، ولولا ذلك لكانت قنوطاً؛ كما أن الرجاء يستلزم الخوف ولولا ذلك لكان أمناً؛ فأهل الخوف لله والرجاء له هم أهل العلم الذين مدحهم الله»^(٣).

وقال ابن القيم: «الرجاء ضروري للمريد السالك، والعارف لو فارقه لحظة لتلف أو كاد؛ فإنه دائر بين ذنب يرجو غفرانه، وعيب يرجو إصلاحه، وعمل صالح يرجو قبوله، واستقامة يرجو حصولها ودوامها، وقرب من الله ومنزلة عنده يرجو وصوله إليها، ولا ينفك أحد من السالكين عن هذه الأمور

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ٩٨٣)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦١)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١٣٥/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١]، والألباني في أحكام الجنائز (٣) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٢) حسن الظن بالله (١١٥) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٠٨هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٢١/٧).

(٤) مدارج السالكين (٥١/٢ - ٥٢).

(٥) مدارج السالكين (٤٥/٢).

والثالث: رجل متماد في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب. وللسالك نظران: نظر إلى نفسه وعيوبه وآفات عمله يفتح عليه باب الخوف، ونظر إلى سعة فضل ربه وكرمه وبره يفتح عليه باب الرجاء.

ولهذا قيل في حد الرجاء: هو النظر إلى سعة رحمة الله^(٢).

المسائل المتعلقة:

- أيهما يغلب العبد: الخوف أم الرجاء؟

القلب في سيره إلى الله وَعَلَى بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف.

وقيل: أكمل الأحوال: اعتدال الرجاء والخوف وغلبة الحب، فالمحبة هي المركب، والرجاء حاد، والخوف سائق، والله الموصل بمئه وكرمه^(٣).

والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة القوات.

وهو سبحانه كما جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة، وكذلك جعل الخوف لأهل الأعمال الصالحة، فعلم أن الرجاء والخوف النافع ما اقترن به العمل. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ يَشَاءُتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۖ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۖ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ۖ﴾ [المؤمنون].

والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن.

ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير - بل التفريط - والأمن!^(١).

الأنقسام:

«الرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان ونوع غرور مذموم.

فالأولان: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه. ورجل أذنب ذنباً ثم تاب منها فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٤ - ٤٥).

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/ ٦٦٤).

(١) الداء والدواء (٨٧ - ٩١) [عالم الفوائد، ط ١].

«والتحقيق: أن ذلك على حالين:

الأولى: إذا كان العبد في حال الصحة والسلامة فإنه إما أن يكون مسددًا مسارعًا في الخيرات؛ فهذا ينبغي أن يتساوى في قلبه الخوف والرجاء، فيخاف ويرجو؛ لأنه من المسارعين في الخيرات. وإذا كان في حال الصحة والسلامة وكان من أهل العصيان، فالواجب عليه أن يغلب جانب الخوف حتى ينكف عن المعصية.

الحال الثانية: إذا كان في حال المرض المخوف فإنه يجب عليه أن يعظم جانب الرجاء على الخوف، فيقوم في قلبه الرجاء والخوف ولكن يكون رجاءه أعظم من خوفه، وذلك لقول النبي ﷺ: «لا يمت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه تعالى»^(١)، وذلك من جهة رجائه في الله ﷻ^(٢).

الفروق:

الفرق بين الرجاء والتمني:

«أن التمني يكون مع الكسل ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد، والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل.

فالأول: كحال من يتمنى أن يكون له

أرض يذرها ويأخذ زرعها.

والثاني: كحال من يشق أرضه ويفلحها ويذرها ويرجو طلوع الزرع. ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل. وقال شاه الكرمانى: «علامة صحة الرجاء: حسن الطاعة»^(٣).

الثمرات:

فوائد الرجاء وثمراته كثيرة يطالعها من أحسن تأمله وتفكره في استخراجها. ومن ذلك:

- ١ - إظهار العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجوه من ربه.
- ٢ - محبة الله من عباده أن يؤملوه ويرجوه ويسألوه من فضله؛ وفي الحديث: «من لم يسأل الله يغضب عليه»^(٤)، والسائل راج وطالب، فمن لم يرج الله يغضب عليه.

٣ - التخلص به من غضب الله ﷻ.

٤ - الرجاء حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب.

٥ - كل ما زاد رجاء العبد ازداد

(٣) مدارج السالكين (٢/٤٤)، وانظر: الروح (٢٤٨ - ٢٥١).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٣٧٣)، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٢٧)، وأحمد (٤٤٨/١٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٨٠٧) وصححه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٦٥٤).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٧).

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٨٤) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ].

حَبًّا لِّلّهِ تَعَالَى وَشُكْرًا لَهُ وَرِضًا بِهِ وَعَنهُ .
 ٦ - أنه يوجب له المزيد من معرفة الله وأسمائه ومعانيها والتعلق بها، فإن الراجي متعلق بأسمائه الحسنی متعبد بها وداع بها .

٧ - أن الخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف، فكل راج خائف، وكل خائف راج، ولأجل هذا حسن وقوع الرجاء في موضع يحسن فيه وقوع الخوف .

٨ - أن العبد إذا تعلق قلبه برب رجاء ربه فأعطاه ما رجاه: كان ذلك ألطف موقعًا، وأحلى عند العبد، وأبلغ من حصول ما لم يرجه .

٩ - أن الله ﷻ يريد من عبده تكميل مراتب عبوديته ومنها الرجاء .

١٠ - أن في الرجاء من الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله ما يوجب تعلق القلب بذكره، ودوام الالتفات إليه بملاحظة أسمائه وصفاته وتنقل القلب في رياضها الأنيقة^(١) .

الحكمة:

العبد مأمور بعبادة الله ﷻ ودعائه، وذلك شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، وقد أمر الله سبحانه الداعي أن يدعوه خوفًا وطمعًا - أي: رجاء لما عنده سبحانه - فقال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا

وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف]. فذكر الطمع الذي هو الرجاء في آية الدعاء لأن الدعاء مبني عليه؛ فإن الداعي ما لم يطمع في سؤاله ومطلوبه لم تتحرك نفسه لطلبه؛ إذ طلب ما لا طمع فيه ممتنع .

فتبارك من أنزل كلامه شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين^(٢) .

مذهب المخالفين:

ضل في فهم الرجاء طائفتان^(٣):

الأولى: المرجئة: الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، وهونوا من شأن العمل، ومنهم الجبرية القدرية، وفيهم قوم من غلاة المتصوفة الذين يزعمون أنهم ما يعبدون الله خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنته؛ وإنما يعبدونه حبًا فيه!

وتبع هؤلاء من تأثر بهم في هذا الباب من العصاة والمغرورين؛ حيث اتكلوا على سعة رحمة الله ورجاء ما عنده ففرطوا في فعل الطاعات وقارفوا المنكرات، وإذا نصحوا في ذلك وخُوفوا من مكر الله وعقابه سردوا ما يحفظونه

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٣/ ٨٥٣) [دار عالم الفوائد، ط ٢، ١٤٢٧هـ].

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٤/ ١٤٨)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٦١ - ٨٣، ٢٣٩ - ٢٤٣)، والداء والدواء (٣٦ - ٧٩)، وبدائع الفوائد (٣/ ٨٥٠ - ٨٥٣)، وإغاثة اللهفان (٣٩٤) [دار الحديث، ط ١٤٢٣هـ].

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٦٠ - ٦٣) .

يأسوا من روح الله، فإن «القلب في سيره إلى الله ﷻ بمنزلة الطائر؛ فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر»^(١).

فلا بدّ من اجتماع هذه الأركان الثلاثة في عبادة العبد لربه، فمن لم تجتمع هذه الأركان في عبادته ضلّ وما كان من المهتدين؛ ولذلك قال بعض السلف: «من عبّد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبّد بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبّد بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد»^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «بستان الواعظين»، لابن الجوزي.
- ٢ - «الخوف والرجاء في الكتاب والسنة»، لعبد الرحمن الشمسان، [رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية].
- ٣ - «بصائر ذوي التمييز» (ج ١)، للفيروزآبادي.
- ٤ - «حسن الظن بالله»، لابن أبي الدنيا.

من نصوص الوعد بالرحمة والمغفرة، وقالوا: الإيمان بالقلب.

وهؤلاء لم يأتوا بشرط الرجاء المحمود من بذل الجهد في فعل الطاعات واجتناب المحرمات، ومن قرن رجائهم بالخوف من الله واستشعار نصوص الوعيد؛ فوقعوا في الرجاء المذموم الذي حقيقته تمنّ كاذب وغرور شيطاني، واستمرّوا التفريط في جنب الله، فأمنوا من مكره، والله ﷻ يقول: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٩٩) [الأعراف].

الطائفة الثانية: الخوارج: الذين غلبوا نصوص الوعيد وضيقوا باب الرجاء حتى كفروا بفعل المعاصي التي دون الكفر، وكذلك طوائف من العباد الذين غلبوا جانب الخوف حتى وقعوا في القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَأْسَوْا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٨٧) [يوسف].

والحق وسط بين طرفين وهدي بين ضالّتين وهو: مذهب أهل الحق أهل السنة والجماعة الذين جمعوا بين نصوص الوعد ونصوص الوعيد، وجعلوا الخوف والرجاء متلازمين، فعبدوا الله بالخوف والرجاء والحب، فلم يأمنوا مكر الله، ولم يقنطوا من رحمة الله، ولم

(١) مدارج السالكين (١/٦٦٤).

(٢) نسبه إلى بعض السلف شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٠/٨١، ٢٠٧، ١١/٣٩٠)، وابن القيم في بدائع الفوائد (٣/٨٥١).

٥ - «الداء والدواء»، لابن القيم.

بعضهم بعضاً»^(٢).

٦ - «الروح»، لابن القيم.

٧ - «طريق الهجرتين» (ج ١)، لابن القيم.

٨ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.

٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٠)، لابن تيمية.

١٠ - «ولله الأسماء الحسنی فادعوه بها»، لعبد العزيز الجليل.

الرَّجُل

يراجع مصطلح (الْقَدَم).

الرَّحْمَةُ

التعريف لغة:

الرَّحْمَةُ: مصدر من الفعل: رَحِمَهُ يَرْحِمُهُ رَحْمَةً؛ إذا رَقَّ له وتعطف عليه.

قال ابن فارس: «الراء والحاء والميم أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الرِّقَّة والعطف والرأفة، يقال من ذلك: رَحِمَهُ يَرْحِمُهُ، إذا رَقَّ له وتعطف عليه. والرُّحْم والمرَحْمَةُ والرَّحْمَةُ بمعنى»^(١).

وقال الجوهري: «الرحمة: الرقة والتعطف، والمرحمة مثله، وقد رَحِمْتُهُ وَتَرَحَّمْتُ عليه، وَتَرَأَّحَمَ الْقَوْمُ: رَحِمَ

(١) مقاييس اللغة (٤٩٨/٢) [دار الجبل].

التعريف شرعاً:

الرحمة: صفة من صفات الله الثابتة له على ما يليق بجلاله، وهي صفة ذاتية باعتبار أن الله لم يزل ولا يزال موصوفاً بها، وهي فعلية باعتبار أن الله يرحم برحمته من يشاء وكيف يشاء^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

يظهر مما تقدم اشتراك المعنى اللغوي والشرعي لمصطلح الرحمة في الرأفة، حيث إن الله وَجَّكَ وصف نفسه بالرحمة ووصف بها عباده، كما في قوله تعالى: ﴿يَا مُؤْمِنِينَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة] غير أن المعنى الشرعي يختص بما يليق بالله وَجَّكَ من صفة الرحمة، فاتفق الاسم لا يلزم منه تماثل المسميات.

(٢) الصحاح (٢٠٧/٥) [دار العلم، ط ٤، ١٩٩٠م].

(٣) انظر: لسان العرب (٢٣٠/١٢) [دار صادر، ط ١].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٦٠/٦) [دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦هـ]، وبدائع الفوائد لابن القيم (٢٨/١) [مكتبة

نزار مصطفى، ط ١، ١٤١٦هـ].

✽ الأسماء الأخرى:

الرافة.

✽ الحكم:

يجب إثبات صفة الرحمة لله ﷻ على ما يليق بجلاله ويختص به من غير تحريف وصرف للنصوص عن ظاهرها، ولا تشبيه ولا تكيف.

✽ الحقيقة:

حقيقة رحمته ﷻ تدل على أن الله موصوف بها حقيقة لا تحتمل تأويل ولا تحريف ولا تعطيل؛ بل هي صفة قائمة بذاته لم يزل ولا يزال متصفًا بها، ومتعلقة بمشيئته حيث يرحم برحمته من يشاء ومتى يشاء.

✽ الأدلة:

دلَّ على ثبوت رحمة الله ﷻ الكتاب والسُّنة والإجماع والعقل.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨].

ومن السُّنة: حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي»^(١).

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣١٩٤)، ومسلم (كتاب التوبة، ٢٧٥١).

وحديث عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(٢).

وأما الإجماع: فقد نقله السعدي، فقال: «واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنة من الإيمان بأسماء الله كلها وصفاته جميعها وبأحكام تلك الصفات، فيؤمنون مثلاً بأنه رحمن رحيم ذو الرحمة العظيمة التي اتصف بها المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها من آثار رحمته، وهكذا يقال في سائر الأسماء الحسنى، فيقال عليهم: ذو علم عظيم يعلم به كل شيء»^(٣).

وأما الدليل العقلي على ثبوت الرحمة لله تعالى فهو ظاهر من خلال ما نرى من الخيرات الكثيرة التي تحصل بأمر الله ﷻ، وما نرى من النقم الكثيرة التي تندفع بأمر الله، فكل ذلك دالٌّ على إثبات الرحمة عقلاً^(٤).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٩٤١)، والترمذي (أبواب البر والصلة، رقم ١٩٢٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٣٣/١١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٢٥)، ونقل عن العراقي وابن ناصر الدين تصحيحه أيضًا.

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٠٠).

(٤) انظر: شرح الواسطية لابن العثيمين (٢٥٦/١) [دار ابن الجوزي، ط ٤، ١٤٢٤هـ].

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «وكذلك وصف نفسه بالعلم والقوة والرحمة ونحو ذلك مما وصف به نفسه في كتابه وما صح عن رسوله ﷺ، فإن القول في جميع ذلك من جنس واحد، ومذهب سلف الأمة وأئمتها: أنهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ في النفي والإثبات»^(١).

وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف]: «أي: إن رحمته مُرْصِدة للمحسنين، الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره»^(٢).

وقال السعدي: «وقوله: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢]؛ أي: العالم العلوي والسفلي تحت ملكه وتدبيره، وهو تعالى قد بسط عليهم رحمته وإحسانه، وتغمدهم برحمته وامتنانه، وكتب على نفسه كتاباً أن رحمته تغلب غضبه، وأن العطاء أحب إليه من المنع، وأن الله قد فتح لجميع العباد أبواب الرحمة، إن لم يغلقوا عليهم أبوابها بذنوبهم، ودعاهم إليها، إن لم تمنعهم من طلبها معاصيهم وعيوبهم»^(٣).

(١) مجموع الفتاوى (٣٢٤/٥ - ٣٢٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٣٠/٣) [دار طيبة، ط ٢].

(٣) تفسير السعدي (٢٥١) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

❁ الأقسام:

تنقسم رحمة الله ﷻ لخلقه إلى رحمة عامة ورحمة خاصة:

أما الرحمة العامة، فقد دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]. فهذه الآية تدل على أن كل شيء وصله علم الله، فإن رحمته تصل إليه؛ لأن الله قرن بينهما، وهذه هي الرحمة العامة التي تشمل جميع المخلوقات، حتى الكفار؛ لأنهم ممن يصل إليهم علم الله ﷻ.

وأما الرحمة الخاصة، ففي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب]. هذه رحمة خاصة بالمؤمنين؛ لأن تقديم المعمول يدل على الحصر، فيكون معنى الآية: وكان بالمؤمنين لا غيرهم رحيمًا، وهذه رحمة خاصة متصلة برحمة الآخرة لا ينالها الكفار، بخلاف الأولى^(٤).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: من أسماء الله تعالى (الرحمن):

هو اسم من أسماء الله، يدل على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل مخلوق، وكتب الرحمة الكاملة للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة

(٤) انظر: شرح الواسطية لابن العثيمين (٢٤٨/١ - ٢٥١).

- المسألة الثانية: من أسماء الله تعالى (الرحيم):

فقد ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة]، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء].

وورد مقترناً باسمه الرحمن في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الرحيم]، وذكر ابن القيم في الجمع بين الرحمن الرحيم معنى: هو أن الرحمن يدل على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم يدل على تعلقه بالمرحوم، فالأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دالٌّ على أن الرحمة صفته، والثاني دالٌّ على أنه يرحم خلقه برحمته^(٤).

- المسألة الثالثة: (أرحم الراحمين):

(أرحم) هو أفعل تفضيل من (الرحمة) بمعنى الأفضل والأوسع والأكثر رحمة؛ أي: أفضل الراحمين^(٥)، يقول شيخ الإسلام عند اسم الرحيم: «الرحيم جاء مفضلاً في قوله: ﴿خَيْرُ الرَّحِمِينَ﴾ [المؤمنون]، وفي قوله: ﴿أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ﴾ [يوسف]»^(٦)، فالاسم

المطلقة المتصلة بالسعادة الأبدية، ومن عداهم محروم من هذه الرحمة الكاملة؛ لأنه الذي دفع هذه الرحمة وأباها بتكذيبه للخبر وتوليه عن الأمر^(١). وقد ورد اسمه تعالى (الرحمن) في آيات كثيرة؛ منها:

قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه].

وذكر ابن القيم في اقتران الرحمن بالعرش في هذه الآيات فائدة فقال: «ولهذا يُقَرَّن استواؤه على العرش بهذا الاسم كثيراً؛ لأن العرش محيط بالمخلوقات، قد وسعها والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات، فلذلك وسعت رحمته كل شيء»^(٢).

وفي الحديث القدسي: أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله: أنا الرحمن، وهي الرحم شققت لها اسماً من اسمي، من وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»^(٣).

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٠٠).

(٢) تفسير القرآن الكريم لابن القيم (٣٧) [مكتبة الدراسات والبحوث العربية، ١٤١٠هـ].

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الزكاة، رقم ١٦٩٤)، والترمذي (أبواب البر والصلوة، رقم ١٩٠٧) وصحَّحه، وأحمد (٢١٢/٣) [مؤسسة الرسالة،

[١] ط، وابن حبان (كتاب البر والإحسان، رقم ٤٤٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٧٨/٥) [مؤسسة غراس، ١].

(٤) بدائع الفوائد لابن القيم (٢٨/١).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (١٥٦/٢) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ].

(٦) إحصاء الأسماء الحسنى في القرآن، ضمن المستدرک =

وقد ورد اسم (أرحم الراحمين) في القرآن في أربعة مواضع؛ هي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف]، وقوله: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنْتُمْ عَلَيَّ إِلَّا كَمَا ءَامَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَبِيرٌ فَحِطًّا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف]، وقوله: ﴿قَالَ لَا تَأْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف]، وقوله: ﴿وَأُوبَىٰ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء].

وأما في السُّنَّة: فقد جاء في نصوص كثيرة؛ منها: ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «فيقول الله ﻋَزَّ وَجَلَّ: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرا قط»^(٧).

وفي رواية عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: «يقال: ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الأنبياء، فيجيء النبي ومعه العصاة، والنبي ومعه الخمسة والستة، والنبي وليس معه أحد، ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا، فإذا فعلت الشهداء ذلك يقول الله: أنا أرحم الراحمين، أدخلوا

يدل على أن الله تعالى واسع الرحمة، وأكثر الراحمين رحمة، والأشد رحمة من كل راحم^(١) ورحمته إذا أدركت أحداً أغنته عن رحمة غيره، ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته^(٢).

قال الطبري: «وهو أرحم الراحمين: والله أرحم راحم بخلقه»^(٣)، وقال الشوكاني: «﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف] يرحم عباده رحمة لا يتراحمون بها فيما بينهم فيجازي محسنهم ويغفر لمسيئهم»^(٤).

والصفة التي دلَّ عليها اسم (أرحم الراحمين) هي وصف الله تعالى بغاية الرحمة^(٥)، والرحمة صفة الله التي اشتق لنفسه منها اسمه الرحمن، واسمه الرحيم: وهي صفة تظهر آثارها في خلقه الذين يرحمهم، وقوله: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف] يدل على أن المخلوقين قد يرحم بعضهم بعضاً، ولا شك أن رحمة الله تخالف رحمة خلقه؛ كمتخالف ذاته وسائر صفاته لذواتهم، وصفاتهم^(٦).

= على مجموع فتاوى ابن تيمية (٤٨/١) [ط١]، ١٤١٨هـ.

(١) التحرير والتنوير (١١٨/٩) [الدار التونسية].

(٢) تفسير السفي (١٠٩/٣) [دار التفاس، ٢٠٠٥م].

(٣) تفسير الطبري (١٦١/١٦) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٤) فتح القدير (٥٣/٣) [دار الفكر، بيروت].

(٥) التفسير المنير (١٠٨/١٧).

(٦) انظر: أضواء البيان (٣٧٨/٥) [دار الفكر].

(٧) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٣).

الراحمين) اسماً لله تعالى إلا ما تقدم ذكره.

- المسألة الرابعة: من الأسماء الواردة: (خير الراحمين):

فقد ورد ذكره في موضعين من القرآن: في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون].

وورد ذكره في جمع ابن منده^(٨)، وابن الوزير^(٩)، وأبي القاسم الأصبهاني^(١٠).

ومعنى خير الراحمين: أي: أن الله تعالى خير من رحم، ورحمته لعباده خير من رحمة العباد بعضهم لبعض؛ لأن رحمته كاملة لا نقص فيها، وقد وسعت كل شيء يقبل التوبة ويغفر الذنوب.

قال ابن جرير الطبري - في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ -: «يقول: أنت يا رب خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته، ولم يعاقب على ذنبه»^(١١).

- المسألة الخامسة: اسم (أرحم الراحمين) مما اختص الله به:

«كل ما ثبت للرب تعالى من الأسماء

جنتي من كان لا يشرك بالله شيئاً فيدخلون الجنة»^(١).

وقد أثبت اسم (أرحم الراحمين) لله تعالى مجموعة من العلماء؛ منهم: النسائي^(٢)، وابن منده^(٣)، وقوام السنة الأصبهاني^(٤)، والطيب^(٥)، وابن الوزير^(٦).

قال ابن تيمية: «ومن أسمائه التي ليست في التسعة والتسعين: اسمه السبوح وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة، وثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين»^(٧).

وأما من لم يثبت فكل من ذكر أسماء الله تعالى لم يعد (أرحم

(١) أخرجه أحمد (١٩٥/١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]، وابن أبي عاصم في السنة (٣٨١/٢) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٠هـ]، وابن خزيمة في التوحيد (٧٣٦/٢) [مكتبة الرشد، ط ٢]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٤٧٦)، وقال الهيثمي: «رجاله ثقات». مجمع الزوائد (٣٧٥/١٠) [مكتبة القدسي]، وحسنه الألباني في ظلال الجنة (٣٨٢/٢).

(٢) في كتابه: النعوت (٣٠٨/١).

(٣) في كتابه: التوحيد (٤٨٧/١).

(٤) الحجة في بيان المحجة (١٥٣/١) [دار الراهية، ط ١].

(٥) نقله ملا علي قاري عن الطيبي في المراقبة (٥١/٨).

(٦) إيثار الحق على الخلق (١٥٩) [دار الكتب العلمية، ط ٢].

(٧) مجموع الفتاوى (٤٩١/٢ - ٤٩٣)، وانظر: جامع المسائل لابن تيمية (٢٧٤/٣) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٢هـ]، وإحصاء الأسماء الحسنی في القرآن، ضمن المستدرك على فتاوى ابن تيمية (١/٣٤، ٤٨).

(٨) كتاب التوحيد لابن منده (٢٠٤/٢).

(٩) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير (١٥٩).

(١٠) الحجة في بيان المحجة (١٣٩/١).

(١١) تفسير الطبري (٨٥/١٩).

يعارض أنه لا يرحم بعض الناس؛ بل إن هناك من يدخلهم النار ولا يرحمهم، ولا يعني ذلك نقص في رحمته؛ بل إن رحمة الله تعالى مرتبطة بحكمته، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وروى ابن المبارك عن كعب؛ أنه قال: «إن الله ينظر إلى عبده يوم القيامة وهو غضبان، فيقول: خذوه، فيأخذه مائة ألف ملك ويزيدون، فيجمعون بين ناصيته وقدميه غضباً لغضب الله، فيسحبونه على وجهه إلى النار فيقول: ألا ترحموني، فيقولون: وكيف نرحمك؟ ولم يرحمك أرحم الراحمين»^(٤).

الفروق:

الفرق بين اسمه: الرحمن واسمه:

الرحيم

فرق بعض أهل العلم بين هذين الاسمين الكريمين بالفروق التالية:

١ - أن الرحمن اسم على وزن فعلان من صيغ المبالغة للدلالة على سعة الرحمة وكثرتها. والرحيم: اسم على وزن فعيل بمعنى فاعل، وهي من صيغ المبالغة للدلالة على الرحمة الواصلة.

٢ - أن الرحمن اسم من الأسماء المختصة بالله ﷻ لا يطلق على غيره سبحانه، والرحيم يطلق على الله وعلى

والصفات يختص به، مثل: أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه أرحم الراحمين، وأنه خير الناصرين^(١).

- المسألة السادسة: الدلالة على أنه الجواد المطلق الذي لا يرحم لمصلحة تعود إليه، بخلاف غيره^(٢):

«لأن كل راحم فمتصرف على إرادة الله وتوفيقه وتقديره لمقدار هذه الرحمة، ورحمته تعالى لا مشاركة لأحد فيها، وأيضاً فرحمة كل راحم في أشياء، وبأشياء حقيرات، بالإضافة إلى المعاني التي تقع فيها رحمة الله تعالى من الاستنقاذ من النار، وهيئة نعيم الجنة، وعلى ما في الحديث فرحمة كل راحم بمجموعها كلها جزء من مائة رحمة لله، جلت قدرته، إذ بث في العالم واحدة وأمسك عنده تسعة وتسعين»^(٣).

- المسألة السابعة: تعذيب الكفار والعصاة بالنار وعدم رحمتهم لا يتعارض مع رحمة أرحم الراحمين:

كون الله تعالى أرحم الراحمين لا

(١) بيان تلبس الجهمية (٢/٤٩٠) [مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ١٣٩٢هـ]، وانظر: غرائب القرآن ورجائب الفرقان (٣/٣٥١) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٢) انظر: تفسير اللباب في علوم الكتاب (١٣/٥٧٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ]، وغرائب القرآن ورجائب الفرقان (٥/٤٢).

(٣) المحرر الوجيز (٤/١٥٩) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ].

(٤) الزهد لابن المبارك (٨٣) [دار الكتب العلمية].

غيره، كما في قوله ﷺ: ﴿يَا مُؤْمِنِينَ رُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة].

٣ - وقيل: إن الرحمن: ذو الرحمة

الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، والرحيم: ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين.

٤ - وقيل: إن الرحمن دالٌّ على الرحمة الذاتية، والرحيم دالٌّ على الرحمة الفعلية^(١).

الفرق بين الرحمة والرأفة:

فقد تعددت أقوال العلماء في بيان الفرق بينهما:

١ - قيل: إن الرأفة والرحمة بمعنى واحد لا فرق بينهما^(٢).

٢ - وقيل: إن الرأفة أشد من الرحمة، وأنها منتهى الرحمة وأبلغها^(٣).

٣ - وقيل: إن الرأفة أعم من الرحمة إذ الرحمة قد تكون بشيء مكروه أو عقيب البلاء، والرأفة خير من كل وجه^(٤).

والخلاصة: أن الرأفة هي شدة الرحمة وأبلغها، وتعم الخير، وتختص

الثمرات:

١ - يجب على كل مكلف أن يعتقد بأن الله ﷻ موصوف بالرحمة كما يليق بجلاله، وأن رحمته لا تشبه رحمة المخلوق، وأنه أرحم على عباده من رحمة بعضهم لبعض.

٢ - ويجب عليه أن يرحم نفسه كما رحمها الله ﷻ ويسعى بها إلى النجاة من أسباب المهالك والفوز بالجنة بتقوى الله وحفظ حدوده.

٣ - ويجب عليه أن يكون رحيماً بعباد الله ﷻ وأن لا يقسوا في تعامله معهم؛ لأن من لا يرحم عباد الله لا يكون له حظاً من رحمة الله.

الآثار:

إن آثار رحمة الله العامة والخاصة ظاهرة في الوجود كظهور آثار ربوبيته، فإن ما لله على خلقه من الإحسان والإنعام شاهد برحمة تامة وسعت كل شيء، فمن آثار رحمته ما يلي:

١ - فبرحمته أرسل إلينا رسوله ﷺ، وأنزل علينا كتابه، وعلمنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة، وبصرنا من العمى، وأرشدنا من الغي.

٢ - وبرحمته عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا.

(١) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٢٨) [دار الثقافة العربية، ١٩٧٤م]، وشأن الدعاء للخطابي (٣٨ - ٣٩) [دار المأمون، ١٤٠٤هـ]، وبدائع الفوائد (٢٨/١).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦٢).

(٣) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٩١).

(٤) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/١٧٣).

وهذا الذي قالوه باطل لمخالفته
لنصوص الصريحة من الكتاب والسنة
والإجماع والعقل الدالة على إثبات صفة
الرحمة لله ﷻ كما يليق بجلاله. وقد
أورد ابن القيم قولهم هذا ورد عليه من
وجوه كثيرة؛ منها:

١ - أن جحدهم لحقيقة الرحمة ونفيهم
لهذه الصفة من جنس نفي المشركين
الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا
وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۖ﴾ [الفرقان].

٢ - أن هذا الحامل لكم على دعوى
المجاز في اسم (الرحمن) هو بعينه
موجود في اسمه: العليم والقدير
والسميع والبصير وسائر الأسماء؛ لأن
القول في اسمه الرحمن كالقول في هذه
الأسماء.

٣ - أن قولهم: الرحمة رقة القلب،
هل المقصود هي رحمة المخلوق أم
رحمة الخالق، أو كل ما سمي رحمة
شاهدًا أو غائبًا؟ فإذا كان الأول
صدقوا، ولم ينفعهم ذلك شيئًا، وإن كان
الثاني أو الثالث، كانوا قائلين غير
الحق، فإن الرحمة صفة الرحيم، وهي
في كل موصوف بحسبه، فإذا اتصف
أرحم الراحمين بالرحمة حقيقة لم يلزم

٣ - وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم،
وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا.

٤ - وبرحمته وضع الرحمة بين عباده
ليتراحموا بها، وكذلك بين سائر
الحيوان، فهذا التراحم الذي بينهم بعض
آثار الرحمة التي هي صفته ونعته.

٥ - ومن رحمته أنه يعيد من سخطه
برضاه ومن عقوبته بعفوه، ومن نفسه
بنفسه.

٦ - وإذا أراد الله بأهل الأرض خيرًا
نشر عليهم أثرًا من آثار اسمه الرحمن،
فعمر به البلاد وأحيا به العباد، وإذا أراد
بهم شرًا أمسك عنهم ذلك الأثر فحل
بهم من البلاء بحسب ما أمسك عن
أهلها أثر هذا الاسم. وغيرها من الآثار
التي لا يسع المقام بيانها^(١).

✽ مذهب المخالفين:

أنكر عموم المتكلمين من الجهمية
والمعتزلة والأشاعرة أن يوصف الله ﷻ
برحمة تليق بجلاله، وقالوا: إن الرأفة
والرحمة هي رقة تعتري القلب، وهي من
الكيفيات النفسية والله منزّه عنها، ثم
أولوا رحمته بمعنى إرادة إنعامه وإحسانه
ولطفه على عباده^(٢).

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٨٨١ - ٨٨٧)
[أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٢) انظر: الكشف للزمخشري (١/ ٤٥) [دار إحياء
التراث]، والإنصاف للباقلاني (٣٩) [المكتبة
الأزهرية، ط ٢، ١٣٢١هـ]، وتفسير الفخر الرازي

١٠ - «مختصر الصواعق المرسلة»، للموصلي.

❁ الرَّدَّة ❁

❁ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الراء والదال أصل واحد مطرد منقاس، وهو: رجع الشيء. تقول: رددت الشيء أردته ردًّا. وسمي المرتد؛ لأنه رد نفسه إلى كفره»^(٢).

والارتداد والردة: الرجوع في الطريق الذي جاء منه، لكن الردة تختص بالكفر، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُرْءَدُوا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة]؛ أي: لا ترجعوا.

والردة: اسم من الارتداد، وهو التحول والرجوع عن الشيء إلى غيره، ومنه الرجوع عن الإسلام.

والمرتد: أي: الراجع، وهو الذي رجع عن دينه، وكفر بعد إسلامه^(٣).

❁ التعريف شرعًا:

الردة شرعًا هي: الخروج من الإسلام إلى الكفر الأكبر المخرج من الملة طوعًا، وذلك باعتقاد أو بقول أو بفعل يقتضي

أن تكون رحمته من جنس رحمة المخلوق لمخلوق.

٤ - أنه من أعظم المحال أن تكون رحمة أرحم الراحمين التي وسعت كل شيء مجازًا، ورحمة العبد الضعيفة المخلوقة القاصرة المستعارة من ربه التي من آثار رحمته حقيقة. وهل في قلب الحقائق أكثر من هذا؟ فبهذه الأوجه وغيرها ثبت بطلان قول المعطلة في رحمة الله ﷻ وثبوت صفة الرحمة له كما تليق بجلاله^(١).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٤ - «الحجة في بيان المحجة»، لأبي القاسم الأصبهاني.
- ٥ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٦ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن العثيمين.

٧ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة»، لمحمد بن أمان الجامي.

٨ - «فقه الأسماء الحسنى»،

لعبد الرزاق البدر.

٩ - كتاب «التوحيد»، لابن منده.

(٢) مقاييس اللغة (٣٨٦/٢) [دار الجبل، ط٢].

(٣) انظر: لسان العرب (١٧٢/٣) [دار صادر، ط١]، والمفردات في غريب القرآن (١٩١) [دار المعرفة]، والنهاية في غريب الحديث (٢١٤/٢) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

(١) انظر: مختصر الصواعق (٨٦٢/٣ - ٨٧٠).

الكفر، سواء كان هازلاً أو جاداً^(١).

عن اعتقاد أو عناد أو استهزاء.

وقال الشربيني: «الردة هي قطع الإسلام بنية، أو قول، أو فعل، سواء قاله استهزاءً، أو عناداً، أو اعتقاداً»^(٢).

كما تكون الردة بالفعل؛ كالسجود للصنم وإهانة القرآن^(٤).

الأدلة:

لقد جاء ذكر الردة في القرآن باللفظ الصريح، كما جاء ذكرها بالمعنى.

وفي تعريف المرتد، قال البهوتي: «المرتد... شرعاً: الذي يكفر بعد إسلامه نطقاً، أو اعتقاداً، أو شكاً، أو فعلاً»^(٣).

الحقيقة:

الردة هي قطع دين الإسلام، والدخول في الكفر بالله، وهي تحصل بالاعتقاد، أو بالقول، أو بالفعل.

أما باللفظ الصريح؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْبَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِمَتَّ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة]، وقوله سبحانه: ﴿يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ رَتَدَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

وأما ذكرها بالمعنى، فقد ورد كثيراً، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل].

فقد تكون الردة باعتقاد مناقض لما جاء به الدين، وعلم بالضرورة من الإسلام؛ كاعتقاد الشريك مع الله، أو تكذيب ما جاء به النبي ﷺ.

كما قد تكون الردة بالقول وحده، بالنطق لكلمة الكفر، سواء صدر

(١) انظر: المغني لابن قدامة (١/١١٥) [دار الفكر، ط ١، ١٤٠٥هـ]، والصارم المسلول (٣/٨٦٥) [دار ابن حزم، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٢) مغنى المحتاج (٤/١٣٣) [المكتبة التجارية، ط ١٣٧٤هـ]، وانظر: نهاية المحتاج للرملي (٧/٤١٣) [مكتبة الحلبي]، وروضة الطالبين للنووي (١٠/٦٤) [المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٥هـ].

(٣) كشاف القناع (٦/١٣٦) [مطبعة أنصار السنة المحمدية]، وانظر: المبدع في شرح المقنع (٩/١٧٠) [المكتب الإسلامي]، والمغني (٨/١٢٣) [مكتبة الرياض الحديثة]، وشرح منتهى الإرادات (٣/٣٨٦) [مطبوعات دار الإفتاء، الرياض]، وغاية المنتهى (٣/٣٣٥) [المؤسسة السعيدية، ط ٢].

(٤) انظر: روضة الطالبين (١٠/٦٤) [المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٥هـ].

وحول تفاصيل الأقوال والأفعال والاعتقادات التي يكفر من قامت به، انظر: نواقض الإسلام، ومسائل الجاهلية، كلاهما لمحمد بن عبد الوهاب، وأبواب حكم المرتد في كتب الفقه إجمالاً، وانظر كذلك: أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية لنعمان السامرائي (٦١ - ١١٦) [دار العلوم، ط ٢].

وأما في السُّنَّة: فعن ابن عباس رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «من بدّل دينه فاقتلوه»^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(٢).

وفي «الصحيحين» أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن، ثم أتبعه معاذ بن جبل، فلما قدم عليه ألقى له وسادة، قال: انزل، وإذا رجل عنده موثق، قال: ما هذا؟ قال: كان يهوديًا فأسلم، ثم تهوّد. قال: اجلس. قال: لا أجلس حتى يقتل، قضاء الله ورسوله - ثلاث مرات - فأمر به فقتل»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن عبد البر: «من ارتد عن دينه حلّ دمه، وضربت عنقه، والأمة مجتمعة على ذلك، وإنما اختلفوا في استتابته»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠١٧).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الديات، رقم ٦٨٧٨)، ومسلم (كتاب القسامة، رقم ١٦٧٦).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، رقم ٦٩٢٣)، ومسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٧٣٣).

(٤) التمهيد (٣٠٦/٥)، وانظر: (٣١٩/٥) [طبعة وزارة الأوقاف المغربية، ط ١٣٨٧هـ].

وقال ابن تيمية: «وأما المرتد فالمبيح عنده - يعني: الإمام أحمد - هو الكفر بعد الإيمان، وهو نوع خاص من الكفر، فإنه لو لم يقتل ذلك لكان الداخل في الدين يخرج منه، فقتله حفظ لأهل الدين وللدين، فإنّ ذلك يمنع من النقص، ويمنعهم من الخروج عنه بخلاف من لم يدخل فيه»^(٥).

❁ الشروط:

ذكر الفقهاء شروطًا للحكم على الشخص بالكفر إذا وقع منه أمر ثبت كونه مكفرًا، وهي شروط الأهلية، وهي:

١ - العقل، وضده الجنون. فالمجنون لا تصح رده ولا تثبت أحكامها إجماعًا.

٢ - البلوغ، وضده الصغر، والصغير إما أن يكون صبيًا لم يميز، وإما أن يكون مميزًا. فالصبي الذي لم يميز لا تصح رده، وله حكم المجنون.

(٥) المغني (١٦/٩).

(٦) مجموع الفتاوى (١٠٢/٢٠).

واختلفوا في المميز الذي لم يبلغ، والأقرب أنه لا تثبت ردته، وإن كان يصح إسلامه، والله أعلم.

٣- الاختيار، وضده الإكراه؛ فالمكره لا يحكم بردته، قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ

بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: (١٠١)].^(١)

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ثبوت الردة:

لا تثبت الردة إلا من أحد طريقتين:

الأول: إقرار المرتد، فإذا أقر المسلم

- ممن توفرت فيه الشروط السابقة - أنه ارتد عن الإسلام إلى الكفر فقد ثبت حكم الردة في حقه.

الثاني: الشهادة بشروطها، فإذا شهد

شاهدان على شخص بردته، ثبت حكم الردة على من شهدا عليه.

ويشترط أن يكون الشاهدان من أهل الشهادة، وذلك بأن يكونا عاقلين، بالغين، حرين، عدلين، ذكرين، وألا يرجعا عن شهادتهما.

فإن أنكر المشهود عليه، وقال: أنا لا

- المسألة الثانية: حرية الاعتقاد:

حرية الاعتقاد يراد بها: أن يكون الشخص حراً في اختيار العقيدة التي يعتنقها ويقر بها، من غير إكراه أو منع خارجي.^(٣)

ومصطلح (حرية الاعتقاد) قد جاءت به القوانين الغربية العلمانية، وقررتة المواثيق الدولية، وقد احتوى مضمونه الفكري على حق وباطل، فكان الواجب تفصيل القول فيه، فيقال:

إن المعاني المندرجة تحت مبدأ (حرية الاعتقاد) على قسمين:

أولاً: المعاني الباطلة لمبدأ (حرية الاعتقاد)، ومنها:

١- الزعم بأن للإنسان أن يختار من الأديان ما يشاء، ويعتقد ما يشاء، وأن لا تثريب عليه بذلك، وهذا ما ينادي به دعاة الحرية الاعتقادية المطلقة.

وبطلان هذا المعنى معلوم من الدين بالضرورة، وهو من الكفر بالله^(٤).

(١) انظر: أحكام المرتد في الإسلام لعبد الله حليم (٤٨

- ٨٧) [رسالة ماجستير من جامعة أم القرى،

وأحكام المرتد في الشريعة الإسلامية (٤١)، والردة

عن الإسلام وخطورها على العالم الإسلامي لعبد الله

قادري (٨٥) [مكتبة طبية، ط ٢، ١٤٠٥هـ].

(٢) انظر: الردة عن الإسلام لعبد الله قادري (٨٩ - ٩٣).

(٣) انظر: الإسلام وحقوق الإنسان لمحمد زكريا [مجلة

عالم الفكر، عدد ٤، ١٠٩].

(٤) انظر: المناهي اللفظية لابن عثيمين (١٣٠ - ١٣١)، =

ففي الشروط العمرية: «شرطنا لك على أنفسنا ألا نحدث في مدينتنا كنيسة ولا فيما حولها ديرًا، ولا قلاية، ولا صومعة راهب، ولا نجدد ما خرب من كنائسنا... وألا نضرب بنواقيسنا إلا ضربًا خفيًا في جوف كنائسنا، ولا نظهر عليها صليبا... وألا نخرج صليبا ولا كتابًا في سوق المسلمين... ولا نظهر شركًا ولا نرغب في ديننا ولا ندعو إليه أحدًا»^(٢).

ثانيًا: المعنى المقبول لحرية الاعتقاد:

وهو أنه ليس لأحد من المسلمين أن يجبر غيره من الناس على امتثال دين معين، واعتقاد معين، فالإسلام لا يكره غير المسلمين على الدخول فيه؛ بل يُدعى الكافر إلى الإسلام، فإن أسلم وإلا ترك على دينه، بشرط أن يدفع الجزية للمسلمين، كما يتاح له أن يتعبد بدينه، بشرط ألا يظهره ولا يدعو إليه كما تقدم.

(٢) انظر: أهل الملل والردة والزنادقة من كتاب الجامع للخلال (٤٣١/٢) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٦هـ]، وتاريخ ابن جرير (٤٤٩/٢) [دار الكتب العلمية]، وذكرها ابن القيم في أحكام أهل الذمة (١١٦٤/٣) [دار ابن حزم، ط١، ١٤١٨هـ]، ثم قال ابن القيم: «وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها، فإن الأئمة تلقوها بالقبول وذكروها في كتبهم واحتجوا بها، ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم وفي كتبهم، وقد أنفذها بعده الخلفاء وعملوا بموجبها»، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١٢١/١) [مطبعة السُّنة المحمدية، ط٢].

فالأصل في الإنسان هو العبودية، لا الحرية، ولكنها عبودية لرَبِّ العالمين: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥١].

فهو ليس حرًا في أن يعقد أن يتدين بما شاء، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ويقول النبي ﷺ كما في «الصحیح»: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»^(١).

٢ - الزعم بإبطال حد الردة الثابت بإجماع المسلمين، مراعاةً لمبدأ (حرية الاعتقاد).

٣ - السماح للكفار أن يظهروا شعائهم ويدعوا لعقائدهم في بلاد المسلمين.

فغير المسلمين أحرار في ممارسة شعائر دينهم، بشرط عدم إظهارها في المجتمع، ولكنهم لا يمكنون من إحداث أماكن جديدة لعباداتهم، ولا أن يُظهروا عباداتهم من نواقيس وصلبان، أو أن ينشروا عقائدهم الفاسدة بين المسلمين،

= والاستدلال الخاطي بالقرآن والسُّنة على قضايا الحرية لإبراهيم الحقييل (٦٣ - ٧١) [مركز البيان للبحوث والدراسات، ط١، ١٤٣٤هـ]

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

- المسألة الثالثة: توبة المرتد:

فإذا أتى بالشهادتين ثبت له الإسلام وصح.

ثم إن كانت ردة ردة عامة مما لا تأويل له في كفره؛ كأن يرتد إلى عبادة الأوثان، فيكفيه أن يأتي بالشهادتين.

وإن كانت ردة بجحود أمر معين مما يكفر جاحده، فيشترط في توبته أن يأتي بالشهادتين، ويقرّ بذلك الذي جحده.

فمن زعم أن محمدًا ﷺ قد بعث إلى العرب خاصة دون العالمين، اشترط أن يأتي بالشهادتين، ويشهد أن محمدًا رسول الله إلى الخلق أجمعين، ويتبرأ من كل دين سوى الإسلام، وإن كانت ردة بجحود فرض أو استباحة محرم: فيشترط في توبته أن يأتي بالشهادتين، ويرجع عما اعتقده، بأن يقر بوجوب ما جحد وجوبه، وتحريم ما استباحه^(٣).

وثمة أصناف قد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهر؛ أي: في أحكام الدنيا، وأما أحكام الآخرة فيما بينهم وبين الله فلا خلاف في قبولها، ومن هؤلاء: من تكررت ردة، والزندق، والساحر^(٤).

١٤٠، وفتح القدير لابن الهمام (٧٠/٦)، وشرح منتهى الإرادات (٣/٣٩٠)،

(٣) انظر: المجموع (١٨/١٢)، والمغني (٩/٢١)، أحكام المرتد في الإسلام (٢١٦)، وأحكام المرتد في الشريعة الإسلامية (١٧٢).

(٤) انظر تفصيل الخلاف في توبة هؤلاء: أحكام المرتد في الإسلام (٢١٨ - ٢٣٣).

المرتد إذا تاب إلى الله قبلت توبته، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقبول توبة المرتد ينظر إليها من ناحيتين:

الناحية الأولى: قبول توبته في

الباطن، فيما بينه وبين الله، وذلك متعلق بأحكام الآخرة، فهو إذا تاب تاب الله عليه، إذا أتى بالتوبة بشروطها المعلومة، وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء^(١).

فقد قال الله تعالى في حق المنافقين - الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر -: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ [النساء].

الناحية الثانية: قبول توبته في

الظاهر؛ أي: في الأحكام الدنيوية، ومعناه: أن تقبل عند الإمام، فيترتب على ذلك ثبوت أحكام الإسلام، وسقوط أحكام الردة عنه. فهذا قد وقع الخلاف في بعض صورته.

وقد وقع الاتفاق على أنه لا تقبل توبة المرتد إلا بأن يأتي بالشهادتين^(٢)،

(١) انظر: المغني لابن قدامة (٩/٣١)

(٢) انظر: المجموع (١٨/١٢)، ومغني المحتاج (٤/٤)

- المسألة الرابعة: عقوبة المرتد:

مختاراً غير مكره: أنه يقتل إذا أصر على رده بعد الاستتابة^(١)، - سبق ذكر الأدلة على ذلك -، وإن كانوا قد اختلفوا في قتل المرأة، والجمهور وهو الراجح أنها كالرجل، كما اختلفوا في ثبوت ردة الصبي.

ب - التعزير، وذلك فيما إذا أسقطت عقوبة القتل بالتوبة؛ كالضرب والجلد والحبس ونحو ذلك؛ كضرب من تكررت رده، حتى يتبين خشوع التوبة وإخلاصه^(٢).

ويشار ههنا إلى أمر مهم، قد قرره عامة أهل العلم، وهو أن المسؤول عن قتل المرتد هو الإمام أو نائبه، ولا يتولاه سواههما، وأن من قتله بدون إذن الإمام فقد أساء، وعليه التعزير لإساءته وافتياته على الإمام^(٣).

✽ مذهب المخالفين:

تقدم أن حدَّ الردة في أصله ثابت

المسلم إذا خرج عن الإسلام وارتد عنه - والعياذ بالله - أصبح عضواً فاسداً في المجتمع المسلم، يهز أركان المجتمع، ويزعزع بنيانه، وهذا الارتداد يعد ثورة وتمرداً على جماعة المسلمين، وتكثيراً لسواد الأعداء، وإفشاء لأسرار المسلمين، كما أن فيه تهيجاً لضعاف الإيمان على أن يفعلوا كفعله، ويسلكوا دربه، وهو خيانة عظمى للأمة الإسلامية؛ بل هو أعظم من الخيانة العظمى التي اتفقت الأنظمة الوضعية على قتل صاحبها، ولهذا وضع الإسلام نظاماً وجزاء لكل من تسول له نفسه أن يرتد عن دين الله، وذلك بأن شرع حكم القتل على المرتد الخارج عنه، بعد استتابة وإمهاله.

فإذا ارتد المسلم، ونكص على عقبيه - والعياذ بالله - فإنه يترتب عليه عقوبتان:

١ - العقوبة الأخروية، وهي: حبوط عمله، وخلوده المؤبد في النار، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَايِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة].

٢ - العقوبة الدنيوية، وهي كما يلي:

أ - القتل، فقد أجمع العلماء على أن المرتد إذا كان رجلاً، عاقلاً، بالغاً،

(١) انظر: فتح القدير لابن همام (٦٨/٦) [مطبعة الحلبي، ط ١]، وبدائع الصنائع (٤٣٨٣/٩) [مطبعة العاصمة، القاهرة]، والمجموع (١٠/١٨) [المكتبة العالمية]، والمغني (٤/٩) [مكتبة القاهرة، ط ١٣٩٠هـ].

(٢) انظر: البحر الرائق لابن نجيم (١٣٥/٥) [دار المعرفة، ط ٢].

(٣) انظر: المغني لابن قدامة (٨/٩ - ٩)، وشرح منتهى الإرادات (٣/٣٨٨)، وفتح القدير لابن الهمام (٦/٩٨)، والمجموع (١٥/١٨)، وأحكام المرتد في الإسلام (١٩٧ - ٢٠٢)، وأحكام المرتد في الشريعة الإسلامية (١٨٣).

بالنص الصريح، وبإجماع المسلمين. وقد بزغت شراذم معاصرة أنكرت حد الردة في الإسلام، لمنطلقات شتى، فجعلوا حد الردة عقوبة تعزيرية، عائدة لرأي الإمام.

ومن شبهاتهم في ذلك:

- أن حد الردة لم يرد في القرآن.

وهذا مسلك فاسد، فالسُّنَّة وحي من الله كما أن القرآن كذلك: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم]، والقرآن قد دلَّ في مواضع كثيرة على لزوم الأخذ بالسُّنَّة، فالحديث حجة بنفسه، والعمل بما في القرآن دون السُّنَّة زندقة وكفر، وهو مفض إلى ترك العمل بالدين؛ لأن أركان الإسلام إنما جاء ذكر صفاتها بالسُّنَّة لا في القرآن.

- أن الردة وردت من طريق الآحاد، والحدود لا تثبت بالآحاد.

ويجاب عن قولهم بما تقدم بأن حد الردة محل إجماع، والإجماع يقطع الخلاف، ويرفع الحكم إلى القطعيات، ثم إنه قد ورد من عدة طرق وفي عدة أحاديث في «الصحيحين» وغيرهما، وعمل به الصحابة ومن بعدهم، وهذه قرائن ترفعه إلى إفادة العلم اليقيني^(١).

ثم إن أحاديث الآحاد يجب العمل

بها في العلميات والعمليات، حتى لو تكن في «الصحيحين»، ومن يلتزم ترك الآحاد في العمليات فسيؤول به الأمر إلى ترك جل الشريعة؛ لأن غالب السنن أو كلها كذلك^(٢).

وثمة شبهات لمنكري حد الردة، يكفي في إبطالها ما سبق من ثبوته بالنص القطعي والإجماع^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام المرتد في الاسلام»، لعبد الله حليم.
- ٢ - «أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية»، لنعمان السامرائي.
- ٣ - «الردة عن الإسلام وخطرها على العالم الإسلامي»، لعبد الله أحمد قادري.
- ٤ - «شرح منتهى الإرادات»، للبهوتي.
- ٥ - «المجموع»، للنووي.
- ٦ - «المغني»، لابن قدامة.
- ٧ - «نواقض الإسلام»، لمحمد بن عبد الوهاب.

(٢) انظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (١٥٦/١) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، والفقيه والمتفقه (٢٨٦/١) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢١هـ].

(٣) انظر: الحرية الدينية وعقوبة الردة لعثمان علي حسن [منشور بحولية كلية الشريعة والقانون، جامعة قطر، العدد ٢٢، سنة ١٤٢٥هـ]، والردة بين الحد والحرية (قراءة نقدية في كتاب: لا إكراه في الدين) لصالح بن علي العميري، والاستدلال الخاطئ بالقرآن والسُّنَّة على قضايا الحرية لإبراهيم الحقي (٣٦٩) وما بعدها [طبعة مركز البحوث بمجلة البيان، ط١، ١٤٣٤هـ]، وجريمة الردة لهاني الجبير [موقع صيد الفوائد].

(١) انظر: نزهة النظر لابن حجر (٢٢٨).

٨ - «نواقض الإيمان الاعتقادية»،
لمحمد الوهبي وأوصلها إليهم^(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يظهر مما تقدم اشتراك المعنى اللغوي والشرعي لمصطلح الرزق في العطاء، غير أن المعنى الشرعي يختص بما يليق بالله ﷻ من صفة الرزق، فالله ﷻ هو الرزاق ومنه الأرزاق كلها.

الحكم:

يجب إثبات هذين الاسمين لله ﷻ والإيمان بأن الله هو وحده يرزق الخلائق، ويتفضل عليهم بالرزق.

الحقيقة:

حقيقة اسمه تعالى الرزاق والرازق هي أن الله موصوف بالرزق، فهو الرزاق والرازق لعباده، وهذا الرزق منه سبحانه على عباده نوعان: **فالأول**: رزق عام يشمل جميع عباده البرّ والفاجر، والمؤمن والكافر، والأولين والآخرين وهو رزق الأبدان، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

والثاني: رزق خاص بالمؤمنين، وهو رزق القلوب وتغذيتها بالعلم والإيمان،

٩ - «نواقض الإيمان القولية والعملية»، لعبد العزيز عبد اللطيف.
١٠ - «مسائل الجاهلية»، لمحمد بن عبد الوهاب.

الرزاق/الرزاق

التعريف لغة:

الرزاق والرّازق: اسمان مشتقان من الفعل رَزَقَ يَرْزُقُ رَزْقًا وَرِزْقًا، ومعناه: العطاء.

قال ابن فارس: «الراء والزاء والقاف أَصِيلٌ واحدٌ يدلُّ على عَطَاءٍ لَوْقَت، ثم يُحْمَلُ عليه غير الموقوت، فالرَّزْقُ: عَطَاءُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ويقال: رَزَقَهُ اللَّهُ رَزْقًا، والاسم الرَّزْقُ»^(١).

وقال الجوهري: «الرَّزْقُ: ما ينتفع به، والجمع الأرزاق، والرَّزْقُ: العطاء، وهو مصدر قولك: رَزَقَهُ اللَّهُ، والرَّزْقَةُ بالفتح: المرة الواحدة، والجمع الرزقات، وهي أطماع الجند. وارتزق الجند؛ أي: أخذوا أرزاقهم»^(٢).

التعريف شرعاً:

الرزاق والرازق: هو الذي يرزق الخلق أجمعين، وهو الذي خلق

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٥٣٠) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٣٨٨) [دار الجيل].

(٢) الصحاح (٤/ ١٦٧) [دار العلم، ط ٤، ١٩٩٠م].

وفي سنن الترمذي؛ أنه ﷺ قال: «إن الله هو المسعّر القابض الباسط الرَّزَاقُ»^(٣).

وقد ذكر القرطبي إجماع الأمة على تسمية الله ﷻ بالرازق والرَّزَاقُ^(٤).

✽ أقوال أهل العلم:

قال الطبري في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(٥٨): «إن الله هو الرَّزَّاقُ خلقه، المتكفل بأقواتهم، ذو القُوَّةِ المتين»^(٥).

وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الإسراء]: «إخبار أنه تعالى هو الرزاق، القابض الباسط، المتصرف في خلقه بما يشاء، فيغني من يشاء، ويفقر من يشاء، بما له في ذلك من الحكمة»^(٦).

وقال السعدي: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾؛ أي: كثير الرزق، الذي ما من دابة في

وهو الرزق الحلال الذي يعين على صلاح الدنيا، وهذا الرزق يشمل ما يكرم به الله المؤمن يوم القيامة ويمنه عليهم بإدخالهم جنات النعيم، وفيه قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾^(١١) [الطلاق]^(١).

✽ الأدلة:

ورد اسمه تعالى (الرَّزَّاق) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(٥٨) [الذاريات].

وورد اسمه تعالى (الرَّازِق) مجموعاً مضافاً إلى اسم التفضيل (خير) في قوله تعالى: ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(١١٤) [المائدة].

وورد كلا الاسمين في السُّنَّة النبوية، ففي سنن أبي داود وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه قال: قال الناس: يا رسول الله، غلا السَّعْر فسعَّر لنا، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله هو المسعَّر القابض الباسط الرَّازِق، وإنني لأرجو أن ألقى الله وليس أحدٌ منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال»^(٢).

(٣٤٥١)، وابن ماجه (كتاب التجارات، رقم ٢٢٠٠)، وأحمد (٤٦/٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب البيوع، رقم ٢٥٨٧)، وابن حبان (كتاب البيوع، رقم ٤٩٣٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٨٤٦).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ: الترمذي (أبواب البيوع، رقم ١٣١٤) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٤٤٤/٢١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وسنده صحيح أيضاً.

(٤) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٢٧٧) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ].

(٥) تفسير الطبري (٤٤٥/٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٦) تفسير ابن كثير (٧١/٥) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٥٤٥/٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ]، وتفسير السعدي (٩٤٧ - ٩٤٨)، وشرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (٣٥٣) [مدار الوطن، ط١، ١٤٢٦هـ]، وفقه الأسماء الحسنى للبدر (١٠٥ - ١٠٦) (١/١)، [ط١، ١٤٢٩هـ].

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: أبو داود (كتاب البيوع، رقم

- المسألة الثانية: أن الله تعالى يختص باسمي (الرزاق) و(الرازق):

فلا يسمى بهما أحد سواه، وذلك لأن الرزق شأن من شؤون ربوبية الله ﷻ، لا يصح أن ينسب إلى غيره، فلا يسمى غيره رازقاً كما لا يسمى خالقاً^(٥).

- المسألة الثالثة: يشتق من اسمه

تعالى: الرازق صفة الرزق لله تعالى:

وهي من الصفات الذاتية الفعلية الثابتة لله ﷻ^(٦). ويدل عليها الأدلة السابقة في الرزاق والرازق، ومن أدلتها كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿يَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَلَئِنْ لَهُمْ خَيْرٌ الرِّزْقِ﴾ [الحج].

- المسألة الرابعة: الفرق بين الرزق الشرعي والقدري:

أما الرزق الشرعي فهو ما أباحه الله لعباده وملّكه إياهم وشرع لهم الترزق منه والنفقة منه، فقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [المنافقون: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة]، فهذا الرزق هو الحلال لا يدخل فيه الحرام كالخمر ولحم الخنزير وغيرهما.

(٥) انظر: صفات الله الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (١٢٦) [دار الهجرة، ١٤١٤هـ].

(٦) انظر: صفات الله للسقاف (١٢٦).

الأرض ولا في السماء إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها^(١). وقال أيضاً: «الرزاق لجميع المخلوقات، فما من موجود في العالم العلوي والعالم السفلي إلا متمتع برزقه مغمور بكرمه»^(٢).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ومن أسماء الله

المتعلقة بالرزق: ﴿خَيْرُ الرِّزْقِ﴾ [الجمعة]:

وهو من الأسماء المضافة، وقد اعتبرها أهل العلم ضمن أسماء الله الحسنى^(٣).

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في مواضع عديدة؛ منها: قوله تعالى: ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرِّزْقِ﴾ [المائدة]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرِّزْقِ﴾ [الحج].

ومعنى ﴿خَيْرُ الرِّزْقِ﴾^(٤): أي: أن الله هو خير من بسط فضله على أهل طاعته وأكرمهم، وهو سبحانه خير من قيل: إنه يرزق ووصف به، وذلك أنه قد يوصف بذلك من دونه فيقال: فلان يرزق أهله وعياله^(٥).

(١) تفسير السعدي (٨١٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٥١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤٨٥/٢٢) [دار الوفاء، ط ٣، ١٣٢٦هـ].

(٤) انظر: تفسير الطبري (٦٧٣/١٨، ٦٧٣/٢٠، ٤١٣).

ينتظر الرزق إلا منه، ولا يتوكل فيها إلا عليه.

٣ - وعلى العبد أن يشكر نعمة الله وَعَلَيْكَ الذي تفضل عليه بالرزق من غير كلفة منه ولا مؤونة.

٤ - يجب على كل مسلم أن يرضى بقسم القاسم وما ساقه الله إليه من رزق.

٥ - وعليه أن ينفق مما رزقه الله على عباد الله.

الآثار:

١ - إن تفرّد الله وَعَلَيْكَ بالرزق وتكفله برزق من في السماوات والأرض من تمام ربوبيته على خلقه، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿وَكَأَنْ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت].

٢ - وبسطه الرزق على الجميع مؤمناً كان أو كافراً دليل على كمال لطفه بعباده.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى].

٣ - وتحكمه على رزق عباده بحيث يجعل من يشاء غنياً ويقتّر على من يشاء من تمام عدله وحكمته سبحانه،

وأما الرزق القدرى فهو ما سبق في علم الله وكتابته في اللوح المحفوظ أن العبد يترزق منه من خير أو شر، ومن حلال أو حرام، كما في حديث خلق الإنسان في بطن أمه: «ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه، وأجله وشقي أو سعيد»^(١)، فهذا الرزق قدره الله على العباد، وشاء وقوعه منهم ولم يشعه لهم^(٢).

الفروق:

الفرق بين الرزاق والرازق:

الرزاق صيغة مبالغة على وزن (فَعَّال) يدل على الوصف لكثرة الفعل، والرازق على وزن اسم الفاعل، فالرزاق أبلغ في الدلالة على المعنى.

الثمرات:

١ - يجب على كل مسلم أن يعلم أن لا رازق ولا رزاق إلا الله تعالى على الإطلاق وحده، وغيره إن رزق وأعطى فإنما يرزق من رزق الرازق الذي أعطى^(٣).

٢ - وعلى العبد أن يرجع إلى الله وحده في طلب كل ما يريده، وأن لا

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٣).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٨/٥٤٥ - ٥٤٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ].

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٢٨٤).

مستلزم لنفيه، وتعطيل الخالق عنه، وأنه ليس هناك إلا المفعول^(٤)؛ لأن علمنا بالمخلوق المفعول بلا فعل ولا خلق أعظم امتناعاً في العقل من علمنا بامتناع قيام الأفعال به وإن سماها المسمى حوادث^(٥).

قال ﷺ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٢٠) [الإسراء]، وقال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَثُوا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنْزِلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٧) [الشورى].

مذهب المخالفين:

ثالثاً: أن المعنى إذا قام بمحل عاد حكمه على ذلك المحل؛ واشتق لذلك المحل منه اسم؛ ولم يشتق لغيره منه اسم وعاد حكمه على ذلك المحل؛ ولم يعد على غيره؛ كما أن الحركة والسواد والبياض والحرارة والبرودة إذا قامت بمحل كان هو المتحرك الأسود الأبيض الحار البارد دون غيره. قالوا: فكذلك الكلام والإرادة إذا قاما بمحل كان ذلك المحل هو المتكلم المرید دون غيره^(٦).

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية في إثبات صفة الرزق لله ﷻ كما يليق بجلاله، وقالوا: إنه ﷻ لا تقوم أفعاله بذاته؛ بل يفعلها غير قائمة به، فيحدثها متى شاء، ولا يحدثها إذا لم يرد إحداثها^(١).

أو أنها قديمة أزلية؛ لأنها لو لم تكن قائمة بذات الله في الأزل لكانت ذات الباري محلاً للحوادث وهذا ممتنع^(٢).

الرد عليهم:

رابعاً: أن «هذا منقوض على أصلكم فإنكم تقولون: إنه يريد بإرادة قديمة والمرادات كلها حادثة، فإن كان هذا جائزاً فلماذا لا يجوز أن يكون الخلق قديماً والمخلوق حادثاً، وإن كان هذا غير جائز بل الإرادة تقارن المراد لزم جواز قيام الحوادث به، وحينئذ فيجوز أن يقوم به خلق مقارن للمخلوق فلزم

أولاً: كل موصوف لا يوصف إلا بما قام به لا بما هو مباين له صفة لغيره، وإلا لزمهم أن لا يكون له صفة لا ذاتية ولا فعلية^(٣).

ثانياً: تفسيرهم الفعل بالمفعول

(٤) ينظر: مختصر الصواعق (٢/٤٦٧)، وشرح النونية للبراس (١/١٥١).

(٥) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٥٤٣)، ومنهاج السنة (٣/٤٦٢).

(٦) درء التعارض (٨/٤٨٣ - ٤٨٤)، وينظر: شرح الأصبهانية (٤٨٤ - ٤٨٥)، والتسعينية (٢/٤٤٣).

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١٨٥ - ١٨٦)، والشامل في أصول الدين للجويني (٢٥١)، وتحفة المرید شرح جوهره التوحيد للبيجوري (٩٢).

(٢) بحر الكلام للنسفي (٩١ - ٩٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/٣١٨).

فساد قولكم على التقديرين»^(١).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة»، لمحمود عبد الرزاق.
- ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٥ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٦ - «صفات الله الواردة في الكتاب والسنة»، للسقاف.
- ٧ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتيمي.
- ٩ - «المنهاج لشعب الإيمان»، للحليمي.
- ١٠ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للحمود.

✽ الرسالات السماوية

✽ التعريف لغة:

الرسالات: جمع الرسالة، والرسالة

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٤٦٢/٣). وينظر: مجموع الفتاوى له (٢٣١/٦).

بالكسر والفتح اسم^(٢)، قال ابن فارس: «الراء والسين واللام أصل واحد مطرد منقاس، يدل على الانبعاث والامتداد»^(٣)، والرسول هو: «الذي يتابع أخبار الذي بعثه؛ أخذ من قولهم: جاءت الإبل رسلاً: أي: متتابعة، والرسول اسم من أرسلت، وكذلك الرسالة»^(٤).

السماوية: نسبة إلى السماء، والسماء في اللغة يقال لكل ما ارتفع وعلا، قال الجوهري: «السماء: كل ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: سماء»^(٥).

✽ التعريف شرعاً:

الرسالة السماوية: «سفارة العبد بين الله وبين ذوي العقول؛ ليزيل بها عنهم، ويعلمهم ما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والآخرة»^(٦).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي هو نفس معنى

(٢) القاموس المحيط (٩٢٥) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

(٣) مقاييس اللغة (٤٠٢) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٤) تهذيب اللغة (٣٩١/١٢) [الدار المصرية للتأليف والترجمة].

(٥) الصحاح (٢٣٨٢/٦) [دار العلم للملايين، ط ٣].

(٦) دستور العلماء (١٣٥/٢) [مؤسسة الأعلمي، ط ٢، ١٣٩٥هـ]، ونحوه قال صاحب الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة (١١) [دار الزمان، ط ٢، ١٤٢٦هـ].

الرسالات السماوية كفر وتكذيب بجميعها، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٠]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١]، ولم يبعث إلى كل من هؤلاء إلا رسول واحد؛ فدل هذا على أن الكفر والتكذيب برسالة رسول واحد كفر وتكذيب بجميعهم.

❁ الأهمية:

تظهر أهمية الرسالات السماوية في أنها حجة الله تعالى على عباده، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، والحجة بالغ الأهمية.

❁ الأدلة:

بالإضافة إلى ما تقدم من الأدلة هناك أدلة كثيرة تدل على الرسالات السماوية؛ كقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: ١٠]، وقوله:

اللغوي، إلا أن في المعنى الشرعي تحديداً للجهة المرسلة، والمرسلة والمرسلة إليها.

❁ سبب التسمية:

أن بداية الرسالات ومنبعها السماء.

❁ الحقيقة:

حقيقة الرسالات السماوية: هي وساطة تبليغ عن الله إلى عباده عن طريق الملائكة إلى الأنبياء، وبواسطتهم إلى الناس، قال الله تعالى عن أنبيائه: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

❁ المنزلة:

تظهر علو منزلة الرسالات السماوية في الأمور:

١ - أنها سفارة الله ﷻ، والله ﷻ يصطفي لها من يشاء من عباده، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [٢١] أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢].

٢ - أن الإيمان بالرسالات السماوية ركن من أركان الإيمان.

٣ - أن الكفر والتكذيب بإحدى

تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١].

والله تعالى قد يرسل برسالته إلى أقوام بأعيانهم وقد يرسل بها إلى الناس عامة، قال النبي ﷺ: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»^(٤)، فالرسالات السماوية باعتبار المرسل إليه على قسمين^(٥):

١ - الرسالات السماوية لأقوام خاصة؛ كالرسالات السماوية للأمم السابقة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ [الروم: ٤٧].

٢ - الرسالة السماوية لجميع الناس؛ كالرسالة المحمدية، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: أن الرسالات السماوية كلها تتفق في التوحيد وأركان الإيمان، وإن كانت تختلف في الشرائع: وقد بين النبي ﷺ اتفاق الرسل في التوحيد، واختلافهم في الشرائع بمثال فقال: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»^(٦). قال ابن

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ [المؤمنون: ٤٤]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقُصِّصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، وقوله: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ١٦]، وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

كما يدل على وجود الرسالات السماوية قول النبي ﷺ: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»^(١)، وقوله ﷺ: «كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود»^(٢).

الأقسام:

لما كانت الرسالة السماوية واسطة وسفارة تبليغ عن الله إلى عباده، وذلك عن طريق الملائكة والأنبياء، ولا يحمل الملك الرسالات إلى الناس مباشرة، فعلم أن الرسالات السماوية باعتبار المرسل على قسمين:

١ - إرسال الملائكة إلى الأنبياء^(٣) ﷺ قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنِ الْإِنسَانِ﴾ [الحج: ٧٥].

٢ - إرسال الأنبياء إلى البشر، قال

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١).

(٣) انظر: النبوات (١/ ٧٢٠) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (٤٠٨) [دار عالم الكتب، ط ٣، ١٤١٨هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٨).

(٥) انظر هذا المفهوم في: الرسل والرسالات (٢٤٠).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم =

حجر ﷺ: «معنى الحديث: أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع»^(١).

٢ - أن الرسالات السابقة كانت تخص بعض الأقوام بأعيانهم، وأن الرسالة المحمدية هي عامة لكافة الناس، وخاتمة الرسالات، ومهيمنة على جميعها، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا: ٢٨]، وقال: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِّنكُمْ شِرْعَةً وَمَنهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

٣ - وجوب الإيمان بجميع الرسالات السماوية، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِنْزِيلًا وَاسْمِعِ لِّمُوسَىٰ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وفي حديث جبريل المشهور قال الرسول ﷺ: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله»^(٢).

وكيفية الإيمان بالرسالات السابقة تكون بـ«التصديق الجازم بالرسالات التي أنزلها الله إلى عباده بواسطة رسله، والتصديق بأنهم بلغوها الناس، وأن الانقياد لها، والحكم بها كان واجباً على الأمم التي نزلت إليها الكتب، والكتب السماوية يصدق بعضها بعضاً، والقرآن نسخ الكثير مما في التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَحْدُثُ لَهُمْ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ومجرد التصديق لا يكفي في القرآن؛ فلا بد مع التصديق من الأخذ به والعمل بما أمر به وترك ما نهى عنه»^(٣).

ثمرات:

من ثمرات الرسالات السماوية:

١ - تهذيب العباد، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وهذا هو الغاية من خلق الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٢ - تعريف العباد بما يضرهم أو ينفعهم في معاشهم ومعادهم، وليس

= (٣٤٤٣)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٦٥).

(١) فتح الباري (٥٩٧/٦) [دار السلام، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٧٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩) من حديث أبي

هريرة، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨) من حديث عمر.

(٣) الرسل والرسالات (٢٢٩ - ٢٣١).

فأرسل الله الرسل بالشرائع وبذلك رتب أمورهم ومصالحهم أحسن ترتيب^(٢).

✽ مذهب المخالفين:

الفلاسفة لم يعرفوا الرسالات السماوية على حقيقتها الشرعية^(٣)، وينقل مصنفو الفرق والمذاهب المعاصرة عن الباطنية عمومًا، وعن الدروز خصوصًا أنهم يجحدون الرسالات السماوية^(٤)، لكن إنكار الرسالات السماوية مخالفة لإجماع الأمم.

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة»، لشبية الحمد.
- ٢ - «جامع العلوم في اصطلاحات الفنون الملقب بدستور العلماء»، لأحمد نكري.
- ٣ - «الحكمة من إرسال الرسل»، لعفيفي.
- ٤ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٥، ١٠)، لابن تيمية.
- ٥ - «الرسل والرسالات»، لعمر الأشقر.

(٢) انظر: الحكمة من إرسال الرسل (١٥ - ٢٠) بتصريف [دار الصميعي، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٣) النبوات (١/ ١٩٥، ١٩٧)، ومنهاج السنة (٢/ ٤١٥، ٤٣٥/٥) [جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ]، ودرء التعارض (٥/ ٣٥٣) [جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ].

(٤) انظر: منهاج السنة (١/ ٥ - ٦)، وفرق معاصرة لغالب عواجي (٢/ ٥٢١، ٦١٩، ٦٢٧)، والموسوعة الميسرة في الأديان (١/ ٣٩٨).

المراد ما يدرك بالحس فإن الحيوانات تعرف ذلك، وإنما المراد الأفعال التي تضر فاعلها في المعاد والمعاش، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان]، وقال تعالى في الكفار: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَمُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [١٢] [محمد].

✽ الحكمة:

من حكم الرسالات السماوية^(١):

- ١ - إقامة الحجة على الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء].
 - ٢ - العباد لا يدركون بعقولهم الكثير من الغائبات التي هي من أصول الإيمان، فجاءت الرسالات السماوية وأخبرتهم بذلك.
 - ٣ - الخلق بحاجة إلى القدوة حسنة، وحاملو الرسالات السماوية قدوة الأتباع، وأسوة حسنة لمن أطاع.
 - ٤ - حرص الناس على حصول المصالح والمناصب العالية ولو بالتخريب وإلحاق الضرر بالغير اقتضى أن يرتب أمورهم من ليس من جنسهم،
- (١) نظر: مدخل الطويان لدراسة كتاب النبوات (٢٢ - ٢٧).

٦ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن

أبي العز.

٧ - «صحيح البخاري» (ج ١).

٨ - «صحيح مسلم» (ج ١).

٩ - «فتح الباري» (ج ٦)، ابن حجر.

١٠ - «فرق معاصرة تنتسب إلى

الإسلام» (ج ١)، لغالب عواجي.

١١ - «منهاج السنة» (ج ١)، لابن

تيمية.

١٢ - «الموسوعة الميسرة في الأديان

والمذاهب المعاصرة» (ج ١)، بإشراف:

الجهني.

١٣ - «النبوات»، لابن تيمية.

التعريف شرعاً:

الرسول: هو من أرسله الله ﷻ إلى قوم كفار مكذبين مخالفين له، سواء أرسل بشرع ورسالة جديدة، أو بشرع من قبله من الرسل^(٢).

ويطلق الرسول على: الرسول البشري، والرسول الملكي؛ كما قال ﷻ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّكَ إِلَهُهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلَوْا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١]، وقال ﷻ: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْفُورُونَ﴾ [الزخرف].

إلا أن بحثنا هنا في الرسول البشري، لا الرسول الملكي، ومرادنا به: النبي والرسول.

الرُّسُل

التعريف لغة:

الرُّسُل (والرُّسُل): جَمْعُ رَسُولٍ؛ وهو: مَنْ أُرْسِلَ فِي رِسَالَةٍ، والذي يُتَابَعُ أخبار مَنْ بعثه فهو مُرْسَلٌ وَرَسُولٌ، وجمعه: رُسُلٌ، ويُطْلَقُ الرسول على الرِّسَالَةِ نفسها. والراء والسين واللام أصلٌ واحدٌ مطرد منقاس يدل على: الانبعاث والامتداد؛ ومنه: (الرُّسُل): السير السَّهْلُ، و(شَعْرَ رَسُلٍ): إذا كان مسترسلاً^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان الرسول لغة هو: من يتابع ويبلغ أخبار من بعثه لمقصود؛ سمي النبي المرسل بذلك؛ لتتابع الوحي عليه؛ إذ هو فعول بمعنى مفعول^(٣). وقيل: سمي بذلك؛ «لأنه ذو رسول؛

(٢) انظر: النبوات لابن تيمية (١٨٤) [المطبعة السلفية، ١٣٨٦هـ].

(٣) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/٣٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وتهذيب اللغة (١٢/٣٩١)، والكلبيات للكفوي (٤٧٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والتوقيف على مهمات التعاريف (٣٦٣) [دار الفكر، ط ١، ١٤١٠هـ].

(١) انظر: الصحاح (٤/١٧٠٩) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، وتهذيب اللغة (١٢/٣٩١) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ومقاييس اللغة (٢/٣٩٢) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ].

أي: ذو رسالة^(١)؛ فالرسول هو: المرسل، الذي أرسل في رسالة. - والعياذ بالله -

والوجهان صحيحان، ليس بينهما تعارض أو تناقض؛ فالرسول هو المرسل من عند الله تعالى برسالة يبلغها للبشر، والوحي يتتابع عليه بهذه الرسالة.

الحكم:

حقيقة الإيمان بالرسول: أنه يجب على المسلم أن يعتقد أن الإيمان بأنبياء الله ورسله ﷺ أصل وركن عظيم من أصول الإيمان والاعتقاد، معلوم من الدين بالضرورة، اتفق على وجوبه جميع الأنبياء والمرسلين، من لدن أبي البشر آدم ﷺ إلى خاتمهم محمد ﷺ، ولا يتحقق إيمان العبد إلا بالإيمان به؛ فمن أنكر نبوة أحد منهم أو لم يتبع شرائعهم كفر.

الحقيقة:

وإيمان بالرسول يتضمن عدة أمور:
أولها: التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دونه، وأن رسالتهم جميعاً حق من عند الله تعالى؛ فنؤمن ونصدق بهم جميعاً، ولا نفرق بين أحد من رسل الله؛ فمن كفر برسالة واحد منهم

الرابع: اعتقاد أن دعوتهم جميعاً من أولهم إلى آخرهم قد اتفقت في أصل الدين؛ وهو: توحيد الله ﷻ - بإلهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته -، وما يشمل ذلك من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ونفي ما يضاد ذلك أو ينافي كماله. لكن فروع شرائعهم - من الفرائض والحلال والحرام - مختلفة في صورها ومقاديرها وأوقاتها وأنواعها

(١) تهذيب اللغة (١٢/ ٣٩١)، وانظر: الزاهر لابن الأنباري (١/ ٣٤).

إلى آخر هذه الفضائل العظيمة والمناقب الجليلة. فنؤمن بمن قصَّ الله تعالى علينا خبره ومن لم يقصص.

❖ الأدلة:

دل على هذا المعتقد الكتاب، والسُّنة الصحيحة، وإجماع الأمة:

أما الدليل على ركنية الإيمان بالرسول، وأنه أصل عظيم من أصول الإيمان والاعتقاد، وأننا لا نفرق بين أحد من رسل الله؛ فقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧].

وقال ﷺ مبيناً حكم من كفر بالرسول، أو فرق بينهم في الإيمان الواجب بهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۚ﴾ (١٥) ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (١٥) [النساء].

وثبت في حديث جبريل ﷺ المشهور؛ أنه قال: «فأخبرني عن الإيمان؛ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١)، وكان ﷺ إذا قام

وكيفياتها؛ وله ﷺ في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

الخامس: الإيمان بما سمي الله تعالى لنا من أنبيائه ورسله في الكتاب والسُّنة إجمالاً في الإجمالي وتفصيلاً في التفصيلي، والتصديق بهم وبما صح عنهم من أخبار في الكتاب والسُّنة، من ذكر أسمائهم وفضائلهم وخصائصهم وأخبارهم مع قومهم، وما جرى بينهم من الخصومة، ونصر الله لهم ولأتباعهم، وما في ذلك من الكفاية والعبرة والموعظة.

❖ المنزلة:

إن الأنبياء ﷺ هم أفضل البشر وأرفعهم درجة وقدرًا ومنزلة عند الله تعالى على الإطلاق، وإنهم يتفاوتون ويتفاضلون فيما بينهم في منزلتهم عند الله تعالى؛ فأفضلهم: رسل الله تعالى الكرام، وأفضل الرسل وأعلاهم منزلة: أولو العزم منهم - الخمسة المشهورون -، وأفضلهم: نبيُّنا محمد ﷺ (وهو أفضل الخلائق أجمعين)، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم نوح، ثم باقي الرسل، ثم عامة الأنبياء غير الرسل، وهم يتفاضلون ويتفاوتون في الفضيلة فيما بينهم؛ فبعضهم أفضل من بعض؛ فالله تعالى اتخذ إبراهيم ومحمدًا خليلين، وكلَّم موسى تكليمًا، ورفع إدريس مكانًا عليًا، وجعل عيسى كلمته وروحًا منه،

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث

عمر بن الخطاب ؓ.

هديهم وما جاؤوا به؛ فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال؛ فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها؛ فأى ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير! (٣).

وقال ابن رجب: «الإيمان بالرسول يلزم منه الإيمان بجميع ما أخبروا به من: الملائكة، والأنبياء، والكتاب، والبعث، والقدر، وغير ذلك من تفاصيل ما أخبروا به، وغير ذلك من صفات الله، وصفات اليوم الآخر؛ كالصراط، والميزان، والجنة والنار» (٤).

المسائل المتعلقة:

من المسائل المتعلقة بالإيمان بالرسول:

- المسألة الأولى: المفاضلة بين الرسل:

الأنبياء ﷺ يتفاوتون ويتفاضلون فيما بينهم في منزلتهم عند الله تعالى؛ فأفضلهم: رسل الله تعالى الكرام، وأفضل الرسل وأعلاهم منزلة: أولو

من الليل يتهجّد يقول: «اللَّهُمَّ لك الحمد، أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن،... ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق» الحديث (١).

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «الإيمان بالرسول يجب أن يكون جامعاً عاماً مؤتلفاً، لا تفريق فيه ولا تبعض ولا اختلاف: بأن يؤمن بجميع الرسل وبجميع ما أنزل إليهم. فمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعض، أو آمن ببعض ما أنزل الله وكفر ببعض؛ فهو كافر، وهذا حال من بدّل وكفر من اليهود والنصارى والصابئين» (٢).

وقال ابن القيم: «لا سبيل إلى السعادة والفلاح - لا في الدنيا ولا في الآخرة - إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم؛ فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا

= وأخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، و(كتاب التفسير، رقم ٤٧٧٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٢٠)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٦٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/١٢).

(٣) زاد المعاد لابن القيم (١/٦٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٢٧، ١٤١٥هـ].

(٤) جامع العلوم والحكم (١/١٠٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٨، ١٤١٩هـ].

العزم منهم - الخمسة المشهورون - (١)،

وأفضلهم: نبينا محمد ﷺ (وهو أفضل الخلائق أجمعين)، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم نوح، ثم باقي الرسل، ثم عامة الأنبياء غير الرسل، وهم يتفاضلون ويتفاوتون في الفضيلة فيما بينهم؛ فبعضهم أفضل من بعض.

وإن هؤلاء الأنبياء ﷺ إنما يتفاضلون فيما بينهم بما حبي الله تعالى المفضل منهم ومنحه بالخصائص والفضائل والوسائل والكرامات والأحوال - الزائدة عن درجة النبوة والرسالة - التي لم يعطها لغيره؛ كالترتيب بالترتيب بمنقبة عظيمة - كتكليم الله تعالى موسى ﷺ، واتخاذ إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام خليلين -، والترتيب بالبينات والآيات والمعجزات والتأييد بالملائكة الكرام - كما حدث لعيسى ﷺ -، والترتيب بالشرائع وإنزال الكتب، والترتيب بكثرة الأتباع، والترتيب بكون النبي عبداً رسولاً لا نبياً ملكاً - كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا؛ فهم أفضل من داود وسليمان ويوسف عليهم جميعاً الصلاة والسلام -،

(١) المراد: أن هؤلاء الخمسة بعينهم - الذين اشتهر أنهم هم أولو العزم من الرسل - هم أفضل الرسل، لا أن أولي العزم - وإن كانوا غيرهم - هم أفضل الرسل! فالمقصود أن هؤلاء الخمسة هم أفضل الرسل، سواء قيل: هم أولو العزم - وهو المشهور المختار -، أو قيل غير ذلك.

إلى غير هذا من أوجه التفضيل.

وأما حديث: «لا تخيروني من بين الأنبياء» (٢)؛ فمعناه: أي: لا تفضلوني بحيث يلزم نقص أو غضاضة على غيره أو يؤدي إلى الخصومة، أو قاله ﷺ على وجه التواضع وحسن الأدب (٣).

- المسألة الثانية: عموم رسالته ﷺ:

إن من خصائص نبينا محمد ﷺ التي انفرد بها عن قبله من الأنبياء - مما هو معلوم بالنقل المتواتر من دين الإسلام بالضرورة -: أنه رسول الله إلى جميع الثقلين: إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، ملوكهم ورعيته، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، من وقت بعثته إلى قيام الساعة؛ فليس هو رسولاً للعرب وحدهم، كما يعتقد بعض النصارى، والعيسوية من اليهود، وملحدو أهل الكتاب، أما غيره من الأنبياء؛ فكان الواحد منهم يبعث إلى قومه خاصة.

وإنه لا يسع أحداً من الناس إلا الإيمان به ومتابعة ما جاء به من الكتاب والسنة، باطنًا وظاهرًا، في دقيق الأمور وجليلها، في العلوم والمعارف والأعمال؛ فمن سمع به ﷺ ومات ولم يؤمن به - بحجة اتباع غيره من

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٦٣٨).

(٣) انظر: عمدة القاري شرح البخاري (١٨/٢٤٠).

وقد دلَّ على هذا المعتقد: الكتاب، والسُّنة المتواترة: قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨] ولفظ الناس يطلق على: الإنس والجن، وقال ﷺ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان]، والعالمين: الإنس والجن.

وفي «الصحيحين» من حديث جابر بن عبد الله ﷺ؛ أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي»، فذكر منها: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة»، وفي رواية: «كافة»، وفي رواية مسلم: «وبعثت إلى كل أحمر وأسود»^(٢)، وعن أبي هريرة روى عنه ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده؛ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»^(٣).

- المسألة الثالثة: بشرية الرسل:

إن أنبياء الله ورسله ﷺ كانوا جميعًا بشرًا، يتصفون بصفاتهم ولا ينفكون عن

الأنبياء ﷺ - فهو من أصحاب النار، وكذا من سوغ اتباع شريعة غير شريعته ﷺ فهو كافر بالإجماع.

ولذا ختمت به الرسالة والنبوة؛ فهو ﷺ خاتم النبيين والمرسلين؛ فلا يتعبد الله تعالى بغير شريعته، ولا يتبع سواه؛ فشرعه باق بقاء الليل والنهار إلى يوم القيامة؛ ولذا فهو ﷺ أكثر الأنبياء تابعًا يوم القيامة. ويعتقد المسلم: أنه لا يتم الإيمان به ﷺ إلا بإثبات عموم رسالته في هذا وهذا؛ فلا يخرج أحد من المكلفين عن رسالته، ولا يخرج نوع من أنواع الحق الذي تحتاج إليه الأمة في علومها وأعمالها عما جاء به ﷺ^(١).

(١) انظر: تفسير الرازي (٣٨٧/١٥) [دار إحياء التراث العربي ببيروت]، ومجموع الفتاوى (٢/٢٣٤، ٤/٢٠٤، ١٢/٤٩٦، ٢٧/٥٩، ٢٨/٥٢٤، ٣٤/٢٠٧)، والجواب الصحيح (١/١٦٢، ١٦٦، ٣٣٥، ٣٧١، ٤٤٥، ٧/٢، ٤٠، ٢٢١، ٥/٤٤٥) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ]، وإعلام الموقعين (٤/٣٧٥) [دار الجيل ببيروت، ١٩٧٣م]، وهداية الحيارى (٢٠١) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ]، وتفسير ابن كثير (١/٥، ٢/٢٦، ٣/٣٠١، ٤٨٩، ٤/٣١٢، ٤٧٧، ٥٢٣، ٥/٣١٥، ٦/١١٦، ٦/١٦٦، ٢٤٨، ٥١٨، ٥٩٢، ٧/٨٣، ٨/١١٥) [دار طيبة، ط ٢]، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١/١٦٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٩]، والخصائص الكبرى للسيوطي (٢/٢٧٩، ٢٨١) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ]، والمواهب اللدنية للقسطلاني (٢/٦٤٥) [المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٢٥هـ]، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/٢٧٩) [المكتب الإسلامي ببيروت]، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (٢/١٨٢) [الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض، ط ٢، ١٤١٢هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التيمم، رقم ٣٣٥)، و(كتاب الصلاة، رقم ٤٣٨)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

ويتعرضون للبلاء والأذى ولهم في ذلك الأجر العظيم؛ فهم عبيد لله كجميع البشر، ليس لهم من خصائص الربوبية ولا الملائكية شيء.

وهم جميعاً كانوا ذكوراً أحراراً، مصطفىين من خيار قومهم، ومرسلون بلسانهم ولغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم.

وإن البعثة كانت من أهل القرى (يعني: المدن) ولم تكن في أهل البوادي؛ فليس في الأنبياء امرأة ولا ملك ولا أعرابي ولا عبد ولا جني، ولا من يتصف بالصفات الناقصة والأخلاق الذميمة.

وهم مبرؤون سالمون من كل نقص وعيب، ومن كل ما يقدر في نبوتهم وتبليغهم، أو ينفر عن اتباعهم؛ كدناءة الآباء، وسوء أو فحش الأمهات، والغلظة، وعن العيوب المنفرة للطباع؛ كالبرص والجذام، وجميع الرذائل؛ كالبخل والجبن واللغو والأخلاق الذميمة، وجميع الأمور المخلة بالمروءة؛ كأكل على الطريق، والحرف الدنية، وكل ما يخل بحكمة البعثة، ونحو ذلك.

- المسألة الرابعة: أولو العزم:

لقد اصطفى الله تعالى من بين عباده

البشرية البتة، فهم مولودون كما ولد البشر، ولهم آباء وأمهات، وأعمام وعمات، وأخوال وخالات، ويتزوجون كما يتزوج الناس، ويأكلون ويشربون، ويقومون بأعمال ومهن البشر - كالتجارة ورعي الغنم نحوهما -، ويطراً عليهم ما يطرأ على سائر البشر من الأعراض والجوع والنسيان والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية بالإجماع^(١)، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُونَ فِي الْآسَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال ﷺ: ﴿...قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٩٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْسُورُ مَطْمَئِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ [الإسراء]، وقال ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ [الأنبياء]. وقال النبي ﷺ: «إنما أنا بشر مثلكم؛ أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني»^(٢).

(١) انظر: تلخيص ابن كثير لكتاب الاستغاثة لابن تيمية

(٢٠٦/١) مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة،

ط ١، ١٤١٧هـ.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٠١)، ومسلم

(كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٧٢)، من

حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، في قصة سهوه ﷺ

في الصلاة.

كما في حديث الشفاعة المشهور^(٢).

وأخرج الحاكم والبزار - واللفظ له - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنه قال: «خيار ولد آدم خمسة: نوح، وإبراهيم، وعيسى، وموسى، ومحمد صلوات الله عليهم، وخيرهم محمد صلوات الله عليه»^(٣)، ولفظ الحاكم: «سيد الأنبياء خمسة، ومحمد صلوات الله عليه سيد الخمسة» فذكره.

- المسألة الخامسة: عدد المسمين في القرآن الكريم:

عدد المسمين منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون - إضافة إلى الأسباط المذكورين إجمالاً - وليسوا هم إخوة يوسف عليه السلام^(٤)؛ وهم: آدم، ونوح، وإدريس، وهود، وصالح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، وشعيب، ويونس، وموسى، وهارون، وإلياس، وزكريا، ويحيى، واليسع، وذا الكفل - وقد اختلف في نبوته، والصحيح: أنه نبي^(٥) -،

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧١٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤).

(٣) أخرجه البزار في مسنده (١٤١/١٧) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، والحاكم في المستدرک (كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، رقم ٤٠٠٧)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، وإن كان موقوفاً على أبي هريرة»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٥/٨) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ]: «رجاله رجال الصحيح».

(٤) انظر: المسائل المتعلقة.

(٥) انظر: المسائل المتعلقة.

رسلاً كراماً جعلهم وسائط في إبلاغ الدين لخلقه وعباده، فبلغوا رسالات ربهم أتم بلاغ وأكملة، وكانوا جميعاً من أهل العزم والصبر والثبات على هذه الرسالات، وعلى الدعوة إلى دين الله تعالى، وكان من بينهم - على أشهر الأقوال - خمسة بلغوا النهاية في هذا العزم والجد؛ فصار هذا الوصف (أولو العزم) إذا أطلق منصرفاً إليهم، وهم أفضل المرسلين؛ بل أفضل الخلق على الإطلاق^(١)؛ وقد خصَّ الله تعالى: (أولو العزم) من الرسل بالذكر على انفرادهم في موضعين من القرآن الكريم في سياق العزم والجد والثبات؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب] - فذكر تعالى أخذه الميثاق من النبيين جملة، ونصَّ منهم على هؤلاء الخمسة -، وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [الشورى: ١٣]، ومن ذلك: أن هؤلاء الخمسة صلوات الله عليهم هم الذين يتراجعون الشفاعة بعد أبيهم آدم عليه السلام حتى تنتهي إلى نبينا محمد صلوات الله عليه؛

(١) راجع: معالم التنزيل للبغوي (٢٧٢/٧)، مجموع الفتاوى (١٦١/١١)، تفسير ابن كثير (٣٨٢/٦)، ٧/ (٣٠٥) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، أضواء البيان (٤٣٤/٧)، ومعارج القبول (٦٧٩/٢).

[الفتح: ٢٩]. وقد ذكر بعض هؤلاء الأنبياء في مواضع متعددة من القرآن؛ كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم، عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

وسمى لنا النبي ﷺ منهم - مما صح عنه - : يوشع بن نون فتى موسى ﷺ؛ فقال ﷺ: «إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع، ليالي سار إلى بيت المقدس»^(١)، وقد جاء ذلك مفصلاً في الصحيحين ففيهما؛ أنه ﷺ قال: «غزا نبي من الأنبياء فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحbst حتى فتح الله عليه»^(٢).

- المسألة السادسة: أول الرسل والنبين بعد اختلاف الناس وعبادة غير الله تعالى:

نوح ﷺ، وآخرهم محمد ﷺ، وقبله عيسى ﷺ، ولم يكن بينهما نبي ولا رسول. والدليل على أن نوحاً ﷺ هو أول الرسل والنبين بعد اختلاف الناس وعبادة غير الله تعالى، قول الله ﷻ:

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦٥/١٤) [مؤسسة الرسالة]، وصح إسناده: ابن كثير في البداية والنهاية (٣٧٦/١، ٣١٣/٦) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢]، وابن حجر في فتح الباري (٢٢١/٦) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، وجود إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣١٢٤)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٤٧).

وداود، وسليمان، وأيوب، وعيسى، وخاتمهم وأفضلهم محمد.

والدليل على أن الأنبياء والرسل المسمين في القرآن خمسة وعشرون؛ قول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٣) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٤) ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٨٥) ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِلْيَاسَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٨٦) [الأنعام]؛ فهؤلاء ثمانية عشر واحداً منهم ذكروا في موضع واحد.

وجاء ذكر السبعة الباقين في مواضع متفرقة: قال الله ﷻ: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال ﷻ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال ﷻ في ذكر آدم ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران]، وقال ﷻ في ذكر إدريس وذي الكفل ﷺ: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى في ذكر سيدهم وخاتمهم ﷺ: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾

هؤلاء أنبياء ورسلاً كثيرين، لا يعرف أسماءهم ولا أعدادهم ولا أزمانهم ولا تفاصيل حياتهم وقصصهم مع أقوامهم إلا خالقهم ومرسلهم ﷺ - وقد ورد تعدادهم في أحاديث متكلم في أسانيد^(٤)؛ - فيؤمن بهم إيماناً مجملًا. والدليل على أن أنبياء الله ورسله كثيرون، لا يعرف أسماءهم ولا أعدادهم ولا تفاصيل حياتهم إلا خالقهم ومرسلهم ﷺ قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَمِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، وقوله تعالى بعد أن سمى

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، وقوله ﷺ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [غافر: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧]، وفي الآية إنذار لكفار قريش في تكذيبهم رسول الله ﷺ «بأنه قد أهلك أمماً من المكذبين للرسول من بعد نوح. ودلّ هذا على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح على الإسلام؛ كما قاله ابن عباس^(١) وأبي بن كعب ومجاهد وقتادة وغيرهم في قول الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ الآية [البقرة: ٢١٣]؛ قالوا: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا؛ ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾»^(٢). وثبت في حديث الشفاعة المشهور الطويل؛ أن النبي ﷺ قال: «اثبتوا نوحاً؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض»^(٣).

- المسألة السابعة: عدد الرسل:

ويعتقد المسلم أن لله تعالى سوى

(١) تفسير ابن كثير (٦٢/٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٦٢١/٣) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ]، وتفسير ابن كثير (٥٦٩/١)، والدر المنثور للسيوطي (٤٩٦/٢) [دار هجر، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٤٧٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٣).

(٤) أشهرها: ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٥/٤٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان في صحيحه (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٦١) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ]، والطبراني في المعجم الكبير (٢١٧/٨) [مكتبة العلوم والحكم بالموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ] - واللفظ لابن حبان -، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وفيه: قال: قلت: يا رسول الله؛ كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وعشرون ألفاً»، قلت: يا رسول الله؛ كم الرسل من ذلك؟ قال: «ثلاث مائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً»... الحديث، وفي إسناده ابن حبان: إبراهيم بن هشام الغساني؛ قال الهيثمي في موارد الظمان (٥٤/١) [دار الكتب العلمية]: «قال أبو حاتم وغيره: كذاب» وفي إسناده أحمد والطبراني ثلاثة ضعفاء.

لكن صححه الألباني بمجموع طرقه وشواهده؛ كما في السلسلة الصحيحة (٦ القسم الأول ٣٦٣، رقم ٢٦٦٨) [مكتبة المعارف بالرياض، ط١، ١٤١٦هـ]. وقد ورد في تعدادهم أحاديث أخرى ضعيفة؛ من رواية: أبي أمامة وأنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وجابر وغيرهم رضي الله عنهم.

وقد ضعف الأحاديث الواردة في عددهم: الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نصر المروزي وغيرهما.

الأنبياء ﷺ - فهو من أصحاب النار^(١).

والأدلة على عموم رسالة نبينا محمد ﷺ لجميع الثقلين، وأنه خاتم النبيين، وأن رسالته هي خاتمة الرسائل والناسخة لما قبلها من الشرائع؛ فلا شرع إلا شرعه، ولا يجوز متابعة غيره من الرسل السابقين بعد بعثته ﷺ ونزول الوحي عليه كثيرة؛ منها: قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب]، وقوله ﷺ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

لنا مجموعة منهم: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله ﷺ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْأَخْلَافِ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر]، وقول الله ﷻ - بعد أن ذكر بعض المكذبين للرسل -: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان].

- المسألة الثامنة: خاتم الأنبياء والمرسلين:

إن نبينا محمداً ﷺ هو خاتم النبيين والمرسلين، ورسول رب العالمين إلى جميع الثقلين، فلا نبي ولا رسول معه ولا بعده؛ فيه أكمل الله الدين، وأتم علينا به النعمة، ونسخ به جميع الشرائع السابقة؛ فرسالته ﷺ كافية شافية عامة؛ فلا يسع أحداً من الناس إلا الإيمان به ومتابعة ما جاء به من الكتاب والسنة - باطنًا وظاهرًا، في دقيق الأمور وجليلها، في العلوم والمعارف والأعمال -، ولا يجوز متابعة غيره من الرسل السابقين بعد بعثته ﷺ ونزول الوحي عليه - فلو أدركه الأنبياء ﷺ ما وسعهم إلا اتباعه -؛ فلا شرع إلا شرعه، ولا يتعبد الله تعالى بغير ما جاء به ﷺ، فمن ابتغى غير دينه وشرعه دينًا وشرعًا فلن يقبل منه، ومن سمع به ﷺ ومات ولم يؤمن به - بحجة اتباع غيره من

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٩/٩، ٥٢/١١، ١١/١٢، ١٣٤/١٤، ٩٣/١٩)، والجواب الصحيح (٦٤/٥)، وشرح العقيدة الأصفهانية (٢١١) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ]، والاستقامة (٢٤/٢) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٣هـ]، ورسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (١٩) [مطابع الشرق الأوسط بالرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٤٢٣/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤١٧هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١١٨/١)، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢٥٩/٢، ٢٦٣)، والعقيدة الصحيحة وما يضادها لابن باز (١٢) [مكتبة ابن تيمية بمصر]، وعقيدة أهل السنة والجماعة لابن عثيمين (٢٥) [الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ١٤١٠هـ]، والرسول والرسالات للأشقر (١٥) [دار النفائس بالأردن، ط ١٢، ١٤٢٣هـ]، والإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان لبكر أبي زيد (٧٨) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٧هـ]، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنبذة من العلماء (١٥٣) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالسعودية، ١٤٢١هـ].

وفيهما أيضًا، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء؛ كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي» الحديث^(٥).

وثبت في حديث ثوبان رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»^(٦).

❖ الفروق:

الفرق بين النبي والرسول:

النبي: هو من أنبأه الله ﷻ، وهو ينبيء بما أنبأه الله تعالى به - من الخبر والأمر والنهي -^(٧).

هذا تعريف النبي بوجه عام؛ فيدخل فيه: النبي والرسول - فهما يشتركان في الإنباء من عند الله تعالى -؛ فكل رسول نبي، من غير عكس.

ويفرق بينهما^(٨) بأن النبي هو: من أرسل إلى قومه المؤمنين الموافقين له،

وثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي: كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية؛ فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»^(١)، وفي رواية جابر رضي الله عنه: «فأنا موضع اللبنة؛ جئت فختمت الأنبياء»^(٢).

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «فُضِّلْتُ على الأنبياء بست»، فذكر منها: «وأُرْسِلْتُ إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»^(٣).

وثبت في «الصحيحين» عن جبير بن مطعم رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي»، وفي رواية لمسلم: «وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد»^(٤).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٥٥)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٤٢).

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الفتن، رقم ٤٢٥٢)، والترمذي (أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، رقم ٢٢١٩) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٣٩٥٢) مختصرًا، وأحمد في مسنده (١١٧/٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٢/٤) [مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ].

(٧) انظر: النبوات لابن تيمية (١٨٤، ١٨٥).

(٨) انظر: النبوات (١٨٤ - ١٨٥).

(١) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٣٥)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٦)، وهو عنده أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٧).

وأخرجه البخاري أيضًا (كتاب المناقب، رقم ٣٥٣٤)، بدون هذه الزيادة.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٣٢)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٥٤)، واللفظ له.

بشريعة من قبله من الرسل، فهو في قومه كالعلماء المبلغين عن الرسل.

أما الرسول فهو: من أرسله الله تعالى إلى الكفار المكذبين المخالفين له، سواء أرسل بشرع ورسالة جديدة، أو بشرع من قبله من الرسل.

أما القول المشهور عند المتأخرين بأن الرسول: «من أوحى إليه بشرع وأمر بالتبليغ»، والنبي: «من أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ»^(١)؛ فضعيف لا يصح^(٢).

الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على الإيمان بالرسول ﷺ: العلم برحمة الله تعالى، وعنايته بعباده ولطفه بهم؛ حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله المستقيم، ويبينوا لهم سبيله القويم، ويرشدوهم إلى ما يحبه الله ويرضاه وما يبغضه ولا يرضاه؛ لعدم استقلال العقل البشري بمعرفة ذلك، مع عظم الحاجة إليه.

ومن الثمرات أيضاً: شكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة، والمِنَّة الكبرى بإرسال الرسل.

ومنها أيضاً: محبة هؤلاء الرسل

(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/١٥٥)، ولوامع الأنوار البهية (١/٤٩)، ومعارج القبول (١/٧٤، ٢/٦٧٥).

(٢) انظر: أضواء البيان (٥/٨٠١) [دار عالم الفوائد، ١٤٢٦هـ]، والرسل والرسالات للأشقر (١٤).

وتوقيرهم وتعظيمهم، وموالاتهم والحدز من بغضهم وعداوتهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، والاعتراف بفضلهم وشرفهم، والصلاة والسلام عليهم؛ لأنهم رسل الله وأفضل خلقه، ولما قاموا به من واجب إبلاغ رسالات الله إلى خلقه، وكمال النصيح لعباده والشفقة بهم، والاقتداء بهم في الصبر على أذى أقوامهم، والجد والثبات على الحق والدين والدعوة إلى الله تعالى، والجهاد في سبيله ﷺ^(٣).

ومنها أيضاً: إثبات وجود الله تعالى، وربوبيته ووحدانيته سبحانه، وإثبات حياته وقدرته وإرادته، وعلمه بالكليات والجزئيات ﷻ.

ومنها أيضاً: إثبات حكمته ﷻ في إرسال الرسل لدعوة الناس إلى توحيده ودينه؛ كما قال سبحانه في التشنيع على من نفى الرسالة من قريش: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]؛ «فمن قال هذا فما قدر الله حق قدره، ولا عظمه حق عظمتة؛ إذ هذا قدح في حكمته، وزعم أنه يترك عباده هملاً لا يأمرهم ولا ينهاهم، ونفي لأعظم منة امتن الله بها على عباده، وهي: الرسالة، التي لا طريق للعباد إلى نيل السعادة والكرامة

(٣) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة لابن عثيمين (٤٥)، وشرح الأصول الثلاثة له (٩٩).

والفلاح إلا بها؛ فأَيُّ قدح في الله أعظم من هذا؟!»^(١).

ومنها أيضاً: أن ضرورة وحاجة العباد إلى الرسالة فوق حاجتهم وضرورتهم إلى كل شيء، «فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها»^(٢).

❖ الرسول ❖

يراجع مصطلح (الرسول).

❖ المصادر والمراجع:

❖ الرشيد ❖

❖ التعريف لغة:

الرشيد: فعيل بمعنى مُفْعَل وفاعل، وقد رَشَدَ فلانٌ يَرشُدُ رُشْداً وهو رَاشِدٌ ورَشِيدٌ، وهو خلاف الغي؛ إذا أصاب وجه الأمر والطريق^(٣).

قال ابن فارس: «الراء والشين والذال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على استقامة الطريق. فالمرَاشِد: مقاصد الطُّرُق. والرُّشْد والرَّشْد: خِلافُ الغَيِّ، وأصاب فلانٌ من أمره رُشْداً ورَشْداً ورِشْدةً، وهو لِرِشْدةٍ خلاف لِعَيَّة»^(٤).

وقال الليث: «ورجل رشيدٌ وراشِدٌ، والإرشاد: الهداية والدلالة»^(٥).

فدلَّ على أن الرشيد والرشد كلها

١ - «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان»، لبكر أبي زيد.

٢ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنة»، لنخبة من العلماء.

٣ - «الجواب الصحيح» (ج ٥)، لابن تيمية.

٤ - «رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه».

٥ - «الرسل والرسالات»، لعمر الأشقر.

٦ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ٢)، لابن أبي العز.

٧ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.

٨ - «عقيدة أهل السُّنة والجماعة»،

لابن عثيمين.

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٣٩٨/٢) [دار الجيل]، الصحاح (٣٦/٢) [دار العلم، ط ٤، ١٩٩٠ م].

(٤) مقاييس اللغة (٣٩٨/٢).

(٥) تهذيب اللغة (٩١/٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١ م].

(١) تفسير السعدي (٢٦٤)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٧/٧).

(٢) زاد المعاد لابن القيم (٦٩/١).

تدور حول الهداية والاستقامة.

حيث إن باب الأخبار أوسع من باب الأسماء والصفات، والله تعالى أعلم^(٢).

✽ التعريف شرعاً:

✽ الحقيقة:

حقيقة الرشيد تدل على تمام الرشيد وكمال الذات والقدرة والحكمة وحسن التقدير والتدبير، وتمام العلم بما فيه المصلحة للخلق فيرشدهم إليها وما فيه المفسدة فيجنبهم عنها.

✽ الأدلة:

لم يرد في القرآن والسنة دليل صريح يدل على أن الرشيد اسم من أسماء الله أو صفة من صفاته. فقد ورد بصيغة اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف]، وورد بصيغة المصدر في قوله تعالى: ﴿وَهَيَّ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف]، وورد بصيغة الفعل في قوله ﷺ: «الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين»^(٣).

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٥٣)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٢٨٥، ٥١٤) [دار إيلاف، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ٥١٧)، والترمذي (أبواب الصلاة، رقم ٢٠٧)، وأحمد (٢٢٢/١٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن خزيمة (كتاب الإمامة في الصلاة، رقم ١٥٢٨)، وصححه المناوي في فيض القدير (٣/ ١٨٢) [المكتبة التجارية الكبرى، ط ١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ٥٣٠).

معنى الرشيد: أن الله ﷻ راشد في ذاته وراشد في قوله وفعله، أرشد الخلق كلهم إلى مصالحهم وأرشد أوليائه خاصة إلى الجنة وطرق الثواب^(١).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يظهر مما تقدم بأن كلاً من المعنى اللغوي والشرعي لمصطلح الرشيد يدور حول الهداية والاستقامة.

✽ سبب التسمية:

سمي الراشد راشداً؛ لأنه راشد لنفسه ومرشد لغيره إلى سواء السبيل.

✽ الحكم:

لا يسمى الله ﷻ بالرشيد أو الراشد ولا يوصف به؛ لعدم الدليل الصريح في ذلك، ولأن باب الأسماء والصفات توقيفي، فلا يسمى الله باسم أو يوصف بصفة إلا بدليل، والرشيد يفتقر إلى هذا الدليل كما سيأتي بيانه، لكنه يجوز الإخبار عن الله ﷻ بأنه رشيد وراشد بمعنى: أنه هادي عباده إلى سواء السبيل، ويوصف قوله وفعله بذلك؛

(١) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦٥) [دار الثقافة العربية، ١٩٧٤م]، وشأن الدعاء للخطابي (٩٧) [دار المأمون، ط ١، ١٤٠٤هـ].

العسرى»^(٣).

✽ المسائل المتعلقة:

- المرشد: معنى اسم المرشد عند من أثبتة نفس معنى اسم الرشيد؛ أي: الدال على المصالح والداعي لها، وهو من صفات الأفعال^(٤).

ولا يصح إطلاق اسم المرشد على الله ﷻ، وإنما هو من باب الأفعال، وباب الأفعال أوسع من باب الأسماء، وليس كل ما يصح إطلاقه فعلاً يصح اسماً، والله أعلم^(٥).

وقد استدلل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿وَهَيَّ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ، وَإِنَّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف]. ولم يرد هذا الاسم في أي طريق من طرق حديث تعيين الأسماء المشهور^(٦). ولم يورده من أهل العلم سوى القرطبي^(٧).

✽ الثمرات:

أن الهداية والرشاد بيد الله تعالى

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٥٣).

(٤) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١).

(٥) انظر: [دار الصحابة، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٦) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (١٠٩ - ١١١) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٧) انظر: هل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٧٩ - ٨٤).

(٨) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٤٧١).

وجاء الرشيد وصفاً لغير الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود]، وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرُّشْدُونَ﴾ [الحجرات].

وعليه؛ فلا يثبت لله تعالى اسم الرشيد أو الراشد ولا يوصف بالرشد، إنما يخبر عنه بأنه رشيد في ذاته ومرشد لعباده وخلقه.

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن القيم في نونيته:

وهو الرشيد فقلوه وفعاله

رشد وربك مرشد الحيران^(١)

وقال ابن كثير - في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ، وَإِنَّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف] -: «أي: هو الذي أرشد هؤلاء الفتية إلى الهداية من بين قومهم، فإنه من هداه الله اهتدى، ومن أضله الله فلا هادي له»^(٢).

وقال السعدي رحمه الله: «وهو الرشيد الذي أقواله رشد، وأفعاله رشد، وهو مرشد الحائرين في الطريق الحسي، والضالين في الطريق المعنوي، فيرشد الخلق بما شرعه على السنة رسله من الهداية الكاملة، ويرشد عبده المؤمن، إذا خضع له وأخلص عمله أرشده إلى جميع مصالحه، ويسره ليسرى وجنبه

(١) النونية (٢١٠) [مكتبة ابن تيمية ط ١٤١٧هـ].

(٢) تفسير ابن كثير (١٤٣/٥) [دار طيبة، ط ٢].

وهو خلاف السُّخْط. قال ابن فارس: «الراء والضاد والحرف المعتل أصل واحد يدلُّ على خلاف السُّخْط. تقول: رَضِيَ يَرْضَى رِضًا، وهو راضٍ، ومفعوله مرضِيٌّ عنه، ويقال: إنَّ أصله الواو؛ لأنَّه يقال منه: رِضْوَانٌ»^(١).

التعريف شرعًا:

الرضا: في حق الله ﷻ صفة من صفاته الفعلية الثابتة له، تدلُّ على أنه سبحانه يرضى عن عباده المؤمنين المطيعين له رِضًا حقيقيًّا كما يليق بجلاله وعظمته^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تظهر العلاقة بين المعنيين من حيث إن الرضا في كلٍّ منهما ضد السخط، فرضا الله ﷻ عن عبده ينافي سخطه عليه.

الحكم:

يجب إثبات صفة الرضا لله ﷻ واعتبارها صفة فعلية متعلقة بذاته غير منفصلة عنه، من غير خوض في الكيفية أو تأويل ينفي دلالتها.

يهدي إليه من يشاء من عباده، فيطلب الهداية منه، وأن من هداه الله فهو المهتدي ومن أضله فلن يجد من دونه هاديًّا ولا مرشدًا.

المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله الحسنى في الكتاب والسُّنة»، لمحمود عبد الرزاق.
- ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٥ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٦ - «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنة»، لسعيد بن وهف بن علي القحطاني.
- ٧ - «شرح أسماء الله الحسنى وصفاته الواردة في الكتاب والسُّنة»، لحفصة بنت عبد العزيز.
- ٨ - «صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنة»، للسقاف.
- ٩ - «معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

الرُّضَا

التعريف لغة:

الرُّضَا: مصدر للفعل: رَضِيَ يَرْضَى،

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٠٢) [دار الجيل].

(٢) انظر: صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنة للسقاف (١٢٨) [دار الهجرة، ط١، ١٤١٤هـ]، والصفات الإلهية في الكتاب والسُّنة للجامي (٢٨٩) [ط٢، ١٤١١هـ].

❁ الحقيقة:

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨]، وقوله: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَىٰ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، وقوله: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦].

وهذه الآيات صريحة في الدلالة على ثبوت صفة الرضا لله ﷻ. قال ابن عثيمين: «هذه من آيات الرضا، فالله ﷻ موصوف بالرضا، وهو يرضى عن العمل، ويرضى عن العامل» (٤).

ومن أدلة السنة: قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبمعافاتِكَ مِنْ عِقَابِكَ» (٥)، وقوله ﷺ: «إِنْ اللَّهُ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا» (٦)، وقوله ﷺ: «إِنْ ربه ﷻ في خطابه لأهل الجنة: «إني أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا» (٧).

وأما الإجماع: فقد نقله ابن عبد البر فقال: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز» (٨).

رضا الرب ﷻ «من لوازم ذاته دائم بدوامه، ولهذا أدام نعيم أهل الجنة رضاه عنهم، كما يقول لهم في الجنة: «إني أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا» (١) (٢). وهو صفة من الصفات الفعلية الثابتة له ﷻ، ومتعلقة بمشيئته، فهو يرضى عن عباده المؤمنين ولا يرضى عن القوم الكافرين، ويرضى أعمالاً ويكره أعمالاً. قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. ف«أخبر الله ﷻ أنه رضي عنهم، ورضي أعمالهم، ورضي عمن اتبعهم بإحسان، فهم القدوة في الدين بعد رسول الله ﷺ بإصابة الحق، وأقربهم إلى التوفيق لما يقرب إلى رضاه» (٣).

❁ الأدلة:

دلَّ على ثبوت صفة الرضا الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (٢٥٩/١).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٦).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الأفضية، رقم ١٧١٥).

(٧) تقدم تخريجه قريباً.

(٨) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/١٩٠) [مطابع

الفرزدق، الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(١) مختصر الصواعق (٢/٦٧٢) [طبعة أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٤٩)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٢٩).

(٣) الحجة في بيان المحجة للتمي (٢/٤٢٧).

صفة من صفات الله ﷻ، وهي صفة حقيقية، متعلقة بمشيئته، فهي من الصفات الفعلية، يرضى عن المؤمنين وعن المتقين وعن المقسطين وعن الشاكرين، ولا يرضى عن القوم الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يرضى عن المنافقين، فهو ﷻ يرضى عن أناس ولا يرضى عن أناس، ويرضى أعمالاً ويكره أعمالاً^(٦).

المسائل المتعلقة:

- وصف الله ﷻ بالرضا لا يلزم منه تسميته بالراضي، إذ لم يرد هذا الاسم ضمن أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، ولم يرد كذلك في إحصاءات العلماء ممن جمعوا أسماء الله الحسنى إلا في جمع ابن العربي، حيث أورده بصيغة: الرضا، وعده من قبيل الأفعال^(٧)؛ أي: أن هذا الاسم مما يشق من أفعال الله^(٨).

وقد انتقد ابن القيم أصحاب هذا المنهج، فقال: «وقد أخطأ أقبح خطأ من اشتق له من كل فعل اسمًا، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف فسماه «الماكر

وأما دلالة العقل: فإن كون الله ﷻ يثيب الطائعين ويجزيهم على أعمالهم وطاعاتهم دليل على رضاه عنهم وعدم سخطه منهم^(١).

أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي: «والله يغضب ويرضى لا كأحد من الوري»^(٢).
وقال ابن بطة في الإبانة مبوبًا: «الإيمان بأن الله ﷻ يغضب ويرضى ويحب ويكره»^(٣).

وقال قوام السنة الأصبهاني: «إن الله ﷻ سميع بصير عليم خبير، يتكلم ويرضى، ويسخط ويضحك ويعجب»^(٤).

وقال البغوي - في قوله تعالى: ﴿تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] -: «ومعنى الآية: لا يرضى لعباده أن يكفروا به. يروى ذلك عن قتادة، وهو قول السلف، قالوا: كفر الكافر غير مرضي لله ﷻ، وإن كان بإرادته»^(٥).

وقال ابن عثيمين: «فنقول: الرضا

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (١/ ٢٦٠) [دار ابن الجوزي، ط ٤، ١٤٢٤هـ].

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٤٦٣) [دار السلام، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٣) الإبانة لابن بطة (١٧٢/٣).

(٤) الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٢٣).

(٥) تفسير البغوي (٧/ ١٠٩) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ].

(٦) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (١/ ٢٦٠).

(٧) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١٣/٤) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ].

(٨) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (١٢٠) [دار إيلاف، ط ١، ١٤١٧هـ].

والمخادع والفتات والكائد ونحو ذلك»^(١).

والخلاصة: عدم صحة إطلاق الراضي اسماً لله تعالى، وإنما صح صفة، وليس كل ما صح صفة يصح اسماً؛ لأن باب الأسماء أخص من باب الصفات.

❁ الفروق:

الفرق بين الرضا والمحبة:

بين صفة الرضا والمحبة تقارب وتلازم، ولكن لا يلزم من التلازم وحده اتحاد المعنى، ولا يصح تفسير أحدهما بالآخر، فالرضا ضد السخط، والمحبة ضد البغض والكراهة^(٢).

❁ الآثار:

١ - من آثار رضاه سبحانه عن عباده نصرتهم على أعدائهم، كما في قوله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَهُ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران].

٢ - ومنها: تشوق العباد بما بشرهم به من رضوان يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَّتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة].

٣ - ومنها: إدخالهم جنات تجري من

تحتها الأنهار، كما قال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّالِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة].

٤ - ومنها: إيصالهم إلى أعلى درجات النعيم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ اللَّهُ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [١١٦] ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [١١٦] [آل عمران].

٥ - ومنها: تفضله على عباده بأعلى لذات الجنة، ألا وهي رؤيتهم له ﷻ عياناً من غير حجاب، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [٢٣] إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [٢٣] [القيامة].

❁ مذهب المخالفين:

أنكر عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة صفة الرضا وغيرها من صفات الأفعال، وأوجبوا تأويلها؛ فراراً - بزعمهم - من تشبيه وتركيب وتجسيم.

فالجهمية المحضة يجعلون هذا كله مخلوقاً منفصلاً عن الله تعالى، والأشاعرة يرجعونها إلى الإرادة، فالرضا عندهم بمعنى إرادة الثواب^(٣).

(٣) انظر: درء التعارض (١/٣١٠) [دار الكتب العلمية،

١٤١٧هـ]، ومجموع الفتاوى (٥/٣٥١، ٧/٤٣١).

وانظر كذلك: الإنصاف للباقلاني (٣٨) [المكتبة

الأزهرية، ط ٢، ١٤٢١هـ]، ورسالة إلى أهل الشجر =

(١) مدارج السالكين (٣/٤١٥).

(٢) انظر: معجم الفروق اللغوية للعسكري (١/٢٥٨).

- ٣ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.
- ٤ - «رسالة إلى أهل الشجر»، لأبي الحسن الأشعري.
- ٥ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.
- ٦ - «شرح العقيدة الواسطية»، للهراش.
- ٧ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة»، لمحمد أمان الجامي.
- ٨ - «صفات الله الواردة في الكتاب والسنة»، للسقاف.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١٠ - «مختصر الصواعق»، للموصلي.

❏ الرعية ❏

يراجع مصطلح (الإمامة).

❏ الرغبة ❏

❏ التعريف لغة: ❏

قال ابن فارس رَكَّلَهُ: «الراء والغين والباء أصلان: أحدهما طلب لشيء. والآخر سعة في شيء. فالأول: الرغبة في الشيء: الإرادة له. رغبت في الشيء. فإذا لم ترده قلت: رغبت عنه»^(٢).

والرغبة: السؤال والطمع، يقال:

وَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ بَأْنَ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ مِنْ نَفِي الرضا وغيرها من صفات الأفعال فرارًا من تشبيه وتركيب يلزمهم بذلك نفي ما أثبتوه من ذات الله وصفاته؛ لأن القول في الذات كالقول في الصفات، كما أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، فلا فرق بين ما أثبتته المعتزلة من ذات، أو ما أثبتته الأشاعرة من إرادة، وما أثبتته السلف من الرضا والغضب والاستواء وغيرها، فالقول في هذه كالقول في تلك^(١).

ويقال لهم أيضًا: إن الثواب والثناء من آثار الرضا، ومن ثمراته، فليس هو الرضا نفسه، ففرق بين الصفة وآثارها، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يُبَيِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَّتَ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة]. فقد فرق في الآية بين الرضوان الذي هو صفته وبين الجنة التي هي ثوابه، فلم يبق إلا إثبات صفة الرضا لله ﷻ حقيقة كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه من غير تشبيه لها برضا المخلوقين.

❏ المصادر والمراجع: ❏

- ١ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.
- ٢ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

= للأشعري (٢٣١) مكتبة العلوم والحكم، دمشق، ١٩٨٨م.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥١/٥).

(٢) مقاييس اللغة (٤١٥/٢) [دار الجبل، ١٤٢٠هـ].

بها إلى الله وَعَلَى، وقد أمر الله نبيه ﷺ بالرغبة إليه فقال: **﴿وَالِ رِبِّكَ فَارْغَبْ﴾** (٨) [الشرح]، ومدح أنبيائه ﷺ بذلك فقال: **﴿وَيَذَعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾** (٩) [الأنبياء]، وعلى هذا فهي عبادة جلية، وقربة عظيمة، فلا يجوز صرفها لغير الله، وأما الرغبة من المخلوق بمعنى طلب الشيء منه، فهي جائزة إذا كان حيًا قادرًا حاضرًا، وأما من طلب من مخلوق ما لا يقدر عليه إلا الخالق، أو فيما يقدر عليه مخلوق لكن ذلك المخلوق ميت أو غائب فقد أشرك في عبادة الله تعالى (٤).

الحقيقة:

حقيقة الرغبة: هي طلب الوصول إلى الشيء المحبوب، والمرغوب فيه، وحقيقة الرغبة إلى الله تعالى: الطمع فيما عند الله تعالى، وفيما أعده لعباده المؤمنين، تولدت عن الرجاء، فسلكت بصاحبها مسلك الطلب، فدفعته إلى السؤال والطلب (٥).

الأهمية:

أهمية الرغبة تتضح في كونها هي والرغبة من أجل العبادات القلبية، التي

رغب يرغب رَغْبًا ورُغْبًا ورغبة؛ إذا حرص على الشيء، وطمع فيه، ورجل رغب: من الرغبة والرغبة: العطاء الكثير والواسع، وأرغبني في الشيء، ورغبني بمعنى واحد (١).

التعريف شرعًا:

الرغبة: هي طلب أو محبة الوصول إلى الشيء المحبوب (٢)، فالرغبة إلى الله: هي الطمع فيما عند الله تعالى، والحرص على طلبه (٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي ظاهرة؛ حيث يجمعها معنى الطلب والسؤال والطمع، فالتعريف الشرعي هو جزء من التعريف اللغوي.

الأسماء الأخرى:

الرجاء، الطمع.

الحكم:

الرغبة من الأعمال القلبية التي يتقرب

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤١٥/٢ - ٤١٦)، والصحاح للجوهري (١/١٣٧) [دار العلم للملايين، ط ٣]، ولسان العرب (٥/٢٥٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣].

(٢) انظر: شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (٥٩) [دار الثريا]، وتيسير الوصول إلى شرح ثلاثة الأصول لعبد المحسن القاسم (٨٤) [ط ١، ١٤٢٧هـ].

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/٤٧٤) [مؤسسة المختار، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر: قاعدة جلية في التوسل والوسيلة (٢٨٧) [مكتبة الفرقان، عجمان، ط ١، ١٤٢٢هـ]، والصواعق المرسلة الشهابية لسليمان بن سحمان (١٣٥) [دار العاصمة].

(٥) انظر: مدارج السالكين (١/٤٧٤).

الفطرة»^(١).

وقوله ﷺ: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللَّهُمَّ اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»^(٢).

وقوله ﷺ: «إني صليت صلاة رغبة ورهبة، سألت الله ﷻ لأمتي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين ورد علي واحدة، سألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم، فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم غرقاً، فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فردها علي»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رحمه الله: «قد علم المسلمون كلهم أن ما ينزل بالمسلمين من النوازل في الرغبة والرهبة، مثل دعائهم عند الاستسقاء لنزول الرزق، ودعائهم عند الكسوف، والاعتداد لرفع البلاء، وأمثال ذلك إنما يدعون في ذلك الله وحده لا شريك له، لا يشركون

تبعث على تحقيق أعلى مراتب العبودية، فيسير السالك إلى الله تعالى راغباً فيما عند الله تعالى من الثواب الجزيل، وراهباً مما عنده من العذاب الأليم، فهما ركنا العبادات القلبية؛ إذ إن الرغبة ثمرة الرجاء، والرهبة ثمرة الخوف.

❁ الأدلة:

جاءت الأدلة من الكتاب والسنة بالأمر في الرغبة إلى الله تعالى:

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء، ٩١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة، ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ رَاغِبٌ﴾ [الشرح، ٨].

ومن السنة: قوله ﷺ: «إذا أخذت مضجعتك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللَّهُمَّ إِنِّي أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، واجعلهن من آخر كلامك، فإن مت من ليلتك مت وأنت على

(١) أخرجه البخاري (كتاب الوضوء، رقم ٢٤٧)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٠).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٩).

(٣) أخرجه أحمد (٤٠٠/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٣٩٥١)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/١٧٠): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وأخرجه ابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ١٢١٨)، من حديث معاذ بن جبل رحمه الله.

به شيئاً، لم يكن للمسلمين قط أن يرجعوا بحوائجهم إلى غير الله ﷻ؛ بل كان المشركون في جاهليتهم يدعونه بلا واسطة فيجيبهم الله، أفتراهم بعد التوحيد والإسلام لا يجيب دعاءهم إلا بهذه الوساطة التي ما أنزل الله بها من سلطان»^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: «الدين كله رغبة ورهبة فالمؤمن هو الراغب الراهب»^(٢).

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «في هذه الآية الكريمة - يعني: آية الأنبياء -: وصف الله تعالى الخلق من عباده بأنهم يدعون الله تعالى رغباً ورهباً، مع الخشوع له، والدعاء هنا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فهم يدعون الله تعالى رغبة فيما عنده، وطمعاً في ثوابه، مع خوفهم من عقابهم، وأثار ذنوبهم»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- مسألة: الرغبة إلى الله تعالى تكون في السراء والضراء:

مما هو معلوم أن الرغبة هي من الأعمال القلبية التي تصحب حالة الدعاء؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَدْعُوكَ رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء].

والدعاء هنا يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة، فإذا تقرر هذا فقد علم بالأدلة الشرعية أن المطلوب من العبد المؤمن أن يخلص رغبته ورهبته في حال السراء والضراء، ولا يكون كمن وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الْإِيْنَ فَلَمَّا بَجَحْتُهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت].

الفرق:

الفرق بين الرغبة والرجاء:

أن الرجاء طمع، والرغبة طلب، فهي ثمرة الرجاء، فإنه إذا رجا الشيء طلبه. والرغبة من الرجاء كالهرب من الخوف، فمن رجا شيئاً طلبه ورغب فيه، ومن خاف شيئاً هرب منه^(٤).

الفرق بين الرغبة والرهبة:

الرهبة هي الإمعان في الفرع من المرهوب، فهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه^(٥).

الفرق بين دعاء الرغبة ودعاء الرهبة:

قيل في دعاء الرغبة: يجعل ظاهر كفيه إلى السماء وباطنهما إلى الأرض، وفي الرهبة بالعكس يجعل باطنهما إلى السماء وظاهرهما إلى الأرض، وقالوا: الراغب كالمستطعم، والراهب كالمستجير^(٦).

(٤) مدارج السالكين (٢/٥٥) [دار الكتاب العربي، ط ٣].

(٥) انظر: مدارج السالكين (١/٤١٧).

(٦) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى (٣/١٣٥)، =

(١) زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور (٦٦).

(٢) عدة الصابرين (١/١٠٩) [دار ابن كثير، ط ٣].

(٣) شرح ثلاثة الأصول (٦٠).

❁ الثمرات:

من ثمرات الرغبة: أنها هي والرهبة مادتا التوفيق والنجاح، فهما تبعثان على السير إلى الله تعالى، وطلب مرضاته ومغفرته، والطمع فيما عنده، فيحصل المطلوب، ويزول المكروه.

قال ابن القيم رحمته الله: «إذا أراد عبده خيراً، وفقه لاستفراغ وسعه، وبذل جهده في الرغبة والرهبة إليه، فإنهما مادتا التوفيق، فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق»^(١).

ومن ثمارها: أن من رغب فيما عند الله تعالى بصدق وإخلاص أُجر، وأُعطي سؤله، كما أن من رهب من عذاب الله أُمّن؛ لأن الله تعالى لا يخلف وعده^(٢).

مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُؤَسُّ قَنُوطٌ ۖ وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَازِلَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۖ وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ [فصلت].

بل ومن المشركين من يشرك بالله تعالى في حال السراء والضراء، فتجده يعظم الرغبة والرهبة لغير الله تعالى في حالة الصحة والمرض، وفي حال الفقر والغنى، ونحو ذلك، وهذا أسوأ حالاً من الذي قبله^(٣).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «تيسير الوصول إلى ثلاثة الأصول»، لعبد المحسن القاسم.
- ٢ - «جامع المسائل»، لابن تيمية.
- ٣ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.
- ٤ - «حاشية ثلاثة الأصول»، لعبد الرحمن بن قاسم.
- ٥ - «شرح ثلاثة الأصول»، لابن عثيمين.
- ٦ - «زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور»، لابن تيمية.

❁ مذهب المخالفين:

المشركون الذين أشركوا مع الله في عبادته، وصرفوا لغيره أنواعاً من بالعبادات، تجدهم في حال الضراء يخلصون رغبتهم ورهبتهم إلى الله تعالى، وإذا أنجاهم، وصاروا في حال السراء أشركوا معه غيره؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْوَدَانَ فَلَمَّا بَجَدْتُهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^(٥) [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ

= وانظر: جامع المسائل لابن تيمية (٨٩/٤) [دار عالم الفوائد، ١، ١٤٢٢هـ].

(١) شفاء العليل (٢٢٥) [دار التراث، القاهرة].

(٢) انظر: تيسير الوصول للقاسم (٨٥) بتصرف.

(٣) انظر: كشف الشبهات مع شرحه لابن قاسم (١٠٦)

[ط٣، ١٤٢٨هـ].

الأدلة:

٧ - «عدة الصابرين»، لابن القيم.

٨ - «قاعدة في التوسل والوسيلة»،

لابن تيمية.

٩ - «المستدرک على مجموع

الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

رفع عيسى ﷺ

التعريف لغة:

الرفع: يقال تارة في الأجسام الموضوعية إذا أعليتها عن مقرها، نحو قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، وتارة في البناء إذا طولته، نحو قوله: ﴿وَإِذْ رَفَعْنَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وتارة في الذكر إذا نوهته، نحو قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، وتارة في المنزلة إذا شرفتها، نحو قوله: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢] (١).

التعريف اصطلاحاً:

هو رفع عيسى ﷺ حياً إلى السماء.

الحكم:

يجب الإيمان برفع عيسى ﷺ، وأنه لم يصلب ولم يقتل كما زعمت اليهود والنصارى.

قال الله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ سَلِّمْ عَلَيَّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلَفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءُ الظُّلُمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [١٥٧] بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا [١٥٨] [النساء: ١٥٩] وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَعَلُّمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١].

أقوال أهل العلم:

قال أبو الحسن الأشعري: «أجمعت الأمة على أن الله رفع عيسى إلى السماء» (٢).

وقال ابن القيم: «بعث الله محمداً ﷺ بما أزال الشبهة في أمره، وكشف الغمة، وبرأ المسيح وأمه من افتراء اليهود وبهتهم، وكذبهم عليهما، ونزه رب العالمين وخالق المسيح وأمه مما افتراه

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٣٦٠) [دار القلم،

ط١]، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٢)

(١١٦) [عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ].

(٢) الإبانة عن أصول الديانة (٤٢٤) [دار الفضيلة، ط١،

١٤٣٢هـ].

وَرَسُولُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ [الزمر]، فذكر في هاتين الآيتين الوفايتين: الصغرى والكبرى؛ فالصغرى هي النوم، والكبرى هي الموت الذي لا قيام بعده إلا عند البعث.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام قال: «باسمك اللَّهُمَّ أموت وأحيا»، وإذا استيقظ من منامه قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»^(٣).

وقد ثبت بالأدلة القطعية أن الله توفي المسيح ﷺ ورفعته إليه، وثبت أنه ﷺ ينزل في آخر الزمان في هذه الأمة حكماً عادلاً وإماماً مقسطاً، وأن نزوله من أشراط الساعة، ودلالة على قربها، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١]، قال ابن كثير: «أي: أمانة ودليل على وقوع الساعة، قال مجاهد: أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة. وهكذا روي عن أبي هريرة، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمة، والحسن وقتادة، والضحاك، وغيرهم»^(٤). وأنه ﷺ إذا نزل يقضي على الدجال، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية فلا يقبل من

عليه المثلثة عبّاد الصليب وأن ربّه تعالى أكرم عبده ورسوله ونزّهه وصانه أن ينال إخوان القردة منه ما زعمته النصارى أنهم نالوه منه؛ بل رفعه إليه مؤيداً منصوراً لم يشكه أعداؤه بشوكة، ولا نالته أيديهم بأذى فرفعه إليه وأسكنه سماءه، وسيعيده إلى الأرض ينتقم به من مسيح الضلال وأتباعه، ثم يكسر به الصليب، ويقتل به الخنزير، ويعلي به الإسلام، وينصر به ملة أخيه، وأولى الناس به محمد بن عبد الله عليهما أفضل الصلاة والسلام»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المراد بالتوفي المذكور في آية آل عمران:

هي وفاة صغرى والمراد بها: النوم، وعلى هذا القول جمهور المفسرين^(٢). وكانت العرب تسمي النوم وفاةً، والانتباه حياةً، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنْفِخُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام]، وقال ﷻ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ

(١) هداية الحيارى (٣٨٤ - ٣٨٥) [عالم الفوائد، ط ١].

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٩١/٣) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ]، والجامع لأحكام القرآن (١٥٣/٥)

[مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ]، وتفسير ابن كثير

(٤٧/٢) [دار طيبة، ط ٤، ١٤٢٨هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣١٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٣٦/٧) [دار طيبة، ط ٤].

ثبت في «الصحیح» أنه ينزل بدنه وروحه^(١)؛ إذ لو أريد موته لقال: وما قتلوه وما صلبوه؛ بل مات، فقلوه: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ﴾ يبين أنه رفع بدنه وروحه، كما ثبت في «الصحیح» أنه ينزل بدنه وروحه، ولهذا قال من العلماء: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾؛ أي: قابض روحك وبدنك، يقال: توفيت الحساب واستوفيته، ولفظ التوفي لا يقتضي نفسه توفي الروح دون البدن، ولا توفيهما جميعاً، إلا بقرينة منفصلة.

وقد يراد به توفي النوم؛ كقلوه تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]^(٢).

مذهب المخالفين:

أنكرت القاديانية رفع عيسى عليه السلام بزعم أنه لا مسيح إلا مدعي النبوة: غلام أحمد القادياني^(٣)، في حين زعمت اليهود

أحد إلا الإسلام، ويؤمن به أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَمُنُّ إِلَّا الَّذِينَ يَدْعُونَ مَعَ رَبِّهِمُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وهذا يدل على أنه لا يزال حياً عليه السلام حين رفعه الله تعالى، وأن وفاته وفاة قبض.

قال ابن تيمية: «من فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء، وإذا أحيي فإنه يقوم من قبره. وأما قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥]، فهذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت؛ إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين؛ فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء فعلم أن ليس في ذلك خاصية. وكذلك قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥]، ولو كان قد فارقت

روحه جسده لكان بدنه في الأرض كبدين سائر الأنبياء أو غيره من الأنبياء. وقد قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ سُبُّهُ هُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ آخَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَبْطَاعُ الْأَبْطَاحِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] بل رَفَعَهُ اللَّهُ [النساء]، فقلوه هنا: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ﴾ يبين أنه رفع بدنه وروحه، كما

(١) كما عند البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٢٢٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٥)، من حديث أبي هريرة عليه السلام مرفوعاً: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب... الحديث».

(٢) مجموع الفتاوى (٣٢٢/٤ - ٣٢٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ].

(٣) ينظر: التصريح بما تواتر في نزول المسيح (٣٨ - ٥٥) [دار السلام، ط ٤، ١٤٠٢هـ].

- وكذلك النصرارى أن المسيح قتل على الصليب، والخلاف بينهما: أن اليهود ترى بشريته وأنه مدع للنبوّة نال ما يستحقه من الصلب والموت. في حين ترى النصرارى أن المسيح إله ابن إله قدمه الأب ليصلب فداء للبشر عن خطيئة أبيهم آدم، ثم إنه في ثالث يوم بعد الصلب يصعد إلى السماء بجانب أبيه. وقد كذبهم الله تعالى، فبين أن عيسى ﷺ لم يمت؛ بل رفعه الله إليه، فقال: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ [النساء]، كما بين تعالى أن كل إنسان مسؤول عن عمله، ومحاسب عليه، فكيف يتحمل إنسان ذنوب ومعاصي إنسان آخر، فقال ﷺ: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزُرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ﴾ [المدثر]، وقال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ٨﴾ [الزلزلة].
- ٢ - «الإعلام بحكم عيسى ﷺ»، للسيوطي.
- ٣ - «إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان»، لعبد الله الغماري.
- ٤ - «البراهين والأدلة الكافية في القناعة برفع المسيح وأن نزوله من أشراط الساعة»، لسليمان بن عبد الرحمن بن حمدان.
- ٥ - «تحية الإسلام في حياة عيسى ﷺ»، لمحمد أنور الكشميري.
- ٦ - «التصريح بما تواتر في نزول المسيح»، لمحمد أنور شاه الكشميري.
- ٧ - «التعليق الصريح على مشكاة المصابيح» (ج ٦)، لمحمد إدريس الكاندهلوي.
- ٨ - «رفع عيسى حيًا ونزوله وقتله الدجال»، لمحمد خليل هراس.
- ٩ - «عقيدة الإسلام في حياة عيسى ﷺ»، لمحمد أنور الكشميري.
- ١٠ - «فتاوى وأحكام في نبى الله عيسى ﷺ»، لعبد الله بن جبرين.
- ١١ - «القيامة الصغرى»، لعمر الأشقر.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج ٧)، لابن حجر.

رفيع الدرجات

يراجع مصطلح (العلو).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

لا يفترق المعنى الشرعي عن المعنى اللغوي حيث جاء الفرق في كلٍّ منهما يدل على اللين والسهل والتأني والنفع والإعطاء، وهذه المعاني كلها جائزة في حق الله ﷻ دالة على الكمال المطلق له سبحانه. وهي محل اتفاق عند أهل السنة^(٦).

الحكم:

يجب إثبات الرفيق اسمًا لله تعالى كما ورد في الحديث، وهو متضمن لصفة الرفق له ﷻ، بدليل أنه يحب هذه الصفة، وثناؤه على من قامت به هذه الصفة^(٧).

الحقيقة:

حقيقة الرفيق: هي أن الله كثير الرفق، وهو اللين والتسهيل، الذي يسهل الأمور، ويسر أسباب الخير كلها لعباده، وأنه هو سبحانه الرفيق الحليم الذي لا يعجل بعقوبة العصاة، ليتوب من سبقت له العناية، ويزاد إثماً من

الرفيق

التعريف لغة:

الرفيق: فعيل بمعنى فاعل مشتق من الرَفَقَ، وهو خلاف العنف، قال ابن فارس في مادة: (رفق): «الراء والفاء والقاف أصلٌ واحدٌ يدلُّ على موافقةٍ ومقاربةٍ بلا عُنْفٍ، فالرَفَقَ: خلاف العُنْفِ؛ يقال: رَفَقْتُ أَرَفُقُ... هذا هو الأصل ثم يشتقُّ منه كلُّ شيءٍ يدعو إلى راحةٍ وموافقةٍ»^(١). وقال الليث: «الرفق: لين الجانب ولطافة الفعل»^(٢). يقال: رَفُقَ يَرَفُقُ وَرَفِقَ؛ أي: لَطَفَ، وهو به رفيق؛ أي: لطيف^(٣).

التعريف شرعاً:

الرفيق: مأخوذ من الرفق الذي هو التأني في الأمور والتدرج فيها، وضده العنف الذي هو الأخذ فيها بشدة واستعجال^(٤)، وهو صفة من صفات الله يدل على أن الله رفيق؛ رفيق في شرعه وفي أفعاله وفي جميع شؤونه مع عباده^(٥).

(١) مقاييس اللغة (٤١٨/٢) [دار الجيل].

(٢) تهذيب اللغة (٢١٢/٣) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

(٣) لسان العرب (١١٨/١٠) [دار صادر، ط ١].

(٤) ينظر: شرح التوبة للهراس (٤٧٥/٢).

(٥) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/١) (٥٥٧).

(٦) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/١).

(٥٥٧)، منهج ابن القيم في شرح أسماء الله الحسنى للغامدي (٤٠٩) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٧) انظر: كتاب النعوت لأحمد النسائي (٢٩٠) [مكتبة

العبيكان، ط ١، ١٤١٩هـ]، وشرح النووي على

صحيح مسلم (١٤٥/١٦) [دار إحياء التراث، ط ٢،

١٣٩٢هـ].

سبقت له الشقاوة^(١).

❁ الأدلة:

اسماً لله تعالى، فمنهم من يرى أنه اسم ويشق منه صفة الرفق كما قال النووي: «وأما قوله ﷺ: «إن الله رفيق» ففيه تصريح بتسميته ﷺ ووصفه بالرفق»^(٦). والصحيح أنه صفة من الصفات الذاتية الفعلية الدالة على كمال حلم الله وحكمته ولطفه سبحانه.

❁ الثمرات:

١ - ينبغي للمسلم أن يأخذ حظه من عبودية اسمه تعالى الرفيق، ويكون رفيقاً في أموره وجميع أحواله غير عجل فيها، فإن العجلة من الشيطان^(٧)، وقد قال النبي ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»^(٨).

٢ - وعلى المسلم أن يجعل الرفق قائده ودليله ليصل إلى قلوب العباد، ويؤثر فيهم، فيكون لأمره ونهيه وقفاً في قلوبهم، وعوناً لهم على فعل المعروف وترك المنكر^(٩)، وقد قال النبي ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(١٠).

في «صحيح مسلم»: أن النبي ﷺ قال: «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»^(٢).

أقوال أهل العلم

قال النووي: «وأما قوله ﷺ: «إن الله رفيق» ففيه تصريح بتسميته ﷺ ووصفه بالرفق»^(٣).

وقال ابن القيم في نونيته:

وهو الرفيق يحبُّ أهل الرفق بل يعطيهم بالرفق فوق أمانِي^(٤)

وقال السعدي: «فالله تعالى رفيق في أفعاله خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئاً فشيئاً بحسب حكمته ورفقه مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة»^(٥).

❁ المسائل المتعلقة:

اختلف أهل العلم في إثبات الرفيق

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٤٥).

(٧) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٥٥٧).

(٨) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨).

(٩) انظر: منهج الإمام ابن القيم في شرح أسماء الله الحسنى للغامدي (٤١٠).

(١٠) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٩٤).

(١) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٥٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب استنابة المرتلين والمعاندين وقتالهم، رقم ٦٩٢٧)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٩٣)، واللفظ له.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٤٥).

(٤) النونية لابن القيم (٢٠٨) [مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ].

(٥) الحق الواضح المبين للسعدي (٩٨) [ط. المكتبة السلفية].

الآثار:

من آثار رفقه سبحانه على عباده:

١ - رفقه سبحانه بهم في أحكامه وأمره ونهيه، فلا يكلف عباده ما لا يطيقون، وجعل فعل الأوامر قدر الاستطاعة، وأسقط عنهم كثيراً من الأعمال بمجرد المشقة رخصة لهم ورفقاً بهم ورحمة، ولم يأخذ عباده بالتكاليف دفعة واحدة؛ بل تدرج بهم من حال إلى حال حتى تألف النفوس وتلين الطباع ويتم الانقياد^(١).

٢ - إمهاله للعصاة منهم ليتوبوا إليه، ولو شاء لعاجلهم بالعقوبة، لكن رفق بهم وتأنى ليحصل لهم ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة^(٢).

٣ - تيسيره وتسهيله لأسباب الخير كلها، وأعظمها تيسير القرآن للحفظ، ولولا ما قال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر] ما قدر على حفظه أحد، فلا تيسير إلا بتيسيره، ولا منفعة إلا بإعطائه وتقديره^(٣).

مذهب المخالفين:

إن مذهب الجهمية ومن قال بمذهبهم من المعتزلة والأشعرية: إنكار تسمية الله ووصفه بالرفيق، وزعموا أن المراد به

عبارة عما يخلقه الله في عباده، ولأن الحديث من أخبار الآحاد ولا يجوز التعبد به، وهو مذهب القاشاني وابن داود الظاهري، وبعض الأصوليين^(٤).

هذه أقوال باطلة، ولا حجة لأصحابها فيها. أما ردهم لأحاديث الآحاد، فقد ثبت بأدلة الكتاب والسنة وإجماع السلف والخلف على أن أحاديث الآحاد تفيد العلم ويجب العمل بها، وإثبات أسماء الله وصفاته بها^(٥).

قال ابن القيم في معرض الرد على من لم يحتج بخبر الآحاد في العقائد: «وأما المقام الثامن: وهو انعقاد الإجماع المعلوم المتيقن على قبول هذه الأحاديث، وإثبات صفات الرب تعالى بها، فهذا لا يشك فيه من له أقل خبرة بالمنقول أن الصحابة رضي الله عنهم هم الذين رَوَوْا هذه الأحاديث، وتلقاها بعضهم عن بعض بالقبول، ولم ينكرها أحد منهم على من رواها، ثم تلقاها عنهم جميع التابعين من أولهم إلى آخرهم»^(٦).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/١٤٦)، والمعتمد في الأصول لأبي الحسين البصري المعتزلي (٢/٥٨٣) [المعهد العلمي الفرنسي، ١٣٨٥هـ]، والمستصفي للغزالي (١/١٤٦) [دار صادر، ط ١، ١٣٢٤هـ]، والأحكام للأمدى (٢/٤٥) [المكتب الإسلامي، ط ٢].

(٥) انظر: مختصر الصواعق (٤/١٤٦٥) وما بعدها [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٦) مختصر الصواعق (٤/١٦٠٩).

(١) فقه أسماء الله الحسنى للبدر (٣١٦) [ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٢) النهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/١٢) [مكتبة الذهبي، ط ٤، ١٤٢٢هـ].

(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٥٥٧).

- وقد نقل النووي هذه الأقوال ثم قال: «والصحيح جواز تسمية الله تعالى رفيقاً وغيره مما ثبت بخبر الواحد»^(١).
وأما قولهم بأن الرفيق ما يخلقه الله تعالى من الرفق لعباده، فهذا تأويل باطل يخالفه نص الحديث الصريح بوصف الله تعالى بالرفق في قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ» فتثبت له هذه الصفة كما أثبت لها رسوله ﷺ، مع اعتقاد أن له من هذا الوصف أعلاه وأكملة وما يليق بجلاله وعظمته سبحانه.

❖ الرُّقَى ❖

❖ التعريف لغة:

الرقى: جمع رقية، والرقية في اللغة هي: العوذة، يقال: رقى، إذا عوذ ونفث، وأصل العوذ والعياذ هو: الالتجاء والاعتصام.

قال ابن منظور: «الرُّقِيَّةُ: العُوذَةُ معروفة. والجمع: رُقَى، وتقول: اسْتَرَقَيْتُهُ فَرَقَانِي رُقِيَّةً فهو راقٍ، وقد رَقَاه رُقِيًّا وَرُقِيًّا، ورجلٌ رَقَاءٌ صاحبٌ رُقَى، يقال: رَقَى الراقي رُقِيَّةً وَرُقِيًّا؛ إذا عَوَّذَ وَنَفَثَ فِي عَوْدَتِهِ»^(٢).

وقيل: الرقية: هي العزيمة، قال الجوهري: «العزائم هي الرقى»^(٣)، وقال ابن فارس: «قولهم: عزمت على الجني، وذلك أن تقرأ عليه عزائم القرآن»^(٤).

❖ التعريف شرعاً:

الرقية: آيات ودعاء وتوسل لله تعالى تقرأ على المريض بقصد الشفاء وذهاب

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «إبطال التأويلات لأخبار الصفات»، لأبي يعلى.
- ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٣ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.
- ٤ - «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة»، للقططاني.
- ٥ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.
- ٦ - «صفات الله الواردة في الكتاب والسنة»، للسقاف.
- ٧ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

- ٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/١٤٦).

(٢) لسان العرب (١٤/٣٣١) [دار الفكر، ط ١].

(٣) الصحاح (٥/١٦٨٥) [دار العلم للملايين، ط ٣].

(٤) مقاييس اللغة (٤/٣٠٨) [دار الجبل، ط ١]، وانظر:

لسان العرب (٢/٤٠٠).

العلة من بدنه^(١). ٢ - أن تكون باللسان العربي وبعبارة

مفهومة المعنى.

٣ - أن يعتقد أنها لا تؤثر بذاتها

وإنما بتقدير الله تعالى. قال ابن حجر رحمته الله: «وقد أجمع العلماء على جواز الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها»^(٤)، وكلام العلماء في حكمها دائر بين الجواز والاستحباب، وفصل بعضهم في ذلك فجعل الجواز في حق المرقى، والاستحباب في حق الراقي، وهذا قول حسن.

الأدلة على جواز الرقي الشرعية:

وردت الرخصة في الرقي في عدد من الأحاديث، إلا أنه استثنى من ذلك ما كان فيه شرك، كما ورد ذلك عن عوف بن مالك الأشجعي رحمته الله، قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: «اعرضوا علي رقاكم؛ لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»^(٥).

فهذه الأحاديث وما في معناها تدل على أن الرقي كالأدوية ليست توقيفية، حيث أجاز النبي صلى الله عليه وسلم بعض رقى

ومن أقوال العلماء في معنى الرقية الشرع ما يلي:

١ - قال ابن الأثير: «الرقية بالضم: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة؛ كالحمى والصرع وغيرهما»^(٢).

٢ - وقال ابن عبد الوهاب: «الرقية: هي التي تسمى العزائم»^(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كانت الرقي معروفة قبل الإسلام في لغة العرب، وذلك بالعوذة التي تقرأ على المريض وينفث عليه بها، جاء المعنى الشرعي مطابقاً للمعنى اللغوي، إلا أن ذلك قيّد بما أذن فيه الشرع.

الأسماء الأخرى:

العزائم، العوذ.

الحكم:

قسم العلماء الرقي إلى قسمين:

الأول: الرقي المشروعة، وهي التي تجتمع فيها ثلاثة شروط:

١ - أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

(١) انظر: أحكام الرقى والتمائم (٣٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٥٤) [دار الكتب العلمية].

(٣) كتاب التوحيد مع شرحه تيسير العزيز الحميد (١٦٥) [المكتب الإسلامي، ط ٦، ١٤٠٥هـ].

(٤) فتح الباري (١٠/ ٢٠٦) [دار الريان للتراث، ط ٢].

(٥) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٠٠).

الجاهلية الخالية من الشرك. رقى أهل الشرك»^(٣).

❁ الحقيقة:

الرقى: هي كلام خاص يستعمل في الاستشفاء من الأمراض عمومًا الروحية منها والحسية، فإن كان هذا الكلام مأخوذًا من الكتاب والسنة، بأن لا يدخل فيه غيره من شعوة المشعوذين، ولا يكون بغير اللغة العربية؛ بل يتلو الآيات على وجهها، والأحاديث كما رويت وعلى ما تلقيت عن النبي ﷺ بلا همز ولا رمز، فتلك الرقى من هدي النبي ﷺ الذي كان عليه هو وأصحابه والتابعون بإحسان، وأما الرقى التي ليست بعربية الألفاظ ولا مفهومة المعاني، ولا مشهورة ولا مأثورة في الشرع البتة، فغير جائزة^(٤).

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال ﷺ: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

ومما يدلُّ من السنة على الرقى المشروعة حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنا نرقى في

الثاني: الرقى الممنوعة، وهي ما تخلف فيها شرط أو أكثر من شروط الرقى المشروعة، وهي تدور في حكمها بين الشرك الأكبر ومجرد الحرمة، بحسب ما تشتمل عليه من ألفاظ وغيرها، وبحسب اعتقاد الراقي والمراقي فيها.

الأدلة على تحريم هذا النوع من الرقى:

ورد النهي عن الرقى في عدد من الأحاديث، ووصفها بالشرك، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»^(١)، وفي حديث جابر رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نهى عن الرقى»^(٢).

قال ابن القيم - بعد سياقه لجملته من أحاديث الرخصة في الرقى -: «وأما ما رواه مسلم في «صحيحه» من حديث جابر، فهذا لا يعارض هذه الأحاديث، فإنه إنما نهى عن الرقى التي تتضمن الشرك، وتعظيم غير الله سبحانه؛ كغالب

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٨٨٣)، وابن ماجه (كتاب الطب، رقم ٣٥٣٠)، وأحمد (٦/ ١١٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب الرقى والتمائم، رقم ٦٠٩٠)، والحاكم (كتاب الطب، رقم ٧٥٠٥) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢١٩٩).

(٣) تهذيب سنن أبي داود لابن القيم، مع المعالم للخطابي (٣٦٧/٥) [دار المعرفة].

(٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٦٣٠ - ٦٣٥).

العلماء»^(٧).

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «قد قَسَمَ النبي ﷺ الرقية إلى قسمين: رقية حق ورقية باطل، فرقية الحق ما كان بالقرآن أو بما ورد عن النبي ﷺ من قوله أو فعله أو تقريره، ورقية الباطل ما لم تكن كذلك، وعلى الرقية الباطل تحمل الأحاديث الواردة في النهي عن الرقي، وعلى رقية الحق تحمل الأحاديث الواردة بالإذن بها»^(٨).

وقال عبد الحق الدهلوي رَحِمَهُ اللهُ: «الرقي: جمع رقية وهي العوذة، وقيل: ما يقرأ من الدعاء لطلب الشفاء، وهي جائزة بالقرآن والأسماء الإلهية وما في معناها بالاتفاق، وبما عداها حرام، لا سيما بما لا يفهم معناه»^(٩).

الشروط:

ذكر العلماء للرقية الشرعية ثلاثة شروط، وهي:

١ - أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته وخالية من الشرك.

٢ - أن تكون باللسان العربي وبعبارة مفهومة المعنى.

وفي سنده انقطاع. انظر: السلسلة الصحيحة (٦/١١٦٧).

(٧) التمهيد (٢٧٨/٥) [وزارة عموم الأوقاف بالمغرب].
(٨) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين (٣٢٢) [دار القلم، ط١، ١٩٨٤م].
(٩) عون المعبود شرح أبي داود (٢٦٤/١٠) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٥هـ].

الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال: «اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»^(١).
وحديث بريدة بن الحصيب رَحِمَهُ اللهُ قال: «لا رقية إلا من عين أو حمة»^(٢).
وحديث أنس رَحِمَهُ اللهُ قال: «رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين، والحمة، والنملة»^(٣).

ومما يدلُّ من السُّنَّة على الرقى الممنوعة حديث ابن مسعود رَحِمَهُ اللهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»^(٤)، وفي حديث جابر رَحِمَهُ اللهُ: «أن رسول الله ﷺ نهى عن الرقى»^(٥). وإنما المراد بهذه الأدلة: الرقى التي تتضمن شركاً وتعظيم غير الله تعالى.

أقوال أهل العلم:

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «وقد جاء عن أبي بكر الصديق كراهية الرقية بغير كتاب الله»^(٦) وعلى ذلك

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٢٠).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢١٩٦).

(٤) تقدم تخريجه قريباً.

(٥) تقدم تخريجه قريباً.

(٦) لعل مأخذ هذا: ما رواه مالك في الموطأ (كتاب العين، رقم ٣٤٧٢) [مؤسسة زايد للأعمال الخيرية، ط١]، وابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الطب، رقم ٢٣٥٨١) [مكتبة الرشد، ط١]، عن عمرة: أن أبا بكر الصديق دخل على عائشة وهي تشتكي، ويهودية ترقىها، فقال أبو بكر: ارقىها بكتاب الله.

٣ - أن يعتقد أنها سبب من الأسباب وأن الشافي هو الله ﷻ^(١).
إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات^(٤).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الجمع بين أحاديث الرقية، وحديث: «لا رقية إلا من عين أو حمة»^(٢):

قال الخطابي - في شرحه لهذا الحديث -: «وليس في هذا نفي جواز الرقية في غيرهما من الأمراض والأوجاع؛ لأنه قد ثبت عن النبي ﷺ أنه رقى بعض أصحابه من وجع كان. وإنما معناه: أنه لا رقية أولى وأنفع من رقية العين والسم، وهذا كما قيل: لا فتى إلا علي، ولا سيف إلا ذو الفقار»^(٣).

- المسألة الثانية: كيفية الرقية:

ورد في كيفية الرقية صفات متعددة، أهمها ما يلي:

١ - النفث والتفل في الرقية:

ومما يدل على ذلك ما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ

وما ورد عن أبي سعيد رضي الله عنه في قصة اللديغ، وفيه: «فانطلق فجعل يتفل ويقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥)، ولا شك أن النبي ﷺ علم بخبره وأقره على ذلك.

فالحديث الأول يدل على مشروعية النفث حال الرقية، والثاني يدل على مشروعية التفل على المرقى، والأحاديث في ذلك كثيرة.

٢ - الرقية بدون نفث ولا تفل:

ومما يدل على ذلك ما ورد عن عائشة رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ كان إذا أتى مريضاً أو أتى به قال: «أذهب البأس رب الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»^(٦).

فهذا الحديث لم يذكر فيه أنه نفث أو تفل حال رقية المريض.

٣ - خلط التراب بالريق:

وذلك بأن ينثف الراقي على الإصبع بشيء من ريقه، ثم يوضع في التراب ويمسح به المريض في أثناء الرقية.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠١٦)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢١٩٢)، واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٤٩) واللفظ له، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٠١).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٦٧٥)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢١٩١).

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/١٩٥)، تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله (ص ١٣٣)، فتح المجيد، لعبد الرحمن بن حسن (ص ١٢٧)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد بن علي الصديقي (٣٧٨/٦) التوحيد للشيخ صالح الفوزان (ص ٨٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) معالم السنن للخطابي (٢٢٦/٤) [المكتبة العلمية، ط ٢، ١٤٠١هـ].

وقال يوسف بن موسى: إن أبا عبد الله كان يؤتى بالكوز ونحن بالمسجد فيقرأ عليه ويعوذ^(٢).

وقال ابن القيم رحمته الله: «ولقد مرَّ بي وقت بمكة سقمت فيه، وفقدت الطبيب والدواء فكنت أتعالج بالفاتحة، آخذ شربة من ماء زمزم وأقرؤها عليها مراراً ثم أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع»^(٣).

وقال الشيخ ابن باز: «لا حرج في الرقية بالماء ثم يشرب منه المريض أو يغتسل به، كل هذا لا بأس به، الرقى تكون على المريض بالنفث عليه، وتكون في ماء يشربه المريض أو يتروَّش به، كل هذا لا بأس به»^(٤).

- المسألة الثالثة: علاقة الرقى بالتوكل:

اختلف العلماء في مسألة الرقى هل تقدح في التوكل أم لا؟ على قولين:

القول الأول: أن الرقية لا تقدح في التوكل سواء كانت بطلب أو بغير طلب^(٥).

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٤٥٦/٢) [عالم الكتب]

(٣) زاد المعاد (١٧٨/٤) [مؤسسة الرسالة، ط٧].

(٤) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز.

(٥) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٣٣٥)، والتمهيد لابن عبد البر (٢٧٨/٥) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ط٢، ١٤٠٢هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٢١١/١٠).

ومما يدلُّ على ذلك ما ورد عن عائشة رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى سقيمنا بإذن ربنا»^(١).

٤ - الرقية في الماء ثم شربه:

وذلك بأن يؤتى بماء في إناء ثم يقرأ فيه بالرقى المشروعة، وينفث فيه، ثم يشربه المريض أو يمسخ به مكان مرضه أو يغسله به.

وقد أجاز ذلك العديد من أهل العلم قال ابن مفلح: «قال أحمد في رواية مهنا - في الرجل يكتب القرآن في إناء ثم يسقيه للمريض - قال: لا بأس.

قال مهنا: قلت له: فيغتسل به قال ما سمعت فيه بشيء.

قال الخلال: إنما كره الغسل به لأن العادة أن ماء الغسل يجري في البلاليع والحشوش فوجب أن ينزه ماء القرآن من ذلك ولا يكره شربه لما فيه من الاستشفاء.

وقال صالح: ربما اعتلتت فيأخذ أبي قدحاً فيه ماء فيقرأ عليه ويقول لي: اشرب منه واغسل وجهك ويديك. ونقل عبد الله: أنه رأى أباه يعوذ في الماء ويقرأ عليه ويشربه ويصب على نفسه منه.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٤٥)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢١٩٤).

وعمدتهم في ذلك بعض الآثار الواردة عن جماعة من السلف^(٤).

القول الثاني: كراهية ذلك والاكتفاء بما ورد دون غيره، وهذا القول هو المنقول عن إبراهيم النخعي وابن سيرين، ورجحه ابن العربي المالكي، وعليه فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

وحجتهم: أن هذه الكيفية لم ترد عن النبي ﷺ، ولا عن خلفائه الراشدين، ولا سائر الصحابة رضي الله عنهم.

وقد وردت عدة أسئلة على اللجنة الدائمة حول هذه المسألة، وكان مما ورد في الإجابة عن ذلك، قولهم: «وأما كتابة سورة أو آيات من القرآن، في لوح أو طبق أو قرطاس، وغسله بماء أو زعفران أو غيرهما، وشرب تلك الغسلة رجاء البركة أو استفادة علم أو كسب مال أو صحة وعافية ونحو ذلك، فلم يثبت عن النبي ﷺ أنه فعله لنفسه أو غيره، ولا أنه أذن فيه لأحد من أصحابه، أو رخص فيه لأئمة مع وجود الدواعي التي تدعو إلى ذلك، ولم يثبت في أثر صحيح فيما علمنا عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أنه فعل ذلك أو رخص فيه، وعلى هذا فالأولى تركه، وأن

القول الثاني: التفصيل: فإن كانت بطلب وهو الاسترقاء فهذه تقدر، وعليه يحمل حديث: «ولا يسترقون»^(١).

وإن كانت بغير طلب فليست قادمة في التوكل، وعليه يحمل حديث رقية جبريل للنبي ﷺ.

والقول الثاني هو الراجح^(٢).

- المسألة الرابعة: كتابة بعض الرقى

الشرعية، ثم محوها بالماء وشربها: وصفة ذلك: بأن تكتب بعض آيات القرآن الكريم، أو بعض الأدعية الواردة في ورقة أو إناء ثم تمحى هذه الكتابة بالماء، ثم يشرب ذلك الماء الذي محيت به أو يغتسل به.

وقد اختلف العلماء في حكم ذلك على قولين:

القول الأول: جواز ذلك، سواء كتبت في ورقة أو إناء، وهذا القول هو المنقول عن مجاهد، وأبي قلابه، والإمام أحمد، ورجحه بعض المحققين كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم^(٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٤١)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٨).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (٣/٩١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨٢/١، ٣٢٨) [الملك فهد بن عبد العزيز، بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين]، ومفتاح دار السعادة، لابن القيم (٥٨٠) [مكتبة حميدو، مصر، ط ٣، ١٣٩٩هـ].

(٣) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٣٧/٨ - ٥٦)، ومجموع

الفتاوى (٥٩٩/١٢)، وزاد المعاد (٤/١٧٠).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥٩٩/١٢).

جعلهم، فلما قدموا على النبي ﷺ أخبروه بذلك، فصوب فعلهم، وأقرهم على ذلك.

قال شيخ الإسلام: «إذا جعل للطبيب جُعلاً على شفاء المريض جاز، كما أخذ أصحاب النبي ﷺ الذين جعل لهم قطع على شفاء سيد الحي، فرقاه بعضهم حتى برأ، فأخذوا القطيع، فإن الجُعَل كان على الشفاء لا على القراءة»^(٣).

الضروق:

الفرق بين الرقى وبين التمايم:

١ - الرقى والتمايم يشتركان في أصل المعنى فيطلق على كلٍّ منهما معنى العوذ إلا أنهما يفترقان في الاستعمال، فالرقية تكون بالقراءة أو النفث أو المسح أو الشرب أو الاغتسال، أما التمايم فهي كل ما عُلق لدفع ضر أو جلب نفع.

٢ - أن الرقى يستفصل في حكمها، فما كان منها مشروعاً جاز، وما كان ممنوعاً حرم. أما التمايم فلا يستفصل فيها فكلها منهي عنها سواء ما كان من القرآن أو من غيره، وسواء قبل البلاء أو بعده على القول الصحيح.

قال سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ فِي معرض كلامه على التمايم وخلاف العلماء فيها: «وأما القياس على الرقية بذلك، فقد يقال بالفرق، فكيف يقاس

(٣) مجموع الفتاوى (٥٠٧/٢٠).

يستغنى عنه بما ثبت في الشريعة من الرقية بالقرآن وأسماء الله الحسنى، وما صح من الأذكار والأدعية النبوية ونحوها مما يعرف معناه ولا شائبة للشرك فيه، وليتقرب إلى الله بما شرع؛ رجاء التوبة، وأن يفرج الله كربته ويكشف غمته ويرزقه العلم النافع ففي ذلك الكفاية، ومن استغنى بما شرع الله أغناه الله عما سواه»^(١).

وهذا القول هو الأقرب، لكون ذلك لم يرد عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة رَحِمَهُمُ اللهُ.

- المسألة الخامسة: أخذ الأجرة على الرقية:

ورد في حديث أبي سعيد رَحِمَهُ اللهُ فِي قصة سيد القوم الذي لدغ، وأنهم جاؤوا إلى أولئك النفر من الصحابة رَحِمَهُمُ اللهُ: «فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله إنني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جُعلاً، فصالحوهم على قطع من الغنم»^(٢)، وفيه: أنه رقاه بالفاتحة وأنه شُفي، وأنهم أوفوهم

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع: أحمد الدويش (١٥٦/١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإجارة، رقم ٢٢٧٦) واللفظ له، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٠١).

أثر العائن وتدفعه بعد وصوله»^(٣).

إلى غير ذلك من الآثار الكثيرة المعلومة.

ب - آثار الرقى الممنوعة:

١ - انتشار الخرافة والدجل، تحت

مسمى الرقى والعوذ.

٢ - الوقوع في الشرك بدعاء غير الله تعالى والتوسل إليه، كما في رقية ذوات السموم، فقد ورد فيها: «يا سليمان الرفاعي، يا كاظم سم الأفاعي، ناد الأفاعي، باسم الرفاعي»^(٤).

٣ - الإعراض عن الاسترقاء بالقرآن الكريم، والرقى الشرعية الواردة في الأحاديث، والاستغناء عن ذلك كله بتلك الرقى الشركية.

المصادر والمراجع:

١ - «أحكام الرقى والتمائم»، لفهد السحيمي.

٢ - «التمهيد»، لابن عبد البر.

٣ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٤ - «الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة»، لعلي العلواني.

٥ - «زاد المعاد في هدي خير العباد»، لابن القيم.

٦ - «شرح مسلم»، للنووي.

التعليق الذي لا بد فيه من ورق أو جلود ونحوهما على ما لا يوجد ذلك فيه، فهذا إلى الرقى المركبة من حق وباطل أقرب»^(١).

الآثار:

أ - آثار الرقى الشرعية:

١ - حصول الشفاء بإذن الله تعالى، وهذا ظاهر في كثير من النصوص؛ كحديث رقية اللديغ وغيره من الأحاديث.

٢ - طرد الشياطين عن نفس الإنسان المرقى، ودفع شره وكيدته. قال شيخ الإسلام - في كلام له على آية الكرسي -: «جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضب من كثرته وقوته؛ فإن لها تأثيراً عظيماً في دفع الشيطان عن نفس الإنسان، وعن المصروع، وعن من تعينه الشياطين»^(٢).

٣ - منع وصول العين وغيرها من الشرور التي قد تصيب الإنسان.

قال ابن القيم - في كلام له على بعض الدعوات والعوذ -: «من جرب هذه الدعوات والعوذ عرف مقدار منفعتها، وشدة الحاجة إليها، وهي تمنع وصول

(١) تيسير العزيز الحميد (١٣٤) [المكتب الإسلامي، ط ١].

(٢) مجموع الفتاوى (٥٥/١٩).

(٣) زاد المعاد (١٦٩/٤).

(٤) مجموع فتاوى ابن باز (٢١٤/١) [دار الوطن، ط ١].

اللغوي لمصطلح الرقيب، حيث جاء في كلٍّ منهما للدلالة على الحفظ والرصد والانتظار والاطلاع، فكل هذه المعاني جائزة في حق الله ﷻ، فهو سبحانه رقيب راصد منتظر حافظ مطلع، لا يغيب عنه شيء، إلا أن مراقبته لخلقه ليس مثل مراقبة المخلوق للمخلوق، فمراقبته عن استعلاء وفوقية، وقدرة وصمدية، دائمة في كل زمان، وكاملة في كل مكان، فهو يرى المراقب ويسمعه بكيفية تليق بجلاله وعظيم سلطانه.

سبب التسمية:

سمي الرقيب رقيباً؛ لمراقبته وحفظه للأعمال والأحوال.

الحكم:

الذي يظهر أن الرقيب من أسماء الله تعالى الثابتة له بالنصوص الشرعية، فيجب إثباته له اتباعاً للوارد في الشرع، ولتنصيب سلف الأمة وعلمائها عليه^(٣).

الحقيقة:

حقيقة (الرقيب): من أفعال الله الدال على إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت

٧ - «فتح الباري»، لابن حجر.

٨ - «القول المفيد كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ - «معارج القبول»، لحافظ حكيم.

الرَّقِيبُ

التعريف لغة:

الرقيب: (فعليل) بمعنى (فاعل)، ومعناه: الحافظ. وأصله: مراعاة شيء، قال ابن فارس: «الراء والقاف والباء أصل واحد مطّرد، يدل على انتصاب لمراعاة الشيء، ومن ذلك الرقيب وهو الحافظ، يقال منه: رَقَبْتُ أَرْقُب رِقْبَةً ورِقْبَانًا»^(١).

التعريف شرعاً:

الرقيب: أن الله ﷻ مطلع على ما أكتنه الصدور، قائم على كل نفس بما كسبت، حافظ لجميع المخلوقات، مراعي لأحوالهم^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

لا يختلف المعنى الشرعي عن المعنى

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٤٢٧/٢) [دار الجيل].

(٢) تفسير الطبري (٥٢٣/٧) [مؤسسة الرسالة، ط١].

وروى عن الحسن وقادة قولهما: «رقيب: حفيظ».

وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٥١) [دار

الثقافة العربية، ط. ١٩٧٤م]، وتفسير أسماء الله

الحسنى للسعدي (٢٠٧).

(٣) انظر: كتاب التوحيد لابن منده (٣٦٢) [دار

الفضيلة، ط١، ١٤٢٨هـ]، والحجة في بيان المحجة

(١٥٤/١).

به اللواحق^(١).

الأدلة:

أي: أنه إذا كان رَقِيبًا على دقائق الخفيات، مطلعًا على السرائر والنيات، كان من باب أولى شهيدًا على الظواهر والجليات، وهي الأفعال التي تفعل بالأركان^(٧).

وقال ابن كثير: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾ «أي: هو مراقب لجميع أعمالكم وأحوالكم»^(٨).

وقال السعدي: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ۝﴾ «أي: مراقبًا للأمور، وعالمًا بما إليه تؤول، وقائمًا بتدبيرها على أكمل نظام، وأحسن إحكام»^(٩).

وقال أيضًا: «والرقيب: المطلع على ما أكنته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير»^(١٠).

الثمرات:

١ - يجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه رقيب عليه، وعلى كل مخلوق، وأن يعلم أنه سبحانه قد وكل بكل مكلف ملكين يحصيان أقواله، وأن الجزء من الله سبحانه بحسب هذه المراقبة^(١١).

ورد (الرقيب) في ثلاث آيات في القرآن الكريم هي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾ [النساء]، وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ۝﴾ [الأحزاب]، وقوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝﴾ [المائدة].

أقوال أهل العلم:

قال ابن منده: «ومن أسماء الله رَقِيبُ الرقيب»^(٢).

وقال الزجاج: «الرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء»^(٣).

وقال الحلبي: «الرقيب الذي لا يغفل عن ما خلق، فيلحقه نقص أو يدخل عليه خلل من قبل غفلة عنه»^(٤).

وقال التيمي: «ومن أسمائه: الرقيب»^(٥).

وقال ابن القيم:

وهو الرقيب على الخواطر واللواحق كيف بالأفعال بالأركان^(٦)

(١) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٥٨).

(٢) كتاب التوحيد لابن منده (٣٦٢).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى (٥١).

(٤) المنهاج لشعب الإيمان للحليمي (٢٠٦/١) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٦هـ].

(٥) الحجة في بيان المحجة (١٥٤/١).

(٦) النونية لابن القيم (١٤٤) [مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ].

(٧) انظر: الحق الواضح المبين (٥٨).

(٨) تفسير ابن كثير (٢/٢٠٦) [دار طيبة، ط ٢].

(٩) تفسير السعدي (٦٧٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(١٠) المرجع السابق (٩٤٧).

(١١) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٤٠٥).

يسمعه ويراه، فيحفظ لسانه ويصونه، ويواظب على طاعة الله وابتغاء رضوانه.

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٤ - «الجامع لأسماء الله الحسنى»، لحامد أحمد الطاهر.
- ٥ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.
- ٦ - «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة»، للقطاني.
- ٧ - «صفات الله الواردة في الكتاب والسنة»، للسقاف.
- ٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتيمي.
- ٩ - «منهج الإمام ابن القيم في شرح أسماء الله الحسنى»، للغامدي.
- ١٠ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للحمود.

❁ الرقيب والعيتد ❁

يراجع مصطلح (الكرام الكاتبون).

٢ - عَلِمَ العبدُ بأن الله رقيب وتعبده بهذا الاسم يثمر في القلب مراقبة الله ﷻ في السر والعلن، في الليل والنهار، في الخلوة والجلوة؛ لأنه سبحانه مع عبده لا تخفى عليه خافية، يسمع كلامنا ويرى مكاننا، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فإذا أيقن العبد بهذه الحقائق سعى إلى حفظ قلبه وسمعه وبصره ولسانه وجوارحه كلها من أن يكون منها أو فيها ما يسخط الله ﷻ، وارتقى إلى مقام الإحسان، فعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه، فإنه تعالى يراه^(١).

قال ابن القيم: «المراقبة دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق ﷻ على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين: هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله، وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين»^(٢).

❁ الآثار:

إن الإيمان بأن الله رقيب يراقب أعمال العبد وأحواله يجعل المسلم يحاسب نفسه ويراقبها من ارتكاب ما حرّمه الله ﷻ عليه؛ لأنه يؤمن بأنه

(١) انظر: منهج الإمام ابن القيم في أسماء الله الحسنى للغامدي (٣٧٣).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٦٥/٢) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

للهرب من المخوف، فهي خوف مقرون بعمل^(٤).

الرمال

يراجع مصطلح (الطرق).

الرهبنة

الأسماء الأخرى:

الوجل، الخوف، الخشية، الرهبة.

الحكم:

الرهبنة من الله وَعَلَى: نوع من أجل العبادات القلبية، التي يتقرب بها إلى الله وَعَلَى، فلا يجوز صرفها لغير الله تعالى، ومن صرفه لغيره فقد أشرك الشرك الأكبر^(٥).

الحقيقة:

حقيقة الرهبنة: هي الفرع والخوف من المكروه؛ كعذاب الله تعالى وعقابه، والسعي بالعمل الذي ينجي منه، فهي خوف مثمر للهرب من المخوف، مقرون بالعمل^(٦).

المنزلة:

الرهبنة من الله: عبادة عظيمة من العبادات التي يجب أن تكون

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحَّلَهُ: «الراء والهاء والباء أصلان: أحدهما يدل على خوف، والآخر على دقة وخفة. فالأول الرهبنة: تقول: رهبت الشيء رهبًا ورهبًا ورهبة. والترهب: التبعد، ومن الباب الإرهاب: وهو قذع الإبل من الحوض وذياها»^(١).

الرهبنة: الخوف والفرع، من رهب يرهب الشيء رهبة ورهبًا ورهبًا؛ أي: خافه، ويقال: أرهبه واسترهبه: إذا أخافه، والراهب: واحد رهبان النصراني، ويطلق على المنقطع للعبادة في الصومعة^(٢).

التعريف شرعًا:

هي الإمعان في الهرب من المكروه^(٣)، أو الخوف والفرع المثمر

(٤) انظر: شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (٥٩) [دار الثريا]، وتيسير الوصول إلى شرح ثلاثة الأصول لعبد المحسن القاسم (٨٤) [ط١، ١٤٢٧هـ].

(٥) انظر: ثلاثة الأصول مع حاشية ابن قاسم (٣٤) - (٣٩، ٣٥) [ط٥، ١٤٠٧هـ]، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٢٨/٤) [دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ].

(٦) انظر: مدارج السالكين (٤٧٤/١)، وشرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (٥٩)، وتيسير الوصول إلى شرح ثلاثة الأصول للقاسم (٨٤).

(١) مقاييس اللغة (٤٤٧/٢) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: الصحاح (١٤٠/١) [دار العلم للملايين، ط٣]، ولسان العرب (٣٣٧/٥) [دار إحياء التراث العربي، ط٣]، وترتيب القاموس المحيط (٣٩٨/٢) [دار عالم الكتب، ط٤، ١٤١٧هـ].

(٣) انظر: مدارج السالكين (٤٧٤/١) [مؤسسة المختار، ط١، ١٤٢٢هـ].

﴿٥١﴾ [النحل]، وقوله: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء].

ومن السُّنَّة: عن البراء بن عازب رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، واجعلن لي من آخر كلامك، فإن مت من ليلتك مت وأنت على الفطرة» ^(٢).

وقوله ﷺ: «إني صليت صلاة رغبة ورهبة، سألت الله ﻋَظِيمًا لأمتي ثلاثًا، فأعطاني اثنتين ورد علي واحدة، سألته أن لا يسلط عليهم عدوًا من غيرهم، فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم غرقًا، فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فردها علي» ^(٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الوضوء، رقم ٢٤٧)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٣٩٥١)، وأحمد (٤٠٠/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/١٧٠): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وابن خزيمة (كتاب =

خالصة لله ﻋَظِيمًا، وهي واجبة على كل عبد، وتبين منزلتها في بيان أن الواجب على العبد أن يجمع بينها وبين الرغبة. فتارة يمدد الرجاء والرغبة فيكاد أن يطير شوقًا إلى الله، وطورًا يقبضه الخوف والرهبة فيكاد أن يذوب من خشية الله تعالى، فهو دائم في طلب مرضاة ربه مقبل عليه، خائف من عقوباته ملتجئ منه إليه، عائد به منه راغب فيما لديه ^(١).

الأهمية:

أهمية الرغبة تتضح في أن المسلم لا يستغني في سيره إلى الله من أمرين؛ هما: الرغبة والرهبة، فبالرغبة يترك المحظور، وبالرغبة يأتي بالمأمور، وبالرغبة يسلم المسلم من الأمن من مكر الله، وبالرغبة يسلم من القنوط من رحمة الله.

الأدلة:

وردت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب أفراد الله ﻋَظِيمًا بالرغبة.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِبْرَاهِيمَ اذْكُرْ اذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَوْفُوا بِعَهْدِي اَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَاِتَنُوا فَاَرْهَبُونَ﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿وَقَالَ اللهُ لَا تَخْذُوا اِلَٰهَيْنِ اٰثْنَيْنِ اِنَّمَا هُوَ اِلَهُ وَاحِدٌ فَاِتَنُوا فَاَرْهَبُونَ﴾

(١) انظر: معارج القبول (٢/٤٣٨) [دار ابن القيم، ط ١].

✽ أقوال أهل العلم:

القلبية، التي يتقرب بها إلى الله تعالى، ومما هو متقرر أن صرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله تعالى يعتبر شركاً أكبر مخرجاً من الملة، والرهبه المقصودة بها هنا خوف العبادة؛ كمن يخاف من ميت أن يضره، أو غائب، ونحوه، وليس المقصود بها الرهبه الطبيعية التي هي من فطرة الخليفة.

قال محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان والخوف والرجاء، والتوكل، والرغبة والرهبه وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨) [الجن]، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر» (٤).

✽ الفرق:

الفرق بين الرهبه والخوف:

أن الرهبه طول الخوف واستمراره، ومن ثم قيل للراهب: راهب؛ لأنه يديم الخوف (٥).

وذكر ابن القيم: أن الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف.

وقيل: الخوف قوة العلم بمجاري

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ولا يتصور أن يخلو داع لله - دعاء عبادة أو دعاء مسألة - من الرغب والرهب من الخوف والطمع» (١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إذا أراد بعبده خيراً، وقَّفه لاستفراغ وسعه، وبذل جهده في الرغبة والرهبه إليه، فإنهما مادتا التوفيق، فبقدر قيام الرغبة والرهبه في القلب يحصل التوفيق» (٢).

وقال محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان والخوف والرجاء، والتوكل، والرغبة والرهبه وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨) [الجن]، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر» (٣).

✽ المسائل المتعلقة:

- مسألة: الرهبه من غير الله تعالى:

الرهبه: عبادة من أجل العبادات

= الصلاة، رقم ١٢١٨)، من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وصححه الالباني في الصحيحة بشواهد انظر: السلسلة الصحيحة (رقم ١٧٢٤) مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٢٤٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ٢، ١٤٢٥هـ].

(٢) شفاء العليل (٢٢٥) [دار التراث، القاهرة].

(٣) ثلاثة الأصول مع الحاشية لابن قاسم (٣٤-٣٥، ٣٩).

(٤) المرجع السابق.

(٥) الفروق اللغوية للعسكري (٢٤١) [دار العلم والثقافة، القاهرة].

المتصوفة فقالوا: لا نعبد الله رغبة في جنته، ولا رهبة من ناره؛ بل إنما نعبده حباً لذاته^(٤).

هذا القول: باطل بدلالة القرآن؛ حيث إنه مخالف لما ذكره الله عن حال الأنبياء في عبادتهم لله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وقال تعالى مبيِّناً حال المؤمنين: ﴿لَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

فمن ادعى عبادة الله بالمحبة وحدها، دون رهبة أو رغبة فهو زنديق؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد، وذلك لأن الحب المجرد تنبسط النفوس فيه حتى تتوسع في أهوائها إذا لم يزعها وازع الخشية لله، حتى قالت اليهود والنصارى: ﴿لَنْ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨]، ويوجد في مدعي المحبة من مخالفة الشريعة ما لا يوجد في أهل الخشية،

الأحكام، وهذا سبب الخوف، لا أنه نفسه.

وقيل: الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره وأما الرهبة فهي الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه^(١).

الثمرات:

من ثمرات الرهبة: أنها هي والرغبة مادتا التوفيق والنجاح، فهما تبعثان على السير إلى الله تعالى، وطلب مرضاته ومغفرته، والطمع فيما عنده، فيحصل المطلوب، ويزول المكروه.

قال ابن القيم رحمه الله: «إذا أراد بعبده خيراً، وفقه لاستفراغ وسعه، وبذل جهده في الرغبة والرهبة إليه، فإنهما مادتا التوفيق، فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق»^(٢).

ومن ثمارها: من رهب من عذاب الله وعقابه أُنْ، كما أن من رغب فيما عند الله تعالى بصدق وإخلاص أُجِر، وأعطى سؤله؛ لأن الله لا يخلف وعده^(٣).

مذهب المخالفين:

خالف في هذه العبادة بعض غلاة

(٤) انظر: إحياء علوم الدين (٤/٢١٠) [دار إحياء التراث العربي، بيروت]، والتصوف بين الحق والخلق لمحمد فخر شقفة (٥٨) [الدار السلفية، الكويت، ط ٣].

(١) مدارج السالكين (١/٥٠٨) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ] بتصرف.

(٢) شفاء العليل (٢٢٥).

(٣) انظر: تيسير الوصول للقاسم (٨٥) بتصرف.

الروح

التعريف لغة:

«الروح، والروح، والريح من أصل واحد، اكتنفته معان تقاربت، فُبني لكل معنى اسم من ذلك الأصل، وخُولف بينها في حركة البنية»^(٢).

قال ابن فارس: «الراء والواو والحاء أصل كبير مطّرد، يدل على سعة وفُسحة واطّراد. وأصل ذلك كله الريح، وأصل الياء في الريح الواو، وإنّما قَلِبَتْ ياءً لكسرة ما قبلها. فالروح رُوح الإنسان، وإنّما هو مشتق من الريح، وكذلك الباب كله. والروح: نسيم الريح، ويقال: أراح الإنسان، إذا تنفس ويقال: أروح الماء: تغيّرت رائحته»^(٣).

وفي كتاب «العين»: «الروح: النَّفْسُ التي يحيا بها البدن، يقال: خرجت رُوحه؛ أي: نَفْسه، ويقال: خَرَجَ، فيذْكَرُ، والجمع أرواح»^(٤).

التعريف اصطلاحاً:

عين حادثة، مجهولة في بعض أحوالها، لطيفة، قائمة بنفسها، ذات صورة، وصفات، لا تكيف، تتصل بالبدن فيحيا، وتنفصل عنه فيتوفى، وهي

(٢) تأويل مشكل القرآن (٤٨٥) [دار التراث، ط ٢].

(٣) مقاييس اللغة (٢/ ٤٥٤) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٤) العين (٢٩١/ ٣) [مكتبة هلال].

ولهذا قرن الخشية بها في قوله: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ﴾ (٢٢) مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٢٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٢٤﴾ [ق]»^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «استشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس»، لابن رجب الحنبلي.
- ٢ - «التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار»، لابن رجب الحنبلي.
- ٣ - «تيسير الوصول إلى ثلاثة الأصول»، لعبد المحسن القاسم.
- ٤ - «حاشية ثلاثة الأصول»، لعبد الرحمن بن قاسم.
- ٥ - «شرح ثلاثة الأصول»، لابن عثيمين.
- ٦ - «زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور»، لابن تيمية.
- ٧ - «عدة الصابرين»، لابن القيم.
- ٨ - «قاعدة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.
- ٩ - «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيم.
- ١٠ - «المستدرک على مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١١ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٨١).

وَيُرْسِلُ الْآخِرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾
[الزمر].

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ خلقت نفسي، وأنت توفأها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها، اللَّهُمَّ إني أسألك العافية»^(٣).

وقال ﷺ: «لما نفخ الله في آدم الروح، فبلغ الروح رأسه عطس، فقال: الحمد لله رب العالمين. فقال له تبارك وتعالى: يرحمك الله»^(٤).

وقال ﷺ: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»^(٥).
والأحاديث في الباب كثيرة جداً.

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية عند ذكره لحديث «الريح من روح الله»: «أي: من الروح التي خلقها الله، إضافة الروح إلى الله إضافة ملك لا إضافة وصف»^(٦).

ذكر ابن القيم: أن الرسل أجمعت على أن الروح محدثة مخلوقة مصنوعة مدبرة، وهذا معلوم بالاضطرار من دين

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة الاستغفار، رقم ٢٧١٢).

(٤) أخرجه ابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٦٥)، قال ابن حجر في المطالب العالية (٢٣٥/١٤): وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات أثبات. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢١٥٩).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٢٠).

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩/٢٩٠).

خالدة يبلى ظرفها ولا تبلى، وتسعد معه ويدونه وتشقى^(١).

قال ابن القيم: «أجمعت الرسل على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة، هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل»^(٢).

❁ الأسماء الأخرى:

النفس، والنسمة.

❁ الحكم:

الإيمان بها واجب، فيجب الاعتقاد الجازم بوجود الروح كذات مخلوقة قائمة بنفسها، وأن لها صفات وأحكاماً تختص بها، والتصديق بكل ما ورد من الأخبار المتعلقة بها.

❁ الأدلة:

قال تعالى في شأن الظالمين: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾^(١)
[الأنعام]، وقال سبحانه: ﴿يَتَابَنَّا اللَّهُ الْمُطْمِئِنَّةُ﴾^(٢) [الفجر]، وقال ﷺ: «اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ

(١) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (١٠٢/١) [رسالة دكتوراه، جامعة الإمام].

(٢) الروح (١٤٤)، وانظر منه: (١٥٦)، وراجع: جلاء العينين للألوسي (١٦٩).

الرسول^(١).

أمر الله؛ يعني: «من علمه الذي منع أن يعرفه أحد»^(٤)، وكما قال الشوكاني: «قد استأثر الله بعلمها، ولم يطلع عليها أنبياءه»^(٥). وعلى هذا المعنى درجت عبارات كثير من أهل العلم^(٦).

وقال ابن أبي العز: «اتفق أهل السُّنة والجماعة أنها مخلوقة، وممن نقل الإجماع على ذلك: محمد بن نصر المروزي وابن قتيبة وغيرهما»^(٢).

✻ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: منزلة الروح من الغيب.

هل الروح من أمر الغيب؟

والذين فسَّروا الروح في الآية بغير الروح الإنساني كالذين فسروه بأنه ملك، وأنه المذكور في قول الحق تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: ٢١٨] لم يعدوا الروح من أمر الغيب.

اختلف العلماء في ذلك على قولين، فمن قائل: هي غيب، ومن قائل: ليست بغيب، ومرجع ذلك إلى الاختلاف في تفسير الروح الوارد في قول تعالى: ﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، وهل المراد به الروح الذي يقوم به البدن؟ أو شيء آخر؟

وذكر ابن القيم أن أكثر السلف - بل كلهم - على أن الروح المسؤول عنها في الآية ليست أرواح بني آدم؛ بل هو الروح الذي أخبر الله عنه في كتابه أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة، وهو ملك عظيم^(٧).

فالذين فسَّروا الروح الوارد في الآية بأنه الروح الإنساني^(٣) قالوا: الروح من

والعلم بالروح مذهب الجمهور كما حكاه النووي^(٨)، ثم ظاهر الآية - على

[الإسلامي، ط ٤]، وروح المعاني (١٥٤/١٥) [دار إحياء التراث، ط ٤، ١٤٠٥هـ].

(٤) زاد المسير (٨٢/٥).

(٥) زبدة التفسير (٣٧٦) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ط ٢، ١٤٠٨هـ].

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٤٣/٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٢٢٤/١) [دار الريان، ط ١، ١٤٠٧هـ]، وتفسير السمعاني (٢٧٥)، والإنسان في القرآن للعقاد (٢٣) [نهضة مصر للطباعة، ط ٢٠٠١م].

(٧) الروح (١٥١/١) [دار الكتاب العربي، ط ٤].

(٨) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٣٨/١٧) [دار الكتب العلمية].

(١) انظر: الروح (١٤٤)، ولوامع الأنوار (٣٣/٢)، أقاويل الثقات لمربي الكرمي (١٩١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٣٨٥).

(٣) وهو مذهب جمع من أهل العلم، انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٢٧٤/٣) [دار الوطن]، وحاشية محيي الدين زاده على تفسير البيضاوي (٤٢٣/٥) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٣٦٩) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والملل والنحل (٨/٢) [دار المعرفة، ط ١، ١٤١٠هـ]، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٥٨/٥) [دار الجبل، ط ١، ١٤٠٥هـ]، وزاد المسير في علم التفسير (٨٢/٥) [المكتبة]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية لما سئل عن الروح، وهل المفوض إلى الله أمر ذاتها أو صفاتها... إلخ، قال: «أما قول السائل: هل المفوض إلى الله أمر ذاتها أو صفاتها أو مجموعهما؟ فليس هذا من خصائص الكلام في الروح؛ بل لا يجوز لأحد أن يقفو ما ليس له به علم، ولا يقول على الله ما لا يعلم، وليس في الكتاب والسنة أن المسلمين نهوا أن يتكلموا في الروح بما دلَّ عليه الكتاب والسنة، لا في ذاتها ولا في صفاتها، وأما الكلام بغير علم فذلك محرم في كل شيء»^(٢)، ومن ذلك الكلام في كنه الروح وصفاتها وكيفيتها فهذا لا علم لنا بها، والخوض فيه من التكلف المذموم المنهي عنه.

- المسألة الثالثة: حدوث الروح:

الروح حادثة مخلوقة مربوبة مدبرة، ولا خلاف بين المسلمين في ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، فهذا العموم لا استثناء فيه، فيشمل خلق الأرواح والأجساد.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الشعراء: ٧٨]، فإذا سَوَّيْتُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٩﴾ [الحجر: ٢٩]،

(٢) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة (٤/ ٢٣٠ - ٢٣١) [دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ].

مذهب من فسّر الروح بالروح القائم بالبدن - لا يدل دلالة قاطعة على أنها لا تعلم، فليست من الغيب.

والذي يظهر: أن الروح من حيث العلم بكنه ذاتها وكنه صفاتها من الغيب الذي استأثر الله بعلمه؛ أي: أنها من الغيب المطلق، وأما العلم بها من حيث كونها عين قائمة بذاتها، والعلم بآثارها وصفاتها التي جاءت بها الأخبار الصحيحة، فليست من الغيب المطلق؛ بل هي من الغيب النسبي؛ لأن بعض الخلق يتعامل معها، ويطلع على شيء من أحوالها كالملائكة^(١).

- المسألة الثانية: حكم الكلام في

الروح:

ليس في نصوص الكتاب أو السنة نص يمنع الكلام في الروح بما دلَّ عليه الكتاب والسنة لا في ذاتها ولا في صفاتها؛ بل قد جاء القرآن الكريم بالحديث عنها، وكذلك السنة، فهي مليئة بالنصوص التي تحدثت عن الروح وذكرت الكثير من صفاتها وأحوالها، فهي تتكلم، وتسمع، وتخاصم، وتتصل، وتنفصل إلى غير ذلك مما جاء به الوحي.

ومثل هذا فيه دلالة واضحة على أصل مشروعية الكلام في الروح.

(١) انظر: الروح في الديانات (١/ ٢٠ - ٢٤).

وفي الجملة؛ فجميع النصوص التي أفادت أن الروح تبشر، وأنها تقبض، وتكفن، وتحنط، وتصعد، وأن لها رائحة، وأنه يصلى عليها، وأنها تنعم أو تعذب، وأنها تلاقي غيرها، وأنها تسجد إلى غير ذلك، كلها تفيد أنها مخلوقة. وقد حكى الإجماع على حدوث الروح غير واحد من العلماء^(٤).

- المسألة الرابعة: إضافة الروح إلى الرب تعالى:

أضيفت الروح إلى الرب تعالى في شأن آدم عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] وفي شأن عيسى عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

والإضافة هنا من الإضافات الخاصة التي تقتضي التشريف والتكريم لهذه الروح المضافة عن سواها، لا أنها صفة لله، ولا أنها هي الله ولا بعضه كما فهم الغالطون ممن لم يوفق للصواب. قال ابن القيم: «هذه إضافة إلى إلهيته تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه،

فأضاف سبحانه الروح إلى نفسه، وهي «إضافة خلق وملك إلى خالق وملك»^(١).

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان]، فالإنسان عبارة عن مجموع الروح والبدن.

وقال عليه السلام: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»^(٢).

فوصف الأرواح بأنها جنود مجندة، والجنود ذوات قائمة بنفسها، وهي مخلوقة.

وقال عليه السلام في حديث نفخ الروح في الجنين: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح»^(٣).

فالروح مفتقرة إلى من ينفخها، والمفتقر إلى غيره مخلوق.

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/ ٣٩٠) دار إحياء التراث، ط ١، ١٤١٨هـ.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٣٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٣).

(٤) انظر: الفتاوى (٤/ ٢١٦)، والروح (٣٥١)، وفتح الباري (٨/ ٤٠٤)، وشرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (٤١٩) [دار ابن كثير، ط ٢، ١٤١٣هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (١/ ٤٤١) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ]، وروح المعاني (٨/ ٢٤) [دار إحياء التراث، ط ٤، ١٤٠٥هـ]، والمواقف في علم الكلام (٧/ ٢٥٠) [عالم الكتب].

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُوتًا رِبَكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١]، فالآية صريحة في أن خلق جملة النوع الإنساني كان بعد خلق أصله^(٤).

وقوله ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلَاسِلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَكِينٍ (٢٩) [الحجر]، فنفخ الروح كان بعد التسوية؛ أي: بعد خلق آدم، وتعديل صورته.

وقال ﷺ في ابتداء خلق آدم ﷺ: «لما نفخ الله في آدم الروح، فبلغ الروح رأسه عطس، فقال: الحمد لله رب العالمين، فقال له تبارك وتعالى: يرحمك الله»^(٥).

فدلالة الحديث ظاهرة في أن نفخ الروح عقب خلق البدن.

- المسألة السادسة: اتصال الروح بالبدن:

اتصال الروح بالبدن على ثلاثة أوجه^(٦):

الأول: اتصالها به في الدنيا عند نفخ

بخلاف الإضافة العامة إلى ربوبيته؛ حيث تقتضي خلقه وإيجاده.

فالإضافة العامة تقتضي الإيجاد، والخاصة تقتضي الاختيار، والله يخلق ما يشاء ويختار مما خلقه، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصر: ٦٨]. وإضافة الروح إليه من هذه الإضافة الخاصة لا من العامة، ولا من باب إضافة الصفات، فتأمل هذا الموضوع فإنه يخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها من شاء الله من الناس^(١).

وبالمقابل نلاحظ أنه ﷺ لم يصف أرواح بني آدم إليه، ولا تضاف إليه إلا من حيث الخلق العام، ونفخها مسند إلى الملك الموكل بذلك، وهذا يشعر بالتمايز بين الأرواح مع أن الجميع خلق الله، كما جاء في حديث الصادق المصدوق، وفيه: «ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح»^(٢).

- المسألة الخامسة: زمن خلق الأرواح:

خلقت الأرواح بعد خلق الأجساد؛ لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: ١٣].

فالخطاب في الآية للإنسان الذي هو روح وبدن، فدل على أن جملته مخلوقة بعد خلق الأبوين^(٣).

(١) الروح (٣٧١).

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

(٣) انظر: الروح (٣٨٥).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) أخرجه ابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٦٥)، قال ابن حجر في المطالب العالية (٢٣٥/١٤): وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات أثبات. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢١٥٩).

(٦) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (١/ ١٨٥ - ٢٥٢).

فبالكبرى يكون الموت؛ وهو الانفصال الكلي الذي تفارق فيه الروح البدن.

وبالصغرى يكون النوم؛ وهو الانفصال الجزئي الذي تبقى فيه الروح على اتصال بالبدن.

والوفاتان هما المذكورتان في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر].

والروح لا تموت بموت البدن، ولا تبلى كما يبلى، فإذا فارقت بقيت في مستقرها إلى أن تلاقيه مرة أخرى فتدخله.

قال ابن تيمية: «الذي عليه الأنبياء وأتباعهم وجمهور العقلاء أن الروح تفارق البدن وتبقى بعد فراق البدن»^(٣).

أما الجسد فيفنى ويبلى إلا عجب الذنب، كما قال ﷺ: «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»^(٤)، ويستثنى من ذلك الأنبياء، فإن أجسادهم محرمة على الأرض؛

(٣) الجواب الصحيح (٣/٢٦٨) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٣٥)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٥٥).

الروح فيه، كما جاء في حديث الصادق المصدوق ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد»^(١)، فبالروح تكون حياته إلى أن يموت، ولها اتصال به عند الوفاة الصغرى حال النوم، ونحوه.

الثاني: اتصالها به في البرزخ، وهذا في حال دون حال، وله صور منها: اتصالها عند السؤال، وعند النعيم أو العذاب.

الثالث: اتصالها به يوم القيامة، يوم أن ترد الأرواح إلى أجسادها، فيقع عليهما النعيم أو العذاب معًا في دارهما، في أكمل صورة.

قال ﷺ: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه»^(٢)، وذلك بعد النفخة الثانية.

- المسألة السابعة: وفاة الروح والبدن: والوفاة نوعان: كبرى وصغرى.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٥٨/٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، وقال ابن كثير (٥٥٠/٧) [دار طيبة، ط ٢]: وهذا إسناد عظيم، ومتن قويم. وأخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد رقم ٤٢٧١)، وابن حبان في صحيحه (رقم ٤٦٥٧) وقال الألباني في صحيح موارد الضمآن (١/٣٢٥): صحيح.

لقوله ﷺ: «إن الله ﷻ قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»^(١).

وقد ذهب بعض المتكلمين من المعتزلة والأشعرية^(٢)، إلى القول بفناء الأرواح بعد الموت، والنصوص السابقة دالة على بقاء الروح بعد فراق البدن، فإذا جاء يوم القيامة رجعت الروح إلى جسدها، وهذا ما قرره محققون من أهل العلم.

- المسألة الثامنة: صفات الروح:

تمر الروح بثلاث دور مختلفة، ولها في كل دار صفات وأحكام خاصة، فصفات الروح وأحكامها في دار الدنيا تختلف عنها في دار البرزخ، وتختلف عنها في دار الجزاء.

فتوصف الروح في دار الدنيا بما يوصف به البدن في الجملة وإن كانت تبعاً له، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، فالإسراء الحاصل هنا هو للعبد الذي هو مجموع الروح والبدن، فالذي ركب البراق في

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٠٤٧)، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٣٧٤)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، رقم ١٠٨٥)، وأحمد (٨٤/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الصلاة، رقم ١٦١٣)، وصححه النووي في الأذكار (١١٥) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٢٧).

(٢) انظر: الروح (٥١)، ومجموع الفتاوى (٢٨٣/٤)، (٤٩٢)، والفصل (٥٧/٤)، (٥٨).

رحلة الإسراء هو الروح والبدن، والذي عرج به إلى السماء هو الروح والبدن، والذي رأى من آيات ربه الكبرى هو الروح والبدن، والذي صلى بالأرواح ببیت المقدس هو الروح والبدن، لا أحدهما دون الآخر^(٣).

وقال النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»^(٤)، فالساجد هنا: مجموع الروح والبدن، لا الروح المحض، ولا البدن المحض.

وذكر ابن تيمية أن الإنسان الذي نفخت فيه الروح فصارت بدنًا فيه الروح هو ليس فيه بدن محض وروح محض حتى يقال: إنه يفعل كذا ببدنه، وكذا بنفسه؛ بل أفعاله تشترك فيها الروح، فهو إذا أكل وشرب فالروح تتلذذ بالأكل والشرب، وبها صار آكلًا شاربًا، وإلا فالبدن الميت لا يأكل ولا يشرب.

وإذا نظر، واستدل، وسمع، ورأى، وتعلم؛ فالنفس فعلت ذلك بالبدن، والبدن يظهر فيه ذلك، والروح وحدها لا تفعل ذلك^(٥).

فلا يصح أن نفرق في هذه الدار بين صفات الروح والبدن، إلا ما كان حال النوم؛ فإن الروح تكتسب فيه صفات

(٣) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (١/١٥٦).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٢).

(٥) الجواب الصحيح (٤/٢٥ - ٢٦).

الروح وصفاتها وأحوالها حديث البراء بن عازب الطويل .

وفي دار الجزاء تكمل صفات الروح؛ بله الروح والبدن، يقول ابن القيم عن حال الروح في هذه الدار - وهي آخر الدور التي تمر بها الروح وفيها تستقر - هي: دار القرار، وهي الجنة أو النار، فلا دار بعدها، والله ينقلها في هذه الدور طبقاً بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها، وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل لها إليها، ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى، فتبارك الله فاطرها ومنشئها ومميتها ومحيتها ومسعدها ومشقيها، الذي فاوت بينها في درجات سعادتها وشقاوتها، كما فاوت بينها في مراتب علومها وأعمالها وقواها وأخلاقها^(٣) .

وقد دلَّ على كمال الروح وصفاتها في دار الجزاء: النصوص الواردة في وصف أهل الدارين وما هم فيه من نعيم أو عذاب؛ لأن السعادة أو الشقاوة في دار المقامة للأرواح والأبدان جميعاً، لا لهذه دون هذه ولا لهذه دون هذه.

قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ

أخرى تميزها عن صفات البدن؛ لأنها تنوفى فيه الوفاة الصغرى؛ فتفارقه وتنفصل عنه انفصلاً جزئياً، فتذهب وتجيء، وتنعم وتعذب، وتأكل وتشرب، وتلتقي بأرواح الأحياء والأموات مع ما لها من اتصال بالبدن.

وتتغير صفات الروح في دار البرزخ بعد الموت، ويكون لها من الصفات والأحوال ما يتناسب وتلك الدار البرزخية، كما أن البدن ذاته تتغير صفاته، قال ابن تيمية في إشارة إلى هذا التغيير الحاصل في الصفات: «النفس تتغير صفاتها بمفارقة البدن، وكذلك البدن تتغير صفاته بمفارقة الروح له»^(١) .

وقد دلَّت النصوص أن الروح في هذه الدار: تسمع، وتعقل، وتفهم، وأنها ذات رائحة، وأنها تتحرك، وتنتقل، وتتكلم، وتوصف بالطيب والخبث، والصدق والكذب، والإيمان والكفر أو النفاق، وكذا بالرضا، والحب والتمني، والحياة، والأكل والشرب، والرضاع، وتوصف بالفرح والشعوف والصياح، وتوصف بما يوصف به صاحبها من شكل وهيئة، إلى غير ذلك مما جاءت به النصوص الصحيحة^(٢) .

ولعل أشمل حديث جاء فيه ذكر

(١) الجواب الصحيح (٤/٢٥).

(٢) انظر: الروح في البيانات (١/١٥٨).

(٣) انظر: الروح (٢٩٦).

عادت إليها مرة أخرى فكانت حياة أخرى كاملة مؤبدة لم تعهدها من قبل.

- المسألة التاسعة: تسمية النفس باعتبار صفاتها:

النفس واحدة، وقد تسمى باعتبار تنوع صفاتها، جاء ذلك في ثلاث آيات من القرآن الكريم:

أولاهـا: قوله ﷻ: ﴿يَتَّيْنَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧]. فتسمى بالنفس المطمئنة، وتوصف بالطمأنينة.

وثانيتهـا: قوله ﷻ: ﴿وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ﴾ [القيامة: ٢]. فتسمى بالنفس اللوامة، وتوصف باللوم لصاحبها.

وثالثتهـا: قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣]. فتسمى بالأمارة، وتوصف بالأمر بالسوء.

وقد ذكر ابن القيم أنه وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاث أنفس: نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة، وأن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه الأخرى، والتحقيق أنها نفس واحدة ولكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة باسم^(٢).

- المسألة العاشرة: النفس المطمئنة:

قيل: هي التي اطمأنت إلى وعد الله الذي وعد أهل الإيمان به في الدنيا من

نُزُلًا ﴿١٧﴾ [الكهف]. وقال ﷻ عن أهل النار: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة].

وقال ﷻ عن الفريقين: «يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت. ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون، ويقولون: نعم، هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت». قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذَرُهم يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهم فِي غَفْلَةٍ وَهم لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٢٦]. وأشار بيده إلى الدنيا^(١).

فخلود الفريقين خلود للأرواح والأبدان.

وهذا الخلود دليل على كمال الصفات في هذا الدور من أدوار الروح؛ لأنه لا موت ولا فناء ولا بلى للأرواح والأبدان؛ بل هو خلود أبدي سرمدي.

فصفحة الحياة في هذه الدار أكمل منها في سابقتها، الأبدان ماتت في الدنيا، والأرواح ماتت بفراق الأبدان، ثم

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٣٠)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٩).

(٢) انظر: الروح (٤٩٥).

- المسألة الحادية عشرة: النفس

اللّوامة.

وهي التي تفعل الذنب ثم تلوم عليه، وتتلون تارة كذا وتارة كذا، وتخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً^(٧)، قال ابن القيم: «وأما اللّوامة فاختلف في اشتقاق هذه اللفظة هل هي من التلوم: وهو التلون والتردد، أو هي من اللوم، وعبارات السلف تدور على هذين المعنيين»^(٨).

وقد أقسم الله بها في قوله: ﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(٩) وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ﴿١٠﴾ أَيْحَسْبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْعَ عِظَامُهُ ﴿١١﴾ [القيامة].

وفي النفس اللّوامة ثلاثة أقوال: **أحدها:** أنها التي تلوم نفسها حين لا ينفعها اللوم، قاله ابن عباس رضي الله عنه.

والثاني: أنها نفس المؤمن التي تلومه في الدنيا على تقصيره، قاله الحسن، فعلى هذا تكون ممدوحة.

والثالث: أنها جميع النفوس، قال الفراء: ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها؛ إن كانت عملت خيراً، قالت: هلا زدت، أو شراً، قالت: ليتني لم أفعل^(٩).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٨/٢٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، ١٤١٦هـ].

(٨) انظر: الاستقامة (٢٥١/٢) [جامعة الإمام، ط١].

(٩) انظر: التبصرة لابن الجوزي (٣٠٩/١) [دار الكتاب المصري، ط١، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م].

الكرامة في الآخرة فصدمت بذلك^(١)، وقيل هي: التي قد اطمأنت بالإيمان وأخبت لربها^(٢)، وقيل: الموقنة غاية اليقين^(٣)، وقال ابن القيم: «النفس المطمئنة وهي الخاشعة المتواضعة لربها وما تؤول إليه من كرامته ورحمته»^(٤).

فحقيقة الطمأنينة السكون والاستقرار، فهي التي قد سكنت إلى ربها، وطاعته، وأمره، وذكره، ولم تسكن إلى سواه، فقد اطمأنت إلى محبته وعبوديته وذكره، واطمأنت إلى التصديق بحقائق أسمائه وصفاته، واطمأنت إلى الرضا به رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، واطمأنت إلى قضائه وقدره، فاطمأنت بأنه وحده ربها، وإلهها، ومعبودها، ومليكها، ومالك أمرها كله، وأن مرجعها إليه، وأنها لا غنى لها عنه طرفة عين^(٥).

وهي أعظم النفوس عند الله ﷻ قدراً، وهي التي يقال لها: ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي^(٦).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩٠/٣٠) [دار الفكر].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢٥٣/١٣) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

(٣) انظر: تفسير ابن عطية (٤٨١/٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ].

(٤) التبيان في أقسام القرآن (٢٢) [دار الفكر].

(٥) انظر: إغاثة اللهفان (٧٦/١) [دار المعرفة، ط٢].

(٦) انظر: الروح (٢٦٧).

الأرض في بيته الخرب؛ يعد عند ذوي البصائر من الحمقى المغرورين^(٥).

ومن عرف حقيقة نفسه، وما طبعت عليه؛ علم أنها منبع كل شر، ومأوى كل سوء، وأن كل خير فيها ففضل من الله ﷻ من به عليها لم يكن منها كما قال ﷺ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات]، فهذا الحب، وهذه الكراهة لم يكونا في النفس ولا به، ولكن هو الله ﷻ الذي من بهما، فجعل العبد بسببهما من الراشدين؛ فضلاً من الله ﷻ ونعمة، والله عليم حكيم؛ عليم بمن يصلح لهذا الفضل، ويزكوا عليه وبه، ويثمر عنده، حكيم فلا يضعه عند غير أهله، فيضيعه بوضعه في غير موضعه^(٦).

- المسألة الثالثة عشرة: مستقر الأرواح:

هو المكان الذي تكون فيه الأرواح بعد أن تفارق أجسادها بالموت، وهو

ولهذا قال الحسن البصري: «إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه، يقول: ما أردت بكلمتي، يقول: ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي، فلا تراه إلا يعاتبها، وإن الفاجر يمضي قدماً، فلا يعاتب نفسه»^(١).

- المسألة الثانية عشرة: النفس الأمانة:

وهي النفس الأمانة بالسوء، الفرارة من الخير^(٢). سميت بذلك لأنها أذعنت، وأطاعت لمقتضى الشهوات، ودواعي الشيطان^(٣)، ومعاصي الله ﷻ أكثرها من جهة النفس الأمانة بالسوء^(٤).

ويخاف على صاحب هذه النفس سوء الخاتمة، وانتظاره مع هذه الحالة المغفرة من الله ﷻ غرور؛ فإن المقصر عن الطاعة، المصر على الذنوب، الغير السالك سبيل المغفرة، المنتظر للغفران؛ يعد عند أرباب القلوب من المعتهين، كما أن من خرب بيته، وضيع ماله، وترك نفسه وعياله جياغاً يزعم أنه ينتظر فضل الله ﷻ بأن يرزقه كنزاً يجده تحت

(١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (٢٨١) [دار الريان للتراث، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٨هـ]، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٢٧٢/٩) [مكتبة المعارف، بيروت].

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (٤/٤٥) [دار المعرفة].

(٣) انظر: المصدر نفسه (٤/٣).

(٤) انظر: تحفة الذاكرين للشوكاني (٤٣٠) [دار القلم، ط ١، ١٩٨٤م].

(٥) انظر: موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (١/٤٠٩) [دار الفانس، ط ٩، ٢٠٠٧م].

(٦) انظر: مدارج السالكين (١/٢٢٠) [دار الكتاب العربي، ط ٢].

وأرواح الكافرين لها مقر معاكس. ثم بعد ذلك هناك تفاوت في مقر أرواح المؤمنين أنفسهم، فإن منهم الطائعين المسددين، ومنهم العصاة المفرطين، ولكل مقر يليق به.

فالأرواح إذا ليست في مرتبة واحدة، وليست على درجة واحدة؛ بل هي مراتب ودرجات متباينة^(٢).

ويمكن بيان ذلك وعرضه على النحو الآتي^(٣):

١ - مستقر أرواح الأنبياء ﷺ:

دلّت النصوص على أن مقر أرواحهم في أعلى عليين من الجنة، على ما بينهم من التفاضل في الدرجات والتفاوت في المنازل؛ لقوله ﷺ: «إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يحيى أو يخير»، فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: «اللَّهُمَّ في الرفيق الأعلى»، فقلت: إذا لا يجاورنا^(٤).

ففي هذه الرواية اختار النبي ﷺ الرفيق الأعلى وهم: «جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين»^(٥)، وكأنه

مقر نعيم أو عذاب، إلى أن تبعث مع بدنّها إلى مقرها.

والواجب على المسلم الاعتقاد الجازم بأن الأرواح بعد الموت باقية لا تفنى كما دلّت عليه النصوص.

ومن الأدلة على ذلك: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [٢٧] أَرْجَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً [٢٨] فَأَدْخِلْ فِي عَبْدِي [٢٩] وَأَدْخِلْ جَنَّتِي [٣٠]. [الفجر].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وقول النبي ﷺ: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه»^(١).

٢ - المسألة الرابعة عشرة: مراتب مستقر الأرواح:

مقر الأرواح من الأمور الغيبية التي لا تعلم إلا بالوحي، وعلى ذلك فلا مجال للعقل فيه، كما أنه لا مجال فيه للتخرصات والتكهنات.

وقد دلّت النصوص على أن الأرواح تتفاوت في مستقرها بعد الموت أعظم التفاوت، فأرواح المؤمنين لها مقر،

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (١/٢٦٩).

(٣) انظر: الروح في الديانات (١/٢٦٩ - ٣٣١).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤٣٧)،

ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٤).

(٥) تحفة الأحوذ (٩/٤٦٨) [مطبعة المعارف]، والنهاية =

وقد دلّت على تفاوت الأنبياء في منازلهم أحاديث الإسراء والمعراج، فقد رأى النبي ﷺ آدم ﷺ في السماء الدنيا، ورأى إبراهيم ﷺ في السماء السابعة، ورأى غيرهما من الأنبياء ﷺ فيما بين السماءين^(٤).

وذكر ابن القيم من مراتب مستقر الأرواح: أرواح في أعلى عليين في الملائكة الأعلى، وهي أرواح الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ في الإسراء^(٥).

٢ - مستقر أرواح عموم المؤمنين:

مقر أرواح المؤمنين الجنة؛ بل هي طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى أجسادهم يوم القيامة. فأما كونها في الجنة، فلقله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٨٨) ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ (٨٩) [الواقعة]، وهذا ذكره - سبحانه - بعد ذكر خروج الروح من البدن بالموت^(٦). وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (٢٨) ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٢٩) ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (٣٠) [الفجر].

(٤) انظر: حديث الإسراء والمعراج عند البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢).

(٥) الروح (٢٩٣) [دار الكتاب العربي، ط ٤، ١٤١٠هـ].

(٦) انظر: الروح (١٥٨).

اختار رفقة خاصة، لها علو المكان والمنزلة كما يفهم من قوله: «الأعلى».

وجاء في رواية لأحمد ما يفيد اختياره للرفقة العامة، حيث قال: «مع الرفيق الأعلى في الجنة، ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ إلى آخر الآية^(١)، وهي لا تناقض سابقتها، فإنه اختار أولاً المكان الذي هو مستقر أرواح السعداء، واختار منه أعلاه وأرفعه منزلة وهو ملتقى أرواح الأنبياء. وجاء في رواية للنسائي: «أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل ﷺ»^(٢)، فهذا صنف آخر ورفقة خاصة مع رؤوس الملائكة ﷺ.

قال ابن حجر: «وظاهره أن الرفيق: المكان الذي تحصل المرافقة فيه مع المذكورين»^(٣) من الملائكة والجماعة الذين في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦٩) [النساء].

= في غريب الحديث والأثر (٢٤٦/٣) [دار الفكر].

(١) أخرجه أحمد (٥١٠/٤٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال الهيثمي: «أحد إسناده أحمد رجاله رجال الصحيح». منجم الزوائد (٣٦/٩) [مكتبة القدسي].

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٨٧٠)، وابن حبان في صحيحه (كتاب التاريخ، رقم ٦٥٩١)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٦/٧): «هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين».

(٣) فتح الباري (٧٤٤/٧) [دار الريان، ط ١، ١٤٠٧هـ].

عموم المؤمنين»^(٤).

ودليل ذلك: قوله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله ﷻ أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم؛ قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا! لئلا يزهّدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله ﷻ: أنا أبلغهم عنكم» فأنزل الله ﷻ هؤلاء الآيات على رسوله ﷺ: ﴿وَلَا تَحْزَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩]^(٥).

ولما سأل التابعون الصحابة رضي الله عنهم عن الآية الأنفة، قال ابن مسعود رضي الله عنه: أما إننا قد سألنا عن ذلك، فقال ﷺ: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا. ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن

وقال ﷺ: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»^(١). فجعل الموت حائلاً بينه وبين دخول الجنة، فإذا فارق الروح الجسد دخلها.

وأما كونها طيراً يأكل من ثمر الجنة، فلقوله ﷺ: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق»^(٢) في شجر الجنة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه»^(٣).

٣ - مستقر أرواح الشهداء:

تقدم أن أرواح عموم المؤمنين في شكل طير في الجنة، وأما الشهداء فنوعان: نوع أرواحهم في حواصل طير خضر في الجنة، وهي كما يقول ابن كثير: «الكواكب بالنسبة إلى أرواح

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (١٨٢) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ]، والطبراني في الأوسط (٨/ ٩٣) [دار الحرمين، ١٤١٥هـ]، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩٩) [دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ]: «رواه النسائي والطبراني بأسانيد، أحدها صحيح»، وقال الهيتمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٠٢) [مكتبة القدسي]: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد، وأحدها جيد».

وانظر: السلسلة الصحيحة (رقم ٩٧٢).

(٢) تعلق: تأكل. انظر: النهاية (٣/ ٢٨٩). وقال الزرقاني في شرحه على موطأ مالك (٢/ ١١٥) [دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ]: «يعلق بالتحية صفة طير، ويفتح اللام رواية الأكثر كما قال ابن عبد البر، وروي بضمها، قال: والمعنى واحد، وهو: الأكل والرعي في شجر الجنة لتأكل من ثمارها، وقال البوني: معنى رواية الفتح: تأوي، والضم ترعى».

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٤٢٨) [دار طيبة، ١٤٢٠هـ].

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٥٢٠)، وأحمد (٤/ ٢١٨) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ] واللفظ له، والحاكم في المستدرک (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٤٤) وصحّحه، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ٢٢٧٥) [مؤسسة غراس، ١٤٢٠هـ].

رضاعه في الجنة»^(٥).

وفي حديث سمرة الطويل قال ﷺ: «أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالَا لي: انطلق، وإنني انطلقت معهما قال: فانطلقنا، فأتينا على روضة معشبة فيها من كل نور الربيع، وإذا بين ظهراني الروضة رجل قائم طويل، لا أكاد أن أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط وأحسنه، قلت لهما: ما هذا وما هؤلاء؟ قالَا لي: انطلق، انطلق»، إلى أن بيَّنا له فقالَا: «وأما الرجل الطويل الذي رأيت في الروضة: فإنه إبراهيم، وأما الولدان الذين حوله: فكل مولود مات على الفطرة».

وفي لفظ: «فقالَا: انطلق. فانطلقت، فإذا روضة خضراء، فإذا فيها شجرة عظيمة، وإذا شيخ في أصلها حوله صبيان» إلى أن بيَّنا له فقالَا: «وأما الشيخ الذي رأيت في أصل الشجرة: فذاك إبراهيم ﷺ، وأما الصبيان الذي رأيت: فأولاد الناس»^(٦).

ووقع في حديث أبي أمامة: «ثم انطلقنا، فإذا نحن بغلمان وجوار يلعبون بين نهريْن، قلت: ما هؤلاء؟ قال: ذرية المؤمنين»^(٧).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣١٦).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٧٠٤٧)، وأحمد

(٢٨٤/٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، واللفظ له.

(٧) أخرجه ابن خزيمة (كتاب الصيام، رقم ١٩٨٦)، =

يسألوا؛ قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»^(١).

ونوع أرواحهم في قبة خضراء على نهر بباب الجنة؛ لقوله ﷺ: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا»^(٢).

قال الساعاتي: «قال العلماء: هذا في شهداء عليهم ذنوب منعتهم من دخول الجنة مع السابقين»^(٣).

٤ - مستقر أرواح ذراري المؤمنين والمشركين:

دلَّت النصوص على أن أرواح الذراري بإطلاق ممن لم يبلغ الحنث في الجنة، في كفالة إبراهيم الخليل ﷺ وزوجه سارة ﷺ على ما بينهم من التفاضل والتفاوت في الدرجات.

قال ﷺ: «إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الشدي، وإن له لظئرين»^(٤) تكملان

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٠/٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب السير، رقم ٤٦٥٨)، والحاكم (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٠٣) وصحَّحه، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٣٧) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٣) الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (٢٨/١٤) [دار الشهاب].

(٤) ظئرين: الظئر: المرضعة غير ولدها، ويقع على الذكر والأنثى. النهاية (١٥٤/٣).

ذرية البشر أن لا يعذبهم، فأعطانيهم»^(٥).
وأيضاً قوله ﷺ: «أطفال المشركين هم
خدم أهل الجنة»^(٦).

٥ - مستقر الأرواح الحبيسة:

وهذه أرواح مؤمنة قد حبست عن
دخول الجنة بسبب يزول بزواله حبسها،
وهم صنفان من المؤمنين:

الأول: من حبس بسبب دين، ويدخل
هنا الشهداء وغيرهم.

قال ﷺ: «نفس المؤمن معلقة بدينه
حتى يقضى عنه»^(٧)، ومعنى معلقة:

(٥) أخرجه أبو يعلى (٢٦٧/٦، ١٣٨/٧) [دار المأمون
للتراث، ط ١]، والطبراني في الأوسط (١١١/٦)
[دار الحرمين]، وقد اختلف أهل العلم في ثبوته:
فأعله الدارقطني في العلل (٢٢٩/١٢) [دار ابن
الجوزي، ط ١]، وضعفه ابن الجوزي في العلل
المتناهية (٤٤٤/٢) [إدارة العلوم الأثرية، ط ٢]،
والبوصيري في الإتحاف (٢٧٢/٨) [دار الوطن،
ط ١]، وابن القيم في أحكام أهل الذمة (٢/٢)
(١١٢٧) [زمادي للنشر، ط ١]، وحسن إسناده
ابن حجر في الفتح (٢٤٦/٣) [دار المعرفة]،
وحسنه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة
الصحيحة (٥٠٤/٤).

(٦) أخرجه الطيالسي (٢٨٢/٩) [دار المعرفة]، والبزار
(٣٩/١٤) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، والطبراني
في المعجم الأوسط (٢٢٠/٣) [دار الحرمين]،
وضعف إسناده الحافظ في الفتح (٢٤٦/٣) [دار
المعرفة]، وصححه الألباني بمجموع طرقه وشواهده
في السلسلة الصحيحة (٢٥٢/٣) [مكتبة المعارف،
ط ٢، ١٤١٦هـ].

(٧) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧٩)
وحسنه، وابن ماجه (كتاب الصدقات، رقم ٢٤١٣)،
وأحمد (٣٥٢/١٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]،
والدارمي (كتاب البيوع، رقم ٢٦٣٣)، وصححه
الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٧٧٩).

ومما يدلُّ على أن مقر أرواح أطفال
المؤمنين الجنة الأحاديث الواردة في
أفراطهم الصغار ممن لم يبلغ الحنث
وكونهم يتلقون آباءهم على أبوابها،
وكونهم يشفعون لهم فيدخلونها، وكذا
الأحاديث التي نصت على كونهم سبباً في
دخول والديهم الجنة ونجاتهم من النار^(١).

ومما يدلُّ بصفة خاصة على كون
أطفال المشركين في الجنة، قوله ﷺ:
«النبي في الجنة، والشهيد في الجنة،
والمولود والوليدة»^(٢). وفي لفظ:
«والمولود في الجنة، والوئيد في
الجنة»^(٣)، وهذا عام. ومما يشهد له
قوله ﷺ: «سألت ربي اللاهين»^(٤) من

= والطبراني في الكبير (١٥٦/٨) [مكتبة ابن تيمية،
ط ٢] واللفظ له، والحاكم (كتاب الطلاق، رقم
٢٨٣٧) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة
الصحيحة (رقم ٣٩٥١).

(١) انظر: الروح في الديانات (٢٨٧/١ - ٢٩٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤٥٩/٣٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]،
وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (٢٤٦/٣) [دار
المعرفة]، وله شاهد عند البزار (٣٢٠/١١) [مكتبة
العلوم والحكم، ط ١] من حديث ابن عباس رضيهما
قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح، غير محمد بن
معاوية بن مالمج، وهو ثقة». مجمع الزوائد (٧/٧)
(٢١٩) [مكتبة القدسي]، وقواه الألباني بشواهده في
السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٧، ٣٣٨٠).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٥٢١)،
وأحمد (١٩٠/٣٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وهو
الحديث السابق نفسه، وفي سنده جهالة، كما أشار
إليه الألباني في صحيح أبي داود (٢٨٠/٧) [مؤسسة
غراس، ط ١]، لكنه صححه بشواهده،

(٤) اللاهين: هم الأطفال.

انظر: فتح الباري (٢٩٠/٣).

محبوسة^(١).

لك؟ امش» قال: قلت: أحدثت حدثاً يا رسول الله؟ قال: «وما ذاك؟» قلت: أففت بي. قال: «لا، ولكن هذا قبر فلان، بعثته ساعياً على بني فلان، فغل نمرة، فدرع الآن مثلها من نار»^(٣).

ومثاله في تعذيب الحيوان، قوله ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تسقها، ولم ترسلها فتأكل من خشاش الأرض»^(٤). وقد صوّب النووي أن هذه المرأة كانت مسلمة، وأنها دخلت النار بسببها كما هو ظاهر الحديث، ثم قال: «وهذه المعصية ليست صغيرة؛ بل صارت بإصرارها كبيرة»^(٥).

ومما يحسن التنبيه إليه: أن الموانع من دخول الأرواح الجنة تزول في الدّين بقضائه، وفي الذنوب بتكفيرها، ثم تعود

وفي حديث سمرة بن جندب؛ أن رسول الله ﷺ صلى الفجر ذات يوم، فقال: «هاهنا من بني فلان أحد؟» مرتين، فقال رجل: هو ذا. فكأنني أسمع صوت النبي ﷺ قال: «إن صاحبكم قد حبس على باب الجنة بدين كان عليه»^(٢)؛ يعني: حبست روحه عن مستقرها مع أرواح المؤمنين.

الثاني: من حبس بسبب ذنب.

وخاصة كبائر الذنوب من نحو الغلول، أو النياحة على ميت، أو عدم التنزه من البول، أو الغيبة، أو النميمة وغيرها مما ورد فيه حدٌ في الدنيا أو وعيد في الآخرة، أو ورد فيها وعيد بنفي الإيمان، أو لعن، أو غضب أو نحو ذلك.

ومثال ذلك في الغلول، ما جاء في حديث رافع، قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر ربما ذهب إلى بني عبد الأشهل، فيتحدث حتى ينحدر للمغرب، فبينما رسول الله ﷺ مسرعاً إلى المغرب، إذ مر بالبقيع، فقال: «أف لك، أف لك» مرتين، فكبر في ذرعي، وتأخرت، وظننت أنه يريدني، فقال: «ما

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب البيوع، رقم ٣٣٤١)، والنسائي (كتاب البيوع، رقم ٤٦٨٥)، وأحمد (٣٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، والحاكم (كتاب البيوع، رقم ٢٢١٣) وصحّحه، وصحّحه الألباني في أحكام الجنائز (١٥) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٣) أخرجه النسائي (كتاب الإمامة، رقم ٨٦٢)، وأحمد (١٧٠/٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، وابن خزيمة (كتاب الزكاة، رقم ٢٣٣٧)، وحسّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٣٥٠) [مكتبة المعارف، ط ٥]. لكن يشهد لعذاب الغال في القبر عدة أحاديث في الصحيحين وغيرهما.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٣١٨)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٤٣).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/٣٤٠).

(١) انظر: مجمل اللغة لابن فارس (٦٢٦/٣)، والمصباح المنير للفيومي (٧٧/٢)، والفتح الرباني (١٠٠/٧).

- المسألة الخامسة عشرة: الصلة بين الأرواح والأبدان:

للأرواح صلة بأبدانها في الدنيا، وصلة في البرزخ، وصلة يوم القيامة.

فأما الصلة في الدنيا، فتبدأ في بطن الأم بعد نفخ الروح الذي هو طور من أطوار خلق الأجنة في الرحم.

ولأجل هذه الصلة بين الروح والجسد في بطن الأم رتب الفقهاء أحكاماً شرعية تتعلق بهذا المخلوق في داره الأولى؛ كالإجهاض، والدية، والإرث، والوقف، والعق، والكفارة، والصلاة عليه^(٣).

وتمتد صلة الروح بالبدن بعد الولادة، وتكون في حالتي اليقظة والنام، ولذا تختلف تعلقات الروح بالبدن في بعض أحوالها مع كل حالة.

ففي حال اليقظة ينالهما معاً اللذة والألم، والراحة والتعب، ويشتركان في الأعمال الصالحة والطالحة، وما يترتب على ذلك من ثواب وعقاب، وما يوصف به أحدهما يوصف به الآخر، مثل بمثل وسواء بسواء، قال شيخ الإسلام: «الإنسان الذي نفخت فيه الروح فصارت بدنًا فيه الروح هو نوع

بإسناد رواه محتج بهم في الصحيح، أطول من هذا»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢١٩/٣) [مكتبة المعارف، ط ٥].
(٣) الروح في الديانات والدعوى المعاصرة (٢٠٣/١).

بعد إلى مستقرها من الجنة؛ لأن عذاب القبر منه ما هو دائم ومنه ما هو منقطع، والمقصود هنا الثاني^(١).

٦ - مستقر أرواح الكفار:

دلّت النصوص على أن مقر أرواح الكفار النار، وفي بعضها: في سجين في الأرض السفلى بحسب منازلهم.

جاء في حديث البراء الطويل: أن الملائكة إذا قبضت روح الكافر: «يصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان. بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف]

«فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً. ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج]^(٢).

(١) الروح في الديانات والدعوى المعاصرة (٣٢٩/١).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢١٢)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٩)، وأحمد (٣٠/٥٠٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ١٠٧)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١٥٨/٤) [دار مكتبة الحياة، ١٤٠٧هـ] بعد أن ساق لفظ أبي داود: «رواه أحمد

استعانت بالبدن من خارجه، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس^(٣).

وأما الصلة بين الأرواح والأبدان في البرزخ فتبدأ بالموت، وهو مفارقة الروح البدن فراقاً كلياً بعلاماته المعروفة عند أهل الفقه والطب، ومع هذا الانفصال تظل الروح على صلة بالبدن على نحو ما وكيفية ما لا يعلمها إلا بارئها تعالى.

ويستدل لهذه المسألة بالنصوص الواردة في نعيم القبر وعذابه، فما يقع فيه من ذلك إنما يقع للأرواح والأبدان معاً، وقد يقعان على الأرواح مفردة، إذ هي الأصل في هذه الدار والأبدان تبع. وقد ذكر ابن تيمية أن العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السُّنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح منفردة عن البدن^(٤).

وأما صلة الأرواح بالأبدان يوم القيامة فتبدأ بعد نفخة الصور الثانية، وذلك بعد أن تكون الأجساد قد عادت كما كانت عليه من عجب الذنب، وإذا عادت الأرواح إلى أبدانها فإنها لا

ثالث، ليس فيه بدن محض وروح محض حتى يقال: إنه يفعل كذا ببدنه، وكذا بنفسه؛ بل أفعاله تشترك فيها الروح^(١)، إلا أن الأبدان أصل والأرواح تبع، وكما قال ابن القيم: «أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها»^(٢).

وفي حال النوم، تفارق الروح البدن فراقاً جزئياً، ولذا فما ينال الإنسان في هذه الدار حال النوم منصب على الأرواح والأبدان معاً، إلا أن التبعية عكس ما كانت عليه حال اليقظة، فبينما كانت الروح محكومة بالبدن وتابعة له أصبح البدن هنا تابعاً لها وتعلقها به أضعف.

ولهذا كان ما ينعم به النائم أو يعذب في نومه يجري على روحه أصلاً والبدن تبع له، وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهداً، فيرى النائم في نومه أنه ضرب فيصبح وأثر الضرب في جسمه، ويرى أنه قد أكل أو شرب فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه، ويذهب عنه الجوع والظما. ولذلك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان، وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك؛ وذلك أن الحكم لما جرى على الروح

(٣) الروح (١٨٨).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧٤/٤).

(١) الجواب الصحيح (٢٥/٤).

(٢) الروح (١٨٣).

لشيء واحد؛ أي: أنهما مترادفان^(٣).

قال ابن عبد البر: «إن العلماء اختلفوا في الروح والنفس: هل هما شيء واحد أو شيان؟»^(٤).

والذي يظهر أن لا فرق بينهما، قال ابن تيمية: «الروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت»^(٥).

وذكر ابن القيم: أن مسمّاهما واحد عند الجمهور، وهو اختياره^(٦)، وقرر: «أن الروح التي تتوفى وتقبض روح واحدة، وهي النفس»^(٧).

وذكر أن هناك من خالف من أهل الحديث، والفقه، والتصوف، وطائفة من أهل الأثر، ثم استطرد في ذكر أقوالهم^(٨).

✽ مذهب المخالفين:

١ - أنكرت طائفة من أهل الكلام وغيرهم كون الروح عيناً قائمة بنفسها، وزعموا أنها عرض من الأعراض، وذهب طوائف إلى أنها البدن، أو جزء

تفارقها بعد البتة؛ بل تلازم الروح البدن ويلازم البدن الروح في علاقة راقية، واتصال لا يعقبه انفصال، وخلود يمتد بلا نهاية. قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿فَلَنَمَّا هِيَ زَجْرًا وَاحِدًا﴾ [١٣] فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [١٤] [النازعات]؛ أي: فإنما هو أمر من الله تعالى لا مثنوية فيه ولا تأكيد، فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث، فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الربَّ ﷻ ينظرون^(١).

وبهذا القيام المهيب بين يدي ربِّ العالمين تكون بداية جديدة للإنسان، بداية تشترك فيها الأرواح والأبدان، وتتابع أحوال القيامة وتعيش أهوالها، من ساعة الحشر فالجمع، فالعرض، فالحساب، فالميزان، فالحوض، فالصراط، فالقنطرة، فالشفاعات، إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار^(٢).

✽ الفروق:

هناك من فرق بين مسمّى الروح والنفس، وهناك من جعلهما مسميين

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٤٦٨).

(٢) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (١/٢٤٧).

(٣) المرجع السابق (١/٦٨).

(٤) التمهيد (٥/٢٤١) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (٩/٢٨٩).

(٦) انظر: الروح (٤٨٨).

(٧) المرجع السابق (٤٩٣).

(٨) انظر: المرجع السابق (٤٩١، ٤٩٢).

والتناكر، ومحال أن تكون هذه الجنود أعضا، أو تكون لا داخل العالم ولا خارجه»^(٥)، وقد جعله الخطابي دليلاً على أن للأرواح صفة الأجسام^(٦).

وكون الروح عيناً قائمة بنفسها فهذا يفيد: «أنها لا تفتقر في وجودها وبقائها إلى المحل، فليس المحل شرطاً في ذلك، وأنها ليست هي البدن، ولا جزء من أجزائه كالقلب أو الكلى مثلاً، وأنها ليست عرضاً من أعراض البدن كالحياة أو العقل، فإن العرض يقوم بغيره لا بذاته، وأنها تحمل صفات خاصة بها كغيرها من الأجسام»^(٧).

ومما يحسن التنبيه إليه:

أنه لم يصح حديث في تقدم خلق الأرواح على الأجساد، «قال ابن حجر المكي في فتاواه الحديثية: ما روي عن ابن عباس: «أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة» لا أصل له.

وأيضاً خبر «خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام»^(٨) ضعيف جداً فلا يعول عليه»^(٩).

(٥) الروح (٤٣١).

(٦) أعلام الحديث (٣/ ١٨٧٤) [معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط ١، ١٤٠٩هـ].

(٧) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (١/ ١١٦).

(٨) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٤٠١) [مكتبة السلفية، ط ١]، وقال: هذا حديث موضوع.

(٩) كشف الخفاء ومزيل الإلباس (١/ ١١٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٥هـ]، وانظر: الروح (٤٠٧).

من أجزائه، وكل ذلك باطل ولا دليل عليه^(١).

ويرد عليهم بالأدلة التي أفادت أن الروح عين قائمة بنفسها، وأنها توصف بما توصف به الأجسام، من نحو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾^(١٢) [الواقعة]، قال القرطبي في تفسيرها: «يعني النفس عند خروجها من الجسد، وهذه صفة الجسم، ولم يجر لها ذكر في الآية لدلالة الكلام عليها»^(٢).

وقوله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١٣) فحين يمّا ءاتهم الله من فضله. ويستشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون»^(١٤) [آل عمران]، قال السمعاني: «وإنما يتصور رزق الأجسام لا رزق الأعراس»^(٣)، وقد نعتهم بالحياة، والفرح، والاستبشار.

وفي الحديث قال ﷺ: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»^(٤).

«فوصفها بأنها جنود مجندة، والجنود ذوات قائمة بنفسها، ووصفها بالتعارف

(١) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (٢/ ٦) فما بعد، و(٢/ ٩٢، ٢١٣، ٢٧٠).

(٢) التذكرة للقرطبي (١٣٥) [دار قباء].

(٣) تفسير القرآن للسمعاني (٣/ ٢٧٤).

(٤) تقدم تخريجه.

٢ - القائلون بقدوم الروح صنفان:

صنف من الصابئة الفلاسفة يقولون: هي قديمة أزلية، لكن ليست من ذات الرب، كما يقولون ذلك في العقول، والنفوس الفلكية، ويزعم من دخل من أهل الملل فيهم أنها هي الملائكة.

وصنف من زنادقة هذه الأمة وضلالها من المتصوفة، والمتكلمة، والمحدثه، يزعمون أنها من ذات الله، وهؤلاء أشر قولاً من أولئك، وهؤلاء جعلوا الآدمي نصفين: نصف لاهوت وهو روحه، ونصف ناسوت وهو جسده، نصفه ربّ، ونصفه عبد.

وقد كفر الله النصارى بنحو من هذا القول في المسيح، فكيف بمن يعم ذلك في كل أحد؛ حتى في فرعون، وهامان، وقارون؟ وكلما دلّ على أن الإنسان عبد مخلوق مريبوب، وأن الله ربه وخالقه ومالكة وإلهه فهو يدل على أن روحه مخلوقة.

فإن الإنسان عبارة عن البدن والروح معاً؛ بل هو بالروح أخص منه بالبدن، وإنما البدن مطية للروح^(١).

٣ - لا صحة لمن قال بتناسخ الأرواح، كما هو قول الباطنية،

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢١/٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، ١٤١٦هـ].

والإسماعيلية، والدروز، والنصيرية، والبابية، والبهائية، والقاديانية^(٢).

وبالجملة؛ فالغلاة كلهم متفقون على التناسخ^(٣)، وإن اختلفت تصوراتهم، وهم مستنون في معتقدتهم بالبراهمة الهنود، فإن أصل القول بالتناسخ مأخوذ عنهم^(٤).

والتناسخ من العقائد الباطلة التي تصادم القرآن والسنة والعقل، ولا أدلة معتبرة لأصحابه.

ولا صحة أيضاً لمن زعم قدرته على تحضير الأرواح من مستقرها، ومثولها بين يديه، ومناجاتها^(٥).

وقد سئلت اللجنة الدائمة^(٦) عن تحضير الأرواح، فأجابت بأن ذلك يعرف باستخدام الجني واستحضاره

(٢) انظر: الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (٧٩/٢).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (٢٠٥/١) [المكتبة العصرية، ١٤١١هـ]، وحركة الغلو وأصولها الفارسية (ص ١٦) [مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤٠٩هـ].

(٤) انظر: الملل والنحل (٢٠٦/١) (٣٦٦/٢) [دار المعرفة، ط ١، ١٤١٠هـ]، ومقارنات الأديان - الديانات القيمة (٣٨) [دار الفكر العربي، ط ١، ١٩٩١م]، والإنسان في ظل الأديان (١٩٤) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٠٠هـ].

(٥) انظر: الموسوعة الشاملة لمذهب الروحية الحديثة وتحضير الأرواح (٣٦٣/١) فما بعد، (٦٧٣/٢) فما بعد.

(٦) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى (١) (٦٤٥ - ٦٤٤).

كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء»^(١).

وقد سئل ابن باز عما يسمى بعلم تحضير الأرواح، فأجاب: «إنه علم باطل وإنه شعوة شيطانية، يراد منها إفساد العقائد والأخلاق والتلبس على المسلمين، والتوصل إلى دعوى علم الغيب في أشياء كثيرة»^(٢).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة»، للقرطبي.
- ٢ - «الروح»، لابن القيم.
- ٣ - «الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة»، للعبدي.
- ٤ - «إغاثة اللفهان»، لابن القيم.
- ٥ - «التبيان في أقسام القرآن»، لابن القيم.
- ٦ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٧ - «شرح نونية ابن القيم»، لابن عيسى.
- ٨ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١٠ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

بأدعية وتعويزات يقوم بها مستحضره، وذلك نوع من الشعوة والكهانة، وهو ممنوع شرعاً؛ لما فيه غالباً من الشرك والكذب ودعوى علم الغيب ونحو ذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(١) [الجن]، وقال: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرُ الْجِنُّ قَدِ اسْتَكْرَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَمَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(٢) وكذلك نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ^(٣) [الأنعام].

وروى البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله؛ كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك، حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته، ثم يلقها الآخر إلى من تحته، حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا:

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٠٠).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٣/٣٠٩). وانظر:

فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الثانية (١/٢٥٧).

١١ - «عقائد الثلاث والسبعين فرقة»،

اليمني.

١٢ - «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، لابن حزم.

❖ الرُّوح (روح القدس) ❖

يراجع مصطلح (جبريل).

❖ الرِّياء ❖

❖ التعريف لغة:

الرِّياء: مصدر راءى يرأى، مشتق من الرؤية، يقال: قومٌ رِئاءٌ؛ أي: يقابل بعضهم بعضاً، وكذلك: بيوتهم رِئاءٌ، وتَراءى الجمعان: رأى بعضهم بعضاً، ويقال أيضاً: رائت الرجل مراة، ورِياءً: أي: أريته خلاف ما أنا عليه^(١).

وقد يأتي الرِّياء على القلب، كما قال الجوهري: «يقال: راءى فلان الناس يرأئهم مراة، ورأياهم مراياة على القلب بمعنى. وفلان منى بمراى ومسمع؛ أي: حيث أراه وأسمع»^(٢).

❖ التعريف شرعاً:

الرِّياء: هو «إظهار العبادة لقصد رؤية الناس فيحمدوا صاحبها»^(٣).

ومما يشهد لهذا التعريف من أقوال العلماء:

١ - قيل: الرِّياء هو: طلب ما في الدنيا بالعبادة، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس، قاله القرطبي^(٤).

٢ - وقيل: هو: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس فيحمدوا صاحبها، قاله ابن حجر^(٥).

٣ - وقيل هو: «أن يري الناس أنه يعمل عملاً على صفة، وهو يضمّر في قلبه صفة أخرى»، قاله الشيخ سليمان بن عبد الله^(٦).

وقيل في تعريف الرِّياء غير ذلك.

❖ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان اشتقاق الرِّياء في اللغة من الرؤية وإظهار الشيء على خلاف ما هو عليه، أطلق في الشرع بهذا المعنى إلا أنه خصص ذلك بالأعمال الصالحة؛ كإظهار العبادة من صلاة وذكر ونحوهما؛ لقصد رؤية الناس، فكان ذلك خلاف ما في قلب صاحب تلك العبادة.

❖ سبب التسمية:

سُمي الرِّياء بهذا الاسم لكون المرأى

(٤) تفسير القرطبي (٢٢/٥١٣) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ].

(٥) فتح الباري (١١/٣٤٤) [دار الريان للتراث، ط٢، ١٤٠٩هـ].

(٦) تيسير العزيز الحميد (٥٢٤).

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٣٧٥)، والصاح (٦/١٩٨)، ولسان العرب (١٤/٢٩١).

(٢) الصاح (٦/١٩٩).

(٣) فتح الباري (١١/٣٤٤) [دار الريان للتراث، ط٢، ١٤٠٩هـ].

يُري الناس عمله؛ ليمدحوه عليه، فهو مشتق من الرؤية.

وقد وردت تسمية الرياء بهذا الاسم في القرآن الكريم؛ كقوله ﷺ عن المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء].

وهذا من أخطر درجات الرياء.

قال ابن رجب رحمه الله: «وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة والحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة، والتي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز»^(٢).

الثاني: أن يكون مشاركاً للعبادة في أثنائها، بحيث يكون الحامل له في أول أمره الإخلاص لله ثم يطرأ الرياء في أثناء العبادة؛ كأن يطيل في الصلاة ليراه الناس، أو يرفع صوته بالذكر ليسمعه، فيحمدوه على ذلك، فلو كان خالياً لم يفعل، فهذا قريب من القسم الأول في كونهما ممقوتين عند الله تعالى.

فيكون حكم الرياء في هذه الحالة شركاً أصغر، لا يخرج من الملة، وأما حال العبادة الداخل عليها الرياء فعلى قسمين:

وقد وردت تسمية الرياء بهذا الاسم في القرآن الكريم؛ كقوله ﷺ عن المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء].

وقد وردت تسمية الرياء بهذا الاسم في القرآن الكريم؛ كقوله ﷺ عن المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء].

❁ الأسماء الأخرى:

الشرك الأصغر، الشرك الخفي.

❁ الحكم:

يختلف حكم الرياء بحسب باعته وما يعلق بالقلب منه، فاليسير منه داخل في الشرك الأصغر، وقد مثل ابن القيم رحمه الله على الشرك الأصغر بيسير الرياء، فقال: «وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء والتصنع للخلق»^(١).

وأما الرياء المحض الكثير، فهذا من النفاق الأكبر، المخرج من ملة الإسلام.

حكم العبادة إذا خالطها الرياء:

مخالطة الرياء للعبادة على ثلاث حالات، لكل منها حكم خاص بها، وذلك كما يلي:

الأول: أن يكون الباعث على العبادة مراعاة الناس من الأصل؛ كمن قام

(٢) جامع العلوم والحكم (٣٨/١ - ٣٩) [المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٣هـ].

(١) مدارج السالكين (٣٧٣/١) [دار الكتب العلمية ط ١، ١٤٠٣هـ].

❁ الحقيقة:

حقيقة الرياء: هي فعل العمل الصالح على غير إخلاص لله تعالى، وإنما لطلب ثناء الناس ومدحهم، ولذا قد يُجازى صاحب الرياء بفضحه أمام الناس، كما قال الخطابي: «من عمل عملاً على غير إخلاص، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه، جُوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه، ويظهر ما كان يبطنه»^(٤).

وينقسم الرياء بحسب ما يراعى به إلى خمسة أقسام:

الأول: الرياء في الدين بالبدن، وذلك بإظهار التحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد، وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة.

الثاني: الرياء بالهيئة والزِّي، وذلك بتشعيث شعر الرأس، وإبقاء أثر السجود على الوجه، ونحو ذلك.

الثالث: الرياء بالقول، ويكون من أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار لإظهار غزارة العلم، ومن ذلك تحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس، والأمر بالمعروف والتهني عن المنكر أمامهم.

أ - أن تكون العبادة مما لا ينبني آخرها على أولها، فأولها صحيح بكل حال، والباطل آخرها.

مثال ذلك: رجل عنده مائة ريال قد أعدّها للصدقة، فتصدق بخمسين مخلصاً، وراى في الخمسين الباقية، فالأولى حكمها صحيح، والثانية باطلة.

ب - أن تكون العبادة مما ينبني آخرها على أولها، فهي على حالين:

١ - أن يطرأ عليه الرياء ويدافعه ولا يسكن إليه؛ بل يعرض عنه ويكرهه، فإنه لا يؤثر عليه شيئاً، لقول النبي ﷺ: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم»^(١).

٢ - أن يسترسل في الرياء ولا يدافعه، حتى ينتهي من عبادته، فحينئذ تبطل جميع العبادة على الراجح؛ لأن آخرها مبني على أولها ومرتبطة به، وقيل: لا تبطل، وإنما يجازى على أصل نيته الصالحة^(٢).

الثالث: ما يطرأ من خواطر الرياء بعد انتهاء العبادة، فذلك لا يؤثر عليها شيئاً، إلا أن يتحدث بذلك طلباً للمدح والثناء، فذلك داخل في السمعة، فتبطل ذلك العمل^(٣).

[المكرمة]، وجامع العلوم والحكم (١/٣٨ - ٣٩)، والقول المفيد (٢/٢٢٧ - ٢٢٨) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٤) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري (١١/٣٣٦).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطلاق، رقم ٥٢٦٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٢٧).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (١/٤١).

(٣) انظر: إعلام الموقعين (٢/١٦٣) [دار الباز، مكة].

وعن جندب البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع سمع الله به، ومن يراني يراني الله به»^(١).

وقال النبي ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله؛ وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء»^(٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ أن رجلاً أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله أعلی فهو في سبيل الله»^(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قلنا: بلى، فقال: الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل»^(٤).

الرابع: الرياء بالعمل، وذلك كمراعاة المصلي بطول القيام والركوع والسجود ونحو ذلك.

الخامس: المراعاة بالأصحاب والزائرين؛ كأن يطلب المرئي من عالم أن يزوره ليقال: إن فلاناً قد زار فلاناً، ومن ذلك كثرة ذكر الشيوخ.

قال الغزالي بعد ذكره لهذه الأقسام: «فهذه الخمسة هي مجامع ما يراني به».

الأدلة:

ورد التحذير من الرياء وبيان خطره في جملة من الآيات والأحاديث، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ رِثَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢٢٦) [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾^(٢٢٨) [النساء].

وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^(٥) الَّذِينَ هُمْ يُرْكَوْنَ^(٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ^(٧) [الماعون].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤٩٩)، ومسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣٩/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسن إسناده ابن حجر في بلوغ المرام (رقم ١٤٨٤) [دار أطلس، ط٣]، وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨١٠)، ومسلم (كتاب الإمامة، ١٩٠٤) واللفظ له.

(٤) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٠٤)، وأحمد (٣٥٤/١٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسنه =

والآيات والأحاديث في التحذير من الرياء وبيان خطره كثيرة.

✽ أقوال أهل العلم:

قال الفضيل بن عياض: «ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص: أن يعافيك الله منهما»^(١).

وقال الخطابي: «من عمل عملاً على غير إخلاص، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعه، جُوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه، ويظهر ما كان يبطنه»^(٢).

- وقال النووي في شرحه للحديث: «قوله ﷺ في الغاзи والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته»^(٣).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: أسباب الرياء:

للرياء أسباب تدعو إلى فعله، وترغب في طلبه، إذ هو من حظوظ النفس الدنيئة، فمن أسبابه:

١ - محبة الثناء والمدح.

= البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٣٧/٤) [دار العربية، ط٢]، والألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٦٠٧).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧٤/٢٣).

(٢) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري (١١/٣٣٦).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١٣/٥٠).

٢ - الفرار من الذم.

٣ - الطمع فيما في أيدي الناس.

- المسألة الثانية: ترك العمل خوفاً

من الرياء:

ترك العمل الصالح خوفاً من الرياء لا يجوز، والعمل من أجل الناس لا يجوز، وكله يدخل في الشرك، ويجب على الإنسان أن يجاهد نفسه دائماً، ولا أن ينساق وراء الشيطان، في ترك الأعمال المشروعة خوفاً من الوقوع في الرياء، أو ينهى غيره عن ذلك بهذه الشبهة الشيطانية^(٤).

- المسألة الثالثة: الفرح بعلم الناس

بعبادته:

فرح العبد بعلم الناس بعبادته ليس من الرياء؛ لأن ذلك إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة، لكن قد يؤثر ذلك على أعمال العبد في المستقبل، فيكون طلب المدح والثناء مطلب لنفسه، مما يتسبب في وقوعه في الرياء.

وليس من الرياء أيضاً أن يفرح الإنسان بفعل الطاعة في نفسه؛ بل ذلك دليل على إيمانه، ومما يدل على ذلك، ما ورد عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، أرايت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه، فقال

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣/١٧٤ - ١٧٥) [مجمع

الملك فهد لطباعة المصحف].

رسول الله ﷺ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»^(١).

قال النووي: «قال العلماء: معناه: هذه البشْرَى المعجلة له بالخير، وهي دليل على رضا الله تعالى عنه ومحبة له، فيحببه إلى الخلق كما سبق في الحديث، ثم يوضع له القبول في الأرض، هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم، وإلا فالتعرض مذموم»^(٢).

الفروق:

- الفرق بين الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا:

أن بين الرياء وبين إرادة الإنسان بعمله الدنيا، عموم وخصوص، فكل رياء داخل في إرادة الإنسان بعمله الدنيا، ولا عكس.

- الفرق بين الرياء وبين السمعة:

أن الرياء هو العمل لرؤية الناس للإنسان، وأما السمعة فهي العمل لأجل سماعتهم، فالرياء يتعلق بحاسة البصر، والسمعة تتعلق بحاسة السمع، ويدخل في السمعة أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس ليمدحوه عليه^(٣).

(١) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٤٢).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/١٨٩) [المطبعة المصرية، ١ ط، ١٣٤٩هـ].

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (٥٢٥).

- الفرق بين الرياء والعُجب بالعمل:
أن الرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس^(٤).

الآثار:

من أبرز آثار الرياء:

- ١ - مقت الناس.
- ٢ - إحباط العمل.
- ٣ - خاتمة السوء.
- ٤ - الرياء سبب لدخول النار.

الحكمة:

الحكمة من تحريم الرياء ظاهرة في كونه ضدَّ الإخلاص الذي أمر الله تعالى به؛ إذ الإخلاص لا يكون إلا بتصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين، والرياء إنما يقع ملاحظة للمخلوقين ومدحهم^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «تفسير القرطبي».
- ٢ - «إحياء علوم الدين»، للغزالي.
- ٣ - «إعلام الموقعين»، لابن القيم.
- ٤ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

٥ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

٦ - «فتح الباري»، لابن حجر.

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/٣٧٧).

(٥) انظر: الإخلاص والشرك الأصغر (٨).

- ٧ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن
حسن.
٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
١٠ - «مدارج السالكين»، لابن
٨ - «القول المفيد على كتاب القيم»
التوحيد»، لابن عثيمين.



حرف الزين

الأسماء الأخرى:

الزبور هو: المزامير عند اليهود والنصارى.

الحكم:

يجب على المسلم أن يعتقد أن الله وَعَلَى أنزل على نبيه وَعَلَى وعبد داود بن إيشا أبي سليمان وَعَلَى كتابًا، اسمه: الزبور، فهو كلام الله تعالى غير مخلوق. أنزله عليه جملة واحدة في شهر رمضان - كباقي الكتب السماوية -، بعد التوراة وقبل الإنجيل.

ويعتقد المسلم أيضًا: أن الزبور الصحيح الذي نزل على داود وَعَلَى قد فقد واندر من زمن بعيد، ولا يعلم عنه شيء، ويتعذر الحصول عليه، وليس هو الذي بين أيدي اليهود والنصارى اليوم؛ بل هذه (المزامير) قد وقع فيها من التحريف والتبديل والكتمان والإهمال والنسيان الشيء الكثير؛ فاختلط فيها الحق بالباطل؛ فليس واحد منها هو

(٢/٤٦٩) [دار طبية، ط٢، ١٤٢٠هـ]، والبداية والنهاية (٢/١٥) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ]، والتحرير والتنوير (٦/٣٤، ١٥/١٣٨، ١٧/١٦٢) [دار سحنون بتونس، ١٩٩٧م].

الزُّبُور

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الزاء والباء والراء أصلان: أحدهما يدل على إحكام الشيء وتوثيقه، والآخر يدل على قراءة وكتابة وما أشبه ذلك»^(١).

والزبور يطلق على الكتاب، وهو (فعول) بمعنى (مفعول) فزبور بمعنى: مزبور؛ أي: مكتوب، من زَبَرَ الكتاب، يَزْبُرُ وَيُزْبِرُ؛ إذا كتبه، وربما قيل: زبرته؛ إذا قرأته. ومنه قولهم: أنا أعرف تَزْبِرَتِي؛ أي: كتابتي. والجمع: زُبُر^(٢).

التعريف شرعًا:

الزبور: هو اسم كتاب الله وَعَلَى الذي أنزله على نبيه داود وَعَلَى، بوحى منه وَعَلَى^(٣).

(١) مقاييس اللغة (٣/٤٤) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ].
(٢) انظر: الصحاح (٢/٦٦٧) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٣/٤٥)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (٥٠٩) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: تفسير البغوي (٢/٣١١، ٥/١٠٠) [دار طبية، ط٤، ١٤١٧هـ]، وتفسير القرطبي (٦/١٧) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، وتفسير ابن كثير

أحد أقوال المفسرين - هو: الزبور، وقيل: هو النبوة، وقيل: العلم، وقيل غير ذلك^(٣).

وثبت في الحديث؛ أن النبي ﷺ علم أبي بن كعب رضي الله عنه فضل سورة الفاتحة قائلاً: «والذي نفسي بيده؛ ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها! وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته»^(٤).

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «خفف على داود ﷺ القرآن؛ فكان يأمر بدوابه فتسرج؛ فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلا من عمل يده»^(٥).

❁ أقوال أهل العلم:

قال قتادة بن دعامة في قول الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء]: «كنا نحدث: أنه دعاء علمه داود، وتحميد وتمجيد لله ﷻ، ليس فيه حلال

(٣) انظر: النكت والعيون للماوردي (٤/٤٣٥) [دار الكتب العلمية، ط١]، وتفسير القرطبي (١٤/٢٦٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٧/٢٥٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٨٧٥) وقال: «حسن صحيح»، وأحمد (٢/٣٥٧، ٤١٢) [مؤسسة قرطبة بمصر]، والحاكم (كتاب فضائل القرآن، رقم ٢٠٤٨) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٤٥٣) [مكتبة المعارف بالرياض، ط١، ١٤٢١هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤١٧).

الزبور الصحيح الذي نزل على داود ﷺ^(١).

❁ الحقيقة:

الزبور: مصدق للتوراة، متبع لها، ومتمم ومكمل لها ولمحاسنها، ومحيي لشريعته؛ فليس هو شريعة مستقلة لبني إسرائيل؛ ولذا كان أنبياء بني إسرائيل بعد موسى - كداود وعيسى - على شريعة التوراة، يحكمون ويعملون بها.

وكان عامة الزبور حكم ومواعظ - فيما قيل -، وكانوا يتلقون الأحكام والشرائع من التوراة.

فقد قيل: إنه كان مائة وخمسين سورة، ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود؛ وإنما هي حكم ومواعظ ودعاء وتحميد وتمجيد وثناء على الله ﷻ^(٢).

❁ الأدلة:

قال الله ﷻ: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ: ١٠]، و(الفضل) - في

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/٣١١، ٥/١٠٠)، وتفسير القرطبي (٦/١٧، ١٠/٢٧٨)، ومجموع الفتاوى (١٧/٤٥، ١٩/١٨٤)، والجواب الصحيح لابن تيمية (٢/٣٥١، ٥/٤١٥) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]، وتفسير ابن كثير (٢/٤٦٩)، والبداية والنهاية (٢/١٥)، وفتح الباري (٦/٤٥٥) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٢) انظر: المصادر السابقة.

ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود»^(١).
وقال ابن تيمية: «وأما الزبور؛ فإن داود لم يأت بغير شريعة التوراة؛ وإنما في الزبور ثناء على الله، ودعاء، وأمر ونهي بدينه وطاعته وعبادته مطلقاً»^(٢).

وقال العيني: «لأنه - أي: الزبور - كان قصصاً وأمثالاً ومواعظ، ولم يكن الأمر والنهي إلا في التوراة»^(٣).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: معنى قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾:

من المسائل المتعلقة بالزبور: ما ذكره بعض المفسرين في تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء] من أن المراد بالزبور: زبور داود، وهو مروي عن ابن عباس والشعبي والحسن وقتادة وغيرهم^(٤). والصحيح أن المراد به: الكتاب؛ فهو اسم جنس يعم جميع الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء،

(١) سبق تخريجه.

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/١٨٤).

(٣) عمدة القاري (١٩/٢٨) [دار إحياء التراث العربي].

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٦/٤٣٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٥/٣٥٨)، وتفسير القرطبي (١١/٣٤٩)، والبحر المحيط لأبي حيان (٦/٣١٨)، وتفسير ابن كثير (٥/٣٨٤)، والتحرير والتنوير (١٧/١٦٢).

و(الذكر) هو: أم الكتاب عند الله، وهذا اختيار الطبري والبغوي والقرطبي وابن كثير.

- المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٤]:

ذكر بعض المفسرين في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ أن المراد به: الزبور؛ لتمام به ذكر الكتب الأربعة: القرآن، والتوراة، والإنجيل. وقيل: بل المراد به: القرآن، وقيل: بل جنس الكتب السماوية، وقيل غير ذلك^(٥). والله أعلم.

- المسألة الثالثة: حكم سب أو لعن الزبور:

يقال: «ليس لأحد أن يسب أو يلعن الزبور؛ بل من أطلق سبه أو لعنه فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. وإن كان يعرف أنه منزل من عند الله، وأنه يجب الإيمان به؛ فهذا يقتل بشتمه له، ولا تقبل توبته - في أظهر قولي العلماء - . وأما إن لعن دين اليهود الذي هم عليه في هذا الزمان فلا بأس به في ذلك؛ فإنهم ملعونون هم ودينهم، وكذلك إن سب الزبور الذي عندهم بما يبين أن

(٥) انظر: تفسير الرازي (٧/١٣٢) [دار إحياء التراث العربي ببيروت]، والبحر المحيط (٢/٣٩٤)، وفتح القدير للشوكاني (١/٥٢٥) [دار الوفاء بالمنصورة]، وروح المعاني للآلوسي (٣/٧٧) [طبعة إدارة الطباعة المنيرية بمصر].

- المسألة الخامسة: حكم مس الزبور وحمله للمحدث:

يجوز عند الجمهور؛ لأنه ليس قرآنًا، والنص ورد في القرآن دون غيره، ثم هو مبدل منسوخ^(٤).

- المسألة السادسة: حد أهل الكتاب، وهل يدخل فيهم: من لا يؤمن إلا بزبور داود؟

ويترتب على هذه المسألة مسائل أخرى؛ كأخذ الجزية منهم، ونكاح نسائهم، وحكم الوقف والوصية لهم، والحلف بالزبور: هل ينعقد به اليمين؟ إلى غير هذا من المسائل التي تراجع في مظانها من الكتب الفقهية.

- المسألة السابعة: وجود الزبور:

كتاب الزبور الذي أنزل على نبي الله داود عليه السلام لا يوجد ما يدل على وجوده الآن، أما ما يعرف اليوم بمزامير داود النبي والتي هي موجودة ضمن الكتاب المقدس (العهد القديم) الذي يؤمن به كل من اليهود والنصارى ويستخدمانه في عبادتهما وصلواتهما اليومية والعامية، فهذا لا نستطيع أن نقطع بأنه الزبور الذي أنزل على داود عليه السلام؛ لأن العهد القديم تعرض للتحريف والتبديل من قبل اليهود؛ بل إن اليهود يعترفون بأن ما في

قصده ذكر تحريفه؛ مثل أن يقال: نسخ هذا الزبور مبدلة لا يجوز العمل بما فيها، ومن عمل اليوم بشرائعها المبدلة والمنسوخة فهو كافر؛ فهذا الكلام ونحوه حق لا شيء على قائله. والله أعلم^(١).

- المسألة الرابعة: حكم النظر والاطلاع على الزبور:

لا يجوز النظر في كتب أهل الكتاب عمومًا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم غضب حين رأى مع عمر كتابًا أصابه من بعض أهل الكتاب، وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟!» الحديث^(٢)، حتى وإن كانت مشتملة على الحق والباطل؛ لما في ذلك من ضرر فساد العقائد. اللهم إلا لمن كان متضلعًا بعلوم الكتاب والسنة، مع شدة التثبت وصلابة الدين والفتنة والذكاء؛ وكان ذلك للرد عليهم وكشف أسرارهم وهتك أستارهم^(٣).

(١) مجموع الفتاوى (٢٠٠/٣)، بتصرف. وكانت الفتوى عن الثوراة ودين اليهود، والزبور له نفس الحكم. والله أعلم.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨٧/٣) [مؤسسة قرطبة بمصر]، والدارمي في سننه (كتاب العلم، رقم ٤٤٩)، وحسنه الألباني بشواهد انظر: إرواء الغليل (٣٨/٦) [المكتب الإسلامي ببيروت، ط ٢].

(٣) راجع: فتح الباري لابن حجر (٥٢٥/١٣)، وكشاف القناع للبهوتي (٤٣٤/١) [دار الفكر ببيروت، ١٤٠٢هـ]، ومطالب أولي النهى لمصطفى الرحيباني (٦٠٧/١) [المكتب الإسلامي ببيروت، ١٩٦١م]، وفتاوى اللجنة الدائمة (٤٣٣/٣).

(٤) راجع: المجموع شرح المذهب للنووي (٧٠/٢) [دار الفكر ببيروت]، وكشاف القناع (١٣٥/١).

✿ مذهب المخالفين:

يسمى اليهود والنصارى كتاب داود ﷺ بمزامير داود، أو كتاب المزامير، ويعتقدون أنه من الكتب المقدسة، مع اعترافهم أن هذه المزامير كتبت من قبل كُتَّاب عبرانيون، وقد صاغوه على شكل مجموعة من الأشعار الدينية الملحنة، وغرضها تمجيد الله وشكره، ويسمى في العبرية: كتاب الحمد، ويقسمونه إلى خمسة أقسام؛ تحت كل قسم عدة مزامير، وغالبها لا يعرف كاتبها، وهذه المزامير وإن كان كُتَّابها عبرانيون؛ إلا أنها تحتل مقامًا بارزًا عند النصارى ويستعملونها في صلواتهم^(٢).

✿ المصادر والمراجع:

١ - «إظهار الحق»، لمحمد رحمت الله الهندي.

٢ - «البداية والنهاية» (ج ٢)، لابن كثير.

٣ - «تفسير القرآن العظيم» (ج ٢)، لابن كثير.

٤ - «الجواب الصحيح» (ج ٢، ٥)، لابن تيمية.

٥ - «دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية»، لسعود الخلف.

(٢) انظر: مقدمة المزامير في الكتاب المقدس، وقاموس الكتاب المقدس (٣٦١ - ٣٦٦، و ٤٣٠ - ٤٣٣) [دار الثقافة، القاهرة، ط ١١]، موسوعة الكتاب المقدس (١٤٨ - ١٤٩) [دار منهل الحياة - لبنان].

العهد القديم اليوم هو من صياغة عزرا الكاهن.

✿ الفروق:

- الفرق بين التوراة والزبور:

التوراة: هي الكتاب المنزل من الله ﷻ على نبيه موسى ﷺ، وألقاه إليه مكتوبًا في الألواح؛ ليكون لبني إسرائيل هدى ونورا.

أما الزبور: فهو الكتاب المنزل من الله ﷻ على نبيه داود ﷺ، بوحي منه ﷻ.

والزبور مصدق للتوراة، متبع لها، ومتمم ومكمل لها ولمحاسنها، ومحيي لشريعتها؛ فليس هو شريعة مستقلة لبني إسرائيل.

وكان عامة الزبور حكم ومواعظ فيما قيل، وكانوا يتلقون الأحكام والشرائع من التوراة.

وهو أحد أسفار الكتاب المقدس عند اليهود، وضمن كتب العهد القديم عند النصارى، ويسمى عندهما: المزامير^(١).

(١) انظر: تفسير البغوي (٣١١/٢، ١٠٠/٥) [دار طبية، ط ٤، ١٤١٧هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/١٧) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، ومجموع الفتاوى (١٧/٤٥، ١٩/١٨٤)، والجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح لابن تيمية (٣٥١/٢، ٤١٥، ٥/٣٥١) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ]، وتفسير ابن كثير (٢/٤٦٩)، والبداية والنهاية (٢/١٥)، وفتح الباري (٦/٤٥٥) [دار المعرفة ببغروت، ١٣٧٩هـ].

٦ - «الرسل والرسالات»، لعمر

سليمان الأشقر.

٧ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ١)،

لابن أبي العز الحنفي.

٨ - «فتح الباري» (ج ٦)، لابن

حجر.

٩ - «الفكر الديني اليهودي»، لحسن

ظاظا.

١٠ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٧)،

(١٩)، لابن تيمية.

وقتل الزبير بن العوام رضي الله عنه في يوم

الخميس لعشر ليال خلون من جمادى

الآخرة، سنة ست وثلاثين هجرية في

وادي السباع، غدرًا بيد عمير بن

جرموز^(٤)، وذلك بعد اعتزال الزبير عن

القتال في معركة الجمل، التي وقعت بينه

ومعه عائشة وطلحة رضي الله عنه ومن معهم من

جهة، وبين الخليفة الراشد علي بن أبي

طالب رضي الله عنه ومن معه من الجهة الأخرى.

وروى ابن سعد بإسناده عن ابن

عباس رضي الله عنه «أنه أتى الزبير فقال: أين

صفية بنت عبد المطلب حيث تقاتل

بسيفك علي بن أبي طالب بن

عبد المطلب؟ قال: فرجع الزبير فلقبه

ابن جرموز فقتله. فأتى ابن عباس عليًا

فقال: إلى أين قاتل ابن صفية؟ قال

علي: إلى النار^(٥).

وهناك سبب آخر في اعتزاله القتال

ذكره الحافظ ابن حجر - وغيره - بقوله:

«وكان قتل الزبير بعد أن انصرف يوم

الجمل بعد أن ذكره علي، فروى أبو

يعلى^(٦) من طريق أبي جرو المازني

الزبير بن العوام رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

هو: الزبير بن العوام بن خويلد بن

أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب

القرشي الأسدي أبو عبد الله، حواري

رسول الله ﷺ وابن عمته. أمه صفية

بنت عبد المطلب^(١).

مولده ووفاته:

ذكر أهل العلم أن الزبير وعلي بن

أبي طالب ﷺ وُلدا في سنة واحدة^(٢)،

ومعلوم أن علي بن أبي طالب ولد في

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/٥٦٤).

(٤) انظر: طبقات ابن سعد (٣/٨٢)، والمعارف لابن

قتيبة (٢٠٩) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢]،

وسير أعلام النبلاء (١/٦١).

(٥) طبقات ابن سعد (٣/٨١)، وصحح الحافظ ابن

حجر إسناده في الإصابة (٢/٥٥٧).

(٦) في مسنده (٢/٢٩) [دار المأمون للتراث، دمشق، =

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٧٣) [دار الكتب

العلمية، بيروت]، والمعجم الكبير للطبراني (١/

١١٨) [مكتبة ابن تيمية]، والاستيعاب في معرفة

الأصحاب لابن عبد البر (٢/٥١٠) [دار الجيل،

بيروت، ط ١]، والإصابة في تمييز الصحابة لابن

حجر (٣/٥٥٣) [دار الجيل، بيروت، ط ١].

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١/٤٤) [مؤسسة الرسالة].

حدث له اثنتا عشرة سنة^(٣)، وقيل: ثمانين سنين^(٤)، وقيل: ابن خمس عشرة سنة^(٥)، وقيل: ابن ست عشرة سنة^(٦)، وكان عمه يعذبه لإسلامه، فكان «يلقه في حصير ويدخن عليه ليرجع إلى الكفر فيقول: لا أكفر أبدًا»^(٧)، وهو أول من سلّ سيفًا في سبيل الله كما قال عروة^(٨)، ولم يفارق النبي ﷺ منذ أن أسلم^(٩)، وشهد مع النبي ﷺ بدرًا والمشاهد كلها، وثبت في أحد مع النبي ﷺ وأبلى فيها بلاءً حسنًا^(١٠).

❁ فضائله:

- أنه ﷺ أحد العشرة المبشرين بالجنة، كما جاء من حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: قال

(٣) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٥١١/٢)، والإصابة في تمييز الصحابة (٥٥٣/٢).

(٤) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٥٥٣/٢)، وسير أعلام النبلاء (٤١/١).

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٥١٠/٢).

(٦) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٥١١/٢)، وسير أعلام النبلاء (٤١/١).

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٢/١) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢] من قول أبي الأسود المدني، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٢/٩) [دار الفكر، بيروت]: «رواه الطبراني ورجاله ثقات، إلا أنه مرسل»، وذكره ابن حجر في الإصابة (٥٥٤/٢).

(٨) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١٩/١)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١١/٩) وقال: «رجاله ثقات». وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٥١١/٢).

(٩) انظر: سير أعلام النبلاء (٤٣/١ - ٤٤).

(١٠) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧٧/٣).

قال: شهدت عليًا والزبير توافيا يوم الجمل، فقال له علي: أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك تقاتل عليًا وأنت ظالم له؟» قال: نعم، ولم أذكر ذلك إلى الآن، فانصرف^(١). وهذا إن صح فيمكن أن يقال: اجتمع السببان فاعتزل القتال.

وجاء قاتله يستأذن للدخول إلى علي، لعله يجد عنده عطية على ذلك، فكانت بشس العطية، حيث بشر بالنار ومنع من الدخول إليه، فقد روى الإمام أحمد بإسناده عن زر بن حبیش قال: «استأذن ابن جرموز على علي ﷺ وأنا عنده، فقال علي ﷺ: بشر قاتل ابن صفية بالنار. ثم قال علي ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن لكل نبي حوارياً، وحواري الزبير»^(٢).

❁ إسلامه:

أسلم الزبير بن العوام ﷺ وهو

= ط ١، وقال المحقق: «إسناده ضعيف جدًا».

ولكن الحديث المذكور بلفظ: «لنقاتلنه وأنت ظالم له»، أخرجه الحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٥٧٥)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٦٥٩).

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٥٥٧/٢).

(٢) أخرجه أحمد (٩٩/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٥٨٠) وصححه.

والمرفوع منه: أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨٤٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٥)، من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

فداء للزبير كما ثبت من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أنه قال: «كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثاً، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف، قال: أوهل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم. قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «من يأت بني قريظة فيأتينني بخبرهم؟» فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: فذاك أبي وأمي» ^(٤).

مكانته:

مما يدل على سمو منزلته ورفعة شأنه: أنه أحد الستة الذين جعل عمر بن الخطاب الأمر شورى بينهم، والذين توفي رسول الله وهو عنهم راض، وأنه من السابقين الأولين إلى الإسلام، ومن المهاجرين الأولين، فقد هاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين، وهاجر إلى المدينة النبوية ^(٥).

المسائل المتعلقة:

- خروجه إلى البصرة وما تلاه من الاقتتال بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

خرج الزبير رضي الله عنه مع من خرج إلى

(٤) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ)، رقم ٣٧٢٠، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٦).

(٥) انظر: طبقات ابن سعد (٣/٧٣)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/٥٥٧).

رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة» ^(١).

- أنه حوارى النبي ﷺ لما ثبت من حديث جابر رضي الله عنه؛ أنه قال: «ندب النبي ﷺ الناس يوم الخندق فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير ثلاثاً، فقال: لكل نبي حوارى وحوارى الزبير» ^(٢).

- شهادة النبي ﷺ له بالشهادة، كما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فتحرك، فقال رسول الله ﷺ: «اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه» ^(٣).

- أن النبي ﷺ جمع أبويه يوم الخندق

(١) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٤٧)، وأحمد (٢٠٩/٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٠) [المكتب الإسلامي].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أخبار الآحاد، رقم ٧٢٦١)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٥).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٧).

ولذا يعبر الإمام الذهبي عن هذه الحقيقة فيقول عن عائشة وطلحة ومن معهما: «إنها ما فعلت ذلك إلا متأولة قاصدة للخير، كما اجتهد طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وجماعة من الكبار، رضي الله عن الجميع»^(٣).

وأما ما رواه الحاكم بسنده عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي، قال: «شهدت علياً والزبير، لما رجع الزبير على دابته يشق الصفوف، فعرض له ابنه عبد الله، فقال: ما لك؟ فقال: ذكر لي علي حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «لتقاتلنه وأنت ظالم له» فلا أقاتله، قال: وللقتال جئت؟ إنما جئت لتصلح بين الناس ويصلح الله هذا الأمر بك، قال: قد حلفت أن لا أقاتل، قال: فأعتق غلامك جرجس وقف حتى تصلح بين الناس، قال: فأعتق غلامه جرجس ووقف فاختلف أمر الناس، فذهب على فرسه»^(٤). فهذه القصة غير ثابتة، وإنما الثابت الحديث المرفوع فيها فقط^(٥). وقال الألباني بعد بحث مستفيض في طرق الحديث والقصة: «وبالجملة، فحديث الترجمة صحيح عندي لطرقه كما تقدم، دون قصة

البصرة بقصد الإصلاح، ولكن تحولت الأمور إلى ما لم يكن في الحسبان، وحصل القتال، ثم اعتزل القتال لما وصل البصرة؛ حيث لقيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذكره بحديث النبي ﷺ قائلاً: «يا زبير، نشدتك بالله أتذكر يوم مرَّ بك رسول الله ﷺ، ونحن في مكان كذا وكذا؟ فقال: «يا زبير، تحب علياً؟» فقلت: ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني، فقال: «يا علي، أتجبه؟» فقلت: يا رسول الله، ألا أحب ابن عمتي وعلى ديني، فقال: «يا زبير، أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم» قال: بلى، والله لقد نسيتَه منذ سمعته من قول رسول الله ﷺ، ثم ذكرته الآن، والله لا أقاتلك، فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير، فقال: ما لك؟ فقال: ذكرني علي حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: «لتقاتلنه وأنت له ظالم» فلا أقاتله. قال: وللقتال جئت؟ إنما جئت لتصلح بين الناس ويصلح الله هذا الأمر»^(١). وهكذا لم يكن هو ولا غيره ممن كان معه يسعى إلى الاقتتال^(٢)؛

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤١٤/٦) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٢) وانظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين لمحمد أمحزون (١٤/٢ -

(٢١) مكتبة الكوثر، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٣) سير أعلام النبلاء (١٩٣/٢).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٥٧٥).

(٥) انظر: السلسلة الصحيحة (رقم ٢٦٥٩).

عبد الله بن الزبير مع أبيه»^(١).

❁ موقف المخالفين منه:

- الروافض:

تشبث الروافض بما حصل في موقعة الجمل بين علي بن أبي طالب ومن معه من جهة، وبين الزبير وطلحة وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم ومن معهم من جهة أخرى، لرميهم بكل قبيح وسوء، حيث اعتبروهم من المنتكسين وأعداء الله ورسوله ﷺ، وأنهم كفار مرتدون وفي النار مخلدون، واستباحوا لعنهم، وذكر المفيد اتفاق طائفته على هذا، حيث قال في حديثه عن محاربي علي: «واتفقت الإمامية والزيدية والخوارج على أن الناكثين والقاسطين من أهل البصرة والشام أجمعين كفار ضلال ملعونون بحربهم أمير المؤمنين، وأنهم بذلك في النار مخلدون»^(٢).

وقال الكركي: «ومن رؤساء أعداء أمير المؤمنين: الزبير بن العوام القرشي من بني أسد، وقد كان في أول أمره محباً لأمر المؤمنين، ثم انتقل على عداوته ونكث بيعته، ومحاربته يوم الجمل مع عائشة بنت أبي بكر أخت زوجته أسماء بنت أبي بكر، وتحريض

(١) السلسلة الصحيحة (٣/٤٣).

(٢) أوائل المقالات للمفيد (٤٣) [المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ط ١].

الناس من أهل البصرة وغيرهم على حربته وقتله شيء لا يمكن إخفاؤه ولا إستاره. ووافقه في ذلك راعي ابنه الرجس النجس الخبيث اللعين عبد الله، وفي الحقيقة هو عدو الله وعدو رسوله وعدو أهل بيته، ولا يستحي من ذلك ولا يستره ولا يداحي فيه، ولا يداهن به، ولم يزل مُجداً في ذلك إلى أن قتل في أيام بني مروان فلعنة الله على القاتل والمقتول»^(٣). ومما احتجوا به على موت الزبير رضي الله عنه في عداوة علي ما ذكره المفيد من أن علياً رضي الله عنه: «لما رأى رأس الزبير وسيفه قال: ناولني السيف، فناوله فهزه وقال: سيف طالما قاتل به بين يدي رسول الله، ولكن الحين»^(٤) ومصارع السوء، ثم تفرس في وجه الزبير وقال: لقد كان لك برسول الله صحبة، ومنه قرابة، ولكن دخل الشيطان منخرك فأوردك هذا المورد»^(٥).

قال علي بن يونس العاملي معلقاً على هذا الكلام: «ولو كان تائباً لم يكن مصرع سوء»^(٦).

(٣) رسائل الكركي (٢/٢٢٩) [مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط ١].

(٤) أي: الهلاك، انظر: بحار الأنوار للمجلسي (٣٢/٢٠٠).

(٥) الجمل للمفيد (٢٠٩) [مكتبة الداوري]، وانظر: الصراط المستقيم للعاملي (٣/١٧٣) [المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية].

(٦) الشافي في الإمامة للمرتضى (٤/٣٣١).

والحقيقة: أن الإحاطة بجميع أكاذيب وطعون الرافضة في الصحابة بصفة عامة والمشاركين منهم في موقعة الجمل؛ كالزبير وطلحة وعبد الله بن الزبير وغيرهم بصفة خاصة أمر غير ممكن في مثل هذا البحث؛ لذا من أراد التوسع فعليه بالرجوع إلى المصادر المختصة في ذلك^(١).

الرد عليهم:

لا شك أن ما يدعيه الروافض من تكفير هؤلاء الأخيار وما يلصقونه بهم من تهم لهو محض تخرص، دافعه عقيدة الإمامة والبغضاء والحق في هؤلاء الصحابة ظلمًا وجورًا، مكذبين بذلك ثناء الله ورسوله ﷺ على هؤلاء الأخيار، فقد تقدم أن الزبير هو أحد المبشرين بالجنة، وكذا طلحة وعائشة رضي الله عنهم، فكيف يبشر الله الكفار بالجنة، وكيف يخفى حالهم على عالم الغيوب، ثم إن ما حصل بينهم لم يكن بسبب تكفير أحدهم الآخر، وإنما كان لكل منهم هدف وغاية حميدة، ولكن تطورت الأمور إلى ما لم يكن في الحسبان فصار قتال فتنة، وكانوا مجتهدين لهم أجر الاجتهاد، ولا أدل على ذلك من منع أمير المؤمنين بعد

انتصاره عليهم من سبيهم، والإجهاز على جريحهم؛ بل وندمه على حصول القتال بينهم، وأنه تمنى أن يكون قد مات قبل هذا القتال بعشرين سنة، كما رواه ابن عساكر بسنده عن طلحة بن مصرف: «أن عليًا رضي الله عنه انتهى إلى طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وقد مات، فنزل عن دابته وأجلسه، فجعل يمسح الغبار عن وجهه ولحيته، وهو يترحم عليه، ويقول: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة»^(٢).

ومما يبطل أيضًا هراء الروافض بتكفير الزبير ودعوى تخليده في النار، ما جاء عن علي بن نفسه من بكائه على الزبير، ورفضه استقبال قاتله، وتبشيره بنار الحجيم، وقد سبق بيانه، وتأويل الروافض لامتناع علي من استقبال قاتل الزبير وتبشيره بالنار؛ لأجل غدره به^(٣) تأويل متكلف مجوج.

وأما إصرار الروافض على أن الزبير لم يعتزل القتال، وأن ابنه نصحه بأن يكفر ويقا، ففعل وقاتل حتى مات في أرض المعركة، فهو مبني على رواية غير صحيحة كما هو شأنهم في كل ما ينسبونه إلى علي من الروايات المكذوبة، ومعلوم أن ما بني على فاسد فهو فاسد. والعجيب في روايات الروافض أنها

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (١١٥/٢٥) [دار الفكر].

(٣) انظر: الفصول المختارة للشراف المرتضى (١٤٥).

(١) انظر: موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة لعبد القادر محمد عطا صوفي (١١٢٤ - ١١٩٠).

- ٥ - «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج ٢)، لابن عبد البر.
- ٦ - «سير أعلام النبلاء» (ج ١)، للذهبي.
- ٧ - «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج ٢)، لابن حجر.
- ٨ - «موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة»، لعبد القادر محمد عطا صوفي.
- ٩ - «رسائل الكركي» (ج ٢).
- ١٠ - «الجمال»، للمفيد.
- إما أكاذيب محضة، وهو الغالب فيها، أو فيها حق لكنه ممزوج بما يفسده من الأكاذيب، فانظر - مثلاً - إلى ما تقدم إirاده عن المفيد عن علي عليه السلام أنه قال: «سيف طالما قاتل به بين يدي رسول الله^(١)، فهذا فيه مدح للزبير عليه السلام»، وهو حق فقد كان عليه السلام يدافع عن النبي عليه السلام، لكن انظر إلى ما ألحقه به من الكذب عليه وهو قوله: «ولكن الحين ومصارع السوء، ثم تفرس في وجه الزبير وقال: لقد كان لك برسول الله صحبة، ومنه قرابة، ولكن دخل الشيطان منخرك فأوردك هذا المورد»^(٣).

زكريا

اسمه ونسبه:

هو: زكريا، قيل: هو ابن حنا، وقيل: ابن دان، وقيل: ابن أدن، ابن مسلم بن صدوق بن محمان بن داود بن سليمان، وأوصلوا نسبه إلى سليمان بن داود عليه السلام^(٤).

معنى اسمه لغة:

زكريا: أصله بالعبرانية: زخريا، هو زخرياه، ومعناه: الله ذكر^(٥)؛ أي: الله

(٤) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٨/١٩) [دار الفكر للطباعة، ١٤١٥هـ]، والبداية والنهاية (٣٩٤/٢) - (٣٩٥) [دار هجر، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٥) كذا ذكر الدكتور ف. عبد الرحيم وأحال إلى إنجيل لوقا. انظر: الإعلام بأصول الإعلام الواردة في قصص الأنبياء للدكتور عبد الرحيم (٩٩) [دار القلم، ط ١]، وجملة: (الله ذكر) لم تضبط بالشكل في المصدرين الذين ذكراها، وهما: المعرَّب =

المصادر والمراجع:

- ١ - «الطبقات الكبرى» (ج ٣)، لابن سعد.
- ٢ - «المعارف»، لابن قتيبة.
- ٣ - «صحيح تاريخ الطبري (الخلافة الراشدة)» (ج ٣)، تحقيق: محمد طاهر ومحمد صبحي حلاق.
- ٤ - «المعجم الكبير» (ج ١)، للطبراني.
- (١) الجمل للمفيد (٢٠٩)، وانظر: الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي (١٧٣/٣).
- (٢) انظر: موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة (١١٨٧).
- (٣) الجمل للمفيد (٢٠٩)، وانظر: الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي (١٧٣/٣).

يذكر، أو الله قد ذكر. وذكر الدكتور ف. عبد الرحيم في تعليقه على المعرب للجواليقي أن «معناه: بهوه يذكر»^(١).

نبوته:

ذكر الله زكريا ﷺ ضمن أنبيائه ورسله ﷺ، فقال ﷺ: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام].

قال ابن كثير: «وهذه تسمية الأنبياء الذين نصَّ على أسمائهم في القرآن، وهم: آدم وإدريس... وزكريا ويحيى وعيسى، عليهم الصلاة والسلام»^(٢).

كذلك نزول الوحي عليه، كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٨﴾ فَدَٰثَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِحَيِّ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَذَكَرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَخِّحْ

= للجواليقي، والإعلام بأصول الأعلام للدكتور ف. عبد الرحيم. والظاهر أنها هكذا: (الله ذكر)، قدم فيها المفعول، وهو سائغ في اللغة ويفيد التخصيص كما هو معلوم.

(١) المعرب للجواليقي (٣٤٩) [دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٠هـ] تعليقه على الفقرة رقم (٣١٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٦٩/٢) [دار طيبة، ط ٢].

بِالْعَشِيِّ وَالْإِنكَّارِ ﴿٤١﴾ [آل عمران].

وقوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَّيَالٍ سُوِّيًّا ﴿٤٢﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم].

كتابه:

كان مكلفًا بالعمل بالتوراة والدعوة إليها، بدليل أن ابنه يحيى أمره الله أن يأخذ التوراة بقوة، وآتاه الحكم صبيًا، وهو تحت رعاية أبيه زكريا ﷺ، والله أعلم.

وفاته:

توفي نبي الله زكريا مقتولاً^(٣) مظلومًا، وإليه وإلى أمثاله تشير الآية التالية عند بعض المفسرين، وهي قول الله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ أَسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا بَيْنَ وَفَرِّقُوا فَقُلُوبُ﴾ [البقرة]، قال الشوكاني: «ومن الفريق المقتولين يحيى وزكريا»^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: مهنة زكريا ﷺ:

كان نبي الله زكريا ﷺ نجارًا، كما

(٣) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٣/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وصحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) لسليم الهاللي (٤٤٨) [دار غراس، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٤) فتح القدير للشوكاني (١/١٣٠) [دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط ١، ١٤١٤هـ].

وإرث علم ودين بالنسبة لآل يعقوب^(٣).
والراجع: أن هذه الوراثة ليست
للمال كما يقوله بعض أهل السُّنة^(٤)
والرافضة الذين بنوا عليه القول بمظلومية
فاطمة من مال أبيها، وإنما هي وراثة
علم ونبوة ودين لأُمور:

أحدها: أن زكريا لم يُذكر أنه كان ذا
مال؛ بل كان نجارًا يأكل من عمل يده،
ومن كان كذلك فلا يجمع مالًا غالبًا،
ولا سيما أن الأنبياء ﷺ هم أزهد
الناس عن الدنيا.

ثانيًا: أن الأنبياء لا يورثون مالًا؛ لما
ثبت عن جماعة من الصحابة منهم:
عائشة رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ قال: «لا
نورث؛ ما تركنا فهو صدقة»^(٥)، فكيف
يطلب ولدًا ليرث ماله؟!

ثالثًا: أن النبي أعظم قدرًا وأجل
منزلة من أن يأنف من وراثة عصباته له،
ويحرص على أن يكون له ولد فينفرد
بميراثه عنهم، وعليه فيتعين حمل الإرث
المذكور هنا على إرث النبوة^(٦).

ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن
النبي ﷺ؛ أنه قال: «كان زكريا
نجارًا»^(١)، وهذا يعد منقبة وفضيلة
له ﷺ، ولذا عقد النووي ترجمة لهذا
الحديث في شرحه لـ«صحيح مسلم»
فقال: «باب في فضائل زكريا ﷺ»^(٢).

- المسألة الثانية: ميراث زكريا:

كان نبي الله زكريا يدعو ربه بأن يهبه
من يرثه، وأن لا يُترك فردًا، كما قال الله
عنه: ﴿كَهَيَّصَ ۝١ ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ
عَبْدُهُ زَكْرِيَّا ۝٢ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً
خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي
وَأَسْتَعِلُّ الرُّأْسَ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ
رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن
وَرَأْيٍ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن
لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِنُ بُرْنَى مِّنْ عَالٍ يَعْقُوبُ
وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَزْكُرِيَّا إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ
قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي
غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ
الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ [مريم].

واختلف في هذا الإرث على ثلاثة
أقوال:

الأول: أنه إرث علم ودين.

الثاني: أنه إرث مال.

الثالث: أنه إرث مال بالنسبة لزكريا،

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٩).

(٢) صحيح مسلم (٩٦٧).

(٣) انظر: أضواء البيان للشقيطي (٣/٣٦٤) [دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ].

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١١/٨١)، وأضواء البيان (٣/٣٦٢، ٣٦٤).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧١٢)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٥/٢١٢ - ٢١٣)، والبداية والنهاية (٨/١٩٨ - ١٩٩)، وأضواء البيان (٣/٣٦٤) =

أَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ [مريم] وقال: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء]، وقال: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْحَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ ﴿١٣﴾ وَبَرًّا يُولَدُ لَهُ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ [مريم].

وأما ما جاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من حمله قول النبي ﷺ: «لا نورث، ما تركنا فهو صدقة» ^(٤) على الخصوصية به، حيث قال مخاطباً الرهط: «هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة» يريد بذلك نفسه؟ قالوا: قد قال ذلك» ^(٥) فقد أجاب عنه أهل العلم بأجوبة، منها:

الأول: أن ظاهر الحديث العموم، حيث جاء بصيغة الجمع، فيكون شاملاً للأنبياء، ولا يجوز تخصيصه إلا بدليل، ولا دليل على ذلك، وأقوال الصحابة لا تخصص عموم الحديث على الصحيح.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٠٣٣).

قال ابن كثير: «وأما قصة زكريا فإنه عليه السلام من الأنبياء الكرام، والدنيا كانت عنده أحقر من أن يسأل الله ولداً ليرثه في ماله، كيف وإنما كان نجاراً يأكل من كسب يده» ^(١).

ويضاف إلى ما تقدم **أمر رابع:** وهو أن ما جاء في البشارة بيحيى، وما وصف به من النبوة والانقطاع للعبادة، وغيرهما من الخلال الكريمة ليؤكد أن الموروث هو النبوة لا المال، حيث إن الله قد استجاب دعاء زكريا عليه السلام حين خاف من الموالي - وهم الأقارب والعصابات - أن يغيروا الدين من بعد موته ^(٢)، وقال كما حكاه الله عنه بقوله سبحانه: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِ وَكَانَتْ أَمْرًاى عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ أَلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ ﴿٦﴾ [مريم]، قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِ﴾: «فسأل الله ولداً، يكون نبياً من بعده، ليسوسهم بنبوته وما يوحى إليه» ^(٣). فجاءت البشارة كما قال تعالى: ﴿يَزْكُرِكِرًّا إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ

= وفيهداهم اقتده لعثمان الخميس (٤٢٨ - ٤٢٩) [دار إيلاف الدولية، ط ١، ١٤٣١هـ].

(١) البداية والنهاية (١٩٨/٨).

(٢) لمعرفة معنى الموالي وخوفه منهم انظر: تفسير السعدي (٤٨٩ - ٤٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

وأضواء البيان للشثيبي (٣/٣٦٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٢١٢).

الثاني: أن قول عمر رضي الله عنه ليس

صريحاً في أن الأنبياء سوى النبي محمد ﷺ يورثون ماله؛ بل ذكر ما يتعلق بالنبي ﷺ وهو أنه لا يورث^(١).

- المسألة الثالثة: كفالته لمريم بنت عمران:

لقد أخبر الله عن زكريا ﷺ فقال: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أَنَّى لَئِذَا هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧].

فقد نذرت امرأة عمران بما في بطنها من الحمل لخدمة بيت الله وهو بيت المقدس، ولما وضعها ودخلت بها إلى القائمين على بيت المقدس، اختصموا؛ أيهم يكفلها، فاستهم كل من زكريا وأصحابه بأقلامهم على مريم^(٢)، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، فخرج السهم على زكريا، فكفلها ونشأت تحت رعايته، ونبتت نبأً حسناً كما قال تعالى: ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٣٦٢).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٥٨٠) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢]، وتفسير السعدي (٩٦٦ - ٩٦٧)، والصحيح المسبور في التفسير بالمأثور لحكمت بشير ياسين (١/ ٤١٦) [دار المأثور، المدينة النبوية، ط ١].

المصادر والمراجع:

- ١ - «سيرة ابن هشام» (ج ١).
- ٢ - «تاريخ دمشق» (ج ١٩)، لابن عساكر.
- ٣ - «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (ج ٢)، لابن الجوزي.
- ٤ - «تفسير ابن كثير» (ج ٥).
- ٥ - «البداية والنهاية» (ج ٨)، لابن كثير.
- ٦ - «تفسير السعدي».
- ٧ - «أضواء البيان» (ج ٣)، للشنقيطي.
- ٨ - «فبهدهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»، لعثمان الخميس.
- ٩ - «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء»، لإبراهيم بن محمد العلي.
- ١٠ - «الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء»، للدكتور عبد الرحيم.

الزندقة

التعريف لغة:

الزندقة: لفظ أعجمي معرّب، أُخذ من كلام الفرس وعرّب. قال ثعلب: «ليس زنديق، ولا فرّيز من كلام العرب... وليس في كلام العرب: زنديق، وإنما تقول العرب: رجل زَنَدَقُ

وَزَنْدَقِيٌّ؛ إذا كان شديد البخل^(١)، والزندقة الاسم، وجمع الزنديق: زنادقة، والهاء في (زنادقة) عوض عن الياء في (زنديق).

وقد اختلف في أصل كلمة (زنديق) بالفارسية، فقيل: هو معرّب (زنده كرد)؛ أي: الذي يقول بدوام الدهر، وقيل: إن الزنديق نسبة إلى (الزند)، وهو تأويل لكتاب «البستاه» الذي جاء به زرادشت إلى الفرس، وكان من أورد في طريقتهم شيئاً بخلاف (البستاه)، وعدل إلى التأويل الذي هو الزند قالوا: هذا زندي، فأضافوه إلى التأويل، وأنه منحرف عن الظواهر من المنزل إلى تأويل هو بخلاف التنزيل، فلما أن جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس، وقالوا: زنديق، وعربّوه.

هذه هي أهم الأقوال في أصل كلمة (زنديق) في الفارسية، ولعل أقرب هذه الأقوال إلى الصواب هو القول الثاني، والله أعلم^(٢).

التعريف اصطلاحاً:

تعددت إطلاقات لفظ: (الزندقة)

(١) لسان العرب (١٠/١٤٧) [دار الفكر، ط ١].

(٢) الصّحاح (٤/١٤٨٩) [دار العلم للملايين، ط ٣]، والمعرّب من الكلام الأعجمي للجواليقي (١٦٧) [دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٣، ١٤١٦هـ]، وتعريب الكلمة الأعجمية لابن كمال باشا (٧١) [الجفان والجابي، ط ١، ١٩٩١م].

وقد اختلف العلماء في تعريف الزنديق، تبعاً لتعدد إطلاقاته، وذلك كما يلي:

١ - قيل: الزنديق هو: «الذي لا ينتحل ديناً وينكر الشرائع»^(٣)، قاله النووي وغيره.

٢ - وقيل: هو: الثنوي القائل بوجود إلهين، وبه قال الجوهري وغيره^(٤).

٣ - قيل: إن لفظ الزنديق أخص من لفظ المنافق؛ حيث يطلق على: المنافق إذا ظهر منه ما يدل على نفاقه؛ سواء كان ذلك بقول أو فعل؛ كأن يؤلف كتاباً ينال فيه من الإسلام، أو يقول قصيدة، أو نحو ذلك مما يتبين به نفاقه، وبهذا قال ابن حجر وغيره^(٥).

٤ - وقيل: هو: المنافق، الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر سواء أبطن اليهودية أو النصرانية أو غيرهما، وهذا هو المشهور عند الفقهاء في كلامهم على قبول توبة الزنديق.

(٣) شرح صحيح مسلم (١/٢٠٧)، وانظر: فتح الباري (١٢/٢٧١) [دار الريان للتراث، ط ٢، ١٤٠٩هـ].

(٤) انظر: الصّحاح (٤/١٤٨٩)، ودائرة المعارف للبستاني (٩/٢٧٠).

(٥) انظر: فتح الباري (١٢/٢٧١).

الحكم:

اتفق الفقهاء على أن الزندقة كفر، فمن كان مسلماً ثم تزندق، بأن صار يبطن الكفر ويظهر الإسلام، أو صار لا يتدين بدین، فإنه يعتبر كافراً^(٢).

الحقيقة:

الزندقة تطلق على معان عدة:

- قيل: تطلق على الذي لا يؤمن بالحق تعالى وبالأخرة.
- وأطلقت على الثنوية القائلين بالهين: إله النور، وإله الظلمة.
- وتطلق على من خرج من الإسلام إلى غيره.
- وتطلق على الملاحدة الذين ينكرون الآخرة والربوبية.

ثم صار بعد ذلك اسماً علماً في الفقه يدل على من يظهر الإسلام ويبطن الكفر، سواء كان كفره باعتقاد المجوسية الفارسية، أم بالدهرية، أم بغير ذلك^(٣).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا

(٢) انظر: كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٩١٣/١) [مكتبة لبنان، ط ١، ١٩٩٦م]، والموسوعة الفقهية الكويتية (٤٩/٢٤) [مطابع دار الصفوة، ط ١].

(٣) انظر: فتح الباري (٢٨٢/١٢ - ٢٨٣)، والعين للفراهيدي (٣٥٧/٥) [دار ومكتبة الهلال]، وكشاف اصطلاحات الفنون (٩١٣/١)، وكتاب التعريفات الاعتقادية لسعد آل عبد اللطيف (١٩١) [مدار الوطن، ط ٢، ١٤٣٢هـ]، ومصطلحات في كتب العقائد للحماد (٩٣).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر، فالمراد به عندهم: المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر»^(١).

وهذا القول الأخير هو القول الراجح في تعريف الزنديق.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

لما كان أصل الزندقة في الفارسية هو الانحراف عن الظواهر من الكتاب المنزل إلى تأويل هو بخلاف التنزيل، وكان من يفعل ذلك يدعي أنه لم ينحرف عن الكتاب المنزل، أُطلق في الاصطلاح على كل من يدعي الإسلام ويبطن غيره مما يظهر أثره على بعض أقواله وأفعاله.

سبب التسمية:

كلمة (الزندقة) معربة عن الفارسية، وهي منسوبة إلى الأخذ بكتاب الزند، الذي هو تأويل لكتابهم البستاه - كما تقدم -، فكان كل من أخذ بذلك نسب إليه فقيل: (زندى)، فلما جاء الإسلام، والتقى العرب بالفرس أخذوا ذلك المعنى عنهم، وقالوا: زنديق وعربوه.

الأسماء الأخرى:

- المنافق.

(١) بغية المرناد (٣٣٨) [العلوم والحكم، ط ٢، ١٤١٥هـ].

من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام وعُرب، وقد تكلم به السلف والأئمة في توبة الزنديق ونحو ذلك، فأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر فالمراد به عندهم: المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر، وإن كان مع ذلك يصلي ويصوم ويحج ويقرأ القرآن، وسواء كان في باطنه يهوديًا أو نصرانيًا أو مشركًا أو وثنيًا، وسواء كان معطلًا للصانع وللنبوة، أو للنبوة فقط، أو لنبوة نبينا ﷺ فقط، فهذا زنديق وهو منافق، وما في القرآن والسنة من ذكر المنافقين يتناول مثل هذا بإجماع المسلمين»^(٢).

وقال ابن حجر رحمه الله - بعد أن ذكر الخلاف في تعريف الزنديق -: «وقد قيل: إن سبب تفسير الفقهاء الزنديق بما يفسر به المنافق، قول الشافعي رحمه الله: وأي كفر ارتد إليه مما يظهر أو يسر من الزندقة وغيرها، ثم تاب سقط عنه القتل، وهذا لا يلزم منه اتحاد الزنديق والمنافق؛ بل كل زنديق منافق من غير عكس»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- أسباب الزندقة:

لظهور الزندقة في بلاد المسلمين أسباب كثيرة، أهمها ما يلي:

بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون]، وقال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِنْكَ اللَّهُ خُجِرٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتِ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والمقصود هنا: أن (الزنديق) في عُرف هؤلاء الفقهاء هو المنافق الذي كان على عهد النبي ﷺ. وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره سواء أبطن دينًا من الأديان؛ كدين اليهود والنصارى أو غيرهم، أو كان معطلًا جاحدًا للصانع والمعاد والأعمال الصالحة. ومن الناس من يقول: الزنديق هو الجاحد المعطل. وهذا يسمى الزنديق في اصطلاح كثير من أهل الكلام والعامة ونقله مقالات الناس»^(١).

وقال أيضًا: «وأيضًا فلفظ الزندقة لا يوجد في كلام النبي ﷺ كما لا يوجد في القرآن، وهو لفظ أعجمي معرب أخذ

(٢) بغية المراتد (٣٣٨).

(٣) فتح الباري (١٢/٢٧١).

(١) مجموع الفتاوى (٧/٤٧١ - ٤٧٢) [مجمع الملك

فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

مما لا خلاف فيه بين العلماء^(١).

وقد تعددت أقوال العلماء في حكم توبة الزنديق ما بين القبول والرد، والتفصيل بين من تاب قبل القدرة عليه ومن تاب بعد ذلك، وبين الداعية وغير الداعية، وغير ذلك من الأقوال الكثيرة^(٢).

وفيما يلي أهم الأقوال في هذه المسألة وذلك كما يلي:

القول الأول: القول بقبول توبة الزنديق مطلقاً، وإجرائه مجرى المرتد عن دين الإسلام الذي لا يقتل إلا بعد استتابته، وقد نسب ابن حجر هذا القول إلى جمهور العلماء^(٣).

وقد رجح هذا القول جمع من المحققين منهم: ابن المنذر، والنووي، وابن حجر، والشنقيطي، وغيرهم.

القول الثاني: القول بعدم قبول توبة الزنديق مطلقاً؛ بل يقتل بكل حال، وقالوا: إن الزنديق لا يطلع على صلاحه؛ لأن الفساد إنما أتى مما أسره، وذلك أن نفاقه الباطل دليل على أن توبته لا تعرف، فقد يظهر التوبة والندم، غير أنه لا يتحقق منه الصدق في ذلك؛ لعدم

١ - الحقد والعداوة على الإسلام وأهله.

٢ - حركة الترجمة وانتشار علوم الفلاسفة والصابئة.

٣ - البحث في علم الكلام وترك الأثر.

٤ - الانغماس في اللهو والمجون. - أساليب الزنادقة:

سلك الزنادقة في نشر زندقتههم أساليب مأكرة، أهمها ما يلي:

١ - التستر بحب آل البيت والدفاع عنهم.

٢ - انتحال النسب النبوي.

٣ - الوضع في الحديث النبوي.

٤ - استمالة العوام بالحيل والشعوذة.

٥ - إشاعة الفساد الخلقي ونشر المغريات.

- حكم توبة الزنديق:

اختلف العلماء في حكم توبة الزنديق، وهذا الخلاف يتوجه إلى ما يتعلق بالأحكام الدنيوية الظاهرة من القتل أو عدمه، وثبت أحكام الإسلام في حقه، ونحو ذلك من الأحكام.

أما ما يتعلق بأمور الآخرة، وقبول الله تعالى لتوبة الزنديق في الباطن، فذلك راجع إلى الله ﷻ، فإذا تاب الزنديق توبة صادقة من قلبه، فإن الله ﷻ يقبل توبته، وينفعه ذلك في الآخرة، وهذا

(١) انظر: المغني لابن قدامة (١٢/٢٧١).

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٦٣).

(٣) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٦٣)، والرد على الجهمية (١٨٥).

ويعيش في أوساط المسلمين، بخلاف الملحد؛ فإن أمره ظاهر معلوم.

الآثار:

- شيوع الزندقة يغري ضعف الإيمان بالانزلاق إليها.

- انتشار المعصية، فليس بعد الكفر ذنب، ومن ثمّ يسهل على الزنديق ارتكابها.

- اضطراب المجتمع، فإنّ الزنادقة لا يحكمهم مبدأ، ومن ثمّ فإنّهم يفعلون ما تدعوهم إليه أهواؤهم بغير رعاية لحقوق الآخرين.

- انصراف الناس إلى الشهوات وتلبية دعوة الهوى يضعف المجتمع فيطمع فيه أعداؤه ويستولون عليه ويسلبون عزّته وكرامته^(٣).

المصادر والمراجع:

١ - «إعلام الموقعين عن ربّ العالمين»، لابن القيم.

٢ - «بغية المرتاد»، لابن تيمية.

٣ - «الزنادقة: عقائدهم وفرقهم وموقف أئمة المسلمين منهم»، لسعد العريفي.

٤ - «الزندقة والزنادقة»، لعاطف شكري.

الاطلاع على صلاحه. وهذا القول هو المشهور عن الإمام مالك وأصحابه.

القول الثالث: القول بالتفصيل فيفرق

بين من تاب قبل القدرة عليه، ومن أظهر ذلك بعد القدرة عليه، وهذا القول هو إحدى الروايات في مذهب الحنفية والمالكية والحنابلة، وقد رجح هذا القول وانتصر له شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى^(١).

والحاصل: أن هذا القول هو الذي تؤيده الأدلة، وتجتمع عليه النصوص، فيعمل بها جميعاً من غير إسقاط لشيء منها^(٢).

الفروق:

الفرق بين الزنديق والملحد:

١ - الزنديق قد يدخل في اسم الملحد إذا كان ما يبطنه هو الإلحاد الباطن، وإن كان منتسباً لدين الإسلام في الظاهر.

٢ - الزنديق يبطن معتقده الفاسد، وإن كان قد يصدر منه ما يدل على ما يبطن، وأما الملحد فهو مظهر لذلك.

٣ - الزنديق أخطر من الملحد في الكيد للإسلام؛ لكونه يدعي الإسلام

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٦٣)، وإعلام الموقعين (٣/١٤٢).

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٦٣)، وإعلام الموقعين (٣/١٤٤ - ١٤٥).

(٣) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١٠/٤٥٨٨) [دار الوسيلة، ط٤].

٥ - «الزندقة والزنادقة»، لمحمد عبد الحميد.

٦ - «الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام»، لسميرة مختار.

٧ - «الصارم المسلول»، لابن تيمية.

٨ - «فتح الباري»، لابن حجر.

٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

الزهد

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمته الله: «الزَّاء والهَاء والذَّال أصل يدلُّ على قَلَّة الشيء. والزَّهيد: الشيء القليل، وهو مُزهد: قليل المال»^(١).

والزُّهد: خلاف الرغبة؛ تقول: زهد في الشيء وعن الشيء، يزهد زهدًا وزهادة، والتزهيد في الشيء وعن الشيء: خلاف الرغبة، والزهدة والزهادة في الدنيا، فلا يقال الزهد إلا في الدنيا خاصة، فهو ضد الرغبة والحرص على الدنيا^(٢).

التعريف شرعًا:

هو ترك ما لا ينفع في الآخرة؛ فضول المباح التي لا يستعان بها على

طاعة الله، أو التي تشغل عن فعل الواجبات، وترك المحرمات.

قال شيخ الإسلام رحمته الله: «هو ترك الرِّغبة فيما لا ينفع في الدَّار الآخرة، وهو فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله»^(٣).

وقال ابن قدامة رحمته الله: «هو عبارة عن انصراف الرِّغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبًا بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شيء ليس مرغوبًا فيه، ولا مطلوبًا في نفسه لم يسمَّ زاهدًا»^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الزهد في اللغة: هو أوسع من التعريف الشرعي؛ حيث إن معناه في اللغة يشمل الرغبة في الشيء مطلقًا وأما في الشرع: فهو مقيد بالرغبة عن الشيء الذي لا ينفع في الآخرة.

الحكم:

الزهد: أقسام، وكل قسم له حكم بحسبه^(٥):

(٣) مجموع الفتاوى (٤٤/١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢، ١٤٢٥هـ].

(٤) مختصر منهاج القاصدين (٤١١) [دار عمار، ٢، ١٤١٥هـ].

(٥) طريق الهجرتين (٥٤٨/٢ - ٥٥٤) [دار عالم الفوائد، ١، ١٤٢٩هـ]، والفوائد لابن القيم (١٧٠ - ١٧١) [دار عالم الفوائد، ١، ١٤٢٩هـ].

(١) مقاييس اللغة (٣/٣٠) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣/٣٠)، والصاح (٢/٤٨١) [دار العلم للملايين، ط ٣]، ولسان العرب (٦/٩٧) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ].

منزلة جلييلة لتعلقها بأمر الحلال والحرام، والرضا بالقدر، قال ابن القيم رحمته الله: «ومن أحسن ما قيل في الزهد، كلام الحسن أو غيره: «ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال. ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة - إذا أصبت بها - أرغب منك فيها لو لم تصبك». فهذا من أجمع كلام في الزهد وأحسنه.

والنوع الثاني: غاية وكمال، وهو أن يذللها للمحسوب جملة، بحيث لا يستبقي منها شيئاً؛ بل يزهد فيها زهد المحب في قدر خسيس من ماله قد تعلق رغبة محبوبة به، فهل يجد من قلبه رغبة في إمساك ذلك القدر وحبسه عن محبوبة؟^(٢)

الأدلة:

الآيات الواردة في معنى الزهد كثيرة، ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ حَيْرٌ وَابْقَىٰ﴾ [٣٢] وطه، وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٨٣] [القصص]، وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ

أحدها: الزهد في الحرام، وهو فرض عين على كل مسلم، وهذا متى أخل به انعقد سبب العقاب.

الثاني: زهد في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة؛ فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كانت مستحبة.

الثالث: زهد مستحب، وهو على درجات في الاستحباب، بحسب المزهود فيه، وهو الزهد في المكروه، وفضول المباحات، والتفنن في الشهوات المباحة.

الحقيقة:

حقيقة الزهد: هو الزهد فيما لا ينفع في الآخرة، وفيما سوى الله، وفي كل ما يشغل عنه، فهو صرف الرغبة عما لا ينفع في الآخرة، والتقلل من فضول النعم، وليس المراد بالزهد الانصراف عن الدنيا جملة؛ بل المراد جعل الدنيا وسيلة للآخرة. ومتعلقه ستة أشياء لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها: وهي المال، والصّور، والرياسة، والنّاس، والنفس، وكل ما دون الله^(١).

المنزلة:

منزلة الزهد في الشريعة الإسلامية

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢١/١٠، ٥١١، ٦٤١)، ومدارج السالكين (١٧/٢) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٥، ١٤١٩هـ]، والفوائد لابن القيم (١٧١)، وطريق الهجرتين (٥٤٦/٢)، وتبليص إبليس لابن (٨٥٨/٢) [دار الوطن للنشر، ط ١، ١٤٢٣هـ].

وعن عبد الله بن الشَّحِير رضي الله عنه قال: أتيت النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ: ﴿الْهَنَكُ الْكَائِرُ﴾ (١) قال: «يقول ابن آدم: مالي، مالي. قال: وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأَمْضيت» (٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل». وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك» (٣).

❁ أقوال أهل العلم:

كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى رضي الله عنه: «إنك لم تنل عمل الآخرة بشيء أفضل من الزهد في الدنيا وإياك ومذاق الأخلاق ودناءتها» (٤).

وقال أبو سعيد الأعرابي رحمته الله: «وأول الزهد: الزهد في الحرام، ثم الزهد في المباح، وأعلى مراتب الزهد أن يزهد في الفضول، والفضول كل ما لك عنه غنى، فكأنك تزهد في كل

انظر: السلسلة الصحيحة (رقم ٩٤٤) مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٥٨).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤١٦).

(٥) الزهد لأحمد بن حنبل (١٠١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ].

وَجْهَهُ، وَلَا تَعُدَّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ دِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا (٢٨) [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٩)﴾ [الشورى].

والأحاديث الواردة في (الزهد) وما في معناه فكثيرة كذلك؛ منها: حديث ابن مسعود رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة» (١).

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: أتى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله، دلني على عمل، إذا أنا عملته، أحبني الله، وأحبني الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك» (٢).

(١) أخرجه ابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٥٧١)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٩٨١)، وحسن إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٤٢/٢) [دار العربية، ط ٢]، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (رقم ٢٠٧٣) [مكتبة المعارف].

وأصله عند مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٧) من حديث بريدة رضي الله عنه، دون زيادة: «تزهد في الدنيا».

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤١٠٢)، وضعف إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/٢١٠) [دار العربية، ط ٢]، لكن أورد له الألباني جملةً من الطرق والشواهد، وقوّاه بمجموعها.

الزهد في الشبهات، **الثالث**: الزهد في المكروهات، **الرابع**: الزهد في المباحات من الحلال، **الخامس**: الزهد في الفضول من الكلام، والنظر، واللقاء، ونحوه، **السادس**: الزهد في الناس، **السابع**: الزهد في النفس؛ بحيث تهون عليه نفسه في سبيل الله، **الثامن**: الزهد في كل ما سوى الله تعالى، وفي كل ما يشغل عنه، وهو الجامع لمراتب الزهد كلها.

قال الإمام أحمد بن حنبل: «الزهد على ثلاثة أوجه: **الأول**: ترك الحرام وهو زهد العوام، **الثاني**: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص، **والثالث**: ترك ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- **المسألة الأولى**: الزهد في الحلال: اختلفت طوائف من أهل العلم هل لا يكون الزهد إلا في الحرام، دون الحلال على قولين^(٦):

فقال طائفة: الزهد إنما هو في الحلال؛ لأن ترك الحرام فريضة.

وقالت فرقة: بل الزهد لا يكون إلا في الحرام، وأما الحلال فنعمة من الله

(٥) مدارج السالكين (١٤/٢) [دار الكتاب العربي، بيروت، ٥٥، ١٤١٩هـ].

(٦) انظر: مدارج السالكين (١٧/٢).

شيء، إلا فيما أمرك الله، أو فيما نذبك إليه، مما يقربك إليه، أو ما لا بد منه، وكل ما كان سوى ذلك فهو من الفضول، وهو ترك ما لا يعني^(١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الزهد هو عما لا ينفع: إما لانتفاء نفعه، أو لكونه مرجوحاً؛ لأنه مفوت لما هو أنفع منه، أو محصل لما يربو ضرره على نفعه، وأما المنافع الخالصة أو الراجعة فالزهد فيها حمق»^(٢).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «من حقق اليقين، وثق بالله في أموره كلها، ورضي بتدبيره له، وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجاء وخوفاً، ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة، ومن كان كذلك كان زاهداً في الدنيا حقيقة، وكان من أغنى الناس، وإن لم يكن له شيء من الدنيا»^(٣).

المراتب:

الزهد على مراتب^(٤):

أحدها: الزهد في الحرام، **الثاني**:

(١) معنى الزهد والمقالات وصفات الزاهدين (٧٦) [مطبعة دار الكتب المصرية].

(٢) مجموع الفتاوى (٦١٥/١٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٣، ١٤٢٥هـ].

(٣) جامع العلوم والحكم (١٨١/٢) [مؤسسة الرسالة، بيروت، ٧٣، ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر: معنى الزهد والمقالات وصفات الزاهدين (٧٦)، وطريق الهجرتين (٥٤٨/٢ - ٤٥٤)، والقوائد لابن القيم (١٧٠ - ١٧١).

قال ابن الجوزي رحمته الله: «والصوفية من جملة الزهاد، وقد ذكرنا تلبيس إبليس على الزهاد، إلا أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال، وترسموا بسمات، فاحتجنا إلى أفرادهم بالذكر، والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي، ثم ترخص المتمون إليها في السماع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام، لما يظهرونه من التزهد، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب»^(١).

❁ الفرق:

الفرق بين الزهد والقناعة:

القناعة: الرضا بما دون الكفاية،
والزهد: الاقتصار على الزهيد؛ أي:
القليل وهما يتقاربان، لكن القناعة تقال اعتباراً برضا النفس، والزهد يقال اعتباراً بالمتناول لحظ النفس، وكل زهد حصل لا عن قناعة فهو تزهد لا زهد^(٢).

الفرق بين الزهد والورع:

الزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة،
والورع: ترك ما يخاف ضرره في الآخرة^(٣).

تعالى على عبده، والله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، فشكره على نعمه، والاستعانة بها على طاعته، واتخاذها طريقاً إلى جنته أفضل من الزهد فيها، والتخلي عنها، ومجانبة أسبابها.

والتحقيق: أنها إن شغلته عن الله فالزهد فيها أفضل، وإن لم تشغله عن الله؛ بل كان شاكراً لله فيها، فحاله أفضل، والزهد فيها تجريد القلب عن التعلق بها، والطمأنينة إليها. والله أعلم.

- المسألة الثانية: الزهد والتصوف:

الزهد مصطلح شرعي ظهر في عهد النبي ﷺ، وظهر في كلام الصحابة ومن بعدهم من أئمة السلف، وأما التصوف فهو مصطلح حادث، وهو يتضمن معنى الزهد المشروع وغير المشروع، حيث غلب على جماعة من المتأخرين الزهد في الدنيا بأكملها، والانقطاع للعبادة مطلقاً، فانحرفوا عن معنى الزهد المشروع الذي شرعه الله ورسوله ﷺ، والذي كان عليه أئمة السلف، فأصبح الزهد يحمل معاني مخالفة لهدي الكتاب والسنة، وأصبح الزهاد على هذا المعنى المخالف من جملة أهل البدع؛ لأنهم ابتدعوا بدعاً منكراً، فحرموا على أنفسهم ما أحله الله تعالى لعباده من الطيبات، ووقعوا في جملة من المنكرات، وقد انخدع جماعة من الناس بالصوفية لما يرونهم عندهم من دعوى الزهد.

(١) تلبيس إبليس (٣/ ٩١٨ - ٩٢٠).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة للأصبهاني (٢٢٥) [دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢١/ ٥١١)، ومدارج السالكين (١٢/ ٢)، والفوائد لابن القيم (١٧١) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ]، وعدة الصابرين (٢٦٤) [دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٩هـ].

والزهد: هو من باب عدم الرغبة، والإرادة في المزهود فيه، والورع: من باب وجود النفرة والكراهة للتورع عنه.

والورع يصلح في المباحات، دون الورع فلا يجوز التورع عن المباحات، فكل ما يصلح فيه الورع يصلح فيه الزهد، من غير عكس^(١).

✽ مذهب المخالفين:

خالف المتصوفة، ومن وافقهم في الزهد المشروع، وسلكوا طريقة في الدين مبتدعة: فظنوا أن الزهد هو في ترك المباحات من المآكل والمشرب والملابس، ونحوها، وبنوا دورًا للعبادة، زعموا أنهم ينقطعون فيها عن الدنيا بالكلية، ويتفرغون فيها للعبادة، فضيعوا الصلوات في المساجد مع جماعة المسلمين، وضيعوا الحقوق التي عليهم؛ كحقوق الأهل والأولاد؛ بل وقعوا في المنكرات المحرمة؛ كالرقص، والسماع المحرم، ونحوها من المخالفات الشرعية، وكل ذلك بدعوى الزهد في الدنيا، والرغبة إلى الآخرة.

✽ الثمرات:

من ثمرات الزهد:

- أنه من أعظم الأسباب لنيل تقوى الله تعالى، ومحبتة؛ لأن من ترك ما يحبه ويشتهي لله تعالى أورثه ذلك محبة وتقوى لله تعالى.

- وأنه يورث القناعة بالرزق، والغنى في النفس، ويبعث على الراحة والطمأنينة، فلا يتحسر صاحبه من مال يفوته، أو رياسة، أو منصب، أو نحوها من أمور الدنيا الزائلة.

- وأنه العصمة من المحرمات

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٦١٨ - ٦١٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٦١٩).

قال ابن الجوزي رحمته الله: «كانت النسبة في زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام فيقال: مسلم ومؤمن، ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد، فتخلوا عن الدنيا، وانقطعوا إلى العبادة، واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقًا تخلقوا بها،

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة، وحاصلها: أن التصوف عندهم رياضة النفس، ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق، إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الآخرة، وعلى هذا كان أوائل القوم، فلئس إبليس عليهم في أشياء، ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني، فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن، كان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم، وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات؛ فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة، فرفضوا ما يصلح أبدانهم، وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خلق للمصالح، وبالغوا في الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة وفيهم من كان لقله علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري^(١).

فكل ما ذكر عنهم في باب الزهد فهو باطل مخالف للشرع، كما تقرر في بيان حقيقة الزهد، وليس هو من هديه ﷺ، ولا من هدي أصحابه في شيء. قال ابن الجوزي: «وما هذه طريقة الرسول ﷺ، ولا طريق أصحابه وأتباعه، وإنما كانوا يجوعون إذا لم يجدوا، فإذا وجدوا أكلوا، وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحبه، ويأكل الدجاج، ويحب الحلوى، ويستعذب له الماء، فيختار الماء البائت؛ فإن الماء الحار يؤذي المعدة ولا يروي فأما الكف المطلق فخطأ، فافهم هذا ولا تلتفت إلى قول المحارث المحاسبي، وأبي طالب المكي فيما ذكرنا من تقليل المطعم، ومجاهدة النفس بترك مباحاتها، فإن اتباع الشارع وصحابته أولى^(٢)».

المصادر والمراجع:

- ١ - «استنشاقي نسيم الأنس»، لابن رجب.
- ٢ - «الفوائد»، لابن القيم.
- ٣ - «قوت القلوب»، لأبي طالب المكي.
- ٤ - «الزهد»، لأحمد بن حنبل.
- ٥ - «شعب الإيمان»، للبيهقي.
- ٦ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

(١) تلبيس إبليس (٣/ ٩٢١ - ٩٤٤).

(٢) تلبيس إبليس (٢/ ٨٦١ - ٨٦٥).

كذلك يدل على ذهاب قدر معين وهو ما مر في التعريف اللغوي.

الحكم:

من أصول أهل السنة المتفق عليها بينهم أن الإيمان يزيد وينقص، ومن ثم كان واجباً على العبد اعتقاد زيادة الإيمان ونقصانه، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ونقص الطاعة.

الحقيقة:

زيادة الإيمان تكون على أربعة أوجه:

١ - في عهد النبي ﷺ حينما كانت الشرائع يزداد فيها، فمعلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن كله.

٢ - زيادة المؤمن به، فمن بلغه شيء مما جاء به النبي ﷺ وجب عليه الإيمان به ما لم يجب على من لم يبلغه، فمن عرف القرآن والسنة ومعانيها، لزمه من الإيمان المفصل بذلك ما لا يلزم غيره.

٣ - زيادة ما في القلب؛ كالحب والخوف والرجاء، فالعلم والتصديق نفسه، يكون بعضه أقوى من بعض، وأثبت وأبعد عن الشك والريب، وهذا أمر يشهده كل أحد من نفسه، كما أن الحس الظاهر بالشيء الواحد، مثل رؤية الناس للهلال، وإن اشتركوا فيها، فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض، وكذلك سماع الصوت الواحد، وشم الرائحة الواحدة،

٧ - «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيم.

٨ - «مختصر منهاج القاصدين»، لابن قدامة.

٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٠)، لابن تيمية.

١٠ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

زيادة الإيمان ونقصانه

التعريف لغة:

الزيادة في اللغة: خلاف النقصان، يقال: زاد الشيء يزيد زيداً وزيادة^(١).

قال ابن فارس: «الزاء والياء والdal أصل يدل على الفضل»^(٢).

والنقصان: مصدر نقصَ ينقصُ نقصاً ونقصاناً، يقال: نقص الشيء؛ بمعنى: ذهب منه قدر معين^(٣).

التعريف شرعاً:

تفاضل الإيمان، أو ذهاب شيء منه؛ للتفاوت بين أهله، وأنهم ليسوا على حد سواء فيه.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

العلاقة ظاهرة؛ فإن الزيادة في الاصطلاح تدل على التفاضل، والنقصان

(١) انظر: لسان العرب (٣/١٩٨) [دار صادر، ط ٣].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣/٤٠) [دار الفكر، ط ١].

(٣) انظر: كتاب العين (٥/٦٥) [دار ومكتبة الهلال].

وذوق النوع الواحد من الطعام.

٤ - زيادة أعمال الجوارح؛ كالصلاة والصوم وذكر الله تعالى، فالأعمال الظاهرة أيضًا من الإيمان، والناس يتفاضلون فيها^(١).

كثيرة جدًا، فمن القرآن:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) [الأنفال].

الأهمية:

تتجلى أهمية هذه المسألة في عدة أمور؛ منها:

١ - أن هذه المسألة متعلقة بأجل وأعظم غاية، وهي الإيمان.

٢ - أن زيادة الإيمان سبب لكل خير، ونقصانه سبب كل شر.

٣ - أن العناية بهذه المسألة دليل فقه العبد، كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص معه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد الإيمان أم ينقص؟ وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه»^(٢).

٤ - أن هذه المسألة مما وقع الخلاف فيه بين أهل السنة والمخالفين، فوجب معرفة الحق فيها.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٣) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٤) [التوبة].

قال ابن كثير رحمته الله: «وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٤) [الفتح].

وهذه الآيات فيها الدليل على الزيادة، وكل قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة^(٤).

ومن السنة: ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من

الأدلة:

الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه،

(١) انظر: الإيمان لابن تيمية (١٨٣٦) [المكتب الإسلامي، ط ٥، ١٤١٦هـ].

(٢) أخرجه خلال في السنة (٤٩/٥) [دار الراية، ط ١]، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٠١٦/٥) [دار طيبة، ط ٨].

(٣) تفسير ابن كثير (٢٣٩/٤) [دار طيبة، ط ٢].

(٤) فتح الباري لابن حجر (٧٤/١) [دار المعرفة].

إحداكن»^(١).

وقوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»^(٢).

وقال الأوزاعي: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فمن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فاحذروه فإنه مبتدع»^(٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(٣).

وقال الطبري: «وأما القول في الإيمان هل قول وعمل يزيد وينقص، أم لا زيادة فيه ولا نقصان؟ فإن الصواب فيه قول من قال: هو قول وعمل يزيد وينقص، وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وعليه مضى أهل الدين والفضل»^(٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(٤).

وقال ابن القيم: «الإيمان عند جميع أهل السنة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»^(٨).

❁ أقوال أهل العلم:

قال عمير بن حبيب الخطمي: «الإيمان يزيد وينقص، قال: إذا ذكرنا الله ﷻ وحمدناه وسبحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه»^(٥).

المسائل المتعلقة:
- المسألة الأولى: هل إذا ذهب بعض الإيمان ذهب كله؟
هذه المسألة من المسائل المهمة في هذا الباب؛ بل هي أصل تفرعت عنه البدع فيه.

قال شيخ الإسلام: «وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان، فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله

- (١) أخرجه البخاري (كتاب الحيض، رقم ٣٠٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٠).
- (٢) أخرجه البخاري (كتاب الحدود، رقم ٦٨١٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٥٧).
- (٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٥) واللفظ له.
- (٤) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، رقم ٤٦٨٢)، والترمذي (أبواب الرضاع، رقم ١١٦٢) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٦٤/١٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨٣٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٤).
- (٥) أخرجه ابن أبي شبة في المصنف (كتاب الإيمان والرؤيا، رقم ٣٠٣٢٧) [مكتبة الرشد، ط ١]،

- وعبد الله بن أحمد في السنة (٣١٥/١) [دار ابن القيم، ط ١]، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٠١٩/٥) [دار طيبة، ط ٨].
- (٦) الشريعة للأجري (٦٠٧/٢) [دار الوطن، ط ٢].
- (٧) صريح السنة (٢٥) [دار الخلفاء للكتاب، ط ١].
- (٨) مدارج السالكين (٢٧/٢) [دار الكتاب العربي، ط ٣].

لم يبق منه شيء»^(١).

فقلت الخوارج والمعتزلة: إذا ذهب شيء من الإيمان لم يبق مع صاحبه منه شيء فيخلد في النار.

وقالت المرجئة: لا تُذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة شيئاً من الإيمان.

والحق ما عليه أهل السُّنة والجماعة، من أنّ النصوص تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه، ولهذا كان مقولهم: إن الإيمان يتفاضل ويزيد وينقص»^(٢).

- المسألة الثانية: هل الإسلام يزيد وينقص؟^(٣):

اختلف أهل العلم في هذه المسألة بناء على اختلافهم في تعريف الإسلام والإيمان، والفرق بينهما.

فمن قال بالترادف بين الإسلام والإيمان، وأنّ الإيمان والإسلام اسمان بمعنى واحد قال بزيادة الإسلام ونقصانه؛ لأن له حكم الإيمان من حيث قبوله الزيادة والنقصان.

ومن قال: إن الإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان الاعتقادات الباطنة، هو قائل كذلك بأن الإسلام يزيد وينقص.

(١) الإيمان لابن تيمية (١٧٦).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه لعبد الرزاق البدر (٢٦٧ - ٢٧٢) مكتبة دار القلم والكتاب، ط ١، ١٤١٦هـ.

وأما من فرق بين الإسلام والإيمان فجعل الإسلام الكلمة والإيمان العمل، فالإسلام عندهم لا يقبل الزيادة والنقصان.

قال شيخ الإسلام: «فالإسلام الذي لا يستثنى فيه الشهاداتان باللسان فقط، فإنها لا تزيد ولا تنقص فلا استثناء فيها»^(٤).

- المسألة الثالثة: أسباب زيادة الإيمان ونقصانه^(٥):

من المسائل المهمة كذلك معرفة أسباب زيادة الإيمان ونقصانه، فأما أسباب الزيادة فمنها:

- تعلُّم العلم النافع.
- قراءة القرآن الكريم وتدبره.
- معرفة الأسماء الحسنى والصفات العلى.

- تأمل سيرة النبي ﷺ.
- تأمل محاسن الدين الإسلامي.
- قراءة سير سلف الأمة.
- التأمل في الآيات الكونية.
- الاجتهاد في القيام بالأعمال الصالحة الخالصة لوجه الله.
- وأما أسباب النقصان فمنها:
- الجهل.

- الغفلة والإعراض والنسيان.

(٤) الإيمان لابن تيمية (٢٠٤).

(٥) انظر: أسباب زيادة الإيمان ونقصانه لعبد الرزاق البدر (٦ - ٧٥) [ط ١، ١٤٢٧هـ].

- فعل المعاصي وارتكاب الذنوب.

- النفس الأمارة بالسوء.

- الشيطان.

- الدنيا وفتنتها ومغرياتها.

- قرناء السوء.

واحتجوا بأمور؛ منها:

١ - أن الإيمان هو التصديق، والتصديق لا يقبل النقص؛ لأنه إذا قبله صار شكًا، ولكنه يزيد بناءً على أن الشخص يؤمن إجمالاً، ثم يزيد تصديقه بالتفاصيل.

٢ - ما جاء في الحديث: «الإسلام يزيد ولا ينقص»^(٣)

الرد عليهم:

أما دعواهم أن التصديق لا يقبل النقص؛ لأنه إذا قبله صار شكًا، فيقال: ١ - هذا القول مخالف للحق، فالنصوص الشرعية دلّت على زيادته ونقصانه.

٢ - «الواقع يشهد لبطلان ذلك، فإن من الناس من يكون تصديقه قويًا معتمدًا على الحجج والبراهين، بالغًا أعلى درجات اليقين، لا تزغزه الشبهات ولا تصرفه، ومنهم من يكون تصديقه ضعيفًا، بحيث تزغزه الشبه وتصرفه، فإن سلم منها بقي على تصديقه الضعيف ولا يعد شاكًا، فستان بين هذا وذاك. ثم إن هذا أمر يحسه كل أحد من نفسه، فإن المرء

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الفرائض، رقم ٢٩١٢)، وأحمد (٣٣١/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الفرائض، رقم ٨٠٠٦) وصحّحه، لكنه تُعَقَّب بوجود انقطاع في سنده، كما في الفتح (٥٠/١٢) [دار المعرفة]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١١٢٣).

مذهب المخالفين:

المخالفون لأهل السُّنة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه على قسمين^(١):

- أولاً: من قال: إن الإيمان يزيد ولا ينقص: وهو قول بعض الأشاعرة والغسانية والنجارية والإباضية، ورواية عن أبي حنيفة^(٢).

(١) انظر: زيادة الإيمان ونقصانه للبدر (٢٧٩ - ٣١١).

(٢) وأما ما نقل عن الإمام مالك بن أنس من أنه قال بأن الإيمان يزيد ولا ينقص فغير صحيح؛ لأن الذي ثبت عنه أنه توقف في أول الأمر بالتصريح بالنقصان لعدم وقوفه على نص في ذلك، ثم إنه ورد عنه روايات متعددة صحيحة فيها القول بزيادة الإيمان ونقصانه. انظر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه (٢٧٧).

أخرجه أبو داود (كتاب الفرائض، رقم ٢٩١٢)، وأحمد (٣٣١/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الفرائض، رقم ٨٠٠٦) وصحّحه، لكنه تُعَقَّب بوجود انقطاع في سنده، كما في الفتح (٥٠/١٢) [دار المعرفة]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١١٢٣).

أخرجه أبو داود (كتاب الفرائض، رقم ٢٩١٢)، وأحمد (٣٣١/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الفرائض، رقم ٨٠٠٦) وصحّحه، لكنه تُعَقَّب بوجود انقطاع في سنده، كما في الفتح (٥٠/١٢) [دار المعرفة]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١١٢٣).

ولا ينقص، وهو قول الجهمية والأشاعرة والماتريدية والخوارج والمعتزلة.

ومن أدلتهم على باطلهم:

أولاً: قولهم: إنَّ الإيمان كلُّ واحد لا يتجزأ؛ إذا ذهب بعضه ذهب كله.

ثانياً: أن الإيمان هو التصديق القلبي الذي بلغ حد الجزم والإذعان، وهذا لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان.

والجواب عن الشبهة الأولى أن يقال:

١ - الحقيقة الجامعة لأمر - سواء كانت في الأعيان والأعراض - إذا زال بعضها فقد يزول سائرهما وقد لا يزول، ولا يلزم من زوال بعض الأمور المجتمعة زوال سائرهما.

٢ - أن كون الشيء المركب لم يبق على تركيبه بعد زوال شيء من أجزائه منه لا نزاع فيه بين العقلاء، ولا يدعي عاقل أن الإيمان أو الصلاة أو الحج أو غير ذلك من العبادات المتناولة لأمر والمشملة على أجزاء أنه إذا زال بعضها بقي ذلك المجتمع المركب كما كان قبل زوال بعضه.

٣ - أن هذا القول مخالف لنصوص الوحي الدالة على أن للإيمان أجزاءً وأبعضاً.

٤ - أن أجزاء الإيمان مختلفة متفاوتة، فمنها ما يزول الإيمان كليةً

أحياناً يكون تصديقه قوياً، وأحياناً يكون ضعيفاً، وهو في كلا الحالين مصدق، وما ذاك إلا لأن التصديق يقبل التفاضل والزيادة والنقصان في الشخص الواحد، وكذلك يتفاضل من شخص لآخر^(١).

٣ - أن يقال: إنَّ الإيمان ليس هو التصديق فحسب؛ بل هو التصديق والقول والعمل، كما هو مقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة، فالإيمان ينقص بنقص العمل وبفعل المعاصي وبغير ذلك، ولا يلزم من نقصه في ذلك أن يكون شكاً أو كُفراً.

أما استدلالهم بالحديث فإنه منقوض من جهتين:

الأولى: أن الحديث ضعيف لا يحتج به، فقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات^(٢)، وضعفه الألباني^(٣).

الأخرى: على فرض صحته فإن معناه على غير ما فهمه هؤلاء، فقد قيل في معناه: إنما أراد أن الإسلام في زيادة ولا ينقص بالردة^(٤).

- ثانياً: من قال: إن الإيمان لا يزيد

(١) زيادة الإيمان ونقصانه للبدر (٣٠٧). وانظر:

التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي (٦٨ - ٦٩).

(٢) الموضوعات لابن الجوزي (٣/ ٢٣٠) [المكتبة السلفية، ط ١].

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣/ ٢٥٢) [دار المعارف، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٤) انظر: سنن البيهقي (٦/ ٢٥٤) [مجلس دائرة المعارف، ط ١، ١٣٤٤هـ].

- بزوالها؛ كفعل أمر كفري ناقض للإيمان، ومنها ما يزول كمال الإيمان الواجب بزوالها؛ كفعل كبيرة من الكبائر، ومنها ما يزول كمال الإيمان المستحب بزوالها؛ كترك إمطة الأذى عن الطريق.
- وأما الجواب عن الشبهة الثانية فيقال:
- ١ - جعلهم الإيمان الشرعي هو التصديق القلبي فقط والعمل خارج عن مسماه قول باطل.
- ٢ - لو فرض أن الإيمان هو التصديق وحده، فإنه يكون تصديقًا مخصوصًا، بمعنى: أنه يشمل تصديق القلب واللسان والجوارح كذلك.
- ٣ - أن الزيادة والنقصان فيه متصورة عقلاً، ثابتة شرعًا، واقعة عرفًا؛ لأن كل مصدق بشيء يجد في نفسه تفاوتًا في التصديق من وقت لآخر، بحسب تعدد الأدلة وقوة البراهين.
- ٤ - أن محققي هؤلاء تعقبوا هذا القول، ونهبوا على غلظه؛ وذلك للقطع عندهم بأن تصديق آحاد الأمة ليس كتصديق النبي ﷺ أو كتصديق جبريل عليه السلام، أو كتصديق الخلفاء الأربعة عليه السلام^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الشرعة»، للآجري.

- ٢ - «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، لللالكائي.
- ٣ - «شرح السنة»، للمزني.
- ٤ - «الإيمان»، لابن تيمية.
- ٥ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٦ - «تفسير ابن كثير».
- ٧ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.
- ٨ - «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان»، للسعدي.
- ٩ - «زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه»، لعبد الرزاق البدر.
- ١٠ - «أسباب زيادة الإيمان ونقصانه»، لعبد الرزاق البدر.

زيارة القبور

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الزاء والواو والراء أصل واحد يدل على الميل والعدول. من ذلك الزور: الكذب؛ لأنه مائل عن طريقة الحق. ويقال: زور فلان الشيء تزويرًا. والزور: الميل. يقال: ازور عن كذا؛ أي: مال عنه، ومن الباب: الزائر؛ لأنه إذا زارك فقد عدل عن غيرك»^(٢). فالزيارة: مصدر لزارني فلان يزورني زورًا وزيارة، وأصل زار إليه: مال^(٣).

(٢) مقاييس اللغة (٣/٣٦) [دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٣/٢٣٨) [الدار المصرية].

(١) زيادة الإيمان ونقصانه للبدر (٣٥٠ - ٣٧٦).

وقال الآخرون: بل نسخ ذلك، واختلفوا: فقالت طائفة منهم: إنما نسخ إلى الإباحة، وهذا قول في مذهب مالك وأحمد.

وقال الأكثرون: زيارة قبور المؤمنين مستحبة للدعاء للموتى مع السلام عليهم، وحكى النووي الإجماع على ذلك^(٥).

والأقوال الثلاثة صحيحة باعتبار؛ فإن الزيارة إذا تضمنت أمراً محرماً من شرك أو كذب أو نذب أو نياحة فهي محرمة بالإجماع.

وأما زيارتها للدعاء للميت كالصلاة على الجنازة، وتذكر الآخرة، فهذا هو المستحب الذي دلت السنة على استحبابه؛ لأن النبي ﷺ فعله، وكان يعلم أصحابه ما يقولون إذا زاروا القبور^(٦).

الأدلة:

من أدلة استحباب زيارة القبور الشرعية للرجال:

حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها».

(٥) انظر: شرح النووي على مسلم (٤٦/٧ - ٤٧) [دار الفكر، ١٤٠١هـ]، مجموع الفتاوى (٣٧٦/٢٧ - ٣٧٩).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٣٧٦/٢٧ - ٣٧٩) بتصرف، والجواب الباهر في زوار المقابر (٦٢ - ٦٣) [دار القلم، ١٤٠٦هـ].

وأما القبور فهي جمع قبر، قال ابن فارس: «القاف والباء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على غموض في شيء وتطامن. من ذلك: القبر؛ قبر الميت. يقال: قبرته أقبره، ومكان القبور مقبرة ومقبرة»^(١). والقبر مدفن الإنسان^(٢).

التعريف شرعاً:

زيارة القبور: هو الذهاب إلى القبور، وفعل ما يشرع عندها كالدعاء للميت والاستغفار له، أو ما ينهى عنه كدعاء الميت والشرك به والنياحة عند قبره والنذب^(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

متفقان من حيث المعنى العام، وفي الشرع زيادة تفصيل.

الحكم:

اتفق العلماء على أنه ﷺ كان نهى عن زيارة القبور؛ لقوله ﷺ: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»^(٤)، واختلفوا هل نسخ ذلك، على أقوال:

فقال طائفة: لم ينسخ ذلك؛ لأن أحاديث النسخ ليست مشهورة.

(١) مقاييس اللغة (٤٧/٥ - ٤٨).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٣٨/٩).

(٣) انظر نحو هذا المعنى: مجموع الفتاوى (٢٤٦/٢٧) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٧).

❁ الأقسام:

زيارة القبور على وجهين:

١ - زيارة شرعية: تتضمن السلام على الموتى والدعاء لهم، وهو مثل الصلاة على جنائزهم.

٢ - زيارة بدعية: وهي زيارة أهل الشرك الذين يقصدون دعاء الميت والاستعانة به، وطلب الحوائج عنده، فيصلون عند قبره، ويدعون به^(٥).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: زيارة النساء للقبور:

اختلف العلماء في زيارة النساء للقبور على ثلاثة أقوال معروفة في مذهب الشافعي وأحمد وغيرهما:

الأول: مذهب الجمهور من أهل العلم: أنه لا يجوز للنساء أن تزور القبور؛ لأن المرأة ضعيفة، فإذا رأت قبر قريبها من ابنها، أو أبيها، أو أخيها، أو زوجها، فإنها لا تملك نفسها من النياحة ومن الجزع.

القول الثاني: جواز زيارة النساء

للقبور.

القول الثالث: كراهة زيارة النساء

للقبور كراهة لا تصل إلى التحريم، وهذا هو المشهور من مذهب أحمد^(٦).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣٢٦/٢٤)، والجواب الباهر

(٣٢).

(٦) انظر: شرح النووي على مسلم (٤٥/٧)، ومجموع =

وحديث بريدة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «السلام على أهل الديار - وفي رواية - السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية»^(١).

وفي النهي عن الزيارة البدعية أحاديث كثيرة، منها:

ما روته عائشة؛ أن رسول الله ﷺ قال في مرض موته: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا»^(٢).

وقال ﷺ قبل أن يموت بخمس: «.. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»^(٣).

وفي النهي عن زيارة النساء: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ «لعن زوارات القبور»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣١).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣٢).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٥٦) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٥٧٦)، وأحمد (١٦٤/١٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٥٤٥) [مكتبة المعارف، ط٥].

الوجه الرابع: ما يقارن زيارة النساء للقبور من المفاصد التي يعلمها الخاص والعام؛ من فتنة الأحياء، وإيذاء الأموات، والفساد الذي لا سبيل إلى دفعه إلا بمنعهن منها^(٣).

- المسألة الثانية: بدع القبور:

بدع القبور كثيرة، منها^(٤):

١ - دعاء المقبورين، وسؤالهم من دون الله، والاستغاثة بهم، وكل ذلك من الشرك البواح.

٢ - الذبح والنحر عند القبور، لقوله ﷺ: «لا عقر في الإسلام»^(٥)، قال عبد الرزاق: كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة.

٣ - رفع القبور زيادة على التراب الخارج منها.

٤ - تجصيص القبور.

٥ - الكتابة على القبور.

٦ - البناء على القبور.

٧ - القعود على القبور.

فكل ذلك من البدع التي ضلت بها

(٣) انظر: تهذيب السنن (٤٤/٩).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٣٣٥/٢٤)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (٤٢ - ٤٣).

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٢٢)، وأحمد (٣٣٣/٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١٤٦)، وصححه النووي في الخلاصة (١٠٣١/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٤٣٦).

والصحيح أن النساء لم يدخلن في الإذن في زيارة القبور لعدة أوجه:

أحدها: أن قوله ﷺ: «فزوروها» صيغة تذكير، وصيغة التذكير إنما تتناول الرجال بالوضع، وقد تتناول النساء أيضًا على سبيل التغليب، لكن هذا فيه قولان؛ قيل: إنه يحتاج إلى دليل منفصل، وقيل: إنه يحمل على ذلك عند الإطلاق، وعلى هذا فيكون دخول النساء بطريق العموم الضعيف، والعام لا يعارض الأدلة الخاصة المستفيضة في نهى النساء؛ بل ولا ينسخها عند جمهور العلماء وإن علم تقدم الخاص على العام.

الوجه الثاني: أن يقال: لو كانت النساء داخلات في الخطاب لاستحب لهن زيارة القبور كما استحب للرجال عند الجمهور^(١).

الوجه الثالث: أن أحاديث التحريم صريحة في معناها فإن رسول الله ﷺ لعن النساء على الزيارة، واللعن على الفعل من أدل الدلائل على تحريمه، ولا سيما وقد قرنه في اللعن بالمتخذين عليها المساجد والسرج، وهذا غير منسوخ؛ بل لعن في مرض موته من فعله^(٢).

= الفتاوى (٣٤٣/٢٤)، وإعانة المستفيد (٤٢١/١) [مؤسسة الرسالة ناشرون].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٤٤/٢٤)، شرح النووي على مسلم (٤٥/٧).

(٢) انظر: تهذيب السنن (٤٣/٩) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ].

منهي عنه لأنه من وسائل الشرك؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى»^(٦).

ومن البدع: إسراجها، والتمسح بها، والطواف حولها، وتبخيرها، ووقوف السدنة عندها، وكسوة الضريح^(٧).

الحكمة:

مشروعية زيارة القبور بعد منعها كان لحكمة عظيمة، من ذلك:

١ - التزهيد في الدنيا بتذكر الآخرة والموت والبلى، مما يزيد في إيمان الشخص، ويعظم صلته بالله، ويذهب عنه الإعراض والغفلة.

٢ - الإحسان إلى الموتى بالدعاء لهم، والترحم عليهم^(٨).

مذهب المخالفين:

المخالفون هم القبوريون من الصوفية

وأحمد في المسند (٤٠٣/١٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه النووي في رياض الصالحين (٢٥٥) [دار الفكر، ط ٣، ١٤٢١هـ]، وابن حجر في الفتح (٤٨٨/٦) [دار الفكر]، والألباني في تعليقه على سنن أبي داود (٣٥٣) [مكتبة المعارف، ط ٢].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب العمل في الصلاة، رقم ١١٨٩)، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٩٧).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (١٣٧/٢٧ - ١٥٥).

(٨) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٣٢٨/١)، وإغاثة اللهفان (١/١٩٨)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (٤٢).

اليهود والنصارى وكانت من أعظم ذرائع الشرك، فعن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يُبنى عليه»^(١)، وفي رواية أبي داود وغيره: «أو أن يكتب عليه»^(٢).

٨ - الصلاة إلى القبور وعندها.

فعن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تصلُّوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها»^(٣).

٩ - بناء المساجد عليها، وهو بدعة من ضلالات اليهود والنصارى، وتقدم قوله ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا»^(٤).

١٠ - اتخاذها عيداً، وهو من البدع التي جاء النهي الصريح عنها لعظم ضررها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قברי عيداً، وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»^(٥).

١١ - شد الرحال إليها، وهو أمر

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٢٦)، والترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٥٢) وقال: حسن صحيح، والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٢٧)، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٩) وصححه، وصححه الألباني أيضاً في الإرواء (٢٠٨/٣) [المكتب الإسلامي، ط ٢].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٢).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب المناسك، رقم ٢٠٤٢)،

والشيعة، ومن وافقهم من المبتدعة، الذين يعظمون القبور، ويدعون الموتى عند قبورهم، ويطوفون حولها؛ بل ويحجون إليها، ويشابهون عبّاد الأصنام بما يفعلون عندها: من العكوف عليها، والمجاورة عندها، وتعليق الستور عليها، وسدانتها، ويرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام، ويرون سدانيتها أفضل من خدمة المساجد، حتى إن منهم من يعتقد أن زيارة المشاهد التي على القبور إما قبر نبي، أو شيخ، أو بعض أهل البيت، أفضل من حج البيت الحرام، ويسمي زيارتها الحج: الأكبر^(١).

قال ابن القيم: «فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى إلى القبليتين، فتراهم حول القبر ركعاً سجّداً يبتغون

فضلاً من الميت ورضواناً، وقد ملؤوا أكفهم خيبة وخسراً، فلغير الله بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهاً له بالبيت الحرام، الذي جعله الله مباركاً وهدى للعالمين، ثم أخذوا في التقبيل والاستلام، أرايت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام، ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود، التي يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود، ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق، وقربوا لذلك الوثن القرابين، وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إغاثة اللهفان» (ج ١)، لابن القيم.
- ٢ - «بدع القبور وحكمها»، لمحمد ناوي [رسالة ماجستير].
- ٣ - «بدع القبور أنواعها وأحكامها»، لصالح العصيمي.
- ٤ - «بدع وأخطاء ومخالفات شائعة تتعلق بالجناز والقبور»، لأحمد السليم.

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٤٧، ٨٥٠ -

٨٥٣)، وإغاثة اللهفان (١/١٩٦ - ١٩٧) بتصرف.

(٢) إغاثة اللهفان (١/١٩٤).

- ٥ - «التذكرة في أحكام المقبرة»،
لعبد الرحمن الشري.
- ٦ - «جزء في زيارة النساء للقبور»،
لبكر أبي زيد.
- ٧ - «جهود شيخ الإسلام ابن تيمية
في الرد على القبوريين»، لمحمد
المدخلي [رسالة ماجستير].
- ٨ - «جهود علماء الحنفية في إبطال
عقائد القبورية»، لشمس الدين الأفغاني.
- ٩ - «الجواب الباهر في زوار
المقابر»، لابن تيمية.
- ١٠ - «زيارة القبور والاستنجاد
بالمقبور»، لابن تيمية.
- ١١ - «زيارة القبور الشرعية
والشركية»، لمحبي الدين البركوي
الحنفي.
- ١٢ - «شفاء الصدور في زيارة
المشاهد والقبور»، لمرعي بن يوسف
الكرمي.
- ١٣ - «القبورية وموقف الإسلام
منها»، لخالدة العنزي [رسالة ماجستير].
- ١٤ - «مجموع الفتاوى» (ج ٢٤)،
(٢٧)، لابن تيمية.



حرف السين

الأحوال، وتجري عليه جميع الأحكام التكليفية، فقد يكون محرماً أو مباحاً أو مكروهاً أو واجباً أو مندوباً^(٤).

سؤال الخلق

التعريف لغة:

١ - فيكون السؤال محرماً إذا كان لغير حاجة؛ كمن سأل وهو غني، أو أظهر من الفقر والفاقة فوق ما به، ومن هو قادر على الكسب^(٥). قال شيخ الإسلام: «وسؤال الخلق في الأصل محرّم، لكنه أبيع للضرورة، وتركه توكلاً على الله أفضل»^(٦).

قال ابن فارس: «السين والهمزة واللام كلمة واحدة. يقال: سأل يسأل سؤالاً ومسألةً. ورجل سؤلة: كثير السؤال»^(١). والسؤال ما يسأله الإنسان، وأسألته سؤلته ومسألته؛ أي: قضيت حاجته^(٢). وسألته الشيء بمعنى استعطيته إياه^(٣).

التعريف اصطلاحاً:

٢ - ويكون مباحاً إذا كان لضرورة أو حاجة؛ كمن تحمل حمالة، أو من به فاقة، أو أصابته جائحة ونحو ذلك^(٧).

سؤال الخلق: هو توجه المخلوق للمخلوق حياً كان أم ميتاً، بطلب قضاء حوائجه لضرورة، أو من غير ضرورة.

العلاقة بين المعنى اللغوي

والاصطلاحي:

المعنيان متفقان.

الحكم:

يختلف حكم السؤال باختلاف

(٤) انظر تفصيل ذلك في: كتاب أحكام المسألة والاستجداء لمحمد بلو.

(٥) انظر: الاستذكار (٦٠٩/٨ - ٦١١)، وشرح النووي على مسلم (١٢٧/٧) [دار الفكر]، والفروع لابن مفلح (٣١٠/٤ - ٣١١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وفتح الباري لابن حجر (٣٣٦/٣) [دار الفكر]، والإقناع للشرييني (٢٥٢/١) [دار الفكر]، والمبسوط (٢٧٢/٣٠ - ٢٧٣) [دار المعرفة].

(٦) مجموع الفتاوى (١٨١/١)، وانظر: مراتب الإجماع لابن حزم (٢٥٠).

(٧) انظر: مراتب الإجماع (٢٥٠)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨١/١)، والرد على البكري (١/٤٠١)، ومدارج السالكين (١٣١/٢) [دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ]، وشرح النووي على مسلم (٧/١٢٧)، وفتح الباري لابن حجر (٣٣٦/٣).

(١) مقاييس اللغة (١٢٤/٣).

(٢) انظر: الصحاح (١٧٢٣/٥) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ].

(٣) انظر: لسان العرب (٣١٨/١١) [دار صادر].

اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، أو قال: سداداً من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقة، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، أو قال: سداداً من عيش، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتاً يأكلها صاحبها سحتاً»^(٧).

وقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه»^(٨). قال ابن حجر: «قوله: «والذي نفسي بيده» ففيه القسم على الشيء المقطوع بصدقه لتأكيد في نفس السامع، وفيه الحض على التعفف عن المسألة والتزهد عنها، ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشقة في ذلك، ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها»^(٩).

وقوله ﷺ: «إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»^(١٠).

وقوله ﷺ: «ما يزال الرجل يسأل

قال النووي: «وأما السؤال للمحتاج العاجز عن الكسب فليس بحرام، ولا مكروه، صرح به الماوردي وهو ظاهر»^(١).

٣ - ويكون مكروهاً إذا كان عند المرء ما يكفيه، ولم يظهر من الفقر والفاقة فوق ما به^(٢). وكره الإمام أحمد المسألة كلها^(٣).

٤ - ويكون واجباً إن كان في تركه هلاكاً لنفسه^(٤).

٥ - ويكون مندوباً لمن يسأل لغيره إعانة له، وبياناً لحاجته^(٥)، وفي مذهب أحمد روايتين: الإباحة والكرهية^(٦).

الأدلة:

استدلوا بعموم الأدلة المصرحة بالنهي عن المسألة، وذم السؤال، ومنها:

قول النبي ﷺ لقبيصة بن مخارق: «يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسه، ورجل أصابته جائحة

(١) المجموع شرح المذهب (٢٣٦/٦) [مكتبة الإرشاد].

(٢) انظر: الفروع (٣١١/٤)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٢٧/٧).

(٣) انظر: الفروع لابن مفلح (٣١١/٤)، ومدارج السالكين (١١٦/١).

(٤) انظر: الرد على البكري (٤٠٢/١)، ومختصر منهاج القاصدين (٣٢٣ - ٣٢٤) [مكتبة دار البيان، ١٣٩٨هـ].

(٥) انظر: طرح الثريب للعراقي (١٠٤٣/٣) [مكتبة نزار الباز، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٦) انظر: الفروع (٣١٨/٤ - ٣١٩).

(٧) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٤٤).

(٨) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٧٠)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٤٢).

(٩) فتح الباري (٣/٣٣٦).

(١٠) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٧٧)، ومسلم (كتاب الأضحية، رقم ١٧١٥).

يشهد له عموم النهي كقوله ﷺ: «ملعون من سأل بوجه الله، وملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله، ما لم يسأل هُجْرًا»^(٥). وهنا أمران:

الأول: سؤال المخلوق بوجه الله، وقد كره العلماء ذلك^(٦)، وقال البعض بعدم الجواز^(٧)؛ لأنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة، والخلق لا يقدر على إعطاء الجنة.

الثاني: سؤال الله بوجهه الكريم الجنة وما يستلزم دخولها وهذا جائز؛ أما أمور الدنيا؛ فلا تُسأل بوجه الله؛ لأن وجه الله أعظم من أن يسأل به شيء من أمور الدنيا^(٨).

واختلفوا في حكم رد من سأل بالله، أو بوجه الله على قولين:

الأول: يكره رد من سأل بالله أو بوجه الله، ويستحب إعطاؤه، قال به بعض الشافعية والحنابلة^(٩).

التجارية الكبرى، ط١، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (رقم ٥٠٦) [مكتبة المعارف].
(٥) أخرجه الطبراني في الدعاء (٥٨١) [دار الكتب العلمية، ط١، وحسنه العراقي، كما في فيض القدير (٤/٦) [المكتبة التجارية الكبرى، ط١، وحسنه الألباني أيضًا في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٢٩٠).
(٦) انظر: المجموع (٢٤٤/٦)، ومغني المحتاج (٣/١٦٣)، ومواهب الجليل (٤/٤٠٣).
(٧) انظر: معجم المناهي اللفظية (١٨٣) [دار العاصمة، ط٣، ١٤١٧هـ]، وأحكام المسألة والاستجداء (١٢٦).
(٨) انظر: القول المفيد (٣٥٦/٢ - ٣٥٧).
(٩) انظر: المغني (٥٠٤/١٣) [عالم الكتب، ط٣]، =

الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم»^(١).

وقوله ﷺ: «من سأل الناس أموالهم تكثرًا فإنما يسأل جمرةً، فليستقل أو ليستكثر»^(٢).

❁ الأقسام:

سؤال الخلق قسمان^(٣):

١ - سؤال الخلق في حياتهم، وهو نوعان؛ **الأول:** سؤالهم ما يقدر على، وهو سبق تفصيل حكمه. **الثاني:** سؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله؛ مثل أن يطلب شفاء مريضه، أو عافية أهله، أو غفران ذنبه، وهذا نوع من الشرك.

٢ - سؤال الخلق بعد مماتهم، وكذا الغائبون، نوع من الشرك أيضًا.

❁ المسائل المتعلقة:

- **المسألة الأولى:** السؤال بوجه الله: وهو قول: أسألك بوجه الله، ورد عنه ﷺ أنه قال: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة»^(٤)، وهو حديث ضعيف، لكن

(١) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٧٤)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٤٠).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٤١).
(٣) انظر: دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٣٩ - ٤٤١) بتصرف [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٤هـ].
(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الزكاة، رقم ١٦٧١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٣/٢) [مكتبة السوادي، ط١]، وضعفه عبد الحق الإشبيلي وابن القطان، كما في فيض القدير (٤٥١/٦) [المكتبة

الحاضر فيما يقدر عليه، كما قال: «فإن الله في الأرض حاضراً سيحبسه عليكم»^(٤).

- المسألة الثالثة: طلب الدعاء من الغير:

عن عمر رضي الله عنه قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذن لي وقال: «لا تنسنا يا أخي من دعائك»^(٥). وثبت في «الصحيح» أنه ﷺ ذكر أويساً القرني وقال لعمر: «فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل»^(٦).

دلّت هذه الأحاديث على أنه يشرع للمسلم أن يطلب الدعاء ممن فوقه وممن هو دونه، وطلب النبي ﷺ من عمر أن يدعو له؛ كطلبه أن يصلي عليه ويسلم عليه، وأن يسأل الله له الوسيلة والدرجة الرفيعة، وهو كطلبه أن يعمل سائر الصالحات، فمقصوده نفع المطلوب منه والإحسان إليه. ومن قال لغيره من الناس: ادع لي أو لنا، وقصد أن ينتفع بذلك المأمور بالدعاء، وينتفع هو أيضاً بأمره، ويفعل ذلك المأمور به، كما يأمره بسائر فعل الخير، فهو مقتدٍ

الثاني: يحرم رده، ويجب إعطاؤه، وهو قول الحنفية، وبعض الشافعية والحنابلة^(١).

- المسألة الثانية: الاستدلال على الاستغاثة بالغائبين بحديث: «إن الله في الأرض حاضراً»:

عن عبد الله بن مسعود، قال رسول الله ﷺ: «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا علي، يا عباد الله احبسوا علي، فإن الله في الأرض حاضراً سيحبسه عليكم»^(٢). ومعنى احبسوا: أي: امنعوها من الهرب، وأوقفوها^(٣)، وهو حديث ضعيف، وقد استدل به بعض القبوريين في الاستغاثة بالأحياء الغائبين، والأموات، ولا دليل فيه على ما ذهبوا إليه؛ بل غاية ما فيه - على تقدير ثبوته - أنه يدل على جواز الطلب من الحي

= وإعانة الطالبين (٤/٣١٤)، ومواهب الجليل (٤/٤٠٣)، وتيسير العزيز الحميد (٦٦٨) [مكتبة العلوم والحكم، ط ٣، ١٤١٢هـ].

(١) انظر: الفروع (١٠/٤٤٠ - ٤٤٣)، والمبدع (٨/٦٧) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وتيسير العزيز الحميد (٦٦٨).

(٢) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٩/١٧٧) [دار المأمون، ط ١]، والطبراني في الكبير (١٠/٢٦٧) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٥٥) [دار القبلة]، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/١٣٢) [مكتبة القدسي]: «فيه معروف بن حسان، وهو ضعيف»، وفيه انقطاع أيضاً، وقد ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٦٥٥).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٢/١٢٨)، والصحاح (٣/٩١٥).

(٤) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبرية (٣/١٢٧٤)، وتيسير العزيز الحميد (٢٤٧).

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٨)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٦٢)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب المناسك، رقم ٢٨٩٤)، وأحمد (١/٣٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، (٦) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٤٢).

حول قبر من يعظمون؛ بل ويحجون إليها، ويشابهون عباد الأصنام بما يفعلون عندها: من العكوف عليها، والمجاورة عندها، وتعليق الستور عليها، وسداتها^(٣). قال ابن القيم عنهم: «فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر، ولا أجر من صلى إلى القبلتين، فتراهم حول القبر رُكعاً سجداً يبتغون فضلاً من الميت ورضواناً، وقد ملؤوا أكفهم خيبة وخسراناً، فلغير الله بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات»^(٤).

المصادر والمراجع:

١ - «أحكام المسألة والاستجداء في الفقه الإسلامي»، لمحمد بلو الخياط.

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٤٧، ٨٥٠ - ٨٥٣)، إغاثة اللهفان (١/١٩٦ - ١٩٧) بتصرف.

(٤) إغاثة اللهفان (١/١٩٤)، وانظر: تيسير العزيز الحميد (٢٢٢ - ٢٤٢).

بالنبي ﷺ مؤتم به، وليس هذا من السؤال المرجوح. وأما إن لم يكن مقصوده إلا طلب حاجته، ولم يقصد نفع ذلك والإحسان إليه فهذا ليس من المقتدين بالرسول المؤمنين به في ذلك؛ بل هذا هو من السؤال المرجوح، الذي تركه إلى الرغبة إلى الله وسؤاله أفضل من الرغبة إلى المخلوق وسؤاله. وهذا كله من سؤال الأحياء السؤال الجائز المشروع^(١).

الحكمة:

النهي عن سؤال الخلق لما فيه من مفساد، ومنها:

- ١ - مفسدة الافتقار إلى غير الله، وهي من نوع الشرك.
- ٢ - ومفسدة إيذاء المسؤول، وهي من نوع ظلم الخلق.
- ٣ - وفيه ذل لغير الله وهو ظلم النفس، فهو مشتمل على أنواع الظلم الثلاثة^(٢).

مذهب المخالفين:

المخالفون: هم القبورية من الصوفية والشيعة، ومن وافقهم من المبتدعة، الذين يدعون الموتى، ويستغيثون بهم، ويسألونهم قضاء حاجاتهم، ويطوفون

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/١٩٢ - ١٩٣)، زيارة القبور (١٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/١٩٠)، ومدارج السالكين لابن القيم (٢/١٣١).

٢ - «تيسير العزيز الحميد»، استعطيته إياه^(٣).

لسليمان بن عبد الله.

التعريف شرعاً:

هو سؤال الله بذات فلان، أو بجاه فلان، أو بأعماله الصالحة التي عملها^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاح:

المعنيان متفقان في الأصل، وفي التعريف الاصطلاحى مزيد توضيح لحالات السؤال.

الأسماء الأخرى:

التوسل بالخلق، التوسل بالذات، الإقسام على الله بال مخلوق.

الحكم:

لفظ السؤال بالشخص والتوجه به، والتوسل به، فيه إجمال واشتراك، غلط بسببه من لم يفهم معناه: فإن أريد به التسبب به لكونه داعياً وشافعاً، وهذا يكون في حياته، أو لكون الداعي محباً له، مطيعاً لأمره، مقتدياً به، وذلك أهل للمحبة والطاعة والافتداء، فيكون التسبب إما بمحبة السائل له واتباعه له، وإما بدعاء الوسيلة وشفاعته، فهذا النوع جائز. أو يراد به الإقسام به والتوسل

٣ - «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبرورية»، لشمس الدين الأفغانى.

٤ - «الضوابط الشرعية لسؤال المخلوق»، لعبد الله الغطيميل [بحث منشور].

٥ - «قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.

٦ - «الرد على البكري»، لابن تيمية.

٧ - «شرح صحيح مسلم» (ج ٧)، للنووي.

٨ - «فتح الباري» (ج ١٠)، لابن حجر.

٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ١)، لابن تيمية.

سؤال الله بال مخلوق

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «السين والهمزة واللام كلمة واحدة. يقال: سأل يسأل سؤالاً ومسألةً. ورجل سؤلة: كثير السؤال»^(١). والسؤال ما يسأله الإنسان، وأسأله سؤلة ومسأله؛ أي: قضيت حاجته^(٢). وسأله الشيء بمعنى

(٣) انظر: لسان العرب (٣١٩/١١) [دار صادر].

(٤) انظر نحو هذا في: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبرورية للأفغانى (٣/١٤٨٤ - ١٤٨٥) [دار الصميعة، ط ١، ١٤١٦هـ].

(١) مقاييس اللغة (٣/١٢٤).

(٢) انظر: الصحاح (٥/١٧٢٣) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ].

حق للمخلوق على الخالق، فلا يجوز أن يسأل بما ليس مستحقاً^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: السؤال بمعقد العز من عرش الرحمن أهو سؤال بمخلوق أم بالخالق؟

فيه نزاع بينهم، وقد كرهه أبو حنيفة، وأجازه أبو يوسف للأثر فيه: «أسألك بمعقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم وجدك الأعلى، وكلماتك التامة»^(٥) فجوزته لذلك، وقال: بمعقد العز من عرشه، هو الله، فلا أكره هذا^(٦)، وهذا الأثر باطل لا يصح^(٧)، كما أن لفظه موهم، وعليه فيكره هذا اللفظ.

- المسألة الثانية: تعليل النهي عن السؤال بالحق والجاه هو لعدة أمور:

الأول: أنه بدعة ضلالة في عبادة هي

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (٧٨٢/٢)، وانظر: إغاثة اللهفان (٢١٦/١ - ٢١٧) [مكتبة الرياض الحديثة]، وبدائع الصنائع للكاساني (١٢٦/٥) [دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م]، والبحر الرائق لابن نجيم (٨/٢٣٥) [دار المعرفة].

(٥) أخرجه البيهقي في الدعوات الكبير (١٨/٢) [مؤسسة غراس، ط١]، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وحكم ابن الجوزي بوضعه. انظر: الموضوعات (١٤٢/٢) [المكتبة السلفية، ط١].

(٦) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٧٨٢/٢ - ٧٨٣)، وحاشية ابن عابدين (٣٩٦/٦) [دار الفكر، ١٤٢١هـ].

(٧) انظر: حاشية ابن عابدين (٣٩٦/٦)، ونصب الراية للزيلعي (٢٧٢/٤ - ٢٧٣) [مؤسسة الريان، ط١].

بذاته، وهذا محرم وغير جائز. وكذلك السؤال بالشيء، قد يراد به المعنى الأول وهو التسبب به، لكونه سبباً في حصول المطلوب، وقد يراد به الإقسام^(١).

وقد نصّ غير واحد من أهل العلم على أنه لا يجوز سؤال الله بالأنبياء والصالحين^(٢)، وأن سؤال الله بشيء من المخلوقات من أعظم البدع المنكرة في دين الإسلام، ومما يظهر قبحه للخاص والعام^(٣)، وهو الذي يقصد به السؤال بالذات، والحق والجاه.

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام: «قال أبو حنيفة رحمته الله: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: أسألك بمعقد العز من عرشك، أو بحق خلقك، قال أبو يوسف: بمعقد العز من عرشه، هو الله، فلا أكره هذا، وأكره بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت والمشعر الحرام، بهذا الحق يكره. قالوا جميعاً، فالمسألة بخلق لا تجوز؛ لأنه لا

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٧٩٣/٢ - ٧٩٤، ٧٨٢) [مكتبة الرشد، ط٣، ١٤١١هـ]، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٩٩/١) بتصرف [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٢) انظر: الرد على البكري (٢٦٠/١) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٧هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٩٠/١) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ].

من أعظم العبادات، ألا وهي الدعاء؛ لأن هذا النوع من التوسل لم يعهد في الكتاب والسنة، ولم يفعله أحد من الصحابة والتابعين ولا إمام من أئمة الأمة.

الثاني: أنه ذريعة كبيرة لفتح باب الشرك بمصراعيه، فيجب سدها حماية لحمل التوحيد^(١).

الثالث: أن الداعي إذا قال: أسألك بحق فلان، لم يسأل الله باتباعه لذلك الشخص، ومحبه وطاعته؛ بل بنفس ذاته، وما جعله له ربه من الكرامة، فهو لم يسأله بسبب يوجب المطلوب، بخلاف التوسل والتوجه إلى الله وسؤاله بالأعمال الصالحة التي أمر بها؛ كدعاء الثلاثة الذين آووا إلى الغار بأعمالهم الصالحة^(٢)، وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم، فهذا مما لا نزاع في جوازه^(٣).

الآثار:

آثار سؤال الله بذات المخلوق:

١ - ضعف الإيمان والتعلق بغير الله.

(١) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية للأفغاني (٣/ ١٤٨٤ - ١٤٨٥) بتصرف.

(٢) أخرجه بتمامه البخاري في عدة مواضع، منها: (كتاب الإجارة، رقم ٢٢٧٢)، ومسلم (كتاب الرقاق، رقم ٢٧٤٣).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٨٦)، ومجموع الفتاوى (١/ ٢٢٠، ٢٨٧ - ٢٨٨) بتصرف.

٢ - الوقوع في الشرك.

٣ - عدم تحقق المراد لعدم السبب الشرعي، وهو دعاء الله ﷻ.

٤ - مخالفة سنة الرسول ﷺ.

٥ - أنه ذريعة إلى تعظيم المخلوق وتقديسه.

مذهب المخالفين:

استدل القائلون بجواز السؤال بحق فلان وجاه فلان، بآثار وأقوال عن بعض أهل العلم؛ ولكن ليس في المنقول عن النبي ﷺ شيء صريح صحيح ثابت، وأما النقل عن من ليس قوله حجة فبعضه ثابت، وبعضه ليس بثابت. والحديث الذي استدلوا به عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يخرج إلى الصلاة اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وكَلَّ الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له، وأقبل الله عليه بوجهه حتى يفرغ من صلاته»^(٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه (كتاب المساجد والجماعات، رقم ٧٧٨)، وأحمد (١٧/ ٢٤٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وضعفه النووي في الأذكار (٣٠) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، وابن تيمية في قاعدة جلية في التوسل والوسيلة (٢٣٣) [مكتبة الفرقان، ط ١]، والبوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ٩٨) [دار العربية، ط ٢]، والألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٢٤).

السابق بالخيرات

يراجع مصطلح (مراتب المؤمنين).

السابقون الأولون

يراجع مصطلح (الصحابة).

السَّاعَة

التعريف لغة:

الساعة: جزء من أربع وعشرين جزءًا من الليل والنهار والجمع ساعات وساع، أو هي جزء قليل من النهار أو الليل، يقال: جلست عندك ساعة من النهار؛ أي: وقتًا قليلًا منه، ثم استعير لاسم يوم القيامة^(٢).

التعريف شرعًا:

الساعة: الوقت الذي يأذن الله فيه بنفختي الصور للإفناء والإنشاء.

قال الزجاج: «الساعة اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد، وللوقت الذي يبعثون فيه وتقوم فيه القيامة»^(٣).

والمراد بالساعة يوم القيامة، وسميت

(٢) انظر: الصحاح (٣٦٨/٤) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، والقاموس المحيط (٩٤٤) [دار الفكر، ط٣، ١٤١٤هـ]، ولسان العرب (١٦٩/٨) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (١٣٣/٢) [دار الفكر].

(٣) انظر: المحكم والمحيط (٣٠٥/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٧/٣)، ولسان العرب (١٦٩/٨).

وهذا الحديث هو من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد، وهو ضعيف بإجماع أهل العلم، وقد روي من طريق آخر وهو ضعيف أيضًا. ولفظه لا حجة فيه؛ فإن حق السائلين عليه أن يجيبهم، وحق العابدين أن يشيهم، وهو حق أحقه الله ﷻ على نفسه الكريمة، بوعده الصادق باتفاق أهل العلم، وبإيجابه على نفسه في أحد أقوالهم^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «أحكام المسألة والاستجداء في الفقه الإسلامي»، لمحمد بلو الخياط.

٢ - «اقتضاء الصراط المستقيم» (ج٢)، لابن تيمية.

٣ - «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبرورية»، لشمس الدين الأفغاني.

٤ - «حاشية ابن عابدين» (ج٦).

٥ - «الرد على البكري»، لابن تيمية.

٦ - «الضوابط الشرعية لسؤال المخلوق»، لعبد الله الغطيمل [بحث منشور].

٧ - «قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.

٨ - «مجموع الفتاوى» (ج١)، لابن تيمية.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨٨/١).

السَّاعَةُ لِقَرَبِهَا، أَوْ لِأَنَّهَا تَأْتِي بَغْتَةً^(١).

قال الزجاج: «معنى السَّاعَةُ في كل القرآن الوقت الذي تقوم فيه القيامة، يريد أنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم فلقلة الوقت التي تقوم فيه سماها ساعة»^(٢).

سبب التسمية:

سميت ساعة؛ لأنها تقع بغتة، «تَفْجَأُ» الناس في ساعة، فيموت الخلق كلهم عند الصيحة الأولى التي ذكرها الله ﷻ، فقال: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾^(٣) [يس] وقيل: سميت بذلك؛ لقلة الوقت الذي تقوم فيه^(٤)، أو لسرعة الحساب فيها؛ أو لأنها عند الله خفيفة مع طولها على الناس^(٥).

الحكم:

الإيمان بالسَّاعَةِ واجب، وقد ورد ذكرها في القرآن (٤٨) مرة.

الأدلة:

قال تعالى في السَّاعَةِ التي بها الإفناء: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٦) [الزخرف]، وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أن السَّاعَةَ تأتيهم بغتة، جاء موضحاً في مثل قوله تعالى: ﴿يَسْتُلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ نَقَلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقد جاءت السُّنَّةُ موضحة لذلك أيضاً في غير ما حديث؛ كقوله ﷺ: «ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته، فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه، فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه، فلا يطعمها»^(٧)، وقوله ﷺ: «من شرار الناس من تدرَكهم الساعة وهم أحياء»^(٨).

وقال تعالى في السَّاعَةِ التي بها الإنشاء: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثْبِتُ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْسِ الْأَجْرِمُونَ﴾^(٩) [الروم]؛ أي: «ويوم تجيء الساعة التي فيها يفصل الله بين خلقه، وينشر فيها الموتى من

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٧٠/٢).

(٢) انظر: لسان العرب (١٦٩/٨).

(٣) لسان العرب (١٦٩/٨)، وانظر: تاج العروس للزبيدي (٢٤٢/٢١) [دار الهداية].

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٣٣/٢).

(٥) انظر: عمدة القاري (٣٣٤/٣٣)، وفتح الباري لابن حجر (٣٧٤/١٨) [دار الفكر].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٦) واللفظ له، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٥٤).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧٠٦٧) واللفظ له، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٩).

الإنسان، فساعة كل إنسان موته، كذا قاله المغيرة بن شعبة وغيره^(٤).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: علم الساعة من

الغيب الذي استأثر الله تعالى به:

الساعة من المغيبات التي استأثر الله تعالى بعلمها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال سبحانه: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ١٣].

وفي حديث جبريل عليه السلام، لما سئل النبي ﷺ عن وقت قيام الساعة قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراتها»^(٥).

- المسألة الثانية: إبطال دعاوى معرفة وقت الساعة:

وبذا يُعلم بطلان جميع الدعاوى التي تحدد وقت الساعة، أو التي تزعم أن النبي ﷺ علم بوقتها، أو تلك التي تحدد عمر الدنيا نحو حديث: «الدنيا سبعة آلاف سنة، وأنا في آخرها ألفاً»^(٦)،

قيورهم، فيحشرهم إلى موقف الحساب، ﴿يُسْأَلُ الْمُجْرِمُونَ﴾، يقول: ييأس الذين أشركوا بالله، واكتسبوا في الدنيا مساوئ الأعمال من كل شر، ويكتئبون ويتندمون^(١).

✽ الأقسام:

يقسم العلماء الساعات التي هي القيامة إلى ثلاثة أقسام: كبرى، ووسطى، وصغرى.

أما الساعة الكبرى: فهي بعث الناس للمحاسبة، وهي التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يخون الأمين ويؤتمن الخائن، حتى يظهر الفحش والتفحش، وقطيعة الأرحام، وسوء الجوار»^(٢).

وأما الساعة الوسطى: فهي موت أهل القرن الواحد، وذلك نحو قوله ﷺ: «إن يعش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة»^(٣).

وأما الساعة الصغرى: فهي موت

(١) تفسير الطبري (٨٠/٢٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٢) أخرجه أحمد (٤٥٨/١١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٥٦٦) وصححه، وقال الهيثمي: «رواه أحمد في حديث طويل، وأبو سيرة [أحد رواة الحديث]... قال أبو حاتم: مجهول». مجمع الزوائد (٧/٢٨٤) [مكتبة القدسي]، لكن أورد له الألباني طرقاً أخرى، وقواه بها في السلسلة الصحيحة (٥/٣٦١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥١١)، ومسلم (كتاب الفتن وأشرط الساعة، رقم ٢٩٥٣).

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (١/٥١٢) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، وتاج العروس (٢١/٢٤٢)، وفتح الباري (١١/٣٦٤).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/٣٦١) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٢١٤) [إدارة العلوم الأثرية، ط ٢]: «لا يصح»، =

- وحديث: «الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة»^(١).
- ٢ - «رسائل الآخرة» (ج ٣)، للعبيدي.
- ٣ - «عمدة القاري» (ج ٣٣)، للعيني.
- ٤ - «فتح الباري» (ج ١١)، لابن حجر.
- ٥ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤)، لابن تيمية.

الآثار:

- ١ - من آثار العلم بقرب الساعة وثبوتها الاستعداد ليوم المعاد، والتزود من الطاعات، والبعد عن معاصي الله تعالى.
- ٢ - الصبر على ما يصيب المرء من شدة وبؤس في هذه الدنيا، والصبر على ما فاته منها، وليعلم يقيناً أنها فانية وزائلة، وسيأتي اليوم الذي يحاسب فيه العبد على كل صغيرة وكبيرة.

الساق

التعريف لغة:

السَّاق في اللغة: من السَّوق وهو اسم للعضو الموجود بين الكعب والركبة، ويجمع: سَوَق وسِيقان، وإنما سميت بذلك لأن الماشي يُسَاق عليها، يقال: امرأة سواقاء، ورجلٌ أسوقٌ إذا كان عظيم الساق، والساق يكون للإنسان وغيره^(٣).

التعريف شرعاً:

السَّاق: صفة ذاتية خبرية ثابتة لله تعالى، على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تمثيل لها بساق المخلوقات، ولا تكيف، ولا تأويل ينفي معناها.

(٣) انظر: مقاييس اللغة (١١٧/٣) [دار الجيل]، القاموس المحيط (١١٥٦) [دار إحياء التراث العربي، ط ١].

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.

= وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٤/٧) [مكتبة القدسي]: «فيه سليمان بن عطاء القرشي، وهو ضعيف»، وقال ابن حجر في الفتح (٣٥١/١١) [دار المعرفة]: «سنده ضعيف جداً...»، وقال ابن الأثير: ألفاظه مصنوعة»، وإلى ذلك أشار ابن القيم في المنار المنيف (٨٠) [مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط ٢، ١٤٠٣هـ]، وحكم بوضعه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٣٠١٣).

- (١) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢٤٣/٣) [المكتبة السلفية، ط ١]، وحكم عليه بالوضع.
- (٢) النهاية في الفتن والملاحم (١٢/١)، وانظر: فتح الباري (٣٥٨/١١).

الحكم:

إلى الله ﷻ، ووروده نكرة في سياق الإثبات، لكن من استدل بها على إثبات الساق علل بما يلي:

أ - أن الله تعالى أخبر بأنه يكشف عن ساق، ويدعون إلى السجود، والسجود لا يصلح إلا لله ﷻ، فعلم أنه هو الكاشف عن ساقه^(٣).

ب - أن تنكير الساق في الآية للتعظيم والتفخيم؛ كأنه قال: يكشف عن ساق عظيمة جلت عظمتها وتعالى شأنها أن يكون لها نظير أو مثل أو شبيه^(٤).

ج - أنه قد ورد إثبات صفة الساق صراحة في السنة، والسنة تفسر القرآن وتبينه، وهو حديث أبي سعيد الخدري السابق.

وعلى كل حال فقد اختلف الصحابة والتابعون في المقصود بالساق في الآية الكريمة.

ذهب ابن عباس وقتادة وعكرمة ومجاهد وغيرهم أن المقصود هو الكشف عن الشدة والكرب يوم القيامة، وذهب عبد الله بن مسعود وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وغيرهم أن المقصود هو الكشف عن ساق الله فجعلوا الآية من آيات الصفات^(٥).

(٣) انظر: شرح كتاب التوحيد للغنيمان (١٠٤/٢) [ط١، ١٤٠٢هـ].

(٤) الصواعق المرسلة (٢٥٣/١) [دار العاصمة، ط٣].

(٥) انظر أقوالهم في هذه المسألة في: تفسير الطبري =

يجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

الأدلة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً»^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فيقولون يكشف عن ساقه، قال: فعند ذلك يكشف عن ساقه، فيخر كل من كان بظهره طبق، ويبقى قوم ظهورهم كصيافي البقر، يريدون السجود فلا يستطيعون»^(٢).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم].

وجه الدلالة من الآية على صفة الساق غير ظاهر لعدم إضافة الساق

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩١٩).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/٥٢٠) [دار ابن القيم، ط١]، والطبراني في الكبير (٣٥٧/٩) [مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٤٠٤هـ]، وصححه المنذري في الترغيب والترهيب (٢١٣/٤) [دار الكتب العلمية، ط١]، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٥٩١) [مكتبة المعارف، ط٥].

القضاء بين عباده ومجازاتهم فكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء، ورأى الخلائق من جلال الله وعظمته ما لا يمكن التعبير عنه، فحينئذ يدعون إلى السجود لله^(٣).

وقال ابن عثيمين: «فإن سياق الحديث يجاري سياق الآية تمامًا، فتُحمل الآية على ما جاء في الحديث، وتكون إضافتنا الساق لله في الآية بناء على الحديث، ومن المعلوم أن الحديث يفسر القرآن، وبهذا تكون القاعدة مطردة ليس فيها نقص»^(٤).

✽ مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وأنكروا إثبات صفة الساق لله تعالى كما يليق بجلاله سبحانه، وأنكروا النصوص الواردة في إثباتها، وأولوا الساق بمعنى: نورٌ عظيم، أو ما يتجدد للمؤمنين عند رؤية الله تعالى من الفوائد والألطف؛ بل ذهب بعضهم إلى أن الساق مخلوق جعله الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة وغيرها من التأويلات الباطلة التي يجب أن ينزه عنها كلام العقلاء فضلاً عن كلام الله

ويجدر التنبيه إلى أن اختلاف الصحابة لم يكن في إثبات الصفة بل كان في بيان المقصود بالآية فقط، وقد رجح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عدم دلالة الآية على الصفة إلا بدليل آخر فقال: «ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات فإنه قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ نكرة في الإثبات لم يضيفها إلى الله ولم يقل عن ساقه فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر»^(١). وقد ورد هذا الدليل في السنة والله الحمد.

✽ أقوال أهل العلم:

قال أبو يعلى في قوله ساق: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم]: «وهذا أيضاً غير ممتنع إضافة الساق إليه، وإثبات ذلك صفة لذاته»^(٢).

وقال السعدي في تفسيره للآية السابقة: «أي: إذا كان يوم القيامة، وانكشف فيه من القلاقل والأهوال ما لا يدخل تحت الوهم، وأتى الباري لفصل

= (٥٥٩/٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والرد على الجهمية لابن منده (١٦ - ١٨) [المكتبة الأثرية]، الأسماء والصفات للبيهقي (١٨٣/٢) [مكتبة السوادى، ط ١].
وأسانيداً ثابتة.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٩٤/٦ - ٣٩٥)، ونحو هذا قال ابن القيم في الصواعق (١/ ٢٥٢).

(٢) إبطال التأويلات (١٥٩/١) [دار إيلاف، الكويت].

(٣) تفسير السعدي (٨٨١) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٤) شرح العقيدة السفارينية لابن العثيمين (٢٦٣) [مدار الوطن، ط ١، ١٤٢٦هـ].

وكلام رسوله ﷺ^(١).

السَّبَّ

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «السين والباء حذَّ بعض أهل اللغة - وأظنه ابن دريد - أن أصل هذا الباب: القطع، ثم اشتق الشتم، وهذا الذي قاله صحيح، وأكثر الباب موضوع عليه؛ من ذلك السَّبُّ: الخمار؛ لأنه مقطوع من منسجه»^(٢).

السب: مصدر: سبته سبًّا، وهو: الشتم، وقد سبه سبًّا بمعنى: قطعه، ولا قطيعة أقطع من الشتم، والتسابُّ: التشتام والتقاطع، ويقال: رجل سبَّية؛ إذا كان يسب الناس كثيرًا^(٣).

التعريف شرعًا:

هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يفهم منه السب في عقول الناس، على اختلاف اعتقاداتهم؛ كاللعن والتقبيح ونحوه. وهو الذي دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]^(٤).

(٢) مقاييس اللغة (٦٣/٣) [دار الجبل، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٣١٢/١٢) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، والصحاح للجوهري (١٤٤/١) [دار العلم للملايين، ط ٣]، ومقاييس اللغة (٣/٦٣)، ولسان العرب (١٣٧/٦) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣].

(٤) انظر: الصارم المسلول (٣/١٠٤١).

ولا يُخفى بطلان هذه الأقوال ومخالفتها للنص الصريح، وإن قيل بأن الآية ليست صريحة في إثبات الصفة، لكن السنة صرح بذلك في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «فيكشف عن ساقه» وهذا لا يحتمل إلا ثبوت صفة الساق حقيقة لله تعالى، فثبتها كما أثبتها رسول الله ﷺ من غير تكيف لها بساق المخلوق، ولا تأويل يخرجها عن دلالتها.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «الرد على الجهمية»، لابن منده.
- ٣ - «شرح العقيدة السفارينية»، لابن العثيمين.
- ٤ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.
- ٥ - «شرح كتاب التوحيد»، للغنيمان.
- ٦ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة»، لمحمد أمان الجامي.
- ٧ - «صفات الله الواردة في الكتاب والسنة»، للسقاف.
- ٨ - «الصواعق المرسلة»، لابن القيم.
- ٩ - «إبطال التأويلات»، لأبي يعلى القراء.

١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (٢٨/٣) [دار إحياء التراث، ط ٢]، وفتح الباري لابن حجر (٤٢٨/١٣) [دار المعرفة، ط ١٣٧٩هـ].

أعظم أنواع الكفر بإجماع أهل العلم^(٣).

٢ - وسب المسلم بغير حق محرم بإجماع أهل العلم، وفاعله فاسق.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «سب المسلم بغير حق حرام بإجماع الأمة، وفاعله فاسق كما أخبر به النبي ﷺ»^(٤).

الحقيقة:

حقيقة السب: هو الشتم، وهو كل كلام قبيح يوجب الإهانة والنقص والاستخفاف، وليس له ضابط، أو حد معين؛ بل المرجع فيه إلى العرف المعترف.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وإذا لم يكن للسب حد معروف في اللغة، ولا في الشرع، فالمرجع فيه إلى عرف الناس، فما كان في العرف سباً فهو الذي يجب أن ننزل عليه كلام الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ والعلماء وما لا فلا»^(٥).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ﴾^(٦) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

العلاقة بينهما ظاهرة جداً؛ إذ السب في اللغة هو الشتم، وهذا المعنى موجود في المعنى الاصطلاحي، ولم يخرج عن معناه في اللغة.

الأسماء الأخرى:

الشم.

الحكم:

حكم السب يختلف باختلاف مراتبه:

١ - فَسَبُّ اللَّهِ تَعَالَى، وسب رسوله ﷺ، وسب دينه: كفر أكبر ظاهراً وباطناً، سواء كان عن طريق الجد أو المزاح، وأعظمها كفراً سب الله تعالى. قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: «ومن سب الله تعالى كفر، سواء كان مازحاً أو جاداً»^(١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إن سبَّ الله أو سب رسوله كفر ظاهراً وباطناً، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلاً، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السُّنَّة القائلين بأن الإيمان قول وعمل»^(٢).

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «سب الدين، والرب جلَّ وعلا، كل ذلك من

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (١/٤٤٢) [مكتبة ابن تيمية، القاهرة].

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/٥٤) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٥) الصارم المسلول (٣/١٠٠٩).

(١) المغني (١٢/٢٩٨) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٢) الصارم المسلول (٣/٩٥٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «المستبان ما قالا فعلى البادئ، ما لم يعتد المظلوم» ^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال إسحاق بن راهوية رحمته الله: «قد أجمع العلماء على أن من سب الله ﷻ أو سب رسوله ﷺ، أو دفع شيئاً أنزله الله، أو قتل نبياً من أنبياء الله، وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر» ^(٥).

وقال ابن عبد البر رحمته الله: «ومن شتم الله تبارك وتعالى، أو شتم رسوله ﷺ، أو شتم نبياً من أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم قتل إذا كان مظهراً للإسلام بلا استتابة، ومنهم من يجعلها ردة يستتاب منها، فإن تاب وإلا قتل» ^(٦).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «فصل في من سب الله تعالى: فإن كان مسلماً وجب قتله بالإجماع؛ لأنه بذلك كافر مرتد وأسوأ من الكافر؛ فإن الكافر يعظم الرب، ويعتقد أن ما هو عليه من الدين الباطل ليس باستهزاء بالله ولا مسبة له» ^(٧).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٨٧).

(٥) التمهيد لابن عبد البر (٤/٢٢٦).

(٦) الكافي في فقه أهل المدينة المالكي (١٠٩١/٢) [مكتبة الرياض الحديثة، ط ٢، ١٤٠٠هـ].

(٧) الصارم المسلول (٣/١٠١٧).

وَلَعَبٌ قُلْ أَيْلَهُ وَعَائِلُهُ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٥﴾ لَا تَعْزِدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نَعَذَّبِ طَائِفَةً يَأْتِيهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٦﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ﴿٥٧﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» ^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لم يكن النبي ﷺ سبّاباً ولا فحاشاً ولا لعاناً، كان يقول لأحدنا عند المعتبة: ما له ترب جبينه» ^(٢).

وعن المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك؟ فقال: إني ساببت رجلاً فعيرته بأمه. فقال لي النبي ﷺ: «يا أبا ذر أعيرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية...» ^(٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠٣١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٣٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٦١).

❁ الأقسام:

السب نوعان:

الأول: دعاء؛ كأن يقول القائل لغيره: لعنه الله، أو: قبحه الله، أو: أخزاه الله، أو لا رضي الله عنه، أو لا رحمه الله، أو قطع الله دابره، فهذا وأمثاله يُعدُّ سبًّا، سواء كان للأنبياء أو لغيرهم.

الثاني: خبر؛ فهو كل ما عده الناس شتمًا أو سبًّا أو تنقصًا؛ كالسمية باسم الحمار أو الكلب أو وصفه بالمسكنة والخزي والمهانة، ونحو ذلك^(١).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم توبة من سب الله تعالى:

اختلف العلماء فيمن سب الله تعالى؛ أتقبل توبته أم لا؟ على قولين:

القول الأول: أنها لا تقبل، وهو المشهور عند الحنابلة، ومذهب أهل المدينة؛ بل يقتل كافرًا، ولا يصلى عليه، ولا يدعى له بالرحمة، ولا يدفن في مقابر المسلمين؛ لأن هذه الردة أمرها عظيم وكبير لا تنفع فيها التوبة.

القول الثاني: أنها تقبل إذا علمنا صدق توبته إلى الله، وأقر على نفسه بالخطأ، ووصف الله بما يستحق من صفات التعظيم، وهو قول القاضي أبي

يعلى وابن عقيل، وبعض المالكية، وأبي حنيفة، والشافعي، واستدلوا لذلك بعموم الأدلة الدالة على قبول التوبة؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، وقد كان من الكفار من يسب الله تعالى ومع ذلك تقبل توبتهم، وهذا القول هو الصحيح^(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والذنب وإن عظم، والكفر وإن غلظ وجسم فإن التوبة تمحو ذلك كله، والله ﷻ لا يتعاضمه ذنب أن يغفره لمن تاب بل يغفر الشرك وغيره للتائبين»^(٣).

وإذا قبلت توبته فلا بد أن يؤدَّب أدبًا يردعه عن العود إلى مثل هذا الجرم العظيم. قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وإذا قبلنا توبة من سب الله سبحانه، فإنه يؤدَّب أدبًا وجيعًا حتى يردعه عن العود إلى مثل ذلك، هكذا ذكره بعض أصحابنا»^(٤).

وهذا الخلاف بين العلماء إنما هو في قبول توبتهم في الظاهر من أحكام الدنيا، وثبتت أحكام الإسلام في حقهم، وأما قبول الله تعالى لتوبتهم في الباطن وغفرانه لمن تاب وأقلع باطنًا وظاهرًا فلا خلاف فيه؛ فإن الله تعالى

(٢) القول المفيد (٢/ ٢٦٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٥٨).

(٤) الصارم المسلول (٣/ ١٠٣٠).

(١) المصدر السابق (٣/ ١٠٠٥ - ١٠٠٩).

المسلمين، ومن هذا الوجه يجب قتله لحقه ﷺ، ويقتل بعد توبته على أنه مسلم، وذلك لاستهانته بحق رسول الله ﷺ ^(١).

قال في المنافقين: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء].

✽ مذهب المخالفين:

- المسألة الثانية: حكم قبول توبة من

سب النبي ﷺ:

المخالفون في هذه المسألة على

وجهين:

أحدهما: منهم من جعل مناط التكفير للسب هو استحلال السب، وليس مجرد السب، وهذا مخالف لما عليه أئمة الدين وإجماع سلف الأمة.

وقال القاضي أبو يعلى رحمته الله: «من سب الله ورسوله فإنه يكفر، سواء استحلَّ السب أو لم يستحلَّه» ^(٢).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «القول بأن كفر السَّاب في نفس الأمر إنما هو لاستحلاله السب زلة منكورة وهفوة عظيمة، ومذهب أهل السنة والجماعة أن السب للرسول ﷺ كفر، سواء استحلَّه أو لم يستحلَّه».

الثاني: وهو ما ذهب إليه الجهمية المرجئة، ومن وافقهم من الأشعرية، حيث جعلوا سب الله تعالى وسب رسوله ﷺ كفراً في الظاهر دون الباطن؛ أي: أن من وقع منه السب فهو دليل في الظاهر وأمانة على كفره، وقد يكون مع

من وقع منه سب للنبي ﷺ أتقبل توبته أم لا؟ اختلف أهل العلم في ذلك على قولين:

القول الأول: أنها لا تقبل، وهو المشهور عند الحنابلة والمالكية؛ بل يقتل كافراً مرتدّاً وتجري عليه أحكام المرتد، ولا تقبل توبته؛ لشناعة رده، فلا تنفع فيها التوبة.

القول الثاني: أن توبته مقبولة إذا علم صدق توبته إلى الله وإقراره بالخطأ؛ لعموم الأدلة الدالة على قبول التوبة؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

وهذا هو الصحيح، واختاره جمع من أهل العلم، منهم ابن تيمية رحمته الله، لكن لا بد من قتله؛ لأن سب الرسول ﷺ يتعلق به أمران:

الأول: أمر شرعي؛ لكونه رسول الله ﷺ، ومن هذا الوجه تقبل توبته إذا تاب.

الثاني: أمر شخصي؛ لكونه من

(١) القول المفيد (٥/٢٦٨).

(٢) الصارم المسلول (٢/٩٥٧ - ٩٦٠).

صادق لا يكون إيمانًا إلا مع محبته وتعظيمه بالقلب.

المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام أهل الذمة»، لابن القيم.
- ٢ - «الاستهزاء بالدين أحكامه وآثاره»، لأحمد القرشي.
- ٣ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٤ - «الشفاء»، للقاضي عياض.
- ٥ - «الصارم المسلول»، لابن تيمية.
- ٦ - «فتح الباري»، لابن حجر.
- ٧ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ٨ - «المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع»، لمجموعة من الباحثين.
- ٩ - «المغني»، لابن قدامة.
- ١٠ - «نواقض الإيمان القولية والاعتقادية»، لعبد العزيز آل عبد اللطيف.

سب الدهر

التعريف لغة:

السَّبُّ: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «السين والباء حَذَّ بعض أهل اللغة - وأظنه ابن دريد -: أن أصل هذا الباب القطع، ثم اشتق منه الشتم، وهذا الذي قاله صحيح، وأكثر الباب موضوع عليه، فأما الأصل: فالسَّبُّ: العقر، يقال: سببت

هذا مؤمنًا موحدًا في الباطن، وهذا مبني على أصل مذهبهم في الإيمان، وأنه مجرد التصديق، أو المعرفة القلبية^(١).

وهذا القول باطل من وجهين^(٢):

الأول: أن هذا القول هو معلوم الفساد بالضرورة من الدين؛ إذ إن من سب الله تعالى، وسب رسوله، وسب دينه، فهو كافر باطنًا وظاهرًا، وقد ذكر الله كلمات الكفار في القرآن، وحكم بكفرهم، واستحقاقهم الوعيد بها، ولو كانت أقوالهم الكفرية بمنزلة شهادة الشهود عليهم، أو بمنزلة الإقرار الذي يغلط فيه المقر لم يجعلهم الله من أهل الوعيد بالشهادة التي قد تكون صدقًا، وقد تكون كذبًا؛ بل كان ينبغي أن لا يعذبهم إلا بشرط صدق الشهادة، وهذا كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، وأمثالها كثير.

الثاني: معلوم بالاضطرار من أنفسنا عند التأمل، وهو أن القلب إذا كان معتقدًا صدق الرسول، وأنه رسول الله، وكان محبًا لرسول الله، ومعظمًا له، امتنع هذا أن يسبه، أو يلعنه، فلا يتصور ذلك منه، إلا مع نوع الاستخفاف به وبحرمته، فعلم بذلك أن مجرد اعتقاد أنه

(١) انظر: الصارم المسلول (٢/٥١٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٥٥٧ - ٥٦١).

الناقعة إذا عقرتها»^(١).

الحكم:

سب الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يقصد الخبر المحض دون اللوم؛ فهذا جائز، مثل أن يقول: تعبنا من شدة حر هذا اليوم أو برده، وما أشبه ذلك.

الثاني: أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل؛ كأن يعتقد بسببه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر، فهذا شرك أكبر.

الثالث: أن يسب الدهر لا لاعتقاده أنه هو الفاعل؛ بل يعتقد أن الله هو الفاعل، لكن يسبه لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده؛ فهذا محرم، ولا يصل إلى درجة الشرك، وهو من السفه في العقل والضلال في الدين^(٦).

الحقيقة:

لقد بين العلماء المراد بالنهي عن السب الوارد في الحديث، ووجه كونه تعالى يتأذى بسب الدهر، وذلك لأن السب يكون متوجهاً إليه؛ لأنه هو المتصرف الذي يجري في قدره وقضائه الخير والشر والمكروه والمحبوب، أما الدهر فإنما هو زمان ووقت للحوادث، لا أن الدهر نفسه هو الذي يتصرف

السب: مصدر سبته سباً، وهو: الشتم، وقد سبه يسبه بمعنى قطعه، ولا قطيعة أقطع من الشتم، والتسائب: التشتات، والتقاطع، ويقال: رجل سببة: إذا كان يسب الناس كثيراً^(٢).

والدهر: قال ابن فارس رحمته الله: «الدال والهاء والراء أصل واحد: وهو الغلبة والقهر، وسمي الدهر دهرًا؛ لأنه يأتي على كل شيء ويغلبه»^(٣).

والدهر: الزمان، وقد نص بعض أهل اللغة على أنهما بمعنى واحد - أي: الدهر والزمان -، والدهر عند العرب يقع على بعض الدهر الأطول، ويقع على مدة الدنيا كلها، وهو الأمد الممدود^(٤).

التعريف شرعاً:

سب الدهر: هو شتم الزمان، الذي هو محل الحوادث، أو ذمه، أو لعنه، أو تنقصه، أو نسبة الشر إليه^(٥).

(١) مقاييس اللغة (٦٣/٣) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣١٢/١٢) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، والصاح (١٤٤/١) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ]، ومقاييس اللغة (٣/٦٣)، ولسان العرب (١٣٧/٦) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣].

(٣) مقاييس اللغة (٣٠٥/٢ - ٣٠٦).

(٤) انظر: الصاح (٦٦١/٢)، ولسان العرب (٤/٢٩٣)، وترتيب القاموس المحيط (٢٢٢/٢) [دار عالم الكتب، ط ٤، ١٤١٧هـ].

(٥) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٦٨) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٦) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٢٤٠) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٣هـ]، وزاد المعاد في هدي خير العباد (٢/٣٥٤ - ٣٥٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٧، ١٤١٥هـ].

ويحدث هذه الحوادث التي تجري فيه، وإنما الدهر زمان ووقت للأعمال كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنَ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (١١) [الفرقان] (١).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٢٤) [الجاثية].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﻋَزَّ وَجَلَّ: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار» (٢).

وعنه رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر، فإن الله هو الدهر» (٣).

أقوال أهل العلم:

قال أبو عبيد رضي الله عنه: «تأويله عندي أن العرب كان شأنها أن تذم الدهر، وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم، من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك،

(١) انظر: معالم السنن للخطابي (٤/١٥٨)، وشرح الشُّعْبَةُ للبغوي (١٢/٣٥٧)، وإعانة المستفيد للفوزان (٢/٢٤١) [مؤسسة الرسالة].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٨٢٦)، ومسلم (كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، رقم ٢٢٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦١٨٢)، ومسلم (كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، رقم ٢٢٤٦)، واللفظ له.

فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، وأتى عليهم الدهر، فيجعلونه الذي يفعل ذلك فيدمونه، فقال النبي ﷺ: «لا تسبوا الدهر» على تأويل: لا تسبوا الذي يفعل لكم هذه الأشياء، ويصيبكم بهذه المصائب، فإنكم إذا سببتم فاعلها، فإنما يقع السب على الله تعالى؛ لأنه ﻋَزَّ وَجَلَّ هو الفاعل لها لا الدهر، فهذا وجه الحديث إن شاء الله لا أعرف له وجهًا غيره» (٤).

وقال الخطابي رضي الله عنه: «قوله: «أنا الدهر» معناه: أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التي تسبوننها إلى الدهر، فإذا سب ابن آدم الدهر من أجل فاعل هذه الأمور عاد سبه إلي لأنني فاعلها، وإنما الدهر الزمان ووقت جعلته ظرفًا لمواقع الأمور، وكان من عادة أهل الجاهلية إذا أصابتهم شدة من الزمان أو مكروه من الأمور أضافوه إلى الدهر وسبَّوه فقالوا: برؤسا للدهر، وتبًا للدهر، ونحو ذلك من القول... فأعلم الله تبارك وتعالى أن الدهر محدث يقلبه بين ليل ونهار لا فعل له من خير أو شر، لكنه ظهر للحوادث ومحل لوقوعها، وأن الأمور كلها بيد الله تعالى ومن قبله يكون حدوثها وهو محدثها ومنشئها سبحانه لا شريك له» (٥).

(٤) غريب الحديث (٢/١٤٦ - ١٤٧).

(٥) أعلام الحديث (٣/١٩٠٤) [جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٩هـ].

الدهر إنما يطلقونه على ما يخلقه الله ﷻ من العواصف والنوازل، ولا يقع في نفوسهم أنهم يسبون الله بل إنما يسبون الزمان أو المكان، والدليل على ذلك أن الله تعالى قال: «أقلب الليل والنهار»، فالليل والنهار يقلبهما الله، وهما الدهر، ومعلوم أن المقلب غير المقلب.

وأيضًا: فالدهر اسم جامد بمعنى الوقت والزمن، والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]. والاسم الجامد هو الذي لا يدل على وصف، ولذلك فليس الدهر من الأسماء الحسنى^(٢).

قال ابن تيمية: «أجمع المسلمون - وهو مما علم بالعقل الصريح - أن الله ﷻ ليس هو الدهر الذي هو الزمان، أو ما يجري مجرى الزمان»^(٣).

الآثار:

من المفاسد المترتبة على سب الدهر: **أولاً:** سب من ليس بأهل أن يسب؛ فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله متقاد لأمره مذل لتسخيره، فسابه أولى بالذم والسب منه.

(٢) انظر: شرح القواعد المثلى لابن عثيمين (٤٥ - ٤٦) [دار الآثار، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٩٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ٢، ١٤٢٥هـ].

وقال السعدي رحمه الله: «وهذا واقع كثيرًا في الجاهلية - يعني: سب الدهر -، وتبعهم على هذا كثير من الفساق، والمجان، والحمقى إذا جرت تصارييف الدهر على خلاف مرادهم جعلوا يسبون الدهر، والوقت، وربما لعنوه، وهذا ناشئ من ضعف الدين، ومن الحمق، والجهل العظيم؛ فإن الدهر ليس عنده من الأمر شيء؛ فإنه مدبر مصرف، والتصارييف الواقعة فيه تدبير العزيز الحكيم، ففي الحقيقة يقع العيب والسب على مدبره، وكما أنه نقص في الدين فهو نقص في العقل»^(١).

المسائل المتعلقة:

- الدهر ليس من أسماء الله:

ذهب بعض أهل العلم - كابن حزم وغيره - إلى عد (الدهر) من أسماء الله تعالى الحسنى، واستدلوا بالحديث المتقدم: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر». وهذا استدلال باطل لا حجة فيه؛ لأن من تأمل هذا الحديث علم أنه ليس مراد النبي ﷺ فيما يرويه عن الله ﷻ أن يبين أن الدهر من أسماء الله تعالى؛ لأن الله بيّن ذلك فقال: «أنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»، وهذا يعني أن الذين يسبون

(١) القول السديد ضمن المجموعة الكاملة للسعدي (٣/ ٤٣) [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط ٢].

سبُّ الريح

التعريف لغة:

السب في اللغة: مصدر سببته سبًّا، وهو الشتم والتقبيح والذم، ويدخل في ذلك اللعن والتنقص، وما أشبه ذلك^(٢).

والريح هي: الهواء الذي يصرفه الله ﷻ، وجمعه رياح وأرواح، قال الليث: «الرَّيح يَأُوهَا وَأَوْ صُيرَتْ يَاءٌ؛ لانكسار ما قبلها، قال: وتصغيرها رُويحةٌ، وجمعها رياح وأرواح»^(٣).

والرَّيح: مؤنثة على الأكثر، فيقال: هي (الرَّيحُ)، وقد تذكر على معنى الهواء، فيقال: هو (الرَّيحُ)، وهبَّ (الرَّيحُ)، قال ابن الأنباري: «الرَّيحُ مؤنثة لا علامة فيها، وكذلك سائر أسمائها، إلا الإعصار فإنه مذكر»^(٤).

التعريف شرعًا:

هو ذمها عند رؤية ما يُكره منها، ويرجع في الحقيقة إلى أذية الله ﷻ؛ لأن الله هو الذي يصرف الريح كيف يشاء^(٥).

قال الشافعي رحمه الله: «لا ينبغي شتم

ثانيًا: أن سبه متضمن للشرك؛ فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع وأنه ظالم.

ثالثًا: أن السب منهم إنما يقع على من هذه الأفعال التي لو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، وإذا وافقت أهواءهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أعلام الحديث»، للخطابي.
- ٢ - «التمهيد»، لابن عبد البر.
- ٣ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٤ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٥ - «غريب الحديث»، لأبي عبيد القاسم بن سلام.
- ٦ - «الصارم المسلول»، لابن تيمية.
- ٧ - «فتح الباري»، لابن حجر.
- ٨ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن.
- ٩ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ١٠ - «معجم المناهي اللفظية»، لبكر أبي زيد.

سبُّ الدين

يراجع مصطلح (السب).

(١) انظر: زاد المعاد (٢/ ٣٥٤ - ٣٥٥).

(٢) انظر: لسان العرب (١/ ٤٥٦) [دار صادر، ط٣].

(٣) تهذيب اللغة (٢/ ١٧٧)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (٢/ ٤٥٥) [دار الفكر، ط١، ١٤١٠هـ].

(٤) انظر: المصباح المنير (٢٤٤).

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد (٥٨١) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ].

شرها وشر ما فيها، فما استجلبت نعمه بمثل طاعته وشكره، ولا استدفعت نقمه بمثل الالتجاء إليه والتعوذ به والاضطرار إليه ودعائه.

الحكم:

الأدلة:

مما ورد في الرياح، قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (١) [الذاريات]، وقوله تعالى: ﴿الرِّيحَ لَوَّحٍ لَّوَّحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (٢) [الحجر].

ومن السُّنَّة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «الريح من روح الله تأتي بالرحمة وبالعذاب، فلا تسبوها ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا بالله من شرها» (٣).

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أَمَرْتَ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أَمَرْتَ بِهِ» (٤).

الريح؛ فإنها خلق مطيع لله وجند من جنوده يجعلها رحمة إذا شاء ونقمة إذا شاء» (١).

سَبُّ الرِّيحِ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ الرِّيحَ مَسْخُورَةٌ مَدْبُورَةٌ، وَحَقِيقَةُ الْمَسْبُوبَةِ عَائِدَةٌ عَلَى مَدْبُورِهَا وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

فمُسَبَّتُهَا مَسْبُوبَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَاعْتِرَاضٌ عَلَيْهِ، وَهُوَ قَدْ حُجِّجَ فِي التَّوْحِيدِ (٢).

الحقيقة:

النهي عن سب الريح إنما ورد لكونها تهب عند إيجاد الله لها وأمره إياها، فلا تأثير لها إلا بأمر الله.

لذا لا يجوز لنا أن نشتمها ولا نلعنها للحقوق ضرر بسببها، فإنها خلق من خلق الله مقهور مدبر، وإنما تهب بمشيئة الله وقدرته، فلا يجوز سبها؛ لأن ذلك السب راجع إلى من خلقها وسخرها.

ثم علّم النبي ﷺ أمته إذا رأوا المسلم ما يكره من الريح إما شدة حرّها أو بردها أو قوتها، أن يرجع على خالقها وأمرها الذي أزمّة الأمور كلها بيده، ومصدرها عن قضائه أن يسأله خيرها وخير ما فيها، والاستعاذة به من

(١) انظر: فيض القدير للمناوي (٦/٣٩٩) [المكتبة التجارية الكبرى، ١٤١٣هـ].

(٢) انظر: حاشية كتاب التوحيد (٣٥٦) [ط، ١٤٠٨هـ].

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٠٩٧)، وابن ماجه (كتاب الأدب، رقم ٣٧٢٧)، وأحمد (١٣/٦٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الرقاق، رقم ١٠٠٧)، والحاكم (كتاب الأدب، رقم ٧٧٦٩) وصحّحه، وحسنه النووي في الخلاصة (٢/٨٨٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/٣٠٥).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢٢٥٢) وقال: =

مصرفه مدبرة بتدبير الله وتسخيره فالسباب لها يقع سبه على من صرفها، ولولا أن المتكلم بسبب الريح لا يخطر هذا المعنى في قلبه غالبًا لكان الأمر أفظع من ذلك، ولكن لا يكاد يخطر بقلب مسلم^(٤).

✽ أقوال أهل العلم:

قال الشافعي: «لا ينبغي شتم الريح فإنها خلق مطيع لله وجند من جنوده يجعلها رحمة إذا شاء ونقمة إذا شاء»^(٢).

وقال سليمان بن عبد الله: «قوله: «لا تسبوا الريح»؛ أي: لا تشتموها ولا تلعنوها للحقوق ضرر فيها فإنها مأمورة مقهورة، فلا يجوز سبها»^(٣).

وقال السعدي - في معرض كلامه على سب الريح -: «هذا نظير ما سبق في سب الدهر، إلا أن ذلك الباب عام في سب جميع حوادث الدهر، وهذا خاص بالريح، ومع تحريمه فإنه حمق وضعف في العقل والرأي، فإن الريح

= حسن صحيح، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٧٥/٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٧٥٦).

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٩٠٨)، والترمذي (أبواب البر والصلة، رقم ١٩٧٨) وقال: «هذا حديث غريب»، وابن حبان (كتاب الحظر والإباحة، رقم ٥٧٤٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (رقم ٥٢٨).

(٢) انظر: فيض القدير للمناوي (٣٩٩/٦) [المكتبة التجارية الكبرى، ط ١، ١٣٥٦هـ].

(٣) تيسير العزيز الحميد (٥٨١) [المكتب الإسلامي، ط ٦، ١٤٠٥هـ].

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ما ينبغي عند هبوب الريح:

١ - الخوف أن يكون الله تعالى، بعث هذه الرياح عذابًا منه ﷻ، روت عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا كان يوم الريح والغيم عرف ذلك في وجهه، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سرَّ به وذهب عنه ذلك، قالت عائشة: فسألته، فقال: إني خشيت أن يكون عذابًا سلَّط على أمتي»^(٥).

قال النووي: «فيه الاستعداد بالمراقبة لله والالتجاء إليه عند اختلاف الأحوال، وحدث ما يخاف بسببه، وكان خوفه ﷺ أن يعاقبوا بعصيان العصاة، وسروره لزوال سبب الخوف»^(٦).

٢ - الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى، وسؤال الله خيرها، والتعوذ به من شرها، قالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ

(٤) القول السديد شرح كتاب التوحيد للسعدي (٢٣٣).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب صلاة الاستسقاء، رقم ٨٩٩).

(٦) شرح النووي (١٩٦/٦).

قال ابن عثيمين في بيان الحكمة: «لأن سب المخلوق سب لخالقه، فلو وجدت قصرًا مبنياً وفيه عيب فسيبته فهذا السب ينصب على من بناه، وكذلك سب الريح؛ لأنها مدبرة مسخرة على ما تقتضيه حكمة الله ﷻ» (٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٢ - «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي.
- ٣ - «شرح السنة»، للبغوي.
- ٤ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.
- ٥ - «فتح الباري»، لابن حجر.
- ٦ - «فتح القدير»، للشوكاني.
- ٧ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن.
- ٨ - «القول المفيد»، لابن عثيمين.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١٠ - «الوابل الصيب»، لابن القيم.

سب الصحابة

يراجع مصطلح (الصحابة).

سب الله تعالى

يراجع مصطلح (السب).

إذا عصفت الريح قال: «اللَّهُمَّ إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به» (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأخبر أنها تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب، وأمر أن نسأل الله من خيرها، ونعوذ بالله من شرها، فهذه السنة في أسباب الخير والشر: أن يفعل العبد عند أسباب الخير الظاهرة والأعمال الصالحة ما يجلب الله به الخير، وعند أسباب الشر الظاهرة من العبادات ما يدفع الله به عنه الشر» (٢).

- المسألة الثانية: ألفاظ ليست من سب الريح:

أن يقصد الخبر المحض دون اللوم، مثل أن يقول: اليوم أشد حرًا من الأمس، ومنه قول لوط عليه السلام: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود]، وما أشبه ذلك (٣).

الحكمة:

جاء النهي عن سب الريح؛ لأنها مخلوقة لله تعالى، وهو سبحانه هو المصّرّف لها دون سواه، وسب الريح سب لخالقها ومسخرها.

(١) أخرجه مسلم (كتاب الاستسقاء، رقم ٨٩٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٧٠/٣٥) [مجمع الملك فهد بن عبد العزيز].

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٢٤٠) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

(٤) القول المفيد لابن عثيمين (٣/١٤٠) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٥هـ].

تيمية: «إن التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم»^(٧).

الحكم:

وجوب إثبات اسم: السبوح لله تعالى؛ لدلالة النصوص عليه.

الحقيقة:

السبوح: هو المعظم والمبرأ من كل ما لا يليق بالإلهية، مع إثبات المحامد وصفات الكمال لله ﷻ على الوجه اللائق به^(٨)، قال ابن تيمية: «قوله: (سبحانك) يتضمن تعظيمه وتنزيهه عن الظلم وغيره من النقائص؛ فإن التسبيح وإن كان يقال: يتضمن نفي النقائص، فالنفي لا يكون مدحاً إلا إذا تضمن ثبوتاً وإلا فالنفي المحض لا مدح فيه، ونفي السوء والنقص عنه يستلزم إثبات محاسنه وكماله، والله الأسماء الحسنی فالتسبيح المتضمن تنزيهه عن السوء، ونفي النقص عنه يتضمن تعظيمه. ففي قوله: (سبحانك) تبرئته من الظلم، وإثبات العظمة الموجبة له براءته من الظلم، فإن الظالم إنما يظلم لحاجته إلى الظلم أو لجهله، والله غني عن كل شيء، عليم بكل شيء، وهو غني

سبّ النبي ﷺ

يراجع مصطلح (السب).

السُّبُوح

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «السين والباء والحاء أصلان: أحدهما جنس من العبادة، والثاني جنس من السعي، فالأول السبحة وهي الصلاة ومن الباب التسبيح وهو تنزيه الله جل ثناؤه من كل سوء»^(١)، والسبوح فعول من سبح قال ابن الأثير: من أبنية المبالغة والمراد به التنزيه^(٢)، وقال الراغب: «التسبيح تنزيه الله»^(٣)، «وسبحان الله معناه: التنزيه لله، نصب على المصدر؛ كأنه قال أبرئ الله من السوء براءة»^(٤).

التعريف شرعاً:

السُّبُوح: «اسم الله يعظم به، ويحاشى به من السوء»^(٥)؛ قال ابن جزي: «التسبيح: التنزيه والتعظيم»^(٦). وقال ابن

(١) مقاييس اللغة (٥٠٢) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٢) النهاية في غريب الحديث (٧٤٦/١) [دار المعرفة، ط ٢، ١٤٢٧هـ].

(٣) المفردات (٣٩٢) [دار القلم، ط ٣، ١٤٢٣هـ]، وانظر: تهذيب اللغة (٣٣٨/٤) [الدار المصرية].

(٤) الصحاح (٣٧٢/١) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٢٥/١٦) [مجمع الملك فهد، ١٤٢٥هـ].

(٦) التسهيل لابن جزي (٧٢/٢) [دار الأرقم بن أبي

الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٧) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٢٥/١٦).

(٨) فقه الأسماء الحسنی (١٩٥) [دار التوحيد، ط ١،

١٤٢٩هـ] باختصار.

قدوس، ربّ الملائكة والروح»^{(٣)(٤)}.

✽ أقوال أهل العلم:

السبوح ذكره مجموعة كبيرة من العلماء^(٥) ضمن أسماء الله الحسنى؛ لوروده في حديث: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح»^(٦).

وقال ابن حزم، وهو يعدُّ أسماء الله الواردة: «الأعز، السيد، سبوح، وتر»^(٧).

وقال ابن تيمية: «ومن أسمائه التي ليست في هذه التسعة والتسعين اسمه: السبوح»^(٨).

وذكره كذلك ابن عثيمين^(٩)، وبعض من جمع أسماء الله الحسنى لم يذكره^(١٠).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٧).

(٤) أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة (٩٣/١) [دار الرضوان، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٥) كابن منده في كتاب التوحيد (١٣٧/٢) [الجامعة الإسلامية، ط١]، والبيهقي وشيخه الحلبي في الأسماء والصفات (١٠٤/١)، وابن حزم في المحلى (٣١/٨) [المنيرية، ١٣٥٠هـ]، ونور الحسن خان في الجوائز والصلوات (٦٣) [الفاروقية، ١٢٩٧هـ]، وابن عثيمين في القواعد المثلى ضمن مجموع فتاويه (٢٧٧/٣) [دار الشريعة، ط٢، ١٤٢٣هـ]، وعبد الله الغصن في أسماء الله الحسنى (١٧٩) [دار الوطن، ط١، ١٤١٧هـ]، وغيرهم. انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (١٥٤) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ].

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ١٠٩١).

(٧) المحلى بالآثار (٢٨٢/٦) [دار الفكر، بيروت].

(٨) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤٨٥/٢٢).

(٩) القواعد المثلى لابن عثيمين (١٦).

(١٠) كالخطابي، والأصفهاني، وابن العربي، وابن الوزير =

بنفسه، وكل ما سواه فقير إليه، وهذا كمال العظمة»^(١).

وقال أيضًا: «والأمر بتسبيحه يقتضي أيضًا تنزيهه عن كل عيب وسوء وإثبات صفات الكمال له، فإن التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها؛ فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده»^(٢).

✽ الأدلة:

لم يرد السبوح بهذه الصيغة في القرآن الكريم، ووردت مادته في قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الحشر: ١، والصف: ١]، وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١، والتغابن: ١]، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الصف: ١]، قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّعَّةُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال تعالى عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ سُبِّحٌ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وقد ثبت في السنة في «صحيح مسلم» من حديث عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «سبوح،

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢٢٧/٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٢٥/١٦) [مجمع الملك فهد، ١٤٢٥هـ].

✽ المسائل المتعلقة:

- **المسألة الأولى:** التسبيح يقتضي إثبات صفات الكمال لله تعالى؛ لأن التسبيح يقتضي تنزيه الله عما لا يليق به سبحانه من معاني النقص والحاجة التي تتنافى والكمال المطلق لله سبحانه، إذا نفي النقص دلّ على الكمال المطلق لله تعالى، قال ابن تيمية: «إن التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها»^(١).

ولأن السلب لا يراد لذاته، وإنما يقصد لما يتضمنه من إثبات الكمال، فكل ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص فإنه متضمن للمدح والثناء على الله بضد ذلك النقص من الأوصاف الحميدة والأفعال الرشيدة^(٢).

- **المسألة الثانية:** فضل التسبيح على غيره من الأذكار؛ لأن ذلك بيان لكمال الله تعالى، وتنزيهه عن النقائص والعيوب، وقد ورد في الحديث: «أن رسول الله ﷺ سئل أي الكلام أفضل؟ قال: ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده»^(٣)، وفي الحديث

= وابن حجر والسعدي وغيرهم. انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (١٥٤).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/١٢٥).

(٢) انظر: شرح القصيدة التونية للهراس (٢/٥٥).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٣١).

أيضاً: «يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله، فقال: إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده»^(٤).

- **المسألة الثالثة:** معنى تسبيح من في السماوات والأرض، هو تسبيح حقيقي؛ لأن الله ﷻ جعل لها إدراكات تسبح بها، يعلمها هو ﷻ، ونحن لا نعلمها، فالمخلوقات كلها تسبح لله وتخشاه حقيقة، ولا يقال: أن تسبيحهم بلسان الحال؛ إذ ذلك معلوم، ولا يصح حينئذ الاستدراك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]^(٥).

✽ الآثار:

من آثار اسم السُّبُوح: الإيمان بأن الله منزّه عن كل عيب ونقص فله الكمال المطلق ﷻ.

ومنها: أن الله سبحانه يسبحه كل من في السماوات والأرض ولكن نحن لا نفقه تسبيحهم، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] فينبغي كثرة ذكره سبحانه وتسبيحه وتحميده أثناء الليل، وأطراف النهار،

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس (١٣٣) [دار الهجرة، الخبر، ط ٣، ١٤١٥هـ]، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٣٦٠) [دار ابن الجوزي، ط ٥، ١٤١٩هـ].

السُّتِير

التعريف لغة:

السُّتِير: (فَعِيل) بمعنى (فاعل)، من: سَتَرَ يَسْتُرُ سِتْرًا، وهو الغطاء. ومصدره: السُّتْر والسَّتْر.

قال ابن فارس: «السين والتاء والراء كلمة تدلُّ على الغطاء، تقول: سترت الشيء ستْرًا. والسُّتْرَة: ما استترت به، كائنًا ما كان»^(٢).

وقال الجوهري: «والسُّتْر بالفتح: مصدر سترت الشيء أستره، إذا غطيته، فاستتر هو، وتستر؛ أي: تغطى. وجارية مسترة؛ أي: مخدرة»^(٣).

التعريف شرعًا:

السُّتِير: كثير السُّتْر، يستر عباده ولا يفضحهم في المشاهد، ويحب من عباده السُّتْر على أنفسهم^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

من خلال ما تقدم من التعريف اللغوي والشرعي يتبين بأن السُّتِير في كل منهما يدل على ستر الشيء وتغطيته وعدم كشفه لأحد غير أن التعريف

والشعور بالأنس والروح بالانضمام إلى بقية العوالم في هذا الكون العظيم التي تسبح الله ﷻ وتسجد له^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله الحسنى»، للغصن.
- ٢ - «أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسُّنة»، للرضواني.
- ٣ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٤ - «الجوائز والصلوات»، لنور الحسن خان.
- ٥ - «شرح أسماء الله وصفاته الواردة في الكتب الستة»، لحصة بنت عبد العزيز الصغير.
- ٦ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٧ - «القواعد المثلى ضمن مجموع فتاوى ابن عثيمين».
- ٨ - كتاب «التوحيد» (ج ٢)، لابن منده.
- ٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٦)، لابن تيمية.
- ١٠ - «المحلى» (ج ٨)، لابن حزم.

السُّتَار

يراجع مصطلح (السُّتِير).

(١) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١٦ - ١٧) [مكتبة الإمام الذهبي، ١٤١٢هـ]، والله الأسماء الحسنى لعبد العزيز ناصر الجليل (٢٤٠).

(٢) مقاييس اللغة (٣/١٣٢) [دار الجليل].

(٣) الصحاح (٢/٢٣٩) [دار العلم، ط ٤، ١٩٩٠م].

(٤) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/٢٢٤) [مكتبة السوادي، ط ١].

الشرعي يختص بكون السَّيِّر اسمًا من أسماء الله تعالى، وهذا يقتضي حمله على غاية الكمال والجمال في حقه سبحانه.

❁ سبب التسمية:

سمي السَّيِّر سَيِّرًا؛ لكثرة ستره وتغطيته للأعمال غير الصالحة مع علمه بها رحمة منه ورأفة بعباده سبحانه.

❁ الحكم:

يجب الإيمان بأن من أسماء الله تعالى السَّيِّر، ومن شأنه حب السَّيِّر والصون، يستر عيوب عباده وذنوبهم بالتوبة، رحمة منه وفضلاً^(١).

❁ الحقيقة:

حقيقة السَّيِّر دلالته على العلمية والوصفية، فيوصف الله ﷻ بالسَّيِّر وهو من الصفات الفعلية الثابتة له، والدالة على كمال حلمه ورحمته وكرمه ﷻ^(٢).

❁ الأدلة:

ورد هذا الاسم في حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبراز، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال ﷺ: «إن الله ﷻ حييٌّ سَيِّر، يحب الحياء والسَّيِّر، فإذا

اغتسل أحدكم فليستِّر»^(٣).

وفي «سنن البيهقي» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلين سألاه عن الاستئذان في الثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن، فقال لهم: «إن الله سَيِّر يحب السَّيِّر»^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن القيم:

«وهو الحَيِّيُّ فليس يفضح عبده

عند التَّجَاهُر منه بالعصيان

لكنَّه يُلقِي عليه سِتْرَه

فهو السَّيِّر وصاحبُ الغُفْران»^(٥)

وقال حافظ الحكمي: «وهو السَّيِّر

المجيد، هو أهل الثناء كما مجد نفسه»^(٦).

وقال السعدي: «وهو الحيي السَّيِّر:

يحب أهل الحياء، والستر، ومن ستر

مسلمًا ستر الله عليه في الدنيا،

والآخرة»^(٧).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الحمام، رقم ٤٠١٢)،

والنسائي (كتاب الغسل والتميم، رقم ٤٠٦)،

وأحمد (٤٨٤/٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]،

وصححه النووي في الخلاصة (٢٠٤/١) [مؤسسة

الرسالة، ط١]، والألباني في إرواء الغليل (٣٦٧/٧)

[المكتب الإسلامي، ط٢].

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (كتاب النكاح، رقم

١٣٥٥٩) [دار الكتب العلمية، ط١]، ورجاله ثقات.

(٥) النونية لابن القيم (٢٠٤/٢) [مكتبة ابن تيمية،

١٤١٧هـ].

(٦) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٩٣).

(٧) معارج القبول للحكمي (٥١/١) [دار ابن القيم،

الدمام، ط١، ١٤١٠هـ].

(١) انظر: النهج الأسنى لمحمد محمود (٦٢٤) [مكتبة

الإمام الذهبي، ط٤، ١٤٣٣هـ].

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢١٢) [دار ابن حزم، ط١].

المسائل المتعلقة:

- تسمية الله بالسَّار.

السَّار: بناء مفتوحة ليس من أسماء الله تعالى، وإن اشتهر على السنة الناس؛ لأنه لم يرد تسمية الله به في الكتاب والسُّنة، ولا في أي رواية من الروايات الواردة في جمع أسماء الله الحسنى، وعليه فإن تسمية الله بالسَّار خطأ شائع^(١).

- أما تسمية الله بالسَّار، فلم يرد هذا الاسم في النصوص الشرعية كذلك، وإنما كثر استعمال الناس له بقولهم يا سَّار، والأولى أن يقال: يا سَّير كما ثبت^(٢).

الثمرات:

١ - يجب على العبد أن يجاهد نفسه على عدم اقتراف الذنوب والمعاصي، وإن غلبت عليه نفسه، وألم بشيء منها فعليه أن يستر نفسه، ويبادر إلى التوبة والاستغفار^(٣).

٢ - وعليه أن يستر على عباد الله، ولا يهتك أستارهم، أو يتبع عوراتهم. فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «يا

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٥٧)، وصفات الله الواردة في الكتاب والسُّنة للسقاف (١٤١) [دار الهجرة، ط١].

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢١٢)، والنهج الأسمى لمحمد الم محمود (٦٢٦).

(٣) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للحمود (١١٨/٢).

معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته^(٤).

٣ - ويجب كذلك على كل مسلم أن يستتر بستر الله ﷻ، وأن يتجنب الذنوب ما ظهر منها وما بطن^(٥).

٤ - وعلى المسلم أن يتضرع إلى الله الستير ويسأله أن يستر عوراته، ففي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي»^(٦).

مذهب المخالفين:

وقد خالف في هذا الاسم الجهمية والمعتزلة، فالجهمية لا يثبتون لله أي اسم لا ستير ولا غيره، فالله عندهم لا يسمى بشيء، وذلك لظنهم أن إثبات

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٨٨٠)، وأحمد (٢٠/٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وجوّد إسناده العراقي في تخريج الإحياء (٦٦١) [دار ابن حزم، ط١]، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب (٢٩٢/٢) [مكتبة المعارف، ط١].

(٥) فقه الأسماء الحسنى للبدر (٣١٠) [ط١، ١٤٢٩هـ].

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٠٧٤)، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٧١)، وأحمد (٨/٤٠٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الرقاق، رقم ٩٦١)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٠٢) وصحّحه، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب (١٦٠/١) [مكتبة المعارف، ط٥].

٨ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للحمود.

السَّحَر

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «السين والحاء والراء أصول ثلاثة متباعدة: أحدها: عضو من الأعضاء، والآخر: خدع وشبهه، والثالث: وقت من الأوقات... وأما الثاني: فالسحر، قال قوم: هو إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال: هو الخديعة»^(٢).

فالسَّحَر: الأخذة: وهو كل ما خفي مأخذه ودق، وقد سحره يسحره سحرًا، وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، وسحره بمعنى خدعه وعلَّله، وسحره بكلامه إذا استماله برقته وحس تركيبه^(٣).

التعريف اصطلاحًا:

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: «اعلم أن السحر في الاصطلاح لا يمكن حده بحد جامع؛ لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعًا لها، مانعًا لغيرها، ومن هنا

الأسماء يلزم منه التشبيه، والمعتزلة أثبتوا الأسماء مجردة عن الصفات، فالله عندهم ستير بلا ستر كما أنه عالم بلا علم، وقادر بلا قدرة وحي بلا حياة... إلخ^(١). وهذه الأقوال كلها مخالفة لما دلَّت عليه نصوص الكتاب والسُّنة من وجوب إثبات أسماء الله وصفاته كما أثبتها الله لنفسه في كتابه وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تأويل ومن غير تشبيه ولا تعطيل.

المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله الحسنى في الكتاب والسُّنة»، لمحمود عبد الرزاق.
- ٢ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٣ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٥ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٦ - «صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنة»، للسقاف.
- ٧ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

(٢) مقاييس اللغة (٣/١٣٨) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].
(٣) انظر: الصحاح (٢/٦٧٩) [دار العلم للملايين، ط ١٤٠٤هـ]، وتهذيب اللغة (٤/٢٩٠) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ولسان العرب (٦/١٨٩) [دار إحياء التراث العربي، ط ١٤١٩هـ].

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٢٣٥) [المكتبة التخصصية المصرية، ط ١٣٨٩هـ]، ومجموع الفتاوى (٦/٣٤ - ٣٥) [دار الوفاء، ط ١٣٢٦هـ]، ومنهاج السُّنة النبوية (٢/٥٢٦) [مؤسسة قرطبة ط ١].

يؤثر في الخفاء فيقوم بعمل رقى أو عزائم أو عقد يكون تأثيرها في القلوب والأبدان^(٤).

وقد ذكر أن العرب إنما سمّت السحر سحراً؛ لأنه يزيل الصحة إلى المرض، فأصله صرف الشيء عن جهته، فإن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق، وخيّل الشيء على غير حقيقته، فقد سحر الشيء عن وجهه؛ أي: صرفه. وإنما يقال سحره: أي: أزاله عن البغض إلى الحب، ويقولون للرجل: ما سحرك عن وجه كذا وكذا؟ أي: ما صرفك عنه؟^(٥).

❁ الأسماء الأخرى:

العضة أو العضه، قال الحكمي رحمه الله: «والعضة في لغة قريش السحر، ويقولون للساحر: عاضه»^(٦).
الطب، قال الخطابي رحمه الله: «والطب: السحر»^(٧).

❁ الحكم:

السحر من المحرمات الكفرية المتقرر حرمتها بالكتاب العزيز والسنة النبوية والإجماع، وهو من أكبر الكبائر والسبع الموبقات، والساحر كافر عند أكثر أهل العلم.

اختلفت عبارة العلماء في حده اختلافاً متبايناً^(١).

فالسحر: اسم جامع لمعانٍ مختلفة^(٢)، ومن أشهر التعريفات ما عرفه ابن قدامة رحمه الله بقوله: «وهو عقد ورقى، وكلام يتكلم به، أو يكتبه، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور، أو قلبه، أو عقله، من غير مباشرة له، وله حقيقة، فمنه ما يقتل، ما يمرض، وما يأخذ الرجل عن امرأته، فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، وما يُبغض أحدهما إلى الآخر، أو يحجب بين الاثنين»^(٣).

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

لما كان أصل السحر في اللغة عبارة عما خفي ودق سببه مما هو تمويه وخداع كان مناسباً للمعنى الشرعي الذي هو عزائم ورقى وعقد ونحو ذلك مما يؤثر في الأبدان والقلوب؛ للاشتراك في الخفاء والخداع.

❁ سبب التسمية:

سُمّي السحر سحراً؛ لأنه يحصل بأمور خفية لا تدرك بالآبصار، فالساحر

(٤) انظر: حاشية على كتاب التوحيد لابن قاسم (١٨٦) [ط، ٥، ١٤٢٤هـ].

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٤/٢٩١، ٢٩٢).

(٦) معارج القبول (٢/٧٠٩) [دار ابن الجوزي، ط ٦].

(٧) أعلام الحديث (٣/١٤٩٩) [جامعة أم القرى، ط ١].

(١) أضواء البيان (٤/٥٥٥) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٢) قاله الإمام الشافعي في كتابه الأم (٢/٥٦٦) [دار الوفاء، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٣) المغني (١٢/٢٩٩) [دار عالم الكتب، ط ٣].

الواقع والحقيقة وهو ليس كذلك.

وتلك الحقائق الثلاث تبرز أن كل ما هو سحر في المعنى الاصطلاحي فهو ضرر لا نفع فيه، إما أن يخرج من الدين وإما أن يكون صاحبه من أهل الكذب والبهتان البين وهذا متحقق في السحر^(٢).

وأما دخول السحر في الشرك فمن وجهين^(٣):

الوجه الأول: ما فيه من استخدام الشياطين والتعلق بهم والتقرب إليهم بما يحبون ليقوموا بخدمة الساحر ومطلوبه.

الوجه الثاني: ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في علمه، وهذا كفر وضلال.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابٍ هَزُوتَ وَمُرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وقال ﷺ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه]، وقال ﷺ:

قال النووي رحمه الله: «عمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عدّه النبي ﷺ من السبع الموبقات»^(١).

الحقيقة:

للسحر أكثر من حقيقة، وكلها مذمومة، وحكم صاحبها يختلف تبعاً لاختلاف تلك الحقائق، ويمكن حصر حقائقه فيما يلي:

١ - طاعة الجن والشياطين لأمر الساحر ونهيه.

٢ - الكلام المؤلف الذي يقصد به تعظيم غير الله تعالى، وتنسب المقادير والكائنات فيه إلى غير الله، فيبلغ فيه قائله غرضه، وهذه الحقيقة يدخل فيها معظم أقسام السحر مع اختلاف صورها وتباين أشكالها، سواء كانت بنسبة الحوادث إلى بعض الأفلاك، أو كانت بمباشرة الساحر لأعماله في أشياء معينة يستخدمها بمعاونة الشياطين.

٣ - أعمال فاسدي الدين وخبيثي النفوس بطريقة خفية يقصد بها الإرعاب والتهويل مما يجري مجرى الحيل، وهذه تسمى النيرنجيات، وفي هذه الحقيقة يدخل من أقسام السحر ما كان تخيلاً وخداعاً لا أصل له مما يوحي به الساحر لضعاف العقول، فيخرج بصورة

(٢) كتاب السحر بين الحقيقة والخيال للحمدي (٩١ - ٩٣).

(٣) القول السديد للسعدي - ضمن المجموعة الكاملة له

(٣٠ - ٢٩/٣) [مركز صالح بن صالح الثقافي،

ط ١٤١٢هـ].

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/١٧٦) [المطبعة

المصرية بالأزهر، ط ١، ١٣٤٩هـ].

وأما الإجماع فقد حكاه جمع من العلماء.

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: «إِنْ تَعَلَّمَ السَّحَر وتعليمه حرام، لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم»^(٥).

❖ أقوال أهل العلم:

قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: «والسحر من عمل الشيطان، يفعله في الإنسان بنفثه، وهمزه ووسوسته، ويتولاه الساحر بتعليمه إياه، ومعاونته عليه، فإذا تلقاه عنه استعمله في غيره بالقول، والنفث في العقدة، وللکلام والقول تأثير بين في النفوس والطباع، ولذلك صار الإنسان يحمى ويغضب إذا سمع الكلام المكروه، وربما حُمَّ الإنسان من غم يصيبه، ويقول يسمعه، وقد مات فيما رويناه من الأخبار قوم بكلام سمعوه، ولقول امتعضوا منه»^(٦).

وقال السمعاني: «والسحر يتحقق وجوده على مذهب أهل السنة، ويؤثر، ولكن العمل به كفر»^(٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والسحر محرم بالكتاب والسنة والإجماع»^(٨).

﴿اَفْتَاتُوْكَ السَّحَرَ وَانْتُمْ بُصْرُوْكُمْ﴾^(٩)
[الأنبياء].

ومن السنة: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»^(١٠).

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق يقال له: لبید بن الأعصم، حتى كان رسول الله يخيّل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله»^(١١). وفي رواية قالت: «كان رسول الله سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن». قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا»^(١٢).

وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له»^(١٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الوصايا، رقم ٢٧٦٦)،

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٦٣)،

ومسلم (كتاب الطب، رقم ٢١٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٦٥).

(٤) أخرجه البزار في مسنده [٥٢/٩] مكتبة العلوم

والحكم، ط ١، ١٤١٨هـ، والطبراني في الكبير (١٨/

١٦٢) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وجود المنذري إسناد

البزار في الترغيب والترهيب (١٧/٤) [دار الكتب

العلمية، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

(٥/٢٢٨) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٥) المغني (١٢/٣٠٠).

(٦) أعلام الحديث (٣/١٥٠٣).

(٧) تفسير السمعاني (١/١١٦).

(٨) مجموع الفتاوى (١٧١/٣٥) [مجمع الملك فهد =

❁ الأقسام:

سحره اليهودي لبید بن الأعصم.

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم الساحر:

اختلف العلماء في حكم الساحر
أيكفر أم لا؟ على قولين^(٣):

القول الأول: أنه يكفر مطلقاً، قال به
طائفة من السلف، وبه قال أبو حنيفة
ومالك وأحمد رحمهم الله تعالى وعليه
جمهور العلماء.

القول الثاني: وهو التفصيل: فإذا
تعلم الساحر يقال له: صف لنا سحرك،
فإذا وصف ما يستوجب الكفر مثل سحر
أهل بابل من التقرب للكواكب، وأنها
تفعل ما يطلب منها فهو كافر، وإن كان
لا يصل إلى حد الكفر واعتقد بإباحته فهو
كافر لاستحلاله المحرم وإلا فلا، وهذا
ما ذهب إليه الشافعي رحمته الله^(٤)، ورواية
عن أحمد أنه لا يكفر، وقال أصحاب
أبي حنيفة بالتفصيل كذلك^(٥).

وعند تأمل القولين فلا اختلاف
معنوي بينهما؛ فإن من لم يكفر لظنه أنه

أقسام السَّحَر باعتبار الشرع.

فهو في الشرع ينقسم إلى قسمين^(١):

أحدهما: عُقد ورقى؛ أي: قراءات
وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى
استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر
المسحور، لكن قد قال الله تعالى: ﴿وَمَا
هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾
[البقرة: ١٠٢] وهذا القسم شرك.

ثانيها: أدوية وعقاقير تؤثر على بدن
المسحور وعقله وإرادته وميله فتجده
ينصرف ويميل وهو ما يسمى بالصرف
والعطف، وهذا عدوان وفسق.

أقسام السَّحَر باعتبار المسحور.

فهو باعتبار المسحور قسمان^(٢):

أحدهما: قسم تخيلي، وهو السحر
الذي يجعل الإنسان يتخيل شيئاً لم
يحدث؛ كسحر سحرة فرعون، قال
تعالى: ﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى﴾
[طه] فلم يكن سحرهم سوى خيالات
ترهب بظواهرها وتؤثر في القلوب.

ثانيها: سحر حقيقي، وهو السحر
الذي يؤثر في المسحور بمرض أو
موت، ومنه ما حدث للنبي ﷺ حين

= لطباعة المصحف الشريف، ط ٢، ١٤٢٥هـ.

(١) انظر: القول المفيد لابن عثيمين (١/ ٤٨٩ - ٤٩٠)
[دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) انظر: قواعد ومسائل في توحيد الإلهية لعبد العزيز
الريس (١٩٧ - ١٩٨) [ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٣) انظر: إكمال المعلم (٧/ ٨٩) [دار الوفاء، ط ١،
١٤١٩هـ]، وشرح مسلم للنووي (١٤/ ١٧٦)،
والمغني لابن قدامة (١٢/ ٣٠٠ - ٣٠١)، والجامع
لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٢٧٥ - ٢٧٦) [مؤسسة
الرسالة، ط ١]، وتفسير ابن كثير (١/ ٥٣٧ - ٥٣٨)
[مؤسسة قوطبة، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٤) انظر: الأم للشافعي (٢/ ٥٦٦ - ٥٦٧)، والمغني
لابن قدامة (١٢/ ٣٠١).

(٥) انظر: المغني لابن قدامة (١٢/ ٣٠٠).

بالسيف»^(٣).

وعن بجاللة بن عبدة قال: «أتانا كتاب عمر رضي الله عنه قبل موته بسنة أن اقتلوا كل ساحر، وربما قال: وساحرة، وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس وانهمهم عن الزمزمة، فقتلنا ثلاث سواحر»^(٤).

وعن حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها «أن جارية لها سحرتها فأقرت بالسحر وأخرجته فقتلتها، فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فغضب فأتاه ابن عمر رضي الله عنهما فقال: جاريتها سحرتها أقرت بالسحر وأخرجته، قال: فكف عثمان رضي الله عنه، قال: إنما كان غضبه لقتلها إياها بغير أمره»^(٥).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب الحدود، رقم ١٤٦٠) وقال: «لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف الحديث...، والصحيح عن جندب موقوفاً»، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣/٦٤١، رقم ١٤٤٦) مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٢هـ.

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الخراج والإمارة والفيء، رقم ٣٠٤٣)، وأحمد في المسند (٣/١٩٦)، مؤسسة الرسالة، ط ١، وصححه ابن حزم في المحلى (١٢/٤١٤) [دار الفكر]، والألباني في تعليقه على سنن أبي داود، وأورده ابن قدامة في المغني (٩/٣١) [مكتبة القاهرة]، وقال: «وهذا اشتهر فلم ينكر فكان إجماعاً».

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (كتاب العقول، رقم ٣٢٤٧)، وعبد الرزاق في المصنف (كتاب اللقطة، رقم ١٨٧٥٧)، وابن أبي شبة في المصنف (كتاب الديات، رقم ٢٧٩١٢) [مكتبة الرشد، ط ١]، والبيهقي في الكبرى (كتاب القسامة، رقم ١٦٤٩٩) [دار الكتب العلمية، ط ١]، واللفظ له، وإسناده صحيح.

سيأتي بدون الشرك وليس كذلك؛ بل لا يتأتى السحر الذي من قبل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشياطين والكواكب ولهذا سماه الله كفراً في قوله: ﴿إِنَّمَا تَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه، فليس بسحر حقيقة، وإن سُمي سحراً على سبيل المجاز؛ كتسمية القول البليغ سحراً، وهو محرم لمضرته^(١).

- المسألة الثانية: حكم قتل الساحر:

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في حكم قتل الساحر على قولين^(٢):

القول الأول: أنه يقتل بمجرد السحر؛ لأنه كفر، وهو قول أكثر العلماء، قال به أبو حنيفة، ومالك وأحمد، وغيرهم.

القول الثاني: أنه لا يقتل بمجرد السحر، إلا إذا عمل عملاً يبلغ به الكفر وهو قول الشافعي رحمته الله، ورواية عن أحمد، وغيرهم.

وقد احتج أصحاب القول الأول بأدلة عدة، منها:

عن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حد الساحر ضربة

(١) انظر: شرح مسلم للنووي (١٤/١٧٦)، وأضواء البيان (٤/٥٦٩)، وتيسير العزيز الحميد (١/٦٨١) [دار الصميعي، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٧٨)، والمغني لابن قدامة (١٢/٣٠٢)، ومجموع الفتاوى (٢٩/٣٨٤)، وتفسير ابن كثير (١/٥٣٧).

للبلاد والعباد من شروره وأضراره.

- المسألة الثالثة: قبول توبة الساحر:

إذا تاب الساحر هل تقبل توبته أم لا؟

اختلف أهل العلم في ذلك على قولين:

القول الأول: عدم قبول توبته وهو

قول أبي حنيفة ومالك وأحمد في

المشهور عنه.

القول الثاني: قبول توبته وهو قول

الشافعي ورواية عن الإمام أحمد.

وعلل أصحاب القول الأول ما ذهبوا

إليه بأن الردة بفعل السحر باطنة،

والمرتد باطنًا لا تعرف توبته بإظهار

الإسلام، وعلم السحر لا يزول بالتوبة،

وأن الساحر جمع إلى الردة السعي في

الأرض بالفساد، وهذا في حالة ما إذا

شهد عليه بذلك، أما إذا تاب قبل أن

يشهد عليه بالسحر قبلت توبته لقوله

تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ

تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ

رَحِيمٌ ﴿٢٤﴾ [المائدة] فحكم الساحر

يكون كذلك.

وأما أصحاب القول الثاني فعللوا بأن

ذنوب الساحر لا يزيد على الشرك،

والمشرك يستتاب فإن تاب قبلت توبته

وَحُلِّي سبيله فكذلك الساحر، علمه

بالسحر لا يمنع توبته بدليل ساحر أهل

الكتاب إذا أسلم، ولذلك صح إيمان

سحرة فرعون وتوبتهم.

وهذا القول هو الصواب ولا يعلم

لعمر وجندب وحفصة رضي الله عنهم مخالف لهم

من الصحابة رضي الله عنهم.

وأما أصحاب القول الثاني فقد

استدلوا على عدم قتل الساحر بأدلة عدة

منها:

ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ

مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني

رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس

بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من

الدين التارك للجماعة»^(١).

وأجيب عن هذا الاستدلال بأن

الصحابة رضي الله عنهم لم ينكر عليهم في قتل

الساحر، فكان هذا إجماعًا على العمل

بما ورد في حد الساحر والخاص يقضي

على العام.

واستدلوا أيضًا بأن النبي ﷺ لم يقتل

لبيد بن الأعصم اليهودي الذي

سحره ﷺ، وأجيب عن هذا الاستدلال

بأن عدم قتله كان خشية إثارة الفتنة.

وبالجملة؛ فإن قتل الساحر هو

الصحيح؛ لأنه مفسد في الأرض يفسد

الأديان والأبدان، وبقاؤه على وجه

الأرض فيه فساد كبير وخطر جسيم،

وفي قتله قطع لفساده وكف لشره وإراحة

(١) أخرجه البخاري (كتاب الديات، رقم ٦٨٧٨)،

ومسلم (كتاب القسامة، رقم ١٦٧٦).

أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه^(٣).

فهو محمول على نوع من النشرة لا محذور فيه؛ لأن الحديث قد صرح عن النبي ﷺ أنه قال لما سئل عن النشرة: «هو من عمل الشيطان»^(٤).

وحل السحر بسحر مثله أمر محرم، لا يحقق خيراً، ولا يجلب مصلحة.

وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً قال: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حُرِّم عليكم»^(٥).

وقياس حل السحر بسحر مثله على إباحة المحرمات للمضطر قياس ضعيف. قال ابن تيمية: «والذين جوزوا التداوي بالمحرم قاسوا ذلك على إباحة المحرمات كالميتة والدم للمضطر، وهذا ضعيف لوجوه:

أحدها: أن المضطر يحصل مقصوده يقيناً بتناول المحرمات؛ فإنه إذا أكلها

(٣) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم (كتاب الطب، باب: هل يستخرج السحر؟).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠/٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وعنه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٨٦٨)، وحسن ابن حجر إسناده في فتح الباري (٢٣٣/١٠) [دار المعرفة]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٧٦٠).

(٥) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم (كتاب الأشربة، باب شراب الحلواء والعسل)، وسنده صحيح. انظر: فتح الباري (٧٩/١٠)، والسلسلة الصحيحة (١٧٥/٤).

والقول الأول أصح لظاهر عمل الصحابة رضي الله عنهم فلو كانت الاستتابة واجبة لفعلوها أو يتنوها.

وأما قياسه على المشرك فلا يصح؛ لأنه أكثر فساداً وتشويهاً من المشرك، وكذلك لا يصح قياسه على ساحر أهل الكتاب؛ لأن الإسلام يجب ما قبله، وهذا الخلاف إنما هو في إسقاط الحد عنه بالتوبة أما فيما بينه وبين الله فإن كان صادقاً قبلت توبته^(١).

- المسألة الرابعة: حل السحر عن المسحور.

وهو ما يعرف باسم النشرة، قال ابن القيم رحمه الله: «النشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: حل سحر بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان؛ فإن السحر من عمله، فيتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور، والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة، فهذا جائز؛ بل مستحب، وعلى النوع المذموم يحمل قول الحسن: لا يحل السحر إلا ساحر»^(٢).

أما ما رواه البخاري في صحيحه معلقاً عن قتادة: قلت لابن المسيب: «رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته،

(١) تيسير العزيز الحميد (١/٦٩٥ - ٦٩٦).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/٣٠١).

خطيرة وظاهرة، والقاعدة الشرعية: دفع
المفاسد أولى من جلب المصالح، يبينها
العلامة حافظ حكمي رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «أما
حل السحر عن المسحور بسحر مثله:
فيحرم؛ فإنه معاون للساخر، وإقرار له
على عمله، وتقرب إلى الشيطان بأنواع
القرب ليبطل عمله عن المسحور ولهذا
ترى كثيرًا من السحرة الفجرة في الأزمان
التي لا سيف فيها يردعهم، يعتمد سحر
الناس، ممن يحبه أو يبغضه؛ ليضطره
بذلك إلى سؤاله حله؛ ليتوصل بذلك إلى
أموال الناس بالباطل، فيستحوذ على
أموالهم ودينهم»^(٢).

- المسألة الخامسة: حكم الذهاب إلى
السحرة والكهان والمنجمين وسؤالهم:

الذهاب إلى السحرة والكهان ونحوهم
جرم عظيم، وإثم كبير جاءت الأحاديث
النبوية الصحيحة بالنهي عن إتيانهم،
وسؤالهم وتصديقهم، والوعيد على ذلك
أشد الوعيد وأزجره.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال
رسول الله ﷺ: «من أتى كاهنًا أو عرافًا
فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على
محمد»^(٣).

(٢) معارج القبول (٢/ ٧١١ - ٧١٢) [دار ابن الجوزي،
ط ٦، ١٤٣٠هـ].

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، باب في الكهان،
رقم ٣٩٠٤)، والترمذي (أبواب الطهارة، رقم
١٣٥)، وابن ماجه (كتاب الطهارة وسننها، رقم =

سدت رمقه، وأزالت ضرورته، وأما
الخبائث؛ بل وغيرها فلا يتيقن حصول
الشفاء بها، فما أكثر من يتداوى ولا
يشفى، ولهذا أباحوا دفع الغصة بالخمير؛
لحصول المقصود بها، وتعينها له،
بخلاف شربها للعطش، فقد تنازعوا فيه،
فإنهم قالوا: إنها لا تروي.

الثاني: أن المضطر لا طريق له إلى
إزالة ضرورته إلا الأكل من هذه
الأعيان، أما التداعي فلا يتعين تناول
هذا الخبيث طريقًا لشفائه؛ فإن الأدوية
أنواع كثيرة، وقد يحصل الشفاء بغير
الأدوية؛ كالدعاء والرقية، وهو أعظم
نوعي الدواء.

وقد يحصل الشفاء بغير سبب
اختياري؛ بل بما يجعله الله في الجسم،
من القوى الطبيعية، ونحو ذلك.

الثالث: أن أكل الميتة للمضطر
واجب عليه، في ظاهر مذهب الأئمة،
وغيرهم. كما قال مسروق: من اضطر
إلى الميتة فلم يأكل حتى مات دخل
النار. وأما التداعي فليس بواجب عند
 جماهير الأئمة، وإنما أوجبه طائفة
قليلة، وإذا كان أكل الميتة واجبًا
والتداعي ليس بواجب، لم يجز قياس
أحدهما على الآخر^(١).

وحل السحر بالسحر فيه مفاسد

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٦٨).

- المسألة السادسة: حكم تعلم السحر:

حكى بعض أهل العلم الاتفاق على حرمة تعلم «علم السحر» وتعليمه وأنه من كبائر الذنوب، فإن تضمن ما يقتضي الكفر من التعبد للشياطين أو الكواكب أو نحو ذلك كفر وإلا فلا، ونصوص الكتاب والسنة صريحة في حرمة تعلمه وتعليمه؛ فمن الأدلة الدالة على ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] فهذه الآية من أظهر الأدلة وأصرحها دلالة على تحريم تعلم السحر وتعليمه، فإن الله تعالى صرح بأن السحر يضر ولا ينفع، فإذا أثبت الله أن السحر ضار ونفى أنه نافع فكيف يجوز تعلم ما هو ضرر محض لا نفع فيه^(٤).

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(٥).

٣ - وعن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»^(٦). فهذا في الإتيان والتصديق فكيف بالتعلم؟!

(٤) أضواء البيان (٤/ ٥٥٥).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٣٠).

وعن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»^(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(٢).

وقال ابن حجر رحمته الله معلقاً على هذا الأثر: «إسناده جيد ومثله لا يقال بالرأي».

قال سليمان بن عبد الله رحمته الله معلقاً على هذا الأثر: «وفيه دليل على كفر الكاهن والساحر والمصدق لهما؛ لأنهما يدعيان الغيب وذلك كفر، والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به، وذلك كفر أيضاً»^(٣).

وبالجملة؛ فقد تضمنت هذه الأحاديث النبوية النهي الصريح بما يردع ويزجر عن إتيانهم وسؤالهم أو تصديقهم، وربما أوقع إتيانهم وتصديقهم في الكفر والشرك المخرج من الملة.

= (٦٣٩)، وأحمد (٣٣١/١٥) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والدارمي (كتاب الطهارة، رقم ١١٧٦)، ونقل المناوي عن العراقي تصحيحه، كما في فيض القدير (٢٣/٦) [المكتبة التجارية الكبرى، ط١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٢٤٣٣) [مكتبة المعارف، ط٥].

(١) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٣٠).

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٢٥٦/٥) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، وأبو يعلى في مسنده (٢٨٠/٩) [دار المأمون، ط١]، وجود إسناده الحافظ ابن حجر، فتح الباري (١٠/٢١٧).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٤١٠).

٤ - وقد اتفق أهل العلم على حرمة تعلم السحر وتعليمه. قال ابن قدامة رحمته الله: «إن تعلم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم»^(١).

٥ - أن تعلمه قد يكون ذريعة ووسيلة إلى العمل به والذريعة إلى الحرام يجب سدها بقطع السبيل عليها^(٢).

٦ - إن في تعلمه ترويحاً للباطل وتعاوناً على الإثم والعدوان وقد قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]^(٣).

- المسألة السابعة: حكم الصرف والعطف:

من أنواع السحر ما يسمى بالصرف والعطف، أما الصرف فهو صرف الرجل عما يهواه؛ كصرفه مثلاً عن محبة زوجته إلى بغضها، وأما العطف فهو عطف الرجل عما لا يهواه إلى محبته بطرق شيطانية، وكلاهما عمل سحري.

وقد نص الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالة نواقض الإسلام على هذين النوعين، قال رحمته الله: «السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقِّ يَقُولَا إِلَّا مَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وسحر الجمع يسمى التولة، وقد فسر ابن مسعود رضي الله عنه التولة بأنه شيء يضعه النساء يتحبن إلى أزواجهن.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «التولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففاً: شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها، وهو ضرب من السحر، وإنما كانت من الشرك؛ لأنهم أرادوا دفع المضار، وجلب المنافع من غير الله تعالى، وهي في الحقيقة نوع من أنواع التماائم؛ لأنها تصنع ويكون الساحر هو الذي يرقى فيها الرقية الشركية، فيجعل المرأة تحب زوجها، أو يجعل الرجل يحب امرأته، وهذا نوع من السحر، والسحر يتضمن الشرك بالله ﷻ، وكفر عام في كل أنواع التولة فهي شرك كلها»^(٤).

- المسألة الثامنة: حكم الألعاب البهلوانية (السيرك):

اشتهر في العصر الحديث ما يسمى بالألعاب البهلوانية (السيرك)، وهي مجموعة أنواع من اللهو واللعب تقوم بها بعض الفرق المتخصصة في هذا الشأن أمام الناس في أماكن معدة لهذا الأمر، وهذه الألعاب التي تمارس تتفاوت أحكامها بتفاوت أحوالها، ومما يمارس فيها بعض الأعمال الخارجة عن العادة

(١) المغني (١٢/ ٣٠٠).

(٢) أضواء البيان (٤/ ٤٦٤).

(٣) التنجيم والمنجمون (٢٩٧).

(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١١٢).

تلك فيها من الدجل والشعوذة والتلاعب والاستخفاف بعقول الناس وفساد العقيدة وأكل الأموال بالباطل ما لا يخفى، وبالله التوفيق.

وقال الفوزان: «ومنه - أي: السحر التخيلي - ما يسمى في الملاعب وغيرها من المسمى بالسيرك، وهم سحرة ودجالون يخيل إليك أنه يمشي على جبل، وأنه يمشي على طرف السكين، أو أنه يرقد تحت السيارة، وتمشي عليه ولا تضره، ويُضرب بالمطارق ولا يتأثر وهو يكذب، كل هذا ليس له حقيقة ولم تضره مطارق ولا جاءته سكاكين ولم تمش عليه سيارة، لكن أنت تخيل إليك هذا بسبب ما يعمل من السحر الذي يخيل إلى بصرك أنه عمل كذا وكذا، وهو كذب، هذا كله سحر تخيل وهو باطل»^(١).

❁ الفرق:

الفرق بين السحر والكرامة:

من أظهر الفرق بينها^(٢):

١ - أن الكرامة سببها الإيمان والتقوى، وأما السحر وما شابهه من الأحوال الشيطانية فسببها ما نهى الله تعالى عنه، ونهى عنه رسوله ﷺ؛ كالكفر بالله تعالى، والشرك،

البشرية؛ كالنوم على المسامير، وثني الحديد بالأعين، وجرّ السيارات بالشعور، وتكسير الصخور على الصدر، وغير ذلك، وهذا كله من قبيل السحر والدجل والشعوذة، وهو مما حرمه الإسلام وجعله من كبائر الذنوب والآثام.

وقد أصدرت اللجنة الدائمة للإفتاء فتوى برقم (٢٠٥٢٠) وتاريخ ٨/١١/١٤١٩هـ: بأن ما يعمل به بعض السفهاء من الناس من تكسير الصخور على صدورهم، والنوم على المسامير والآلات الحادة، أو ثني الحديد بأعينهم وسحب السيارات بشعورهم أو أسنانهم، وأكل الأمواس والزجاج إلى غير ذلك من الأمور الخارجة عن العادة البشرية، كل ذلك يعتبر من الدجل والشعوذة والسحر وهو من عمل سحرة فرعون، كما قال الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿فَلَمَّا أَتَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف]، وقال سبحانه في سورة طه: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَايَتْهُمْ يُخِِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه]، وبناء عليه لا يجوز فعل هذه الأعمال ولا تعلمها ولا نشرها ولا التشجيع عليها، والواجب محاربتها والتبليغ عن فاعليها ومعاقبتهم بما يردعهم ويكف شرهم عن الناس، فآلعا بهم وأعمالهم

(١) محاضرات في العقيدة للفوزان (٣/١٨٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، والنبوات (٢/١٠٣٠).

والفواحش، ونحوها مما يحبه الشيطان.

٢ - كرامة الأولياء تقوى بذكر الله تعالى، وتوحيده، والأحوال الشيطانية تبطل أو تضعف عند ذكر الله وتوحيده، وقراءة قوارع القرآن، لا سيما آية الكرسي.

الفرق بين الساحر والكاهن:

هناك شبه كبير وارتباط وثيق بين السحر والكهانة إلا أنه ثمة فروق عدة تميز كلاً منهما عن الآخر، تتمثل في الآتي:

١ - الكاهن إنما عنده إخبار بالمغيبات، ودعوى علم الغيب، وأما الساحر: فعنده تصرف، بقتل، وإمراض، وتفريق، ونحو ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الكن الكاهن إنما عنده أخبار، والساحر عنده تصرف، بقتل، وإمراض، وغير ذلك، وهذا تطلبه النفوس»^(١).

٢ - الإخبار بالمغيبات المستقبلية عادة لا يكون إلا من الكاهن، وأما الساحر فلا يخبر عنها، لكن قد يخبر عن الأمور الماضية، عن مكان الضالة، ونحو ذلك^(٢).

الآثار:

للسحر آثار سلبية كبيرة لا تحصى،

منها ما يعود ضرره على الساحر نفسه، ومنها ما يعود ضرره على المجتمع، ومن تلك الآثار السيئة:

١ - أنه كفر بالله ﷻ، وهذا أعظم خسارة تحصل للإنسان. قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرُ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٢ - نفي الفلاح عن الساحر في أي مكان وجد. قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَى﴾ [طه].

٣ - في السحر أضرار كبيرة على المجتمع في جميع النواحي، ومنها على سبيل المثال ما ذكره الله بقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

مذهب المخالفين:

مذهب أهل السنة والجماعة وجمهور أهل العلم أن السحر له حقيقة لدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك^(٣).

وذهب عامة المعتزلة، ومن وافقهم كأبي حنيفة رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وأبي منصور الماتريدي، وابن حزم الظاهري، وغيرهم إلى أن السحر تخيل فقط لا حقيقة له، وإنما هو ضرب من التمويه والتخييل والإيهام^(٤). واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (١٤/١٧٤).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/٤٦).

(١) النبوات (٢/١٠٤٥).

(٢) اللقاء الشهري للشيخ ابن عثيمين رقم (٤٥).

وأن متعلمه يكفر بذلك وهذه الصفات لا تكون إلا لما له حقيقة، مما يدل على أن له حقيقة^(٤).

الوجه الثاني: أن الله تعالى قد أخبر في هذه الآية بأن للسحر آثارًا محسوسة؛ كالتفريق بين المرء وزوجه والأثر دليل على وجود المؤثر وحقيقته^(٥).

الوجه الثالث: أخبر الله تعالى فيها أن للسحر ضررًا لا يتحقق إلا بإذنه، والاستثناء دليل على حصول الآثار بسببه، والضرر أو الأثر لا يكون إلا مما له حقيقة.

وخلاصة القول: أن ما ذهب إليه المعتزلة ومن وافقهم من كون السحر تخييلًا لا حقيقة خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف، واتفق عليه الفقهاء وأهل التفسير والحديث وأرباب القلوب من أهل التصوف وما يعرفه عامة العقلاء، والسحر الذي يؤثر مرضًا وثقلًا وحلًا وعقدًا وحبًا وبغضًا وتزييفًا وغير ذلك من الآثار موجود تعرفه الناس^(٦).

المصادر والمراجع:

- ١ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
- ٢ - «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير.

[طه]، ووجه الدلالة من الآية: أن الله تعالى أخبر عن عمل أولئك السحرة أنه إنما كان تخييلًا لا حقيقة له، حيث لم يقل: تسعى على الحقيقة، ولكنه قال: يخيل إليه^(١).

والجواب عن هذا: أن ما حصل من سحر قوم فرعون كان حقيقة لا تخييلًا؛ حيث أثبت الله ﷻ أن الأعين سُحرت فهذه حقيقة، فالسحر كان شيئًا حقيقيًا حتى أثر على العيون فتخيلت ما ليس بحقيقة، وذلك الخيال ناتج عن أثر السحر، فلو لم يكن السحر حقيقة لما حصل ذلك التأثير على النظر^(٢).

وأيضًا: فإننا «لا ننكر أن يكون التخيل وغيره من جملة السحر، ولكن ثبت وراء ذلك أمور جوزها العقل وورد بها السمع مما هو من باب الحقيقة لا التخيل»^(٣).

وقد قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾ الآية [البقرة: ١٠٢]، وجه الاستدلال بالآية أنها دلّت على أن للسحر حقيقة من وجوه:

الوجه الأول: أن الله ﷻ قد أخبر فيها عن السحر وأنه مما يعلم ويتعلم،

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٥٢/١)، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٥/ ١٠٣ - ١٠٤).

(٢) بدائع الفوائد (٢٢٧/٢ - ٢٢٨).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦/٢).

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم (١٧٤/١٤).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦/٢).

(٦) شرح النووي على مسلم (٢٢٧/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦/٢).

- ٣ - «تيسير العزيز الحميد»،
لسليمان بن عبد الله.
- ٤ - «التنجيم والمنجمون»، للمشعبي.
- ٥ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٧ - كتاب «السحر بين الحقيقة والخيال»، لأحمد الحميد.
- ٨ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٩ - «موقف الإسلام من السحر»،
لحياة با أخضر.
- ضد الرضا، وهو صفة فعلية يتصف بها ﷺ كما يليق بجلاله وعظمته، متعلقة بإرادته ومشئته^(٣).
- يقول ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله: «إن الله تبارك اسمه له الأسماء الحسنی والصفات العلا، وإنه يرضى عن الطائعين ويحب التوابين، ويسخط على من كفر به ويغضب، فلا يقوم شيء لغضبه»^(٤). فجعل الرضا نقيض السخط^(٥).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تظهر العلاقة بين المعنيين من حيث إن السخط في كل منهما ضد الرضا، فسخط الله ﷻ لأمر، عدم رضاه به، ويحمل في حقه سبحانه على غاية الكمال والجمال.

الحكم:

يجب إثبات صفة السخط لله ﷻ واعتبارها صفة فعلية قائمة بذاته غير منفصلة عنه، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

الحقيقة:

حقيقة سخط الله تعالى بغضه وكرهيته

(٣) انظر: صفات الله الواردة في الكتاب والسنة (١٩٧).

(٤) كتاب الجامع (١٠٧ - ١٠٨).

(٥) تهذيب اللغة (١٥٩/٧).

السَّخَطُ

التعريف لغة:

السَّخَطُ: مصدر للفعل سَخَطَ يَسْخُطُ، يقال: سَخَطَ وَسُخِطَ، وهو خلاف الرضا، أو الغضب والكره.

قال الجوهري: «السَّخَطُ والسُّخُطُ: خلاف الرضا. وقد سَخَطَ؛ أي: غضب، فهو ساخط. وأسخطه؛ أي: أغضبه»^(١).

وقال ابن الأثير: «السَّخَطُ والسُّخُطُ: الكراهيةُ للشيء وعدم الرضا به»^(٢).

التعريف شرعاً:

السخط المضاف إلى الله تعالى معناه

(١) الصحاح (٢٦٧/٣) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م].

(٢) النهاية في غريب الحديث (٨٨٨/٢) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

الخدري رحمته الله في مخاطبة الله وَعَلَيْكَ أَهْلُ الجنة، وفيه: «فيقول: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أَحْلُ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أُسْخِطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(٣).

وقوله رحمته الله: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمَعَاذِكَ مِنْ عِقَابِكَ»^(٤).

وأما الإجماع فقد نقله ابن تيمية رحمته الله فقال: «ومن المعلوم أنه قد دلَّ الكتاب والسُّنة واتفاق سلف الأمة على أن الله يحب ويرضى ما أمر بفعله من واجب ومستحب، وإن لم يكن ذلك موجودًا، وعلى أنه قد يريد وجود أمور يبغضها ويسخطها من الأعيان والأفعال كالفسق والكفر»^(٥).

وأما دلالة العقل، فإن كون الله وَعَلَيْكَ يعاقب الكفار والعصاة على كفرهم وعصيانهم دليل على عدم رضاه عنهم وسخطه منهم.

✽ أقوال أهل العلم:

قال أبو إسماعيل الصابوني: «كذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥١٨)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٢٩).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٦).

(٥) مجموع الفتاوى (٧٥/١٠) [دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦هـ].

ومقتته لبعض عبادہ وبعض الأعمال والأقوال الصادرة منهم بمقتضى عدله وحكمته سبحانه. يقول شيخ الإسلام رحمته الله بعد إيراد لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد]: «فإنه يدل على أن أعمالهم أسخطته، فهي سبب لسخطه، وسخطه عليهم بعد الأعمال»^(١).

✽ الأدلة:

دلَّ على ثبوت هذه الصفة لله وَعَلَيْكَ الكتاب والسُّنة والإجماع والعقل.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد]، وقوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٢].

تضمنت هذه الآيات إثبات صفة السخط حقيقة لله وَعَلَيْكَ على ما يليق به سبحانه، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق^(٢).

ومن السُّنة: حديث أبي سعيد

(١) مجموع الفتاوى (٢٢٦/٦).

(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس (١٠٨ - ١٠٩) [دار الهجرة، ط ١].

❁ الفروق:

الفرق بين الغضب والسخط:

قيل: إن السخط والغضب بمعنى واحد، وأنهما من المترادف؛ لأنهما يتعاقبان في القرآن بنفس المعنى.

وقيل: إن الغضب أعم من السخط، والسخط أخص منه.

وقيل: إن السخط إذا تعدى بنفسه فهو خلاف الرضا، وإذا تعدى بعلی فهو بمعنى الغضب^(٤).

وقال ابن العثيمين: «وأما السخط فمعناه قريب من معنى الغضب»^(٥).

والصحيح: أن الغضب والسخط إذا كان المقصود منهما صفات الله ﷻ فليسا بمعنى واحد، إذ قد ثبت كل واحد منهما في النصوص، وإن كان المعنى متقارباً، لكن الغضب صفة والسخط صفة، وأما في إطلاق الناس فالغضب من أثر السخط والله تعالى أعلم.

❁ الثمرات:

١ - يجب على العبد اتقاء ما يسخط الله ﷻ بفعل أو امره والانتهاز عن نواهيه.

٢ - على العبد الحذر والخوف

بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والرضا والسخط من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين؛ بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى، وقاله رسوله ﷺ^(١).

وقال ابن تيمية: «وكذلك قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ﴾ فإنه يدل على أن أعمالهم أسخطته فهي سبب لسخطه، وسخطه عليهم بعد الأعمال؛ لا قبلها»^(٢).

٣ - وقال ابن عثيمين: «﴿اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ﴾؛ أي: الذي أسخط الله، فصاروا يفعلون كل ما به سخط الله ﷻ من عقيدة أو قول أو فعل وفي هذه الآية من صفات الله: الرضا والسخط»^(٣).

❁ المسائل المتعلقة:

السخط من الصفات التي لا يشتق منها اسم، فلا يسمى الله ﷻ ساخطاً أو سخطاً؛ إذ لم يرد ذلك في الكتاب والسنة، ولم يذكره أحد من أهل العلم المحققين.

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٥) [الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٤هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢٦/٦).

(٣) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (١/٢٦٩) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٤) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٣٨٦) [مؤسسة

النشر الإسلامي، ط ١]، والمخصص لابن سيده (٤/

٢٨٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٥) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (١/٢٦٩).

فيثبت له صفات الأفعال الاختيارية المتعلقة بمشيئته وقدرته من غير تشبيه لذلك بصفات المخلوقين، ولا تأويل ينفي دلالتها، وقد ذكر شيخ الإسلام شبه المنكرين لصفات الأفعال وردّ عليها، كما ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف على اتصاف الله تعالى بالأفعال الاختيارية المتعلقة بقدرته ومشيئته، وأن الفعل غير المفعول^(٢).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.
- ٣ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.
- ٤ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن العثيمين.
- ٥ - «شرح العقيدة الواسطية»، للهراس.
- ٦ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة»، لمحمد أمان الجامي.
- ٧ - «صفات الله الواردة في الكتاب والسنة»، للسقاف.
- ٨ - «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، للصابوني.
- ٩ - «فتح الباري»، لابن حجر.
- ١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

من الله ﷻ والسعي لمعرفة أسباب سخط الله ﷻ ليتجنبها وأسباب رضاه للفوز بها.

٣ - كما يجب عليه التقرب إلى الله سبحانه والتعوذ برضاه عن سخطه وبمعافاته عن عقوبته.

✽ الآثار:

من آثار سخطه سبحانه على العباد: إحباط الأعمال، والعقوبة الشديدة في الدنيا ودخول النار في الآخرة، كما دلّت على ذلك الآيات المتقدمة.

✽ مذهب المخالفين:

أنكر عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة أن يوصف الله ﷻ بسخط يليق بجلاله سبحانه، وزعموا أن إثبات هذه الصفة يلزم منه حلول الحوادث بذاته سبحانه، فأولّوا معناها وقالوا: السخط: هي إرادة الله تعذيب الكفار، أو إرادة الشر^(١).

وهذه الآراء مخالفة لما دلّ عليه الكتاب والسنة واتفاق السلف من أن الله ﷻ يفعل ما يشاء متى شاء، فيرضى إذا شاء ويسخط إذا شاء، ويغضب إذا شاء، ويكره إذا شاء، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/٤٧٨) مكتبة السوادى، ط ١، مشكل الحديث وبيانه لأبي بكر بن فورك الأصهباني [عالم الكتب، ١٩٨٥م].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/٥٢٩ - ٥٣٨، ٦/٢٣٣).

عشرة سنة^(٣)، وقيل: تسع عشرة سنة^(٤)، وهاجر مبكرًا، فقد ثبت من حديث البراء رضي الله عنه أنه قال: «أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وكانا يقرئان الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ، ثم قدم النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ»^(٥).

وشهد بدرًا وما بعدها، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وكان فارسًا شجاعًا من أمراء رسول الله ﷺ، وهو الذي بنى الكوفة، ونفى عنها الأعاجم، وقد استنابه عمر الفاروق على الكوفة، وهو الذي فتح المدائن وكانت على يديه وقعة جلولاء^(٦).

فضائله:

لسعد بن أبي وقاص مناقب عظيمة، فهو:

- أحد العشرة المبشرين بالجنة، كما

سريع الحساب

يراجع مصطلح (الحسيب).

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

هو: سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، ويكنى: أبا إسحاق القرشي المدني الزهري، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بنت عم أبي سفيان بن حرب بن أمية^(١).

مولده ووفاته:

ولد قبل البعثة بسبع عشرة سنة، ومات بالعقيق سنة خمس وخمسين على المشهور، وحمل إلى المدينة فضلي عليه في المسجد^(٢).

إسلامه:

أسلم قديمًا حين كان عمره سبع

(١) المعارف لابن قتيبة (٢٤١) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢]، والمعرفة والتاريخ للفسوي (٢٧٩/١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]، وسير أعلام النبلاء (٩٢/١) [مؤسسة الرسالة، ط ٣]، والبداء والنهاية (٢٨٣/١١) [دار هجر، ط ١]، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/٧٣) [دار الجبل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٢) انظر: تلقيح فهم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير لابن الجوزي (٨٤) [دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١]، وتقريب التهذيب لابن حجر (رقم ٢٢٥٩)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/٧٥).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٠٣/٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ]، وتلقيح فهم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير لابن الجوزي (٨٤)، وسير أعلام النبلاء (٩٦/١)، والبداء والنهاية (٢٨٣/١١).

(٤) انظر: المعارف لابن قتيبة (٢٤٢/١).
(٥) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٩٢٥).
(٦) انظر: البداية والنهاية (٢٨٤/١١)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/٧٤ - ٧٥).

سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها»^(٥).

- أنه ممن جمع النبي ﷺ له أبويه في التفدية^(٦)، لما جاء من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «جمع لي رسول الله ﷺ يوم أحد أبويه كليهما»^(٧)، وروى الإمام البخاري بسنده عن علي رضي الله عنه قال: «ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد، إلا لسعد بن مالك، فإني سمعته يقول يوم أحد: «يا سعد، ارم فداك أبي وأمي»^(٨). وقد ثبت عن غيره أن النبي ﷺ جمع أبويه للزبير بن العوام رضي الله عنه يوم الخندق^(٩)، فيكون كل منهما حدث بحسب علمه^(١٠).

- أنه ممن أسلم من قبل الفتح وقاتل^(١١)، ويدل على عظم فضل هؤلاء قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ

في حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»^(١٢).

- أنه ممن شهد بدرًا^(١٣)، ومما جاء في فضلهم حديث علي عن النبي ﷺ أنه قال: «لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو: فقد غفرت لكم»^(١٤).

- أنه ممن شهد بيعة الرضوان^(١٥)، وقد جاء في فضلهم العظيم قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح]. وثبت من حديث أم مبشر أنها

(١) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٤٧)، وأحمد (٢٠٩/٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٠) [المكتب الإسلامي].

(٢) انظر: صحيح البخاري (كتاب المغازي، باب تسمية من سمي من أهل بدر، بعد رقم ٤٠٢٧)، وسير أعلام النبلاء (٩٣/١)، والبداية والنهاية (١١/٢٨٣)، والإصابة في تمييز الصحابة (٧٣/٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٣٩٨٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٤).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٩٣/١)، والبداية والنهاية (١١/٢٨٣)، والإصابة في تمييز الصحابة (٧٣/٣).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٦).

(٦) أي في قول: فداك أبي وأمي.

(٧) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٠٥٧)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٢).

(٨) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٠٥٩).

(٩) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٢٠)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٦).

(١٠) انظر: فتح الباري لابن حجر (٨٤/٧).

(١١) انظر: محض الخلاص في مناقب سعد بن أبي وقاص لابن عبد الهادي (٤٨) [دار البشائر، ط ١، ١٤٢٧هـ].

شواهد إجابة دعائه ما رواه البخاري بسنده عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال: «شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر رضي الله عنه فعزله، واستعمل عليهم عمارًا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإنني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرج منها، أصلي صلاة العشاء فأركد في الأولين، وأخف في الآخرين، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلًا أو رجلًا إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجدًا إلا سأل عنه ويشنون معروفًا، حتى دخل مسجدًا لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له: أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة، قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياء وسمعة، فأطّل عمره، وأطّل فقره، وعرضه بالفتن، وكان بعد إذا سئل؟ يقول: شيخ

والبزار (٤٩/٤) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، والطبراني في الكبير (١٤٣/١) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، والحاكم (كتاب المغازي والسرايا، رقم ٤٣١٤) وصحّحه، وحسنه الهيثمي في المجمع (٩/ ١٥٣) [مكتبة القدسي]، وصحّحه الألباني في تحقيقه للمشكاة (رقم ٦١٢٥).

قَبْلَ الْفَتْحِ وَقَدْ أُولِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ [الحديد].

- أنه الرجل الصالح الذي تمناه النبي ﷺ لحراسته، فقد ثبت من حديث أم المؤمنين عائشة قالت: «أرق النبي ﷺ ذات ليلة فقال: «ليت رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة»، إذ سمعنا صوت السلاح، قال: «من هذا؟» قال: سعد يا رسول الله جئت أحرسك، فنام النبي ﷺ حتى سمعنا غطيته»^(١).

وفي لفظ لمسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة، فقال: ليت رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة، قالت: فيينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح، فقال: من هذا؟ قال: سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله ﷺ: ما جاء بك؟ قال: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام»^(٢).

- أنه كان مجاب الدعوة لدعاء النبي ﷺ له بذلك، فقد جاء من حديث سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ استجب لسعد إذا دعاك»^(٣). ومن

(١) أخرجه البخاري (كتاب التمني، رقم ٧٢٣١)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٠).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٠).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٥١)،

قال الترمذي موضعاً ذلك: «وكان سعد بن أبي وقاص من بني زهرة، وكانت أم النبي ﷺ من بني زهرة، فلذلك قال النبي ﷺ: هذا خالي».

المسائل المتعلقة:

- كون سعد ﷺ ثالث نفر في الإسلام:

فقد صح من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ أنه قال: «ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثالث الإسلام»^(٦).

وفي هذا إشكال؛ حيث يقتضي أنه لم يُسبق إلى الإسلام، وأنه بقي سبعة أيام وهو ثالث الإسلام؛ أي: أنه هو واثنان آخران معه من المسلمين فقط، والواقع أنه أسلم قبله كثير من المسلمين، فقد ثبت من حديث عمار ﷺ أنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر»^(٧).

ولذا جمع بعض أهل العلم - كما في القولين الآتين - بينه وبين قول سعد هنا بأمور؛ منها: أن عماراً ﷺ حدث حسب علمه واطلاعه. قال ابن كثير بعد

كبير مفتون أصابني دعوة سعد. قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن»^(١).

مكانته:

هو أحد السابقين الأولين، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ^(٢)، وقال فيه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بعد أن جعله من أصحاب الشورى: «إن أصابته الإمرة فذاك، وإلا فليستعن به الوالي»^(٣)، وكان معظماً جليل المقدار في زمن الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر الفاروق ﷺ، وكان سيِّداً مطاعاً، عزله عمر عن الكوفة عن غير عجز ولا خيانة، ولكن لمصلحة ظهرت لعمر في ذلك، ثم ولاه عثمان الكوفة بعدها، ثم عزله عنها^(٤).

وهو خال النبي ﷺ، فقد روى الترمذي من حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال: «أقبل سعد فقال النبي ﷺ: هذا خالي فليُرني امرؤ خاله»^(٥).

وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٩٩٤).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٢٧)، و(كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٥٨).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٦٠).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٧٥٥).

(٢) البداية والنهاية (٢٨٣/١١).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٧٤/٣).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٢٨٤/١١)، والإصابة في تمييز الصحابة (٧٤/٣).

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٥٢)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٦١١٣).

رواية يحيى بن سعيد الأموي عن هاشم بلفظ: «ما أسلم أحد قبلي»، ومثله عند ابن سعد من وجه آخر عن عامر بن سعد عن أبيه، وهذا مقتضى رواية الأصيلي، وهي مشكلة؛ لأنه قد أسلم قبله جماعة، لكن يحمل ذلك على مقتضى ما كان اتصل بعلمه حينئذ، وقد رأيت في المعرفة لابن منده من طريق أبي بدر عن هاشم بلفظ: «ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه»، وهذا لا إشكال فيه؛ إذ لا مانع أن لا يشاركه أحد في الإسلام يوم أسلم، لكن أخرجه الخطيب من الوجه الذي أخرجه ابن منده، فأثبت فيه (إلا) كبقية الروايات، فتعين الحمل على ما قلته^(٣).

❁ موقف المخالفين منه:

رمى الرافضة هذا الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعدد من التهم الشنيعة، ومنها على سبيل المثال ما يلي:

أ - زعمهم بأنه من رؤوس المنافقين، ولعنهم إياه^(٤).

ب - زعمهم أن تحت كل شعرة من شعر سعد شيطان جالس^(٥).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٨٤).

(٤) انظر: رسائل الكوكبي (٢/ ٢٢٨) [مكتبة المرعشي، ط ١، ١٤٠٩هـ].

(٥) انظر: كامل الزيارات لجعفر بن قولويه (١٥٥ -

١٥٦) [تحقيق: جواد القيمومي، مؤسسة النشر

الإسلامي، ط ١، ١٤١٧هـ]، ومن طريقه أورده =

إيراده الحديث السابق: «وهو مشكل؛ إذ يقتضي أنه لم يسبقه أحد بالإسلام، وقد علم أن الصديق وعليًا وخديجة وزيد بن حارثة رضي الله عنهم أسلموا قبله، كما قد حكى الإجماع على تقدم إسلام هؤلاء غير واحد؛ منهم ابن الأثير، ونص أبو حنيفة رضي الله عنه على أن كلاً من هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه. والله أعلم. وأما قوله: ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام. فمشكل؛ وما أدري على ماذا يوضع عليه إلا أن يكون أخبر بحسب ما علمه. والله أعلم^(١).

وقال ابن حجر: «قوله: «إني لثلث الإسلام» قال ذلك بحسب اطلاعه، والسبب فيه أن من كان أسلم في ابتداء الأمر كان يخفي إسلامه، ولعله أراد بالاثنتين الآخرين خديجة وأبا بكر، أو النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر، وقد كانت خديجة أسلمت قطعاً، فلعله خص الرجال، وقد تقدم في ترجمة الصديق^(٢) حديث عمار: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أعبد وأبو بكر»، وهو يعارض حديث سعد، والجمع بينهما ما أشرت إليه، أو يحمل قول سعد على الأحرار البالغين؛ ليخرج الأعبد المذكورين وعلي رضي الله عنه، أو لم يكن اطلع على أولئك، ويدل على هذا الأخير: أنه وقع عند الإسماعيلي من

(١) البداية والنهاية (٤/ ٨٠).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٧٠).

- زعمهم أنه قارون هذه الأمة^(١).

- زعمهم أنه كان ضمن المتآمرين على قتل النبي ﷺ عند العقبة، منصرفه من غزوة تبوك^(٢).

إلى غير ذلك من مطاعنهم التي لا خطام لها ولا زمام^(٣).

الرد عليهم:

لا شك أن هذا القدر والطعن فيمن زكاه الله ﷻ ونبيّه ﷺ، بأنه قارون الأمة، والحكم عليه بالنفاق، والشهادة عليه بالنار، مع شهادة الله ورسوله ﷺ له بالجنة لهو من الخذلان والحرمان بمكان كبير؛ بل هو محادة لله ورسوله ﷺ، وتكذيب لقول الله وقول رسوله ﷺ؛ فقد أثنى الله على الصحابة بوجه عام، وعلى السابقين الأولين منهم - كسعد بن أبي وقاص وغيره - بوجه خاص، وأخبر سبحانه أنهم جميعاً من أهل الجنة، فقال الله سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ يُغْفِرُ لَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ١٩٦).

= الصدوق في أماليه (١٩٦) [مؤسسة البعث، قم، ط ١، ١٤١٧هـ].

(١) انظر: مقدمة البرهان للعاملي (٢٨٠)، بواسطة موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة لعبد القادر عطا صوفي (١١٩٢).

(٢) الخصال للصدوق (٤٩٩) [تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم].

(٣) انظر: موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة لعبد القادر عطا صوفي (١١٠٣، ١١٩٢) وما بعدها.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة].

وقال ﷺ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [الحديد].

وقد تقدم في ذكر فضائل سعد بن أبي وقاص ﷺ وبيان مكانته أنه من العشرة المبشرين بالجنة، وأنه من المؤمنين الصادقين، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وهذا كله يبطل رمية بالنفاق واتهامه بالمشاركة مع المنافقين في محاولة اغتيال النبي ﷺ؛ لمنافاة ذلك أصل الإيمان، فضلاً عن أن يبشّر بالجنة ويُشَهد له بالصلاح كما جاء في مناقبه.

وكل ما نسبوه إلى علي بن أبي طالب ﷺ من ذمه لسعد بن أبي وقاص ﷺ لهو كذب صريح، وإفك مبین، واتهام لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بتكذيب ما جاء من الأحاديث الصحيحة المتقدمة في مناقب سعد وعلو قدره وتبشير به بالجنة، وحاشاه من ذلك.

وأما طعنهم في سعد؛ لمشاركة ابنه عمر في قتال الحسين بعد وفاة سعد،

■ السُّكُوت ■

✿ التعريف لغة:

السُّكُوت: مصدر من الفعل سَكَتَ يَسْكُتُ سَكُوتًا إذا صمت، أو سَكَنَ.

قال ابن فارس: «السين والكاف والتاء يدلُّ على خلاف الكلام. تقول: سَكَتَ يَسْكُتُ سَكُوتًا، ورجلٌ سَكَّيتَ. ورماه بُسْكَاتَةً؛ أي: بما أسكته، وَسَكَتَ الغضبُ، بمعنى سَكَنَ»^(١).

وقال الأزهري: ويقال: «سَكَتَ الرجلُ يَسْكُتُ سَكُوتًا إذا سَكَنَ، وَسَكَتَ يَسْكُتُ سَكُوتًا وَسَكَّاتًا إذا قطع الكلام»^(٢).

ويكون السكوت بمعنى عدم التكلم، وعدم تحريك اللسان البتة، ويكون كذلك بمعنى عدم إظهار الكلام بصوت جوهري يسمعه الناس، فكلاهما يسمى سَكُوتًا^(٣).

✿ التعريف شرعًا:

السكوت في حق الله ﷻ صفة فعلية اختيارية ثابتة له، ومتعلقة بمشيئته يسكت متى شاء ويتكلم متى شاء كما يليق به ﷻ، وسكوته سبحانه يكون تارة عن التكلم

فهو طعن فاسد؛ لأن سعدًا - كغيره من الناس - لم يكن يعلم الغيب حتى يتفاداه بأي وسيلة كانت، ثم إن النفس لا تؤاخذ بجريرة غيرها، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِئِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

✿ المصادر والمراجع:

- ١ - «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج ٣)، لابن حجر.
- ٢ - «البداية والنهاية» (ج ١١)، لابن كثير.
- ٣ - «تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير»، لابن الجوزي.
- ٤ - «الخصال»، للصدوق.
- ٥ - «سير أعلام النبلاء» (ج ١)، للذهبي.
- ٦ - «الطبقات الكبرى» (ج ٣)، لابن سعد.
- ٧ - «محض الخلاص في مناقب سعد بن أبي وقاص»، لابن عبد الهادي المقدسي.
- ٨ - «المعارف»، لابن قتيبة.
- ٩ - «المعرفة والتاريخ» (ج ١)، ليعقوب الفسوي.
- ١٠ - «موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة»، لعبد القادر عطا صوفي.

(١) مقاييس اللغة (٤٠٢/٢) [دار الجيل].

(٢) تهذيب اللغة (٣٢٤/٣) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٧٨/٦ - ١٧٩) [دار الوفاء، ٣، ١٤٢٦هـ].

وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يشترك التعريف اللغوي والشرعي في أن السكوت في كل منهما ضد الكلام، أو ضد إظهار الكلام إلا أن المعنى الشرعي يختص بالله ﷻ، ويفيد الكمال المطلق في حقه سبحانه.

الحكم:

يجب الإيمان بأن الله ﷻ يسكت إن شاء ويتكلم إن شاء وأن سكوته يكون تارة عن التكلم وتارة عن إظهار الكلام، فيثبت كل ذلك له كما يليق بجلاله من غير تشبيه ذلك بسكوت المخلوقين، ولا تأويل للنصوص عن مرادها؛ بل تُمر على ظاهرها بلا كيف.

الحقيقة:

حقيقة سكوته سبحانه صفة فعلية متعلقة بمشيئته دالة على كمال مطلق في حقه، يتكلم متى شاء ويسكت متى شاء، وسكوته تارة عن التكلم وتارة عن إظهار الكلام.

الأدلة:

دلَّ على ثبوت صفة السكوت لله ﷻ السُّنة والإجماع.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٧٨/٦ - ١٧٩)، وصفات الله الواردة في الكتاب والسُّنة للسفاح (١٤٥) [دار الهجرة، ط١، ١٤١٤هـ].

فمن السُّنة: حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «... فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو...»^(٣).

وأما الإجماع، فقد ذكره ابن تيمية رحمه الله فقال: «ثبت بالسُّنة والإجماع أن الله يوصف بالسكوت؛ لكن السكوت يكون تارة عن التكلم، وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه»^(٤).

أقوال أهل العلم:

قال أبو إسماعيل الهروي بعد ذكر الفتنة الواقعة زمن ابن خزيمة: «فطار لتلك الفتنة ذاك الإمام أبو بكر، فلم يزل يصيح بتشويهها، ويصنف في ردها؛ كأنه منذر جيش، حتى دون في الدفاتر، وتمكن في السرائر، ولقن في

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب اللباس، رقم ١٧٢٦)، وابن ماجه (كتاب الأطعمة، رقم ٣٣٦٧)، قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه»، ثم ذكره موقوفاً، وقال: «وكان الحديث الموقوف أصح، وسألت البخاري عن هذا الحديث، فقال: ما أراه محفوظاً».

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الأطعمة، رقم ٣٨٠٠)، والحاكم (كتاب الأطعمة، رقم ٧١١٣) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (رقم ٣٤) [المكتب الإسلامي، ط٣].

(٤) مجموع الفتاوى (١٧٨/٦).

الكتاتيب، ونقش في المحاريب: أن الله

متكلم إن شاء تكلم، وإن شاء سكت، فجزى الله ذاك الإمام، وأولئك النفس الغر عن نصرة دينه، وتوقير نبيّه خيرًا^(١).

وقال أبو نصر السجزي: «وقد دلّ القرآن على أن القرآن هو النطق، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤] والإنصات عند العرب ترك النطق... فعلم بذلك أن السكوت والكلام لا يجتمعان في الوقت الواحد، في محل واحد^(٢).

وقال ابن تيمية: «ثبت بالسُّنة والإجماع أن الله يوصف بالسكوت؛ لكن السكوت يكون تارة عن التكلم، وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه»^(٣).

❁ الأقسام:

السكوت له معنيان:

المعنى الأول: سكوت مقابل للكلام؛ سكت؛ أي: لم يتكلم.

والمعنى الثاني: سكوت عن إظهار الكلام، وهذا النوع هو الذي جاء في الأحاديث السابقة فالسكوت فيها بمعنى عدم إظهار حكم تلك الأشياء، ليس هو

السكوت الذي هو ضد الكلام.

❁ مذهب المخالفين:

أنكرت المعطلة من الجهمية والمعتزلة والكلابية والأشاعرة والكرامية أن يوصف الله بالسكوت كما يليق بجلاله، وقالوا باستحالة أن يوصف بخلاف الكلام^(٤).

وهذا قول باطل لمخالفته للأحاديث الصريحة في وصف الله ﷻ بالسكوت في مثل قوله ﷻ: «وما سكت عنه فهو عفو»، وإجماع الأمة على أن الله يوصف بالسكوت، وأن سكوته بعلم لا عن نسيان، وأنها من جنس الصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله، فثبت في حق الله علي وفق قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ٥].

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «الإبانة عن أصول الديانة»، للأشعري.
- ٢ - «إيثار الحق على الخلق»، لابن الوزير.
- ٣ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٦٣/٦، ٢٩٧)، منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٣/٣٧٠) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ]، والإبانة للأشعري (٦٣) [دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ].
(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١٧٩/٦).

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧٨/٦).

(٢) رسالة السجزي إلى أهل زيد (٢١٧ - ٢١٨) [طبعة الجامعة الإسلامية، ط٢، ١٤٢٣هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (١٧٨/٦).

ومنها: السَّلام اسم من أسماء الله تبارك وتعالى^(٢)، وقال الجوهري: «السلام: البراءة من العيوب»^(٣).

✽ التعريف شرعاً:

السَّلام: اسم من أسماء الله ﷻ، قال ابن كثير: «السلام؛ أي: من جميع العيوب والنقائص، بكماله في ذاته وصفاته وأفعاله»^(٤).

قال الطبري: «هو الذي يسلم خلقه من ظلمه»^(٥)، وقال الأزهري: «السَّلام اسم الله، وتأويله - والله أعلم -: أنه ذو السلام الذي يملك السلام، هو تخلص من المكروه»^(٦).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي هو السلامة والعافية، والله ذو السلامة المطلقة، والمعافاة، وهو وحده يملك السلام والتخلص من المكروه، فلله تعالى الأتم والأعلى من المعنى اللغوي لهذه المادة، وهو ليس على الإطلاق إلا الله ﷻ.

(٢) تهذيب اللغة (٤٤٦/١٢) [الدار المصرية للتأليف].

(٣) الصحاح (١٩٥١/٥) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٤) تفسير ابن كثير (٥٠٢/١٣) [دار عالم الفوائد، ط ١]، وانظر: شأن الدعاء (٤١) [دار الشقافة العربية، ط ٣].

(٥) جامع البيان (٦٩/١٤) [دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٦) تهذيب اللغة (٤٤٦/١٢) [الدار المصرية للتأليف].

٤ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.

٥ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٦ - «صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنة»، للسقاف.

٧ - «مجموع فتاوى»، لابن تيمية.

٨ - «منهاج السُّنة النبوية»، لابن تيمية.

٩ - «رسالة السجزي إلى أهل زيد».

✽ السَّلام ✽

✽ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «السين واللام والميم معظم بابه الصحة والعافية، ويكون فيه ما يشذ عنه والشاذ قليل، فالسلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى، قال أهل العلم: الله جلَّ ثناؤه هو السلام؛ لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء. قال الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥]، فالسلام: الله جلَّ ثناؤه، ودارُهُ الجَنَّة. ومن الباب أيضاً الإسلام، وهو الانقياد؛ لأنَّه يَسْلَم من الإيذاء والامتناع»^(١). وقال الأزهري: «السَّلام في لغة العرب أربعة أشياء، فمنها: سلَّمتُ سلاماً مصدر سلَّمت، ومنها: السلام جمع سلامة،

(١) مقاييس اللغة (٤٨٧) [دار الفكر ط ٢، ١٤١٨هـ].

❁ سبب التسمية:

يتخيله مشبه، أو يتقوله معطل فتأمل كيف تضمن اسمه (السلام) كل ما ينزه عنه تبارك وتعالى، وكَم ممن يحفظ هذا الاسم ولا يدري ما تضمنه من هذه الأسرار والمعاني^(٢).

❁ الأدلة:

ورد اسم الله السلام صريحاً في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر]، كما ورد صريحاً في حديث: كنا نقول في الصلاة: السلام على الله، السلام على فلان، فقال لنا النبي ﷺ ذات يوم: «إن الله هو السلام فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»^(٣)، وحديث كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً، وقال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمَنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(٤)، وورد في حديث

سمى الله نفسه بالسلام؛ لأنه سَلِمَ مما يلحق الخلق من آفات التغيير والفناء، وأنه الباقي الدائم الذي يُفنى الخلق، ولا يفنى، ولأنه ذو السلام الذي يملك السلام، وهو التخليص من المكروه^(١).

❁ الحكم:

وجوب إثبات اسم: السلام لله ﷻ؛ لثبوت النص به من الكتاب والسنة.

❁ الحقيقة:

قال ابن القيم في أحقية الله ﷻ بهذا الاسم من كل مسمى به: «لسلامته سبحانه من كل عيب ونقص من كل وجه، وكذلك عطاؤه سلام من كونه معاوضة أو لحاجة إلى المعطى، ومنعه سلام من البخل وخوف الإملاق، واستواؤه وعلوه على عرشه سلام من أن يكون محتاجاً إلى ما يحمله أو يستوي عليه؛ بل العرش محتاج إليه، وحملته محتاجون إليه، فهو الغني عن العرش وعن حملته، وعن كل ما سواه... وكذلك محبته لمحبيه وأوليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق، من كونها محبة حاجة إليه، أو تملق له، أو انتفاع بقربه، وسلام مما يتقوله المعطلون فيها، وكذلك ما أضافه إلى نفسه من اليد والوجه فإنه سلام عما

(٢) بدائع الفوائد (٢/٦٠٢ - ٦٠٥) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ]، وانظر: فقه الأسماء الحسنى (١٩٠ - ١٩٢) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٢٨)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٢).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٩١).

فإن الله هو السلام، ولكن قولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات»^(٥).

- المسألة الثانية: تسمية غير الله بالسلام:

قال ابن القيم: «ومما يمنع تسمية الإنسان به أسماء الرب تبارك وتعالى؛ فلا يجوز التسمية بالأحد والصمد ولا بالخالق ولا بالرازق وكذلك سائر الأسماء المختصة بالرب تبارك وتعالى، وأما الأسماء التي تطلق عليه وعلى غيره كالسميع والبصير والرؤوف والرحيم؛ فيجوز أن يخبر بمعانيها عن المخلوق، ولا يجوز أن يتسمى بها على الإطلاق بحيث يطلق عليه كما يطلق على الرب تعالى»^(٦).

الآثار:

من آثار الإيمان باسم السلام: العلم بأن الله لا يظلم أحداً، حيث ذكر العلماء أن من معاني السلام: أن الله ذو السلام؛ أي: هو الذي يسلم خلقه من ظلمه»^(٧).

ومنها: أن الله ذو السلام؛ أي: المسلم على عباده في الجنة؛ كما قال: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]^(٨) فالله تعالى يتكلم حقيقة، ويسلم

التصريح بأن السلام اسم من أسماء الله ﷻ وهو قوله ﷻ في حديث أنس: «إن السلام اسم من أسماء الله تعالى، وضعه الله في الأرض، فأفشوا السلام بينكم»^(١).

أقوال أهل العلم:

اتفق المسلمون على أن السلام اسم من أسماء الله الحسنی، قال ابن جرير الطبري: «إن السلام اسم من أسماء الله»^(٢).

وقال ابن القيم: «قوله ﷻ: «إن الله هو السلام» صريح، فيكون السلام اسماً من أسمائه»^(٣).

وقال سليمان آل الشيخ: «قوله: «فإن الله هو السلام». فهذا صريح في كون السلام اسماً من أسمائه»^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: لا يقال: السلام على الله:

للهي الوارد عن ذلك في قول النبي ﷺ: «لا تقولوا السلام على الله؛

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٤٣) [دار البشائر، ط ٣]، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٥٨/١)، رقم (١٨٤) [مكتبة المعارف، ط ٢، ١٤١٣هـ].

(٢) تفسير الطبري (١٢٠/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٣) بدائع الفوائد (١٤٢/٢) [دار الكتاب العربي].

(٤) تيسير العزيز الحميد (٥٦٣) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣٥).

(٦) تحفة المودود (١٢٥ - ١٢٧) [دار البيان، دمشق، ط ١، ١٣٩٢هـ].

(٧) جامع البيان (٦٩/١٤).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٣٩٠).

٨ - «فقه الأسماء الحسنی»،

لعبد الرزاق البدر.

٩ - «الكافية الشافية» (ج ٤)، لابن القيم.

١٠ - «المقصد الأسنى»، للغزالي.

السلام على النبي ﷺ

التعريف لغة:

السلام: مصدر الفعل الثلاثي المزيد (سَلَّمَ) - من التحية بالتسليم -، وهو دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه، وهو أيضًا جمع (سَلَامَة). وهو اسمٌ من أسماء الله ﷻ؛ معناه: السالم مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء^(٢).

التعريف شرعًا:

السلام على النبي ﷺ: دعاء له ﷺ بأن يسلمه الله ﷻ ويحصنه من جميع النقائص والآفات والمكاره، سلامة له ومعه - أي: مصاحبة وملازمة - في حياته ﷺ وبعد موته، ولشرعه وسُنَّته: أن يحفظهما من أن تنالهما أيدي العابثين.

فمعنى «اللَّهُمَّ سلم على محمد»؛ أي:

(٢) انظر: الصحاح (١٩٥١/٥) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، وتهذيب اللغة (٤٤٦/١٢) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ومقاييس اللغة (٩٠/٣) [دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤١٨هـ].

على عبادته في الجنة بصوت يسمع.

ومنها: أن الله متصف بصفات الكمال والجمال إذ لو لم يتصف بذلك لكان ناقصًا، ولم يكن سالمًا فضلًا عن أن يكون هو السلام، فالله هو السلام المنزه عن كل عيب وسوء، المتصف بجميع الصفات الكمال والجمال والجلال.

ومن آثاره أيضًا: أن يرجو العبد السلامة من الله وحده، وأن يدعو الله باسمه السلام، فيطلب منه السلامة في القول والعمل والاعتقاد، والنفس والمال والأولاد، لقول النبي ﷺ في دعائه: «اللَّهُمَّ أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله الحسنی الثابتة في الكتاب والسنة» (ج ٢)، للرضواني.
- ٢ - «بدائع الفوائد» (ج ١، ٢)، لابن القيم.
- ٣ - «تفسير القرآن العظيم» (ج ١٣)، لابن كثير.
- ٤ - «جامع البيان» (ج ١٤)، للطبري.
- ٥ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ٢٠)، للقرطبي.
- ٦ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٧ - «شرح صحيح مسلم» (ج ٤)، للنووي.

اللَّهِمَّ اكْتُبْ لِمُحَمَّدٍ فِي دَعْوَتِهِ وَأُمَّتِهِ وَذِكْرِهِ السَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ؛ فَتَزْدَادَ دَعْوَتُهُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ عِلْوًا، وَأُمَّتُهُ تَكَثَّرًا، وَذِكْرُهُ ارْتِفَاعًا^(١).

النَّبِيُّ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب]؛ إِذْ بِالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا وَضُمُّهُمَا - كَمَا فِي الشَّهَادَةِ وَغَيْرِهِ - يَحْصُلُ الْمَطْلُوبُ وَيَزُولُ الْمَرْهُوبُ؛ فَبِالسَّلَامِ يَزُولُ الْمَرْهُوبُ وَتَنْتَفِي النِّقَاصُ، وَبِالصَّلَاةِ يَحْصُلُ الْمَطْلُوبُ وَتَثْبُتُ الْكَمَالَاتُ.

فَإِنْ اقْتَصَرَ الدَّاعِي عَلَى الصَّلَاةِ دُونَ التَّسْلِيمِ دَائِمًا، أَوْ الْعَكْسُ - بِحَيْثُ جَعَلَهُ دِيدَنًا لَهُ - فَيَكْرَهُ؛ لِإِخْلَالِهِ بِالْأَمْرِ الْوَارِدِ بِالْإِكْثَارِ مِنْهُمَا وَالتَّرْغِيبِ فِيهِمَا، أَمَّا إِنْ كَانَ يَصْلِي تَارَةً وَيَسْلِمُ أُخْرَى، مِنْ غَيْرِ إِخْلَالٍ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا؛ فَلَا كِرَاهَةَ، لَكِنَّهُ خِلَافُ الْأَوَّلَى وَالْمُسْتَحَبُّ؛ إِذْ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا مُسْتَحَبٌّ لَا نِزَاعَ فِيهِ^(٢).

الحقيقة:

حَقِيقَةُ السَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ «بِمَنْزَلَةِ عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ ﷺ» عِنْدَهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى؛ بِأَنَّهُ يَثْنِي عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنْ

(٢) انظر: الأذكار السنوي (٩٨) [دار الملاح، ١٣٩١هـ]، وشرحه على صحيح مسلم (٤٤/١) [دار إحياء التراث العربي، ٢٢، ١٣٩٢هـ]، وتفسير ابن كثير (٤٧٩/٦) [دار طيبة، ٢٢]، وفتح الباري لابن حجر (١٦٧/١١)، وفتح المغيث للسخاوي (١/١٠، ٤٨/٣) [دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ]، والقول البديع له (١٥٨، ١٦٣)، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٤٩/١) [المكتب الإسلامي، بيروت]، والتحرير والتنوير (١٠١/٢٢) [دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م]، والشرح الممتع لابن عثيمين (١١/١).

لَمْ يَخْتَلَفِ الْمَعْنَى اللَّغَوِي لِلْسَّلَامِ عَنْ مَعْنَاهُ عَلَى لِسَانِ الشَّرْعِ؛ فَالسَّلَامُ لُغَةً وَشَرْعًا: دَعَاءٌ بِالسَّلَامَةِ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ؛ فَيُظْهِرُ بِهَذَا التَّنَاسُبِ وَالتَّوَافُقِ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لَمْ يَخْتَلَفِ الْمَعْنَى اللَّغَوِي لِلْسَّلَامِ عَنْ مَعْنَاهُ عَلَى لِسَانِ الشَّرْعِ؛ فَالسَّلَامُ لُغَةً وَشَرْعًا: دَعَاءٌ بِالسَّلَامَةِ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ؛ فَيُظْهِرُ بِهَذَا التَّنَاسُبِ وَالتَّوَافُقِ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ.

الحكم:

السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ كَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ حَكْمًا وَمَنْزَلَةً. وَيَسْتَحَبُّ - بِلَا نِزَاعٍ - الْجَمْعُ بَيْنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ؛ فَلَا يَقْتَصِرُ الدَّاعِي عَلَى أَحَدِهِمَا؛ فَيَقُولُ - مَثَلًا -: «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ» فَقَطْ، أَوْ: «عَلَيْهِ السَّلَامُ» فَقَطْ؛ وَإِنَّمَا يَقُولُ: «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا» وَنَحْوَهَا؛ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى

(١) انظر: الشفا للقاضي عياض (٦٢٦/٢) [مطبعة عيسى البابي الحلبي]، وشرح صحيح مسلم للنووي (٤/١١٧) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٣١٣/٢) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، والقول البديع للسخاوي (١٦٤) [دار المنهاج، جدة، ط٢، ١٤٢٨هـ]، وروح المعاني للآلوسي (٧٩/٢٢) [المطبعة المنيرية]، والشرح الممتع لابن عثيمين (١١/١، ١٤٩/٣) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ].

وقال أيضًا ﷺ: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»^(٤)، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا!^(١)

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو العالية في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]: «صلاة الله عليه: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء»^(٥).

وقال ابن القيم - في معرض كلامه على سلام الله على أنبيائه ورسله ﷺ، ومجيئه بلفظ النكرة -: «سلام من الله سبحانه كاف من كل سلام، ومغن عن

❁ الأدلة:

دل على فضل السلام على النبي ﷺ - مع الصلاة عليه - وعلو منزلتهما: الكتاب، والسنة المتواترة، وإجماع الأمة:

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده! السلام على فلان وفلان! فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا: السلام على الله؛ فإن الله هو السلام؛ ولكن قولوا: التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» الحديث^(٢)، وقال ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام»^(٣).

مصر (مصورة عن الطبعة الميمنية)، [والدارمي كتاب الرقاق، رقم ٢٨١٦]، وابن حبان في صحيحه (كتاب الرقائق، رقم ٩١٤)، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير، رقم ٣٥٧٦) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٥٣).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب المناسك، رقم ٢٠٤١)، وأحمد في مسنده (٥٢٧/٢) [مؤسسة قرطبة، مصر (مصورة عن الطبعة الميمنية)]، وجود العراقي إسناده في المغني عن حمل الأسفار (٣٦٧) [دار ابن حزم، ط ١]، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٢٦٦).

(٥) علقه البخاري في صحيحه (٢٨٠/٣) [المكتبة السلفية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٠هـ]، ووصله: ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في فتح الباري (٨/٥٣٣)، والدر المنثور للسيوطي (٧٢/١٢) [مركز هجر، ط ١، ١٤٢٤هـ]، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة (٩٥) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٩٧٧م]، وصححه الألباني في تحقيقه لفضل الصلاة.

(١) تفسير ابن كثير (٤٥٧/٦)، وانظر: فتح الباري لابن حجر (١٥٦/١١)، والقول البديع (٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣٥)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٢).

(٣) أخرجه النسائي (كتاب صفة الصلاة، رقم ١٢٨٢)، وأحمد (٣٨٧/١)، ٤٤١، ٤٥٢ [مؤسسة قرطبة،

بعد مماته كيف ندعو له بالسلامة وقد مات ﷺ؟

فالجواب: ليس الدعاء بالسلامة مقصوراً في حال الحياة، فهناك أهوال يوم القيامة، ولهذا كان دعاء الرسل إذا عبر الناس على الصراط: «اللَّهُمَّ، سَلِّمْ سَلِّمْ»، فلا ينتهي المرء من المخاوف والآفات بمجرد موته. إذا؛ ندعو للرسول ﷺ بالسلامة من هول الموقف، ونقول أيضاً: قد يكون بمعنى أعم؛ أي: أن السلام عليه يشمل السلام على شرعه وسُنَّته، وسلامتها من أن تنالها أيدي العابثين؛ كما قال العلماء في قوله تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] قالوا: إليه في حياته، وإلى سُنَّته بعد وفاته» (٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: من آداب الصلاة والسلام على النبي ﷺ:

ذكره العلماء في كتب المصطلح وآداب طالب الحديث أنه (٤): ينبغي على طالب العلم والناسخ ونحوهما المحافظة على كتابة الصلاة والتسليم على

كل تحية، ومقرب من كل أمنية، فأدنى سلام منه - ولا أدنى هناك - يستغرق الوصف، ويتم النعمة، ويدفع البؤس، ويطيب الحياة، ويقطع مواد العطب والهلاك! (١).

وقال أيضاً: «الصلاة على النبي ﷺ متضمنة لذكر الله وشكره، ومعرفة إنعامه على عبده بإرساله؛ فالمصلي عليه ﷺ قد تضمنت صلاته عليه ذكر الله وذكر رسوله، وسؤاله أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهله؛ كما عرفنا ربنا وأسماءه وصفاته، وهدانا إلى طريق مرضاته، وعرفنا ما لنا بعد الوصول إليه والقدوم عليه! فهي متضمنة لكل الإيمان؛ بل هي متضمنة للإقرار بوجود الرب المدعو، وعلمه وسمعه وقدرته وإرادته وصفاته وكلامه، وإرسال رسوله، وتصديقه في أخباره كلها، وكمال محبته! ولا ريب أن هذه هي أصول الإيمان؛ فالصلاة عليه ﷺ متضمنة لعلم العبد ذلك، وتصديقه به، ومحبته له؛ فكانت من أفضل الأعمال» (٢).

وقال ابن عثيمين: «فمعنى التسليم على الرسول ﷺ: أننا ندعو له بالسلامة من كل آفة. وإذا قال قائل: قد يكون هذا الدعاء في حياته ﷺ واضحاً، لكن

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع (١٤٩/٣ - ١٥٠) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر - مثلاً -: شرح صحيح مسلم للنووي (٣٩/١)، ورسوم التحديث في علوم الحديث (١٢٢) [دار ابن حزم، بيروت، ط ١]، وفتح المغيث (٤٣/٣، ٤٧)، وتدريب الراوي للسيوطي (٥٠٣/١) [مكتبة الكوثر، الرياض، ط ٢، ١٤١٥هـ].

(١) بدائع الفوائد (٦٥١/٢)، بتصرف يسير.

(٢) جلاء الأفهام (٥٣٤).

طلب، والطلب يتضمن أمورًا ثلاثة: طالبًا، ومطلوبًا، ومطلوبًا منه، ولا تقوم حقيقته إلا بهذه الأركان الثلاثة، وتغاير هذه ظاهر إذا كان الطالب يطلب شيئًا من غيره؛ كمن يأمر غيره أو ينهاه ويستفهمه، أما إذا كان طالبًا من نفسه؛ فهنا يكون الطالب هو المطلوب منه، ولم يكن هنا إلا ركنان: طالب ومطلوب، والمطلوب منه هو الطالب نفسه. وطلب الإنسان من نفسه غير مشكل؛ لأن الطلب من باب الإرادات، والمريد كما يريد من غيره أن يفعل شيئًا؛ فكذلك يريد من نفسه هو أن يفعل؛ فكذلك يطلب من نفسه، والإنسان قد يأمر نفسه وينهاها. فإذا كان معقولًا أن الإنسان يأمر نفسه وينهاها - والأمر والنهي طلب، مع أن فوقه أمرًا ونهيًا -؛ فكيف يستحيل ممن لا أمر فوقه ولا ناهي أن يطلب من نفسه فعل ما يحبه وترك ما يبغضه؟! كما كتب ربنا ﷺ على نفسه الرحمة ونصر المؤمنين وغير ذلك، وحرّم عليها الظلم وتعذيب المؤمنين وغير ذلك.

فالسّلام من الله تعالى على أنبيائه ورسله - عليهم الصلاة والسلام - طلب من نفسه لهم بالسلامة؛ فلا يشكل عليه بما ذكر. والحمد لله ربّ العالمين.

- المسألة الثالثة: حكم الصلاة

والسلام على غير الأنبياء:

هل السّلام في معنى الصلاة؛ فيكره

رسول الله ﷺ كلما كتبه، ولا يسأم من تكراره - وإن لم يكن في الأصل -، ويستحب التلفظ بهما بلسانه مع ذلك أيضًا؛ فإن ذلك من أكثر الفوائد التي يتعجلها طالب الحديث، ومن أغفل ذلك فقد حرم حظًا عظيمًا! وأنه يكره الاقتصار على الصلاة دون التسليم، ويكره أيضًا اختصار الصلاة والسلام والرمز لهما - بحرف أو حرفين - بنحو: صلعم، أو: ص، ونحوهما - كما يفعل الكسالى وعوام الطلبة -؛ بل يكتب الصيغة بكمالها.

- المسألة الثانية: معنى تسليم الله ﷻ على أوليائه:

استشكل بعض الناس تسليم الله تعالى على أنبيائه ورسله وعباده، في مثل قوله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (١٩) [الصافات]، وقوله ﷻ: ﴿سَلِّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (١٢) [الصافات]، وغير هذا من الآيات، وقالوا: السّلام طلب ودعاء؛ فكيف يتصور من الله ذلك؟! فالدعاء منه ﷻ مستحيل «غير معقول في حق الله تعالى؛ فإنه لا يدعو له - يعني: لنبيه ﷺ -؛ لأن الدعاء للغير طلب نفعه من ثالث!» (١).

والجواب عن هذا بأن يقال (٢): الدعاء

(١) تفسير الرازي (١٨٣/٢٥) [دار إحياء التراث العربي، بيروت].

(٢) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/٦٤٢).

والملائكة، لا يشركهم فيه غيرهم من عباد الله الصالحين إلا على سبيل التبعية - كما في التشهد -؛ فلا يسلم على معين غيرهم في غيابه على سبيل الاستقلال.

وليس القصد من هذا الاصطلاح التحريم؛ ولكنه اصطلاح وتمييز لمراتب الخلق؛ كما قصرُوا الرضا على الأصحاب، وكلمات الإجلال، نحو: (تبارك وتعالى)، و(جلّ وعلا) - على الخالق تعالى دون الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

وهذا خلاف للشيعة؛ فإنهم يذكرون التسليم على علي وفاطمة وآلهما؛ بقصد الغرض من الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم! وهذا مخالف لعمل السلف؛ فلا ينبغي اتباعهم أو الاقتداء بهم في ذلك^(٣).

واختلف العلماء في الصلاة على غير الأنبياء والملائكة، بعد اتفاقهم على مشروعيتها الصلاة على آل النبي ﷺ بالتبعية معه ﷺ^(٤).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٠٣/٢٢).

(٤) انظر: الشفا للقاضي عياض (٦٥٩/٢) [طبعة عيسى البابي الحلبي]، والأذكار للنووي (٩٩)، وشرحه على صحيح مسلم (١٢٧/٤، ١٨٥/٧)، والمجموع له (١٧١/٦)، ومجموع الفتاوى (٤٠٧/٢٧)، ومختصر الفتاوى المصرية للبعلبي (٢٧٢) [مطبعة المدني، مصر، ١٤٠٠هـ]، والأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام (٨٤) [دار العاصمة، ط ١]، وهو في الفتاوى الكبرى (٣٣٦/٥) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ]، وجلاء =

أن يقال: السلام على فلان - استقلالاً -، أو يقال: فلان عليه السلام؟ اختلف في ذلك، بعد الاتفاق على مشروعيته في تحية الحي والميت الحاضر على سبيل المخاطبة؛ فيخاطب به فيقال: سلام عليكم، أو: السلام عليكم، ونحو هذا^(١).

فكره ذلك طائفة - منهم: أبو محمد الجويني -، سواء في هذا الأحياء (الغائبون) والأموات.

والصحيح - وهو مذهب الجمهور -: أن السلام غير الصلاة؛ «فالسلام يشرع في حق كل مؤمن - حي وميت، وحاضر وغائب -؛ فإنك تقول: بلغ فلاناً مني السلام، والسلام تحية أهل الإسلام. بخلاف الصلاة؛ فهي شعار خاص بالأنبياء، وهي من حقوق النبي ﷺ وآله؛ ولهذا يقول المصلي: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ولا يقول: الصلاة علينا وعلى عباد الله الصالحين؛ فظهر الفرق بينهما»^(٢). والله أعلم.

إلا أنه قد استقر اصطلاح أهل العلم على قصر التسليم في الغيبة على النبي ﷺ، وإخوانه من الأنبياء والرسل،

(١) انظر: الأذكار للنووي (١٠٠)، وشرحه على صحيح مسلم (١٢٨/٤، ١٨٥/٧)، والمجموع له (٦/١٧٢)، ومجموع الفتاوى (٤٠٨/٢٧، ٤١١)، وجلاء الأفهام (٥٤٩)، وفتح الباري (١٧٠/١١).

(٢) جلاء الأفهام لابن القيم (٥٤٩)، بتصرف.

أن امرأة قالت للنبي ﷺ: صلّ علي وعلى زوجي - وفي رواية أنها امرأة جابر -؛ فقال النبي ﷺ: «صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ وَعَلَى زَوْجِكَ»^(٢). إلى غير ذلك من الأدلة التي تراجع في مظانها.

وذهب الجمهور - ومنهم: الإمام مالك، وأبو حنيفة، وأصحاب الشافعي، والسفيانان، وهو مذهب: ابن عباس، وطاووس، وعمر بن عبد العزيز - إلى عدم جواز إفراد غير الأنبياء بالصلاة؛ لأن هذا قد صار شعاراً للأنبياء إذا ذكروا؛ فلا يلحق بهم غيرهم؛ فلا يقال: قال أبو بكر صلى الله عليه، أو: قال علي صلى الله عليه، وإن كان المعنى صحيحاً، كما لا يقال: قال محمد ﷺ - وإن كان عزيزاً جليلاً -؛ لأن هذا من شعار ذكر الله ﷻ.

وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم؛ ولهذا لم يثبت شعاراً لآل أبي أوفى، ولا لجابر وامرأته، ممن وردت الصلاة في خصوصهم.

ويمكن أن يقال أيضاً في الرد على

فذهب جماعة - منهم: الحسن البصري، وخصيف، ومجاهد، ومقاتل، وهو مذهب: الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، والطبري وغيرهم - إلى جواز ذلك؛ فقالوا: تجوز الصلاة على غير النبي ﷺ وآله.

واحتج هؤلاء بعدد من الأدلة؛ منها: قوله ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] ففي الآية أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ بالصلاة على من أخذ من أموالهم صدقة، لتكون لهم تزكية ورحمة، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، وقوله ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وبما ثبت في «الصحيحين» من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أنه قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آل فلان»؛ فأتاه أبي بصدقته فقال: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آل أبي أوفى»^(١)، فهذا عام، وظاهر في أنه هو المراد من الآية السابقة. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الوتر، رقم ١٥٣٣)، وأحمد (٤٢١/٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والدارمي (كتاب دلائل النبوة، رقم ٤٦)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٩١٦)، وحسنه ابن حجر في الفتح (٣٩٨/٧) [دار المعرفة]، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ١٣٧٢) [مؤسسة غراس، ط ١].

= الأفهام (٥٣٧، ٥٤٦ - ٥٧٥) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ]، وتفسير ابن كثير (٤٧٧/٦) [دار طيبة، ط ٢]، وفتح الباري لابن حجر (٥٣٤/٨)، والقول البدیع للسخاوی (١٣٥).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٩٧)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٧٨).

الزيادة من الخير والكرامة، وقيل: الثبات على ذلك - من قولهم: بركت الإبل؛ أي: ثبتت على الأرض، ومنه: بركة الماء - وقيل: التزكية والتطهير من العيوب كلها.

فالتبريك يجمع بين: الزيادة والدوام والثبات؛ فمعنى «وبارك على محمد وعلى آل محمد»: اللّهُمَّ أثبت وأدم ذكر محمد ودعوته وشريعته، وما أعطيته من التشريف والكرامة، وضاعفه وزده، وكثر أتباعه وأشياعه.

فحاصله: أن يعطوا من الخير أوفاه، وأن يثبت ذلك لهم ويستمر دائماً.

الثمرات:

ثمرات وفضائل الصلاة على النبي ﷺ أكثر من أن تُحصى - وكثير منها لا يثبت بدليل صحيح - (٣)؛ ومنها: رفع الدرجات، ومحو السيئات، وصلاة الله تعالى على العبد، وأنها سبب لغفران الذنوب، ونيل الرحمات والبركات، وكفاية الله العبد ما أهمه، وأنها سبب لقضاء الحوائج، وغير ذلك.

وتاركها متعرض للعقوبات الكثيرة (٤)؛

والنهاية لابن الأثير (١/١٢٠)، وجلاء الأفهام (٣٥٤)، وفتح الباري لابن حجر (١١/١٦٢)، والقول البديع (٢١١).

(٣) انظر: جلاء الأفهام (٥٢١ - ٥٣٦)، والقول البديع

للسخاوي (٢٣٥ - ٣٠١).

(٤) انظر: القول البديع للسخاوي (٣٠٢ - ٣٢٢).

أدلتهم: أنه لا نزاع أن النبي ﷺ يصلي على غيره؛ وإنما النزاع في صلاة غيره على غيره منفرداً ﷺ.

وعَلَّل بعضهم المنع وعدم الجواز: بأن الصلاة على غير الأنبياء صارت من شعار أهل الأهواء والبدع - كالشيعة -؛ يصلُّون على من يعتقدون فيهم؛ فلا يقتدى بهم في ذلك!

ثم اختلفوا - أي: الجمهور المانعين -: هل المنع من باب التحريم، أو الكراهة التنزيهية، أو خلاف الأولى؟ والصحيح - الذي عليه الأكثرون -: أنه مكروه كراهة تنزيه؛ لأنه شعار أهل البدع، وقد نهينا عن شعارهم، والمكروه هو ما ورد فيه نهى مقصود (١).

الفروق:

الفرق بين الصلاة على النبي، والسلام عليه، والتبريك عليه ﷺ:

معنى صلاة الله تعالى على نبيه ﷺ: ثناؤه عليه عند الملائكة وتعظيمه وتكريمه.

وتقدم أن معنى السلام عليه: دعاء الداعي له بأن يسلمه الله ﷻ ويحصنه من جميع النقائص والآفات والمكاره، في حياته وبعد موته.

ومعنى البركة والتبريك عليه (٢):

(١) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم (٥٧٣).

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (٤/١٢٥، ١٢٦)،

الطالب نفسه. وطلب الإنسان من نفسه غير مشكل؛ لأن الطلب من باب الإرادات، والمريد كما يريد من غيره أن يفعل شيئاً؛ فكذلك يريد من نفسه هو أن يفعل؛ فكذلك يطلب من نفسه، والإنسان قد يأمر نفسه وينهاها. فإذا كان معقولاً أن الإنسان يأمر نفسه وينهاها، والأمر والنهي طلب، مع أن فوّه أمراً ونهاياً، فكيف يستحيل ممن لا أمر فوّه ولا ناه أن يطلب من نفسه فعل ما يحبه وترك ما يبغضه؟! كما كتب ربنا ﷺ على نفسه الرحمة ونصر المؤمنين وغير ذلك، وحرّم عليها الظلم وتعذيب المؤمنين وغير ذلك.

فالصلاة من الله تعالى على نبيّه ﷺ طلب من نفسه له بالثناء عليه وتعظيمه وتكريمه؛ فلا يشكل عليها بما ذكر. والحمد لله ربّ العالمين.

وقد اتخذ أهل الأهواء والبدع - كالشيعة وغيرهم - الصلاة والسلام على من يعتقدون فضلهم شعاراً تميزوا به عن غيرهم؛ فالشيعة - مثلاً - لا يصلّون ولا يسلمون إلا على علي وفاطمة وآلهما؛ بقصد الغض من الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم! وهذا

ومنها: الدعاء بالإبعاد وحصول الشقاء، ووصفه بأنه أبخل الناس، وأنه يتحسر يوم القيامة، إلى غير ذلك من العقوبات والخسارات!

✽ مذهب المخالفين:

تقدم أن التفسير المشهور للصلاة على النبي ﷺ عند المتأخرين هو: الرحمة، وقد رد طائفة من الناس هذا التفسير - وهو مردود لكن بغير هذا - بحجة أن الرحمة معناها: رقة القلب أو الطبع، وهذا المعنى مستحيل في حق الله تعالى! كما أن الدعاء منه سبحانه مستحيل^(١) و«غير معقول في حق الله تعالى؛ فإنه لا يدعو له - يعني: لنبيّه ﷺ -؛ لأن الدعاء للغير طلب نفعه من ثالث»^(٢).

والجواب عن هذا الادعاء أن يقال^(٣): الدعاء طلب، والطلب يتضمن أموراً ثلاثة: طالباً، ومطلوباً، ومطلوباً منه، ولا تتقوم حقيقته إلا بهذه الأركان الثلاثة، وتغاير هذه ظاهر إذا كان الطالب يطلب شيئاً من غيره؛ كمن يأمر غيره أو ينهاه ويستفهمه، أما إذا كان طالباً من نفسه؛ فهنا يكون الطالب هو المطلوب منه، ولم يكن هنا إلا ركنان: طالب ومطلوب، والمطلوب منه هو

(١) انظر: جلاء الأفهام (١٧٩).

(٢) تفسير الرازي (١٨٣/٢٥) [دار إحياء التراث العربي، بيروت].

(٣) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٦٤٢/٢).

(٤) انظر في تكفير الرافضة لعموم الصحابة: الكافي

للكليني (٢٠٥/٨، ٢٣٦، ٢٤٦) [دار الأضواء،

بيروت، ١٤٠٥هـ]، وتفسير العياشي (١٩٩/١)

[المكتبة العلمية، طهران]، والبرهان في تفسير القرآن =

١٠ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج ٢)، للحليمي.

السَّلَفُ

التعريف لغة:

السَّلَفُ: جمع سالف، والسالف: المتقدم، والسلف: الجماعة المتقدمون، ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف]؛ أي: جعلناهم سلفًا متقدمين ليتعظ بهم الآخرون^(٢).

قال ابن فارس: «السين واللام والفاء أصلٌ يدل على تقدم وسبق، من ذلك السلف: الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدمون»^(٣).

التعريف اصطلاحًا:

وفي الاصطلاح: هم أصحاب النبي ﷺ، ومن تبعهم واقتفى أثرهم من أهل القرون الثلاثة المفضلة، التي أثبت النبي ﷺ لها الخير^(٤).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (٢٩٩/١٢) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ]، ومقاييس اللغة (٩٥/٣) [دار الجبل].

(٣) مقاييس اللغة (٩٥/٣).

(٤) ينظر: درء التعارض (١٣٤/٧) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠١هـ]، والتحف في مذاهب السلف للشوكاني (٤، ٦، ٨ مطبوع ضمن الرسائل السلفية) [دار الكتب العلمية، ١٣٤٨هـ]، ولوامع الأنوار (١/ ٢٠، ٦٥) [دار المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٥هـ]، وإعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد =

مخالف لعمل السلف؛ فلا ينبغي اتباعهم أو الاقتداء بهم في ذلك؛ فإن الصلاة والسلام من باب التعظيم والتكريم، والشيخان - أبو بكر وعمر - وأمير المؤمنين عثمان بن عفان أولى بذلك من علي! ﷺ^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «تفسير ابن كثير» (ج ٦).
- ٢ - «تفسير السعدي».
- ٣ - «التمهيد» (ج ١٦)، لابن عبد البر.
- ٤ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ١٤)، للقرطبي.
- ٥ - «جلاء الأفهام»، لابن القيم.
- ٦ - «الشفاء» (ج ٢)، للقاضي عياض.
- ٧ - «فتح الباري» (ج ١١)، لابن حجر.
- ٨ - «القول البدیع»، للسخاوي.
- ٩ - «المحرر الوجيز» (ج ٧)، لابن عطية.

= للبحراني (٣١٩/١) [طبعة طهران، ط ٢]، والأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري (٨١/١) [مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٤، ١٤٠٤هـ]. وانظر أيضًا: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٧٦١) [مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٣٨٤هـ]، والفرق بين الفرق للبغدادي (٣٢١) [مطبعة المدني، القاهرة]. ولمزيد من التفصيل راجع: أصول مذهب الشيعة للقفاري (٧١٦/٢)، ومباحث المفاضلة في العقيدة للشطيفي (٣٠٢) [دار ابن عفان، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(١) انظر: الشفاء للقاضي عياض (٦٦٤/٢)، وجلاء الأفهام لابن القيم (٥٧٣)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٤٧٨)، والتحرير والتنوير (١٠٣/٢٢).

المعنى الاصطلاحي:

المعنى الاصطلاحي أخص من المعنى اللغوي.

سبب التسمية:

مما تقدم يتضح سبب التسمية بهذا الاسم، وذلك أنه متعلق بالصحابة والتابعين وتابعيهم، من أهل القرون الثلاثة المفضلة، وهم متقدمون في الزمن عمن بعدهم، وذلك معنى السلف في اللغة.

الأسماء الأخرى:

أهل السُّنة والجماعة، الجماعة، أهل الحديث، أهل الأثر، الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، السواد الأعظم.

الحكم:

يجب اتباع مذهب السلف؛ لأنه المذهب الحق المستمد من الكتاب والسُّنة الصحيحة، والسالم من شوائب البدع والمقالات، ولا يجوز العدول عنه لمذهب الخلف، فمذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم.

الحقيقة:

مما ينبغي التأكيد عليه أن مفهوم السلف لا يتعين بمجرد إدراك الفترة الزمنية المتقدمة، إذ قد يدرك تلك الفترة أقوام لا تصح نسبتهم إلى السلف؛

= للفوزان (١٥٢/٢) [دار الرسالة، ط ٢].

كالخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة، ونحوهم من أهل البدع والأهواء، فهؤلاء كلهم ظهروا في تلك الفترة الخيرة، وليسوا من السلف، إذ من شرط استحقاق هذا اللقب موافقة الكتاب والسُّنة، والأخذ بهما، والصدور عنهما، والاعتماد عليهما، والعمل بمقتضاهما وهو ما تمثله أصحاب النبي ﷺ، ولهذا لما سُئل النبي ﷺ عن الفرقة الناجية قال: «ما أنا عليه وأصحابي»^(١).

وأخرج ابن عبد البر رحمه الله في جامع بيان العلم وفضله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قومًا اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»^(٢).

فالسلف إذاً: الصحابة والتابعون وتابعوهم ممن لم يرمَ ببدعة، ولهذا قال

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٤١)، والحاكم (كتاب العلم، رقم ٤٤٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٣٣٤، رقم ٢١٢٩) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٩٧/٢) [دار الكتب العلمية]، وسنده ضعيف.

وأورده البغوي في شرح السُّنة (١/٢١٤) [دار المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ].

أقوال أهل العلم:

جاء إطلاق لفظ: (السلف) على الصحابة، كما في قول عبد الله بن المبارك: «دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف»^(٥).

كما جاء إطلاقه على التابعين مع من قبلهم من الصحابة، كما في قول الأوزاعي: «عليك بأثر من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوا لك بالقول»^(٦).

كما جاء إطلاق لفظ السلف على أهل القرون الثلاثة المفضلة، كما في قول ابن رجب: «وفي زماننا يتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة»^(٧).

المسائل المتعلقة:

- حكم الانتساب إلى مذهب السلف:

جاء في «الأنساب» للسمعاني:

(كتاب السنّة، رقم ٤٦٠٧)، والترمذي (أبواب العلم، رقم ٢٦٧٦) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٤٢)، وأحمد (٣٦٧/٢٨) (مؤسسة الرسالة، ط١)، والدارمي (كتاب العلم، رقم ٩٦)، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٧) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٥) مقدمة صحيح مسلم (٢٠٤) [دار القلم].

(٦) الشريعة للأجري برقم (١٢٧) (١/٤٤٥) [دار الوطن، ط١، ١٤١٨هـ].

(٧) فضل علم السلف على الخلف (٣٠) [دار البيان، ط ١، ١٤١٣هـ].

السفارينى: «المراد بمذهب السلف: ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف، دون من رُمي ببدعة، أو شُهر بقلب غير مرضي، مثل الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة ونحو هؤلاء»^(١).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة].

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال عليه السلام : «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» متفق عليه ^(٢) .

وجاء نحوه من حديث عمران بن
حصين رضي الله عنه (٣).

وقال ﷺ: «عليكم بسُنَّتِي وَسُنَّةَ
الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها
وعضوا عليها بالنواجذ» (٤).

(١) لوائح الأنوار (١ / ٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٥٢)،
ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٥١)،
ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٣٥).

(٤) أخرجه من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه : أبو داود

١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١١ - «تيسير العزيز الحميد»،

لسليمان بن عبد الله.

سلمان الفارسي رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

أبو عبد الله سلمان الفارسي الرامهرمزي، ويقال له: سلمان الخير، وسلمان ابن الإسلام^(٣)، وتوهم بعضهم فظن أن سلمان الفارسي غير سلمان الخير، ففرق بينهما وهما اسمان لمسمى واحد^(٤)، وسبب هذا الوهم أن سلمان الفارسي يطلق عليه سلمان الخير، وسلمان الفارسي، وهما اسمان لشخص واحد.

مولده ووفاته:

توفي سلمان الفارسي في خلافة عثمان بن عفان بالمدائن^(٥)، واختلف في تحديد سنة وفاته؛ فقليل: مات سنة ست وثلاثين^(٦)، وقيل: خمس وثلاثين،

(٣) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٦٣٤/٢) [دار الجيل، ط١]، وسير أعلام النبلاء (٥٠٥/١) [مؤسسة الرسالة، ط٣]، والإصابة في تمييز الصحابة (١٤١/٣) [دار الجيل، بيروت، ط١].

(٤) انظر: الثقات لابن حبان (١٥٧/٣) [دار الفكر، ط١]، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/١٤١، ٢٩٣).

(٥) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٣١/٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ].

(٦) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٦٣٨/٢)، وسير أعلام النبلاء (٥٠٥/١).

«السلفي: بفتح السين واللام، وفي آخرها الفاء، هذه النسبة إلى السلف، وانتحال مذهبهم على ما سُمِعَتْ منهم»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه، واعتزى إليه؛ بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً»^(٢).

المصادر والمراجع:

١ - «درء التعارض»، لابن تيمية.
٢ - «فضل علم السلف على الخلف»، لابن رجب.
٣ - «التحفة في مذاهب السلف»، للشوكاني.

٤ - «لوامع الأنوار»، للسفاريني.
٥ - «وسطية أهل السنة بين الفرق»، لمحمد باكريم.

٦ - «المباحث العقدية في حديث افتراق»، الأمم، لأحمد سردار محمد مهر الدين شيخ.

٧ - «شرف أصحاب الحديث»، للخطيب البغدادي.

٨ - «معرفة علوم الحديث»، للحاكم.

٩ - «إكمال المعلم»، للقاضي عياض.

(١) الأنساب (٢٧٣/٣) [دار ابن الجنان، ١٤٠٨هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (١٤٩/٤).

ورجح هذا ابن عبد البر^(١)، وقال ابن حجر: «مات سنة ست وثلاثين في قول أبي عبيد، أو سبع في قول خليفة... عن أنس: دخل ابن مسعود على سلمان عند الموت، فهذا يدل على أنه مات قبل ابن مسعود، ومات ابن مسعود قبل سنة أربع وثلاثين، فكأنه مات سنة ثلاث أو سنة اثنتين^(٢)، ولكنه جزم في التقريب بأنه مات سنة أربع وثلاثين^(٣)».

إسلامه:

كان سلمان الفارسي يبحث عن الدين الحق، وفي سبيل تحريره إياه وطلب الوصول إليه لحقته محن وابتلاءات، حيث استعبد وصار يباع ويشترى، حتى وصل إلى بضعة عشر رجلاً، كما جاء في البخاري عن سلمان أنه «تداوله بضعة عشر، من ربّ إلى ربّ»^(٤). قال ابن عبد البر: «وكان سلمان يطلب دين الله تعالى، ويتبع من يرجو ذلك عنده، فدان بالنصرانية وغيرها، وقرأ الكتب، وصبر في ذلك على مشقات نالته، وذلك كله مذكور في خبر إسلامه»^(٥).

ولكنه في نهاية المطاف تحقق له مطلبه ولقي النبي ﷺ العربي فأسلم،

ورجح هذا ابن عبد البر^(١)، وقال ابن حجر: «مات سنة ست وثلاثين في قول أبي عبيد، أو سبع في قول خليفة... عن أنس: دخل ابن مسعود على سلمان عند الموت، فهذا يدل على أنه مات قبل ابن مسعود، ومات ابن مسعود قبل سنة أربع وثلاثين، فكأنه مات سنة ثلاث أو سنة اثنتين^(٢)، ولكنه جزم في التقريب بأنه مات سنة أربع وثلاثين^(٣)».

إسلامه:

كان سلمان الفارسي يبحث عن الدين الحق، وفي سبيل تحريره إياه وطلب الوصول إليه لحقته محن وابتلاءات، حيث استعبد وصار يباع ويشترى، حتى وصل إلى بضعة عشر رجلاً، كما جاء في البخاري عن سلمان أنه «تداوله بضعة عشر، من ربّ إلى ربّ»^(٤). قال ابن عبد البر: «وكان سلمان يطلب دين الله تعالى، ويتبع من يرجو ذلك عنده، فدان بالنصرانية وغيرها، وقرأ الكتب، وصبر في ذلك على مشقات نالته، وذلك كله مذكور في خبر إسلامه»^(٥).

ولكنه في نهاية المطاف تحقق له مطلبه ولقي النبي ﷺ العربي فأسلم،

(٦) انظر: كتاب المغازي لابن إسحاق (٨٨ - ٩١) [دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٣٩٨هـ]، والطبقات الكبرى لابن سعد (٥٦/٤).

(٧) انظر: السيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمري (١/١٢١) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٦، ١٤١٥هـ].

(١) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٦٣٨).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/١٤١).

(٣) انظر: تقريب التهذيب (رقم ٢٤٧٧).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٩٤٦).

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٦٣٤).

يصنعون، قال: فلما رأيتهم أعجبني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام.

قال: ثم رجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، قال: فلما جئته، قال: أي بني، أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت: يا أبت، مررت بناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه، قال: قلت: كلا والله إنه لخير من ديننا، قال: فخافني، فجعل في رجلي قيدًا، ثم حبسني في بيته، قال: وبعثت إلى النصراني فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصراني فأخبروني بهم، قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصراني، قال: فأخبروني بهم، قال: فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنوني بهم.

قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها، قلت: من أفضل

أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة، قال: فجئته، فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلم منك وأصلي معك، قال: فادخل فدخلت معه، قال: فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها أشياء، اكتنزها لنفسه، ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق، قال: وأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصراني ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئًا، قالوا: وما علمك بذلك؟ قال: قلت أنا أدلكم على كنزها، قالوا: فدلنا عليه، قال: فأريتهم موضعه، قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبًا وورقًا، قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدًا فصلبوه، ثم رجموه بالحجارة، ثم جاؤوا برجل آخر، فجعلوه بمكانه.

قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلًا لا يصلي الخمس، أرى أنه أفضل منه، أزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ونهارًا منه، قال: فأحببته حبًّا لم أحبه من قبله، فأقمت معه زمانًا، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان إني كنت معك وأحببتك حبًّا لم أحبه من

قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلم أحدًا اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلًا بالموصل، وهو فلان، فهو على ما كنت عليه، فالحق به.

قال: فلما مات وغيب، لحقت بصاحب الموصل، فقلت له: يا فلان، إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره، قال: فقال لي: أقم عندي فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة، قلت له: يا فلان، إن فلانًا أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من الله ﷻ ما ترى، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم رجلًا على مثل ما كنا عليه إلا بنصيبين، وهو فلان، فالحق به، قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين، فجئته فأخبرته خبري، وما أمرني به صاحبي، قال: فأقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر، قلت له: يا فلان، إن فلانًا كان أوصى بي إليك، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟ قال: أي

بني، والله ما نعلم أحدًا بقي على أمرنا أمرك أن تأتيه إلا رجلًا بعمورية، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته، قال: فإنه على أمرنا، قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية، وأخبرته خبري، فقال: أقم عندي، فأقمت مع رجل على هدي أصحابه وأمرهم، قال: واكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة، قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلان، فأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس أمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب، مهاجرًا إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى؛ يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال: ثم مات وغُيِّب، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب تجارًا، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب، وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم فأعطيتموها وحملوني، حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من

رجل من يهود عبداً، فكنت عنده، ورأيت النخل، ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحق لي في نفسي، فبينما أنا عنده، قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها وبعث الله رسوله، فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إنني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه، فقال: فلان، قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبي، قال: فلما سمعتها أخذتني العرواء، حتى ظننت سأسقط على سيدي، قال: ونزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟

قال: فغضب سيدي فلكنمني لكمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا، أقبل على عملك، قال: قلت: لا شيء، إنما أردت أن أستثبتته عما قال: وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان

عندي للصدقة، فرأيتم أحق به من غيركم قال: فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كلوا» وأمسك يده فلم يأكل، قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته به، فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان، قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرق، قال: وقد تبع جنازة من أصحابه، عليه شملتان له، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟ فلما رأي رسول الله ﷺ استدبرته، عرف أنني أستثبت في شيء وصف لي، قال: فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكبت عليه أقبله وأبكي.

فقال لي رسول الله ﷺ: «تحول»، فتحولت، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس، قال: فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه، ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر، وأحد، قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: «كاتب يا سلمان»، فكاتبته صاحبي على ثلاث

قال: فغضب سيدي فلكنمني لكمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا، أقبل على عملك، قال: قلت: لا شيء، إنما أردت أن أستثبتته عما قال: وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان

❁ فضائله:

سلمان الفارسي هو أحد الصحابة الكرام، وقد جاء ما يدل على فضله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنا جلوساً عند النبي ﷺ، فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]، قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً وفيما سلمان الفارسي، وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال أو رجل من هؤلاء»^(٢).

- أنه ممن يؤتى أجره مرتين:

فقد روى الإمام ابن جرير الطبري بسنده عن قتادة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصر] قال: «كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق، يأخذون بها، ويتنهون إليها، حتى بعث الله محمداً ﷺ، فآمنوا به، وصدقوا به، فأعطاهم الله أجرهم مرتين بصبرهم على الكتاب الأول، واتباعهم محمداً ﷺ، وصبرهم

مائة نخلة أحياها له بالفقير، وبأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أعينوا أحاكم»، فأعانوني بالنخل: الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر؛ يعني: الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاث مائة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: «أذهب يا سلمان فققر لها، فإذا فرغت فأتني أكون أنا أضعها بيدي» قال: ففقرت لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها فجعلنا نقرب له الودي، ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فوالذي نفس سلمان بيده، ما ماتت منها ودية واحدة، فأدبت النخل، وبقي علي المال، فأتني رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي، فقال: «ما فعل الفارسي المكاتب؟»، قال: فدعيت له، فقال: «خذ هذه فأدب بها ما عليك يا سلمان»، فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ قال: «خذها، فإن الله سيؤدي بها عنك»، قال: فأخذتها فوزنت لهم منها، والذي نفس سلمان بيده، أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم، وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد»^(١).

الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ، قال ابن حجر: «ورويت قصته من طرق كثيرة من أصحابها ما أخرجه أحمد من حديثه نفسه». الإصابة في تمييز الصحابة (١١٩/٣) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٥٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٩٧، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٤٦).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩/١٤٠ - ١٤٧) [مؤسسة

يحيى بن حمزة القاضي: عن عروة بن رويم، عن القاسم أبي عبد الرحمن حدثه، قال: زارنا سلمان الفارسي، ف صلى الإمام الظهر، ثم خرج وخرج الناس، يتلقونه كما يتلقى الخليفة، فلقيناه وقد صلى بأصحابه العصر، وهو يمشي، فوقفنا نسلم عليه، فلم يبق فينا شريف إلا عرض عليه أن ينزل به»^(٦).

❁ موقف المخالفين منه:

يغلو الشيعة - بشتى طوائفهم ومختلف أسمائهم - في سلمان الفارسي عليه السلام؛ لزعمهم أنه من الصحابة القلائل الذين ناصرُوا وشايعُوا عليًّا في عهد النبي صلى الله عليه وآله، وفي عصر الخلفاء الثلاثة الأوّل، ومن هؤلاء الطوائف:

الرافضة: غلا الروافض في سلمان الفارسي عليه السلام غلوًّا شديدًا، فأطلقوا عدة ادعاءات؛ منها:

زعمهم أن سلمان كان مؤمنًا وكان يدعو بني إسرائيل إلى الإيمان قبل مجيئه إلى النبي صلى الله عليه وآله، بأربعمئة وخمسين سنة، وأنه لم يكن قط على دين المجوسية، وأن الجنة تشاق إليه^(٧).

زعموا أنه بحر العلم، وأنه كان يعلم كل العلوم أولها وآخرها وظاهرها وباطنها

(٦) سير أعلام النبلاء (١/٥٠٥).

(٧) نفس الرحمن في فضائل سلمان، لحسين النوري الطبرسي (١٠٣).

على ذلك، وذكر أن منهم سلمان، وعبد الله بن سلام^(١).

وأشار ابن حجر إلى تصحيحه من جهة المعنى فيما يبدو، فقال: «والذي في تفسير الطبري وغيره عن قتادة أنها نزلت في عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي، وهذا مستقيم؛ لأن عبد الله كان يهوديًا فأسلم كما سيأتي في الهجرة، وسلمان كان نصرانيًا فأسلم»^(٢).

قال ابن عبد البر: «وله أخبار حسان وفضائل جمّة عليه السلام»^(٣).

وأما حديث: «سلمان سابق فارس»^(٤)، وحديث: «سلمان منا أهل البيت»؛ فهما ضعيفان^(٥).

❁ مكانته:

كانت له مكانة رفيعة ومنزلة عالية، قال الذهبي: «وكان لبيبا، حازمًا، من عقلاء الرجال، وعبادهم، ونبلائهم. قال

(١) تفسير الطبري (٢٧٨/١٨) [دار هجر، ط ١].

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٩١/١) [دار المعرفة].

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٦٣٨).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣١٨/٧) [دار صادر، ط ١]، وابن أبي شيبه في المصنف (كتاب الفضائل، رقم ٣٢٣٢٩)، عن الحسن مرسلاً، وله طرق أخرى لا ثبت منها شيء. انظر: السلسلة الضعيفة (رقم ٢٩٥٣).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٦٥٤١)، وسنده ضعيف جدًا، وله طرق أخرى واهية. انظر: السلسلة الضعيفة (رقم ٣٧٠٤).

زعمهم أنه كان مؤمناً وداعية إلى الله ولم يكن على دين المجوسية قبل إسلامه بنحو أربعمائة وخمسين سنة فهو دجل مكشوف وكذب صراح، يرده ما ثبت في قصة إسلامه السابقة تحت فقره: (إسلامه)، وهو قوله: «واجهت في المجوسية حتى كنت قَطْنُ النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة»، وهذا غير قادح فيه بعد إسلامه ﷺ.

أما زعمهم أن لسلمان علماً محيطاً بكل معلوم فهو تكذيب صريح لمثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وأما زعمهم أن هذا العلم المحيط بكل شيء حصل لسلمان ﷺ بتعليم النبي ﷺ إياه، فهو باطل أيضاً؛ لقول الله في حق نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، فإذا كان سيد الخلق لا يعرف الغيب فكيف يخبر به غيره؟

ومثل هذا في البطلان ما نسبوه إلى سلمان ﷺ من الاعتراض على خلافة الصديق ﷺ، والدعوة إلى مبايعة علي ﷺ وأنه وصي رسول الله ﷺ، كلها أكاذيب مختلقة وروايات منحوتة، انفرد بها الروافض المبتطلون لإثبات عقائدهم الزائفة.

وسرها وعلنها؛ بل وضعوا روايات نسبوا بعضها إلى النبي ﷺ وفيها أنه ﷺ أمر أن يطلع سلمان على علم المنايا والبلايا^(١) والأنساب وفصل الخطاب^(٢).

وزعموا أنه كان يعترض على خلافة أبي بكر الصديق ﷺ، ويدعو إلى مبايعة علي بن أبي طالب ﷺ، وزعموا أنه روى روايات عن النبي ﷺ، مفادها أن علي بن أبي طالب وصي النبي ﷺ^(٣). وجعلوا له بالمدائن ضريحاً يزار^(٤).

الرد عليهم:

كل ما نسبته الروافض إلى سلمان الفارسي ﷺ ليس له حجة تسنده وبرهان يسعفه؛ بل هو غلو مقيت، قائم على الدجل والتخرص، قادتهم إليه العصبية الحمقاء والمذهبية العمياء، أما

(١) ربما يقصد بالمنايا والبلايا: إطلاعه على ما يجري على بعض الناس، كذا ذكر بعض الرافضة، انظر: سلمان سابق فارس لمحمد جواد آل الفقيه (١٥١) [دار الفنون، ومؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت].

(٢) انظر: بحار الأنوار للمجلسي (٣٤٧/٢٢) [تحقيق: عبد الرحيم الرياني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ]، ونفس الرحمن في فضائل سلمان لحسين الطبرسي (٢٠٩ - ٢١١) [تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة الآفاق، ط ١، ١٤١١هـ].

(٣) انظر: رسائل المرتضى (٩٣/٤) [إعداد: السيد أحمد الحسيني، دار القرآن الكريم، قم، ط ١، ١٤١٠هـ]، ونفس الرحمن في فضائل سلمان لحسين النوري الطبرسي (٢٧٣ - ٢٧٦).

(٤) انظر: معجم البلدان للحموي (٧٥/٥) [دار صادر]، ومسالك الأفهام للملقب بالشهيد الثاني (٢٢) [مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط ١، ١٤١٣هـ].

روح القدس جبرائيل، والعزيز الأعلى سلمان، ونور الله، وسر وجود الوجود، وإليه البعث والنشور^(٢).

الرد عليهم:

لا يشك عاقل في أن هذه الادعاءات كلها غاية في البطلان، ولا ينطلي أمرها على كل ذي بصيرة؛ لظهور فسادها؛ لما يلي:

أولاً: أن البشر كلهم - إلا القليل الشاذ المكابر - مفطورون على الإقرار بأن الخلق والملك والتدبير لله وحده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس]، وقال الله سبحانه: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُوَفِّكُونُ ﴾ [العنكبوت].

فدعوى أن هناك خالقاً مع الله، سواء كان ملكاً مقرباً، أو نبياً مرسلًا، أو ولياً صالحاً، هي دعوى فاسدة كاسدة.

ثانياً: زعمهم أن علياً علم محمداً القرآن بلسان سلمان، وأن سلمان هو الباب الذي لا يمكن الوصول إلى الله إلا به هو هذيان محض وتخرض واضح

وأما جعلهم على قبر سلمان الفارسي عليه السلام ضريحاً يزار، فهو دليل من أدلة كثيرة على عصيَّتْهم الحمقاء، وأنهم عباد القبور لا صلة لهم بسلمان الفارسي عليه السلام الذي شهد له نبي الرحمة صلى الله عليه وآله بالتوحيد والإيمان.

النصيرية: غلت النصيرية في سلمان الفارسي عليه السلام غلوّاً شديداً؛ حيث جعلوه أحد مكونات عقيدة الثالوث التي يؤمنون بها، ويرمزون لها بالأحرف التالية: (ع م س) فالعين يقصدون به علياً عليه السلام، ويدعون أن الذات الإلهية متشخصة بالمعنى وهو علي، والميم: محمد صلى الله عليه وآله، ويدعون أنه العقل الكلي، والسين: سلمان الفارسي عليه السلام، ويزعمون أنه النفس الكلية المنبثقة عن العقل الكلي، وهو الذي خلق السماوات والأرض، وخلق أيضاً الأيتام الخمسة وهم المقداد، وأبو ذر الغفاري، وعبد الله بن رواحة، وعثمان بن مظعون، وقنبر بن داكان، وهؤلاء قائمون بشؤون الكون في زعمهم^(١)، وأن سلمان هو الباب الذي لا يمكن الوصول إلى الله إلا منه، وكذا أنه الباب الذي علم عليّ النبي صلى الله عليه وآله القرآن على لسانه بصفته جبرائيل؛ لأن سلمان - حسب عقيدة التناسخ - كانت له أسماء مختلفة على مر العصور، فهو

(٢) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (٣٤٧، ٣٦٠ - ٣٦٢، ٤٣٢).

(١) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي لمحمد أحمد الخطيب (٤٣٢).

١٠ - «مسند الإمام أحمد» (ج ٣٩).

سليمان عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو: «سليمان بن داود بن إيشا بن عويد - وقيل: ابن عويد - بن ناعر - وقيل: ابن باعز - بن سلمون بن يحشون - وقيل: ابن نحشون - بن عميناذب بن إرم بن خضرون - وقيل: ابن حصرون - بن فارص بن يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»^(١).

معنى اسمه لغة:

سليمان: اسم أعجمي عبراني معناه رجل السلام، وتكلمت به العرب، ولما جاء الإسلام وانتشر سمي به^(٢).

نبوته:

دلّت النصوص على نبوة سليمان عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَىُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنَظِقُ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ

يَرُدُّهُ صَرِيحُ الْقُرْآنِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٤) [البقرة]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَنُزِيلُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ^(٦) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ^(٧) [الشعراء]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۚ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾^(٨) [النجم] فالقرآن نزل من عند الله لا من علي بن أبي طالب، ونزل به جبريل على النبي محمد لا سلمان الفارسي.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج ٢)، لابن عبد البر.
- ٢ - «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج ٣)، لابن حجر.
- ٣ - «الثقات» (ج ٣)، لابن حبان.
- ٤ - «سيرة ابن هشام» (ج ٢).
- ٥ - «السيرة النبوية الصحيحة» (ج ١)، لأكرم ضياء العمري.
- ٦ - «الطبقات الكبرى» (ج ٧)، لابن سعد.
- ٧ - كتاب «المغازي»، لابن إسحاق.
- ٨ - «ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية»، لمحمد بن عبد الله العوشن.
- ٩ - «مرويات غزوة الخندق»، لإبراهيم محمد المدخلي.

(١) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٢/٢٣٠) [دار الفكر، ١٤١٥هـ]، والبداية والنهاية (٢/٣٢٣) [دار هجر، ط ١]، وقصص الأنبياء لابن كثير (٢/٢٨٥) [مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط ١، ١٣٨٨هـ].

(٢) المعرب من كلام الأعجمي للجواليقي (١٠٦ - ١٠٧) [دار القلم، ط ١، ١٤١٠هـ]، والإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء للدكتور ف. عبد الرحيم (٣٨١ - ٣٨٢) [دار القلم، ط ١، ١٤١٣هـ].

شَيْءٌ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ [النمل]، فالآية الأولى دلت على نبوته من جهتين؛ الأولى: أن الله أتى داود وسليمان علماً وهو علم النبوة، والأخرى: أنه فضلهما على كثير من العباد، ولذا قال ابن كثير في الآية: «يخبر تعالى عما أنعم به على عبديه ونبيه داود وابنه سليمان - عليهما من الله السلام - من النعم الجزيلة، والمواهب الجليلة، والصفات الجميلة، وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة، والملك والتمكين التام في الدنيا، والنبوة والرسالة في الدين؛ ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٥﴾» (١).

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ [النمل: ١٦]؛ أي: في الملك والنبوة، وليس المراد وراثته المال؛ إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود، فإنه قد كان لداود مائة امرأة، ولكن المراد بذلك وراثته الملك والنبوة؛ فإن الأنبياء لا تورث أموالهم» (٢).

❁ دلائل نبوته:

لقد أيد الله نبيه سليمان عليه السلام بآيات بينات، تدل على صدق نبوته وصحة رسالته، فقد علمه الله منطلق الطير، قال الله ﷻ عن سليمان: ﴿...يَأْتِيهَا النَّاسُ عِلْمًا مِّنْطِقِ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَخَشَرَ لِسُلَيْمَانَ جُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ

والآية الثانية دلت على نبوته من جهة إثبات إرث سليمان لداود عليه السلام، وهذا الإرث هو إرث النبوة وليس إرث مال؛ لأن الأنبياء لا يورثون مالاً؛ بل ما تركوه يكون صدقة، لما ثبت عن جماعة من الصحابة، منهم: أبو بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا نورث، ما تركنا فهو صدقة» (٣). وعن عمر رضي الله عنه قال لعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد: «نشدتكم بالله الذي تقوم السماء

(٣) أخرجه أحمد (٣٠٦/١) [مؤسسة الرسالة، ط١]،

والنسائي في الكبرى (كتاب الفرائض، رقم ٦٢٧٣)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩٣/٨) [دار هجر، ط١]: «على شرط الصحيحين».

(٤) تفسير ابن كثير (١٨٢/٦).

(١) تفسير ابن كثير (١٨١/٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ)، رقم ٣٧١٢، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

ما يحتاج إليه من أمور مملكته، من جنود وخيام وخيل وجمال، ثم يأمر الرياح بحمله إلى حيث يشاء من أرض الله^(٣).

كما سخر له عين القطر وهو النحاس، فيسّر له أسباب استخراج ما يستخرج منها من الأواني^(٤).

دعوته:

ذكر الله قصة الهدهد مع نبي الله سليمان عليه السلام، وفيها بيان لدعوته عليه السلام؛ حيث إنه لما أبلغه الهدهد بانتشار الشرك وعبادة غير الله في بلدة سبأ، بادر عليه السلام بإرسال رسالة يدعوهم فيها إلى الاستسلام لله بالتوحيد، ونبذ عبادة غير الله، وحضورهم إليه منقادين لله بالتوحيد، كما قال تعالى مخبراً عن قول سليمان للهدهد عند ما أرسله إلى مملكة سبأ: ﴿أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨) قَالَتْ يَتَأْتِيَ الْاَمَلُوا إِلَى أَلْفَى إِلَى كِنْدُبَ كَرِيمٍ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَى وَاتُفِي مُسْلِمِينَ (٣١) [النمل].

وفاته:

لقد توفي نبي الله سليمان عليه السلام وهو واقف متكئ على عصاه، ولم يعلم بموته أحد، وكان الجن يعملون بأوامره

يُورَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ اذْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَنَبَسَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ اوزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيْكَ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ [النمل].

قال ابن كثير: «أي: أخبر سليمان بنعم الله عليه، فيما وهبه له من الملك التام، والتمكين العظيم، حتى إنه سخر له الإنس والجن والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضاً، وهذا شيء لم يُعْطَ أحدٌ من البشر - فيما علمناه - مما أخبر الله به ورسوله»^(١).

وسخر له الرياح تنقله حيث شاء، وأعطاه الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فسخر له الجن فقهرهم؛ ليعملوا له ما يشاء من محارب وتمانيل وجفان كالجواب وقدور راسيات^(٢)، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوهاً شَهْرٌ وَرَوَّاحُهاً شَهْرٌ وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظَرِ وَمَنْ أَلَجَّ مَن يَعْمَلْ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبَ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ اَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ [سبأ]، حيث كان له بساط من خشب، يضع فوقه جميع

(٣) انظر: المصدر السابق (٥/٣٥٨).

(٤) انظر: تفسير السعدي (ص ٦٧٦).

(١) المصدر السابق (٦/١٨٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٥/٣٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: قصة نبي الله سليمان مع ملكة سبأ:

لقد قصَّ الله علينا في كتابه الكريم قصصاً عديدة، منها قصة نبي الله سليمان مع ملكة سبأ التي ذكرها الله بقوله: ﴿وَنَفَقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاٍ يَبِيقِينَ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهَذَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنُنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتَىٰ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) ﴿

[النمل].

فما كان من ملكة سبأ إلا أن استشارت كبار قومها ومستشاريها فيما يمكن فعله تجاه هذه الرسالة، فأعلموها بقدرتهم العظيمة على الحروب،

باستمرار؛ خوفاً منه، يظنون أنه حي، ولم يعلموا بموته إلا بعد سقوطه، لما أكلت الأرضة منسأته^(١)، يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (١٤) [سبأ].

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كان نبي الله سليمان إذا قام في مصلاه، رأى شجرة نابتة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخرنوب. قال: لأي شيء أنت؟ فقالت: لخراب هذا البيت. فقال: اللهم عمِّ عليهم موتي، حتى يعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب. قال: فنحتها عصاً يتوكأ عليها. فأكلتها الأرضة فسقطت فخر، فحزروا أكلها الأرضة، فوجدوه حولاً، فتبينت الإنس أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين»^(٢).

(١) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٢/٢٩٨)، والمنسأة هي العصا، انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب (٨٤) [دار القلم والدار الشامية، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٢) أخرجه البزار في مسنده (١١/٢٧٠) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٥٨٤)، و(كتاب الطب، رقم ٧٤٢٨)، مرفوعاً وموقوفاً، قال ابن كثير في تفسيره (٦/٥٠٨) [دار طيبة، ط ٢]: «وفي رفعه غرابة ونكارة، والأقرب أن يكون موقوفاً»، وكذا ضعف الألباني المرفوع، وصحح الموقوف. انظر: السلسلة الضعيفة (رقم ١٠٣٣).

قال ﷺ: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي
وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)
[النمل].

- المسألة الثانية: قصة خيله الصفات الجياد:

كان لنبي الله سليمان ﷺ الصفات
الجياد، وهي الخيل، وكان يحبها كثيراً،
فعرضت عليه مرة بالعشي فانشغل بها
حتى فاتته صلاة العصر^(١)، قال الله
تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ
الْجِيَادُ﴾^(٢) فَقَالَ إِنِّي أَجَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ
ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ^(٣) رُدُّوهَا عَلَيَّ
فَطَفِقَ مَسْحًا بِالْسُوقِ وَالْأَعْنَاقِ^(٤) [ص].
واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى:
﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالْسُوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾^(٢)
على قولين:

أحدهما: أنه طالب بإرجاع الخيل
إليه، ثم طفق بعقرها وضرب أعناقها^(٢)،
ورجح هذا القول ابن كثير.

والثاني: أنه طالب بإرجاعها إليه،
وأخذ يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حباً
لها، ورجح هذا القول ابن جرير
الطبري، بقوله: «وهذا القول الذي
ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية؛
لأن نبي الله ﷺ لم يكن - إن شاء الله -
ليعذب حيواناً بالعرقبة، ويهلك ما لا من

واستعدادهم لتنفيذ ما تطلبه منهم وتركوا
لها الخيار في الأمر، كما حكاها الله
عنهم بقوله: ﴿قَالَتْ يَتَأْتِيَ الْملُوكُ أَفْتُونِي فِي
أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾^(٣٢)
قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ
إِلَيْكَ فَأَنْظِرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ^(٣٣) [النمل]،
وبعد أن طمأنوها وفوضوا إليها اتخاذ
القرار، حذرتهم من العواقب السيئة
التي قد تترتب على عدم قبول الرسالة،
وأرسلت إلى سليمان بهدية، وبقيت
تنتظر رده عليها كما حكاها الله ﷻ عنها
بقوله: ﴿قَالَتْ يَتَأْتِيَ الْملُوكُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا
كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾^(٣٣) قَالُوا نَحْنُ
أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَأَنْظِرِي
مَاذَا تَأْمُرِينَ^(٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا
قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً
وكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ^(٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ
بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ بِمِ رَجْعِ الْمُرْسَلُونَ^(٣٥) [النمل].

ولما وصلت الهدية إلى سليمان كان
رده عليها حازماً، وبين غناه عنها،
وأن الله قد أعطاه ما هو خير من
هديتهم، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ
قَالَ أَمِئْتُوَنِي بِمَالٍ فَمَا عَاتَنِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا
عَاتَكُم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾^(٣٦) أُنْجِعِ
إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِخُمُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ
مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ^(٣٧) [النمل]، وفي
النهاية لم يسع الملكة وقومها إلا أن
يستسلموا ويأتوا سليمان مسلمين، كما

(١) انظر: تفسير الطبري (٨٣/٢٠ - ٨٦) [دار هجر،
ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٨٦/٢٠).

قال: «قال سليمان بن داود عليه السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين، كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون»^(٤).

وفي رواية أخرى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال سليمان بن داود عليه السلام: لأطوفن الليلة بمائة امرأة، تلد كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله، فقال له الملك: قل: إن شاء الله، فلم يقل ونسي، فأطاف بهن ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان، قال النبي صلى الله عليه وسلم: لو قال: إن شاء الله لم يحث وكان أرجى لحاجته»^(٥).

وأما ما يحكى من أن ملك سليمان كان في خاتمه، وأن الشيطان أخذ خاتمه بخداع زوج سليمان، وصار هو الملك مدة من الزمن، هذا كله من الأباطيل^(٦)، قال ابن كثير - بعد أن حكى هذا القول وأمثاله في معنى هذا الابتلاء -: «وهذه كلها من

ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها»^(١).

وأيد الألباني على هذا الترجيح، وذكر أن القول الأول ليس له ما يؤيده، ولو كان له دليل لذكره ابن كثير في ترجيحه إياه، وذكر أن تعقب ابن كثير للطبري في ترجيحه للقول الثاني بقوله «فيه نظر؛ لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا» أنه يمكن أن يقابل بمثله فيقال: قد لا يكون؛ لأن (قد) عنده هنا ليست للتحقيق؛ لعدم الدليل، ولو كان الدليل موجوداً، وخفي على ابن جرير لأدلى به ابن كثير، وإذ لم يفعل فالواجب البقاء مع الأصل الذي تمسك به الطبري^(٢).

- المسألة الثالثة: ابتلاء سليمان:

ابتلى نبي الله سليمان عليه السلام كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾^(٣) [ص].

والمقصود بهذا الابتلاء هو ما جاء في بعض الأحاديث الصحيحة^(٣)، مثل حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) تفسير الطبري (٨٧/٢٠)

(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني (٩٠٥/١٤) [دار المعارف، الرياض، ط١].

(٣) انظر: فيبهاهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء لعثمان الخميس (٣١٥) [دار إيلاف الدولية، ط١، ١٤٣١هـ]، والأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء لإبراهيم العلي (١٨٧) [دار القلم والدار الشامية، ط١، ١٤١٦هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨١٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٥٤).
(٥) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥٢٤٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٥٤).
(٦) انظر: فيبهاهم اقتده لعثمان الخميس (٣١٤).

الإسرائيليات»^(١).

النبي ﷺ قال: «بينما امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت هذه لصاحبتها: إنما ذهب بابنك أنت، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك. فتحاكما إلى داود، ف قضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود ﷺ فأخبرناه، فقال: اثنوني بالسكين أشقه بينكما، فقالت الصغرى: لا، يرحمك الله هو ابنها، ف قضى به للصغرى»^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «تفسير الطبري» (ج ٢٠).
- ٢ - «تفسير ابن أبي حاتم» (ج ١).
- ٣ - «تاريخ دمشق» لابن عساكر (ج ٢٢).
- ٤ - «سير أعلام النبلاء» (ج ٤)، للذهبي.
- ٥ - «البداية والنهاية» (ج ٢، و ٩)، لابن كثير.
- ٦ - «الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء»، للدكتور عبد الرحيم.
- ٧ - «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» (ج ١٤)، للألباني.
- ٨ - «أضواء البيان» (ج ٣)، لمحمد الأمين الشنقيطي.
- ٩ - «فبهاهم اقتده: قراءة تأصيلية

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق: «إن هذا الحديث الصحيح بين معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ الآية (ص: ٣٤)، وأن فتنة سليمان كانت بسبب تركه قوله: «إن شاء الله»، وأنه لم يلد من تلك النساء إلا واحدة نصف إنسان، وأن ذلك الجسد الذي هو نصف إنسان هو الذي ألقى على كرسيه بعد موته في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ الآية، فما يذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ الآية، من قصة الشيطان الذي أخذ الخاتم وجلس على كرسي سليمان، وطرده سليمان عن ملكه؛ حتى وجد الخاتم في بطن السمكة، التي أعطاها له من كان يعمل عنده بأجر مطرودًا عن ملكه، إلى آخر القصة، لا يخفى أنه باطل لا أصل له، وأنه لا يليق بمقام النبوة، فهي من الإسرائيليات التي لا يخفى أنها باطلة»^(٢).

- المسألة الرابعة: علاقته بأبيه داود عليه السلام في الحكم وقصتهما مع المراتين المتنازعتين في طفل إحداهما: وهي كما رواها أبو هريرة عن

(١) تفسير ابن كثير (٦٨/٧)، وانظر: البداية والنهاية له (٣٤٠/٢).

(٢) أضواء البيان (٢٥٤/٣) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الفرائض، رقم ٦٧٦٩)، ومسلم (كتاب الأفضية، رقم ١٧٢٠).

في سير وقصص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، لعثمان الخميس.
 ١٠ - «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء»، لإبراهيم بن محمد العلي.

❁ الحقيقة:

سماع الأموات من المسائل التي يقررها بعض أهل السُّنة من حيث الإجمال، ولكنه سماع لمجرد الكلام، وليس سماع قبول وانتفاع، واستجابة، فلا مدخل حينئذ لمن أحدث دعاء الأموات والاستنجاد بهم بحجة مسألة سماع الأموات، فإن العبد إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له.

❁ الأدلة:

من أدلة إثبات سماع الأموات ما ورد في قصة شعيب عليه السلام، حيث قال لقومه بعد هلاكهم: ﴿يَقُولُ لَقَدْ أَتَلَقْتُكُمْ رَسُولًا رَّبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَفَرُوا﴾ [الأعراف].

وظاهره أنه خاطبهم خطاب من يسمع ويعقل، وإلا لم يكن للكلام فائدة، قال قتادة: «أسمع شعيب قومه، وأسمع صالح قومه، كما أسمع نبيكم قومه يوم بدر؛ يعني: أنه خاطبهم بعد الهلاك»^(٥).

(٥) زاد المسير (٢٢٧/٣) [المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٤٠٧هـ].

❁ سماع الأموات

❁ التعريف لغة:

السين والميم والعين أصل واحد، وهو إيناس الشيء بالأذن^(١).

والسمع: حس الأذن، وهي قوة فيها بها تدرك الأصوات^(٢)، والأذن وما وقر فيها من شيء تسمعه^(٣).

وسماع الأموات: المراد به إدراك الأموات للأصوات.

❁ التعريف شرعاً:

سماع الأموات: إدراك الأموات للأصوات الكائنة خارج مرقدهم، وهو مجرد سماع الكلام من حيث الجملة، وليس هو سماع قبول وانتفاع واستجابة^(٤).

❁ الحكم:

دلت النصوص الشرعية على أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي،

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/٧٧).

(٢) تاج العروس (٢٢٣/٢١) [دار الهداية].

(٣) القاموس المحيط (٩٤٣).

(٤) انظر: مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية (١٨١).

السلام»^(٣)، فهذا السلام المطلق البعيد الذي لا يسمعه تبلغه الملائكة إياه.

قال ابن تيمية: «وأما السلام الذي لا يسمعه فذلك سلام الله عليهم به عشرين؛ كالسلام عليه في الصلاة، وعند دخول المسجد، والخروج منه، وهذا السلام مأمور به في كل زمان ومكان»^(٤).

وأما السلام الذي يسمعه ولا يحتاج إلى أن تبلغه الملائكة إياه فهو السلام المقيد القريب الذي يكون عند قبره، فهو الذي يسمعه ﷺ ويرد على صاحبه، وهو بخلاف السابق، كما قوله ﷺ: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»^(٥).

وفي سماع الميت خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه بعد دفنه يقول ﷺ: «إن الميت إذا وضع في قبره، إنه ليسمع

وقد جاء التصريح بسماع الأموات في نصوص السُّنة، والأصل في ذلك سماع أهل القليب لخطاب النبي ﷺ إياهم يوم بدر، قال أبو طلحة رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ إذا قاتل قومًا فهزمهم أقام بالعرصة ثلاثًا، وإنه لما كان يوم بدر أمر بصناديد قريش فألقوا في قليب من قُلب بدر خبيث منتن، قال: ثم راح إليهم ورحنا معه، ثم قال: «يا أبا جهل بن هشام، ويا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا وليد بن عتبة، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًا» قال: فقال عمر: يا رسول الله، أتكلم أجسادًا لا أرواح فيها؟ قال: «والذي بعثني بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»^(١).

وقال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «السلام على أهل القبور: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»^(٢) وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض، يبلغوني من أمتي

(٣) أخرجه النسائي (كتاب صفة الصلاة، رقم ١٢٨٢)، وأحمد (٣٨٧/١، ٤٤١، ٤٥٢) [مؤسسة قرطبة، مصر (مصورة عن الطبعة الميمنية)]، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨١٦)، وابن حبان في صحيحه (كتاب الرقائق، رقم ٩١٤)، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير، رقم ٣٥٧٦) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٥٣).

(٤) مجموع الفتاوى (٤٠٧/٢٧) [دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ].

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب المناسك، رقم ٢٠٤١)، وأحمد في مسنده (٥٢٧/٢) [مؤسسة قرطبة، مصر (مصورة عن الطبعة الميمنية)]، ووجد العراقي إسناده في المغني عن حمل الأسفار (٣٦٧) [دار ابن حزم، ط ١]، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٢٦٦).

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٣٩٧٦)، ومسلم (كتاب صفة الجنة ونعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٥)، وأحمد (٥١٠/٥) [دار الفكر، ط ١، ١٤١١هـ]، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الطهارة، رقم ٢٤٩).

المعنى، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣] (٣).

وقال الألوسي: «إنكار السماع رأساً، وإثباته مطلقاً لا شك في أنه مكابرة محضة، فالراجح قصر السماع على ما ورد وهذا الوجه يجمع بين الروايات المختلفة» (٤).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة ما نصّه: «الأصل عدم سماع الأموات كلام الأحياء، إلا ما ورد فيه النص» (٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حقيقة الخلاف في سماع الأموات:

اختلف فيها المحققون من أهل العلم إلى قولين، فمنهم من قال بمقتضى النصوص السابقة، وأن ظاهرها يدل على السماع في الجملة، ويراد به إدراك الكلام وفهمه، لا سماع ينتفع به. وقال آخرون: إن الموتى لا يسمعون، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ مٌذِيرِينَ﴾ [النمل: ٨٠]، ولقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

(٣) مجموع الفتاوى (٣٦٤/٢٤) [دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦هـ].

(٤) فتح المنان تمة منهاج التأسيس (٣٨٠) عن دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢٦٣) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٩/ ٨٢) [ط ١، ١٤١١هـ].

خفق نعالهم إذا انصرفوا» (١).

أقوال أهل العلم:

قال القرطبي: «باب ما جاء أن الميت يسمع ما يقال» (٢).

وقال ابن تيمية في جوابه لمن سأل: هل الميت يسمع كلام زائرته؟: «نعم يسمع الميت في الجملة» ثم ساق جملة من النصوص، وقال: «فهذه النصوص وأمثالها تبين أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي، ولا يجب أن يكون السمع له دائماً؛ بل قد يسمع في حال دون حال، كما قد يعرض للحي فإنه قد يسمع أحياناً خطاب من يخاطبه، وقد لا يسمع لعارض يعرض له، وهذا السمع سمع إدراك، ليس يترتب عليه جزاء، ولا هو السمع المنفي بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨٠]، فإن المراد بذلك سماع القبول والامتنال؛ فإن الله جعل الكافر كالميت الذي لا يستجيب لمن دعاه، وكالبهائم التي تسمع الصوت، ولا تفقه المعنى؛ فالميت وإن سمع الكلام وفقه المعنى، فإنه لا يمكنه إجابة الداعي، ولا امتثال ما أمر به ونهى عنه، فلا ينتفع بالأمر والنهي، وكذلك الكافر لا ينتفع بالأمر والنهي، وإن سمع الخطاب، وفهم

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٧٤)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٠)، واللفظ له.

(٢) التذكرة للقرطبي (١٦٤).

ومن الأمور المهمة أنه ينبغي أن لا يغيب عن الذهن أن «الميت - وإن سمع الكلام وفقه المعنى - فإنه لا يمكنه إجابة الداعي، ولا امتثال ما أمر به، ونُهي عنه، فلا ينتفع بالأمر والنهي»^(٢).

وفي هذا أبلغ الرد على طوائف أهل البدع ممن يزعمون أن الأموات يسمعون سماعاً مطلقاً، وأنهم إذا دُعوا أجابوا، وإذا استغيثوا أغاثوا، وإذا استنصروا نصروا.

وقال عبد الحي الكندي: «لم يثبت شرعاً أنَّ الأولياء لهم قدرة على سماع النداء من أمكنة بعيدة، إنما ثبت سماع الأموات لتحية من يزور قبورهم، ومن اعتقد أنَّ غير الله ﷻ حاضرٌ وناظرٌ، وعالمٌ للخفي والجلي في كلِّ وقت وفي كلِّ آن، فقد أشرك»^(٣)؛ أي: الشرك الأكبر الذي حذرت منه الأنبياء ﷺ، والذي توعد الله - تعالى - أهله بوعيد شديد حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

ولا يصح الاستدلال بحديث تلقين

٣٦٣، ٢٩٨/٤، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٤٢)، والروح لابن القيم (٤٥)، والآيات البينات في عدم سماع الأموات للالوسي، وأضواء البيان للشنيطي (٤٢١/٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٦٤/٢٤).

(٣) فتاوى الكندي (٢٦٤/١) [دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠١م].

وخلاف أهل السنة في هذه المسألة ليس مبنياً على قياس فاسد أو رؤى أو هوى؛ بل منشؤه الخلاف في فهم النصوص الواردة في الباب، فمن رأى أنها تدل على عدم سماع الأموات قال بذلك، وردَّ على من قال بسماعها من حيث الجملة، ومن ثمَّ إبطال ما يستدل به بعضهم من أن الأموات يسمعونهم فيجيبونهم إلى ما يريدون، فأبطل القائلون بعدم السماع المسألة من أصلها، وقالوا لهؤلاء: إن الأموات لا يسمعون، فمن السفه في العقل أن تعتقدوا استجابتهم لكم.

وأما من رأى من أهل السنة أن الأموات يسمعون في الجملة، فإنهم قالوا: إن هذا سماع إدراك وفهم لا سماع معتاد ينتفع به صاحبه، وعلى هذا فلا مدخل لكثير من أهل البدع في تسويغهم اللجوء إلى الموتى ودعائهم وعبادتهم؛ لأنهم لا يستجيبون لهم، فحال هؤلاء كحال من قصَّ الله علينا، قال الله سبحانه: ﴿...ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ فِطْمِيرٍ﴾ (١٣) **﴿١٣﴾** إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ **﴿١٤﴾** [فاطر: (١)].

(١) انظر: التذكرة للقرطبي (٤٠٩/١)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٢٠٦/١٧)، ومجموع الفتاوى (٢٤).

وقد بَوَّبَ عليه النسائي عند ذكره للحديث رقم (١٣٧٤) بقوله: «إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة».

وبوب ابن حبان - كما في الإحسان - للحديث رقم (٩١٠) بقوله: «بيان بأن صلاة من صلى على المصطفى ﷺ من أمته تعرض عليه في قبره».

وفي الباب عن ابن مسعود مرفوعاً: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام»^(٤).

وأما حديث: «حياتي خير لكم تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُكُمْ، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم»^(٥)، فإنه حديث

(١١٥) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٢٧).

(٤) أخرجه النسائي (كتاب صفة الصلاة، رقم ١٢٨٢)، وأحمد (١/٣٨٧، ٤٤١، ٤٥٢) [مؤسسة قرطبة، مصر (مصورة عن الطبعة الميمينية)]، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨١٦)، وابن حبان في صحيحه (كتاب الرقاق، رقم ٩١٤)، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير، رقم ٣٥٧٦) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٥٣).

(٥) أخرجه البزار. انظر: كشف الاستار (رقم ٨٤٤)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/١٩٤) [دار صادر، ط١]، والقاضي إسماعيل بن إسحاق في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٣٨، ٣٩) [المكتب الإسلامي، ط٣]، والحرث بن أبي أسامة في مستنده - كما في بغية الباحث للهشمي (كتاب علامات النبوة، رقم ٩٥٣) -، من طرق عن بكر بن عبد الله المزني مرسلاً. وهذا إسناد ضعيف لإرساله، كما ذكر ابن عبد الهادي، ووافقه الألباني. انظر: =

الميت بعد الدفن على سماع الأموات؛ لكونه باطلاً^(١)، ولا بحديث عرض الأعمال على النبي ﷺ بعد موته؛ لكونه باطلاً أيضاً^(٢).

- المسألة الثانية: عرض الأعمال على النبي ﷺ:

لقد ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ حث أمته على الإكثار من الصلاة عليه ﷺ يوم الجمعة، وأن هذه الصلاة تعرض عليه ﷺ، يقول النبي ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي»^(٣).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٩٨/٨) [مكتبة تيمية، ط٢]، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢/٦٤) [دار المعارف، ط١، ١٤١٢هـ]، وقال: «منكر»، وعزاه إلى القاضي الخلعي، وذكر طائفة ممن ضعفه من أهل العلم؛ كالدارقطني، والبيهقي، والهشمي، والنووي، وابن الصلاح، والعراقي، وابن القيم، ثم عقب بقوله: «واعلم أنه ليس للحديث ما يشهد له، وكل ما ذكره البعض إنما هو أثر موقوف على بعض التابعين الشاميين لا يصلح شاهداً للمرفوع؛ بل هو يعله، وينزل به من الرفع إلى الوقف. وجملة القول: أن الحديث منكر عندي إن لم يكن موضوعاً».

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/١٩٤) [دار صادر، ط١]، والبزار في مسنده (٥/٣٠٨) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٩٧٥).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٠٤٧)، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٣٧٤)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، رقم ١٠٨٥)، وأحمد (٢٦/٨٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الصلاة، رقم ١٦١٣)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٩١٠)، وصححه النووي في الأذكار

- ضعيف، لا يصح الاعتماد عليه.
- ١٠ - كتاب «التوحيد»، لمحمد بن عبد الوهاب.
- ١١ - «مسائل الجاهلية»، لابن عبد الوهاب.
- ١٢ - «الجواب الباهر في زوار المقابر»، لابن تيمية.
- فالظاهر من حديث: «إن من أفضل أيامكم»، وحديث ابن مسعود أن الذي يعرض على النبي ﷺ إنما هو الصلاة والسلام، وأما غيرها فلم يدل الدليل الصحيح الصريح على أنها تعرض على النبي ﷺ.

السمع والطاعة

يراجع مصطلح (الإمامة).

السمع

التعريف لغة:

السَّمْع: مصدرٌ من قولهم: سَمِعْتُ الشيءَ سَمْعًا وسَمَاعًا. ويطلق كذلك على نفس الحاسة التي في الأذن. ومعناه: إيناسُ الشيء بالأذن من النَّاس وكلِّ ذي أذن. كما يطلق السمع على الأذن.

ويطلق السَّمْعُ (المصدر) ويراد به اسم المفعول (المسموع)، فيراد به ما وَقَرَّ في الأذن من شيء تسمعه^(١). وهذا المعنى هو المراد في هذا المصطلح.

التعريف اصطلاحًا:

السمع يراد به: الأدلة اللفظية المسموعة من الكتاب والسنة والإجماع.

(١) مقاييس اللغة (١٠٢/٣) [دار الجيل، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، لسان العرب (٨/١٦٢ - ١٦٨) [دار صادر، ط ١].

المصادر والمراجع:

- ١ - «أهوال القبور»، لابن رجب.
- ٢ - «الآيات البينات في عدم سماع الأموات»، للألوسي (بمقدمة الألباني).
- ٣ - «الروح»، لابن القيم.
- ٤ - «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (ج ٢)، لابن حزم.
- ٥ - «كشف شبهات الصوفية»، لشحاتة صقر.
- ٦ - «تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جريس»، لعبد اللطيف آل الشيخ.
- ٧ - «دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث»، لبابطين.
- ٨ - «الرد على شبهات المستعين بغير الله»، لابن إبراهيم.
- ٩ - «السيف المسلول على عابد الرسول»، لابن قاسم.

= الصارم المنكي (٢٠٣ - ٢٠٤) [مؤسسة الريان، ط ١]، والسلسلة الضعيفة (رقم ٩٧٥). وللحديث طرق أخرى واهية. انظر: السلسلة الضعيفة (رقم ٩٧٥).

✽ الأسماء الأخرى:

من الأسماء التي أطلقت مرادفةً لمعنى
السمع السابق:

١ - الشرع.

٢ - النقل.

٣ - الخبر.

٤ - مصادر التلقي (الكتاب والسُّنة
والإجماع).

✽ الحكم:

إطلاق مصطلح (السمع) على أدلة
الكتاب والسُّنة إذا كان إطلاقاً مجرداً من
المعاني الفاسدة فالأمر فيه واسع، فهو
اصطلاح، ولا مشاحة في الاصطلاح إذا
لم يستلزم معنى فاسداً، وقد درج عامة
العلماء من أهل السُّنة وغيرهم على
استعماله بهذا المعنى من غير تكبر،
ولعل من أقدم من روي عنه استعماله
بهذا المعنى التابعي الجليل عطاء بن أبي
رباح، حيث روى الهروي بسنده عن ابن
جريج عن عطاء أنه قال: «ليس الدين
الرأي ولكنه السمع»^(٢).

(٢) ذم الكلام وأهله للهروي (٢٠٨/٢) [مكتبة العلوم
والحكم، ط١، ١٤١٨هـ]، وتتنوع كلام العلماء في
ذلك يطول جداً، وانظر على سبيل المثال من كتب
أهل السُّنة: شرح أصول الاعتقاد للالكائي (٢/١٩٣،
١٩٥) [دار طيبة، ١٤٠٢هـ]، والانتصار
لأصحاب الحديث للسمعاني (٥) [مكتبة أضواء
المنار، ط١]، والحجة في بيان المحجة (٣٤١/١)
(١١٩/٢، ١٤٩) [دار الريّة، ط٢، ١٤١٩هـ]،
ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٩/٣) (٥١٨/٥) =

وغالباً ما يطلق هذا المصطلح في
مقابل مصطلح (العقل)، ويراد به الأدلة
العقلية، فيقال مثلاً: (دلّ على هذه
المسألة: السمع والعقل).

وقد يطلق (الدليل السمعي) ويراد به
عموم الدليل الشرعي، وهذا في اصطلاح
الفقهاء، فيدخل فيه: الكتاب، والسُّنة،
والإجماع، والقياس الفقهي المعتبر^(١).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي

والاصطلاحي:

المعنى الاصطلاحي للسمع - الدليل
السمعي - (الكتاب والسُّنة) مأخوذ من
المعنى اللغوي الأخير مما تقدم، وهو
إطلاق السمع نفس المسموع الذي يقرّ
في الأذن، وذلك باعتبار طريق العلم
بالدليل، إذ هو مأخوذ من التلقي الذي
يدرك بالسمع.

✽ سبب التسمية:

سبب التسمية هو ما تقدم من أن
طريق العلم بهذه الأدلة (الكتاب والسُّنة)
هو السمع، بخلاف الأدلة العقلية التي
يتوصل إليها بإعمال الذهن.

(١) انظر: البرهان في أصول الفقه للجويني (١١٦/١)
[دار الوفاء، ط٤، ١٤١٨هـ]، والبحر المحيط في
أصول الفقه للزركشي (٢٧/١) [دار الكتب العلمية،
ط١، ١٤٢١هـ]، والتقريب والتحرير من علم الأصول
لابن أمير الحاج (٤٣/١) [دار الفكر، ط١٤١٧هـ]،
والكليات للكفوي (٤٤٢) [مؤسسة الرسالة،
١٤١٩هـ].

❁ الحقيقة:

المستقيمة، المخالفة للآراء السقيمة^(٢)

ولهذا كان من الواجب عند إطلاق مصطلح (السمع) الاحتراز من معنى فاسد يخشى أن يفهم منه، وهو ما ذهب إليه بعض أهل البدع من الزعم بأن أدلة الكتاب والسنة لا تتضمن شيئاً من الأدلة العقلية، وإنما هي مبنية على التسليم المجرد المبني على صدق المخبر فحسب، وهذا غلط بين، وضلال مبين؛ بل إن سلف الأمة وأئمتها يقررون أن الله قد بين في كتابه وفي ما جاء به نبيه الأدلة العقلية التي يحتاج إليها في العلم؛ بل إن نهاية ما يذكره أهل البدع والكلام من حجج عقلية سليمة فإن القرآن قد جاء به على أكمل وجه وأتم بيان^(٣).

بل إن هذا الأصل - وهو اشتغال الكتاب والسنة على الأدلة العقلية - قد اعترف به كثير من أهل الكلام^(٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٧/٨) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وانظر: المراجع في الحاشية السابقة.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩٦/٣) - (٢٩٧).

(٤) انظر: المسائل الخمسون في أصول الدين للرازي (٦٤) [المكتب الثقافي، ط ١، ١٩٨٩م]، والمحصل له (٤٩٠، ٤٩١) [درا التراث، ط ١، ١٤١١هـ]، والدرة لابن حزم (١٩٤) [مطبعة المدني، ط ١، ١٤٠٨هـ]، والمواقف للإيجي (٣٤٩) [عالم الكتب، بيروت]، والمختصر في أصول الدين لعبد الجبار المعزلي ضمن رسائل العدل والتوحيد (٢٠٢) [دار الهلال، القاهرة].

إن من الحقائق الشرعية المعلومة أن النصوص القرآنية والنبوية قد جاء فيها بيان الأدلة السمعية الخبرية المبنية على صدق المخبر، كما جاء فيها أيضاً بيان البراهين والحجج العقلية الصحيحة التي يهتدي بها الناس، سواء في الاعتقادات؛ كإثبات الله وتوحيده وصدق رسله وإثبات المعاد وغيره، أو في العمليات، ومن ذلك الأمثال المضروبة في القرآن، وكذا الأدلة العقلية المضروبة على إثبات التوحيد والبعث والجزاء وعلى إبطال الشرك وصدق الرسل ونحو ذلك^(١).

بل إن تلك الأدلة والبراهين العقلية الصحيحة من الميزان الذي أنزله الله تعالى، والذي قال الله تعالى فيه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، حيث فُسر الميزان بأنه «الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة

= (٤٦/٦، ٥٥٧) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢].

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٤٦/٢ - ٤٧ - ٢٩٢/٦) (٢٣٩/٩ - ٢٤٠) (٨٢/١٢) (٢٥١/١٦) (٤٤٤/١٧) (١٥٩/١٩ - ١٦٢، ١٧٦، ٢٣٠)، ودرء تعارض العقل والنقل (٢٨/١، ١٩٨ - ١٩٩) (٣٧/٨، ٩٠ - ٩١) (٣٧/٩، ٤٩) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، منهاج السنة النبوية (٢٤٨/٥) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٠٦هـ]، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٨٥، ١١٤) [المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٣٩١هـ].

ولا غيره، وكل ما سواها من قول
الآدميين تبع لها، ولا عذر لأحد يتعمد
ترك السُّنة ويذهب إلى غيرها؛ لأنه لا
حجة لقول أحد مع رسول الله إذا
صح^(٤).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ
فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾
[النساء].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ
تَسْمَعُونَ ۝٦٠﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا
يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء].

وروى مالك في «الموطأ» أنه بلغه أن
رسول الله ﷺ قال: «تركت فيكم أمرين
لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله
وسنة نبيه»^(٥).

والحاصل أن الدليل الشرعي لا يقابل
الدليل العقلي، ولا يُجعل قسيماً له،
كما يفعله بعض المتكلمين^(١)، وإنما
يقابل بالدليل البدعي، وذلك أن الدليل
الشرعي قد يكون سمعياً، وقد يكون
عقلياً^(٢).

المنزلة:

لقد كان للدليل السمعي (الكتاب
والسُّنة) عند السلف منزلته الكبرى في
أبواب الاعتقاد وأصول الدين، فقد كان
السلف وقفاً عند نصوص الشرع، فلا
يعارضونها بالرأي والاجتهاد؛ بل
يعظمونها، ويسلمون لها، ويرون الزيف
والهلاك في مفارقتها.

فالسمع هو الأصل في الاستدلال في
أبواب الاعتقاد، وما سواه تبع له.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «أمنت بما
جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن
رسول الله على مراد رسول الله ﷺ»^(٣).

وقال قوام السُّنة الأصبهاني: «وليس
لنا مع سُنَّة رسول الله من الأمر شيء إلا
الاتباع والتسليم، ولا يعرض على قياس

(٤) الحجة في بيان المحجة (٢/٤٢٦) [دار الراجعية، ط ٢].

(٥) الموطأ (كتاب القدر، رقم ٣٣٣٨) [مؤسسة زايد بن سلطان، ط ١]، وفي سنده انقطاع، لكن له شاهد من حديث ابن عباس عند الحاكم (كتاب العلم، رقم ٣١٨)، وقد قوّاه به الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠/٤).

(١) انظر: المغني لعبد الجبار (١٢/١٦٦).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/١٩٨) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ]، ومنهاج السُّنة (٢/١١٠)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٢٩٦ - ٢٩٧، ٣٣١ - ٧١/٦) (٧٢ - ٩/٢٢٧) (١٤/٦٢).

(٣) ذم التأويل لابن قدامة (١١) [الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٦هـ].

❁ أقوال أهل العلم:

قال الإمام الشافعي رحمته الله: «ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحداً أخبر عن رسول الله ﷺ إلا قبل خبره، وانتهى إليه، وأثبت ذلك سنة»^(١).

وقال أبو سليمان الداراني رحمته الله: «إنه ليقع في قلبي النكته من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسنة»^(٢).

وقال ابن القيم رحمته الله: «الأدلة السمعية نوعان: نوع دلّ بطريق التنبيه والإرشاد على الدليل العقلي، فهو عقلي سمعي، ومن هذا غالب أدلة النبوة والمعاد والصفات والتوحيد... وإذا تدبرت القرآن رأيت هذا أغلب النوعين عليه، وهذا النوع يمتنع أن يقوم دليل صحيح على معارضته؛ لاستلزامه مدلوله، وانتقالُ الذهن فيه من الدليل إلى المدلول ضروري، وهو أصل للنوع الثاني الدال بمجرد الخبر، فالقدح في النوعين بالعقل ممتنع بالضرورة، أما الأول فلما تقدم، وأما الثاني فلاستلزام القدح فيه القدح في العقل الذي أثبتته، وإذا بطل العقل الذي أثبت السمع بطل ما عارضه من العقليات»^(٣).

(١) الأم للشافعي (١٥١/٢)، وانظر: مفتاح الجنة للسيوطي (٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢١٠/١١)، والصفدية (٢٥٣/١) [دار الفضيلة، ١٤٢١هـ]، ومدارج السالكين لابن القيم (١٤٢/٣).

(٣) الصواعق المرسلة (٩٠٨/٣ - ٩٠٩) [دار العاصمة،

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تقسيم مباحث العقيدة إلى سمعيات وعقليات:
لقد شاع في الكتب الكلامية تقسيم مباحث علم الاعتقاد إلى قسمين:

١ - العقليات: ويعنون بها المباحث الإلهية وما يتعلق بها؛ كإثبات وجود الله، وما يجب ويمتنع ويجوز عليه.

٢ - السمعيات: ويعنون بها أبواب المعاد واليوم الآخر، على خلاف بينهم فيما يدخل في القسمين من مسائل^(٤).

وقد بنوا هذا التقسيم على اعتبار أن الأدلة السمعية (الكتاب والسنة) إنما يحتج بها في باب السمعيات (المعاد)، ومنعوا أن تكون العقليات (المباحث الإلهية ونحوها) معلومة بالسمع؛ بل لا تثبت عندهم إلا بالعقل، والسمع فيها تبع للعقل^(٥).

ط ٣، ١٤١٨هـ]، وانظر: نفس المرجع (٧٩٣/٢ - ٧٩٤)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٧١/٦).
(٤) انظر: التفسير الكبير للرازي (١٩/١) [دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ]، وقواعد العقائد للغزالي (١٤٦، ٢١٦) [دار عالم الكتب، ط ٢، ١٤٠٥هـ]، وشرح المقاصد للفتاواني (١٧٣/٢) [دار المعارف النعمانية، ط ١]، وشرح المواقف للإيجي (٣٢٧/٣) [دار الجيل، ط ١، ١٤١٧هـ]، وشرح الأصفهانية لابن تيمية (٢٣، ٢١٢) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٥) انظر: البرهان في أصول الفقه للجويني (١١٠/١ - ١١١)، والمواقف للإيجي (٣٩ - ٤٠) [عالم الكتب، ط ١]، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣/٣٣١)، وشرح الأصفهانية له (٢١٢).

والمجردة عن الاستدلال العقلي^(٢).

- المسألة الثانية: ما يفيد السمع:

لقد كان منهج السلف الصالح الأخذ بكل ما جاء في الكتاب وصح في السُّنة، سواء كان متواتراً أو آحاداً، وسواء ذلك في الأمور العملية (الشرائع ومسائل الفقه العملي)، أو في الأمور العلمية (وهي مسائل الاعتقاد). وقد حكى إجماعهم على ذلك غير واحد.

قال الإمام ابن عبد البر رحمته الله: «وأجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر، من لدن الصحابة إلى يومنا هذا، إلا الخوارج، وطوائف من أهل البدع، شرذمة لا تعد خلافاً، وقد أجمع المسلمون على... قبول خبر الواحد العدل فيما يخبر به مثله»^(٣).

فأما القرآن والخبر المتواتر فإنهما يفيدان العلم اليقيني بلا إشكال، وأما خبر الآحاد فالقول الصحيح والذي عليه عامة الفقهاء وأكثر المتكلمين^(٤)، أنه

(٢) انظر: الأدلة العقلية التقليدية على أصول الاعتقاد لسعود العريفي (٤٤ - ٤٩).

(٣) التمهيد (٢/١)، وانظر: جامع بيان العلم (٩٦/٢)، ومختصر الصواعق (٤/١٤٦٥ - ١٦٤٨).

(٤) انظر: رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام =

ومنشأ غلطهم في ذلك هو ما سبق من توهم كثير منهم أن أدلة الكتاب والسُّنة تتوقف دلالتها على العلم بصدق المخبر بها فحسب، وغفلوا عن كون دلائل الكتاب والسُّنة قد تضمنت مع ذلك الأدلة العقلية اليقينية على سائر الأصول الاعتقادية الشرعية التي يمكن أن تعلم بالعقل، ومنها ما يتعلق بإثبات وجود الله وما يستحقه تعالى من صفات الكمال، وما يتنزه عنه من صفات النقص.

فالحق أن القسم الذي أسموه عقليات الأصل فيه هو الاستدلال بنصوص الكتاب والسُّنة، وقد تضمننا من الأدلة العقلية ما يكفي لهداية الخلق.

كما أن القسم الثاني الذي أسموه السمعيات ليس بمنفك عن الأدلة العقلية؛ بل يقال فيه كما قيل في سابقه من أن أصل الاستدلال فيه مبنئ على أدلة الكتاب والسُّنة، وأن أدلة العقل قد دلت عليه أيضاً؛ كدلالة العقل على المعاد^(١).

ولا شك أن من مسائل الاعتقاد ما لا طريق للعلم به إلا السمع؛ كتفصيل صفات الرب، كما أن منها ما يعلم بالسمع والعقل، ولكن الغلط هو جعل جميع مسائل الإلهيات من العقليات، وجميع مسائل المعاد من السمعيات

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٣/١٣٨).

يفيد اليقين إذا احتفت به القرائن^(١)؛
كتلقي الأمة له بالقبول^(٢)، أو أن يكون
مما اتفق عليه الشيخان - البخاري
ومسلم - عدا النزر الذي انتقد
عليهما^(٣)، أو أن يكون مستفيضًا
مشهورًا، أو مسلسلًا بالأئمة الحفاظ
المتقين^(٤).

الآثار:

من آثار الأخذ بالدليل السمعي، والرد
إليه:

١ - تحقيق الإيمان التام بالله واليوم
الآخر، قال تعالى: ﴿وَمَا اخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ
شَيْءٍ فَاَحْكُمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]

٢ - الاهتداء التام إلى الحق التام،
والعصمة من الضلال، قال تعالى: ﴿قُلْ
أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ
تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور]

٣ - السلامة من الاختلاف والنزاع
والشقاق، وتحقيق الجماعة والألفة،
ونبذ الفرقة والاختلاف. قال تعالى:
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا
وَيَذْهَبَ رِجَاكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال].

٤ - السلامة من الفتنة والعذاب
الآليم. قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ
يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ
يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور].

(٥) انظر: درء التعارض (٣/ ٣٨٣ - ٣٨٤) [دار الكتب
العلمية]، ومختصر الصواعق (٢/ ٤١٢) [مكتبة
الرياض الحديثية].

ومع ذلك فإن خبر الأحاد إذا صح،
فهو محتج به في الاعتقاد، حتى ولو
كان خاليًا من القرائن السابقة، فيكفي أن

= كما في مجموع الفتاوى (٢٥٧/٢٠).
(١) ممن قرر ذلك: ابن الصلاح في: علوم الحديث
(٢٥) [المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ط ٢،
١٩٧٢م]، وابن حزم في الإحكام (١٠٨/١) [دار
الحديث، ط ١، ١٤٠٤هـ]، والموفق ابن قدامه،
والطوفي، وابن حمدان، وابن الزاغوني، كما في
شرح الكوكب المنير (٣٤٨/٢) [مكتبة العبيكان،
١٤١٣هـ]، والآمدي في الأحكام (٣٢/٢)، وابن
كثير، في الباعث الحثيث (٣٣) [دار الكتب العلمية،
ط ١٤٠٣هـ]، وابن حجر في النكت على ابن الصلاح
(٣٧١/١) [نشر الجامعة الإسلامية، ط ١،
١٤٠٤هـ].

(٢) انظر: الانتصار لأصحاب الحديث (٣٤) [مكتبة
أضواء المنار، ط ١، ١٤١٧هـ]، ومجموع الفتاوى
(١٨/ ١٧، ٤٨).

(٣) انظر: مقدمة ابن الصلاح (١٤ - ١٥)، ومجموع
الفتاوى لابن تيمية (١/ ٢٥٧) (١٧/ ١٨، ٤٩) (١٣/
٣٥٠، ٣٥١)، وفتح المغيث (١/ ٥١) [دار الكتب
العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ]، وتدريب الراوي (١/
١٣٤) [دار إحياء السنة النبوية، ط ٢، ١٣٩٩هـ]،
ونزهة النظر (٧٤ - ٧٥)، وتوضيح الأفكار (١/ ١٢٣ -
١٢٥) [مكتبة الخانجي، ط ١، ١٣٦٦هـ]، وإرشاد
الفحول (٤٩ - ٥٠) [دار المعرفة، ١٣٩٩هـ]، وشرح
نخبة الفكر للقياري (٤٢ - ٤٣) [دار الكتب العلمية،
١٣٩٨هـ].

(٤) انظر: نزهة النظر (٧٦).

✽ المصادر والمراجع:

١ - «الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد»، لسعود العريفي.

٢ - «الاعتصام بحبل الله بين الواقع والمبشرات: دراسة قرآنية واقعية»، لمحمود هاشم عنبر [بحث مقدم إلى مؤتمر (الإسلام والتحديات المعاصرة) المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية].

٣ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

٤ - «الصواعق المرسلة»، لابن القيم.

٥ - «خصائص أهل السنة والجماعة»، لصالح الدخيل [رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى].

٦ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٧ - «منهاج السنة النبوية»، لابن تيمية.

٨ - «مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة»، للسيوطي.

٩ - «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة»، لعثمان بن علي حسن.

١٠ - «موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة»، لسليمان الغصن.

✽ السَّمْع (صفة لله) ✽

✽ التعريف لغة:

السَّمْعُ: مصدر للفعل سَمِعَ يَسْمَعُ سَمْعًا وَسَمَاعًا، وهو إيناس الشيء بالأذن^(١).

والسَّمْعُ: حسُّ الأذن، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق].

وَأَسْمَعَ يُسْمِعُ إِسْمَاعًا: القبول، والإجابة والعمل بما يسمع؛ لأنه إذا لم يقبل، ولم يعمل فهو بمنزلة من لم يسمع، ففي دعاء الصلاة: «سمع الله لمن حمده»؛ أي: أجاب من حمده وتقبله^(٢).

قال الأزهري: «السمع سمع الإنسان وغيره. ويقال: قد ذهب سمع فلان في الناس وصيته؛ أي: ذكره، والسميع من صفات الله وأسمائه، وهو الذي وسع سمعه كل شيء، كما قال النبي ﷺ. قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]. وقال في موضع آخر: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى﴾ [الزخرف: ٨٠]. قلت: والعجب من قوم فسروا السميع

(١) مقاييس اللغة (١٠٢/٣) [دار الجيل].

(٢) لسان العرب (١٦٢/٨) [دار صادر، ط١]، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤٠١/٢) [دار إحياء التراث].

بالله تعالى، كما دلَّت عليه النصوص الشرعية، والإيمان بأن الله ﷻ ذو سمع حقيقي بلا تكييف ولا تشبيه بسمع المخلوق، ولا تعطيل لصفة كماله.

❁ الحقيقة:

سمع الله ﷻ صفة حقيقية ثابتة في حقه سبحانه، فالله يسمع السر والنجوى سواء عنده الجهر والخُفوت، والنطق والسكوت، يدرك دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، يسمع حمد الحامدين فيجازيهم ودعاء الداعين فيستجيب لهم^(٣).

❁ الأدلة:

دل على ثبوت صفة السمع لله ﷻ الكتاب والسنة والعقل والإجماع. فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة]، وهذه الآية أصرح ما يدل على صفة السمع لله ﷻ، حيث ذكر الماضي والمضارع واسم الفاعل: سَمِعَ وَيَسْمَعُ وهو سَمِيعٌ وله السمع^(٤).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ

بمعنى المُسْمِع، فراراً من وصف الله بأن له سمعاً، وقد ذكر الله الفعل في غير موضع من كتابه، فهو سميع: ذو سمع، بلا تكييف ولا تشبيه بالسميع من خلقه، ولا سمعه كسمع خلقه، ونحن نصفه بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكييف. ولست أنكر في كلام العرب أن يكون السميع سامعاً، ويكون مسمعاً^(١).

❁ التعريف شرعاً:

السَّمْع صفة ذاتية ثابتة لله ﷻ يدل على أن الله ذو سمع، يسمع سمعاً يليق بجلاله وعظمته من غير تكييف ولا تمثيل^(٢).

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يشارك المعنى اللغوي والشرعي في أن السمع، إدراك المسموع، لكن التعريف الشرعي يختص بما يليق بالله ﷻ ويدل على الكمال المطلق له، وقدرته على إدراك جميع الأصوات الظاهر منها والخفي، بخلاف سمع المخلوق.

❁ الحكم:

يجب إثبات صفة السمع لله تعالى وما دلَّت عليه من اسم السميع، على ما يليق

(٣) انظر: التوحيد لابن خزيمة (١٠٦/١) [دار الرشيد]، والمقصد الأسنى للغزالي (٨٤) [مكتبة القرآن]، ومنهج ودراسات آيات الأسماء والصفات للشنقيطي (١١) [دار السلفية، ط ٤، ١٤٠٤هـ].

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة (٧٩/١) [دار الكتب العلمية].

(١) تهذيب اللغة (١٢٣/٢ - ١٢٤) [الدار المصرية للتأليف والترجمة].

(٢) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٥٩) [دار الثقافة العربية، ط ١، ١٤٠٤هـ]، والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للغزالي (٨٤) [مكتبة القرآن].

قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ» [آل عمران: ١٨١].

ومن السُّنَّة: حديث عائشة رضي الله عنها في قصة المجادلة وقولها: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات»^(١).

وعنها رضي الله عنها أيضاً أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة» إلى أن قال: «فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك» الحديث^(٢).

وقد ورد أن أبا هريرة رضي الله عنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء] يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها، ويضع إصبعيه»، قال ابن يونس: قال المقرئ: «إن الله سميع بصير» يعني: أن الله سمعاً وبصراً، قال أبو داود: «وهذا ردُّ على الجهمية»^(٣).

قال البيهقي: «والمراد بالإشارة المروية في هذا الخبر تحقيق الوصف لله وَعَلَيْكَ بِالسَّمْعِ»^(٤).

وأما دلالة العقل، فقد قال ابن تيمية: «والعقل الصريح يدل على ذلك، فإن المعدوم لا يرى، ولا يسمع بصريح العقل واتفاق العقلاء»^(٥).

وأما الإجماع فقد نقله غير واحد من أهل العلم. قال أبو الحسن الأشعري: «وأجمعوا على أنه وَعَلَيْكَ يسمع ويرى»^(٦)، وقال ابن تيمية: «وقد اتفق جميع أهل الإثبات على أن الله حي حقيقة، عليم حقيقة، قدير حقيقة، سميع حقيقة، بصير حقيقة، مريد حقيقة، متكلم حقيقة»^(٧).

❖ أقوال أهل العلم:

قال ابن خزيمة: «باب إثبات السمع والرؤية لله ﷻ الذي هو كما وصف نفسه سميع بصير، ومن كان معبوده غير سميع بصير، فهو كافر بالله السميع البصير، يعبد غير الخالق الباري الذي

طريقه البيهقي في الأسماء والصفات (١/٤٦٢) [مكتبة السوادي، ط١]، وابن حبان (كتاب الإيمان، رقم ٢٦٥)، وصحَّحه الألباني في قصة المسيح الدجال (٦٤) [المكتبة الإسلامية].

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (١/٤٦٢).

(٥) جامع الرسائل لابن تيمية (١٧/٢) [دار العطاء، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٦) رسالة إلى أهل الثغر (٢٢٥) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٢هـ].

(٧) مجموع الفتاوى (١٩٦/٥) [دار الوفاء، ط٣].

(١) أخرجه البخاري تعليقاً معزوماً به (كتاب التوحيد، ١١٧/٩) [دار طوق النجاة، ط١].

ووصله النسائي (كتاب الطلاق، رقم ٣٤٦٠)، وابن ماجه (كتاب الطلاق، رقم ٢٠٦٣)، وأحمد (٤٠/٢٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/٣٥١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣١)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٢٨)، ومن

هو سميع بصير»^(١).

وقال ابن القيم:

«وهو السميع يرى ويسمع كل ما
ما في الكون من سر ومن إعلان

ولكل صوت منه سمع حاضر

فالسّر والإعلان مستويان

والسمع منه واسع الأصوات لا

يخفى عليه بعيده والداني»^(٢)

وقال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣)
[الشورى] «فهذه الآية فيها تعليم عظيم

يحل جميع الإشكالات ويجب عن
جميع الأسئلة حول الموضوع، ذلك

لأن الله قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٤)
بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾،

ومعلوم أن السمع والبصر من حيث هما
سمع وبصر يتصف بهما جميع
الحيوانات، فكأن الله يشير للخلق ألا

ينفوا عنه صفة سمعه وبصره بادعاء أن
الحوادث تسمع وتبصر، وأن ذلك

تشبيه؛ بل عليهم أن يثبتوا له صفة سمعه
وبصره على أساس ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾،
فالله ﷻ له صفات لا تقيده
بكماله وجلاله، والمخلوقات لهم صفات
مناسبة لحالهم، وكل هذا حق ثابت لا
شك فيه، إلا أن صفة رب السماوات

والأرض أعلى وأكمل من أن تشبه صفات
المخلوقين، فمن نفى عن الله وصفا أثبتته
لنفسه فقد جعل نفسه أعلم بالله من الله
سبحانك هذا بهتان عظيم»^(٥).

❁ الأقسام:

أقسام فعل السمع:

بين ابن القيم بأن فعل السمع ينقسم
إلى أربعة أقسام:

الأول: سمع إدراك ومتعلقه
الأصوات؛ كسمع الله قول التي تجادلك
في زوجها في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ
قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٦).

والثاني: سمع فهم وعقل، ومتعلقه
المعاني، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا
رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]؛
إذ ليس المراد سمع مجرد الكلام
بل سمع الفهم والعقل.

والثالث: سمع إجابة وإعطاء ما
سئل، كما في دعاء الصلاة: «سمع الله
لمن حمده».

والرابع: سمع قبول وانقياد، ومنه
قوله تعالى: ﴿سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ﴾^(٧)
[المائدة: ٤٢]؛ أي: قابلون له ومنقادون
غير منكرين له»^(٨).

(١) التوحيد لابن خزيمة (١/١٠٦) [دار الرشد].

(٢) شرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى (٢/٢١٥)

[المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٦هـ].

(٣) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي

(١١) [دار السلفية، ط ٤، ١٤٠٤هـ].

(٤) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/٣٠٨) [مكتبة =

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: السميع من أسماء الله الحسنى الدال على صفة السمع:

وهو (فعل) بمعنى (فاعل)، من أبنية المبالغة؛ للدلالة على إحاطة سمعه بجميع المسموعات^(١).

وقد تكاثرت الأدلة من الكتاب والسنة في إثبات هذا الاسم لله تعالى، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران].

ومن السنة: قوله ﷺ: «إنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً»^(٢).

وقوله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء»^(٣).

= نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط ١٤١٦هـ.
(١) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٤٢) [دار الثقافة العربية، ط ١٩٧٤م].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٠٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٠٤).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٠٨٨)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٣٨٨) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٦٩)، وأحمد (٤٩٨/١) [مؤسسة

قال أبو القاسم الأصبهاني: «ومن أسماء الله تعالى: السميع. السميع لدعاء الخلق وألفاظهم عند تفرقهم واجتماعهم، مع اختلاف ألسنتهم ولغاتهم، يعلم ما في قلب القائل قبل أن يقول، ويعجز القائل عن التعبير عن مراده فيعلم الله فيعطيه الذي في قلبه، والمخلوق يزول عنه السمع»^(٤).

- المسألة الثانية: السامع ليس من أسماء الله ﷻ:

قال الشيخ سليمان بن عبد الله - وهو يحقق ما ورد من طرق تعداد الأسماء الحسنى -: «وفي بعضها توقف، وبعضها خطأ محض؛ كالأبد والناظر والسامع والقائم والسريع، فهذه وإن ورد عدداها في بعض الأحاديث، فلا يصح ذلك أصلاً»^(٥).

- المسألة الثالثة: الأذن لم ترد في الكتاب والسنة، ولأن باب الصفات توقيفي، فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ:

قال ابن عثيمين: «الأذن عند أهل السنة والجماعة لا تثبت لله ولا تنفى عنه؛ لعدم ورود السمع بذلك»^(٦).

الرسالة، ط ١، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٦٥٥) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٤) الحجة في بيان المحجة (١١٢/١) [دار الراية].

(٥) تيسير العزيز الحميد (٤٨٥) [دار الفكر، ١٤١٢هـ].

(٦) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢١١/١) [دار ابن الجوزي، ط ٤، ١٤٢٤هـ].

على ذكر الله ودعائه بهذا الاسم العظيم رجاء أن يحقق له سؤاله^(٢).

٣ - ويجعله كذلك يستجيب لأوامر الله ونواهيه، فيمثل بما أمر الله به وينتهي عما نهى عنه، فيعمل بالمأمور ويحذر المحذور ويحقق بذلك كمال العبودية لله ﷻ.

٤ - أن إيمانه بأن الله يسمع مما يدفعه إلى التضرع إليه بالدعاء وذلك أن الداعي لا يقبل إلى الله بحاجته إلا بعد إيمانه الصادق وإقراره الجازم بأن الله تعالى يسمع الدعاء ويقدر على الإجابة.

✽ مذهب المخالفين:

أنكرت الجهمية والمعتزلة صفة السمع لله ﷻ، فالجهمية ينفونها اسمًا وصفة، والمعتزلة أثبتوها اسمًا بلا معنى.

ومعنى أن الله سميع عندهم؛ أي: أنه حي لا آفة به تمنعه من إدراك المسموع، أو أنه عليم بالمسموعات^(٣).

ولا شك أن هذه المذاهب باطلة؛ لمخالفتها لصريح الأدلة من الكتاب والسنة والعقل والإجماع على إثبات صفة

وحديث أبي هريرة المتقدم في وضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﷻ وقوله ﷻ: «رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقرؤها، ويضع إصبعه» لا يدل على إثبات الأذن؛ إذ معناه تحقيق الوصف لله ﷻ بالسمع والبصر، فأشار إلى محلي السمع والبصر منا؛ لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى.

✽ الآثار:

١ - الإيمان باتصاف الله بالسمع يبعث في النفس المؤمنة الخوف والرجاء من الله فلا يقول ما يغضب الله، ويحرص على أن يسمع الله ما يحب. قال ابن عثيمين: «ما نستفيد من الناحية المسلكية في الإيمان بصفتي السمع والرؤية...»

٢ - وأما السمع، فالأمر فيه ظاهر؛ لأن الإنسان إذا آمن بسمع الله، استلزم إيمانه كمال مراقبة الله تعالى فيما يقول خوفًا ورجاءً: خوفًا، فلا يقول ما يسمع الله تعالى منه من سوء، ورجاءً، فيقول الكلام الذي يرضي الله ﷻ^(١).

٢ - إن الإيمان بهذا الاسم وبما دل عليه يجعل المسلم يحاسب نفسه ويراقبها؛ لأنه يؤمن بأن الله يسمعه ويراه، فيحفظ لسانه ويصونه، ويواظب

(٢) انظر: كتاب التوحيد لابن منده (١٣٦/٢) [مطابع الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٠٩هـ]، وفقه الأسماء الحسنى لعبد الرزاق البدر (١٢٩) [ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٣) انظر: نهاية الإقدام للشهرستاني (٣٤١) [مكتبة المثنى، بغداد]، والفرق بين الفرق للبغدادى (١٨١) [مكتبة محمد صبيح، الأزهر، ط ٣].

(١) شرح الواسطية لابن عثيمين (١/ ٣٣٠ - ٣٣١).

معبوده غير سميع بصير، فهو كافر بالله السميع البصير، يعبد غير الخالق البارئ، الذي هو سميع بصير، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقال ﷺ في قصة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١]

وتدبروا أيها العلماء، ومقتبسو العلم، مخاطبة خليل الرحمن أباه، وتوبيخه إياه لعبادته من كان يعبد، تعقلوا بتوفيق خالقنا ﷻ، صحة مذهبنا، وبطلان مذهب مخالفينا من الجهمية المعطلة، قال خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليه، لأبيه: ﴿لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢] أفليس من المحال يا ذوي الحجا، أن يقول خليل الرحمن لأبيه أزر: ﴿لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢]، ويعيبه بعبادة ما لا يسمع، ولا يبصر، ثم يدعو إلى عبادة من لا يسمع، ولا يبصر؛ كالأصنام التي هي من الموتان، لا من الحيوان أيضاً، فكيف يكون ربنا الخالق البارئ السميع البصير كما يصفه هؤلاء الجهال المعطلة؟^(٢)

وأما الأشاعرة وإن أثبتوا لله صفة السمع ظاهراً فهم مضطربون في هذا

السمع لله ﷻ، وقد تقدم ذكر جملة منها. ونفي صفة السمع عن الله ﷻ وصف له بالنقص.

وقد أخبر الله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام قوله: ﴿لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]. دلت هذه الآية على أن السمع والبصر من لوازم الربوبية.

الرد عليهم:

نفي صفة السمع عن الله وردها بتأويل باطلة هي مصادمة صريحة للكتاب والسنة وإجماع السلف ومن تبعهم بإحسان، وقد تقدم بيان دلالة هذه الأمور على إثبات صفة السمع لله تعالى، وهو سمع يليق بجلاله وعظمته لا يماثل أسماع المخلوقين، وقد بين أهل العلم شناعة صنيع المعطلة هذا، قال الإمام الدارمي في رده على المريسي في نفيه لصفة السمع: «فيقال لهذا المريسي الضال: الحمار والكلب أحسن حالاً من إله على هذه الصفة؛ لأن الحمار يسمع الأصوات بسمع، ويرى الألوان بعين، وإلهك بزعمك: أعمى أصم، لا يسمع بسمع»^(١).

وقال الإمام ابن خزيمة: «باب إثبات السمع والرؤية لله ﷻ الذي هو كما وصف نفسه: سميع بصير، ومن كان

(١) نقض الدارمي على المريسي (١/ ٣٠٠)

(٢) التوحيد لابن خزيمة (١/ ١٠٦ - ١٠٩).

قال: رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة: «رأيت رسول الله ﷺ يقرأها ويضع إصبعه»^(٢)؛ يعني: إن الله سميع بصير؛ يعني: أن الله سمعاً وبصراً. قال أبو داود: وهذا رد على الجهمية.

وقال الشيخ محمد خليل هراس في شرحه هذا الحديث: «ومعنى الحديث: أنه سبحانه يسمع بسمع، ويرى بعين، فهو حجة على بعض الأشاعرة الذين يجعلون سمعه علمه بالمسموعات، وبصره علمه بالمبصرات، وهو تفسير خاطئ؛ فإن الأعمى يعلم بوجود السماء ولا يراها، والأصم يعلم بوجود الأصوات ولا يسمعها»^(٣).

والصحابة رضي الله عنهم مع تمكنهم في معرفة اللغة والشرع تمكنًا لا يلحقهم فيه أحد ممن جاء بعدهم، لم يفهموا اتحاد متعلقهما؛ بل جعلوا متعلق السمع بالمسموعات، ومتعلق البصر بالمبصرات؛ ولذا قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها، وما أسمع ما تقول. فأنزل الله ﷻ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي

الإثبات؛ لأنه من المعلوم لغةً وشرعاً أن السمع متعلق بالمسموعات والبصر متعلق بالمبصرات، وبعض هؤلاء الأشاعرة كأبي حامد الغزالي وجماعة من الأشاعرة جعل متعلقهما واحداً، وصرحوا بإرجاعهما إلى معنى العلم موافقة منهم للمعتزلة، ومنهم كالباقلاني والجويني وجماعة من الأشاعرة، جعلوهما صفتين زائدتين على صفة العلم، وأثبتوا جانبها المتعلق بذات الرب ونفوا كونها من الأفعال الاختيارية، وهما في الواقع صفتان ذاتيتان فعليتان^(١).

ومما يدل على التفريق بين السمع والبصر: جمع النصوص الشرعية بينهما في سياق واحد كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وقد ورد تفسير هذه الآية عن النبي ﷺ، حيث قرأها فوضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه فقد روى أبو داود بإسناده عن سليم بن جبير مولى أبي هريرة قال: «سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]،

(١) انظر: لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول للمكلائي (٢١٣ - ٢١٤) [دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م]، ومنهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى لخالد عبد اللطيف (٢/ ٥١٠ - ٥١٧) [مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٦هـ].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) شرح الواسطية لخليل هراس (٩٧ - ٩٨).

٨ - «نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افتري على الله ﷻ من التوحيد» (ج ١)، للدارمي.

٩ - «التوحيد» (ج ١)، لابن خزيمة.

السُّنَّة

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة، والأصل قولهم: سَنَنْتُ الماء على وجهي أَسْنَه سَنًّا؛ إذا أرسلته إرسالاً، ومما اشتق منه: السُّنَّة، وهي السيرة. وسُنَّة رسول الله ﷺ: سيرته» (٣).

وفي الصحاح: «السَّنن الطريقة، يقال: استقام فلان على سَنن واحد» (٤). والسُّنَّة السيرة، حسنة كانت أو قبيحة» (٥).

التعريف شرعاً:

قال أبو الحسن الكرجي في تعريف السُّنَّة: «السُّنَّة طريقة رسول الله ﷺ، والتسنن بسلوكها، وإصابتها، وهي أقسام ثلاثة: أقوال وأعمال وعقائد» (٦).

تُجَدِّلُكَ فِي رَوْحِهَا» [المجادلة: ١]» (١).

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ لَا تَخَافُ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه].

قال: «أي: لا تخافا منه، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه» (٢).

وبهذا يتضح أن القول باتحاد متعلقهما، وكذا حملهما على معنى العلم، هو قول باطل.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٣ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٤ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، للغنيمان.
- ٥ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٦ - «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.
- ٧ - «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات»، للشنقيطي.

(١) أخرجه البخاري تعليقاً مجزوماً به [كتاب التوحيد، ١١٧/٩] [دار طوق النجاة، ط ١].

ووصله النسائي [كتاب الطلاق، رقم ٣٤٦٠]، وابن ماجه [كتاب الطلاق، رقم ٢٠٦٣] واللفظ له، وأحمد (٢٢٨/٤٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٥١/١).
(٢) تفسير ابن كثير (٢٩٦/٥) [دار طيبة، ط ٢].

(٣) مقاييس اللغة (٦٠/٣ - ٦١) [دار الجيل، ط ١].

(٤) الصحاح (٢١٣٨/٥) [دار العلم للملايين، ط ٣].

(٥) انظر: لسان العرب (٢٢٠/١٣) [دار صادر].

(٦) نقلاً عن مجموع الفتاوى (١٨٠/٤) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ].

النافلة والمندوب^(٧)، وقال ابن حجر: «هو ما ثبت دليل مطلوبيته من غير تأييد تاركه»^(٨).

وتطلق السُّنَّة على ما سنَّه الرسول ﷺ وشرعه من العقائد، وهذا نظير تسمية سائر المصنفين في هذا الباب (كتاب السُّنَّة) كالسُّنَّة لعبد الله بن أحمد، والخلال، والطبراني، والسُّنَّة للجعفي، ولالأثرم، وغيرهم ممن صنفوا في هذه الأبواب، وسموا ذلك كتب السُّنَّة؛ ليميزوا بين عقيدة أهل السُّنَّة وعقيدة أهل البدعة^(٩). وبهذا المعنى تطلق السُّنَّة في مقابلة البدعة؛ فيقال: فلان على سُنَّة، إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي ﷺ، كان ذلك مما نص عليه في الكتاب أو لا^(١٠).

وقال ابن تيمية: «السُّنَّة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه اعتقادًا، واقتصادًا، وقولًا، وعملاً»^(١١).

وقيل: «السُّنَّة طريقة الرسول ﷺ»^(١٢).

وقيل: «السُّنَّة هي الطريقة المتبعة، قد يكون ذلك واجبًا ومستحبًا»^(١٣).

والسُّنَّة عند المحدثين: هي ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقِيَّة أو خُلُقِيَّة أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها^(١٤).

والسُّنَّة عند الأصوليين: ما صدر عن رسول الله ﷺ غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير^(١٥).

وفي اصطلاح الفقهاء: السُّنَّة ما يُثاب فاعله، ولا يُعاقب تاركه^(١٦)، فهي بمعنى

(١) مجموع الفتاوى (١١١/٥).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٥٤٤/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٣) الحاوي في فقه الشافعي (٤٣٢/١٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ]، وانظر: المبسوط للسرخسي (٨/١٢) [دار المعرفة]، وفتح الباري (٢/٣٠٥) [دار الفكر].

(٤) انظر: السُّنَّة ومكانتها في التشريع (٦٥) [دار الوراق، ط ١]، وأفعال الرسول ﷺ للأشقر (١٨/١) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٧هـ]، وأصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله ليعاض السلمي (١٠٣).

(٥) انظر: الموافقات (٢٨٩/٤) [دار ابن عفان، ط ١]، وإرشاد الفحول (١٨٦/١) [دار الفضيلة، ط ١، ١٤٢١هـ]، ومعالم أصول الفقه عند أهل السُّنَّة والجماعة لمحمد الجيزاني (١٢٢) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٦) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع (٨١/٢) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٢هـ].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

السُّنَّة في اللغة: عامة هي السيرة والطريقة، وخصصها الشرع بطريقة الرسول ﷺ وسيرته.

الأسماء الأخرى:

الأثر، الحديث، الشريعة.

(٧) انظر: أفعال الرسول ﷺ للأشقر (١٩/١)، وأصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (١٠٣).

(٨) فتح الباري (١٥٩/٧) [دار المعرفة].

(٩) انظر: مجموع الفتاوى (٣٠٧/١٩) بتصرف.

(١٠) انظر: الموافقات (٢٩٠/٤).

الحكم:

التشريع. يقول الشوكاني: «الحاصل أن ثبوت حجية السُّنَّة المطهرة، واستقلالها بتشريع الأحكام، ضرورة دينية، لا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام»^(٣).

الأهمية:

اتباع الرسول ﷺ، والتزام سُنَّته وما جاء به من الشرع؛ جوهر الدين وحقيقته، ولا يمكن الالتزام بالدين وتطبيقه إلا من خلال اتباع سُنَّته ﷺ، فهو طريقنا لمعرفة شرع الله، وتفاصيل الدين والعبادة، ويمكن تلخيص أهمية اتباع الرسول ﷺ بما يلي:

١ - أن الرسول ﷺ هو الذي يبلغنا عن الله ﷻ، فهو سبيل معرفة شرع الله ودينه.

٢ - أن الإيمان مربوط بطاعة الرسول ﷺ وتحكيمه، وتحكيم سُنَّته.

٣ - أن الله ﷻ قد ربط محبتنا له ﷻ باتباع النبي ﷺ، فهو دليل محبتنا لله ﷻ، وسبيل محبته ﷻ لنا.

٤ - أن سُنَّة الرسول هي الصراط المستقيم الذي أُمِرنا باتباعه، والاعتصام به.

٥ - أن اتباع سُنَّته ﷺ فيه تحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله.

(٣) إرشاد الفحول (١/١٨٩).

اتباع سُنَّة الرسول ﷺ واجب، وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع، يقول الشوكاني: «اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السُّنَّة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال، وتحريم الحرام»^(١). وقد جاءت الأدلة من الكتاب والسُّنَّة تأمر بطاعة الرسول، وتنهى عن معصيته، وتحذر منها، وتجعل طاعته من طاعة الله، ومعصيته معصية لله، وتربط محبة الله ﷻ باتباعنا لرسوله ﷺ، ونصت بعض الأدلة على أن العمل من غير متابعة للرسول ﷺ مردود على صاحبه؛ بل تنفي الإيمان عمن لا يتبع الرسول، وتعلن براءة الرسول ﷺ منه. فاتباع سُنَّة الرسول ﷺ من أوجب الواجبات، وهو شرط لقبول العمل وصحته، وقد استفاضت الأدلة على ذلك، وجمعها السلف في مصنفاتهم في باب طاعة الرسول والتزام سُنَّته^(٢).

المنزلة:

السُّنَّة هي المصدر الثاني من مصادر

(١) إرشاد الفحول (١/١٨٧).

(٢) انظر على سبيل المثال: الإبانة عن شريعة الفرق الناجية لابن بطة (١/٢١٥ - ٢٦٩)، والشريعة للأجري (٤٥ - ٥٤) [طبعة أنصار السُّنَّة المحمدية]، وشرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة لللالكائي (١/٧٦ - ١٠٦) [العيكان، ودار طيبة].

٦ - أن السعادة والهدى والفلاح والكمال في اتباع سنته ﷺ، وأن ضرورة الرسالة للعباد فوق كل ضرورة، فلا قيمة للحياة بدون الرسالة؛ بل هي التي أضفت المعنى الحقيقي للحياة.

❁ الأدلة:

لقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعاً من القرآن، وقرن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته، كما قرن بين اسمه واسمه، فلا يذكر الله إلا ذكر معه ^(١)، ومن هذه الآيات قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران]، وقوله ﷻ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [النساء: ٨]، وقوله ﷻ: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرُّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، قال ابن كثير: «قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي: إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله. وهذا أمر من الله ﷻ، بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسُنَّة» ^(٢).

وكان ﷺ يقول في خطبته: «إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل

بدعة ضلالة» ^(٣).

وقال ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي» ^(٤). وغيرها من الأدلة.

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: وجوب اتباع ما صح من سُنَّته ﷺ دون تفريق بين متواتر وآحاد:

الحديث المتواتر هو: ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة عن مثلهم، من أول السند إلى آخره ^(٥)، وقيل: هو ما رواه جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب عادة عن مثلهم، وأسندوه إلى حس ^(٦).

والآحاد: ما عدم شروط التواتر أو بعضها ^(٧)، وأكثر الأحاديث من هذا

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٦٦).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٦٠٤)، والترمذي (أبواب العلم، رقم ٢٦٦٤) وحسنه، وأحمد (٤١٠/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٦٤٣).

(٥) انظر: تدريب الراوي (١٧٦/٢) [مكتبة الرياض الحديثة]، ونزهة النظر (٩) [دار الجيل].

(٦) انظر: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (١٠٥).

(٧) انظر: شرح مختصر الروضة للطوفي (١٠٣/٢).

[مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٠هـ]، نزهة النظر (١٣).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠٣/١٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٥١٨/١) [دار التراث].

سَنَّهُ وشرعه من العمل، وقد يراد به كلاهما»^(٥).

الثمرات:

١ - أن في اتباع الرسول ﷺ صلاح العباد، وفلاحهم، وسعادتهم، واستقامة أمور معاشهم.

٢ - أن في متابعتة ﷺ دخول الجنة بفضل الله ورحمته.

٣ - أن العزة والرفعة باتباع سُنَّته، والذلة والإهانة والصغار على من خالف أمره^(٦).

٤ - أن اتباع سُنَّته ﷺ يعصم من الاختلاف والتنازع والافتراق.

٥ - أن سُنَّته ﷺ تعصم من الضلال، فهي عين الهداية.

٦ - أن في سُنَّته ﷺ تمام مكارم الأخلاق وفضائلها.

مذهب المخالفين:

المخالفون صنفان:

صنف: أنكر حجية السُّنَّة كلها، ومن هؤلاء غلاة الرافضة، بينما لم يقبل الشيعة إلا الأحاديث الواردة عن طريق الأئمة من أهل البيت، أو من نسبهم إلى التشيع^(٧)، كما ظهر بين المسلمين

النوع. وجماهير أهل العلم على الاحتجاج به، لا يخالف فيه أحد من أهل السُّنَّة^(٨)، قال ابن عبد البر: «وأجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار، فيما علمت، على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به، إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو أجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا، إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع، شرذمة لا تعدّ خلافاً»^(٩).

- المسألة الثانية: السُّنَّة بمعنى العقيدة لها أسماء بنفس المعنى؛ كالشريعة في أحد معانيها، وأصول الدين، ويسمى البعض الفقه الأكبر^(١٠):

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والسُّنَّة تذكر في الأصول والاعتقادات، وتذكر في الأعمال والعبادات، وكلاهما يدخل فيما أخبر به وأمر به، فما أخبر به وجب تصديقه فيه، وما أوجبه وأمر به وجبت طاعته فيه»^(١١).

وقال أيضًا: «فالسُّنَّة كالشريعة هي ما سَنَّهُ الرسول وما شرعه، فقد يراد به ما سَنَّهُ وشرَّعه من العقائد، وقد يراد به ما

(١) مجموع الفتاوى (٤٨/١٨ - ٤٩)، وانظر: نفس

المصدر (٤٠/١٨)، ومختصر الصواعق (٤٧٨/٢)

[دار الندوة الجديدة، ١٤٠٥هـ].

(٢) التمهيد (٢/١) [الطبعة المغربية، ١٣٨٧هـ].

(٣) انظر في هذا: مجموع الفتاوى (٣٠٧/١٩).

(٤) النبوات (٣٢٩/١) [أضواء السلف، ١٤٢٠هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (٣٠٧/١٩).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١٠٤/١٩).

(٧) انظر: دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين

لأحمد جلي (٢٤٠) [مركز الملك فيصل للبحوث،

ط ٢، ١٤٠٨هـ]، والقرآنيون وشبهاتهم حول السُّنَّة =

لدينهم وضبطهم، وقد يحصل بقرائن تحثف بالخبر، يحصل العلم بمجموع ذلك، وقد يحصل العلم بطائفة دون طائفة. وأيضاً فالخبر الذي تلقاه الأئمة بالقبول تصديقاً له أو عملاً بموجبه، يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف، وهذا في معنى المتواتر؛ لكن من الناس من يسميه المشهور والمستفيض، ويقسمون الخبر إلى متواتر ومشهور وخبر واحد، وإذا كان كذلك فأكثر متون الصحيحين معلومة متقنة، تلقاها أهل العلم بالحديث بالقبول والتصديق، وأجمعوا على صحتها، وإجماعهم معصوم من الخطأ^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «السُّنَّة»، لابن أبي عاصم.
- ٢ - «السُّنَّة»، لعبد الله ابن الإمام أحمد.
- ٣ - «السُّنَّة»، لأبي بكر الخلال.
- ٤ - «أفعال الرسول» (ج ١)، لمحمد الأشقر.
- ٥ - «تاريخ التشريع الإسلامي»، لمناع القطان.
- ٦ - «خبر الواحد وحجيته»، لأحمد الشنقيطي.

(٣) مجموع الفتاوى (٤٨/١٨ - ٤٩)، وانظر: نفس المصدر (٤٠/١٨)، ومختصر الصواعق المرسلة (٤٧٨/٢)

قوم سمووا أنفسهم بالقرآنيين ادعوا أن الشريعة لا تؤخذ إلا من القرآن، وأن المسلمين ليسوا بحاجة إلى السُّنَّة. وصنعوا من فهمهم المجرد للقرآن تركيبة شرعية في الطهارة والصلاة والزكاة والحج وغيرها، يعلم المطلع عليها يقيناً أنها مخالفة لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه^(١). وقولهم ظاهر البطلان، ويرد عليهم بما سبق من أدلة.

الصف الثاني: من يبطل حجية أخبار الآحاد في العقيدة، حيث ذهب جمهور المعتزلة، والأشاعرة ومن وافقهم من أهل الكلام إلى أن المتواتر فقط هو ما يفيد العلم، أما خبر الآحاد فهو مفيد للظن، لذا يردون أخبار الآحاد في العقيدة^(٢)! والحق الذي عليه أهل السُّنَّة الاحتجاج بما صح من خبر الواحد، وأنه يفيد العلم إذا احتفت به قرائن تفيد العلم، قال شيخ الإسلام: «والصحيح ما عليه الأكثرون: أن العلم يحصل بكثرة المخبرين تارة، وقد يحصل بصفاتهم

= لخدام حسين (٧٨ - ٨٠) [مكتبة الصديق، ط ١، ١٤٠٩هـ].

(١) انظر: أفعال الرسول للأشقر (١٩/١)، وانظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السُّنَّة، والسُّنَّة ومكانتها في التشريع (١٦٥ - ١٨٩).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة (٧٦٦) [مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤٠٨هـ]، وأساس التقديس للرازي (٢١٥) [مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ]، والماتريدية دراسة وتقويمًا (١٧٧) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٣هـ].

- ٧ - «السُّنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي»، لمصطفى السباعي.
- ٨ - «شروط قبول العمل»، لآمال العمرو [بحث محكم].
- ٩ - «القرآنيون وشبهاتهم حول السُّنَّة»، لخدام حسين.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي أعم، وقد خصه الشرع بمن كان على الحق والسُّنَّة، ولو كان هو الأقل.

سبب التسمية:

هذا الاسم مأخوذ من قول النبي ﷺ - لما ذكر أن أمته ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة -: «كلها في النار إلا السواد الأعظم» كما سيأتي عند ذكر الأدلة.

الأسماء الأخرى:

أهل السُّنَّة والجماعة، الجماعة، السلف، أهل الحديث، أهل الأثر، الفرقة الناجية، الطائفة المتصورة.

(٣) ينظر: شرح السُّنَّة للبريهاري (٣٧) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٦هـ]، وشرح الأصول (٢٤/١ - ٢٦) [دار طبية، ط٤، ١٤١٦هـ]، والاعتصام للشاطبي (١٤/١، ٢١) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢١هـ]، والصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي (٣٣/٢) [دار الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ]، والتحف في مذاهب السلف للشوكاني (٥) [مطبوع ضمن الرسائل السلفية] [دار الكتب العلمية، ١٣٤٨هـ]، وإتحاف الجماعة للتوحيدي (٢٦٤/١) [دار الصميعي، ط٢، ١٤١٤هـ].

السواد الأعظم

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «السين والواو والdal أصل واحد، وهو خلاف البياض في اللون، ثم يحمل عليه ويُشتق منه، فالسواد في اللون معروف وسواد كل شيء شخصه، والسواد: العدد الكثير، وسُمي بذلك؛ لأن الأرض تسوادُ له»^(١).

والسواد الأعظم: الجماعة من الناس^(٢).

التعريف شرعاً:

المراد بالسواد الأعظم: سلف الأمة

(١) مقاييس اللغة (٣/١١٤) [دار الجيل].

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (١٣/٢٤) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ].

الحكم:

الواجب لزوم السود الأعظم؛ لأنهم المجتمعون على الحق والسنة.

الحقيقة:

السود الأعظم: لقب مرادف لبقية ألقاب أهل السنة، فهم: أهل السنة والجماعة، وأهل الحديث، والجماعة، والسلف، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، فيراد به ما يراد بهذه الألقاب، وهو ما أشار إليه اللالكائي^(١) وأبو القاسم الأصبهاني^(٢).

ولا يجوز أن يفسر السود الأعظم بأنه أغلب الناس، فقد قال النبي ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء»^(٣)، والله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، فالسود الأعظم هم أهل الحق وإن كانوا قلة، ولهذا لما سُئل الإمام إسحاق بن راهويه: مَنْ السود الأعظم؟ قال: «محمد بن أسلم ومن تبعه» ثم قال: «لو سألت الجاهل من السود الأعظم؟ قالوا: جماعة الناس، ولا يعلمون أن الجماعة عالم متمسك بأثر النبي ﷺ وطريقه، فمن كان معه وتبعه فهو

(١) ينظر: شرح الأصول (٢٤/١ - ٢٦).

(٢) ينظر: الحجة في بيان المحجة (٤٠٩/٢) [دار الراية].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٥).

الجماعة ومن خالفه فيه ترك الجماعة»^(٤).

قال ابن القيم معقباً على قول ابن راهويه: «وصدق والله فإن العصر إذا كان فيه عارف بالسنة داع إليها فهو الحجة، وهو الإجماع، وهو السود الأعظم، وهو سبيل المؤمنين التي من فارقتها واتبع سواها ولاه الله ما تولى وأصله جهنم وساءت مصيراً»^(٥).

وقال أيضاً: «واعلم أن الإجماع والحجة والسود الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض»^(٦).

الأدلة:

تقدم أن هذا الوصف مأخوذ من قوله ﷺ كما في حديث أبي أمامة رضي الله عنه: «افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة، - أو قال: اثنتين وسبعين فرقة - وتزيد هذه الأمة فرقة واحدة، كلها في النار إلا السود الأعظم»^(٧).

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم (٢٣٨/٩ - ٢٣٩) [دار الكتاب العربي، ط ٤، ١٤٥٥هـ].

(٥) إغاثة اللهفان (٧٠/١) [دار المعرفة].

(٦) إعلام الموقعين (٣٩٧/٣) [دار الجيل].

(٧) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٤/١)، رقم ٦٨ [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١٣هـ]، والطبراني في الأوسط (٧/١٧٥، رقم ٧٢٠٢) [دار الحرمين، ١٤١٥هـ]، والكبير (٨/٢٧٣، ٢٧٤، رقم ٨٠٥١، ٨٠٥٣، ٨٠٥٤) [دار إحياء التراث الإسلامي، ط ٢]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/١١٤ - ١١٥، رقم ١٥١، ١٥٢) [دار طيبة، ط ٤، =

وقال الإمام الشاطبي بعد أن ذكر الأقوال في المراد بـ(الجماعة): «الجميع اتفقوا على اعتبار أهل العلم والاجتهاد، سواء ضموا إليهم العوام أم لا، فإن لم يضموا إليهم العوام فلا إشكال أن الاعتبار إنما هو بالسواد الأعظم من العلماء المعتبر اجتهداهم، فمن شذ عنهم فمات فميتته جاهلية، وإن ضموا إليهم العوام فبحكم التبعية؛ لأنهم غير عارفين بالشرعية، فلا بد من رجوعهم في دينهم إلى العلماء، فإنهم لو تماثلوا على مخالفة العلماء فيما حدوا لهم لكانوا هم الغالب والسواد الأعظم في ظاهر الأمر، لقلة العلماء وكثرة الجهال، فلا يقول أحد: إن اتباع جماعة العوام هو المطلوب، وإن العلماء هم المفارقون للجماعة والمذمومون في الحديث؛ بل الأمر بالعكس، وأن العلماء هم السواد الأعظم وإن قلّوا، والعوام هو المفارقون للجماعة إن خالفوا، فإن وافقوا فهو الواجب عليهم»^(٥).

وقال سليمان بن عبد الله: «وأما الإجماع المعصوم فهو إجماع الصحابة والتابعين وما وافقه، وهو السواد الأعظم الذي ورد الحث على اتباعه»^(٦).

(٥) الاعتصام (٣/٣١٢)، وينظر: الانتصار لأصحاب الحديث (٧٣) [دار أضواء المنار، ط ١، ١٤١٧هـ]، والحجة في بيان المحجة (٢/١٥١).
(٦) تيسير العزيز الحميد (٢٣٥) [دار المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ].

وقد جاء هذا الحديث بعدة روايات يفسر بعضها بعضاً، ففي رواية جاء التعبير عن هذه الفرقة الناجية - السواد الأعظم - بقوله ﷺ: «ما أنا عليه وأصحابي»^(١).

وفي رواية قال: «وهي الجماعة»^(٢).

✽ أقوال أهل العلم:

قال البربهاري: «فقد بين رسول الله ﷺ لأئمة السُّنة وأوضحها لأصحابه وهم الجماعة، وهم السواد الأعظم، والسواد الأعظم: الحق وأهله»^(٣).

فالصحابية هم السواد الأعظم في وقتهم، وهكذا التابعون^(٤)؛ لأنهم على الحق الذي بعث به النبي ﷺ.

= ١٤١٦هـ]، وأورده الهيثمي في المجمع (٢٥٨/٧) [دار الكتب العلمية] وقال: «رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه، وفيه أبو غالب وثقة ابن معين وغيره، وبقيّة رجال الأوسط ثقات، وكذلك أحد إسناده الكبير».

وإسناده حسن. انظر: ظلال الجنة (١/٣٤).

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٤١)، والحاكم (كتاب العلم، رقم ٤٤٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٣٣٤، رقم ٢١٢٩) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنة، ٤٥٩٧)، وأحمد (١٣٤/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن أبي عاصم في السُّنة (٧٦/١) [المكتب الإسلامي، ط ١]، وحسنه الحافظ ابن حجر، كما في السلسلة الصحيحة (١/٤٠٥)، وله عدة شواهد أشار إليها الألباني في السلسلة الصحيحة، في الموضع السابق.

(٣) شرح السُّنة (٣٧).

(٤) ينظر: حاشية كتاب التوحيد (٤٣) [ط ٤، ١٤١٤هـ]، وبحوث في عقيدة أهل السُّنة والجماعة للعقل (١٧) [دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٩هـ].

السَّيِّد

التعريف لغة:

السَّيِّد من: ساد يسود فهو سَيُّودٌ، فقلبت الواو ياء لأجل الياء الساكنة ثم أدغمت^(٢)، قال ابن فارس: «السين والواو والdal أصل واحد، وهو خلاف البياض في اللون، ثم يحمل عليه ويشق منه، وإنما سمي سيِّداً؛ لأن الناس يلتجئون إلى سَواده»^(٣). وقال الجوهري: «ساد قومه يسودهم سيادة، وسؤدداً، وسَيِّدُودَةً، فهو سيدهم وهم سادة»^(٤)، ويطلق السيد في اللغة على «الرب، والمالك، والشريف، والفاضل، والكريم، والحليم، والرئيس، والزوج، ومتحمل أذى قومه والمقدَّم»^(٥).

التعريف شرعاً:

قال ابن القيم في إطلاق السيد على الله ﷻ: «السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو بمعنى المالك والمولى والرب، لا بالمعنى الذي يطلق على المخلوق»^(٦). فالسيد هو «المحتاج إليه

وقال ابن قاسم: «فإن الناجي من الأمم هم القليل، ولكن هم السواد الأعظم، وإن كانوا أقل القليل، فإنهم الأعظمون قدرًا عند الله وإن قلوا، فليحذر المسلم أن يغتر بالكثرة»^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «شرح السُّنة»، للبرهاري.
 - ٢ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنة الأصبهاني.
 - ٣ - «الاعتصام»، للشاطبي.
 - ٤ - «حاشية كتاب التوحيد»، لابن قاسم.
 - ٥ - «معرفة علوم الحديث»، للحاكم.
 - ٦ - «فضل علم السلف على الخلف»، لابن رجب.
 - ٧ - «التحفة في مذاهب السلف»، للشوكاني.
 - ٨ - «لوامع الأنوار»، للسفاريني.
 - ٩ - «وسطية أهل السُّنة بين الفرق»، لمحمد باكريم.
 - ١٠ - «شرف أصحاب الحديث»، للخطيب البغدادي.
 - ١١ - «المباحث العقديّة في حديث افتراق الأئم»، لأحمد سردار محمد مهر الدين شيخ.
- (١) حاشية كتاب التوحيد (٤٢) وينظر: (٤٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث (١/٨٢٠) [دار المعرفة، ط ٢، ١٤٢٧هـ].

(٣) مقاييس اللغة (٤٩٧) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٤) الصحاح (٢/٢٩٠) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٥) النهاية في غريب الحديث (١/٨٢٠).

(٦) بدائع الفوائد (٣/١١٧٦) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ].

بالإطلاق»^(١)، وقال صديق حسن خان:

❁ الحقيقة:

تطلق جميع أسماء الله ﷻ عليه حقيقة، كما أن بعض معاني تلك الأسماء تطلق على المخلوق حقيقة، لكن الحقيقة تختلف بين الخالق والمخلوق، فكل له حقيقة تناسبه، فبعض الأسماء قد تطلق على الله وعلى العباد؛ كالحي والسميع والبصير والعليم والقدير والملك، وهي حقيقة في كل منهما، وللرب تعالى منها ما يليق بجلاله، وللعبد منها ما يليق به ويتضمن هذا الاسم الكمال المطلق له في المالكية والربوبية واحتياج الناس إليه، فهو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في أنواع شرفه وسؤدده^(٤).

❁ الأدلة:

لم يرد إطلاق سيد في القرآن على الخالق، وإنما ورد إطلاقه على المخلوق، كما في قوله تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران]، وقوله

أحدهما: أن السيد هو الذي يكون مالكا مختارا بنفسه وحده، ولا يكون محكوماً عليه من أحد؛ بل يكون حاكماً مستقلاً بذاته كشأن الملوك في الدنيا، فهذا الأمر إنما هو شأن الله تعالى ليس غيره سيِّداً بهذا المعنى.

وثانيهما: أن السيد رعوي لآخر، ولكن له فضل على عامة الرعايا، ممتاز منهم بالمزايا، ينزل إليه حكم الحاكم أولاً، ثم يبلغ إليهم من لسانه وبواسطته^(٢).

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنيين ظاهرة، وهي أن لله السيادة المطلقة، وغيره قد يكون سيِّداً إلا أن سيادته مقيدة.

❁ سبب التسمية:

«السيد هو الله؛ إذ كان مالك الخلق أجمعين، ولا مالك لهم سواه»^(٣).

❁ الحكم:

يجب إثبات اسم السيد لله تعالى، ووجوب الإيمان بأن الله هو مالك الخلق أجمعين، وله السيادة المطلقة؛ لثبوت الحديث به.

(١) الأسماء والصفات (٦٩/١) [مكتبة السوادى].

(٢) الدين الخالص للقنوجي (٢٢١/٢).

(٣) تهذيب اللغة (٣٥/١٣).

(٤) انظر: بدائع الفوائد (٢٩٦/١).

«ومن سُنَّة رسول الله ﷺ: الجميل، الجواد، الحكم، الحيي، الرب، الرفيق، السبوح، السيد»^(٦).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم إطلاق لفظ (سيد) على المنافق أو الكافر:

لا يجوز أن يقال للمنافق والكافر سيد؛ لقول النبي ﷺ: «لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن يك سيداً؛ فقد أسخطتم ربكم ﷻ»^(٧)، فالكفرة والمنافقون لا كرامة لهم ولا سيادة، وإن حصلت لهم من السيادة الزائفة شيء في بعض الأوقات؛ لأن الشرف والسيادة الحقيقية إنما ينال بطاعة الله تعالى وتقواه؛ والكرامة والشرف والرفعة وعلو الذكر هي أركان السيادة، وإنما هي لأنبياء الله ﷺ وأوليائه، قال الله تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَسَيِّدًا وَحْصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٨) [آل عمران]، وقال النبي ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»^(٩).

- (٦) القواعد المثلى لابن عثيمين (١٦) [الجامعة الإسلامية، ط ٣، ١٤٢١هـ]
(٧) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٩٧٧)، وأحمد (٢٢/٣٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه المنذري والألباني. انظر: الترغيب والترهيب (٣/ ٣٥٩) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ٣٧١).
(٨) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٧٨)، وهو عند البخاري أيضاً (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧١٢) بلفظ: «أنا سيّد الناس يوم القيامة».

تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا أَلْبَابٍ﴾ [يوسف: ٢٥]، ولكن لما وقع إطلاقه صريحاً في حديث مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «السيد الله تبارك وتعالى». قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً، فقال: «قولوا بقولكم، أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان»^(١١).

✽ أقوال أهل العلم:

لقد أثبت كثير من العلماء هذا الاسم لله ﷻ، قال ابن مندة: «ومن أسماء الله ﷻ: السيد السلام السميع»^(١٢). وقال البيهقي: «ومنها: السيد، وهذا اسم لم يأت به الكتاب، ولكنه مأثور عن الرسول ﷺ»^(١٣). وقال قوام السُنَّة الأصفهاني: «ومن أسمائه تعالى: السيد»^(١٤). وقال ابن عثيمين:

- (١١) لا يستجرينكم: أي: لا يتخذنكم جرباً، والجري: الوكيل، ويقال: الأجير أيضاً. انظر: معالم السنن (١١٢/٤) [المطبعة العلمية بحلب، ط ١، ١٣٥٢هـ].
(١٢) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٨٠٦)، وأحمد (٢٣٥/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٠٠٤)، والضياء في المختارة (٤٦٨/٩) [دار خضر، ط ٣]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٧٠٠).
(١٣) كتاب التوحيد لابن مندة (١٣٢/٢) [الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٠٩هـ].
(١٤) الأسماء والصفات للبيهقي (٦٦) [مكتبة السوادى].
(١٥) الحجّة في بيان المحجّة (١٦٧/١) [دار الراية، ط ٢، ١٤١٩هـ].

- المسألة الثانية: حكم إطلاق لفظ سيد على المخلوق:

يجوز إطلاق سيد على المخلوق^(١)، لقوله تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران]، وقوله عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم»^(٢)، وقوله عليه السلام في سعد بن معاذ رضي الله عنه: «قوموا إلى سيدكم»^(٣). ولا تعارض بين هذه الروايات وقوله عليه السلام في حديث مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «السيد الله تبارك وتعالى». قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً فقال: «قولوا بقولكم، أو ببعض قولكم ولا يستجربنكم الشيطان»^(٤)، قال ابن الأثير: «كأنه صلى الله عليه وآله وسلم كره أن يُحمد في وجهه، وأحبّ التواضع»^(٥).

وقال الخطابي: «السيد الله، يريد أن السؤدد حقيقة لله وَجَلَّ جَلَلُهُ، وأن الخلق كلهم عبيد له، وإنما منعهم - فيما نرى - أن يدعوه سيِّداً مع قوله: «أنا سيد ولد

آدم»، وقوله لبني قريظة^(٦): «قوموا إلى سيدكم»، يريد سعد بن معاذ، من أجل أنهم قوم حديث عهدهم بالإسلام وكانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة هي بأسباب الدنيا، وكان لهم رؤساء يعظمونهم وينقادون لأمرهم ويسمونهم السادات، فعلمهم الثناء عليه، وأرشدهم إلى الأدب في ذلك، فقال: «قولوا بقولكم»، يريد: قولوا بقول أهل دينكم وملتكم، وادعوني نبياً ورسولاً كما سماني الله وَعَلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [التحريم: ١]، ﴿يَتَأَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١]، ولا تسموني سيِّداً كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم ولا تجعلوني مثلهم، فإني لست كأحدكم؛ إذ كانوا يَسُودونكم بأسباب الدنيا، وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة، فسموني نبياً ورسولاً»^(٧).

ويدل على جواز إطلاق (سيد) على المخلوق قوله عليه السلام: «إذا نصح العبد سيده وأحسن عبادة ربه كان له أجره مرتين»^(٨)، وقوله عليه السلام لبني سلمة: «من سيدكم؟»^(٩)، وقول عمر رضي الله عنه حيث كان

(٦) والصحيح - والله أعلم -: للأنصار، أو الخزرج؛ لأن سعد بن معاذ رضي الله عنه لم يكن قرظياً.

(٧) معالم السنن (٤/١١٢).

(٨) أخرجه البخاري (كتاب العتق، رقم ٢٥٥٠).

(٩) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١١١) [دار البشائر، ط ٣]، والحاكم في المستدرک (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٩٦٥) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (رقم ٢٢٧) [مكتبة الدليل، ط ٤، ١٤١٨هـ].

(١) النهج الأسامي (٣/١٤٤ - ١٨٤) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠٤٣، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٦٨).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) النهاية في غريب الحديث (١/٨١٩) [دار المعرفة].

ويقصدونه في الحوائج لما في ذلك إيهام أنه من جنسهم، وهذا لا يجوز؛ لأن الخالق ليس من جنس المخلوق.

الآثار:

من آثار هذا الاسم العظيم:

١ - أن يدعو الداعي به لأنه المحتاج إليه بالإطلاق، فإن سيد الناس إنما هو رأسهم الذي إليه يرجعون، وبأمره يعملون، وعن رأيه يصدرن، ومن قوله يستهدون، فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خلقاً للباري ﷻ ولم يكن بهم غنية عنه في بدء أمرهم وهو الوجود، إذ لو لم يوجد لهم لم يوجدوا، ولا في الإبقاء بعد الإيجاد، ولا في العوارض العارضة أثناء البقاء، وكان حقاً له جل ثناؤه أن يكون سيِّداً، وكان حقاً عليهم أن يدعوه بهذا الاسم (٦).

٢ - أن الإنسان مهما بلغ من السيادة في هذه الدنيا فهو سيادة ناقصة زائلة، فلا ينبغي له أن يتكبر، أو يظلم أحداً ممن جعل الله له عليه السيادة؛ لأن السيادة الكاملة الحقيقية السرمدية لله ﷻ، وسيادته ناقصة زائلة.

٣ - من آثار اسم الله السيد التعلق بالله وحده خوفاً ورجاءً، واستعانة وتوكلاً؛ لأنه المالك المتصرف المدبر لشؤون عباده، قال تعالى: ﴿مَّا مِنْ دَآئِةٍ

يقول: «أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا؛ يعني: بلالاً ﷺ» (١).

- المسألة الثالثة: حكم إطلاق السيد (معرفاً) على المخلوق:

يجوز أن يطلق هذا الاسم على المخلوقين بشرط عدم دلالة على أي من معاني الربوبية أو الألوهية، وبشرط كون المسمى به أهلاً لذلك، مع أمن الفتنة والفساد (٢). قال الشيخ بشير السهسواني: «إطلاق السيد والمولى بمعنى غير الرب على الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين جائز لا وجه للمنع منه» (٣). وقد تقدم في المسألة السابقة في قول الخطابي وابن الأثير الجواب عما يظن عدم جوازه استدلالاً بقول النبي ﷺ: «السيد الله تبارك وتعالى» (٤).

- المسألة الرابعة: حكم إطلاق السيد على الله ﷻ مضافاً:

لا يجوز إطلاق السيد على الله تعالى مضافاً، فلا يقال: لله ﷻ «سيد الملائكة، أو سيد الناس» (٥)، أو سيد الخلق، ويقصد به أنهم يلجؤون إليه،

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ)، رقم (٣٧٥٤).

(٢) إطلاق لفظ السيّد ليوסף السعيد [بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية].

(٣) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للسهسواني (٥٣٥) [المطبعة السلفية، ومكتبتها، ط ٣].

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) روح المعاني (١٦/٤٩٠) [دار الفكر].

(٦) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/٦٩).

- إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا» [هود: ٥٦]،
 ٣ - «إيثار الحق»، لابن الوزير.
 ٤ - «بدائع الفوائد» (ج ٣)، لابن القيم.
 ٥ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للأصفهاني.
 ٦ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
 ٨ - «فتح الباري» (ج ١١)، لابن حجر.
 ٩ - كتاب «التوحيد» (ج ٢)، لابن منده.
 ١٠ - «المحلى» (ج ٨)، لابن حزم.
- وإنما يذل لله وحده السيد الصمد^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، للبيهقي.
 ٢ - «إطلاق لفظ السيد»، ليوسف السعيد [بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية].



(١) انظر: والله الأسماء الحسنى (٩٧٥) [شبكة نور الإسلام]

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
حرف الخاء	١١٠٩	الدخان	١٢١٧
خاتم الأولياء	١١٠٩	الدعاء	١٢٢١
خاتم النبيين ﷺ	١١٠٩	دعاء العبادة	١٢٢٩
خازن الجنة	١١١٨	دعاء المسألة	١٢٢٩
خازن النار	١١٢٠	دلائل النبوة	١٢٢٩
ختم النبوة	١١٢٠	دليل الإحكام والأتقان	١٢٢٩
الختم	١١٢٠	دليل الاختصاص	١٢٣١
خداع الله للمنافقين	١١٢٠	دليل الإيمان	١٢٣٥
خديجة أم المؤمنين ﷺ	١١٢٤	دليل التطبيق	١٢٣٩
الخروج على الإمام	١١٣٢	دليل التمتع	١٢٤٣
الخسوفات الثلاث	١١٣٢	دليل حدوث الأجسام	١٢٤٦
الخشوع	١١٣٤	دليل حدوث الأعراض	١٢٤٩
الخشية	١١٣٩	الديان	١٢٥٢
خصائص النبي ﷺ	١١٤٥	الدين	١٢٥٥
الخضر عليه السلام	١١٥٠	حرف الذال	١٢٦٧
الخضوع	١١٦١	الذات	١٢٦٧
الخط (من صفات الله تعالى)	١١٦١	الذبح	١٢٧٠
الخط على الأرض	١١٦٤	الذبح لغير الله	١٢٨٠
الخلافة الراشدة	١١٦٤	أبو ذر الغفاري رضي الله عنه	١٢٨٠
الخلّة	١١٧٤	ذرائع الشرك	١٢٩١
الخلق	١١٨٥	الذكر	١٢٩٥
خلق القرآن	١١٩٤	ذو الطول	١٣٠٢
ال خليفة (من أسماء الله)	١١٩٤	ذو الكفل عليه السلام	١٣٠٢
خليفة الله	١١٩٤	ذو المعارج	١٣٠٥
الخليل	١١٩٤	حرف الراء	١٣٠٧
الخوف	١١٩٨	الرؤى والأحلام	١٣٠٧
خير الناصرين	١٢٠٥	الرؤوف	١٣١٨
خير الوارثين	١٢٠٥	الرأي	١٣٢١
حرف الدال	١٢٠٧	رؤية الله	١٣٢٨
الدابة	١٢٠٧	الراجعة	١٣٣٨
داود عليه السلام	١٢١٢	الرادفة	١٣٣٨

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الرافع الخافض	١٣٣٨	حرف السين	١٥٠٥
الرب	١٣٤١	سؤال الخلق	١٥٠٥
الربوبية	١٣٤٦	سؤال الله بالخلق	١٥١٠
الرجاء	١٣٤٩	السابق بالخيرات	١٥١٣
الرجل	١٣٥٧	السابقون الأولون	١٥١٣
الرحمة	١٣٥٧	الساعة	١٥١٣
الردة	١٣٦٦	الساق	١٥١٦
الرزاق/الرازق	١٣٧٤	السب	١٥١٩
الرسالات السماوية	١٣٧٩	سب الدهر	١٥٢٤
الرسل	١٣٨٤	سب الدين	١٥٢٨
الرسول	١٣٩٧	سب الريح	١٥٢٨
الرشيد	١٣٩٧	سب الصحابة	١٥٣١
الرضا	١٤٠٠	سب الله تعالى	١٥٣١
الرعية	١٤٠٤	سب النبي ﷺ	١٥٣٢
الرغبة	١٤٠٤	السُّبُوح	١٥٣٢
رفع عيسى ﷺ	١٤٠٩	السَّار	١٥٣٥
رفع الدرجات	١٤١٢	السَّير	١٥٣٥
الرفيق	١٤١٣	السَّحر	١٥٣٨
الرُّقى	١٤١٦	السَّحَط	١٥٥٢
الرقيب	١٤٢٥	سريع الحساب	١٥٥٦
الرقيب والعتيد	١٤٢٧	سعد بن أبي وقاص ﷺ	١٥٥٦
الرمال	١٤٢٨	السُّكُوت	١٥٦٢
الرهبة	١٤٢٨	السَّلام	١٥٦٥
الروح	١٤٣٢	السلام على النبي ﷺ	١٥٦٨
الروح (روح القدس)	١٤٥٦	السَّلف	١٥٧٧
الرياء	١٤٥٦	سلمان الفارسي ؓ	١٥٨٠
حرف الزين	١٤٦٣	سليمان ؑ	١٥٨٩
الزبور	١٤٦٣	سماع الأموات	١٥٩٦
الزبير بن العوام ؓ	١٤٦٨	السمع والطاعة	١٦٠١
زكريا ؑ	١٤٧٤	السمع	١٦٠١
الزندقة	١٤٧٨	السَّمع (صفة لله)	١٦٠٨
الزُّهد	١٤٨٤	السَّنة	١٦١٦
زيادة الإيمان ونقصانه	١٤٩١	السَّواد الأعظم	١٦٢٢
زيارة القبور	١٤٩٧	السَّيد	١٦٢٥



موسوعة العقيدة والأديان
والفرق والمذاهب المعاصرة

موسوعة عقيدتنا

العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة

تصنيف وإعداد

بمجموعة من الأكاديميين والباحثين المختصين في جامعات العالم

مراجعة وتقديم

عدد من كبار العلماء والمختصين في العالم الإسلامي

المشرف العام

صاحب الشؤن الأئمة

د. محمد باقر المجلسي

أستاذ العقيدة والمذاهب السنية في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض

التحقيق

الجزء الرابع (ش - ع)

دار التوثيق والبحوث

هَوَسُوعَتَا

العقيدة والادوية والفروق والمنهاج المعاصرة

ش-ع

ح سعود بن سلمان بن محمد آل سعود، ١٤٣٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل سعود، سعود بن سلمان بن محمد

موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة . / سعود

ابن سلمان بن محمد آل سعود - الرياض، ١٤٣٩ هـ

٦ مج.

ردمك ٩-٥٨٤٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٥٨٥٣-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٤)

١- العقيدة الإسلامية ٢- المذاهب - موسوعات أ- العنوان

١٤٣٩/٢٠٥٥

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٢٠٥٥

ردمك: ٩-٥٨٤٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٥٨٥٣-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٤)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م



موسوعة العقيدة والأديان
والفرق والمذاهب المعاصرة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص.ب. ٧٤٨٠ الرمز البريدي ١١٤٦٢

<http://IslamicCreed.net>

info@islamiccreed.net

دار التوحيد للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب. ١٠٤٦٤ الرمز البريدي ١١٤٣٣

هاتف ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ - فاكس ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤

darattawheed@yahoo.com



موسوعة العقيدة والأديان
والفرق والمذاهب المعاصرة
Encyclopedia of the Creed, Religions,
Sects, and Contemporary Ideologies

هُوسُوعَتَا

العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة

تصنيف وإعداد

مجموعة من الأكاديميين والباحثين المختصين في جامعات العالم

مراجعة وتقديم

عبد من كبر العلماء والمختصين في العالم الإسلامي

المشرف العام

صاحب السمو الأمير

د. شمس الدين بن سبلان بن محمد بن سجاد

أساتذ العقيدة والمذاهب السائدة في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض

العقيدة

الجزء الرابع (ش - ع)

إدارة التوثيق والدراسات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حرف الشين

والشكوك والشهوات عن الصدور، ولا
يقدر على ذلك غيره سبحانه^(٣).

الشَّافِي

التعريف لغة: الشافي: اسم فاعل من شَفَى يَشْفِي
وإشْفَاء وهو الإشراف على الشيء، ورفع
المرض وبرؤه.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:
يشارك المعنى اللغوي والشرعي في
كون الشفاء رفعَ المرض وبرؤه، غير أن
المعنى الشرعي يختص بالله ﷻ، ويدل
على أن الشفاء المطلق من خصائص
ربوبيته ولا يشاركه فيه أحد.

الحكم:

يجب الإيمان بأن الله ﷻ هو
الشافي، وأنه اسم من أسمائه الحسنى،
ولا يجوز لأحد أن يتسمى به سواه؛
لاختصاصه وحده بالشفاء.

الحقيقة:

حقيقة اسمه تعالى الشافي يدل على
العلمية والوصفية، وأنه من كمال ربوبيته
ورحمته على عباده بالشفاء، وأنه
المختص بذلك وحده، فلا شفاء إلا
شفأؤه. وشفاء الله ﷻ نوعان:

الأول: الشفاء المعنوي الروحي وهو

قال ابن فارس: «الشين والفاء
والحرف المعتل يدل على الإشراف على
الشيء؛ يقال: أشفى على الشيء إذا
أشرف عليه. وسمي الشفاء شفاءً لغلَبته
للمرض وإشفائه عليه»^(١).

وشفاه الله من مرضه شفاءً، ممدود.
وأشفى على الشيء: أشرف عليه.
وأشفى المريض على الموت.
واستشفى: طلب الشفاء. وأشفيتك
الشيء؛ أي: أعطيتكه تستشفى به.
ويقال: أشفاه الله عسلاً، إذا جعله له
شفاءً^(٢).

التعريف شرعاً:

الشافي: هو الذي يرفع الأذى والألم
والآفات عن الأبدان، ويرفع الشبه

(١) مقاييس اللغة (٣/١٩٩) [دار الجيل].

(٢) الصحاح للجوهري (٧/٢٤٣ - ٢٤٤) [دار العلم

للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م].

(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/٢١٩ - ٢٢٠)

[مكتبة السوادى، ط ١].

الشفاء من علل القلوب، ومن أمراض الشبه والشكوك والشهوات.

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن منده: «ومن أسماء الله ﷻ الشافي»^(٥).

وقال ابن تيمية - بعد سرده لأسماء الله الحسنى التي أوردها الترمذي -: «ومن أسمائه التي ليست في هذه التسعة والتسعين: هو اسمه الشافي كما ثبت في الصحيح»^(٦).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «لا أعلم أن (الطبيب) من أسماء الله، لكن (الشافي) من أسماء الله، وهو أبلغ من (الطبيب)؛ لأن الطب قد يحصل به الشفاء، وقد لا يحصل»^(٧).

✽ المسائل المتعلقة:

يوصف الله ﷻ بالشفاء؛ لأن اسمه تعالى (الشافي) علم ووصف للدلالة على أن الله ﷻ هو الذي يرفع البأس والعلل عن الأبدان والصدور كما تقدم. ويدل على اتصاف الله ﷻ بالشفاء الكتاب والسنة.

(٤) انظر: أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة لمحمود عبد الرزاق (١٦/٣) [ط١، ١٤٢٦هـ].

(٥) التوحيد لابن منده (١٣٩/٢) [مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤٨٥/٢٢) [دار الوفاء، ط٣، ١٣٢٦هـ].

(٧) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٥/١٧) [دار الوطن، دار الشريا، ١٤١٣هـ]. وانظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٣/١١).

والنوع الثاني: الشفاء المادي وهو الشفاء من علل الأبدان، ومن آلامها وأسقامها^(١).

✽ الأدلة:

عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضاً أو أتى به، قال: «أذهب البأس رب الناس، اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»^(٢).

وعن عبد العزيز بن صهيب قال: دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال ثابت: يا أبا حمزة، اشتكيتُ، فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ قال: بلى، قال: «اللَّهُمَّ رب الناس مُذهب البأس اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقماً»^(٣).

هذه الأحاديث صريحة في أن الله ﷻ هو الشافي، حيث ورد على سبيل الإطلاق معرّفًا بالألف واللام محمولاً عليه المعنى مسنداً إليه، مرادًا به العلمية

(١) انظر: زاد المعاد (١٧٧/٤) [مؤسسة الرسالة، ط٢٧، وشرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة للقطاني (١١٥)].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المرضى، رقم ٥٦٧٥)، ومسلم (كتاب الطب، رقم ٢١٩١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٤٢).

بيده لا يمنع اتخاذ الأسباب النافعة بالتداوي، وطلب العلاج وتناول الأدوية المفيدة؛ إذ ذلك لا ينافي التوكل على الله واعتقاد أنه هو الشافي^(٣).

✽ مذهب المخالفين:

قد خالف في هذا الاسم الجهمية والمعتزلة، فالجهمية لا يثبتون لله أيُّ اسم لا شافي ولا غيره، فالله عندهم لا يسمى بشيء، وذلك لظنهم أن إثبات الأسماء يلزم منه التشبيه، والمعتزلة أثبتوا الأسماء مجردة عن الصفات، فالله عندهم شافٍ بلا شفاء، كما أنه عالم بلا علم، وقادر بلا قدرة، وحَيٌّ بلا حياة... إلخ^(٤).

✽ الرد عليهم^(٥):

١ - أن الله تعالى وصف أسمائه بأنها حسنى، وأمرنا بدعائه بها، وهذا يقتضي أن تكون دالة على معاني عظيمة تكون وسيلة لنا في دعائنا، فلو كانت أعلاماً محضة لكانت غير دالة على معنى سوى تعيين المسمى، فضلاً عن أن تكون حسنى ووسيلة في الدعاء.

(٣) انظر: فقه الأسماء الحسنى للبدر (٢٨٨، ٢٨٩) [ط١، ١٤٢٩هـ].

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢٣٥/١) [مكتبة التخصصية المصرية، ط٣، ١٣٨٩هـ]، ومجموع الفتاوى (٣٤/٦ - ٣٥) [دار الوفاء، ط٣، ١٣٢٦هـ]، ومنهاج السنَّة النبوية (٥٢٦/٢) [مؤسسة قرطبة ط١].

(٥) انظر: تقريب التدمرية لابن عثيمين (٢٩، ٣١) [دار الوطن، ١٤٢٤هـ].

فمن الكتاب: قوله تعالى - حاكياً عن خليله إبراهيم عليه السلام -: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء]، وقوله تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة].

وفي «صحيح مسلم» في قصة أصحاب الأخدود، أن الغلام كان يداوي الناس، ويبرئ الأكمه والأبرص فسمع عنه جليس للملك، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: «ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله»^(١).

✽ الآثار:

١ - يجب على كل مكلف أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن لا شافي على الإطلاق إلا الله وحده، وأن الشفاء له، وبه ومنه، وأن الأدوية المستعملة لا توجب شفاء، وإنما هي أسباب قد يحصل التأثير بها وقد لا يحصل^(٢).

٢ - وينبغي على كل العباد التوجه إليه وسؤاله الشفاء متوسلين إليه باسمه الشافي الدال على تمام ربوبيته وتصرفه في خلقه.

٣ - ويجب العلم بأن كون الشفاء

(١) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٣٠٠٥).

(٢) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٥٣٣) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ].

- ٢ - قولهم هذا قول باطل مخالف لمقتضى اللسان العربي وغير العربي؛ لأن من المعلوم أن المشتق دال على المعنى المشتق منه، وأنه لا يمكن أن يقال عليم لمن لا علم له، وشافٍ لمن لا شفاء بيده.
- ٣ - أن الله تعالى يسمي نفسه باسمين أو أكثر في موضع واحد كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) [الحشر]، فلو كانت الأسماء مترادفة ترادفًا محضًا لكان ذكرها مجمعة لغوًا من القول لعدم الفائدة.
- ٤ - أن الاتفاق في الاسم العام لا يقتضي تماثل المسميات في ذلك الاسم عند الإضافة والتقييد والتخصيص، فما سَمَى الله به نفسه اختص به عند الإضافة، وكذلك ما تسمى به العبد اختص به (١).
- ٢ - قولهم هذا قول باطل مخالف لمقتضى اللسان العربي وغير العربي؛ لأن من المعلوم أن المشتق دال على المعنى المشتق منه، وأنه لا يمكن أن يقال عليم لمن لا علم له، وشافٍ لمن لا شفاء بيده.
- ٣ - أن الله تعالى يسمي نفسه باسمين أو أكثر في موضع واحد كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) [الحشر]، فلو كانت الأسماء مترادفة ترادفًا محضًا لكان ذكرها مجمعة لغوًا من القول لعدم الفائدة.
- ٤ - أن الاتفاق في الاسم العام لا يقتضي تماثل المسميات في ذلك الاسم عند الإضافة والتقييد والتخصيص، فما سَمَى الله به نفسه اختص به عند الإضافة، وكذلك ما تسمى به العبد اختص به (١).
- ٢ - قولهم هذا قول باطل مخالف لمقتضى اللسان العربي وغير العربي؛ لأن من المعلوم أن المشتق دال على المعنى المشتق منه، وأنه لا يمكن أن يقال عليم لمن لا علم له، وشافٍ لمن لا شفاء بيده.
- ٣ - أن الله تعالى يسمي نفسه باسمين أو أكثر في موضع واحد كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) [الحشر]، فلو كانت الأسماء مترادفة ترادفًا محضًا لكان ذكرها مجمعة لغوًا من القول لعدم الفائدة.
- ٤ - أن الاتفاق في الاسم العام لا يقتضي تماثل المسميات في ذلك الاسم عند الإضافة والتقييد والتخصيص، فما سَمَى الله به نفسه اختص به عند الإضافة، وكذلك ما تسمى به العبد اختص به (١).
- ٢ - قولهم هذا قول باطل مخالف لمقتضى اللسان العربي وغير العربي؛ لأن من المعلوم أن المشتق دال على المعنى المشتق منه، وأنه لا يمكن أن يقال عليم لمن لا علم له، وشافٍ لمن لا شفاء بيده.
- ٣ - أن الله تعالى يسمي نفسه باسمين أو أكثر في موضع واحد كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) [الحشر]، فلو كانت الأسماء مترادفة ترادفًا محضًا لكان ذكرها مجمعة لغوًا من القول لعدم الفائدة.
- ٤ - أن الاتفاق في الاسم العام لا يقتضي تماثل المسميات في ذلك الاسم عند الإضافة والتقييد والتخصيص، فما سَمَى الله به نفسه اختص به عند الإضافة، وكذلك ما تسمى به العبد اختص به (١).

الشخص

التعريف لغة:

الشخص: هو كل ما له ارتفاع وظهور، من شَخَصَ الشيءَ يَشْخَصُ، وهو شاخص إذا ارتفع وبان (٢).

قال ابن فارس: «الشين والخاء والصاد

المصادر والمراجع:

١ - «أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة»، لمحمود عبد الرزاق.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٥٠) [دار إحياء التراث بيروت]، والصحاح (٣/ ١٧٩) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م].

(١) النقطة (٤)، انظر: التدمرية لابن تيمية (٢٠ - ٢١) [مكتبة العيكان، ط ٨، ١٤٢٤هـ].

أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ارتفاع في شيء»^(١).
ويطلق الشخص (المصدر) على سواد
الإنسان إذا ظهر من بعيد، وجمعه
أشخاص^(٢).
﴿التعريف شرعاً:﴾

﴿الأدلة:﴾

حديث سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: لو
رأيت رجلاً مع امرأتي؛ لضربته
بالسيف؛ غير مصفح عنه، فبلغ ذلك
رسول الله ﷺ فقال: «أتعجبون من غير
سعد، فوالله لأنا أغير منه، والله أغير
مني، من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما
ظهر منها وما بطن، ولا شخص أغير
من الله، ولا شخص أحب إليه العذر
من الله، من أجل ذلك بعث الله
المرسلين مبشرين ومنذرين، ولا شخص
أحب إليه المدحة من الله، من أجل ذلك
وعد الله الجنة»^(٣).

والحديث صريح في إطلاق الشخص
على الله ﷻ، ووجه ذلك كما بينه
القاضي أبو يعلى هو أن قوله: «لا
شخص» نفي من إثبات، وذلك يقتضي
الجنس؛ كقولك: لا رجل أكرم من زيد
يقتضي أن زيداً يقع عليه اسم رجل،
كذلك قوله: «لا شخص أغير من الله»

الشخص في حق الله ﷻ صفة ذاتية
ثابتة في السُّنة الصحيحة، تدلُّ على
أن الله ﷻ أظهر من كل شيء وأعظم^(٣).

﴿العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:﴾

يشارك المعنى اللغوي والشرعي في
دلالة الشخص على الظهور والارتفاع،
إلا أنه في الشرع في باب الصفات يدل
على أرفع معنى وأكمله، فالله ﷻ أرفع
وأظهر من كل شيء.

﴿الحكم:﴾

يجوز إطلاق الشخص على الله ﷻ
وصفاً له على ما يليق بجلاله من غير
تكيف ولا تشبيه^(٤).

﴿الحقيقة:﴾

حقيقة الشخص صفة ذاتية ثابتة في

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢٥٤) [دار الجيل].

(٢) تهذيب اللغة (٢/ ٤١٩) [دار إحياء التراث العربي،
ط ١، ٢٠٠١م].

(٣) انظر: صفات الله للسقاف (١٥١) [دار الهجرة،
ط ١، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري
للغنيمة (١/ ٢٨٩)].

(٤) انظر: ابطال التأويلات لأبي يعلى (١/ ١٦٤) [دار
إيلاف، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٥) انظر: صفات الله للسقاف (١٥١)، وشرح كتاب
التوحيد من صحيح البخاري للغنيمة (١/ ٢٨٩).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١٦)،
ومسلم (كتاب اللعان، رقم ١٤٩٩)، واللفظ له.

يقتضي أنه ﷺ يقع عليه هذا الاسم ^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

بَوَّب البخاري في «صحيحه» قال:
«باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير
من الله» ^(٢).

قال الغنيمان: «ومقصد البخاري أن
هذين الاسمين - أي: الشخص والغيرة -
يخبر بهما عن الله تعالى وصفًا له؛ لأن
الرسول ﷺ أثبتهما لله، وهو أعلم الخلق
بالله والله تعالى أظهر من كل شيء،
وأعظم، وأكبر، وليس في إطلاق الشخص
عليه محذور على أصل أهل السنة الذين
يتقيدون بما قاله الله ورسوله ﷺ» ^(٣).

وقال ابن القيم: «وفي قوله في
حديث آخر: «لا شخص أغير من الله»
والمخاطبون بهذا قوم عرب يعلمون
المراد منه ولا يقع في قلوبهم تشبيهه
سبحانه بالأشخاص؛ بل هم أشرف
عقولًا وأصح أذهانًا وأسلم قلوبًا» ^(٤).

✽ المسائل المتعلقة:

- حكم إطلاق الذات على الله تعالى:

ورد إطلاق لفظ الذات على الله

(١) إبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى (١٦٦/١).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٣٩٩/١٣) [دار المعرفة،
١٣٧٩هـ].

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان
(٢٨٦/١، ٢٨٩) [ط، ١٤٠٢هـ].

(٤) زاد المعاد لابن القيم (٥٩٤/٣) [مؤسسة الرسالة،
ط ٢٧، ١٤١٥هـ].

مضافًا إليه في كلام النبي ﷺ والصحابة،
كما في قوله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم إلا
ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله» ^(٥)
وكما في قول خبيب:

«وذلك في ذات الإله وإن يشأ

يبارك على أوصال شلوه ممزج» ^(٦)

وفي قول بعضهم: «أصبنا في
ذات الله» والمعنى في طاعة الله
وتحقيق مرضاته، وذلك من خلال ما
أمر به وأحبه، فإطلاق السلف لهذا
اللفظ كان على هذا المعنى. وأما
إطلاق المتكلمين وغيرهم من
المتأخرين، ليس على هذا المعنى،
وإنما كانوا يطلقونه على النفس باعتبار
أن الصفات قائمة عليها، فإذا قالوا:
(الذات) فقد قالوا التي لها الصفات،
فعلم بذلك الفرق بين إطلاق السلف
للفظ (الذات) في حق الله تعالى،
وإطلاق المتكلمين ^(٧).

✽ الفروق:

الفرق بين الذات والشخص:

الذات يطلق على حقيقة الشيء ونفسه
وعينه، في حين أن الشخص يطلق على

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم
٣٣٥٨)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧١).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم
٣٠٤٥).

(٧) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/٣٣٤، ٦/٣٤٢)
[دار الوفاء، ط ٣، ١٣٢٦هـ].

- الشيء الذي له علو وظهور فالذات إذن أعم من الشخص؛ لأنها تطلق على عموم الشيء، والشخص لا يطلق إلا على ما له علو وظهور.
- ٤ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، للغنيمان.
- ٥ - «صفات الله الواردة في الكتاب والسنة»، للسقاف.

✽ مذهب المخالفين:

- ٦ - «فتح الباري»، لابن حجر.
- ٧ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٧)، لابن تيمية.
- ٨ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٩ - «إيضاح الدليل»، لبدر الدين بن جماعة.
- أنكرت المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة إطلاق صفة الشخص على الله ﷻ، وزعموا أن مصطلح الشخص يطلق على الأجسام وهو محال على الله تعالى^(١).

والصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة إثبات صفة الشخص لله ﷻ؛ لورودها على لسان رسول الله ﷺ وهو أعلم بالله من هؤلاء المعطلة، والحديث صحيح في الدلالة على إطلاق الشخص على الله ﷻ فيجب إثباته له كما يليق بجلاله من غير تكيف ولا تشبيه.

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «إبطال التأويلات»، للقاضي أبي يعلى ابن الفراء.
- ٢ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٣ - «أقاويل الثقات»، للمقدسي.

(١) انظر: إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لبدر الدين بن جماعة (١٩٣) [دار السلام، ط ١، ١٩٩٠م]، وأساس التقديس للرازي (١٢١) [مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، ١٤٠٦هـ]، شرح صحيح البخاري لابن بطل (٤٤٢/١٠) [مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

✽ شد الرحال ✽

يراجع مصطلح (زيارة القبور).

✽ الشُّرك ✽

✽ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما: يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر: يدل على امتداد واستقامة، فالأول الشركة، هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلاناً في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركت فلاناً؛ إذا جعلته شريكاً لك»^(٢)، وَجَمْعُ الشَّرِيكَ شُرَكَاء، ويطلق الشرك على المعاني الآتية:

(٢) مقاييس اللغة (٣/٢٦٥).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «حقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية»^(٩).

١ - المخالطة، والمشاركة^(١).

٢ - التسوية بين شيئين^(٢).

٣ - النصيب والحظ^(٣).

التعريف شرعاً:

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان الشرك في اللغة يطلق على معنى المقارنة والمشاركة والتسوية، أطلق في الشرع بهذا المعنى على التسوية بين الله تعالى وبين غيره في كل ما هو مختص بالله تعالى.

الحكم:

الشرك بالله تعالى هو أعظم المحرمات، وأكبر الكبائر، كما قال رَحِمَهُ اللهُ: «أكبر الكبائر، الإشراك بالله»^(١٠)، إلا أن الشرك ليس على درجة واحدة في التحريم؛ إذ إن منه ما هو مخرج من ملة الإسلام، وهذا بلا شك هو أعظم الذنوب على الإطلاق، ومن الشرك ما لا يصل إلى الخروج من ملة الإسلام، وإنما هو دون ذلك، كما سيتضح ذلك عند الكلام على أقسام الشرك.

الحقيقة:

- حقيقة الشرك: هي تشبيهه للمخلوق

هو صرف ما هو من خصائص الألوهية والربوبية إلى غير الله تعالى^(٤).

ومما يشهد له من أقوال العلماء ما يلي:

١ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في معرض كلامه عن المشرك: «فمن عدل بالله غيره في شيء من خصائصه سبحانه فهو مشرك»^(٥)، وقال أيضاً: «أصل الشرك أن تعدل بالله مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده»^(٦).

٢ - وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «كل شرك بالله بأن يجعل لله عدلاً بغيره في اللفظ أو القصد أو الاعتقاد»^(٧).

٣ - وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «الشرك: هو أن يفعل لغير الله شيئاً يختص به سبحانه»^(٨).

(١) انظر: المفردات للراغب (٤٥١).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (١١٤٤/٢)، ولسان العرب (٩٩/٧).

(٣) انظر: لسان العرب (٩٩/٧ - ١٠٠).

(٤) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (٧٣).

(٥) مجموع الفتاوى (١٩/١٣) [مجمع الملك فهد بن عبد العزيز لطباعة المصحف الشريف].

(٦) الاستقامة لابن تيمية (٣٤٤/١) [مكتبة ابن تيمية].

(٧) إعلام الموقعين (٣٣٤/١) [دار الباز، مكة المكرمة].

(٨) الدر النضيد للشوكاني (١٨) [دار الكتب العلمية، ١٤٣٠هـ].

(٩) تفسير السعدي (٢٧٩) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(١٠) أخرجه البخاري (كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، رقم ٦٩١٩) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٧).

رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجدتان؟ فقال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»^(٢).

وفي حديث وفد عبد القيس أن النبي ﷺ قال لهم: «أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، وأعطوا الخمس من الغنائم، وأنهاكم عن أربع: عن الدباء، والحنثم، والمزقت، والنقيير» الحديث^(٣).

وفي حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله؟ وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء»^(٤).

أقوال أهل العلم:

قال القرطبي رحمه الله: «أصل الشرك المحرم اعتقاد شريك لله تعالى في الإلهية وهو الشرك الأعظم، وهو شرك الجاهلية، ويليهِ في الرتبة اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل، وهو قول من قال: إِنَّ

بالخالق ﷻ، فيما هو مختص بالله تعالى؛ فمن أشرك مع الله أحداً فقد شبهه بخلقه، سواء كان ذلك بصرف العبادة لغيره، أو بتشبيهه غيره به في ربوبيته أو أسمائه وصفاته أو بعض حقوقه سبحانه، وإذا كان من الشرك الأكبر فهو أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان].

الأدلة:

أدلة تحريم الشرك في القرآن وبيان خطورته كثيرة ومتنوعة، من ذلك:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف] وغيرها من الآيات.

ومن السنة: قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين»^(١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٦٩) من حديث ابن عباس، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨) من حديث أبي سعيد، واللفظ له.

(٤) أخرجه أحمد (٣٩/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ١٦]، وحسن إسناده ابن حجر في بلوغ المرام (رقم ١٤٨٤) [دار أطلس، ٣٨]، وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٥٠).

موجودًا ما غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده، وإن لم يعتقد كونه إلهًا^(١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأصل الشرك أن تعدل بالله - تعالى - مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده»^(٢).

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ - معرفًا الشرك بتعريف جامع -: «بأن يجعل الله عدلًا بغيره في اللفظ أو القصد أو الاعتقاد»^(٣).

❁ الأقسام:

للشرك أنواع كثيرة، وصور متعددة يصعب حصرها، كما قال ابن القيم: «والشرك أنواع كثيرة، لا يحصيها إلا الله، ولو ذهبنا نذكر أنواعه لانتسع الكلام أعظم اتساع»^(٤).

وقد تنوعت مسالك العلماء رحمهم الله في تعيين أقسام الشرك بالله تعالى، وبيان ذلك كما يلي:

أولًا: تقسيم الشرك تبعًا لأحكامه، من حيث الخروج من الإسلام وعدمه، وذلك على نوعين:

١ - الشرك الأكبر.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨١/٥) [دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ].

(٢) الاستقامة (٣٤٤/١) [جامعة الإمام، ط ١].

(٣) إعلام الموقعين (٢٥٢/١) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٤) مدارج السالكين (٣٧٦/١) [دار الكتب العلمية ط ١، ١٤٠٣هـ].

٢ - الشرك الأصغر.

وزاد بعض أصحاب هذا المسلك قسمًا ثالثًا وهو: الشرك الخفي، وإن كان داخلًا في كل من القسمين المتقدمين، إلا أنه لخفائه ودقة مسأله، قد يخفى على كثير من الناس، ويشتبه على آخرين فأبرزه بعض العلماء وجعلوه قسمًا ثالثًا.

وقد سلك هذا التقسيم كثير من العلماء؛ كابن القيم، وعبد الرحمن بن حسن، وغيرهما، ورجحه بعض الباحثين^(٥).

ثانيًا: تقسيم الشرك تبعًا لتقسيم أنواع التوحيد:

فمن العلماء من قسمه إلى ثلاثة أقسام، وذلك كما يلي:

١ - الشرك في الربوبية.

٢ - الشرك في الأسماء والصفات.

٣ - الشرك في الألوهية والعبادة.

قال سليمان بن عبد الله: «اعلم أن الشرك ينقسم ثلاثة أقسام بالنسبة إلى أنواع التوحيد»^(٦).

ومنهم من قسمه إلى قسمين، وذلك كما يلي:

(٥) انظر: مدارج السالكين (٣٦٨/١)، والجامع الفريد، الرسالة الثالثة (٣٩٢) [ط ٤، ١٤٢٠هـ]، وكتاب مصرع الشرك والخرافة (١٧٨).
(٦) تيسير العزيز الحميد (٤٣).

❖ الفروق:

الفرق بين الشرك والكفر:

- أن الشرك والكفر، قد يعبر بهما جميعاً في معنى واحد، كما في قوله ﷺ: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»^(٣)، ولذا قال بعض العلماء أنهما كالإسلام والإيمان يعبر بأحدهما عن الآخر.
- أن كل شرك فهو كفر، وليس كل كفر شركاً؛ لأن المعرض عن الدين والمستهزئ به يوصف بالكفر لا بالشرك^(٤).

❖ الآثار:

- حبوط الأعمال وإن كانت كثيرة.
- الخلود الأبدي في النار لمن وقع في الشرك الأكبر.
- الشرك يسبب القلق والاضطراب والتكد والكمد والخوف الدائم والحزن اللازم.
- المشرك لا يجد عوناً ومدداً من الله على ما يلقاه من مصائب الأقدار لأن عمله ليس لله.
- من وقع في الشرك الأكبر فهو عدو لله وللناس ولنفسه.

١ - الشرك في الربوبية.

٢ - الشرك في الألوهية.

وقد سلك هذا التقسيم حسب أنواع التوحيد كثير من العلماء، منهم ابن تيمية، وسليمان بن عبد الله - كما تقدم - وغيرهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجماع الأمر أن الشرك نوعان: شرك في ربوبيته بأن يجعل لغيره معه تدبير وشرك في الألوهية بأن يدعو غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة»^(١).

هذه هي أهم مسالك العلماء في تقسيمهم لأنواع الشرك، وإن كان من العلماء من سلك مسالك أخرى، سوى ما ذكر؛ كمن قسمه تبعاً لصوره، ومن قسمه تبعاً لمتعلقه والباعث عليه، إلى غير ذلك من المسالك المتعددة.

ولعل أرجح هذه المسالك هو تقسيم من قسمه تبعاً لأحكامه؛ إذ إن هذا التقسيم ورد ما يدل عليه عن النبي ﷺ، وذلك في قوله ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر...»^(٢)، فهذا الحديث دلٌّ على تسمية هذا النوع من الشرك، كما يدل على قسمه وهو الشرك الأكبر.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٧٠٣/٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣٩/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسن إسناده ابن حجر في بلوغ المرام (رقم ١٤٨٤) [دار أطلس، ط٣]، وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٥٠).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٢).

(٤) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٢٣٠)، ومجموع فتاوى ابن باز (٣٣/١ - ٣٤) [دار الوطن، ط١، ١٤١٦هـ]، وتيسير العزيز الحميد (٥٦)، وكتاب مصرع الشرك والخرافة لخالد الحاج (١٨١).

- الشرك يدعو إلى كلّ رذيلة ويبعد عن كلّ فضيلة.

- الشرك يفرق الأمة ويمزقها.

✽ المصادر والمراجع:

١ - «الاستقامة»، لابن تيمية.

٢ - «إعلام الموقعين عن ربّ العالمين»، لابن القيم.

٣ - «إغاثة اللهفان»، لابن القيم.

٤ - «اقتضاء الصراط المستقيم»،

لابن تيمية.

٥ - «تيسير العزيز الحميد»، سليمان بن عبد الله.

٦ - «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد»، للشوكاني.

٧ - «الشرك في القديم والحديث»، لأبي بكر زكريا.

٨ - «مجموع فتاوى ابن باز».

٩ - «مجموع فتاوى ابن تيمية».

١٠ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

✽ الشرك الأصغر

✽ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما: يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر: يدل على امتداد واستقامة، فالأول: الشركة

هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلاناً في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركت فلاناً، إذا جعلته شريكاً لك»^(١)، وجمع الشَّريك شركاء، ويطلق الشرك على المعاني الآتية:

١ - المخالطة، والمشاركة^(٢).

٢ - التسوية بين شيئين^(٣).

٣ - النصيب والحظ^(٤).

✽ التعريف شرعاً:

الشرك الأصغر: هو كل ما ورد في الشرع تسميته شركاً، مما هو ذريعة ووسيلة إلى الشرك الأكبر. وهذا التعريف قد جمع شرطين؛ هما:

- وروده في النصوص بلفظ الشرك وتسميته بذلك.

- أن يكون ذريعة إلى الشرك الأكبر.

ومما يشهد لهذا التعريف:

- ما جاء في فتاوى اللجنة الدائمة، حيث عرفوا الشرك الأصغر، بأنه: «كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر، ووسيلة للوقوع فيه وجاء

(١) مقاييس اللغة (٣/٢٦٥).

(٢) انظر: المفردات للراغب (٤٥١).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/١١٤٤)،

ولسان العرب (٧/٩٩).

(٤) انظر: لسان العرب (٧/٩٩ - ١٠٠).

في النصوص تسميته شركا»^(١).

وهناك من قال: لا يمكن تعريف الشرك الأصغر بتعريف جامع مانع، لكثرة أفرادها وتنوعها، وإنما يوضح هذا النوع بذكر أمثلته، وهذا هو ظاهر كلام ابن القيم، حيث عرّف الشرك الأكبر وأما الأصغر، فقد وضحه بأمثلته، فقال رحمه الله: «وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله»^(٢).

وقد رجح هذا القول بعض المتأخرين من الباحثين^(٣).

إلا أن كثيراً من العلماء يرون أنه يمكن تعريف الشرك الأصغر - وإن تنوعت أفرادها وتعددت صورته -، ثم اختلفت عباراتهم في تعريفه، وذلك كما يلي:

١ - الشرك الأصغر: هو كل وسيلة وذريعة منافية لكمال التوحيد، يتوصل بها إلى الشرك الأكبر.

قال الشوكاني في تعريفه: «كل ما ينافي كمال التوحيد ويقدح فيه مما لم يبلغ حدّ الشرك الأكبر»^(٤).

وقال السعدي: «الشرك الأصغر: هو كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر، من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة»^(٥).

٢ - الشرك الأصغر: هو ما ورد في النصوص أنه شرك ولم يصل إلى حدّ الشرك الأكبر.

قال الشيخ ابن قاسم: «والأصغر: هو ما أتى في النصوص أنه شرك، ولم يصل إلى حدّ الشرك الأكبر»^(٦).

وقال ابن باز رحمه الله: «أما الشرك الأصغر فهو: ما ثبت بالنصوص من الكتاب أو السنة تسميته شركا، ولكنه ليس من جنس الشرك الأكبر»^(٧).

❖ سبب التسمية:

وردت تسمية هذا النوع من الشرك على لسان رسول الله ﷺ كما في حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله؟ وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء»^(٨).

(٥) القول السديد شرح كتاب التوحيد للسعدي (١٢١) [دار الثبات، ١٦، ١٤٢٥هـ].

(٦) حاشية كتاب التوحيد (٥٠) [ط٣، ١٤٠٨هـ]، وانظر: الإخلاص والشرك الأصغر لعبد العزيز العبد اللطيف (٣٠).

(٧) مجموع فتاوى ابن باز (٥٦/١) [دار الوطن، ١٦، ١٤١٦هـ].

(٨) أخرجه أحمد (٣٩/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسن إسناده ابن حجر في بلوغ المرام (رقم =

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١/٥١٧).

(٢) مدارج السالكين (١/٣٧٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ].

(٣) انظر: الشرك في القديم والحديث (١/١٦٧)، والعقيدة في الله للأشقر (٢٣٩) [مكتبة الفلاح، ط١، ١٩٨٣م].

(٤) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، للشوكاني (٢٥) [دار الكتب العلمية، ١٩٣٠م].

يغفره الله إلا بالتوبة منه، فلا يدخل تحت المشيئة، لظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾.

- القول الثاني: أن الشرك الأصغر داخل تحت المشيئة، بخلاف الأكبر، وإن كان قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ دالاً على العموم، لكنه عموم مراد به خصوص الشرك الأكبر دون الأصغر؛ لأنه غالباً ما يرد في القرآن هذا لفظ ويراد به الشرك الأكبر دون الأصغر؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٧٦) [المائدة]، فهذه الآية لا يدخل فيها الشرك الأصغر بالإجماع؛ لأن تحريم الجنة، والخلود في النار، إنما هو لمن مات على الشرك الأكبر.

وقد رجح هذا القول العلامة ابن القيم^(٢)، وهو القول الثاني لشيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة، ومال إليه الشيخ عبد الرحمن السعدي.

ومما يؤيد هذا القول: أن الموازنة لا تقع في أنواع الشرك، وإنما هي واقعة بين الحسنات والسيئات^(٣).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٥٩/١).

(٣) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٥ - ٤٧) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٤هـ]، والقول المفيد على كتاب التوحيد (١١٤/١) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

وهذا الحديث وإن كان ورد في تسمية الرياء بذلك، إلا أن العلماء أطلقوا هذا الاسم على غير الرياء؛ لورود ذلك عن بعض الصحابة رضي الله عنهم، ولتمييز ذلك عن الشرك الأكبر.

الحكم:

حكم الشرك الأصغر:

الشرك الأصغر محرم؛ بل هو من أكبر الكبائر، فهو أكبر من الزنا ومن شرب الخمر، ونحوهما من الكبائر، إلا أنه لا يخرج من ملة الإسلام.

وقد وردت النصوص بالتحذير والتخويف منه؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١) [الكهف]، فالآية تشمل الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر^(١).

حكم مرتكب الشرك الأصغر:

اختلف العلماء فيمن مات على الشرك الأصغر من غير توبة، هل يدخل تحت المشيئة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، على قولين للعلماء:

- القول الأول: أن الشرك بنوعيه لا

= (١٤٨٤) [دار أطلس، ط ٣]، وجود إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٥٠).

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (٥٢٦، ١٦٢) [المكتب الإسلامي، ط ٦، ١٤٠٥هـ].

❁ الحقيقة:

الشرك الأصغر فيه تعلق بالمخلوق، وإن كان هذا التعلق ليس تاماً ولم يقصد صاحبه التسوية التامة بين الخالق والمخلوق من جميع الوجوه - وهذا الذي ميزه عن الشرك الأكبر - مع ذلك فقد خافه النبي ﷺ على أصحابه أن يقعوا فيه؛ لأنه يقود العبد إلى ما هو أعظم منه وهو الشرك الأكبر، لذا نجد النبي ﷺ قد فصل في ذكر أمثلته وعرض صورته لكي تحذر أمته من الوقوع فيها، ومن صور الشرك الأصغر:

١ - الشرك في الألفاظ: كالحلف بغير الله ﷻ، وقول: ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان.

٢ - الشرك في الأفعال: كلبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، وتعليق التمام خوفاً من العين وغيرها، إذا اعتقد أنها أسباب لرفع البلاء أو دفعه.

٣ - الشرك في الإرادات والنيات كالرياء والسמعة.

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١) [الكهف]، فالآية تشمل الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر، وقد احتج بها ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف على

الشرك الأصغر^(١). وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم].

ومن السنة: قول النبي ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله؛ وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء»^(٢).

وقوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»^(٣)، وقوله ﷺ: «إن الرقي والتمايم والتولة شرك»^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

- قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً»^(٥).

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (٥٢٦، ١٦٢) [المكتب الإسلامي، ط ٦، ١٤٠٥هـ]. وأثر ابن عباس: أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٥/١٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٣٢٥١)، والترمذي (أبواب النذور والأيمان، رقم ١٥٣٥) وقال: «هذا حديث حسن»، وأحمد (٩/٤٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب الأيمان، رقم ٤٣٥٨)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (رقم ٢٥٦١).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٨٨٣)، وابن ماجه (كتاب الطب، رقم ٣٥٣٠)، وأحمد (٦/١١٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب الرقي والتمايم، رقم ٦٠٩٠)، والحاكم (كتاب الطب، رقم ٧٥٠٥) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣١).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (كتاب الأيمان =

استغفاره، كما قال في الحديث الصحيح: «من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله»، وفي رواية: «فليستغفر»^(٤)، فهذا كفارة له في كونه تعاطى صورة تعظيم الصنم حيث حلف به، لا أنه لتجديد إسلامه، ولو قدر ذلك فهو تجديد لإسلامه لنقصه بذلك لا لكفره»^(٥).

٢ - ما ورد في كفارة الطيرة:

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «من ردت الطيرة عن حاجة، فقد أشرك»، قالوا: يا رسول الله! ما كفارة ذلك؟ قال: «أن يقول أحدهم: اللَّهُمَّ لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»^(٦).

الضروق:

الفرق بين الشرك الأصغر والأكبر:

ذكر العلماء فروقاً كثيرة بين هذين النوعين من الشرك، أهمها ما يلي:

- ١ - أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحت المشيئة.
- ٢ - أن الشرك الأكبر محبط لجميع

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأعظم الذنوب عند الله الشرك به، وهو سبحانه لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، والشرك منه جليل ودقيق، وخفي وجلي»^(١).

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فأما نجاسة الشرك فهي نوعان: نجاسة مغلظة، ونجاسة مخففة، فالمغلظة: الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ﷻ، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، والمخففة: الشرك الأصغر كيسير الرياء والتصنع للمخلوق»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- كفارة الشرك الأصغر:

ورد النص على كفارة بعض أنواع الشرك الأصغر، فمن ذلك:

١ - ما ورد في كفارة الحلف بغير الله:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله ﷺ: «من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله»^(٣).

قال سليمان بن عبد الله: «وأما كونه أمر من حلف باللات والعزى أن يقول: لا إله إلا الله؛ فلأن هذا كفارة له مع

(٤) لم نقف على هذه الرواية في شيء من كتب السنة.

(٥) تيسير العزيز الحميد (٥٩٣).

(٦) أخرجه أحمد (٦٢٣/١١) [مؤسسة الرسالة، ط١]،

وابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٥٤) [دار القبلة]، قال الهيثمي: «فيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقي رجاله ثقات». مجمع الزوائد (١٠٥/٥) [مكتبة القدسي]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٤/٣).

= (والنذور، رقم ١٥٩٢٩)، وابن أبي شيبه في المصنف (كتاب الأيمان والنذور والكفارات، رقم ١٢٢٨) [مكتبة الرشد، ط١].

(١) جامع الرسائل، لابن تيمية (٢/٢٥٤) [دار العطاء، الرياض ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) مدارج السالكين (١/٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٨٦٠)، ومسلم (كتاب الأيمان، رقم ١٦٤٧).

- الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.
- ٢ - «جامع الرسائل»، لابن تيمية.
- ٣ - «حاشية كتاب التوحيد»، لابن قاسم.
- ٤ - «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد»، للشوكاني.
- ٥ - «الشرك في القديم والحديث»، لأبي بكر زكريا.
- ٦ - «العقيدة في الله»، لعمر الأشقر.
- ٧ - «القول السديد شرح كتاب التوحيد»، للسعدي.
- ٨ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ٩ - «مجموع ابن باز».
- ١٠ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.
- ٣ - أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرج منه.
- ٤ - أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرم عليه الجنة، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب^(١).

الآثار:

- الوقوع في غضب الله ومساخطه.
- يفسد القلوب ويوهنها ويجعلها متعلقة بغير الله.
- أن الله يتركه ولا يعينه.
- أن صاحبه متوعد بعدم المغفرة إن لم يتب منه.
- أنه طريق إلى الشرك الأكبر وذريعة إليه.

الشرك الأكبر

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة، فالأول: الشركة هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلاناً في الشيء؛ إذا صرت شريكه، وأشركت فلاناً، إذا جعلته شريكاً لك»^(٢)، وجمع الشريك شركاء، ويطلق الشرك على المعاني الآتية:

(٢) مقاييس اللغة (٣/٦٦٥).

- حبوط الأعمال التي يخالطها.
- أنه يبعد صاحبه عن الله ويقربه إلى الشيطان.

المصادر والمراجع:

- ١ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (٥٢٦، ١٦٢) [المكتب الإسلامي، ط ٦، ١٤٠٥هـ]، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٥ - ٤٧) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٤هـ]، والقول المفيد على كتاب التوحيد (١/١١٤) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٤هـ]، والشرك في القديم والحديث (١٧٦) [مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٦هـ].

١ - المخالطة، والمشاركة^(١).

السعدي وغيره^(٦).

٢ - التسوية بين شيئين^(٢).

٣ - وقيل: هو: اتخاذ العبد من

٣ - النصيب والخط^(٣).

دون الله ندًا، يسويه برب العالمين، يحبه كحب الله، وينشاه كخشية الله، ويلتجئ إليه ويدعوه ويخافه ويرجوه ويرغب إليه ويتوكل عليه، أو يطيعه في معصية الله، أو يتبعه على غير مرضاة الله، وغير ذلك^(٧).

التعريف شرعًا:

الشرك الأكبر: هو صرف ما هو من خصائص الألوهية والربوبية لغير الله تعالى^(٤).

أو هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الربوبية والألوهية، أو نسبة شيء منهما إلى غيره.

وقد تعددت أقوال العلماء في تعريفهم للشرك الأكبر، وذلك كما يلي:

١ - ف قيل: هو: أن يتخذ من دون الله ندًا، يحبه كما يحب الله، قاله ابن تيمية، وابن القيم^(٥) رحمهما الله.

٢ - وقيل: هو أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية، قاله بعض العلماء كالشيخ

(١) انظر: المفردات للراغب (٤٥١).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (١١٤٤/٢)، ولسان العرب (٩٩/٧).

(٣) انظر: لسان العرب (٩٩/٧ - ١٠٠).

(٤) انظر: بيان تلبس الجهمية (١٠٨/٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٣هـ]، والأسئلة والأجوبة في العقيدة لصالح الأطرم (٢٨) [دار الوطن، ١٤١٣هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤٥/١٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف]، ومدارج السالكين (٣٦٨/١) [دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ].

سبب التسمية:

سمى العلماء هذا الشرك بهذا الاسم؛ تمييزًا له عن الشرك الأصغر، الذي لا يخرج من ملة الإسلام، وإن كان هذا النوع من الشرك هو المراد عند إطلاق هذا اللفظ في الكتاب والسنة.

الأسماء الأخرى:

- الشرك المخرج من الملة.

الحكم:

الشرك الأكبر هو أعظم ما نهى الله عنه على وجه الإطلاق، وهو كفر مخرج من ملة الإسلام، موجب للخلود في النار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، ولا يقبل معه عمل؛ بل هو محبط لجميع الأعمال، كما قال

(٦) تفسير السعدي (٢٧٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٧) أعلام السنة لحافظ حكيم (٤١) [دار أحد، القاهرة، ط ١، ١٤١٥هـ].

تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ [الأنعام].

خطورة الشرك الأكبر:

الحقيقة:

- حقيقة هذا النوع من الشرك: هو تأليه غير الله بالخوف منه والرجاء له والتعظيم والمحبة له وسؤاله والرغبة إليه^(١).

ويقول ابن القيم: «حقيقة الشرك: هو التشبه بالخالق وتشبيه المخلوق به، هذا هو التشبيه في الحقيقة، فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية.

فإن من خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبَّهه بالخالق وجعل من لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فضلاً عن غيره شبيهاً بمن له الأمر كله، فمن أقبح التشبيه: تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات»^(٢).

فحقيقة الشرك بالله إذا: «أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية»^(٣).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٤٨٧).

(٢) الجواب الكافي لابن القيم (١/١٣٦) [دار المعرفة، ط١، ١٤١٨هـ].

(٣) تفسير السعدي (٢٩٧).

تنوعت دلالة النصوص على ذم الشرك، والتحذير منه، وبيان خطره، وسوء عاقبته في الدنيا والآخرة، لا سيما الشرك الأكبر، وفيما يلي بيان أهم ذلك:

١ - أن الله أخبر أنه لا يغفر لمن لم يتب من الشرك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

٢ - أن الله أخبر أنه حرم الجنة على المشرك، وأنه خالد مخلد في نار جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٦].

٣ - الشرك يحبط جميع الأعمال؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ [الأنعام].

٤ - أن المشرك حلال الدم والمال؛ قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ [التوبة: ٥].

٥ - أن الشرك هو أكبر الكبائر؛ قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأ أكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين»^(٤).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٥٤)،

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٧).

الأدلة:

الدباء، والحنتم، والمزفت، والنقير»
الحديث^(٣).

أقوال أهل العلم:

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ: «لا إثم أعظم من الشرك»^(٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل، فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر... فلما كان الشرك بالله منافياً بالذات لهذا المقصود كان أكبر الكبائر على الإطلاق، وحرم الله الجنة على كل مشرك، وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد، وأن يتخذوهم عبيداً لهم لما تركوا القيام بعبوديته، وأبى الله سبحانه أن يقبل من مشرك عملاً أو يقبل فيه شفاعته أو يستجيب له في الآخرة دعوة، أو يقلل له عثرة، فإن المشرك أجهل الجاهلين بالله، حيث جعل له من خلقه نذاً، وذلك غاية الجهل به، كما أنه غاية الظلم منه، وإن كان المشرك لم يظلم ربه وإنما ظلم نفسه»^(٥).

- وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «الشرك أبغض إلى الله من جميع المعاصي»^(٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٦٩) من حديث ابن عباس، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨) من حديث أبي سعيد، واللفظ له.
(٤) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري (١٢/٢٦٥) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].
(٥) الجواب الكافي (١٢٨ - ١٢٩).

(٦) فتح الباري (١٢/٢١٠).

أدلة تحريم الشرك الأكبر في القرآن وبيان خطورته كثيرة ومتنوعة، من ذلك:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون]، وغيرها من الآيات.

ومن السنة: قول النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراف بالله وعقوق الوالدين»^(١).

وعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»^(٢).

وفي حديث وفد عبد القيس أن النبي ﷺ قال لهم: «أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، وأعطوا الخمس من الغنائم، وأنهاكم عن أربع: عن

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩٣).

❁ الأقسام:

١ - الغلو في الصالحين:

ويكون بتنزيلهم منزلة فوق منزلتهم فيصرف لهم شيء من حقوق الله، وهذا الأمر جلي وواضح، يبينه أصل الشرك الذي حدث لقوم نوح وإبراهيم عليه السلام، ولهذا سد الرسول ﷺ هذا الطريق.

٢ - تقليد الآباء والأجداد:

يعد تقليد الآباء والأجداد والتعصب لما كانوا عليه من الضلال، من أعظم أسباب الشرك بالله تعالى، فقد تمسك المشركون بهذه الشبهة، وقابلوا بها الرسل ﷺ في دعوتهم لهم إلى توحيد الله، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف].

٣ - تصوير المجسمات وذوات الأرواح:

التصوير سبب من أسباب الشرك، ووسيلة إلى الشرك الذي هو ضد التوحيد، كما حدث لقوم نوح لما صوّروا صور الصالحين ونصبوها في مجالسهم، وآل بهم الأمر إلى أن عبدوهم من دون الله، فأوّل شرك حصل في الأرض كان بسبب الصور وبسبب التصوير.

ولخطر التصوير وعظم جرم فاعله وردت النصوص الشرعية بتحريمه.

ينقسم الشرك الأكبر إلى قسمين:

١ - شرك في الربوبية؛ كشرك النصاري الذين جعلوا الله تعالى ثالث ثلاثة، فجعلوا المسيح إلهاً، وأمه إلهاً. وشرك المجوس: القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور، وحوادث الشر إلى الظلمة^(١).

٢ - شرك في الألوهية؛ كمن يقع في شرك الدعاء، وذلك أن الدعاء من أعظم أنواع العبادة؛ بل هو لب العبادة، ولذلك أمر الله بدعائه وحده، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر]. ولما ثبت أن الدعاء عبادة، فصرفه لغير الله شرك، فمن دعا نبياً أو ملكاً أو ولياً أو قبراً أو حجراً، أو غير ذلك من المخلوقين، فهو مشرك كافر، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون].

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: أسباب ظهور الشرك الأكبر:

لظهور الشرك الأكبر، أسباب كثيرة ومتنوعة، وأهمها ما يلي:

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٧٣/٢)، والفرق بين الفرق للبغدادي (٢٧٦).

٤ - الجهل بالدين :

فالجهل أحد أسباب حصول كثير من صور الشرك عند بعض المسلمين، فهو آفة خطيرة، وداء عظيم، يحجب عن معرفة الحق، ويبعد عن سنن الهدى، ويؤدي إلى الضلال، ويوقع في المخالفات المتعددة^(١).

- المسألة الثانية: وجوب اعتقاد كفر المشركين :

يجب على كل مسلم، يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يكفر من كفره الله من المشركين وغيرهم، ولا يجوز الشك في ذلك أو التردد فيه؛ بل لا يصح الإيمان إلا بذلك، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالْطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة].

فمن لم يكفر من كفره الله ورسوله ﷺ، أو شك في كفره، فهو - والعياذ بالله - كافر خارج عن ملة الإسلام، سواء كانوا يهودًا، أو نصاري، أو وثنيين أو غيرهم، كما قال الإمام محمد بن عبد الوهاب في نواقض الإسلام: «الثالث: من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو

صح مذهبهم كفر إجماعاً»^(٢).

وقد جعل النبي ﷺ الكفر بذلك، شرطاً في عصمة الدم والمال، كما في قوله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله»^(٣).

فلا بد - مع التلطف بالشهادتين - من الكفر بما يعبد من دون الله تعالى، والبراءة منه ومن أهله.

❁ الفرق:

أ - الفرق بين الشرك الأكبر والكفر: أن الشرك والكفر، قد يعبر بهما جميعاً في معنى واحد، كما في قوله ﷺ: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»^(٤)، ولذا قال بعض العلماء: إنهما كالإسلام والإيمان يعبر بأحدهما عن الآخر^(٥).

والفرق بين الشرك الأكبر والكفر المخرج من الملة أن كل شرك فهو كفر، وليس كل كفر شركاً؛ لأن المعرض عن الدين والمستهزئ به يوصف بالكفر لا بالشرك.

(٢) الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب) (١/٢١٣) [الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٣).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٢).

(٥) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٢٣٠) [دار العلم والثقافة، مصر]، وتيسير العزيز الحميد (٥٦)، وكتاب مصرع الشرك والخرافة لخلال الحاج (١٨١).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/٤٩١) [دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ]، ومجموع الفتاوى (١٧/٤٩٧)، وكتاب التوحيد مع شرحه تيسير العزيز الحميد (٣٠٥) [المكتب الإسلامي، ط ٦، ١٤٠٥هـ].

- ب- الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:**
 بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة، أهمها ما يلي:
 ١- أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحت المشيئة.

المصادر والمراجع:

- ١- «أعلام السنة»، لحافظ الحكمي.
 ٢- العقيدة الصحيحة وما يضادها ونواقض الإسلام، للشيخ عبد العزيز بن باز.
 ٣- «تفسير السعدي».
 ٤- «تفسير الطبري».
 ٥- «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
 ٦- «الشرك في القديم والحديث»، لأبي بكر زكريا.

الآثار:

- ٧- «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
 ٨- «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
 ٩- «مدارج السالكين»، لابن القيم.
 ١٠- «مصرع الشرك والخرافة»، لخلد الحاج.
- حبوط الأعمال وإن كانت كثيرة.
 - الخلود الأبدي في النار.
 - المشرك يُستباح دمه وماله وعرضه بالسبي.
 - الشرك يسبب القلق والاضطراب والنكد والكمد والخوف الدائم والحزن اللازم.

الشرك الخفي

يراجع مصطلح (الشرك).

- المشرك لا يجد عوناً ومدداً من الله على ما يلقاه من مصائب الأقدار.

(٢) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١٠/٤٧٥٠) [دار الوسيلة، ط٤].

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١/٥١٨)، ومصرع الشرك والخرافة (١٨٠).

الحكم:

حكم شرك الطاعة: أنه من اتخاذ الأرباب من دون الله، فمن أطاع غير الله في معصية الله، أو في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، واعتقد ذلك بقلبه: فقد اتخذ ذلك المتبوع رباً من دون الله. وقد جعله الله ورسوله شركاً.

أما إن كان إيمانه بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً، لكنه أطاعه في معصية الله، كما يفعل المسلم فيما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب^(٥).

الحقيقة:

حقيقة شرك الطاعة: هي «طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم، كما فسرهما النبي ﷺ، لعدي بن حاتم رضي الله عنه لما سأله، فقال: لسنا نعبدهم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية»^(٦). وعن قتادة رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾. قال: «شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته»^(٧).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٧٠/٧ - ٧١).
(٦) انظر: الرسالة لمحمد بن عبد الوهاب (٤٤) [طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد].
(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره لهذه الآية الكريمة (١٣/٣١١، ٣١٢) [دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ].

شرك الطاعة

التعريف لغة:

الطاعة لغة: مأخوذة من مادة (طوع)، قال ابن فارس: «الطاء والواو والعين أصل صحيح واحد يدل على الإصحاب والانقياد. يقال: طاعه يطوعه، إذا انقاد معه ومضى لأمره. وأطاعه بمعنى طاع له. ويقال لمن وافق غيره: قد طاعه»^(١).

والطَّوع: الانقياد، وضده الكره^(٢).

التعريف شرعاً:

شرك الطاعة: هو طاعة غير الله في معصية الله تعالى في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله^(٣).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «فمن أطاع إنساناً عالمًا أو عابداً، أو غيره، في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله، واعتقد ذلك بقلبه، فقد اتخذهُ رباً»^(٤).

(١) مقاييس اللغة (٣/٤٣١) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ].
(٢) انظر: لسان العرب (٧/٢٤٠) [دار صادر، ط ٣].
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١/٩٧ - ٩٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، والدرر السننية ٢/٧٠] [ط ١٤١٧هـ]، وتيسير العزيز الحميد (٥٤٣) [المكتب الإسلامي، ط ١٤٠٥هـ].
(٤) الدرر السننية (٢/٩)، والشرك بالله أنواعه وأحكامه (٥٣٧) [دار الإيمان، بدون، والشرك في القديم والحديث (٢/١١٠٧)] [مكتبة الرشد، الرياض، ط ١٤٢٦هـ].

الأدلة:

للحلال والمحلل للحرام إن كان مجتهداً
قصده اتباع الرسول لكن خفي عليه الحق
في نفس الأمر وقد اتقى الله ما استطاع؛
فهذا لا يؤاخذ به الله بخطئه بل يثيبه على
اجتهاده الذي أطاع به ربه. ولكن من
علم أن هذا خطأ فيما جاء به الرسول ثم
اتبعه على خطئه وعدل عن قول الرسول
فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي
ذمه الله، لا سيما إن اتبع في ذلك هواه
ونصره باللسان واليد مع علمه بأنه
مخالف للرسول؛ فهذا شرك يستحق
صاحبه العقوبة عليه»^(٢).

وقال السعدي في تفسير قوله تعالى:
﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ
اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]: «من الشرك
والبدع، وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما
حرم الله ونحو ذلك مما اقتضته
أهواؤهم. مع أن الدين لا يكون إلا ما
شرعه الله تعالى، ليدين به العباد ويتقربوا
به إليه، فالأصل الحجر على كل أحد أن
يشرع شيئاً ما جاء عن الله وعن رسوله،
فكيف بهؤلاء الفسقة المشتركين هم
وأباؤهم على الكفر»^(٣).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فمن أطاع
العلماء في مخالفة أمر الله ورسوله فقد
اتخذهم أرباباً من دون الله باعتبار

قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ
أَحَدًا﴾ [الكهف]، وقال تعالى:
﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا
السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى:
﴿أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰ عَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا
الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس]،
وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا
لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ
وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ
ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا
إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة].

وعن عدي بن حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه سمع
النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا
أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا﴾ الآية [التوبة:
٣١] فقلت له: إنا لسنا نعبدهم،
فَقَالَ ﷺ: «أليسوا يحرمون ما أحل الله
فتحرّمونه، ويحلون ما حرم فتحلّونه؟
فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم»^(١).

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «ثم ذلك المحرّم

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٩٥)
وقال: غريب، والطبراني في الكبير (٩٢/١٧)
[مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وضعف سنده الألباني،
لكن ذكر له شواهد يتقوى بها. انظر: السلسلة
الصحيحة (٧/ ٨٦٢ - ٨٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٧٠).

(٣) تفسير السعدي (٧٥٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

التصرف الشرعي؛ لأنه اعتبرهم مشرعين واعتبر تشريعهم شرعاً يعمل به»^(١).

❁ الأقسام:

أقسام شرك الطاعة:

ينقسم شرك الطاعة من حيث حكمه إلى قسمين:

١ - شرك أصغر وهو من شعب الشرك؛ كالطاعة في تعبيد الأسماء لغير الله؛ فإن ذلك من الشرك الأصغر في الطاعة، إذا لم يقصد به معنى العبودية والتأله.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَهُمَا صَلاَحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف]. عن قتادة قال: «شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته»^(٢).

قال الفوزان في تعليقه على قول قتادة: «وشرك الطاعة شرك أصغر لا يخرج من الملة - أي: في التسمية - لا سيما وأنهما لم يفعلا هذا قصداً للمعنى، وإنما فعلاه من باب حب الولد، ومن أجل سلامته، ومع هذا سماه الله شركاً، فيكون شركاً ولو لم يقصده الإنسان»^(٣).

(١) القول المفيد (٢/٢٥٦).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/٣١١، ٣١٢) [دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ].

(٣) إعانة المستفيد (٢/٢٨٣) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ].

٢ - شرك أكبر وهو شرك الطاعة في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله ويعتقد أن ذلك سائغ وذلك على حد قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة]. وتفسير

النبي ﷺ لها في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يا عدي اطرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثْنَ»، وسمعتَه يقرأ في سورة براءة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ قال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه»^(٤). وعن أبي البخري، قال: سئل حذيفة عن قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، أكانوا يعبدونهم؟ قال: «لا، كانوا إذا حلّوا لهم شيئاً استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه»^(٥).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٩٥)

وقال: «غريب»، والطبراني في الكبير (٩٢/١٧)

[مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وذكر له الألباني شواهد

وقال: فهو بمجموع طرقه حسن إن شاء الله تعالى.

انظر: السلسلة الصحيحة (٧/٨٦٢ - ٨٦٥).

(٥) السُّنَّة لأبي بكر بن الخلال (٤/١١٨) [دار الفلاح

للبحث العلمي].

ومن ذلك: التحليل والتحريم»^(٢).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اتباع العلماء أو الأمراء في التحليل والتحريم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

«الأول: أن يتابعهم في ذلك راضياً بقولهم، مقدماً له، ساخطاً لحكم الله، فهو كافر؛ لأنه كره ما أنزل الله فأحبط الله عمله، ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر، فكل من كره ما أنزل الله، فهو كافر.

الثاني: أن يتابعهم في ذلك راضياً بحكم الله وعالمًا بأنه أمثل وأصلح للعباد والبلاد، ولكن لهوى في نفسه اختاره؛ كأن يريد مثلاً وظيفة، فهذا لا يكفر، ولكنه فاسق وله حكم غيره من العصاة»^(٣).

الثالث: أن يتابعهم جاهلاً، فيظن أن ذلك حكم الله، فينقسم إلى قسمين:

أن يمكنه أن يعرف الحق بنفسه، فهو مفرط أو مقصر، وهو آثم؛ لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم.

أن لا يكون عالمًا ولا يمكنه التعلم فيتابعهم تقليدًا ويظن أن هذا هو الحق، فهذا لا شيء عليه؛ لأنه فعل ما أمر به

فتلك الطاعة من الشرك الأكبر، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «شرك الطاعة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾»، وتفسيرها الذي لا إشكال فيه، هو طاعة العلماء والعباد، في معصية الله سبحانه، لا دعاؤهم إياهم، كما فسرهما رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم، لما سألته فقال: «لسنا نعبدكم»، فذكر له أن عبادتهم؛ طاعتهم في المعصية»^(١).

قال الشيخ صالح الفوزان في تعليقه على معنى آية براءة: «فدل هذا على أن طاعة الأحرار والرهبان في تحريم الحلال وتحليل الحرام عبادة لهم، ويعتبر هذا من شرك الطاعة؛ لأن التحليل والتحريم حق لله ﷻ، فليست العبادة قاصرة على السجود والركوع والدعاء والذبح والنذر وغير ذلك مما يفعلها الوثنيون؛ بل ويشمل طاعة المخلوقين في معصية الخالق ﷻ ومخالفته في تشريع، يدخل هذا في ضمن العبادة، فالعبادة عامة ليست مقصورة على نوع أو أنواع من العبادة؛ بل هي شاملة لكل ما هو من حق الله،

(٢) إغاثة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١١٦/٢)

(٣) وانظر: كتاب التوحيد مع إغاثة المستفيد (١٤٧/٢)، والقول المفيد (٢٥٦/٢).

(١) كتاب التوحيد، انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٧٠/٢)

وكان معذوراً»^(١).

قال ابن تيمية: «وهؤلاء الذين اتخذوا أحابارهم ورهبانهم أرباباً؛ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله؛ فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً، وإن لم يكونوا يصلّون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركاً مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب»^(٢).

- المسألة الثانية: معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام]:

إن من أطاع غير الله ورسوله، وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسنة في

تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحله الله، وأطاعه في معصية الله، واتبعه فيما لم يأذن به الله، فقد اتخذ رّباً ومعبوداً وجعله لله شريكاً، فشرك الطاعة يحصل متى ما وقع التشريك مع الرب في الأمر والنهي؛ لأن الرب ﷻ هو المالك المتصرف الذي يملك كل شيء ويتصرف فيه، ومن تصرفه الأمر والنهي، فيشرع لعباده شرعاً ويأمرهم أن يفعلوه، ويمنعهم من موانع ويعينها لئلا يقربوها.

ولا يجوز أن يشارك الرب ﷻ في هذا أحد من الخلق، فإن شاركه أحد من خلقه فقد نازعه في ربوبيته وملكه، ثم الذي يتبع هذا المخلوق في التحليل والتحريم والتشريع يكون متخذاً لهذا المخلوق رّباً من دون الله، وذلك ينافي التوحيد الذي هو دين الله الذي دلّت عليه كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله)؛ فإن الإله هو المعبود، وقد سمى الله تعالى طاعتهم عبادة لهم، وسماهم أرباباً^(٣).

ولولا طاعة كل قوم لكبرائهم لما ضل من ضل من الأمم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٦٧]، وطاعة من يحكم بغير شرع الله تعالى، ويخالف

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (١٠٦)، وراجع: شرح فتح المجيد للغنيمان (الدرس رقم ٩٨).

(١) القول المفيد (٢/ ٢٦٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٧٠).

- رفع الخير والبركة، ونزول الشر والمصائب والبلاء^(٣).

✽ مذهب المخالفين:

قال سيّد قطب: «من أطاع بشرًا في شريعة من عند نفسه، ولو في جزئية صغيرة، فإنما هو مشرك. وإن كان في الأصل مسلمًا ثم فعلها؛ فإنما خرج بها من الإسلام إلى الشرك أيضًا... مهما بقي بعد ذلك يقول: أشهد أن لا إله إلا الله بلسانه. بينما هو يتلقى من غير الله، ويطيع غير الله»^(٤).

✽ الرد عليه:

هذا فيه إخراج لمن أطاع الكبراء في معصية الله من الإسلام؛ بل حقيقة هذا الكلام يؤول إلى تكفير المسلمين حكمًا ومحكومين.

ومثل هذا التأصيل الخارجي يكون دافعًا قويًا في انحراف كثير من الشباب، وتجاسرهم على تكفير المجتمعات المسلمة، فيجب الحذر من مثل هذه الانحرافات الخطيرة المدمرة.

يقول ابن العربي: «إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركًا إذا أطاعه في اعتقاده الذي هو محل الكفر والإيمان، فإذا أطاعه في الفعل وعقده سليم مستمر

حكم الله مع علمه بذلك، شرك بالله تعالى في الطاعة، كما قال ﷺ: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ وَحُودٌ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِجَدِّ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام]، قال ابن العربي رحمه الله: «إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركًا إذا أطاعه في اعتقاده: الذي هو محل الكفر والإيمان»^(١).

وقال ابن كثير رحمه الله: «وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (١٢٦)؛ أي: حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقد متم عليه غيره، فهذا هو الشرك»^(٢).

✽ الآثار:

- الوقوع في غضب الله ومساخطه.
- يفسد القلوب ويوهنها ويجعلها متعلقة بغير الله.
- أن الله يتركه ولا يعينه.
- حبوط الأعمال التي يخالطها.
- أنه يبعد صاحبه عن الله ويقربه إلى الشيطان.
- أن الله يتهرب من المشركين.
- عدم المغفرة إن لم يتب منه.
- يورث الذلة والمسكنة والخضوع لغير الله.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧٠/٧ - ٧١)، والقول المفيد لابن عثيمين (٢٥٦/٢)، وإعانة المستفيد (١٤٧/٢).
(٤) في ظلال القرآن (١١٩٨/٣) [دار الشروق، ط ١٧].

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢٧٥/٢) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ].
(٢) تفسير القرآن العظيم (١٩٢/٢).

ينويه: إذا قصد إليه. ويقال: نواك الله بالخير؛ أي: أوصله إليك. ويقال: نوى الشيء ينويه؛ أي: عزم عليه. وقيل: النوى التحول من دار إلى دار.

قال ابن فارس: «هو الأصل في المعنى، ثم حملوا عليه الباب كله، فقالوا: نوى الأمر ينويه إذا قصده، والنية: الوجه الذي تنويه»^(٢). وقيل: النية: هي الإرادة^(٣).

وعلى هذا؛ فالنية تدور على القصد والعزم والإرادة والجهة والتحول.

- **القَصْدُ** مصدر للفعل (قَصَدَ)، قال ابن فارس: «القاف والصاد والبدال أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيان شيء وأمه، والآخر على اكتناز في الشيء»^(٤). وقال الفيروزآبادي: «القَصْدُ: اسْتِقَامَةُ الطريق، والاعْتِمَادُ، وَالْأَمُّ، قَصَدَهُ، وَلَهُ، وَإِلَيْهِ، يَقْصِدُهُ»^(٥).

التعريف شرعاً:

الشرك في النية والقصد: هو التقرب إلى غير الله، وإرادته بالعمل، وطلب الجزاء منه^(٦).

على التوحيد والتصديق فهو عاص، فافهموا ذلك في كل موضع»^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد»، للفوزان.
- ٢ - «تفسير ابن كثير».
- ٣ - «تفسير السعدي».
- ٤ - «تفسير الطبري».
- ٥ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٦ - «الدرر السنية»، جمع: عبد الرحمن بن قاسم.
- ٧ - «الشرك بالله أنواعه وأحكامه»، لماجد الشبالة.
- ٨ - «الشرك في القديم والحديث»، لأبي بكر زكريا.
- ٩ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

شرك النية والقصد

التعريف لغة:

- **النية:** مصدر للفعل (نوى - ينوي)، بمعنى قَصَد الشيء وعزم عليه، ونوى القوم منزلاً؛ أي: قصدوه، ونوى الأمر

(١) أحكام القرآن (٢/٢٧٥) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ].

(٢) مقاييس اللغة (٥/٣٦٦) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ].

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني (١/١٢٧) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٦هـ].

(٤) مقاييس اللغة (٥/٩٥) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ].

(٥) القاموس المحيط (٣١٠) [مؤسسة الرسالة، ط ٨].

(٦) انظر: الجواب الكافي (٩٤).

الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا تُؤَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود]، وهذا النوع من الشرك دقيق الأمر بالغ الخطورة^(٤).

الحقيقة:

حقيقة شرك النية والقصد: هو أن يقصد بالعمل الصالح نيل شيء من حظوظ الدنيا الفانية؛ كمن يحج لأجل أخذ المال، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل الغنيمة، ونحو ذلك.

أما إذا كانت إرادة العبد كلها للدنيا، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة البتة، فهذا ليس له في الآخرة من نصيب، وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن، فإن الإيمان يستلزم إرادة العبد وجه الله والدار الآخرة بأعماله^(٥).

الأدلة:

ورد التحذير من شرك النية والقصد في جملة من النصوص، فمن ذلك: قوله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا تُؤَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا

وقيل هو: أن يريد الإنسان بالعمل الذي يبتغي به وجه الله مطمعاً من مطامع الدنيا^(١).

سبب التسمية:

سُمي هذا النوع من الشرك بهذا الاسم لكونه مرتبطاً بنية الفاعل وقصده من فعله أو قوله، فنسب إلى ذلك.

الأسماء الأخرى:

- الشرك الخفي^(٢).
- شرك السرائر^(٣).
- شرك الأغراض.
- إرادة الدنيا بعمل الآخرة.

الحكم:

لا يمكن الجزم بحكم معين لشرك النية والقصد، وذلك لتعدد صور هذا النوع من الشرك، ودقتها، فمنها ما يحكم عليه بالشرك الأكبر، المخرج من الملة، ومنها ما يكون من قبيل الشرك الأصغر.

فإذا نوى بأعماله التعبدية الدنيا أو الرياء أو السمعة، إرادة كلية كأهل النفاق الخالص، ولم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، فهو مشرك الشرك الأكبر، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ

(٤) انظر: الواجبات المحتمات المعرفة على كل مسلم (٦/١)، وانظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (١/٧٨).

(٥) انظر: عدة الصابرين (٣٢٢ - ٣٢٣)، والقول السديد في مقاصد التوحيد (١٢٧ - ١٢٨).

(١) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، الفوزان (١٢٢) [دار ابن الجوزي ط ٤، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: إعانة المستفيد (١/١٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٣) انظر: فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٠/٧١٤).

❁ أقوال أهل العلم:

لما كان هذا النوع من الشرك من أخطر أنواع الشرك، لكونه يتعلق بالنية والقصد، وقد يدخل على الإنسان وهو لا يشعر به، فيحبط عمله، فقد حذر العلماء منه، وبينوا خطره، وفي ذلك يقول قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من كانت الدنيا همه وطلبته ونيته؛ جازاه الله بحسناته في الدنيا، ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء، وأما المؤمن؛ فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة» (٣).

وقال الطبري في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤَتْهُ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (٢٠). [الشورى]: «يقول تعالى ذكره: من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في حربه؛ يقول: نزد له في عمله الحسن، فنجعل له بالواحدة عشرًا، إلى ما شاء ربنا من الزيادة، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤَتْهُ مِنْهَا» يقول: ومن كان يريد بعمله الدنيا ولها يسعى لا للآخرة، نُؤَتْهُ مِنْهَا ما قسمنا له منها ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (٢٠). [الشورى]: يقول: وليس لمن طلب بعمله الدنيا ولم يرد الله به في ثواب الله لأهل الأعمال التي

وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود].

قال القرطبي: «ذهب أكثر العلماء إلى أن هذه الآية مطلقة قيدها وفسرها التي في (سبحان): ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]» (١).

وقد حذر الله تعالى من الرياء باعتباره شركًا في النية والقصد، وجعله من أخص صفات المنافقين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]، وتوعد المرائين بالويل، فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون]، وعن أبي هريرة مرفوعًا قال: قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري؛ تركته وشركه» (٢).

والأدلة في التحذير من شرك النية والقصد كثيرة لا يمكن حصرها في مثل هذا الموطن.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٨٥) مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٨٥).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسير (١٥/٢٦٤) [دار هجر، ١٤٢٢هـ].

الدنيا الفانية؛ كمن يحج لأجل أخذ المال، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل الغنيمة، ونحو ذلك^(٣).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حالات من يريد الدنيا بعمله:

١ - أن يقصد بالعمل الصالح نيل شيء من حظوظ الدنيا الفانية؛ كمن يحج لأجل أخذ المال، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل الغنيمة، ونحو ذلك.

وهذا النوع قد ذكره بعض السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود].

٢ - أن يقصد بعمله الصالح، من صدقة وصلاة وصلة رحم، وجه الله تعالى، إلا أنه لا يريد ثوابه في الآخرة، وإنما نيته وقصده أن يثاب عليه في الدنيا، بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعمة عليهم، ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار؛ فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في

أرادوه في الدنيا حظ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل^(١).

وقال ابن القيم: «وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو منه؛ فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته^(٢)».

✽ الأقسام:

ينقسم الشرك في النية والقصد إلى قسمين:

١ - شرك أكبر: وذلك أن ينوي بأعماله الدنيا أو الرياء أو السمعة، إرادة كلية كأهل النفاق الخالص، ولم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، فهو مشرك الشرك الأكبر، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [١٥] أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [١٦] [هود]، وهذا النوع من الشرك دقيق الأمر بالغ الخطورة.

٢ - شرك أصغر: وذلك أن يقصد بالعمل الصالح نيل شيء من حظوظ

(٣) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (١/٧١) - (٧٣) [دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ]، والجواب الكافي (٩٤)، والواجبات المحتمات المعرفة على كل مسلم (٦/١)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (١/٧٨).

(١) تفسير الطبري (٢٠/٤٩١).

(٢) الجواب الكافي (٩٤).

شاركه من أصله؛ فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه، وأما إن كان العمل لله، وطراً عليه نية الرياء؛ فإن كان خاطراً ثم دفعه؛ فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه؛ فهل يحبط عمله أو لا فيجأزى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف، قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير، ورجحاً أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يجأزى بنيته الأولى، وهو مروي عن الحسن وغيره^(٢).

- المسألة الثانية: أداء العمل الصالح محبة له وتلذذاً:

إذا فعل العبد الأمور الحسنة - كالإحسان إلى ذوي الحاجات، والعفو عن أهل الجنايات، والوفاء بالعهد، والصدقة، وأداء الأمانة، ونحو ذلك من مكارم الأخلاق التي تكون في بني آدم - محبةً لها، لا لله، ولا لغيره من الشركاء؛ بل لأجل هذه المحبة، لم يكن مذموماً، ولا معاقباً. ولا يقال إن هذا عمله لغير الله، فيكون بمنزلة المرائي والمشرك، فذاك هو الشرك المذموم، وأما من فعلها لمجرد المحبة الفطرية، فليس بمشرك، ولا هو أيضاً متقرباً بها إلى الله حتى يستحق عليها ثواب من عمل لله وعبدته؛ بل قد يثبته عليها بأنواع

الآخرة نصيب، وهذا النوع ذكره ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية المتقدمة^(١).

٢ - أن يعمل أعمالاً صالحة ونيته رياء الناس لا طلباً للثواب في الآخرة، وهذا القسم هو أخطر الأقسام، ويدخل في ذلك المنافق، حيث نيته وقصده رياء الناس، ولا قصد له في ثواب الآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢].

وللرياء صور متنوعة في دخوله على العبادة وكل صورة لها حكم معين، ليس هذا موضع الكلام عنها.

قال ابن رجب رحمته الله: «اعلم أن العمل لغير الله أقسام: فتارة يكون رياء محضاً؛ كحال المنافقين؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة أو الحج الواجب أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها؛ فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة، وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء؛ فإن

(٢) جامع العلوم والحكم (٣٨/١ - ٣٩)، وانظر: نواقض الإيمان الاعتقادية (٢٠١/٢).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦٣/١٥) [مؤسسة الرسالة، ١ ط].

٢ - وخالف آخرون فقالوا: إن من عمل لله وحده، وأخلص في عمله إخلاصًا تامًا، ولكنه يأخذ على عمله جعلًا ومعلومًا يستعين به على العمل والدين؛ كالجعالات التي تجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة أو رزق، وكالأوقاف التي تجعل على المساجد والوظائف الدينية، فهذا لا يضره أخذه في إيمان العبد وتوحيده؛ لكونه لم يرد بعمله الدنيا، وإنما أراد الدين، وقصد أن يكون ما حصل له معينًا على قيام الدين، ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية؛ كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءًا كبيرًا لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة^(٤).

ولعلّ الأظهر أن الارتزاق على أعمال البر لا يستحب، وإن قيل بجوازه؛ لأن العمل المعمول للدنيا ليس بعمل صالح في نفسه، إذا لم يقصد به إلا المال، فيكون من نوع المباحات، ومن أراد الدنيا بعمل الآخرة، فليس له في الآخرة من خلاق.

مع التنبيه إلى أن الآخذ يجب أن ينظر في نيته وقصده، لكي يخرج من

من الثواب، إما بزيادة فيها، وفي أمثالها، فيتنعم بذلك في الدنيا. ولهذا كان الكافر يجزى على حسناته في الدنيا، وإن لم يتقرب بها إلى الله تعالى. وهذا معنى قول بعض السلف: طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله. وقول الآخر لما قيل له: إنهم يطلبون الحديث بغير نية؟ فقال: طلبهم له نية؛ يعني: نفس طلبهم حسن ينفعهم^(١).

- المسألة الثالثة: الارتزاق على أعمال البر:

اختلف أهل العلم في حكم الارتزاق بأعمال البر:

١ - فذهب بعضهم إلى أنه لا تصح الإجارة لأجل الطاعات، والأصل أن كل طاعة يختص بها المسلم، ولا تقع إلا قرينة لفاعلها، لا يجوز الاستئجار عليها^(٢). وقالوا: والعبادة إنما تكون عبادة إذا ما قصد بها وجه الله، فأما ما يقع مستحقًا بعقد إجارة أو جعالة، فلا يكون قرينة^(٣).

(١) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (١٩١/٥ - ٢٩٨) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٠هـ]، المستدرک علی مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠٤/٣) [جمعه ورتبه: محمد بن قاسم، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٢/٣١)، والشرح الكبير (٣٧٨/١٤)، وحاشية ابن عابدين (٩٦، ٩٣/٩).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/٢٦ - ١٧)، والفروع لابن مفلح (٤٣٥/٤).

(٤) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد (١٢٨)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/٢٦)، والمغني (١٣/١٦٥)، وأخذ الأجرة على أعمال الطاعات والمعاصي (٨٥ - ٨٦).

النوع من الشرك، بالوعيد بالنار في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود]، وهذا بلا شك ظاهر في حق من بلغ به ذلك القصد الشرك الأكبر؛ كالمنافقين ونحوهم، وأما من لم يصل إلى ذلك فهو تحت مشيئة الله تعالى.

✽ الحكمة:

لما كان الإخلاص هو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة المرسلين ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ خُفِّلُوا﴾ [البينة]، وكان شرك النية والقصد على الضد من ذلك؛ إذ إن صاحبه لا يريد به وجه الله تعالى، أو لا يريد به الثواب في الآخرة، جاءت النصوص بالزجر عنه وتحريمه، وبيان خطورته ليحذر المسلم منه أشد الحذر^(٢).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد»، للفوزان.
- ٢ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٣ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

دائرة إرادة الدنيا، وعليه أن يستحضر أن يكون المقصود الأول، والباعث المحرك هو ما عند الله تعالى، وأن ما يأتي من الدنيا فهو تبع وضمن، لا أصل وقصد^(١).

✽ الآثار:

١ - إحباط العمل:

أخبر الله تعالى أن من وقع في شرك النية والقصد، بحيث كان قصده ونيته بالعمل الصالح غير الله تعالى، أو أراد أن يثاب على ذلك في الدنيا، فإن عمله يحبط ويبطل ولا يجازى عليه في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود].

٢ - تعجيل الثواب في الدنيا:

فمن أراد بعمله الدنيا دون الآخرة، فإن الله تعالى يعجل له ثوابه في الدنيا كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود]، وأما في الآخرة فليس له ثواب؛ لأنه لم يرد بذلك الآخرة إنما أراد به الدنيا وقد وقى إليه ما أراد.

٣ - الوعيد بالنار في الآخرة:

حيث توعده الله من وقع منه ذلك

(١) انظر: مجلة الدراسات العقدية [العدد ٦، السنة الثالثة، ١٤٣٢هـ، ص ٨١ - ٨٧].

(٢) الإخلاص والشرك الأصغر (٥ - ٩).

٤ - «الجامع لأحكام القرآن»،

للقرطبي.

٥ - «الجواب الكافي»، لابن القيم.

٦ - «الشرك في القديم والحديث»،

لأبي بكر زكريا.

٧ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن

حسن.

٨ - «القول المفيد شرح كتاب

التوحيد»، لابن عثيمين.

٩ - مجلة «الدراسات العقدية»

(العددان: ٢، ٦).

١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

الشُّرْكُ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة، فالأول الشركة، هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلاناً في الشيء؛ إذا صرت شريكه، وأشركت فلاناً، إذا جعلته شريكاً لك»^(١)، وَجَمَعَ الشَّرِيكَ شُرَكَاءً، ويطلق الشرك على المعاني الآتية:

١ - المخالطة، والمشاركة^(٢).

(١) مقاييس اللغة (٣/٢٦٥).

(٢) انظر: المفردات للراغب (٤٥١).

٢ - التسوية بين شيئين^(٣).

٣ - النصيب والحظ^(٤).

التعريف شرعاً:

هو أن يسمي المخلوقين بأسماء مختصة بالله تعالى، أو يمثل الخالق بالمخلوق أو المخلوق بالخالق^(٥).

وقيل: «هو أن يجعل الله تعالى ممثلاً في شيء من الأسماء أو الصفات، أو يصفه تعالى بشيء من صفات خلقه»^(٦).

الحكم:

تمثيل الله تعالى أو أسمائه وصفاته، أو تشبيه شيء منها بأسماء المخلوقين أو صفاتهم كما يصف اليهود الله تعالى بصفات النقص التي يتصف بها المخلوقون؛ كوصفهم له بالعجز والفقر والبخل ونحو ذلك، وكما يصف النصارى بعض المخلوقات - كعيسى عليه السلام - بالصفات الإلهية التي لا يتصف بها إلا الخالق ﷻ، وكذلك بعض الجهمية الذين جعلوا صفات الخالق من جنس صفات المخلوقين، هذا كله شرك أكبر

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/١١٤٤)، ولسان العرب (٧/٩٩).

(٤) انظر: لسان العرب (٧/٩٩ - ١٠٠).

(٥) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (١/٧٣) [وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية

السعودية، ط١، ١٤٢١هـ]، وتيسير العزيز الحميد (١/٥١٢) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ].

(٦) تسهيل العقيدة الإسلامية لابن جبرين (١٥٤) [دار العصيمي، ط٢].

بأنه ربُّ السماوات والأرض أو غير ذلك مما لا ينبغي إلا لله تعالى.

❁ أقوال أهل العلم:

قال نعيم بن حماد الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً» (٢).

وقال ابن عبد البر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فلا نتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير؛ فإنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾» [الشورى] (٣).

وقال سليمان بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قوله: ﴿يُلْحِذُونَ فِيَّ أَسْمَاءَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٠]: يشركون؛ أي: يشركون غيره في أسمائه؛ كتسميتهم الصنم إلهاً، ويحتمل أن المراد الشرك في العبادة؛ لأن أسمائه تعالى تدل على التوحيد، فالإشراك بغيره إلحاد في معاني أسمائه ﷺ، لا سيما مع الإقرار بها، كما كانوا يقرون بالله ويعبدون غيره،

مخرج من ملة الإسلام؛ لما في ذلك من المخالفة الصريحة للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية ودلالاتها القطعية على نفي المشابهة. ووجود الاشتراك في مجرد اللفظ بين أسماء الخالق وصفاته وبين أسماء المخلوق وصفاته لا يلزم منه الاشتراك في حقيقة المعاني، فمن سمي غير الله باسم من أسماء الله تعالى معتقداً اتصاف هذا المخلوق بما دلَّ عليه هذا الاسم مما اختص الله تعالى به، أو وصفه بصفة من صفات الله تعالى الخاصة به فهو مشرك في الأسماء والصفات.

وكذلك من وصف الله تعالى بشيء من صفات المخلوقين فهو مشرك في الصفات (١).

❁ الحقيقة:

حقيقة هذا النوع من الشرك هي تمثيل الخالق بالمخلوق أو المخلوق بالخالق، وتسمية المخلوقين بأسمائه المختصة به ﷻ. وهذا كله من الشرك في أسماء الله تعالى وصفاته؛ كمن يجعل لله شريكاً في أسمائه وصفاته التي لا تنبغي إلا له تعالى؛ كأن يصف المخلوق بالواحد القهار أو بالكمال المطلق، أو بعلم الغيب، أو بالعلو على العرش، أو

(٢) أورده الذهبي في العلو (١٧٢) [مكتبة أضواء السلف، ط١، ١٤١٦هـ]، وصحح الألباني إسناده في مختصره لكتاب الذهبي (١٨٦).

(٣) التمهيد (١٤٥/٧) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١٤١٦هـ].

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «إثبات صفة العلو»، لابن قدامة.
- ٢ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة»، لنخبة من العلماء.
- ٣ - «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد»، للفوزان.
- ٤ - «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.
- ٥ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٦ - «التوحيد»، لابن خزيمة.
- ٧ - «جامع الرسائل»، لابن تيمية.
- ٨ - «القواعد الكلية في الأسماء والصفات»، لإبراهيم البريكات.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١٠ - «مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات»، للتيمي.

✽ الشرك في الألوهية ✽

✽ التعريف لغة:

أما (الشرك) فقد قال ابن فارس: «الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة، فالأول الشركة هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلاناً في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركت

فهذا الاسم وحده أعظم الأدلة على التوحيد، فمن عبد غيره فقد ألحد في هذا الاسم، وعلى هذا بقية الأسماء»^(١).

✽ الأقسام:

ينقسم الشرك في الأسماء والصفات إلى قسمين:

- ١ - تمثيل الخالق بالمخلوق أو المخلوق بالخالق.
- ٢ - تسمية المخلوقين بأسماء المختصة به ﷻ.

قال سليمان بن عبد الله: «الشرك في توحيد الأسماء والصفات نوعان:

أحدهما: تشبيه الخالق بالمخلوق؛ كمن يقول: يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، واستواء كاستوائي، وهو شرك المشبهة.

الثاني: اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الإله الحق، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف]، قال ابن عباس: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: يشركون، وعنه: سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز»^(٢).

(١) تيسير العزيز الحميد (١/٥١٢) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ].

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٨)، وانظر في هذا التقسيم: الشرك أنواعه وأحكامه لماجد الشبالة [دار الإيمان، ٢٠٠٥م].

لغير الله: فقد اتخذهُ ربًّا، وإِلَهاً، وأشرك مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك»^(٨).

٢ - وقال سليمان بن عبد الله: «الشرك:

تشبيه للمخلوق بالخالق تعالى وتقدس في خصائص الإلهية؛ من ملك الضر والنفع، والعطاء والمنع، الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأنواع العبادة كلها بالله وحده»^(٩).

٣ - وعرفه ابن عاشور بقوله: «إشراك غير الله مع الله في اعتقاد الإلهية، وفي العبادة»^(١٠).

٤ - وقيل: هو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الألوهية؛ كالدعاء، والذبح، والاستغاثة، ونحو ذلك»^(١١).

الحكم:

الشرك في الألوهية هو أعظم المحرمات، وأكبر الكبائر، كما قال ﷺ: «أكبر الكبائر، الإشراك بالله»^(١٢)، إلا أن الشرك في الألوهية ليس على درجة واحدة في التحريم؛ إذ إن منه ما هو مخرج من ملة الإسلام؛ كمن يدعو

فلاناً؛ إذا جعلته شريكاً لك»^(١)، وَجَمَعَ الشَّرِيكَ شُرَكَاءً، ويطلق الشرك على المعاني الآتية:

١ - المخالطة، والمشاركة^(٢).

٢ - التسوية بين شيئين^(٣).

٣ - النصيب والحظ^(٤).

وأما (الألوهية) فهي مأخوذة من الإله، وأله يألوه إلهة، وألوهة، وألوهية: عبد عبادة^(٥)، قال ابن سيده: «والإلهة والألوهة والألوهية: العبادة»^(٦).

التعريف شرعاً:

الشرك في الألوهية: هو «أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله»^(٧). وهذا هو التعريف الراجح، ومن التعاريف القريبة لهذا التعريف ما يلي:

١ - قال محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «هو: أن يدعو مع الله غيره، أو: يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها؛ فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة

(١) مقاييس اللغة (٢٦٥/٣).

(٢) انظر: المفردات للراغب (٤٥١).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (١١٤٤/٢).

ولسان العرب (٩٩/٧) [دار صادر، ط ٣].

(٤) انظر: لسان العرب (٩٩/٧ - ١٠٠).

(٥) القاموس المحيط (١٢٤٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٨].

(٦) لسان العرب (٤٦٨/١٣).

(٧) القول السديد (٥٤) [وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤٢١هـ].

(٨) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للعبود (٣٠/٢).

(٩) تيسير العزيز الحميد (٩١) [المكتب الإسلامي، ط ٦، ١٤٠٥هـ].

(١٠) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٣٢/٧).

(١١) انظر: أصول الإيمان (٧٣) [وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤٢١هـ].

(١٢) أخرجه البخاري (كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، رقم ٦٩١٩) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٧).

تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) [لقمان].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٧٢) [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨٨) [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وغيرها من الآيات.

ومن السنة قول النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين» (٣). وعن جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار» (٤). وفي حديث وفد عبد القيس أن النبي ﷺ قال لهم: «أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: عبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأقيموا

مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها؛ فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فقد اتخذهُ ربّاً، وإلهاً، وأشرك مع الله غيره، وهذا كفر أكبر، لا يغفره الله تعالى لمن مات عليه، وصاحبه مخلد في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٧٢) [المائدة].

ومنه ما لا يصل إلى الخروج من ملة الإسلام، وإنما هو دون ذلك؛ كإسیر الرياء، وتعليق التمايم، ونحو ذلك (١).

الحقيقة:

الشرك في الألوهية: صرف ما هو من خصائص الألوهية لغير الله تعالى، فالمشرك في الألوهية سوى غير الله بالله في استحقاق العبادة.

ومن ذلك أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظمه كما يعظم الله، أو يصرف له نوعاً من خصائص الإلهية، أو أن يتخذ من دون الله نداً، يحبه كما يحب الله، أو يخشاه كخشية الله، ويلتجئ إليه ويدعوه ويخافه ويرجوه ويرغب إليه ويتوكل عليه، أو يطيعه في معصية الله، أو يتبعه على غير مرضاة الله، وغير ذلك (٢)، وهذا أعظم الظلم، قال

فهد لطباعة المصحف، ومدارج السالكين (١/٣٦٨) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ]، وأعلام السنة لحافظ الحكمي (٤١) [دار أحد، القاهرة، ط ١، ١٤١٥هـ]، وتفسير السعدي (٢٧٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٥٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٧).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩٣).

(١) انظر: القول السديد (٥٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/١٤٥) [مجمع الملك

بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها، وذلك الشرك الأكبر، فكان النبي ﷺ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه، وأنه مما لا يرضاه خشية عليهم امتثال طرقهم»^(٣).

وقال ابن عقيل رَحِمَهُ اللهُ: «لما صُعِبَت التكاليف على الجهاد والضغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، وهم كفار عندي بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى الشرع عنه من إيقاد النيران وتقبيلا وتخليفها وخطاب الموتى بالألواح وكتب الرقاع فيها: يا مولاي افعل بي كذا وكذا، وأخذ التراب تبركاً، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى»^(٤).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فمن تعاضم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء، وتعليق القلب به؛ خوفاً ورجاءاً والتجاء واستعانة، فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وإلهيته، وهو حقيق بأن يهينه غاية الهوان، ويذله غاية الذل، ويجعله تحت

الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، وأعطوا الخمس من الغنائم، وأنهاكم عن أربع: عن الدباء، والحنتم، والمزفت، والنقير» الحديث^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «الوثن: الصنم، وهو الصورة من ذهب كان أو من فضة أو غير ذلك من التمثال، وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن صنمًا كان أو غير صنم، وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها فخشي رسول الله ﷺ على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم، كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم، فقال ﷺ: «اللَّهُمَّ لا تجعل قبري وثناً»^(٢) يصلّى إليه ويسجد نحوه ويعبد، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك، وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله الذين صلّوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجداً، كما صنعت الوثنية

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٦٩) من حديث ابن عباس، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨) من حديث أبي سعيد، واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد (٣١٤/١٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال الهيثمي: «فيه إسحاق بن أبي إسرائيل، وفيه كلام لوقفه في القرآن، وبقية رجاله ثقات». مجمع الزوائد (٢/٤) [مكتبة القدسي]، وصحّحه الألباني في أحكام الجنائز (٢١٧) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٣) التمهيد (٤٥/٥) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧هـ].

(٤) تلبس إبليس (٣٨٧) [دار القلم]، وانظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (١٩٥/١).

أقدام خلقه»^(١).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: أسباب شرك

الألوهية:

لظهور الشرك بالله تعالى - قديمًا وحديثًا - أسباب كثيرة ومتنوعة، وأهمها ما يلي:

١ - الغلو في الصالحين:

ويكون بتنزيلهم منزلة فوق منزلتهم فيصرف لهم شيء من حقوق الله، وهذا الأمر جلي وواضح يبينه أصل الشرك الذي حدث لقوم نوح وإبراهيم عليهما السلام، ولهذا سد الرسول ﷺ هذا الطريق.

٢ - تقليد الآباء والأجداد:

يعدُّ تقليد الآباء والأجداد والتعصب لما كانوا عليه من الضلال، من أعظم أسباب الشرك بالله تعالى، فقد تمسك المشركون بهذه الشبهة، وقابلوا بها الرسل ﷺ في دعوتهم لهم إلى توحيد الله، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف].

٣ - تصوير المجسمات وذوات

الأرواح:

التصوير سببٌ من أسباب الشرك، ووسيلة إلى الشرك الذي هو ضد

التوحيد، كما حدث لقوم نوح لما صوّروا صور الصالحين ونصبوها في مجالسهم وآل بهم الأمر إلى أن عبدوهم من دون الله، فأوّل شركٍ حصل في الأرض كان بسبب الصور وبسبب التصوير. ولخطر التصوير وعظم جرم فاعله وردت النصوص الشرعية بتحريمه.

٤ - الجهل بالدين:

فالجهل أحد أسباب حصول كثير من صور الشرك عند بعض المسلمين، فهو آفة خطيرة، وداء عظيم، يحجب عن معرفة الحق، ويبعد عن سنن الهدى، ويؤدي إلى الضلال، ويوقع في المخالفات المتعددة.

٥ - أحاديث موضوعة وقصص

مكذوبة ينشرها عباد القبور.

٦ - إغواء الشيطان للجهال، حيث

يكلمهم عند القبور أو يتصور لهم بصورة الميت، ويحدثهم بأشياء فيظن الجهال أن هذا هو الميت وأنه يحقق لهم أغراضهم^(٢).

- المسألة الثانية: أصل الشرك في

العبادة وبدء ظهوره:

١ - بدء ظهور الشرك على وجه

الأرض:

لما أهبط الله آدم ﷺ وزوجته حواء

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٣/٤٩١) [دار الفكر]، ومجموع الفتاوى (١٧/٤٩٧)، وكتاب التوحيد مع شرحه تيسير العزيز الحميد (٣٠٥) [المكتب الإسلامي، ط٦].

(١) الجواب الكافي (١٣٧) [دار المعرفة، ط١، ١٤١٨هـ].

إبراهيم عليه السلام فكانوا على الحنيفية، موحدين لله تعالى، معظمين لشعائر دينه، إلى أن بعدت الفترة بين العرب ونور النبوة، واندرس العلم، وتسربت الوثنية إلى قبائل العرب، وانتشرت بينهم عبادة الأصنام، وتنافسوا في عبادتها، ففارقوا دين إبراهيم عليه السلام وإن كانوا ينتسبون إلى ذلك، وقد بقيت معهم بقايا من الحنيفية.

وكان سبب ذلك هو عمرو بن لحي الخزاعي، وما جلبه للعرب من أصنام، حتى غيّر دين إبراهيم وابنه إسماعيل عليه السلام، ولذا رآه النبي صلى الله عليه وسلم يجر أمعاءه في النار، كما ورد ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قُصْبَهُ في النار، وكان أول من سبَّ السَّوَابِ» (٢) (٣).

٣ - بدء ظهور الشرك عند المسلمين:
لما انتشر الشرك والخرافة بين قبائل العرب، واشتدت ظلمة الجهل والضلال، بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم لطمس معالم الشرك والوثنية، وحماية حمى التوحيد، فبلغ صلى الله عليه وسلم أكمل البلاغ، وكسر الأصنام بيده، وتبعه أصحابه رضي الله عنهم.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٦٢٣)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٥٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/٤٦١).

إلى الأرض، هبطا على التوحيد ونشأت على ذلك ذريتهما، واستمر الأمر على ذلك عشرة قرون^(١).

ثم حدث الشرك بعد ذلك في قوم نوح عليه السلام، حيث أظهروا الغلو في صالحهم وعبادهم، حتى انتهى بهم ذلك إلى عبادتهم من دون الله تعالى، فأرسل الله إليهم نوحًا عليه السلام؛ لدعوتهم إلى توحيد الله، فكان أول رسول بعث لمقاومة الشرك بالله والدعوة إلى عبادة الله تعالى وتوحيده.

ثم حدث الشرك بعد ذلك في قوم هود عليه السلام، ثم قوم صالح عليه السلام، ثم قوم إبراهيم عليه السلام، ثم توالى ذلك في الأمم والأقوام بعد ذلك، فكلما حدث الانحراف عن التوحيد الذي جاء به نبي من الأنبياء صلى الله عليه وسلم أرسل الله إليهم من يدعوهم إلى التوحيد، وعبادة الله تعالى، ونبذ عبادة غير الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦]، وقد تتابع ذلك الضلال والانحراف إلى أن حدث عند العرب.

٢ - بدء ظهور الشرك عند العرب:

كانت العرب على دين أبيهم

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/٢٧٥)، وإغاثة اللهفان (٢/٢٠٤) [دار المعرفة، بيروت].

كالذبح والنذر ونحوهما، وأما الشرك في الربوبية فيقع فيما يتعلق بأفعال الله تعالى كالخلق والرزق ونحوهما.

٢ - الشرك في الألوهية متضمن للشرك في الربوبية، والشرك في الربوبية مستلزم للشرك في الألوهية، فبينهما تضمن واستلزام.

٣ - أن وقوع الشرك في الألوهية هو أصل انحراف بني آدم؛ حيث كثرت الانحراف فيه، بخلاف الشرك في الربوبية^(٤).

٤ - أن شرك الألوهية هو موضوع دعوة الرسل ﷺ؛ فإنهم أرسلوا بالدعوة إلى توحيد الألوهية، والندارة من الشرك في هذا الباب.

الآثار:

١ - الشرك الأكبر في الألوهية مخرج من ملة الإسلام.

٢ - أنه موجب للخلود في النار والحرمان من الجنة.

٣ - أنه أكبر الكبائر وأعظم ما نهى الله تعالى عنه.

٤ - أنه محبط لجميع الأعمال.

٥ - أنه يفرق الأمة ويمزقها.

المصادر والمراجع:

١ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة»، لنخبة من العلماء.

(٤) معارج القبول (١/٤٧٤).

هدم معاقل الشرك، حتى زال ما كان منتشرًا بين قبائل العرب من عبادة الأصنام، وظهرت دعوة التوحيد الصافية، إلا أن هذه الوثنية، لم تلبث أن ظهرت بعد ذلك عند بعض المسلمين، حيث وقعوا فيما أخبر عنه ﷺ بقوله: «لتبعن سنن من قبلكم، شبرًا بشبر»^(١).

وكان أول من أظهر الشرك، وفتح بابه عند المسلمين فرقة الشيعة، حيث ظهر عندهم الغلو في أمير المؤمنين علي عليه السلام، ثم انتشر عندهم تعظيم المشاهد والدعاء عندها^(٢)، ثم انتقل ذلك إلى بعض جهلة المسلمين من الصوفية القبورية وغيرهم، حتى عظمت المصيبة بظهور الشرك، وانتشار المشاهد وتعظيمها في كثير من بلدان المسلمين، وهي أضرحه كلها تعظم وتُدعى من دون الله تعالى^(٣).

الفروق:

الفرق بين شرك الألوهية وشرك الربوبية:

١ - أن وقوع الشرك في الألوهية إنما يكون فيما يتعلق بالعباد من أفعال

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٥٦)، ومسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٦٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/١٦١ - ١٦٢).

(٣) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ الفوزان (١/١٨١) [الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة ٢، ١٤٢٣هـ].

٢ - «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.

٣ - «معارج القبول»، لحافظ حكيم.

✽ التعريف شرعاً:

هو صرف شيء من خصائص الربوبية لله ﷻ إلى غيره. ولعل هذا هو التعريف الأنسب.

ومما يشهد له من تعريفات العلماء ما يلي:

١ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ هُو: «إثبات فاعل مستقل غير الله؛ كمن يجعل الحيوان مستقلاً بإحداث فعله، ويجعل الكواكب، أو الأجسام الطبيعية، أو العقول، أو النفوس، أو الملائكة، أو غير ذلك مستقلاً بشيء من الإحداث، فهؤلاء حقيقة قولهم تعطيل الحوادث عن الفاعل»^(٥).

٢ - وقال الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللهُ: «هو اعتقاد متصرف مع الله ﷻ في أي شيء من تدبير الكون، من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته كعلم الغيب والعظمة والكبرياء ونحو ذلك»^(٦).

٣ - وقيل: «هو تسوية غير الله بالله

٤ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

٥ - «جامع الرسائل»، لابن تيمية.

٦ - «القول السديد»، للسعدي.

٧ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٨ - «تيسير العزيز الحميد»،

لسليمان بن عبد الله.

٩ - «الشرك في القديم والحديث»،

لأبي بكر زكريا.

✽ الشُّرك في الربوبية ✽

✽ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفرد، والآخر يدل على امتداد واستقامة، فالأول: الشركة هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلاناً في الشيء؛ إذا صرت شريكه، وأشركت فلاناً، إذا جعلته شريكاً لك»^(١)، وَجَمْعُ الشَّرِيكِ شُرَكَاءٌ، ويطلق الشرك على المعاني الآتية:

١ - المخالطة، والمشاركة^(٢).

٢ - التسوية بين شيئين^(٣).

(٤) انظر: لسان العرب (٧/ ٩٩ - ١٠٠).

(٥) درء التعارض (٧/ ٣٩٠) [جامعة الإمام، ط٢].

(٦) أعلام السُّنة المنشورة (٢٤) [وزارة الشؤون

الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٢هـ].

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٥).

(٢) انظر: المفردات للراغب (٤٥١).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ١١٤٤)،

ولسان العرب (٧/ ٩٩).

❖ الحقيقة:

الشرك في الربوبية هو أحد أقسام الشرك الأكبر، وهو شرك يتعلق بذات الله ﷻ، وهو صرف خصائص الربوبية كلها، أو بعضها لغير الله ﷻ، أو تعطيله ﷻ عنها بالكلية^(٤)، وهذا أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْبَرَ الظُّلُمِ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان].

❖ الأدلة:

قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْفَالِ ذَرْقٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبا]، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس]، ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوْلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٤]، إلى غير ذلك من الآيات.

ومن السنة قوله النبي ﷺ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ قُلْنَا: بلى يا رسول الله، قال: الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»^(٥).

(٤) انظر: المفيد في مهمات التوحيد (١١٢) [دار الإعلام، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٥٤)، =

فيما هو من خصائص الربوبية، أو نسبة شيء منها إلى غيره؛ كالخلق، والرزق، والإيجاد، والإماتة، والتدبير لهذا الكون، ونحو ذلك^(١).

❖ الحكم:

الشرك في الربوبية هو أعظم المحرمات، وأكبر الكبائر، كما قال ﷺ: «أكبر الكبائر الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ»^(٢)، إلا أن الشرك في الربوبية ليس على درجة واحدة في التحريم؛ إذ إن منه ما هو مخرج من ملة الإسلام؛ كمن اعتقد أن مع الله متصرفاً في تدبير الكون أو غير ذلك من معاني الربوبية، وهذا بلا شك هو أعظم الذنوب على الإطلاق. ومنه ما لا يصل إلى الخروج من ملة الإسلام، وإنما هو دون ذلك، مثل شرك الألفاظ؛ كقول الإنسان: لولا الله وأنت، لولا الله وفلان، وقوله: ما شاء الله وشئت، وكذلك الحلف بغير الله وما أشبه ذلك^(٣).

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (١/٧٣) [وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، رقم ٦٩١٩) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٧).

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/١٦٥) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٤هـ]، وحاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (٧٨) [ط٣، ١٤٠٨هـ]، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (٩٤ - ٩٥) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ]، وشرح فتح المجيد للغنيمان (الدرس الثاني).

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الشرك شركان؛ شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله، وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. والشرك الأول نوعان:

أحدهما: شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك؛ كشرك فرعون إذ قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء] فالشرك والتعطيل متلازمان، فكل مشرك معطل، وكل معطل مشرك، لكن لا يستلزم أصل التعطيل؛ بل قد يكون المشرك مقرًّا بالخالق سبحانه وصفاته، ولكن عطل حق التوحيد، وأصل الشرك وقاعدته التي ترجع إليها هو التعطيل؛ وهو ثلاثة أقسام: تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس؛ بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله، وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد، ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود الذين يقولون: ما ثمَّ خالق ومخلوق، ويقولون: ها هنا شيئان؛ بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه، ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدوم العالم وأبديته» (٤).

(٤) الجواب الكافي (٩٠).

وعن جابر رَحِمَهُ اللهُ قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار» (١). وفي حديث وفد عبد القيس أن النبي ﷺ قال لهم: «أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، وأعطوا الخمس من الغنائم، وأنهاكم عن أربع: عن الدباء، والحنتم، والمزفت، والنقير» الحديث (٢).

✽ أقوال أهل العلم:

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية - مبينًا معنى شرك الربوبية -: «أن يجعل لغيره معه تدبيرًا ما، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ]، فبين سبحانه أنهم لا يملكون ذرة استقلالًا، ولا يشركونه في شيء من ذلك، ولا يعينونه على ملكه، ومن لم يكن مالكا ولا شريكا ولا عونًا، فقد انقطعت علاقته» (٣).

= ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٧).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٦٩) من حديث ابن عباس، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨) من حديث أبي سعيد، واللفظ له.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١٩٥/٢) [ط ١، ١٤٠٤هـ].

مادة، فلا يوجد خالق، ولا توجد إعادة، ولا توجد جنة ولا نار، يكفرون بالله ﷻ، وينكرون وجوده، فهم واقعون في الشرك الأعظم، وهم في الواقع لم يستعملوا عقولهم، ولا ما حولهم من الآيات، ولم يتفكروا في أنفسهم.

ومن ذلك شرك أصحاب وحدة الوجود؛ الذين جعلوا الله هو الوجود كله.

٢ - شرك من جعل مع الله ربًّا:

كفعل النصارى الذين قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وكذلك اليهود الذين قالوا: ﴿عَزَّزْتُ ابْنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

ومنه شرك المجوس الذي جعلوا التصرف إلى إلهين: إله الظلمة وإله النور، وقالوا: إن الإله المحمود المعبود هو إله النور، فهو الخير الذي يحب الخير ويأمر به ويريده؛ ولهذا يعبدون النار لأنها هي أصل النور عندهم، وهذا شرك في الربوبية.

ومنه شرك القدرية الزاعمين أن الإنسان يخلق فعله. والخلق إنما هو مما اختص الله به، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وأفعال العباد لا يخرجها شيء من عموم خلقه ﷻ.

- وقال ابن أبي العز الحنفي: «فلما كان هذا الشرك في الربوبية موجودًا في الناس، بين القرآن بطلانه، كما في قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]. فتأمل هذا البرهان الباهر، بهذا اللفظ الوجيز الظاهر، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقًا فاعلاً، يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه، لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى تلك الشراكة؛ بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرد بالملك والإلهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه»^(١).

❁ الأقسام:

الشرك في الربوبية ينقسم إلى قسمين:

١ - شرك التعطيل:

وهو أقبح الأقسام وأعظمها جرماً وأخبثها، وهو شرك فرعون الذي قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدوم العالم وأبديته، وأن الحياة

(١) شرح الطحاوية (٣٧ - ٣٨) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط ١، ١٤١٨هـ].

وينقسم باعتبار كونه أصغر وأكبر إلى

قسمين:

أ - الأكبر:

وهو مخرج من ملة الإسلام؛ كمن اعتقد أن مع الله متصرفاً في تدبير الكون أو غير ذلك من معاني الربوبية، وهذا بلا شك هو أعظم الذنوب على الإطلاق.

ب - الأصغر:

وهو غير مخرج من ملة الإسلام، مثل شرك الألفاظ؛ كقول الإنسان: لولا الله وأنت، لولا الله وفلان، وقوله: ما شاء الله وشئت، وكذلك الحلف بغير الله وما أشبه ذلك؛ فإن هذا شرك في الربوبية، وقد يكون هذا شركاً أكبر على حسب ما يقوم في قلب القائل وعقيدته، فهذا الشرك في الربوبية^(١).

الآثار:

١ - الشرك الأكبر في الربوبية مخرج من ملة الإسلام.

٢ - أنه موجب للخلود في النار والحرمان من الجنة.

٣ - أنه أكبر الكبائر وأعظم ما نهى الله تعالى عنه.

٤ - أنه محبط لجميع الأعمال.

٥ - أنه يفرق الأمة ويمزقها.

(١) انظر: تجريد التوحيد (٢٥)، وشرح فتح المجيد للغنيمان (الدرس الثاني)، وانظر: أعلام السنة المنشورة (٨٥).

المصادر والمراجع:

١ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة»، لنخبة من العلماء.

٢ - «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.

٣ - «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.

٤ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

٥ - «جامع الرسائل»، لابن تيمية.

٦ - «القول السديد»، للسعدي.

٧ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٨ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٩ - «الشرك في القديم والحديث»، لأبي بكر زكريا.

الشرعية

التعريف لغة:

الشرعية في اللغة: يدور معناها على الوضوح، والانفتاح بامتداد واتساع، يقول ابن فارس: «الشين والراء والعين أصل واحد، وهو شيء يفتح في امتداد يكون فيه، من ذلك الشريعة، وهي مورد الشاربة الماء. واشتق من ذلك الشريعة في الدين، والشرعية»^(٢).

ويقول الأزهري: «شَرَعَ: بَيَّن وأوضح، والشريعة في كلام العرب: المشرعة التي يشرعها الناس، فيشربون منها ويستقون، والعرب لا تسميها شريعة

(٢) مقاييس اللغة (٢/٣٦٢) [دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ].

الشريعة، وكذا ابن بطّة في كتابه الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية.

فالشريعة تشمل العقائد والأعمال، وقد تطلق على العمل وحده، أو على الاعتقاد وحده. أما تخصيص الشريعة بمعنى الأعمال التي يسمى علمها علم الفقه، وأنه لا يطلق إلا عليه فهو غير صحيح.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

ورد في كتب اللغة العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي، فالشريعة في اللغة والشرع هي المنهل الذي يؤخذ منه وفيه البيان والوضوح، ولا انقطاع فيه.

سبب التسمية:

سميت مسائل العقيدة بالشريعة؛ لأنها مما شرعه الله وسنّه لعباده، فلا يتعبد ولا يعرف إلا بما شرع ويّين.

الأسماء الأخرى:

الشريعة في إطلاقها على العقائد لها أسماء بنفس المعنى؛ كالسنة في أحد معانيها، وأصول الدين، ويسمى البعض الفقه الأكبر^(٧).

المسائل المتعلقة:

قول الصوفية في التفريق بين الشريعة والحقيقة:

يفرق الصوفية بين الشريعة والحقيقة،

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٣٠٧/١٩).

حتى يكون الماء عداً لا انقطاع له، ويكون ظاهراً معيناً لا يُستقى منه بالرشاء وبها سمي ما شرع الله للعباد شريعة^(١).

التعريف شرعاً:

لفظ الشريعة يراد به عدة معان:

الأول: أن الشريعة لفظ يشمل العقائد والأعمال، قال ابن تيمية: «وكذلك اسم الشريعة والشرع والشرعة، فإنه ينتظم كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال»^(٢). وقال ابن الأثير عن الشريعة: «وهو ما شرع الله لعباده من الدين؛ أي: سنّه لهم وافترضه عليهم»^(٣).

الثاني: أن الشريعة يراد بها فقه الأحكام، يقول شيخ الإسلام: «الشريعة هي الأمر والنهي، والحلال والحرام، والفرائض والحدود، والسُّنن والأحكام»^(٤). وقال الجرجاني: «الشريعة هي الائتثار بالتزام العبودية، وقيل: الشريعة هي الطريق في الدين»^(٥).

الثالث: أن الشريعة هي: «العقائد التي يعتقدونها أهل السنة من الإيمان»^(٦)، وعلى هذا المعنى سمى الآجري كتابه

(١) تهذيب اللغة (٤٢٥/١) [الدار المصرية للتأليف].

(٢) مجموع الفتاوى (٣٠٦/١٩) مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ.

(٣) النهاية في غريب الحديث (٤٦٠/٢) [دار إحياء التراث العربي].

(٤) مجموع الفتاوى (٣٦٢/٣).

(٥) التعريفات (١٦٧) [عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٧هـ].

(٦) مجموع الفتاوى (٣٠٦/١٩).

قلوبهم سلخها من الكتاب والسنة والآثار
كما ينسلخ الليل من النهار، ثم أحالهم
في سلوكهم على تلك الخيالات،
وأوهمهم أنها من الآيات البينات»^(٣).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «الإبانة عن شريعة الفرقة
الناجية»، لابن بطة.
- ٢ - «تاريخ التشريع الإسلامي»،
لمناع القطان.
- ٣ - «تليس إبليس»، لابن الجوزي.
- ٤ - «الشريعة»، للأجري.
- ٥ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٩)، لابن
تيمية.

- ٦ - «مصادر التشريع ومنهج
الاستدلال والتلقي عند أهل السنة
ومخالفهم»، لحمدى عبد الله.
- ٧ - «مظاهر الانحرافات العقدية عند
الصوفية»، لإدريس محمود إدريس.

✽ شعيب عليه السلام ✽

✽ اسمه ونسبه:

ذهب الأكثرون إلى أن شعيباً عليه السلام من
ذرية إبراهيم عليه السلام، فذكروا أنه: ابن
عيفا بن نوب بن مدين بن إبراهيم.
وقيل: إنه ابن نوب بن رجيل بن عيفا بن
مدين بن إبراهيم. وقيل: إنه ليس ولد
إبراهيم وإنما هو من ولد بعض المؤمنين

ويجعلون الغاية هي الحقيقة المغايرة
للشريعة! والشريعة هي علم الظاهر،
والحقيقة علم الباطن الذي هو للخواص!
والحقيقة عندهم ترك الأمر والنهي،
والاكتفاء بشهود القدر، وشهود الربوبية،
يقول القشيري: «الشريعة أمر بالتزام
العبودية، والحقيقة مشاهدة الربوبية،
فالشريعة أن تعبد، والحقيقة أن تشهده،
والشريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود
لما قضى وقدر، وأخفى وأظهر»^(١).

وحقيقة قولهم كما قال ابن الجوزي:
«إنه على الحقيقة طيُّ لبساط الشريعة»^(٢).

✽ مذهب المخالفين:

خالف الصوفية الالتزام بالشريعة،
فأسقطوها عن الخواص واكتفوا
بالحقيقة، فأبطلوا التكاليف، وقعدوا عن
العبادات، وجعلها دين العوام، أما
الخواص فلهم الحقيقة والتي عنوا بها
شهود الربوبية والقضاء والقدر؛ بل يصل
الأمر بهم هنا إلى القول بوحدة الوجود،
وكل هذا كفر أكبر، وخروج عن الدين،
ومخالفة لما جاء به الرسل من الشرائع،
قال ابن القيم: «قالوا: لكم العلم
الظاهر ولنا الكشف الباطن، ولكم ظاهر
الشريعة وعندنا باطن الحقيقة، ولكم
القشور ولنا اللباب، فلما تمكن هذا من

(١) الرسالة القشيرية (١٦٨) [دار الشعب، ١٤٠٩هـ].

(٢) تليس إبليس (٣٢٤).

(٣) إغائة اللهفان (١١٩/١).

به وأمه ابنة لوط عليه السلام ^(١).

وقيل: إنه ابن ميكيل بن يشجن.
وقيل: شعيب بن يشجن بن لاوي بن يعقوب، ويقال: شعيب بن ثوب بن عبقا بن مدين بن إبراهيم ^(٢). وقيل غير ذلك ^(٣).

نبوته:

ذكر الله نبوة شعيب عليه السلام في آيات عديدة، منها قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا نُنْفِقُ﴾ ^(١٧٧) ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ^(١٧٨) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ^(١٧٩) ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(١٨٠) [الشعراء]، وقوله تعالى: ﴿يَقُومُوا لِقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٩٣].

دعوته:

كان شعيب يدعو قومه إلى توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له، ونبذ عبادة غير الله كائنًا من كان، والنهي عن التطفيف في الكيل والوزن، والبعد عن الإفساد في الأرض والصد عن سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْنَؤُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ

مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ^(٨٥) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ^(٨٦) [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْنَؤُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُ﴾ ^(٨٦) وَيَقُومُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ^(٨٥) [هود].

قومه وموقفهم منه:

قوم شعيب كانوا قومًا عربيًا يسكنون مدين، وهي قرية قريبة من أرض معان عرفت بهم، من أطراف الشام، مما يلي ناحية الحجاز، قريبًا من بحيرة قوم لوط، وكانوا بعدهم بمدة قريبة. وكانوا كفارًا يقطعون السبيل، ويخيفون المارة، وينقصون المكيال، ويعكفون على عبادة الشجرة المعروفة بالأيكة ^(٤).

(١) انظر: المنتظم في التاريخ (١/ ٣٢٤) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٢) انظر: البداية والنهاية (١/ ٤٢٧) [دار هجر، ط ١].

(٣) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٧٠/ ٢٣) [دار

الفكر، ١٤١٥هـ]، والكمال في التاريخ (١/ ١٣٨)

[دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٤) انظر: البداية والنهاية (١/ ٤٢٧) [دار هجر، ط ١].

وصحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) لسليم الهاللي

(١٧٥).

وَلَمَّا جَاءَهُمْ شُعَيْبٌ ۖ انْقَسَمُوا
اتِّجَاهَ دَعْوَتِهِ إِلَى قَسَمَيْنِ: قَسَمَ آمَنَ بِهِ
وَصَدَّقَ بِنُبُوتهِ، وَقَسَمَ جَحَدَ نُبُوتهِ وَأَنْكَرَ
رِسَالَتَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ قَوْلِ
شُعَيْبٍ ۖ لِقَوْمِهِ: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ
مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ
لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ
خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨]، وَتَارَةً بِالرَّجْمِ وَدَفْنِهِ
حَيًّا كَمَا فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا
يَشُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا ۖ وَمَا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ
فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١].

فَذَكَرَهُمْ شُعَيْبٌ بِعُظْمَةِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ أَهَقُ
أَنْ يَخْشَى، وَحَذَرَهُمْ مِنْ شَدِيدِ بَطْشِهِ
وَعُظِيمِ انتِقَامِهِ، فَقَالَ لَهُمْ فِيمَا حَكَاهُ اللَّهُ
عَنْهُ: ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُ أَرْهَطِي ۖ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ
اللَّهِ وَأَتَّخِذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [٩٢] وَيَقَوَّمُ أَعْمَلُوا عَلَى
مَكَانَتِكُمْ ۖ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ
عَذَابٌ يُعْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي
مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [٩٣] [هود: ٩٣].

وَسَلَكَ فِي نَصَحَتِهِمْ مَسْلَكَ التَّرْغِيبِ
وَالتَّرْهِيْبِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى اخْتِذَا الْعِبَرِ مِنْ
الْهَالِكِينَ قَبْلَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿وَيَتَقَوَّمُ لَا يَجْرَمَنَّكُمْ شِقَاقِي ۖ أَن
يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ
أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَّوِطٌ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ
﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۖ إِنَّ
رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [٩٠] [هود: ٩٠].

وَلَمَّا أَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ
وَالْمُكَابَرَةِ، دَعَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ: ﴿رَبَّنَا
أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ
[الأعراف: ٨٩].

وَلَمَّا جَاءَهُمْ شُعَيْبٌ ۖ انْقَسَمُوا
اتِّجَاهَ دَعْوَتِهِ إِلَى قَسَمَيْنِ: قَسَمَ آمَنَ بِهِ
وَصَدَّقَ بِنُبُوتهِ، وَقَسَمَ جَحَدَ نُبُوتهِ وَأَنْكَرَ
رِسَالَتَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ قَوْلِ
شُعَيْبٍ ۖ لِقَوْمِهِ: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ
مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ
لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ
خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧]، وَقَالُوا
لشُعَيْبٍ ۖ عَلَى سَبِيلِ الْاِسْتِهْزَاءِ
وَالنَّقْصِ وَالتَّهْكُمِ (١) كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ:
﴿يَنشُعَيْبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا
يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِيْ أَمْوَالِنَا مَا
نَشَؤُا ۖ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [٨٧]
[هود: ٨٧].

وَحَذَّرَ كُفْرَ قَوْمِهِ مِنْهُ وَمِنْ دَعْوَتِهِ، كَمَا
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
قَوْمِهِ لِيْنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا ۖ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَيْرُونَ﴾ [٩٠]
[الأعراف: ٩٠].

وَاتَهَمُوهُ بِالسَّحَرِ وَرَمَوْهُ بِالْكَذْبِ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ
الْمُسْحَرِينَ﴾ [٩٢] وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ
نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾ [٩٣] فَاسْقَطَ عَلَيْنَا كِسْفًا
مِّنَ السَّمَاءِ ۖ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [٩٤]
[الشعراء: ٩٤].

بَلْ وَصَلَ بِهِمُ الْأَمْرَ إِلَى تَهْدِيدِهِ تَارَةً
بِالطَّرْدِ وَالْإِبْعَادِ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى
بِقَوْلِهِ: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ

(١) انظر: صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) (١٧٧).

شعيب ﷺ كانت بعد هلاك قومه الكافرين، فقال: «لحق شعيب والذين آمنوا معه من أصحاب الأيكة إلى مكة، فلم يزالوا بها حتى ماتوا»^(٣)، وقيل إنه دفن في حطين^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: هل النبي شعيب ﷺ هو الرجل الصالح بمدينة صاحب موسى؟

اختلف في ذلك على أقوال؛ أشهرها أن المراد بصاحب مدين هو نبي الله شعيب هذا. وقيل: إنه ابن أخي شعيب، وقيل: هو رجل مؤمن من قوم شعيب، وقال بعضهم: كان شعيب قبل زمان موسى بمدة طويلة تزيد على الأربعمئة سنة، ويؤيد ذلك قول شعيب لقومه: ﴿وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِّنْكُمْ بَعِيدٍ﴾^(٨٩) [هود]، وهلاك قوم لوط كان في زمن إبراهيم خليل الله ﷺ بنص القرآن^(٥)، قال ابن كثير بعد أن ذكر نحو ما تقدم: «ثم من المقوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن هاهنا، وما جاء في

فأهلكهم الله ودمرهم بالصيحة، وعذاب يوم الظلة، والرجفة، ونجى عبده شعيباً ومن معه من المؤمنين، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾^(٩٤) [هود]، وقال سبحانه: ﴿...فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ﴾^(٩٧) الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ^(٩٢) فنول عنهم وقال يَقَوْمٌ لَقَدْ أَبْلَغْنَاكُمْ رَسُولَكِ رَبِّي وَفَصَحَتْ لَكُمْ فَكَيْفَ عَاسَى عَلَى قَوْمٍ كَفَرِينَ^(٩٣) [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١٨٩) [الشعراء].

وهم أصحاب الأيكة على الأصح^(١)، المنتقم منهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَن كَانَ أَصْحَبُ الْأَيْكَةِ ظَالِمِينَ﴾^(٧٨) فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ^(٧٩) [الحجر].

وذكر ابن كثير أنه «قد كان هلاكهم قبل زمن موسى ﷺ في أحد قولي العلماء»^(٢).

وفاته:

أشار ابن قتيبة إلى أن وفاة نبي الله

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٩٥/٦)، وصحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) للهلاي (١٨٣).

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير (١٦/٢) [مطبوعة دار التأليف، القاهرة، ط١، ١٣٨٨هـ].

(٣) المعارف لابن قتيبة (٤٢) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م].

(٤) انظر: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي) (١٢٩) [مكتبة الخانجي، ط٢]، وزبدة الحلب في تاريخ حلب (٤٠٨) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ].

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٢٢٨/٦).

ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾
[الحج]، فأصحاب مدين هم قوم شعيب
كذبوا نبي الله شعيباً في نبوته واتهموه
بالسحر، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ
مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا
وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٤٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا
كَيْفَا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٧﴾ [الشعراء].

وردوا دعوته إلى التوحيد ونبذ الشرك
ولم يقبلوها منه، فقالوا: ﴿يَشْعَبُ
أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ
أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ
الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ ﴿٤٧﴾ [هود].

ومع هذا؛ فإنهم كانوا فاسدين في
بعض الجوانب الأخلاقية، حيث كانوا
يقعدون في الطرقات للإفساد في
الأرض، والصد عن سبيل الله،
وينقصون الكيل والميزان، قال ﴿وَلَكِنِ
﴿٤٨﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفَوِرُ
أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ
جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ
أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ
تُوعَدُونَ وَاصْذُوبُوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن
ءَامَنَ بِهِ وَتَبِعُوهُنَّ عَوجًا وَادَّكُرُوا إِذْ
كُنْتُمْ قَلِيلًا نَّكَرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٥٠﴾ [الأعراف]،

بعض الأحاديث من التصريح بذكره في
قصة موسى لم يصح إسناده^(١).

وقال السعدي: «وهذا الرجل، أبو
المرأتين، صاحب مدين، ليس بشعيب
النبي المعروف، كما اشتهر عند كثير من
الناس، فإن هذا قول لم يدل عليه دليل،
وغاية ما يكون، أن شعيباً عليه السلام، قد
كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في
مدين، فأين الملازمة بين الأمرين؟
وأيضاً، فإنه غير معلوم أن موسى أدرك
زمان شعيب، فكيف بشخصه؟ ولو كان
ذلك الرجل شعيباً، لذكره الله تعالى،
ولسمّته المرأتان، وأيضاً فإن شعيباً عليه السلام
قد أهلك الله قومه بتكذيبهم إياه، ولم
يبق إلا من آمن به، وقد أعاذ الله
المؤمنين أن يرضوا لبتي نبهم بمنعهما
عن الماء، وصد ماشيتهما، حتى يأتيهما
رجل غريب، فيحسن إليهما، ويسقي
ماشيتهما»^(٢).

- المسألة الثانية: حقيقة كفر قوم
شعيب، خاصة أن ذمهم كان في التطفيف
والكيل:

لا يختلف كفر قوم شعيب عن كفر
الكفار الآخرين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ
يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ
وَتَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾
وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَتْ لِلْكَافِرِينَ

(١) تفسير ابن كثير (٢٢٩/٦).

(٢) تفسير السعدي (٦١٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

قال أبو الفرج ابن الجوزي: «إن قيل: لِمَ لَمْ يقل: (أخوهم) كما قال في الأعراف؟ فالجواب: أن شعيباً لم يكن من نسل أصحاب الأيكة، فلذلك لم يقل أخوهم، وإنما أرسل إليهم بعد أن أرسل إلى مدين، وهو من نسل مدين، فلذلك قال هناك: أخوهم، هذا قول مقاتل بن سليمان، وقد ذكرنا في سورة هود عن محمد بن كعب القرظي أن أهل مدين عذبوا بعذاب الظلة، فإن كانوا غير أصحاب الأيكة - كما زعم مقاتل - فقد تساوا في العذاب، وإن كان أصحاب مدين هم أصحاب الأيكة - وهو مذهب ابن جرير الطبري - كان حذف ذكر (الأخ) تخفيفاً، والله أعلم»^(٣).

وقال ابن كثير: «هؤلاء - أعني أصحاب الأيكة - هم أهل مدين على الصحيح، وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هنا: (أخوهم شعيب)؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة. وقيل: شجر ملتف كالغيضة، كانوا يعبدونها؛ فلهذا لما قال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء] لم يقل: (إذ قال لهم أخوهم شعيب)، وإنما قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ [الشعراء: ١٧٧]، فقطع نسبة الأخوة بينهم؛ للمعنى الذي نسبوا إليه، وإن كان أخاهم نسباً. ومن الناس من

ولانحرافهم الكبير في هذا الجانب جاء ذمهم فيه كثيراً في القرآن الكريم، وهذا لا يعني أن حقيقة كفرهم كان هذا الجواب فقط. قال السعدي: «لهم: ﴿يَقُولُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾؛ أي: أخلصوا له العبادة، فإنهم كانوا يشركون به، وكانوا - مع شركهم - يبخسون المكيال والميزان، ولهذا نهاهم عن ذلك، فقال: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ [هود] بل أوفوا الكيل والميزان بالقسط»^(١). وقال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾ [الحجر]، «فبيّن في هذه الآية أن ظلمهم هو تكذيب رسولهم وتطفيفهم في الكيل، وبخسهم الناس أشياءهم»^(٢).

- المسألة الثالثة: سبب عدول القرآن في آية الشعراء عن وصف شعيب بأنه أخٌ للقوم الذين أرسل إليهم: تلمس العلماء السبب في ذلك، واجتهدوا في تعليل ذلك، فذهب فريق منهم إلى أنه لا فرق بين أهل مدين وأصحاب الأيكة فهم قوم واحد، وأن عدم وصف أصحاب الأيكة بالإخوة لشعيب في سورة الشعراء كان لعبادتهم الأيكة، عند ابن كثير، وعند غيره كابن الجوزي حذف ذكر الأخوة تخفيفاً.

(١) تفسير السعدي (٣٨٧).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٢٨٨).

(٣) زاد المسير (٦/ ١٤١) [المكتب الإسلامي، ط ٣].

٢ - «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (ج ١)، لابن الجوزي.

٣ - «الكامل في التاريخ» (ج ١)، لابن الأثير.

٤ - «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، لأبي المحاسن الأسدي.

٥ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.

٦ - «صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير)» لسليم الهاللي.

٧ - «قصص الأنبياء» (ج ٢)، لابن كثير.

٨ - «تفسير السعدي».

الشفاعة

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الشين والفاء والعين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على مقارنة الشئين، من ذلك الشَّفَعُ خلاف الوَثَر. تقول: كان فردًا فشَفَعْتُهُ، وشَفَعَ فلانٌ لفلان؛ إذا جاء ثانيه ملتَمِسًا مطلبه ومُعِينًا له»^(٣).

وشَفَعَ لي يشفع شفاعة وتَشَفَّع: طلب^(٤). والشَّفَع: الزيادة، والشفاعة: كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره. والشافع: الطالب لغيره يستشفع

لم يتفطن لهذه النكتة، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيبًا عليه السلام بعثه الله إلى أمتين، ومنهم من قال: ثلاث أمم... والصحيح أنهم أمة واحدة، وصفوا في كل مقام بشيء؛ ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء المكيال والميزان، كما في قصة مدين سواء بسواء، فدل ذلك على أنهم أمة واحدة^(١).

وقال الفريق الآخر: إن شعيبًا بعث إلى أمتين: أهل مدين وهم قومه؛ ولذا وصف بأنه أخوهم، وأما أصحاب الأيكة فهم ليسوا من قومه؛ لذا لم يوصفوا بأنهم إخوته، وذهب إلى هذا البغوي والقرطبي وغيرهما.

قال البغوي: «إِذْ قَالَ هُؤْلَمُ شُعَيْبٌ عليه السلام (الشعراء: ١٧٧) ولم يقل: (أخوهم)؛ لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة في النسب، فلما ذكر مدين قال: (أخاهم شعيبًا)؛ لأنه كان منهم، وكان الله تعالى بعثه إلى قومه أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة»^(٢).

المصادر والمراجع:

١ - «تاريخ دمشق» (ج ٢٣)، لابن عساكر.

(١) تفسير ابن كثير (١٥٨/٦ - ١٥٩).

(٢) تفسير البغوي (١٢٧/٦) [دار طيبة، ط ٤]، وانظر: تفسير القرطبي (١٣٤/١٣) [دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ].

(٣) مقاييس اللغة (٢٠١/٣) [دار الفكر].

(٤) انظر: لسان العرب (١٨٤/٨) [دار صادر].

به إلى المطلوب^(١).

✽ التعريف شرعاً:

قال ابن حجر: «الشفاعة وهي انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه»^(٢). وقيل: «الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص إلى منفعة من المنافع الدنيوية أو الآخروية أو خلاصه من مضرة ما»^(٣). وقيل: «هي التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة»^(٤).

✽ الحقيقة:

وحقيقة الشفاعة: أن الله ﷻ هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ ليكرمه^(٦).

✽ الأدلة:

دلّ الكتاب والسنة على إثبات الشفاعة عند الله يوم القيامة. فمن الكتاب قوله ﷻ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣]. وقوله ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وأما من السنة؛ فالأحاديث في إثبات الشفاعة كثيرة جداً، وقد صرح الأئمة المحققون بتواترها، ومنها قوله ﷻ في حديث الشفاعة الطويل: «... ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله...» الحديث^(٧).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

مناسبة المعنى الشرعي للاشتقاق ظاهرة؛ لأنك إذا توسطت له؛ صرت معه شفعا تشفعه^(٥).

✽ الحكم:

حكم الشفاعة يتضح بالنظر إلى شروطها وأقسامها، فالشفاعة الشرعية درجة عالية يقوم بها أفضل الخلق، وهم الأنبياء والملائكة والمؤمنون، ويختص

(١) انظر: تهذيب اللغة (١/٤٣٦ - ٤٣٧) [الدار المصرية للتأليف والترجمة].

(٢) فتح الباري (١١/٤٣٣) [دار الفكر].

(٣) تفسير أبي السعود (٢/٢١٠) [دار إحياء التراث العربي]، وانظر: روح المعاني (٥/٩٧) [دار إحياء التراث العربي].

(٤) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (٢/١٦٨) [دار ابن الجوزي، ٢ ط، ١٤١٥هـ].

(٥) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (٢/١٦٨).

(٦) انظر: تيسير العزيز الحميد (٢٩٥).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥١٠)، وبنحوه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٣).

❁ أقوال أهل العلم:

بشرطين^(٥):

الأول: إذن الله ﷻ للشافع أن يشفع،
بدليل قوله ﷻ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله ﷻ:
﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣].

الثاني: رضا الله عن المشفوع له،
بدليل قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

❁ الأقسام:

الشفاعة تنقسم إلى قسمين:

١ - باطلة منفية، وهي ما فقدت أحد شروط الشفاعة السابقة.

٢ - صحيحة مثبتة، وهي ما تحققت فيها شروط الشفاعة^(٦)، وقد ثبت لنبينا محمد ﷺ منها ثمانية أنواع يوم القيامة، منها ما هو خاص به، ومنها ما يشاركه فيها غيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين، وهي^(٧):

١ - الشفاعة العظمى، وهي شفاعته ﷺ في أهل الموقف أن يقضي الله بينهم، وهذه الشفاعة مما اختص بها نبينا ﷺ على غيره من الرسل صلوات الله عليهم.

قال أبو بكر الإسماعيلي مبيناً عقيدة أهل السنة: «ويقولون: إن الله يخرج من النار قوماً من أهل التوحيد بشفاعة الشافعين برحمته، وإن الشفاعة حق»^(١).

وقال الطحاوي: «والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما روي في الأخبار»^(٢).

وقال ابن تيمية: «وكذلك في أحاديث الشفاعة كلها إنما يشفع في أهل التوحيد، فبحسب توحيد العبد لله وإخلاصه دينه لله، يستحق كرامة الشفاعة وغيرها»^(٣).

وقال ابن القيم: «فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السماوات والأرض وهو الله وحده، فهو الذي يشفع بنفسه إلى نفسه ليرحم عبده، فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له، والذي يشفع عنده إنما يشفع بإذنه له، وأمره، بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه، وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده، وهذا ضد الشفاعة الشريكية»^(٤).

❁ الشروط:

لا تصح الشفاعة عند الله ﷻ إلا

(١) اعتقاد أهل السنة (٤٣).

(٢) متن العقيدة الطحاوية (١٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/٤٤١).

(٤) إغاثة اللهنان (١/٢٢٠).

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد (٢٧٩) [الدار البيضاء للنشر، ط ٣، ١٤١٢هـ].

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١/٣٣٢) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ]، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢/١٦٨).

(٧) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٨٣ - ٢٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١، وفتح الباري (١١/٤٢٨)].

- ٢ - شفاعته ﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلوا الجنة.
- ٣ - شفاعته ﷺ في أقوام قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.
- ٤ - شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.
- ٥ - شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.
- ٦ - شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمن كان يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب.

✽ مذهب المخالفين:

- المخالفون في الشفاعة على أقوال:
- الأول:** قول المعتزلة والخوارج بإنكار شفاعة نبينا ﷺ وغيره في أهل الكبائر.
- الثاني:** المشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا، فيسألونهم بغير إذنهم، وتجيب الملوك سؤالهم لحاجتهم إليهم، وهذا كفر.

✽ الضرووق:

الفرق بين الشفاعة والتوسل:

أن الشفاعة فيها طلب، وإذن، ورضا، ويقوم الشفيع بطلب الشفاعة من الرب.

أما التوسل فهو التقرب بالعمل الصالح، فالذي يقوم بها هو المتوسل نفسه، وهو صاحب الحاجة.

وقد انتقد شيخ الإسلام ابن تيمية العامة الذين يستعملون لفظ الشفاعة في معنى التوسل، وبين أن هذا خطأ لغة

الثالث: قول ابن سينا وأمثاله أن الشفاعة تنفع لتعلق الشفيع بالمشفوع وإن لم يكن هناك دعاء من الشفيع، وشبه ذلك بشعاع الشمس الذي يظهر في المرأة، والمرأة تطرح شعاعها على

(١) انظر: قاعدة جلية في التوسل والوسيلة (٣٢).

الماء، والشعاع الذي على الماء يظهر فيه الحائط، وأن العبد إذا تعلق بالملائكة والأنبياء كان ما ينزل عليهم من الرحمة ينزل عليه من ذلك بتوسطهم، كما ينتفع أتباع المتبوع بما يحصل له من الجاه والمنزلة، وهذا الذي قاله هو شر من قول المشركين وهذه هي الشفاعة التي أبطلها الله ورسوله ﷺ^(١).

الشكر

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمه الله: «الشين والكاف والراء أصول أربعة متباعدة بعيدة القياس؛ فالأول: الشكر: الثناء على الإنسان بمعروف يوليكمه. ويقال: إن حقيقة الشكر الرضا باليسير. يقولون: فرس شكور، إذا كفاه لسمته العلف القليل»^(٢).

والشكر: الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف، يقال: شكرته، وشكرت له، واللام أفصح، والشكران: خلاف الكفران، ويقال: شكرت الإبل تشكر: إذا أصابت مرعى فسمنت عليه^(٣).

التعريف شرعاً:

«الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبةً، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة»^(٤).

(٢) مقاييس اللغة (٢٠٧/٣) [دار الجبل، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: الصحاح (٧٠٢/٢) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ]، ولسان العرب (٤٨/٥) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ]، ومختار الصحاح (١٦٧) [المكتبة العصرية، ط ٥]، والعين (٢٩٢/٥) [مكتبة هلال].

(٤) مدارج السالكين (٢٣٤/٢) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٥، ١٤١٩هـ]. وانظر: المفردات في غريب القرآن (٤٦١) [دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٢هـ]، والكليبات (٥٢٣) [مؤسسة الرسالة، بيروت].

المصادر والمراجع:

- ١ - «إثبات الشفاعة»، للذهبي.
- ٢ - «الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها»، لناصر الجديع.
- ٣ - «الشفاعة عند المثبتين والنافين»، لعفاف الوئيس.
- ٤ - «الشفاعة»، لمقبل الوداعي.
- ٥ - «تلخيص كتاب الاستغاثة»، لابن كثير.
- ٦ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٧ - «قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في الشفاعة»، لعبد الله الغفيلي [بحث منشور (١) انظر: الرد على البكري (١٥٦/١) مكتبة الغرباء الأثرية، ط ١، ١٤١٧هـ].

وقد لا يبقى من الشكر ما يعتد به ويثاب عليه^(٣).

المنزلة:

الشكر من المنازل العظيمة والتي تحتل مرتبة عالية في الشريعة، وهي فوق منزلة الرضا، والرضا مندرج في الشكر؛ إذ يستحيل وجود الشكر بدونه^(٤).

والشكر قرين الإيمان في القرآن، قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧]، وعلق الله سبحانه المزيد بالشكر والمزيد منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقد أثنى الله سبحانه على أول رسول بعثه إلى أهل الأرض بالشكر، فقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، كما أثنى سبحانه على خليفه إبراهيم بشكره نعمه فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْبَنَهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [النحل: ١٢٦] [النحل: ٥].

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/٤٦٢) [دار القاسم، ط ٧، ١٤٢٥هـ].

(٤) انظر: مدارج السالكين (٢/٢٣٢) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٥، ١٤١٩هـ].

(٥) انظر: عدة الصابرين (١١٧) [دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٤٠٩هـ].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي يدور حول معنى الثناء والعرفان وهو ما يتضح في التعريف الشرعي المنقول عن ابن القيم رحمته الله.

الحكم:

الشكر واجب شرعي؛ بل هو حقيقة الإيمان الشرعي؛ لأن الشكر يكون بالقلب، واللسان، والعمل، والإيمان مجموع للقول والعمل والنية، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

الحقيقة:

حقيقة الشكر: هو الثناء على المنعم، ومحبه، والعمل بطاعته، فيكون بالقلب، واللسان، والجوارح.

قال ابن القيم رحمته الله: «فحقيقة الشكر: هو الثناء على المنعم، ومحبه، والعمل بطاعته»^(٢).

فمبنى الشكر على ثلاثة أركان: معرفة النعمة وقدرها، والثناء بها على مسديها، واستعمالها في ما يحب مولياها ومعطيها. فمن كملت له هذه الثلاثة، فقد استكمل الشكر، وكلما نقص العبد منها شيئا فهو نقص في إيمانه وشكره،

(١) انظر: عدة الصابرين (٢٠٥) [دار عالم الفوائد، ط ١].

(٢) طريق الهجرتين (٢/٧٥٣) [دار عالم الفوائد، ط ١].

❖ الأدلة:

قال: «يا معاذ! والله إنني لأحبك. أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: **اللَّهُمَّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن للطَّاعِمِ الشَّاكِرِ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا لِلصَّائِمِ الصَّابِرِ**»^(٤).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يشكر الله من لا يشكر النَّاسَ**»^(٥).

❖ أقوال أهل العلم:

قال أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة رحمته الله: «الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح. أما بالقلب فهو أن يقصد الخير ويضمّره للخلق كافة، وأما باللسان فهو إضمار الشكر لله بالتحميد،

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥٢٢)، والنسائي (كتاب السهو، رقم ١٣٠٣)، وأحمد (٣٦/٤٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ٧٥١)، وقوى سننه ابن حجر في البلوغ (رقم ٣٢٥) [دار أطلس، ط ٣]، وصحّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ١٣٦٢) [مؤسسة غراس، ط ١].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٨٦) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الصيام، رقم ١٧٦٤)، وأحمد في مسنده (١٣/٢٩٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، والحاكم (كتاب الأطعمة، رقم ٧١٩٥)، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢١٧٩).

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٨١١)، والترمذي (أبواب البر والصلة، رقم ١٩٥٤) وصحّحه، وأحمد (٤٧٢/١٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٧٧٦) [مكتبة المعارف، ط ١٤٢٥هـ].

الأدلة الدالة على فضيلة الشكر ومكانته كثيرة، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(١٥٢) [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾^(١٥٣) [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾^(١٥٤) [النحل]، وقوله تعالى: ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(١٥٥) [سبأ].

وأما من السُّنَّة: فقد وردت أحاديث عدة في هذا الباب، منها: حديث صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له»^(١).

وعن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال: قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(٢).

وعن معاذ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه

(١) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٣٦)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨١٩).

وعنه، لم يشكرها أيضًا، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها، وخضع للمنعم بها، وأحبه، ورضي به وعنه، واستعملها في محابّة وطاعته فهذا هو الشاكر»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المفاضلة بين الفقير الصابر والغني الشاكر:

اختلف أهل العلم في أيهما أفضل؛ الفقير الصابر أم الغني الشاكر: فرجح هذا طائفة من العلماء والعباد الفقير الصابر، ورجح طائفة الغني الشاكر، وهما روايتان عن الإمام أحمد. وأما الصحابة والتابعون فلم ينقل عنهم تفضيل أحد الصنفين على الآخر، والراجح أن أفضلهما أتقاهما، فإن استويا في التقوى فهما سواء^(٤).

قال الحافظ ابن حجر: «والتحقيق عند أهل الحذق أن لا يجاب في ذلك بجواب كلي؛ بل يختلف الحال باختلاف الأشخاص والأحوال، نعم عند الاستواء من كل جهة وفرض رفع العوارض بأسرها فالفقير أسلم عاقبة في الدار الآخرة ولا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيء والله أعلم»^(٥).

(٣) طريق الهجرتين (٢٠٣/١) [دار عالم الفوائد، ط ١].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١١/١١٩ - ١٢٠)، وعقد

لهذه المسألة ابن القيم بابًا في كتابه عدة الصابرين

(١٧٥) [دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٤٠٩هـ].

(٥) فتح الباري لابن حجر (٩/٥٨٣) [دار المعرفة

بيروت، ١٣٧٩هـ].

وأما بالجوارح فهو استعمال نعم الله تعالى في طاعته، والتوقي من الاستعانة بها على معصيته»^(١).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «قد صرح من شاء الله من العلماء المعروفين بالسنة أن الشكر يكون بالاعتقاد، والقول، والعمل، وقد دلّ على ذلك الكتاب والسنة. قلت: وباب سجود الشكر في الفقه أشهر من أن يذكر، وتفسير الشكر بأنه يكون بالقول والعمل في الكتب التي يتكلم فيها على لفظ الحمد والشكر، مثل كتب التفسير، واللغة، وشروح الحديث، يعرفه آحاد الناس، والكتاب والسنة قد دلا على ذلك»^(٢).

وقال ابن القيم رحمته الله: «أصل الشكر: هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له، والذل، والمحبة، فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلاً بها لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضًا، ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه فقد كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم وأقر بها ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له، ويحبه، ويرض به

(١) مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن عبد الرحمن بن

قدامة المقدسي (٣٥٣) [دار عمار، الأردن، ط ٢،

١٤١٥هـ]. وانظر: عدة الصابرين (١٤٩) [دار ابن

كثير، ط ١].

(٢) مجموع الفتاوى (١١/١٣٩ - ١٤٠).

- المسألة الثانية: شكر المخلوق:

شكر المخلوق إذا كان من باب شكره على حسن أفعاله، ولا يتضمن تعظيمًا ولا حبًا لا يليق إلا بالله فلا بأس به، ففي الحديث عن النبي ﷺ قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(١).

قال أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: «هذا الكلام يتأول على وجهين؛ أحدهما: أن من كان طبعه وعادته كفران نعمة الناس، وترك الشكر لمعروفهم كان من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له سبحانه.

والوجه الآخر: أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس، ويكفر بمعروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر»^(٢).

❁ الفروق:

الفرق بين الشكر والصبر:

الشكر رتبة أعلى من الصبر، فالشاكر صبر، وزاد شكرًا، وقيل: إنهما متلازمان^(٣).

وقيل: الصبر: عدم الجزع، والشكر: أن تطيع الله بنعمته التي أعطاك^(٤).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) معالم السنن (١١٣/٤) [المطبعة العلمية بحلب، ط ١٣٥٢هـ].

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣٠٥/١١).

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥٤/٢).

الفرق بين الشكر والحمد:

الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان إحسانًا إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر؛ لأنه يكون على المحاسن والإحسان، وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، ولهذا قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]، والحمد إنما يكون بالقلب واللسان؛ فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه^(٥).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «والفرق بينهما: أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته. والحمد أعم من جهة المتعلقات، وأخص من جهة الأسباب؛ ومعنى هذا: أن الشكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانة، وباللسان ثناء واعترافاً، وبالجوارح طاعة وانقيادًا. ومتعلقه: النعم، دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه. وهو المحمود عليها. كما هو محمود على إحسانه وعدله، والشكر يكون على الإحسان والنعم.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١٣٣/١١ - ١٣٤)، والدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢٨٩/٤).

الشكر: فالذي هو متقرر بالنصوص الشرعية: أن الكفر نوعان؛ **أحدهما**: كفر النعمة، **والثاني**: الكفر بالله، والكفر الذي هو ضد الشكر: إنما هو كفر النعمة، لا الكفر بالله، فإذا زال الشكر خلفه كفر النعمة، لا الكفر بالله، والكفر إنما يثبت إذا ثبت عدم الشكر بالكلية، فمن ترك الأعمال شاكرًا بقلبه ولسانه فقد أتى ببعض الشكر وأصله^(٢).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «استنشاق نسيم الأنس»، لابن رجب الحنبلي.
- ٢ - «التسبيح»، لمحمد بن إسحاق كندو.
- ٣ - «الحمد على ضوء الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح»، لوليد بن عيسى السعدون.
- ٤ - «الشكر»، لابن أبي الدنيا.
- ٥ - «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، لابن القيم.
- ٦ - «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيم.
- ٧ - «معالم السنن» (ج ٤)، للخطابي.
- ٨ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٩ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.
- ١٠ - «نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، لمجموعة من الباحثين.

فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس. فإن الشكر يقع بالجوارح، والحمد يقع بالقلب واللسان^(١).

✽ الثمرات:

من ثمرات الشكر: أن الشاكرين الله تعالى هم في مأمن من عذاب الله تعالى وعقابه؛ لأن ضده وهو كفران النعمة مما قد توعد الله صاحبه، كما قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧].

وهو سبب عظيم من أسباب زيادة الرزق وبركته؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

سبب لرضا الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

✽ مذهب المخالفين:

الخوارج ومن وافقهم قالوا: الشكر يكون بالاعتقاد والقول والعمل، لكن متى انتفى الشكر انتفى الإيمان بالكلية، وهذا مبني على أصله مذهبهم في التكفير بالذنوب والمعاصي.

وهذا المذهب ظاهر البطلان من أصله، وأما عن مسألة التكفير بترك

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

يشارك المعنى اللغوي والشرعي لكلمة الشكر في الثناء على المحسن، فهو من الله وَعَلَى قبوله لحسنات العباد وإثابتهم عليها، ومن العبد الثناء على المنعم بالقول والفعل ودوام الطاعة.

الحكم:

يجب إثبات الشكور اسماً لله وَعَلَى والإيمان بأن الله شكور وذو شكر، يتفضل على عباده بقبول حسناتهم وإثابتهم عليها، ويضاعفها أضعافاً مضاعفة، فضلاً منه ورحمة.

الحقيقة:

الله وَعَلَى هو الشكور على الحقيقة، فإنه يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه، ويشكر القليل من العمل والعطاء، ويثيب عليه بالعطاء الجزيل، فإذا بذل له شيئاً رده عليه أضعافاً مضاعفة، فهو الذي وفقه للبذل وشكره عليه ^(٥).

الأدلة:

ورد ثبوت اسمه تعالى (الشكور) في القرآن الكريم، وأجمعت الأمة على ثبوته.

فما ورد في القرآن قوله وَعَلَى: ﴿إِنَّهُ عَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر]،

(٥) انظر: عدة الصابرين (٢٤٠) [دار الكتب العلمية].

الشُّكُور

التعريف لغة:

الشُّكُور: اسم مشتق من الفعل: شَكَرَ يَشْكُرُ شُكْرًا وشُكْرًا وهو شَاكِرٌ وشَكُورٌ، ومعناه: الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف، ويطلق على الامتلاء والعُزْر في الشيء ^(١)، ويقال: إن أصل الشكر في الكلام: الظهور، ومنه يقال: شَكِير النبت. وشَكَر الضرع؛ إذا امتلأ، وامتلاؤه: ظهوره، ويقال: دابة شكور، وهو السريع السمن، فسرعة سمنه ظهور أثر صاحبه عليه ^(٢).

ولهذا قال الليث: «الشُّكْرُ: عرفان الإحسان ونشره، وحمد موليه» ^(٣)، ففيه إظهار أثر نعمة المنعم بالقول والفعل.

التعريف شرعاً:

الشكور: اسم ثابت لله وَعَلَى يدل على أن الله وَعَلَى يتقبل اليسير من الطاعة، فيثيب عليه الكثير من الثواب، ويُعطي الجزيل من النعمة، ويرضى باليسير من الشكر ^(٤).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢٠٧/٣ - ٢٠٨) [دار الجبل]،

الصحاح (٢٦٥/٢) [دار العلم، ط ٤، ١٩٩٠م].

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٤٧) [دار الثقافة العربية، ١٩٧٤هـ].

(٣) تهذيب اللغة (٣/٣١٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

(٤) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٦٥) [ط ٢، ١٤١٢هـ].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر].
ترك له شيئاً أعطاه أفضل منه، وإذا بذل له شيئاً رده عليه أضعافاً مضاعفة، وهو الذي وفقه للترك والبذل وشكره على هذا وذاك^(٤).

وقال السعدي: «الشَّاكر والشُّكور، من أسماء الله تعالى، الذي يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه، العظيم من الأجر، الذي إذا قام عبده بأوامره، وامتلث طاعته، أعانه على ذلك، وأثنى عليه ومدحه، وجازاه في قلبه نوراً وإيماناً وسعة، وفي بدنه قوة ونشاطاً، وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اسم الله الشَّاكر:

لقد ورد اسم الله (الشَّاكر) في القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء].

قال أبو القاسم الأصبهاني: «ومن أسماء الله تعالى: الشَّاكر»^(٦).

وقال السعدي: «الشَّاكر والشُّكور، من أسماء الله تعالى»^(٧).

وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر].

وأما الإجماع فقد ذكره القرطبي فقال: «وجاء شكور في عداد الأسماء، وأجمعت عليه الأمة»^(١).

أقوال أهل العلم:

قال الطبري في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ [التغابن: ١٧]: «يقول: والله ذو شكر لأهل الإنفاق في سبيله، بحسن الجزاء لهم على ما أنفقوا في الدنيا في سبيله»^(٢).

وقال أبو القاسم الأصبهاني: «ومن أسماء الله تعالى: الشَّاكر والشُّكور: المخلوق يشكر من أحسن إليه، والله يشكر لنا إحساننا إلى أنفسنا»^(٣).

وقال ابن القيم: «وأما شكر الرب تعالى فله شأن آخر كشأن صبره، فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور؛ بل هو الشُّكور على الحقيقة، فإنه يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه، ويشكر القليل من العمل والعطاء، فلا يستقله أن يشكره ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة، ويشكر عبده بقوله بأن يثني عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى ويلقي له الشكر بين عباده ويشكره بفعله، فإذا

(٤) عدة الصابرين لابن القيم (٢٤٠) [دار الكتب العلمية].

(٥) تفسير السعدي (٧٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٦) الحجة في بيان المحجة (١٣٠/١).

(٧) تفسير السعدي (٧٦).

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٣٢١/١) [دار الصحابة، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٢) تفسير الطبري (٤٢٨/٢٣).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١٣٠/١) [دار الراية].

الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته، والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الأسباب، ومعنى هذا: أن الشكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانة، وباللسان ثناء واعتراقًا، وبالجوارح طاعة وانقيادًا، ومتعلقه: النعم دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعته وبصره وعلمه، وهو المحمود عليها كما هو محمود على إحسانه وعدله. والشكر يكون على الإحسان والنعم، فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس، فإن الشكر يقع بالجوارح والحمد يقع بالقلب واللسان»^(٣).

❁ الآثار:

١ - يجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه هو الشاكر والشكور على الإطلاق، وأن شكره تعالى واجب على كل مكلف من غير خلاف؛ لأنه الذي يقبل القليل ويعطي الكثير.

٢ - يجب الاجتهاد في شكره سبحانه والثناء عليه بالقلب واللسان وكل الجوارح، وذلك من خلال الامتثال بأوامره سبحانه واجتناب نواهيه، فشكر القلب أن لا يشغله بغير ذكره ومعرفته،

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٢/٢٤٦).

كما ذكره ابن عثيمين ضمن الأسماء الواردة في القرآن^(١).

- المسألة الثانية: يشتق من اسمه تعالى (الشكور):

الشكر صفة لله تعالى، فيوصف الله ﷻ بأنه شاكر وشكور وذو شكر، والشكر من صفاته الفعلية الدالة على سعة فضله وكرمه وجزيل عطائه وعظم ثوابه، وقد تقدمت الأدلة على ذلك، والله يجازي كل شكور.

❁ الفروق:

الفرق بين الشاكر والشكور:

الشاكر اسم فاعل، والشكور فعول بمعنى فاعل إلا أنه صيغة مبالغة يفيد كثرة الشكر.

وقيل: الشاكر من وقع منه الشكر، والشكور المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته، ومع ذلك لا يوفي حقه؛ لأن توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرًا آخر لا إلى نهاية، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ]^(٢).

الفرق بين الحمد والشكر:

قال ابن القيم: «الفرق بينهما: أن

(١) انظر: القواعد المثلى (٧٩)، عليه شرح فتح العلي الأعلى.

(٢) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٣٠٢) [مؤسسة النشر الإسلامي، ١٦، ١٤١٢هـ].

شكر كما أنه عالم بلا علم، وقادر بلا قدرة وحيّ بلا حياة... إلخ^(٣).

الرد عليهم^(٤):

١ - أن الله تعالى وصف أسماءها بأنها حسنى، وأمرنا بدعائه بها، وهذا يقتضي أن تكون دالة على معاني عظيمة تكون وسيلة لنا في دعائنا، فلو كانت أعلامًا محضة لكانت غير دالة على معنى سوى تعيين المسمى، فضلًا عن أن تكون حسنى ووسيلة في الدعاء.

٢ - قولهم هذا مخالف لمقتضى اللسان العربي وغير العربي؛ لأن من المعلوم أن المشتق دال على المعنى المشتق منه، وأنه لا يمكن أن يقال: عليم لمن لا علم له وشكور لمن لا شكر له.

٣ - أن الله تعالى يسمي نفسه باسمين أو أكثر في موضع واحد؛ كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمِّنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وشكر اللسان أن لا يستعمل في غير ثنائه ومدحه، وشكر الجوارح أن لا تستعمل في غير طاعته.

٣ - وعلى المسلم أن يشكر من أسدى إليه معروفًا من الناس، وقد ربط الله ﷻ شكره بشكر الوالدين فقال: ﴿إِنْ أَشْكُرْ لِي وَلَوْلَاكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [القمان]. وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(١).

٤ - التوجه إلى الله وسؤاله باسميه الشاكر والشكور، متوسلاً بهما إليه أن يتقبل صالح أعماله ويغفر زلاته، فإنه غفور شكور^(٢).

مذهب المخالفين:

قد خالف في هذا الاسم الجهمية والمعتزلة، فالجهمية لا يثبتون لله أي اسم لا شاكرًا ولا شكورًا ولا غيرهما، فالله عندهم لا يسمى بشيء؛ وذلك لظنهم أن إثبات الأسماء يلزم منه التشبيه، والمعتزلة أثبتوا الأسماء مجردة عن الصفات، فالله عندهم شاكر بلا

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٨١١)، والترمذي (أبواب البر والصلة، رقم ١٩٥٤) وصححه، وأحمد (٤٧٢/١٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٧٧٦) [مكتبة المعارف، ط ١٤٢٥هـ].

(٢) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٣٢٦/١) - (٣٢٨)، فقه الأسماء الحسنى للبدر (٢٠٨) [ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢٣٥/١) [مكتبة التخصصية المصرية، ط ٣، ١٣٨٩هـ]، ومجموع الفتاوى (٣٤/٦ - ٣٥) [دار الوفاء، ط ٣، ١٣٢٦هـ]، ومنهاج السنة النبوية (٥٢٦/٢) [مؤسسة قرطبة، ط ١].

(٤) انظر: تقريب التدمرية لابن عثيمين (٢٩، ٣١) [دار الوطن، ١٤٢٤هـ].

وَالْأَرْضُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر]،
فلو كانت الأسماء مترادفة ترادفًا محضًا
لكان ذكرها مجتمعة لغوا من القول لعدم
الفائدة.

❏ الشهادة ❏

يراجع مصطلح (الشهيد).

❏ شهادة أن محمدًا رسول الله ❏

❁ التعريف لغة:

الشَّهَادَةُ: مصدر الفعل الثلاثي المجرد
(شَهِدَ)؛ ومعناه: الحُضور والعِلْمُ
والإعلام، والخبر القاطع، والمشهد:
محضر الناس، والمُشَاهَدَةُ: المعاينة.
ومنه سُمِّيَ القَتِيلُ في سبيل الله: شهيدًا؛
لأنَّ ملائكة الرحمة تشهده - أي:
تحضره -، أو لسقوطه على الشهادة
- وهي: الأرض -، وقيل غير ذلك^(٢).

والرَّسُولُ: هو مَنْ أُرْسِلَ في رسالة،
والذي يُتَابِعُ أخبار مَنْ بعثه؛ فهو مُرْسَلٌ
ورَسُولٌ، وجمعه: رُسُلٌ ورُسُلٌ. ويُطْلَقُ
الرسول على الرِّسَالَةِ نفسها. والراء
والسين واللام أصلٌ واحدٌ مطرد منقاس
يدل على: الانبعاث والامتداد؛ ومنه
الرَّسُلُ: السير السَّهْلُ، وشَعْرَ رَسُلٍ: إذا
كان مسترسلًا^(٣).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله الحسنى في الكتاب
والسُّنة»، لمحمود عبد الرزاق.
- ٢ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٣ - «الأسنى في شرح أسماء الله
الحسنى»، للقرطبي.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»،
للزجاج.
- ٥ - «تفسير أسماء الله الحسنى»،
للسعدي.
- ٦ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٧ - «صفات الله الواردة في الكتاب
والسُّنة»، للسقاف.
- ٨ - «فقه الأسماء الحسنى»،
لعبد الرزاق البدر.

٩ - كتاب «التوحيد»، لابن منده.

(١) انظر: التدمرية لابن تيمية (٢٠ - ٢١) [مكتبة
البيكان، ط ٨، ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: الصحاح (٤٩٤/٢) [دار العلم للملايين،
ط ٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٢٢١/٣) [دار
الفكر بيروت، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط
(٣٧٢) [مؤسسة الرسالة بيروت، ط ٥، ١٤١٦هـ].
(٣) انظر: الصحاح للجوهري (١٧٠٩/٤)، وتهذيب =

التعريف شرعًا:

معنى شهادة أن محمدًا رسول الله: «طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع»^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يدور المعنى اللغوي للشهادة حول: الحضور والعلم القاطع، وحقيقة الشهادة في اصطلاح الشرع: العلم القاطع بنبوة نبيًا محمد ﷺ، وكأنَّ المسلم قد حضر هذا بنفسه، وما ذكر مما تقتضيه هذه الشهادة - من الطاعة والتصديق وغيرهما - هو من لوازم هذا الحضور والعلم القاطع وتوابعهما. فيظهر بهذا أن بين المعنيين تناسبًا وتوافقًا واضحًا.

الحكم:

يجب على المسلم أن يعتقد اعتقادًا يقينياً جازماً أن شهادة (أن محمدًا

= اللغة للأزهري (٣٩١/١٢) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ومقاييس اللغة (٣٩٢/٢).

(١) ثلاثة الأصول لابن عبد الوهاب (٥٧) [مع حاشية ثلاثة الأصول لعبد الرحمن القاسم، ط ٥، ١٤٠٧هـ]. وانظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١/١٩٠) [جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض]، وجامع الرسائل لابن تيمية (١/٢٧٣) [مطبعة المدني، مصر]، ومجموع الفتاوى (٣/١٠٥)، وتيسير العزيز الحميد (٨٢) [المكتب الإسلامي ببيروت، ط ٣، ١٣٩٧هـ]، وفتح المجيد (٧١) [دار المؤيد بالرياض، ط ٨، ١٤٢٣هـ].

رسول الله) ركن من أركان الإسلام لا يتم الإسلام إلا به، وهي من لوازم شهادة (أن لا إله إلا الله)؛ فلا تصح إحداهما بدون الأخرى، فمن شهد أن لا إله إلا الله وكذب بمحمد ﷺ لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً، حتى يأتي بهذين الركنين وتلك الشهادتين، اللتين هما أول ركن من أركان الإسلام الخمسة.

الحقيقة:

تحقيق شهادة (أن محمدًا رسول الله) قائم على ركنين عظيمين؛ هما: التصديق والانقياد.

فالتصديق بهذه الشهادة قائم على إثبات نبوته وصدقه فيما بلغه عن الله تعالى، ويكون ذلك بالإيمان بعموم رسالته إلى كافة الثقلين إنسهم وجنهم، وأنه خاتم النبيين، ورسالته خاتمة الرسالات.

والإيمان بكون رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع، وبأنه ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها، وأدى الأمانة، ونصح لأمته حتى تركهم على البيضاء ليلها كنهارها.

والإيمان بعصمته ﷺ، وبما له من حقوق خلاف ما تقدم ذكره؛ كمحبته وتعظيمه ﷺ.

وتصديقه فيما جاء به، وأن ما جاء به

من عند الله حق يجب اتباعه. وهذا يجب عليه ﷺ وعلى كل أحد.

فيجب تصديق النبي ﷺ في جميع ما أخبر به عن الله ﷻ، من أنباء ما قد سبق، وأخبار ما سيأتي، وفيما أحل من حلال، وحرّم من حرام، والإيمان بأن ذلك كله من عند الله ﷻ.

أما الركن الثاني فهو طاعته واتباع شريعته: بأن يعزم على العمل بما جاء به ﷺ، وهو يعني: الانقياد له ﷻ، وذلك بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه وزجر، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. فيجب على الخلق اتباع شريعته، والالتزام بسنته، مع الرضا بما قضاه والتسليم له، والاعتقاد الجازم أن طاعته هي طاعة الله، وأن معصيته معصية الله؛ لأنه هو الواسطة بين الله وبين الثقلين في التبليغ^(١).

المنزلة:

شهادة (أن محمدًا رسول الله) هي الشطر الثاني من الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة؛ إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، فالشهادة لهذا النبي الكريم ﷺ قرنت بالشهادة لله تعالى، فلا تحصل النجاة والسعادة بدونها؛ إذ هي الطريق إلى الله سبحانه، ولهذا كان ركنا

الإسلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

ومما يدل على علو منزلة هذه الشهادة أيضًا: أن العبد لا يدخل في دين الإسلام إلا بشهادتي التوحيد: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله)، وأن نواقض شهادة (أن محمدًا رسول الله) هي نفسها نواقض شهادة (أن لا إله إلا الله)، فمن نقض أيًا من الشهادتين فقد نقض الأخرى ولا بد، وإن كانت شهادة أن محمدًا رسول الله قد تختص ببعض النواقض التي هي بها ألصق؛ ومنها: جحد نبوة النبي ﷺ أو فضله، أو التنقص من قدره، أو سبه أو شتمه - عيادًا بالله -، أو الاستهزاء به أو بشيء من سنته، أو تكذيبه، أو اعتقاد جواز التعبد بغير شرعه، أو أن أحدًا يسعه الخروج عن شرعه والتعبد بغير دينه، أو بغض ما جاء به ﷺ أو بعضه، إلى غير ذلك من النواقض المعلومة المشهورة.

كل هذا يدل على رفيع منزلة هذه الشهادة عند الله تعالى.

الأدلة:

دلّ على هذا المعتقد أدلة كثيرة من القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩١/١٥).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «قاعدة نافعة في: وجوب الاعتصام بالرسالة، وبيان أن السعادة والهدى في متابعة الرسول ﷺ، وأن الضلال والشقاء في مخالفته، وأن كل خير في الوجود - إما عام وإما خاص - فمنشؤه من جهة الرسول ﷺ، وأن كل شر في العالم مختص بالعبد فسبه: مخالفة الرسول ﷺ أو الجهل بما جاء به، وأن سعادة العباد في معاشهم ومعادهم باتباع الرسالة» (٤).

وقال ابن القيم: «رأس الأدب مع الرسول ﷺ: كمال التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولا، أو يحمله شبهة أو شكًا، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم! فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحد المرسل ﷺ بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل؛ فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول؛ فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه، فإن أذنوا له

(٤) مجموع الفتاوى (٩٣/١٩).

[٧]، وقوله ﷺ: «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا» [٨٠] [النساء]، وقوله: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي شَئْرِهِمْ لِنَفْسِهِمْ» [١٥] [النساء]، والآيات في هذا الباب كثيرة معروفة، تزيد على الثلاثين موضعًا.

ومن السنة الصحيحة: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله - وفي رواية مسلم: عبده ورسوله -، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان» (١).

وجاء في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله» (٢).

وجاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٩٥٧)، ومسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٨٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ١٥) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٤).

نَفَذَهُ وَقَبْلَ خَبْرِهِ، وَإِلَّا فَإِنْ طَلَبَ السَّلَامَةَ
أَعْرَضَ عَنْ أَمْرِهِ وَخَبْرِهِ وَفَوَّضَهُ إِلَيْهِمْ،
وَإِلَّا حَرَفَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَسَمَّى تَحْرِيفَهُ
تَأْوِيلًا وَحَمَلًا؛ فَقَالَ: نَزَّوْلُهُ وَنَحْمَلُهُ!
فَلَأَنْ يَلْقَى الْعَبْدَ رَبَّهُ بِكُلِّ ذَنْبٍ عَلَى
الْإِطْلَاقِ - مَا خَلَا الشُّرْكَ بِاللَّهِ - خَيْرٌ لَهُ
مَنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِهَذِهِ الْحَالِ! ^(١).

والأدلة الصحيحة على ذلك كثيرة،

منها:

قول النبي ﷺ: «أَسْعَدَ النَّاسَ
بِشِفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ، خَالصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ» ^(٤)،
وَلَمْ يَأْتِ فِيهَا ذِكْرُ (أَشْهَد).

وقول النبي ﷺ: لَعَمْرِي لَوْ أَنَّ أُمَّةً أَمَّا
عَمَّ قُلٌّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ^(٥). وَلَمْ يَقُلْ
لَفْظًا: (أَشْهَد).

وقوله ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ
حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا
فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ،
وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ» ^(٦).

وغيرها من الأحاديث.

^(٣) انظر: تحفة المحتاج في شرح المنهاج (١/٤٧١)،
وتبصرة الحكام (١/٢٦٢)، وحاشية الدسوقي على
الشرح الكبير (٤/١٦٥)، والطرق الحكمية لابن
القيم (٢٠٢)، والمحلى لابن حزم (١٠/٦٤٠)،
والاختيارات الفقهية لابن تيمية (٣٦١)، ووسائل
الإثبات لمحمد الزحيلي (١/٩٠).

^(٤) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ٩٩).

^(٥) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٠)،
ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤).

^(٦) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٣٩٩)،
ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠).

الشُّرُوطُ:

«شروط شهادة أن محمدًا رسول الله،
هي:

١ - الاعتراف برسالته، واعتقادها
باطنًا في القلب.

٢ - النطق بذلك، والاعتراف به
ظاهرًا باللسان.

٣ - المتابعة له؛ بأن يعمل بما جاء به
من الحق، ويترك ما نهى عنه من الباطل.

٤ - تصديقه فيما أخبر به من الغيوب
الماضية والمستقبلية.

٥ - محبته أشد من محبة النفس
والمال والولد والوالد والناس أجمعين.

٦ - تقديم قوله على قول كل أحد،
والعمل بسُنَّتِهِ» ^(٢).

المسائل المتعلقة:

- عدم اشتراط لفظ أشهد:

لا يشترط في التلفظ - عند الدخول

(١) مدارج السالكين (٢/٣٨٧) [دار الكتاب العربي،
بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(٢) عقيدة التوحيد للفوزان (٣٩).

❁ الآثار:

٧ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن

حسن آل الشيخ.

٨ - «القول المفيد على كتاب

التوحيد»، لابن عثيمين.

٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣، ١٩)،

لابن تيمية.

١٠ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن

القيم.

❁ الشهادة لمعین بجنة أو نار ❁

❁ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الشين والهاء والذال أصل واحد يدل على حضور وعلم وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه؛ من ذلك: الشهادة؛ يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور، والعلم، والإعلام؛ يقال: شهد يشهد شهادة»^(٢).

والشهادة خبر قاطع، تقول منه: شهد الرجل على كذا، والشاهد: هو العالم الذي يبين ما علمه، وشهد الشاهد عند الحاكم: أي: بين ما يعلمه وأظهره، والمشاهدة: المعاينة، وشهده شهوداً؛ أي: حضره^(٣).

(٢) مقاييس اللغة (٣/٢٢١) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: لسان العرب (٢٧/٢٣٤٨) [دار المعارف، القاهرة]، والقاموس المحيط (٣٧٢) [مؤسسة الرسالة].

من الآثار المترتبة على تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله:

- حصول السعادة والهدى في متابعة الرسول ﷺ.

- حصول الضلال والشقاء في مخالفته ﷺ.

- أن كل خير في الوجود - إما عام وإما خاص - فمنشؤه من جهة الرسول ﷺ، وأن كل شر في العالم مختص بالعبد فسببه: مخالفة الرسول ﷺ أو الجهل بما جاء به.

- أن سعادة العباد في معاشهم ومعادهم بتحقيق هذه الشهادة^(١).

❁ المصادر والمراجع:

١ - «أعلام السنة المنشورة»، لحافظ الحكمي.

٢ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٣ - «جامع الرسائل» (ج ١)، لابن تيمية.

٤ - «حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة»، لمحمد بن خليفة التميمي.

٥ - «زاد المعاد» (ج ٣)، لابن القيم.

٦ - «شرح الأصول الثلاثة»، لابن

عثيمين

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٩/٩٣).

التعريف اصطلاحاً:

يَعْيِرُ الْحَقُّ وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ ﴿٢٣﴾ [الأعراف].

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار. فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا؛ عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه. قال: «أَوْغَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ؟ إِنْ اللَّهُ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ» (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً، غنمنا المتاع والطعام والثياب، ثم انطلقنا إلى الوادي ومع رسول الله ﷺ عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضُّبَيْبِ، فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله ﷺ يحلُّ رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه، قلنا له: هنيئاً له الشهادة يا رسول الله ﷺ. قال رسول الله: «كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُهُ بِيَدِهِ؛ إِنْ الشَّمْلَةُ لَتَلْتَهُبَ عَلَيْهِ نَارًا، أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرٍ لَمْ تَصْبِهَا الْمَقَاسِمُ». قال: ففرغ الناس، فجاء رجل بشراك أو شراكين. فقال: يا رسول الله أصبت يوم خيبر. فقال

الشهادة لمعين بجنة أو نار هو الحكم عليه في الآخرة أنه من أهل الجنة أو من أهل النار، والقطع بذلك (١).

الحكم:

لا يجوز الشهادة لمعين بجنة أو نار، إلا من شهد له النص من القرآن والسنة بذلك؛ كشهادة القرآن أن أبا لهب وامرأته في النار، وكالوليد بن المغيرة، الذي سماه الله بالوحيد، وغيرهم من أهل النار، وكذلك من شهد له القرآن والسنة بالجنة؛ كالأنصار والمهاجرين، والعشرة المبشرين بالجنة، وأهل بدر، وبلال بن رباح، وعكاشة بن محصن، وغيرهم ممن نص على تعيينهم (٢).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ

(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (٥٣٧/٢) مؤسسة الرسالة، ط ١٣، ١٤١٩هـ.

(٢) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (٢٨٩/١) مؤسسة الرسالة، ط ٣، ومجموع الفتاوى (٣٥/٦٨) مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤١٦هـ، وطريق الهجرتين (٥٨٧/١) [دار ابن القيم، ط ٢، ١٤١٤هـ]، وتفسير ابن كثير (١٥٦/٤) [دار الفكر، ط ١٤٠١هـ]، وشرح الطحاوية (١/٤٣٦، ٥٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٦٢).

رسول الله: «شراك من نار أو شراكا من نار»^(١).

وعن أمّ العلاء رضي الله عنها أنها قالت: اقتسم المهاجرون قرعة، فطار لنا عثمان بن مظعون، فأنزلناه في أبياتنا، فوجع وجهه الذي توفي فيه، فلما توفي وغُسل وكُفّن في أثوابه دخل رسول الله ﷺ. فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال النبي ﷺ: «وما يدريك أن الله أكرمهم». فقلت: بأبي أنت يا رسول الله ﷺ فمن يكرمه الله؟ فقال: «أما هو فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي». قالت: فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو بكر الإسماعيلي رحمته الله: «ولا يقطعون على أحد من أهل الملة أنه من أهل الجنة أو من أهل النار؛ لأن علم ذلك يغيب عنهم لا يدرون على ماذا الموت أعلى الإسلام أم على الكفر، ولكن يقولون: إن من مات على الإسلام مجتنباً للكبائر والأهواء والآثام فهو من أهل الجنة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، ولم يذكر عنهم

ذنباً ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ^(٨) [البينة]، ومن شهد له النبي ﷺ بعينه، وصح له ذلك عنه؛ فإنهم يشهدون له بذلك اتباعاً لرسول الله ﷺ، وتصديقاً لقوله^(٣).

وقال الصابوني رحمته الله: «ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث أن عواقب العباد مبهمة، لا يدري أحد بما يختم له، ولا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة، ولا يحكمون على أحد بعينه أنه من أهل النار؛ لأن ذلك مغيب عنه، لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان، أعلى إسلام، أم على كفر»^(٤).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «ولهذا لا يشهد لمعين بالجنة إلا بدليل خاص، ولا يشهد على معين بالنار إلا بدليل خاص، ولا يشهد لهم بمجرد الظن من اندراجهم في العموم؛ لأنه قد يندرج في العمومين، فيستحق الثواب والعقاب لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٥) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٦) [الزلزلة]»^(٥).

(٣) اعتقاد أئمة الحديث (٦٨ - ٦٩) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٩١) [دار المنهاج، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (٦٨/٣٥) [مجمع الملك فهد =

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٣٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١١٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٤٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: مراد السلف

بقولهم الشهادة بدعة:

قال أبو طالب: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل: البراءة بدعة، والولاية بدعة، والشهادة بدعة؟ قال: «البراءة أن تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله. والولاية: أن تتولى بعضاً وتترك بعضاً. والشهادة: أن تشهد على أحد في النار»^(١).

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمته الله: «وهذا معنى قول السلف: الشهادة بدعة، والبراءة بدعة، يروى ذلك عن جماعة من السلف، من الصحابة والتابعين؛ منهم: أبو سعيد الخدري، والحسن البصري، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وغيرهم، ومعنى الشهادة: أن يشهد على معين من المسلمين أنه من أهل النار، أو أنه كافر، بدون العلم بما ختم الله له به»^(٢).

- المسألة الثانية: هل يشهد للجنة

بمن استفاض صلاحه واستقامته عند الناس؟

اختلف أهل العلم قديماً في هذه

المسألة على ثلاثة أقوال^(٣):

= لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤١٦هـ.

(١) السُّنَّة للخلال رقم (٧٦٣) (٤٧٩/٢) [دار الراجعية، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٦٩٧).

(٣) انظر: منهاج السُّنَّة النبوية (٥/٢٩٥) و(٦/٢٠٣)، والنبوات (١/١٥٤) [أضواء السلف، ط ١،

القول الأول: أنه لا يشهد لأحد إلا

للأنبياء عليهم السلام، وهذا قول محمد ابن حنفية، والأوزاعي، وعلي بن المديني، وغيرهم، مع أن بعضهم كابن المديني يقول: إن العشرة المبشرين في الجنة، لكن يأبى قول القائل: أشهد أنهم في الجنة^(٤).

القول الثاني: وهو أنه يشهد بالجنة

لكل مؤمن جاء النص به، وهذا قول كثير من أهل الحديث.

القول الثالث: وهو أنه يشهد للجنة

لكل مؤمن جاء النص به، ولمن شهد له المؤمنون بذلك؛ كمن استفاض صلاحه وعلمه وورعه؛ كالإمام مالك، والشافعي، وأحمد، وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من أئمة الدين والصلاح.

ولهم أدلة استدلوا بها من السُّنَّة، منها: ما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك قال: مَرُّوا بجنازة فأتوا عليها خيراً. فقال النبي ﷺ: «وجبت». ثم مروا بأخرى فأتوا عليها شراً. فقال: «وجبت». فقال عمر بن الخطاب: ما

١٤٢٠هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/٥٣٨).

(٤) جرت في ذلك مناظرة بين علي بن المديني وأحمد بن حنبل؛ حيث ألزمه الإمام أحمد أنه ما دام يقول عن العشرة أنهم في الجنة لزمه الشهادة لهم بذلك، فلا يشترط في الشهادة لفظ أشهد. انظر: منهاج السُّنَّة (٦/٢٠٣) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ]، وزاد المعاد (٣/٦٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٧هـ].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقول بكون الرجل المعين من أهل الجنة قد يكون سببه: إخبار المعصوم، وقد يكون سببه تواطؤ شهادات المؤمنين، الذين هم شهداء الله في الأرض، وقد يكون سببه تواطؤ رؤيا المؤمنين؛ فإن النبي ﷺ قال: «لم يبق بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن الرجل الصالح أو ترى له» (٤)» (٥).

وهناك من أهل العلم من قال: إن هذا خاص بالصحابة الذين زكاهم النبي ﷺ، وكانوا ينطقون بالحكمة، وهذا بخلاف من بعدهم (٦).

ولهذا ذهب بعض أهل العلم المعاصرين أنه لا يشهد لأحد بجنة أو نار إلا من شهدت له النصوص.

قال الفوزان: «نحن لا نشهد لأحد مهما بلغ من الصلاح والتقوى، لا نشهد له بالجنة؛ لأننا لا نعلم الغيب، ولا نحكم لأحد من المسلمين بالنار، مهما عمل من المعاصي؛ لأننا لا ندرى بما ختم عليه، ومات عليه، وهذا في المعين، فنحن ما لنا إلا الظاهر فقط،

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٦٩٩٠)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٧٩)، بنحو اللفظ الذي ذكره شيخ الإسلام.

(٥) منهاج السنة (٣/٤٩٧ - ٤٩٩).

(٦) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤/١٥٢) [دار طيبة، ط ١، ١٤٢٦هـ].

وجبت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجب له الجنة، وهذا أثنيتم شرًا فوجب له النار، أنتم شهداء الله في الأرض» (١).

وكذلك استدلوأ بحديث أبي زهير الثقفي أنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ بالنبأوة أو البناوة - قال: والنبأوة من الطائف -: قال: «يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار». قالوا: بم ذلك يا رسول الله؟ قال: «بالثناء الحسن والثناء السيئ» (٢).

وقد مال إلى هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية؛ فقال عقب ذكره للأقوال: «والتحقيق أن هذا قد يعلم بأسباب، وقد يغلب على الظن، ولا يجوز للرجل أن يقول بما لا يعلم» (٣).

فمن الأسباب التي يراها شيخ الإسلام ابن تيمية: إخبار النبي ﷺ، وتواطؤ شهادات المؤمنين، الذين هم شهداء الله في الأرض، وتواطؤ رؤيا المؤمنين.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٧)، ومسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٤٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٢١)، وأحمد (٥٠٤/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب العلم، رقم ٤١٣) وصححه، وصحح إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/٢٤١) [دار العربية، ط ٢]، وحسنه الألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه.

(٣) النبوات (١/١٥٦).

وكذلك لا يحكم لأحد بالنار، إلا من شهد له بذلك الرسول، سواء بجنة أو نار^(١).

وممن حكى الإجماع أيضًا ابن كثير^(٢)، وحكاه ابن حزم عن جمهور أهل العلم، بما فيهم أطفال المشركين^(٣).

وقال ابن القيم رحمته الله: «وهذا القول في أطفال المسلمين هو المعروف من قواعد الشرع»^(٤).

واستدلوا بأدلة منها: من القرآن: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَابْتَغَوْا دُرِّيَّهُمْ بِإِيمَانٍ آخِضًا بِهِمْ دُرِّيَّهُمْ وَمَا أَلَنَتْهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١].

ومن السنة: حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»^(٥).

وعن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تُطَيَّب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم: «صغارهم دعاميص الجنة، يتلقى أحدهم أباه - أو قال: أبويه - فيأخذ بثوبيه - أو قال:

- المسألة الثالثة: حكم أطفال المسلمين الذين يموتون قبل البلوغ:

اختلف أهل العلم في أطفال المسلمين على قولين مشهورين^(٦):

القول الأول: وهو أنهم في الجنة، وحكي في ذلك الإجماع.

عن جعفر بن محمد حدثهم قال: سمعت أبا عبد الله يسأل عن أطفال المسلمين؟ فقال: «ليس فيه اختلاف أنهم في الجنة»^(٧).

وممن نقل الإجماع على ذلك ابن عبد البر رحمته الله فقال: «قد أجمع العلماء على أن أطفال المسلمين في الجنة، ولا أعلم عن جماعتهم في ذلك خلافاً»^(٨).

وحكاه النووي رحمته الله أيضًا؛ فقال: «أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن مات من أطفال المسلمين

(١) التعليقات المختصرة على متن الطحاوي (١٦٣) [دار العاصمة، ط ١٤٢١هـ].

(٢) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٦/٣٤٨ - ٣٤٩) (١٨/١١١)، والفصل لابن حزم (٤/١٢٧) [دار الجيل، ط ٢]، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/١٠٧١) [دار العاصمة، ط ١٤٢١هـ]، وطريق الهجرتين (٢/٨٤١) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٣) أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام أحمد لأبي بكر الخلال (١١ رقم ١٢) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٤) التمهيد (٦/٣٤٨ - ٣٤٩).

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٦/٢٠٧) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط ١، ١٣٤٩هـ].

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٨/٤٦٠).

(٧) انظر: الفصل (٤/١٢٧).

(٨) أحكام أهل الذمة (٢/١٠٨٣).

(٩) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٨١).

بيده - كما آخذُ أنا بصِنْفَةِ ثوبك هذا فلا يتناهى - أو قال: فلا ينتهي - حتى يدخله الله وأباه الجنة»^(١)، وغيرها.

القول الثاني: وهو مذهب التوقف، وقد يكون المراد به: إما أنهم في التيه، فيجوز أن يدخلوا جميعهم الجنة، ويجوز أن يدخلوا جميعهم النار، أو المراد به: أن الله أعلم بما كانوا عاملين^(٢).

واستدلوا بأدلة منها: حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار. فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه. قال: «أو غير ذلك يا عائشة؟ إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاّب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاّب آبائهم»^(٣).

قالوا: هذا الحديث صريح صحيح في التوقف فيهم، فإن الصبي كان من أولاد المسلمين، وقد دعي النبي ﷺ للصلاة عليه^(٤).

وكذلك حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه المشهور وفيه عن النبي ﷺ أنه قال: «ثم

يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد»^(٥).

قالوا: وجه الدلالة منه: أن جميع من يولد من بني آدم إذا كتب السعداء والأشقياء منهم قبل أن يخلقوا، وجب علينا التوقف في جميعهم؛ لأننا لا نعلم هذا الذي توفي منهم هل كتب سعيداً، أم شقيّاً؟^(٦).

والجواب: أنه إن كان المراد بالتوقف أنهم في التيه، وأنه يجوز أن يدخلوا الجنة، ويجوز أن يدخلوا النار، كما هو قول المجبرة، فهو قول باطل، مبني على أصل باطل، ومخالف لإجماع أهل العلم، ومخالف للأحاديث السابقة الصريحة في دخولهم الجنة.

وأما إن كان المراد بالتوقف أن الله أعلم بما كانوا عاملين، فهذا أيضاً مخالف للسنة الصحيحة الصريحة، وللإجماع، فالخلاف فيهم لا يعتد به، فلهذا أنكر الإمام أحمد وجود الاختلاف فيهم، وقال: «إنما اختلفوا في أطفال المشركين»^(٧).

وأما عن حديث عائشة أم المؤمنين، **فجوابه من وجهين:**

(١) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٣٥).

(٢) انظر: التمهيد (٦/٣٤٨ - ٣٤٩) (١٨/١١١ - ١١٢)، ودرء التعارض (٨/٤٣٦).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٦٢).

(٤) أحكام أهل الذمة (٢/١٠٧٢).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٣).

(٦) أحكام أهل الذمة (٢/١٠٧٢).

(٧) أحكام أهل الملل لأبي بكر الخلال (١٢ رقم ١٤).

هذه المسألة على أقوال كثيرة^(٤)، أشهرها ثلاثة أقوال^(٥):

القول الأول: وهو أنهم كلهم في نار جهنم؛ لأنهم ماتوا على غير الإسلام، وهذا قول طائفة من أهل السنة، وقول جماعة من المتكلمين، اختاره القاضي أبو يعلى، ونسبه إلى الإمام أحمد، وتعقبه ابن تيمية، وقال: هو غلط عليه^(٦)، ونسبه ابن حزم إلى الأزارقة من الخوارج^(٧).

وقد استدلوا بأدلة لا تقوى، وهي ضعيفة^(٨)، وأجود ما احتجوا به حديث عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله ذراري

(٤) أقل الأقوال ثلاثة، حكاه النووي في شرح صحيح مسلم (٢٠٧/١٦، ٥٠/١٢)، وأكثرها عشرة حكاه ابن القيم في أحكام أهل الذمة (١٠٨٦/٢)، وحكى فيها ثمانية أقوال في طريق الهجرتين (٨٤٢/٢)، وحكى فيها ابن تيمية خمسة أقوال في درء التعارض (٤٣٥/٨ - ٤٣٦)، وغيرهم.

(٥) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١١١/١٨) [ط ١٣٦٩هـ]، والفصل لابن حزم (١٢٧/٤) [دار الجيل، ط ٢]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٤/٣٧٢)، ودرء التعارض (٤٣٥/٨) [جامعة الإمام، ١٤١١هـ]، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/١٠٧١) [دار العاصمة، ط ١٤٢١هـ]، وطريق الهجرتين (٨٤١/٢) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ]، وتفسير ابن كثير (٤٥٤/٨) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٢١هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١٧٨/٤) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٦) مجموع الفتاوى (٣٧٢/٢٤)، وانظر منه: (٤/٣٠٣).

(٧) الفصل (١٢٧/٤).

(٨) انظر: طريق الهجرتين (٨٤٧/٢)، وفتح الباري لابن حجر (١٧٨/٤).

أحدهما: أن يكون المراد به أنه لا يشهد لكل معين من أطفال المسلمين أنه في الجنة، وإن أطلق في الجملة أنهم في الجنة، وهذا أقوى الوجهين.

قال ابن القيم رحمته الله: «فهذا الحديث يدل على أنه لا يشهد لكل طفل من أطفال المؤمنين بالجنة، وإن أطلق على أطفال المؤمنين في الجملة أنهم في الجنة، لكن الشهادة للمعين ممتنعة؛ كما يشهد للمؤمنين مطلقاً أنهم في الجنة، ولا يشهد لمعين بذلك إلا من شهد له النبي ﷺ؛ فهذا وجه الحديث الذي أشكل على كثير من الناس»^(١).

الثاني: يحتمل أن يكون ذلك قبل نزول الخبر أنهم يدخلون الجنة^(٢).

وأما الجواب عن حديث عبد الله بن مسعود فإنه يدل على أن الله تعالى كتب شقاوة الأطفال وسعادتهم وهم في بطون أمهاتهم، ولا ننفي أن تكون الشقاوة والسعادة بأشياء علمها ﷻ منهم، وهم عاملوها لا محالة، تفضي بهم إلى ما كتبه وقدره^(٣).

- المسألة الرابعة: حكم أطفال الكفار الذين يموتون قبل البلوغ:

اختلف أهل العلم قديماً وحديثاً في

(١) طريق الهجرتين (٨٦٤/٢).

(٢) انظر: الاعتقاد للبيهقي (١٨١) [ط ١، ١٤١٨هـ].

(٣) أحكام أهل الذمة (١٠٧٢/٢ - ١٠٧٣)، وانظر: الاعتقاد للبيهقي (١٨٣).

المؤمنين؟ فقال: «من آبائهم». فقلت: يا رسول الله بلا عمل؟! قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين». قلت: يا رسول الله فذراري المشركين؟ قال: «هم من آبائهم». فقلت: يا رسول الله بلا عمل؟! قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»^(١).

والجواب من وجهين؛ أحدهما: أن حديث عائشة رضي الله عنها قد ضعفه غير واحد من أهل العلم، وعلى تقدير ثبوته فإن النبي قال: «هم من آبائهم» ولم يقل هم معهم، وفرق بين الحرفين، وكونهم منهم لا يقتضي أن يكونوا معهم في أحكام الآخرة، بخلاف كونهم منهم فإنه يقتضي أن تثبت لهم أحكام الآباء في الدنيا، من التوارث، والحضانة، والنسب وغير ذلك^(٢).

الثاني: أنه يدل على أن الذين يلحقون بآبائهم هم الذين علم الله أنهم لو عاشوا لاختاروا الكفر، وعملوا به، فهؤلاء مع آبائهم، وقول عائشة رضي الله عنها بلا عمل؛ أي: أنهم يلحقون بهم بلا عمل عملوه في الدنيا، ولا ينفي هذا أن يلحقوا بهم بأسباب أخرى، يمتحنهم بها

في عرصات القيامة^(٣)، كما سيأتي تحقيقه.

القول الثاني: أنهم كلهم في الجنة، وهو قول طائفة من المفسرين، والمتكلمين، واختاره ابن الجوزي، ورجحه النووي^(٤)، وذكر ابن حجر أن تراجم البخاري في صحيحه تشير إلى أنه من الذهابين إلى هذا القول بعدما كان يرى التوقف فيهم^(٥) ونسبه ابن حزم إلى الجمهور، ونصره^(٦).

ومن هؤلاء من يقول: إنهم خدم أهل الجنة، ومنهم من يقول: هم من أهل الأعراف^(٧)، وأهل الأعراف مآلهم إلى الجنة على الصحيح؛ لأن الأعراف ليست دار قرار^(٨).

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة؛ من أظهرها: ما رواه سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: «فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة فيها من كل لون الربيع، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء وإذا حول الرجل من أكثر من ولدان رأيتهم قط. قال: قلت لهما: ما

(٣) انظر: طريق الهجرتين (٢/ ٨٤٥).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٢/ ٥٠).

(٥) فتح الباري (٤/ ١٧٧ - ١٧٨).

(٦) الفصل (٤/ ١٢٧).

(٧) انظر: درء التعارض (٨/ ٤٣٥).

(٨) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٦٠).

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧١٢)، وأحمد (٩٥/ ٤١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصحح إسناده الألباني في أحكامه على سنن أبي داود (٨٥١) [مكتبة المعارف، ط ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: طريق الهجرتين لابن القيم (٢/ ٨٦٢)، وأحكام أهل الذمة له (٢/ ١١٠٨).

القول الرابع: التوقف، والمراد بالتوقف هو قول النبي ﷺ: «الله أعلم بما كانوا عاملين»^(٣)، فمن علم الله منه إذا بلغ أطاع أدخله الجنة، ومن علم منه أنه يعصي أدخله النار، ثم هم صنفان^(٤):

الأول: منهم من يقول: إنه يجزيهم بمجرد علمه فيهم، كما يحكى هذا القول عن أبي العلاء القشيري المالكي.

الثاني: وهم الأكثرون يقولون: لا يجزي على علمه بما سيكون حتى يكون، فيمتحنهم يوم القيامة، ويمتحن سائر من لم تبلغه الدعوة في الدنيا، فمن أطاع حينئذ دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، فهناك يظهر فيهم ما علمه الله سبحانه، ويجزيهم على ما ظهر من العلم، وهو إيمانهم وكفرهم، لا على مجرد العلم، وهذا القول منقول عن غير واحد من السلف؛ من الصحابة والتابعين^(٥)، وهو المذهب الثامن الذي حكاه ابن القيم في طريق الهجرتين^(٦)، وحكاه الأشعري عن أهل السنة والجماعة في مقالاته^(٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٥٩٧)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٦٠)، من حديث ابن عباس ؓ.

(٤) انظر: درء التعارض (٤٣٦/٨).

(٥) انظر: درء التعارض (٤٣٦/٨)، ومجموع الفتاوى

لابن تيمية (٤/٢٤٦، ٢٨١، ٣٠٣) (٣٧٢/٢٤).

(٦) طريق الهجرتين (٢/٨٦٤).

(٧) مقالات الإسلاميين (١/٣٤٩).

هذا، ما هؤلاء؟ قال: قالوا لي: انطلق انطلق.. إلى أن قال -: وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ؑ، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة. قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: وأولاد المشركين^(١).

قالوا: هذا الحديث صحيح صريح في أنهم في الجنة، ورؤيا الأنبياء حق. واستدلوا أيضًا بحديث أبي هريرة أنه قال: قال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء»^(٢).

قالوا: فقد أخبر النبي ﷺ: «أن كل مولود يولد على الفطرة، وإنما يهوده وينصرّه أبواه، فإن مات قبل التهود والتنعير مات على الفطرة».

واحتجوا أيضًا بالآيات التي فيها نفي العذاب عمن لم تبلغه الدعوة؛ كقوله ﷺ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء]، وقوله: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وغيرها.

(١) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٧٠٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٨٥)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٨).

لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: يا رب جاء الإسلام والصبيان يقذفوني بالبر، وأما الهرم فيقول: لقد جاء الإسلام وما أعقل، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني رسولك، فيأخذ موثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار. قال: فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً^(٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، للصابوني.
- ٢ - «الآداب الشرعية»، لابن مفلح.
- ٣ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.
- ٤ - «أحكام أهل الملل»، لأبي بكر الخلال.
- ٥ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.
- ٦ - «أحكام أهل الذمة»، لابن قيم الجوزية.
- ٧ - «زاد المعاد»، لابن القيم.
- ٨ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.

وهذا القول الأخير هو الذي رجحه ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وغيرهم من أهل العلم سلفاً وخلفاً^(١)، وهو الذي تدل عليه الأصول المعلومة من الكتاب والسنة.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء]، وقوله: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصاص: ٥٩].

ومن السنة: حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن ذراري المشركين فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»^(٣).

وعن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ قال: «أربعة يحتجون يوم القيامة: أصم، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في الفترة، فأما الأصم فيقول: يا رب،

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٨/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]،

وابن حبان (ذكر الأخبار عن وصف قوم يحتجون على الله يوم القيامة، رقم ٧٣٥٧) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، واللفظ له، والطبراني في الكبير (٢٨٧/١) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وصححه عبد الحق الإشبيلي وابن القيم. انظر: طريق الهجرتين (٣٩٧ - ٣٩٨) [دار السلفية، ط٢]، وصححه الألباني أيضاً في السلسلة الصحيحة (٤١٩/٣).

(١) انظر: أحكام أهل الملل (١٤ رقم ٢٢)، والتمهيد لابن عبد البر (١١١/١٨ - ١١٢)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٧٢/٢٤)، وطريق الهجرتين (٢/ ٨٦٤)، وتفسير ابن كثير (٤٥٥/٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٨٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٨).

- ٩ - «النوبات»، لابن تيمية.
 ١٠ - «منهاج السُّنة النبوية»، لابن تيمية.
 ٢ - معنى خاص: الذين قتلوا في سبيل الله في المعركة.
 ١١ - «أهل الفترة ومن في حكمهم»، لموفق شكري.

❁ سبب التسمية:

مما قيل في سبب تسمية الشهداء بذلك:

- التعريف لغة:
 الشهداء: جمع شهيد على وزن (فَعِيل)، يقال: شهد فلان بحق فهو شاهد وشهيد، واستشهد فلان فهو شهيد؛ إذا مات شهيداً^(١).
 قال الجوهري: «والشهيد: القتل في سبيل الله. وقد استشهد فلان، والاسم: الشهادة»^(٢).
- ١ - أن ملائكة الرحمة تشهدهم.
 ٢ - أنهم يشهدون في تلك الحالة ما أعد لهم من النعيم.
 ٣ - أنهم تشهد أرواحهم عند الله.
 ٤ - أن الله تعالى وملائكته شهود لهم بالجنة.
 ٥ - أنهم ممن يستشهد يوم القيامة على الأمم الخالية.
 ٦ - لسقوطهم على الشاهدة؛ أي: الأرض.

❁ المنزلة:

لشهداء منزلة عظيمة عند الله ﷻ، شرفهم الله وخصَّهم بها، وما هذا إلا لما بذلوا من أنفسهم وأموالهم في سبيل الله ﷻ. فقد أخبر الله ﷻ أن منزلتهم رفيعة، فقال: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ﴾ [النساء: ٦٩].
 كما أخبر سبحانه أنهم أحياء يرزقون،

❁ التعريف شرعاً:

قال ابن الأثير: «الشهيد في الأصل: من قُتل مجاهداً في سبيل الله، ويجمع على شهداء، ثم اتَّسع فيه فأُطلق على من سماه النبي ﷺ من؛ المبطون، والغرق، والحرق، وصاحب الهدم، وذات الجنب، وغيرهم»^(٣).

وعلى هذا يكون للشهداء معنيان:

- ١ - معنى عام: وهم الذين أُطلق

(١) انظر: تهذيب اللغة (٤٨/٦) [دار إحياء التراث العربي، ١].

(٢) الصحاح (٤٩٤/٢) [دار العلم للملايين].

(٣) النهاية في غريب الحديث (٥١٣/٢) [المكتبة العلمية].

عشر مرات، لما يرى من الكرامة»^(٣).

❖ الأدلة:

أما من القرآن:

فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيُسَبِّحُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٧٠) [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١٦٩) [الحديد].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (١٦٩) [النساء].

وأما من السنة:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة»^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ

فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) [آل عمران].

وأنّ لهم أجرهم ونورهم، فقال تعالى: ﴿وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩].

وأخبر النبي ﷺ أن: «للشهيد عند الله ست خصال، يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه»^(١).

وأخبر ﷺ كذلك أن «أرواح الشهداء في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل»^(٢).

ولما للشهداء من منزلة عند الله تعالى، يتمنون الرجوع والشهادة مرة أخرى في سبيل الله، ففي الحديث قال ﷺ: «ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وأن له ما على الأرض من شيء، غير الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع، فيقتل

(١) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل الجهاد، رقم ١٦٦٣) وصحّحه، وابن ماجه (كتاب الجهاد، رقم ٢٧٩٩)، وأحمد (٤١٩/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٢١٣).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨١٧)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٧٧).

(٤) تقدم تخريجه قريباً.

٢ - شهداء في ثواب الآخرة دون أحكام الدنيا:

كالمبطلون والمطعون وصاحب الهدم ومن قتل دون ماله، وغيرهم ممن جاءت الأحاديث الصحيحة بتسميتهم شهداء، وهؤلاء يغسلون ويصلى عليهم، ولهم في الآخرة ثواب الشهداء، ولا يلزم أن يكون ثوابهم مثل ثواب القسم الأول.

٣ - شهداء في أحكام الدنيا:

وهم الذين قتلوا في حرب الكفار لكنهم قاتلوا لغرض دنيوي، أو غلوا من الغنيمة، وشبه ذلك ممن وردت الآثار بنفي تسميته شهيداً، فلا يغسلون ولا يصلى عليهم، لكن ليس لهم ثوابهم الكامل في الآخرة.

المراتب:

تتفاوت مراتب الشهداء ودرجاتهم، ولا يلزم من وصفهم بأنهم شهداء أن تتساوى منازلهم.

ففي الحديث: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألت الله فاسأله الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة...» (٥).

قال ابن حجر بعد ذكر بعض من وصف في النصوص بالشهادة: «قال ابن

(٥) تقدم تخريجه.

قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألت الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفرج أنهار الجنة» (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور» (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله» (٣).

الأقسام:

قسم العلماء الشهداء إلى ثلاثة أقسام (٤):

١ - شهداء في أحكام الدنيا وثواب الآخرة:

وهم الذين قتلوا في حرب الكفار بسبب من أسباب القتال، وهذا القسم لا يغسلون ولا يصلى عليهم، ويدفنون في ثيابهم.

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٢٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨٢٩)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩١٤).

(٤) انظر: المجموع للنووي (٥/٢٦٤) [دار الفكر].

سبحانه، وتكلمه به، وإعلامه وإخباره خلقه به، وأمرهم وإلزامهم به»^(٣).

- المسألة الثانية: حكم قول: فلان شهيد:

الذي عليه أهل السنة والجماعة عدم الشهادة والقطع للمعين بالجنة والنار، إلا من شهد له الله تعالى أو رسوله ﷺ بذلك. فعن زهير بن عباد قال: «كل من أدركت من المشايخ؛ مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعيسى بن يونس، وفضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك، ووکیع بن الجراح، وغيرهم لا يكفرون أحداً بذنوب، ولا يشهدون لأحد أنه في الجنة وإن لم يعص الله، ولا أنه في النار وإن عمل الكبائر، ومن خالف هذا فهو عندهم مبتدع»^(٤).

وقال أبو القاسم التيمي: «ومن مذهب أهل السنة: أنهم لا يشهدون على أحد من أهل القبلة بالنار، وإن مات على كبيرة من الكبائر، ولا يشهدون لأحد أنه في الجنة، إلا لمن شهد له النبي ﷺ»^(٥).

وقد اختلف أهل العلم في إطلاق لفظ الشهيد على المعين على قولين^(٦):

(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز (٤٤/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١٠].

(٤) أصول السنة لابن أبي زمنين (٢٢٢) [مكتبة الغرباء].

(٥) الحجة في بيان المحجة (٢٨٦/٢) [دار الراية، ط ٢].

(٦) انظر: أحكام الشهيد في الفقه الإسلامي لعبد الرحمن =

التين: هذه كلها ميتات فيها شدة تفضل الله على أمة محمد ﷺ، بأن جعلها تمحيصاً لذنوبهم وزيادة في أجورهم، يبلغهم بها مراتب الشهداء، قلت: والذي يظهر أن المذكورين ليسوا في المرتبة سواء»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الشهيد من أسماء الله:

وقد ورد هذا الاسم في كثير من النصوص، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، وقوله تعالى: ﴿وَكُنْ لِلَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]. ومعناه: «الذي لا يغيب عنه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء؛ بل هو مطلع على كل شيء مشاهد له، عليم بتفاصيله»^(٢).

ومن معانيه أيضاً: شهادته لنفسه بالوحدانية، كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَمَلَ تَكْوِينَهُ وَأَوَّلُ الْإِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران].

قال ابن أبي العز: «فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع، علمه بذلك

(١) فتح الباري (٤٤/٦) [دار المعرفة].

(٢) مدارج السالكين (٤٣٣/٣) [دار الكتاب العربي].

النصوص على سبيل الإجمال والإطلاق أو الاستثناء؛ كأن يقال: أرجو له الشهادة، أو شهيد إن شاء الله.

✽ الثمرات:

ثمرات الشهادة في سبيل الله كثيرة، تضافرت النصوص في بيانها وقد مر طرف منها في منزلة الشهداء، ومن هذه الثمرات^(٣):

- أن الشهداء لا يفتنون في قبورهم.
- أن الشهداء يغفر لهم كل شيء إلا الدين.
- أن الشهداء لا يجدون ألم القتل إلا كما يجد الواحد مس القرصة.
- أن الأرض لا تأكل أجساد الشهداء.
- أن الشهداء يأتون يوم القيامة؛ اللون لون الدم والريح ريح المسك.
- أن الشهداء يتمنون الرجوع إلى الدنيا؛ ليقتلوا مرة أخرى.
- أن الشهداء يشفعون لسبعين من أقاربهم.

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «الحجة في بيان المحجة»، للتمي.
- ٢ - «النهاية في غريب الحديث»، لابن الأثير.

(٣) انظر: الشهادة وأجر الشهيد في ضوء الكتاب والسنة لصالحه فطاني (١٩١ - ٢١٩) [رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، نوقشت عام ١٩٨٥م].

القول الأول: أنه لا يجوز الحكم على شخص بعينه أنه شهيد إلا من جاء الوحي بالشهادة له، وأما على سبيل الإجمال والإطلاق فلا بأس بذلك.

قال البخاري: «باب: لا يقول فلان شهيد». قال ابن حجر: «أي: على سبيل القطع بذلك إلا إن كان بالوحي...»^(١).

واستدلوا بعدة أدلة، منها: قوله ﷺ: «والله أعلم بمن يجاهد في سبيله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله»^(٢).

القول الثاني: جواز الشهادة لمعين بالشهادة.

واستدل أصحاب هذا القول ببعض الآثار المروية عن الصحابة ومن بعدهم في إطلاق هذا اللفظ على بعض من مات في المعركة.

والراجح - والله أعلم - عدم جواز الشهادة لمعين بأنه شهيد، إلا من شهد له الوحي بذلك، أو أطلق عليه في

= العمري (٥٣ - ٦٩) [رسالة ماجستير بجامعة أم القرى]، والشهادة لمعين بالشهادة لسليمان الديبكي (١٩ - ٣٦).

(١) فتح الباري (٩٠/٦).

(٢) هذا اللفظ مركب من حديتين:

أولهما: أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٧٨٧)، بلفظ: «مثل المجاهد في سبيل الله، والله أعلم بمن يجاهد في سبيله...» الحديث.

والثاني: أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨٠٣)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٧٦)، بلفظ: «لا يكلم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله...» الحديث.

٣ - «المجموع شرح المذهب»، للنووي.

٤ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

٥ - «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز.

٦ - «فتح الباري»، لابن حجر.

٧ - «أحكام الشهيد في الفقه الإسلامي»، لعبد الرحمن العمري.

٨ - «الشهادة لمعين بالشهادة»، لسليمان الديخي.

٩ - «الشهادة وأجر الشهيد في ضوء الكتاب والسنة»، لصالحه فطاني.

✽ التعريف شرعاً:

الشهيد: المتفرد بالعلم المحيط بكل شيء، وبشهوده علماً وسمعاً وبصراً لسائر شؤون خلقه سبحانه^(٣).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لا شك أن المعنى اللغوي هو المعنى الشرعي بعينه، مع التنبيه على أن المعنى اللغوي أوسع من المعنى الشرعي، حيث يشمل معاني أخرى كالقتيل في سبيل الله ونحوه.

✽ الحكم:

يجب إثبات اسم الله الشهيد لله ﷻ كما أثبتته لنفسه ﷻ على الوجه اللائق به ﷻ^(٤).

✽ الحقيقة:

الشهيد صيغة مبالغة لاسم الفاعل

(٢) تهذيب اللغة (٤٨/٦) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠١م].

(٣) انظر: شأن الدعاء (٧٥) [دار الثقافة العربية، ط ٣].، ومدارج السالكين (٤٦٦/٣) [دار الكتاب

العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ]، وتفسير السعدي (٩٤٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٤) انظر: مدارج السالكين (٤٦٦/٣)، وتفسير السعدي (٩٤٨).

✽ الشهيد (صفة لله تعالى) ✽

✽ التعريف لغة:

يدور معنى كلمة (الشهيد) في اللغة حول الحضور والعلم والرؤية والسمع والإدراك.

فحرف «الشين والهاء والذال أصلٌ يدلُّ على حضور وعلم وإعلام، لا يخرج شيئاً من فروعه عن الذي ذكرناه. من ذلك الشهادة، يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور، والعلم، والإعلام والشهيد: القتل في سبيل الله، يقال: شهد فلان عند القاضي، إذا بين وأعلم لمن الحق وعلى من هو»^(١).

وقال الأزهري: «والشهيد في

(١) مقاييس اللغة (٢٢١/٣) [دار الجيل، ط ٢]، وانظر: القاموس المحيط (٣٧٢) [مؤسسة الرسالة].

الشهيد الذي لا يغيب عنه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء؛ بل هو مطلع على كل شيء، مشاهد له، عليم بتفاصيله»^(٣).

وقال السعدي: «الشهيد؛ أي: المطلع على جميع الأشياء. سمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليها صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه»^(٤).

المسائل المتعلقة:

- الشهادة صفة من صفات الله دلَّ عليها اسمه الشهيد:

كما في قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت].

و«أصل الشهادة: الرؤية، وقد شاهدت الشيء: رأيته، والشهد: العسل على ما شوهد في موضعه، وقال بعضهم: الشهادة في الأصل إدراك الشيء من جهة سمع أو رؤية فالشهادة تقتضي العلم بالمشهود»^(٥).

الضروق:

الفرق بين الرقيب والشهيد:

يدور معنى كل من الرقيب والشهيد

(شاهد) جاء على وزن (فعليل)؛ للمبالغة التي تدل على الإحاطة التامة بالشيء علماً وسمعاً وبصراً، وهذا المعنى وهو الذي دلَّت النصوص على إثباته لله والله أعلم^(١).

الأدلة:

دلَّت النصوص الصريحة على ثبوت اسم الله الشهيد ﷻ، من ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةٌ قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]. وقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ٧].

أقوال أهل العلم:

قال الخطابي: «الشهيد: هو الذي لا يغيب عنه شيء، يقال: شاهد وشهيد كعالم وعليم؛ أي: كأنه الحاضر الشاهد الذي لا يعزب عنه شيء»^(٢).

وقال ابن القيم في قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت]: «فشهد سبحانه لرسوله ﷺ بقوله أن ما جاء به حق، ووعد أنه يرى العباد من آياته الفعلية الخلقية ما يشهد بذلك أيضاً، ثم ذكر ما هو أعظم من ذلك وأجل، وهو شهادته سبحانه على كل شيء، فإن من أسمائه

(١) انظر: شأن الدعاء (٧٥)، وتفسير السعدي (٩٤٨)،

الحق الواضح المبين للسعدي (٥٨) [دار ابن القيم،

ط ٢]، ومداير السالكين (٤٦٦/٣).

(٢) شأن الدعاء (٧٥).

(٣) مدارج السالكين (٤٦٦/٣).

(٤) تفسير السعدي (٩٤٨).

(٥) الفروق اللغوية للعسكري (٩٦) [دار العلم والثقافة].

شَهِيدٌ ﴿٦﴾ [المجادلة]، ولهذا كانت المراقبة التي هي من أعلى أعمال القلوب هي التعبد لله باسمه الرقيب الشهيد^(٣).

الآثار:

من الآثار العظيمة المترتبة على الإيمان باسم الله الشهيد: مراقبة الله في السر والعلن، والاجتهاد في طلب محابه تبارك وتعالى والسعي إلى تحقيق مرضيه، والبعد عن مساخطه، واجتناب مناهيه قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي معرض حديثه عن اسمي الرقيب والشهيد: «(الرقيب) و(الشهيد) مترادفان، وكلاهما يدلُّ على إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحق، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة]، فمتى علم العبد أن حركاته الظاهرة، والباطنة قد أحاط الله بعلمها، واستحضر هذا العلم في كل أحواله، أوجب له ذلك حراسة باطنة عن كل فكر، وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله

حول معنى الإحاطة العلمية التامة الكاملة بجميع المخلوقات. لكن الرقيب فيه زيادة حفظ^(١).

فالشهيد هو المحيط بالأمور علمًا وسمعًا وبصرًا، والرقيب هو الحفيظ الذي لا يغيب عن حفظه شيء من شؤون خلقه، فما من كبيرة ولا صغيرة، ولا ظاهرة ولا خفية، في السماوات والأرض وما بينهما، إلا هو مطلع عليها. قال الزجاج: «الرقيب هو الحافظ الذي لا يغيب عما يحفظه. يقال: رقيب الشيء أرقبه رَقَبَةً، وقال الله تعالى ذكره: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق] وهو تعالى الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء»^(٢).

وذكر السعدي أن هذين الاسمين مترادفان، فقال: «(الرقيب) و(الشهيد) مترادفان، وكلاهما يدلُّ على إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحق، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء]، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

(١) المنهاج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٢)

(٥٠٧) لزين محمد شحاته [مكتبة العواصم].

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٥١) [دار المأمون

للتراث، ط ٥، ١٤٠٦هـ].

(٣) الحق الواضح للسعدي (٥٨).

وتعبد بمقام الإحسان فعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه»^(١).
أعم العام^(٢).

التعريف اصطلاحًا:

الشيء: اسم لما يوجد في الأعيان ولما يتصور في الأذهان^(٣).

وقيل: هو ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيشمل الموجود والمعدوم، ممكنًا أو محالًا^(٤).

الحكم:

يجوز إطلاق لفظة (شيء) على الله وَعَلَى أو على صفة من صفاته من باب الإخبار، لا من باب الأسماء، فلا يجوز أن تقول: (الشيء) اسم من أسماء الله تعالى، ويجوز أن تخبر فتقول: الله شيء، لكنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير^(٥).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفرق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع والعقل، وبه يظهر الفرق بين ما يدعى الله به من أسمائه الحسنى، وبين ما يخبر به عنه قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. مع قوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي

المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله الحسنى»، لعبد الله الغصن.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٣ - «تفسير السعدي».
- ٤ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.
- ٥ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٦ - «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة»، لسعيد القحطاني.
- ٧ - «صفات الله وَعَلَى الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ٨ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٩ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.
- ١٠ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

الشيء

التعريف لغة:

الشيء: عبارة عن كل موجود، إما حسًا كالأجسام، إما معنًى كالأقوال، وقيل: إنه يختص بالموجود، وقيل هو

(٢) انظر: تاج العروس (٢٩٣/١) [طبع وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٣٨٥هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٨).

(٤) انظر: الكليات للكفوي (٥٢٥) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ].

(٥) انظر: صفات الله وَعَلَى للسقاف (٢١٧).

(١) الحق الواضح المبين للسعدي (٥٨ - ٥٩).

وقوله ﷺ: «لا شيء أغير من الله»^(٤).
 قوله ﷺ: «أصدق كلمة قالها الشاعر
 كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله
 باطل»^(٥).

وأخيراً: إن العقل يدل على ذلك؛
 فمن المعلوم أن الشيء عبارة عما يصح
 أن يعلم ويخبر عنه وذات الله تعالى
 كذلك فيكون شيئاً.

✽ أقوال أهل العلم:

وردت أقوال كثيرة لأهل العلم في
 جواز إطلاق الشيء على الله؛ بل يكاد
 يكون إجماع من أهل السنة على
 ذلك^(٦)، ومن ذلك:

أن البخاري بَوَّبَ في «صحيحه»^(٧)
 باباً فقال: «باب: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهْدَةً
 قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩]. فَسَمَّى الله تعالى
 نفسه شيئاً وسمى النبي ﷺ القرآن شيئاً
 وهو صفة من صفات الله وقال: ﴿كُلُّ
 شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال الإمام الدارمي: «لأن الكلمة قد

وَيَبْنِيكُمْ» [الأنعام: ١٩]. ولا يقال في
 الدعاء: يا شيء»^(١)

✽ الأدلة:

من الأدلة التي تدل على جواز إطلاق
 لفظ: (الشيء) على الله تعالى من القرآن
 الكريم قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ
 شَهْدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا
 الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا
 وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ
 يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣].

فوجه الله صفة ذات لله تعالى،
 والقرآن كلام الله، وهو صفة من صفاته،
 والقول في الصفة كالقول في الذات.

وأما الأدلة من السنة؛ فمنها: حديث
 سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ
 لرجل: «أمعك من القرآن شيء؟» قال:
 نعم؛ سورة كذا وسورة كذا، لسور
 سماها^(٢).

وقوله ﷺ في خبر عمران بن
 الحصين رضي الله عنه: «كان الله ولم يكن شيء
 قبله»^(٣).

(١) درء التعارض (٢٩٨/١) [طبعة جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١٨).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥٢٢٢)،
 ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٢).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦١٤٧)،
 ومسلم (كتاب الشعر، رقم ٢٢٥٦).

(٦) انظر: شرح السنة للبغوي (١/١٧٢)، وشعب
 الإيمان للبيهقي (١/١٣٨)، والانتصار للعمري (١/١)
 (٢٤٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/١٤٢)،
 و(٩/٣٠٠ - ٣٠١)، وبدائع الفوائد (١/١٦٢)
 [مكتبة مصطفى الباز، ط ١]، وفتح الباري لابن
 حجر (١٣/٤٠٢ - ٤٠٣).

(٧) صحيح البخاري (٦/٢٦٩٨) (كتاب التوحيد).

✽ مذهب المخالفين:

المخالفون لأهل السنة في هذا اللفظ قسمان؛ **الأول**: الجهم بن صفوان وعبد الله الناشئ ومن اتبعهما، ينكرون أن يطلق على الله لفظ (الشيء)، ونُقل عن جهم أيضًا قوله: لا أقول إن الله شيء، ولا أنه لا شيء، وربما قالت الجهمية: هو شيء لا كالأشياء، فإذا نفى القدر المشترك مطلقًا لزم التعطيل العام^(٤). ويحكي عن الجهم أنه كان يقول: لا أقول إن الله سبحانه شيء؛ لأن ذلك تشبيه له بالأشياء، ولأنه تعالى خالق كل شيء فلا شيء إلا مخلوق.

القسم الثاني: الأشاعرة والماتريدية^(٥)، حيث جعلوا (الشيء)

اتفقت من الخلق كلهم أن الشيء لا يكون إلا بحد وصفة، وأن لا شيء ليس له حد ولا صفة، فلذلك قلت: لا حد له، وقد أكذبكم الله تعالى فسمى نفسه أكبر الأشياء وأعظم الأشياء وخلاق الأشياء، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهْدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصاص: ٨٨]، فهو سمي نفسه أكبر الأشياء وأعظم الأشياء وخلاق الأشياء، وله حد وهو يعلمه لا غيره^(١).

وقال ابن القيم: «إن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء والموجود والقائم بنفسه فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنی وصفاته العليا^(٢)».

✽ الفروق:

الفرق بين الشيء والموجود:

قيل: هما بمعنى واحد؛ وذلك أن الموجودين لا بد أن يتفقا في اسم الشيء، فإذا لم يكن هناك قدر اتفقا فيه أصلاً لزم أن لا يكونا جميعاً موجودين^(٣)، وعليه؛ فمعنى شيء هو معنى موجود.

(١) الرد على الجهمية للدارمي (٩٨).

(٢) بدائع الفوائد (١/١٦٩).

(٣) انظروا: الدرر لابن تيمية (٢/٤١٥).

(٤) انظر مقولة الجهم هذه في: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢٨٠) [دار إحياء التراث العربي، ط٣]، والملل والنحل للبغداد (١/٨٦ - ٨٧)، والفصل في الملل لابن حزم (٤/١٥٥) [مكتبة الخانجي، القاهرة]، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي (٩٦) [المكتبة الأزهرية للتراث، ط٢، ١٩٧٧م]، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (٦٨) [دار الكتب العلمية، ط. ١٤٠٢هـ]، ودرء التعارض (٥/١٧٨)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٧٥) (٨/٤٦٠) (١٢/٣١١)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/٤٠٣) [دار المعرفة، ط. ١٣٧٩هـ]، ومقالات الجهم بن صفوان وأثرها في الفرق الإسلامية (١/٣٨٥) لياسر القاضي [مكتبة أضواء السلف].

(٥) انظر: لوايح البينات للرازي (٣٥٩) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٤هـ]، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود (٣/١٠٤١) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ]، والماتريدية دراسة وتقويمًا لأحمد الحربي (٢٢٠) [دار العاصمة، ط١، =

٨٨] والمستثنى داخل في المستثنى منه، فوجب أن يكون شيئاً^(٢).

أما الجواب على كلام الأشاعرة والماتريدية: فهو أن يقال: إن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء، وباب الأسماء توقيفي، وأما باب الإخبار فغير توقيفي كما تقرر قريباً من كلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله.

وكذلك أسمائه ﷺ كلها حسنى، دالة على أوصاف الكمال التي يمدح بها، ويشنى عليه بها^(٣)، والشيء ليس فيه ما يدل على صفة كمال، ولا مما يمدح ويشنى به على الرب ﷻ؛ إذ غاية ما فيه إثبات الموجود.

كما أن الله تعالى شرع لعباده دعاءه بأسمائه الحسنى فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والشيء قد لا تظهر فيه مشروعية الدعاء به.

المصادر والمراجع:

- ١ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.
- ٢ - «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع»، للملطي.

- ٣ - «الحيدة والاعتذار في الرد على

(٢) انظر: الحيدة والاعتذار للكناني (٤٨)، والانتصار في الرد على المعتزلة للعمري (٥٨١/٢).

(٣) انظر: الحجة لقوام السنة (١/١٧٨)، وشرح النونية للهراس (٥٠٣/٢).

اسماً من أسماء الله، فجعلوه من باب الأسماء لا من باب الإخبار.

الرد على القسمين:

أما قول الجهم وأتباعه فباطل؛ لأن الله نفى عن نفسه المثل والنسب والسمي والكفو في كتابه في أكثر من آية، وكذلك ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك ولو في أصل الوجود، ولكن بينهما تميز كبير وواضح، يقول شيخ الإسلام في رده على الجهم في نفيه إطلاق الشيء على الله بزعمه نفي التشبيه: «وقوله باطل؛ فإنه سبحانه وإن كان لا يماثله شيء من الأشياء في شيء من الأشياء فمن المعلوم بالعقل أن كل شيئين فهما متفقان في مسمى الشيء، وكل موجودين فيها متفقان في مسمى الوجود، وكل ذاتين فهما متفقان في مسمى الذات»^(١). فبما أن وجود الله يليق به، وهو لا يشبه وجود المخلوق، فكذلك يقال في جميع الصفات والأخبار، فالقول فيها من باب واحد.

ويجاب أيضاً: بأن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصر:

= ١٤١٣هـ]، وأحال إلى كتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي (٤٢، ٩٤)، وانظر أيضاً: التفسير الكبير للرازي (٢٦/١ - ٢٨) [دار إحياء التراث العربي].

(١) درء التعارض (٢/٤١٥)، وانظر أوجه الرد على هذه المقالة والتفصيل فيها: مقالات الجهم بن صفوان وأثرها في الفرق الإسلامية لياسر القاضي (١/٤٤٠ - ٤٤٨).

وعلى هذا فالنون في (الشيطان) أصلية. وقيل: هو من: شاط يشيط، فأصله: شيط وهو «يدل على ذهاب الشيء إما احتراقًا وإما غير ذلك»^(٢)، وعلى هذا فالنون زائدة. قال بعض العلماء: «كلاهما صحيح في المعنى، ولكن الأول أصح، ويدل عليه كلام العرب»^(٣). والشيطان: البعيد المتمرد^(٤).

التعريف شرعًا:

الشيطان يطلق على إبليس وجنوده، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وقد يطلق على غيرهم إذا وجد فيه صفاتهم، قال الطبري: «الشيطان في كلام العرب: كل متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شيء»^(٥).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الشرع خصص المعنى اللغوي من كل متمرد هالك إلى إبليس وجنوده، وسمي

من قال بخلق القرآن، لعبد العزيز بن يحيى الكناني.

٤ - «الرد على الجهمية»، للدارمي.

٥ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، للغنيمان.

٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٦)، لابن تيمية.

٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد خليفة التميمي.

٩ - «مقالات الجهم بن صفوان وأثرها في الفرق الإسلامية» (ج ١)، لياسر القاضي.

١٠ - «نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد»، للدارمي.

الشَّيْطَان

التعريف لغة:

أصله: شطن، قال ابن فارس: «الشین والطاء والنون أصلٌ مطَّردٌ صحيح يدلُّ على البُعد، يقال: بثر شطون؛ أي: بعيدة القعر، والشطن: الحبل، وهو القياس لأنه بعيد ما بين الطرفين»^(١).

(١) مقاييس اللغة (٥٢٤) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٢) مقاييس اللغة (٥٤٤).

(٣) تفسير ابن كثير (١/١٧٦) [دار عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٥هـ]، ومنهاج السنة (٥/١٨٩ - ١٩٠) [جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ].

(٤) انظر: جامع البيان (١/٦٢) [دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٥) جامع البيان (١/٦١)، وانظر: الصحاح (٥/٢١٤٤) [دار العلم للملايين، ط ٣]، ومقاييس اللغة (٥٢٤)، وتفسير ابن كثير (١/١٧٦)، والكلبيات للكفوي (٥٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٩هـ].

هو بذلك لعتوه وتمرده على ربه ﷻ (١).

❖ سبب التسمية:

«سُمي الشيطان شيطاناً؛ لبُعدِه عن الحق وتمرده» (٢)، قال الطبري: «إنما سُمي المتمرد من كل شيء شيطاناً؛ لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله، وبُعدِه من الخير» (٣).

❖ الأسماء الأخرى:

إبليس.

❖ الحكم:

يجب الإيمان بوجود الشيطان، وأنه عدو الإنسان يدعوه إلى النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٦) [فاطر].

❖ الحقيقة:

الشياطين حقيقة لا خرافة، وهم المتمردون من الجن، وأن لهم قبلاً (٤) وذرية، قال تعالى عن كبيرهم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾

(١) انظر: عالم الجن والشياطين (١٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١/١٤٠) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ]، وتفسير ابن كثير (١/١٧٦).

(٣) انظر: جامع البيان (١/٦٢).

(٤) قبيلة: أي: صنفه وجنسه الذي هو منه، جمعه: قُبُل، وهم الجن، وقال ابن زيد: نسله. انظر: جامع البيان (٥/١٩٥)، وتفسير القرطبي (٩/١٨٨).

[الكهف: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ لَا يَفْنِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهِمَا إِنَّهُ يَرِنَكُمْ هُوَ وَفِيْلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

❖ الأهمية:

الشيطان عدو الإنسان، ومعرفة العدو اللدود ومعرفة مدى عداوته تجعل الإنسان يهتم به وبمقاومته ومخالفته (٥)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (٥٢) [الإسراء]، وقال في بيان مدى عداوته: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (١١٨) ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآ مَرْنَهُمْ فَلْيُبْتِئِكُنَّ آذَاتَ الْآلَعِمِ وَلَآ مَرْمَهُمْ فَلْيَغْيِرْكُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ (١١٩) ﴿وَيُمَنِّيَنَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢٠) [النساء]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (٩١) [المائدة].

❖ الأدلة:

الأدلة كثيرة منها ما تقدم، ومنها

(٥) آكام المرجان للشبلي (٢٠٠) وما بعدها [مكتبة القرآن، ٢٠٠١م]، ووقاية الإنسان من الجن والشيطان (٣٥٩) [مكتبة الصحابة، ط١، ١٤١٨هـ].

الثالث من الشياطين قول النبي ﷺ: «الكلب الأسود شيطان»^(٣).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: خلق الله الشيطان من النار:

لقوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢، وص: ٧٦]، وقول النبي ﷺ: «خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم»^(٤).

- المسألة الثانية: الأمور التي تعصم من الشيطان:

مما يعصم من الشيطان الاعتصام بالكتاب والسنة، والتوكل على الله ﷻ، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩]، والمداومة على الأذكار المحصنة من الشيطان؛ كالاستعاذة، وقراءة المعوذتين والإخلاص، وقراءة آية الكرسي، وقراءة سورة البقرة، وقراءة خاتمة سورة البقرة، وقراءة (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير) مئة مرة، وكثرة ذكر الله من قراءة القرآن والتكبير والتسبيح والتهليل، وكظم التثاؤب ووضع اليد على الفم، وغيرها

قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخِرَ إِلَىٰ أُولِيَآئِهِمْ لِيُجْدِلُوهُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] والآيات في هذا كثيرة.

وأما الأحاديث فهي الأكثر، منها: قول النبي ﷺ: «إن الشيطان عرض لي فشد عليّ ليقطع الصلاة عليّ؛ فأمكنني الله منه فذعته»^(١)، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتتنظروا إليه، فذكرت قول سليمان ﷺ: «رَبِّ هَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي»، فرده الله خاسيًا»^(٢)، ونحو هذا من الأحاديث الكثيرة.

✽ الأقسام:

دلت بعض النصوص على أن الشياطين أقسام: **قسم** من الإنس، و**قسم** آخر من الجن، و**قسم ثالث** من الدواب، والدليل على قسمي الإنس والجن من الشياطين قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، والدليل على القسم

(١) أي: خنقته. انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٦٠٥) [دار المعرفة، ط ٢، ١٤٢٧هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب العمل في الصلاة، رقم ١٢١٠) واللفظ له، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٤١).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٥١٠).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٩٦).

مما ورد في النصوص وجمعه بعض العلماء^(١).

- المسألة الثالثة: عبادة الشيطان:

إن كل من عصى أوامر الله تعالى فهو من عبادة الشيطان، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس]، لكن اشتهرت طائفة بعبادة الشيطان أو عباد الشيطان، وهم الذين اتخذوا الشيطان معبودًا يتقربون إليه بأنواع من القرب، واخترعوا لهم طقوسًا سمّوها عبادات، إما اتقاء شره، وإما تقربًا إليه؛ لتحقيق بعض الغايات التي يتوهمونها^(٢)، وهؤلاء غير الفرقة الشيطانية^(٣) واليزيدية^(٤)، والفرق أن اليزيدية

والشيطانية يحرمون الزنا واللواط، وهما والسحر بأنواعه من الأساسيات عند عبدة الشيطان^(٥)، ولعبدة الشيطان شعارات خاصة من أشهرها: دائرة داخلها نجمة خماسية يظهر داخلها رأس كبش، وهي ترمز إلى شيطان وألوهيته عندهم، ورسم الصليب المعقوف، وهو رمز التهكم على الأديان كلها، والصليب الشيطاني وهو صليب في آخره علامة استفهام مقلوبة^(٦)، كما أن لهم طقوسًا خاصة؛ منها: ارتداء اللباس الأسود، وإطالة الشعور، ورسم أشكال مخيفة على أبدانهم بالوشم؛ كالأفاعي والجماجم أو صور يُدمج فيها أكثر من حيوان^(٧)، ولهم حفلات موسيقية بأغانٍ صاخبة تشبه أصوات الأرواح الخبيثة، يعقبها شرب الخمر، وممارسة الجنس واللواط الجماعي^(٨)، ويغلب عندهم العنف على

(١) انظر: تفسير المعوذتين (١٠٥) [دار الحديث، القاهرة]، وما يعتصم به من الشيطان (١٥ - ٣١) [المكتبة التوفيقية، مصر]، وفقه الأدعية والأذكار (١١/٣ - ١٠٠) [دار ابن عفان، ط١].

(٢) انظر: الجذور التاريخية لعبادة الشيطان (٢٨٤) [مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، المجلد ١١، العدد الثاني]، ظاهرة عبادة الشيطان (٩) [بحث تكميلي بالجامعة الإسلامية بغزة].

(٣) وهي فرقة رافضية تنسب إلى محمد بن علي ابن النعمان الأحول المعروف عند أهل السنة بشيطان الطاق. انظر: الفرق بين الفرق (٧١) [المكتبة العصرية].

(٤) بهذا الاسم فرقان منسوبتان إلى الإسلام:

الأولى: فرقة من الإباضية الخوارج، رئيسها يزيد بن أنيسه الذي زعم أن الله سيبعث رسولاً من العجم وينزل عليه كتاباً جملة واحدة ينسخ به شريعة محمد. والثانية: فرقة صوفية كانت تعرف في البداية باسم العدوية نسبة إلى مؤسسها عدي بن مسافر الأموي، ثم صارت فرقة سياسية، ثم انحرفت عن الإسلام،

لهم كتابان: باسم جلوه، ومصحف رش، يقولون بتناسخ الأرواح، ويعبدون الشيطان، ويسمونه بطاوس ملك. انظر: مجلة الراصد، العدد الثالث (١٠)، عباد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة (٤٦) - (٤٧) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢٥هـ]، وانظر: مقالات الإسلاميين (٦٨) [دار الصادر، ط١، ١٤٢٧هـ]، والفرق بين الفرق (١٠٤).

(٥) مجلة الراصد (١٦ - ١٧) [العدد ٣١ محرم]، وعبدة الشيطان على ضفاف النيل (١٤٩) [مركز الحضارة العربية، ط١، ١٩٩٨م].

(٦) انظر: ظاهرة عبادة الشيطان (٩٥ - ٩٨).

(٧) مجلة الراصد (١٦ - ١٧) [العدد ٣١]، وعباد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة (٩٠، ١٤٥).

(٨) عباد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة (٩٥)، والجذور التاريخية لعبدة الشيطان (٣١٠).

جعل له قدرة على الجري في باطن الإنسان، ويحتمل الاستعارة لكثرة وسوسته^(٧). وقال ابن عثيمين: قال بعض أهل العلم: إن هذا يعني الوسواس التي يلقيها في القلب فتجري في العروق. وظاهر الحديث: أن الشيطان نفسه يجري من ابن آدم مجرى الدم، وهذا ليس ببعيد على قدرة الله ﷻ، كما أن الروح تجري مجرى الدم، وهي جسم، إذا قبضت تكفن وتحنط وتصعد بها الملائكة إلى السماء^(٨).

❁ الفروق:

الفرق بين الشيطان والجن:

الفرق بينهما «أن الشيطان هو الشرير من الجن، ولهذا يقال للإنسان إذا كان شريراً: شيطان، ولا يقال: جني؛ لأن قولك: شيطان يفيد الشر، ولا يفيد قولك: جني، وإنما يفيد الاستتار، ولهذا يقال على الإطلاق: لعن الله الشيطان. ولا يقال: لعن الله الجني. والجني اسم الجنس والشيطان صفة»^(٩).

الفرق بين إبليس والشيطان:

الفرق بينهما هو أن إبليس أكبر الشياطين ورئيسهم، وهو الذي أبى السجود لآدم، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا

غيرهم وخاصة على الأطفال والعجائز والحيوانات^(١)، بحيث يصل إلى شرب دمائهم واشتروا بمصاصي الدماء^(٢)، ولهم وصايا تسعة منها تنبت نشاطاتهم وأعمالهم الإجرامية^(٣).

- المسألة الرابعة: حديث: «يئس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب»^(٤):

لا يدل هذا الحديث على عدم وقوع عبادته في الجزيرة؛ لأنه لما حصلت الفتوحات وقوي الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً أيس أن يُعبد سوى الله في هذه الجزيرة، فالحديث خبرٌ عما وقع في نفس الشيطان في ذلك الوقت وليس بإخبار عن الواقع، فلا يدل على انتفائه في الواقع^(٥).

- المسألة الخامسة: اختلف العلماء في معنى حديث: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»^(٦):

قال المباركفوري: يحتمل الحقيقة بأن

(١) ظاهرة عبادة الشيطان (١٠٧ - ١٠٩).

(٢) عبدة الشيطان على ضفاف النيل (١٣٨ - ١٤٤).

(٣) ظاهرة عبدة الشيطان (٦٩ - ٨١)، ومجلة الراصد (١٧ - ٨١)، تجربة شخصية مع عبدة الشيطان (١٥١) [دار الخيال، ط١، ١٩٩٧م].

(٤) أخرجه مسلم بلفظ: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم» (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨١٢).

(٥) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٢٠٥) [دار الثريا، ط٢، ١٤٣٢هـ]، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (٢٨٢) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الاعتكاف، رقم ٢٠٣٩)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢١٧٥).

(٧) تحفة الأحوذى (٣/ ٢٥٢).

(٨) القول المفيد (٢/ ٢٧٣).

(٩) الفروق اللغوية للعسكري (٢٧٧) [دار العلم والثقافة].

مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِإِيدِيَّ [ص: ٧٥]، والشيطان يطلق على إبليس وجنوده، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَكَايُوهٌ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجْدِلُوهُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

❁ الحكمة:

في خلق الشيطان حكم كثيرة؛ منها: أن يكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه، ومنها: خوف

الملائكة والمؤمنين من ذنبهم بعد ما شاهدوا من حال إبليس ما شاهدوه وسقوطه من مرتبته العالية^(١)، فالخلاصة أن الحكمة في خلق الشيطان حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت ولكان الحاصل بعضها لا كلها^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

أنكرت الملاحدة المتفلسفة حقيقة الشياطين، فقالوا: الشياطين قوى النفس الخبيثة^(٣)، كما زعم بعض العصريين المحدثين: أن الجن هم الجراثيم والميكروبات التي كشف عنها العلم الحديث^(٤). ويكفي في الرد عليهم

(١) انظر: شفاء العليل (٣٦٨ - ٣٩٤) [دار الكتب العلمية، ط٣].

(٢) انظر: مدارج السالكين (١٤٨/٢ - ١٥٠) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٩هـ].

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/٤٦)، وعالم الجن والشياطين (١٧).

(٤) عالم الجن والشياطين (١٣).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «آكام المرجان»، للشبلي.
- ٢ - «تفسير المعوذتين»، لابن القيم.
- ٣ - «تجربة شخصية مع عبدة الشيطان»، لعبد الله كمال.
- ٤ - «الجزور التاريخية لعبدة الشيطان»، لمحمد يوسف الشوبكي ويحيى علي يحيى الدجني
- ٥ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٦ - «ظاهرة عبادة الشيطان»، لطارق عمر التلبناني.
- ٧ - «عالم الجن والشياطين»، لعمر الأشقر.
- ٨ - «عباد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة»، ليوسف البنغلي.
- ٩ - «ما يعتصم به من الشيطان»، لمجدي الشهاوي.
- ١٠ - مجلة «الراصد» [العددان: ٣ و٣١].

حرف الصاد

نبوته:

أرسل الله تعالى صالحًا ﷺ إلى ثمود؛ وهم عاد الثانية، وقد ذكر في القرآن في سياق بيان إرسال الرسل ودعوتهم؛ فقال تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحًا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيري﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿كذبت ثمود المرسلين﴾ [١٤١] إذ قال لهم أخوهم صالح ألا ننقون ﴿إني لكم رسول أمين﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون﴾ [النمل]، وغيرها من الآيات التي دلّت على نبوة صالح ﷺ ورسالته.

دلائل نبوته:

من دلائل نبوة صالح ﷺ الناقة العظيمة، التي أخرجها الله تعالى لقومه، التي لا يشبهها شيء من النوق، وقد أضافها الله تعالى إلى نفسه المقدسة؛ لشرفها وفضيلتها. قال تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحًا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيري﴾ قد جاءكم من بينة من ربكم هذِهِ ناقةُ الله لكم

صالح ﷺ

اسمه ونسبه:

هو: صالح بن عبيد بن أسف بن ماسخ بن عبيد بن خادر بن ثمود بن جاثم بن إرم بن سام بن نوح^(١).

وقد ورد في حديث أبي ذر رضي الله عنه المشهور أن صالحًا ﷺ من جملة الأنبياء العرب، ففي الحديث أنه قال ﷺ: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، أربعة - يعني: من الرسل - سريانئون: آدم وشيث ونوح وأخنوخ، وهو أول من خط بالقلم، وأنزل الله تعالى على أخنوخ ثلاثين صحيفة، وأربعة من العرب: هود وشعيب وصالح ونبك محمد ﷺ»^(٢).

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢٢٦/١) [دار المعارف بمصر، ط٢]، والمنتظم في التاريخ لابن الجوزي (٢٥٥/١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ]، والبداية والنهاية لابن كثير (٣٠٤/١) [دار هجر، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) أخرجه ابن جرير في تاريخه (١٧١/١) [دار التراث، ط٢]، وابن حبان في صحيحه (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٦١)، وأشار إلى ضعفه ابن كثير في التفسير (٤٧٠/٢) [دار طيبة، ط٢]، وقال الألباني: «ضعيف جدًا». التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١/٣٨٧) [دار باوزير، ط١، ١٤٢٤هـ].

ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ
 اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يَسُوءَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ
 إِلِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ
 عَادِ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَنْجُذُونَ مِنْ
 سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ يَبُوتًا
 فَادْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي
 الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ [الأعراف]، وقال
 تعالى: ﴿وَالِىَ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ
 يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ
 أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ
 ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿١١﴾
 [هود]، وقال تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا
 تَتَّقُونَ ﴿١٥﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦﴾ فَاتَّقُوا
 اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
 أَجْرٍ إِنْ أَجْرِى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾
 أَتَذْكُرُونَ فِى مَا هَاهُنَا ءَمِينٌ ﴿١٨﴾ فِى جَنَّتِ
 وَعُيُونٍ ﴿١٩﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿٢٠﴾
 وَتَنْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي هَاهُنَا قُرُونٌ ﴿٢١﴾
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ
 الْمُسْرِفِينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ وَلَا
 يُصْلِحُونَ ﴿٢٣﴾ [الشعراء]، وغيرها من
 الآيات.

قومه وموقفهم منه:

قوم صالح عليه السلام هم ثمود نسبة إلى
 جدهم ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن
 نوح، وكانوا يسكنون الحجر، بين
 الحجاز والشام، وكانوا بعد قوم عاد،

ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا
 تَمْسُوهَا يَسُوءَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ إِلِيمٍ ﴿٧٣﴾
 [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا
 بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ
 ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ
 مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا يَسُوءَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ
 يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ [الشعراء]، وقال تعالى:
 ﴿وَأَنبَأْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾
 [الإسراء: ٥٩].

قال السعدي رحمه الله: «ثم أقام لهم بيّنة
 عظيمة، وآية وبرهاناً ونعمة على جميع
 القبيلة بأسرها، وقال: ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ
 لِلَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣]، التي لا يشبهها
 شيء من النوق في ذاتها وشرفها
 ومنافعها: ﴿لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ على صدقي،
 وعلى سعة رحمة ربكم» (١).

دعوته:

دعا صالح عليه السلام قومه إلى توحيد الله
 تعالى، وإخلاص العبادة لله وحده لا
 شريك له، وترك ما كانوا يعبدون من
 دونه، وذكّرهم بنعم الله عليهم، وما
 آتاهم من الجنات والعيون والزروع
 والبيوت العظيمة، وذكّرهم بأيام الأمم
 المجاورة لهم، فقال تعالى: ﴿وَالِىَ
 ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا
 اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ
 جَاءَتْكُمْ بَحْنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةٌ

(١) قصص الأنبياء (٤١) [دار ابن حزم، ١، ط ١٤٢٤هـ].

ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَتْ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾
[الشعراء].

وفاته:

ذكر ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ أَنْ بعض
أهل العلم زعم أن صالحاً رَحِمَهُ اللهُ توفى
بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وأنه
أقام في قومه عشرين سنة^(١)، والله أعلم
بذلك، وقد تقرر أن قبور الأنبياء غير
معلومة أماكنها، اللهم إلا قبر نبينا
محمد ﷺ، وقبر الخليل إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ
على خلاف فيه.

المسائل المتعلقة:

- إحياء ديار ثمود وزيارتها:

لا يجوز إحيائها، أو استثمار
أراضيها ومساكنها، ولا يجوز زيارتها
للسياحة، أو التنزه، ونحو ذلك، وإنما
الذي ينبغي لمن مر بها أن لا يدخلها،
أو يقيم بها، وإن دخلها فلا يدخلها إلا
وهو بالك متعظ بحالهم، وما أصابهم من
العذاب؛ لورود السنة بالنهي عن
دخولها، فضلاً عن الإقامة فيها، أو
إحيائها.

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ
النبي ﷺ لما مر بالحجر قال: «لا
تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا أن
تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم».

(١) تاريخ الطبري (١/ ٢٣٢).

وكانوا يعبدون الأصنام، فلما بعث الله
إليهم صالحاً رَحِمَهُ اللهُ يدعوهم إلى توحيد الله
تعالى، وترك عبادة الأصنام، كفروا به
وكذبوه، وهم جمهور قومه، ونالوا منه
بالمقال والفعال، وهموا بقتله، وعقروا
الناقة التي جعلها الله حجة عليهم، وما
آمن معه إلا طائفة قليلة، وقد ذكر الله
موقفه منهم في غير ما آية من كتابه
العزیز؛ منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ
أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ
فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الحجر]، وقوله
تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ
صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ
يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ لِمَ سَتَعْجِلُونَ
بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيعْنَا بَكَ وَبِمَنْ
مَعَكَ قَالَ طَعِيزُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ
تَقْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ بَسْعَةٌ رَهْطٌ
يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا
تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ
لَوْلَئِيهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا
لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرًا
مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النمل]،
وقال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ
﴿١٥٦﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَشَايَةِ إِنْ
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ هَآ
شَرِبْتُ وَلَكُمْ شَرِبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٨﴾ وَلَا تَسْهَوْهَا
يَسْوءُ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٩﴾ فَعَقَرُوهَا
فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ فَلَاخِذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «فنحن لا ننظر إليها نظر إعجاب، ونفتخر بها، أو ننظر إليها اقتصاديًا، كما تفعل الدول غير المسلمة، أو المسلمة المقلدة لها؛ لأن هذا يخالف ما جاء به ديننا نحوها؛ من عدم العناية بها وحمايتها، فضلًا عن استثمارها. ولا تجوز الإقامة فيها، ولا فتح مشاريع استثمارية فيها، من مطاعم ومقاهٍ وفنادق، مما يرغّب في زيارتها، ويجلب الكفار السياح إلى بلاد المسلمين»^(٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج ١)، للقاضي عياض.
- ٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.

٣ - «تحفة النبلاء من قصص الأنبياء»، لابن كثير، انتخب كتابه الحافظ ابن حجر العسقلاني.

٤ - «دعوة التوحيد: أصولها، الأدوار التي مرت بها، مشاهير دعائها»، لمحمد خليل هراس.

٥ - «قصص الأنبياء المعروف بالعرائس»، للثعلبي.

٦ - «قصص الأنبياء»، للسعدي.

٧ - «قصص الأنبياء القصص الحق»،

(٤) حكم إحياء الآثار والعناية بأمور الجاهلية وشخصياتها، الموقع الرسمي للشيخ صالح الفوزان.

ثم تقنّع بردائه وهو على الرحل، وفي رواية: ثم زجر فأسرع حتى خلفها^(١).

وعنه أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال لأصحاب الحجر: «لا تدخلوا على هؤلاء القوم، إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم؛ أن يصيبكم مثل ما أصابهم»^(٢).

وهذا هو الذي يؤيده القرآن، وأن المطلوب هو الاتعاض والاعتبار بمواضع الهلاك والعذاب؛ قال تعالى: ﴿فَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِىءُ مُعْطَلَةٌ وَقَصِرَ مَشِيدٌ﴾ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ [الحج].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في ذكر الفوائد المستنبطة من غزوة تبوك: «ومنها: أن من مر بديار المغضوب عليهم والمُعذّبين، لم ينبغ له أن يدخلها، ولا يقيم بها؛ بل يسرع السير، ويتقنّع بثوبه حتى يجاوزها، ولا يدخل عليهم إلا باكيًا معتبرًا»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٨٠)، ومسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧٠٢)، ومسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٨٠).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٥٦٠) [مؤسسة الرسالة، ط ٢٧].

لشبهة الحمد.

وباطنهم؛ فصلحت أعمالهم^(٣).

٨ - كتاب «تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين من كتاب المستدرک على الصحيحين» (ج ٢)، للحاكم النيسابوري.

٩ - «المعارف»، لابن قتيبة.

١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، لحافظ حكيم.

الصالحون

التعريف لغة:

الصالحون: جمع الصالح، اسم فاعل من الصلاح.

والصلاح ضد الفساد.

قال ابن فارس: «الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد، يقال: صلح الشيء يصلح صلاحًا»^(١).

ويقال: رجل صالح في نفسه من قوم صلحاء، مصلح في أعماله وأمره^(٢).

التعريف شرعًا:

الصالحون: هم الذين صلح ظاهرهم

وقيل: المستقيمون في أنفسهم، وقيل: القائمون بما عليهم من حقوق الله وحقوق العباد^(٤).

سبب التسمية:

إنما سُموا صالحين؛ لصلاح حالهم، واستقامة أمرهم، فالصالحون قد أصلحوا جميع أمورهم فلم يكن فيها شيء من الفساد، فاستوت سريرتهم وعلايتهم وأقوالهم وأعمالهم على ما يرضي ربهم^(٥).

الأسماء الأخرى:

للصالحين أسماء أخرى؛ كالمؤمنين، والمتقين، وأولياء الله، وكلها أسماء متقاربة تدل على الصلاح والاستقامة.

الحكم:

الصلاح أمر مطلوب من العباد؛ إذ يجب على كل واحد إصلاح نفسه والسعي في تكميلها، ومجاهدتها على طاعة الله.

الحقيقة:

حقيقة الصالحين تتجلى في كونهم صلح باطنهم وظاهرهم، وهذا الصلاح إنما هو راجع في الحقيقة إلى صلاح قلوبهم، ولذلك قال ﷺ: «ألا وإن في

(١) مقاييس اللغة (٣/٣٠٣) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٤/١٤٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ١]، ولسان العرب (٢/٥١٦) [دار صادر، ط ٤].

(٣) انظر: تفسير الطبري (٧/٢١١) [دار هجر، ط ١]، وتفسير السعدي (١٨٥) [مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٤) الكليات للكفوي (٥٦١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٥٧) [مجمع الملك فهد].

﴿وَأَتَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٢].

ووصف نوحًا ولوطًا بذلك، فقال:
﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ
وَأَمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا
صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا﴾ الآية [التحریم: ١٠].
ووصف عيسى بذلك، فقال:
﴿يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ
الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦].

ووصف زكرياء ويحيى وإلياس بذلك،
فقال: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ
مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥].
ووصف إسحاق ويعقوب بذلك،
فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً
وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢].
وكذلك وصف إسماعيل وإدريس وذا
الكفل، فقال: ﴿وَادْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا
إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].

الأدلة:

من القرآن: قول الله تعالى:
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي
الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٩].

وقوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُرِ
مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وقوله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [٩]
[العنكبوت: ٩].

الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهي القلب^(١).

والله سبحانه هو الذي يجعل من يشاء
صالحًا، فمن استعان بالله وبذل الأسباب
حريًا بهذا الصلاح، كما قال تعالى:
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي
الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٩].

المنزلة:

منزلة الصالحين عظيمة، ومكانتهم
جليلة عند الله ﷻ وعند خلقه كذلك،
فإن الله تعالى أبان عن هذه المنزلة
فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [٩٦]
[مريم]، قال مجاهد: «يحبهم ويحببهم
إلى المؤمنين»^(٢).

ولعظيم هذه المنزلة قرنها الله تعالى
بمنزلة النبيين والصديقين؛ تكريماً لهم
وبياناً لمنزلتهم، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ
اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ
وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

بل وصف الله تعالى بها أنبياءه الذين
هم خيرته من خلقه، فقد وصف الله
تعالى إبراهيم بأنه من الصالحين، فقال:

(١) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٢)، ومسلم
(كتاب المساقاة، رقم ١٥٩٩).

(٢) تفسير الطبري (١٥/٦٤٣).

وقوله ﷺ: «وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» [النساء].

وأما الأحاديث النبوية فكثيرة، منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله ﷻ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». قال أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤوا إن شئتم: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [السجدة] (١).

وقوله ﷺ: «إن الله هو السلام، فإذا صلى أحدكم، فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين - فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض - أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» (٢).

أقوال أهل العلم:

١ - قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إذا ذكرت الصالحين فحيّ أهلاً بعمر، كنّا

نعدّ أنّ السكينة تنطق على لسان عمر» (٣).

٢ - عن معاوية بن قرة قال: «قال لقمان لابنه: يا بني، جالس الصالحين من عباد الله؛ فإنك تصيب من محاسنهم خيراً، ولعله أن يكون آخر ذلك أن تنزل عليهم الرحمة، فتصيبك معهم...» (٤).

٣ - قال سفيان بن عيينة: «عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة» (٥).

٤ - كان مالك بن دينار يقول: «اللَّهُمَّ أنت أصلحت الصالحين، فأصلحنا حتى نكون صالحين» (٦).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حقيقة الصالحين:

مما ينبغي أن يعلم أن الصلاح ليس شعاراً يُرفع ولا حقيقة له، ولا ادعاء يُدعى دون برهان عليه؛ بل هو أمر له أساس متين يقوم بنيانه عليه.

وهذا الأساس الذي يقوم عليه هذا البنيان وبه تعرف حقيقة الصالحين هو ما بيّنه النبي ﷺ بقوله: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (٧).

فصلاح حركات العبد بجوارحه،

(٤) الزهد لأحمد (١/٨٧) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم (٧/٢٨٥) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٦) التوبة لابن أبي الدنيا (٧٥) [مكتبة القرآن].

(٧) سبق تخريجه.

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٤٤)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣١)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٢).

(٣) الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم (١/٢٨١) [مكتبة العلوم والحكم، ط٣، ١٤١٥هـ].

تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (٢٣) [نوح] أنه قال: «أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبت» (٣).

الثمرات:

من الثمرات الجليلة التي خص الله بها عباده الصالحين:

١ - أنه يتولاها في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ إِلَيْكَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (١٦١) [الأعراف]. قال ابن رجب: «وذلك يتضمن أنه يتولى مصالحهم في الدنيا والآخرة، ولا يكلهم إلى غيره» (٤).

٢ - أن الله يدخلهم في رحمته، كما قال تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥) [الأنبياء].

٣ - أن الله أعد لهم الدرجات العلا، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ (٧٥) [طه].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٢٠).
وانظر: تيسير العزيز الحميد (٢٥٤) [المكتب الاسلامي، ١٦، ١٤٢٣هـ].
(٤) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس (٦٣) [دار البشائر الإسلامية، ١٦، ١٤١٤هـ].

بحسب صلاح حركة قلبه، ولهذا يقال: القلب ملك الأعضاء، وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له، منبعثون في طاعته، وتنفيذ أوامره، لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملك صالحًا كانت هذه الجنود سالحة (١).

وبهذا يعلم أن صلاح القلب هو الذي يبين حقيقة الصالحين ويزيد في منزلتهم ومكانتهم.

- المسألة الثانية: الغلو في الصالحين سبب كفر بني آدم:

حذر النبي ﷺ من الغلو، فقال ﷺ: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» (٢).

ومن شر أنواع الغلو التي تدخل في هذا التحذير الغلو في الصالحين؛ إذ هو من أعظم أسباب وقوع الشرك، وهو الباب المفضي إلى الشرك قديمًا وحديثًا.

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (٢١٠/١) [مؤسسة الرسالة، ٧٥، ١٤٢٢هـ].

(٢) أخرجه النسائي (كتاب مناسك الحج، رقم ٣٠٥٧)، وابن ماجه (كتاب المناسك، رقم ٣٠٢٩)، وأحمد (٣٥٠/٣) [مؤسسة الرسالة، ١٦]، وابن خزيمة (كتاب المناسك، رقم ٢٨٦٧)، وصححه شيخ الإسلام في الاقتضاء (٣٢٨/١) [دار عالم الكتب، ط ٧]، والالباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٨٣).

✽ مذهب المخالفين:

الناس في معاملة الصالحين ثلاثة أقسام:

١ - أهل الجفاء الذين يهضمونهم حقوقهم، ولا يقومون بحقوقهم من الحب والموالاة لهم والتوقير والتبجيل.

٢ - وأهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله بها.

٣ - وأهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم، ويقومون بحقوقهم الحقيقية ولكنهم يبرؤون من الغلو فيهم وادعاء عصمتهم؛ لأن الصالحين أنفسهم يتبرؤون من أن يدّعوا لأنفسهم حقاً من حقوق ربهم الخاصة، كما قال الله عن عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦] (٤).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «الزهد للإمام»، أحمد.
- ٢ - «تفسير الطبري».
- ٣ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.
- ٤ - «حلية الأولياء»، لأبي نعيم الأصبهاني.
- ٥ - «الإمامة والرد على الرافضة»، لأبي نعيم الأصبهاني.
- ٦ - «تفسير ابن كثير».
- ٧ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٤ - أن الله وعدهم بالمغفرة، فقال تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (٢٥) [الإسراء].

٥ - أنه يحفظ ذريتهم من بعدهم ولذلك، قال الله عن الغلامين اليتيمين: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٨١) الآية [الكهف]. قال ابن عباس عليه السلام: «حُفِظَا بِصَلاحِ أَبِيهِمَا، وما ذكر منهما صلاح» (١).

وقال ابن كثير: «فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة، بشفاعته فيهم ورفع درجاتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم» (٢).

٦ - أن الله أعد لهم في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فعن أبي هريرة عليه السلام قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»، قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قَرَّةٍ أَعْيَنَ جَزَاءُ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧) [السجدة] (٣).

(١) تفسير الطبري (٣٦٦/١٥) [دار هجر، ط ١].

(٢) تفسير ابن كثير (١٨٦/٥) [دار طيبة، ط ٢].

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: القول السديد للسعدي (٧٩) [دار المغني، ط ١].

يهما منها هو الحبس، سواء كان هذا الحبس معنويًا؛ كحبس النفس عن الجزع، ومنعها عن الانتقام، أو حبسها على الطاعة، ومنعها عن المعصية، أو كان هذا الحبس حسيًا؛ كحبس شيء ما عن الهروب والفرار ونحو ذلك.

التعريف شرعًا:

الصبر: صفة فعلية لله تعالى تعني عدم معاجلة الله لمن يشاء من العصاة بالعقوبة والانتقام، وعدم قطع الرزق والخير منهم، مع أذيتهم له بالشرك والكفر.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يلتقي المعنى الشرعي مع المعنى اللغوي في جزء منه، وهو الحلم وعدم الانتقام. فمعنى الصبر في اللغة أوسع، وما جاء منه في حق الله قيده الشرع بعدم معاجلة العاصي بالانتقام وعدم قطع الخير منه فضلًا وإحسانًا.

الحكم:

يجب إثبات اتصاف الله بصفة الصبر الثابتة له في السُّنة النبوية كما يليق بجلاله وعظمته.

الحقيقة:

نقل النووي عن المازري قوله:

٨ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٩ - «نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس»، لابن رجب الحنبلي.

١٠ - «القول السديد»، للسعدي.

الصَّبْر (صفة لله تعالى)

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الصاد والباء والراء أصولٌ ثلاثة؛ الأول: الحبس، والثاني: أعالي الشيء، والثالث: جنسٌ من الحجارة.

فالأول: الصَّبْر، وهو الحبس. يقال: صَبَرْتُ نفسي على ذلك الأمر؛ أي: حَبَسْتُهَا»^(١).

وصَبَرَ فلان عند المصيبة، يَصْبِرُ فهو صابِرٌ وصَبِيرٌ وصَبُورٌ. وصَبَرْتُهُ أنا: حبسته، والصبر في الأصل يطلق على الحبس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨]. وكل من حبسته لقتل، أو يمين فهو قتلٌ صَبْرٍ، ويمينٌ صَبْرٍ^(٢).

فهذه معاني الصبر في اللغة، والذي

(١) مقاييس اللغة (٣/٣٢٩) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٢/١٧١) [دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م]، والصحاح (٢/٧٠٧) [دار العلم للملايين، ط ٣]، والقاموس المحيط (٤٢١) [مؤسسة الرسالة، ط ٨].

ينسبون له الولد، ويجحدون أن يعيدهم ويحييهم، وكل ذلك بسمعه وبصره وعلمه، لا يخفى عليه منهم شيء، ثم هو يرزقهم يعافهم»^(٤).

❁ الأدلة:

دلت السُّنة الصحيحة على ثبوت صفة الصبر لله ﷻ، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد ثم يعافهم ويرزقهم»^(٥).

❁ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العبارات المجملة لا تُطْلَقُها إذا لم يجر بها الشرع إلا مفسَّرةً، فالشرع جاء بالحب والرضا والفرح والضحك والبشاشة ونحو ذلك، وجاء أنه يُؤذى ويصبر على الأذى، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧] وقال النبي ﷺ: «ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله» فهذه الصفات حقٌ نطق بها الكتاب والسُّنة، واتفق عليها سلف الأمة وعامة أهل العلم والإيمان من أهل المعرفة واليقين، ودل العقل القياسي والعقل الإيماني على صحتها، فلا

«حقيقة الصبر: منع النفس من الانتقام أو غيره»^(١).

ومعناه في صفات الله ﷻ أنه: لا يعاجل من يشاء من العصاة بالانتقام رغم استحقاقهم لذلك، رحمة بهم، وإحساناً إليهم، وتفضلاً عليهم؛ بل يؤخرهم إلى أجل مسمى^(٢). قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ يُعِجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١]، وقال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥].

قال ابن القيم:

«وهو الصبور على أذى أعدائه شتموه بل نسبوه للبهتان قالوا له ولد وليس يعيدنا شتمًا وتكذيبًا من الإنسان هذا وذاك بسمعه وبعلمه لو شاء عاجلهم بكل هوان لكن يعافهم ويرزقهم وهم يؤذونه بالشرك والكفران»^(٣)

وقال حافظ الحكمي: «الصبور الذي لا أحد أصبر منه على أذى سمعه؛

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/١٤٦) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ].

(٢) أسماء الله الحسنى آثارها وأثرها لمحمد بكر إسماعيل (٤٠١) [دار المنار، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٣) قصيدة ابن القيم مع شرح ابن عيسى (٢/٢٢٨) [المكتبة الإسلامية، ط ٣، ١٤٠٦هـ].

(٤) معارج القبول (١/٥٤) [دار ابن القيم، ط ١].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٧٨)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨٠٤).

القرآن بصيغة الاسم؛ لأن كثيراً من هذه الأسماء كذلك.

وذهب آخرون إلى أن التعيين مدرج؛ لخلو أكثر الروايات عنه^(٤).

والخلاصة: أن سرد الأسماء في الحديث مدرج من بعض الرواة ولم يصح رفعه عند المحققين من أهل الحديث^(٥). قال الإمام الترمذي: «هذا حديث غريب، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث... وليس له إسناد صحيح»^(٦).

وقال ابن كثير: «والذي عوّل عليه جماعة من الحفاظ، أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه»^(٧).

وبعض من عد هذا الاسم من الأسماء الحسنی استدلل بالحديث المتقدم: «ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله»، فصاغوا من أصبر: الصبور، وهذا فيه نظر كما لا يخفى.

وعليه؛ فإن اسم (الصبور) غير

خروج عن هذه الأدلة والسنة والجماعة وزمرة الأولياء والأنبياء^(١).

وقال ابن القيم: «أما الصبر فقد أطلقه عليه أعرف الخلق به وأعظمهم؛ تنزيهاً له بصيغة المبالغة، وصبره تعالى يفارق صبر المخلوق، ولا يماثله من وجوه متعددة؛ منها: أنه عن قدرة تامة، ومنها: أنه لا يخاف الفتور، والعبد إنما يستعجل لخوف الفتور، ومنها أنه لا يلحقه بصبره ألم ولا حزن ولا نقص بوجه ما»^(٢).

وقال السعدي: «وصبره أكمل صبر؛ لأنه عن كمال قدرة، وكمال غنى عن الخلق، وكمال رحمة وإحسان، فتبارك الرب الرحيم الذي ليس كمثله شيء»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- يتعلق بهذه الصفة اسم (الصبور):

وقد عدّه بعض أهل العلم من الأسماء الحسنی؛ لوروده في حديث سرد الأسماء عند الترمذي، وقد اختلف العلماء في هذا السرد «هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر من بعض الرواة؟ فمشى كثير منهم على الأول، واستدلوا به على جواز تسمية الله تعالى بما لم يرد في

(٤) تحفة الأحوزي (٣٤٣/٩) [دار الكتب العلمية].

(٥) انظر: تحفة الأحوزي (٣٤٣/٩ - ٣٤٤)، وضعيف سنن الترمذي (٣٨٣) [دار المعارف، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٦) جامع الترمذي (٥٣١/٥) [مطبعة مصطفى البابي، ط ٢، ١٣٩٧هـ].

(٧) تفسير ابن كثير (٥١٥/٣) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(١) جامع المسائل لابن تيمية (٦٤/٦ - ٦٥) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٢) عدة الصابرين (٢٣٥ - ٢٣٦) [دار الكتب العلمية].

(٣) الحق الواضح المبين للسعدي (٥٨) [دار ابن القيم، ط ٢، ١٤٠٧هـ].

اشتغلوا بالكلام في صبر العبد وأقسامه، ولو أنهم أعطوا هذا الاسم حقه، لعلوموا أن الرب تعالى أحق به من جميع الخلق، كما هو أحق باسم العليم والرحيم والقدير والسميع والبصير والحي وسائر أسمائه الحسنى من المخلوقين، وأن التفاوت الذي بين صبره سبحانه وصبرهم؛ كالتفاوت الذي بين حياته وحياتهم، وعلمه وعلمهم، وسمعه وأسماعهم، وكذا سائر صفاته.

ولما علم ذلك أعرف خلقه به، قال: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله»، فعلم أرباب البصائر بصبره سبحانه؛ كعلمهم برحمته وعفوه وستره، مع أنه صبر مع كمال علم وقدره وعظمته وعزة، وهو صبر من أعظم مصبور عليه^(٢).

الآثار:

الإيمان بصفة الصبر يترك في النفس آثارًا طيبة، حيث إنه إذا عرف أن ربه متصف بالصبر على أكمل وجه، وأنه لا يعاجل من يشاء من الظالمين بالعقوبة؛ بل يمهلهم مع أذاهم له وكفرهم به، ويدبر عليهم بالنعم وأنه تعالى يحب الصابرين، دفعه ذلك إلى التخلق بالصبر، فيصبر على طاعة الله وإخلاص العبادة له، ويصبر عما حرمه الله عليه من المعاصي والفجور، وسائر المحرمات،

ثابت لله ﷻ، وعده من الأسماء الحسنى أمر يحتاج إلى دليل يسنده؛ وبرهان يسعفه؛ لأن أسماء الله وصفاته توقيفية.

الفرق:

الفرق بين الصبر والحلم:

والفرق بينهما من وجهين:

الأول: أن الصبر ثمرة للحلم.

والثاني: أن الصبر صفة فعلية توجد عند وجود مقتضاها بخلاف الحلم فإنها صفة ذاتية.

يقول الإمام ابن القيم في بيان الوجه الأول:

«والفرق بين الصبر والحلم: أن الصبر ثمرة الحلم وموجهه، فعلى قدر حلم العبد يكون صبره، فالحلم في صفات الرب تعالى أوسع من الصبر»^(١).

ويقول في الوجه الثاني: «وكونه حليماً من لوازم ذاته سبحانه، وهي صفة ذاتية له لا تزول.

وأما الصبر فإذا زال متعلقه، كان كسائر الأفعال التي توجد لوجود الحكمة، وتزول بزوالها فتأمل، فإنه فرق لطيف ما عثرت الحذاق بعشره، وقل من تنبه له ونبه عليه، وأشكل على كثير منهم هذا الاسم، وقالوا: لم يأت في القرآن، فأعرضوا عن الاشتغال به صفحاً، ثم

ويصبر على أقدار الله المؤلمة، فلا يجزع ولا يسخط بل يسلم الأمر لله.

✽ مذهب المخالفين:

ينكر المعطلة صفات الله ﷻ بصفة عامة، وأما بخصوص صفة الصبر فقد نقل الحافظ النووي عن المازري قوله: «حقيقة الصبر: منع النفس من الانتقام أو غيره، فالصبر نتيجة الامتناع، فأطلق اسم الصبر على الامتناع في حق الله»^(١).

وقال القرطبي: «ووصفه تعالى بالصبر لم يرد في التنزيل، وإنما ورد في حديث أبي موسى، وتأوله أهل السنة على تأويل الحلم. قال ابن فورك وغيره: وجاء في أسمائه (الصبور) للمبالغة في الحلم عمن عصاه»^(٢).

ولا شك أن هذا تأويل للصفة عما يجب فيها، والواجب إثباتها لله على ما يليق به ﷻ كما وردت من غير تأويل ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل.

يقول الغنيمان متعقبًا لكلام المازري: «فيه نظر؛ وذلك أن رسوله ﷺ أطلق على ربه الصبر، وأنه ما أحد أصبر منه، وهو ﷻ أعلم الخلق بالله تعالى وأخشاهم له، وأقدرهم على البيان عن الحق، وأنصحهم للخلق، فلا استدراك

عليه، فيجب أن يبقى ما أطلقه ﷻ على الله تعالى بدون تأويل، إلا إذا كان يريد بذلك تفسير معنى الصبر، ولكن الأولى أن يبقى كما قال؛ لأنه واضح ليس بحاجة إلى تفسير»^(٣).

وأما تأويل صفة الصبر بالحلم، فهو تعطيل لصفة الصبر؛ لأن الله وصف نفسه بالصبر على لسان رسوله ﷻ كما في الحديث المتقدم، ووصفها أيضًا بالحلم في كتابه الكريم فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة]، فيجب إثبات الصفتين معًا لله تعالى.

✽ المصادر والمراجع:

١ - «جامع الأصول» (ج ٤)، لابن الأثير.

٢ - «الحق الواضح»، للسعدي.

٣ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

٤ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، للغنيمان.

٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٦ - «عدة الصابرين»، لابن القيم.

٧ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٨ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/١٤٦) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ].

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٣٧٣) [دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ].

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/٩٣ - ٩٤) [مكتبة الدار بالمدينة، ط ١].

الحسنى»، لمحمد الحمود النجدي.

ومنه صُبْرَةُ الطعام^(٥).

✽ التعريف شرعاً:

تعددت تعاريف أهل العلم للصبر، وكلها تدور حول: حبس النفس عن محارم الله ومنعها عن الجزع والتسخط، ومجاهدتها وضمها بشدة على ملازمة أمره سبحانه^(٦).

قال ابن القيم في تعريفه: «حبس النفس عن الجزع والهلع والتشكي، فيحبس النفس عن التسخط، واللسان عن الشكوى، والجوارح عما لا ينبغي فعله، وهو ثبات القلب على الأحكام القدرية والشرعية»^(٧).

وقال الشيخ ابن عثيمين: «الصبر حبس النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وحبسها عن التسخط من أقدار الله»^(٨).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الصبر شرعاً فيه معنى الصبر لغة،

(٥) انظر: عدة الصابرين (١٧) [دار عالم الفوائد، ١٨، ١٤٢٩هـ]، والصاحح (٧٠٧/٢).

(٦) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب (١/٢٧٣)، وإحياء علوم الدين (٤/٥٤) [دار الكتب العلمية، ١٨، وعدة الصابرين (١٩ - ٢٧)، ومدارج السالكين (٢/١٩٥ - ١٩٩) [مكتبة الرشد، ١٨، ١٤٢٦هـ]، والتوقيف على مهمات التعاريف (٢٨٢) [دار الكتب العلمية، ١٨].

(٧) الروح (٢٤١) [دار الكتب العلمية، ١٨، ١٣٩٥هـ].

(٨) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٦/١٢).

✽ الصَّبْر

✽ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الصاد والباء والراء أصول ثلاثة؛ الأول: الحبس، والثاني: أعالي الشيء، والثالث: جنس من الحجارة»^(١).

الصبر هو: الحبس. يقال: صَبَرْتُ نفسي على أمر؛ أي: حبستها، والصبر: حبس النفس عن الجزع، والجزع نقيض الصبر^(٢).

قال الراغب: «الصبر: الإمساك في ضيق، يقال: صَبَرْتُ الدابة: حبستها بلا علف، وصبرت فلاناً: خلفته خلفه لا خروج له منها»^(٣).

وقال الفيروزآبادي: «الصَّبْر في اللغة: الحَبْس والكف في ضيق، ومنه قيل: فلانٌ صَبِيرٌ إذا أَمْسَكَ وَحُسِّ لِلْقَتْلِ»^(٤).

وقيل: أصل الكلمة من الشدة والقوة، وقيل: مأخوذ من الجمع والضم

(١) مقاييس اللغة (٣/٣٢٩) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣/٣٢٩)، وتهذيب اللغة (١٢/١٧٠) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٨، والصاحح (٢/٧٠٦) [دار العلم للملايين، ١٨، والقاموس المحيط (٤٢١ - ٤٢٢) [مؤسسة الرسالة، ٧ط].

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب (١/٢٧٣) [دار المعرفة].

(٤) بصائر ذوي التمييز (٣/٣٧١) [المكتبة العلمية].

فيتضمن الصبر: حبس النفس على طاعة الله ومجاهدتها على الثبات عليها، وحبس النفس عن معصية الله ومجاهدة النفس على البعد عنها، وحبس النفس على المصائب والآلام المقدرة^(٢).

فظهر من هذا: أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى^(٣).

✽ المنزلة:

منزلة الصبر من الدين عظيمة، ومرتبته جليلة، وفضائله كبيرة، وثماره يانعة، وآثاره حميدة، كيف لا وهو نصف الإيمان! فإن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر، كما قال غير واحد من السلف «الصبر نصف الإيمان»^(٤)، ولهذا جمع الله سبحانه بين الصبر والشكر في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥، الشورى: ٣٣، سبأ: ١٩، لقمان: ٣١]^(٥).

بل إنه لا بقاء للإيمان بلا صبر كما قال علي عليه السلام^(٦)؛ وإن كان الإيمان قليل

وهو الحبس والمنع، ولكنه في الشرع حبس ومنع مخصوص كما تقدم في التعريف الشرعي.

✽ الحكم:

الصبر واجب باتفاق المسلمين، واجب على أداء الواجبات وترك المحظورات، ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن أن يجزع فيها.

وقد يكون الصبر مستحباً، وذلك إذا كان على أداء المستحبات وترك المكروهات وعلى مقابلة الجاني بمثل فعله.

ولعظم منزلة الصبر من الإيمان قرن بالصلاة في القرآن في أكثر من خمسين موضعاً^(١).

✽ الحقيقة:

حقيقة الصبر: خلق فاضل من أخلاق النفس، تمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها.

(٢) انظر: عدة الصابرين (١٩، ٢٦).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٦٥/٤).

(٤) انظر آثار السلف في ذلك في: تفسير ابن جرير الطبري (٥٧٨/١٨) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٥) انظر: عدة الصابرين لابن القيم (٢٠٥)، ومدارج السالكين له (١٩٠/٢).

(٦) أخرجه معمر في جامعه - كما في مصنف عبد الرزاق (٤٦٩/١١)، رقم (٢١٠٣١)، وابن أبي الدنيا في

الصبر (٢٤) [دار ابن حزم، ط ١]، وأبو نعيم في =

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٩/١٠) [مجمع

الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٥هـ]، ورسالة

واستعينوا بالصبر والصلاة لابن تيمية ضمن جامع

الرسائل (٧٩/١ - ٨٤) [دار العطاء، ط ١،

١٤٢٢هـ]، ورسالة قاعدة في الصبر ضمن جامع

المسائل (المجموعة الأولى ١٦٣ - ١٧٤) [دار عالم

الفوائد، ط ١، ١٤٢٢هـ]، وإحياء علوم الدين (٤/

٥٩)، وعدة الصابرين (٣٥ - ٥٨)، ومدارج

السالكين (١٩٥/٢).

ففي غاية الضعف، وصاحبه ممن ﴿يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج: ١١].

فالصبر آخية المؤمن التي يجول ثم يرجع إليها، وساق إيمانه الذي لا اعتماد له إلا عليها.

ولما كان الايمان نصفين؛ نصف صبر ونصف شكر كان حقيقاً على من نصح نفسه وأحب نجاتها وآثر سعادتها أن لا يهمل هذين الأصلين العظيمين، ولا يعدل عن هذين الطريقين القاصدين، وأن يجعل سيره إلى الله بين هذين الطريقين ليَجْعَلَهُ اللهُ يوم لقائه مع خير الفريقين، فخير عيش أدركه السعداء بصبرهم، وترقوا إلى أعلى المنازل بشكرهم، فساروا بين جناحي الصبر والشكر إلى جنات النعيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم^(١).

الأدلة:

وقد تنوعت أدلة القرآن العظيم في الصبر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وقوله ﷺ: ﴿...وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]

= الحلية (٧٥/١) [دار الفكر]، من طرق عن علي ﷺ قال: «لا إيمان لمن لا صبر له».

(١) انظر: عدة الصابرين (٩ - ١٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٦٩)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٥٣).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٩٩).

باعتبارات متنوعة، منها تقسيمه باعتبار متعلقه، وهو بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام:

١ - صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها.

٢ - صبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها.

٣ - صبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها.

فالأولان: صبر على ما يتعلق بالكسب. **والثالث:** صبر على ما لا كسب للعبد فيه^(٥).

المسائل المتعلقة:

- المفاضلة بين الصبر والشكر. حكي في المفاضلة بين الصبر والشكر ثلاثة أقوال:

أحدهما: أن الصبر أفضل.

والثاني: أن الشكر أفضل.

والثالث: أنهما سواء.

واستدل كل فريق بأدلة تؤيد ما ذهب إليه.

والتحقيق في هذا أن يقال: إن كلاً من الصبر والشكر داخل في حقيقة الآخر لا يمكن وجوده إلا به، وإنما يعبر عن أحدهما باسمه الخاص به باعتبار الأغلب عليه والأظهر منه، وإلا فحقيقة

(٥) انظر: المفردات للراغب (١/٢٧٣ - ٢٧٤)، وإحياء علوم الدين (٤/٥٩)، وعدة الصابرين (٣٥ - ٥٨)، ومندرج السالكين (٢/١٩٥).

«اتقي الله واصبري» قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقليل لها: إنه النبي ﷺ، فأثت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك. فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»^(١).

أقوال أهل العلم:

قال عمر رضي الله عنه: «وجدنا خير عيشنا بالصبر»^(٢).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله»^(٣).

وقال الحسن البصري رضي الله عنه: «الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عليه»^(٤).

الأقسام:

يقسم الصبر إلى أقسام متعددة

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٨٣)، ومسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله) تعليقا مجزوماً به، وذكر ابن حجر من وصله في الفتحة (٣٦٧/١١) [دار السلام، ط ١، ١٤٢١هـ]، ويكفي في صحته جزم البخاري به.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السُّنة (٣٧٤/١) [دار ابن القيم، ط ١]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٦٦٦) وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان (١/١٥١) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٣هـ]، وصححه سنده ابن حجر في تغليق التعليق (٢/٢٢) [المكتبة الإسلامية ودار عمار، ط ١].

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر والثواب عليه (٢٧).

الشكر إنما يلتئم من الصبر والإرادة

والفعل، فإن الشكر هو العمل بطاعة الله وترك معصيته، والصبر أصل ذلك.

فالصبر على الطاعة وعن المعصية هو عين الشكر وإذا كان الصبر مأمورًا به فأداؤه هو الشكر.

فكلاً من الصبر والشكر بينهما تلازم؛ بحيث يفتقر كل واحد منهما في وجود ماهيته إلى الآخر، ومتى تجرد الشكر عن الصبر بطل كونه شكرًا، وإذا تجرد الصبر عن الشكر بطل كونه صبرًا، أما الأول فظاهر، وأما الثاني فإنه إذا تجرد عن الشكر كان كفورًا، ومنافاة الكفور للصبر أعظم من منافاة السخط للصبر.

ومن هذه المسألة نشأت مسألة أخرى؛ وهي: أيهما أفضل: الغني الشاكر أم الفقير الصابر؟

والتحقيق أن يقال: أفضلهما أتقاهما لله تعالى، فإن فرض استواءهما في التقوى استويا في الفضل، فإن الله سبحانه لم يفضل بالفقر والغنى كما لم يفضل بالعافية والبلاء، وإنما فضل بالتقوى.

والتقوى مبنية على أصليين: الصبر والشكر، وكل من الغني والفقير لا بد له منهما، فمن كان صبره وشكره أتم كان أفضل^(١).

الفروق:

الفرق بين مقامي الصبر والرضا:

«أن الصبر: كف النفس وحبسها عن التسخط مع وجود الألم، وتمني زوال ذلك، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، والرضا: انشراح الصدر وسعته بالقضاء، وترك تمني زوال ذلك المؤلم، وإن وجد الإحساس بالألم، لكن الرضا يُخَفِّفه لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرضا فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية»^(٢).

الفرق بين الصبر والقسوة:

«أن الصبر خلق كسبي يتخلق به العبد؛ وأما القسوة: فيبس في القلب يمنع من الانفعال، وغلظة تمنعه من التأثير بالنوازل، فلا يتأثر لغلظته وقساوته لا لصبره واحتماله»^(٣).

الثمرات:

الناظر في نصوص القرآن والسنة يجد أن للصبر ثمارًا يانعة، وعواقب حسنة، ونتائج مباركة، وهي كثيرة جدًا؛ ومنها:

- محبة الله ﷻ للصابرين، وصلاته عليهم، ورحمته بهم، ومعيته لهم، والتي تقتضي الحفظ والكلاءة والنصرة والتوفيق والتسديد.

- الجزاء الكبير للصابرين بأحسن ما

(٢) جامع العلوم والحكم (٢٣٦) [ط١، ١٤٢٤هـ].

(٣) الروح (٢٤٤ - ٢٤٥).

(١) انظر هذه المسألة في: عدة الصابرين (٢٩٤ - ٢٩٨).

- كانوا يعملون، يوفونه بغير حساب.
- ٢ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.
- ٣ - «الروح»، لابن القيم.
- ٤ - «شعب الإيمان» (ج ١)، للبيهقي.
- ٥ - «الصبر»، لابن أبي الدنيا.
- ٦ - «عدة الصابرين»، لابن القيم.
- ٧ - «قاعدة في الصبر ضمن جامع المسائل»، لابن تيمية.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٠)، لابن تيمية.
- ٩ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.
- النجاة من سخط الله وعذابه، والفلاح والفوز برضوانه وجنته.
- المنزلة العالية والدرجة الرفيعة في الدنيا والآخرة.
- الإمامة في الدين وهداية الآخرين بأمر الله رب العالمين.
- الاهتداء والتفكر والاعتبار.
- الانتصار والغلبة والتمكين.
- اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة.
- الاستعانة به على فعل العبادات، وترك المحرمات، ومواجهة المصائب والآلام.

■ الصَّحَابَة ■

❁ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الصاد والحاء والباء أصل واحد؛ يدل على مقارنة شيء ومقاربتة من ذلك الصاحب، والجمع: الصحب، كما يقال: راكب وركب، ومن الباب: أصحاب فلان؛ إذا انقاد، وأصحاب الرجل؛ إذا بلغ ابنه، وكل شيء لأم شيئاً فقد استصحبه»^(١).

فمدلول كلمة صحب يبين أن لفظ الصحبة يدل على ملازمة شيء لشيء، وهذه الملازمة تحصل بأحد أمرين:

الأول: ملازمة بالبدن، وهو

- تحقيق الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره.

- قوة الإيمان بالله والرضا بحكمه، وذوق حلاوة هذا الإيمان والتلذذ به.

- الاستئضاء والحكمة في كل الأحوال.

- اكتساب الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة.

- مشابهة الأنبياء والصالحين في الصبر في منازل العبودية، ومن تشبه بقوم فهو منهم، والمرء مع من أحب.

❁ المصادر والمراجع:

١ - «بصائر ذوي التمييز» (ج ٣)،

للفيروزآبادي.

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٣٣٥) [دار الجيل، ط ١٤٢٥هـ].

ومخاطب، وضارب، مشتق من المكاملة، والمخاطبة، والضرب، وجار على كل من وقع منه ذلك قليلاً كان أو كثيراً، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال، وكذلك يقال: «صحت فلاناً حولاً، ودهراً، وسنة، وشهراً، ويوماً، وساعة فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره، وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار، هذا هو الأصل في اشتقاق الاسم»^(٣).

فالصُّحبة تتحقق بالزمن اليسير؛ إذ هي اسم جنس تعم قليل الصحبة وكثيرها، وأدناها أن يصحبه زمناً قليلاً، وليس لها حد في الشرع، ولا في اللغة، والعرف فيها مختلف، والنبي ﷺ لم يقيد الصحبة بقيد، ولا قدرها بقدر؛ بل علق الحكم بمطلقها، ولا مطلق لها إلا الرؤية، وأيضاً فإنه يقال: صحبه ساعة وصحبه سنة وشهراً، فتقع على القليل والكثير، فإذا أطلقت من غير قيد لم يجز تقييدها بغير دليل؛ بل تحمل على المعنى المشترك بين سائر موارد الاستعمال.

ولا ريب أن مجرد رؤية الإنسان لغيره لا توجب أن يقال قد صحبه، ولكن إذا رآه على وجه الاتباع له، والاقتداء به

المعاشرة، فإذا عاشر شخص آخر قيل: صاحبه، وهذا هو الأشهر والأكثر.

الثاني: بغير البدن، وهو المتابعة والانقياد، فإذا تابع شخص آخر قيل: صاحبه، كما يقال: أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب الشافعي، وأصحاب أحمد، وأصحاب مالك؛ لملازمتهم مذهبهم، فالصحبة هنا تحققت بالمتابعة لا بالمعاشرة.

ودلالة لفظ الصحبة على هذا المعنى حقيقة، وليست مجازاً كما قال الفيومي: ويطلق مجازاً على من تمذهب بمذهب من مذاهب الأئمة فيقال: أصحاب الشافعي وأصحاب أبي حنيفة^(١).

✽ التعريف شرعاً:

الصحابي: هو كل من رأى النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام ولو تخللت ردة على الأصح^(٢).

✽ الحقيقة:

لا خلاف بين أهل اللغة في أن لفظ: (صحابي) مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص؛ بل هو جار على كل من صحب غيره قليلاً كان أو كثيراً، كما أن القول مكلم،

(١) المصباح المثير (١٢٧) [مكتبة لبنان، ط ١٩٨٧م].

(٢) انظر: نزهة النظر (١١١) [مطبعة الضباح، ط ٢]،

والتقييد والإيضاح (٢٥١) [دار الحديث، ط ٢]،

ومناهج السنة (٣٨٨/٨ - ٣٨٩) [ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٣) الكفاية في علم الرواية (٥١) [دار الكتب العلمية،

١٤٠٥هـ].

وامتناعهم من القول بلا علم بقلّة التكلف، والذي قاله عبد الله حق، فإنهم خير هذه الأمة؛ كما تواترت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ، حيث قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»^(٣). وهم أفضل الأمة الوسط، الشهداء على الناس، الذين هداهم الله لما اختلف فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فليسوا من المغضوب عليهم، الذين يتبعون أهواءهم، ولا من الضالين الجاهلين؛ بل لهم كمال العلم وكمال القصد؛ إذ لو لم يكن كذلك للزم أن لا تكون هذه الأمة خير الأمم، وأن لا يكونوا خير الأمة وكلاهما خلاف الكتاب والسنة. وأيضاً فالاعتبار العقلي، يدل على ذلك، فإن من تأمل أمة محمد ﷺ، وتأمل أحوال اليهود، والنصارى، والصابئين، والمجوس، والمشرّكين؛ تبين له من فضيلة هذه الأمة على سائر الأمم في العلم النافع، والعمل الصالح ما يضيق هذا الموضوع عن بسطه.

والصحابة أكمل الأمة في ذلك، بدلالة الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار، ولهذا لا تجد أحداً من أعيان

دون غيره، والاختصاص به، ولهذا لم يعتد برؤية من رأى النبي ﷺ من الكفار والمنافقين، فإنهم لم يروه رؤية من قصده أن يؤمن به، ويكون من أتباعه، وأعوانه، المصدقين له فيما أخبر، المطيعين له فيما أمر، المواليين له، المعادين لمن عاداه، الذي هو أحب إليهم من أنفسهم، وأموالهم وكل شيء^(١).

المنزلة:

منزلة الصحابة ومكانتهم مما يقتضيها حالهم، واختيار الله ﷻ لهم لتبليغ رسالة النبي ﷺ من بعده، وشواهدا متعددة، وفي وصف الله ﷻ لهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس أبين دليل، وأوضح حجة على عظم منزلتهم، ورفع مكانتهم.

قال شيخ الإسلام: «وقول عبد الله بن مسعود: كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً»^(٢) كلام جامع، بين فيه حسن قصدهم ونياتهم ببر القلوب، وبين فيه كمال المعرفة، ودقتها بعمق العلم، وبين فيه تيسر ذلك عليهم،

(١) انظر: منهاج السنة (٣٨٧/٨ - ٣٩٨)، بتصرف، وانظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢/١١٢) [دار الصميعي، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: جامع بيان العلم (٩٤٧/٢) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤١٤هـ]، وذم الكلام للهروري (٤/٣٨) [دار الغرباء، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٥٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٣٣).

الأمة إلا وهو معترف بفضل الصحابة عليه، وعلى أمثاله»^(١).

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَمِيزُ الْأَنْصَارَ وَالْأَرْضَ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح]، وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّاعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح].

ومن السنة: عن عمران بن حصين رضي الله عنه

(١) منهاج السنة (٢/ ٧٩).

قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم - قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا - ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن»^(٢).

وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحداكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(٣).

وعن البراء رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ أو قال: قال ﷺ: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله»^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ،

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٥٠)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٧٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٤٠).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٧٨٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٧٥).

الصحابه ﷺ خير العالم بأسره من أوله إلى آخره، لا يفضلهم أحد إلا الأنبياء والملائكة، ولهذا لم يعدل مثل أحد ذهباً مد أحدهم، ولا نصيفه. فإن لم يكونوا رأس الأولياء، وصفوة الأتقياء؛ فليس لله أولياء، ولا أتقياء، ولا بررة، ولا أصفياء» (٤).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المفاضلة بين الصحابة وغيرهم:

دلَّت النصوص الصحيحة على أن الصحابة ﷺ أفضل الأمة فلا يصل إلى فضلهم ودرجتهم أحد مهما بلغ من العمل.

«ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منَّ الله به عليهم من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى» (٥).

وقد دلَّ الكتاب والسنة والإجماع، وما يصدق ذلك من المنقولات المتواترة من أدلة العقل على أن الصحابة أفضل الخلق بعد الأنبياء (٦):

(٤) الفتح الرباني للشوكاني كما في ذب الإمام الشوكاني عن أصحاب النبي (٣١).

(٥) مجموع الفتاوى (١٥٦/٣).

(٦) انظر: منهاج السنة (٣٠٥/٦).

فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم» (١).

وقال ابن أبي زمنين الأندلسي رحمه الله: «ومن قول أهل السنة: أن يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبي ﷺ، وأن ينشر محاسنهم وفضائلهم، ويمسك عن الخوض فيما دار بينهم. وقد أثنى الله ﷻ في غير موضع من كتابه ثناء أوجب التشريف إليهم بمحبتهم والدعاء لهم» (٢).

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله: «على أنه لو لم يرد من الله ﷻ ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم، أبد الآبدين، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء» (٣).

وقال الشوكاني رحمه الله: «فتقرر بهذا أن

(١) جامع بيان العلم لابن عبد البر (٩٤٤/٢)، وذم الكلام للهروي (٣٨/٤).

(٢) أصول السنة (٢٦٣) مكتبة الغرباء الأثرية، ط ١، ١٤١٥ هـ.

(٣) الكفاية (٤٦ - ٤٩).

ومن النصوص الدالة على أفضليتهم: قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَمِيزُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد].

وهذا إلى يوم القيامة فلا يزال الذين أنفقوا من قبل الفتح أعظم درجة، فلا يسبقهم أحد. وقوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(١).

وهذا الخطاب شامل لجميع الأمة إلى قيام الساعة فلا يبلغ أحد - مهما عمل - مد أحدهم ولا نصيفه، فكيف يفضل عليه^(٢).
- المسألة الثانية: ترتيب الصحابة في الفضل:

أفضلهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنه، هكذا كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ.

كما يدل عليه النص الذي رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا في زمن

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٢٧/٤)، ومنهاج السنّة (٢٢٦/٦)، والجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن أبي زيد (١١٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٣هـ]، والأجوبة العراقية (١٨٠) [دار ابن القيم، ط ١، ١٤٢٨هـ]، وانظر أيضًا: (١٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٩٧).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٦٣/٣) [دار صادر، ط ١]، وأحمد في فضائل الصحابة (٤٦١/١) [جامعة أم القرى، ط ١، ١٤١٧هـ]، والآجري في الشريعة (١٧٥٣/٤) [دار الوطن، ط ٢]، والطبراني في المعجم الكبير (١٦٩/٩ - ١٧٠) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٠٦هـ]، وقال الهيثمي في المجموع (٨٨/٩) [مكتبة القدسي]: «رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح».

(٥) أصول السنّة لابن أبي زمنين (٢٧٤).

والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»^(٢).

ثم يأتي بعدهم في الفضل: أهل بدر، وهم الذين شهدوا غزوة بدر مع النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار، وإن كان أهل بدر من المهاجرين هم أفضل من أهل بدر من الأنصار، وكانوا بضعة عشر وثلاثمائة.

عن جابر بن عبد الله ﷺ؛ أن عبدًا لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطبًا، فقال: يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: «كذبت لا يدخلها؛ فإنه شهد بدرًا والحديبية»^(٣).

عن معاذ بن رفاع بن رافع الزرقني عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر ﷺ - قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة»^(٤).

وقال النبي ﷺ لمن رمى حاطب بن

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيانه لأصول اعتقاد أهل السنة: «ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ويثلاثون بعثمان، ويربعون بعلي ﷺ كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة ﷺ على تقديم عثمان في البيعة. مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي ﷺ، بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر؛ أيهما أفضل، فقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربعوا بعلي، وقدم قوم عليًا، وقوم توقفوا لكن استقر أهل السنة على تقديم عثمان»^(١).

ثم يأتي في الفضل بعد الأربعة الخلفاء بقية الستة تمتة العشرة المبشرين بالجنة، وهم طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، فهؤلاء العشرة لا يتقدمهم أحد في الفضل والخير.

عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة،

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٤٧)، وأحمد (٢٠٩/٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٠) [المكتب الإسلامي].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٥).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٣٩٩٢).

(١) مجموع الفتاوى (١٥٣/٣).

تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْبَهُمْ فَفَتَحَ قَرِيبًا ۝﴾ [الفتح].

كما أثنى عليهم رسوله الكريم ﷺ؛ حيث ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض»، وكنا ألفاً وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة^(٤).

كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها»^(٥).

- المسألة الثالثة: السابقون الأولون:

هم كل من أسلم وأنفق من قبل الفتح والمراد بالفتح: صلح الحديبية، وقد أثنى الله تعالى عليهم في كتابه فقال ﷻ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝﴾ [التوبة]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَرْثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ

بليتعة بالنفاق: «أليس من أهل بدر، فقال: لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم»^(١).

قال الإمام أحمد رحمه الله: «وخير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، نقدم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله، لم يختلفوا في ذلك، ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمس: علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد كلهم يصلح للخلافة، وكلهم إمام، ثم من بعد أصحاب الشورى: أهل بدر من المهاجرين، ثم أهل بدر من الأنصار من أصحاب رسول الله على قدر الهجرة والسابقة أولاً فأولاً»^(٢).

وقال ابن تيمية في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة: «ويقدمون المهاجرين على الأنصار»^(٣).

ثم يليهم في الفضل أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة، وقد أثنى الله عليهم في كتابه كما قال

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٣٩٨٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٤).

(٢) اعتقاد الإمام أحمد ضمن شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٧٩) [مؤسسة الحرمين الخيرية، ط ٨، ١٤٢٤هـ].

(٣) العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/١٥٢).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤١٥٤)، ومسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٨٥٦).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٦).

أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ [الحديد].

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن
السابقين الأولين هم من صلى إلى
القبليتين^(١)، وهو ضعيف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:
«ذهب جمهور العلماء إلى أن السابقين
في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾» [التوبة]، هم
هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح
وقاتلوا، وأهل بيعة الرضوان كلهم
منهم، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

وقد ذهب بعضهم إلى أن السابقين
الأولين هم من صلى إلى القبليتين، وهذا
ضعيف؛ فإن الصلاة إلى القبلة المنسوخة
ليس بمجرد فضيلة، ولأن النسخ ليس
من فعلهم الذي يفضلون به، ولأن
التفضيل بالصلاة إلى القبليتين لم يدل
عليه دليل شرعي، كما دلَّ على التفضيل
بالسبق إلى الإنفاق، والجهاد، والمبايعة
تحت الشجرة، ولكن فيه سبق الذين
أدركوا ذلك على من لم يدركه، كما أن
الذين أسلموا قبل أن تفرض الصلوات

الخمس هم سابقون على من تأخر
إسلامه عنهم، والذين أسلموا قبل أن
تجعل صلاة الحضر أربع ركعات هم
سابقون على من تأخر إسلامه عنهم،
والذين أسلموا قبل أن يؤذن في الجهاد،
أو قبل أن يفرض هم سابقون على من
أسلم بعدهم، والذين أسلموا قبل أن
يفرض صيام شهر رمضان هم سابقون
على من أسلم بعدهم، والذين أسلموا
قبل أن يفرض الحج هم سابقون على
من تأخر عنهم، والذين أسلموا قبل
تحريم الخمر هم سابقون على من أسلم
بعدهم، والذين أسلموا قبل تحريم الربا
كذلك، فشرائع الإسلام من الإيجاب
والتحريم كانت تنزل شيئاً فشيئاً، وكل
من أسلم قبل أن تشرع شريعة فهو سابق
على من تأخر عنه، وله بذلك فضيلة،
ففضيلة من أسلم قبل نسخ القبلة على من
أسلم بعده هي من هذا الباب^(٢).

- المسألة الرابعة: عدالة الصحابة:

أصحاب رسول الله ﷺ بعد أن
عدهم الله ﷻ، ورضي عنهم، ووصفهم
بالصدق وبالفلاح، ووعدهم الحسنی،
وأثنى عليهم رسول الله ﷺ، ونهى عن
سبهم، لا يحتاجون إلى تعديل أحد بعد
تعديل الله، وتعديل رسوله ﷺ.

ومن المعلوم أنه لا تعديل أبلغ من

(١) انظر: تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٥١) [دار الكتب العلمية].

(٢) منهاج السُّنة النبوية (٢/ ٢٦ - ٢٧) [١٦، ١٤٠٦هـ].

تعديل الله ﷺ؛ لأنه يخبرنا عن صحة ظواهرهم وبواطنهم^(١).

فلا يسوغ لأحد أن يستدرك عليهم في العدل والفضل شيئاً؛ لأن رضا الله ﷻ، ورضا رسوله ﷺ، رتبة لا يبلغها إلا من بلغ الغاية في الكمال، فإذا زكاهم الله ﷻ، وأثنى عليهم رسوله ﷺ، ونهى عن سبهم فهل يجوز لأحد يؤمن بالله ورسوله، ويرى هذه التزكية، وهذا الشناء أن يتردد في موافقة الله وموافقة رسوله ﷺ في الشناء عليهم.

والله ﷻ يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب].

قال الحافظ العلائي: «فلا أعدل ممن ارتضاه الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، ونصرته، والسبق إليه، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه»^(٢).

وعملاً بهذه التزكية، والتعديل من الله ورسوله ﷺ أجمع أهل السُّنة والجماعة على الالتزام بها، فلا يبحث في تعديل أحد ثبتت صحبته للنبي ﷺ، سواء دخل في الفتنة التي حصلت بين الصحابة ﷺ أو لم يدخل، فكل صحابي فهو عدل، إذ

ثبوت الصحبة قطع بالعدالة والتزكية، وليس المراد بعدالة كل واحد من الصحابة ﷺ أن العصمة له ثابتة والمعصية عليه مستحيلة، ولكن المعنى بهذا أن روايته مقبولة، وقوله مصدق، ولا يحتاج إلى تزكية كما يحتاج غيره إليها^(٣).

ومسوِّغات عدالة الصحابة واستغنائهم عن تعديل أحد كثيرة؛ منها:

١ - ثناء الله ﷻ عليهم، ومدحه إياهم، ووصفه لهم بكل جميل، وصفهم بالإيمان والصدق والفلاح وغير ذلك، وأخبر ﷻ أنه رضي عنهم، ورضوا عنه، فمن ادعى بعد ذلك في أحد منهم أنه قد سخط عليه لزمه بيان ذلك بدليل قاطع عن الله ولا سبيل إلى ذلك.

٢ - ثناء النبي ﷺ عليهم، وإخباره بما منحهم الله تعالى من كونهم خير القرون من أمته وأفضلها، وإن أحداً ممن يأتي بعدهم لا يبلغ أدنى جزء من شأنهم.

فثناء الله ﷻ وثناء رسوله ﷺ على الصحابة متحقق لا شك فيه، وكل من أثنى الله ورسوله ﷺ عليه فهو عدل؛ فالصحابة عدول^(٤).

(٣) انظر: تحقيق منيف الرتبة (٨٦)، والبحر المحيط

للزركشي (٣٠٠/٤) [دار الصفوة، ط ١، ١٤٠٩هـ].

(٤) انظر: شرح مختصر الروضة (١٨١/٢) [مؤسسة

الرسالة، ط ٣، ١٤١٩هـ]، وانظر: أحكام الفصول

(٣٧٤).

(١) انظر: أحكام الفصول للباجي (٣٧٤) [دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٧هـ].

(٢) تحقيق منيف الرتبة للعلائي (٦٦) [دار العصمة،

ط ١، ١٤١٠هـ].

٣ - وصفهم بالخير كما في قوله:

تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾: [آل عمران: ١١٠]، وقوله ﷺ: «خير الناس قرني» الحديث. والخير هنا اسم جنس مضاف، أو صيغة أفعل مضافة، فتعم جميع أنواع الخير، «فمتى جعل أحد من الصحابة في التعديل كمن بعده؛ حتى ينظر في عدالته، ويبحث عنها لم يكن خيراً ممن بعده مطلقاً»^(١).

ومن أقوال أهل العلم في كمال علم الصحابة ﷺ:

قال الشافعي: «وهم فوقنا في كل علم، واجتهاد، وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد، وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا والله أعلم ومن أدرنا ممن أَرْضَى، أو حكي لنا عنه ببلدنا، صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله ﷺ فيه سُنَّةٌ إلى قولهم إن اجتمعوا، وقول بعضهم إن تفرقوا فهكذا نقول: إذا اجتمعوا أخذنا باجتماعهم، وإن قال واحد لم يخالفه غيره أخذنا بقوله، فإن اختلفوا أخذنا بقول بعضهم، ولم نخرج من أقاويلهم كلهم»^(٢).

وقال ابن تيمية: «ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم خيراً

٤ - إجماع أهل السُّنَّة على عدالتهم؛ وممن نصَّ على هذا:

أ - الحافظ ابن عبد البر، حيث قال: «الصحابة رضي الله عنهم قد كفيْنَا البحث عن أحوالهم؛ لإجماع أهل الحق من المسلمين، وهم أهل السُّنَّة والجماعة؛ على أنهم كلهم عدول»^(٣).

ب - الحافظ النووي حيث قال: «للصحابة رضي الله عنهم بأسرهم خصيصة، وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم؛ لكونهم عدولاً على الإطلاق بنصوص الكتاب والسُّنَّة، وإجماع من يعتد به في الإجماع على تعديل جميعهم، ومن لا بس الفتن فكذلك، بإجماع من يعتد به»^(٤).

(١) تحقيق منيف الرتبة (٧٢).

(٢) الاستيعاب (١٢٩/١)، وانظر: التمهيد (٤٧/٢٢) [وزارة الأوقاف المغربية، ط١].

(٣) إرشاد طلاب الحقائق للنووي (١٩٥) [دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ].

(٤) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (١١٠ - ١١١) [دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط١].

ولم ير ولم يسمع منه، ولكن علم بعض أحواله وسمع بواسطة، وإذا كان الصحابة سمعوا لفظه وفهموا معناه كان الرجوع إليهم في ذلك واجباً متعيناً ولم يحتج مع ذلك إلى غيرهم، ولهذا قال الإمام أحمد: أصول السُّنَّة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، ولهذا كان اعتقاد الفرقة الناجية هو ما كان عليه وأصحابه كما قال النبي ﷺ في صفة الفرقة الناجية: هو ما كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي، أو قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي^(٢).

٢ - اتفقهم على الهدى والرشد وحسن فهم وبعدهم عن التفرق والاختلاف. قال شيخ الإسلام: «ومن استقرأ أخبار العالم في جميع الفرق؛ تبين له أنه لم يكن قط طائفة أعظم اتفاقاً على الهدى والرشد، وأبعد عن الفتنة والتفرق والاختلاف من أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم خير الخلق بشهادة الله لهم بذلك»^(٣).

- المسألة السابعة: محبتهم ونشر محاسنهم، والاستغفار لهم:

محبة الصحابة ﷺ ومودتهم والاستغفار لهم، ونشر محاسنهم، وتفرضها أشياء كثيرة، فمن نظر في سيرة

(٢) جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية (١٥) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٣) منهاج السُّنَّة (٦/ ٣٦٤ - ٣٦٧).

وأنتفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله؛ كالتفسير وأصول الدين وفروعه والزهد والعبادة والأخلاق والجهاد وغير ذلك؛ فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، فالإقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم خير وأنتفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم؛ وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوماً وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم^(١).

- المسألة السادسة: الاقتداء بالصحابة:

الاقتداء بالصحابة والالتزام بفهمهم للنصوص شأن تقتضيه النصوص ويدل عليه الاعتبار والإجماع؛ لكمالهم في العلم والعمل وسلامة منهجهم قطعاً المتحقق بثناء الله ﷻ عليهم ورضاه عنهم، وتحقق كمالهم في العلم والعمل.

ومن المسوغ للأخذ بفهمهم:

١ - «أن الصحابة سمعوا من النبي ﷺ من الأحاديث الكثيرة ورأوا منه من الأحوال وعلموا بقلوبهم من الأمور ما يوجب لهم من فهم ما أراد بكلامه ما يتعذر على من بعدهم، فليس من سمع ورأى وعلم حال المتكلم كمن كان غائباً

(١) الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/ ٢٤).

القوم وأحوالهم مع رسول الله ﷺ وما قاموا به من نصرة الإسلام وبذلهم أنفسهم وأموالهم طاعة لله ورسوله وكمالهم في الصدق والإخلاص ومكارم الأخلاق وزهدهم في الدنيا من اطلع على هذه الحقائق لم يملك إلا أن يحبهم ويترضى عنهم^(١).

والنصوص الشرعية تدل على أن محبة الصحابة رضي الله عنهم وموالاتهم واجبة؛ لأنه قد ثبت أن الله يحبهم، ومن كان الله يحبه وجب علينا أن نحبه؛ فإن الحب في الله والبغض في الله واجب، وهو أوثق عرى الإيمان، وكذلك هم من أكابر أولياء الله المتقين، وقد أوجب الله موالاتهم؛ بل قد ثبت أن الله رضي عنهم ورضوا عنه بنص القرآن، وكل من رضي عنه الله فإنه يحبه والله يحب المتقين والمحسنين والمقسطين والصابرين، وهؤلاء أفضل من دخل في هذه النصوص من هذه الأمة بعد نبينا ﷺ^(٢).

قال اللالكائي: «سياق ما روي عن النبي ﷺ في الحث على حب الصحابة، وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن مساوئهم»^(٣).

(١) الصارم المسلول (٥٨١) [عالم الكتب، ط ١٤٠٢هـ].

(٢) انظر: منهاج السنّة (١٠٤/٧) بتصرف.

(٣) شرح أصول أهل اعتقاد أهل السنّة (١٢٤١/٧) [مكتبة طيبة، ط ١].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]: «هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفيء»، ما أقاموا على محبتهم، وموالاتهم، والاستغفار لهم، وأن من سبهم، أو واحداً منهم، أو اعتقد فيه شراً إنه لا حق له في الفيء، روى ذلك مالك، وغيره. قال مالك: من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ٤].

- المسألة الثامنة: الشهادة بالجنة لمن شهد له النبي ﷺ:

من حق الصحابة رضي الله عنهم الشهادة لمن شهد له النبي ﷺ منهم بالجنة، وعلى هذا معتقد أهل السنّة والجماعة، فهم يشهدون لمن شهد له النبي ﷺ بالجنة.

قال الصابوني: «فأما الذين شهد لهم رسول الله ﷺ من أصحابه بأعيانهم؛ بأنهم من أهل الجنة، فإن أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك، تصديقاً

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٢/١٨) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ].

أن لا يحبهم»^(٤).

وقد كثرت أقوال الأئمة في التأكيد على سلامة القلوب لأصحاب رسول الله ﷺ وطهارتها من الكراهية لهم أو الغض من شأنهم.

قال الشوكاني: «أمرهم الله أن يستغفروا لأنفسهم، ولمن تقدمهم من المهاجرين والأنصار ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر]؛ أي: غشاً وبغضاً وحسداً.

أمرهم الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله سبحانه أن ينزع من قلوبهم الغل للذين آمنوا على الإطلاق، فيدخل في ذلك الصحابة دخولاً أولاً؛ لكونهم أشرف المؤمنين ولكون السياق فيهم، فمن لم يستغفر للصحابة على العموم، ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما أمر الله به في هذه الآية، فإن وجد في قلبه غلاً لهم فقد أصابه نزغ من الشيطان، وحل به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه وخير أمة نبيه ﷺ وانفتح له باب من الخذلان يفد به على نار جهنم، إن لم يتدارك نفسه باللجأ إلى الله سبحانه والاستغاثة به، بأن ينزع عن قلبه ما طريقه

منهم للرسول ﷺ فيما ذكره ووعد له، فإنه ﷺ لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك»^(١).

وقال ابن تيمية: «ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة؛ كالعشرة، وثابت بن قيس بن شماس، وغيرهم من الصحابة»^(٢).

- المسألة التاسعة: سلامة القلب من الغل والكراهية لهم: سلامة قلب المؤمن من الغل والكراهية لأصحاب رسول الله ﷺ أمر يحبه الله ﷻ ويثني على المتصف به^(٣):

ولذا قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر] فصدق الصحابة ﷺ في إيمانهم بالله ورسوله ﷺ وثناء الله ورسول الله ﷺ عليهم وما اتصفوا به من جميل الأوصاف الجميلة تستلزم سلامة القلب من الغل لهم والكراهية لهم؛ بل تقتضي المحبة لهم والتعظيم، «ومن عرف السيرة وأيام رسول الله عليه الصلاة والسلام وما قاموا به من الأمر ثم كان مؤمناً يحب الله ورسوله لم يملك

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٩٨) [مكتبة الغرياء، ٢٢، ١٤١٥هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (١٥٣/٣).

(٣) الصارم المسلول (٥٧٤).

(٤) الصارم المسلول (٥٨١).

تحقيقاً لمراد الله و مراد رسوله ﷺ في الثناء على الصحابة وسلامة القلوب لهم وأنهم لا يذكرون إلا بخير وإغلاقاً للسبل التي قد تؤدي إلى النيل من أصحاب رسول الله ﷺ أجمع أهل السُّنة على الإمساك عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ إذ لا يخلو حالهم من أمرين:

الأول: اجتهاد، فهم بين أجر وأجرين، أجر للمخطئ وأجران للمصيب.

الثاني: إذا قُدِّرَ ذنب فلهم من السوابق والخير العظيم، وقد سبق لهم من الله ﷻ الثناء والرضا والوعد بالجنة، وهذه السيئات مغمورة بالحسنات العظيمة، ومكفرة بأسباب عديدة بحيث يتحقق لهم وعد الله بالحسن. قال أبو القاسم الأصبهاني: «وما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فقال السلف: من السُّنة السكوت عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وقال رسول الله ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»^(٥). ومعلوم أنه لا يأمرنا

من الغل لخير القرون وأشرف هذه الأمة»^(١).

- المسألة العاشرة: الإمساك عما شجر بينهم:

المراد بما شجر بينهم: الاختلاف الواقع بينهم بعد استشهاد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو ما يعرف بموقعة الجمل وصفين.

معنى الإمساك عما شجر بينهم: ترك ذكر الأخبار الواردة في الفتنة بينهم في الجمل وصفين وأن لا يحدث بها كتابة وقراءة وإقراء وسماعاً وتسميعاً^(٢).

قال حنبل: «أردت أن أكتب كتاب صفين والجمل عن خلف بن سالم، فأتيت أبا عبد الله أكلمه في ذاك وأسأله فقال: وما تصنع بذاك وليس فيه حلال ولا حرام؟ قال حنبل: فأتيت خلف فكتبتها، فبلغ أبا عبد الله فقال لأبي: خذ الكتاب فاحبسه عنه ولا تدعه ينظر فيه»^(٣).

قال الخطيب البغدادي: «وليجنب المحدث رواية ما شجر بين الصحابة، ويمسك عن ذكر الحوادث التي كانت منهم، ويعم جميعهم بالصلاة عليهم، والاستغفار لهم»^(٤).

(١) فتح القدير (٢٦٨/٥) [دار الوفاء].

(٢) انظر: لوايح الأنوار البهية (٣٨٧/٢) مؤسسة الخافقين، ط ١٤٠٢هـ.

(٣) السُّنة للخلال (٤٦٤/٢) رقم (٧٢٣).

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١١٩/٢)

[مكتبة المعارف الرياض، ١، ط ١٤٠٣هـ].

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩٦/٢) [مكتبة

ابن تيمية، ط ٢٢]، من حديث ثوبان رضي الله عنه، وقال

الهيثمي: «فيه يزيد بن ربيعة، وهو ضعيف». مجمع

الزوائد (٢٠٢/٧) [مكتبة القدسي].

وأخرجه أيضاً الطبراني في الكبير (٢٤٣/١٠) [مكتبة

ابن تيمية، ط ٢٢]، وأبو نعيم في الحلية (١٠٨/٤) =

رسوله ﷺ، إما من ذم من لا يستحق الذم وإما من مدح أمور لا تستحق المدح»^(٣).

٣ - أننا لسنا قضاة عليهم حتى نحكم بينهم، ولا نسأل عما حصل بينهم^(٤) والله ﷻ هو الذي يحكم بينهم، فأمرهم إليه وهو أرحم الراحمين.

٤ - أن هذه فتنة انقضت وولت ولا تعلق للناس بها، وليس فيها شيء من مسائل الحلال والحرام حتى نتعبد بعلمها^(٥).

- المسألة الحادية عشرة: حكم سب الصحابة:

السب هو: «الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يفهم منه السب في عقول الناس، على اختلاف اعتقاداتهم؛ كاللعن، والتقبيح ونحوه»^(٦).

سب الصحابة ﷺ كبيرة من كبائر الذنوب بالإجماع كما حكاه السفاريني بقوله: وكون سب أصحابه كبيرة، هذا بلا خلاف، وإنما اختلفوا هل يكفر من سبهم أم لا؟^(٧).

(٣) المرجع السابق (٤٤٩/٤).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢٥٤/٦).

(٥) انظر: المرجع السابق (١٤٦/٥).

(٦) الصارم المسلول (٥٦١).

(٧) الذخائر لشرح منظومة الكبائر للسفاريني (٣٢٥) [دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٢٢هـ].

بالإمساك في ذكر محاسنهم، وإنما أمرنا بالإمساك عن ذمهم. وقال عمر بن عبد العزيز وسئل عن أمر الحرب التي جرت بينهم فقال: دماء كفى الله يدي فيها فلا أحب أن أغمس لساني فيها وأرجو أن يكونوا ممن قال الله ﷻ فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾^(١) [الحجر].

والمسوّغ لقول أهل السنّة في الإمساك عما جرى بين الصحابة أمور عدة، منها:

١ - أن العلم بتفاصيل كل واحد منهم باطنًا وظاهرًا وحسناته وسيئاته واجتهاداته أمر يتعذر علينا معرفته، فكان كلامنا في ذلك كلامًا فيما لا نعلمه، والكلام بلا علم حرام^(٢).

٢ - «أن الخوض فيما شجر يوقع في نفوس كثير من الناس بغضًا وذهمًا، ويكون هو في ذلك مخطئًا بل عاصيًا فيضر نفسه، ومن خاض معه في ذلك كما جرى - لأكثر من تكلم في ذلك - فإنهم تكلموا بكلام لا يحبه الله ولا

= [دار الفكر]، من حديث ابن مسعود رض، وقال الهيثمي: «فيه مسهر بن عبد الملك، وثقه ابن حبان وغيره، وفيه خلاف، وبقيّة رجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٢٠٢/٧).

وروي من طرق أخرى، وقد قواه بمجموعها الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٥/١)، رقم (٣٤).

(١) الحجّة في بيان المحجّة (٥٢٦/٢) [دار الراية، ط ١].

(٢) انظر: منهاج السنّة (٣١١/٤) بتصرف.

٣ - النصوص الدالة على محبة الله ورضاه عنهم ومحبة رسوله ﷺ لهم وثنائه عليهم.

ويرى كثير من أهل العلم: أن سب الصحابة كفر بالله ﷻ، كفر مخرج من الملة^(٤)، وممن نقل عنه تكفير ساب الصحابة: سفيان الثوري، وأبو عبيد القاسم بن سلام، والبخاري، والطحاوي كما في عقيدته المشهورة، لما ذكر الصحابة قال: «وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»^(٥).

وهو قول معظم الحنفية^(٦)، ومن أدلتهم: أن سب الصحابة ﷺ مصادم للمتواتر من الكتاب والسنة الدال على فضلهم، وعلو مقامهم، ومحبة الله ﷻ لهم، ورسوله ﷺ، ومقتضى لتكذيب الله ورسوله ﷺ في الثناء عليهم، والرضا عنهم، ووعدهم الجنة، ووصفهم بالصدق والإيمان، وغير ذلك^(٧).

ورأى آخرون: أنه ليس بكفر؛ لكن فاعله يؤدب ويحبس حتى يرجع عن قوله. وممن نقل عنه هذا القول عمر بن عبد العزيز، وأحمد بن حنبل في رواية،

(٤) ذب الإمام الشوكاني (٥٢).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٧٠٤/٢) (٧٢).

(٦) الأجوبة العراقية (١٤٦).

(٧) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن عبد الهادي (٣/١١٢٠) [الجامعة الإسلامية، ط ٢، ١٤٢٧هـ، والأجوبة العراقية (١٤٤)].

وقلما يخلو مصنف في الكبائر من ذكره فيها، وكتب أهل العلم المشهورة في الكبائر وغيرها شاهدة بهذا.

وممن عدّه من الكبائر: الحافظ الذهبي، وابن القيم، وابن النحاس، وابن حجر الهيتمي، وابن المبرد الحنبلي، والسفاريني وغيرهم^(١). وتحريم السب دلّ عليه الكتاب والسنة^(٢).

فمن أدلة الكتاب والسنة:

١ - النصوص الكثيرة الصريحة في النهي عن سبهم مثل حديث: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(٣).

٢ - النصوص الدالة على فضلهم، وأنهم خير أمة أخرجت للناس، وما جاء فيهم من الأوصاف الحميدة مثل هم الصادقون والمفلحون.

(١) انظر: الكبائر وتبيين المحارم للذهبي (١٤٩ - ١٥١) [دار ابن كثير، ط ٣، ١٤٠٧هـ]، وأعلام الموقعين وتنبيه الغافلين لابن النحاس (١٩٨) [مكتبة الحرمين، ط ٢]، وإرشاد الحائر إلى علم الكبائر لابن عبد الهادي (٣٦) [دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٢٥هـ]، والزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (٣٧٩/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٧هـ]، والذخائر لشرح منظومة الكبائر (٣٢٤)، وتذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر (٣٠٣) [دار ابن كثير، ط ١، ١٤٢٤هـ]، وشم العوارض في ذم الروافض للقاري (٨٨) [دار الراية الأثرية، ط ١].

(٢) وقد توسع شيخ الإسلام ابن تيمية في جمع الأدلة من الكتاب والسنة على تحريم سب الصحابة في كتابه الصارم المسلول (٥٧١)، وانظر: شم العوارض (٩٨).

(٣) تقدم تخريجه.

وإسحاق بن راهويه وكثير من الحنابلة، وهو المشهور من مذهب مالك^(١).

والمتعمّن في المنقول عن العلماء في حكم من سب الصحابة يمكنه أن يجمع بين القولين، وذلك بحمل قول من يرى تكفير الساب على المقالات الغليظة، وخصوصًا الطعن في دينهم.

ومن لا يرى التكفير يحمل قوله على المقالات الخفيفة؛ كأن يقول عن أحدهم: إنه بخيل، أو جبان، ونحو ذلك. فبهذا يكون القولان قولًا واحدًا.

والذي يظهر أن السب متفاوت؛ ليس في درجة واحدة فلا يعطى حكمًا واحدًا؛ بل ينظر في حقيقة السب، وفيمن وقع عليه السب، فلا بد من التفصيل في الحكم، فمن السب ما هو كفر، ومنه ما ليس بكفر.

فمن قال: إن الصحابة ارتدوا، أو فسقوا، ونحو ذلك فهو كافر.

ومن قال في أحدهم: إنه بخيل أو جبان ونحو ذلك. فلا يكفر.

كما أن من وقع عليه السب من الصحابة لا يعطى سابه حكمًا واحدًا؛ لأن الصحابة ليسوا في درجة واحدة، بعضهم أفضل من بعض، فسب الفاضل منهم، ومن بانّت منزلته، وعظمت مكانته؛ كأبي بكر وعمر ليس كسب

غيرهما من متأخري الصحابة، الذين لم يشتهروا، أو لم تثبت لهم فضيلة بخصوصهم.

ولذا رأى كثير من أهل العلم تكفير ساب أبي بكر وعمر؛ لأن الأمة أجمعت على إمامتهما^(٢).

وممن يرى التفصيل: شيخ الإسلام ابن تيمية كما في قوله: «فمن أصناف السابّة من لا ريب في كفره، ومنهم من لا يحكم بكفره، ومنهم من تردد فيه»^(٣).

وذكر بعض الحالات التي يكفر فيها والتي لا يكفر فقال: «وأما من سبّهم سبًا لا يقدح في عدالتهم، ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد، ونحو ذلك، فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم، وأما من لعن وقبح مطلقًا فهذا محل الخلاف فيهم؛ لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد، وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرًا قليلًا، لا يبلغون بضعة عشر نفسًا،

(٢) انظر: إلقام الحجر لمن زغى سابّ أبي بكر وعمر للسيوطي (٧١ - ٧٢) [دار اللواء، القاهرة، ط ١، ١٤١١هـ].

(٣) الصارم المسلول (٥٨٧).

(١) الصارم المسلول (٥٦٨).

«بلغني أن قومًا يفضلوني على أبي بكر وعمر، ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه، ولكنني أكره العقوبة قبل التقدم، من قال شيئًا من هذا فهو مفترٍ، عليه ما على المفترى؛ إن خيرة الناس رسول الله ﷺ، وبعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، وقد أحدثنا أحداثًا يقضي الله فيها ما أحب»^(٢). ورواه عن علي رضي الله عنه أيضًا سويد بن غفلة^(٣)، والحكم بن جحل^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من لعن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم؛ ك معاوية وعمر بن العاص، أو من هو أفضل من هؤلاء كأبي موسى الأشعري وأبي هريرة، أو من هو أفضل من هؤلاء كطلحة والزبير وعثمان أو علي أو أبي بكر أو عمر أو عائشة أو نحو هؤلاء من أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم فإنه يستحق العقوبة البليغة باتفاق المسلمين وتنازعوا؛ هل يعاقب بالقتل أو ما دون القتل»^(٥).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (٢/٤٨٠) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٠هـ]، وعبد الله بن أحمد في السُّنَّة (٢/٥٨٨) [دار ابن القيم، ط ١]، وحسنه الألباني في ظلال الجنة.

(٣) أخرجه من طريقه: ابن الأعرابي في معجمه (١/٣٠٣) [دار ابن الجوزي، ط ١]، والآجري في الشريعة (٤/١٧٢٥) [دار الوطن، ط ٢].

(٤) أخرجه من طريقه: عبد الله بن أحمد في زوائده على فضائل الصحابة (١/٨٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٥) مختصر الفتاوى المصري لابن تيمية (٦٠٩)، ومجموع الفتاوى له (٥٨/٣٥).

أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب في كفره؛ لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضا عنهم، والثناء عليهم؛ بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسُّنة كفار أو فاسق، وأن هذه الآية التي هي: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَرَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران]؛ وخيرها هو القرن الأول كان عامتهم كفارًا أو فاسقًا. ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال فإنه يتبين أنه زنديق، وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم»^(١).

- المسألة الثانية عشرة: عقوبة من

أساء إليهم:

عقوبة من أساء إلى الصحابة رضي الله عنهم مأثورة عن أصحاب رسول الله ﷺ كما صح عن علي أنه قال في من فضله على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: عليه ما على المفترى.

فعن علقمة قال: سمعت عليًا على المنبر فضرب بيده على منبر الكوفة يقول:

(١) الصارم المسلول (٥٨٦).

عليها بحيث يقتدى بهم، ويسار على منهجهم، ويعرف قدرهم في العلم والفهم، وأن ما هم عليه هو المنهج السليم، المرضي لله ورسوله ﷺ.

٣ - والتنبيه عما لهم من الحقوق التي فرط فيها كثير من الناس، واستساغوا النيل منهم، والتهوين من شأنهم، والعدول عن منهجهم وطريقهم.

✽ مذهب المخالفين:

يرى الرافضة أن الصحابة كلهم كفروا إلا سبعة عشر صحابياً وسموهم^(٤)، ويرى الخوارج بكفر علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الخوارج الذين يكفرون علياً، أو النواصب الذين يفسقونه؛ إنه كان ظالماً طالباً للدنيا، وإنه طلب الخلافة لنفسه، وقاتل عليها بالسيف، وقتل على ذلك ألوفاً من المسلمين، حتى عجز عن انفراده بالأمر، وتفرق عليه أصحابه، وظهروا عليه فقاتلوه»^(٥).

ويكفي في الرد على كلتا الطائفتين ما سبق تقريره تحت المسائل، من فضل الصحابة، وعقوبة من سبهم، أو لعنهم، أو كفرهم.

وإذا كان الخليفان الراشدان عمر وعلي رضي الله عنهما يجلدان حد المفتري من يفضل علياً على أبي بكر وعمر أو من يفضل عمر على أبي بكر مع أن مجرد التفضيل ليس فيه سب ولا عيب علم أن عقوبة السب عندهما فوق هذا بكثير^(١).

والعقوبة قد تصل إلى القتل، فعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قال: قلت لأبي: ما تقول في رجل سب أبا بكر؟ قال: يقتل، قلت: سب عمر؟ قال: يقتل^(٢).

قال الشوكاني بعد ما تحدث عن حال الرافضة: «ولقد كان القضاة من أهل المذاهب في البلاد الشامية، والمصرية، والرومية، والمغربية يحكمون بإراقة دم من ظهر منه دون ما يظهر من هؤلاء، حسبما تحكيه كتب التواريخ، وقد أصابوا أصاب الله بهم»^(٣).

✽ الحكمة:

١ - أن إيمان المرء لا يكمل إلا بمحبتهم؛ إذ محبتهم جزء من الإيمان.

٢ - إبراز تميزهم في أدائهم الأعمال الشرعية، وتوضيح الطريقة التي كانوا

(١) الصارم المسلول (٥٨٦).

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٧٢٩/٣) [مكتبة الإيمان، ط١]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٣٣٩/٧) [دار طيبة، ط٨].

وانظر: الصارم المسلول (٥٨٤).

(٣) ذب الإمام الشوكاني (٧٨).

(٤) انظر: روضة الكافي للكليني (١١٥) [دار الأضواء، بيروت]، وبحار الأنوار للمجلسي (٧٤٩/٦) [طبعة دار الطباعة المخصوصة، الهند، ١٢٩٧هـ].

(٥) منهاج السنة النبوية (٥٩/٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام»، لناصر الشيخ.
- ٢ - «فضائل الصحابة»، للإمام أحمد بن حنبل.
- ٣ - «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر.
- ٤ - «الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث»، لأحمد شاكر.
- ٥ - «منهاج السنة النبوية»، لابن تيمية.

٦ - «الشرعية»، للآجري.

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣)، لابن تيمية.

٨ - «الإمامة والرد على الرافضة»، للأصبهاني.

٩ - «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر.

١٠ - «عدالة الصحابة بين المسلمين»، لمحمد الفهداوي.

١١ - «النهى عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب»، لمحمد بن عبد الواحد المقدسي.

صحف إبراهيم

التعريف لغة:

الصُّحُف: جمع صحيفة، (فَعِيلَة) جُمِعَتْ عَلَى (فُعْل)؛ كسَفِينَة وَسُفُن،

وَتُجْمَعُ أَيْضًا عَلَى: صَحَائِف. وهي: الكتاب، أو: التي يُكْتَبُ فيها. وَسُمِّيَ الْمُصْحَفُ مُصْحَفًا؛ لَأَنَّهُ أُصْحِفَ؛ أَي: جُعِلَ جَامِعًا لِلصُّحُفِ الْمَكْتُوبَةِ بَيْنَ الدَّفَتَيْنِ (١).

التعريف شرعًا:

صحف إبراهيم: هي الكتب التي أنزلها الله ﷻ على نبيه وخليفه إبراهيم ﷺ بوحى منه ﷻ (٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

ليس بين المعنى اللغوي والشرعي لصفح إبراهيم تباين واختلاف؛ فالصفح لغة هي الكتب التي يكتب فيها، وصفح إبراهيم ﷺ هي: كتبه التي أنزلها الله عليه ﷻ.

وهذا المعنى - وإن كان مشتركًا بين جميع الكتب السماوية - فلا مانع من تخصيص صفح إبراهيم به وصفح موسى أيضًا؛ فالتسمية تكون لأدنى

(١) انظر: الصحاح (٤/١٣٨٤) [دار العلم للملايين، ط٤]، وتهذيب اللغة (٤/٢٥٤) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ومقاييس اللغة (٣/٣٣٤) [دار الفكر، ط٢].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٤/٢٥٤)، وتفسير ابن عطية (٨/١٢٥) [طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط٢، ١٤٢٨هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/٢٤) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، والتحرير والتنوير (٢٧/١٢٩) [دار سنون، ١٩٩٧م].

ملازمة ولا يراعى فيها الاشتقاق والمعنى كما هو معروف.

الحكم:

حقيقة الإيمان بصحف إبراهيم عليه السلام: أنه يجب على المسلم أن يعتقد أن الله عز وجل أنزل على نبيه وخليفه إبراهيم عليه السلام صحفاً مكتوبة؛ فهي كلام الله تعالى غير مخلوقة. وأن الله تعالى أنزلها عليه جملة واحدة في شهر رمضان كباقي الكتب السماوية، في أول ليلة منه.

الحقيقة:

ذكر الله تعالى بعض ما أنزله على إبراهيم عليه السلام في هذه الصحف، في موضعين من القرآن الكريم:

الأول: قول الله عز وجل: ﴿أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۖ أَلَا نُزِّلَ وَارِدٌ وَزَرَ أُخْرَىٰ ۖ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۚ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۚ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ﴾ [النجم]. فكل هذا في صحف إبراهيم وموسى (١).

والثاني: قول الله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۚ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۚ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةَ حَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ﴾ أي: مضمون ومعنى هذا الكلام ﴿إِنَّ

هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأَوَّلِ﴾ (١٨) ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (١٩) [الأعلى]. وقيل: بل سورة الأعلى كلها في هذه الصحف. والأول قول قتادة وابن زيد، واختيار الطبري، وحسنه وقواه ابن كثير (٢).

ويعتقد المسلم أيضاً: أننا لا نعلم عن وجود صحف إبراهيم عليه السلام شيئاً، ويتعذر الحصول عليها الآن، والظاهر أنها فقدت واندرت من زمن مبكر؛ بل هي أولى بالصَّياع والاندثار من الكتب المتأخرة عنها كالتوراة والزبور والإنجيل، والله أعلم.

وهل كانت صحف إبراهيم كثيرة، ولهذا جمعت؟ أم أنها جمعت لكونها مضافةً إلى اثنين (٣) في قوله تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى]، وقوله عز وجل: ﴿أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [النجم]؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِن لُّوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [التحريم: ٤]؟ الظاهر أنها كثيرة، ويدل على هذا حديث أبي ذر رضي الله عنه الطويل، وفيه: «وأنزل على إبراهيم عشر صحائف» (٤)،

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٤/٣٢٣)، وتفسير البغوي (٨/٤٠٣) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ]، وتفسير القرطبي (٢٠/٢٤)، وتفسير ابن كثير (٨/٣٨٣) [دار طيبة، ط ٢].

(٣) انظر: تفسير الرازي (٢٩/٢٧٩) [دار إحياء التراث العربي، بيروت]، والتحرير والتنوير (٣٠/٢٩١).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (كتاب البر والإحسان، =

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/٧٩، ٩٣) [دار هجر، مصر، ط ١، ١٤٢٢هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/١١٣، ١٢١).

لكن إسناده ضعيف جداً؛ بل فيه كذاب. ﴿الأدلة:﴾

﴿المنزلة:﴾

الكتب السماوية ذات منزلة عظيمة، فالإيمان بها يعد أصل من أصول العقيدة، وركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان أحد إلا إذا آمن بالكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله ﷺ.

ومن هذه الكتب: صحف إبراهيم ﷺ، فالله أنزلها على إبراهيم ﷺ هدى ورحمة، ومما يدل على منزلة هذه الصحف أن الله أمر المؤمنين بأن يؤمنوا بها فقال سبحانه: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٢٩]. ومما يدل على منزلتها أيضاً أن من أنكر شيئاً مما أنزل الله فهو كافر كما قال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

قال الله ﷻ: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ الآية [البقرة: ١٣٦]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَنِي الْأَصْحَفِ الْأُولَىٰ﴾ [١٨] صحف إبراهيم وموسى ﷺ [الأعلى].

وثبت في حديث واثلة بن الأسقع رضى الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أنزلت صحف إبراهيم ﷺ في أول ليلة من رمضان» الحديث^(١)، وفيه دليل على إنزال صحف إبراهيم في شهر رمضان.

﴿أقوال أهل العلم:﴾

قال ابن باز: «نؤمن بكتب الله جميعاً على الإجمال والتفصيل، نؤمن بجميع الكتب المنزلة على الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومنها التوراة والإنجيل والزيور والقرآن الذي هو أعظمها المنزل على محمد ﷺ، صحف موسى وصحف إبراهيم، نؤمن بكل الكتب التي أنزلها الله على رسله»^(٢).

وقال ابن عثيمين: «صحف إبراهيم

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٠٧/٤) مؤسسة قرطبة بمصر، والطبراني في المعجم الكبير (٧٥/٢٢) مكتبة العلوم والحكم بالموصل، ط ٢، وقال الهيثمي في المجمع (١٩٧/١) [مكتبة القدسي]: «فيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقي رجاله ثقات»، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٧٥).

(٢) لقاءات الباب المفتوح (لقاء رقم ١٧٦).

= رقم ٣٦١ [الإحسان، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٤هـ]. قال الهيثمي في موارد الظمآن (١/٥٤) [دار الكتب العلمية، بيروت]: «فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني؛ قال أبو حاتم وغيره: كذاب»، وحكم عليه الألباني بالضعف الشديد في ضعيف الترغيب والترهيب (رقم ١٣٥٢) [مكتبة المعارف بالرياض، ط ١، ١٤٢١هـ].

قال ابن فارس: «الصاد والحاء والفاء أصل صحيح يدل على انبساط في شيء وسعة. يقال: إن الصحيفة: وجه الأرض. والصحيفة: بشرة وجه الرجل، ومن الباب: الصحيفة، وهي التي يكتب فيها، والجمع: صحائف، والصحف أيضًا كأنه جمع صحيف»^(٣).

التعريف شرعًا:

الصحف: هي التي يكتب فيها الكرام الكاتبون أعمال العباد، ثم يؤتى بها يوم القيامة، ويحصى ما فيها ويعد على العبد؛ ليعلم العبد أن الله تعالى ما فرط في الكتاب من شيء؛ فيعطى المؤمن كتابه بيمينه، وأما الكافر فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره^(٤).

الأسماء الأخرى:

السجل، الكتاب.

الحكم:

يجب الإيمان بوجود صحف تكتب فيها أعمال العباد، كما وردت في نصوص الكتاب والسنة.

(١) العربي، ١٤٢٩هـ، ومفردات ألفاظ القرآن (٤٧٦) [دار القلم، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٢) مقاييس اللغة (٥٦٣).

(٤) ينظر: لوائح الأنوار السنبة (٢/ ٢٠٦ - ٢٠٨)، واللائي البهية في شرح الواسطية (٢/ ٢٣٨) [دار العاصمة، ط ١].

صحف أنزلها الله تعالى على إبراهيم فيها المواعظ والأحكام»^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، لنخبة من العلماء.
- ٢ - «أضواء البيان» (ج ١)، للشنقيطي.
- ٣ - «تفسير الطبري» (ج ٢٢، ٢٤).
- ٤ - «تفسير القرآن العظيم» (ج ٨)، لابن كثير.
- ٥ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ١٧، ٢٠)، للقرطبي.
- ٦ - «الرسل والرسالات»، لعمر سليمان الأشقر.
- ٧ - «روح المعاني» (ج ٢٧، ٣٠)، للآلوسي.

٨ - «فتح القدير» (ج ٥)، للشوكاني.

٩ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكيمي.

١٠ - «هداية الحيارى»، لابن القيم.

صحف الأعمال

التعريف لغة:

الصحيفة: المبسوط من الشيء؛ كصحيفة الوجه. والصحيفة: التي يكتب فيها، وجمعها: صحائف، وصحف^(٢).

(١) لقاءات الباب المفتوح (لقاء رقم ١٧٦).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (٥٦٣) [دار إحياء التراث

الأدلة:

أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى؛ إن لك عندنا حسنة؛ فإنه لا ظلم عليك اليوم. فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة. فلا يثقل مع اسم الله شيء»^(٢).

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً»^(٣).

أقوال أهل العلم:

قال أبو الحسن الأشعري: «وأن الخلق يؤتون يوم القيامة بصحائف فيها أعمالهم، فمن أوتي كتابه بيمينه حوسب حساباً يسيراً، ومن أوتي كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيراً»^(٤).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٣٩) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٣٠٠)، وأحمد (٥٧٠/١١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الإيمان، رقم ٢٢٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب الأدب، رقم ٣٨١٨)، وصححه إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/١٣٥) [دار العربية، ط٢]، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٦١٨) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٤) رسالة إلى أهل الشجر (٢٩٨) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط٢، ١٤٢٧هـ].

قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُقْبِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (١٢) ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (١٤) [الإسراء]، وقال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَقُولْ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِي﴾ (١٩) ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِي﴾ (٢٠) ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٢١) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ (٢٣) ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (٢٤) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَقُولْ يَلَيَنَّ لِي لَوْ أُوْتِيَ كِتَابِي﴾ (٢٥) ﴿وَلَوْ أَدْرِمَا حِسَابِي﴾ (٢٦) ﴿يَلَيَّهَا كَأَنِ الْقَاضِيَةَ﴾ (٢٧) ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ (٢٨) ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ (٢٩) [الحاقة].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يُدنَى المؤمن يوم القيامة من ربه ﷻ حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف. قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم. فيعطى صحيفة حسنته»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أنتكر من هذا شيئاً؟

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٦٨٥)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٨).

فَيَنْتَهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ ﴿٣﴾
[المجادلة: ٦]» (٣).

- المسألة الثانية: كيفية أخذ الصحيفة:

دلت النصوص على أن المؤمن يأخذ صحيفته بيمينه من أمامه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِيمِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَيَلًا ﴿٦﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مُسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [الانشقاق]، وأما الكافر فيأخذ صحيفته بشماله من وراء ظهره، قال ﷺ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق]، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنُنِي لَرَأُوتَ كِتَابِيهِ ﴿٢٥﴾ وَلَوْ أَدْرَا مَا حِسَابِي ﴿٢٦﴾﴾﴾ [الحاقة]، قال الشنقيطي: «لا منافاة بين أخذه بشماله، وإيتائه وراء ظهره؛ لأن الكافر تغلُّ يمينه إلى عنقه، وتُجعل يسراه وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه» (٤).

وذكر السفاريني أن المؤمن الفاسق يأخذ كتابه بشماله من أمامه (٥)، ولم

وقال السفاريني: «والحاصل: أن نشر الصحف وأخذها باليمين والشمال مما يجب الإيمان به، وعقد القلب بأنه حق لثبوته بالكتاب والسنة والإجماع» (١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: وقت أخذ الصحف:

ظاهر النصوص تبين أن وقت أخذ الصحف يكون عند الحساب، بعد الشفاعة العظمى؛ بعدما يشفع النبي ﷺ عند الله ﷻ حتى يقضي ويفصل بين العباد، ويحاسب سبحانه العباد على أعمالهم (٢). وقبل الميزان، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق]، والله أعلم.

قال القرطبي: «إذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التي يؤتونها بعد البعث حوسبوا بها. قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق]، فدلَّ على أن المحاسبة تكون عند إتيان الكتب؛ لأن الناس إذا بعثوا لا يكون ذاكرين لأعمالهم.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا

(١) لوامع الأنوار البهية (١٨١/٢) [المكتب الإسلامي، دار أسامة].

(٢) وهذا ظاهر حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧١٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٦١٩/١) [دار المنهاج، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٤) دفع إيهام الاضطراب (٣٤٤) [عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٥) ينظر: لوامع الأنوار البهية (١٨٣/٢)، ولوائح الأنوار السنية (٢٠٩/٢).

عائشة رضي الله عنها، قالت: «قلت: يا رسول الله، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال: يا عائشة، أما عند ثلاث فلا، أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا، وأما عند تطاير الكتب، فإما أن يعطى بيمينه أو يعطى بشماله فلا، وحين يخرج عنق من النار فينطوي عليهم، ويتغيظ عليهم، ويقول ذلك العنق: وكلت بثلاثة، وكلت بثلاثة، وكلت بثلاثة: وكلت بمن ادعى مع الله إلهاً آخر، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب، ووكلت بكل جبار عنيد. قال: فينطوي عليهم ويرمي بهم في غمرات، ولجهنم جسر أدق من الشعر، وأحد من السيف، عليه كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله، والناس عليه كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والركاب، والملائكة يقولون: ربّ سلم، ربّ سلم، فناج مسلم، ومخدوش مسلم، ومكور في النار على وجهه» ^(٤).

الحكمة:

من الحكمة في وجود صحف للعباد تعرض عليهم يوم القيامة: تعريف الله العباد ما لهم عنده من جزاء على الخير والشر، وإقامة الحجة عليهم يوم القيامة. وإظهار عدل الله جل جلاله وبيان فضله على

يذكر دليلاً على قوله. وقال يوسف بن عمرو من المالكية: «اختلف في عصاة الموحدين، فقليل: يأخذون كتبهم بأيمانهم، وقيل بشمائلهم. وعلى القول بأنهم يأخذونها بأيمانهم قيل: يأخذونها قبل الدخول في النار فيكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها، وقيل: يأخذونها بعد الخروج منها» ^(١). والله أعلم.

- المسألة الثالثة: تطاير الصحف:

روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فأخذ بيمينه وأخذ بشماله» ^(٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فأخذ بيمينه وأخذ بشماله» ^(٣). وعن

(١) لوايح الأنوار البهية (١٨٣/٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٧٧)، وأحمد (٤٨٦/٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٨هـ]، وضعفه الترمذي (عقب حديث رقم ٢٤٢٥)، والألباني في ضعيف الجامع (رقم ٦٤٣٢).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرفائق والورع، رقم ٢٤٢٥)، ثم قال: «ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة»، وضعفه الألباني في الموضوع نفسه.

(٤) أخرجه أحمد (٣٠٢/٤١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٩/١٠) [مكتبة القدسي]: «فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف».

عباده، قال الثعلبي: «إنما يؤتى بالصحف إلزامًا للعباد، ورفعًا للجدل والعناد»^(١).

❖ صحف موسى ﷺ ❖

يراجع مصطلح (التوراة).

❖ المصادر والمراجع:

١ - «الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد»،

لابن جبرين.

٢ - «البحر الزاخرة» (ج ٢)،

للسفاريني.

٣ - «التذكرة» (ج ٢)، للقرطبي.

٤ - «الحياة الآخرة» (ج ٢)، لغالب

عواجي.

٥ - «شرح العقيدة السفارينية»، لابن

عثيمين.

٦ - «فتح الباري» (ج ٨، ١١)، لابن

حجر العسقلاني.

٧ - «الآلئ البهية في شرح العقيدة

الواسطية» (ج ٢)، لصالح بن عبد العزيز

آل الشيخ.

٨ - «لوائح الأنوار السنية ولوائح

الأفكار السنية» (ج ٢)، للسفاريني.

٩ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ٢)،

للسفاريني.

١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، لحافظ

الحكمي.

١١ - «اليوم الآخر: القيامة الكبرى»،

لعمر الأشقر.

❖ الصدق ❖

❖ التعريف لغة:

الصاد والادل والقاف: أصل يدل على قوّة في الشيء، من قول وغيره، والصدق: خلاف الكذب، سمّي بذلك لقوّته في نفسه، ولأنّ الكذب لا قوّة له؛ بل هو باطل. وأصل هذا من قولهم: شيء صدق؛ أي: صلب، ورُمح صدق. ويقال: صدّقوهم القتال، وفي خلاف ذلك كذبوهم.

والصدّيق: الملازم للصدق، ويكون الذي يُصدق قوله بالعمل. ورجل صدق وامرأة صدق، وصفا بالمصدر يريدون المبالغة. ويقال: صدّقه قبل قوله، والمُصدّق: الذي يُصدّقك في حديثك، وصدّقه الحديث أنبأ بالصدق. ويقال: صدّقتُ القوم؛ أي: قلت لهم صدقاً^(٢).

والصدق: هو الخبر المطابق للواقع.

والتصديق: هو أن تنسب باختيارك الصدق إلى المخبر. وقيل: هو الحكم

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣/٣٣٩) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ]، والصحاح (٤/١٥٠٦) [دار العلم، ط ١٩٩٠م]، ولسان العرب (١٠/١٩٣) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ]، والمصباح المنير (١/٣٣٥) [المكتبة العلمية].

(١) نقله عنه السفاريني في لوائح الأنوار (٢/٢٠٦)، ولم نجده في تفسير الثعلبي «الكشف والبيان».

الحكم:

يجب على المسلم أن يواطئ قلبه لسانه وجوارحه، وأن يكون صادقاً مع الله تعالى في إخلاصه له تعالى بأن يجعل باطنه أعمر من ظاهره، وأن يبتعد عن مدهانة النفس والإعجاب بها.

ويجب عليه أن يسوي أعمال القلب والجوارح على الإخلاص كاستواء الرأس على الجسد، فبذلك يكون العبد من الذين جاؤوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه، وقيامها به تكون صدقيته، ويكون وفاؤه لربه ^(٥).

الحقيقة:

حقيقة الصدق: أن يكون في الأقوال والأعمال والأحوال؛ فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال؛ كاستواء السنبلة على ساقها. والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة؛ كاستواء الرأس على الجسد.

والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع، وبذل الطاقة، فبذلك يكون العبد من الذين جاؤوا بالصدق ^(٦).

وحقيقة كون الصدق شرطاً من شروط كلمة التوحيد أن يقول العبد هذه الكلمة صادقاً من قلبه، والصدق أن يواطئ

بمطابقة الخبر للواقع ^(١). إلا أن التصديق لا يكون محصوراً في التصديق الخبري، وإنما يكون في التصديق العملي؛ أي: تصديق الخبر بالامثال والدعوى بالعمل، فهو بمعنى التحقيق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا أَنْ يَتَابَرَهُمْ﴾ ^(١:٤) قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا [الصفات]؛ أي: قد حققت وامثلت الأمر وحقيقته بإضجاعك ولدك وهمك بذبحه باستسلام وانقياد ^(٢).

التعريف شرعاً:

الصدق: هو الموافقة بين الظاهر والباطن في الأعمال والأحوال، وهو من أجل عبادات القلب، ومن أعظم شروط كلمة التوحيد ^(٣).

قال ابن القيم رحمه الله: «الصدق: هو حصول الشيء وتمامه، وكمال قوته، واجتماع أجزائه، كما يقال: عزيمة صادقة. إذا كانت قوية تامة، وكذلك: محبة صادقة، وإرادة صادقة. وكذا قولهم: حلاوة صادقة: إذا كانت قوية تامة ثابتة الحقيقة. لم ينقص منها شيء» ^(٤).

(١) انظر: التعريفات للجرجاني (٥٩، ١٣٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١١/٥٠٤) [دار المعرفة، ط ١٣٧٩هـ].

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥/١٠٢) [دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ]، وتفسير ابن كثير (٣٠/٧) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/٩١، ٢٥٨) [دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ].

(٤) مدارج السالكين (٢/٢٦٧).

(٥) انظر: المرجع السابق (٢/٢٥٨).

(٦) مدارج السالكين (٢/٢٥٨).

يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴿[الأحزاب: ٢٤].

فأخبر أن الصدق أمره عظيم، وأنه محل الجزاء، وأنه من صفات المؤمنين، وعكسه الكذب من صفات المنافقين.

والإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر^(٢).

الأهمية:

تتضح أهمية الصدق في النقاط التالية:

- أن الصدق أساس الحسنات وجماعها.

- أن الصدق هو الصفة المميزة بين النبي والمنتبئ.

- أنه الصفة الفارقة بين المؤمن والمنافق.

- أن الصدق أصل البر كما أن الكذب أصل الفجور.

- أن الصادق تنزل عليه الملائكة، كما أن الكاذب تنزل عليه الشياطين.

- أنه مقرون بالإخلاص الذي هو أصل الدين.

- أنه ركن الأحاديث والأخبار التي بها يقوم الإسلام؛ وركن الفتيا التي هي إخبار المفتي بحكم الله، وركن المعاملات التي تتضمن أخبار كل واحد

القلب اللسان، ولذا قال الله تعالى في ذم المنافقين: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون]، فوصفهم سبحانه بالكذب؛ لأن ما قالوه بالسنتهم لم يكن موجوداً في قلوبهم.

كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُكْسِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]^(١).

المنزلة:

الصدق عبادة قلبية عظيمة، تنشأ عنها جميع العبادات القلبية، فهو روح الأعمال، وهو مقام الإسلام وأساس الإيمان، وبه تميز أهل الإيمان من أهل النفاق وسكان الجنان من أهل النيران، وهو أساس بناء الدين.

ودرجة الصدق تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين، لذا أمر الله تعالى أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين.

وقسم سبحانه الناس إلى صادق ومنافق، فقال: ﴿لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ

(١) انظر: المصدر السابق (٢/ ٢٦٥)، والصدق والصادقون لأحمد خليل جمعه (٣٧) [دار الكلم الطيب، ط ١٩٩٤م].

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٢٥٧ - ٢٥٨).

من المتعاملين للآخر بما في سلعته،
وركن الشهادة الخاصة عند الحكام التي
هي قوام الحكم والقضاء^(١).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿۱﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقِنُونَ ﴿۲﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿۳﴾

ودخول الجنة أن يكون صادقاً.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة» ^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال عبد الواحد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
«الصدق الوفاء لله بالعمل»^(٥).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والصدق والإخلاص هما في الحقيقة تحقيق الإيمان والإسلام فإن المظهرين للإسلام ينقسمون إلى مؤمن ومنافق والفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق؛ فإن أساس النفاق الذي يبني عليه هو الكذب؛ ولهذا إذا ذكر الله حقيقة الإيمان نعتة بالصدق كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١١).

(٤) أخرجه أحمد (٤٦٥/٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ]، وقال الهيتمي في المجموع (١٦/١) [مكتبة القدسي]: «رجاله ثقات»، وصحّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ١٣١٤) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٥) مدارج السالكين (٢/ ٢٦٢).

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

ومن السنة المطهرة: حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، صدقًا من قلبه، إلا حرمه الله على النار» ^(٢).

وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه : أن
أعرابياً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرائع

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧٤/٢٠ - ٧٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١٢٨).

والأنهار إلى مساكن الصديقين، كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مدد متصل ومعين»^(٢).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ - عند كلامه على حديث: «من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً من قلبه حرمه الله على النار» -: «فأما من دخل النار من أهل هذه الكلمة فلقللة صدقه في قولها؛ فإن هذه الكلمة إذا صدقت طهرت القلب من كل ما سوى الله، ومتى بقي في القلب أثر سوى الله فمن قلة الصدق في قولها... من صدق في قول: لا إله إلا الله لم يحب سواء ولم يرج سواء ولم يخش أحداً إلا الله، ولم يتوكل إلا على الله، ولم يبق له بقية من آثار نفسه وهواه»^(٣).

❁ الأقسام:

١ - الصدق مع الله: ويكون في تحقيق عبوديته ﷻ، وجعل العمل كله خالصاً لله لا رياء فيه ولا سمعة.

٢ - الصدق مع رسول الله ﷺ: ويكون ذلك بتصديقه فيما أخبر وامثال أوامره واجتناب نواهيه.

٣ - الصدق مع النفس: فلا يخدع نفسه، ويعترف بعيوبه وأخطائه ويصححها.

٤ - الصدق مع الناس: بأن لا يكذب المسلم في حديثه وتعامله مع الآخرين.

ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ [الحجرات]. وقال تعالى:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر]. فأخبر أن الصادقين في دعوى الإيمان هم المؤمنون الذين لم يتعقب إيمانهم رغبة وجاهدوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم»^(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «منزلة الصدق هي منزلة القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه. ولا واجه باطلاً إلا أوداه وصرعه، من صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين، ومن مساكنهم في الجنات تجري العيون

(٢) مدارج السالكين (٢/٢٥٧).

(٣) كلمة الإخلاص (٤٤ - ٤٥).

(١) مجموع الفتاوى (١١/١٠ - ١٢).

✽ المراتب:

للصدق ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: الصادق.

المرتبة الثانية: الصدوق.

المرتبة الثالثة: الصديق.

فأعلى هذه المراتب: مرتبة الصديقية: وهي كمال الانقياد للرسول ﷺ مع كمال الإخلاص لله ﷻ، ولذلك لما كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ذروة سنام الصديقية سمي: الصديق على الإطلاق. والصديق أبلغ من الصدوق، والصدوق أبلغ من الصادق^(١).

فالصادقون: هم الذين استوت ظواهرهم مع بواطنهم. والصديق: الدائم التصديق، المبالغ في الصدق، وأحسن ما يفسر به الصديق قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر]، وعليه فيكون الصديق: هو الذي علم ما أخبر به النبي ﷺ جملة وتفصيلاً، وصدق ذلك تصديقاً كاملاً في العلم والقصد والقول والعمل^(٢).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: التصديق:

يطلق تصديق القلب على شيئين:

الأول: التصديق الخبري العلمي

الذهني، بمعنى أن يقع في القلب نسبة الصدق إلى المخبر والخبر ذاته مجرداً عما سوى ذلك من أعمال القلوب، وهذا هو قول القلب.

الثاني: التصديق العملي؛ أي:

تصديق الخبر بالامثال والانقياد، وهذا هو الذي قصده السلف عند إطلاق التصديق، فمن قال من السلف بأن الإيمان هو: التصديق، فإنه يقصد بذلك المعنيين؛ قول القلب وعمله، أو عمل القلب المتضمن لتصديقه^(٣).

وقد قدمنا أن التصديق لا يكون محصوراً في التصديق الخبري، وإنما يكون في التصديق العملي؛ أي: تصديق الخبر بالامثال والدعوى بالعمل، فهو بمعنى التحقيق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَدْبَيْتُهُ أَنْ يَتَّبِعْهُ بِهِ﴾ [الأنعام] قد صدقت الرتبة [الصفات]؛ أي: قد حققت وامثلت الأمر وحقيقته بإضجاعك ولدك وهمك بذبحه باستسلام وانقياد^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ بِكَلِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالرِّسَالِ وَآمَنَ عَلَى أَمَلٍ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى

(٣) انظر: الشريعة للأجوري (٦١١/٢) [دار الوطن، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وشرح أصول الاعتقاد (٩٣١/٤) [دار طيبة، ط ٨، ١٤٢٣هـ].

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥/١٠٢)، وتفسير ابن كثير (٣٠/٧).

(١) مدارج السالكين (٢/٢٥٨).

(٢) منهاج السنة النبوية (٤/٢٦٧).

وأما أن يفرد ويراد به قول القلب فقط فهذا لم يرد عن السلف؛ بل هو من اصطلاحات أهل البدع^(٣).

- المسألة الثانية: الصديق أو (الصديقية):

الصديقية: هي درجة أعلى وأكمل من درجة التصديق، فالصديقية هي كمال التصديق، فمتى صدق الرجل علمه بعمله وحقق بفعله ما يقوله بلسانه، ومتى تجاوز صدقه لسانه إلى صدق أفعاله في موافقة حاله وصار سره لا يختلف عن جهره كان صديقاً^(٤).

والصديق أيضاً هو الذي كمل انقياده للرسول ﷺ وكمل إخلاصه لربه ﷻ، لذلك كانت الصديقية هي الدرجة التالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين^(٥). وفي هذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

- المسألة الثالثة: الصدق أحد شروط كلمة التوحيد:

يعدُّ الصدق أحد شروط كلمة التوحيد

(٣) انظر: أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها (١/١٤١ - ١٤٣) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية (٤/٢٦٦)، ومدارج السالكين (٨/٣)، وتفسير القرطبي (٦/٤٤٩)، وتفسير الماوردي (٣/٤٣) [دار الكتب العلمية، بيروت].

(٥) انظر: مدارج السالكين (٢/٢٥٧).

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتَرِكِينَ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبُيُوتِ وَالضَّرَّاءَ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [البقرة]، قال ابن كثير رحمه الله: «قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾؛ أي: هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم؛ لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال»^(١).

وبهذا يتضح معنى تصديق القلب عند السلف إذا أفرد، وأنهم يريدون بذلك التصديق الخبري المستلزم لعمل القلب، أو عمل القلب المتضمن لقوله، أو هما جميعاً.

ومن الخطأ أن يظن أن مرادهم بالتصديق عند الإطلاق هو مجرد نسبة الصدق إلى الخبر، أو ما أشبهه كالمعرفة المجردة، أو العلم المجرد. بل مرادهم بتصديق القلب: إقراره ومعرفته مع عمله، مثل حب الله ورسوله ﷺ، وغير ذلك من أعمال القلوب، فالتصديق إذن إنما يتم بأمرين؛ أحدهما: اعتقاد الصدق، والثاني: محبة القلب وانقياده^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (١/٤٨٨).

(٢) انظر: كتاب الإيمان لابن تيمية (١٧٦)، والصارم المسلول له (٣/٩٦٦)، وكتاب الصلاة لابن القيم (٢٨)، ومعارج القبول (٢/١٧).

قلبه، فلا ينفعه مجرد التلفظ بها بدون مواطأة القلب^(٢). فلا بد في الصدق بها أن يكون صادقاً في جميع أقواله، وأحواله، ومعاملته مع الله، واستواء ظاهره وباطنه، وهذا هو الصدق الذي ينفع صاحبه يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ٣].

الثمرات:

من ثمار الصدق:

- الصدق طريق الأبرار إلى الجنة.
- الصدق يرفع الأعمال ويعلي شأنها.
- الصدق دليل القوة والثقة بالنفس.
- الصادقون هم أحبّاب الله تعالى المقربون، ويحبهم الناس، ويثقون بهم، ويأتمنونهم في سائر معاملاتهم.
- الصدق من أعظم أسباب النجاة لمن تمسك به.
- رفقاء أهل الصدق هم النبيون والشهداء والصالحين وكفى بها رفقة^(٤).

(لا إله إلا الله)، وإنما كان أحد شروط التوحيد؛ لأنه محل الابتلاء، وبه يتميز المؤمن من المنافق، قال تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُزَكَّوْا أَنْ يَقُولُوا ءَمَنَّا بِهِمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) [العنكبوت]. وحقيقة هذا الشرط أن يقول العبد هذه الكلمة صادقاً من قلبه، بحيث يواطئ قلبه لسانه ويرسخ في اعتقاده الصدق بها ويعزم على العمل بموجبها، والمنافقون لم يكونوا صادقين في هذه الكلمة لذلك قال الله تعالى في ذمهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمْ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ اللَّهَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) [البقرة]. فوصفهم سبحانه بالكذب؛ لأن ما قالوه بالسنتهم لم يكن موجوداً في قلوبهم.

فالصدق في قول كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) منجاة من النار، كما قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، صدقاً من قلبه، إلا حرمه الله على النار»^(١).

فاشترط ﷺ في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقاً من

(٢) انظر: معارج القبول (١/٢٧٦).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/٢٧٠)، وتفسير السعدي (٦٦٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٤) انظر: نضرة النعيم (٦/٢٥١٦).

❁ الآثار:

للصدق آثار حميدة، منها:

- ٢ - «أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها عند أهل السُّنة والجماعة ومخالفهم»، لسهل العتيبي.
- ٣ - «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء»، لابن حبان البستي.
- ٤ - «الصدق الفضيلة الجامعة»، لسليمان بن محمد الصغير.
- ٥ - «الصدق والصادقون في القرآن العظيم والسُّنة النبوية»، لأحمد خليل جمعة.
- ٦ - «الصدق في القرآن الكريم»، لمذكر محمد عارف.
- ٧ - «كلمة الإخلاص»، لابن رجب.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٧، ٢٠)، لابن تيمية.
- ٩ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.
- ١٠ - «نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ» (ج ٦)، لمجموعة من الباحثين.

❁ الصَّدِيقُونَ ❁

❁ التعريف لغة:

الصَّدِيق: وصف (صيغة) مبالغة من الفعل الثلاثي (صدق)؛ بمعنى: المبالغة في الوصف بالصدق. ويجوز أن يكون مشتقاً من الفعل الثلاثي المضعّف (صدّق)؛ بمعنى: الوصف بالمبالغة في

- أنه يورث التقوى والمغفرة والأجر العظيم، وقد حث الله ﷻ المؤمنين على الالتزام بالصدق وأثنى عليهم.
- أنه أساس في تقوية القيم الروحية وتزكية النفوس البشرية وتطهير القلوب والرقى بالأمم إلى الفضيلة.
- ومن آثاره: ظهور علاماته في وجه الصادق، فالصادق تظهر علامة صدقه على وجهه وصوته، فكان رسول الله ﷺ يتحدث إلى من لا يعرفه، فيقول: والله ما هذا بوجه كذاب ولا صوت كذاب. ولا شك أن أهمية الصدق تؤثر على الصادق كما تؤثر على المخاطب مما يحمله على قبول قول المتكلم الصادق واحترامه.
- أنه منجاة لصاحبه، كما في قصة كعب بن مالك لما تخلف عن غزوة تبوك^(١).
- أنه طمأنينة وراحة نفسية، يُخَلِّص صاحبه من المُكْدَرَات في تعامله مع الآخرين.

- بالصدق تحسن العاقبة لأهله في الدنيا والآخرة.

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «الأخلاق الإسلامية وأُسُسها»، لعبد الرحمن الميداني.

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤١٨)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٩).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان الصديق لغة هو: من يبالغ في الصدق ويلازمه؛ ظهر ذلك على جوارحه فصار لا يدع شيئاً مما أظهره باللسان إلا حققه بقلبه وعمله، فاتصافه بالصدق مع الله ومع نفسه ومع الناس.

سبب التسمية:

سمي الصديق بهذا الاسم - وهو أبلغ من الصديق والصادق -؛ مبالغة في اتصافه بالصدق - مع الله ومع الناس - أو التصديق؛ وذلك «لفرط صدقه في امتثال ما يكلفه الله تعالى به، لا يصده عن ذلك شيء؛ فالصدق هو بلوغ نهاية الصفة في الموصوف بها»^(٧)، أو: «لأنه صدق وعد ربه في الكف عن المحرمات مع توفر أسبابها»^(٨).

الحكم:

يجب الإيمان بثبوت درجة الصديقية، وأنها تأتي بالمرتبة بعد درجة النبوة، وأن الصديقين هم أفضل الخلق وأكملهم إيماناً بعد الأنبياء والرسل ﷺ، ولذا كان نعت الصديقية وصفاً لأفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين - أبي بكر

التصديق^(١). فالصديق هو: الملازم للصدق. والصدق: خلاف الكذب، يقال: صدق في الحديث، وصدقته الحديث^(٢).

التعريف شرعاً:

الصديق: «هو الذي لم يدع شيئاً مما أظهره باللسان إلا حققه بقلبه وعمله»^(٣).

وقيل: هو «من صدق قوله اعتقاده، وحق صدقه فعله»^(٤).

وقيل: «هو الذي صدق في قوله وفعله المبالغ في الصدق؛ أي: الكثير الصدق، كما تفيد المبالغ»^(٥). وقيل غير ذلك^(٦).

(١) انظر: تفسير البحر المحيط (٥٤٥/٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ]، والذّر المصون (٣٧٨/٤) [دار القلم، دمشق]، والتحرير والتنوير (٢٨٦/٦)، ٢٨٤/١٢، ١١٢/١٦.

(٢) انظر: الصحاح (١٥٠٥/٤) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٣٣٩/٢) [دار الفكر بيروت، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٣) التعريفات للجرجاني (١٧٤) [دار الكتاب العربي بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ]، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٤٥١) [دار الفكر، ط ١، ١٤١٠هـ]، ودستور العلماء لنكري (١٧٣/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٤٥١).

(٥) الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية (٥٤٢).

(٦) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (٤٧٩) [دار العلم والدار الشامية بدمشق، ١٤١٢هـ]، والتحرير والتنوير (٢٨٤/١٢). وانظر: طريق الهجرتين لابن القيم (٥١٦) [دار ابن القيم بالدمام، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(٧) التحرير والتنوير (١١٢/١٦)، بتصرف.

(٨) المصدر السابق (٢٨٦/٦). وانظر: بدائع الفوائد لابن القيم (١٢٧/١) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ]، ومدارج السالكين له (٤٤٣/١).

والإيمان بعدها، وأفضل مواهب العبد وأعظم كراماته التي يكرم بها؛ فالصديقون هم أفضل الخلق وأكملهم إيماناً بعد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؛ فيها سبق الصديق أبو بكر رضي الله عنه غيره.

فأعلى الدرجات: الأنبياء، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون.

❁ الأدلة:

أما الدليل على أَنَّ الصَّدِيقِيَّةَ أفضل المراتب بعد النبوة والرَّسالة؛ فمن الأدلة قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩].

وثبت من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أَنَّ النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان؛ فرجف بهم؛ فقال ﷺ: «اثبت أحد؛ فإنما عليك: نبي، وصديق، وشهيدان»^(٥).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن القيم: «الصديقون هم أئمة أتباع الرسل، ودرجتهم أعلى الدرجات»^(٥) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٧٥).

الصديق رضي الله عنه، ولو كان بعد النبوة درجة أفضل منها لكانت نعتاً له؛ فدل ذلك على فضل الصَّدِيقِيَّةِ وتقدمها على غيرها من المراتب.

وقد يوصف النبي بالصديق؛ كما أطلق على إبراهيم، وإدريس، ويوسف عليهم السلام؛ مبالغة في اتصافهم بالصدق في امتثال أمر الله تعالى.

❁ الحقيقة:

عرفت مرتبة الصَّدِيقِيَّةَ بأنها: «كمال الانقياد للرسول مع كمال الإخلاص للمرسل»^(١)، وقيل: «كمال الإخلاص والانقياد والمتابعة للخبر والأمر، ظاهراً وباطناً»^(٢)، وقيل: «كمال الإيمان بما جاء به الرسول علماً وتصديقاً وقياماً به، فالصَّدِيقِيَّةُ شجرة، أصولها: العلم، وفروعها: التَّصديق، وثمرتها: العمل»^(٣)، وقيل غير ذلك^(٤).

❁ المنزلة:

الصَّدِيقِيَّةُ هي أعلى درجات المكلفين السُّعداء المنعم عليهم بعد مرتبة النبوة والرَّسالة، وأرفع درجات الكمال

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٧٠) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٧٣).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩٩) [دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٤) انظر: طريق الهجرتين (٥١٦)، ومدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٤٢١).

العقيدة - والإخلاص لله ﷻ.

الصدق في المقال: لا يقول إلا ما طابق الواقع، سواء على نفسه أو على غيره، فهو قائم بالقسط على نفسه وعلى غيره.

الصدق في الفعال: وهي أن تكون أفعاله مطابقة لما جاء به النبي ﷺ، ومن صدق الفعال أن تكون نابعة عن إخلاص، فإن لم تكن نابعة عن إخلاص، لم تكن صادقة؛ لأن فعله يخالف قوله.

فالصديق إذاً من صدق في معتقده وإخلاصه وإرادته، وفي مقالته وفي فعالة^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المحدث دون الصديق:

تقدم تقرير فضل مرتبة الصديقية على سائر مراتب المكلفين السعداء بعد منزلة النبوة والرسالة؛ فمرتبة التحديث دونها في الفضل؛ فالصديق - الذي يأخذ من مشكاة النبوة - أكمل وأفضل وأتم مقاماً من المحدث؛ لأنه استغنى بكمال صديقته ومتابعته عن التحديث والإلهام والكشف، بخلاف المحدث؛ فيجب عليه عرض ما يحدث به على الكتاب

بعد النبوة. وإن جرى قلم العالم بالصديقية وسال مداده بها؛ كان أفضل من دم الشهيد الذي لم يلحقه في رتبة الصديقية! وإن سال دم الشهيد بالصديقية وقطر عليها؛ كان أفضل من مداد العالم الذي قصر عنها؛ فأفضلهما: صديقهما، فإن استويا في الصديقية استويا في المرتبة. والله أعلم^(١).

وقال ابن باز: «الصديقون هم الذين كمل تصديقهم لله ولرسله، واستقاموا على أمره، وصاروا خير الناس بعد الأنبياء، وعلى رأسهم: أبو بكر الصديق ﷺ، فهو رأس الصديقين، وأكملهم صديقية، بفضلته وتقواه، وسبقه إلى الخيرات، وقيامه بأمر الله خير قيام، وكونه قرين رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار، ومساعدته بكل ما استطاع من قوة رضي الله عنه وأرضاه»^(٢).

وقال ابن عثيمين: «فمن حقق الإيمان - ولا يتم تحقيق الإيمان إلا بالصدق والتصديق - فهو صديق:

الصدق في العقيدة: بالإخلاص، وهذا أصعب ما يكون على المرء، حتى قال بعض السلف: ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص، فلا بد من الصدق في المقصد - وهو

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/٢٩٨).

(٢) بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعاً (١٩) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤١٧هـ].

(٣) شرح العقيدة الواسطية (١/١٥٥) [دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ، ٦٦].

ونقصاً كما أجمع عليه المسلمون؛ فبحسب كمال التقوى والصّدق في الأحوال - باستواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوُسع وبذل الطاقة في العلم والمتابعة والانقياد -، وقيامها بالمؤمن؛ تكون صديقيته؛ ولذا كان لأبي بكر الصّدق رضي الله عنه - كامل الصّدقية - ذروة سنام الصّدقية؛ بحيث صار هذا اللّقب علماً عليه وحده.

- المسألة الرابعة: وقوع الذنب من الصّدق:

إذا علمنا ما سبق؛ فلا يشكل وقوع الذنب وظلم النفس من الصّدق أو الولي؛ فالصّديقون تجوز عليهم جميع الذّنوب باتفاق الأئمة^(١)؛ فاصطفاء الله تعالى للعبد وتقريبه له لا ينافي ظلم العبد لنفسه - أحياناً - بالذنوب والمعاصي، وهذا الظلم للنفس - وهو درجات متفاوتة في القدر والوصف - لا ينافي الصّدقية أو الولاية، ولا يخرج العبد عن كونه من المتّقين؛ بل يجتمع فيه الأمران: يكون ولياً لله صديقاً متّقياً، وهو مسيء ظالم لنفسه، يستغفر ربّه ويتوب إليه، ولا يصرّ على الذنب.

ونكتة المسألة: أن الصّدق - بل

والسّنة؛ لأنّه يقع فيه الخطأ الذي يحتاج إلى تقويمه بنور النّبوة، فإن وافقه قبله، وإلا ردّه ولم يلتفت إليه.

- المسألة الثانية: وصف النبي بالصّدق:

وقد يوصف النبي بالصّدق؛ كما أطلق على إبراهيم، وإدريس، ويوسف عليهم السلام؛ مبالغة في اتصافهم بالصّدق في أمثال أمر الله تعالى.

- المسألة الثالثة: درجات الصديقين:

لما كانت هذه الأئمة المحمّدية - أئمة النبي صلى الله عليه وآله - هي أفضل الأمم على الإطلاق؛ كان صديقوها - رجالها ونساءها - أفضل من صديقي غيرها؛ فالمصدّق بمحمد صلى الله عليه وآله أفضل من المصدّق بموسى وعيسى عليهما السلام وغيرهما؛ فأبو بكر الصّدق أفضل الصّدقين ورأسهم - وأفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين -، وخديجة وعائشة الصّدّيقتان وغيرهما أفضل من غيرهما من نساء الأمم السّابقة الصّدّيقات - إلا مريم؛ ففيها خلاف - رضي الله عنها.

والصّديقون يتفاوتون فيما بينهم في درجات الصّدقية نفسها ومراتبها وأحوالها؛ فالصّدقية - كالولاية والتّقوى والبرّ ونحو ذلك - مرتبة تقبل التجزيء والانقسام، والكمال والنقصان، بحسب التفاوت في أصل الإيمان، زيادة

(١) انظر: مختصر الفتاوى المصرية للبعلي (١٠٠)، (١٠٦) [مطبعة المدني بمصر، ١٤٠٠هـ].

وارحمي؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(٢)، والأدلة الدالة على وقوع الذنب من المؤمنين والمؤمنين، واستغفار الأنبياء والمرسلين ودعائهم مغفرة ذنوبهم أكثر من أن تذكر في هذا المقام.

- المسألة الخامسة: أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

ثبتت صديقية أبي بكر رضي الله عنه بالنصوص الصحيحة الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان؛ فرجف بهم؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «أثبت أحد؛ فإنما عليك: نبي، وصديق، وشهيدان»^(٣)؛ وعن عائشة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^(٤) [المؤمنون] قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَزَنِ لَهُمْ سَبْعُونَ﴾»^(٥) [المؤمنون] وهذا الدرجة

والنبي صلى الله عليه وسلم - إنما كملت مرتبته وانتهت درجته وتمَّ علو منزله في نهايته لا في بدايته! وإنما نال ذلك بفعل ما أمر الله تعالى به من الأعمال الصالحة وأفضلها التوبة، وما وجد قبل التوبة فإنه لم ينقص صاحبه، ولا يتصور أن بشراً يستغني عن التوبة^(١).

وأما الدليل على وقوع الذنب من الصديق وظلمه لنفسه بالذنوب والمعاصي، وأن هذا لا ينافي صديقيته وولايته زيادة على الإجماع؛ فقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٢) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤) [الزمر]؛ فهؤلاء الصديقون المتقون أخبر ربنا صلى الله عليه وسلم أن لهم أعمالاً سيئة يكفرها. وقال صديق الأمة الأكبر أبو بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: علّمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال: «قل: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذَّنْبَ إِلَّا أَنْتَ؛ فاغفر لي مغفرة من عندك

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣٤)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٠٥).

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣١٧٥)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤١٩٨)، وأحمد (١٥٦/٤٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وفي سنده =

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٦٤/١١)، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢٢٧/٧) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ]، ومختصر الفتاوى المصرية للبعلي (١٠٠)، ١٠٥، ١٩٦، ٥٦٦، وطريق الهجرتين (٣٠٨)، ٥١٦، ومفتاح دار السعادة (٢٩٣/١)، (٢٩٨)، وبدائع الفوائد (١٢٧/١)، والبداية والنهاية (٧١/٢) [دار إحياء التراث العربي، ط١].

الصَّدِيقِيَّةَ ومراتبها وأحوالها: إثبات تفاضل المؤمنين في الإيمان، وهذا التفاضل يكون بأعمال القلوب وبأعمال الجوارح، وأنَّ الإيمان يزيد بالطَّاعة وينقص بالمعصية. وفي هذا ردُّ على المرجئة من الجهميَّة والكلاية والكرامية والأشاعرة وغيرهم، ومن وافقهم كالمعتزلة والخوارج، النافين لذلك، والقائلين بأنَّ الإيمان شيء واحد لا يتعدَّد، وأهله فيه سواء؛ فهو لا يزيد ولا ينقص!

ومن الثمرات أيضًا: أنَّ العبد إذا علم أنَّ مقياس التفاضل بين الخلق في الشرع إنَّما هو بالتفاضل بينهم في العبوديَّة، وأنَّ أفضل الخلق أكملهم وأتمَّهم عبوديَّة لله؛ «فكمال المخلوق في تحقيق عبوديَّته لله، وكلَّما ازداد العبد تحقيقًا للعبوديَّة؛ ازداد كماله وعلت درجته»^(٢)، فالصَّدِيق ما فضَّل على غيره إلا لكمال عبوديَّته لله تعالى بعد الأنبياء والمرسلين كان في ذلك أكبر الأثر في حثِّه وتحريضه على السعي لتحقيق العبوديَّة لله تعالى على أكمل صورها؛ مما يقوِّي إيمانه بربِّه، ويزيد يقينه بوعدِهِ وَبَعْدِهِ وموعودِهِ.

المصادر والمراجع:

١ - «أبو بكر الصديق (عليه السلام)، لعلِّي

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/١٧٦ - العبوديَّة).

خاصة به (عليه السلام)، فإنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سماه بها دون غيره من هذه الأُمَّة، وكان سبب تسميته بالصَّدِيق: أنه بادر إلى تصديق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حين كذبه الناس، ولازمه الصديق فلم تقع منه هناة أبدًا. فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: «لما أسري بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كان آمنوا به وصدَّقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر (رضي الله عنه)، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس، قال: أَوَقال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أَوَتصدِّقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدِّقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدِّقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبو بكر الصديق»^(١).

الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على اعتقاد تفاوت الصَّدِيقِينَ فيما بينهم في درجات

= انقطاع، كما ذكر العراقي في تخريج الإحياء (١٥١١) [دار ابن حزم، ط١]، لكن له شاهد يعتضد به، ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٦٢).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٤٠٧) وصحَّحه، لكن تعقبه الألباني، وبيَّن أن في سنده ضعفًا، ثم ذكر له شواهد يقوِّي بها. انظر: السلسلة الصحيحة (رقم ٣٠٦).

الطنطاوي.

التواء فيه ولا اعوجاج^(٣).

٢ - «البداية والنهاية» (ج ٢)، لابن كثير.

التعريف شرعاً:

جسر ينصب على متن جهنم يوم القيامة، أدق من الشعر، وأحد من السيف، يرده الأولون والآخرون حسب أعمالهم فجاج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في النار^(٤).

٣ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.

٤ - «التحرير والتنوير» (ج ٦، ١٢، ١٦)، لابن عاشور.

٥ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

٦ - «مجموع الفتاوى» (ج ١١)، لابن تيمية.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي مأخوذ من اللغوي، إلا أن له أوصافاً تقيده وله أحكام خاصة متعلقة به.

٧ - «مختصر الفتاوى المصرية»، للبعلي الحنبلي.

٨ - «مدارج السالكين» (ج ١، ٢)، لابن القيم.

الأسماء الأخرى:

الجسر.

٩ - «مفتاح دار السعادة» (ج ١)، لابن القيم.

الحكم:

الاعتقاد الجازم بأنه حق، ووجوب الإيمان بذلك، والتصديق بما ثبت من صفاته وما يتعلق به مما جاءت به نصوص الكتاب والسنة.

١٠ - «منهاج السنة النبوية» (ج ٧)، لابن تيمية.

الصُّرَاط

التعريف لغة:

الصُّرَاط: الطريق^(١)، قال ابن منظور: «الصراط والسرط والزرط: الطريق»^(٢)، والصراط من السبيل ما لا

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/٣٤٩) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ]، والقاموس المحيط (٨٧١) [دار الفكر، ط ٣]، ومختار الصحاح (١٥١) [مكتبة لبنان، ١٩٨٧م].

(٢) لسان العرب (٧/٣٤٠) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ].

(٣) انظر: الكليات (٥١٣) [دار الفكر، ط ٣].

(٤) انظر: شرح النووي (٣/٢٠)، فتح الباري لابن حجر (١١/٤٥٤)، ولوامع الأنوار (٢/١٩٢)، رسائل الآخرة (٣/١٣١٢).

الموبق بعمله، ومنهم المجازي حتى يُنَجَّى»^(٢).

وجاء في حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما صفة مرور الناس على الصراط، يقول النبي ﷺ: «يمر أولكم كالبرق» قال: قلت: بأبي أنت وأمي: أي شيء كمر البرق؟ قال: «ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً»، قال: «وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار»^(٣).

وفي تقسيم الأنوار لواردي الصراط، قال ﷺ: «نجيء نحن يوم القيامة...»، قال: «فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك، فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك»، قال: «فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطي كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب

الطير، وأشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ويجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار.

المنزلة:

أحد مفردات يوم القيامة الكائنة في العرصات بعد البعث.

الأدلة:

لم يأت التصريح بذكر الصراط في القرآن، ولكن بالإشارة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ۖ﴾ [مريم]، إذ فسر الورود بالمرور على الصراط^(١).

وقد جاء التصريح بذكره وصفاته في السنة المطهرة، كما في حديث أبي هريرة وفيه قوله ﷺ: «يضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللَّهُمَّ سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟» قالوا: نعم، يا رسول الله، قال: «فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٧٣)،

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٢)، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٥).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/٢٧٩) [دار عالم الكتب،

ط ١٤١٢هـ].

الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم، لست بصاحب ذلك فيأتون محمداً ﷺ، فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق»^(٥).

قال النووي: «وأما إرسال الأمانة والرحم، فهو لعظم أمرهما، وكثير موقعهما، فتصوران مشخوصتين على الصفة التي يريد الله تعالى؛ لتطالب كل من يريد الجواز بحقهما»^(٦).

- المسألة الثانية: معنى الورود في قوله ﷺ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(٧) [مريم]:
المراد بالورود: مرور الناس على الصراط المنصوب على متن جهنم^(٧).
وقد دلَّت عليه النصوص الشرعية،

منها:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(٧) ثُمَّ نُجِى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنُذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا^(٨) [مريم].

وحسبك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنبجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوء نجم في السماء، ثم كذلك»^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال الإمام أحمد: «ونؤمن بالصراط والميزان والجنة والنار، والحساب لا ندفع ذلك، ولا نرتاب»^(٢).

وقال الطحاوي: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب والصراط والميزان»^(٣).

وقال ابن الحداد: «وقتنة القبر ونعيمه حق، وعذابه حق، والبعث بعد الموت حق، وقيام الساعة والوقوف بين يدي الله يوم القيامة للحساب والقصاص، والميزان حق، والصراط حق»^(٤).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: قيام الرحم والأمانة على جنبتي الصراط تطلب حقها:
لقوله ﷺ: «يجمع الله تبارك وتعالى

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩١).

(٢) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة (١١٧٩/٦)، وراجع: الإبانة للأشعري (٢٠).

(٣) انظر: الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز (٢/٤٩١).

(٤) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (١٠٣).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٥).

(٦) شرح النووي لصحيح مسلم (٢/٢٣) [دار الكتب العلمية].

(٧) انظر: الجواب الصحيح (١/٢٩٩) [دار العاصمة،

ط ١، ١٤١٤هـ]، ودرء التعارض (٣/٣١١) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٢هـ].

ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار.

وورودهم هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فجاج مسلم ومكدوس فيها»^(٤).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأما الورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُهَا﴾ [مريم: ٧١] فقد فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح، رواه مسلم في صحيحه^(٥) عن جابر: بأنه المرور على الصراط، والصراط هو الجسر، فلا بد من المرور عليه لكل من يدخل الجنة من كان صغيراً في الدنيا ومن لم يكن»^(٦).

ويرى بعض العلماء أن المراد بالورود دخول النار^(٧)، ولا حجة لهم قوية^(٨).

وقد تُعقب أيضاً بقول «ابن مسعود

وفي الحديث أن أم مبشر سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى، يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وَلَا يَدْخُلُهَا﴾ [مريم: ٧١]. فقال النبي ﷺ: «قد قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ [مريم: ١].

وعن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُهَا﴾ [مريم: ٧١] قال: قال رسول الله ﷺ: «يرد الناس النار كلهم، ثم يصدرون عنها بأعمالهم»^(٩).

وقد اختلف العلماء في معنى الورود الوارد في الآية؛ فذهبت طائفة من العلماء في القديم والحديث إلى أن المراد به المرور على الصراط، مستنديين على تفسير النبي ﷺ للورود بأنه المرور على الصراط كما في رواية مسلم المتقدمة^(١٠).

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ بعد سرد الأقوال في معنى الورود: «وأولى الأقوال في

(١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٦).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣١٥٩) وحسنه، وأحمد (١٣٢/٢) [دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ] واللفظ له، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨٥٢)، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٤٢١) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣١١).

(٣) انظر: رسائل الآخرة (٣/ ١٣٢٩ - ١٣٣٥).

(٤) تفسير الطبري (٣٦٧/٨) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٢٧٩) [دار عالم الكتب، ط١٤١٢هـ].

(٧) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٦٤)، وزاد المسير (٥/ ٢٥٥) [المكتب الإسلامي، ط٤]، وشرح السنة (٤/ ٦٩٤) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ]، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة (٣٨٩) [دار قباء للنشر]، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٠٧) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ]، وروح المعاني (١٦/ ١٢١) [دار إحياء التراث، ط٤، ١٤٠٥هـ]، وأضواء البيان (٤/ ٣٥٠) [عالم الكتب].

(٨) انظر: رسائل الآخرة (٣/ ١٣٣٣ - ١٣٣٤).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: «وأما قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ إِلَّا أَرَادَها كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ (٦) [مريم]، فخير منه تعالى عن الناس مسلمهم وكافرهم بأنه لا أحد منهم إلا سيرد جهنم، وذلك مرور كل منهم على الصراط المضروب على متن جهنم» (٥).

وذهب بعض العلماء إلى أن الكفار يستثنون من الورد على الصراط؛ لأنه يصار بهم إلى جهنم (٦).

- المسألة الرابعة: الورد من حيث النجاة:

كل من يرد النار يلجها إلا المتقون، إذ أفادت النصوص حصر النجاة فيهم، وقد مرَّ في الكلام على الصراط ما يفيد تمايز الناس في المرور على الصراط وأن منهم ناجيًا، ومكدوسًا في النار بعمله.

الحكمة:

من حكم المرور على الصراط (٧):

١ - إظهار عدل الله تعالى في حصول

وانظر: النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب (٢) (٣٧٩) [المطبعة الإسلامية، ط ١، ١٣٥٢هـ].

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/٣٣٦) [الرئاسة العامة، ط ١، ١٤١١هـ].

(٦) انظر: النشر الطيب (٢/٣٧٩)، ومجموع فتاوى ابن عثيمين (٣/١٨٥) [دار الوطن، ١٤١٣هـ].

(٧) انظر: رسائل الآخرة (٣/١٣١٧).

والحسن وقتادة: إن ورودها ليس دخولها، وحجتهم في ذلك قوية جدًا؛ لأن العرب تقول: وردنا ماء كذا ولم يدخلوه» (١).

وقد حاول ابن حجر الجمع بين القولين، فقال: «وهذان القولان أصح ما ورد في ذلك ولا تنافي بينهما؛ لأن من عبر بالدخول تجوز به عن المرور، ووجهه أن المار عليها فوق الصراط في معنى من دخلها، ولكن تختلف أحوال المارة باختلاف أعمالهم، فأعلاهم درجة من يمر كلمح البصر ويؤيد صحة هذا التأويل ما رواه مسلم من حديث أم مبشر» (٢)، وساق حديث حفصة المتقدم.

- المسألة الثالثة: الورد من حيث العموم والخصوص:

ذهب طائفة من العلماء إلى أن الورد على الصراط عام مستدلّين بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ إِلَّا أَرَادَها﴾ [مريم: ٧١].

قال القرطبي عن الخطاب في الآية: «قال الجمهور: المخاطب العالم كله، ولا بد من ورود الجميع» (٣).

وقال السفاريني: «يرده الأولون والآخرون» (٤).

(١) تهذيب اللغة (١٤/١١٧) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

(٢) فتح الباري (٣/١٤٩) [دار الفكر].

(٣) التذكرة (٣٨٩).

(٤) لوائح الأنوار السنية (٢/٢١١) [مكتبة الرشد، ط ١].

والجماعة، وردوا الآيات والأحاديث الواردة في الورد والمقام المحمود والشفاعة^(٢).

كما أنكره جمهور الأباضية^(٣) وتأولوه تأويلاً مجازياً، إذ قالوا: هو «الطريق الواضح والدين المستقيم»^(٤)، وهذا صرف للفظ عن ظاهره بلا مسوغ يمنع من حمله على ظاهره.

وأنكره المعتزلة والجهمية بشبه الاستبعاد، فزعموا: «إنه لا يمكن عبوره، وإن أمكن ففيه تعذيب، ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة»^(٥).

وفي قولهم رد لنصوص الوحي المثبتة للصراط ووروده، وهذا من أبطل الباطل؛ لصراحة النصوص الصحيحة الواردة في الصراط وصفته.

وأيضاً «ليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء، أو الطيران في الهواء أو الوقوف فيه»^(٦) مما

(٢) انظر: معارج القبول (٢/٢٣٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ].

(٣) انظر: الإباضية عقيدة ومذهباً (١٦١) [دار الجبل، م ٢٠٠٠].

(٤) انظر: المرجع السابق (١٢٦).

(٥) لوازم الأنوار البهية (٢/٢١٥) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١١هـ]، وانظر: مقالات الإسلاميين (٢/١٦٤، ٢٦٤) [المكتبة العصرية، ط ١، ١٤١١هـ]، وفرق معاصرة تنسب إلى الإسلام (٢/٨١٢) [مكتبة لين، ط ١].

(٦) لوائح الأنوار السنّية (٢/٢١٦) [مكتبة الرشد، ط ١].

التمايز بين المؤمنين عند جوازهم الصراط على قدر الأعمال.

٢ - إظهار عدله تعالى عند نجاة المتقين ممن أطاعوه دون غيرهم، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ [مريم].

٣ - تحقق ما وعد به المتقون عياناً من رؤية للنار وعبور للصراط، فإنهم يقولون عند نجاتهم منها: «الحمد لله الذي نجانا منك بعد الذي أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحداً»^(١)، وفي هذا إظهار لفضل الله تعالى وعظيم نعمته على المتقين.

✽ مذهب المخالفين:

خالف في الصراط طوائف من أهل الكلام وغيرهم؛ إذ تأولوه بما يقتضي إنكاره.

١ - وممن أنكر الصراط والمرور عليه أهل البدعة والهوى، من الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، وتأولوا الورد برؤية النار، لا أنه الدخول والمرور على ظهرها، وذلك لاعتقادهم أن من دخل النار لا يخرج منها ولو بالإصرار على صغيرة، فخالفوا الكتاب والسنة

(١) أخرجه الدارقطني في رؤية الله (٢٦٤) [مكتبة المنار، ١٤١١هـ]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٤٢٤) وصحّحه، وصحّحه الألباني في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية (٤٦٩) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤١٤هـ].

قال الشاعر:

أَكْرُ على الحرورِيِّينَ مُهْرِي

وأحملهم على وَضَحِ الصُّرَاطِ

والصاد فيه مبدلة من السين، قلبت

الصاد سيناً لقرب مخارجها^(١).

وأما المستقيم في اللغة، فهو مشتق

من الاستقامة، وهي: الاعتدال، يقال:

قام الشيء واستقام؛ أي: اعتدل

واستوى^(٢).

فالمستقيم بمعنى: المنتصب

والمستوي من غير اعوجاج^(٣).

قال ابن جرير الطبري: «أجمعت

الأمّة من أهل التأويل جميعاً على أن

(الصراط المستقيم) هو: الطريق الواضح

الذي لا اعوجاج فيه، وكذلك ذلك في

لغة جميع العرب.

فمن ذلك قول جرير بن عطية

الخَطْفِي:

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطِ

إِذَا اعْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمِ

يريد على طريق الحق.

والشواهد على ذلك أكثر من أن

تُحصى ثم تستعيرُ العرب (الصراط)

فتستعمله في كل قولٍ وعملٍ وُصِفَ

يعني أن المشي على الصراط داخل في

نطاق الإمكان، وليس في عبوره تعذيب

للمؤمنين، فإن لنصبه والمشي عليه حِكْمًا

عظيمة كما تقدم.

المصادر والمراجع:

١ - «الإبانة»، للأشعري.

٢ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»،

لابن القيم.

٣ - «التذكرة في أحوال الموتى

والآخرة»، للقرطبي.

٤ - «شرح العقيدة الواسطية»، لهراس.

٥ - «شرح اعتقاد أهل السُّنَّة»،

للالكائي.

٦ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن

أبي العز.

٧ - «صحيح مسلم بشرح النووي»

(ج ٢).

٨ - «القيامة الكبرى»، للأشقر.

٩ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ٢)،

للسفاريني.

١٠ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤)، لابن

تيمية.

١١ - «معارج القبول» (ج ٢)،

للحكمي.

الصراط المستقيم

التعريف لغة:

الصراط في اللغة: بمعنى الطريق.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/٣٤٩) [دار الجيل، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، لسان العرب (٧/٣٤٠) [دار صادر، ط ١].

(٢) انظر: لسان العرب (١٢/٤٩٩).

(٣) انظر: تفسير البحر المحيط (١/١٤٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ].

باستقامة أو اعوجاج، فتصفُ المستقيم باستقامته، والمعوجَّ باعوجاجه»^(١).

التعريف شرعاً:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الصرائط المستقيم هو ما بعث الله به رسوله محمداً ﷺ بفعل ما أمر، وترك ما حظر، وتصديقه فيما أخبر، ولا طريق إلى الله إلا ذلك، وهذا سبيل أولياء الله المتقين، وحزب الله المفلحين، وجند الله الغالبين، وكل ما خالف ذلك فهو من طرق أهل الغي والضلال»^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تقدم أن الصراط المستقيم في اللغة بمعنى الطريق الواضح، وأنه يطلق على كل قول أو فعل مستقيم لا اعوجاج فيه، وهكذا القول فيما جاء به الشرع، فهو طريق يسلكه أهل الإيمان، بالتزامهم ما جاء به قولاً وعملاً واعتقاداً، وهو بين مستقيم لا اعوجاج فيه، وكل ما خالفه كان مائلاً معوجاً^(٣).

الأسماء:

القرآن، الحق، الإسلام.

الحقيقة:

حقيقة الصراط المستقيم: أنه طريق الله الذي نصبه لعباده على ألسن رسله، وجعله موصلاً لعباده إليه، ولا طريق لهم إليه سواه، وهو ما كان عليه رسول الله وأصحابه علماً وعملاً، وذلك بإفراد الله تعالى بالعبودية، وإفراد رسوله ﷺ بالطاعة، فلا يشرك به أحداً في عبوديته، ولا يشرك برسوله أحداً في طاعته، وأن يعلم المؤمن في كل وقت الحق الذي أمره به الشارع في ذلك الوقت من اعتقاد أو قول أو عمل، فيؤثره، ويقدمه على ما سواه، ويحبه، ثم يعمل به، وينقاد إليه، وأن يعلم ما نهي عنه، فيجتنبه، ويبغضه، ثم يدعو من سواه إلى المأمور، ويحذرهم من المحذور، ويجاهد أعداءه بحسب الإمكان^(٤).

الأدلة:

لقد جاء ذكر الصراط المستقيم في مواضع عديدة من القرآن، ومن السنة، وقد تقدم بعضها، ومن ذلك:

قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٣٦٩) (٥/١٦٠) (١٤/٣٧) (٢٢/٤٠٠)، وقاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة (٢/٨١) [مكتبة الفرقان، ط ١، ١٤٢٢هـ]، ومنهاج السنة النبوية (١/٧) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٠٦هـ]، ومدارج السالكين (١/٥٨ - ٥٩)، وبدايع الفوائد (٢/٢٧٦).

(١) تفسير الطبري (١/١٧١) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١/١٩٧).

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (١/٦٧) [جامعة أم

القرى، ط ١، ١٤٠٩هـ]، وتفسير السمعاني (١/٣٨)

[دار الوطن، ط ١، ١٤١٨هـ].

وعليكم بسنة نبيكم، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين أهلها العداوة والبغضاء»^(١).

وقال الشاطبي: «الصرائط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه، وهو السنة، والسبيل هي سبل أهل الاختلاف، الحائدين عن الصراط المستقيم، وهم أهل البدع، وليس المراد سبل المعاصي؛ لأن المعاصي من حيث هي معاص لم يضعها أحد طريقاً تسلك دائماً على مضاهاة التشريع، وإنما هذا الوصف خاص بالبدع المحدثات.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: قد سئل مالك بن أنس عن السنة، قال: هي ما لا اسم له غير السنة، وتلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»^(٢).

وقال السعدي: «الصرائط المستقيم: الدين المعتدل المتضمن للعقائد النافعة، والأعمال الصالحة، والأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح، الذي عليه الأنبياء والمرسلون، خصوصاً إمام الحنفاء، ووالد من بعث من بعد موته من الأنبياء، خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، وهو الدين الحنيف المائل عن كل دين غير مستقيم، من أديان أهل الانحراف؛ كاليهود

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعْظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء].

وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسُخِّدْلَهُمْ فِي رَحْمَةِ مِنَّةٍ وَفُضِّلَ بِهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى].

✽ أقوال أهل العلم:

قال أبو العالية الرياحي: «تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه، فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصرائط المستقيم، فإن الصراط المستقيم الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط المستقيم يميناً، ولا شمالاً،

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٣٣٨/١) [دار ابن القيم، ط ١، ١٤٠٦هـ]، والسنة للمروزي (١٣/١) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٢) الاعتصام للشاطبي (٥٧/١) [المكتبة التجارية الكبرى، مصر].

والنصارى والمشركين»^(١).

الأركان:

للصراط المستقيم ركنان:

الأول: صدق المحبة لله، والإقرار له بالوحدانية، وهذا هو مضمون شهادة ألا إله إلا الله.

والثاني: الاستقامة على أمر الله، وحسن المعاملة، بصرف الإرادة إلى ما فيه مرضاة الله ورسوله ﷺ، وهذا هو مضمون شهادة أن محمداً رسول الله^(٢). فالأول هو التوحيد العلمي، والثاني هو التوحيد العملي.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ثم إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات وغير ذلك، وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال، قد تكون عبادات، وقد تكون أيضاً عادات في الطعام واللباس والنكاح والمسكن والاجتماع والافتراق والسفر والإقامة والركوب وغير ذلك.

وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما - ولا بد - ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً»^(٣).

(١) تفسير السعدي (٢٨٢).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢٧٦/٢).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١١) [مطبعة السنة المحمدية، ط ٢، ١٣٦٩هـ].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الجمع بين أقوال

السلف في معنى (الصراط المستقيم):

لقد تعددت الأقوال المقولة عن السلف في بيان معنى الصراط المستقيم وحقيقته، وهذا التعدد من قبيل الخلاف اللفظي، أو خلاف التنوع، وليس من قبيل خلاف التضاد، فمما نقل عنهم في ذلك:

١ - أنه كتاب الله، جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٤)، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه^(٥).

والمراد بهذا التفسير: اتباع القرآن^(٦).

٢ - أنه الإسلام، صح تفسيره بذلك مرفوعاً^(٧)، كما قال به جمع من

(٤) روي مرفوعاً، أخرجه الترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٩٠٦)، والدارمي (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٣٧٤)، قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال».

وروي موقوفاً على علي، أخرجه الطبري في تفسيره (١٧٣/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، قال ابن كثير: «وهو أشبه». تفسير ابن كثير (١٣٧/١ - ١٣٨) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧٣/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير، رقم ٣٠٢٣) وصححه، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٦٠/٥) و(٣٣٦/١٣) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢].

(٧) أخرجه الترمذي (أبواب الأمثال، رقم ٢٨٥٩) وحسنه، وأحمد في مسنده (١٨١/٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم في مستدركه (كتاب =

إلى صراطهم^(٧).

٤ - أنه الحق، قال به مجاهد^(٨).

٥ - أنه طريق رسول الله ﷺ، وما تركنا عليه، قال به ابن مسعود رضي الله عنه^(٩)، وبكر بن عبد الله المزني^(١٠).

٦ - أنه الطريق الهادي إلى دين الله، روي عن ابن عباس^(١١)، وبه قال مجاهد.

٧ - أنه طريق الجنة، نقل عن ابن عباس أيضًا^(١٢).

٨ - وقال سهل بن عبد الله: «طريق السنة والجماعة»^(١٣).

الجمع بين أقوال السلف في بيان معنى الصراط.

ما تقدم من أقوال الصحابة والسلف في معنى الصراط هي أقوال صحيحة متفقة، والخلاف بينها هو من خلاف التنوع لا التضاد، وإنما عبّر كل واحد

(٧) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٨/١) [دار الفكر، ط ١٤١٥هـ].

(٨) تفسير ابن أبي حاتم (٣٠/١)، وتفسير ابن كثير (١/١٣٩).

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣٠/١٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/١٥٣) [مكتبة الرشد، ط ١].

(١٠) تفسير البغوي (٥٤/١) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ].

(١١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧٥/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(١٢) زاد المسير (١٥/١) [المكتب الإسلامي، ط ٣].

(١٣) تفسير البغوي (٥٤/١)، وانظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٦٠/٥) (٣٨٢/١٣).

الصحابة؛ كابن عباس^(١)، وابن مسعود^(٢)، وجابر بن عبد الله^(٣)، والنواس بن سميان رضي الله عنه، وغيرهم من الصحابة ومن بعدهم^(٤).

٣ - أنه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، قال به ابن عباس^(٥)، وأبو العالية، والحسن^(٦).

وجه ذلك: أن الله قد بيّن أن الصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم عليهم، وبيّن في آية النساء أن الصديقين من الذين أنعم الله عليهم، وقد بيّن النبي ﷺ أن أبا بكر رضي الله عنه من الصديقين، فاتّضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم، الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية

= الإيمان، رقم (٢٤٥) وصحّحه، وصحّحه ابن كثير في تفسيره (١٣٨/١ - ١٣٩)، والألباني في صحيح الترمذي (١٤١/٣) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧٥/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وفي سنده ضعف.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧٥/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧٣/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير، رقم ٣٠٢٤) وصحّحه، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧٥/١، ١٧٦).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک (كتاب التفسير، رقم ٣٠٢٥)، وصحّحه.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠/١)، والطبري في تفسيره (١٧٥/١)، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير، برقم ٣٠٢٣) (٢٨٤/٢) وصحّحه. وانظر الأقوال السابقة أيضًا في: تفسير ابن كثير (١/١٣٨).

أ - إضافته إلى الله تعالى؛ لأنه تعالى هو الذي شرعه ونصبه. وذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ب - إضافته إلى العباد؛ لأنهم أهل سلوكه وهو المنسوب لهم وهم المارون عليه. وذلك كآية الفاتحة^(٣).

- المسألة الثالثة: إفراد الصراط المستقيم، وجمع سبل الضلال:

لقد جاء ذكر الصراط المستقيم بلفظ الإفراد، وفائدة إفراده بيان أنه صراط واحد.

وأما طرق الباطل فتأتي بالجمع، كما في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وكما في حديث ابن مسعود السابق؛ «وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد، وهو ما بعث به رسله، وأنزل به كتبه، لا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق، ولو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد، فإنه متصل بالله موصل إلى الله»^(٤).

«والمقصود أن طريق الحق واحد؛ إذ مَرَدُّهُ إلى الله الملك الحق، وطرق الباطل متشعبة متعددة؛ فإنها لا ترجع

منهم عن الصراط المستقيم بعبارة غير عبارة صاحبه، فالمسمى واحد، وإنما تعددت صفات المسمى، فكل عبارة من العبارات تدل على معنى قد لا تدل عليه العبارة الأخرى، مع أن كل المعاني حق، فالصراط المستقيم يوصف بتلك المعاني كلها، فكل معنى من تلك المعاني يجب اتباعه، فهي أقوال متلازمة لا متباينة، بمنزلة تسمية القرآن بأسمائه، والرسول ﷺ بأسمائه؛ بل بمنزلة تسمية أسماء الله تعالى بأسمائه الحسنى^(١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ - بعدما ذكر الأقوال الأربعة الأولى -: «وكل هذه الأقوال صحيحة، وهي متلازمة، فإن من اتبع النبي ﷺ، واقتدى باللذين من بعده أبي بكر وعمر، فقد اتبع الحق، ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن، وهو كتاب الله وحبله المتين، وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضاً، والله الحمد»^(٢).

- المسألة الثانية: إضافة الصراط:

إضافة الصراط في النصوص على نوعين:

(١) انظر للأهمية: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦٠/٥) (٣٩٠/٦ - ٣٩١) (٣٩/٧) (٣٣٥/١٣ - ٣٣٧، ٣٨١).

(٢) تفسير ابن كثير (١/١٣٩)، وانظر: تفسير ابن جرير الطبري (١/١٧١).

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/١١).

(٤) المرجع السابق (١/١٥).

من الواجب على العبد أن يكرر هذا الدعاء في كل يوم وليلة بقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة]. فلا حاجة للعبد أعظم من أن يَهْدَى إلى الصراط المستقيم، ولا شيء أنفع له من تلك الهداية.

فالصراط المستقيم يتضمن علومًا وإرادات، وأعمالًا، وتروكًا، ظاهرة وباطنة تجري عليه كل وقت، فتفاصيل الصراط المستقيم قد يعلمها العبد وقد لا يعلمها، وما علمه فقد يقدر عليه وقد لا يقدر، وما قدر عليه فقد تريده نفسه، وقد تتركه تهاونًا وكسلًا، كما أنه لو عمل به فقد يقوم به بكمال شروطه من الإخلاص والمتابعة، وقد ينقص في ذلك.

والهداية إلى الصراط المستقيم تتضمن التوفيق إلى الكمال في ذلك كله في الدنيا.

وفي الآخرة يُنصب الصراط المستقيم على ظهر جهنم، وهو الصراط الموصل للعباد إلى الجنة.

فمن كان مستقيمًا على الصراط الدنيوي استقام أمره في الصراط الأخروي، ومن حاد في الدنيا حاد في الأخرى.

فتبين أن حاجة العبد إلى الصراط المستقيم في الدارين هي أعظم

إلى شيء موجود، ولا غاية لها يوصل إليها؛ بل هي بمنزلة بنيات الطريق، وطريق الحق بمنزلة الطريق الموصل إلى المقصود، فهي وإن تنوعت فأصلها طريق واحد.

ولما كانت الظلمة بمنزلة طرق الباطل، والنور بمنزلة طريق الحق، فقد أفرد النور وجمعت الظلمات، وعلى هذا جاء قوله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فَوَحَّدَ ﴿وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهو الله الواحد الأحد، وجمع ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لتعددكم وكثرتهم، وجمع ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ وهي طرق الضلال والغي؛ لكثرتها واختلافها، ووحد ﴿النُّورَ﴾ وهو دينه الحق وطريقه المستقيم الذي لا طريق إليه سواه^(١).

٣ - حاجة العبد الماسة إلى الهداية للصراط المستقيم.

إن حاجة العبد لهديته إلى الصراط المستقيم هي أعظم الحاجات؛ بل هي من الضرورات التي لا يعدها حاجة الإنسان إلى طعام أو لباس ونحو ذلك، ولهذا كان الدعاء بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم أوجب الأدعية، فكان

(١) بدائع الفوائد (١/١٢٧).

الحاجات ومنتهى الغايات^(١).

❁ الفروق:

الفرق بين إخباره تعالى أن الصراط عليه، وإخباره أنه على الصراط:

أولاً: إخباره تعالى أن الصراط عليه. فقد جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحجر: ٤١].

وأصح ما قيل في تفسيره: قول الحسن: «صراط إليّ مستقيم»^(٢)، والأقرب في معناه: أنه طريق موصلٌ إليّ، كما قال مجاهد في تفسيرها: «الحق يرجع إلى الله، وعليه طريقه، لا يعرج على شيء»^(٣).

وإنما ذكر في الآية (على) دون (إلى) لسر لطيف، وهو الإشعار بكون السالك على هذا الصراط على هدى، وهو حق، كما قال في حق المؤمنين: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥]، والله وَكَرَّ هو الحق، وصراطه حق، ودينه حق، فمن استقام على صراطه فهو على الحق والهدى، فكان في الأداة (على) هذا المعنى ما ليس في الأداة (إلى).

ثانياً: إخباره تعالى أنه صِرَاطٌ على الصراط المستقيم. كما في قوله تعالى:

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٧/١٤ - ٣٩)، والجواب الكافي (٨٤ - ٨٦)، وبدائع الفوائد (٢/ ٢٧٤).

(٢) تفسير الطبري (١٧/١٠٤).

(٣) المرجع السابق (١٧/١٠٤).

﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

فهو سبحانه أحق من كان على صراط مستقيم، فإن أقواله كلها صدق ورشد وهدى وعدل وحكمة، وأفعاله كلها مصالح وحكم ورحمة وعدل وخير، فالشر لا يدخل في أفعاله ولا أقواله البتة، لخروج الشر عن الصراط المستقيم^(٤).

❁ الثمرات:

وصف دين الله وكتابه بأنه الصراط المستقيم يدل على أمور:

١ - استقامته، وسلامته من الاعوجاج والزيج.

٢ - إيصاله إلى المقصود، وإصابته للحق الثابت.

٣ - أنه أقرب الطرق الموصلة إلى المطلوب، بخلاف ما سواه من الطرق.

قال شيخ الإسلام رحمته الله: «وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

﴿٥٦﴾ [الشورى]، والصراط المستقيم هو أقرب الطرق إلى المطلوب، بخلاف

الطرق المنحرفة الزائفة، فإنها إما أن لا توصل، وإما أن توصل بعد تعب عظيم،

وتضييع مصالح آخر، فالطرق المبتدعة إن عارضت كانت باطلاً، وإن لم تعارض فقد تكون باطلاً، وقد تكون حقاً

(٤) مدارج السالكين (١/١٥ - ٢١) بتصرف.

على الإنسان من صوت شديد يسمعه، وربما مات منه، ثم استعمل في الموت كثيراً، والصَّعْقَةُ المرة الواحدة منه^(٥).

✽ التعريف شرعاً:

هي نفخة الصور الأولى، وبعدها يصعق من في السماوات ومن في الأرض ويموتون إلّا من شاء الله، ثم بعد النفخة الثانية يفيق الخلق أجمعون؛ قياماً للحساب^(٦).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

الصَّعْقُ في التعريف الاصطلاحي مأخوذ من المعنى اللغوي، إلّا أنه صُعِقَ مخصوص يكون ذلك إذا أمر الله به صاحب القرن.

✽ سبب التسمية:

سُمِّيَتْ بذلك؛ لأن الخلق يصعقون عند سماع الصيحة.

✽ الأسماء الأخرى:

تسمى الراجفة والصيحة^(٧)، قال

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥٨/٣) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

(٦) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٣٠/١٥)، فتح الباري لابن حجر (٤٣٠/٦، ٤٤٤).

(٧) رَوَاهُ البخاري معلقاً (كتاب التفسير، رقم ١٨٨١)، ووصله ابن جرير (٤٢٤/١٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وانظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والظواهر (٣٨٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٤هـ]، والنهاية في غريب الحديث (٤٩٣/٢) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

لا يُحتاج إليه مع سلامة الفطرة^(١).

٤ - سَعَتَهُ للمارين عليه^(٢).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «الاعتصام»، للشاطبي.
- ٢ - «الصراط المستقيم في القرآن الكريم»، لحسين عبد الجليل.
- ٣ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
- ٤ - «تفسير ابن كثير».
- ٥ - «تفسير البغوي».
- ٦ - «تفسير السعدي».
- ٧ - «تفسير الطبري».
- ٨ - «الجواب الكافي»، لابن القيم.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١٠ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

✽ الصَّعْقَةُ ✽

✽ التعريف لغة:

الصَّعَقُ: الصوت الشديد^(٣)، والصَّعْقَةُ: الصَّيْحَةُ يُغْشَى منها على من يسمعها أو يموت^(٤).

قال ابن الأثير: الصَّعَقُ أن يغشى

(١) درء تعارض العقل والنقل (٩١/٨) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ]، وانظر: مدارج السالكين (٦٩/١).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١٠/١ - ١١).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٢٨٥/٣) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٤) تهذيب اللغة (١٢٢/١) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م]، وانظر: الصحاح (١٩٣/٥) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م].

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ» فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أُرمت؟ - يعني: وقد بليت - قال: «إن الله ﻻ يترك حرّم عليّ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» ^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن أبي زيد القيرواني: «وأنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون» ^(٤).

قال القرطبي: «باب في قول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، وهم الملائكة أو الشهداء أو حملة العرش، صعق: مات» ^(٥).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٠٤٧)، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٣٧٤)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، رقم ١٠٨٥)، وأحمد (٨٤/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والدارمي (كتاب الصلاة، رقم ١٦١٣)، وصححه النووي في الأذكار (١١٥) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٢٧).

(٤) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (٨٥).

(٥) التذكرة للقرطبي (١٨٨).

تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ ^(٦) [النازعات]، قال ابن عباس: «الراجفة: النفخة الأولى» ^(١)، وقال تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ ^(٢) [يس]، قال عكرمة: «هي النفخة الأولى في الصور» ^(٢).

❁ الحكم:

الإيمان بالصعقة واجب، لدلالة النصوص على ذلك؛ إذ هي إحدى مفردات اليوم الآخر التي تسبق الحشر والنشر.

❁ الحقيقة:

إذا نفخ في الصور النفخة الأولى فإن الخلق يصعقون ويموتون إلا من شاء الله تعالى، وهو غشي يلحق من سمع صوتاً شديداً، ثم إذا نفخ النفخة الثانية قام الناس لرب العالمين.

❁ المنزلة:

هي إحدى مفردات يوم القيامة.

❁ الأدلة:

من أدلتها قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ^(١) [الزمر].

(١) أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً (كتاب الرقاق، باب نفخ الصور)، ووصله الطبري في تفسيره (١٩٠/٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٢) تفسير القرطبي (٣٨/١٥) [دار إحياء التراث العربي].

✻ المسائل المتعلقة:

- المسألة الثانية: عدد الصعقات

وبيان المراد بحديث: «فلا أدري؛ أكان فيمن صعق فأفاق قبلي...»:

قال القرطبي: «باب في قول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، وهم الملائكة أو الشهداء أو حملة العرش، صعق: مات» (٢).

وذكر بعض أهل العلم أن الصعقة تكون بعد النفخة الأولى (٣).

وهذه الصعقة تختلف عن الصعقة الواردة في قوله ﷺ: «لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله» (٤).

وفي رواية: «فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور» (٥).

فالذي يظهر أن هذه الصعقة تكون بعد البعث، وهي التي استثنى منها

(٢) التذكرة (١٨٨).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٣٠/١٥)، وفتح الباري لابن حجر (٤٣٠/٦)، (٤٤٤)، وراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٠/٥)، وعون المعبود شرح سنن أبي داود (٢٦٠/٣) [دار الكتب العلمية، ط ٢].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الخصومات، رقم ٢٤١١)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٣).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٩٨).

- المسألة الأولى: المستثنى من الصعق:

اختلف العلماء في تعيين الذين عناهم الله تعالى بالاستثناء في قوله ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، حتى عد منها عشرة أقوال: فمنهم من قال: الأنبياء، ومنهم من قال: الشهداء، وقيل: موسى وحده، وقيل: الولدان في الجنة، والحدود العينية، وقيل: غير ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحدود العينية، فإن الجنة ليس فيها موت، ومتناول لغيرهم، ولا يمكن الجزم بكل ما استثناه الله، فإن الله أطلق في كتابه... والنبي ﷺ قد توقف في موسى؛ هل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه الله أم لا؟ فإذا كان النبي ﷺ لم يخبر بكل من استثنى الله، لم يمكننا نحن أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء وأمثال ذلك مما لم يخبر الله به، وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر والله أعلم» (١).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٦١/٤). وانظر: التذكرة للقرطبي (١٨٨).

❖ **الفروق:**

الفرق بين الصعق والنفخة:

أما النفخ، فهو النفخ في الصور، فإذا أمر الملك بالنفخ في الصور، فإنه يفرغ من ذلك الخلق، فزعًا شديدًا، ثم يصعقون، ويموتون، إلا من شاء الله تعالى.

❖ **المصادر والمراجع:**

- ١ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.
- ٢ - «التذكرة»، للقرطبي.
- ٣ - «شرح صحيح مسلم» (ج ١٥)، للنووي.
- ٤ - «فتح الباري» (ج ١٠)، لابن حجر.
- ٥ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٦ - «أحوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور»، لابن رجب.
- ٧ - «شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور»، للسيوطي.
- ٨ - «البحور الزاهرة في أمور الآخرة»، للسفاريني.
- ٩ - «الروح»، لابن القيم.

❖ **الصفات الاختيارية**❖ **التعريف لغة:**

الصفات: جمع صفة، وهي مشتقة من الفعل (وَصَفَ)، فالواو والصاد والفاء:

موسى ﷺ، وقد أشار القاضي عياض إلى ذلك، إذ قال: «يحتمل أن هذه الصعقة صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماوات والأرض، يدل عليه قوله: «فأفاق قبلي»؛ لأنه إنما يقال أفاق من الغشي، وأما الموت فيقال: بعث منه، وصعقة الطور لم تكن موتًا»^(١)، وقال ابن كثير: «الظاهر أن هذا الصعق يكون في عرصات القيامة، يحصل أمر يصعقون منه والله أعلم به، وقد يكون ذلك إذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء وتجلّى للخلائق الملك الدّيان، كما صعق موسى من تجلي الرب تبارك وتعالى، ولهذا قال ﷺ: «فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور»^(٢).

وهو ما ذهب إليه ابن القيم؛ إذ قال: «هذا صعق في موقف القيامة إذا جاء الله تعالى لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنوره، فحينئذ تصعق الخلائق كلهم، قال تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقَوُا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾» [الطور]، ولو كان هذا الصعق موتًا لكانت مودة أخرى، وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء»^(٣).

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/١٣٠) [دار الكتب العلمية].

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٣٠٠) [دار طيبة، ط ٢].

(٣) الروح (٣٣) [دار الكتاب العربي، ط ٤، ١٤١٠هـ]، وانظر: فتح الباري (١٠/٢٥٠) [دار الفكر].

✽ الأسماء الأخرى:

تسمى الصفات الاختيارية أيضًا بالصفات الفعلية، والصفات العارضة^(٤).

✽ الحكم:

يجب الإيمان بأن الله تعالى متصف بالصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئته وقدرته، وأنه يفعلها إذا شاء كيف شاء ومتى شاء، كما نطق بذلك الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة.

✽ الأدلة:

الآيات التي تدل على الصفات الاختيارية كثيرة جدًا، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، فهو فاعل لما يشاؤه إذا شاء، وهو موجب له بمشيئته وقدرته. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [الأعراف: ١١]، فهذا بين في أنه إنما أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم، لم يأمرهم في الأزل. وكذلك قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل

أصل واحد وهو تحلية الشيء. ووصفته أصفه وصفًا؛ إذا حلّيته ونعته. والصفة: الأمانة اللازمة للشيء. والهاء في الصفة عوض عن الواو، وقيل: الوصف المصدر والصفة الحلية^(١).

الاختيارية: اسم مؤنث منسوب إلى اختيار. والاختيار: هو الاصطفاء، والاسم منه هو الخيار، وهو طلب خير الأمرين. وخيرته بين الشيئين: فوضت إليه الاختيار، فاختر أحدهما وتخيّره.

وخار الله لك في الأمر: جعل لك فيه الخير^(٢).

✽ التعريف شرعًا:

الصفات الاختيارية: هي الأمور التي يتصف بها الرب ﷻ فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته يفعلها متى شاء وكيف شاء؛ كالمجيء والنزول، والرضا والغضب، والفرح، والضحك، والاستواء، والخلق.

ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب والسنة^(٣).

(١) انظر: مقاييس اللغة (١١٥/٦) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (٣٥٦/٩) [دار صادر، ٣، ١٤١٤هـ].

(٢) لسان العرب (٢٦٧/٤)، المصباح المنير (١/١٨٥) [ط. المكتبة العلمية]، والقاموس المحيط (٣٨٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٨، ١٤٢٦هـ].

(٣) رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل لابن تيمية (١/٢) [دار العطاء، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٤) الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها لمحمد خليفة التميمي (٦٩) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٢هـ] بتصرف.

قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»^(٢)، وهذا بيان أن الغضب حصل في ذلك اليوم لا قبله.

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا»^(٣)، فقله: «إذا تكلم الله بالوحي سمع» يدل على أنه يتكلم به حين يسمعون، وذلك ينفي كونه أزلًا، وأيضا فما يكون كجر السلسلة على الصفا يكون شيئا بعد شيء، والمسبوق بغيره لا يكون أزلًا. وهذا كله بمشيئته واختياره ﷻ^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ - وذكر أشياء منها: - «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا»^(٥) «عَزِيزًا حَكِيمًا»^(٦) «سَمِيعًا بَصِيرًا»^(٧)

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧١٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، ١٤١/٩) [دار طوق النجاة، ط١] معلقًا مجزومًا، دون قوله: «صلصلة كجر السلسلة على الصفا».

وأخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٣٨)، وابن حبان في صحيحه (كتاب الوحي، رقم ٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٩٣) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ].

(٤) انظر هذه الأدلة ودلالاتها في: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٢٢/٦ - ٢٣٤).

عمران]، فإنما قال له بعد أن خلقه من تراب، لا في الأزل. وكذلك قوله في قصة موسى: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ مِنَ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرِ أَنْ يُخَوِّضَ إِيَّاتِ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص]، فهذا بين في أنه إنما ناداه حين جاء لم يكن النداء في الأزل، كما يقوله الكلابية. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فإن هذا يدل على أنهم إذا اتبعوه أحبهم الله، فإنه جزم قوله: ﴿يُحِبُّكُمْ﴾ به، فجزمه جوابًا للأمر، وهو في معنى الشرط، فتقديره: [إن تتبعوني يحبكم الله]. ومعلوم أن جواب الشرط والأمر إنما يكون بعده لا قبله، فمحبة الله لهم إنما تكون بعد اتباعهم للرسول.

ومن السنّة حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «وإذا قال [أي: الإمام]: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللَّهُمَّ ربنا لك الحمد، يسمع الله لكم»^(١). فجعل سمعه لنا جزاء وجوبًا للحمد، فيكون ذلك بعد الحمد والسمع يتضمن مع سمع القول قبوله وإجابته. وفي حديث الشفاعة المشهور: فيقول كل واحد من الرسل إذا أتوا إليه: «إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب

(١) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٤).

أخبر عن نفسه في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥) [طه].^(٥)

وحكى ابن تيمية إجماع السلف والأئمة على إثبات الصفات الاختيارية، فقال: «إنه سبحانه خالق كل شيء من الأعيان وصفاتها وأفعالها بأفعاله الاختيارية القائمة بنفسه كما دلت على ذلك نصوص الأنبياء، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها»^(٦).

وقال أيضًا: «الصفات الاختيارية: هي الأمور التي يتصف بها الرب ﷻ فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته؛ مثل كلامه وسمعه وبصره»^(٧) وإرادته ومحبه ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه؛ ومثل خلقه وإحسانه وعدله؛ ومثل استوائه ومجيئه وإتيانه ونزوله ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة»^(٨).

(٥) أصول السنة لابن أبي زمنين (٨٨) [مكتبة الغرباء، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٦) منهاج السنة النبوية (٣٣٦/١) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ]، وانظر: درء التعارض (٢٠/٢) وما بعدها [جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ] فقد ذكر نقولات وافرة عن السلف فيها إثبات مفردات الصفات الاختيارية.

(٧) مثل هنا ﷻ بالسمع والبصر على الصفات الاختيارية من جهة أن الله تعالى يسمع الأصوات الحادثة التي لم تكن قبل ذلك، ويرى المخلوقات الحادثة التي لم تكن موجودة من قبل. انظر: رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل لابن تيمية (١٧/٢) [دار العطاء، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٨) المصدر السابق (١/٢).

فكانه كان ثم مضى. فقال ابن عباس رضي الله عنه: «سمى نفسه ذلك، وذلك قوله؛ أي: لم يزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئًا إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن»^(١).

وقال الفضيل بن عياض: «إذا قال لك جهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه، فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء»^(٢).

وقال الإمام أحمد: «إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء ولا نقول: إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام»^(٣).

وقال أبو سعيد الدارمي: «فالله المتكلم أولًا وآخرًا، لم يزل له الكلام؛ إذ لا متكلم غيره، ولا يزال له الكلام إذ لا يبقى متكلم غيره، فيقول: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]»^(٤).

وقال محمد بن أبي زمنين: «ومن قول أهل السنة: أن الله ﷻ خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، ١٢٨/٦) [دار طوق النجاة، ط ١].

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٣٦) [دار المعارف، ط ١٣٩٨هـ]، وابن بطة في الإبانة الكبرى - الكتاب الثالث: الرد على الجهمية (٢٠٤/٣) - (٢٠٥) [دار الراية، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٣) الرد على الجهمية والزنادقة (١٣٩) [دار الثبات، ط ١].

(٤) الرد على الجهمية للدارمي (١٥٥) [دار ابن الأثير، ط ٢، ١٤١٦هـ].

❁ الأقسام:

تنقسم الصفات الاختيارية إلى قسمين:

- صفات اختيارية متعددة، مثل: الخلق والإعطاء ونحو ذلك.

- صفات اختيارية لازمة، مثل: الاستواء والنزول والمجيء والإتيان. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤] فذكر الفعلين: المتعدي واللازم وكلاهما حاصل بمشيئته وقدرته وهو متصف به^(١).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الصفات الاختيارية هي صفات ذاتية فعلية، وهو ما يعبر عنه بتقديم النوع حادث الأحاد:

وتوضح ذلك بأن حدوث الصفات الاختيارية في وقت دون وقت لا يعني: أنه تعالى اتصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها، أو كانت ممتنعة في حقه، أو فعل فعلاً كان ممتنعاً في حقه، كما يزعم بعض أهل التعطيل؛ بل الفعل ممكن في حقه تعالى، في كل وقت؛ لأنه لا يجوز أن يعتقد أنه تعالى كان معطلاً عن الفعل في وقت من الأوقات

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣٣/٦)، ودرء تعارض العقل والنقل (٣/٢ - ٥)، والتنبيهات اللطيفة للعدي (٤٠) [دار طيبة، ط١، ١٤١٤هـ].

لأن الفعل كمال، وعدمه نقص.

وذلك مثل: صفة الكلام لله ﷻ، فهي ذاتية باعتبار أنه لم يزل ولا يزال متكلماً، وصفة فعلية باعتبار تعلق أحاد كلامه تعالى بمشيئته واختياره، فهو يتكلم بما شاء كيف شاء متى شاء^(٢).

- المسألة الثانية: هل الفعل هو المفعول أم غيره، وهل الخلق هو المخلوق أو غيره؟

والجواب في هذه المسألة: أن الفعل غير المفعول، والخلق غير المخلوق؛ بل الخلق صفة لله وفعله القائم به، والمخلوق مفعوله المنفصل عنه. وهذا هو قول السلف قاطبة بلا نزاع، وهو الذي تؤيده النصوص الشرعية من الكتاب والسنة. قال البخاري: «وقال أهل العلم: التخليق فعل الله، وأفاعيلنا مخلوقة لقوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٧٧/١٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (٧٩ - ٨٠) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط١، ١٤١٨هـ]، والقواعد المثلى لابن عثيمين (٢٥) [الجامعة الإسلامية، ط٣، ١٤٢١هـ]، ومختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للسلمان (٣١) [ط١، ١٤١٨هـ]، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية لمحمد أمان الجامي (٢٠٦) [الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ]، وصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (٣٢ - ٣٣) [دار الهجرة، ط٣، ١٤٢٦هـ].

يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك]؛ يعني: السر والجهر من القول، ففعل الله صفة الله، والمفعول غيره من الخلق^(١).

✽ مذهب المخالفين:

ذهبت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم، إلى أنه لا يقوم بذاته شيء من هذه الصفات، ولا غيرها، وبنوا هذا على أصلهم: أن الرب لا يقوم به صفة؛ لأن ذلك بزعمهم يستلزم التجسيم والتشبيه الممتنع؛ إذ الصفة عَرَضٌ، والعرض لا يقوم إلا بجسم.

وأما الكَلَابِيَّة ومن وافقهم من السالمية وغيرهم فيقولون: تقوم صفات بغير مشيئته وقدرته، فأما ما يكون بمشيئته وقدرته، فلا يكون إلا مخلوقاً منفصلاً عنه. يقولون: هو متصف بالصفات التي ليس له عليها قدرة، ولا تكون بمشيئته؛ فأما ما يكون بمشيئته فإنه حادث، والرب تعالى لا تقوم به الحوادث ويسمون الصفات الاختيارية مسألة حلول الحوادث، فإنه إذا كلم

موسى بن عمران بمشيئته وقدرته، وناداه حين أتاه بقدرته ومشيئته، كان ذلك النداء والكلام حادثاً. وقالوا: إن النداء قائم بذات الله في الأزل، وهو لازم لذاته لم يزل ولا يزال منادياً له، لكنه

(١) خلق أفعال العباد للبخاري (١١٤).

لما أتى خلق فيه إدراكاً لما كان موجوداً في الأزل. وقالوا: فلو اتصف الرب به لقامت به الحوادث. قالوا: ولو قامت به الحوادث لم يَخْلُ منها، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث. ومن ثم ذهب جميعهم - الجهمية والمعتزلة والكلائية والأشاعرة - إلى القول: بأن الخلق هو المخلوق، والفعل هو المفعول، وليس لله عند هؤلاء صنع ولا فعل ولا خلق ولا إبداع إلا المخلوقات نفسها، نافية بذلك قيام صفة الفعل والخلق بالله تعالى^(٢).

✽ الرد عليهم:

إن نفي الصفات الاختيارية عن الله تعالى يلزم عنه أنه لا يفعل شيئاً البتة، وأن يكون بمنزلة الجمادات التي لا تفعل شيئاً، فإنهم جعلوا المفعول عين الفعل، ومن المعلوم أن مفعولاً بلا فعل أبلغ في الاستحالة والبطلان من مفعول بلا فاعل أو هما سواء، فلزمهم من هذا الأصل مخالفة صريح المعقول والمنقول والفطرة والتكذيب بما لا يحصى من النصوص^(٣).

(٢) انظر: أساس التقديس للرازي (٣٥) [مكتبة الكليات الأزهرية]، وشرح العقيدة النسفية للفتاواني (٩٨).

(٣) الصواعق المرسلة (١٤٢٨/٤) [دار العاصمة، ١٦، ١٤٠٨هـ]. وانظر في عرض شبههم والرد عليها: مجموع الفتاوى (٣٧٨/٥، ٥٢٨ - ٥٢٩) (٦/٢٢٠ - ٢٢٣، ٢٣٠ - ٢٣١)، ودرء التعارض (٢٠/٢) وما بعدها (٦/٤، ٢٣ - ٢٤)، والرد على المنطقيين (٢٣٠ - ٢٣١) [دار المعرفة]، وشرح حديث النزول =

المصادر والمراجع:

- ١ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.
- ٢ - «خلق أفعال العباد»، للبخاري.
- ٣ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٢)، لابن تيمية.
- ٤ - «الرد على الجهمية»، للدارمي.
- ٥ - «الرد على الجهمية والزنادقة»، للإمام أحمد.
- ٦ - «الرد على المنطقيين»، لابن تيمية.
- ٧ - «رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل»، لابن تيمية.
- ٨ - «شرح حديث النزول»، لابن تيمية.
- ٩ - «الصفات الإلهية: تعريفها - أقسامها»، للتيمي.
- ١٠ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية»، للجامي.
- ١١ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، للسقاق.
- ١٢ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.
- ١٣ - «مجموع الفتاوى» (ج ٦)، لابن تيمية.
- ١٤ - «منهاج السنة النبوية» (ج ١)، لابن تيمية.

الصفات الخيرية الفعلية

يراجع مصطلح (صفات الله).

الصفات الذاتية

التعريف لغة:

الصفات: جمع صفة، وهي مشتقة من الفعل وَصَفَ، فالواو والصاد والفاء: أصل واحد وهو تحلية الشيء. ووصفته أَصْفُهُ وصفًا؛ إذا حَلَيْتُهُ وَعَتُهُ. والصفة: الأمانة اللازمة للشيء. والهاء في الصفة عوض عن الواو، وقيل: الوصف المصدر، والصفة الحلية^(١). «والصفة والوصف تارة يراد به الكلام الذي يوصف به الموصوف؛ كقول الصحابي فـي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] أحبها؛ لأنها صفة الرحمن، وتارة يراد به المعاني التي دلَّ عليها الكلام: كالعلم والقدرة»^(٢).

الذاتية: اسم مؤنث منسوب إلى ذات. والذات: تأنيث ذو، «قال الليث: (ذو): اسم ناقص، وتفسيره: صاحب ذلك؛ كقولك: فلان ذو مال؛ أي: صاحب مال، وتقول في تأنيث (ذو):

(١) انظر: مقاييس اللغة (١١٥/٦) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (٣٥٦/٩) [دار صادر، ط ٣].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣٣٥/٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ].

= (٤٠٣ - ٤١٣) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ]، واجتماع الجيوش الإسلامية (٢٨٢/٢) [مطابع الفرزدق التجارية، ط ١، ١٤٠٨هـ].

ذات، تقول: هي ذات مال. قال الأزهري: وذات الشيء: حقيقته وخاصته^(١).

التعريف شرعاً:

الحقيقة:

حقيقة صفات الله الذاتية من الأمور الغيبية التي استأثر الله تعالى بعلمها، ولا مجال للعقل البشري القاصر للخوض فيها لكونها لم ترد في الكتاب والسنة الصحيحة.

المنزلة:

إن قدر صفات الرب الذاتية عظيم، ومنزلتها رفيعة، أخذت ذلك من عظمة الله ﷻ؛ لأنه المتصف بها سبحانه، المحيط بكل شيء، المتصف بالكمال المطلق في كل شيء، وكمال عبودية العبد لربه ترجع إلى مقتضى صفاته، فهو إنما تعرف على عباده بصفاته.

الأدلة:

النصوص متواترة على إثبات الصفات الذاتية تواتراً يتعذر حصره، كما أنها صريحة في الدلالة على المراد، وهو الإثبات اللائق بالله تعالى.

ومن هذه النصوص قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]؛ أي: الصفة العليا^(٥). وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ

الصفات الذاتية: هي الصفات التي لا تنفك عن الذات الإلهية؛ بل هي ملازمة لها أزلاً وأبداً؛ كالوجه واليدين والحياة والعلم والقدرة والحكمة والسمع والبصر^(٢).

سبب التسمية:

سميت بالصفات الذاتية؛ لأنها لا تنفك عن الذات، فهي لازمة لها أزلاً وأبداً لا تتجدد تجدد صفات الأفعال^(٣).

الأسماء الأخرى:

- الصفات اللازمة: لملازمتها للذات لا تنفك عنها.

- الصفات الثبوتية: لدالاتها على معنى ثبوتي وجودي^(٤).

الحكم:

وجوب الإيمان بالصفات الذاتية التي

(١) تهذيب اللغة (٣٣/١٥) [دار إحياء التراث العربي، ط١].

(٢) انظر: الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية للسلمان (٤٢٩) (١٨، ١٤١٣هـ)، وأسماء الله وصفاته لابن عثيمين [دار الشريعة، ط١]، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية لمحمد أمان الجامي (٢٠٣) [الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٣) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية لمحمد أمان الجامي (٢٠٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (٢٠٤).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٢٤/٩) =

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن؛ كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء»^(٤). وغيرها من الأحاديث.

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو حنيفة: «لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء؛ بل يصفه بما وصف به نفسه»^(٥).

وقال أبو نصر السجزي: «ولا يجوز أن يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، وذاك إذا ثبت الحديث ولم يبق شبهة في صحته»^(٦).

- وقال ابن عبد البر: «أهل السنة مجموعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكتفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على

بشيء من علمه إلا بما شاء» [البقرة: ٢٥٥]. وقوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. وقوله: ﴿وَلْيُضَعَّ عَلَى عَيْنَيْهِ﴾ [طه]. وغير هذه الآيات كثير.

ومن السنة: حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟»، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»^(١). قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن أورد هذا الحديث: «تضمنت هذه السورة من وصف الله ﷻ الذي ينفي قول أهل التعطيل وقول أهل التمثيل ما صارت به هي الأصل المعتمد في مسائل الذات»^(٢). وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور - وأشار بيده إلى عينه - وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنة طافية»^(٣).

= [دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٧٥)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨١٣).

(٢) أمراض القلوب وشفاؤها (٦٢) [المطبعة السلفية، ط ٢، ١٣٩٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٧)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ١٦٩).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٤).

(٥) شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٩٣) [وزارة شؤون الأوقاف السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٦) الرد على من أنكر الحرف والصوت (١٧٨ - ١٧٩) [الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

السمعي، والدليل العقلي، والفترة السليمة؛ كالعلم والسمع، والبصر، والقدرة ونحوها.

٢ - صفات خبرية سمعية: وهي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع؛ كاليد، والوجه، والإصبع ونحوها^(٥).

✽ مذهب المخالفين:

ذهبت الجهمية: إلى إثبات الذات مجردة عن الصفات، تحت دعوى نفي التشبيه عن الله تعالى، فقالوا: إن كل صفة تطلق على المخلوق لا يصح أن تطلق على الله؛ لأن ذلك يؤدي إلى تشبيه الخالق بالمخلوق. وتبعهم المعتزلة معللين ذلك بأن الصفات أعراض، وأن قيام العرض بالذات يقتضي حدوثها، وجعلوا إضافة الصفات إلى الله تعالى إما من باب إضافة الملك والتشريف^(٦). أما موقف متأخري الأشاعرة ومعهم الماتريدية: فكان نفي جميع الصفات

الحقيقة ويزعمون أن من أقرَّ بها مشبه^(١).

وقال ابن قدامة المقدسي: «ومذهب السلف - رحمة الله عليهم - الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ولا نقص منها»^(٢).

وقال ابن تيمية - معلقاً على قول الإمام أحمد في رواية حنبل: (لم يزل الله عالماً متكلمًا غفورًا) -: «فبين اتصافه بالعلم، وهو صفة ذاتية محضة»^(٣).

✽ الأقسام:

تنقسم الصفات الذاتية إلى قسمين:

- صفات ذاتية معنوية: كالحياء، والعلم، القدرة، والحكمة وما أشبه ذلك.

- صفات ذاتية خبرية: كاليد، والوجه، والعينين وما أشبه ذلك^(٤).

وتنقسم باعتبار أدلة ثبوتها إلى:

١ - صفات شرعية عقلية: وهي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي

(١) التمهيد (١٤٥/٧) [وزارة عموم الأوقاف بالمغرب].

(٢) ذم التأويل (١١) [الدار السلفية، ط١، ١٤٠٦هـ].
وانظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١٦٠ - ١٦٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٤٣٨/١٢).

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٧٨/١) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢١هـ]، والقواعد المثلث (٢٥) [الجامعة الإسلامية، ط٣، ١٤٢١هـ].

(٥) انظر: الصفات الإلهية للجامي (٢٠٧).

(٦) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (١٥١، ٢٧٧) [مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦هـ]، والمحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار (١٠٧) [المؤسسة المصرية العامة للتأليف]، والمقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى (١٦١) [مكتبة الجفان والجابي، ط١، ١٤٠٧هـ]، والملل والنحل للشهرستاني (٤٦/١) [مؤسسة الحلبي]، والمواقف للإيجي (٦٧/٣) [دار الجيل، ط١، ١٩٩٧م]، والمعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها (١٠٠ - ١٠١) [دار العاصمة، ط١، ١٤٢٠هـ].

يقال لهم: إن مجرد الاشتراك في الأسماء لا يستلزم الاشتراك في الحقائق، وهذا واقع بين المخلوقات نفسها، فوقوعها فيما بين الخالق والمخلوق من باب أولى^(٢).

✻ المصادر والمراجع:

١ - «أسماء الله وصفاته وموقف أهل السُّنة منها»، لابن عثيمين.

٢ - «التدمرية»، لابن تيمية.

٣ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ١)، لابن تيمية.

٤ - «الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها»، لمحمد خليفة التميمي.

٥ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسُّنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.

٦ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٥، ٦)، لابن تيمية.

٨ - «مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات»، لمحمد خليفة التميمي.

(٢) وانظر لابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٤٧/٦)، ١٤٨، ٣٤٥، ٥٢٠، ٥٢١)، ودرء تعارض العقل والنقل (٢٨٣/١) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ٢، ١٤١١هـ]، والصفدية (١٢٧/١) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٤٠٦هـ]، والتدمرية (٤٠ - ٤١) [مكتبة العبيكان، ط ٦، ١٤٢١هـ]، والصفات الإلهية في الكتاب والسُّنة للجامي (٣٠١).

الذاتية ما عدا الصفات السبع التي يسمونها صفات المعاني، وهي: «العلم، الحياة، القدرة، الإرادة، السمع، البصر، الكلام». وزاد الباقلاني وإمام الحرمين من الأشاعرة صفة ثامنة هي: «الإدراك». وزاد الماتريدي صفة «التكوين» وإنما أثبتوا الصفات السبع لدلالة العقل عليها دون غيرها^(١).

✻ الرد عليهم:

إن كل ما قالوه ليس عليه دليل من الشرع ولم يستدل به أحد من السلف. ثم إن الله تبارك وتعالى قد نفى في كتابه أن تكون صفاته تماثل صفات شيء من المخلوقين فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى]، فإن لوازم صفات المخلوقين التي ذكروها لا تلزم صفات الخالق؛ إذ لا مناسبة بين صفات الخالق وصفات المخلوق حتى تقاس صفاته سبحانه على صفاتهم، وكما أنهم أثبتوا ذات البارئ دون تفكير في لوازم ذوات المخلوقين، يلزمهم إثبات صفاته ذاتية أو فعلية دون تفكير في لوازم صفات المخلوقين. وأيضاً

(١) انظر: تحفة المريد بشرح جوهرية التوحيد للقاني (٧٥ - ٧٦) [دار الكتب العلمية]، وإشارات المرام من عبارات الإمام لأحمد الماتريدي (١٠٧، ١١٤) [مطبعة البابي الحلبي، ط ١٣٦٨هـ]، ونظم الفرائد وجمع الفوائد لعبد الرحيم شيخ زاده (٢٤) [المطبعة الأدبية، ط ١، ١٣١٧هـ].

٩ - «النفي في باب صفات الله ﷻ»

بين أهل السُّنَّة والجماعة والمعطلة،
لأرزقي بن محمد سعيداني.

❏ صفات الرسل ❏

يراجع مصطلح (الرسل).

❏ صفات الله ﷻ ❏

❏ التعريف لغة:

الصفات جمع صفة، وهي من الفعل:
(وصف)، قال ابن فارس: «الواو
والصاد والفاء: أصل واحد، هو تحلية
الشيء. ووصفته أصفه وصفًا. والصفة:
الأمرة اللازمة للشيء»^(١).

❏ التعريف شرعًا:

ما قام بالذات الإلهية مما يميزها عن
غيرها، ووردت بها نصوص الكتاب
والسُّنَّة^(٢).

❏ الحكم:

يجب الإيمان بما وصف الله تعالى به
نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، ونفي
ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه
رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل،
ولا تكييف، ولا تمثيل^(٣).

❏ الحقيقة:

منهج أهل السُّنَّة والجماعة في باب
الأسماء والصفات أنهم يصفون الله
تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه
به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا
تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، إثبات
بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، إثبات
الصفات ونفي مماثلة المخلوقات، قال
تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:
١١]، وهذا رد على الممثلة، ﴿وَهُوَ
أَسْمِعُ الْبَصِيرَ﴾ [الشورى] رد على
المعطلة.

وهذا إنما يستقيم بالأسس التي يقوم
عليه منهجهم، وهي موجزة في الأمور
الآتية:

١ - الإيمان بما وردت به نصوص
الكتاب والسُّنَّة الصحيحة من الصفات
إثباتًا ونفيًا.

٢ - تنزيه الله ﷻ عن أن يشبه شيء
من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

٣ - قطع الطمع عن إدراك كيفية
اتصاف الله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - وهو
يذكر طريقة السلف في هذا الباب -:
«فمن سبيلهم في الاعتقاد الإيمان
بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف
بها نفسه، وسمَّى بها نفسه في كتابه، أو
على لسان رسوله، من غير زيادة عليها

(١) مقاييس اللغة (٦/١١٥) [دار الكتب العلمية].

(٢) الصفات الإلهية: تعريفها - أقسامها، للتيمي (١٢)
[أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٣) الرسالة التدمرية (٦ - ٨).

سواء كان ذلك بدلالة التضمن أو المطابقة أو الالتزام.

ثانيًا: التنصيص على الصفة:

مثل: الوجه واليدين والعينين والكلام والإرادة والمشية، وما أشبه ذلك، فهذه بنص من الله ﷻ هي صفات. ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

ثالثًا: التصريح بفعل أو وصف دال عليها:

وهي كل صفة دلَّ عليها فعل من أفعاله كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، ونحو ذلك من أفعاله التي لا تحصى أنواعها، فضلًا عن أفرادها: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٧) [إبراهيم]. ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٢٢) [الفجر] (٤).

أقوال أهل العلم:

قال ابن منده: «إن الأخبار في

(٤) انظر: القواعد المثلى (٦٨، ٧١)، والصفات الإلهية (١٥).

ولا نقص منها، ولا تجاوز لها، ولا تفسير لها، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين، ولا سمات المحدثين؛ بل أمروها كما جاءت» (١).

فمعاني صفات الله ﷻ الثابتة بالكتاب أو السنة معلومة، وتُفسر على الحقيقة، لا مجاز ولا استعارة فيها البتة، أمَّا الكيفية فمجهولة (٢).

المنزلة:

الإيمان بأسماء الله وصفاته له أهمية عظيمة، فإنه لا يمكن لأحد أن يعبد الله ﷻ على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله تعالى وصفاته، ليعبده على بصيرة، قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) [الأعراف] (٣).

الأدلة:

دلَّت نصوص الكتاب والسنة على صفات الله تعالى، وذلك من ثلاثة وجوه:

أولًا: دلالة الأسماء عليها:

وهو كل اسم دال على صفة أو أكثر،

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/٤).

(٢) انظر: التدمرية (٤ - ٤٤)، ومجموع الفتاوى (٣٦/٥ - ٤٢).

(٣) انظر: القواعد المثلى (٧) [مكتبة السنة، ط ٢، ١٤١٤هـ].

بصفات خلقه... بل ينتهون إلى ما قاله الله وقاله رسول الله ﷺ من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكييف له ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتضعه عليه بتأويل منكر، ويجرونه على الظاهر، ويكلون علمه إلى الله تعالى، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله»^(٢).

وقال ابن عبد البر: «ولا خبر في صفات الله ﷻ إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فلا نتعدى ذلك إلى تشبيه، أو قياس، أو تمثيل، أو تنظير؛ فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكييفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة»^(٣).

وقال ابن تيمية: «الأصل في هذا الباب أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله - عليهم الصلاة والسلام - نفيًا وإثباتًا، فيثبت لله ما أثبتته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه. وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها، إثبات ما أثبتته من الصفات من

صفات الله ﷻ جاءت متواترة عن النبي ﷺ موافقة لكتاب الله ﷻ، نقلها الخلف عن السلف قرناً بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا على سبيل إثبات الصفات لله والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله ﷻ به في تنزيله، وبيّنه الرسول عن كتابه مع اجتناب التأويل والجحود وترك التمثيل والتكييف، وأنه ﷻ أزلي بصفاته التي وصف بها نفسه، ووصفه الرسول غير زائلة عنه ولا كائنة دونه؛ وذلك أن الله ﷻ امتدح نفسه بصفاته تعالى، ودعا عباده إلى مدحه بذلك، وصدق به المصطفى وبيّن مراد الله ﷻ فيما أظهر لعباده من ذكر نفسه وأسمائه وصفاته وكان ذلك مفهوماً عند العرب غير محتاج إلى تأويلها»^(١).

وقال الصابوني: «أصحاب الحديث - حفظ الله أحياءهم ورحم الله أمواتهم - يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم ﷻ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له ﷻ ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷻ، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٦ - ٢٨).

(٣) التمهيد (١٤٥/٧).

(١) كتاب التوحيد لابن منده (٧/٣) [الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ط ١، ١٤١٣هـ].

وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه؛ كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والعلو والربوبية والألوهية، والاستواء على العرش والنزول، والوجه واليدين ونحوها.

القسم الثاني: الصفات السلبية:

وهي التي نفاها الله ﷻ عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ؛ لأنها صفات نقص وعيب، لثبوت الكمال المطلق، المنافي لها فإن النفي المجرد المحض لا مدح فيه، نحو: نفي الولد، ونفي اتخاذ صاحبة ونفي الشريك، ونفي الموت، ونفي النوم ونحوها.

ثانيًا: أقسام الصفات باعتبار تعلقها بمشيئة الله تعالى: إن الله تعالى متصف بالصفات الثبوتية، سواء كانت ذاتية لا تنفك عن الذات أو فعلية متعلقة بالمشيئة. فالصفات الثبوتية باعتبار تعلقها بمشيئة الله إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

القسم الأول: الصفات الذاتية:

وهي التي لا تنفك عن الله أزلًا وأبدًا، وذلك كحياته تعالى، وعلمه، وقدرته، وعلوه على خلقه، وحكمته، وعظمته ووجهه ويديه ونحوها.

القسم الثاني: الصفات الفعلية:

وهي التي تتعلق بمشيئته ﷻ إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها كاستوائه تعالى على عرشه، ونزوله إلى السماء

غير تكيف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه - مع ما أثبتته من الصفات - من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته، فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى]. ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد للإلحاد والتعطيل^(١).

❁ الأقسام:

لما خاض المتكلمون في تقسيم الصفات اقتضى أن يكون لأهل السنة منهج في ذلك للرد على أهل البدع، وبيان ما عندهم من الخل.

ومن هنا تنوعت تقسيمات أهل العلم للصفات، مع إثباتها لله تعالى وتنزيهها عن مماثلة المخلوقات.

أولًا: أقسام الصفات باعتبار ورودها في النصوص: تنقسم الصفات باعتبار ورودها في النصوص إلى صفات ثبوتية، وصفات سلبية.

القسم الأول: الصفات الثبوتية:

وهي ما أثبتته الله لنفسه فوصف به نفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ فوصفه به،

(١) العقيدة التدمرية (٦ - ٨).

الدنيا، ومجيئه يوم القيامة، وغيرها.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى توقيفية:

إن الواجب في باب الأسماء والصفات الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزداد فيها، ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله ﷻ من الأسماء والصفات على وجه التفصيل، فوجب الوقوف في ذلك على النص. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء)، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فأسماء الله تعالى أحسن الأسماء، كما أن صفاته أكمل الصفات، فلا يعدل عما سمى به نفسه إلى غيره، كما لا يتجاوز ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ إلى ما وصفه به المبطلون والمعتلون^(٢).

ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢١٩/٦، ٥١٨ فما بعدها) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف]، ودعوة التوحيد لهراس (١٦ - ١٧)، وشرح الواسطية له (٩٨ - ٩٩)، ومنهج ودراسات في الأسماء والصفات (٥)، والصفات الإلهية للجامي (١٩٩ - ٢٠٩)، والكواشف الجليلة (٤٢٩ - ٤٣٠)، ومجموع فتاوى ابن عثيمين (١٢٤/١ - ١٢٥، ١٤٥/٤ - ١٤٨)، والقواعد المثلى (٥٩، ٦٣)، الصفات الإلهية للتميمي (٦٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٦/٥)، وبدائع الفوائد (١٦٨/١)، القواعد المثلى (٣٤، ٦٨)، =

القسم الثالث: كونها من الصفات الذاتية باعتبار، والفعلية باعتبار آخر:

كصفة الكلام، فإنه باعتبار أصله، ونوعه صفة ذاتية؛ لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاد الكلام وأفراده صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته تعالى فالله سبحانه يتكلم متى شاء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس).

ثالثًا: أقسام الصفات باعتبار طريق إثباتها: تنقسم الصفات باعتبار طرق إثباتها إلى قسمين:

القسم الأول: الصفات الخبرية العقلية:

وهي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي، والعقلي، والفطري؛ كالحياة والقدرة، والعلو، والعلم، والسمع، والبصر، والربوبية، والألوهية، وغيرها.

القسم الثاني: الصفات الخبرية:

وهي التي لا سبيل إلى إثباتها، إلا الخبر عن الله تعالى، أو عن رسوله ﷺ، إلا أن العقل الصحيح الصريح لا يعارضها بل يؤيدها نحو: وجه الله الكريم، وصفة اليدين، والعينين، والساق، والرجل، والأصابع، ونحوها^(١).

(١) انظر: التدمرية (٥٧ - ٥٨، ١٤٦، ١٤٩ - ١٥٠)،

- المسألة الثانية: منهج أهل السُّنة والجماعة إثبات الألفاظ والمعاني في نصوص الأسماء والصفات:

إن طريقة أهل السُّنة والجماعة في باب الأسماء والصفات: إثبات ما أثبتته الله لنفسه، وما أثبتته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، وهم مع ذلك يثبتون حقائق الأسماء والصفات، مع نفي مشابهة المخلوقات، فلا يعطلون، ولا يؤوّلون، ولا يمثلون، ولا يجهلون.

وقالوا: له ذات حقيقة ليست كذوات المخلوقين، وله صفات حقيقة لا مجازاً، ليست كصفات المخلوقين، ولا يمنع ذلك أن نفهم المراد من تلك الصفات وحقائقها، كما لم يمنع ذلك من أثبت لله شيئاً من صفات الكمال من فهم معنى الصفة وتحقيقها^(١).

ولهذا؛ فإن اعتقاد أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ النصوص بغير إثبات معناها، اعتقاد باطل كذب على السلف، فإن السلف أعلم الأمة بنصوص الصفات لفظاً ومعنى، وأبلغهم في إثبات معانيها اللاتقة بالله تعالى على حسب مراد الله ورسوله ﷺ^(٢).

= معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتمييز (٤٣ - ٤٥).

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٤٢٦ - ٤٢٧).

(٢) انظر: القواعد المثلى (٧٧).

يقول ابن تيمية مبيناً مسلك أهل السُّنة والجماعة في نصوص الأسماء والصفات: «والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبتته النصوص من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفتته النصوص من الألفاظ والمعاني»^(٣).

وقال ابن القيم: «وهدى أصحاب سواء السبيل للطريقة المثلى، فأثبتوا حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنها مماثلة المخلوقات، فكان مذهبهم مذهباً بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين، يُثبتون له الأسماء الحسنى والصفات العليا بحقائقها ولا يكتفون شيئاً منها، فإن الله تعالى أثبت لها لنفسه وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيةها، فإن الله تعالى لم يكلف عباده بذلك ولا أراد منهم، ولا جعل لهم إليه سبيلاً»^(٤).

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم: «إن مذهب أهل السُّنة والجماعة هو الإيمان بما ثبت في الكتاب والسُّنة من أسماء الله وصفاته لفظاً ومعنى، واعتقاد أن هذه الأسماء والصفات على الحقيقة لا على المجاز، وأن لها معاني حقيقة تليق بجلال الله وعظمته، وأدلة ذلك أكثر من أن تحصر، ومعاني هذه الأسماء ظاهرة

(٣) منهاج السُّنة (٢/ ٥٥٤).

(٤) انظر: مختصر الصواعق (١/ ٨٣)، والصواعق

المرسلة (٢/ ٤٢٥ - ٤٢٧).

ومن الآثار الواردة عن السلف في إثباتهم لألفاظ نصوص الأسماء والصفات ومعانيها، وتفويض الكيفية إلى علم الله ما يلي:

- قول الأوزاعي: سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث، فقالا: أمروها كما جاءت^(٣).

- وقال الوليد بن مسلم: سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات؟ فقالوا: أمروها كما جاءت. وفي رواية: أمروها كما جاءت بلا كيف^(٤).

ففي هذه العبارة رد على المعطلة والمشبهة: ففي قولهم ﷺ: «أمروها كما جاءت» رد على المعطلة.

وفي قولهم: «بلا كيف» رد على المشبهة.

كما أن السلف كانوا يثبتون لنصوص الصفات المعاني الصحيحة التي تليق بالله، وذلك من وجهين:

الأول: قولهم: «أمروها كما جاءت» فإن معناها إبقاء دلالتها على ما جاءت

معروفة من القرآن كغيرها لا لبس فيها ولا إشكال ولا غموض... وأما كنه الصفة وكيفيتها فلا يعلمه إلا الله سبحانه^(١).

- المسألة الثالثة: ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر:

بين أهل العلم أن ظواهر نصوص الكتاب والسنة الواردة في الصفات معلومة لنا باعتبار المعنى المتبادر إلى الذهن، ومفهومة، وهي أيضاً مجهول لنا باعتبار الكيفية.

فالعلم والجهل يختلفان بحسب الاعتبار:

- أما على الاعتبار الأول (المعنى) فإن السلف ﷺ أثبتوا الصفات كما أثبتها الله لنفسه وأثبت له رسوله ﷺ، والسلف بهذا الإثبات قد خالفوا أهل التعطيل. فهم إنما فوضوا العلم بكيفياتها لا العلم بمعانيها.

- وأما على الاعتبار الثاني (الكيفية) فإن السلف ﷺ قد أثبتوا الصفات مع نفي المشابهة للمخلوقات. وبهذا الاعتبار خالف السلف مذهب الممثلة والمشبهة^(٢).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح الاعتقاد برقم (٧٣٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٧٧/٢)، وانظر: مختصر العلو للذهبي (١٣٨).

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح الاعتقاد برقم (٩٣٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٧٧/٢)، وابن عبد البر في التمهيد (١٤٩/٧)، وغيرهم.

(١) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم (١/١٧٥).

(٢) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (١٩٧ - ٢٠٠)، والقواعد المثلى (٦٤، ٧٦ - ٧٧)، والقول المفيد (١٨٩/٢).

الكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصفة»^(٣).

- المسألة الرابعة: صفات الله تعالى لها كيفية:

صفات الله ﷻ لها كيفية تليق بجلاله سبحانه، وعدم العلم بها لا يعني نفيها، ولم تأت النصوص ببيان حقيقتها أو وصفها، فيتعين الإيمان بها وإن كنا نجعل حقيقتها، فأهل السُّنة يعلمون معنى نزول الله ﷻ واستوائه على عرشه، لكن لا يعلمون كيفية نزوله أو استوائه، قال الإمام أبو بكر ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ: «نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل. والله ﷻ لم يترك - ولا نبيه ﷺ - بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ النبي لم يصف لنا كيفية النزول»^(٤).

وهذا هو مراد أهل السُّنة بقولهم بلا كيف، ليس مرادهم نفي الكيفية أصلاً، قال ابن القيم: «العقل قد يئس من تعرف كنه الصفة وكيفية، فإنه لا يعلم كيف الله ﷻ»^(٣) الفتوى الحموية الكبرى (٣٠٩)، وراجع: الرد على الجهمية للدارمي (٦٧).
(٤) التوحيد لابن خزيمة (٢٨٩/١).

به من المعاني، ولا ريب أنها جاءت لإثبات المعاني اللاتئة بالله تعالى، ولو كانوا لا يعتقدون لها معنى لقالوا: أمروا لفظها، ولا تتعرضوا لمعناها، ونحو ذلك.

الثاني: قولهم: «بلا كيف» فإنه ظاهر في إثبات حقيقة المعنى؛ لأنهم لو كانوا لا يعتقدون ثبوته ما احتاجوا إلى نفي كيفيته، فإن غير الثابت لا وجود له في نفسه، فنفي كيفيته لغو من القول^(١).

- ودخل رجل على مالك بن أنس فقال: يا أبا عبد الله ﷺ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴿٥﴾ [طه] فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرخضاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً، فأمر به أن يخرج^(٢).

قال ابن تيمية: «فقول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول» موافق لقول الباقرين: أمروها كما جاءت بلا كيف، فإنما نفوا علم

(١) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (٣٠٤)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣٢/٤).

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١٠٤)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد برقم (٦٦٤)، وابن عبد البر في التمهيد (١٥١/٧) وغيرهم. وانظر: مختصر العلو (١٤١ - ١٤٢)، وفتح الباري (٤٠٦/١٣)، والأثر المشهور عن مالك رَحِمَهُ اللهُ في صفة الاستواء للبدر (٣٨ - ٥٠).

ومماثلة المخلوقين، وكل ما أثبتته الله لنفسه فهو صفات كمال، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٢].

- أما ضابط الإثبات فهو أن يثبت لله تعالى ما أثبتته لنفسه من صفات الكمال على وجه لا نقص فيه بأي حال من الأحوال، لقول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ١٦]، والمثل الأعلى هو الوصف الأكمل الذي لا يماثله شيء.

- وأما ضابط التنزيه، فهو: نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص في حقه، مع اعتقاد ثبوت كمال ضدها لله تعالى.

والمراد بالنفي هنا:

١ - تنزيهه الله عن النقص المضاد لكماله.

٢ - تنزيهه سبحانه عن أن يكون له مثل في شيء من صفاته.

وقد دلت عليهما سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن بقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝﴾ [الإخلاص: ١]، فاسمه الصمد يجمع معاني صفات الكمال، واسمه الأحد يقتضي أنه لا مثل له ولا نظير^(٣).

إلا الله، وهذا معنى قول السلف بلا كيف؛ أي: بلا كيف يعقله البشر، فإن من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته، ولا يقدر ذلك في الإيمان بها ومعرفة معانيها، فالكيفية وراء ذلك، كما أنا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر ولا نعرف حقيقة كيفيته مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق، فعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم^(١).

- المسألة الخامسة: منهج أهل السنة والجماعة في الإثبات والتنزيه في باب الأسماء والصفات:

القول الشامل لأهل السنة والجماعة: إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلا لله ﷻ، وتنزيهه تعالى من كل نقص وعيب، وعن مماثلة المخلوقات؛ فإن الله تعالى جمع فيما وصف به نفسه بين النفي والإثبات، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وإنما جمع الله تعالى لنفسه بين النفي والإثبات؛ لأنه لا يتم كمال الموصوف إلا بنفي صفات النقص، وإثبات صفات الكمال، وكل الصفات التي نفاه الله عن نفسه صفات نقص كالإعياء واللغوب، والعجز والظلم،

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/١٤٥)، والقول المفيد (٣١٣/٢).

(٣) انظر: التدمرية (١٢٤)، ومنهاج السنة (٢/١٨٦) -

(١) مدارج السالكين (٣/٣٧٦).

- المسألة السادسة: منهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات: الإثبات المفصل والنفي المجمل:

الأصل في معرفة الله الصفات الثبوتية، وأما الصفات المنفية فهي مكملة للإثبات، وتابعة له، وقد أوضح أهل العلم أن طريقة السلف في باب الأسماء والصفات: الإثبات المفصل والنفي المجمل، وذلك أنهم يشبتون لله تعالى الأسماء والصفات على وجه التفصيل، وأما الصفات المنفية التي نفاها الله عن نفسه فكلها صفات نقص ولا تليق به كالعجز والتعب والظلم ومماثلة المخلوقين، والغالب فيها الإجمال.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «طريقة الرسل وأتباعهم من سلف الأمة وأئمتها: إثبات مفصل ونفي مجمل، إثبات صفات الكمال على وجه التفصيل، ونفي النقص والتمثيل، كما دلَّ على ذلك سورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص]»^(١).

كما دلَّت الآيات الكثيرة والأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ على إثبات أسماء الرب وصفاته على وجه التفصيل^(٢).

= ١٨٧، ٥٢٣/٢، والجواب الصحيح (٢/٢٦١)، والقواعد المثلى (٥٩، ٦٠)، ومجموع فتاوى ابن عثيمين (٤/١٩، ٢٠١).

(١) منهاج السنة (٢/١٨٥).

(٢) انظر: التدمرية (٨ - ١٢)، ودرء التعارض (٥/

- أسباب ورود التفصيل في النفي في باب الأسماء والصفات:

بين بعض أهل العلم أن التفصيل في الصفات المنفية قد يأتي لأسباب؛ منها: **أولاً:** نفي ما ادَّعاه الكاذبون المفترون؛ كقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

ثانياً: دفع توهم نقص في كماله؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٢٨].

ثالثاً: قصد التهديد، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٣) [البقرة].

- المسألة السابعة: المحاذير التي يجب تجنبها في باب الأسماء والصفات: من المحاذير التي يجب تجنبها في باب الأسماء والصفات: التحريف، والتعطيل، والتأويل، والإلحاد، والتكيف، والتمثيل.

١٦٣، ٣٤٨/٦، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢/٤٧٨، ٣٧/٦، التسعينية (١/١٧١)، والصواعق المرسله (٣/١٠٠٩)، وشرح العقيدة الطحاوية (٦٩)، والقواعد المثلى (٧١)، وشرح العقيدة الواسطية (١١٧)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/١١٤، ٧/٢١٤).

(٣) انظر: القواعد المثلى (٦٢)، ومجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٤/١١٥)، وراجع: شرح العقيدة الواسطية لهراس (٨٢)، والصفات الإلهية للتميمي (٥٨-٥٩).

أو القوتين تحريف المعتزلة والجهمية أهلهم الله، ولا يكيّفونهما بكيف، ولا يشبّهونهما بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله، وقد أعاذ الله تعالى أهل السُّنة من التحريف والتكليف، والتشبيه، ومنّ عليهم بالتعريف والتفهيم، حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه»^(٢).

ويقول ابن تيمية: «طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبتته من الصفات من غير تكليف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه - مع ما أثبتته من الصفات - من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته»^(٣).

- المسألة الثامنة: باب الصفات أوسع من باب الأسماء، وباب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات:

الواجب على المؤمن في باب الأسماء والصفات مراعاة ما أطلقه الله تعالى على نفسه من الأسماء والصفات والوقوف معها، وعدم إطلاق ما لم يطلقه على نفسه ما لم يكن مطابقاً لمعنى أسمائه وصفاته، وحينئذ فيطلق المعنى لمطابقته له دون اللفظ»^(٤).

ولأجل هذا فإن أهل العلم قد بينوا نوع العلاقة التي تربط بين أبواب ثلاث،

وقد علم مما سبق أن طريقة السلف في باب الأسماء والصفات: أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله نفيًا وإثباتًا، فثبت لله ما أثبتته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه، ولا يتحقق ذلك جليًا إلا بالتخلي عن محاذير يقع فيها كثير من الناس، ولهذا تجد أهل العلم يجمعون بين تقرير مذهب السلف في الإثبات والنفي في باب الأسماء والصفات، وبين التحذير من التعطيل والتأويل الفاسد، والتمثيل وغيرها^(١).

يقول أبو عثمان الصابوني: «إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسُّنة - حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم - يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول ﷺ بالرسالة، والنبوة، ويعرفون ربهم ﷻ بصفاته التي نطق بها وحيه، وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له ﷻ منها ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه، ... ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين

(١) انظر: العقيدة الواسطية مع شرح ابن عثيمين (٥٦) فما بعدها، ودرء التعارض (١/٢٨٤)، واجتماع الجيوش الإسلامية (٩٤)، والقواعد المثلث (٦٤)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/٢٣٠).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٦).

(٣) التدمرية (٦ - ٧).

(٤) انظر: طريق الهجرتين (٥٩٦).

وهي: باب الأسماء وباب الصفات، وباب الإخبار.

وذلك أن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات، وأن باب الصفات أوسع من باب الأسماء، فصار باب الأسماء أخص من البابين الآخرين^(١).

فيتبين مما تقدم أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء؛ وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة، ومن الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا تنتهي لها، كما أن أقواله لا تنتهي لها. ومن الأمثلة عليه: أن من صفات الله تعالى المجيء والنزول، والاستواء على العرش، والإتيان، والأخذ، والإمساك والبطش إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى، فيوصف الله بهذا الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول إن من أسمائه: الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به^(٢).

يقول ابن القيم: «إن الفعل أوسع من الاسم، ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالا لم يتسم منها بأسماء الفاعل؛ كأراد، وشاء، وأحدث، ولم يسم بالمريد

والشائي والمحدث، كما لم يتسم بالصانع والفاعل والمتقن، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء»^(٣).

ويقول ابن عثيمين: «الصفات أوسع من الأسماء؛ لأن كل اسم متضمن لصفة، وليس كل صفة تكون اسما، وهناك صفات كثيرة تطلق على الله وليست من أسمائه، فيوصف الله بالكلام والإرادة، ولا يسمى بالمتكلم أو المريد»^(٤).

- كما أن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات، ولا يشترط أن يكون باب الإخبار توقيفيا، وإنما يكون باسم حسن أو غير سيء مما هو ثابت وحق، بحيث يكون معناه صحيحا، ومثل أهل العلم لذلك: بالشيء والموجود والقائم بنفسه، وغير ذلك^(٥).

يقول ابن القيم: «إن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء والموجود والقائم بنفسه، فإنه يخبر به

(٣) مدارج السالكين (٣/٤٣٣).

(٤) القول المفيد (٢/١٨٨).

(٥) انظر: درء التعارض (١/٢٩٨، ٤/١٤٠)، ومجموع

فتاوى ابن تيمية (٦/١٤٢)، والجواب الصحيح (٥/

٨)، وبدائع الفوائد (١/١٦٢)، ومدارك السالكين

(٣/٤٣٣)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٧/

٢٤٥)، والصفات الإلهية للتميمي (٣٩).

(١) انظر: معتقد أهل السنة في الأسماء الحسنى للتميمي (٣٤ - ٣٥)، وأسماء الله الحسنى للغصن (١٤١ -

١٤٢).

(٢) انظر: القواعد المثلى (٥٧ - ٥٨).

عنه، ولا يدخل في أسمائه الحسنى من ثمرات الإيمان بصفات الله ﷻ: وصفاته العليا»^(١).

- المسألة التاسعة: الفرق بين دعاء الله تعالى بأسمائه وصفاته وبين دعاء صفة من صفات الله:

فرّق أهل العلم بين دعاء الله بأسمائه وصفاته، وبين دعاء الصفة نفسها، فالأول مشروع كما نصت عليه السُّنَّة.

وأما دعاء الصفة كمن يقول: يا كلام الله اغفر لي وارحمني، ونحو ذلك، فهذا كفر؛ وذلك لأن الصفة غير الموصوف بلا شك، فقدرة الله ﷻ ليس هي الله؛ بل هي صفة من صفاته، فلو تعبّد الإنسان لصفة من صفات الله لم يكن متعبّداً لله تعالى، وإنما تعبّد لهذه الصفة لا لله، والمسلم إنما يتعبّد لله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن مسألة الله بأسمائه وصفاته وكلماته جائز مشروع كما جاءت به الأحاديث، وأما دعاء صفاته وكلماته، فكفر باتفاق المسلمين، فهل يقول مسلم: يا كلام الله اغفر لي وارحمني وأغثني أو أعني، أو يا علم الله، أو يا قدرة الله، أو يا عزة الله، أو يا عظمة الله ونحو ذلك»^(٢).

(١) بدائع الفوائد (١/١٦٦).

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة (١/١٨١). وانظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/١٦٤ - ١٦٦).

الثمرات:

من ثمرات الإيمان بصفات الله ﷻ:

١ - أن العبد يسعى إلى الاتصاف والتحلي بها على ما يليق به؛ لأنه من المعلوم عند أرباب العقول أن المحب يحب أن يتصف بصفات محبوبه؛ كما أن المحبوب يحب أن يتحلّى مَحَبَّةً بصفاته؛ فهذا يدعو العبد المحب لأن يتصف بصفات محبوبه ومعبوده كلٌّ على ما يليق به، فالله كريم يحب الكرماء، رحيم يحب الرحماء، رفيق يحب الرفق، فإذا علم العبد ذلك؛ سعى إلى التحلي بصفات الكرم والرحمة والرفق، وهكذا في سائر الصفات التي يحب الله تعالى أن يتحلّى بها العبد على ما يليق بذات العبد.

٢ - ومنها: أنه إذا آمن العبد بصفات (العلم، والإحاطة، والمعية)؛ أورثه ذلك الخوف من الله ﷻ المطَّلَع عليه الرقيب الشهيد، فإذا آمن بصفة (السمع)؛ علم أن الله يسمعه؛ فلا يقول إلا خيراً، فإذا آمن بصفات (البصر، والرؤية، والنظر، والعين)؛ علم أن الله يراه؛ فلا يفعل إلا خيراً؛ فما بالك بعبد يعلم أن الله ﷻ يسمعه، ويراه، ويعلم ما هو قائله وعامله، أليس حريٌّ بهذا العبد أن لا يجده الله حيث نهاه، ولا يفتقده حيث أمره؟! فإذا علم هذا العبد وآمن أن الله (يحب، ويرضى)؛ عمل ما

الآخرة؛ فهو القاهر فوق عباده، وهو الغالب من غالبه، وهو المهيمن على عباده، ذو الملكوت والجبروت والسلطان القديم؛ فسبحان ربي العظيم.

٥ - ومنها: أن العبد إذا تدبر صفات الله من (العظمة، والجلال، والقوة، والجبروت، والهيمنة)؛ استصغر نفسه، وعلم حقارتها، وإذا علم أن الله مختص بصفة (الكبرياء)؛ لم يتكبر على أحد، ولم ينازع الله فيما خصّ نفسه من الصفات، وإذا علم أن الله متصف بصفة (الغنى، والملك، والعطاء)؛ استشعر افتقاره إلى مولاه الغني، مالك الملك، الذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء.

٦ - ومنها: أنه إذا علم أن الله يتصف بصفة (القوة، والعزة، والغلبة)، وآمن بها؛ علم أنه إنما يكتسب قوته من قوة الله، وعزته من عزة الله؛ فلا يذل ولا يخنع لكافر، وعلم أنه إن كان مع الله؛ كان الله معه، ولا غالب لأمر الله ﷻ^(١).

✽ مذهب المخالفين:

خالف أهل السُّنة طوائف من أهل التعطيل والتشبيه في باب الأسماء والصفات؛ فالفلاسفة يشبتون وجودًا مطلقًا وهو واجب الوجود، فلا صفة له، ولا فعل يقوم به، ولا قدرة له على

يحبّه معبوده ومحبوبه وما يرضيه، فإذا آمن أن من صفاته (الغضب، والكره، والسخط، والمقت، والأسف، واللعن)؛ عمل بما لا يُغضب مولاه ولا يكرهه حتى لا يسخط عليه ويمقته ثم يلعنه ويطرده من رحمته، فإذا آمن بصفات (الفرح، والبشاشة، والضحك)؛ أنس لهذا الرب الذي يفرح لعباده ويتبشش لهم ويضحك لهم؛ ما عدنا خيرًا من ربّ يضحك.

٣ - ومنها: أنه إذا علم العبد وآمن بصفات الله ﷻ من (الرحمة، والرأفة، والتَّوب، واللطف، والعفو، والمغفرة، والستر، وإجابة الدعاء)؛ فإنه كلما وقع في ذنب؛ دعا الله أن يرحمه ويغفر له ويتوب عليه، وطمع فيما عند الله من سترٍ ولطفٍ بعباده المؤمنين، فأكسبه هذا رجعة وأوبة إلى الله كلما أذنب، ولا يجد اليأس إلى قلبه سبيلًا، كيف ييأس من يؤمن بصفات (الصبر، والحلم)؟! كيف ييأس من رحمة الله من علم أن الله يتصف بصفة (الكرم، والجود، والعطاء)؟!.

٤ - ومنها: أن العبد الذي يعلم أن الله متصف بصفات (القهر، والغلبة، والسلطان، والقدرة، والهيمنة، والجبروت)؛ يعلم أن الله لا يعجزه شيء؛ فهو قادر على أن يخسف به الأرض، وأن يعذبه في الدنيا قبل

(١) انظر: صفات الله ﷻ لعلوي السقاف (٣٠ - ٣٦).

بعلم، أو يقول: إن الله عالم بعلم هو ذاته، وهكذا بقية الصفات، فهم ينكرون قيام الصفات بالله تعالى حقيقة، وهذا مذهب المعتزلة ومن وافقهم.

ومنهم من يثبت الأسماء وبعض الصفات، إلا أنهم لم يثبتوا لله صفات تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته، ونفوا الصفات الاختيارية، وهذا مذهب ابن كلاب، والأشعري في طوره الثاني، وقدماء الأشاعرة؛ كالباقلائي وابن فورك، وغيرهما.

فصفة الكلام والرضا والغضب والمجيء والنزول، وغيرها يؤوّلونها على أحد الوجوه الآتية:

١ - إرجاعها إلى الصفات الذاتية، وأنها أزلية لا تتعلق بمشيئته.

٢ - أن يجعلوها من باب النسب والإضافة المحضة، بمعنى أن الله خلق العرش بصفة تحت فصار مستويًا عليه، وأنه يكشف الحجب التي بينه وبين خلقه، فيصير جائيًا إليهم ونحو ذلك. فهذه صفات الفعل منفصلة عن الله بآئنه عنه.

٣ - أن يجعلوها أفعالًا محضة في المخلوقات، مثل قولهم في الاستواء: إنه فعل يفعله الرب في العرش بمعنى أنه يحدث في العرش قربًا فيصير مستويًا عليه من غير أن يقوم بالله فعل اختياري.

فعل، ولا يعلم شيئًا. وهم في حقيقة الحال ينفون جميع الأسماء والصفات.

وهم على مراتب: فمنهم من يصف الله تعالى بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون إلا وجودًا مطلقًا، يرجع إلى وجود في الأذهان، يمتنع تحققه في الأعيان، وهذا ابن سينا وأمثاله.

ومنهم من يقول: لا نثبت ولا ننفي، فيقولون: لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، وهكذا بسلب النقيضين، وهذا ينسب لغلاة المعطلة من القرامطة الباطنية المتفلسفة.

ومنهم من يقول: نحن لا نقول: ليس بموجود ولا بمعدوم، ولا حي ولا ميت، فيمتنعون عن كل من المتناقضين، ويحكي هذا عن الحلاج.

ومنهم أهل وحدة الوجود الذين يقولون: إن وجود الخالق هو وجود المخلوق^(١).

وأما أهل الكلام: فمنهم من ينفي جميع الأسماء والصفات، وهذا مذهب الجهمية.

ومنهم من أثبت الأسماء ونفى الصفات، فيقول: إن الله عالم بذاته لا

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٣ - ٨)، وشرح العقيدة الأصفهانية (٥١، ٥٢، ٧٦)، والصفدية (٩٦/١)، وبغية المراتد (٣٤٩، ٣٩٧)، ومواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات للتميمي (٧٤).

والسنة الكثيرة جاءت بإثبات ما أثبتته الله لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ، من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وعليه إجماع أهل السنة والجماعة.

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «الشرعة»، للآجري.
- ٢ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.
- ٣ - «العقيدة الواسطية مع شرحها»، لابن عثيمين.
- ٤ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السنة الأصبهاني.
- ٥ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٦ - «التوحيد»، لابن خزيمة.
- ٧ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.
- ٨ - «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، للصابوني.
- ٩ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.
- ١٠ - «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للالكائي.
- ١١ - «شرح الأصبهانية»، لابن تيمية.

❖ الصفات المثبتة والصفات المنفية ❖

يراجع مصطلح (صفات الله ﷻ).

❖ الصفة والموصوف ❖

يراجع مصطلح (الغير).

وأما الصفات الخبرية فالوارد منها في القرآن يثبتونه، وأما ما ورد في السنة فمنهم من يثبتها، ومنهم من لا يثبتها.

ومن المتكلمين من يثبت الأسماء ولا يثبت من الصفات إلا سبع صفات أو ثمانٍ، وينفي ما عداها، وهذا قول المتأخرين من الأشاعرة والماتريدية.

فالصفات الثبوتية عند متأخري الأشاعرة هي: الحياة والعلم والقدرة والإرادة، والسمع والبصر، والكلام. وزاد بعضهم: الإدراك.

وعند الماتريدية: الحياة والعلم والقدرة والإرادة، والسمع والبصر، والتكوين^(١).

وأما المشبهة؛ فهم الذين شبهوا صفات الخالق بصفات المخلوقين، وقالوا: يد كيدي، وبصر كبصري^(٢).

وقد أنكر علماء السنة مقالة المشبهة والمعطلة، وبيّنوا أن نصوص الكتاب

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٣، ٤/١٤٧-١٤٨، ٥/٤١٠-٤١٢، ٤٣٧، ٥١/٦، ٥٣-٦٨، ٦٩-١٤٤، ١٤٩-١٤٨، ٣٥٨، ٥٢٠-٥٢٥، ٣١١/١٢، ١٣/١٣١)، ومنهاج السنة (٥٢٦/٢)، وشرح العقيدة الأصبهانية (٥١، ٥٢، ٧٨)، والمعتزلة وأصولهم الخمسة (١٠٠)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (١٠٣٤/٣)، ومواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات للتيمي (١٠١).

(٢) انظر: درء التعارض (٤/١٤٥)، وبيان تلبيس الجهمية (١/٥٤)، ومنهاج السنة (٢/١٠٣، ٢١٧)، ومواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات (١١٧).

حية، يؤذي الناس والماشية، وكانوا يعتقدون أنه يعدي، فيكون عطفه على العدوى من باب عطف الخاص على العام، وذلك لاشتهاره عندهم بالعدوى.

الثاني: أنه نهي عن النسيء الذي كانت تعمله العرب في جاهليتها، من تأخير المحرم إلى صفر لاستباحة الأشهر الحرم^(٤).

الثالث: أنه شهر صفر؛ إذ كانت العرب تتشائم به، ويقولون: إنه شهر مشؤوم. قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال^(٥).

سبب التسمية:

قال بعضهم: إنما سمي صفرًا؛ لأنهم كانوا يمتارون الطعام فيه من المواضع. وقال بعضهم: سمي بذلك لإصفار مكة من أهلها إذا سافروا. وروي عن رؤية أنه قال: سموا الشهر صفرًا؛ لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوا صفرًا من المتاع، وذلك أن صفرًا بعد المحرم فقالوا: صفر الناس منا صفرًا^(٦).

الحكم:

التشاؤم بشهر بصفر هو نوع من الطيرة^(٤) غريب الحديث لأبي عبيد (٢٥/١).
^(٥) لطائف المعارف (٧٤).
^(٦) انظر: لسان العرب (٣٦٠/٧)، وبلوغ المنى والظفر في بيان لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر (١٠٢) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٢هـ].

صَفَر

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الصاد والفاء والراء ستة أوجه؛ فالأصل **الأول**: لون من الألوان. **والثاني**: الشيء الخالي. **والثالث**: جوهر من جواهر الأرض. **والرابع**: صوت. **والخامس**: زمان. **والسادس**: نبت»^(١).

وصفر: هو الشهر الذي بعد المحرم. وفُسر أيضًا بأنه حية في البطن يقال لها الصفر، كانت العرب تقول: أنها تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه، وأنها تعدي^(٢).

التعريف شرعًا:

فسر أهل العلم صفر بأقوال ثلاثة^(٣):
أحدها: أنه داءٌ في البطن يقال له:

- (١) مقاييس اللغة (٣/٢٩٤) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].
- (٢) انظر: الصحاح (٢/٧١٤) [دار العلم للملايين، ط ٣]، ولسان العرب (٧/٣٥٨) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣]، وترتيب القاموس المحيط (٢/٨٣٠) [دار عالم الكتب، ط ١، ١٤١٧هـ].
- (٣) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (١/١٤٩ - ١٥٢) [الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة، ط ١٠٤هـ]، ومعال السنن للخطابي (٤/٢٣٣) [المطبعة العلمية، حلب، ط ١، ١٣٥٢هـ]، والتمهيد لابن عبد البر (٢٤/١٩٨)، وشرح السنّة لبغوي (١٢/١٧١) [المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٥) [دار إحياء التراث العربي]، ولطائف المعارف (١٤٧ - ١٤٨) [دار ابن كثير، ط ٥، ١٤٢٠هـ].

البطن يسمّى الصفر، كان العرب يعتقدونه معدياً، وعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى، ويكون عطفه على العدوى من باب عطف الخاص على العام، وإلى هذا القول ذهب ابن وهب ومطرف والقاسم بن سلام وأحمد بن حنبل والبخاري وابن جرير وغيرهم.

وقال آخرون: إن قوله ﷺ: «لا صفر» أي: شهر صفر المعروف، ثم اختلفوا في تفسيره على قولين:

أحدهما: أن المراد نفي ما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، فكانوا يُحلون المحرم ويحرّمون صفر مكانه، وهذا قول مالك ومعمّر بن المثنى رحمهما الله تعالى.

والثاني: أن المراد أن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بصفر، يقولون: إنه شهر مشؤوم، فأبطل النبي ﷺ ذلك. وهذا أشبه الأقوال كما يقوله ابن رجب رحمه الله: وكثير من الجهال يتشاءم بصفر، وربما ينهى عن السفر فيه! والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها.

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا صفر ولا هامة» فقال أعرابي: يا رسول الله،

ولطائف المعارف لابن رجب (١٤٧ - ١٤٨).

المحرمة، فجاء الإسلام فأبطل ما كان يعتقدُه أهل الجاهلية فيه من التشاؤم، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»^(١). والنفي في هذا الحديث لها ليس نفياً لوجودها فهي موجودة، ولكنه نفي لكونها سبباً؛ إذ لم يجعلها الله سبباً في هذا، فمن تشاءم بصفر فردّه تشاؤمه عن حاجته أو حمله على فعل أو ترك آخر، فقد جعل ما ليس بسبب سبباً وهذا من الشرك الأصغر.

يقول ابن رجب رحمه الله في سياق كلامه على حديث: «لا عدوى ولا هامة ولا صفر»: «وهذا مما يدل على أن المراد نفي تأثير هذه الأسباب بنفسها، من غير اعتقاد أنها بتقدير الله وقضائه، فمن أضاف شيئاً من النعم إلى غير الله، مع اعتقاد أنه ليس من الله، فهو مشرك حقيقة، ومع اعتقاد أنه من الله، فهو نوع شرك خفي»^(٢).

الحقيقة:

اختلف في حقيقته بناء على الاختلاف في تعريفه فقيل^(٣): إنما هو مرض في

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٥٧)، ومسلم (كتاب الطب، رقم ٢٢٢٠).

(٢) لطائف المعارف (١٤٢).

(٣) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (١٤٩/١ - ١٥٢)، ومعالم السنن للخطابي (٢٣٣/٤)، والتمهيد لابن عبد البر (١٩٨/٢٤)، وشرح السنّة للبيهقي (١٢/١٧١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٣٥/٣).

بصفر، فأبطل النبي ﷺ^(٥).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تحت قوله ﷺ: «لا عدوى»: «هذا يحتمل أن يكون نفيًا أو يكون نهياً؛ أي: لا تطيروا، ولكن قوله في الحديث: «لا عدوى ولا صفر ولا هامة» يدل على أن المراد النفي، وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيتها، والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه»^(٦).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صفر الخير:

شاع بين بعض المسلمين تسمية شهر صفر بقولهم: «صفر الخير» تفاؤلاً يرد ما يقع في نفسه من اعتقاد التشاؤم فيه كما كان في الجاهلية الأولى.

قال بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ: «وبعضهم يقول: صفر الخير: تفاؤلاً؛ يرد ما يقع في نفسه من اعتقاد التشاؤم فيه، وهذه لوثة جاهلية من نفس لم يصقلها التوحيد بنوره»^(٧).

- المسألة الثانية: الأربعاء الأخير من

شهر صفر:

اعتقاد بعض الناس أن يوم الأربعاء

فما بال إبلي، تكون في الرمل كأنها الطباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها؟ فقال: «فمن أعدى الأول؟»^(١).

وعنه رَحِمَهُ اللهُ أيضاً قال: قال رَحِمَهُ اللهُ: «لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد»^(٢).

وعن عطاء رَحِمَهُ اللهُ قال: «يقول ناس: الصفر وجع يأخذ في البطن»^(٣).

✽ أقوال أهل العلم:

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «ويجوز أن يكون المراد هذا - أي: أنه داء يعدي - والأول - أي: النسيء - جميعاً، وأن الصفرين جميعاً باطلان لا أصل لهما ولا تصريح على واحد منهما»^(٤).

وقال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله: «لا صفر»: معناه: أن العرب كانت تقول: الصفر حية في البطن، تصيب الإنسان والماشية، تؤذيه إذا جاع، وهي أعدى من الجرب عند العرب، فأبطل الشرع أنها تؤذي. وقيل في الصفر: إنه تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر. وقيل: إن أهل الجاهلية كان يستشئمون

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧١٧)، ومسلم (كتاب الطب، رقم ٢٢٢٠).

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٩١٨).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/٢١٤ - ٢١٥)

[المطبعة المصرية بالأزهر، ط ١، ١٣٤٩هـ].

(٥) شرح السنة (١٢/١٧١) [المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ].

(٦) مفتاح دار السعادة (٣/٢٨٠) [دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٧) معجم المناهي اللفظية (٣٤٠) [دار العاصمة].

عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»،
لجار محمد بن عبد العزيز.

٢ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

٣ - «غريب الحديث»، لأبي عبيد
القاسم بن سلام.

٤ - «القول المفيد على كتاب
التوحيد»، لابن عثيمين.

٥ - «معالم السنن»، للخطابي.

٦ - «مفتاح دار السعادة»، لابن القيم.

٧ - «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.

٨ - «معجم المناهي اللفظية»، لبكر
أبي زيد.

٩ - «لطائف المعارف»، لابن رجب.

١٠ - «النهاية في غريب الحديث»،
لابن الأثير.

❏ الصلاة على الأنبياء وغيرهم ❏

يراجع مصطلح (الصلاة على النبي ﷺ).

❏ الصلاة على النبي ﷺ ❏

❖ التعريف لغة:

الصَّلَاة: مصدر الفعل الثلاثي المعتلّ
الآخر (صَلَّى)؛ ومعناها: الدُّعاء،
والرحمة، والثناء. ومنه الحديث: «إذا
دُعِيَ أحدكم فليجب، فإن كان صائماً
فليصل، وإن كان مفطراً فليطعم»^(١)،

(١) أخرجه مسلم (كتاب النكاح، رقم ١٤٣١)، وأبو
داود (كتاب الصوم، رقم ٢٤٦٠)، من حديث =

الآخر من شهر صفر هو أنحس أيام
العام، ويستندون في ذلك إلى حديث
موضوع يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن
رسول الله ﷺ قال: «آخر أربعاء في
الشهر يوم نحس مستمر»^(١).

وزعموا أنّ بعض العارفين ذكر أنه ينزل
في كل سنة ثلاثمائة وعشرون ألفاً من
البليات، وكل ذلك في يوم الأربعاء
الآخر من صفر، فيكون ذلك اليوم أصعب
أيام السنّة، وابتدعوا لذلك صلوات
وأذكّاراً ودعوات تحفظ من هذه البليات!
وهذا من البدع المنكرة والضلالات
المردية والاعتقادات الفاسدة.

وقد قال مالك رحمته الله: الأيام كلها
أيام الله، وإنما يفضل بعضها بعضاً بما
جعل الله من الفضل فيما أخبر بذلك
رسول الله ﷺ.

وجماع القول: أن التشاؤم بشهر صفر
بأي صورة من صور التشاؤم وهو مما
حرّمه الإسلام، ونهى عنه؛ لما في ذلك
من شوائب الشرك والبدع المحدثّة التي
تقدح في التوحيد وتنافي كماله^(٢).

❖ المصادر والمراجع:

١ - «بلوغ المني والظفر في بيان لا

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٦/٥٨٤) [دار
الغرب، ط١]، وهو حديث موضوع. انظر:
الموضوعات لابن الجوزي (٢/٣٤٥) [أضواء السلف،
ط١، ١٤١٨هـ]، والسلسلة الضعيفة (٤/٨٣).

(٢) انظر: معجم المناهي اللفظية (٣٤٥).

ومعنى (فليصل): فليدع لهم بالخير والبركة؛ كما جاء مفسراً بمعناه من أحد رواة الحديث^(١).

النبي (والنبيء): المُخْبِر عن الله ﷻ؛ مأخوذ من (النَّبَأ)؛ أي: الخبر؛ لأنه أنبأ عن الله ﷻ. وقيل: بل مأخوذ من (النَّبُوَة)؛ أي: الارتفاع؛ كأنه مُفَضَّل على الناس برفع منزلته. والجمع: أنبياء، ونُبَّاء، وأنباء، ونبيئون. والاسم: النُّبُوَة^(٢).

وهذا هو التعريف الصحيح للصلاة على النبي ﷺ، خلافاً للقول المشهور عند المتأخرين بأن الصلاة من الله هي: الرحمة، ومن العبد: الدعاء^(٤)، وقصره على ذلك.

والصحيح ما ذكرناه، وهذا الشناء والتعظيم مستلزم للرحمة والمغفرة ولا بد، لكن لا يصح قصر تفسير الصلاة على الرحمة وحدها.

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

الصلاة لغة هي الدعاء والتبريك والثناء، ولا بد فيها من كلام؛ فهي نوع من الكلام الطلبي والخبري والإرادة؛ فحقيقتها: ثناء من المصلي على من يصلي عليه، وتنويه به، وإشارة لمحاسنه ومناقبه وذكره، وإرادة لإكرامه وتقريبه وإعلاء منزلته^(٥). وهذه المعاني هي الحقيقة الشرعية والتعريف المختار للصلاة على النبي ﷺ.

التعريف شرعاً:

الصلاة على النبي ﷺ: هي من الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة وتعظيمه وتكريمه، والعناية به، وإظهار شرفه وفضله وحرمته ودعوته، وإعلاء ذكره، وإبقاء شريعته. وصلاة الملائكة وغيرهم عليه: طلب ذلك له من الله تعالى. والمراد: طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة^(٣).

= أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال هشام بن حسان - أحد رواة الحديث - في رواية أبي داود: «والصلاة: الدعاء».

(١) انظر: الصحاح (٢٤٠٢/٦) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٣٠٠/٣) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٦٨١) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: الصحاح (١٧٤/١، ٧٤٠/٦)، ومقاييس اللغة (٣٨٤/٥)، والقاموس المحيط (٦٧).

(٣) انظر: المنهاج في شُعب الإيمان للحلي (١٣٤/٢) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩هـ]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥٠/٣) [مطبعة عيسى البابي الحلبي]، وجلاء الأفهام لابن القيم (١٦٨، ١٧٨).

[دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ]، وتفسير ابن كثير (٤٥٧/٦) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٥٣٣/٨، ١٠٦/١١) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، والقول البديع للسخاوي (٥٠، ٥٢) [دار المنهاج، جدة، ط ٢، ١٤٢٨هـ]، وفتح المغيث له (١٠/١) [دار المنهاج، الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٤) انظر للرَّد على هذا القول: جلاء الأفهام (١٦٤) - (١٧٩).

(٥) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم (١٦٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٧٥).

بامتثال أمره، وقضاء حق النبي ﷺ علينا.

والمواظبة عليها من باب أداء شكره ﷺ، وشكره واجب؛ لما عظم منه من الإنعام؛ فإنه - بفضل الله ومنته علينا - سبب نجاتنا من الجحيم، ودخولنا في دار النعيم، وإدراكنا الفوز بأيسر الأسباب، ونيلنا السعادة من كل الأبواب، ووصولنا إلى المراتب السنية والمناقب العلية بلا حجاب.

فليست صلاتنا على النبي ﷺ شفاعة منا له؛ فإن مثلنا لا يشفع لمثله، ولكن الله أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا وأنعم علينا، فإن عجزنا عن ذلك كافأناه بالدعاء؛ فأرشدنا الله ﷻ - لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا ﷺ - إلى الصلاة عليه؛ لتكون صلاتنا عليه مكافأة بإحسانه إلينا وإفضاله علينا، وإحسانه مستمر لا ينقطع.

فالصلاة على النبي ﷺ فيها دلالة على نصوع العقيدة، وخلوص النية، وإظهار المحبة، والمداومة على الطاعة، والاحترام للواسطة الكريمة.

وفضائلها أكثر من أن تُحصى، وتاركها متعرض للعقوبات الكثيرة.

والصلاة على النبي ﷺ واجبة في الجملة على كل مكلف، بإجماع العلماء - واختلف في وقت وجوبها وموضعها

ويقال أيضًا: إنه قيل: إن أصل الصلاة في اللغة: التعظيم والتكريم، ومنه سميت الصلاة المخصوصة صلاة؛ لما فيها من تعظيم الرب ﷻ^(١). وهذا التعظيم والتكريم هو من لوازم الثناء وتوابعه، الذي هو المعنى الشرعي المختار للصلاة على النبي ﷺ.

ويمكن أن يقال أيضًا: «إن الصلاة من (الصَّلَة)، ولا شك أن الثناء على رسول الله ﷺ في الملاء الأعلى من أعظم الصَّلَات؛ لأنَّ الثناء قد يكون أحيانًا عند الإنسان أهمَّ من كُلِّ حال، فالذكرى الحسنة صلة عظيمة»^(٢).

فيظهر من هذه الأوجه كلها أن بين المعنى اللغوي والشرعي تناسبًا وتوافقًا واضحًا.

المنزلة:

الصلاة على النبي ﷺ من أعظم القربات، وأجل الطاعات، وأوجب شعب الإيمان، وأنفع أدعية العبد له في دنياه وآخرته؛ محبة له ﷺ، وأداء لحقه، وتوقيرًا له وتعظيمًا، فهي من لوازم وتمام محبته وتعظيمه وتوقيره ﷺ.

فحقيققتها: التقرب إلى الله تعالى

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٥٠/٣).

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع (١٦٤/٣) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٢هـ]. وانظر: الصحاح (٥/١٨٤٢)، والقاموس المحيط (١٣٨٠)، والصلوات والبشر (٢٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ].

الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الشاء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً! (٣)، ففي هذه الآية من تعظيمه ﷺ والتنويه به ما ليس في غيرها إجماعاً (٤).

وثبت في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال: «من صَلَّى عَلَيَّ واحدة؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا» (٥)، وثبت في حديث أَبِي بِن كعب رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله؛ إني أكثر الصلاة عليك؛ فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئت؛ قال: قلت: الربع؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك؛ قلت: النصف؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك؛ قلت: فالثلثين؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك؛ قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إِذْنُ تُكْفِي هَمَّكَ وَيُغْفِرَ لَكَ ذَنْبَكَ» (٦). وثبت في حديث أَبِي بَرْدَةَ بَن

عَلَى أَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ (١)، -، وهي واجبة في كل حين وجوب السُّنَنِ الْمُؤَكَّدَةِ التي لا يسع تركها، ولا يغفلها إلا من لا خير فيه (٢).

الأدلة:

دَلَّ عَلَى فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهَا: الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ الْمُتَوَاتِرَةُ، وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ:

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب]، وهي ظاهرة الدلالة على فضل الصلاة على النبي ﷺ، ووجوبها في الجملة على كل مكلف، وفيها إخبار من الله تعالى لعباده «بمنزلة عبده ونبيه ﷺ عنده في المَلَأِ الْأَعْلَى؛ بأنه يثني عليه عند

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٦/١٩١) مؤسسة قرطبة، مصر (مصورة عن الطبعة المغربية)، والشفا للقاضي عياض (٢/٦٢٧) [طبعة عيسى البابي الحلبي]، وجلاء الأفهام (٤٥٣)، وفتح الباري لابن حجر (١١/١٥٢)، والقول البديع للسخاوي (٥٨)، والمواهب اللدنية للقسطلاني (٣/٣٢٢) [المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٢٥هـ]، وروح المعاني للآلوسي (٢٢/٨١) [إدارة الطبعة المنيرية].

(٢) انظر: المنهاج في شُعْبِ الْإِيمَانِ لِلْحَلِيمِيِّ (٢/١٣٤)، وعارضة الأحوذِي لابن العربي (٢/٢٦٩) [دار الكتب العلمية]، والمحَرَّرُ الْوَجِيزُ لابن عَطِيَّةَ (٧/١٤٥) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، ط ٢، ١٤٢٨هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/٢٣١) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، وبدائع الفوائد لابن القيم (٢/٦٨٨) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ]، وجلاء الأفهام (٥٢١) وما بعدها، والقول البديع (٨٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/٤٥٧).

(٤) انظر: فتح الباري (١١/١٥٦)، والقول البديع (٥٣).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٨) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه أيضًا بنحوه (كتاب الصلاة، رقم ٣٨٤) ضمن حديث سؤال الوسيطة، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٥٧) وحسنه، وأحمد في مسنده (٣٥/١٦٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١] مختصرًا بنحوه، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير، رقم ٣٥٧٨) =

تعالى على رسوله ﷺ هو من أجلّ أدعية العبد، وأنفعها له في دنياه وآخرته»^(٣).

وقال أيضًا: «الصلاة على النبي ﷺ متضمنة لذكر الله وشكره، ومعرفة إنعامه على عبده بإرساله؛ فالمصلي عليه ﷺ قد تضمنت صلاته عليه ذكر الله وذكر رسوله، وسؤاله أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهله؛ كما عرفنا ربنا وأسماءه وصفاته، وهدانا إلى طريق مرضاته، وعرفنا ما لنا بعد الوصول إليه والقدوم عليه، فهي متضمنة لكل الإيمان؛ بل هي متضمنة للإقرار بوجود الرب المدعو، وعلمه وسمعه وقدرته وإرادته وصفاته وكلامه، وإرسال رسوله، وتصديقه في أخباره كلها، وكمال محبته، ولا ريب أن هذه هي أصول الإيمان؛ فالصلاة عليه ﷺ متضمنة لعلم العبد ذلك، وتصديقه به، ومحبته له؛ فكانت من أفضل الأعمال»^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المواضع والأوقات التي يشرع فيها الصلاة عليه ﷺ استحبابًا أو وجوبًا:

هذه المواضع كثيرة - وكثير منها لا يثبت بدليل صحيح -^(٥) ومنها: في آخر التشهد الأخير، وآخر التشهد الأول،

(٣) بدائع الفوائد (٢/٦٨٨)، بتصرف يسير.

(٤) جلاء الأفهام (٥٣٤).

(٥) انظر: جلاء الأفهام (٣٨٠ - ٥٢٠)، والقول البديع للسخاوي (٣٥٦ - ٤٩٥).

نيار عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى علي من أمتي صلاة مخلصًا من قلبه؛ صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفع به عشر درجات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات»^(١). والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وأجمعت الأمة على فضل الصلاة على النبي ﷺ، وعلو منزلتها، وعظيم درجتها، وأنها واجبة في الجملة على كل مؤمن.

أقوال أهل العلم:

قال أبو العالية في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]: «صلاة الله عليه: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدُّعاء»^(٢).

قال ابن القيم: «طلب الصلاة من الله

= وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٦٧٠) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (١٦٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]، والطبراني في الكبير (٢٢/١٩٥) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/١٦٧) [دار المعرفة]: «رواه ثقات»، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣٦٠).

(٢) علَّقه البخاري في صحيحه (٣/٢٨٠) [المكتبة السلفية بالقاهرة، ط ١، ١٤٤٠هـ]، ووصله: ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في فتح الباري (٨/٥٣٣)، والدُّر المنثور للسيوطي (١٢/٧٢) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٤هـ] -، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة برقم (٩٥) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٩٧٧م]، وصحَّحه الألباني في تحقيقه لفضل الصلاة.

إِنَّكَ حميد مجيد»^(٣).

والأولى التنوع بين هذه الصَّيغ الواردة؛ بأن يأتي بهذه تارة، وبغيرها أخرى؛ لئلا يؤدي لزوم إحدى الصيغ إلى هجر الصيغ الأخرى الثابتة، لما في ذلك من الفوائد الكثيرة التي لا يتطلَّب تحصيلها^(٤).

ولا يشرع الجمع والتلفيق بين هذه الألفاظ لتخرج في صيغة واحدة مجموعة منها؛ بل هو بدعة مخالف للسُّنَّة، كما هي القاعدة المتقرَّرة في العبادات الواردة على وجوه متنوِّعة^(٥).

- المسألة الثالثة: ما ذكره العلماء في كتب المصطلح وآداب طالب الحديث من أنَّه^(٦):

ينبغي على طالب العلم والنَّاسخ

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٦٩)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٧)، وعنده: «وعلى أزواجه» بزيادة: (على) في الموضَّعين.

(٤) انظر هذه الفوائد في: مجموع الفتاوى (٢٤/٢٤٧).

(٥) انظر الكلام على هذه القاعدة في: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٣٥/٢٢، ٤٥٨، ٢٤/٢٤٢)، والفتاوى الكبرى له (٣٣٢/٥) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ]، ومنهاج السُّنَّة النبويَّة له (١٢٦/٦) [طبعة جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ]، وجلاء الأفهام (٣٧٣)، وقواعد ابن رجب (١٤) [مكتبة الكليات الأزهرية، ط ١، ١٣٩١هـ]، والشرح الممتع (٢/ ٥٦، ٢٩/٣، ٩٨).

(٦) انظر مثلاً: شرح صحيح مسلم للنووي (١/٣٩) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ]، ورسوم التحديث في علوم الحديث للجعبري (١٢٢) [دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ]، وفتح المغيث للسخاوي (٣/٤٣، ٤٧)، وتدريب الرَّاوي للسيوطي (١/٥٠٣) [مكتبة الكوثر بالرياض، ط ٢، ١٤١٥هـ].

وآخر القنوت، وكلَّما ذكر اسمه ﷺ، وفي صلاة الجنازة، وبعد إجابة المؤذن، وغير ذلك.

- المسألة الثانية: الصَّيغ المأثورة عن النبي ﷺ في كَيْفِيَّة الصلاة عليه، في الصلاة وغيرها:

قد وردت في ذلك عدَّة صيغ صحيحة^(١)؛ أصحها وأشهرها: الصيغتان اللتان علَّمهما النبي ﷺ لأصحابه ﷺ، وقد اتفق على إخراجهما البخاري ومسلم في صحيحيهما؛ وهما:

الأولى: من حديث كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وهي: «اللَّهُمَّ صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ إِنَّكَ حميد مجيد». اللَّهُمَّ بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ إِنَّكَ حميد مجيد»^(٢).

والأخرى: من حديث أبي حميد السَّاعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وهي: «اللَّهُمَّ صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم؛

(١) جمعها الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتابه: صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها (١٦٥) [مكتبة المعارف، الرياض، ط ٢، ١٤١٦هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٧٠)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٦)، وعنده: «كما صليت على آل إبراهيم... كما باركت على آل إبراهيم».

والزَّيَادَةُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْكَرَامَةِ، وَقِيلَ:
الثَّبَاتُ عَلَى ذَلِكَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: بَرَكْتَ
الْإِبِلُ؛ أَي: ثَبَتَتْ عَلَى الْأَرْضِ، وَمِنْهُ:
بَرَكَةُ الْمَاءِ. وَقِيلَ: التَّزْكِيَةُ وَالتَّطْهِيرُ مِنَ
الْعُيُوبِ كُلِّهَا.

فالتَّبَرُّكُ يَجْمَعُ بَيْنَ: الزَّيَادَةِ وَالذَّوَامِ
وَالثَّبَاتِ؛ فَمَعْنَى «وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ»: اللَّهُمَّ أَثْبَتْ وَأَدِّمْ ذِكْرَ
مُحَمَّدٍ وَدَعْوَتَهُ وَشَرِيعَتَهُ، وَمَا أُعْطِيَتْهُ مِنَ
التَّشْرِيفِ وَالْكَرَامَةِ، وَضَاعَفْهُ وَزِدْهُ، وَكَثِّرْ
أَتْبَاعَهُ وَأَشْيَاعَهُ.

فحاصله: أَنْ يُعْطُوا مِنَ الْخَيْرِ أَوْفَاهُ،
وَأَنْ يَثْبِتَ ذَلِكَ لَهُمْ وَيَسْتَمِرَّ دَائِمًا.

❁ الثَّمَرَاتُ:

ثَمَرَاتُ وَفُضَائِلُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ
أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى - وَكَثِيرٌ مِنْهَا لَا يَثْبِتُ
بِدَلِيلٍ صَحِيحٍ - ^(٢)؛ وَمِنْهَا: رَفْعُ
الدَّرَجَاتِ، وَمَحْوُ السَّيِّئَاتِ، وَصَلَاةُ اللَّهِ
تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ، وَأَنَّهَا سَبَبُ لَغْفَرَانِ
الدَّنُوبِ، وَنِيلُ الرَّحْمَاتِ وَالْبَرَكَاتِ،
وَكَفَايَةُ اللَّهِ الْعَبْدَ مَا أَهَمَّهُ، وَأَنَّهَا سَبَبُ
لِقَضَاءِ الْحَوَائِجِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَتَارِكُهَا مُتَعَرِّضٌ لِلْعُقُوبَاتِ الْكَثِيرَةِ ^(٣)؛
وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ بِالْإِبْعَادِ وَحُصُولِ الشَّقَاءِ،

الأفهام (٣٥٤)، وفتح الباري (١١/١٦٢)، والقول
البيدع (٢١١).

(٢) انظر: جلاء الأفهام (٥٢١ - ٥٣٦)، والقول البيدع
للسخاوي (٢٣٥ - ٣٠١).

(٣) انظر: القول البيدع للسخاوي (٣٠٢ - ٣٢٢).

وَنَحْوُهُمَا الْمَحَافِظَةُ عَلَى كِتَابَةِ الصَّلَاةِ
وَالتَّسْلِيمِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا كَتَبَهُ،
وَلَا يَسَامُ مِنْ تَكَرُّارِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي
الْأَصْلِ، وَيُسْتَحَبُّ التَّلْفِظُ بِهِمَا بِلِسَانِهِ مَعَ
ذَلِكَ أَيْضًا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَكْثَرِ الْفَوَائِدِ الَّتِي
يَتَعَجَّلُهَا طَالِبُ الْحَدِيثِ، وَمَنْ أَغْفَلَ ذَلِكَ
فَقَدْ حَرَّمَ حَقًّا عَظِيمًا! وَأَنَّهُ يَكْرَهُ الْاِقْتِصَارَ
عَلَى الصَّلَاةِ دُونَ التَّسْلِيمِ، وَيَكْرَهُ أَيْضًا
اِقْتِصَارَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَالرَّمْزَ لَهُمَا
- بِحَرْفٍ أَوْ حَرْفَيْنِ - بِنَحْوِ: (صَلِّعُمْ)، أَوْ:
(ص)، وَنَحْوَهُمَا، كَمَا يَفْعَلُ الْكَسَالِيُّ
وَعَوَامُ الطَّلَبَةِ؛ بَلْ يَكْتُبُ الصَّيْغَةَ بِكَمَالِهَا.
وَكَرِهُوا أَيْضًا فَصْلَ الْمُضَافِينَ فِي سَطْرَيْنِ،
خُصُوصًا نَحْوُ: رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَمَا أَشْبَهَهُ.

❁ الْفُرُوقُ:

الْفَرْقُ بَيْنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ، وَالسَّلَامِ
عَلَيْهِ، وَالتَّبَرُّكِ عَلَيْهِ ﷺ:

تَقْدِمُ أَنَّ مَعْنَى صَلَاةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى
نَبِيِّهِ ﷺ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ
وَتَعْظِيمُهُ وَتَكْرِيمُهُ.

وَمَعْنَى السَّلَامِ عَلَيْهِ: دَعَاءُ الدَّاعِي لَهُ
بِأَنْ يَسَلِّمَهُ اللَّهُ ﷻ وَيَحْصِنَهُ مِنْ جَمِيعِ
النَّقَائِصِ وَالْآفَاتِ وَالْمَكَارِهِ، فِي حَيَاتِهِ
وَبَعْدَ مَوْتِهِ.

وَمَعْنَى الْبَرَكَةِ وَالتَّبَرُّكِ عَلَيْهِ ^(١):

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٤/١٢٥)،
والنهاية في الغريب (١/١٢٠)، وجلاء

منه! فهذه اللوازم هي مما يتصف به المخلوق أيضًا، فإن كان إثباتها لله تعالى لا يقتضي تمثيلًا ولا تشبيهًا فكذلك الرحمة ونحوها من صفاته تعالى، وإلا لزم المحذور ووقعوا في التناقض لا محالة!

فالواجب - وهو المذهب الحق، مذهب أهل السنة والجماعة وسلف الأمة - إثبات صفات الله تعالى حقيقة، من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل.

أما قولهم بأن الدعاء من الله تعالى مستحيل وغير معقول؛ فيقال^(٣): الدعاء طلب، والطلب يتضمن أمورًا ثلاثة: طالبًا، ومطلوبًا، ومطلوبًا منه، ولا تتقوم حقيقته إلا بهذه الأركان الثلاثة، وتغاير هذه ظاهر إذا كان الطالب يطلب شيئًا من غيره؛ كمن يأمر غيره أو ينهاه ويستفهمه، أما إذا كان طالبًا من نفسه؛ فهنا يكون الطالب هو المطلوب منه، ولم يكن هنا إلا ركنان: طالب ومطلوب، والمطلوب منه هو الطالب نفسه. وطلب الإنسان من نفسه غير مشكل؛ لأن الطلب من باب الإرادات، والمريد كما يريد من غيره أن يفعل شيئًا؛ فكذلك يريد من نفسه هو أن يفعل؛ فكذلك يطلب من نفسه،

ووصفه بأنه أبخل الناس، وأنه يتحسر يوم القيامة، إلى غير ذلك من العقوبات والخسارات!

❁ مذهب المخالفين:

تقدم أن التفسير المشهور للصلاة على النبي ﷺ عند المتأخرين هو: الرحمة، وقد ردَّ طائفة من الناس هذا التفسير - وهو مردود لكن بغير هذا - بحجة أن الرحمة معناها: رقة القلب أو الطبع، وهذا المعنى مستحيل في حق الله تعالى! كما أن الدعاء منه ﷺ مستحيل^(١) و«غير معقول في حق الله تعالى؛ فإنه لا يدعو له - يعني: لنبه ﷺ -؛ لأن الدعاء للغير طلب نفعه من ثالث!»^(٢).

وهذا القول حقيقته: إنكار رحمة الله تعالى جملة؛ بل إنكار جميع صفاته ﷺ! وهذه الشبهة - وهي خوف تمثيل وتشبيه الخالق بالمخلوقين - هي أصل ضلال الجهمية المعطلة، ومن تبعهم من المعتزلة، والكلائية، والأشاعرة، والماتريدية، وغيرهم. وهم يتأولون الرحمة بإرادة لوازمها؛ كالرضا، وإيصال الخير والنفع للعبد، والمعونة، ونحو ذلك.

وهم بذلك قد وقعوا في نظير ما فروا

(١) انظر: جلاء الأفهام (١٧٩).

(٢) تفسير الرازي (١٨٣/٢٥) [دار إحياء التراث العربي، بيروت].

(٣) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٦٤٢/٢).

الصلاح والأصلح

التعريف لغة:

الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد. يقال صلح الشيء يصلح صلاحاً^(١). والإصلاح: نقيض الإفساد. والاستصلاح: نقيض الإفساد. وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه. وأصلح الدابة: أحسن إليها فصَلَحَتْ^(٢). والأصلح بمعنى الأفضل فيما يصلح العبد.

التعريف اصطلاحاً:

هو الاعتقاد بأن الله وَكَفَى يجب عليه فعل الصلاح والأصلح لعباده^(٣).

الحكم:

يرى المعتزلة القدرية وجوب فعل الصلاح من الله تعالى نحو عباده، وأنه ﷻ يجب عليه أن يفعل بكل عبد ما هو الأصلح له في دينه، وتنازعوا في وجوب الأصلح في دنياه^(٤).

(١) مقاييس اللغة (٣/٣٠٣).

(٢) لسان العرب (٢/٥١٧) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ].

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار

(٣٠١)، والمغني في أبواب العدل والتوحيد (١٤/

٣٥) [دار الكتب بمصر، ط ١]، ومجموع الفتاوى

لابن تيمية (٨/٩٠).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٩٠ - ٩٣)، ومنهاج

السنة النبوية (١/٤٥٤).

والإنسان قد يأمر نفسه وينهاها. فإذا كان معقولاً أن الإنسان يأمر نفسه وينهاها - والأمر والنهي طلب، مع أن فوقه أمراً ونهاياً -؛ فكيف يستحيل ممن لا أمر فوقه ولا ناهي أن يطلب من نفسه فعل ما يحبه وترك ما يبغضه؟! كما كتب ربنا ﷻ على نفسه الرحمة ونصر المؤمنين وغير ذلك، وحرّم عليها الظلم وتعذيب المؤمنين وغير ذلك.

فالصلاة من الله تعالى على نبيه ﷺ طلب من نفسه له بالثناء عليه وتعظيمه وتكريمه؛ فلا يشكل عليها بما ذكر. والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

- ١ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج ٢)، للحليمي.
- ٢ - «التمهيد» (ج ١٦)، لابن عبد البر.
- ٣ - «الشفاء» (ج ٢)، للقاضي عياض.
- ٤ - «المحرر الوجيز» (ج ٧)، لابن عطية.
- ٥ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ١٤)، للقرطبي.
- ٦ - «جلاء الأفهام»، لابن القيم.
- ٧ - «تفسير ابن كثير» (ج ٦).
- ٨ - «فتح الباري» (ج ١١)، لابن حجر.
- ٩ - «القول البديع»، للسخاوي.
- ١٠ - «تفسير السعدي».

الحقيقة:

والمؤمنين^(٢).

وقال ابن تيمية: «فالقدرية يقولون: يجب على الله رعاية الأصلح - أو الصلاح - في كل شخص معين، ويجعلون ذلك الواجب من جنس ما يجب على الإنسان. فغلطوا حيث شبهوا الله بالواحد من الناس، فيما يجب عليه ويحرم عليه، وكانوا هم مشبهة الأفعال»^(٣).

وقال ابن أبي العز الحنفي: «وهم مشبهة الأفعال؛ لأنهم أفعال الله تعالى على أفعال العباد، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه، وما يقبح من العباد يقبح منه، وقالوا: يجب عليه أن يفعل كذا، ولا يجوز أن يفعل كذا، بمقتضى ذلك القياس الفاسد»^(٤).

مذهب المخالفين:

المخالفون في الصلاح والأصلح على قولين:

الأول: المعتزلة، قالوا بأنه يجب على الله ﷻ فعل الصلاح لعباده، ويسمونها كثير منهم بمسألة اللطف، ومن هنا يصرحون بأن الله واجب عليه أن يفعل لعباده كل ما يوصلهم إلى حسن العاقبة في الآخرة، لذا يقولون:

(٢) الفصل في الملل لابن حزم (٣/ ٩٢) [مكتبة الخانج].

(٣) منهاج السنة (٦/ ٣٩٦ - ٣٩٧).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٩٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤١هـ].

إن مسألة الصلاح والأصلح أو ما يسمونه اللطف هي من دعاوى المعتزلة الفجة في كلامهم عن الله ﷻ، حيث أوجبوا عليه ذلك بمقتضى النظر العقلي، وهو قول خالفوا به أهل الإسلام قاطبة مبني على قولهم في العدل الذي اشتهر قولهم به.

قال عبد الجبار المعتزلي: «ونحن إذا وصفنا القديم تعالى بأنه عدل حكيم، فالمراد به أنه لا يفعل القبيح أو لا يختاره ولا يخل بما هو واجب عليه، وأن أفعاله كلها حسنة»^(١). بهذا القانون العقلي المبتدع ادّعى المعتزلة أن الله ﷻ يجب عليه فعل الصلاح أو الأصلح لعباده جميعهم.

أقوال أهل العلم:

قال ابن حزم رحمه الله: «وضل جمهور المعتزلة في فصل من القدر ضللاً بعيداً فقالوا بأجمعهم - حاشا ضرار بن عمرو وحفصاً الفرد وبشر بن المعتمر ويسيراً ممن اتبعهم - أنه ليس عند الله تعالى شيء أصلح مما أعطاه جميع الناس كافرهم ومؤمنهم، ولا عنده هدي أهدى مما قد هدى به الكافر والمؤمن هدىً مستويًا، وأنه ليس يقدر على شيء هو أصلح مما فعل بالكفر

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٣٠١).

قَدِيرٌ ﴿٢٢﴾ [المائدة]، فلا شيء يخرج عن قدرة الله ﷻ ومملكه وتدبيره وتصرفه، فمن أين أتى هؤلاء المعتزلة بتلك التحديدات لقدرة الله ﷻ والتعجيز له ﷻ وهو القائل عز من قائل: ﴿وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ﴿٤٤﴾ [فاطر].

أما في باب الهداية والدعوة للحق فقد بيّن ﷻ أنه لو شاء لآمن الناس كلهم ولهداهم في نصوص كثيرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ [السجدة]، وقال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَئِيعٌ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢﴾ إن شَاءَ نَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٩٩﴾ [يونس]، قال ابن جرير في بيان معنى الآية: «يقول - تعالى ذكره - لنبيه: ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾، يا محمد ﴿رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ بك، فصَدَّقوك أنك لي رسول، وأن ما جئتكم به وما تدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له حق، ولكن لا يشاء ذلك؛ لأنه قد سبق من قضاء الله قبل أن يبعثك رسولا أنه لا يؤمن بك ولا يتبعك

إن الله ﷻ قد فعل بعباده كل ما يصلحهم وليس في قدرته أكثر من ذلك^(١).

وقولهم هذا ينسجم مع موقفهم من القدر عموماً وما يسمونه بالعدل الذي أقاموه على عدل هم يرونه ويسيئون فعل الله ﷻ بفعل خلقه، فالعدل من الخلق هو العدل من الله ﷻ وقد ذكر كلامهم بشيء من التطويل حتى يدرك المسلم مدى ما ينحدرون إليه من الكلام عن الله ﷻ وأن تصوراتهم في القدر مبنية على نظر قاصر بل عدم التوقير لله ﷻ مع البعد عن المصدر الصحيح في كل ما يتعلق بالله ﷻ ودينه، وهو كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ.

ومن تأمل نصوص القرآن والسنة وجد أن كلام المعتزلة في واد وما يقرره الكتاب والسنة من الحق في واد آخر.

فقولهم إن الله لا يقدر على لطف يفعل بعباده أكثر مما فعل أو أن ما فعل هو الغاية في إصلاحهم ونحو هذه التخاريف يتعارض مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٥١٩)، ومقالات الإسلاميين للأشعري (١٩٦/١) [المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٦هـ]، وغاية المرام للأمدى (٢٢٤) [المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة]، ومنهاج السنة (٣٩٦/٦).

وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل]، وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص]، وقال: ﴿أَفَنُزِّنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فِرَاءَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر].

فهذه النصوص التي أجمع علماء الإسلام المعتبرين فيها على أن من شاء الله ﷻ هداه ومن شاء أضله، وأن من اهتدى فإن الله هو الذي هداه فضلاً منه ونعمة، ومن ضلَّ فإن الله هو الذي حرمه الهداية ولم يوفقه لها عدلاً منه.

قال الطحاوي: «يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً»^(٢).

وقال ابن القيم: «وقد اتفقت كل رسل الله من أولهم إلى آخرهم وكتبه المنزل عليهم على أنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأن الهدى والضلال بيده لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي، فالهداية

فيصدقك بما بعثك الله به من الهدى والنور، إلا من سبقت له السعادة في الكتاب الأول قبل أن تخلق السماوات والأرض وما فيهن»^(١).

فهذه آيات صريحة بأن قدرة الله ﷻ لا يحدها شيء، وأن لديه من الألفاظ والقدرة ما لو أراد به لكان الناس طيفاً واحداً، وهو الإيمان والاستقامة على الطاعة، وأن المانع من ذلك وحده هو أنه لم يشأ ذلك فجميع تلك الآيات وغيره معلقة بالمشيئة.

ومن الأدلة على بطلان كلام المعتزلة وفساده أن الله ﷻ علق الهداية بمشيئته، وهي مشيئة منضبطة بالحكمة والعلم، قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة]، وقال: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام]، وقال: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوِيمٍ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم]،

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفى (١٠٦) [وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف، ط ١، ١٤١٨هـ].

(١) تفسير الطبري (٢١١/١٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

الراحمين يفعل هذا؟! يريد أنه ليس له رحمة»^(٣).

وهذا القول يعود إلى تلك أصولهم المتعلقة بالقدر من نفي الحكمة والقول بنفي التحسين والتقبيح العقلي، لذا قالوا لا يجب على الله ﷻ شيء يتفق مع الحكمة أو لا يتفق، والحق فيما يتعلق بالحكمة وكذلك التحسين والتقبيح أن أفعال الله ﷻ تدور مع الحكمة مع أنه لا غالب له، ولا حاكم عليه، ولا موجب ومحتم عليه سبحانه من خلقه، وأن الواجب هو ما أوجبه على نفسه تفضلاً وجوداً ورحمة وتكرماً.

قال شيخ الإسلام: «قول الجمهور: إن الله عليم حكيم رحيم، قائم بالقسط، وإنه سبحانه كتب على نفسه الرحمة، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، كما نطقت بذلك نصوص الكتاب والسنة، وكما يشهد به الاعتبار حساً وعقلاً، وذلك واقع منه بحكمته ورحمته، وبحكم أنه كتب على نفسه الرحمة، وحرّم على نفسه الظلم، لا بأن الخلق يوجبون عليه ويحرمون، ولا بأنه يشبه المخلوق فيما يجب ويحرم؛ بل كل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، وليس لمخلوق عليه حق، إلا ما أحقه هو على نفسه المقدسة؛ كقوله: ﴿كُتِبَ

والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه»^(١).

وبهذا كله يتبين أن دعوى المعتزلة في وجوب الصلاح عليه ﷻ لخلقه دعوى ليس لها ما يسندها من كلام الله ﷻ أو كلام رسوله ﷺ.

الثاني: الأشاعرة ومن وافقهم، قال الأشاعرة بما يتفق مع مذهبهم في هذا الباب، فلما قالوا بنفي الحكمة عن الله ﷻ وقالوا بنفي التحسين والتقبيح العقلي جاء قولهم هنا متفقاً مع ذلك، حيث نفوا عن الله ﷻ رعاية الصلاح، فقالوا: ندعي أنه يجوز لله تعالى أن لا يكلف عباده، وأنه يجوز أن يكلفهم ما لا يطاق، وأنه يجوز منه إيلام العباد بغير عوض وجناية؛ وأنه لا يجب رعاية الأصلح لهم، وأنه لا يجب عليه ثواب الطاعة وعقاب المعصية... وأنه لا يجب على الله بعثة الرسل^(٢).

قال شيخ الإسلام: «والقدرية المجبرة الجهمية لا يثبتون له حكمة ولا رحمة؛ بل عندهم يفعل بمشيئة محضة، لا لها حكمة ولا رحمة. والجهم بن صفوان رأس هؤلاء، كان يخرج إلى المبطلين من الجذمي وغيرهم: فيقول: أرحم

(١) شفاء العليل (٦٥) [دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ].

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (٨٩) [دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ].

(٣) منهاج السنة النبوية (٦/٣٩٧) [جامعة الإمام، ط١].

❖ الصمد ❖

❖ التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الصاد والميم والذال أصلان: أحدهما: القُصْد، والآخر: الصَّلابة في الشَّيء. فالأوَّل: الصَّمَد: القصد. يقال صَمَدْتُهُ صَمَدًا. وفلان مُصَمَّدٌ، إذا كان سيِّدًا يُقَصَّدُ إليه في الأمور. وصَمَدٌ أيضًا. والله جلَّ ثناؤه الصَّمَد؛ لأنه يَصْمَدُ إليه عباده بالدُّعاء والطلب»^(٢).

وذكر الأزهري أن الصمد من أسماء الله، ثم نقل طائفة مما ذكر في معناه وخلاصته: أن (الصَّمَد) يكون بمعنى السيد الذي ينتهي إليه السُّودد في كل شيء، والمقصود الذي تتجه إليه الخلائق لقضاء حوائجها، والذي يسند إليه الأمر فلا يقضى دونه، والمُصَمَّت الذي لا جوف له، والدائم الباقي بعد فناء الخلق^(٣).

❖ التعريف شرعاً:

الصمد: هو «السيد الذي يصمد إليه في الحوائج»^(٤).

رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ ﴿[الأنعام: ٥٤]، وقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم]، وذلك بحكم وعده وصدقه في خبره، وهذا متفق عليه بين المسلمين، وبحكم كتابه على نفسه وحكمته ورحمته»^(١).

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «درء التعارض»، لابن تيمية.
- ٢ - «شرح الأصول الخمسة»، لعبد الجبار المعتزلي.
- ٣ - «المغني في مسائل العدل والتوحيد».
- ٤ - «مسألة في قول النبي ﷺ لمعاذ: «أتدري ما حق الله على العباد؟»، لابن تيمية.
- ٥ - «منهاج السُّنة»، لابن تيمية.
- ٦ - «التمهيد»، للباقلاني.
- ٧ - «جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح الإيمان بالقدر»، لأحمد بن عبد الله بن محمد.

- ٨ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٩ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

- ١٠ - «القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسُّنة ومذاهب الناس فيه»، لعبد الرحمن المحمود.

(١) المرجع السابق (٦/٣٩٧).

(٢) مقاييس اللغة (٣/٣٠٩) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٢/١٥٠ - ١٥١) [دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م].

(٤) تفسير سورة الإخلاص (٣٥) [الدار السلفية، بومباي، ط١]، وانظر: تفسير الطبري (٣٠/٣٤٤ - ٣٤٧) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ]، والتوحيد لابن منده (٢/٦٢) [مكتبة العلوم والحكم بالمدينة، ط١، ١٤٢٣هـ].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشعري:

دلت الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت اسم (الصمد) لله تعالى، فمنها قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص].

المعنى اللغوي لاسم (الصمد) يلتقي تمامًا مع المعنى الشرعي بل هو بعينه.

الحكم:

وثبت في السنة الحديث القدسي من رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، أما تكذيبه إياي: أن يقول: إني لن أعيده كما بدأته، وأما شتمه إياي؛ أن يقول: اتخذ الله ولدًا، وأنا الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفؤًا أحد»^(٣).

يجب الإيمان باسم الله الصمد؛ لدلالة الكتاب والسنة على ثبوت تسمية الله به^(١).

الحقيقة:

وجاء أيضًا من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه أنه قال: «سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلًا يدعو وهو يقول: اللَّهُمَّ إني أسألك، بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤًا أحد، قال: فقال: والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»^(٤).

اسم الله (الصمد) يدل على اتصاف الله بجملة أوصاف الكمال، ونفي النقائص عنه فالصمد هو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، والسيد الذي قد كمل في سؤده، والذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، والباقي الذي لا يفنى، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد^(٢).

المنورة، ط١، ١٤٢٠هـ.

وانظر: شأن الدعاء للخطابي (٨٥/١) [دار الثقافة، ط١، ١٤٠٤هـ]، والتوحيد لابن منده (٦٢/٢)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (١٢٣) [مكتبة دار البيان، ١٤٠٥هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٧٥).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٣)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٤٧٥) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٧)، وأحمد =

(١) انظر: درء التعارض (٢٤١/١)، و(٢٨٤) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢، ١٤١١هـ].

(٢) جاء هذا في أثر عن ابن عباس، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/٣٤٤ - ٣٤٧) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ]، وحسن إسناده حكمت بشر في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٦٨١/٤) [دار المآثر، المدينة

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن منده: «ومن أسماء الله ﷻ الصمد»^(١).

وقال ابن تيمية: «والاسم (الصمد) فيه للسلف أقوال متعددة قد يُظن أنها مختلفة؛ وليس كذلك؛ بل كلها صواب. والمشهور منها قولان؛ أحدهما: أن الصمد هو الذي لا جوف له. والثاني: أنه السيد الذي يُصمد إليه في الحوائج، والأول هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة. والثاني قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين والآثار المنقولة عن السلف بأسانيدھا في كتب التفسير المسندة وفي كتب السُّنة وغير ذلك»^(٢).

وقال ابن كثير: «وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السُّنة له»^(٣)، بعد إirاده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير (الصمد): وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا ﷻ وهو الذي يُصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه»^(٤).

✽ المسائل المتعلقة:

يتعلق بهذا الاسم صفة الصمدية التي يدل عليها اسمه الصمد، وهي تدل على كماله التام في جميع صفاته. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «واسمه الصمد ينفي أن يجوز عليه التفرق والانقسام وما في ذلك من التركيب والتجسيد، وذلك لأنه سبحانه وصف نفسه بالصمدية كما وصف بالأحادية، وهو سبحانه ليس كمثله شيء في جميع صفاته؛ بل هو كامل في جميع نعوته كمالاً لا يشبهه فيها شيء فهو كامل الصمدية كما أنه كامل الأحدية»^(٥).

وقال أيضاً: «فإن الصمد هو الذي لا يدخل فيه شيء، ولا يخرج منه شيء، فخرج الخارج ولو كان كرشح المسك ينافي الصمدية التي هي من لوازم الباري، فيكون لزوم الحدث للأكل دالاً على نفي إلهيته من هذه الجهة أيضاً. والصمدية هي المنافية للأكل والشرب وسائر ما يدخل ويخرج»^(٦).

✽ الآثار:

من آثار الإيمان باسم الله الصمد: أن

[١٤٠١هـ]، وانظر: تفسير السعدي (١/٩٣٧)، وفتح الرحيم الملك العلامة للسعدي (٥١) [دار ابن الجوزي، ط ٢].

(٥) بيان تلبس الجهمية (٣/٤٨٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١، ١٤٢٦هـ].

(٦) جامع المسائل (١/١١٧) [دار عالم الفوائد، ط ١].

= (٤٥/٣٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥/٢٢٩) [مؤسسة غراس، ط ١].

(١) التوحيد لابن منده (٢/٦٢).

(٢) تفسير سورة الإخلاص (٣٥) [الدار السلفية، ط ١].

(٣) هو كتاب مفقود.

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٥٧١) [دار الفكر، بيروت].

الصمد بأنه الذي لا جوف له، ذكر السورة ضمن المتشابه من الآيات والأخبار^(٣) الذي لا يحتج به في مذهبهم على الصفات، وإنما يؤول أو يفوض.

- إن تفسير اسم الله الصمد بأنه الذي لا جوف له ثابت عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، ورد ما كان كذلك باطل لا محالة.

- إن جعل (الصمد) بوزن (فَعَل) بمعنى (مفعول) فقط غير صحيح؛ فقد يكون أيضًا (فَعَل) بمعنى (فاعل).

- صيغة (فَعَل) في الصفات قد لا تكون بمعنى المفعول بل تكون بمعنى الفاعل؛ كقولهم: أخذ وبطل، فلم قلت: إن (فَعَلًا) هنا بمعنى (مفعول)؟ وهلا تكون بمعنى الفاعل، وهو الصامد المتصمد في نفسه، وإن كان ذلك يستلزم أن يكون مقصودًا لغيره، وهذا أرجح.

- إن تفسير الصمد بأنه الذي لا جوف له مع كونه هو أشهر التفاسير في هذا الاسم الحسن العظيم عن الصحابة والتابعين، وقد روي تفسيره مرفوعًا، وإن كان لا منافاة بين هذا المعنى وبين سائر المعاني التي ذكرها الصحابة والتابعون في معنى هذا الاسم، فإن الاسم ينتظم ذلك كله، فاللفظ يدل عليه دلالة ظاهرة باللغة العربية الفصيحة التي

لا يتوجه العبد بحوائجه ولا يلجأ في دفع الضر إلا إلى الله، ولا يصمد إلا إليه تبارك وتعالى، فيخص الله سبحانه بالدعاء والتضرع والإنابة والخوف والرجاء والمحبة وسائر أنواع العبادة.

✽ مذهب المخالفين:

ذهب المخالفون في هذا الباب إلى وجوب تأويل اسم الله الصمد، لاستدلال المشبهة به - كما زعم الرازي - على أن الله جسم، وذكر أن الصمد فعل بمعنى مفعول فقط؛ أي: أنه المصمود إليه في الحوائج، وأنكر تفسير الصمد بأنه الذي لا جوف له وحمل هذا التفسير على المجاز^(١).

✽ الرد عليهم:

لا شك أن هذا التأويل فاسد من وجوه عديدة يمكن اختصارها كما يلي:

- تناقض الرازي في كلامه على اسم الله الصمد يدل على فساد دعواه، فقد ذكر أولاً أن سورة الإخلاص بكاملها من أدلته على نفي ما سماه بالجسمية والحيز والجهة عن الله، وذكر أن السورة محكمة، وأن كل مذهب يخالفها باطل^(٢).

ولكن لما أراد إبطال تفسير اسم الله

(١) انظر: أساس التقديس للرازي (١٢٥ - ١٢٦) مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٦هـ.

(٢) انظر: أساس التقديس للرازي (٣٠ - ٣٢).

(٣) انظر: المرجع السابق (١٠٣).

نزل بها القرآن^(١).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله الحسنى»، لعبد الله الغصن.
- ٢ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٣، و٧)، لابن تيمية.
- ٣ - «تفسير الطبري» (ج ٣٠).
- ٤ - «تفسير سورة الإخلاص»، لابن تيمية.
- ٥ - «الرسالة الأكملية فيما يجب لله من صفات الكمال»، لابن تيمية.
- ٦ - «شأن الدعاء» (ج ١)، للخطابي.
- ٧ - «فتح الرحيم الملك العلام»، للسعدي.

صحيح واحد، وهو عمل الشيء صنْعًا. وامرأة صَنَاعٌ ورجلٌ صَنَعٌ؛ إذا كانا حاذقين فيما يصنعانه. والصَّنِيعَةُ: ما اصطنعتَه مِنْ خَيْرٍ. والتَّصَنُّعُ: حُسْنُ السَّمْتِ. وفرسٌ صَنِيعٌ: صَنَعَهُ أَهْلُهُ بِحُسْنِ الْقِيَامِ عَلَيْهِ. والمَصَانِعُ: ما يُصْنَعُ مِنْ بئرٍ وَغَيْرِهَا لِلسَّقْيِ. ومن الباب: المَصَانِعَةُ، وهي كالرَّشْوَةِ^(٢).

وقال الجوهري: «الصَّنْعُ بالضم: مصدر قولك: صَنَعَ إِلَيْهِ معرُوفًا. وصنع به صَنِيعًا قَبِيحًا؛ أي: فعل. والصَّنَاعَةُ: حرفة الصانع، وعمله الصَّنْعَةُ. وصنعة الفرس أيضًا: حسن القيام عليه، تقول منه: صنعت فرسي صَنَعًا وَصَنَعَةً، فهو فرس صَنِيعٌ»^(٣).

❁ التعريف شرعًا:

وصف الله بالصنع: يعني: الاعتراف له تعالى بالخلق والإيجاد لسائر المخلوقات على غير مثال وفق تقديره تعالى، وتصرفه فيها كيف يشاء.

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة بين المعنيين علاقة قوية؛ بل إن المعنى اللغوي هو المعنى الشرعي بعينه، مع التنبيه على اختلاف الصنع المضاف إلى الخالق عن الصنع

- ٨ - «المناهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج ١)، لزين محمد شحاتة.
- ٩ - «النهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن الحمود النجدي.

❁ الصنع

❁ التعريف لغة:

الصَّنْعُ مصدر الفعل صنع يصنع صُنْعًا؛ إذا عمل شيئًا ما. قال ابن فارس: «الصاد والنون والعين أصل»

(٢) مقاييس اللغة (٣/٣١٣) [دار الجيل، ط ٢].

(٣) الصحاح (٦٠٣) [دار المعرفة، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(١) انظر لهذا الوجوه: بيان تلبيس الجهمية (٧/٤٨٩ - ٥٥٣).

المضاف إلى المخلوق في الحقيقة. ❁ الأدلة:

يوصف الله ﷻ بأنه صانع كل شيء، كما في قوله تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]. وكما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً: «إن الله يصنع كل صانع وصنعه»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو موسى المديني: «قوله تبارك وتعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾؛ أي: قوله وفعله»^(٣).

وقال أبو بكر السجستاني في قول الله تعالى: ﴿وَهِيَ تَمْزُ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ﴾ [النمل: ٨٨]: «أي: فعل الله ﷻ»^(٤).

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]؛ أي: يفعل ذلك بقدرته العظيمة الذي قد أتقن كل ما خلق، وأودع فيه من الحكمة ما أودع»^(٥).

❁ المسائل المتعلقة:

يتعلق بهذا الوصف لفظ: (الصانع)

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٦٦/٢) [دار أطلس الخضراء، ط ١، ١٤٢٥هـ]، وابن منده في التوحيد (٢٦٧/١) [الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٠٩هـ]، والحاكم في المستدرک (كتاب الإيمان، رقم ٨٦) وصححه، والبيهقي في القضاء والقدر (١/٣٤٤) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٦هـ]، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ١٦٣٧). (٣) المجموع المغيث في الغريب (٢/٢٩٥)، ط ١، ١٤٠٨هـ.

(٤) غريب القرآن للسجستاني (٣١٠) [دار قتيبة].

(٥) تفسير ابن كثير (٢/٢١٧) [دار طيبة، ط ٢].

❁ الأسماء الأخرى:

الخلق: من الأسماء الأخرى للصنع الخلق وهو الإنشاء والإيجاد على غير مثال، فهو من الصفات الفعلية؛ لأن هناك خالقاً ومخلوقاً وخلقاً، وهذا الأخير هو الفعل الذي وجدت به المخلوقات وهو المقصود هنا بالصفة الفعلية التي تثبت لله تعالى. وقد يطلق الخلق ويراد به المخلوقات.

❁ الحكم:

يجب الإيمان باتصاف الله بصفة الصنع لثبوتها بالكتاب والسنة.

❁ الحقيقة:

قال العلامة ابن القيم: «وقد أطلق سبحانه على فعله اسم الصنع، فقال: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وهو منصوب على المصدر؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمْزُ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] يدل على الصنعة، وقيل: هو نصب على المفعولية؛ أي: انظروا صنع الله، فعلى الأول يكون (صنع الله) مصدرًا بمعنى الفعل، وعلى الثاني يكون بمعنى المصنوع المفعول؛ فإنه الذي يمكن وقوع النظر والرؤية عليه»^(١).

(١) شفاء العليل (١٣٢ - ١٣٣) [دار المعرفة، ١٣٩٨هـ].

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر]، ومن السُّنَّةِ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله لو سَعَرْتُ، فقال: إن الله هو الخالق القابض الباسط الرزاق المسعر، وإنني لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال»^(٣).

وأما الصانع فليس من أسماء الله الحسنی؛ لعدم وروده بصيغة الاسم، وإنما ورد صفة الله تعالى، والله لا يُسمَّى إلا بما سمَّى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فيوصف الله بالصنع، ويخبر عنه بأنه الصانع، ولكن لا يسمى به.

- إن اسم الخالق يدل على الكمال المطلق، بخلاف الصانع؛ فإنه منقسم إلى كمال ونقص، لذا فلا يوصف الله به بإطلاق، ولا ينفي عنه بإطلاق، وإنما يطلق عليه منه كماله كما تقدم بيانه.

✽ مذهب المخالفين:

تقدم بيان اتصاف الله بالصنع، وتفردة

(٣) أخرجه بهذا اللفظ: أحمد (٤٦/٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب البيوع، رقم ٢٥٨٧)، وابن حبان (كتاب البيوع، رقم ٤٩٣٥)، والضياء في المختارة (٣٣٧/٦) [دار خضر، ط٣]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٨٤٦). وأصل الحديث عند أبي داود (كتاب البيوع، رقم ٣٤٥١) وغيره، دون ذكر لفظة (الخالق) في متنه.

الذي أخذه بعض أهل العلم بالاشتقاق، من مثل قوله تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وعدُّوه من الأسماء الحسنی^(١)، وهذا غير صحيح؛ لأن أسماء الله توقيفية فلا يسمى الله إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ، ولذا اشتد نكير بعض العلماء المحققين على هذا الصنيع. قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «إن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه؛ بل يطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمريد والفاعل والصانع، فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه، ولهذا غلَطَ من سماه الصَّانِعَ عند الإطلاق؛ بل هو الفَعَّالُ لما يريد؛ فإن الإرادة والفعل والصُّنْعُ منقسمة، ولهذا إنَّما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلاً وخبراً»^(٢).

✽ الفرق:

الفرق بين الخالق وبين الصانع:

- أن الخالق اسم من أسماء الله الحسنی الثابتة بالكتاب والسُّنَّةِ، فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ

(١) انظر على سبيل المثال: الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١٧٢/١) [دار الراهية، ط٢، ١٤١٩هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (٧٤/١) [مكتبة السوادى، ط١].

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم (١٦٩/١) [مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٦هـ].

بإيجاد هذا الكون بما يحويه من بدیع الصنع، وعجیب الخلق، ویطلق الصنع ویراد به الصفة؛ أي: الفعل، ویطلق أيضًا ویراد به المصنوع^(١).

وقد تقدم بیان موقف المخالفین من أفعال الله والرد علیهم فی مصطلح أفعال الله، وخلاصته: أن المخالفین من الجهمية وسائر المتكلمین لا یفرقون بین الصنع والمصنوع، لذا یجعلون الصنع عین المصنوع، وعلیه فهم لا یثبتون لله الصفات الفعلية، وهذا فی غاية البطالان لمخالفته الكتاب والسنة ومأثور سلف الأمة.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحید الربوبية»، لآمال العمرو.
- ٢ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.
- ٣ - «تیسیر العزیز الحمید»، لسلیمان بن عبد الله.
- ٤ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٣)، لابن تیمیة.

- ٥ - «شفاء العلیل»، لابن القيم.
- ٦ - «طریق الهجرتین»، لابن القيم.
- ٧ - «مجموع الفتاوی» (ج ٨)، لابن تیمیة.

٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة فی

- (١) انظر: مجموع الفتاوی لابن تیمیة (١٢١/٨)، وشفاء العلیل (١٣٢ - ١٣٣).

أسماء الله الحسنى»، لمحمد التیمی. ٩ - «نهاية الإقدام»، فی علم الکلام.

الصنم

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَضَّ اللهُ: «الصاد والنون والمیم كلمة واحدة لا فرع لها، وهي الصنم، وكان شيئًا یُتخذ من خشب أو فضة أو نحاس فیعبد»^(٢).

والصنم: واحد الأصنام، قیل: إنه معرب: شَمَنَ، ومعناه الوثن، وهو ینحت من خشب، ویصاغ من فضة، ونحاس، ویطلق الصنم: ویراد به الداهية لغة فی الصلمة، وإقليم الأصنام بدمشق، وخبث الرائحة، ونحوه^(٣).

التعريف اصطلاحًا:

الصنم: ما جعل علی صورة إنسان، أو غیره، وعبد من دون الله تعالى^(٤)، وقیل: کل ما عبد من دون الله تعالى؛ بل کل ما یشغل عن الله تعالى یقال له صنم^(٥).

- (٢) مقایس اللغة (٣/٣١٤) [دار الجیل، ط ١٤٢٠هـ].
- (٣) انظر: الصحاح (٥/١٩٦٩) [دار العلم للملايين، ط ١٤٠٤هـ]، والمحکم والمحیط الأعظم (٨/٣٤٥) [دار الکتب العلمیة، ط ١]، ولسان العرب (١٥/٢١٣ - ٢١٤) [دار إحياء التراث العربی، ط ٣]، وترتیب القاموس المحیط (٢/٨٦١) [دار عالم الکتب، ط ٤، ١٤١٧هـ].
- (٤) انظر: القول المفید علی کتاب التوحید (١/١١٦) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٣هـ].
- (٥) انظر: حاشیة علی کتاب التوحید لابن قاسم (٥٠/٥، ط ١٤٢٤هـ).

❁ الأسماء الأخرى:

الوثن، التمثال، الند، النصب.

❁ الحكم:

عبادة الأصنام شرك أكبر مخرج من الإسلام وموجب للخلود في النار، وهذا مما هو معلوم بالدين بالضرورة.

❁ الحقيقة:

نحت شيء، وجعله على صورة ذي حياة؛ ليصرف له شيء مما اختص الله به من الربوبية، أو الألوهية، أو الأسماء والصفات.

قال ابن القيم: «وضع الصنم إنما كان الأصل على شكل معبود غائب، فجعلوا الصنم على شكله وهياته وصورته؛ ليكون نائباً وقائماً مقامه، وإلا فمن المعلوم أن عاقلاً لا ينحت خشبة، أو حجراً بيده، ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده»^(١).

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازَرَ اتَّخِذْ أُصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٧٥) [الأنعام]، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٧٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ يَبْعَثْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ^(٣٦) [إبراهيم]، وقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾^(١٩) وَمَنُوءَ النَّائِثَةَ الْآخَرَىٰ^(٢٠) أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ^(٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ^(٢٢) إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّن رَّبِّهِمْ الْهُدَىٰ^(٢٣) [النجم].

❁ أقوال أهل العلم:

قال مجاهد بن جبر رحمته الله: «والصنم: التمثال المصور، ما لم يكن صنماً فهو وثن»^(٢).

وقال ابن عبد البر رحمته الله: «وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن، صنماً كان أو غير صنم»^(٣).

وقال ابن القيم رحمته الله: «ومن أعظم مكايده - أي: الشيطان - التي كاد بها أكثر الناس، وما نجا إلا من لم يرد الله فتنته: ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه وأوليائه، من الفتنة بالقبور حتى آل الأمر فيها، إلى أن عبد أربابها من دون الله، وعبدت قبورهم، واتخذت أوثاناً، وبنيت عليها الهياكل وصورت صور أربابها، ثم جعلت تلك الصور أجساداً لها ظل، ثم جعلت أصناماً وعبدت مع الله»^(٤).

(٢) تفسير الطبري (١٣/٦٨٧).

(٣) التمهيد لابن عبد البر (٥/٤٥) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٤) إغاثة اللهفان (١/٣٤٦) [دار ابن الجوزي].

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/٢٢٤).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: بيع الأصنام:

حرّم الله تعالى ورسوله ﷺ بيعها، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو بمكة عام الفتح: «إن الله ورسوله حرّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام»^(١).

وقد بيّن أهل العلم العلة في النهي عن بيعها، فقال ابن حجر رحمه الله: «العلة في النهي عن بيع الأصنام المبالغة في التنفير عنها، ويلحق بها في الحكم الصلبان التي تعظمها النصارى، ويحرم نحت جميع ذلك وصنعه»^(٢).

ومن علل النهي كذلك: ما فيها من المضاهاة لخلق الله تعالى، كما في حديث عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاھون بخلق الله»^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلّ مصوّر في النار، يجعل له بكلّ صورة صورها نفساً، فتعذبه في جهنم»^(٤).

ومن علل النهي كذلك: أنّ صناعة

الصورة وبيعها واتخاذها فيه تشبه بمن كانوا يصنعون الصور والتماثيل ويعبدونها من دون الله، سواء كان مصورها وبائعها قاصداً التشبّه أم لا^(٥).

ومن علل النهي أيضاً: أنّ تصوير ذوات الأرواح وسيلة إلى عبادتها كما وقع لقوم نوح عليه السلام، فقد عظموا تلك الصور المصنوعة حتى عبدوها.

قال ابن العربي رحمه الله تعالى: «والذي أوجب النهي عن التصوير في شرعنا - والله أعلم - ما كانت العرب عليه من عبادة الأوثان والأصنام، فكانوا يصوِّرون ويعبدون فقطع الله الذريعة وحى الباب»^(٦).

- المسألة الثانية: طمس الصور ومحوها وكسرها:

فعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي رضي الله عنه: «ألا أبعتك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: ألا تدع تماثلاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»^(٧).

وما أمر الشرع بذلك إلا لكونه من أعظم الوسائل المفضية إلى الشرك، فحسم الشرع مادّة ذلك فأمر بطمس التماثيل والصور سوء كانت مجسّمة أو مجسّمة؛ لأنّ أصل حدوث الشرك في

(١) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٢٣٦)، ومسلم (كتاب المساقاة، رقم ١٥٨١).

(٢) فتح الباري (٤/٤٢٦) [دار المعرفة].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥٤)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٧).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).

(٥) فتح الباري (١٠/٤٠٥ - ٤٠٦).

(٦) أحكام القرآن (٩/٤).

(٧) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٦٩).

التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت»^(٢).

- المسألة الرابعة: اتخاذ الأصنام في البيوت للزينة:

اتخاذها للزينة في البيوت، والأماكن المخصصة للجلوس، أو نحوها كبيرة من كبائر الذنوب، ومن أعظم وسائل الشرك، وذرائعه.

قال النووي رحمته الله: «وأما قوله: «أشد عذاباً»^(٣) فقول: هي محمولة على من فعل الصورة لتعبد، وهو صانع الأصنام، ونحوها، فهذا كافر، وهو أشد عذاباً. وقيل: هي فيمن قصد المعنى الذي في الحديث؛ من مضاهاة خلق الله تعالى، واعتقد ذلك فهو كافر، له من أشد العذاب ما للكفار، ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره. فأما من لم يقصد بها العبادة، ولا المضاهاة فهو فاسق، صاحب ذنب كبير، ولا يكفر كسائر المعاصي»^(٤).

ومما ثبت بالأدلة الصريحة الصحيحة حرمة اتخاذ التماثيل مطلقاً؛ لأنها من جملة التصوير المنهي عنه شرعاً؛ بل إن دخول الصور المجسمة في التحريم من

بني آدم كان سببه تصوير الصالحين ثم تعظيم تلك الصور، ثم الافتتان بها وتأليهها، ثم صنع تماثيل ونُصب على هيئتها ثم عبادتها واتخاذها أوثاناً تعبد من دون الله.

فتبين بذلك أن ما جاءت به الشريعة من الأمر بطمس التماثيل والأصنام ما هو إلا حماية لجنان التوحيد وقطع أسباب الشرك ووسائله.

- المسألة الثالثة: تاريخ ظهور الأصنام:

ظهور الأصنام يعود إلى عصر ما قبل نبي الله نوح عليه السلام، فقد كان الناس على التوحيد بعد أبيهم آدم طيلة عشرة قرون، ثم ظهر الشرك وظهرت الأصنام، فبعث الله نوحاً ومن بعده من الرسل عليهم السلام لإرجاع الناس من عبادة الأصنام إلى عبادة رب السماوات، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾^(٢) [نوح] قال: «أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٢٠).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) المنهاج بشرح صحيح مسلم (٩١/١٤) [المطبعة

المصرية، الأزهر، ط ١، ١٣٤٩هـ].

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/٢٧٥).

باب أولى، وقد ثبت شرعاً النهي عن اتخاذ الأصنام والتماثيل في البيوت على وجه الخصوص.

الفروق:

الفرق بين الصنم والوثن:

اختلف أهل العلم في التفريق بين الصنم والوثن، فمنهم من لم يفرّق بينهما بل هما سواء، ومنهم من فرّق بينهما، فقال بعضهم: إنّ الصنم ما كان له جسم وصورة، فإن لم يكن له جسم وصورة فهو وثن.

وقال آخرون: الوثن ما كان له جثة من خشب أو حجر أو فضة ينحت فيُعبد، والصنم هو الصورة بلا جثة، والصواب أنّ الوثن أعمّ من الصنم، فبينهما عمومٌ وخصوصٌ وجهي، فإن كان مصوراً فهو وثن وصنم (٤)(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام التصوير في الفقه الإسلامي»، لمحمد واصل.
- ٢ - «إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان»، لابن القيم.
- ٣ - «التعريفات الاعتقادية»، لسعد آل عبد اللطيف.

٤ - «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير» (١).

وعن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تماثيل» (٢).

ومما يدل على حرمة اتخاذ التماثيل والأصنام في البيوت للزينة (٣):

١ - أن ذلك من أعمال الجاهلية، ومظاهر الوثنية، ففيه التشبه بأعداء الدين، وقد جاء الشرع بالنهي عن التشبه بهم.

٢ - أن ذلك من أعظم وسائل الشرك، وهل كان شرك قوم نوح عليه السلام إلا بوضع الصور، والتماثيل، ثم عبادتها من دون الله تعالى؟! والشرع قد جاء بسد كل وسيلة تؤدي إلى الشرك بالله تعالى.

٣ - أن هذا العمل يعد من الترف، والإسراف المحرم، وإضاعة المال فيما لا فائدة منه؛ بل وضعه فيما يضر ولا

(١) أخرجه مسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٢).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٢٥)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٦).

(٣) انظر: أحكام التصوير في الفقه الإسلامي لمحمد واصل (٣٢٧ - ٣٢٨) [جامعة الإمام، ط ١٤١٧هـ].

(٤) لسان العرب (١٢/٣٤٩).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤/٤٢٢).

٥ - «تيسير العزيز الحميد»، التعريف شرعاً:

لسليمان بن عبد الله . صورة حقيقة لائقة

٦ - «فتح الباري»، لابن حجر . بالله لا نعرف كنهها . الله أعلم بها^(٣) .

٧ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن

حسن .

والشرعي:

المعنى اللغوي يلتقي مع المعنى

الشرعي، ولكن المعنى الشرعي يزيد عليه فيقده بالصورة اللائقة بالله ﷻ .

الحكم:

يجب إثبات الصورة، التي أثبتها الله لنفسه على لسان رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل^(٤) .

الحقيقة:

معنى الصورة معروف لغة، وهي في المخلوق هيئة خلقته^(٥)، وأما حقيقة الصورة في حق الله فهي صورة حقيقة ثابتة لله على الوجه اللائق به لا نعرف كنهها^(٦) .

وانظر: الصحاح (٦٠٧) [دار المعرفة، ط ١، ١٤٢٦هـ]، والقاموس المحيط (٥٤٨) .

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٦/٣٧٣ - ٣٧٥) [مجمع الملك فهد، ١٤٢٦هـ]، ومختصر الصواعق (٥٣٩) [دار الحديث، مصر، ط ١، ١٤٢٢هـ] .

(٤) انظر: الشريعة للأجري (٣/١١٤٧) [دار الوطن، ط ١، ١٤١٨هـ]، والحجة في بيان المحجة (٢/٢٩٠ - ٢٩١) [دار الراية، ط ٢، ١٤١٩هـ]، وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٦/٣٧٣ - ٣٧٥) [مجمع الملك فهد، ١٤٢٦هـ] .

(٥) مقاييس اللغة (٣/٣١٩ - ٣٢٠)، والصحاح (٦٠٧) [دار المعرفة، ط ١، ١٤٢٦هـ]، والقاموس المحيط (٥٤٨) .

(٦) انظر: مختصر الصواعق (٢/٥١٥) .

٨ - «القول المفيد على كتاب

التوحيد»، لابن عثيمين .

٩ - «معارج القبول»، للحافظ

الحكمي .

١٠ - «قواعد ومسائل في توحيد

الإلهية»، لعبد العزيز الريس .

الصور

يراجع مصطلح (النفخ في الصور) .

الصورة (صفة لله تعالى)

التعريف لغة:

الصُّورة - بالضم - الهيئة والشكل،

وتجمع على: صُور. يقول ابن فارس:

«الصاد والواو والراء، كلمات كثيرة،

متباينة الأصول، وليس هذا الباب بباب

قياس ولا اشتقاق... فكل كلمة منفردة

بنفسها^(١)... من ذلك الصورة صورة

كل مخلوق، والجمع صور، وهي هيئة

خلقته والله تعالى البارئ المصور^(٢) .

(١) أي: أنها ليست مترابطة، بل كل منها له ما يخصه؛ لأن أصولها متباينة .

(٢) مقاييس اللغة (٣/٣١٩ - ٣٢٠) [دار الجيل، ط ٢،

❁ الأدلة:

صفات الله لائقة به تعالى، لا تماثل صفات المخلوقين.

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو القاسم الأصبهاني: «ومن مذهب أهل السنة: الإيمان بجميع ما ثبت عن النبي ﷺ في صفة الله تعالى كحديث: «لا تقبّحوا الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته»^{(٥)(٦)}.

وقال ابن تيمية: «ثبت الوجه والصورة لله، قد جاء في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة المتواترة، واتفق على ذلك سلف الأمة وسيأتي - إن شاء الله تعالى - طائفة من النصوص التي فيها إثبات صورة الله تعالى كقوله: «فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون»^(٧) ونحو ذلك مما هو من الأحاديث التي اتفق العلماء على صحتها وثبوتها»^(٨).

دلت السنة النبوية على ثبوت الصورة لله، من ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم»^(١).

وروى البخاري من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ وفيه: «فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رآه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا»^(٢).

وروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً»^(٣).

ووجه الاستدلال بالحديث الأول والثاني ظاهر، وأما الثالث فهو أن الضمير في قوله: «على صورته» راجع إلى الله على قول أكثر أهل العلم^(٤)، ففيه إثبات الصورة لله ﷻ، ومعلوم أن

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٣٩).

واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الاستئذان، رقم ٦٢٢٧)،

ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤١).

(٤) سيأتي ذكر من خالف في ذلك.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ: الآجري في الشريعة (١١٥١/٣) [دار الوطن، ط٢]، من حديث أبي هريرة، وأشار الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه إلى ثبوت معناه. انظر: الشريعة (١١٢٨/٣).

وأخرجه أحمد (٣٨٢/١٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الحظر والإباحة، رقم ٥٧١٠)، بلفظ: «إذا ضرب أحدكم فليجنب الوجه، ولا يقل: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورته»، وصححه ابن منده في التوحيد (٢٢٣) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥١٩/٢).

(٦) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٩٠ - ٢٩١) [دار الراية، ط٢، ١٤١٩هـ].

(٧) سبق تخريجه.

(٨) بيان تلبيس الجهمية (٦/٣٧٣ - ٣٧٥).

وقال ابن القيم - في معرض حديثه عما ينبغي في صفات الله -: «وكذلك قوله في حديث النداء: «فيناديهم بصوت»^(١)، فذكر الصوت تحقيقاً لصفة النداء وتقريراً، ولو لم يذكره لدل عليه لفظ النداء، كما لو قيل: يعلم بعلم ويقدر بقدره ويبصر ببصر، وهذا ونحوه إنما يراد به تحقيق الصفة وإثباتها، لا تشبيه الموصوف وتمثيله، ومن هذا حديث الصورة»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: خلق آدم على صورة الله:

معناه - كما يقول ابن القيم - أنه «لم يرد به تشبيه الرب وتمثيله بالمخلوق، وإنما أراد به تحقيق الوجه وإثبات السمع والبصر والكلام صفة ومحلاً، والله أعلم»^(٣).

وذهب كثير من أهل السنة إلى أن آدم خلق على صورة الله، ومما استدلوا به على ذلك الحديث المتقدم وهو قوله ﷺ: «خلق الله آدم على صورته»، ووجه الاستدلال أن الضمير راجع إلى الله،

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٣٢/٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٩هـ]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٦٣٨) وصححه، وصححه الألباني في ظلال الجنة (١/٢٢٥) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٠هـ].

(٢) مختصر الصواعق (٢/٥١٥).

(٣) المرجع السابق (٢/٥١٥).

فيكون آدم مخلوقاً على صورة الله. قال الآجري: «باب الإيمان بأن الله ﷻ خلق آدم على صورته، بلا كيف»^(٤). ثم بعد أن ساق عدداً من الروايات في ذلك قال: «هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يقال فيها: كيف؟ ولم؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق، وترك النظر كما قال من تقدم من أئمة المسلمين»^(٥).

وقال ابن بطة العكبري: «باب الإيمان بأن الله ﷻ خلق آدم على صورته بلا كيف. قال الشيخ وكل ما جاء من هذه الأحاديث وصحت عن رسول الله ﷺ ففرض على المسلمين قبولها والتصديق بها والتسليم لها وترك الاعتراض عليها، وواجب على من قبلها وصدق بها أن لا يضرب لها المقاييس ولا يتحمل لها المعاني والتفاسير، لكن تمر على ما جاءت، ولا يقال فيها: لِم؟ ولا كيف؟؛ إيماناً بها وتصديقاً، ونقف من لفظها وروايتها حيث وقف أئمتنا وشيوخنا، وننتهي منها حيث انتهى بنا كما قال المصطفى نبياً بلا معارضة، ولا تكذيب ولا تنقيح، ولا تفتيش، والله الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل، فإن الذين نقلوها إلينا هم الذين نقلوا إلينا القرآن، وأصل الشريعة، فالطعن عليهم والرد لما نقلوه

(٤) كتاب الشريعة للآجري (٣/١١٤٧).

(٥) المرجع السابق (٣/١١٥٣).

من جهة، وعامة أهل الأصول والكلام من جهة أخرى صار كل منهم يأخذ من ألفاظ الحديث الجانب الذي يهمله في مجاله، ثم قال: «ولكن ظهر^(٥) لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة، جعل طائفة الضمير فيه عائداً إلى غير الله تعالى، حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسُّنة في عامة أمورهم؛ كأبي ثور، وابن خزيمة، وأبي الشيخ الأصبهاني وغيرهم، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السُّنة^(٦)».

وذهب بعض علماء السُّنة إلى أن الضمير في الحديث عائداً إلى غير الله، ومنهم - كما ذكر شيخ الإسلام - أبو ثور، وابن خزيمة، وغيرهما.

قال ابن خزيمة: «توهم بعض من لم يتحرَّ العلم أن قوله: «على صورته» يريد صورة الرحمن وَكَلِّك، عن أن يكون هذا معنى الخبر؛ بل معنى قوله: «خلق آدم على صورته» الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب والمشتوم، أراد أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذي أمر الضارب باجتناز وجهه بالضرب والذي قبح وجهه فزجر أن يقول: «ووجه من أشبه وجهك»؛ لأن وجه آدم شبيهه وجوه بنييه، فإذا قال

من هذه الأحاديث، طعن في الدين ورد لشريعة المسلمين، ومن فعل ذلك فالله حسيبه والمنتقم منه بما هو أهله^(١).

وذكر ابن تيمية أن أهل القرون الثلاثة لم يختلفوا في كون الضمير راجعاً إلى الله، وإنما وقع الخلاف في ذلك بعد أن وجدت بعض طوائف البدع، فذهب بعض علماء أهل السُّنة إلى أن الضمير راجع إلى غير الله فيقول: «والكلام على ذلك أن يقال: هذا الحديث^(٢) لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائداً إلى الله، فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك، ولكن كان من العلماء في القرن الثالث من يكره روايته، ويروي بعضه، كما يكره رواية بعض الأحاديث لمن يخاف أن^(٣) يفسد عقله ودينه، وإن كان مع ذلك لا يرون كتمان ما جاء به الرسول ﷺ مطلقاً؛ بل لا بد أن يبلغوه حيث يصلح ذلك ولهذا اتفقت الأمة على تبليغه وتصديقه. وإنما دخلت الشبهة في الحديث لتفريق ألفاظه^(٤). ثم ذكر أن كثيراً من الفقهاء

(١) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية (٣/٢٤٤) [دار الراية، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٢) يعني: الحديث الثالث من الأدلة السابقة.

(٣) هنا وضع المحقق في المتن بين قوسين جملة (نفسه و) والمعنى: بدون هذا أوضح، والله أعلم.

(٤) بيان تلبيس الجهمية (٦/٣٧٣ - ٣٧٥).

(٥) أي: تأويل الحديث، كما ذكر المعلق.

(٦) بيان تلبيس الجهمية (٦/٣٧٦ - ٣٧٧).

تعالى أعلم، أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن ووقعت الوحشة من هذه؛ لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد^(٣).

- المسألة الثانية: معنى حديث: «إن الله يترأى لعباده المؤمنين يوم القيامة في غير صورته، فيقولون: نعوذ بالله منك، ثم يترأى في صورته التي يعرفونها فيعرفونه فيتبعونه»^(٤):

أما معناه: فهو أن الله سبحانه يأتي المؤمنين يوم في صورة مختلفة عن الصورة التي رأوه فيها في أول مرة في العرصات، ولذا يستعيذون بالله منه ثم يأتيهم في الصورة التي عرفوه عليها من قبل فيعرفونه ويتبعونه.

وقد ذكر الدارمي في رده على المريسي أن صورة الله لا تتغير ولا تبدل، وإنما المراد أنه يمثل في أعينهم، فيحسبون أن الصورة مختلفة عن الصورة التي يعرفونها بالأوصاف التي وصف الله بها نفسه في الدنيا، وذكر أن هذا التمثيل هو كما قلل الله المؤمنين في غزوة بدر في أعين المشركين، وقلل المشركين في أعين المؤمنين، ونحو ذلك وتعبه ابن

الشاتم لبعض بني آدم: قبَّح الله وجهك، ووجه من أشبه وجهك، كان مقبَّحًا وجه آدم صلوات الله عليه وسلامه، الذي وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم، فتفهموا رحمكم الله معنى الخبر، لا تغلطوا ولا تغالطوا فتضلوا عن سواء السبيل، وتحملوا على القول بالتشبيه الذي هو ضلال^(١).

وأما الأمر الثاني وهو المتعلق ببعض الروايات المصرحة بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن، فقد اختلف أهل العلم في تصحيحها وتضعيفها^(٢).

ولا شك أن إثبات الصورة لله لا يدل على التشبيه الذي خشيه الإمام ابن خزيمة، ولا يلزم منه ذلك؛ لأن الصورة هي كبقية صفات الله الثابتة له على الوجه اللائق به، فلا محذور على الإطلاق في إثباتها لله؛ لأن كل قائم بنفسه له صورة تليق به، وعليه فلا داعي لصرف الحديث عن ظاهره.

قال ابن قتيبة: «والذي عندي والله

(١) التوحيد لابن خزيمة (١/٨٤ - ٨٥) [مكتبة الرشد، ط ٥، ١٤١٤هـ].

(٢) رويت هذه اللفظة في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، واختلف أهل العلم في ثبوتها. انظر: كلام الشيخ حماد الأنصاري في مقال له بعنوان: «تعريف أهل الإيمان بصحة حديث صورة الرحمن»، أورده بكامله الشيخ علي الفقيهي ضمن تعليقاته على كتاب الصفات للدارقطني (٥٨)، وكلام الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣/٣١٦ - ٣٢٢).

(٣) تأويل مختلف الحديث (٢٢١) [دار الجيل ١٣٩٣هـ].

(٤) أخرجه بمعناه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٧٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٢).

تحول في صورة كذا ويكون التصوير في عين الرائي فقط هذا لا يقال في مثل هذا أصلاً^(٤).

✽ مذهب المخالفين:

ذهب المخالفون إلى نفي الصورة عن الله تعالى، وذكروا أن الواجب على المسلم أن يعتقد بأن الله ليس بذي صورة ولا هيئة؛ لأن الصورة تقتضي الكيفية وهي عن الله وعن صفاته منفية، وصرفوا ظاهر حديث: «فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون»^(٥) وما في معناه عن ظاهره إلى معان أخرى بتأويلات شتى؛ حيث جعل بعضهم إضافة الصورة إلى الله من إضافة الملك والخلق إلى ماله وخالقه، وأولها بعضهم بوجهين؛ أحدهما: أن تكون بمعنى الصفة كقول القائل صورة هذا الأمر كذا وكذا يريد صفته وهيئته، والثاني: أن ذكر الصورة جاء لأجل مطابقة آخر الكلام لأوله، حيث ذكرت في أول الحديث معبودات من دون الله وهي كلها صور وأجسام، ولما عطف عليها ذكر الله، ورد لفظ الصورة، إلى غير ذلك من التأويلات المتعسفة^(٦).

تيمية في هذا ورده من وجوه عديدة، من أبرزها:

الأول: أن قوله في الحديث الذي ذكره الدارمي «في صورته التي يعرفونها» يفسره حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ وفيه: «فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة»^(١)، فالحديث نص على رؤية سابقة، وليس أنها حاصلة بما وصف الله لهم ذاته في الدنيا.

الثاني: أن ما ذكره الدارمي من أنه: «لا يتحول من صورة إلى صورة ولكن يمثل ذلك في أعينهم» يرد ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري: «فيرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة»^(٢).

الثالث: أنه جاء في بعض الأحاديث: كحديث أبي سعيد، وفيه: «هل بينكم وبينه علامة؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساقه فيسجدون له»^(٣)، وهذا يبين أنهم لم يعرفوه بالصفة التي وصف لهم في الدنيا؛ بل بآية وعلامة عرفوها في الموقف.

الرابع: أن التمثيل في الأعين إذا قصد فإنه كان مقيداً بالرائي لا بالمرئي، لا يقال جاء فلان في صورة كذا ثم

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١٤١/٧ - ١٤٦).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٧٠/٢) [مكتبة

السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ]، وشرح صحيح البخاري

لابن بطال (١٠/٤٦٣) [مكتبة الرشد، ط ٢]، =

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٣).

(٣) أخرجه بنحو البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٣٩).

الرد عليهم:

دلالة النصوص على ظاهرها ولا يجوز الخروج عن هذا الأصل إلا بدليل ولا دليل عند المخالفين هنا.

المصادر والمراجع:

- ١ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٦، ٧)، لابن تيمية.
- ٢ - «تأويل مختلف»، لابن قتيبة الدينوري.

- ٣ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ٢)، لأبي القاسم الأصبهاني.

- ٤ - «الصفات»، للدارقطني.

- ٥ - «عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن»، لحمود بن عبد الله التويرجي.

- ٦ - كتاب «التوحيد» (ج ١)، لابن خزيمة.

- ٧ - كتاب «الشريعة» (ج ٣)، للآجري.

- ٨ - «المختار في أصول السنة»، لابن البنا الحلبي.

- ٩ - «المسائل العقدية المتعلقة بآدم» (ج ١)، لألطف الرحمن بن ثناء الله.

- ١٠ - «نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افتري على الله وَكَذَلِكَ مِنَ التَّوْحِيد» (ج ١)، للدارمي.

لا شك أن نفي الصورة عن الله في غاية البطلان لمصادمته ظاهرة الأدلة الصحيحة الصريحة المتواترة^(١)، منها حديث: «فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ»^(٢) وغيره كما تقدم.

ولمصادمته أيضًا: إجماع السلف الصالح أهل القرون المفضلة^(٣).

وأما التأويلات التي ذكروها فكلها فاسدة لأمر؛ منها:

الأمر الأول: أن إثبات الصورة لله هو

على وجه لا يماثل فيه المخلوقين على ضوء قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى]، وعليه فهذا الإثبات لا يقتضي تكييفًا ولا تشبيهًا بالمخلوقين كما توهموه^(٤).

الأمر الثاني: أن تلك التأويلات التي

صرفوا بها النصوص عن ظاهرها خالية عن الحجة والبرهان، وما كان كذلك فهو فاسد؛ لأن هذا قول على الله بلا علم وهو حرام^(٥)، ثم إن الأصل إبقاء

= ومشكل الحديث لابن فورك (٤١٥) [عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٨٥م]، ومشارك الأنوار على صاحب الآثار للقاضي عياض (٣٢٣/٢) [المكتبة العتيقة، ودار التراث].

(١) صرح بتواترها شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (٣٧٣ - ٣٧٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٣٧٣/٦ - ٣٧٥).

(٤) انظر: مختصر الصواعق (٥١٥/٢).

(٥) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢٩٧/٦ - ٢٩٨).

«أليس قد قال رسول الله ﷺ: هو كافر وأنا مسلم؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ: لا يدخل المدينة ولا مكة وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة؟»^(٢).

كان ابنه عمارة من خيار المسلمين، ومن سادات التابعين، من أصحاب سعيد بن المسيب، روى عنه الإمام مالك وغيره^(٣).

قال ابن حجر رحمه الله: «وفي الجملة فلا معنى لذكر ابن صيَّاد في الصحابة؛ لأنه إن كان الدجال فليس بصحابي قطعاً؛ لأنه يموت كافراً، وإن كان غيره فهو حال لقيَّه النبي ﷺ لم يكن مسلماً»^(٤)؛ لكنه أسلم بعد وفاة النبي ﷺ، قال عنه الذهبي: «تابعي له رؤية»^(٥).

الأدلة:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله ﷺ في رهط قبل ابن صيَّاد، حتى وجده يلعب مع الصبيان عند أُطم بني مغالة، وقد قارب ابن صيَّاد يومئذ الحلم، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره بيده،

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٢٧).

(٣) ينظر: النهاية أو الفتن والملاحم (١/١٢٨) [دار النصر، ط ١]، والإصابة في تمييز الصحابة (٨/٢٨٠) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٤) الإصابة (٨/٢٨٤).

(٥) تجريد أسماء الصحابة (١/٣١٩) [دار المعرفة].

ابن صيَّاد

التعريف اصطلاحاً:

ابن صيَّاد كاهن من الكهَّان ظهر في زمن النبي ﷺ، وقد ظن بعض الصحابة أنه الدجال، وتوقف النبي ﷺ في أمره، حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال؛ لكنه كان من جنس الكهَّان^(١).

الحكم:

خبر ابن صيَّاد ثابت كما دلَّت عليه الأحاديث الصحيحة، وأنه ظهر في زمن النبي ﷺ، وأنه كان كاهناً من الكهَّان.

الحقيقة:

عبد الله بن صيَّاد، أو ابن صائد، وسُمِّي بهما في الأحاديث، واسمه: صافٍ قبل إسلامه، ثم تسمَّى لما أسلم: بعبد الله. كان صغيراً عند قدوم النبي ﷺ إلى المدينة، لا يُدرى من أي قبيلة، قيل: إنه من يهود المدينة، وقيل: من الأنصار، لم يكن مسلماً في حياة النبي ﷺ، أما إسلامه فكان بعد وفاة النبي ﷺ، يدل عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه أن ابن صيَّاد قال: «ما لي ولكم يا أصحاب محمد؟ ألم يقل نبي الله ﷺ إنه - يعني: الدجال - يهودي، وقد أسلمت»، وفي لفظ:

(١) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٢٣٠) [مكتبة دار المنهاج، ط ٢، ١٤٣١هـ].

حار، ما بي إلا أني أكره أن أشرب عن يده - أو قال: آخذ عن يده - . فقال: أبا سعيد لقد هممت أن آخذ حبلاً فأعلقه بشجرة، ثم أختنق مما يقول لي الناس. يا أبا سعيد! من خفي عليه حديث رسول الله ﷺ ما خفي عليكم معشر الأنصار؛ أأست من أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ: هو كافر وأنا مسلم؟ أوليس قد قال رسول الله ﷺ: هو عقيم لا يولد له وقد تركت ولدي بالمدينة؟ أوليس قد قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل المدينة ولا مكة وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة؟» قال أبو سعيد الخدري: حتى كدت أن أعذره، ثم قال: أما والله إني لأعرفه، وأعرف مولده، وأين هو الآن. قال: قلت له: تباً لك سائر اليوم^(٢).

المسائل المتعلقة:

قيل: إن ابن صيَّاد هو المسيح الدجال، وقيل: إنه دجال من الدجاجة الكذابين الذين أنذر بهم النبي ﷺ، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله^(٣)»، وليس هو

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٦٠٩)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ١٥٧).

ثم قال رسول الله ﷺ لابن صيَّاد: «أتشهد أني رسول الله؟» فنظر إليه ابن صيَّاد فقال: أشهد أنك رسول الأمين. فقال ابن صيَّاد لرسول الله ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه رسول الله ﷺ، وقال: «أمنت بالله وبرسوله»، ثم قال له رسول الله ﷺ: «ماذا ترى؟» قال ابن صيَّاد: يأتيني صادق وكذاب. فقال له رسول الله ﷺ: «خلط عليك الأمر»، ثم قال له رسول الله ﷺ: «إني قد خبأت لك خبيئاً». فقال ابن صيَّاد: هو الدُّخ. فقال له رسول الله ﷺ: «اخسأ فلن تعدو قدرك». فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ذرني يا رسول الله أضرب عنقه. فقال له رسول الله ﷺ: «إن يكنه فلن تسلط عليه؛ وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «خرجنا حجاجاً أو عُمَاراً ومعنا ابن صائد، قال: فنزلنا منزلاً فتفرق الناس، وبقيت أنا وهو، فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه. قال: وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي، فقلت: إن الحر شديد فلو وضعته تحت تلك الشجرة، قال: ففعل. قال: فرُفعت لنا غنم، فانطلق فجاء بعسّ، فقال: اشرب أبا سعيد. فقلت: إن الحر شديد، واللبن

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٤)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٠).

- الدجال الأعور الذي يخرج في آخر الزمان، وهو الصحيح، وإلى هذا ذهب الطحاوي^(١)، والبيهقي^(٢)، وشيخ الإسلام ابن تيمية^(٣)، وابن كثير، وابن حجر الهيتمي^(٤)، والبزرنجي^(٥)، والسفاريني، والغماري^(٦) وغيرهم. قال ابن كثير: «قد قدمنا أن الصحيح أن الدجال غير ابن صياد، وأن ابن صياد كان دجالاً من الدجاجلة، ثم تاب بعد ذلك فأظهر الإسلام، والله أعلم بضميره وسيرته»^(٧).
- ٤ - «إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان»، لعبد الله بن محمد الغماري.
- ٥ - «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج ٨)، للقاضي عياض.
- ٦ - «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج ٣)، للقرطبي.
- ٧ - «شرح مشكل الآثار» (ج ٧)، للطحاوي.
- ٨ - «فتح الباري» (ج ١٣)، لابن حجر.

المصادر والمراجع:

- ٩ - «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، لابن تيمية.
- ١٠ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ٢)، للسفاريني.
- ١١ - «النهاية أو الفتن والملاحم» (ج ١)، لابن كثير.
- ١ - «الأسئلة الفائقة بالأجوبة الثلاثة»، لابن حجر.
- ٢ - «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبزرنجي.
- ٣ - «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج ٨)، لابن حجر.



(١) ينظر: شرح مشكل الآثار (٣٨٣/٧ - ٣٩٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٢) فتح الباري (٣٣٨/١٣) [المطبعة السلفية، ط ٢، ١٤٠٠هـ].

(٣) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٢٣٠) [مكتبة دار المنهاج، ط ٢، ١٤٣١هـ].

(٤) ينظر: الفتاوى الحديثة (٢٩٣) [مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ٣، ١٤٠٩هـ].

(٥) ينظر: الإشاعة لأشراط الساعة (٢٩٤) [دار المنهاج، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٦) ينظر: إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان (٤٦) [عالم الكتب، ط ٣، ١٤١٠هـ].

(٧) النهاية أو الفتن والملاحم (١/١٢٨).

حرف الضاد

الناب، والجمع ضواحك؛ لبروزها عند الضحك، والضَّحُوك: الطريق الواضح، وَبُتِّعَ الضَّحُوكُ الضَّحُوكُ أَيضًا فِي السُّرُورِ الْمُجَرَّدِ، والضاحك: حجر شديد البريق يبدو في الجبل، أي لون كان^(٢).

التعريف شرعًا:

الضحك: هو ضحك حقيقي يليق بالله تعالى يتضمن الإحسان والإنعام. قال ابن تيمية: «فجعل الأعرابي العاقل بصحة فطرته ضحكه دليلًا على إحسانه وإنعامه، فدل على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود، وأنه من صفات الكمال»^(٣).

وقال ابن عثيمين: «فسره أهل السنة

الضحك (صفة لله تعالى)

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الضاد والحاء والكاف قريب من الباب الذي قبله، وهو دليل الانكشاف والبروز. من ذلك الضَّحِكُ، ضَحِكَ الإنسان. ويقال أيضًا: الضَّحْكُ، والأول أفصح. قال ابن دريد: الضاحك حجر شديد البريق يبدو في الجبل، أي لون كان. ويقال في باب الضَّحِكُ: الأضحوكة ما يُضْحِكُ منه، ورجل ضُحِكَة: يُضْحِكُ منه. وضُحِكَة: يكثر الضحك. فأما الضَّحْكُ فيقال: إنه العسل. وينشد:

فجاء بمزج لم ير الناس مثله

هو الضَّحْكُ إلا أنه عمل النحل»^(١)

فالضَّحِكُ إذن هو مصدر الفعل: ضَحِكَ يَضْحَكُ ضَحْكًا وضَحِكًا وضَحِكًا، وهو دليل الانكشاف والبروز، من ذلك ضحك الإنسان، وهو أنيسا ط الوجهِ وَيُدُّوُ الْأَسْنَانِ مِنَ السُّرُورِ، ومنه سميت الضاحكة: وهي السن التي تلي

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٣٩٣ - ٣٩٤) [دار الجبل، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٤/ ٥٥) [دار إحياء التراث العربي، ط ١]، والصحاح (٦١٦) [دار المعرفة، ط ١، ١٤٢٦هـ]، وتاج العروس (٢٧/ ٢٤٩) [دار الهداية]، والقاموس المحيط (٩٤٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٨]، والمصباح المنير (٢/ ٣٥٨) [المكتبة العلمية، بيروت].

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥/ ٦٩) [لجنة التراث العربي].

ويعني بذلك قول أبي رزين: «لن نعدم من ربّ يضحك خيرًا»، أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ١٨١)، وأحمد (٢٦/ ١٠٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وسنده ضعيف، لكن له طريق آخر حسنه به الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨١٠).

ثبوت صفة الضحك لله ﷻ، وفيما يلي ذكر طائفة منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «يضحك الله إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد»^(٤).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في حديث طويل: «فيقول: يا بن آدم ما يصريني منك أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب أستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فضحك ابن مسعود رضي الله عنه فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين، حين قال: أستهزئ مني وأنت رب العالمين، فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر»^(٥).

وعن حديث أبي هريرة رضي الله عنه «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فبعث إلى نساءه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: من يضم أو يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا

والجماعة بأنه: ضحك حقيقي يليق بالله»^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي للضحك هو مفهومه الشرعي. مع التنبيه على أن الشرع قيد المعنى المتعلق بالله، فجعله معنى خاصاً بالله يليق بجلاله وعظمته لا نعرف كيفيته. وعليه فإن المعنى اللغوي أعم من المعنى الشرعي.

الحكم:

يجب الإيمان باتصاف الله بصفة الضحك التي أثبتتها له أعرف الخلق به ﷺ على الوجه اللائق بالله^(٢).

الحقيقة:

الضحك هو المعنى الذي يعرفه الناس من اللغة، فيضحك الله تعالى كما يشاء على ما يليق بجلاله وعظمته^(٣).

الأدلة:

دلت السنة النبوية دلالة صريحة، على

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٨٦/٤) [دار الوطن ودار الثريا، ١٤١٣هـ].

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٣٢٧/٦ - ٣٣٠) [مجمع الملك فهد، ط ١]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢١/٦ - ١٢٢)، ومجموع فتاوى ابن باز (٢٨/١٩٧).

(٣) نقض الدارمي على المريسي (٧٨٠/٢) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٨هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢١/٦ - ١٢٢).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨٢٦)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٩٠).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٧).

وقال الآجري تحت «باب الإيمان بأن الله ﷻ يضحك»: «اعلموا وفقنا الله وإياكم إلى الرشاد من القول والعمل، أن أهل الحق يصفون الله ﷻ بما وصف به نفسه ﷻ، وبما وصفه به رسول الله ﷺ. وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يتدع، ولا يقال فيه: كيف؟ بل التسليم له والإيمان به: أن الله ﷻ يضحك، كذا روي عن النبي ﷺ وعن صحابته ﷺ»^(٣).

وقال ابن تيمية معلقاً على سؤال أبي رزين للنبي ﷺ في الحديث السابق: «فجعل الأعرابي العاقل - بصحة فطرته - ضحكه دليلاً على إحسانه وإنعامه؛ فدل على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود وأنه من صفات الكمال»^(٤).

الآثار:

الإيمان بصفة الضحك يبعث في النفس الرجاء من الله كل خير، وعدم القنوط واليأس من رحمة الله، فيسعى إلى فعل الحسنات والإكثار من الطاعات، فعن أبي رزين ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «ضحك ربنا ﷻ من قنوط عباده وقرب غيره، فقلت: يا

(٣) الشريعة للآجري (٢/٢٠٥٢) [دار الوطن، ط١، ١٤١٨هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٦/١٢١)، ولابن القيم كلام لطيف في بيان كون ضحك الله مقروناً بالرضا، انظره في: مدارج السالكين (١/٢١٦) [دار الكتاب العربي، ط١].

قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك، إذا أرادوا عشاء، فهيات طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلنا يُريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما، فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقْ شَحَنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر]^(١).

أقوال أهل العلم:

وضح أهل العلم ثبوت صفة الضحك لله كما يليق بجلاله وعظمته، وقاموا بالذب عنها، ورد المفاهيم الخاطئة فيها، وفيما يلي أذكر جملة منها:

قال ابن خزيمة: «باب ذكر إثبات ضحك ربنا ﷻ بلا صفة تصف ضحكه جل ثناؤه، لا، ولا يشبه ضحكه بضحك المخلوقين، وضحكهم كذلك؛ بل نؤمن بأنه يضحك، كما أعلم النبي ﷺ، ونسكت عن صفة ضحكه ﷻ؛ إذ الله ﷻ استأثر بصفة ضحكه، لم يطلعنا على ذلك، فنحن قائلون بما قال النبي ﷺ، مصدقون بذلك بقلوبنا، منصفون عما لم يبين لنا مما استأثر الله بعلمه»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٧٩٨).

(٢) التوحيد لابن خزيمة (٢/٥٦٣) [مكتبة الرشد، ط١].

﴿الرد عليهم﴾:

لا شك أن هذه التأويلات باطلة لما يلي:

- أنها مخالفة لظاهر النصوص اللاتق بالله من غير دليل صحيح صريح.

- أن تأويل الضحك بلوازمه كالرضا والعطاء ونحوهما بدعوى أن الضحك في حق الله محال، هو تقديم للعقل - أي: غير السليم - على النقل الصحيح، وهو باطل؛ لأن الله أمرنا باتباع الشرع دون قيد أو شرط كما هو معلوم من دلالة الكتاب والسنة.

- أن الله أثبت لنفسه صفة الرضا في أكثر من موطن من كتابه الكريم، وعلى لسان نبيه ﷺ في غير حديث، فحمل صفة على أخرى هو تعطيل لإحدى الصفتين عن الله وهو باطل.

- إن مما يدل على فساد صنيع هؤلاء المؤولة هذا، اضطرابهم تجاه صفات الله تعالى اضطراباً شديداً؛ لأنهم حينما يؤولون صفة الضحك بالرضا ونحوه، فإنهم لا يسلمون للنصوص الدالة على صفة الرضا لله تعالى، وإنما يلجؤون إلى تأويلها أيضاً؛ لأن اتصاف الله بالصفات الاختيارية الذي يسمونه بحلول الحوادث هو غير لائق بالله في زعمهم، فتوصلوا

رسول الله ﷺ، ويضحك الرب تبارك وتعالى؟ فقال: رسول الله ﷺ: نعم. فقال: لن نعدم من رب يضحك خيراً^(١).

فانظر إلى هذا الصحابي كيف قوي رجاءه من الله واستبشر خيراً لما علم أن ربه يضحك، وجعل هذا الضحك دليلاً على إحسان الرب تبارك وتعالى على عباده^(٢).

﴿مذهب المخالفين﴾:

الواجب في صفات الله ﷻ إثباتها لله كما وردت في النصوص مع الإقرار بلوازمها الصحيحة ومضامينها الحققة اللاتقة بالله ﷻ، وقد ذهب المخالفون كالجهمية والمعتزلة إلى نفي هذه الصفة^(٣)، وتبعهم على ذلك الأشاعرة والماتريدية فأولوها بلوازمها كالرضا والعطاء ونحو ذلك من التأويلات^(٤).

(١) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ١٨١)، وأحمد (١٠٦/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والطالسي في مسنده (٤١٧/٢) [دار هجر، ط١، ١٤١٩هـ]، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٢٦/٢٦) وحسنه ابن تيمية في العقيدة الواسطية (٢٠) [طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء، ط٢، ١٤١٢هـ]، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧٣٢/٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢١/٦).

(٣) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية (٣/٢) [دار المدني].

(٤) انظر: أساس التقديس (١٨٩) [مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ]، ومجموع الفتاوى (٦٨/٦) - ٦٩، والرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات

الكمال لابن تيمية (٥) [المؤسسة السعودية، القاهرة، ١٤٠٣هـ]، والماتريدية دراسة وتقويماً (٣٠٥، ٣١١).

بهذا وأمثاله إلى نفي الصفات عن الله .
ضغطة القبر، والضَّغْطَةُ: الشدة
والمشقة^(٢) .

المصادر والمراجع:

١ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٦)،
لابن تيمية .

التعريف شرعاً:

ضم القبر للميت، فإن كان مؤمناً ضُمَّ
ضمة وأفلت، وإن كان منافقاً أو كافراً
ضغط وعصر حتى تختلف أضلاعه، وهو
عليها إلى يوم البعث .

٢ - «الرسالة الأكملية في ما يجب لله
من صفات الكمال»، لابن تيمية .

٣ - «الشرعة» (ج ٢)، للأجري .

٤ - كتاب «التوحيد» (ج ٢)، لابن
خزيمة .

قال ابن أبي زيد القيرواني: «وأن
عذاب القبر حق، وأن المؤمنين يفتنون
في قبورهم ويضغطون، ويستئلون،
ويثبت الله منطق من أحب تثبته»^(٤) .

٥ - كتاب «التوحيد» (ج ٣)، لابن
منده .

٦ - كتاب «الصفات»، للدارقطني .

٧ - «مجموعة الرسائل والمسائل»
(ج ٥)، لابن تيمية .

سبب التسمية:

موافقة لحقيقة الأمر .

٨ - «النبوات» (ج ١)، لابن تيمية .

٩ - «نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن
سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما
افترى على الله ﷻ من التوحيد» (ج ٢)،
للدارمي .

الحكم:

الإيمان بالضغط واجب كسائر
مفردات البرزخ، وتكون للكافر والمنافق
بعد عرض المقعد الذي يسبقه الإجماع
والسؤال، وأما المؤمن فلم تبين
النصوص وقتها .

ضغطة القبر

التعريف لغة:

الضاد والغين والطاء أصل صحيح
واحد يدل على مزاحمة^(١) .

والضغط: العصر، وضغطه يضغطه
ضغطاً: زحمه إلى حائط ونحوه، ومنه:

(٢) انظر: الصحاح (٢٧٧/٤) [دار العلم للملايين،
ط ٤، ١٩٩٠م]، والقاموس المحيط (٨٧٣) [دار
الفكر، ط ٣] .

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١١٩/٩) [دار إحياء التراث
العربي، ط ١، ٢٠٠١م]، والقاموس المحيط (١/
٥٩٠) .

(٤) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (٨٥) .

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢٨٥/٣) .

الحقيقة:

الاعتقاد بأنها حق، وإنها ضغطة حقيقية كما دلت عليها النصوص، أما الكافر والمنافق «فيضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه»^(١)، ومما جاء في المؤمن: «إن للقبر ضغطة، لو كان أحد ناجياً منها نجا سعد بن معاذ»^(٢).

المنزلة:

أحد مفردات البرزخ.

الأدلة:

من أدلة إثبات ضغطة القبر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤]. فإن الكافر بعدما يفتن - كما جاء ذلك في حديث أبي هريرة - «يفتح له باب من أبواب النار فيقال له: هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها، فيزداد حسرة وثبوراً، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: ذلك مقعدك من الجنة وما أعد الله لك فيه لو أطعته، فيزداد حسرة وثبوراً، ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، فتلك المعيشة الضنكة التي قال الله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]»^(٣).

ومما جاء في ضغطة الكافر: حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ أنه قال: «وإن الكافر». فذكر موته، قال: «وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار». قال: «فيأتيه من حرّها وسمومها». قال: «ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه»^(٤).

ومما جاء في ضغطة المنافق: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن النبي ﷺ قال: «إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المُنْكَرُ، والآخر النَكِيرُ، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا

والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٤٠٣) وصحّحه، وحسّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢١٩) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٥٣) واللفظ له، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٩) مختصراً، وأحمد (٣٠/ ٤٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحّحه ابن القيم في أعلام الموقعين (١/ ١٣٧) [دار الكتب العلمية، ط١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦١٩)، و(٣/ ٩٠١) [المكتب الإسلامي، ط١٤٠٩هـ].

(١) سيأتي تخريجه ضمن الأدلة.

(٢) سيأتي تخريجه ضمن الأدلة.

(٣) أخرجه ابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٣)،

رسول الله ﷺ: «لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي» (٣) (٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الإمام أحمد: «والإيمان بعذاب القبر وأن هذه الأمة تُفتن في قبورها، وتُسأل عن الإيمان والإسلام ومن ربه ومن نبيه» (٥).

وقال أبو حاتم الرازي: «ونؤمن بعذاب القبر، ونؤمن بالمسألة في القبر وبالكرام الكاتبين...» (٦).

وقال ابن أبي زيد القيرواني: «وأن عذاب القبر حق، وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويضغطون، ويسألون، ويثبت الله منطق من أحب تشيته» (٧).

وقال محمد صديق حسن خان: «يجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي بعد الموت فيؤمن بفتنة القبر، وعذابه

نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك» (١).

ومما جاء في ضغطة المؤمن: قوله ﷺ - كما في حديث عائشة رضي الله عنها -: «إن للقبر ضغطة، لو كان أحد ناجياً منها نجا سعد بن معاذ» (٢).

ومما جاء في ضغطة الصغير: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧١) وحسنه، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٧)، وجوّد إسناده الألباني في الصحيحة (رقم ١٣٩١).

(٢) أخرجه أحمد (٣١٦/٩) [دار طيبة، ط ١، ١٤١٢هـ] واللفظ له، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٥/٣) [دار الفكر، ط ١٤١٣هـ]: «رواه أحمد عن نافع عن عائشة، وعن نافع عن إنسان عن عائشة، وكلا الطريقتين رجالهما رجال الصحيح»، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٨/٤) [مكتبة المعارف، ط ٢، ١٤١٦هـ]: «الحديث بمجموع طرقه وشواهد صحيح بلا ريب».

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢١/٤) [مطبعة الوطن العربي، ط ١، ١٤٠٠هـ]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٧/٣) [مكتبة القدسي]: «رجاله رجال الصحيح»، وصحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٥/٥).

(٤) دلت النصوص الآتفة على عموم ضغطة القبر للصالح والطالح، إلا أنه يجب التفريق بين ضغطة المؤمن وضغطة الكافر والمنافق، فالكافر والمنافق تختلف أضلاعه بالضغطة، وهي مستمرة إلى يوم القيامة، أما المؤمن فلم يصح في اختلاف أضلاعه حديث، وهي ضغطة مؤقتة، فهي تختلف عن ضغطة الكافر كماً وكيفاً، ولا تصح التسوية بين الفريقين.

(٥) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/١٥٨).

(٦) انظر: المرجع السابق (١/١٨١).

(٧) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (٨٥).

ونعيمه»^(١).

الكلام على منكري عذاب القبر.

المسائل المتعلقة:

المصادر والمراجع:

- ١ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.
 - ٢ - «أهوال القبور»، لابن رجب.
 - ٣ - «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، للقرطبي.
 - ٤ - «رسائل الآخرة» (ج ١)، للعبيدي.
 - ٥ - «شرح اعتقاد أهل السنة»، للالكائي.
 - ٦ - «شرح الصدور»، للسيوطي.
 - ٧ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ٢)، لابن أبي العز.
 - ٨ - «فيض القدير» (ج ٢)، للمناوي.
 - ٩ - «قطف الثمر»، لمحمد صديق حسن خان.
 - ١٠ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ٢)، للسفاريني.
- ظاهر النصوص عموم الضغطة لكل أحد، إلا أن بعض العلماء قال باستثناء الأنبياء من ذلك، قال الحكيم الترمذي: «وأما الأنبياء فلا نعلم أن لهم في القبور ضمة ولا سؤالاً؛ لعصمتهم»^(٢).
- وقال المناوي: «ضغطة القبر لا ينجو منها أحد صالح ولا غيره، لكن خصّ منه الأنبياء»^(٣).

الآثار:

ضغطة القبر إحدى الأسباب التي تندفع بها العقوبة الأخروية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الذنوب مطلقاً من جميع المؤمنين هي سبب العذاب، لكن العقوبة بها في الآخرة في جهنم تندفع بنحو عشرة أسباب... السبب الثامن: ما يُبتلى به المؤمن في قبره من الضغطة وفتنة الملكين»^(٤).

مذهب المخالفين:

كل من أنكر عذاب القبر فهو منكر لمفرداته ومنها الضغطة، والجواب عليهم واحد وقد تقدم ذكر ذلك عند

الضلال

التعريف لغة:

الضلال: من ضل؛ قال ابن فارس: «الضاد واللام أصل صحيح يدلّ على معنى واحد، وهو ضياع الشيء وذهابُه في غير حقه. يقال: ضَلَّ يَضِلُّ وَيَضِلُّ، لغتان. وكلُّ جائر عن القصد ضالٌّ. والضَّالُّ والضَّالَّةُ: ضدُّ الهدى والرَّشاد، ضَلَّتْ تَضِلُّ وتَضِلُّ ضَلالاً وضَّالَّةً؛

(١) انظر: قطف الثمر (١٢١).

(٢) لوامع الأنوار البهية (١٤/٢) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١١هـ].

(٣) فيض القدير (٣٢٦/٥).

(٤) منهاج السنة (٢٠٥/٦ - ٢٣٨) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ].

بمعنى. ورجلٌ ضَلِيلٌ ومُضَلَّلٌ؛ إذا كان صاحبَ ضَلَالٍ وباطلٍ»^(١).

✽ التعريف شرعاً:

الضلال: هو العدول عن طريق الحق بلا علم، وهو ضد الاهتداء^(٢).

✽ الأسماء الأخرى:

يرادف الضلال في الشرع عدة مسميات، هي:

الختم، والطبع، والأكنة، والغطاء، والغلاف، والوقر، والغشاوة، والران، والغل، والقفل، والإغفال، والمرض، وتقليب الأفتدة.

✽ الحكم:

مما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء؛ وأن العباد لهم مشيئة وقدر، يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه؛ مع قولهم: إن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء الله^(٣).

✽ الحقيقة:

هو أن الله تعالى خصَّ المؤمنين بنعمة

يهتدون بها لم يعطها للكافرين^(٤)، وأن الله سبحانه هو خالق أفعال العباد، فيضل من يشاء ويهدي من يشاء؛ وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن من أضله الله فبعده لا يظلم الله وَعَلَيْكَ أحداً شيئاً، فالهedy والإضلال بيد الله لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي، والهداية والإضلال فعل الله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه. ومع اعتقاد أن الهدي والضلال بيد الله وَعَلَيْكَ لا بدَّ للمسلم أن يعلم أن العبد هو الذي يفعل الضلال ويكتسبه بيده، وقد حذر الله من مسالك الضلال كلها ودل على طرق الخير كلها، وليس لأحد على الله حجة؛ بل الحجة لله على خلقه، فقد أعطى الله وَعَلَيْكَ كل واحد منا العقل الذي يفهم به الخطاب ويميز به الخير من الشر، والإرادة والقدرة التي يفعل بها أو لا يفعل، ثم أرسل الرسل وأنزل الكتب ودعا إلى الهدى وأبان الطريق ووضحه وحذر من مسالك الشيطان ومداخله، فإذا أحد ركب الغواية وأهلك نفسه بأودية الضلالة فلا يلومن إلا نفسه، ولا يحمل انحرافه وضلاله على ربه فليس له حجة كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

(١) مقاييس اللغة (٣/٣٥٦) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، وانظر: لسان العرب (١١/٣٩٠) [دار صادر، ط ٣].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠٩/٢٠) [مجمع الفلك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ٢، ١٤٢٥هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٨/٤٥٩).

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية (٣/١٠٣).

﴿المنزلة﴾

وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَحْدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا﴾ (١٧) [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٧٨) [الأعراف]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَحْدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الإسراء].

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يخطب الناس، يحمد الله ويشني عليه بما هو أهله، ثم يقول: «من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وخير الحديث كتاب الله» (٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة: إن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله...» (٣).

﴿أقوال أهل العلم﴾

قال الطبري رحمه الله: «الهداية والإضلال

الضلال عن الهدى أعظم خسارة يُبتلى بها البشر، قال ابن القيم رحمه الله: «فإن أفضل ما يقدر الله لعبده وأجل ما يقسمه له الهدى وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه الضلال، وكل نعمة دون نعمة الهدى وكل مصيبة دون مصيبة الضلال» (١).

وكلما كانت الضلالة أكبر كانت الخسارة أعظم، لهذا كانت النجاة من الضلالة والفوز بالهدى أشرف المسائل وأعظمها، وقد ضمنها الله ﷻ أعظم سورة في القرآن الكريم، وهي سورة الفاتحة، حيث تضمنت سؤال الله ﷻ الهداية والاستعاذة من طرق أهل الغواية والضلالة، قال ﷺ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ [الفاتحة]، فمن تحققت له الهداية للصرط المستقيم فقد تحقق له النجاح والفوز في الدنيا والآخرة، ومن ضلَّ عنه إلى طريق المغضوب عليهم أو الضالين فقد خسر دنياه وأخراه وباء بالعذاب الأليم.

﴿الأدلة﴾

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦) [القصاص].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٦٧).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب النكاح، رقم ٢١١٨)، والترمذي (أبواب النكاح، رقم ١١٠٥) وحسنه، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٤٠٤)، وابن ماجه (كتاب النكاح، رقم ١٨٩٢)، وأحمد (٢٦٢/٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والدارمي (كتاب النكاح، رقم ٢٢٤٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ١٨٤٤) [مؤسسة غراس، ط ١].

(١) شفاء العليل (١/٦٥) [دار المعرفة، ١٣٩٨هـ].

يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وله الحكمة في ذلك، والحجة البالغة؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ بِصِيرُ بِالْعِبَادِ ۝١٥﴾ [آل عمران]؛ أي: هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة، وهو الذي ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء] وما ذاك إلا لحكمته ورحمته^(٤).

❁ الأقسام:

الضلال في الدين على النوعين:

الأول: الضلال عن الحق والإيمان وذلك بالوقوع في الكفر المضاد للإيمان كاليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَٰلُ الْبَعِيدُ ۝١٨﴾ [إبراهيم]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝١٦٦﴾ [النساء]. وهو الأكثر ورودًا في القرآن الكريم.

الثاني: الضلال بارتكاب ما حرم الله والوقوع فيما يغضب الله بارتكاب الكبائر والمعاصي، فصاحبه فيه من الضلال بقدر ما انحرف عن دين الله ﷻ ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ

ببد الله، و(المهتدي) وهو السالك سبيل الحق، الراكب قصد المحجة في دينه، من هداه الله لذلك، فوققه لإصابته. والضال من خذله الله فلم يوفقه لطاعته، ومن فعل الله ذلك به فهو (الخاسر)؛ يعني: الهالك^(١).

وقال ابن بطّة رَحِمَهُ اللهُ بعد أن ذكر الآيات التي تنص على أن الهداية بيد الله ﷻ: «ففي كل هذه الآيات يعلم الله ﷻ عباده المؤمنين أنه هو الهادي المضل وأن الرُّسل لا يَهْتَدِي بِهَا إِلَّا مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ، وَلَا يَأْبَى الْهُدَايَةَ إِلَّا مَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ»^(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «قد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد وأن العبد هو الضال أو المهتدي فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه»^(٣).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وهو الذي

(١) تفسير الطبري (٢٧٦/١٣) [مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٢) الإبانة لابن بطة العكبري (٢٦٥/١) [دار الراية، السعودية، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٣) شفاء العليل لابن القيم (٦٥/١).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٦/٢) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

١ - اتباع وسوسة الشيطان وتزيينه:

الشيطان عدو الإنسان الأول والأخطر، ووسوسته سبب خروج أبينا آدم من الجنة، وله دأب وحرص على إغواء بني آدم، وقد حذرنا الله وَعَلَيْكُمْ منه ومن وسوسته وأخبرنا عنه ما يخفى علينا من حاله ومقاصده وأعماله؛ حتى نكون على حذر منه، وأن لا يغرنا عن ديننا فنهلك معه في نار جهنم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَكُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَكُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۝ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝﴾ [فاطر]، وقال تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَنَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ۝ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا يُخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ۝ وَلَا ضَلَالَهُمْ وَلَا مُمْسِكِينَ وَلَا مَرْبُوعِينَ فَلْيَبْتَئِزُوا عَازَاتٍ الْاَنْعَامِ وَلَا مِرْيَاتِهِمْ فَلْيَغْوِرُوا خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۝ يَعْدُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۝﴾ [النساء]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

٢ - اتباع الهوى:

الهوى: هو محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه ^(٢)؛ وقيل الهوى: ميلان

وَلَا مُؤْمِنَةً إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ [الأحزاب]، وأكثر أهل العلم يرى أنها نزلت في شأن زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما خطبها رسول الله ﷺ لمولاه زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأبت في أول الأمر، ثم بعد نزول الآية قبلت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ^(١). فيكون الضلال هنا هو عدم الاستجابة لأمر النبي ﷺ وطلبه فيما هو دون الإيمان.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: أسباب الضلالة:

الضلالة عن الهدى وارتكاب ما حرم الله سواء في الوقوع في الكفر؛ وذلك بالردة عن الدين، أو بعدم الاستجابة لطلب الإيمان والبقاء على ملة من ملل الكفر، أو بالابتداع في الدين والأخذ بأقوال أصحاب الضلالة في ذلك، مثل الشيعة والخوارج والجهمية والمعتزلة والمرجئة وعباد القبور والطرقية وغيرهم، أو بالانحراف عن الدين بالوقوع في المعاصي التي تنافي كمال الإيمان وتقبح فيه من هذا الوجه؛ كالمعاصي التي يرتكبها عصاة المسلمين، كل ذلك له أسباب عامة كثيرة؛ منها:

(١) تفسير الطبري (٢٠/٢٧١) مرجع سابق، تفسير ابن

كثير (٦/٤٢١) مرجع سابق.

(٢) تاج العروس (٤٠/٣٢٦) [دار الهداية].

واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل»^(٣).

٣ - الجهل:

إن عدم معرفة الحق والجهل به سبب من أسباب الضلالة والانحراف عن الحق، ولذا أرسل الله ﷻ الرسل للتعريف به والدعوة إليه وتعليم الخلق ما ينفعهم في دينهم، ويحذرهم مما يضرهم في دينهم كما أنزل الكتب لتكون نصاً محفوظاً يرجع إليه كل من أراد الهداية وسعى إليها، وفي خطورة الجهل بالحق وكونه سبباً من أسباب الضلالة يقول تعالى: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنْتٌ ءَانَاءَ أَلِيلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر، ٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ [٥٨] كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ [٥٩] [الروم]، قال الطبري رحمه الله في الآية: «كذلك يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما

النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع»^(١).

وسمي هوى؛ لأنه خال من كل خير، ويهوي بصاحبه فيما لا ينبغي^(٢).

فالهوى من أعظم أسباب الضلالة؛ لأنه متابعة لشهوات النفس ورغباتها في مقابل أوامر الله ﷻ وشرعه، قال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص، ٢٦].

وبين الله تبارك وتعالى أن سلامة الإنسان ونجاته في أمرين؛ **أولهما:** خوف الوقوف بين يدي الله تعالى والاستعداد لذلك. **ثانيهما:** مخالفة هوى نفسه ومنعها منه قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [٤٠] فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ [٤١] وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [٤٠] [النازعات]، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «إنما أخشى عليكم اثنين: طول الأمل، واتباع الهوى؛ فإن طول الأمل ينسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، والآخرة مقبلة، ولكل

(٣) أخرجه أبو داود في الزهد (١١٦) [دار المشكاة،

ط ١]، والبيهقي في الشعب (١٧٣/١٣) [مكتبة الرشد، ط ١]، وعلق البخاري قطعة منه بصيغة الجزم في صحيحه (كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله).

(١) التعريفات للجرجاني (٢٥٧) [دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ].

(٢) مقاييس اللغة (١٦/٦) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

فيما حَرَّمَ اللهُ تعالى، قال ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ فِي معناها: «هو الذي أنزل عليك يا محمد القرآن، منه آيات محكمات بالبيان، هنَّ أصل الكتاب الذي عليه عمادك وعماد أمتك في الدين، وإليه مفرعك ومفرعهم فيما افترضت عليك وعليهم من شرائع الإسلام وآيات أخر، هنَّ متشابهات في التلاوة، مختلفات في المعاني... فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق وانحراف عنه؛ فَيَتَّبِعُونَ ما تشابهت ألفاظه وتصرفت معانيه بوجوه التأويلات، ليحققوا - بادعائهم الأباطيل من التأويلات في ذلك - ما هم عليه من الضلالة والزَّيْغ عن محجة الحق، تلبسًا منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل ذلك وتصاريف معانيه» (٣).

فالمتشابه سبب من أسباب ضلالة المنتسبين إلى الدين من الفرق الضالة، فهم يَتَّبِعُونَ المتشابه من النصوص؛ لأنهم يجدون فيه ما يلبسون به على الناس في إيهامهم أن لهم مستمسكًا من الدين، لهذا حذر الرسول ﷺ منهم فعن

تأتيهم به يا محمد من عند الله من هذه العبر والعظات، والآيات البينات، فلا يفقهون عن الله حُجَّة، ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من آي كتابه، فهم لذلك في طغيانهم يتردّدون» (١).

فالجَهل هو الداء الذي يعمي عن الهدى ويدفع المرء لأبواب الضلالة، ويعطله عن معرفة الرشاد والتزامه؛ بل يجعله يعادي الحق وأهله ويكذب أنبياء الله ورسله، ويرد دعوتهم ويكذب بكتب الله وبياناته، وبدل أن يعبد ربه ويطيع خالقه يعبد ما لا ينفعه بل يضره، وما لا حقيقة له ولا وجود سوى في خياله وتصوراته، وفي الاسم لا في الرسم والحقيقة.

٤ - اتباع المتشابه:

المتشابه: هو ما لم يقطع بفحواه من غير تردد فيه (٢).

فالمتشابه يكون في النصوص الشرعية ولم يتضح للمكلف معناه فيجزم من وقعت في قلبه الضلالة بالمعنى الذي ارتآه من غير رجوع للأصول الشرعية التي بالنظر فيها يتحدد المعنى ويتقيد ويتبين بها مراد الشارع، فيكون هو الهدى وما عداه باطل، وقد حذرنا الله تعالى من اتباع المتشابه وبالتالي الوقوع

(١) تفسير الطبري (٢٠/١٢٠).

(٢) تاج العروس (١٣/٣٢٤).

(٣) تفسير الطبري (٦/١٧٤ - ١٨٥) مختصرًا.

أن يتأولوها كما يصنع أهل الضلال، يتبعون المتشابه من الأدلة العقلية والسمعية ويعدلون عن المحكم الصريح من القسمين»^(٢).

٥ - اتباع ما لا يصح من الدليل:

الأدلة الشرعية الصحيحة يقابلها الأدلة الباطلة التي لا تصح كالأحاديث الضعيفة والموضوعة والاستدلال بالعقل في مقابل الشرع، وهذا من الأسباب المهمة في وقوع كثير من الناس في الضلالة وقد حذرنا الله من المضلين الذين يكذبون على الله ﷻ وعلى أنبيائه ليضلوا الناس، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُخْرَجُونَ عَذَابَ الْهَوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام، ٩٣] وقال ﷻ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام، ١٤٤].

كما حذر النبي ﷺ من الكذب عليه، فعن علي بن ربيعة، قال: أتيت المسجد والمغيرة أمير الكوفة، قال: فقال

عائشة رضي الله عنها قالت: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] إلى: ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ قال: فقال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سَمَى الله فاحذروهم»^(١).

وكل من اطلع على أدلة أصحاب الفرق الضالة من المعطلة والخوارج والرافضة وعباد القبور وغيرهم يجد أنهم اعتمدوا على المتشابه من النصوص؛ للتبليس والإغواء ولإظهار أنهم أصحاب استدلال واتباع، وهم أصحاب أهواء وابتداع، وقد عدَّ شيخ الاسلام ابن تيمية اتباع المتشابه أول أسباب الضلالة للنصارى والفرق الضالة، فقال: «ومما ينبغي أن يعلم أن سبب ضلال النصارى وأمثالهم من الغالية كغالية العباد والشيعة وغيرهم ثلاثة أشياء:

أحدها: ألفاظ متشابهة مجملة مشككة منقولة عن الأنبياء، وعدلوا عن الألفاظ الصريحة المحكمة وتمسكوا بها، وهم كلما سمعوا لفظاً لهم فيه شبهة تمسكوا به وحملوه على مذهبهم، وإن لم يكن دليلاً على ذلك، والألفاظ الصريحة المخالفة لذلك إما أن يفوضوها، وإما

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣١٥/٢) [دار العاصمة، السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٥٤٧)، ومسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٦٥).

بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٦﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَنُهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٧﴾ [الأعراف، وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلَىٰ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [البقرة].

وقد بيّن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ التقليد للآباء بالباطل أعظم الأصول التي بُني عليها الكفر، فقال في مسائل الجاهلية: «**الرابعة:** أن دينهم مبني على أصول؛ أعظمها التقليد، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الزخرف]...» (٢).

فالتقليد بالباطل المصادم للحق وخاصة للآباء ضلّ بسببه كثير من الخلق، وليس لهم برهان أن آباءهم كانوا على الحق أو على الهدى، وإنما هو التقليد المجرد من العقل أو الحجة الصحيحة.

٧ - الإعراض:

الإعراض عن الحق والرشاد سبب من

المغيرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبِ عَلَى أَحَدٍ، فَمَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (١).

ومن راجع أو نظر في أدلة أصحاب الضلالة سيجد أنهم يعتمدون أدلة لا تصح؛ كالأحاديث الضعيفة والموضوعة، ويبنون عليها دينهم، كما هو حال الرافضة والصوفية.

ومن الأدلة الباطلة: الأدلة العقلية المخالفة للنصوص الشرعية؛ كالأدلة التي يعتمد عليها المتكلمون في تقرير المسائل الشرعية في مسائل الصفات والقدر؛ كإنكارهم للصفات الفعلية بناءً على أن الله عندهم لا تحل به الحوادث، أو إنكارهم للقدر بناءً على التحسين والتقييح العقلي ونحو ذلك، فصارت هذه الأدلة عندهم مصادمة للشرع ومعارضة له وسبباً بيناً من أسباب الضلالة.

٦ - تقليد الآباء:

من أسباب الضلالة لدى كثير من الناس تقليد الآباء والشيوخ والكبراء، وقد بيّن الله ﷻ لنا ذلك وحذرنا منه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَنُهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف، وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلَىٰ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [البقرة].

(٢) شرح مسائل الجاهلية للفوزان [دار العاصمة، الرياض، ١٤٢١هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٩١)، ومسلم (المقدمة، رقم ٤).

القيّم رَحِمَهُ اللهُ: «القرآن من أوله إلى آخره إنما يدل على أن الطبع والختم والغشاوة لم يفعلها الرب سبحانه بعبد من أول وهلة حين أمره بالإيمان أو بيّنه له، وإنما فعله بعد تكرار الدعوة منه سبحانه والتأكيد في البيان والإرشاد وتكرار الإعراض منهم والمبالغة في الكفر والعناد، فحينئذ يطبع على قلوبهم ويختم عليها فلا تقبل الهدى بعد ذلك، والإعراض والكفر الأول لم يكن مع ختم وطبع بل كان اختياراً، فلما تكرر منهم صار طبيعة وسجية. فتأمل هذا المعنى في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ [البقرة]. ومعلوم أن هذا ليس حكماً يعم جميع الكفار؛ بل الذين آمنوا وصدقوا الرسل كان أكثرهم كفاراً قبل ذلك ولم يختم على قلوبهم وعلى أسماعهم، فهذه الآيات في حق أقوام مخصوصين من الكفار فعل الله بهم ذلك؛ عقوبة منه لهم في الدنيا بهذا النوع من العقوبة العاجلة، كما عاقب بعضهم بالمسخ قردة وخنازير، وبعضهم بالطمس على أعينهم، فهو سبحانه يعاقب بالطمس على القلوب كما يعاقب بالطمس على الأعين، وهو سبحانه قد يعاقب بالضلal عن الحق عقوبة دائمة

أسباب الضلالة؛ فإن كثيراً من أهل الضلالة لا يريد الحق ولا يستجيب لدعوة الرسل؛ إعراضاً عنهم لمقصد من المقاصد، قد يكون حب الدنيا وطول أمله فيها، أو كبراً عن الحق والخضوع له، أو غير ذلك من الصوارف عن الحق، قال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف]، وقال تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فُرْقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران].

ومن عرف واقع كثير من أهل الضلالة عرف من حالهم عدم رغبتهم في الحق ولا قبولهم له؛ لأنهم يرون أنه يقطع عليهم شهواتهم أو يتعارض مع أسلوب حياتهم، ولا يكون لهم هم سوى دنياهم وما هم فيه من حال، فلا يلتفتون لدعوة الرسل والآيات البينات.

- المسألة الثانية: عقوبات أهل الضلال بسبب ضلالهم بما يحول بينهم وبين الإيمان:

بيّن الله رَحِمَهُ اللهُ في كتابه أنه يعاقب الضالين عن دينه والمنحرفين عن منهجه بعقوبات تتعلق بالدين، وذلك بالختم، والطبع، والأكتة، والوقر، الرين، والغل، والسد، والغشاوة، والقفل، والحول بين المرء والإيمان، قال ابن

عن فهم ما يتلى عليهم، والإصغاء لما تدعوهم الآيات إليه^(٤).

٣ - الرين والغل والسد والغشاوة:

قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين]، الران والرین هو كالصدأ يغشى على القلب، والمعنى أنه غطى عَلَى قُلُوبِهِمْ، يقال: ران على قلبه الذنب يَرِينُ رَيْنًا؛ إذا غشي على قلبه^(٥).

والغل هو جعل القيد في العنق واليد^(٦)، والغشاوة: مَا غَشِيَ الْقَلْبَ مِنَ الطَّنْبِ، والغشاء: الغطاء^(٧).

فالغل للأيدي بأن لا تنبسط بالخير، والغشاوة على القلوب والأبصار بتغطيتها فلا تهتدي للحق^(٨).

٤ - القفل والحوّل بين المرء والإيمان:

القفل هو إغلاق القلوب فلا تعقل الهدى ولا تتبعه وقد جاء من فعل الله بالكفار، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد]^(٩).

أما الحول بين المرء والإيمان فقد قال فيه تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

مستمرة، وقد يعاقب به إلى وقت ثم يعافي عبده ويهديه كما يعاقب بالعذاب كذلك^(١٠).

وتفصيل ذلك فيما يلي:

١ - الختم والطبع:

الختم والطبع: هو طبع الله ﷻ على القلوب والجوارح وتغطيتها؛ فلا تعقل الهدى والفرقان ولا تهتدي إلى الحق ولا تعيه ولا توفق له^(١١).

٢ - الأكنة والوقر:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَنَّ عَلَى أَذُنِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء].

والأكنة جمع كنان، وهو الغطاء، والوقر: ثقل السمع^(١٢)، فكان هذا الغطاء الذي يغطي قلوبهم والصمم الذي يصيب آذانهم حاجبًا لهم عن الهدى والاستجابة لأمر الله ﷻ؛ لأن الله قد جعل على قلوبهم أكنة؛ يعني: غطاءهم الذي يكتنهم، وجعل في آذانهم ثقلاً وصمماً

(١) شفاء العليل (٩١) [دار المعرفة، ١٣٩٨هـ].

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٦٥ - ٢٧٤) [دار هجر،

ط ١، ١٤٢٢هـ]، والشرعية للأجري (١/ ٤١٧) [دار

الفضيلة، ط ٣، ١٤٢٨هـ]، والإبانة لابن بطة (١/

٢٥٣) [دار الراية، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والمفردات في

غريب القرآن (١/ ١٤٢) [دار المعرفة، وتفسير

البغوي (١/ ٦٤ - ٦٥) [دار طيبة، ١٤١٩هـ].

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٣٦) [عالم

الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٤) تفسير الطبري (١١/ ٣٠٦) مختصراً.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٩٩).

(٦) لسان العرب (١١/ ٥٠٤) [دار صادر، ط ٣].

(٧) تهذيب اللغة (٨/ ١٤٥).

(٨) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩٥).

(٩) المرجع السابق (٢٢/ ١٧٩).

ويكون الإضلال فعلاً حادثاً. وقال بعضهم: إضلال الله الكافرين هو إهلاكه إياهم، وهو عقوبة منه لهم واعتلّ بقول الله ﷻ: ﴿فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٤٧) [القمر] (٢).

هذه الأقوال منهم أقوال باطلة وتأويلات غير سائغة، المراد منها إبطال أن الله يضل أحداً، والأدلة السابقة ترد على قولهم وتبين أن الهداية والضلال بيد الله ﷻ فمن هداه اهتدى ومن أضله ضل.

أما تفسيرهم لمعنى الإضلال من الله بأنه تسمية الضال ضالاً والحكم عليه بذلك أو الإخبار عنه به، فهو قول باطل وتأويل مردود، فكيف يقولون في مثل قوله تعالى عن المنافقين: ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (١٤٣) [النساء] وقوله تعالى: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٨٦) [الأعراف].

هل يمكن لغة أن يقال في معناها من يسم الله ضالاً أو من يحكم عليه بناءً على ضلاله بأنه ضال أو يخبر عنه أنه ضال؟ فلن تجد له مسمياً غيره ولا

أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ [الأنفال].

الحول بين الشيء والشيء، إنما هو الحجز بينهما، وإذا حجز جلّ ثناؤه بين عبد وقلبه في شيء أن يدركه أو يفهمه لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع الله قلبه إدراكه سبيل؛ لأن الله ﷻ إذا حال بين عبد وقلبه، لم يفهم العبد بقلبه الذي قد حيل بينه وبينه ما مُنع إدراكه به على ما بيّنت (١).

✽ مذهب المخالفين:

خالف في هذه المسألة طائفتان:

الأولى: المعتزلة:

ومن أخذ بقولهم، فقد أنكروا أن يكون الله ﷻ يضل أحداً، وزعموا أن ذلك يتعارض مع العدل وذلك قبيح يتنزه الله عنه وفسّروا الإضلال من الله الوارد في القرآن الكريم بقولهم: «يحتمل أن يكون التسمية لهم والحكم بأنهم ضالون، ويحتمل أن يكون لما ضلوا عن أمر الله سبحانه! أخبر أنه أضلهم؛ أي: أنهم ضلوا عن دينه، ويحتمل أن يكون الإضلال هو ترك إحداث اللطف والتسديد والتأييد الذي يفعله الله بالمؤمنين، فيكون ترك ذلك إضلالاً

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري (٢٠٨/١) [المكتبة العصرية ط ١، ١٤٢٦هـ]. وانظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للعمرواني اليمني (٢٧٦/١).

(١) المرجع السابق (١٣/٤٧٢).

«أي: في حيدة عن الحق واحتراق»^(٢)، وقال ابن كثير: «يخبرنا تعالى عن المجرمين أنهم في ضلال عن الحق، وسعر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق»^(٣). وبه يتبين بطلان قول المعتزلة وبطلان تأويلاتهم في هذا الباب.

الثانية: الجبرية:

وهم المنكرون أن العبد له فعل أو إرادة، وينسبون فعل العبد وإرادته لله وَيَكُنْ، وطرده قولهم في هذا الباب هو أن الضلال ينسب إلى العبد مجازاً وهو فعل الله على الحقيقة، وهو قول في غاية البطلان والبعد عن الدين والعقل والفطرة واللغة؛ فإن نسبة الأفعال في الهدى والضلال إلى من قامت بهم الأفعال وارتكبوها مما يتفق عليه العقلاء ويؤكداه الشرع ويوضحه، قال تعالى: غَيْرِ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) [الفتح]، وقال: وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ (٩٦) [الواقعة]، وقال: مَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى [الإسراء: ١٥].

حاکماً عليه بالضلالة ولا مخبراً عنه غيره، فذلك لا يستقيم به المعنى ولا يصح، قال القرطبي في رده عليهم بدعواهم أن معناه تسمية الضال ضالاً: «وهو خلاف أقاويل المفسرين، وهو غير محتمل في اللغة؛ لأنه يقال: ضلَّه إذا سمَّاه ضالاً، ولا يقال: أضله إذا سمَّاه ضالاً»^(١)، وظاهر من الإطلاق أن المقصود الوصف وليس التسمية ولا الحكم ولا الخبر عنه؛ لأنه قال في الآية الأولى: فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا [النساء]، وقال في الآية الثانية: فَكَادَ هَادِي لَهُ [الأعراف: ١٨٦]، فكيف يسوغ أن يقال: من سمَّاه الله ضالاً فلا سبيل له إلى الخير ولا هادي له، لا شك أن تلك دعوى لا تستقيم مع النص، وإنما هي لي لأعناق النصوص لتوافق أهواءهم.

أما قولهم: إضلال الله الكافرين هو إهلاكه إياهم وهو عقوبة منه لهم، فذلك هذا القول لا يستقيم مع النصوص السابقة، كما أن الضلال ليس من معانيه الهلاك، وقد سبق بيان معناه. أما آية سورة القمر التي استدلو بها لزعمهم فليس فيها ما يشهد لقولهم، فقله تعالى: إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ [القمر] معناه كما قال القرطبي:

(٢) المرجع السابق (١٧/١٤٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/٤٨٢) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(١) تفسير القرطبي (١/٢٤٤).

شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٢﴾ [الإنسان]، وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرَّمًا، فلا تظالموا، يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلَّا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلُّكم جائع، إلَّا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلُّكم عار، إلَّا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم... يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فلا يلومنَّ إلا نفسه»^(١).

فهذا كله فعل الله ﷻ للعبد وتهيئته للتكليف، فمن اهتدى فلنفسه والله هداة وله المنة والفضل، ومن ضلَّ فقد راغ عن الصراط وزاغ، والله أضلَّه بعد قيام الحجة والإعذار والإنذار، وذلك عدل الله وقضاؤه وهو العليم الحكيم.

المراجع والمصادر:

- ١ - «الإبانة»، لابن بطة.
- ٢ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٣ - «القدر»، لعبد الله بن وهب.

فهذه النصوص الكثيرة فيها دلالة واضحة على أن الضلالة هي فعل العبد واكتسبها وقامت به، سواء كانت عقدية أم عملية، فهي تنسب إليه ويعاقب عليها، وهذا لا يخالف فيه سوى الجبرية، وإنما المنسوب الى الله من ذلك تقديره وخلقه للفعل في العبد فهو الذي يعين المهتدي فيجعله مهتدًا ويجنبه أسباب الضلالة، وهو سبحانه الذي يضل من شاء بأن يقدر عليه الضلالة ويخلق الكفر والضلالة في قلبه فتكون منه وبإرادته الضلالة وفعله، مع أن الحجة لله بإرساله الرسل وإنزال الكتب وخلقه في العبد القدرة والإرادة، فيقدم على ما قدر الله بإرادته ويفعلها بجوارحه، فيستحق بذلك العقوبة والحجة لله عليه، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لِيَلَّا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ عَابِتِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [١]، ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ [٢] [الكهف]، وقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ [٨] وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ [٩] وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ [١٠]، وقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [٢] إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا

(١) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٧٧).

- ٤ - «القدر»، للفريابي .
- ٥ - «القضاء والقدر»، للبيهقي .
- ٦ - «الانتصار في الرد على القدريّة
- المعتزلة الأشرار»، للعمراني اليماني
- الشافعي .
- ٧ - «القضاء والقدر في الإسلام»،
- لفاروق أحمد الدسوقي .
- ٨ - «القضاء والقدر»، لعبد الرحمن
- المحمود .
- ٩ - «القضاء والقدر»، لعمر سليمان
- الأشقر .
- ١٠ - «القضاء والقدر»، لابن تيمية .

❖ ضمة القبر ❖

يراجع مصطلح (ضغطة القبر) .



حرف الطاء

صحيح يدل على إتيان خير وإيتاءه، ونصر الله المسلمين: آتاهم الظفر على عدوهم، ينصرهم نصرًا، وانتصر: انتقم، وهو منه، وأما الإتيان فالعرب تقول: نصرت بلد كذا، إذا أتيت، ولذا يُسمى المطر نصرًا، ونصرت الأرض فهي منصورة، والنصر: العطاء»^(٣).

«ونصر المظلوم نصرًا ونصورًا: أعانه ونصره منه: نجّاه وخلّصه»^(٤).

فالطائفة المنصورة: الجماعة من الناس المجتمعون على إتيان الخير وإيتائه، وقد آتاهم الله الظفر على عدوهم، وأعانهم عليهم، ونجاهم منهم.

التعريف شرعًا:

هم المعتصمون بالكتاب والسنة، المجانبون للفرقة والبدعة، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ومن اقتفى أثرهم، وسلك سبيلهم إلى يوم الدين»^(٥).

(٣) مقاييس اللغة (٤٣٢/٣) [دار الجيل]، وينظر: تهذيب اللغة (١١٢/١٢) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ].

(٤) القاموس المحيط (٢٣٥/٢) [دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ].

(٥) ينظر: معرفة علوم الحديث للحاكم (٣٥) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤١١هـ].

الطائفة المنصورة

التعريف لغة:

الطائفة: من (ط - و - ف)، قال ابن فارس: «الطاء والواو والفاء أصل واحد يدل على دوران الشيء على الشيء، وأن يحفّ به، ثم يحمل عليه فأما الطائفة من الناس فكأنها جماعة تطيف بالواحد أو بالشيء، ولا تكاد العرب تحدها بعدد معلوم، إلا أن الفقهاء والمفسرين يقولون فيها مرة: إنها أربعة فما فوقها، ومرة: إن الواحد طائفة، ويقولون: هي الثلاث، ولهم في ذلك كلام كثير، والعرب فيه على ما أعلمتكم، أن كل جماعة يمكن أن تحفّ بشيء فهي عندهم طائفة، ولا يكاد هذا أن يكون إلا في اليسير، هذا في اللغة، والله أعلم»^(١).

«والطائفة من كل شيء قطعة، يقال: طائفة من الناس، وطائفة من الليل»^(٢).

والمنصورة: من (ن - ص - ر)، قال ابن فارس: «النون والصاد والراء أصل

(١) مقاييس اللغة (٤٣٥/٥) [دار الجيل].

(٢) تهذيب اللغة (٢٦/١٤) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ]، وينظر: مقاييس اللغة (٤٣٣/٣).

بنصرة الحق، والثبات عليه، والدعوة إليه، والسير على منهاج النبوة، وليست العبرة بمجرد الغلبة، فأهل البدع قد تكون لهم الغلبة في بعض الأزمنة أو الأمكنة، لكن لا يدل هذا على صحة مذهبهم.

❁ الأدلة:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»^(١).

وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك»^(٢).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»^(٣).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من

وقد نصَّ بعض أهل العلم على أن المراد بهذه الطائفة: أصحاب الحديث، كما سيأتي.

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي عام، وقد خصَّه الشرع بأهل السُّنة والجماعة، المعتصمون بالكتاب والسُّنة.

❁ سبب التسمية:

أن الله تعالى ينصرها، ويحقق لها الظهور مدى الأزمان، إلى قيام الساعة، وإليه الإشارة في قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين»، وقوله: «لا يزال طائفة من أمتي على الحق منصورين»، كما سيأتي عند ذكر الأدلة.

❁ الأسماء الأخرى:

أهل السُّنة والجماعة، الجماعة، السلف، أهل الحديث، أهل الأثر، السواد الأعظم، الفرقة الناجية.

❁ الحكم:

يجب الإيمان والتصديق بوجودها كما أخبر النبي ﷺ، كما يجب اتباعها، وسلوك سبيلها.

❁ الحقيقة:

لا يقصد بوصف هذه الطائفة بـ(المنصورة) أن تكون الغلبة الحسية دائمة لهم في كل زمان أو مكان، فالعبرة

(١) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنة، رقم ٧٣١١) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٩٢١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٦٤١)، ومسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٠٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٦).

وقال الإمام أحمد: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟»^(٧).

وقال البخاري: «يعني: أصحاب الحديث»^(٨).

ومراد هؤلاء الأئمة بأصحاب الحديث هنا أهل السُّنَّة والجماعة، الذين اعتمدوا الكتاب والسُّنَّة وآثار سلف هذه الأمة علماً وعملاً واتباعاً، دون تحريف، أو تأويل يخالف مراد الله ورسوله ﷺ، ودون معارضة الكتاب والسُّنَّة الصحيحة بعقل فاسد أو رأي مجرد، كما هو حال أهل البدع والأهواء من أهل الكلام ونحوهم.

ولذا قال الإمام الحاكم بعد ذكره قول الإمام أحمد أنهم أصحاب الحديث: «لقد أحسن أحمد بن حنبل في تفسير هذا الخبر أن الطائفة المنصورة التي يُرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة هم: أصحاب الحديث، ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجَّة الصالحين، واتبعوا آثار السلف من الماضين، ودمغوا أهل البدع والمخالفين

(٧) شرف أصحاب الحديث (٢٦)، وينظر: معرفة علوم الحديث للحاكم (٣٥) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤١١هـ].

(٨) شرف أصحاب الحديث (٢٧)، وفي صحيح الإمام البخاري (٢٦٦/٦) قال: «وهم أهل العلم» ولا منافاة بين القولين.

خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»^(١). وفي رواية لابن ماجه: «لا يزال طائفة من أمتي على الحق منصورين، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله ﷻ»^(٢).

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة»^(٣).

✽ أقوال أهل العلم:

تقدمت الإشارة إلى أن عدداً من أهل العلم نصُّوا على أن المراد بالطائفة المنصورة: أهل الحديث، فممن نصَّ على ذلك:

ابن المبارك حيث قال: «هم عندي أصحاب الحديث»^(٤).

وقال يزيد بن هارون: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم»^(٥).

وقال علي بن المديني: «هم أصحاب الحديث»^(٦).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩٢٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ١٠)، وصحَّحه الألباني، كما في صحيح سنن ابن ماجه (٢٠/١) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩٢٢).

(٤) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (٢٦) [دار إحياء السُّنَّة النبوية].

(٥) شرف أصحاب الحديث (٢٦).

(٦) سنن الترمذي (تحفة ٣٣٣/٦ - ٤٣٤) [دار الفكر]، وينظر: شرف أصحاب الحديث (٢٧).

الشام يقع غرب المدينة، قالوا: ويؤيده ما جاء عند الإمام أحمد وغيره من حديث أبي أمامة الباهلي أن النبي ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك» قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «بيت المقدس»^(٥).

وهذا القول مروى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، كما في صحيح البخاري^(٦). وذكره ابن تيمية عن الإمام أحمد، ثم انتصر له فقال: «وهو كما قال، فإن هذه لغة أهل المدينة النبوية في ذاك الزمان، كانوا يسمون أهل نجد والعراق: أهل المشرق، ويسمون أهل الشام: أهل المغرب؛ لأن التشريق والتغريب من الأمور النسبية، فكل مكان له غرب وشرق، فالنبي ﷺ تكلم بذلك في المدينة النبوية، فما تغرب عنها فهو غربه، وما تشرق عنها فهو شرقه»^(٧).

بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين»^(١).

وقال القاضي عياض معلقاً على قول الإمام أحمد أيضاً: «إنما أراد: أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- مكان الطائفة المنصورة:

جاء في «صحيح مسلم» عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»^(٣). وقد اختلف أهل العلم في المراد بأهل الغرب في هذا الحديث:

- ف قيل: المراد بالغرب الدلو الكبيرة، وهو إشارة إلى العرب لاختصاصهم بها غالباً، وهذا منقول عن علي بن المديني.

- وقيل: المراد بأهل الغرب: أهل الشدة والجلد، وغرب كل شيء حده، يُقال: في لسانه غُرب؛ أي: حده، ذكر هذا القاضي عياض^(٤).

- وقيل: المراد بهم أهل الشام؛ لأن

(١) معرفة علوم الحديث (٣٥).

(٢) إكمال المعلم (٣٥٠/٦) [دار الرشد، ١٦].

(٣) صحيح مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩٢٥).

(٤) ينظر: إكمال المعلم (٣٤٨/٦)، وشرح النووي على مسلم (٧٢/١٣، ٧٣) [دار القلم]، والفتح (١٣/٢٩٥) [دار الفكر].

(٥) أخرجه أحمد (٦٥٦/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]، والطبري في تهذيب الآثار (٨٢٣/٢) [دار المدني]، والطبراني في مسند الشاميين (٢٧/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال الهيثمي في المجمع (٢٨٨/٧) [مكتبة القدسي]: «رجاله ثقات»، لكن ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٥٨٤٩)، وحكم بنكارة زيادة: «هم في بيت المقدس».

(٦) صحيح البخاري (كتاب المناقب، عقب الحديث رقم ٣٦٤١).

(٧) مجموع الفتاوى (٤١/٢٧ - ٤٢). وينظر: (٢٧/ =

المراد به أنهم يكونون كذلك في بعض الأزمان دون بعض^(٣).

وتابعه على هذا عبد الرحمن بن حسن حيث قال: «فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تفترق، وقد تكون في الشام وقد تكون في غيره»^(٤) ومثله ابن عثيمين^(٥).

وهو ما ذهب إليه النووي حيث قال: «يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم محدثون، ومنهم زُهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين؛ بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض»^(٦).

قلت: ويؤيده أن أكثر الروايات جاءت مطلقة، ليس فيها تحديد مكان معين لهذه الطائفة، وقد يكون المراد بذكر الشام في بعض الأحاديث، الإشارة إلى مكانها في آخر الزمان، حيث يقاتلون الدجال هناك مع عيسى عليه السلام، فقد روى عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال طائفة من

ورجح هذا - أيضًا - الألباني حيث قال: «اعلم أن المراد بأهل الغرب في هذا الحديث: أهل الشام؛ لأنهم يقعون في الجهة الغربية الشمالية بالنسبة للمدينة المنورة، التي فيها نطق عليه الصلاة والسلام بهذا الحديث الشريف»^(١).

قال ابن حجر بعد ذكره لهذه الأقوال: «قلت: ويمكن الجمع بين الأخبار: بأن المراد قوم يكونون ببيت المقدس، وهي شامية، ويسقون بالدلو، وتكون لهم قوة في جهاد العدو وحدة وجد»^(٢).

وذكر القول الأخير - وهو أن المراد بهم أهل الشام -: سليمان بن عبد الله عن أكثر الشارحين، ثم ذكر عن الطبري ما يدل على أن هذه الطائفة لا يجب أن تكون بالشام أو ببيت المقدس دائمًا إلى أن يقاتلوا الدجال؛ بل قد تكون في موضع آخر في بعض الأزمنة، ثم قال: وهذا هو الحق، ويشهد له الواقع، فإن حال أهل الشام منذ أزمنة طويلة لا يعرف فيهم من قام بهذا الأمر، وعلى هذا فقوله في الحديث: «هم بيت المقدس» وقول معاذ: «هم بالشام»

(٣) ينظر: التيسير (٣٨١) [دار المكتب الإسلامي، ط ٧، ١٤٠٨هـ].

(٤) فتح المجيد (٣١٣).

(٥) ينظر: القول المفيد (٤٩٥/١) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٥هـ]، وشرح العقيدة الواسطية (٣٧٨/٢) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤١٥هـ].

(٦) شرح النووي على مسلم (٧١/١٣).

= ٥٠٧)، والنبوات (٥٦٨/١) [دار أضواء السلف، ط ١]، ومنهاج السنة (٤٦١/٤ - ٤٦٢) [جامعة الإمام، ط ١].

(١) السلسلة الصحيحة (٦٩٠/٢) [المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٤٠٥هـ].

(٢) الفتح (٢٩٥/١٣).

٦ - «المباحث العقديّة في حديث افتراق الأمم»، لأحمد سردار محمد مهر الدين شيخ.

٧ - «فضل علم السلف على الخلف»، لابن رجب.

٨ - «التحف في مذاهب السلف»، للشوكاني.

٩ - «لوامع الأنوار»، للسفاريني.

١٠ - «وسطية أهل السنة بين الفرق»، لمحمد باكريم.

طاعة الرسول

يراجع مصطلح (الرسول).

الطاغوت

التعريف لغة:

الطاغوت مُشْتَقٌّ من: طَعَا يَطْعِي؛ إذا جاوز الحدَّ، وَالطَّاعُوتُ يُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ، ولذا أطلق على الكاهن والكاهنة، وقيل: بل هو مذكر مفرد: أي: اسم جنس يشمل القليل والكثير^(٣).

وقيل: أصل كلمة (طاغوت) هو: (طغووت)، كما يقال في (الجبروت) من (التجبر)^(٤).

(٣) انظر: الصحاح (٢٤١٣/٦) [دار العلم للملايين، ط٣]، ولسان العرب (٧/١٥ - ٩) [دار الفكر، ط١، ١٤١٠هـ].

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/٣)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٥٢٠) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ].

أمّتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال^(١).

وقد جاء ما يدل على أن هذه الطائفة تكون في الشام في آخر الزمان عند نزول عيسى عليه السلام، فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمّتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة^(٢)، فهذا نصّ صريح في نزول عيسى عليه السلام عليهم، ومعلوم أنه ينزل في دمشق بالشام، والله أعلم.

المصادر والمراجع:

١ - «شرف أصحاب الحديث»، للخطيب البغدادي.

٢ - «معركة علوم الحديث»، للحاكم.

٣ - «إكمال المعلم»، للقاضي عياض.

٤ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٥ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٨٤)، وأحمد (١٤٩/٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الجهاد، رقم ٢٣٩٢) وصحّحه، وصحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٥٩).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٦).

أن الطاغوت هو الشيطان، فسره بذلك عمر رضي الله عنه، فقد ورد عنه أنه قال في قوله عَلَيْكَ: «يُؤْمِنُونَ بِالْجِبَّتِ وَالطَّلُوتِ» [النساء: ٥١]: «الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان»^(٣).

قال ابن كثير - بعد ذكره لقول عمر رضي الله عنه -: «ومعنى قوله في الطاغوت: إنه الشيطان قوي جدًا؛ فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية، من عبادة الأوثان، والتحاكم إليها، والاستنصار بها»^(٤).

الطاغوت: كل ما عُبد وأُطيع من دون الله تعالى، من أي شيء كان، وقد اختار هذا التعريف الطبري فقال: «والصواب من القول عندي في الطاغوت: أنه كل ذي طغيان على الله، فعُبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، وإنسانًا كان ذلك المعبود، أو شيطانًا، أو وثنًا، أو صنمًا، أو كائنًا ما كان من شيء»^(٥).

وقال ابن عطية رحمته الله - بعد ذكره لبعض الأقوال في تفسير الطاغوت -:

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٦٢/٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وعلقه البخاري عن عمر رضي الله عنه بصيغة الجزم في صحيحه (كتاب تفسير القرآن، ٤٥/٦) [دار طوق النجاة، ط ١].

(٤) تفسير ابن كثير (٦٨٣/١) [دار الفحاء، ط ١].

(٥) تفسير الطبري (١٩/٣).

والطغيان: مجاوزة الحد، وكل شيء جاوز المقدار والحد فهو طاغ، يقال: طغا السيل إذا ارتفع حتى جاوز الحد في الكثرة، قال تعالى: «إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُمُ فِي الْجَارِيَةِ» [الحاقة].

وجمع طاغوت طواغيت وطواغي، والطاغوت أبلغ من الطاغي، ولذا كثر استعماله في اللغة.

والطاغوت: قيل: الأصنام، وقيل: الشيطان، وقيل: الكهنة، وقيل: مردة أهل الكتاب.

وقيل: الطاغوت: كل رأس في الضلال^(١).

وهذه كلها أمثلة على الطاغوت في إطلاقه في اللغة، وهو أعم من ذلك كله.

التعريف شرعًا:

قال ابن القيم رحمته الله: «الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، ومراده بالمعبود والمتبوع والمطاع غير الصالحين، أما الصالحون فليسوا طواغيت وإن عبدوا»^(٢).

ومما يشهد لهذا التعريف من أقوال العلماء ما يلي:

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤١٢/٣)، ولسان العرب لابن منظور (٩/٧ - ١٥).

(٢) إعلام الموقعين (٥٠/١)، وقد استحسنته ابن عثيمين. انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٩٨/٢) [دار الوطن، ط ١، ١٤١٢هـ].

- وقال الطبري رحمته الله: «والصواب من القول عندي في الطاغوت أنه كل ذي طغيان على الله فعُبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، وإنساناً كان ذلك المعبود، أو شيطاناً، أو وثناً، أو صنماً، أو كائناً ما كان من شيء»^(٥).

- وقال ابن كثير رحمته الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]: «هذا إنكار من الله وَعَلَى، على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد التحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية: أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود، والآية أعم من ذلك كله، فإنها دأمة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا»^(٦).

وقال محمد حامد الفقي رحمته الله: «الذي يستخلص من كلام السلف رحمته الله: أن الطاغوت كل ما صرف العبد وصده عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله

ومن السنة: ما جاء عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «لا تحلفوا بأبائكم ولا بالطواغيت»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «يحشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبّع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت» الحديث^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال جابر رضي الله عنه: «كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها، في جهينة واحد، وفي أسلم واحد، وفي كل حي واحد، كَهَآن ينزل عليهم الشيطان»^(٣)، وقال عمر رضي الله عنه: «الجبّت: السحر، والطاغوت: الشيطان»^(٤).

(١) أخرجه النسائي (كتاب الإيمان والنذور، رقم ٣٧٧٤)، وأحمد (٢٢٨/٣٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ]، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٢٤٨) [المكتب الإسلامي]. وهو عند مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤٨) بلفظ: «لا تحلفوا بالطواغي».

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٠٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٢).

(٣) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم (كتاب تفسير القرآن، ٤٥/٦) [دار طوق النجاة، ط ١]، ووصله ابن أبي حاتم، كما في تعليق التعليق (١٩٥/٤) [المكتب الإسلامي ودار عمار، ط ١]، وسنده حسن.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تفسير الطبري (٥٥٨/٤) [دار هجر، ط ١].

(٦) تفسير ابن كثير (٥٦٩/١).

ولرسوله، سواء في ذلك الشيطان من الجن والشيطان من الإنس، والأشجار والأحجار وغيرها. ويدخل في ذلك بلا شك: الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه وغيرها من كل ما وضعه الإنسان ليحكم به في الدماء والفروج والأموال، وليبطل بها شرائع الله، من إقامة الحدود وتحريم الربا والزنا والخمر ونحو ذلك، مما أخذت هذه القوانين تحللها وتحميها بنفوذها ومنفذيها. والقوانين نفسها طواغيت، وواضعوها ومرؤجوها طواغيت^(١).

أنزل الله، وهم في الغالب لا يخرجون عن أنواع ثلاثة:

١ - طواغيت في العبادة: وهي الطواغيت التي تعبد من دون الله تعالى؛ كالأصنام والأوثان.

٢ - طواغيت في الاتباع: وهي الطواغيت التي تتبع وتصدق فيما هو خاص بالله تعالى من أفعاله كدعوى علم الغيب، وشرعه كتحليل ما حرّمه الله تعالى، ويدخل في ذلك الكهنة، والسحرة، وعلماء السوء، ونحوهم.

٣ - طواغيت في الطاعة: وهي الطواغيت التي تطاع في معصية الله تعالى، وفي الخروج عن شرعه وحكمه؛ كالعلماء الذين يزينون للناس التخلي عن شرع الله تعالى، وتحكيم القوانين الوضعية ونحوها^(٢).

وقال ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «فمن خضع لله سبحانه وأطاعه وتحاكم إلى وحيه، فهو العابد له، ومن خضع لغيره، وتحاكم إلى غير شرعه، فقد عبد الطاغوت، وانقاد له»^(٢).

الفروق:

الأقسام:

الفرق بين الجبت والطاغوت:

١ - قيل: إن الجبت والطاغوت، هما صنمان كانا لقريش في الجاهلية.

٢ - وقيل: الجبت: الأصنام، والطاغوت: ترجمة الأصنام الذين كانوا يتكلمون بالكذب عنها.

الطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة. إبليس لعنه الله. ومن عبد من دون الله وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه؛ ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما

(١) انظر: تحقيقه لكتاب فتح المجيد (٢٨٢) [مطبعة السنة المحمدية، ط ٧، ١٣٧٧هـ].

(٢) وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه لابن باز (٧).

(٣) انظر: إعلام الموقعين (١/٥٠)، ومجموع فتاوى ابن عثيمين (٢/١٩٨)، الدرر السنية (١٠/٥٠٣).

وقيل: الجبت، الساحر، والطاغوت: الكاهن.
- موالاة الشيطان واتباعه فهو رأس الطواغيت.

وقيل: الجبت: إبليس، والطاغوت: أولياؤه^(١).
- الحكم بغير ما أنزل الله.

٣ - وقيل: الطاغوت هو الطاغي من الأعيان، والجبت: هو من الأعمال والأقوال، وهذا هو أحسن ما قيل في الفرق بينهما.
- إعطاء حق الحكم والتشريع لغير الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الطاغوت هو الطاغي من الأعيان، والجبت هو من الأعمال والأقوال، كما قال عمر بن الخطاب: الجبت السحر والطاغوت الشيطان»^(٢).
- التوجه بشيء من العبادة لغير الله.

٤ - وقيل: لا فرق بينهما، فمعناها واحد وهو: كل ما عبد وعظم من دون الله من حجر أو صورة أو شيطان.
- مدح الباطل وتحسينه وتزيينه، والطعن في دين الله وأحكامه، والصد عن سبيله.

قال الطبري: «الجبت والطاغوت: اسمان لكل معظّم بعبادة من دون الله، أو طاعة، أو خضوع له، كائنًا ما كان ذلك المعظّم»^(٣).
- تعظيم الشعارات والرايات التي ترمز لنظام الطاغوت وحكمه.

المصادر والمراجع:

- ١ - «إعلام الموقعين»، لابن القيم.
- ٢ - «حاشية كتاب التوحيد»، لابن قاسم.
- ٣ - «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (ج ١، ١٠).

٤ - «شرح الأصول الثلاثة»، للفوزان.

٥ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٦ - «التعريفات الاعتقادية»، لسعد آل عبد اللطيف.

الآثار:

الرضا بالطاغوت له آثار سيئة وعواقب وخيمة، منها:

- (١) انظر: تفسير الطبري (٤/١٣٠ - ١٣١)، وتفسير ابن كثير (١/٥٦٢).
- (٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٠).
- (٣) تفسير الطبري (٣/١٩).

- ٧ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن .
وفاته، إذ «كان له يوم مات بضع وثمانون سنة»^(٣) .
- ٨ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية .
وتوفي أبو طالب في السنة العاشرة من البعثة؛ أي: قبل الهجرة بثلاث سنين، عام خروجهم من الشعب، وقبل ليلة الإسراء والمعراج التي فرضت فيها الصلوات الخمس^(٤)، حين بلغ النبي ﷺ تسعًا وأربعين سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يومًا^(٥) .
- ٩ - «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» .
١٠ - «مدارج السالكين»، لابن القيم .
- أبو طالب

اسمه ونسبه:

أبو طالب عم النبي ﷺ وشقيق أبيه^(١)، واسم أبي طالب «عبد مناف بن عبد المطلب - واسمه شيبة - ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان»^(٢) .

مولده ووفاته:

ولد أبو طالب قبل المبعث ببضع وسبعين سنة، كما يفهم من عمره يوم

قال الحافظ ابن حجر: «قال المرزباني: مات أبو طالب في السنة العاشرة من المبعث»^(٦) .
قول أهل السنة فيه:

معروف عن أهل السنة أنهم لا يعدلون عما جاءت به الرسل، فما ثبت بالدليل والحجة سلموا له وقبلوه، وما خالف ذلك وعارضه ردوه ونبذوه نبذ النواة، ومن هذا المنطلق يقولون بعلم ويحكمون بعدل في أبي طالب وفي غيره، وعليه فهم يذكرون لأبي طالب حمايته لنبي الله ﷺ من قريش،

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٣٩٩/١٢) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٩هـ] .

(٤) انظر: المحبر للبغدادي (١١) [دار الآفاق الجديدة، بيروت]، والبدية والنهاية (٤/٣١٧ - ٣١٨) .

(٥) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢١٥/١) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢]، وتيسير العزيز الحميد (٥٤٢) [دار الصميعي، ط ١، ١٤٢٨هـ] .

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة (٣٩٩/١٢) .

(١) انظر: تاريخ الطبري (٤٩٧/١) [دار الكتب العلمية]، وأنساب الأشراف للبلاذري (٨٥/١) [معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف، مصر]، وتاريخ ابن الوردي (١/٩٦) [دار الكتب العلمية] .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٣١٧/٤) [دار هجر، ط ١]، وانظر: جمهرة أنساب العرب لابن الكلبي (٣)، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (١٤ - ١٥ و ٣٧) [دار المعارف، مصر، ط ٥] .

تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر صفه، ومدافعاً عنه بكل ما يقدر عليه؛ من نفس، ومال، وفعال، فلمّا مات، اجترأ سفهاء قريش على رسول الله ﷺ، ونالوا منه ما لم يكونوا يصلون إليه، ولا يقدرّون عليه^(١). ومع ذلك يقولون: إنه مات على الكفر، مع حرص النبي ﷺ على إسلامه، وعرضه كلمة التوحيد عليه حتى آخر لحظة من حياته، لكنه أبى أن يقول: لا إله إلا الله، وقال: هو على ملة عبد المطلب، وخرجت روحه وهو على ذلك. ويعتقدون أنه أخف أهل النار عذاباً، وأنه في ضحضاح من نار جهنم بشفاعته النبي ﷺ له شفاعته خاصة، ويدل على ذلك ما ثبت عن النبي ﷺ في الصحيحين وغيرهما عن المسيب قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله» فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له

فيقولون: «كان ناصراً له، وقائماً في صفه، ومدافعاً عنه بكل ما يقدر عليه؛ من نفس، ومال، وفعال، فلمّا مات، اجترأ سفهاء قريش على رسول الله ﷺ، ونالوا منه ما لم يكونوا يصلون إليه، ولا يقدرّون عليه^(١). ومع ذلك يقولون: إنه مات على الكفر، مع حرص النبي ﷺ على إسلامه، وعرضه كلمة التوحيد عليه حتى آخر لحظة من حياته، لكنه أبى أن يقول: لا إله إلا الله، وقال: هو على ملة عبد المطلب، وخرجت روحه وهو على ذلك. ويعتقدون أنه أخف أهل النار عذاباً، وأنه في ضحضاح من نار جهنم بشفاعته النبي ﷺ له شفاعته خاصة، ويدل على ذلك ما ثبت عن النبي ﷺ في الصحيحين وغيرهما عن المسيب قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله» فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له

وعن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم، هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»^(٢). وعن عبد الله بن الحارث، قال: سمعت العباس ﷺ يقول: قلت: يا رسول الله، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ قال: «نعم، وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى ضحضاح»^(٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧٧٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٢٠٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠٩).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠٩).

(١) البداية والنهاية (٤/٣٣٣).

شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه، يغلي منه دماغه»^(٤).

فهذان الحديثان وما في معناهما تدل على ثبوت شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه، وهذه الشفاعة مستثناة من عموم نفي شفاعة الشافعين في الكافرين والتصريح بعدم انتفاعهم بها، قال الله تعالى: ﴿فَمَا نَفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدرثر]، وقال سبحانه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم].

قال الحافظ ابن حجر: «ويؤيد الخصوصية أنه بعد أن امتنع من الإقرار بالتوحيد، وقال: «هو على ملّة عبد المطلب» ومات على ذلك، أن النبي ﷺ لم يترك الشفاعة له؛ بل شفع له حتى خفف عنه العذاب بالنسبة لغيره، وكان ذلك من الخصائص في حقه»^(٥).

ومما تقدم يعلم أن تخفيف العذاب

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه»^(١). قال ابن تيمية بعد أن أورد بعض هذه الأحاديث: «وهذه الأحاديث الصحيحة توافق ما اتفق عليه أئمة المسلمين في أنه مات كافراً»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب:

لقد ثبت عن النبي ﷺ في أحاديث عديدة أنه يشفع لعمه أبي طالب يوم القيامة في تخفيف العذاب عنه، لا في إخراجهم من النار، كما في حديث العباس المتقدم الذي سأل فيه النبي ﷺ بقوله: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم، هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»^(٣).

وجاء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه، فقال: «لعله تنفعه

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٢).

(٢) جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ١٢٤) [دار دار عالم الفوائد، ط ١].

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٨٥).
(٥) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٠٧) [دار المعرفة، وانظر: تيسير العزيز الحميد (٥٣٨)].

عن أبي طالب هو بسبب شفاعته النبي ﷺ

❖ موقف المخالفين منه:

ذهب المخالفون من الروافض والصوفية ومن معهم في هذه المسألة إلى القول بإسلام أبي طالب وموته على الإيمان^(٤)، متشبثين بشبه عديدة كلها واهية، أكتفي منها بما يأتي:

الأول: ما ساقه محمد بن إسحاق بقوله: «فحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله، عن ابن عباس قال... فلما تقارب من أبي طالب الموت قال: نظر العباس إليه يحرك شفتيه، قال: فأصغى إليه بأذنه، قال: فقال يا ابن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لم أسمع»»^(٥).

زاد الروافض في رواياتهم بعد قول العباس هذا: «فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي هداك يا عم»»^(٦) بل

- المسألة الثانية: حكم الاستغفار للمشركين:

لا شك أن الاستغفار لمن مات على الكفر والشرك محرم على المؤمنين بصريح نصوص الشرع المطهر، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال بعد أن مات عمه أبو طالب على الكفر: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فأنزل الله ﷻ: «﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾» [التوبة]^(١). فهذا الحديث صريح في أن سبب نزول الآية كان هذه الحادثة، وأنه نهى عن الاستغفار له لكفره بالله.

قال النووي: «الصلاة على الكافر، والدعاء له بالمغفرة حرام بنص القرآن والإجماع»^(٢).

وقال ابن تيمية: «الشافع ليس له أن يدعو ويشفع إلا بإذن الله له في ذلك، فلا يشفع شفاعته نهى عنها؛ كالشفاعة للمشركين والدعاء لهم بالمغفرة»^(٣).

(١) تقدم تخريجه. وانظر: تيسير العزيز الحميد (٥٤٤).

(٢) المجموع للنووي (١٢٠/٥) مكتبة الإرشاد، جدة.

(٣) الواسطة بين الحق والخلق (٣١).

(٤) انظر: الدر النظيم لابن حاتم العاملي (٢٢٠) [مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم]، وأعيان الشيعة لمحسن الأمين (١١٧/٨) [دار التعارف للمطبوعات، بيروت]، والغدير للشيخ الأمين (٣٧٠/٧) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣]، وأبو طالب حامي الرسول وناصره لنجم الدين العسكري (٥٩) [مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٨٠هـ]، والبداية والنهاية لابن كثير (٣٠٧/٤).

(٥) كما في سيرة ابن هشام (٤١٦/١ - ٤١٧) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢]، وفي سنده ضعف.

وقد ضعفه ابن كثير، وبين مخالفته للأحاديث الصحيحة. انظر: البداية والنهاية (٣٠٧/٤ - ٣١٢) [دار هجر، ط ١].

(٦) الغدير للشيخ الأمين (٣٧٠/٧)، وأبو طالب حامي =

- ومنها: احتجاجهم على إسلام أبي طالب بادعاء دخوله تحت عموم قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩] كما نقله عنهم الحافظ ابن حجر بقوله: «ثم استدل الرافضي بقول الله تعالى... وقد عزره أبو طالب بما اشتهر وعُلم، وناشد قريشًا وعاداهم بسببه مما لا يدفعه أحد من نقلة الأخبار فيكون من المفلحين»^(٤).

الرد عليهم:

لا شك أن القول بإسلام أبي طالب وموته على الإيمان قول باطل لعدة أمور:

الأمر الأول: أنه مصادم لما جاء في كتاب الله من نهى الله لنبيه ﷺ عن الاستغفار لعمة أبي طالب، ولما ثبت في صريح السنة من رفض أبي طالب كلمة التوحيد، وموته على الكفر.

أما ما جاء في كتاب الله فهو قوله تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] ففي هذه الآية نهى صريح لنبيه ﷺ عن الاستغفار لعمة أبي طالب، حيث إنها نزلت بعد أن قال النبي ﷺ: «أما والله لأستغفرن لك ما لم

أخذوا في حشد الروايات المنسوبة إلى الأئمة^(١)؛ للتدليل على إسلام أبي طالب، منها ما ساقه المجلسي بقوله: «إن عبد العظيم بن عبد الله العلوي كان مريضًا، فكتب إلى أبي الحسن الرضا: عرّفني يا ابن رسول الله عن الخبر المروي أن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه، فكتب إليه الرضا: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإنك إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار... عن أبي عبد الله أنه قال: يا يونس ما يقول الناس في أبي طالب؟ قلت: جعلت فداك يقولون هو في ضحضاح من نار، وفي رجله نعلان من نار تغلي منهما أم رأسه، فقال: كذب أعداء الله، إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء الصالحين وحسن أولئك رفيقًا. أقول: روى الكراجكي تلك الأخبار في كتاب كنز الفوائد مع أشعار كثيرة دالة على إيمانه، وتركناها مخافة التطويل والتكرار»^(٢).

- ومنها: زعمهم أن الله أحيا أبا طالب حتى آمن^(٣).

= الرسول وناصره لنجم الدين العسكري (٥٩).

(١) انظر: الدر النظيم لابن حاتم العاملي (٢٢٠).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (١١١/٣٥) [مؤسسة الوفاء، بيروت ط ٢، ١٤٠٣هـ].

(٣) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي

(١٤٠) [دار المنهاج، الرياض، ١٤٢٥هـ].

(٤) نقله عنهم الحافظ ابن حجر في الإصابة (١٢/٣٩٩).

ودعا لي»^(٤). وقد اعترف شيخ الروافض الحلي بهذا، حيث قال: «ولما مات أبو طالب أمر رسول الله عليًا بغسله فلما غسله ودفنه رجع إلى النبي فقال: اذهب واغتسل»^(٥).

وذكر ابن قتيبة أن أبا طالب لما مات لم يرثه علي ولا جعفر؛ لكونهما مسلمين وهو كافر. حيث قال: «ورث عقيل وطالب أبا طالب، ولم يرثه علي ولا جعفر؛ لأنهما كانا مسلمين»^(٦).

وروى الشيخان من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أين تنزل في دارك بمكة؟ فقال: «وهل ترك عقيل من رباع أو دور!». وكان عقيل ورث أبا طالب هو وطالب، ولم يرثه جعفر ولا علي رضي الله عنه شيئًا؛ لأنهما كانا مسلمين وكان عقيل وطالب كافرين، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «لا يرث المؤمن الكافر»^(٧).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢١٤)، والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٠٦)، وأحمد (٢/ ٣٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، ومن طريقه الضياء في المختارة (٢/ ٢٧٦) [دار خضر، ط ٣]، وحسن إسناده ابن الملقن في تحفة المحتاج (٢/ ٢١) [دار حراء، ط ١]، وصححه الألباني في الإرواء (رقم ٧١٧) [المكتب الإسلامي، ط ٢].

(٥) تذكرة الفقهاء للحلي (٥٩) [منشورات المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية].

(٦) المعارف لابن قتيبة (٢٠٣) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٩٢م].

(٧) أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٥٨٨)، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٥١).

أنه عنك»^(١) ولو كان أبو طالب مسلمًا لما نهى الله نبيه ﷺ عن الاستغفار له. وأما ما جاء في صريح السُّنة فكثير جدًّا، منه حديث المسيب في «الصحيحين» وغيرهما، وفيه: «فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا، قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: «قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حملة على ذلك الجزع؛ لأقررت بها عينك، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾» [القصص: ٥٦]^(٣).

الأمر الثاني: أن دعوى موت أبي طالب على الإيمان لو كانت صحيحة لقام النبي ﷺ ومن معه بتجهيز جنازته ولصلوا عليه، ولورثه علي وجعفر، والواقع خلافه، لما ثبت عن علي رضي الله عنه قال: «قلت للنبي ﷺ: إن عمك الشيخ الضال قد مات. قال: «اذهب فوارأباك، ثم لا تُحدثن شيئًا حتى تأتيني»، فذهبت فواريته وجثته فأمرني فاغتسلت

(١) تقدم تخريجه.

(٢) هو الحديث السابق نفسه، وقد تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٥).

طالب، حتى جاءت الهجرة، ويفهم من كلامه أنه لو قسمت قبل هذا لأخذوا حقوقهم من الميراث؛ لعدم المانع الشرعي في ذلك الوقت، حيث يقول: «وأما دور أبي طالب، فإن أبا طالب توفي قبل الهجرة بسنين، والموارث لم تفرض، ولم يكن نزل بعد منع المسلم من ميراث الكافر؛ بل كل من مات بمكة من المشركين أُعطي أولاده المسلمون نصيبهم من الإرث كغيرهم؛ بل كان المشركون ينكحون المسلمات الذي هو أعظم من الإرث، وإنما قطع الله الموالاة بين المسلمين والكافرين بمنع النكاح والإرث وغير ذلك بالمدينة»^(٣)، وأخذ يدل على.

وعلى كل؛ فإن حديث أسامة الذي رواه الشيخان على القول الأول حجة على كفر أبي طالب، والله أعلم.

الثالث: أن تشبثهم بما ساقه ابن إسحاق عن العباس في إسلام أبي طالب مردود لأمر:

أ - جهالة الوسطة في إسناده، حيث قال: «عن بعض أهله، عن ابن عباس»^(٤)، ومعلوم أن مثل هذا السند لا تقوم به حجة لو كان في الباب وحده، فكيف مع مخالفته لما هو ثابت في

قال الحافظ ابن حجر في شرحه الحديث السابق: «وهذا يدل على تقدم هذا الحكم في أوائل الإسلام؛ لأن أبا طالب مات قبل الهجرة. ويحتمل أن تكون الهجرة لما وقعت استولى عقيل وطالب على ما خلفه أبو طالب، وكان أبو طالب قد وضع يده على ما خلفه عبد الله والد النبي ﷺ؛ لأنه كان شقيقه وكان النبي ﷺ عند أبي طالب بعد موت جدّه عبد المطلب، فلما مات أبو طالب ثم وقعت الهجرة ولم يسلم طالب وتأخر إسلام عقيل استوليا على ما خلف أبو طالب، ومات طالب قبل بدر وتأخر عقيل، فلما تقرر حكم الإسلام بترك توريث المسلم من الكافر استمر ذلك بيد عقيل، فأشار النبي ﷺ إلى ذلك، وكان عقيل قد باع تلك الدور»^(١).

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن ظاهر حديث أسامة أن «الدور انتقلت إلى عقيل بطريق الإرث، لا بطريق الاستيلاء، ثم باعها»^(٢).

لكنه رجح الاحتمال الثاني الذي ذكره الحافظ ابن حجر في هذه المسألة، وأضاف إليه سبباً آخر لمنع جعفر وعلي من أخذ نصيبيهما، وهو تأخير تقسيم الإرث بعد وفاة أبي

(١) فتح الباري لابن حجر (١٥/٨).

(٢) الصارم المسلول لابن تيمية (٣٠٩/٢) [دار ابن

حزم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ].

(٣) الصارم المسلول لابن تيمية (٣٠٩/٢).

(٤) سيرة ابن هشام (١٤٦/١ - ٤١٧).

المسلمين في أنه مات كافراً، وتبين كذب من ادّعى من الجهال الرافضة وغيرهم أنه مات مؤمناً. ويحتج بما ذكر ابن إسحاق في «السيرة» من أنه جعل يهتمهم عند الموت، وأن العباس قال للنبي: إنه قد قال الكلمة التي تطلبها أو نحو ذلك. فإن الذي في الصحيح بين أن العباس لم يكن حاضراً، وأن العباس علم أنه مات ضالاً، وأنه سأل النبي ﷺ: هل نفعه نصره لك مع كفره؟ فأخبره النبي ﷺ أن ذلك نفعه، بشفاعة النبي ﷺ في تخفيف العذاب لا في رفعه، ولو كان قد مات على الإيمان لم يكن في العذاب، ولم ينه النبي ﷺ عن الاستغفار له، ولقرن ذكره بذكر حمزة والعباس، ولكان قد صلى عليه النبي ﷺ وابنه علي^(٥).

الرابع: زعمهم بأن الله أحيا أبا طالب حتى آمن به ثم مات فهو من الأباطيل؛ لخلوه التام عن الحجة والبرهان. قال الشيخ علي القاري: «وأما ما حكاه ابن سيد الناس أن الله أحياه بعد بعثة النبي ﷺ حتى آمن به ثم مات، فهو مردود؛ لأنه لا دليل عليه من حديث ضعيف ولا غيره، وإنما حكوه عن بعض الشيعة، وخلافهم غير معتبر عند أهل السنة، وكذا قول القرطبي^(٦)»

الصحيحين وفي غيرهما في قصة وفاة أبي طالب كما تقدم.

قال الإمام ابن كثير: «والجواب عن هذا من وجوه؛ أحدها، أن في السند مبهماً لا يعرف حاله، وهو قوله: عن بعض أهله، وهذا إبهام في الاسم والحال، ومثله يتوقف فيه لو انفرد^(١)، ثم ذكر مخالفته لما جاء في سياق مشابه له، ولما هو ثابت أيضاً في الصحيح كما تقدم بيانه^(٢).

ب - أن العباس لم يحضر وفاة أبي طالب، وعليه فما نسب إليه ساقط.

ج - معارضته للثابت في الصحيحين من رفض أبي طالب كلمة التوحيد وموته على ذلك، كما في حديث المسيب وأبي هريرة وغيرهما كما سبق.

د - أن سؤال العباس للنبي ﷺ بقوله: «يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟»^(٣) دليل على أنه كان يعلم موت أبي طالب على ضلاله^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر بعض الأحاديث الدالة على موت أبي طالب على الكفر: «وهذه الأحاديث الصحيحة توافق ما اتفق عليه أئمة

(١) البداية والنهاية (٤/٣٠٧).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٤/٣٠٧ - ٣١٠).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٣/١٢٥).

(٥) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٣/١٢٤ - ١٢٥).

(٦) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (١٤٠).

٦ - «أدلة معتقد أبي حنيفة في أبي
الرسول عليه الصلاة والسلام»، لعلي
القاري.

٧ - «فتح الباري» (ج ٨)، لابن حجر.

٨ - «البداية والنهاية» (ج ٤)، لابن
كثير.

٩ - «تيسير العزيز الحميد»،
لسليمان بن عبد الله.

الطبع

يراجع مصطلح (الضلال).

الطرق

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الطاء والراء
والقاف أربعة أصول؛ أحدها: الإتيان
مساء، والثاني: الضرب، والثالث:
جنس من استرخاء الشيء، والرابع:
خصف شيء على شيء»^(٤).

وأصل الطرق: الضرب، يقال: طرق
يطرق طرقاً، ومنه سميت مطرقة الصانع
والحداد؛ لأنه يطرق بها؛ أي: يضرب
بها، وكذلك عصا النجاد التي يضرب
بها الصوف^(٥).

(٤) مقاييس اللغة (٤٤٩/٣) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٥) انظر: الصحاح (١٥١٥/٤) [دار العلم للملايين،
ط ١٤٠٤هـ]، ومقاييس اللغة (٤٥٠/٣)،
ولسان العرب (٢٢/٥) [دار إحياء التراث العربي،
ط ١٤١٩هـ]، وترتيب القاموس المحيط (٧١/٣) =

على ما ذكره العماد ابن كثير عنه في
تفسيره^(١) أن الله أحيا أبا طالب حتى
آمن، باطل موضوع بإجماع أهل الحديث
ومخالف لمذهب الحق^(٢).

وأما زعمهم دخول أبي طالب في عموم
الآية السابقة فهو زعم مردود وقول فاسد؛
لمناقضته النصوص الصريحة في خروج
أبي طالب من ذاك العموم، والمؤكد على
موته على الكفر ورفضه كلمة التوحيد،
وقد تقدم ذكرها. قال الحافظ ابن حجر
في رده على زعمهم هذا: «وهذا مبلغهم
من العلم، وإنا نسلم أنه نصره وبالع في
ذلك، لكنه لم يتبع النور الذي أنزل معه
وهو الكتاب العزيز الداعي إلى التوحيد،
ولا يحصل الفلاح إلا بحصول ما رتب
عليه من الصفات كلها»^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «السيرة» (ج ١)، لابن هشام.
- ٢ - «المعارف»، لابن قتيبة.
- ٣ - «التذكرة بأحوال الموتى وأمور
الآخرة»، للقرطبي.
- ٤ - «جامع المسائل» (ج ٣)، لابن
تيمية.
- ٥ - «الصارم المسلول» (ج ٢)، لابن
تيمية.

(١) تفسير ابن كثير (٢٢٣/٤).

(٢) أدلة معتقد أبي حنيفة في أبي الرسول ﷺ (١٠٢).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٣٩٩/١٢).

✽ التعريف شرعًا:

يجوز، وهو من الشرك الأكبر، فمن فعل خطوطًا في الأرض، وزعم أنه يعلم الغيب بذلك، وأنه يخبر بالغيب بهذا العمل، فإن فعله هذا من الشرك الأكبر، ومن دعوى علم الغيب»^(٢).

ضربٌ من الكهانة، وهو ضربُ الكاهن أو العراف بالحصى في الأرض، أو الخط فيها لطلب معرفة أمر غيبي^(١).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

✽ الحقيقة:

حقيقة الطرق: هو ضرب الكهان، أو العرافين، أو الرمالين، في الأرض بالحصى، أو الخط في الأرض، بدعوى معرفة الأمور المغيبة، وصورته: أن يقعد الحازي، ويأمر غلامًا له بين يديه، فيخط خطوط على الرمل، أو التراب، ويكون ذلك منه في خفة وعجلة، كي لا يدركها العدُّ والإحصاء، ثم يأمره فيمحوها خطين خطين، وهو يقول: ابني عيان أسرع البيان، فإن كان آخر ما يبقى منه خطين فهو علامة على النجاح، وإن بقي خط فهو الخيبة والحرمان. وقد قيل: إن هذا العلم قد تركه الناس^(٣).

تظهر العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي من حيث كون كل منهما يطلق عليه اسم الضرب، إلا أن معنى الطرق في اللغة أوسع منه في الشرع؛ حيث يراد به في الشرع طرق مخصوص، وهو بالضرب بالحصى، أو الخط في الرمل تكهنًا، ودعوى معرفة المغيبات.

✽ الحكم:

الطرق بشتى صورته ضربٌ من ضروب السحر والكهانة، وهو من الشرك الأكبر، وصاحب الطرق - وهو الكاهن، أو العراف - كافر خارج من الإسلام.

قال ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «الطرق يعني: الخط في الأرض؛ كتلك الخطوط الأرضية التي يخطها المشعوذون والرمالون، ويدعون بها علم الغيب، فهذا منكر آخر ولا

✽ الأدلة:

عن قبيصة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «العيافة والطرق والطيرة من الجبت»^(٤).

= [دار عالم الكتب، ط ٤، ١٤١٧هـ].

(١) انظر: معالم السنن للخطابي (٢٣١/٤) [المطبعة العلمية بحلب، ط ١، ١٣٥٢هـ]، وشرح السنّة للبيهقي (١٧٧/١٢) [المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ]، تيسير العزيز الحميد (٣٤٠) [دار الصميعي، ط ١، ١٤٢٨هـ]، والقول المفيد (١/ ٥١٤) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) فتاوى نور على الدرب لابن باز (٢٧).

(٣) انظر: معالم السنن للخطابي (٢٣١/٤)، وشرح السنّة للبيهقي (١٨٣/١٢).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٩٠٧)، وأحمد (٢٥٦/٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب النجوم والأنواء، رقم ٦١٣١)، وقد =

✽ أقوال أهل العلم:

والخط على الرمل وما يسمى بالطالع، وقراءة الكف، وقراءة الفنجان، ومعرفة الخط، وما أشبه ذلك كلها من علوم الجاهلية ومن الشرك الذي حرّمه الله ورسوله، ومن أعمالهم التي جاء الإسلام بإبطالها والتحذير من فعلها أو إتيان من يتعاطاها وسؤاله عن شيء منها أو تصديقه فيما يخبر به من ذلك؛ لأنه من علم الغيب الذي استأثر الله به»^(٣).

✽ المسائل المتعلقة:

- دفع إيهام التعارض بين حديث «كان نبي من الأنبياء يخط»، وبين أحاديث الباب:

عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام، وإن منّا رجلاً يأتون الكهان. قال: «فلا تأتهم». قال: ومنّا رجال يتطيرون. قال: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدّونهم». قال: قلت: ومنّا رجال يخطون. قال: «كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطّه فذاك»^(٤).

ذكر أهل العلم في ذلك أجوبة كلها

قال ابن تيمية رحمته الله: «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إتيان الكهان، والمنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي وغيره من العلماء، وقد حكى الإجماع على تحريمه غير واحد من العلماء كالبعوني، والقاضي عياض، وغيرهما»^(١).

وقال حافظ حكيمي رحمته الله: «اعلم أنّ الكاهن وإن كان أصله ما ذكرنا فهو عام في كل من ادّعى معرفة المغيّبات ولو غيره؛ كالرّمّال الذي يخط في الأرض، أو غيرها، والمنجم الذي قدمنا ذكره، أو الطارق بالحصى، وغيرهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور الغائبة؛ كالدلالة على المسروق، ومكان الضالة، ونحوها، أو المستقبلية؛ كمجيء المطر، أو رجوع الغائب، أو هبوب الرياح، ونحوها مما استأثر الله سبحانه بعلمه، فلا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، إلا من طريق الوحي»^(٢).

وقال ابن باز رحمته الله: «وقد ظهر من أقواله رحمته الله ومن تقارير الأئمة من العلماء وفقهاء هذه الأمة أن علم النجوم

= اختلف أهل العلم في تضعيفه وتصحيحه، فحسّنه النووي في رياض الصالحين (٤٠٩) [مكتبة المورد، ط ١، ١٤٢٢هـ]، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (رقم ١٧٩٤) [مكتبة المعارف].

(١) مجموع الفتاوى (١٩٣/٣٥ - ١٩٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ٢، ١٤٢٥هـ].

(٢) معارج القبول (٧١٨/٢) [دار ابن الجوزي، ط ٦].

(٣) مجلة البحوث الإسلامية، [عدد ٢٠، ٧ - ٨]، والمسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية لابن عبد الوهاب، مع شرحها ليوסף السعيد (٢/ ٨٦٠ - ٨٦٣).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣٧).

تدل على النهي عن الخط في الأرض^(١) :
أحدها: أن هذا كان جائزاً في شرع

من قبلنا، ثم نسخ بشرعنا، فاستقر النهي على ذلك.

❁ الفرق:

الفرق بين الطرق والكهانة:

ذهب بعض أهل العلم إلى أن الرمل والطرق اسمان خاصان داخلان تحت مسمى الكهانة، والكهانة أعمّ منهما.

قال النووي متحدّثاً عن الكهانة: «ومن هذا الفن العرافة، وصاحبها عرّاف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدّعي معرفتها بها، وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة، وهذه الأضراب كلها تسمى كهانة، وقد أكذبهم كلهم الشرع، ونهى عن تصديقهم وإتيانهم»^(٢).

ومن أهل العلم من جعل العرّاف هو الاسم العام للكهانة والطرق والرمال ونحوها.

قال ابن تيمية: «والعرّاف قد قيل إنه اسم عام للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في تقدم المعرفة بهذه الطرق»^(٣).

ومن أهل العلم من فرق بين العرافة والكهانة والطرق، فخص العرافة بأنها

الثاني: أن من وافقه خطه فهو مباح له، لكن لا طريق إلى العلم اليقيني بالموافقة، فلا يباح؛ بل هو نوع من أنواع الكهانة المحرمة.

وإنما عدل النبي ﷺ عن التصريح بالحرمة إلى التعليق بالموافقة؛ لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه ذلك النبي الذي كان يخط، فحافظ النبي ﷺ على حرمة ذلك النبي، مع بيان الحكم في حقنا؛ فالمعنى: أن ذلك النبي لا منع في حقه، وكذلك لو علمتم موافقته، ولكن لا علم بالموافقة.

الثالث: أنه إذا كان الخط بالوحي من الله تعالى كما في حال هذا النبي، فلا بأس به؛ لأن الله يجعل له علامة ينزل الوحي بها بخطوط يعلمه إياها، أما هذه الخطوط السحرية فهي من وحي الشيطان.

وهناك أجوبة أخرى لكن كلها متفقة على النهي، قال الحافظ النووي:

(١) انظر: معالم السنن للخطابي (٢٣٢/٤)، وشرح السنّة للبلغوي (١٢/١٨٤٣)، وإكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٢/٤٦٤) [دار الوفاء، ط ١، ١٤١٩هـ]، وشرح صحيح مسلم للنووي (٢٣/٥) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط ١، ١٣٤٧هـ]، وحاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (١٩٥ - ١٩٦) [ط ٥، ١٤٢٤هـ]، والقول المفيد لابن عثيمين (١/٥١٤).

(٢) شرح صحيح مسلم (٢٣/٥).

(٣) المصدر نفسه (١٤/٢٢٣).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٥/١٧٣).

١٠ - «المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية»، لمحمد بن عبد الوهاب.

الطعن في الصحابة

يراجع مصطلح (الصحابة).

طلحة بن عبيد الله

اسمه ونسبه:

أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي^(٢)، يلتقي نسبه مع نسب النبي في مرة بن كعب، وأمه الصعبة بنت عمار الحضرمي، أخت العلاء بن الحضرمي، أسلمت وهاجرت، وأمها عاتكة بنت وهب بن قصي بن كلاب^(٣). وهو المعروف بطلحة الفياض، وطلحة الخير، وطلحة الجود^(٤).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٧٦٤/٢) [دار الجيل، ط١]، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٢/٤٦٧) [دار الفكر، ١٤٠٩هـ]، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (١٣/٤١٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٠هـ]، وسير أعلام النبلاء (١/٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ]، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/٥٢٩) [دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ].

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٥/١١١) [دار الكتب العلمية، ط١]، وتهذيب الكمال (١٣/٤١٢).
(٤) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٧٦٤)، وأسد الغابة (٢/٤٦٧)، وتهذيب الكمال (١٣/٤١٢).

طلب معرفة الأمور المغيبة التي وقعت كمعرفة مكان المسروق، الضالة، وجعل الكهانة لمن يخبر عن المستقبل.

قال المناوي: «العرّاف: الكاهن، لكن العراف يختص بالأحوال المستقبلية، والكاهن يخبر بالماضي»^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «أحكام الكهانة وسؤال العرافين»، لإبراهيم أبا حسين.

٢ - «التنجيم والمنجمون»، لعبد المجيد المشعبي.

٣ - «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.

٤ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٥ - «شرح السُّنة» (ج ١٢)، للبغوي.

٦ - «المصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية عند السلف»، لمحمد بن عبد الله آل باجسير

٧ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن.

٨ - «القول المفيد» (ج ١)، لابن عثيمين.

٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣٥)، لابن تيمية.

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٣٩)، وانظر: المصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية لمحمد عبد الله آل باجسير (٢/٦٥٤).

مولده ووفاته:

ولد قبل الهجرة بثمان وعشرين سنة، وقيل سبع وعشرين سنة، وهذا بناء على سنه وقت وفاته؛ فقد قيل: إنه أربع وستون، وقيل: ثلاث وستون^(١). وقد استشهد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه في موقعة الجمل، حيث كان أول قتيل لما التقى الجيشان^(٢).

وقيل: إنه قتل بسهم من مجهول، حيث أصاب ساقه فلم يزل ينزف الدم حتى مات، في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة، سنة ست وثلاثين للهجرة، عن أربع وستين سنة، وقيل في رجب عن ثلاث وستين سنة، وقيل: اثنين وستين سنة، وقيل غير ذلك^(٣).

إسلامه:

أسلم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ودخل في دين الله في وقت مبكر، فهو أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق^(٤).

(١) انظر: الموسوعة في صحيح السيرة النبوية لمحمد إلياس (١٩٦) [مطابع الصفا، مكة، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٢) انظر: صحيح تاريخ الطبري - الخلافة الراشدة (٣/ ٣٨١) [دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٣) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١١٤/٥)، وتهذيب الكمال (١٣/ ٤٢١ - ٤٢٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٣٥ - ٣٦).

(٤) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٦٥ -

وقد جاءت تفاصيل خبر إسلامه^(٥)، لكنها لا تصح^(٦).

فضائله:

أ - أنه رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة، كما جاء من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»^(٧).

قال الإمام النووي في هذا الحديث: «وفيه بيان فضيلة هؤلاء»^(٨).

ب - أنه رضي الله عنه من المؤمنين الذين شهد الله لهم بالصدق فيما عاهدوه عليه، في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا

(٥) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (١٦٦/٢) [دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، ط١]، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٥/ ١١٢)، وتهذيب الكمال (١٣/ ٤١٤).

(٦) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعُمري (١٣٦/١) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٥هـ].

(٧) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٤٧)، وأحمد (٣/ ٢٠٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٠) [المكتب الإسلامي].

(٨) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٩٠).

«وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ؛ منها: إخباره أن هؤلاء شهداء، وماتوا كلهم غير النبي ﷺ وأبي بكر شهداء، فإن عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير رضي الله عنهم قتلوا ظلماً شهداء، فقتل الثلاثة مشهور... وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركاً للقتال، فأصابه سهم فقتله، وقد ثبت أن من قتل ظلماً فهو شهيد، والمراد: شهداء في أحكام الآخرة، وعظيم ثواب الشهداء، وأما في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم»^(٥).

مكانته:

أنه أحد الستة من أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله وهو راض عنهم^(٦)، فقد جاء في حديث عمرو بن ميمون الطويل في حادثة قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وظهور علامات الموت عليه، وفيه: «فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء نفر أو الرهط، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى: علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له

عهوداً الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً» [الأحزاب]، فقد جاء أن النبي ﷺ قال في طلحة رضي الله عنه: «هذا ممن قضى نحبه»^(١).

ج - قول النبي ﷺ فيه: «أوجب طلحة»^(٢)؛ لهوان نفسه عليه في سبيل حماية النبي ﷺ ونصرته يوم أحد، فقد روى البخاري بإسناده عن قيس بن أبي حازم قال: «رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شلت»^(٣).

د - إخبار النبي ﷺ بأنه رضي الله عنه شهيد في سبيل الله، كما في حديث أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فتحرك، فقال رسول الله ﷺ: اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم»^(٤).

قال النووي شارحاً هذا الحديث:

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٢٠٣) وحسنه، والبخاري في مسنده (١٥٨/٣) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، وحسن سند هذا الطريق أيضاً الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٧/١).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الجهاد، رقم ١٦٩٢) وحسنه، وأحمد (٣٣/٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٦٩٧٩)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٢٤).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٧).

(٥) شرح النووي على مسلم (١٥/١٩٠).

(٦) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٧٦٥ -

٧٦٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/٥٢٩).

من الأمر شيء، كهيئة التعزية له»^(١).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: سبب عدم حضور طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه غزوة بدر:

شهد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه جميع الغزوات عدا غزوة بدر، بسبب إرسال النبي ﷺ إياه مع سعيد بن زيد إلى طريق الشام؛ ليتحسّسا أخبار العير، وقبل عودتهما خرج النبي بالمسلمين إلى غزوة بدر، وانتهت الغزوة بانتصار المسلمين وهزيمة المشركين، وعادوا إلى المدينة، وبعد ذلك رجع طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد رضي الله عنهما إلى المدينة، فجعلهما النبي ﷺ في حكم من حضرها؛ حيث ضرب لهما بسهمهما وأجرهما^(٢).

- المسألة الثانية: خروج طلحة رضي الله عنه إلى البصرة وما تلا ذلك من مشاركته في القتال في موقعة الجمل:

إن ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم لا ينبغي الخوض فيه، لا سيما وأن كبراء الطائفتين كعلي وطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهن هم من المبشرين بالجنة، وعليه يجب سلامة الصدور

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ)، رقم (٣٧٠٠).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٨/٢)، ١٦٢/٣، (٢٩٣)، وتاريخ الطبري (٤٧/٢ - ٤٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٧٦٥/٢)، وسير أعلام النبلاء (١٣٦/١ - ١٣٧).

لجميع الصحابة، والإمساك عما شجر بينهم، وهذا معتقد السلف، وأئمة أهل السنة والجماعة.

- المسألة الثالثة: ما قيل من تحريض طلحة بن عبيد الله على عثمان رضي الله عنه:

لقد عصم الله الصحابة رضي الله عنهم بصفة عامة، وطلحة رضي الله عنه بصفة خاصة، من دم عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلم يشاركوا في الفتنة لا من قريب ولا من بعيد^(٣)؛ بل عرضوا على الخليفة عثمان الدفاع عنه، وأرسل كثير منهم أبناءه للذود عنه، لكن الخليفة أمرهم بترك ذلك.

ومع هذا؛ فإن المتتبع لأحداث الفتنة في كتب التاريخ من خلال روايات أبي مخنف والواقدي وابن أعثم وغيرهم من الأخباريين، يشعر أن الصحابة هم الذين كانوا يحركون المؤامرة ويشيرون الفتنة، فأبو مخنف ذو الميول الشيعية لا يتورع في اتهام عثمان بأنه الخليفة الذي كثرت سقطاته، فاستحق ما استحقه، ويظهر طلحة في مروياته كواحد من الثائرين على عثمان والمؤلّبين ضده. ولا تختلف روايات الواقدي عن روايات أبي مخنف في حق طلحة، فهي مثلها في اتهامه بأنه حامل الثائرين ومؤلّبهم^(٤).

وتزعم بعض روايات الواقدي أن

(٣) انظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين لمحمد أمحزون (١٨/٢).

(٤) انظر: المرجع السابق (١٤/٢).

أنه أراد أن يتنصر^(٤).

✽ الرد عليهم:

جميع هذه الاتهامات باطلة، وبيانها فيما يلي:

أولاً: طعنهم في نسب طلحة مردود لأمرين:

أ - لمناقضته ما هو معروف من سلامة نسبه عند المؤرخين وعلماء الأنساب كما تقدم في ذكر نسبه.

ب - إن مستندهم في هذا هو ما ساقه هشام بن محمد الكلبي، وهو رافضي غير ثقة؛ بل هو متروك عند أهل العلم والفضل^(٥).

وأما زعمهم: بأن طلحة مات على عدا علي وأن علياً شهد عليه بالنار فكله كذب مبين لا يستحق أدنى مناقشة؛ بل هو قدح في علي؛ إذ كيف يشهد بالنار على من شهد الله له بالجنة على لسان رسوله ﷺ كما تقدم في فضائله.

وأما زعمهم بأن طلحة أراد أن يتنصر فهو كذب؛ لأنه تكذيب لخبر الله وخبر رسوله ﷺ في الشهادة له بالجنة.

✽ المصادر والمراجع:

١ - «الطبقات الكبرى» (ج ٣)، لابن سعد.

(٤) انظر: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف (٤٩٤).

(٥) ميزان الاعتدال (٣٠٤/٤) [دار المعرفة، ط ١]، ولسان الميزان (٣٣٨/٨) [دار البشائر الإسلامية، ط ١].

عثمان رضي الله عنه كان يدعو الله أن يقيه من طلحة قائلاً: «اللَّهُمَّ اكفني طلحة بن عبيد الله؛ فإنه حمل علي هؤلاء وألبهم، والله إنني لأرجو أن يكون منها صفرًا، وأن يسفك دمه، إنه انتهك مني ما لا يحل له»^(١).

ولا شك أن الروايات التي تتهم طلحة بالتحريض على عثمان رضي الله عنه ليست صحيحة، والثابت أن طلحة رضي الله عنه إنما خرج مطالبًا بدم عثمان رضي الله عنه، فكيف يتهم بالتحريض على قتله؟!.

✽ موقف المخالفين منه:

- الروافض:

وجّه الروافض لطلحة رضي الله عنه طائفة من الطعون، غير أبهين بسابقتها في الإسلام، وبما جاء في مناقبه العظام، فقدحوا في أصل نسبه واعتبروه ابن زنا^(٢)، وادّعوا أنه كان من أعداء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى موته، وأن علياً رضي الله عنه شهد عليه بالنار^(٣)؛ بل زعموا

(١) تاريخ الطبري (٢/٦٦٨ - ٦٦٩)، وأوردها الغبان في كتابه: فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢/٧٩٣) وقال: «وهذا الإسناد ليس فيه ما يعله غير الواقدي»، والواقدي متروك، ومتهم بالكذب.

(٢) انظر: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس (٤٩٥)، وإلزام النواصب لمفلح بن راشد (١٧٣) [تحقيق: عبد الرضا النجفي، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وبحار الأنوار للمجلسي (٣١/٦٤٧، و٣٢/٢١٩).

(٣) انظر: الشافي في الإمامة للشريف المرتضى (٤/٣٤٤) [مؤسسة إسماعيليان، قم، ط ٢].

ضمن الإيمان باليوم الآخر .

الأدلة:

يقول الله تعالى: ﴿هَلْ يُنْظَرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]» (٢).

وعنه رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة» (٣).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله ﻻ يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» (٤).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٦٣٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٧).
(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٧).
(٤) أخرجه مسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٩).

٢ - «تاريخ الطبري» (ج ٣).

٣ - «صحيح تاريخ الطبري - الخلافة

الراشدة» (ج ٣).

٤ - «دلائل النبوة» (ج ٢)، للبيهقي.

٥ - «الاستيعاب في معرفة

الأصحاب» (ج ٢)، لابن عبد البر.

٦ - «سير أعلام النبلاء» (ج ١)،

للذهبي.

٧ - «الإصابة في تمييز الصحابة»

(ج ٣)، ابن حجر.

٨ - «شذرات الذهب في أخبار من

ذهب» (ج ١).

٩ - «السيرة النبوية الصحيحة» (ج ١)،

لأكرم ضياء العمري.

١٠ - «تحقيق مواقف الصحابة في

الفتنة من روايات الإمام الطبري

والمحدثين» (ج ٢)، لمحمد أمحزون.

طلوع الشمس من مغربها

التعريف شرعاً:

هو خروج الشمس من جهة المغرب خلافاً لعادتها، دلالة على قرب يوم القيامة (١).

الحكم:

يجب الإيمان بأن الشمس ستطلع من مغربها في آخر أيام الدنيا، وأنها من أشراط الساعة الكبرى، وهي تدخل

(١) كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة الآتية.

✽ أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي: «ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها»^(١).

وقال ابن أبي زَمَنِين: «وأهل السُّنَّة يؤمنون بطلوع الشمس من مغربها، وقال عليه السلام: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨]»^(٢).

وقال أبو عمرو الداني: «إن الإيمان واجب بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثبت بالنقل الصحيح، وتداول حمله المسلمون من ذكر وعيد الآخرة، وذكر الطوام، وأشراط الساعة، وعلاماتها، واقتربها، فمن ذلك طلوع الشمس من مغربها، فإذا طلعت أغلق باب التوبة»^(٣).

وقال ابن كثير: «الأحاديث المتواترة مع الآية الكريمة دليل على أن من أحدث إيماناً أو توبة بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل منه، وإنما كان كذلك والله أعلم؛ لأن ذلك من أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ودنوها،

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٧٦٠) [مؤسسة الرسالة العالمية، ط ٢، ١٤٣٣هـ].

(٢) أصول السُّنَّة (١٨٤) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٣) الرسالة الوافية (٢٤٣ - ٢٤٥) [دار الإمام أحمد، ط ١، ١٤٢١هـ].

فعومل ذلك الوقت معاملة يوم القيامة»^(٤).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: وقت خروجها:

جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تطلع الشمس من مغربها، وتخرج الدابة على الناس ضحى، فأيهما خرج قبل صاحبه، فالأخرى منها قريب، ولا أحسبه إلا طلوع الشمس من مغربها» يقول: «هي التي أولاً»^(٥)، وهي أول الآيات غير المألوفة خروجاً، قال ابن أبي العز عن الدابة: إنها: «أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج كل ذلك أمور مألوفة؛ لأنهم بشر، مشاهدة مثلهم مألوفة. وأما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر؛ فأمر

(٤) النهاية أو الفتن والملاحم (١/ ١٧٠) [دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى].

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الملاحم، رقم ٤٣١٠)، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٦٩)، وأحمد (٨٦/١١) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٨) [مكتبة القدسي]: «رجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في أحكامه على السنن.

والحديث أصله في صحيح مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤١)، دون قول عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

آيات لا ينفع الإيمان ولا التوبة من الكفر عند معانيتها، كما دلَّ عليه ظاهر حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»^(٤).

كذلك فإنه إذا طلعت الشمس من مغربها أغلق باب التوبة من المعاصي أيضاً، ولا يقبل من أحد توبة بعد ذلك. وهذا لا يختص بيوم طلوعها فقط؛ بل يمتد إلى يوم القيامة؛ خلافاً لما ذهب إليه بعض أهل العلم أنه يمتنع قبول الإيمان والتوبة وقت طلوع الشمس من المغرب؛ أي: في تلك الحالة، قالوا وأما من تاب بعد ذلك أو أسلم قبل ذلك منه^(٥). يدل عليه ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه»^(٦)، وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تنقطع الهجرة

خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عاداتها المألوفة أول الآيات السماوية»^(١).

قال ابن حجر: «فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم. وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة. ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب، وقد أخرج مسلم أيضاً من طريق أبي زرعة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه: «أول الآيات: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، فأيهما خرجت قبل الأخرى، فالأخرى منها قريب»^(٢)»^(٣).

- المسألة الثانية: التوبة بعد طلوع الشمس:

طلوع الشمس من مغربها أحد ثلاث

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٧٥٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٣هـ]، وينظر: القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٦٢) [أضواء السلف، ١، ١٤٢٢هـ].

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

(٣) فتح الباري (٣٦١/١١) [المطبعة السلفية ومكتبته، ط ٢، ١٤٠٠هـ].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٨).

(٥) ينظر: فتح الباري (٣٦٣/١١)، ولوامع الأنوار البهية (١٤٣/٢) [المكتب الإسلامي، دار أسامة]، والبحور الزاهرة في علوم الآخرة (٥٥٠/١) [دار غراس، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٠٣).

الْمَشْرِقِ فَأَتَتْ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴿البقرة: ٢٥٨﴾، وإن الملحدة والمنجمين عن آخرهم ينكرون ذلك، ويقولون: هو غير كائن؛ فيطلعها الله تعالى يومًا من المغرب لِيُرِيَ المنكرين قدرته أن الشمس في ملكه إن شاء أطلعها من المشرق، وإن شاء أطلعها من المغرب»^(٤).

ومن الحكمة في خروج الشمس من مغربها أيضًا بيان أن باب التوبة قد أغلق، وأن ليس للإنسان إلا ما قدم، يقول ابن حجر: «قال الحاكم أبو عبد الله: «الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة، ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه». قلت: والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلًا للمقصود من إغلاق باب التوبة»^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»، لصديق خان.
- ٢ - «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/١٣٤٧) [دار المنهاج، ط ١، ١٤٢٥هـ]، وينظر: القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٥٨).
(٥) فتح الباري (١١/٣٦١) [المطبعة السلفية ومكتبتها، ط ٢، ١٤٠٠هـ].

حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»^(١)، وما رواه معاوية ابن أبي سفيان، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم: «لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب؛ فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه، وكُفِيَ الناس العمل»^(٢). قال عبد الملك بن حبيب الأندلسي رحمته الله: «إذا طلعت الشمس من مغربها ختمت باب التوبة على من لم يكن مؤمنًا، وعلى من كان مؤمنًا، ولم يكن مخلصًا قبل ذلك، وهو قوله جل ذكره: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ عَائِدَتِكَ لَا يُفَعُّ نَفْسًا إِمْنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]»^(٣).

الحكمة:

قال القرطبي: «إن إبراهيم عليه السلام قال لنمرود: ﴿فَإِنَّكَ اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٧٩)، وأحمد (١١١/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والدارمي (كتاب السير، رقم ٢٥٥٥)، وقال الخطابي في معالم السنن (٢/٢٣٥) [المطبعة العلمية، ط ١]: «فيه مقال»، وصححه الألباني بشواهده في الإرواء (رقم ١٢٠٨) [المكتب الإسلامي، ط ٢].
(٢) أخرجه أحمد (٢٠٦/٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وحسن إسناده ابن كثير في التفسير (٣/٣٧٥) [دار طيبة، ط ٢]، والألباني في الإرواء (٣٤/٥) [المكتب الإسلامي، ط ٢].
(٣) أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار (١٠٢) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٥هـ].

الميت، والطوي: البئر المطوية، ومن الباب: أطواء الناقة؛ وهي طرائق شحم جنبيها، والطيان: الطاوي البطن، ويقال: طوى؛ وذلك أنه إذا جاع وضمّر صار كالشيء الذي لو ابتغي طيه لأمكن، فإن تعمد للجوع قال: طوى يطوي طياً، وذلك في القياس صحيح^(١).

التعريف شرعاً:

الطيّ صفة فعلية ثابتة لله كما يليق بجلاله وعظمته.

الحكم:

يجب الإيمان بما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ ومنه صفة الطي فيجب إثباتها لله كما يليق بجلاله وعظمته سبحانه.

الأدلة:

الطي صفة من صفات الله الفعلية، وقد تنوعت دلالة النصوص عليها، فتارة يخبر الله تعالى بأنه يطوي السماوات، كما في قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وتارة يخبر تعالى بأن طيه السماوات يكون بيمينه كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا

٣ - «أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار»، لعبد الملك بن حبيب الأندلسي.

٤ - «أشراط الساعة»، ليوسف الوابل.

٥ - «البحور الزاخرة» (ج ١)، للسفاريني.

٦ - «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج ٣)، للقرطبي.

٧ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٨ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ٢)، لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

٩ - «فتح الباري» (ج ١١)، لابن حجر العسقلاني.

١٠ - «القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة»، للسخاوي.

١١ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ٢)، للسفاريني.

١٢ - «النهاية أو الفتن والملاحم» (ج ١)، لابن كثير.

الطي

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الطاء والواو والياء أصل صحيح يدل على إدراج شيء حتى يدرج بعضه في بعض ثم يحمل عليه تشبيهاً، يقال: طويت الثوب والكتاب طياً أطويه، ويقال: طوى الله عمر

(١) مقاييس اللغة (٤٢٩/٣) [دار الجبل، ٢٠٢٠].

قَبَضَتْهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ
بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾
[الزمر].

وثبت عن النبي من حديث أبي
هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقبض الله
الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم
يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن القيم رحمته الله في صدد حديثه
عن صفة اليد والرد على من أولها: «ورد
لفظ: (اليد) في القرآن والسنة وكلام
الصحابة والتابعين في أكثر من مائة
موضع ورودًا متنوعًا متصرفًا فيه مقرونًا
بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك
والطبي والقبض والبسط والمصافحة»^(٢).

وقال الغنيمان: «قوله: «يقبض الله
الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء
بيمينه»؛ القبض هو: أخذ الشيء باليد
وجمعه، والطبي هو ملاقة الشيء بعضه
على بعض، وجمعه ولفه، وهو قريب
من القبض، وهذا من صفات الله تعالى
الفعلية التي تتعلق بمشيئته وإرادته، وهي
ثابتة بآيات كثيرة وأحاديث صحيحة عن
رسول الله ﷺ وهي مما يجب الإيمان

به؛ لأن ذلك داخل في الإيمان بالله
تعالى، ويحرم تأويلها المخرج لمعانيها
عن ظاهرها، وقد دلّ على ثبوتها لله
تعالى العقل أيضًا، فإنه لا يمكن لمن
نفاها إثبات أن الله هو الخالق لهذا
الكون المشاهد؛ لأن الفعل لا بد له من
فاعل، والفاعل لا بد له من فعل، وليس
هناك فعل معقول إلا ما قام بالفاعل،
سواء كان لازمًا كالنزول والمجيء، أو
متعديًا كالقبض والطبي، فحدث ما
يحدثه - تعالى - من المخلوقات تابع لما
يفعله من أفعاله الاختيارية القائمة به
تعالى.

وما صرح به في هذا الحديث من
القبض والطبي، قد جاء صريحًا أيضًا في
كتاب الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا
قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا
قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ
بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١٧﴾﴾ [الزمر]. والأحاديث والآثار عن
السلف في صريح الآية، والحديث
المذكور في الباب، كثيرة وظاهرة
جلية»^(٣).

❁ مذهب المخالفين:

ينفي المتكلمون بصفة عامة الأفعال
الاختيارية عن الله تعالى، سواء كانت

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥١٩)،
ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم
٢٧٨٧).

(٢) مختصر الصواعق (٣٨٨) [دار الحديث، القاهرة،
ط ١٤١٢هـ].

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان
(١٢٢/١ - ١٢٣) [دار العاصمة، ط ٢].

أفعلاً متعدية كالطبي والقبض ونحوهما،

أو لازمة كالنزول والاستواء ونحوهما؛ خوفاً - بزعمهم - من حلول الحوادث في ذاته، فتسلطوا على هذه الصفات بالتحريف والإبطال؛ حيث جعلتها المعترلة من باب الخيال والتمثيل المحض.

وقال الغنيمان: «وهو تعالى حي قيوم، فعال لما يريد، فمن أنكر قيام الأفعال الاختيارية به تعالى، فإن معنى ذلك أنه ينكر خلقه لهذا العالم المشاهد، وغير المشاهد، وينكر قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٩) [فصلت]،

قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]: «من غير تصور قبضة وطى يمين وإنما هو تخيل لعظمة شأنه وتمثيل حسي»^(١).

فالعقل دلّ على ما جاء به الشرع. وما صرح به في هذا الحديث من القبض والطى، قد جاء صريحاً أيضاً في كتاب الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَنَّا عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧) [الزمر]. والأحاديث والآثار عن السلف في صريح الآية، والحديث المذكور في الباب، كثيرة وظاهرة جلية، لا تحتل تأويلاً ولا تحتاج إلى تفسير، ولهذا صار تأويلها تحريفاً وإلحاداً فيها»^(٥).

وقال أيضاً في الآية موضع آخر: «وما هي إلا تصورات وتمثيلات لاقتداره، وأن كل مقدور وإن عظم وجل، فهو مستصغر إلى جنب قدرته»^(٢).

وحذا الرازي حذوه في تفسير الآية فقال: «وليس الغرض منه إلا تصوير أن كل مقدور وإن عظم فهو حقير بالقياس إلى قدرته»^(٣).

المصادر والمراجع:

١ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٣)، لابن تيمية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهؤلاء الجهمية لهم قدح في كلا الأصلين - يعني: التوحيد والرسالة - فإنهم لا يقدرُونَ الله حق قدره فلا يقبض عندهم

(٤) بيان تلبيس الجهمية لرد بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٧٨٧ - ٧٨٨) [طبعة مجمع الملك فهد، ١٤٢٦هـ].

(٥) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ١٢٢ - ١٢٣) للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان [دار العاصمة، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

(١) الكشف (١/ ٣٢٨) [دار إحياء التراث العربي].

(٢) الكشف (٣/ ٤٢٠).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٤/ ٢١٧) [دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ].

معناه الطاهر والمعنى أن الله ﷻ مقدس
منزه عن النقائص والعيوب كلها^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

توافق المعنى الشرعي مع اللغوي،
من حيث الأصل من السلامة من كل
نقص مع الطهارة، مع زيادة بعض
المعاني اللغوية على المعنى الشرعي،
فالمعنى اللغوي أعم.

سبب التسمية:

لأنه ﷻ الطيب في ذاته، فهي أكمل
الذوات، المتصفة بأعلى وأكمل الصفات،
والطيب في أسمائه؛ لإنبائها عن أحسن
المعاني، وأشرف الدلالات، والطيب في
أفعاله؛ لأنها في غاية الحق والصواب،
فلا يفعل إلا الأكمل، والأحسن،
والطيب في أقواله؛ فهي صدق في
الأخبار، وعدل في الأوامر والنواهي^(٣).

الأسماء الأخرى:

القدوس.

الحكم:

وجوب الإيمان بهذا الاسم من

٢ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح
البخاري» (ج ١)، للغنيمان.

٣ - «صفات الله ﷻ الواردة في
الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.

الطيب

التعريف لغة:

الطيب: اسمٌ من طاب يطيب طيبًا،
وأصل مادته: (ط - ي - ب)، والطاء
والياء والباء أصل واحد صحيح يدل
على خلاف الخبيث، والسلامة منه، كما
يدل على الطهارة والزكاة والحلال،
والاستطابة: الاستنجاء؛ لأن الرجل
يطيب نفسه مما عليه من الخبيث
بالاستنجاء، والطيبات من الكلام:
أفضله وأحسنه، والكلم الطيب:
التوحيد، وقيل: كل ذكر ودعاء،
والكلمة الطيبة شهادة أن لا إله إلا الله
وأن محمدًا رسول الله، وسمي رسول الله
المدينة طابة يريد أنها طاهرة من الخبيث
والنفاق، والأرض الطيبة: التي تصلح
للنبات، والريح الطيبة: اللينة، والطعمة
الطيبة: الحلال^(١).

التعريف شرعًا:

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «والطيب هنا

(١) انظر: العين (٤٦١/٧) [مكتبة الهلال]، ومقاييس

اللغة (٤٣٥/٣) [دار الجيل، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، ولسان

العرب (٥٦٤/١) [دار صادر، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٢) جامع العلوم والحكم (٩٩) [دار المعرفة، ط ١،

١٤٠٨هـ]، وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (١١/٤)

[دار الكتب العلمية]، والتيسير بشرح الجامع الصغير

للمناوي (٢٥٤/١) [مكتبة الإمام الشافعي، ط ٣].

(٣) انظر: أسماء الله الحسنى لماهر المقدم (٢٦٨)

[مكتبة الإمام الذهبي، ط ٢٨، ١٤٣٤هـ].

أسماء الله تعالى ومعرفة معناه ومدلوله ﴿٢﴾ أقوال أهل العلم:

على صفة الطَّيِّب لله تعالى . قال ابن منده رَحِمَهُ اللهُ: «ومن

أسماء الله رَحِمَهُ اللهُ: الطَّيِّب» (٢).

الحقيقة:

٢ - وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «ومعنى تسمية الله بالطَّيِّب هنا - ولم يأت في حديث الأسماء - أي: المنزه عن النقائص، بمعنى: القدوس» (٣).
وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «إن الله طيب؛ أي: منزّه عن النقائص والخبائث، فيكون بمعنى: القدوس، وقيل: طيب الثناء، ومستلذ الأسماء عند العارفين بها، وعلى هذا فطيب من أسماء الله الحسنى المعدود في جملتها المأخوذ من السُّنَّة» (٤).

الأدلة:

لم يرد اسم الطَّيِّب في القرآن الكريم، وإنما ورد في السُّنَّة المطهرة الطيبة مطلقاً منوناً مُراداً به العلمية ودالاً على كمال الوصفية، وذلك فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ إِنْ يَمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ [المؤمنون]، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَتَى يَسْتَجَابَ لِذَلِكَ!» (١).

(٢) كتاب التوحيد (٣٨٠).

(٣) إكمال المعلم (٢٨٣/٣).

(٤) المفهم (٢٧/٩)، كتاب الزكاة.

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩١).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٤١٠)،

ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٧).

(٧) بيان تلبيس الجهمية (٥١٩/٦) [مجمع الملك فهد

لطباعة المصحف]، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٢/

٤٨٤).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠١٥).

وقال ابن المبارك كُفُورِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قوله: «يا أيها الناس إن الله طيب ولا يقبل إلا طيباً» قال القاضي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الطيب ضد الخبيث، فإذا وصف به تعالى أريد به أنه منزّه عن النقائص مقدس عن الآفات، وإذا وصف به العبد مطلقاً أريد به أنه المتعري عن رذائل الأخلاق وقبائح الأعمال والمتحلي بأضداد ذلك، وإذا وصف به الأموال أريد به كونه حلالاً من خيار الأموال»^(٤).

- المسألة الثالثة: محبة الله لصفاته:

إن الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحب صفاته، ويحب من العبد أن يتعبّد له بها، فهو طيب يحب الطيبين وكل ما هو طيب، وهو عفو يحب العفو، وهكذا، فإذا كان يحب صفاته وهي قائمة بذاته، فكيف بمحبته لذاته^(٥).

الفروق:

الفرق بين الطيب والطاهر:

أن الطيب قد ينفك عن الطاهر وكذا على العكس؛ لأنه كم من طيب لا يكون طاهراً، وكذا أيضاً كم من طاهر لا

وقال ابن عثيمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تعداد الأسماء الواردة في السُّنَّة: «ومن سُنَّة رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الجميل، الجواد، الحكيم، الحيي، الرب، الرفيق، السبوح، السيد، الشافي، الطيب، القابض»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صفة الطيب:

إن من صفات الله تعالى صفة الطيب، وهي مشتقة من اسم الله الطيب^(٢).

- المسألة الثانية: حكم تسمية

المخلوق بالطيب:

يجوز التسمي بهذا الاسم من قبل المخلوقين، ولكن مع ملاحظة الفرق بين إطلاقه على الخالق فيطلق على ما يليق بجلاله وكماله، وبين تسمية المخلوق به على ما يليق بعجزه ونقصه، وقد كان رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِيَ أَحَدُ أَوْلَادِهِ بالطيب، وسمى عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسولَ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالطيب، ففي سنن ابن ماجه عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لما غسل النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذهب يلتمس منه ما يلتمس من الميت فلم يجده. فقال: بأبي الطيب، طبت حياً وطبت ميتاً»^(٣).

(٢٦) [دار العربية، ط ٢]، والألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه.

(٤) تحفة الأحوذى (٢٦٦/٨) [دار الكتب العلمية]. وانظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/٢٤١).

(٥) انظر: الصواعق المرسلّة (٤/١٤٥٨ - ١٤٥٩) [دار العاصمة ط ٣، ١٤١٨هـ]، وزاد المعاد (١/٦٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٢٧، ١٤١٥هـ].

(١) القواعد المثلى مع شرح فتح العلي الأعلى (٨٠) [مكتبة الفرقان، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: صفات الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للسقاف (١٦٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٦٧)، وصحح إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٢).

الفحش والتفحش، ومن الأعمال إلا أطيها وهي الأعمال التي اجتمعت على حسنها الفطر السليمة مع الشرائع النبوية؛ كأن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً.

وله أيضاً من الأخلاق أطيها وأزكاها كالعلم والوقار والسكينة والرحمة.

وكذلك لا يختار من المطاعم إلا أطيها وهو الحلال الهنيء المريء.

وكذلك لا يختار من المناكح إلا أطيها وأزكاها، ومن الرائحة إلا أطيها وأزكاها، ومن الأصحاب والعشراء إلا الطيبين منهم.

فالله ﷻ جعل الطيب بحذافيره في الجنة فقد أخلصت للطيبين، وهي حرام على غير الطيبين^(٣).

المصادر والمراجع:

١ - «بدائع الفوائد» (ج ٢)، لابن القيم.

٢ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

٣ - «زاد المعاد» (ج ١)، لابن القيم.

٤ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في

الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.

٦ - «فقه الأسماء الحسنی»،

لعبد الرزاق العباد البدر.

(٣) انظر: زاد المعاد (١/ ٦٥)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (٩٩ - ١٠٠).

يكون طيباً. فبين الطيب والطاهر عموم وخصوص من وجه؛ لتصادقهما في الزعفران، وتفارقهما في المسك والتراب^(١).

أما في أسماء الله تعالى فالطيب يرادف اسم الله القدوس، فمدلولهما واحد، إلا أن يكون القدوس يدل على تنزيه ذات الله من النقائص، والطيب تنزيهه عن العيوب والنقائص في ذاته وفي أفعاله وأسمائه وصفاته، فيكون من هذه الناحية (الطيب) أعم من (القدوس)، وذكر العلماء: أن من معاني القدوس: المبارك، والذي تقدسه الملائكة، فيكون من هذه المعاني أعم من الطيب، فالطيب أعم من حيث متعلقه، والقدوس أعم من حيث معناه، والله أعلم^(٢).

الآثار:

من آثار الإيمان بهذا الاسم على العبد: أنه لا يرضى إلا بالطيب، ولا يسكن إلا إليه ولا يطمئن قلبه إلا به، فله من الكلام الكلم الطيب الذي لا يصعد إلى الله تعالى إلا وهو خال من

(١) الكليات للكفوي (٤٠٠) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م]، ودستور العلماء (١٩٥/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٢) انظر: النهج الأسنى للمحمود (٨٢) [مكتبة الامام الذهبي، ط ٤، ١٤٣٣هـ]، وأسماء الله الحسنی لماهر مقدم (٢٦٧ - ٢٦٨) [دار الإمام الذهبي، ط ٢٦، ١٤٣٣هـ].

٧ - «معتقد أهل السُّنة والجماعة في أو الترك»^(٢).

الأسماء الحسنى، للتمييز. ومن أقوال العلماء الواردة في تعريفها

٨ - «النهج الأسمى في شرح ما يلي:

قال ابن عبد البر: «أصل التطير أسماء الله الحسنى» (ج ٣)، للحمود.

٩ - «أسماء الله الحسنى»، لماهر مقدم.

١٠ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٦)، لابن تيمية.

فتطّيروا من الأعور والأعضب والأبتر»^(٣).

الطيرة

التعريف لغة:

وقال النووي: «والتطير: التشاؤم، وأصله: المكروه من قول أو فعل أو مرئي»^(٤).

وقال ابن تيمية: «وأما الطيرة فإن يكن قد بدأ في فعل أمر وعزم عليه فيسمع كلمة مكروهة مثل: «ما يتم» فيتركه فهذا منهي عنه»^(٥).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يُعد المعنى الشرعي للطيرة تبعاً لمعناها

(٢) انظر: الدر النضيد على أبواب التوحيد (١٩٦) [دار الصحابة، ط ٤]، وانظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٦)، والآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٣٦١ - ٣٦٣).

(٣) التمهيد لابن عبد البر (٨/ ٢٨٢) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط ٢، ١٤٠٢هـ].

(٤) شرح مسلم للنووي (١٤/ ٢١٨) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ].

(٥) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ٢٧) [ط ١، ١٤١٨هـ]. وانظر: إغاثة اللهفان (١/ ٢١٧ - ٢١٨) [دار المعرفة، ط ٢، ١٣٩٥هـ].

الطيرة: بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن، اسم مصدر من تطير يقال: تطير طيرة، كما يقال: تخير خيرة، ولم يجئ في المصادر هكذا غيرهما، يقال: تطّير فلان واطّير بمعنى، وأصل الطيرة هو التفاؤل والتشاؤم بالطير ونحوها. ثم استعمل في كل ما يُتفأَل به ويُتشاءم من الحيوان وغير الحيوان، قال أبو عبيد: الطائر عند العرب الحظ، وهو الذي تسميه العرب البخت. وقال الفراء: الطائر معناه عندهم العمل، وطائر الإنسان عمله الذي قلده، وقيل رزقه، والطائر الحظ من الخير والشر^(١).

التعريف شرعاً:

الطيرة: هي الحامل على الفعل

(١) النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٥٢) [دار الكتب العلمية، ولسان العرب (٤/ ٥١١) [دار صادر، ط ٣].

في الحديث: «الطيرة شرك»^(٣)، قال سليمان بن عبد الله: «قوله: «الطيرة شرك» صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك، لما فيها من تعلق القلب بغير الله»^(٤).

✽ الحقيقة:

العرب كانوا يتشاءمون أو يتفاءلون بالطيور، فالطيرة عندهم كانت على وجهين:

- على الظن الحسن الذي يحمل على فعل الشيء.

- وعلى الظن السيئ الكائن في القلب، الذي ينتج عنه توهم يترتب عليه ما يؤدي إلى إحجام الإنسان عن فعل الأسباب أو عن الإقدام على الأشياء، سواء كان إحجامًا قلبيًا أو إحجامًا عمليًا، بدون سبب شرعي، وإنما لمجرد سماع كلمة أو نظر إلى شيء لا يعجبه أو خطر له خاطر فيعرض عن العمل، فهذا من الطيرة. وهذا كله ناتج عن ضعف الإيمان والتوكل على الله^(٥).

✽ الأدلة:

تعددت النصوص في النهي عن الطيرة، وذم ذلك فأخبر الله تعالى عن

(٣) سيأتي تخريجه في الأدلة.

(٤) تيسير العزيز الحميد (٤٣٨) [المكتب الإسلامي، ط ٦، ١٤٠٥هـ].

(٥) انظر: لطائف المعارف لابن رجب (٧٤ - ٧٧) [دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٤هـ].

اللغوي، وذلك أن أصل الطيرة في اللغة هو التشاؤم بالسوانح والبوارح من الطير والحيوان، وقد أطلق في الشرع بهذا المعنى، إلا أن العلماء توسعوا في إطلاقه حتى شمل ذلك التشاؤم بكل مكروه من الأقوال والأفعال والمناظر وغيرها.

✽ سبب التسمية:

تسمية الطيرة بهذا الاسم ظاهرة مما كان يفعله أهل الجاهلية من زجر الطير والتشاؤم بها، وإن كانوا قد يفعلون ذلك مع غير الطيور كالظباء، إلا أنه لما كان غالب ذلك إنما يكون مع الطيور سميت بذلك، قال الخطابي: «إن الطيرة إنما أخذت من اسم الطير، وذلك أن العرب كانت تتشاءم ببروح الطير إذا كانوا في سفر أو مسير»^(١).

✽ الأسماء الأخرى:

اشتهرت الطيرة بهذا الاسم، ويُطلق عليها أيضًا بعض المسميات الأخرى، فمن ذلك:

١ - العيافة.

٢ - التشاؤم^(٢).

✽ الحكم:

الطيرة محرمة بإجماع أهل العلم لقوله

(١) معالم السنن للخطابي (٢٣٥/٤) [المكتبة العلمية، ط ٢، ١٤٠١هـ].

(٢) شرح مسلم للنووي (٢١٨/١٤)، وفتح الباري لابن حجر (٢١٣/١٠) [مكتبة الرياض الحديثة].

المشركين أنهم كانوا يتطيرون بالمؤمنين ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ [يس: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا تَطَيَّرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١]، وقوله: ﴿قَالُوا أَطَيَّرْنَا بِكَ وَبِعَنْ مَعَكَ قَالَ طَيَّرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧]، ومما لا شك فيه أن هذا ورد على سبيل الذم لهم على هذا الفعل القبيح.

وأما السُّنَّة؛ فقد ورد فيها النهي الصريح عن ذلك، كما جاء ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه من قوله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»^(١). وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «الطيرة شرك»^(٢).

وقال سليمان بن عبد الله: «قوله: «الطيرة شرك» صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك، لما فيها من تعلق القلب بغير الله»^(٥).

وقال ابن عثيمين رحمته الله: «واعلم أن التطير ينافي التوحيد، ووجه منافاته له من وجهين:

الأول: أن المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غيره.

الثاني: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له؛ فأى رابطة بين هذا الأمر وبين ما يحصل لك؟!، وهذا لا شك أنه يخل بالتوحيد؛ لأن التوحيد عبادة واستعانة، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة]، إذن فالطيرة محرمة وهي

(٣) مفتاح دار السعادة (٥٨٠) [مكتبة حميدو، مصر، ط ٣، ١٣٩٩هـ].

(٤) عارضة الأحوذى لابن العربي (١١٦/٧) [دار الكتب العلمية].

(٥) تيسير العزيز الحميد (٤٣٨).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن القيم رحمته الله: «قوله: «لا طيرة» هذا يحتمل نفياً أو يكون نهياً؛ أي: لا تتطيروا، ولكن قوله في الحديث: «لا عدوى ولا صفر ولا هامة» يدل على أن

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٠٧)، ومسلم (كتاب الطب، رقم ٢٢٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٩١٠)، والترمذي (أبواب السير، رقم ١٦١٤) وصححه، وابن ماجه (كتاب الطب، رقم ٣٥٣٨)، وأحمد (٦/ ٢١٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٤٢٨).

منافية للتوحيد^(١).

ويتشاءمون بشهر شوال في النكاح فيه خاصة^(٣).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صور التطير والشاؤم قديماً وحديثاً:

١ - التطير ببعض الأزمنة من الشهور والأيام؛ كشهر صفر وشوال، وكيوم الثلاثاء والأربعاء، ونحو ذلك.

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»^(٢).

وقد كان العرب يتشاءمون بشهر صفر، فنهى عن ذلك النبي ﷺ وبين أنه لا شؤم فيه؛ بل هو كغيره من الشهور.

ويقال ذلك أيضاً لكل من يتشاءم بشوال كالذين لا يتزوجون فيه خشية عدم السعادة الزوجية، وذلك لوقوعه بين عيدين.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم - معلقاً على حديث: «ولا صفر» -: «نفي لما كان عليه أهل الجاهلية من التشاؤم بشهر صفر، ويقولون: هو شهر الدواهي، فنفي ذلك ﷺ وأبطله، وأخبر أن شهر صفر كغيره من الشهور، لا تأثير له في جلب نفع ولا دفع ضرر، وكذلك الأيام والليالي والساعات لا فرق بينها، وكان أهل الجاهلية يتشاءمون بيوم الأربعاء،

٢ - التشاؤم ببعض الطيور والحيوانات كالبومة والغراب، وبحركات الطيور والظباء وغيرها من الحيوان، وهذا كثير عند أهل الجاهلية، وهو أصل الطيرة كما تقدم، ولا يزال موجوداً في بعض المجتمعات الإسلامية كما هو عند أهل الجاهلية، لا سيما التشاؤم بالبومة والغراب.

٣ - التشاؤم من ذوي العاهات من بني آدم كالأعور والأعرج ونحوهما، فإذا جاء أرباب العاهات إلى أصحاب التجارة في الصباح الباكر، تشاءموا بهم، حتى ربما أغلق بسببهم متجره تشاؤماً بصاحب العاهة.

٤ - التشاؤم ببعض الأرقام؛ كرقم سبعة أو عشرة أو ثلاثة عشر، فالرافضة «يكرهون التكلم بلفظ العشرة، أو فعل شيء يكون عشرة، حتى البناء لا يبنون على عشرة أعمدة، ولا بعشرة جذوع ونحو ذلك؛ لكونهم يبغضون خيار الصحابة، وهم العشرة المشهود لهم بالجنة»^(٤).

وكثير من الكفار اليوم يتشاءمون بالرقم (١٣)، ولذا حذفته بعض شركات

(٣) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم (١/١٤٧) [مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط ١، ١٣٩٩هـ].

(٤) منهاج السنّة النبوية (١/١٠).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٧٧) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٢) تقدم تخريجه.

أرادها، ولا يرجع أو يتردد بسبب ما شاهده أو سمعه مما يتعلق بالطيرة.

٣ - أن يدعو الله بالدعاء الذي أرشد إليه النبي ﷺ، وهو أن يقول: «اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»^(١)، وغير ذلك من الأدعية الواردة في كفارة الطيرة.

- المسألة الثالثة: بيان معنى قوله ﷺ: «لا طيرة وخيرها الفأل»:

الفأل: هو تقوية عزم الإنسان على شيء يريده، فيُسَرُّ به^(٢). وقد اختلف العلماء في الفأل؛ أهو من الطيرة أم ليس منها؟ على قولين:

القول الأول: أن الفأل من الطيرة، وإنما استثناه النبي ﷺ من الحكم، واستدلوا لذلك بما يلي:

١ - قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «لا طيرة، وخيرها الفأل، قالوا: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٩١٩)، والبيهقي في الدعوات (٢/ ٢٠٥) [مؤسسة غراس، ط١]، وقال: هذا مرسل، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٦١٩).

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (٣١٦) [دار مكتبة الحياة، ط١٩٨٦م]، والدر النضيد على أبواب التوحيد (١٩٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٥٤)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٣).

الطيران والسياحة في الدول الغربية من ترقيم مقاعد المسافرين، كما حُذِفَ من ترقيم المصاعد ونحوها في الفنادق والعماير وغيرها.

وقد عزا بعضهم هذا التشاؤم إلى خيانة يهوذا، ذي الرقم (١٣) للمسيح في العشاء السري.

وعزا ذلك بعض علماء الأرقام إلى كون هذا الرقم هو الذي يلي الرقم (١٢) الذي يدل على الكمال، إذ إن السنة مؤلفة منه وكذا الأبراج وغيرها.

٥ - التشاؤم ببعض الألوان؛ كاللون الأسود، قالوا أن هذا اللون يدل على الحزن والضيق، ولذا ربطوا بين هذا اللون وبين ما يكرهون، حتى نسبوا السواد إلى الأيام، فقالوا: فلان نهاره أسود، إشارة إلى وقوع ما يكره في ذلك اليوم، وكثيراً ما يتشاءمون بهذا اللون إذا رأوه مع بداية السنة.

- المسألة الثانية: علاج الطيرة:

بين النبي ﷺ علاج الطيرة، وذلك في أمور ثلاثة:

١ - التوكل على الله ﷻ، واليقين بأنه لا يأتي بالخير ولا يدفع الشر إلا هو ﷻ، وأنه تعالى هو المتصرف في خلقه، فإذا توكل على الله تمام التوكل فإن الطيرة لا تضره.

٢ - أن يمضي في حاجته التي

٢ - ما رواه عروة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً»^(١)، فهذا الحديث يدل على أن الفأل داخل في الطيرة^(٢).

❖ الفرق:

الفرق بين الطيرة والفأل:

١ - أن الفأل لا يحمل الإنسان على الفعل، وإنما يقوي عزمه، ولا يعتمد عليه. قال سليمان بن عبد الرحمن الحمدان رَحِمَهُمَا اللهُ: «وأما الفأل الذي كان يحبه رَحِمَهُمَا اللهُ ففيه نوع بشارة، فيسر به العبد، ولا يعتمد عليه فافهم الفرق، ومن شرط الفأل أن لا يقصده»^(٦). والطيرة هي ما أمضاك أو ردك.

٢ - أن الفأل إنما يكون من طريق حسن الظن بالله تعالى، بخلاف الطيرة، فلا تكون غالباً إلا في السوء، فلذلك نهى عنها.

٣ - أن الفأل ليس فيه تعلق القلب بغير الله، بخلاف الطيرة ففيها تعلق القلب بغير الله تعالى.

٤ - مصدر الفأل في الغالب عن نطق وبيان، بخلاف الطيرة فمصدرها في الغالب عن حركة طير أو نطقه.

٥ - الإعجاب بالفأل جاء متوافقاً مع فطرة الإنسان في محبة النفس لما يلائمها والأنس بالكلمة الطيبة، بخلاف

القول الثاني: أن الفأل ليس من الطيرة أصلاً، واستدلوا لذلك بما يلي:

١ - قوله ﷺ في حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح، الكلمة الحسنة»^(٣).

٢ - ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة»^(٤).

قالوا: ففي هذين الحديثين التفريق بين الطيرة والفأل، مما يدل على عدم دخول أحدهما في الآخر، وأجابوا عن أدلة أصحاب القول الأول التي تشعر بأن الفأل من الطيرة، فقالوا:

أ - إن إضافة الفأل إلى الطيرة هي إضافة توضيح، لا لكون الفأل داخل في الطيرة.

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٩١٩)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٦١٩).

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة (٥٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٥٦)، ومسلم (كتاب الطب، رقم ٢٢٢٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه (كتاب الطب، رقم ٣٥٣٦)، وأحمد (١٢٢/١٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب العدوى والطيرة والفأل، رقم ٦١٢١)، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/٢١٤) [دار المعرفة].

(٥) انظر: فتح الباري (١٠/٢١٤).

(٦) الدر النضيد على أبواب التوحيد (١٩٦).

الطيرة فهي مخالفة لذلك داعية إلى
الخوف والفرع.

✽ الآثار:

١ - الخوف والقلق، بكثرة
الوساوس، وتفتح أبوابها في كل ما
يسمعه ويراه.

٢ - التعلق بغير الله تعالى، وتوقع
الخير والنفع من غيره ﷺ.

٣ - تلاعب الشيطان بالمتطير، بتأكيد
عيشه وإفساد دينه ودنياه.

٤ - وقوع صاحب ذلك في الشرك،
واعتقاده النفع والضرر من غير الله تعالى.

٥ - تركه لكثير من حاجاته، وتفويته
لمصالحه اعتمادًا على مثل هذه
الخرافات الزائفة.

✽ المصادر والمراجع:

١ - «الإخلاص والشرك الأصغر»،
لعبد العزيز العبد اللطيف.

٢ - «التمهيد»، لابن عبد البر.

٣ - «التوكل على الله تعالى وعلاقته

بالأسباب»، د. عبد الله الدميحي.

٤ - «تيسير العزيز الحميد»،

لسليمان بن عبد الله.

٥ - «رسالة الشرك ومظاهره»، لمبارك

الميلي.

٦ - «فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن

إبراهيم آل الشيخ».

٧ - «فتح الباري»، لابن حجر.

٨ - «القول المفيد على كتاب

التوحيد»، لابن عثيمين.

٩ - مجلة «البيان، بحث: التشاؤم

والتطير»، لمحمد الخضير.

١٠ - «مفتاح دار السعادة»، لابن

القيّم.



حرف الظاء

لا يكاد يُخْلِف، وهو إنْسِي الشيء والمقبل منه. فالباطن خلاف الظاهر. وباطن الأمر دخلته، خلاف ظاهره. تقول: بَطَنْتُ هذا الأمر؛ إذا عرفت باطنه^(٢).

الظالم لنفسه

يراجع مصطلح (مراتب المؤمنين).

الظاهر الباطن

التعريف شرعاً:

الظاهر: الذي ليس فوقه شيء في ظهوره وعلوه على الأشياء، والباطن: الذي ليس دونه شيء يكون أعظم بطوناً منه حيث بطن من الجهة الأخرى من العباد، الدالان بمجموعهما على الإحاطة والسعة^(٣).

قال ابن تيمية: «فأخبر أنه الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وأنه الباطن الذي ليس دونه شيء، فهذا خبر بأنه ليس فوقه شيء في ظهوره وعلوه على الأشياء، وأنه ليس دونه شيء فلا يكون أعظم بطوناً منه حيث بطن من الجهة الأخرى من العباد، جمع فيها لفظ البطون ولفظ الدون، وليس هو لفظ الدون بقوله: وأنت الباطن فليس دونك شيء، فعلم

التعريف لغة:

الظاهر: اسم الفاعل من فعله الثلاثي (ظهر)، والطاء والهاء والراء أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلّ على قوّة وبروز، من ذلك ظَهَرَ الشيءُ يظهرُ ظهوراً فهو ظاهر؛ إذا انكشف وبرز. وظهرت البيت: علوته، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧]، ويكون الظهور بمعنى الغلبة والقوة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَقْوِي لَكُمْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ [غافر: ٢٩]^(١).

والباطن: اسم فاعل للفعل الثلاثي (بطن)، والباء والطاء والنون أصل واحد

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤٧١/٣) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، وانظر: اشتقاق أسماء الله للزجاجي (١٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]، والصحاح (٢/٢٩٣)، والأسنى في شرح الأسماء الحسنى (١٢٥)، (١٢٦) [المكتبة الحضرية، ط ٤، ١٤٢٧هـ]، ولسان العرب (٥٢٠/٤).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٢٥٩/١) [دار الجبل، ١٤٢٠هـ].
(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٣٧/٤ - ٣٨) [طبعة مجمع الملك فهد].

المخلوقات كما أنه ﷺ ظهوره ظهور
حكمة وعلم وقدر وعظمة .
وأما بطونه سبحانه فهو بطون علم
وإحاطة بكل شيء، وبطون قرب
ومعية^(٣) .

✽ المنزلة:

بين ابن القيم رحمه الله منزلة هذين
الاسمين وأهمية معرفتهما فقال: «معرفة
هذه الأسماء الأربعة: الأول والآخر
والظاهر والباطن هي أركان العلم
والمعرفة، فحقيق بالعبد أن يبلغ في
معرفتها إلى حيث ينتهي به قواه وفهمه،
فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان
التوحيد، وهي جماع المعرفة بالله
وجماع العبودية له»^(٤) .

✽ الأدلة:

ورد هذان الاسمان المزدوجان مرة
واحدة في القرآن الكريم، وذلك قوله
تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد] .

وورد ذكرهما في السنة المطهرة فيما
رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أراد أحدنا
أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم
يقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ
الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ

أن بطونه أوجب أن لا يكون شيء دونه،
فلا شيء دونه باعتبار بطونه، والبطون
يكون باعتبار الجهة التي ليست ظاهرة،
ولهذا لم يجر هذا الاسم الباطن إلا
مقروناً بالاسم الظاهر؛ لأن مجموع
الاسمين يدلان على الإحاطة والسعة^(١) .

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

توافق المعنى الشرعي مع اللغوي،
مع اختصاص الشرعي بمزيد بيان،
وخصوصية في حق المولى ﷺ .

✽ الحكم:

وجوب الإيمان بهذين الاسمين من
أسماء الله تعالى لدلالة الكتاب والسنة
والإجماع عليهما، ومعرفة معناهما
والإيمان بمدلولهما على صفة العلو
والقرب والمعية والإحاطة لله تعالى^(٢) .

✽ الحقيقة:

ظهور الرب ﷻ: ظهور غلبة وقهر
وقوة؛ فما من مخلوق إلا وتحت قبضته
وتحت مشيئته وملكه لا يخرج عن ملكه
شيء .

وهو كذلك: ظهور علو وفوقية، فقد
استوى ﷻ فوق العرش الذي هو أعلى

(١) بيان تلبس الجهمية (٣٧/٤ - ٣٨) [مجمع الملك
فهد لطباعة المصحف] .

(٢) انظر: الاستقامة لابن تيمية (١/١٤٠) [جامعة
الإمام، ط ١، ١٤٠٣هـ] .

(٣) انظر: طريق الهجرتين (٢٣) وما بعدها [مكتبة المتنبّي] .

(٤) طريق الهجرتين (٤٦) [دار ابن القيم، ط ٢، ١٤١٤هـ] .

شيء، وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء، بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه، هذا لون وهذا لون، فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، وهي إحاطتان؛ زمانية ومكانية، فإحاطة أوليته وآخريته بالقبل والبعد، فكل سابق انتهى إلى أوليته، وكل آخر انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله وما من آخر إلا والله بعده، فالأول قدمه، والآخر دوامه وبقاؤه، والظاهر علوه وعظمته، والباطن قربه ودنوه، فسبق كل شيء بأوليته وبقي بعد كل شيء بآخريته، وعلا على كل شيء بظهوره، ودنا من كل شيء ببطونه، فلا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضاً، ولا يحجب عنه ظاهر باطناً؛ بل الباطن له ظاهر، والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب، والسر عنده علانية، فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد فهو الأول في آخريته والآخر في أوليته والظاهر في بطونه والباطن في ظهوره لم يزل أولاً وآخرًا

كل شيء، فالق الحب والنوى، ومُنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللَّهُمَّ أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر»^(١).

وذكرهما كل من كتب في الأسماء الحسنى، وكذلك المفسرون؛ بل أجمعت الأمة على أنهما من أسماء الله الحسنى، نقل هذا الإجماع القرطبي رحمته الله^(٢).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن منده رحمته الله: «ومعنى الظاهر: ظاهر بحكمته، وخلقه وصنائه وجميع نعمه التي أنعم بها فلا يرى غيره، ومعنى الباطن: المحتجب عن ذوي الأبواب كنه ذاته وكيفية صفاته وَجَلَّ»^(٣).

وقال ابن القيم رحمته الله: «فأولية الله وَجَلَّ سابقة على أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه، فأوليته: سبقه لكل شيء، وآخريته: بقاؤه بعد كل

(١) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٣).

(٢) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى (١٢٤، ١٨٩) [المكتبة الحضرية، ط ٤، ١٤٢٧هـ].

(٣) كتاب التوحيد (٣٢٢)، وانظر: الحجة في بيان المحجة لقوام السنة (١/ ١٣٠).

وظاهرًا وباطنًا»^(١).

- المسألة الثانية: يُمنع تسمية الملوك

باسم الله (الظاهر والباطن):

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ومما يُمْنَعُ تسمية الإنسان به أسماء الرب تبارك وتعالى، فلا يجوز التسمية بالأحد والصمد ولا بالخالق ولا بالرازق، وكذلك سائر الأسماء المختصة بالرب تبارك وتعالى، ولا تجوز تسمية الملوك بالقاهر والظاهر كما لا يجوز تسميتهم بالجبار والملكوت والأول والآخِر والباطن وعلام الغيوب»^(٤).

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «والظاهر: يدل على عظمة صفاته، واضمحلال كل شيء عند عظمته من ذوات وصفات وعلى علوه.

والباطن: يدل على اطلاعه على السرائر، والضمائر، والخبايا، والخفايا، ودقائق الأشياء، كما يدل على كمال قربهِ ودنوه»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: من الخطأ قصرُ

تفسير اسم الله الظاهر على أنه المعروف المعلوم فحسب:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الظاهر ضَمَنَ معنى العالي، فكل ما علا الشيء ظهر، ولهذا قال: «أنت الظاهر فليس فوقك شيء»، فأثبت الظهور وجعل موجب الظهور أنه ليس فوقه شيء ولم يقل ليس شيء أبين منك ولا أعرف، وبهذا تبين خطأ من فسر الظاهر بأنه المعروف، كما يقوله من يقول: الظاهر بالدليل، الباطن بالحجاب، كما في كلام أبي الفرج وغيره، فلم يذكر مراد الله ورسوله، وإن كان الذي ذكره له معنى صحيح»^(٣).

- المسألة الثالثة: إثبات صفة العلو

والظهور والفوقية لله تعالى:

وذلك من اسمه الظاهر، وهي صفة ذاتية ثابتة لله تعالى، وأدلتها أكثر من أن تحصر، دلَّ عليها الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة والحس، انظرها في صفة العلو.

واستدل بهذا الحديث وباسمه الظاهر على صفة العلو كثير من العلماء، منهم ابن خزيمة في كتابه التوحيد وابن تيمية وابن القيم وابن أبي العز رحمة الله وغيرهم كثير.

- المسألة الرابعة: من لوازم اسم الله

الظاهر أن لا يكون فوق الله شيء، حتى وإن نزل إلى السماء الدنيا نزولًا يليق بجلاله:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك اسمه

(١) طريق الهجرتين (٤٧)، وانظر: (٤٤) منه.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى (١٧٠)، وانظر: شرح النونية للهراس (٤٥٣/٢) [دار الإمام أحمد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٣) بيان تلبيس الجهمية (١/٥٥١).

(٤) تحفة المودود بأحكام المولود (١٢٥) [دار البيان، ط ١، ١٣٩١هـ].

قبلة يتوجه نحوها ولا معبود يتوجه إليه قصده، فالتعبد باسمه الظاهر يجمع القلب على المعبود ويجعل له ربًّا يقصده وصمدًا يصمد إليه في حوائج، هو ملجأ يلجأ إليه، فإذا استقر ذلك في قلبه وعرف ربه باسمه الظاهر استقامت له عبوديته وصار له معقل وموئل يلجأ إليه ويهرب إليه^(٢).

✽ مذهب المخالفين^(٣):

خالف في هذين الاسمين الجهمية وغلاة الصوفية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية، فالجهمية ينكرون الاسم والصفة، فيقولون: إن الله في كل مكان وقد يجمعون بين المتناقضات فيقولون: لا فوق ولا تحت ولا داخل ولا خارج، وبالتالي ليس هو في مكان؛ بل لا يوجد رب عندهم فهم يعبدون عدماً، وغلاة الصوفية يقولون: بالاتحاد أو الحلول، فيقولون: على من يعلو ويظهر وما ثم إلا هو^{(٤)؟!}، وكل شيء هو الله، والبقية يثبتون الاسم مع تعطيل الصفة، أو

الظاهر من لوازمه أن لا يكون فوقه شيء كما في الصحيح عن النبي ﷺ: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء»؛ بل هو سبحانه فوق كل شيء، فمن جحد فوقيته سبحانه فقد جحد لوازم اسمه الظاهر، ولا يصح أن يكون الظاهر هو من له فوقية القدر فقط كما يقال الذهب فوق الفضة والجوهر فوق الزجاج؛ لأن هذه الفوقية تتعلق بالظهور بل قد يكون المفقو أظهر من الفائق فيها ولا يصح أن يكون ظهور القهر والغلبة فقط، وإن كان سبحانه ظاهراً بالقهر والغلبة لمقابلة الاسم الباطن، وهو الذي ليس دونه شيء كما قابل الأول الذي ليس قبله شيء بالآخر الذي ليس بعده شيء^(١).

- المسألة الخامسة: إثبات صفة المعية والقرب والدنو والإحاطة والعلم لله تعالى، وذلك من اسمه (الباطن).

✽ الثمرات:

١ - إذا تحقق العبد علو الرب ﷻ المطلق على كل شيء بذاته وأنه ليس فوقه شيء البتة، وأنه قاهر فوق عباده يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه، صار لقلبه رب يعبد به وإله يتوجه إليه، بخلاف من لا يدري أين ربه، فإنه ضائع مشتت القلب ليس لقلبه

(١) مدارج السالكين (٣١/١) [دار الكتاب العربي،

(٢) انظر: طريق الهجرتين (٤١ - ٤٣).

(٣) انظر: مشكل الحديث لابن فورك (٣٩٤) [عالم الكتب، ط ١٩٨٥م]، والأسماء والصفات للبيهقي (٢٨٩/٢) [مكتبة السوادى، ط ١]، وشرح النووي على مسلم (٣٦/١٧)، والديباج على مسلم للسيوطي (٦٧/٦)، والكشاف للزمخشري (٤٧١/٤) [دار إحياء التراث العربي]، وتفسير النسفي (٢٢٢/٤)، (٢٢٣) [طبعة الحلبي، القاهرة]، والماتريدية دراسة وتقوية للحربي (٢٢٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٢٤/٥).

هل الله تعالى عين هذا الكون أم غيره؟
فإن قلت: هو عين هذا الكون فقد بحتم
بالعقيدة الاتحادية، وإن قلت هو غير
هذه الأكوان، يقال لكم: هل الله تعالى
في هذه الأكوان، أم هي في الله تعالى،
أو هو خارجها؟، فإن قلت: إن الله في
هذه الأكوان فقد قلت بعقيدة الحلول،
وإن قلت: الأكوان في الله تعالى فقد
كفرتم بجعلكم الله تعالى محلاً
للمخلوقات، وظرفاً لها، وإن قلت: إنه
خارج هذه الأكوان فقد اعترفتم بالحق،
وهدمتم بنيانكم، وإن قلت: لا داخل
العالم ولا خارجه فقد كابرتم بداهة
العقول.

٤ - أما قول الحلولية وأن الله تعالى
في كل مكان بذاته، فهو قول مخالف
للكتاب والسنة وإجماع السلف. وقد
أخبر الله تعالى عباده أنه مستو على
العرش في سبعة مواطن منها قوله
تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥٦﴾
[طه]. كما نقل الإجماع على ذلك غير
واحد من الأئمة، منهم الحافظ ابن
عبد البر رحمته الله حيث يقول في قوله
تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ
إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ
أَيَّنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُهُمْ يَمَّا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ
اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧٧﴾ [المجادلة]. «فلا

تأويلها، فيفسرون الظاهر: بالظاهر
الغالب الذي لا يغلبه أحد، والظاهر
بالأدلة القطعية. والباطن: أي:
المحتجب عن الخلق، وهم ينفون بذلك
أن فسروا هذين الاسمين بما يتناسب مع
اعتقادهم في الصفة فقصروا المعنى على
علو القدر والقهر والغلبة دون علو
الذات.

❁ الرد عليهم (١):

١ - قولهم: إنه لا داخل العالم ولا
خارجه، ممتنع ومخالف للفطرة السليمة
والعقل والشرعية.

٢ - المعطلة من الجهمية وغيرهم
معترفون بوصف الله تعالى بعلو القهر
والقدر، وأن ذلك كمال لا نقص فيه
وهو من لوازم ذاته، فيقال لهم: ما أثبتتم
به هذين النوعين من العلو والفوقية هو
بعينه حجتنا عليكم في إثبات علو ذاته،
وما نفيتم به علو الذات يلزمكم في ما
أثبتموه في علو القهر والقدر.

٣ - يقال لهم: هل الله تعالى عندكم
موجود ذهني أو خارجي؟، فإن قلت: إنه
موجود ذهني فقط فقد كفرتم بربكم،
وإن قلت: موجود خارجي، يقال لكم:

(١) انظر: بيان تلبس الجهمية (١٧٣/٤) وما بعدها،
والصواعق المرسلة (١٢٧٩) وما بعدها [دار
العاصمة، ٣، ١٤١٨هـ]، والتوضيحات الجليلة
على شرح العقيدة الطحاوية لمحمد الخميس (٢/
٦٧٠) [دار ابن الجوزي، ١، ١٤٢٩هـ].

- حجة لهم في ظاهر هذه الآية؛ لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله^(١).
- ٢ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ١، ٢) لابن تيمية.
- ٣ - «الشرعة» (ج ٢)، للآجري.
- ٤ - «صفات الله وَجَلَّ الواردة في الكتاب والسُّنة»، للسقاف.
- ٥ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

- ٥ - قوله ﷺ: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء» نفى أن يكون فوق الله شيء، وذلك يقتضي أنه ﷺ أكمل شيء ظهوراً، والظهور يتضمن العلو، فلهذا قال: فليس فوقك شيء ولم يقل: فليس أظهر منك شيء؛ لأنه لو أراد مجرد الانكشاف والتجلي للناس لنافى ذلك وصفه بالبطون؛ لأن كون الشيء ظاهراً بمعنى كونه معلوماً أو مشهوداً ينافي كونه باطناً؛ ولكن الظهور يتضمن معنى العلو، ومن شأن العالي أبداً أن يكون ظاهراً متجلياً، بخلاف السافل فإن من شأنه أن يكون خفياً؛ لأنه إذا علا تراءى للأبصار فرأته، فهو سبحانه مع ظهوره المتضمن علوه فلا شيء فوقه وهو أيضاً باطن فلا شيء دونه^(٢).
- ٦ - «فقه الأسماء الحسنی»، لعبد الرزاق البدر.
- ٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٥ و ٦ و ١٦)، لابن تيمية.
- ٨ - «مدارج السالكين» (ج ١)، لابن القيم.
- ٩ - «النبوات»، لابن تيمية.
- ١٠ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی» (ج ١)، للنجدي.

ظاهر النص

يراجع مصطلح (نصوص الصفات).

الظل

يراجع مصطلح (ظل العرش).

ظل العرش

التعريف لغة:

الظل: قال ابن فارس: «الظاء واللام أصل واحد يدل على ستر شيء لشيء، وهو الذي يسمى الظل، وكلمات الباب

المصادر والمراجع:

- ١ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.

(١) التمهيد (١٣٩/٧) مؤسسة قرطبة.

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٤١/٤) [طبعة مجمع الملك فهد].

الحكم:

يجب الإيمان بظل العرش الذي يظل الله فيه المؤمنين يوم القيامة في الموقف لثبوته بالسنة النبوية^(٥).

الحقيقة:

أصل العرش: هو الشيء المسقف، يقال: عرشت الكرم؛ إذا جعلت له كهية سقف، واعترش العنب؛ أي: ركب عرشه، والعرش شبه هودج للمرأة، شبيهاً في الهيئة بعرش الكرم، وعرشت البئر جعلت له عريشاً، وسمي مجلس السلطان عرشاً؛ اعتباراً بعلوه، ويكنى بالعرش عن العز والسلطان والمملكة، قيل فلان ثل عرشه^(٦).

والظل: الظل المعروف، ويأتي بمعنى النعيم، والجانب والستر، والكنف، والخاصة، ومنه: أنا في ظلك، وبمعنى: العز^(٧).

الألباني (٣/٣٦٦) لشادي آل نعمان [مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، صنعاء، ط١، ١٤٣١هـ]، والقول الواضح المبين في المراد بظل الله الذي وعد به لربيع بن هادي المدخلي [مقال منشور].

(٥) انظر: التوحيد لابن منده (٣/١٩٠ - ١٩٢) [الجامعة الإسلامية، ط١]، وفتح الباري لابن حجر (٢/١٤٤)، وتعليق الألباني على الترغيب والترهيب (١/٣٨٦) [بواسطة موسوعة الألباني (٣/٣٦٦)]، والقول الواضح المبين في المراد بظل الله الذي وعد به المؤمنين العاملين.

(٦) انظر: مفردات غريب القرآن للأصفهاني (٣٢٩) [دار المعرفة، بيروت].

(٧) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/٣١٢).

عائدة إليه، فالظلُّ ظل الإنسان وغيره، ويكون بالغداة والعشي، والفيء لا يكون إلا بالعشي، وتقول: أظلّني الشجرة، وظل ظليل: دائم^(١).

وقال الفيروزآبادي: «الظل، بالكسر: نقيض الضحّ، أو هو الفيء، أو هو بالغداة، والفيء بالعشي، ج: ظلال وظلول وأظلال، والجنة.

ومنه: ﴿وَلَا أَظِلُّ وَلَا أَهْرُورُ﴾ [فاطر]^(٢).

العرش: قال الفيروزآبادي: «العرش: عرش الله تعالى، وسرير الملك، والعزّ، وقوام الأمر، ومنه: ثلّ عرشه، وركن الشيء، ومن البيت: سقفه، والخيمة، والبيت الذي يستظل به، كالعرش»^(٣).

التعريف شرعاً:

ظل العرش: هو الظل الذي يكون للعرش يوم القيامة ليستظل فيه المؤمنون حين دنو الشمس من رؤوس الخلائق في الموقف^(٤).

(١) مقاييس اللغة (٣/٤٦١) [دار الجيل، ط٢]، وانظر: تهذيب اللغة (١٤/٢٥٧) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

(٢) القاموس المحيط (١٠٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط٨].

(٣) القاموس المحيط (٥٩٧).

(٤) انظر: روضة المحبين (٤٨٥) [دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١١/٣٩٤ - ٣٩٥) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، وتعليق الألباني على الترغيب والترهيب (١/٣٨٦) [بواسطة موسوعة

❁ الأدلة:

على ذلك (٤).

وقد تتبّع ابن حجر أحاديث ظل العرش، وفي ذلك يقول: «ثم تتبعت بعد ذلك الأحاديث الواردة في مثل ذلك، فزادت على عشر خصال، وقد انتقيت منها سبعة وردت بأسانيد جياد، ونظمتها في بيتين تذييلًا على بيتي أبي شامة، وهما:

وزد سبعة: إضلال غاز، وعونه
وإنظار ذي عسر، وتخفيف حملة
وإرفاد ذي غرم، وعون مكاتب
وتاجر صدق في المقال وفعله» (٥).

ثم ذكر أنه قام بالجمع مرتين آخرين، ثم قال: «وقد أوردت الجميع في الأمالي وقد أفردته في جزء سميته: (معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال)» (٦).

❁ أقوال أهل العلم:

بيّن أهل العلم أن المراد بالظل الوارد في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله هو ظل العرش، وفيما يلي إيراد بعض كلامهم في ذلك:

قال ابن منده رحمته الله: «بيان آخر يدل على أن العرش ظل يستظل فيه من

ورد الظل في النصوص تارة مضافًا إلى الله، وتارة أخرى مفسرًا بأنه ظل العرش، فمن ورود مضافًا إلى الله حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» (١).

وأما وروده مفسرًا بظل العرش فقد وقع في أحاديث كثيرة منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من أنظر معسرًا، أو وضع له، أظله الله في ظل عرشه يوم القيامة» (٢).

ومن مجموع هذين الحديثين وما جاء في معناه في هذه المسألة يظهر جليًا أن الظل المضاف إلى الله ﷻ في بعض الأحاديث هو ظل عرشه، وهي إضافة تشريف، وليست من إضافة الصفة إلى الموصوف، وعليه فإن الظل ليس من صفات الله ﷻ.

وأحاديث ظل العرش كثيرة، وكثير منها صحيح، قال الذهبي بعد أن سرد طائفة منها: «وقد ورد في ظل العرش أحاديث تبلغ التواتر» (٣)، ووافقه الألباني

(١) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦٦٠)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٣١).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب البيوع، رقم ١٣٠٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٢٩/١٤) [مؤسسة الرسالة، ١، ١٤١٧هـ]، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٩٠٩) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٣) العلو للعلي الغفار للذهبي (٦٨) [المكتبة السلفية، ٢، ١٣٨٨هـ].

(٤) انظر: مختصر العلو للألباني (١٠٥) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠١هـ].

(٥) فتح الباري لابن حجر (٢/١٤٤).

(٦) فتح الباري لابن حجر (٢/١٤٤).

في ظل عرشه»^(٤)، ثم قال: «ثم نظرنا في الأصل المذكور في هذا الحديث ما المراد به فلم يكن في حديث مالك عن خبيب بن عبد الرحمن ما يدل على ذلك ما هو؟ وهو قوله: يظلمهم الله في ظل عرشه فأخبر بذلك أن الظل المراد في هذا الحديث هو ظل عرش الله ﷻ»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المراد بالظل الذي يُظل الله به بعض عباد يوم القيامة:

اختلف أهل العلم في المراد بالظل الذي يظل الله فيه من يشاء من عباد المؤمنين يوم القيامة على أقوال:

القول الأول: أن الظل هو صفة من صفات الله تعالى التي تليق بجلاله وعظمته، وقد ذهب إلى هذا القول ابن باز رَحِمَهُ اللهُ، فقد سئل عن حديث السبعة الذين يظلمهم الله ﷻ في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فهل يوصف الله تعالى بأن له ظلاً؟ فأجاب: «نعم، كما جاء في الحديث، وفي بعض الروايات: «في ظل عرشه»، لكن في الصحيحين: «في ظله»، فهو له ظل يليق به سبحانه، لا نعلم كيفيته، مثل سائر الصفات، الباب

يشاء الله من عباده»^(١)، ثم أورد تحته طائفة من الأدلة الدالة على ذلك ومنها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

وأكد ابن القيم في مواضع عديدة من كتبه أن المقصود بقوله ﷻ: «في ظله» في حديث السبعة هو ظل العرش، ومن كلامه في ذلك: «إذا تأملت السبعة الذين يظلمهم الله ﷻ في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وجدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفة الهوى فإن الإمام المسلط القادر لا يتمكن من العدل إلا بمخالفة هواه»^(٢).

وقال أيضاً: «الباب الرابع عشر في بيان أشق الصبر على النفوس: مشقة الصبر بحسب قوة الداعي إلى الفعل وسهولته على العبد، فإذا اجتمع في الفعل هذان الأمران كان الصبر عنه أشق شيء على الصابر، ولذلك استحق السبعة المذكورين في الحديث الذين يظلمهم الله في ظل عرشه لكمال صبرهم ومشقته»^(٣).

وأورد الطحاوي بعض طرق حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظله، وبين أن بعضها جاء بلفظ: «يظلمهم الله في ظله» وبعضها بلفظ: «يظلمهم الله تعالى

(٤) أخرجه بهذا اللفظ: سعيد بن منصور في سننه بسند حسن من حديث سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كما ذكر ابن حجر في فتح الباري (١٤٤/٢) [دار المعرفة].

(٥) شرح مشكل الآثار (٧٣/١٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ].

(١) كتاب التوحيد لابن منده (٣/ ١٩٠ - ١٩٢).

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (٤٨٥).

(٣) عدة الصابرين (٥٥ - ٥٦) [دار الكتب العلمية].

الصحيحين على غيره، ومعلوم أن الحديث إذا ثبت يجب الأخذ به، وقد نص غير واحد من الحفاظ كأبي جعفر الطحاوي والذهبي وابن حجر وغيرهم على ثبوت روايات ظل العرش.

وأما **القول الثاني**: وهو قول الشيخ ابن عثيمين بأن المراد بالظل ليس ظل العرش، وإنما هو ظل يخلقه الله يوم القيامة من الغمام أو من غيره، ليظل فيه من يشاء من عباده، فهو مبني على الاجتهاد؛ لأن الحديث لم يصح عنده، ولو صح عنده لقال به كما ذكر^(٣).

- المسألة الثانية: هل هناك من يستظل بظل العرش غير السبعة؟

ظاهر الحديث الحصر في هؤلاء السبعة، لكن جاء ما يدل على أن الله ﷻ يُظل في ظله غير هؤلاء، فعن أبي اليسر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله»^(٤).

قال ابن حجر في حديث «سبعة يظلهم الله»: «قوله: «سبعة» ظاهره اختصاص المذكورين بالثواب المذكور، ووقع في صحيح مسلم من حديث أبي اليسر مرفوعًا: «من أنظر معسرًا أو وضع له أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا

واحد عند أهل السنة والجماعة، والله ولي التوفيق»^(١).

القول الثاني: أن المراد بالظل هو ظل يخلقه الله يوم القيامة؛ ليظل فيه من يشاء من عباده المؤمنين، وليس هو من صفات الله، وهذا ما ذهب إليه ابن عثيمين رحمته الله، فقال: «والمراد بالظل هنا: ظل يخلقه الله ﷻ يوم القيامة، يظل فيه من شاء من عباده، وليس المراد ظل نفسه ﷻ؛ لأن الله نور السماوات والأرض»^(٢).

القول الثالث: أن المراد بالظل هو ظل العرش يظل الله فيه يوم القيامة من يشاء من عباده.

وبهذا قال جمهور أهل العلم ومنهم الذين تقدمت أقوالهم؛ كالطحاوي وابن مندة وابن القيم، وهو الراجح؛ لأن قوله ﷻ: «يظلهم الله في ظله» جاء مفسرًا في بعض الروايات بقوله ﷻ: «يظلهم الله تعالى في ظل عرشه» كما ذكر الطحاوي.

وأما **القول الأول** فهو مبني على حديث: «يظلهم الله في ظله» وبعد ثبوت الروايات الأخرى المفسرة لهذا الظل بظل العرش، فلا مجال للقول به. ولعل القائلين بهذا القول لم تصح عندهم تلك الروايات المفسرة له، أو قدموا ما في

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٢٨/٤٠٢).

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣/٣٤٦).

(٣٤٧) [دار الوطن، طبعة عام ١٤٢٥هـ].

(٣) المرجع السابق (٣/٣٤٨).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرفائق، رقم ٣٠٠٦).

ظله»^(١)، وهاتان الخصلتان غير السبعة الماضية، فدل على أن العدد المذكور لا مفهوم له»^(٢).

✽ الآثار:

١٠ - «موسوعة الألباني في العقيدة» (ج ٣)، لشادي آل نعمان.

✽ الظلم المنفي عن الله

تعالى

✽ التعريف لغة:

الظلم من مادة (ظ - ل - م)، والظَّاء واللام والميم أصلان صحيحان؛ أحدهما: خلاف الضياء والنور، والآخر: وضع الشيء غير موضعه تعدياً. وهو من: ظلمه يظلمه ظلمًا. وقولهم: من أشبه أباه فما ظلم؛ أي: ما وضع الشبه غير موضعه. وأصل الظلم: الجور ومُجاوزة الحد^(٤).

✽ التعريف شرعاً:

الظلم المنفي عن الله تعالى: هو أنه لا يُحمل المرء سيئات غيره، ولا يعذب بما لم تكسب يده، ولم يكن سعى فيه، ولا ينقص من حسناته؛ فلا يجازي بها أو ببعضها إذا قارنها أو طرأ عليها ما يقتضي

الإيمان بدنو الشمس من رؤوس الخلائق يوم القيامة وحاجة الناس الماسة إلى الظل، وأن الله أعد ظل عرشه لعباده المؤمنين الصادقين دون غيرهم، يدفع المؤمن إلى السعي لتحقيق إيمانه بالله، والبحث عن الخصال الموصلة إلى هذا الظل، وفي مقدمتها تحقيق التوحيد لله رب العالمين.

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «صحيح ابن حبان» (ج ١٦).
- ٢ - كتاب «التوحيد» (ج ٣)، لابن منده.
- ٣ - «شرح مشكل الآثار» (ج ١٥)، للطحاوي.
- ٤ - «التمهيد» (ج ٢)، لابن عبد البر.
- ٥ - «عدة الصابرين»، لابن القيم.
- ٦ - «فتح الباري» (ج ٢)، لابن حجر.
- ٧ - «معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال»، لابن حجر^(٣).
- ٨ - «شرح رياض الصالحين» (ج ٣)، لابن عثيمين.

(٤) يُنظر: مقاييس اللغة (٤٦٨/٣) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (٣٧٣/١٢) [دار صادر، ٣ ط].
(٥) انظر: مفتاح دار السعادة (١٠٧/٢) [دار الكتب العلمية].

(١) وهو الحديث المتقدم.
(٢) فتح الباري لابن حجر (١٤٣/٢ - ١٤٤).
(٣) هذا كتاب ذكره ابن حجر ولم نقف عليه.

حسناته»، وفي رواية عنه أنه قال: «يقول الله تعالى: أنا قاهر لكم اليوم، أخذكم بقوتي وشدتي، وأنا قادر على قهركم وهضمكم، فإنما بيني وبينكم العدل، وذلك يوم القيامة»^(٤).

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف].

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا...»^(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ؛ فَقَالَتِ النَّارُ: أَوْثَرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلَنِي إِلَّا ضَعْفَاءُ النَّاسِ وَسُقَطُهُمْ. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشْيَاءِ مَنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أَعَذِبُ بِكَ مِنْ أَشْيَاءِ مَنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَلُؤُهَا، فَأَمَّا

إبطالها أو اقتصاص المظلومين منها»^(١).

الحكم:

اتفق المسلمون بل أهل الملل كلها على أن الله تبارك وتعالى عدل لا يظلم الناس شيئاً، وإن كان المسلمون اختلفوا في معنى الظلم المنفي عن الله ﷻ، أما أهل السنة فيرون أن الله لا يظلم الناس شيئاً؛ بمعنى أنه لا يحملهم ذنوب غيرهم ولا يجازيهم إلا بأعمالهم ولا يضيع عليهم حسناتهم؛ وذلك لكمال عدله^(٢).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف]. قال القرطبي: «أي: لا يأخذ أحداً بجرم أحد، ولا يواخذه بما لم يعمل، قاله الضحاك. وقيل: لا ينقص طائعاً من ثوابه ولا يزيد عاصياً في عقابه»^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا يخاف ابن آدم يوم القيامة أن يظلم فيزداد عليه في سيئاته، ولا يظلم فيهضم في

(١) انظر: منهاج السنة (١/١٣٥)، وشرح حديث أبي ذر رضي الله عنه لابن تيمية (٣/٢٠٨) و(٣/٢١١) [ضمن مجموعة الرسائل المنيرية]، ورسالة في معنى كون الله عادلاً لابن تيمية (١/١٢١) [ضمن جامع الرسائل].

(٢) تفسير القرطبي (١٠/٤١٩) [دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢، ١٣٨٤هـ].

(٣) أخرجهما عنه ابن جرير في تفسيره (١٨/٣٧٩، ٣٨٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٧٧).

النار: فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط، فهناك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله ﷻ من خلقه أحدًا، وأما الجنة: فإن الله ﷻ ينشئ لها خلقًا^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «إن الله عدل لا يجور فيعاقب عبدًا له بغير استحقاق منه العقوبة، ولكنه يجازي كل نفس بما كسبت، ويوفي كل عامل جزاء ما عمل... فلم يكن تعالى ذكره بما عاقبهم به^(٢) من إذاقتهم عذاب الحريق ظالمًا، ولا واضعًا عقوبته في غير أهلها. وكذلك هو جل ثناؤه، غير ظلام أحدًا من خلقه، ولكنه العادل بينهم، والمتفضل على جميعهم بما أحب من فَوَاضِلِهِ وَنِعَمِهِ»^(٣).

وذكر ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ أن الله سبحانه منع نفسه من الظلم لعباده وذكر الآيات في هذا المعنى ثم قال عن آية سورة طه أنفة الذكر: «والهضم: أن ينقص من جزاء حسناته، والظلم: أن يعاقب بذنوب غيره، ومثل هذا كثير في القرآن، وهو مما يدل على أن الله قادر على الظلم، ولكن لا يفعله فضلًا منه وجودًا وكرمًا وإحسانًا إلى عباده. وقد فسر كثير من العلماء الظلم بأنه وضع الأشياء في غير موضعها»^(٤).

قال الشيخ محمد منير بن عبده آغا الدمشقي: «وللعلماء في تفسير الظلم المنفي هنا أقوال، وتنازع، فبعضهم قد شذ، وبعضهم قد غلا، وتجاوز، والقول الوسط في ذلك ما أشرنا إليه قبل،

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الصواب الذي دلَّت عليه النصوص أن الظلم الذي حرمه الله على نفسه وتنزه عنه فعلاً وأرادَه هو ما فسرَه به سلف الأمة وأئمتها؛ أنه لا يُحمل المرء سيئات غيره، ولا يعذب بما لم تكسب يداه ولم يكن سعى فيه، ولا ينقص من حسناته

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٥٠)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٦).

(٢) يعني: اليهود الذين قتلوا الأنبياء وكفروا بالله.

(٣) تفسير ابن جرير (٤٤٧/٧).

(٤) مفتاح دار السعادة (١٠٧/٢) [دار الكتب العلمية].

(٥) جامع العلوم والحكم (٣٥/٢) [مؤسسة الرسالة، بيروت، ٧، ١٤٢٢هـ].

وهو: أن الظلم الذي حرّمه الله على نفسه، ونفى إرادته كما تقدّم هو مثل أن يترك حسنات المحسن، فلا يجزيه بها، ويعاقب البريء على ما لم يفعل من السيئات، ويعاقب هذا بذنب غيره، أو يحكم بين الناس بغير القسط، ونحو ذلك من الأفعال التي يُنزّه الرب عنها لقسطه وعدله، وهو قادر عليها، وإنما استحق الحمد، والثناء؛ لأنه ترك الظلم، وهو قادر عليه، وكما أن الله ﷻ منزّه عن صفات النقص، والعيب، فهو أيضًا منزّه عن أفعال النقص، والعيب»^(١).

✽ مذهب المخالفين:

خالف في بيان معنى الظلم المنفي عن الله ﷻ طائفتان؛ وذلك يرجع إلى قولهم في القدر:

الطائفة الأولى: المعتزلة القدرية، يقررون أن الظلم المنفي عن الله ﷻ هو ما كان قبيحًا بعقولهم، ويرونه ظلمًا، ولذا قالوا: إنه كل ضرر لا نفع فيه، فاعتبروا - بناء على هذا - أن الله ﷻ يجب عليه فعل الأصلح لعباده واللفظ فيهم على ما يرونه، وإلا كان ظالمًا لهم؛ لأنه لا يدخل عليه ضرر من ذلك فيجب عليه فعله لعباده، ودخل في ذلك

وهذا مبني على أصلهم في القدر، وهو باطل؛ قال شيخ الإسلام في رده على دعوى القدرية في الظلم المنفي عن الله ﷻ: «فذهب المكذبون بالقدر القائلون بأن الله لم يخلق أفعال العباد، ولم يرد أن يكون إلا ما أمر بأن يكون، وغلاتهم المكذبون بتقدم علم الله وكتابه بما سيكون من أفعال العباد من المعتزلة وغيرهم، إلا أن الظلم منه هو نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض، وشبهوه ومثلوه في الأفعال بأفعال العباد، حتى كانوا هم ممثلة الأفعال، وضربوا لله الأمثال، ولم يجعلوا له المثل الأعلى؛ بل أوجبوا عليه وحرّموا ما رأوا أنه يجب على العباد ويحرم بقياسه على العباد، وإثبات الحكم في الأصل بالرأي، وقالوا عن هذا: إذا أمر العبد، ولم يعنه بجميع ما يقدر عليه من وجوه الإعانة كان ظالمًا له، والتزموا أنه لا يقدر أن يهدي ضالًّا، كما قالوا: إنه لا يقدر أن يضل مهتديًا، وقالوا عن هذا: إذا أمر اثنين بأمر واحد، وخص أحدهما بإعانتة على فعل المأمور كان ظالمًا، إلى أمثال ذلك من الأمور التي

(١) النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية لمحمد منير أغا الدمشقي الأزهري (٥١) [دار ابن كثير، دمشق].

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي (٣٠٩، ٣١٠، ٣٥١) [مكتبة وهبة].

المصحح له لا لفقده في نفسه، فلتفهم هذه الدقيقة فإنها مزية القدم^(٢).

ولكن تفسيرهم مخالف لمعنى النصوص، وما سبق ذكره عن السلف فإن لازم هذا التفسير هو استحالة امتناع وقوع الظلم من الله ﷻ، مع أن الله ﷻ مدح نفسه بذلك وبين أن ذلك من عظيم فضله وكريم جوده على العباد؛ إذ أمنهم من أن يظلموا، فلو كان كما ذكر في كلام الأشاعرة وغيرهم من ناحية امتناع وقوعه لم يكن فيه مجال للتمدح والثناء بل يستحيل وقوعه، فمن هنا كان القول الحق في معنى الظلم المنفي عن الله ﷻ هو ما سبق ذكره عن السلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر قول القدرية: «فعارض هؤلاء آخرون من أهل الكلام المثبتين للقدر، فقالوا: ليس للظلم منه حقيقة يمكن وجودها؛ بل هو من الأمور الممتنعة لذاتها، فلا يجوز أن يكون مقدورًا، ولا يقال إنه هو تارك له باختياره ومشيئته، وإنما هو من باب الجمع بين الضدين، وجعل الجسم الواحد في مكانين، وقلب القديم محدثًا، والمحدث قديمًا، وإلا فمهما قدر في الذهن وكان وجوده ممكنًا

هي من باب الفضل والإحسان، جعلوا تركه لها ظلمًا. وكذلك ظنوا أن التعذيب لمن كان فعله مقدراً ظلم له، ولم يفرقوا بين التعذيب لمن قام به سبب استحقاق ذلك، ومن لم يقم، وإن كان ذلك الاستحقاق خلقه لحكمة أخرى عامة أو خاصة»^(١).

الطائفة الثانية: الأشعرية، حيث

قالوا: إن الظلم منفي عن الله ﷻ؛ لأنه يستحيل وقوعه منه؛ لأن الظالم هو من تصرف في ملك غيره أو أخذ ما ليس من حقه، وكل شيء هو ملك الله ﷻ، وليس هناك من هو فوقه سبحانه فيكون له حق عليه. قال الغزالي: الظلم منفي عنه بطريق السلب المحض كما تسلب الغفلة عن الجدار والعبث عن الريح، فإن الظلم إنما يتصور ممن يمكن أن يصادف فعله ملك غيره، ولا يتصور ذلك في حق الله تعالى أو يمكن أن يكون عليه أمر فيخالف فعله أمر غيره، ولا يتصور من الإنسان أن يكون ظالمًا لما في ملك نفسه بكل ما يفعله، إلا إذا خالف أمر الشرع فيكون ظالمًا بهذا المعنى، فمن لا يتصور منه أن يتصرف في ملك غيره ولا يتصور منه أن يكون تحت أمر غيره كان الظلم مسلوبًا عنه لفقد شرطه

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (٩٩) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٤هـ]، والتبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني (١٦٩) [عالم الكتب، لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ].

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٧٧/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ].

المحسن لا يجزى على إحسانه بالظلم والهضم، فعلم أن الظلم والهضم المنفي يتعلق بالجزاء، كما ذكره أهل التفسير، وأن الله لا يجزيه إلا بعمله^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «جامع البيان»، لابن جرير الطبري.
- ٢ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.
- ٣ - «شفاء العليل»، لابن قيم الجوزية.
- ٤ - «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.
- ٥ - «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، لابن القيم.
- ٦ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٧ - «مفتاح دار السعادة»، لابن القيم.
- ٨ - «منهاج السنة النبوية»، لابن تيمية.
- ٩ - «النفى في باب صفات الله ﷻ بين أهل السنة والجماعة والمعطلة»، لأرزقي محمد سعيداني.

والله قادر عليه فليس بظلم منه، سواء فعله أو لم يفعله، وتلقى هذا القول عن هؤلاء طوائف من أهل الإثبات من الفقهاء، وأهل الحديث من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، ومن شراح الحديث ونحوهم، وفسروا هذا الحديث بما ينبني على هذا القول... وبالجمله فقلوه تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه] قال أهل التفسير من السلف: «لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه سيئات غيره، ولا يهضم فينقص من حسناته». ولا يجوز أن يكون هذا الظلم هو شيء ممتنع غير مقدور عليه، فيكون التقدير لا يخاف ما هو ممتنع لذاته، خارج عن الممكنات والمقدورات، فإن مثل هذا إذا لم يكن وجوده ممكنًا حتى يقولوا إنه غير مقدور، ولو أراحه؛ كخلق المثل له، فكيف يعقل وجوده، فضلًا أن يتصور خوف حتى ينفي خوفه، ثم أي فائدة في نفي خوف هذا، قد علم من سياق الكلام أن المقصود بيان أن هذا للعامل



حرف العين

وقيل: كُنيت بذلك؛ لأنها أسقطت من النبي ﷺ سقَطًا، فسَمَّاه النبي ﷺ (عبد الله) فاكنت به، وهذا لم يثبت، والأوَّل أصحُّ (٣).

مولدها ووفاتها:

ولدت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بمكة، بعد البعثة بأربع سنين أو خمس (٤) تقريباً (٥)، فخرجت إلى الدنيا فوجدت نفسها بين أبوين كريمين مؤمنين، في بيت يدين بدين الإسلام؛ بل وجدت نفسها ابنة خير الناس بعد رسول الله ﷺ،

ماجه (كتاب الأدب، رقم ٣٧٣٩)، وأحمد (٤٢/ ٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه سننه ابن حجر في التلخيص الحبير (٣٦٥/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٢).

(٣) ينظر: جلاء الأفهام (٢٤١) [دار العروبة، الكويت، ط ٢، ١٤٠٧هـ]، وفتح الباري (١٠٧/٧) [دار المعرفة]، والإصابة في تمييز الصحابة (٢٣٢/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١]، والمجموع شرح المذهب (٤٣٨/٨).

(٤) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١٦/٨).

(٥) رجَّح سليمان الندوي أن ولادتها في السنة التاسعة قبل الهجرة، فقال: «أصح تاريخ لولادتها هو شهر شوال قبل الهجرة، الموافق يوليو (تموز) عام ٦١٤م»، وهو نهاية السنة الخامسة من البعثة، ينظر: سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين (٤٠) [دار القلم، ط ١، ١٤٢٤هـ].

عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين رضي الله عنها

اسمها ونسبها وكنيتها:

هي أمنا أم المؤمنين عائشة، بنت الصديق رضي الله عنه، خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة - عثمان - بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن فهر بن مالك بن كنانة، أم عبد الله، القرشية، التيمية، المكية، ثم المدنية، زوجة النبي ﷺ (١).

أما كنيته: فقد كناها بتلك الكنية النبي الكريم ﷺ، وذلك عندما طلبت منه أن يكون لها كنية، فكنّاها بابن أختها أسماء؛ تطيباً لحاظرها، فعن عروة رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «يا رسول الله، كل صواحيبي لهن كنى، قال: فاكتني بابنك عبد الله بن الزبير - يعني: ابن أختها - فكانت تدعى بأم عبد الله حتى مات» (٢).

(١) ينظر: الطبقات الكبرى (٥٨/٨) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وأسد الغاية (٢٠٥/٧) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وسير أعلام النبلاء (١٣٥/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٩٧٠)، وابن

يَمِينُكَ» (٣).

فنشأت ﷺ في أحضان هذه الأسرة المباركة، وترعرعت في بيت الصدق والإيمان، وعاشت منذ نعومة أظفارها في ظل تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وشهدت في طفولتها أشد المراحل التي مرت بها دعوة الإسلام وما لاقاه المسلمون من الأذى والاضطهاد.

وأما وفاتها: فقد توفيت أم المؤمنين عائشة ﷺ بالمدينة النبوية، ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان من السنة السابعة أو الثامنة أو التاسعة والخمسين للهجرة، في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ (٤).

وقد زارها بعض الصحابة في مرض موتها، فعن ابن أبي مليكة: «أن ابن عباس استأذن عليها وهي مغلوبة» (٥)، فقالت: أخشى أن يشي عليّ، ف قيل: ابن عم رسول الله ﷺ، ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له، فقال:

(٣) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٩٦)، ومسلم (كتاب الرضاع، رقم ١٤٤٥).

(٤) ينظر: الطبقات الكبرى (٦٢/٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٨٨٥/٤) [دار الجيل، بيروت، ط ١]، والمنظّم في تاريخ الملوك والأمم (٣٠٣/٥) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وأسد الغابة (١٨٦/٧)، والبداية والنهاية (١٠١/٨)، والوافي بالوفيات (١٦/٣٤٣) [دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ]، والإصابة (٣٤٤/٨).

(٥) أي: قد غلبها المرض فأضعفها عن التصرف. ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣٨٧/٢) [دار الوطن، الرياض]، وعمدة القاري (٨٧/١٩) [دار إحياء التراث العربي، بيروت].

فوالدها أبو بكر الصديق ﷺ أول من أسلم من الرجال، وبإسلامه أسلمت زوجته أم رومان وابنتاه أسماء وعائشة رضي الله عنهن، وبذلك تعد عائشة ﷺ من أوائل المسلمات.

وكان أبواها - مع إسلامهما المتين - لهما علاقات متينة، وصلات وثيقة برسول الله ﷺ، كما حكّت ذلك بنفسها ﷺ، فعن عروة بن الزبير أن عائشة زوج رسول الله ﷺ قالت: «لم أعقل أبويّ إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشيّة» (١).

وقد أرضعتها زوجة أبي القعيس (٢)، فعن عائشة ﷺ، قالت: «استأذن عليّ أفلح أخو أبي القعيس بعدما أنزل الحجاب، فقلت: لا آذن له حتّى استأذن فيه النّبي ﷺ، فإنّ أخاه أبا القعيس ليس هو أرضعني، ولكن أرضعني امرأة أبي القعيس، فدخل عليّ النّبي ﷺ، فقلت له: يا رسول الله إنّ أفلح أخا أبي القعيس استأذن فأبيت أن آذن له حتّى استأذّنك، فقال النّبي ﷺ: «وما منعك أن تأذني؟ عمّك؟»، قلت: يا رسول الله إنّ الرّجل ليس هو أرضعني، ولكن أرضعني امرأة أبي القعيس، فقال: «ائذني له؛ فإنّه عمّك، تربت

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٧٦).

(٢) ينظر: في قصة إرضاع عائشة: أسد الغابة (٤٠٧/٥).

وأشعلوا فيها النار؛ لتضيء لهم الطريق إلى المقابر، وازدحم الناس وتجمعوا حول النعش، ولم تُر ليلة أكثر ناساً منها، ونزل أهل العوالي إلى المدينة^(٥).

ونزل في قبرها خمسة من آل الصديق: عبد الله وعروة ابنا الزبير بن العوام من أختها أسماء بنت أبي بكر، والقاسم وعبد الله ابنا أخيها محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان عمرها يومئذ سبعا وستين سنة، ودفنت بالبقيع^(٦)، رضي الله عنها وأرضاها.

فضائلها:

انفردت^(٧) عائشة رضي الله عنها بجملة من المناقب والفضائل التي ذكرتها كتب السنة وهي كثيرة جداً، منها:

أولاً: أنها من أفضل النساء، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت

(٥) ينظر: الطبقات الكبرى (٦١/٨)، وتاريخ الطبري (٦٠٢/١١)، والمستدرک (٥/٤).

(٦) الطبقات الكبرى (٦٢/٨، ٦٤، ٧٦)، وتاريخ ابن أبي خيثمة (٥٨/٢) [دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١]، والاستيعاب (١٨٨٥/٤)، وأسد الغابة (١٨٦/٧)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٣٠٣/٥)، وتاريخ الإسلام (٢٤٩/٤)، والبدایة والنهاية (٨/١٠١) [دار الفكر، ١٤٠٧هـ]، والإصابة (٢٠/٨).

(٧) هناك فضائل كثيرة اشتركت فيها أم المؤمنين عائشة مع غيرها من أمهات المؤمنين، ينظر شيء منها في: الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر، والسَّمط الثَّمين في مناقب أمهات المؤمنين لمحِب الدين الطبري، والأحاديث الواردة في فضائل الصحابة للدكتور سعود الصاعدي.

كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت، قال: فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله ﷺ، ولم يتزوج بكراً غيرك، ونزل عذرك من السماء، فلما جاء ابن الزبير قالت: جاء ابن عباس، وأثنى علي، ووددت أني كنت نسياً منسياً^(١).

وعند وفاتها حزن عليها أهل المدينة حزناً شديداً، ولما سمعت أم سلمة رضي الله عنها الصرخة على عائشة أرسلت جاريتها: انظري ماذا صنعت؟ فجاءت فقالت: قد قضت^(٢)، فقالت: «يرحمها الله، والذي نفسي بيده لقد كانت أحب الناس كلهم إلى رسول الله ﷺ إلا أبوها»^(٣).

ودفنت رضي الله عنها ليلاً بعد الوتر، وكان الليل مظلماً، فلم يجد المشيعون بداً من أن يحملوا فيه خرقاً^(٤) غمسوها في زيت

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٥٣).

(٢) أي: قضت أجلها، ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَنْهَضُ مَنْ قَتْلَى نَجَبَةٍ﴾ [الأحزاب: ٢٣]؛ أي: قضى أجله، (وقضى) في اللغة على وجه، مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه والانفصال منه، ينظر: معاني القرآن وإعرايه للزجاج (٢٢٢/٤) [عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ]، وتفسير الراغب الأصفهاني (١/٣٠٢) [كلية الآداب، جامعة طنطا، ط١].

(٣) أخرجه الطيالسي في مسنده (١٨٥/٣) [دار هجر، ط١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٦٧٤٦)، وفي سنده زمعة بن صالح، روى له مسلم في المتابعات، وهو ضعيف. انظر: تقريب التهذيب (٢١٧) [دار الرشيد، سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٤) العِزْقُ: جمع خِرْقَةٍ، وهي القطعة من الثوب الممزق، ينظر: جوهرة اللغة (٥٩٠/١) [دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م]، والصحاح (١٤٦٨/٤) [دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ].

رسول الله ﷺ يقول: «فضل عائشة على

النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(١)، وحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء: إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(٢).

رابعاً: نزول براءتها من السماء بما نسبته إليها أهل الإفك في ست عشرة آية متوالية، وجعله قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، وشهد الله لها بأنها من الطيبات، ووعداها بالمغفرة والرزق الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي جَاءُوا بِالإفكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور] إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا لِلْخِثِّينَ وَالْخِثْيُونَ لِلْخِثِّينَ وَالْطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور].

ثانياً: أنها كانت أحب الأزواج إلى النبي ﷺ، ويدل على ذلك دلالة واضحة، حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه حينما سأل النبي ﷺ فقال: «أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قال: من الرجال؟ قال: أبوها»^(٣)، والنصوص التي تدل على محبة النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها كثيرة، والله الحمد.

خامساً: لم ينزل بها أمر إلا جعل الله لها منه مخرجاً وللمسلمين بركة، ومن ذلك: حادثة الإفك السابقة، فإنها قد عادت عليها وعلى المسلمين، بالخيرات والبركات، كما أثبت ذلك الله ﷻ في كتابه، حيث قال: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النور: ١١].

ثالثاً: أن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها، فعنها رضي الله عنها قالت: «قلت: يا رسول الله، أرايت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجرة لم يؤكل منها، في أيها كنت تترع بعيرك؟ قال: «في الذي لم يترع منها»؛ تعني أن

وأيضاً مما أنزل بسببها وبركتها، آية التيمم التي كانت رحمة ورخصة للمؤمنين، فعنها رضي الله عنها: «أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه في

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٧٠)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٦٩)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٦٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥٠٧٧).

ساعة له من الدنيا، ودفنه في بيتها، فعنها رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، يَقُولُ: «أَيْنَ أَنَا غَدًا؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور عليّ فيه، في بيتي، فقبضه الله وإنَّ رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقِي، ثُمَّ قالت: دخل عبد الرَّحْمَنِ بن أبي بكر ومعه سواك يستنُّ به، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقلت له: أعطني هذا السَّوَاك يا عبد الرَّحْمَنِ، فأعطانيه، فقبضته، ثُمَّ مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستنَّ به، وهو مستند إلى صدري»^(٤).

ثامناً: لم يكن ينزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو في لحاف امرأة من نسائه غيرها، فقد قال رضي الله عنه: «لا تؤذيني في عائشة، فإنَّه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكَنَّ غيرها»^(٥)، وفي رواية: «فإنَّ الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة، إلا عائشة»^(٦).

تاسعاً: أنَّ جبريل أرسل لها السَّلام

طلبها، فأدركتهم الصَّلَاة، فصلَّوا غير وُضوء، فلما أتوا النَّبِيَّ ﷺ شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التَّيَمُّم، فقال أُسيد بن حضير: جزاك الله خيراً، فوالله ما نزل بك أمر قط، إلا جعل الله لك منه مخرجاً، وجعل للمسلمين فيه بركة»^(١).

سادساً: أنَّ المَلَك جاء بصورتها إلى رسول الله ﷺ في سَرَقَةٍ من حرير، فعنها رضي الله عنها: قالت: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ يَجِيءُ بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقَالَ لِي: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَكَشَفْتَ عَنْ وَجْهِكَ الثَّوْبَ فَإِذَا أَنْتَ هِيَ، فَقُلْتَ: إِنَّ يَكْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِيهِ»^(٢).

وفي رواية: «أَنَّ جَبْرِيْلَ، جَاءَ بِصُورَتِهَا فِي خِرْقَةٍ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٣).

سابعاً: اختياره رضي الله عنه أَنْ يُمَرِّضَ فِي دَارِهَا، ووفاته في بيتها، بين سحرها ونحرها، واجتماع ريقه وريقها في آخر

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٧٣)، ومسلم (كتاب الحيض، رقم ٣٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥١٢٥)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣٨).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٨٠) وحسنه، والبخاري في مسنده (٢٢٠/١٨) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ١٩٨٨م]، وصحَّحه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (٣/ ١٧٤٥)، رقم ٦١٩١ [المكتبة الإسلامية، بيروت، ط ٣، ١٩٨٥م].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤٥٠)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٣).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٧٥).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الهبة، رقم ٢٥٨١).

لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾»،
 قالت: فقلت: أفي هذا أستمّر أبوي؟
 فإنّي أريد الله ورسوله والدار الآخرة،
 قالت: ثمّ فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل
 ما فعلت» (٢)(٣).

الحادي عشر: كان لها يومان وليلتان
 في القسم دون غيرها من أمهات
 المؤمنين، وذلك لما وهبتها سودة يومها
 وليلتها، فعن عائشة رضي الله عنها: «أنّ سودة
 بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وكان
 النبي ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم
 سودة» (٤).

الثاني عشر: أنّها كانت من أعلم وأفقه
 نساء هذه الأمة، ولم تكن هنالك امرأة
 أكثر حديثاً منها فيما روته عن النبي ﷺ،
 قال الزهري رحمه الله: «لو جمع علم عائشة
 إلى علم جميع النساء، لكان علم عائشة
 أفضل» (٥)، وفي رواية: «لو جمع علم
 نساء هذه الأمة - فيهنّ أزواج النبي ﷺ -
 كان علم عائشة أكثر من علمهنّ» (٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٨٥)،
 ومسلم (كتاب الطلاق، رقم ١٤٧٥).

(٣) شذى الياسمين في فضائل أمهات المؤمنين (٣١)
 [مبرة الآل والأصحاب، الكويت، ط ٢، ١٤٢٧هـ]،
 وينظر: حبيبة الحبيب أم المؤمنين عائشة (١٩)
 [ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥٢١٢)،
 ومسلم (كتاب الرضاع، رقم ١٤٦٣).

(٥) انظر: المستدرک (كتاب معرفة الصحابة، رقم
 ٦٧٣٤)، والاستيعاب (٤/ ١٨٨٣) [دار الجيل، ط ١].

(٦) روي بهذا اللفظ مرفوعاً عند الطبراني في الكبير =

مع رسول الله ﷺ، فعنها رضي الله عنها قالت:
 قال رسول الله ﷺ يوماً: «يا عائش، هذا
 جبريل يقرئك السلام»، فقلت: وعليه
 السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا
 أرى، تريد رسول الله ﷺ» (١).

عاشراً: أنّها أول من بدأها النبي ﷺ
 بالتخيير عند نزول آية التخيير، وهي قوله
 تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِهِ إِنْ كُنْتُنَّ
 تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَنَعَالَيْنَ
 أُمْتَعَكُنَّ وَأُسْرِعَكُنَّ سَرْعًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ
 تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ
 أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾
 [الأحزاب]. وقرن ذلك بموافقة أبويها،
 فاختارت رسول الله ﷺ قبل أن
 تستشيرهما، فاستنّ بها بقية أمهات
 المؤمنين رضي الله عنهن، فعن
 عائشة رضي الله عنها قالت: «لما أمر رسول الله ﷺ
 بتخيير أزواجه، بدأ بي، فقال: «إني
 ذاكرك لك امرأة، فلا عليك أن لا تعجلي
 حتّى تستأمري أبويك»، قالت: قد علم
 أنّ أبويّ لم يكونا ليأمراني بفراقه،
 قالت: ثمّ قال: «إنّ الله ﷻ قال:

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِهِ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِيدْنَ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَنَعَالَيْنَ أُمْتَعَكُنَّ
 وَأُسْرِعَكُنَّ سَرْعًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِيدْنَ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ،
 رقم ٣٧٦٨)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم
 ٢٤٤٧).

علمًا»^(٣).

وقال مسروق رحمته الله: «لقد رأيت الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ يسألونها عن الفرائض»^(٤).

وروى هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: «ما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله ولا بسنة عن رسول الله ﷺ، ولا بشعر، ولا فريضة من عائشة رضي الله عنها»^(٥).

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: «ما رأيت أحدًا أعلم بسنن رسول الله ﷺ ولا أفقه في رأي - إن احتيج إلى رأيه - ولا أعلم بأية فيما نزلت، ولا فريضة من عائشة»^(٦).

وعن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، قال: «كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهلم جرا، إلى أن ماتت يرحمها الله،

وعن محمود بن لبيد قال: «كان أزواج النبي ﷺ يحفظن من حديث النبي ﷺ كثيرًا، ولا مثلاً لعائشة وأم سلمة، وكانت عائشة تفتي في عهد عمر وعثمان إلى أن ماتت، يرحمها الله، وكان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ عمر وعثمان بعده يرسلان إليها فيسألانها عن السنن»^(١).

مكانتها:

«تبوأَت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مكانة علمية رفيعة، جعلتها عالمة من علماء عصرها، والمرجع العلمي الأصيل الذي يرجعون إليه فيما يغمض عليهم أو يستشكل أمامهم من مسائل في القرآن والحديث والفقه، فيجدون الجواب الشافي لجميع تساؤلاتهم واستفساراتهم»^(٢).

فكان الأكابر من الصحابة إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها، فيجدون علمه عندها، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «ما أشكل علينا - أصحاب رسول الله ﷺ - حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه

= (٢٣/١٨٤) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، ورجاله ثقات، لكن سنده ضعيف للإرسال، كما ذكر الهيثمي في المجمع (٩/٢٤٣) [مكتبة القدسي].

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/٣٧٥) [دار صادر، ط ١].

(٢) السيدة عائشة وتوثيقها للسنة (٤٠).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٨٣)، وقال: «حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (٣/١٧٤٦) [المكتب الإسلامي، ط ٣].

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/٣٨٢) (برقم ١٠٧) [دار الكتب العلمية]، وسعيد بن منصور في سننه (١/١١٨) (برقم ٢٨٧) [الدار السلفية، الهند، ط ١، ١٤٠٣هـ]، وابن أبي شيبه في مصنفه (٦/٢٣٩) (برقم ٣١٠٣٧) [مكتبة الرشد، الرياض، ط ١]، وغيرهم، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٤٢): «إسناده حسن»، قال حسين سليم أسد في تعليقاته على الدارمي: «إسناده صحيح».

(٥) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (٥/٢٧٦) (برقم ٢٦٠٤٨).

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/٢٨٦).

وكنت ملازمًا لها مع برّها بي»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: علاقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأهل البيت كعلي وفاطمة رضي الله عنهما:

أ - علاقتها بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه:

كانت علاقة عائشة رضي الله عنها بعلي رضي الله عنه قبل وفاة النبي ﷺ علاقة طيبة، ثم بعد وفاة النبي ﷺ حدثت فتنة الجمل، واختلف كل من عائشة وعلي رضي الله عنهما في الاجتهاد، وحصل ما حصل، ولكن بالرغم من ذلك، لم تكن العلاقة بينهما علاقة عدااء وجفاء؛ بل إن عائشة رضي الله عنها لما أرادت الخروج من البصرة - بعد انتهاء فتنة الجمل -، بعث إليها علي رضي الله عنه بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وأذن لمن نجا ممن جاء في الجيش معها أن يرجع إلا أن يحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وسيّر معها أخاها محمد بن أبي بكر، فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء علي فوقف على الباب وحضر الناس وخرجت من الدار في الهودج فودعت الناس ودعت لهم، وقالت: «يا بني لا يعتب بعضنا على بعض، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة

وأحمائها، وإنه على معتبتي لمن الأخيار»، فقال علي رضي الله عنه: «صدقت؛ والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة»، ثم سار علي معها مودعًا ومشيعًا أميالاً^(٢).

فهذا الموقف من أصدق المواقف التي تبين عمق العلاقة بين علي وعائشة رضي الله عنهما، ولو كانت عائشة رضي الله عنها تحمل شيئًا في نفسها، لما قالت تلك المقالة، وأيضًا لو كان علي رضي الله عنه يحمل على عائشة رضي الله عنها شيئًا لما أقرها على قولها، ولا قال هذه الكلمات التي تكتب بماء الذهب، ولا وقف معها هذا الموقف الرائع.

وأعجب من ذلك أن عليًا رضي الله عنه كان يعاقب من يتكلم بكلام فيه نيل من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالجلد والضرب، فقد ذكر ابن الأثير رحمه الله: «أن رجلين وقفا على باب الدار الذي نزلت فيه أم المؤمنين بالبصرة، فقال أحدهما: جزيت عنا أمنا عقوقًا، وقال الآخر: يا أمنا توبي فقد أخطأت، فبلغ ذلك عليًا، فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب، فأقبل بمن كان عليه، فأحالوا على رجلين من أزد الكوفة، وهما عجلان وسعد ابنا عبد الله، فضربهما مائة سوط

(٢) ساق القصة ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٩٤/٥)، وابن الأثير في الكامل (٦١٤/٢)، وابن كثير في البداية والنهاية (٢٧٤/٧).

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٨٦/٢).

وأخرجهما من ثيابهما»^(١).

أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة؟»^(٤).

وما رواه عمرو بن دينار قال: قالت عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها»، وفي رواية: «ما رأيت أحدا قط أصدق من فاطمة غير أبيها»^(٥).

وأيضاً ما روت عائشة بنت طلحة، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما رأيت أحداً أشبه سمّاً ودلاً وهدياً برسول الله في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ﷺ»^(٦).

وهنا وصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فاطمة بصفات حميدة تبين قدرها ومنزلتها، حيث إنها تشبه النبي ﷺ هيئة وطريقة وسمّاً وخلقاً.

ووصفتها أيضاً بصدق اللهجة، فعن عبد الله بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي ﷺ قالت: «ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة

ومما يدل أيضاً على العلاقة الطيبة بين عائشة وعلي رضي الله عنهما؛ أن عائشة رضي الله عنها كانت أحياناً تحيل السائل على علي ليحببه، فعن شريح بن هانئ قال: «سألت عائشة، عن المسح على الخفين، فقالت: ائت عليّاً؛ فإنه أعلم بذلك منّي، فأتيت عليّاً فذكر عن النبي ﷺ بمثله»، وفي رواية: «عليك بابن أبي طالب، فسله؛ فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ»^(٢).

وقد سأل عائشة رضي الله عنها آخر، فقال: «في كم تصلي المرأة من الثياب؟» فقالت له: سل عليّاً، ثم ارجع إليّ فأخبرني بالذي يقول لك، قال: فأتى عليّاً فسأله، فقال: في الخمار والدّرع السّابغ، فرجع إلى عائشة فأخبرها، فقالت: صدق»^(٣).

ب - علاقتها بفاطمة رضي الله عنها:

هناك آثار كثيرة تبين العلاقة الحسنة بين عائشة وفاطمة رضي الله عنهما، ومن ذلك:

أنها حدثت عن رسول الله ﷺ بأعظم منقبة لفاطمة رضي الله عنها؛ وهي قوله عليه الصلاة والسلام: «يا فاطمة أما ترضين

(١) الكامل في التاريخ (٢/٦١٤).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الطهارة، رقم ٢٧٦).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (كتاب الصلاة، رقم ٥٠٢٩)، وابن أبي شيبة (كتاب صلاة التطوع والإمامة، رقم ٦١٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الاستئذان، رقم ٦٢٨٥)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٥٠).

(٥) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٨/١٥٣) [دار المأمون، ط١]، والطبراني في الأوسط (٣/١٣٧) [دار الحرمين]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٠١) [مكتبة القدسي]: «رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى، إلا أنها قالت: ما رأيت أحداً قط أصدق من فاطمة. ورجالهما رجال الصحيح».

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٢١٧)، والترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٧٢) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والحاكم (كتاب الأدب، رقم ٧٧١٥) وصحّحه، وصحّحه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٣٥٥).

منها، إلا أن يَكُونَ الَّذِي ولدها»^(١).

وكانت فاطمة رضي الله عنها إذا جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة ولم تجده أوصت بذلك عائشة رضي الله عنها، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرّحى، وبلغها أنّه جاءه رقيق، فلم تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة، فلمّا جاء أخبرته عائشة...» الحديث^(٢). فهذا يدل على ثقة فاطمة رضي الله عنها بعائشة رضي الله عنها، ويدل أيضاً على اهتمام عائشة رضي الله عنها بتبليغ ما أوكلته إليها فاطمة رضي الله عنها.

وأيضاً لما أرسل أمهات المؤمنين فاطمة رضي الله عنها إلى النبي صلى الله عليه وسلم تقول: إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر، فكلمته فقال: «يا بنية ألا تحبين ما أحب؟»، قالت: بلى، فرجعت إليهن، فأخبرتهن، فقلن: ارجعي إليه، فأبت أن ترجع^(٣). وفي هذا تصريح واضح من فاطمة بمحببتها لعائشة رضي الله عنها.

- المسألة الثانية: كفر من رماها بما برّأها الله منه:

أجمع علماء الإسلام قاطبة من أهل السنّة والجماعة على أنّ من سبّ أمّ

المؤمنين عائشة رضي الله عنها ورماها بما برّأها الله منه أنه كافر.

قال الإمام مالك رحمته الله: «من سبّ أبا بكر وعمر جلد، ومن سبّ عائشة قتل، قيل له: لم يقتل في عائشة؟ قال مالك: فمن رماها فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قتل»^(٤).

وقال ابن القاسم في روايته عن مالك: «لأن الله تعالى يقول: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور]، فمن عاد لمثله فقد كفر»^(٥)، قال ابن حزم رحمته الله: «قول مالك هاهنا صحيح، وهي ردّة تامّة، وتكذيب لله تعالى في قطعه ببراءتها»^(٦).

وقال أبو بكر ابن زياد النيسابوري رحمته الله: «سمعت القاسم بن محمّد يقول لإسماعيل بن إسحاق: أتّي المأمون في (الرقة) برجلين شتم أحدهما فاطمة، والآخر عائشة، فأمر بقتل الذي شتم فاطمة وترك الآخر، فقال إسماعيل: ما حكمهما إلا أن يقتلا؛ لأنّ الذي شتم عائشة ردّ القرآن»^(٧).

(٤) مسند الموطأ للجهوري (١١٢) [دار الغرب الإسلامي، ط ١]، والشفا بتعريف حقوق المصطفى (٣٠٩/٢) [دار الفحاء، عمان، ط ٢، ١٤٠٧هـ]، والصارم المسلول ٥٦٦ [الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية].

(٥) الشفا (٦٥٤/٢).

(٦) المحلى بالآثار (٤٤٠/١٢) [دار الفكر، بيروت].

(٧) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنّة (١٣٤٤/٧) =

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٧٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب النفقات، رقم ٥٣٦١)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الهبة، رقم ٢٥٨١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعْقِيْبًا عَلَيْهِ: «وعلى هذا مضت سيرة أهل الفقه والعلم من أهل البيت وغيرهم»^(١).

❁ موقف المخالفين منها:

من أبرز المخالفين لأهل السُّنة والجماعة في مسائل الصحابة عمومًا، وفي أمنا أم المؤمنين عائشة رَحِمَهَا اللهُ على وجه الخصوص الرافضة الإمامية الاثنا عشرية، ومن أقوالهم ومواقفهم المخزية في بنت الصديق رَحِمَهَا اللهُ:

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣]: «قد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورمأها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن، وفي بقية أمهات المؤمنين قولان؛ أصحهما أنهن كهي، والله أعلم»^(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «واتفقت الأمة على كفر قاذفها»^(٣).

وقال القاضي أبو يعلى رَحِمَهُ اللهُ: «من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف وقد حكي الإجماع على هذا غير

= [دار طيبة، ط ٨، ١٤٢٣هـ]، والصارم المسلول (٥٦٦).

(١) الصارم المسلول (٥٦٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٧/١١٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/٣٢) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/١٠٣) [مؤسسة الرسالة، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط ٢٧].

أن علماء الرافضة يعتقدون كفر عائشة رَحِمَهَا اللهُ^(٦)، ويعتقدون أن عائشة وحفصة وأبويهما رَحِمَهُمَا اللهُ هم الذين قتلوا رسول الله ﷺ، فقد روى شيخهم العياشي - كذبًا - عن أبي عبد الله جعفر الصادق قوله: «تدرون مات النبي - صلى الله عليه وآله - أو قُتل؟ إن الله يقول: ﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] فسمَّ قبل الموت، إنهما سقته قبل الموت، فقلنا: إنهما وأبويهما شرُّ من خلق الله»^(٧).

ويعتقد علماء الشيعة أن عائشة وحفصة رَحِمَهُمَا اللهُ قد وقعتا في الفاحشة!! - والعياذ بالله تعالى - وأقسم على ذلك القمي فقال: «والله ما عني

(٥) الصارم المسلول (٥٦٦).

(٦) الصراط المستقيم للبياضي (٣/١٦٨)، وفصل الخطاب للنوري (٣١٣)، وبحار الأنوار (٢٢/٢٤٦).

(٧) تفسير العياشي (١/٢٠٠).

بقوله: ﴿فَخَانَتْهُمَا﴾ [التحریم: ١٠] إلا

الفاحشة^(١).

١ - «الإجابة لإيراد ما استدرسته

عائشة على الصحابة»، للزركشي.

٢ - «الآحاد والمثاني»، لابن أبي

عاصم.

٣ - «أسد الغابة»، لابن الأثير.

٤ - «الإصابة في تمييز الصحابة»،

لابن حجر.

٥ - «البداية والنهاية»، لابن كثير.

٦ - «جلاء الأفهام»، لابن القيم.

٧ - «حبيبة الحبيب أم المؤمنين

عائشة»، لصالح بن محمد عطا.

٨ - «حلية الأولياء»، لأبي نعيم

الأصبهاني.

٩ - «زاد المعاد في هدي خير

العباد»، لابن القيم.

١٠ - «شذى الياسمين في فضائل

أمهات المؤمنين»، مبرة الآل

والأصحاب.

١١ - «الشفاء بتعريف حقوق

المصطفى»، للقاضي عياض.

١٢ - «الصارم المسلول»، لابن

تيمية.

١٣ - «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم.

كما يعتقد علماء الرافضة أن أحد

أبواب النار السبعة لعائشة عليها السلام! - عيادًا

بالله تعالى -، فقد روي في تفسير قوله

تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر: ٤٤]

«يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب...»

والباب السادس لعسكر...»^(٢).

ويعتقد الرافضة قبحهم الله وقتلهم

بأن عائشة عليها السلام (زانية!!)، ﴿سُبْحَنَكَ هَذَا

بُتْنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور] وأن مهديهم

المنتظر سيقم عليها حدًا آخر؛ قال

شيخهم رجب البرسي: «إن عائشة

جمعت أربعين دينارًا من خيانه، وفرقتها

على مُبغضي علي عليه السلام»^(٣)، نعوذ بالله

العظيم، وقال المجلسي: «إذا ظهر

المهدي، فإنه سيحيي عائشة، وقيم

عليها الحد»^(٤).

وما سبق من بيان مكانها وفضلها في

نصوص الكتاب والسنة، وأقوال سلف

الأمة وعلمائها، يكفي في تنفيذ هذه

الترهات والمجازفات، وقد سبق بيان

حال منتقصها، ومن يقع في عرضها عليها السلام

وأرضائها، والله الهادي.

(١) تفسير القمي (٢/ ٣٧٧).

(٢) تفسير العياشي (٢/ ٢٤٣)، والمراد بعسكر:

عائشة عليها السلام، ينظر: بحار الأنوار (٣٧٨/ ٨) (٢٢٠).

(٣) مشارف أنوار اليقين للبرسي (٨٦).

(٤) حق اليقين للمجلسي (٣٤٧).

الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»^(٦).

وقيل: «اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته وكمال الذل لله ونهايته»^(٧).

العبادة

التعريف لغة:

العبادة في لغة العرب يدور معناها حول: الطاعة والذلة والخضوع^(١).

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «عبد يعبد عبادة، وتعبد يتعبد تعبدًا، فالمتعبد: المتفرد بالعبادة.

ومن الباب: الطريق المعبد وهو المسلوك المذل»^(٢).

وقال الجوهري: «وأصل العبودية: الخضوع والذل. والتعبد التذليل»^(٣).

وقال الراغب: «العبودية: إظهار التذل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى»^(٤).

وقال الفيروزآبادي: «والعبودية والعبودية والعبودة والعبادة: الطاعة»^(٥).

التعريف شرعًا:

«اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة، فإن العبادة شرعًا هي التذل والطاعة والخضوع لله تَعَالَى وحده، وهذا هو أصل معنى العبادة في لغة العرب.

«لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له»^(٨).

سبب التسمية:

سميت العبادة بذلك؛ لأن الخلق كلهم عباد لله، خاضعون له، متذلون بين يديه، وما خلقهم سبحانه إلا لأجل عبادته وتأليه، ففعلهم لما أمرهم الله به هو عبادة منهم لله وخضوع له وتذل بين يديه حبًا له وخوفًا من عقابه ورجاء لرحمته وعفوه.

الحكم:

عبادة الله تَعَالَى فرض واجب؛ إذ العباد ما خلقوا إلا من أجل تحقيقها والقيام بها كما أمروا.

(٦) مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩).

(٧) مجموع الفتاوى (١٠/١٩).

(٨) مجموع الفتاوى (١٠/١٥٢ - ١٥٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٥هـ].

(١) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/٢٠٤) [دار الشؤون الثقافية العامة، ط ٢، ١٩٨٧م]، وتهذيب اللغة (٢/٢٣٤) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط ١، ١٣٨٤هـ].

(٢) مقاييس اللغة (٤/٢٠٥ - ٢٠٦) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٣) الصحاح (٢/٥٠٣) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب (١/٣١٩) [دار المعرفة].

(٥) القاموس المحيط (٢٩٦) [مؤسسة الرسالة، ط ٧، ١٤٢٤هـ].

❖ الحقيقة:

حقيقة العبادة: إخلاص الدين لله وإسلام الوجه له وطاعته وحبه وخوفه ورجاؤه والرغبة إليه وتفويض الأمور إليه والتوكل عليه، وطاعة رسله وأتباعهم والانقياد لهم بفعل الأوامر واجتناب النواهي.

وهذا هو حقيقة دين الإسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد ديناً إلا إياه، وهو حقيقة العبادة لرب العالمين؛ لأن معنى الإسلام هو الاستسلام لله المتضمن غاية الانقياد في غاية الذل والخضوع^(٣).

«والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد ولها أصلان»^(٤) هما جماع الدين: «ألا نعبد إلا الله، ولا نعبد إلا بما شرع لا نعبد بالبدع. كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١١) [الكهف]، وذلك تحقيق الشهادتين؛ شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله. ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية: أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه. فعلينا أن نصدق

وهذه العبادة لا تكون إلا لمن يستحقها، ولا يستحقها إلا من كان لعباده خالقاً ورازقاً، ولأموره مديراً، وعليه مقتدراً، وليس ذلك إلا لله وحده سبحانه، فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن سُمِّيَ إلهًا وعبد ظلمًا؛ بل هو مخلوق متعبد لا يملك شيئاً من خصائص الألوهية والربوبية التي يكون بها مستحقاً للعبادة^(١).

فعبادة الله ﷻ وحده لا شريك له هو توحيد الألوهية، وحقيقة توحيده بالألوهية: أن يفرد العبد ربه ﷻ بالعبادة قولاً وعملاً واعتقاداً.

وعليه؛ فإن العبادة حق لله وحده لا يشركه فيها أحد؛ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فمن جعل منها شيئاً غير الله فهو مشرك كافر، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾^(١٢) [المؤمنون]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُثَلِّمٌ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجِدْتُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١٣) [الكهف]^(٢). وهذا هو مقتضى تعريف العبادة المتقدم: «صرف جميع أنواع العبادة لله تعالى».

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣٦/١٠)، وتيسير العزيز

الحميد (٣٦).

(٤) مجموع الفتاوى (١٧٣/١٠).

(١) انظر: تهذيب اللغة (٤٢٣/٦ - ٤٢٤).

(٢) انظر: ثلاثة الأصول ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٣٦، ١٣٤/٦) [ط، ١٤٢٣هـ].

لربه وتكمل محبة الرب لعبده، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا^(٥).

ولا يمكن أن يسعد الإنسان في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعبادة ربه وإخلاص الدين له، فكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته واستغناؤه عن المخلوقات، وبكمال عبوديته لله يبرئه من الكبر والشرك^(٦).

الأدلة:

الأدلة في العبادة ووجوب أفراد الله تعالى بها كثيرة جداً؛ منها: قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة]، وقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة].

ومن السنة: حديث معاذ رضي الله عنه قال: كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير، فقال: «يا معاذ هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً. فقلت: يا

خبره ونطيع أمره، وقد بين لنا ما نعبد الله به ونهاننا عن محدثات الأمور وأخبر أنها ضلالة^(١).

الأهمية:

«الدين كله داخل في العبادة»^(٢)، وقد تقدم أن العبادة لرب العالمين إنما هي حقيقة دين الإسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين؛ فإن جميع الرسل إنما دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته من أولهم إلى آخرهم، كما قال الله عنهم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء].

وجعل النبي صلى الله عليه وسلم إحسان العبودية أعلى مراتب الدين فقال في حديث جبريل عليه السلام^(٣) وقد سأله عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٤).

فدين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه، وهو تحقيق محبة الله بكل درجة، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٢٣٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/١٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/١٦٤ - ١٦٧) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (١٠/٢١٣).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/١٩٨).

هو، ولا يُعبد إلا إياه، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يوالى إلا له، ولا يعادى إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات»^(٥).

وقال الإمام ابن القيم رحمته الله: «والعبادة تجمع أصليين غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: طريق معبد؛ أي: مذل، والتعبد التذل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعاً له لم تكن عابداً له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابداً له حتى تكون محبباً خاضعاً»^(٦).

الأركان:

أركان العبادة ثلاثة: الحب والخوف والرجاء، وهذه الأركان مذكورة في الثلاث الآيات الأولى من سورة الفاتحة.

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في المسائل المستنبطة من سورة الفاتحة: «الثالثة: أركان الدين: الحب والرجاء والخوف، فالحب في الأولى، والرجاء في الثانية، والخوف في الثالثة»^(٧).

رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلموا»^(١).

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس: على أن يعبد الله ويكفر بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»^(٢).

وعن أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»^(٣).

أقوال أهل العلم:

قال البغوي رحمته الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة]: «قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾؛ أي: نوحذك ونطيعك خاضعين، والعبادة: الطاعة مع التذل والخضوع، وسمي العبد عبداً؛ لذلته وانقياده، يقال: طريق معبد؛ أي: مذل»^(٤).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «التوحيد الذي جاء به الرسول إنما تضمن إثبات الإلهية لله وحده بأن يُشهد أن لا إله إلا

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨٥٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٣).

(٤) معالم التنزيل (٥٣/١) [دار طيبة، ط ١، ١٤٠٩هـ].

(٥) درء التعارض (٢٢٤/١) [جامعة الإمام، ١٤١١هـ].

(٦) مدارج السالكين (١٣٠/١).

(٧) مجموع مؤلفات ابن عبد الوهاب (٣٦/٢)، وانظر:

مجموع الفتاوى (٢١/١٥)، وبدائع الفوائد (٣/

٨٥١).

حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد^(٤).

الشروط:

لا تكون العبادة مقبولة عند الله سبحانه، نافعة لصاحبها، ومنجية له في الحياة الدنيا وفي الآخرة إلا بتوفر شروط صحتها، وهما شرطان^(٥):

الأول: الإخلاص لله سبحانه، وهذا هو توحيد القصد، ويقال: توحيد المرسل.

الثاني: المتابعة لرسول الله ﷺ وهذا هو توحيد المتابعة، ويقال: توحيد المرسل.

وهذان الشرطان هما قطب رحى هذا الدين، وأساس سعادة المرء في الدارين، وتحقيقهما تحقيق لمقتضى الشهادتين:

فشهادة أن لا إله إلا الله مقتضاها: أن لا يعبد إلا الله. وهذا هو شرط الإخلاص، وهو توحيد في القصد والطلب للمرسل سبحانه.

وشهادة أن محمداً رسول الله مقتضاها: أن لا يعبد الله إلا بما شرع.

(٤) نسب ابن تيمية إلى بعض السلف في مجموع الفتاوى (٨١/١٠، ٢٠٧، ٣٩٠/١١)، وكذا ابن القيم في بدائع الفوائد (٨٥١/٣).

(٥) انظر: مدارج السالكين (١/١٤٠)، وتصحيح الدعاء (٣٩).

«وقد جمع الله هذه المقامات الثلاث بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فابتغاء الوسيلة هو محبته الداعية إلى التقرب إليه، ثم ذكر بعدها الرجاء والخوف، فهذه طريقة عباده وأوليائه^(١).

و«ما حُفِظت حدود الله ومحارمه، ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته، فمتى خلا القلب من هذه الثلاث؛ فسد فساداً لا يرجى صلاحه أبداً، ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه^(٢).

وقال ابن القيم: «القلب في سيره إلى الله ﷻ بمنزلة الطائر؛ فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر^(٣).

فلا بد من اجتماع هذه الأركان الثلاثة في عبادة العبد لربه، فمن لم تجتمع هذه الأركان في عبادته ضلّ وما كان من المهتدين؛ ولذلك قال بعض السلف: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو

(١) بدائع الفوائد (٨٥١/٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢١/١٥).

(٣) مدارج السالكين (١/٦٦٤).

وهذا هو شرط المتابعة، وهو توحيد في

الاتباع للمرسل ﷺ.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المفاضلة بين

العبادات:

الأقسام:

تنقسم العبادة بعدة اعتبارات؛ منها:

١ - تنقسم العبادة باعتبار الفعل والترك إلى ثلاثة أقسام: قولية، وفعلية، وتركية^(١).

٢ - تنقسم العبادة باعتبار الظهور والخفاء إلى قسمين: ظاهرة تتعلق بأعمال الجوارح، وباطنة تتعلق بأعمال القلوب.

٣ - تنقسم العبادة باعتبار تعلق المال بها إلى قسمين: بدنية، ومالية.

٤ - تنقسم العبادة باعتبار دخول العباد تحتها إلى قسمين: «عامة وخاصة؛ فالعبودية العامة عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك، قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم] فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم.

وأما النوع الثاني: فعبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر قال تعالى: ﴿يَتَعَبَّدُونَ لَكَ خَوْفٌ عَلَيْكَ الْيَوْمَ وَلَا أَنتَ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف]، فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد إلهيته^(٢).

شريعة الإسلام خير كلها، وحكمة كلها، وفضل كلها، وما فيها من العبادات تشترك في الخير والحكمة والفضل؛ إلا أنها درجات متفاوتة، يفضل بعضها على بعض، وذلك التفاضل راجع إلى عدة اعتبارات؛ لعل من أهمها^(٣):

١ - تفاضل الأعمال نفسها.

٢ - تفاضل أحوال العاملين الباطنة والظاهرة.

٣ - تفاضل أحوال المنتفع بها.

وأصح الأقوال وأرجحها في قاعدة المفاضلة بين أنواع العبادات من: دعاء، وذكر، وصلاة، وجهاد، ونحو ذلك؛ أن أفضل العبادة: العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته، فالأفضل في كل وقت وحال: إثارة مرضاة الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه^(٤).

(٣) انظر: الفروق للقرافي (٣٧١/٢ - ٤٠٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٤هـ]، ومنهاج السنة (٣/ ٦٤٧ - ٦٥١) [دار الفضيلة، ١٤٢٤هـ]، والمنار المنيف (١٥) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/ ٨٥ - ٨٩)، والوابل الصيب (٢٣٢ - ٢٣٥) [دار عالم الفوائد، ط ٢، ١٤٢٧هـ].

(١) انظر: تصحيح الدعاء (٢٣٦).

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٦٨ - ١٦٩).

- المسألة الثانية: خطأ من يزعم أن العبادة لا تكون إلا مع اعتقاد الربوبية:

العبادة حق لله وحده لا يشركه فيها أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [البجن]، فمن جعل أي نوع منها لغير الله فقد أشرك.

ومن الغلط البين والضلال الواضح قصر العبادة في اعتقاد الربوبية، وزعم أنها لا تكون كذلك إلا إذا تضمنت اعتقاد الربوبية لمن جعلت وصرفت له، وإلا فليست عبادة.

فالالتجاء عندهم إلى غير الله، ودعاؤه، والاستغاثة به ليس بعبادة إلا إذا اقترن به اعتقاد الربوبية لذلك المعظم^(١).

وهذا الاعتقاد الباطل مبني على خطئهم في فهم معنى التوحيد الذي دعت إليه الرسل، حيث ظنوا أنه أفراد الله بالربوبية فقط.

وقد بين القرآن أن دعوة الأنبياء والمرسلين من أولهم إلى آخرهم كانت إلى أفراد الله بالعبادة، كما بين أن المشركين الذين خاصمهم النبي ﷺ وقاتلهم على الشرك كانوا يقرّون لله تعالى بالخلق والرزق والتدبير.

فتفسير العبادة وقصرها على المعنى السابق تحكّم لا دليل عليه، وهو مخالف لمعناها في اللغة؛ بل إن هذا التعريف للعبادة لا يصدق حتى على عبادات المشركين، إذ إنهم لم يكونوا يعتقدون في معبوداتهم الاستقلال في التصرف أو أنها تملك أو تخلق أو ترزق، ولذلك كان من تليبتهم «ليك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»^(٢)، فكان هذا شركهم في العبادة وهو الذي كفرهم الله به وأباح به دماءهم وأموالهم ونساءهم، وإلا فهم يعلمون أن الله هو الخالق الرازق المدبر ليس له شريك في ملكه^(٣).

الثمرات:

بعبادة الله ﷻ يتحقق للعبد الخير والأمن والسعادة في الدنيا والآخرة، كيف لا وقد قام بما خلق من أجله، ونال بذلك رضا ربه وعفوه وغفرانه، وبذلك سيدخل جنته ودار كرامته ومستقر رحمته.

وهذا إجمالاً يشمل كل الثمرات والخيرات والآثار المباركة التي يجنيها العابد لله المحب له.

وأما على وجه التفصيل فيمكن الاقتصاد على شيء من ذلك فيما يلي:

(٢) كما أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١١٨٥).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (٢٧)، وتجريد التوحيد للمقريزي (٤٢) [دار عالم الفوائد، ط ٢، ١٤٢٥هـ].

(١) انظر: البراهين الساطعة للقضاعي (٣٨١) [مطبعة السادة، مصر].

١ - ذوق حلاوة الإيمان ولذة العبودية لله سبحانه ومحبته^(١).

٢ - تقديم محاب الله على محاب النفس والهوى والشیطان.

٣ - التحرر من العبودية والذلة والخضوع لغير الله؛ لأن وصف العبودية هو الحقيقة للإنسان^(٢)؛ فهو إما أن يكون عبدًا لله ﷻ فيسعد في الدنيا والأخرى؛ إذ إن «أسعد الخلق أعظمهم عبودية لله»^(٣)، وإما أن يعرض عن عبادة ربه فيكون - ولا بد - عبدًا لهواه، معلقًا قلبه بغير الله.

٤ - انجذاب القلب إلى الله وزيادة حبه له، فيصير القلب منيبًا إلى الله خائفًا منه راغبًا راهبًا محبًا^(٤).

٥ - اجتناء الرب ﷻ لعباده وحفظه له، وصرف السوء والفحشاء عنه^(٥).

٦ - الترقى إلى مدارج الكمال، واللحوق بركب السابقين المقربين؛ فإن «كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته»^(٦).

٧ - حسن الخاتمة، ونيل السعادة الأبدية في الآخرة بنيل رضا الرحمن

ودخول الجنان؛ لأن «طاعة الله ورسوله قطب السعادة التي عليه تدور، ومستقر النجاة الذي عنه لا تحور»^(٧).

✽ مذهب المخالفين:

ذهب قوم من غلاة المتصوفة إلى أن العبادة تسقط عن المكلف إذا وصل عندهم إلى مرتبة عليا يسمونها الحقيقة، ويتأولون قوله الله ﷻ: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩) [الحجر]، وهذا من جنس قول القرامطة الباطنية من المتفلسفة وغيرهم الذين يرون أن العبادات رياضة للنفس حتى تصل إلى المعرفة التي يدعونها، فإذا وصل إلى المعرفة التي يدعونها سقطت عنه^(٨).

وهذه عقيدة باطلة مناقضة لدين الإسلام القائم على الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والعبادة حتى مفارقة هذه الدنيا بالموت كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩) [الحجر]، وقوله: ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٤٦﴾ حَتَّى آتَنَّا الْيَقِينَ﴾ (٤٧) [المدثر].

واليقين ههنا هو ما يوقن به من

(٧) المصدر نفسه (٤/١)، وانظر: (٤٧٣/٢٧).

(٨) انظر من كتبهم: الطبقات للشعراني (١٤٤/٢)، ١٤٩، ١٥٠، وانظر في بيان مذهبهم والرد عليهم: الرد على الشاذلي لابن تيمية (٥٠ - ٥٢) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ]، ومجموع الفتاوى (٩٥/٢) - ٩٦، ١٠/١٦٦، ٥٠٣، ١١/٤١٧، ٥٣٩ - ٥٤١.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٢١٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/١٧٦).

(٣) المصدر نفسه (١/٣٩).

(٤) انظر: المصدر نفسه (١٠/١٩٣).

(٥) انظر: المصدر نفسه (١٠/٢١٦ - ٢١٧).

(٦) المصدر نفسه (١٠/١٧٦).

الموت وما بعده باتفاق السلف وإجماع أهل التفسير^(١)، ومنه قول النبي ﷺ عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه لما مات: «أما عثمان فقد جاءه والله اليقين»^(٢)؛ أي: الموت وما فيه.

ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله: «لم يجعل الله لعبده المؤمن أجلاً دون الموت»^(٣).

وقال الجنيد رحمه الله: «تكلم قوم بإسقاط الأعمال وهذه عظيمة، والذي يزني ويسرق أهون من هذا»^(٤).

والعبد لا ينفك أبداً من العبودية ما دام في دار التكليف، ومن زعم أنه يصل إلى مقام يسقط عنه فيه التعبد فهو زنديق كافر بالله وبرسوله، وإنما وصل إلى مقام الكفر بالله والانسلاخ من دينه؛ بل صار بهذا من أشر أهل الكفر والإلحاد.

والحق أنه كلما تمكن العبد في منازل العبودية كانت عبوديته أعظم، والواجب عليه منها أكبر وأكثر من الواجب على من دونه»^(٥).

ومنهم: طائفة يتركون المستحبات من الأعمال دون الواجبات.

ومنهم: طائفة يغترون بما يحصل لهم من خوارق العادات فيشتغل أحدهم عما أمر به من العبادة والشكر ونحو ذلك.

فهذه أمور تعرض لأهل السلوك والتوجه؛ وإنما ينجو العبد منها بملازمة أمر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت^(٧).

المصادر والمراجع:

- ١ - «تصحيح الدعاء»، لبكر أبي زيد.
- ٢ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

- ٣ - «تفسير الطبري» (ج ١٤).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٦٢).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/١٧١ - ١٧٢).

ثم إن هناك طوائف من المتصوفة أخطأت في هذا الباب لكنها لم تبلغ غلو

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/١٥٤ - ١٥٧)، والرد على الشاذلي (٥١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٨٧).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٧) [دار الكتب العلمية].

(٤) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/٣٨٦).

(٥) انظر: مدارج السالكين (١/١٦٧ - ١٦٨).

٤ - «ثلاثة الأصول»، لمحمد بن

عبد الوهاب.

٥ - «الرد على الشاذلي»، لابن تيمية.

٦ - «الزهد»، لابن المبارك.

٧ - «العبادة»، للمعلمي.

٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٢، ١٠،

١١)، لابن تيمية.

٩ - «مدارج السالكين» (ج ١)، لابن

القيّم.

١٠ - «الوابل الصيب»، لابن القيّم.

مولده ووفاته:

ولد عبد الله بن الزبير عليه السلام عام
الهجرة على الصحيح^(٥)، وقيل سنة
اثنتين من الهجرة النبوية الشريفة^(٦)،
حيث خرجت أمه أسماء من مكة مهاجرة
وهي حبلى، وبعد وصولها ونزولها في
قباء ولدت عبد الله، فكان أول مولود في
الإسلام بالمدينة للمهاجرين، كما جاء
من حديث أسماء عليها السلام، وفيه: «وكان
أول مولود ولد في الإسلام»^(٧).

وبولادته ظهر بطلان ما كانت تشيعه
اليهود، إذ كانت تقول: «قد أخذناهم
فلا يولد لهم بالمدينة ولد، فكبر
الصحابة حين ولد»^(٨). وأما ما قيل من
طواف الصديق بابن الزبير بعد مولده
حول الكعبة في خرقة فهو غير صحيح،
كما بينه ابن كثير بقوله: «ومن قال: إن
الصديق طاف به حول الكعبة وهو في
خرقة فهو واهم، والله أعلم، وإنما طاف

عبد الله بن الزبير عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو: عبد الله بن الزبير بن العوام بن
خويلد بن أسد بن عبد العزى بن
قصي بن كلاب القرشي الأسدي. أمه
أسماء بنت أبي بكر الصديق، حنكة
النبي ﷺ وسماه باسم جدّه أبي بكر
الصديق، وكناه بكنيته، لذا كان يُكنّى
بأبي بكر^(١)، ويقال له: أبو خبيب^(٢)،

(٣) انظر: الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والساد
للكلاباذي (٣٨٧/١) [دار المعرفة، ط ١، ١٤٠٧هـ].

(٤) رجال صحيح مسلم (٣٤٢/١) [دار المعرفة، ط ١].

(٥) انظر: البداية والنهاية (١٨٦/١٢)، والإصابة في
تمييز الصحابة (٩٠/٤).

(٦) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٠٥/٣)،
وسير أعلام النبلاء (٩٠/٤) [مؤسسة الرسالة، ط ٣].

(٧) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم
٣٩٠٩)، ومسلم (كتاب الآداب، رقم ٢١٤٦).

(٨) الإصابة في تمييز الصحابة (٩١/٤)، وانظر:
الاستيعاب (٩٠٦/٣)، والبداية والنهاية (١٨٧/١٢).

(١) الطبقات لخليفة بن خياط (٤٠٦) [دار الفكر]،
والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٠٥/٣) [دار
الجيل، ط ١]، والبداية والنهاية (١٨٦/١٢) [دار
هجر، ط ١].

(٢) انظر: الكنى والأسماء للإمام مسلم (١١٣/١)
[عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة
المنورة، ط ١]، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم
(٥٦/٥) [مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد
الدكن، ودار إحياء التراث العربي لبيروت، ط ١،
١٢٧١هـ]، والإصابة في تمييز الصحابة (٩٠/٤)
[دار الجيل، ط ١، ١٤١٢].

أو الثامنة من عمره بايع النبي ﷺ، فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث عروة بن الزبير وفاطمة بنت المنذر بن الزبير أنهما قالاً: «خرجت أسماء بنت أبي بكر حين هاجرت وهي حبلى بعبد الله بن الزبير، فقدمت قباء فنفست بعبد الله بقباء، ثم خرجت حين نفست إلى رسول الله ﷺ ليحنكه، فأخذه رسول الله ﷺ منها فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة، قال: قالت عائشة: فمكثنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها، فمضغها ثم بصقها في فيه، فإن أول شيء دخل بطنه لريق رسول الله ﷺ، ثم قالت أسماء: ثم مسح صلى عليه، وسماه عبد الله، ثم جاء وهو ابن سبع سنين أو ثمان ليباع رسول الله ﷺ وأمره بذلك الزبير، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلاً إليه، ثم بايعه»^(٥).

وشهد ابن الزبير معركة اليرموك مع أبيه وهو مراهق، وشهد أيضاً فتح أفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح في قتال البربر، وتسلل مع ثلاثين من فرسان المسلمين حتى وصلوا بالقرب من ملك البربر، فهرب الملك فلحقه عبد الله بن الزبير وقتله واحتز رأسه، وجعله فوق رمحه، وكبر وكبر المسلمون فحملوا على البربر، فانهزمت جيوش الكفر،

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الآداب، رقم ٢١٤٦).

الصديق به في المدينة ليشتهر أمر ميلاده على خلاف ما زعمت اليهود^(١).

وأما وفاته فقد مات مقتولاً، فقد كان امتنع عن مبايعة يزيد بن معاوية ولزم الحرم، ولما مات يزيد ببيع عبد الله بن الزبير بالخلافة سنة (٦٤هـ)، ولم يتخلف عنه إلا بعض أهل الشام، ولكن الخلفاء الأمويين الذين جاؤوا بعد يزيد، لم يسلّموا له بذلك، فقاتله مروان بن الحكم، وبعد موته جاء ابنه عبد الملك، وأرسل الحجاج بن يوسف المبير لمقاتلة ابن الزبير في مكة، وبعد قتال شديد بينهما قُتل ابن الزبير، في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين للهجرة، وهذا هو المحفوظ^(٢)، وقيل: إنه قتل على رأس سنة اثنتين وسبعين، وكأنه يعني بعد انتهائها - كما ذكر ابن حجر^(٣) - وصلبه الحجاج^(٤).

❁ إسلامه:

ولد عبد الله بن الزبير في الإسلام، من أبوين مسلمين؛ الزبير بن العوام وأسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ، ونشأ تحت رعايتهما، ولما بلغ السابعة

(١) البداية والنهاية (١٢/١٨٨).

(٢) انظر: الطبقات لخليفة بن خياط (٤٠٦)، والبدية والنهاية (١٢/٢٠٤)، والإصابة (٩٠/٤ - ٩١).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٩١/٤).

(٤) انظر: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار لأبي حاتم (٥٥) [دار الوفاء، المنصورة، ط ١، ١٤١١هـ].

الزبير، أتوا به النبي ﷺ فأخذ النبي ﷺ ثمرة فلاكها ثم أدخلها في فيه، فأول ما دخل بطنه ريق النبي ﷺ»^(٤).

❁ مكانته:

كانت لعبد الله بن الزبير مكانة كبيرة؛ فهو أول مولود في الإسلام للمهاجرين، وأبوه أحد العشرة المبشرين بالجنة وحواري رسول الله ﷺ، وأمه أسماء بنت الصديق ذات النطاقين، وجده الصديق الأكبر أبو بكر، وجدته عمة النبي ﷺ صفية بنت عبد المطلب، وخالته أم المؤمنين عائشة، وعمه أبيه أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ﷺ، فقد روى البخاري بإسناده عن ابن عباس ﷺ أنه وصف عبد الله بن الزبير فقال: «أما أبوه فحواري النبي ﷺ - يريد الزبير -، وأما جده فصاحب الغار - يريد أبا بكر -، وأمه فذات النطاق - يريد أسماء -، وأما خالته فأُم المؤمنين - يريد عائشة -، وأما عمته فزوج النبي ﷺ - يريد خديجة -، وأما عمة النبي ﷺ فجدته - يريد صفية -، ثم عفيف في الإسلام قارئ للقرآن»^(٥). ومما يزيد علو مكانته أنه كان عابداً متسكفاً، فقد جاء عن عمرو بن دينار أنه قال: «ما رأيت مصلياً أحسن صلاةً من ابن

وقدم بكتاب الفتح على عثمان سنة (٢٨هـ)، وشهد كذلك غزو القسطنطينية، وشهد يوم الدار وكان يدافع عن الخليفة الراشد عثمان بن عفان، حتى جرح بضع جراحات، وشهد موقعة الجمل مع أم المؤمنين عائشة بنت الصديق ﷺ^(١)، وكان شهماً شجاعاً فصيحاً ذا أنفة»^(٢).

❁ فضائله:

- دعاء النبي ﷺ له.
- تحنيك النبي ﷺ إياه، وإدخال ريقه الشريف في جوفه.
- تسمية النبي ﷺ إياه بعبد الله.
- كما جاء ذلك كله من حديث أسماء ﷺ: «أنها حملت بعبد الله بن الزبير، قالت: فخرجت وأنا متم، فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء، ثم أتيت به النبي ﷺ فوضعت في حجره، ثم دعا بتمرة فمضعها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبرك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام»^(٣).

وعن أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: «أول مولود ولد في الإسلام عبد الله بن

(١) انظر: تاريخ ابن يونس المصري (١/٢٦٨) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وسير أعلام النبلاء (٣/٣٦٤)، والبداية والنهاية (١٢/١٩٣ - ١٩٤، و١٩٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/٩٤).

(٢) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/٩٠٦)، والبداية والنهاية (١٢/١٩٣).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٩١٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٦٦٥).

القتال، جعل ابن الزبير في الرّجالة، وحصلت المعركة، وبعد انتهائها، أخذ ابن الزبير من وسط القتلى وبه بضع وأربعون جراحة، ولما بُشّرت أم المؤمنين عائشة بأنه حي أعطت البشير الذي أخبرها بأنه لم يمت عشرة آلاف^(٥).

- المسألة الثانية: موقفه مما جرى بين علي ومعاوية:

اعتزل ابن الزبير الحروب التي دارت بين علي بن أبي طالب ومعاوية رضي الله عنه ولم يشارك فيها، واستمر على هذا حتى استقر الأمر لمعاوية، فبايع معاوية رضي الله عنه، ولكن لما طُلبت البيعة ليزيد امتنع ابن الزبير عن مبايعته، وانتقل إلى مكة، فأرسل إليه يزيد سليمان أن يبايع له فأبى، وأطلق على نفسه عائدًا الله^(٦)، وبقي في مكة، ولما تحول أهل الشام بعد وقعة الحرة - التي فتك فيها أهل الشام بأهل المدينة - إلى مكة قاتلوا ابن الزبير، وحاصروا الكعبة، وبينما هم كذلك بلغهم موت يزيد فكفّوا عن القتال ورجعوا أدراجهم^(٧).

(٥) انظر: البداية والنهاية (١٢/١٩٦ - ١٩٧)، والإصابة في تمييز الصحابة (٩٤/٤).

(٦) كذا في المطبوع من الإصابة بتحقيق: البجاوي، وتحقيق: التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث (١٥٤/٦).

(٧) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٩٤/٤).

الزبير^(١)، وروى أبو نعيم بإسناده عن مجاهد قال: «كان ابن الزبير إذا قام للصلاة كأنه عمود»^(٢)، قال الإمام الذهبي: «عداده في صغار الصحابة، وإن كان كبيرًا في العلم، والشرف، والجهاد، والعبادة»^(٣).

وقد اختاره أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فجعله في نفر الذين نسخوا المصاحف مع زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: شهود ابن الزبير موقعة الجمل:

شهد عبد الله بن الزبير موقعة الجمل مع خالته أم المؤمنين عائشة التي خرجت مع الزبير وطلحة وطائفة من المسلمين؛ بغرض الإصلاح بين المسلمين، ولما حوّل أهل الفتنة قتلة عثمان بن عفان الأمور عن مسارها واتجهوا بها نحو

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٣٣٥) [دار السعادة، ١٣٩٤هـ]، وذكره ابن حجر في الإصابة (٩٣/٤).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/٣٥٥)، وفيه: «عود» بدل «عمود»، وصحح ابن حجر إسناده في الإصابة (٩٤/٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/٣٦٤).

(٤) كما عند البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٠٦).

وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥/٢٥١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، والبداية والنهاية (١٢/١٩٣)].

- المسألة الثالثة: ولاية عبد الله بن الزبير من ٦٤ إلى ٧٣ هـ:

ومن ثم لم يعده بعض العلماء في أمراء المؤمنين، وعد دولته زمن فرقة، فإن مروان غلب على الشام ثم مصر، وقام عند مصرعه ابنه عبد الملك بن مروان، وحارب ابن الزبير، وقتل ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فاستقل بالخلافة عبد الملك وآله، واستوسق لهم الأمر، إلى أن قهرهم بنو العباس بعد ملك ستين عامًا^(٦).

- المسألة الرابعة: بناء ابن الزبير للكعبة على قواعد إبراهيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

بنى عبد الله بن الزبير أيام خلافته في الحجاز بيت الله الحرام على قواعد إبراهيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك حين حدثته خالته أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بما سمعته عن النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لها: «يا عائشة: لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين؛ باباً شرقياً، وباباً غربياً، فبلغت به أساس إبراهيم»، فذلك الذي حمل ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على هدمه. قال يزيد: وشهدت ابن الزبير حين هدمه وبناءه وأدخل فيه من الحجر، وقد رأيت أساس إبراهيم حجارة كأسنمة الإبل، قال جرير: فقلت له: أين موضعه؟ قال: أريكه الآن، فدخلت معه الحجر فأشار إلى مكان، فقال: ها هنا، قال جرير فحزرت

بعد أن توفي يزيد ورجع جيش الشام عن مكة وفُك الحصار بايع الناس عبد الله بن الزبير خليفة للمسلمين، وأخذت الأمصار تعلن مبايعتها له، وترسل إليه بذلك كتبها، إلا بعض الشام^(١). فبسط سلطانه على الحجاز، واليمن، ومصر، والعراق، وخراسان، وبعض الشام^(٢). ولذا عدّه بعض العلماء ضمن خلفاء المسلمين، فقد قال ابن كثير في ترجمته: «وهذه ترجمة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»^(٣)، وقال أيضاً: «وكانت ولاية ابن الزبير في سنة أربع وستين، وحجّ بالناس فيها كلها»^(٤).

واعتبر بعض العلماء أيام خلافته أيام فتنة، ولم يعدوه ضمن أمراء المسلمين؛ لأن الأمر لم يستقم له، حيث نازعه في الخلافة مروان بن الحكم ومن بعده ابنه عبد الملك. قال ابن تيمية: «وأما مروان وابن الزبير فلم يكن لواحد منهما ولاية عامة؛ بل زمنه زمن فتنة»^(٥).

قال الذهبي: «ولم يستوسق له الأمر،

(١) انظر: المرجع السابق (٩٤/٤).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٣٦٤).

(٣) البداية والنهاية (١٢/١٨٦).

(٤) المرجع السابق (١٢/٢٠٤).

(٥) منهاج السنّة (٨/٢٤٣).

(٦) سير أعلام النبلاء (٣/٣٦٤).

من الحجر ستة أذرع أو نحوها»^(١).

قال ابن تيمية: «كان ابن الزبير قد بناها على قواعد إبراهيم وألصقها بالأرض، وجعل لها بابين كما أخبرته عائشة... فلما قُتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره بما فعل ابن الزبير، فيخبره بأنهم وجدوا قواعد إبراهيم وأنه أرى ذلك لأهل مكة، فكتب إليه عبد الملك أن يعيدها كما كانت إلا ما زاده من الطول فلا يغيره، ويذكر أن ما فعله ابن الزبير لا يعلم أصله. ثم إن عبد الملك حدثه بعض الناس بحديث عائشة فقال: «وددت أني وليت ابن الزبير من ذلك ما تولى»^(٢).

وقال ابن كثير عن ابن الزبير: «وبنى الكعبة في أيامه، كما أشار إليه الرسول ﷺ، ورد بناءها كما كانت عليه، كما أخبرته عائشة أم المؤمنين، وكسا الكعبة الحرير، وكانت كسوتها قبل ذلك الأنطاع والمسوح»^(٣).

❁ موقف المخالفين منه:

يكيل الروافض لعبد الله بن الزبير - كغيره من الذين شهدوا موقعة الجمل التي حصل فيها القتال بينهم وبين علي بن

أبي طالب ﷺ - تهمًا عديدة، منها ما ذكروه من أن عبد الله بن الزبير انضم إلى أبيه لمقاتلة علي ﷺ^(٤).

❁ الرد عليهم:

لا شك أن شهود من شهد موقعة الجمل كان بغرض الإصلاح، سوى أهل الفتنة قتلة عثمان، ولذا ندم كل من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأم المؤمنين عائشة على حصول القتال بينهما، وحزن عليّ على قتل الزبير والد عبد الله وبشّر قاتله بالنار، ولم يعتبر مشاركته في قتاله موجباً للارتداد، وهذا يبطل دعوى الروافض بأن الزبير وابنه عبد الله هما عدواً لله ورسوله وأهل البيت، ولعنهما لمشاركتهم في حربه، ويؤكد موقف علي من مقاتليه في موقعة الجمل، من حيث منعه من سبي نسائهم وأموالهم، والإجهاز على جرحاهم، ولذا استطاعوا انتشال عبد الله بن الزبير من وسط القتلى، فلو لم يحممهم أمير المؤمنين بذاك القرار لأجهز على ابن الزبير وأمثاله من الجرحى، فهذا كله ينسف دعوى الروافض ويؤكد على أنها محض هراء يدل على حقد دفين في صحابة سيد المرسلين.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٥٨٦)، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٣٣).

(٢) الرد على المنطقيين لابن تيمية (٥٠٣ - ٥٠٤) [دار المعرفة].

(٣) البداية والنهاية (٢٠٤/١٢).

(٤) رسائل الكركي (٢٢٩/٢) [تحقيق: الشيخ محمد الحسون، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٩هـ].

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج ٣)، لابن عبد البر.
- ٢ - «البداية والنهاية» (ج ١٢)، لابن كثير.
- ٣ - «تاريخ ابن يونس المصري» (ج ١).
- ٤ - «الرد على المنطقيين»، لابن تيمية.
- ٥ - «رسائل الكركي» (ج ٢).
- ٦ - «سير أعلام النبلاء» (ج ٤)، للذهبي.
- ٧ - «الطبقات»، لخليفة بن خياط.
- ٨ - «قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق»، لابن تيمية.
- ٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٥)، لابن تيمية.
- ١٠ - «مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار»، لأبي حاتم.

عبد الله بن عباس

اسمه ونسبه:

هو: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشي الهاشمي، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين ﷺ.

(١) المعرفة والتاريخ للفسوي (١/٢٤١) مؤسسة

مولده ووفاته:

اختلفت أقوال في تحديد تاريخ ولادته بحسب اختلاف الروايات في ذلك:

فالقول الأول: أنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، حين كان بنو هاشم بالشعب^(٢)، ورجحه بعض الحفاظ كابن عبد البر وابن حجر، قال ابن عبد البر بعد أن عزی هذا القول إلى بعض أهل السير: «وما قاله أهل السير والعلم بأيام الناس عندي أصح والله أعلم، وهو قولهم: إن ابن عباس كان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفي رسول الله ﷺ»^(٣).

وأما ابن حجر فقد ذكر أن هذا القول «أثبت، وهو يقارب ما في «الصحيحين» عنه: «أقبلت وأنا راكب على حمار أتان، وأنا يومئذ قد ناهزت سن الاحتلام، والنبي ﷺ يصلي بمنى إلى غير جدار»^(٤) الحديث. وفي الصحيح عن ابن عباس: «قبض النبي ﷺ وأنا ختين»^(٥). وفي

الرسالة، ط ٢، ١٤٠١هـ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/٩٣٣) [دار الجيل، ط ١، ١٤١٢هـ]، وسير أعلام النبلاء (٣/٣٣١) [مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ]، والبداية والنهاية (١٢/٧٨) [دار هجر، ط ١، ١٤١٨هـ]، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/١٤١) [دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ].

(٢) انظر: الاستيعاب (٣/٩٣٣ - ٩٣٤)، وسير أعلام النبلاء (٣/٣٣٢).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/٩٣٤).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ٧٦)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٥٠٤).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الاستئذان، رقم ٦٣٠٠).

بالحديث السابق الذي فيه أنه مر بين يدي بعض الصف وهو مناهز سن الاحتلام.

القول الثالث: أنه ولد عام الهجرة، وهذا منسوب إلى عمرو بن دينار^(٨)، ويدل عليه ظاهر حديث: «قبض وأنا ابن عشر سنين»^(٩)، ولكنه محمول على إلغاء الكسر، كما سبق نقله عن الحافظ ابن حجر.

مات بالطائف سنة ثمان وستين للهجرة، في أيام عبد الله بن الزبير^(١٠)، واختلف في سنّه يوم مات؛ فقليل: كان ابن إحدى وسبعين، وقيل: اثنين وسبعين، وقيل أربع وسبعين^(١١)، وقوى الحافظ ابن حجر الأول^(١٢).

❁ إسلامه:

أسلم ابن عباس رضي الله عنه قبل الفتح، فقد ثبت عنه أنه قال: «كنت أنا وأمي من المستضعفين، أنا من الولدان وأمي من النساء»^(١٣). وبه احتج الذهبي على ذلك فقال: «انتقل ابن عباس مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، وقد أسلم قبل

رواية: «وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك»^(١)، وفي طريق أخرى: «قبض وأنا ابن عشر سنين»^(٢)، وهذا محمول على إلغاء الكسر»^(٣).

وقال أيضًا: «المحفوظ الصحيح أنه ولد بالشعب، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، فيكون له عند الوفاة النبوية ثلاث عشرة سنة، وبذلك قطع أهل السير، وصححه ابن عبد البر وأورد بسند صحيح عن ابن عباس أنه قال: ولدت وبنو هاشم في الشعب»^(٤).

القول الثاني: أنه ولد قبل الهجرة بخمس سنين. ورجح هذا القول كل من الإمام أحمد - كما نقله عنه ابن عبد البر بقوله: «قال عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال أبي: وهذا هو الصواب»^(٥) - وابن كثير، واحتج له بما رواه الطيالسي بإسناده عن ابن عباس قال: «قبض رسول الله ﷺ وأنا ابن خمس عشرة سنة مختون»^(٦)، حيث قال بعد إirاده هذا الأثر: «وهذا هو الأصح»^(٧)، ثم أيدته

(١) أخرجه البخاري (كتاب الاستئذان، رقم ٦٢٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠٣٥).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (١٤١/٤)، وانظر:

البداية والنهاية (٧٨/١٢ - ٧٩).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٩٠/١١) [دار المعرفة].

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٣٤/٣).

(٦) أخرجه الطيالسي (٣٦٥/٤) [دار هجر، ط ١]،

والحاكم في المستدرک (كتاب معرفة الصحابة، رقم

٦٢٧٣) وصححه.

(٧) البداية والنهاية (٨٠/١٢).

(٨) البداية والنهاية (٧٩/١٢).

(٩) تقدم تخريجه.

(١٠) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٣٤/٣)،

والإصابة في تمييز الصحابة (١٥١/٤).

(١١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١٥١/٤).

(١٢) انظر: المرجع السابق (١٥١/٤).

(١٣) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٧).

ب - أنه رأى جبريل عليه السلام، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس، قال: «كنت مع أبي عند رسول الله ﷺ، وعنده رجل يناجيه، فكان كالمعرض عن أبي، فخرجنا من عنده، فقال لي أبي: أي بني، ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني؟ فقلت: يا أبت، إنه كان عنده رجل يناجيه. قال: فرجعنا إلى النبي ﷺ فقال أبي: يا رسول الله، قلت لعبد الله: كذا وكذا، فأخبرني أنه كان عندك رجل يناجيك، فهل كان عندك أحد؟ فقال رسول الله ﷺ: وهل رأيته يا عبد الله؟ قال: قلت: نعم. قال: فإن ذاك جبريل، وهو الذي شغلني عنك»^(٥).

مكانته:

لابن عباس مكانة كبرى ومنزلة عظيمة عند الصحابة رضي الله عنهم، فهو ابن عم النبي ﷺ وحبر الأمة، وترجمان القرآن الكريم ومفسره، فقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس»^(٦). وروى ابن سعد بسنده عن يحيى بن

ذلك، فإنه صح عنه أنه قال: «كنت أنا وأمي من المستضعفين؛ أنا من ولدان، وأمي من النساء»^(١). يشير ابن عباس بهذا إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْغُلَامَ وَالْغُلَامَةَ أُنْفُسَهُمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا عَفْوًا ۝٩٩﴾ [النساء].

وغزا أفريقية مع عبد الله بن أبي السرح، وشهد موقعة صفين مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٢).

فضائله:

أ - دعا له النبي ﷺ بالفقه في الدين والعلم بالتأويل، فقد جاء من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ دخل الخلاء، فوضعت له وضوءاً، فقال: «من وضع هذا؟»، فأخبر، فقال: «اللَّهُمَّ فقهه في الدين»^(٣). وزاد في رواية: «وعلمه التأويل»^(٤).

الحسان (١٥٦/١٠) [دار باوزير، ط١].

(٥) أخرجه أحمد (٤١٧/٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والطيالسي (٤٢٦/٤) [دار هجر، ط١]، وصححه سننه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٢٨٥/٧) [دار الوطن، ط١].

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢٧٩/٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٦٢٩١) وصححه، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في الإصابة (١٢٧/٤).

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٣٣٣).

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١٤١/٤، و١٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الوضوء، رقم ١٤٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٧٧).

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٥/٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٥٥)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٦٢٨٠) وصححه، وصححه الألباني في التعليقات

سعيد قال: «قال أبو هريرة رضي الله عنه حين مات زيد بن ثابت: اليوم مات خبر هذه الأمة! ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً»^(١).

وروى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «مسح النبي ﷺ رأسي ودعا لي بالحكمة»^(٢). وذكر ابن سعد: «أن عمر وعثمان كانا يدعوان ابن عباس فيشير مع أهل بدر، وكان يفتي في عهد عمر وعثمان إلى يوم مات»^(٣).

وقال فيه ابن كثير: «وله مفردات ليست لغيره من الصحابة؛ لاتساع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله وسعة فضله ونبل أصله رضي الله عنه وأرضاه»^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: مناظرة ابن عباس للخوارج المارقين عن الدين:

ناظر الصحابي الجليل خبر الأمة وبحرها وترجمان القرآن ابن عباس الخوارج حين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفارقوا جماعة المسلمين، وشقوا عصا الطاعة، حيث

(١) الطبقات الكبرى (٢/٢٧٩)، وصححه ابن حجر في الإصابة (٤/١٢٧).

(٢) مسند أحمد (٣/٣٤٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط البخاري».

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٢٧٩).

(٤) البداية والنهاية (١٢/٧٨).

جاءهم في معقلهم وناظرهم، فتهافت شبههم واحدة بعد الأخرى، حتى أقروا بالهزيمة والإفلاس، ورجع كثير منهم، فقد روى الإمام عبد الرزاق الصنعاني بإسناده عن ابن عباس قال: «لما اعتزلت الحرورية فكانوا في دار على حديثهم، فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين، أبرد عن الصلاة لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم، قال: إني أتخوفهم عليك، قلت: كلا إن شاء الله تعالى، قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، قال: ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة، قال: فدخلت على قوم لم أر قوماً قط أشدَّ اجتهاداً منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل، ووجوههم معلمة من آثار السجود، قال: فدخلت، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس، ما جاء بك؟ قلت: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله، فقال بعضهم: لا تحدثوه، وقال بعضهم: والله لنحدثنه، قال: قلت: أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأول من آمن به وأصحاب رسول الله ﷺ معه؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثاً، قال: قلت: وما هن؟ قالوا: أولهن أنه حَكَمَ الرجال في دين الله وقد قال الله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، قال: قلت: وماذا؟ قالوا: وقتل ولم يسب ولم يغنم؛ لنن

كانوا كفارًا لقد حلت له أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم؟ قال: قلت: وماذا؟ قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين. قال: قلت: رأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثكم من سنة نبيه ﷺ ما لا تنكرون، أترجعون؟ قالوا: نعم، قال: قلت: أما قولكم: حُكِّم الرجال في دين الله فإن الله تعالى يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا الصَّيِّدَ ءَاتَمَّ حُرْمٌ﴾ [المائدة: ٩٥] إلى قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥] وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعُوهُمَا حُكْمًا مِّنْ أَهْلِيهِ وَحُكْمًا مِّنْ أَهْلِيهَا﴾ [النساء: ٣٥] أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وإصلاح ذات بينهم أحق أم في أرب ثمنها ربع درهم؟ قالوا: اللهم بل في حقن دمائهم وإصلاح ذات بينهم، قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم، قال: وأما قولكم: إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها، فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست أم المؤمنين فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام، إن الله يقول: ﴿الَّتِي ءَوَّلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُمْ أَمْهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٦] فأنتم مترددون بين ضلالتين

فاختاروا أيتهما شئتم، أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم، قال: وأما قولكم: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن رسول الله ﷺ دعا قريشًا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابًا، فقال: «اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله» فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال: «والله إني لرسول الله حقًا وإن كذبتُموني، اكتب يا علي: محمد بن عبد الله»، فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي رضي الله عنه، أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم، فرجع منهم عشرون ألفًا وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا»^(١).

- المسألة الثانية: موقفه من التحكيم:

الظاهر أنه كان موافقًا على التحكيم، ولعل ما ذكره ابن سعد بإسناده عنه وتناقله الأئمة من بعده كابن عساكر^(٢) وابن كثير^(٣) وابن حجر^(٤) يثبت هذا، حيث قال: «إن عليًا بعث في التحكيم أبا موسى ومعه أربعمائة رجل، عليهم

(١) أخرجه أحمد (٢٦٣/٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١] مختصرًا، وعبد الرزاق في مصنفه (كتاب اللقطة، رقم ١٨٦٧٨)، والنسائي في الكبرى (كتاب الخصائص، رقم ٨٥٢٢)، والحاكم في المستدرک (كتاب قتال أهل البغي، رقم ٢٦٥٦) وصححه.

(٢) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٧/٢٣).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٥٧٠/١٠).

(٤) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣٨٢/٣).

«أبو مخنف: لوط بن يحيى: هالك»^(٦).
وأبو جناب الكلبي قال فيه ابن معين:
«ضعيف الحديث»^(٧)، وأورده البخاري
في كتاب الضعفاء^(٨).
وأما من جهة المتن ففيه أباطيل عدة؛
منها:

- فيه الحديث عمن هو الأحق
بالخلافة، ولم يكن الخلاف في تقديم
أحد في الخلافة أو عزله عنها على
الإطلاق، وإنما كان الخلاف في توقيت
المطالبة بدم عثمان، فكيف يناقش
الحكماء ما هو خارج موطن النزاع،
ويعرضان عما جاء من أجله.
- وفيه وصف عمرو بن العاص بالغدر
والخيانة، ووصف أبي موسى الأشعري
بالغباء والحماقة، وهذا يكذبه ما جاء في
سيرتهما وفضائلهما. - المسألة الثالثة:
موقفه من خروج الحسين بن علي عليه السلام
إلى العراق:

اجتمعت كلمة المسلمين على
معاوية عليه السلام بعد تنازل الحسن عليه السلام له
عن الخلافة، واستمر الأمر على ذلك
حتى رأى معاوية عليه السلام أن يجعل الخلافة
من بعده لابنه يزيد، «ولما أخذت البيعة

شريح بن هانئ، ومعهم عبد الله بن
عباس عليه السلام يصلي بهم، ويلي أمرهم»^(١).
ولما ذكر ابن كثير أسماء من حضروا
التحكيم من جيش علي عليه السلام ذكر ابن
عباس عليه السلام في أول الأسماء^(٢).

وأما ما رواه الطبري عن أبي مخنف
عن أبي جناب الكلبي: من أن ابن
عباس عليه السلام نهى أبا موسى الأشعري عن
التكلم قبل عمرو بن العاص خوفاً من
خداعه، وأن أبا موسى لم يقبل منه هذا؛
بل تكلم بما اتفقا عليه من خلع علي
ومعاوية عليه السلام عن الخلافة، وأن الأمر
شورى بين المسلمين، ولما تكلم عمرو
نقض هذا الاتفاق وخلع علياً وأثبت
معاوية في الخلافة، وحينها دعا عليه أبو
موسى الأشعري، وأن ابن عباس عليه السلام
قال: قَبَّحَ الله رأي أبي موسى، حذرته
وأمرته بالرأي فما عقل^(٣) فهذا كله لا
يصح! سنداً ولا متناً؛ أما من جهة
الإسناد فإن أبا مخنف أخباري تالف لا
يوثق به كما قال الذهبي^(٤). وقال ابن أبي
حاتم: «سمعت أبي يقول: أبو مخنف
متروك الحديث»^(٥)، وقال ابن حجر:

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٩٣/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٠/٥٥٧).

(٣) تاريخ الطبري (١١٣/٣) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٤) ميزان الاعتدال (٤١٩/٣) [دار المعرفة].

(٥) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٨٢/٧) [دار

[إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٢٧١هـ].

(٦) لسان الميزان (١٥٩/٩) [دار البشائر الإسلامية].

(٧) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٣٨/٩).

(٨) كتاب الضعفاء للبخاري (١٣٩) [مكتبة ابن عباس،

ط ١، ١٤٢٦هـ].

أنا على ذلك. قال عبد الله أعيذك بالله يا ابن عم من ذلك. قال الحسين: قد عزمت ولا بد من المسير. قال له عبد الله: أتسير إلى قوم طردوا أميرهم عنهم وضبطوا بلادهم، فإن كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنما يدعونك إليهم وأميرهم عليهم وعمّاله يجبنونهم فإنهم إنما يدعونك إلى الحرب، ولا آمنهم أن يخذلوك كما خذلوا أباك وأخاك. قال الحسين: يا ابن عم سأنظر فيما قلت... ولما كان في اليوم الثالث عاد عبد الله بن عباس إلى الحسين عليه السلام فقال له: يا ابن عم، لا تقرب أهل الكوفة؛ فإنهم قوم غدر، وأقم بهذه البلدة؛ فإنك سيد أهلها، فإن أبيت فسر إلى أرض اليمن؛ فإن بها حصوناً وشعاباً وهي أرض طويلة عريضة، ولأبيك فيها شيعَة فتكون عن الناس في عزلة، وتبث دعائك في الآفاق، فإني أرجو إن فعلت ذلك أذاك الذي تحب في عافية. قال الحسين: يا ابن عم والله إني لأعلم أنك ناصح مشفق، غير أنني قد عزمت على الخروج. قال ابن عباس: فإن كنت لا محالة سائراً، فلا تخرج النساء والصبيان؛ فإني لا آمن أن تقتل، كما قتل ابن عفان وصبيته ينظرون إليه. قال الحسين: ما أرى إلا الخروج بالأهل والولد^(٣).

ليزيد في حياة معاوية، كان الحسين عليه السلام ممن امتنع من مبايعته هو وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن عباس عليه السلام، ثم مات ابن أبي بكر عليه السلام وهو مصمم على ذلك، فلما مات معاوية عليه السلام سنة ستين، وبويع ليزيد، بايع ابن عمر وابن عباس، وصمم على المخالفة الحسين وابن الزبير عليه السلام، وخرجا من المدينة فارّين إلى مكة، فأقاما بها، فعكف الناس على الحسين يفدون إليه ويقدمون عليه^(١)، وبهذا يظهر مخالفة ابن عباس وابن عمر للحسين عليه السلام.

ولما صمم الحسين عليه السلام على الخروج إلى العراق، وبلغ خبره ابن عباس عليه السلام حاول ثنيه عن رأيه وحذره غاية التحذير، وقال له: «أين تريد يا ابن فاطمة؟ فقال: العراق وشيعتي. فقال: إني لكّرّه لوجهك هذا؛ تخرج إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطة وملاة لهم!؟ أذكرك الله أن تغرر بنفسك»^(٢).

وساق أحمد الدينوري رواية طويلة في مناصحة ابن عباس للحسين، قال فيها ابن عباس: «يا ابن عمّ قد بلغني أنك تريد المسير إلى العراق. قال الحسين:

(١) البداية والنهاية (١١/٤٧٧).

(٢) المصدر نفسه (١١/٥٠٣).

(٣) الأخبار الطوال للدينوري (٢٥٦ - ٢٥٧).

الرد عليهم:

لا يشك عاقل فضلاً عما له علم ودين في دجل وبطلان ما نسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، من الطعن في عم النبي ﷺ وفي ابن عمه عبد الله بن عباس، لا سيما وأن النبي ﷺ كان يتأذى مما يتأذى منه عمه العباس، ويقول ﷺ: «من آذى العباس فقد آذاني، إنما عم الرجل صنو أبيه»^(٤)، فكيف يقدم الحسن على ما يؤدي جده النبي ﷺ؟! وأما دعوى نزول الآية المذكورة فيه فهذا القول لم يسبقوا إليه، فهو من افتراءاتهم الكثيرة، وإنما المراد بالمولى والعشير المذموم هنا هو المعبود من دون الله. قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الحج]: «وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ﴾: هو كل ما انعقد بينك وبينه سبب، يواليك وتواليه به. و﴿الْعَشِيرُ﴾ [١٣]: هو المعاشر، وهو صاحب والخليل.

الشعراني على شرح أصول الكافي للمازندراني (٤/٦) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ].
(٤) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٥٨) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٧٥/٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، وابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الفضائل، رقم ٣٢٢١)، وضعف سنده الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٤٧/٢).
لكن له شاهد عند ابن سعد في الطبقات (٢٧/٤) [دار صادر، ط ١]، وقد حسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٩٢٢).

وهذه كلها محاولات ابن عباس لمنع الحسين ﷺ من الخروج إلى العراق، بقدر ما أمكن، وإذا كان ولا بد أن يخرج من مكة، فليكن إلى مكان آمن له كاليمن ونحوها من البلدان؛ حرصاً منه على سلامته وسلامته من معه، لا موافقة له على عدم مبايعة يزيد، وهذا كما يقال آخر الدواء الكي.

موقف المخالفين منه:

تناقض الروافض في عبد الله بن عباس ﷺ فمرة يمدحونه ويسوقون روايات في ذكر محاسنه فيذكرون أنه كان محباً لعلي وتلميذاً له^(١). ومرة يقدحون فيه وفي أبيه ويزعمون أن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الحج] نزل في ذمه والطعن في أبيه^(٢).

وقد اعترف بعض الروافض بوجود روايات قاذحة في ابن عباس في رجال الكشي، ومن ثم حاولوا صرف بعضها إلى أخيه عبيد الله بن عباس^(٣).

(١) خلاصة الأقوال للحلي (١٩٠) [مؤسسة نشر الفقه، ط ١، ١٤١٧هـ]، وانظر: نقد الرجال للفرشي (١١٨/٣) [مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط ١، ١٤١٨هـ]، ووسائل الشيعة للحر العاملي (٢٣٩/٢٠) [دار إحياء التراث العربي، بيروت].

(٢) رجال الكشي (٣٧ - ٣٨) [المطبعة المصطفوية، بمبئي دهوني].

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي (٢٣٩/٢٠)، وتعليقات

أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب^(٢)، ويلتقي نسبه بنسب رسول الله ﷺ في عبد مناف.

وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي^(٣)، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب، وهي شقيقة عبد الله والد النبي ﷺ، ويقال: إنهما ولدا توأمين (حكاه الزبير بن بكار)، فكان ابن بنت عمه النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ ابن خال والدته.

وقد أسلمت أم عثمان وماتت في خلافة ابنها عثمان، وكان ﷺ ممن حملها إلى قبرها^(٤)، وأما أبوه فهلك في الجاهلية.

وأما كنيته: فقد كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو، فلما وُلد له من رقية بنت رسول الله ﷺ غلاماً سماه عبد الله، واكتنى به، فكانه المسلمون أبا عبد الله^(٥).

وأما لقبه: كان عثمان ﷺ يلقب بذئ النورين.

(٢) الطبقات لابن سعد (٥٣/٣) [دار صادر]، الإصابة لابن حجر (٣٧٧/٤) (رقم ٥٤٦٣) [دار الكتب العلمية].

(٣) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، لمحمد يحيى الأندلسي (١٩) [دار الثقافة، الدوحة، ط١، ١٤٠٥هـ].

(٤) ينظر: الإصابة لابن حجر (٥/٨ - ٦).

(٥) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان (١٩).

والتحقيق: أن المراد بالمولى والعشير المذموم في هذه الآية الكريمة، هو المعبود الذي كانوا يدعونه من دون الله، كما هو الظاهر المتبادر من السياق^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج ٣)، لابن عبد البر.

٢ - «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج ٤)، لابن حجر.

٣ - «البداية والنهاية» (ج ١٢)، لابن كثير.

٤ - «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (ج ١٠)، للألباني.

٥ - «خلاصة الأقوال»، للحلي.

٦ - «سير أعلام النبلاء» (ج ٣)، للذهبي.

٧ - «الطبقات الكبرى» (ج ٢)، لابن سعد.

٨ - «فتح الباري» (ج ١١)، لابن حجر.

٩ - «المعرفة والتاريخ» (ج ١)، ليعقوب الفسوي.

١٠ - «وسائل الشيعة» (ج ٢٠)، للحر العاملي.

عثمان بن عفان أمير المؤمنين ﷺ

اسمه ونسبه:

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٢٨٦/٤) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

❖ إسلامه:

كان عثمان رضي الله عنه قد ناهز الرابعة والثلاثين من عمره حين دعاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى الإسلام، ولم يعرف عنه تلكؤ أو تلعث؛ بل كان سباقاً، أجاب على الفور دعوة الصديق، فكان بذلك من السابقين الأولين، حتى قال ابن إسحاق: كان أول الناس إسلاماً بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة: عثمان^(٥).

فكان بذلك رابع من أسلم من الرجال، ولعل سبقه هذا إلى الإسلام كان نتيجة لما حدث له عند عودته من الشام، وقد قصه رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل عليه هو وطلحة بن عبيد الله، فعرض عليهما الإسلام، وقرأ عليهما القرآن، وأنبأهما بحقوق الإسلام، ووعدهما الكرامة من الله، فأمنّا وصدّقّا، فقال عثمان: يا رسول الله، قدمت حديثاً من الشام، فلما كنا بين معان والزرقاء فنحن كالنيام، فإذا مناد ينادينا: أيها النيام هبوا، فإن أحمد قد خرج بمكة، فقدمنا فسمعنا بك^(٦).

❖ فضائله:

مما ورد في فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه ما يلي:

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٨٧ - ٢٨٩) [دار إحياء التراث، ١٤١٧هـ].

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٥) [دار صادر، ط١].

قال عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي: قال لي خالي حسين الجعفي: يا بني، أتدري لم سمي عثمان ذا النورين؟ قلت: لا أدري، قال: لم يجمع بين ابنتي نبي منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة غير عثمان، فلذلك سمي ذا النورين^(١). وقيل: سمي بذي النورين؛ لأنه كان يكثر من تلاوة القرآن في كل ليلة في صلاته، فالقرآن نور وقيام الليل نور^(٢).

❖ مولده ووفاته:

مولده:

ولد في مكة بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح^(٣)، وقيل: ولد في الطائف، فهو أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو خمس سنين^(٤).

وأما وفاته:

استشهد عثمان بن عفان رضي الله عنه صبيحة يوم الجمعة؛ ثاني عشر ذي الحجة من السنة الخامسة والثلاثين بعد الهجرة، وسيأتي في المسائل المتعلقة بالإشارة إلى ما سبق قتله رضي الله عنه من الخارجين عليه من أهل الفجور.

(١) سنن البيهقي (٧٣/٧) [دار المعارف، بيروت]، وهو خبر حسن.

(٢) عثمان بن عفان ذو النورين (٧٩).

(٣) الإصابة (٣٧٧/٤) (رقم ٥٤٦٥).

(٤) عثمان بن عفان، لصديق عرجون (٤٥) [الدار السعودية، ١٤١٠هـ].

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ مضطجعا في بيتي كاشفاً عن فخذه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه. قال محمد - أحد رواة الحديث، ولا أقول ذلك في يوم واحد - فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تُباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تُباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة؟!» (٤).

❁ مكانته:

كان لذي النورين ﷺ مكانة عظيمة عند المسلمين، وعلى رأسهم أصحاب الرسول الكريم ﷺ، ومن أمثلة ذلك:

عن فاطمة بنت عبد الرحمن الشكرية عن أمها، أنها سألت عائشة رضي الله عنها: وأرسلها عمها فقال: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان، فإن الناس قد أكثروا فيه، فقالت: «لعن الله من لعنه، فوالله لقد كان قاعداً عند نبي الله، وإن

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: افتح له، وبشره بالجنة، ففتحت له فإذا هو أبو بكر، فبشرته بما قال رسول الله، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ: افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله، ثم استفتح رجل فقال لي: افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فإذا هو عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله، ثم قال: الله المستعان» (١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: صعد النبي ﷺ أحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال: «اسكن أحد - أظنه ضربه برجله - فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان» (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ كان على حراء، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» (٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٩٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ،

رقم ٣٦٨٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٧).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠١).

رسول الله ﷺ مسند ظهره إليّ، وإن جبريل عليه السلام ليوحى إليه القرآن وإنه ليقول: «اكتب عثمان»، فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريماً على الله ورسوله»^(١).

د - وكان عليّ رضي الله عنه طائعاً له معترفاً بإمامته وخلافته، لا يعصي له أمراً؛ فقد روى ابن أبي شيبة بإسناده عن ابن الحنفية عن علي رضي الله عنه قال: «لو سيّرني عثمان إلى صرار لسمعت وأطعت»^(٥).

هـ - ولما جمع عثمان رضي الله عنه الناس على قراءة واحدة بعد استشارة الصحابة رضي الله عنهم وإجماعهم على ذلك، قال علي رضي الله عنه: لو وليت الذي ولي، لصنعت مثل الذي صنع»^(٦).

وروى عبد الله بن أحمد بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لو اجتمع الناس على قتل عثمان لرُموا بالحجارة كما رُمي قوم لوط»^(٧).

وقد ثبت عن علي بن الحسين البراءة من قول الرافضة في أبي بكر وعمر

رسول الله ﷺ مسند ظهره إليّ، وإن جبريل عليه السلام ليوحى إليه القرآن وإنه ليقول: «اكتب عثمان»، فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريماً على الله ورسوله»^(١).

كما أن علياً رضي الله عنه وآل البيت كانوا يجلّونه ويعترفون بحقه، ومن شواهد ذلك:

أ - كان علي بن أبي طالب أول من بايع عثمان بعد عبد الرحمن بن عوف^(٢).

ب - كان عليّ يستحي منه، فعن قيس بن عباد قال: سمعت علياً رضي الله عنه وذكر عثمان فقال: هو رجل قال له رسول الله ﷺ: «ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة؟»^(٣).

ج - وقد شهد له عليّ رضي الله عنه، بالجنة، فعن النزال بن سبرة قال: سألت علياً عن عثمان فقال: «ذاك امرؤ يدعى في الملأ الأعلى ذا النورين، كان ختن

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (٢٣٣٣/٥) [دار الوطن، ط ٢]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/٣٩).

وانظر: العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط (٢٢٧) [مكتبة الإمام البخاري، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الفتن، رقم ٣٧٦٩٩)، والخلال في السنة (٣٢٥/٢) [دار الراية، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٦) أخرجه الآجري في الشريعة (١٧٨٤/٤) [دار الوطن، ط ٢]، البيهقي في الكبرى (كتاب الصلاة، رقم ٢٣٧٥).

(٧) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على فضائل الصحابة (١/٥٦٣، رقم ٧٤٦) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(١) أخرجه أحمد (٢٩٤/٤٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٤٢٧/٧) [دار طيبة، ط ٨]، وفي سنده ضعف لجهالة بعض رواته. انظر: مجمع الزوائد (٨٧/٩) [مكتبة القدسي].

(٢) كما أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٠٠).

(٣) أخرجه الحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٥٢٧) وصححه.

والحديث المرفوع في هذه القصة: أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠١)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وعثمان رضي الله عنه، فقد روى أبو نعيم بسنده عن محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين أنه قال: «جلس قوم من أهل العراق فذكروا أبا بكر وعمر، فنالوا منهما، ثم ابتدؤوا في عثمان فقال لهم: أخبروني: أنتم من المهاجرين الأولين: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] قالوا: لا، قال: فأنتم من الذين: ﴿بَوَّءُوا لَدَارَ الْآلِئِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩] قالوا: لا، فقال لهم: أما أنتم فقد أقررتهم وشهدتهم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]، فقوموا عني، لا بارك الله فيكم، ولا قرب دوركم، أنتم مستهزئون بالإسلام، ولستم من أهله»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: أحقية عثمان رضي الله عنه بالخلافة، وأن خلافته خلافة نبوة راشدة: لا شك أن خلافة أمير المؤمنين

وقال أيضًا: «قد علم بالتواتر أن المسلمين كلهم اتفقوا على مبايعة عثمان، لم يتخلف عن بيعته أحد»^(٥).

وخلافته رضي الله عنه خلافة نبوة راشدة؛ كما صح بذلك الخبر في حديث سفينة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «خلافة النبوة

(٢) حمدان بن علي: هو أبو جعفر محمد بن علي بن عبد الله بن مهران بن أيوب الوراق، الجرجاني الأصل، البغدادي المنشأ، قال أبو بكر الخلال لما ذكره: رفيع القدر، كان عنده عن أبي عبد الله مسائل حسان، وقد توفي حمدان سنة (٢٧٢هـ)، انظر ترجمته في: طبقات الحنابلة (١/٣٠٨ - ٣١٠)، وتاريخ بغداد (٣/٦١ - ٦٢).

(٣) أخرج هذه الرواية الخلال في السنة ٢/٣٢٠ (برقم ٤٠٥)، وقال المحقق: «إسناده صحيح».

(٤) منهاج السنة (١/٥٣٢ - ٥٣٣).

(٥) المصدر نفسه (٨/٣١٤).

(١) العقيدة في أهل البيت (٢٣٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (٩/١١٢)، وتفسير القرطبي (١٨/٣١، ٣٢) [دار الكتب المصرية، ط ٢].

ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء، أو ملكه من يشاء»، ثم قال سفينة: «أمسك خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشر، وخلافة عثمان اثنتي عشرة، وخلافة علي ست سنين»^(١).

قال شيخ الإسلام معلّقاً على الحديث: «وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام آخر الخلفاء الراشدين المهديين، وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر؛ ثم عثمان؛ ثم علي عليه السلام»^(٢).

- المسألة الثانية: فتنة حصار عثمان عليه السلام ومقتله^(٣):

أطلق (يوم الدار) على المدة التي حوَصِر فيها عثمان عليه السلام، بدءاً من رجوع المصريين إلى المدينة، وانتهاءً بمقتله عليه السلام. واختلف في مدة الحصار، فقليل إنه استمر أكثر من عشرين يوماً^(٤)، وقيل:

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، رقم ٤٦٤٦)، والترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢٢٢٦) وحسنه، وأحمد (٢٤٨/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ١٦]، وصحّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٢٩/٣) - ١٣٠ [دار المعارف، ١٦]، وفي السلسلة الصحيحة (٨٢٠/١ - ٨٢٧، رقم ٤٥٩) [مكتبة المعارف، ط ١٤١٥هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٤٠٦/٣).

(٣) ينظر كتاب: فتنة مقتل عثمان بن عفان عليه السلام للغبّان (١٦٥/١) وما بعدها [عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

(٤) قال به ابن قتيبة في المعارف (١٩٦).

أكثر من شهر، وقيل: كانت مدته أربعين يوماً^(٥)، وقيل: كانت نيّفاً وأربعين ليلة^(٦)، وقيل: تسعة وأربعين يوماً^(٧)، وقيل: شهرين وعشرين يوماً^(٨).

ومكان الحصار هو: داره الكبرى التي كان يسكنها في المدينة النبوية^(٩)، ويسمّيها الرواة أحياناً بالقصر^(١٠).

ولم تفصّل الروايات الصحيحة في كيفية بدء وقوع الحصار، ولعل الأحداث التي سبقته تلقي شيئاً من الضوء على كيفية بدئه.

فبينما كان عثمان عليه السلام يخطب الناس ذات يوم إذا برجل يقال له أعين^(١١)

(٥) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١٨٤/٧) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٦) قال به حماد بن زيد، رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (خ - ق: ١٢ب) كما في حاشية تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة عثمان (٤٠٥ حاشية: ٢)، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٤٠٥)، وذكر ذلك المحب الطبري في الرياض النضرة (٤٥/٣) [دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٧) ذكره ابن الأثير عن الواقدي في أسد الغابة (٣/٤٨٩) [دار الفكر، بيروت].

(٨) ذكره ابن الأثير عن الزبير في أسد الغابة (٣/٤٨٩).

(٩) وفاء الوفاء للسهمودي (٧٣١/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ].

(١٠) جاء ذلك في رواية رواها أحمد في المسند (١/٣٤٠ - ٣٤١) [دار المعارف، مصر، ط ٤] بإسناد حسن.

(١١) أعين بن ضبيعة بن ناجية بن غفال التميمي الحنظلي الدارمي، ابن أخي صعصعة بن ناجية جد الفرزدق. ذكره صاحب الاستيعاب ولم يذكر ما يدل على صحبته، وهو والد النوار زوج الفرزدق، وكان شهد الجمل مع علي، وهو الذي عقر الجمل الذي كانت =

رجل من المحاصرين، من أئمة الفتنة، حتى إن عبيد الله بن عدي بن الخيار تخرج من الصلاة خلفه، فاستشار عثمان في ذلك؛ فأشار عليه بأن يصلي خلفه، وقال له: «الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أسأؤوا فاجتنب إساءتهم»^(٤).

وبعد أن تم الحصار، وأحاط الخارجون على عثمان رضي الله عنه بالدار طلبوا منه خلع نفسه، أو يقتلوه^(٥).

وهؤلاء الذين طالبوا الخليفة بخلع نفسه هم حثالة من الناس، وأوباشهم وأدنانهم دينًا، وخلقًا، وعلمًا وليسوا من أهل الحل والعقد.

وبعرضهم هذا تحقق ما قاله النبي ﷺ لعثمان رضي الله عنه، وحن وقت العمل بوصيته ﷺ له؛ لذا رفض عثمان رضي الله عنه خلع نفسه، وقال: «لا أخلع سربالًا سربلني الله»^(٦)، يشير إلى ما أوصاه به رسول الله ﷺ.

ط، ٢، ١٣٨٧هـ، وسنده صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦٩٥).

(٥) كما عند ابن سعد في الطبقات (٦٦/٣) [دار صادر، ط١].

(٦) أخرجه ابن أبي شبة في مصنفه (كتاب المغازي، رقم ٣٧٠٧٩)، وابن شبة في تاريخ المدينة (٤/ ١٢٨٦)، وخليفة في تاريخه (١٧١) [دار القلم ومؤسسة الرسالة، ط٢]، وينظر تفاصيل ذلك في: فتنة مقتل عثمان (١٣٩/١) وما بعدها.

(٧) وهو قوله ﷺ: «يا عثمان، إنه لعل الله يقيّمك قميصًا، فإن أرادوك على خلعك فلا تخلعه لهم».

يقاطعه ويقول له: يا نعل^(١) إنك قد بدلت، فقال عثمان رضي الله عنه: من هذا؟ فقالوا: أعين، قال عثمان: بل أنت أيها العبد، فوثب الناس إلى أعين، وجعل رجل من بني ليث يزعمهم عنه حتى أدخله الدار^(٢).

وبعد قدوم المصريين - الثاني - وقبل اشتداد الحصار كان عثمان رضي الله عنه يستطيع الخروج إلى الصلاة، ويدخل عليه من يشاء، ثم منعه من ذلك ومن الخروج من داره، فكان ﷺ لا يستطيع الخروج لصلاة الفريضة^(٣). فكان يصلي بالناس

= عائشة رضي الله عنها عليه، ويقال: إنها دعت عليه بأن يقتل غيلة فكان كذلك، وذلك سنة ثمان وثلاثين. انظر: الإصابة لابن حجر (٥٥/١) [دار العلوم الحديثة، ط١، ١٣٢٨هـ]، والاستيعاب لابن عبد البر (١/ ١١٩) [دار العلوم الحديثة، ط١، ١٣٢٨هـ].

(١) هو لقب أطلقه الخارجون على عثمان رضي الله عنه، نقل ابن عساکر عن ابن الكلبي أنه قال: «إنما قيل له نعل؛ لأنه كان يشبه برجل من أهل مصر اسمه نعل، وكان طويل اللحية، فكان عثمان إذا نيل منه وعيب يشبه بذلك الرجل لطول لحيته، لم يكونوا يجدون عيبًا غير هذا. وقال بعضهم: إن نعلًا من أهل أصبهان، ويقال في نعل: إنه الذكر من الضباع».

(٢) أخرج القصة بهذا السياق: أبو يعلى في مسنده الكبير، كما في إتحاف الخيرة المهرة (١٢/٨)، ومن طريقه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٣٩/٢٥٤)، وأصلها عند أحمد في مسنده (٥٣٢/١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، بذكر خطبة عثمان رضي الله عنه دون قصة أعين، وأشار الهيثمي في المجمع (٧/٢٢٨) [مكتبة القدسي] إلى هذه الزيادة، وقال: «رجالهما رجال الصحيح، غير عباد بن زاهر، وهو ثقة».

(٣) كما عند خليفة بن خياط في تاريخه (١٧٢) [دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٠٥هـ]، والطبري في تاريخه (٣٨٣/٤) [دار التراث العربي، بيروت،

وقتل من يومه^(٤).

ورؤيا النبي ﷺ في المنام حق، فإن الشيطان لا يتمثل في صورته، كما ثبت في «الصحيح» عنه أنه قال: «من رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتمثل بي»^(٥).

استمر الحصار إلى صبيحة يوم الجمعة؛ الموافق للثاني عشر من شهر ذي الحجة من السنة الخامسة والثلاثين بعد الهجرة.

ومعلوم أن هؤلاء الذين قتلوا عثمان ﷺ هم الخوارج الذين وردت النصوص بدمهم، وقد قال الشيخ عبد الله أبا بطين رحمه الله: «وأما الخوارج: فهم الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وقبل ذلك قتلوا عثمان؛ وكفروا عثمان وعلياً وطلحة والزبير ومعاوية وطائفتي علي ومعاوية، واستحلوا دماءهم...»^(٦).

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «وأول بدعة حدثت في هذه الأمة هي بدعة الخوارج؛ لأن زعيمهم خرج على النبي ﷺ - وهو ذو الخويصرة من بني

وقد حاول أصحاب النبي ﷺ الدفاع عنه، وكان عثمان رضي الله عنه يمنعهم، ورغم هذه المحاولات منه رضي الله عنه لصد المدافعين عنه عن قتال المحاصرين له، فإن بعض الروايات تشير إلى أنه قد حدث احتكاك واشتباك خفيف أدى إلى حمل الحسن بن علي رضي الله عنهما جريحاً من الدار يوم الدار^(١).

وفي رواية أنه أخرج من الدار يوم قتل عثمان رضي الله عنه أربعة من شبان قریش ملطّخين بالدم محمولين، كانوا يدرؤون عن عثمان رضي الله عنه، وهم: الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن الحكم^(٢).

وفي آخر يوم من أيام الحصار - وهو اليوم الذي قتل فيه - نام رضي الله عنه فأصبح يحدث الناس يقول: «ليقتلنني القوم»^(٣).

ثم قال: رأيت النبي ﷺ في المنام ومعه أبو بكر وعمر، فقال النبي ﷺ: «يا عثمان أفطر عندنا» فأصبح صائماً،

= أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٠٥) وحسنه، وابن ماجه (المقدمة، رقم ١١٢)، وأحمد (١٣/١٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٩٤٧).

(١) كما عند ابن الجعد في مسنده (٩٥٩/٢) [مكتبة الفلاح، الكويت، ط ١، ١٤٠٥هـ]، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/١٢٨)، والبخاري في التاريخ الأوسط (٧/٢٣٧) [دار المعرفة، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٢) كما عند ابن شبة في تاريخ المدينة (٤/١٢٩٨).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٧٥) [دار صادر، ط ١]، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (١/٥٥٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، قال الهيثمي: «فيه من لم أعرفهم». مجمع الزوائد (٧/٢٣٢).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٧٤) [دار صادر، ط ١]، وابن أبي شبة في المصنف (كتاب المغازي، رقم ٣٧٠٨٥)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٥٥٤) وصححه.

(٥) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١١٠)، ومسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٦).

(٦) رسائل وفتاوى الشيخ عبد الله أبا بطين (١٧٥)، والدرر السنية (١/٣٦٠)، وانظر: (١٠/٣٦٤) منه.

أظهر الإسلام وأبطن الكفر»^(٥).

وافتروا: بأنه لم يحسن صحبة زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأنه كسّر أضلاعها^(٦)، وضربها حتى ماتت ﷺ^(٧). كما يعتقد الرافضة: أن في قعر جهنم جُبًّا تتأذى النار من حره، إذا فُتح استعرت جهنم، هو منزل الخلفاء الثلاثة^(٨).

وأن من لم يبرأ من أبي بكر وعمر وعثمان فهو عدو وإن أحبّ علياً^(٩)، وأجمعوا على وجوب لعنهم دبر كل صلاة^(١٠)... وأن من تبرأ منهم في ليلة فمات في ليلته دخل الجنة^(١١).

ونحو ذلك من الافتراءات والطعنات المنكرة، ويكفي في إبطالها من أصلها ما قد تقدم تقريره من فضيلة عثمان بن عفان ﷺ وعلو منزلته ومكانته العظيمة.

المصادر والمراجع:

١ - «الاستيعاب»، لابن عبد البر.

٢ - «أسد الغابة»، لابن الأثير.

(٥) الأنوار النعمانية (١/ ٨١).

(٦) ينظر: سيرة الأئمة الاثني عشر لهاشم الحسيني (١/ ٦٧).

(٧) كما في الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم للبياضي (٣/ ٣٤).

(٨) الفصول المهمة للعاملي (٩١ - ٩٢).

(٩) وسائل الشيعة (٥/ ٣٨٩).

(١٠) ينظر: فروع الكافي (١/ ٩٥)، وتهذيب الأحكام (١/ ٢٢٧)، ووسائل الشيعة (٤/ ١٣٧)، ومستدرک

الوسائل (١/ ٣٤٢).

(١١) الأصول من الكافي (٢/ ٣٨٩).

تميم - حين قسّم النبي ﷺ ذهبية جاءت قسمها بين الناس، فقال له هذا الرجل: يا محمد اعدل!^(١) فكان هذا أول خروج خُرج به على الشريعة الإسلامية، ثم عظمت فنتتهم في أواخر خلافة عثمان وفي الفتنة بين عليّ ومعاوية، فكفروا المسلمون واستحلوا دماءهم^(٢).

موقف المخالفين منه:

سبق بيان موقف الخوارج منه؛ حيث حاصروه، وقتلوه شهيداً ﷺ، وهنا أبين موقف الرافضة منه؛ فقد أعلن الرافضة - وهم من أشهر الطاعنين في عثمان ﷺ - التكفير والتفسيق واللعن، وغير ذلك للخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، ومما يعتقدونه فيه ﷺ:

أنه لم يكن لعثمان اسم على أفواه الناس إلا الكافر^(٣). وقالوا: إن عثمان حذف من القرآن ثلاثة أشياء: مناقب أمير المؤمنين علي ﷺ، وأهل البيت ﷺ، وذم قريش والخلفاء الثلاثة، مثل آية: (يا ليتني لم أتخذ أباً بكر خليلاً)^(٤).

وقالوا: «كان في زمن النبي ﷺ ممن

(١) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣١٣٨)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٦٣).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٨/ ٢١)، وينظر: شرح العقيدة الواسطية للشيخ ﷺ (١/ ٢٩).

(٣) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم للبياضي (٣/ ٣٠).

(٤) تذكرة الأئمة لمحمد باقر المجلسي (٩).

الحيوان، فالأول: العُجْب وهو أن يتكبر الإنسان في نفسه، تقول: هو معجب بنفسه. وتقول من باب العَجَب: عَجِب يَعَجِب عَجَبًا، وأمر عجيب، وذلك إذا اسْتُكْبِر واستُعْظِم. والأصل الآخر العَجْب وهو من كل دابة ما ضمت عليه الوركاب من أصل الذنب المغروز في مؤخر العجز^(١).

و«العجيب: الأمر يتعجب منه، وكذلك العجاب بالضم، والعجاب بالتشديد أكثر منه. وكذلك الأعجوبة»^(٢).

و«أصل العجب في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكره وَيَقْلُ مثله قال: قد عَجِبْتُ من كذا. وعلى هذا معنى قراءة من قرأ: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾. وهو شيءٌ معجِبٌ؛ إذا كان حسنًا جدًّا»^(٣). وتعجبت منه واستعجبت منه: كعجبت منه^(٤).

التعريف شرعًا:

صفة لله تعالى على ما تدل عليه لغة العرب، تقوم به سبحانه حسب مشيئته، عند وجود مقتضاها^(٥).

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٢٤٣ - ٢٤٤) [دار الجيل، ط ٢]،

وانظر: القاموس المحيط (١٤٤) [مؤسسة الرسالة].

(٢) الصحاح (٦٧٢) [دار المعرفة، ط ١، ١٣٢٦هـ].

(٣) تهذيب اللغة (١/ ٢٤٧) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

(٤) القاموس المحيط (١٤٤).

(٥) أفاد به المحكم.

٣ - «الإصابة»، لابن حجر.

٤ - «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة»، لمحمد أمحزون.

٥ - «التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان»، لمحمد يحيى الأندلسي.

٦ - «الدرر السننية في الأجوبة النجدية».

٧ - «رسائل وفتاوى العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين».

٨ - «الرياض النضرة»، للمحب الطبري.

٩ - «السنة»، للخلال.

١٠ - «عثمان بن عفان»، لصادق عرجون.

١١ - «العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط»، لسليمان السحيمي.

١٢ - «فتنة مقتل عثمان بن عفان (رضي الله عنه)»، للغبان.

١٣ - «فضائل الصحابة»، لأحمد بن حنبل.

١٤ - «كشف الأستار»، للبرار.

١٥ - «وفاء الوفاء»، للسهمودي.

العجب (صفة لله تعالى)

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «العين والجيم والباء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على كبر واستكبار للشيء، والآخر خِلْقَة من خَلَق

الحكم:

على اتصاف الله بصفة العجب، فمن ذلك القراءة المشهورة بضم التاء: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: (٣)].

وأما من السُّنَّة؛ فقد جاءت أحاديث عديدة في إثبات صفة العجب لله تعالى؛ منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل»^(٤).

وفي حديث آخر عنه أيضًا عن النبي ﷺ قال في: «قد عجب الله من صنعكما بضيفكما الليلة»^(٥).

أقوال أهل العلم:

جاء عن أهل العلم في توضيح اتصاف الله بصفة العجب كما يليق بجلاله وعظمته ما يكفي ويشفي، وفيما يلي أذكر طائفة من أقوالهم:

روى ابن جرير بسنده عن قتادة أنه قال في تفسير قول الله سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥]: «عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت»^(٦).

يجب الإيمان باتصاف الله بصفة العجب لدلالة الكتاب والسُّنَّة على ثبوتها لله حسب مشيئته وإرادته، كما يليق بجلاله وعظمته سبحانه^(١).

الحقيقة:

العجب هو استعظام للمتعجب منه، وهو قد يكون مقرونًا بجهل بسبب التعجب، وقد يكون بسبب خروج الشيء عن نظائره، والأول لا يليق بالله سبحانه؛ لأن الله علام الغيوب، فهو سبحانه يتعجب بسبب خروج الشيء عن نظائره تعظيمًا له، والله تعالى يعظم ما هو عظيم، إما لعظمة سببه أو لعظمته، فإنه قد وصف بعض الخير بأنه عظيم كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنِييَةً﴾ [النساء: ٦٦] وَإِذَا لَا تَنِييَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٦٧].

[النساء:] ووصف بعض الشر بأنه عظيم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: (٢)].

الأدلة:

دلت النصوص من الكتاب والسُّنَّة

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢٣/٦).

(٢) انظر: الرسالة الأكملية لابن تيمية (٥٧) [مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، القاهرة، مصر، ط ١٤٠٣هـ].

(٣) تفسير الطبري (٤٣/٢٣) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠١٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٨٨٩)، ومسلم (كتاب الأشربة، رقم ٢٠٥٤) واللفظ له.

(٦) تفسير الطبري (١٠٤/١٣).

[النور]، وقال: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان]، ولهذا قال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصفات] على قراءة الضم، فهذا هو عجب من كفرهم مع وضوح الأدلة^(٢).

✽ مذهب المخالفين:

ذهب المتكلمون بصفة عامة إلى نفي صفة العجب عن الله، وتأويلها بالرضا ومضاعفة الثواب والقبول عند الله، أو بتخيل العجب وفرضه.

قال الحافظ البيهقي: «قال أبو سليمان: قوله: «عجب الله» إطلاق العجب لا يجوز على الله سبحانه، ولا يليق بصفاته، وإنما معناه الرضا، وحقيقته أن ذلك الصنيع منهما حل من الرضا عند الله، والقبول له، ومضاعفة الثواب عليه، محل العجب عندكم في الشيء التافه إذا رفع فوق قدره، وأعطى به الأضعاف من قيمته»^(٣).

✽ الرد عليهم:

هذه التأويلات مصادمة للنصوص المتقدمة في إثبات صفة العجب لله

(٢) مجموع الفتاوى (١٢٣/٦) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢].

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (٤٠٣/٢) [مكتبة السوادي، ط ١]، وانظر: الإبانة عن شريعة الفرق الناجية لابن بطة (١٣١/٣)، والكشاف للزمخشري (٢٠٣/٥ - ٢٠٤) [مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٨هـ]، ومفاتيح الغيب للرازي (١١١/٢٦) [دار الكتب العلمية، ط ١].

ويؤيد أبو بكر بن أبي عاصم في كتابه (السنة)، فقال: «باب في تعجب ربنا من بعض ما يصنع عباده مما يتقرب به إليه»^(١)، ثم أورد جملة من الأحاديث الدالة على ذلك.

وقال ابن تيمية: «وأما قوله: «التعجب استعظام للمتعجب منه» فيقال: نعم. وقد يكون مقروناً بجهل بسبب التعجب، وقد يكون لما خرج عن نظائره، والله تعالى بكل شيء عليم، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تعجب منه؛ بل يتعجب لخروجه عن نظائره تعظيماً له. والله تعالى يعظم ما هو عظيم؛ إما لعظمة سببه أو لعظمته، فإنه وصف بعض الخير بأنه عظيم، ووصف بعض الشر بأنه عظيم، فقال تعالى: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل] وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَنْبِيئًا﴾ [النساء] وقال: ﴿وَلَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾

(١) السنة لابن أبي عاصم (٢٤٩/١) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٠هـ].

تعالى، ومخالفة أيضًا لما اتفق عليه سلف الأمة من قبول هذه النصوص، وحملها على ظاهرها اللائق بالله، والإيمان بها وإثباتها لله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل^(١)، على وفق قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

ولذا قد رد غير واحد من العلماء على هذه التأويلات الباطلة^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (ج ٣)، لابن بطة.
- ٢ - «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» (ج ١)، للقاضي أبي يعلى.
- ٣ - «الاقتصاد في الاعتقاد»، لعبد الغني المقدسي.
- ٤ - «تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي»، لعبد الرزاق البدر.
- ٥ - «جهود الشيخ محمد الأمين

(١) انظر: العقيدة الأصفهانية (٢٤/١ - ٢٥) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٢) انظر: نقض الدارني على المريسي (٥٥٦) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ]، وإبطال التأويلات لأخبار الصفات (٢٤٥/١) [دار إيلاف]، والحجة في بيان المحجة لقوام السنة (٣٩٨/١) [دار الراية، ط ٢، ١٤١٩هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٤٧٤) [طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ١٤١٨هـ].

الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف»، لعبد العزيز الطويان.

٦ - «السنة» (ج ١)، لابن أبي عاصم.

٧ - كتاب «التوحيد» (ج ٣)، لابن منده.

٨ - «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (ج ٢)، لعبد الرحمن بن صالح المحمود.

٩ - «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افتري على الله في التوحيد»، للدارمي.

عدالة الصحابة

يراجع مصطلح (الصحابة).

العدل

التعريف لغة:

العَدْل نقيض الجور، ويطلق العَدْل والعَدْل على المثل وعلى الاستقامة.

قال ابن فارس: «العين والذال واللام أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادين، أحدهما: يدل على استواء، والآخر: يدل على اعوجاج، فالأول: العدل من الناس المرضي، المستوي الطريقة، يقال: هذا عدْل، وهما عدل.

قال زهير:

متى يشتجر قوم يَقلُّ سرواتهم

هم بيننا فهم رَضًا وهم عدل

وتقول: هما عدلان أيضًا، وهم

وقضائه وقدره، وأمره ونهيه، وثوابه وعقابه، فخبّره كله صدق، وقضاؤه كله عدل، وأمره كله مصلحة، والذي نهى عنه كله مفسدة، وثوابه لمن يستحق الثواب بفضلِهِ ورحمته، وعقابه لمن يستحق العقاب بعدله وحكمته^(٢).

✽ الحكم:

يجب الإيمان بأن الله متصف بصفة العدل ومنزه عن الظلم والجور كما دلّت على ذلك السُّنة النبوية.

✽ الأدلة:

جاء في السُّنة الصحيحة ما يدل على اتصاف الله سبحانه بصفة العدل، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لما كان يوم حنين أثر النبي ﷺ أناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشرف العرب فأثرهم يومئذ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن النبي ﷺ فأتيته فأخبرته، فقال: فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ﷺ؟ رحم الله موسى، قد أودى بأكثر من هذا فصبر»^(٣).

(٢) انظر: الفوائد لابن القيم (٢٣) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣١٥٠)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٦٢).

عدول، وإن فلاناً لعدل بين العدل والعدوّة، والعدل: الحكم بالاستواء، ويقال للشيء يساوي الشيء: هو عدله، وعدلت بفلان فلاناً وهو يعادله، والمشرِك يعدل بربه تعالى عن قولهم علواً كبيراً؛ كأنه يسوّي به غيره، ومن الباب: العدلان: حملاً الدابة، سمياً بذلك لتساويهما، والعدل الذي يعادلُك في المحمّل، والعدل قيمة الشيء وفداؤه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]؛ أي: فدية، وكل ذلك من المعادلة وهي المساواة، والعدل: نقيض الجور، تقول: عدل في رعيته، ويوم معتدل إذا تساوى حالاً حره وبرده، وكذلك في الشيء المأكول، ويقال: عدلته حتى اعتدل؛ أي: أقمته حتى استقام واستوى.

فأما الأصل الآخر فيقال في الاعوجاج: عدل وانعدل؛ أي: انعرج^(١).

✽ التعريف شرعاً:

الإيمان باتصاف الله بالعدل الكامل في جميع شؤونهِ كما يليق بجلاله وعظمته، فبعده يتصرف على خلقه؛ لأنه على صراط مستقيم في قوله وفعله

(١) مقاييس اللغة (٤/٢٤٦ - ٢٤٧) [دار الجيل، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وانظر: تهذيب اللغة (٢/١٢٣) [دار

إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

❁ أقوال أهل العلم:

جاء عن أهل العلم ما يوضح اتصاف الله بالعدل، فمن ذلك قول الخطابي رحمته الله: «العدل: هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، وأصله المصدر من قولك: عدل يعدل عدلاً، فهو عادل، أقيم مقام المصدر، وحقيقته: ذو العدل كقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢] ويقال: عدلت الشيء أعدله عدلاً؛ إذا قومته، ومنه الاعتدال في الأمور وهو الاستقامة فيها»^(١).

وقال ابن القيم رحمته الله:

«وَالْعَدْلُ مِنْ أَوْصَافِهِ فِي فِعْلِهِ وَمَقَالِهِ وَالْحُكْمُ فِي الْمِيزَانِ فَعَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ إِلَهَنَا قَوْلًا وَفِعْلًا ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ»^(٢).

وقال السعدي رحمته الله: «الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله وقسطه. فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يحمل أحداً وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلى أهلها، فلا يدع صاحب حق إلا أوصل إليه حقه، وهو العدل في تدبيره وتقديره»^(٣).

❁ المسائل المتعلقة:

يتعلق بهذه الصفة اسم (العدل) وهو لم يرد بصيغة الاسم؛ وإنما ورد مقيداً في مثل قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]^(٤).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٢ - «الفوائد»، لابن القيم.
- ٣ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد التميمي.
- ٤ - «الجامع لأسماء الله الحسنى».
- ٥ - «صفات الله وتعالى الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.

❁ العدوى

❁ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «العين والبدال والحرف المعتل أصل واحد صحيح يرجع إليه الفروع كلها، وهو يدل على تجاوز في الشيء وتقدم لما ينبغي أن يقتصر عليه»^(٥).

العدوى: اسم من أعدى يعدي فهو

(٤) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (١٧١) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ]، وصفات الله وتعالى للسقاف (٢٤٧) [الدرر السنية، ودار الهجرة، ط٣، ١٤٢٦هـ].
(٥) مقاييس اللغة (٢٤٩/٤) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

(١) شأن الدعاء للخطابي (٦٢) [دار الثقافة العربية، ط٣، ١٤١٢هـ].

(٢) الكافية الشافية (٧٢٧/٣ - ٧٢٨) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٣) تفسير السعدي (٩٤٨).

الذي يعدي ويؤثر في نفسه، ونفى أن يكون ذلك بقضاء الله وقدرته؛ فهذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة، ومن اعتقد أن المرض سبب، والتفت إلى هذه الأسباب وغلا فيها فهو من الشرك الأصغر^(٥).

قال ابن رجب رحمته الله في كلامه على حديث: «لا عدوى»^(٦): «وهذا مما يدل على أن المراد نفي تأثير هذه الأسباب بنفسها، من غير اعتقاد أنها بتقدير الله وقضائه، فمن أضاف شيئاً من النعم إلى غير الله، مع اعتقاد أنه ليس من الله، فهو مشرك حقيقة، ومع اعتقاد أنه من الله، فهو نوع شرك خفي»^(٧).

❁ الحقيقة:

حقيقة العدوى: الفساد، وما يعدي من جرب أو غيره، وهي: انتقال المرض من المعلول السقيم إلى الصحيح، وذلك بالمخالطة، ونحوها؛ كالإبل الصحيحة يكون فيها بعر أجرب، فيجربها ويعديها، وهذا من جملة الأسباب التي خلقها الله تعالى، فالله خلق الأسباب ومسبباتها، فالعدوى التي أبطلها الإسلام هي التي كان يعتقدها

معدٍ. ومعنى أعدي؛ أي: أجاز الجرب الذي به إلى غيره. أو أجاز جرباً غيره إليه. وأصل هذا من: عدا يعدو؛ إذا جاوز الحد، يقال: أعداه الداء يعديه إعداءً، وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء، وذلك أن يكون ببعير جرب مثلاً فتتقي مخالطته بابل أخرى حذاراً أن يتعدى به من الجرب إليها فيصيبها ما أصابه^(١).

❁ التعريف شرعاً:

العدوى: هي أن يصاب الرجل بمثل ما بصاحب الداء^(٢)، أو هي: تجاوز أو تعدي العلة أو المرض من صاحبها إلى غيره، أو ما يقاربه من الأصحاء^(٣)، أو هي بعبارة أخرى: انتقال المرض من المريض إلى الصحيح، سواء كان من إنسان إلى إنسان، أو من بهيمة إلى بهيمة، أو من مكان إلى مكان^(٤).

❁ الحكم:

من اعتقد أن المرض بطبعه وقوته هو

(١) انظر: الصحاح (٢٤٢١/٦) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ]، وترتيب القاموس المحيط (١٧٤/٣) - (١٧٥) [دار عالم الكتب، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (١٩٢/٣) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (٢٣٨) [عالم الكتب، ط ١، ١٤١٠هـ]، ولطائف المعارف (١٣٧) [دار ابن كثير، ط ٥، ١٤٢٠هـ].

(٤) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٥٦٣/١) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٣هـ]، وإعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للفوزان (٨/٢) [مؤسسة الرسالة].

(٥) انظر: مفتاح دار السعادة (٣/٣٤٢، ٣٧٦ - ٣٧٧) [دار ابن عفا، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧١٧)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٠).

(٧) لطائف المعارف (١٤٢).

أهل الجاهلية، ولم يبطل وجودها، أو ينفي تأثيرها، لكن صحح المفهوم الباطل فيها؛ وهو أنها تؤثر بنفسها، دون اعتبار أن ذلك بقضاء الله وقدره^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال البغوي رحمته الله: «العدوى: أن يكون ببعير جرب، أو بإنسان برص، أو جذام فتتقي مخالطته؛ حذرًا أن يعدو ما به إليك، ويصيبك ما أصابه. فقوله: «لا عدوى»: يريد أن شيئًا لا يعدي شيئًا بطبعه، إنما هو بتقدير الله وَعَلَى وسابق قضائه»^(٢).

وقال ابن القيم رحمته الله تحت قوله وَعَلَى: «لا عدوى»: «هذا يحتمل أن يكون نفيًا أو يكون نهياً؛ أي: لا تطيروا، ولكن قوله في الحديث: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة» يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها، والنفي أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه»^(٣).

وقال ابن رجب رحمته الله: «اختلفوا في معنى قوله «ولا عدوى» وأظهر ما قيل

❁ الأدلة:

عن أنس رضي الله عنه؛ أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل: الكلمة الحسنة، الكلمة الطيبة»^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا عدوى ولا صفر ولا هامة»، فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال إبلي، تكون في الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها؟ فقال: «فمن أعدى الأول؟»^(٥).

وعنه رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد»^(٦).

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لا يعدي شيء شيئًا»، فقال أعرابي: يا رسول الله، البعير أجرب الحشفة ندبته فيجرب الإبل

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب القدر، رقم ٢١٤٣)، وأحمد (٢٥٢/٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه ابن حجر في نزاهة النظر (٧٧) [مطبعة الصباح، ط ٣]، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٣/٣) [مكتبة المعارف، ط ١٥١هـ].

(٦) شرح السنة (١٢/١٦٩) [المكتب الإسلامي، ط ٢].

(٧) مفتاح دار السعادة (٣/٢٨٠) [دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٦هـ].

(١) حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (٢١٤) [ط ٥، ١٤٢٤هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٥٦)، ومسلم (كتاب الطب، رقم ٢٢٢٤) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧١٧)، ومسلم (كتاب الطب، رقم ٢٢٢٠).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٠٧)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٠).

على وجود العدوى وأمر بالتحرز من وقوعها ومباعدة أسباب حصولها.

وقد سلك أهل العلم مسالك عدة في دفع هذا التعارض^(٤):

فمنهم من ذهب إلى القول بالنسخ؛ أي: نسخ الأحاديث المثبتة للعدوى بحديث: «لا عدوى»، ومنهم من عكس.

ومنهم من ذهب إلى الترجيح، فرجح طائفة الأحاديث النافية للعدوى، ورد الأحاديث المثبتة لها، ورجح طائفة أخرى الأحاديث المثبتة للعدوى ورد حديث: «لا عدوى».

ومنهم من ذهب إلى الجمع بين هذه الأحاديث والتوفيق بينها، وهو ما ذهب إليه جمع كبير من أهل العلم كالطبري، والطحاوي، وابن قتيبة، وابن خزيمة، والخطابي، والبيهقي، وابن الصلاح، والنووي، وابن رجب، وابن القيم، وابن مفلح، وغيرهم، ولكن لم يتفق هؤلاء على مسلك واحد في الجمع بين تلك الأحاديث بل تنوعت مسالكهم، وأصح هذه المسالك هو حمل قوله ﷺ:

في ذلك: إنه نفي لما كان يعتقد أهل الجاهلية من أن هذه الأمراض تعدي بطبعها من غير اعتقاد تقدير الله لذلك، ويدل على هذا قوله ﷺ: «فمن أعدى الأول» يشير أن الأول إنما جرب بقضاء الله وقدره، فكذلك الثاني وما بعده^(١).

المسائل المتعلقة:

- العدوى بين الإثبات والنفي:

وردت أحاديث عدة يوهم ظاهرها التعارض في شأن العدوى، فهناك أحاديث تفيد نفي وجود العدوى - كما فهمه طائفة من أهل العلم - كقوله ﷺ: «المتقدم أنفًا: لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة»، ونحوها من الأحاديث التي بمعناها.

وهناك أحاديث يفهم منها إثبات وجود العدوى، فمنها ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يورذن ممرض على مصح»^(٢).

ومنها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «وفرَّ من المجذوم فرارك من الأسد»^(٣).

فنهيه ﷺ عن إيراد الممرض على المصح، وأمره بالفرار من المجذوم دال

(١) لطائف المعارف (١٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٧١)، ومسلم (كتاب الطب، رقم ٢٢٢١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٠٧).

(٤) انظر: أعلام الحديث (٢١٣٩/٤) [جامعة أم القرى، مكة، ط١، ١٤٠٩هـ]، ومعالم السنن (٢٣٤/٤) [المطبعة العلمية، حلب، ط١]، وشرح السنة (١٢/١٦٩)، ومفتاح دار السعادة (٣/٣٦٢)، وتيسير العزيز الحميد (٧٥٢/٢) [دار الصميعي، ط١]، والقول المفيد (١/٥٦٥) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٣هـ]، وأحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين (١/٧٦).

فيقولون: إن العدوى لا تكون بسبب المرض؛ بل عنده، وهذا مبني على أصل مذهبهم في نفي تأثير قدرة العباد، ونفي القوى والطبائع التي خلقها الله تعالى في المخلوقات، ومذهبهم باطل بالكتاب والسنة، ومما يبطل مذهبهم في مسألتنا هذه قول رسول الله ﷺ: «لا يوردن ممرض على مصح»^(٣)، وأمثال ذلك؛ لأن فيه إثبات تأثير الأسباب في مسبباتها، ولا يكون ذلك إلا بقضاء الله وقدرته.

فالمذهب الحق في هذه المسألة هو مذهب التوسط الذي ذهب إليه أهل السنة والجماعة، من إثبات العدوى، وأنها من جملة الأسباب التي خلقها الله تعالى، والله تعالى قدر الأسباب ومسبباتها، وقد يوجد السبب ويتخلف المسبب، وذلك كله بمحض قدرته ﷻ.

قال ابن القيم رحمه الله: «فإن تعطيل الأسباب وإخراجها عن أن تكون أسباباً: تعطيل للشرع، ومصالح الدنيا، والاعتماد عليها والركون إليها، واعتقاد أن المسببات بها وحدها، وأنها أسباب تامة: شرك بالخالق ﷻ، وجهل به، وخروج عن حقيقة التوحيد، وإثبات مسبباتها على الوجه الذي خلقها الله عليه، وجعلها له: إثبات للخلق والأمر،

«لا عدوى» على نفي ما كان يعتقد أهله الجاهلية من الركون إلى السبب، والتعلق به دون الله ﷻ، والواجب أن لا يتجاوز به منزلته السببية، وأما النصوص المثبتة للعدوى فتحمل على أن العدوى من الأشياء التي جعلها الله سبباً لانتقال المرض من السقيم إلى الصحيح، وقد تتخلف لموانع، أو أمور تقتضي ذلك^(١).

ومن الأدلة على إثبات وجود العدوى وانتقالها من المريض إلى السليم بإذن الله وتقديره، ما أثبتته علم الطب الحديث أن من الأمراض المعينة ما ينتقل بواسطة الميكروبات ويحملها الهواء أو البصاق أو غير ذلك على اختلاف أنواعها، وأن تأثيرها على الصحيح إنما يكون تبعاً لقوته وضعفه بالنسبة لكل نوع من الأنواع، وأن كثيراً من الناس لديهم وقاية خلقية تمنع قبولهم لبعض الأمراض المعدية، ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأحوال، فاختلاط الصحيح بالمريض سبب لنقل المرض، وقد يتخلف هذا السبب تبعاً لتقدير الله تعالى^(٢).

✽ مذهب المخالفين:

١ - الأشاعرة الذين ينفون الأسباب،

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٣/٣٧٦)، ولطائف المعارف (١٣٨)، وتيسير العزيز الحميد (٢/٧٥٤)، والقول المفيد (١/٥٦٥ - ٥٦٦).

(٢) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث (١٧١).

(٣) تقدم تخريجه.

عذاب القبر ونعيمه

التعريف لغة:

العذاب: النكال، والعقوبة، يقال عَذَّبْتُهُ تَعَذِّبًا وَعَذَابًا^(٢)، وهو «اسم لما استمر ألمه»^(٣)، وأصله الضرب^(٤)، ومنه قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنْتَهُوا لِرَجْمِكُمْ وَلَيَسَنَّكُمْ مَتًا عَذَابُ أَلِيمٍ﴾^(٥) [يس: أي: ضربًا مؤلماً^(٥)].

والنعيم: العيش اللذيذ^(٦)، والنَّعِيمُ والنُّعْمَى والنَّعْمَاءُ والنَّعْمَةُ: كله الخَفْضُ والدَّعَةُ والمَالُ، وهو ضد البَأْسَاءِ والبُؤْسَى^(٧)، «والتَّعَمُّ: التَّرَفُّةُ وَيُنْعِمُهُمْ: كَيُّكِرْمُهُمْ»^(٨).

التعريف شرعاً:

عذاب القبر: ما ينال بعض المكلفين من سوء وألم متفاوت بعد الموت، ونعيمه: ما ينال المسلمين من سرور

(٢) انظر: القاموس المحيط (١/١٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ]، وتاج العروس (٣/٣٢٩) [دار الهداية]، ولسان العرب (١/٥٨٣) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ].

(٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (٤٧٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ].

(٤) انظر: مقاييس اللغة (٤/٢١١) [دار الفكر].

(٥) انظر: نزهة الأعين النواظر (٤٧٩).

(٦) تفسير السمعاني (٢/٢٩٧) [دار الوطن، ١٤١٨هـ].

(٧) انظر: العين (٢/١٦١)، ولسان العرب (١٢/٥٧٩)، والقاموس المحيط (١٥٠٠)، وتاج العروس (٣٣/٤٩٩).

(٨) القاموس المحيط (١٥٠٠).

وللشرع والقدر، للسبب والمشية، للتوحيد والحكمة، فالشارع يثبت هذا ولا ينفيه، وينفي ما عليه المشركون من اعتقادهم في ذلك^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «تأويل مختلف الحديث» (ج١)، لابن قتيبة.
- ٢ - «التمهيد» (ج٢٤)، لابن عبد البر.
- ٣ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج٢)، للحليمي.
- ٤ - «الآداب الشرعية» (ج٣)، لابن مفلح.
- ٥ - «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد»، لل فوزان.
- ٦ - «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.
- ٧ - «أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين»، لسليمان الديبخي.
- ٨ - «الدين الخالص» (ج٢)، لصديق حسن خان.
- ٩ - «الشرك ومظاهره»، لمبارك الملي.
- ١٠ - «قواعد ومسائل في توحيد الإلهية»، لعبد العزيز الريس.

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٣/٣٧٦ - ٣٧٧).

وفرح متفاوت بعد الموت^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي مأخوذ من اللغوي لكنه عذاب ونعيم مخصوص جاءت به نصوص الكتاب والسنة.

سبب التسمية:

أضيف إلى القبر من باب التغليب؛ لأن الغالب في الموتى أنهم يدفنون في القبور، لا على أنه خاص بمن يدفن^(٢)، فكل من مات ناله نصيبه من العذاب أو النعيم، قُبر أو لم يُقبر، فلو أكلته السباع، أو أحرق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صلب، أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب أو النعيم ما يصل إلى أهل القبور^(٣).

الأسماء الأخرى:

يسمى عذاب البرزخ ونعيمه، قال ابن القيم: «ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه»^(٤).

الحكم:

الاعتقاد الجازم بحصول العذاب أو النعيم للناس بعد الموت، والتصديق بجميع الأخبار الواردة بشأنه، وإثبات ما

دلّت عليه من عذاب الأموات ونعيمهم على ظاهره، وإن لم يدرك العقل أو الحس كنهه وحقيقته.

الحقيقة:

جاءت نصوص الكتاب والسنة مبينة لأخبار ما يكون في الحياة البرزخية من أهوال ونعيم، فمن الناس من ينعم في قبره، ومنهم من يعذب، وذلك الجزاء حاصل للروح والجسد.

المنزلة:

أحد مفردات الآخرة؛ لأن من مات فقد قامت قيامته، وانتقل من دار العمل إلى دار الجزاء في أول منازل الآخرة، وهو القبر، وفيه يجازى بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

الأدلة:

قال تعالى في شأن المعدّبين في قبورهم: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٥) [غافر]، قال ابن كثير: «وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور»^(٥).

وقال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾^(٦) [التوبة]، فالعذاب الثاني هو عذاب القبر،

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٤٥١).

(٢) انظر: مجلة المنار (٢٦٨/٣٢).

(٣) انظر: المرجع السابق (٢٦٨/٣٢).

(٤) الروح (١٢٨) [دار الكتاب العربي، ط ٤، ١٤١٠هـ].

(٥) تفسير ابن كثير (٨١/٤) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٧٠) [آل عمران].

قال القرطبي: «أخبر الله تعالى فيها عن الشهداء أنهم أحياء في الجنة يرزقون، ولا محالة أنهم ماتوا وأن أجسادهم في التراب، وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين، وفضلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم» (٥).

وقال ﷺ: «لما أُصيب إخوانكم بأحد جعل الله ﷻ أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم؛ قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا؛ لئلا يزهّدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله ﷻ: أنا أبلغهم عنكم» فأنزل الله ﷻ هؤلاء الآيات على رسوله ﷺ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) [آل عمران]. (٦)

حكاه ابن كثير عن جمع من الصحابة والتابعين (١).

وفي الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ يوم الخندق فقال: «ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس» (٢).

وفي التعوذ من عذاب القبر قال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ» (٣).

فالنصوص السابقة تدل على عذاب القبر.

وأما نعيم القبر فقد قال تعالى في شأن المؤمنين المنعمين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) [فصلت]، والبشرى تكون في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث (٤).

(١) انظر: المرجع السابق (٢/٣٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٩٦)،

ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٦٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣٢)، ومسلم

(كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٨٩).

(٤) انظر: معالم التنزيل (١٧٣/٧) [دار طيبة،

١٤٠٩هـ]، والجامع لأحكام القرآن (١٥/٣٥٩)

[دار إحياء التراث العربي].

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٤/٢٦٩).

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٥٢٠)، =

السُّنة والجماعة إثبات عذاب القبر، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسُّنة^(٤).

وقال ابن تيمية: «مذهب سائر المسلمين بل وسائر الملل إثبات الثواب والعقاب في البرزخ»^(٥).

وقال ابن القيم: «ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة»^(٦).

❁ الأقسام:

عذاب القبر نوعان: مستمر ومنقطع. دلت نصوص الوحي على أن عذاب القبر ليس على صورة واحدة؛ بل هو متنوع بحسب حال الشخص، فقد يكون مستمراً وقد يكون منقطعاً.

فالعذاب المستمر: هو العذاب الدائم الذي لا ينقطع عن مستحقه حتى تقوم الساعة، وهو للكفار خاصة وللبعض عصاة الموحدين على ذنوب معينة.

قال ﷺ في صاحب الكبر والخيلاء: «بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خُسف به، فهو يتجلجل^(٧) في الأرض إلى يوم

(٤) شرح صحيح مسلم النووي (١٧/٢٠٠) [دار الكتب العلمية].

(٥) مجموع الفتاوى (٤/٢٦٢) [دار عالم الكتب، ط ١٤١٢هـ].

(٦) الروح (١٢٨)، وانظر منه: (٩٦).

(٧) يتجلجل: يغوص في الأرض حين يخسف به، =

ولما توفي أبو سلمة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه»^(١).

وقد بلغت النصوص الحديثية الدالة على عذاب القبر ونعيمه مبلغ التواتر، كما نص على ذلك جمع من أهل العلم، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وابن أبي العز الحنفي، وابن رجب الحنبلي، والسيوطي، والكتاني، والسفاريني، والزيدي، والشوكاني، والمناوي، وناصر الدين الألباني، وغيرهم^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو بكر الإسماعيلي حكاية لمعتقد أئمة الحديث في عذاب القبر: «يقولون: إن عذاب القبر حق، يعذب الله من استحقه إن شاء، وإن شاء عفا عنه»^(٣).

وقال النووي: «اعلم أن مذهب أهل

= وأحمد (٤/٢١٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، والحاكم (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٤٤) وصححه، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ٢٢٧٥) [مؤسسة غراس، ط ١].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٢٠).

(٢) رسائل الآخرة (١/٢٥٦).

(٣) اعتقاد أئمة الحديث (٦٩) [دار العاصمة، ط ١،

١٤١٢هـ].

الآخر، وأنه ليس خاصًا بالكافرين؛ بل قد ينال بعض الموحدين المفرطين.

وأما العذاب المنقطع: فهو الذي لا يستمر بصاحبه؛ بل ينقطع قبل يوم القيامة، فهو مؤقت يزول بزوال سببه، أو باستيفاء عقوبته.

ومثال الأول: تعذيب الميت المسلم بكاء الحي؛ لقوله ﷺ: «إن الميت لَيُعَذَّبُ ببكاء أهله عليه»^(٥).

أي: البكاء المحرم، وهو ما كان بصوت وندب ونياحة، لا مجرد دمع العين، فهذا لا محذور فيه ولا يتعلق به وعيد؛ بدليل بكاء النبي ﷺ على ابنه إبراهيم عليه السلام.

ومثال الثاني: صاحب الصفة الذي مات وقد ترك دينارًا أو دينارين، فكوي بكل دينار كية، قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن رجلاً من أهل الصفة مات فوجدوا في برده دينارين، فقال رسول الله ﷺ: «كَيْتَان»^(٦).

وهذا النوع من العذاب المنقطع

القيامة»^(١)، وفي رواية: «بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته وبرداه إذ خُسِفَ به الأرض، فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة»^(٢).

وقال ﷺ في صاحب الكذبة تبلغ الآفاق وأطراف الأرض: «أما الذي رأيته يُشَقُّ شِدْقُهُ؛ فكذابٌ يحدث بالكذبة، فتَحْمَلُ عنه حتى تبلغ الآفاق، فيُصْنَعُ به إلى يوم القيامة»^(٣)، فالشاهد منه قوله ﷺ: «يُصْنَعُ به إلى يوم القيامة».

وفي العذاب والنعيم المتصلان قال ﷺ: في المقعد يُعْرَضُ على صاحبه: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»^(٤).

فتبين أن من عذاب القبر ما يكون متصلاً دائماً لا ينقطع إلى يوم البعث

= والجلجلة حركة مع صوت.

انظر: النهاية في غريب الحديث (١/٢٨٤) [دار الفكر].

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٨٥) من حديث ابن عمر، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢٠٨٨) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٧٨٩)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢٠٨٨) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٨٦).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٧٩)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٦).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٨٦)، ومسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٢٧).

(٦) أخرجه أحمد (١٠١/٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وأبو يعلى (٤١٥/٨) [دار المأمون، ط١]، وابن حبان (كتاب الزكاة، رقم ٣٢٦٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٠/١٠) [مكتبة القدسي]: «رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري، وفيه عاصم بن بهدلة، وقد وثقه غير واحد، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/٢٨٦).

وهم ظالمو أنفسهم: «يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، وينال أجسادهم في قبورهم من حرّها وسمومها»^(٣).

وقال السيوطي: «ومحله الروح والبدن باتفاق أهل السُّنة»^(٤).

وقال الألوسي: «العذاب والنعيم للروح والبدن مسلم عند الجمهور»^(٥).

- المسألة الثالثة: فتنة القبر:

فتنة القبر: امتحان الميت واختباره بعد عود الروح إلى جسده وإقاعده؛ فيسأله الملكان عن ربه ودينه ونبيه، فإن كان صالحاً وفق للإجابة، ثم أكرم وكوفئ بألوان من النعيم، وإن كان سيئاً أهين وجوزي بألوان من العذاب.

وهذه الفتنة ثابتة بالنصوص الشرعية، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(٦) [إبراهيم]، فهذه الآية نزلت في تثبيت المؤمن عند السؤال كما جاء في الصحيحين وغيرهما^(٦).

وفي حديث البراء بن عازب الطويل قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة

خاص بالمؤمنين دون غيرهم، فليس بمقر دائم لأرواحهم.

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: وقت عذاب القبر

ونعيمه:

أفاد ظاهر النصوص أن العذاب والنعيم يقعان فيما بين الموت والبعث من القبور.

- المسألة الثانية: عذاب القبر ونعيمه

يقعان على الروح والبدن:

دلّت أحاديث المسألة في القبر على الخصوص، أن الروح تعود إلى البدن، وأنه يتبع ذلك ألوان من النعيم أو العذاب، وهو عود خاص «ليس مثل عودها إليه في هذه الحياة الدنيا، وإن كان ذلك قد يكون أكمل من بعض الوجوه»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السُّنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح منفردة عن البدن»^(٢).

وقال ابن كثير عمن تتوفاهم الملائكة

(١) مجموع الفتاوى (٤/٢٧٤).

(٢) المرجع السابق (٤/٢٨٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/٥٦٨).

(٤) شرح الصدور (٢٤٧) [دار ابن كثير، ط ٢، ١٤١٣هـ].

(٥) الآيات البينات في عدم سماع الأموات (٨٠)

[المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٦) انظر: صحيح البخاري (١/٤٦١) [دار ابن كثير،

ط ٤، ١٤١٠هـ]، وصحيح مسلم (٨/١٦٢) [المكتب

الإسلامي، ط ١، ١٤٠٩هـ].

أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار». قال: «فيأتيه من حرّها وسمومها». قال: «ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه». زاد بعض رواته: «ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد، لو ضرب بها جبل لصار تراباً». قال: «فيضربه بها ضربة يسمعا ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين، فيصير تراباً». قال: «ثم تعاد فيه الروح»^(١).

وكان ﷺ يتعوذ من فتنة القبر، يقول: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، ومن عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة القبر، وأعوذ بك من عذاب القبر»^(٢).

ودعا ﷺ لبعض الأموات فقال: «ألا إن فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك، فقه فتنة القبر وعذاب النار، أنت أهل الوفاء والحق، اللهم فاغفر له وارحمه، فإنك أنت الغفور الرحيم»^(٣).

رجل من الأنصار، فانتبهنا إلى القبر ولمّا يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «استعينوا بالله من عذاب القبر». مرتين أو ثلاثاً، زاد في حديث جرير هاهنا، وقال: «وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له: يا هذا، من ربك وما دينك ومن نبيك؟». قال: «ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟». قال: «فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمّنت به وصدقت». زاد بعض رواته: «فذلك قول الله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم]». قال: «فينادي مناد من السماء: أن قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة». قال: «فيأتيه من روحها وطيبها». قال: «ويفتح له فيها مد بصره». قال: «وإن الكافر». فذكر موته، قال: «وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٥٣)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٩) مختصراً، وأحمد (٣٠/٤٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصحّحه ابن القيم في أعلام الموقعين (١/١٣٧) [دار الكتب العلمية، ط ١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦١٩) و(٣/٩٠١) [المكتب الإسلامي، ١٤٠٩هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٧٦).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٠٢)، =

ومن أبرز ما يتعلق بفتنة القبر من مسائل الاعتقاد التي يجب الإيمان بها؛ لدلالة النصوص الصحيحة عليها: عود الروح إلى الجسد عند السؤال، وإجلال الميت، ورجوع العقل إلى صاحبه، وبعثه على ما مات عليه من معتقد، وسماعه خفق نعال أصحابه إذا ولوا، وسؤاله عقب تفرق الناس أو بعضهم، وأن السائل ملك أو اثنان حسب حاله، وأن الرجل الصالح يثبت وينعم، وأن الرجل السوء على الضد^(٥).

- المسألة الخامسة: عرض المقعد والشارة به:

عرض المقعد هو: معاينة الميت مقعديه من الجنة والنار، وما أعد له في كل مكان منهما من ألوان النعيم والعذاب، والمقعد الذي سيصير إليه منهما ويستقر فيه نهاية أمره استقراراً دائماً، يفعل به ذلك غدواً وعشياً إلى يوم البعث.

وهو أحد مفردات البرزخ المتعلقة بالآخرة، ويكون بعد عود الروح إلى البدن، والإقعاد، والسؤال، فيجب الإيمان به كما جاءت به النصوص.

قال ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من

وأهل السنة يثبتون هذا المعتقد بالإجماع؛ لدلالة النقل عليه، وهو من العقائد الثابتة بالتواتر. قال ابن عبد البر: «وأهل السنة والجماعة مصدقون بفتنة القبر وعذاب القبر؛ لتوافر الأخبار بذلك عن النبي ﷺ»^(١).

- المسألة الرابعة: سؤال الأنبياء وغير المكلفين:

اختلف العلماء في سؤال الأنبياء وغير المكلفين، والأظهر أن الأنبياء لا يسألون؛ لأنهم المسؤول عنهم، وأما غير المكلفين؛ فلأن السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول والمرسل^(٢).

ولا يصح ما ورد في استثناء من مات مخضوباً من الفتنة^(٣)، ولا من صلى بعد المغرب ركعتين بكيفية معينة^(٤).

= وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٩٩)، وأحمد (٣٩٩/٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣٠٧٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٨/٢).
(١) الاستذكار (٤٢١/٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ].

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٥٧/٤) [دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ]، والروح (١٤١) [دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤١٠هـ]، والأسئلة المحيرة حول الدنيا والآخرة (٥٩) [مكتبة ابن سينا]، وشرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (٢١٠) [دار ابن كثير، ط٢، ١٤١٣هـ].

(٣) انظر: الموضوعات (٥٦/٣) [مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(٤) انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (٩٧/٢) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠١هـ].

(٥) انظر: رسائل الآخرة (٣٨٨/٢ - ٤٢٥).

«ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجته أحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله، وكره الله لقاءه»^(٣).

ويدل عليه أيضًا حديث تكلم الجنابة إذا احتملها الرجال^(٤)؛ فقد ذكر البخاري باب كلام الميت المحمول بعد باب عرض المقعد، إشارة إلى هذا المعنى، قال بدر الدين العيني: «راعى هنا أيضًا مناسبة ترجمة هذا الباب لترجمة الباب الذي قبله وهو عرض المقعد عليه، فكأن ابتداءه يكون عند حمل الجنابة؛ لأنه حينئذ يظهر للميت ما يؤول إليه حاله، فعند ذلك يقول ما يقول»^(٥).

ثم إن عرض المقعد يكون على الروح والجسد معًا، وقد دلَّ عليه ظاهر الحديث الآنف، «ولا مانع من إعادة الروح إلى الجسد أو إلى البعض الذي يدرك منه حالة العرض»^(٦).

كما أن عرض المقعد عام فيما دون

أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»^(١).

وفي حديث طويل أنه بعد الإجماع والسؤال للمؤمن «يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها لو عصيته، فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا وينور له فيه»، وقال في الكافر: «يفتح له باب من أبواب النار فيقال له: هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها فيزداد حسرة وثبورًا، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: ذلك مقعدك من الجنة وما أعد الله لك فيه لو أطعته فيزداد حسرة وثبورًا، ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه»^(٢).

والبشارة بنوع المقعد والكشف عنه تسبق الدفن، لحديث أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب لقاءه، ومن كره لقاء الله كره لقاءه» فقلت يا نبي الله: أكرهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، فقال:

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه ابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٣) واللفظ له، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٤٠٣) وصححه، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢١٩/٣) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٤)، وهو عند البخاري أيضًا (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٧) من حديث عبادة بن الصامت.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٨٠).

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٣/١٢٥).

(٦) طرح الشرب في شرح التقريب (٣/٤٠٣) [دار إحياء التراث العربي].

الدخول التام الكامل إنما يكون يوم القيامة ودخول الأرواح الجنة في البرزخ أمر دون ذلك^(٣).

- المسألة السادسة: أسباب عذاب القبر:

أسباب عذاب القبر كثيرة، ومما دلَّت عليه النصوص^(٤) ما يأتي:

أ - الغلول، لحديث أبي رافع قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر ربما ذهب إلى بني عبد الأشهل، فيتحدث حتى ينحدر للمغرب، فبينا رسول الله ﷺ مسرعًا إلى المغرب، إذ مر بالبقيع، فقال: «أف لك، أف لك» مرتين، فكبر في ذرعي، وتأخرت، وظننت أنه يريدني، فقال: «ما لك؟ امش» قال: قلت: أحدثت حدثًا يا رسول الله؟ قال: «وما ذاك؟» قلت: أففت بي. قال: «لا، ولكن هذا قبر فلان، بعثته ساعيًا على بني فلان، فغلَّ نمرة، فدُرَّع الآن مثلها من نار»^(٥).

ب - تعذيب الحيوان، لقوله ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تسقها، ولم ترسلها فتأكل من

الأنبياء، كما هو ظاهر النصوص، وإنه لا تعارض بين عرض المقعد وكون الروح طيرًا يأكل من ثمر الجنة.

لا تنافي بين قوله: «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة»^(١)، وبين قوله: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار»^(٢)، وهذا الخطاب يتناول الميت على فراشه والشهيد، كما أن قوله: «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة» يتناول الشهيد وغيره، ومع كونه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ترد روحه أنهار الجنة وتأكل من ثمارها.

وأما المقعد الخاص به، والبيت الذي أعد له، فإنه إنما يدخله يوم القيامة، ويدل عليه أن منازل الشهداء ودورهم وقصورهم التي أعد الله لهم ليست هي تلك القناديل التي تأوي إليها أرواحهم في البرزخ قطعًا، فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة، ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش، فإن

(١) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٧١)، والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٧٣)، وأحمد (٦/٣٥٠) [دار الفكر، ط ١، ١٤١١هـ] واللفظ له، ومالك في الموطأ (كتاب الجنائز، رقم ٤٩)، وابن حبان (كتاب السير، رقم ٤٦٥٧)، وصححه ابن كثير في تفسيره (١٦٤/٢) [دار طيبة، ط ٢]، الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٩٤/٢) [مكتبة المعارف، ط ٢، ١٤١٦هـ].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: الروح (٩٧) [دار الكتاب العربي، ط ٤].

(٤) راجع بتوسع: رسائل الآخرة (١/٢٧٠ - ٣٧١).

(٥) أخرجه النسائي (كتاب الإمامة، رقم ٨٦٢)، وأحمد (١٧٠/٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، وابن خزيمة (كتاب الزكاة، رقم ٢٣٣٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٣٥٠) [مكتبة المعارف، ط ٥].

خشاش الأرض»^(١).

أكل الربا»^(٤).

ج - الكبر والخيلاء، لقوله ﷺ: «بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خُسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»^(٢).

د - الغيبة، لقوله ﷺ: «لما عرج بي ربي ﷻ مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»^(٣).

هـ - أكل الربا؛ لقوله ﷺ: - كما في حديث سمرة بن جندب الطويل - لما أتاه آتيان فابتعثاه، وفيه: «فإذا نهر من دم فيه رجل، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فيقبل الرجل الذي في النهر، فإذا دنا ليخرج رمى فيه حجرًا فرجع إلى مكانه، فهو يفعل ذلك به، فقلت: ما هذا؟ فقالا: انطلق. فانطلقت فقلت لهما: إنكما قد طوّفتما مني منذ الليلة، فأخبراني عما رأيتم. فقالا: نعم،... وأما الذي رأيتم في النهر: فذاك

و - التآلي على الله، لقوله ﷺ: «كان في بني إسرائيل رجلان: كان أحدهما مجتهدًا في العبادة، وكان الآخر مسرفًا على نفسه، فكانا متآخين، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب، فيقول: يا هذا أقصر. فيقول: خلني وربّي، أبعث علي رقيبًا؟ قال: إلى أن رآه يومًا على ذنب استعظمه، فقال له: ويحك أقصر. قال: خلني وربّي، أبعث علي رقيبًا. قال: فقال: والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة أبدًا. قال: فبعث الله إليهما ملكًا، فقبض أرواحهما واجتمعا، فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي. وقال للآخر: أكنت بي عالمًا؟ أكنت على ما في يدي خازنًا؟ اذهبوا به إلى النار»، قال أبو هريرة: «فوالذي نفس أبي القاسم بيده لتكلم بالكلمة أوبقت دنياه وآخرته»^(٥).

- المسألة السابعة: أسباب رفع العذاب عن الموحد:

يرتفع عذاب البرزخ «عمن استحقه من المؤمنين أو تلبّس به بدعاء، أو

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٣١٨)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٤٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٨٧٨)، وأحمد (٥٣/٢١) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، والطبراني في الأوسط (٣٢/١) [دار الحرمين، ١٤١٥هـ]، والضيء في المختارة (٢٦٦/٦) [دار خضر، ط ٣]، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٩٣/٢) [المكتب الإسلامي، ط ١٤٠٩هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٠٨٥)، وأحمد (٣٣٥/٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له.

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٩٠١)، وأحمد (٤٦/١٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، وابن حبان (كتاب الحظر والإباحة، رقم ٥٧١٢)، وجود إسناده العراقي في تخريج الإحياء (١٥٠٠) [دار ابن حزم، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٤٥٥).

ثانيًا: الوقاية من عذاب القبر:

أ - الموت بالبطن؛ يعني: بمرض البطن، والمقصود به الإسهال، وقيل: الاستسقاء^(٥).

لما روى جامع بن شداد قال: سمعت عبد الله بن يسار قال: كنت جالسًا مع سليمان بن صرد وخالد بن عرفة قال: فذكروا رجلًا مات من بطنه، قال: فكانما اشتها أن يصليًا عليه، قال: فقال أحدهما للآخر: ألم يقل النبي ﷺ: «من قتله بطنه فإنه لن يعذب في قبره» قال الآخر: بلى^(٦).

ب - الشهادة في سبيل الله، لقوله ﷺ: «إن للشهيد عند الله ﷻ ست خصال: أن يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه»^(٧).

(٥) انظر: التذكرة في أحوال الموتى والآخرة (١٧٢) [دار قباء].

(٦) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٦٤) وحسنه، والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٥٢)، وأحمد (٢٤٢/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٢٩٣٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٠٩/١).

(٧) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل الجهاد، رقم ١٦٦٣) وصححه، وابن ماجه (كتاب الجهاد، رقم ٢٧٩٩)، =

استغفار، أو صدقة، أو إهداء ثواب عمل صالح، أو بعفو من الله - تعالى - فإنه سبحانه يغفر ما دون الشرك كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]^(١).

- المسألة الثامنة: المنجيات من عذاب القبر:

دلت الأحاديث على أن من الأسباب الموجبة للاستثناء من فتنه القبر وعذابه ما يلي^(٢):

أولًا: الوقاية من فتنه القبر:

أ - الموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة، لقوله ﷺ: «من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وُقي فتنه القبر»^(٣).

ب - موت المرابط في سبيل الله، لقوله ﷺ: «كل ميت يختم على عمله، إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنه القبر»^(٤).

(١) رسائل الآخرة (٣٧١/١).

(٢) انظر: رسائل الآخرة (٤٠٦/١ - ٤٢٥).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧٤)، وأحمد (٦٢٧/١١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، ... وليس إسناده يمتصل»، لكن له شواهد يرتقي بها إلى الحسن، كما ذكر الألباني في أحكام الجنائز (٣٥) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل الجهاد، رقم ١٦٢١) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٧٤/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب السير، رقم ٤٦٢٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣١/٢).

❁ الثمرات:

١ - منهم من أنكر عذاب القبر ونعيمه

بالكلية.

٢ - ومنهم من قال بوقوعه على

الروح فقط.

٣ - ومنهم من قال بوقوعه على البدن.

٤ - ومنهم من قال بوقوع العذاب

للكافرين، والنعيم للمؤمنين^(٢).

أولاً: أما من أنكره بالكلية:

فهم بعض المعتزلة^(٣)، والروافض^{(٤)(٥)}،

(٢) انظر: رسائل الآخرة (١/ ٢٢٥ - ٢٦٠).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١٦٦/٢) [المكتبة العصرية، ١٤١١هـ]، والإبانة عن أصول الديانة (١٣، ١٤) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٥هـ]، والفصل لابن حزم (١١٧/٤) [دار الجيل، ط ٥، ١٤٠٥هـ]، وعقائد الثلاث وسبعين فرقة (١/ ٣٥٢، ٤١٦) [مكتبة العلوم، ط ١، ١٤١٤هـ]، وفتح الباري (٣/ ٢٧٥) [دار الفكر].

(٤) انظر: عقائد الثلاث وسبعين فرقة (١/ ٤٥٢)، ولطوائفها في ذلك تأويلات فاسدة، انظر: الإسماعيلية المعاصرة (٩٤) [ط ١، ١٤١٤هـ]، والبابية عرض ونقد (٢٠٥) [دار ترجمان السُّنة، ط ٦، ١٤٠٤هـ].

(٥) ورد في بعض كتب الشيعة الاثني عشرية إثبات لعذاب البرزخ ونعيمه، ولكنه إثبات مشوه مخالف لما دلت عليه نصوص الوحي؛ إذ يجعلون مقر النعيم والعذاب أرضياً في هذه الدنيا. والشيعة الغلاة لا يؤمنون بحقيقة البرزخ؛ لقولهم بتناسخ الأرواح، ومن الشيعة الغلاة في هذا الباب: الفرق القديمة القائلة بحلول روح الإله في الأئمة، نحو: السبئية، والكيسانية، والكاملية، وغلاة الاثني عشرية... وغيرهم، ومن الغلاة المعاصرين: الإسماعيلية وسائر الفرق الباطنية الأخرى التي لها وجود اليوم، مثل: الدرزي، والنصيرية، والبابية، والبهائية وغيرهم، والذي يجمعهم القول بالتناسخ والظاهر والباطن. راجع: الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (٢/ ١٠٨ - ٢٠٤) [رسالة دكتوراه، جامعة الإمام].

عذاب القبر عاجل بشرى الكافر بالشر والنكال قبل مبعثه، وهو طهرة وتمحيص للمؤمن.

وأما النعيم فعاجل بشرى المؤمن قبل مبعثه، وما بعده فخير.

❁ الحكمة:

لعل الحكمة من فتنه القبر وسؤال الملكين، تنبيه الناس إلى ضرورة توحيد الدين في الإسلام، فإن الله لا يقبل غيره، وتوحيد الله في العبادة فإن الله لا يقبل الشرك، وتوحيد الرسول في المتابعة فإن الله لا يقبل غير طريقه.

وأما في الآخرة فدفن العقوبة - أو تخفيفها - عن مستحقها من المسلمين، قال ابن تيمية: «إن الذنوب مطلقاً من جميع المؤمنين هي سبب العذاب، لكن العقوبة بها في الآخرة في جهنم تندفع بنحو عشرة أسباب... **السبب الثامن:** ما يتلى به المؤمن في قبره من الضغطة وقتنة الملكين»^(١).

❁ مذهب المخالفين:

المخالفون لأهل السُّنة في هذا الباب على مراتب:

= وأحمد (٢٨/ ٤١٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٢١٣).

(١) منهاج السُّنة (٦/ ٢٠٥ - ٢٣٨) [جامعة الإمام، ط ١].

والخوارج^(١)، والقرآنيون^(٢).

والجواب على المنكرين على وجه الإجمال: إن عذاب القبر ونعيمه قد جاء به القرآن الكريم، والسُّنة الصحيحة المتواترة، وأجمع عليه السلف الصالح، فلا يجوز إنكاره.

أ - من الشبه النقلية التي أثاروها، قولهم: إن الله لم يذكر حياة القبر في قوله: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَتُنَاثِنِينَ وَأَحْيَيْنَا أَتْلَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، وقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]، وإنما ذكر أنه يحييهم مرة في الدنيا وأخرى في الآخرة^(٣). والآيتان هما عمدة من أنكر عذاب القبر من المعتزلة والخوارج ومن نحاه نحوهما^(٤).

ويجابون بأن مذهبهم مخالف لما عليه جمهور السلف، فالمشهور من أقوال المفسرين في الموتيتين والحياتين: أن المراد بالموت، **الأول:** العدم السابق، **وبالثاني:** الموت المعهود في الدار الدنيا. والمراد بالإحياء الأول: حياة

الدنيا، وبالثاني: البعث للقيامة الكبرى. وقد رجح هذا القول الطبري^(٥)، وابن الجوزي^(٦) ونسبه لابن عباس، وقتادة، والفراء، وثعلب، والزجاج، وابن الأنباري، وهو قول ابن كثير^(٧)، وعليه جمهور السلف^(٨).

وعلى هذا القول فإنه ليس فيه ما ينفي حياة القبر؛ لأن إثبات الموتيتين والحياتين المذكورتين في الآيتين لا ينفي وجود غيرهما، كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، فأثبت لهم حياة زائدة يتبعها موت، والدلائل القرآنية في هذا المعنى كثيرة.

وأيضاً فحياة القبر، وعود الروح إلى الجسد للمساءلة، وما يتبع ذلك من العذاب أو النعيم قد ثبت بصحيح السُّنة، فلا يجوز إنكاره.

ولا بد من الجمع بين نصوص الكتاب والسُّنة، والأخذ بهما معاً دون تفريق، كما فعل جمهور السلف المفسرون لمعنى الآيتين الآتيتين.

ب - ومن شبههم العقلية، قولهم: إن

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١١٦/٢)، والفصل (٤/١١٧)، وفتح الباري (٢٧٥/٣).

(٢) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السُّنة (٣٣٣) مكتبة

الصديق، ط ١، ١٤٠٩هـ.

(٣) انظر: تفسير الرازي (١٦٦/١) [دار الفكر، ط ٣، ١٤٠٥هـ]، والفصل (١١٧/٤).

(٤) انظر: الفصل (١١٧/٤).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٢٥/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٦) انظر: زاد المسير (٥٧/١) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٧) تفسير القرآن العظيم (٦٨/١).

(٨) انظر: فتح القدير (٤٨٤/٤) [دار الفكر، ١٤٠٣هـ].

حياة البرزخ تخالف المعقول، ولا تدرك بالحس أو المشاهدة.

فهم يزعمون أن تعذيب الميت محال؛ لأنه جماد لا حياة له ولا إدراك، وهو محال؛ لأنهم لم يدركوه بحس ولا مشاهدة^(١)، ولذا فكل حديث يخالف عقولهم القاصرة، ينفونه ويقطعون بتخطئة ناقله^(٢)، ويزعمون أن النعيم أو العذاب لا يكون إلا بعد قيام الساعة الكبرى^(٣).

وهذه الشبهة العقلية التي أثارها بعض المعتزلة هي شبهة الخوارج، والروافض، والقرآنيين^(٤)، وهي شبهة الملاحدة والزنادقة عموماً؛ إذ يقولون: باستحالة ضيق القبر وسعته، وكونه حفرة من حفر النيران، أو روضة من رياض الجنة، وأن الميت يُجلس في قبره ويُسئل، ويقولون لو وضعنا على صدره زنبقاً، ثم كشفنا عنه لوجدناه كما كان، وزعموا أنهم لم يجدوا ملائكة يضربون بمطارق من حديد، ويعذبون الناس^(٥).

فهم أشبه بالذين لا يعترفون إلا بالمحسوسات^(٦)، والذين ينكرون ما لا تدركه حواسهم، وما لا يمكن أن يدخل المعمل، ويخضع لآلة البحث والتجريب^(٧).

❁ الرد عليهم:

أولاً: إن علم البشرية واطلاعها على واقع البرزخ - حساً أو مشاهدةً - يترتب عليه عدة مفاسد، لعل من أبرزها:

١ - عدم التدافن، لقوله ﷺ: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر»^(٨).

وفي هذا من المفاسد ما لا يخفى، وتأكيداً لذلك قال ابن القيم: «والعبد أضعف بصرًا وسمعًا من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر، وكثير ممن أشهده الله ذلك صقع وغشي عليه ولم يتنفع بالعيش زمناً، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات»^(٩).

ولوامع الأنوار (٢٠/٢)، ومجموع فتاوى ابن عثيمين (١٣٤/٥) [دار الوطن، ١٤١٣هـ]، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد لل فوزان (٢١٢) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١١هـ].

(٦) مثل: الدهرية، انظر: دائرة المعارف الإسلامية (٩/٣٣٨) [دار الفكر].

(٧) مثل: أهل التنوير أو التجريب. انظر: الإنسان بين المادية والإسلام (٤٧ - ٥٤) [دار الشروق، ط ١٠، ١٤٠٩هـ]، والعصرانية في حياتنا الاجتماعية (٢٥) [دار المسلم، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٨) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٨).

(٩) الروح (١٢٥).

(١) انظر: الأصول الإيمانية لدى الفرق الإسلامية (٤٨٠) [دار المعرفة الجامعية، ط ١، ١٤١٤هـ]، وشرح العقيدة الواسطية لهراس (١٤٤) [الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة، ط ٥، ١٤١١هـ].

(٢) انظر: الروح (١٠٢)، ولوائح الأنوار السنية (١/١٦٠).

(٣) انظر: عقائد الثلاث وسبعين فرقة (٤١٦/١)، ولوائح الأنوار السنية (٢/٢٧٠).

(٤) انظر: القرآنيون وشبههم حول السنّة (١٣٣، ١٣٤).

(٥) انظر: الروح (١١١)، ولوائح الأنوار (٢/١٦٠).

والإثبات، فما أدركه العقل من أمور البرزخ أثبتوه وما لم يدركه نفوه، قد نسوا قصوره وعجزه عن الإحاطة بكل شيء جملة وتفصيلاً، ونسوا أن له حدًّا لا يتجاوزه ولا يتعداه.

ومما يثبت قصور العقل، وعدم إدراكه لكل شيء على التمام والكمال: وجود الجن والشیاطين، والملائكة، والروح وهي عوالم غيبية أخبرنا الوحي من شأنها الكثير، ويعجز الإنسان عن أدراك الكثير من شأنها، فإذا كان الأمر كذلك فعجزه عن إدراك عالم البرزخ من باب أولى.

وأيضاً هناك مخلوقات موجودة نلمس أثرها، ولا نراها بأعيننا المحدودة؛ كالموجات الصوتية، والتيار الكهربائي، والأشعة الضوئية المنظورة وغير المنظورة، فقد «قرر علماء الضوء أخيراً: أنه توجد أشعة غير منظورة مع الأشعة المنظورة لذلك فقد ظهر لفظ الطاقة المشعة، لتدل على جميع أشكال الإشعاع، سواء كانت مرئية أم غير مرئية»^(٣).

وأيضاً هناك مخلوقات موجودة أقل عقلاً من الإنسان، ولها من القدرات الحسية ما ليس له، فقد تحقق العلماء

٢ - انتفاء حكمة الإيمان بالغيب، وهي حدوث التمايز بين المؤمنين به والكافرين، قال ابن القيم: «جعل الله أمر الآخرة وما كان متصلاً بها غيباً، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار، وذلك من كمال حكمته، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم»^(١).

ثانياً: إن قياس أحوال البرزخ بأحوال الدنيا غير صحيح؛ لأنه قياس لأمر أخروي غيبي بأمر دنيوي حسي، وهذا قياس فاسد؛ لاختلاف ما بين الدارين، فما يقع في دار البرزخ ليس من جنس المعهود لنا في دار الدنيا وإن اتفقت الأسماء، إذا الاتفاق في أسماء ما في الدارين لا يوجب التماثل في مسمياتهما، «فليست النار كالنار، ولا السعة كالسعة، ولا الضيق كالضيق؛ بل بينهما تباين شاسع لا يدرك بعقل، ولا حس، ولا مشاهدة، قال ابن القيم: «النار التي في القبر والخضرة، ليست من نار الدنيا، ولا من زروع الدنيا، فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرها، وإنما هي من نار الآخرة وخضرها»^(٢).

ثالثاً: عدم الوجدان لا يعني عدم الوجود، وهذا دليل على قصور العقل ومحدودية إدراك البشر، والذين أمّروا العقل وجعلوا له سلطاناً في النفسي

(٣) انظر: عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي (٦٢) [مكتبة الوادي، ط١، ١٤٠٨هـ]، والقرآن والعلم الحديث (١٤٨) [دار الكتاب العربي].

(١) الروح (١١٥).

(٢) المرجع السابق (١١٨).

خامساً: إن الأخبار الواردة في البرزخ لا تحليلها العقول، ولا توجب الطعن في ناقلها، فكل خبر يظن أن العقل يحيله، فلا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون الخبر كذباً، وإما أن يكون ذلك العقل فاسداً^(٣).

فإذا سلم الخبر من الثلب، وكان صحيحاً ثابتاً، فلم يبقَ إلا أن نتهم العقل بالفساد والكساد، لا سيما أنه لا تعارض بين معقول صريح ونقل صحيح، كما قرره العلماء^(٤).

وأما طعنهم في ناقلي تلك النصوص من الصحابة رضي الله عنهم، فيقال لهم: قد رضي عنهم الله ونعتهم بأجمل الصفات، وأثنى عليهم في غير ما موضع من كتابه الكريم بأحسن الثناء وأبلغه، كما في قوله وَبَكَرَ وَالسَّيْفُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) [التوبة].

وقد تواترت الأخبار بذكر

(٣) الروح (١١٢).

(٤) كتاب درء التعارض لابن تيمية أصل في تقرير هذه القاعدة، وانظر أيضاً: مجموع الفتاوى (٤٤٣/١٧)، و(١٧٢/٣٣)، والفتاوى الحموية الكبرى (٣٤، ٣٥) [مطبعة المدني، ١٤٠٣هـ]، ومختصر الصواعق المرسلة (٩٥/١) [دار الحديث، ١٤١٢هـ]، وشرح الطحاوية (٢٢٧/١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ].

من قدرة بعض الأحياء على رؤية ما لا نراه، فالنحل يرى الأشعة فوق البنفسجية، ولذلك فإنه يرى الشمس حال الغيم، والبومة ترى الفار في ظلمة الليل البهيم^(١).

بل إن بعض الحيوانات له أجهزة حسية لا نعلمها، يدرك بها حدوث الزلازل والعواصف وانفجار البراكين قبل أن يحسها الإنسان^(٢)، وذلك أن الخالق سبحانه قد خص كل مخلوق بخصيصة تميزه عن غيره من المخلوقات.

وأخيراً؛ فوجود اللذة أو الألم عند النائم أو اليقظان دون شعور الآخرين بها يدل على قصور القدرات البشرية عن إدراك كل شيء على التمام والكمال.

وبعد هذه الأمثلة المختصرة التي تثبت عجز الإنسان وضعفه، ومحدودية قدراته وإمكاناته، فإنه لا يجوز لناطق أن ينكر عالم البرزخ وأحواله، بدعوى مخالفة المعقول وعدم الحس أو المشاهدة، ولا يصر على ذلك إلا مكابر معاند.

رابعاً: إن أحوال البرزخ ليست من الغيب الكلي، فإذا كان المنكرون لم يشاهدوها، فقد شاهدها غيرهم من بني الإنسان؛ إذ إنها من الغيب النسبي.

(١) انظر: عالم الجن والشياطين (١٦) [دار النفائس، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٢) انظر: دراسات في النفس الإنسانية (١١٧) [دار الشروق، ط٦، ١٤١٣هـ].

وفضائلهم^(١)، وقد نهى النبي ﷺ عن سبهم، ويَبِّينَ عظم فضلهم فقال ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه»^(٢).

والشواهد في هذا الباب كثيرة، وأكتفي بما تقدم؛ لأن عدالتهم مجمع عليها ولم يشذ عن هذا الرأي إلا المبتدعة والزنادقة، وكما قال أبو زرعة الرازي: «إذا رأيت الرجل ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك لأن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى ذلك إلينا الصحابة، وهؤلاء (يعني: الزنادقة) يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»^(٣).

سادساً: زعمهم أن النعيم والعذاب لا يكون إلا بعد قيام الساعة باطل؛ لأنه لا دليل عليه من كتاب أو سنة أو إجماع.

ثانياً: القائلون بوقوعه على الروح فقط:

ينسب هذا القول إلى الفلاسفة المنكرين للمعاد، وكثير من المعتزلة،

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٤٣٠)، ومناهل العرفان في علوم القرآن (١/٣٣٧) [دار الفكر].
(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ)، رقم ٣٦٧٣، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٤١).

(٣) مناهل العرفان (١/٣٣٦).

وغيرهم من أهل الكلام، وطائفة من أهل الحديث، وهو اختيار أبي محمد بن حزم، وغيره^(٤).

وهذا القول مشتمل على حق وباطل؛ أما الحق: فكونهم أثبتوا النعيم والعذاب، خلافاً للفريق الأول، وأما الباطل: فكونهم ألغوا نصيب البدن، فجعلوا النعيم والعذاب يقعان على الروح فقط.

والصواب الذي دلّت عليه النصوص أنهما يقعان على الروح والجسد معاً باتفاق أهل السنة، كما تقدم تقريره.

وشبهة ابن حزم قوله: «ولم يأت قط عن رسول الله ﷺ في خبر يصح، أن أرواح الموتى ترد إلى أجسادهم عند المسألة، ولو صح ذلك عنه ﷺ لقلنا به»^(٥).

قال ابن القيم في معرض الرد عليه: «فهذا من مجازفاته رحمه الله، فالحديث صحيح لا شك فيه، وقد رواه عن البراء بن عازب^(٦) جماعة غير زاذان»^(٧).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/١١٦)، والفصل لابن حزم (٤/١١٧)، والدرّة فيما يجب اعتقاده (٢٨٢) [مطبعة المدني، ط١]، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٢٦٢، ٢٨٢)، وشرح حديث النزول (٨٨) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٢هـ]، ولوامع الأنوار البهية (٢/٢٤/٢٥)، ولوائح الأنوار السنية (٢/٢٦٩).

(٥) الفصل (٤/١١٩).
(٦) تقدم تخريج حديثه.
(٧) الروح (٨٨).

ثالثاً: القائلون بوقوعه على البدن ❁ المصادر والمراجع:

فقط:

١ - «الآيات البينات في عدم سماع

الأموات»، للألوسي.

٢ - «التذكرة»، للقرطبي.

٣ - «الروح في الديانات والدعاوى

المعاصرة» (ج ١، ٢)، للبيدي.

٤ - «الروح»، لابن القيم.

٥ - «شرح الصدور بشرح حال

الموتى والقبور»، للسيوطي.

٦ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ١)،

لابن أبي العز.

٧ - «الفصل في أهل الأهواء والملل

والنحل»، لابن حزم.

٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤)، لابن

تيمية.

٩ - «البحر الزاخرة»، للسفاريني.

١٠ - «أحوال القبور وأحوال أهلها

إلى النشور»، لابن رجب.

❁ العرافة ❁

❁ التعريف لغة:

العرافة: مصدر، مشتقة من المعرفة،

وهي عمل العراف وحرفته، واسم

الفاعل منها عَرَّاف، قال الجوهري:

«والعرَّاف: الكاهن والطبيب»^(٣). وقال

قال به طائفة من المعتزلة

والأشعرية^(١).

وهو قول ظاهر الفساد؛ بل هو أفسد

من سابقه؛ لأن أصحابه ألغوا نصيب

الروح من النعيم أو العذاب، وقصروه

على البدن فقط، مع أن النصوص على

خلافه تماماً، ولذا فإنهم يجابون بما

أجيب به الفريق السابق.

رابعاً: القائلون بوقوع العذاب

للكافرين دون المؤمنين:

قال به بعض المعتزلة؛ منهم: أبو

علي الجبائي، وابنه أبو هاشم،

والبخاري، فنفوا عذاب القبر عن

المؤمنين، وأثبتوه لأصحاب التخليد من

الكفار والفساق على أصولهم^(٢).

وهو قول باطل مبني على أصول

فاسدة، ومخالف للنصوص الصحيحة

المثبتة لوقوع العذاب على بعض

مستحققيه من أهل الإيمان.

وأهل السُّنة يشبِّهون العذاب للكافرين،

ولعصاة المؤمنين، إلا أنه مستمر بالنسبة

للكافرين، ومنقطع بالنسبة لمن عذب من

عصاة المؤمنين، كما قد مر.

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/

٢٦٢)، وشرح حديث النزول (٨٨).

(٢) انظر: الروح (١٠٥)، ولوائح الأنوار السنية (٢/

١٦٤)، وفتح الباري (٣/٢٧٥).

(٣) الصحاح (٤/١٤٠٢) [دار العلم للملايين، ط ٣،

١٤٠٤هـ]، وانظر: تهذيب اللغة (٢/٣٤٧) [الدار

المصرية للتأليف والترجمة].

وقال ابن تيمية: «العرَّاف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق، ولو قيل إنه في اللغة اسم لبعض هذه الأنواع فسائرهما يدخل فيه بطريق العموم المعنوي، كما قيل في اسم الخمر والميسر ونحوهما»^(٥).

✽ الأسماء الأخرى:

الكهانة، التنجيم، الضرب بالحصى، الخط في الأرض، قراءة الفنجان، قراءة الكف، حروف أبي جاد.

✽ الحكم:

ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»^(٦). وقال ﷺ: «من أتى كاهناً أو عرَّافاً، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»^(٧).

فإذا كان الوعيد الشديد لمن أتى عرَّافاً، أنه لم تقبل صلاته أربعين ليلة، وقد أطلق الكفر على من أتى عرَّافاً فصدَّقه، فالوعيد أشد للعرَّاف نفسه. وقد اختلف الفقهاء في العراف والكاهن، هل

الأزهري: «أراد بالعرَّاف: الحازي أو المنجم الذي يدعى علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه. وعرِّيف القوم: سيدهم»^(١). والعرِّيف: القيم والسيد؛ لمعرفته بسياسة القوم، وقد عرَّفَ عليهم يَعْرِفُ عِرافة، والعرِّيف: النقيب وهو دون الرئيس، ويقال للحازي: عراف، وللطبيب: عراف؛ لمعرفة كل منهم بعلمه، والعراف: الكاهن»^(٢). فالعراف في اللغة: اسم للحازي والكاهن، كما يطلق على الطبيب.

✽ التعريف شرعاً:

العرافة: ادعاء معرفة الغيب والحدس والتخرص. وخصه البعض بمن يدعي معرفة الأمور الماضية؛ كمعرفة مكان الضالة والشيء المسروق.

قال ابن قدامة: «والعرَّاف الذي يحدس ويتخرص»^(٣).

وقال البغوي رحمه الله: «العرَّاف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير»^(٤).

(١) تهذيب اللغة (٢/٣٤٧).

(٢) انظر: لسان العرب (٩/٢٣٧ - ٢٣٨) [دار صادر]، القاموس (١٠٨١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧هـ].

(٣) المغني (١٢/٣٠٥) [دار هجر، ط ٢، ١٤١٣هـ].

(٤) شرح السُّنة للنووي (١٢/١٨٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٥/١٨٣).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٣٠).

(٧) أخرجه أحمد (١٥/٣٣١) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٦هـ]، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ١٥).

وصحَّحه، وصحَّحه أيضاً العراقي في أماليه، وقوى إسناداه الذهبي، كما في فيض القدير (٦/٢٣) [المكتبة التجارية الكبرى، ط ١]، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٩٣٩).

لا يخرج عن أعمال السحرة.

الأدلة:

عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»^(٣). فهذا الوعيد في حال السائل فكيف بالمسؤول؟!^(٤).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(٥).

أقوال أهل العلم:

قال الإمام أحمد: «العرافة طرف من السحر، والساحر أخبث»^(٦).

وقال البغوي: «العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها كالمسروق، ومعرفة الضالة، ونحو ذلك»^(٧).

وقال ابن تيمية: «العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال، ونحوهم ممن يتكلم في تقدمه المعرفة بهذه الطرق»^(٨).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٣٠).

(٤) مجموع الفتاوى (١٩٣/٣٥).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) انظر: المغني (١١٤/١٠)، وتيسير العزيز الحميد (٣٦٠).

(٧) شرح السنة (١٨٢/١٢)، وانظر: تيسير العزيز الحميد (٣٦٠).

(٨) مجموع الفتاوى (١٧٣/٣٥)، ومختصر الفتاوى المصرية (١٤٤).

يلحقون بالسحرة الذين يقتلون، أم يعزرون فقط، والصحيح أن حكمهم حكم السحرة الذين يقتلون^(١). وقال ابن عثيمين في حكمهم: «إن حكمنا بكفرهم، فحكمهم في الدنيا أنهم يستتابون، فإن تابوا، وإلا قتلوا كفاراً. وإن حكمنا بعدم كفرهم؛ إما لكون السحر لا يصل إلى الكفر، أو قلنا: إنهم لا يكفرون؛ لأن المسألة فيها خلاف؛ فإنه يجب قتلهم لدفع مفسدتهم ومضرتهم، حتى وإن قلنا بعدم كفرهم؛ لأن أسباب القتل ليست مختصة بالكفر فقط؛ بل للقتل أسباب متعددة ومتنوعة، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣]، فكل من أفسد على الناس أمور دينهم أو دنياهم؛ فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل، ولا سيما إذا كانت هذه الأمور تصل إلى الإخراج من الإسلام»^(٢).

الحقيقة:

إن العراف له أحوال كثيرة، يأتي تفصيلها في المسائل المتعلقة، وعملهم

(١) انظر في حكم الكاهن: المغني لابن قدامة (٣٥/٩ - ٣٧)، والفروع لابن مفلح (١٦٨/٦) [دار الكتب العلمية، ط ١]، والإنصاف للمرداوي (٣٥١/١٠ - ٣٥٢)، وحاشية ابن عابدين (٢٤٠/٤) [دار الفكر، ط ٢، ١٣٨٦هـ].

(٢) القول المفيد (٥٤٩/١ - ٥٥٠).

✻ المسائل المتعلقة:

- المسألة الثانية: حكم العراف من

حيث العقوبة الدنيوية:

اختلف أهل العلم في حكمه على قولين:

القول الأول: أن العراف كالساحر يكفر بالعرافة ويُقتل بها، وإلى هذا ذهب الإمام أحمد في رواية عنه.

القول الثاني: أنه لا يُقتل ولكن يُعزَّر ويحبس، وهي رواية عن الإمام أحمد اختارها ابن عقيل ورجحها ابن قدامة وهي الصحيح من المذهب. والتحقيق أن في المسألة تفصيلاً، بيانه فيما يلي:

إن كان العراف ممن تنزل عليهم الشياطين ويدعون بذلك معرفة الغيب ويعتقدون إباحة ذلك فهم كفَّار مرتدُّون تجري عليهم أحكام الردَّة، فيستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا.

وإن كان من الذين يقومون بزجر الطير والضرب بالحصى وقراءة الكف والفتجان ونحوهم ممن يقول بالحدس والخرص والتخمين، ويزعمون أن لديهم قدرة على معرفة الغيب بذلك ولم يعتقدوا أنهم يعرفون الأمور الغيبية حقيقة فهم ضالُّون يؤخذ على أيديهم بالتأديب والتعزير؛ لأن فعلهم هذا معصية وكبيرة من كبائر الذنوب.

أما إن كانوا يعتقدون أن فعلهم ذلك

- المسألة الأولى: سؤال العراف ونحوه ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: أن يسأله سؤالاً مجرداً، فهذا حرام؛ لقول النبي ﷺ «من أتى عرافاً؛ فإثبات العقوبة على سؤاله يدل على تحريمه؛ إذ لا عقوبة إلا على فعل محرم.

القسم الثاني: أن يسأله فيصدقه، ويعتبر قوله، فهذا كفر؛ لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن، حيث قال ﷻ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

القسم الثالث: أن يسأله ليختبره؛ أهو صادق أم كاذب، لا لأجل أن يأخذ بقوله، فهذا لا بأس به، ولا يدخل في الحديث.

القسم الرابع: أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه، فيمتحنه في أمور يتبين بها كذبه وعجزه، وهذا مطلوب، وقد يكون واجباً. ويؤخذ من الحديث تحريم إتيان العراف وسؤاله إلا ما استثنى؛ كالقسم الثالث والرابع؛ لما في إتيانهم وسؤالهم من المفساسد العظيمة، التي ترتب على تشجيعهم وإغراء الناس بهم، وهم في الغالب يأتون بأشياء كلها باطلة^(١).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٩/٦٢ - ٦٣)، والقول المفيد لابن عثيمين (١/٥٣٣ - ٥٣٧).

«وحلوانه الذي تسميه العامة حلاوته، ويدخل في هذا المعنى ما يعطيه المنجم وصاحب الأزلام التي يستقسم بها مثل الخشبة المكتوب عليها أ. ب. ج. د. والضارب بالحصى ونحوهم، فما يعطي هؤلاء حرام، وقد حكى الإجماع على تحريمه غير واحد من العلماء كالبلغوي، والقاضي عياض وغيرهما»^(٣).

فتبين بهذا أن الأجرة والهبة والكرامة المأخوذة على الكهانة والعرفاة محرمة على البازل والآخذ.

ومما يحرم أيضاً إكراء وإجارة الحوانيت المملوكة أو الموقوفة من هؤلاء الكفار الفساق بهذه المنفعة إذا غلب على ظنهم أنهم يفعلون فيها هذا الجبت الملعون^(٤).

- المسألة الرابعة: حكم التنويم المغناطيسي:

من ضروب الكهانة في العصر الحديث ما يعرف باسم التنويم المغناطيسي، وهو الوصول بالمتنوم إلى مرحلة وسطى بين النوم واليقظة، وفي هذه الحالة يمكن للمعالج أن يستخرج من المريض خفايا لا شعورية تعينه على علاجه^(٥).

وقد ورد سؤال إلى اللجنة الدائمة

مباح وأنهم يعلمون من خلاله الأمور الغيبية فيحكم عليهم بالكفر ويستتاب من فعل ذلك، فإن تاب وإلا قتل.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم: «المنجم والضارب بالحصى والودع لا يكفر الواحد منهم ما لم يعتقد إباحته، فإن اعتقد إباحته فهو مرتد؛ لأن برهان ذلك ظاهر بالشرع؛ لأنه معلق على الاستخدام للشياطين واستمتاع الشياطين بهم، وكذلك ما لم يدّع أنه يعلم الغيب أو يدّع التصرف في الوجود في بعض الأشياء.

وكثير منهم بل أكثرهم لا ينفكون عن ادعاء المغيبات، فيعزر أصحاب هذه الأمور تعزيراً يردعهم وأمثالهم ثم يكف عنهم، والتعزير يرجع إلى الإمام الناظر الشرعي، فإن اقتضى القتل لا سيما من كان له شهرة في ذلك فإنه يُقتل»^(١).

- المسألة الثالثة: حكم الأجرة المأخوذة على العرفاة:

نهى النبي ﷺ عن العوض المأخوذ على الكهانة ونحوها، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله:

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/١٩٤).

(٤) المصدر السابق (٣٥/١٩٥).

(٥) فلسفة الماكرو بيوتيك لنجاح الظهار (١٧٣).

(١) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم (١/١٦٤ - ١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٢٣٧)،

ومسلم (كتاب المساقاة، رقم ١٥٦٧).

للبحوث العلمية والإفتاء عن حكم التنويم المغناطيسي، فأجابت اللجنة بالجواب التالي:

«التنويم المغناطيسي ضرب من ضروب الكهانة باستخدام جني؛ حتى يسلطه المنوّم على المنوّم فيتكلم بلسانه ويكسبه قوة على بعض الأعمال بالسيطرة عليه إن صدق مع المنوّم وكان طوعاً له، مقابل ما يتقرب به المنوّم إليه ويجعل ذلك الجني المنوّم طوع إرادة المنوّم بما يطلبه من الأعمال والأخبار بمساعدة الجني له إن صدق ذلك الجني مع المنوم، وعلى ذلك يكون استغلال التنويم المغناطيسي واتخاذ وسيلة للدلالة على مكان سرقة أو ضالة أو علاج مريض أو القيام بأي عمل آخر بواسطة المنوم غير جائز؛ بل هو شرك لما تقدم، ولأنه التجاء إلى غير الله فيما هو وراء الأسباب العادية التي جعلها سبحانه إلى المخلوقات وأباحها لهم»^(١).

- المسألة الخامسة: واجب ولاية الأمر نحو العرافين:

المقصد الأعظم للإمامة في الإسلام إقامة أمر الله ﷻ في الأرض على الوجه الذي شرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعظم ذلك وأوجبه حماية جناب التوحيد من كل ما يخدشه أو

يدنسه فضلاً عما ينقصه أو يبطله. ولما كان خطر العرافة والكهانة عظيمًا وشرّها مستطيرًا وضررها كبيرًا؛ فإن واجب الولاية نحوها إبطالها وإنكارها والأخذ على أيدي أهلها أخذًا يقمعها ويردعها ويستأصل شأفتها.

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ: «فهؤلاء - أي: الكهان ومن في حكمهم - يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتليس، وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل؛ كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات أو يطلب تغيير شيء من الشريعة ونحو ذلك»^(٢).

وقال أيضًا: «الواجب على ولي الأمر وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين»^(٣).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ويجب على ولي الأمر وكل قادر السعي في إزالة ذلك - أي: أعمال التنجيم والسحر والكهانة - ومنعهم من الجلوس في الحوانيت أو الطرقات أو دخولهم على الناس في منازلهم لذلك»^(٤).

وقال ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «فالواجب على ولاية الأمور وأهل الحسبة وغيرهم ممن

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٧٦٨).

(٣) المصدر السابق (٢/٧٦٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٥/١٩٥).

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء (١/٥٩٤).

الأمور من علم الغيب ويقولون إن التصديق بها تصديق بالكهانة، والشيء الذي يدرك بالحس إنكاره قبيح كما قال السفاريني:

فكل معلوم بحس أو حجا
فنكره جهل قبيح بالهجا
فالذي يعلم بالحس لا يمكن إنكاره،
ولو أن أحداً أنكره مستنداً بذلك إلى
الشرع لكان ذلك طعناً في الشرع^(٢).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وليس من الكهانة في شيء من يخبر من أمور تدرك بالحساب، فإن الأمور التي تدرك بالحساب ليست من الكهانة في شيء، كما لو أخبر عن كسوف الشمس أو خسوف القمر فهذا ليس من الكهانة لأنه يدرك بالحساب»^(٣).

❖ الفرق:

الفرق بين العرّاف والكاهن:

في التفريق بينهما أقوال:

القول الأول: أن الكاهن يدعي معرفة الأخبار عن الكائنات في المستقبل، والعرّاف يتعاطى معرفة الشيء المسروق، ومكان الضالة ونحوهما مما هو في الماضي^(٤).

لهم قدرة وسلطان إنكار إتيان الكهان والعرافين، والإنكار عليهم أشد الإنكار^(١).

فهذا ما قرره أهل العلم في بيان واجب ولاية أمور المسلمين نحو الكهنة والعرافين من الأخذ على أيديهم وقمعهم وحماية أديان الناس وأبدانهم من شرورهم وغوائلهم وخداعهم ومكرهم.

- المسألة السادسة: العلم بأحوال الطقس وبوقت كسوف الشمس والقمر ليس من الكهانة:

معرفة الأحوال الجوية وتوقع نزول المطر، وتحديد أوقات الكسوف ليس من الكهانة، وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: هل من الكهانة ما يخبر به الآن عن أحوال الطقس في أربع وعشرين ساعة أو ما أشبه ذلك؟ فأجاب رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «لا؛ لأنه يستند إلى أمور حسية وهي تكيف الجو؛ لأن الجو يتكيف على صفة معينة تعرف بالموازين الدقيقة عندهم، فيكون صالحاً لأن يمطر أو لا يمطر، ونظير ذلك في العلم البدائي إذا رأينا السماء وتجمع الغيوم والرعد والبرق وثقل السحاب نقول: يوشك أن ينزل المطر، فالمهم أن ما استند إلى شيء محسوس من علم الغيب وإن كان بعض العامة يظنون أن هذه

(١) حكم السحر والكهانة وما يتعلق بها (٥ - ٦).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٣١ - ٥٣٢).

(٣) المرجع السابق (١/ ٥٣١).

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ٢٢)، ومغني المحتاج (٤/ ١٢٠).

القول الثاني: أن العراف اسم عام

للكاهن، والمنجّم، والرّمّال، ونحوهم، ممن يتكلم في تقدم المعرفة بهذه الطرق، ولو قيل إنه في اللغة اسم لبعض هذه الأنواع، فسأثرها يدخل فيه بطريق العموم المعنوي^(١).

القول الثالث: أن الكاهن اسم يعم

العراف وغيره. قال القاضي عياض وهو يبين أنواع الكهانة: «ومن هذا الفن العرافة، وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات، يدعي معرفته بها، وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر، والطرق، والنجوم، وأسباب معتادة، وهذه الأضرِب كلها تسمى كهانة»^(٢).

الآثار:

١ - الوقوع فيما حذر منه الرسول ﷺ وهو الكفر.

٢ - ضعف الإيمان، والتعلق بغير الله، بالتعلق بالعرافين والمشعوذين.

٣ - انتشار الدجل، والخرافة في المجتمع المسلم.

٤ - إفساد العلاقات الاجتماعية بين الناس بسبب الأكاذيب والتهم

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/١٧٣، ١٩٣)، الفتح (١٠/٢١٦) [دار الفكر].

(٢) إكمال المعلم (٧/١٥٣) [دار الوفاء، ط١، ١٤١٩هـ].

الباطلة التي يزورها العرافون.

٥ - العرافة حدس وتخمين، وليست طريقًا شرعيًا، ولا سببًا حقيقيًا، فلن يحصل المرء على مراده من العراف.

المصادر والمراجع:

١ - «أحكام الكهانة وسؤال العرافين»، لإبراهيم أبا حسين.

٢ - «إكمال المعلم»، للقاضي عياض.

٣ - «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد» (ج ١٠)، للمرداوي.

٤ - «حاشية رد المحتار على الدر المختار» (ج ٤)، لابن عابدين.

٥ - «شرح صحيح مسلم» (ج ٥)، للنووي.

٦ - «فتح الباري» (ج ١٠)، ابن حجر.

٧ - «الفروع» (ج ٦)، لمحمد بن مفلح المقدسي.

٨ - «الكهانة وموقف الإسلام منها»، لفهد السفياني.

٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣٥)، لابن تيمية.

١٠ - «موقف ابن تيمية من السحر والكهانة»، لخيرية القحطاني [رسالة دكتوراه].

الحقيقة:

جاءت النصوص من الكتاب والسنة بأوصاف عديدة للعرش؛ منها: أنه ذو قوائم، وأن الملائكة تحمله، وأن الله مستو عليه كما يليق بجلاله، وهذا يؤكد أنه سرير حقيقة، وإن كنا نجهل كيفيته.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مَنِينٌ﴾ [الحاقة]، وقال ﷺ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل]، وقال ﷺ: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [١٤] ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ [١٥] [البروج]، وقال ﷺ: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه]، إلى غير ذلك من الآيات.

ومن السنة: قول النبي ﷺ: «لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقة الأولى» [٥].

وقول النبي ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء» [٦].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الخصومات، رقم ٢٤١٢)،

ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٤).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٣).

العرش

التعريف لغة:

العين والراء والشين أصل صحيح واحد، يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك (١).

ويطلق العرش في اللغة على عدة معانٍ؛ منها: سرير الملك، وسقف البيت، والملك وغيرها (٢).

التعريف شرعاً:

العرش: هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو أعلى المخلوقات وسقفها، وهو كالقبة على العالم (٣).

الحكم:

يثبت أهل السنة العرش كما أثبته الله ﷻ في كتابه، وأثبتته النبي ﷺ في السنة الصحيحة، وهو مخلوق عظيم استوى عليه الرحمن، ولا يقدر قدره إلا الله ﷻ (٤).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢٦٤/٤) [مكتبة مصطفى الحلبي، ط ٢].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢٦٤/١) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م]، والصحاح (٢/٧٢٢)، وتاج العروس (٢٥٢/١٧) [دار الهداية].

(٣) البداية والنهاية (١١/١ - ١٢) [مكتبة المعارف، بيروت]، وشرح العقيدة الطحاوية (٣١٠ - ٣١١) [المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٣٩١هـ]، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١٤٠، ٣١٧)، والقول المفيد (٥٤٩، ٥٣٦/٢) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٤) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٣٧٨/٣).

وقول النبي ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفرج أنهار الجنة»^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن أبي زمنين: «ومن قول أهل السُّنة أن الله ﷻ خلق العرش، واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء»^(٢).

وقال أبو نعيم الأصبهاني: «طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسُّنة، وإجماع الأمة، فما اعتقدوه اعتقدناه، فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش، واستواء الله ﷻ عليه يقولون بها، ويثبتونها من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، وأن الله ﷻ بائن من خلقه، والخلق بائون منه، لا يحل فيهم، ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سماواته من دون أرضه»^(٣).

قال ابن تيمية: «فلما وقع التفصيل في

خلق السماوات والأرض وما بينهما، وفي القيامة التي تستحيل فيها السماوات والأرض وما بينهما، لم يكن العرش داخلًا في ذلك؛ بل أخبر ببقائه بعد تغيير السماوات والأرض، كما أخبر بكونه قبل خلق السماوات والأرض خبرًا مطلقًا، وأخبر في غير موضع أنه ربه وصاحبه؛ تمييزًا له من السماوات والأرض؛ كقوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(١٦) [المؤمنون]. وذكر نفسه بأنه ذو العرش في غير موضع؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾^(١٧) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ^(١٨) [البروج]، وقوله تعالى ﷻ: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأَبْغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾^(١٩) [الإسراء]، فهذا كله يبين أن العرش له شأن آخر»^(٤).

وقال ابن كثير: «العرش في اللغة عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾^(٢٠) [النمل]، وليس هو فلَكًا ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات»^(٥).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٧٩٠).

(٢) أصول السُّنة (٢٨٢).

(٣) انظر: الصواعق المرسلّة لابن القيم (١٢٨٥/٤) [دار

العاصمة، الرياض، ط ٣، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م].

(٤) بيان تلبيس الجهمية (١٥٧/١) [مطبعة الحكومة،

مكة المكرمة، ط ١، ١٣٩٢ هـ].

(٥) البداية والنهاية لابن كثير (١١/١).

المسائل المتعلقة:

١ - المسألة الأولى: صفات العرش:

١ - من صفات العرش: أنه أعظم مخلوقات الله تعالى.

دلت النصوص الشرعية على أن العرش من مخلوقاته ﷺ، قال ﷺ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، فالآية تدل على أن العرش كان موجوداً على الماء قبل خلق السماوات والأرض^(١).

والعرش أعظم المخلوقات وأعلاها، يقول النبي ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»^(٢).

ولذلك مدح الله نفسه في أكثر من موضع من كتابه الكريم بأنه صاحب العرش العظيم، والكريم، والمجيد، قال تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١٦٦]، وقال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥].

٢ - من صفات العرش: أن له قوائم.

دلت السُّنة الصحيحة على أن للعرش قوائم، كما جاء ذلك في «صحيح البخاري»: «إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقة الأولى»^(٣) وقد تقدم.

٣ - للعرش حملة من الملائكة يحملونه بقدرته الله.

دليل ذلك في كتاب الله قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر]، وقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]. فالآيتان تدلان على أن لله ملائكة من جملة خلقه، يحملون عرشه، وآخرون يكونون حوله، وعلى أنه يوم القيامة يحمله ثمانية^(٤).

٤ - المسألة الثانية: أول شيء خلقه الله ﷻ:

اختلف أهل العلم في ذلك:

١ - فذهب بعضهم إلى أن أول المخلوقات: القلم. وهو اختيار الطبري وابن الجوزي.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/٥٨٥).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٣٠٦).

(٢) تقدم تخريجه.

٢ - وذهب آخرون إلى أن أول المخلوقات: الماء.

٣ - وقيل: أول المخلوقات النور والظلمة.

٤ - وذهب كثير من المحققين إلى أن أول ما خلق الله: العرش.

وهذا اختيار ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وابن حجر، وغيرهم.

والدليل على ذلك: قول النبي ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»^(١). ففي هذا الحديث تصريح بأن التقدير وقع بعد خلق العرش.

وأما حديث عبادة رضي الله عنه مرفوعاً: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال: له اكتب. قال: رب وماذا أكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»^(٢).

فالمراد أن التقدير وقع عند أول خلق القلم، فدل ذلك على أن العرش سابق على القلم.

ويؤيد ذلك حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: «كان الله ولم يكن شيء

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٠٠)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣١٩) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٧٨/٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وغيرهم، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٠١٨).

قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء»^{(٣)(٤)}.

- المسألة الثالثة: استواء الله ﷻ على العرش:

دلّت النصوص الشرعية على استواء الله تعالى على عرشه، وأن معناه علوه وارتفاعه عليه، وعلى هذا السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم يقولون: إن الله على عرشه بلا تكيف، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل، فهو سبحانه مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته، واستواؤه حقيقة لا مجاز. وأما كيفية ذلك الاستواء فهي مجهولة لنا، والسؤال عن كيفية ذلك الاستواء بدعة في الدين وخروج عن السنّة^(٥).

✽ مذهب المخالفين:

ذهب بعض المخالفين إلى تأويل النصوص الواردة في العرش، وتحريفها لتوافق مذاهبهم وأهواءهم.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١٨).

(٤) انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري (٣٣/١)، ومجموع الفتاوى (٢١٣/١٨)، ومختصر الصواعق المرسلة (٢٢٣/١)، واجتماع الجيوش (٩٩-١٠٠)، والبداية والنهاية (٨/١-٩)، وفتح الباري (١/٢٨٩)، والعرش وما روي فيه لابن أبي شيبة (٧٢).
(٥) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (١٢-١٣)، ومجموع الفتاوى (٣٣٥/١٧)، وبيان تلبس الجهمية (٥٧٦/١)، وكتاب العرش للذهبي (٢٨٤/١).

- ٨ - «العرش»، لابن أبي شيبه.
 ٩ - «القول المفيد»، لابن عثيمين.
 ١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

عرصات القيامة

يراجع مصطلح (يوم القيامة).

العَرَض

التعريف لغة:

العَرَضُ: إظهار الشيء وإبرازه، قال ابن منظور: «عَرَضَ الشيء عليه يَعْرِضُهُ عَرَضًا: أراه إياه وعرضت له الشيء؛ أي: أظهرته له وأبرزته له»^(٣).

التعريف شرعًا:

العَرَضُ: له معنيان: خاص، وعام. فمعناه الخاص: الحساب اليسير، وهو المكلف تعرض عليه ذنوبه، ثم يتجاوز له عنها كما فسرہ النبي ﷺ.

ومعناه العام: «عَرَضُ الخلائق كلهم على ربهم وَجَّهًا بادية له صفحاتهم لا تخفى عليه منهم خافية، وهذا يدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب»^(٤).

فذهب بعض الجهمية وغيرهم إلى أن المراد بالعرش: الملك.

كما ذهب طائفة من الفلاسفة أن العرش فلك مستدير من جميع الجوانب محيط بالعالم من كل جهة، وهو محدود الجهات، وربما سمّوه الفلك الأطلس، أو الفلك التاسع، أو الأثير، أو الفلك الأعلى^(١).

والنصوص الواردة في الكتاب والسنة ترد هذه التأويلات؛ فإنها صريحة في أن العرش أعظم المخلوقات، وسقفها، ولا يقدر قدره إلا الله ﷻ^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إعانة المستفيد»، للفوزان.
- ٢ - «البداية والنهاية»، لابن كثير.
- ٣ - «بيان تلبيس الجهمية»، لابن تيمية.
- ٤ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.
- ٥ - «الرسالة العرشية»، لابن تيمية.
- ٦ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.
- ٧ - «الصواعق المرسلّة»، لابن القيم.
- ٥ - «العرش»، للذهبي.

(٣) لسان العرب (١٦٦/٧، ١٦٨) [دار صادر، ط ٣]، وانظر: مقاييس اللغة (٢٦٩/٤) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، والكلية (٦٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤١٣هـ].

(٤) معارج القبول (٢٠٦/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(١) انظر: التبصير في الدين للإسفرابيني (١٥٨)، وراجع: الرد على الجهمية للدارمي (١٢ - ١٣)، والرسالة العرشية لابن تيمية (٢ - ٧)، ومجموع الفتاوى (١٧/٣٣٥)، وبيان تلبيس الجهمية (٥٧٦/١).
 (٢) انظر: كتاب العرش للذهبي (٢٨٤/١).

الحكم:

الإيمان به واجب؛ لدلالة النصوص على ذلك، وهو أحد أفراد الإيمان باليوم الآخر.

الحقيقة:

ليس أحد من المكلفين إلا ستعرض صحائفهم على الله تعالى لا يخفى منها شيء، فأما المؤمن فيحاسب حساباً يسيراً، وأما الكافر فيحاسب حساباً عسيراً.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة]، وقال سبحانه: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف].

ومن السنة: حديث عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك». فقلت يا رسول الله: أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق]، فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب»^(١).

أقوال أهل العلم:

قال ابن مسعود: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: عرضتان معاذير وخصومات، والعرضة الثالثة: تطير الصحف في الأيدي»^(٢).

وقال حافظ الحكمي: «العرض له معنيان؛ معنى عام، وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم ﷻ... والمعنى الثاني: عرض معاصي المؤمنين عليهم، وتقديرهم بها، وسترها عليهم ومغفرتها لهم»^(٣).

الأقسام:

العرض الكائن يوم القيامة ثلاثة أنواع^(٤):

الأول: عرض عام لجميع الخلائق برهم وفاجرهم أمام الله تعالى، ومن أدلته قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨]، وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة].

وقد دلّ على هذا النوع من العرض

ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٨٤/٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وسنده صحيح.

انظر: تفسير ابن كثير (٢١٣/٨).

(٣) معارج القبول للحكمي (٨٢٢/٢)، وانظر: التذكرة للقرطبي (٢٤٠)، وشرح العقيدة الطحاوية (٤١٢ - ٤١٣).

(٤) رسائل الآخرة (٩١٥/٣ - ٩٢٥).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٧)،

بإدعاء الرسالة كاذبًا، ويتناول كل من كذب رسولًا صادقًا^(٢).

❁ الفروق:

دل الحديث الآنف على أن هناك فرقًا بين العرض والحساب، فالعرض: هو الحساب اليسير، وصاحبه مغفور له وناج بإذن الله تعالى، والحساب: هو المناقشة، وصاحبه غير مغفور له وهالك^(٣).

❁ الثمرات:

من ثمرات الإيمان بالعرض: أن يحرص العبد على فعل الخيرات، ويجتهد في تحصيل الطاعات، ويتبعد عن المعاصي وعن المهالك؛ لأنه يعلم علم اليقين أنه سيأتي اليوم الذي ستعرض أعماله، وتكشف الصحائف على ما قدمت يداه^(٤).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «التذكرة»، للقرطبي.
- ٢ - «تفسير ابن كثير».
- ٣ - «العاقبة في ذكر الموت»، لعبد الحق الإشيلي.
- ٤ - «البعث والنشور»، للبيهقي.
- ٥ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

أيضًا النصوص المثبتة لحشر العباد في صعيد واحد، ومجيء الرب تعالى وتكليمه إياهم.

الثاني: عرض خاص بالمؤمنين، وهو الحساب اليسير كما مر في الحديث الآنف الذكر، وكما في قوله ﷺ: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم، أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافق فيقول الأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(١).

الثالث: عرض خاص بالكفار والمنافقين، وهو المناقشة، وهو عرض فضيحة على رؤوس الأَشْهَاد، لا ستر فيه ولا مغفرة، وقد دلَّ على هذا النوع من العرض قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢) [هود].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا يتناول كل كافر ممن كَذَّبَ على الله

(٢) مجموع الفتاوى (٩٣/١٥) [دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦هـ].

(٣) معارج القبول (٢/٢٠٦) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٤) انظر: التذكرة للقرطبي (٢٨٩).

(١) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٤١)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٨).

٦ - «شرح العقيدة الواسطية»،
للهراس.

٧ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٨ - «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.

٩ - «البخور الزاخرة في أمور
الآخرة»، للسفاري.

١٠ - «البدور السافرة في أمور
الآخرة»، للسيوطي.

وعزة بكسرهما وعزازة: صار عزيزًا؛
كتعزز وقوي بعد ذلة. وأعزه وعززه،
والشيء: قلَّ فلا يكاد يوجد فهو عزيز.
ج: عزاز وأعزة وأعزاء^(٢).

الأعز: من العزّ والعِزّة، «والعِزُّ في
الأصل القوة والشدة والغلبة، والعِزُّ
والعِزّة الرفعة والامتناع»^(٣).

✽ التعريف شرعًا:

العزة: صفة ذاتية ثابتة لله دالة على
عزة الله الكاملة، من حيث إنها لم تسبق
بذل، ولا يلحقها هوان، والشاملة لعزة
الامتناع والقوة والقهر والغلبة فهو تبارك
وتعالى ذو عزة كاملة أزلاً وأبداً^(٤).

✽ الحكم:

يجب الإيمان بأن العزة صفة ذاتية
ثابتة لله ﷻ، دالة على عزة الله الكاملة،
من حيث إنها لم تسبق بذل، ولا يلحقها
هوان، والشاملة لعزة الامتناع والقوة
والقهر والغلبة فهو تبارك وتعالى ذو عزة
كاملة أزلاً وأبداً^(٥).

✽ الحقيقة:

العزة من: عزّ يعز وهو له ثلاثة
أوجه؛ **الأول**: عزّ يعزّ بضم العين؛ إذا

قال ابن فارس: «العين والزاء أصل
صحيح واحد يدل على شدة وقوة وما
ضاهاهما من غلبة وقهر، قال الخليل:
العزة لله جلّ ثناؤه وهو من العزيز،
ويقال: عز الشيء حتى يكاد لا يوجد،
وهذا وإن كان صحيحاً فهو بلفظ آخر
أحسن، فيقال: هذا الذي لا يكاد يقدر
عليه، ويقال: عز الرجل بعد ضعف،
وأعززته أنا جعلته عزيزاً، واعتزّ بي
وتعزز، قال: ويقال: عزّه: على أمر
يعزه؛ إذا غلبه على أمره، وفي المثل:
من عزّ يزّ؛ أي: من غلب سلب»^(١).

وقال الفيروز آبادي: «عزّ يعز عزّاً

(٢) القاموس المحيط (٦٦٤) [مؤسسة الرسالة].

(٣) لسان العرب (٣٧٤/٥) [دار صادر، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٤) انظر: الحجة في بيان المحجة (١٩٦/٢)، وتوضيح
الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (١٨٤).

(٥) انظر: توضيح الكافية الشافية (١٨٤).

(١) مقاييس اللغة (٣٨/٤ - ٣٩) [دار الجيل، ط ٢].

أَلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿٣٩﴾ [النساء]. وقال
أَيْضًا: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ أَلْعِزَّةُ
جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ
كان يقول: «أعوذ بعزتك، الذي لا إله
إلا أنت، الذي لا يموت، والجن والإنس
يموتون»^(٣).

✽ أقوال أهل العلم:

قال أبو القاسم الأصبهاني: «أثبت الله
العزة والعظمة والقدرة والكبر والقوة
لنفسه في كتابه»^(٤).

وقال الإمام ابن القيم:

«وهو العزيز فلن يرام جنبه
أنى يرام جناب ذي السلطان
وهو العزيز القاهر الغلاب لم
يغلبه شيء هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هي وصفه
فالعز حينئذ ثلاث معان
وهي التي كملت له سبحانه
من كل وجه عادم النقصان»^(٥).

وقال السعدي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ
أَلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥]: «وهي
عزة الامتناع والقوة والقهر والغلبة كلها

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٨٣)
واللفظ له، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة
والاستغفار، رقم ٢٧١٧).

(٤) الحجة في بيان المحجة (١٩٦/٢).

(٥) الكافية الشافية (٧١١/٣ - ٧١٢) [دار عالم الفوائد،
ط ١، ١٤٢٨هـ].

غلب وقهر، وهذا أقوى المعاني،
والثاني: من عزَّ يعزُّ بكسر العين؛ إذا
امتنع ممن يرومه وهذا المعنى متوسط في
القوة، **والثالث:** من عزَّ يعزَّ بفتح العين؛
إذا اشتد وقوي ومنه الأرض العزاز
الصلبة، وهذا المعنى أضعفها^(١). قال
الإمام ابن القيم: «فأعطوا أقوى
الحركات وهي الضمة لأقوى المعاني
وهو الغلبة والقهر للغير، وأضعفها وهي
الفتحة لأضعف هذه المعاني، وهو كون
الشيء في نفسه صلبًا ولا يلزم من ذلك
أن يمتنع عن يرومه، والحركة المتوسطة
وهي الكسرة للمعنى المتوسط، وهو
القوي الممتنع عن غيره، ولا يلزم منه
أن يقهر غيره ويغلبه فأعطوا الأقوى
للاقوى والأضعف للأضعف والمتوسط
للمتوسط»^(٢).

ولا شك أن معاني العزة - وهي عزة
القوة والقهر والامتناع - كلها ثابتة لله ﷻ،
على الوجه اللائق به سبحانه.

✽ الأدلة:

العزة صفة من صفات الله العليا التي
وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ
على الوجه اللائق به سبحانه، قال الله
تعالى: ﴿إِنَّ أَلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ أَلْعَلِيمُ
أَلْعَلِيمُ﴾^(٦) [يونس]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ

(١) انظر: طريق الهجرتين (١٨٦) [دار ابن القيم،
الدمام، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(٢) طريق الهجرتين (١٨٦).

وقد أثبتته ابن حزم^(٤)، وابن الوزير^(٥)، ولم يرد ذكره عند الباقرين.

- المسألة الثانية: إن اسمه سبحانه (العزیز) يستلزم توحيده وعبادته وحده لا شريك له؛ إذ الشركة تنافي كمال العزة:

قال ابن القيم: «وهذه العزة مستلزمة للوحدانية؛ إذ الشركة تنقص العزة، ومستلزمة لصفات الكمال؛ لأن الشركة تنافي كمال العزة، ومستلزمة لنفي أضدادها، ومستلزمة لنفي مماثلة غيره له في شيء منها، فالروح تعين بقوة معرفتها وإيمانها: بهاء العزة وجلالها وعظمتها، وهذه المعاينة هي نتيجة العقيدة الصحيحة المطابقة للحق في نفس الأمر المتلقاة من مشكاة الوحي، فلا يطمع فيها واقف مع أقيسة المتفلسفين، وجدل المتكلمين، وخيالات المتصوفين»^(٦).

- المسألة الثالثة: اسما المعز والمذل: ذهب بعض أهل العلم إلى عدّهما من الأسماء الحسنی^(٧)، وأنه من الأسماء

قد كملت لله الواحد القهار من جميع الوجوه»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: العزيز، والأعز:

أما العزيز فهو من أسماء الله الحسنى التي سمى الله بها نفسه وسماه بها رسوله ﷺ، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة]، وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران].

وأما الأعز فقد جاء عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما كانا يقولان في السعي بين الصفا والمروة: «رب اغفر وارحم، وتجاوز عما تعلم؛ إنك أنت الأعز الأكرم»^(٢).

ففي هذا دليل على أن (الأعز) من أسماء الله الثابتة بالسنة؛ فهذا مما لا يقال بالرأي وهو في سياق الدعاء^(٣).

- (١) توضيح الكافية الشافية (١٨٤) [أضواء السلف، ط ١].
- (٢) أخرجهما ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الحج، رقم ١٥٥٦٥، ١٥٥٧٠)، والبيهقي في الكبرى (كتاب الحج، رقم ٩٣٥١، ٩٣٥٢).
- وأخرج أثر ابن مسعود فقط: الطبراني في الدعاء (٢٧١، ٢٧٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ].
- وقد صحح العراقي أثر ابن مسعود في تخريجه لإحياء علوم الدين (١/٣٢١) [دار المعرفة]، وصحح الألباني الأثرين كليهما في مناسك الحج والعمرة (٢٧) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢٠هـ].
- (٣) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (٢٤٨-٢٤٩) [الدرر السنية، ط ٣، ١٤٢٦هـ].

(٤) المحلى (١٢/٣٠).

(٥) إثار الحق على الخلق (١٥٩).

(٦) مدارج السالكين (٣/٢٥٧) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(٧) انظر على سبيل المثال: بدائع الفوائد (١/٢٩٥) [دار عالم الفوائد، ط ٢، ١٤٢٧هـ]، وتيسير العزيز الحميد (٥٥٥) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٢٣هـ]، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية للجامي (٣٤٨) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط ١، ١٤٠٨هـ]، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي [أضواء السلف، ط ١].

الآثار:

من آثار كمال عزة الله ﷻ تبرئته من كل سوء وتنزيهه من كل شر ونقص، وفي ذلك يقول ابن القيم: «اسمه العزيز الذي له العزة التامة ومن تمام عزته براءته عن كل سوء وشر وعيب؛ فإن ذلك ينافي العزة التامة»^(٣).

ومن آثار كمال عزته سبحانه نفاذ حكمه وأمره في عباده وتصريف قلوبهم على ما يشاء، وهذا يجعل العبد خائفاً من ربه سبحانه لا تذاً بجناحه معتصماً به متبرئاً من الحول والقوة ذليلاً حقيراً بين يدي ربه سبحانه يسأل ربه حفظ قلبه وصلاح دينه ودنياه^(٤).

«ومن شهود عزته أيضاً في قضائه: أن يشهد أن الكمال والحمد والغناء التام والعزة كلها لله، وأن العبد نفسه أولى بالتقصير والذم والعيب والظلم والحاجة، وكلما ازداد شهوده لذله ونقصه وعييه وفقره ازداد شهوده لعزة الله وكماله وحمده وغناه، وكذلك بالعكس، فنقص الذنب وذلته يطلعه على مشهد العزة»^(٥).

ومهما ابتغى العبد العزة عند غير الله تعالى وفي غير دينه فلن يجدها ولن يجد إلا الذل والضعف والهوان، قال الله

المقترنة وهي التي لا تطلق على الله إلا مقترنة، فيقال: المعز المذل القابض الباسط وهكذا، واستدلوا على ثبوت هذين الاسمين لله بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

والذي يظهر من خلال أدلة هذين الاسمين أنهما لم يردا بصيغة الاسم، وإنما اشتقا من الفعل كما في هذه الآية، وكما في حديث الحسن بن علي رضي الله عن النبي ﷺ، وفيه: «وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت»^(١).

ولعله لذلك لم يعدهما بعض أهل المحققين من أهل العلم الذين جمعوا تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله الحسنى الثابتة بالأدلة الواضحة البينة^(٢)، وإن لم يشترطوا الاستقصاء فيما جمعوا.

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٢٥) واللفظ له، والترمذي (أبواب الوتر، رقم ٤٦٤) وحسنه، والنسائي (كتاب قيام الليل وتطوع النهار، رقم ١٧٤٥)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، رقم ١١٧٨)، وأحمد (٢٤٥/٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الصلاة، رقم ١٦٣٤)، وصححه النووي في الخلاصة (٤٥٥/١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والألباني في أصل صفة الصلاة (٩٧٣/٣ - ٩٧٤).

(٢) انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين (٤٠ - ٤٢) [أضواء السلف، ١٤١٦هـ]، وقطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني للعباد (٨٥ - ٩٢) [دار ابن القيم، ودار ابن عفان، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٣) شفاء العليل (١/ ١٨٠) [دار الفكر، ١٣٩٨هـ].

(٤) مدارج السالكين (١/ ٢٠٥).

(٥) مدارج السالكين (١/ ٢٠٥).

الصفة، أو تأويلها تأويلاً يؤول إلى إنكارها هو رد للنصوص الدالة عليها، ولذا لما أراد الإمام البخاري الرد على هؤلاء النفاة الذين يقولون: إنه عزيز بلا عزة؛ عقد ترجمة وجعل مضمونها جملة من النصوص الدالة على صفة العزة، ليعلم القارئ أن نفي هذه الصفة عن الله هو مصادمة صريحة لهذه النصوص^(٣).

الأمر الثاني: أن قولهم عن الله: إنه قادر وعالم وحي وعزيز إلخ من غير اتصافه بشيء منها هو كلام باطل، لمخالفته الشرع واللغة والعرف، أما الشرع؛ فقد دلت النصوص على اتّصاف الله بصفات الكمال، ومنها صفة العزة التي تقدمت نصوصها.

وأما اللغة والعرف؛ فقد أجمع أهل اللغة والعرف على أنه لا يقال: عالم؛ إلا لمن له علم، ولا قادر؛ إلا لمن له قدرة، ولا سميع؛ إلا لمن له سمع، ولا بصير؛ إلا لمن له بصر، وهكذا، وهذا أمر أبين من يحتاج إلى دليل^(٤)، وعليه فادعاء خلاف هذا مكابرة مكشوفة، وعناد ظاهر، وإما جهل عميق.

وحمل عزة الله على الاعتراف له تعالى بالقدم تأويل مردود، والواجب على المسلم إثبات صفة العزة بأنواعها

تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

✽ مذهب المخالفين:

نفى الجهمية والمعتزلة والمتأثرون بهم عن الله تعالى صفة العزة، إما بإنكارها إنكاراً صريحاً، وإما بتأويلها وصرفها عن ظاهرها اللائق بالله إلى معانٍ أخرى.

فالجهمية كما هو معلوم عنهم لا يثبتون لله اسماً ولا صفة، والمعتزلة وافقوهم على أصولهم فادعوا إثبات الأسماء ونفوا حقائقها، فجعلوها أعلاماً مجردة، حيث أجمعوا «على أن للعالم محدثاً قديماً قادراً عالماً حياً لا لمعان»^(١)؛ أي: أنه تعالى قادر بلا قدرة، وعالم بلا علم، وحي بلا حياة، وهكذا جميع الصفات عندهم بما فيها صفة العزة^(٢).

✽ الرد عليهم:

لا شك أن نفي ما وصف الله به نفسه أو ما وصفه به رسوله ﷺ بأي وسيلة كان، هو في غاية البطلان لأمر؛ منها:

الأمر الأول: أنه قد تقدم بيان ثبوت اتصاف الله بصفة العزة، فإنكار هذه

(١) كتاب المنية والأمل لابن المرتضى المعتزلي (١) (١٣) [دار المعرفة الجامعية].

(٢) انظر: المنهاج في شرح شعب الإيمان للحلي (١) (١٩٦) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩هـ].

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/٣٦٨) [دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ].

(٤) انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين (٢٤ - ٢٥).

- المتقدمة لله تعالى؛ استسلامًا لما جاء في شرع الله وانقيادًا له، كما قال ﷺ: «اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ» [الأعراف: ٣]، وقال: «يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً» [البقرة: ٢٠٨].
- فقد أمر الله تعالى عباده في هاتين الآيتين أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه وذلك بامتنال جميع الأوامر وترك جميع الزواجر ما استطاعوا من ذلك^(١).
- ولذا كان من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة أن من الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، لقوله ﷺ: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١].
- فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له^(٢).
- ٢ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ٢)، للأصبهاني.
- ٣ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٤ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.
- ٥ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.
- ٦ - «الكافية الشافية»، لابن القيم.
- ٧ - كتاب «التوحيد»، لابن منده.
- ٨ - «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.
- ٩ - «المنهاج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج ١)، لزيد محمد شحاتة.
- ١٠ - «النهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، لمحمد الحمود النجدي.
- ❏ **العشرة المبشرون بالجنة** ❏
- يراجع مصطلح (الصحابة).
- ❏ **عصمة الأنبياء** ❏

❏ المصادر والمراجع: ❏

- ١ - «توضيح الكافية الشافية»، للسعدي.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/٥٦٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/١٢٩ - ١٣٠).

❏ **التعريف لغة:** ❏
العِصْمَةُ: مصدر الفعل الثلاثي المجرد (عصم)، والعين والصاد والميم أصل واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على إمساكٍ ومنعٍ وملازمةٍ؛ فالعِصْمَةُ: المنع

والذي يعنينا هنا: الكلام على عصمتهم ﷺ من الخطأ في التشريع، ومن الوقوع في الذنوب والمعاصي.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يدور المعنى اللغوي للعصمة حول: المنع والحفظ والملازمة، وهو نفس المعنى الذي يدور حوله تعريف عصمة الأنبياء في اصطلاح الشرع؛ فالمعنى الجامع له هو: حفظهم ﷺ من النقائص، وحملهم على لزوم فعل الخير والطاعات؛ فيظهر بهذا أن بين المعنى اللغوي والشرعي تناسبا وتوافقا واضحا.

الأهمية:

بالعصمة تحفظ الرسالة، فالأنبياء ﷺ معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة، فالعصمة في تبليغ رسالات الله ضرورة للأنبياء والرسول؛ كي لا يقع الخطأ والغلط في أداء أوامر الله ونواهيه، وأحكام الله وإرشاداته، فيسددون بالوحي ونزول الملائكة عليهم، فما ينطقون عن الهوى، ويجب اتباعهم في كل ما يقولونه ويأمرون به، لسلامتهم من الخطأ، والزلل بخلاف غيرهم^(٦).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨٩/١٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، والتصف: المنشأ والمصادر لإحسان إلهي ظهير (٢٠١) [إدارة ترجمان السنّة، لاهور، ط١، ١٤٠٦هـ].

والحفظ، يُقال: عصمه الطعام؛ أي: منعه من الجوع، واعتصم بالله: امتنع بلطفه من المعصية^(١).

التعريف شرعاً:

عصمة الأنبياء: هي حفظ الله لأنبيائه فيما يبلغون عنه، ومن الذنوب والمعاصي، وعدم إقرارهم عليها^(٢).

وقيل: هي «لُطف من الله تعالى يحمل النبي على فعل الخير، ويزجره عن الشر، مع بقاء الاختيار؛ تحقيقاً للابتلاء والامتحان»^(٣).

وبعبارة مختصرة: هي «ملكة اجتناب المعاصي مع التمكّن منها»^(٤)، أو: فعل المأمور والحسنات وترك المحذور والسيئات^(٥).

(١) انظر: الصحاح (١٩٨٦/٥) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٣٣١/٤) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٤٦٩) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: النبوات لابن تيمية (٨٧٤/٢)، ومجموع الفتاوى له (٣١٩/٤)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفرزاني (١٨٨) [دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٢٠هـ].

(٣) نسيم الرياض في شرح الشفا للخفاجي (٣٩/٤) [دار الكتاب العربي، بيروت]، والكلبيات للكفوي (٦٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، ودستور العلماء (٢٣٣/٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ].

(٤) التعريفات للجرجاني (١٩٥) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ]، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٥١٦) [دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ]، ودستور العلماء للأحمد نكري (٢٣٣/٢).

(٥) انظر: منهاج السنّة النبويّة (٤٠٦/٦، ٨٥/٧) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٠٦هـ].

الأدلة:

يقرون على خطأ ولا فسق أصلاً فهم منزهون عن كل ما يقدح في نبوتهم. وعامة الجمهور الذين يجوزون عليهم الصغائر يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها^(٣).

وقال ابن باز: «قد أجمع المسلمون قاطبة على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - ولا سيما محمد ﷺ - معصومون من الخطأ فيما يبلغونه عن الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا صَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۚ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۖ﴾ [النجم]، فنبينا محمد ﷺ معصوم في كل ما يبلغ عن الله قولاً وعملاً وتقريراً، هذا لا نزاع فيه بين أهل العلم»^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: العصمة قبل النبوة:

اختلف العلماء في وقت عصمة الأنبياء ﷺ؛ أكانت قبل نبوتهم أيضاً أم اختصت بوقت النبوة فحسب^(٥)؟ والصحيح - والله أعلم - : أنهم كانوا معصومين من الكفر قبل النبوة - كما هو

أما الدليل على عصمة الأنبياء ﷺ في تبليغ الرسالة - زيادةً على الإجماع - فقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۚ﴾ [النجم]، وقوله ﷻ: ﴿سُقْرُوكَ فَلَا تَمْسَقَ ۖ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۚ﴾ [الأعلى]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۚ﴾ [٤٤] لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۚ﴾ [٤٥] ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۚ﴾ [٤٦] فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۚ﴾ [٤٧] [الحاقة]؛ وقوله ﷻ: «ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به؛ فإنني لن أكذب على الله ﷻ»^(١).

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة؛ ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة؛ فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين»^(٢).

وقال الذهبي: «اتفقوا على عصمتهم فيما يبلغونه وهو مقصود الرسالة، وقد يقع منهم الذنب ولا يقرون عليه ولا

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٦١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨٩/١٠)، وانظر: منهاج السنة النبوية (٤٧٠/١).

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال (٥٠).

(٤) مجموع فتاوى ابن باز (٢٧١/٦).

(٥) انظر في هذه المسألة: الشفا للقاضي عياض (٢).

١٨١، ٢٣٠ [مكتبة الرشد، ط ١]، ومجموع

الفتاوى له (٣٠٩/١٠)، ولوامع الأنوار البهية

للسفاريني (٣٠٤/٢).

بهم، فالأمر بالاقتداء بهم لا يستلزم أن تكون أفعالهم كلها طاعة؛ وإنما يكون الاقتداء بهم في فعل الطاعات وما يقرّون عليه، وفي المسارعة إلى التوبة من صغائر السيئات والإنابة إلى ربّ البريات ﷺ.

ومن الأدلة على جواز وقوع ذلك منهم ومسارعتهم إلى التوبة قوله تعالى عن آدم عليه السلام: ﴿فَاَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تُهْمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝١٣١ ثُمَّ أَجْبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٣٢﴾ [طه]، وقوله عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي آغُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٤٧﴾ [هود]، وقوله عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۝٨٢﴾ [الشعراء]، وقوله عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝١٦﴾ [القصص]، وقوله عنه أيضاً: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٣٢﴾ [الأعراف]، والآيات في هذا الباب كثيرة.

وفي «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: «إنما أنا بشر مثلكم؛ أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني»^(١)، وكان ﷺ يدعو

مذهب كثير من أهل السُّنة -، ومن الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك، وكانوا منزّهين أيضاً من كلّ عيب، ومعصومين مما يوجب الريب.

- المسألة الثانية: العصمة من الذنوب:

الأنبياء ﷺ - على الصحيح، وهو قول أكثر علماء الإسلام - معصومون من الوقوع في الكبائر دون الصغائر والخطايا والنسيان والسّهو التي لا تعلق لها بالتبليغ؛ فيجوز وقوعها منهم، لكنهم لا يصرون ولا يقرّون عليها؛ بل يتداركون ذلك بالتوبة والاستغفار وصدق الإنابة إلى الله تعالى، فينالون بذلك أعلى الدرجات، ولم يذكر الله تعالى في كتابه عن نبي من الأنبياء ذنباً إلا ذكر توبته معه؛ لينزهه عن النقص والعيب. إلا أن وقوع تلك الصغائر منهم ليس ممّا يزري بمناصبهم ومكانتهم ومراتبهم السّامية العلية، أو يوهم انتقاصهم؛ بل هذه الذنوب التي وقعت منهم وعوتبوا عليها يخف أمرها بالنسبة إلى غيرهم، وإنما عدت عليهم وعوتبوا عليها بالنسبة إلى مناصبهم وعلو أقدارهم، ثم إنّ الله تعالى قد تاب عليهم وغفر لهم وتجاوز عنهم، وطهرهم منها؛ فلا يكون وقوع الذنب منهم نقصاً بحال وقد تابوا منه.

وليس في وقوعها منهم منافاة للاقتداء

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٠١)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٧٢)، من =

بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني. اللَّهُمَّ اغفر لي جِدِّي وهزلي وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي. اللَّهُمَّ اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني؛ أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»^(١).

فهذه الأدلة - وغيرها كثير - فيها رد على من استعظم وقوع الذنوب من الأنبياء بحجة أن هذا ينافي الكمال والافتداء بهم، وقد قدمنا: أنه ليس في هذا انتقاص لهم أو إزراء بمراتبهم السامية؛ لأن الله تعالى قد تاب عليهم وغفر لهم وتجاوز عنهم، وطهرهم من تلك الذنوب^(٢).

- المسألة الثالثة: العصمة في تبليغ الشريعة:

حقيقة الإيمان بعصمة الأنبياء: أنه يجب على المسلم أن يعتقد أن

= حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في قصة سَهْوِه رضي الله عنه في الصلاة.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٩٨)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٩)، واللفظ له.

(٢) انظر: الشفا للقاضي عياض (٧٤٦/٢)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٤٣٤/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٠٨/١) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، وإرشاد الفحول للشوكاني (٩٨/١) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ].

الأنبياء عليهم السلام معصومون فيما يخبرون به عن الله عز وجل وفي تبليغ رسالاته باتفاق المسلمين^(٣)، فلا يستقر في ذلك خطأ، ولا يخبرون بشيء من الوحي بخلاف ما هو به - لا قصدا وعمدا ولا سهواً وغلطاً -، ولا يكتمون شيئاً مما أمروا بتبليغه من الوحي أو يكذبون فيه أو ينسونه أو يقصرون في بلاغه؛ لأن هذه العصمة هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة والبعثة، ونفيها عنهم يناقض مقصود الرسالة ومدلول المعجزة.

- المسألة الرابعة: العصمة خاصة بالأنبياء لا يشاركهم فيها أحد:

يعتقد المسلم أن عصمة الأنبياء الثابتة لهم لا يشاركهم فيها أحد من البشر مطلقاً؛ فهي من خصائصهم التي اختصوا بها عن سائر البشر^(٤).

(٣) انظر في هذا الإجماع: الشفا للقاضي عياض (٢/٧٤٦) [طبعة عيسى البابي الحلبي]، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٤٣٤/١) [دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ]، ومجموع الفتاوى (٢٨٩/١٠، ١٤٨/١٥، ٧/١٨)، ومنهاج السنة النبوية (٤٧٠/١، ٣٩٦/٢، ٣٧٢/٣)، ومختصر الفتاوى المصرية للبعلي الحنبلي (٩٩) [مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٥هـ].

(٤) انظر: الشفا للقاضي عياض (٧٤٦/٢، ٧٨٤)، والجامع لأحكام القرآن (٣٠٨/١، ٢٥٥/١١)، وشرح صحيح مسلم النووي (٥٣/٣) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ]، ومجموع الفتاوى (٣١٩/٤، ٢٨٩/١٠، ٣٠٩، ١٤٧/١٥، ٧/١٨، ٢٠/٨٨، ٣٥/١٠٠)، ومنهاج السنة النبوية (١/٤٧٠، ٢/٣٩٦، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١١، ٣/٣٧٢)، وجامع الرسائل لابن تيمية (٢٧٦/١)، والرسل =

١- المسألة الخامسة: عصمة غير الأنبياء:

اختلف العلماء في عصمة الملائكة، بعد إجماعهم على أنَّ حكم المرسلين من الملائكة كحكم الأنبياء في العصمة. والصواب: عصمة جميعهم، وتنزيه مناصبهم عن جميع ما يحط من رتبهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم؛ لقول الله ﷻ عنهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [١٩] [الأنبياء]، وغير ذلك من الأدلة^(١).

الحكمة:

الحكمة من عصمة الأنبياء في تبليغ رسالات الله تعالى: أنه لا يحصل مقصود النبوة والرسالة وبلاغ الدين للناس واتباعهم للشرع إلا بهذه العصمة، ونفي العصمة عن الأنبياء يناقض مقصود الرسالة ومدلول المعجزة.

مذهب المخالفين:

غلا الشيعة الإمامية الاثنا عشرية في عصمة الأنبياء، وأشركوا أئمتهم في هذه

= والرسالات للأشعر (٩٧) [دار الفائس، ط ١٢].

(١) انظر في هذه المسألة: الشفا للقاضي عياض (٢/ ٨٥١)، والحبائك في أخبار الملائك (٢٥٢) [دار الكتب العلمية، ط ٢]، وسبل الهدى والرشاد للصالحي (٤٩٥/١١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ].

العصمة؛ فزعموا عصمة الأنبياء والأئمة من الذنوب صغيرها وكبيرها؛ فلا يقع منهم ذنب أصلاً، لا عمداً ولا نسياناً، لا قبل النبوة والإمامة ولا بعدهما^(٢)!

ودعاهم القول بعصمة الأئمة إلى القول بقيام الأئمة مقام النبي ﷺ في النبوة والحنة؛ لأن المعصوم واجب الاتباع مطلقاً؛ وجرحهم هذا إلى ادعاء نزول الوحي بعد وفاة رسول الله ﷺ على فاطمة وأئمتهم، وكلام الملائكة لهم بهذا الوحي^(٣).

وهذا في حقيقته قدح وخدش في عقيدة ختم النبوة واختصاص نبينا ﷺ بها، فضلاً عن كونه كفراً لا يمترى فيه أحد.

ونجد أيضاً أن الصوفية يعتقدون في أوليائهم ما يعتقد الشيعة في أئمتهم من تأليهم، وجعلهم أنبياء أو كالأنبياء،

(٢) انظر: بحار الأنوار للمجلسي (٢٥/ ٢١١، ٣٥٠) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣]، ومرة العقول له (٣٥٢/٤) [طبعة إيران، ١٣٢٥هـ]. ولمزيد من التفصيل راجع: أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/ ٧٧٥).

(٣) انظر: أصول الكافي للكليني (١/ ١٧٦، ٢٧١، ٢٤٠) [دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٨٨هـ]، وبحار الأنوار للمجلسي (١٧/ ١٥٥، ٢٦/ ٤٤، ٦٨، ٧٣، ٥٤/ ٢٣٧)، وبصائر الدرجات الكبرى للصفار (٤٣، ٩٣) [المختصر، طبعة النجف، ١٣٧٠هـ]، والشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٧٠). ولمزيد من التفصيل راجع: أصول مذهب الشيعة للقفاري (١/ ٣١٠، ٥٨٦/٢، ٦١٢، ٦٢٣)، وعقيدة ختم النبوة للغامدي (١٤٣).

وقال في مقام آخر: «إن من شرط الإمام الباطن (يعني: الولي) أن يكون معصوماً، وليس الظاهر إن كان غيره مقام العصمة»^(٢).

وبمثل ذلك قال أبو الحسن الشاذلي: «إن من خواص القطب إمداد الله له بالرحمة والعصمة والخلافة والنيابة»^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إرشاد الفحول» (ج ١)، للشوكانبي.
- ٢ - «تلخيص كتاب الاستغاثة» (ج ١)، لابن كثير.
- ٣ - «جامع الرسائل» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٤ - «الرُّسُل والرَّسالات»، لعمر الأشقر.
- ٥ - «الشِّفا» (ج ٢)، للقاضي عياض.
- ٦ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ٢)، للسَّفاريني.
- ٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤، ١٠، ١٥، ١٨، ٢٠، ٣٥)، لابن تيمية.
- ٨ - «مختصر الفتاوى المصرية»، للبعلبي الحنبلي.
- ٩ - «منهاج السنة النبوية»، لابن تيمية.
- ١٠ - «النبوات» (ج ٢)، لابن تيمية.

معصومين. قال ابن عربي: «وأما صور تلقيات الموحدين الخطابية: فهو أن تنبعث اللطفية الإنسانية مجردة عن الفكر طالبة ما لا تعلم منه إلا نسبة الوجود إليه بتقييدها به، فإذا نزل هذا العقل بحضرة من الحضرات نزل إليه بحكم التدلي أو برز له أو ظهر له اسم من الأسماء الحسنى بما فيه من الأسرار، فيهبه بحسب تجريده وصحة قصده وعصمته في طريقه، فيرجع إلى عالم كونه عالمًا بما ألقى إليه من علم ربه بربه، أو من علم ربه بضرب من كونه، ثم ينزل نزولاً آخر، هكذا أبداً، ﴿وَمَا آدَرَى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكُمُّ إِنَّ أُنِيعَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ﴾ [الأحقاف: ٩]، وهو خير البشر وأكثرهم عقلاً وأصحهم فكرة وروية فأين الفكر هنا؟ هيهات! تلف أصحاب الأفكار والقائلون باكتساب النبوة والولاية، كيف لهم ذلك والنبوة والولاية مقامان وراء طور العقل ليس للعقل فيهما كسب بل هما اختصاصان من الله تعالى لمن شاء»^(١).

فاستعمل شيخ الصوفية الأكبر العصمة للأنبياء والأولياء، وسوى بينهما، ولم ير الفرق في كونهما مصطفين مختارين من قبل الله ﷻ، ومنزلتهما ومكانتهما لا تدركان بالعقل، ومنصبهما لا يكتسب.

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي (٣/١٨٣).

(٣) كتاب القصد للشاذلي نقلاً عن كتاب الصلة بين التصوف والتشيع (١/٤١٧).

(١) كتاب التراجم لابن عربي من مجموعة رسائله (٤).

نقلاً عن كتاب التصوف لإحسان إلهي ظهير (٢٠١).

والتقديس، وأنه سبحانه مستحق للتعظيم من كل وجه (٢).

العطاء والمنع

يراجع مصطلح (المعطي المانع).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تتضح الموافقة في الأصل بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي، إلا أن المعنى الشرعي يبلغ في الصفة غايتها وكمالها الذي لا يكون إلا لله تعالى، فيكون بهذا مختصاً من عموم المعنى اللغوي الذي يدخل فيه التعظيم من وجه دون وجه.

الحكم:

وجوب إثبات العظمة صفة لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الحقيقة:

إن الله تعالى هو العظيم والمستحق للتعظيم من كل وجه، له الأسماء الحسنى والصفات العلا.

وعظمته سبحانه راجعة إلى معينين:

الأول: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله وأعظمه وأوسع.

الثاني: أنه لا يستحق أحد من الخلق

(٢) انظر: الاعتقاد للبيهقي (٤٠) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ]، الحجة في بيان المحجة (١/١٣٠) [دار الراية، ط ١، ١٤١١هـ]، وأضواء البيان (٢/١٠٩) [دار الفكر، ط ١، ١٤١٥هـ].

العظمة

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «العين والطاء والميم أصل واحد صحيح يدل على كبر وقوة. فالعظم: مصدر الشيء العظيم. تقول: عَظُمَ يَعْظُمُ عَظْماً، وعظمته أنا. فإذا عَظُمَ في عينيك قلت: أعظمته واستعظمته. ومُعْظَمُ الشيء: أكثره. وعَظْمَةُ الذراع: مُسْتَغْلَظُهَا. وهي العظيمة: النازلة المُلَمَّةُ الشديدة. قال:

إن تنج منها تنج من ذي عزيمةٍ

وإلا فأني لا إخالك ناجيا

ومن الباب: العَظْم، معروف، وهو سمي بذلك لقوته وشِدته» (١).

التعريف شرعاً:

صفة ذاتية لله تعالى؛ دالة على عظمته سبحانه ومن لوازمها العلو المطلق له سبحانه، والرفعة والجلال والكمال،

(١) مقاييس اللغة (٤/٣٥٥) [دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ]. وانظر: المحكم والمحيط الأعظم (٢/٦٩) [دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م]، والمفردات في غريب القرآن (٣٣٩) [دار المعرفة]، ولسان العرب (٤٠٩/١٢) [دار صادر، ط ١، ١٤١٢هـ]، والكلبيات (٩٩٩) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ]، والقاموس المحيط (٤/١١٥) [دار الكتب العلمية، ط ١].

أن يعظم كما يعظم الله تعالى^(١).

❖ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة].

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي من الليل، فكان يقول في ركوعه: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»^(٥).

❖ أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنه: «العظيم: الذي قد كمل في عظمته»^(٦).

وقال ابن جرير الطبري رحمته الله: «العظيم: ذو العظمة، الذي كل شيء دونه؛ فلا شيء أعظم منه»^(٧).

وقال قوام السنة الأصبهاني رحمته الله: «العظمة صفة من صفات الله تعالى لا يقوم لها خلق»^(٨).

وقال البغوي رحمته الله: «وعلى العبد أن يعتقد أن الله ﷻ عظيم له عظمة»^(٩).

وقال ابن القيم رحمته الله: «العظيم من

وقال سبحانه: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الشورى].

ومن السنة: ما جاء في حديث إخراج أهل الكبائر من النار: «وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله»^(٢).

وقول النبي ﷺ في دعائه: «وأعوذ بعظمتك أن أعتال من تحتي»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله ﻋَزَّ وَجَلَّ: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما، قذفه في النار»^(٤).

(١) الحق الواضح المبين للسعدي (١٦) [ضمن مجموعة من رسائل السعدي].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥١٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٣).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٠٧٤)، والنسائي (كتاب الاستعاذة، رقم ٥٥٢٩)، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٧١)، وأحمد (٤٠٣/٨)، [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٩٦١)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٠٢)، وصححه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٦٥٩) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب اللباس، رقم ٤٠٩٠)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤١٧٤)، وأحمد (١٤/٤٧٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٣١١).

وقد جاء الحديث عند مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٢٠) بلفظ: «العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبتة».

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ٨٧٣) واللفظ له، والنسائي (كتاب التطبيق، رقم ١٠٤٩)، وأحمد (٤٠٥/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه النووي في الخلاصة (٣٩٦/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ٨١٧) [مؤسسة غراس، ط ١].

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٠٥/٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وسنده حسن. انظر: الصحيح المسبور (٣٦٧/١).

(٧) المرجع السابق (٤٠٥/٥).

(٨) الحجة في بيان المحجة (١/١٣٠). وانظر: شأن الدعاء (٦٤) [دار الثقافة العربية، ط ٣، ١٤١٢هـ].

(٩) شرح السنة (١/١٧٧) [المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ].

اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال^(١).
عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم

الحليم، لا إله إلا الله ربّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربّ السماوات وربّ الأرض وربّ العرش الكريم»^(٣).

وقال في نونيته:
هو العظيم بكل معنى يوجب التّعظيم لا يحصيه من إنسان
قال السعدي في شرحه لهذا البيت:
«يريد أن الله تعالى عظيم له كل وصف ومعنى يوجب التعظيم، فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له ولا يحصي ثناء عليه؛ بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»^(٤).

قال الطبري رحمته الله: «العظيم: ذو العظمة، الذي كل شيء دونه، فلا شيء أعظم منه»^(٥).

واسم الله العظيم: معناه المتضمن لعظمة الرب ﷻ في ذاته وصفاته وأفعاله الصادرة منه^(٦).
وقال السعدي رحمته الله: «العظيم الجامع فجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء، وإن جلت في الصفة، فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم»^(٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٤٦)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٣٠).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٦٣)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٩٤).

(٥) تفسير الطبري (٤٠٥/٥) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٦) انظر: الصواعق لابن القيم (١٣٧٥).

(٧) تفسير السعدي (٩٢) [مؤسسة الرسالة، ط١].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: من أسماء الله تعالى الحسنى العظيم:

ورد اسم الله (العظيم) في كتاب الله العظيم في تسعة مواضع؛ منها قوله تعالى: ﴿وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الشورى]،

أما في السنة: فقد ورد هذا الاسم الجليل (العظيم) في أحاديث عدة؛ منها ما ورد في «الصحاحين» عن ابن عباس رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ كان يقول

(١) بدائع الفوائد (٢١٠) [دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٢) الحق الواضح المبين للسعدي (٢٢٤)، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات للسعدي، قسم العقيدة [مركز صالح بن الصالح الثقافي، ط٢، ١٤١٢هـ].

- المسألة الثانية: معاني التعظيم
الثابتة لله تعالى:

من معاني التعظيم الثابتة لله وحده:

١ - عظمة الذات؛ وذلك أن السماوات والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة كما قال ذلك ابن عباس وغيره. قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَا إِذِ انَّمَسَّكُهُمَا مِنْ فَتْرِ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١].

٢ - عظمة الصفات: فهو سُبْحَانَهُ موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه، وأوسع، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء والعظمة.

٣ - ومن معاني عظمته تعالى أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله فيستحق سُبْحَانَهُ من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبه والذل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته. وتعظيم ما حرمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقَوَّى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وقال: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]. ومن تعظيمه أن لا يعترض على شيء مما خلقه أو شرعه^(١).

- المسألة الثالثة: معنى الحديث القدسي: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»^(٢):

في هذا الحديث أن الله تعالى متصف بصفتي الكبرياء والعظمة، وهما مختصتان بالله تعالى، ولهذا لا يجوز لمخلوق أن يتعاطاهما.

ثم إن صفة العظمة والكبرياء من خصائص الربوبية، والكبرياء أعلى من العظمة، ولهذا جعلها في الحديث بمنزلة الرداء كما جعل العظمة بمنزلة الإزار، ومن المعلوم أن الرداء أشرف^(٣).

❁ الفرق:

- الفرق بين الكبرياء والعظمة:

الكبرياء أكمل من العظمة، وذلك أن الكبرياء تتضمن العظمة، فالكبرياء أكمل.

كما ثبت في «الصحيح» عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١) انظر: الحق الواضح المبين (٢٢٤) للسعدي.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/١٩٦، ٢٥٣)، والفوائد لابن القيم (١٨٢) [دار الكتب العلمية]، وعون المعبود لشمس الحق العظيم آبادي [دار الكتب العلمية].

فلمّا كان التكبير أبلغ من التعظيم صرح بلفظه وتضمن ذلك التعظيم، وفي قوله: سبحان الله؛ صرح فيها بالتنزيه من السوء المتضمن للتعظيم، فصار كل من الكلمتين متضمناً معنى الكلمتين الآخرين إذا أفردتا، وعند الاقتران تعطي كل كلمة خاصيتها.

والعظيم في أسماء الله تعالى بمعنى عظيم الشأن والامتناع عن مساواة الصغير له بالتضعيف، وأصل الكلمة: القوة، ومنه سمي العظيم عظيماً؛ لقوته^(٢).

الآثار^(٣):

من عرف عظمة الله عظمه واتقاه وخشيه وما عصاه، قال التيمي رحمته الله: «والله عز وجل يعظم في الأحوال كلها، فينبغي لمن عرف حق، عظمة الله أن لا يتكلم بكلمة يكرهاها الله، ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله؛ إذ هو القائم على كل نفس بما كسبت»^(٤).

ويظهر له الذل والمسكنة والخضوع

(٢) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٣٦١ - ٣٦٢، ٤٧٧ - ٤٧٨) [مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، ١٤١٢هـ]، مجموع الفتاوى (١٠/٢٥٣).

(٣) انظر: النهج الأسمى في شرح الأسماء الحسنى للنجدي (١/٢٨٤)، فقه الأسماء الحسنى للبدر (١٥٣).

(٤) الحجة في بيان المحجة (١/١٤١ - ١٤٢)، وانظر: النهج الأسمى في شرح الأسماء الحسنى (١/٢٨٤).

أنه قال: «يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما عذبت» فجعل العظمة كالإزار والكبرياء كالرداء ومعلوم أن الرداء أشرف.

وعليه؛ فإن الكبرياء متعلق بالعظمة وغيرها؛ كالقوة والكرم، والغنى ونحوها، أما العظمة فتعني الكمال في كل شيء، ولذا صار الكبرياء أعلى وأشرف^(١).

- الفرق بين الكبير والعظيم:

الكبير هو الذي كل شيء، دونه، لكمال وجوده، وكمال الوجود يرجع إلى شيئين:

أحدهما: دوامه أزلاً وأبداً، فكل وجود مقطوع سابقاً ولاحقاً فهو ناقص.

والثاني: أن وجوده هو الوجود الذي يصدر عنه وجود كل موجود، فإن كان الذي تم وجوده في نفسه كاملاً وكبيراً، فالذي حصل منه الوجود لجميع الموجودات أحق أن يكون كاملاً وكبيراً.

ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الصلاة والأذان بقول الله أكبر، فإن ذلك أكمل من قول الله أعظم.

وأما العظيم فقد يكون من جهة الكثرة ومن غير جهة الكثرة، ولذلك جاز أن يوصف الله تعالى بأنه عظيم وإن لم يوصف بأنه كثير.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٢٥٣).

ذهب كثير من المخالفين إلى نفي الصفات ومنها صفة العظمة، ومن هؤلاء النفاة: الجهمية والمعتزلة، فإنهم أنكروا أن تكون العظمة صفة لله تعالى.

أما الجهمية فقد نفوا هذه الصفة بناء على أصلهم الفاسد في نفي الأسماء والصفات عن الله تعالى؛ إذ إن وصفه بأي صفة يتصف بها المخلوق في الأصل يلزم منه التشبيه^(٤).

وأما المعتزلة فإنهم مع إثباتهم - فيما زعموا - أن لله اسمًا، وهو العظيم، إلا أنهم نفوا صفة العظمة بناء على أصلهم في نفي الصفات؛ بحجة أنها أعراض، وأن إثباتها محدثة محال، وإثباتها قديمة يقتضي مشاركتها لواجب الوجود في القدم، وهو أظهر خصائصه، فيقتضي ذلك تعدد القدماء^(٥).

✽ الرد عليهم:

والرد على المعتزلة والجهمية هنا يكون بنفي ما أحدثوه من لوازم باطلة، فإثبات الصفات لا يلزم منه تعدد القدماء، ولا التشبيه، ولا أي من اللوازم الباطلة التي يجعلها النفاة مانعة لإثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه، وأثبتته

على الدوام كحاله في الركوع، فهو ركن تعظيم وإجلال^(١).

وتعظيم العبد لربه هو على قدر معرفته به وبصفات كماله، فأعرف الناس به أشدهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته ولا عرفه حق معرفته ولا وصفه حق صفته، وأقوالهم تدور على هذا، فقال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح]؛ أي: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته^(٢).

وتعظيم الرب سبحانه واجب على العبد وهو درجات:

فمن تعظيمه: توحيده والإيمان بصفاته على ما تليق بجلاله وكماله وعدم التعرض لها بتعطيل أو تشبيه، وعدم الإشراك به، مع كثرة ذكره في كل وقت وحين.

ومن تعظيمه: تعظيم أحكامه وأوامره ونواهيه، وتعظيم شعائر الدين والرضا بها، وأن لا تعارض بترخص جاف ولا تشدد غال.

ومن تعظيمه: تصديق رسله والإيمان بهم وتعظيمهم، وتعظيم ما جاءوا به من الكتب المنزلة وتصديقها^(٣).

✽ مذهب المخالفين:

(١) شفاء العليل (٢٢٨) [دار الفكر، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م].

(٢) مدارج السالكين (٤٩٥/٢) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(٣) انظر: مدارج السالكين (٤٩٦/٢ - ٥٠٠)، والنهج الأسمى (٢٨٥/١).

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٢١) [دار التراث]، والملل والنحل للشهرستاني (٩٨/١) [دار المعرفة، ط ٢].

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي (١٣١)، والملل والنحل للشهرستاني (٥٧/١).

١٠ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن أحمد الحمود.

العظيم

يراجع مصطلح (العظمة).

العَفْو

التعريف لغة:

هو التَّجَاوُزُ عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله: المَحْوُ والطَّمْسُ، مأخوذ من قولهم عَفَتِ الرياحُ الآثارَ؛ إذا دَرَسَتْها وَمَحَتْهَا^(١).

قال ابن فارس: «العين والفاء والحرف المعتلّ أصلان يدلّ أحدهما على ترك الشيء، والآخر على طَلَبِهِ. ثم يرجع إليه فروعٌ كثيرة لا تتفاوت في المعنى». ثم بيّن أن الطلب مرجعه إلى الترك أيضًا، فيكون رجوعه إلى أصل واحد وهو الترك، فقال: «والأصل الآخر الذي معناه الطَّلَبُ. قال الخليل: إنّ العُفَاةَ طُلّابُ المعروف، وهم المعتفون أيضًا. يقال: اعتفيتُ فلانًا، إذا طلبتَ معرفته وفضله. فإن كان المعروف هو العفو فالأصلان يرجعان إلى معنى، وهو الترك، وذلك أنّ العفو

له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات.

فالله سبحانه أثبت لنفسه صفات، وأثبتها لخلقها؛ كالعلم، والقدرة، والإرادة، والعظمة وغيرها، ولم يلزم من هذا الإثبات أي معنى للتشبيه الذي يزعمه هؤلاء النفاة؛ بل المتقرر شرعًا وعقلًا ما أخبر به ﷺ عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

فأهل السُّنَّة والجماعة في إثباتهم لجميع ما أثبتته الله تعالى لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ يقررون هذا الأصل الجامع لكل الصفات، المانع من أي ظن كاذب أو لازم باطل.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاعتقاد»، للبيهقي.
- ٢ - «جامع البيان»، لابن جرير الطبري.
- ٣ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.
- ٤ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.
- ٥ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي عبد القادر السقاف.
- ٧ - «الفوائد»، لابن القيم.
- ٨ - «شرح الكافية الشافية»، لهراس.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

(١) لسان العرب (٧٢/١٥) [دار صادر، ط١]،
والصاحح (٢٨١/٧) [دار العلم للملايين، ط٤].

هو الذي يُسمح به ولا يُحتَجَن ولا يُمسَك عليه^(١).

وقال الخليل: «وكلُّ من استحقَّ عُقوبةً فتركتَه فقد عفوت عنه. يقال عفا عنه يعفُو عَفْواً»^(٢).

وهو أعم من تعلقه بالعقوبة؛ بل بمطلق الترك، فترك العقوبة على الذنب، وترك التكليف بالشيء، والتخفيف فيه... كله يسمى عفواً^(٣).

التعريف شرعاً:

صفة ذاتية فعلية لله تعالى، نثبتها لله تعالى على وجه الكمال الذي يلازمه كمال القدرة؛ فهو العفو في ذاته سبحانه، ويعفو عمن يشاء بفضله وكرمه، وعفوه عن قدرة تامة لا يعترها عجز، فلم يزل **وَعَفَا** عَفْواً عن ذنوب عباده، وتركه العقوبة على كثير منها ما لم يشركوا به، وهي تدل على اسم الله العفو^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، فعفو الله تعالى عن ذنوب عباده هو تجاوز عنها، ومحو لآثارها، وترك العقاب عليها،

وهو في المعنيين - بالنسبة لله تعالى - على غاية الكمال الذي لا نقص فيه ولا عجز بوجه من الوجوه.

الحكم:

وجوب إثبات العفو صفة لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الحقيقة:

عفو الله نوعان:

عفو عام عن جميع المجرمين من الكفار وغيرهم، بدفع العقوبات المنعقدة أسبابها والمقتضية لقطع النعم عنهم؛ بل يمهلهم ولا يمهلهم بعفوه وحلمه.

والثاني: عفو خاص وهو مغفرته الخاصة للتائبين والمستغفرين، والداعين والعابدین، والمصابين بالمصائب المحتسبين فيها^(٥).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفْوَاً عَفْوَاً﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَقٌّ يَبَيِّنُ لَكَ الْآيَاتِ صَدَقُوا وَتَعْلَمُ الْكَذِبِينَ﴾ [التوبة].

وقال تعالى - في دعاء المؤمنين -:

(٥) انظر: فتح الرحيم الملك العلام للسعدي (٤٢) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

(١) مقاييس اللغة (٥٦/٤) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) المصدر السابق (٥٦/٤).

(٣) المصدر السابق (٥٧/٤).

(٤) تفسير الطبري (٤٢٦/٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى].

ومن السنّة: ما جاء في دعاء النبي ﷺ في سجوده: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ» (١).

وعن عائشة قال: قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ تحب العفو فاعف عني» (٢).

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت رسول الله ﷺ يصلي على ميت، فسمعت من دعائه، وهو يقول: «اللَّهُمَّ اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه» الحديث (٣).

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: إني لأذكر أول رجل قطعه رسول الله ﷺ،

(١) أخرجه ابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ٦٥٤)، وعنه ابن حبان (كتاب الصلاة، رقم ١٩٣٣)، والحاكم (كتاب الصلاة، رقم ٨٣٢) وصحّحه، والألباني في أصل صفة الصلاة (٢/٧٣٧). وهو عند مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٦) بلفظ: «وبمعافائك من عقوبتك».

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥١٣) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٠)، وأحمد (٢٣٦/٤٢)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٤٢) وصحّحه، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٦٣).

أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري: «إن الله لم يزل عفواً عن ذنوب عباده وتركه العقوبة على كثير منها ما لم يشركوا به» (٥).

وقال ابن القيم: «إن ربنا لغفور شكور، وثقت بعفوه هفوات المذنبين فوسعتها ووسع الخلائق عفوه ومغفرته ورزقه» (٦).

وقال السعدي: «العفو الغفور الغفار: الذي لم يزل بالعفو معروفاً، وبالعفوان والصفح عن عباده موصوفاً، كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو

(٤) أخرجه أحمد (٨٤/٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وعبد الرزاق في مصنفه (كتاب الطلاق، رقم ١٣٥١٩) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠هـ]، والحاكم في المستدرک (كتاب الحدود، رقم ٨١٥٥) وصحّحه، لكن أشار البوصيري في الإتحاف (٤/٢٦٥) [دار الوطن، ط١] إلى أن مداره على راوٍ ضعيف، وحسنه الألباني بشواهد. انظر: السلسلة الصحيحة (٤/١٨٢، رقم ١٦٣٨).

(٥) تفسير الطبري (٤٢٦/٨) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٦) عدة الصابرين (٢٤٢) [دار الكتب العلمية].

داخله في قوله: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر].

وقد تواترت النصوص من الكتاب والسنة في قبول توبة الله من عباده من أي ذنب يكون.

وكذلك الاستغفار المجرد يحصل به من مغفرة الذنوب والسيئات بحسبه.

وكذلك فعل الحسنات والأعمال الصالحة تكفر بها الخطايا، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ﴾ [هود: ١١٤] (٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صفة العفو لله تعالى:

يدل اسم الله (العَفْو) على صفة العَفْو لله تعالى، وهي صفة فعلية حقيقية لله تعالى، فهو سبحانه يعفو عمن يشاء من عباده متى شاء، والأدلة من القرآن والسنة كثيرة. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء].

ومن السنة: ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من

مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها» (١).

وقال محمد هراس: «وأما العفو: فهو الذي له العفو الشامل، الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، لا سيما إذا أتوا بما يجب العفو عنهم» (٢).

الأقسام:

عفو نوعان:

١ - عفو العام عن جميع المجرمين من الكفار وغيرهم، بدفع العقوبات المنعقدة أسبابها والمقتضية لقطع النعم عنهم، فهم يؤذنونه بالسب والشرك وغيرها من أصناف المخالفات، وهو يعافيهم ويرزقهم ويُدِرُّ عليهم النعم الظاهرة والباطنة، ويبسط لهم الدنيا، ويعطيهم من نعيمها ومنافعها، ويمهلهم ولا يهملهم بعفوه وحلمه.

٢ - والنوع الثاني: عفو الخاص ومغفرته الخاصة للتائبين والمستغفرين، والداعين والعابدين، والمصابين بالمصائب المحتسبين، فكلُّ من تاب إليه توبة نصوحاً وهي الخالصة لوجه الله، العامة الشاملة التي لا يصحبها التردد ولا إصرار، فإن الله يغفر له من أي ذنب كان، من كفر وفسوق وعصيان، وكلها

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٢٣/٥) [الرئاسة العامة للإفتاء، ١٤١٠هـ].

(٢) شرح نونية ابن القيم (٢/٤٧٠) [دار الإمام أحمد، ١٤٢٩هـ].

(٣) انظر: فتح الرحيم الملك العلامة للسعدي (٤٢).

ودفع شر الشرين وترجيح الراجح من الخير والشر المجتمعين»^(٤).

❁ الفرق:

الفرق بين العفو والمغفرة:

ذكر بعض أهل العلم أن العفو متضمن لإسقاط حق الله قبلهم، ومسامحتهم به، والمغفرة متضمنة لوقايتهم شر ذنوبهم وإقباله عليهم، ورضاه عنهم، فالعفو ترك محض، والمغفرة إحسان وفضل وجود، والرحمة متضمنة للأمرين مع زيادة الإحسان والعطف والبر^(٥).

❁ الآثار:

١ - حمد الله تعالى بعفوه، وعظيم حلمه؛ فهو أهل العفو والمغفرة، على كثرة خطايا عباده ومعاصيهم.

٢ - التعبّد لله تعالى برجاء عفوه، والحذر من اليأس من رحمته، فمهما عظم الذنب وكثر، فعفوه ﷻ أعظم، ورحمته أوسع، فيسارع العبد في أسباب عفوه ورحمته سبحانه.

٣ - صفة العفو محبوبة لله ﷻ كما تقدم في الحديث، والمؤمن يحب ما يحبه ربه، ولذلك فالعفو وصف يجب أن يتخلق به كل مؤمن.

الفراش فالتمسّته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: «اللَّهُمَّ أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك»^(١). وفي رواية: «وبعفوك من عقوبتك»^(٢).

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يصلي على ميت، فسمعت من دعائه، وهو يقول: «اللَّهُمَّ اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه...» الحديث^(٣).

- المسألة الثانية: أن حبّ الله للعفو واتصافه بالعفو لا يعني أن تُترك المنكرات من الشرك والمعاصي فلا تُنكر؛ بل تُنكر؛ لأنها مما يبغضه الله تعالى:

يقول شيخ الإسلام رحمته الله: «فهو سبحانه إذا كان يحب العفو لم يوجب هذا ألا يكون في بعض أنواع العفو من المعارض الراجح ما يعارض ما فيه من محبة العفو، ولولا ذلك لكان ينبغي أن يعفو عن كل محرم فلا يعاقب مشرّكاً ولا فاجرًا لا في الدنيا ولا في الآخرة، كذلك إذا تعارض المأمور والمحظور، فقد تعارض حبيبه وبغيضه، فيقدم أعظمهما في ذلك... وعلى هذا استقرت الشريعة بترجيح خير الخيرين

(١) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٦٣).

(٤) الاستقامة (١/٤٣٨) [جامعة الإمام، ط١].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/١٤٠)، وراجع:

المقصد الأسنى (١٤٠) [دار الجفان والجابي،

١٤٠٧هـ].

القدماء^(٢)، فيشتون العفو باعتبار أثره، وهو المعنى المتعلق بالمعفو عنهم.

وخالف الأشاعرة في هذه الصفة؛ بناء على أصلهم في نفي الصفات الفعلية؛ لأن إثباتها يستلزم حلول الحوادث في ذات الله تعالى، فأولوها بصفة الإرادة التي يثبتونها ضمن الصفات العقلية السبع التي يثبتونها، فتكون الصفة عندهم بمعنى إرادة العفو والصفح ونحو ذلك، فتكون هذه الصفة عندهم متعلقة بوصف قديم لا يتجدد، وهو الإرادة^(٣)، فمن عفا الله تعالى عنه فهو عاف عنه قبل جريرته؛ بل قبل أن يكون.

✽ والرد عليهم:

الرد يكون بنفي ما أحدثوه من لوازم باطلة، فإثبات الصفات لا يلزم منه تعدد القدماء، ولا التشبيه، ولا أي من اللوازم الباطلة التي يجعلها النفاة مانعة لإثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه، وأثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات.

فالله ﷻ أثبت لنفسه صفات، وأثبتها لخلقه؛ كالعلم، والقدرة، والإرادة، والعظمة وغيرها، ولم يلزم من هذا الإثبات أي معنى للتشبيه الذي يزعمه

٤ - رفع أو تخفيف العقوبة التي يستحقها الناس بعفو الله تعالى وحلمه، ولو يؤخذون بما كسبوا لهلكوا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَنْبٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

٥ - شرع الله المحكم اليسير، الذي رفع فيه الحرج، ودفعت به المشقة، فما ترك التكليف به فهو عفو من الله تعالى.

٦ - أمر الله تعالى بالعفو والإحسان إلى الخلق، فهو عفو يحب العفو، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، وقال: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

✽ مذهب المخالفين:

خالف الجهمية في إثبات هذه الصفة بناء على أصلهم الفاسد في أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه^(١).

وخالف المعتزلة في إثبات العفو وصفا قائما بالله تعالى؛ بناء على أصلهم في نفي الصفات؛ لاستلزامها التشبيه، ولأن تعدد الصفات يلزم منه تعدد

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٢١)، الملل والنحل للشهرستاني (٩٨/١).

(٢) شرح الأصول الخمسة (١٦٢) [مكتبة وهبة، ط ٣].

(٣) انظر: الإرشاد للجويني (١٠٢) [مؤسسة الكتب

الثقافية، ط ١، ١٤٠٥هـ]، والمواقف للإيجي (٢٩١)

[مكتبة المتنبى].

رب العالمين؛ فإن الحمد ضد الذم والحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له، والذم هو الإخبار بمساوئ المذموم مع البغض له.

والله تعالى يحمد نفسه بأفعاله، فإذا لم يكن له فعل يقوم به باختياره امتنع ذلك كله^(١).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم» (ج ٢)، لابن عيسى.
- ٢ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنة الأصبهاني.
- ٣ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٤ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنة»، للسقاف.
- ٥ - «عدة الصابرين»، لابن القيم.
- ٦ - «مجموع الفتاوى» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٧ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

✽ العَفْوُ ✽

يراجع مصطلح (العَفْو).

هؤلاء النفاة؛ بل المتقرر شرعاً وعقلاً ما أخبر به ﷻ عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

فأهل السُّنة والجماعة في إثباتهم لجميع ما أثبتته الله تعالى لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ يقررون هذا الأصل الجامع لكل الصفات، المانع من أي ظن كاذب أو لازم باطل.

وكذلك؛ فإن إثبات الصفات الفعلية لا يلزم منه أن تكون ذاته محلاً لحوادث مخلوقة، فهو لم يزل ولا يزال فعلاً لما يريد، والنصوص الدالة على تعدد أفعاله وتنوعها لا تكاد تحصى، وليس في شيء منها ما يدل على أن شيئاً من المخلوقات يحل في ذاته.

فثبت فعله سبحانه بمشيئته واختياره بثبوت الدليل الشرعي عليه، ولا نرد دلالة الدليل باللوازم الباطلة.

بل إن نفي المشيئة والاختيار في أفعاله تعالى هو النقص الذي يجب أن ينزه عنه، فإثبات الكمال والحمد له أنه يخلق ما يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويعفو عمن يشاء، ويفعل ما يريد، وأنه لم يزل ولا يزال فعلاً لما يريد.

فمسألة الصفات الاختيارية هي من تمام حمده، فمن لم يقر بها لم يمكنه الإقرار بأن الله محمود البتة، ولا أنه

(١) انظر: رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية، ضمن جامع الرسائل (٥٧/٢) [دار العطاء، ط ١].

والفعل^(٣).

■ العقل ■

❁ الأسماء الأخرى:

من الألفاظ المرادفة للعقل: اللب،
والحجر، والنُّهى، والحِلم، والحِجَا^(٤).

❁ الحكم:

تقديم النقل الصحيح على العقل
الفاقد المعارض له واجب؛ بل هو
أصل من أصول الإسلام والإيمان.

فإن الإسلام معناه الاستسلام التام لله
بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة
من الشرك وأهله^(٥)، ومقتضى ذلك ألا
يقدم شيئاً على أمر الله ورسوله ﷺ،
كأننا ما كان.

كما أن الإيمان الحق يستلزم التسليم
المطلق لأمر الله ورسوله ﷺ، كما
وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ
الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
(٥)﴾ [النور]، فلا يعارض أمر الله
ورسوله ﷺ برأي ولا هوى، كما
قال ﷺ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى

❁ التعريف لغة:

العقل في اللغة: مصدر عقل يعقل
عقلاً، ومعناه يدور على: الحبس،
والمنع، والإمساك، والضبط، والحفظ.
ومن المعاني التي يتناولها العقل
أيضاً: القلب، والتَّثَبُّت في الأمور،
ويطلق على التمييز الذي يتميز به الإنسان
عن سائر الحيوان، كما يطلق على
الدية^(١).

❁ التعريف اصطلاحاً:

العقل عند أهل النظر هو: مجموعة
من المعاني الضرورية المجتمعة في
الذهن، تتألف من خلالها القضايا
والأقيسة، للخروج بالمعقولات
النظرية^(٢).

❁ سبب التسمية:

سمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه
عن التورط في المهالك؛ أي: يحبسه،
عنها، ويضبطه ويمنعه عن ذميم القول

(١) انظر: لسان العرب (٤٥٨/١١ - ٤٦٠) [دار صادر،
ط١]، وتاج العروس (٣٥/٤) [دار الهداية]، ومتن
اللغة لأحمد رضا (١١٦).

(٢) انظر: أصول السرخسي (٣٤٧/١) [دار المعرفة]،
وإحياء علوم الدين للغزالي (٨٥/١) [دار المعرفة]،
المنحول له (٤٤) [دار الفكر، ط٢، ١٤٠٠هـ]،
والكليات للكفوي (٦٧، ٦١٨ - ٦١٩) [مؤسسة
الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ]، والمعجم الفلسفي لجميل
صليبا (٨٦/٢) [دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٩م].

(٣) انظر: لسان العرب (٤٥٨/١١).

(٤) انظر: لسان العرب (٢٢٥/٢) (٢٤٢/٥) (٣٥/١٥).

(٥) ٣٦، وتاج العروس (٤٦٥/١)، وتهذيب صحاح
الجوهري (٢٦٨/١ - ٢٦٩) (٩٤٩/٢) (١٠٨٢/٣)
[دار المعارف]، ومقدمة بغية المرتاد لموسى الدويش
(٨٥).

(٥) متن الأصول الثلاثة، انظر: شرح الأصول الثلاثة
للعثيمين (٦٨) [دار الإيمان، ٢٠٠١م].

ومنهم من عبر عن العقل بالنظر إلى عمله ووظيفته، فقال: العقل آلة التمييز، نُقِلَ ذلك عن الإمام الشافعي وغيره^(٤).

والواقع أن بيان معنى العقل في الاصطلاح يختلف باختلاف موارد إطلاقه، فحقيقة العقل تتحقق على أربعة معانٍ، وهي:

١ - الغريزة التي بها يعقل الإنسان.

٢ - العلوم الضرورية والمعارف الفطرية؛ كالعلم بأن الكل أكبر من الجزء، وأن الضدين لا يجتمعان.

وهذان العقلان يشتركان فيهما جميع العقلاء على حدٍّ سواء، ويُفَرَّقُ بهما بين المجنون الذي رفع عنه القلم وبين العاقل الذي جرى عليه القلم.

وهذا القدر من العقل هو مناط التكليف، ولا يتعلق به لذاته مدحٌ ولا ذم، ولذا فقد يوصف به الكفار.

٣ - العلوم المكتسبة، والمعارف النظرية، وهي التي تدعو الإنسان إلى

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [النساء].

فجعل التحاكم إلى أمر الله ورسوله ﷺ والاستسلام التام له - دون العقل المعارض والهوى - من مقتضيات الإيمان^(١).

❁ الحقيقة:

لقد تنوعت عبارة السلف وغيرهم في بيان حقيقة العقل، وغالب هذا التنوع في عبارات السلف يرجع إلى الجهة التي نظر إليها ذلك الواصف.

فمن السلف من نظر إلى العقل باعتبار أصله في الإنسان، وطريق حصوله، فقال: إن العقل غريزة، نُقِلَ ذلك عن الإمام أحمد وابن المبارك^(٢)، وكأنهم أرادوا بذلك التقرير بأن العقل خَلَقَ الله ابتداءً، وليس باكتساب للعبد، كما زعمه بعض الفلاسفة^(٣).

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة (٥٤٩/٢) [دار الراجعية، ط ٢، ١٤١٩هـ]، ودرء التعارض (١٨٨/١ - ١٨٩).

(٢) انظر: روضة العقلاء لبستي (١٧) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٧هـ]، وتفسير القرطبي (٣٧٠/١)، وذم الهوى لابن الجوزي (٥) [دار السعادة، ط ١، ١٣٨٠هـ]، والمسودة لآل تيمية (٤٩٧) [دار المدني، ومجموع الفتاوى (٢٨٧/٩) مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، والصفدية (٣٣١/٢) [دار الفضيلة، ١٤٢١هـ]، ودرء تعارض (٥٠/٦)، وبغية المراتد (٢٥٧)، وشرح مختصر الخرقى للزركشي (٣٦٨/٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٣) انظر: العدة في أصول الفقه لأبي يعلى (٨٦/١).

(٤) انظر: بغية المراتد (٢٦٤)، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٦٥/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ]، والتجوير شرح التحرير (٢٥٥/١) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢١هـ]، وممن قال بهذا القول أيضًا: السمعاني، كما في الانتصار لأصحاب الحديث (٨٠) [مكتبة أضواء المنار، ط ١، ١٤١٧هـ]، وقواطع الأدلة في أصول الفقه (٤٧/٢) [دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ]، والسجزي، كما في الرد على من أنكر الحرف والصوت (٨٥) [دار الراجعية، ط ١، ١٤١٤هـ].

فعل ما ينفعه وترك ما يضره.

المنزلة:

ويدخل في ذلك فهم ما في القرآن من الآيات والعبر.

وفاقد هذا القدر من العقل يسمى جاهلاً، أو غبياً وأحمق، ولا يسقط أصل التكليف بسقوطه، بخلاف سابقه.

٤ - العمل بالعلم، فهو يدخل في مسمى العقل؛ بل هو من أخص ما يدخل في اسم العقل الممدوح.

والعقل بهذا الإطلاق هو عقل التأييد، الذي يكون مع الإيمان، وهو عقل الأنبياء والصديقين.

وهذان العقلان (الثالث والرابع) هما مناط المدح والذم، فمن فقدهما ذم، وهما بمجموعهما المرادان فيما جاء في القرآن من مدح من يعقل وذم من لا يعقل؛ كقوله تعالى عن الكافرين: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة) (١).

(١) انظر: إحياء علوم الدين (١/ ٨٥ - ٨٦) [دار المعرفة]، والأذكياء لابن الجوزي (١٠ - ١١) [مكتبة الغزالي]، وبغية المراتد (٢٤٩ - ٢٦٠) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٠٨هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٩/ ٢٨٦ - ٢٨٧) (١٦/ ٣٣٦ - ٣٣٧) (١٨/ ٣٣٨)، ومفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ١١٧) [دار الكتب العلمية]، تفسير القرآن الكريم (سورة الفاتحة والبقرة) لابن عثيمين (٢/ ٤٢٠) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٣هـ]، والأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد لسعود العريفي (٢٧ - ٣١) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤١٩هـ].

لقد أكرم دين الإسلام العقل، وأعطاه مكانته اللائقة به، فمن مظاهر تكريم الإسلام للعقل وتوسطه فيه:

١ - ما ورد في كتاب الله من الثناء على أرباب العقول والألباب، وتخصيصهم بالخطاب، وقصر الانتفاع بالذكر والموعظة عليهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة).

٢ - أن الإسلام قد جعل التكليف منوطاً بوجود العقل، فالعقل شرط للتكليف، والخطاب الشرعي لا يتعلق إلا بالعاقل^(٢)، قال ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الطفل حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يبرأ، أو يعقل»^(٣).

٣ - أن الله قد ذم الذين عطلوا عقولهم عن غاياتها، واكتفوا بالتقليد الأعمى لمُعْظَمِيهِمْ، فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي (٣/ ٢٧) [دار المعرفة].
(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الحدود، رقم ٤٤٠٢)، والترمذي (أبواب الحدود، رقم ١٤٢٣) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الطلاق، رقم ٢٠٤٢)، وأحمد (٢/ ٣٧٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، وابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ١٠٠٣)، والحاكم (كتاب الصلاة، رقم ٩٤٩) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٥١٢).

سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧﴾ [البقرة].

٤ - أن الإسلام قد حرم الاعتداء على العقل بما يفسده ويذهبه، أو ينقص منه، وذلك بتحريمه للمسكرات والمفترّات، كما في الحديث: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام»^(١).

إلى غير ذلك من مظاهر تكريم الإسلام للعقل، وما أناطه به من تفكر في الآيات الكونية والشرعية، وتفهم لمعاني النصوص وأوجه دلالاتها وفوائدها، وتدبر في دقائق ملكوت السماوات والأرض، فهذه الوظائف ونحوها هي المرادة بالنصوص الدالة على تكريم العقل والإشادة به، وهي من الأمور التي يدركها العقل؛ إذ هي من عالم الشهادة بالنسبة له، أو مما له فيها مجال من تفهم لمعاني عالم الغيب، وليس المراد بتلك النصوص المكرمة للعقل أن يستخدم هذا العقل في الخوض في حقائق ما حجب عنه من عالم الغيب مما لا يقع تحت حواسّه، وبمعارضة النصوص الإلهية والنبوية المبينة لأحكام وأخبار ذلك العالم؛ بل إن ذلك انتكاسة به عما أريد به، ومناقضة للغاية التي خلق العقل من أجلها.

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو حامد الغزالي رحمّه الله: «وكذلك

إذا قيل: ما حدّ العقل؟ فلا تطمع في أن تحدّه بحد واحد، فإنه هوس؛ لأن اسم العقل مشترك يطلق على عدة معان؛ إذ يطلق على بعض العلوم الضرورية، ويطلق على الغريزة التي يتهيأ بها الإنسان لدرك العلوم النظرية، ويطلق على العلوم المستفادة من التجربة حتى إنّ من لم تحنّكه التجارب بهذا الاعتبار لا يسمّى عاقلًا، ويطلق على من له وقار وهيبة وسكينة في جلوسه وكلامه، وهو عبارة عن الهدوء، فيقال: فلان عاقل؛ أي: فيه هدوء، وقد يطلق على من جمع العمل إلى العلم حتى إنّ المفسد - وإن كان في غاية من الكياسة - يمنع عن تسميته عاقلًا... فإذا اختلفت الاصطلاحات فيجب بالضرورة أن تختلف الحدود»^(٢).

وقال السمعاني رحمّه الله ناقلًا عن «بعض علماء السُّنّة: العقل نوعان: عقل أعين بالتوفيق، وعقل كيد بالخذلان.

- فالعقل الذي أعين بالتوفيق يدعو صاحبه إلى موافقة أمر الأمر المفترض الطاعة والانقياد لحكمه، والتسليم لما جاء عنه، وترك الالتفات إلى ما خالف أمره، أو وافق نهيه.

- والعقل الذي كيد يطلب بتعمقه الوصول إلى علم ما استأثر الله بعلمه،

(٢) المستصفى من علم الأصول (١/٢٣) [دار إحياء التراث العربي].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الأشربة، رقم ٢٠٠٣).

وخبطت خبط عشواء، فلم يثبت لها قدم، ولم تتركن على أمر تطمئن إليه، فإن معرفة الله التي وراء طورها مما لا تستقل العقول بإدراكها من طريق الفكر وترتيب المقدمات، وإنما تدرك ذلك بنور النبوة وولاية المتابعة، فهو اختصاص إلهي يختص به الأنبياء وأهل وراثتهم مع حسن المتابعة، وتصفية القلب من ضرر البدع والفكر من نزغات الفلسفة، والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم^(٤).

❖ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: موافقة النقل الصحيح الصريح للعقل الصحيح، ونفي التعارض بينهما:

ومعنى ذلك: أن أهل السُّنة ينفون إمكان التعارض بين ظاهر دلالات الكتاب والسُّنة الصحيحة مع ما تقتضيه العقول المستقيمة الباقية على فطرتها، والسالمة من الشبهات الفاسدة، والشوائب الفلسفية والكلامية الباطلة.

وأما العقول الفاسدة، فإن نفت شيئاً مما دلَّ عليه ظاهر الكتاب وصحيح السُّنة، فإن اللازم حتماً تقديم ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنة^(٥).

وحجب أسرار الخلق عن فهمه، حكمة منه بالغة ليعرفوا عجزهم عن درك غيبه، ويسلموا لأمره طائعين^(١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «العقل مستلزم لعلوم ضرورية يقينية، وأعظمها في الفطرة: الإقرار بالخالق»^(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «العقل عقلان: عقل غريزة، وهو أب العلم ومربيّه ومثمره، وعقل مكتسب مستفاد، وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته، فإذا اجتمعا في العبد، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، واستقام له أمره، وأقبلت عليه جيوش السعادة من كل جانب، وإذا فقد أحدهما، فالحيوان البهيم أحسن حالاً منه»^(٣).

وقال السفاريني رَحِمَهُ اللهُ: «إن الله تعالى خلق العقول، وأعطاهها قوة الفكر، وجعل لها حداً تقف عنده من حيث ما هي مفكرة، لا من حيث ما هي قابلة للوهاب الإلهي، فإذا استعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدها ووفت النظر حقه، أصابت بإذن الله تعالى، وإذا سلطت الأفكار على ما هو خارج عن طورها ووراء حدها الذي حده الله لها، ركبت متن عمياء،

(١) الحجة في بيان المحجة لأصبهاني (٣١٥/٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣٣٦/١٦).

(٣) مفتاح دار السعادة (١١٧/١) [دار الكتب العلمية].

(٤) لوامع الأنوار البهية (١٠٥/١).

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١٧٠/١) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ]، ومنهج السلف =

ومما يدل على هذا الأصل ما يلي:

١ - أن القرآن قد دلَّ على رد الناس إلى الكتاب والسنة عند التنازع، لا إلى العقول، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء].

وهذا موجب لتقديم السمع على العقل الفاسد عند وقوع التعارض^(١).

٢ - إجماع الصحابة وسلف الأمة على تقديم الشرع على العقل والهوى.

فلم يعارض أحد منهم ما جاء في الكتاب والسنة برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فضلاً عن أن يقول أحد منهم: يجب تقديم العقل؛ بل أقرؤا به، وسلموا له^(٢).

٣ - أن العقل يصدق الشرع في كل ما أخبر به، في حين أن الشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، فوجب على ذلك تقديم الشرع على العقل - على التنزل بوقوع التعارض؛ لأن العقل دلَّ على أن الرسول ﷺ يجب تصديقه فيما

= والمتكلمين في موافقة العقل للنقل لجابر إدریس (١٧٦/١) [دار أضواء السلف، ١٤١٩هـ].

(١) الأم للشافعي (٢٢٨/٢) [دار المعرفة، ٢هـ، ١٣٩٣هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/١٣ - ٢٩) [مكتبة ابن تيمية، ٢هـ]، والاعتصام (٢/٣٣١ - ٣٣٢) [دار المعرفة، ١٤٠٢هـ]، وانظر: (٢/٣٣٦).

أخبر، وطاعته فيما أمر، والعقل يدل على صدق الرسول دلالة عامة، ولا عكس^(٣).

٤ - أن العقل قد دلَّ على صحة النقل وسلامته، فلو أبطلنا النقل بتقديم العقل عليه لكننا قد أبطلنا دلالة العقل الذي دلَّ على سلامة النقل، وإذا بطلت دلالة العقل لزم ألا يكون العقل دليلاً صحيحاً، وإذا لم يكن دليلاً صحيحاً لم يجوز أن نتبعه بحال، فضلاً عن أن نتبعه إذا عارض النقل، فبطل تقديم العقل على النقل^(٤).

٥ - أن تقديم العقل والهوى على الشرع سنة إبليس، حيث أعرض عن أمر الله بالسجود لآدم بقياس عقلي فاسد، فكان أول من قاس برأيه، فجمع بين الظلم والكبر والعصيان^(٥).

٦ - أن تقديم العقل على النقل يلزم منه أن كل من اشتبه عليه شيء مما جاء في الشرع، ووجد في عقله معارضاً له، أن يترك الشرع الحكيم، ويقدم رأيه وما

(٣) انظر: درء التعارض (١٣٨/١، ١٤١).

(٤) انظر: درء التعارض (١٧٠/١ - ١٧١)، والصواعق المرسلة (٨٠٧/٣) [دار العاصمة، ٣هـ، ١٤١٨هـ]، والمنهج السلفي لمفرح القوسي (٣٨٥) [دار الفضيلة، ١هـ، ١٤٢٢هـ].

(٥) انظر: التنبيه والرد للملطي (٨١) [المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٨هـ]، والصواعق المرسلة (٣/٩٩٨)، وإعلام الموقعين (١/٢٥٤ - ٢٥٦) [دار الجيل، ١٩٧٣م]، وشرح العقيدة الطحاوية (٢٢٦) [مؤسسة الرسالة، ٢هـ، ١٤١١هـ]، والمنهج السلفي (٣٨٦).

بيان البراهين والحجج العقلية الصحيحة التي يهتدي بها الناس، سواء في الاعتقادات؛ كإثبات الله وتوحيده وصدق رسله وإثبات المعاد وغيره، أو في العمليات، ومن ذلك الأمثال المضروبة في القرآن، وكذا الأدلة العقلية المضروبة على إثبات التوحيد والبعث والجزاء وعلى إبطال الشرك وصدق الرسل ونحو ذلك^(٣)؛ بل إن تلك الأدلة والبراهين العقلية الصحيحة من الميزان الذي أنزله الله تعالى، والذي قال الله تعالى فيه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، حيث فُسر الميزان بأنه «الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة، المخالفة للآراء السقيمة»^(٤).

- المسألة الثالثة: الشريعة قد تأتي بمحارات العقول، ولكنها لا تأتي بمحالاتها:

أي: أن الشريعة قد تأتي بما تتحير

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٤٦/٢ - ٤٧) (٢٩٢/٩ - ٢٣٩/٩) (٢٤٠) (٨٢/١٢) (٤٤٤/١٧) (١٥٩/١٩ - ١٦٢، ١٧٦)، ودرء التعارض (١/ ٢٨، ١٩٨ - ١٩٩) (٣٧/٩)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٨٥، ١١٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٧/٨) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وانظر: منهاج السُّنة (١١٠/٢) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٠٦هـ]، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢٩٦/٣ - ٢٩٧، ٣٣١) (٧١/٦ - ٧٢) (٢٢٧/٩) (٦٢/١٤).

أملاه عليه عقله، وفي هذا من القدح في الدين ما لا يعلمه إلا الله، وهو يفضي بصاحبه إلى أن يكون من ﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩]^(١).

٧ - أن إحالة الناس إلى العقول تؤدي بهم إلى الاضطراب والاختلاف والتناقض، فإن عقول الناس مختلفة، ومداركهم متفاوتة، وأهواؤهم متباينة، فلا بد أن يقع الاختلاف بينهم قطعاً، فإحالتهم إلى العقول توجب أن يحال الناس على شيء لا سبيل إلى ثبوته ومعرفته ولا اتفاق للناس عليه.

وأما إحالتهم إلى الشرع فإنها تؤدي إلى الاتفاق والاتلاف والاجتماع، ذلك أن الشرع هو في نفسه قول الصادق، وهذه صفة لازمة له، لا تختلف باختلاف أحوال الناس وعقولهم، ولهذا أمر الله بالرد إلى الشرع عند التنازع، وهذا موجب لتقديم النقل على العقل^(٢).

- المسألة الثانية: القرآن والسُّنة قد جاء فيهما ذكر الأدلة العقلية السليمة:

فإن النصوص القرآنية والنبوية قد جاء فيها بيان الأدلة السمعية الخبرية المبنية على صدق المخبر، كما جاء فيها أيضاً

(١) انظر: درء التعارض (١٥٥/١، ١٧٨) (٢٥٦/٥)، (٢٥٨)، والصواعق المرسلة (٨٧٠/٣)، ٩٠٠، (١١٢٢، ١٠٦٧).

(٢) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (١٢٧) [دار ابن الأثير، ط ٢، ١٤١٦هـ]، ودرء تعارض العقل والنقل (١٤٦/١ - ١٤٧) (٣٣٤/٩).

تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل، وأما من البدن فهو متعلق بقلبه، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦]. وقيل لابن عباس: بماذا نلت العلم؟ قال: بلسان سؤال وقلب عقول. لكن لفظ: (القلب) قد يراد به المضغة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن، التي جوفها علقه سوداء، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد»^(٢). وقد يراد بالقلب: باطن الإنسان مطلقاً، فإن قلب الشيء باطنه وعلى هذا فإذا أريد بالقلب هذا فالعقل متعلق بدماعه أيضاً، ولهذا قيل: إن العقل في الدماغ، كما يقوله كثير من الأطباء، ونقل ذلك عن الإمام أحمد، ويقول طائفة من أصحابه: إن أصل العقل في القلب، فإذا كمل انتهى إلى الدماغ.

والتحقيق: أن الروح التي هي النفس

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٢)، ومسلم (كتاب المساقاة، رقم ١٩٥٥).

عقول بعض الناس فيه، وتعجز عن معرفته وتصوره، أو تعجز عن إدراك تفصيله، وإن كانت تعلمه مجملًا، ولكنها - أي: الشريعة - لا تأتي بما يقطع العقل باستحالته وبطلانه؛ كالجمع بين الضدين ونحوه، وكل ما يرد على العقل من توهم معارضة لبعض النصوص إنما هي أوهام فاسدة، مختصة بعقل معين، القدر يتوجه إليها لا إلى النص، وعلى هذا فإن ما جاء به المتكلمون وأهل البدع من عقليات عارضوا بها النصوص، ليست هي من أصول دين المرسلين، إنما هي من أصول دينهم هم، وبطلانها معلوم شرعاً وعقلاً^(١).

- المسألة الرابعة: مكان العقل:

اختلف العلماء وأهل الكلام في مكان العقل من جسد الإنسان:

ف قيل: إنه في الدماغ؛ أي: في الرأس.

والقول الثاني: أنه في القلب الذي

في تجويف الصدر، واحتجوا بمثل قوله

(١) انظر: درء التعارض (١/١٤٧) (٣/٢٩٦) (٥/٢٩٧) (٧/٣٢٧)، ومجموع الفتاوى (٢/٣١٢) (٣/٣٣٩) (٥/٢٨ - ٣٠) (١١/٢٤٣ - ٢٤٤) (١٦/٢٥١ - ٢٥٢، ٢٥٢ - ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٦٩) (١٧/٤٤) (٣٣/١٧٢ - ١٧٣)، والجواب الصحيح (٤/٣٠٩، ٣٩١ - ٤٠٣) [مطبعة المدني]، وبيان تلبس الجهمية (١/٣٣٣) [مطبعة الحكومة، ط ١]، والصواعق المرسلة (٣/٨٣٠)، والاعتصام للشاطبي (٢/٣٠٨ - ٣١٠)، وشرح نونية ابن القيم لابن عيسى (٢/٣٤٤).

٢ - ومنهم من زعم أن هناك عقلاً مدبراً للعالم، محرّكاً للأجرام السماوية، وادّعى أنه قديم.

٣ - ومنهم من يطلق مصطلح العقل على بعض الملائكة^(٢).

ولهم في ذلك أقوال آخر، وتفصيلات كثر.

وأما المتكلمون فمنهم من وافق الفلاسفة على كون العقل جوهرًا^(٣)، وعامة المتكلمين عرفوا العقل بمجموعة من العلوم الضرورية^(٤).

ودخول العلوم الضرورية في مفهوم العقل لا إشكال فيه، إلا أنه تعريف قاصر، فالعقل أشمل من ذلك، إذ يدخل فيه العمل بالعلم كما تقدم^(٥).

الناحية الثانية: في الموقف من العقل

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١٨٤/٢) [دار المعرفة، ١٤٠٤هـ]، وتفسير القرطبي (٣٧٠/١)، بغية المراتد (٢٥١، ٢٥٥)، ومقدمته لموسى الدويش (٩٧ - ٩٩)، والصفدية (٢٠٠/١)، والكيليات للكفوي (٦١٨) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ]، وأرسطو المعلم الأول لماجد فخري (٧٣ - ٧٤) [المطبعة الكاثوليكية، بيروت].

(٣) انظر: العدة في أصول الفقه لأبي يعلى (٧٧/١)، وذم الهوى لابن الجوزي (٥)، والتعريفات للجرجاني (١٥٢) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ].

(٤) انظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد لعبد الجبار المعتزلي (٣٧١/١)، والإرشاد للجويني (٣٦)، والمواقف للإيجي (١٤٦) [مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٢٢هـ]، وانظر كذلك: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل لجابر إدريس (٧٧/١) [دار أضواء السلف، ط١].

(٥) انظر: بغية المراتد لابن تيمية (٢٧١).

لها تعلق بهذا وهذا، وما يتصف من العقل به يتعلق بهذا وهذا، لكن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة في القلب، والعقل يراد به العلم، ويراد به العمل، فالعلم والعمل الاختياري أصله الإرادة، وأصل الإرادة في القلب، والمريد لا يكون مريدًا إلا بعد تصور المراد، فلا بد أن يكون القلب متصورًا فيكون منه هذا وهذا، وببتدئ ذلك من الدماغ، وآثاره صاعدة إلى الدماغ، فمنه المبتدأ، وإليه الانتهاء، وكلا القولين له وجه صحيح^(١).

مذهب المخالفين:

موقف المخالفين من العقل يتبين من ناحيتين:

الناحية الأولى: في تعريف العقل

وبيان ماهيته.

ففي هذا الجانب كانت الفلاسفة أبرز من ضل وابتدع فيه، ذلك أنهم جعلوا العقل جوهرًا قائمًا بنفسه، لا مجرد عرض كما هو الصحيح، ثم اضطربوا في تعيينه:

١ - فمنهم من أطلق اسم (العقل) أو (العقل الفعّال) أو (العاقل) و(المعقول) على الله تعالى، فعند هؤلاء أن الله عقل محض مفارق للمادة، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٠٣/٩ - ٣٠٤)، وانظر: مفتاح دار السعادة (١٩٤/١ - ١٩٥).

ممن غلا في شأن العقل، واعتمد الطرق الفلسفية والقواعد الكلامية منهجاً له ومصدراً في تقرير العقيدة ابتداءً، وجعل تلك الطرق حاكمة على الشرع، معارضة له، ومقدّمة عليه، فالنقل عنده تابع لا متبوع، فما وافق العقل قبله، وما خالفه تركه.

ولقد انبنى على هذا المبدأ عامة الضلالات والبدع التي ذهب إليها المتكلمون، فهم قد اتفقوا على تقديم عقولهم الفاسدة المضطربة على النص الشرعي، وقرروا ذلك تأصيلاً وتطبيقاً:

أما التأصيل: فقد أصّلوا إمكانية وقوع التعارض بين العقل والنقل، وقرروا تقديم العقل على النقل عند وقوع ذلك التعارض، والنقل إما أن يؤوّل تبرعاً، أو يفوّض، ولا يقال بظاهره أبداً؛ لمعارضته للعقل - زعموا -، وهذا التأصيل يكادون يتفقون عليه في الجملة.

(٥٧) (٢٤/٨، ١١٠) [دار الجيل، ط ١، ١٤١٧هـ]، وشرح إحياء علوم الدين للزبيدي (١٠٥/٢)، وانظر كذلك: درء التعارض (٢٤٤/٥ - ٢٤٥)، والصواعق المرسلّة (١٠٦٩/٣ - ١٠٧١).

وقد تصدى لهؤلاء المبتدعة جمعٌ من أئمة السُنّة، حيث رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في كتابه النفيس: درء تعارض العقل والنقل، ويسمى أيضاً بـ: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، وذكر في الرد: أربعة وأربعين وجهاً، انتظمت في عشرة مجلدات مطبوعة، كما رد عليهم الإمام ابن القيم رحمته الله في كتابه: الصواعق المرسلّة، فذكر في الرد واحداً وأربعين ومئتي وجّه (الصواعق المرسلّة: ٣/٧٩٦ إلى نهاية المجلد الرابع).

- أي: العقل الإنساني - ومدى اعتماده والاحتجاج به.

فقد كان أهل الضلال في ذلك على اتجاهين:

الاتجاه الأول: اتجاه الغلو والإفراط:

لقد ذهبت كثير من الفرق الضالة إلى اعتماد الدليل العقلي والاحتجاج به، وفرض المعارضة بينه وبين الدليل النقلي، ثم قدموا ما دلّ عليه العقل - بل ما دلت عليه عقولهم المختصة - على الدليل النقلي.

فهؤلاء قد جعلوا العقل حجة قاطعة، لا يقوى على معارضته شيء من السمع ونحوه، وقد كانوا في ذلك تابعين لأسلافهم من الفلاسفة والصابئين.

وأول من قدم العقل على النقل من الطوائف المنتسبة للإسلام: فرقة الجهمية، وذلك في القرن الثاني من الهجرة، ثم تبعها سائر فرق المبتدعة؛ كالمعتزلة^(١)، والأشاعرة^(٢)، والماتريدية^(٣)، وغيرهم

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي (٨٨) [مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤٠٨هـ].

(٢) قانون التأويل للغزالي (١٠) [المكتبة الأزهرية للتراث، ط ١، ٢٠٠٦م]، والمستصفى له (١٣٧/٢ - ١٣٨) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ]، ومن كتب الرازي: أساس التقديس (١٩٣ - ١٩٤) [دار الجيل، ط ١، ١٤١٣هـ]، والمطالب العالية (١/٣٣٧) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ]، ولباب الأربعين (٣٦)، والمحصل (١٤٢)، والتفسير الكبير (٧/١٢٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٣) انظر: شرح مواقف للجرجاني الماتريدي (٥٦/٢)،

معاني ما خاطبنا الله به من أسماء وصفاته .

كما يدخل فيهم غلاة الصوفية ممن ألغوا العقول، وآمنوا بما ينافي العقل والنقل؛ كاستحسانهم الجهل بمعاني النصوص وعدم فهمها؛ بل ومدح بعضهم للسُّكر وغياب العقل بالكلية^(٢)، فاستهوتهم الشياطين، فتركوا البين من الأدلة، واعتمدوا على الكشف والذوق والوجد ونحوها^(٣) .

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد»، لسعود العريفي .
- ٢ - «الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات»، لعبد القادر محمد عطا صوفي .
- ٣ - «الاعتصام»، للشاطبي .
- ٤ - «بغية المرناد»، لابن تيمية، مع مقدمته لموسى الدويش .
- ٥ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنة الأصبهاني .
- ٦ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية .
- ٧ - «الصواعق المرسلات»، لابن القيم .

(٢) انظر طرفاً من ذلك في: الفتوحات المكية لابن عربي الصوفي (٨٩/١) [دار صادر].
(٣) انظر: مذهب أهل التفويض لأحمد القاضي (٤٥٦) - (٤٦٢).

وأما التطبيق: فإنهم عندما تكلموا على مفصل أبواب الاعتقاد (وهو ما يسمونه: علم الكلام)؛ كالكلام في أسماء الله الحسنى، وصفاته العُلا، أو في باب الإيمان، أو القدر، أو النبوات، وغيرها من أبواب العقيدة، فإننا نراهم يطرحون نصوص الشرع جانباً بأدنى معارض عقلي، ويأتون بأدلة يزعمونها عقلية، وهي في الحقيقة شبه كلامية مستقاة من أصول فلسفية، فيجعلونها حكماً على الوحي، ويلوون أعناق النصوص طلباً لسلامة تلك القواعد الفلسفية^(١) .

ويلتحق بأصحاب هذا الطرف الغالي في العقل سائر من غلا في العقل؛ كأصحاب الاتجاه العقلاني المعاصر، والذين ردُّوا كثيراً من نصوص العقائد والشرائع أيضاً بناء على ما تمليه عقولهم الفاسدة، وأهواؤهم المنحرفة .

الاتجاه الثاني: اتجاه التقصير والتفريط:

وهم الذين ألغوا العقول وعطلوها عما خلقت له من التفكير والتدبر والنظر السليم .

فيدخل في هذا الطرف أهل التفويض والتجهيل من المتكلمين من هذه الناحية، وهم الذين عطلوا عقولهم عن معرفة

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩/٥) .

تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاء في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب، وأخباره^(٤).
ومن أقوال العلماء في تعريف العقيدة ما يلي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فإن الاعتقاد هو الكلمة التي يعتقدها المرء»^(٥).

- وقال الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللهُ: «هي تصميم القلب والاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك في المطالب الإلهية^(٦)، والنبوات، وأمور المعاد، وغيرها مما يجب الإيمان به»^(٧).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كانت العقيدة في اللغة مشتقة من العَقْد والإحكام، أُطلق هذا اللفظ في الشرع على ما يعقده الإنسان بقلبه جازماً به، من غير أن يتطرق إليه في ذلك شك أو تردد.

(٤) انظر: تسهيل العقيدة الإسلامية لابن جبرين (١) [دار العصيمي، ط ٢].

(٥) مجموع الفتاوى (٧٤/٤).

(٦) المقصود بالمطالب الإلهية: الإيمان بالله في ربوبيته وألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته وغير ذلك مما يجب الإيمان به.

(٧) العقيدة الإسلامية وتاريخها ضمن رسائل الجامي في العقيدة والسنة (١٣) [دار ابن رجب، طبعة عام: ١٤١٤هـ].

- ٨ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
٩ - «منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل»، لجابر إدريس أمير.
١٠ - «الموافقات»، للشاطبي.

العقيدة

التعريف لغة:

العقيدة في اللغة: مشتقة من العَقْد وهو نقيض الحل، يقال: عَقَدَهُ يَعْقِدُهُ عَقْداً؛ إذا ربطه بقوة، ومنه الإحكام والإبرام والتوثيق، ومنه عقد اليمين.
قال ابن منظور: «العَقْد نقيض الحل. عَقَدَهُ يَعْقِدُهُ عَقْداً وَتَعَقَّداً وَعَقْدَهُ، وَعَقَدَ قَلْبَهُ عَلَى الشَّيْءِ: لَزَمَهُ»^(١). وقال ابن فارس: «العين والقاف والدا ل أصل واحد يدل على شدّ وشدّة وثوق، إليه ترجع فروع الباب كلها»^(٢). وقال الفيومي: «اَعْتَقَدْتُ كذا: عَقَدْتُ عليه القلب والضمير، حتى قيل: العَقِيْدَةُ ما يدين الإنسان به، وله عَقِيْدَةٌ حسنة سالمة من الشك»^(٣).

التعريف شرعاً:

تطلق العقيدة في الاصطلاح الخاص الإسلامي ويراد بها: الإيمان الجازم بالله

(١) لسان العرب (٣/٢٩٦ - ٢٩٨).

(٢) مقاييس اللغة (٤/٨٦).

(٣) المصباح المنير (٢/٥٧٥)، وانظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني (٥٧٦) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ].

✽ الأسماء الأخرى:

التوحيد، الإيمان، أصول الدين، السُّنة، الشريعة، الفقه الأكبر^(١).

✽ الحكم:

يجب أن يتدين كل عبد بعقيدة الإسلام القائمة على الإيمان الجازم بالله تعالى، وبما يجب له من التوحيد والإيمان بملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبما يتفرع عن هذه الأصول ويلحق بها مما هو من أصول الإيمان. فالعقيدة الإسلامية هي دينُ الله الحق الذي رضيَه دينًا لعباده أجمعين ولن يقبل من عباده دينًا سواه. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥) [آل عمران].

✽ الحقيقة:

العقيدة الصحيحة هي التي تصحح الأخلاق، وتحمي الإنسان من الانزلاق، وليس ذلك إلا في العقيدة الإسلامية؛ عقيدة السلف أهل السُّنة والجماعة أصحاب الحديث.

فالعقيدة هي السُّنة، وهي الإيمان الجازم بالله تعالى، وبما يجب له من التوحيد والإيمان بملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره

وشره، وبما يتفرع عن هذه الأصول ويلحق بها مما هو من أصول الإيمان، وأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا؛ فإذا صحت العقيدة، حسنت الأخلاق تبعًا لذلك؛ فالعقيدة الصحيحة (عقيدة السلف) عقيدة أهل السُّنة والجماعة التي تحمل صاحبها على مكارم الأخلاق، وتردعه عن مساوئها.

✽ الأهمية:

١ - أن جميع الرسل أرسلوا بالدعوة للعقيدة الصحيحة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (١٥) [الأنبياء].

٢ - أن تحقيق العقيدة الصحيحة وإفراد الله بالعبادة هو الغاية الأولى من خلق الإنس والجن؛ قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونِ﴾ (٥١) [الذاريات].

٣ - أن قبول الأعمال متوقف على صحة اعتقاد العبد، فإذا فسدت العقيدة وانحرف صاحبها عن الحق، فقد ترد عليه سائر أعماله.

٤ - أن العقيدة تحدد العلاقة بين العبد وخالقه، في معرفته وتوحيده وعبادته.

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «أما العقيدة

(١) انظر: محاضرات في العقيدة والدعوة (٢/٢٦٣)، وبحوث في عقيدة أهل السُّنة والجماعة (١٣).

السلف الصالح من أمور العقيدة؛ كالولاء والبراء، والواجب تجاه الصحابة، وأمّهات المؤمنين - رضوان الله عليهم أجمعين -، ويدخل في ذلك الرد على الكفار، والمبتدعة، وأهل الأهواء، وسائر الملل والنحل، والمذاهب الهدامة، والفرق الضالة، والموقف منهم، إلى غير ذلك من مباحث العقيدة.

- المسألة الثانية: منهج تلقي العقيدة الإسلامية:

العقيدة الإسلامية الصحيحة قائمة على منهج متميز في الاستدلال والتلقي، وهو منهج السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، من أئمة العلم والهدى، ويقوم ذلك على الأسس التالية:

١ - الاقتصار في منهج تلقي العقيدة على الوحي:

وذلك بالاعتماد على الكتاب والسنة، والاعتصام بهما، في الاعتقاد والعمل، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩) [النساء].

٢ - التسليم لما جاء به الوحي، مع إعطاء العقل مكانه في الفهم والتدبر:

لما كانت العقيدة مبنية على التسليم

الإسلامية فأسسها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وقد دلّ على هذه الأسس كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ^(١).

- وقال الفوزان: «العقيدة الإسلامية هي التي بعث الله بها رسله، وأنزل بها كتبه، وأوجبها على جميع خلقه الجن والإنس، فكل الرسل جاؤوا بالدعوة إلى هذه العقيدة، وكل الكتب الإلهية نزلت لبيانها وبيان ما يبطلها ويناقضها أو ينقصها، وكل المكلفين من الخلق أمروا بها، وإن ما كان هذا شأنه وأهميته لجدير بالعناية والبحث والتعرف عليه قبل كل شيء، خصوصاً وأن هذه العقيدة تتوقف عليها سعادة البشرية في الدنيا والآخرة» ^(٢).

✻ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: موضوعات علم العقيدة:

علم العقيدة: بمفهوم أهل السنة والجماعة اسم علم على العلم الذي يُدرس ويتناول جوانب التوحيد، والإيمان، والإسلام، وأمور الغيب، والنبوات، والقدر، والأخبار، وأصول الأحكام القطعية، وما أجمع عليه

(١) رسائل في العقيدة لابن عثيمين (١١).

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (٩) [دار ابن الجوزي، ط ٤، ١٤٢٠هـ].

لما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ كانت وظيفة العقل هي التدبر في نصوص الوحي، والامتنال لما جاءت به من الأمر والنهي، دون معارضة للنصوص، إذ العقل السليم لا يمكن بأي وجه من الوجوه أن يعارض النص الصريح.

- المسألة الثالثة: عدم التفريق بين الكتاب والسنة في الاستدلال على العقيدة:

- المسألة الخامسة: خصائص العقيدة الإسلامية:

من أبرز خصائص عقيدة أهل السنة ما يلي:

١ - ربانية المصدر: فهي وحي من عند الله ﷻ، قال تعالى: ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ [البقرة]، وقال أيضًا على لسان نبيه: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

٢ - موافقة الفطرة: فهي منسجمة مع الفطرة السليمة؛ بل هي أصل الفطر، وهذا ما دلَّ عليه قوله ﷻ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟»^(١)، ثم يقول أبو

القرآن الكريم والسنة النبوية كلاهما وحي من عند الله تعالى، فلا يجوز التفريق بينهما في الاستدلال، وقد بين الله تعالى أن كلام النبي ﷺ وحي كالقرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم]، كما لا يجوز التفريق بين نصوص السنة النبوية في الاستدلال على العقيدة بالأخذ بالمتواتر دون الآحاد، فلم يكن ذلك معروفًا عند السلف؛ بل كانوا يعتقدون ويعملون بكل ما صح عن رسول الله ﷺ، فسنته ﷺ كلها حجة بنفسها في جميع مسائل الدين.

- المسألة الرابعة: صحة فهم النصوص والاعتماد على فهم الصحابة ﷺ:

لا شك أن فهم نصوص الوحي ركيزة أساسية في صحة الاستدلال بها على مسائل الاعتقاد، وذلك بالأخذ بظواهرها الواضحة وترك التأويل المذموم، والاعتماد في ذلك على فهم

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٨).

هريرة: واقروا إن شئتم: ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

وأهلها أهل وسطية واعتدال، فهم الوسط في فرق الأمة، كما أن هذه الأمة هي الوسط في الأمم، قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

٣ - اليسر والوضوح والسهولة: إذ يستطيع أن يفهمها الناس على اختلاف مستوياتهم العقلية والثقافية والاجتماعية.

٨ - الواقعية: فهي ليست عقيدة خيالية؛ بل تتماشى مع واقع الإنسان ومتطلبات وجوده، فهي ليست من باب الخيال الذي يصعب تطبيقه؛ بل قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٤ - الإيجابية: فهي تتجاوب مع رغبات الإنسان وطموحاته، فهي معه لتحقيق هذه الرغبات بالطرق السليمة.

٩ - عقيدة مبرهنة: فهي لا تكتفي بمخاطبة أتباعها مخاطبة إلزامية؛ بل تتبع قضاياها بالحجة والبراهين العقلية والنقلية^(١).

٥ - الشمولية والتوازن: تمتاز العقيدة الإسلامية بنظرتها الشمولية للكون والإنسان والحياة؛ فهي قد عرفت الإنسان تعريفاً كاملاً من بدايته إلى مستقره، وتطرق إلى أمور الحياة سواء في الدنيا أو في الآخرة، وما يترتب على الإنسان في كلتا الحياتين، ووازنت بين كل هذه المراحل موازنة دقيقة.

❁ الفروق:

الفرق بين العقيدة والشرعة:
لا بد في كل دين من شيئين: العقيدة والشرعة، أو المعبود والعبادة، والدين الإسلامي ينقسم إلى: عقيدة وشرعة.
فأما العقيدة فيراد بها الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب وتكون يقيناً عند أصحابها لا شك فيها ولا ريب.

٦ - الثبات: إن العقيدة الإسلامية ليست نظريات صاغها البشر، ولكنها من عند الله، وثباتها هذا لا يعني تجميد النشاط الإنساني، وإنما يعني الالتزام بمقاييس ثابتة، يقاس نشاط البشر بها، وفي حقائق الإسلام الثابتة يستطيع الإنسان أن يتحرك ويرتقي، ويطور من وسائل معيشته.

وأما الشرعة فتعني التكاليف العملية التي دعا إليها الإسلام؛ كالصلاة والزكاة

٧ - الوسطية: تمتاز العقيدة الإسلامية بكونها وسطاً بين الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط، والزيادة والنقصان

(١) انظر: دراسات في العقيدة الإسلامية (١٧).

- ٦ - «عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين»، لصالح البليهي.
- ٧ - «العقيدة في الله»، لعمر الأشقر.
- ٨ - «محاضرات في العقيدة والدعوة»، للفوزان.
- ٩ - «المدخل إلى الثقافة الإسلامية»، لخالد القاسم وآخرين.

- ١٠ - «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السُّنة والجماعة»، لعثمان بن علي حسن.

❖ العلم ❖

❖ التعريف لغة: ❖

العلم: نقيض الجهل^(٢)، فعلمك بالشيء نقيض جهلك به، وكلما ازداد علمك به زالت عنك أوجه الجهل فيه. قال ابن فارس: «العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على أثرٍ بالشيء يتميزُّ به عن غيره. من ذلك العلامة، وهي معروفة. يقال: علّمت على الشيء علامة. ويقال: أعلم الفارس، إذا كانت له علامةٌ في الحرب. وخرج فلانٌ مُعلِّماً بكذا. والعَلَم: الراية، والعلم: الجبل، وكلُّ شيءٍ يكون مُعلِّماً: خلاف المَجْهَل.

والعلم: السَّقُّ في الشَّفة العليا،

والصيام وبر الوالدين وغيرها، ولا بد في كل دين وطاعة ومحبة من شيئين؛ أحدهما: الدين المحبوب المطاع، وهو المقصود المراد، والثاني: نفس صورة العمل التي تطاع ويعبد بها، وهو السبيل والطريق والشرعية والمنهاج والوسيلة^(١).

❖ الآثار: ❖

من آثار الإعراض عن العقيدة الصحيحة:

- ١ - الجهل بعقيدة السلف.
- ٢ - كثرة البدع.
- ٣ - انتشار الخرافات.
- ٤ - الحيرة والاضطراب.
- ٥ - التفرق والاختلاف.
- ٦ - ضعف الإيمان.
- ٧ - التعصب والغرور.

❖ المصادر والمراجع: ❖

- ١ - «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد»، للفوزان.
- ٢ - «بحوث في عقيدة أهل السُّنة والجماعة»، لناصر العقل.
- ٣ - «حراسة العقيدة»، لناصر العقل.
- ٤ - «رسائل في العقيدة»، لابن عثيمين.
- ٥ - «العقيدة الصحيحة وما يضادها»، لابن باز.

(١) يُنظر: جامع المسائل لابن تيمية (٢/٢٢٦) [عالم الفوائد، ط ١]، وقاعدة في المحبة له (٤٠) [مكتبة التراث الإسلامي، مصر].

(٢) مقاييس اللغة (٤/١١٠) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، والصاح (٦/٢٦٨) [دار العلم للملايين، ط ٤].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

مما تقدم يظهر الارتباط الوثيق بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي، إلا أن المعنى الشرعي المتعلق بوصف الله تعالى بالعلم أخص؛ لأنه شامل لتمام العلم وكماله بما لا يكون معه أي نقص فيه بوجه من الوجوه، في حين أن المعنى اللغوي يدخل فيه الوصف بالعلم دون اشتراط تمامه، فيوصف المخلوق بالعلم، مع أنه ما أوتي منه إلا قليلاً.

الحكم:

وجوب إثبات العلم صفة ذاتية لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ يَعْلَمُهُ﴾ [النساء: ١٦٦].
وقال تعالى: ﴿فَلَنْقُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمِهِ﴾ [الأعراف: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

ومن السنة: ما جاء في حديث الاستخارة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ

والرجل أعلم. والقياس واحد؛ لأنه كالعلامة بالإنسان. والعلامة فيما يقال: الجِنَاء؛ وذلك أنه إذا خُصِبَ به فذلك كالعلامة. والعلم: نقيض الجهل، وقياسه قياس العلم والعلامة، والدليل على أنهما من قياس واحد قراءة بعض القُرَّاء: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ﴾ [السَّاعَةَ] [الزخرف: ٦١]، قالوا: يراد به نزول عيسى عليه السلام، وإنَّ بذلك يُعَلَّمُ قُرب الساعة. وتعلّمت الشيء، إذا أخذت علمه^(١).

وهو في حق الله تعالى على وجه الكمال الذي لم يسبقه جهل، ولا يعتريه أي معنى من معاني الجهل.

التعريف شرعاً:

صفة ذاتية لله تعالى على وجه الإحاطة والكمال؛ فهو العليم المُحِيطُ عِلْمُهُ بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها دَقِيقُهَا وَجَلِيلُهَا على أتمَّ الإمكان^(٢)، فيعلم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون^(٣).

(١) مقاييس اللغة (١٠٩/٤) [دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ].
وانظر: المحكم والمحيط الأعظم (١٧٤/٢) [دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م]، ولسان العرب (٤١٦/١٢) [دار صادر، ط ١، ١٤١٢هـ]، والقاموس المحيط (٤/١١٧) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ].
(٢) النهاية لابن الأثير (٥٦٠/٣) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ]، وانظر: لسان العرب (٤١٦/١٢).

(٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لابن عيسى (٢١٥/٢) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٦هـ].

بعلملك... الحديث (١).

لا يعزب عنه شيء من ذلك» (٥).

وقال أبو العباس ابن تيمية: «واسمه العليم، هو الرب العليم الذي العلم صفة له، فليس العلم هو المسمى بل المسمى هو العليم» (٦).

وما جاء في دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي» الحديث (٢).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: من أسماء الله

الحسنى: العليم:

قد ورد هذا الاسم في القرآن، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة]، وقال: ﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة]، وقال: ﴿فَقَبَلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران].

وما جاء في حديث قصة موسى والخضر ﷺ، وفيه قول الخضر لموسى: «يا موسى إني على علم من علم الله علّمني لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه». وفيه أيضاً: «وجاء عصفور فوق علي حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله، إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر» (٣).

✽ أقوال أهل العلم:

قال الإمام أبو حنيفة - في إثبات صفة العلم لله تعالى -: «يعلم لا كعلمنا» (٤).

وقال ابن جرير الطبري: «والله ذو علم بضمائر صدور عباده، وما تنطوي عليه نفوسهم الذي هو أخفى من السر،

وورد في السنة نصوص كثيرة تدل عليه؛ منها ما رواه أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة بالليل كَبَّرَ ثم يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدك، ولا إله غيرك، ثم يقول: لا إله إلا الله، ثلاثاً، ثم يقول: الله أكبر كبيراً - ثلاثاً - أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه» (٧).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٨٢).

(٢) أخرجه النسائي (كتاب السهو، رقم ١٣٠٥)، وأحمد (٢٦٤/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ١٤]، وابن حبان (كتاب الصلاة، رقم ١٩٧١)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٢٣) وصحّحه، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٣٠١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١٢٢)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٨٠).

(٤) الفقه الأكبر (٤٩) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٥) تفسير الطبري (٤١٧/٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٠١/٦) [١٤١٨هـ].

(٧) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ٧٧٥)،

والترمذي (أبواب الصلاة، رقم ٢٤٢)، وأحمد =

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال حين يمسي: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، ثلاث مرات؛ لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي»^(١).

وهذا الاسم مما أجمعت الأمة على ثبوته^(٢).

عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَأِنْ تَحَرَّهَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه] قال: «يعلم السر ما أسر ابن آدم في نفسه، وأخفى: ما خفي على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعمل، فإن الله تعالى يعلم ذلك كله، فعلمه فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد، وجميع

الخلائق عنده في ذلك كنفس واحدة»^(٣).

وقال السعدي رحمته الله: «العليم المحيط علمه بكل شيء؛ بالواجبات، والممتنعات، والممكنات، فيعلم تعالى نفسه الكريمة، ونعوته المقدسة، وأوصافه العظيمة، وهي الواجبات التي لا يمكن إلا وجودها، ويعلم الممتنعات حال امتناعها، ويعلم ما يترتب على وجودها لو وجدت ويعلم تعالى الممكنات، وهي التي يجوز وجودها وعدمها ما وجد منها، وما لم يوجد مما لم تقتض الحكمة إيجادها، فهو العليم الذي أحاط علمه بالعالم العلوي، والسفلي لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان، ويعلم الغيب، والشهادة، والظواهر، والبواطن، والجلي، والخفي»^(٤).

- المسألة الثانية: هل العالم من أسماء الله تعالى؟

ورد اسم العالم^(٥) مقيداً ولم يرد مطلقاً، كما قال تعالى: ﴿وَسُرُّدُونَ إِلَىٰ عَلِيمٍ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشَرُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [١٥].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٧٢/١٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/١٢٥) [مكتبة السوادى، ط ١].

(٤) الحق الواضح المبين للسعدي (٢٣٠)، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط ٢، ١٤١٢هـ].

(٥) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٩) [دار المأمون، ط ٥، ١٤٠٦هـ].

= (١٨/٥١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والدارمي في سننه (كتاب الصلاة، رقم ١٢٧٥)، وابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ٤٦٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣/٣٦١، رقم ٧٤٨) [مؤسسة غراس، ط ١].

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٠٨٨)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٣٨٨) وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٦٩)، وأحمد (١/٦٢، ٦٦) [مؤسسة قرطبة]، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٨٥٢)، والحاكم في المستدرک (كتاب الدعاء، رقم ١٨٩٥) وصححه وصححه ابن باز في تحفة الأخيار (٢٢) [وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ]، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٦٥٥) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٢) معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنى للتميمي (١٨٢).

[التوبة]، إلا أن العليم أبلغ، وفيه وصف أكمل.

- المسألة الثالثة: هل العلام من أسماء الله تعالى؟

ورد اسم عَلَام - وهو صيغة مبالغة على وزن فعال - مقيداً ولم يرد مطلقاً كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة].

- المسألة الرابعة: ورود اسم الأعلام:

لم يرد (الأعلام) في نصوص الكتاب والسنة اسماً مفرداً على وجه التسمية لله تعالى، وإنما ورد اسم تفضيل، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ٥٥]. قال ابن تيمية: «الأعلام: لم يجرى إلا مضافاً: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت]، وفي قوله: ﴿رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن اهْتَدَى﴾ [النجم]، وقوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٧]، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩]، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١١].»

وممن أثبتة اسماً لله ابن الوزير^(٢).

(١) المستدرک علی فتاوی ابن تیمیة (٤٢/١) [ط١، ١٤١٨هـ]، وانظر بقية المواضع في: كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٦٠٤) [دار الحديث، ط٢، ١٤٠٨هـ].

(٢) إثبات الحق على الخلق (١٥٩) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٧م].

- المسألة الخامسة: تسمية غير الله بالعليم:

يجوز تسمية من له علم من المخلوقات بالعالم وبالعليم، مع ملاحظة الفرق بين إطلاقه على الله وبين إطلاقه على المخلوق، فالإضافة تقتضي التخصيص، وعلم الله لم يسبق بفناء ولا جهل ولا يلحقه جهل ولا فناء ولا يعتريه نسيان ولا ذهول ولا خطأ بخلاف علم المخلوق.

قال الأزهرى رحمه الله: «ويجوز أن يقال للإنسان الذي علمه الله علماً من العلوم: عليم؛ كما قال يوسف للملك: ﴿إِنِّي حَفِيطٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، فأخبر سبحانه أن من عباده من يخشاه وأنهم هم العلماء.

وكذلك صفة يوسف كان عليمًا بأمر ربه وأنه واحد ليس كمثل شيء، إلى ما علمه الله من تأويل الأحاديث الذي كان يقضي به على الغيب، فكان عليمًا بما علمه الله»^(٣).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وسمى أيضاً بعض مخلوقاته حياً، وبعضها عليمًا، وبعضها سميعًا بصيرًا، وبعضها رؤوفاً رحيمًا، وليس الحي كالحی، ولا العليم كالعليم، ولا السميع كالسميع، ولا البصير كالبصير، ولا الرؤوف كالرؤوف،

(٣) تهذيب اللغة (٣٠٢/١).

ولا الرحيم كالرحيم»^(١).

بمعنى العليم^(٣).

وقيل: الخبير الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاط بظواهرها^(٤).

وقيل: الخبير: هو العليم ببواطن الأمور، فنقول: العليم بظواهر الأمور، والخبير ببواطن الأمور، فيكون العلم بالباطن مذكورًا مرتين: مرة بطريق العموم، ومرة بطريق الخصوص، لئلا يظن أن علمه مختص بالظواهر^(٥).

الآثار:

١ - التبعيد لله تعالى بمقتضى علمه بكل شيء، فيصرف له الدعاء والرجاء، وترغب إليه القلوب والألسنة والجوارح وتخشاه.

٢ - مراقبة الله تعالى؛ فيمثل أمره ويجتنب نهيه في الغيب والشهادة.

٣ - التوكل على الله تعالى في كل شيء؛ فهو العليم بمصالح العباد وعواقب الأمور.

٤ - اليقين بوعد الله، والثقة بنصره؛ فليس بغافل عما يعمل الظالمون، وهو أعلم بمن اتقى.

٥ - محبة العلم وسلوك سبيله،

- المسألة السادسة: حكم تسمية الله بالعارف:

دلت النصوص على تسمية الله تعالى بالعليم ووصفه بالعلم، لكن لا يجوز قياسًا عليه أن يسمى عارفًا؛ لما تقتضيه المعرفة من تقديم الأسباب التي بها يتوصل إلى علم الشيء.

فأسماء الله تعالى هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها، وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيرًا بمرادف محض؛ بل هو على سبيل تقريب المعنى.

وقد ذكر أهل العلم أن الله تعالى يوصف من كل صفة كمال بأكملها، وأجلّها وأعلاها، فجميع ما أطلقه الله على نفسه من صفاته العلا أكمل معنى ولفظًا مما لم يطلقه، فالعليم الخبير أكمل من الفقيه العارف، والكريم الجواد أكمل من السخي، والخالق البارئ المصور أكمل من الصانع الفاعل^(٢).

الفرق:

الفرق بين العليم والخبير:

قيل: الخبير في أسماء الله تعالى

(٣) انظر: الكليات للكفوي [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٣٢هـ].

(٤) انظر: الصواعق المرسلّة لابن القيم (٢/ ٤٩٢).

(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين (٨/ ١٥٤) [دار الوطن، ١٤٢٦هـ].

(١) جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ١٩٧) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٢) انظر: طريق الهجرتين لابن القيم (٤٨٤ - ٤٨٥).

إلا النقص، فنفيها رد لصريح المنقول والمعقول، ويلزم منه أن يكون موصوفاً بالجهل تعالى وتقدس.

وبناء على مقدمتهم الباطلة فلا يوصف الله تعالى بأي صفة من صفات الكمال الذي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ!

وخالف في اسم العليم غلاة القدرية كمعبد الجهني وأتباعه، والفلاسفة كأرسطو، والقرامطة والإسماعيلية كابن سينا، وبعض الرافضة.

وهذه العقيدة يكفي في ردها أنها مخالفة لصريح القرآن من أن الله يعلم كل شيء وأحاط بكل شيء علماً ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ومخالفة لقول الرسول ﷺ وصحابته وأئمة أهل البيت .

سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عمن قال بالقدر أكون كافراً؟ فقال: إذا جحد العلم؛ إذا قال: الله ﷻ لم يكن عالماً حتى خلق علماً فعلم فجحد علم الله ﷻ كافر.

وحكى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ مقالته فقال: «وزاد عليهم غلاة الفلاسفة والقرامطة فنفوا أسماءه الحسنى وقالوا: من قال إن الله عليم قدير عزيز حكيم: فهو مشبه ليس بموحد»^(٢).

وبغض الجهل والبعد عن أسبابه؛ فالله يحب العلم، وإنما يخشى الله من عباده العلماء.

٦ - انتظام أمر الكون، ودقة تدبيره، فقد خلقه الله تعالى بعلمه، ولا يعزب عن علمه شيء.

٧ - مضي سنة الله تعالى في خلقه بعلمه تعالى بحال المتقين وجعل العقابة لهم، وعلمه بحال الظالمين وجعل الدائرة عليهم.

٨ - إجابة دعوة الداع والمضطّر وكشف السوء؛ فهو السميع العليم.

٩ - إذا علم العبد أن ربه قد وسع كل شيء علماً وأنه يعلم سره ونجواه ومكانه وحركاته وسكناته خاف ربه واتقاه وراقبه وما عصاه.

✽ مذهب المخالفين:

خالف المعتزلة في صفة العلم، فلم يشبها صفة زائدة عن معنى الذات؛ وقالوا بأنه لو كان عالماً بعلم، فإما أن يكون ذلك العلم قديماً أو محدثاً، والأول يوجب تعدد القدماء، والثاني ممتنع عليه^(١).

✽ الرد عليهم:

الرد على هؤلاء بمنع هذه المقدمات الباطلة، واللوازم الفاسدة، فثبتت صفة العلم له ﷻ هو الكمال الذي لا يقابله

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة (١٨٣) [مكتبة وهبة،

جزئي، والكلديات إنما تكون في العلم لا سيما وهم يقولون: إنما علم الأشياء؛ لأنه مبدؤها وسببها والعلم بالسبب يوجب العلم بالمسبب، ومن المعلوم أنه مبدع للأمور المعينة المشخصة الجزئية كالأفلاك المعينة والعقول المعينة وأول الصادات عنه على أصلهم العقل الأول وهو معين، فهل يكون من التناقض وفساد العقل في الإلهيات أعظم من هذا؟^(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي بَيَانِهِ تَضَمَّنَ الْفَاتِحَةَ الرَّدَّ عَلَى مَنْ نَفَى عِلْمَ اللَّهِ بِالْجُزْئِيَّاتِ: «فصل في بيان تضمنها للرد على منكري تعلق علمه تعالى بالجزئيات وذلك من وجوه:

أحدها: كمال حمده، وكيف يستحق الحمد من لا يعلم شيئاً من العالم وأحواله وتفاصيله، ولا عدد الأفلاك ولا عدد النجوم، ولا من يطيعه ممن يعصيه ولا من يدعوه ممن لا يدعوه.

الثاني: أن هذا مستحيل أن يكون إلهاً وأن يكون رباً، فلا بد للإله المعبود والرب المدبر من أن يعلم عابده ويعلم حاله.

الثالث: من إثبات رحمته، فإنه يستحيل أن يرحم من لا يعلم.

الرابع: إثبات ملكه، فإن ملكاً لا

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: «وإنما ينكر أن تكون هذه الأسماء حقيقة النفاة من القرامطة الإسماعيلية الباطنية ونحوهم من المتفلسفة الذين ينفون عن الله الأسماء الحسنى، ويقولون: ليس بحي ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ولا موجود ولا معدوم؛ فهؤلاء ومن ضاهاهم ينفون أن تكون له حقيقة ثم يقول بعضهم: إن هذه الأسماء لبعض المخلوقات وأنها ليست له حقيقة ولا مجازاً. وهؤلاء الذين يسميهم المسلمون الملاحدة؛ لأنهم ألحدوا في أسماء الله وآياته... ولو كانت أسماء الله وصفاته مجازاً يصح نفياً عند الإطلاق؛ لكان يجوز أن الله ليس بحي ولا عليم ولا قدير ولا سميع ولا بصير ولا يجبههم ولا يحبونه ولا استوى على العرش؛ ونحو ذلك. ومعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز إطلاق النفي على ما أثبتته الله تعالى من الأسماء الحسنى والصفات؛ بل هذا جحدٌ لِلْخَالِقِ وَتَمْثِيلٌ لَهُ بِالْمَعْدُومَاتِ»^(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا مما يبين لك أن من قال من المتفلسفة إنه رَحِمَهُ اللهُ يعلم الأشياء على وجه كلي لا جزئي، فحقيقة قوله إنه لم يعلم شيئاً من الموجودات فإنه ليس في الموجودات إلا ما هو معين

(١) مجموع الفتاوى (١٩٧/٥ - ١٩٨)، وانظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١/٢٤٦).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٢/٣٨٢).

أقروا به حجة عليهم فيما أنكروه وفي تكفير هؤلاء نزاع مشهور بين العلماء. وأما من أنكر العلم القديم فنص الشافعي وأحمد على تكفيره، وكذلك غيرهما من أئمة الإسلام»^(٢).

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمته الله: «وأنكر غلاة المعتزلة أن الله كان عالمًا في الأزل، وقالوا: إن الله تعالى لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوا! تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا. قال الإمام الشافعي رحمته الله: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروا كفروا. فالله تعالى يعلم أن هذا مستطيع يفعل ما استطاعه فيشيء، وهذا مستطيع لا يفعل ما استطاعه فيعذبه، وإنما يعذبه؛ لأنه لا يفعل مع القدرة، وقد علم الله ذلك منه ومن لا يستطيع لا يأمره ولا يعذبه على ما لم يستطعه.

وإذا قيل: فيلزم أن يكون العبد قادرًا على تغيير علم الله؛ لأن الله علم أنه لا يفعل، فإذا قدر على الفعل قدر على تغيير علم الله؟ قيل: هذه معضلة، وذلك أن مجرد قدرته على الفعل لا تستلزم تغيير العلم، وإنما يظن من يظن تغيير العلم إذا وقع الفعل، ولو وقع الفعل لكان المعلوم وقوعه لا عدم وقوعه، فيمتنع أن يحصل وقوع الفعل مع علم الله

يعرف أحدًا من رعيته البتة ولا شيئًا من أحوال مملكته البتة ليس بملك بوجه من الوجوه.

الخامس: كونه مستعانًا.

السادس: كونه مسؤولًا أن يهدي

سائله ويجيبه.

السابع: كونه هاديًا.

الثامن: كونه منعمًا.

التاسع: كونه غضبانًا على من خالفه.

العاشر: كونه مجازيًا يدين الناس

بأعمالهم يوم الدين فنفي علمه بالجزئيات مبطل لذلك كله»^(١).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «والدرجة الأولى أثبتها كثير من القدرية ونفاها غلاتهم؛ كمعبد الجهني الذي سئل ابن عمر عن مقالته، وكعمرو بن عبيد وغيره، وقد قال كثير من أئمة السلف: ناظروا القدرية بالعلم؛ فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوا فقد كفروا، يريدون أن من أنكر العلم القديم السابق بأفعال العباد وأن الله تعالى قسمهم قبل خلقهم إلى شقي وسعيد وكتب ذلك عنده في كتاب حفيظ فقد كذب بالقرآن فيكفر بذلك، وإن أقروا بذلك وأنكروا أن الله خلق أفعال العباد وشاءها وأرادها منهم إرادة كونية قدرية فقد خصموا؛ لأن ما

(١) مدارج السالكين (١/٦٧) [دار الكتاب العربي،

- ٨ - «الحق الواضح المبين»، لعدم وقوعه؛ بل إن وقع كان الله قد علم أنه يقع، وإن لم يقع كان الله قد علم أنه لا يقع. ونحن لا نعلم علم الله إلا بما يظهر، وعلم الله مطابق للواقع، فيمتنع أن يقع شيء يستلزم تغيير العلم؛ بل أي شيء وقع كان هو المعلوم، والعبد الذي لم يفعل لم يأت بما يغير العلم؛ بل هو قادر على فعل لم يقع، ولو وقع لكان الله قد علم أنه يقع، لا أنه لا يقع^(١).
- ٩ - «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.
- ١٠ - «معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنى»، للتميمي.
- ١١ - «المفاهيم المثلى في ظلال شرح أسماء الله الحسنى»، لوليد بن محمود بن حسن.

المصادر والمراجع:

- ١ - «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم» (ج ٢)، لابن عيسى.
- ٢ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.

٣ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، للسقاف.

٤ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٥ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

٦ - «أسماء الله الحسنى وصفاته العليا من كتب ابن القيم»، لعماد زكي البارودي.

٧ - «توضيح الكافية الشافية»، للسعدي.

علم التأثير

يراجع مصطلح (التنجيم).

علم التفسير

يراجع مصطلح (التنجيم).

علم الحروف

التعريف لغة:

علم: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «العين واللام والميم أصل صحيح واحد يدل على أثر بالشيء، يتميز به عن غيره، من ذلك العلامة وهي معروفة»^(٢).

والعلم: نقيض الجهل، وهو بمعنى المعرفة، يقال: عَلِمَ علماً وعلم هو نفسه، وعلمت الشيء: عرفتة، والعلم قياسه قياس العلم والعلامة، ويقال:

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٤٧) [وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ]، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٤٩/٢٣).

(٢) مقاييس اللغة (١٠٩/٤) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

وقيل: هو علم باحث عن خواص الحروف أفراداً وتركيباً، وموضوعه الحروف الهجائية، ومادته الأوفاق^(٥) والتراكيب، وحقيقته التنجيم، ودعوى علم الغيب، وقيل: هو من تفاريع علم السيمياء أحد أنواع علم السحر والشعوذة^(٦).

❁ الأسماء الأخرى:

من أسمائه: حروف أبي جاد، وعلم أسرار الحروف، وعلم خواص الحروف، وعلم الخواص الروحانية من الأوفاق، وعلم التصريف بالحروف والأسماء، وعلم الحروف النورانية والظلمانية، وعلم التصرف بالاسم الأعظم، وعلم الكسر والبسط، وعلم الجفر^(٧) والجامعة، وتارة يسمى علم السيمياء، وكلها من العلوم المحظورة شرعاً^(٨).

(٥) الأوفاق: نوع من أنواع السحر، وهي ترجع إلى مناسبات الأعداد على شكل مخصوص مربع، وحقيقتها دعوى منازعة الرب تعالى فيما لا يقدر إليه إلا هو. انظر لمعرفة طريقتة: الفروق للقرافي (٤/ ١٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٩هـ].

(٦) انظر: الفروق للقرافي (٤/ ١٣٧)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١/ ٦٥٠ - ٦٥١) [دار إحياء التراث العربي].

(٧) الجفر: كتاب ينسب الرافضة إلى جعفر الصادق كذباً وزوراً، يستخدم فيه أسرار الحروف ومعرفة أحداث المستقبل. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/ ١٨٣) [مجمع الملك لطباعة المصنف، ط ٢، ١٤٢٥هـ]، والتنجيم والمنجمون للمشعبي (٣١٢) [مكتبة الصديق، ط ١].

(٨) انظر: الفروق للقرافي (٤/ ٢٤٨)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١/ ١٤).

تعلمت الشيء: إذا أخذت علمه، والباب كله قياس واحد^(١).

الحروف: قال ابن فارس رحمته الله: «الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول: حدّ الشيء، والعدول، وتقدير الشيء»^(٢).

الحروف: جمع حرف، والحرف من كل شيء طرفه وشفيره، وحده، والحرف: واحد حروف التهجي، وعند النحاة: ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل، ويطلق الحرف على اللغة، والوجه، والطريقة، كما يقال: نزل القرآن على سبعة أحرف؛ أي: على سبع لغات من لغات العرب^(٣).

❁ التعريف اصطلاحاً:

هو نوع من أنواع الكهانة، وهو كتابة أبي جاد وتقطيع حروف (أبجد هوز حطي كلمن) وتعلمها لمن يدعي بها علم الغيب^(٤).

(١) انظر: الصحاح (٥/ ١٩٩٠) [دار العلم للملايين، ط ٣]، ومقاييس اللغة (٤/ ١٠٩)، ولسان العرب (٩/ ٣٧١) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ]، وترتيب القاموس المحيط (٣/ ٣٠١) [دار عالم الكتب، ط ٤، ١٤١٧هـ].

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٤٢).

(٣) انظر: الصحاح (٤/ ١٣٤٢)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٤٥٠)، ولسان العرب (٣/ ١٢٧)، وترتيب القاموس المحيط (١/ ٦٢٢).

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد (٢/ ٧٣٥ - ٧٣٦) [دار الصميعي، ط ١، ١٤٢٨هـ]، وفتح المجيد (٣٣٨) [دار ابن الأثير، ط ٥، ١٤٣٤هـ]، وحاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (٢٠٧) [ط ٥، ١٤٢٤هـ].

الحكم:

ويجعلون لكل حرف منها قدرًا من العدد معلومًا عندهم، ويجرون على أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة وغيرها، ثم يجرون على هذه الأعداد عملية حسابية من جمع وطرح بطريقة ما، وينسب العدد الباقي إلى الأبراج الاثني عشر، ثم يقضون بالنحوس والسعود، وبأوقات الحوادث والملاحم، ويمدد الملك وأعمار الناس، إلى آخر ذلك من أمور الغيب التي استأثر الله بها عن جميع خلقه^(٣).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل].

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له»^(٤).

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «إن قومًا

علم الحروف وهو ما يسمى بحروف أبي جاد على قسمين^(١):

أحدها: وهو ما كان من علوم السحر، وضربًا من ضروبه، وهو كتابة أبي جاد كتابة مربوطة بسير النجوم، وحركتها، وطلوعها، وغروبها، والاستدلال بها على الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تعالى، ونحو ذلك، فهذا محرم، بل هو شرك وكفر بالله.

الثاني: وهو ما كان من باب الحساب، أو التأريخ، وما أشبهه، فهذا مباح، ولا بأس به، وما زال الناس يؤرخون بها.

قال سليمان بن عبد الله: «وكتابة أبي جاد وتعلمها لمن يدعي معرفة علم الغيب هو الذي يُسمّى علم الحرف، ولبعض المبتدعة فيه مصنف، فأما تعلمها للتهجي وحساب الجمل فلا بأس بذلك»^(٢).

الحقيقة:

حقيقة علم الحروف: هي نوع من أنواع الكهانة، والتنجيم، وتتضمن دعوى علم الغيب، وطريقته: أن السحرة أو الكهان يكتبون الحروف الأبجدية،

(١) انظر: القول المفيد لابن عثيمين (١/٥٤٨ - ٥٤٩) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/٧٣٥ - ٧٣٦) [دار الصميعي، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٣) انظر: معارج القبول (٧/٢ - ١ - ٧٠٢) [دار ابن الجوزي، ط ٦، ١٤٣٠هـ]، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ (٣٢٥) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٤) أخرجه البزار في مسنده (٥٢/٩) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤١٨هـ]، والطبراني في الكبير (١٦٢/١٨) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وأشار إلى ضعفه ابن الملقن في البدر المنير (٨/٥١٨) [دار الهجرة، ط ١]، لكن ذكر له الألباني شاهدين، وقواه بهما. انظر: السلسلة الصحيحة (٥/٢٢٨) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٦هـ].

يحبسون أبا جاد وينظرون في النجوم، ولا أرى لمن فعل ذلك من خلاق»^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فإذا كان المسلمون باتفاق كل ذي عقل؛ وأولى أهل الملل بالعلم، والعقل، والعدل، وأمثال ذلك، مما يناسب عندهم آثار المشتري، والنصارى أبعد عن ذلك، وأولى باللهو، واللعب، وما يناسب عندهم آثار الزهرة، كان ما ذكروه ظاهر الفساد، ولهذا لا تزال أحكامه كاذبة متهافة، حتى إن كبير الفلاسفة الذي يسمونه: فيلسوف الإسلام يعقوب بن إسحاق الكندي عمل تسييراً لهذه الملة، زعم أنها تنقضي ثلاث وتسعين وستمائة، وأخذ ذلك منه من أخرج مخرج الاستخراج، من حروف كلام ظهر في الكشف لبعض من أعاده، ووافقهم على ذلك من زعم أنه استخرج بقاء هذه الملة من حساب الجمل، الذي للحروف التي في أوائل السور، وهي مع حذف التكرير أربعة عشر حرفاً، وحسابها في الجملة الكثير ستمائة وثلاثة وتسعون. فهذه الأمور التي توجد في ضلال اليهود والنصارى، وضلال المشركين، والصابئين من المتفلسفين،

والمنجمين: مشتملة من هذا الباطل على ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وهذه الأمور وأشباهاها خارجة عن دين الإسلام محرمة فيه، فيجب إنكارها، والنهي عنها على المسلمين على كل قادر بالعلم والبيان، واليد واللسان، فإن ذلك من أعظم ما أوجبه الله من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهؤلاء وأشباههم أعداء الرسل، وسوس الملل»^(٢).

وقال عبد الرحمن بن قاسم رحمته الله: «كتابة أبي جاد وتعلمها لمن يدعي بها علم الغيب هو الذي جاء فيه الوعيد، وهو الذي يسمى علم الحروف، فيقطعون حروف (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظع)، فيجعلون الألف واحداً، والباء اثنين إلى نهاية الحرف العاشر، ثم يبدؤون بالكاف عشرة، واللام عشرين، وهكذا إلى الشين مائتين، إلى أن تتم هذه الحروف، وأما تعلمها للتهججي، وحساب الجمل فلا بأس به»^(٣).

وقال حافظ الحكمي: «ومنها - أي من أنواع السحر والتنجيم -: ما يفعله من يكتب حروف أبي جاد، ويجعل لكل حرف منها قدراً معلوماً، ويجري على ذلك أسماء الآدميين، والأزمنة، والأمكنة، وغيرها، ويجمع جمعاً معروفاً

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (جامع معمر، رقم

١٩٨٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (كتاب

القسامة، رقم ١٦٥١٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/١٨٩ - ١٩٠).

(٣) حاشية على كتاب التوحيد (٢٠٨).

بالسيميااء نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة، فاستعمل استعمال العام في الخاص، وحدث هذا العلم في الملة بعد صدر منها وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر، وتدوين الكتب والاصطلاحات... فحدث لذلك علم أسرار الحروف، وهو من تفاريع علم السيميااء لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالعد مسائله، تعددت فيه تأليف البوني وابن عربي وغيرهما ممن اتبع آثارهما^(٣).

بل إن الصوفية أنفسهم قد صرحوا بأن من علومهم علم الحروف وعلم الأوفاق، فابن سبعين يقول في رسائله: «وهذه السيميااء تنقسم إلى خمسة أقسام: الكاذبة منها التي يذكرها مسلمة المجريطي صاحب رسائل إخوان الصفا، والشكوك منها الذي يزعم ابن مسرة أنه وصله، والصحيح منها الذي إذا وصف للفقيه سماه كرامة وإذا ذكر للحكيم سماه تصريحاً وإذا ذكر للمقرب المحقق سماه فتنة»^(٤).

ومن أظهر الدلائل على ارتباط الصوفية بعلوم السحر ومنها علم

عنده، ويطرح طرحاً خاصاً، ويثبت إثباتاً خاصاً، وينسبه إلى الأبراج الاثني عشر المعروفة عند أهل الحساب، ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس، وغيرها، مما يوحيه إليه الشيطان وهذا الكاذب المفترى يدعي علم ما استأثر الله بعلمه، ويدعي أنه يدركه بصناعة اخترعها، وأكاذيب اختلقها، وهذا من أعظم الشرك في الربوبية، ومن صدقه به، أو اعتقده فيه كفر، والعياذ بالله^(١).

وقال ابن عثيمين رحمته الله: «ظاهر كلام ابن عباس أنه يرى كفرهم؛ لأن الذي ليس له نصيب عند الله هو الكافر؛ إذ لا ينفي النصيب مطلقاً عن أحد من المؤمنين وإن كان له ذنوب عذب بها بقدر ذنوبه، أو تجاوز الله عنها ثم صار آخر أمره إلى نصيبه الذي يجده عند الله»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صلة الصوفية والرافضة بعلم الحروف:

علم الحروف من العلوم التي اهتم بها الصوفية والرافضة، كما أوضح ذلك ابن خلدون في مقدمته حيث يقول: «علم أسرار الحروف وهو المسمى لهذا العهد

(١) معارج القبول (٢/ ٧٠١ - ٧٠٢).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٤٩). وانظر:

شرح صحيح مسلم للنووي (١٤/ ١٧٦).

(٣) مقدمة ابن خلدون (٤١٣).

(٤) الكشف عن حقيقة الصوفية لمحمد القاسم (٨٦٦).

الفساد وإضلال العباد وإشاعة الشرك في البلاد قديمًا وحديثًا.

- المسألة الثانية: حروف أبي جاد والاستدلال بها على المغيبات:

حروف أبي جاد هي: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ، وتعلمها ينقسم إلى قسمين:

الأول: تعلم مباح بأن تُتعلَّم لحساب الجُمْل وما أشبه ذلك، فهذا لا بأس به وللعلماء عناية بها في التاريخ لمواليد العلماء ووفياتهم ونحو ذلك.

الثاني: تعلم محرم وهو كتابة (أبي جاد) كتابةً مربوطة بسير النجوم وحركاتها وطلوعها وغروبها والنظر في النجوم والاستدلال بها بالموافقة أو المخالفة على ما سيحدث في الأرض، وأرباب هذه الطريقة يزعمون أن لهذه الحروف علاقة ورابطة قوية بحياة الإنسان ومستقبله وبالكون وما يحدث فيه من حوادث، ويزعمون أنهم يعرفون حوادث العالم من هذه الحروف.

والذي ينبغي أن يعلم أن هذه الحروف ليست أسماء لمسميات، ولا علاقة لها بمستقبل الإنسان ولا بحياته، وإنما ألفت ليعرف تأليف الأسماء من حروف المعجم بعد معرفة حروف المعجم، ثم إن كثيرًا من أهل الحساب صاروا يجعلونها علامات على مراتب

الحروف ما ذكره الشيخ أحمد البوني في كتابه (شمس المعارف الكبرى) وهو من أشهر الكتب التي يعتمد عليها من يتعامل بالسحر في هذه الأيام والأيام السالفة، حيث ذكر سنده لعلم الحرف الذي هو موضوع الكتاب وقد نقل عن البوني أسانيده بعلم أسرار الحروف الذي يمثله شمس المعارف، وكانت تلك الأسانيد على أقطاب الصوفية^(١).

وأما الرافضة فقد كان لهم عناية ورعاية بعلم الحروف وأسرارها، ومن أهم مؤلفاتهم فيها كتاب الجفر المنسوب زورًا وبهتانًا إلى جعفر الصادق عليه السلام، ونسبته إليه كذب عليه باتفاق أهل العلم به. وكتاب الجفر قسمان، الجفر الأكبر والجفر الأصغر، وإن الجفر الأكبر إشارة إلى المصادر الوفقية التي هي أ، ب، ت، ث، إلخ، وإنها ألف وفق، وإن الجفر الأصغر إشارة إلى المصادر الوفقية التي هي مركبة من أبجد إلى قرشت، وهي سبع مئة وفق وهذا كله من أكاذيب الرافضة وافترائهم على آل البيت^(٢).

ومما تقدم يعلم أن علم أسرار الحروف من علوم السحر التي اهتم بها الصوفية والرافضة تأليفًا وشرحًا وتعلمًا، ومن ثم كان لهم إسهام كبير في بث

(١) المرجع السابق (٨٦٢ - ٨٦٣).

(٢) التنجيم والمنجمون لعبد المجيد المشعبي (٣١١ - ٣١٤).

- العدد فيجعلون الألف واحداً، والباء اثنين، والجيم ثلاثة وهكذا، ثم أخذ هؤلاء هذا الاصطلاح ولفقوا عليه الأباطيل وادعوا أنه علم وبه تعرف الأمور الغيبية، وربطوه بالتنجيم لخفاء التنجيم على كثير من الناس، والعلم لا يؤخذ عن مثل هذه النظريات الفاسدة ولا من هذه العقليات الجاهلية الباطلة بل لا بدَّ فيه من عقل مصدق ونقل محقق، وهذا الذي يزعمونه ما هو إلا ادّعاء علم استأثر الله به، وهذا بلا شك من أعظم الشرك في الربوبية، ومن صدق به واعتقد فيه كفر والعياذ بالله^(١).
- ٢ - «التنجيم والمنجمون»، لعبد المجيد المشعبي.
- ٣ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٤ - «رسالة شريفة فيما يتعلق بالأعداد والأوافق والحروف»، للصنعاني.
- ٥ - «علم الغيب في الشريعة الإسلامية»، لأحمد الغيمان.
- ٦ - «القبورية: نشأتها - آثارها - موقف العلماء منها»، لأحمد المعلم.
- ٧ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ٨ - «الكشف على حقيقة الصوفية»، لمحمد القاسم.

الآثار:

- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١٠ - «معارج القبول»، لحافظ حكيم.
- لعلم الحروف آثار سلبية كثيرة من أبرزها:

١ - إضعاف إيمان العباد بالقدر خيره وشره.

٢ - ذهاب عقيدة التوكل على الله، والاستخارة فيما يقدمون عليه من أمور.

٣ - انتشار الخرافات والأكاذيب، وتصديق الكُفَّان والعَرَّافين والسحرة فيما يدعون.

المصادر والمراجع:

- ١ - «إعانة المستفيد لشرح كتاب التوحيد»، للفوزان.

علم الخط

يراجع مصطلح (الطرق).

علم الكلام

التعريف لغة:

العلم نقيض الجهل، قال ابن فارس: «العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على أثرٍ بالشيء يتميَّز به عن غيره... وتعلَّمت الشيء؛ إذا أخذت علمه»^(٢).

(١) المصدر السابق (٣١٧ - ٣١٨).

(٢) مقاييس اللغة (١٠٩/٤) [دار الجيل، ط ١، =

٢ - أنه إنما يتحقق بالمباحثة وإدارة الكلام من الجانبين .

٣ - أن علم الكلام يتعلق بمباحث ليس تحتها عمل، بل هي كلامٌ نظري لفظي، فصار الكلام هنا بمقابل الفعل .
وقيل غير ذلك^(٤) .

والذي يظهر في سبب التسمية - باعتبار موقف السلف في ذمهم لهذا العلم - أنه سُمِّيَ بذلك نظرًا لما يحتويه من كثرة الكلام والجدل في جانب العقائد، والإغراق في الإيرادات العقلية البعيدة عن الأدلة الشرعية في المسائل التي مبناها على الوقوف على نصوص الشرع .

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ: «إنما سُمِّيَ هؤلاء أهل الكلام؛ لأنهم لم يفيدوا علمًا لم يكن معروفًا، وإنما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد»^(٥) .

لشيخ الإسلام (١٨٤/٣) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢].
(٤) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٣٦/١) [دار المعرفة، ١٤٠٤هـ]، وشرح العقائد السفية للتفتازاني (١٠ - ١١) [مكتبة الكليات الأزهرية، ط ١، ١٤٠٧هـ]، وشرح المقاصد له (١٦٤/١ - ١٦٥)، والمواقف للإيجي (٨ - ٩)، ومقدمة ابن خلدون (٥٦٥)، ومذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي (٢٨/١ - ٣٢) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٩٨٣م].

(٥) شرح الطحاوية (٢٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط ٢].
وانظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة لسليمان الغصن (٢٤/١) [دار العاصمة، ط ١].

والكلام: من مادة (ك - ل - م)، والكاف واللام والميم أصلان؛ أحدهما يدل على نطق مفهم، والآخر على جراح. والكلام: اسم جنس يقع على القليل والكثير، والكلم لا يكون أقل من ثلاث كلمات؛ لأنه جمع كلمة^(١) .

التعريف اصطلاحًا:

عرّف ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ علم الكلام من منظور أهل السنة بقوله: «هو ما أحدثه المتكلمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها، وأعرضوا بها عما جاء بالكتاب والسنة»^(٢) .

سبب التسمية:

لقد تعددت الأقوال في سبب تسمية علم الكلام بهذا الاسم إلى ما يزيد على عشرة أقوال، ومما قيل في ذلك:

١ - أن مسألة (كلام الله) كانت أشهر مباحثه، وأكثرها نزاعًا وجدلاً، وردّ ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ هذا السبب، بدليل أن المتكلمين كانوا يُسمّون بهذا الاسم قبل نشوء النزاع في مسألة الكلام^(٣) .

= ١٤١١هـ. وانظر: لسان العرب (٤١٦/١٢) [دار صادر، ط ١]، والقاموس المحيط (١١٧/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(١) انظر: مقاييس اللغة (١٣١/٥) [دار الجيل]، والصحاح (٢٠٢٣/٥) [دار العلم للملايين، ط ٤].
(٢) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (٩٥) [دار الوطن].
(٣) مناظرة في العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى

✽ الأسماء الأخرى:

وها هنا تسمية أخرى يسمونه بها وهي: أصول الدين.

✽ الحكم:

لقد تواتر النقل عن أئمة السلف في ذمّ علم الكلام، وأهل الكلام، والأمر بهجرهم والتحذير منهم ومن كتبهم، وبيان أنهم مبتدعة ضالّون، مخالفون للسنة، مبينون لأهل السنة.

وكلام السلف في ذمّ المتكلمين متواتر، حتى إنهم حرموا بيع كتب الكلام والفلسفة، وأتلفوها، ومنعوا تداولها^(٢)، وحتى خصّ بعضهم مصنفات مستقلة في ذم الكلام وأهله^(٣)، وصار ذم علم الكلام إجماعاً مستقراً لهم.

قال الإمام ابن عبد البر رحمته الله: «أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيف، ولا يُعدّون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر

يزعم المتكلمون أن علم الكلام مرادفٌ لعلم الاعتقاد وعلم التوحيد.

وهذه مغالطة سافرة، فلم يقل بذلك أحد من سلف الأمة وأئمتها؛ وذلك لأن هذين العلمين (العقيدة وعلم الكلام) متباينان في الأصل والمنشأ، وفي المسائل، وفي الدلائل.

فأما تباينهما في الأصل: فإن علم الكلام هو علمٌ مُولّدٌ من الأصول الفلسفية في غالب مبانيه^(١)، وأما علم العقيدة والتوحيد فمصدره الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

وأما تباينهما في المسائل: فإن كثيراً من مسائل علم الكلام بعيدة كل البعد عن المسائل والأبواب المقررة في علم التوحيد، بل إن عامّة كتب الكلام قد أهملت أهم أبواب التوحيد، ألا وهو توحيد الألوهية، الذي هو إفراد الله تعالى بالعبادة، وهو الغاية من بعثة الرسل.

وأما تباينهما في الدلائل: فإن علم العقيدة مبني على التوقيف، فمصدره: الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وأما علم الكلام فمبني على قواعد وأصول فلسفية عقلية.

(١) وإثبات العلاقة والصلة بين علم الكلام والفلسفة قد شهد به جمع من الأئمة من أهل السنة وغيرهم، ومنهم الإمام أبو حنيفة، والشهرستاني في الملل والنحل (٣٠/١).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٧٢/٦) [دار الكتب العلمية، ط ٢]، وسير أعلام النبلاء (٤٥/٥ - ٤٦)، وطبقات الأمم للقاضي الصاعد (٦٦) [المطبعة الكاثوليكية، ١٩١٢م].

(٣) انظر في ذم الكلام وأهله: السنة للخلال (١٩٦/١)، (٥٥٢/٣) [دار الراية، ط ١، ١٤١٠هـ]، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١١٤/١) وما بعدها، والغنية عن الكلام وأهله للخطابي (٣٨٨)، وذم الكلام وأهله للهروري، والمفهم للقرطبي (٦/ ٦٩٠ - ٦٩٤)، وتحريم النظر في كتب الكلام للموفق ابن قدامة، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٢٤٤ - ٢٤٧).

المنتسبين لعلم الكلام والمنافحين عنه - أبو حامد الغزالي - يقول في أشهر كتبه (إحياء علوم الدين) في ذم علم الكلام وبيان حدوثه: «اعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه، وما خرج عنهما فهو: إما مجادلة مذمومة، وهي من البدع كما سيأتي بيانه، وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها، وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها تُرّهات وهذيانات تزدريها الطباع، وتمجها الأسماع، وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين، ولم يكن شيء منه مألوفاً في العصر الأول، وكان الخوض فيه بالكلية من البدع»^(٥).

❁ الحقيقة:

لقد تعددت أقوال المتكلمين في تعريف علم الكلام وبيان حقيقته، وحاصل ما ذكره يرجع إلى أن علم الكلام: علم يُراد به إثبات العقائد الدينية الإسلامية، بإيراد الحجج العقلية الشاهدة لها، ودفع الشبه الواردة عليها^(٦).

[دار العاصمة، ط ٣، ١٤١٨هـ]، والعلو للذهبي (٢٥٨) [دار أضواء السلف، ط ١، ١٤١٦هـ]، وتاريخ الإسلام له (٢٣٥/٣٢) [دار الكتاب العربي، ط ١]، وميزان الاعتدال (٤١١/٥) [دار الكتب العلمية، ط ١]، شرح العقيدة الطحاوية (٢٢٨).

(٥) إحياء علوم الدين (٢٢/١). وانظر: المنقذ من الضلال له (١٠١ - ١٠٣) [دار الأندلس].

(٦) انظر: رسالة أبي حيان في العلوم (٢١)، والمواقف =

والتفقه فيه»^(١)، وقد قرر هذا الإجماع من أئمة السلف: البغوي، وابن قدامة، وابن تيمية، وابن رجب^(٢)، كما اعترف بهذا الإجماع عدد من المتكلمين أنفسهم، كالغزالي وغيره^(٣).

وقد تنبّه بعض علماء الكلام لما يؤدي إليه هذا العلم من مفساد، فذموه وحذروا الناس منه، حين وقفوا على غاية هذا العلم، وانتهى أمرهم إلى الشك والاضطراب، سواء فيما يذكرونه بأقوالهم، أو ما تشهد به أحوالهم، حتى قال بعضهم بتكافؤ الأدلة؛ أي: تساوي دلالتها في طرفي النفي والإثبات، وكلامهم في ذلك مشهور، وتبعه طويل غير ميسور^(٤)، وها هو أحد كبار

(١) جامع بيان العلم وفضله (٩٤٢/٢) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤١٤هـ].

(٢) انظر: شرح الشُّنَّة للبغوي (٢١٦/١)، والبرهان في بيان القرآن لابن قدامة (٥٦) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٥هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ١٨٣ - ١٨٤)، والعقود الدرية لابن عبد الهادي (٢٣٥ - ٢٣٦) [دار الكاتب العربي]، وفتح الباري لابن رجب (١٠١/٥ - ١٠٢) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

(٣) إحياء علوم الدين (٩٤/١ - ٩٥) [دار المعرفة]. وانظر: درء التعارض (١٤٥/٧، ٢٧٤ - ٢٧٥)، والاستقامة (٨١/١) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٣هـ].

(٤) انظر: نهاية الإقدام للشهرستاني (٣)، ودرء تعارض العقل والنقل (١٥٨/١ - ١٦٤)، والتسعين (٣/ ٧٧٢ - ٧٧٥) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢٠هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/٤، ٥٠، ٧٣)، واجتماع الجيوش الإسلامية (١٩٤ - ١٩٥) [دار الكتب العلمية، ط ١]، والصواعق المرسلة (٦٦٥/٢ - ٦٦٩)

نصروا، ولا لعدوه كسروا، بل كان ما ابتدعوه أفسدوا به حقيقة الإسلام على من اتبعهم» واستمر يذكر أسباب ذلك ودوافعه^(١).

ولقد ظهرت بوادر الكلام المذموم في الدين منذ القرن الأول، حيث ظهر شيء من الجدل في مسائل القدر في عهد النبوة، ثم بزغ من يسأل عن متشابه القرآن سؤال مشكك في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلا أن تلك البوادر سرعان ما قوبلت بالحسم القوي من قبل النبي ﷺ وأصحابه من بعده، واستمرت العقيدة الإسلامية راسخة، متصلة بنبع الوحي الصافي، سالمة من شوائب الكلام الفاسد.

- ولكن بعد ذلك اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، ودخل أبناء البلاد المفتوحة في الإسلام، وقد كانوا على ديانات مختلفة، مشوبة بمبادئ فلسفية لم ينفك أصحابها منها، فتسربت بعض تلك الأفكار إلى بعض المنتسبين للإسلام، فظهرت فرقة القدرية الأوائل في أواخر زمن الصحابة، على يد معبد الجهني، وغيلان الدمشقي.

ثم استمر الكلام المذموم في الترعزع والانتشار، ومما ساعد على ذلك: حركة

(١) شرح حديث النزول (١٦٣) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ].

وهم يذكرون أنه شامل لإثبات العقائد التي تنتسب إلى الإسلام عمومًا، سواء كان ذلك صوابًا في نفس الأمر أو خطأ أو كفرًا، فيدخلون فيه علم المخالفين لهم من الفرق الكلامية الأخرى، كالمعتزلة مثلاً بالنسبة للأشاعرة.

❁ نقد التعريف:

من البين أن هذا التعريف قد ورد في سياق المدح والتزكية لهذا العلم، إذ إن المعرفين له هم ممن ينتسب إلى هذا العلم، وهذا المدح مخالف لما أجمع عليه أهل السنة من ذمهم لعلم الكلام كما سيأتي، وقد تقدم بيان الشيخ العثيمين لحقيقة هذا العلم.

وما زعمه المتكلمون في تعريفهم السابق من أن الغاية من علم الكلام هو الحجاج والدفاع عن العقائد الدينية: هو أمر لم يفلحوا في الوصول إليه، إذ إنهم قد انحرفوا عن الطريق الصحيح الموصول إلى تحصيله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فالكلام الذي ابتدعوه وزعموا أنهم به نصروا الإسلام وردُّوا به على أعدائه كالفلاسفة لا الإسلام

= للإيجي (٧) [دار عالم الكتب]، والتعريفات للجرجاني (١٦٢ - ١٦٣) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ]، وشرح المقاصد للتفتازاني (١) / ١٦٢، ١٦٣، [دار المعارف النعمانية، ط١، ١٤٠١هـ]، ومقدمة ابن خلدون (٤٥٨) [دار القلم، ط٥، ١٩٨٤م]، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٢٩/١) [مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م].

الترجمة الكبيرة لكتب الفلاسفة، وذلك في زمن الدولة العباسية، حيث ترجمت كتب اليونان الفلسفية، وانتشرت في الأمة، فكان ذلك سبباً في كثرة المجادلات والخصومات في الدين، فظهرت بدعة إنكار الصفات والكلام على يد الجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، وكانت معتمدة على القوانين الكلامية المستقاة من الأصول الفلسفية.

ثم انتشر هذا العلم وانتقلت قواعده إلى كثير من الفرق المتنسبة للإسلام.

وبهذا فإن أبرز الفرق التي تنسب إلى علم الكلام: فرقة المعتزلة، ومن تبعهم من الزيدية والإباضية والرافضة الإمامية، وكذا الكلابية والأشاعرة، والماتريدية، والكرامية، والسالمية^(١) وغيرهم^(٢).

الأدلة:

لقد كان موقف السلف في تحريم علم

(١) وهذه الفرق (الكلابية فمن بعدهم) يطلق عليهم لقب: (متكلمة الصفاتية)؛ نظراً لإثباتهم بعض الصفات، بخلاف من قبلهم، فإنهم ينفونها، انظر في هذا الإطلاق: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٨٨، ١٥٠، ١٧٥، ١٩٦/٥، ٣١٧، ١٥/٦، ٧٣، ٣١/١٢)، ودرء التعارض (٢٦٦/١) (٣١/٤) [دار الكتب العلمية].

(٢) انظر: منهاج السنّة النبوية (٣٠٦/١ - ٣٠٩) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٠٦هـ]، والصواعق المرسلة (٣/ ١٠٦٩ - ١٠٧٩)، وجناية التأويل الفاسد لمحمد أحمد لوح (٤١ - ٤٢)، وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنّة لسليمان الغصن (٣٦/١ - ٤٥).

الكلام موقفاً مبنيًا على أصول شرعية، وأدلة مرعية، ومن ذلك:

١ - أن الله قد ضمن لنا الكفاية في القرآن والسنّة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت]، فالرجوع إلى علم الكلام لتحصيل العقائد اعتراض على تلك الكفاية، والشرع قد تضمن من الأدلة النقلية والعقلية ما هو أظهر في البيان، وأقرب لتحصيل المراد، وأسلم من اللوازم الفاسدة^(٣)، وقد أقر بذلك أئمتهم، ولكنهم حادوا عن موجهه^(٤).

٢ - المواد الفاسدة التي تضمنها علم الكلام، كدليل الحدوث، والتركيب ونحوها، والتي نقلت عن قدماء الفلاسفة الملحدين، وما تضمنته مقدماتها من أمور معارضة للشرع، بل وللعقل الصحيح أيضاً.

٣ - أنه بدعة في الدين، فالطرق الكلامية لم يأت بها النبي ﷺ، ولم يستعملها الصحابة، ولم يدعوا الناس إليها، وهذا يعلم بالضرورة وباعتراف

(٣) انظر: درء التعارض (٨٧/٣) (٢٣٨/٨)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٥٦/١٦)، ومنهاج السنّة النبوية (٢٧٢ - ٢٧٣).

(٤) انظر: رسالة إلى أهل الثغر (١٨٥)، وإحياء علوم الدين للغزالي (١٠٥/١)، والمحيط في النبوات لعبد الجبار المعزلي (المجلد الرابع)، عن العواصم والقواصم لابن الوزير (٤٣٩/٣).

المتكلمين أنفسهم^(١). ٦ - تحقق إجماع السلف على ذمه،

والإجماع حجة معتبرة.

٧ - الآثار الوخيمة، واللوازم الفاسدة التي أثمرها هذا العلم الفاسد في الأمة عمومًا، وعند أصحابه خصوصًا، ومعلوم أن بطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم.

✽ أقوال أهل العلم:

سئل الإمام أبو حنيفة رحمته الله: «ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام، فقال: مقالات الفلاسفة، عليك بالآثر وطريقة السلف، وإيّاك وكل محدثة، فإنها بدعة»^(٥).

وقال الإمام مالك بن أنس رحمته الله: «لو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل»^(٦)، وقال: «من طلب الدين

(٥) أخرجه المقرئ في: أحاديث في ذم الكلام وأهله (٨٦) [دار أطلس، ط١، ١٤١٧هـ]، والهروري في ذم الكلام وأهله (٢٠٦/٥) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]. وانظر: الحجة في بيان المحجة (١١٥/١) [دار الراية، ط٢]، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/ ١٧٢) (٢٤٥/٥) [دار المعرفة]، والآداب الشرعية لابن مفلح (٢٢٦/١) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، ويلاحظ هنا أن الكلام في الأعراض والأجسام من أخص المباحث التي قررها المتكلمون، وبنوا عليها عقائدهم، كما هو بين من كتبهم.

(٦) شرح السنّة للبيهقي (٢١٧/١) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ]. وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة (١٤٨/١) [دار طيبة، ١٤٠٢هـ].

قال أبو الوفاء بن عقيل: «أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت»^(٢).

٤ - مناقضته لكثير من الأصول والعقائد الثابتة في الشرع.

٥ - أن الدين قد جاء هداية لكل الناس، وهذا العلم المولّد من الفلسفة لا يدرکه إلا شراذم من الناس، فيستحيل أن يكون أعظم باب في الدين (العقيدة والتوحيد) مبنياً وموقوفاً على ما لا يدرکه إلا الندرة، لما في مقدماته من الغموض والخفاء والصعوبة والنزاع^(٣)، فلو كان الإيمان بالله موقوفاً على هذا العلم - كما يزعم أصحابه - لكان بيان ذلك من أهم الواجبات، فلمّا لم يأت ذلك البيان جزمنا ببطلانه^(٤).

(١) انظر: رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (١٩٨ - ٢٠١)، وفصل التفرقة للغزالي (٩٧ - ٩٩)، وترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير (٢٢٤).

(٢) انظر: تلبس إبليس (١٠٥)، ودرء التعارض (٤٨/٨). (٣) وتلك الصعوبة اعترف بها المتكلمون أنفسهم، انظر: رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (١٨٦ - ١٨٨)، والمحيط بالتكليف لعبد الجبار المعتزلي (٣٥ - ٣٦).

(٤) انظر: ترجيح أساليب القرآن، ودرء تعارض العقل والنقل (١٢٠/١)، والبرهان القاطع في إثبات الصانع لابن الوزير (٧٧ - ١٠٣).

الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به ورسوله، ولم يذموا كلاماً هو الحق، وإنما ذموا الكلام الباطل، وهو المخالف للكتاب والسنة وهو المخالف للعقل أيضاً^(٥).

فهذا الموقف الصارم للسلف من علم الكلام لا يفهم منه أن أهل السنة ينهون عن جميع الأدلة العقلية، بل إن كلامهم في استعمال الصحيح منها مشهور، وإنما نهى السلف عن الفاسد من تلك الأدلة الكلامية، والتي كانت - في غالب أمرها - مأخوذة من أصول الفلاسفة ونحوهم، التي جعلها المتكلمون معارضة لما جاء في الكتاب والسنة^(٦).

- المسألة الثانية: سبب ذم السلف لعلم الكلام:

لقد كان ذم السلف لعلم الكلام منطلقاً من أسباب عديدة، حدث بهم إلى مجانبته والتحذير منه، ومن تلك الأسباب:

١ - المعاني الفاسدة التي تضمنها علم الكلام، من إنكاره ما أثبتته الله، وإثبات ما نفاه، ومن القول على الله بغير علم^(٧).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/١٤٧، ٣٠٦) (١٢/٤٦٠ - ٤٦١)، ودرء التعارض (٧/١٨١ - ١٨٤)، والصواعق المرسلة (٤/١٢٧٤).
(٦) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/٤٦٩ - ٤٧٠)، ودرء التعارض (١/١٩٤)، (٧/١٥٣ - ١٦٦).
(٧) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/٣٠٤)، ودرء التعارض (٧/١٧٧).

بالكلام تزندق^(١)، وقال بنحو ذلك القاضي أبو يوسف رَحِمَهُ اللهُ^(٢).

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «لأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك بالله خير له من النظر في الكلام، فإني قد اطلعت من أهل الكلام على أشياء ما ظننتها قط»^(٣).

٤ - وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «لا يفلح صاحب كلام أبداً، ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل»^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المراد بالكلام

الذي ذمه السلف:

إنَّ السلف في ذمهم لعلم الكلام لم يريدوا ذم جنس الكلام ومطلق الكلام، فإن كل آدمي يتكلم، ولم يريدوا ذم

(١) أخرجه الهروي في ذم الكلام وأهله (٥/٧١).

(٢) انظر: أخبار القضاة لوكيع (٣/٢٥٨) [دار عالم الكتب]، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/١٤٧)، وذم الكلام وأهله للهروي (٥/٢٠٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٨/٥٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤١٣هـ].

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/١١١) [دار الكتاب العربي، ط ٤، ١٤٠٥هـ]، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/١٤٦)، والحجة في بيان المحجة (١/٢٢٤)، وشرح السنة للبيهقي (١/٢١٧)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/٦٩١) [دار ابن كثير، ط ١].

(٤) جامع بيان العلم (٢/٩٥)، والمفهم (٦/٦٩١)، وتلبيس إبليس (٩١) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٥هـ].

٢ - أن هذا العلم مظنة الفتنة والزيغ على من نظر فيه، لما تضمنه من عرض العقيدة بأسلوب فلسفي جدلي عقيم، صعب المنال، بخلاف الأسلوب القرآني في تقرير العقيدة الصحيحة وبيانها.

٣ - إيمانهم أن الكفاية في الدين والعقائد قد تحققت بما جاء في الكتاب والسنة، فلا حاجة لما سواهما، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت].

٤ - أنه يسعهم ما وسع الصحابة والتابعين من أئمة القرون الأولى، من ترك الخوض في الكلام المذموم، فإنهم تركوا الخوض فيه لما فيه من فساد^(١).

٥ - الآثار الفاسدة لهذا العلم على أهله، من إفضاء بهم إلى الشك والحيرة، ومن الفرقة والاختلاف بين أهله.

٦ - أن هذا العلم غاية ما فيه - لو صح - التركيز على إثبات وجود الله، وربوبيته، وهذا أمر فطري، وهو بمجرد لا يدخل صاحبه في الإسلام، في حين قصر المتكلمون في بيان التوحيد الذي بدأ الأنبياء دعوتهم به، وهو توحيد العبادة^(٢).

إلى غير ذلك من الأسباب^(٣).

- المسألة الثالثة: تحريف المتكلمين لكلام السلف في مرادهم بزم علم الكلام:

لما رأى بعض المتكلمين من أصحاب المذاهب كلام أئمتهم وعموم السلف في ذم علم الكلام، حرفوا مرادهم إلى أحد أمرين:

١ - فقال بعضهم: إن ذم السلف لعلم الكلام إنما كان من أجل ما تضمنه من مصطلحات حادثة، كالجوهر والعرض، وقالوا: الأمر في هذا قريب، ومثل هذا لا يقتضي الذم، كما لو أحدث الناس آنية يحتاجون إليها، أو سلاحاً يحتاجون إليه لمقاتلة العدو، وقاسوها على المصطلحات الحادثة في بقية العلوم^(٤).

وهذه مغالطة من قائلها، وليس الأمر كذلك، بل إن المقصود الأكبر من ذم السلف لعلم الكلام هو ما تضمنه من المعاني الفاسدة في المسائل والدلائل، والمناقضة لما تقرر في الكتاب والسنة والعقل الصحيح، ولما خلفه من آثار فساد.

وحتى المصطلحات التي أحدثها

(٣) انظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة لسليمان الغصن (١/ ٨٨ - ٩٦)، وحقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين للسلمي (٦٣ - ٦٥).

(٤) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٩٥، ٩٦).

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/ ١١١).

(٢) انظر: التدمرية، ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ٩٨).

السلف يتناولهم ما داموا يعتمدون قواعد علم الكلام^(٣).

❖ الفرق:

الفرق بين علم الكلام والفلسفة والمنطق:

هذه العلوم الثلاثة بينها نوع اشتراك ونوع امتياز، وبيان التمايز والفرق بينها يكون ببيان حقيقة كل منها.

- أمّا علم الكلام، فقد سبق بيان حدّه وحقيقته.

- وأمّا علم المنطق، فهو: علم بقوانين تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر^(٤).

- وأمّا علم الفلسفة، فلقد كثرت أقوال الفلاسفة قديماً وحديثاً في تعريفها، واختلفت في بيان مجالاته، وما يدخل فيه من المعارف.

ومما قيل في تعريفه: إنه محبة الحكمة، وإن معنى الفيلسوف: محبّ الحكمة^(٥).

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٧٢، ٢٣٢) (٢٠٥ - ٢٠٧) (٧/ ١٧٠، ١٧٦).

(٤) انظر: التعريفات للجرجاني (٣٢١) [دار النفائس، ط ١، ١٤٢٤هـ]، والإشارات والتنبيهات لابن سينا (١١٧/١) [دار المعارف، ط ٣]، والبصائر النصيرية للساوي (٢٥، ٢٦) [دار الفكر اللبناني، ط ١، ١٩٩٧م].

(٥) انظر: رسالة في آراء الحكماء اليونانيين، ضمن مجموع (أفلاطون في الإسلام) لبدوي (٣٢٨)، والحدود والرسوم للفيلسوف الكندي ضمن مجموع: (المصطلح الفلسفي عند العرب) للأعسم (١٩٧) =

المتكلمون من الجوهر والعرض ونحوها قد لزم عليها من المفاصد في المعاني الشيء الكثير، للباطل الذي تضمنته، والاشتراك والاحتمال في كثير منها، فليست بمثابة المصطلحات التي أحدثت في بقية العلوم، فإن أولئك السلف (كالإمام الشافعي وغيره) لم يمانعوا في استخدام المصطلحات في بقية العلوم، إذا لم تتضمن معاني فاسدة^(١).

٢ - وقال بعض المتكلمين: إن ذم السلف قد كان مقصوراً على فرقة معينة، وهم القدريّة، وقد زعموا ذلك من أجل أن يخرجوا طوائفهم من ذم السلف^(٢).

وهذا تحريف آخر منهم لكلام السلف، فكلام السلف بين وواضح في أنهم لم يقصدوا بذلك الذم فرقة كلامية بخصوصها، بل أرادوا بالذم عموم الفرق التي جعلت القواعد الكلامية أصلاً لها في تقرير عقائدها، كذمهم لمن اعتمد طريقة الأعراض وحدوث الأجسام والتركيب ونحو ذلك، وهي طرق قد استخدمها كل المتكلمين، من الجهمية والمعتزلة والكرامية والأشعرية والماتريدية وغيرهم، فهم جميعاً داخلون في ذلك الذم، حتى من حدث من تلك الطوائف بعد السلف الأوائل، فكلام

(١) انظر: درء التعارض (١/ ٢٣٢، ٢٣٣).

(٢) انظر: تبين كذب المفتري لابن عساكر (٣٤٤) [دار الكتاب العربي، ط ٤، ١٤٠٣هـ]

وأما ما بينها من اشتراك وتداخل، فحاصله أن علم الكلام قد تأثر كثيراً بالفلسفة، خصوصاً بقسم الإلهيات منها، حيث انتقلت كثير من أدلة الفلاسفة وطرقهم في المعرفة بل وبعض عقائدهم إلى علم الكلام، إلا أن علماء الكلام - نظراً لانتسابهم للإسلام - قد حاولوا أن يضيفوا على تلك المسائل والدلائل نوعاً من الشرعية، وإن يهذبوا بعضها.

ويذكر البعض أن كتب الفلسفة لما تُرجمت، فُتِن بعض الناس بعلم المنطق منها، وما زعمه المنطقيون من كون علمهم يعصم الذهن من الغلط، فاعتمدوه في التعليم، وأدخلوه في علوم الشرع، وصنفوا فيه، حتى زعم بعض الغلاة أن من لم يعرفه فلا ثقة بعلومه أصلاً! (٤)، هذا مع اعترافهم أنهم قد تلقوه من خصومهم، ثم لم يزالوا يستقون من علم الفلسفة حتى أخذوا من القسم الإلهي منها، ونشأ من جراء ذلك علم الكلام، وبدأوا يزجون بالقواعد الفلسفية فيه تدريجياً، حتى صارت مصنفات علم الكلام المتأخرة مملوءة بالمادة الفلسفية بما لا يوجد مثله عند متقدميهم.

قال القنوجي: «خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة؛ لعروضها في مباحثهم وتشابه

وُفِّسَت هذه الحكمة بأنها: البحث عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية (١).

ثم يذكرون أن للفلسفة فروعاً، وهي عند كثير منهم أربعة فروع: المنطق، والطبيعيات، والإلهيات، والهندسة مع الحساب (٢).

ومن هنا تكون العلاقة بين هذه العلوم الثلاثة (الفلسفة، علم الكلام، والمنطق) من ناحية الموضوع: علاقة عموم وخصوص، فعلم الفلسفة عام لمسائل الوجود والحياة، فيبحث في الحقيقة أنى كانت دينية أو طبيعية أو غير ذلك، وفي الآلة الذهنية التي يسير عليها في ذلك البحث، وأما علم الكلام فيختص ببحث العقائد الدينية، وعلم المنطق يختص بتلك الآلة الذهنية (٣).

= [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٨٩م]، والحدود الفلسفية للفيلسوف الخوارزمي، ضمن نفس المجموع (٢٠٦)، والملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٥٨)، ومقدمة ابن خلدون (٥١٤) [دار القلم، ط ٥، ١٩٨٤م]، والصفدية لابن تيمية (٢/ ٣٢٣).

(١) انظر: التعريفات للجرجاني (١٢٣)، والحدود والرسوم للفيلسوف الكندي ضمن مجموع (المصطلح الفلسفي عند العرب) للأعسم (٢٠١)، ورسالة في أقسام العلوم العقلية ضمن تسع رسائل في الحكمة (طبيعيات لابن سينا) (٨٣) [دار قابس، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون (٤٤٢).

(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون (٤٣١)، وضحي الإسلام لأحمد أمين (٥٢٩/٣) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٢٥هـ]، وأثر علم الكلام على المنتسبين إليه (٣٤).

(٤) انظر: المستصفى للغزالي (١/ ٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٧هـ].

٢ - الإعراض عن الكتاب والسنة، وإهمالهما، وعدم استفادة اليقين منهما، وتقديم عقولهم الفاسدة عليهما، وعدم الاحتجاج بالآحاد من السنة (أو ما توهموه آحادًا) في مسائل الاعتقاد.

٣ - الجهل بإجماع السلف في باب الاعتقاد، حيث خرق المتكلمون إجماعات كثيرة في عدد من المسائل وأصول الاستدلال عند السلف.

٤ - تحريف المعاني اللغوية لنصوص العقيدة، إذا خالفت ما قرره بالعقل.

ثانيًا: آثاره السيئة على المتكلمين في العقائد، حيث ترتب على هذا العلم وقواعده الفاسدة أن تبني أصحابه كثيرًا من البدع القولية والعملية والاعتقادية في غالب أبواب الاعتقاد والدين، كعقائد النفي والتعطيل أو التحريف أو التمثيل في باب أسماء الله وصفاته أو بعضها، كما نتجت عنه بدع الإرجاء والغلو في باب الإيمان، وكذلك بدع الجبر والقدر في باب القدر وغيرها.

ثالثًا: آثاره السيئة على الجوانب الفكرية والشخصية، والإيمانية والسلوكية. فمن ذلك: أن علم الكلام قد أورت أهله تناقضًا واختلافًا كبيرًا، فتشتت أصحابه إلى مذاهب كثيرة في أصول الدين، مع اتفاقهم على اعتماد علم الكلام، فصاروا شيعًا متفرقين، حتى

موضوع علم الكلام بموضوع الإلهيات، ومسائله بمسائلها، فصارت كأنها فن واحد، ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والإلهيات، وخلطوها فنًا واحدًا، قدموا الكلام في الأمور العامة، ثم أتبعوه بالجسمانيات وتوابعها إلى آخر العلم، كما فعله الإمام ابن الخطيب [الرازي] في (المباحث المشرقية)، وجميع من بعده من علماء الكلام، وصار علم الكلام مختلطًا بمسائل الحكمة، وكتبه محشوة بها، كأن الغرض من موضوعهما ومسائلهما واحد، والتبس ذلك على الناس^(١).

❁ الآثار:

لقد كان لعلم الكلام المبتدع آثارٌ وخيمة على أهل هذا العلم، وجرّ ويلاتٍ كبيرة على الأمة الإسلامية، ومن آثاره بإيجاز^(٢):

أولًا: آثاره السيئة على المتكلمين في منهج الاستدلال، ومن ذلك:

١ - اعتماد العقل (الفاسد) أساسًا في تقرير العقائد.

(١) أبجد العلوم (١١٠/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١٩٧٨هـ]. وانظر: منهاج السنة (٢٨٨/٣)، وشرح المقاصد للفتاواني (١٤/١)، وأثر علم الكلام على المنتسبين إليه (٣٥).

(٢) انظر تفصيلها في: وأثر علم الكلام على المنتسبين إليه وموقف أهل السنة والجماعة وكبار المتكلمين منه (٩٣) وما بعدها، [رسالة ماجستير في جامعة أم القرى].

كفّر بعضهم بعضاً^(١).

إليه، وموقف أهل السُّنة والجماعة وكبار المتكلمين منه»، لوليد بن صالح باصمد، [رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، قسم العقيدة].

٢ - «جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية»، لمحمد أحمد لوح.

٣ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنة الأصبهاني.

٤ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

٥ - «ذم الكلام وأهله»، للهروي.

٦ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٧ - «الصواعق المرسلّة»، لابن القيم.

٨ - «قصد السبيل إلى ذم الكلام والتأويل»، لمحمد صديق حسن خان.

٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ - «منهاج السُّنة النبوية»، لابن تيمية.

١١ - «موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسُّنة»، لسليمان الغصن.

كما أثمر هذا العلم عند أصحابه الحيرة والاضطراب، والشك والريب، فكان الكثير منهم يتذبذب بين المذهب ونقيضه، وكثُر التحول المذهبي عندهم، وقد اعترف بذلك الشك كبارؤهم^(٢).

رابعاً: أثر علم الكلام في موقف أهله من سلف الأمة، حيث لمزوا السلف الصالح بكل نقيصة، ورموهم بالألقاب القبيحة، كقولهم عن السلف: إنهم مشبهة، وحشوية، وغثاء، وعامة، وجهلة، وغير ذلك، حتى إن الصحابة لم يسلموا من لمزهم، أو من لمز بعضهم، بل ولا الأنبياء، وكلامهم في ذلك في كتبهم مشهور^(٣).

المصادر والمراجع:

١ - «أثر علم الكلام على المنتسبين

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادى (١٥١ - ١٥٢) [دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٧م]، والبصائر والذخائر للتوحيدي (٢٤٩/٧) [دار صادر، ط١، ١٤٠٨هـ]، والانتصار لأصحاب الحديث للسمعاني (٤ - ٢٧، ٤٦) [مكتبة أضواء المنار، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: تلبس إبليس لابن الجوزي (١٠٤ - ١٠٥)، ودرء التعارض (٤٧/٨)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٠/٤، ٧٣) والعلو للعلي الغفاري (٢٥٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢٣٢/٢٣٢).

(٣) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٩٩) [دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ]. ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١١٠/٥ - ١١١)، وقلب الأدلة على الطوائف المضلة في توحيد الربوبية والأسماء والصفات، لتميم القاضي، الباب الرابع (قلب الألقاب) [رسالة ماجستير في جامعة الإمام، قسم العقيدة].

علم المكافحة

يراجع مصطلح (الكشف).

✽ التعريف اصطلاحاً:

العلو صفة ذاتية ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسُّنة والإجماع، فالله ﷻ له العلو المطلق من جميع الوجوه: علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر. فهو الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف، وإليه فيها المنتهى^(٣).

✽ الحكم:

يجب الإيمان بعلو الله وفوقيته على جميع خلقه ذاتاً وقدرًا وقهرًا؛ لدلالة نصوص الكتاب والسُّنة على ذلك؛ إيمانًا بريئًا من تمثيل الممثلين وتعطيل المعطلين^(٤).

✽ الحقيقة:

قد تضمن العلو الذي ينعت الله ﷻ به نفسه في كتابه أنه متعال عما لا يليق به من الشركاء والأولاد، فليس كمثله شيء، وهذا يقتضي ثبوت صفات الكمال له دون ما سواه، وأنه لا يماثله غيره في شيء من صفات الكمال، بل هو متعال عن أن يماثله شيء، وتضمن أنه عال

✽ العلو

✽ التعريف لغةً:

علا يعلو علوًّا؛ إذا ارتفع فهو عال وعليّ، والعلي: ذو العلو والارتفاع على خلقه^(١)، قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «العين واللام والحرف المعتل ياءً كان أو واوًا أو ألفًا، أصلٌ واحدٌ يدلُّ على السمو والارتفاع، لا يشدُّ عنه شيء. ومن ذلك: العلاء والعلو. ويقولون: تعالى النهار؛ أي ارتفع. قال الخليل: أصل هذا البناء العلو. فأما العلاء فالرِّفعة، وأما العلو فالعظمة والتجبر. يقولون: علا المَلِك في الأرض علُوًّا كبيرًا. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤]، ويقولون: رجلٌ عالي الكعب؛ أي: شريف. قال:

لما عَلَا كعبك لي عَلِيْتُ.

ويقال لكل شيء يعلو: علا يعلو. فإن كان في الرِّفعة والشرف قيل: عَلِيَّ يعلو. ومن قهر أمرًا فقد اعتلاه واستعلى عليه وبه^(٢).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/٣) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ].

(٢) مقاييس اللغة (١١٢/٤ - ١١٣) [دار الجبل، ط١]. وانظر: المحكم والمحيط الأعظم (٣٥٠/٢) [دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م]، والمفردات في غريب القرآن (٣٤٦) [دار المعرفة]، ولسان العرب (١/١٥) (٨٣) [دار صادر، ط١]، والقاموس المحيط (٤/٤١٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ].

(٣) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنة لعلوي السقاف (٢٢٣) [دار الهجرة، ط٢، ١٤٢٢هـ]، وتفسير السعدي (٧٣٤) [مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ].

(٤) انظر: التحفة المدنية في العقيدة السلفية لحمد بن ناصر آل معمر (٤٨/١) [دار العاصمة، الرياض، ط١].

عشرين نوعاً^(٣)، فمن ذلك ما يلي:

أحدها: التصريح بالفوقية، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وكقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

الثاني: التصريح بالعروج إليه، نحو قوله تعالى: ﴿تَنْجِي الْمَلَكُكُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ١٠].

الثالث: التصريح بالصعود إليه، كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

الرابع: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨].

الخامس: التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتاً وقدرًا وشرقًا، كقوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَى الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

السادس: التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢]. وقد دل الإجماع على إثبات صفة العلو لله ﷻ^(٤).

على كل ما سواه، قاهر له، قادر عليه، نافذة مشيئته فيه، وأنه عال على الجميع، فوق عرشه^(١)، فجميع معاني العلو ثابتة لله من كل وجه؛ له علو الذات: فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى؛ أي: علا وارتفع، وله علو القدر؛ وهو علو صفاته وعظمتها فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلاق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، وله علو القهر؛ فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكن، فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأه الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته، وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه^(٢).

الأدلة:

تنوعت دلالة النصوص على إثبات علو الله ﷻ على خلقه، قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه وكونه فوق عباده التي تقرب من

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٢٨٥) [المكتب الإسلامي، ط ٩، ١٤٠٨هـ].

(٤) انظر: الحجة في بيان المحجة (١٠٨/٢) [دار الراية، ط ٢، ١٤١٩هـ].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢٣/١٦) [طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: التوضيح المبين للسعدي (٣٧) [دار عالم الفوائد، تصحيح محمد آل بسام، ط ١، ١٤٢٠هـ].

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري رحمته الله: «العلي: ذو العلو على كل شيء، هو فوق كل شيء وكل شيء دونه»^(١).

وقال ابن خزيمة رحمته الله: «والله قد وصف نفسه في غير موضع من تنزيله ووحيه، وأعلمنا أنه العلي العظيم، أفليس العلي - يا ذوي - الحجا ما يكون عالياً لا كما تزعم المعطلة الجهمية أنه أعلى وأسفل ووسط ومع كل شيء وفي كل موضع من أرض وسماء وفي أجواف جميع الحيوان، ولو تدبروا آية من كتاب الله ووقفهم الله لفهمها لعقلوا أنهم جهال لا يفهمون ما يقولون، وبان لهم جهل أنفسهم وخطأ مقالتهم»^(٢).

وقال قوام السُّنة التيمي رحمته الله: «وقد أجمع المسلمون أن الله هو العلي الأعلى، ونطق بذلك القرآن في قوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى]، فثبت أن الله تعالى علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القهر والغلبة»^(٣).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «فالسلف والأئمة يقولون: إن الله وَعَلَى فوق سماواته، مستو على عرشه، بائن من خلقه كما دل على ذلك الكتاب والسُّنة

(١) تفسير الطبري (١/١١).

(٢) التوحيد وإثبات صفات الرب وَعَلَى (٢٥٧/١) [مكتبة الرشيد، ط ٥، ١٩٩٤م].

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/١٠٨).

وإجماع سلف الأمة، وكما علم المبينة والعلو بالمعقول الصريح الموافق للمنقول الصحيح وكما فطر الله وَعَلَى على ذلك خلقه من إقرارهم به وقصدهم إياه»^(٤).

وقال ابن القيم رحمته الله: «وهو فوق سماواته مستو على عرشه بائن من خلقه»^(٥).

❁ الأقسام:

الله تبارك وتعالى له جميع أنواع العلو، ومن أنكر شيئاً منها، فقد ضلّ ضاللاً بعيداً، وقد جاءت النصوص بإثبات أنواع ثلاثة من العلو لله تعالى، وهي:

١ - علو الذات، فالله تبارك وتعالى مستو على عرشه، بائن من خلقه، وعرشه فوق جميع مخلوقاته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]. وهو مع هذا مطلع على خلقه، محيط بهم، مدبر لأموالهم الظاهرة والباطنة.

٢ - علو القهر والغلبة، وهو: قهره تعالى لجميع المخلوقات، فالعالم العلوي والسفلي كلهم خاضعون لعظمته مفتقرون إليه في كل شؤونهم، فلا ينازعه

(٤) مجموع الفتاوى (٢/٢٩٧).

(٥) مدارج السالكين (٣/٤١١).

وَلَمْ يُولَدْ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص] (١).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: من أسماء الله
الحسنى الدالة على صفة العلو اسمه
تعالى (العلي):

«فإن من لوازم اسم العلي العلو
المطلق بكل اعتبار، فله العلو المطلق
من جميع الوجوه علو القدر وعلو القهر
وعلو الذات فمن جحد علو الذات، فقد
جحد لوازم اسمه العلي» (٢).

«واسمه العلي يُفسر بهذين المعنيين:
يفسر بأنه أعلى من غيره قدرًا فهو أحق
بصفات الكمال، ويفسر بأنه العالي
عليهم بالقهر والغلبة فيعود إلى أنه القادر
عليهم وهم المقدورون. وهذا يتضمن
كونه خالقًا لهم وربًا لهم، وكلاهما
يتضمن أنه نفسه فوق كل شيء، فلا
شيء فوقه» (٣). قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:
«العلي: الذي علا عن كل عيب وسوء
ونقص، ومن كمال علوه ألا يكون فوقه
شيء، بل يكون فوق كل شيء» (٤).

(١) انظر: توضيح الكافية الشافية للسعدي (٣/٣٧٧)
[ضمن المجموعة الكاملة له]، والحق الواضح
المبين (٢٢٤)، [مركز صالح بن صالح الثقافي،
ط ٢، ١٤١٢هـ].

(٢) مدارج السالكين (١/٣١) [دار الكتاب العربي،
ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (١٦/٣٥٨).

(٤) شفاء العليل (١٨٠).

منازع، ولا يغلبه غالب، وكل مخلوقاته
تحت قهره وسلطانه، ما شاء كان، وما
لم يشأ لم يكن، وقد وصف الحق تبارك
وتعالى نفسه بصفات كثيرة تدل على علو
القهر والغلب كالعزيز، والقوي،
والقدير، والقاهر والغالب ونحو ذلك.
قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ
وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغِيُورُ﴾ [الأنعام]. فهو
الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه
الخلق كلهم، فنواصيهم بيده، وما شاء
كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم
يكن فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم
يشأه الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا على
منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعه،
وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته
وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل
وجه.

٣ - علو المكانة والقدر، فصفاته كلها
صفات كمال، وله من كل وصف ونعت
أكمله وغايته.

وهذا القسم هو الذي أطلق عليه
القرآن: (المثل الأعلى) كما في قوله
تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ
وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل].
فالمثل الأعلى: الصفات العليا
التي لا يستحقها غيره، فالله هو الإله
الواحد الأحد، وهو متعال عن الشريك
والمثيل والند والنظير: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ
أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ

هذه الأسماء واحد، ومعناها متقارب، وهو الأعلى سبحانه بمعنى العالي، قال الأزهري: «والأعلى هو الله الذي هو أعلى من كل عالٍ. واسمه الأعلى؛ أي: صفته أعلى الصفات. والعلاء الشرف. وذو العلاء صاحب الصفات العلا، والعلا جمع العليا؛ أي: جمع الصفة العليا والكلمة العليا. ويكون العلا جمع الاسم الأعلى»^(٣).

والأعلى اسم من أسماء الله الحسنى بدلالة الكتاب والسنة؛ فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [١]، وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [٢]، [الليل]، وعن حذيفة رضي الله عنه في صفة صلاة النبي ﷺ وفيه: «ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريباً من قيامه»^(٤).

فيجب الإيمان باسم الله الأعلى الذي سَمَّى الله به نفسه وسمَّاه به رسوله على الوجه اللائق به تعالى؛ لدلالة نصوص الكتاب والسنة.

وقد دلَّ اسم الله الأعلى على ثبوت العلو المطلق لله من جميع الوجوه؛ علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو

(٣) تهذيب اللغة (٣/ ١١٨ - ١١٩) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧٢).

وقد ورد اسم الله (العلي) في القرآن الكريم في ثمانية مواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة]، أما في السنة فقد ورد هذا الاسم الجليل في أحاديث، منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير. فيسمعها مسترق السمع» الحديث^(١). وهذا الاسم الجليل لله تعالى ثابت بإجماع المسلمين^(٢).

فيجب الإيمان باسم الله العلي الذي سَمَّى الله به نفسه وسمَّاه به رسوله على الوجه اللائق به تعالى؛ لدلالة نصوص الكتاب والسنة.

- المسألة الثانية: ومن أسماء الله الحسنى الدالة على صفة العلو اسمه تعالى: (الأعلى):

الأعلى أفعل تفضيل، فعله: علا يعلو علواً، فالأعلى هو الذي ارتفع عن غيره وفاقه في وصفه، والأعلى والعلي والمتعالي أسماء ثابتة لله تعالى واشتقاق

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٠٠).

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة (٢/ ١٠٨).

وقد ذكره البيهقي في الأسماء الحسنى^(٤). وقال الأصبهاني: «اسمه تعالى المتعال؛ أي: تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وقيل: تعالى فوق خلقه»^(٥).

- المسألة الرابعة: وصف الله تعالى بذى المعارج:

من الأوصاف المضافة الدالة على علو الله: ذو المعارج، ومعناه: ذو العلو والدرجات والفواضل والنعم^(٦)، وقال الخطابي: «هو الذي يُصعد إليه بأعمال العباد، وإليه يُصعد بأرواح المؤمنين»^(٧)، وقال الحلبي: «هو الذي يُعرج بالأرواح والأعمال»^(٨)، وقال الأصفهاني في بيان معنى ذي المعارج: «ومعناه: تُعرج أعمال الخلق إليه، كما قال ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، فملائكة النهار تعرج بأعمالكم بالنهار، وملائكة الليل تعرج بأعمالكم بالليل»^(٩).

فالله تعالى تُعرج إليه الأعمال

القهر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «و(الأعلى) يجمع معاني العلو جميعها، وأنه الأعلى بجميع معاني العلو. وقد اتفق الناس على أنه علا على كل شيء بمعنى أنه قاهر له قادر عليه، متصرف فيه، وعلى أنه عال عن كل عيب ونقص، فهو عال عن ذلك منزّه عنه»^(١).

- المسألة الثالثة: اسم الله (المتعال):

من أسماء الله الحسنى الدالة على صفة العلو اسمه تعالى (المتعال)، ومعناه: أنه علا كل شيء، وقد أحاط بكل شيء علماً، وقهر كل شيء، فخضعت له الرقاب ودان له العباد، طوعاً وكرهاً^(٢).

فالمتعال دال أيضاً على جميع معاني العلو؛ علو الذات، والقهر والعظمة، والقدر^(٣).

وقد ورد اسم المتعال في القرآن الكريم مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

(١) مجموع الفتاوى (١٦/١١٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤٢٥هـ].

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٤٣٧) [دار طيبة، ط ٢]. وانظر: نفس المصدر (٥/٤٤٩)، وتفسير الطبري (١٦/٣٦٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وتفسير البغوي (٤/٢٩٩) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ].

(٣) انظر: تفسير السعدي (٤١٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، شرح أسماء الله الحسنى (٨٢) [دار الإيمان، دار القمة]، وفقه الأسماء الحسنى (١٤٦) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٤) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/٩٧).

(٥) الحجة في بيان المحجة (١/١٣٤).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٩/٨٥) [دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٣هـ]، وتفسير القرطبي (٢١/٢٢٢)، وتفسير ابن كثير (١٤/١٢٦).

(٧) شأن الدعاء (١٠٤) [دار الشافعية العربية، ط ٣، ١٤١٢هـ].

(٨) المنهاج (١/٢١٠) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩هـ].

(٩) الحجة في بيان المحجة (١/١٦٤) [دار الراية، ط ٢].

ولقد عدَّ بعض أهل العلم هذا من الأسماء الحسنى؛ لكونه من الأسماء المضافة الثابتة في حق الله ﷻ، قال ابن تيمية: في عدِّ الأسماء المضافة من أسماء الله الحسنى: «كذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب وغير ذلك مما ثبت في الكتاب أو السنة، وثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين وليس هذا من التسعة والتسعين»^(٤).

وممن عدَّه أيضًا: الخطابي^(٥)، والحلي^(٦)، والبيهقي^(٧)، والأصفهاني^(٨)، وابن العربي^(٩)، وابن تيمية^(١٠)، وابن الوزير^(١١)، وبعض المتأخرين والمعاصرين^(١٢).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢/٤٨٥).

(٥) شأن الدعاء للخطابي (١٠٤).

(٦) المنهاج في شعب الإيمان (١/٢١٠).

(٧) الأسماء والصفات (١/٢٢٩) [مكتبة السوادي].

(٨) الحجة في بيان المحجة (١/١٦٤).

(٩) أحكام القرآن (٢/٣٤٢) [دار الكتب العلمية، ط ٣].

(١٠) انظر: المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية (٥٦/١).

(١١) إشار الحق (١٦٠) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٧هـ].

(١٢) انظر: الجوائز والصلوات لنور الحسن (٨٥) [مطبعة الفاروقية، الهند، ١٢٩٧هـ] والنهج الأسامي لحمود النجدي (٢/٣٤٤) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت]، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى لمحمد التميمي (١٩٧) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ].

والأرواح، وإليه تعرج الملائكة، وهو الذي يرفع درجات المؤمنين، ويزيد في الفواضل والنعم؛ فهو ﷻ ذو المعارج على الحقيقة.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على إطلاق ذلك لله ﷻ، وهو قوله تعالى: ﴿مَنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾^(٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ^(٤) [المعارج]، وثبت في حديث صحيح عند أبي داود وغيره عن جابر رضي الله عنه قال: أهلك رسول الله ﷺ - فذكر التلبية مثل حديث ابن عمر^(١) - قال: والناس يزيّدون: «ذا المعارج» ونحوه من الكلام، والنبي ﷺ يسمع فلا يقول لهم شيئاً^(٢)، وفي رواية: «لبيك ذا المعارج، لبيك ذا الفواضل، فلم يعب على أحد منهم شيئاً»^(٣).

(١) حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٥٤٩)، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١١٨٤).

والفاظ التلبية فيه هي: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب المناسك، رقم ١٨١٣)، وأحمد (٢٢/٣٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن خزيمة (كتاب المناسك، رقم ٢٦٢٦)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٥٩١) [مؤسسة غراس، ط ١].

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (كتاب الحج، رقم ٩٠٣٢)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٤/٢٠٢).

وقد عدّ هذا الاسم ضمن أسماء الله الحسنى بعض من العلماء منهم: ابن العربي^(٤)، وابن تيمية^(٥) وابن حجر في التلخيص^(٦)، وبعض المعاصرين^(٧).

وذكر الحليمي^(٨)، والبيهقي^(٩)، وابن حجر في الفتح^(١٠): (الرفيع) دون المضاف إليه، واستدلوا له بقوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ [غافر: ١٥]، ولم يعدّه الكثيرون ضمن ما عدوه من أسماء الله الحسنى.

- المسألة السادسة: الجمع بين صفتي العلو والمعية: لا تعارض ولا تنافي بين علو الله وفوقيته وبين معيته لخلقه أينما كانوا؛ فَعُلُوهُ تعالى أمر ثابت له، وهو من لوازم ذاته. ودنوه ومعيته لعباده؛ لأنه أقرب إلى كل أحد من جبل الوريد، فهو على عرشه عَلِيٌّ على خلقه، ومع ذلك فهو معهم في كل أحوالهم، ولا منافاة بين الأمرين؛ وذلك متقرر من وجهين:

أولاً: أنه لا منافاة بينهما في الواقع،

(٤) أحكام القرآن (٢/٣٤٢).

(٥) المستدرک على مجموع فتاوى ابن تيمية (١/٥٦).

(٦) تلخيص الجبير (٤/٣٢١٢) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٧) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (١٧٣، و١٩٨) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٨) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/١٩٠).

(٩) انظر: الأسماء والصفات (١/٥٤).

(١٠) فتح الباري (١١/٢٥٧) [دار السلام، ط ١].

ولم يعدّه بعض أهل العلم ضمن أسماء الله الحسنى^(١)، وأنكر بعضهم أن يكون من أسماء الله الحسنى^(٢).

- المسألة الخامسة: ذكر أهل العلم أن الله تعالى: رفيع الدرجات:

ومعنى ذلك أنه رفيع المنزلة، ويرفع من يشاء في الدرجات والمنازل، قال ابن العربي: «رفيع الدرجات، لا يلحق مرتبته أحد بحال»^(٣).

وقد ورد وصف الله وَفِيقَ برفيع الدرجات صريحاً في القرآن، قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]، وورد ما يدل على معاني رفع الدرجات في كثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾ [الأنعام: ٨٣، ويوسف: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِلَٰهًا وَمَا يَرْفَعُ بَعْضُكُم فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحَّمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، وغيرها من الآيات.

(١) كابن منده، وابن حزم، والغزالي، وغيرهم.

(٢) مثل: عمر الأشقر في كتابه أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة (٦٤ - ٦٥) [دار النفائس، ط ٢].

(٣) أحكام القرآن (٢/٣٤٤).

فقد يجتمعان في شيء واحد، ولذلك تقول: ما زلنا نسير والقمر معنا، مع أنه في السماء.

الثاني: أنه لو فرض أن بينهما منافاة في حق المخلوق لم يلزم أن يكون بينهما منافاة في حق الخالق؛ لأنه ليس كمثله شيء، وهو تعالى بكل شيء محيط^(١).

- **المسألة السابعة:** العلو مقارن للظهور، فكلما كان الشيء أعلى كان أظهر، وكل واحد من العلو والظهور يتضمن معنى الآخر:

ومنه قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء»^(٢)، ولم يقل فليس أظهر منك شيء؛ لأن الظهور يتضمن العلو والفوقية، فقال: فليس فوقك شيء. ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾^(٣) [الكهف]؛ أي: يعملوا عليه، ويقال: ظهر الخطيب على المنبر؛ إذا علا عليه، ويقال للجبل العظيم: علم؛ لأنه لعلوه وظهوره يعلم ويعلم به غيره^(٣).

- **المسألة الثامنة:** إذا كانت صفة العلو والفوقية صفة كمال لا نقص فيه،

ولا تستلزم نقصاً، ولا توجب محذوراً، ولا تخالف كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً فنفي حقيقتها يكون عين الباطل والمحال الذي لا تأتي به شريعة أصلاً، فكيف إذا كان لا يمكن الإقرار بوجوده تعالى وتصديق رسله والإيمان بكتابه وبما جاء به رسوله ﷺ إلا بذلك، فكيف إذا انضم إلى ذلك شهادة العقول السليمة، والفطر المستقيمة، والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله ﷻ على خلقه وكونه فوق عباده التي تقرب من عشرين نوعاً^(٤).

- **المسألة التاسعة:** ما يطلقه المتكلمون من الألفاظ المجملة في هذا الباب كالجهة والحيز ومن خلاله ينفون العلو باعتبار نفي الجهة والحيز، فمذهب أهل السنة فيها أنهم لا ينفونها ولا يثبتونها على الإطلاق، فهي لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة، ولا قالها أحد من سلف وخيار الأمة في حق الله تعالى لا نفياً ولا إثباتاً، وحينئذٍ فإطلاق القول بنفيها أو إثباتها ليس من مذهب السلف، وإنما يستفصلون في المعنى، فإن كان المعنى حقاً يليق بجلال وكمال الله تعالى قبلوه، وإن كان باطلاً ردوه ونفوه، واللفظ يتوقفون فيه على كلا الحالين^(٥).

(١) انظر: القواعد الحسان (٣٩/٨) [ضمن مجموع مؤلفات السعدي، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٤٠٤/١)].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠٨/٦).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (٣١٨) [المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٣٩١هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣٠٤/٥).

- المسألة العاشرة: المعنى الصحيح لبعض الآيات:

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما معنى قول الله وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] يقول: هو إله من في السماوات وإله من في الأرض وهو الله على العرش وقد أحاط علمه بما دون العرش لا يخلو من علم الله مكان ولا يكون علم الله في مكان دون مكان»^(١)

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُهُ﴾ [الزخرف: ٨٤]؛ يعني: إله أهل السماء وإله أهل الأرض، وذلك موجود في اللغة؛ تقول: فلان أمير في خراسان وأمير في بلخ وأمير في سمرقند؛ وإنما هو في موضع واحد ويخفى عليه ما وراءه، فكيف العالي فوق الأشياء لا يخفى عليه شيء من الأشياء يدبره فهو إله فيهما^(٢).

❁ الفروق:

الفرق بين الأعلى والعلي والمتعال:

هذه الصيغ كلها مما ثبت تسمية الله وَجَلَّ به، وكلها تشترك في الدلالة على معنى العلو والعظمة والجلال لله وَجَلَّ، علو الذات والقدر والقهر.

والفرق بين العلي والأعلى: أن

العلي يدل على كثرة الصفات ومتعلقاتها وتنوعها، والأعلى يدل على عظمتها^(٣)، والأعلى أبلغ من العلي، والمتعال أبلغها كلها^(٤).

الفرق بين العلو والاستواء:

الفرق بين العلو والاستواء من جهات متعددة:

١ - العلو صفة ذاتية، والاستواء صفة فعلية.

٢ - العلو ثابت بالسمع والعقل والفطرة والحس، وأما الاستواء فهو ثابت بالسمع فقط.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «علوه على المخلوقات وصف لازم له، كما أن عظمته وكبريائه وقدرته كذلك، وأما الاستواء فهو فعل يفعله وَجَلَّ بمشيئته وقدرته، ولهذا قال فيه: ثم استوى، ولهذا كان الاستواء من الصفات السمعية المعلومة بالخبر، وأما علوه على المخلوقات فهو عند أئمة أهل الإثبات من الصفات العقلية المعلومة بالعقل مع السمع»^(٥).

٣ - علو الله عام على جميع خلقه، أما الاستواء فلم يرد إلا خاصاً مقيداً بالعرش.

(٣) فتح الرخيم الملك العلام للسعدي (٤٤) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٢٣٧/٥).

(٥) مجموع الفتاوى (٥٢٣/٥).

(١) الرد على الجهمية (١٤٨ - ١٤٩) [دار الثبات، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧٠/٥).

استحيا أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك.

٤ - الاستواء أحد أدلة العلو وليس العكس.

✽ الثمرات:

٣ - من يشهد تدبيره من الإمامة والإحياء والتولية والعزل والخفض والرفع والعطاء والمنع وكشف البلاء وإرساله وتقلب الدول ومداولة الأيام بين الناس إلى غير ذلك استغنى بالله عن غيره^(٣).

أن الإنسان إذا علم بأن الله تعالى فوق كل شيء، فإنه يعرف مقدار سلطانه وسيطرته على خلقه، وحينئذ يخافه ويعظمه، وإذا خاف الإنسان ربه وعظمه، فإنه يتقيه فيؤدي ما أوجب الله عليه، ويدع ما حرم عليه، ومتى آمن العبد بعلو الله المطلق ذاتاً وقدرًا ومكانًا، وفوقيته على سائر بريته، وقهره لهم جميعًا، اتجه إليه بقلب خاشع، وجعله له صمدًا يعرج قلبه إليه مناجيًا له مطرقًا، واقفًا بين يديه في السؤال والرغبة والرغبة والذل والمحبة^(١).

✽ الآثار:

القول الأول: هو إنكار العلو، ويزعمون أن الله ليس في مكان، فينكرون أن يكون فوق أو تحت أو يمين أو شمال، ويقولون: هو لا في جهة، وهذا قول الجهمية، والأشعرية ومن وافقهم^(٥).

١ - الإيمان باسم الله العلي وما تضمنه من صفة العلو يورث العبد تعظيمًا لله وذلاً بين يديه وتنزيهاً له عن النقائص والعيوب، وإخلاصاً في عبادته، وبعداً عن اتخاذ الأنداد والشركاء^(٢).

القول الثاني: أنه في كل مكان ولا يخلو منه مكان، وهذا قول بشر المريسي

٢ - من شهد مشهد علو الله على خلقه، وفوقيته لعباده، واستواءه على عرشه، وتعبّد بمقتضى هذه الصفة،

(٣) طريق الهجرة (٧٨/١) [دار ابن القيم، ط ٢].

(٤) انظر في صفة العلو وإثباتها والردود على المخالفين في هذه الصفة: الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل، وإثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، والعلو للعلي الغفار للذهبي.

(٥) انظر: المغني لعبد الجبار المعتزلي (٢١٥/٥)، (٢١٦)، والتمهيد للباقلاني (٣٠٠)، والاقتصاد للغزالي (١٦٤)، والإرشاد للجويني (٥٨، ٥٩)، والمواقف للإيجي (٢٧٠).

(١) انظر: أسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٤٦) [مكتبة الإمام الذهبي، ط ٤، ١٤٣١هـ].

(٢) فقه الأدعية والأذكار (١٤٩) للبدر [مطابع الحمضي، ط ١، ١٤٢٩هـ].

يكون خلقه داخل نفسه أو خارجها، والأول محال؛ لأنه يكون محلاً للأقدار، فلم يبق إلا الثاني، وهو أن خلقه خارج نفسه، وإذا كان كذلك، فإما أن الله تعالى فوق الخلق أو تحته أو يمينه أو شماله، ولا يمكن أن يكون خلقه فوقه فإن لازم ذلك أن يكون الله عز وجل تحت العالم، فهي صفة دونية، ولا يمكن أن يكون خلقه يمينه أو شماله؛ لأنها صفة مماثلة، ولم يقل بهذا أحد من العالمين، ولم يبق إلا أن يكون خلقه تحته، وهو سبحانه له الفوقية، وهي صفة كمال للخالق، وهو أولى بذلك، فثبت بذلك صفة العلو عقلاً كما ثبتت شرعاً وفطرة^(٣).

٥ - رد دعوى الجسمية والتحيز التي جعلوها لازمة للإثبات؛ فهذه ألفاظ مجملة لم ترد في الكتاب ولا في السُّنة، فلا يجوز أن تجعل حاكمة على النصوص الشرعية، فتزداد دلالة النص المحكم لأجلها! وهذا من أعظم الجناية على النصوص الشرعية، ولئن كان هذا مساعاً لكان مطرداً في كل صفة من صفات الله تعالى، فتتفى كل الصفات بدعوى الجسمية والتحيز والتركيب ونحوها مما لم ينزل الله تعالى بها من سلطان.

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/١٥٢).

والنجارية من المعتزلة، والسالمية، ونسب هذا القول شيخ الإسلام إلى صوفية وعباد الجهمية^(١).

القول الثالث: أن الله مستو على عرشه، وهو مع ذلك بذاته في كل مكان، ونسب هذا القول أبو الحسن الأشعري إلى زهير الأستري، ونسبه شيخ الإسلام ابن تيمية لبعض السالمية والصوفية^(٢).

أما الرد على هؤلاء إجمالاً فإنه يقال:

١ - إن الأدلة الصريحة والكثيرة الدالة على علو الله تعالى ترد جميع أقوال المخالفين، وقد تقدمت الإشارة إلى جزء منها.

٢ - إجماع سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة الذين يُقتدى بهم على إثبات العلو لله تعالى، وأنه مستو على عرشه عز وجل، بائن من خلقه.

٣ - الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها بأنه تعالى عال على خلقه، فما من داع إلا ويجد في نفسه ضرورة تأخذه إلى جهة العلو، مما فيه الدلالة البينة على صفة الفوقية لله تعالى.

٤ - إن الله خلق الخلق، فإما أن

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/٢٣٦، ٢٨٦، ٣٥١)، والملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل (١/٥٥، ١١٣، ١١٤)، ومجموع الفتاوى (٢/٢٩٨).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/١٧١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/٢٩٩).

المصادر والمراجع:

علي بن أبي طالب أمير المؤمنين

اسمه ونسبه:

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي الهاشمي أبو الحسن. وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف^(١) و«هي أول هاشمية ولدت لهاشمي، توفيت مسلمة قبل الهجرة، وقيل: إنها هاجرت»^(٢).

مولده ووفاته:

ولد علي بن أبي طالب عليه السلام قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله بعشر سنين على الصحيح، ورُبِّي في حجر النبي صلى الله عليه وآله ولازمه^(٣). وقتله عبد الرحمن بن ملجم الخارجي في رمضان سنة أربعين للهجرة النبوية عن ثلاث وستين سنة^(٤) على الراجح. قال الحافظ ابن حجر: «مات في رمضان

١ - «إثبات صفة العلو»، لابن قدامة.

٢ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.

٣ - «أسماء الله الحسنى وصفاته العليا من كتب ابن القيم»، لعماد زكي البارودي.

٤ - «كتاب التوحيد» (ج ٢)، لابن منده.

٥ - «كتاب التوحيد» (ج ١)، لابن خزيمة.

٦ - «توضيح الكافية الشافية»، للسعدي.

٧ - «الحق الواضح المبين»، السعدي.

٨ - «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، اللالكائي.

٩ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

١٠ - «الصواعق المرسلات»، لابن القيم.

١١ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج ١)، لمحمد حمود النجدي.

العلي

يراجع مصطلح (العلو).

(١) المعارف لابن قتيبة (٢٠٣) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢]، والمعرفة والتاريخ للفسوي (١/ ٢٧٤) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠١هـ]، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٠٨٩/٣) [دار الجيل، ط ١] والإصابة في تمييز الصحابة (٥٦٤/٤) [دار الجيل، ط ١].

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٠٨٩/٣). وانظر: المعارف لابن قتيبة (٢٠٣).

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٥٦٤/٤).

(٤) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٠٩٤/٣)، والبداية والنهاية (١٣/١١ - ١٥، ٢١) [دار هجر، ط ١].

وفيما صح غنية عنها^(٥)، ولم يفارق النبي ﷺ وشهد معه المشاهد كلها إلا غزوة تبوك، حيث استخلفه النبي ﷺ على المدينة، لما ثبت من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: «خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»^(٦).

وذكر غير واحد من العلماء أنه لما خلف النبي ﷺ علياً ﷺ على المدينة في غزوة تبوك، أرجف به المنافقون وزعموا أن النبي ﷺ إنما خلفه مع النساء والصبيان استثقلاً له وتخففاً منه، فأخذ علي ﷺ سلاحه ولحق بالنبي ﷺ وهو نازل بالجرف، وأخبره بما قاله أهل المين والكذب، فكذبهم النبي ﷺ وقال لعلي ما قال كما في حديث سعد بن أبي وقاص المتقدم، فرجع علي بن أبي طالب ﷺ إلى المدينة ومضى النبي ﷺ في سفره^(٧).

(٥) انظر: السيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمري (١/١٣٤) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٦، ١٤١٥هـ].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤١٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٤).

(٧) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٥١٩، ٥٢٠) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٧٥هـ] والإصابة في تمييز الصحابة (٤/٥٦٤) والبداءة والنهاية (٧/١٥٥).

سنة أربعين، وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة، وله ثلاث وستون على الأرجح^(١).

واختلف في يوم وفاته ﷺ؛ فقيل: مات يوم ضربه، وهو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان، وقيل بعده بيومين، وقيل: في العشر الأخير من رمضان^(٢). واختلف في موضع دفنه على عدة أقوال، قال ابن كثير بعد ذكر طائفة منها: «والمشهور أنه دفن بدار الإمارة»^(٣).

❁ إسلامه:

أسلم علي بن أبي طالب ﷺ قديماً جداً؛ فهو أول من أسلم من الغلمان، قال ابن كثير: «أول من بادر إلى التصديق من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق، ومن الغلمان علي بن أبي طالب، ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته ﷺ، ومن الموالي مولاه زيد بن حارثة الكلبي ﷺ وأرضاهم»^(٤).

وقد كثرت الروايات الواهية والموضوعة في تحديد يوم إسلامه، وأنه صلى قبل المسلمين الآخرين سبع سنين،

(١) تقريب التهذيب لابن حجر (٤٠٢).

(٢) انظر: البداءة والنهاية (١١/١٣١).

(٣) البداءة والنهاية (١١/٢١).

(٤) السيرة النبوية لابن كثير (١/٢١٤-٢١٥) [دار المعرفة، ١٣٩٥هـ]، وأورده الألباني في صحيح السيرة (٩٩). وانظر: مختصر السيرة لابن عبد الوهاب (٨٤، ٨٥) [المكتبة السلفية، ط ٢، ١٣٩٦هـ].

❁ فصائله:

لا شك أن علي بن أبي طالب هو صاحب المناقب الجمّة والفضائل الكثيرة، وفيما يلي جملة منها:

- أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة، كما جاء من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»^(١).

- شهادة النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه بأنه يحب الله ورسوله ﷺ، ويحبه الله ورسوله ﷺ، فقد ثبت من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينَ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله». قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطّاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطّاها، فقال: أين عليُّ بن أبي طالب؟ فقبل:

(١) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٤٧)، وأحمد (٢٠٩/٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٠) [المكتب الإسلامي].

هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه فأُتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟، فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»^(٢).

- ومن الأحاديث في بيان فضله وعلو مقامه: قول النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»^(٣).

❁ مكانته:

لعليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه مكانة كبرى ومنزلة عليا، فهو رضي الله عنه ابن عم النبي ﷺ، والناشئ تحت رعايته، وزوج ابنته، وأحد الستة من أهل الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راض عنهم، ورابع الخلفاء الراشدين، كان النبي ﷺ يسند إليه مهامً كبيرة، فقد أعطاه الراية في غزوة خيبر ففتح الله على يديه كما تقدم

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢١٠)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٦).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧١٤) وحسنه، وأحمد (٢٩/٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٥٧٦) وصححه، وصححه أيضاً الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٠/٤).

هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق، فلتقم فرقة لهم في حرمهم وذرايرهم، ولتقم فرقة في أهل عهدهم؛ لئلاً ينتقضوا عليهم، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مدداً لهم، إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً، قالوا: هذا أمير العرب وأصل العرب، فكان ذلك أشد لكلبهم وألبتهم على نفسك، وأما ما ذكرت من مسير القوم، فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما ما ذكرت من عددهم، فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، ولكننا كنا نقاتل بالنصر. فقال عمر: أجل والله»^(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع عمر يقول لعلي رضي الله عنه وقد سأله عن شيء فأجابه: «أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا حسن»^(٤).

وغير ذلك مما يدل على سمو مكانته ورفعة شأنه رضي الله عنه.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: مبايعة علي للصديق رضي الله عنه:

بايع علي رضي الله عنه أبا بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة، وجاء في الصحيح ما يدل

(٣) تاريخ الطبري (٥٢٤/٢).

(٤) الرياض النضرة في مناقب العشرة (١٦٦/٣) [دار الكتب العلمية، ط٢].

في فضائله، وبعثه إلى اليمن حاكماً^(١)، ولما سمع بتوجه النبي ﷺ إلى الحج، خرج حاجاً وساق هديه وأهل بما أهل به النبي ﷺ، ولما التقى النبي ﷺ في مكة أخبره بما أهل به، فأشركه النبي ﷺ في هديه^(٢)، وكان الخليفان أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما يعظمانه، ويستشيرانه في الأمور المدلهمة، وما ذاك إلا لعلو شأنه عندهما، ومن ذلك أن عمر بن الخطاب استشار الناس لما بلغه خبر تجمع الفرس بنهاوند لقتال المسلمين، فأشار إليه بعض أهل الرأي من الصحابة، فأعاد عمر فقال: «إن هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا، فقام علي بن أبي طالب فقال: أما بعد يا أمير المؤمنين، فإنك إن أشخصت أهل الشام من شأهم، سارت الروم إلى ذرايرهم، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذرايرهم، وإنك إن شخصت من هذه الأرض، انتقضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات، أقرر

(١) كما جاء عند أبي داود (كتاب الأقضية، رقم ٣٥٨٢)، وابن ماجه (كتاب الأحكام، رقم ٢٣١٠)، وأحمد (٦٨/٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٦٥٨) وصححه، وصححه الألباني في الإرواء (رقم ٢٥٠٠).

(٢) كما في حديث جابر عند مسلم (كتاب الحج، رقم ١٢١٨). وانظر: البداية والنهاية (٤١٦/١٠، ٤١٧).

على تأخر وقوع هذه البيعة^(١)، لأسباب ذكرها علي لأبي بكر رضي الله عنه يوم مبايعته إياه، وهي تلخص في أن علياً كان يرى لنفسه نصيباً في الأمر لقربته من رسول الله، ولذا وجد في نفسه، ولم يكن يعترض على أفضلية الصديق، وكونه أولى بالخلافة من غيره كما بينه للصديق بقوله: «إنّا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك... وكنا نرى لقربتنا من رسول الله ﷺ نصيباً»^(٢). فكان يرى لنفسه حق المشورة، وذكر بعض أهل العلم أن «العذر لأبي بكر أنه خشي من التأخر عن البيعة الاختلاف»^(٣). هذا هو السبب في تأخر بيعة علي لأبي بكر بناء على رواية الصحيح، لكن ذكر ابن كثير أن هذه البيعة ليست هي الأولى، بل سبق أن بايع عليّ الصديق رضي الله عنه، «ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن علياً لم يبايع قبلها، فنفي ذلك، والمثبت مقدم على النافي»^(٤).

وإنما وقعت «هذه البيعة لإزالة ما كان وقع من وحشة حصلت بسبب الميراث، ولا ينفي ما ثبت من البيعة المتقدمة

عليها كما قررنا. والله أعلم»^(٥). وما أشار إليه هنا بهذا الكلام فصله في موضع آخر فقال: «وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم على بيعة الصديق في ذلك الوقت، حتى علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، رضي الله عنهما وأرضاهما، والدليل على ذلك ما رواه البيهقي...»^(٦) ثم ساقه، وهو ما رواه البيهقي بإسناده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «لما تُوفي رسول الله ﷺ... فلما قعد أبو بكر رضي الله عنه على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير علياً رضي الله عنه، فسأل عنه فقام ناس من الأنصار فأتوا به، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين. فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فبايعه»^(٧). وقال ابن حجر: «وقد صحح ابن حبان وغيره من حديث أبي سعيد الخدري وغيره أن علياً بايع أبا بكر في أول الأمر... وأنه بايعه بيعة ثانية مؤكدة للأولى؛ لإزالة ما كان وقع بسبب الميراث كما تقدم... وبسبب ذلك أظهر علي المبايعة التي بعد موت فاطمة؛ لإزالة هذه الشبهة»^(٨).

(٥) المصدر نفسه (٩/ ٤٩٠).

(٦) المصدر نفسه (٩/ ٤١٥ - ٤١٦).

(٧) أخرجه الحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٤٥٧)

وصححه، وعنه البيهقي في السنن الكبرى (كتاب

قتال أهل البغي، رقم ١٦٥٣٨).

(٨) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٤٩٥).

(١) صحيح البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٤٠،

٤٢٤١)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

(٢) انظر تخريجه في الحاشية السابقة.

وانظر أيضاً: فتح الباري لابن حجر (٧/ ٤٩٤، ٤٩٥).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٤٩٥).

(٤) البداية والنهاية (٨/ ١٨٩).

- المسألة الثانية: اتهام علي بالتحريض على قتل عثمان عليه السلام:

لا شك أن روايات الواقدي تظهر لمتتبعها علي بن أبي طالب عليه السلام على أنه واحد من الذين أسهموا في نهاية عثمان^(١).

وهذا - مع ضعفه - مصادم لروايات ثابتة تبطل هذه الاتهامات وتنسفها من جذورها، وتثبت براءة علي بن أبي طالب عليه السلام من ذلك كله، فقد روى الإمام أحمد بن حنبل بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «رأيت علياً رافعاً حضنيه يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ دَمِ عَثْمَانَ»^(٢). وروى أيضاً بإسناده عن عميرة بن سعد قال: «كنا مع علي على شاطئ الفرات، فمرت سفينة مرفوع شراعها، فقال: علي: «يَقُولُ اللَّهُ وَجَّكَ: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾» [الرحمن]، والذي أنشأها في بحر من بحاره، ما قتلت عثمان، ولا مالأت على قتله»^(٣).

وروى أيضاً بإسناده عن محمد بن الحنفية قال: «بلغ علياً أن عائشة رضي الله عنها تلعن قتلة عثمان في المبرد، قال: فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان، لعنهم الله في السهل والجبل، قال مرتين أو ثلاثاً»^(٤).

- المسألة الثالثة: الحكم الشرعي من القتال في الفتنة:

لا شك أن الاقتتال الحاصل في الجمل وصفين هو الاقتتال في الفتنة بتأويل، ويدل لذلك أمور:

الأمر الأول: اعتزال محمد بن مسلمة عليه السلام للقتال، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لن تضره فتنة كما جاء من حديث حذيفة رضي الله عنه أنه قال: ما أحد من الناس تدركه الفتنة إلا أنا أخافها عليه إلا محمد بن مسلمة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تضرك الفتنة»^(٥).

وعن ثعلبة بن ضبيعة قال: «دخلنا على حذيفة فقال: إني لأعرف رجلاً لا تضره الفتن شيئاً. قال: فخرجنا فإذا فسطاط مضروب، فدخلنا فإذا فيه محمد بن مسلمة، فسألناه عن ذلك؟

(١) ٢٠٩٧٢ من طريق آخر.

(٤) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٤٥٨/١)، وقال محققه: «إسناده حسن».

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٦٦٣)، وقال ابن كثير: هذا منقطع. البداية والنهاية (١٨١/٩) [دار هجر، ط١].

(١) انظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين لمحمد أمحزون (١٤/٢) [دار طيبة، ومكتبة الكوثر، ط١، ١٤١٥هـ].

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٤٥٢/١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٣هـ].

وأخرجه الحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٥٢٧) من طريق آخر، وصححه.

(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٤٥٨/١)، وقال محققه: «إسناده حسن».

وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (جامع معمر، رقم

وعمران بن حصين، وأكثر السابقين الأولين»^(٥).

وبالجملة فالقتال يوم صفين والجميل لدى القاعدين عنه من الصحابة وجمهور أهل الحديث والسنة وأئمة الفقهاء بعدهم هو قتال فتنة^(٦)، ليس فيه أمر من الله ولا رسوله ولا إجماع من الصحابة^(٧). و«كرهه فضلاء الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر العلماء، كما دلّت عليه النصوص. حتى الذين حضروه كانوا كارهين له، فكان كارهه في الأمة أكثر وأفضل من حامده»^(٨).

وفي يوم الجمل لما انتهت الحرب قال عليّ لعائشة: «غفر الله لك. قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح. ثم أنزلها في دار البصرة، وأكرمها واحترمها، وجهّزها إلى المدينة في عشرين أو أربعين امرأة من ذوات الشرف، وجهّز معها أخاها محمداً، وشيّعها هو وأولاده، وودّعها»^(٩).

- المسألة الرابعة: قتاله للخوارج:

خرجت الخوارج على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة ثمان وثلاثين هجرية، ناقمين عليه ثلاث

فقال: ما أريد أن يشتمل عليّ شيء من أمصاركم حتى تنجلي عمّا انجلت»^(١).

أي: أني لا أريد أن أسكن وأقيم في أمصاركم حتى تنكشف وتزول الفتنة^(٢).

فقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث والذي قبله بأن محمد بن مسلمة رضي الله عنه لا تضره الفتنة، وهو ممن اعتزل في القتال فلم يقاتل مع علي ولا مع معاوية^(٣).

و«استدل به علي أن القتال كان قتال فتنة بتأويل، لم يكن من الجهاد الواجب ولا المستحب»^(٤).

الأمر الثاني: ندم كل من أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب وأم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما على ما حصل في موقعة الجمل، ومطالبة معاوية لعلي بالصلح وترك الاقتتال وقبول علي ذلك منه في موقعة صفين.

الأمر الثالث: أن هذا القتال امتنع من

المشاركة فيه عدد كبير من الصحابة، «كسعد بن أبي وقاص، وأسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر، وأبو بكر،

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، رقم ٤٦٦٤)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٨٣٨) وصححه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٣٦/٣).

(٢) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود (٩/ ١٨٨٥)، [المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط ٢، ١٣٨٨هـ].

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية (١/ ٥٤١) [جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٤) المصدر نفسه (٧/ ٥٧).

(٥) انظر: المصدر نفسه (١/ ٥٤٢).

(٦) انظر: المصدر نفسه (٤/ ٥٠٢).

(٧) المصدر نفسه (٤/ ٥٠١).

(٨) المصدر نفسه (٥/ ١٥٣).

(٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١/ ٢٠٦) [دار

ابن كثير، ط ١، ١٤٠٦هـ].

مسائل بغير حق، واعتزلوا جماعة المسلمين، وشقُّوا عصا طاعة أمير المؤمنين، فذهب إليهم حبر الأمة وترجمان القرآن في عقر دارهم، وسألهم عن دوافع خروجهم على أمير المؤمنين ومفارقتهم جماعة المسلمين، فتعلقوا بثلاث شبه هزيلة، فانقضَّ عليها ابن عباس بالرد والإبطال، فأصبحت كالهباء المنثور، وكالسراب الذي يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً. فاعترفوا بالهزيمة، وأقروا بالإفلاس عن الحجة والبرهان فرجع كثير منهم، وبقي من كابر وعاند.

وتركهم المسلمون ولم يقاتلوهم، ولكن الخوارج بدؤوا يفسدون في الأرض، فقطعوا السبيل، واستحلوا المحارم، وسفكوا الدماء، وممن سفك دمه عبدُ الله بن خباب بن الارت وامراته^(١)، فقالوا لعبد الله: «من أنت؟ فانتسب لهم، فسأله عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، فأثنى عليهم كلهم، فذبحوه وقتلوا امرأته، وكانت حبلى، فبقروا بطنها، وكان من سادات أبناء الصحابة»^(٢). وكان علي رضي الله عنه قبل هذا يتجهز لحرب أهل الشام، وجمع جيشاً كبيراً لذلك، ولكن لما أحدث

الخوارج هذه المفاصد العظام، خاف من شرهم على الأهل والولد والديار إذا خرج إلى الشام بهذه الجيوش، فاستشار أصحابه، فاجتمع الرأي على قتال الخوارج، فأرسل علي رضي الله عنه إلى الخوارج الحارث بن مرة العبدى ليطلع له على أخبارهم، ويعرف أمرهم، ولما جاءهم الحارث قتلوه، وحينئذٍ عزم علي رضي الله عنه على قتالهم وسار إليهم، ولما اقتربوا منهم وتقابل الجيشان، نصحهم علي رضي الله عنه بدفع القتلة منهم إليه للاقتصاص منهم، وترك القتال فيما بينهم، فرفض الخوارج هذا، وقالوا: نحن كلنا قتلة أصحابكم ونحل دماءكم، فأمر عليُّ أبا أيوب الأنصاري أن يكون في ناحية ويرفع لواء الأمان للخوارج، فجاء عدد كبير منهم، وهاج الباقون منهم لقتال جيش علي، فقابلهم الجيش، وقاتلوهم، ولم يبقوا من الخوارج إلا نفرًا يسيرًا، ولم يقتل من جيش علي رضي الله عنه سوى سبعة، ثم خرج علي في طلب ذي الثدية، فاستخرجوه من تحت عدد من القتلى^(٣)، وإنما بحث علي رضي الله عنه؛ لأن رسول الله ﷺ نعت له فأراد أن يتحقق منه، فقد روى عبد الله بن أحمد بسنده عن أبي الوضيء قال: «شهدت علياً حين قتل أهل النهروان، قال:

(١) انظر: البداية والنهاية (١٠/٥٨٣ - ٥٨٤).

(٢) سير أعلام النبلاء - سير الخلفاء الراشدين (٢٧٩)

[مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ].

(٣) انظر: البداية والنهاية (١٠/٥٨٤ - ٥٨٩).

«التمسوا في القتلى»، قالوا: لم نجده، قال: «اطلبوه فوالله ما كذبت ولا كُذبت» حتى استخرجوه من تحت القتلى، قال أبو الوضيء: فكأنني أنظر إليه؛ حبشي، إحدى يديه مثل ثدي المرأة، عليها شعرات مثل ذنب اليربوع^(١).

وكانت المعركة في شعبان، وقيل: في صفر، من العام الثامن والثلاثين هجرية^(٢).

- المسألة الخامسة: تأمر من بقي من الخوارج على قتل علي ﷺ:

وفي النهاية كان قتل الخليفة الراشد علي بن أبي طالب على يد أحد الخوارج المارقين، وهو عبد الرحمن بن ملجم، الذي اتفق مع اثنين من الخوارج، على قتل كل من علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمر بن العاص ﷺ في ليلة واحدة، وهي السابعة عشرة من رمضان، وتولى عبد الرحمن بن ملجم مهمة قتل علي بن أبي طالب ﷺ، وأخذ يجهز سيفه ويسمه لهذا الأمر، ثم سافر إلى الكوفة، وندبت له زوجته قطام بنت الشحنة رجلاً من قومها من تيم الرباب يقال له:

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٣٧٥/٢) [مؤسسة الرسالة، ط١].

وهو عند مسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٦٦) بنحوه.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء - سير الخلفاء الراشدين (٢٧٩، ٢٨٠).

وردان؛ ليكون معه ردءاً، واستمال ابن ملجم رجلاً آخر يقال له: شبيب بن بجرة الأشجعي الحروري... فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت، وقال: هذه الليلة التي واعدت أصحابي يقتل كل واحد منا فيها صاحبه الذي ذهب إليه، فجاء هؤلاء الثلاثة؛ وهم ابن ملجم ووردان وشبيب، وهم مشتملون على سيوفهم، فجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي، فلما خرج جعل ينهض الناس من النوم إلى الصلاة ويقول: الصلاة الصلاة. فثار إليه شبيب بالسيف فضربه فوق في الطاق، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه، فسال دمه على لحيته^(٣)، وهكذا قتل علي ﷺ ومسك ابن ملجم، ثم قتل بعد وفاة علي.

- المسألة السادسة: ما قيل من قتاله ﷺ الجن:

يحكي كثير من القصاصين عن علي بن أبي طالب حكايات غريبة، ويقص قصصاً وأخباراً عجيبة ينسبون لها إليه - وهي تقوي أكاذيب الرافضة في علي وغيره من الأئمة من ادعاء القوى الخيالية الخرافية لهم -، منها: ادعائهم أنه قاتل الجن، في موضع قريب من الجحفة، وهو كذب عليه، قال ابن كثير: «وما يذكره كثير من

(٣) انظر: البداية والنهاية (١٣/١١).

✽ الرد عليهم:

لا شك أن النواصب ضالّون في بغضهم آل البيت، ومبطلون في تكفيرهم لعلّي بن أبي طالب أو تفسيقهم إياه أو لغيره من آل البيت لأمر؛ منها:

الأول: شهادة رسول الله ﷺ له الجنة، كما تقدم في فضائله.

الثاني: ما ثبت في طائفة من الأحاديث من «شهادة النبي ﷺ لعلّي بإيمانه باطنًا وظاهرًا، وإثباتًا لموالاته لله ورسوله ووجوب موالاته المؤمنين له»^(٧).

الثالث: شهادته ﷺ له أيضًا بأنه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كما تقدم في فضائله من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله...»^(٨). وهذا الحديث من أحسن ما يُحتجّ به على النواصب الذين يتبرؤون منه ولا يتولونه ولا يحبونه»^(٩).

الرابع: أن بغض آل البيت وتفسيقهم أو تكفيرهم محادة للنبي ﷺ في وصيته بأهل بيته، وخروج عن سبيل المؤمنين. فقد ثبت من حديث زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قال: «أذكركم الله في أهل

القصاص في مقاتلته الجن في بئر ذات العلم - وهو بئر قريب من الجحفة - فلا أصل له، وهو من وضع الجهلة من الأخباريين فلا يغتر به»^(١).

✽ موقف المخالفين منه:

- **النواصب:** هم الذين ينصبون العداء لأهل البيت، ويقدحون فيهم، ويفسّقون علي بن أبي طالب أو يكفّرونه، ويسبونه ويتبرؤون منه وممن والاه، وينكرون خلافته، ويقولون فيه من جنس أقوال الرافضة في الخلفاء الثلاثة الأول^(٢)، ويدّعون أنه لم يكن مصيباً في حروبه^(٣). وهم طوائف؛ من أبرزهم: الخوارج والمعتزلة^(٤) وبعض بني أمية ومن تبعهم من أهل الشام المنكرين لخلافته^(٥). والنواصب على النقيض من الروافض، فإنهم لما شاهدوا الرافضة يغفلون في آل البيت؛ عمدوا إلى مخالفتهم فقالوا: إذا نبغض آل البيت ونسبهم؛ مقابلة لهؤلاء في الغلو في محبتهم والثناء عليهم^(٦).

(١) المصدر نفسه (١٠/٤١٧).

(٢) انظر: منهاج السنّة (٧/٣٣٩، ٤/٣٨٦، ٥/٤٤)، و٤٦، والبداية والنهاية (٩/١٥٤)، وشرح الواسطية لابن عثيمين (٢/٢٨٣) [دار ابن الجوزي، ط ٦]، وشرح الواسطية لهراس (٢٤٤ - ٢٤٨) [دار الهجرة، ط ٣].

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/٥٤٣).

(٤) انظر: منهاج السنّة النبوية (٤/٣٨٦، ٥/٣٩٥).

(٥) انظر: البداية والنهاية (٩/١٥٤).

(٦) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (٢/٢٨٤).

(٧) منهاج السنّة النبوية (٥/٤٦).

(٨) تقدم تخريجه.

(٩) منهاج السنّة النبوية (٥/٤٤).

ذلك أجران»^(٤). وأما قتاله للخوارج فلا شك في صوابه كما تقدم في المسألة الرابعة من المسائل المتعلقة.

- الروافض: يعتقد الروافض أن الخليفة بعد النبي ﷺ مباشرة هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويدعون أن النبي ﷺ نص على إمامته^(٥)، وحكى شيخهم المفيد إجماع الطائفة على هذا^(٦).

وحكموا على الخلفاء الذين قبله بالضلال والخلود في النار؛ لتقدمهم عليه في الخلافة^(٧).

وسعى الروافض لإثبات هذا المعتقد شتى المساعي، وأقوى دليلهم في هذا هو تعلقهم بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة]. فقد اعتبرها الروافض دليلاً صريحاً على كون إمامة علي بعد النبي ﷺ مباشرة بالنص؛ ولذا أكثروا من الكلام حولها^(٨). فمما ادّعوه فيها: أن معنى

بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي^(١).

وسبيل المؤمنين في الصحابة هو أنهم يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ... ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم. ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل^(٢)، فمن قلدح في أهل البيت وأبغضهم وآذاهم فقد خالف سبيل المؤمنين، وحسبه جهنم وبئس المصير.

الخامس: أما طعنهم في حروب علي رضي الله عنه فقد سبق أن القتال في يوم الجمل وصفين كان قتال فتنة، ولكن مع ذلك فإن موت عمّار يوم صفين مع جيش علي دل على إصابة علي رضي الله عنه في هذا القتال، وكذا قوله ﷺ للزبير رضي الله عنه في حق علي رضي الله عنه: «لتقاتلنه وأنت ظالم له»^(٣)، وهو بتجاوز الحد عليه بتأويل، وهذا يدل على إصابة علي رضي الله عنه في هذا القتال أيضاً. ولذا قال الحافظ ابن حجر: «والحق أن علياً كان مصيباً في حروبه، فله في كل ما اجتهد فيه من

(١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٨).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/١٥٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الجمل وصفين والخوارج، رقم ٣٧٨٢٧)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٥٧٤) وصححه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٦٥٩).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٢/٣٠٩).

(٥) انظر: رسائل الشريف المرتضى (٢٠/٣) [دار القرآن الكريم، قم، ١٤٠٥هـ]، وأوائل المقالات للمفيد (٤٠) [دار المفيد، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(٦) انظر: أوائل المقالات للمفيد (٤٠).

(٧) انظر: أوائل المقالات للمفيد (٤١، ٤٢).

(٨) انظر: نهج الحق وكشف الصدق لحسن الحلي (١٧٣) [مؤسسة الطباعة والنشر دار الهجرة، قم، ١٤٢١هـ]، وزبدة البيان لأحكام القرآن لأحمد الرديلي (١٠٧ - ١٠٨) [المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران]، وشرح أصول الكافي =

الولي هو المتصرف في الناس وهو معنى الإمام، وأن الآية فيه نزلت بالإجماع، وأنه الوحيد الذي أنفق خاتمه على المسكين وهو راعٍ^(١).

يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ^(٣).
وأما الآية التي تعلقوا بها في هذا الأمر فلا تمت بصلة إلى دعواهم؛ لأمر:

الرد عليهم:

لا شك أن القول بإمامة علي عليه السلام نصًا بعد النبي ﷺ مباشرة في غاية البطلان؛ لأن النبي ﷺ لم ينص ولم يوص بالخلافة لعلي عليه السلام، ولذا فهذه أكاذيب الرافضة طعنوا بها على الصحابة الذين هم أشرف الأمم في الدنيا والآخرة بنص القرآن وإجماع السلف والخلف، بل لوح النبي ﷺ بذكر الصديق، وأشار إليه إشارة مهمة^(٢)، فقد ثبت من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في مرض النبي الذي توفي فيه، حيث قال العباس لعلي: «أذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا، فقال علي: إنا والله لئن سألتها رسول الله ﷺ فمنعناها لا

الأمر الأول: أنه فيما قبلها وما بعدها نهى شديد عن محبة الكفار ومعاذتهم ومناصرتهم، فقال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة]؛ أي: لا تجعلوهم أحببًا وأنصارًا، وليس المقصود لا تتخذوا اليهود والنصارى أئمة متصرفين في شؤونكم؛ لأن هذا معلوم البطلان بالضرورة.

ثم بين الله تعالى لمن تكون المحبة والنصرة، فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة].

ثم أعاد الله النهي عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء فيما بعدها، فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة].

فمعنى الولاية في هذه الآيات واحد، وهو المحبة والنصرة^(٤)، وفصلهم للآية

= للمازندراني (٢٣٤/٤) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ].

(١) انظر: مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (٢/ ٢٠٨) [المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٧٦هـ]. والاحتجاج للطبرسي (٢/ ٢٥٢) [دار النعمان، النجف، ١٣٨٦هـ]، وفقه القرآن لسعيد الراوندي (١١٦/١) [مكتبة المرعشي، ط ٢، ١٤٠٥هـ]، وكنز الفوائد لمحمد الكراجكي (١٥٤، ١٥٥) [مكتبة المصطفوي، قم، ط ٢].

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٤١٧، ٤١٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤٤٧).

(٤) انظر: تفسير الرازي (١٢/ ٣٨٤).

أبو بكر، وثلث^(٢) عمر، فلا أوتى برجل فضلني على أبي بكر إلا جلدته حد المفتري ثمانين جلدة وطرح الشهادة^(٣).

دل هذا الأثر على أمرين مهمين:

أحدهما: أن أبا بكر عليه السلام أفضل هذه الأمة بعد النبي عليه السلام، ثم بعده عمر بن الخطاب عليه السلام.

والآخر: أن من فضّل علياً عليه السلام عليهما فهو من المفتريين يستحق جلد ثمانين سوطاً. وإذا كان هذا حكم من فضّله على الشيخين عليهما السلام فكيف سيكون حكمه على من كفرهما؟!

وإنه لمن الغريب حقاً أن نجد شواهد عديدة لهذا الأثر الثابت عن علي عليه السلام في كتب الروافض، ومع ذلك يضربون عنها صفحاً! راكبين رؤوسهم، ومنساقين خلف أهوائهم، فمن ذلك مثلاً: ما جاء في نهج البلاغة المنسوب إلى علي عليه السلام: «ولما سُئِلَ عليٌّ عليه السلام عن سبب بيعته لأبي بكر عليه السلام بالخلافة قال: لولا أنا رأينا أبا بكر لها أهلاً، لما تركناه»^(٤).

(٢) أي: أصبح عمر الثالث في الترتيب.

(٣) تفسير القرطبي (١٧/٢٤٠) [دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ].

وما ورد فيه من قول علي عليه السلام أن سيجلد من يفضله على أبي بكر عليه السلام: أخرجه بنحوه ابن أبي عاصم السنّة (٢/٤٨٠) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ]، وعبد الله بن أحمد في السنّة (٢/٥٨٨) [دار ابن القيم، ط١]، وحسنه الألباني في ظلال الجنة.

(٤) نهج البلاغة (١/١٣٠)، و٢/٤٥، و٦/٤٠.

التي احتجوا بها عمّاً قبلها وعمّاً بعدها، وجعلهم الولاية فيها بمعنى المتصرف في شؤون الناس، وهو الإمام، لا بمعنى المحب والناصر هو تعسف صرف، وتحكم أعمى، وتلاعب بدلالات القرآن الكريم، وهو ظاهر الفساد.

ثانياً: أن تفسير الرافضة لقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة] بأن علياً أعطى الزكاة حال ركوعه، وهذا فضل استحق به الإمامة لم يسبق إليه الروافض، وكفى به فساداً.

ثالثاً: أن في إخراج الزكاة حال الركوع تشاغلاً عن الصلاة، ينزه عنه الخليفة الراشد علي عليه السلام.

رابعاً: قد جاء عن علي بن أبي طالب ما يهدم قول الروافض بإمامته بعد النبي عليه السلام مباشرة لنص النبي عليه السلام عليه، ولأفضليته على أبي بكر وعمر عليهما السلام في زعمهم، فقد صح عن محمد بن الحنفية أنه قال: «قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله عليه السلام؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت، قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين»^(١). وقال القرطبي: «وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: سبق النبي عليه السلام وصلى

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي عليه السلام، رقم ٣٦٧١).

وذكر الشريف المرتضى عن علي عليه السلام: «أنه قيل له: ألا توصي؟ قال: ما أوصى رسول الله فأوصي، ولكن إن أراد الله بالناس خيراً فسيجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبهم على خيرهم»^(١).

وذكر الشريف المرتضى بقوة دلالة هذا الأثر على تفضيل أبي بكر وتقديمه على علي عليه السلام، حيث قال: «فيه التصريح القوي بفضل أبي بكر عليه، وأنه خير منه»^(٢).

وقد اعترف الشريف المرتضى بقوة دلالة هذا الأثر على تفضيل أبي بكر وتقديمه على علي عليه السلام، حيث قال: «فيه التصريح القوي بفضل أبي بكر عليه، وأنه خير منه»^(٢).

العليم

يراجع مصطلح (العلم).

عمّار بن ياسر عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو: أبو اليقظان عمّار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي حليف بني مخزوم، وأمه سمية مولاة لهم^(٣). قدم ياسر والد عامر من اليمن إلى مكة قبل الإسلام، وحالف أبا حذيفة بن عامر المخزومي، وكانت لهذا الرجل جارية اسمها سمية بنت خياط، ويقال: بنت سلّم من لُحْم، تزوجها ياسر وولدت له عمّاراً فأعتقها أبو حذيفة، وكانوا يعيشون معه إلى أن مات، ولما جاء الإسلام أسلم آل ياسر ودخلوا في

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج ٣)، لابن عبد البر.
- ٢ - «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج ٤)، لابن حجر.
- ٣ - «البداية والنهاية» (ج ٧، ٩، و ١٠، و ١١)، لابن كثير.
- ٤ - «المعارف»، لابن قتيبة.
- ٥ - «السيرة النبوية الصحيحة» (ج ١)، لأكرم ضياء العمري.
- ٦ - «سيرة ابن هشام» (ج ٢).
- ٧ - «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري

(٣) الإصابة (٥٧٥/٤) [دار الجيل، ط ١] وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١١٣٦/٣) [دار الجيل، ط ١] وسير أعلام النبلاء (٤٠٦/١) [مؤسسة الرسالة، ط ٣]، والبداية والنهاية (١٠/٦٥٠) [دار هجر، ط ١].

(١) الشافي في الإمامة للشريف المرتضى (٩١/٣) [مؤسسة إسماعيليان، قم، ط ٢، ١٤١٠هـ] وانظر: الصراط المستقيم للعامللي (٤٠/٢) [المكتبة المرتضوية].

(٢) الشافي في الإمامة للشريف المرتضى (٩٩/٣).

دين الله^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:
«كان أول من أظهر إسلامه سبعة:
رسول الله ﷺ وأبو بكر وعَمَّارُ وأمه
سمية وصهيب وبلال والمقداد»^(٧).

قال ابن عبد البر: «كان عَمَّارُ وأمه
سمية مَمَّنْ عُدَّ في الله، ثم أعطاهم
عمار ما أرادوا بلسانه، واطمأن بالإيمان
قلبه، فنزلت فيه: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ
مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وهذا
مما اجتمع أهل التفسير عليه^(٨). وهاجر
إلى أرض الحبشة، وصلى القبلتين، وهو
من المهاجرين الأولين، ثم شهد بدرًا
والمشاهد كلها، وأبلى بدير بلاء حسنًا،
ثم شهد اليمامة، فأبلى فيها أيضًا،
ويومئذ قطعت أذنه»^(٩).

وروى الحاكم عن أبي عبيدة بن
محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه،
قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر،
فلم يتركوه حتى سبَّ النبي ﷺ، وذكر
آلهتهم بخير ثم تركوه، فلمَّا أتى
رسول الله ﷺ قال: «ما وراءك؟ قال:
شرُّ يا رسول الله، ما تُركت حتى نلت

مولده ووفاته:

ولد قبل الإسلام في مكة، واستشهد
في معركة صفين التي وقعت بين معاوية
وعلي رضي الله عنه سنة سبع وثلاثين للهجرة،
وكان عمار رضي الله عنه في جيش أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٢)، وكان عمره
ثلاثًا وتسعين سنة^(٣)، وقيل: كان أربعًا
وتسعين سنة، وقيل: إحدى وتسعين
سنة^(٤).

إسلامه:

هو أحد السابقين الأولين إلى
الإسلام، حيث أسلم هو وأبوه وأمه في
وقت مبكر^(٥)، فقد روى البخاري بإسناده
عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: «رأيت
رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد
وامراتان وأبو بكر»^(٦).

(١) انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (٦٩١/٤) [دار
الفكر، بيروت] وتهذيب الكمال في أسماء الرجال
(٢١٥/٢١ - ٢١٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٢) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١١٤٠/٣)، وأسد
الغابة في معرفة الصحابة (٦٣٢/٣)، والإصابة في تمييز
الصحابة (٥٧٥/٤)، وتقريب التهذيب (رقم ٤٨٣٦).

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٥٧٥/٤).

(٤) انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (٦٣١/٣).

(٥) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١١٣٦/٣)
وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٦٩١/٤ - ٦٩٢)،
وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢١٦/٢١)،
وسير أعلام النبلاء (٤٠٨/١ - ٤٠٩)، والإصابة في
تمييز الصحابة (٥٧٥/٤، و٧١٢/٧).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ،
رقم ٣٦٦٠).

(٧) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ١٥٠)، وأحمد
(٣٨٢/٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان
(كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم
٧٠٨٣)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/
٢٣) [دار العربية، ط ٢]: (رجاله ثقات)، وحسنه
الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٦٦/١) [مكتبة
المعارف، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٨) نقل هذا الإجماع ابن حجر في الإصابة (٥٧٥/٤).

(٩) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١١٣٥/٣).

منك، وذكرت آلهتهم بخير، قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان، قال: إن عادوا فعد^(١).

وقال ابن حجر: «كان من السابقين الأولين هو وأبوه، وكانوا ممن يعذب

في الله، فكان النبي ﷺ يمر عليهم فيقول: «صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة»^(٢).

واختلف في هجرته إلى الحبشة، وهاجر إلى المدينة... ثم استعمله عمر على الكوفة، وكتب إليهم: إنه من النجباء من أصحاب محمد^(٣). وشهد جميع المشاهد؛ بدرًا وما بعدها^(٤).

فضائله:

لعمّار بن ياسر ﷺ فضائل عديدة ومناقب جمّة؛ منها:

أ - أنه أحد المبشرين بالجنة؛ لقوله ﷺ له ولأومه وأبيه وهم تحت تعذيب المشركين: «صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة»^(٥).

ب - شهد له النبي ﷺ بأنه ملئ إيماناً

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠٤/١٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم في المستدرک (كتاب التفسير، رقم ٣٣٦٢) وصححه، وفي سنده انقطاع.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٦٦٦) بلفظ: (أبشروا آل عمار وآل ياسر...). وصححه، وقال الألباني: «حسن صحيح». التعليق

على فقه السيرة للغزالي (١٠٧، ١٠٨، حاشية رقم ١) [دار الكتب الحديثة، ط ٦، ١٩٦٥م].

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/٥٧٥).

(٤) انظر: البداية والنهاية (١٠/٦٥٠).

(٥) سبق تخريجه.

ج - سمّاه النبي ﷺ بالطيب المطيب، فقد جاء من حديث علي ﷺ أنه قال: «كنت جالساً عند النبي ﷺ فاستأذن عمّار بن ياسر فقال النبي ﷺ: «اثنوا له، مرحباً بالطيب المطيب»^(٦).

د - شهد له النبي ﷺ بالتسديد في الأمور، فقد جاء من حديث أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «عمّار ما عرض عليه أمران إلا اختار الأرشد منهما»^(٨).

هـ - شهد له النبي ﷺ بالثبات على الحق والدعوة إليه حتى الممات، كما

(٦) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ١٤٧)، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٧٦)، وحسن إسناده ابن حجر في الإصابة (٤/٥٧٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٨٨٨).

(٧) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٩٨) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (المقدمة، رقم ١٤٦)، وأحمد (١٦٩/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٦٦٢) وصححه.

(٨) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٩٩) وقال: حديث غريب، وابن ماجه (المقدمة، رقم ١٤٨)، وأحمد (٣٢٢/٤١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٦٦٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٨٣٥).

من حديث علي رضي الله عنه: «ائذنوا له، مرحبًا بالطيّب المطيب»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: معنى حديث: «تقتل عمّار الفئة الباغية»:

قال ابن تيمية رحمته الله: «والحديث ثابت صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل العلم بالحديث، والذين قتلوه هم الذين باشروا قتله»^(٤).

وقال أيضًا: «ليس لهم أن يقاتلوا عليًا، ولا يمتنعوا عن مبايعته وطاعته، وإن لم يكن علي مأمورًا بقتالهم، ولا كان فرضًا عليه قتالهم بمجرد امتناعهم عن طاعته، مع كونهم ملتزمين شرائع الإسلام، وإن كان كل من المقتتلين مسلمين مؤمنين»^(٥).

- المسألة الثانية: ما يقال من ضرب عثمان إياه وانتقام عمّار من عثمان رضي الله عنه يوم الدار:

ذكر أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أمر بضرب عمّار بن ياسر رضي الله عنه، فضرب ضربًا شديدًا حتى فتق أمعاءه، أو كسر أضلعه^(٦)، وأن عمّارًا انتقم لنفسه من

ثبت في الصحيح من حديث عكرمة أنه قال: قال لي ابن عباس ولابنة علي: «انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه، فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد، فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمّار لبنتين لبنتين، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فينفض التراب عنه، ويقول: «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»، قال: يقول عمّار: أعوذ بالله من الفتن»^(١). وهذه منقبة عظيمة لكنها لا تدل على العصمة عن الخطأ.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «كنا جلوسًا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم، فاقندوا بالذين من بعدي وأشار إلى أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمّار، وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه»^(٢).

مكانته:

مكانة عمّار عالية ومنزلته سامية، فهو ممن جمع الله له بين السبق إلى الإسلام، والهجرة إلى الله ورسوله، ولما استأذن إلى النبي رحب به وقال كما جاء

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٩٩)

وحسنه، وابن حبان (كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة، رقم ٦٩٠٢)، والحاكم (كتاب معرفة

الصحابة، رقم ٤٤٥١) وصححه، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/٢٣٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) منهاج السنة (٤/٤١٨).

(٥) منهاج السنة (٤/٤٢٦).

(٦) انظر: النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم لابن العربي (٢٨٠) وما بعدها [مكتبة دار التراث، مصر].

عثمان يوم الدار فشارك في قتله، ومما احتجوا به على هذا ما روي عن مسروق بن الأجدع، أنه قال لعمّار: «علام قتلتم عثمان؟ فقال: على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا. فقال: والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ولو صبرتم لكان خيراً للصابرين.

وخرج أبو موسى فلقى الحسن بن علي فضمه إليه، وقال لعمّار: يا أبا اليقظان أعدوت على أمير المؤمنين عثمان قتلته؟ فقال: لم أفعل، ولم يسؤني ذلك»^(١).

الرد عليهم: والحق أن هذه الآثار والروايات غالبها ليس له أسانيد، وما له إسناد ففي ثبوته نظر، بل جزم بعض الباحثين المختصين^(٢) بأنه لم يقف على رواية صحيحة الإسناد تدل على أن عثمان ضرب عمّاراً، ثم ذكر طائفة منها وأشار إلى ضعف أسانيدها، ثم قال: «هذا ما ورد في ضرب عمّار، وهو ضعيف الإسناد، وعلى فرض صحته، وأن عثمان رضي الله عنه ضرب عمّاراً رضي الله عنه فإن ذلك لا يقدح في أحد منهما، ونشهد أنهما في الجنة، وأنهما من أكابر أولياء الله المتقين، وولي الله قد يصدر منه ما يستحق عليه العقوبة الشرعية فكيف بالتعزير»^(٣).

وذكر الحافظ أبو نعيم أن ضرب عثمان لعمّار رضي الله عنه غير ثابت، ولو ثبت لما استوجب طعناً في عثمان رضي الله عنه فيقول: «إذا طعن وقال، ضرب عمّاراً. قيل له: هذا غير ثابت عنه، ولو ثبت ذلك فللائمة أن يؤدبوا رعيتهما إذا رأى واجباً لهم، فإن كان ذلك ظلماً ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم اقتص على نفسه وأقاد، وكذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أدبا رعيتهما باللطم والدرّة، فأقادا من نفسيهما، وأما عثمان رضي الله عنه فنقم عليه ما لم ينقم على واحد منهم»^(٤).

وأما مشاركة عمّار رضي الله عنه في قتل عثمان رضي الله عنه فهذا أيضاً كذب محض، فإن جميع الروايات التي تساق في هذا الأمر كلها ليس فيها إسناد يحتج به، وعليه فمن يدّعي مشاركة عمّار في قتال عثمان فليدل ببرهانه إن كان من الصادقين^(٥)، وأما هذه الروايات التي لا خطام لها ولا زمام فهي مردودة، ولذا جزم غير واحد بوضعها: قال القاضي أبو بكر ابن العربي: «قالوا

البيكان، ط ١، ١٤١٩هـ.

(٤) الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني (٣١٥) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٣، ١٤١٥هـ].

(٥) انظر: الحاشية من صحيح (تاريخ الطبري الخلافة الراشدة) (٣/٣٤٩) [دار ابن كثير، ط ١، ١٤٢٨هـ] وانظر أيضاً من نفس المصدر (٣/٥٢)، وتحقيق مواقف الصحابة في الفتن من روايات الإمام الطبري (١٤/٢ - ٤٢) [دار طيبة، ومكتبة الكوثر، ط ١، ١٤١٥هـ].

(١) البداية والنهاية (١٠/٤٤٥، ٤٤٦).

(٢) وهو الدكتور محمد بن عبد الله الغبان.

(٣) فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه (١/٩٠، ٩١) [مكتبة

٥ - «البداية والنهاية» (ج ١٠)، لابن كثير.

٦ - «تحقيق مواقف الصحابة في الفتن من روايات الإمام الطبري والمحدثين» (ج ٢)، لمحمد أمحزون.

٧ - «سير أعلام النبلاء» (ج ١)، للذهبي.

٨ - «صحيح (تاريخ الطبري - الخلافة الراشدة)» (ج ٣)، تحقيق: محمد طاهر ومحمد صبحي حلاق.

٩ - «فتنة مقتل عثمان بن عفان (رضي الله عنه)» (ج ١)، لمحمد عبد الله الغبان.

١٠ - «النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم»، لأبي بكر ابن العربي.

عمر بن الخطاب أمير المؤمنين (رضي الله عنه)

اسمه ونسبه:

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي^(٤).

يجتمع نسبه مع نسب رسول الله (ﷺ) في كعب بن لؤي بن غالب^(٥).

(٤) نسب قریش للزبيری (٣٤٦، ٣٤٧) [مكتبة ابن تیمية، ط ٣]، وعنه الحاكم في المستدرک (٣/ ٨٠، ٨١) [دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٣٩٨هـ].

(٥) وينظر: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن المبرد الحنبلي (١/ ١٣١) [عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٢٠هـ].

معتمدين متعلقين برواية كذايين: جاء عثمان في ولايته بمظالم ومناكير، منها: ضربه لعمّار حتى فتق أمعاءه، ولابن مسعود: حتى كسر أضلاعه، ومنعه عطاءه^(١). وقال محققو تاريخ الطبري في هذه الروايات: «ولقد بينا كذب وزيف الروايات التي ذكرت ذلك، وسنذكر بعد قليل رواية صحيحة في إعلان عمّار أنه لم يشارك في ذلك»^(٢).

وقالوا أيضًا: «ولقد لفق المبتدعة من نسج خيالهم روايات كثيرة عن مشاركة عمّار في هذه الفتنة، وأن سيدنا عثمان (رضي الله عنه) أدبه في مسألة، فحمل عمّار (رضي الله عنه) في نفسه شيئًا من الكراهية لعثمان، وكل ذلك غير صحيح»^(٣).

المصادر والمراجع:

١ - «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج ٣)، لابن عبد البر.

٢ - «أسد الغابة في معرفة الصحابة» (ج ٤)، لابن الأثير.

٣ - «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج ٤)، لابن حجر.

٤ - «الإمامة والرد على الرافضة»، لأبي نعيم.

(١) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم (٢٨٠).
(٢) الحاشية من صحيح (تاريخ الطبري - الخلافة الراشدة) (٣/ ٣٤٩). وانظر أيضًا (٣/ ٥٢) منه.
(٣) الحاشية من صحيح (تاريخ الطبري - الخلافة الراشدة) (٣/ ٣٤٩).

الجاهلية وكان عمر النبي ﷺ عشرين عاماً^(٥).

وقيل: كان عمره ﷺ أربعة أو خمسة عشر عاماً^(٦).

فعلى القول الأول يكون النبي ﷺ أكبر من عمر ﷺ بستة عشر عاماً، وعلى الثاني يكون أكبر منه بأحد عشر عاماً أو عشرة أعوام.

وفي رواية أنه ولد بعد الفجار بأربع سنوات^(٧).

والقول الأول هو الراجح؛ لموافقته ما في الصحيح كما تقدم، والله أعلم.

وأما وفاته:

توفي ﷺ شهيداً على يد أبي لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة؛ حيث ضربه بخنجر كان معه وهو قائم يصلي في المحراب، في صلاة الصبح من يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة، سنة

أما كنيته ﷺ فقد اشتهر بأبي حفص، ويلقب بالفاروق، وهو ﷺ جدير بهذا اللقب؛ فإنه ممن فرق الله به بين الإسلام والكفر بعد إسلامه وبعد توليه الخلافة، وظهر به الإسلام وخفقت رايته في أرجاء المعمورة^(١).

مولده ووفاته:

مولده:

تعددت الأخبار في تحديد العام الذي ولد فيه عمر ﷺ، فقيل: إنه ولد بعد عام الفيل بثلاثة عشر عاماً^(٢)، فعلى هذا يكون النبي ﷺ أسنَّ من عمر بثلاثة عشر عاماً، وهذا يشهد له ما ثبت في الصحيح من أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر ماتوا وهم أبناء ثلاث وستين^(٣)؛ حيث إن عمر ﷺ مكث بعد النبي ﷺ ثلاثة عشر عاماً، فيكون عمره يوم وفاته مساوياً لعمر النبي ﷺ.

وقيل: ولد قبل حرب الفجار الأعظم بأربع سنين^(٤). وحرب الفجار وقعت في

(١) ينظر: دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية ﷺ لعبد السلام آل عيسى (٧٥/١ - ٧٩) [عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٢) كما عند خليفة بن خياط في تاريخه (١٥٣) [دار طيبة، الرياض، ط ٢، ١٤٠٥هـ]، بإسناد ضعيف جداً، فيه عبد العزيز بن عمران الزهري، وهو متروك. انظر: تقريب التهذيب (رقم ٤١١٤) [دار الرشيد، ط ٤].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٤٨).

(٤) كما عند خليفة بن خياط في تاريخه (١٥٣)،

وابن شبة في تاريخ المدينة (٢/٢٥٥، ٢٢٦)، والبلاذري في أنساب الأشراف (١٤٥) [مؤسسة الشراع العربي، ط ١، ١٤٠٩هـ]، والطبري في تاريخه (٢/٥٦٢ - ٥٦٣)، كلهم من طريق الواقدي عن أسامة بن زيد بن أسلم.

والواقدي متروك، وأسامة بن زيد بن أسلم ضعيف من قبل حفظه. انظر: التقريب (٩٨، ٤٩٨).

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٢٤٣/١) [مكتبة المنار، ط ١، ١٤٠٩هـ].

(٦) المصدر السابق (٢٤١/١) من كلام ابن هشام.

(٧) ذكرها ابن الأثير في أسد الغابة (٤/٥٣) [دار إحياء التراث العربي، لبنان] من غير سند، قال: روي عن عمر ﷺ أنه قال: «ولدت بعد الفجار الأعظم بأربع سنين».

يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم وأستأذن ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكي فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلمّا أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك، قال: الذي تحبه يا أمير المؤمنين، أذنت، قال: الحمد لله؛ ما كان من شيء أهم إليّ من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردّني فردوني إلى مقابر المسلمين^(٢).

فدفن عليه السلام مع صاحبيه، كما كان ملازمًا لهما في حياته، وهم كذلك يوم القيامة بإذن الله تعالى.

❖ إسلامه:

ذكر ابن إسحاق رحمته الله أن إسلام عمر عليه السلام كان بعد الهجرة الأولى إلى الحبشة، والتي كانت في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة^(٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي عليه السلام)، رقم ٣٧٠٠.

وينظر: صحيح ابن حبان (١٥/٣٥٢، رقم ٦٩١٨)، ومنهاج السنة النبوية (١٢/٦) [مؤسسة قرطبة، ط١].
(٣) السيرة النبوية (١/٤٢٢) [دار المعرفة، ط: ١٤٠٣هـ]، وقال ابن حجر رحمته الله: «جعل ابن إسحاق إسلام عمر بعد هجرة الحبشة، وقد ذكر من وجه

ثلاث وعشرين هجرية، طعنه ست طعنات، ورجع العالج بخنجره لا يمر بأحد إلا ضربه، حتى ضرب ثلاثة عشر رجلًا، ثم نحر نفسه هذا المجوسي الهالك، قبّحه الله تعالى.

حُمِلَ عمر بن الخطاب عليه السلام إلى منزله، والدم يقطر من جرحه، فجعل يفيق ثم يغمى عليه، يذكرونه بالصلاة فيفريق، ويقول: «نعم، ولا حظّ في الإسلام لمن تركها»، ثم صلى في الوقت، عندها سأل عمّن قتله، وكان يرجو ربه أن لا يكون مسلمًا، فأجيب بأنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه، وبعد أن حمد الله قال عليه السلام: «الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة، ثم قال: قبّحه الله، لقد كنا أمرنا به معروفًا»^(١).

لقد كانت رغبة عمر بن الخطاب عليه السلام أن يدفن مع صاحبيه؛ رسول الله عليه السلام وأبي بكر الصديق عليه السلام، فعندما كان يعاني آلام جراحاته القاتلة وأحس بدنو أجله قال لابنه عبد الله: «انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمرُ السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين؛ فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل:

(١) ينظر: تاريخ الرسل والملوك للطبري (٢/٥٦٠)، والمحن لأبي العرب (٦٣) [دار العلوم، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ]، والكامل في التاريخ (٢/٤٤٦ - ٤٤٧)، والبداية والنهاية (٧/١٣٧).

وروي أن إسلامه ﷺ كان في السنة السادسة من البعثة^(١).

وثبت في الصحيح^(٢) أن ابن عمر ﷺ شهد ما تعرض له عمر ﷺ من تهديد قريش له لما أسلم وعقل ذلك، وعبد الله بن عمر ﷺ ولد بعد البعثة بسنتين؛ لأن عمره كان يوم غزوة أحد أربعة عشر عامًا^(٣)، وكانت أحد بعد البعثة بستة عشر عامًا، فإذا كان إسلام عمر ﷺ في السنة الخامسة من البعثة يكون عمر ابن عمر ثلاث سنوات، وهو سن لا يعقل فيه الطفل غالبًا، والذي يظهر أن الأقرب للصواب أن يكون إسلام عمر في السنة السادسة أو السابعة^(٤).

فضائله:

إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يلي أبا بكر الصديق في الفضل؛ فهو أفضل الناس على الإطلاق بعد الأنبياء والمرسلين وأبي بكر، وهذا ما يلزم

= آخر أن إسلامه كان عقب هجرة الحبشة الأولى، فتح الباري (١/٧).

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٢٦٩، ٢٧٠) [دار صادر، ١٤٠٥هـ]، من طريق الواقدي.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٦٤، ٣٨٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٦٤)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٦٨).

(٤) ينظر: البداية والنهاية (٣/٧٩)، حيث رجح ابن كثير ﷺ تأخر إسلام عمر ﷺ حتى السنة التاسعة من البعثة.

المسلم اعتقاده في أفضليته ﷺ، وهو معتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة^(٥)، وقد وردت الأحاديث الكثيرة والأخبار الشهيرة بفضائل الفاروق ﷺ، ومنها:

١ - إيمانه ﷺ وعلمه ودينه:

جاء في منزلة إيمانه ﷺ ما رواه عبد الله بن هشام أنه قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: «يا رسول الله، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي» فقال النبي ﷺ: «لَا؛ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ». فقال له عمر: فإنه الآن والله لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فقال النبي ﷺ: «الآن يَا عُمَرُ»^(٦).

وأما علمه؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا نائم شربت - يعني: اللبن - حتى أنظر إلى الرِّيِّ يجري في ظفري أو في أظفاري، ثم ناولت عمر، فقالوا: فما أولته قال: العلم»^(٧).

وأما دينه؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي

(٥) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، لناصر الشيخ (١/٢٤٣) [الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٣٠هـ].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٦٦٣٢).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٨١)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩١).

وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الشدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر وعليه قميص اجتره، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين»^(١).

آخر»^(٣)، هذا الحديث فيه بيان فضل عمر رضي الله عنه وأنه من كثرة التزامه الصواب لم يجد الشيطان عليه مدخلًا ينفذ إليه^(٤).

٣ - ملهم هذه الأمة:

قال رسول الله ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحدَثُونَ، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر»^(٥)، هذا الحديث تضمن منقبة عظيمة للفراروق رضي الله عنه، وقد اختلف العلماء في المراد بالمحدث.

ف قيل: المراد بالمحدث: الملهم.

وقيل: من يجري الصواب على لسانه من غير قصد.

وقيل: مكلّم؛ أي: تكلمه الملائكة بغير نبوة، بمعنى أنها تكلمه في نفسه وإن لم ير مكلّمًا في الحقيقة، فيرجع إلى الإلهام، وفسره بعضهم بالنفوس^(٦).

٤ - عبقرية عمر الفاروق رضي الله عنه:

قال رسول الله ﷺ: «رأيت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قلب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا أو ذنوبين نزاعًا ضعيفًا

٢ - هيبة عمر رضي الله عنه وخوف الشيطان

منه:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلمّا استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ، فدخل عمر ورسول الله يضحك. فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله. فقال النبي ﷺ: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلمّا سمعن صوتك ابتدرن الحجاب». قال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله، ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن، أتَهَبْنِي ولا تَهَبْن رسول الله ﷺ، فقلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إيهًا يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًّا^(٢) قط إلا سلك فجًّا

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٨٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٦).

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (١/٣٤٨).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٨٩)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٨).

(٦) فتح الباري (٧/٥٠)، وشرح النووي (١٥/١٦٦).

[دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٩١)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٠).

(٢) الفج: الطريق الواسع، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٤١٢) [دار الفكر، ط ٢، ١٣٩٩هـ].

والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباً، فلم أر عبقرياً يفري فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن»^(١)، وهذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لعمر رضي الله عنه تضمنها قوله رضي الله عنه: «فجاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباً...» الحديث. ومعنى «استحالت»: صارت وتحولت من الصغر إلى الكبر، وأمّا «العبقري» فهو السيد، وقيل: الذي ليس فوقه شيء، ومعنى «ضرب الناس بعطن»؛ أي: أرووا إبلهم ثم آووا إلى عطنها، وهو الموضع الذي تساق إليه بعد السقي لتستريح. وهذا المنام الذي رآه النبي صلى الله عليه وسلم مثال واضح لما جرى للصدّيق وعمر رضي الله عنهما في خلافتهما وحسن سيرتهما وظهور آثارهما وانتفاع الناس بهما، فقد حصل في خلافة الصدّيق قتال أهل الردة وقطع دابرهم وأشاع الإسلام رغم قصر مدة خلافته، فقد كانت سنتين وأشهرًا، فوضع الله فيها البركة وحصل فيها من النفع الكثير ولما توفي الصدّيق خلفه الفاروق فاتسعت رقعة الإسلام في زمنه وتقرر للناس من أحكامه ما لم يقع مثله، فكثّر انتفاع الناس في خلافة عمر لطولها، فقد مضى الأمصار، ودوّن الدواوين، وكثرت الفتوحات والغنائم.

٥ - غيرة عمر رضي الله عنه وبشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم له بقصر في الجنة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيتني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طليحة، وسمعت خشفة فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال، ورأيت قصراً بفنائيه جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك. فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله أعلّيك أغار؟!»^(٣)، وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بيننا أنا نائم

(٢) شرح النووي (١٥/١٦١ - ١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٣٦٧٩)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٥).

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٣٦٨٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٣).

وبشره بالجنة»، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال لي: «افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه»، فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ: فحمد الله، ثم قال: الله المستعان»^(٤).

مكانته:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعرفون لعمر رضي الله عنه منزلته ومكانته من النبي ﷺ، ويعرفون له فضله وبلاءه في الإسلام، قال عبد الله بن حوالة رضي الله عنه: «أتيت رسول الله ﷺ وهو بجب رومة، وهو يكتب الناس، فرفع رأسه إلي، فقال: يا عبد الله بن حوالة، أكتبك؟ فقلت: ما خار الله لي ورسوله، فجعل علي يرفع رأسه إلي فقال: أكتبك؟ فقلت: ما خار الله لي ورسوله، فرأيت في الكتاب أبا بكر وعمر، فقلت: إنهما لا يكتبان إلا في خير، فقلت: نعم، فكتبتني»^(٥).

وقال أبو شريح الكعبي رضي الله عنه: «أذن لنا رسول الله ﷺ في قتال بني بكر حتى أصبنا منهم ثأرنا وهو بمكة، ثم أمر رسول الله ﷺ برفع السيف، فلقي رهط

رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته فوليت مدبراً. فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله^(١)؟». هذان الحديثان اشتملا على فضيلة ظاهرة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث أخبر النبي ﷺ برؤيته قصرًا في الجنة للفاروق، وهذا يدل على منزلته عند الله تعالى^(٢).

٦ - أحب أصحاب رسول الله ﷺ إليه بعد أبي بكر رضي الله عنه:

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: قلت: «يا رسول الله؛ أيُّ الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعدّ رجالاً»^(٣).

٧ - تبشيره رضي الله عنه بالجنة:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ: «افتح له وبشره بالجنة»، ففتحت له، فإذا أبو بكر، فبشرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: «افتح له

(٤) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٩٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٣).

(٥) أخرجه أحمد (٢٨/٢١٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن أبي عاصم في السنّة (٢/٥٩٠) [المكتب الإسلامي، ط١]، وصححه سننه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٨/٦) [دار الوطن، ط١].

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٤٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٥).

(٢) عقيدة أهل السنّة والجماعة في الصحابة (١/٢٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٦٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٨٤).

وقال علي عليه السلام: «خير الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، وخير الناس بعد أبي بكر عمر»^(٤).

وقال عليه السلام: «سبق رسول الله، وصلى^(٥) أبو بكر، وثلاث عمر، ثم خبطتنا فتنة ما شاء الله»^(٦).

وقال سويد بن غفلة الجعفي لعلي عليه السلام: وقد دخل عليه في خلافته: «يا أمير المؤمنين، إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر بغير الذي هما له أهل من الإسلام؛ لأنهم يرون أنك تضمر لهما على مثل ذلك، وأنهم لم يجترؤا على ذلك إلا وهم يرون أنك موافق ذلك. ثم ذكر حديث خطبة علي عليه السلام وكلامه في أبي بكر وعمر، وقوله في آخره: ألا ولن يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتر»^(٧).

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «ما رأيت أحدا قط بعد رسول الله ﷺ من حين قبض،

(٤) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ١٠٦)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٤/١) [المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٨هـ].

(٥) قال ابن الأثير رحمته الله: «المُصَلِّي في خَيْل الحلبة هو الثاني، سُمِّي به لأن رأسه عند صَلا الأول، وهو ما عن يمين الذنب وشماله»، النهاية في غريب الحديث (٥٠/٣).

(٦) أخرجه أحمد (٢٨٩/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٤٢٦) وصححه.

(٧) أخرجه ابن الأعرابي في معجمه (٣٠٣/١) [دار ابن الجوزي، ط ١]، والآجري في الشريعة (١٧٢٥/٤) [دار الوطن، ط ٢].

منا الغد رجلاً من هذيل في الحرم، يؤم رسول الله ﷺ ليسلم، وكان قد وترهم في الجاهلية، وكانوا يطلبونه، فقتلوه، وبادروا أن يخلص إلى رسول الله ﷺ فيأمن، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ غضب غضباً شديداً، والله ما رأيت غضباً أشد منه، فسعينا إلى أبي بكر وعمر وعلي نستشفعهم، وخشنا أن نكون قد هلكنا...»، الحديث^(١).

وقد شهد كبار الصحابة وخيارهم رضي الله عنهم بعظم منزلة عمر رضي الله عنه بينهم، وبفضله عليهم بعد صاحبيه النبي ﷺ وأبي بكر بن أبي قحافة الصديق رضي الله عنه.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا نخير بين الناس زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان»^(٢).

وقال محمد بن الحنفية رحمته الله: «قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٢٩٨/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، والبيهقي في السنن الكبرى (كتاب الديات، رقم ١٦١٣٨)، وضعف إسناده محققو المسند.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٧١).

شفاعه محمد ﷺ في القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما»^(٥).

وقال مسروق بن الأجدع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة»^(٦).

وقال محارب بن دثار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بغض أبي بكر وعمر نفاق»^(٧).

وقال مجاهد بن جبر المكي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كنا نتحدث أو نُحَدِّثُ أن الشياطين كانت مصفدة في زمن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»^(٨).

وقال أبو جعفر الباقر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر فقد جهل السنة»^(٩).

وقال جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر»^(١٠).

والآثار الدالة على مكانة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثيرة جداً؛ مما يدل على منزلته العظيمة عند أهل السنة والجماعة الذين سلمت ألسنتهم وقلوبهم لأصحاب النبي الكريم ﷺ.

كان أجَدَّ وأجود حتى انتهى من عمر بن الخطاب»^(١).

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «سمعت غير واحد من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر بن الخطاب، وكان أحبهم إلي»^(٢).

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان عمر إذا سلك بنا طريقاً وجدناه سهلاً»^(٣).

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا ذكر الصالحون فحيَّلاً بعمر»^(٤).

وقد شهد التابعون ومن جاء بعدهم لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالفضل كما شهد له بذلك صحابة النبي ﷺ، وعرفوا له قدره ومنزلته في الإسلام.

قال سالم بن أبي حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سألت أبا جعفر [الباقر] وجعفر [الصادق] عن أبي بكر وعمر؟ فقالا لي: «يا سالم تولَّهما، وأبرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامي هدى». قال: وقال لي جعفر: «يا سالم أبو بكر جدي، أيسب الرجل جده؟! قال: وقال لي: «لا نالتني

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ)، رقم ٣٦٨٧.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها)، رقم ٨٢٦.

(٣) أخرجه الدارمي (كتاب الفرائض، رقم ٢٩٠٧)، وسعيد بن منصور في سننه (٣٧/١، ٣٨) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (جامع معمر، رقم ٢٠٤٠٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الفضائل، رقم ٣١٩٧٥)، وأحمد في فضائل الصحابة (٢٦٣/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٥) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٧٥/١)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢٢٧).

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٢٣٨)، بإسناد حسن.

(٧) أخرجه الخلال في السنة (٢٩٠) [دار الراجعية، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٤/٦).

(٩) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٣٥/١، ١٣٦) - وهو من زيادات عبد الله -.

(١٠) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٦٠/١)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢٢٧).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: كان عمر رضي الله عنه مستشاراً للنبي ﷺ:

قال رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ يسمر مع أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين وأنا معهما»^(١).

وقال رضي الله عنه لأبي بكر وعمر: «لو اتفقتما لي ما شاورت غيركما»^(٢).

- المسألة الثانية: كان عمر رضي الله عنه من جباة الزكاة وعمال الصدقة للنبي ﷺ، وممن يأتئمه النبي ﷺ على أموال المسلمين:

استعمل رضي الله عنه عبد الله بن السعدي على الصدقة، فلما فرغ من عمله أعطاه عطاءه وعمالته، فقال: إنما عملت وأجري على الله، فقال عمر: خذ ما أعطيت، فإني عملت على عهد رسول الله ﷺ فَعَمَلَنِي، فقلت مثل قولك، فقال لي رسول الله ﷺ: «إذا أعطيت شيئاً من غير أن تسأل فكل

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الصلاة، رقم ١٦٩) وحسنه، وأحمد (٣١١/١) مؤسسة الرسالة، [١]، وابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ١٣٤١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٧٨١).

(٢) أخرجه إسحاق في مسنده (٨٨/٢) مكتبة الإيمان، [١]. وهو عند أحمد (٥١٧/٢٩) مؤسسة الرسالة، [١]، بلفظ: (لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما)، وقال الهيثمي: (رجالها ثقات، إلا أن ابن غنم لم يسمع من النبي ﷺ). مجمع الزوائد (٥٣/٩) [مكتبة القدسي]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٠٠٨).

وتصدق»^(٣). ولم يبين عمر رضي الله عنه العمل الذي استعمله عليه النبي ﷺ، وثبت أن النبي ﷺ بعثه لجباية الصدقات^(٤).

- المسألة الثالثة: كتابته للوحي: فقد ذكر أهل السير أنه كان من كتّاب الوحي للنبي ﷺ^(٥).

- المسألة الرابعة: قيامه بالفتوى والقضاء:

فقد روي أن عمر رضي الله عنه كان من أهل الفتوى في حياة النبي ﷺ، وأنه كان من قضاة النبي ﷺ^(٦).

- المسألة الخامسة: إشارته على أبي بكر رضي الله عنه بجمع القرآن بعد موقعة اليمامة:

كانت موقعة اليمامة إحدى المواقع التي قاتل فيها المسلمون المرتدين بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكانت في أواخر السنة

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأحكام، رقم ٧١٦٣)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٤٥)، واللفظ له.

(٤) كما عند مسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ عمر على الصدقة... الحديث.

(٥) ذكر ذلك ابن كثير رحمته الله في السيرة النبوية (٦٩٢/٤) [دار المعرفة، ١٤٠٣هـ]، وغيره.

(٦) أخرج ابن سعد في الطبقات (٢/٣٣٤) [دار صادر، ط١] عن ابن عمر رضي الله عنه: أن أبا بكر وعمر كانا يفتيان في زمن النبي ﷺ.

وأخرج وكيع في أخبار القضاة (١/١٠٥) [المكتبة التجارية الكبرى، ط١] عن قتادة قال: (كان قضاة أصحاب محمد ستة)، وذكر منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

لخليفة من بعده أمر ثابت.

قال عمر رضي الله عنه: «إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني؛ رسول الله ﷺ» (٣).

ومن تلك الأحاديث التي فيها الإشارة إلى خلافة الخلفاء من بعد النبي ﷺ:

ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما من أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: «إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكفون» (٤) منها، فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، بأبي أنت والله لتدعني فأعبرها، فقال النبي ﷺ: «اعبرها»، قال: أما الظلة فالإسلام، وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن وحلاوته تنطف، فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله، ثم يأخذ به

الحادية عشرة وأول الثانية عشرة، وقُتل فيها مسيلمة الكذاب، وقُتل فيها من المسلمين ستمائة وقيل سبعمائة، وكان فيهم عدد كبير من قراء القرآن رضي الله عنهم (١). فخشي عمر رضي الله عنه من استمرار مقتل القراء واستشهادهم في حروب الردة، كما حدث في يوم اليمامة؛ فيفضي ذلك لضياع القرآن الذي حفظه القراء في صدورهم، وتلقوه من النبي ﷺ مباشرة غصاً كما نزل، وحيث إن القرآن الذي كتب لم يكن مجموعاً في مكان واحد، بل كان متفرقاً، فأشار ﷺ على أبي بكر بجمع القرآن، ثم شرح الله صدر أبي بكر لذلك، فأمر زيد بن ثابت بجمع القرآن (٢).

- المسألة السادسة: خلافته رضي الله عنه:

لقد وردت عدة أحاديث عن النبي ﷺ فيها إشارة إلى خلافة أبي بكر رضي الله عنه من بعده ﷺ، وخلافة عمر رضي الله عنه من بعد أبي بكر رضي الله عنه، وأحقيتهما بالخلافة من بعده ﷺ، ولكن هذه الأحاديث ليس فيها تصريح باستخلافه ﷺ لأبي بكر وعمر من بعده، بل إن عدم استخلافه ﷺ

(١) ينظر: ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٦/٣٣٠) [دار الكتب العلمية، ط١]، وابن حجر في الفتح (١٢/٩)، وقد ذكر الذهبي أسماء ممن استشهد في موقعة اليمامة من الصحابة رضي الله عنهم. ينظر: تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين - (٥٤ - ٧٣) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٦٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأحكام، رقم ٧٢١٨)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٢٣).

قال ابن العربي: «أجمعت الأمة على أن النبي ﷺ ما نصّ على أحد يكون بعده». العواصم القواصم (١٨٥).

(٤) يتكفون: تكفف الشيء: طلبه بكفه.

والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، قال عمر: ليست هذه، ولكن التي تموج كموج البحر. قال: يا أمير المؤمنين، لا بأس عليك منها، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا. قال: يفتح الباب أو يكسر؟ قال: لا، بل يكسر. قال: ذلك أحرى أن لا يغلق، قال الصحابة رضي الله عنهم: قلنا: علم عمر الباب؟ قال حذيفة: نعم، كما أن دون غد الليلة، إني حدثته حديثًا ليس بالأغليط^(٤).

ففي هذا الحديث إخبار بعدم وقوع الفتن في عهد عمر؛ فقد مثل حياة عمر بباب لحائط الفتنة وراءه، ومثل موته رضي الله عنه بكسر هذا الباب، وأنه إذا مات فإن الباب لن يغلق؛ لأنه كسر كسرًا ولم يفتح. وهو إشارة إلى أن الفتن سوف تظهر بعد موته، ولن يكون لها مانع أو راد.

وقد بدأت الفتنة بعد خلافته قبل مقتل عثمان رضي الله عنه ثم تتابعت الفتن، وظهرت الأهواء والبدع في الأمة الإسلامية^(٥).

❖ موقف المخالفين منه:

لقد أعلن الرافضة قبحهم الله التكفير والتفسيق واللعن لعمر، ومما يعتقدونه فيه:

- (٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٨٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٤).
(٥) ينظر: فتح الباري (٦/٦٠٣ - ٦٠٧).

رجل من بعدك، فيعلو به، ثم يأخذه رجل آخر فيعلو به، ثم يوصل له فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت أصبت أم أخطأت؟ قال النبي ﷺ: «أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا». قال: فوالله لتحدثني بالذي أخطأت. قال: «لا تقسم»^(١).

قال ابن حجر رحمه الله: «قال القاضي عياض: والسبب في اللغة الجبل والميثاق، والذين أخذوا به بعد النبي ﷺ واحدًا بعد واحد هم الخلفاء الثلاثة وعثمان هو الذي انقطع به ثم اتصل»^(٢).

تعتبر خلافة عمر رضي الله عنه رمزًا لأمن واستقرار الدولة الإسلامية واتساعها، وعزة الأمة الإسلامية، وقد أخبر النبي ﷺ عن ذلك وهذا من معجزاته ﷺ، وشهد بذلك صحابة النبي ﷺ^(٣).

قال عمر رضي الله عنه لأصحابه: «أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: أنا أحفظ كما قال، قال: هات؛ إنك لجريء، قال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: «فتنة الرجل في أهله، وماله، وجاره تكفرها الصلاة

- (١) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٧٠٤٦)، ومسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٩).
(٢) فتح الباري لابن حجر (١٢/٤٣٥).
(٣) دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية ﷺ (٢/٥٥٩).

ولقد أجمع الرافضة على وجوب لعن الشيخين، وعلى التبرؤ منهما عليهما السلام، بل وعدّوا ذلك من ضروريات دين الإمامية^(٧)، ومنكر الضروري عندهم كافر كما تقدم، وأن من لعنهما في المساء لم يكتب عليه ذنب حتى يصبح^(٨). وقال المجلسي: «إنّ أبا بكر وعمر كانا كافرين، الذي يحبهما فهو كافر أيضًا»^(٩).

وأنه ما أهرق في الإسلام من دم، ولا اكتسب مال من غير حلّه، ولا نكح فرج حرام، إلا كان ذلك في عنق أبي بكر وعمر عليهما السلام^(١٠) وإنهما لم يكن عندهما مثقال ذرّة في الإسلام^(١١).

وقال آيتهم المعاصر عبد الحسين المرشدي: «إنّ أبا بكر وعمر هما السببان لإضلال هذه الأمة إلى يوم القيامة»^(١٢).

وحكم الرافضة على من زعم بأنّ لأبي بكر وعمر عليهما السلام نصيب في الإسلام: أنّ الله تعالى لا يكلمه يوم القيامة، ولا يُزيّكه، وله عذاب أليم^(١٣).

وفي كتاب مفتاح الجنان (أو مفتاح

أنّ عمر بن الخطاب كان كافرًا، يُبطن الكفر، ويظهر الإسلام^(١)، ويزعمون أنّ كفر عمر مساوٍ لكفر إبليس، إن لم يكن أشد منه^(٢).

وقال شيخ الدولة الصفوية المجلسي: «لا مجال لعاقلي أن يشكّ في كفر عمر، فلعنة الله ورسوله عليه، وعلى كلّ من اعتبره مسلمًا، وعلى كلّ من يكفّ عن لعنه»^(٣).

ويحتفل الرافضة بيوم مقتله ويجعلونه عيدًا، وأنّ لهذا اليوم عندهم أكثر من اثنين وسبعين اسمًا؛ منها: يوم تنفيس الكربة، ويوم ندامة الظالم، ويوم فرح الشيعة... ويذكرون أناشيد كثيرة، تُقال في هذه الأعياد^(٤)، ويُلقبون أبا لؤلؤة: ببابا شجاع الدين، ويدعون الله أن يحشرهم معه^(٥).

قال المجلسي: «فقد حصل الإجماع على كفره بعد إظهاره الإيمان»^(٦).

(١) الصراط المستقيم للبياضى (١٢٩/٣)، وإحقاق الحق للتستري (٢٨٤)، وعقائد الإمامية للزنجاني (٢٧/٣).
(٢) البرهان (٣١٠/٢)، وبحار الأنوار (٢٢٠/٨)، وتفسير العياشي (٢٢٣/٢ - ٢٢٤).

(٣) جلاء العيون للمجلسي (٤٥).

(٤) دلائل الإمامة لابن رستم الطبري (٢٥٧، ٢٥٨)، والصراط المستقيم (٢٦/٢) و(٢٩/٣)، والبحار الأنوار (٣٣٠/٢٠)، والأنوار النعمانية (١٠٨/١ - ١١١)، وفصل الخطاب للنوري الطبرسي (٢١٩).

(٥) الكنى والألقاب لعباس القمي (١٤٧/١)، وبحار الأنوار (١٩٨/٩٥).

(٦) العيون والمجالس (٩/١).

(٧) الاعتقادات للمجلسي (٩٠، ٩١).

(٨) ضياء الصالحين لمحمد الجوهري (٥١٣).

(٩) حق اليقين للمجلسي (٥٢٢)، وكشف الأسرار للخميني (١١٢).

(١٠) رجال الكشي (٤١).

(١١) وصول الأخبار إلى أصول الأخبار للعالمي (٩٤).

(١٢) كشف الاشتباه للمرشدي (٩٨).

(١٣) أصول الكافي (٣٧٣/١، ٣٧٤).

المنتظر يحيي أبا بكر وعمر عليهما السلام ثم يصلبهما على جذع نخلة، ويقتلها كل يوم ألف قتلة^(٥).

والعياذ بالله تعالى، فأعرضوا بذلك عن النصوص الصحيحة الصريحة الواردة في فضل هذا الخليفة الراشد، والتي سبق بيان بعضها فقط، ليقعوا فيه بأهوائهم وانحرافهم عن المعتقد الواجب في حق هذا الصحابي الجليل، وغيره من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، ورضي الله عن الصحابة أجمعين، والله المستعان.

المصادر والمراجع:

- ١ - «أخبار مكة»، للفاكهي.
- ٢ - «أسد الغابة»، لابن الأثير.
- ٣ - «البداية والنهاية»، لابن كثير.
- ٤ - «تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين -»، للذهبي.
- ٥ - «تاريخ الخلفاء»، للسيوطي.
- ٦ - «دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية عليه السلام»، لعبد السلام عيسى.
- ٧ - «السنة»، لابن أبي عاصم.
- ٨ - «السنة»، للخلال.
- ٩ - «السيرة النبوية»، لابن كثير.
- ١٠ - «السيرة النبوية»، لابن هشام.

النيران!) لعباس القمي، دعاء علماء الشيعة المشهور على أبي بكر وعمر وابنتيهما عائشة وحفصة، والذي هو من أذكار الصباح والمساء عندهم، ونصه: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَالْعَن صَنْمِي قَرِيشَ وَجَبْتِيهَا، وَطَاغُوتِيهَا، وَإَفْكِيهَا، وَابْنَتَيْهَا اللَّذَيْنِ خَالَفَا أَمْرَكَ وَأَنْكَرَا وَحَيْكَ، وَجَحَدَا إِنْعَامَكَ، وَعَصَيَا رَسُولَكَ، وَقَلَبَا دِينَكَ، وَحَرَّفَا كِتَابَكَ، وَأَحْبَا أَعْدَاءَكَ... وَالْحَدَا فِي آيَاتِكَ... فَقَدْ أَخْرَبَا بَيْتَ النَّبُوَّةِ... وَقَتَلَا أَطْفَالَه، وَأَخْلَا مَنْبَرَهُ مِنْ وَصِيَّه، وَوَارَثَ عِلْمَهُ، وَجَحَدَا إِمَامَتَهُ، وَأَشْرَكَا بِرَبِّهَمَا... وَخَلَدَهُمَا فِي سَقَرٍ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ، لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ، اللَّهُمَّ الْعَنَهُمْ بِكُلِّ مَنْكَرٍ أَتَوْهُ، وَحَقِّ أَخْفَوِهِ... وَنِفَاقِ أَسْرَوْهِ...»^(١).

ويسمونهما عليهما السلام بفرعون وهامان^(٢)، وبالوثنين^(٣)، وباللات والعزى^(٤).

وصرَّح علماء الشيعة بأن مهديهم

(١) مفاتيح الجنان لعباس القمي (١١٤)، وممن ذكر هذا الدعاء كاملاً من علماء الشيعة: الكفعمي في البلد الأمين (٥١١ - ٥١٤)، وفي المصباح (الجنة الواقعة) (٥٤٨ - ٥٥٧)، والكاشاني في علم اليقين (٧٠١/٢ - ٧٠٣)، وأسَدُ اللَّهِ الطهراني الحائري في مفاتيح الجنان (١١٣ - ١١٤)، ومنظور حسين في تحفة عوام مقبول (٤٢٣، ٤٢٤)، وغيرهم كثير.

(٢) قرّة العيون للكاشاني (٤٣٢ - ٤٣٣).

(٣) ينظر: تفسير العياشي (١١٦/٢)، وبحار الأنوار (٥٨/٢٧).

(٤) إكمال الدين لابن بابويه الملقب بالصدوق (٢٤٦)، ومقدمة البرهان للعالمي (٢٩٤).

(٥) إيقاظ من الهجعة بتفسير البرهان على الرجعة للحر العاملي (٢٨٧).

العاص رضي الله عنه بمصر سنة نيف وأربعين،
وقيل بعد الخمسين^(٢). وذكر ابن كثير أنه
توفي سنة ثلاث وأربعين من الهجرة^(٣).

وذكر ابن سعد أن عمرو بن
العاص رضي الله عنه قال حين حضرته الوفاة:
«أجلسوني. فأجلسوه. فأوصى: إذا
رأيتُموني قد قبضت، فخذوا في جهازي
وكفنوني في ثلاثة أثواب، وشدوا إزارتي
فإني مخاصم، وألحدوا لي وشنوا علي
التراب، وأسرعوا بي إلى حفرتي. ثم
قال: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ
بِأَشْيَاءَ فَتَرَكَهَا، وَنَهَيْتَهُ عَنْ أَشْيَاءَ
فَارْتَكَبَهَا. فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ - ثَلَاثًا -، جَامِعًا يَدِيهِ مَعْتَصِمًا بِهِمَا
حَتَّى قَبِضَ»^(٤).

وهذا من علامات حسن الخاتمة،
كيف لا وهو من الصحابة الموعودين
جميعًا بالجنة، كما في قوله تعالى: ﴿لَا
يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلًا
أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ
وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ
خَيْرٌ﴾ [الحديد].

❁ إسلامه:

اختلف في وقت إسلامه على عدة

أقوال:

(٢) انظر: تقريب التهذيب لابن حجر (٤٢٣).

(٣) البداية والنهاية (١١/١٥٨).

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٤٢/٧)، بلا سند.

١١ - «السيرة النبوية في ضوء
المصادر الأصلية»، لمهدي رزق الله.

١٢ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

١٣ - «عقيدة أهل السنة والجماعة في
الصحابة الكرام»، لناصر بن علي عائض
حسن الشيخ.

١٤ - «فضائل الصحابة»، لأحمد بن
حنبل.

١٥ - «محض الصواب في فضائل
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب»، لابن
المبرد الحنبلي.

١٦ - «منهاج السنة النبوية»، لابن
تيمية.

❁ عمرو بن العاص رضي الله عنه

❁ اسمه ونسبه:

هو: عمرو بن العاص بن وائل بن
هاشم بن سَعِيد - بالتصغير - بن سهم بن
عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي
القرشي السهمي، أمير مصر، يُكنى أبا
عبد الله وأبا محمد^(١).

❁ مولده ووفاته:

توفي الصحابي الجليل عمرو بن

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٤٢/٧) [دار
الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ]، وسير أعلام النبلاء
للذهبي (٥٣/٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ]
والبداية والنهاية لابن كثير (١١/١٥٨) [دار هجر،
ط ١، ١٤١٨هـ]، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/
٦٥٠) [دار الجبل، بيروت ط ١، ١٤١٢هـ].

أشهر هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة العبدري^(٦).

وجزم به الحافظ ابن حجر في الإصابة^(٧)، ولكنه في التقريب قال: «عمرو بن العاص بن وائل السهمي الصحابي المشهور، أسلم عام الحديبية»^(٨).

وذكر ابن سعد أن إسلام عمرو رضي الله عنه قديم، وكان في الحبشة، ولكن تأخر قدومه إلى النبي ﷺ حتى شهر صفر سنة ثمان للهجرة، فقال: «أسلم بأرض الحبشة عند النجاشي، ثم قدم المدينة على رسول الله ﷺ مهاجرًا في هلال صفر، سنة ثمان من الهجرة»^(٩).

فضائله:

- شهادة النبي ﷺ له بالإيمان الصادق.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ابنا العاص مؤمنان، عمرو وهشام»^(١٠).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت

القول الأول: أنه أسلم قديمًا في الحبشة على يدي النجاشي إثر وعظه إياه، وذلك حين أرسلته قريش إلى النجاشي لرد المهاجرين الأولين من الحبشة إلى مكة، وهذا القول عزاه الحافظ ابن حجر إلى الزبير بن بكار والواقدي^(١)، وأشار الحافظ ابن كثير إليه بقوله: «وهو الذي أرسلوه إلى النجاشي ليرد عليهم من هاجر من المسلمين إلى بلاده، فلم يجبههم إلى ذلك لعدله، ووعظ عمرو بن العاص في ذلك، فيقال: إنه أسلم على يديه»^(٢).

القول الثاني: أنه أسلم بين الحديبية وخيبر^(٣).

القول الثالث: أنه أسلم قبل فتح مكة في صفر، سنة ثمان^(٤)، وجزم به الذهبي فقال: «هاجر إلى رسول الله ﷺ مسلمًا في أوائل سنة ثمان، مرافقًا لخالد بن الوليد، وحاجب الكعبة عثمان بن طلحة، ففرح النبي ﷺ بقدومهم وإسلامهم، وأمر عمرًا على بعض الجيش، وجهزه للغزو»^(٥).

ورجحه الحافظ ابن كثير بقوله: «والصحيح أنه إنما أسلم قبل الفتح بستة

(٦) البداية والنهاية (١١/١٥٨).

(٧) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/٦٥٠).

(٨) تقريب التهذيب (رقم ٥٠٥٣).

(٩) الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٣٤٢).

(١٠) أخرجه أحمد (١٣/٤٠٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ].

والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٠٥٣) وصححه، وحسنه الألباني في سلسلة

الأحاديث الصحيحة (١/٢٩٠)، رقم ١٥٦ [مكتبة

المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ].

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/٦٥٠).

(٢) البداية والنهاية (١١/١٥٨).

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/٦٥٠).

(٤) انظر: المصدر نفسه.

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/٥٥).

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فخرج منها فقدم المدينة، وحظي بالمكانة العلية أيضًا عند أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنه، فبعثه الصديق أحد الأمراء إلى الشام فتولى ما تولى من فتحها، وشهد اليرموك. وولاه عمر بن الخطاب فلسطين وما والاها، ثم كتب إليه أن يسير إلى مصر، فسار إليها في المسلمين وهم ثلاثة آلاف وخمسمائة، ففتح مصر وولاه عمر عليها إلى أن مات. وولاه عثمان بن عفان مصر سنين، ثم عزله، ثم انضم إلى معاوية بعد مقتل عثمان، وشهد معه صفين، ولما تولى معاوية الخلافة ولّاه إمرة مصر، واستمر عليها حتى وفاته في خلافة معاوية^(٤).

المسائل المتعلقة:

- إرسال قريش عمرو بن العاص إلى النجاشي لاسترداد المهاجرين.

كان عمرو بن العاص رضي الله عنه قبل أن يسلم من كبراء قريش وذوي النفوذ فيهم، ولما اشتد أذى الكفار على المسلمين أشار النبي صلى الله عليه وسلم إليهم بالهجرة إلى الحبشة؛ لأن بها ملكًا عادلًا، فهاجر بعض الصحابة رضي الله عنهم إليها، ولما بلغ خبرهم المشركين أرسلوا إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أسلم الناس، وآمن عمرو بن العاصي»^(١).

وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن عمرو بن العاصي من صالح قريش»^(٢).

مكانته:

عمرو بن العاص رضي الله عنه كانت له منزلة كبيرة ودرجة عالية بين الصحابة رضي الله عنهم فقد كان إضافة إلى تدينه وورعه فارسًا شجاعًا مقدمًا مع ذكاء وحصافة عقل، ترجم له الإمام الذهبي فذكر أنه «داهية قريش، ورجل العالم، ومن يضرب به المثل في الفطنة، والدهاء، والحزم»^(٣).

ومما يدل على مكانة عمرو في الإسلام أنه كان موضع ثقة عند النبي صلى الله عليه وسلم، حيث استعمله على غزوة ذات السلاسل، وبعثه يوم فتح مكة إلى هذيل لهدم صنمها سواع فهدمه، وبعثه أيضًا إلى جيفر وعبد ابني الجلنداء - وكانا من الأزديين - يدعوهم إلى الإسلام، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٤٤) وقال: ليس إسناده بالقوي، وأحمد (٦٢٩/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٨/١)، رقم ١٥٥.

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٤٥)، وأحمد (٦/٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، قال الترمذي: ليس إسناده بمتصل، وقواه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة (رقم ٦٥٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥٥/٣).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٤٢/٧)، وتاريخ خليفة بن خياط (٨٥) [مؤسسة الرسالة، ط٢].

فرفع عوداً من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يسوى هذا، مرحباً بكم، وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، فإنه الذي نجد في الإنجيل، وإنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه، وأوضئه، وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما^(١).

❁ موقف المخالفين منه:

وجه الروافض طعونهم الكثيرة نحو عمرو بن العاص، فرموه بشتى أنواع التهم^(٢)، وفيما يلي نماذج منها:

أولاً: يزعم الروافض أن عمرو بن العاص كان شائناً للنبي ﷺ، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر]^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٤٠٨/٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

وأورده ابن كثير في كتاب السيرة (٩/٢ - ١١) [دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ]، وقال: «وهذا إسناد جيد قوي، وسياق حسن»، وحسنه ابن حجر في الفتح (١٨٩/٧) [دار المعرفة]، وأورده الألباني في صحيح السيرة (١٦٤) [المكتبة الإسلامية، عمان، ط ١]، وقال بعد أن نقل تحسين الحافظ له: «وهو الأقرب».

(٢) انظر: موقف الشيعة الإمامية الاثني عشرية من الصحابة رضي الله عنهم لعبد القادر صوفي (١٣٦٢) وما بعدها.

(٣) انظر: الإيضاح للفضل بن شاذان (٨٧) [مؤسسة انتشارات، ط ١، ١٣٦٣هـ].

النجاشي وفداً - منهم عمرو بن العاص رضي الله عنه - يحملون هدايا إلى النجاشي ويطلبون منه طرد هؤلاء المهاجرين من بلده، وقد روى القصة غير واحد، منهم الإمام أحمد بسنده عن ابن مسعود قال: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي، ونحن نحو من ثمانين رجلاً، فيهم عبد الله بن مسعود، وجعفر، وعبد الله بن عرفة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى، فأتوا النجاشي، وبعث قریش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية، فلما دخلا على النجاشي سجداً له، ثم ابتدراه عن يمينه، وعن شماله، ثم قالوا له: إن نفرًا من بني عمنا نزلوا أرضك، ورغبوا عنا وعن ملتنا، قال: فأين هم؟ قال: هم في أرضك فابعث إليهم، فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه، فسلم ولم يسجد، فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله ﷻ، قال: وما ذاك؟ قال: إن الله ﷻ بعث إلينا رسوله ﷺ، وأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله ﷻ، وأمرنا بالصلاة والزكاة، قال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قالوا: نقول كما قال الله ﷻ، هو كلمة الله وروحه، ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسه بشر، ولم يفرضها ولد، قال:

ثانيًا: يزعمون أنه عدو لله ولرسوله ﷺ وأهل البيت ^(١).

ثالثًا: يزعمون أنه كاذب على الله ﷻ ورسوله ﷺ ^(٢).

رابعًا: أنه لما مات إبراهيم هجا عمرو النبي ﷺ بثمانين بيتًا، فلعنه النبي ﷺ بكل بيت سبعين لعنة ^(٣).

خامسًا: زعمهم أنه رأس النفاق والشقاق ^(٤).

الرد عليهم:

لا شك أن جميع هذه الطعون فاسدة كاسدة؛ لكونها أكاذيب ملفقة وافتراءات مختلقة، ليس لها دليل يسندها ولا برهان يسعفها، وإنما حاكتها نفوس مليئة بالحق والضعينة تجاه الصحابة، وساقتها أذهان عشعش فيها حب الأهواء المضلة وإيثار الغواية على الرشاد والهداية، فكل ما نسبوه إليه هو منه براء.

أما قولهم بنزول آية الكوثر فيه وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾

[الكوثر: ٣] فكذب مكشوف وأدعاء زائف؛ لما جاء في سبب نزول الآية، وليس فيه أنه عمرو بن العاص، فقد روى ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم؟ قال: نعم. قالوا: ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية؟ قال: أنتم خير منه. قال: فأنزلت: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾» [الكوثر]، وأنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطُّغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، إلى قوله: ﴿فَلَنَجْجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾» [النساء: ٥٢] ^(٥).

هذا ما نص أهل العلم على صحته في سبب نزول الآية، وهناك أقوال معزوة إلى بعض السلف في أن الآية نزلت في أناس من قريش، كأبي لهب، وعقبة بن أبي معيط، وأبي جهل، وغيرهم، وليس فيهم عمرو بن العاص ^(٦).

وقد جاء في كتبهم ما يكذب قولهم بنزول آية الكوثر في عمرو بن العاص،

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤٢/٧) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ]، وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره (٥٠٤/٨) [دار طيبة، ط ٢]، والألباني في صحيح السيرة (٢٢٥).

(٦) انظر على سبيل المثال: تفسير الطبري (٦٩٧/٢٤) - (٧٠٠)، وتفسير ابن كثير (٥٠٤/٨).

(١) انظر: الخصال للصدوق (١١٤) [منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، ١٤٠٣هـ].

(٢) انظر: كتاب سليم ابن قيس (٢٧٨) [تحقيق: محمد باقر الأنصاري].

(٣) انظر: كتاب سليم ابن قيس (٢٧٨)، والصرائط المستقيم لعلي العاملي البياضي (٥١/٣) [المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية].

(٤) انظر: الاحتجاج للطبرسي (١٠١/١) [دار النعمان، النجف، ١٣٨٦هـ] وانظر: بحار الأنوار للمجلسي (١٩٦/٢٨) [مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ].

فقد جاء في شرح البلاغة: «ويلقب العاص بن وائل في الإسلام بالأبتر؛ لأنه قال لقريش: سيموت هذا الأبتر غداً، فيقطع ذكره، يعني رسول الله ﷺ؛ لأنه لم يكن له ولد ذكر يعقب منه، أنزل الله سبحانه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(١). فقد نقل المجلسي رواية، وفيها: «وكان أول من مات من ولده القاسم، ثم مات عبد الله بمكة، فقال العاص بن وائل السهمي: قد انقطع ولده فهو أبتر، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٢)».

ويقول الأميني: «أبوه هو الأبتر بنص الذكر الحميد ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٣)، وعليه أكثر أقوال المفسرين والعلماء وفي بعض التفاسير، وإن جاء ترديد بينه وبين أبي جهل وأبي لهب وعقبة بن أبي معيط وغيرهم، إلا أن القول الفصل ما ذكره الفخر الرازي من أن كلاً من أولئك كانوا يشنّون رسول الله، إلا أن ألهمهم به وأشدّهم شنة العاص بن وائل. فالآية تشملهم أجمع، ويخص اللعين بخزي أكد، ولذلك اشتهر بين المفسرين أنه هو المراد»^(٤).

وأما رميهم إياه بالنفاق والعداء لله

ورسوله ﷺ وأهل البيت واتهامه بالكذب على الله ورسوله بسبب مشاركته في التحكيم بين علي ومعاوية، وأنه هجا النبي ﷺ فلعله لعناً كثيراً فهذه كلها معلومة البطلان؛ لمنافاتها حقيقة الإيمان الذي شهد به النبي لعمر بن عاص كما تقدم في فضائله.

قال ابن تيمية: «وقد علم أن معاوية وعمرو بن العاص وغيرهما كان بينهم من الفتن ما كان، ولم يهتمهم أحد من أوليائهم، لا محاربوهم، ولا غير محاربهم: بالكذب على النبي ﷺ بل جميع علماء الصحابة والتابعين بعدهم متفقون على أن هؤلاء صادقون على رسول الله، مأمونون عليه في الرواية عنه، والمنافق غير مأمون على النبي ﷺ، بل هو كاذب عليه، مكذب له. وإذا كانوا مؤمنين، محبّين لله ورسوله: فمن لعنهم فقد عصى الله ورسوله»^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - الإصابة في تمييز الصحابة (ج ٤)، لابن حجر.
- ٢ - «الإيضاح»، للفضل بن شاذان.
- ٣ - «البداية والنهاية» (ج ١١)، لابن كثير.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٦/٣٥) [تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٦/٢٨٢) [دار إحياء الكتب العربية].

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/١٦٦).

(٣) الغدير للأميني (٢/١٢٠) [دار الكتاب العربي، ط ٤].

التعريف شرعاً:

العمل الصالح هو ما أمر الله به ورسوله، وهو الطاعة، وهو العمل المشروع المسنون^(٤). والعمل الصالح هو: «سُنَّة رسول الله ﷺ باطنها وظاهرها، قولها وعملها، في الأمور العلمية والعملية مطلقاً»^(٥). وأصل العمل الصالح عبادة الله وحده لا شريك له^(٦). وقيل: «العمل الصالح هو العمل المراعى من الخل»^(٧)، وهذا التعريف يجب تقييده بالعمل الشرعي.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنيان متوافقان في الأصل، إلا أن الشرع خصص العمل الصالح بطاعة الله ﷻ، ورسوله ﷺ.

الحكم:

العمل الصالح بحسب دليله، قد يكون واجباً وقد يكون مستحباً.

المنزلة:

العمل داخل في مسمى الإيمان؛ إذ لا يكفي في الإيمان مجرد التصديق، بل العمل جزء من الإيمان، ولا يكون المرء

٤ - «تحقيق مواقف الصحابة في

الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين»، لمحمد أمحزون.

٥ - «الخصال»، للصدوق.

٦ - «سير أعلام النبلاء» (ج ٣)،

للذهبي.

٧ - «الطبقات الكبرى» (ج ٧)، لابن

سعد.

٨ - «موقف الشيعة الاثني عشرية من

الصحابة»، لعبد القادر عطا صوفي.

٩ - «النص الكامل لكتاب العواصم

من القواصم»، لابن العربي.

١٠ - «تاريخ خليفة بن خياط».

العمل الصالح

التعريف لغة:

العمل: من مادة (ع - م - ل)، قال ابن

فارس: «العين والميم واللام أصل واحد صحيح، وهو عام في كل فعل يفعل»^(١).

وقال المناوي: «العمل: كل فعل من

الحيوان بقصد، فهو أخص من الفعل»^(٢).

والصَّالِح: من الصلاح، وهو نقيض

الفَسَاد^(٣). فالعمل الصالح: هو الفعل

الجيد الذي ليس فيه فساد.

(١) للتأليف والترجمة، ومقاييس اللغة (٣/٣٠٣).

(٢) انظر: الاستقامة (٢/٢٢٨) [مكتبة ابن تيمية].

(٣) اقتضاء الصراط (٢/٢٢٣) [مكتبة الرشد، ط ٣].

(٤) انظر: الاستقامة (١/٢٢٣).

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف (٥٢٧).

(١) مقاييس اللغة (٤/١٤٥) [دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ].

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٥٢٧) [دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٣) انظر: الصحاح (١/٣٨٣) [دار العلم للملايين، ط ٣]، وتهذيب اللغة (٤/٢٤٣) [الدار المصرية

كالسُنن والنوافل من نافلة الصلاة والصيام، والصدقة وغيرها.

✽ الثمرات:

ثمار العمل الصالح كثيرة؛ منها:

١ - أنه سبب لدخول الجنة، ورضا الرحمن.

٢ - أنه يكفر الذنوب حتى الكبائر.

٣ - أنه سبب لمحبة الناس له وثنائهم عليه.

٤ - أنه سبب للراحة النفسية، والسعادة في الدارين^(٣).

✽ المصادر والمراجع:

١ - «الآداب الشرعية» (ج ١)، لابن مفلح.

٢ - «الاستقامة» (ج ١)، لابن تيمية.

٣ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة»، لمجموعة من العلماء.

٤ - «أضواء البيان» (ج ٢)، للشنقيطي.

٥ - «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية.

٦ - «تفسير القرآن العظيم» (ج ١)، لابن كثير.

٧ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز.

٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٧، ٨)، لابن تيمية.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٦١) (٨/ ٢٨٤).

مؤمنًا إلا بالتصديق المقرون بالعمل، والعمل الصالح يزيد من إيمان المرء^(١)، ويرفع درجته عند الله، قال ﷺ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت].

✽ الشروط:

للعمل كي يكون صالحًا شروط؛ هي:

١ - أن يكون مشروعًا مأمورًا به.

٢ - الإخلاص، بأن يقصد به وجه الله، كما قال ﷺ: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف].

٣ - أن يكون مبنياً على أساس العقيدة الصحيحة؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النحل: ٩٧]^(٢).

✽ الأقسام:

العمل الصالح أقسام: منه ما هو ركن للإسلام كالصلاة والصيام والزكاة، ومنه ما هو واجب كسائر ما أوجب الله على عباده من الطاعات، ومنه ما هو مستحب

(١) ينظر: شرح الطحاوية (٢/ ٤٦٢ - ٤٦٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ]، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (٢٤٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ١٨٨) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ]، ومنهاج السنة (٥/ ١٧٣) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٠٦هـ]، وأضواء البيان (٢/ ٤٤٠).

٩ - «منزلة العمل من الإيمان»، التعريف شرعاً:

لصالح العقيل [بحث منشور].

زجر الطير والتفاؤل أو التشاؤم
بأسمائها وأصواتها وأعمارها وممراتها،
والاستدلال بذلك على الحوادث
واستعلام ما غاب^(٣).

عموم الرسالة

يراجع مصطلح (الرسل).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنى اللغوي للعيافة أوسع من
المعنى الشرعي؛ إذ إن الشرعي هو جزء
منه، وهو يتضمن معنى الكراهة، وذلك
أن يرى غراباً، أو طائراً، أو غير ذلك
فيتطير به، ويقع في نفسه الكراهة^(٤)،
فالمعنى الشرعي أخص من المعنى
اللغوي.

الأسماء الأخرى:

الطيرة.

الحكم:

العيافة من الأمور المحرمة شرعاً، وهي
من كبائر الذنوب، وذلك لأنها جبت،
وهو من جملة السحر والطيرة والكهانة،
وكل هذه مما تضافرت النصوص من
الكتاب والسنة على حرمتها والنهي عنها.

العرب (٩/٢٦١) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣،
١٤١٩هـ]، ومقاييس اللغة (٤/١٩٧).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٣٠)

[دار إحياء التراث العربي]، وبلوغ الأرب في معرفة
أحوال العرب (٣/٣٠٧) [دار الكتب العلمية]،
والمسائل التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية
(٢/٨٥٥).

(٤) انظر: مقاييس اللغة (٤/١٩٧).

العهد بالإمامة

يراجع مصطلح (الإمامة).

العيافة

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «العين والياء
والفاء أصلٌ صحيح واحد يدلُّ على
كراهة. وعاف الشيء يعافه عيْفاً وعيافة
وعيافاً وعيافاناً: كرهه فلم يشربه طعاماً
أو شراباً»^(١).

والعيافة: مصدر الفعل عاف يعيف
عيْفاً؛ إذا زجر وحذس وظنّ، وقد غلب
على كراهية الطعام. ويقال: عافت
الطير؛ إذا كانت تحوم على الماء وعلى
الجيف تعيف عيْفاً، وتتردد ولا تمضي،
تريد الوقوع، فهي عائفة. والعائف:
الذي يعيف الطير فيزجرها، وربما قيل
للمتكهن: عائف^(٢).

(١) مقاييس اللغة (٤/١٩٦) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٢/٢٥٧) [دار
الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ]، وتهذيب اللغة (٣/
١٤٧) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ولسان

❖ الحقيقة:

الحكايات المتضمنة لإصابتهم في بعض الأحوال، فليست بأكثر من الحكايات عن أصحاب الكشف، والفأل، وزجر الطائر، والضرب بالحصى، والطرق، والعيافة، والكهانة، والخط، والحدس، وغيرها، من علوم الجاهلية، وأعني بالجاهلية: كل من ليس من أتباع الرسل؛ كالفلاسفة، والمنجمين، والكهان، وجاهلية العرب الذين كانوا قبل النبي ﷺ، فإن هذه كانت علومًا لقوم ليس لهم علم، بما جاءت به الرسل»^(٣).

وقال الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ: «والطيرة والعيافة من سُنَّة الجاهلية التي نسختها السُّنَّة النبوية؛ لأنها من مفسدات الفطرة»^(٤).

وقال الشيخ الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: «ولا خلاف بين العلماء في منع العيافة، والكهانة، والعرافة، والطرق، والزجر، والنجوم، وكل ذلك يدخل في الكهانة؛ لأنها تشمل جميع أنواع ادعاء الاطلاع على علم الغيب»^(٥).

❖ الفروق:

هناك فروق عدة بين العيافة والطيرة، يمكن إجمالها في ما يلي^(٦):

(٣) مفتاح دار السعادة (٣/٢٦٦) [دار ابن عفا، ط١، ١٤١٦هـ].

(٤) تفسير المنار (٤/١٧١).

(٥) أضواء البيان (١/٤٨٢).

(٦) انظر: حاشية ابن قاسم (١٩٥)، والتمهيد لشرح =

زجر الطير للتشاؤم بها أو التفاؤل، والاستدلال بأسمائها وأصواتها وأعمارها وممراتها وأحوالها على الحوادث، واستعلام ما غاب عنهم، والاعتبار في ذلك غالبًا بأسمائها؛ كما يتشاءم بالعقاب على العقاب، وبالغراب على الغربة، ونحوها. فحقيقتها التكلم بالغيب عند سنوح طائر أو حيوان، والفكر فيه بعد مغيبه، والعيافة نوع من أنواع التطير^(١).

❖ الأدلة:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

وعن قبيصة رَحِمَهُ اللهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وأما تلك

(١) انظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (٣/٣٠٧)، وحاشية على كتاب التوحيد لابن قاسم (١٩٥) [دار الكتب العلمية]، والقول المفيد (١/٥١٤) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٣هـ]، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ (٣٠٨) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٩٠٧)، وأحمد (٢٥٦/٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب النجوم والأنواء، رقم ٦١٣١)، وقد اختلف أهل العلم في تضعيفه وتصحيحه، فحسنه النووي في رياض الصالحين (٤٠٩) [مكتبة المورد، ط١، ١٤٢٢هـ]، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (رقم ١٧٩٤) [مكتبة المعارف].

إلى هنا، أو بحركاتها شيء خفي دخل في النفس فأثر فيها من جهة الإقدام أو الكف، فكانت نوعاً من السحر لأجل ذلك^(٢).

الآثار:

١ - الوقوع في براثن الشرك بالله تعالى، والذي لا يغفره الله تعالى إلا بالتوبة.

٢ - إساءة الظن بالله تعالى، والطعن في قدرته، وعلمه سبحانه بالغيب، وهذا من أعظم الذنوب أثراً على العائف، أو من طلب العيافة.

٣ - التشبه بأعمال الجاهلية، وقد جاء الوعيد الشديد فيمن تشبه بالكفار.

الحكمة:

نُهي عن العيافة؛ لما فيها من تعلق القلوب بغير الله تعالى، والنظر والالتفات إلى الأسباب التي لم يشرعها الله تعالى، ولا أمر بها رسوله ﷺ، وذلك كله من الشرك بالله تعالى.

وفي تعاطي العيافة تشبه بأهل الجاهلية، وقد نهينا عن التشبه بهم؛ لأن في ذلك وعيداً شديداً، والمطلوب شرعاً وعقلاً اتقاء كل ما فيه وعيد من الله تعالى.

١ - العيافة تكون بالطير فقط، أما الطيرة فهو اسم عام لما فيه تشاؤم أو تفاؤل بشيء من الأشياء فتكون بالطير، والوحش، والزمان والمكان، والأشخاص، والأرقام، وغير ذلك.

٢ - الطيرة قد لا يعتمد إليها الإنسان بل قد توافقه وتصادفه دون أن يعتمد إليها، بخلاف العيافة فإنها تقصد حيث تزجر الطير وينشأ عن ذلك ما ينشأ من تفاؤل أو تشاؤم.

٣ - العيافة والطيرة يتفقان في تأثيرهما في القلوب، فهما قد يوجبان إمضاءً أو ردّاً.

العيافة والسحر:

العيافة من السحر، وذلك أن العيافة يستند فيها الإنسان إلى أمر لا حقيقة له؛ فماذا يعني كون الطائر يذهب يميناً أو شمالاً أو أماماً أو خلفاً؛ فهذا لا أصل له، وليس بسبب شرعي ولا حسي، فإذا اعتمد الإنسان على ذلك؛ فقد اعتمد على أمر خفي لا حقيقة له، وهذا سحر^(١).

وإنما كانت من السحر؛ لأنّ السحر شيءٌ خفيٌّ يؤثر في النفوس، والعيافة من التأثر بالطير وبزجرها وابتقالها من هنا

= كتاب التوحيد (٣٠٨)، والطيرة لمحمد بن إبراهيم الحمد (١١).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٥١٧).

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٠٨).

المصادر والمراجع:

- ١ - «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب»، للآلوسي.
- ٢ - «مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية»، لإدريس محمود إدريس.
- ٣ - «الشرك ومظاهره»، لمبارك الملي.
- ٤ - «رسائل في العقيدة»، محمد إبراهيم الحمد.
- ٥ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ٦ - «المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية»، لمحمد بن عبد الوهاب، [مع شرحها ليوסף السعيد].
- ٧ - «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ.
- ٨ - «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية»، لآمال بنت عبد العزيز العمرو.
- ٩ - «نواقض الإيمان القولية والعملية»، لعبد العزيز آل عبد اللطيف.

عيسى

اسمه ونسبه:

هو: عيسى ابن مريم بنت عمران؛ لأن الله نسبته إلى مريم، وذكر سبحانه أنها

مريم بنت عمران، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْصَى ابْنُ مَرْيَمَ أَدْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَيْكَ﴾ [المائدة: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾ [التحریم: ١٢].

معنى اسمه لغة:

قال الأزهري: «عيسى: اسم أعجمي عدل عن لفظه بالأعجمية إلى هذا البناء، وهو غير مصروف في المعرفة؛ لاجتماع العجمة والتعريف فيه... فأما اسم نبي الله ﷺ فمعدول عن: أيسوع، كذا يقول أهل السريانية»^(١). وقال الجوهرى: «وعيسى: اسم عبراني أو سرياني»^(٢). ولفظ (عيسى) بالسريانية: يشوع^(٣).

مولده ونشأته:

مولده:

لقد كان حمل مريم بعيسى آية من آيات الله الدالة على عظيم قدرته ﷺ، وقد ذكر الله لنا في كتابه قصة حملها به وولادتها إياه، فقال ﷻ: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [١٦] فَأَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا

(١) تهذيب اللغة (٣/٦٠، ٦١) [دار إحياء التراث العربي، ١٤، ٢٠٠١م].

(٢) الصحاح (٣/٩٥٥).

(٣) انظر: الكشف للزمخشري (١/١٨٨) [دار إحياء التراث العربي، بيروت] وتعليق الدكتور ف. عبد الرحيم على المعرب من كلام الأعجمي للجواليقي (٤٥٢) الفقرة (٤٤٩، ٤٥٠) [دار القلم، ١٤١٠هـ].

الآية: «ذات ثمار وماء، وهي بيت المقدس»^(٣)، ورجحه ابن كثير^(٤)، وقال السعدي: «﴿وَأَوْنَهُمَا إِلَيَّ رَبُّوهُ﴾ [المؤمنون: ٥٠]؛ أي: مكان مرتفع، وهذا - والله أعلم - وقت وضعها»^(٥).

وبعد الولادة جاءت بابنها إلى قومها تحمله، فاستغربوا من إنجابها ولداً من غير أن يكون لها زوج، فذكروها بطهارتها وطهارة أسرتها عن الفواحش، فأشارت إلى طفلها، ليجيب عن هذه الأسئلة، فنطق الطفل بأمر الله، وبين حقيقته ووظيفته. قال الله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيحاً﴾^(٦) يَتَأَخَتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمِراً سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيّاً^(٧) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً^(٨) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً^(٩) وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالْصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً^(١٠) وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً^(١١) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً^(١٢) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ^(١٣) [مريم].

إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيّاً^(١٤) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيّاً^(١٥) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيّاً^(١٦) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً^(١٧) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَهٗ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمراً مَّقْضِيّاً^(١٨) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيّاً^(١٩) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيّاً مَنْسِيّاً^(٢٠) فَادْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً^(٢١) وَهَزَيْتَ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيّاً^(٢٢) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً^(٢٣) [مريم].

وكان مولد عيسى في بيت لحم بفلسطين، قريباً من بيت المقدس^(١)، وهذا المكان - على الراجح - هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً وَأَوْنَهُمَا إِلَيَّ رَبُّوهُ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾^(٢) [المؤمنون]، فقد روى عبد الرزاق بإسناد صحيح^(٣) عن قتادة أنه قال في تفسير

(١) انظر: البداية والنهاية (٥٣٣/٢) [دار هجر، ط ١، ١٤١٨هـ] وصحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) لسليم الهلالي (٤٨١) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣]، وفيهذه أهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (٤٤٧) [دار إيلاف الدولية، ط ١].

(٢) انظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٣/٤٣٢) [دار المآثر، المدينة النبوية، ط ١].

(٣) رواه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٤١٦/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ]، والطبري في تفسيره (٥٨/١٧) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٤) تفسير ابن كثير (٤٧٧/٥) [دار طيبة، ط ٢].

(٥) تفسير السعدي (٥٥٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

نشأته:

تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قُلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قُلُّوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَكِنَّ شَيْئَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

وعن عبادة عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» (٢).

دلائل نبوته:

لقد أعطى الله نبيه عيسى جملة من آيات نبوته ودلائل رسالته، قال الله تعالى: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُنْخِ الْأَمْوَاتَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَهَ

لم نقف على شيء يمكن الاعتماد عليه في بيان نشأة عيسى عليه السلام، ولكن قيل: إن عيسى عليه السلام نشأ في مصر بناء على تفسير الربوة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَأَوْنَتُهُمَا إِلَىٰ رِبْوَةٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠] أنها مصر، حيث وصل الملك الذي كان في زمان عيسى خبر مفاده أن نهاية ملكه سيكون على يدي نبي سيولد عن قريب، فأصبح يلاحق المواليد ويفتك بهم، ففرّت مريم بابنها إلى مصر، وبقيت هناك إلى أن مات الملك هيرودس، ثم رجعت إلى الغوطة بدمشق (١).

نبوته:

نصّ الله تعالى على نبوة عيسى عليه السلام وكونه رسول الله في آيات عديدة، منها قول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنِّي﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وقوله

(١) انظر: تاريخ الطبري (٣٥١/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٧هـ]، وفيه داهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - (٤٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٥) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٨).

خلت من رمضان»^(١).

دعوته:

كانت دعوة عيسى عليه السلام إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، والحث على تقوى الله وخشيته وطاعة رسوله، وتحليل بعض ما حُرِّم على بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ [آل عمران].

قومه وموقفهم منه:

قومه هم بنو إسرائيل، وقد انقسموا تجاه دعوته إلى قسمين: مؤمنين به مقرين بنبوته، وكافرين جاحدين لرسالته، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِئُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

وقال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْخَوَارِئِينَ

وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذَا تَخْرُجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذَا كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١﴾ [المائدة]، فقد دلَّت هذه الآيات على طائفة من معجزاته وجملة من دلائل نبوته، وهي: الخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه الروح فيكون طيرًا بإذن الله، إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، والإخبار بما يأكلون وما يذخرون، وكلامه في المهد.

كتابه:

أنزل الله على نبيه عيسى ابن مريم عليه السلام الإنجيل، كما قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٧].

وقد جاء في السنة تحديد وقت نزول الإنجيل، فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلّت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين

(١) أخرجه أحمد (١٩١/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]، والطبراني في المعجم الأوسط (١١١/٤) [دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ] واللفظ له، وقال الهيثمي في المجمع (١٩٧/١) [مكتبة القدسي]: (فيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى، وثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله ثقات)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٤/٤)، رقم (١٥٧٥) [مكتبة المعارف، ط ١].

وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّمُ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١].

قال ابن كثير: «وقرى: (عَلَّمَ) بالتحريك؛ أي: إشارة ودليل على اقتراب الساعة؛ وذلك؛ لأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال، فيقتله الله على يديه»^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»^(٥).

قال الحافظ ابن كثير في أحاديث نزول عيسى عليه السلام: «فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبي هريرة، وابن مسعود، وعثمان بن أبي العاص، وأبي أمامة، والنواس بن سمعان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومجمع بن جارية، وأبي سريحة، وحذيفة بن أسيد رضي الله عنه، وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه، من أنه بالشام، بل بدمشق، عند المنارة الشرقية»^(٦)، وأن ذلك يكون عند إقامة

مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَتَأَمَّنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿٤٤﴾ [الصف: ٤٤].

وفاته:

دلت النصوص من كتاب الله والسنة المتواترة، وإجماع الأمة على أن نبي الله عيسى عليه السلام لم يزل حياً في السماء الثانية^(١)، وسينزل في آخر الزمان إلى الأرض، ويحكم بشريعة النبي محمد ﷺ، ويقتل الدجال، ويضع الجزية، ويكسر الصليب، ويؤمن به أهل الكتاب ويستكمل بقية عمره ثم يموت، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]؛ أي: قبل موته الذي سيقع بعد نزوله من السماء في آخر الزمان، فهذه الآية تدل على أن عيسى ابن مريم حي الآن، قال ابن كثير في تفسيرها: «أي: وإن من أهل الكتاب إلا يؤمن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة»^(٢). فالضميران في (به) و(موته) عائدان إلى عيسى ابن مريم على القول الصحيح^(٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/٤٦٤، ٤٦٥).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٢٢٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٥).

(٦) كما عند مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٧).

(١) انظر: المسألة الثالثة تحت فقرة: المسائل المتعلقة.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٤٧).

(٣) انظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/٩٣) [دار الصميعي، ط ٢].

الصلاة للصيح^(١) (٢).

- المسألة الثانية: نزول عيسى

في آخر الزمان وحكمه بشريعة الإسلام:

دلَّت النصوص من كتاب الله والسُّنة المتواترة عن رسول الله ﷺ على نزول عيسى في آخر الزمان، وحكمه بشريعة الإسلام.

- المسألة الثالثة: مكان عيسى

في السماوات:

جاء في صحيح السُّنة ما يحدد مكان عيسى ﷺ في السماوات، وهو السماء الثانية، وذلك في حديث مالك بن صعصعة الطويل في الإسراء والمعراج عن النبي ﷺ، وفيه: «ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء، جاء ففتح، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى، وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت فردّا، ثم قالاً: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح»^(٥).

- المسألة الرابعة: المضطربون في

نسب عيسى:

طعن اليهود في نسب عيسى ﷺ، فزعموا أنه ابن زنا، وتذبذب النصارى؛

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: رفعه إلى السماء

بروحه وجسده:

لقد رفع الله نبيه عيسى ﷺ إلى السماء حيّاً حينما أراد اليهود قتله، وألقى شبهه على رجل آخر فقتلوه؛ ظناً منهم أنه عيسى ابن مريم ﷺ، وأشاعوا ذلك، فكذبهم الله بقوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ١٥٧﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٨﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]؛ أي: أني رافعك إليّ، ثم متوفيك بعد ذلك، فهذا فيه تقديم وتأخير، كما جاء عن قتادة وغيره^(٣). قال السعدي: «رفع الله عبده ورسوله عيسى إليه، وألقى شبهه على غيره، فأخذوا من ألقى شبهه عليه فقتلوه وصلبوه، وباؤوا بالاثم العظيم؛ بنيتهم أنه رسول الله»^(٤).

(١) كما عند ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٧٧)، وقال ابن كثير في تفسيره (٤٦١/٢) [دار طيبة، ط ٢]: هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٦٤/٢).

(٣) انظر: المرجع السابق (٤٦/٢).

(٤) تفسير السعدي (١٣٢).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢).

وَأَبْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ [الأنبياء].

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (٩٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا ﴿٩٣﴾ [مريم]: «يقول تعالى مخبراً عن مريم إنها لما قال لها جبريل عن الله تعالى ما قال؛ إنها استسلمت لقضاء الله تعالى، فذكر غير واحد من علماء السلف أن الملك - وهو جبريل عليه السلام - عند ذلك نفخ في جيب درعها، فنزلت النفخة حتى ولجت في الفرج، فحملت بالولد بإذن الله تعالى» (١).

- المسألة الخامسة: بشارة عيسى ابن

مريم بالنبي العربي محمد ﷺ:

لقد أخبر نبي الله عيسى ابن مريم ﷺ قومه بمجيء رسول الله محمد ﷺ وبشر بإتيانه من بعده، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعُونَ إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

المصادر والمراجع:

- ١ - «تاريخ الطبري» (ج ١).
- ٢ - «تفسير الطبري».
- ٣ - «البداية والنهاية» (ج ٢)، لابن كثير.

فقالوا مرة إنه ابن يوسف النجار، ومرة قالوا: إنه ابن الله وأنه ثالث ثلاثة، وكل هؤلاء دجالون أفاكون، وقولهم مصادم لما ثبت بالكتاب والسنة من طهارة مريم وعفتها ونقاء أصلها، فقد فضل الله تعالى آل عمران على عالمي زمانهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران]، وأثنى الله تعالى على مريم على وجه الخصوص فقال: ﴿مِمَّا أَلْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، وقد دلت الأدلة الشرعية على أن عيسى ﷺ مخلوق من أم فقط، وليس هذا بأعجب ممن هو مخلوق من غير أم ولا أب، وهو آدم ﷺ، ومع ذلك فالناس مقررون بهذا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى في مريم وابنها: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء].

وقد أخبر الله في كتابه كيفية حمل مريم بابنها عيسى فقال سبحانه: ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا مِنَ الْقَلَمِينَ﴾ [التحریم]، وقال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا

٤ - «تفسير ابن كثير» (ج ٥).

المال الناض، وغيرها^(٢).

٥ - «صحيح (قصص الأنبياء لابن

✽ التعريف شرعاً:

كثير)»، لسليم الهاللي.

صفة ذاتية خبرية لله تعالى، نسبتها له

٦ - «تفسير السعدي».

على ما يليق بجلاله وعظمته، بل نسبت

٧ - «إتحاف الجماعة بما جاء في

له عينين - كما دلّت على ذلك الأدلة -

الفتن والملاحم وأشراف الساعة»،

على وجه الكمال والجمال، بلا خوض

لحمود التوجيهي.

في الكيفية، ولا تمثيل لها بأعين

٨ - «فبهدهم اقتده: قراءة تأصيلية

المخلوقات، ولا تأويل ينفي دلالتها.

في سير وقصص الأنبياء عليهم الصلاة

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

والسلام»، لعثمان الخميس.

مما تقدم من التعريفين تبين العلاقة

٩ - «قصص الأنبياء»، للنجار.

بينهما، وأنهما دالّان على محل

١٠ - «الأحاديث الصحيحة من أخبار

الإبصار، لكن التعريف الشرعي هنا

وقصص الأنبياء»، لإبراهيم بن محمد

مختص بوصف الله تعالى، وهذا يقتضي

العلي.

حمله على غاية الكمال والجمال،

والوقوف عنده فقط دون الخوض في

الوقوف عنده فقط دون الخوض في

الكيفية.

✽ العين (صفة لله تعالى) ✽

✽ الحكم:

✽ التعريف لغةً:

وجوب إثبات أن لله تعالى عينين

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «العين والياء

تليقان به، هما غاية في الكمال

والنون: أصل واحد يدل على عضو به

والجمال، لا نقص فيهما بوجه من

يبصر ويُنظر، ثم يشتق منه، والأصل في

الوجه، ولا تماثل أعين المخلوقين.

جميعه ما ذكرنا»^(١).

✽ الأدلة:

العين الناضرة لكل ذي بصر ورؤية،

قوله الله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾

وهي: حاسة البصر، وتجمع على أعين،

[القمر: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلِصْنَعِ عَلَيَّ

وعيون، وأعيان، وتطلق على عدة

عَيْنَيَّ ﴿٦٦﴾ [طه]، وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ

معان: العين الجارية، والعين

الجاسوس، والعين الدينار، والعين

العين الناضرة لكل ذي بصر ورؤية،

(٢) انظر: الصحاح (٢١٧٠/٦) [دار العلم للملايين،

(١) مقاييس اللغة (١٩٩/٤) [دار الجبل، ط ١٤٢٠هـ].

لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴿الطور: ٤٨﴾.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنْ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعُورٍ - وأشار بيده إلى عينه - وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعُورَ الْعَيْنِ الْيَمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ» ^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴿النساء: ٥٨﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَى: «سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ [النساء]»، رأيت النبي ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه ^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]: «بِعَيْنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» ^(٣).

وقال ابن خزيمة: «باب ذكر إثبات العين لله ﷻ على ما ثبتته الخالق البارئ لنفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٢٨)، ومن طريقه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٦٢/١) [مكتبة السوادى، ط ١]، وابن حبان (كتاب الإيمان، رقم ٢٦٥)، قال ابن حجر في الفتح (٣٧٣/١٣) [دار المعرفة]: (أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم)، وصححه الألباني في قصة المسيح الدجال (٦٤) [المكتبة الإسلامية].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠٩/١٥) مؤسسة الرسالة، ط ١]، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١١٦) [مكتبة السوادى، ط ١].

نبيه ﷺ، قال الله ﻻ لنبيه نوح صلوات الله عليه: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]، وقال ﷻ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وقال ﷻ في ذكر موسى: ﴿وَلِنُصْنَعُ عَلَىٰ عَيْنَيَّ ﴿٣٩﴾﴾ [طه]، وقال: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، فوجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبت الخالق البارئ لنفسه» ^(٤).

ونقل أبو الحسن الأشعري من مقالة أصحاب الحديث وأهل السنّة: «وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ، وَأَنَّ لَهُ عَيْنَيْنِ بَلَا كَيْفَ» ^(٥).

ونقل ذلك عنه ابن تيمية في الفتوى الحموية ^(٦).

❁ المسائل المتعلقة:

الثابت لله ﷻ عينان تليقان بجلاله وعظمته، ويدل على ذلك حديث وصف الدجال بأنه أعور، ونفي العور عن الله تعالى، والعور مرض في إحدى عيني كل ذي عينين ^(٧)، فكان الحديث دليلاً ظاهراً على وصف الله تعالى بأن له عينين تليقان بجلاله وعظمته ^(٨).

(٤) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٩٦/١) [مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤١١هـ]. وانظر: شرح السنّة (١٥٥/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٥) مقالات الإسلاميين (٢٩٠) [دار فرانز شتايز، ط ٣، ١٤٠٠هـ].

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٩٠/٥).

(٧) مقاييس اللغة (١٨٤/٤).

(٨) نقض الدارمي على بشر المريسي (٣٠٥) [مكتبة =

التثنية على القول بأن أقل الجمع اثنان .
وأما صيغة المفرد فلا تعارض
التثنية؛ لأن المفرد المضاف لا يمنع
التعدد فيما كان متعددًا^(٢)، ومثال هذا
قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقوله تعالى:
﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾
[البقرة: ١٨٧].

الآثار:

١ - الإيمان بغاية الكمال والجمال
التي عليها صفات الله تعالى، فله
الصفات العلا، ومن ذلك أن له عينين
تليقان بعظمته وجلاله وجماله، فيثبتها
المؤمن على هذا الوجه بعيدًا عن
واردات التشبيه، وشبهات التعطيل.

٢ - التعبد لله تعالى بمراقبته؛ فهو
مطلع على عبادته، لا يغيب عن بصره
شيء.

٣ - التعبد لله تعالى بالتوكل عليه،
والتذلل بين يديه؛ فهو يحب أن يرى
عبده متذللاً بين يديه، منزلاً حاجته على
بابه، فيشكر له ذلك فيعطيه سؤله ويقضي
حاجته ويعينه على مطلوبه، ويجزيه من
الثواب أعظم مما طلب وسأل.

٤ - الثقة بنصر الله تعالى للمؤمنين،

(٢) انظر: الصواعق المرسلة (١/٢٥٥) [دار العاصمة،
ط ١٤٠٨هـ]، شرح الواسطية لابن عثيمين
(٢٧٠).

«وجه الدلالة أنه لو كان لله أكثر من
اثنين، لكان البيان به أوضح من البيان
بالعور؛ لأنه لو كان لله أكثر من عينين،
لقال: إن ربكم له أعين؛ لأنه إذا كان له
أعين أكثر من ثنتين، صار وضوح أن
الدجال ليس برب أبين. وأيضًا: لو
كان لله عَيْنَانِ أكثر من عينين، لكان ذلك
من كماله، وكان ترك ذكره تفويتًا للثناء
على الله؛ لأن الكثرة تدل على القوة
والكمال والتمام، فلو كان لله أكثر من
عينين، لبينها الرسول ﷺ؛ لئلا يفوتنا
اعتقاد هذا الكمال، وهو الزائد على
العينين الثنتين»^(١).

ولا ينافي هذا ورود العين لله تعالى
بصيغة الجمع كما في قوله ﷺ: ﴿تَجْرَى
بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وبصيغة المفرد كما
في قوله ﷺ: ﴿وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنَيَّ﴾
[طه].

فالجمع يراد به التعظيم والمطابقة بين
المضاف والمضاف إليه وهو (نا) الدال
على التعظيم، وذلك مثل قوله تعالى:
﴿مِمَّا عَمِلْتَ آيَاتِنَا﴾ [يس: ٧١]، مع ورود
الدليل الصريح على أن الله تعالى يدين.

وقد يقال بأن الجمع هنا لا ينافي

= الرشد، ط ١، ١٤١٨، والتوحيد لابن خزيمة
(٩٨)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري
للغنيمة (١/٢٨٠) [مكتبة لينة، ط ٢، ١٤١٣هـ]،
والصفات الإلهية لمحمد أمان الجامي (٣١٧)
[المكتبة الأثرية، المدينة المنورة].

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢٦٣).

﴿وَلِصْنَعِ عَلَى عَيْنٍ﴾ [طه] (٣).

✽ الرد عليهم:

أن دعوى التشبيه والتجسيم والتركيب ما هي إلا لوازم باطلة في رد الإثبات، وإلا فالإثبات لا يلزم أي شيء من ذلك، إضافة إلى أنها ألفاظ مجملة لا يجوز أن يرد بها المحكم من النصوص الشرعية.

وقد تقدم أن إثبات العينين لله تعالى هو على غاية الكمال والجمال اللائق بالله ﷻ، دون تشبيه له بأحد من خلقه، أو تكييف بكيفية معينة، الشأن في كل صفة ثابتة لله ﷻ.

أما القول بأن إثبات ظاهر الآيات يستلزم المماساة، فهو باطل أشد البطلان؛ إذ إن المثبت من الآيات هو صفة العين، وهو معنى واضح معلوم من ظاهر الآيات، أما المماساة والممازجة أو أن تكون العين هي آلة الصنع ونحو ذلك، فكل هذا ليس من ظاهر الآيات في شيء، فلا يمكن لأحد يفهم لغة الخطاب أن يفهم من هذه الآيات هذه اللوازم الباطلة، فلا يدعى على أهل السنة أنهم أولوا الظاهر لما لم يأخذوا بهذه اللوازم؛ لأنها ليست ظاهراً أصلاً لدلالات الآيات.

وانتقامه من الظالمين، فالظالم وإن امتد به الزمان سنين، فإنه لن يغيب عن عين الله تعالى، فالله تعالى يملي له حتى إذا أخذه لم يفلته.

٥ - انتظام أمر الكون بنظر الله تعالى له وإحاطته به، فلا يغيب عن خالقه ومديره منه مثقال ذرة.

٦ - تأييد الله تعالى لأنبيائه ورسوله وعباده الصالحين؛ فهو معهم يسمع ويرى، فكفى به شهيداً، وكفى به ولياً وكفى به نصيراً.

٧ - عاقبة السوء الواقعة على أعداء الله ورسوله، وإن اغتروا بامتداد زمن وظاهر زينة، إلا أن الظلم حبل مقطوع بأخذ شديد من عزيز لا تخفى عليه خافية.

✽ مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة المتأخرين، فأنكروا إثبات صفة العين لله تعالى؛ بحجة أن هذا يستلزم التشبيه والتجسيم والتركيب، وأولوا ذلك إلى معنى العلم^(١) أو شدة الحراسة والحفظ^(٢).

وقالوا أيضاً: إن حمل الآيات الدالة عليها على ظاهرها يقتضي المماساة والمخالطة، في مثل قوله تعالى:

(١) شرح الأصول الخمسة (٢٢٧) [مكتبة وهبة، ط ٣].

(٢) أساس التقديس للرازي (٩٦) [مؤسسة الكتب الثقافية،

ط ١، ١٤١٥هـ]، ومقالات الإسلاميين (١٩٥).

(٣) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (٢٧١)، ومجموع

فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/ ٢٧٥).

والكلام حين يفهم منه معنى حقيقي فهو الظاهر المراد، لا استعمالات أفراد الألفاظ في معانٍ آخر^(١).

٦ - «الصواعق المرسله»، لابن

القيم.

٧ - «عقيدة السلف وأصحاب

الحديث»، لأبي عثمان الصابوني.

٨ - «كتاب التوحيد»، لابن خزيمة.

٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ - «نقض الدارمي على بشر

المريسي».

✽ المصادر والمراجع:

١ - «شرح أصول اعتقاد أهل السنة

والجماعة»، لأبي القاسم اللالكائي.

٢ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن

عثيمين.

٣ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح

البخاري»، لعبد الله الغنيمان.

٤ - «صفات الله ﷻ الواردة في

الكتاب والسنة»، لعلوي عبد القادر

السقاف.



الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
حرف الشين	١٦٣١	الشهيد (صفة لله تعالى)	١٧٢٣
الشَّافِي	١٦٣١	الشَّيْء	١٧٢٦
الشَّخْص	١٦٣٤	الشَّيْطَان	١٧٣٠
شد الرحال	١٦٣٧	حرف الصاد	١٧٣٧
الشَّرْكَ	١٦٣٧	صالح عليه السلام	١٧٣٧
الشرك الأصغر	١٦٤٢	الصالحون	١٧٤١
الشرك الأكبر	١٦٤٧	الصَّبْر (صفة لله تعالى)	١٧٤٦
الشرك الخفي	١٦٥٣	الصَّبْر	١٧٥١
شرك الطاعة	١٦٥٤	الصَّحَابَة	١٧٥٦
شرك النية والقصد	١٦٦٠	صحف إبراهيم عليه السلام	١٧٧٦
الشَّرْكَ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ	١٦٦٧	صحف الأعمال	١٧٧٩
الشرك في الألوهية	١٦٦٩	صحف موسى عليه السلام	١٧٨٣
الشَّرْكَ فِي الرِّبَوِيَّةِ	١٦٧٦	الصَّدَق	١٧٨٣
الشريعة	١٦٨٠	الصَّدِيقُونَ	١٧٩١
شعيب عليه السلام	١٦٨٢	الصُّرَاط	١٧٩٨
الشفاعة	١٦٨٨	الصراط المستقيم	١٨٠٤
الشكر	١٦٩٢	الصَّعَقَة	١٨١٢
الشُّكُور	١٦٩٨	الصفات الاختيارية	١٨١٥
الشهادة	١٧٠٢	الصفات الخيرية الفعلية	١٨٢١
شهادة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ	١٧٠٢	الصفات الذاتية	١٨٢١
الشهادة لمعين بجنة أو نار	١٧٠٧	صفات الرسل	١٨٢٦
الشُّهَدَاء	١٧١٨	صفات الله وعجل	١٨٢٦

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الصفات المثبتة والصفات المنفية	١٨٤١	طلوع الشمس من مغربها	١٩٣١
الصفة والموصوف	١٨٤١	الطي	١٩٣٥
صَفَر	١٨٤٢	الطَّيِّب	١٩٣٨
الصلاة على الأنبياء وغيرهم	١٨٤٥	الطيرة	١٩٤٢
الصَّلَاة على النبي ﷺ	١٨٤٥	حرف الظاء	١٩٤٩
الصلاح والأصلح	١٨٥٣	الظالم لنفسه	١٩٤٩
الصمد	١٨٥٨	الظاهر الباطن	١٩٤٩
الصنع	١٨٦٢	ظاهر النص	١٩٥٥
الصنم	١٨٦٥	الظل	١٩٥٥
الصور	١٨٧٠	ظل العرش	١٩٥٥
الصورة (صفة لله تعالى)	١٨٧٠	الظلم المنفي عن الله تعالى	١٩٦٠
ابن صَيَّاد	١٨٧٧	حرف العين	١٩٦٧
حرف الضاد	١٨٨١	عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين ﷺ	١٩٦٧
الضحك (صفة لله تعالى)	١٨٨١	عام الجماعة	١٩٧٨
ضغطة القبر	١٨٨٥	العبادة	١٩٧٩
الضلال	١٨٨٨	عبد الله بن الزبير ﷺ	١٩٨٨
ضمة القبر	١٩٠٢	عبد الله بن عباس ﷺ	١٩٩٤
حرف الطاء	١٩٠٣	عثمان بن عفان أمير المؤمنين ﷺ	٢٠٠٢
الطائفة المنصورة	١٩٠٣	العجب (صفة لله تعالى)	٢٠١١
طاعة الرسول	١٩٠٨	عدالة الصحابة	٢٠١٤
الطاغوت	١٩٠٨	العدل	٢٠١٤
أبو طالب	١٩١٤	العدوى	٢٠١٦
الطبع	١٩٢٢	عذاب القبر ونعيمه	٢٠٢١
الطرق	١٩٢٢	العرافة	٢٠٣٩
الطعن في الصحابة	١٩٢٦	العرش	٢٠٤٧
طلحة بن عبيد الله ﷺ	١٩٢٦	عرصات القيامة	٢٠٥١

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
المعرض	٢٠٥١	علم الخط	٢١١٠
عرض المقعد	٢٠٥٤	علم الكلام	٢١١٠
العزة	٢٠٥٤	علم المكاشفة	٢١٢٢
العشرة المبشرون بالجنة	٢٠٥٩	العلو	٢١٢٣
عصمة الأنبياء	٢٠٥٩	العلي	٢١٣٥
العطاء والمنع	٢٠٦٦	علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام ..	٢١٣٥
العظمة	٢٠٦٦	العليم	٢١٤٨
العظيم	٢٠٧٢	عمار بن ياسر رضي الله عنه	٢١٤٨
العفو	٢٠٧٢	عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه	٢١٥٣
العفو	٢٠٧٨	عمرو بن العاص رضي الله عنه	٢١٦٧
العقل	٢٠٧٩	العمل الصالح	٢١٧٣
العقيدة	٢٠٩٠	عموم الرسالة	٢١٧٥
العلم	٢٠٩٥	العهد بالإمامة	٢١٧٥
علم التأثير	٢١٠٤	العيافة	٢١٧٥
علم التسيير	٢١٠٤	عيسى عليه السلام	٢١٧٨
علم الحروف	٢١٠٤	العين (صفة لله تعالى)	٢١٨٥



موسوعة العقيدة والأديان
والفرق والمذاهب المعاصرة

هو سوسوكتا

العَقِيَّةُ وَالْإِذَاكَةُ وَالْفَرْجُ وَالْمُنْدَلِبُ وَالْمُعَاَصِرَةُ

تَصْنِيفٌ وَإِعْدَادٌ

مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَكَادِمِيِّينَ وَالْبَاحِثِينَ الْمُتَخَصِّصِينَ فِي جَامِعَاتِ الْعَالَمِ

مُراجعة وتقديم

عَدَدٌ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُخْتَصِّينَ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ

المشرف العام

صاحب السمو الأمير

د. شیخ عبد بن سیدان بن محمد آل شیخ حیدر

أستاذ الفقه والنزاهة الشارح في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض

العقيدة

الجزء الخامس (غ - م)

كَلَامُ اللَّهِ حَيُّ الْقَلْبَيْنِ

هَوَسُوعَتَا

العَصِيَّةُ وَالْفَوَاحِشُ وَالْفُرْقُ وَالْمُنْهَبُ وَالْمُعَاصِرَةُ

غ - م

ح سعود بن سلمان بن محمد آل سعود، ١٤٣٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل سعود، سعود بن سلمان بن محمد

موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة . / سعود

ابن سلمان بن محمد آل سعود - الرياض، ١٤٣٩ هـ

٦ مج.

ردمك ٩-٥٨٤٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٣-٥٨٥٤-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٥)

١- العقيدة الإسلامية ٢- المذاهب - موسوعات أ- العنوان

١٤٣٩/٢٠٥٥

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٢٠٥٥

ردمك: ٩-٥٨٤٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٣-٥٨٥٤-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٥)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م



موسوعة العقيدة والأديان
والفرق والمذاهب المعاصرة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص.ب ٧٤٨٠ الرمز البريدي ١١٤٦٢

<http://IslamicCreed.net>

info@islamiccreed.net

دار التوحيد للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب. ١٠٤٦٤ الرمز البريدي ١١٤٣٣

هاتف ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ - فاكس ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤

darattawheed@yahoo.com



موسوعة العقيدة والأديان
والفِرَق والمذاهب المعاصرة
Encyclopedia of the Creed, Religions,
Sects, and Contemporary Ideologies

موسوعة عقيدتنا

العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة

تصنيف وإعداد

مجموعة من الأكاديميين والباحثين المختصين في جامعات العالم

مراجعة وتقديم

عبد من كبار العلماء والمختصين في العالم الإسلامي

المشرف العام

صاحب السمو الأمير

د. سيّد محمد باقر سبزواري

أستاذ العقيدة والمذاهب الشاركة في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض

الجليلة

الجزء الخامس (غ - م)

دار التوحيد للنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حرف الغين

سبب التسمية:

غربة الإسلام إنما هي من غربة أهله
القائمين به، فهم الغرباء، وسموا بذلك
لعدة أمور؛ منها:

- قلّتهم في الناس جدًّا، فأهل
الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في
أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في
المؤمنين غرباء^(٤).

- قلة المستجيبين لهم والقابلين منهم،
وكثرة المخالفين لهم والعاصين لهم^(٥).

- أنهم أناس صالحون في أناس سوء
كثير، من يعصيه أكثر ممن يطيعهم.

- أنهم الذين يصلحون إذا فسد
الناس.

- أنهم النزاع من القبائل.

- أنهم القابضون على الجمر لشدة
تمسكهم بدينهم.

الغرباء

يراجع مصطلح (غربة الإسلام).

غربة الإسلام

التعريف لغة:

تطلق كلمة الغربة في اللغة ويراد بها:
البعد عن الشيء والتنجي والنأي عنه.
يقال: غرب عن الشيء يغرب غَرْبًا؛
إذا تنحَّى^(١).

ومنه قيل للبعيد عن الوطن: غريب.
قال ابن فارس: «والغربة: البعد عن
الوطن، يقال: غربت الدار، ومن هذا
الباب: غروب الشمس، كأنه: بعدها
عن وجه الأرض، وشأَوْ مُغْرِبٌ؛ أي:
بعيد»^(٢).

التعريف شرعًا:

غربة الإسلام هي: بقاء أهل الله وأهل
سُنَّة رسوله ﷺ المتمسكين بالدين؛ على
الحق، وبُعدهم عن طرائق أهل الباطل^(٣).

العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ، والغرباء للآجري (٢٤)
[دار الخلفاء، ط ١، ١٤٠٣هـ]، وكشف الكربة في
وصف أهل الغربة لابن رجب (٣٤) [دار ابن
رجب، ط ١، ١٤٢٢هـ]، والاعتصام للشاطبي (١/
٢٣) [دار ابن عثان، ط ١].

(٤) مدارج السالكين (١٨٦/٣).

(٥) كشف الكربة في وصف أهل الغربة، لابن رجب

(٤٥).

(١) انظر: تهذيب اللغة (١١٧/٨) [دار صادر، ط ١].

(٢) مقاييس اللغة (٤٢١/٤) [دار الفكر، ط ١].

(٣) انظر: مدارج السالكين (١٨٦/٣) [دار الكتاب

وهم في آخر الزمان الغرباء الذين يَصْلُحُونَ إذا فسد الناس، وهم الذين يُصْلِحُونَ ما أفسد الناس من السُّنَّة، وهم الذين يفرون بدينهم من الفتن^(١).

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء»^(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده: «طوبى للغرباء»، ف قيل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: «أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»^(٣).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»^(٤).

أقوال أهل العلم:

١ - قال الأوزاعي: «... أما إنه ما

(١) انظر: كشف الكربة في وصف أهل الغربة (١٤٥)، وشرح النووي على مسلم (١٧٧/٢) [دار إحياء التراث العربي، ٢، ١٣٩٢هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٠/١١) [مؤسسة الرسالة، ١ط]، والطبراني في الأوسط (١٤/٩) [دار الحرمين]، وقال الهيثمي في المجمع (٢٧٨/٧) [مكتبة القدسي]: (فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٦١٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤١٦).

فهذه الأمور تبين سبب تسميتهم بالغرباء، كما توضح غربة ما هم عليه في الدين.

الحقيقة:

أنَّ الناس كانوا قبل البعثة على ضلالة عامة، فلمَّا بُعث النبي ﷺ ودعا إلى الإسلام لم يُستجب له في أول الأمر إلا الواحد بعد الواحد على خوف وحذر.

وكان المسلمون إذ ذاك مستضعفين يشردون كل مشرد، ويهربون بدينهم إلى البلاد النائية، كما هاجروا إلى الحبشة مرتين، ثم هاجروا إلى المدينة. وكان منهم من يُعذَّب في الله ومنهم من يُقتل، فكان الداخلون في الإسلام حينئذٍ غرباء، ثم ظهر الإسلام بعد الهجرة إلى المدينة وعزَّ، وصار أهله ظاهرين كل الظهور، ودخل الناس بعد ذلك في دين الله أفواجا، وكانوا على ذلك زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم أعمل الشيطان مكائده على المسلمين وألقى بأسهم بينهم، وأفشى فيهم فتنة الشبهات والشهوات، ولم تزل هاتان الفتنتان تتزايدان شيئا فشيئا حتى استحكمت مكيدة الشيطان وأطاعه أكثر الخلق، فأصبحوا متقاطعين متباغضين بعد أن كانوا إخوانا متحابين متواصلين، وأصبحوا أعداء وفرقا وأحزابا، ولم ينج من هذه الفرق كلها إلا الفرقة الواحدة الناجية.

يذهب الإسلام، ولكن يذهب أهل السُّنة حتى ما يبقى في البلد منهم إلا رجل واحد^(١).

٢ - قال سفيان الثوري: «استوصوا بأهل السُّنة فإنهم غرباء»^(٢).

٣ - قال ابن القيم: «الإسلام الحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، هو اليوم أشد غربة منه في أول ظهوره، وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة، فالإسلام الحقيقي غريب جدًا، وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس»^(٣).

❁ الأقسام:

أهل الغربة قسمان:

أحدهما: من يصلح نفسه عند فساد الناس.

والثاني: من يصلح ما أفسد الناس من السُّنة، وهو الأعلى من القسمين، وهو أفضلهما^(٤).

❁ المسائل المتعلقة:

من المسائل المتعلقة بغربة الإسلام:

- المسألة الأولى: ذهاب الإيمان آخر الزمان:

وهذا من علامات قرب قيام الساعة

كما قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله»^(٥)، وهذا لأن الساعة إنما تقوم على شرار الخلق، وهذا حين يرسل الله الريح التي تقبض أرواح أهل الخير كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: «ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته،... فيبقى شرار الناس»^(٦). وهذا يدل على غربة الإسلام وأهله في آخر الزمان؛ لأنهم في ذلك الوقت قليل، كما يفهم من قوله ﷺ: «وسيعود غريبًا».

قال القاضي عياض: «وظاهر الحديث العموم، وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة، ثم انتشر وظهر، ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضًا كما بدأ»^(٧).

ولا تعارض بين هذا وبين قوله ﷺ: «لا تزال عصابة من أمتي يقتلون على أمر الله، قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك»^(٨)؛ لأن المقصود قرب قيام الساعة، وليس إلى قيامها بالفعل؛ لأنها

(١) كشف الكربة في وصف أهل الغربة (٣٩).

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة (٧١/١) [دار طيبة، ط ٨، ١٤٢٣هـ].

(٣) مدارج السالكين (١٨٦/٣).

(٤) كشف الكربة في وصف أهل الغربة (٣٩).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٨).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٠).

(٧) إكمال المعلم (٤٥٦/١) [دار الوفاء، ط ١].

(٨) أخرجه مسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٩٢٤).

كما مرَّ لا تقوم إلا على شرار الخلق^(١).

- المسألة الثانية: عظم ثواب الغرباء:

وعد الله تعالى عباده المؤمنين المتمسكين بدينه ثوابًا عظيمًا وأجرًا كريمًا، ويزيد هذا الثواب ويعظم كلما زادت مشقة هذا التمسك، واشتد الصبر على هذا الأمر. وقد بين النبي ﷺ عظم هذا الأجر في كثير من الأحاديث، ومن ذلك قوله ﷺ: «إن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله. قال: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟ قال: أجر خمسين منكم»^(٢).

قال ابن القيم معلقًا على هذا الحديث: «وهذا الأجر العظيم إنما هو لغريته بين الناس، والتمسك بالسنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم»^(٣).

ولغريتهم كذلك وعدوا بطوبى، كما في قوله ﷺ: «طوبى للغرباء»^(٤)؛ أي: الجنة لأولئك المسلمين الذين قلّوا في

أول الإسلام، وسيقلّون في آخره، وإنما خصّهم بصبرهم على أذية الكفار وأهل الابتداع^(٥).

فهذه بعض النصوص التي تدل على فضل الغربة وثواب الغرباء.

- المسألة الثالثة: كيفية دفع الغربة:

إنّ الغربة التي يعيشها المسلم الصادق لا تجعله راضيًا بالواقع الذي هو فيه، غير مهتم بمن حوله، ولا بعيدًا عن الناس، منطويًا عنهم مطلقًا، بل عليه الاقتداء بالنبي ﷺ في مثل هذه الأحوال، فقد عاش ﷺ وأصحابه في بداية الإسلام غربة شديدة، كما أخبر ﷺ عن ذلك بقوله: «بدأ الإسلام غريبًا»^(٦).

ومع ذلك فقد كان ﷺ يدعو الناس إلى التوحيد، ويبذل الغالي والنفيس ليصل الخير إلى جميع الناس، فقد كان ﷺ يطوف على الناس ويقول: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»^(٧).

فكان ﷺ يدعو إلى توحيد الله وعبادته ولا يشنيه عن ذلك الغربة التي كان يعيشها، بل كان في ذلك صابرًا رغم الأذى والابتلاء من القريب قبل البعيد،

(١) انظر: القول المفيد لابن عثيمين (١/٤٠٥) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الملاحم، رقم ٤٣٤١)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٥٨) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠١٤)، وابن حبان (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣١٧٢).

(٣) مدارج السالكين (٣/١٨٩).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) انظر: التحرير لإيضاح معاني التيسير للأمير الصنعاني [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٣٣هـ].

(٦) سبق تخريجه.

(٧) أخرجه ابن خزيمة (كتاب الوضوء، رقم ١٥٩)،

وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٥٦٢)، والحاكم

(كتاب تواريخ المتقدمين، رقم ٤٢١٩) وصححه.

- فهذا الأصل الذي هو الدعوة إلى التوحيد والصبر على الأذى فيه هو الذي يجب على الغريب التمسك به والدعوة إليه، وهو من أعظم ما تدفع به الغربة.
- المسألة الرابعة: مظاهر غربة الإسلام:

- من مظاهر غربة الإسلام أمور؛ منها:
- ظهور الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والتناق الأکبر.
- كثرة الأئمة المضللين.
- اتخاذ الناس رؤوساً جهالاً.
- انتشار الزندقة والإلحاد.
- كثرة مظاهر الشرك الأصغر في هذه الأزمنة.

- البدع المضلة في أكثر الأقطار الإسلامية، وغلبة ذلك على الأكثرين.
- فشو المنكرات، والتهاون بالفرائض كالصلاة والصيام والزكاة، والتشاغل عن أداء الحج.
- ترك الجهاد في سبيل الله.
- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الغريب»، للأجري.
- ٢ - «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للالكائي.
- ٣ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.
- ٤ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

- ٥ - «كشف الكربة في وصف أهل الغربة»، لابن رجب.
- ٦ - «الاعتصام»، للشاطبي.
- ٧ - «إكمال المعلم بفوائد مسلم»، للقاضي عياض.
- ٨ - «غربة الإسلام»، لعمود التويجري.
- ٩ - «القول المفيد»، لابن عثيمين.

الغضب

التعريف لغة:

الغين والضاد والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على شدة وقوة^(١)، وهو ضد الرضا^(٢).

والغضب عند المخلوق منه المحمود ومنه المذموم^(٣).

التعريف شرعاً:

صفة فعلية لله تعالى تليق بجلاله وعظمته، كما أثبت ذلك هو لنفسه، وجعله متعلقاً بوقوع موجهه كالشرك به، ومخالفة أمره ونحو ذلك.

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين التعريفين من حيث إفادة عدم الرضا، إلا أن المعنى الشرعي مختص بمعنى الكمال والمدح في هذا

(١) مقاييس اللغة (٤/٤٢٨) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) القاموس المحيط (١٥٤) [مؤسسة الرسالة، ط ٢].

(٣) لسان العرب (١/٦٤٨) [دار صادر].

الوصف، أما التعريف اللغوي فيدخل فيه الغضب بمعنى لا يدل على الكمال، كما هو الواقع في حال كثير من الناس في وقوع الغضب منهم على حظوظ يفوتون معها العدل والأمانة.

الحكم:

وجوب إثبات صفة الغضب لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الحقيقة:

الغضب صفة فعلية لله تعالى، تليق بعظمته سبحانه، ومن المعلوم أن من كان يوصف بالرضا والغضب أكمل ممن لا يوصف بهما، أو لا يوصف إلا بأحدهما؛ فوضع الشيء في موضعه هو محل التمدح والكمال.

قال أبو العباس ابن تيمية: «ولهذا وُصف الرب بالعلم دون الجهل، والقدرة دون العجز، والحياة دون الموت، والسمع والبصر والكلام دون الصم والعمي والبكم، والضحك دون البكاء، والفرح دون الحزن. وأما الغضب مع الرضا، والبغض مع الحب، فهو أكمل ممن لا يكون منه إلا الرضا والحب دون البغض والغضب للأمر التي تستحق أن تذم وتبغض، ولهذا كان اتصافه بأنه يعطي ويمنع، ويخفف ويرفع، ويعز ويذل، أكمل من اتصافه

بمجرد الإعطاء والإعزاز والرفع؛ لأن الفعل الآخر حيث تقتضي الحكمة ذلك أكمل ممن لا يفعل إلا أحد النوعين ويخل بالآخر في المحل المناسب له، ومن اعتبر هذا الباب، وجده على قانون الصواب، والله الهادي لأولي الألباب»^(١).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَخِمْسَةٌ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿فَقَدْ بَكَةً يَفْضِبُ مِنْكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ١٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥]: «أغضبونا»^(٣).

وروي مثل ذلك عن مجاهد، وقتادة، والسدي، وعبد الرحمن بن زيد^(٤).

(١) الرسالة الأكملية، مجموع الفتاوى (٩٢/٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣١٩٤)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥١).

(٣) تفسير الطبري (٦٢٢/٢١) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٤) المصدر السابق (٦٢٢/٢١).

أن الغضب صفة وصف الله بها نفسه إذا انتهكت حرماته، تظهر آثارها في المغمضوب عليهم، نعوذ بالله من غضبه ﷺ، ونحن معاشر المسلمين نمرها كما جاءت، فنصدق ربنا في كل ما وصف به نفسه، ولا نكذب بشيء من ذلك، مع تنزيهنا التام له ﷺ عن مشابهة المخلوقين ﷺ عن ذلك علواً كبيراً^(٥).

المسائل المتعلقة:

- ورود الأسف في النصوص:

يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف]، ومعنى قوله: ﴿ءَاسَفُونَا﴾؛ أي: أسخطونا، كما ورد عن ابن عباس^(٦)، وعن الضحاك وغيره: أغضبونا^(٧).

فأسف بمعنى الغضب^(٨).

الآثار:

١ - الخوف من الله تعالى، والحذر من عاقبة غضبه سبحانه، فيطاع أمره، ويجتنب ما نهى عنه.

(٥) أضواء البيان (١٤٧/٤) [دار الفكر، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٢٢/٢١) مؤسسة الرسالة، ط ١، وسنده حسن.

(٧) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٦٢١/٢١)، وتفسير ابن كثير (٢٣٢/٧)، وتفسير السعدي (٧٦٧).

(٨) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٤٢/٧)، (٦٦٢)، والعقيدة الواسطية مع شرح ابن عثيمين (٢٢٤)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣٠/٥).

وقال الخلال: «وذهب أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أن الله تعالى يغضب ويرضى، وأن له غضباً ورضاً، وقرأ أحمد قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَطْفُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه]، فأضاف الغضب إلى نفسه^(١).

وقال الطحاوي في عقيدته: «والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الوري»^(٢).

وقال أبو العباس ابن تيمية: «ووصف نفسه بالغضب فقال: ﴿وَعَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ [الفتح: ٦]، ووصف عبده بالغضب في قوله: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا﴾ [الأعراف: ١٥٠]، وليس الغضب كالغضب»^(٣).

وقال ابن أبي العز: «ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضا، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى»^(٤).

وقال محمد الأمين الشنقيطي: «واعلم

(١) عقيدة الإمام أحمد للخلال (١٠٩) [دار قتيبة، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٢) شرح الطحاوية (٦٨٤/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٥].

(٣) التدمرية (٢٩) [ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٦٨٥/٢).

غليان دم القلب، والله تعالى منزّه عن مثل هذا.

يقول فخر الدين الرازي: «الغضب عبارة عن التغير الذي يعرض للإنسان في مزاجه عند غليان دم قلبه؛ بسبب مشاهدة أمر مكروه وذلك محال في حق الله تعالى، فهو محمول على إرادته لمن عصاه الإضرار من جهة اللعن والأمر بذلك»^(١).

والرد عليهم:

الرد بنفي هذا اللازم الذي ذكره في إثبات الصفة، فأهل السُنّة يثبتونها لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجه، ولا مماثلة فيه لشيء من صفات المخلوقين.

وما هذه الإلزامات التي يوردونها على الإثبات إلا تدليس وتلبيس لرد الحق؛ فإنهم أخذوا في مسمى الصفة خصائص المخلوق ثم نفوها جملة عن الخالق، وهذا في غاية التلبيس والإضلال، فإن الخاصية التي أخذوها في الصفة لم تثبت لها لذاتها، وإنما تثبت لها بإضافتها إلى المخلوق، ومعلوم أن نفي خصائص صفات المخلوقين عن الخالق لا يقتضي نفي أصل الصفة عنه سبحانه، ولا إثبات أصل الصفة له يقتضي إثبات خصائص

٢ - الاعتبار بحال المغضوب عليهم، والاستعاذة من حالهم، والحذر من سلوك سبيلهم.

٣ - أن يكون غضب المؤمن موافقاً لما يُغضب الله تعالى، ويجتنب الغضب الذي يبغضه الله تعالى.

٤ - ظهور سُنّة الله تعالى في أعدائه المكذبين لرسله، المعادين لأوليائه، بنزول العقوبة بهم، وجعلهم عبرة لمن بعدهم، كما قصّ الله تعالى عن كثير منهم.

٥ - الفرقان بين الحق والباطل؛ بظهور سبيل الله وعلوّها، ودحر سبيل الشيطان وزهوقها؛ فلا تستوي عاقبة من رضي عنه الله ﷻ ومن غضب عليه، فمن عقل أدرك الفرقان.

٦ - ظهور آثار الذنوب والمعاصي في الأرض من المصائب والابتلاءات، فما نزل بلاء إلا بذنب، وما ارتفع إلا بتوبة، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى].

مذهب المخالفين:

خالف في هذه الصفة عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فنفوها عن الله تعالى؛ بحجة استلزامها للتشبيه وإضافة النقص إلى الله تعالى؛ إذ إن الغضب - كما يقولون -

(١) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) (١٦٨/٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ].

٧ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي عبد القادر السقاف.

٨ - «عقيدة الإمام أحمد»، لأبي بكر الخلال.

٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

❖ الغفران ❖

يراجع مصطلح (المغفرة).

❖ الغفار ❖

❖ التعريف لغةً:

الغفار من مادة (غ - ف - ر)، والغين والفاء والراء أصل يدل على الستر غالباً، وأصل الغفر: التغطية والستر، مع الوقاية من وقوع الشر، ومنه المغفر الذي يوضع على الرأس ففيه ستر للرأس مع وقايته من الشر^(٢).

❖ التعريف شرعاً:

الغفار سبحانه: هو الذي يستر ذنوب عباده بفضله، ويقبضهم شرها بعدم محاسبتهم ومعاقبتهم عليها^(٣).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١١٢/٨) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٣٨٥/٤) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (٢٥/٥) [دار صادر، ط١، ١٤١٢هـ]، والقاموس المحيط (١٨٤/٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ].

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢٧٦/٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ].

المخلوق له، كما أن ما نفي عن صفات الرب تعالى من النقائص والتشبيه لا يقتضي نفيه عن صفة المخلوق، ولا ما ثبت لها من الوجوب والقِدَم والكمال يقتضي ثبوته للمخلوق لإطلاق الصفة على الخالق والمخلوق، فالصفة الثابتة لله مضافة إليه لا يتوهم فيها شيء من خصائص المخلوقين لا في لفظها ولا في ثبوت معناها، وكل من نفى عن الرب تعالى صفة من صفاته لهذا الخيال الباطل لزمه نفي جميع صفات كماله؛ لأنه لا يعقل منها إلا صفة المخلوق، بل ويلزمه نفي ذاته؛ لأنه لا يعقل من الذوات إلا الذوات المخلوقة، ومعلوم أن الرب ﷻ لا يشبهه شيء منها^(١).

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «أضواء البيان»، للشنقيطي.
- ٢ - «التدمرية»، لابن تيمية.
- ٣ - «تفسير الطبري».
- ٤ - «جلاء الأفهام»، لابن القيم.
- ٥ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٦ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.

(١) انظر: جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام لابن القيم (٨٥) [عالم الكتب، بيروت]، والرسالة الأكملية لابن تيمية، مجموع الفتاوى (١١٩/٦).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنى الشرعي يوافق المعنى اللغوي، إلا أن المعنى اللغوي عام شامل لكل ما يستر ويغطي، والمعنى الشرعي مخصص للمعنى اللغوي، فهو خاص بستر ذنوب العباد، مع التجاوز عنهم.

الأسماء الأخرى:

الغفور.

الحُكْم:

وجوب الإيمان بهذا الاسم الجليل من أسماء الله الحسنى، مع ما يدل عليه من معنى، وعدم تأويله، أو تعطيله.

الحقيقة:

اسم الله الغفار متضمن لصفة المغفرة، ومعناها وقاية شر الذنب بحيث لا يعاقب عليه، فمن غفر ذنبه لم يعاقب. وأما مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن^(١).

الأهمية:

معرفة هذا الاسم الجليل والإيمان به له أهمية بالغة وعظيمة في حياة العبد ومسيره إلى الله، وله تأثير في سلوكه وعبوديته، فهو يجعل العبد يتوب إلى الله وينيب إليه مهما كثرت ذنوبه وتكررت، فلا ييأس من رحمة الله، فإنه لن يعدم خيرًا من رب غفار كثير المغفرة، وأهل

لها، فلا يجعل للشيطان عليه سبيلًا.

وعلمه بهذا الاسم وباسم الغفور والعفو والتوَّاب «باب عظيم لنيل عالي المقامات، ولا سيَّما مع مجاهدة النفس على تحقيق مقتضياتها من لزوم الاستغفار، وطلب العفو، ودوام التوبة، ورجاء المغفرة، والبعد عن القنوط وتعاطف غفران الذنوب، فهو سبحانه عفو غفور، لا يتعاطفه ذنب أن يغفره مهما بلغ الذنب وعظم الجرم»^(٢).

الأدلة:

ورد اسم الله (الغفار) في القرآن الكريم في مواطن عدة؛ منها في قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [ص]، وقوله: ﴿وَإِنَّ لَغَفَّارًا لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [٨٧] [طه].

ومن السُّنَّة حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ إذا تضرَّع - أي تقلَّب - من الليل قال: «لا إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار»^(٣).

(٢) فقه الأسماء الحسنى للبدر (١٤٥) [مطابع الحميضي، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (كتاب النعوت، رقم ٧٦٤١)، وابن حبان (كتاب الزينة والتطيب، رقم ٥٥٣٠)، والحاكم (كتاب الدعاء والتكبير والتلهيل والتسبيح والذكر، رقم ١٩٨٠) وصححه وقال المناوي في فيض القدير (١٤٤/٥): «قال =

(١) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/٢٧٦).

❖ أقوال أهل العلم:

❖ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: من أسماء الله ﷻ الثابتة (الغفور): قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [٢] ﴿سبأ﴾.

- المسألة الثانية: لا يجوز تسمي العباد بهذا الاسم فهو مختص بالله تعالى.

- المسألة الثالثة: أن الله سبحانه مع أنه غفار لكنه لا يغفر الشرك إلا بالتوبة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] في موضعين من القرآن، وما دون

الشرك فهو مع التوبة مغفور، وبدون التوبة معلق بالمشيئة، كما قال تعالى:

﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، فهذا في حق

التائبين، ولهذا عمم وأطلق وحثم أنه يغفر الذنوب جميعاً، وقال في تلك

الآية: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فخص ما دون الشرك

وعلقه بالمشيئة، فإذا كان الشرك لا يغفر إلا بتوبة؛ وأما ما دونه فيغفره الله

للتائب؛ وقد يغفره بدون التوبة لمن يشاء^(٤)، وهذا بخلاف المعتزلة

والخوارج القائلين بالعذاب الدائم،

(٤) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/٢٧٥).

قال الطبري رحمه الله: «وقوله: (العزیز الغفار) يقول: العزیز في نعمته من أهل الكفر به، المدعين معه إلهاً غيره، الغفار لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم من كفره ومعاصيه، فأنا ب إلى الإيمان به، والطاعة له بالانتهاء إلى أمره ونهيه»^(١).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وتفسير اسم الله الغفار بأنه السَّتَّار هذا تقصير في معنى الغفر؛ فإنَّ المغفرة معناها وقاية شرِّ الذَّنْب بحيث لا يعاقب على الذَّنْب فمن غفر ذنبه لم يعاقب عليه. وأما مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن، ومن عوقب على الذَّنْب باطناً أو ظاهراً فلم يغفر له، وإنَّما يكون غفران الذَّنْب إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقَّة بالذَّنْب»^(٢).

وقال السعدي رحمه الله: «(الغفار) لجميع الذنوب، صغيرها، وكبيرها، لمن تاب إليه وأقلع منها، فهذا الذي يحب ويستحق أن يعبد، دون من لا يخلق ولا يرزق، ولا يضر ولا ينفع، ولا يملك من الأمر شيئاً، وليس له قوة الاقتدار، ولا بيده مغفرة الذنوب والأوزار»^(٣).

= الحافظ العراقي في أماليه: صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/٩٨).

(١) تفسير الطبري (٢١/٢٣٥) مؤسسة الرسالة، ط ١.

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/٢٧٦).

(٣) تفسير السعدي (٧١٦) مؤسسة الرسالة، ط ١.

الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد مرة كلما تكررت التوبة من الذنب تكررت المغفرة^(٤).

❁ الآثار:

١ - توحيد الله في اسمه الغفار يقتضي كثرة الاستغفار والتوبة إلى الله مهما بلغت كمية الذنوب وكثرتها وعظمتها، فالغفار سبحانه كثير المغفرة، روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فيما يحكي عن ربه ﷻ قال: أذنب عبد ذنباً فقال: اللَّهُمَّ اغفر لي ذنبي، فقال: تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عمل ما شئت فقد غفرت لك^(٥)».

٢ - لاسم الله (الغفار) أثره العظيم في محبته وعدم اليأس من رحمته ﷻ؛ فالله لا يعذب مستغفراً، والله واسع المغفرة ويغفر لكل من أتاه تائباً مهما

والبقاء المخلد في النار لمن مات ولم يتوب من أصحاب الكبائر الموحدين، والدليل لمذهب أهل الحق الآيات والأحاديث الكثيرة الدالة على أن صاحب الكبيرة إنما يغفر الله له أو يعذبه مدة ثم يخرج من النار فلا يخلده فيها.

- المسألة الرابعة: أن هذا الاسم يتضمن صفة المغفرة لله تعالى:

وهي صفة فعلية لله تعالى، دل عليها الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ [النجم: ٣٢].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر^(١)».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ولمّا كان قد ثبت بالقرآن أنه غفار للتائبين رحيم بالمؤمنين علم أنه موصوف بالمغفرة والرحمة^(٢)».

❁ الفروق:

الفرق بين الغفور والغفار:

الغفور: مبالغة من غافر، ومعناه الكثير الستر على عباده^(٣)، والغفار: هو

(١) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة، رقم ٢٦٨٧).

(٢) منهاج السنة (٣/١٠١) [جامعة الإمام، ط١].

(٣) انظر: شرح النونية لهراس (٢/٤٨١).

(٤) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٥).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٨).

مستحقها فهو راجع إلى صفة الإرادة، أو الغالب الذي يقدر على أن يعالجهم بالعقوبة، وهو يحلم عنهم ويؤخرهم إلى أجل مسمى، فسمى الحلم عنهم مغفرة^(٢).

الرد عليهم:

هذا التفسير مجانب للصواب ولما عليه السلف، وتفسيرهم المغفرة بالإرادة يلزم منه ما فروا منه من التشبيه، وإلا فإن أثبتوا إرادة للخالق لا تشبه إرادة المخلوق، فليثبتوا مغفرة للخالق لا تشبه مغفرة المخلوق، فالباب واحد، والقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر. ثم إن الاسم من أسماء الله تعالى له دلالات؛ فيدل على ذات الله وعلى الصفة بالمطابقة، ويدل على الصفة وحدها بالتضمن، وعلى صفة أخرى باللزوم، فالغفار: يدل على ذات الله ﷻ وعلى صفة المغفرة، بالمطابقة، وعلى صفة الرحمة والقدرة والعلم باللزوم.

المصادر والمراجع:

١ - «أسماء الله الحسنی وصفاته العليا من كتب ابن القيم»، لعماد زكي البارودي.

(٢) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/٣٤٩)، والمواقف للإيجي (٣/٣٠٧، ٣١٧) [دار الجيل، ط ١، ١٩٩٧م]، والكشاف للزمخشري (٤/١١٥)، والماتريدية للحربي (٢٢٤) [دار الصميعي، ط ٢، ١٤٢١هـ].

كان ذنبه حتى الشرك كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ (٨٢) [طه].

٣ - حظ العبد من هذا الاسم أن يستر عن غيره ما يحب أن يستر منه، فمن ستر مسلماً ستر الله عليه، فالجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحٍ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَذُوا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَنَصَفَحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٤) [التغابن].

٤ - أن يعلم العبد أن اتصاف الله بكونه غفَّاراً للذنوب هو محض فضله وكرمه ورحمته بهم، فهو غني عنهم، لا تنفعه طاعاتهم، ولا تضره معاصيهم وشركهم، كما أنه لا يغفر لهم خوفاً منهم بل هو عزيز قوي قهار، لذلك قرن اسمه الغفار بالعزيز، فمع عزته وقهره إلا أنه غفور رحيم^(١).

مذهب المخالفين:

خالف المعتزلة والأشاعرة والماتريدية أهل السنة والجماعة في هذا الاسم الجليل، من حيث تفسيرهم له بمعنى غير صحيح ودلالته على الصفة؛ فزاراً منهم من إثبات صفة المغفرة لله على وجهها الحقيقي، خوفاً من التشبيه، ففسر هؤلاء (الغفار) بأنه المريد لإزالة العقوبة عن

(١) انظر النهج الأسمى (١/١٧٩).

٢ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، قهراً، والغلاب: الكثير الغلبة^(٢).
للبيهقي.

✽ التعريف شرعاً:

الغلبة صفة فعلية لله تعالى؛ فلا رادّ لأمره، ولا معقّب لحكمه، ولا هازم لجنده؛ وهو القوي العزيز.

قال الحلبي في معنى الغالب: وهو البالغ مراده من خلقه، أحبوا أو كرهوا^(٣).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، وهما في حق الله تعالى على غاية الكمال والقدرة؛ فغلبته تعالى لا يقاومها شيء، ولا يعترئها أي معنى من معاني الضعف.

✽ الحكم:

وجوب إثبات الغلبة صفة لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

✽ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَئِنْ أَكْثَرَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١١) [يوسف]، وقال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [المجادلة: ٢١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

٣ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.

٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٥ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للتمي.

٦ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٧ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

٨ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التيمي.

١٠ - «النهج الأسمى في شرح الأسماء الحسنى» (ج ١)، للنجدي.

✽ الغفور ✽

يراجع مصطلح (المغفرة).

✽ الغلبة ✽

✽ التعريف لغةً:

الغين واللام والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على قوّة وقهر وشدّة. من ذلك: غلب الرجلُ غلباً وغلباً وغلبة^(١).

وتغلب على بلد كذا: استولى عليه

(٢) الصحاح (٢/٢١٤) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٣) نقلاً عن الأسماء والصفات للبيهقي (١/١١٤) [مكتبة

السوادى، ط ١].

(١) مقاييس اللغة (٤/٣٨٨) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

كان يقول: «لا إله إلا الله وحده، أعزَّ جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده»^(١).

بأن العاقبة الحسنة لمن أطاعه واتقاه.
٤ - ظهور أمر الله تعالى، ونفوذ مشيئته.

❁ أقوال أهل العلم:

قال البيهقي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾: «إن الله غالب على أمره يفعل ما يشاء، لا يغلبه شيء ولا يردُّ حكمه راد»^(٢).

٥ - ثبات سنن الله ﷻ الكونية، فلا تبدل ولا تتحول.
٦ - نصر الله تعالى ﷻ لرسله وأوليائه، وجعل العاقبة لهم.
٧ - ما يقع على أعداء الله تعالى من العذاب، وما ينالهم من الهزيمة.

وقال ابن كثير: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾؛ أي: إذا أراد شيئاً فلا يرد ولا يمانع ولا يخالف، بل هو الغالب لما سواه»^(٣).

❁ المصادر والمراجع:

١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
٢ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي عبد القادر السقاف.
٣ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

وقال الشوكاني: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١]؛ أي: على أمر نفسه، لا يمتنع منه شيء، ولا يغالبه عليه غيره من مخلوقاته»^(٤).

❁ الآثار:

٤ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

١ - التعبد لله تعالى بالاستنصار به؛ فهو الناصر الذي لا يغلب جنده.
٢ - الحذر من أسباب خذلان الله تعالى للعبد؛ فمن يخذله الله تعالى فلا ناصر له.

٣ - اليقين بوعده الله تعالى الصادق

❁ الغلو

❁ التعريف لغةً:

الغلو لغة: هو مجاوزة الحد وتعدّيه، يقال: غلا غلاً فهو غالٍ، وغلت القدر تغلي غلياناً.

قال ابن فارس: «الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح يدل على

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤١١٤)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٢٤).

(٢) تفسير البيهقي (٢٦٦/٤) [دار طيبة، ط ٤].

(٣) تفسير ابن كثير (٣٧٨/٤) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٤) فتح القدير (١٤/٣) [دار الفكر، ١٤٠٣هـ].

ارتفاع ومجاورة قدر^(١).

ويطلق على السَّعر إذا ارتفع: غلاء، وإذا كان في القَدْر والمنزلة: غُلُوٌّ، وفي السَّهم: غُلُوٌّ، وأفعالهما جميعًا: غَلَا يَغْلُو.

«الغلو: هو مجاوزة الحد في مدح الشيء أو ذمه، وضابطه تعدي ما أمر الله به، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه»^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان الغلو يطلق في اللغة على مجاوزة الحد وتعديه في كل شيء، جاء الإطلاق الشرعي للغلو بتخصيص ذلك المعنى اللغوي بما يتعلق بأمر الدين.

قال ابن الأثير: «أصل الغلاء: الارتفاع ومجاورة القَدْر في كل شيء، يقال: غَالَيْتَ الشيء وبالشَّيء، وغلوت فيه أغلُو إذا جاوزت فيه الحد»^(٢).

ويقال: غلا في الدين غلوًا: تشدد وتصلَّب حتى جاوز الحد.

سبب التسمية:

سُمي الغلو بهذا الاسم لكونه يدل على الزيادة والارتفاع، فالغالي قد زاد في الدين، وارتفع على ما جاء به إلى غيره.

التعريف شرعًا:

الغلو: هو مجاوزة الحد المعتبر شرعًا في أمر من أمور الدين.

وقد تعددت أقوال العلماء في تعريف الغلو في الشرع على أقوال متقاربة، فمن ذلك:

الأسماء الأخرى:

يطلق على الغلو اسم: التنطع^(٥).

الحكم:

لما كان دين الإسلام منزلًا من عند الله ﷻ، وهو سبحانه أعلم بما يناسب خلقه، حيث جعل سبحانه دين الإسلام دين يسر واعتدال وتوسط، فعلم أن الغلو فيه سواء كان ذلك بزيادة وإفراط أو بتهاون وتفريط، ضلال مخالف لمنهج الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا

١ - قال ابن تيمية: «الغلو: مجاوزة الحد بأن يزداد في الشيء، في حمده، أو ذمه، على ما يستحق ونحو ذلك»^(٣).

٢ - وقال ابن حجر في تعريفه: «هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد».

٣ - وقال سليمان بن عبد الله:

(٤) تيسير العزيز الحميد (٣٠٥) [المكتب الإسلامي، ط ٦، ١٤٠٥هـ].

(٥) انظر: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة (٦٢).

(١) مقاييس اللغة (٤٤٧/٣) [دار الجيل، ط ١].

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٨٢).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٨٩) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٠٤هـ].

تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴿١٥٣﴾
[الأنعام: ١٥٣].

تجاه من هو أمثل منه تمسكاً واحتراماً
لأحكام دينه .

وبالنظر إلى تاريخ الغلو فهو قديم
مرتبط بأسبابه الكثيرة، والتي يجمعها
الإعراض عن دين الله وما جاءت به
الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، فإنه
بقدر ما ابتعد المرء عن منهج رسل الله
بقدر ما وقع في الإفراط والتفريط،
تناسباً طردياً، وما غلو الفرق الإسلامية
في أبواب العقيدة أو الشريعة أو السلوك
إلا نموذج واقعي لهذه النتيجة ومحقة
لها، مما يحتم على المسلمين جماعات
وأفراداً التمسك بهديه ﷺ والاعتصام بما
جاء به، والتحاكم إليه والدعوة إليه،
فبذلك وحده تحصل لهم الهداية
والعصمة، ويكونون شهداء على
الناس^(١).

❁ الأدلة:

تعددت النصوص الواردة في التحذير
من الغلو، والنهي عنه، وذم الغلاة في
دين الله تعالى، فمن ذلك قوله تعالى:
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]،
وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا
تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا
أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا

والغلو في الدين وإن كان محرماً إلا
أنه ليس على درجة واحدة، فالغلو
الاعتقادي ليس كالغلو العملي، فكثير
من مسائل الغلو الاعتقادي قد تدخل في
الكفر الأكبر، كغلو الجهمية بإنكار
الأسماء والصفات، والغلو في الأئمة
والأولياء بصرف شيء من خصائص
الربوبية أو الإلهية لهم، ومن مسائل
الغلو الاعتقادي ما لا يصل إلى درجة
الكفر الأكبر، وإنما يدخل في الكفر
الأصغر أو الابتداع المحرم، وأما مسائل
الغلو العملي فالغالب أنها تدخل في
التحريم، وقد يكون منها ما يتعدى ذلك
إلى الكفر بحسب ما يتعلق بها من اعتقاد
ونحو ذلك.

❁ الحقيقة:

الحقيقة الشرعية للغلو هي مجاوزة
الاعتدال والوسطية الشرعية في الاعتقاد
والقول والفعل، والغالب الأعم تناول
الغلو لذوات المعظمين، وللمقالات
العقدية.

ولا تلازم بين الغلو والتطرف، فإن
الغلو في الواقع أخص من التطرف.

وهنا تنبيه؛ وهو أنه ربما يربط الغلو
بالتمسك بالشريعة، وهي نظرة قاصرة
يتبناها المقصّر والمتهاون في شعائر دينه

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة
العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة
والإرشاد (٧٤/٢٦٦ - ٢٦٧).

في الشيء، المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعينهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم»^(٣).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله: «إياكم والغلو في الدين» عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقادات والأعمال والنصارى أكثر غلوًا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن»^(٤).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فنهى النبي ﷺ عن التشديد في الدين، وذلك بالزيادة على المشروع، وأخبر أن تشديد العبد على نفسه هو السبب لتشديد الله عليه، إما بالقدر، وإما بالشرع. فالتشديد بالشرع: كما يشدد على نفسه بالنذر الثقيل، فيلزمه الوفاء به، وبالقدر كفعل أهل الوسواس. فإنهم شددوا على أنفسهم فشدد عليهم القدر، حتى استحکم ذلك وصار صفة لازمة لهم»^(٥).

- وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب»^(٦).

(٣) معالم السنن (٤/٣٠٠) [المطبعة العلمية، ط ١].

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٨٩).

(٥) إغاثة اللهفان (١/١٣٢) [دار المعرفة، ط ٢].

(٦) فتح الباري (١/٩٤) [دار المعرفة، ط ١٣٧٩هـ].

كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ [المائدة].

والخطاب في الآيتين قصد به النصارى خاصة، وإن كان الغلو موجودًا في اليهود وغيرهم، ولما كان النصارى أكثر غلوًا من غيرهم جاء الخطاب موجهاً لهم، والمراد من ذكر ذلك موعظة هذه الأمة لتجنب الأسباب التي أوجبت غضب الله على الأمم السابقة.

ومن ذلك قوله ﷺ: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»^(١).

والنهي في هذا الحديث وإن كان سببه خاصًا - وهو الغلو في رمي الجمار - فهو نهى عن كل غلو.

وقوله ﷺ في حديث ابن مسعود رَحِمَهُ اللهُ: «هلك المتنطعون - قالها ثلاثًا»^(٢).

وهذا صريح في ذم الغلو، حيث أخبر النبي ﷺ بهلاكهم لمجاوزتهم للحد الذي حدّه الله وأمر به.

❁ أقوال أهل العلم:

قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: «المتنطع المتعمق

(١) أخرجه النسائي (كتاب مناسك الحج، رقم ٣٠٥٧)،

وابن ماجه (كتاب المناسك، رقم ٣٠٢٩)، وأحمد

(٣/٣٥٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن خزيمة

(كتاب المناسك، رقم ٢٨٦٧)، وصححه شيخ

الإسلام في الاقتضاء (١/٣٢٨) [دار عالم الكتب،

ط ٧]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٧٠).

❁ الأقسام:

٤ - الإعراض عن منهج سلف الأمة،

والطعن فيهم، وفي فهمهم للنصوص.

٥ - الأخذ بالمناهج البدعية

المنحرفة، من علم الكلام والفلسفة.

٦ - الغرور بالمتبوعين والقادة وبما

لديهم من شذوذ ومخالفة^(٢).

- المسألة الثانية: صور الغلو قديماً

وحديثاً:

للغلو في حياة الأمم صور متعددة،

سواء في ذلك ما كان قبل الإسلام، أو

بعد الإسلام مما وُجد عند بعض الفرق

المنحرفة، فمن أمثلة ذلك ما يلي:

أ - غلو أهل الكتاب من اليهود

والنصارى، حيث زعم اليهود أن عزيراً

ابن الله، وزعم النصارى أن عيسى ﷺ

ابن الله، وعبادتهم له من دون الله، وقد

وصف الله النصارى بالغلو وحذر من

التشبه بهم في ذلك^(٣).

ب - الغلو عند الفرق المنحرفة في

تاريخ المسلمين:

تعددت أنواع الغلو عند الفرق

المنتسبة إلى الإسلام، ومن أمثلة ذلك:

ينقسم الغلو بحسب ما يتعلق به من

أفعال العباد إلى نوعين:

النوع الأول: الغلو الاعتقادي، وهو

مجاوزه الحد فيما يتعلق بأبواب

الاعتقاد، كغلو الخوارج في صاحب

الكبيرة، والغلو في الأئمة وادّعاء

العصمة لهم، ونحو ذلك.

النوع الثاني: الغلو العملي، وهو

مجاوزه الحد فيما يتعلق بأبواب العبادات

والعمليات، سواء كان ذلك باللسان أم

الجوارح، كمن يصوم الدهر، أو يترك

الزواج، ونحو ذلك من الأعمال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقوله:

«ياكم والغلو في الدين» عام في جميع

أنواع الغلو، في الاعتقادات والأعمال

والنصارى أكثر غلوًا في الاعتقادات

والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم

نهى الله عن الغلو في القرآن»^(١).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: أسباب الغلو:

١ - الجهل بدين الله تعالى، وترك

سؤال العلماء الربانيين.

٢ - مقابلة الجفاء والتفريط الواقع من

بعض الفرق والجماعات الأخرى.

٣ - سوء فهم النصوص، واتباع

المتشابه وترك المحكم.

(٢) انظر: مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة

العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة

والإرشاد (٧٤/٢٥٣ - ٢٦٦)، ومشكلة الغلو في

الدين في العصر الحاضر لعبد الرحمن اللويحق (٧ -

٤٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: تفسير الطبري (٩/٤١٧) [مكتبة ابن تيمية،

ط ٢].

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٨٩).

- ١ - غلو فرقة الخوارج في تكفير صاحب الكبيرة، والقول بخروجه من الإسلام^(١).
- ٢ - غلو فرقة الرافضة في أئمتهم، حيث بلغ بهم الغلو فيهم إلى وصفهم بصفات الربوبية، من علم الغيب، والتصرف في الكون، والتحليل والتحریم، وغير ذلك من أنواع الغلو، بل بلغ بهم الأمر إلى قولهم بحلول الجزء الإلهي فيهم، وعبادتهم من دون الله تعالى^(٢).
- القول بتكفير من لم يكفر الكفار بزعمهم - من العلماء وغيرهم.
- ترك صلاة الجمعة والجماعة في المساجد؛ لكفر أئمتها عندهم.
- إلى غير ذلك من عقائدهم المنحرفة وأقوالهم الغالية^(٣).

الفروق:

الفرق بين الغلو والتطرف:

لا تلازم بين الغلو والتطرف، فإن الغلو في الواقع أخص من التطرف في الزيادة والنقصان، والتطرف انحياز إلى طرفي الأمر، فيشمل الغلو وغيره، فبين الغلو والتطرف عموم وخصوص، فكل غلو تطرف، وليس كل تطرف غلوًا^(٤).

الآثار:

- ١ - الانحراف عن المعتقد الصحيح إلى بعض المعتقدات المبتدعة، والتي أدت ببعض الفرق إلى الكفر، والخروج من ملة الإسلام.
- ٢ - رفع بعض البشر فوق منزلتهم، وصرف شيء من العبادة لهم، كما وقع من الرافضة مع أئمتهم، وكما يقع من بعض الصوفية مع جناب النبي ﷺ،

والأمثلة على صور غلو الفرق الإسلامية كثيرة ومتنوعة، وقد ذكر ذلك أصحاب كتب المقالات، كالأشعري وابن حزم وغيرهما.

ج - الغلو لدى بعض الجماعات المعاصرة:

امتد الغلو إلى بعض الجماعات المعاصرة، حيث ظهر عندهم الغلو في بعض المعتقدات، ومن أشهر تلك الجماعات الغالية، جماعة تُعرف بجماعة المسلمين، واشتهرت بجماعة التكفير والهجرة، ومن أبرز معتقداتهم الغالية:

- القول بتكفير صاحب الكبيرة إذا أصرَّ على فعلها، ولم يتب.

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (١/ ٣٣٢ - ٣٣٩)، والغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة (١٩٣ - ٣٣٠).

(٤) انظر: مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (٧٤/ ٢٦٦).

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١١٥) [مكتبة الرياض الحديثة].

(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية للقفاري (٢/ ٥٢٠) [ط، ١٤١٤هـ].

حيث نسبوا إليه في مدائحهم الخلق والرزق، وغير ذلك من صفات الرب تعالى.

- ٢ - تعطيل الرب ﷻ عن أسمائه وصفاته التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله ﷺ في سُنَّته.
- ٣ - استحلال دماء المسلمين وأموالهم، بشبهات منحرفة أوقعت أتباعها في الغلو، كما فعل الخوارج وغيرهم.
- ٤ - الإفساد في الأرض وترويع الآمنين في بلاد المسلمين، كما حدث من القرامطة في بعض الأزمان المتقدمة، وكما يحدث اليوم من بعض الفرق الغالية في بعض بلدان المسلمين.
- ٥ - إلى غير ذلك من الآثار الكثيرة، والتي يصعب حصرها في مثل هذا المقام.

٨ - «الغلو في الدين»، لعلي الشبل.

٩ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

١٠ - «المجموع شرح المذهب»، للنووي.

الغنى

يراجع مصطلح (الغنى).

الغنى

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الغين والنون والحرف المعتل أصلان صحيحان؛ أحدهما يدلُّ على الكفاية، والآخر: صوت. فالأول الغنى في المال. يقال: غَنِيَ يَغْنَى غَنًى. والغَنَاءُ بفتح الغين مع المدِّ: الكفاية. يقال: لا يُغْنِي فلانٌ غَنَاءَ فلانٍ؛ أي: لا يَكْفِي كِفَايَتَهُ. وَغَنِيَ عن كذا فهو غانٍ. وَغَنِيَ القومُ في دارهم: أقاموا، كأنَّهُمْ اسْتَعْنَوْا بها. وَمَعَانِيَهُمْ: منازلُهم. والغانية: المرأة، قال قومٌ: معناه أنها استغنت بمنزل أبويها، وقال آخرون: استغنت ببعْلِها. ويقال: استغنت بجِمالِها عن لُبْسِ الحلي»^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام القرآن الكريم»، للقرطبي.
- ٢ - «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية.
- ٣ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٤ - «الدين الخالص»، لمحمد صديق حسن.
- ٥ - «سنن النسائي بشرح السيوطي».
- ٦ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.
- ٧ - «الغلو في الدين في حياة

(١) مقاييس اللغة (٤/٣٩٧) [دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ]. وانظر: اشتقاق أسماء الله للرجاجي =

التعريف شرعاً:

وصفاته وسلطانه، والخلق جميعاً فقراء إلى إنعامه وإحسانه.

الحكم:

وجوب الإيمان بهذا الاسم الجليل من أسماء الله الحسنى، مع ما يدل عليه من معنى، وصفة، وعدم تأويله، أو تعطيل معناه^(٣).

الحقيقة:

الله ﷻ له الغنى التام المطلق من كل الوجوه والاعتبارات؛ لكماله كمال صفاته وأفعاله؛ وذلك لأن غناه وصف لازم له، لا ينفك عنه؛ لأنه مقتضى ذاته، وما بالذات لا يمكن أن يزول، فيمتنع إلا أن يكون غنياً، كما لا يكون إلا خالقاً رازقاً محسناً، فلا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه، فهو الغني بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، المغني لجميع خلقه غنى عاماً، وكما أن غناه ذاتي لا يمكن أن يطرأ عليه ما ينافيه، فكذلك فقر المخلوقات إليه هو فقر ذاتي، بحيث لا يمكنها أن تستغني عنه لحظة من اللحظات^(٤).

الأهمية:

من عرف ربه بالغنى المطلق عرف

الغني: هو الغني تعالى بذاته، أفعاله، وصفاته، وسلطانه، فلا يحتاج إلى أحد، وكل موجود في هذا الوجود محتاج إليه، في إيجاد، وإعداده، وإمداده، وفي أمور دينه ودنياه^(١).

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «الغني، المغني فهو الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق، من جميع الوجوه والاعتبارات لكماله، وكمال صفاته، فلا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً؛ لأن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا خالقاً، قادراً، رازقاً، محسناً، فلا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه، فهو الغني، الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة. المغني جميع خلقه غنى عاماً، والمغني لخواص خلقه بما أفاض على قلوبهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية»^(٢).

فالغني هو المستغني عن الخلق بذاته

= (١١٧ - ١٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ]، والمحكم (١٧/٦)، ولسان العرب (١٣٥/١٥) [دار صادر، ط ١، ١٤١٢هـ]، والقاموس المحيط (٤/٤٢١) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(١) انظر: طريق الهجرتين (٩، ١٠) [مكتبة المتنبّي، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (١٠٤) [دار الإمام الذهبي، ط ٢٦].

(٢) تفسير السعدي (١٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٤].

(٣) انظر: طريق الهجرتين (١٠).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣٠٤/٥)، وشرح نونية ابن القيم للهراس (٤٦٣/٢).

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»^(٣).

كما أن هذا الاسم العظيم مما أجمعت الأمة عليه^(٤).

✽ أقوال أهل العلم:

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾: «إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قومٍ آخرت»^(١) [الأنعام]. «الغني: عن عباده الذين أمرهم بما أمر، ونهاهم عما نهى، وعن أعمالهم وعبادتهم إياه، وهم المحتاجون إليه؛ لأنه بيده حياتهم ومماتهم، وأرزاقهم وأقواتهم، ونفعهم وضرهم. يقول عز ذكره: فلم أخلقهم، يا محمد، ولم أمرهم بما أمرتهم به، وأنهم عما نهيتهم عنه، لحاجة لي إليهم، ولا إلى أعمالهم، ولكن لأتفضل عليهم

نفسه بالفقر المطلق، ومن عرف ربه بالقدرة التامة عرف نفسه بالعجز التام، ومن عرف ربه بالعز التام عرف نفسه بالمسكنة التامة، ومن عرف ربه بالعلم التام والحكمة عرف نفسه بالجهل، فمتى حصلت له هاتان المعرفتان أنتجتا له فقراً هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته، وتفاوت الناس في هذا الفقر بحسب تفاوتهم في هاتين المعرفتين^(١).

✽ الأدلة:

ورد هذا الاسم الجليل في كتاب الله في مواضع كثيرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَذًى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ﴾^(٢) [البقرة]، وقوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٣) [فاطر]

وورد ذكره في السنّة المطهرة في حديث الاستسقاء الطويل، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين»^(٢).

(١) طريق الهجرتين (٢٣/١) [دار ابن القيم، ط ٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١١٧٣) وقال: إسناده جيد، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم

٢٨٦٠)، والحاكم (كتاب الاستسقاء، رقم ١٢٢٥) وصححه، قال أبو داود: إسناده جيد، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وحسن إسناده الألباني في إرواء الغليل (٣/١٣٥)، رقم ٦٦٨.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٨٥).

(٤) نقل الإجماع القرطبي في الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٢٠٥) [المكتبة الحضرية، ط ٤، ١٤٢٧هـ].

برحمتي، وأثيبهم على إحسانهم إن أحسنوا، فإني ذو الرَّأفة والرحمة»^(١).
 في جميع أفعاله وأقواله، لا إله غيره، ولا رب سواه»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صفة الغني لله

تعالى:

يدل اسم الغني على صفة الغنى، وهي صفة ذاتية لله تعالى، ويدل باللزوم على الحياة والقيومية، والقوة والأحدية، والقدرة والسعة والكرم والعزة والكبرياء، والملك، وأدلة صفة الغنى لله تعالى هي نفسها أدلة اسمه تعالى الغني. ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت].

- المسألة الثانية: اتصاف المخلوق

بصفة الغنى:

بعض المخلوقين متصف بصفة الغنى، ولكن لما تضاف الصفة لشيء تقتضي التخصيص، فيكون غني المخلوق على ما يليق بضعفه وعجزه وفقره، وغنى الخالق على ما يليق بجلاله وكمال غناه.

قال الشنقيطي رحمه الله: «وقال في وصف نفسه بالغنى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر]، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم]، وقال في وصف الحادث بالغنى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ [النساء: ٦]، ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ

وقال ابن القيم رحمه الله: «فصل في أن الله هو الغني المطلق والخلق فقراء محتاجون إليه، قال الله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [١٥]»، [فاطر] بين سبحانه في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم لا ينفك عنهم، كما أن كونه غنياً حميداً ذاتي له فغناه وحمده ثابت له لذاته لا لأمر أوجبه، وفقر من سواه إليه ثابت لذاته لا لأمر أوجبه، فلا يعلل هذا الفقر بحدوث ولا إمكان، بل هو ذاتي للفقير، فحاجة العبد إلى ربه لذاته لا لعله أوجبت تلك الحاجة، كما أن غنى الرب سبحانه لذاته لا لأمر أوجب غناه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والفقر لي وصف ذات لازم أبداً
 كما الغنى أبداً وصف له ذاتي»^(٢).

وقال ابن كثير رحمه الله: «قال ابن عباس رضي الله عنهما: (الْغَنِيُّ) الذي قد كمل في غناه، وهو الله، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفاء، وليس كمثله شيء، سبحانه الله الواحد القهار. (الْحَمِيدُ) المستحمد إلى خلقه؛ أي: هو المحمود

(١) تفسير الطبري (١٢/١٢٦) مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ. وانظر منه (١٥/١٤٥).

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادت (٢٢). وانظر:

مدارج السالكين (١/٥٢٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/٨٨).

(المُغْنِي) مقرونًا بالغني، والمغني مأخوذ من الفعل (أغنى) من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ (النجم)، ومن الفعل (يُغْنِي) في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَنفَرَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ (النساء)، ولم يرد مصرحًا به، وباب الأفعال أوسع من باب الأسماء، والفرق بينهما أن الغني يدل على صفة ذاتية لازمة، أما المغني فيدل على صفة متعدية، فالغنى غنى الذات، والمغني يغني عباده وخلقه.

- المسألة الرابعة: ورود ذي الطول في النصوص.

الطول بضم الطاء: الامتداد^(٤)، وبفتح الطاء وسكون الواو: المن، قال القرطبي: «أصل الطول: الإنعام والفضل، يقال منه: اللَّهُمَّ طُلِّ عَلَيْنَا؛ أي: أنعم علينا وتفضل»^(٥)، ويقال: طال عليه، وتطول عليه؛ إذا امتنَّ عليه^(٦). وقال الأزهري في قوله تعالى: ﴿ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر]؛ «أي: ذي القدرة، وقيل: الطول: الغنى، والطول: الفضل، يقال لفلان على فلان طول؛ أي: فضل»^(٧).

يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿[النور: ٣٢]، فهو موصوف بتلك الصفات حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله، والحادث موصوف بها أيضًا على الوجه المناسب لحدوثه وفنائته، وعجزه وافتقاره، وبين صفات الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق، كما بيناه في صفات المعاني^(١).

فالغني على سبيل الإطلاق وعدم الحاجة هو الله، وليس ذلك لأحد سواه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود أنه سبحانه أخبر عن حقيقة العباد وذواتهم بأنها فقيرة إليه سبحانه، كما أخبر عن ذاته المقدسة وحقيقته أنه غني حميد، فالفقر المطلق من كل وجه ثابت لذواتهم وحقائقهم من حيث هي، والغنى المطلق من كل وجه ثابت لذاته تعالى وحقيقته من حيث هي فيستحيل أن يكون العبد إلا فقيرًا، ويستحيل أن يكون الرب سبحانه إلا غنيًا، كما أنه يستحيل أن يكون العبد إلا عبدًا والرب إلا ربًّا»^(٢).

- المسألة الثالثة: حكم تسمية الله تعالى بالمُغْنِي:

يذكر بعض أهل العلم^(٣) اسم

(٤) مقاييس اللغة (٦٢٧) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٣٢٧/١٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ].

(٦) الصحاح (١٧٥٥/٥) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٧) تهذيب اللغة (١٧/١٤) [الدار المصرية للتأليف].

(١) أضواء البيان (٤٤/٨) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٢) طريق الهجرتين (٢٣).

(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢١٧/١) [مكتبة السوادي].

حجر^(١١)، ولم يعده البعض ضمن ما عدوا من أسماء الله الحسنى^(١٢)، وأنكر البعض أن يكون ذو الطول من أسماء الله الحسنى^(١٣).

الثمرات:

الإيمان باسم الله الغني وبما تضمنه من صفة الغنى له ﷺ يثمر للعبد ثمرات؛ منها^(١٤):

١ - أن فهم العبد (الغني) لمعنى هذا الاسم الجليل يؤدي به إلى التواضع على الرغم من غناه؛ لعلمه أن المتوحد في الغنى هو الله ﷻ، ويظهر الفقير بمظهر الغني وهو يعاني من شدة الفقر تعففاً من سؤال الناس إلحافاً؛ لأن الغنى الحقيقي هو غنى النفس.

٢ - أن من الفقر ما هو اختياري، وهو نتيجة علمين شريفيين؛ أحدهما: معرفة العبد بربه، والآخر: معرفته بنفسه، فمتى حصلت له هاتان المعرفتان أنتجتا له فقراً هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته، فمن عرف ربه بالغنى المطلق عرف نفسه بالفقر المطلق، ومن

وذكر ابن كثير بعد أن نقل أقوال المفسرين في معنى ذي الطول: «أنه المتفضل على عباده، المتطول عليهم بما هم فيه من المنن والإنعام، التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها ﷻ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﷻ» [النحل: ١٨]^(١٥).

وقد ورد هذا الاسم المبارك مرة واحدة في القرآن الكريم، في قوله ﷻ: «غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﷻ» [غافر].

وهو من الأسماء المضافة، وقد عده ضمن أسماء الله الحسنى كثير من العلماء، منهم: جعفر الصادق، وابن عيينة كما نقل عنهما ابن حجر^(١٦)، والزجاجي^(١٧)، وابن منده^(١٨)، والخطابي^(١٩)، والحلي^(٢٠)، والبيهقي^(٢١)، وابن العربي^(٢٢)، وابن تيمية^(٢٣)، وابن الوزير^(٢٤)، وابن

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٦٨/١٢).

(٢) فتح الباري (١١/٢٦٠ - ٢٦١) [دار السلام، ط ١].

(٣) اشتقاق أسماء الله (١٩٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٢].

(٤) انظر: كتاب التوحيد (٢/٢٠٣).

(٥) شأن الدعاء للخطابي (١٠٥).

(٦) المنهاج في شعب الإيمان (١/١٩٩) [دار الفكر، ط ١].

(٧) الأسماء والصفات (١/١١٨).

(٨) أحكام القرآن (٢/٣٤٢) [دار الكتب العلمية، ط ٣].

(٩) انظر: المستدرک على مجموع فتاوى ابن تيمية (١/٦٢).

(١٠) إشار الحق (١٦٠) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٧هـ].

(١١) التلخيص الجبر (٤/٣٢١) [مؤسسة قوطبة، ط ١].

(١٢) كابن حزم والغزالي والأصفهاني وغيرهم.

(١٣) مثل: عمر الأشقر في كتابه أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة (٦٤، ٦٥) [دار النفائس، ط ٢].

(١٤) انظر: النهج الأسامي في شرح الأسماء الحسنى للنجلدي (٢/٢٣١ - ٢٣٩) [مكتبة الإمام الذهبي].

عرف ربه بالقدرة التامة عرف نفسه بالعجز التام، وهكذا^(١).

❖ الغوث ❖

يراجع مصطلح (المغيث).

❖ المصادر والمراجع:

١ - «أسماء الله الحسنى وصفاته العليا من كتب ابن القيم»، عماد زكي البارودي.

❖ الغول ❖

❖ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الغين والواو واللام أصل صحيح يدل على خُتِلَ وأخذ من حيث لا يدري، ويقال: غاله يغوله: أخذه من حيث لم يدر. قالوا: والغول بعد المفازة؛ لأنه يغتال من مرَّ به، والغُول من السعالي، سمَّيت؛ لأنها تغتال»^(٢).

الغُول والغُول: يقعان على معنيين متقاربين، أحدهما: البعد، والآخر: الهلاك. فالغُول: المصدر، والغُول: بضم المعجمة الاسم، وجمعه: أغوال وغِيْلَان. وقيل: هو كل ما اغتالك من جني أو شيطان أو سبع فهو غول، وهو معنى قول من قال: الغول: كل شيء ذهب بالعقل^(٣).

❖ التعريف شرعاً:

الغُول: واحد الغيلان، جنس من الجن والشياطين، وقيل: من السَّعالي،

٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، الزجاج.

٣ - «توضيح الكافية الشافية»، للسعدي.

٤ - «شرح أسماء الله الحسنى»، للقطاني.

٥ - «صفات الله وَجَّيْتُ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

٦ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

٧ - «فتح الرحيم الملك العلَّام»، للسعدي.

٨ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٩ - «معارج القبول» (ج ١)، لحافظ الحكمي.

١٠ - «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

١١ - «النهج الأسمى في شرح الأسماء الحسنى» (ج ٢)، للنجدي.

(٢) مقاييس اللغة (٤/٤٠٢) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].
(٣) انظر: الصحاح (٥/١٧٨٥) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ]، وتهذيب اللغة (٨/١٧٠) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ومقاييس اللغة (٤/٤٠٢).

(١) انظر: طريق الهجرتين (١/٢٣ - ٢٧).

❁ الحقيقة:

اختلفت أقوال أهل العلم في حقيقة الغول على أقوال:

أولها: أَنَّ الغول شيء يخوَّف به لا وجود له. قاله الدَّمِيرِي فِي حَيَاة الحيوان، وزعم أَنه قول المحققين. وهذا القول مردودٌ بالأحاديث الثابتة فِي إثبات الغول، وبالمشاهدة.

قال حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللهُ: «وأما قول من قال: إِنَّ المراد فِي الحديث نفي وجود الغيلان مطلقاً فليس بشيء؛ لأنَّ ذلك مكابرة للأُمُور المشاهدة المعلومة بالضرورة فِي زمن النبي ﷺ وقبـله وبعده، من إتيانهم وانصرافهم ومخاطبتهم وتشكلهم، والله أعلم» (٣).

ثانيها: أَنَّ الغول كان موجوداً ثم رفعه الله ﷻ، كما رجحه الطحاوي؛ حيث قال رَحِمَهُ اللهُ: «وقد ذكرنا فِي الباب الذي قبل هذا عنه أَنه قال: «لا غول»، ففي هذا نفيه للغول، فقال قائل: قد يكون هذا على التضاد؟ قيل له: ليس ذلك بحمد الله على التضاد؛ إِذَا كان يحتمل أَن يكون الغول كان على ما فِي حديث أَبِي أَيُوبَ (٤) ثم رفعه الله تعالى عن عباده على ما فِي حديث جابر (٥)، وذلك أُولَى ما جمعت عليه الآثار

وهم سحرة الجن، لهم تلبيس وتخيل وتضليل (١).

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تظهر العلاقة بينهما من حيث كون كل منهما يتضمن معنى البعد والهلاك، أو معنى ذهاب العقول؛ إِلا أَن المعنى الشرعي أَخَص من المعنى اللغوي؛ حيث هو خاص بالغيلان، التي هي من جنس الشياطين.

❁ سبب التسمية:

سمَّيت الغول بذلك؛ إما لأنها تتغول؛ أي: تتلون فِي صور شتى، وإما لأنها تُغولهم؛ أي تضلهم فِي الطريق، وتهلكهم، وهو بمعنى تأخذ من حيث لا يدري (٢).

❁ الحكم:

من اعتقد فِي الغول أَنها تضر وتهلك، وغلا فِي وجودها، وزعم أَنها من أعظم الأسباب فِي حصول الهلاك والضلال، فهذا من الشرك الأصغر، وهو وسيلة من وسائل الشرك الأكبر.

(١) انظر: النهاية فِي غريب الحديث والأثر (٣/٣٩٦) [دار إحياء التراث العربي]، ومعالم السنن للخطابي (٤٠٢/٤) [المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥٢هـ]، وشرح السُّنَّة للبلغوي (١٢/١٧٣) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ].

(٢) انظر: النهاية فِي غريب الحديث (٣/٣٩٦)، ومقاييس اللغة (٤/٤٠٢)، وشرح السُّنَّة للبلغوي (١٢/١٧٣).

(٣) معارج القبول (٣/١١٦٨) [دار ابن الجوزي، ط٦].

(٤) يأتي ذكره فِي الأدلة.

(٥) سيأتي ضمن الأدلة أيضاً.

النبي ﷺ قال: «فاذهب فإذا رأيتها فقل: بسم الله أجيبني رسول الله ﷺ». قال: فأخذها فحلفت أن لا تعود فأرسلها. فجاء إلى رسول الله فقال: «ما فعل أسيرك؟» قال: حلفت أن لا تعود. فقال: «كذبت وهي معاودة للكذب» الحديث (٥).

✽ أقوال أهل العلم:

قال الخطابي رحمه الله: «قوله: «لا غول» ليس معناه نفي الغول عيناً، وإبطالها كوناً، وإنما فيه إبطال ما يتحدثون عنها من تغولها، واختلاف تلونها في الصور المختلفة، وإضلالها الناس عن الطريق، وسائر ما يحكون عنها، مما لا يعلم له حقيقة. يقول: لا تصدقوا بذلك، ولا تخافوها، فإنها لا تقدر على شيء من ذلك، إلا بإذن الله ﷻ» (٦).

وقال البغوي رحمه الله: «قوله «ولا غول»: ليس معناه نفي الغول كوناً، وإنما أراد أن العرب كانت تقول: إن الغيلان تظهر للناس في الفلوات، في الصور المختلفة، فتضلهم وتهلكهم، ويقال: تغول تغولاً؛ أي: تلون. فأخبر الشرع أنها لا تقدر على شيء، من

المروية عن رسول الله ﷺ في هذا أو فيما أشبهه، وما وجد السبيل إلى ذلك» (١). وهذا ليس بشيء.

الثالث: وهو الصواب؛ وهو أن الغول: جنس من الشياطين والجن تتراءى للناس في الفلاة، فتتغول تغولاً؛ أي: تتلون تلوناً في صور شتى، وتغولهم عن الطريق، وتضلهم، فأبطل النبي ﷺ تأثيرها؛ ولم ينف لعين الغول ووجودها كوناً وأنها معدومة، وإنما أبطل اعتقاد الجاهلية في تصرفها في نفسها، أو أنها لا تستطيع أن تضل أحداً مع ذكر الله تعالى، بل لا تقدر على شيء إلا بإذن الله تعالى (٢).

✽ الأدلة:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا غول» (٣). وفي رواية أخرى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا غول ولا صفر» (٤).

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه كانت له سهوة فيها تمر فكانت تجيء الغول فتأخذ منه. قال: فشكا ذلك إلى

(١) شرح مشكل الآثار (٢/٢٥٧) مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/٣٩٦)، ومعالم السنن (٤/٢٣٤)، وشرح السنة للبغوي (١٢/١٧٣).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٢).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٢).

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٨٨٠) وحسنه، وأحمد (٣٨/٥٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٤٦٩) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٦) معالم السنن (٤/٤٠٢).

الإضلال والإهلاك، إلا بإذن الله وَعَلَيْهِ ^(١). **المصادر والمراجع:**

- ١ - «بلوغ المني والظفر في بيان «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»»، لابن فهد.
- ٢ - «الشرك ومظاهره»، لمبارك الميلي.
- ٣ - «فتح الباري»، لابن حجر العسقلاني.
- ٤ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن.

- ٥ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ٦ - «لطائف المعارف»، لابن رجب.
- ٧ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.
- ٨ - «مفتاح دار السعادة»، لابن القيم.
- ٩ - «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير.

الغياث

يراجع مصطلح (المغيث).

الغير

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الغين والياء والراء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على صلاح وإصلاح ومنفعة، والآخر على اختلاف شيئين. فالأول: الغيرة، وهي

وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «الغول: أحد الغيلان، وهي جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة، تتراءى للناس فتتغول تغولاً؛ أي: تتلون تلوناً، في صور شتى، وتغولهم؛ أي: تضلهم عن الطريق، وتهلكهم، فنفاه النبي ﷺ، وأبطله» ^(٢).

الآثار:

اعتقاد ما كان يعتقد أهل الجاهلية في الغيلان يورث القلق والحزن في القلوب، وينغص على المرء معيشته وأحواله، ولا شك أن هذا ما تحرص عليه الشياطين؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَتَّبَعُوا مَنِ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة].

ومن آثار اعتقاد تأثير الغيلان ضعف التوكل على الله وَعَلَيْهِ في قلب المرء المؤمن، وضعف اليقين في قدرة الله تعالى، وأنه الضار النافع وحده، بل قد يذهب ذلك كله، وهذا لا يوجد إلا في قلب المشرك بالله تعالى.

(١) شرح السنّة (١٢/١٧٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٩٦).

الحكم:

لفظ الغير من الألفاظ المجملة التي لا تطلق على الله إثباتاً أو نفياً، وإنما يسأل عن المراد بها، فإن قصد بها حق قبل المعنى وعبر عنه باللفظ الشرعي، ويتوقف في اللفظ، وإن أريد به باطل يتوقف في اللفظ ويرد المعنى.

الحقيقة:

حقيقة لفظ الغير اللغوية هي كما تقدمت في التعريف اللغوي تحوّل الشيء وصيرورته خلاف ما كان عليه. وأما عند المعتزلة والكرامية فالغيران: «هما الشئان، أو هما ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر»^(٥). وأما عند أكثر الصفاتية من الأشعرية فـ«حقيقة الغيرين ما يجوز مفارقة أحدهما الآخر بالزمان، والمكان، والوجود والعدم»^(٦).

أقوال أهل العلم:

أكد العلماء على أن لفظ الغير من الألفاظ المجملة التي تحتل حقاً وباطلاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن للناس في لفظ الغير اصطلاحين مشهورين:

أحدهما: اصطلاح المعتزلة والكرامية ونحوهم ممن يقول: الصفة غير

(٥) بغية المراتد (٤٢٦).

(٦) الإنصاف للباقلاني (٢٥). وانظر: بغية المراتد (٤٢٦).

الميرة: بها صلاح العيال. يقال: غرت أهلي غيرة وغياراً؛ أي: مرثهم، والأصل الآخر: قولنا: هذا الشيء غير ذاك؛ أي هو سواء وخلافه. ومن الباب: الاستثناء بغير، تقول: عشرة غير واحد، ليس هو من العشرة، ومنه قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٧) [الفاحة]^(٨).

وقال الفيروزآبادي: «الغيرة بالكسر: الميرة. وغير بمعنى: سوى، وتكون بمعنى لا، ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾ [النحل: ١١٥]؛ أي: جائعاً لا باغياً، وبمعنى (إلا). وتغيّر عن حاله: تحوّل. وغيره: جعله غير ما كان، وحوله، وبدله. والاسم: الغير»^(٩).

التعريف اصطلاحاً:

إن الغير في اصطلاح المعتزلة والكرامية: «هما الشئان، أو هما ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر»^(١٠). وأما عند الأشعرية فـ«حد الغيرين ما يجوز مفارقة أحدهما الآخر؛ إما بزمان أو بمكان»^(١١).

(١) مقاييس اللغة (٤/٤٠٣ - ٤٠٤) [دار الجيل، ط ٢].

(٢) القاموس المحيط (٤٥٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٨].

(٣) بغية المراتد (٤٢٦) [ط ٣، ١٥١٤٠١٥هـ]. وانظر: جامع العلوم لأحمد نكري (٨/٣) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٤) الإنصاف فيما يجب اعتقاده للباقلاني (٣٧) [عالم

الكتب، لبنان، ط ١، ١٤٠٧هـ].

الإشكال، فإذا قيل: إن الصفة أو الجزء غيره بأحد الاصطلاحين كان باطلاً، وإذا قيل: إنها غيره بالاصطلاح الآخر، لم يمتنع أن يكون لازماً^(١).

وقال ابن القيم: «وكذلك لفظ الغير فيه إجمال، يراد بالغيرين: ما مفارق أحدهما للآخر ذاتاً أو مكاناً أو زماناً، فصفت القديم سبحانه ليست غيراً له بهذا الاعتبار، ويراد بالغيرين: ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر، وهذا المعنى حق في ذاته وصفاته سبحانه، وإن سمّاها هؤلاء أغياراً»^(٢).

قال ابن أبي العز الحنفي: «لفظ الغير، فيه إجمال، فقد يراد به ما ليس هو إياه، وقد يراد به ما جاز مفارقه له. ولهذا كان أئمة السُّنة رحمهم الله لا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه غيره، ولا أنه ليس غيره؛ لأن إطلاق الإثبات قد يشعر أن ذلك مبين له، وإطلاق النفي قد يشعر بأنه هو هو، إذا كان لفظ الغير فيه إجمال، فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل: فإن أريد به أن هناك ذاتاً مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها = فهذا غير صحيح، وإن أريد به أن الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة = فهذا حق، ولكن ليس في

الموصوف، وهؤلاء فيهم من ينفي الصفات كالمعتزلة، ومنهم من يثبتها كالكرامية، وهم يقولون: إن الغيرين هما الشئان، أو هما ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر.

والثاني: اصطلاح أكثر الصفاتية من الأشعرية وغيرهم أن الغيرين ما جاز مفارقة أحدهما الآخر بوجود زمان أو مكان، ومن هؤلاء من يقول ما جاز مفارقة أحدهما الآخر، ولهذا يقولون: إن الصفات لا هي الموصوف ولا هي غيره، وكذلك جزء الجملة كالواحد من العشرة واليد من الإنسان قد يقولون فيها ذلك والأولون يقولون الصفة غير الموصوف.

وأما حذاق الصفاتية من الكَلابية وغيرهم، فهم على منهج الأئمة، كما ذكر الإمام أحمد في الرد على الجهمية، لما سألوه عن القرآن: أهو الله أم غير الله؟ لا يقولون الصفة لا هي الموصوف ولا هي غيره، بل لا يقولون الصفة هي الموصوف، ولا يقولون: هي غيره، فيمتنعون عن الإطلاقين ولا ينفون الإطلاقين وهذا سديد، فإن لفظ الغير لما كان فيه إجمال لم يطلق نفيه حتى يتبين المراد، فإن أريد بأنه غير مبين له، فليس هو غيره، وإن أريد أنه ليس هو إياه، أو أنه يمكن العلم به دونه، فنعم هو غيره، وإذا فصل المقال زال

(١) بغية المرئاد (٤٢٦).

(٢) الصواعق المرسلّة (٣/ ٩٨٢) [دار العاصمة، ط ١].

✽ الرد عليهم:

تعلّق المخالفين بلفظ التغير لنفي الصفات الاختيارية عن الله هو تعلّق فاسد قائم على التمويه والتلبيس؛ لما يلي:

أولاً: أن الله أعلم بنفسه وبما يليق به من الصفات من غيره، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة]. وأعلم الخلق به هم رسله ﷺ، فما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسله ﷺ من الأسماء والصفات، يجب الإيمان به، وعدم الاعتراض عليه بالأهواء والآراء؛ لا سيّما أن هذه أمور غيبية لا مجال للعقول فيها.

ثانياً: أن إطلاق التغير على اتصاف الله بالصفات الاختيارية من الاستواء والنزول والمجيء ونحوها هو مجرد تلبيس؛ لأن هذا لا يصدق عليه معنى التغير لا لغة ولا شرعاً.

أما لغة فإن التغير هو الاستحالة والتبدل، وذلك بأن يكون الشيء طاهراً نظيفاً كالماء مثلاً، فتدخل فيه النجاسة فتغيره عمّا كان عليه من النظافة والطهارة فيصير فاسداً كاسداً.

وأما شرعاً فقد جاءت النصوص العديدة بإثبات اتصاف الله بالرضا والمغفرة والغضب وسائر الصفات الاختيارية، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ

الخارج ذات مجردة عن الصفات، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها، وإنما يفرض الذهن ذاتاً وصفة؛ كلاً وحده، ولكن ليس في الخارج ذات غير موصوفة، فإن هذا محال. ولو لم يكن إلا صفة الوجود، فإنها لا تنفك عن الوجود، وإن كان الذهن يفرض ذاتاً ووجوداً، يتصور هذا وحده، وهذا وحده، لكن لا ينفك أحدهما عن الآخر في الخارج^(١).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: استعمال (التغير)

في حق الله ﷻ:

التغير لم يرد في الكتاب والسنة، ولم ينطق به السلف الصالح، وإنما أحدثه أهل الأهواء، وهو لفظ مجمل يحتمل حقاً وباطلاً، ولكن من أطلقه أراد به باطلاً وهو نفي قيام الصفات الاختيارية بالله كالمجيء والاستواء على العرش والنزول والرضا والغضب وسائر الصفات المتعلقة بمشيئته.

فقد اعتبر الأشاعرة قيام الصفات الاختيارية بالله تغييراً في ذاته سبحانه فنفيها، واحتج الفلاسفة بلفظ التغير لنفي علم الله^(٢).

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٩٨/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١٠، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود (١٠٥٦/٣) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ].

يقودون قولهم إلى فرية على الله»^(١).

- المسألة الثانية: هل الصفات غير الذات؟

هذه المسألة لم يتكلم بها السلف، ولم يطلقوها على صفات الله تعالى، وإنما أحدثها المتكلمون، وهي لفظ مجمل يحتمل معنى صحيحاً ومعنى باطلاً، ولذا يُستفسر عن مراد قائله؛ فإن أراد به وجود ذات مجردة عن الصفات فهذا باطل، وهو مقصود من يستعمل هذا اللفظ. وإن أراد به أن معنى الذات يختلف عن معنى الصفة فهذا صحيح، ولكن يعبر عنه باللفظ الشرعي.

وعليه فمن سأل: هل الصفة غير الذات؟ يقال له: إن أُريد بالغير: المباين المنفصل فليست الصفة غير الموصوف. وإن أُريد به ما ليس هو عين الشيء، أو ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر فالصفة غير الموصوف. قال ابن تيمية: «ومذهب السلف والأئمة؛ أنهم لا يطلقون لفظ الغير على الصفات، لا نفياً ولا إثباتاً، فلا يطلقون القول بأنها غيره، ولا بأنها ليست غيره، إذ اللفظ مجمل، فإن أراد المطلق بالغير المباين فليست غيراً، وإن أراد بالغير ما قد يعلم أحدهما دون الآخر، فهي غير»^(٢).

رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴿١٨﴾ [الفتح: ١٨]، وقال تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا﴾ [الفتح: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَعُذِّبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣]، وغير ذلك من صفات الله تعالى.

ونفي هذه الصفات بالعقول المجردة، والأهواء المضلة هو في غاية البطلان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والغير والتغير من مادة واحدة، فإذا تغير الشيء صار الثاني غير ما كان، فما لم يزل على صفة واحدة لم يتغير ولا تكون صفاته مغايرة له.

والناس إذا قيل لهم: التغير على الله ممتنع، فهموا من ذلك: الاستحالة والفساد، مثل انقلاب صفات الكمال إلى صفات نقص، أو تفرق الذات ونحو ذلك مما يجب تنزيه الله عنه.

وأما كونه سبحانه يتصرف بقدرته، فيخلق ويستوي ويفعل ما يشاء بنفسه، ويتكلم إذا شاء ونحو هذا، فهذا لا يسمونه تغيراً.

ولكن حجج النفاة مبناها على ألفاظ مجملة موهمة، كما قال الإمام أحمد: يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويلبسون على جهال الناس بما يشبهون عليهم، حتى يتوهم الجاهل إنهم يعظمون الله، وهم إنما

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧٥/٤) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ٢، ١٤١١هـ].

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١٨٧/٢). وانظر: موقف =

- المسألة الثالثة: الغير عند الصوفية:

ينفي غلاة الصوفية الكثرة والغيرية عن الوجود، ويرون أن جميع الوجود حقيقة واحدة، فالذات الإلهية وذوات الخلق كلها حقيقة واحدة عندهم، وأن المغايرة بين الحق والخلق هي مغايرة وهمية^(١).

فمما جاء في أورادهم: «يا من ليس كمثل شيء، أفن عني كل شيء غيرك، وخفف عني ثقل كثائف الموجودات، وامحُ عني نقطة الغيرية لأشاهدك ولا أدري غيرك، يا هو يا هو يا هو، لا سواك موجود، لا سواك مقصود، يا وجود الوجود»^(٢).

قال الغزالي: «لا إله إلا الله توحيد العوام! ولا هو إلا هو توحيد الخواص»^(٣).

قال الشيخ عبد الرحمن الوكيل موضحاً هذا الكلام: «فكلمته (لا هو إلا هو)؛ لأنها تثبت وجوداً واحداً، وتنفي الغيرية والكثرة والتعدد، تثبت موجوداً واحداً تنوعت مظاهره، فسميت خلقاً،

= ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (١٠٩٤/٣).

(١) انظر: مصرع التصوف لبرهان الدين البقاعي (٢٤٧) [دار الكتب العلمية].

(٢) الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية (١٦) بواسطة كتاب الكشف عن حقيقة الصوفية لمحمود القاسم (٢٤٢) [دار الصحابة، ١، ١٤٠٨هـ].

(٣) هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل (٥٤، ٥٥) [دار الكتب العلمية، بيروت، ٤ ط، ١٩٨٤م].

وتنفي المغايرة بين من نسميهم الخلق وبين من نسميه الخلاق! وتثبت أن وجود الأول عين وجود الثاني، فكما أنه لا وجود إلا وجوده، فكذلك لا ذات إلا ذاته، أما تلك الكثرة الوهمية في الذوات، فيؤمن بها عمي القلوب»^(٤).

❁ الرد عليهم:

لا شك أن اعتبار الوجود حقيقة واحدة هو إلحاد بين، في دين الله تعالى، ومكابرة مكشوفة لكل ذي بصيرة، لا تحتاج إلى حشد الأدلة وجمع أقوال الأئمة لبيان فسادها؛ لأن تقسيم الوجود إلى خالق ومخلوق أمر مستقر في الفطر ولا ينكره إلا شواذ البشر، ولذا أكتفي بالإشارة إلى بطلان هذا المعتقد من خلال الآتي:

أولاً: أن هذه العقيدة مصادمة لدعوة الرسل القائمة على الدعوة إلى تحقيق التوحيد لله تعالى، وإفراده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وجميع خصائصه سبحانه.

ثانياً: أن القول بوحدة الوجود هو إبطال صريح للخطاب الشرعي الذي لا يكون إلا بين المخاطب والمخاطب وبين الأمر والمأمور ونحو ذلك. قال الله سبحانه: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى:

(٤) المرجع السابق (٥٥).

✽ مذهب المخالفين:

يتخذ المتكلمون الألفاظ المجملة قناعاً لتمرير عقائدهم التي خالفوا بها الكتاب والسنة كلفظ الغير؛ لأن بعض السامعين لها يتبادر إلى أذهانهم أن هؤلاء المتكلمين ينزهون الله عما لا يليق به من النقائص والعيوب، كنفي التعدد والتكثير عن ذات الله، والواقع أنهم يقصدون بها نفي الثابت من صفات الله ﷻ بأهوائهم المنحرفة، وآرائهم الضالة، ويموهون على العامة وأشباههم بأن إثباتها لله يلزم الغير، وهو يحتمل حقاً وباطلاً؛ فقد يطلق لفظ الغير ويراد به المباين المنفصل، وهذا هو مقصودهم به، وقد يطلق ويراد به ما ليس هو عين الشيء، أو ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر^(٢).

✽ الرد عليهم:

لفظ الغير لفظ مبتدع مجمل يحتمل صواباً وباطلاً، والواجب الابتعاد عن الألفاظ المجملة المبتدعة التي تحتمل معاني فاسدة، ولزوم الألفاظ الشرعية كما كان يفعل السلف.

فقايل هذا اللفظ المجمل يُسأل عن مراده فيقال له: ماذا تقصد به؟ فإن كنت تقصد أن الصفات هي بائنة عن الله

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، فهل الأمر والمأمور والناهي والمنهي، المخاطب والمخاطب في تلك النصوص واحد؟ هذا لا يقوله عاقل، فالقول بنفي الغيرية عن الوجود هو إلغاء للشرع بأكمله.

ثالثاً: دلالات النصوص الكثيرة الصريحة على تقسيم الوجود إلى خالق ومخلوق كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [البقرة: ١٢٨]، وما ثبت من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ»^(١).

ففي هذه النصوص: ربٌّ ومربوب، وخالق ومخلوق، ومعبود وعابد، وهذا يبطل القول بنفي الغيرية عن الوجود.

رابعاً: أن أصحاب هذه العقيدة الفاسدة متناقضون مكابرون للحقيقة، ومعاندون في ادعاء تلك العقيدة؛ لأنهم يفرقون في واقعهم بين أنفسهم وبين ذويهم من أب وأم، وزوجة وولد وغير ذلك.

(٢) انظر: الإنصاف للباقلاني (٢٥)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٣٣٦) وبغية المرناد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (٤٢٦).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٠٦).

والخلاصة: أن تسمية المتكلمين إثبات الصفات الاختيارية أو غيرها بالغير والغير للتنفير عنها لا يلتفت إليه، بل الواجب إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ونفي ما نفاه الله سبحانه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكيف ولا تمثيل.

وأن ما اصطلحوا عليه من تسمية ذلك بالغير ما هو إلا تدليس قادهم إليه انحرافهم في باب الصفات عن الجادة السوية، وليس عليه إثارة من علم، وما كان كذلك فهو ساقط لا قيمة له.

❁ المصادر والمراجع:

١ - «بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية»، لابن تيمية.

٢ - «تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة»، لسليمان بن سحمان.

٣ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٢، ٤)، لابن تيمية.

٤ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز.

٥ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.

٦ - «الصفدية» (ج ١)، لابن تيمية.

ومنفصلة عنه؛ فهذا باطل لأن صفات الله ليست منفصلة عنه ولا مباينة، وإن كنت تقصد أن ذات الله هي ذات مجردة عن أي صفة ثبوتية، فإن هذا غاية في إنكار وجود الله، وليس من ورائه إلا عدم محض وهو ظاهر البطلان.

وإن كنت تقصد بلفظ الغير: أن الصفات لها معانٍ غير معنى الذات، فهذا صحيح ونفيه عن الله باطل؛ لمصادمته الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر]، فالله عَلم للذات المقدسة المسماة بعدة أسماء؛ منها: (الواحد والقهار)، وكل منهما دال على صفة من صفات الكمال؛ وهما: الوحدانية والقهر. ومعنى الواحد يختلف عن معنى القهار، ومعنى القهار يختلف عن معنى الذات وهكذا، وكلها أسماء وأوصاف لذات واحدة.

قال ابن أبي العز الحنفي: «وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها، فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها؛ فإن كان معنًى صحيحاً قبل، لكن ينبغي التعبير عنه بالألفاظ النصوص، دون الألفاظ المجملة، إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، ونحو ذلك»^(١).

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٦١).

٧ - «الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة» (ج ٣)، لابن القيم.

٨ - «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (ج ٣)، لعبد الرحمن بن صالح المحمود.

٩ - «موقف شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم من الألفاظ المجملة والمتعلقة بأبواب التوحيد والقضاء والقدر»، لعبد السميع بن عبد الأول.

صالح ومنفعة. والأصل الآخر: قولنا: هذا الشيء غير ذاك؛ أي: هو سواه وخلافه. ومن الباب: الاستثناء بغير، تقول: عشرة غير واحد، ليس هو من العشرة»^(٢).

التعريف شرعاً:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وهي على معنى ما يمنع من أي شيء يشين الخلق ويخدش الحياء، وهي في ذلك على غاية الكمال والجلال، بلا تكيف ولا تمثيل.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، لكن المعنى الشرعي هنا متعلق بالصفة التي هي لله تعالى، فهو مختص بالغيرة المانعة مما يشين الخلق ويخدش الحياء، ولا يدخل فيها ما يطلق عليه غيرة وهو متضمن لمعاني نقص في الغيور.

الحكم:

وجوب إثبات صفة الغيرة لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الأدلة:

عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال: قال

(٢) مقاييس اللغة (٤/٤٠٣) [دار الجبل، ط ١، ١٤١١هـ]
وانظر: لسان العرب (٥/٣٤)، والقاموس المحيط (٢/١٦٧) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ].

الغيرة مصدر من الفعل غار، وهي الحمية والأنفة، يقال رجل غيور وامرأة غيور بلا هاء؛ لأنّ فعولاً يشترك فيه الذكر والأنثى، والمغيّر الشديد الغيرة^(١)، قال ابن فارس: «الغين والياء والراء أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على صلاح وإصلاح ومنفعة، والآخر على اختلاف شيئين. فالأوّل: الغيرة، وهي الميرة بها صلاح العيال. يقال: غرّت أهلي غيرةً وغياراً؛ أي: مرّتهم. وغارهم الله تعالى بالغيث يغيّرهم ويعوّرهم؛ أي: أصلح شأنهم ونفعهم. ويقال: ما يغيّر كذا؛ أي: ما ينفعك. ومن هذا الباب: الغيرة؛ غيرة الرجل على أهله، تقول: غرّت على أهلي غيرةً. وهذا عندنا من الباب؛ لأنّها

الغيرة

التعريف لغة:

(١) لسان العرب (٥/٣٤) [دار صادر، بيروت، ط ١].

❁ أقوال أهل العلم:

بَوَّب البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه: «باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من الله»^(٥). قاصداً بذلك أن الغيرة وصف ثابت لله تعالى.

وفي أبواب صحيح مسلم: «باب غيرة الله تعالى، وتحريم الفواحش» ومروى تحته ثلاثة أحاديث في إثبات غيرة الله تعالى^(٦).

وقال قوام السُّنة الأصبهاني: «وجميع آيات الصفات التي في القرآن، والأخبار الصحاح واجب على المسلمين أن يؤمنوا بها مثل: النفس، والبدن، وغيرة الله تعالى...»^(٧).

قال أبو يعلى الفراء رَحِمَهُ اللهُ بعد أن روى حديث أبي هريرة وسعد بن عبادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا السابقين: «اعلم أن الكلام في هذا الخبر في فصلين:

أحدهما: إطلاق صفة الغيرة عليه.

والثاني: في إطلاق الشخص.

أما الغيرة فغير ممتنع إطلاقها عليه سبحانه؛ لأنه ليس في ذلك ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه؛ لأن

سعد بن عبادَةَ: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «أتعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغير منه، والله أغير مني؛ ومن أجل غيرة الله حَرَّمَ الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله؛ ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله؛ ومن أجل ذلك وعد الله الجنة»^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لا أحد أغير من الله فلذلك حَرَّمَ الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله فلذلك مدح نفسه»^(٢).

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «يا أُمَّة محمد: ما أحد أغير من الله أن يرى عبده أو أمته تزني، يا أُمَّة محمد: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»^(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١٦)،

ومسلم (كتاب اللعان، رقم ١٤٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٦٣٧)،

ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥٢٢١)،

ومسلم (كتاب الكسوف، رقم ٩٠١).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥٢٢٣)،

ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦١).

(٥) صحيح البخاري (٣٨٧/٤) [المكتبة السلفية، ط ١].

(٦) صحيح مسلم (٢١١٣/٤) [دار الكتب العلمية،

١٤١٣هـ].

(٧) الحجة في بيان المحجة (٢/٤٦٨ - ٤٧٠) [دار

الراية، ط ١، ١٤١١].

يأخذ أحكام أسماء الله الحسنى، وقد توسع بعض أهل العلم وأثبت لله اسم الغيور، ومعناه كما قال ابن العربي: «غَيُورٌ، وَهُوَ الَّذِي لَا يُحَرِّمُ سِوَاهُ»^(٥).

ولم يذكره في أسماء الله إلا ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ مستدلاً بأدلة صفة الغيرة، وأسقطه كل من ألف في الأسماء والصفات^(٦).

وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ مَبِينًا خطأ أن يُشتق من كل فعل اسمٌ لله تبارك وتعالى: «من هنا يعلم غلط بعض المتأخرين وزلقه الفاحش في اشتقاقه له سبحانه من كل فعل أخبر به عن نفسه اسمًا مطلقًا، فأدخله في أسمائه الحسنى، فاشتق له اسم الماكر والخادع والفاتن والمضل والكاتب ونحوها من قوله: ﴿وَيَمَكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ومن قوله: ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، ومن قوله: ﴿لَنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٧]، ومن قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]. وهذا خطأ من وجوه»^(٧)، ثم ذكرها.

الغيرة هي الكراهية للشيء، وذلك جائز في صفاته، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]^(١).

وقال ابن تيمية: «وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الله يوصف بالغيرة، وهي مشتقة من التغير»^(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «والغيرة من صفات الرب ﷻ والأصل فيها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [الأعراف: ٣٣] ومن غيرته تعالى لعبده وعليه يحميه مما يضره في آخرته»^(٣).

❁ الأقسام:

صفة الغيرة لله تعالى خاصة وعامة:

فالخاصة: هي أن يأتي المؤمن ما حرم عليه.

والعامة: هي غيرته من الفواحش ما ظهر منها وما بطن^(٤).

❁ المسائل المتعلقة:

لا يجوز تسمية الله بالغيور؛ لأنه لم يرد دليل لا من الكتاب ولا من السنة يدل عليه؛ وأسماء الله توقيفية، وعلى هذا فلا

(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٣٤٧/٢) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ].

(٦) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣٤٧/٢)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٢٩٥) [دار إيلاف، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٧) طريق الهجرتين (٤٨٦ - ٤٨٧) [دار ابن القيم، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(١) إبطال التأويلات لأخبار الصفات (١٦٥/١) [دار إيلاف الدولية].

(٢) رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية، ضمن مجموع الرسائل (٤٨/٢) [دار العطاء، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٣) روضة المحبين (٢٩٥) [دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ].

(٤) الاستقامة لابن تيمية (١١/٢) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٣هـ].

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا: «إِنْ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ؛ إِذْ إِنْ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ.

٢ - تجنب الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

٣ - غيرة المؤمن لانتهاك محارم الله وَعَلَيْهِ، وتلك الغيرة الممدوحة في الشرع، كما امتدح النبي ﷺ غيرة سعد رضي الله عنه بقوله: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ وَاللَّهِ لَا أُنَا أَغِيرُ مِنْهُ، وَاللَّهِ أَغِيرُ مِنِّي» الحديث (٣).

الآثار:

١ - ما فطر الله تعالى العباد عليه من بغض الفواحش.

٢ - شرع الله تعالى الحكيم المشتمل على تقرير كل خلق كريم، والنهي عن كل فاحشة أو سبيل مفضية إليها.

٣ - العقوبات الواقعة على الأمم التي تظهر فيها الفواحش وتقر، كما حصل لقوم لوط رضي الله عنه، وكما يدل عليه قول النبي ﷺ: «لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يَعلَنُوا بِهَا إِلَّا فُشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مُضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا» (٤).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠١٩)، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٦٢٣) وصححه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٦).

من الاسم، ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالاً لم يتَّسم منها بأسماء الفاعل، كأراد وشاء وأحدث، ولم يتَّسم بالمريد والشائي والمحدث، كما لم يتَّسم نفسه بالصانع والفاعل والمتقن، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء. وقد أخطأ أقيح خطأ من اشتق له من كل فعل اسمًا وبلغ بأسمائه زيادة على الألف، فسماه الماكر والمخادع والفاتن والكائد ونحو ذلك، وكذلك باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به؛ فإنه يخبر عنه بأنه شيء وموجود ومذكور ومعلوم ومراد ولا يسمى بذلك» (١).

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنَ الْإِخْبَارِ عَنْهُ بِالْفِعْلِ مَقِيدًا أَنْ يَشْتَقَّ لَهُ مِنْهُ اسْمٌ مُطْلَقٌ، كَمَا غَلَطَ فِيهِ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فَجَعَلَ مِنْ أَسمَائِهِ الْحَسَنَى: الْمُضِلُّ الْفَاتِنُ الْمَاكِرُ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِ؛ فَإِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ لَمْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ مِنْهَا إِلَّا أَفْعَالٌ مَخْصُوصَةٌ مَعِينَةٌ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى بِأَسْمَائِهَا» (٢).

الثمرات:

١ - تعبُّد المؤمن لربه تعالى بتركه كل

(١) مدارج السالكين (٣/٤١٥) [دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ].

(٢) بدائع الفوائد (١/١٦٩) [مكتبة مصطفى نزار الباز، ط ١، ١٤١٦هـ].

✽ مذهب المخالفين:

المخلوق، ومعلوم أن نفي خصائص صفات المخلوقين عن الخالق لا يقتضي نفي أصل الصفة عنه سبحانه، ولا إثبات أصل الصفة له يقتضي إثبات خصائص المخلوق له، كما أن ما نفي عن صفات الرب تعالى من النقائص والتشبيه لا يقتضي نفيه عن صفة المخلوق، ولا ما ثبت لها من الوجوب والقدم والكمال يقتضي ثبوته للمخلوق لإطلاق الصفة على الخالق والمخلوق، فالصفة الثابتة لله مضافة إليه لا يتوهم فيها شيء من خصائص المخلوقين لا في لفظها ولا في ثبوت معناها، وكل من نفى عن الرب تعالى صفة من صفاته لهذا الخيال الباطل لزمه نفي جميع صفات كماله؛ لأنه لا يعقل منها إلا صفة المخلوق، بل ويلزمه نفي ذاته؛ لأنه لا يعقل من الذوات إلا الذوات المخلوقة، ومعلوم أن الرب ﷻ لا يشبهه شيء منها^(٢).

ومن قال: إنَّ الغيرة انفعالات نفسانية؛ يقال له: كل ما سوى الله مخلوق منفعل ونحن وذواتنا منفعة فكونها انفعالات فينا لغيرنا نعجز عن دفعها: لا يوجب أن يكون الله منفعلاً لها عاجزاً عن دفعها، وكان كل ما يجري في الوجود فإنه بمشيئته وقدرته لا

خالف في هذه الصفة عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فنفوها عن الله تعالى؛ بحجة استلزامها للتشبيه وإضافة النقص إلى الله تعالى؛ لأنها انفعالات نفسية لا تكون إلا للمخلوق، ولذلك أولوها إلى معنى الزجر عن المعاصي، أو ما يغير من حال العاصي بالانتقام منه في الدنيا والآخرة، ونحو ذلك من التأويلات.

قال ابن فورك - في معنى غيرة الله ﷻ -: «المعنى ما أحد أكثر زجراً عن الفواحش من الله»^(١).

✽ الرد عليهم:

الرد بنفي هذا اللازم الذي ذكره في إثبات الصفة، فأهل السنَّة يشبِّهونها لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجه، ولا مماثلة فيه لشيء من صفات المخلوقين.

وما هذه الإلزامات التي يوردونها على الإثبات إلا تدليس وتلبيس لرد الحق؛ فإنهم أخذوا في مسمى الصفة خصائص المخلوق ثم نفوها جملة عن الخالق، وهذا في غاية التلبيس والإضلال، فإن الخاصية التي أخذوها في الصفة لم تثبت لها لذاتها، وإنما تثبت لها بإضافتها إلى

(٢) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم (٨٥) [عالم الكتب]، والرسالة الأكملية ضمن مجموع الفتاوى (١١٩/٦).

(١) نقلاً عن فتح الباري لابن حجر (٣٥١/٢) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

يكون إلا ما يشاء ولا يشاء إلا ما يكون، له الملك وله الحمد. فصفة الغيرة ثابتة لله ﷻ على وجه الكمال الذي ليس فيه أي معنى من معاني النقص، ولا مماثلة لشيء من المخلوقين^(١).

٦ - «صفة الغيرة لله تعالى: دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة»، لمحمد العلي.

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٦)، لابن تيمية.

❁ المصادر والمراجع:

- ٨ - «مدارج السالكين» (ج ٣)، لابن القيم.
- ٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.
- ١٠ - «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» (ج ١)، لأبي يعلى.
- ١ - «الاستقامة» (ج ٢)، لابن تيمية.
- ٢ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ٢)، لقوام السنة.
- ٣ - «رسالة في الصفات الاختيارية»، لابن تيمية، [ضمن مجموع الرسائل (ج ٢)].
- ٤ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، لعبد الله الغنيمان.
- ٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في

❁ الغيور ❁

يراجع مصطلح (الغيرة).



(١) الرسالة الأكملية ضمن مجموع الفتاوى (١٢٠/٦).

حرف الفاء

وقال البيهقي رحمه الله: «قال الحليمي في معنى الفاطر: إنه فاتق المرتق من السماء والأرض، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقال أبو سليمان [الخطابي]: الفاطر هو الذي فطر الخلق؛ أي: ابتدأ خلقهم كقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يَعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١]» (٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

توافق المعنى الشرعي مع اللغوي من حيث أصل المعنى.

الأسماء الأخرى:

فاطر السماوات والأرض.

الحكم:

ذكر الله عز وجل عن نفسه أنه فاطر السماوات والأرض، فنثبت ذلك من أفعاله سبحانه، وندعوه بذلك كما ثبت في الأحاديث، وهذا الفعل المقيد خاص به سبحانه، لا ينسب ولا يطلق على أحد سواه. وهو بمعنى خالق، كما سبق.

الفاطر

التعريف لغة:

الفاطر اسم الفاعل للفعل (فطر)، والفاء والطاء والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه، من ذلك الفطر من الصوم. وفطرت الشاة فطرًا، إذا حلبتها، والفطرة: الخلقة والجبلة القابلة لدين الحق، والفطر: الابتداء والاختراع، وفطر الله الخلق يفطرهم: خلقهم وبدأهم، وافطر الأمر: ابتدعه، وفطر الشيء يفطره فطرًا فانفطر، وفطره: شقه، والفطر الشق، ومنه فطر البئر، وفطر الله الشجر بالورق وتفطرت الأرض بالنبات، واليد والثوب: تشققت. وفطر ناب البعير: شق اللحم وطلع (١).

التعريف شرعًا:

هو الذي خلق الخلق وابتدأهم وأبدعهم على غير مثال سابق.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥١٠/٤) [دار الفكر]، والصحاح (٣٤٥/٢)، والمحكم (١٥٣/٩) [دار الكتب العلمية، ط ٢٠٠٠م]، ولسان العرب (٥٥/٥) [دار صادر، ط ١٤١٢هـ]، والقاموس المحيط (١٩٣/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١٤١٥هـ].

(٢) الأسماء والصفات (٧٦/١، ٧٧) [مكتبة السوادي].

❁ الأدلة:

صراط مستقيم^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو بكر: يا رسول الله مُرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت؟ قال: «قُلِ اللَّهُمَّ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه»، قال: قلّه إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه: في قوله: فاطر السماوات والأرض، قال: «بديع السماوات والأرض»^(٣).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، قال: ابتدأتها»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٠٦٧)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٣٩٢) وقال: «حسن صحيح»، وأحمد (٢٢٧/١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]، والدارمي (كتاب الاستئذان، رقم ٢٧٣١)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ٢٧٥٣).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٠٤/٧) [المكتبة العصرية]، وفي سنده ضعف.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٣١٧٠/١٠).

جاءت الأدلة في وصف الله تعالى بأنه فاطر السماوات والأرض مقيداً في ست آيات، وهي:

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١].

وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الزمر: ٤٦].

وقوله: ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنْكَ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

وقوله: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (١٠) فاطر^(١) [الشورى].

أما في السنة: فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سألت عائشة أم المؤمنين: بأي شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللَّهُمَّ رَبِّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تهدي من تشاء إلى

أسماء الله الحسنى من التعبيد له والدعاء به على الإطلاق، وإنما يقال: يا فاطر السماوات والأرض، كما جاءت النصوص الشرعية بذلك.

- المسألة الثانية: من صفات الله تعالى الفطر^(٤):

وهي من الصفات الفعلية، فالله فطر الخلق، دلَّ عليها الكتاب والسُّنة والعقل، ومن ذلك الأدلة التي دلت على فاطر السماوات والأرض، وسبق ذكرها، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام]، وقوله: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]، وقوله: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس]، وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١].

ومن السُّنة ما ورد عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين» الحديث^(٥).

(٤) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (١٩٦) [دار الهجرة، ط١].

(٥) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧١).

وعن الضحاك رحمته الله قال: «كل شيء في القرآن: فاطر السماوات والأرض؛ فهو خالق السماوات والأرض»^(١).

وقال ابن كثير رحمته الله: «فاطر السماوات والأرض؛ أي: خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تسمية الله ﷻ

بـالفاطر:

اسم الفاطر بهذا الإطلاق لم يرد في القرآن أو السُّنة، وإنما ورد مضافاً إلى السماوات والأرض في ستة مواضع من القرآن قد سبق ذكرها.

وقد ذكر هذا الاسم عدد من العلماء على إطلاقه دون تقييد^(٣)، والحق أنه لم يرد مطلقاً في النصوص وإنما ورد مضافاً كما سبق، وقد جاء في بعض النصوص بصيغة: فطر، كما في قوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١].

وعلى هذا فالفاطر لا يأخذ أحكام

= وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٨٣/١١) مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ. وهو عند البيهقي في الأسماء والصفات (٧٨/١) [مكتبة السوادي، ط١]، وفيه: «أنا فطرتها؛ يريد: استحدثت حفرها».

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣١٧٠/١٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٤٣/٣) [دار طيبة، ط٢].

(٣) انظر: معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٢١٣، ٢١٤، ٢٤٨) [دار إيلاف، ط١، ١٤١٧هـ].

- المسألة الثالثة: أن الله ﷻ فطر الخلق على معرفته:

فالفطر السليمة تشهد له بربوبيته ووحدانيته، فهو أظهر دليل ولا يحتاج إلى دليل، فالنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقرّة لله بالإلهية، محبة له تعبه لا تشرك به شيئاً ولكن يفسدها من يزين لها من شياطين الإنس والجن بما يوحى بعضهم إلى بعض من الباطل^(١).

والمقصود بالفطرة التي يولد عليها كل مولود كما جاء في الحديث ليست مجرد الخلق فحسب بل «هي السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة، فإن حقيقة الإسلام أن يستسلم لله لا لغيره، وهو معنى: لا إله إلا الله»^(٢).

والرسل ﷺ بُعثوا لتذكير العباد بهذه الفطرة التي فطرهم عليها ربهم ولدعوتهم لأن يعبدوه ويفردوه بالعبادة والإلهية ولا يشركوا معه أحداً. فتوحيد الألوهية هو المقصود والغاية من دعوة الرسل، لا توحيد الربوبية.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولهذا لم تدع الرسل قط الأمم إلى الإقرار بالصانع ﷻ وإنما دعوهم إلى عبادته وتوحيده وخاطبهم خطاب من لا شبهة عنده قط

في الإقرار بالله تعالى ولا هو محتاج إلى الاستدلال عليه ولهذا: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]. وكيف يصح الاستدلال على مدلول هو أظهر من دليله حتى قال بعضهم: كيف أطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء»^(٣).

الفروق:

الفرق بين الفطر والفعل:

الفطر إظهار الحادث بإخراجه من العدم إلى الوجود كأنه شق عنه فظهر، وأصل الباب الشق ومع الشق الظهور ومن ثم قيل: تَفَطَّرَ الشجر؛ إذا تشقق بالورق، وفطرت الإناء: شققته، وفطر الله الخلق: أظهرهم بإيجاده إياهم كما يظهر الورق إذا تفطر عنه الشجر، ففي الفطر معنى ليس في الفعل، وهو الإظهار بالإخراج إلى الوجود قبل ما لا يستعمل فيه الظهور ولا يستعمل فيه الوجود^(٤).

الفرق بين الخالق وبين الفاطر والرب:

إن الخلق عبارة عن التقدير، وهو في حق الله تعالى عبارة عن علمه النافذ في جميع الكليات والجزئيات، وأمّا كونه فاطراً فهو عبارة عن الإيجاد والإبداع،

(٣) مدارج السالكين (٢/٣٤٧) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(٤) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٤٠٧) [مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٢٠٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٢٤٥).

بل هو على يقين بربوبيته وألوهيته.

٣ - وعلى العبد ألا يتخذ ولياً من دون الله الذي فطره والذي يطعمه ويسقيه، وهو منزّه عن الطعام والشراب، بل يتخذهُ ولياً فهو نعم المولى والولي ونعم النصير، كدأب الرسل عليهم الصلاة والسلام، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠١].

٤ - الاقتداء برسول الله في توسلِهِ بفاطر السماوات والأرض، فيتوسل به؛ لأن يهديه الله لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فإن الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ويتوسل به بأن يعيذه من شرور نفسه من رياء وشرك وحقد وحسد وغيرها من الشرور، ومن شر الشيطان وشركه.

مذهب المخالفين:

من المعلوم أن الله فطر عباده على معرفته وعبادته ومحبته والسلامة من الاعتقادات الباطلة، فمعرفة سبحانه مركوزة في النفس الإنسانية، منذ أخذ الله الميثاق والعهد على بني آدم لما أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام، ووجوده سبحانه لا يحتاج إلى دليل، فهو أظهر من الشمس في رابعة النهار، فهو فاطر السماء والأرض، لذلك قالت الرسل

فكونه تعالى خالقاً إشارة إلى صفة العلم، وكونه فاطراً إشارة إلى صفة القدرة، وكونه تعالى رباً ومربياً على الأمرين فكان ذلك أكمل^(١).

الآثار:

١ - أن العبد حينما يعتقد أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض، وما اشتملتا عليه من المخلوقات، يستشعر كمال قدرته، وسعة ملكه، وعموم رحمته، وبديع حكمته، وإحاطة علمه، فيزداد لربه محبة وتوكلاً عليه وطلباً لهدايته، ويبرأ من كل ما يعبد من دون الله، كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٦].

٢ - وكذلك يُسلم وجهه لربه فيخلص عمله له كما قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]. وكما في دعاء الاستفتاح في الصلاة، ويحمد الله تعالى كما حمد سبحانه نفسه فله الحمد فاطر السماوات والأرض.

كما أنه لا يشك ولا يرتاب في ربه كفعل المشركين الذين جادلوا رسلهم،

(١) انظر: الباب في علوم الكتاب (٧/٨) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ].

[إبراهيم: ١٠] أيشك في الله حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده؟ وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول، فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى؟ ثم نبهوا على الدليل بقولهم: فاطر السماوات والأرض.

وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية - قدس الله روحه - يقول: كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء، وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما^(٣).

المصادر والمراجع:

١ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، لليهقي.

٢ - «الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في نفي صفات الله ﷻ والرد عليها من كتب شيخ الإسلام» (ج ١ و ٢ و ٣)، لعبد القادر عطا صوفي.

٣ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للتمي.

٤ - «درء التعارض» (ج ٨)، لابن تيمية.

لأقوامها: أفي الله شك فاطر السماوات والأرض، إلا أن الجهمية ومن سار على نهجهم من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية - متأثرين بالفلاسفة - خالفوا ذلك، ووضعوا أصولاً وسننوا قوانين لإثبات وجود الخالق، مثل دليل حدوث الأجسام والأعراض وغيرها^(١)، وجعلوا النظر في ذلك هو أوجب الواجبات وأولها، ويكفي لبطلانها أنها أصول وقواعد جرّتهم إلى نفي صفات الله تعالى، ولوازم فاسدة، ومخالفة لطريق الرسل وسلف الأمة، فصعّبوا ما هو سهل ومعروف لدى العام والخاص؛ إذ إن «وجوده سبحانه وربوبيته وقدرته أظهر من كل شيء على الإطلاق، فهو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار وأبين للعقول من كل ما تعقله وتقر بوجوده، فما ينكره إلا مكابر بلسانه وقلبه وعقله وفطرته وكلها تكذبه»^(٢).

ويقول ابن القيم رحمه الله: «فأما الاستدلال بالصنعة فكثير، وأما الاستدلال بالصانع فله شأن، وهو الذي أشارت إليه الرسل بقولهم لأممهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾»

(١) انظر أقوالهم والرد عليها في: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في نفي صفات الله ﷻ والرد عليها من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية (ج ١ و ٢ و ٣) لعبد القادر عطا صوفي [أضواء السلف، ط ٢، ١٤٢٦هـ].

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢١٢). وانظر: شفاء العليل (٢٥٣) [دار الفكر].

الواقدي من طريق أبي جعفر الصادق عن العباس، وجزم به المدائني وابن سعد^(٢).

القول الثاني: أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ، وهذا نقله ابن عبد البر^(٣) عن عبيد الله بن محمد الهاشمي.

القول الثالث: أنها ولدت قبل البعثة بقليل، نحو سنة أو أكثر، وهذا قول الذهبي^(٤) وابن حجر فيما يظهر من سياق كلامه^(٥).

وأما وفاتها فقد توفيت بعد النبي ﷺ بستة أشهر كما في الصحيح^(٦)، في ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان في سنة إحدى عشرة، عن بضع وعشرين سنة^(٧)، قال الذهبي: «وعاشت أربعًا أو خمسًا وعشرين سنة، وأكثر ما قيل: إنها عاشت تسعًا وعشرين سنة، والأول أصح»^(٨). وقال ابن حجر: «وماتت بعد

٥ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤، ١٦)، لابن تيمية.

٨ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.

٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنى»، للتميمي.

١٠ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج ٢)، للحمود.

فاطمة بنت النبي محمد ﷺ

اسمها ونسبها:

فاطمة بنت رسول الله محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، الهاشمية القرشية^(١).

مولدها ووفاتها:

اختلف في سنة مولدها على أقوال:

القول الأول: أنها ولدت قبل البعثة،

حين كان عمر النبي ﷺ خمسًا وثلاثين سنة، عام بناء الكعبة، وهذا القول نقله

(١) طبقات خليفة بن خياط (٣٠) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٧/ ٢١٦) [دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ]، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٤٧/٣٥) [مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ]، وسير أعلام النبلاء (١١٨/٢) [مؤسسة الرسالة، ٣، ١٤٠٥هـ]، والإصابة في تمييز الصحابة (٥٣/٨).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٦/٨) [دار الكتب العلمية، ١، ١٤١٠هـ].

(٣) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٨٩٣/٤) [دار الجبل، ١، ١٤١٢هـ].

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (١١٩/٢).

(٥) انظر لهذه الأقوال: الإصابة (٥٤/٨).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

(٧) الطبقات لابن سعد (٢٣/٨)، وتاريخ خليفة بن خياط (٩٦) [مؤسسة الرسالة، ٢، ١٣٩٧هـ]، والبداية والنهاية (٤٨٥/٩، ٤٩٠) [دار هجر، ١، ١٤١٨هـ].

(٨) سير أعلام النبلاء (١٢١/٢).

فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران»^(٥).

- أنها ﷺ بضعة من النبي ﷺ، يغضبه ما يغضبها، ويؤذيه ما يؤذيها، ويريبه ما يريبها، كما ثبت من حديث المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني»^(٦).

وعن المسور بن مخرمة أيضًا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: «إنما هي بضعة مني، يربيني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها»^(٧).

قال الذهبي: «ومناقبها غزيرة، وكانت صابرة، دينية، خيرة، صيئة، قانعة، شاكرا لله. وقد غضب لها النبي ﷺ لما بلغه أن أبا الحسن همّ بما رآه سائعا من خطبة بنت أبي جهل... فترك علي

النبي ﷺ ستة أشهر، وقد جاوزت العشرين بقليل»^(١). وثبت في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها أن فاطمة رضي الله عنها «لما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها»^(٢).

❁ فضائلها:

- أنها سيدة نساء أهل الجنة، كما جاء من حديث حذيفة رضي الله عنه أنه قال: قال النبي ﷺ: «إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم عليّ، ويبشّرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»^(٣).

وثبت من حديث أم المؤمنين عائشة أن فاطمة رضي الله عنها بنت النبي ﷺ حدثتها أن النبي ﷺ قال لها: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟ فضحكت لذلك»^(٤).

وجاء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط، قال: تدرون ما هذا؟

(١) تقريب التهذيب (رقم ٨٦٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٨١)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وأحمد (٣٨/٣٥٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٦٩٦٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٤٢٦).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٦٢٤).

(٥) أخرجه أحمد (٤٠٩/٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والنسائي في السنن الكبرى (كتاب المناقب، رقم ٨٢٩٧)، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٧٠١٠)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/١٣٥) [دار المعرفة]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٠٨).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧١٤) واللفظ له، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٩).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥٢٣٠)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٩).

من أبي بكر الصديق ﷺ أن يعطيها من ميراث أبيها، فأخبرها الصديق ﷺ بأن النبي ﷺ لا يورث، وأن ما تركه صدقة، كما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها: «أن فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي ﷺ، فيما أفاء الله على رسوله ﷺ، تطلب صدقة النبي ﷺ التي بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا فهو صدقة» إنما يأكل آل محمد من هذا المال، - يعني: مال الله - ليس لهم أن يزيدوا على المأكل، وإنني والله لا أغير شيئاً من صدقات النبي ﷺ التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ. فتشهد علي ثم قال: إِنَّا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك - وذكر قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقهم - فتكلم أبو بكر فقال: والذي نفسي بيده، لقربة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي»^(٥). وفي رواية: «فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا

(٥) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧١١، ٣٧١٢)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

الخطبة رعاية لها، فما تزوج عليها، ولا تسرى، فلما توفيت تزوج، وتسرى ﷺ»^(١).

- أنها إحدى نساء العالمين الأربع في الفضل، لما جاء من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون»^(٢).

❁ مكانتها:

كانت فاطمة رضي الله عنها عالية القدر رفيعة الدرجة سامية المنزلة، فعن ابن جريج قال: «قال لي غير واحد كانت فاطمة أصغر بنات النبي ﷺ وأحبهن إليه»^(٣). وقال الذهبي: «وقد كان النبي ﷺ يحبها ويكرمها ويسر إليها»^(٤).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ميراث فاطمة رضي الله عنها من أبيها ﷺ:

لما توفي النبي ﷺ طلبت فاطمة رضي الله عنها

(١) سير أعلام النبلاء (١١٩/٢، ١٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٧٨) وصححه، وأحمد (٣٨٣/١٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٠٣)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٧٤٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٥٧٣/٣) [مكتبة المعارف، الرياض، ط ١].

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٥٣/٨).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١١٩/٢).

بكر، وصلى عليها^(١).

حدثنا إسماعيل عن عامر قال: جاء أبو بكر إلى فاطمة حين مرضت، فاستأذن فقال علي: هذا أبو بكر على الباب فإن شئت أن تأذني له. قالت: وذلك أحب إليك؟ قال: نعم. فدخل عليها واعتذر إليها وكلمها فرضيت عنه^(٥).

قال ابن حجر عقب إirاده هذا الأثر وحكمه عليه: «وبه يزول الإشكال في جواز تمادي فاطمة ﷺ على هجر أبي بكر ﷺ، وقد قال بعض الأئمة: إنما كانت هجرتها انقباضاً عن لقائه والاجتماع به، وليس ذلك من الهجران المحرم؛ لأن شرطه أن يلتقيا فيعرض هذا وهذا، وكان فاطمة ﷺ لما خرجت غضبي من عند أبي بكر تمادت في اشتغالها بحزنها ثم بمرضها.

وأما سبب غضبها مع احتجاج أبي بكر ﷺ بالحديث المذكور؛ فلاعتقادها تأويل الحديث على خلاف ما تمسك به أبو بكر ﷺ، وكأنها اعتقدت تخصيص العموم في قوله: «لا نورث»، ورأت أن منافع ما خلفه من أرض وعقار لا يمتنع أن تورث عنه، وتمسك أبو بكر بالعموم، واختلفا في أمر محتمل للتأويل، فلما صمم على ذلك انقطعت عن الاجتماع به

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم - منهم الذهبي^(٢) وابن كثير - أنها لم تمت حتى جاءها الصديق ﷺ وترضاها، فرضيت عنه في مرض وفاتها، حيث قال: «ولما مات رسول الله ﷺ سألت من أبي بكر الميراث، فأخبرها أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا فهو صدقة»^(٣). فسألت أن يكون زوجها ناظرًا على هذه الصدقة، فأبى ذلك وقال: إني أعول من كان رسول الله ﷺ يعول، وإني أخشى إن تركت شيئًا مما كان رسول الله ﷺ يفعل أن أضل، ووالله لقراءة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي. فكأنها وجدت في نفسها من ذلك، فلم تزل مغضبة مدة حياتها، فلما مرضت جاءها الصديق، فدخل عليها فجعل يترضاها، وقال: والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة، إلا ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله ومرضاتكم أهل البيت. فرضيت ﷺ^(٤). وقد رواه ابن سعد فقال: «أخبرنا عبد الله بن نمير،

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٤٠)، (٢٤٤١)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢١/٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البيهقي في الكبرى (كتاب قسم الفيء والغنيمة، رقم ١٢٧٣٥) عن الشعبي مرسلاً، وقال: «هذا مرسل حسن بإسناد صحيح». وانظر: البداية والنهاية (٤٨٩/٩).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٧/٨) [دار صادر، ط١]، وقال ابن حجر في فتح الباري (٦/٢٠٢) [دار المعرفة]: «وهو وإن كان مرسلاً فإسناده إلى الشعبي صحيح».

الثالث سَمَّيْتَهُ حَرْبًا، فجاء النبي ﷺ فقال: «أروني ابني، ما سَمَّيْتُمُوهُ؟» قلت: حَرْبًا. قال: «بل هو محسن». ثم قال: «سَمَّيْتُهُم بِأَسْمَاءَ وَلَدَ هَارُونَ شَبْرًا، وَشَبِيرًا، وَمُشْبِرًا»^(٤).

- المسألة الثالثة: أنها من أصحاب الكساء:

وهم النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، لحديث عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: «لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب] في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره، فجللهم بكساء، ثم قال: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأُذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت على خير»^(٥).

(٤) أخرجه أحمد (١٥٩/٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٦٩٥٨)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٧٧٣) وصححه، وصحح إسناده ابن حجر في الإصابة (١٩٢/٦) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٨٧) وقال: غريب من هذا الوجه. وله شاهد عند الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٧١)، وأحمد (٢١٧/٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني أيضًا في تعليقه على جامع الترمذي.

لذلك، فإن ثبت حديث الشعبي أزال الإشكال، وأخلق بالأمر أن يكون كذلك؛ لما علم من وفور عقلها ودينها^(١). وعلى كل حال ينبغي على المرء، أن يتذكر أن كلاً من أبي بكر وفاطمة ﷺ من المبشرين بالجنة، وعليه فلا يطلق العنان للسانه للقدح في واحد منهما.

- المسألة الثانية: زواجها من علي بن أبي طالب ﷺ:

تزوجها علي بن أبي طالب ﷺ في السنة الثانية من الهجرة النبوية الشريفة^(٢)، فأنجبت له الحسن، والحسين، ومُحَسَّنًا الذي مات صغيراً، وأم كلثوم الكبرى، وزينب الكبرى، ولم يتزوج علي عليها غيرها حتى مات^(٣).

وروي من حديث علي ﷺ أنه قال: «لما ولد الحسن سَمَّيْتَهُ حَرْبًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أروني ابني، ما سَمَّيْتُمُوهُ؟» قلت: حَرْبًا. قال: «بل هو حسن». فلما ولد الحسين سَمَّيْتَهُ حَرْبًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أروني ابني، ما سَمَّيْتُمُوهُ؟» قلت: حَرْبًا. قال: «بل هو حسين». فلما ولد

(١) فتح الباري لابن حجر (٢٠٢/٦).

(٢) انظر: تقريب التهذيب (رقم ٨٦٥٠).

(٣) انظر: الطبقات لابن سعد (١٤/٣)، والمعارف لابن قتيبة (٢١٠) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٢م]، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/١٨٩٤)، وأسد الغاية في معرفة الصحابة (٢٤/٢)، و٦٩/٥، والبداية والنهاية (٢٥/١١).

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]: «وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت هاهنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً...، وروى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [٣٣] نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة، وهكذا روى ابن أبي حاتم... عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ قال: نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة.

وقال عكرمة: من شاء باهله أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ.

فإن كان المراد: أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن، ففي هذا نظر؛ فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم^(٢).

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «إن قرينة السياق صريحة في دخولهن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿قُلْ لَا زَوْجَ لَكَ إِن كُنْتَ تُرِيدُ﴾ [الأحزاب: ٢٨]، ثم قال في نفس خطابه لهن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

وهذا الحديث وأمثاله مما في معناه، يدل على دخول علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ في مسمى آل البيت، وعلى فضلهم وشرفهم ﷺ.

- المسألة الرابعة: فيما بني على حديث الكساء من إخراج نساء النبي ﷺ عن أهل البيت:

تشبث الروافض بحديث الكساء؛ لإخراج أمهات المؤمنين عن أهل البيت^(١)، مع أن الحديث لا يدل على حصر مسمى آل البيت فيهم، وإخراج من سواهم عن مسمى آل البيت، كزوجاته وولده ونحوهم ممن يدخلون في مسمى آل البيت بالأدلة الصحيحة، وقد اشد تكبير أهل العلم على من أخرج أمهات المؤمنين عن مسمى آل البيت استناداً إلى هذا الحديث وأمثاله مما يدل على فضل أهل الكساء، وأكدوا على أن آية الأحزاب نص صريح في دخول أمهات المؤمنين في مسمى آل البيت من ثلاث جهات، وهي نزول الآية فيهن، والسياق والسباق فيهن، ودلالة اللغة كذلك عليهن، وهو أن (أل) في ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ للعهد، وهي بيوت النبي ﷺ التي فيها نساءه.

(١) هذا القول وإن لم ينفرد به الروافض إلا أنهم قالوه حقاً وغلاً في أمهات المؤمنين، وجعلوه ديدنهم، وسلاً للطعن به فيهن، أما غيرهم فقد قالوه اجتهداً فقط، وهو غير صحيح.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/٤١٠، ٤١١) [دار طيبة، ٢].

لظهور دخولها في مسمى آل البيت، قال الآلوسي: «وما أجاب به أم سلمة، وعدم إدخالها في بعض المرات تحت الكساء، ليس لأنها ليست من أهل البيت أصلاً، بل لظهور أنها منهم؛ حيث كانت من الأزواج اللاتي يقتضي سياق الآية وسباقها دخولهن فيهن، بخلاف من أدخلوا تحته - رضي الله تعالى عنهم - فإنه - عليه الصلاة والسلام - لو لم يدخلهم ويقل ما قال، لتوهم عدم دخولهم في الآية لعدم اقتضاء سياقها وسباقها ذلك»^(٤).

وبهذا يظهر جلياً أن استدلالات الروافض كلها استدلالات واهية، وتعلقات هزيلة، ومآخذ هشة تنبئ عن إفلاس القوم عن الحجة والبرهان.

- المسألة الخامسة: في ادعاء العصمة لجميع أهل الكساء:

معلوم أن العصمة لم يحظ بها من البشر إلا الأنبياء ﷺ، ولكن يدعي الروافض أن علياً وفاطمة وابنيهما ﷺ معصومون، واحتجوا لذلك بحديث الكساء المتقدم، وبآية الأحزاب وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب]، وسعوا

ليُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ، ثم قال بعده: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٤]. وقد أجمع جمهور علماء الأصول على أن صورة سبب النزول قطعية الدخول، فلا يصح إخراجها بمخصص... فالحق أنهم داخلات في الآية^(١).

وقال ابن عاشور: «وقد تلقف الشيعة حديث الكساء فغضبوا وصف أهل البيت، وقصروه على فاطمة وزوجها وابنيهما عليهم الرضوان، وزعموا أن أزواج النبي ﷺ لسن من أهل البيت. وهذه مصادمة للقرآن بجعل هذه الآية حشواً بين ما خطب به أزواج النبي ﷺ، وليس في لفظ حديث الكساء ما يقتضي قصر هذا الوصف على أهل الكساء؛ إذ ليس في قوله: «هؤلاء أهل بيتي» صيغة قصر، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي﴾ [الحجر: ٦٨] ليس معناه ليس لي ضيف غيرهم»^(٢).

وقوله في آخر الحديث: «قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت على خير»^(٣) ليس معناه أنها خارجة عن مسمى أهل البيت كما توهمه الروافض، بل كان تركها

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن (٢٣٧/٦) [دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ].

(٢) التحرير والتنوير (١٦/٢٢) [الدار التونسية].

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تفسير الألوسي (١٩٦/١١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ].

والإمام. فقد وقع الاتفاق على انتفاء العصمة المختصة بالنبي ﷺ والإمام عن أزواجه وبناته وغيرهن من النساء، وإذا كان كذلك امتنع أن يكون التطهير المدعو به للأربعة متضمنًا للعصمة التي يختص بها النبي ﷺ والإمام عندهم، فلا يكون من دعاء النبي ﷺ له بهذه العصمة؛ لا لعلي ولا لغيره، فإنه دعا بالطهارة لأربعة مشتركين لم يختص بعضهم بدعوة^(١).

ثم ذكر شيخ الإسلام أن كون الروافض في باب القدر قدرية يمتنع معه القول بالعصمة، فيقول: «وأيضًا فالدعاء بالعصمة من الذنوب ممتنع على أصل القدرية، بل وبالتطهير أيضًا؛ فإن الأفعال الاختيارية - التي هي فعل الواجبات وترك المحرمات - عندهم غير مقدورة للرب، ولا يمكنه أن يجعل العبد مطيعًا ولا عاصيًا، ولا متطهرًا من الذنوب ولا غير متطهر، فامتنع على أصلهم أن يدعوا لأحد بأن يجعله فاعلاً للواجبات تاركًا للمحرمات، وإنما المقدور عندهم قدرة تصلح للخير والشر، كالسيف الذي يصلح لقتل المسلم والكافر، والمال الذي يمكن إنفاقه في الطاعة والمعصية، ثم العبد يفعل باختياره؛ إما الخير وإما الشر بتلك

لإثبات هذا غاية السعي، وتعلقوا في سبيل هذا بكل ما هب ودب، وقد تقدم أن حديث الكساء لا يدل على أكثر من بيان فضل هؤلاء، والتنويه بدخولهم في مسمى أهل البيت، والدعاء لهم بأن يكونوا من المطهرين.

وأما ما زاد على هذا القدر، كدعوى العصمة لهم ونحوه، فيحتاج لإثباته إلى دليل آخر صحيح صريح - ولا وجود لمثل هذا في دين الإسلام - وإلا أصبحت دعوى مجردة، وكما قيل: والدعاوي ما لم تقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء، وأما آية الأحزاب المذكورة فهي بالنظر إلى سباقها وسياقها وسبب نزولها فهي كذلك لا تتعدى التنصيص على أن نساء النبي ﷺ ومن معهن هم آل البيت، وأن الله فضّلهم على غيرهم، وليس فيها أي إشارة إلى عصمة علي وفاطمة وابنهما ﷺ، بل إن الآية لا تشير إليهم إشارة صريحة، ولو لم يأت حديث الكساء وأمثاله مما يدل على دخولهم في مسمى أهل البيت لتوهم أنهم ليسوا من أهل البيت، فضلًا عن دلالتها على عصمتهم. قال ابن تيمية: «وبالجملة فالتطهير الذي أراده الله، والذي دعا به النبي ﷺ، ليس هو العصمة بالاتفاق، فإن أهل السنة عندهم لا معصوم إلا النبي ﷺ، والشيعية يقولون: لا معصوم غير النبي ﷺ

(١) منهاج السنة النبوية (٧/ ٨٣، ٨٤).

«لا نورث، ما تركنا فهو صدقة»^(٢)، تارة يقولون: إنه حديث موضوع وكذب على رسول الله ﷺ قصد به حرمان فاطمة من ميراث أبيها^(٣)، وتارة يزعمون أنه خبر واحد ينقضه القرآن الذي دل على أن الأنبياء يورثون^(٤)، وتارة يعطلون دلالاته بالتأويل الفاسد؛ حيث حرفوا (نورث) إلى يورث، ونصبوا (صدقة) على الحال بدل رفعها، وزعموا أن هذا هو الصواب في ضبط الحديث، ليسلم لهم أن ما تركه النبي ﷺ على جهة صدقة لا يورث، وغيره مما تركه يورث^(٥). وبعضهم جعل (ما) في بعض روايات الحديث: «لا نورث ما تركنا صدقة»^(٦) نافيةً و(صدقة) منصوبة؛ ليصبح المعنى: أنه ﷺ لم يترك صدقة^(٧).

الرد عليهم:

أولاً: دعوى كون النبي ﷺ يورث

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: مستند الشيعة للنراقي (٩/١٩) [مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط ١، ١٤١٩هـ]، وأضواء على الصحيحين لمحمد صادق النجدي (٣٨٠) [مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٤) انظر: المسائل الصاغانية للمفيد (٩٩) [دار المفيد، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(٥) انظر: الروض المختارة (شرح القوائد الهاشميات للكميت الأسدي) (٨١) (هامش ٣) [مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣٠٩٣)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

(٧) انظر: البداية والنهاية (٨/١٩٩).

القدرة. وهذا الأصل يبطل حجته، والحديث حجة عليهم في إبطال هذا الأصل، حيث دعا النبي ﷺ لهم بالتطهير. فإن قالوا: المراد بذلك أنه يغفر لهم ولا يؤاخذهم، كان ذلك أدل على البطلان من دلالاته على العصمة. فتبين أن الحديث لا حجة لهم فيه بحال على ثبوت العصمة. والعصمة مطلقاً - التي هي فعل المأمور وترك المحظور - ليست مقدورة عندهم لله، ولا يمكنه أن يجعل أحداً فاعلاً لطاعة ولا تاركاً لمعصية، لا لنبي ولا لغيره، فيمتنع عندهم أن من يعلم أنه إذا عاش يطيعه باختيار نفسه لا بإعانة الله وهدايته، وهذا ممّا يبين تناقض قولهم في مسائل العصمة كما تقدم. ولو قدر ثبوت العصمة، فقد قدمنا أنه لا يشترط في الإمام العصمة، ولا إجماع على انتفاء العصمة في غيرهم، وحينئذٍ فتبطل حجته بكل طريق^(١).

موقف المخالفين منه:

- الروافض:

يعتقد الروافض أن النبي ﷺ يورث كغيره من الناس، ولكن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما منعا فاطمة بنت النبي ﷺ من ميراثها، بل واستردّا منها ما أعطاهما أبوها في حياته ﷺ كفدك، وأن حديث:

(١) متهاج السنة النبوية (٧/٨٣ - ٨٥).

الناس عن الدنيا، فلا يتصور حرص زكريا ﷺ على ماله إلى درجة أنه يأنف من وراثته عصباته له، فيدعو ربه بإلحاح أن يرزقه ولدًا يرث ماله.

الرابع: أن وراثته سليمان لداود ﷺ هي وراثته النبوة أيضًا؛ لأنها لو كانت وراثته مال لما خُصَّ بها سليمان ﷺ من بين إخوته، ولما كان في الإخبار بها كبير فائدة؛ لما هو مستقر في جميع الشرائع من أن الولد يرث مال أبيه، ولكن لما كانت وراثته نبوة حسن الإخبار بها^(٥).

الخامس: هب أن الأنبياء ﷺ يورثون، فإن النبي محمدًا ﷺ ليس كذلك؛ لأنه ﷺ قد خُصَّ بخصائص عدة، منها: أنه لا يورث^(٦) كما في الحديث السابق.

وأما قول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١] فالنبي ﷺ مُستثنى منه بنص الحديث السابق الذي احتج به الصديق على المنع من إرث النبي ﷺ.

وأما ضبطهم للحديث على نحو ما سبق فهو تحريف ظاهر لأمور؛ منها:

- أنه مصادم لبعض ألفاظ الحديث

دعوى فاسدة؛ لمصادمتها صريح صحيح السُّنة، وهو قوله: «لا نورث، ما تركنا فهو صدقة»^(١).

ثانيًا: أنه قد وافق الصديق على رواية هذا الحديث عن النبي ﷺ جماعة؛ منهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وأبو هريرة ﷺ^(٢)، وهذا يكشف أكاذيب الروافض، الذين يزعمون أنه خبر واحد^(٣).

ثالثًا: أن احتجاج الروافض على أن الأنبياء يورثون بقوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٦] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ [النمل: ١٦] فلا يصح لأمور:

الأول: أن الأنبياء لا يورثون مالا؛ لما صح من حديث أبي بكر الصديق ﷺ وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «لا نورث، ما تركناه صدقة»^(٤).

الثاني: أن زكريا ﷺ كان نجارًا، يأكل من كسب يديه كداود ﷺ، ومثل هذا لا يجمع مالا، ولا سيما الأنبياء؛ فهم أزهد الناس، ولم يُذكر أنه كان ذا مال.

الثالث: أن الأنبياء ﷺ هم أزهد

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: المصدر نفسه (٣٩٨/٢).

(٣) انظر: المسائل الصاغانية للمفيد (٩٩).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٧).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٢١٢/٥ - ٢١٣)، والبداية

والنهاية (٣٩٨/٢).

(٦) البداية والنهاية (١٩٩/٨).

فاطمة وهم: هو وولده منها ﷺ، مع ما عُرف به علي ﷺ من الشجاعة المتناهية، وعدم الخوف في الله لومة لائم.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج ٤)، لابن عبد البر.
- ٢ - «أسد الغابة في معرفة الصحابة» (ج ٢، ٥، ٧)، لابن الأثير.
- ٣ - «البداية والنهاية» (ج ٩)، لابن كثير.
- ٤ - «تاريخ خليفة بن خياط».
- ٥ - «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (ج ٣٥)، للمزي.
- ٦ - «سير أعلام النبلاء» (ج ٢)، للذهبي.
- ٧ - «الطبقات الكبرى» (ج ٨)، لابن سعد.
- ٨ - «طبقات خليفة بن خياط».
- ٩ - «فتح الباري» (ج ٦)، لابن حجر.
- ١٠ - «المعارف»، لابن قتيبة.

الفأل

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الفاء والألف واللام: الفأل ما يُتفاعل به»^(٤).

والفأل: ضد الطيرة، والجمع فؤول.

(٤) مقاييس اللغة (١٩٦/٤) [دار الجبل، ط ١٤٢٠هـ].

الصحيح: «لا نورث، ما تركنا فهو صدقة»^(١)، فهذا لا يقبل التأويل المذكور لمن تجرد وأنصف ولم يكابر.

- أنه مصادم لما توارد عليه أهل الحديث، عبر عصورهم المختلفة وأزمنتهم العديدة، من أن لفظ الحديث: «لا نورث» بالنون لا بالتحتمانية، و«صدقة» بالرفع لا بالنصب.

- أنه لو كان الأمر كما يدّعيه الروافض في ضبط الحديث، لما صح احتجاج الصديق علي فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حينما التمس منه من الذي تركه والدها النبي ﷺ، وهما من أعلم الناس بمدلولات الألفاظ^(٢).

وأما جعلهم (ما) في الحديث نافية فهذا مردود بأمور؛ منها: أول الحديث وهو قوله: «لا نورث»، ومنها: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقتسم ورثتي ديناراً ولا درهماً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة»^(٣).

ومما يدل على كذب الروافض في دعوى الإرث، أن علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما ولي الأمر لم يرجع الفدك ولا غيرها إلى ورثة

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢٠٢/٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الوصايا، رقم ٢٧٧٦)،

ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٦٠).

وانظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٩٩/٨).

به، ويتبرك به، على معنى الاستبشار، والفرح بما يسمع من الكلام الحسن.

الحكم:

استعمال الفأل مما أذن فيه شرعاً، وهو من الأمور المستحبة؛ لما فيه من حسن ظن بالله ﷻ، وتقوية للعزائم، وفتح لأبواب الخير، وشحذ للهمم، ولهذا كان النبي ﷺ يحبه ويعجبه (٤).

الحقيقة:

حقيقة الفأل أن يفعل أمراً، أو يعزم عليه، متوكلاً على الله تعالى، فيسمع الإنسان الكلمة الحسنة، أو يرى شيئاً يستحسنه يرجو منه أن يحصل له غرضه الذي قصد تحصيله، كأن يسمع طالبٌ لحاجته أو ضالته رجلاً يقول: يا واجد، فيقع في قلبه أنه يجد حاجته، رجاء بالله تعالى، أو يسمع المريض آخر يقول: يا سليم فيقع في قلبه أنه سيشفى بإذن الله تعالى، وهذا معنى ما فسر به النبي ﷺ الفأل (٥).

الأدلة:

في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه؛

(٤) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٤٠، ٣٤١) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ].

وسأتي تخريج الحديث قريباً.

(٥) انظر: أعلام الحديث (٤/٢١٣٥، ٢١٣٦)، والنهاية في غريب الحديث (٣/٤٠٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣/٦٦، ٦٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٢٥هـ].

يقال: تفاءلت بكذا وتفاءلت على التخفيف والقلب، وقد أولع الناس بترك همزه تخفيفاً. والفأل أن يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول يا سالم، أو يكون طالباً فيسمع آخر يقول يا واجد، يقال تفاءلت بكذا (١).

التعريف شرعاً:

الفأل: الكلمة الطيبة أو الحسنة، يسمعها الإنسان، فيتأولها على المعنى الذي يطابق اسمها، إحساناً بالله تعالى الظن (٢).

قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: «قد أعلم النبي ﷺ أن الفأل إنما هو أن يسمع الإنسان الكلمة الحسنة، فيفأل بها؛ أي: يتبرك بها، ويتأولها على المعنى الذي يطابق اسمها، واستحب الفأل بالكلمة الحسنة يسمعها من ناحية حسن الظن بالله تعالى» (٣).

سبب التسمية:

سمي الفأل بذلك؛ لأنه مما يتفاءل

(١) انظر: الصحاح (٥/١٧٨٨) [دار العلم للملايين، ط٣]، ولسان العرب (١٠/١٦٦ - ١٦٧) [دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩هـ]، وترتيب القاموس المحيط (٣/٤٤١) [دار عالم الكتب، ط٤، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: معالم السنن (٤/٤٠٢) [المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥٢هـ]، وأعلام الحديث (٤/٢١٣٥) [جامعة أم القرى، مكة، ط١، ١٤٠٩هـ]، والنهاية في غريب الحديث (٣/٤٠٦) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) معالم السنن (٤/٤٠٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تعالى: «ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها، مما ينفعها، كما أخبرهم أنه حُبَّ إليه من الدنيا النساء والطيب»^(٦).

✽ الشروط:

قال حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللهُ: «ومن شرط الفأل أن لا يعتمد عليه، وأن لا يكون مقصودًا، بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون على بال»^(٧).

✽ المسائل المتعلقة:

- حكم استفتاح الفأل من المصحف: لم ينقل عن السلف فيه شيء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأما استفتاح الفأل من المصحف فلم ينقل عن السلف فيه شيء، وقد تنازع فيه المتأخرون، وذكر القاضي أبو يعلى فيه نزاعًا: ذكر عن ابن بطة أنه فعله، وذكر عن غيره أنه كرهه؛ فإنَّ هذا ليس بالفأل الذي يحبه رسول الله ﷺ، فإنه كان يحب الفأل ويكره الطيرة، والفأل الذي يحبه هو أن يفعل أمرًا أو يعزم عليه

أنه ﷺ سئل: ما الفأل؟ فقال: «الكلمة الصالحة يسمعونها أحدكم»^(١).

وفيهما أيضًا أن النبي ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة، وأحب الفأل الصالح»^(٢).

ولهما عن النبي ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل». قيل: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة»^(٣).

✽ أقوال أهل العلم:

قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: «وإنما أحبَّ النبي ﷺ الفأل؛ لأن فيه رجاء الخير والعائدة، ورجاء الخير أحسن بالإنسان من اليأس، وقطع الرجاء عن الخير»^(٤).

وقال أبو عبد الله الحلبي رَحِمَهُ اللهُ: «وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل؛ لأنَّ التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب ظاهر، والتفاؤل حسن ظنَّ به، والمؤمن مأمورٌ بحسن الظن بالله تعالى على كل حال»^(٥).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٥٤)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٥٦) من حديث أنس، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٣) من حديث أبي هريرة، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٧٦)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٤) واللفظ له.

(٤) شرح السنَّة للبغوي (١٢/١٧٥) [المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ].

(٥) المنهاج في شعب الإيمان (٢/٢٥) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩هـ].

(٦) مفتاح دار السعادة (٣/٣٠٦) [دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٧) معارج القبول (٣/١١٦٤) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٣٠هـ].

والطيرة قد تكون مقصودة ابتداءً، ويتعلق قلب المتطير بها فيما يمضيه أو يرده^(٢).

٤ - الفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد، والطيرة تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك.

٥ - الفأل يبعث على انشراح الصدور، وطمأنينتها، ويفتح باب الرجاء، وأما الطيرة فتبعث على ضيق الصدور وانقباضها، وتورث الحزن والآلام، فهي لا خير فيها.

✽ الآثار:

من آثار التفاؤل: سرور القلوب المؤيد للأمال، الفاتح باب الرجاء، المسكن للخوف، الرابط للجأش، الباعث على الاستعانة بالله والتوكل عليه والاستبشار بالمقوي لأمله، السارّ لنفسه. فالفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد^(٣).

يذهب الضيق الذي يوحيه الشيطان، ويسببه في قلب العبد، فهو مبعد لتأثير الشيطان في النفس^(٤).

✽ المصادر والمراجع:

١ - «أعلام الحديث»، لأبي سليمان الخطابي.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٤٠٥/٣)، ومجموع الفتاوى (٦٦/٢٣ - ٦٧)، ومفتاح دار السعادة (٣٠٩/٣)، ومعارج القبول (١١٦٤/٣).

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة (٣١٢/٣).

(٤) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٤٠، ٣٤١).

متوكلاً على الله فيسمع الكلمة الحسنة التي تسره، فهو في كل واحد من محبته للفأل وكرهته للطيرة إنما يسلك مسلك الاستخارة لله والتوكل عليه، والعمل بما شرع من الأسباب، لم يجعل الفأل أمراً له أو باعثاً له على الفعل، ولا الطيرة ناهيةً له عن الفعل^(١).

وخلاصة الأمر: أن التفاؤل بالمصحف أمرٌ غير مشروع وليس من الفأل الذي يعجب النبي ﷺ ويحبه، فتركه هو المتعين المتحتم تأسيًا بسلف الأمة وأئمتها، ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

✽ الضروق:

الفرق بين الفأل والطيرة:

١ - الفأل لا يحمل الإنسان على الفعل أو عدمه، بل هو مجرد التفاؤل بالكلمة الطيبة، وانشراح الصدر لما يسمعه من الكلام الحسن، في حين أن التطير يحمل الإنسان على الفعل أو الإمساك عنه.

٢ - الفأل فيه حسن ظنٍّ بالله، والعبد مأمورٌ أن يحسن الظن بالله، والطيرة فيها سوء ظن بالله، والعبد منهى عن سوء الظن بالله.

٣ - الفأل لا يكون مقصوداً، بل يأتي للإنسان من غير أن يكون على بال،

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٦/٢٣ - ٦٧).

٢ - «الإفصاح عن معاني الصحاح»، لابن هبيرة.

٣ - «التوكل»، لعبد الله الدميحي.

٤ - «الشرك ومظاهره»، لمبارك الملي.

٥ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٦ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٧ - «معارج القبول»، لحافظ حكيم.

٨ - «مفتاح دار السعادة»، لابن القيم.

٩ - «المنهاج في شعب الإيمان»، للحليمي.

١٠ - «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير.

الفتاح

يراجع مصطلح (الفتح).

الفتح

التعريف لغة:

الْفَتْحُ: ضد الإغلاق. والفتح: النصر، والحكم. والاستفتاح: الاستنصار. والْفَتْاحُ: الحاكم. وتقول: افْتَحَ بيننا؛ أي: أحكم. والْفُتَاحَة بالضم: الحُكْم. والله تعالى الفاتح؛ أي: الحاكم^(١).

قال الراغب: «الفتح: إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان؛ أحدهما: يدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه وكفتح القفل، والثاني: يدرك بالبصيرة كفتح الهم وهو إزالة الغم، وذلك ضروب؛ أحدها: في الأمور الدنيوية، كغم يفرج، وفقر يزال، والثاني: فتح المستغلق من العلوم، نحو قولك فلان فتح من العلم بابًا مغلقًا، والاستفتاح طلب الفتح أو الفتح^(٢)».

التعريف شرعًا:

صفة فعلية لله تعالى على وجه الكمال المطلق، ومنه اشتق اسمه الفتح، ويراد بهذه الصفة:

١ - فتحه الديني الشرعي: وهو ما أنزله على أنبيائه ورسله من الكتاب والحكمة.

٢ - فتحه الكوني القدري: وهو ما يبسطه على عباده من الرزق والعطاء.

٣ - فصله وقضاؤه بين أوليائه وأعدائه في الجزاء الدنيوي، فيحكم بينهم بالحق، فيجعل العاقبة لأوليائه بنصره لهم، ويجعل الخسارة على أعدائه بهلاكهم وإظهار كذبهم.

الصحاح (٢/٤١٢) [دار العلم للملايين، ط ٤]،
القاموس المحيط (٢٩٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]،
١٤٠٧هـ].

(٢) المفردات في غريب القرآن (٣٧٠) [دار المعرفة، لبنان].

(١) مقاييس اللغة (٤/٤٩٦) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

٤ - فصله وقضاؤه بين أوليائه وأعدائه في الجزاء الأخروي، بما أنعم على أوليائه من جنته ومزيده، وبما جعله لأعدائه من العذاب المقيم^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

مما تقدم فإن العلاقة بين المعنيين ظاهرة، فالمعنيان متفقان من خلال ما يأتيان فيه من سياق، إلا أن المعنى الشرعي يبلغ الكمال المطلق من الصفة.

الحكم:

وجوب الإيمان بصفة الفتح لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وهي من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته وَبِمَشِئَتِهِ.

الحقيقة:

الفتح في صفاته تعالى على معان:

١ - فتحه الديني الشرعي: وهو ما أنزله على أنبيائه ورسله من الكتاب والحكمة، وبه تكون هداية الناس واستقامتهم على الصراط المستقيم، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦].

وقد يكون بهذا الفتح حصول العلم والدلالة دون استجابة ممن فُتح عليه، وهذا يكون بمعنى هداية الدلالة

والإرشاد، وقد يكون به حصول العلم والهدى فيمن فُتح عليه، وهذا بمعنى هداية التوفيق، وهذا أعظم الفتح وأسماء.

٢ - فتحه الكوني القدري: وهو ما

يبسطه على عباده من الرزق والعطاء، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا شَاؤَا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤].

٣ - فصله وقضاؤه بين أوليائه وأعدائه في الجزاء الدنيوي، فيحكم بينهم بالحق، فيجعل العاقبة لأوليائه بنصره لهم، وإظهار صدقهم، ويجعل الخسارة على أعدائه بهلاكهم وإظهار كذبهم، وهو أيضًا بمعنى الحكم بين الحق والباطل، فيظهر الحق، ويعلي دلائله، ويزهق الباطل، ويظهر دلائل بطلانه، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، وقوله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ [المائدة: ٥٢].

٤ - فصله وقضاؤه بين أوليائه وأعدائه في الجزاء الأخروي، بما أنعم على أوليائه من جنته ومزيده، وبما جعله لأعدائه من العذاب المقيم، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا

(١) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٥٦).

بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتْحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ [سبأ].

بَيْنَنَا ﴿٤﴾ [سبأ: ٢٦]: «أي يقضي بيننا» (٤).
وقال الحليمي: «وهو الحاكم؛ أي:
يفتح ما انغلق بين عباده، ويميز الحق من
الباطل، ويعلي المحق ويخزي المبطل،
وقد يكون ذلك منه في الدنيا والآخرة» (٥).
قال ابن القيم:

وكذلك الفتح من أسمائه
والفتح في أوصافه أمران
فتح بحكم وهو شرع إلهنا
والفتح بالأقدار فتح ثان
والرب فتح بدين كليهما
عدلاً وإحساناً من الرحمن (٦)

وقال الشوكاني: «والفتح: الحاكم
بين الخلائق، أو الذي يفتح خزائن
الرحمة لعباده» (٧).

وقال السعدي: «وفتحه تعالى لعباده
نوعان: فتح العلم، بتبيين الحق من
الباطل، والهدى من الضلال، ومن هو
من المستقيمين على الصراط، ممن هو
منحرف عنه. **والنوع الثاني**: فتحه
بالجزاء وإيقاع العقوبة على الظالمين،
والنجاة والإكرام للصالحين» (٨).

(٤) تفسير الطبري (١٢/٥٦٤).

(٥) نقلاً عن الأسماء والصفات للبيهقي (١/١٦٤) [مكتبة
السوادي، ط ١].

(٦) شرح الكافية الشافية لابن عيسى (٢/٢٣٤) [المكتب
الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٦هـ].

(٧) تحفة الذاكرين (٨٥) [دار القلم، ط ١، ١٩٨٤م].

(٨) تفسير السعدي (٣/٦٤) [الرئاسة العامة للإفتاء،
١٤١٠هـ].

ولذا سمي يوم القيامة يوم الفتح؛ لما
يفتح الله ﷻ فيه بين أوليائه وأعدائه،
كما قال تعالى: ﴿قَدْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (٢٩).
[السجدة] (١).

الأدلة:

منها قول الله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ
فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢].

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (٨٩).
[الأعراف].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى
ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس ؓ - في تفسير
قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ [الأعراف:
٨٩] -: «أقض بيننا» (٢). وقال: «الفتاح:
القاضي» (٣).

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ

(١) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٥٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/٥٦٤) [مؤسسة
الرسالة، ط ١، وسنده حسن].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، ٣/٢٢٩) [المكتبة
السلفية، ط ١، ١٤٠٠هـ] معلقاً بصيغة الجزم،
ووصله الطبري في التفسير (٢٠/٤٠٥) [مؤسسة
الرسالة، ط ١، بسند حسن].

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الثانية: تسمية الله تعالى

بخير الفاتحين:

تعالى:

ذهب بعض أهل العلم إلى إثبات (خير الفاتحين) من الأسماء المضافة، قال أبو القاسم التيمي رحمته الله: «ومن أسمائه: خير الفاتحين، وخير الراحمين، وخير الغافرين، وأرحم الراحمين. كل هذه الأسماء ممنوعة لا تكون إلا لله عز وجل» (٣).

وذكر ابن تيمية رحمته الله أن من أسماء الله تعالى الفتح، وكذلك جاء مفضلاً في قوله: «وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ» (٨٩) [الأعراف] (٤).

- المسألة الثالثة: تسمية المخلوق

بافتتاح:

القاضي لو سُمِّي فتاحاً على لغة بعض قبائل أهل اليمن، لا بد أن يصحب تسميته ما يليق بعجز المخلوق؛ لأنه قد يتبع حكمه وقضائه هوى أو جهل، أما الخالق فهو الفتح على ما يليق بكماله وجلاله، فحكمه وقضاؤه وفتحه مقرون بعلم كما قال: «وَهُوَ الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ» (٩٦) [سبأ].

- المسألة الرابعة: تسمية الله تعالى

بافتتاح:

ذهب بعض أهل العلم إلى تسمية الله تعالى بالفتح. قال ابن منده رحمته الله:

- المسألة الأولى: صفة الفتح لله

إن هذا الاسم الجليل يدل على صفة الفتح لله تعالى بالتضمن، وهي صفة فعلية، وقد وردت النصوص من الكتاب والسنة دالة على هذه الصفة؛ منها قوله تعالى: «قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ» (٦٦) [سبأ]، وقوله: «رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ» (٨٩) [الأعراف]، وقوله تعالى: «مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (٢) [فاطر]، وقوله: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنْ اللَّهِ فَكُلُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ» [النساء: ١٤١].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه» (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعة: «فأنطلق فاتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عز وجل ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحته على أحد قبلي» (٢).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٩٤٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧١٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/١٤٠).

(٤) انظر: المستدرك على الفتاوى (٤٨/١).

«ومن أسماء الله **وَكَلَّ** الفاتح والفتاح»^(١).

بعدًا بين الفريقين: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى].

❁ الفروق:

الفرق بين الفاتح والفتاح:

الفتاح صيغ مبالغة^(٢) على وزن فَعَّال، وأما الفاتح فهو اسم فاعل، والأول يدل على الكثرة والعظمة، فهو فَتَّاح لكل خير على الدوام، مهما عظم الشيء فإنه يفتحه، فهو أبلغ من الفاتح.

❁ الآثار:

١ - التَّعَبَّدُ لله تعالى بطلب الهدى والتقى، وبذل الأسباب المقتضية لذلك.

٢ - التَّعَبَّدُ لله تعالى في طلب الرزق منه، ورجاء الخير والبركة بعطائه؛ فهو الفاتح الذي لا ممسك لعطائه، ولا راد لفضله.

٣ - الحذر من أسباب الحرمان للنعم الدينية والدنيوية الواقع بسبب البعد عن الله تعالى، ومخالفة أمر أنبيائه ورسله.

٤ - اليقين بوعد الله تعالى الصادق بالنصر والتمكين لمن أطاعه واتقاه، والذل والصغار على من خالف أمره.

٥ - ابتغاء المؤمن للدار الآخرة؛ فهي محل الفتح الأكبر بين المؤمنين والكافرين، في مفاصلة أشد ما تكون

٦ - ما أظهره الله تعالى من الدلائل على طريق الحق التي لا تغيب إلا على من عميت بصيرته، وختم على سمعه وقلبه.

٧ - تصديق الله تعالى لرسله وأنبيائه وأتباعهم بما يجعله لهم من نور الهداية واليقين، وما يظهره من أمارات صدقهم باستقامة الصراط الذي اتبعوه، والنصر والعاقبة الحسنة التي آلت إليها أمورهم.

٨ - زهوق الباطل واندحار أهله، بما أظهره الله تعالى من ضلالهم، واعوجاج السبل التي يتبعونها، والهزيمة والعاقبة السيئة التي آلت إليها أمورهم، وإن اغتروا بزيينة تعاقب عليهم فيها ليل أو نهار.

٩ - ما يجعله الله تعالى لمن أخلص له واتقاه من علم وهدى، وفتح لما أغلق من علم أو رزق.

١٠ - ما ينعم الله تعالى به على عباده، ويبسطه لهم من رزق، بقسمة اقتضتها حكمته وفضله وعدله سبحانه.

❁ مذهب المخالفين:

صفة الفتح من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى على وجه الكمال، وقد أنكرها الجهمية والمعتزلة وأولها الأشاعرة، وقد تقدم التفصيل في عرض أقوالهم والرد عليها.

(١) كتاب التوحيد (٣٩٢) [دار الفضيلة، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣٣٨/٢) [دار المعرفة، ط ٢، ١٤٢٧هـ].

٨ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي عبد القادر السقاف.

٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنى»، للتميمي.

١٠ - «نونية ابن القيم».

١١ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

الفتن

التعريف لغة:

الفتن: جمع فتنة، والفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب؛ إذا أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجيد^(٢). ثم كثر استعمالها فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه كالكفر والإثم والتحريق والفضيحة والفجور، وغير ذلك من الأمور المكروهة^(٣).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢١١/١٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م]، ومقاييس اللغة (٤٧٢/٤)، (٤٧٣) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ]، والصحاح (٢/٤٧٨، ٤٧٩) [دار العلم للملايين، ط ٤]، ولسان العرب (٣١٧/١٣ - ٣٢١) [دار صادر، ط ٣].

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٤١١/٣) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ]، ومفردات ألفاظ القرآن (١٧٥/٢) - (١٧٦) [دار القلم]، وفتح الباري لابن حجر (١٣/٣) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

وقد فسر بعض الأشاعرة (الفتاح) بأنه خالق الفتح؛ أي: النصر، وقيل: الحاكم، وهو - أي الحكم - إما بالإخبار والقول فيكون صفة كلامية أو بالقضاء والقدر فيرجع إلى صفة القدرة والإرادة^(١).

وهذا تأويل للصفة؛ حيث أرجعها لصفة الإرادة والقدرة والخلق، بناء على أنهم لا يقولون إلا بسبع صفات، ويقال: هذا تأويل لا دليل عليه، بل صفة الفتح هي لله ﷻ ثابتة على ما تليق به سبحانه من غير أن تشبه فتح المخلوقين، مثل ما أن للخالق قدرة وإرادة لا تشبه صفة المخلوق، فالصفات بابها واحد.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم»، لابن عيسى.
- ٣ - «تفسير السعدي».
- ٤ - «تفسير الطبري» (ج ١٢).
- ٥ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السنة الأصبهاني.
- ٦ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.
- ٧ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

(١) كتاب المواقف الإيجي (٣١٨/٣) [دار الجيل، ط ١، ١٩٩٧م].

التعريف شرعاً:

الفتنة: هي كل أمر يكشفه الامتحان عن سوء، وتكون في الخير والشر^(١).

وقيل: هي «ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر»^(٢).

وقيل: هي كل ما يبث في المجتمع ويؤثر في حياة أبنائه: أمنًا ومعيشة وخُلُقًا وعقيدة^(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

تتضح العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي للفتنة في كون الفتنة تُظهر المؤمن الصادق من الدَّعي، وتُنبي عن سوء طويَّة من لم يستقر الإيمان في قلبه. وتُخرج الدَّغل من قلوب المؤمنين، فيخرجوا بعد البلاء بقلوب صافية، وأفئدة مؤمنة، كما يحصل عند إدخال الذهب أو الفضة في النار، فيذهب الحَبَث، ويبقى الجيد^(٤).

الأسماء الأخرى:

الابتلاء، المحنة، الاختبار، العذاب، القتل، الشرك، الحيرة، الضلالة.

الحكم:

لقد حذّر النبي ﷺ أمته من الفتن، وأمر بالتعوذ منها، وأخبر أن آخر هذه الأمة سيصيبها بلاء وفتن عظيمة، وليس هنالك عاصم منها إلا الإيمان بالله، واليوم الآخر، ولزوم جماعة المسلمين، وهم أهل السُّنة وإن قُلُوا، والابتعاد عن الفتن والتعوذ منها، فقد قال ﷺ: «تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن»^(٥).

الحقيقة:

أصل الفتنة: الاختبار، ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه، كالكفر والإثم والتَّحريق والفضيحة والفجور وغير ذلك.

وضابطها: كل ما صدّ عن طاعة الله^(٦). والمؤمنون يُقْتَنون أيضًا، وليس القصد من ذلك رمي المؤمنين في الفتنة، وإنما الغاية أن يمحّص الله المؤمنين بالتجربة والاختبار، فيعلم - وهو العليم الخبير - الصادق منهم والكاذب، حيث يسقط الأدعياء ويبقى الأولياء^(٧).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٧).

(٦) انظر: الاعتصام للشاطبي (٤٣٨/١) [دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٧) انظر: دراسة في سورة العنكبوت لأحمد القطان ومحمد الزين (١٤) [مكتبة السندس، ط ٢، ١٤٠٩هـ]، وتفسير الطبري (٣٥٧/١٨) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/٢).

(٢) التعريفات للجرجاني (١٦٥) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ].

(٣) مجلة البحوث الإسلامية (٢٧٨ - العدد ٧٤ - لسنة ١٤٢٥هـ - ١٤٢٦هـ).

(٤) موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسُّنة لحسين الحازمي (٤٤) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٠هـ].

يذكر التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم، فقلت: أنا، قال: أنت؟ لله أبوك! قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأى قلب أشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مزبأً كالكوز مَجْحِيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه»^(٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فكسروا قسيكم، وقطعوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم الحجارة، فإن دُخل على أحدكم فليكن كخير ابني آدم»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

وتطلق الفتنة أيضًا على الكفر والغلو في التأويل البعيد، وعلى الفضيحة والبلية والعذاب والقتال والتحول من الحسن إلى القبيح والميل إلى الشيء والإعجاب به، وتكون في الخير والشر كقوله تعالى: ﴿وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]^(١).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، وقال ﷺ: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُزَكُّوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا بِهِمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [٢] وَلَقَدْ فُتِنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [٣] [العنكبوت]، وقال ﷺ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوِّمِ الظَّالِمِينَ﴾ [٨٥] [يونس].

وأما من السُّنة النبوية فقد جاءت أحاديث كثيرة في وصف الفتن وشدتها وحث المؤمنين على البعد عنها والاستعاذة من شرورها، ومن هذه الأحاديث: حديث حذيفة رضي الله عنه قال: كنا عند عمر رضي الله عنه، فقال: أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل، قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيكم سمع النبي ﷺ

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/٢).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٤).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٤٢٥٩)، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٣٩٦١)، وأحمد في المسند (٥٠٤/٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٣٦٠) وصححه، وصححه الألباني في الإرواء (٨/١٠٢) [المكتب الإسلامي، ط ٢].

الدار مفتون بشهواته ونفسه الأمانة، وشيطانه المغوي المزين، وقرنائه وما يراه، ويشاهده، مما يعجز صبره عنه، ويتفق مع ذلك ضعف الإيمان واليقين وضعف القلب ومرارة الصبر، وذوق حلاوة العاجل، وميل النفس إلى زهرة الحياة الدنيا، وكون العوض مؤجلاً في دار أخرى غير هذه الدار التي خلق فيها، وفيها نشأ، فهو مكلف بأن يترك شهوته الحاضرة المشاهدة لغيب طلب منه الإيمان به»^(٥).

❁ الأقسام:

تنقسم الفتنة إلى قسمين:

الأول: فتنة الشبهات وتنشأ عن ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهناك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى.

وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم. فجميعهم إنما ابتدعوا بسبب فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال. ولا ينجي من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول ﷺ، وتحكيمه في دق الدين وجلّه، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه.

(٥) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (٢/ ١٦٤).

قال: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة، ومن ادّعى الصبر وكل إلى نفسه، فإيّاك إيّاك أن تغتر بعزمك على ترك الهوى، مع مقاربة الفتنة، فإن الهوى مكاييد! وكم من شجاع في صف الحرب اغتيل، فأتاه ما لم يحتسب»^(٢).

وقال ابن دقيق العيد - عند شرحه لحديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ مِنْ فَتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفْتْنَةِ الْمَمَاتِ»^(٣) -: «فتنة المحيا ما يُعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات، وأعظمها - والعياذ بالله - أمر الخاتمة عند الموت، وفتنة الممات يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت، أضيفت إليه لقربها منه، ويكون المراد بفتنة المحيا على هذا ما قبل ذلك، ويجوز أن يراد بها فتنة القبر»^(٤).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فالعبد في هذه

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١١٨).

(٢) صيد الخاطر (٢٦) [دار القلم، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣٢)، ومسلم

(كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٨٩).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٣١٩).

المسائل المتعلقة:

- موقف المسلم تجاه الفتن:
- يتلخص موقف المسلم من الفتن في

النقاط التالية:

- الاعتصام بالكتاب والسنة.
- التقوى وملازمة العبادة.
- التعوذ من الفتن وسؤال الله المخرج منها.
- لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.
- الاعتزال عند الفتن وترك الخوض والقتال فيها.

الفروق:

الفرق بين الفتنة والابتلاء والاختبار:

الفرق بين الفتنة والاختبار: هو «أن الفتنة أشد الاختبار وأبلغه، ويكون في الخير والشر ألا تسمع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، وقوله: ﴿...لَأَسْفِينَ هُمْ مَاءٌ عَذَقًا﴾ [١٦] لِفِتْنَتِهِمْ فِيهِ» [الجن]، فجعل النعمة فتنة لأنه قصد بها المبالغة في اختبار المنعم عليه بها كالذهب إذا أريد المبالغة في تعرف حاله أدخل النار، والله تعالى لا يختبر العبد لتغيير حاله في الخير والشر، وإنما المراد بذلك شدة التكليف.

أما الفرق بين الاختبار والابتلاء: فهو أن الابتلاء عادة لا يكون إلا بتحميل المكاره والمشاق. والاختبار يكون بذلك

الثاني: فتنة الشهوات، وهي فسق الأعمال، والواقع فيها صاحب دنيا أعمته دنياه.

وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكَرَّ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخُلُقِهِمْ فَأَسْتَمْتُمْ بِخُلُقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخُلُقِهِمْ﴾ [التوبة: ٦٩]؛ أي: تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها، والخلاق هو النصيب المقدر، ثم قال: ﴿وَحُضِّتُمْ كَالَّذِي خَاصُّوًّا﴾ فهذا الخوض بالباطل، وهو الشبهات^(١).

- وهناك من يقسم الفتنة إلى خاصة وعامة:

١ - **الفتنة الخاصة:** هي فتنة الرجل في خاصة نفسه من خير أو شر، كفتنته في أهله وماله وولده وجاره، وهذه تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢).

٢ - **الفتنة العامة:** هي التي تصيب عامة الأمة فتعم الصالح والطالح، والذكر والأنثى، والكبير والصغير. فيصبح الإسلام وأهله في بلاء عظيم، وتتداعى الأمم عليهم كما تتداعى الأكلة على قصعتها.

(١) انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ١٦٥، ١٦٦).

(٢) انظر: البخاري (كتاب الفتن رقم ٧٠٩٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٤).

- وبفعل المحبوب، ألا ترى أنه يقال
اختبره بالإنعام عليه، ولا يقال: ابتلاه
بذلك، ولا هو مبتلى بالنعمة، كما قد
يقال: إنه مختبر بها. ويجوز أن يقال:
إن الابتلاء يقتضي استخراج ما عند
المبتلى من الطاعة والمعصية، والاختبار
يقتضي وقوع الخبر بحاله في ذلك،
والخبر العلم الذي يقع بكنه الشيء
وحقيقته فالفرق بينهما بيّن^(١).

❁ الثمرات:

- من ثمرات الفتن والحكم الإلهية
فيها: تميز الصفوف، وتبين الصادق من
الكاذب، وفضح المنافقين، وكشف
أستارهم، كذلك امتحان الخلق،
واختبار صبرهم، وعبوديتهم في السراء
والضراء، وتقوية الإيمان في قلوب
المؤمنين، وتثبيتهم، وتبيين الحق
للسالكين، وحصول الهدى والرحمة
لمن سلم منها، وغير ذلك من الثمرات
والفوائد^(٢).

❁ الآثار:

من آثار الفتن وعواقبها:

- انصراف الناس عن العبادة.
 - صرف الناس عن العلم والعلماء.
 - تصدّر السفهاء.
- المسلم في الفتن، لصالح بن عبد العزيز
آل الشيخ.

(١) الفروق اللغوية للعسكري (٢١٦، ٢١٧) مؤسسة

النشر الإسلامي، ط ١، ١٤١٢هـ، بتصرف.

(٢) انظر: إغاثة اللفهان لابن القيم (١٦٢/٢).

(٣) آثار الفتن للبدر (١٢ - ٥٠) [ط ١، ١٤٣١هـ].

٦ - القتال في الفتنة: دراسة تأصيلية عقدية، لعبد الله بن عبد العزيز السويد.

٧ - «منهاج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الفتن العامة»، لعبد الله بن عمر الدميحي.

٨ - «منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الفتن»، لعبد الرحمن القرشي.

٩ - «موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة»، للحازمي.

١٠ - «النهاية في الفتن والملاحم»، لابن كثير.

٦ - والقبر: مدفن الإنسان، يقال: قَبِر الميت؛ إذا دفنه، والقبر: حفرة في الأرض يوارى فيها الميت، وجمعه: قبور، والمقبرة، بفتح الباء وضمها: موضع القبور^(٤).

التعريف شرعاً:

فتنة القبر: امتحان الميت واختباره بعد عود الروح إلى جسده وإقاعاده؛ فيسأله الملكان عن ربه ودينه ونبيه، فإن كان صالحاً وفق للإجابة، ثم أكرم وكوفئ بألوان من النعيم، وإن كان سيئاً أهين وجُوزي بألوان من العذاب^(٥).

سبب التسمية:

أصل التسمية وتفسيرها من كلام النبي ﷺ؛ إذ قال: «فأما فتنة القبر، فبي تفتنون، وعني تسألون»^(٦).

وقال أيضاً: «وإنه قد أُوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل - أو قريب من - فتنة المسيح الدجال، يؤتى أحدكم فيقال له: ما علمك بهذا الرجل...»^(٧)، وعند

فتنة القبر

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار؛ من ذلك الفتنة»^(١).

الفتنة: الامتحان والاختبار، يقال: فتنت أفتتن فتناً، تقول: فتنت الذهب؛ إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته، وهو مفتون وفتين^(٢).

القَبْرُ: قال ابن فارس: «القاف والباء والراء أصل صحيح يدل على غموض في شيء وتطامن»^(٣).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١١٩/٩)، والقاموس المحيط (٥٩٠/١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]، ولسان العرب (٦٨/٥) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ].

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٧٧/١١) [دار المعرفة]، ومعارج القبول (٨٧٢/٢) [دار ابن الجوزي، ط ٦، ١٤٣٠هـ].

(٦) أخرجه أحمد (٢٦٩/٩) [دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ]، وصحح إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١٩٥/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٧) أخرجه البخاري (كتاب الجمعة، رقم ٩٢٢)، ومسلم (كتاب الكسوف، رقم ٩٠٥).

(١) مقاييس اللغة (٤٧٢/٤) [دار الجيل، ط ١١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: الصحاح (٢٥/٧) [دار العلم للملايين، ط ٤]، وتهذيب اللغة (٢١٣/١٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ١]، ومقاييس اللغة (٤٧٢/٤).

(٣) مقاييس اللغة (٤٧٢/٤).

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (١٧) [إبراهيم]، فهذه الآية نزلت في تثبيت المؤمنين عند السؤال كما جاء في الصحيحين وغيرهما (٥).

وفي حديث البراء بن عازب الطويل قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولمّا يُلحَد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «استعينوا بالله من عذاب القبر». مرتين أو ثلاثاً، زاد في حديث جرير ها هنا، وقال: «وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له: يا هذا، من ربك وما دينك ومن نبيك؟».

قال هناد: قال: «ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟». قال: «فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمّنت به وصدّقت». زاد في حديث جرير: «فذلك قول الله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ

أحمد بلفظ: «وقد أريتكم تفتنون في قبوركم، يسأل أحدكم: ما كنت تقول؟ وما كنت تعبد؟...» (١).

✽ الأسماء الأخرى:

فتنة القبر هي سؤال القبر أو سؤال الملكين، وما يذكر من عرض المقعد، وضغطة القبر، وغير ذلك مما يجري في القبر فتبع.

✽ الحقيقة:

حقيقة الإيمان بفتنة القبر أن يعتقد المسلم أنها حق، فُبر الإنسان أو لم يُقبر، وأن جميع الناس يفتنون إلا من جاء النص باستثنائه، من نحو موت المسلم ليلة الجمعة أو يومها (٢)، وموته مرابطاً (٣)، وكذا موته شهيداً (٤)، إلى غير ذلك مما دلّت عليه النصوص الصحيحة.

✽ الأدلة:

فتنة القبر ثابتة بنص الكتاب والسنة والإجماع.

(١) مسند أحمد (٥٤٣/٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧٤)، وأحمد (٦٢٧/١١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وقال الترمذي: (هذا حديث غريب... وليس إسناده بمتصل)، لكن له شواهد يرتقي بها إلى الحسن، كما ذكر الألباني في أحكام الجنائز (٣٥) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩١٣).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل الجهاد، رقم ١٦٦٣) وصححه، وابن ماجه (كتاب الجهاد، رقم ٢٧٩٩)، وأحمد (٤١٩/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٢١٣).

(٥) انظر: صحيح البخاري (٤٦١/١) [دار ابن كثير، ط ٤، ١٤١٠هـ]، وصحيح مسلم (١٦٢/٨) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٩هـ].

وكان ﷺ يتعوذ من فتنة القبر، يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ...»^(٢).

ودعا ﷺ لبعض الأموات فقال: «أَلَا إِنَّ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ وَحِبْلِ جَوَارِكَ فَقِهِ فِتْنَةُ الْقَبْرِ وَعَذَابُ النَّارِ، أَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ، اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(٣).

وأهل السُّنَّةِ يثبتون هذا المعتقد بالإجماع؛ لدلالة النقل عليه، وهو من العقائد الثابتة بالتواتر.

✽ أقوال أهل العلم:

قال أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَنُؤْمِنُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ... وَنُؤْمِنُ بِالمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ»^(٤).

وقال ابن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُ اللَّهُ: «... وَأَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُضْغَطُونَ، وَيُسْأَلُونَ، وَيُثَبَّتُ اللَّهُ مَنْطِقَ مَنْ أَحَبَّ تَثْبِيتهُ»^(٥).

و(٣/٩٠١) [المكتب الإسلامي، ١٤٠٩هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٧٦).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٠٢)، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٩٩)، وأحمد (٢٥/٣٩٩).

[مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣٠٧٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٨/٢).

(٤) انظر: شرح اعتقاد أهل السُّنَّةِ للالكائي (١/١٨١).

(٥) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (٨٥).

الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ [إبراهيم]. ثم اتفقا، قال: «فينادي مناد من السماء: أن قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة». قال: «فيأتيه من رُوحها وطيبها». قال: «ويُفْتَحُ له فيها مد بصره». قال: «وإن الكافر». فذكر موته، قال: «وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار». قال: «فيأتيه من حرّها وسمومها». قال: «ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلّاعه». زاد في حديث جرير قال: «ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد، لو ضرب بها جبل لصار ترابًا». قال: «فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين، فيصير ترابًا». قال: «ثم تعاد فيه الروح»^(١).

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّةِ، رقم ٤٧٥٣)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٩) مختصرًا، وأحمد (٣٠/٤٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه ابن القيم في أعلام الموقعين (١/١٣٧) [دار الكتب العلمية، ط ١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٦١٩/٢).

مات عليه من معتقد، وسماعه خفق نعال أصحابه إذا ولّوا، وسؤاله عقب تفرق الناس أو بعضهم، وأن السائل ملك أو اثنان حسب حاله، وأن الرجل الصالح يثبت وينعم، وأن الرجل السوء على الضد^(٥).

الآثار:

من أبرز الآثار المترتبة على نوعية الإجابة عند الفتنة فيما يخص الرجل الصالح أنه يكافأ بألوان من النعيم، منها: أنه يُفرش له من الجنة، ويُلبس من الجنة، يفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من رَوْحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه عمله الصالح على هيئة رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيبشره بالذي يسره ثم يثني عليه خيراً، ويرى مقعده من الجنة، ومقعده من النار لو أنه عصى الله، ويعرض عليه مقعده من الجنة بالغداة والعشي حتى يبعثه الله.

وأما الرجل السوء فيكافأ بألوان من العذاب، منها: أنه يُفرش له من النار، ويفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه عمله الخبيث على هيئة رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيبشره بالذي يسوؤه ثم يوبخه، ويقيض له أعمى أصم أبكم

وقال ابن عبد البر رحمته الله: «وأهل السنة والجماعة مصدّقون بفتنة القبر وعذاب القبر؛ لتوافر الأخبار بذلك عن النبي ﷺ»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: سؤال الأنبياء وغير المكلفين:

اختلف العلماء في سؤال الأنبياء وغير المكلفين، والأظهر أن الأنبياء لا يُسألون؛ لأنهم المسؤول عنهم، وأما غير المكلفين؛ فلأن السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول والمرسل^(٢).

ولا يصح ما ورد في استثناء من مات مخضوباً من الفتنة^(٣)، ولا من صلى ركعتين ليلة الجمعة بكيفية معينة^(٤).

- المسألة الثانية: عود الروح إلى الجسد عند السؤال:

مما يتعلق بفتنة القبر عود الروح إلى الجسد عند السؤال، وإجلال الميت، ورجوع العقل إلى صاحبه، وبعثه على ما

(١) الاستذكار (٢/٤٢١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ].

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٢٥٧) [دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ]، والروح (١٤١) [دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤١٠هـ]، والأسئلة المحيرة حول الدنيا والآخرة (٥٩) [مكتبة ابن سينا]، وشرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (٢١٠) [دار ابن كثير، ط٢، ١٤١٣هـ].

(٣) انظر: الموضوعات لابن الجوزي (٣/٥٦) [مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(٤) المصدر السابق (٢/١١٨).

(٥) انظر: رسائل الآخرة (٢/٣٨٨ - ٤٢٥).

وعند التعريف بمنكر ونكير .

المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام الجنائز»، للألباني .
- ٢ - «الأسئلة المحيرة حول الدنيا والآخرة»، للزرقاني .
- ٣ - «تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي» (ج ٤، ٥)، للمباركفوري .
- ٤ - «التمهيد» (ج ٢٢)، لابن عبد البر .
- ٥ - «التيسير بشرح الجامع الصغير» (ج ٢)، للمناوي .
- ٦ - «رسائل الآخرة» (ج ٢)، للبيدي .
- ٧ - «رسالة في أساس العقيدة»، للسعوي .
- ٨ - «الروح»، لابن القيم .
- ٩ - «شرح الصدور»، للسيوطي .
- ١٠ - «الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني» (ج ١)، للساعاتي .
- ١١ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ١)، للسفاري .
- ١٢ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤)، لابن تيمية .

١٣ - «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد العثيمين» .

١٤ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكيمي .

١٥ - «نظم المتنائر من الحديث المتواتر»، للكتاني .

فيضربه بمرزبة يصير بعدها تراباً ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ويرى مقعده من النار، ومقعده من الجنة لو أنه أطاع الله، ويعرض عليه مقعده من النار بالغداة والعشي حتى يبعثه الله كما أفادت النصوص .

الحكمة:

لعل الحكمة من فتنه القبر وسؤال الملكين، تنبه الناس إلى ضرورة توحيد الدين في الإسلام، فإن الله لا يقبل غيره، وتوحيد الله في العبادة، فإن الله لا يقبل الشرك، وتوحيد الرسول في المتابعة، فإن الله لا يقبل غير طريقه .

وأما في الآخرة فدفعت العقوبة - أو تخفيفها - عن مستحقها من المسلمين، قال ابن تيمية: «إن الذنوب مطلقاً من جميع المؤمنين هي سبب العذاب، لكن العقوبة بها في الآخرة في جهنم تندفع بنحو عشرة أسباب . . . السبب الثامن: ما يتلى به المؤمن في قبره من الضغطة وفتنة الملكين»^(١) .

مذهب المخالفين:

المخالفون في فتنه القبر هم المخالفون في عذاب القبر، وقد تقدم الكلام عليهم عند ذكر الطوائف المنكرة لعذاب القبر،

(١) منهاج السنة (٦/ ٢٠٥ - ٢٣٨) [جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦هـ] .

الخلقيّة، وفِراسَة الرِّياضة والجوع ونحوها) التي يشترك فيها المؤمن وغيره؛ فهي: «علم يتعرف فيه أخلاق الإنسان من أحواله الظاهرة، من الألوان والأشكال والأعضاء. وبالجُملة: الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن»^(٣).

وقيل: هي «الظنّ الصائب، الناشئ عن تثبيت النظر في الظاهر لإدراك الباطن»^(٤).

ومحلّ بحثنا هنا في الفِراسَة الإيمانيّة لا غيرها.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يدور المعنى اللغوي للفِراسَة حول: التثبيت وإصابة النظر في الشيء، وهذا التثبيت والتفرس في الأمور الظاهرة قد يستدل به على بعض الأمور الباطنة الخفيّة؛ وهذه حقيقة الفِراسَة في الاصطلاح. فيظهر بهذا أن بين المعنى اللغوي والشرعي تناسباً وتوافقاً واضحاً.

الأسماء الأخرى:

الفِراسَة هي: التفرس، والتوسم.

(٣) مفتاح السعادة لطاش كبري زاده (٣٠٩/١) [دار الكتب العلمية، بيروت]، ونقله عنه صاحب أبجد العلوم (٣٩٦/٢) [دار الكتب العلمية]. وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (١١٣/٣) [دار الفكر العربي، مصر].

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٤٧/١).

الفِراسَة

التعريف لغة:

الفِراسَة: اسمٌ من (التفرُس) في الشيء وإصابة النَّظر فيه، يُقال: تفرَّست في فلانٍ خيراً، وهو يتفرَّس: يتثبت وينظر ويُري الناس أنه فارسٌ، ويُقال: إن فلاناً لفارسٌ بذلك الأمر: إذا كان عالماً به^(١).

التعريف شرعاً:

الفِراسَة الإيمانيّة: هي خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضاده، يثبت على القلب كوثوب الأسد على الفريسة؛ فيعلم به صاحبه أحوال بعض النَّاس، بنوع من الكرامات وإصابة الظنّ والحدس.

وسببها: نور يقذفه الله في قلب عبده، يفرِّق به بين الحقِّ والباطل، والحالي والعاطل، والصّادق والكاذب^(٢).

أما فِراسَة أهل الدنيا التي تنال بالتعلم والتّجارب والخلق والأخلاق (الفِراسَة

(١) انظر: الصحاح للجوهري (٩٥٨/٣) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، وتهذيب اللغة (١٢/٤٠٤) [الدار المصرية للتأليف]، ومقاييس اللغة (٤/٤٨٦) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (٧٢٥) [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: النّهاية في غريب الحديث (٤٢٨/٣) [طبعة عيسى البابي الحلبي بمصر]، ومدارج السالكين (١/١٢٩، ٤٨٤/٢) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

الحكم:

الفِرَاسَة صَادِقَة إِلَّا مَعَ قَلْبٍ تَطَهَّرَ وَتَصَقَّى
وَتَنَزَّهَ مِنَ الْأَدْنَسِ وَالذَّنُوبِ، وَتَعَلَّقَ بِاللَّهِ
وَاتَّبَعَ سَبِيلَهُ وَمَا يَحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَتَفَكَّرَ فِي
آيَاتِهِ وَخَلْقِهِ؛ فَهِيَ مِنْ هَذَا الْجَانِبِ قَدْ
تَنَالَتْ بَنُوعَ مِنَ الْكَسْبِ الْإِيمَانِيِّ، بِخِلَافِ
فِرَاسَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا الَّتِي لَا سَبِيلَ لِتَحْصِيلِهَا
إِلَّا بِالتَّعَلُّمِ وَالتَّجَارِبِ وَالِدَّلَالِ.

الأدلة:

دَلَّ عَلَى ثُبُوتِ الْفِرَاسَةِ قَوْلُ اللَّهِ
تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ﴾^(١) [الْحَجَر]؛ وَهُمْ: أَصْحَابُ
التَّوَسُّمِ، بِمَعْنَى: التَّأَمُّلِ فِي السَّمَةِ؛
وَهِيَ: الْعَلَامَةُ الَّتِي يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى
غَيْرِهَا^(٢). قَالَ مُجَاهِدٌ: «الْمُتَفَرِّسِينَ»،
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَالضَّحَّاكُ:
«لِلنَّازِرِينَ»، وَقَالَ قَتَادَةُ: «لِلْمُعْتَبِرِينَ»،
وَقَالَ مُقَاتِلٌ وَغَيْرُهُ: «لِلْمُتَفَكِّرِينَ» أَوْ
«لِلْمُتَأَمِّلِينَ»^(٣). وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ تَدُورُ
حَوْلَ مَعْنَى وَاحِدٍ؛ فَلَا تَنَافِي بَيْنَهَا؛ «فَإِنْ
النَّازِرُ مَتَى نَظَرَ فِي آثَارِ دِيَارِ الْمَكْذِبِينَ
وَمَنَازِلِهِمْ وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ؛ أَوْرَثَهُ

وَالْفِرَاسَةَ وَمَا يَقَعُ فِي الْخَوَاطِرِ لَيْسَتْ
حُجَّةً شَرْعِيَّةً تَعَارِضُ بِهَا نَصُوصُ الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ، أَوْ تَبْنِي عَلَيْهَا الشَّرَائِعُ
وَالْأَحْكَامُ؛ وَإِنَّمَا هِيَ صَالِحَةٌ لِلْإِسْتِنَاسِ
وَالِاسْتِشْهَادِ بِهَا، لَا أَنَّهَا عَمْدَةٌ وَأَصْلٌ؛
فَهِيَ يَسْتَدِلُّ لَهَا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا بِهَا.

فَالْمُتَفَرِّسُ - وَغَيْرُهُ مِنَ الْبَشَرِ مِمَّنْ لَيْسَ
بِنَبِيٍّ - لَيْسَ مَعْصُومًا مِنَ الْغُلْطِ، وَلَا
يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ قَبُولُ تَوْسَمِهِ وَتَفَرُّسِهِ
إِنْ لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، بَلْ هُوَ
لَا يَجُوزُ لَهُ الْعَمَلُ بِمَا يَلْقَى فِي قَلْبِهِ إِنْ
لَمْ يَعْضُضْهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنْ
وَافَقَ ذَلِكَ قَبْلَهُ، وَإِنْ خَالَفَ ذَلِكَ رَدَّهُ؛
لَأَنَّهُ لَا يَتَيَقَّنُ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ
يَكُونُ مِنْ دَسِيسَةِ الشَّيْطَانِ!

الحقيقة:

الفِرَاسَةُ الْإِيمَانِيَّةُ نَوْعٌ مِنْ إِيْهَامِ اللَّهِ
تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَقَامٌ رَفِيعٌ مِنْ
مَقَامَاتِ السَّالِكِينَ، وَنُورٌ يَهْبَهُ اللَّهُ لِمَنْ
يَشَاءُ مِنْهُمْ، وَهَدَايَةٌ يَهْدِي بِهَا خَوَاصَّ
عِبَادِهِ الطَّائِعِينَ؛ يُمَيِّزُونَ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ
وَالْبَاطِلِ، وَالصِّدْقِ وَالْكَذِبِ، وَالْإِيمَانِ
وَالنِّفَاقِ، وَالْمَحَقِّ وَالْمَبْطُلِ، وَيَعْرِفُونَ بِهَا
بَعْضَ أَحْوَالِ النَّاسِ وَمَا يَدُورُ فِي أَنْفُسِهِمْ
وَخَوَاطِرِهِمْ.

وَالْمُتَفَرِّسُ إِنَّمَا يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ الَّذِي
جَعَلَهُ فِي قَلْبِهِ وَقَذَفَهُ فِي رُوعِهِ؛ فَلَا تَكُونُ

(١) انظر: تفسير (٤٣/١٠) [دار إحياء التراث العربي،
١٤٠٥هـ]، وتفسير البحر المحيط (٤٤٤/٥) [دار
الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ]، ومجموع الفتاوى
(١١٨/١٧)، والتحرير والتنوير (٦٩/١٤) [دار
سحنون، ١٩٩٧م].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٩٤/١٤) [دار هجر، ط١،
١٤٢٢هـ]، والنُّكْتُ وَالْعُيُونُ لِلْمَاوَرِدِيِّ (١٦٧/٣)
[دار الكتب العلمية، ط١]، وتفسير البغوي (٤/
٣٨٨) [دار طيبة، ط٤]، وتفسير ابن كثير (٥٤٣/٤)
[دار طيبة، ط٢].

فِراسَة وعبرة وفكرة»^(١).

العلماء؛ فإنَّهم ينظرون بنور الله، إنَّه شيء يقذفه الله في قلوبهم، وعلى ألسنتهم»^(٤).

وقال الشافعي: «خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفِراسَة، حتى كتبتها وجمعتها»^(٥).

وقال ابن القيم: «الفِراسَة الإيمانية سببها نور يقذفه الله في قلب عبده، يفرق به بين الحق والباطل، والصادق والكاذب، وهذه الفِراسَة على حسب قوة الإيمان، وكان أبو بكر الصديق أعظم الأمة فِراسَة»^(٦).

❁ الأقسام:

تنقسم الفِراسَة إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: فِراسَة «إيمانية: وسببها: نور يقذفه الله في قلب عبده، يفرق به بين الحق والباطل، والحالي والعاطل، والصادق والكاذب.

وحقيقتها: أنها خاطر يهجم على القلب، ينفي ما يصاده، يثب على القلب كوثوب الأسد على الفريسة

وهذه الفِراسَة على حسب قوة الإيمان. فمن كان أقوى إيماناً فهو أحد فِراسَة، وأصل هذا النوع من

(٤) أخرجه العسكري، كما ذكر السخاوي في المقاصد الحسنة (٥٩).

(٥) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (٩٦) [دار الكتب العلمية، ١، ١٤٢٤هـ].

(٦) مدارج السالكين (٢/٤٥٥).

وقال الله ﷻ عن المنافقين: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتُمُ بِهِمْ وَلَعَرَفْتُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]؛ ففي الآية دلالة على ثبوت الفِراسَة؛ وهي: التعرّف على ما يضمّره المنافقون في قلوبهم من النفاق بما يظهر على وجوههم. وعلّق سبحانه معرفتهم بالسّيما - الذي يدرك بالبصر - على مشيئته بقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ﴾^(٢).

وأخرج الطبري وغيره، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن لله ﷻ عبداً يعرفون الناس بالتوسّم»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «أتقوا فِراسَة

(١) مدارج السالكين (٢/٤٨٣). وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/١١٨).

(٢) انظر: الاستقامة لابن تيمية (١/٣٥٥) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٣هـ]، والجواب الصحيح (٦/٤٨٦) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]، والصارم المسلول (٣/٦٧٣) [دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ]، وشرح العقيدة الأصفهانية (١٢٤) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ]، ومجموع الفتاوى (١٤/١١٠، ١٦/٦٨، ١٧/١١٨)، ومنهاج السنّة النبوية (٨/٤٧٤) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ]، و مدارج السالكين (٢/٤٨٣).

(٣) أخرجه البزار في مسنده (١٣/٣٢٦) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٦هـ]، والطبري في تفسيره (١٧/١٢١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والطبراني في المعجم الأوسط (٣/٢٠٧) [دار الحرمين، ط١]، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٦٨) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٦٩٣).

وبسطته. وبضيقة على ضيقه، وبخمود العين وكلال نظرها على بلاد صاحبا، وضعف حرارة قلبه، وبشدّة بياضها مع إشرابه بحمرة - وهو الشَّكْل - على شجاعته وإقدامه وفطنته، وبدويرها مع حمرتها وكثرة تقلبها، على خيائته ومكره وخداعه.

ومعظم تعلق الفِرَاسَة بالعين؛ فإنها مرآة القلب، وعنوان ما فيه، ثم باللسان، فإنه رسوله وترجمانه. وأصل هذه الفِرَاسَة: أن اعتدال الخلقة والصّورة، هو من اعتدال المزاج والروح. وعن اعتدالها يكون اعتدال الأخلاق والأفعال، وبحسب انحراف الخلقة والصورة عن الاعتدال، يقع الانحراف في الأخلاق والأعمال^(١).

❁ المسائل المتعلقة:

- بعض المصطلحات الحادثة التي يظن أنها من الفِرَاسَة:

الكهانة: فالكهانة ليست من الفِرَاسَة؛ لأن الفِرَاسَة غالباً لا يدعي صاحبها الغيب، بخلاف الكاهن؛ فإنه يدعي الغيب، ويفتخر بادعائه، بل وربما كثر مريدوه بسبب هذا الادعاء، وهذا بخلاف المتفرس، لا يدعي الغيب، فضلاً أن يفتخر به.

الفِرَاسَة: من الحياة والنور اللذين يهبهما الله تعالى لمن يشاء من عباده، فيحيا القلب بذلك ويستنير، فلا تكاد فراسته تخطئ.

[الثاني:] فِرَاسَة الرياضة والجوع، والسهر والتخلي؛ فإن النفس إذا تجردت عن العوائق، صار لها من الفِرَاسَة والكشف بحسب تجردها. وهذه فِرَاسَة مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدل على إيمان ولا على ولاية، وكثير من الجاهل يغتر بها. وللرهبان فيها وقائع معلومة، وهي فِرَاسَة لا تكشف عن حق نافع، ولا عن طريق مستقيم، بل كشفها جزئي من جنس فِرَاسَة الولاية، وأصحاب عبارة الرؤيا والأطباء ونحوهم.

وللأطباء فِرَاسَة معروفة من حذقهم في صناعتهم. ومن أحب الوقوف عليها فليطالع تاريخهم وأخبارهم، وقريب من نصف الطب فِرَاسَة صادقة، يقترن بها تجربة. والله سبحانه أعلم.

[الثالث:] الفِرَاسَة الخلقية: وهي التي صنف فيها الأطباء وغيرهم، واستدلوا بالخلق على الخلق؛ لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله، كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل، وبكبره وبسعة الصدر، وبعد ما بين جانبيه على سعة خلق صاحبه، واحتماله

(١) مدارج السالكين (٢/٤٥٣ - ٤٥٦) [دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ] بتصرف.

الكهانة: لها مقدمات غالباً غير مشروعة، وأما الفراصة فإنها تعتمد على مقدمات مشروعة^(١).

الظن: ليس الظن من الفراصة في شيء؛ لأن الظن يخطئ ويصيب، ويكون مع ظلمة القلب ونوره، ولهذا أمر الله تعالى باجتناّب كثير منه وأخبر أن بعضه إثم، وأما الفراصة فقد أثنى الله على أهلها ومدحهم، وهي لا تحدث إلا لقلب قد تطهر وتصفى وتنزه من الأدناس وقرب من الله تعالى فأصبح صاحبه ينظر بنور الله الذي جعله في قلبه^(٢).

الكشف: تقدم أن الفراصة هي أمر يقذفه الله في قلب المؤمن وهو خاطر يخطر للإنسان يميز فيه بين الحق والباطل، أما الكشف فيحصل بطريق الرياضة والجوع والسهرة، وهذا قد يحصل للكافر كما يحصل للمؤمن^(٣).

الإلهام: الإلهام يختلف عن الفراصة في أنه موهبة مجردة، لا تنال بكسب البتة، أما الفراصة فهي متعلقة بنوع كسب وتحصيل^(٤).

البراسيكولوجي أو التلباثي: هذان المصطلحان يراد بهما: علم ما وراء

الطبيعة أو الاتصال عن بعد أو التأثير على نفوس الآخرين، ويكون ذلك عن طريق انتقال الخواطر والوجدانيات وغيرهما من الخبرات الشعورية من عقل إلى عقل بغير الوسائل الحسية المعروفة؛ أي: اتصال عقلي بين بشريين واستقبال طاقة صادرة من العقل وتحليلها بعقل المرسل إليه، بحيث يدرك الفكرة ويعمل على توفيق حواسه على تلقي مجال كهرومغناطيسي صادر من الآخرين.

وهذه العملية هي نوع من أنواع التخاطر عن بعد، وبعضهم يسميها: الاستشعار عن بعد.

وبعضهم يرى أنه يمكن أن تكتسب هذه العملية عن طريق التدريب وتنمية الخبرات فيها. ثم تطورت هذه النظرية إلى أن أدخل فيها ما يسمى اليوم بالتنويم المغناطيسي أو قراءة الأشياء أو معرفة الأخبار عن الإنسان من ملامسة بعض متعلقاته. وجميع ما تقدم هو في الحقيقة ضرب من ادّعاء علم الغيب، فهي تكهن وإن سمّيت بمسمّيات حديثة وأضيف عليها العلم التجريبي تمويهاً.

ولا يوجد علاقة بين الفراصة وهذه المصطلحات، فالفراصة نور من الله يقذفه في قلب المؤمن، أما هذه فهي من

(١) انظر: مغني المريد الجامع لشروح كتاب التوحيد (١٨٦٦/٥).

(٢) انظر: الروح (٢٣٨ - ٢٤٠) [دار الكتب العلمية].

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/٢٢٨، ٤٨٤).

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/٦٩).

✿ الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على الإيمان بالفراصة، وأنها قد تنال بنوع من الكسب الإيماني: لزوم طاعة الله، وتتبع مرضيه، وتعمير الظاهر باتباع السُّنة، والباطن بدوام المراقبة، وكف النفس عن الشهوات والمحرمات.

✿ المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستقامة» (ج١)، لابن تيمية.
- ٢ - «بدائع الفوائد» (ج٣)، لابن القيم.
- ٣ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج١٠)، للقرطبي.
- ٤ - «الجواب الصحيح» (ج٦)، لابن تيمية.
- ٥ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.
- ٦ - «الصارم المسلول» (ج٣)، لابن تيمية.
- ٧ - «الطرق الحكمية»، لابن القيم.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج١٤، ١٦، ١٧)، لابن تيمية.
- ٩ - «مدارج السالكين» (ج١، ٢)، لابن القيم.
- ١٠ - «النهاية في غريب الحديث» (ج٣)، لابن الأثير.

ظلمات الكهانة وهي مرادفة لها بالمعنى والمبنى وإن اختلفت المسميات^(١).

✿ الفروق:

الفرق بين الفراصة الإيمانية والإلهام والتحديث:

الفراصة الإيمانية قد تنال بنوع كسب وتحصيل، وأما الإلهام والتحديث (وهو إلهام خاص) فموهبة مجردة لا تنال بكسب ألبتة^(٢).

الفرق بين الفراصة والكرامة:

الكرامة: «أمر خارق للعادة، غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة لها، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلّف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم»^(٣)، فالكرامة أمر خارق للعادة. أما الفراصة فإلهام، وقد تنال بنوع كسب وتحصيل، وإذا كانت الفراصة إيمانية فهي حينئذٍ كرامة، بخلاف غيرها من أنواع الفراصة فليست كرامة.

(١) انظر: مجلة الدراسات العقدية (العدد السادس ٣٤٢ - ٣٥٣).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٤٤، ٤٥).

(٣) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٣٩٢) [المكتب الإسلامي، بيروت]. وانظر: التعريفات للجرجاني (٢٣٥) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ]، والتوقيف على مهمات التعاريف (٦٠١) [دار الفكر، ط١، ١٤١٠هـ].

الذي يطلق على المخلوق، فإنه لا ينفك عنه معنى الضعف والاحتياج الملازم للمخلوقات عمومًا، كما أن ما يستوعبه المعنى اللغوي في هذه الصفة كالبطر والطرب ونحوه من معاني النقص؛ فإنه لا يدخل في المعنى الشرعي هنا.

الحكم:

وجوب إثبات صفة الفرح لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الأدلة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «الله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهب، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده»^(٤)

أقوال أهل العلم:

قال أبو إسماعيل الصابوني: «وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٠٨، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٤٤)، واللفظ له.

الفرح

التعريف لغة:

الفاء والراء والحاء يدل على خلاف الحزن^(١). وقد استعمل الفرح: بمعنى الرضا والسرور، تقول: فرح به: سرّ، وهو خلاف الحزن، تقول: فرح يفرح فرحًا^(٢).

التعريف شرعًا:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى على وجه الكمال والجلال، تقتضي رضا الله تعالى عن عبده التائب، وقبول توبته، فغايتها إتمام نعمته على التائبين المنيبين من صالح أوليائه^(٣)، بلا تشبيه ولا تكييف، وهي دليل على رضاه ومحبه ولطفه بعباده.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين من حيث الدلالة على الرضا والمحبة، لكن المعنى في حق الله تعالى على غاية الكمال والجلال؛ ففرحه سبحانه عن غنى ورحمة وإحسان، بخلاف الفرح

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤/٤٩٩) [دار الفكر، ١٣٩٩]، ولسان العرب (٢٥/٥٤١) [دار صادر، ط١، ١٣٧٤هـ].

(٢) الصحاح (١/٣١٣) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ولسان العرب (٢٥/٥٤١) [دار صادر، ط١، ١٣٧٤هـ]، والمصباح المثير للفيومي (٢/٤٦٦).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية لهراس (١٦٦).

٢ - فرح المؤمن بما يفرح به ربه ﷻ،
 فيفرح بتوبته هو، ويفرح بتوبة غيره،
 ويفرح بعموم أسباب الخير والفلاح، كما
 قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ
 فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥٨)
 [يونس]، وكما كان النبي ﷺ يفرح
 بالتائبين والداخلين في دين الله تعالى.

٣ - كثرة التائبين بما يفتحه الله تعالى
 عليهم بفرحه بهم من الهدى والخير.

٤ - التوفيق والسداد الذي يجده كل
 تائب إلى ربه؛ وهو أثر فرح الله تعالى به.

٥ - الحياة الطيبة التي يعيشها كل
 مؤمن كثير التوبة والإنابة.

٦ - رحمة الله تعالى بعباده بما يسره
 لهم من كسب الدرجات العلاء، وفتح
 باب الرجوع والاستدراك لكل خطأ
 وذنب يحول دونها أو يضعف الوصول
 إليها.

❁ مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية
 والمعتزلة والأشاعرة في هذه الصفة، فلم
 يثبتوها؛ بناء على أصلهم في رد أحاديث
 الآحاد في باب الاعتقاد، وكذلك دعوى
 التشبيه والتجسيم وحلول الحوادث التي
 يجعلونها لازم الصفات الفعلية، وزعموا
 أن الفرح لذة تقع في القلب بإرادة
 المحبوب ونيل المشتهى، والله تعالى
 منزّه عن ذلك، ولذلك منهم من أول

بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار
 الصحاح من السمع والبصر والعين
 والفرح والضحك وغيرها^(١).

وقال البغوي - في كلامه على صفة
 الأصابع لله تعالى -: «والإصبع المذكورة
 في الحديث صفة من صفات الله ﷻ،
 وكذلك كل ما جاء في الكتاب والسنة من
 هذا القبيل من صفات الله تعالى؛ كالنفس
 والوجه والعين والضحك والفرح»^(٢).

وقال ابن تيمية: «بل هو سبحانه يفرح
 بتوبة التائب أعظم من فرح الفاقد
 لراحلته عليها طعامه وشرابه في الأرض
 المهلكة إذا وجدها بعد اليأس، فالله أشد
 فرحًا بتوبة عبده من هذا براحلته»^(٣).

❁ الآثار:

١ - الإقبال على الله ﷻ بكثرة التوبة
 والإنابة والاستغفار؛ فما من تائب إلا
 يفرح ربه بتوبته، ويعطيه عليها أضعاف
 أضعاف ما رجا بتوبته، ولئن كان الغض
 والسكوت عن خطأ التائب وستره فضلًا
 عظيمًا ومنة كبيرة، فكيف بفرح بتلك
 التوبة وشكره عليها! فسبحان ربنا ما
 أرحمه وأكرمه!

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٦٥) [دار
 العاصمة، ط ٢، ١٤١٩هـ].

(٢) شرح الشُّنَّة (١٥٥/١) [دار الكتب العلمية، ط ١،
 ١٤١٢هـ].

(٣) ثبوت الكمال لله لابن تيمية - ضمن مجموع الفتاوى
 (٦٦/٥).

هذه الصفة إلى لازمها وهو الرضا^(١)، ومنهم من أولها بما يفعله بغيره من الفرح، وهو الثمرة الحاصلة^(٢).

والرد عليهم:

بنفي هذا اللازم الذي ذكروه في إثبات الصفة، فأهل السُّنة يثبتونها لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجه، ولا مماثلة فيه لشيء من صفات المخلوقين، ويجرونها على ظاهرها دون الخوض في الكيفيات.

وأما هذه الإلزامات التي يوردها المعطلة على الإثبات فما هي إلا تدليس وتلبيس لرد الحق؛ فإنهم أخذوا في مسمى الصفة خصائص المخلوق ثم نفوها جملة عن الخالق، وهذا في غاية التلبيس والإضلال، فإن الخاصية التي أخذوها في الصفة لم تثبت لها لذاتها، وإنما تثبت لها بإضافتها إلى المخلوق، ومعلوم أن نفي خصائص صفات المخلوقين عن الخالق لا يقتضي نفي أصل الصفة عنه سبحانه، ولا إثبات أصل الصفة له يقتضي إثبات خصائص المخلوق له، كما أن ما نفي عن صفات الرب تعالى من النقائص والتشبيه لا

يقتضي نفيه عن صفة المخلوق، ولا ما ثبت لها من الوجوب والقدم والكمال يقتضي ثبوته للمخلوق لإطلاق الصفة على الخالق والمخلوق، فالصفة الثابتة لله مضافة إليه لا يتوهم فيها شيء من خصائص المخلوقين لا في لفظها ولا في ثبوت معناها، وكل من نفى عن الرب تعالى صفة من صفاته لهذا الخيال الباطل لزمه نفي جميع صفات كماله؛ لأنه لا يعقل منها إلا صفة المخلوق، بل ويلزمه نفي ذاته؛ لأنه لا يعقل من الذوات إلا الذوات المخلوقة، ومعلوم أن الرب سُبْحَانَهُ لا يشبهه شيء منها^(٣).

وأما تفسير الصفة بلازمها وذكر ما تدل عليه من المحبة والرضا فليس هذا هو محل الإنكار، ولكن أن يجعل هذا التفسير ردًا للصفة الثابتة، فهذا هو المردود.

المصادر والمراجع:

- ١ - «ثبوت الكمال لله»، لابن تيمية.
- ٢ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنة الأصبهاني.
- ٣ - «شرح السُّنة»، للبغوي.
- ٤ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

(١) انظر: أساس التقديس (١١١) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط١]. وانظر ما نقله ابن حجر في الفتح (١٠٩/١١) [دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ].

(٢) انظر ما نقله ابن حجر في الفتح (١٠٩/١١).

(٣) انظر: جلاء الأفهام (٨٥) [عالم الكتب، بيروت]. والرسالة الأكملية - ضمن مجموع الفتاوى (٦/١١٩).

الأعلى، وهو المقصود عند الإطلاق، وهو أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة، وسيأتي ذكر الأدلة عليه في موطنه.

الحكم:

الإيمان به واجب.

الحقيقة:

جاءت النصوص الشرعية تبين أن الفردوس أعلى الجنة وأوسطها وسقفه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة.

المنزلة:

أحد مفردات اليوم الآخر الغيبية المتعلقة بالجنة.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۖ﴾ [الكهف].

وقال تعالى في ختام صفات المفلحين من المؤمنين: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۖ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ﴾ [المؤمنون].

وقال ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتهم الله فسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه

٥ - «شرح العقيدة الواسطية»، لمحمد خليل هراس.

٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.

٧ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.

٨ - «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»، لأبي عثمان الصابوني.

٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

الفردوس

التعريف لغةً:

البستان الذي فيه الكرم والأشجار، والجمع: فَرَادِيس، ومنه جَنَّة الفردوس^(١)، وهو عربي كما قال الفراء^(٢).

وحقيقة الفردوس: أنه البستان الذي يجمع ما يكون في البساتين، وكذلك هو عند أهل كل لغة^(٣).

التعريف شرعاً:

يُطلق الفردوس على الجنة عموماً، كما أن له معنى خاصاً؛ وهو الفردوس

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٨١٩/٣) [دار الفكر].

(٢) انظر: الصحاح (٩٥٩/٣) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٠٤/١٣) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، ولسان العرب (١٦٣/٦) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ].

عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن كثير: «قال بعض السلف: لا يُسمَّى البستان فردوسًا إلا إذا كان فيه عنب، فالله أعلم»^(٢).

وقال المباركفوري في معنى «أعلى الجنة وأوسطها»: «أي: أعدلها وأفضلها وأوسعها وخيرها، ذكره السيوطي، وقال ابن حبان: المراد بالأوسط: السعة، وبالأعلى: الفوقية»^(٣).

وقال أبو حاتم ابن حبان: «قوله ﷺ: «فهو أوسط الجنة» يريد به أن الفردوس في وسط الجنان في العرض، وقوله: «وهو أعلى الجنة» يريد به في الارتفاع»^(٤).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الفردوس ليست خاصة بالأنبياء:

فهي لهم ولغيرهم من الشهداء وأصحاب الأوصاف المذكورين في أول سورة المؤمنين.

قال أنس رضي الله عنه: «لما ثقل النبي ﷺ

جعل يتغشاه، فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أباه، فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم». فلما مات، قالت: يا أبتاه، أجاب ربًا دعاه، يا أبتاه، من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل نعاه. فلما دفن، قالت فاطمة رضي الله عنها: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب»^(٥).

وقال أنس رضي الله عنه أيضًا: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحسب، وإن تك الأخرى ترى ما أصنع، فقال: «ويحك أو هبلت، أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس»^(٦).

وقال تعالى في صفات ورثة الفردوس: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنْ أَتَعَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝﴾ [المؤمنون].

قال ابن تيمية: «فمن لم يتصف بهذه

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٢٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٦٥/٥) [دار الفكر، ط ١٤٠٦هـ].

(٣) تحفة الأحوذى (٣٢١/٦) [دار المعرفة].

(٤) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (٤٧٣/١٠)

[مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤٦٢).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٣٩٨٢).

الصالحة؛ لأنه ﷺ أمر الجميع بالدعاء بالفردوس بعد أن أعلمهم أنه أعدها للمجاهدين، وقيل: فيه جواز الدعاء بما لا يحصل للداعي لما ذكرته والأول أولى^(٤).

وفيما تقدم من نصوص ردّ على «من زعم أن الفردوس الأعلى لا يسكنه أحد خلا الأنبياء»^(٥).

- المسألة الثانية: الفردوس أحد أسماء الجنة:

قال ابن القيم عن الجنة: «ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها، ومسماتها واحد باعتبار الذات، فهي مترادفة من هذا الوجه، وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه... الاسم الثامن: الفردوس، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (١٧) خَالِدِينَ فِيهَا ﴿١٨﴾ [الكهف]، والفردوس، اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات»^(٦).

الصفات لم يكن من الوارثين؛ لأن ظاهر الآية الحصر، فإن إدخال الفصل بين المبتدأ والخبر يشعر بالحصر^(١).

وقال في موطن آخر: «أخبر ﷺ أن هؤلاء هم الذين يرثون فردوس الجنة، وذلك يقتضي أنه لا يرثها غيرهم، وقد دل هذا على وجوب هذه الخصال، إذ لو كان فيها ما هو مستحب لكانت جنة الفردوس تورث بدونها؛ لأن الجنة تُنال بفعل الواجبات دون المستحبات؛ ولهذا لم يذكر في هذه الخصال إلا ما هو واجب»^(٢).

وقال ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتهم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»^(٣).

وقد وسّع أهل الفردوس ابن حجر إذ قال: «وفي الحديث فضيلة ظاهرة للمجاهدين، وفيه عظم الجنة وعظم الفردوس منها، وفيه إشارة إلى أن درجة المجاهد قد ينالها غير المجاهد، إما بالنية الخالصة أو بما يوازيه من الأعمال

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٣/٦) [دار الفكر].

(٥) صحيح ابن حبان (٤٠٣/١٦).

(٦) التفسير القيم لابن القيم (٢٧٦/٢) [المركز الدولي للتراث العربي].

(١) الفتاوى الكبرى (٨٥/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٢) مجموع الفتاوى (١٤٢/٢٩) [دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ].

(٣) تقدم تخريجه.

- المسألة الرابعة: الفردوس أشرف

الجنان لقربه من العرش:

قال الفضيل بن عياض: «أتدرون لم حُسنت الجنة؟ لأن عرش رب العالمين سقفها»^(٤).

وقال ابن القيم: «وكل ما كان أقرب إلى العرش كان أنور وأزهر وأشرف مما بُعد عنه؛ ولهذا كانت جنة الفردوس أعلى الجنان، وأشرفها، وأنورها، وأجلّها؛ لقربها من العرش؛ إذ هو سقفها، وكل ما بُعد عنه كان أظلم وأضيق؛ ولهذا كان أسفل سافلين شر الأمكنة، وأضيقها، وأبعدها من كل خير»^(٥).

- المسألة الخامسة: هل الفردوس هي

الجنة التي أخرج منها آدم ﷺ؟

ذهب القاضي عياض إلى أن الجنة التي أخرج منها آدم ﷺ هي جنة الفردوس، مستدلاً بحديث المحاجة بين آدم وموسى ﷺ، وفيه: «قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنّته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض»^(٦).

فإنه قال بعد أن ساق الحديث: «فيه

وقال ابن حجر: «أسماء الجنة عشرة أو تزيد: الفردوس وهو أعلاها، ودار السلام، ودار الخلد، ودار المقامة، وجنة المأوى، والنعيم، والمقام الأمين، وعدن، ومقعد صدق، والحسنى، وكلها في القرآن»^(١).

- المسألة الثالثة: شرطاً نزول

الفردوس هما الإيمان والعمل الصالح:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ﴾ [الكهف].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: إن الذين صدّقوا بالله ورسوله، وأقروا بتوحيد الله، وما أنزل من كتبه، وعملوا بطاعته، كانت لهم بساتين الفردوس»^(٢).

وفضّل ابن عثيمين الشروط فقال: «صارت جنات الفردوس نزلاً للمؤمنين، لكن بشرطين: الإيمان، والعمل الصالح.

والإيمان محله القلب، والعمل الصالح محله الجوارح، وقد يراد به أيضاً عمل القلب، كالتوكل والخوف والإنابة والمحبة، وما أشبه ذلك.

والصّالحات هي التي كانت

خالصة لله، وموافقة لشريعة الله»^(٣).

(٤) حادي الأرواح (٥٧)، [دار الكتب العلمية].

(٥) الفوائد (٢٧) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠٩)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(١) فتح الباري (١١/٤٠٩).

(٢) تفسير الطبري (١٨/١٣٠) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٣) تفسير ابن عثيمين (٦/١١٩).

«أعلى درجة في الجنة، لا ينالها إلا رجل واحد، وأرجو أن أكون أنا هو»^(٤).

وفي رواية لأحمد: «الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة، فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة»^(٥).

ولا تعارض بين الأمرين ولا إشكال؛ لأن الوسيلة كما فسرها الحديث أعلى درجات الجنة؛ أي: أعلى درجات جنة الفردوس التي أمرنا بسؤالها، قال المناوي: «الوسيلة أعلى درجات الجنة، وهي خاصة به ﷺ فهي أعلى الفردوس، وجمع بين الأحاديث بأن الفردوس أعلى الجنة، وفيه درجات أعلاها الوسيلة، ولا مانع من انقسام الدرجة الواحدة إلى درجات بعضها أعلى من بعض»^(٦).

- المسألة السابعة: منزلة الفردوس من الجنات:

تقدم فيما مضى بيان أن الفردوس

(٤) أخرجه بهذا السياق الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٦١٢)، وقال: هذا حديث غريب، وإسناده ليس بالقوي.

وأصله عند مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٣٨٤)، ولفظه: «سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو».

(٥) أخرجه أحمد (٨٣/٣) [مؤسسة قرطبة]، وقال الهيثمي: (فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف). مجمع الزوائد (٣٣٢/١) [مكتبة القدسي]. لكن له طرق يتقوى بها، كما في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٥٧١).

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٣٦٨/١) [المكتبة التجارية الكبرى، ط ١٣٥٦هـ].

حجة لأهل السنة أن الجنة التي خرج منها آدم هي جنة الفردوس، والتي يدخلها الناس في الآخرة، خلافاً لقول المبتدعة: إنها جنة أخرى غيرها»^(١).

ولا شك أن آدم ﷺ أُخرج من جنة السماء إلى الأرض، ولكن أهى جنة الفردوس التي هي أعلى الجنة أم جنة دونها؟ لا جزم في ذلك؛ لعدم وجود دليل صريح في المسألة.

لكن المعتقد الصحيح قائم على أن الجنة التي أخرج منها آدم ﷺ إلى الأرض هي جنة السماء المذكورة في النصوص، والتي وعد بها الله المؤمنين، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والجنة التي أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمة، وأهل السنة والجماعة هي جنة الخلد»^(٢).

- المسألة السادسة: لا إشكال بين سؤال الفردوس وسؤال الوسيلة:

أمر النبي ﷺ أمته بسؤال الفردوس كما في قوله ﷺ: «إذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة»^(٣)، وكذا سؤال الوسيلة له ﷺ، وهي أعلى درجة في الجنة، كما في قوله ﷺ: «سلوا الله لي الوسيلة»، قالوا: يا رسول الله، وما الوسيلة؟ قال:

(١) إكمال المعلم (٦٧/٨) [دار الوفاء، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٣٤٧/٤).

(٣) تقدم تخريجه.

قال ﷺ: «أتاني جبريل بمثل المرأة البيضاء فيها نكتة سوداء، قلت: يا جبريل: ما هذه؟ قال: هذه الجمعة جعلها الله عيداً لك ولأمتك فأنتم قبل اليهود والنصارى، فيها ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه. قال: قلت: ما هذه النكتة السوداء؟ قال: هذا يوم القيامة تقوم في يوم الجمعة، ونحن ندعوه عندنا المزيد، قال: قلت ما يوم المزيد؟ قال: إن الله جعل في الجنة وادياً أفيح، وجعل فيه كثباناً من المسك الأبيض، فإذا كان يوم الجمعة ينزل الله فيه، فوضعت فيه منابر من ذهب للأنبياء، وكراسي من در للشهداء، وينزلن الحور العين من الغرف، فحمدوا الله ومجدوه، قال: ثم يقول الله: اكسوا عبادي، فيكسون، ويقول: أطعموا عبادي، فيطعمون، ويقول: اسقوا عبادي، فيسقون، ويقول: طيبوا عبادي، فيطيبون، ثم يقول: ماذا تريدون؟ فيقولون: ربنا رضوانك، قال: يقول: رضيت عنكم، ثم يأمرهم فينطلقون، وتصعد الحور العين الغرف، وهي من زمردة خضراء ومن ياقوتة حمراء»^(٤).

اسم يطلق على جميع الجنة، وهو بالمعنى الأخص يطلق على درجة في الجنة هي أعلاها وأوسطها، ولما كان عرش الرحمن هو سقفها، وهو أعظم المخلوقات وأفضلها وأشرفها وأعلاها ذاتاً وقدرًا، كانت جنة الفردوس أعلى الجنان وأجلها وأشرفها وأنورها وأفضلها^(١).

- المسألة الثامنة: الفردوس مصدر أنهار الجنة:

لقوله ﷺ: «إذا سألتكم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»^(٢).

ومعنى «تفجر أنهار الجنة»: تُشَقُّ وتُجرى أصول الأنهار الأربعة؛ من الماء، واللبن، والخمر، والعسل^(٣).

وقد جاء ذكر هذه الأنهار في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

- المسألة التاسعة: الفردوس محضن الوادي الأفيح:

هذا الوادي غير الأنهار الأربعة،

(١) انظر: الروح لابن القيم (٦٩)، [دار الكتب العلمية]، والفوائد له (٢٧) [دار الكتب العلمية].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: تحفة الأحوذى (٦/٣٢١).

(٤) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٩٠) [دار ابن الأثير، ط ٢]، والبزار (٦٨/١٤) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، وأبو يعلى في مسنده (٢٨٨/٧) [دار المأمون للتراث، ط ١] واللفظ له، والطبراني في الأوسط (٣١٤/٢) [دار الحرمين]، وغيرهم، من =

كان كذلك؛ لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل؛ والأوساط محمية محفوظة»^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الفوائد»، لابن القيم.
- ٢ - «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، لابن القيم.
- ٣ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤)، لابن تيمية.

- ٤ - «الروح»، لابن القيم.

الفرق الضالة

يراجع مصطلح (الافتراق).

الفرقة الناجية

التعريف لغة:

الفرقة من مادة (ف - ر - ق)، و«الفاء والراء والقاف أصل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين، والفرقان: كتاب الله تعالى فَرَّقَ به بين الحق والباطل، والفرقان: الصبح، سُمي بذلك؛ لأنه به يُفَرَّق بين الليل والنهار»^(٣). ويقال: فَرَّقْتُ بين الشيئين أفرق فرقا وفرقاناً، وفَرَّقْتُ الشيءَ تفريقاً وتفرقةً فانفرك وافترق وتفرَّق.

والفِرْق: طائفة من الناس، والفريق:

(٢) تحفة الأحوذى (٦/٣٢١).

(٣) مقاييس اللغة (٤/٤٩٣) [دار الجليل].

والشاهد منه، قوله ﷺ: «إن الله جعل في الجنة وادياً أفيح، وجعل فيه كتباً من المسك الأبيض»، وفي رواية الشافعي: قال: «إن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أفيح فيه كتب مسك»^(١). فذكر الفردوس بدل الجنة.

الآثار:

التشويق، وإيثار الآخرة والكف عن الدنيا وأطماعها، والحث على الطاعات والاجتهاد في الاتصاف بصفات الواردين لها.

الحكمة:

قال الطيبي: «النكتة في الجمع بين الأعلى والأوسط أنه أراد بأحدهما الحسي وبالأخر المعنوي.

فإن وسط الشيء أفضله وخياره، وإنما

= طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقال الهيثمي في المجمع (٣٧٩/١١) [دار الفكر، ط ١٤١٣هـ]: «رواه البزار والطبراني في الأوسط بنحوه، وأبو يعلى باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم»، وصحح إسناده البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٢/٢٦٠) [دار الوطن، ط ١٤١٣هـ]، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/٢٧٢) [مكتبة المعارف، ط ٥]: «حسن لغيره».

(١) مسند الشافعي (٧٠) [دار الكتب العلمية]، وضعف ابن تيمية إسناده، وأشار ابن القيم إلى أن للحديث طرقات عديدة. انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/٦١٨) [دار الكتب العلمية]، تهذيب السنن لابن القيم (٢/٣٩١)، وزاد المعاد (١/٣٦٨).

❁ سبب التسمية:

هذا الاسم مأخوذ من إخبار النبي ﷺ - لما ذكر أن أمته ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة - أن فرقة واحدة من بين تلك الفرق هي الناجية، فهي لتمسكها بالسُّنة نجت من الضلال في الدنيا، وستنجو من النار في الآخرة.

❁ الأسماء الأخرى:

أهل السُّنة والجماعة، الجماعة، السلف، أهل الحديث، أهل الأثر، السواد الأعظم، الطائفة المنصورة.

❁ الحكم:

يجب التزام منهج الفرقة الناجية، وسلوك سبيلها، والتصديق بوجودها.

❁ الأدلة:

عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افرقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»^(٤). فأخبر أن هناك فرقة ناجية

الطائفة من الناس، وهم أكثر من الفرق، والفرقة: مصدر الافتراق^(١).

والناجية من مادة (ن - ج - و)، يقال: نجا نجواً ونجاءً ونجاةً ونجايةً: خَلَصَ. والناجية والنجاة: الناقة السريعة تنجو بمن يركبها، والنَجْوَ والنَّجاة: المكان المرتفع الذي تظن أنه نجاؤك، لا يعلوه السيل^(٢).

❁ التعريف شرعاً:

الفرقة الناجية: هي التي تسير على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأكثرهم معرفة بمعانيها، وأشدّهم اتباعاً لها؛ تصديقاً وعملاً^(٣).

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنى اللغوي عام، والمعنى الشرعي خصّه بأهل السُّنة والجماعة، المتمسكون بالكتاب والسُّنة.

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٩٦/٩) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ]، والصحاح (١٢٦٧/٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٩هـ]، والقاموس المحيط (٣٧١/٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٢) ينظر: الصحاح للجوهري (١٩٨٦/٥٤)، وتهذيب اللغة (١١/١٣٥)، والقاموس المحيط (٤/٤٥٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٤٧/٣)، والدين الخالص للفتنوجي (٤٤/٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنة، ٤٥٩٧)، وأحمد (١٣٤/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والدارمي (كتاب السير، رقم ٢٥٦٠)، وابن أبي عاصم في السُّنة (٧٦/١) [المكتب الإسلامي، ط ١]، وحسنه الحافظ ابن حجر في تخرّيج أحاديث الكشف (٦٣)، وصحح ابن تيمية المثنى في مجموع الفتاوى (٣٤٥/٣)، وله عدة شواهد أشار إليها الألباني في =

الفرقة الناجية، ثم قد تُقيم بعض الفرق على دعواها برهاناً أو هي من بيت العنكبوت.

وبالجملة:

فكلٌ يدَّعي وصلاً لليلي
وليلى لا تقرُّ لهم بذاكا

وكان الأحسن بالناظر في الحديث أن يكتفي بالتفسير النبوي لتلك الفرقة، فقد كفاه ﷺ - معلّم الشرائع الهادي إلى كل خير ﷺ - المؤنة، وعيّن له الفرقة الناجية، بأنها: من كان على ما هو عليه ﷺ وأصحابه، وقد عَرَفَ بحمد الله من له أدنى همة في الدين ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه^(٤).

وقال عبد الرحمن بن حسن: «الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين، هي التي تمسكت بكتاب الله، وسُنّة رسوله ﷺ، وعملوا بما في كتاب الله، وأخلصوا له العبادة، واتبعوا رسوله ﷺ»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- ليس كل الفرق الثنتين والسبعين خارجة عن الملة:

فهم لا يزالون من أهل الإسلام، لم يخرجوا منه إلى الكفر: فالنبي ﷺ لم يخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من

(٤) حديث افتراق الأمة (٧٨، ٧٩) [دار العاصمة، ١٦، ١٧هـ].

(٥) الدرر السنية (٤٠٢/١١) [٦، ١٣هـ]. وينظر: (٣٥٢/١١).

من بين هذه الفرق الثلاث وسبعين. وفي رواية للترمذي: قال: «وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»^(١).

أقوال أهل العلم:

ساق الخطيب البغدادي بسنده عن الإمام أحمد - وذكر حديث النبي ﷺ: «تفترق الأمة على نيف وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة» - فقال: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم»^(٢). ومراده بأهل الحديث: أهل السُنّة والجماعة.

قال ابن تيمية: «وفيهـم الصّديقون، والشهداء، والصالحون، ومنهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، أولو المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال، وفيهم أئمة الدين، الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم، وهم الطائفة المنصورة»^(٣).

وقال الصنعاني: «كل فرقة تزعم أنها

= السلسلة الصحيحة (٤٠٥/١) [مكتبة المعارف، ط ١].
(١) أخرجه الترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٤١)، والحاكم (كتاب العلم، رقم ٤٤٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٣٤/٢)، رقم ٢١٢٩ [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٢) شرف أصحاب الحديث (٢٥) [دار إحياء السُنّة].

(٣) العقيدة الواسطية بشرح هراس (٢٦١) [دار الهجرة، ط ٣، ١٤١٥هـ].

أمته، ولم يقل: إنهم يخلدون في النار، فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته، فإن كثيراً من المنتسبين إلى السنة فيهم بدعة من جنس بدع الرافضة والخوارج، وأصحاب الرسول ﷺ - علي ابن أبي طالب وغيره - لم يكفروا الخوارج الذين قاتلوهم»^(٣).

وقال: «وليس قوله: «اثنان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة» بأعظم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَهُمْ آلَتَمَ تَطْلَمًا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء] وأمثال ذلك من النصوص الصريحة بدخول من فعل ذلك النار»^(٤).

وجدير بالتنبيه هنا: أن هذه الفرق ليست على درجة واحدة، بل هم متفاوتون، كما أن من الفرق من صرح أئمة الإسلام بكفرهم، بل نص بعضهم على أنهم خارجون عن الفرق الثنتين والسبعين، كالجهمية مثلاً، لكونهم قالوا بمقالات توجب ذلك.

المصادر والمراجع:

١ - «شرف أصحاب الحديث»، للخطيب البغدادي.

أمته - أمة الإجابة - وقال: «كلها في النار» ولم يقل: إنهم مخلدون في النار، فهو وعيد في حقهم كسائر نصوص الوعيد الواردة في مرتكبي بعض الكبائر، كقوله ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه في جهنم»^(١)، ولم يقل أحد من أهل السنة: إن المصور خارج من ملة الإسلام بمقتضى هذا الحديث.

ومن باب أولى عدم الحكم على معين ممن انتسب لفرقة من هذه الفرق بالكفر، ما لم يقع في مكفر، وتتوفر فيه شروط التكفير، وتتفي عنه موانعه.

قال ابن تيمية: «ومن قال: إن الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفراً ينقل عن الملة، فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة، وإنما يكفر بعضهم بعضاً ببعض المقالات»^(٢).

وقال أيضاً: «ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفاراً، بل مؤمنين، فيهم ضلال وذنب، يستحقون به الوعيد، كما يستحقه عصاة المؤمنين، والنبي ﷺ لم يخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من

(١) أخرجه مسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢١٧/٧).

(٣) منهاج السنة (٥/٢٤١) [جامعة الإمام، ط ٢].

(٤) منهاج السنة (٥/٢٤٩).

٢ - «العقيدة الواسطية»، لابن تيمية

[بشرح هراس].

الفسق: هو الخروج من طاعة الله وَعَلَيْكَ، فقد يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان^(٢).

٣ - «حديث افتراق الأمة»، للصنعاني.

٤ - «المباحث العقدية في حديث

افتراق الأمم»، لأحمد سردار محمد مهر الدين شيخ.

٥ - «درء التعارض»، لابن تيمية.

٦ - «فضل علم السلف على

الخلف»، لابن رجب.

٧ - «التحفة في مذاهب السلف»،

للسوكاني.

٨ - «لوامع الأنوار»، للسفاريني.

٩ - «وسطية أهل السنة بين الفرق»،

لمحمد باكريم.

الحكم

يجب على المسلم أن يحذر من الخروج عن طاعة الله، ويتعد عن الوقوع في الفسق، ويجتنب فعل المنكرات والمعاصي؛ لئلا يكون من الفاسقين الموعودين بالعذاب يوم القيامة.

ويجب كذلك على المسلم الذي يريد لنفسه النجاة أن لا يتعجل في إصدار الحكم على أحد من المسلمين بالفسق، خاصة إذا افتقر إلى الحجة والبيّنة؛ لأن عاقبة هذا الأمر وخيمة، يقول النبي ﷺ: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك»^(٣).

الحقيقة

الفسق اسم عام يشمل الكفر،

[دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، وتاج العروس (٣٠٢/٢٢).

(٣٠٤) [وزارة الإعلام، الكويت، ط ١٤٠٨هـ].

(٢) المحرر الوجيز (١١٢/١) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠٤٥) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦١).

الفسق

التعريف لغة

الفسق: هو الخروج عن الطاعة، وأصله: خروج الشيء من الشيء على وجه الفساد، ومنه قولهم: فسق الرطب: إذا خرج عن قشره. وتسمى الفأرة: الفويسقة؛ لخروجها من جحرها على الناس. وفسق: جار ومال عن طاعة الله وَعَلَيْكَ. والتفسيق ضدّ التعديل، يقال: فسقه الحاكم؛ أي: حكم بفسقه، وفسق فسوقاً؛ أي: فجر فجوراً^(١).

(١) انظر: تهذيب اللغة (٣١٥/٨) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م]، ومقاييس اللغة (٥٠٢/٤).

كُفْر»^(٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك»^(٤).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رحمته الله: «إن الفسق يكون تارة بترك الفرائض، وتارة بفعل المحرمات»^(٥).

وقال أيضاً: «لفظ المعصية والفسوق والكفر، إذا أطلقت المعصية لله ورسوله دخل فيها الكفر والفسوق، كقوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾^(٦) [الجن]، وقال تعالى: ﴿وَلَكَ عَادٌ جَحْدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عِنْدٍ﴾^(٧) [هود].»

وقال ابن حجر رحمته الله: «الفسق هو الخروج عن طاعة الله ورسوله، وهو في عُرف الشرع أشد من العصيان، قال الله تعالى: ﴿وَكُرْهُ إِلَىٰ إِيَّكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧]»^(٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٤).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٥١/٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٦) المصدر السابق (٢٥٩/٧).

(٧) فتح الباري (١١٢/١) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

والكبائر، وبقية المعاصي. وهو في حقيقته: ميلٌ عن القصد، وانحرافٌ عن الاستقامة^(٩). ويأتي في الشرع بمعانٍ عدة، ويستحق وصف الفسق: كلُّ من نسي حقَّ الله تعالى وأضاع أوامره. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١٠) [الحشر].

✽ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾^(١١) [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(١٢) أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(١٣) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ^(١٤) [السجدة].

ومن السنة حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أربع كلهن فاسق، يقتلن في الحل والحرم: الحدة، والغراب، والفأرة، والكلب العقور»^(١٥).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله

(١١) تفسير الطبري (٢٩١/١٥) [دار هجر، ط ١].

(١٢) أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٨٢٩)، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١١٩٨)، واللفظ له.

وقال الألوسي رحمته الله: «الفسق أعم من البدعة، حيث يطلق الفسق على البدعة وغيرها؛ ولذا قال ابن الصلاح رحمته الله: «كل مبتدع فاسق وليس كل فاسق مبتدعاً، والمراد: المبتدع الذي لا تخرجه بدعته عن الإسلام؛ وهذا لأن البدعة فساد في العقيدة في أصل من أصول الدين، والفسق قد يكون فساداً في العمل مع سلامة العقيدة»^(٣).

٢ - فسق العمل: «كالقذف، وقد سمى الله القاذف من المسلمين فاسقاً، ولم يخرج من الإسلام، قال الله: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور]»^(٤).

وفسق العمل أمثله كثيرة، وإطلاقاته متعددة، كما جاء ذلك في النصوص الشرعية، وأثار أهل العلم، ولعل ما يضبط ذلك ما قاله النووي رحمته الله: «وأما الفسق فيحصل بارتكاب الكبيرة، أو الإصرار على الصغيرة»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- ما يروى عن الحسن من تسمية الفاسق منافقاً:
الحسن البصري رحمته الله لم يقل ما خرج

(٣) فتاوى ابن الصلاح (٢١٩) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٠٧هـ].

(٤) تعظيم قدر الصلاة (٥٢٦/٢) [مكتبة الدار، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٥) فتاوى النووي (٢٦١).

وقال الألوسي رحمته الله: «الفسق وهو شرعاً: خروج العقلاء عن الطاعة، فيشمل الكفر ودونه من الكبيرة والصغيرة. واختص في العرف والاستعمال بارتكاب الكبيرة، فلا يطلق على ارتكاب الآخرين إلا نادراً بقرينة»^(١).

الأقسام:

الفسق ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: فسق يخرج عن الإسلام، كفسق إبليس، الذي قال الله تعالى عنه: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، وكان ذلك الفسق منه كفراً، وقال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠] يريد الكفار، دل على ذلك قوله: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠].

القسم الثاني: الفسق الذي لا يخرج من الملة، وهو على قسمين:

١ - فسق الاعتقاد: كفسق أهل البدع الذين ينفون كثيراً مما أثبت الله ورسوله، جهلاً وتأويلاً، وتقليداً للشيخوخ، ويثبتون ما لم يثبت الله ورسوله^(٢).

(١) روح المعاني (٢١٢/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٢) انظر: مدارج السالكين (٣٦٩/١).

به عن الجماعة، لكنه سَمِيَ الفاسقَ منافقًا، وقصد الفاسق الذي فيه إيمان وفيه نفاق؛ أي: النفاق الأصغر: وهو النفاق العملي الذي لا يُخرج من الإسلام. فإطلاقه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لفظ النفاق على الفاسق هو بهذا الاعتبار^(١).

✽ مذهب المخالفين:

خالفت المرجئة والوعيدية (وهم الخوارج والمعتزلة) أهل السُنَّة والجماعة في مسألة الفاسق الملي^(٢). فذهبت الوعيدية إلى القول بتكفير الفاسق الملي، فالمعتزلة جعلت حكمه الديني في منزلة بين المنزلتين، وقالت بتخليده في النار يوم القيامة، أما الخوارج فقالت: هو كافر في الدنيا والآخرة. وأما المرجئة فقد ذهبت إلى أنه كامل الإيمان^(٣).

✽ الرد عليهم:

يقال لهم: إن مرتكب الكبيرة مع أنه فاسق بكبيرته، إلا أنه لا يخرج من الإيمان بالكلية، فيمكن اجتماع الإيمان

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥٢٣/٧ - ٥٢٤) (١١/١٤٠).

(٢) وهو من وقع في موجبات الفسق الأصغر غير المكفّر.

(٣) انظر: غاية المرام في علم الكلام للأمدي (٣١٢) [المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة] وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٦٦٦)، (٦٩٧) [مكتبة وهبة، ط ٣، ١٤١٦هـ]، والفصل في الملل والنحل لابن حزم (١٨٨/٣) [دار المعرفة، ط ٢، ١٣٩٥هـ]، وأصول الدين للبغدادى (٢٤٩) [مطبعة الدولة، إستانبول، ١٣٤٦هـ]. وانظر أيضًا: مجموع الفتاوى (٤٨/١٣).

✽ المصادر والمراجع:

١ - «الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين» (ج ١)، لمحمد آل خضير.

٢ - «الإيمان: حقيقته - خوارمه - نواقضه عند أهل السُنَّة والجماعة»، لعبد الله الأثري.

٣ - «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (ج ١، ٢).

٤ - «الزواج عن اقتراف الكبائر»، لابن حجر الهيتمي.

٥ - «الفسق وأحكامه عند أهل السُنَّة والمخالفين»، لريما بنت مقرن الشيخ.

٦ - «الفسق والنفاق»، لعبد العزيز العبد اللطيف.

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٧)، لابن تيمية.

٨ - «المحرر الوجيز» (ج ١)، لابن عطية.

٩ - «مدارج السالكين» (ج ١)، أنا ابتدأتها»^{(٢)(٣)}.

لابن القيم.

١٠ - «نواقض الإيمان الاعتقادية»،

على الشق والابتداء والخلق.

لمحمد الوهيبي.

التعريف شرعاً:

القول الراجح في تعريف الفطرة أنها الإسلام، وليس معنى هذا أن الإنسان لما يولد يعرف الإسلام بتفاصيله، بل الفطرة هي القوة العلمية التي تقتضي بذاتها الإسلام ما لم يمنعها مانع، وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة^(٤). والقول بأن الفطرة هي الإسلام هو قول عامة السلف^(٥).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

معنى الفطرة في اللغة يدل على الخلق

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨٣/١١) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وفي سنده ضعف. وهو عند البيهقي في الأسماء والصفات (٧٨/١) [مكتبة السوادي، ط ١]، وفيه: «أنا فطرتها؛ يريد: استحدثت حفرها».

(٣) الصحاح (٧٨١/٢) [دار العلم للملايين، ط ٣]. وانظر: العين (٤١٧/٧، ٤١٨)، ولسان العرب (٥/٥٥ - ٥٨) [دار صادر]، والمصباح المنير (٤٧٦/٢، ٤٧٧) [دار القلم].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤٥/٤ - ٢٤٧) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ].

(٥) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٧٢/١٨) [وزارة علوم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧هـ]، ودرء التعارض (٣٧٣/٨) [مكتبة ابن تيمية]، وشفاء العليل (٢٨٥) [مكتبة الرياض الحديثة، ط ١، ١٣٢٣هـ]، وأحكام أهل الذمة (٥٣٥/٢) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٩٨٣م]، وفتح الباري (٢٤٨/٣) [دار الفكر].

الفَطر

يراجع مصطلح (الفاطر).

الفطرة

التعريف لغةً:

قال الخليل بن أحمد: «فَطَرَ الله الخلق؛ أي: خَلَقَهُمْ، وابتدأ صِنْعَةَ الأشياء، وهو فَاطِرُ السماوات والأرض، والفِطْرَةُ التي طبعت عليها الخليفة من الدين، فَطَرَهُم الله على معرفته بربوبيته، وأنْفَطَرَ الثوب وتَفَطَّرَ أي: انشق، وتَفَطَّرَتِ الجبال والأرض: انصدعت»^(١).

وقال الجوهري: «والفِطْرَةُ بالكسر: الخلقة، وقد فَطَرَهُ يَقْطُرُهُ بالضم فطرًا؛ أي: خلقه. والفَطرُ أيضًا: الشق، يقال: فَطَرْتُهُ فانفطر، وتَفَطَّرَ الشيء: تشقق، والفَطرُ: الابتداء والاختراع، قال ابن عباس رضي الله عنه: كنت لا أدري ما فاطر السماوات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها؛ أي:

(١) العين (٤١٨/٧) [مكتبة الهلال].

٤ - قوله ﷺ في حديث عياض بن حمار رضي الله عنه: «خلقت عبادي حنفاء كلهم»^(٥).

وابتداء الشيء، والمعنى الشرعي يدل على خلق الناس على وضع معين هو الإسلام، والقبول للعقائد الصحيحة.

❁ أقوال أهل العلم:

اختلف العلماء في معنى الفطرة على عدة أقوال، وقد سبق ذكر القول الراجح، ومن هذه الأقوال:

القول الأول: أن الفطرة هي الإقرار بمعرفة الله تعالى، وهي العهد الذي أخذه عليهم في أصلاب آبائهم، حين مسح ظهر آدم فأخرج من ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر، وأشهدهم على أنفسهم: ألسن بربكم، قالوا بلى، فليس أحد إلا وهو يقر بأن له صانعاً ومديراً وإن سمّاه بغير اسمه، قال ﷺ: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] فكل مولود يولد على ذلك الإقرار^(٦).

القول الثاني: أن الله فطرهم على الإنكار والمعرفة، وعلى الكفر والإيمان^(٧).

(٥) جزء من حديث أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٥).

(٦) انظر: تأويل مختلف الحديث (٧٣ - ٩٥) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط١]، والتمهيد لابن عبد البر (١٨/ ٩٠ - ٩١)، ودرء التعارض (٨/ ٣٥٩ - ٣٦٠)، شفاء العليل (٢٨٣).

(٧) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ٨٨)، وشفاء العليل (٢٩٣)، أحكام أهل الذمة (٢/ ٥٧٥ - ٥٧٦).

❁ الأدلة:

أدلة القول بأن الفطرة هي الإسلام كثيرة؛ منها^(١):

١ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَهِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الآية [الروم: ٢]، وذكروا عن عكرمة، ومجاهد، والحسن، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة، في قول الله ﷻ: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَهِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، قالوا: فطرة الله، دين الله الإسلام.

٢ - قول النبي ﷺ: «خمس من الفطرة»^(٣)؛ يعني: فطرة الإسلام.

٣ - ألفاظ الحديث التي في الصحيح مثل قوله: «على الملة»، و«على هذه الملة»^(٤).

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ٧٢)، ودرء التعارض (٨/ ٣٦٧ - ٣٧١)، وشفاء العليل (٢٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٨٨٩)، ومسلم (كتاب الطهارة، رقم ٢٥٧).

(٤) الروايتان أخرجهما مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٨).

✽ المسائل المتعلقة:

- دليل الفطرة:

الفطرة دليل من أدلة التوحيد التي غرسها الله ﷻ في بني آدم وخلقهم عليها، فهي توجه العبد إلى أفراد الرب ﷻ بالربوبية والألوهية، إلا أن هذه الفطرة قد تتغير بما يؤثر عليها من التنشئة على الشرك، وما يحيط بها من الشبهات والشهوات.

✽ مذهب المخالفين:

ذهب المعتزلة ونحوهم من المتكلمين إلى أنه لم يولد أحد على الإسلام أصلاً، ولا جعل الله أحداً مسلماً ولا كافراً، ولكن هذا أحدث لنفسه الكفر، وهذا أحدث لنفسه الإسلام؛ بلا نزاع بين القدرية، ولكن هو دعاهما إلى الإسلام، وأزاح علتهم، وأعطاهما قدرة متماثلة فيهما، تصلح للإيمان والكفر، ولم يختص المؤمن بسبب يقتضي حصول الإيمان، فإن ذلك عندهم غير مقدور، ولو كان مقدوراً لكان ظلماً، وهذا قول عامة المعتزلة.

الثاني: أنهم يقولون: إن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر المشروط بالعقل، فيستحيل أن تكون المعرفة عندهم ضرورية، أو تكون من فعل الله ﷻ (٤).

✽ الرد عليهم:

يرد عليهم بحديث الفطرة السابق،

القول الثالث: أن الفطرة هي الإسلام

لكنها خاصة بالمؤمنين؛ لأنه لو فطر الناس جميعاً على الإسلام لما كفر أحد منهم، وهذا خلاف ما دلّت عليه النصوص من أنه ﷻ خلق أقواماً للنار، وأن غلام الخضر طبع كافراً (١).

القول الرابع: أن الفطرة هي الخلقة

التي خلق عليها المولود، من المعرفة بربه، فكأنه قال: كل مولود يولد على خلقه يعرف بها ربه، إذا بلغ مبلغ المعرفة، يريد خلقه مخالفة لخلقها إلى البهائم، التي لا تصل بخلقها إلى معرفة ذلك، ومثل هذا القول من قال: المراد بالفطرة، أن كل مولود يولد على السلامة خلقه، وطبعاً، وبنية، ليس معها كفر ولا إيمان، ولا معرفة ولا إنكار، ثم يعتقد الكفر أو الإيمان بعد البلوغ (٢).

القول الخامس: الفطرة؛ يعني: البداية

التي ابتدأهم عليها، من أنه ابتدأهم للحياة والموت، والسعادة والشقاء، وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ من قبولهم عن آبائهم اعتقادهم (٣).

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢٦/١٤) [دار الكاتب العربي، ١٣٨٧هـ].

(٢) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٦٨/١٨ - ٧٠)، ودرء التعارض (٤٤٢/٨)، وشفاء العليل (٢٨٩ - ٢٩٩)، وأحكام أهل الذمة (٥٦٨/٢ - ٥٦٩).

(٣) انظر: التمهيد (٧٨/١٨)، درء التعارض (٣٨٦/٨)، وشفاء العليل (٢٨٤)، أحكام أهل الذمة (٥٦٩/٢).

(٤) انظر: درء التعارض (٣٧٨/٨)، شفاء العليل (٢٨٨).

لا دليل عليه من النقل أو العقل، بل الأدلة الشرعية السابقة تبطله، والنظر المقصود هو النظر في طريقة الأعراض، والتركيب، ونحو ذلك من الطرق المتبعة وهو طريق باطل، غير موصل للمقصود. فالرسول ﷺ لم يأمر أحدًا بهذه الطرق، ولا علق إيمانه، ومعرفته بالله، بهذه الطرق، بل القرآن وصف بالعلم، والإيمان، من لم يسلك هذه الطرق، ولما ابتدع بعض هذه الطرق من ابتدعها، أنكر ذلك سلف الأمة وأئمتها، ووسموا هؤلاء بالبدعة والضلالة^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام أهل الذمة» (ج ٢)، لابن القيم.
- ٢ - «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، جمع ودراسة»، لآمال العمرو [رسالة دكتوراه].
- ٣ - «إيثار الحق على الخلق»، لابن الوزير.
- ٤ - «التمهيد» (ج ١٨)، لابن عبد البر.
- ٥ - «جامع البيان» (ج ٢٠)، لابن جرير الطبري.
- ٦ - «درء تعارض العقل والنقل»

(ج ٨)، لابن تيمية.

(٥) انظر: المرجع السابق (١٢/٨) بتصرف.

وهو قوله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه...»^(١). والروايات التي وضحت معناه. ويرد عليهم بحديث عياض بن حمار: «خلقت عبادي حنفاء كلهم...»^(٢). وفيه تصريح بأن الله فطرهم على الحنيفية وهي الإسلام.

فيقال لهم أنتم تقولون إنه لا يقدر لا الله، ولا أحد من مخلوقاته على أن يجعلهما يهوديين، أو نصرانيين، أو مجوسيين، بل هما فعلاً بأنفسهما ذلك بلا قدرة من غيرهما^(٣)، وحديث الفطرة يبطل قولكم، ويبين أثر الوالدين، كما أنه يدل على أن معنى الفطرة هي الإسلام.

وأهل السنة متفقون على أن غير الله لا يقدر على جعل الهدى أو الضلال في قلب أحد، فقد اتفقت الأمة على أن المراد في حديث الفطرة دعوة الأبوين ابنهما إلى عقيدتهما، وتربيتهما عليه، ونحو ذلك مما يفعل المعلم، والمربي مع من يعلمه ويربيه، وذكر الأبوين بناء على الغالب^(٤).

وأما قولهم: إن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر المشروط بالعقل، فهو قول

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٣٧٩/٨).

(٤) انظر: المرجع السابق (٣٧٩/٨).

التعريف اصطلاحاً:

الفناء مصطلح صوفي، يعرف بأنه: «عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت، وهو بالاستغراق في عظمة الباري، ومشاهدة الحق»^(٤). وقيل: هو الغيبة عن الأشياء، بأن لا ترى شيئاً إلا الله، ولا تعلم إلا الله، وتكون ناسياً لنفسك، ولكل الأشياء سوى الله^(٥). ويقول شيخ الإسلام: «ما يسمّيه بعض الصوفية الفناء، وهو استغراق القلب في الحق حتى لا يشعر بغيره»^(٦). ويقول الإمام ابن القيم: «ولكن القوم اصطالحوا على وضع هذه اللفظة لتجريد شهود الحقيقة الكونية والغيبة عن شهود الكائنات»^(٧). هذا معنى الفناء الغالب عند الإطلاق، ويتبين أكثر عند ذكر أقسامه.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

العلاقة بينهما واضحة؛ فالفناء عند

٧ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

٨ - «العقيدة والفطرة في الإسلام»، لصابر طعيمة.

٩ - «الفطرة: حقيقتها ومذاهب الناس فيها»، لعلي القرني.

١٠ - «الفطرة والعقيدة الإسلامية»، لحافظ الجعبري، [رسالة ماجستير].

الفقه الأكبر

يراجع مصطلح (العقيدة).

الفناء

التعريف لغة:

قال الخليل: «الفناء نقيضُ البقاء، والفعل فَنَيْ يَفْنَى فَنَاءً فهو فَانٍ، والفناء: سعة أمام الدار»^(١).

وقال الأزهري: «فَنَى الرجل يَفْنَى؛ إذا هَرِمَ وأشرف على الموت»^(٢).

فالفناء هو الاضمحلال والتلاشي والعدم، وقد يطلق على ما تلاشت قواه وأوصافه مع بقاء عينه، كما يقال: شيخ فان^(٣).

(١) العين (٣٧٦/٨) [دار مكتبة الهلال]. وانظر: تهذيب اللغة (٤٧٨/١٥) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ولسان العرب (١٦٤/١٥) [دار صادر].

(٢) تهذيب اللغة (٤٧٨/١٥).

(٣) انظر: مدارج السالكين (١٥٤/١) [دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ].

(٤) التعريفات (٢١٧) [عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٧هـ]. وانظر: التوقيف (٥٦٥) [دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤١٠هـ]، والمعجم الصوفي للحفني (١٩٦) [دار الرشد، ط ١، ١٤١٧هـ]، المعجم الفلسفي لجميل صليبا (١٦٧/٢) [دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م].

(٥) انظر: المعجم الصوفي (١٩٦)، واصطلاحات الصوفية للقاشاني (٢١٢) [دار الحكمة، ط ١، ١٤١٥هـ]، ومعجم الكلمات الصوفية للنقشبدي (١٩١) [مؤسسة الانتشار العربي، ط ١، المعجم الفلسفي لصليبا (١٦٧/٢)].

(٦) بغية المرتاد (٢٢٦) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٧) مدارج السالكين (١٥٤/١، ١٥٥) [دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ].

القسم الأول: الفناء عن عبادة ما سوى الله، والاستعانة به، بحيث لا يعبد إلا الله ولا يستعين إلا بالله، وهذا هو دين الإسلام.

القسم الثاني: الفناء عن شهود ما سوى الله، بحيث يغيب بمشهوده عن شهوده، وهؤلاء ليس مرادهم فناء وجود ما سوى الله في الخارج، بل فناؤه عن شهودهم وحسهم، وهؤلاء إذا لم يتركوا واجباً لم يضرهم، وإن تركوا مستحباً مشغولين عنه بما هو أفضل منه لم ينقلوا عن مقامهم، وإن اشتغلوا عما تركوه من المستحب بما ليس مثله، فانتقالهم إلى ذلك الأفضل أفضل إذا أمكن، وإن تركوا واجباً أو فعلوا محرماً مع إمكان العلم والقدرة فهم مؤاخذون على ذلك، وإن كان مع سقوط التمييز لسبب يعذرون به مثل زوال عقل بسبب غير محذور فلا ذم عليهم. وهذا النوع هو الذي يظنه الصوفية غاية السالكين، مع أنه ليس غاية محمودة بل هو فناء الناقصين.

القسم الثالث: وهو فناء الكافرين، وهو جعل وجود الأشياء هو عين وجود الحق، أو وجود نفسه عين وجود الله وَعَلَى، وهذا كفر محض ^(٣).

الصوفية اضمحلال الشعور بالنفس وتلاشيهِ أمام شهود الله، فقد أخذ من المعنى اللغوي الاضمحلال والتلاشي.

❁ الأسماء الأخرى:

يستخدم الصوفية مصطلحات أخرى للتعبير عن معنى الفناء، كلفظ المحو والجمع والاصطلام والسكر، وهذه المصطلحات تشترك معاً في غيبة المتصف بها عن شهود أو وجود ما سوى الله، وقد يفرق بعض الصوفية بينها من حيث السبب الباعث لغيبة الشخص عن ما سوى الله، ومن حيث درجة هذه الغيبة، وحال المتصف بها. يقول شيخ الإسلام مبيناً تقارب هذه الألفاظ: «أن يفنى عن شهود ما سوى الله، وهذا الذي يسميه كثير من الصوفية حال الاصطلام والفناء والجمع ونحو ذلك» ^(١). وقال عن السكر: «وكذلك ما يرد على القلوب مما يسمونه السكر والفناء، ونحو ذلك من الأمور التي تغيب العقل بغير اختيار صاحبها» ^(٢)، فهي ألفاظ متقاربة المعنى.

❁ الأقسام:

الفناء مصطلح يحتمل عدة معان؛ منها ما هو صحيح، ومنها ما هو نقص، ومنها ما هو كفر.

(٣) انظر: الاستقامة (٢/١٤٢، ١٤٣) [مكتبة ابن تيمية]، ومجموع الفتاوى (٢/٢٦٨ - ٢٧٠) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ]، ومذارج السالكين (١/ ١٤٩ - ١٥٥)، (٣/٣٧٨ - ٣٨٠)، بتصرف.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/٣٧٠). وانظر المرجع نفسه (١٠/٥٩٤)، وشفاء العليل (١٥).
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/١٠).

❁ المصادر والمراجع:

٦ - «اصطلاحات الصوفية»،

للقاشاني.

١ - «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة

٧ - «معجم الكلمات الصوفية»،

لأحمد النقشبندي.

بتوحيد الربوبية»، لآمال العمرو [رسالة
دكتوراه].

٨ - «موسوعة مصطلحات جامع

العلوم»، لمجموعة من المؤلفين.

٢ - «الاستقامة» (ج ١)، لابن تيمية.

٣ - «الفناء عند الصوفية وموقف

السلف منه»، لسعيد أبو بكر زكريا
[رسالة ماجستير].

❁ الفوقية ❁

يراجع مصطلح (العلو).

٤ - «مجموع الفتاوى» (ج ٢)، لابن

تيمية.

٥ - «مدارج السالكين» (ج ١)، لابن

القيم.



حرف القاف

يقال: قَبَرَ الميت إذا دفنه، والقبر: حفرة في الأرض يوارى فيها الميت، وجمعه: قبور، والمقبرة، بفتح الباء وضمها: موضع القبور^(٢).

التعريف شرعاً:

القبر: هو مكان دفن الأموات في الأرض، وأول منازل الآخرة، وفيه الحياة البرزخية، والميت فيه إما معذب وإمّا مُنعم^(٣).

الأسماء الأخرى:

من الأسماء التي تطلق على القبر: الضريح، ومنها: الرُّمُس، ومنها: الكُدَى، ومنها: اللَّحْد، ومنها: التربة، ومنها: الجَدَث^(٤).

الحكم:

أجمع العلماء على وجوب إيجاد

القائم

يراجع مصطلح (القيوم).

القابض

يراجع مصطلح (القبض والبسط).

قابل التوب

يراجع مصطلح (التواب).

القادر

يراجع مصطلح (القدرة).

القاهر

يراجع مصطلح (القهر).

القبر

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «القاف والباء والراء أصل صحيح يدل على غموض في شيء وتطامن»^(١). والقبر: مدفن الإنسان،

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١١٩/٩) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، والقاموس المحيط (٤٥٨) [مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ]، ولسان العرب (٦٨/٥) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ].

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٤) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٤٥١/١١) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٤) انظر: المخصص لابن سيده (٧٨/٢) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ]، والنهاية في غريب الحديث (١٥٦/٤)، والمصباح المثير (٧٣/١) [المكتبة العلمية].

(١) مقاييس اللغة (٤٧/٥) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ].

وقف على قبر يبكي حتى يبيل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار، ولا تبكي، وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺ، قال: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه». قال: وقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفزع منه»^(٤).

❖ الأدلة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَّا لَهُ فَاقْبَرَهُ﴾^(١) [عبس]، وقال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَى سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾^(٢) [يس].

ومن السُّنَّة: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الذي لدغته الحية، أن النبي ﷺ قال لهم: «اذهبوا فادفنوا صاحبكم»^(٣).

وحديث هشام بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوم أحد: «احفروا، وأوسعوا، وأحسنوا، وادفنوا الاثنين والثلاثة في القبر، وقدموا أكثرهم قرآنًا»^(٤). وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا

❖ أقوال أهل العلم:

قال الإمام مالك: «لم يبلغني في عمق قبر الميت شيء موقوف عليه، وأحب إلي أن لا يكون عميقًا جدًا، ولا قريبًا من أعلى الأرض جدًا»^(٥).

وقال الإمام الشافعي: «وأحب أن لا يزداد في القبر تراب من غيره، وليس بأن يكون فيه تراب من غيره بأس، إذا زيد فيه تراب من غيره ارتفع جدًا، وإنما أحب أن يشخص على وجه الأرض شبرًا أو نحوه»^(٦).

[١٤٢١هـ]، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (١٤٢ - ١٤٣) [المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٤٤٠هـ].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الزهد، رقم ٢٣٠٨) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٧)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٥٠٣/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الرقاق، رقم ٧٩٤٢) وصححه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٦٨٤) [المكتب الإسلامي].

(٥) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف (٤٥٤/٥).
(٦) الأم للشافعي (٣١٦/١) [دار المعرفة، ط ١٤١٠هـ].

(١) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف (٤٥٠/٥) [دار طيبة، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٣٦).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢١٥)، والترمذي (أبواب الجهاد، رقم ١٧١٣) وقال: حسن صحيح، والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠١٠)، وأحمد (١٨٣/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١،

المرتبة الثانية: أن يسأل الله ﷻ به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة باتفاق المسلمين.

الثالثة: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد؛ فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه، فهذا أيضًا من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين، وهي محرمة، وما علمت في ذلك نزاعًا بين أئمة المسلمين (٣).

- المسألة الثانية: البناء على القبر:

لقد جاءت الشريعة الغراء بسد كل طريق موصل إلى الشرك والغلو في الصالحين والأموات، ومن ذلك أنها نهت عن رفع القبور، وتجسيصها، والبناء عليها، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أعيادًا وغير ذلك من صور تعظيم القبور؛ لأن هذه الأمور تعد ذريعة من ذرائع الشرك ووسيلة من وسائله؛ ولهذا جاءت الشريعة الإسلامية بالتحذير والنهي عن فعلها؛ لكونها وسيلة مفضية إلى عبادة المقبورين من دون الله تعالى. وقد أمر الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا الهياج الأسدي بإزالة كل قبر شاهق، فقال: ألا أبعثك على ما بعثني عليه

وقال ابن القيم: «وكانت قبور أصحابه لا مشرفة، ولا لاطئة، وهكذا كان قبره الكريم، وقبر صاحبيه، فقبره ﷺ مُسْتَم مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء لا مبني ولا مطين، وهكذا كان قبر صاحبيه» (١).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الدعاء عند القبر:

إن الدعاء عند القبور غير مشروع سواء كان القبر قبر النبي ﷺ أو غيره، وليست محلاً للإجابة، وإنما المشروع زيارتها والسلام على الموتى والدعاء لهم، وذكر الآخرة والموت، كما دللت النصوص على ذلك.

ولم يكن في الصحابة والتابعين والأئمة من يقول: إن الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين، ولا إن دعاء الإنسان عند قبور الأنبياء والصالحين أفضل من دعائه في غير تلك البقعة (٢).

والأمور المبتدعة عند القبور مراتب:

المرتبة الأولى: أن يسأل الميت

حاجته ويستغيث به - كما يفعله كثير من الناس - فهو من جنس عباد الأصنام، وشرك أكبر يخرج صاحبه من الإسلام.

(٣) انظر: المستدرک على مجموع الفتاوى (٢٢/١) [ط ١، ١٤١٨هـ]. وانظر: إغاثة اللفهان (١/٢١٧، ٢١٨) [دار المعرفة، ط ٢، ١٣٩٥هـ].

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٥٠٥).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/١١٥ - ١١٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ].

عليها، وأن توطأ»^(٤). وفي رواية قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يكتب على القبر شيء»^(٥). فالكتابة على القبر من الأمور المحدثه التي لم يكن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم يفعلوها، بل هي من الوسائل والذرائع التي يستدرج بها الشيطان الناس لتعظيم القبور واتخاذها أوثاناً تُعبد من دون الله تعالى.

وأما تعليم القبر بعلامة من حجر ونحوه، فجائز عند جمهور العلماء؛ لحديث المطلب عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه قال: لما مات عثمان بن مظعون، أتى النبي ﷺ بحجر فوضعه عند رأسه، وقال: «أَتَعْلَمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي، وَأَدْفِنُ إِلَيْهِ مِنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي»^(٦).

- المسألة الرابعة: دفن الميت في المسجد:

لا يجوز أن تُجعل المساجد أماكن

رسول الله ﷺ؟ «أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»^(١). قال الشوكاني: «اعلم أنه قد اتفق الناس، سابقهم ولحقهم، وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضوان الله عنهم إلى هذا الوقت: أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله ﷺ لفاعلها، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين»^(٢).

- المسألة الثالثة: الكتابة على القبر^(٣):

الكتابة على القبر منهي عنها، سواء كتابة الآيات أو الأسماء أو تاريخ الوفاة ونحو ذلك؛ لما جاء عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى النبي ﷺ أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها، وأن يبنى

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٦٩).

(٢) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (٨) [الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ٤، ١٤٠٨هـ]. وانظر: المدونة (٢٦٣/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ]، والمغني (٣٧٨/٢)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢٦٦/٢، ٦٢٧) [دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٣) انظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل للرعيني المالكي [دار الفكر، ط ٣، ١٤١٢هـ]، والمجموع شرح المذهب (٢٨٢/٥، ٢٩٨)، والمغني (٣٧٦/٢)، وإغاثة اللهفان (١٩٦/١)، ونيل الأوطار (١٠٤/٤) [دار الحديث، ط ١، ١٤١٣هـ]، والمدخل (مدخل الشرع الشريف على المذاهب) (٢٧٢/٣) [دار التراث، القاهرة]، والدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٣٦/٥ - ١٣٧) [ط ١، ١٤١٧هـ]، ومجموع فتاوى ابن باز (٣٣٧/٤).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٢٦)، والترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٥٢) وقال: حسن صحيح، والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٢٧)، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٩) وصححه، وصححه الألباني أيضاً في الإرواء (٢٠٨/٣) [المكتب الإسلامي، ط ٢].

(٥) أخرجه ابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٥٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٨٤٣).

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٠٦)، ومن طريقه البيهقي في الكبرى (كتاب الجنائز، رقم ٦٧٤٤)، وحسنه النووي في الخلاصة (١٠١٠/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٠٦٠) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٥هـ].

دفنٍ للأموات، لقول النبي ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(١).

قال الزين العراقي: «فلو بنى مسجدًا بقصد أن يدفن في بعضه دخل في اللعنة، بل يحرم الدفن في المسجد، وإن شرط أن يدفن فيه لم يصح الشرط لمخالفته لمقتضى وقفه مسجدًا»^(٢). وإذا دُفن المسلم في المسجد فإنه ينبش ويدفن في المقبرة.

قال ابن تيمية: «لا يجوز دفن ميت في مسجد، فإن كان المسجد قبل الدفن غير؛ إما بتسوية القبر وإما بنشه إن كان جديدًا. وإن كان المسجد بني بعد القبر: فإما أن يزال المسجد وإما أن تزال صورة القبر فالمسجد الذي على القبر لا يصلح فيه فرض ولا نفل فإنه منهي عنه»^(٣).

- المسألة الخامسة: الصلاة عند القبر:

أجمع الأئمة من أهل السنة والجماعة على أن الصلاة عند القبور منهي عنها^(٤)، وقد لعن النبي ﷺ من اتخذ القبور مساجد. فمن أعظم المحدثات

وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها. وقد تواترت النصوص عن النبي عليه الصلاة والسلام بالنهى عن ذلك والتغليظ فيه.

وإذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركًا بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله تعالى. ولم يكن في الصحابة والتابعين والأئمة من يتحرى الصلاة عند القبر، ولم يقل أحدٌ منهم: إن الصلاة عند القبر أفضل من الصلاة في غيرها^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأحاديث الواردة في القبور أحاديث الدفن وتوابعه جمعًا وتخريجًا ودراسة»، لصالح العيسى.
- ٢ - «أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية»، لعبد الله السحيباني.
- ٣ - «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية.
- ٤ - «بدع القبور: أنواعها وأحكامها»، لصالح بن مقبل العصيمي.
- ٥ - «بدع القبور وحكمها»، لمحمد درامن.

- ٦ - «شرح الصدور ببيان بدع الجنائز والقبور»، لعبد الله بن محمد الحمادي.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/١١٥ - ١١٧)، وإغائة اللهفان من مصائد الشيطان (١/١٨٥).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣١).

(٢) ذكره المنأوي في فيض القدير (٥/٢٧٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢/١٩٥).

(٤) انظر: الأوسط لابن المنذر (٢/١٨٤، ١٨٥).

٧ - «شرح الصدور بتحرير رفع روحه، إذا أماته»^(٢).

القبور»، للشوكانى.

٨ - «شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور»، لمرعى الكرمي.

٩ - «عمارة القبور»، لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي.

١٠ - «من بدع القبور»، لمحمد بن عبد الله الحميدي.

القبض

يراجع مصطلح (القبض والبسط).

القبض والبسط

التعريف لغة:

القبض: القاف والباء والضاد أصل واحد يدل على شيء مأخوذ وتجمع في شيء، تقول: قبضت الشيء قبْضًا؛ أي: أخذته، ومنه المَقْبُض من القوس والسيف: حيث يُقْبَضُ عليه بجمع الكَفِّ^(١).

ويُطلق ويراد به الإمساك عن البذل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، يقال: قبض الله عنه الرزق، إذا ضيقه، وهو عكس البسط. ويطلق على الإمامة، فيقال: قبض الله

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣٨٢/٢) [دار الكتب العلمية، ط١]، والصحاح (١١٠٠/٣) [دار العلم للملايين، ط٤].

التعريف شرعًا:

إن الله ﷻ يقبض الأرزاق والأرواح، فيطوي برّه ومعروفه عمن يريد، ويضيّق ويقتّر، أو يحرم فيُفْقِر، ويبسط الأرزاق والقلوب، فينشر فضله على عباده، يَرْزُق وَيُوسِّع، وَيَجُود وَيَفْضُل ويمكن وَيُخَوِّل، ويعطي أكثر مما يحتاج إليه، وكل ذلك تبع لحكمته ورحمته، وتدبيره وتصريفه وهو الحكيم الخبير^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣٤٩/٨ - ٣٥١) [الدار المصرية]، والصحاح (١١٠٠/٣، ١١٠١)، مفردات ألفاظ القرآن (٦٥٢) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والمعجم الوسيط (٧١١/٢) [دار الدعوة، ط٢].
(٣) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١٣٠/١ - ١٣٢)، والصحاح (١١١٦/٣).
(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٤٠) [دار المأمون، ط٥، ١٤٠٦هـ]، وشأن الدعاء (٥٧، ٥٨) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والمنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٢٠٣/١) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (١٦٨/١) [مكتبة السوادى، ط١]، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٣٦٠/١) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٩٥) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

❁ الحقيقة:

يوصف الله ﷻ بالبسط والقبض، فهو ﷻ يبسط ويوسع لمن يشاء من عباده في رزقه وكسبه وماله وتجارته وزراعته وصحته وعافيته وعلمه ومعرفته وعمره وحياته وأولاده وذريته وغير ذلك من النعم، ويقبض ويضيق أو يحرم من شاء منهم من بعض ذلك أو كله، لما يرى سبحانه في ذلك من المصلحة لهم، قال تعالى: ﴿وَأَن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٢١) [الحجر]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٧) [الشورى].

وكذلك جاء ذكر البسط والقبض وصفاً لليدين الثابتين لله ﷻ، والقبض والبسط من صفات اليد الحقيقية، فهو سبحانه موصوف باليدين حقيقة، وببسطهما ويقبضهما حقيقة، على وجه يليق به ﷻ.

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٤) [البقرة]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠) [الإسراء].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى لَا

واضحة؛ فإن البسط معناه المد والتوسعة، والقبض معناه الأخذ والجمع، والله ﷻ يقبض ويبسط، فيوسع لمن يشاء، ويقبض عمن يشاء، ويبسط يده ويقبضها إذا شاء، وهذا المعنى المتعلق بالله تعالى مختص به سبحانه.

❁ الحكم:

يجب الإيمان بهاتين الصفتين لدلالة الكتاب والسنة عليهما، ويجب إثباتهما لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

والبسط والقبض إذا ذكرا معاً فهما من صفات الأفعال المتقابلة التي لا ينبغي أن يُشنى على الله بها إلا مقرونة مع الأخرى؛ لأن المدح المحض والكمال المطلق في اجتماع الوصفين، ففي اقترانهما واجتماعهما دلالة على كمال ربوبية الله تعالى وانفراده سبحانه بالملك التام والتصرف الكامل والتدبير الشامل^(١).

وكذلك يجب إثبات صفة القبض والبسط لليدين الثابتين لله ﷻ، كما يليق به ﷻ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

(١) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٥٨) [مركز صالح الثقافي بعبينة، ط ٢، ١٤١٢هـ].

الحديث (٣).

✽ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الحرمين أبو الحسن الكرجي: «فلنعقد أن الله أسماء وصفات قديمة غير مخلوقة، جاء بها كتابه، وأخبر بها الرسول أصحابه فيما رواه الثقات، وصححه النقاد الأثبات، ودل القرآن المبين والحديث الصحيح المتين على ثبوتها، وهي أن الله تعالى أول لم يزل، وآخر لا يزال... إلى سائر أسمائه وصفاته من النفس والوجه والعين والكرامة والسخط والقبض والبسط» (٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ووصف نفسه ببسط اليدين، فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِجُنُودِهِمْ﴾ قَالَوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ» [المائدة: ٦٤]، ووصف بعض خلقه ببسط اليد في قوله: ﴿وَلَا تَحْمِلْ يَدُكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وليس اليد كاليد، ولا البسط كالبسط» (٥).

يغضها، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماء والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه»، قال: «وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القبض، يرفع ويخفض» (١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال الناس: يا رسول الله، غلا السعر فسعّر لنا، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله هو المُسَعِّرُ القابض الباسط الرزاق، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال» (٢).

وعن عبيد بن رافع الزرقني قال: لما كان يوم أحد انكفأ المشركون، قال رسول الله ﷺ: «استووا حتى أُنْثِي على ربي ﷻ»، فصاروا خلفه صفوفاً فقال: «اللَّهُمَّ لك الحمد كله، اللَّهُمَّ لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، اللَّهُمَّ ابسط علينا بركتك ورحمتك وفضلك ورزقك»

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٦/٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والبخاري في الأدب المفرد (٢٤٣/١) [دار البشائر، ط ٣]، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٣٧٠)، قال الهيثمي في المجمع (١٢٢/٦) [مكتبة القدسي]: رجال أحمد رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (رقم ٥٣٨) [مكتبة الدليل، ط ٤، ١٤١٨هـ].
(٤) نقله عن ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٨١/٤).
(٥) التدمرية (٢٩، ٣٠) [مكتبة العبيكان، ط ٨، ١٤٢٤هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١٩)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٩٣) واللفظ له.
(٢) أخرجه أبو داود (كتاب البيوع، رقم ٣٤٥١)، والترمذي (أبواب البيوع، رقم ١٣١٤) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب التجارات، رقم ٢٢٠٠)، وأحمد (٤٦/٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والدارمي (كتاب البيوع، رقم ٢٥٨٧)، وابن حبان (كتاب البيوع، رقم ٤٩٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٨٤٦).

على وجه الاقتران والمقابلة، فلا يطلق منها على الله إلا مقترناً بمقابله، ولم ترد في الوحي إلا كذلك.

فالقابض الباسط من أسماء الله المزدوجة التي تجري مجرى الاسم الواحد، ولا تطلق على الله بمفردها، بل لا بد أن تكون مقرونة بمقابلها؛ لأن الكمال المطلق في اقتران كل منهما بما يقابله^(٤)، والضابط في ذلك: ما كان دالاً على المدح والكمال المطلق فهو يمكن أن يستقل وحده دون اقتران، وأما ما كان دالاً على غير المدح المحض، فهذا لا بد أن يكون مقروناً بما يقابله؛ وذلك لأن في اجتماع الاسمين والوصفين المتقابلين دلالة على كمال ربوبية الله تعالى وشموليتهما^(٥).

قال الزجاج: «القابض الباسط: الأدب في هذين الاسمين أن يذكرهما معاً؛ لأن تمام القدرة بذكرهما معاً، ألا ترى أنك إذا قلت إلى فلان: قبض أمري وبسطه؛ دلاً بمجموعها أنك تريد أن جميع أمرك إليه، وتقول ليس إليك من أمري بسط ولا قبض، ولا حل ولا

وقال ابن القيم: «ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع وروداً متنوعاً متصرفاً فيه، مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك والطي والقبض والبسط، وأنه مسح ظهر آدم بيده، ثم قال له ويداه مقبوضتان: اختر. فقال: اخترت يمين ربي، وكلتا يدي يمين مباركة^(١)»^(٢).

وقال في نونيته المشهورة:
«هذا ومن أسمائه ما ليس يُفردُ بل يقال إذا أتى بقران وهي التي تدعى بمزدوجاتها
إفراها خطر على الإنسان
إذ ذاك موهمٌ نوعٍ نقصٍ جلَّ رَبُّ
سُبُّ العرشِ عن عيبٍ وعن نقصان
كالمانع المعطي وكالضار الذي
هو نافع وكماله الأمان
ونظير هذا القابض المقرون باسـ
م الباسط اللفظان مقترنان»^(٣)

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: القابض الباسط من الأسماء المقترنة:

القابض الباسط من الأسماء الواردة

(٤) انظر: الكافية الشافية لابن القيم (٣/٧٤١، ٧٤٢).
والحجة في بيان المحجة للتمييز (١/١٢٦).

(٥) انظر: بدائع الفوائد (١/٢٩٤، ٢٩٥) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ]، ومعارج القبول (١/١٤٧) [دار ابن الجوزي، ط ٦، ١٤٣٠هـ]، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتمييزي (٢٦٤ و ٤١١ - ٤١٦) [دار إيلاف، ط ١، ١٤١٧هـ].

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣٦٨) وحسنه، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٦٧)، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٤) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٢٠٩).
(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٢/١٧١).
(٣) الكافية الشافية (٣/٧٤١، ٧٤٢) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٨هـ].

عقد، أراد: ليس إليك منه»^(١).

- المسألة الثانية: البسط والقبض من صفات اليد الحقيقية ولوازمها:

جاء ذكر القبض والبسط مع ذكر اليد في نصوص كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بَقِصَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله ﻻ يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم، ونفخ فيه الروح قال له - ويدها مقبوضتان -: اختر أيهما شئت. قال: اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته» الحديث^(٣).

فالبسط والقبض والأخذ والإمساك والطّي، والإصبع، واليمين هذه كلها من صفات اليد الحقيقية. قال ابن القيم:

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٤٠). وانظر: شأن الدعاء للخطابي، والأسماء والصفات للبيهقي، والكافية الشافية لابن القيم، والحق الواضح المبين للسعدي.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٩).

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

«ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع وروداً متنوعاً متصرفاً فيه، مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك والطّي والقبض والبسط»^(٤).

الآثار:

١ - كل ما نشاهد في العالم من البسط والسعة والكثرة لأناس ومن الضيق والفقر والقلة لآخرين فهذا كله من آثار صفة البسط والقبض لله تعالى، فمن بسط الله له في ماله أو علمه أو مكانته عليه أن يشكر الله تعالى، وأن يحسن التصرف فيها، وأن ينفق مما آتاه الله في سبل الخير والبر، وأن يحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليه، ومن ضيق عليه في شيء من ذلك فعليه أن يصبر ويحتسب وأن يلجأ إلى الله وحده، فيطلب منه سبحانه المدد والعون والسعة والبركة، فهو سبحانه يبسط ويقبض، ولا باسط لما قبض، ولا قابض لما بسط، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع^(٥).

٢ - لا شك أن الله تعالى بيده مقاليد الأمور كلها، فهو القابض الباسط الخافض الرافع، ولكن ذلك لا يعني

(٤) مختصر الصواعق المرسلة (١٧١/٢) [مكتبة الرياض الحديثة، ط ١٣٤٩هـ].

(٥) انظر: فقه أسماء الله الحسنى لعبد الرزاق البدر (٢٩٦) [مطابع الحميضي، ط ١، ١٤٢٩هـ].

٥ - التعبد لله تعالى بطلب الرزق؛
فبيده وحده القبض والبسط.

٦ - التعبد لله تعالى بطلب الهداية
والاستقامة والثبات على الحق.

٧ - إحكام أمر الخلق وقيامه على
غاية الإحكام والإتقان؛ لأن قبض أمره
وبسطه بيد الله تعالى.

٨ - ما في الخلائق من تفاوت في
الرزق ورغد العيش؛ حكمة وفضلاً
وعدلاً من الله تعالى، بما يكون فيه
مصلحة لهم في معاشهم ومعادهم.

٩ - ما في العباد من فوارق والإيمان
والكفر، والطاعة والمعصية؛ بما
يجعله الله تعالى في القلوب من بسط
وقبض، فيبسط بالإيمان والتقوى منها ما
يشاء، ويقبض منها عن ذلك ما يشاء،
وهو العليم الحكيم.

✽ مذهب المخالفين:

هناك من أنكر الصفات الفعلية كلها،
فأنكر صفة البسط والقبض لله ﷻ من
حيث الجملة، وكذلك هناك من أنكر
صفة اليد لله تعالى، فأنكر أيضاً وصف
اليدين بالبسط والقبض، والذين أنكروها
هم الجهمية، والمعتزلة، والمتأخرون من
الأشاعرة، والماتريدية^(٣)، والآيات

التكاسل والقيود والتخلف عن الجد
والعمل وترك الأسباب؛ لأن الله تعالى
خلق الأسباب وخلق مسبباتها وأمر
العباد بفعلها.

وقد جاء بيان ذلك في نصوص كثيرة؛
منها ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه
قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من
سرّه أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في
أثره؛ فليصل رَحِمَهُ»^(١).

فبسط الرزق وإكثاره وتوسعته بيد الله
وحده، وصلة الرحم سبب من الأسباب
التي يبذلها العبد، فالأسباب المشروعة
مأمور بها شرعاً وعقلاً، وتركها ظلم
على النفس، وقدح في العقل، وطعن
في الدين، ونسبة إلى الشرع ما ليس
فيه، وتعلق القلوب بالأسباب وحدها
دون خالق الأسباب ومسبباتها قدح في
التوحيد، فالواجب على المسلم أن
يجعل تعلقه بالله تعالى في جميع أموره
مع فعل الأسباب المشروعة^(٢).

٣ - تعظيم قدر الله تعالى؛ فالأرض
جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه.

٤ - الخضوع التام لله تعالى؛ فما من
شيء إلا بيده قبضه وبسطه.

(٣) انظر من كتب أهل السُّنة: نقض الدارمي على
المريسي (٦٣ - ١٢٧) [أضواء السلف، ط١،
١٤١٩هـ]، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية
والمشبهة لابن قتيبة (٤٠ - ٤٣) [دار الراجعية، ط١،

(١) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٠٦٧)،
ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٥٧).

(٢) انظر: الحق الواضح للسعدي (٢٥٩)، وفقه
أسماء الله الحسنى لعبد الرزاق البدر (٢٩٧، ٢٩٨).

٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التيمي.

١٠ - «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، للدارمي.

القبول

التعريف لغة:

القبول هو: تلقي الشيء ومواجهته والإقبال عليه ولزومه والأخذ به راضياً به مستحسناً له.

قال ابن فارس: «القاف والباء واللام: أصل واحد صحيح تدل كلمته كلها على مواجهة الشيء للشيء، ويتفرع بعد ذلك... والقِبلة سميت قِبلة؛ لإقبال الناس عليها في صلاتهم، وهي مقبلة عليهم أيضاً... والقَبيل: الكفيل؛ يقال: قبل به قبالاً، وذلك أنه يقبل على الشيء يضمته»^(١).

والقبول: التلقي. قال الجوهري: «والقابلة من النساء معروفة. يقال: قبلت القابلة المرأة تقبلها قبالاً؛ إذا قبلت الولد؛ أي: تلقتَه عند الولادة، وكذلك قبل الرجل الدلو من المستقي قبولاً، فهو

القرآنية والأحاديث النبوية قد جاءت بإثبات القبض والبسط وإثبات اليدين ووصفهما بالقبض والبسط وغيرها من الصفات، فيجب إثبات هذه لله تعالى كما يليق بالله ﷻ.

المصادر والمراجع:

١ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.

٢ - «التدمرية»، لابن تيمية.

٣ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٤ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٥ - «فقه أسماء الله الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٦ - «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (ج ٣)، لابن القيم.

٧ - «مختصر الصواعق المرسلّة» (ج ٢)، للموصلي.

٨ - «معارج القبول»، لحافظ بن أحمد الحكمي.

= ١٤١٢هـ]. وانظر من كتب المعتنزة: شرح الأصول الخمسة للفاضل عبد الجبار (٢٢٨، ٢٢٩) [مكتبة وهبة، ط ٢]، والكشاف للزمخشري (٢/ ٢٦٥ - ٢٦٧ و ٣٢٠ - ٣٢٣) [مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٨هـ]، ومن كتب الأشاعرة: المواقف في علم الكلام للإيجي (٢٩٨) [دار الجيل، ط ١، ١٩٩٧م]، ومن كتب الماتريدية: مدارك التنزيل للنسفي (١/ ٢٩١ و ٦٢).

(١) مقاييس اللغة (٥١/ ٥، ٥٢) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ]. وانظر: تهذيب اللغة (٩/ ١٦٢) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط ١، ١٣٨٤هـ].

قابل . والقبيل والقبول: القابلة»^(١).

الحكم:

قبول دين الإسلام وما جاء فيه من أخبار وأحكام فرض واجب على جميع الثقلين الإنس والجن؛ لأنه الدين الذي ارتضاه الله لخلقه دينًا، وخلقهم لأجل تحقيقه والسير على منهاجه كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٥٦) [الذاريات]، وقال: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ أَحَدٌ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٥٧) [آل عمران]. فمن لم يقبل دين الله وما جاء فيه فإنه كافر بالله العظيم، وهو في الآخرة من الخاسرين، كما أوضح الله ذلك في كتابه وسنة نبيه الكريم، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٥٨) [آل عمران]، وقال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»^(٥٩).

الحقيقة:

حقيقة القبول هو: حقيقة الالتزام والتدين بالإسلام والإيمان الصادق، فإن الإيمان الصادق هو الذي يستلزم الإذعان

وقال الفيروزآبادي: «وقبل على شيء وأقبل: لزمه وأخذ فيه... والقبول: الحُسن والشارة»^(٦٠).

التعريف شرعًا:

الرضا بدين الله تعالى، والتسليم له وتلقي ذلك بانسراح الصدر؛ فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى: رضي كل الرضا ولم يبق في قلبه حرج من حكمه وسلم له تسليمًا ولو كان مخالفًا لمراد نفسه أو هواها^(٦١).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

تبين من خلال التعريف الشرعي السابق للقبول أن معناه أخص من المعنى اللغوي؛ فإن المعنى الشرعي مخصوص بتلقي دين الله الذي بعث به محمد ﷺ والرضى به، في حين أن المعنى اللغوي أعم في التلقي ومواجهة الشيء للشيء.

الأسماء الأخرى:

من الأسماء المقاربة للقبول إما بالتضمن أو الالتزام: الطاعة، الرضا، الانقياد، التسليم، الإذعان، الالتزام، الاستماع.

(١) الصحاح (١٧٩٦/٥) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٢) القاموس المحيط (١٠٤٥، ١٠٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط ٧، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: مدارج السالكين (٤٥٦/٢)، وجامع العلوم

والحكم (١٠٢/٢ - ١٠٣).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

بروح الوحي، وتمهدت طبيعته، وانقلبت النفس الأماره مطمئنة راضية وادعة، وتلقى أحكام الرب تعالى بصدر واسع منشراح مسلم: فقد رضي كل الرضا بهذا القضاء الديني المحبوب لله ولرسوله»^(٣).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا تَارِكُونَ آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦) [الصافات].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنفَقْنَا مِنَ الَّذِينَ جَرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧) [الروم].

وقال ﷺ: ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢) [النور].

ومن السنة حديث أبي موسى

التام والقبول والتسليم لحكم الله ورسوله ﷺ، والإيمان الكاذب بخلاف ذلك^(١).

وضد القبول: الرد، والإباء، وترك الالتزام، والامتناع. ولذلك أسباب متعددة، مثل: التكذيب، الاستكبار، الحسد وغيرها^(٢).

المنزلة:

القبول لدين الإسلام والانقياد له والرضا به «هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان؛ فيجب على العبد أن يكون راضياً به بلا حرج ولا منازعة ولا معارضة ولا اعتراض. قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٦٥) [النساء]، فأقسم: أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله، وحتى يرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه، وحتى يسلموا لحكمه تسليماً. وهذا حقيقة الرضا بحكمه. فالتحكيم: في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج: في مقام الإيمان، والتسليم: في مقام الإحسان.

ومتى خالط القلب بشاشة الإيمان، واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين، وحيي

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٤٨٤) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: شرح العمدة لابن تيمية (٥٢/٢)، والدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣٦٠/٢).

(٣) مدارج السالكين (٢٤١/٢، ٢٤٢) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٦هـ].

الرسالة، وعلى رسول الله ﷺ البلاغ،
وعلينا التسليم»^(٣).

وقال الشافعي رحمه الله: «وإذا ثبت عن رسول الله ﷺ الشيء فهو اللازم لجميع من عرفه، لا يقويه ولا يوهنه شيء غيره؛ بل الفرض الذي على الناس اتباعه، ولم يجعل الله لأحد معه أمراً يخالف أمره»^(٤).

وقال ابن بطة العكبري رحمه الله: «اعلموا رحمكم الله أن من صفات المؤمنين من أهل الحق تصديق الآثار الصحيحة، وتلقيها بالقبول، وترك الاعتراض عليها بالقياس ومواضعة القول بالآراء والأهواء، فإن الإيمان تصديق والمؤمن هو المصدق. قال الله ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء]. فمن علامات المؤمنين أن يصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ مما نقلته العلماء ورواه الثقات من أهل النقل الذين هم الحجة فيما روه من الحلال والحرام والسُنن

الأشعري رحمه الله عن النبي ﷺ قال: «إن مثل ما بعثني الله به ﷺ من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأثبتت الكلاً والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(١).

وعن عثمان رحمه الله قال: توفي الله ﷻ نبيه ﷺ قبل أن نسأله عن نجاة هذا الأمر. قال أبو بكر: قد سألته عن ذلك. قال: فقلت إليه فقلت له: بأبي أنت وأمي أنت أحق بها. قال أبو بكر: قلت يا رسول الله ما نجاة هذا الأمر؟ فقال رسول الله ﷺ: «من قبل مني الكلمة التي عرضت على عمي فردّها عليّ فهي له نجاة»^(٢).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن شهاب الزهري رحمه الله: «من الله

(١) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ٧٩)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠١/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٦هـ]، والزار (٥٦/١) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، قال الهيثمي: وفيه رجل لم يُسم. مجمع الزوائد (١٤/١) [مكتبة القدسي]، لكن المرفوع منه له شواهد، كما ذكر محققو المسند. والله أعلم.

(٣) أخرجه البخاري تعليقاً (كتاب التوحيد، ص ١٤٣٨). وقال: «قال الزهري»، وما جزم به البخاري في صحيحه من الموقوفات فهو صحيح عنده ولو لم يكن على شرطه في الصحيح. انظر: هدي الساري (٢٤)، وقد وصله الحافظ في تعليق التعليق (٣٦٥/٥).

(٤) الرسالة (٣٦٠) [دار التراث، ط ٣، ١٤٢٦هـ].

العبد الدين وهو الانقياد»^(٣).

وإذا لم يحقق العبد قبول الإيمان بشروطه من الإخلاص والصدق والرضا والانقياد والطاعة لم يتحقق له قبول الرب سبحانه لعمله، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة].

الفروق:

الفرق بين شرط القبول وشرط الانقياد: «الانقياد هو الاتباع بالأفعال، والقبول إظهار صحة معنى ذلك بالقول، ويلزم منهما جميعاً الاتباع، ولكن الانقياد هو الاستسلام والإذعان، وعدم التعقب لشيء من أحكام الله»^(٤).

وكلمة (الرضا) تجمع بين هذين الشرطين (القبول والانقياد) لشهادة أن (لا إله إلا الله)، بل الرضا أعلى منهما وأشمل^(٥).

الثمرات:

من ثمرات القبول لدين الله سبحانه وأحكامه:

١ - الإتيان بلازم هذا القبول من

(٣) فتاوى ورسائل الشيخ عبد الرزاق عفيفي - قسم العقيدة (١/٣٥٨).

(٤) الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما لابن

جبرين (٨١) [دار طيبة، ١، ١٤١٠هـ].

(٥) انظر: ظاهرة الإرجاء (٢/٥٦٢).

والآثار، ولا يقال فيما صح عن رسول الله ﷺ كيف؟ ولم؟ بل يتبعون ولا يبتدعون، ويسلمون ولا يعارضون، ويتيقنون ولا يشكّون ولا يرتابون»^(١).

الشروط:

يتبين من تعريف القبول أن من شروطه ما يلي:

١ - الإخلاص والصدق.

٢ - الالتزام والانقياد.

٣ - الرضا والتسليم.

٤ - الحب والإيثار.

وإذا اجتمعت هذه الشروط حصل القول المنجي، والشهادة النافعة، والطاعة الصادقة^(٢).

المسائل المتعلقة:

- قبول الله تعالى لأعمال عباده:

القبول يكون من العبد، فيقبل دين الله سبحانه ويستقيم عليه حتى يلقاه، وجزاء قبوله هذا قبول الله ﷻ له ولعمله؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة].

قال العلامة عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللهُ: «القبول: قبول الله تعالى للعبادة، وقبول

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٣/٩١) [دار الراية، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣/٢٩٦، ٢٩٧).

✽ مذهب المخالفين:

المخالفون في القبول للدين الحق
صفان:

الصنف الأول: المخالفون مخالفة كلية. وهؤلاء هم: جميع الكفار والمشركين ممن لم يقبلوا دين الإسلام ولم يدخلوا فيه، أو دخلوا فيه ثم نقضوه وارتدوا عنه.

الصنف الثاني: المخالفون مخالفة جزئية لا تخرجهم عن أصل الإسلام. وهؤلاء قسمان:

الأول: أتباع الشبهات، وهم: أهل الأهواء والبدع غير المكفرة؛ المقدمون لأهوائهم وعقولهم أو آراء متبوعهم على نصوص القرآن والسنة، الخارجون بذلك عن طريقة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة.

الثاني: أتباع الشهوات، من العصاة أهل الكبائر الذين تغلبهم شهواتهم ونزغات نفوسهم على محاب الله ورسوله ﷺ.

وأدلة القرآن والسنة متكاثرة في دعوة هؤلاء وهؤلاء إلى قبول الحق والانقياد له والثبات عليه، وقد تقدم بعضها.

✽ المصادر والمراجع:

١ - «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (ج ٣)، لابن بطة.

الانقياد والعمل والتمسك بشعائر الإسلام وأحكامه، وبالتالي الترقى إلى مرتبة الإيمان ثم مرتبة الإحسان.

٢ - الفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة؛ لأن من يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.

٣ - قبول الله ﷻ للعبد ولعمله ورضاه عنه وإثابته له أحسن الثواب وأعظم الجزاء.

٤ - محبة الله ﷻ لعبده المثمرة محبة أهل السماء وأهل الأرض له، ووضع القبول له كما جاء في الحديث: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»^(١).

٥ - القبول لكل شيء من أحكام الدين ثابت في القرآن والسنة وعدم تقديم آراء الرجال عليها تحقيق لكمال الانقياد والتعظيم والأدب مع الله ﷻ، ومع رسوله ﷺ ومع كتابه العظيم القرآن الكريم^(٢).

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٩)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٣٧).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٨٨).

٢ - «الدرر السننية في الأجوبة النجدية» (ج ٢).
الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو القدر أيضًا^(١).

٣ - «شروط لا إله إلا الله»، لعواد المعتقد.

٤ - «الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما»، لابن جبرين.

٥ - «عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك»، للفوزان.

٦ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن.

٧ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٨ - «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (ج ٧)، لابن باز.

٩ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.

١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، لحافظ الحكمي.

القدر

القدر لغة:

قال ابن فارس: «القاف والذال والراء أصلٌ صحيح يدل على مَبْلَغ الشيء وكُنْهه ونهايته. فالقدر: مبلغ كل شيء. يقال: قَدَّرَهُ كذا؛ أي: مبلغه. وكذلك القَدَر. وَقَدَّرْتُ الشيء أَقْدَرُهُ وَأَقْدَرُهُ من التقدير، وَقَدَّرْتُهُ أَقْدَرُهُ. والقَدَر: قضاء الله تعالى

التعريف شرعًا:

القدر: هو الإيمان بأنه لا يقع شيء في الوجود الا بعلم الله الأزلي، وكتابته السابقة ومشيئته لما وقع، وخلقه له، خيرًا أو شرًّا، حلوا أو مرًّا. وقد فسَّره زيد بن أسلم وأحمد بن حنبل رحمهما الله بأن القدر هو: «قدرة الله وَجَلَّ»^(٣).

(١) مقاييس اللغة (٥١/٥) [دار الجيل].

(٢) انظر: القاموس المحيط (٤٦٠) [مؤسسة الرسالة]، والمعجم الوسيط (٧١٨/٢) [دار الدعوة].

(٣) انظر: الإبانة لابن بطه (٢/٢٢٢، ٢٦٢) [دار الراية، الرياض، ط ٢، ١٤٢٨هـ]، والقدر للغريابي =

❁ الأسماء الأخرى:

القضاء.

❁ الحكم:

الإيمان بأن القدر ركن من أركان الإيمان لا يصح الإيمان إلا به، وقد دلت الأدلة من القرآن والسنة على ذلك^(١).

❁ الحقيقة:

حقيقة القدر: هي الإيمان بخلق الله تعالى لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون^(٢).

أهميته:

الإيمان بالقدر من أهم ما يجب معرفته على المكلف النبيل، فضلاً عن الفاضل الجليل؛ فهو من أسنى المقاصد، والإيمان به قطب رحي التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين المبين وختامه، فهو أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساس الإحسان، التي يرجع إليها، ويدور في جميع تصاريفه عليها، فالبقدر والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين، ألا له الخلق والأمر^(٣).

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر]، وقال: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب].

وقال النبي ﷺ في حديث جبريل عليه السلام عندما سأله عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(٤).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»^(٥).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء»^(٦).

وعن طاوس رضي الله عنه أنه قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ، يقولون كل شيء بقدر، قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر، حتى

= (١٤٤) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٨هـ]، ومسائل ابن هاني (٢/١٥٥). ولوامع الأنوار (١/٣٤٨).

(١) انظر: شفاء العليل (٣) [دار الكتب العلمية، ط ٣].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/٤٤٩) [مجمع

الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٥هـ].

(٣) انظر: شفاء العليل (٣).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٣).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١٨).

العجز والكيس، أو الكيس والعجز»^(١).
وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: بشهادة
أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني
بالحق، وحتى يؤمن بالبعث بعد الموت،
وحتى يؤمن بالقدر كله»^(٢).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «القدر: نظام
التوحيد، فمن وحد الله تعالى وآمن
بالقدر، فهي العروة الوثقى التي لا
انفصام لها، ومن وحد الله تعالى وكذب
بالقدر، فإن تكذيبه بالقدر نقض
للتوحيد»^(٣).

وقال الحسن البصري رحمه الله: «من كفر
بالقدر فقد كفر بالإسلام... إن الله
تعالى خلق خلقاً، فخلقهم بقدر، وقسم
الآجال بقدر، وقسم أرزاقهم بقدر،
والبلاء والعافية بقدر»^(٤).

وسأل رجل عمر بن عبد العزيز رحمه الله

(١) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٥).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب القدر، رقم ٢١٤٥)، وابن
ماجه (المقدمة، رقم ٨١)، وأحمد (١٥٢/٢)
[مؤسسة الرسالة، ط ١]، واللفظ له، وابن حبان
(كتاب الإيمان، رقم ١٧٨)، والحاكم (كتاب
الإيمان، رقم ٩٠) وصححه، وصححه الألباني في
صحيح الجامع (رقم ٧٥٨٤).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٤٢٢/٢) [دار
ابن القيم، ط ١]، والفريابي في القدر (١٦٠)
[أضواء السلف، ط ١]، والعقيلي في الضعفاء (٤/
١٤٥) [دار المكتبة العلمية، ط ١].

(٤) الشريعة للأجري (٢/ ٨٨٢)، والقدر للفريابي (٢٢٠).

عن القدر؟ فقال: «ما جرى ذباب بين
اثنين إلا بقدر»^(٥).

وقال مالك بن أنس رحمه الله: «ما أضل
من كذب بالقدر، لو لم يكن عليهم فيه
حجة إلا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ
فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]،
لكفى به حجة»^(٦).

المراتب:

دلّت النصوص الشرعية على أنه لا
يصح الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بأربع
مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى
علم ما الخلق عاملون، وعلم جميع
أحوالهم من الطاعات والمعاصي
والأرزاق والآجال، وعلمه محيط بهم
وبكل شأن من شؤونهم والأدلة على
ذلك كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا
يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا
خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا
أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا
عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٧)
[المجادلة]، وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ
الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا

(٥) الشريعة للأجري (٢/ ٩٢٨)، والقدر للفريابي
(٢٣٠).

(٦) الشريعة للأجري (٢/ ٩٢٨)، والقدر للفريابي
(٢٣٠)، والإبانة لابن بطة (٣/ ٣٨٠).

الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَنَقَّى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۖ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ۖ﴾ [الليل] (١).

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، والأدلة على هذه المرتبة من كتاب الله ﷻ كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۖ﴾ [الإنسان]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۚ﴾ [٥٥] وما يذكرون إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقَوَى وَأَهْلُ الْغَفْرِ ۖ﴾ [المدثر].

المرتبة الرابعة: أن الله خالق كل شيء، فما من شيء في الوجود إلا والله ﷻ خالقه وموجده، سواء في ذلك الذوات والأعيان والمعاني والأفعال، فلا يخرج شيء في الوجود من أن يكون مخلوقاً لله تعالى، وهذا ما دلت عليه النصوص العديدة في القرآن والسنة وكلام السلف الصالح، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى

حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۖ﴾ [الأنعام].

المرتبة الثانية: الإيمان بأن الله ﷻ قد كتب مقادير الخلائق، وأنه ﷻ كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۖ﴾ [يونس]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۖ﴾ [الحج].

وعن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مِخْصَرَةٌ فَنَكَسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا وقد كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ»، قال: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة. فقال: اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٩٤٩)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٧).

وركن من أركان الإيمان، وهو من علم الغيب الذي علّمنا الله إياه، وقد ذكره النبي ﷺ وذكره الخلفاء الراشدون وكثير من الصحابة ومن بعدهم من أهل العلم وألّفوا فيه، فمن تكلم به على الإثبات والتسليم لله ﷻ والإقرار لله بالقدرة والعلم والحكمة فهذا متوافق مع كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ.

أما من خاض فيه بالإنكار أو بالتنقيير في السؤال: لم كان هكذا؟ ولم قدر هذا؟ أو لم لم يفعل ذلك؟ أو كيف هدى هؤلاء وأضل هؤلاء؟ أو لماذا هدى هؤلاء وأضل هؤلاء؟

فهذه المعاني هي التي لا يجوز الخوض فيها، والتي يحمل عليها ما ورد من الأحاديث وكلام السلف من النهي، كحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن نفرًا كانوا جلوسًا بباب النبي ﷺ فقال بعضهم: ألم يقل كذا وكذا، وقال بعضهم ألم يقل الله كذا وكذا، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فخرج كأنما فُقي في وجهه حب الرمان فقال: «بهذا أُمّرتُم أو بهذا بُعثتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، إنما ضلّت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم مما ها هنا في شيء انظروا الذي أُمّرتُم به فاعملوا به والذي نُهيتم عنه فانتهوا»^(٢).

كُلِّ شَيْءٌ وَكَيْلٌ ﴿١٠٦﴾ [الأنعام]، وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان]. فهذا العموم في النصوص لا يخرج منه شيء في الوجود فكل شيء هو خالقه ﷻ وكل شيء هو ربه ﷻ.

ومن السُّنة حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنَعَتِهِ»^(١)، وتلا بعضهم عند ذلك: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات].

فهذه المراتب الأربع التي لا يصح إيمان أحد بالقدر ما لم يؤمن بها، ومن أنكر واحدة منها فهو خارج عن مذهب أهل السُّنة والجماعة؛ فإن أنكر العلم والكتابة فقد كفر كما سبق كلام أهل العلم في ذلك، ومن أنكر المشيئة وخلق الأعمال فقد ابتدع وضل.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم الخوض في

القدر:

إن القدر هو عقيدة من عقائد الإسلام

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٦٦/٢) [دار أطلس الخضراء، ط ١، ١٤٢٥هـ]، وابن منده في التوحيد (٢٦٧/١) [الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٠٩هـ]، والحاكم في المستدرک (كتاب الإيمان، رقم ٨٦) وصححه، والبيهقي في القضاء والقدر (١/٣٤٤) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٦هـ]، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ١٦٣٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ٨٥)، وأحمد =

وعن الضحاك بن عثمان، قال: «وافيت الموسم، فلقيت جماعة في مسجد الخيف، ذكرهم، قال: ورأيت طاووسًا اليماني فسمعتة يقول لرجل: إن القدر سر الله، فلا تدخلن فيه»^(٣).

فهذه المسألة مرتبطة بالمسألة قبلها، فإن المقصود بقول أهل العلم «القدر سر الله ﷻ» أن ما قدره الله ﷻ على العباد من هداية وضلال وغنى وفقر وصحة ومرض وحياة وموت وبلاء وعافية؛ كل ذلك لله ﷻ فيه علم وإرادة وحكمة، قد يبدو لنا منها شيء ويخفى علينا منها أشياء، فمن رغب وحاول فهم مسوغات ذلك والحكمة منه فإنه سيثبه ويتحير ولا يصل فيها إلى غاية محمودة بل قد يوصله ذلك إلى الضلال والانحراف عن الدين والإيمان، فأسلم شيء له في ذلك هو التسليم والانقياد وعدم البحث والتنقير، وعلى هذا جاء كلام أهل العلم.

قال الطحاوي رحمه الله: «وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسُلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر

فلا شك أن ضرب كتاب الله بعضه ببعض من الاختلاف في الكتاب والجدال المحرم، خاصة وأنها مسائل علمية عقدية تحتاج منا التسليم والإيمان وليس الجدال والخصام، فما عرفه المسلم آمن به وما لم يعرف يسلم للشارع به ويوكل علمه إلى عالمه.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله بعد أن بين أن الخوض في القدر إنما يكون وفق السُّنة: «وعلى كل مسلم أن يؤمن بالقدر وأن يحذر الخوض في ذلك بغير علم، كما خاض المبتدعة فضلوًا، وإنما الواجب على كل مسلم أن يؤمن بالقدر وأن يسلم لله بذلك، ويعلم بأن الله قدر الأشياء وعلمها وأحصاها، وأن العبد له إرادة وله مشيئة وله اختيار لكنه لا يخرج بذلك عن قدرة الله ﷻ»^(١).

- المسألة الثانية: معنى قول بعض العلماء: «القدر سر الله»:

ورد هذا القول عن بعض الصحابة والتابعين، ومن ذلك ما روي أن رجلًا قال لعلي بن أبي طالب رحمه الله: يا أبا الحسن ما تقول في القدر؟ قال: «سر الله فلا تكلفه»^(٢).

= (١١/٤٣٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٤/١) [دار العربية، ط ٢]: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٢٨/٣٧٣).

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (٢/٨٤٤) [دار الوطن، ط ٢]. وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق

(٤٢/٥١٣) [دار الفكر] من طريق آخر.

(٣) أخرجه ابن بطه في الإبانة رقم (١٩٩٣)، والآجري في الشريعة رقم (٥٣٥).

عن الحق من مذهب نفاة القدر؛ وذلك لأن مذهب الجبرية يقتضي إسقاط الأمر والنهي، ولغلوه وشدة انحرافه لم يُرمَ به أحد من السلف، بخلاف نفي القدر، فقد رمي به كثير من أهل العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقدرية المحتجون بالقدر على المعاصي شر من القدرية المكذبين بالقدر، وهم أعداء الملل، وأكثر ما أوقع الناس بالتكذيب بالقدر احتجاج هؤلاء به»^(٣).

- المسألة الرابعة: رمي بعض أهل السنة بالقدر:

أ - ليس كل من رمي بالقدر من أهل السنة يكون قدرياً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا اتهم بمذهب القدر غير واحد، ولم يكونوا قدرية، بل كانوا لا يقبلون الاحتجاج على المعاصي بالقدر؛ كما قيل للإمام أحمد: كان ابن أبي ذئب قدرياً. فقال: الناس كل من شدد عليهم المعاصي، قالوا: هذا قدري. وقد قيل: إنه بهذا السبب نُسب إلى الحسن القدر؛ لكونه كان شديد الإنكار للمعاصي، ناهياً عنها»^(٤).

ب - القدر الذي رمي به بعض أهل السنة، وقال به بعض المنتسبين إلى

عن أنامه، ونهاهم عن مرأه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب، كان من الكافرين». قال ابن أبي العز في الشرح: «أصل القدر سر الله في خلقه، وهو كونه أوجد وأفنى، وأفقر وأغنى، وأمات وأحيا، وأضل وهدى»^(١).

وقال الشيخ صالح الفوزان: «ولا يجوز للمسلم أن يدخل في تفاصيل القدر ويفتح على نفسه باب الشكوك والأوهام، بل يكفيه أن يؤمن بالقدر كما أخبر الله ﷻ وكما أخبر رسوله ﷺ أن كل شيء بقضاء الله وقدره، ولا يدخل في التفاصيل والأسئلة: لماذا كذا ولماذا كذا؛ لأنه لن يصل إلى نتيجة؛ لأن الأمر كما يقول عبد الله بن عباس ؓ: «القدر سر الله؛ سر لا يعلمه إلا الله ﷻ». فالواجب علينا: أن نؤمن به، ولا ندخل في تفاصيله، بل نكتفي بالإيمان به على ما جاء في الدليل من كتاب الله وسنة رسوله»^(٢).

- المسألة الثالثة: مذهب الجبر أشد بدعة وأكثر انحرافاً من نفي القدر:

مذهب الجبرية أشد انحرافاً، وأبعد

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/٢٢٥) [وزارة الشؤون الإسلامية، ط١، ١٤١٨هـ]

(٢) إعانة المستفيد للفوزان (٢/٢٥٤) [مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٣هـ]

(٣) انظر: منهاج السنة (٣/٢٤). وانظر: (٣/٧٦، ٨٢).

(٤) منهاج السنة (٣/٢٤).

كما أنه قد جاء في نصوص الشرع التفريق بينهما كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٢٨] وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٦١].

إلا أن من يتتبع استخدام الشارع للفظين يجد أن الاستخدام الأعم والأغلب هو لكلمة (القدر) وما تفرع عنها، وكذلك هو في كلام أهل العلم من الصحابة ومن جاء بعدهم، والمؤلفون من أهل العلم غالباً إذا سموا الباب المتعلق بهذا يقولون: باب القدر، أو كتاب القدر وما ورد فيه، وهذا أكثر من أن يحصى، وإذا جمع بينهما في الكلام يقدم القضاء على القدر فيقال: «القضاء والقدر»، ولم نقف عليه في قول أحد: «القدر والقضاء».

وأهل العلم لهم في بيان الفرق بينهما مع وجود التلازم بينهما قولان:

القول الأول: منهم من جعل القدر هو ما تعلق بالتقدير السابق، والقضاء هو ما يقع من ذلك التقدير.

قال الراغب في المفردات: «والقضاء من الله تعالى أخص من القدر؛ لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع، وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المعد للكيل والقضاء بمنزلة الكيل، وقال: القدر ما لم يكن قضاء فمرجو أن

العلم؛ خصوصاً من أهل البصرة، وأن الله لم يخلق أفعال العباد، والحقيقة أن قولهم هو قول المعتزلة في القدر، وإلا لزم إضافة قول آخر لنفاة القدر، ليس هو قول الغلاة، ولا هو قول المعتزلة، وهذا غير معروف عند أصحاب المقالات.

❁ الفروق:

الفرق بين القضاء والقدر:

القضاء والقدر جاءا مقترنين في نصوص عديدة؛ منها ما رواه ابن بطة بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما أرسلني في حاجة قط فلم تنهياً إلا قال: «لو قضي كان أو قدر كان»^(١).

وجاء كذلك في كلام بعض الأئمة كما في قول الأوزاعي رحمته الله: «ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ولا من السنة، فأهاب أن أقول ذلك، ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل، فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله ﷺ»^(٢).

(١) الإبانة لابن بطة (٨٨/٤) [دار الراية، ٢٢].

وأخرجه أيضًا أحمد (١٠٢/٢١) [مؤسسة الرسالة، ١٦]، وابن أبي عاصم في السنة (١٥٦/١) [المكتب الإسلامي، ١٦]، وضعفه العقيلي في الضعفاء (٣٠٥/٣) [دار المكتبة العلمية، ١٦].

وأخرجه البيهقي في القضاء والقدر (٢٠٠) [مكتبة العبيكان، ١٦]، والضياء في المختارة (٢٠٦/٥) [دار خضر، ٣]، من طريق آخر.

(٢) السنة للخلال (٢٤٤/٣) [دار الراية، ١٤١٠هـ].

أمر الله ﷻ ووفق ما بينه رسول الله ﷺ يحقق للمسلم إيمانه بالله وبربوبيته وتدبيره لخلقه وأن الأمور كلها بيده ﷻ.

٢ - إذا علم المسلم ذلك وآمن به وعلم مع ذلك عظيم رحمة الله بخلقه، مع جوده وكرمه وغناه عن خلقه ومحبته لهدايتهم ومحبته سبحانه لنجاتهم وفوزهم، كل ذلك يغرس في نفس المؤمن الثقة بما عند الله ﷻ أكثر من الثقة بما في يده، وأنَّ نظرَ الله ﷻ لعبده خير من نظره لنفسه.

٣ - أن الإيمان بالقدر يدفع للتوكل على الله ﷻ، ومن توكل على الله فهو كافيه وهو حسبه.

٤ - أن الإيمان بالقدر يدفع المسلم إلى العمل والجد في طلب ما ينفعه، لهذا قال ﷺ: «أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل»^(٤).

٥ - أن الإيمان بالقدر وأن ما قُدر له سيأتيه يحقق للمسلم الرضا، فلا يندفع وراء المطلوب اندفاع الشره، ولا ييأس من الحصول على المطلوب ما دام أنه يسلك في سبيل الحصول عليه طريقاً مرضياً لله ﷻ.

٦ - أن الإيمان بالقدر يقوي قلب

يدفعه الله، فإذا قضى فلا مدفع له. ويشهد لذلك قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم]، ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم]، ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [هود]؛ أي: فصل تنبيهاً أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه^(١).

وقال الخطابي: «والقدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر، والقضاء معناه الخلق كقوله ﷻ: ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت]؛ أي خلقهن.

وجماع القول في هذا الباب أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه»^(٢).

ومنهم من قلب ذلك، فقد نقل ابن حجر عن الكرمانى أنه قال: «المراد بالقدر: حكم الله، وقالوا - أي العلماء -: القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفصيله»^(٣).

الآثار:

للإيمان بالقدر آثار عديدة، نذكر منها:

١ - أن الإيمان بالقدر وفق ما

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب (٤٠٧) [دار المعرفة].

(٢) معالم السنن (٣٢٣/٤) [المطبعة العلمية، حلب، ط١].

(٣) فتح الباري (١١/٤٧٧).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٦٤).

المؤمن ويهبه إقداماً من غير تهور؛ لأنه يعلم أن أجله ورزقه مكتوب ليس له منه بد.

الطائفة الثانية: الجبرية، وهم الجهمية، ومن وافقهم، قابلوا القدرية النفاة، فنفوا عن العباد القدرة والاختيار والمشية، وقالوا: إن الله أجبر العباد على المعاصي، وأضافوا الأفعال كلها خيراً وشرّاً إلى الله تعالى^(٢).

ومذهبهما باطل بنص القرآن والسنة والإجماع:

فالقرآن الكريم أثبت لله تعالى المشية التامة، والقدرة النافذة، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الله خالق أفعال العباد، وخالق حركاتهم وسكناتهم، كما أثبت للعباد مشية وقدرة تامة مؤثرة في حصول المقدور، لكنها لا تخرج عن قدرة الله تعالى وخلقته ومشيته.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمr].

(١) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل لعبد الجبار المعتزلي (٣/٨)، ورسائل الشريف المرتضى - المجموعة الثالثة - (١٢) [منشورات دار القرآن إيران، ط ٣، ١٤١١هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤٥٩/٨ - ٤٦٠) [مجمع الملك فهد للطباعة، ط ١٤٢٥هـ].

٧ - أن الإيمان بالقدر له أثر عظيم في تخفيف أثر المصيبة على المسلم؛ لأنه يعلم أن ما أصابه لن يخطئه وأن كل ذلك من الله ﷻ، فإذا صبر حصل له أجر الصابرين الذي ذكره الله ﷻ في قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [١٥٦] أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ [١٥٧] [البقرة].

كما أنه إذا أصابته نعمة علم أنها من عند الله فلا يبطر ولا يختال، بل يشكر الله ﷻ حتى يزيده، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

✽ مذهب المخالفين:

خالف في القدر طائفتان من أهل الأهواء والبدع، كل منهما على طرفي نقيض:

الطائفة الأولى: القدرية، وهم على مرتبتين: **أحدهما:** القدرية الغلاة، نفاة العلم والكتابة، الذين ظهروا في آخر زمن الصحابة، وهؤلاء كفرهم أئمة السلف؛ لإنكارهم العلم.

الثاني: القدرية النفاة، وهم المعتزلة ومن وافقهم، الذين نفوا الخلق والمشية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والثوري، والزبيدي، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم نهوا أن يقال: إن الله جبر العباد، وقالوا: إن هذا بدعة في الشرع، وهو مُفهمٌ للمعنى الفاسد. قال الأوزاعي وغيره: إن السُّنة جاءت بجبر، ولم تأت بجبر»^(٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الانتصار في الرد على المعتزلة»، للعمراني.
- ٢ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٣ - «الإبانة»، ابن بطة العكبري.
- ٤ - «القدر»، لعبد الله بن وهب القرشي.
- ٥ - «القدر»، الفريابي.
- ٦ - «القضاء والقدر»، للبيهقي.
- ٧ - «القضاء والقدر»، لعمر سليمان الأشقر.
- ٨ - «القضاء والقدر في ضوء الكتاب

(فيه هند بنت الوازع، ولم أعرفها، وبقية رجاله ثقات). مجمع الزوائد (٢/٩) [مكتبة القدسي]. لكن له شاهد عند أحمد (٣٦١/٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٧٢٠٣). وشاهد آخر عند البخاري في الأدب المفرد (٢٠٥) [دار البشائر، ط ٣]، وقد صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢١٩) [دار الصديق، ط ٤].

(٤) مجموع الفتاوى (١٤١/١٦). وانظر: السُّنة للخلال (٥٤٩/٣) [دار الراية، ط ١، ١٤١٠هـ]، والإبانة لابن بطة (٢٥٧/٣) [دار الراية، ط ١، ١٤١٥هـ] فقد أسند القول بذلك إلى بعض أولئك الأعلام.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز»^(١).
وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «إن الله خلق كل صانع وصنعتة، إن الله خلق صانع الخزم وصنعتة»^(٢).
وأمثال ذلك ممَّا فيه إبطال مذهب القدريّة النفاة.

ومما يبطل مذهب الجبرية: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣٦] لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ^(٣).
[المدرثر]. وأمثال ذلك مما يدل على أن لعباد مشيئة وقدرة، لكنها لا تخرج عن قدرة الله تعالى.

وأما من السُّنة فقولته ﷺ لأشج بن عبد القيس: «إن فيك خلتين يحبهما الله: الحلم والأناة». قال: يا رسول الله أنا أتخلق بهما، أم الله جبلي عليهما؟ قال: بل الله جبلك عليهما. قال: الحمد لله الذي جبلي على خلتين يحبهما الله ورسوله»^(٣).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٤٦) [دار المعارف]، وسنده صحيح.

وتقدم تخريجه مرفوعاً.

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٢٢٥)، وأحمد (٣٩٠/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، قال الهيثمي:

والسنة ومذاهب الناس فيه»، لعبد الرحمن المحمود.

✽ التعريف شرعاً:

صفة ذاتية لله تعالى بأنه على كل شيء قدير، تام القدرة، لا يمتنع عليه شيء، ولا يعجزه شيء مهما كان، ولا يلبس قدرته عجز بوجه من الوجوه، وكل شيء في هذا الوجود كائن بقدرته ومشئته^(٢).

٩ - «جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح الإيمان بالقدرة»، لثامر محمد محمود.

١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

❏ القدرة ❏

✽ التعريف لغة:

القدرة من الفعل الثلاثي (قَدَرَ) الدال على التمكن من فعل الشيء، يقال: قَدَرَ يَقْدِرُ فهو قادر وقدير ومقتدر؛ أي: ذو قدرة، وهي الإطاقة والقوة، وضده العجز، ومنه قوله تعالى: ﴿عَلَى الْوَسْيعِ قَدْرُهُ، وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦]؛ أي: طاقته. ويدل أيضاً على مبلغ الشيء ومنتهاه، فالقَدْرُ: مبلغ كل شيء، وقَدَّرَ يُقَدِّرُ تقديرًا فهو قادر ومقدَّر: قضاء الله تعالى للأشياء على مبالغها ومنتهاها الذي أرادها لها ﷻ^(١). والقَدْرُ والقُدْرَةُ: الغنى واليسار والقوة. وذو قُدْرَةٍ وذو مَقْدِرَةٍ؛ أي: يسار. ومعناه أنه يَبْلُغُ بيساره وغناؤه من الأمور المَبْلَغُ

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة، لكن المعنى الشرعي الذي هو وصف لله تعالى هو على أكمل ما يكون عليه المعنى، دون أي نقص بوجه من الوجوه.

✽ الحكم:

وجوب إثبات القدرة التامة لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، ونفي أي معنى من معاني العجز عنه ﷻ^(٤).

✽ الحقيقة:

القدرة صفة من صفات الله ﷻ الذاتية، فإن الله هو القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، ولا يفوته مطلوب، له

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٨/٩ - ١٩) [الدار المصرية]

والصحيح (٧٨٦/٢ - ٧٨٧) [دار العلم للملايين]

ط ٤، ١٩٩٠م، ومقاييس اللغة (٨٧٦ - ٨٧٧) [دار

الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، ومفردات ألفاظ القرآن

للازغب (٦٥٧ - ٦٥٩) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]

والمعجم الوسيط (٧١٨/٢ - ٧١٩) [دار الدعوة]

ط ٢، ١٩٧٢.

(٢) مقاييس اللغة (٦٣/٥)، والقاموس المحيط (٥٩١).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١٠٥/١)، وشأن الدعاء

للخطابي (٨٦)، والأسماء والصفات للبيهقي

(١١٣)، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٦٩).

(٤) انظر: معارج القبول (١٢٩/١)، وشرح العقيدة

الواسطية للهزاس (١٤٠، ١٤١).

قدرة، يقول: يخلق ما يشاء، ويميت من يشاء، ويغني من أراد، ويفقر من يشاء ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، لا يتعذر عليه شيء أراد؛ لأنه ذو القدرة التامة التي لا يعجزه معها شيء»^(٣).

وقال البيهقي: «باب ما جاء في إثبات القدرة»، ثم ذكر الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك^(٤).

وقال أبو القاسم التيمي: «أثبت الله العزة والعظمة والقدرة والكبر والقوة لنفسه في كتابه»^(٥).

وقال الشيخ محمد خليل هراس بعد ذكره لآيات في صفات الله ﷻ: «هذه الآيات تضمنت إثبات صفات العفو، والقدرة، والمغفرة، والرحمة والعزة»^(٦).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: من أسماء الله الحسنى (القادر):

ومعناه: الذي يقدر على إيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، الذي لا يعجزه شيء، يفعل ما يريد بمقتضى حكمته، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون. ويدخل فيه تقدير الله ﷻ لجميع شؤون هذا الكون؛ ومنه قوله

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٤١٥).

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (١/٣١٤).

(٥) الحجة في بيان المحجة (٢/١٩٦). وانظر: مجموع

الفتاوى لابن تيمية (٦/٨٨).

(٦) شرح العقيدة الواسطية (١٤٠).

القدرة الشاملة، وهذه القدرة لا يتطرق إليها عجز ولا تعب ولا إعياء ولا لغوب.

ويدخل تحت هذا المعنى تقدير الله ﷻ لجميع شؤون هذا الخلق، فكل شيء بقضائه وقدره، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ لَقَدِيرًا﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْدِرًا﴾ [الكهف].

وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه شكاً إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثاً وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»^(١).

ما جاء في دعاء الاستخارة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن] -: «يقول: وهو على كل شيء ذو

(١) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٨٢).

تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات] (١).

كما ورد في أغلب طرق حديث تعيين الأسماء الحسنى المشهور، سوى طريق عبد الملك الصنعاني، وأورد هذا الاسم معظم من اعتنى بجمع أسماء الله الحسنى وشرحها، ولم يسقطه سوى: الزجاج، والخطابي، وصديق حسن خان (٢).

- المسألة الثالثة: من أسماء الله الحسنى (المقتدر):

المُقتدر بوزن (مُفتعل) اسم فاعل للفعل (اقتدر)، يدل على التمكن من فعل الشيء، والمقتدر في أسماء الله مبالغة في وصف الله ﷻ بالقدرة، ومعناه: التام القدرة، المظهر قدرته، فهو صيغة مبالغة من القادر، وأبلغ من القدير؛ لأن الاقتدار أبلغ وأعم، فهو يقتضي الإطلاق، فهو سبحانه المقتدر الذي يقدر على إيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، الذي لا يعجزه شيء.

وقد ورد اسم المقتدر في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر]، كما ورد في طرق حديث تعيين الأسماء المشهور ما عدا طريق عبد الملك الصنعاني، وقد أورد هذا

وقد ورد هذا الاسم في اثني عشر موضعاً من القرآن الكريم، خمس منها بصيغة الجمع، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، كما ورد هذا الاسم في جميع طرق حديث تعيين الأسماء المشهور، وأورده معظم من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها، ولم يسقطه سوى: جعفر الصادق، وابن حزم، والسعدي (٢).

- المسألة الثانية: من أسماء الله الحسنى (القدير):

القدير بوزن (فعليل) صيغة مبالغة من القدرة، الدالة على التمكن من فعل الشيء، وهو اسم من أسماء الله ﷻ الحسنى، ومعناه: القادر التام القدرة، فهو صيغة مبالغة من القادر، وقد ورد هذا الاسم في خمسة وأربعين موضعاً من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة].

(١) انظر: شأن الدعاء (٨٥) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، والنهج الأسامي في شرح أسماء الله الحسنى (١١٢/٢، ١١٣) [مكتبة الذبيبي، ط ٢، ١٤١٧هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢١٧) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٢) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٨٠ - ٨٤، ١٦٠) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٣) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٨٠ - ٨٤).

الأثار لا تعد ولا تحصى في الآفاق وفي الأنفس، فوجود هذه المخلوقات التي لا تحصى، بتعدد أشكالها وتنوع أصنافها برهان ساطع وآية ظاهرة على كمال قدرة الله ﷻ وإحاطتها بكل شيء.

٢ - تقوية الاستعانة بالله ﷻ لدى العبد، وحسن التوكل عليه، وتمام الالتجاء إليه؛ لأنه لا قادر ولا قدير ولا مقتدر على الحقيقة إلا هو ﷻ.

٣ - الرضا بما قضاه الله ﷻ وقدره على العبد، والصبر على ما يصيب العبد من مكاره، والقناعة بما آتاه الله ﷻ، وسلامة صدره من أمراض القلوب كالحقد والحسد وحب الانتقام، لعلمه أن كل ذلك إنما هو بقضاء الله وقدره.

٤ - تقوية عزيمة العبد وإرادته في الحرص على الخير وطلبه، والبعد عن الشر والفرار منه، والأخذ بأسباب ذلك كله؛ أنها من قضاء الله وقدره.

٥ - حسن رجاء الله ﷻ ودوام سؤاله، والإكثار من دعائه والالتجاء إليه؛ وتعلقه بخالق الأسباب؛ لأن الأمور كلها بيده ﷻ، فوجب تعلق القلب والفكر بخالق القدر لا بالمقدور.

٦ - البعد عن الظلم والبغي وعن سائر ما يغضب الله ﷻ ويسخطه؛ لأن الإيمان بقدرة الله ﷻ وانتقامه لحرماته أن تنتهك، وانتقامه للمظلومين ممن

الاسم أغلب أهل العلم الذين اعتنوا بجمع الأسماء الحسنى وشرحها، ولم يسقطه من جمعه سوى: ابن تيمية، وابن القيم، والسعدي^(١).

❁ الفروق:

الفرق بين (القادر) و(القدير) و(المقتدر):

هذه الأسماء الثلاثة ثابتة لله ﷻ وهي متقاربة في المعنى، والفرق بينها من جهة ما تدلّ عليه كل صيغة منها، فالقادر: اسم فاعل من: قَدَرَ، يَقْدِر، والقدير: بوزن (فعليل)، وهو للمبالغة، والمقتدر: بوزن (مفتعل) من الفعل: اقتدر وهو أبلغ؛ جرياً على قواعد اللغة، من أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، والزيادة هنا اقتضت المبالغة والأبلغ.

❁ الثمرات:

إن للإيمان بقدرة الله ﷻ آثاراً عظيمة، وثماراً مباركة على العبد في دنياه وآخرته، ومنها:

١ - شهود آثار قدرته تبارك وتعالى في كل شيء في هذا الكون، فكل الكائنات مقهورة خاضعة لعظمته، متقادة لإرادته ومشيتته، وهو وحده ﷻ المدبّر لها والمتصرّف فيها كما يشاء، وهذه

(١) انظر: معتقد هل السنّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتيمي (٧٩ - ٨٤).

بالفاعل ولا تتعدى إلى مفعول، وقد ذكر الله ﷻ في حقه النوعين، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤].

والناس في هذين النوعين على ثلاثة مذاهب:

١ - من لا يثبت له فعلاً قائماً به ﷻ لا لازماً ولا متعدياً، فاللازم منتف، والمتعدي كالخلق، فإنهم يقولون الخلق هو المخلوق أو معنى غير المخلوق، وهذا مذهب الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الأشاعرة.

٢ - من يثبت له ﷻ الفعل المتعدي دون اللازم، وهو مذهب الأشاعرة ومن وافقهم.

٣ - من يثبت النوعين كما دلّ عليه القرآن والسنة، وهو قول السلف أهل السنة والجماعة.

ومقتضى مذهب من ينفي عنه النوعين أو أحدهما أنه ﷻ ليس على كل شيء قدير كما أخبر عن نفسه، وحالهم كما وصفهم الله ﷻ أنهم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الرَّم: ٦٧]، فما عرفوه حق معرفته، وما عظموه حق تعظيمه، وما وصفوه حق وصفه الذي أثبت له نفسه تبارك وتعالى.

وقد اختلف الناس أيضاً في تفسير

ظلمهم يوجب أن يرتدع العبد في أن يقع في شيء من ذلك.

٧ - الإيمان بأن ما أودع الله ﷻ من القدرة والقوة في الإنسان إنما هي منه ﷻ ومن إنعامه وفضله، وهذا الشعور يدفع العبد إلى أن يُسخر ما أودع الله فيه من هذه القدرة في طاعة الله ﷻ وفي طريق الخير والإصلاح، ويحذر من توجيه ذلك في معصية الله تعالى وطريق الشر والإفساد، وألا يغتر بقدرته المقيدة، وأن يتبرأ من الحول والقوة إلا بالله ﷻ، فلا حول ولا قوة للعبد إلا به.

٨ - الذل والافتقار للعليم القدير، وإنزال الحوائج به وحده، واليقين بوعد الله الصادق، فمهما كان من قدرة عدو، أو غرور ظالم، فأمر الله سبحانه فوق كل شيء، وقدرته نافذة في كل شيء.

٩ - خشية الله تعالى، والخوف منه، بأنه القادر على كل شيء، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

✽ مذهب المخالفين:

كون الله ﷻ قادراً؛ أي: ذا قدرة، فله القدرة الشاملة الكاملة، ومعنى قدرة الله تعالى: تمكنه ﷻ من الفعل، والفعل نوعان: لازم ومتعدّ.

فالأفعال اللازمة هي التي تقوم

يقال: قد تجتمع الحركة والسكون في الشيء، فهل يمكن في الخارج أن يجتمع السواد والبياض في محل واحد، كما تجتمع الحركة والسكون؟ فيقال: هذا غير ممكن^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٣ - «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم»، لابن عيسى.
- ٤ - «تفسير الطبري».
- ٥ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنة الأصبهاني.
- ٦ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.
- ٧ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٨ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنة»، للسقاف.
- ٩ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.
- ١٠ - «معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

قدرة الله

يراجع مصطلح (القدرة).

(١) مجمع فتاوى ابن تيمية (٨/٨).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]، مع تصديقهم بخبره، والخلاف وقع فيما يدخل تحت مقدور الله ﷻ مما يكون قادرًا عليه: من الممتنع والمعدوم، وأفعال العباد، وأفعال نفسه، وقد حرر شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الخلاف، وبين الحق فيه فقال في المسألة الأولى: وهي دخول الممتنع لذاته في مقدور الله ﷻ: «والناس في هذا على ثلاثة أقوال:

طائفة تقول: هذا عام يدخل فيه الممتنع لذاته من الجمع بين الضدين، وكذلك يدخل في المقدور، كما قال ذلك طائفة منهم ابن حزم.

وطائفة تقول: هذا عام مخصوص يخص منه الممتنع لذاته، فإنه وإن كان شيئاً، فإنه لا يدخل في المقدور، كما ذكر ذلك ابن عطية وغيره، وكلا القولين خطأ.

والصواب: هو القول الثالث الذي عليه عامة النظائر، وهو: أن الممتنع لذاته ليس شيئاً البتة، وإن كانوا متنازعين في المعدوم، فإن الممتنع لذاته لا يمكن تحقيقه في الخارج، ولا يتصوره الذهن ثابتاً في الخارج، ولكن يقدر اجتماعهما في الذهن، ثم يحكم على ذلك بأنه ممتنع في الخارج؛ إذ كان يمتنع تحقيقه في الأعيان، وتصوره في الأذهان، إلا على وجه التمثيل بأن

التعريف اصطلاحاً:

القدم: من الأوصاف التي يصح الإخبار بها عن الله تعالى إذا احتيج إلى ذلك، والمراد منه: الوجود الأزلي، الذي لا بداية له، وهو بمعنى: الأولية.

وتسمية الله بالأول هو الوارد في النصوص الشرعية^(٤).

الأسماء الأخرى:

الأول، الأزلي.

الحكم:

لم يرد في الكتاب ولا السنة وصف الله تعالى بالقدم، وإن كان المعنى المقرر في الاصطلاح مستخدماً في باب الإخبار^(٥).

لكن في الدلائل الشرعية من الوصف ما هو أبلغ وأدق في المعنى، وهو وصفه تعالى بالأولية، فهو دال على القدم، وعلى نفي سبقه بالعدم.

لكن ورد وصف بعض صفاته بالقدم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد

القدم

يراجع مصطلح (القدوس).

القدم

التعريف لغة:

القديم: العتيق، ضد الجديد أو الحديث، وهو (فعيل) من الفعل الثلاثي: (قَدَم) الدال على سبق، يقال: قَدُم قَدَمًا وقِدامة فهو قديم وأقدم ومتقدم؛ إذا مضى على وجوده زمن طويل، وجمعه: قدماء وقدامى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس]، وأكثر ما يستعمل القديم باعتبار الزمان، وقد يستعمل في التقدم في المرتبة والشرف^(١).

والقدم: نقيض الحدث: قَدُم يَقْدُم قَدَمًا وقِدامة وتَقَادَم وهو قديم^(٢)، ويقال: شيء قديم، إذا كان زمانه سالفًا^(٣).

(١) انظر: تهذيب اللغة (٤٥/٩ - ٤٩) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٨٧٨) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٢٠٠٦/٥ - ٢٠٠٧) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٦٠، ٦٦١) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، المعجم الوسيط (٧٢٦/٢، ٧٢٧) [دار إحياء التراث العربي].

(٢) لسان العرب (٤٦٥/١٢).

(٣) مقاييس اللغة (٦٥/٥).

(٤) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٣٦/١) [مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ]، والاعتقاد للبيهقي، ٦٨، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٠٠/٩ - ٣٠١)، وبدائع الفوائد لابن القيم (١٦٢/١)، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٣٨/١).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٠٠/٩ - ٣٠١)، وبدائع الفوائد (١٦٢/١)، ولوامع الأنوار البهية (٣٨/١).

قال: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»^(١).

توقيفياً؛ كالقديم، والشيء، والموجود، والقائم بنفسه»^(٣).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم تسمية الله

بالقديم:

اسم القديم لا يصح إطلاقه في حق الله ﷻ، وهناك العديد من الأسماء الحسنى التي سمى الله ﷻ بها نفسه وهي تتضمن معنى القديم وزيادة، وتدل على معاني لا يدل عليها اسم القديم، ومن ذلك:

- المسألة الثانية: اسم الله ﷻ (الأول).

قال شيخ الإسلام في أثناء الردّ على أهل الكلام الذين يطلقون اسم (القديم) على الله ﷻ: «والصواب أن القديم ما تقدم على غيره في اللغة التي جاء بها القرآن، وأما كونه كان معدوماً، أو لم يكن معدوماً، فهذا لا يُشترط في تسميته قديماً، والله أحق أن يكون قديماً؛ لأنه متقدم على كل شيء؛ لكن لما كان لفظ القديم فيه نواح لا تدل مطلقة على المتقدم على غيره، كان اسم (الأول) أحسن منه، فجاء في أسمائه الحسنى التي في الكتاب والسنة أنه "الأول"، وفرق بين الأسماء التي يُدعى بها وبين ما يُخبر به من الألفاظ لأجل الحاجة

✽ أقوال أهل العلم:

بيّن أهل العلم أن القدم يوصف به الله ﷻ على وجه الإخبار. قال أبو العباس ابن تيمية: «والناس متنازعون هل يسمى الله بما صح معناه في اللغة والعقل والشرع وإن لم يرد بإطلاقه نص ولا إجماع، أم لا يطلق إلا ما أطلق نص أو إجماع، على قولين مشهورين. وعامة النظار يطلقون ما لا نص في إطلاقه ولا إجماع كلفظ القديم والذات ونحو ذلك، ومن الناس من يفصل بين الأسماء التي يدعى بها وبين ما يخبر به عنه للحاجة وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال: ليس هو بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها ونحو ذلك. فقليل في تحقيق الإثبات: بل هو سبحانه قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها»^(٢).

وقال ابن القيم: «ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٦٤)، وحسنه النووي في الخلاصة (٣١٤/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (رقم ١٦٠٦) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٢) مجموع الفتاوى (٣٠٠/٩، ٣٠١).

(٣) بدائع الفوائد (١/١٦٢).

إلى بيان معانيها»^(١).

وإن كان يصح الإخبار به عنه»^(٣).

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «التوحيد» (ج ٢)، لابن منده.
 - ٢ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج ١)، للحلي.
 - ٣ - «الفصل في الملل والنحل» (ج ٢)، لابن حزم.
 - ٤ - «منهاج السنة النبوية» (ج ٢)، لابن تيمية.
 - ٥ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٥)، لابن تيمية.
 - ٦ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.
 - ٧ - «قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.
 - ٨ - «الصفدية» (ج ٢)، لابن تيمية.
 - ٩ - «الجوائز والصلوات من جمع الأسماء والصفات»، لصديق خان.
 - ١٠ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتيمي.
 - ١١ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.
 - ١٢ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للتيمي.
 - ١٣ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ٢)، لابن أبي العز.
- (١) بيان تلبيس الجهمية (١٧١/٥، ١٧٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١، ١٤٢٦هـ]. وانظر: الصفدية (٨٥/٢) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٤٠٦هـ]، ودرء تعارض العقل والنقل (٣٩١/٢)، (١٣٩/٤ - ١٤٠) [جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ]، ورسالة في العقل والروح، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٤٦/٢ - ٤٧) [دار إحياء التراث العربي]، وقاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة (١٥٧) [مكتبة لينة، ط ١، ١٤١٢هـ]، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١١٧/٢) [مكتبة الخانجي].
- (٢) منهاج السنة النبوية (١٢٣/٢) [جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ].
- (٣) لوامع الأنوار (٣٨/١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين باعتبار القدر المشترك المتصور في الذهن لمن تثبت له القدم، أما كيفية ما نشبهه الله تعالى فلا ندركه، مع يقيننا بأنه على غاية الكمال والجمال.

الأسماء الأخرى:

الرَّجُل.

الحكم:

وجوب إثبات صفة القدم لله تعالى تليق بجلالته وعظمته، على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه^(١).

الحقيقة:

إثبات الصفة على الوجه اللائق بالله وَكَلَّمَ بلا تكيف، ولا تأويل، ولا تحريف.

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تحتاج الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرهم؟ قال الله للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من

(٦) انظر: كتاب الصفات للدارقطني (٤٠) [ط١، ١٤٠٢هـ]، والإبانة لابن بطة (٣/٣٣٠، ٣٣١) [ط٢، ١٤١٨هـ]، وإبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى (١/١٩٥) [دار إيلاف، ط١، ١٤١٦هـ].

١٤ - «مجموع الفتاوى» (ج١)، لابن

تيمية.

١٥ - «منهج ودراسة الأسماء

والصفات»، لمحمد الأمين الشنقيطي.

الْقَدَم

التعريف لغة:

القدم هي الرَّجُل، وسميت بذلك؛ لأنها تتقدم وتسبق^(١).

قال ابن فارس: «الراء والجيم واللام معظم بابه يدلُّ على العضو الذي هو رَجُلٌ كل ذي رَجُلٍ»^(٢).

وفي تهذيب اللغة: «الرَّجُلُ: الْقَدَم، وهو خلاف اليد، ورجل القوس: سبتها السفلى»^(٣).

قال الليث: «القدم من لدن الرسغ: ما يطاء عليه الإنسان»^(٤).

التعريف شرعاً:

القدم صفة ذاتية خبرية ثابتة لله تعالى على وجه الكمال المطلق اللائق بجلاله وعظمته، بلا تكيف ولا تمثيل^(٥).

(١) مقاييس اللغة (٥/٦٦).

(٢) مقاييس اللغة (٢/٤٩٢) [دار الجيل].

(٣) تهذيب اللغة (١١/٢٣) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

(٤) تهذيب اللغة (٣/١٩٢).

(٥) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/٢٠٢)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢/٣٢) [دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٢٤هـ].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:
«الكرسي موضع القدمين، وله أطيظ
كأطيظ الرَّحْل»^(٥).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام:
«هذه أحاديث صحاح، حملها أصحاب
الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض،
وهي عندنا حق لا شك فيها، ولكن إذا
قيل: كيف وضع قدمه؟ وكيف ضحك؟
قلنا: لا يُفسَّر هذا، ولا سمعنا أحدًا
يفسره»^(٦)، أي: لا يُفسَّر تفسير الجهمية
والمعتزلة والأشاعرة، وليس المقصود
نفي المعنى.

وروى ابن بطة بسنده عن إسحاق بن
منصور الكوسج قال: قلت لأحمد -
يعني: الإمام أحمد بن حنبل - اشتكت
النار إلى ربها حتى يضع قدمه فيها،
أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد:
«صحيح»^(٧).

وقال المروزي: سألت أبا عبد الله:

أشياء من عبادي. وقال للنار: إنما أنت
عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي.
ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا
تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله،
تقول: قط قط قط، فهناك تملئ ويزوى
بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه
أحدًا...»^(١).

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:
«يُلْقَى في النار، وتقول: هل من مزيد.
حتى يضع قدمه فتقول قط قط»^(٢).

وعنه رضي الله عنه أيضًا أن نبي الله ﷺ قال:
«لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟
حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى
قدمه، فتقول: قط قط وعزتك، ويزوى
بعضها إلى بعض»^(٣).

وروى ابن بطة بسنده عن إسحاق بن
منصور الكوسج قال: قلت لأحمد
- يعني: الإمام أحمد بن حنبل - اشتكت
النار إلى ربها حتى يضع قدمه فيها،
أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد:
«صحيح»^(٤).

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في السُّنَّة (٣٠٢/١) [دار
ابن القيم، ط١]، وابن أبي شيبه في كتاب العرش
(٤٣٥) [مكتبة الرشد، ط١]، وابن جرير في التفسير
(٣٩٨/٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه
الألباني في مختصر العلو (١٢٤) [المكتب
الإسلامي، ط٢].

(٦) كتاب الصفات للدارقطني (٤٠) تحقيق: عبد الله
الغنيان [ط١، ١٤٠٢هـ].

(٧) الإبانة لابن بطة (٣/٣٣٠) تحقيق: د. عثمان عبد الله
[ط٢، ١٤١٨هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٨٥٠)،
ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم
٢٨٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٨٤٨)،
ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم
٢٨٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأيمان والنذور، رقم
٦٦٦١)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،
رقم ٢٨٤٨).

(٤) الإبانة لابن بطة (٣/٣٣٠).

«يضع قدمه»؟ فقال: «نمرها كما

جاءت»^(١).

- المسألة الأولى: الرَّجُل والقَدَم

بمعنى واحد:

تقدمت الإشارة إلى أن صفة القدم وردت بلفظ الرَّجُل، وهما بمعنى واحد. وفي القاموس المحيط: «الرَّجُل بالكسر:

القَدَم، أو من أصل الفخذ إلى القدم»^(٥). قال ابن العثيمين: «أما الرجل والقدم، فمعناهما واحد، وسميت رَجُل الإنسان قدماً؛ لأنها تتقدم في المشي، فإن الإنسان لا يستطيع أن يمشي برجله إلا إذا قدّمها»^(٦).

وقال الغنيمان - بعد ذكر روايات صفة القدم والرَّجُل -: «ففي مجموع هذه الروايات البيان الواضح بأن القدم والرجل - وكلاهما عبارة عن شيء واحد - صفة لله تعالى حقيقة على ما يليق بعظمته»^(٧).

- المسألة الثانية: الكرسي موضع

القدمين:

ورد في الآثار عن السلف أن الكرسي موضع القدمين لله تعالى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الكرسي موضع

وقال القاضي أبو يعلى الفراء: «اعلم أنه غير ممتنع حمل هذا الخبر على ظاهره، وأن المراد به (قدم) هو صفة لله تعالى وكذلك (الرجل)»^(٢).

وقال ابن خزيمة: «باب ذكر إثبات الرَّجُل لله تعالى، وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية الذين يكفرون بصفات خالقنا تعالى التي أثبتتها لنفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى، قال الله تعالى - يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله -: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٥]. فأعلمنا ربنا تعالى أن من لا رجل له ولا يد ولا عين ولا سمع فهو كالأنعام بل هو أضل»^(٣).

وقال ابن عثيمين: «إن لله تعالى رجلاً وقدماً حقيقية، لا تماثل أرجل المخلوقين، ويسمي أهل السنّة مثل هذه الصفة: الصفة الذاتية الخيرية؛ لأنها لم تعلم إلا بالخبر»^(٤).

(١) الإبانة لابن بطة (٣/ ٣٣١).

(٢) إبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى (١/ ١٩٥) تحقيق: أبي عبد الله محمد الحمود [دار إيلاف، ١٤١٦هـ].

(٣) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب تعالى (١/ ٢٠٢).

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (٢/ ٣٢) [دار

ابن الجوزي، ط ٤، ١٤٢٤هـ].

(٥) القاموس المحيط للفيروزآبادي (١٢٩٧) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٦) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (٢/ ٣١).

(٧) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١٣٣) [ط ١، ١٤٠٢هـ].

وأولوا حديث وضع الجبار قدمه على النار بأنه قدم جبار معين مخلوق^(٥)، أو أن المراد بذلك أهل النار؛ لأنه تقدم في علم الله أنهم من أهلها^(٦)، أو أنه خلق من خلق الله سمًا قدمًا^(٧)، ونحو ذلك من التأويلات التي تخرج بالكلام عن الوضوح والبيان إلى أبعد ما يكون الاغتراب والغموض!

وقد ردّ عليهم أهل العلم في مؤلفات كثيرة، بينوا فيها بطلان هذه التأويلات وبُعدها عن الصواب، ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: «وقد غلط في هذا الحديث المعطلة الذين أولوا قوله: (قدمه) بنوع من الخلق، كما قالوا: الذين تقدّم في علمه أنهم أهل النار. حتى قالوا في قوله: «رجله»: كما يقال: رجل من جراد. وغلطهم من وجوه:

فإن النبي ﷺ قال: «حتى يضع»، ولم يقل: حتى يلقي، كما قال في قوله: «لا يزال يلقي فيها».

الثاني: أن قوله: «قدمه» لا يفهم منه

- (٥) مشكل الحديث لابن فورك (٤٥) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ]، وأصول الدين للبغدادي (٧٦)، والإرشاد للجويني (١٦٣) [مكتبة الخانجي، ١٣٦٩هـ]، وغاية المرام للآمدي (١٤١) [المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ].
- (٦) مشكل الحديث لابن فورك (٤٤)، والإرشاد للجويني (١٦٣).
- (٧) مشكل الحديث (٤٥).

القدميين، والعرش لا يقدر أحد قدره^(١).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «الكرسي موضع القدمين، وله أطيظ كأطيظ الرحل»^(٢).

وقال يحيى بن معين: «شهدت زكريا بن عدي، سأل وكيعًا، فقال: يا أبا سفيان، هذه الأحاديث يعني مثل: الكرسي موضع القدمين ونحو هذا؟ فقال وكيع: أدركنا إسماعيل بن أبي خالد، وسفيان، ومسعرًا يحدثون بهذه الأحاديث ولا يفسرون شيئًا»^(٣).

✽ مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فأنكروا إثبات صفة القدمين لله تعالى؛ بحجة أن هذا يستلزم التشبيه والتجسيم والتركيب^(٤).

- (١) أخرجه الدارمي في النقض على المريسي (٤١٢/١) [مكتبة الرشد، ط١]، وعبد الله بن أحمد في السنّة (١/٣٠١) [دار ابن القيم، ط١]، وابن أبي شيبة في كتاب العرش (٤٣٨) [مكتبة الرشد، ط١]، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢٤٨/١) [مكتبة الرشد، ط٥]، وغيرهم، وقال الذهبي في كتاب العلو (٧٦) [أضواء السلف، ط١]: «رجاله ثقات»، وصححه الألباني في مختصره (١٠٢) [المكتب الإسلامي، ط٢].

- (٢) تقدم تخريجه.
- (٣) الأسماء والصفات للبيهقي (١٩٧/٢)، والصفات للدارقطني (٦٩/١).
- (٤) ينظر: أساس التقديس (١٨٦) [مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ]، وأصول الدين للبغدادي (٧٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٤٦هـ]، وينظر: الحجة لقوام السنّة (٥٥٠/٢)، والصواعق المرسلة (٢٢٦/١).

هذا، لا حقيقة ولا مجازًا، كما تدلّ عليه الإضافة.

الثالث: أن أولئك المؤخرين إن كانوا من أصاغر المعدّبين فلا وجه لانزوائها واكتفائها بهم، فإنّ ذلك إنما يكون بأمر عظيم، وإن كانوا من أكابر المجرمين فهم في الدرك الأسفل، وفي أول المعدّبين لا في أواخرهم.

الرابع: أن قوله: «فينزوي بعضها إلى بعض» دليل على أنها تنضمّ على من فيها، فتضيق بهم من غير أن يلقي فيها شيء.

الخامس: أن قوله: «لا يزال يلقي فيها، وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها قدمه» جعل الوضع الغاية التي إليها ينتهي الإلقاء، ويكون عندها الانزواء، فيقتضي ذلك أن تكون الغاية أعظم ممّا قبلها.

وليس في قول المعطّلة معنى للفظ «قدمه» إلا وقد اشترك فيه الأول والآخر، والأوّل أحقّ به من الآخر^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «الأسماء والصفات» (ج ٢)، للبيهقي.

القدّوس

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «القاف والdal والسين أصلٌ صحيح، وأظنه من الكلام الشرعيّ الإسلاميّ، وهو يدلُّ على الطهر»^(٢).

والقدّوس: على وزن (فَعُول) من صيغ المبالغة، مأخوذ من القدّس، وهو الطهارة والنزاهة، ومنه قوله تعالى عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ سُيِّحٌ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ

(٢) مقاييس اللغة (٥/٦٣).

(١) جامع المسائل لابن تيمية (٢/٢٣٩) [دار عالم الفوائد ط ١، ١٤٢٢هـ]. وانظر: نقض الدارمي على المريسي (١٩٥) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ]، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/١٥٧)، وشرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (٣٣/٢).

وقد فسّر بعض أهل العلم اسم القدّوس بالمبارك، وهو قريب من المعنى الأول؛ لأن طهارته وتنزهه عن العيوب والنقائص سبب لكونه مباركاً^(٤).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تتّضح العلاقة بين المعنى اللغوي لاسم القدّوس ومعناه الشرعي من خلال تطابق المعنى اللغوي الذي تدل عليه الكلمة مع معناه الشرعي، فكلاهما دالٌّ على الطهارة والنزاهة.

✽ الحكم:

وجوب إثبات القدّوس اسماً لله تعالى، وما تضمنه من صفة القدسية وصفاً ذاتياً لله تعالى على وجه الكمال، وتنزيهه سبحانه عن كل ما لا يليق به.

✽ الحقيقة:

القدّوس: اسم من أسماء الله الحسنى الدالة على أنه المنزه من كل شر ونقص وعيب، الطاهر من كل عيب، ومن كل

لَكُ [البقرة: ٣٠]؛ أي: ننزهك عن كل ما لا يليق بك، ومنه: الأرض المقدسة: الطاهرة، وبيت المقدس: المُطَهَّر، وروح القدس: جبريل ﷺ؛ أي: الروح الطاهرة، والتقديس: التطهير، يقال: تقدّس له إذا تطهّر، وقدّس له: نزّهه.

قال الليث: «القدّسُ تنزيه الله، وهو القدّوسُ المقدّسُ المتقدّسُ»^(١).

وقيل: القدّس: البركة، والأرض المقدسة: المباركة، وهو قريب من الأول؛ لأن طهارته سبب لحصول البركة فيه^(٢).

✽ التعريف شرعاً:

القدّوس: اسم من أسماء الله الحسنى الدالة على تنزيه الله ﷻ عن كل نقص وعيب يضاد كماله وينافي عظّمته وجلاله؛ لأنه سبحانه المتصف بصفات الكمال والعظمة والجلال التي لا نقص فيها ولا عيب بحال من الأحوال، وهو سبحانه المقدّس؛ أي: المنزه والمترفع عن الأنداد والأضداد والأشباه والأمثال والشركاء بحال من الأحوال^(٣).

(١) تهذيب اللغة (٣/١٦٤) [الدار المصرية للتأليف].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٨/٣٩٦، ٣٩٧)، والصحاح للجوهري (٣/٩٦٠، ٩٦١) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٦٦٠) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (٢/٧٢٥، ٧٢٦) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) انظر: شأن الدعاء (٤٠) [دار الثقافة، ط٣،

١٤١٢هـ]، وبيان تلبّيس الجهمية (٢/٥٣٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١، ١٤٢٦هـ]، وتفسير ابن كثير (٨/١١٥) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٠٨) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (١٩٤) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩].

(٤) ورد هذا التفسير عن مجاهد وقتادة. انظر: تفسير الطبري (٢٣/٣٠٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، وتفسير ابن كثير (٨/٧٩).

❁ أقوال أهل العلم:

قال قتادة: «القدّوس؛ أي: المبارك»^(٣).

وقال ابن جرير الطبري: «القدّوس: وهو الطاهر من كلّ ما يضيف إليه المشركون به، ويصفونه به مما ليس من صفاته المباركة»^(٤).

وقال ابن القيم: «القدّوس: المنزّه من كل شر ونقص وعيب، كما قال أهل التفسير: هو الطاهر من كل عيب، المنزه عما لا يليق به، وهذا قول أهل اللغة، وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة»^(٥).

وقال ابن كثير - في تفسير ﴿الَّذِي﴾: «الْقُدُّوسُ» [الجمعة: ١] -: «هو الْمُنْزَه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال»^(٦).

وقال السعدي: «﴿الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾؛ أي: المقدس السالم من كل عيب وآفة ونقص، المعظم الممجّد؛ لأن القدّوس يدل على التنزيه عن كل نقص، والتعظيم لله في أوصافه وجلاله»^(٧).

وأورد هذا الاسم كل من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى والتصنيف في شرحها.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٢٠٣).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/٣٧١)، والحجة (١/١٢٣).

(٥) شفاء العليل (١٧٩).

(٦) تفسير ابن كثير (٨/١١٥).

(٧) تفسير السعدي (٨٥٤).

ما يضيف إليه المشركون به. كما أنه سبحانه هو المعظم الممجّد؛ لأن القدّوس يدل على التنزيه عن كل نقص، والتعظيم لله في أوصافه وجلاله.

❁ الأدلة:

ورد هذا الاسم في موضعين من القرآن الكريم، هما قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «سُبُّوح قدّوس ربُّ الملائكة والروح»^(١).

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اشتكى منكم شيئاً أو اشتكاه أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء تقدّس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض...» الحديث^(٢).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٧).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٨٩٢)، وقال المنذري في مختصر سنن أبي داود (٢/٦٠٧) [مكتبة المعارف، ط١]: (في إسناده زياد بن محمد الأنصاري، قال أبو حاتم: منكر الحديث، وقال البخاري والنسائي: منكر الحديث)، وضعفه الألباني جداً في ضعيف الترغيب والترهيب (رقم ٢٠١٣).

وانظر: معتقد هل السنّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٨٠ - ٨٤، ١٦١) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩]، وأسماء الله الحسنى للغصن (٣٣١) [دار الوطن، ط١، ١٤١٧هـ].

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اسم الجلال (القدّوس) يدل على الذات العلية وعلى صفة القدسية، وهي الطهارة والتنزيه:

فالله ﷻ مقدّس في ذاته منزّه عن كل نقص وعيب؛ لأنه متصف بكل أنواع الكمال، وهو المستحق للتقديس والعظمة والجلال، ولذلك قالت الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

ويدلّ على صفة الفعل وهي التقديس، فالله ﷻ يُقدّس من شاء من خلقه، فالتقديس صفة فعل كما ورد في حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف يُقدّس الله أمةً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدتهم»^(١).

- المسألة الثانية: يتضمن اسم القدّوس نفي النقائص والعيوب عن الله ﷻ، وتنزيهه ﷻ عن كل ما لا يليق بكماله وعظمته وجلاله، وذلك يكون بأمرين:

الأول: نفي النقص عنه ﷻ المنافي لكماله، فإذا نفينا عنه ﷻ السنّة والنوم فإنما ذلك لأنه مناف لكمال حياته وقيوميته، وإذا نفينا عنه الظلم؛ لأنه مناف لكمال عدله، وهكذا في جميع ما

(١) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠١٠)، وحسن إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ١٨٣) [دار العربية، ط ٢]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٥٩٨).

ينفي عن الله ﷻ من النقائص والعيوب فإنها منافية لمقابلها من صفات الكمال ونعوت العظمة والجلال.

الثاني: نفي أن يكون لله ﷻ مماثل أو مشابه في جميع أوصاف الكمال الثابتة له، فإنه ﷻ لا مثل له ولا شبيه ولا كفؤ ولا ندّ ولا سميّ له، فهو سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

- المسألة الثالثة: كان النبي ﷺ يكثر من ذكر هذا الاسم في ركوعه وسجوده: فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في سجوده وركوعه: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(٢)، كما كان ﷺ يختم بهذا الاسم صلاته بالليل كما جاء في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ في الوتر ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾»، و﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ﴾»، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»، فإذا سلّم قال: ﴿سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾، ثلاث مرات»^{(٣)(٤)}.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٣٠)، والنسائي (كتاب قسام الليل وتطوع النهار، رقم ١٦٩٩)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٨٠/٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٦هـ]، وابن حبان (كتاب الصلاة، رقم ٢٤٥٠)، وصححه النووي في الخلاصة (٥٦٣/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والألباني في صحيح أبي داود (رقم ١٢٨٤) [مؤسسة غراس، ط ١].

(٤) انظر حول هذه المسائل: تفسير أسماء الله الحسنى =

✽ الآثار:

٩ - ما جعله الله تعالى من العاقبة

لرسله وأوليائه، والحسرة والخسران على أعدائه.

١ - حمد الله تعالى والثناء عليه بكماله في ذاته وصفاته، وتنزيهه تعالى عن كل عيب ونقص.

١٠ - أن اسم الجلال القدّوس على

المسلم أن ينزه نفسه عن المعاصي والذنوب، ويطلب المعونة من ربه أن يحفظه في سمعه وبصره وبدنه من جميع النقائص والعيوب.

٢ - سلامة الإيمان وكماله في أسماء الله تعالى وصفاته بإثبات جميع الأسماء والصفات على وجه الكمال الذي لا يتطرق إليه أي معنى من معاني النقص، فتكون السلامة من التحريف المسمّى عند أهله تأويلاً.

✽ مذهب المخالفين:

اسم الجلال القدّوس من الأسماء الحسنى الدالة على التنزيه العام لله ﷻ عن جميع صفات النقص، وقد استند العديد من الفرق المبتدعة على دلالة هذا الاسم ونحوه على التنزيه من أجل نفي ما يستحقّه الله ﷻ مما أثبتّه لنفسه وأثبتّه له رسوله ﷺ من صفات الكمال ونعوت العظمة والجلال التي جاءت في نصوص الكتاب والسنة، فإن أهل السنة والجماعة عندما قالوا بموجب هذا الاسم من تقدّيس الله ﷻ وتنزيهه عن جميع النقائص والعيوب، ليس معنى ذلك تعطيل الله ﷻ عن صفات كماله ونفي معاني أسمائه الحسنى كما ظنه المعطلة من جهمية ومعتزلة وأشاعرة وماتريديّة ومن وافقهم؛ بل معناه تنزيه الله ﷻ عن مشابهة خلقه في شيء من صفاتهم؛ فإن تنزيه أهل السنة والجماعة تنزيه بلا تعطيل، كما أن إثباتهم

٣ - التبعّد لله تعالى بأسمائه وصفاته على الوجه الأكمل، الباعث عليه كمال الصفات وطهارتها من أي نقص.

٤ - صدق اليقين وجميل التوكل على الله تعالى.

٥ - عظيم خلق الله تعالى ووقوعه على غاية الكمال والإتقان.

٦ - الحكمة التامة والعظمة الكاملة في قضاء الله تعالى وتقديره الدال على كمال صفاته وأفعاله.

٧ - كمال شرع الله تعالى وطهارته من كل نقص وعيب.

٨ - الدلائل الظاهرة في الآيات الأفقية والنفسية الدالة على ألوهية الله تعالى ووحدانيته.

= للسعدى (٢٠٨، ٢٠٩)، وفقه الأسماء الحسنى (١٩٤) - (١٩٥) [دار التوحيد، ط١]، والنفي في باب الصفات (١٠٧ - ١١٢) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ].

- إثبات بلا تمثيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].
- ٧ - «النفي في باب الصفات»، لأرزقي سعيداني.
- ٨ - «أسماء الله الحسنى»، للغصن.
- ٩ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، لليهقي.
- ١٠ - «الحجة في بيان المحجة»، للتمي.
- ١١ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ١٢ - «صفات الله وعبادته الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.
- فإن تنزيه الله ﷻ وتعظيمه يجب أن يكون وفق دلائل الكتاب والسنة على ضوء فهم سلف الأمة وأئمتها، ولا يجوز بحال أن ينبني على الأهواء المجردة، أو الظنون الفاسدة، أو الأقيسة العقلية الكاسدة، كما هو الشأن عند أرباب البدع المعطلين لصفات الرب ﷻ زعمًا منهم أن هذا من باب التقديس والتنزيه؛ ولهذا وقعوا في أنواع من الباطل وصنوف من الضلال^(١).

القدير

يراجع مصطلح (القدرة).

المصادر والمراجع:

القديم

يراجع مصطلح (القدم).

القرآن

التعريف لغة:

القرآن: مصدر للفعل قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا؛ أي: تلا وجمع وضمَّ بعضه إلى بعض، سُمي القرآن بذلك؛ لأنه يجمع السُّور فيضمها^(٢).

التعريف شرعًا:

القرآن: كلام الله حقيقة، حروفه

١ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

٢ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٢)، لابن تيمية.

٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٤ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتمي.

٥ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٦ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للحمود النجدي.

(٢) انظر: الصحاح (٦٦/١) [دار العلم للملايين، ط ٤]، والقاموس المحيط (٦٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٦هـ].

(١) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١١٢، ١١١/١) [مكتبة الذهبي، ط ٢، ١٤١٧هـ]، النفي في باب الصفات (٢٠٥ - ٢٢٢).

ومعانيه، مُنَزَّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود^(١).
والموعظة إلى غير ذلك من أسمائه الكثيرة^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

عرفنا أن المعنى اللغوي للقرآن مأخوذ من القراءة والتلاوة التي تجمع وتضم بعضها إلى بعض، فكَذَلِكَ القرآن شرعاً؛ إذ هو كلام الله يتلى ويقرأ في سور مجموعة ومضمومة.

سبب التسمية:

سُمِّي القرآن بذلك؛ لأنه يجمع السُّور والآي والحروف، وجمع فيه القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد^(٢).
وقيل: «تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله؛ لكونه جامعاً لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم»^(٣).

الأسماء الأخرى:

القرآن هو: الفرقان، والكتاب، والهدى، والنور، والتنزيل، والشِّفاء،

الحقيقة:

القرآن كلام الله تعالى، ووحيه الذي أنزله على نبيه ﷺ، تكلم به ربنا سبحانه حقيقة - بحروفه ومعانيه -؛ فمنه بدأ وإليه يعود، وسمعه منه جبريل عليه السلام حقيقة، ثم

(٤) انظر في أسماء القرآن: مجموع الفتاوى (١/١٤)، والهدى والبيان في أسماء القرآن لصالح بن إبراهيم البليهي.

(١) انظر: لمعة الاعتقاد (١٨) [وزارة الشؤون الإسلامية، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٧/١٢)، والجواب الصحيح (٣٣٩/٤)، والدرر السنية (٣٠/١) [ط ٦، ١٤١٧هـ]، وفتاوى اللجنة الدائمة (٢١/٣) [المجموعة الثانية].

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٦٠٤/١) [جامعة الشارقة، ط ١، ١٤٢٩هـ]، وتفسير البغوي (١٩٨/١) [دار طبية، ط ٤، ١٤١٧هـ]، وتفسير البحر المحيط (٣٢/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (٦٦٩) [دار العلم والدار الشامية، ١٤١٢هـ].

قبله انقضت بانقضاء زمانها ولم يبق إلا تذكراها، وهو كل يوم براهينه في مزيد، ومعجزاته في تجديد، وَلَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ [فُصِّلَتْ] (١).

ومما يدلُّ على علو منزلته أيضًا: أن الله ﷻ عَظَمَ مِنْ عَظَمِهِ، وجعلهم أهله وخاصته، وأنَّ من إجلاله إجلالهم، فعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ، فَلَهُ أَجْرَانِ» (٢).

وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قال: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَتُهُ» (٣).

قال ابن الأثير: «أي: حفظه القرآن العاملون به هم أولياء الله، والمختصون به اختصاص أهل الإنسان به» (٤).

(١) معارج القبول للحكمي (١١٢١/٣) [دار ابن القيم بالدمشق، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٣٧)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٩٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ٢١٥)، وأحمد (٢٩٦/١٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب فضائل القرآن، رقم ٢٠٤٦)، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٩/١) [دار العربية، ط ٢]، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٤٣٢) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٨٣/١) [المكتبة العلمية، ط ١٣٩٩هـ].

نزل به على نبيِّنا ﷺ؛ فسمعه منه مباشرة حقيقة في اليقظة، منجمًا ومفرقًا حسب الوقائع والأحداث. وهو خاتم الكتب المنزلة من عند الله تعالى، وأعظمها وأشرفها وأهداها، والمهيمن عليها، والناسخ لها ولشرائعها، والجامع لأصولها ومحاسنها، والباقي والخالد إلى قيام الساعة؛ فلا يأتي كتاب بعده يغيِّر شيئًا من أحكامه وشرائعه، فلم يبق كتاب يُتَعَبَّدُ الله به سواه؛ فليس لأحد من الإنس أو الجنَّ الخروج عن شيء من أحكامه، ولا اتباع غير سبيله؛ وإلا ضلَّ وغوى.

المنزلة:

جعل الله للقرآن الكريم منزلة رفيعة، ومكانة عالية، فهو من أركان الإيمان الستة، التي لا يقبل إيمان العبد حتى يأتي بها، فالقرآن نور للقلوب، به تزكوا النفوس وتفرح، وتنشرح الصدور، فيه آيات زكيات، ومعاني بينات، تخرج المغموم من غمه، والمهموم من همه، وتبعد عن الصدر ضيقه.

ومما يدلُّ على علو منزلته: أنه أعظم معجزات النبي ﷺ فهو «معجزة خالدة أبد الأبدین، ودهر الداهرين، لا تفنى عجائبه، ولا يدرك غاية إعجازه ولا يندرس بمرور الأعصار، ولا يمل مع التكرار؛ بل يُجَلَّى مع ذلك ويتجلَّى، ويعلو على غيره ولا يُعلَى، وكلَّ معجزة

الأدلة:

أقوال أهل العلم:

قال ابن أبي زمين: «ومن قول أهل السنة: أن القرآن كلام الله وتنزيله، ليس بخالق ولا مخلوق، منه تبارك وتعالى بدأ، وإليه يعود»^(٣).

وقال القاضي عياض: «وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى آخر: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»^(١)، أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه وأجمع على أنه ليس من القرآن عامداً لكل هذا أنه كافر»^(٤).

وقال ابن قدامة المقدسي: «ومن كلام الله سبحانه: القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب

قال ﷺ: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨]، والآيات في هذا المعنى أكثر من أن تحصى.

وعن المقدم بن معدي كرب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»^(١).

ولما أتى عمر بن الخطاب النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي ﷺ فغضب فقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده؛ لقد جئتكم بها بيضاء نقية. لا تسألوهم عن شيء؛ فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو يباطل فتصدقوا به! والذي نفسي بيده؛ لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»^(٢).

بمصر، والدارمي في سننه (كتاب العلم، رقم ٤٤٩)، قال الهيثمي: فيه مجالد بن سعيد، ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما. مجمع الزوائد (١/ ١٧٤) [مكتبة القدسي].

لكن له شواهد، حسنه بها الألباني في إرواء الغليل (٣٤/٦) [المكتبة الإسلامية بيروت، ط ٢].

(٣) أصول السنة (٨٢) [مكتبة الغرباء، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٣٠٤/٢) [دار الفكر، ١٤٠٩هـ].

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، رقم ٤٦٠٤) واللفظ له، والترمذي (أبواب العلم، رقم ٢٦٦٤) وحسنه، وابن ماجه (المقدمة، رقم ١٢)، وأحمد (٤١٠/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (٥٧/١) [المكتبة الإسلامية، ط ٣].

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨٧/٣) مؤسسة قرطبة

قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]. وهذه الآيات صريحة الدلالة على نزول جبريل ﷺ بالقرآن من عند الله تعالى على نبيينا محمد ﷺ، وأن جبريل ﷺ سمعه من الله تعالى؛ لأنه إذا كان قد «نزل به من الله؛ علم أنه سمعه منه ولم يؤلفه هو، وهذا بيان من الله: أن القرآن الذي هو باللسان العربي المبين سمعه روح القدس من الله، ونزل به منه» (٢).

وثبت في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجبر السلسلة على الصفا؛ فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل فزّع عن قلوبهم»؛ قال: «فيقولون: يا جبريل؛ ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق. فيقولون: الحق الحق» (٣). وفيه دلالة على سماع جبريل ﷺ

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، ١٤١/٩) [دار طوق النجاة، ط١] معلقاً مجزوماً، دون قوله: (صلصلة كجبر السلسلة على الصفا). وأخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٣٨)، وابن حبان في صحيحه (كتاب الوحي، رقم ٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٩٣) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ].

العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب سيّد المرسلين ﷺ، بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. وهو سُور مُحْكَمَات، وآيات بيّنات، وحروف وكلمات، من قرأه فأعربه فله بكلّ حرف عشر حسنات. له أوّل وآخر وأجزاء وأبعاض. متلوّ بالأسنة، محفوظ في الصدور، مسموع بالأذان، مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصِّلَتْ] (١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: نزول القرآن:

أنزل القرآن الكريم - لفظاً ومعنى - على نبيينا محمد ﷺ بأمر الله تعالى، وسمعه ﷺ من جبريل ﷺ حقيقة بلا واسطة، في اليقظة، لا مناماً - على صور وهيئات وكيفيات معروفة -، منجماً ومفرّقاً حسب الوقائع والأحداث - بخلاف الكتب السماوية السابقة التي نزلت جملة واحدة -.

ونزول القرآن ثابت بنص الكتاب والسنّة، قال الله تعالى: ﴿وَلَنُزِّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى

(١) لمعة الاعتقاد مع شرحه: الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد للجبرين (١٧٦، ١٨١، ١٨٢) [دار طبية، ط١، ١٤١٨هـ].

ذا فضل وشرف - في الأجر والثواب، وفي المعاني والمدلولات، وهذا دليل على تفاضله في ذاته ونفسه وألفاظه؛ فبعض سور القرآن وآياته أفضل وأشرف من بعض سور وآياته الأخرى، لا من حيث أجر وثواب القراءة فحسب؛ بل من حيث نفسه وذاته وكونه كلاماً لله تعالى. فسورة الفاتحة والإخلاص وآية الكرسي وآخر سورة الحشر - وما تضمنته من الدلالات على وحدانية الله وصفاته - أفضل من سورة المسد وآية الدين ونحوهما - مما لا يوجد فيها هذا -، في نفسها وفي أجر قراءتها. وكلام الله تعالى الذي يُثني على نفسه به ويذكر فيه أوصافه وتوحيده؛ أفضل من كلامه الذي يذمُّ به أعداءه ويذكر أوصافهم^(٣).

وهذا التفاضل لا «باعتبار نسبته للمتكلم؛ فإنه سبحانه واحد؛ ولكن باعتبار معانيه التي يتكلم بها، وباعتبار ألفاظه المبيّنة لمعانيه»^(٤).

والقول بالتفاضل قول أكثر السلف

الوحي (وهو القرآن) من الله تعالى بلا واسطة.

والدليل على نزول القرآن على النبي ﷺ مفرقاً حسب الوقائع والأحداث، واختصاصه بذلك دون سائر الكتب السماوية السابقة قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ - أي: كما نزلت الكتب السماوية قبله؛ كالتوراة والإنجيل والزبور -^(١) ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان]، وقال ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾؛ يعني: القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]: «وهذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة. وقال في القرآن: (نزل)؛ لأنه نزل مفرقاً منجماً على الوقائع، بحسب ما يحتاج العباد إليه في معادهم ومعاشهم، وأما الكتب المتقدمة فكانت تنزل جملة واحدة؛ ولهذا قال: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ﴾»^(٢).

- المسألة الثانية: تفاضل القرآن:

القرآن الكريم الذي هو كلام الله ﷻ يتفاضل بعضه على بعض - وإن كان كله

(١) راجع: تفسير البغوي (٨٣/٦) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ]، الجامع لأحكام القرآن (٢٨/١٣) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، وتفسير ابن كثير (١٠٩/٦) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٤٣٤). وانظر منه: (١/٥٠١، ٩٢/٦)، الجامع لأحكام القرآن (٥/٤).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١٠/١) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، والتذكار للمقري (٤٦) [دار البيان بدمشق، ط ٣، ١٤٠٧هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/١٠ وما بعدها، ٥٧)، وشفاء العليل (٢/٧٤٤) [مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وفصائل القرآن الكريم، لعبد السلام الجار الله (٤١٧، ٤٤٢)، والقرآن الكريم ومنزله بين السلف ومخالفهم (٢/٦٦٩).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/١٢٩). وانظر منه: (١٣٧، ٥٧/١٧).

الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴿٥٥﴾ [الزُّمَر]، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بُعْتَهُ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزُّمَر]؛ وفيهما دلالة واضحة على أن فيما أنزل الله تعالى حسن وأحسن^(٣)؛ وهذا دال على تفاضل القرآن الكريم.

وثبت في أحاديث كثيرة إثبات فضل بعض السور على البعض، وأن بعضها أعظم ما في القرآن؛ ومن ذلك قوله ﷺ لأبي سعيد بن المعلّى ﷺ: «لَأَعْلَمَنَّكَ سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد»، ثم قال: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته^(٤).

وقوله ﷺ لأبي بن كعب ﷺ: «يا أبا المنذر؛ أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟»، فلما ذكر له آية الكرسي؛ ضرب على صدره وقال: «والله ليَهْزِكَ العلم أبا المنذر»^(٥).

وقوله ﷺ عن سورة الإخلاص: «والذي نفسي بيده؛ إنها لتعدل ثلث القرآن»^(٦).

(٣) المرجع السابق (١٢/١٧).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٤٧٤).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨١٠).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠١٣)، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ =

والخلف من العلماء - بل نقل ابن تيمية اتفاق السلف عليه -؛ منهم: إسحاق بن راهويه، والحليمي، وأبو المظفر السمعاني، وغيرهم، وانتصر له شيخ الإسلام ابن تيمية واختاره تلميذه ابن القيم^(١).

وقد دلّ على تفاضل القرآن الكريم أدلة كثيرة من الكتاب والسنة؛ منها قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]؛ ففي الآية إخبار بأن الله تعالى «يأتي بخير منها أو مثلها؛ وهذا بيان من الله لكون تلك الآية قد يأتي بمثلها تارة، أو خير منها أخرى؛ فدلّ ذلك على أن الآيات تتماثل تارة وتفاضل أخرى»^(٢).

ومنها قوله ﷺ: ﴿...فَبَيَّرَ عِبَادِ﴾ [١٧]

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٠٣/٢) [دار هجر، ط١]، وصحيح ابن حبان (٥١/٣)، [الإحسان، مؤسسة الرسالة، ط٢]، والنمهد لابن عبد البر (٢٣١/١٩) [مؤسسة قرطبة، مصورة عن الطبعة المغربية]، والاستذكار له (٥١٢/٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ]، وتفسير البغوي (١٣٥/١) [دار طيبة، ط١، ١٤١٧هـ]، والجامع لأحكام القرآن (١٠٩/١)، والتذكار للقرطبي (٤٥)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٩٣/٦) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ]، ومجموع الفتاوى (٤٦/١٧، ٥٣، ١٠٣، ٢٠٩)، وتفسير ابن كثير (١٠٥/١) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، والإتقان في علوم القرآن (١١٧/٤)، والتجوير للسيوطي (٣٠٥) [دار العلوم بالرياض، ط١، ١٤٠٢هـ]، وإتمام الدراية لقراء النفاية له (٢٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ]، وفضائل القرآن الكريم (٣٩٢) وما بعدها، و(٣٩٩) وما بعدها.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/١٧).

وقوله ﷺ عن سورتي الفلق والناس: «أُنزل (أو: أُنزلت) عليّ آيات لم يُر مثلهن قط: المعوِّذتين»^(١).

إلى غير ذلك من الأحاديث. وهي تدلُّ دلالة صريحة على تفاضل القرآن الكريم، وأنَّ بعضه أفضل من بعض. وهذا أبَيُّ - وغيره من الصحابة - لم يستشكل السؤال عن كون بعض القرآن أعظم من بعض! بل شهد النبي ﷺ بالعلم لمن عرف فضل بعضه على بعض، وعرف أفضل الآيات»^(٢).

وإذا ثبت تفضيل بعض القرآن بأحكام توجب تشريفه - كما في سورة الفاتحة وغيرها -؛ فهذا يدلُّ على أنه أفضل في نفسه، ومن أعاد التفاضل إلى مجرد كثرة الثواب أو قلته، من غير أن يكون الكلام في نفسه أفضل؛ كان بمنزلة من جعل عمليْن مساويين، وثواب أحدهما أضعاف ثواب الآخر، مع أنَّ العملين في أنفسهما لم يختص أحدهما بمزية! وهذا خلاف ما علم من سُنَّة الله تعالى في شرعه وخلقه، وخلاف ما تدلُّ عليه الدلائل العقلية مع الشرعية»^(٣).

ولا يلزم من التفضيل نقص المفضل

- المسألة الثالثة: إعجاز القرآن:

القرآن الكريم هو أعظم معجزات النبي ﷺ، وأبهر آياته، وأبين الحجج الواضحات وأدلّها على نبوته وصدقه وصحة رسالته. ويدلُّ على هذا أن المشركين لما تعتتوا وطلبوا آيات حسية تدلُّ على صدق النبي ﷺ لم يجبههم الله تعالى إلى ذلك، وأنكر عليهم عدم اكتفاءهم بأعظم آياته وهو القرآن الكريم؛ فقال ﷻ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ

= ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨١١) من حديث أبي الدرداء ؓ.

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨١٤)، من حديث عتبة بن عامر ؓ.

(٢) مجموع الفتاوى (١٨٣/١٧) بتصرف يسير.

(٣) انظر: المرجع السابق (١٢/١٧)، ٢١٠.

(٤) المرجع السابق (١٤٦/١٧).

(٥) المرجع السابق (٨٠/١٧) بتصرف يسير.

والقرآن معجز في نفسه، لا يستطيع أحد - كائنًا من كان - الإتيان بمثله ولا يقوى على معارضته؛ فليس إعجاز القرآن بأمر خارج عنه^(٤).

والقرآن في نفسه معجز ولو لم يتحد به كسائر المعجزات؛ فهو دالٌّ على وجود الله تعالى، وربوبيته ووحدانيته سبحانه، والمبدأ والمعاد، وإثبات حياته وقدرته وإرادته، وعلمه بالكليات والجزئيات، وعلى نبوة محمد ﷺ وصدقه وصحة رسالته، وعلى كمال الشرع وإحكامه وعدله وصدق أخباره.

ووجه إعجاز القرآن التي لأجلها كان القرآن معجزًا للثقلين كثيرة متنوعة لا تحصى، «وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجازه هو حجة على إعجازه! ولا تناقض في ذلك؛ بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له»^(٥)؛ فمن هذه الوجوه: فصاحته وبلاغته ووجازته وجزالته وحلاوته وطلاوته - التي لا تجارى ولا تدانى - في دلالة اللفظ على المعنى، ونظمه وأسلوبه، واشتماله على العلوم الكثيرة والمعاني العزيزة النافعة في الدنيا والآخرة - التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على نبي مرسل -،

(٤) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٧٧/٦) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٠٨هـ].
(٥) الجواب الصحيح لابن تيمية (٤٢٩/٥) بتصرف يسير. وانظر منه: (٤١١/٥).

عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٥﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّكَ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ [العنكبوت]؛ فدلَّ هذا على أنَّ القرآن أعظم الآيات، وأبين المعجزات والحجج الواضحات. فهو الحجة الباقية على الآباد، الذي لا تنقضي عجائبه^(١).

وليس في مقدور أحد - كائنًا من كان - أن يأتي بهذا القرآن إلا رب العالمين ﷻ؛ فهو كلامه سبحانه، وهو لا يشبهه شيء من خلقه^(٢).

ولذا تحدَّى الله تعالى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله؛ فقال ﷻ: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء]، فعجزوا عن ذلك، مع توافر دواعي أعداء رسول الله ﷺ - الفصحاء البلغاء - على معارضته وإبطال قوله، وشدة عدواتهم للدعوة ونبينا ﷺ^(٣).

(١) انظر: معارج القبول لحافظ الحكمي (١١٢١/٣).
(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/٤٢٥) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ].
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢٠١/١)، (٤٦١/٤)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥٠/٦) [دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط ١، ١٤١٧هـ]، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٨٨/٢)، وفتح الباري لابن حجر (٦/٩) [دار المعرفة ببيروت، ١٣٧٩هـ].

وإخباره بالغيبات الماضية والآتية، وعدم تناقضه، وغير ذلك كثير؛ «لفظه آية، ونظمه آية، وإخباره بالغيوب آية، وأمره ونهيه آية، ووعدته ووعدته آية، وجلالته وعظمته وسلطانه على القلوب آية، وإذا ترجم بغير العربي كانت معانيه آية! كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم»^(١)، والإعجاز واقع بجميع هذه الوجوه وغيرها، لا بكل واحد على انفراده؛ فهو مشتمل على الجميع وزيادة!

ويمكن جمع وجوه إعجاز القرآن في أربعة أوجه: الإعجاز البياني (الفصاحة والبلاغة والنظم والأسلوب)، والإعجاز العلمي (الآيات الكونية)، والإعجاز التشريعي (العقيدة والشريعة والأخلاق)، والإعجاز الغيبي (الماضي والحاضر والمستقبل). والله أعلم.

والإعجاز والتحدّي بالنظم والبلاغة والفصاحة والأسلوب خاصّ بالقرآن الكريم دون غيره من الكتب السماوية السابقة؛ فالكتب السابقة لم تنزل على أنها معجزة للأنبياء السابقين تبرهن على صدقهم وصحة رسالتهم، ولم يقع بها التحدي، وإن كانت لا تخلو من بعض وجوه الإعجاز - كالإخبار بالغيبات، واشتمالها على التشريعات المحكمة

(١) التُّبُورَات لابن تيمية (١٢٠) [المطبعة السلفية بالقاهرة، ط ١، ١٣٨٦هـ].

العادلة - . والله أعلم^(٢).

- المسألة الرابعة: الاستشفاع بالقرآن:

التوسّل إلى الله تعالى بالقرآن الكريم (الاستشفاع) لنيل العبد شفاعته ﷺ يوم القيامة أو مغفرته أو رحمته، أو لطلب أمر دنيويّ: مشروع، سواء كان هذا الاستشفاع بدعاء الله تعالى بالقرآن نفسه، فيقول مثلاً: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بالقرآن الكريم أَنْ تدخلني الجنة، أو بدعاء الله بتلاوة القرآن الكريم وحفظه والتعبّد به، كأن يقول الدّاعي مثلاً:

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٤٣/١٢)، وبيان إعجاز القرآن للخطابي (٢١) [ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف، ط ٣]، والجامع لأحكام القرآن (٧٢/١)، والجواب الصحيح (٤٢٧/١)، ٥/ ٤٠٩، ٤٢٣، ٤٢٩، وشرح العقيدة الأصفهانية (٢٠٨) [مكتبة الرشد بالرياض، ط ١، ١٤١٥هـ]، وبدائع الفوائد (١٥٤٧/٤) [دار عالم الفوائد، ط ١]، وتفسير ابن كثير (٢٠/١) - فضائل القرآن، ١٦٠، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٣، ٣٥٣/٤، ٢٦٨/٤، ٣١٠، ٤٦١، ٦٠٣، ٢٨٦/٦ [دار طبعة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، والبداية والنهاية (٩٩/٢)، ٧٧/٦، ٢٨٨، وفتح الباري لابن حجر (٥٨٢/٦)، ٦/٩، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٨٧٣/٥) [طبعة مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٦هـ]، ومُعْتَرَكُ الأقران له (٣/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ]، ومعارج القبول لحافظ الحكمي (١٠٩٩/٣)، ومباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم (١٢١) [دار المسلم بالرياض، ط ٢، ١٤١٦هـ]، والأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد لسعود العريفي (٥٢٢) [دار عالم الفوائد، ط ١]، والقرآن الكريم ومنزله بين السلف ومخالفهم لمحمد هشام طاهري (٣٨٩/١)، ٣٩٥، ٤٠٧، ٦٤٥، ٦٥٠ [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٦هـ]، وفضائل القرآن الكريم لعبد السلام الجار الله (٣٢٩) [دار التدمرية، ط ١، ١٤٢٩هـ].

بقدرتك»^(٣)، وعَلَّمَ ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها أن تقول كلَّ صباح ومساءً: «يا حي يا قيوم؛ برحمتك أَسْتَغِيثُ، أُلْصِقْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكُنْ لِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدًا»^(٤). والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وأما الدليل على جواز دعاء الله أن يجعل القرآن شفيعاً للعبد فظاهر؛ إذ عموم أدلة فضل الدعاء دالة على ذلك، وليس في هذا تعد أو مجاوزة للشرع؛ بل هو دعاء مشروع لا إشكال فيه؛ لأنه ثبت بالحديث الصحيح أنَّ القرآن يأتي شفيعاً لأصحابه يوم القيامة^(٥)؛ فلا إشكال في دعاء الله تعالى أن يأتي شفيعاً لفارثه الداعي، وقد حثَّ ربنا على دعائه فقال ﷺ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر].

- المسألة الخامسة: الاستشفاء بالقرآن:

الاستشفاء بالقرآن أمر مشروع حث

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بحفظي لكتابك، وتلاوتي له آناء الليل وأطراف النهار أن تغفر لي، أو بدعاء الله أن يجعل القرآن شفيعاً للعبد يوم القيامة، فيقول مثلاً: اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْقُرْآنَ شَفِيعًا لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فكلَّ هذا جائز لا حرج فيه، ودلَّ على جوازه الكتاب والسنة^(١):

أما الدليل على جواز الاستشفاع بدعاء الله تعالى بالقرآن نفسه على أنه كلام الله وصفة من صفاته فقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والقول في الصفات كالقول في الأسماء والذات، وذكر سبحانه عن نبيه وعبده سليمان بن داود عليه السلام أنه قال: ﴿وَأَدْخُلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ﴾ [النمل: ١٩]، فسأل الله برحمته، وهي من صفاته ﷺ.

وثبت في الصحيحين، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنَّ النبي ﷺ كان يقول: «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت، الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون»^(٢)، وفي حديث دعاء الاستخارة المشهور الذي علَّمه ﷺ لأصحابه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بعلمك، وأستقدرك

(١) انظر أدلة التوسل المشروع عمومًا في كتاب: التوسل: أنواعه وأحكامه للألباني (٢٩ - ٤٢) [مكتبة المعارف بالرياض، ١، ١٤٢١هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٨٣) واللفظ له، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٨٢).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٣٣٠) [مؤسسة الرسالة، ١ط]، والحاكم في المستدرک (كتاب الدعاء، رقم ٢٠٠٠) وصححه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٢٧).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨٠٤)، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

عليه الشرع الحكيم، والاستشفاء: هو لي بسهم^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أن النبي ﷺ طلب الشفاء.

والاستشفاء يكون من مرض حسي أو معنوي.

والأدلة على أن القرآن فيه شفاء ورحمة كثيرة جداً، فمن القرآن قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَادَانِهِمْ وَقَرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤]، والآيات في ذلك كثيرة جداً.

وإذا كان التداوي بتلك العقاقير الطبية قد جعل الله فيها الشفاء، فكيف بالقرآن العظيم الذي هو كلام رب العالمين، الذي لا يعلم عظيم فضله ولا حقيقة كنهه إلا الله تعالى^(٣).

وهناك شروط لا بد أن تتوفر في الرقية من أجل أن تكون مشروعة؛ وهي:

١ - أن تكون باللسان العربي بأن تكون مفهومة معلومة، وليس من جنس الطلاسم.

٢ - أن تكون بالقرآن الكريم، أو بأسماء الله وصفاته، أو بما صح من كلام النبي ﷺ.

ومن السنة المطهرة: ما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «إن ناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يَقْرُوهم، فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك، فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعلاً، فجعلوا لهم قطعاً من الشاء. فجعل يقرأ بأم القرآن، ويجمع بزاقه ويتفل، فبرأ، فأتوا بالشاء، فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ فسألوه، فضحك وقال: «وما أدراك أنها رقية؟ خذوها، واضربوا

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٣٦)،

ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٠١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٣٥).

(٣) انظر: (العين والرقية والاستشفاء من القرآن والسنة).

لعطية محمد سالم (٧٤، ٧٥).

ومجاهد، وأبو قلابه، والأوزاعي، وأحمد بن حنبل، والقاضي عياض، وابن تيمية، وابن القيم. وكرهه طائفة، منهم: النخعي، وابن سيرين، وابن العربي^(٥).

وسئلت اللجنة الدائمة عن حكم ذلك، فأجابت بما ملخصه: أن هذا العمل لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن صحابته الكرام، فالأولى تركه^(٦). وهذا هو الأولى والله أعلم.

- المسألة السادسة: نسخ القرآن للكتب السابقة:

الكتب السماوية السابقة كلها منسوخة بالقرآن الكريم المنزل على محمد ﷺ، فهو المهيمن على كل الكتب قبله، بمعنى: أنه مؤتمن وشاهد ورفيق، وحاكم وقاضي، ودالّ ومصدق، فالقرآن الكريم أمين على كل كتاب قبله، في أصله المنزل، يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما فيها من التحريف والتبديل، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل، فصارت له الهيمنة عليها من كل وجه. ثم ميز الله ﷻ

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٦٠/١٣)، ومجموع الفتاوى (٥٩٩/١٢)، وزاد المعاد (١٥٧/٤)، وعارضة الأحوذى (٢٢٢/٨)، وأحكام الرقى والتائم لفهد السحيمي (٦٦ - ٦٨).

(٦) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢٤٦/١) - السؤال الأول من الفتوى رقم (١٢٥٧).

٣ - أن لا يعتقد أنها تؤثر بذاتها، بل بإذن الله تعالى^(١).

أما قول النبي ﷺ: «إن الرقى والتمايم والتولة شرك»^(٢) فمحمول على الرقى الشركية والبدعية، التي لم تتوفر فيها الشروط الثلاثة آنفة الذكر، كيف والنبي ﷺ قد قال: «لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»^(٣). وقد رقى هو نفسه ﷺ ورقى.

قال الخطابي: «فأما الرقى، فالمنهي عنه هو ما كان بغير لسان العرب فلا يدري ما هو، فلعله قد يدخله سحر أو كفر، فأما إذا كان مفهوم المعنى وكان فيه ذكر الله تعالى فإنه مستحب متبرك به والله أعلم»^(٤).

أما حكم كتابة بعض الآيات من القرآن ثم محوها بالماء وشربها وغسل البدن بها، فقد اختلف السلف في ذلك؛ فأجازته طائفة، منهم: ابن عباس،

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦١/١٩)، وفتح الباري لابن حجر (٢٤٠/١٠)، وشرح مسلم للنووي (٣/٨٨)، ومعالم السنن (٢٢٦/٤)، وفتح المجيد (١٤٧ - ١٤٨)، ومعارج القبول (٦٣٧/٢).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٨٨٣)، وابن ماجه (كتاب الطب، رقم ٣٥٣٠)، وأحمد (٦/١١٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب الرقى والتمايم، رقم ٦٠٩٠)، والحاكم (كتاب الطب، رقم ٧٥٠٥) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣١).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٠٠).

(٤) معالم السنن (٢٢٦/٤).

القرآن الكريم عن سائر الكتب بأن تعهد بحفظه وجعله معجزاً بلفظه ومعناه^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهكذا القرآن فإنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بياناً وتفصيلاً، وبين الأدلة والبراهين على ذلك وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم. وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين وبين عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبين ما حُرّف منها وبُذِل وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضاً ما كتموه مما أمر الله ببيانه وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة، فهو شاهد بصدقها وشاهد بكذب ما حُرّف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات حاكم في الأمرات»^(٢).

- المسألة السابعة: قَدَم القرآن وكتابته في اللوح المحفوظ:

القرآن الكريم مكتوبٌ كله في اللوح

المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهذا ما دل عليه الدليل، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٦﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٧٧﴾﴾ [البروج]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة]، «فالقرآن كتبه الله في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض، وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السُّنة والحديث أن كلَّ كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب، وقد دل القرآن على أن الرب تعالى كتب في أم الكتاب ما يفعله وما يقوله فكتب في اللوح أفعاله وكلامه»^(٣).

«وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر] أنه أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزله بعد ذلك منجماً مفرقاً بحسب الحوادث، فإن كونه مكتوباً في اللوح المحفوظ، لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله، سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك، وإذا كان قد أنزله مكتوباً إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر فقد كتبه كله قبل أن ينزله، والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما

(١) انظر: الصواعق المرسلّة لابن القيم (٢/ ٤٠٠) [دار العاصمة، ط١، ١٤٠٨هـ]. ولطائف المعارف لابن رجب (١٦٧ - ١٦٨، ٣٠٩) [دار ابن كثير].

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٤).

(٣) شفاء العليل (٤١) [دار المعرفة، ١٣٩٨هـ] بتصرف.

فلا يبقى في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف، فحين يعرض الناس عن العمل بالقرآن إعراضاً كلياً يرفعه الله تعالى عنهم تكريماً له؛ لأن القرآن أشرف من أن يبقى بين يدي أناس هجروه وأعرضوا عنه فلا يقدرونه قدره^(٣).

- المسألة التاسعة: حكم القول بتحريف القرآن أو تفضيل غيره عليه:

القول بتحريف القرآن أو نقصانه أو الزيادة عليه، أو تفضيل غيره عليه، قول باطل، بل هو كفر مخرج من ملة الإسلام، فإن الله تعالى تكفل بحفظ هذا القرآن فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر]، فقد ضمن الله تعالى في هذه الآية حفظ ما نزل من الذكر على عبده ورسوله ﷺ، وقد حقق الله وعده بأن وفق أصحاب رسول الله ﷺ لحفظ القرآن، بجمعه وكتابته وحفظه في صدورهم، وتلقاه التابعون عنهم فكان القرآن بذلك محفوظاً بحفظه ﷺ، فمن زعم أنه قد أسقط شيء من القرآن أو غيّر عما جاء عن الرسول ﷺ؛ فإنه كافر^(٤).

وصححه، وصححه البوصيري في المصباح (٤/ ١٩٤) [دار العربية، ط ٢]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٨٧).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٩٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٩/ ٤٤)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٨/ ٣٦٥) [دار الوطن، ١٤١٣هـ].

(٤) انظر: الصارم المسلول (٥٨٦). وانظر: الفضل في =

لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وهو سبحانه قد قدر مقادير الخلائق، وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوها كما ثبت ذلك في صريح الكتاب والسنة وآثار السلف، ثم إنه يأمر الملائكة بكتابتها بعد ما يعملونها؛ فيقابل به الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتأخرة عنه فلا يكون بينهما تفاوت، هكذا قال ابن عباس وغيره من السلف، وهو حق، فإذا كان ما يخلقه بائناً منه قد كتبه قبل أن يخلقه فكيف يستبعد أن يكتب كلامه الذي يرسل به ملائكته قبل أن يرسلهم به^(١).

- المسألة الثامنة: رفع القرآن:

يُرفع القرآن في آخر الزمان، من صدور الرجال ومن المصاحف، في وقت لا يدرى فيه ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، فعن حذيفة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدرَس الإسلام كما يدرَس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، وليُسرَى على كتاب الله ﷻ في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، لا إله إلا الله، فنحن نقولها»^(٢).

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢٦ - ١٢٧) بتصرف.

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٤٩)، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٤٦٠)

٣ - الرد على افتراءات الكفار والملحدين والمشككين الذين يزعمون أنَّ القرآن كلام النبي ﷺ أو كلام جبريل ﷺ؛ ففي نزوله بيان أنه كلام الله تعالى، بلَّغه عنه نبينا ﷺ كما سمعه من جبريل ﷺ، لفظًا ومعنى - لا حكاية للفظ ولا تعبيرًا عن المعنى -، دون زيادة أو نقصان، لم يكتف منه شيئًا؛ فليس هو كلامه ﷺ ولا كلام جبريل الأمين ﷺ.

٤ - أنَّ في الإيمان بالقرآن الكريم وأنه من عند الله تعالى أعظم دافع للتقرب إلى الله تعالى بالتعبد به، تلاوة وعملاً وانقيادًا لأوامره وأحكامه.

✽ مذهب المخالفين:

خالف الجهمية والمعتزلة^(٢) في هذا المعتقد الحق؛ فقالوا بخلق القرآن وكذا جميع الكتب السماوية السابقة، وأن كلام الله بائن عنه، فمنهم من يقول: خلقه الله في اللوح المحفوظ، ومنهم من يقول: بل خلقه في جبريل ﷺ، ومنهم من يقول: خلقه في النبي ﷺ!

والقول بخلق القرآن هو قول: الحلوية وغلاة الصوفية، والخوارج، وبعض المرجئة، وبعض الروافض المتقدمين، وأجمع عليه المتأخرون.

(٢) انظر: المغني للقاضي عبد الجبار (٣/٧، ٨٤)، وشرح الأصول الخمسة له (٥٢٨، ٥٣٥)، ومقالات الإسلاميين للأشعرى (١٩١، ٥٨٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣].

وكذلك من اعتقد أن هناك دينًا أفضل من القرآن، أو هديًا أكمل من هديه، أو حكمًا أحسن من الحكم الذي أتى به من عند ربه ﷻ، فقد كفر؛ لأنه كذب ما جاء في كتاب الله؛ فالله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء، ٩]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة، ١].

✽ الثمرات:

الثمرات المترتبة على الإيمان بالقرآن الكريم هي:

١ - إثبات كلام الله تعالى بالوحي، وأنه ﷻ يتكلم حقيقة متى شاء كيف شاء بما شاء، وأنه يسمع من شاء من خلقه كلامه كما سمعه جبريل ﷺ منه بلا واسطة.

٢ - الإيمان بالقرآن وأنه منزل من عند الله يثمر عنه إثبات علو الله تعالى على خلقه؛ كما دلَّت عليه آيات القرآن الكريم، والسُّنة المتواترة الصحيحة، والفطرة السَّوية، وصريح المعقول، وأجمعت عليه جميع الملل من اليهود والنصارى والمسلمين.

= الأهواء والملل والنحل لابن حزم (١٣٩/٤).
(١) انظر: المفيد في مهمات التوحيد (٨١) [دار الإعلام، ط ١، ١٤٢٣هـ].

منهم، وهو قول الماتريديّة، وهو حقيقة قول الفلاسفة والكلائية والأشاعرة^(١). ينكرون في الحقيقة أن يكون إبراهيم خليلًا وموسى كليماً^(٢)!

وأول من ابتدع القول بخلق القرآن ونفي الصفات عمومًا وتعطيلها هو: الجعد بن درهم، في أوائل المائة الثانية - وعنه أخذه الجهم بن صفوان -؛ فكان يقول: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا؛ فضحّى به أمير العراق والمشرق بواسط خالد بن عبد الله القسري، والجهم قتله سلم بن أحوز أمير خراسان!

وأصل هذا القول مأخوذ عن المشركين والصابئة، عبدة الكواكب والنجوم - من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب -، الذين يزعمون أن الرب ليس له صفة ثبوتية أصلًا! وهم

(١) انظر للحلوليّة وغلّة الصوفيّة: اصطلاحات الصوفيّة لابن عربي (٩) [دائرة المعارف العثمانية بالهند، ط ١، ١٣٦٧هـ]، والإسرا إلى مقام الأسرى له (٦٨) [دائرة المعارف العثمانية بالهند، ط ١، ١٣٦٧هـ]. وللخوارج والمرجئة والروافض: مقالات الإسلاميين (٤٠، ١٥٣، ٥٨٢)، وبحار الأنوار للمجلسي (٩٢/١١٧) [دار إحياء التراث، ط ٣، ١٤٠٣هـ]. وللماتريديّة: التوحيد لأبي منصور الماتريدي (٥٨) [دار المشرق ببيروت]، وأصول الدين للبزدوي (٦٢) [طبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ١]. وللflasفة: مجموع الفتاوى (١٢/٤٢، ١٦٣)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/٣١١) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ]. وللکلائیة والأشاعرة: الإنصاف للباقلاني (٧١، ٩٣، ١٠٨) [عالم الكتب ببيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ]، والإرشاد للجويني (١٠٩) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤٠٥هـ]، ومقالات الإسلاميين (٥٨٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢/٤٣٧، ٦/٦٩، ١٠/٦٦، ١٣/١٧٧)، والفتاوى الكبرى (٦/٣٧٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ]، ومنهاج السنّة النبوية (١/٣٠٩، ٥/٣٩٢، ٣/٣٩٩)، والنبوات (١٠١) [المطبعة السلفية بمصر، ١٣٨٦هـ]، وجامع الرسائل لابن تيمية (٢/٢٣٧)، ومدارج السالكين (١/٩١، ٢/٢٩٢) [دار الكتاب العربي، ط ٢]، والصّواعق المرسلّة (٣/١١٥٣) [دار العاصمة، ط ٣]، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/٣٩٥)، وشرح نونية ابن القيم لابن عيسى (١/٥١) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٦هـ]، وشرح نونية ابن القيم لهراس (١/٢٥) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/٣٧)، وعقيدة السلف للصابوني (١٦٥)، والشريعة للأجري (١/٤٨٩)، وشرح أصول الاعتقاد للالكائي (٢/٣٠٠ - ٣٤٤).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٣٤)، =

المصادر والمراجع:

١ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.

٢ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ٢)، للقرطبي.

٣ - «الجواب الصحيح» (ج ٢، ٤)، لابن تيمية.

٤ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للتميمي.

٥ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، ابن تيمية.

٦ - «شرح الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العزّ الحنفي.

٧ - «فضائل القرآن الكريم»، لعبد السلام الجار الله.

٨ - «القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفهم» (ج ١)، لمحمد هشام طاهري.

٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ٥، ١٢)، لابن تيمية.

١٠ - «معارج القبول» (ج ١، ٣)، لحافظ الحكمي.

= والترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٩٢٥) وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٢٠١)، وأحمد (٣٧٠/٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والدارمي (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٣٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٤٧).

القرب

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «القاف والراء والباء أصل صحيح يدل على خلاف البعد»^(١).

القرب نقيض البعد، والتقرب عكس التّناهي والابتعاد، وقرب الشيء بالضم يقرب قُرباً وقُرباً؛ أي: دنا؛ في الزمان أو المكان أو في النسبة أو في الحظوة أو في الرعاية أو في القدرة^(٢)، وقال الجوهري: «قُرب الشيء بالضم يَقْرُب قُرباً؛ أي: دنا»^(٣).

التعريف شرعاً:

القرب صفة من صفات الله وَجَلَّ الخيرية الاختيارية الثابتة بالكتاب والسُّنة والإجماع. يقرب ممن شاء من خلقه كيف شاء^(٤).

الأسماء الأخرى:

التقرب، الدنو.

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والسُّنة عليها، ويجب إثباتها لله

(١) مقاييس اللغة (٣٧٩/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٦٦٣، ٦٦٤) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، لسان العرب (١٨٧/٦) [دار صادر، ط ١].

(٣) الصحاح (١٩٨/١) [دار العلم للملايين، ط ٤].

عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم: أن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء»^(٣).

وبوّب الإمام الحافظ ابن منده في كتاب التوحيد باباً بعنوان: «ذكر صفة جاءت عن النبي ﷺ على معنى القرب والبعد من الله ﷻ، وذكر خبر آخر يدل على الدنو من الله ﷻ». وذكر فيه جملة من الأحاديث الواردة في هذا المعنى^(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباد؛ فهذا يثبت من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واستواءه على العرش. وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر»^(٥).

❁ الأقسام:

إن قرب الله ﷻ من عباده على قسمين:

أ - القرب صفة فعلية اختيارية من جنس النزول والدنو، فهي تقوم به ﷻ.

ب - القرب الخاص بالداعين والعبدين، فهو سبحانه قريب منهم

تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل.

❁ الأدلة:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(١) [البقرة]. وقال تعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾^(٢) [هود]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾^(٣) [سبا].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم» الحديث^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ فأكثروا الدعاء»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الحافظ زكريا بن يحيى الساجي الشافعي: «القول في السنة التي رأيت

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٢).

(٤) نقله عنه الذهبي في العلو للعلي الغفار (١٥٠) [المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط ٢، ١٣٨٨هـ].

(٥) كتاب التوحيد (٣/ ١٢٥ - ١٢٧) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط ١، ١٤١٣هـ].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٤٦٦) [طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٠٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم ٢٧٠٤).

بإثابته وإجابة دعائهم^(١).

✻ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: القريب اسم من أسماء الله:

وقد ورد ذكر هذا الاسم في القرآن الكريم والأحاديث النبوية بصيغة الاسم في مواضع عديدة، وذكره أكثر أهل العلم الذين اعتنوا بأسماء الله الحسنى وصنفوا فيها^(٢).

- المسألة الثانية: الأقرب أفعال تفضيل من القرب:

وقد ورد هذا اللفظ في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فذكر الحديث، وفيه: «والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم»^(٣).

وقد أثبت ابن الوزير^(٤) اسم (الأقرب) لله تعالى، وكل من ذكر أسماء الله تعالى الحسنى لم يذكر

(١) مجموع الفتاوى (٤٦٦/٥).

(٢) انظر: تفسير السعدي (٦٣٠/٥)، ملحق في آخر الجزء بعنوان: أصول وكليات من أصول التفسير، والحق الواضح المبين للسعدي (٢٤٥) [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط ٢، ١٤١٢هـ]، وشرح أسماء الله الحسنى للقطاطي (١١٨) [مؤسسة الجريسي، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة لعالم عبد الله الفالح (٣٣٤) [مكتبة العيكان، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (١٨٦) [دار إيلاف الدولية، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٤) أخرجه بهذا اللفظ: مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٠٤).

(الأقرب) ضمن أسماء الله إلا ابن الوزير كما سبق، وعلّلوا ذلك أن من ضوابط أسماء الله الحسنى كون أسماء الله توقيفية؛ أي: يجب الوقوف في أسماء الله على القرآن والسنة، فلا يسمى الله إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، لا نزيد على ذلك ولا نقص منه، وما وضعه بعض العلماء من أسماء أخذت من أوصاف وأفعال الله هي عبارة عن اجتهدات منهم، لم يسم الله بها نفسه، ولم يسمه بها نبيه ﷺ، وإنما وضعوها اشتقاقاً من فعله ووصفه، وهذا مخالف لكون الأسماء الحسنى توقيفية على النص.

- المسألة الثالثة: يختلف معنى القرب في النصوص الشرعية باختلاف السياق:

لا بدّ من النظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه وما يبين معناه من القرآن والدلالات، وهذا أصل عظيم ونافع جدّاً في فهم الكتاب والسنة والاستدلال بهما، فالنصوص الدالة على قرب العبد من ربه أو قرب الرب من بعض خلقه لا بدّ من النظر فيها أيضاً من هذا الجانب؛ لأنه قد يراد بها القرب الذاتي وقد يراد بها غير ذلك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا يلزم من جواز القرب عليه أن يكون كل موضع ذكر فيه قرب يراد به قرب به بنفسه، بل يبقى هذا من

وليس ذلك مقصوراً على الميت ولا على زمان الاحتضار وتلقي الملكين، ولأن الله ذكره بصيغة الجمع، فلا شك أن المراد به قرب جنوده من الملائكة^(٢).

«وهذا التفسير ليس صرفاً للكلام عن ظاهره لمن تدبره، أما الآية الأولى فإن القرب مقيد فيها بما يدل على ذلك، حيث قال: ﴿...وَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَعِيدٌ (١٨) [ق]، ففي قوله: (إِذْ يَتَلَقَّى) دليل على أن المراد به قرب الملكين المتلقين.

وأما الآية الثانية: فإن القرب فيها مقيد بحال الاحتضار، والذي يحضر الميت عند موته هم الملائكة، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَفْقَاهُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ (١١) [الأنعام]، ثم إن في قوله: دليلاً بيناً على أنهم الملائكة؛ إذ يدل على أن هذا القريب في نفس المكان ولكن لا نبصره، وهذا يعين أن يكون المراد قرب الملائكة لاستحالة ذلك في حق الله تعالى^(٣).

الأمر الجائز، وينظر في النص الوارد؛ فإن دل على هذا حمل عليه، وإن دل على هذا حمل عليه، وهذا كما تقدم في لفظ الإتيان والمجيء^(١). فالإتيان والمجيء قد يراد به إتيان الرب تعالى ومجيئه سبحانه، وقد يراد به إتيان عذاب الله أو آياته، فكذلك الشأن في النصوص الواردة في القرب، فقد يراد بها قرب الملائكة، وقد يراد بها قرب العبد من ربه أو قرب الرب ﷻ من بعض عباده، فلا بد من الانتباه لذلك. ومن ذلك القرب الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَحَنُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَعِيدٌ (١٨) [ق]، وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ﴾ (٨٤) وَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصُرُونَ (٨٥) [الواقعة] فالمراد به قرب الملائكة؛ لأن السلف فسروا القرب في هاتين الآيتين على معنى قرب الملائكة، ولأن الله تعالى ذكر العلم ثم ذكر القرب فلا يصح تفسيره بالعلم، ولأنه مقيد بزمان تلقي الملكين وبزمان الاحتضار والله ﷻ قادر على كل شيء، وهو سبحانه عالم بالظاهر والباطن في جميع الأحوال

(١) إيثار الحق على الخلق (١٦٠) [دار الكتب العلمية، ط ٢].

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/٦).

(٣) انظر: بيان تلبس الجهمية (٢٥/٦ - ٣٦)، ومجموع

فتاوى ابن تيمية (٥/٤٩٤ و ١٩/٦ - ٢٠)، ومختصر

الصواعق (٢/٢٦٧ - ٢٦٩) [مكتبة الرياض الحديثة، =

كما قال ذلك من قاله من السلف، وهذا كقربه إلى موسى لما كلمه من الشجرة»^(١).

- المسألة الخامسة: معنى القرب الوارد في حديث: «إذا تقرب العبد إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا»^(٢):

فسر جماعة من أئمة السلف قرب الله تعالى من عباده بالإثابة والأجر، وليس هذا تأويلًا منهم لظاهر النص.

قال إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ اللهُ: «من تقرب إلى الله شبرًا بالعمل تقرب الله إليه بالثواب باعًا»^(٣).

ولا يكون ظاهر الخطاب هو المعنى الممتنع بل ظاهره هو المعنى الحق، ومن المعلوم أنه ليس ظاهر الخطاب أن العبد يتقرب إلى الله بحركة بدنه شبرًا وذراعًا ومشيًا وهرولة، لكن قد يقال: عدم ظهور هذا هو للقرينة الحسية العقلية، وهو أن العبد يعلم أن تقربه ليس على هذا الوجه، وذلك لا يمنع أن يكون ظاهر اللفظ متروكًا، يقال: هذه القرينة الحسية الظاهرة لكل أحد هي أبلغ من القرينة اللفظية»^(٤).

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (٦٥) [دار ابن القيم، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٤٦٠/٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٣٦)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٥).

(٤) مسائل الإمام أحمد وإسحاق للكرمانى (٣٤٥).

- المسألة الرابعة: صفة القرب لا تنافي علو الله رَحِمَهُ اللهُ:

إثبات صفة القرب لله تعالى لا يُنافي ما هو معلوم من علوه تعالى فوق عرشه، فسبحان من هو عليّ في دنوه قريب في علوه، والذي يُسهّل عليك فهم هذا: معرفة عظمة الربّ؛ وإحاطته بخلقه، وأن السماوات السبع في يده كخردلة في يد العبد، وأنه سبحانه يقبض السماوات بيده والأرض بيده الأخرى؛ ثم يهزهنّ، فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه؛ ويقرب من خلقه كيف شاء وهو على العرش؟ فإن الله رَحِمَهُ اللهُ ليس كمثله شيء، ولا يجوز أن تقاس ذاته على ذوات خلقه، أو فعله على أفعالهم، وهذا القياس الباطل هو الذي أوقع العديد من أهل البدع في نفي صفة القرب عن الله رَحِمَهُ اللهُ؛ وذلك أنهم لم يفهموا من القرب إلا ما هو اللائق بالمخلوق مما يقتضي الحلول والمماسّة، فزعموا أن الله رَحِمَهُ اللهُ منزّه عن ذلك فنفوا قربه رَحِمَهُ اللهُ من خلقه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأصل هذا أن قربه ودنوّه من بعض مخلوقاته لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش بل هو فوق العرش، ويقرب من خلقه كيف شاء،

= ط ١٣٤٩هـ، وعلو الله على خلقه لموسى الدويش (٢٦٩ - ٢٧٧) [مكتبة العلوم والحكم، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

❁ الثمرات:

بقرب الله ﷻ منه يحمله على البعد عن كل ما يسخط الله ﷻ ويغضبه ؛ لأنه ﷻ قريب منه مطلع عليه يعلم كل صغيرة وكبيرة تصدر منه، ولا يخفى عليه شيء من حاله في سرّه وعلايته ؛ فيحمل ذلك كله العبد على تعظيم الله ﷻ والخوف من أليم عقابه وسرعة انتقامه ^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

القرب من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلائية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية. فالفلاسفة يؤوّلون قرب العبد من الرب بمعنى إزالة النقائص والعيوب عن نفسه وتكميلها بالصفات الحسنة الكريمة حتى تبقى مقاربة للرب مشابهة له من جهة المعنى، ويزعمون أن الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة، فهؤلاء لا يثبتون القرب الحقيقي - وهو القرب المعلوم المعقول - ^(٣) مع دلالة النصوص الشرعية عليه فهو قول باطل.

وكثير من أهل الكلام يزعمون أن الله ليس على العرش وأن العبد لا يتقرب

قُرب الله ﷻ من الداعين والمحسنين وعباده الصالحين الذي دلّت عليه نصوص القرب تظهر آثاره من لطفه بهم، وتوفيقه لهم، وعنايته بهم، ونصره وتأييده لهم، وإجابة دعواتهم، وجزيل ثوابه وعطائه لهم؛ إذ قربه تعالى يقتضي إطفاه ﷻ، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم، ولهذا يقرن باسمه القريب اسمه المجيب ^(١).

❁ الآثار:

- إيمان العبد وبقينه بقرب الله ﷻ منه وما يترتب على هذا القرب من المحاسن والمكارم يحمله على سلوك سبيل هؤلاء الداعين المحسنين أهل الصراط المستقيم حتى يظفر بهذه المنح الإلهية والعطايا الربانية.

- ومن آثاره أيضًا: محبته سبحانه والأنس به؛ لأن الإيمان بقربه سبحانه القرب الخاص المستلزم للرحمة، وإجابة الدعوة، واللطف بعبد يشمر المحبة والطمأنينة والأنس به سبحانه، وطلب العون منه وحده، وحسن رجائه، وعدم اليأس من رحمته، والتضرع إليه في جميع الأحوال.

- كما أن إيمان العبد وبقينه

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٨٥)،

(١٨٦) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢،

١٤٢٣هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٥١ - ٢٥٣)

[دار التوحيد، ط١].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٦/٦ و ١٢).

(١) بيان تلبس الجهمية (١٠٣/٦) [مجمع الملك فهد

لطباعة المصحف الشريف، ط ١، ١٤٢٦هـ].

إلى ذات الله تعالى، وإنما هو يتقرب ببدنه وروحه إلى الأماكن المفضلة.

ومنهم من يجعل هذا التقرب إلى ثواب الله وإحسانه وليس إليه سبحانه^(١)، وهذا أيضًا باطل؛ لأن ثواب الله وإحسانه يصل إليهم ويصلون إليه، ويباشروهم ويباشرونه بدخوله فيهم ودخولهم فيه بالأكل والشرب، فإذا كانوا يكونون في نفس جنته ونعيمه وثوابه فكيف يجعل أعظم الغايات قربهم من إحسانه؟ ولا سيما المقربون؛ فهم فوق أصحاب اليمين الأبرار الذين كتابهم في عليين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا عَلَيْكَ عَلَيْهِمْ﴾ كَتَبَ مَرْفُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُ الْمَقْرُونُ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُمْ مِنْ ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسُ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَرَجَهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمَقْرُونُ ﴿٢٨﴾ [المطففين]: فقد أخبر الله ﷻ أن الأبرار في نفس النعيم، وأنهم يسقون من الشراب الذي وصفه الله تعالى بما وصفه به في الآيات المذكورة، وأنهم يجلسون على الأرائك ينظرون. فكيف يقال: إن المقربين الذين هم أعلى من هؤلاء، بحيث يشربونها صرفًا ويمزج لهؤلاء، إنما تقريهم هو مجرد النعيم الذي أولئك فيه؟ هذا مما يعلم فساده بأدنى تأمل^(٢).

والقول الحق: إنما هو قول أهل السُّنة والجماعة الذين يثبتون أن الله على العرش، وأن حملة العرش أقرب إليه ممن دونهم، وأن ملائكة السماء العليا أقرب إليه من ملائكة السماء الثانية، وأن النبي ﷺ لما عرج به إلى السماء صار يزداد قربًا إلى ربه بعروجه وصعوده، وكان عروجه إلى الله لا إلى مجرد خلق من خلقه، وأن روح المصلي تقرب إلى الله في السجود وإن كان بدنه على الأرض متواضعًا^(٣)، وهذا الذي دلَّت عليه نصوص الكتاب والسُّنة، فيجب ثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة القرآن الكريم والأحاديث النبوية على ذلك.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات» (ج ٢)، للبيهقي.
- ٢ - «بدائع الفوائد» (ج ٣)، لابن القيم.
- ٣ - «بيان تلبس الجهمية» (ج ٦)، لابن تيمية.
- ٤ - «تأويل مختلف الحديث»، لابن قتيبة.

(٢) انظر: المرجع السابق (١٢/٦، ١٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٦)، وعلو الله على خلقه للدويش (٢٦٨ - ٢٦٩) [مكتبة العلوم والحكم، بالمدينة المنورة، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

(١) انظر: المرجع السابق (٧/٦ و ١٢).

٥ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٦ - «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة»، لسعيد بن علي القحطاني.

٧ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٨ - «علو الله على خلقه»، لموسى بن سليمان الدويش.

٩ - «العلو للعلي الغفار»، للذهبي.

١٠ - «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات»، لمحمد الأمين الشنقيطي.

١١ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

١٢ - «كتاب النعوت الأسماء والصفات»، للنسائي.

١٣ - «كتاب التوحيد» (ج ٣)، لابن منده.

١٤ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤ و ٦)، لابن تيمية.

١٥ - «مختصر الصواعق المرسله» (ج ٢)، للموصلي.

القرين

التعريف لغة:

القرين: هو المصاحب، يقال: اقترن الشيء بغيره؛ أي: صاحبه. قال ابن فارس: «القاف والراء والنون أصلان صحيحان، أحدهما يدلُّ على جَمْع شيءٍ إلى شيءٍ، والآخر شيءٌ يَنْتأ بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ. فالأوَّل: قارنُ بين الشيئين»^(١).

وقال الراغب: «الاقتران كالازدواج في كونه اجتماع شيئين أو أشياء في معنى من المعاني، قال: ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَكُ مُمْقَرِنِينَ﴾ [الزخرف]، يقال: فلان قرن فلان في الولادة، وقرينه وقرنه في الجلادة وفي القوة وفي غيرها من الأحوال»^(٢).

التعريف شرعاً:

قرين الإنسان: «مصاحبه من الملائكة والشياطين، فقرينه من الملائكة يأمره بالخير ويحثه عليه، وقرينه من الشياطين يأمره بالشر ويحثه عليه»^(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنى الشرعي خصص المعنى اللغوي

(١) مقاييس اللغة (٨٨٣) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٢) المفردات (٦٦٧) [دار القلم، ط ٣، ١٤٢٣هـ].

(٣) النهاية في غريب الحديث (٤٤٧/٢) [دار المعرفة، ط ٢، ١٤٢٧هـ].

القريب

يراجع مصطلح (القرب).

مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَالْقِيَاءُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ [ق]، قال جمع من المفسرين: المراد بالقرين الأول: الملك الموكل به، والقرين الثاني: الشيطان الموكل به (٣).

للقرين من كل مصاحب بالمصاحب الخفي من الملائكة والشياطين.

سبب التسمية:

أن القرين يصاحب الإنسان ويرافقه ويقارنه ويلازمه.

الحكم:

ومن السنة قول النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن، قالوا: وإياك؟ يا رسول الله! قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم (٤)، فلا يأمرني إلا بخير»، وفي رواية: «وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة» (٥). وفي رواية أخرى من حديث عائشة رضي الله عنها: فقلت: يا رسول الله! أو معي شيطان؟ قال: «نعم»، قلت: ومع كل إنسان؟ قال: «نعم» (٦).

يجب الإيمان بوجود قرين مع كل إنسان للأدلة الواردة في ذلك، منها حديث: «...وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة» (١).

الحقيقة:

وجود داع حقيقي من الملائكة والجن مع كل البشر يدعوهم إلى الخير أو الشر.

الأدلة:

الأدلة على وجود القرين مع الإنسان كثيرة؛ منها (٢) قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف]، وقوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْدٍ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ

(٣) تفسير الطبري (١٣/٢٠١، ٢٠٣) [دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٣هـ]، والجامع لأحكام القرآن (١٩/٤٤٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ]، وتفسير ابن كثير (١٣/١٩١، ١٩٢) [دار عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٤) فأسلم: روي بضم الميم وفتحها، والمعنى بضم الميم؛ أي: أنا أسلم من شره، والمعنى بالفتح: أسلم هو من كفره فصار مسلماً، وفسره البعض بأنه استسلم وخضع وانقاد. انظر: فتح الباري لابن رجب (١/١٢٣) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٢هـ]، وشرح النووي على مسلم (١٧/١٥٥) [دار المعرفة، ط ١٢، ١٤٢٧هـ].

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨١٥).

(١) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨١٤).

(٢) انظر مجموعة من الأدلة على ذلك في: غرائب وعجائب الجن (أكام المرجان للشلي) (٤٠) [مكتبة القرآن، م٢٠٠١]، وعالم الجن والشياطين (٦٥) [قصر الكتاب، ١٩٧٨م].

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «كل إنسان معه قرينه من الملائكة، وقرينه من الجن، وهو نفسه لا يرى ذلك، ولا يراه من حوله»^(١).

وقال ابن كثير: «القرين من الملائكة غير القرين بحفظ الإنسان، وإنما هو موكل به ليهديه، ويرشده بإذن ربه إلى سبيل الخير، وطريق الرشاد كما أنه قد وكل به القرين من الشياطين لا يألوه جهداً في الخبال والإضلال، والمعصوم من عصمه الله ﷻ»^(٢).

وقال ابن باز: «ثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أن كل إنسان معه قرين من الملائكة وقرين من الشياطين»^(٣).

❁ الأقسام:

القرين على قسمين:

- ١ - قرين السوء وهو الشيطان يأمر الإنسان بالشر ويحثه عليه.
- ٢ - قرين الخير وهو الملك يأمره بالخير ويحثه عليه^(٤).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: قد يخبر القرين الجني صاحبه الكاهن ببعض الأخبار التي لم يطلع عليها الحاضر:

ينال الجني علمه باستراق السمع أو المجيء من أماكن الأخرى؛ إذ هم سريعو التنقل^(٥)، فيخبر بها الكاهن فيكذب معه مائة كذبة كما في حديث: «يا رسول الله، إن الكهان كانوا يحدثونا بالشيء فنجداه حقاً، قال: «تلك الكلمة الحق يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه ويزيد فيها مائة كذبة»^(٦).

- المسألة الثانية: ملازمة القرين صاحبه:

لقول النبي ﷺ: «وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة»^(٧)، ولقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٨) [الزخرف].

- المسألة الثالثة: هل القرين يتشكل بصورة الميت فيما يسمى بتحضير الأرواح؟

فيقال: نعم، ودعوى تحضير الأرواح والسحر وجهان لعملة واحدة، ويفسر ما يفعلُه مدعي إحضار الأرواح بأحد تفسيرين؛ إما هو يسحر أعين الناس

(٥) فتاوى نور على الدرب (١/٢٢٣).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٢١٣)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٨).

(٧) تقدم تخريجه.

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية (٤/٢٨٨) [ط ٢، ١٤١٩هـ].

(٢) البداية والنهاية (١/٥٢) [دار الفكر، عام ١٤٠٧هـ].

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣/٣٠٢) [الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء، ط ١، ١٤٢٧هـ].

(٤) النهاية في غريب الحديث (٢/٤٤٧)، وفتاوى نور على الدرب (١/٢٢٣) [الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء، ط ١، ١٤٢٨هـ].

أيضاً: «وكان ابن عُيينة يرويه: «فَأَسْلَمَ» بالضم، ويقول: إن الشيطان لا يسلم، لكن قوله في الرواية الأخرى: «فلا يأمرني إلا بخير» دل على أنه لم يبق يأمره بالشر، وهذا إسلامه، وإن كان ذلك كناية عن خضوعه وذلته لا عن إيمانه بالله»^(٤).

الفروق:

الفرق بين المس والقرين:

القرين هو الداعي الخفي المصاحب للإنسان الأمر بالشر أو الخير، وأما المس فهو تسلط الجن على الإنسان فيحرك جوارحه بإرادة الجن دون إرادة الإنسان^(٥).

الآثار:

على الإنسان آثار قرينه السوء؛ إذ هو الداعي الخفي إلى الشر، ويكون لقرينه من الملائكة آثاره الطيبة؛ إذ هو الداعي الخفي إلى الخير^(٦)، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةَ بَابِنِ آدَمَ، وَلِلْمَلِكِ لَمَّةَ

(٣) منهاج السنة (٨/ ٢٧١).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧/ ٥٢٣).

(٥) انظر: الفرقان لابن تيمية (٧٧) [مكتبة المعارف، ١٤٠٤هـ]، والرد على المنطقيين (٤٧) [إدارة ترجمان السنة، ط ٢، ١٣٩٦هـ]، وفتاوى نور على الدرب (١/ ٢٢٣، ٢٢٣)، والأدلة الشرعية في إثبات صرع الشيطان للإنسان والرد على المنكرين (٢) [بحث في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، العدد ٢، ٢٠٠١م].

(٦) انظر: فتاوى نور على الدرب (١/ ٢٢٣ - ٢٢٥).

فيوهمهم أن روح الميت حضر ويتكلم ويؤري، وإما يستعين بالجن فيتشكل قرين الميت بشكل الميت ويتكلم باسم الميت، وثبت تشكل الجن بأشكال الإنس^(١)، كما في غزوة بدر وغيرها من الوقائع، إلا أنه لا سلطان لأحد على الأرواح بعد موتها، كما يعلم ذلك من قوله ﷺ: «وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» [الإسراء]، فالروح محكومة بأمر الله لا يستطيع أحد إحضارها، ولم يستحضرها الأنبياء والرسل مع كونهم أفضل البشر؛ فليس بإمكان أحد أن يسيطر على الروح وأن يستحضرها!

- المسألة الرابعة: معنى قول

النبي ﷺ: «أعاني عليه فأسلم»:

اختلف العلماء في الفعل (أسلم)؛ أهو ماضٍ أم مضارع، فبتقديره فعلاً ماضياً يكون المعنى إن قرينه أسلم؛ أي: دخل في الإسلام، وبتقديره مضارعاً يكون المعنى: فأنا أسلم؛ أي أن الله تعالى أعانه عليه فَيَسْلَمَ النبي ﷺ من شره، وأن القرين ما صار مسلماً^(٢).

قال ابن تيمية: «والمراد في أصح القولين: استسلم وانقاد»^(٣)، وقال

(١) انظر: آكام المرجان في أحكام الجن (٤)، وفتاوى نور على الدرب (١/ ٢٣٠).

(٢) انظر: فتح الباري لابن رجب (١/ ١٢٣)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٧/ ١٥٥) وآكام المرجان في أحكام الجن (١/ ٥١ - ٥٢).

المسلمين في وجود الجن، وهذا كافٍ في الردّ على من أنكر وجودهم.

المصادر والمراجع:

١ - «الأدلة الشرعية في إثبات صرع الشيطان للإنسان والرد على المنكرين»، لصالح الرقب.

٢ - «تفسير القرآن العظيم» (ج ١٣)، لابن كثير.

٣ - «جامع البيان» (ج ١٣)، للطبري.

٤ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ١٩)، للقرطبي.

٥ - «الرد على المنطقيين»، لابن تيمية.

٦ - «عالم الجن والشياطين»، للأشقر.

٧ - «غرائب وعجائب الجن»، للشبلي.

٨ - «فتاوى نور على الدرب» (ج ١)، لابن باز.

٩ - «فتح الباري» (ج ١)، ابن رجب.

١٠ - «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، ابن تيمية.

القصاص

التعريف لغة:

القاف والصاد أصل صحيح يدلّ على تتبّع الشيء، ومن ذلك قولهم: اقتصصت الأثر؛ إذا تتبّعته، ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح، وذلك أنّه يُفعل به

فأما لمة الشيطان فيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم قرأ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨] ^(١).

الحكمة:

الحكمة من وجود القرين هو الابتلاء من الله ﷻ لعبده والإحسان إليه؛ حيث جعل معه داعياً خفياً يرغبه في الشر ويحثه عليه، كما أنه جعل معه داعياً خفياً يرغبه في الخير ويحثه عليه.

مذهب المخالفين:

أنكرت الفلاسفة وجود قرين وذلك تبعاً لإنكارهم وجود الجن ^(٢).

الردّ عليهم:

القرين ثابت بالقرآن والسنة والإجماع، ولم يخالف أحد من طوائف

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٢٩٨٨) وحسنه، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٩٩٧)، وضعفه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي. وأخرجه الطبري في التفسير (٥/٥٧٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري، وذكر أن له حكم الرفع، وصححه الألباني أيضاً. انظر: تراجع العلامة الألباني (رقم ٦٠٤) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/١٩) [مجمع الملك فهد، ١٤١٥هـ]. وانظر: أكام المرجان (١٨)، وروح المعاني للألوسي (١٦/١٤٢).

مثلُ فعلِهِ بالأوّل، فكأنَّهُ اقتَصَّ أثرَهُ^(١).

❁ الحقيقة:

ليبان عدل الله بين خلقه فإنه سبحانه جعل الاقتصاص بين الخلائق يوم القيامة، ولا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال ذرة أتى بها الله تعالى، وكفى به سبحانه حسيباً.

❁ المنزلة:

أحد مفردات يوم القيامة الكائنة في العرصات بعد البعث وقبل دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصَّمُونَ﴾ [الزمر] عن الزبير بن العوام، قال: لما نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَمَيِّتُونَ﴾ [٣٠] ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصَّمُونَ [٣١] [الزمر]، قال الزبير: أي رسول الله ﷺ، أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: «نعم، ليكررن عليكم، حتى يؤدي إلي كل ذي حق حقه»، فقال الزبير: والله إن الأمر لشديد^(٢).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٢٣٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد (١/٣٤٦، ٣٥٣) [دار الفكر، ط ١، ١٤١١هـ] واللفظ له، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٢٩٨١) وصححه، وصحح إسناده أحمد شاكر في حاشيته على المسند (٣/٢١، ٢١) [دار المعارف، ط ١٣٧٥هـ]، وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٤٠).

❁ التعريف شرعاً:

الاقتطاع للمظلوم من الظالم بقدر مظلمته إيّاه، فإن وقت وإلا طرح عليه من سيئاته بقدر ما بقي منها، وأما الدواب فبأن يفعل المعتدى عليه منها بالمعتدي جنس ما فعل به.

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

التعريف الاصطلاحي لم يخرج عن اللغوي، إلا أنه اقتصاص مخصوص بقيود معينة.

❁ سبب التسمية:

موافقة لما يحدث يوم القيامة بين الناس من المقاصة بالحسنات والسيئات؛ إذ لا دينار ولا درهم، جراء المظالم التي كانت بينهم في الدنيا في الأموال والأعراض ونحو ذلك، وما يحدث بين الحيوانات من المقاصة بجنس العمل جراء اعتداء بعضها على بعض.

❁ الحكم:

الإيمان به واجب؛ لدلالة النصوص

عليه.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/٧) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ]، تهذيب اللغة (٨/٢١٠) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢٠٠١م]، والتعريفات ص ٢٢٥ [دار الكتاب العربي، ط ١٤١٣هـ]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٤/١١٣) [دار الفكر].

وقال ﷺ: «ما من رجل تكون له إبل،

أو بقر، أو غنم لا يؤدي حقها، إلا أتى بها يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمنه تطؤه بأخفافها، وتنطحه بقرونها، كلما جازت أхраها رُدَّت عليه أولاهها حتى يقضى بين الناس»^(١).

وقال ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»^(٢).

✽ أقوال أهل العلم:

قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللهُ: «والإيمان بالقصاص يوم القيامة بين الخلق كلهم؛ بني آدم، والسباع، والهوام، حتى للذرة من الذرة، حتى يأخذ الله ﷻ لبعضهم من بعض؛ لأهل الجنة من أهل النار، وأهل النار من أهل الجنة، وأهل الجنة بعضهم من بعض، وأهل النار بعضهم من بعض»^(٣).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: إن أمة محمد ﷺ تتقدم الأمم المقضي لهم يوم القيامة:

لقوله ﷺ: «نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة، المقضي لهم

قبل الخلائق»^(٤).

- المسألة الثانية: إن الدماء أول شيء يقع فيه القصاص يوم القيامة:

لقوله ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»^(٥).

- المسألة الثالثة: إن القصاص بين العباد يوم القيامة يكون بالحسنات والسيئات، ويسقط بالتحلل من المظالم في الدنيا:

لقوله ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلل منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرح عليه»^(٦).

- المسألة الرابعة: إن القصاص بين المؤمنين يكون على القنطرة وقبل الاستقرار في الجنة؛ قال ﷺ: «يَخْلُص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقِّوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدي بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا»^(٧).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٦٠)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٩٠).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٨٢).

(٣) شرح السنّة (٨٦) [مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤، ١٤١٤هـ].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٥٦).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٣)، ومسلم (كتاب القسامة، رقم ١٦٧٨)، واللفظ له.

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٤).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٥).

بها في الآخرة في جهنم تندفع بنحو عشرة أسباب... السبب العاشر: ما ثبت في الصحيحين أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»^(٥).

❁ الحكمة:

من حكم القصاص إظهار عدل الله تعالى بين خلقه يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾^(٤٧) [الأنبياء].

❁ مذهب المخالفين:

ذهب طائفة إلى إنكار حشر غير الثقلين من الدواب؛ لكونها ليست مكلفة ولا أهلاً للكرامة، والحديث الوارد في ذلك كناية عن العدل التام^(٦).

ولا حجة لهم في ذلك؛ لأن القصاص بين غير الثقلين قصاص مقابلة^(٧) لا قصاص تكليف؛ ولأن القرآن قد دل على

المسألة الخامسة: إن القصاص بين الحيوان وغيرها من الدواب قصاص مقابلة؛ إظهاراً لعدل الله تعالى؛ قال ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»^(١).

وقد علق الإمام النووي على الحديث بقوله: «وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف؛ إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة»^(٢).

وقال ابن حجر الهيتمي: «فهذا من الدليل على القصاص بين البهائم، وبينها وبين بني آدم، حتى الإنسان لو ضرب دابة بغير حق أو جوعها، أو عطشها، أو كلفها فوق طاقتها فإنها تقتص منه يوم القيامة بنظير ما ظلمها أو جوعها، ويدل لذلك حديث الهرة»^(٣)»^(٤).

❁ الثمرات:

القصاص من الأمور التي تسقط بها العقوبة الأخروية بالنار، قال شيخ الإسلام: «إن الذنوب مطلقاً من جميع المؤمنين هي سبب العذاب، لكن العقوبة

(٥) منهاج السنة النبوية (٣/ ١٧٩ - ١٨٦) [جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٦) انظر: روح المعاني (٢٩/ ٥٢) [دار إحياء التراث، ط ٤، ١٤٠٥هـ]، ومجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٨)، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة (٣١٥) [دار قباء].

(٧) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/ ١٣٧) [دار الكتب العلمية].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/ ١٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٣١٨)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٤٣).

(٤) الزواج عن اقتراف الكبائر (٢/ ٦٨٩) [مكتبة النشر، ١٤٢٠هـ].

حشر غير الثقلين، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير]، ودلت السُّنَّة الصحيحة على حشرها والمقاصاة بينها في غير ما حديث كما تقدم؛ وعليه فلا يجوز صرف النصوص عن ظاهرها وإلا كان تحريفًا لها.

✽ التعريف شرعًا:

القلم: هو قلم القدر السابق، وهو الذي خلقه الله تعالى عند كتابة المقادير وأمره بكتابة مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ، وهو القلم المُقَسَّم به في القرآن^(٣).

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «وأما القلم فهو القلم المعروف، غير أن الذي أقسم به ربنا من الأقلام: القلم الذي خلقه الله تعالى ذكره، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة»^(٤).

✽ الحكم:

يجب الإيمان بالقلم، وأن الله خلقه وأمره بكتابة مقادير الخلائق، إلى قيام الساعة.

قال أبو عمرو الداني رَحِمَهُ اللهُ: «ومن قولهم: إن الإيمان باللوح المحفوظ

(٢) انظر: الصحاح (٢٠١٤/٦) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ]، ولسان العرب (٢٩٠/١١) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ].

(٣) انظر: التبيان في أقسام القرآن (٣٠٢) [دار عالم الفوائد، ط ١]، وشرح الطحاوي لابن أبي العز (٢/٣٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١٣، ١٤١٩هـ].

(٤) تفسير الطبري (٢٢/٢٩) [دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٣هـ].

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «التذكرة»، للقرطبي.
- ٢ - «الزواجر عن اقتراف الكبائر»، الهيثمي.
- ٣ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.
- ٤ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٥ - «منهاج السُّنَّة النبوية»، لابن تيمية.

✽ القضاء والقدر ✽

يراجع مصطلح (القدر).

✽ القلم ✽

✽ التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «القاف واللام والميم أصل صحيح يدل على تسوية شيء عند بريه وإصلاحه؛ من ذلك قَلَمْتُ الظفر وقَلَمْتُهُ، ومن هذا الباب سَمِّيَ القلم قَلَمًا؛ قالوا: سُمي به؛ لأنه يُقَلَم منه، كما يُقَلَم من الظفر»^(١).

(١) مقاييس اللغة (١٥/٥، ١٦) [دار الجبل، ١٤٢٠هـ].

وقال القاضي عياض رحمته الله: «وكتب الله ولوحه وقلمه وصحيفته التي ذكر الحديث من غيبه، وسر علمه الذي يلزمنا الإيمان والتصديق به، وكيفية صفة ذلك في علم الله جل جلاله، لا يحاط بشيء من علمه إلا بما شاء»^(٥).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «فهذا القلم خلقه الله لما أمره بالتقدير المكتوب، قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان مخلوقاً قبل خلق السماوات والأرض، وهو أول ما خلق من هذا العالم، وخلقته بعد العرش، كما دلت عليه النصوص، وهو قول جمهور السلف»^(٦).

المسائل المتعلقة:

- أيهما خلق أولاً العرش أم القلم؟
اختلف أهل العلم في أيهما خلق أولاً: أهو القلم أم العرش؟ على قولين مشهورين:

القول الأول: أنه القلم؛ كما ذهب إليه بعض أهل العلم، بدليل عبادة بن الصامت رضي الله عنه السابق.

القول الثاني: أنه العرش، وهو قول جمهور السلف، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وغيرهم^(٧).

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١٣٣/٨) [دار الوفاء، المنصورة، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢١٣/١٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ط ٢، ١٤٢٥هـ].

(٧) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢١٣/١٨)، =

وبالقلم واجب، على ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج]»^(١).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿تَوَّابٌ وَأَلْقَمٌ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾ [القلم].

قال ابن القيم رحمته الله: «وقد قال غير واحد من أهل التفسير: إنه القلم الذي أقسم الله تعالى به»^(٢).

ومن السُّنَّة: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول ما خلق الله القلم. فقال: اكتب. قال: ربّ وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»^(٣).

أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي رحمته الله: «ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن، ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»^(٤).

(١) الرسالة الوافية (٦١).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (٣٠٥).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٠٠)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣١٩) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٧٨/٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٠١٨)].

(٤) الطحاوية مع شرح ابن أبي العز (٣٤٤/٢ - ٣٤٦).

الأول، موافقة للفلاسفة الملاحدة.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله:
«والمقصود هنا أن كثيراً من كلام الله
ورسوله، يتكلم به من يسلك مسلكهم،
ويريد مرادهم، لا مراد الله ورسوله، كما
يوجد في كلام صاحب الكتب المضمون
بها وغيره، مثل ما ذكره في اللوح
المحفوظ؛ حيث جعله النفس الفلكية،
ولفظ القلم حيث جعله العقل الأول^(٤).
وسلك في هذه الأمور ونحوها مسالك
ابن سينا^(٥)».

وهذا القول معلوم البطلان بدلالة
الشرع والعقل، وقد تقدم بيان المفهوم
الشرعي للقلم من كلام أهل العلم
والدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن
المسلمين يعلمون بالاضطرار أن النبي ﷺ
لم يرد بالقلم ما تريده الفلاسفة بلفظ
العقل^(٦)».

المصادر والمراجع:

- ١ - «إكمال المعلم بفوائد مسلم»
(ج ٨)، للقاضي عياض.
- ٢ - «تيسير العزيز الحميد»،
لسليمان بن عبد الله.

(٤) انظر: فيصل التفرقة - ضمن القصور العوالي -
(١٣٤/١).

(٥) مجموع الفتاوى (١/٢٤٥).

(٦) بغية المراتد (٢٨٣) [مكتبة العلوم والحكم، ط ٣،
١٤٢٢هـ].

واستدل أصحاب القول الثاني من
السنة: بقول رسول الله ﷺ: «كان الله
ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على
الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق
السموات والأرض^(١)».

وحديث عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ
يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن
يخلق السموات والأرض بخمسين ألف
سنة. قال: وعرشه على الماء^(٢)».
ووجهوا حديث عبادة بن جيهين^(٣):

أحدهما: إما أن يكون قوله: «إن أول
ما خلق الله القلم» إلى آخره جملة واحدة
وهو مروى بالنصب، وهو الصحيح كان
معناه: أنه عند أول خلقه قال له:
اكتب.

الثاني: وإن كان جملتين وهو مروى
بالرفع؛ أي: «أول ما خلق الله القلم»
فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات
من هذا العالم، ليتفق الحديثان.

مذهب المخالفين:

خالف فلاسفة المتصوفة في المفهوم
الشرعي للقلم، فقالوا: هو العقل

= وشفاء العليل (١/٥٥) [دار العبيكان، ط ١،
١٤٢٠هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/٣٤٥).

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣١٩١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٣).

(٣) انظر: التبيان في أقسام القرآن (٣٠٤، ٣٠٥)،
وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/٣٤٥).

٣ - «الحجة في بيان المحجة»، لأبي القاسم التيمي . دخول الجنة، للمقاصة فيما بينهم، وهي تتم الصراط، وقيل: صراط ثان^(٣).

الحكم:

الإيمان بوجود القنطرة التي يحبس عليه بعض المؤمنين بعد جواز الصراط وقبل دخول الجنة، لدلالة النصوص على ذلك.

الحقيقة:

يُخْلَصُ المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.

الأدلة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخْلَصُ المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدي بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا»^(٤).

ولا يصح حديث: «إن الله تعالى

٤ - «الرد على المنطقيين»، لابن تيمية.

٥ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

٦ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

٧ - «العقيدة الواسطية»، لابن تيمية.

٨ - «العقيدة الطحاوية مع شرحها»، لابن أبي العز الحنفي.

٩ - «معارج القبول»، لحافظ بن أحمد حكيم.

١٠ - «المباحث العقدية المتعلقة باللوح المحفوظ والقلم»، لعادل بن حجي.

القنطرة

التعريف لغة:

القنطرة: الجسر، وما ارتفع من البنيان^(١). وقيل: ما يبنى على الماء للعبور عليه^(٢).

التعريف شرعاً:

القنطرة: المكان الذي يحبس عليه بعض المؤمنين بعد جواز الصراط وقبل

(١) انظر: لسان العرب (١١٨/٥) [دار صادر، ط ٣].

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٤٠٨/١)، والقاموس المحيط (٥٩٩)، والمصباح المنير (٢/

٥٠٨)، ومختار الصحاح (٥٦٠).

(٣) انظر: التذكرة في أحوال الموتى والآخرة (٣٩٢) [دار قباء للنشر]، وفتح الباري لابن حجر (٥/ ١١٥، ٤٠٦/١١) [دار الريان، ط ١، ١٤٠٧هـ]، ولوامع الأنوار (١٩٠/٢) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١١هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٥).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: القصاص على القنطرة خاص بالمؤمنين:

دل حديث أبي سعيد رضي الله عنه المتقدم ذكره على أن القصاص على القنطرة خاص بالمؤمنين، وهذا من إكرام الله تعالى لأهل الجنة، فلا يشاركهم فيه أحد من الكافرين؛ ولأن القصاص بين الكفار، أو بين الكفار والمؤمنين قد سبق عبور الصراط في العرصات.

والحبس على القنطرة ليس بعام؛ بل خاص ببعض المؤمنين الناجين من الصراط، ممن عليهم حقوق وتبعات لإخوانهم، فهؤلاء يحبسون، حتى إذا هذبوا ونقوا دخلوا الجنة، وأما من لا مظلمة عليه لأحد، فظاهر الحديث الآنف أنه لا يوقف، ويؤكد دخول أقوام الجنة بغير حساب ^(٦).

- المسألة الثانية: موضع القنطرة:

ذكر بعض أهل العلم أنه يظهر من النصوص أن القنطرة على طرف الصراط من قبل الجنة، وقيل: إنها موضع بين الصراط والجنة ^(٧).

(٦) انظر: فتح الباري (١١٦/٥)، وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٣٣٦/٣) [الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤١١هـ].

(٧) انظر: فتح الباري (٩٦/٥)، (٣٩٩/١١).

يجلس يوم القيامة على القنطرة التي بين الجنة والنار^(١). ولا ما في معناه، ولا حديث: «إن لجهم سبع قناطر»^(٢).

✽ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا عبروا وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»^(٣).

وقال ابن القيم: «حتى إذا أهل الإيمان جاوزوا الصراط حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيهذبون وينقون»^(٤).

وقال ابن أبي العز: «ثبت في الصحيحين أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»^(٥).

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٢٢١/٣) [المكتبة العلمية، ط١]، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (١٢٧/١) [المكتبة السلفية، ط١]، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٩٥٠/١٢): «منكر».

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٧/٧) [مطبعة الوطن العربي، ط١]، وأبو نعيم في الحلية (٥/١٣١) [دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٠٥هـ]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٠/١٠) [دار الفكر، ١٤١٣هـ]: «وفيه كلثوم بن زياد وبكر بن سهل الدماطي، وكلاهما وثق وفيه ضعف، وبقي رجاله رجال الصحيح».

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس (٢٨٤).

(٤) إغاثة اللهفان (٥٦/١).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٢٧١/٢). وانظر: ولوامع الأنوار للسفاريني (١٩٠/٢).

❖ الآثار:

أطلق على كل طاعة في طريق الدين قنوتًا، قال ابن فارس: «القاف والنون والتاء أصل صحيح، يدل على طاعة وخير في دين، لا يعدو هذا الباب، والأصل فيه الطاعة»^(٢).

ويطلق القنوت على معان كثيرة؛ كطول القيام في الصلاة، والسكوت فيها، والإقبال عليها، والخشوع فيها، قال الله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة]، كما يطلق على الدعاء في الصلاة، وإقامة الطاعة، وغير ذلك من المعان الكثيرة^(٣).

❖ التعريف شرعًا:

القنوت: هو «دوام الطاعة في خضوع وخشوع»^(٤).

وقد تعددت عبارات العلماء في المراد بالقنوت في الشرع - تبعًا لتعدد معانيه في اللغة - على أقوال؛ أهمها ما يلي:

قال الراغب الأصفهاني: «القنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع»^(٥).

وقال الطبري: «إن أصل القنوت: الطاعة»^(٦).

(٢) مقاييس اللغة (٣١/٥) [دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ].

وانظر: لسان العرب (٧٣/٢) [دار الفكر، ط ١].

(٣) انظر: لسان العرب (٧٣/٢).

(٤) تفسير السعدي (١٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٥) المفردات، للراغب الأصفهاني (٦٨٤).

(٦) تفسير الطبري (٥٧١/٢) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ].

وللحبس على القنطرة وحصول المقاصة بين المؤمنين عدة فوائد؛ منها: إظهار عدل الله تعالى، وتطهير قلوب أهل الجنة من موجبات الغل، وتطهير النفوس الخبيثة قبل دخولها الجنة، وإسقاط العقوبات الأخروية بالنار^(١).

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - إغاثة اللهفان، لابن القيم.
- ٢ - التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، للقرطبي.
- ٣ - رسائل الآخرة (ج ٣)، للعبيدي.
- ٤ - شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز.
- ٥ - شرح العقيدة الواسطية، لهراس.
- ٦ - فتح الباري (ج ٥)، لابن حجر.
- ٧ - «لوامع الأنوار» (ج ٢)، للسفاريني.

❖ القنوت

❖ التعريف لغةً:

القنوت مصدر قنت يقنت قنوتًا، ومعناه: الطاعة والخير في الدين، ثم

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٩٣/٥) قول أبي نضرة [دار الكتب العلمية، ط ١]، والفتح (٤٠٧/١١)، والحسنة والسيئة (٩٩) [مكتبة المدني]، ومنهاج السنّة (٦/٢٠٥ - ٢٣٨) [جامعة الإمام، ط ١]، ورسائل الآخرة (٥٧/٣).

والخضوع والإذلال له سبحانه، فحقيقته تدور حول معنى: الخشوع، والخضوع، والإنابة، والطمأنينة.

والقانت لله تعالى هو الخاضع له بالطاعة، المذعن له بالعبودية، والمنيب إليه بالتوبة^(٣).

والقنوت: لا يكون إلا اجتهاداً في الطاعة، واطمئنان القلب بالإيمان.

وقد تعددت معاني القنوت بتعدد سياقاتها في القرآن الكريم، فمرة يرد بمعنى السكوت، ومرة بمعنى الطاعة والعبادة، ومرة بمعنى الانقياد، وبكل واحد من هذه المعاني فُسر قول الله ﷻ: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة].

المنزلة:

يعدُّ القنوت من أرفع أحوال العبودية وأسمائها، فلا يتصف به إلا من اطمأن قلبه بالإيمان، واجتهد في تحقيق طاعة الرحمن، ومما يدل على علو منزلة القنوت أن صاحبه يخشع قلبه إذا ذكر الله، ويصبر على ما أصابه من نوائب الدهر ونكباته، ويدوم على إقامة الصلاة وعلى الإنفاق مما رزقه الله، ثم عاقبته الحميدة أن يكون من أصحاب الجنة الخالدين فيها.

وقال ابن كثير: «القنوت هو: الطاعة في سكون»^(١).

وهذه التعاريف كلها متقاربة، تدل على أن المراد بالقنوت: دوام الطاعة مع الخضوع لله تعالى.

ويدخل في ذلك كل طاعة داوم عليها العبد، من صلاة، ودعاء، وخشوع، ونحو ذلك من أنواع الطاعة.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان القنوت في اللغة يطلق على معان كثيرة، ترجع في أصلها إلى الطاعة، أطلق في الشرع على هذا الأصل لا سيما إذا اقترن بالخشوع والخضوع ونحوهما، مما يدل على الذل والانكسار لله تعالى.

الحكم:

لزوم القنوت لله بدوام الطاعة له سبحانه في سكون وخشوع وطمأنينة هو من أعظم الواجبات، وأجلّ القربات التي يسعى له كل طائع لله راغب في ثوابه، فالقنوت من أعمال القلب التي تدخل في باب الإيمان، فلا يصرف إلا لله تعالى^(٢).

الحقيقة:

حقيقة القنوت: هي طاعة الله تعالى،

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/٦٢٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦٤٨، ٦٤٩) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٢٣هـ]، ومدارج السالكين لابن القيم (٣/٢) [دار الكتب العلمية ط ١، ١٤٠٣هـ]، وشفاء العليل (١٨٣).

(١) تفسير ابن كثير (٣/٥٣٦).

(٢) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٥) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٤هـ].

❁ الأدلة:

الشيء، جاز أن يسمى مديم الطاعة قانتاً، وكذلك من أطال القيام والقراءة والدعاء في الصلاة، أو أطال الخشوع والسكوت، كل هؤلاء فاعلون للقنوت»^(٣).

- وقال ابن حجر: «ذكر ابن العربي أن القنوت ورد لعشرة معان؛ فنظمها شيخنا الحافظ زين الدين العراقي، فيما أنشدنا لنفسه إجازة غير مرة:

ولفظ القنوت أعدد معانيه تجد
مزيداً على عشر معاني مرضيه
دعاء خشوع والعبادة طاعه
إقامتها إقراره بالعبودية
سكوت صلاة والقيام وطوله
كذلك دوام الطاعة الرابع النبي»^(٤).

❁ الأقسام:

يقسم العلماء القنوت إلى نوعين:

١ - قنوت خاص:

وهو طاعة الله تعالى، وهو قنوت اختيار، ولذا كان خاصاً بالمؤمنين دون غيرهم، قال الله تعالى في وصف خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل]، وقال في حق مريم: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْآلَتَيْنِ﴾ [التحريم]، وقال تعالى

قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَلْبُونَ﴾ [الروم]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَلْبُونَ﴾ [البقرة]، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل]. وغيرها من الآيات.

ومن السنة حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصلاة طول القنوت»^(١).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: ما يعدل الجهاد في سبيل الله ﷻ؟ قال: «لا تستطيعونه»، قال: فأعادوا عليه مرتين، أو ثلاثاً كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه»، وقال في الثالثة: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام، ولا صلاة، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال القرطبي: «قيل: إن أصل القنوت في اللغة الدوام على الشيء، ومن حيث كان أصل القنوت في اللغة الدوام على

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٨٥).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٤٣٥) [دار الريان للتراث، ط ٢، ١٤٠٩هـ].

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٧٨).

٥ - أنه سبب لدفع كيد الشيطان؛ لتعلق القانت بربه ولجوئه إليه^(٢).

المصادر والمراجع:

١ - «إصلاح القلوب»، لعبد الهادي حسين وهبي.

٢ - «أعمال القلوب: حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة ومخالفهم»، لسهل العتيبي.

٣ - «أعمال القلوب وأثرها في الإيمان»، لمحمد دوكوري.

٤ - «تفسير الطبري» (ج ٢).

٥ - «تفسير القرآن»، لابن عثيمين.

٦ - «تفسير ابن كثير» (ج ٣).

٧ - «جامع الرسائل»، لابن تيمية [رسالة في قنوت الأشياء].

٨ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ٤)، للقرطبي.

٩ - «فتح الباري»، لابن حجر.

١٠ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

القنوط

يراجع مصطلح (اليأس والقنوط).

القهار

يراجع مصطلح (القهر).

في وصف عباده المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَعْمَانَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٦) الصَّكِرِينَ وَالصَّكِرِينَ وَالْقَدِيبِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿أَمِنْ هُوَ فَنِتْ ءَانَاءَ أَلَيْلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]، وهذا النوع كثير في القرآن الكثير.

٢ - قنوت عام:

وهو إخضاع وإذلال، وهو قنوت إكراه، قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنُوتٌ﴾ (٢١) [الروم]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنُوتٌ﴾ (١٦) [البقرة]؛ أي: خاضعون أذلاء^(١).

الآثار:

من آثار القنوت:

١ - أنه يدل على الصلاح والاستقامة على أمر الله تعالى.

٢ - أنه سبب لرضوان الله، ودخول الجنة.

٣ - أنه يورث السعادة في الدنيا والآخرة.

٤ - أن بالقنوت لله ولزوم طاعته تنال محبة الرب تعالى.

(٢) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (٣١٨٧/٨) [دار الوسيطة، ط الرابعة].

(١) انظر: مدارج السالكين (١/١٢٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ]، وتفسير السعدي (٦٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، لكن المعنى الشرعي المتعلق بالله تعالى هو على غاية الكمال والجلال والإطلاق، بخلاف ما قد يكون للمخلوقين من قهر، فهو مقيد بمعنى دون معنى.

الحكم:

يجب الإيمان بأن الله تعالى متصف بالقهر، وأنه وَعَلَى الْقَاهِرِ لِلْجَبَابَةِ، وهو الواحد القهار وَالْقَاهِرُ.

الحقيقة:

القهر صفة لله ذاتية فعلية تدل على خضوع جميع الكائنات لمراده وَعَلَى، فهو المدبّر لها وحده، يحملهم على وفق مراده واختياره طوعاً وكرهاً، من غير أن يقدر أحد على ردّ تدبيره، أو الخروج عن تقديره وَعَلَى. ويدخل في هذا ما ذكره بعض أهل العلم في معنى هذا الاسم، أنه وَعَلَى يقهر مخلوقاته بالموت والإفناء. ويقهر الجبابرة والعتاة من خلقه بالعقوبة، والمعاندين بما أقام من الآيات والدلائل على وحدانيته. فهو وحده سبحانه الذي خضعت له الرقاب، وعنت له الوجوه، ودانت له الخلائق وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه، وعظمتته وعلوه وقدرته على الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه. وكونه وَعَلَى القاهر يستلزم مجموعة من الصفات

القهر

التعريف لغة:

القهر: الغلبة. قهره قهراً: غلبه^(١).

قال الليث: «القَهْرُ الغلبة والأخذ من فوق، والله القاهر القَهَّار، قَهَر خَلَقَهُ بقدرته وسلطانه فصَرَّفَهُمْ على ما أراد طوعاً أو كرهاً»^(٢).

وقال ابن فارس: «القاف والهاء والراء كلمةٌ صحيحةٌ تدلُّ على غَلَبَةٍ وُعْلُوٍّ. يقال: قَهَرَهُ يَقْهَرُهُ قَهْراً. والقاهر: الغالب»^(٣).

وقال الزجاج: «القهر في وضع العربية الرياضة والتذليل، يقال: قهر فلان الناقة؛ إذا راضها وذلّلها»^(٤).

التعريف شرعاً:

صفة ذاتية فعلية لله تعالى تدل على أنه وَعَلَى نافذ أمره في جميع خلقه، فيحيي ويميت، ويعطي ويمنع، ويخفف ويرفع، ويفعل ما يشاء، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه^(٥)، وبأنه تعالى يقهر الجبابرة من عتاة خلقه^(٦).

(١) الصحاح (٣٦٥/٢)، القاموس المحيط (٦٠١).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٣٥/٢).

(٣) مقاييس اللغة (٣٥/٥).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى (٣٨).

(٥) الحجة في بيان المحجة (١٥٠/١)، الحق الواضح

المبين للسعدي (٤٠).

(٦) شأن الدعاء للخطابي (٥٣).

قال ابن القيم:

«وَكَذَلِكَ الْقَهَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ
فَالْخَلْقُ مَقْهُورُونَ بِالسُّلْطَانِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا عَزِيزًا قَادِرًا
مَا كَانَ مِنْ قَهْرٍ وَمِنْ سُلْطَانٍ»^(٤)

قال السعدي: «القهار: لجميع العالم العلوي، والسفلي، القهار لكل شيء الذي خضعت له المخلوقات وذلت لعزته وقوته، وكمال اقتداره، وهو الذي قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع المخلوقات أو دانت لقدرته ومشيتته، مواد وعناصر العالم العلوي والسفلي»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اسم الله تعالى

القهار:

من أسماء الله الحسنى الدالة على صفة القهر والمتضمنة لها: اسمه تعالى (القَهَّار)، القهار (فَعَال) صيغة مبالغة من القهر، مشتق من الثلاثي: قَهَرَ الدال على الغلبة والعلو والتذليل، يقال: قَهَرَ يَقْهَرُ قَهْرًا، فهو قاهر؛ أي: غالب، وقهار مبالغة منه تقتضي تكثير القهر، وقَهْرُ الرجل: غَلَبٌ^(٦).

(٤) الكافية الشافية (شرح ابن عيسى - ٢/ ٢٣٢).

(٥) الحق الواضح المبين (٤٠).

(٦) انظر: تهذيب اللغة (٥/ ٣٩٤ - ٣٩٥) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٨٦٥) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٢/ ٨٠١) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن =

الأخرى التي تدل عليها صفة القهر، وهي كمال حياته وعزته وقدرته وقوته، وجميع الصفات التي لا يتم الفعل إلا بها الدالة على ربوبيته، كالخلق والإحياء والإماتة والنصرة والغلبة والملك ونحو ذلك^(١).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^(١٨) ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَبِيرُ﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(١٦) [الرعد].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ بَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٤٨) [إبراهيم].

أقوال أهل العلم:

قال قوام السُّنَّة الأصبهاني: «ومن أسمائه تعالى: القاهر والقهار، ومعناه: يحييهم إذا شاء، ويميتهم إذا شاء، ويمرضهم إذا شاء، ويصحبهم إذا شاء، ويفقرهم إذا شاء، ويغنيهم إذا شاء، ولا يقدر أحد منهم - إذا حكم عليه بحكم - أن يزيل ما حكم الله به»^(٢).

قال أبو سليمان الخطابي: «هو الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة، وقهر الخلق كلهم بالموت»^(٣).

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/ ١٥٠)، والحق الواضح المبين للسعدي (٤٠).

(٢) الحجة (١/ ١٥٠).

(٣) شأن الدعاء (٥٣).

والقهار: اسم من أسماء الله الحسنی، الدال على خضوع جميع الكائنات لمراده ﷻ، فهو المدبر لها وحده، يحملهم على مراده طوعاً وكرهاً من غير أن يقدر أحد على ردّ تدبيره، أو الخروج عن تقديره ﷻ، فهو سبحانه وحده الذي يقهر ولا يقهر بحال^(١).

ورد هذا الاسم في ستة مواضع من القرآن الكريم، ومنها: قوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد]. كما ورد في بعض طرق حديث تعيين الأسماء المشهور. وقد أورد هذا الاسم أغلب من اعتنى بجمع الأسماء الحسنی والتصنيف في شرحها ما عدا جعفر الصادق وسفيان بن عيينة، والزجاجي، وصديق حسن خان^(٢).

- المسألة الثانية: اقتران اسم الله تعالى (القهار) باسمه (الواحد):

إن الله ﷻ هو الواحد القهار، ولم يرد اسم الله ﷻ: (القهار) في القرآن الكريم إلا مقروناً باسم: (الواحد)؛ لأن القهار لا يكون إلا واحداً، لا كفاء له

ولا سمي ولا ند ولا مثل، كما اقترن باسم: (الواحد)؛ للدلالة على أن الله هو وحده المستحق للعبادة والألوهية، وما سواه من الآلهة المزعومة فإنما هي مخلوقات عاجزة مقهورة، لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرراً، فكيف تقهر غيرها، وبهذا جادل نبي الله يوسف ﷺ صاحبيه في السجن فقال: ﴿يُصْنِجِي السِّجْنَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف]. فحقيقتها أنها ليس لها من الألوهية سوى الاسم الذي أعطي لها زوراً وبهتاناً، دون حجة ولا برهان: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا آثَمٌ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٤٠].

وبهذا يتبين التلازم بين التوحيد والإيمان باسم الله (القهار)، وأن من لازم الإقرار بتفرده بالقهر أن يفرد وحده بالعبادة، وبه يعلم فساد الشرك بجميع صورته، إذ كيف يسوّى المصنوع من تراب برب الأرباب؟ وكيف تسوّى المخلوقات المقهورة بالله الواحد القهار؟

- المسألة الثالثة: اسم الله تعالى (القاهر):

من أسماء الله الحسنی الدالة على صفة القهر والمتضمنة لها: اسمه تعالى (القاهر)، وقد ورد هذا الاسم في موضعين من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾

= (٦٨٧) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (٧٧٠/٢) [دار إحياء التراث العربي].

(١) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (٢٠٢/١) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩]، وفقه الأسماء الحسنی (٢٥٤) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩]، وشرح أسماء الله الحسنی (١٣٦) [دار الإيمان، دار القمة].

(٢) معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنی للتميمي (٨٠ - ٨٤) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ].

القاهر مع المبالغة والزيادة، مما يقتضي تكثيراً في القهر.

✽ الثمرات:

١ - الخضوع والتذلل لله تعالى بامثال أمره واجتناب نهيه؛ فهو القهار الذي خضع له ما في السماوات والأرض.

٢ - زيادة الإيمان واليقين في قلوب المؤمنين حين تتعلق بالقهار الذي خضع له كل شيء، وبيده تصريف كل شيء، ولا يكون شيء إلا بإذنه.

٣ - الرضا بما يقضي الله ويقدر؛ إذ إنه بحكمته وقهره يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويصل ويقطع، ويحيي ويميت، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه.

٤ - من آثار تعبد المسلم لله ﷻ بهذا الاسم خضوعه الكامل لله ﷻ توحيداً له في اسمه القاهر، وعدم الخوف أو الخضوع لمن سواه من المخلوقين الضعاف المقهورين.

٥ - ومنها الاستعلاء على الأعداء بعزة الإسلام ثقةً و يقيناً في ربه القاهر، مع ضرورة الأخذ بأسباب القوة والعزة التي تمكن من قهر هؤلاء الأعداء.

✽ الآثار:

١ - الحكمة البالغة في شأن الخلق وتسيير أموره وتصريف شؤونهم؛ فالله خالقه وقاهره، فكل الخلق مقهور بأمره.

[الأنعام: ١٨]، كما ورد في بعض طرق حديث تعيين الأسماء الحسنی المشهور. وهذا الاسم قد ذكره معظم من اعتنى بجمع الأسماء الحسنی وشرحها، وأسقطه كل من: الزجاج، والخطابي، والزجاجي، وابن العربي، وابن سعدي^(١).

- المسألة الرابعة: حكم تسمية المخلوق بالقاهر أو القهار:

لا يجوز تسمية المخلوق بالقاهر أو القهار؛ قال ابن القيم رحمته الله: «ومما يُمنع تسمية الإنسان به: أسماء الربّ تبارك وتعالى، فلا يجوز التسمية بالأحد والصمد؛ ولا بالخالق ولا بالرازق، وكذلك سائر الأسماء المختصة بالربّ تبارك وتعالى، ولا تجوز تسمية الملوك بالقاهر والظاهر، كما لا يجوز تسميتهم بالجبار والمتكبر؛ والأول والآخر والباطن وعلام الغيوب»^(٢).

✽ الضروقات:

الفرق بين اسم الله (القاهر)، واسمه (القهار):

القاهر اسم فاعل من القهر، والقهار بوزن (فعلال) وهي صيغة مبالغة من اسم الفاعل (قاهر)، فهو يدل على نفس معنى

(١) معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنی للتميمي (٨٠ - ٨٤) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (١٢٥) [دار البيان، ط ١، ١٣٩١هـ].

القوة

التعريف لغةً:

القوة: تدلُّ على الشدة وهي خلاف الضعف، والقوي: خلاف الضعيف، وأصل ذلك من القُوَى، وهي جَمْعُ: قوةٍ، من قُوَى الحبل؛ أي: الطاقة من الحبل، والمُقْوِي: الذي أصحابه وإبله أقوياء. والمُقْوِي: الذي يُقْوِي وَتَرَهُ، إذا لم يُجِدْ إغارته فتراكبت قواه. ورجلٌ شديد القُوَى؛ أي: شديد أسْرِ الخَلْق^(١)، والقوة تستعمل أحياناً بنفس معنى القدرة التي هي ضد العجز، وأحياناً بمعنى الشدة التي هي ضد الضعف^(٢).

التعريف شرعاً:

صفة ذاتية لله تعالى بأنه تعالى القوي القادر الكامل القدرة على كل شيء، فلا يعجزه شيء مهما كان^(٣).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣٦/٥، ٣٧) [دار الجيل]، والصاح (٣١٩/٦) [دار العلم للملايين، ط ٤]، والقاموس المحيط (١٧١٠) [مؤسسة الرسالة].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣٦٧/٩، ٣٦٨) [الدار المصرية]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٦٩٣، ٦٩٤) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (٧٧٤/٢، ٧٧٥) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (١١٧/١) [مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ]، وشأن الدعاء (٧٧) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، وتفسير أسماء الحسنی للزجاج (٥٤).

٢ - افتقار جميع المخلوقات لخالقها وباريها، فكلها ذالة لقهره وقوته وقدرته.

٣ - عقوبة الله تعالى للظالمين وانتقامه منهم؛ فهو القهار الذي لا يفلت من قهره أي ظالم، فهو يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته.

المصادر والمراجع:

١ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، للبيهقي.

٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٣ - «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم» (ج ٢)، لابن عيسى.

٤ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للتميمي.

٥ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٦ - «شأن الدعاء»، للخطابي (٥٣).

٧ - «صفات الله وَجَبَتْ الواردة في الكتاب والسُّنة»، لعلوي السقاف.

٨ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

٩ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

١٠ - «معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، إلا أن المعنى المتعلق بالله تعالى هو على غاية الكمال؛ فلا يجتمع معه أي عجز، بخلاف ما إذا أضيفت القوة لغير الله تعالى، فإنها قوة متناهية، ومقيدة في حال دون حال^(١).

الحكم:

وجوب الإيمان بصفة القوة لله تعالى، وأنها على غاية الكمال وتمام الاقتدار، فلا يعجزه تعالى شيء في الأرض ولا في السماء.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (البقرة: ١٦٥).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ كَرِهَ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (الكهف: ٢٩).

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِعَائِنَتِنَا يَعْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ١٥) [فصلت].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٨).

(١) انظر: شأن الدعاء (٧٧).

أقوال أهل العلم:

قال أبو العباس ابن تيمية: «فقد سمى الله ورسوله ﷺ صفات الله تعالى علماً وقدرة وقوة، وقد قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤] ومعلوم أنه ليس العلم كالعلم ولا القوة كالقوة، ونظائر هذا كثيرة»^(٢).

وقال ابن القيم:

«وهو القوي بقوة هي وصفه

وعليك يقدر يا أخا السلطان»^(٣)

وقال السعدي - عند ذكره لبعض الأسماء الحسنى وهي: العزيز، القوي، المتين، القدير -: «هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة»^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اسم الله (القوي):

من أسماء الله الحسنى الدالة على صفة القوة اسمه تعالى (القوي)، والقوي بوزن (فعل) صفة مشبهة من القوة^(٥).

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٥٩/٢).

(٣) متن القصيدة النونية (١٧٣) [مكتبة ابن تيمية، القاهرة ط ٢، ١٤١٧هـ].

(٤) الحق الواضح المبين للسعدي (٤٤).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٣٦٧/٩، ٣٦٨) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٨٦٦) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٢٤٦٩/٦، ٢٤٧٠)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٦٩٣، ٦٩٤)، =

[الأنفال]، وقد اقترن في ستة مواضع منها باسم الجلال (العزیز)، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة].

كما أن هذا الاسم ورد في معظم طرق حديث تعيين الأسماء المشهور، سوى طريق عبد العزيز بن الحصين^(٥).

كما أن أغلب من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها قد ذكره، ولم يسقطه سوى سفيان بن عيينة، والحليمي، والبيهقي.

وشواهد قوته ﷺ وقدرته تتجلى في مظاهر عدة، لعل أبرزها ما نشهده في هذا الكون من العظمة والسعة والإتقان التي تدل على عظمة خالقه وصانعه، وعظيم قوته وقدرته، وقيام السماوات والأرض وما فيهما بأمره وحفظه خير دليل على قوته وقدرته التي لا يعجزه فيها شيء، فهو ﷺ فعال لما يريد، لا يقع شيء في هذا العالم من حركة أو سكون، أو خفض أو رفع، أو عز أو

والقوي معناه: الموصوف بالقوة ﷻ، التام القوة، الذي لا يستولي عليه العجز أو الضعف بحال من الأحوال، ولا يغلبه غالب، ولا يرد تقديره راد، ينفذ أمره ويمضي قضاؤه في خلقه، له مطلق الأمر والمشئة في مملكته، والمخلوق وإن وُصف بالقوة، فإن قوته متناهية، وعن بعض الأمور قاصرة^(١).

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال] «إن الله قوي لا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه راد، يُنفذ أمره، ويمضي قضاؤه في خلقه»^(٢).

وقال ابن القيم: «القوي من أسمائه، ومعناه: الموصوف بالقوة»^(٣). وقال أيضًا:

«وهو القوي بقوة هي وصفه
وعليك يقدر يا أبا السلطان»^(٤).

وقد ورد هذا الاسم في تسعة مواضع من القرآن الكريم؛ منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

= والمعجم الوسيط (٢/ ٧٧٤، ٧٧٥).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وشأن الدعاء (٧٧)، واشتقاق أسماء الله (١٤٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١١٧)، وفقه الأسماء الحسنى (١٥٥) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ١٩).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٢٨) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(٤) متن القصيدة النونية (١٧٣).

(٥) أخرج طريقه الحاكم في المستدرک (كتاب الإيمان، رقم ٤٢).

وقد تقدم الكلام عن هذا الحديث في مصطلح (الأسماء الحسنى)، وبيان أن هذه الأسماء مدرجة في الحديث، ولا تصح مرفوعة. والله أعلم.

وانظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٨٠ - ٨٤، ١٦١) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ]، وأسماء الله الحسنى للغصن (٣٤٢) [دار الوطن، ط ١، ١٤١٧هـ].

ذل، أو عطاء أو منع، إلا بإذنه.

ومن شواهد قوته نصره لأنبيائه وتأييده لأوليائه، وإهلاكه للظالمين، وانتقامه من المجرمين أعداء الأنبياء والصالحين، وما أحلّه بهم من أنواع العذاب والعقوبة.

- المسألة الثانية: تسمية الله تعالى بالأقوى:

عدّ بعض أهل العلم من أسماء الله الحسنى الدالة على صفة القوة اسمه تعالى (الأقوى)، وهو أفعل تفضيل من القوة، والقوة تدل على شدة وخلاف ضعف^(١)، ولم يذكر اسم (الأقوى) إلا ابن الوزير^(٢)، وهو ممن يتوسع في عدّ الأسماء الحسنى، ومن المتقرر أن أسماء الله توقيفية؛ فلا يصح تسمية الله بما لم يرد في النصوص الشرعية، ولم يرد اسم (الأقوى) في النصوص بهذه الصورة، ولعله مأخوذ عند من أطلقه من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فُصِّلَتْ: ١٥].

الفروق:

الفرق بين القوة والقدرة:

أولاً: «القدرة يقابلها العجز، والقوة

يقابلها الضعف، والفرق بينهما أن القدرة يوصف بها ذو الشعور، والقوة يوصف بها ذو الشعور وغيره.

ثانياً: أن القوة أخص: فكل قوي من ذي الشعور قادر، وليس كل قادر قويًا^(٣).

الثمرات:

لهذه الصفة العديد من الآثار التعبديّة التي يحسن من العبد الالتفات إليها والالتزام بها، ومنها:

١ - التبعّد لله تعالى بقوته، فيتوكل المؤمن عليه ويلتجئ إليه، ويستعيز به، ويدعوه وحده لا شريك له.

٢ - قوة المؤمن من يقينه بقوة ربه ومولاه.

٣ - اليقين بوعد الله الصادق بأنه سبحانه ناصر عباده المؤمنين، وخاذل كل من يعاديه ويعادي أوليائه.

٤ - الافتقار إلى الله تعالى، وإظهار الضعف والتذلل والانكسار بين يديه.

٥ - البراءة من كل قوة إلا بالله تعالى، ودوام ذكر الله تعالى ب (لا حول ولا قوة إلا بالله).

٦ - طمأنينة المؤمن وطيب حياته؛ إذ إنه يأوي إلى القوي العزيز، فلا راد لأمره ولا معقب لحكمه، ولا غالب لمن ينصره.

(٣) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٠٤ - ٢٠٥) [دار ابن الجوزي، ط ٥، ١٤١٩هـ].

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣٦/٥) [دار الفكر]، وتهذيب اللغة (٢٧٤/٩، ٢٧٥) [دار إحياء التراث العربي، ط ١]. ولسان العرب (٢٠٦/١٥) [دار صادر، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٢) إشار الحق على الخلق (١٥٩) [دار الكتب العلمية، ط ٢].

- ٧ - تحقيق الخوف من الله تعالى عبادة له؛ فهو القوي الشديد بطشه، والأليم أخذه.
- ٨ - أن في معرفة قوة الله ﷻ القوة التامة والكاملة تحمل العبد على تعظيم الله ﷻ وإجلاله، فالأمور كلها بيده، ولا يعجزه شيء ﷻ.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٣ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.
- ٤ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٥ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (ج ١)، عبد الله الغيمان.

الآثار:

- ١ - قيام الكون كله بالعدل والحكمة والإتقان، فخالقه القوي ذو القدرة الكاملة، والمشئنة النافذة على كل شيء.
- ٢ - العاقبة الحسنة التي يحظى بها الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم؛ فالله معهم، وهو ناصرهم ومؤيدهم، وقد قال سبحانه: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠].
- ٣ - عاقبة السوء والعذاب التي ينتهي إليها أعداء الرسل، فمن يحارب القوي العزيز فلن يجد إلا الهلاك والدمار، وقد قال تعالى: ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُم مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكُفْرَونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك].
- ٤ - حياة الضيق والظنك، والرعب والخوف التي يعيشها من ابتعد عن الله تعالى، وأعرض عن هداه.
- ٦ - «الصفات الإلهية: تعريفها وأقسامها»، لمحمد بن خليفة التميمي.
- ٧ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.
- ٨ - «منهاج السنة النبوية» (ج ٢)، لابن تيمية.
- ٩ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.
- ١٠ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

القوي

يراجع مصطلح (القوة).

القياس (١)

التعريف لغة:

يقول ابن فارس: «القاف والواو

(١) تفصيل القول في القياس وأحكامه وشروطه وأركانه وحجته وصوره... إلخ، مبسوط في كتب أصول الفقه وفي كتب المنطق، وإنما نذكر هنا ما يتعلق بالاعتقاد من ذلك.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، للبيهقي.

ويعرفونه بأنه: قول مؤلف من قضايا، إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر^(٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية موضحاً معنى القياسين: «قياس الشمول هو: انتقال الذهن من المعين إلى المعنى العام المشترك الكلي المتناول له ولغيره، والحكم عليه بما يلزم المشترك الكلي، بأن ينتقل من ذلك الكلي اللازم إلى الملزوم الأول - وهو المعين - فهو انتقال من خاص إلى عام، ثم انتقال من ذلك العام إلى الخاص، من جزئي إلى كلي، ثم من ذلك الكلي إلى الجزئي الأول، فيحكم عليه بذلك الكلي».

وأما قياس التمثيل، فهو: انتقال الذهن من حكم معين إلى حكم معين؛ لاشتراكهما في ذلك المعنى المشترك الكلي؛ لأن ذلك الحكم يلزم ذلك المشترك الكلي^(٥).

وكلا القياسين من التمثيل والشمول يستعملان على وجهين:

الوجه الأول: قياس المساواة، وهو:

والسين أصلٌ واحدٌ يدلُّ على: تقدير شيءٍ بشيءٍ، ثم يُصَرَّفُ فتقلبُ واوُهُ ياءً، والمعنى في جميعه واحد.

وتقلب الواو لبعض العلل ياءً فيقال: بيني وبينه قيسٌ رُمحٌ؛ أي: قَدَرُهُ، ومنه القياسُ، وهو تقديرُ الشيء بالشيء، والمقدار مقياسٌ. تقول: قَاسْتُ الأمرين مُقَايَسَةً وقياساً^(١).

«وَقُسْتُ الشيءَ بغيره وعلى غيره أقيسُ قَيْساً وقياساً فانقاس؛ إذا قَدَّرته على مثاله»^(٢).

التعريف اصطلاحاً:

تعريف القياس اصطلاحاً يختلف باختلاف أنواعه، وهو على نوعين:

١ - قياس التمثيل، ويسمى: القياس الفقهي، كما يسمى: قياس الشاهد على الغائب.

وتعريفه: حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما^(٣).

٢ - قياس الشمول، ويسمى: القياس المنطقي.

(٤) انظر: التعريفات للجرجاني (٢٣٢) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ]، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٥٩٥) [دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١٠هـ]، وإيضاح المبهم من معاني السلم (١٢) [مطبعة البابي الحلبي، ١٣٤٢هـ]، والمعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية (١٤٩) [المطابع الأميرية، ط١، ١٤٠٢هـ]، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/ ٢٠٧) [الشركة العالمية للكتاب، ١٤١٤هـ].

(٥) الرد على المنطقيين (١١٩، ١٢٠) [دار المعرفة].

(١) مقاييس اللغة (٤٠/٥) [دار الجيل، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) لسان العرب (١٨٦/٦) [دار صادر، ط١].

(٣) روضة الناظر (٢٧٥) [جامعة الإمام، ط٤، ١٣٩٩هـ]. وانظر: قواطع الأدلة للسمعاني (٧٠/٢) [دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ]، والبرهان للجويني (٤٨٧/٢) [دار الوفاء، ط٤]، ومعيار العلم في المنطق للغزالي (١٠٥) [المطبعة الغربية بمصر، ط٢، ١٣٤٦]، وطرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين (٢٨٥) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢١هـ].

أن يكون الغائب مماثلاً أو مقارباً للشاهد.

أ - قياس المساواة. ب - قياس الأولى.

الوجه الثاني: قياس الأولى، وهو أن يكون الغائب أولى بالحكم من الشاهد^(١).

والتحقيق أن حقيقة القياسين (قياس التمثيل وقياس الشمول) راجعة إلى معنى واحد، فحقيقتهما سواء، واختلافهما إنما هو في صورة الاستدلال، «وذلك أن قياس الشمول مبناه على اشتراك الأفراد في الحكم العام وشموله لها، وقياس التمثيل مبناه على اشتراك الاثنين في الحكم الذي يعمهما ومآل الأمرين واحد»^(٢).

الحكم:

حكم استعمال القياس في العقيدة والتوحيد.

استعمال القياس فيما يتعلق بالله وصفاته على قسمين^(٣):

القسم الأول: أن يكون فيما بين صفات الله تعالى نفسها، فيجوز استعمال القياسين:

أ - قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم]

فقياس التظير على التظير؛ ودلّ بفعله المتحقق بالمشاهدة من إخراج وإحياء على بعث الأموات الذي استبعده وأنكروه؛ إذ الفعل الموعود نظير

(١) انظر: درء التعارض (٢٩/١)، و(١٥٤/٧)، ١٥٥، ٣٢٢ - ٣٢٤، ٣٦٢، ٣٦٣ [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩٦/٣) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وشرح العقيدة الأصفهانية (٧٤)، وآثار المثل الأعلى لعيسى السعدي [بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى].

(٢) الرد على المنطقيين (٣٣٦٤ - ٣٣٦٥). وانظر: درء تعارض العقل والنقل (١٢٦/٦).

(٣) انظر: آثار المثل الأعلى لعيسى السعدي.

الفعل المشاهد^(١).

الأدلة:

١ - انتفاء القياس في حقه تعالى مبني على أصل عظيم، وهو أن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] والقياس - أي: قياس المساواة، تمثيلاً كان أو شمولاً - مبني على نوع تماثل بين الأصل والفرع.

فلما نفى التماثل فيما بينه تعالى وبين خلقه كان ذلك دليلاً على منع القياس في حقه تعالى، بل إن ذلك من الشرك بالله؛ لأنه يتضمن التسوية بين الله ومخلوقاته^(٣).

فإذا حكموا على القدر المشترك - الذي هو الحد الأوسط - بحكم يتناوله والمخلوقات، كانوا بين أمرين: إما أن يجعلوه كالمخلوقات، أو يجعلوا المخلوقات مثله، وهذا من أبطل الباطل^(٤).

٢ - أن استعمال القياس قائم على إثبات قضية كلية تعم المقيس والمقيس عليه، وهي ما يسمى: (العلة) في قياس التمثيل، و(الحد الأوسط) في قياس الشمول.

وهذه القضية الكلية التي ينبنى عليها القياس لا يمكن إثباتها بيقين في باب

ب - ومثال استعمال قياس الأولى في ذلك:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران]، فقياس القدرة على خلق عيسى على القدرة على خلق آدم؛ لأن من قدر على الخلق من غير أب ولا أم فقد رتبته على الخلق بأمر من غير أب من باب أولى^(٢).

القسم الثاني: أن يكون فيما بين صفات الخالق والمخلوق.

فلذلك حالتان:

الحالة الأولى: إن كان من باب قياس المساواة: فهو ممتنع ومحرم، بل هو من التمثيل والشرك بالله، سواء كان قياس تمثيل أو قياس شمول.

وعلى هذا تحمل أقوال السلف في المنع من القياس في العقيدة والتوحيد، وسيأتي بعضها.

(١) انظر: أعلام الموقعين (١/١٤٣، ١٤٤، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٦) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٦].

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/٥٥) [دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٩هـ]، ولأمثلة أخرى انظر: درء التعارض (١/٣٢ - ٣٨) و(٧/٣٦٢ وما بعدها)، وشرح الأصفهانية (١١٧) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ]، وبيان تلبيس الجهمية (٢/٥٣٥) [مطبعة الحكومة، ط ١، ١٣٩٢هـ]، وإعلام الموقعين (١/١٣٠) [دار الجيل، ١٩٧٣م]، ومفتاح دار السعادة (٢/٧٦، ٧٧) [دار الكتب العلمية]، وآثار المثل الأعلى لعيسى السعدي.

(٣) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/١٢٥) [دار الراية، ط ٢، ١٤١٩هـ]، ومجموع الفتاوى (١٣/١٦٤)، وبيان تلبيس الجهمية (٢/٥٣٦).

(٤) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (٧٤، ٧٥).

التوحيد، وذلك للعلم بوجود الفارق بين المقيس والمقيس عليه، فبطل القياس.

❁ أقوال أهل العلم:

مما ورد عن أهل العلم في المنع من استعمال قياس المساواة في حق الله تعالى ما يلي:

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في رده على المريسي: «أولم تسمع أيها المريسي قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وكما ليس كمثل شيء ليس كسمعه سمع، ولا كبصره بصر، ولا لهما عند الخلق قياس ولا مثال ولا شبيه، فكيف تقيسهما أنت بشبه ما تعرف من نفسك، وقد عبت على غيرك»^(١).

وللقاضي أبي يوسف - صاحب أبي حنيفة - رحمهما الله كلام نفيس حول ذم القياس في الاعتقاد، يقول فيه: «ليس التوحيد بالقياس، ألم تسمع إلى قول الله ﷻ في الآيات التي يصف بها نفسه أنه عالم قادر قوي مالك، ولم يقل: إني قادر عالم لعله كذا أقدر، ولسبب كذا أعلم، ولهذا المعنى أملك، فلذلك لا يجوز القياس في التوحيد، ولا يعرف إلا بأسمائه، ولا يوصف إلا بصفاته... فقد أمرنا الله أن نوحده،

(١) نقض الدارمي على المريسي (٣٠٨/١) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٨هـ].

وليس التوحيد بالقياس؛ لأن القياس يكون في شيء له شبه ومثل، والله لا شبه له ولا مثل، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون]، ثم قال: وكيف يدرك التوحيد بالقياس، وهو خالق الخلق بخلاف الخلق، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، تبارك وتعالى، ولو توسع على الأمة التماس التوحيد ابتغاء الإيمان برأيه وقياسه وهو اه إذا لضلوا»^(٢).

وقال الإمام ابن عبد البر: «لا خلاف بين فقهاء الأمصار وسائر أهل السنة وهم أهل الفقه والحديث في نفي القياس في التوحيد»^(٣).

وقال: «والقياس غير جائز في صفات الباري تعالى؛ لأنه ليس كمثل شيء»^(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في ذكر عقيدة أهل السنة: «ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمّي له، ولا كفؤ له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه ﷻ»^(٥).

الحالة الثانية: إن كان من باب قياس الأولى فهو جائز.

(٢) الحجة في بيان المحجة (١٢٢/١ - ١٢٥).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٧٦/٢) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ].

(٤) التمهيد لابن عبد البر (٢٣٢/١٩) [طبعة وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧هـ].

(٥) العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣٠/٣).

الأدلة:

فيما بين المخلوق والخالق تتبين بأمرين:

الأول: أن كل كمال مطلق ممدوح لنفسه ثبت للممكن أو المحدث المخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالخالق أولى به.

والكمال المطلق هو الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وهو ما كان كمالاً للموجود غير مستلزم للعدم، وهو الكمال الذي يستحقه الموجود من جهة وجوده.

ويحترز بذلك عن الكمال النسبي، فإنه مستلزم للنقص، وهو ما كان كمالاً للمخلوق، ولكنه نقص بالنسبة إلى الخالق لاستلزامه نقصاً، فهو كمال من وجه دون وجه، كالأكل والشرب مثلاً، فإن الصحيح الذي يشتهي الأكل والشرب من الحيوان أكمل من المريض الذي لا يشتهي الأكل والشرب؛ لأن قوامه بالأكل والشرب، فهذا الكمال للمخلوق في الحقيقة ليس كمالاً مطلقاً، بل هو كمال نسبي؛ لأنه يستلزم نقصاً، كاستلزامه لحاجة المخلوق للأكل والشرب، وهو مستلزم لخروج شيء منه كالفضلات، وهذا نقص يتنزه الله عنه، فلا يثبت له مثل هذا الكمال النسبي؛ لأنه نقص في الحقيقة^(١). وقد تقدم مثال ذلك من النصوص.

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْرِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠) [النحل].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

الحقيقة:

من أنواع القياس:

- ١ - قياس التمثيل: حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما.
 - ٢ - قياس الشمول: وهو انتقال الذهن من المعين إلى المعنى العام المشترك الكلي المتناول له ولغيره.
- ويستخدم في القياس قياس المساواة، وهو: أن يكون الغائب مماثلاً أو مقارباً للشاهد.
- وكل هذا لا يستخدم في حق الله تعالى.
- ويستخدم القياس بمعنى: قياس الأولى.

وحقيقة قياس الأولى (المثل الأعلى)

(١) انظر: الرسالة الأكملية ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨٧/٦، ١٣٧).

كل ذم^(٣).

ولا يدخل في ذلك ما كان نقصاً في حق المخلوق لكونه من خصائص الربوبية، كالتعالي والتكبر والثناء على النفس وأمر الناس بعبادته ودعائه والرغبة إليه ونحو ذلك مما هو من خصائص الربوبية، هذا كمال محمود من الرب تبارك وتعالى، وهو نقص مذموم من المخلوق، فهذه كلها صفات كمال لا يستحقها إلا هو، فما لا يستحقه إلا هو كيف يكون كمالاً من غيره وهو معدوم لغيره؟! فمن ادّعاءه كان مفترياً منازعاً للربوبية في خواصها، ذلك أن الكمال المختص بالربوبية ليس لغيره فيه نصيب، فهذا تحقيق اتصافه بالكمال الذي لا نصيب لغيره فيه، ومثل هذا الكمال لا يكون لغيره، فادّعاءه منازعة للربوبية، وفرية على الله^(٤).

ومثال ذلك: أن المشركين كانوا يرون البنات نقصاً، ومع ذلك يزعمون أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم، فكان الجواب عليهم بأنهم إذا كانوا ينزهون أنفسهم عن البنات ويرونها نقصاً، فالله تعالى أولى بالتنزه عنها، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْمَلُونَ لَكَ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ

وإثبات الصفة للخالق بطريق قياس الأولى إنما يكون مع التفاوت الذي لا يضبطه العقل، كما لا يضبط التفاوت بين الخالق وبين المخلوق، بل إذا كان العقل يدرك من التفاضل الذي بين مخلوق ومخلوق ما لا ينحصر قدره، وهو يعلم أن فضل الله على كل مخلوق أعظم من فضل مخلوق على مخلوق، كان هذا ممّا يبيّن له أنّ ما يثبت للرب أعظم من كلّ ما يثبت لكلّ ما سواه بما لا يدرك قدره^(١).

الثاني: أن كل نقص وعيب في نفسه إذا وجب نفيه عن شيء ما من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات فإنه يجب نفيه عن الرب تبارك وتعالى بطريق الأولى.

والمقصود بما كان نقصاً وعيباً في نفسه: ما لا كمال فيه، وهو ما تضمن سلب الكمال عن ذلك المخلوق؛ أي: ما تنزّه عنه الموجود لكمال وجوده^(٢).

وبناء على ذلك فالخالق أحق بالأمور الوجودية من كل موجود، وأما الأمور العدمية فالممكن المحدث بها أحق، فهو سبحانه أحق بكل حمد وأبعد عن

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤٥/٩).

(٢) انظر: درء التعارض (٢٩/١ - ٣٠ - ١٥٤/٧).

١٥٥، ٣٢٢ - ٣٢٤، ٣٦٢ - ٣٦٣، مجموع

الفتاوى (٤٨/١) (٣٠/٣)، (٢٩٧) (١٤٥/٩) (١٢/

٣٥٠)، وشرح الأصفهانية (٧٤).

(٣) انظر: درء التعارض (٣٠/١) (٧/١٥٤، ١٥٥).

(٤) انظر: الرسالة الأكملية ضمن مجموع الفتاوى لابن

تيمية (١٣٦/٦ - ١٣٨).

الآدميين، وأحقّ بالكلام منهم، وهو ﷺ منزّه عن مماثلة الناقصين، المعلوم والموات^(٢).

✽ الأركان:

قياس التمثيل (القياس الفقهي) له أربعة أركان:

- ١ - الأصل.
- ٢ - الفرع.
- ٣ - الجامع بينهما (العلة).
- ٤ - الحكم^(٣).

وتوضيح ذلك ما ذكره ابن القيم في سياقه لأدلة القياس وأمثله بقوله: «ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ إِنَّ يَشَاءُ يَذْهَبَكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام]، فهذا قياسٌ جلّي، يقول سبحانه: إن شئت أذهبتم واستخلفت غيركم، كما أذهبتم من قبلكم واستخلفتكم، فذكر أركان القياس الأربعة:

علّة الحكم، وهي: عموم مشيئته وكمالها.

ظَلَّ وَجْهَهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَنْزُرُ مِنَ الْقَوَمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ [النحل] إلى قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم]، فهذا احتجاج عليهم بقياس الأولى^(١).

مثال آخر في النفي: أن الله عاب الأصنام بأنها لا تسمع ولا ترجع القول، فقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ﴿٨٩﴾ [طه]. وهذه الحجّة من باب قياس الأولى، وهي من جنس الأمثال التي ضربها الله في كتابه، فإن الله تعالى عاب الأصنام بأنها لا ترجع قولاً، وأنها لا تملك ضرراً ولا نفعاً، وهذا من المعلوم ببداية العقول أنّ كون الشيء لا يقدر على التكلّم صفة نقص، وأنّ المتكلّم أكمل من العاجز عن الكلام، وكلّما تنزّه المخلوق عنه من صفة نقص فالله تعالى أحقّ بتنزيهه عنه، وكلّما ثبت لشيء من صفة كمال فالله تعالى أحقّ باتصافه بذلك، فالله أحقّ بتنزيهه عن كونه لا يتكلّم من الأحياء

(٢) انظر: إقامة الدليل على بطلان التحليل لابن تيمية ضمن الفتاوى الكبرى (٤٥٢/٦) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٣) انظر: المستصفى للغزالي (٢٨٠/١، ٣٢٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ]، وروضة الناظر (٣١٥)، الإبهاج للسبكي (٣٧/٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٤هـ].

(١) انظر: درء التعارض (٣٦٢، ٣٦٣).

والحكم، وهو: إذهابه بهم وإتيانه بغيرهم.

والأصل، وهو: من كان من قبل.
والفرع: وهم المخاطبون^(١).

المسائل المتعلقة:

- المثل الأعلى:

جاء ذكر المثل الأعلى في موضعين من كتاب الله تعالى، قال ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [الروم: ٢٧]. وللسلف ثلاثة أقوال في المثل الأعلى:

القول الأول: أن المراد بالمثل الأعلى: تنزيه الرب عن وجود المثل.
عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ قال: «يقول: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^(٢).

وعلى هذا القول يحتمل تحريم قياس المساواة بين الخالق والمخلوق، تمثيلاً كان أو شمولاً.

القول الثاني: أن المثل هو الصفة، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩]، فالمثل الأعلى يراد به: الصفة العليا^(٣).

(١) انظر: إعلام الموقعين (١/١٣٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/١١) [دار الفكر، ١٣٠٥هـ]، وسنده حسن.

(٣) انظر: تفسير البغوي (٣/٧٣، ٤٨١) [دار المعرفة، ط ٢]، وتفسير القرطبي (٩/٣٢٤) و(١٠/١١٩) و(١٤/٢٢) [دار الكتب المصرية، ط ٢]، وزاد

وعلى هذا القول يحتمل جواز قياس الأولى فيما بين صفات الخالق والمخلوق؛ أي: الاستدلال بصفات المخلوق على صفات الخالق عن طريق قياس الأولى، سواء أكانت صورته تمثيلاً أو شمولاً، فكل ما ثبت للمخلوق من صفات الكمال المطلق فإن الخالق أولى به، وكل ما تنزه عنه المخلوق من صفات النقص فإن الخالق أولى بالتنزه عنه^(٤).

القول الثالث: أن المثل الأعلى كلمة التوحيد^(٥).

وهذه الأقوال لا منافاة بينها، فكلها ثابتة في معنى الآيتين.

الآثار:

لقد كان للقياس الفاسد في مجال الاعتقاد آثاراً بالغة السوء، ومن ذلك:

- نشوء عقيدة التمثيل، وبزوغ فرق الممثلة، فإن قياس التمثيل والشمول المساوي مندرج ضمن تمثيل الله بخلقه.

المسير لابن الجوزي (٤/٤٥٩) و(٦/٢٩٨) [المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٤٠٧هـ]، وتفسير ابن كثير (٢/٥٧٣) [مكتبة دار التراث بالقاهرة]،

(٤) انظر: درء التعارض (١/٢٩، ٣٠)، (٧/٣٦٢)، والرأسالة التدمرية (٥٠) [مكتبة العبيكان، ط ١]، وتفسير السعدي (٦/١٢٣) [المؤسسة السعيدية بالرياض].

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/١٤/١٢٥)، (١١/٢١/٣٨)، وتفسير البغوي (٣/٧٣)، وتفسير القرطبي (١٠/١١٩).

ملكه تام، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يخفى عليه خافية^(٢).

وكذا قاس المعتزلة الخالق على المخلوق، فزعموا أن ما حَسَنَ وَقَبَحَ من المخلوقين حسن وقبح من الخالق، وأن الظلم الذي ينزه الله عنه هو نظير الظلم الذي يقع من الآدميين، فكانوا مشبهة في الأفعال، معطلة في الصفات^(٣).

قال ابن تيمية مبيِّناً الآثار السيئة لاستعمال القياس الفاسد في الاعتقاد: «ولهذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية لم يصلوا بها إلى اليقين، بل تناقضت أدلتهم، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافئها»^(٤).

✽ مذهب المخالفين:

لقد كان منشأ الغلط عند كثير من النفاة للصفات هو استعمالهم للمقاييس الباطلة - من قياس المساواة، تمثيلاً أو

(٢) انظر: التوسل والوسيلة لابن تيمية (١١) [المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٩١/٨)، وشرح العقيدة الأصهبانية (١٩٩)، ومفتاح دار السعادة (١٠٦/٢)، (١١٣) [دار الكتب العلمية]، والصواعق المرسلة (١٤٩٣/٤، ١٥٤٤). وانظر في الجواب على تمثيلهم وقياسهم هذا: منهاج السنة النبوية (١٥١/٣) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٠٦هـ]، ومفتاح دار السعادة (٥٢/٢ - ٥٥، ١١٣)، وكذلك: الملل والنحل للشهرستاني (١٩) [مؤسسة الحلبي].

(٤) درء التعارض (٢٩/١).

- نشوء طوائف التعطيل، فإن أساس التعطيل قياس الله على خلقه، فإن المعطلة قاسوا صفات الله على صفات خلقه ابتداءً، فوقعوا في التمثيل أولاً، ثم فرّوا منه إلى التعطيل^(١).

- ضعف خشية الله وتعظيمه، فإن من قاس الله بخلقه وشبَّهه بهم قلَّتْ هيبة الله في نفسه، ولهذا كان أصحاب القياس الفاسد من الفلاسفة ونحوهم من أبعد الناس عن تحقيق مراتب الزهد والورع، والأدب مع الله.

- كما نشأ عن القياس الفاسد كثيرٌ من العقائد الباطلة، كالاستشفاع بالأولياء والصالحين وأصحاب القبور، ودعائهم مع الله، وذلك بالقياس الفاسد على ملوك الدنيا الذين يتم التقرب إليهم بالوسطاء بدون إذنهم، فقاسوا الله تعالى على ذلك، وفساد هذا القياس من جهة أن ملوك الدنيا في ملكهم قصور، فهم يقبلون الشفاعة لحاجتهم للشافع بنوع من الحاجة، وفي علمهم قصور، فلا يعلمون حال المستشفع، والله تعالى

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧/٥، ٢٠٩)، ودرء التعارض (١٩/٧)، ومدارج السالكين (٣/٣٦٠) [دار الكتاب العربي، ط ٢]، والصواعق المرسلة (٢٤٤/١). وانظر مثال ذلك القياس في: المختصر في أصول الدين لعبد الجبار - ضمن رسائل العدل والتوحيد (١٨٣/١) [دار الهلال]، والتمهيد في أصول الدين للنسفي (٣٧) [المكتبة الأزهرية]، وأساس التقديس للرازي (١٠٣ - ١١٠) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤١٥هـ].

شمولاً - فيما يتعلق بالله تعالى .

فترى بعضهم يصرح بأننا لو وصفنا الله بالاستواء على العرش لكان يعلو عليه مثل علو الملك على السرير^(١) .

ويقرر نفاة الصفات أنه لو كان متصفاً بصفة العلم مثلاً لوجب أن يكون علمه في القلب وأن يكون له قلب كأحدنا^(٢) ، تعالى الله .

فهم يقررون أنه لو كان الله متصفاً بالصفات أو ببعض الصفات لكان جسمًا، قياساً على المخلوق، والله ليس بجسم، فوجب نفي الصفات عنه^(٣) .

وكل هذا من قياس التمثيل، فإنهم قاسوا الخالق على المخلوق بجامع الاتصاف بالصفة، والحكم هو: ثبوت الصفة للجسم (المخلوق)، وانتفاء الصفة عما ليس بجسم (الخالق) بزعمهم .

(١) انظر: التمهيد في أصول الدين للنسفي (٣٧)، وأساس التقليد (١١٠) [دار الجيل، ط ١، ١٤١٣هـ] .

(٢) انظر: المختصر في أصول الدين لعبد الجبار المعتزلي - ضمن رسائل العدل والتوحيد (١٨٣/١) [دار الهلال] .

(٣) انظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار (٣٤٧ - ٣٤٨) [الدار التونسية]، وشرح الأصول الخمسة له (٦٦) [مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤٠٨هـ]، ومعالم أصول الدين للرازي (٤٨، ٤٩) [مركز الكتاب للنشر، ط ١، ٢٠٠٠م]، وغاية المرام للآمدي (١٣٧، ١٣٨) [المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٩٠هـ]، وشرح المقاصد للتفتازاني (٦٧/٢) [دار المعارف النعمانية، ط ١، ١٤٠١هـ]، والمسامرة شرح المسامرة (٥٤) [المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٥هـ] .

وقد يستعملونه على وجه قياس الشمول، فيقولون: المخلوق متصف بالصفات، وكل متصف بالصفات جسم، والنتيجة: المخلوق جسم، والله ليس بجسم؛ لأنه لا يتصف بالصفات .

فوجه غلطهم في هذا القياس أنهم أدخلوا الخالق والمخلوق في قضية كلية استوى فيها الأصل والفرع، وهذه القضية الكلية هي زعمهم أن كل ما كان متصفاً بالصفات فإنه جسم، فهم في الحقيقة قد مثلوا قبل أن يعطلوا، فكانوا أولى بلقب الممثلة، «ولهذا قال بعض أهل العلم: إن كل معطل مشبه، ولا يستقيم له التعطيل إلا بعد التشبيه»^(٤) .

ثم إن هذه القضية التي زعموها كلية (كل متصف بالصفات جسم) جعلوها عامة للخالق والمخلوق، وهم لا يستطيعون أن يثبتوا عمومها إلا بقياس التمثيل أو قياس الشمول، وقياس التمثيل أو الشمول لا يمكن الاعتماد عليه فيما بين الخالق والمخلوق كما سبق، لثبوت الفارق، فبطل قياسهم من أصله^(٥) .

وعامة أقوال النفاة للصفات - من مختلف الفرق - مبنية على قياسهم الفاسد للخالق بالمخلوق، وهو نوع من أنواع التشبيه .

(٤) الصواعق المرسلة (٢٤٤/١) [دار العاصمة، ط ٣] .

(٥) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (٧٤، ٧٥)، والحقفة المهدية (١٣٠) [دار الوطن، ط ١، ١٤١٤هـ] .

- قال الإمام ابن بطة العكبري رحمته الله - عمن نفى صفة اليمين لله فراراً من التشبيه -: «قالوا: (لا نقول إن لله يدين؛ لأن اليمين لا تكون إلا بالأصابع وكف وساعدين وراحة ومفاصل)، ففرّوا بزعمهم من التشبيه، ففيه وقعوا، وإليه صاروا، وكل ما زعموا من ذلك فإنما هو من صفات المخلوقين، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»^(١).
- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأما ما يفعله طوائف من أهل الكلام من إدخال الخالق والمخلوقات تحت قياس أو تمثيل يتساويان فيه فهذا من الشرك والعدل بالله، وهو من الظلم، وهو ضرب الأمثال لله، وهو من القياس والكلام الذي ذمه السلف وعابوه»^(٢).
- ٥ - «درء التعارض»، لابن تيمية.
- ٦ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.
- ٧ - «الصواعق المرسلات»، لابن القيم.
- ٨ - «القياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة»، لأحمد بن شاكر الحذيفي.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١٠ - «نظرية القياس الأرسطي: عرضاً ونقداً»، لمحمد سعيد صباح.

قيام الحجة

التعريف لغةً:

القيام: من قام يقوم قياماً، يقال: قام الأمر، اعتدل واستقام^(٣).

الحجة: بمعنى البرهان والدليل، وقيل: الحجة ما دافع به الخصم. حجّه يحجه حجاً، فهو محجوج وحجيج؛ أي: غلبه على حجته، وهو رجل محجاج؛ أي: جدل. وفي الحديث: «فحجّ آدم موسى»^(٤)؛ أي: غلبه بالحجة. وفي حديث الدجال: «إن يخرج وأنا فيكم

المصادر والمراجع:

- ١ - «آثار المثل الأعلى»، لعيسى السعدي [بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى].
- ٢ - «إعلام الموقعين»، لابن القيم.
- ٣ - «بيان تلبيس الجهمية»، لابن تيمية.

٤ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السنّة الأصبهاني.

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٣٥/٥) [دار الجيل]، ولسان العرب (٤٩٦/١٢) [دار صادر، ط ١]، والقاموس المحيط (١٤٨٧) [مؤسسة الرسالة]، والمصباح المنير للفيومي (٥٢٠/٢)، والمعجم الوسيط (٢/٧٦٧).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧٣٦)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(١) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية (٣/٣١٤) [دار ابن القيم، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٢/٥٣٦).

- من لم يسمع النص المعين، أو الباب من أبواب الدين، فلا يؤخذ بمخالفة ما جاء فيه.

- من قامت عليه بعض الحجة، فعلم بعضها دون بعض، كأن يبلغه بعض القرآن دون بعض، فإنه لا يحاسب إلا على ما قامت عليه فيه الحجة، دون ما لم يبلغه منها.

- وكذا من سمع الحجة، ولم تثبت عنده، كأن يسمعها من طريق لا يجب عليه أن يصدقها.

- من بلغته الحجة واعتقد خلافها لنوع من التأويل السائغ الذي يعذر به وإن كان مخطئاً.

- وأما من لم يبلغه الإسلام أصلاً فإنه لا عذاب عليه، وهؤلاء هم أهل الفترة ومن في حكمهم، وقد صح النقل في أنهم يمتحنون يوم القيامة^(٥).

قال ابن القيم رحمته الله: «إن العذاب يستحق بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

والثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها، فالأول كفر بإعراض،

(٥) ينظر: الفصل لابن حزم (١٠٥/٤) [شركة عكاظ، ط ١، ١٤٠٢هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٢٣١، ١٢/٤٩٣، ٤٩٤، ٣٠٨/١٧) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣٠٩/١ - ٣١٠) [مطبعة المدني].

فأنا حجيجهم^(١)؛ أي: محاجه ومغالبه بإظهار الحجة عليه^(٢).

التعريف اصطلاحاً:

يراد بقيام الحجة: مخالفة الحق بعد ثبوت الحجة عليه وظهور الدليل^(٣).

وقد نبّه أهل العلم على أن قيام الحجة يكون بفهم الحجة أو بلوغها المعبر.

ويراد ببلوغ الحجة: بلوغ الدليل والبرهان الشرعي للمكلف بلوغاً يستبين معه المقصود، وتقطع به المعذرة.

ويراد بفهم الحجة:

١ - الفهم اللغوي بأن يكون من أهل اللغة واللسان، فهذا شرط في بلوغ الحجة.

٢ - فهم احتجاج وهو التفقه المؤثر في السلوك، وهو الذي يؤدي إلى الامتثال والانقياد^(٤).

الحكم:

لا يعذب الله العبد إلا بعد قيام الحجة عليه وعدم اتباعه لها.

وممن يعذر لعدم قيام الحجة التي يكفر مخالفتها:

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٧).

(٢) لسان العرب (٢/٢٢٨).

(٣) انظر: مختصر العلو للذهبي (١٧٧) [المكتب الإسلامي، ط ١]، وتيسير العزيز الحميد (٦٧٧).

(٤) انظر: الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه لعبد الرزاق طاهر معاش (٢٢٩) [دار الوطن، ط ١، ١٤١٧هـ].

والثاني كفر عناد، وأما الجهل مع عدم قيام الحجة، وعدم التمكن من معرفتها، فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل»^(١).

❁ الحقيقة:

قيام الحجة الرسالية التي يأتى من خالفها إنما يكون بأن تبلغ المكلف بلوغاً بيّناً، فيسمعها، ويفهم المراد بها، ممن يحسن إقامتها، ويكون سالماً من الشبهات التي قد يعذر بها.

قال ابن تيمية في ذلك: «... وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها: قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان...»^(٢).

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: «وكل ما قلناه فيه إنه يفسق فاعله أو يكفر بعد قيام الحجة، فهو ما لم تقم الحجة عليه، معذور مأجور وإن كان مخطئاً، وصفة قيام الحجة عليه أن تبلغه فلا يكون عنده

شيء يقاومها، وبالله التوفيق»^(٣).

ويقول ابن سحمان: «الذي يظهر لي - والله أعلم - أنها لا تقوم الحجة إلا بمن يحسن إقامتها، وأما من لا يحسن إقامتها كالجاهل الذي لا يعرف أحكام دينه ولا ما ذكره العلماء في ذلك؛ فإنه لا تقوم به الحجة»^(٤).

❁ الأدلة:

قال الله ﷻ: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال: ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُزِدُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَوَاهِ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (١٣٠) ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ [الأنعام]

وقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥) [الإسراء]

وعن أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي

(١) طريق الهجرتين (٤١٤) [دار ابن القيم، ط ٢،

١٤١٤هـ]. وانظر: مدارج السالكين (١/ ١٨٨)

[مطبعة السُّنة المحمدية، ١٣٧٥هـ]

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣/ ٣٤٦)، و(٣/ ٢٣١،

٥٩/٢٠).

(٣) الإحكام لابن حزم (١/ ٦٧) [دار الحديث، ط ١، ١٤٠٤هـ].

(٤) منهاج الحق والاتباع (٦٨) [مكتبة المنار، ط ١٣٤٠هـ].

أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «الحجة على العباد إنما تقوم بشيئين:

١ - بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله.

٢ - والقدرة على العمل به.

فأما العاجز عن العلم كالمجنون، أو العاجز عن العمل، فلا أمر عليه ولا نهى، وإذا انقطع العلم ببعض الدين، أو حصل العجز عن بعضه، كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عن جميعه كالمجنون مثلاً، وهذه أوقات الفترات^(٢).

وقال ابن القيم رحمته الله: «إن العذاب يستحق بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

والثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها، فالأول كفر بإعراض،

- ما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله: إذا مات فحرقوه، ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبه عذاباً لا يعذبه أحدًا من العالمين، فلما مات الرجل، فعلوا ما أمرهم، فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه، فإذا هو قائم بين يديه، ثم قال: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب وأنت أعلم فغفر الله له»^(٣).

وعن الأسود بن سريع رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام، وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبرع، وأما الهرم فيقول: ربي لقد جاء الإسلام وما أعقل، وأما الذي مات في الفترة، فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ موائقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن أدخلوا النار، قال: فوالذي نفسي بيده لو

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٧٨)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٦)، واللفظ له.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٨/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (ذكر الأخبار عن وصف قوم يحتجون على الله يوم القيامة) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، واللفظ له والطبراني في الكبير (٢٨٧/١) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وصححه عبد الحق الإشبيلي وابن القيم. انظر: طريق الهجرتين (٣٩٧، ٣٩٨) [دار السلفية، ط٢]، وصححه الألباني أيضاً في السلسلة الصحيحة (٤١٩/٣).
(٤) مجموع الفتاوى (٥٩/٢٠). وانظر منه: (٧١/١٩).

والثاني كفر عناد، وأما الجهل مع عدم قيام الحجة، وعدم التمكن من معرفتها، فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل»^(١).

القول الأول: قال به كثير من أهل العلم، وهو أن فهم الحجة شرط في قيام الحجة على الشخص المعين كما قال العلامة ابن القيم رحمته الله: «إن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب، ولم يحضر ترجمان يترجم له»^(٢).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا رحمته الله: «من لم يفهم الدعوة لم تقم عليه الحجة»^(٣).

القول الثاني: قال به بعض أهل العلم، وهو أن بلوغ الحجة وحده كاف في قيام الحجة على الشخص. وقد فهم هذا من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله وبعض أحفاده وتلاميذه من بعده، فقد قال: «فإن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي كان حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية مثل

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله: «وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبة عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما؛ لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، ولم يكفر ويقاتل؟ سبحانه هذا بهتان عظيم»^(٤).

وقال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمته الله: «وليس المراد بقيام الحجة أن يفهمها الإنسان فهمًا جليًا كما يفهمها من هداه الله ووفقه، وانقاد لأمره، فإن الكفار قد قامت عليهم حجة الله مع إخباره بأنه جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: هل يشترط فهم الحجة لاعتبار قيامها على الشخص؟
اختلف أهل العلم في اشتراط فهم

(١) طريق الهجرتين (٤١٤) [دار ابن القيم، ط ٢، ١٤١٤هـ]. وانظر: مدارج السالكين (١٨٨/١) [مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٥هـ].

(٢) فتاوى ومسائل محمد بن عبد الوهاب ضمن مجموع مؤلفاته (١١/١) [مطابع الرياض، ط ١].

(٣) مجموع الرسائل والمسائل النجدية (٦٣٨/٤) [دار العاصمة، الرياض، ١٤١٢هـ].

(٤) طريق الهجرتين (٤١٤) [المطبعة السلفية، ١٣٧٥هـ].

(٥) مجموعة الرسائل النجدية (٥١٤/٥).

القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف بعد ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يقدر بالعقل، ولا بالروية والقلب والفكر، ولا نكفر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهاء الخبر إليه به^(٢).

وعليه؛ فالجاهل معذور بجهله حتى يبلغه العلم.

قال الإمام البخاري رحمته الله: «كل من لم يعرف الله بكلامه أنه غير مخلوق، فإنه يُعَلَّم ويردُّ جهله إلى الكتاب والسنة، فمن أبى بعد العلم به، كان معاندًا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة]، ولقوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولَّاهُ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء]^(٣).

وقال الإمام الطبري رحمته الله في كتابه (التبصير في معالم الدين) - بعد أن ذكر بعض نصوص الصفات -: «فإن هذه المعاني التي وصفت ونظائرها مما وصف الله بها نفسه، ورسوله مما لا

الصرف والعطف فلا يكفر حتى يعرف؛ وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه فإن حجة الله هو القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة، ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان]. وقيام الحجة نوع، وبلوغها نوع، وقد قامت عليهم، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها^(١).

- المسألة الثانية: العذر بالجهل:

مسألة بلوغ الحجة واشتراطها للتكليف مرتبطة بمسألة العذر بالجهل، فإن من لم تقم عليه الحجة كان جاهلاً، والجاهل غير مكلف لعدم بلوغ الحجة إياه.

سئل الإمام الشافعي رحمته الله عن صفات الله وما يؤمن به، فقال: «الله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته، ولا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها؛ لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله ﷺ

(٢) مختصر العلو للذهبي (١٧٧) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠١هـ]. وانظر: إثبات صفة العلو لابن قدامة (١٢٤) [الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٦هـ].
(٣) خلق أفعال العباد (٦١) [مكتبة التراث الإسلامي].

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (الرسائل الشخصية) (٧/٢٤٤، ٢٤٥)، [المركز الإسلامي للطباعة والنشر، مصر].

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. لكنه وإن كان لا يعذب فإن هذا لا يثاب... وإذا نهام الرسول عنها فلم ينتهوا عوقبوا، فالعقاب عليها مشروط بتبليغ الرسول، وأما بطلانها في نفسها فلأنها غير مأمور بها...» (٣).

وأصرح منه قوله ﷺ: «إنا بعد معرفة ما جاء به الرسول نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن تدعو أحداً من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا لغير ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وإن ذلك من الشرك الذي حرمه الله تعالى ورسوله، لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه» (٤).

ولكن يشار هنا إلى أن من الجهل ما لا يعذر المكلف به، وهو ما أمكن المكلف دفعه، وترك ذلك تقصيراً منه.

قال ابن تيمية: «إن بيان الحكم سبب

يثبت حقيقة علمه بالفكر والروية، ولا يكفر بالجهل أحد إلا بعد انتهائها إليه» (١).

وقال ابن تيمية ﷺ: «من دعا غير الله، وحج إلى غير الله فهو مشرك، والذي فعله كفر، لكن قد لا يكون عالماً بأن هذا شرك محرم، كما أن كثيراً من الناس دخلوا في الإسلام من التتار وغيرهم، وعندهم أصنام لهم وهم يتقربون إليها ويعظمونها، ولا يعلمون أن ذلك محرم في دين الإسلام، ويتقربون إلى النار أيضاً، ولا يعلمون أن ذلك محرم، فكثير من أنواع الشرك قد يخفى على بعض من دخل في الإسلام ولا يعلم أنه شرك» (٢).

فترى في كلام الشيخ أن الجهل وعدم بلوغ الحجة هو مما يعذر به، حتى في الشرك، ولذا قال في موضع آخر - بعدما تكلم على من اجتهد فأخطأ: «... بخلاف ما لم يشرع جنسه مثل الشرك، فإن هذا لا ثواب فيه، وإن كان الله لا يعاقب صاحبه إلا بعد بلوغ الرسالة، كما

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (١٩٥) [مطابع الفرزدق، ط١، ١٤٠٨هـ]. وانظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٨٠) [مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣هـ].

(٢) الرد على الأحنائي (٦١، ٦٢) [مطبوعات دار الإفتاء] باختصار سير. وانظر: الرد على البكري (٢٥٨) [الدار العلمية، ط٢]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٤٠٦، ١٢/ ٥٠٠)، ومجموعة الرسائل له (٤/ ٣٨٢) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٢هـ].

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠/ ٣١، ٣٣).

(٤) الرد على البكري (٣٧٦). وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/ ٣٧٢، ١١/ ٤١٢، ١٣/ ٤١٣، ١٩/ ٢٣، ٢١٩)، ومنهاج السنّة (٥/ ١١١ - ١١٣).

من الكفر، ومع ذلك عذرهم بهذا الجهل قائلاً: «وهؤلاء الأجناس وإن كانوا قد كثروا في هذا الزمان، فلقلة دعاة العلم والإيمان، وفتور آثار الرسالة في أكثر البلدان، وأكثر هؤلاء ليس عندهم من آثار الرسالة وميراث النبوة ما يعرفون به الهدى، وكثير منهم لم يبلغهم ذلك، وفي أوقات الفترات، وأمكنة الفترات، يثاب الرجل على ما معه من الإيمان القليل، ويغفر الله فيه لمن لم تقم الحجة عليه، ما لا يغفر به لمن قامت الحجة عليه، كما في الحديث المعروف: «يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه الصلاة، ولا صياماً، ولا حجاً، ولا عمرة، إلا الشيخ الكبير، والعجوز الكبيرة، ويقولون: أدركنا آباءنا وهم يقولون لا إله إلا الله، فقيل لحذيفة بن اليمان: ما تغني عنهم لا إله إلا الله؟ فقال: تنجيهم من النار»^(٣) (٤).

وقال ابن القيم: «إن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على

لزوال الشبهة المانعة من لحوق العقاب، فإن العذر الحاصل بالاعتقاد ليس المقصود بقاءه، بل المطلوب زواله حسب الإمكان، ولولا هذا لما وجب بيان العلم، ولكان ترك الناس على جهلهم خيراً لهم، ولكان ترك دلائل المسائل المشبهة خيراً من بيانها»^(١).

وقال ابن القيم: «إن حجة الله قامت على العبد بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وبلوغ ذلك إليه، وتمكنه من العلم به، سواء علم أو جهل، فكل من تمكن من معرفة ما أمر الله به ونهى عنه، فقصر عنه ولم يعرفه، فقد قامت عليه الحجة، والله سبحانه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه»^(٢).

- المسألة الثالثة: قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة:

وذلك أن الزمان الذي يخفى فيه العلم، ويطغى فيه الجهل، وتكثر فيه الشبهات فإن موجب العذر بالجهل يقوى، وقيام الحجة فيه يقل ويخفى، فلا يحمل على زمن ظهور العلم وانتشاره، وما قيل في الزمان يقال في المكان.

وقد أشار ابن تيمية إلى أهل زمانه وما كان عليه الكثير من الوقوع في أنواع

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧٩/٢٠). وانظر منه: (١٦/٢٢).

(٢) مدارج السالكين (٢٣٩/٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٤٩)، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٤٦٠) وصححه، وصححه البوصيري في المصباح (١٩٤) [دار العربية، ط ٢]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٨٧).

(٤) الفتاوى لابن تيمية (١٦٥/٣٥).

عُرِفَ وجوبها وعُلِّمَ ذلك، ولم يُحَكَمْ بكفره لأنه معذور، فإن لم يكن ممن يجهل ذلك كالناشئ من المسلمين في الأمصار والقرى، لم يعذر ولم يقبل منه ادعاء الجهل، وحكم بكفره؛ لأن أدلة الوجوب ظاهرة في الكتاب والسنة، والمسلمون يفعلونها على الدوام، فلا يخفى وجوبها على من هذا حاله، ولا يجحدها إلا تكذيباً لله تعالى، ورسوله وإجماع الأمة، وهو يصير مرتدّاً عن الإسلام، ولا أعلم في هذا خلافاً^(٣).

وقال ابن تيمية: «إن الأمانة والأزمة التي تفتت فيها النبوة، لا يكون حكم من خفيت عليه آثار النبوة حتى أنكر ما جاءت به خطأ، كما يكون حكمه في الأمانة والأزمة التي ظهرت فيها آثار النبوة»^(٤).

ويقول أيضاً: «لا يكفر العلماء من استحل شيئاً من المحرمات لقرب عهده بالإسلام، أو لنشأته ببادية بعيدة، فإن حكم الكفر لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة، وكثير من هؤلاء قد لا يكون قد بلغته النصوص المخالفة لما يراه، ولا يعلم أن الرسول بعث بذلك»^(٥).

شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب، ولم يحضر ترجمان يترجم له»^(١).

- المسألة الرابعة: قيام الحجة والعذر بالجهل يختلف باختلاف المسائل والأحوال:

فمن المسائل ما يكون خفياً دقيقاً، ومنها ما يكون مشهوراً شائعاً، فالعذر في الأولى أقوى من العذر في الثانية.

كما أن من الناس من يكون حديث عهد بالإسلام، أو يكون ضعيف الفهم، أو أعجمي اللسان، فمثل هذا قد يعذر بجهله بما لا يعذر به من لم يكن كذلك.

قال الإمام الشافعي: «إن من العلم ما لا يسع بالغاً غير مغلوب على عقله جهله، مثل الصلوات الخمس، وأن لله على الناس صوم شهر رمضان، وحج البيت إذا استطاعوه، وزكاة في أموالهم، وأنه حرم عليهم الزنا والقتل، والسرقة والخمر، وما كان في معنى هذا»^(٢).

وقال الموفق ابن قدامة - في أثناء كلامه على تارك الصلاة -: «فإن كان جاحداً لوجوبها نظر فيه؛ فإن كان جاهلاً به، وهو ممن يجهل ذلك كالحديث الإسلام، والناشئ ببادية،

(٣) المغني (٤٤٢/٢) [مكتبة الرياض الحديثة]. وانظر: نواقض الإيمان القولية والعملية (٦٥، ٧٣).

(٤) بغية المرئاد (٣١١).

(٥) مجموع الفتاوى (٥٠١/٢٨). وانظر: (٤٠٧/١١).

(١) طريق الهجرتين (٤١٤).

(٢) الرسالة (٣٥٧) [دار الكتب العلمية].

❁ الفرق:

الفرق بين الكافر الأصلي، والمسلم الذي وقع في أمر مُكْفَرٍ:

في تقرير الكلام على بلوغ الحجة لا بد من التفريق بين حالتين:

الأولى: حالة الكافر الأصلي، الذي لم يدخل في الإسلام أصلاً، ولم تبلغه الحجة الرسالية.

فمثل هذا ينظر في حكمه من ناحية أحكام الدنيا، وأحكام الآخرة، أما في أحكام الدنيا فإنه يعامل معاملة الكفار، ويحكم عليه بحكمهم في الموارث ونحو ذلك، وأما في أحكام الآخرة، فإذا كانت الحجة الرسالية لم تبلغه، فإنه يعذر بجهله، ويكون له حكم أهل الفترة، وهم الذين يمتحنون في الآخرة.

قال ابن تيمية: «أخبر الله تعالى عن هود أنه قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾» [هود]، فجعلهم مفتريين قبل أن يحكم بحكم يخالفونه، لكونهم جعلوا مع الله إلهاً آخر، فاسم المشرك ثبت قبل الرسالية، فإنه يشرك بربه ويعدل به، ويجعل معه آلهة أخرى، ويجعل له أنداداً قبل الرسول وأما التعذيب فلا»^(١).

وقال ابن القيم: «الواجب على العبد

أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر، وأن الله ﷻ لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول، هذا في الجملة، والتعيين موكول إلى علم الله وحكمه، هذا في أحكام الثواب والعقاب، وأما في أحكام الدنيا فهي جارية على ظاهر الأمر، فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا لهم حكم أوليائهم»^(٢).

الحالة الثانية: حال المسلم المقر بالشهادتين، والذي قد وقع في أمر مكفر جهلاً.

فمثل هذا الأصل فيه أنه معذور بجهله، فله أحكام أهل الإسلام في الدنيا والآخرة، كما سبق من حديث الذي أمر أهله أن يحرقوه.

وقد أخطأ من حمل الحال الثانية على الأولى، وجعل أقوال أهل العلم المتوجهة للحال الأولى مقولة في الحال الثانية^(٣).

الفرق بين قيام الحجة، وفهم الحجة: المعتبر في التكليف أن تقوم الحجة على المكلف، ويفهمها الفهم الذي يدرك به معناها والمراد بها، ولا يشترط أن يفهمها الفهم الدقيق الذي يدركه علماء الدين حتى تقوم عليه الحجة.

(٢) المرجع السابق. وانظر: مدارج السالكين (٣/ ٤٨٩).

(٣) انظر: نواقض الإيمان الاعتقادية (١/ ٢٤٦ - ٢٧٦).

ونواقض الإيمان القولية والعملية (٦٨ - ٧٠).

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٧، ٣٨).

وينبغي أن يعلم أن مراد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن نحا نحوه من تلاميذه من عدم اشتراط فهم الحجة في قيام الحجة على العبد هو: فهم التفقه المؤثر في السلوك والمؤدي إلى الامتثال وليس مرادهم فهم لسان المتكلم ولغته، فإن اشتراط فهم لسان المبلغ محل اتفاق عند سائر علماء أهل السنة والجماعة. وهذا يدل على أن الشيخ ابن عبد الوهاب رحمته الله يقصد عدم اشتراط الفهم المفصل للحجة لا المجمل، حيث قال رحمته الله في رسالة أخرى له: «وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبة عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما؛ لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، ولم يكفر ويقاتل؟ سبحانه هذا بهتان عظيم» ^(٤).

ومما يؤكد أن الشيخ يقصد نفي الفهم المفصل للحجة ما قاله تلميذه الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمته الله: «وليس المراد بقيام الحجة أن يفهمها الإنسان فهمًا جليًا كما يفهمها من هداه الله ووفقه، وانقاد لأمره، فإن الكفار قد

قال محمد بن عبد الوهاب: «وأصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وفهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان]. وقيام الحجة وبلوغها نوع، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها نوع آخر، فإن أشكل عليكم ذلك، فانظروا قوله رحمته الله في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم» ^(١)، مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم وقد بلغتهم الحجة، ولكن لم يفهموها» ^(٢).

وقال أيضًا: «من المعلوم أن قيام الحجة ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم أبي بكر رضي الله عنه، بل إذا بلغه كلام الله ورسوله، وخلا من شيء يعذر به فهو كافر، كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن، مع قول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الإسراء: ٤٦]، وقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال]» ^(٣).

كلام الشيخ عبد الله أبي بطين في الدرر السنية (٨/ ٢١٣، ٢١٤)، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٥١٥/٤) [دار العاصمة، ٣ ط، ١٤١٢هـ].

(٤) فتاوى ومسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ضمن مجموع مؤلفاته (١١/١).

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠٥٧)، ومسلم، (كتاب الزكاة، رقم ١٠٦٦).

(٢) مجموعة مؤلفات ابن عبد الوهاب (١٢/٣، ١٣).

(٣) الدرر السنية (٨/ ٧٩) [ط، ١٤١٧هـ]. وانظر:

قامت عليهم حجة الله مع إخباره بأنه جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه»^(١).

❏ القِيَامَةُ الصَّغْرَى ❏

يراجع مصطلح (الموت).

❏ المصادر والمراجع:

١ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.

٢ - «الإحكام»، لابن حزم.

٣ - «الجواب الصحيح»، لابن تيمية.

٤ - «خلق أفعال العباد»، للبخاري.

٥ - «الدرر السنية في الفتاوى النجدية».

٦ - «ضوابط التكفير»، لعبد الله القرني.

٧ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

٨ - «الفصل في الملل والنحل»، لابن حزم.

٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ - «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية».

١١ - «مجموعة مؤلفات ابن عبد الوهاب».

١٢ - «منهاج الحق والاتباع»، لسليمان بن سحمان.

١٣ - «نواقض الإيمان الاعتقادية»، لعبد العزيز الوهبي.

١٤ - «نواقض الإيمان القولية والعملية»، لعبد العزيز العبد اللطيف.

(١) مجموع الرسائل والمسائل النجدية (٤/٦٣٨).

❏ القِيَامَةُ الْكُبْرَى ❏

يراجع مصطلح (يوم القيامة).

❏ الْقِيَمُ ❏

يراجع مصطلح (القيوم).

❏ الْقِيَوْم ❏

❏ التعريف لغةً:

الْقِيَوْم: (فيعول) من القيام، والقيام يأتي على ضرب؛ هي: قيام بالشخص؛ إما بتسخير أو اختيار، وقيام للشيء على سبيل المراعاة والحفظ له، وقيام هو من العزم على الشيء، وقيام بالشيء إدامته.

وأقرب تلك المعاني تعلقًا باسم الجلال (الْقِيَوْم): القيام للشيء على سبيل المراعاة والحفظ له ومنه قوله تعالى: ﴿أَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

والمعنى الثاني الذي له تعلق بمدلول هذا الاسم: أنه الدائم الذي لا يزول^(٢).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٩/٣٥٧ - ٣٦٠) [الدار

المصرية]، ومقاييس اللغة (٨٦٩) [دار الفكر، ط ٢، =

وقال النووي: «قال ابن عباس: القَيُّوم الذي لا يزول»^(٣). وقال غيره: هو القائم على كل شيء. ومعناه: مدبر أمر خلقه، وهما سائغان في تفسير الآية والحديث»^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، إلا أن المعنى المتعلق بوصف الله تعالى هو على غاية الكمال والجلال، وليس لمخلوق مثله، فلا أحد قائم بنفسه بحيث ترتفع عنه كل حاجة لغيره إلا الله تعالى، ولا أحد قائم بشؤون الخلق وتدبيرهم، وكلُّ مفتقر إليه إلا الله **وَعَلَى**.

الحكم:

اسم الله تعالى: القيوم من أسمائه الثابتة بنص الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم دون استثناء.

الحقيقة:

القيوم هو الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بجميع الموجودات، فأوجدها وأبقاها، وأمدّها بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وبقائها»^(٥).

(٣) ذكره الدارمي في النقض على المريسي (٣٥٤/١) [مكتبة الرشد، ١٦]، وفي سننه محمد بن السائب الكلبي، وهو متهم بالكذب.

(٤) شرح النووي على مسلم، حديث رقم (٧٦٩).

(٥) تفسير الكريم الرحمن (٣١٣/١).

والقيَام بوزن (فَيْعَال)، و(فَيْعَال) من صيغ المبالغة من جنس (فَعَال)، مبالغة من القِيَام، يقال: قام يقوم قيامًا فهو قائم وقِيَام.

والقِيَام والقَوَام: اسم لما يقوم به الشيء؛ أي: يثبت، ويُسند به، ومنه قوله تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: ١٦١]؛ أي: ثابتًا مقومًا لأمر معاشهم ومعادهم^(١).

والقيَم، (فَيْعِل) من القيام، وهو من أبنية المبالغة، وأصله: (قَيُّوم)، مثل: صَيَّب أصله: (صَيَّب)، اجتمعت الواو والياء وسُبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء^(٢).

التعريف شرعًا:

القيوم: هو القائم بنفسه، الغني عن كل من سواه، فلم يحتاج إلى أحدٍ سواه؛ لكمال غناه **وَعَلَى**.

وهو سبحانه القائم بأمر خلقه، المدبر شؤونهم، فكلُّ ما سواه محتاج إليه بالذات.

= ١٤١٨هـ، [والصالح (٢٠١٦/٥ - ٢٠١٨) دار العلم للملايين، ط ٤]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٩٠ - ٦٩٣) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (٧٦٧/٢ - ٧٦٨) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢م].

(١) انظر: تهذيب اللغة (٣٥٧/٩ - ٣٦٠)، ومقاييس اللغة (٨٦٩)، والصالح (٢٠١٦/٥ - ٢٠١٨)، مفردات ألفاظ القرآن (٦٩٠ - ٦٩٣)، والمعجم الوسيط (٧٦٧/٢، ٧٦٨).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣٥٧/٩ - ٣٦٠)، والنهاية في غريب الحديث (٢٢٧/٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنه: قال كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال: «اللَّهُمَّ ربنا لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض...» (٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال مجاهد: «القيوم: القائم على كل شيء» (٣).

وقال أبو العباس ابن تيمية: «اسمه (القيوم) يتضمن أنه لا يزول، فلا ينقص بعد كماله، ويتضمن أنه لم يزل ولا يزال دائماً باقياً أزلياً أبدياً موصوفاً بصفات الكمال، من غير حدوث نقص أو تغير بفساد واستحالة ونحو ذلك مما يعترى ما يزول من الموجودات» (٤).

وقال ابن القيم موضحاً ما يتضمنه اسم الله تعالى (القيوم) من معنى: هذا وَمِنْ أوصافِهِ الْقَيُّومُ وَالْقَيُّومُ فِي أوصافِهِ أَمْرَانِ إِحْدَاهُمَا الْقَيُّومُ قَامَ بِنَفْسِهِ وَالْكَوْنُ قَامَ بِهِ هُمَا الْأَمْرَانِ فالأول استغناؤه عن غيره والفقر من كل إليه الثاني

والوصف بالقيوم ذو شأن كذا موصوفه أيضاً عظيم الشأن (٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٤٢)، ومسلم

(كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٦٩).

(٣) تفسير الطبري (٣٨٨/٥).

(٤) جامع الرسائل لابن تيمية (٣٥/١).

(٥) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة =

ثم إن اسم الله (القيوم) يقترب بصفة الحياة له ﷻ، فلم يذكر اسم القيوم في القرآن إلا مقروناً باسمه الحي؛ ذلك لأن الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال، والقيوم متضمن كمال الغنى والقدرة ودوام ذلك بلا انتهاء.

قال ابن القيم - في هذين الاسمين (الحي القيوم) -: «عليهما مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما مرجع معانيها جميعها، فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفي كمال الحياة وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة» (١).

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، وآل عمران: ٢].

وقال ﷻ: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

(١) بدائع الفوائد (٢/٤١٠).

والأرض ومن فيهن، أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق» الحديث (٣).

والحديث واحد، فيحتمل أن يكون رواية بالمعنى؛ للدلالة على وصف الله تعالى بالقيومية، والله تعالى أعلم.

- المسألة الثانية: ما يتضمنه اسم الله (القيوم) من الدلالات والأحكام:

إن اسم الجلال: (القيوم) يتضمن العديد من الدلالات والأحكام التي أطال أهل العلم المفسرين لهذا الاسم ببيانها لعظم هذا الاسم وجلالة شأنه، ومن ذلك:

- دلالة هذا الاسم على كمال صفة القيام التي يتصف بها المولى ﷻ، قيامه ﷻ بنفسه الذي هو من لوازم ذاته، وقيامه بغيره من جميع خلقه الذين لا قيام لهم إلا به ﷻ.

- كما أن هذا الاسم متضمن لجملته من صفات الكمال الأخرى، فهو دالٌّ على كمال غناه وقدرته، فإنه القائم بنفسه؛ لا يحتاج إلى من يُقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه.

وهو المقيم لغيره؛ فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وكل ما سواه من هذا العالم العلوي والسفلي فهو تحت تدبيره وحفظه وهذا من كمال قدرته وعزّته.

وقال محمد الأمين الشنقيطي: «والقيوم صيغة مبالغة؛ لأنه ﷻ هو القائم بتدبير شؤون جميع الخلق، وهو القائم على كل نفس بما كسبت. وقيل: القيوم الدائم الذي لا يزول» (١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: القيام، والقيم:

استدل لاسم (القيام) ببعض روايات حديث ابن عباس ﷺ الذي فيه الدعاء المشهور الذي كان يدعو به النبي ﷺ في صلاة الليل، وفيه: أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل يقول: «اللَّهُمَّ لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قيام السماوات والأرض، ولك الحمد أنت ربُّ السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق» الحديث (٢).

واستدل لاسم (القيم) بروايات أخرى للحديث أنف الذكر، وفيه: أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل يقول: «اللَّهُمَّ لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قيم السماوات والأرض، ولك الحمد أنت ربُّ السماوات

= الإمام ابن القيم لابن عيسى (٢/٢٣٦).

(١) أضواء البيان (٤/٥١٨).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: مسلم (كتاب صلاة المسافرين

وقصرها، رقم ٧٦٩).

- المسألة الثالثة: اقتران (القيوم) باسم (الحي):

بما أن اسم الجلال (القيوم) لم يرد في النصوص إلا مقترناً باسم الجلال (الحي)، فقد أشار أهل العلم إلى بعض أسرار هذا الاقتران، ومن ذلك:

- أن العديد من أهل العلم - منهم ابن تيمية وابن القيم - نصوا على أن اسمي: (الحي القيوم) هما الاسم الأعظم الذي قال فيه النبي ﷺ: «لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»^(١).

وقوله ﷺ: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَلِكُلِّكُمْ إِلَهٌ وَجَدُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة]، وفاتحة سورة آل عمران: ﴿إِلَهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلْحَى الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران]»^(٢).

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٥)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٤٤)، والنسائي (كتاب السهو، رقم ١٣٠٠)، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٨)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٨٩٣)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٨٥٦) وصححه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٣/٥) [مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٦)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٤٧٨) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٥)، وأحمد (٥٨٤/٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ]، وسنده ضعيف، لكن له شاهد يرتقي به إلى الحسن. انظر: صحيح أبي داود للألباني (٢٣٤/٥).

- ولجلالة هذين الاسمين اعتبرهما أهل العلم أنهما يجمعان أصل معاني بقية أسماء الله الحسنى، وذلك من جهة أنهما مقتضيان للعديد من الصفات؛ فالحي دالٌّ على صفة الحياة المتضمنة لجميع الصفات الذاتية كالعلم والإرادة والقدرة والعزة والعظمة والكبرياء وغيرها، والقيوم متضمن لجميع صفات الأفعال.

- كما أشار أهل العلم إلى عظيم أثر الدعاء بهذين الاسمين، في دفع ما ينتاب الإنسان من همٍّ وكربٍ وشدة، كما جاءت الإشارة إلى أن بعضهم اعتبرهما الاسم الأعظم الذي وردت الإشارة إليه في النصوص السابقة، وما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»^(٣).

- المسألة الرابعة: الكلام على اسم (القائم):

بعض أهل العلم ممن اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها أثبتوا اسم (القائم)، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٢٤) وقال: حديث غريب، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٣٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ]، وحسنه الألباني بشاهده في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٢٧) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٥هـ].

٥ - انتظام أمر العالم، وقيامه على غاية الإحكام والإتقان، فالذي أقامه هو الذي خلقه فسوّاه.

٦ - إجابة الله تعالى لدعوة من دعاه، وخاصة إذا كانت دعوة اضطرار وافتقار.

٧ - ما يكون للرسول وأتباعهم من نصر وتمكين وحسن عاقبة.

٨ - ما يكون على أعداء الله من هزيمة وسوء عاقبة، فمهما كان للمبطل من صولة وجولة وقيام، فإنه بإقامة الله تعالى ذلك اختباراً، ثم يجعل دائرة السوء تدور عليهم.

٩ - ظهور آثار قيوميته سبحانه لكل شيء من المخلوقات جامدها، ومتحركها، فاجرها، وتقيّها، وآثار قيوميته سبحانه بأوليائه وبمن أحبه تظهر في حفظه ولطفه ورعايته بعباده المتقين، وهذا يقتضي محبة الله ﷻ، والركون إليه، والتعلق به وحده، والسكون إليه، والرضا بتدبيره، وحمده وإجلاله وتعظيمه.

١٠ - التبرؤ من الحول والقوة والافتقار التام لله ﷻ وإنزال جميع الحوائج به، وإخلاص الاستعانة والاستغاثة والاعتصام به، وقطع التعلق بالمخلوق الضعيف المربوب لله تعالى المفتقر إلى ربه ﷻ الفقر الذاتي التام.

لكن الصحيح الذي عليه المحققون من أهل العلم أن القائم لا يثبت اسماً في حق الله ﷻ؛ لأنه من باب الأفعال وليس من باب الأسماء، قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في أثناء تفصيله الكلام على تعيين عدد من العلماء لأسماء الله الحسنى: «وبعضها خطأ محض كالأبد والناظر والسامع والقائم والسريع، فهذه وإن ورد عدداً في بعض الأحاديث فلا يصح ذلك أصلاً»^(١).

❁ الآثار:

١ - إثبات صفات الكمال لله ﷻ، ونفي كل صفات النقص عنه سبحانه.

٢ - التعبد لله تعالى بأنه القائم على كل شؤون خلقه، فترفع إليه يد المسألة، وتنزل به المطالب والحاجات.

٣ - الافتقار والتذلل بين يدي الله تعالى؛ إذ أنه لا قيام لأحد من الخلق إلا به ﷻ، فكل مفتقر إليه، وهو الغني سبحانه عمن سواه.

٤ - يقين المؤمن بوعده الله الصادق بأن العاقبة للمؤمنين، وأن من اتبع هداه فلا يضل ولا يشقى؛ إذ إن قيام هذا العالم كله بأمر الله تعالى، ولا يكون شيء إلا بإذنه.

(١) تيسير العزيز الحميد (٥٤٥) [دار الفكر، ١٤١٢هـ]. وانظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٢٣٧ - ٢٣٨) [أضواء السلف، ١، ١٤١٩هـ].

❁ المصادر والمراجع:

- ٩ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.
- ١ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، تيمية.
- ١٠ - «صفات الله ﷻ الواردة في البيهقي.
- ٢ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ١)، الكتاب والسنة، لعلوي السقاف.
- ١١ - «فصل في اسمه تعالى لابن تيمية.
- ٣ - «بدائع الفوائد» (ج ٢)، لابن القيم.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج (٥٦).
- ٥ - «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم» (ج ٢)، لابن عيسى.
- ٦ - «جامع الرسائل» (ج ١)، لابن تيمية.
- ١٢ - «فصل في معنى اسمه (الحي القيوم)»، ضمن جامع المسائل، لابن تيمية.
- ١٣ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.
- ٧ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السنة الأصبهاني.
- ٨ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

❁ القيومية ❁

يراجع مصطلح (القيوم).



حرف الكاف

التعريف شرعاً:

الكافي: اسم للربّ تعالى، وهو بمعنى الحبيب، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الرّؤم: ٣٦] (٣).

الكافي

التعريف لغةً:

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

كلاهما دالّ على أن الكافي هو القائم بالأمر الذي يُستغنى به عن غيره، فالله ﷻ هو كاف عباده بكل ما يحتاجون إليه، القائم بأمورهم المستغنون به عن غيره.

الحكم:

لم يثبت أن الكافي من أسماء الله ﷻ، لكن يخبر عن الله ﷻ أنه هو الكافي، فلا تسوغ تسمية الله ﷻ بالكافي، أو دعاؤه به، أو التعبيد به فيقال: عبد الكافي؛ لعدم ثبوت النص في كونه اسماً لله ﷻ.

الحقيقة:

كفاية الله لخلقه عامة وخاصة (٤):

فالكفاية العامة: تشمل جميع الخلق،

قال ابن فارس رحمه الله: «الكاف والفاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على الحُسْب، الذي لا مستزاد فيه؛ يقال: كفاك الشيء يكفيك، وقد كفى كفاية؛ إذا قام بالأمر» (١).

والكافي: اسم فاعل من كفى يكفي فهو كافٍ؛ إذا قام بالأمر، وكفاك هذا الأمر؛ أي: حسبك، وكثيراً ما يفسر الكافي بالحبيب، والحبيب بالكافي لتقارب معناه، فالكافي هو الذي يُستغنى به عن غيره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء]، واكتفى بالشيء؛ إذا استغنى به (٢).

(١) مقاييس اللغة (١٨٨/٥) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣٨٥، ٣٨٤/١٠) [الدار المصرية]، والصحاح (٢٤٧٥/٦) [دار العلم للملايين، ط ٤]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٧١٩) [دار القلم، ط ٢]، والمعجم الوسيط (٢/٧٩٣) [دار الدعوة، ط ٢].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٥٤/١٠) و(١٥٨/٢٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٥هـ].

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٢٤)، [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ]، =

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «وأما الحسب: وهو الكافي فهو الله وحده»^(٢)، وقال أيضًا: «والحسب: الكافي؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾»^(٣).

وقال ابن القيم في نونيته^(٤):

«وهو الحسب حماية وكفاية

والحسب كافي العبد كل أوان»

قال السعدي في شرحه لها: «فالحسب: هو الكافي للعباد جميع ما أهمهم من أمر دينهم، وديارهم، من حصول المنافع، ودفع المضار، والحسب بالمعنى الأخص: هو الكافي لعبده المتقي المتوكل عليه، كفاية خاصة، يصلح بها دينه ودياره»^(٥).

وقال الشيخ محمد خليل هراس رحمته الله: «فجعل الكفاية: وهي بمعنى الحسب لله وحده، فكفاية الله لعبده بحسب ما قام به من متابعة الرسول ظاهرًا وباطنًا، وقيامه بعبودية الله تعالى»^(٦).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/١٥٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٥هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٢٦/١٥٨).

(٤) الكافية الشافية (٤/١٨١) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٥) الحق الواضح المبين للسعدي (٣/٢٥٢).

(٦) شرح القصيدة النونية (٢/١٠٥) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

فهو عليه السلام كافي الخلق كلهم، لا يحتاجون معه إلى شيء آخر، يدبر مصالحهم، ويوصل إليهم أقواتهم، وينيلهم مقاصدهم، وحاجاتهم.

والكفاية الخاصة: لأوليائه وأهل طاعته، الذين قاموا بحق العبودية، فيكون لهم من كفاية الله وكلاءته وحمايته بقدر ما حققوا من معاني عبوديته؛ كما قال عليه السلام: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقال عليه السلام: ﴿فَبِكْفَيْكُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وقال عليه السلام: ﴿إِنَّا كَفَيْنَا الْمُسْتَهْزِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

ومن السنة حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»^(١).

= والحق الواضح المبين للسعدي - ضمن المجموعة الكاملة له (٣/٢٥٢) [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط ٢، ١٤١٢هـ]، وعقيدتنا عقيدة القرآن والسنة لمحمد خليل هراس (١٥٠) [دار الكتاب والسنة، ط ١، ١٤٢٧هـ].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٥).

الفرق:

الفرق بين الكافي والحسب:

الكافي أعم من الحسب؛ فالكافي عام لجميع الخلائق الإنس والجن، مؤمنهم وكافرهم، وسائر الخلائق من الدواب، وغيرها، وأما الحسب فهو أخص؛ إذ إنه للمؤمنين والمتوكلين على الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] (١).

الآثار:

- إن الكافي عباده رزقًا ومعاشًا وقوتًا، وحفظًا وكلاءة، ونصرًا وعزًا هو الله تبارك شأنه، فهو الذي يُكتفى بمعونته عمن سواه.

- إذا علم أن الله تعالى هو الكافي لجميع عباده في معاشهم ومعادهم، أوجب ألا يكون الرجاء إلا منه، والرغبة إلا إليه (٢).

- ومن آثاره أن يورث التوكل على الله تعالى، والاعتماد عليه، وعدم الالتفات إلى أحد من المخلوقين؛ لأنه هو وحده الكافي عباده بما يشاء.

(١) انظر: توضيح الكافية الشافية (١٢٦، ١٢٧). وانظر: جامع الأصول لابن الأثير (١٧٩/٤)، وشرح النونية لهراس (١٠٤/٢).

(٢) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١٩١/١) [آدار الفكر، ط ١، ١٣٩٩]، والأسماء والصفات للبيهقي (٥٠/١) [مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ].

المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله الحسنى»، للغصن.
- ٢ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، للبيهقي.
- ٣ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٥ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ٢)، للأصبهاني.
- ٦ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٧ - «شرح أسماء الله الحسنى»، للقططاني.
- ٨ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتيمي.
- ١٠ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج ١)، للجليمي.
- ١١ - «عقيدتنا عقيدة القرآن والسنة»، لمحمد هراس.

الكبر

يراجع مصطلح (الكبير).

الكبير

التعريف لغة:

الكبير: بوزن (فعليل) صيغة مبالغة،

وقال السعدي: «الكبير الذي له الكبرياء في ذاته وصفاته، وله الكبرياء في قلوب أهل السماء والأرض»^(٢).

❖ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي واضحة وجليّة؛ إذ إن المعنى الشرعي لاسم الجلال الكبير مأخوذ من المعنى اللغوي مباشرة الذي يدور حول معاني الكبرياء والعظمة.

❖ الحكم:

يجب إثبات ما أثبتته الله لنفسه، وما أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء، ومن ذلك اسم الله الكبير؛ لدلالة النصوص على ذلك.

❖ الحقيقة:

معاني الكبرياء والعظمة التي يدل عليها اسم الكبير نوعان:

الأول: يرجع إلى صفاته سبحانه، وأن له جميع معاني العظمة والجلال، وصفات الكمال والجمال، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧) [الرّؤى]، فله ﷻ الكبرياء والعظمة الوصفان اللذان لا يقدر قدرهما أحد،

(٢) تفسير السعدي (٤١٤، ٦٥١).

مأخوذ من الكِبَر وهو خلاف الصَّغَر، والكِبَر من: كَبُرَ يَكْبُرُ؛ أي: عَظُمَ من العظمة، فهو كبير وكُبَار وكُبَّار، وجمعه: كِبَار، ومنه الكبرياء، ويقال: ورثوا المجد كابراً عن كابر؛ أي: كبيراً عن كبير في الشرف والعزّ.

ويقال: أَكْبَرْتُ الشيء؛ إذا استعظمتها ورأيتك كبيراً.

وكَبُرَ يُكْبَرُ تكبيراً: قال: الله أكبر. والتكبير: التعظيم، والتكْبُر والاستكبار: التعظّم.

وكَبُرَ الشيء: معظّمه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١) [النور].

❖ التعريف شرعاً:

الكبير: اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة له، يأتي بمعنى: العظيم والجليل. وهو مشتق من الكبرياء، فهو ﷻ له الكبرياء في ذاته، وصفاته وله الكبرياء في قلوب أهل السماء والأرض، فهو الذي كَبُرَ وعلا في ذاته.

وهو الكبير في أوصافه وأفعاله تبارك وتعالى، فلا سمي له ولا شبيه، ولا كفؤ ولا نظير^(١).

(١) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٥٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ]، الحجة في بيان المحجة (١٢٩/١) [دار الراية، ط ١، ١٤١١هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٢٥) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

﴿الرعد﴾، واقترن في أربعة مواضع باسم (العلي)، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢، ولقمان: ٣٠].

كما ورد في السُّنة النبوية الصحيحة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاعاً لقوله؛ كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزَّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: ﴿الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾» [سبأ]، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضهم فوق بعض» وذكر الحديث ^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال البيهقي - عند سرده للأسماء الحسنى -: «ومنها: الكبير، قال الله جل ثناؤه: ﴿عَلِيُّ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾» [الرعد] ^(٤).

وقال ابن تيمية: «بل جميع الأسماء الحسنى هي مما وصف به نفسه كقوله: الغفور الرحيم، والعلي العظيم، الكبير المتعال» ^(٥).

وقال السعدي: «الكبير الذي له

ولا يبلغ كنههما عبد من العباد، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه كان يقول في ركوعه وسجوده: «سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة» ^(١).

الثاني: أنه لا يستحق أحد التعظيم والتكبير والإجلال والتمجيد غير الله، ومن تعظيمه وَجَلَّ وتكبيره أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ومن تعظيمه وإجلاله أن يخضع لأوامره وشرعه وحكمه، ولا يُعترض على شيء من خلقه أو شرعه، وتعظيم ما عظمه من الأمكنة والأزمنة والأشخاص والأعمال، والعبادة مبناها على تعظيم الباري وتكبيره، ولهذا شرعت التكبيرات في الصلاة في افتتاحها وفي تنقلاتها، وشرع التكبير في الصيام والفطر، وفي الحج والجهاد، وبهذا تتبين مكانة التكبير وجلالة قدره، وعظم منزلته ^(٢).

❁ الأدلة:

ورد هذا الاسم في خمسة مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿عَلِيُّ

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ٨٧٣) واللفظ له، والنسائي (كتاب التطبيق، رقم ١٠٤٩)، وأحمد (٤٠٥/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه النووي في الخلاصة (٣٩٦/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ٨١٧) [مؤسسة غراس، ط ١].

(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنى (١٥١، ١٥٢) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٠٠).

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (٩٩/١).

(٥) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣٢٨/٦).

أشرف، فلما كان التكبير أبلغ من التعظيم صرَّح بلفظه وتضمَّن ذلك التعظيم^(٣).

الكبرياء في ذاته وصفاته، وله الكبرياء في قلوب أهل السماء والأرض^(١).

✻ المسائل المتعلقة:

- المسألة الثانية: هل (الأكبر) من أسماء الله ﷻ؟

- المسألة الأولى: هل اسم (الكبير) مرادف لاسم (العظيم)؟

عَدَّ ابن حزم^(٤)، والقرطبي^(٥)، وابن الوزير^(٦) اسم (الأكبر) من أسماء الله تعالى، ولم يأت دليل صحيح يُلحق اسم (الأكبر) بأسماء الله الحسنى، ومن عده فيها استدل له بالحديث الذي رواه أبو داود عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «الله أكبر الأكبر، حسبي الله ونعم الوكيل، الله أكبر الأكبر»^(٧).

تفسير بعض أهل العلم اسم الجلال (الكبير) بالعظيم لا يلزم منه أنه مرادف له؛ لأن الكبرياء الذي يدلُّ عليه اسم الجلال الكبير أكمل من العظمة؛ لأنه يتضمنها ويزيد عليها في المعنى، وفي تقرير ذلك يقول ابن تيمية: «وفي قوله: (الله أكبر) إثبات عظمته، فإن الكبرياء تتضمن العظمة ولكن الكبرياء أكمل؛ ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الصلاة والأذان بقول: (الله أكبر) فإن ذلك أكمل من قول: (الله أعظم)، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما عذبت»^(٨)، فجعل العظمة كالإزار، والكبرياء كالرداء، ومعلوم أن الرداء

ولم يرد (الأكبر) في حديث الأسماء، وفي جمع جعفر الصادق، وسفيان بن عيينة، والخطابي، وابن منده، والحليمي، والبيهقي، والأصبهاني، وابن العربي، وابن القيم، وابن حجر، والسعدي، والعثيمين، وغيرهم ممن عد

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٥٣/١٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ]. وانظر: نفس المصدر (٦١١/١٦، ٦١٢).

(٤) المحلى (٢٨٢/٦).

(٥) ذكر ذلك التيمي في معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٢٢٠)، ولم نجده في كتاب الأسنى.

(٦) إثار الحق على الخلق (١٦٠).

(٧) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥٠٨)، والنسائي في السنن الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ٩٨٤٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣٦/٢) [مكتبة الرشد، ط١]، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٩٥/٢) [مؤسسة غراس، ط١].

(١) تفسير السعدي (٤١٤، ٦٥١).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب اللباس، رقم ٤٠٩٠)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤١٧٤)، وأحمد (١٤/٤٧٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٢٨)، بلفظ: (فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٣١١). وقد جاء الحديث عند مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٢٠) بلفظ: «العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبت».

الأسماء، وعلة ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أنه لم يثبت دليل يدل على أن (الأكبر) اسم من أسماء الله تعالى إلا ما سبق من حديث زيد بن أرقم، وهو حديث ضعيف.

الوجه الثاني: أنه لا يصح أن يؤخذ اسم (الأكبر) من الكبير أو المتكبر وهما اسمان ثابتان لله تعالى؛ لأن أسماء الله تعالى توقيفية.

- المسألة الثالثة: صفة الكبير:

الكِبَرُ صفة ذاتية خبرية ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسُّنة، وقد جاء بيان ذلك وإثباته في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة^(١).

وإن الله ﷻ له جميع معاني العظمة والجلال والكبرياء، فهو سبحانه أكبر وأعظم وأجل وأعلى من كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله، وأن كل شيء مهما كبر وعظم فهو صغير وحقير وذليل أمام كبرياء الله وعظمته ومجده وجلاله، ومن علم ذلك وأيقن ذل لربه، وانكسر بين يديه، وصرف له أنواع العبادة كلها، واعتقد أنه المستحق لها دون سواه، وعلم أن من صرف شيئاً من العبادة لغيره سبحانه فهو لم يقدر ربه العظيم حق

قدره^(٢)، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر].

الآثار:

- على المسلم أن يعتقد بأن الله ﷻ أكبر من كل شيء، وأعظم وأجل من كل شيء، وأنه ما من شيء مهما كبر فإنه يصغر عند كبرياء الله وعظمته، وعليه أن يعلم أن كبرياء الرب وعظمته وجلاله وكماله وسائر أوصافه ونعوته لا يمكن أن تحيط به العقول، أو تدركه الأبصار والأفكار، فالله أعظم وأكبر من ذلك، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء].

- من علم أن الله ﷻ هو الكبير الذي ليس شيء أكبر منه ذل لربه وانكسر بين يديه، وصرف له جميع أنواع العبادة، وأنه وحده تبارك وتعالى المستحق لذلك كله دون سواه، وأن كل من أشرك بالله ﷻ شيئاً أو شبهه بشيء من خلقه فما قدر الله حق قدره ولا عظمه حق تعظيمه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنی للبدر (١٥١ - ١٥٣) [مطابع الحميضي، ط ١، ١٤٢٩هـ]، وأسماء الله الحسنی لماهر المقدم (١٦٦ - ١٦٨) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط ٤، ١٤٣١هـ].

(١) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنة للسقاف (٢٨٦) [دار الهجرة الرياض، ط ٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٤٤) [مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

وَالْكِبْرُ: الإثم وهو من الكبيرة واحدة الكبائر، كالخطء من الخطيئة، والكِبْرُ: الإثم الكبير، والكِبْرَةُ كالْكِبْرِ، والتاء للمبالغة، والكبيرة: الفعل القبيحة من الذنوب^(٢).

التعريف شرعاً:

كل ما استوجبت حدًا في الدنيا، أو حدًا في الآخرة، أو تُوعَدُ عليها بعقاب خاص في الدنيا، أو عقاب خاص في الآخرة، ففي الدنيا: كالجلد، والقتل، والرجم، والقطع، ونحوها، وأما في الآخرة: فكاللعنة، والغضب، ودخول النار، والحرمان من دخول الجنة، ونحوها، وهذا التعريف هو المتلقى من الشرع، وهو المأثور عن أئمة السلف رحمهم الله^(٣).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَجَنَّبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كَبِيرَ الْأَلَامِ وَالْفَوْحِشِ وَإِذَا مَا عَضُّوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى].

وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ يَمِينُهُ سُبْحَنَهُ وَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر].

المصادر والمراجع:

- ١ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.
- ٢ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للأصبهاني.
- ٣ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٠، ١٦)، لابن تيمية.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٥ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد التميمي.
- ٦ - «أسماء الله الحسنى»، للغصن.
- ٧ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٨ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٩ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ١٠ - «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.
- ١١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

الكبيرة

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصغر. يقال: هو كبير، وكُبَار، وكُبَّار»^(١).

(٢) انظر: لسان العرب (١٢٩/٥) [دار صادر، ط ١]، والقاموس المحيط (٤٩٢) [مؤسسة الرسالة].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٦٥٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٥هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/٥٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١٣٥١هـ].

(١) مقاييس اللغة (١٥٣/٥) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَبُونَ كِبْرَ الْإِثْمِ وَالْفَوْحِشِ إِلَّا أَلَمُمْ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ [النجم: ٣٢].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الكبائر: هي ما فيها حد في الدنيا، أو في الآخرة؛ كالزنا، والسرقة، والقذف، التي فيها حدود في الدنيا، وكالذنوب التي فيها حدود في الآخرة، وهو الوعيد الخاص؛ مثل الذنب الذي فيه غضب الله، ولعنته، أو جهنم، ومنع الجنة، كالسحر، واليمين الغموس، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وشرب الخمر، ونحو ذلك، هكذا روي عن ابن عباس، وسفيان بن عيينة، وأحمد بن حنبل، وغيرهم من العلماء»^(٤).

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: «والذي يتجه ويقوم عليه الدليل: أن من ارتكب حوباً من هذه العظائم، مما فيه حد في الدنيا؛ كالقتل، والزنا، والسرقة، أو جاء فيه وعيد في الآخرة؛ من عذاب، وغضب، وتهديد، ولعن فاعله على نبينا محمد ﷺ فإنه كبيرة، ولا بدَّ مع تسليم ذلك أن بعض الكبائر أكبر من بعض»^(٥).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «وأحسن ما حدث به الكبائر أن الكبيرة ما فيه حد

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»^(١).

وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، فقال: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور»^(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه. قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم؛ يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

(١) أخرجه البخاري (كتاب الحدود، رقم ٦٨٥٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٩٧٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٩٧٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩٠)، واللفظ له.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٦/٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وسنده حسن.

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٥٨/١١).

(٦) الكبائر وتبيين المحارم (١٠) [دار الكتاب العربي، ط ١٤٢٥هـ].

قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، فقال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور»^(٣)، وفي الصحيحين عنه ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: الإشراك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»^(٤)»^(٥).

وقال محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «وقوله: ﴿إِلَّا اللَّمَمُ﴾ يدلُّ على عدم المساواة، وأن بعض المعاصي كبائر، وبعضها صغائر، والمعروف عند أهل العلم: أنه لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار»^(٦).

- المسألة الثانية: مرتكب الكبيرة:

وهو ما يسمَّى بالفاسق المَلِيّ، وهو الذي لم يَقم بواجب الإيمان، فأقدم على ارتكاب المحرمات، وأخل بفعل الواجبات، فهو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان، فلا يعطى اسم الإيمان المطلق، ولا يسلب عنه مطلق الإيمان، وهو تحت المشيئة يوم القيامة إن مات مصرًّا على الكبائر،

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) الداء والدواء (٢٨٩ - ٢٩١) [دار عالم الفوائد، ط ١].

(٦) أضواء البيان (٢١٣/٧) [دار عالم الفوائد].

في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو نفي إيمان، أو ترتيب لعنة أو غضب عليه»^(١).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر:

دل القرآن والسُّنة على أن الذنوب منها كبائر ومنها صغائر، فالأدلة السابقة من القرآن والسُّنة دلَّت على ذلك.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظاً من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه»^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «وقد دلَّ القرآن، والسُّنة، وإجماع الصحابة، والتابعين بعدهم، والأئمة على أن من الذنوب كبائر، وصغائر، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمٍ﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢]، وفي الصحيحين عنه أنه

(١) تفسير السعدي (١٨٩) [دار السلام، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الاستئذان، رقم ٦٢٤٣)،

ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٧).

كما دلَّ على ذلك القرآن والسُّنة، وأجمع عليه أئمة السُّنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، فسمَّاهم مؤمنين، وجعلهم إخوة مع الاقتتال، وبغى بعضهم على بعض^(١).

ومن السُّنة عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة»^(٤).

وقال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، ولو أعتق مذنباً جزءاً عتقه بإجماع العلماء^(٢).

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله: «ومن لقي الله بذنب يجب له به النار، تائباً غير مصرٍّ عليه فإن الله ﷻ يتوب عليه، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ومن لقيه، وقد أقيم عليه حد ذلك الذنب في الدنيا فهو كفارة له، كما جاء الخبر عن رسول الله ﷺ، ومن لقيه مصرّاً غير تائب من الذنوب، التي استوجبت بها العقوبة، فأمره إلى الله ﷻ، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له»^(٥).

يقول ابن تيمية - في بيان عقيدة أهل السُّنة والجماعة -: «ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقول المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾»^(٣).

وقال أبو عثمان الصابوني رحمته الله: «ويعتقد أهل السُّنة أن المؤمن وإن أذنب ذنباً كثيرة، صغائر كانت أو كبائر، فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد على الإخلاص، فإن أمره إلى الله ﷻ إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة يوم القيامة سالمًا غانمًا، غير مبتلى بالنار، ولا

- المسألة الثالثة: المصّرُّ على الكبيرة:

وهو المستمرُّ عليها، والمداوم عليها إلى أن يموت دون توبة منها: وهذا حكمه عند أهل السُّنة والجماعة كحكم مرتكبي الكبيرة، سواء بسواء.

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٧).

(٥) أصول السُّنة ضمن شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة للإلكائي (١٨٨/١) [مؤسسة الحرمين، ط٨، ١٤٢٤هـ].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦٧١/٧).

(٢) انظر: المرجع السابق (٦٧١/٧).

(٣) المرجع السابق (١٥١/٣).

«اعلم أن جماعة من الأئمة أنكروا أن في الذنوب صغيرة، وقالوا: بل سائر المعاصي كبائر، منهم: الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني، والقاضي أبو بكر الباقلاني، والجويني في الإرشاد، وابن القشيري في المرشد، بل حكاه ابن فورك عن الأشاعرة، واختاره في تفسيره؛ فقال: معاصي الله وَكَلَّ عندنا كلها كبائر، وإنما يقال لبعضها صغيرة وكبيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها، ثم أَوَّلُ الآيَةِ الْآتِيَةِ: ﴿إِنْ تَجْتَبِئُوا كِبَائِرَ مَا تُهَوِّنُ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء] بما ينبو عنه ظاهرها»^(٣).

وقد تقدم تقرير أن الذنوب منقسمة إلى كبائر وصغائر، بما يبطل مذهب القوم من أصله.

ثانيًا: خالف في حكم واسم مرتكب الكبيرة ثلاثة من طوائف أهل الأهواء والبدع:

الأولى: الخوارج ومن وافقهم قالوا: إن مرتكب الكبيرة كافر كفرًا مخرجًا من الملة، فاستحلوا دمه، وماله، وعرضه، وقالوا: حكمه في الآخرة خالد مخلد في نار جهنم، فخالفوا أهل السنة في الاسم والحكم.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (٨/١) [المكتبة العصرية، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

معاقب على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه، وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار»^(١).

وليس المصير على الكبائر المعترف بحرمتها مستحلًا لها؛ إذ الاستحلال معناه أن يعتقد حل ما حرمه الله، فتكفير المصير على الكبيرة بدعوى أنه مستحل لها هو عين مذهب النجدات من أكبر فرق الخوارج.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: «وقالوا: من كذب كذبة صغيرة، أو عمل ذنبًا صغيرًا، أو أصرَّ على ذلك فهو كافر مشرك، وكذلك في الكبائر»^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

أولًا: خالف بعض الطوائف - كالأشاعرة ومن وافقهم - في تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر، وجعلوا الكل كبائر، وقالوا: إن تقسيمها إلى كبائر وصغائر إنما يقال بالإضافة إلى ما هو أكبر منها.

قال ابن حجر الهيتمي الأشعري:

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٨٢) [دار المنهاج، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥٣/٥) [دار الجيل، ط ٢، ١٤١٥هـ].

الثانية: المعتزلة ومن وافقهم قالوا:

إن مرتكب الكبيرة له اسم بين الاسمين، فلا هو مؤمن، ولا هو كافر، وإنما يسمى فاسقًا، كما أن له حكمًا بين الحكمين، فلا يكون حكمه حكم الكافر، ولا يكون حكمه حكم المؤمن، بل هو في منزلة بين المنزلتين، فلم يستحلوا دمه، ولا ماله، ولا عرضه، لكن وافقوا الخوارج في حكمه في الآخرة، وأنه إن مات على الكبائر، دون توبة منها: فهو مخلد في نار جهنم^(١).

الثالثة: وهم المرجئة بجميع

أصنافهم، قالوا: إن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، وإن ارتكب المعاصي، وفرط في الواجبات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الناس في الفاسق من أهل الملة، مثل الزاني، والسارق، والشارب، ونحوهم ثلاثة أقسام: طرفان، ووسط:

أحد الطرفين: أنه ليس بمؤمن بوجه

من الوجوه، ولا يدخل في عموم الأحكام المتعلقة باسم الإيمان.

ثم من هؤلاء من يقول: هو كافر؛ كاليهودي، والنصراني، وهو قول الخوارج.

ومنهم من يقول: نُزله منزلةً بين المنزلتين، وهي منزلة الفاسق، وليس هو بمؤمن، ولا كافر، وهم المعتزلة.

وهؤلاء يقولون: إن أهل الكبائر يخلدون في النار، وإن أحدًا منهم لا يخرج منها، وهذا من مقالات أهل البدع، التي دل الكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة، والتابعين لهم بإحسان على خلافها.

الطرف الثاني: قول من يقول:

إيمانهم باق، كما لم ينقص؛ بناء على أن الإيمان هو مجرد التصديق والاعتقاد الجازم، وهو لم يتغير، وإنما نقصت شرائع الإسلام، وهذا قول المرجئة، والجهمية، ومن سلك سبيلهم، وهو أيضًا قول مخالف للكتاب والسنة، وإجماع السابقين، والتابعين لهم بإحسان^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الكبائر وتبيين المحارم»، الذهبي.
- ٢ - «الزواج عن اقتراف الكبائر»، للهيتمي.
- ٣ - «الذخائر لشرح منظومة الكبائر»، لسفاريني.
- ٤ - «السنة»، لعبد الله بن أحمد.

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي (٧٩٦) [مكتبة وهبة، ط ١٤١٦هـ]، والمنية والأمل لابن المرتضى المعتزلي (١٣) [ط ٢، ١٤٠٧هـ].

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٦٧٠، ٦٧١).

الخبرية الاختيارية ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، وقد جاء بيان ذلك وإثباته في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة^(٤).

✽ الأسماء الأخرى:

الْحَطُّ.

✽ الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

✽ الحقيقة:

الكتابة المضافة إلى الله تعالى الواردة في النصوص على أنواع:

١ - أمر الله تعالى القلم بالكتابة: عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»^(٥).

(٤) انظر: صفات الله الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (٢٨٩) [دار الهجرة، الرياض، ط ٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٤٥) [مكتبة العيكان، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، رقم ٤٧٠٠)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣١٩) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٧٨/٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٠١٨).

٥ - «السُّنَّة»، لأبي بكر الخلال.

٦ - «مجموع الفتاوى» (ج ٧)، لابن تيمية.

٧ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

٨ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفى.

٩ - «كتاب الإيمان»، للقاضي أبي يعلى.

١٠ - «آراء المرجئة في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية»، لعبد الله بن محمد السند.

✽ الكتابة (صفة لله تعالى) ✽

✽ التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الكاف والتاء والباء أصل صحيح يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك الكتاب والكتابة»^(١).

والكتابة اسم، وهي صناعة كالنجارة والخطارة^(٢).

تقول: كَتَبْتُ الغلام تَكْتِيبًا؛ إذا علمته الكتابة^(٣).

✽ التعريف شرعاً:

الكتابة صفة من الصفات الفعلية

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٣٤) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: المصباح المنير (٢/٥٢٤).

(٣) انظر: تاج العروس (٤/١٠٣).

يحبّه الله ومنه ما لا يحبّه الله ﷻ، منه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

❖ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقال ﷻ: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ [مريم: ٧٩]، وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَانِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

وعن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، أنزل منه آيتين، ختم بهما سورة البقرة، لا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان»^(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله كتب كتابًا

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٨٨٢)، وأحمد (٣٦٣/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٤٣٠)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٧٨٢)، والحاكم (كتاب فضائل القرآن، رقم ٢٠٦٥) و(كتاب التفسير، رقم ٣٠٣١) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٨/٢) [مكتبة المعارف، ط٥].

٢ - كتابة الله التوراة بيده سبحانه: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم! أنت أبونا خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة. فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟»، فقال النبي ﷺ: «فحج آدم موسى، فحج آدم موسى» ثلاثًا. وفي رواية عند مسلم بلفظ: «كتب لك التوراة بيده»^(١).

٣ - إذا قضى الله أمرًا فإنما يقول له كن فيكون: قال الله تعالى: ﴿يَدْعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقال سبحانه: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الأنعام: ٣٥]. [آل عمران: ٤٧].

وكتابة الله تعالى على قسمين:

الأول: كتابة شرعية دينية، وهذا لا يلزم منها وقوع المکتوب، فقد يقع وقد لا يقع، والله ﷻ يرضاها ويحب وقوعها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

والثاني: كتابة كونية قدرية، وهذا يلزم منها وقوع المکتوب، ومنه ما

(١) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

ربكم وَعَلَى لم يمس إلا ثلاثة أشياء :
غرس الجنة بيده، وخلق آدم عَلَيْهِ بيده،
وكتب التوراة بيده»^(٤).

وقال ميسرة: «إن الله لم يمس شيئاً
من خلقه غير ثلاث: خلق آدم عَلَيْهِ
بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة
عدن بيده»^(٥).

وقال ابن أبي عاصم: «باب في ذكر
قول ربنا وَعَلَى: سبقت رحمتي غضبي،
وكتب ذلك بيده على نفسه»^(٦).

وقال الآجري: «باب الإيمان
بأن الله وَعَلَى خلق آدم عَلَيْهِ بيده، وخط
التوراة لموسى بيده»^(٧).

وقال ابن منده: «بيان آخر يدل على
أن الله وَعَلَى خط التوراة بيده»^(٨).

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (١١٨٣/٣) رقم
(٧٥٧)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في السُّنَّة (١/
٢٩٥) رقم (٥٧٠) [دار ابن القيم، الدمام، ط ١،
١٤٠٦]، وأبو بكر النجاد في الرد على من يقول
القرآن مخلوق (٦٧) رقم (٩٨) [مكتبة الصحابة
الإسلامية، الكويت، ١٤٠٠هـ]؛ وذكره الذهبي في
العلو للعلي الغفار (١٢٥) رقم (٣٣١) [أضواء
السلف، ط ١، ١٩٩٥م]، وصححه الذهبي في
الأربعين في صفات رب العالمين (٨٠) رقم (٧٧)
[مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط ١، ١٤١٣هـ]؛
والألباني في مختصر العلو (١٣٠) رقم (١٠٤).

(٥) أخرجه الدارمي في رده على المريسي (٩٨، ٩٩)
رقم (٤٥)، وقال الألباني في مختصر العلو (١٣٠):
«رجاله ثقات».

(٦) كتاب السُّنَّة (١/٢٧٠) [المكتب الإسلامي، ط ١].

(٧) كتاب الشريعة (٣/١١٧٧).

(٨) كتاب التوحيد لابن منده (٣/٩٤) [الجامعة
الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ١، ١٤١٣هـ].

قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت
غضبي، فهو مكتوب عنده فوق
العرش»^(١).

وعنه عَلَيْهِ قال: قال رسول الله ﷺ:
«احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم!
أنت أبونا خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة.
فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله
بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر
قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين
سنة؟»، فقال النبي ﷺ: «فحج آدم
موسى، فحج آدم موسى» ثلاثاً، وفي
رواية عند الإمام مسلم بلفظ: «كتب لك
التوراة بيده»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال كعب الأحبار: لم يخلق الله بيده
غير ثلاث: خلق آدم عَلَيْهِ بيده، وكتب
التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، ثم
قال لها: تكلمي. قالت: «قَدْ أَفْلَحَ
الْمُؤْمِنُونَ»^(١) [المؤمنون]^(٢).

وقال حكيم بن جابر: «أخبرت أن

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٥٤)،
واللفظ له، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الدارمي في رده على بشر المريسي (٩٩،
١٠٠)، رقم (٤٦) [أضواء السلف، ط ١،
١٤١٩هـ]، والآجري في الشريعة (٣/١١٨٥) رقم
(٧٥٩) [دار الوطن، الرياض، ط ٢، ١٤٢٠هـ]،
وصحح الألباني إسناده في مختصر العلو (١٣٠)
[المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ] ضمن
كلامه على الأثر رقم (١٠٤).

[النساء]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة].

والثاني: كتابة كونية قدرية، وهذه يلزم منها وقوع المكتوب، ومنه ما يحبه الله ومنه ما لا يحبه الله وَعَلَيْكَ، ومن الأمثلة على الكتابة الكونية قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ [الأنعام: ١٢].

- المسألة الثانية: كتابة الله التوراة بيده:

ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «احتج آدم وموسى» في رواية عند الإمام مسلم بلفظ: «كتب لك التوراة بيده» ^(٣). قال الآجري: «باب الإيمان بأن الله وَعَلَيْكَ خلق آدم عليه السلام بيده، وخط التوراة لموسى بيده» ^(٤)، وقال ابن منده: «بيان آخر يدل على أن الله وَعَلَيْكَ خط التوراة بيده» ^(٥).

وقال ابن تيمية: «وأما قوله: «إن الله كتب التوراة بيده» فهذا قد روي في الصحيحين، فمن أنكر ذلك فهو مخطئ

وقال ابن تيمية: «وأما قوله: «إن الله كتب التوراة بيده» فهذا قد روي في الصحيحين، فمن أنكر ذلك فهو مخطئ ضال، وإذا أنكره بعد معرفة الحديث الصحيح يستحق العقوبة» ^(١).

وقال ابن القيم: «ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودًا متنوعًا متصرفًا فيه مقرونًا بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك والطي والقبض والبسط والمصافحة والحيثيات والنضح باليد والخلق باليدين والمباشرة بهما، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده» ^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: كتابة الله تعالى على قسمين:

الأول: كتابة شرعية دينية، وهذه لا يلزم منها وقوع المكتوب، فقد يقع وقد لا يقع، والله وَعَلَيْكَ يرضاها ويحب وقوعها، ومن الأمثلة على ذلك، فرضية الصلاة والصيام والقصاص، وغيرها من الأحكام الشرعية التي أمر الله بها عباده وكتبها عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ ١٠٣.

(١) مجموع الفتاوى (٥٣٣/١٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٢) مختصر الصواعق المرسله (١٧١/٢) [مكتبة الرياض الحديثة، ط ١٣٤٩هـ].

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) كتاب الشريعة (١١٧٧/٣).

(٥) كتاب التوحيد لابن منده (٩٤/٣).

المرتبة الثالثة: مشيئته لها.

الرابعة: خلقه لها^(٤). فالدور له أربع مراتب، والكتابة هي المرتبة الثانية منها، فنؤمن أن الله سبحانه كتب في اللوح المحفوظ كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج، فهدى الآية تدل دلالة واضحة على أن الله ﷻ علمه محيط بكل ما في السماء والأرض، وأنه لا يخفى عليه منها خافية، من ظواهر الأمور وبواطنها، خفيها وجليها، متقدمها ومتأخرها. وذلك العلم المحيط بما في السماء والأرض قد أثبتته الله في كتاب، وهو اللوح المحفوظ، فالآية جمعت في الدلالة على المرتبتين: العلم والكتابة^(٥)، والله أعلم.

- المسألة الخامسة: حكم تعليق الآيات القرآنية المكتوبة للاستشفاء بها: إن كتابة القرآن الكريم وتعليق المكتوب منه على المريض من باب الاستشفاء به - وهو ما يسمى بالتمائم - من المسائل المختلف فيها عند أهل

ضال، وإذا أنكره بعد معرفة الحديث الصحيح يستحق العقوبة^(١).

- المسألة الثالثة: ذكر في الأسماء الحسنى: الكاتب:

وقد ذكره القرطبي، وابن الوزير اليماني^(٢)، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ﴾ [الأنبياء].

والصحيح أن هذا الاسم ليس من أسماء الله الحسنى، وإنما هو من صفات الأفعال، وليس كل ما يطلق على الله صفة وفعلاً يشق له منه اسم^(٣).

- المسألة الرابعة: الكتابة في باب القدر:

الكتابة في باب القدر هي المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر، قال ابن القيم: «مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر، وهي أربع مراتب:

المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.

المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها.

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٥٣٣).

(٢) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ١٩٦) [دار الصحابة، ط١]، وإيثار الحق على الخلق (١٦٠) [دار الكتب العلمية، ط٢].

(٣) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله للتميمي (٢٣٩) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ].

(٤) شفاء العليل (٥٥) [دار الكتب العلمية، ط٢].

(٥) انظر: المسائل العقدية المتعلقة بآدم ﷺ (٢/ ١٠٧٦ - ١٠٧٨) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط١، ١٤٣١هـ].

وهذه نصوص عامة لا مخصص لها.
والقاعدة الأصولية تقول: إن العام يبقى
على عمومته حتى يرد دليل التخصيص.

ب - لو كان هذا العمل مشروعاً لبيّنه
النبي ﷺ لأمته؛ إذ البيان لا يؤخر عن
وقت الحاجة، والمتبع للسنة النبوية يرى
أن جميع الأحاديث الواردة في الأذكار
والدعوات وردت بلفظ من قال كذا أو
من قرأ كذا، ولم يرد في حديث واحد
من كتب كذا أو علق كذا.

قال ابن العربي عن تعليق القرآن من
باب الرقية والاستشفاء به: «ليس من
السنة، وإنما السنة فيه الذكر دون
التعليق»^(٤).

ج - سداً للذريعة؛ فإنه يفضي إلى
تعليق غير القرآن، ولأنه يفضي إلى إهانة
المعلق والذهاب به إلى أماكن يجب
إبعادها عنها مثل الحمامات ونحوها.

فالصحيح من قولي أهل العلم هو
عدم جواز تعليق التمام من القرآن
الكريم وغيره من الأذكار الصحيحة^(٥)،
والله تعالى أعلم بالصواب.

**- المسألة السادسة: حكم كتابة القرآن
وغسل الكتابة وشرب الغسالة استشفاءً:**

إن كتابة القرآن في جلد أو لوح

العلم، فمنهم من منعه ومنهم من أجازته،
والمنع هو الأولى، وذلك لما يلي:

أ - عموم النهي الوارد في تحريم
التمائم؛ كحديث ابن مسعود رضي الله عنه؛
قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن
الرقى والتمائم والتولة شرك»^(١).

وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أن
رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع
تسعة، وأمسك عن واحد، فقالوا: يا
رسول الله، بايعت تسعة، وتركت هذا؟
قال: «إن عليه تميمة» فأدخل يده فقطعها
فبايعه، وقال: «من علق تميمة؛ فقد
أشرك»^(٢).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت
رسول الله ﷺ يقول: «من تعلّق تميمة،
فلا أتم الله له، ومن تعلّق ودعة فلا
ودع الله له»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٨٨٣)، وابن
ماجه (كتاب الطب، رقم ٣٥٣٠)، وأحمد (٦/
١١٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب
الرقى والتمائم، رقم ٦٠٩٠)، والحاكم (كتاب
الطب، رقم ٧٥٠٥) وصححه، وصححه الألباني في
السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٨/٦٣٦، ٦٣٧) [مؤسسة
الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الطب، رقم
٧٥١٣)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠٣/٥) [مكتبة
القدس]: (رجال أحمد ثقات)، وصححه الألباني
في السلسلة الصحيحة (رقم ٤٩٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢٨/٦٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]،
وابن حبان (كتاب الرقى والتمائم، رقم ٦٠٨٦)،
والحاكم (كتاب الطب، رقم ٧٥٠١) وصححه،
وضعه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٢٦٦).

(٤) عارضة الأحوزي (٢٢٢/٨) [دار الكتب العلمية].

(٥) انظر للتفصيل: أحكام الرقى والتمائم (٢٤٣ - ٢٥٣)
[أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ].

ترك ذلك، والله أعلم بالصواب.

✽ مذهب المخالفين:

الكتاب صفة من الصفات الفعلية الاختيارية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية.

ومن ذلك ما جاء في تعليق أحدهم على صحيح البخاري^(٣) قوله: «خط لك بيده»: أنزل عليك كتابه التوراة». وهذا من المعلق تأويل وتحريف للكلم عن مواضعه، فليس الخط في لغة العرب بمعنى الإنزال ولا هو من معانيه، والواجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما ثبتت في النصوص وبما تقتضيه لغتها العربية من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل.

وإنكار المعطلة لخط الله وكتابه بيده هو فرع عن إنكارهم لصفة اليد

ونحوهما ثم غسل المكتوب وشرب الغسالة من باب الاستشفاء بالقرآن الكريم من المسائل المختلف فيها عند أهل العلم^(١)، والأولى ترك ذلك؛ فقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة أن «كتابة سورة أو آيات من القرآن في لوح أو طبق أو قرطاس وغسله بماء أو زعفران أو غيرهما وشرب تلك الغسالة رجاء البركة أو استفادة علم أو كسب مال أو صحة وعافية ونحو ذلك فلم يثبت عن النبي ﷺ أنه فعله لنفسه أو غيره، ولا أنه أذن فيه لأحد من أصحابه أو رخص فيه لأمره مع وجود الدواعي التي تدعو إلى ذلك، ولم يثبت في أثر صحيح فيما علمنا عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أنه فعل ذلك أو رخص فيه، وعلى هذا فالأولى تركه، وأن يستغن عنه بما ثبت في الشريعة من الرقية بالقرآن وأسماء الله الحسنى، وما صح من الأذكار والأدعية النبوية ونحوها مما يعرف معناه ولا شائبة للشرك فيه، وليتقرب إلى الله تعالى بما شرع، رجاء التوبة، وأن يفرج الله كربته ويكشف غمته ويرزقه العلم النافع ففي ذلك الكفاية، ومن استغنى بما شرع الله أغناه الله عما سواه^(٢)». فالأولى

(٢٦٠) رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط ٣، ١٤١٩هـ.

(٣) صحيح البخاري (٢٤٣٩/٦) [دار ابن كثير، ط ٣، ١٤٠٧هـ] والمعلق هو: (مصطفى ديب البغا). وانظر أيضًا في أقوال المخالفين: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (٢٤٤/٢٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ]، ومنحة الباري بشرح صحيح البخاري لزكريا الأنصاري (٥٣٩/٩) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(١) انظر للتفصيل: التبرك أنواعه وأحكامه ٢٣٢ - ٢٣٥ [مكتبة الرشد، الرياض، ط ٥، ١٤٢١هـ]، وأحكام الرقي والثمام (٦٦ - ٦٩).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١/٢٤٥ - ٢٤٦ و ٢٥٩).

المريسي الجهمي العنيد فيما افترى
على الله في التوحيد، للدارمي.

الكتابة (من مراتب القدر)

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الكاف والتاء
والباء أصلٌ صحيح واحد يدلُّ على جمع
شيءٍ إلى شيءٍ. من ذلك الكِتَابُ
والكتابة. يقال: كتبت الكتابَ أَكْتُبُهُ
كَتَبًا»^(١).

يقال: كتبت البغلة؛ إذا جمعت
شفرى رحمها بحلقة، والكُتْب: الخُرْز،
ومن الباب: الكتاب، وهو الفرض،
ويقال للحكم: الكتاب، ويقال للقدر:
الكتاب. والكاتبُ عند العرب العالم،
والمُكاتبُ: العبد، يكاتب سيده على
نفسه، وأصله من الكتاب^(٢).

التعريف شرعاً:

الكتابة: هي كتابة الله ﷻ لكل شيء
في اللوح المحفوظ، مما هو من أفعاله
وكلامه، ومما هو كائن من خلقه إلى
يوم القيامة^(٣).

الأسماء الأخرى:

الكتاب، والقدر، والتقدير، والذكر.

الثابتة لله ﷻ. والصحيح أنه يجب
إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله
وعظمته، لدلالة الكتاب والسُّنة ولوجود
أقوال السلف في ذلك، فهي كغيرها من
الصفات الثابتة لله تعالى، والله تعالى
أعلم.

المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام الرقى والتمائم»، لفهد
السحيمي.
- ٢ - «التبرك أنواعه وأحكامه»، لناصر
الجديع.
- ٣ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٤ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح
البخاري» (ج ٢)، لعبد الله بن محمد
الغنيمان.
- ٥ - «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث
العلمية والإفتاء».

٦ - «كتاب التوحيد» (ج ٣)، لابن
منده.

٧ - «كتاب السُّنة» (ج ١)، لابن أبي
عاصم الشيباني.

٨ - «كتاب الشريعة» (ج ٣)، لأبي
بكر الآجري.

٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٢)، لابن
تيمية.

١٠ - «مختصر الصواعق المرسلة»
(ج ٢)، للموصلي.

١١ - «نقض عثمان بن سعيد على

(١) مقاييس اللغة (١٢٨/٥) [دار الجيل].

(٢) انظر: لسان العرب (٦٩٨/١) [دار صادر، ط ١].

ومختار الصحاح (٥٨٦) [مكتبة لبنان، ١٤١٥].

(٣) انظر: شفاء العليل (٧٧) [دار الكتب العلمية، ط ٣].

الحكم:

تعالى: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ﴿٥٢﴾ [طه]، هو هذا المعنى؛ أي: التأكيد والإبرام للقدر السابق؛ فالكتابة علامة على نفاذ الأمور المقدرة وإمضائها على النحو المكتوب من غير تبديل؛ والفراغ منها؛ كما قال النبي ﷺ: «رفعت الأقلام، وجففت الصحف»^(٢).

الأدلة:

قد دلت الأدلة الشرعية على أن الله ﷻ قد كتب المقادير كلها وأن كل ما يقع في الكون من صغير أو كبير فهو مكتوب في اللوح المحفوظ، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦١﴾ [يونس]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٧٠﴾ [الحج]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٧٥﴾ [النمل]، وقوله

يجب الإيمان بكتابة الله تعالى لكل شيء في اللوح المحفوظ، والكتابة أحد مراتب الإيمان بالقدر، التي من لم يؤمن بوحدة منها لم يكن مؤمناً بالقدر^(١).

الحقيقة:

أن الله تبارك وتعالى هو العليم بكل شيء وبكل ما كان وما سيكون ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولكمال علمه وأن كل شيء بيده وفي تصرفه وتدبيره كتب في اللوح المحفوظ عنده كل ما كان وما سيكون، فيقع كل ما هو مكتوب كما كتب لا يختلف في قليل ولا كثير، وهذه حقيقة القدر: أن كل شيء إنما يصدر عن قدر سابق مكتوب.

الأهمية:

الكتابة علامة على إبرام الأمر نهائياً والفراغ منه؛ فإن الكتابة تأتي بمعنى القضاء المبرم؛ الذي لا عودة فيه قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٢١﴾ [المجادلة].

والفائدة في كتابة القدر السابق؛ مع تنزهه تعالى عن الخطأ والنسيان كما قال

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٥١٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٤٨٧/٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في تحقيقه للمشكاة (رقم ٥٣٠٢) [المكتب الإسلامي، ط ٣].

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤٨/٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ]، وشفاء العليل (٧٧)، وشرح الواسطية لابن عثيمين (١٩٧/٢) [دار ابن الجوزي، ط ٤، ١٤٢٤هـ].

تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَاهُا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢) [الحديد].

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي» (٣).

وعن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعده وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة، إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة» قال: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا، وندع العمل؟ فقال: «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، فقال: «اعْمَلُوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَيُورَهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩)

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٠٠) واللفظ له، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣١٩) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٧/٣٧٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٠١٨).

ومن السنّة حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم، فقال: «اقبلوا البشري يا بني تميم»، قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: «اقبلوا البشري يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم»، قالوا: قبلنا، جئناك لننّفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان، قال: «قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر، قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض» (١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء» (٢).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعام حقيقة الإيمان حتى تعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك،

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣١٩١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٣).

فَسَيَسْأَلُهُ الْعَسْرَى ﴿١٠﴾ [الليل: (١)].

✽ أقوال أهل العلم:

عن أبي الحارث قال: «سمعت أبا عبد الله، وسئل عن القدر، قيل له: إنهم يقولون: إن الله وَجَّكَ لا يضل أحداً هو أعدل من أن يضل أحداً، ثم يعذبه على ذلك، فقال: أليس قال الله وَجَّكَ: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [المذثر: ٣١]، فالله وَجَّكَ قدر الطاعة والمعاصي، وقدر الخير والشر، ومن كتب سعيداً فهو سعيد، ومن كتب شقيّاً فهو شقي» (٢).

وقال الآجري: «إن الأنبياء إنما بعثوا مبشرين ومنذرين، وحجة على الخلق، فمن شاء الله تعالى له الإيمان آمن، ومن لم يشأ له الإيمان لم يؤمن، قد فرغ الله تعالى من كل شيء، قد كتب الطاعة لقوم، وكتب المعصية على قوم، ويرحم أقواماً بعد معصيتهم إياه، ويتوب عليهم، وقوم لا يرحمهم، ولا يتوب عليهم: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: (٣)].

وقال ابن القيم: «وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب، وقد دلّ القرآن على أن

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٩٤٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٧).

(٢) السنة للخلال (٥٣٧/٣) [دار الراية ط ١، ١٤١٠هـ].

(٣) الشريعة للآجري (٧٣٠/٢) [دار الوطن، ط ٢].

الرب تعالى كتب في أم الكتاب ما يفعله، وما يقوله فكتب في اللوح أفعاله وكلامه» (٤).

✽ الأقسام:

قد دلت النصوص الشرعية على أن كتابة القدر على نوعين: عامة وخاصة، وأن الخاصة تتعدد مرات عديدة وتفصيل ذلك على النحو التالي:

أولاً: العامة: وهي كتابة المقادير كلها في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض:

جاءت الأدلة الشرعية الكثيرة تدل على أن الله وَجَّكَ قد كتب المقادير كلها ابتداءً في اللوح المحفوظ عند ما خلق الله وَجَّكَ القلم قبل خلق السماوات والأرض، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: (٧)]، قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في الآية: «ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كل ما في السماوات السبع والأرضين السبع، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة، على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا، فمُجازي المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته، ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن علمه بذلك

(٤) شفاء العليل (٧٧).

ثانيًا: الكتابة الخاصة:

كتب الله ﷻ من تلك الكتابة الأولى كتابات خاصة مأخوذة من الكتابة الأولى، قال ابن القيم بعد أن ذكر التقادير المتعددة: «وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق»^(٧)، وقد دلت النصوص على أربعة منها:

١ - الكتابة قبل خلق آدم ﷺ بأربعين

سنة:

كتب الله ﷻ على بني آدم كتابة خاصة وذلك قبل خلق أبينا آدم بأربعين سنة، دل على ذلك حديث محاجة آدم وموسى، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى ﷺ عند ربهما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض، فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجياً، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق، قال موسى: بأربعين عاماً، قال آدم: فهل وجدت فيها: وعصى آدم ربه فغوى، قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال

في كتاب، وهو أم الكتاب الذي كتب فيه ربنا جل ثناؤه قبل أن يخلق خلقه ما هو كائن إلى يوم القيامة»^(١).

ومن السنة حديث عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»^(٢).

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير، فإن ذلك أزلي لا أول له»^(٣)، وقوله: «وعرشه على الماء»؛ أي: قبل خلق السموات والأرض والله أعلم»^(٤).

وعباد بن الصامت رحمه الله أنه قال لابنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»^(٥).

وحديث عمران بن حصين رحمه الله المتقدم^(٦)، فهذه الأحاديث ونحوها تدل على أن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ.

(١) تفسير ابن جرير (٦٨١/١٨) [مؤسسة الرسالة ط ١].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) يعني: أن ذلك مرتبط بعلم الله ﷻ وعلمه أزلي.

(٤) شرح مسلم للنووي (٢٠٣/١٦).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) شفاء العليل (٤٣).

رسول الله ﷺ: «فحجَّ آدم موسى»^(١).

فالحديث صريح بأن هذا التقدير وهذه الكتابة بعد الكتابة الأولى التي في اللوح المحفوظ ولا حاجة للنص عليها لو لم تكن لاحقة للكتابة الأولى.

٢ - كتابة أعمال الإنسان وهو في بطن أمه:

جاءت أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ منها حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة»^(٢).

٣ - الكتابة الحولية:

وهي أن الله ﷻ يكتب أعمال السنة كاملة في كل ليلة قدر من السنة، دل

على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾^(٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ^(٤) [الدخان]، قال ابن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هي ليلة القدر، يقضي فيها أمر السنة كلها من يموت، ومن يولد، ومن يعزّز، ومن يذل، وسائر أمور السنة.

وروي بسنده عن ربيعة بن كلثوم، قال: كنت عند الحسن، فقال له رجل: يا أبا سعيد، ليلة القدر في كل رمضان؟ قال: إي والله، إنها لفي كل رمضان، وإنها الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله كل أجل وأمل ورزق إلى مثلها.

وروي عن مجاهد أنه قال: في ليلة القدر كل أمر يكون في السنة إلى السنة: الحياة والموت، يقدر فيها المعاش والمصائب كلها^(٥).

وقال ابن كثير: «وقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٦) أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها. وهكذا روي عن ابن عمر، وأبي مالك، ومجاهد، والضحاك، وغير واحد من السلف»^(٧).

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠٩)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٣).

(٣) تفسير ابن جرير (٩/٢٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٧/٢٤٦).

٤ - نسخ المقادير من قبل الحفظة من اللوح المحفوظ، وهو التقدير اليومي.

قال حافظ الحكمي: «التقدير اليومي وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدّرت لها فيما سبق»^(١).

قد وكل الله ﷻ حفظة على بني آدم يكتبون أعمالهم وقد وردت أدلة تدل على أن الحفظة تنسخ أعمال بني آدم من اللوح المحفوظ وتطابقها على أفعالهم فيجدونها متطابقة، قال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢) [الجاثية].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول ما خلق الله تعالى القلم فأخذه بيمينه، وكلتا يديه يمين. قال: فكتب الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول؛ برّاً أو فجور، رطب أو يابس، فأحصاه عنده في الذكر، فقال: أقرؤوا إن شئتم: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣) [٢٩] فهل تكون النسخة إلا من شيء قد فرغ منه»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِنَّا كُنَّا

نَسْتَنْسِخُ﴾ قَالَ: «الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم، فإنما يعمل الإنسان على ما استنسخ الملك من أم الكتاب»^(٣). وفي رواية عنه أنه قال في الآية: «كتب الله أعمال بني آدم وما هم عاملون إلى يوم القيامة. قال: والملائكة يستنسخون ما يعمل بنو آدم يوماً بيوم فذلك قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤)» [٢٩].

قال ابن بطة رحمه الله في بيان أن الكتابة ينسخون أعمال العباد عن اللوح المحفوظ: «وفي كتابة المقادير الأزلية جاء قوله تعالى: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [١] [القلم]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٢٩] فدلّت الآية الأولى على أن الله تعالى أقسم بالقلم الذي سطر المقادير في الأزل، ودلّت الآية الثانية على أن الملائكة الموكلين بحفظ أعمال العباد اليومي وكتابتها كانوا يستنسخون من الكتاب السابق الذي كتبه القلم في أم الكتاب أزلاً، فيكون عمل الرجل اليومي مطابقاً لما يستنسخ من اللوح المحفوظ، كما فسره بذلك حبر الأمة عبد الله بن

(١) معارج القبول (٣/ ٩٣٧).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنّة (٤٩/١) [المكتب الإسلامي، ط ١]، والفريابي في القدر (٢٣١) [أصواء السلف، ط ١]، والأجري في الشريعة (٢/ ٧٥٩) [دار الوطن، ط ٢]، وحسنه الألباني في ظلال الجنة (١/ ٥٠).

(٣) أخرجه البيهقي في القضاء والقدر (١٢٥) [مكتبة العيكان، ط ١، ١٤٢١هـ]، وسنده ضعيف.

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنّة (٣/ ٥٩٥) [دار طيبة، ط ٨، ١٤٢٣هـ]، وسنده ضعيف جداً.

عباس عليه السلام (١) «(٢)» .

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المحو والإثبات:

الله تعالى هو العليم بكل شيء لا تخفى عليه خافية، ولا يقع شيء في ملكه إلا بعلمه وإرادته ومشئته، وقد كتب عليه السلام مقادير الخلائق وما يقع منهم وما يقع عليهم، وقد سبق بيان الأدلة في ذلك، وهذا أمر متفق عليه بين أهل السنة لا خلاف فيه، وإنما اختلفوا فيما في اللوح المحفوظ وما في أيدي الملائكة من الصحف مما أطلعهم الله عليه، أيقع فيه محو، أم أنه قد ختم عليه فلا يقع فيه محو ولا تبديل ولا تغيير؟ وأساس الخلاف يرجع إلى الاختلاف في فهم قول الله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد]، وقد ذكر أهل العلم أقوالاً عديدة في معنى الآية، بلغت عند بعضهم كالقرطبي رحمته الله إلى ثمانية عشر قولاً، والذي يهمنا من ذلك هنا الأقوال المرتبطة بالمحو والإثبات مما كتب من المقادير، وهي ترجع إلى خمسة أقوال:

القول الأول: أنه لا محو ولا إثبات ولا تغيير لشيء من المكتوب، وإنما

(١) كما أخرجه أبو عبيد في النسخ والمنسوخ (١٦) [مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ]، والحاكم [كتاب التفسير، رقم ٣٦٩٣] ورجال سند أبي عبيد ثقات.

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (٣/ ١٥٤) [دار الراية].

معنى الآية في أمور أخرى خارجة عن تلك المعاني السابقة، قال ابن عطية رحمته الله: «وتخبط الناس في معنى هذه الألفاظ، والذي يتخلص به مشكلها: أن نعتقد أن الأشياء التي قدرها الله تعالى في الأزل وعلمها بحال ما لا يصح فيها محو ولا تبديل، وهي التي ثبتت في (أُمُّ الْكِتَابِ) وسبق بها القضاء، وهذا مروي عن ابن عباس وغيره من أهل العلم، وأما الأشياء التي قد أخبر الله تعالى أنه يبدل فيها وينقل كعفو الذنوب بعد تقريرها، وكنسخ آية بعد تلاوتها واستقرار حكمها فيها يقع المحو والتثبيت فيما يقيد الحفظ ونحو ذلك، وأما إذا رد الأمر للقضاء والقدر فقد محا الله ما محا وثبت ما ثبت. وجاءت العبارة مستقلة بمجيء الحوادث، وهذه الأمور فيما يستأنف من الزمان» (٣).

ومن قال بهذا القول اختلفوا في بيان ما يقع فيه المحو والإثبات ومما ذكروا في ذلك:

١ - أن الله ينسخ ما يشاء من أحكام كتابه، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه. وقال بهذا ابن عباس وقتادة وابن زيد وابن جريج ومال إليه شارح الطحاوية.

٢ - أنه يمحو من قد حان أجله،

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ٣١٧) [دار الكتب العلمية، ط ١].

ولا تغيير فيها، فقد مضى بها القدر وختم عليه لا تغيير ولا تبديل فيها، وعُزي هذا القول إلى ابن عباس رضي الله عنه، فقد روى ابن جرير بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣٩)، قال: «كل شيء غير السعادة والشقاء، فإنهما قد فُرعَ منهما» (٣).

القول الرابع: أن المحو والإثبات في كل شيء إلا الشقاء والسعادة والموت والحياة فإنه قد فرغ منها فلا محو ولا إثبات فيها، وهو القول الأشهر عن ابن عباس وهو قول مجاهد.

القول الخامس: أن الله يمحو ما يشاء ويثبت من الكتب والصحف التي بأيدي الملائكة، أما ما في أم الكتاب فلا يغير منه شيء. وعزا ابن جرير هذا القول لابن عباس رضي الله عنه وعكرمة (٤).

وقد قال بمضمون هذا القول الأخير شيخ الإسلام ابن تيمية في موضوع الأجل، فقد قال: «إن الله وَعَلَى يكتب للعبد أجلاً في صحف الملائكة، فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب، وإن

ويثبت من لم يجرى أجله إلى أجله. وقال به الحسن البصري ومجاهد وهو الذي رجحه ابن جرير.

٣ - وقيل إن معنى الآية: يغفر ما يشاء من ذنوب عباده، فهذا المحو، ويترك ما يشاء فلا يغفر وهذا الإثبات، وعزا ابن جرير لسعيد بن جبير.

القول الثاني: أن المحو والإثبات فيما يتعلق بالمقادير واقع في جميع المقدورات المكتوبات؛ لأن الأمر يعود لمشئة الله وَعَلَى وإرادته ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وممن نسب له هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد روى ابن جرير بسنده عن أبي عثمان النهدي قال: «سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول، وهو يطوف بالكعبة: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ كَتَبْتَنِي فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ فَأُثْبِتْنِي فِيهَا، وَإِنْ كُنْتُ كَتَبْتَ عَلَيَّ الذَّنْبَ وَالشَّقْوَةَ فامْحُني وَأُثْبِتْنِي فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثَبِّتُ، وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ» (١)، ومثله روي عن ابن مسعود رضي الله عنه وكعب الأحبار وأبي وائل شقيق بن سلمة والضحاك والكلبي (٢).

القول الثالث: أن المحو والإثبات في كل شيء إلا الشقاء والسعادة فلا محو

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير (٤٧٨/١٦) مؤسسة الرسالة، ط ١.

(٤) تفسير ابن جرير (٤٣٢/١٦). وانظر: تفسير ابن كثير (٤٧٢/٤)، وتفسير القرطبي (٣٢٩/٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٠١/٢)، وشرح الطحاوية (١٤٤/١).

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٨٢/١٦) مؤسسة الرسالة، ط ١، وابن بطة في الإبانة (١٣١/٤) [دار الراجية، ط ١].

(٢) انظر أقوالهم في تفسير ابن جرير (٤٣٢/١٦).

عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب... وهذا معنى ما روي عن عمر أنه قال: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنِي شَقِيًّا فامحني واكتبني سعيدًا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت. والله سبحانه عالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون؛ فهو يعلم ما كتبه له وما يزيده إياه بعد ذلك والملائكة لا علم لهم إلا ما علمهم الله، والله يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها؛ فلهذا قال العلماء: إن المحو والإثبات في صحف الملائكة، وأما علم الله سبحانه فلا يختلف ولا يبدو له ما لم يكن عالمًا به فلا محو فيه ولا إثبات. وأما اللوح المحفوظ فهل فيه محو وإثبات؟ على قولين^(١).

ونحو هذا قال ابن حجر: «وأن الذي يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدو للناس من عمل العامل، ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما في علم الحفظ والموكلين بالآدمي فيقع فيه المحو والإثبات كالزيادة في العمر والنقص، وأما ما في علم الله فلا محو فيه ولا إثبات، والعلم عند الله»^(٢).

- المسألة الثانية: إثبات الكتابة فعلاً من أفعال الله ﷻ:

الكتابة فعل من أفعال الله ﷻ، ثبت

ذلك بالأحاديث الصحيحة، ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي ﷺ: «فحج آدم موسى، فحج آدم موسى». وفي حديث ابن أبي عمر وابن عبدة، قال أحدهما: «خط»، وقال الآخر: «كتب لك التوراة بيده»^(٣).

وفي تقرير هذا جاء كلام أهل العلم؛ قال ابن خزيمة رحمته الله «نقول: لله يدان مبسوطتان، ينفق كيف يشاء، بهما خلق الله آدم عليه السلام، وبه كتب التوراة لموسى عليه السلام، ويده قديمتان لم تزالا باقيتين، وأيدي المخلوقين مخلوقة»^(٤).

وقال الآجري: «باب الإيمان بأن الله ﷻ خلق آدم عليه السلام بيده، وخط التوراة لموسى بيده...»^(٥).

وقال ابن تيمية: «وأما قوله: «إن الله كتب التوراة بيده» فهذا قد روي في الصحيحين، فمن أنكر ذلك فهو مخطئ

(٣) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢)، واللفظ له.

(٤) كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/١٩٥) [مكتبة الرشيد طه، ١٩٩٤م].

(٥) كتاب الشريعة (٣/١١٧٧).

(١) مجموع الفتاوى (١٤/٤٩٠).

(٢) فتح الباري (١١/٤٨٨). وانظر: تفسير السعدي (٤١٩).

أقرَّ بعلم الله ﷻ بكل شيء وأن الله تعالى يعلم ما كان وما سيكون، فيجب أن يقر بالكتابة؛ لثبوتها بالنص؛ لأن الكتابة هي توثيق للمعلوم وتأكيد لوقوعه، فإنكارها لا مسوغ له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولكن لما اشتهر الكلام في القدر، ودخل فيه كثير من أهل النظر والعباد، صار جمهور القدرية يقرون بتقدم العلم، وإنما ينكرون عموم المشيئة والخلق. وعن عمرو بن عبيد في إنكار الكتاب المتقدم روايتان. وقول أولئك - يعني: منكري العلم والكتابة - كقرهم عليه مالك، والشافعي، وأحمد وغيرهم»^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إتحاف ذوي الألباب»، لمرعي الكرمي.
- ٢ - «الاحتجاج بالقدر»، لابن تيمية.
- ٣ - «إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان»، لمرعي الكرمي.
- ٤ - «القضاء والقدر»، للبيهقي.
- ٥ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٦ - «التكليف في ضوء القضاء والقدر»، لأحمد علي عبد العال.
- ٧ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

ضال، وإذا أنكره بعد معرفة الحديث الصحيح يستحق العقوبة»^(١).

مذهب المخالفين:

الإيمان بالقدر هو الإيمان بأربع

مراتب:

الأولى: العلم، الثانية: الكتابة، الثالثة: المشيئة، الرابعة: خلق الأعمال.

وكان غلاة القدرية المتقدمون ينكرون العلم والكتابة، ومنهم: معبد الجهني. الذي كان أول من نفى القدر من المسلمين في البصرة في أواخر عهد الصحابة بعد موت الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

وهذا المذهب قد انقرض وورثه المعتزلة بعد أن تخفف إنكارهم للقدر بالإقرار بالعلم والكتابة وإنكار المشيئة وخلق الأعمال.

الرد عليهم:

إن أنكار العلم وكتابة المقادير هو إنكار لعشرات النصوص من الكتاب والسنة التي جاء فيها تقرير ذلك صريحاً وواضحاً لا لبس فيه ولا غموض، وقد سبق ذكر العديد من تلك النصوص الدالة على ذلك، وهي تتضمن الرد على هذه الطائفة من غلاة القدرية، كما أن كل من

(٢) الإبانة لابن بطة (٢/٢٦١) [دار الراية، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٥٣٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

٨ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

والآخرة^(٣).

٩ - «القضاء والقدر في الإسلام»،

سبب التسمية:

سُمِّي الوحي الذي أنزله الله ﷻ على رسله الكرام ﷺ بالكتب؛ إما على معنى الجمع؛ بمعنى: أن هذا الوحي المنزل عليهم مجموع ومكتوب في كتاب، وإما على معنى الفرض والإلزام؛ بمعنى: أن ما فيها من أحكام وشرائع مفروض على أقوامهم الذين بعثوا فيهم.

لفاروق أحمد الدسوقي.

١٠ - «القضاء والقدر»، لعبد الرحمن

المحمود.

الكتب السماوية

التعريف لغة:

الكتب: جمع كتاب؛ وهو: اسم للصحيفة وما يُكتب فيها؛ فيطلق الكتاب على المكتوب. والكاف والتاء والباء أصل صحيح يدل على جمع شيء إلى شيء، ومنه: الكتاب والكتابة. والكتاب: القُرْض والحُكْم والقَدَر^(١).

الأسماء الأخرى:

الكتب هي: الكتب السماوية، والكتب الإلهية، والكتب المنزلة، ووحى الله تعالى إلى أنبيائه ورسله.

الحكم:

يجب على المسلم أن يعتقد أن الإيمان بالكتب السماوية المنزلة من عند الله تعالى على أنبيائه ورسله أصل وركن عظيم من أصول الإيمان والاعتقاد، معلوم من الدين بالضرورة، اتفق على وجوبه جميع الأنبياء والمرسلين من لدن أبي البشر آدم ﷺ إلى خاتمهم محمد ﷺ، ولا يتحقق إيمان العبد إلا بالإيمان به؛ فمن جحد شيئاً منها كفر.

السَّماويَّة: نسبة إلى السماء التي نزلت منها هذه الكتب من عند الله ﷻ. وكل عالٍ مُطلٌ تسميه العرب سماء؛ فالسين والميم والواو أصل يدل على العُلُو^(٢).

التعريف شرعاً:

الكتب السَّماوية: هي الكتب التي أنزلها الله ﷻ على رسله عليهم الصلاة والسلام، بوحي منه ﷻ؛ لتكون لهم ولأقوامهم هدى ونوراً ورحمة وموعظة وشرعاً، ويصلوا بها إلى سعادة الدنيا

والإيمان بتلك الكتب يتضمن عدة

أمور:

أولها: التصديق الجازم بأن جميعها

(١) انظر: الصحاح (٢٠٨/١) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومقاييس اللغة (١٥٨/٥) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٦٥) [مؤسسة الرسالة، ط٥].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٩٨/٣).

(٣) رسائل في العقيدة لابن عثيمين (٢٣).

الكتب المنزلة من عند الله تعالى، وأعظمها وأشرفها وأهداها، والمهيمن علينا، والناسخ لها ولشرائعها، والجامع لأصولها ومحاسنها، والباقي والخالد إلى قيام الساعة.

فالإيمان بالكتب السابقة هو الإقرار بها بالقلب واللسان، أما القرآن فيتضمن الإقرار والاتباع.

الثامن: أن كتب أهل الكتاب السابقة للقرآن الكريم (وهي: التوراة والزبور والإنجيل) قد نالتها أيدي التحريف والتبديل والتغيير والكتمان؛ فلم يسلم منها شيء؛ فلا تجوز نسبة كل ما فيها إلى هؤلاء الرسل، وليست هي كتبهم الصحيحة المنزلة من قبل الله تعالى؛ فالإيمان بها يعني: الإيمان بأصولها التي أنزلها الله تعالى.

أما القرآن الكريم فقد تكفل الله تعالى بحفظه؛ فما بين الدفتين - مما هو مكتوب في المصحف - هو القرآن الكريم بغير ما ارتياب ولا شك^(٢).

وحي منزل من عند الله تعالى على أنبيائه ورسله، وحق وصدق بغير شك ولا ارتياب، وأن الله تكلم بها حقيقة؛ فهي كلام الله غير مخلوقة لا كلام غيره.

والثاني: اعتقاد أن جميع الكتب دعت إلى عبادة الله وحده ونبد الشرك به سبحانه.

الثالث: الإيمان بكل ما فيها من الشرائع، وتصديق ما صحَّ من أخبارها - كأخبار القرآن - وما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: أن جميع هذه الكتب يصدق بعضها بعضاً لا يكذبها؛ فلا تناقض بينها ولا تعارض؛ لأنها كلّها من عند الله تعالى.

الخامس: أن نسخ الكتب بعضها ببعض حق؛ كما نسخ الإنجيل بعض شرائع التوراة، وكما نسخ القرآن كثيراً من شرائع التوراة والإنجيل. كما أن نسخ بعض آيات القرآن أو تخصيص عامّها أو تفصيل مجملها بالكتاب والسنة حق.

السادس: الإيمان بما سمى الله تعالى لنا من الكتب السابقة إجمالاً في الإجمالي وتفصيلاً في التفصيلي^(١).

السابع: أن القرآن الكريم هو خاتم

(١) تفسير السعدي (٦١٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣٤/١٤)، والجواب الصحيح له (٦٤/٥) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ]، وتفسير ابن كثير (١/٤٤٨، ٥٠١، ٣/١٢٩) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/٤٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤١٧هـ]، ومعارج القبول (٢/٦٧١) [دار ابن القيم بالدمّام، ط ١، ١٤١٠هـ]، وعقيدة أهل السنة والجماعة لابن عثيمين (٢٢) [الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض، ١٤١٠هـ]، والرُّسل =

الحقيقة:

وَرُسُلِهِ ﴿البقرة: ٢٨٥﴾، ومما يدل على منزلة هذه الكتب أن الله أمر المؤمنين بأن يؤمنوا بها فقال سبحانه: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿البقرة: ٢٨٦﴾.

ومما يدل على منزلتها أيضاً أن الله أهلك الأمم بسبب تكذيبهم بها، كما أخبر الله عن صالح بقوله: ﴿فَقُولْ عَنَّمْ وَقَالَ يَتَقَوَّمُ لَقَدْ أَتَلَعْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ النَّصِيحَةَ﴾ ﴿الأعراف: ٧٩﴾، كذلك من أنكر شيئاً مما أنزل الله فهو كافر كما قال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿النساء: ١٣٦﴾.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿النساء: ١٣٦﴾، وقال الله ﷻ: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿البقرة: ٢٨٥﴾.

أنزلت الكتب السماوية من عند الله تعالى كلها لغاية واحدة، وهدف واحد، وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له، ولتكون منهج حياة للبشر الذين يعيشون في هذه الأرض، تقودهم بما فيها من هداية إلى كل خير، ولتكون روحاً ونوراً تحيي نفوسهم، وتكشف ظلماتها؛ لكي يحظى الناس بسعادة الدنيا والآخرة^(١).

المنزلة:

الكتب السماوية ذات منزلة عظيمة، فالإيمان بها يعدُّ أصل من أصول العقيدة، وركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان أحد إلا إذا آمن بالكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله ﷺ.

وقد أثنى الله ﷻ على الرسل الذين يبلغون عن الله كتبه ورسالاته فقال: ﴿الَّذِينَ يُلْغُونَ رِسَالَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ ﴿الأحزاب: ٣٩﴾، كما أخبر سبحانه أن الرسول والمؤمنون آمنوا بما أنزل من عند الله من كتب، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾
 = والرسالات للأشقر (٢٢٩) [دار النفائس، ط ١٢، ١٤٢٣هـ]، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفرزاني (١٤٩/٢) [الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض، ط ٢، ١٤١٢هـ]، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء (١٢٧) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالسعودية، ١٤٢١هـ].
 (١) انظر: الرسل والرسالات (٢٣٥).

عند جميع العلماء»^(٤).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وقد اتفق المسلمون على ما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين وبجميع ما أنزله الله من الكتب»^(٥).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ مفصلاً، وبما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً، ونصّ على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأن لا يفرّقوا بين أحد منهم؛ بل يؤمنوا بهم كلّهم»^(٦).

الآقسام:

وقد ذكر الله تعالى منها في القرآن الكريم خمسة كتب؛ وهي: صحف إبراهيم، والتوراة، وصحف موسى، والزبور، والإنجيل، ثم ختمت الكتب السماوية المنزلة بأفضلها وأشرفها وهو سادسها؛ وهو: القرآن الكريم. فلو كانت صحف موسى هي نفسها التوراة، فتكون خمساً.

أما صحف إبراهيم: فهي الكتب التي

(٤) الشرح والإبانة (الإبانة الصغرى) (٢٣٢، ٢٣٣) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٢٧١). وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ١٣٤).

(٦) تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٨).

بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَخُنْ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ [البقرة]. والآيات في هذا الباب كثيرة.

وثبت في حديث جبريل ﷺ المشهور، أنه قال: «فأخبرني عن الإيمان؛ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١).

وثبت في حديث دعاء النوم، أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ؛ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ» الحديث^(٢)، وقد علّمه ﷺ لابنته فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا^(٣).

أقوال أهل العلم:

قال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك وجوب الإيمان والتصديق بجميع ما جاءت به الرسل من عند الله، وبجميع ما قال الله وَحْيًا فهو حق لازم، فلو أن رجلاً آمن بجميع ما جاءت به الرسل إلا شيئاً واحداً كان برد ذلك الشيء كافراً

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهذا لفظه.

وأخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) كما جاء في بعض روايات الحديث عند مسلم.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المفاضلة بين الكتب السماوية:

الكتب السماوية كلها من كلام الله تعالى، تكلم بها على الحقيقة، وكلام الله ﷻ يتفاضل بعضه على بعض - وإن كان كله ذا فضل وشرف -، وهذا التفاضل لا «باعتبار نسبه للمتكلم؛ فإنه سبحانه واحد؛ ولكن باعتبار معانيه التي يتكلم بها، وباعتبار ألفاظه المبينة لمعانيه»^(١).

قال تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ومن هذه الكتب: القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، وأعظمها التوراة والإنجيل والقرآن، وأعظم الثلاثة وناسخها وأفضلها هو القرآن.

ولم يتكفل الله ﷻ بحفظ شيء من هذه الكتب عدا القرآن^(٢). قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر]، وقال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَا

(١) مجموع الفتاوى (١٧/١٢٩). وانظر: (١٧/٥٧)، (١٣٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/١١ وما بعدها)، وفوائد القرآن الكريم (٣٠١، ٤٣٥)، والإيمان حقيقته: خوارمه - نواقضه - عند أهل السنة والجماعة (١٣٥) [مدار الوطن، ط ١، ١٤٢٤هـ].

أنزلها الله ﷻ على نبيه وخليفه إبراهيم ﷺ بوحى منه ﷻ. وقد نزلت عليه جملة واحدة في أول ليلة من شهر رمضان.

والتوراة: هي اسم كتاب الله ﷻ الذي أنزله على نبيه وكليمه موسى ﷺ، وألقاه إليه مكتوباً في الألواح؛ ليكون لبني إسرائيل هدى ونوراً. وقد نزلت عليه جملة واحدة لست مضمين من رمضان. واختلف؛ أهى صحف موسى أم غيرها؟

والزبور: هو اسم كتاب الله ﷻ الذي أنزله على نبيه داود ﷺ، بوحى منه ﷻ. وقد نزل عليه جملة واحدة لثمان عشرة خلت من رمضان.

والإنجيل: هو اسم كتاب الله ﷻ الذي أنزله على نبيه وعبد عيسى ﷺ؛ ليكون لبني إسرائيل هدى ونوراً وموعظة للمتقين. وقد نزل عليه جملة واحدة لثلاث عشرة خلت من رمضان.

والقرآن الكريم: هو كلام الله ﷻ المنزل على رسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل ﷺ، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته. وقد نزل جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان، ثم نزل على نبينا محمد ﷺ منجماً ومفرقاً حسب الوقائع والأحداث.

ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»^(٣).

قال ابن كثير: «وقد علم بالضرورة لذوي الأبواب: أن الله لم ينزل كتاباً من السماء - فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه - أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ؛ وهو: القرآن»^(٤).

- المسألة الثانية: أصولها واحدة:

أصول الكتب السماوية واحدة، فهي تتفق في وحدة المصدر، فمصدرها واحد؛ فهي منزلة من عند الله، قال تعالى: ﴿زَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۚ مِنَ قَبْلُ هَٰذَا لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣، ٤].

كما أنها تتفق في الغاية، فهي كلها تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى دين الإسلام؛ فالإسلام هو دين جميع الرسل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

كما أنها تتفق في مسائل الاعتقاد:

(٣) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨٠٦).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٤٣/٦) [دار طيبة، ٢٠٢٠].

إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، «فأخبر أنه أحسن الحديث، فدل على أنه أحسن من سائر الأحاديث المنزلة من عند الله وغير المنزلة»^(١). وقال النبي ﷺ لأبي بن كعب رضي الله عنه: «تحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها؟ قال: نعم يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «كيف تقرأ في الصلاة؟» قال: فقرأ أم القرآن، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته»^(٢).

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم

(١) مجموع الفتاوى (١١/١٧).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٨٧٥) وقال: «حديث حسن صحيح»، وأحمد (٣١١/١٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٠١٩) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٤٥٣) [مكتبة المعارف، ط ٥].

وكشف أسرارهم وهتك أستارهم^(٣).

- المسألة الرابعة: نسخ الكتب السابقة:

الكتب السماوية السابقة كلها منسوخة بالقرآن الكريم المنزل على محمد ﷺ، فهو المهيمن على كل الكتب قبله، بمعنى: أنه مؤتمن وشاهد ورقيب، وحاكم وقاضي، ودال ومصدق، فالقرآن الكريم أمين على كل كتاب قبله، في أصله المنزل، يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما فيها من التحريف والتبديل، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل، فصارت له الهيمنة عليها من كل وجه. ثم ميز الله ﷻ القرآن الكريم عن سائر الكتب بأن تعهد بحفظه وجعله معجز بلفظه ومعناه^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهكذا القرآن فإنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر وزاد ذلك بياناً وتفصيلاً، وبَيَّن الأدلة والبراهين على ذلك، وقرَّر نبوة الأنبياء

فالكتب اشتملت على الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالغيب، والإيمان بالرسول، والبعث والنشور، والإيمان باليوم الآخر إلى غير ذلك.

كما تتفق في الدعوة إلى العدل والقسط ومكارم الأخلاق ومُحاربة الفساد والانحراف وغير ذلك^(١).

- المسألة الثالثة: حكم القراءة في الكتب السابقة:

ومن المسائل أيضاً: حكم النظر والاطلاع على الكتب المحرفة الموجودة بين أيدي اليهود والنصارى اليوم؛ فيقال: لا يجوز النظر في كتب أهل الكتاب عموماً؛ لأنَّ النبي ﷺ غضب حين رأى مع عمر كتاباً أصابه من بعض أهل الكتاب، وقال: «أَمْتَهُوْكَونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخُطَّابِ؟!» الحديث^(٢)، حتى وإن كانت مشتملة على الحق والباطل؛ لما في ذلك من ضرر فساد العقائد. اللَّهُمَّ إلا لمن كان متضلّعاً بعلوم الكتاب والسُّنة، مع شدة التثبت وصلابة الدين والفطنة والذكاء؛ وكان ذلك للرد عليهم

(١) انظر: رسائل في العقيدة للحمد (٢٨٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٣٨٧) [مؤسسة قرطبة بمصر]، والدارمي في سننه (كتاب العلم، رقم ٤٤٩)، قال الهيثمي: فيه مجالد بن سعيد، ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما. مجمع الزوائد (١/١٧٤) [مكتبة القدسي].

لكن له شواهد، حسنه بها الألباني في إرواء الغليل (٣٤/٦) [المكتب الإسلامي ببيروت، ط ٢].

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/٥٢٥)، وكشاف القناع للبهوتي (١/٤٣٤) [دار الفكر، ١٤٠٢هـ]، ومطالب أولي النهى للرحباني (١/٦٠٧) [المكتب الإسلامي ببيروت، ١٩٦١م]، وفتاوى اللجنة الدائمة (٣/٤٣٣).

(٤) انظر: الصواعق المرسلّة (٢/٤٠٠) [دار العاصمة، ط ١]، ولطائف المعارف (١٦٧، ١٦٨، ٣٠٩) [دار ابن كثير].

كلهم ورسالة المرسلين وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجاج والبراهين، وبَيَّن عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبَيَّن ما حرف منها وبدل وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضًا ما كتموه مما أمر الله ببيانه وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة، فهو شاهد بصدقها وشاهد بكذب ما حرف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات حاكم في الأمريات^(١).

- المسألة الخامسة: تحريفها:

الكتب السماوية المتقدمة على القرآن (السالم من التحريف والتبديل)، والتي أنزلها الله على رسله ﷺ قد فقدت واندثرت من زمن مبكر من تاريخ هؤلاء الرسل الكرام، ولا يعلم عنها شيء، ويتعذر الحصول عليها، وما وصل منها اليوم مما هو بين أيدي أهل الكتاب - من اليهود والنصارى - (كالتوراة والزبور والإنجيل) قد وُكِّل الله حفظها - بعد موت الأنبياء - إلى أهلها من الربانيين والأخبار والرهبان؛ فلم يمتثلوا الأمر

ولم يحفظوا ما استحفظوه؛ بل خانوا الأمانة وضيعوا تلك الكتب عمدًا؛ فانطمست آثارها ومعالمها بما أوقعوه فيها من التحريف: بالتبديل، والزيادة والنقص، والكتمان والإهمال والنسيان، إضافة إلى ليّ اللسان بها؛ ليلبسوا على السامع اللفظ المنزل بغيره؛ فاختلط فيها الحق بالباطل؛ فلا تجوز نسبتها إلى هؤلاء الرسل، وليست هي كتبهم الصحيحة المنزلة من قبل الله تعالى؛ بل هي مليئة بالحكايات والتواريخ، ومواعظ متأخريهم، وكلام الكفرة والكهنة!

ويعتقد المسلم: أن أكثر هذا التحريف قد وقع في معاني تلك الكتب وشرائعها - عند ترجمتها، أو تفسيرها وشرحها وتأويلها -، عمدًا أو خطأ، ووقع أيضًا في بعض ألفاظها وحروفها أو كثير منها زيادة ونقصًا.

إلا أنه لا يزال فيها كثير من بقايا الوحي الإلهي المنزَّل على أنبياء الله ﷺ (كمثل بقاء آية الرِّجَم، وصفة النبي ﷺ إلى بعثته الشريفة)، ويعرف هذا بموافقتها لأصول الشرع، وما جاء في القرآن والسُّنة الصحيحة^(٢).

(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ١٣٠) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، ط ٢، ١٤٢٨هـ]، وتفسير الرازي (٣/ ٥٥٨) [دار إحياء التراث العربي ببيروت]، والجواب الصحيح لابن تيمية (٢/ ٣٨٠، ٣٨٨، ٤١٨، ٤١٩، ١٢٣/٥)، ومجموع الفتاوى له (١٣/ ١٠٣ - ١٠٤)، ودرء تعارض العقل والنقل (٥/ ٧٨) =

- المسألة السادسة: حكم سبّها:

الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على الإيمان بالكتب:

١ - العلم برحمة الله تعالى، وعنايته بعباده ولطفه بهم؛ حيث أنزل لكل أمة كتاباً يهديهم به إلى صراطه المستقيم، ويبين لهم به سبيله القويم، ويرشدهم فيه إلى ما يحبه ويرضاه وما يبغضه ولا يرضاه؛ لعدم استقلال العقل البشري بمعرفة ذلك مع عظم الحاجة إليه^(٢).

٢ - ظهور حكمة الله تعالى في شرعه؛ حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسب حالها؛ أما القرآن الكريم الخاتم فهو مناسب لجميع بني الإنسان، في مختلف العصور والأزمان، إلى قيام الساعة^(٣).

٣ - شكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة، والمنة الكبرى بإنزال الكتب^(٤).

٤ - إثبات كلام الله تعالى بالوحي، وأنه ﷺ يتكلم حقيقة متى شاء كيف شاء بما شاء، وأنه يسمع من شاء من خلقه كلامه كما سمعه جبريل عليه السلام منه بلا واسطة، وكما سمعه موسى عليه السلام أيضاً.

(٢) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد لصالح الفوزان (١٤٩/٢). وانظر: مجموع الفتاوى (٩٦/١٩).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٣٠/٣).

(٤) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة لابن عثيمين (٤٥)، وشرح الأصول الثلاثة له (٩٥).

من المسائل المتعلقة بالكتب السماوية: حكم سبّ أو لعن الكتب السماوية المتقدمة (كالتوراة والإنجيل والزبور)؛ فيقال: «ليس لأحد أن يسب أو يلعن هذه الكتب، بل من أطلق سبّها أو لعنها فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. وإن كان يعرف أنها منزلة من عند الله، وأنه يجب الإيمان بها؛ فهذا يقتل بشتمه لها، ولا تقبل توبته في أظهر قولي العلماء. وأما إن لعن دين اليهود والنصارى الذي هم عليه في هذا الزمان فلا بأس به في ذلك؛ فإنهم ملعونون هم ودينهم، وكذلك إن سبّ هذه الكتب التي عندهم بما يبين أنّ قصده ذكر تحريفها؛ مثل أن يقال: نسخ هذه الكتب مبدلة لا يجوز العمل بما فيها، ومن عمل اليوم بشرائعها المبدلة والمنسوخة فهو كافر؛ فهذا الكلام ونحوه حق لا شيء على قائله. والله أعلم»^(١).

= [جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ]، وإغاثة اللهفان (٣٥١/٢) [دار المعرفة بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ]، وهداية الحيارى (١١٤)، وتفسير ابن كثير (٦٥/٢) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٥٢٣/١٣) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، وأصواء البيان للشنقيطي (١٢٠/٢) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ]، وتعليق محقق كتاب تخجيل من حرف التوراة والإنجيل لصالح بن الحسين الجعفري (١/٢٨٣) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٩هـ].

(١) مجموع الفتاوى (٢٠٠/٣٥)، بتصرف وزيادات. وانظر: نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز العبد اللطيف (١٩٩) [مدار الوطن، ط٣، ١٤٢٧هـ].

١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، لحافظ الحكمي.

ونثبت له هذه الصفة من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تكيف ولا تعطيل.

٦ - ومن الثمرات المترتبة على نزول الكتب على الأنبياء: إثبات علو الله تعالى على خلقه؛ كما دلّت عليه آيات القرآن الكريم، والسنة المتواترة الصحيحة، والفطرة السوية، وصریح المعقول، وأجمعت عليه جميع الملل من اليهود والنصارى والمسلمين.

الكرام الكاتبون

التعريف لغة:

الكرام: من (كُرُم)، قال ابن فارس: «الكاف والراء والميم أصل صحيح، له بابان؛ أحدهما: شرف في الشيء في نفسه أو شرف في خلق من الأخلاق والكرم في الخلق يقال: هو الصفح عن ذنب المذنب»^(١). والكرم: اسم للأخلاق والأفعال المحمودة، ولا يقال إلا في المحاسن الكبيرة^(٢).

الكاتبون: من الكتابة، وهو ضم الشيء إلى الشيء، قال ابن فارس: «كتب: الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك الكتاب والكتابة. يقال: كتبت الكتاب أكتبه كتبًا»^(٣).

التعريف شرعاً:

ملكاً موكلاً بمراقبة العبد وحفظ عمله وإحصائه وكتابته، لا يفارقه حتى الموت^(٤). والوصف بالكرم وصف به

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد»، لصالح الفوزان.
- ٢ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة»، لنخبة من العلماء.
- ٣ - «تفسير القرآن العظيم» (ج ١)، لابن كثير.
- ٤ - «الجواب الصحيح» (ج ٢، ٥)، لابن تيمية.
- ٥ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٥)، لابن تيمية.
- ٦ - «رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه»، لابن القيم.
- ٧ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ٢)، لابن أبي العز.
- ٨ - «عقيدة أهل السنة والجماعة»، لابن عثيمين.
- ٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٣، ١٤)، لابن تيمية.

(١) ينظر: مقاييس اللغة (١٧١/٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٧٠٧) [دار القلم، ١٤١٢هـ].

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (١٥٨/٥).

(٤) ينظر: نهاية المبتدئين (٥٣) [مكتبة الرشد، ط ١، =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون» ^(٣).

غيرهما من الملائكة، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثٌ ضِيفَ إِيْرِهِمُ الْمُكْرَمِينَ﴾ ^(٢٤) [الذاريات]، وقال ﷺ: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ^(٢٥) [الأنبياء]، وقال سبحانه: ﴿بِأَيِّدِي سَفَرَةٍ﴾ ^(٢٦) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ^(٢٧) [عبس].

الحكم:

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: من صفاتهما:

وصف الله هذين الملكين بأن كل واحد منهما: (رقيب عتيد)، والرقيب: هو الحافظ للشيء، كما تقول: حفظت عليك ما تعمل. ورَقَبَ الشيءَ يَرْقُبُهُ، وراقبهُ مُراقِبَةً وراقباً: حَرَسَهُ. ورقيب القوم: حارسهم. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ^(٢٨) [الطارق]؛ أي: حارس، وقيل: حافظ لأعماله يحصيها عليه، وقيل: الرقيب هو المتتبع للأمر، وقيل: الشاهد. والترقب: الانتظار، ومنه قوله ﷺ: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ ^(٢٩) [طه]، معناه: لم تنتظر قولي. وارْتَقَبَهُ: انتظره ورصده ^(٣٠). والعتيد: على وزن (فعيل)، من: عَتَدَ بمعنى: هَيَّأَ، والتاء مبدلة من الدال

الإيمان بالكرام الكاتبين يدخل ضمن الإيمان بالملائكة الذي هو من أصول الإيمان، وقد أجمع أهل السُّنَّة على الإيمان بهما، قال الطحاوي رحمته الله: «ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين» ^(١). وقال ابن حمدان رحمته الله: «الرقيب والعتيد ملكان موكلان بالعبد نؤمن بهما، ونصدق بأنهما يكتبان أفعاله... ولا يفارقانه بحال، وقيل: بل عند الخلاء» ^(٢).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ ^(٣١) كِرَامًا كَتِبِينَ ^(٣٢) يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ^(٣٣) [الانفطار]، وقال تعالى: ﴿إِذْ يُلْقَى الْمُلَافِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ ^(٣٤) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ^(٣٥) [ق].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٨٦)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٦٣٢).

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٣٦١)، ولسان العرب (٤٢٤/١) [دار صادر]، وتفسير القرطبي (٤٣٩/١٩) [مؤسسة الرسالة، ١، ١٤٢٧هـ].

= ١٣٢٥هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (٥٥٩ - ٥٦١) [مؤسسة الرسالة، ٢، ١٤١٣هـ].

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٥٥٧).

(٢) نهاية المبتدئين في أصول الدين (٥٣).

والآخر عن شمالك»^(٤). ويشهد لهذا القول حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا قام أحدكم - أو قال: الرجل - في صلاته يقبل الله عليه بوجهه، فلا يبزقن أحدكم في قبلته ولا يبزقن عن يمينه، فإن كاتب الحسنات عن يمينه؛ ولكن لبزقن عن يساره»^(٥). وروي عن مجاهد وعكرمة والحسن البصري وغيرهم من السلف^(٦) أنهما اثنان، قال السفاريني رحمته الله: «المشهور أنهما اثنان لكل واحد»^(٧).

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عدد الملائكة الكتب أربعة، يتعاقبون بالليل والنهار، فقال: «جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل، وحافظين في النهار، يحفظان عليه عمله، ويكتبان أثره»^(٨).

أما مكانهما؛ فقليل: إنهما على الكتفين، وقيل: على الذقن، وقيل: في الفم يمينه ويساره. قال السفاريني: «وقال [غير] واحد وهو المشهور: إن

الأولى؛ إذ أصله: عديد؛ أي: مُعدّ، وأعتدّه إعتاداً؛ أي: أعدّه ليوم. والعديد الشيء الحاضر المهيأ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا﴾ [يوسف: ٣١]؛ أي: هيأت وأعدت. وقيل: العتيد: الحاضر الذي لا يغيب، وقيل: أنه الحافظ المعد إما للحفظ وإما للشهادة^(٩). ورقيب وعتيد وصفان للملكين، يدل عليه ظاهر الآية، حيث قال ﷺ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(١٠) ولم يقل: رقيب وعتيد، بل كلا الملكين رقيب عتيد، فهو وصف لهما^(١١).

- المسألة الثانية: عدد الملائكة الكاتبين ومكانهم:

ظاهر قوله ﷺ: ﴿إِذْ يُلْقَى الْمَلَكَيْنِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾^(١٢) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ^(١٣)، [ق] يدل على أنهما اثنان، واحد على اليمين، والآخر على الشمال، وهذا مروى عن جماعة من السلف وأئمة التفسير: فعن مجاهد رحمته الله قال: «ملك عن يمينه، وآخر عن يساره»^(١٤). وقال الحسن البصري رحمته الله: «يا ابن آدم... وُكِّلَ بِكَ ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك،

(٤) المرجع السابق. وينظر: بقية أقوال السلف في الموضوع نفسه.

(٥) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١٧٦/١) [مكتبة الدار، ط١، ١٤٠٦هـ]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥١/٣).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (١٥٩/٢٦).

(٧) لوامع الأنوار البهية (٤٤٩/١) [المكتب الإسلامي، دار أسامة].

(٨) أخرجه الطبري في التفسير (٣٤٤/٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وسنده ضعيف.

(٩) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٥٤٥)، ولسان العرب (٢٧٩/٣) والجامع لأحكام القرآن (٤٣٩/١٩).

(١٠) ينظر: شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (٤٢٦) [مدار الوطن، ط١، ١٤٢٦هـ].

(١١) تفسير الطبري (١٥٩/٢٦) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ].

لا يكتب يا غلام أسرج الفرس، ويا غلام اسقني الماء، إنما يكتب الخير والشر»^(٣). وعن مجاهد رحمته الله، قال:

«مع كل إنسان ملكان: ملك عن يمينه، وملك عن يساره؛ فأما الذي عن يمينه، فيكتب الخير، وأما الذي عن يساره فيكتب الشر»^(٤). وكان عكرمة رحمته الله يقول: «إنما ذلك في الخير والشر يكتبان عليه»^(٥). وقال الحسن البصري رحمته الله: «فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك؛ وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك»^(٦). وكلهم «مجمعون على أنه لا جزاء إلا فيما فيه ثواب أو عقاب، فالذين يقولون: لا يكتب إلا ما فيه ثواب أو عقاب، والذين يقولون: يكتب الجميع متفقون على إسقاط ما لا ثواب فيه ولا عقاب، إلا أن بعضهم يقولون: لا يكتب أصلاً، وبعضهم يقولون: يكتب أولاً ثم يمحي»^(٧).

- المسألة الرابعة: أعمال العباد التي يطلع عليها الملكان:

ورد في السنة ما يدل على علم

(٣) علقه البخاري في الصحيح (كتاب التوحيد، ٩/ ١٦٠) [دار طوق النجاة، ط ١] بصيغة الجزم، ووصله الحاكم في المستدرک (كتاب التفسير، رقم ٣٧٣٠)، وصححه.

(٤) تفسير الطبري (١٥٩/٢٦).

(٥) تفسير ابن كثير (٣٩٨/٧) [دار طيبة، ط ٤].

(٦) تفسير الطبري (١٥٩/٢٦).

(٧) ينظر: أضواء البيان (٦٩٠/٧).

أحد الملكين على عاتق الإنسان الأيمن، وهو كاتب الحسنات، والآخر على عاتقه الأيسر»^(١).

- المسألة الثالثة: نوع أعمال العباد التي يكتبها الملكان:

اختلف العلماء في عمل العبد الجائر الذي لا ثواب ولا عقاب عليه؛ أكتبه الحفظة عليه أم لا؟ فقال بعضهم: إنهم يكتبون الطاعات والمعاصي والمباحات بأسرها، حتى الأنين في المرض، بدليل قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَلِّينَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، وهذا ظاهر قوله رحمته الله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ﴾ [١٨]؛ [ق]؛ لأن قوله: ﴿مِنْ قَوْلٍ﴾ نكرة في سياق النفي زيدت قبلها لفظة من، فهي نص صريح في العموم^(٢).

وقال بعض العلماء: لا يكتب من الأعمال إلا ما فيه ثواب أو عقاب، وهو مروى عن جماعة من السلف، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن هذه الآية: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ﴾ [١٨]؛ [ق]، فقال: «إنما يكتب الخير والشر،

(١) لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٥٠).

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤٩/٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ]، وأضواء البيان (٦٩٠/٧) [عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٦هـ].

- المسألة الخامسة: وقت كتابة

الملكين لأعمال العباد:

ظاهر الأدلة يفيد أن العبد غير محاسب إلا بعد البلوغ، كما في قوله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل»^(٤)، فبعد بلوغ العبد سن التكليف يجري عليه القلم فيحفظ عليه عمله، قال السفاريني: «إن الطفل تكتب له الحسنات، ولا تكتب عليه السيئات إلا بعد البلوغ»^(٥)، ويؤيده الحديث الوارد في حج الصبي: «فرغت إليه امرأة صبيًا فقالت: ألهذا حج؟ قال: نعم ولك أجر»^(٦).

- المسألة السادسة: مبادرة الملك إلى

كتابة الحسنات:

يكتب الملك الذي عن اليمين ما يعمل العبد من حسنات فور عمله إياها. أما الملك الذي عن الشمال، فلا يكتب على الفور، بل يرفع القلم لعل العبد يستغفر أو يتوب، فإن لم يفعل كتبها

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الحدود، رقم ٤٤٠٢)، والترمذي (أبواب الحدود، رقم ١٤٢٣) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الطلاق، رقم ٢٠٤٢)، وأحمد (٣٧٢/٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ١٠٠٣)، والحاكم (كتاب الصلاة، رقم ٩٤٩) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٥١٢).

(٥) ينظر لوامع الأنوار البهية (١/٤٥١).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٣٦).

الكتابة بفعل القلب بل وبهمّة وإرادته^(١): فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: إذا همّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكذبوها سيئة، وإذا همّ بحسنة فلم يعملها فاكذبوها حسنة، فإن عملها فاكذبوها عشرًا»^(٢)، والهم من أعمال القلب. وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن قوله ﷻ: «إذا همّ العبد بالحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة» الحديث. فإذا كان الهم سرًا بين العبد وبين ربه فكيف تطلع الملائكة عليه؟ فأجاب رحمه الله: «الحمد لله. قد روي عن سفيان بن عيينة في جواب هذه المسألة قال: إنه إذا همّ بحسنة: شم الملك رائحة طيبة. وإذا همّ بسيئة: شم رائحة خبيثة. والتحقيق أن الله قادر أن يعلم الملائكة بما في نفس العبد كيف شاء، كما هو قادر على أن يطلع بعض البشر على ما في نفس الإنسان، فإذا كان بعض البشر قد يجعل الله له من الكشف ما يعلم به أحيانًا ما في قلب الإنسان فالملك الموكل بالعبد أولى بأن يعرفه الله ذلك»^(٣).

(١) ينظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (١٧٥) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٠١)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٢٨)، واللفظ له.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٢٥٣).

دل عليه قوله ﷺ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤٢) قَالُوا لَوْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَوْ نَكُ نُطْعُمُ الْمَسْكِينِ (٤٤) وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ (٤٦) حَتَّى أَتَنَّا الْيَقِينَ (٤٧) [المدرثر]. كما أن قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (٤٨) [الطارق] يدل على العموم، فكل نفس من الأنفس مطلقاً معها من الملائكة من لا يفارقها لا مشارك لها في ذاتها (٥). ومما يشهد له قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠)﴾ [الانفطار]، وقوله ﷺ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ بِسْمِ اللَّهِ فَيَقُولُ يَلْتَنِي لَوْ أُوتِيَ كِتَابَهُ (٢٥)﴾ [الحاقة]، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا (١١)﴾ [الانشقاق]، فأخبر ﷺ أن لهم كتاباً وأن عليهم حفظة.

الآثار:

١ - أن يحرص العبد كل الحرص على أن يتعد عن المعاصي والذنوب إذا علم أن الله قد وُكِّلَ به ملكاً يكتب أقواله وأفعاله.

٢ - إذا علم العبد أن أعماله تحصى عليه وتكتب في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد يوم القيامة كان ذلك

عليه. فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات - وفي رواية: سبع ساعات - عن العبد المسلم المخطئ المسيء، فإن ندم واستغفر منها ألقاها عنه، وإلا كتبت واحدة» (١). وعن إبراهيم التيمي قال: «صاحب اليمين أمير أو أمين على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: أمسك لعله يتوب» (٢). قال السفاريني رحمته الله: «إن كاتب الحسنات له إمارة على كاتب السيئات، فلا يمكنه من كتبها إلا بعد مضي ست ساعات من غير توبة من المكلف، أو استغفار، أو فعل مكفر لها. مع مبادرته بكتب الحسنات فوراً» (٣).

- المسألة السابعة: كتابة الملكين لأعمال الكفار:

ذهب بعضهم إلى أن الملكين يوجدان مع كل كافر أيضاً، وأنهما يكتبان ما له وما عليه، باعتبار أن القول الراجح أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة (٤)، كما

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢١٧/٨) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥٤/١٢) [الدار السلفية]، وقال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما وثقوا. مجمع الزوائد (٢٠٨/١٠) [مكتبة القدسي].

وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٠٩).

(٢) تفسير الطبري (١٥٩/٢٦).

(٣) لوامع الأنوار البهية (٤٥٠/١).

(٤) ينظر: لوامع الأنوار البهية (٤٥١/١).

(٥) ينظر: تفسير الرازي (١٢٨/٣١) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣]، ونظم الدرر للبقاعي (٣٨٥/٨) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

وَلَا كِبَرَةً إِلَّا أَحْصَنَهَا ﴿٤٩﴾ [الكهف: ٤٩]،
وفي قوله: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ
وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾
[الزخرف]، وغيرها من الآيات.

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «الجامع لشعب الإيمان» (ج ١)،
للبيهقي.
- ٢ - «المنهاج في شعب الإيمان»
(ج ١)، للحلي.
- ٣ - «الحبائك في أخبار الملائك»،
للسيوطي.
- ٤ - «شرح العقيدة السفارينية»، لابن
عثيمين.
- ٥ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن
أبي العز.
- ٦ - «عالم الملائكة الأبرار»، لعمر
الأشقر.
- ٧ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ١)،
للسفاريني.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤، ٧)،
ابن تيمية.
- ٩ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكيمي.
- ١٠ - «معتقد فرق المسلمين واليهود
والنصارى والفلاسفة والوثنيين في
الملائكة المقربين»، لمحمد العقيل.
- ١١ - «نهاية المبتدئين في أصول
الدين»، لابن حمدان.

أزجر له عن القبائح، قال الرازي: «إذا
علم (المكلف) أن الملائكة موكلون به
يحصون عليه أعماله ويكتبونها في
صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد في
مواقف القيامة كان ذلك أزجر له عن
القبائح»^(١).

٣ - أن المكلف إذا علم أنه يدون
عليه ما عمل، فإنه يحرص على
الاستكثار من الأعمال الصالحة، وفعل
القرابات.

✽ الحكمة:

قال الرازي: «واتفقوا على أن
المقصود من حضور هؤلاء الحفظة ضبط
الأعمال»^(٢)، فالله تبارك وتعالى لا
حاجة له لكتب الأعمال، فهو الذي خلق
الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه،
وإنما أمر بكتابة الحفظة للأعمال لإقامة
الحجة على العبد يوم القيامة، كما
أوضحه بقوله: ﴿...وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ
بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء].
وقال ﷺ: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُطَاقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ
إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾﴾
[الجنابية]، وفي قوله ﷺ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ
فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ
يَوَيْلَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً

(١) تفسير الرازي (١٣/١٥).

(٢) تفسير الرازي (١٣/١٥).

❁ الأسماء الأخرى:

من أسماء الكرامة: الآية، والمعجزة. لكن العلماء اصطلاحوا على تسمية آية النبي بالمعجزة، وآية الولي بالكرامة. قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «اسم (المعجزة) يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين، كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، ويسمونها: الآيات. لكن كثيرًا من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما، فيجعل (المعجزة) للنبي، و(الكرامة) للولي، وجماعهما: الأمر الخارق للعادة»^(٦).

❁ الحكم:

يجب الإيمان بوقوع كرامات لبعض أولياء الله، ممن ظاهره الصلاح وسلامة الاعتقاد، واتباع الحق، كما جاءت به نصوص الكتاب والسنة.

❁ الأدلة:

من الأدلة على وقوع كرامات الأولياء ما يأتي:

قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى

❁ كرامات الأولياء

❁ التعريف لغة:

الكرامة: مأخوذة من الكَرَم، وهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر من الإنسان^(١). والأولياء: جمع ولي، والولي من الولاء، وهو القرب والدنو، وقيل: الولي ضد العدو، مشتق من الولاية: التي هي ضد العداوة^(٢)، وأصل الولاية: المحبة والقرب^(٣). وقيل: الولي مشتق من الولاء وهو القرب، كما أن العدو من العدو وهو البعد^(٤).

❁ التعريف اصطلاحًا:

«الكرامة هي أمر خارق للعادة، غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم»^(٥).

(١) المصباح المنير (٤٣٢) [مؤسسة الرسالة]، وبصائر ذوي التمييز (٣٤٣/٤) [المكتبة العلمية].

(٢) ينظر: الصحاح (١٢٦٩) [دار الحديث، ١٤٣٠هـ]، والقاموس المحيط (١٧٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٢].

(٣) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (١١) [دار المنهاج، ط ٢، ١٤٣١هـ]، والصحاح (١٢٦٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٦٢/١١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ].

(٥) لواعج الأنوار البهية (٣٩٢/٢) [المكتب الإسلامي].

(٦) مجموع الفتاوى (١١/٣١١، ٣١٢).

ولا يدعيها، وتظهر بلا طلبه تشريفًا له ظاهرًا، ولا يعلم من ظهرت منه هو أو غيره أنه ولي الله تعالى غالبًا بذلك، وقيل: بلى. ولا يلزم من صحة الكرامات صدق من يدعيها بدون بيّنة أو قرائن حالية تفيد الجزم بذلك، وإن مشى على الماء أو في الهواء أو سخرت له الجن والسباع، حتى تنظر خاتمته وموافقته للشرع في الأمر والنهي»^(٢).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «وكرامات الأولياء حق باتفاق أئمة الإسلام والسنة والجماعة، وقد دل عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة، والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم، وإنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم. لكن كثيرًا ممن يدعيها، أو تدعى له يكون كذابًا أو ملبوسًا عليه، وأيضا فإنها لا تدل على عصمة صاحبها، ولا على وجوب اتباعه في كل ما يقوله؛ بل قد تصدر بعض الخوارق من الكشف وغيره عن الكفار والسحرة بمؤاخذاتهم للشياطين، كما ثبت عن الدجال أنه يقول للسماء: أمطري فتمطر، وللأرض أنبتي فتنبت، وأنه يقتل واحدًا ثم يحييه، وأنه يخرج خلفه كنوز الذهب والفضة. ولهذا اتفق أئمة الدين على أن الرجل لو

حَمَارِكَ وَلَجَعَلَكُ عَايَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٦﴾ [البقرة]، وقال سبحانه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ [آل عمران]، وقال رحمته الله: ﴿وَهَزَيَا إِلَيْكَ بِجَنِّعِ النَّخْلَةِ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ [مريم]، وما جاء في القرآن في قصة أصحاب الكهف، وغيرها من الآيات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم، فإنه عمر بن الخطاب»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن حمدان رحمته الله: «كرامات الأولياء حق وتوجد في زمن النبوة وأشراف الساعة وغيرهما، ولا تدل على صدق من ظهرت على يده فيما يخبر به عن الله تعالى، أو عن نفسه، ولا على ولايته؛ لجواز سلبها، وأن تكون استدراجًا له، ومكرًا به. وتعم الرجال والنساء. والولي يسترها غالبًا ويسرها، ولا يساكنها، ولا يقطع هو بكرامته بها،

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٦٩)، وأخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٨)، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) نهاية المبتدئين في أصول الدين (٦٠، ٦١) [الرشد، ط ١، ١٤٢٤هـ].

لا لنقص ولايته؛ ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة»^(٣).

- المسألة الثانية: ليس كل من يظهر على يديه شيء من الخوارق يكون من أولياء الله:

قد تقع بعض الخوارق لبعض المشركين والمنافقين، والفسقة والعصاة، بل إن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يكن هذا دليلاً على ولايته، فإن الخوارق تقع على يد الكافر والملحد والفاسق كما تقع على يد المؤمن، وكرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى، أما الأحوال الشيطانية فسببها ما نهى الله عنه ورسوله، من القول على الله بغير علم، والشرك والظلم والفواحش قد حرمها الله تعالى ورسوله، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «قد علم أن الكفار والمنافقين - من المشركين وأهل الكتاب - لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية، كالكهان، والسحرة، وعباد المشركين، وأهل الكتاب. فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص ولياً لله، وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله؛ فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله، مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ﷺ باطنًا

طار في الهواء، ومشى على الماء؛ لم يثبت له ولاية بل ولا إسلام حتى ينظر وقوفه عند الأمر والنهي، الذي بعث الله به رسوله ﷺ»^(١).

❁ الأقسام:

الكرامات نوعان:

١ - مكاشفات: أي: اطلاع على بعض المغيبات الجزئية بالإلهام أو المنام. وليس هذا من علم الغيب إطلاقاً.

٢ - تأثيرات: أي: إذا دعا الله تعالى لشفاء سقم وهلاك شخص؛ فقد يستجاب له مثلاً. وليس هذا من التصرف في الكون في شيء»^(٢).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الكرامات تقع بحسب الحاجة:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «مما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان، أو المحتاج، أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها،

(١) المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية (١/١٢٠) [ط، ١٤١٨هـ].

(٢) اللآلئ البهية في تقريب شرح العقيدة الطحاوية (٥٤٣) [دار الصديق، ط، ١٤٣١هـ].

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٢٣٠).

البحر، وقلب العصا حية، وإحياء الموتى، وخلق الطير من الطين، والإتيان بالقرآن، وانشقاق القمر. وهذه الآيات الكبرى مختصة بالأنبياء ﷺ لا يشاركهم فيها أحد. أما الآيات الصغرى فقد يقع نوعها لبعض الصالحين؛ لكنها لا تماثل معجزات الأنبياء بقدرها، وكيفيتها؛ بل معجزات الأنبياء فوق ذلك، مثل تكثير الطعام، فهذا قد وجد لغير واحد من الصالحين، لكن لم يوجد كما وجد للنبي ﷺ أنه أطعم الجيش من شيء يسير^(٣). فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لهم، لكن لا يماثلون في قدره، وكنار الخليل؛ فإن أبا مسلم الخولاني، وغيره صارت النار عليهم بردًا وسلامًا، لكن لم تكن مثل نار إبراهيم في عظمتها كما وصفوها، فهو مشارك للخليل في جنس الآية؛ كما هو مشارك في جنس الإيمان محبة الله وتوحيده. ومعلوم أن الذي امتاز به الخليل من هذا، لا يماثله فيه أبو مسلم، وأمثاله^(٤).

٢ - أن معجزات الأنبياء لا يقدر عليها جن ولا إنس، يقول ابن تيمية رحمه الله: «وآيات الأنبياء لا يقدر

وظاهرًا؛ بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة، أو يعتقد أن لأولياء الله طريقًا إلى الله غير طريق الأنبياء ﷺ، أو يقول: إن الأنبياء ضيقوا الطريق، أو هم قدوة العامة دون الخاصة، ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعي الولاية. فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الإيمان؛ فضلًا عن ولاية الله ﷻ، فمن احتج بما يصدر عن أحدهم من خرق عادة على ولايتهم: كان أضل من اليهود والنصارى»^(١).

الفروق:

الفرق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء:

آيات الأنبياء اشتهرت بتسميتها معجزات؛ إلا أن الآيات أدل على المقصود من لفظ المعجزات؛ ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودًا في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبيئة والبرهان^(٢). ومن الفروق بين الكرامة والمعجزة ما يلي:

١ - أن كرامات الأولياء لا تبلغ مبلغ معجزات الأنبياء ﷺ في جنسها وعظمتها، وذلك أن معجزات الأنبياء تنقسم إلى قسمين: معجزات كبرى، مثل: خروج الدابة من صخرة، وانفلاق

(٣) كما في حديث جابر رضي الله عنه عند البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤١٠٢)، ومسلم (كتاب الأشربة، رقم ٢٠٣٩).

(٤) ينظر: النبوات لابن تيمية (٢/٨٠٢، ٨٠٣) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٦٨، ٦٩).

(٢) الجواب الصحيح لابن تيمية (٥/٤١٢).

تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أما كرامات الأولياء: فهي أيضًا من آيات الأنبياء؛ فإنها إنما تكون لمن يشهد لهم بالرسالة، فهي دليل على صدق الشاهد لهم بالنبوة»^(٤).

الفرق بين الكرامات وخوارق أولياء الشيطان: الكرامة تظهر على يد عبد صالح، قائم بحقوق الله تعالى متبع لنبيه الصادق، واقفًا عند الأمر والنهي؛ وذلك أن كرامات الأولياء لا يكون سببها إلا الإيمان والتقوى، أما ما يظهر على يد ظاهر الفسق فهي خوارق شيطانية، سببها الكفر والفسوق والعصيان^(٥).

❁ الحكمة:

تقع الكرامة للمؤمن تثبيتًا له على الحق، ودافعًا له إلى الاجتهاد في طاعة الله تعالى، وحثًا له على اتباع سنة نبيه محمد ﷺ، ظاهرًا وباطنًا، وتكريمًا له، وإظهارًا للحق الذي قام به، وغير ذلك مما فيه خير وصلاح للمؤمن.

❁ مذهب المخالفين:

ذهبت الأشاعرة والماتريدية إلى إثبات الكرامات لعباد الله الصالحين؛ فما جاز وقوعه لنبي جاز وقوعه لولي، بل

عليها جنّ ولا إنس، وآيات الأنبياء آيات لجنسها، فحيث كانت آية الله، تدلّ على مثل ما أخبرت به الأنبياء، وإن شئت قلت: هي آيات الله، يدلّ بها على صدق الأنبياء تارة، وعلى غير ذلك تارة^(١).

٣ - إن معجزات الأنبياء مستلزمة للنبوة، ودالة على صدق النبي المخبر بها. فدلالتها على النبوة قطعية، والنبي يعلم أنه نبي، في حين أن دلالة الكرامة على الولاية ظنية، فقد يعلم من ظهرت على يديه الكرامة أنه ولي، وقد لا يعلم؛ لاحتمال أن تكون استدراجًا له^(٢). قال ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والتحقيق: أن آيات الأنبياء مستلزمة للنبوة، ولصدق الخبر بالنبوة، فلا يوجد إلا مع الشهادة للرسول بأنه رسول، لا يوجد مع التكذيب بذلك، ولا مع عدم ذلك البتة، وليست من جنس ما يقدر عليه؛ لا الإنس، ولا الجنّ؛ فإنّ ما يقدر عليه الإنس والجنّ يفعلونه، فلا يكون مختصًا بالأنبياء»^(٣).

٤ - أن كرامات الأولياء من آيات الأنبياء؛ وذلك أن الولي لم تحصل له هذه الكرامة إلا باتباعه للنبي، ولولا اتباعه للنبي لما حصلت له. قال ابن

(١) النبوات (٢/٨٠١)، وينظر منه (١/٥٠٢).

(٢) الفتاوى الحديشية (٣٠٥) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٣، ١٤٠٩هـ].

(٣) النبوات (٢/٨٠٠).

(٤) النبوات (٢/٨٠١، ٨٠٢)، وينظر منه (١/٦٠٣).

(٥) ينظر: النبوات (١/٥٠١)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٢٥٨).

يكذبون بما شهدوه، ويصدقون بما غاب عنهم، ويكذبون بما تواتر عندهم أعظم مما تواتر غيره»^(٥).

وقال: «يقال المراتب ثلاثة: آيات الأنبياء، ثم كرامات الصالحين، ثم خوارق الكفار والفجار؛ كالسحرة والكهان، وما يحصل لبعض المشركين، وأهل الكتاب، والضلال من المسلمين. أمّا الصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها، فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء فهذه الأمور هي مؤكدة لآيات الأنبياء، وهي أيضًا من معجزاتهم بمنزلة ما تقدّمهم من الإرهاص. ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين، فلا تبلغ كرامات أحدٍ قطّ إلى مثل معجزات المرسلين، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم»^(٦).

المصادر والمراجع:

١ - «أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي»، لعبد الرحمن دمشقية.

٢ - «بحث في الاستدلال على ثبوت كرامات الأولياء»، للشوكاني.

٣ - «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (ج ٥)، لابن تيمية.

(٥) النبوات (١/١٣٣).

(٦) النبوات (١/١٤١ - ١٤٣).

الخارق للعادة يقع من النبي والولي والساحر والفرق عندهم هو في دعوى النبوة من النبي، ودعوى الصلاح من الولي^(١). وذهب ابن حزم^(٢)، وبعض المعتزلة إلى منع وقوع خرق العادة لغير الأنبياء^(٣)، قال ابن تيمية: «قالت طائفة: لا تخرق العادة إلا لنبي، وكذبوا بما يذكر من خوارق السحرة والكهان، وبكرامات الصالحين، وهذه طريقة أكثر المعتزلة، وغيرهم كابن حزم»^(٤).

والقول الراجح هو ما يشهد له الدليل من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، ويؤكداه الواقع والحوادث، على جواز وقوع الكرامات على أيدي الصالحين، ولكنها لا تصل إلى معجزات الأنبياء ﷺ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والمنازع لهم - أي: للمعتزلة - يقول: هي موجودة مشهودة لمن شهدها، متواترة عند كثير من الناس، أعظم مما تواترت عندهم بعض معجزات الأنبياء. وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الأنبياء، فكيف

(١) ينظر: الكامل من أصول الدين (٢/٧٧٤ - ٧٧٨) [دار السلام، ط ١]، وتبصرة الأدلة في أصول الدين (١/٥٣٦ - ٥٣٨) [مكتبة الجفان والجابي، ط ١، ١٩٩٠م].

(٢) ينظر: الكامل في الاستقصاء (٣٥٤ - ٣٧٦) [وزارة الأوقاف المصرية، ١٤٢٠هـ].

(٣) ينظر: الدرّة فيما يجب اعتقاده (١٩٤، ١٩٥) [مطبعة المدني، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٤) النبوات (١/١٢٩، ١٣٠).

٤ - «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة» إليه ^(٣)، وهو موضع قدمي الله ﷻ ^(٤).
(ج٩)، للالكائي.

الحكم:

٥ - «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، لابن تيمية.
٦ - «قطر الولي على حديث الولي»، للشوكاني.

الحقيقة:

٧ - «كرامات الأولياء: دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السُّنة والجماعة»، لعبد الله العنقري.
٨ - «اللآلئ البهية في تقريب شرح العقيدة الطحاوية»، لمحمد بن عبد الرحمن الخميس.
٩ - «المستدرك على مجموع الفتاوى» (ج١)، لابن تيمية.

الأدلة:

ورد الكرسي في آية واحدة من كتاب الله تعالى، وهي قوله سبحانه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة].
١٠ - «النبوات» (ج١، ٢)، لابن تيمية.
١١ - «نهاية المبتدئين في أصول الدين»، لابن حمدان.

الكرسي

التعريف لغةً:

هو الشيء الذي يُعتمد ويُجلس عليه ^(١)، ويطلق على السرير ^(٢).

التعريف شرعاً:

الكرسي: بين يدي العرش كالمرفقة

(١) انظر: تهذيب اللغة (٣٢/١٠) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ط١].
(٢) انظر: القاموس المحيط (٧٣٥).

(٣) البداية والنهاية (١٥/١)، وشرح الطحاوية (٣١٣).
(٤) انظر: أصول السُّنة لابن أبي زمنين (٢٩٢)، ومجموع الفتاوى (٥٤/٥)، ومختصر الصواعق (١/٢٨٨)، شرح العقيدة الطحاوية (٣١٣)، والقول المفيد شرح كتاب التوحيد لابن عثيمين (٣٧٨/٣) [دار ابن الجوزي، ط١].
(٥) البداية والنهاية (١٥/١)، وشرح الطحاوية (٣١٣)، القول المفيد لابن عثيمين (٣٧٨/٣).
(٦) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢٨٨/١)، تفسير السعدي (١١٠) [مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ].

العرش، والعرش أعظم منه»^(٤).

وقال ابن تيمية: «الكرسي ثابت بالكتاب، والسُّنة، وإجماع جمهور السلف»^(٥).

وقال ابن أبي العز الحنفي: «وإنما هو: الكرسي - كما قال غير واحد من السلف - بين يدي العرش كالمرقاة إليه»^(٦).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الكرسي موضع القدمين:

يعتقد أهل السُّنة والجماعة أن الكرسي موضع القدمين، جاء ذلك عن ابن عباس وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الكرسي موضع القدمين»، وهذا التفسير هو المحفوظ عن ابن عباس. وعن أبي موسى الأشعري قال: «الكرسي موضع القدمين»^(٧)، ومثل هذا له حكم الرفع؛ لأنه لا مجال للاجتهاد فيه. فأهل السُّنة والجماعة عامتهم على أن الكرسي

فجلست إليه، فقلت: يا رسول الله أيما آية أنزلت عليك أفضل؟ قال: «آية الكرسي، ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة»^(٨).

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره»^(٩).

أقوال أهل العلم:

قال ابن أبي زمنين: «ومن قول أهل السُّنة: أن الكرسي بين يدي العرش، وأنه موضع القدمين»^(١٠).

وقال القرطبي: «والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي

(١) أخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش (٤٣٢) [مكتبة الرشد، ط١]، وابن بطة في الإبانة (١٨١/٧) [دار الراية، ط١]، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٩٩/٢) [مكتبة السوادى، ط١]، ونقل ابن حجر نقل عن ابن حبان، وقال: (وله شاهد عن مجاهد أخرجه سعيد بن منصور في التفسير بسند صحيح عنه). فتح الباري (٤١١/١٣) [دار المعرفة]، وصححه الألباني أيضًا بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٩).

(٢) أخرجه الدارمي في النقض على المريسي (٤١٢/١) [مكتبة الرشد، ط١]، وعبد الله بن أحمد في السُّنة (١/٣٠١) [دار ابن القيم، ط١]، وابن أبي شيبة في كتاب العرش (٤٣٨) [مكتبة الرشد، ط١]، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢٤٨/١) [مكتبة الرشد، ط٥]، وغيرهم، وقال الذهبي في كتاب العلو (٧٦) [أضواء السلف، ط١]: «رجاله ثقات»، وصححه الألباني في مختصره (١٠٢) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٣) أصول السُّنة (٢٩٢).

(٤) تفسير القرطبي (٢٧٦/٣).

(٥) مجموع الفتاوى (٥٨٤/١)، ٥٥/٥.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية (٣١٣).

(٧) أخرجه عبد الله بن أحمد في السُّنة (٣٠٢/١) [دار ابن القيم، ط١]، وابن أبي شيبة في كتاب العرش (٤٣٥) [مكتبة الرشد، ط١]، وابن جرير في التفسير (٣٩٨/٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في مختصر العلو (١٢٤) [المكتب الإسلامي، ط٢].

موضع قدمي الله تعالى^(١).

الآثار:

إن العبد إذا علم أن الله ﷻ هذه المخلوقات العظيمة، ومنها الكرسي الذي وسع السماوات والأرض، فإنه يجعله يعظم الله تعالى خالق هذه الكائنات، وهو سبحانه العالي على كل شيء وهو بكل شيء محيط، فيدفعه ذلك لعبادته وإخلاص الدين له محبة وخوفًا ورجاء.

مذهب المخالفين:

تعددت آراء المخالفين في حقيقة الكرسي، ومن ذلك:

١ - الكرسي بمعنى العلم، وهو قول الجهمية، فقد أولوا العرش بمعنى العلم، واستدلوا لذلك بما روي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة]، قال: «كرسيه علمه»^(٢).

٢ - الكرسي هو العرش، وهذا مروى عن الحسن البصري^(٣). وقد روي فيه حديث عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل الله فيه - يعني: يوم القيامة - على كرسيه يئط به كما يئط الرجل من تضايقه كسعة ما بين السماء والأرض» الحديث^(٤).

٣ - الكرسي: هو قدرته التي يمسك بها السماوات والأرض.

٤ - الكرسي هو: الفلك الثامن، أو ما يسمونه بفلك البروج. وبه قال بعض المتكلمين.

والصحيح أن هذه الأقوال باطلة غير صحيحة، والذي دلّت عليه النصوص الشرعية، وأقاويل السلف أن الكرسي جسم عظيم، مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه، وهو موضع القدمين لله تبارك وتعالى.

وأما تأويله بالعلم، فالأثر فيه ضعيف، وما ثبت عن ابن عباس من أن الكرسي موضع القدمين يردّ هذا القول،

قال ابن منده: «لم يتابع عليه جعفر، وليس هو بالقوي في سعيد بن جبير»، وضعفه الدارمي في النقض على المريسي (٤١١/١) [مكتبة الرشد، ط ١]، وابن الأنباري والذهبي، كما في العلو (١١٧) [أضواء السلف، ط ١].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/٣).

(٤) أخرجه الدارمي في سننه (كتاب الرقاق، رقم ٢٨٤٢)، والحاكم في المستدرک (كتاب التفسير، رقم ٣٣٨٥) وصححه، وتعبه الذهبي في التلخيص، فبين أن أحد رواه ضعيف، وقال الألباني: منكر. السلسلة الضعيفة (رقم ٦٣٣٣).

(١) انظر: أصول السنة لابن أبي زمنين (٩٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٨٤/٦)، وشرح العقيدة الطحاوية (٣٧١)، والقول المفيد لابن عثيمين (١/٥٤٣، ٥٤٩، ٥٣٦/٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٩٧/٥) مؤسسة الرسالة، ط ١، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/٥٠٧) [دار ابن القيم، ط ١]، وابن منده في الرد على الجهمية (٢١) [المكتبة الأثرية]، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٠٨/١) [مكتبة السوادى، ط ١].

عن الحسن، بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين أنه غيره»^(٤).

ثم إن الأدلة الصحيحة تردّه، فإنها قد غايرت بين الكرسي والعرش كما في حديث أبي ذر وغيره.

وأما القول الثالث والرابع فهما مصادمان للنصوص الشرعية الواردة، ومخالفان لما عليه السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إعانة المستفيد»، للفوزان.
- ٢ - «بيان تلبيس الجهمية»، لابن تيمية.
- ٢ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.
- ٣ - «الرسالة العرشية»، لابن تيمية.
- ٤ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.
- ٥ - «العرش»، لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة.
- ٦ - «القول المفيد»، لابن عثيمين.

(٤) البداية والنهاية (١٣/١).

(٥) انظر: الرد على المريسي للدارمي (٧١)، والتنبيه والرد على أهل البدع للملطي (١٠٤)، وتفسير القرطبي (١/٢٧٦)، ومجموع الفتاوى (٥/٦٠، ٥٨٤/٦، ٥٨٥)، وتفسير ابن كثير (١/٦٨٠، ٦٨١)، وشرح العقيدة الطحاوية (٣٦٨، ٣٦٩)، وموسوعة الألباني في العقيدة (٧/٧٠٥)، وكتاب التوحيد مع القول المفيد (٢/٥٤٩، ١/٤٤٣)، والقول المفيد (١/٤٤٣، ٢/٥٤٩)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/٤٥).

ويؤيد وهنه أن علم الله تعالى وسع كل شيء، وليس كما يفهم من تأويلهم للآية، قال ابن تيمية: «وأما تسمية العلم كرسياً فهذا لا يعرف في اللغة، ولكن بعضهم تكلف له من قولهم كراس والكراس غير الكرسي»^(١)، وقال: «الكرسي ثابت بالكتاب والسنة وإجماع جمهور السلف. وقد نقل عن بعضهم: أن (كرسيه): علمه، وهو قول ضعيف؛ فإن علم الله وسع كل شيء كما قال: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

والله يعلم نفسه ويعلم ما كان وما لم يكن، فلو قيل: وسع علمه السماوات والأرض، لم يكن هذا المعنى مناسباً؛ لا سيما وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذِيهِ حِفْظُهُمَا﴾؛ أي: لا يثقله ولا يكرثه، وهذا يناسب القدرة لا العلم والآثار الماثورة تقتضي ذلك»^(٢).

قال أبو منصور الأزهري: «والذي روي عن ابن عباس في الكرسي أنه العلم فليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار»^(٣).

ومن أوله بالعرش، فإن الحديث الوارد ضعيف، والأثر عن الحسن غير ثابت، قال ابن كثير: «وهذا لا يصح

(١) بيان تلبيس الجهمية (٨/٣٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٥٨٤).

(٣) تهذيب اللغة (١٠/٥٤).

التعريف شرعاً:

صفة ذاتية لله وَجَلَّ، بأنه تعالى جواد كريم، واسع العطاء، كثير النعم ومبتدؤها، عظيم القدر، كثير العفو والمغفرة، عزيز، كامل الأسماء والصفات والأفعال^(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، لكن الكرم المضاف إلى الله تعالى هو على غاية ما يدل عليه اللفظ من كمال معنى، فيشمل كل معنى من معاني الكمال المتعلقة به، بخلاف الكرم المضاف إلى المخلوق، فهو مقيد بحدود ما هو عليه، وفيه من النقص ما هو راجع إلى نقص المخلوق.

الأسماء الأخرى:

الجود.

الحكم:

وجوب إثبات صفة الكرم لله تعالى على غاية الجلال والكمال، وبكل ما يدل عليه الوصف من تنوع في معاني الكمال^(٤).

٧ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٨ - «الصواعق المرسلّة»، لابن القيم.

٩ - «السُّنَّة»، لعبد الله بن أحمد.

١٠ - «الرد على الجهمية»، لابن منده.

١١ - «الرد على بشر المريسي»،

للدارمي.

الكَرَم

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان؛ أحدهما: شرف في الشيء في نفسه أو شرف في خُلق من الأخلاق، والكرم في الخُلق، يقال: هو الصفح عن ذنب المذنب»^(١).

والكرَم: ضدُّ اللؤم، يقال: كَرَمَ كرامةً وكَرَمًا وكَرَمَةً فهو كريمٌ وكريمةٌ وكِرْمَةٌ ومُكْرَمٌ ومُكْرَمَةٌ وكِرَامٌ وكِرَامٌ وكِرَامَةٌ، الجمع: كُرَمَاءٌ وكِرَامٌ وكِرَائِمٌ. وأكْرَمَهُ وكَرَّمَهُ: عَظَّمَهُ ونَزَّهَهُ. والكريمُ: الصَّفْوَحُ، والجواد، وكثير الخير. وأَرْضٌ مَكْرَمَةٌ وكَرَمٌ: كَرِيمَةٌ طَيِّبَةٌ. ورزق كريم: كثير. وقول كريم: سَهْلٌ لَيِّنٌ، والكريم: اسم جامع لكل ما يحمد^(٢).

(٣) الحجة (١١٩/١)، وتفسير السعدي (٢٩٩/٥)، واشتقاق أسماء الله تعالى للزجاجي (١٦٧)، ولسان العرب (٥١٠/١٢).

(٤) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٧١)، والأسماء والصفات للبيهقي (١٤٥/١)، ومجموع الفتاوى (٤٤٨/١٦).

(١) مقاييس اللغة (١٧١/٥). وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩٥/١٦) [مكتبة ابن تيمية ط٢].

(٢) القاموس المحيط (١٤٨٩)، والصاحح (٢٩٧/٥)، ولسان العرب (٥١٠/١٢)، ومقاييس اللغة (٥/١٧)، والحجة في بيان المحجة (١١٩/١).

❁ الحقيقة:

إن وصف الله ﷻ بالكرم دال على أنه ﷻ جواد كثير الخير، صفوح، فيكون معنى كرمه ما يصدر عنه من الإفضال والإنعام على خلقه^(١).

❁ الأدلة:

والكَرْمُ صفة ذاتية ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَزِيزٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل]، وقوله ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار]، وقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق].

ومن السنة حديث عوف بن مالك ﷺ في الدعاء على الجنازة: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وارحمه، وعافه، واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله»^(٢). وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد. حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط بعزتك وكرمك»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الخطابي - في سياق ذكر اسم الله الكريم -: «ومن كرم الله تعالى أنه يبدأ بالنعمة قبل استحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استثابة، ويغفر الذنب، ويعفو عن المسيء إن من كرم عفوه أن العبد إذا تاب عن السيئة محاها عنه وكتب له مكانها حسنة»^(٤).

وقال البيهقي: «ولا شك في كثرة المنافع التي من الله ﷻ بها على عباده ابتداء منه وتفضلاً، فهو باسم الكريم أحق»^(٥).

وقال ابن تيمية - في إثبات صفات الكمال لله تعالى بقياس الأولى -: «وكذلك إذا قيل: الكريم المحسن، إما أن يكون كرمه وإحسانه من نفسه، وإما أن يكون من غيره. ومن جعل غيره كريماً محسناً فهو أولى أن يكون كريماً محسناً وذلك من لوازم نفسه»^(٦).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تسمية الله تعالى بالأكرم:

الأكرم اسم تفضيل على وزن (أفعل)، مشتق من صفة (الكرم)، دال على الحصر والمبالغة في الكرم،

(١) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ١١٢، ١٣١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٦٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٨٤)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٨).

(٤) شأن الدعاء (٧١).

(٥) الأسماء والصفات (١/ ١٤٥).

(٦) مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٤٨).

وقال ابن تيمية: «وهو سبحانه أخبر أنه الأكرم بصيغة التفضيل والتعريف لها فدل على أنه الأكرم وحده بخلاف ما لو قال: (وربك أكرم)؛ فإنه لا يدل على الحصر، وقوله: ﴿الْأَكْرَمُ﴾ (٣) يدل على الحصر ولم يقل: (الأكرم من كذا)، بل أطلق الاسم؛ ليبين أنه الأكرم مطلقاً غير مقيد، فدل على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه» (٤).

وقال ابن القيم في قول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (العلق): «ثم أعاد الأمر بالقراءة مخبراً عن نفسه بأنه الأكرم، وهو الأفعل من الكرم، وهو كثرة الخير، ولا أحد أولى بذلك منه سبحانه، فإن الخير كله بيديه، والخير كله منه، والنعم كلها هو موليتها، والكمال كله، والمجد كله له، فهو الأكرم حقاً» (٥).

واسمه تعالى (الأكرم) يقتضي أنه أحق بجميع صفات الكمال، قال ابن تيمية: «فإن قوله: الأكرم، يقتضي أنه أفضل من غيره في الكرم، والكرم اسم جامع لجميع المحاسن، فيقتضي أنه أحق بجميع المحامد، والمحامد هي

[دار الوطن، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٢٩٥/١٦) [مكتبة ابن تيمية ط ٢].

(٥) مفتاح دار السعادة (٥٨/١) [دار الكتب العلمية]. وانظر: تفسير السعدي (٩٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١٦]، وأضواء البيان (١٧/٩) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

والأكرم هو الأحسن والأنفس والأوسع والأعظم والأشرف، والأعلى من غيره في كل وصف كمال.

والأكرم بصيغة التفضيل والتعريف اسم من أسماء الله الحسنى دال على اتصاف الله بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه.

وقد دلت النصوص الشرعية على ثبوت اسم الله (الأكرم)، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (العلق). وجاء عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنهما كانا يقولان بين الصفا والمروة: «رب اغفر وارحم، إنك أنت الأعز الأكرم» (١). وهذا مما لا مجال فيه للرأي فيكون له حكم المرفوع (٢).

قال أبو سليمان الخطابي: «والأكرم هو أكرم الأكرمين، لا يوازيه كرم، ولا يعادله فيه نظير، وقد يكون الأكرم بمعنى الكريم» (٣).

(١) أخرجهما ابن أبي شيبه في المصنف (كتاب الحج، رقم ١٥٥٦٥، ١٥٥٧٠)، والبيهقي في الكبرى (كتاب الحج، رقم ٩٣٥١، ٩٣٥٢). وأخرج أثر ابن مسعود فقط: الطبراني في الدعاء (٢٧١، ٢٧٢) [دار الكتب العلمية ط ١، ١٤١٣هـ]. وقد صحح العراقي أثر ابن مسعود في تخريجه لإحياء علوم الدين (٣٢١/١) [دار المعرفة]، وصحح الألباني الأثرين كليهما في مناسك الحج والعمرة (٢٧) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (٢٤٨، ٢٤٩) [دار الهجرة، ط ٣، ١٤٢٦هـ].

(٣) شأن الدعاء (١٠٣، ١٠٤) [دار الثقافة العربية، ط ٣، ١٤١٢هـ]. وانظر: تفسير السمعاني (٢٥٦/٦)

جميع من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها^(٥).

الفروق:

الفرق بين اسم الله (الأكرم) واسمه (الكريم):

لأهل العلم في وجود فرق بينهما قولان:

القول الأول: أن بينهما فرقاً، «فالأكرم: الوصف الذاتي، والكريم: الوصف الفعلي»^(٦)، ومعنى ذلك: أن اسم (الأكرم) يدل على شرف الله تعالى في ذاته وجلاله وصفاته، ووصفه بجميع المحامد، ونفي النقائص عنه، وهذا المعنى لا يقتضي مفعولاً، وعلى هذا يكون من أسماء الذات^(٧). وأما اسم (الكريم) فيدل على أنه جواد كثير الخير، صفوح، فيكون معنى كرمه ما يصدر عنه من الإفضال والإنعام على خلقه، فلا بدّ له من متعلق يصفح عنه وينعم عليه، وعلى هذا يكون من أسماء الأفعال^(٨).

وزيادة عد الأسماء في هذا الحديث مدرجة، كما ذكر أهل العلم، وتقدم نقل أقوالهم في مصطلح (الأسماء الحسنى).

(٥) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٨٠ - ٨٤، ١٦٣) [أضواء السلف، ١٦، ١٤١٩]، وأسماء الله الحسنى للغصن (٣٣٥) [دار الوطن، ١٦].

(٦) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ١١٢، ١٣١) [دار الصحابة، ١٦، ١٤١٦].

(٧) انظر: المرجع السابق (١/ ١١٢، ١٣١).

(٨) انظر: المرجع السابق (١/ ١١٢، ١٣١).

صفات الكمال، فيقتضي أنه أحق بالإحسان إلى الخلق والرحمة، وأحق بالحكمة، وأحق بالقدرة، والعلم والحياة، وغير ذلك^(١).

- المسألة الثانية: اسم الله الكريم:

الكريم على وزن (فعيل) صفة مشبهة من الثلاثي (كَرُمَ)، وهذا الأصل يدل على شرف الشيء في نفسه أو في خلق من الأخلاق، وهو ضد اللؤم، وهو اسم جامع للمحاسن والمحامد كلها، فهو الأسماء الدالة على معاني عديدة لا على معنى مفرد فقط، وكلها تدور على وصف الله ﷻ بما لا يحصى من جلائل المعاني وكرائم الأوصاف^(٢).

قال القرطبي: «فالكريم من له كرم، وكثر خيره وعم نفعه، وقيل: الكريم الصفوح، وقيل: الكريم العزيز، وهذه الأوجه الثلاثة يجوز وصف الله ﷻ بها»^(٣).

وقد دلّ النصّ على ثبوت اسم الكريم لله تعالى، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار]. كما ورد هذا الاسم في جميع طرق حديث الأسماء المشهور، سوى طريق عبد الملك الصنعاني^(٤)، وعند

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٦٠).

(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنى (١٨٧).

(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ١١٢).

(٤) أخرجه طريقه ابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٦١).

وصفاً، ومن كل خير فعلاً، فهو (الأكرم) في ذاته، وأوصافه، وأفعاله»^(٦).

❁ الآثار:

١ - تعظيم الله تعالى وإجلاله؛ فهو الكريم الذي له العزة والعلو، والعظمة والكبرياء.

٢ - حمد الله تعالى وشكره؛ فكل نعمة فهي من جوده وكرمه وسعة عطائه.

٣ - الالتجاء إلى الله تعالى، وإنزال الرجاء به؛ فهو الكريم الذي لا ينفد عطاؤه، ولا تعد نعمة وآلاؤه.

٤ - عدم اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى وفضله؛ فهو الكريم الذي يبتدئ النعم قبل استحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استثابة.

٥ - افتقار العبد في طاعته لربه ﷻ وعدم إعجابه بعمله ومنته به على ربه، فالله كريم غني عن طاعة كل مطيع.

٦ - اتصاف العبد بالكرم؛ فهو وصف يحبه الله تعالى، وصف به نفسه وتسمى به.

٧ - ما أنزله الله تعالى على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام من كتب وشرائع، يكون بها أطيب الحياة، وأسعد النعم، وخاصة ما أنزله الله تعالى على

قال القرطبي: «إن الأكرم الوصف الذاتي، والكريم الوصف الفعلي، وهما مشتقان من الكرم، وإن اختلفا في الصيغة»^(١).

القول الثاني: ليس بينهما فرق، فكلا الاسمين من الكرم، «والكرم اسم جامع لجميع المحاسن»^(٢)، «والمحامد لا يراد به مجرد الإعطاء بل الإعطاء من تمام معناه؛ فإن الإحسان إلى الغير تمام والمحاسن والكرم كثرة الخير ويسرته»^(٣). قال الخطابي في معنى (الأكرم): «وقد يكون (الأكرم) بمعنى الكريم كما جاء الأعز والأطول بمعنى: العزيز والطويل»^(٤).

فكل المعاني التي يدل عليها اسم الكريم يدل عليها كذلك اسم الأكرم، إلا أن اسم الأكرم يدل على أن له منها الكمال من كل وجه، فإن كل المعاني التي يدل عليه اسم الكريم كذلك يدل عليها اسم الأكرم، فيكون معنى الأكرم هو الأكمل والأفضل في الشرف والكمال والجود والعطاء والصفح»^(٥).

وقال ابن القيم: «اسم (الأكرم) الذي فيه كل خير وكل كمال، فله كل كمال

(١) انظر: المرجع السابق (١/١١٢، ١٣١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/٣٦٠).

(٣) المرجع السابق (١٦/٢٩٣).

(٤) شأن الدعاء (١٠٣)، وكذا قاله البيهقي في الاعتقاد (٣٩).

(٥) الفروق للعسكري (١٤٣).

(٦) مفتاح دار السعادة (٢/٢٤١) [دار ابن عفان، ط١،

أسماء الله الحسنى»، لزيد بن محمد شحاتة.

نبيه محمد ﷺ من كتاب كريم، وشرع محكم يسير.

الْكُره

التعريف لغة:

الكره: خلاف المحبة والرضا. قال ابن فارس: «الكاف والراء والهاء أصلٌ صحيحٌ واحد، يدلُّ على خلاف الرضا والمحبة. يقال: كرهتُ الشيء أكرهه كَرَهًا»^(١).

التعريف شرعاً:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى مقتضاها إبعاد المكروه ومعاداته وعدم الرضا عنه^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، لكن المعنى المتعلق بوصف الله ﷻ هو على غاية الكمال والجلال؛ فما يكرهه الله ﷻ فهو مكروه على الحقيقة، بخلاف ما يضاف إلى المخلوق من كره؛ فليس كل ما يكرهه يلزم أن يكون مكروهاً على الحقيقة، بل كثير من المخلوقين يكرهون أشياء يجتمع فيها أكمل أسباب المحبة، ككراهة الكفار والمنافقين لله ﷻ ورسوله ﷺ.

(١) مقاييس اللغة (٥/١٧٢).

(٢) انظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (٤/٢٧٢).

٨ - ما أسبغه الله تعالى من نعم، وما سخره في السماوات والأرض، مما فيه أظهر الدلالة على جوده وكرمه.

٩ - إجابة الله تعالى دعوة من دعاه، وخاصة حال الاضطرار والافتقار؛ فهو الكريم الذي لا يخيب من رجاءه، ولا يرد من سألته.

١٠ - إمهال الله تعالى لمن خالف أمره، وعدم معاجلته له بالعقوبة.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنة الأصبهاني.
- ٣ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٤ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنة»، لعلوي السقاف.
- ٥ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٦ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.
- ٧ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.
- ٨ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٩ - «معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.
- ١٠ - «المنهاج الأسنى في شرح

❁ الأسماء الأخرى:

البغض، المقت.

❁ الحكم:

وجوب الإيمان باتصاف الله تعالى بهذه الصفة، وأنه سبحانه متصف بها على وجه الكمال.

❁ الحقيقة:

صفة الكره من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى تقتضي عدم الرضا عن المكروه، وإبعاده من رحمته، وتعرضه لعذابه وعقابه.

ولما كانت صفة الكره من الصفات المنقسمة التي تقبل المدح وتقبل الذم، جاء وصف الله تعالى بها مقيداً بما يدل على المدح والكمال المطلق.

فالكراه من الله تعالى واقع على ما هو مكروه على الحقيقة، ولا يأتي الوصف إلا في سياق دال على هذا المعنى، وهذا كمال في الموصوف، بخلاف ما لو لم يتصف بذلك، فنفي الكراهة مطلقاً حتى مع قيام سببها ليس من مقامات المدح، وهذا مثل القول في الرضا والغضب، فالذي يوصف بالرضا والغضب أكمل ممن لا يوصف بهما، أو لا يوصف إلا بأحدهما؛ فوضع الشيء في موضعه هو محل التمدح والكمال^(١).

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٤٦) [التوبة]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (٢٨) [الإسراء].

وعن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^(٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن بطه: «باب الإيمان بأن الله ﻋَظِيمٌ يغضب ويرضى ويحب ويكره»^(٤)، وذكر الرد على النفاة بذكر الأدلة على هذه الصفات.

وقال ابن تيمية: «ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير

(٢) أخرجه البخاري (كتاب في الاستقراض وأداء الديون، رقم ٢٤٠٨)، ومسلم (كتاب الأفضية، رقم ٥٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٨)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٦).

(٤) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٣/١٢٨).

(١) الرسالة الأكملية - ضمن مجموع الفتاوى (٦/٩٢).

الكوني وأمره الشرعي، فليس كل ما خلقه وأراده كونًا يكون أحبه ورضيه، بل قد أخبر ﷺ عن أشياء مما خلق يكرهها ويبغضها، فيجب اتباع شرعه في بغضها، أما خلقه لها فهو لحكمة أرادها.

٦ - قيام شرع الله تعالى على غاية الجمال والجلال، وخلوّه من كل شر ومكروه لذاته، بل الأخذ به سبب السعادة في الدنيا والآخرة.

٧ - العاقبة الحسنة والتمكين والقبول الذي وعده الله تعالى لمن أحبهم، والخسارة والعذاب والبغض على من كرههم الله تعالى.

٨ - انعدام الهداية والتوفيق للمنافقين وأمثالهم؛ إذ كره الله تعالى حالهم وشركهم ورياءهم، وما بهم من سوء ظاهر وباطن.

✽ مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة في إثبات هذه الصفة، وهذا بناء على ما أصّلوه في نفي الصفات.

فمخالفة الجهمية بناء على أصلهم الفاسد في أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه (٣).

(٣) الفرق بين الفرق للبغداد (٢٢١) [دار التراث]، والملل والنحل للشهرستاني (٩٨/١) [دار المعرفة]، ط ٢.

تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل» وذكر أمثلة على هذه الصفات بالاستدلال عليها من القرآن، وذكر من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ أُبْعَاثَهُمْ﴾ (١).

وقال ابن القيم: «والغيرة عند المعطلة النفاة من الكيفيات النفسية، كالحياء والفرح والغضب والسخط والمقت والكرامية، فيستحيل وصفه عندهم بذلك، ومعلوم أن هذه الصفات من صفات الكمال المحمودة عقلاً وشرعاً وعرفاً وفطرة، وأضدادها مذمومة عقلاً وشرعاً وعرفاً وفطرة» (٢).

✽ الآثار:

١ - التعبّد لله تعالى بتحصيل أسباب محبته، واجتناب أسباب بغضه وكرهه.

٢ - الحذر من كره الله تعالى وبغضه للعبد؛ فبذلك ينقطع التوفيق، ويكون الهلاك والخسران.

٣ - محبة المؤمن لما يحبه ربه، وبغضه لما يبغضه.

٤ - التدبر في حكمة الله تعالى في شرعه، فما يكرهه تعالى، فقد قامت به معاني الكره والبغضاء على الحقيقة، وهذا يوجب على العباد أن يبغضوه.

٥ - عدم المعارضة بين أمر الله تعالى

(١) العقيدة الواسطية (ضمن مجموع الفتاوى ١٣٣/٣).

(٢) الصواعق المرسلة (١٤٩٧/٤).

والمخالفة المعتزلة بناء على أصلهم في نفي الصفات؛ لاستلزامها التشبيه، ولأن تعدد الصفات يلزم منه تعدد القدماء^(١)، فيثبتون الكره باعتبار أثره، وهو المعنى المتعلق بمن كرهه الله.

- فإله تعالى أثبت لنفسه صفات، وأثبتها لخلقها، كالعلم، والقدرة، والإرادة، والعظمة إلخ، ولم يلزم من هذا الإثبات أي معنى للتشبيه الذي يزعمه هؤلاء النفاة، بل المتقرر شرعاً وعقلاً ما أخبر به تعالى عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

- فأهل السنة والجماعة في إثباتهم لجميع ما أثبتته الله تعالى لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ يقررون هذا الأصل الجامع لكل الصفات، المانع من أي ظن كاذب أو لازم باطل، ومنها صفة الكره.

وكذلك فإن إثبات الصفات الفعلية لا يلزم منه أن تكون ذاته محلاً لحوادث مخلوقة، فهو لم يزل ولا يزال فعلاً لما يريد، والنصوص الدالة على تعدد أفعاله وتنوعها لا تكاد تحصى، وليس في شيء منها ما يدل على أن شيئاً من المخلوقات يحل في ذاته.

فثبت فعله سبحانه بمشيئته واختياره بشئ الدليل الشرعي عليه، ولا نرد دلالة الدليل باللوامز الباطلة.

- بل إن نفي المشيئة والاختيار في أفعاله تعالى هو النقص الذي يجب أن

ومخالفة المعتزلة بناء على أصلهم في نفي الصفات؛ لاستلزامها التشبيه، ولأن تعدد الصفات يلزم منه تعدد القدماء^(١)، فيثبتون الكره باعتبار أثره، وهو المعنى المتعلق بمن كرهه الله.

ومخالفة الأشاعرة بناء على أصلهم في نفي الصفات الفعلية؛ لأن إثباتها يستلزم حلول الحوادث في ذات الله تعالى، فأولوها إلى صفة الإرادة التي يثبتونها ضمن الصفات العقلية السبع التي يثبتونها، فتكون الصفة عندهم بمعنى إرادة العقوبة، أو عدم إرادة المحبة أو الخير ونحو ذلك، فتكون هذه الصفة عندهم متعلقة بوصف قديم لا يتجدد، وهو الإرادة^(٢).

ولذلك أولوا الكراهة بما يجعله الله تعالى من الكراهة في الشيء المكروه^(٣)، أو بمعنى عدم الإرادة^(٤)، ونحو ذلك.

الرد عليهم:

- بنفي ما أحدثوه من لوازم باطلة، فإثبات الصفات لا يلزم منه تعدد القدماء، ولا التشبيه، ولا أيّاً من اللوازم

(١) شرح الأصول الخمسة (١٦٢) [مكتبة وهبة، ط ٣].

(٢) انظر: الإرشاد للجويني (١٠٢) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤٠٥]، والمواقف للإيجي (٢٩١) [مكتبة المتنبّي].

(٣) انظر: الكشف للزمخشري (٢/٢٦٣).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٦/٦٤).

٨ - «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.

الكروبيون

يراجع مصطلح (حملة العرش).

الكريم

يراجع مصطلح (الكرم).

الكشف

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الكاف والشين والفاء أصل صحيح يدل على سُرو الشيء عن الشيء كالثوب يسرى عن البدن»^(٢).

والكشف في اللغة بمعنى الإظهار، وهو رفع الشيء عما يواريه ويغطيه. يقال: كشف الشيء يكشفه كشفًا، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَتِلْكَ الْأَافِقَةُ﴾ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ [النجم]؛ أي: لا يكشف الساعة إلا رب العالمين^(٣).

التعريف اصطلاحًا:

قال الجرجاني: «الكشف

ينزه عنه، فإثبات الكمال والحمد له أنه يخلق ما يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويعفو عمن يشاء، ويفعل ما يريد، وأنه لم يزل ولا يزال فعالاً لما يريد.

- فمسألة الصفات الاختيارية هي من تمام حمده، فمن لم يقر بها لم يمكنه الإقرار بأن الله محمود ألبتة، ولا أنه رب العالمين؛ فإن الحمد ضد الذم والحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له، والذم هو الإخبار بمساوئ المذموم مع بغض له.

والله تعالى يحمد نفسه بأفعاله، فإذا لم يكن له فعل يقوم به باختياره امتنع ذلك كله^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «الإبانة عن شريعة الفرق الناجية»، لابن بطة.

٢ - «جامع الرسائل»، لابن تيمية.

٣ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

٤ - «صفات الله وتلك الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.

٥ - «الصواعق المرسلات»، لابن القيم.

٦ - «العقيدة الواسطية»، لابن تيمية.

٧ - «مجموع فتاوى ورسائل ابن

عثيمين».

(٢) مقاييس اللغة (٥/١٨١) [دار الجيل، ط٢].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٠/١٨) [دار إحياء التراث العربي، ط١]، ولسان العرب (٩/٣٠٠) [دار صادر، ط١].

(١) انظر: رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية، ضمن جامع الرسائل (٢/٥٧) [دار العطاء، ط١].

المحادثة^(٦)، الإلهام^(٧)، الإشراق^(٨).

❖ الحقيقة:

ترجع حقيقة الكشف عند الصوفية إلى الاطلاع على علم الغيب، ومعرفة الشرع. ولهذا أدخلوا في الكشف:

١ - الاطلاع على أسرار الملكوت وحقائق الوجود^(٩)، حتى يصل غلاتهم إلى القول بأن الولي يدرك بالكشف العوالم غير المتناهية، ويطلع على أخبار الماضي والمستقبل^(١٠).

ويرى الغزالي أنه كلما ارتفعت الحجب بين القلب وبين اللوح المحفوظ رأى القلب الأشياء في اللوح المحفوظ! وتفجر العلم منه إلى القلب! فاستغنى عن الاقتباس بطريق الحواس، فللقلب عنده بابان، باب مفتوح على عالم المحسوس، وباب مفتوح على عالم الملكوت؛ أي: اللوح المحفوظ، وأنه يصل إلى الاطلاع على اللوح المحفوظ،

(٦) انظر: التعريفات (٢٦٢)، واصطلاحات الصوفية لابن عربي (١٥٢) ضمن مجموع معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام.

(٧) انظر: التعريفات (٥١).

(٨) انظر: أصول الفلسفة الإشراقية عند السهروردي لمحمد أبو ريان [مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١، ١٩٥٩م]، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/ ٢٣١) [الشركة العالمية للكتاب، ط ١٤١٤هـ].

(٩) شفاء السائل لابن خلدون (٥١).

(١٠) تحفة السفرة إلى حضرة البررة لابن عربي (١٣)، عن: جنابة التأويل الفاسد لمحمد أحمد لوح (٤٩٠، ٤٩١) [دار ابن عفان، ط ١، ١٤٠٨هـ].

في... الاصطلاح: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية، وجودًا وشهودًا^(١).

❖ الأسماء الأخرى:

جاءت عدة ألفاظ عند الصوفية تقارب معنى الكشف، ومن ذلك: الخواطر^(٢)، المطالعة^(٣)، الواردات^(٤)، التجلي^(٥)،

(١) التعريفات (٢٣٧) [دار الكتاب العربي، ط ١]. وانظر: شفاء السائل لابن خلدون (٥١) [كلية الإلهيات، ١٩٥٨م] ومدارج السالكين (٢٢١/٣) [دار الكتاب العربي، ط ٢٢]، وشرح الألفاظ المشككة الجارية في كلام الصوفية، للسراج الطوسي ضمن مجموع معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام، للجبوري (٣٨)، وشرح ألفاظ واصطلاحات تدور بين الصوفية لعلم الدين القرشي ضمن نفس المجموع (١٧٢) [دار نمى، ط ٢، ١٣٢٩هـ].

(٢) انظر: التعريفات (١٢٩)، وتفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها للقبشيري (١٠٥) ضمن مجموع: معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام، واصطلاحات الصوفية لابن عربي (١٥٠) ضمن نفس المجموع.

(٣) انظر: شفاء السائل لابن خلدون (٥١)، واصطلاحات الصوفية لابن عربي (١٠٥) ضمن مجموع معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام.

(٤) انظر: التعريفات (٣٢٢)، واصطلاحات الصوفية لابن عربي (١١٥٠) ضمن مجموع معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام.

(٥) انظر: شرح الألفاظ المشككة الجارية في كلام الصوفية ضمن مجموع معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام (٥٣)، والمصطلح الصوفي للجلابي الهجویری ضمن نفس المجموع (١٣١)، واصطلاحات الصوفية لابن عربي ضمن نفس المجموع (١٥٢)، والتعريفات (٧٣).

على منزلة الوحي، فهم يرون أن العملة في الاعتقاد ما يكشف لهم، فإذا كشف لهم أمر نظروا للكتاب والسنة، فما وافقه أثبتوه، وما خالفه حرّفوه.

وبلغ بهم الحال أن ذمّوا من يأخذ العلم من الكتاب والسنة، دون اعتماد طريق الكشف، وتنقصوا أهل الحديث من أجل ذلك؛ لأن أهل الحديث يأخذون علمهم عن ميّت عن ميّت، وأما هم فيأخذونه - بزعمهم - عن الحي الذي لا يموت^(٦).

ولأهمية الكشف عندهم يجعلونه طريقاً للمريد في أول سلوكه لطريق التصوف، حتى يزعمون أن المبتدئ يتعرض من أول طريقه للمكاشفات والمشاهدات، وأنهم في يقطعتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد!^(٧)

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو العباس القرطبي: «ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق يلزم منه هذا الأحكام الشرعية، فقالوا: هذه

(٦) انظر: إحياء علوم الدين (٣/١٠٤)، وتبليس إبليس لابن الجوزي (٣٩٢) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ]، وإيقاظ الوسنان للسنوسي (١٠٥، ١٠٦) [المطبعة الثعالبية، ١٣٣٢هـ]، والإنسان الكامل للجيلي (٧، ٨).

(٧) المنقذ من الضلال (١٠٧) [دار الأندلس، ط٧].

وعليه فهو يرى أن علوم الأولياء تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت، في حين أن علوم العلماء من أبواب الحواس^(١).

٢ - معرفة الحلال والحرام من غير تعلم.

فيرون صحة أن يكتسب المرء المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد^(٢). ومن أجل هذا زعم بعض أئمة الصوفية أنهم ألفوا بعض كتبهم - الضالّية أو الكفرية - من كشف كُشِفَ لهم، لا من طريق النظر والفكر، كما زعمه ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية^(٣)، والجيلي في كتابه الإنسان الكامل^(٤)، وغيرهما.

والكشف يحصل عند الصوفية لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب، بل يحصل - كما يزعمون - بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها، والارتياض بالذكر والمجاهدات، وتفريغ القلب من شواغله^(٥).

❁ المنزلة:

لقد أنزل الصوفية الكشف منزلةً مقدّمةً

(١) إحياء علوم الدين (٣/٢١ - ٢٢) [دار المعرفة]. وانظر: جامع كرامات الأولياء للشعراني (٢/٣٢٥).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٢٣).

(٣) انظر: الفتوحات المكية (١/١٣٦) (٣/٤٥٦) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٤٠٥هـ].

(٤) انظر: الإنسان الكامل (٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ].

(٥) انظر: إحياء علوم الدين (٣/١٩).

السلف والخلف: على ألا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه، ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل الكرام، فمن قال: إن هناك طريقاً آخر يعرف بها أمره ونهيه غير الرسل بحيث يستغنى عن الرسل فهو كافر يقتل ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب، ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا ﷺ الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله فلا نبي بعده، ولا رسول^(١).

وقد بين الإمام ابن أبي العز حال هؤلاء، فقال: «والرهبان وهم جهال المتصوفة المعترضون على حقائق الإيمان والشرع يعترضون على الشريعة بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية، المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه ﷺ، والتعوض عن حقائق الإيمان بخدع الشيطان وحظوظ النفس»، وذكر أنهم يقولون: «إذا تعارض الذوق والكشف وظاهر الشرع قدمنا الذوق والكشف»^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(١) المنهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/٢١٧ - ٢١٩) [دار ابن كثير، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢٢٢) [المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٣٩١هـ]، وقد تقدم نقل بعض أقوالهم في ذلك.

الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأغنياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم، قالوا: وذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار، وخلوها عن الأغيار، فتجلى لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات، ويعلمون أحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع والكليات، كما اتفق للخضر، فإنه استغنى بما تجلى له من تلك العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم.

قلتُ [القائل القرطبي]: وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب؛ لأنه إنكار ما علم من الشرائع، فإن الله تعالى قد أجرى سُنَّته، وأنفذ حكمته، فإن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسوله السفراء بينه وبين خلقه، وهم المبلغون عنه رسالاته وكلامه، المبينون شرائعه وأحكامه، اختارهم لذلك، وخصهم بما هنالك، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنَ النَّاسِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج، ٥٥]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]...

وعلى الجملة، فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري، وإجماع

الزمان والمكان، ويدرك به العوالم غير المتناهية، ويطلع به على أخبار الماضي والمستقبل.

٥ - كشفٌ خفيٌّ، وهو أن ينكشف الله تعالى بالصفات، إما بالجلال أو الجمال، على حسب المقامات والحالات، ويسمى كشفًا صفتيًا^(٢).

الحكم:

الحكم على ما ادعاه الصوفية - أو غيرهم - من الكشوفات يتضح من خلال ما يلي:

أولاً: لا ريب أن الأصل في معرفة الحقائق والشرائع عند أهل الحق - أهل السنة والجماعة - هو كتاب الله، وسنة مصطفاه ﷺ، وما أجمع عليه سلف الأمة، فهو ما أمر الله عباده المؤمنين بالرد إليه عند الاختلاف، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَنَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَردُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، فما أتت به الرسل عن الله فهو الحق الذي ضمنت لنا عصمته، وأما ما لم تأت به ففيه حق وباطل، فكان الواجب رده إلى الحق الذي لا باطل فيه^(٣).

(٢) تحفة السفرة إلى حضرة البررة لابن عربي (١٣)، عن: جناية التأويل الفاسد لمحمد أحمد لوح (٤٩٠ - ٤٩١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٥/١٩) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢].

«من ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد فهذا كافر ملحد، وإذا قال: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا: إن محمدًا رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب، فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض، فكانوا كفارًا بذلك، وكذلك هذا الذي يقول إن محمدًا بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض، فهو كافر، وهو أكفر من أولئك؛ لأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة»^(١).

الأقسام:

ذكر بعض أهل التصوف أن للكشف خمسة أقسام:

١ - كشف عقلي، وبه تدرك المعقولات.

٢ - كشف قلبي، وتدرك به أنوار مختلفة.

٣ - كشف سرّي، وتدرك به أسرار المخلوقات، وحكم خلقها.

٤ - كشف روحي، وبه يرتفع حجاب

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١١/٢٦٦).

فالكشف الصحيح: هو أن يعرف المؤمن الحق الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، معاينة لقلبه، ويجرد إرادة القلب له، وما خالف ذلك فغرور قبيح^(٣).

ثالثاً: أن هذه الكشوف إذا وقعت فإنها لا تكون دليلاً من أدلة الشرع، فلا يجوز الحكم بمقتضاها في أحكام الشريعة وأخبارها، فضلاً عن جعلها حاكمة على الشريعة أو مستغنى بها عن الكتاب والسنة، وإنما هي بشارة وتأنيس، كحال الرؤى، فلا بد أن تعرض على الكتاب والسنة، وألا يُعتمد منها إلا ما كان موافقاً للشرع^(٤).

ولهذا جاء في الصحيح عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة»^(٥).

فغاية ما تفيده الرؤيا التبشير أو التحذير، أو الاستئناس بها إذا وافقت حكماً ثابتاً بالشرع الصحيح المعصوم.

وأما الاحتجاج فقد اتفق أهل العلم على أن الرؤيا لا تصلح له^(٦).

والله تعالى قد قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]

فتبين أن الاكتفاء حاصل بالكتاب فهو الأصل والمرجع في الاستدلال، فمن جعل الكشف أصلاً مستقلاً في معرفة الغيب أو الحلال والحرام فقد ابتدع في الدين، ولم يحقق هذا الاكتفاء.

فالميزان هو الشرع، وكل ما سواه - من الكشوف والمنامات والإلهامات المزعومة - يجب أن تُردَّ إليه، فما وافقه قبل، وما خالفه رد.

ثانياً: أن الكشوفات والإلهامات - من حيث الأصل - لا يمتنع وقوعها، فقد تقع للبعض، فإنه ليس من الممتنع وجود العلم بثبوت الصانع وصدق رسوله إلهاماً^(١).

وهذا إنما يكون لمن صدق إيمانه، ومتابعته للرسالة، فإن المؤمن يتبين له ما لا يتبين لغيره، ولا سيما في الفتن، وينكشف له حال الكذاب الوضاع على الله ورسوله، وكلما قوي الإيمان في القلب قوي انكشاف الأمور له، وعرف حقائقها من بواطنها، وكلما ضعف الإيمان ضعف الكشف^(٢).

(١) انظر: درء التعارض (٤٦/٨) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٥/٢٠، ٤٦).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢٢٢/٣، ٢٢٣، ٢٢٦).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٦٥، ٢٠٣).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٦٩٩٠).

(٦) انظر: التنكيل للمعلمي (٢/٢٤١ - ٢٤٣) [المكتب

الإسلامي، ط ٢]، والمنهج السلفي للقوسي (٢٥٩،

٢٦٠).

والحاصل أن ضلال المتصوفة في باب الكشف هو فيما يلي :

١ - طريقة تحصيل الكشف، حيث زعموا أن الكشف لا يحصل إلا برياضات شاقّة، بطرق مبتدعة في الدين، وأذكار ما أنزل الله بها من سلطان^(٣).

٢ - حجّة الكشف ومنزلته، حيث جعلوه هو الأصل في معرفة الحقائق وأحكام الشرع، وجعلوا أدلة الكتاب والسنة تابعة له، بل حرّفوها من أجله، وزعم بعضهم أنه قد تلقّاه من النبي ﷺ، مع أن الرسالة انقطعت بموته ﷺ، وأنه قد يستغني بالكشف عن نصوص الشرع^(٤)، وتبع ذلك تزهيد كثير منهم في الوحي، وزعموا أن «من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم، ولا يتعين له موقف»^(٥).

ولا شك أن «هذا الكلام مضمونه أنه لا يستفاد من خبر الرسول شيء من الأمور العلمية، بل إنما يدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من المشاهدة والنور والمكاشفة»^(٦).

٣ - ومن أكبر ضلالهم في هذا

ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (٢/ ٦٥٥، ٦٦٨).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٢١ - ٢٣).

(٤) المرجع السابق (٣/ ٢١ - ٢٢).

(٥) المرجع السابق (٣/ ١٠٤).

(٦) درء التعارض (٥/ ٣٤٨).

رابعاً: وبهذا يقال: ليس النزاع مع المخالف في أصل وقوع الكشوفات، وإنما في منزلتها التي زعموها لها، حيث جعلوها حاکمة على الكتاب والسنة، مملية على أصحابها ما هو من أبطل الباطل، وأكفر الكفر، كعقيدة وحدة الوجود والعياذ بالله.

ولا أدلّ على ذلك من حال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو محدّث هذه الأمة، ومع ذلك فقد كان يشاور الصحابة ويشاورونه، ويراجعهم ويراجعون، ويحتج عليهم بالكتاب والسنة، ويرجعون جميعاً إليهما، ويردون ما اختلفوا فيه إلى ما أمر الله بالرد إليه من الرد إلى الله سبحانه، وإلى رسوله ﷺ، فحقّ على الولي - وإن بلغ في الولاية إلى أعلى مقام وأرفع مكان - أن يكون متقيداً بالكتاب والسنة، وازناً لأفعاله وأقواله بميزان الشريعة المطهرة، واقفاً على الحد الذي رسم فيها، غير زائغ عنها في شيء من أموره، وإذا ورد عليه وارد يخالف الشريعة رده، واعتقد أنه من الشيطان^(١).

فطريقة الكشف عند الصوفية باب من أبواب البدعة، بل إنها قد تصل بسالكها إلى الزندقة والإلحاد^(٢).

(١) قطر الولي للشوكاني (٢٥٠، ٢٥١) بتصرف يسير.

وانظر: مدارج السالكين (١/ ٤٩٤، ٤٩٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٢٦٦)،

بالإلهام عن أحد رواة الحديث وهو ابن وهب، فقد قال بعد روايته: «تفسير مُحَدَّثُونَ: مُلْهُمُونَ»^(٣). وهذا التفسير هو الثابت عن أكثر أهل العلم^(٤).

ومع ذلك فلم يكن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحكم في أمر من شرع الله بمجرد ما يلقي في قلبه، بل كان يعرضه على الكتاب والسنة، فإن وافق ما يقع له من كشف وإلهام ما في الوحي قَبْلَهُ، وإن خالفه رَدَّهُ^(٥).

- المسألة الثانية: الجواب عن حديث: «فإنه ينظر بنور الله»:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»^(٦). وهذا الحديث ضعيف؛ ضعفه جمع من أهل العلم^(٧)، فلا يصح الاعتماد عليه في

الباب: ضلالهم في كثير من العقائد التي زعموا أنهم تلقوها عن طريق الكشف، كالقول بوحدة الوجود، أو أن للولي منزلة تفوق منزلة النبي.

٤ - الغلو في قدره واستمراره، حيث جعلوا في مقدرة الولي أن يطلع ويدرك بالكشف العوالم غير المتناهية، ويطلع به على أخبار الماضي والمستقبل^(١)، وجعلوه أمراً مستمراً لمن زعموا فيهم الولاية، والحق أنه أمر عارض للمؤمنين، وليس مستمراً، بل يحصل في بعض الأحوال، كأن يكون فيه نصرة للدين، أو إغاثة كربة لمضطر ونحو ذلك.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: معنى حديث النبي ﷺ: «إن يكن في أمتي محدثون فعمرو»:

الإلهام هو المقصود بالتحديث الذي جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمِّ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ»^(٢). والتحديث المذكور هنا قد جاء تفسيره

(١) تحفة السفرة إلى حضرة البررة لابن عربي (١٣).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٨)، واللفظ له.

وأخرجه البخاري أيضاً (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٦٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في رواية مسلم السابقة.

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٥٠/٧).

(٥) انظر منهاج السنة (٧٠/٨)، وبغية المراتد (٣٨٧)، (٣٨٨)، ودرء تعارض العقل والنقل (٣٤٩/٥).

(٦) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣١٢٧) وقال: «حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٨٢١)، وستأتي الإشارة أيضاً إلى من ضعفه من أهل العلم. وقد روي من غير حديث أبي سعيد، وكلها ضعيفة لا تثبت، كما بين الألباني في السلسلة الضعيفة (الموضع السابق).

(٧) ممن ضعفه: ابن الجوزي في الموضوعات (٢/٣٣٣، ٣٣٢) [دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ]، والصغاني في الموضوعات له (٥١) [دار المأمون، ط ٢، ١٤٠٥هـ]، والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢٩٩/٤)، رقم (١٨٢١).

إثبات مصدر للتشريع، ويبقى النظر فيما يبدو للمؤمن من كشوف وإلهامات بحسب ما تقدم، فما وافق الشرع قُبل، وما لم يوافقه رُدَّ وطُرح^(١).

❁ الآثار:

من الآثار الفاسدة للاعتماد على الكشف في أحكام الشريعة والعقيدة ما يلي:

١ - مخالفة الأمر الرباني، والطعن في أصل دين الإسلام، المقتضي للرجوع إلى الكتاب والسنة في الاحتجاج الشرعي، والاستسلام لأمر الله، وهو ما ثبت بالتواتر والإجماع، وعلم بالضرورة من الدين، وذلك بالنظر لما يدعيه الغلاة من أن الكشف يصل بصاحبه إلى الاستغناء عن الوحي، حتى جعلوا الكشف مقدماً على الوحي، والوحي تابع له عندهم.

٢ - مناقضة ما ثبت بالضرورة من الدين من تفرد الله بالعلم بالغيب؛ إذ يدعي أصحاب الكشف أنهم ينظرون في عالم الملكوت، واللوح المحفوظ، وهذا مما اختص الله بعلمه.

٣ - أن القول بالكشف يستلزم الاستغناء عن رسل الله، ذلك أن الكشف عندهم كاف في إثبات الأحكام

ونفيها، فأى حاجة للأنبياء بعدها، وبطلان ذلك اللازم معلوم الفساد، بل هو من الكفر والإلحاد^(٢).

٤ - الاضطراب والاختلاف في الدين، حيث إن ما يدعى من كشوفات باطلة تختلف من شخص إلى شخص، فكلُّ يحلل ويحرم، ويثبت وينفي بحسب ما يدعيه كشافاً.

٥ - أن في الركون إلى الكشف فتحاً للباب لمن أراد أن يتدع في الدين، ويغير من شريعة رب العالمين، ويبطل ما ثبت في الشرع، أو يزيد فيه، ويدعي أن ذلك كشف قد كشف له، وهذا ما وقع بالفعل، حيث أتى الغلاة بكثير من العقائد الكفرية المناقضة لما قرره الأنبياء، وادَّعوا أنها من طريق الكشف، كعقيدة الاتحاد والحلول ووحدانية الوجود.

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «التعريفات»، للجرجاني.
- ٢ - «جناية التأويل الفاسد»، لمحمد أحمد لوح.
- ٣ - «قطر الولي على حديث الولي»، للشوكاني.
- ٤ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٠)، لابن تيمية.
- ٥ - «مدارج السالكين» (ج ١)، لابن القيم.

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/٤٧٣) (١٣/٦٨، ٦٩)، والروح لابن القيم (٢٣٨) [دار الكتب

العلمية، ط ١٣٩٥هـ]، ومدارج السالكين (١/١٢٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٢٦٦).

٦ - «المصادر العامة للتلقي عند

الصوفية»، لصادق سليم.

٧ - «معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام»، لنظلة الجبوري.

٨ - «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد»، لعثمان علي حسن.

٩ - «موقف ابن تيمية من الأشاعرة»، لعبد الرحمن المحمود.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان المعنى اللغوي لكلمة الكفر هو التغطية والستر، جاء المعنى الشرعي مستقًى منه، فالكافر إنما سمي كافرًا؛ لأن الكفر غطى إيمان قلبه.

الكفر

الأسماء الأخرى:

من الألفاظ الشرعية التي عبر بها عن الكفر: الشرك، والظلم، والفسق.

الحكم:

يجب على المسلم اجتناب الكفر، وكلّ سبب يؤدي إليه. وحكم من وقع في الكفر الأصغر: أن صاحبه يبقى في دائرة الإسلام لا يخرج منها، وإذا لقي الله ﷻ بتلك الذنوب، فإنه يكون مستحقًا للعقوبة، إلا أن يعفو الله عنه، بخلاف من وقع في الكفر الأكبر: فإن

التعريف لغةً:

الكفر لغة: الستر والتغطية. قال ابن فارس: «الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية. يقال لمن غطى درعه بثوب: قد كفر درعه. والمكفر: الرجل المتغطي بسلاحه»^(١).

وقال ابن الأثير: «وأصل الكفر: تغطية الشيء تغطية تستهلكه»^(٢). ولذلك قيل للزارع: كافر؛ لأنه يغطي البذر بالتراب^(٣). وكل شيء غطى شيئًا فقد كَفَرَهُ^(٤).

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٣٩/٧)، (٣٣٥/١٢).
[مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ].
وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٣٨/١) [دار عالم الكتب، ط ٧، ١٤١٩هـ]، ومفردات ألفاظ القرآن (٣٠٤/٢) [دار القلم]، والفصل في الملل والأهواء والنحل (١١٨/٣) [دار المعرفة، ط ٢]، والفروق للقرافي (١١٥/٤) [عالم الكتب]، ومختصر الصواعق (٥٩٦) [دار الحديث، ط ١].

(١) مقاييس اللغة (١٩١/٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٨٧/٤) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٣٨/٧) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

(٤) العين للفراهيدي (٣٥٧/٥) [مكتبة الهلال].

فَاعِلُهُ خَارِجٌ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَإِذَا مَاتَ عَلَى كُفْرِهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ خَالِدًا مَخْلَدًا فِيهَا. وَالْكَفَرُ حَكْمٌ شَرْعِيٌّ يَنْطَبِقُ عَلَى مَنْ كَفَرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

❁ الحقيقة:

الكفر يكون بكل ما يناقض الإيمان، من اعتقاد أو قول أو عمل، فإن نقض أصل الإيمان كان هذا هو الكفر الأكبر، كالنفاق والجحود والاستهزاء والتكذيب ونحو ذلك، أو نقض كمال الإيمان الواجب فهذا هو الكفر الأصغر، كقتال المسلم لأخيه المسلم دون حق، والطعن في الأنساب، والنياحة على الميت، ومن انتسب إلى غير أبيه ونحو ذلك مما سمّاه الشرع كفرًا وليس بالأكبر^(١).

قال ابن تيمية رحمه الله: «الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفرًا في الشرع، كما أنه ليس كل ما كان صوابًا في العقل تجب في الشرع معرفته»^(٢).

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْدَلِ الْكُفْرَ

بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۝﴾ [البقرة: ٢١٧]، وهذه الآيات السابقة المراد منها: الكفر الأكبر.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝﴾ [المائدة]، وهذه الآية دخل فيها الكفر الأصغر، قال عطاء رحمه الله في تفسيرها: «كفر دون كفر»^(٣).

وأدلة السُّنَّة على إطلاق لفظ الكفر وأن المراد به الكفر الأكبر كثيرة، منها حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يرث المؤمن الكافر، ولا يرث الكافر المؤمن»^(٤). وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها الله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يجزى بها»^(٥).

ومن أدلة السُّنَّة على الكفر الأصغر: حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أن

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٤٦٤) [دار هجر، ط ١].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٨٣) واللفظ له، ومسلم (كتاب الفرائض، رقم ١٦١٤).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨٠٨).

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٣٥٠)، و(١٢/ ٣٣٥)، واقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٣٨).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٤٢) [جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٣٩٩هـ].

موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود»^(٥).

وقال أيضًا: «الكفر جحد ما علم أن الرسول ﷺ جاء به، سواء كان من المسائل التي يسمونها علمية أو عملية، فمن جحد ما جاء به الرسول ﷺ بعد معرفته بأنه جاء به فهو كافر في دق الدين وجله»^(٦).

وقال السعدي رحمه الله: «حدّ الكفر الجامع لجميع أجناسه وأنواعه وأفراده: هو جحد ما جاء به الرسول ﷺ أو جحد بعضه»^(٧).

❁ الأقسام:

ينقسم الكفر إلى قسمين:

- القسم الأول: الكفر الأكبر: هو الذي يناقض أصل الإيمان، فيخرج صاحبه من الإسلام بالكلية، ويخلد في النار إن مات عليه، ولا تنفع فيه شفاعة الشافعين، وهو خمسة أنواع:

١ - كفر التكذيب: وهو اعتقاد كذب

الرسول ﷺ، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهراً أو باطناً فقد كفر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

النبي ﷺ قال: «لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض»^(١). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقوله: «يضرب بعضكم رقاب بعض» تفسير الكفار في هذا الموضع، وهؤلاء يسمون كفاراً تسمية مقيدة، ولا يدخلون في الاسم المطلق إذا قيل: كافر ومؤمن»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن حزم: «وهو - أي: الكفر - في الدين صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه، ببلوغه الحق إليه بقلبه دون لسانه، أو: بلسانه دون قلبه، أو: بهما معاً، أو: عمل عملاً جاء النص بأنه مُخرج له بذلك عن اسم الإيمان»^(٣).

وقال أبو نصر المروزي: «إذ الكفر لا يكون إلا جحوداً بالقلب أو تكذيباً بالقلب أو باللسان، أو إباء أو امتناعاً باستكبار واستنكاف»^(٤).

وقال ابن القيم: «فأما الكفر فنوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر، فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار، والأصغر

(١) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١٢١)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٥).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٣٨).

(٣) التبصير في معالم الدين (١٦٢) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٤) تعظيم قدر الصلاة (٢/٧٤٩).

(٥) مدارج السالكين (١/٣٤٤) [دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ].

(٦) مختصر الصواعق (٦٢٠).

(٧) الإرشاد إلى معرفة الأحكام (٢٠٣، ٢٠٤) [مكتبة المعارف، الرياض، ط ١٤٠٠هـ].

لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ [العنكبوت].

- القسم الثاني: الكفر الأصغر: وهو

الذي لا يخرج من الملة، وصاحبه مستحق للوعيد والعذاب في النار دون الخلود فيها، وقد تقدمت صورته والأدلة عليه.

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: شعب الكفر:

إن للكفر شعباً وخصالاً كما أن للإيمان شعباً، فالمعاصي والذنوب كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان. وشعب الكفر متفاوتة؛ منها ما يوجب الخروج من الإسلام، ومنها ما هو دون ذلك.

فقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، وكذلك الكذب، والحكم بغير ما أنزل الله، والمعاصي كلها من شعب الكفر. وشعب الكفر قسمان: قولية وفعلية. فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختياراً وهي شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف^(٢).

وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن العبد يجتمع فيه بعض شعب الإيمان، وبعض شعب الكفر أو النفاق التي لا تنافي أصل الإيمان وحقيقته^(٣)، قال الله

(٢) الصلاة وأحكام تاركها (٥٥، ٥٦) [مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥٠/٧)، وتفسير القرآن =

٢ - كُفْرُ الْإِبَاءِ وَالْإِسْتِكْبَارِ: وذلك بأن يكون عالمًا بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكباراً وعناداً، قال ﷺ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة].

٣ - كُفْرُ الشُّكِّ، ويقال له كفر الظن: وهو ألا يجزم بصدق الرسول ولا بكذبه، بل يشك في أمره. قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف].

٤ - كُفْرُ الْإِعْرَاضِ: وهو الإعراض الكلي عن الدين، بأن يعرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأحقاف].

٥ - كُفْرُ النِّفَاقِ: وهو أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون]^(١).

(١) انظر: مدارج السالكين (٣٤٦/١، ٣٤٧)، والدرر السنية (٧٠/٢، ٧١) [ط ١٤١٧هـ].

تعالى: ﴿هُمُ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

- المسألة الثانية: لا يلزم من التكفير ثبوت أحكام الردة:

ليس كل من قيل فيه: هو كافر، يجب أن تجري عليه أحكام المرتد ردة ظاهرة؛ لأن من لم يظهر الكفر يعامل معاملة المنافقين فتجربى عليه أحكام الإسلام في الظاهر، فقد ثبت أن الناس كانوا على عهد النبي ﷺ ثلاثة أصناف: مؤمن، وكافر مظهر للكفر، ومنافق مظهر للإسلام مبطن للكفر. ومع هذا فإنه لما كان يموت أحد المنافقين، كانت تجري عليه أحكام المسلمين، فكان معصوم الدم، وإذا مات يرثه المسلمون، حتى تقوم السنة الشرعية على أحدهم بما يوجب عقوبته. وكذلك لما خرجت الخوارج زمن علي عليه السلام لم يحكموا بكفرهم ولا قاتلوهم حتى بدؤوهم بالقتال.

وفي المقابل صار البعض يظن أنه لا يطلق كفر أحد من أهل الأهواء؛ وإن كانوا قد أتوا من الإلحاد وأقوال أهل التعطيل والاتحاد. والتحقيق في هذا: أن القول قد يكون كفراً كمقالات الجهمية، وقد يقول القول وهو متأول.

فإذا كان المتأول المخطئ في تلك لا يحكم بكفره إلا بعد البيان له واستتابته، كما فعل الصحابة في الطائفة الذين استحلوا الخمر، ففي غير ذلك أولى وأحرى، وعلى هذا يخرج الحديث الصحيح في الذي قال: «إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني في اليم، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين»^(١)، وقد غفر الله لهذا مع ما حصل له من الشك في قدرة الله وإعادته إذا حرقوه؛ لأنه كان جاهلاً^(٢).

- المسألة الثالثة: الكفر يكون بالفعل كما يكون بالقول والاعتقاد:

قرّر علماء أهل السنة أن الكفر بعد الإسلام يقع بالفعل كالذبح لغير الله أو السجود لصنم كما يكون بالقول أو الاعتقاد.

وزعم البعض أنه لا يكفر إلا من اعتقد الكفر، أمّا من تلفّظ به أو عمل ما هو كفر صراحة فلا يكفر؛ إذ الكفر هو الاعتقاد فقط، وهذا هو مذهب المرجئة. والصحيح: أن من وقع في كفر عملاً أو قولاً ثم أقيمت عليه الحجة وبيّن له أنّ هذا كفر يخرج من الملة، فأصر على فعله طائعاً غير مكره، متممداً غير مخطئ ولا متأول فإنه يكفر ولو كان

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٧٨)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٦١٧/٧ - ٦١٩).

= العظيم (١٦٠/٢) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وتفسير السعدي (١٥٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

قال ابن بطال: «وليس المراد بالكفر حقيقة الكفر التي يخلد صاحبها في النار»^(٧).

- المسألة الخامسة: ضابط بلد

الكفر:

بلد الكفر: هو كل بلد تقام فيه شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام، كالأذان، والصلاة جماعة، والأعياد، والجمعة على وجه عام شامل.

والبلد الذي تقام فيه شعائر الإسلام على وجه محصور كبلاد الكفار التي فيها أقليات مسلمة فإنها لا تكون بلاد إسلام بما تقيمه الأقليات المسلمة فيها من شعائر الإسلام^(٨).

- المسألة السادسة: الكفار الأصليون

ثلاثة أصناف:

١ - أهل الكتاب.

٢ - من لهم شبهة كتاب.

٣ - من ليس لهم كتاب.

ولكل صنف أحكام تخصه.

وينقسم الكفار الأصليون في أحكام الدنيا باعتبار مسالمتهم وحربهم إلى: أهل الحرب، وأهل الذمة^(٩).

(٧) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري (١٢/٥٥).

(٨) انظر: شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (١٢٩)، (١٣٠) [دار الثريا، ٤ ط، ١٤٢٤هـ].

(٩) انظر: روضة الطالبين للنووي (١٢١٧) [دار ابن حزم بيروت، ١ ط، ١٤٢٣هـ]، والمغني لابن قدامة (٩/٥٤٦ فما بعدها) [دار هجر، ١ ط، ١٤٠٦هـ].

الدافع لذلك الشهوة أو أيّ غرض دنيوي^(١).

- المسألة الرابعة: إطلاق الكفر على

المعاصي:

جاء في الشرع جواز إطلاق الكفر على المعاصي، والمراد به: الكفر العملي، وذلك لقصد الزجر^(٢). كما في قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(٣)، وقوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٤). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقوله: «يضرب بعضكم رقاب بعض» تفسير الكفار في هذا الموضع، وهؤلاء يسمون كفاراً تسمية مقيدة، ولا يدخلون في الاسم المطلق إذا قيل: كافر ومؤمن»^(٥).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر»^(٦).

(١) انظر: روضة الطالبين للنووي (١٠/٦٤) [المكتب الإسلامي، ٣ ط، ١٤١٢هـ]، ومجموع الفتاوى (٧/٢٢٠)، والصارم السلول (٥٢٣، ٥٢٤)، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/٦٥٩) [دار العاصمة، ١ ط، ١٣٤٩هـ].

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/٥٤١) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٤).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١/٢٣٨).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الفرائض، رقم ٦٧٦٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٢).

❁ الفروق:

١ - الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر:

الكفر الأصغر يظل صاحبه في دائرة الإسلام لا يخرج منها، وإذا لقي الله ﷻ بتلك الذنوب، فإنه يكون مستحقاً للعقوبة، إلا أن يعفو الله عنه، بخلاف الكفر الأكبر، فإن فاعله خارج عن الإسلام، وإذا مات على كفره أدخله الله النار خالداً مخلداً فيها.

٢ - الفرق بين الكفر والشرك:

- الكفر والشرك قد يعبر بهما جميعاً في معنى واحد، كما في قوله ﷺ: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»^(١)، ولذا قال بعض العلماء أنهما كالإسلام والإيمان يعبر بأحدهما عن الآخر.

- كل شرك فهو كفر، وليس كل كفر شركاً؛ لأن المعرض عن الدين والمستهزئ به يوصف بالكفر لا بالشرك^(٢).

٣ - الفرق بين الكفر والنفاق:

إن النفاق هو اعتقاد الكفر باطناً وإظهار الإيمان، بخلاف الكفر فإن

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٢).

(٢) انظر: الفروق للعسكري (٢٣٠)، ومجموع فتاوى ابن باز (٣٣/١ - ٣٤) [دار الوطن، ط ١، ١٤١٦هـ]، وتيسير العزيز الحميد (٥٦)، وكتاب مصرع الشرك والخرافة لخالد الحاج (١٨١).

الكافر يعتقد الكفر ويظهره، ولذلك كان المنافق أشد جرمًا من الكافر؛ لأنه يتحقق فيه الكفر مع زيادة مخادعة المؤمنين بإظهار الإسلام^(٣).

❁ مذهب المخالفين:

ذهب بعض أهل العلم إلى حصر الكفر في الجحود^(٤)، وهذا فيه نظر. وذلك لدلالة النصوص الشرعية التي تفيد أن الكفر يمكن أن يكون من غير جهة الجحود.

فقد يكون من جهة العناد، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا عِنْدًا﴾ [المدثر]، وهذا ككفر أبي طالب وأضرابه من أهل العناد مع علمهم أن ما جاء به محمد ﷺ حق.

وقد يكون من جهة الكبر والإباء، ككفر إبليس، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة].

وقد يكون الكفر من جهة النفاق والزندقة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْكُفَّيْنَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وقد يكون من جهة الكره لما أنزل الله، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلٌ أَعْمَلَهُمْ﴾ [٨] ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ

(٣) انظر: مدارج السالكين (٣٣٨/١) فما بعدها.

(٤) انظر: شرح الطحاوية (٣١٣) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط ١، ١٤١٨هـ].

اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ [محمد].

مع موافقة وموالاته وانقياد لا يكفي مجرد التصديق^(١).

وقد يكون الكفر من جهة الطعن

بالدين والاستهزاء به، كما قال تعالى:

﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا

نَحْوُكُمْ وَنَلَعَبٌ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ

تَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٥﴾ لَا تَعْدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ

إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة]

المصادر والمراجع:

١ - «اقتضاء الصراط المستقيم»

(ج ١)، لابن تيمية.

٢ - «التكفير وضوابطه»، لإبراهيم

الرحيلي.

٣ - «الدرر السنية في الأجوبة

النجدية» (ج ١، ٢).

٤ - «الصلاة وأحكام تاركها»، لابن

القيم.

٥ - «الفروق» (ج ٤)، للقرافي.

٦ - «الكفر مفهومه وأنواعه والغلاة

فيه»، لسارة بنت فراج العقلاء.

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٧)، لابن

تيمية.

٨ - «مدارج السالكين» (ج ١)، لابن

القيم.

٩ - «نواقض الإيمان القولية

والعملية»، لعبد العزيز العبد اللطيف.

١٠ - «نواقض الإيمان الاعتقادية»،

لمحمد الوهيبي.

الكفيل

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الكاف والفاء

وقد يكون من جهة التولي والإعراض

عن الدين، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا

عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأحقاف].

وقد يكون الكفر من جهة الشك

والظن بالله ظن الجاهلية، كما قال تعالى

عن الكفار: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا

إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾ [إبراهيم]، وقال: ﴿وَإِذَا

قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْ

مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ

بِمُسْتَقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الجاثية].

قال ابن تيمية: «المعروف في مقابلة

الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمن أو

كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب؛ بل

لو قال: أنا أعلم أنك صادق لكن لا

أتبعك، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك

ولا أوافقك لكان كفره أعظم؛ فلما كان

الكفر المقابل للإيمان ليس هو التكذيب

فقط، علم أن الإيمان ليس هو التصديق

فقط، بل إذا كان الكفر، يكون تكذيباً،

ويكون مخالفة ومعاداة وامتناعاً بلا

تكذيب، فلا بد أن يكون الإيمان تصديقاً

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٢٩٢).

واللّام أصل صحيح يدل على تضمن الشيء للشيء، من ذلك الكفل: كساء يدار حول سنام البعير، وإنما سمي بذلك لما ذكرناه من أنه يدور على السنام، أو العجز، فكانه قد ضمّنه^(١).

الحكم:

لم يثبت أن الكفيل من أسماء الله ورجل، لكن يخبر عن الله ورجل أنه هو الكفيل، فلا تسوغ تسمية الله ورجل بالكفيل، أو دعاؤه به، أو التعبد به فيقال: عبد الكفيل، لعدم ثبوت النص في كونه اسماً لله ورجل.

الحقيقة:

إن الله ورجل لما كان هو المتكفل بجميع شؤون خلقه إنما ذلك لفضله وكرمه وعظيم إحسانه، ولعجز العباد عن القيام بأمورهم من غير توفيق الله ورجل وعونه وتيسيره لأسباب ذلك.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: اثنتي بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى» الحديث^(٤).

والكفيل: الضامن، يقال: كفّل يكفّل كفلاً وكفالة، والكافل: العائل، من يكفل إنساناً يعوله، قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]، وأكفله المال: ضمنته إياه، وكفله وتكفّل بالشيء: ألزم نفسه به وتحمله^(٢).

التعريف شرعاً:

الكفيل: بمعنى الوكيل أو الشهيد، وهو القائم بأمور الخلائق، الراعي لهم، المتكفل بأقواتهم وأرزاقهم وجميع شؤونهم^(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي للكفيل ومعناه الشرعي ظاهرة، فإن الله ورجل هو

(١) مقاييس اللغة (١٨٨/٥) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢٥٠/١٠ - ٢٥٣) [الدار المصرية]، والصاح (١٨١٠/٥) [دار العلم للملايين، ط ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٧١٧) [دار القلم، ط ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٣٦١) [مؤسسة الرسالة، ط ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣٤١/١٤) [دار هجر، ط ١٤٢٢هـ]، وتفسير البغوي (٣٩/٥) [دار طيبة، ط ٢٠٢٢هـ]، وفقه الأسماء الحسنی (٢٣٨) [دار التوحيد، ط ١٤٢٩هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الحوالات، رقم ٢٢٩١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال مجاهد بن جبر رحمته الله: «وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا»^(١): وكيلاً.

وقال ابن جرير الطبري رحمته الله: «وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدم عليه على أنفسكم: راعياً، يرعى الموفي منكم بعهد الله، الذي عاهد على الوفاء به والناقض»^(٢).

وقال الحلبي رحمته الله: «الكفيل؛ ومعناه: المتقبل للكفايات، وليس ذلك بعقد وكفالة ككفالة الواحد من الناس، وإنما هو على معنى أنه لما خلق المحتاج وألزمه الحاجة، وقدر له البقاء الذي لا يكون إلا مع إزالة العلة وإقامة الكفاية، لم يخله من إيصال ما علّق بقاؤه به إليه، وإداره في الأوقات والأحوال عليه، وقد فعل ذلك ربنا جل ثناؤه؛ إذ ليس في وسع مرتزق أن يرزق نفسه، وإنما الله تعالى يرزق الجماعة من الناس والدواب، والأجنة في بطون أمهاتها، والطيور التي تغدو خماصاً، وتروح بطاناً، والهوام والحشرات والسباع في الفلوات»^(٣).

وقال البغوي رحمته الله: «وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا»: شهيداً بالوفاء»^(٤).

(١) تفسير الطبري (١٤/٣٤١).

(٢) المرجع السابق (١٤/٣٣٨).

(٣) المنهاج في شعب الإيمان (١/٢٠٤) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩].

(٤) تفسير البغوي (٥/٣٩).

❁ الفروق:

الفرق بين الكفيل والوكيل:

كلاهما من أسماء الجلال الدالة على القيام بأمر الخلق والتكفل بمصالحهم ومعاشهم وجميع شؤونهم، المدير لجميع أمورهم، لكن بينهما فرق من جهة العموم والخصوص، فالوكيل أعم من الكفيل؛ لأن كل كفيل وكيل، وليس العكس^(٥).

❁ الآثار:

آثار الإيمان بتكفل الله وَعَلَيْكُمْ بجميع أمور خلقه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأنه وَعَلَيْكُمْ هو الوكيل الذي يُتوكل عليه ولا يُتوكل على أحد سواه.

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله الحسنى»، للغصن.
- ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٣ - «إيثار الحق على الخلق»، لابن الوزير.
- ٤ - «التوحيد»، لابن منده.
- ٥ - «الجوائز والصلوات من جمع الأسامي والصفات»، لصديق خان.
- ٦ - «فتح الباري»، لابن حجر.
- ٧ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٨٨٢).

- ٨ - «المستدرک علی مجموع الفتاوی»، لابن تیمیة.
- ٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتیمیمی.
- ١٠ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لعمود النجدي.

✽ التعريف شرعاً:

الكنف المضاف إلى الله ﷻ هو طرفه وناحيته وجانبه، وهو صفة من الصفات الذاتية الخيرية ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته^(٣).

✽ الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة؛ لدلالة الحديث النبوي عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل^(٤).

✽ الحقيقة:

حقيقة الكنف المضاف إلى الله تعالى وهو ناحيته وطرفه وجانبه، وبه يستر الله ﷻ عبده المؤمن يوم القيامة حتى لا يفتضح أمام الخلق، ولذلك

(٣) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (٣٠١) [دار الهجرة، ط ٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٥٤) [مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٨٤/٤، ١٨٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، ومعارج القبول للحكيمي (١/٤٧١، ٤٧٢) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط ٨].

❏ كمال الإيمان ❏

يراجع مصطلح (الإيمان).

❏ الكَنَفُ ❏

✽ التعريف لغة:

الكَنَفُ: بفتح الكاف والنون بعدها فاء. قال ابن فارس: «الكاف والنون والفاء أصل صحيح واحد يدل على ستر، من ذلك الكنيف، هو الساتر. وزعم ناس أن الترس يسمى كنيفاً؛ لأنه ساتر. وكل حظيرة ساترة عند العرب: كنيف، ومن الباب: كنفت فلاناً وأكنفته. وكنفا الطائر: جناحاه؛ لأنهما يسترانه. ويقال: حظرت للإبل حظيرة، وكنفت لها وكنفتها أكنفها»^(١). وقال الجوهري: «كَنَفْتُ الشيءَ أَكْنُفُهُ؛ أي: حطته وصنته. وَالْكَنَفُ بالتحريك الجانب، وكنفا الطائر: جناحاه، وكنفة الإبل: ناحيتها»^(٢).

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٢٦) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) الصحاح (٤/١٤٢٤) [دار العلم للملايين، ط ٤].

القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك، ولا تبلغه صفة الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، وما وصف به نفسه من كلام، ونزول، وخلوة بعبده يوم القيامة، ووضع كنفه عليه^(٤).

وقال إبراهيم الحربي: «قوله: «فيضع عليه كَنَفُهُ» يقول: ناحيته. قال إبراهيم: أخبرني أبو نصر، عن الأصمعي: يقال: نزل في كنف بني فلان؛ أي: ناحيتهم»^(٥).

الآثار:

إن الله ﷻ يعرف المؤمن بذنوبه يوم القيامة ولكنه ﷻ بمنه وكرمه يضع كنفه على المؤمن ويستره من الخلق حتى لا يفتضح أمامهم، وفي ذلك إكرام من الله للمؤمن وستر عليه، وكذلك فيه حث وترغيب ودعوة للناس على ستر عيوب الآخرين وعدم تشهيرها بين الناس.

مذهب المخالفين:

الكنف صفة ذاتية خبرية، ووضع الله كنفه يوم القيامة على عبده المؤمن وستره

(٤) بيان تلبس الجهمية (٣/ ٧١٠، ٧١١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٥) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (٢/ ٣٨٣ - ٣٨٤).

فسره كثير من السلف بالستر^(١)، وهذا من معناه ومن لازمه.

الأدلة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى فيه نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾» [هود]^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال أبو وائل شقيق بن سلمة: «نشر الله تعالى كنفه على المسلم يوم القيامة هكذا، وتعطف بيده وكُمه»^(٣).

قال أحمد بن حنبل: «لا نتعدى

(١) انظر: خلق أفعال العباد (١٣٤) [دار ابن القيم، ط١، ١٤٢٣هـ]، وتهذيب اللغة (١٠/ ٢٧٤) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ورياض الصالحين (١٦٤) [مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٢هـ]، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢/ ٣٨٣، ٣٨٤) [دار العاصمة، ط٢، ١٤٢٢هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٤١)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٨).

(٣) المجموع المغني في غريب القرآن والحديث (٣/ ٧٩) [جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٦هـ].

الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٥ - «المجموع المغيـث في غريبي القرآن والحديث» (ج ٣)، لمحمد بن أبي بكر المدني.

٦ - «معارض القبول» (ج ١) لحافظ بن أحمد الحكمي.

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤)، لابن تيمية.

٨ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

٩ - «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، للدارمي.

الكهانة

التعريف لغة:

الكاهن معروف، يقال: كَهَنَ له يَكْهُنُ كِهَانَةً^(٢)، وَتَكْهَنُ تَكْهِنًا: قضى له بالغيب، والكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار، والكاهن أيضًا في كلام العرب الذي يقوم بأمر الرجل، ويسعى في حاجته، والقيام بأسبابه. والعرب تسمي كل من يتعاطى علمًا دقيقًا: كاهنًا، ومنهم من كان يسمى المنجم

عليه وخلوه به وكلامه إياه هذا كله من الصفات الفعلية الاختيارية، فهذا من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية. ومنهم من يؤولها بالإنعام والرحمة^(١)؛ فرارًا من إثبات هذه الصفة بدعوى التقديس والتنزيه، والنبي ﷺ الذي أخبرنا عن ذلك ووصف الله ﷻ بهذه الصفة أكثر الناس تنزيهاً وتقديساً لله ﷻ، وفيه إكرام من الله ﷻ لعبده المؤمن وستر عليه وعفو عنه، وهذا كله مدح وكمال لله ﷻ، ولا يلزم من إثباتها شيء من النقص لله ﷻ، ولذا يجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة السُّنَّة النبوية على ذلك.

المصادر والمراجع:

- ١ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٣)، لابن تيمية.
- ٢ - «خلق أفعال العباد»، للبخاري.
- ٣ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، لعبد الله بن محمد الغنيمان.
- ٤ - «صفات الله ﷻ الواردة في

(٢) انظر: العين للفراهيدي (٣/٣٧٩) [مكتبة الهلال]، والصحاح (٦/٢١٩١) [دار العلم للملايين، ط ٣].

(١) انظر: من كتب الأشاعرة: أساس التقديس للرازي (١٣٤) [مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ].

والطبيب: كاهناً^(١).

قراءة الكف، حروف أبي جاد.

التعريف شرعاً:

الحكم:

ورد في السُّنَّة قوله ﷺ: «من أتى كاهناً أو عرافاً، فصَدَّقَه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»^(٦)، وهذا الحديث يبيِّن بجلاء حكم الكهانة وأنها محرمة، فإذا كان قد أطلق الكفر على من يأتي الكاهن ويصدقَه، فالكاهن نفسه أولى بذلك الحكم.

وقد اختلف الفقهاء في الكاهن والعراف؛ أيلحقون بالسحرة الذين يقتلون أم يعزرون فقط؟ والصحيح أن حكمهم حكم السحرة الذين يقتلون^(٧). قال ابن عثيمين في حكمهم: «إن حَكَمْنَا بكفرهم، فحكمهم في الدنيا أنهم يستتابون، فإن تابوا، وإلا قتلوا كفاراً. وإن حَكَمْنَا بعدم كفرهم - إما لكون السحر لا يصل إلى الكفر، أو قلنا: إنهم لا يكفرون؛ لأن المسألة فيها

الكهانة الإخبار ببعض ما غاب عن الناس بالاستناد إلى معونة الجن، قال الخطابي: «الكاهنُ هو الذي يدَّعي مطالعة علم الغيب، ويخبر الناس عن الكوائن»^(٢). وقال ابن الأثير: «الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار»^(٣). وقال ابن تيمية في معنى الكهانة: إنها «الإخبار ببعض الغائبات عن الجن»^(٤). وقال ابن حجر: «والكهانة - بفتح الكاف ويجوز كسرهما - ادعاء علم الغيب، كالإخبار بما سيقع في الأرض، مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجن السمع من كلام الملائكة، فيلقيه في أذن الكاهن»^(٥).

الأسماء الأخرى:

العرافة، التنجيم، الضرب بالحصي، الخط في الأرض، قراءة الفنجان،

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، باب في الكاهن، رقم ٣٩٠٤)، والترمذي (أبواب الطهارة، رقم ١٣٥)، وابن ماجه (كتاب الطهارة وسننها، رقم ٦٣٩)، وأحمد (٣٣١/١٥) [مؤسسة الرسالة، ١٥] واللفظ له، والدارمي (كتاب الطهارة، رقم ١١٧٦)، ونقل المناوي عن العراقي تصحيحه، كما في فيض القدير (٢٣/٦) [المكتبة التجارية الكبرى، ١٥]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٢٤٣٣) [مكتبة المعارف، ٥].

(٧) انظر في حكم الكاهن في: المغني (٣٥/٩ - ٣٧)، والفروع (١٦٨/٦) [دار الكتب العلمية، ١٥، ١٤١٨هـ]، والإنصاف (٣٥١/١٠)، وحاشية ابن عابدين (٢٤٠/٤) [دار الفكر، ٢، ١٣٨٦هـ].

(١) انظر: لسان العرب (٢٦٢/١٣ - ٢٦٣) [دار صادر]، القاموس (١٥٨٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧هـ].

(٢) معالم السنن للخطابي (٢١١/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ]. وانظر: المفردات للراغب (٧٢٨) [دار القلم، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٣) النهاية في الغريب (٢١٤/٤) [المكتبة الإسلامية].

(٤) النبوات (١٣) [المطبعة السلفية].

(٥) فتح الباري (٢٢٧/١٠) [دار الفكر].

خلاف - فإنه يجب قتلهم لدفع مفسدتهم

ومضرتهم، حتى وإن قلنا بعدم كفرهم؛ لأن أسباب القتل ليست مختصة بالكفر فقط، بل للقتل أسباب متعددة ومتنوعة، قال ﷺ: ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣]، فكل من أفسد على الناس أمور دينهم أو دنياهم فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل، ولا سيما إذا كانت هذه الأمور تصل إلى الإخراج من الإسلام^(١).

الكهانة الحقيقية:

الكاهن قيل: إنه لفظ عام، يدخل فيه كل من يدعي علم الغيب، ويخبر الناس عن الكوائن في مستقبل الزمان، من طريق الجن أو غيرهم، ويدخل في ذلك العراف، والمنجم، والذي يضرب بالحصى أو يخط في الأرض، وقد يختص العراف بمن يدعي معرفة الأمور الماضية، والكاهن من يدعي علم الغيب من حيث معرفة الكوائن في مستقبل الزمان.

الأدلة:

قال النبي ﷺ: «من أتى كاهنًا أو عرافًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما

(١) القول المفيد شرح كتاب التوحيد (١/٥٤٩، ٥٥٠)

أنزل على محمد»^(٢).

وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام وإن منّا رجالًا يأتون الكهان، قال: فلا تأتهم»^(٣).

أقوال أهل العلم:

قال الخطابي: «الكاهن هو الذي يدعي مطالعة علم الغيب، ويخبر الناس عن الكوائن»^(٤).

وقال البغوي: «الكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل»^(٥).

وقال ابن الأثير: «الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار»^(٦).

وقال ابن تيمية في معنى الكهانة: إنها «الإخبار ببعض الغائبات عن الجن»^(٧).

الأقسام:

الكهانة ثلاثة أضرب:

أحدها: يكون للإنسان وليٌّ من الجن

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣٧).

(٤) معالم السنن للخطابي (٤/٢١١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ]. وانظر: المفردات للراغب (٧٢٨).

(٥) انظر: القول المفيد لابن عثيمين (١/٤٠٦).

(٦) النهاية في غريب الحديث (٤/٢١٤).

(٧) النبوات (١٣).

ويعتبر قوله، فهذا كفر؛ لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن.

القسم الثالث: أن يسأله ليخبره هل هو صادق أو كاذب لا لأجل أن يأخذ بقوله، فهذا لا بأس به ولا يدخل في الحديث. وقد سأل النبي ﷺ ابن صياد فقال: «إني قد خبأت لك خبيئاً، قال: هو الدخ، فقال: اخسأ فلن تعدو قدرك»^(٢). فالنبي ﷺ سأل عن شيء أضمره له فأخبره به لأجل أن يختبره.

القسم الرابع: أن يسأله لينظر عجزه وكذبه فيمتحنه في أمور، وهذا قد يكون واجباً أو مطلوباً، وإبطال قول الكهنة لا شك أنه أمر مطلوب، وقد يكون واجباً، فصار السؤال هنا ليس على إطلاقه بل يفصل فيه هذا التفصيل على حسب ما دلّت عليه الأدلة الشرعية الأخرى»^(٣).

- المسألة الثانية: واجب ولاة الأمر نحو الكهان:

المقصد الأعظم للإمامة في الإسلام إقامة أمر الله ﷻ في الأرض على الوجه الذي شرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعظم ذلك وأوجب حماية جناب التوحيد من كل ما يخدشه أو يدنس فضلاً عن ما ينقصه أو يبطله.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٤)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراف الساعة، رقم ٢٩٣٠).
(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٥٢٣، ٥٢٤).

يخبره بما يسترقه من السماء، وهذا القسم باطل من حين بعث النبي ﷺ.

الثاني: أن يخبره الجنّي بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض، وما خفي عنه مما قرب أو بعد.

الثالث: المنجمون، لكن الكذب فيه أغلب. ومن هذا الفن: العرافة، وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفته بها.

وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر، والطرق وهو الضرب بالحصى أو الخط في الرمل، والنجوم، وأسباب معتادة^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم سؤال العراف:

«سؤال العراف ونحوه ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: أن يسأل سؤالاً مجرداً فهذا حرام لقوله ﷺ: «من أتى عرافاً...» فإثبات العقوبة على سؤاله يدل على تحريمه؛ إذ لا عقوبة إلا على محرم.

القسم الثاني: أن يسأله فيصدق

(١) انظر: مشارق الأنوار للقاضي عياض (٧٦/٢) [دار التراث]، وشرح صحيح مسلم للنووي (٢٢٣/١٤) [دار الفكر، ١٤٠١هـ]، نيل الأوطار للشوكاني (٧/٣٦٨) [دار الجيل، ١٩٧٣م]. والنهاية لابن الأثير (٣/١٢١)، وسنن أبي داود (١٦/٤) [دار إحياء السنّة].

والإنكار»^(٤).

فهذا ما قرّره أهل العلم في بيان واجب ولاية أمور المسلمين نحو الكهنة والعرافين من الأخذ على أيديهم وقمعهم وحماية أديان الناس وأبدانهم من شرورهم وغوائلهم وخداعهم ومكرهم.

- المسألة الثالثة: حكم عمل

القائف:

عمل القائف ليس من الكهانة في شيء، والقائف هو الذي يتتبع الآثار ويعرفها، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه، ويعرف الأنساب بالنظر إلى الأشخاص، ومعرفته بذلك ليست من قبل ادعاء الغيب؛ لأنه يستدل على ذلك بعلامات وأمارات تدل على ما يخبر به، ففعله هذا من جنس قولهم: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير.

وليس من معرفة الغيب؛ لأن الله تعالى أعطاهم القدرة على معرفة تلك الأمور بواسطة الحواس التي جعلها الله فيهم، كما أنه تعالى جعل لبعض الحيوانات كالكلاب قدرة على التعرف على الجناة ومعرفة ما معهم عن طريق الحواس التي أودعها الله فيها^(٥).

ولما كان خطر العرافة والكهانة عظيمًا وشرها مستطيرًا وضررها كبيرًا فإن واجب الولاية نحوها إبطالها وإنكارها والأخذ على أيدي أهلها أخذاً يقمعها ويردعها ويستأصل شأفتها.

قال ابن أبي العز الحنفي رحمته الله: «فهؤلاء - أي: الكهان ومن في حكمهم - يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس، وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل، كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات أو يطلب تغيير شيء من الشريعة ونحو ذلك»^(١).

ويقول أيضًا: «الواجب على ولي الأمر وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين»^(٢).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «ويجب على ولي الأمر وكل قادر السعي في إزالة ذلك - أي: أعمال التنجيم والسحر والكهانة - ومنعهم من الجلوس في الحوانيت أو الطرقات أو دخولهم على الناس في منازلهم لذلك»^(٣).

وقال ابن باز رحمته الله: «فالواجب على ولاية الأمور وأهل الحسبة وغيرهم ممن لهم قدرة وسلطان إنكار إتيان الكهان والعرافين والإنكار عليهم أشد

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٧٦٨).

(٢) المصدر السابق (٢/٧٦٧).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/١٩٥).

(٤) حكم السحر والكهانة وما يتعلق بها (٥، ٦).

(٥) علم الغيب في الشريعة الإسلامية (٣٦٠) لأحمد الغنيمان.

هو وراء الأسباب العادية التي جعلها سبحانه إلى المخلوقات وأباحها لهم^(٢).

- المسألة الخامسة: معرفة الكسوف وأحوال الطقس ليس من الكهانة:

سئل ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: هل من الكهانة ما يخبر به الآن عن أحوال الطقس في أربع وعشرين ساعة أو ما أشبه ذلك؟ فأجاب بقوله: «لا؛ لأنه يستند إلى أمور حسية وهي تكثيف الجو؛ لأن الجو يتكيف على صفة معينة تعرف بالموازن الدقيقة عندهم فيكون صالحاً لأن يمطر أو لا يمطر، ونظير ذلك في العلم البدائي إذا رأينا السماء وتجمع الغيوم والرعد والبرق وثقل السحاب نقول: يوشك أن ينزل المطر، فالمهم أن ما استند إلى شيء محسوس فليس من علم الغيب، وإن كان بعض العامة يظنون أن هذه الأمور من علم الغيب ويقولون إن التصديق بها تصديق بالكهانة، والشيء الذي يدرك بالحس إنكاره قبيح كما قال السفاريني:

فكل معلوم بحسٍّ أو حِجَا

فنكره جهل قبيح بالهجا

فالذي يُعلم بالحس لا يمكن إنكاره، ولو أن أحداً أنكره مستنداً بذلك إلى الشرع لكان ذلك طعنًا في الشرع^(٣).

- المسألة الرابعة: حكم التنويم المغناطيسي:

من ضروب الكهانة في العصر الحديث ما يعرف باسم التنويم المغناطيسي، وهو الوصول بالمنوّم إلى مرحلة وسطى بين النوم واليقظة، وفي هذه الحالة يمكن للمعالج أن يستخرج من المريض خفايا لا شعورية تعينه على علاجه^(١).

وقد ورد سؤال إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن حكم التنويم المغناطيسي، فأجابت اللجنة بأن: «التنويم المغناطيسي ضرب من ضروب الكهانة باستخدام جُني حتى يسلطه المنوّم على المنوّم فيتكلم بلسانه ويكسبه قوة على بعض الأعمال بالسيطرة عليه إن صدق مع المنوّم وكان طوعاً له مقابل ما يتقرب به المنوّم إليه، ويجعل ذلك الجني المنوّم طوع إرادة المنوّم بما يطلبه من الأعمال والأخبار بمساعدة الجني له إن صدق ذلك الجني مع المنوم، وعلى ذلك يكون استغلال التنويم المغناطيسي واتخاذهِ وسيلة للدلالة على مكان سرقة أو ضالة أو علاج مريض أو القيام بأي عمل آخر بواسطة المنوم غير جائز، بل هو شرك لما تقدم، ولأنه التجاء إلى غير الله فيما

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء (١/ ٥٩٤).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٣١، ٥٣٢).

(١) فلسفة الماكرو بيوتيك لنجاح الظهار (١٧٣).

وقال الغنيمان: «وأما الإخبار عما يسمى بالطقس؛ أحوال الجو من أمطار أو رياح أو غيوم أو صحو أو غير ذلك فهي توقعات معينة على مقدمات مستفادة من مراصد الأحوال الجوية التي تتأثر بالرطوبة واليبوسة ونحو ذلك، ولهذا كثيرًا ما يكون الأمر على خلاف ما قالوا»^(١).

والفرق بين معرفة الأمور بالكهانة ومعرفتها بالحساب أن ما يعلم بالحساب كسير الشمس والقمر والخسوف والكسوف ليس من ادعاء علم الغيب كما توهمه بعض الناس، فهو مثل العلم بأوقات الفصول التي قدرها الله ﷻ في هذا الكون ويمكن بعض عباده من العلم بذلك.

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وليس من الكهانة في شيء من يخبر من أمور تدرك بالحساب فإن الأمور التي تدرك بالحساب ليست من الكهانة في شيء كما لو أخبر عن كسوف الشمس أو خسوف القمر فهذا ليس من الكهانة لأنه يدرك بالحساب»^(٢).

وأما حكم العمل بما يقولون وتصديقهم في ذلك، فيقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والعلم بوقت الكسوف والخسوف وإن كان ممكنًا لكن هذا المخبر المعين قد يكون عالمًا بذلك وقد لا يكون، وقد يكون ثقة في خبره وقد لا يكون، وخبر المجهول الذي

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأما ما يعلم بالحساب فهو مثل العلم بأوقات الفصول كأول الربيع والصيف والخريف والشتاء لمحاذاة الشمس أوائل البروج التي يقولون فيها: إن الشمس نزلت في برج كذا أي حاذته»^(٣).

وقال أيضًا: «والهلال يستسر آخر الشهر إما ليلة أو ليلتين كما يستسر ليلة تسع وعشرين وثلاثين، والشمس لا تكسف إلا وقت استساراه وللشمس

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأما ما يعلم بالحساب فهو مثل العلم بأوقات الفصول كأول الربيع والصيف والخريف والشتاء لمحاذاة الشمس أوائل البروج التي يقولون فيها: إن الشمس نزلت في برج كذا أي حاذته»^(٤).

وقال أيضًا: «والهلال يستسر آخر الشهر إما ليلة أو ليلتين كما يستسر ليلة تسع وعشرين وثلاثين، والشمس لا تكسف إلا وقت استساراه وللشمس

(٣) المصدر السابق (٢٤/٢٥٦).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٥٣١).

(١) شرح كتاب التوحيد صحيح البخاري (١/١١٢).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٤/٢٥٧).

هذه الأنواع، فسائرهما يدخل فيه بطريق العموم المعنوي^(٣).

القول الثالث: أن الكاهن اسم يعم العراف وغيره. قال القاضي عياض وهو يبين أنواع الكهانة: «ومن هذا الفن العرافة، وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها بها، وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة، وهذا الفن هو العيافة بالياء، وكلها ينطلق عليها اسم الكهانة عندهم»^(٤).

الآثار:

١ - الوقوع فيما حذر منه الرسول ﷺ وهو الكفر.

٢ - ضعف الإيمان، والتعلق بغير الله، بالتعلق بالكهنة والمشعوذين.

٣ - انتشار الدجل، والخرافة في المجتمع المسلم.

٤ - إفساد العلاقات الاجتماعية بين الناس بسبب الأكاذيب والتهم الباطلة التي يزورها الكهان.

٥ - الكهانة حدس وتخمين، وليست طريقاً شرعياً، ولا سبباً حقيقياً، فلن يحصل المرء على مراده من الكاهن.

يوثق بعلمه وصدقه ولا يعرف كذبه موقوف، ولو أخبر مخبر بوقت الصلاة وهو مجهول لم يقبل خبره، ولكن إذا تواطأ خبر أهل الحساب على ذلك فلا يكادون يخطؤون، ومع هذا فلا يترتب على خبرهم علم شرعي، فإن صلاة الكسوف والخسوف لا تصلى إلا إذا شاهدنا ذلك، وإذا جَوَّز الإنسان صدق المخبر بذلك أو غلب عليه ظنه فنوى أن يصلي الكسوف والخسوف عند ذلك واستعد لذلك الوقت لرواية ذلك كان هذا حثاً من باب المسارعة إلى طاعة الله وعبادته»^(١).

الفروق:

الفرق بين العراف والكاهن:

في الفرق بينهما أقوال:

القول الأول: أن الكاهن يدعي معرفة الأخبار عن الكائنات في المستقبل، والعراف يتعاطى معرفة الشيء المسروق، ومكان الضالة ونحوهما مما هو في الماضي^(٢).

القول الثاني: أن العراف اسم عام للكاهن، والمنجم، والرَّمَّال، ونحوهم، ممن يتكلم في تقدم المعرفة بهذه الطرق، ولو قيل إنه في اللغة اسم لبعض

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧٣/٣٥)،

(١٩٣)، وفتح الباري (٢١٦/١٠) [دار الفكر].

(٤) إكمال المعلم (١٥٣/٧) [دار الوفاء، مصر، ط١].

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٤/٢٥٨).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٢٢/٥)، ومغني

المحتاج (٤/١٢٠).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام الكهانة وسؤال العرافين»، لإبراهيم أباحسين.
- ٢ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٣ - «حكم السحر والكهانة»، لعبد العزيز بن باز.
- ٤ - «فتح الباري»، لابن حجر.
- ٥ - «القول المفيد»، لابن عثيمين.
- ٦ - «الكهانة وموقف الإسلام منها»، لفهد السفيناني [رسالة دكتوراه].
- ٧ - «موقف ابن تيمية من السحر والكهانة»، لخيرية القحطاني [رسالة دكتوراه].
- ٨ - «موقف الإسلام من السحر»، لحياة با أخضر.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

الكوثر

التعريف لغة:

الكوثر من مادة (ك - ث - ر)، والكاف والطاء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف القِلَّة، من ذلك الشَّيء الكثير، وقد كَثُرَ. ثم يُزَاد فيه للزيادة في النِّعَت، فيقال: الكوثر، وهو (فَوَعْلٌ) من الكثرة^(١)، ومعناه: الخير الكثير^(٢).

(١) انظر: مقاييس اللغة (١٦٠/٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].
(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٠٢/١٠) [دار إحياء التراث

التعريف شرعاً:

نهر أعطيه النبي ﷺ شاطئاه عليه دُرٌّ مجوَّف آنيته كعدد النجوم^(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنى الشرعي لم يخرج عن الحقيقة اللغوية، إلا أنه نهر خاص بالنبي ﷺ في الجنة.

سبب التسمية:

سمي الكوثر بذلك لما عليه من الخير الكثير، كما أبانته النصوص الآتية.

الحكم:

الاعتقاد الجازم بوجوده الآن في الجنة، والتصديق بما ورد من صفاته، كما أخبرت به نصوص الكتاب والسنة.

الحقيقة:

أخبر الله ﷻ أنه أعطى نبيه ﷺ الكوثر، فقال: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ﴿إِنَّكَ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر]، وثبت عن أبي عبيدة بن عبد الله بن

العربي، ١، ٢٠٠١م، والنهية في الغريب (٤/٣٨٢) [دار الفكر]، والمصباح المنير (٥٢٦/٢) [المكتبة العلمية].

(٣) كما سيأتي ذكره في الأدلة، وراجع تفسير الطبري (٧١٩/١٢) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ]، وتفسير ابن كثير (٥٠٢/٨)، فتح الباري لابن حجر (٧٣٢/٨)، وروح المعاني (٢٤٤/٣٠) [دار إحياء التراث، ١٤٠٥هـ].

«نهر وعدنيه ربي ﷺ في الجنة، عليه حوض»^(٢).

وقال ﷺ: «بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر، حافتاه قباب الدرّ المجوّف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طيبته - أو طيبه - مسك أذفر»^(٣).

ولما سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر؟ قال: «هو نهر أعطانيه الله ﷻ في الجنة، ترابه المسك، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجُرُز»، قال أبو بكر: يا رسول الله، إنها لناعمة، فقال: «آكلها أنعم منها»^(٤).

أقوال أهل العلم:

سئل عطاء وهو يطوف بالبيت عن قوله: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ»^(١) [الكوثر] قال: «حوض أعطيه رسول الله ﷺ»^(٥).

قال ابن كثير: «روي عن أنس، وأبي العالية، ومجاهد، وغير واحد من السلف: أن الكوثر: نهر في الجنة.

مسعود أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن الكوثر، فقال: «سألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾»، قالت: نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه درّ مجوّف آنيته كعدد النجوم»^(١).

المنزلة:

أحد مفردات الجنة التي يكرم الله بها ساكنيها.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(١) فَصَلَ لِرَبِّكَ وَانْحَرَّ^(٢) إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ^(٣) [الكوثر].

وقال أنس رضي الله عنه: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت علي أنفاً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(١) فَصَلَ لِرَبِّكَ وَانْحَرَّ^(٢) إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ^(٣) [الكوثر]» ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي ﷺ، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك» وفي لفظ:

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٨١).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب صفة الجنة، رقم ٢٥٤٢) وحسنه، وأحمد (١٣٢/٢١) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٩٧٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٥١٤).

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦٤٨/٢٤).

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٩٦٥).

شرب منه لم يظماً، عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل»^(٥)، ومن هذا الباب يطلق على الحوض كوثر؛ لكونه يمدّ منه، وبهذا يتبين أن الحوض مغاير للكوثر، ولكنه وثيق الصلة به، والله أعلم^(٦).

قال ابن أبي العزّ رحمته الله في بيان ذلك: «والذي يتخلص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوضٌ عظيم، ومورد كريم، يُمدُّ من شراب الجنة، من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتساع»^(٧).

✽ مذهب المخالفين:

نسب بعض أهل العلم إلى المعتزلة إنكار الشفاعة للنبي ﷺ يوم القيامة، ووجود حوض الكوثر، وأنكروا ما ورد في هذا الباب من الآثار والأخبار^(٨).

وهذا المذهب باطل، فقد جاءت نصوص الكتاب والسنة دالة على إثبات الكوثر للنبي ﷺ، وهو ما قرره أهل العلم من السلف الصالح ومن

وقال عطاء: هو حوض في الجنة»^(١). وقال ابن أبي العزّ: «الذي يتخلص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر»^(٢).

✽ المسائل المتعلقة:

- موضع الكوثر:

ورد في الآثار المروية في تفسير الآية أن الكوثر في الجنة، وهو الذي قرره أهل العلم^(٣).

- المسألة الثانية: الفرق بين

الحوض والكوثر.

أوضح أهل العلم أن الكوثر نهر داخل الجنة، كما جاء مصرحاً في بعض الأحاديث، وماؤه يصبُّ في الحوض خارج الجنة، فالكوثر هو مادة الحوض، كما جاء في حديث أبي ذرّ قال: قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «والذي نفس محمد بيده لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظماً آخر ما عليه، يشخب»^(٤) فيه ميزابان من الجنة، من

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥٠٢/٨)، وراجع: تفسير الطبري (٧١٩/١٢)، وروح المعاني (٢٤٤/٣٠).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢٨٠). وانظر: معارج القبول لحافظ الحكمي (٨٧١/٢).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٧١٩/١٢)، وتفسير ابن كثير (٥٠٢/٨)، فتح الباري (٤٦٦/١١)، (٤٦٧).

(٤) الشخب: السيلان. انظر: النهاية (٤٥٠/٢).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٠٠).

(٦) انظر: فتح الباري (٤٦٦/١١)، (٤٦٧)، وراجع تفسير

ابن كثير (٤٩٨/٤).

(٧) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢٨٠)، (٢٨١).

(٨) انظر: التبصير في الدين للإسفرآيني (٦٦).

تبعهم بإحسان^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «التذكرة»، للقرطبي.

٢ - «تفسير ابن كثير».

٣ - «تفسير الطبري».

٤ - «الذيل على جزء بقي بن مخلد في الحوض والكوثر»، لابن بشكوال.

٥ - «روح المعاني»، للألوسي.

٦ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٧ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

٨ - «فتح الباري»، لابن حجر.

٩ - «ما روي في الحوض والكوثر»، لبقي بن مخلد.

١٠ - «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.

فارس: «الكاف والواو والنون أصل يدل على الإخبار عن حدوث شيء، إما في زمان ماض أو زمان راهن. يقولون: كان الشيء يكون كونًا؛ إذا وقع وحضر»^(٣).

والكون: الحدث، والكائنة: الأمر الحادث. وكونه فتكون: أحدثه فحدث. وكون الله الشيء: أحدثه وأوجده بأن أخرجه من عدم إلى الوجود^(٤).

والشرعي: منسوب إلى (الشرع)، قال ابن فارس: «الشين والراء والعين أصل واحد، وهو شيء يفتح في امتداد يكون فيه، من ذلك: الشريعة، وهي مورد الشاربة الماء. ويقال: أشرعت طريقًا؛ إذا أنفذته وفتحته»^(٥). والشرع: نهج الطريق الواضح^(٦). وشرع لهم يشرع شرعًا؛ أي: سن^(٧). والشرعة والشرعة: ما سن الله من الدين وأمر به^(٨).

التعريف شرعًا:

الكوني: هو كل ما له تعلق ببرؤية الله

الكوني والشرعي

التعريف لغة:

الكوني: منسوب إلى (الكون)، وهو مصدر للفعل (كان). يقال: كان يكون كونًا؛ أي: وجد واستقر^(٢). قال ابن

(١) انظر: ما روي في الحوض والكوثر لبقي بن مخلد، والذيل على جزء بقي بن مخلد في الحوض والكوثر لابن بشكوال.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢١١/٤) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

(٣) مقاييس اللغة (١٤٨/٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٤) تهذيب اللغة (٢٠٥/١٠) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢٠٠١م]، ولسان العرب (٣٦٣/١٣ - ٣٦٥) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ]، وتاج العروس (٣٦/٧١) [وزارة الإعلام بالكويت، ط ١٤٠٨هـ].

(٥) مقاييس اللغة (٢٦٢/٣).

(٦) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٥٣٢/١) [دار القلم].

(٧) الصحاح (١٢٣٦/٣) [دار العلم، ط ٤، ١٩٩٠م]. والقاموس المحيط (٧٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٨، ١٤٢٦هـ].

(٨) لسان العرب (١٧٦/٨).

تعالى وخلقه وقضائه وقدره وفعله.

والشرعي: هو كل ما له تعلق بالهية وأمره ودينه.

فالله تعالى هو المختص بالخلق وبالأمر الكوني والشرعي^(١).

❁ الأسماء الأخرى:

من الأسماء المرادفة للفظ (الكوني والشرعي): الخلق والأمر، الخلقي والديني.

❁ الحكم:

يجب الإيمان بما وقع كوناً، ومحبة الأمر الشرعي والانقياد له وأنه جميعه من الله تعالى وتابع لحكمته، فكل ما قضاه الله كوناً، أو تعبد به خلقه شرعاً فإنه لحكمة، وعلى وفق الحكمة، سواء علمنا منها ما نعلم، أو تقاصرت عقولنا عن ذلك، وإفراده سبحانه بالخلق وبالأمر الكوني والشرعي، من مقتضى وحدانيته في ربوبيته.

❁ الحقيقة:

المراد بالكوني هو إحداث الشيء وإيجاده بأن يخرج من العدم إلى الوجود، وهذا خاص بالله تعالى^(٢)، وهو صادر عن علمه الشامل وقدرته المطلقة. والكوني مطابق للمشئة، والمقصود به:

أن كل ما يحصل في هذا الكون فهو بمشيئة الله وقدره وخلقه. وهذا لا يخرج عنه شيء مهما صغر ودق. وأما الشرعي فهو النهج الواضح والدين القويم الذي سنّه الله تعالى وأمر به^(٣)، والناس في الأخذ به متفاوتون^(٤).

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، قال السعدي رحمه الله: «أي: له الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات علويها وسفليها، أعيانها وأوصافها وأفعالها والأمر المتضمن للشرائع والنبوات، فالخلق: يتضمن أحكامه الكونية القدرية، والأمر: يتضمن أحكامه الدينية الشرعية، وثم أحكام الجزاء، وذلك يكون في دار البقاء»^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ﴾ [التحريم: ١٢]، «فكتبه كلماته التي يأمر بها وينهى ويحل ويحرم، وكلماته التي يخلق بها ويكون»^(٦).

ومن السنة قول النبي ﷺ: «إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها حين شاء»^(٧).

(٣) لسان العرب (١٧٦/٨).

(٤) وانظر: طريق الهجرتين (١/٣٧ - ٣٩) [دار السلفية، ط ٢، ١٣٩٤هـ].

(٥) تفسير السعدي (٢٩١) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٦) شفاء العليل (٢٨٢).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٧١).

(١) انظر: شفاء العليل (٢٨٠) [دار المعرفة، ١٣٩٨هـ].

(٢) تهذيب اللغة (١٠/٢٠٥)، ولسان العرب لابن منظور

(١٣/٣٦٣ - ٣٦٥)، وتاج العروس (٣٦/٧١).

وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر: هي التي كَوَّنَ بها الكائنات فلا يخرج بر ولا فاجر عن تكوينه ومشيتته وقدرته.

وأما كلماته الدينية: وهي كتبه المنزلة وما فيها من أمره ونهيه فأطاعها الأبرار وعصاها الفجار. وأولياء الله المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية، وجعله الديني، وإذنه الديني، وإرادته الدينية.

وأما كلماته الكونية التي لا يجاوزها بر ولا فاجر؛ فإنه يدخل تحتها جميع الخلق حتى إبليس وجنوده وجميع الكفار وسائر من يدخل النار، فالخلق وإن اجتمعوا في شمول الخلق والمشية والقدرة والقدر لهم، فقد افترقوا في الأمر والنهي والمحبة والرضا والغضب. وأولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور وتركوا المحظور وصبروا على المقدور فأحبهم وأحبه ورضي عنهم ورضوا عنه. وأعداؤه أولياء الشياطين وإن كانوا تحت قدرته فهو يبغضهم ويغضب عليهم ويلعنهم ويعاديهم^(٧).

[١٤٢١هـ]، وذكر الهيثمي في المجمع (١٠/١٢٧) [مكتبة القدسي]: أن رجال بعض أسانيد رجال الصحيح. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ٨٤٠) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٧) مجموع الفتاوى (١٣/٢٧٠، ٢٧١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قال: «فهو فضلي أوتي من أشياء»^(٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله ﻻ يراد رحمة أمة من عباده، قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطاً وسلطاً بين يديها»^(٣) الحديث.

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن عيينة رحمته الله: «فرّق الله بين الخلق والأمر، فمن جمع بينهما فقد كفر»^(٤)، (٥).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «وأما لفظ (الكلمات)، فقال في الكلمات الكونية: ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ﴾ [التحریم: ١٢]، وكان النبي ﷺ يقول: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر»^(٦) الحديث.

(١) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب مواقيت الصلاة، رقم ٥٥٧).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٨).

(٤) ومراده رحمته الله: أن من جعل الأمر من جملة ما خلقه فقد كفر.

(٥) أورده القرطبي في تفسيره (٧/٢٢١) [دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ].

(٦) أخرجه أحمد (٢٤/٢٠٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١،

وقال رَحِمَهُ اللهُ أَيضًا: «والله تعالى له

الخلق والأمر، فلفظ الإرسال، والبعث، والإرادة، والأمر، والإذن، والكتاب، والتحريم، والقضاء، والكلام ينقسم إلى: خَلْقِي، وأَمْرِي، وكوني، وديني»^(١).

١ - القضاء:

ودليل القضاء الكوني قوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢]. ودليل القضاء الشرعي، قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: أمر.

٢ - الأمر:

قال تعالى في الأمر الكوني: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [اليسر: ٨٢]. وأما الأمر الديني فمثل قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

٣ - التحريم:

ودليل التحريم الكوني قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢]، وقوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِيهَا﴾ [المائدة: ٢٦]. وأما التحريم الشرعي فدليله قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣]، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣].

٤ - الكلمات:

فالكلمات الكونية مثل قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فما كان من كوني فهو متعلق بربوبيته وخلقته، وما كان من الديني فهو متعلق بإلهيته وشرعه، وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والأمر، فالخلق قضاؤه وقدره وفعله والأمر شرعه ودينه، فهو الذي خلق وشرع وأمر وأحكامه جارية على خلقه قدرًا وشرعًا.

ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري، وأما حكمه الديني الشرعي فيعصيه الفجار والفساق والأمران غير متلازمين؛ فقد يقضي ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عبادة وإيمانهم وينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي في ما أمر به وشرعه ولم يفعل المأمور، وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي»^(٢).

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/١٤٩) [دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٩هـ].

(٢) شفاء العليل (٢٨٠).

أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس]. ومنه قوله: ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَاقٍ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ [هود]. وأما الكلمات الشرعية فدليلها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

٥ - الإذن:

الإذن الكوني مثل قوله في السحرة: ﴿وَمَا هُمْ بِصَاحِبِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]. ودليل الإذن الشرعي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَلِلَّهِ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس: ٥٩].

٦ - الكتاب:

ودليل الكتاب الكوني قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]. وقوله: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

ودليل الكتاب الشرعي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣].

٧ - الإرادة:

فدليل الإرادة الكونية، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وقال تعالى

في الإرادة الدينية: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ وَهُدْيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيُتَوَبَّ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٢١﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَوَبَّ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُقِيلُوا مِثْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ [النساء].

٨ - البعث:

فالبعث الكوني دليله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَٰئِهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥]. وقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣١]. وأما البعث الشرعي فدليله قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

٩ - الإرسال:

الإرسال الكوني دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَهُمُ أَنَّ﴾ ﴿٢٧﴾ [مريم]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الفرقان: ٤٨]. وأما الإرسال الشرعي فدليله قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

١٠ - الجعل:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [البقرة: ١١].

المسائل المتعلقة:

- التسوية بين الإرادة والمشئة:

منشأ الضلال الذي وقعت فيه القدريّة والجبرية يكمن في التسوية بين المشئة الكونية والإرادة الشرعية، حيث ظنوا أن المشئة والإرادة (الكونية) مستلزمة للمحبة والرضا.

فالقدريّة زعموا أن الكفر والفسوق والعصيان لا يمكن إدخالهم تحت إرادة الله وتقديره؛ لأن الأمر عندهم يستلزم الإرادة، فكل ما أمر به فقد أَرَادَهُ، والله تعالى لم يأمر بالكفر والفسوق والعصيان، فهو غير مرید لها؛ لأن الله لا يحبها ولا يرضاها.

أما الجبرية؛ فزعموا أن الكفر والفسوق والعصيان مرادة له محبوبة له، وقد جبرهم عليها ولا خيار لهم في تركها؛ لأن الأمر عندهم لا يستلزم الإرادة، وإذا كان الله تعالى لم يأمر بالكفر والفسوق والعصيان إلا أنه أراد ذلك وقدره وشاءه^(١).

(١) انظر: الجواب الصحيح (١٤٩/١ - ١٥٤)، وشفاء العليل (٢٨٠ - ٢٨٣).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٣٣٦، ٤٣١) [مكتبة وهبة، ط ٣، ١٤١٦هـ]، والمحيط بالتكليف له (٣٤٠) [المؤسسة المصرية العامة للتأليف]، والملل والنحل =

أما الجعل الكوني فدليله قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْفِهِمْ أَغْلًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ [٨] وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَهُمُ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يسر]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْوَابِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]. وأما الجعل الشرعي فدليله قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]؛ أي: ما شرع ذلك ولا أمر به وإلا فهو مخلوق له واقع بقدره ومشئته.

١١ - الإيتاء:

أما الإيتاء الكوني فدليله قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٤٧]. وأما الإيتاء الشرعي فكقوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣].

١٢ - الآيات:

أما الآيات الكونية فدليلها قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعَصَاكَ كَذَلِكَ نُحْيِي اللَّهَ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]، وقوله: ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. وأما الآيات الشرعية فدليلها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]، وقوله تعالى:

وإيمان، وفقير وغنى، ومعصية وطاعة، وسعادة وشقاوة، أما الشرعي المتعلق بالأمر والنهي، وهو ما طلب الله من العباد تطبيقه والعمل به من الأحكام الشرعية، وهذا لا يستلزم الوقوع إذ قد يقع وقد لا يقع. فقد أمر الله أبا جهل بالإيمان ولم يؤمن^(٢).

ولا تلازم بين الأمرين الكوني والشرعي؛ بل قد يتعلق كل منهما بما لا يتعلق به الآخر، فبينهما عموم وخصوص من وجه. فالأمر الكوني أعم من جهة تعلقه بما لا يحبه الله ويرضاه من الكفر والمعاصي، وأخص من جهة أنه لا يتعلق بمثل إيمان الكافر وطاعة الفاسق. والأمر الشرعي أعم من جهة تعلقه بكل مأمور به واقعاً كان أو غير واقع، وأخص من جهة أن الواقع بالأمر الكوني قد يكون غير مأمور به. والحاصل أن النوعين قد يجتمعان معاً في مثل إيمان المؤمن، وطاعة المطيع.

وينفرد الأمر الكوني في مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي. وينفرد الأمر الشرعي في مثل إيمان الكافر، وطاعة العاصي^(٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٤٤٠، ٤٧٦)،
وشفاء الغليل (٤٧، ٤٨)، وشرح الطحاوية (٦٩).
(٣) مراتب القضاء والقدر للدبيخي (٦٩) بتصرف.
وانظر: شفاء الغليل (٢٨٠).

ومذهب أهل السنة قائم على التفريق بين المشيئة والمحبة والرضا، إذ إن النصوص دالة على أن كل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وإرادته، وهذا يشمل الطاعات والمعاصي، ثم إن النصوص دلّت على أن الله لا يحب الكفر ولا المعاصي ولا الفساد، وقد اتفقت الأمة على أن الله يكره المنهيات دون المأمورات، ويحب المأمورات دون المنهيات، فالطاعات يريدّها الله من العباد الإرادة المتضمنة لمحبهه لها، ورضاه بها، إذا وقعت وإن لم يفعلها، والمعاصي يبغضها ويكره من يفعلها من العباد وإن شاء أن يخلقها هو لحكمة اقتضت ذلك، ولا يلزم إذا كرهها للعبد لكونها تضر بالعبد أن يكره أن يخلقها هو لما له فيه من الحكمة^(١).

❁ الفروق:

الفرق بين الكوني والشرعي:

- الكوني يكون فيما يحبه الله، وفيما لا يحبه، أما الشرعي فلا يكون إلا فيما يحبه الله خاصة.

- الكوني لا بدّ أن يقع، فكل ما في هذا الكون، وكل ما يكون ويوجد، فإن الله أرادّه كوناً وقدرًا من خير وشر، وصحة وعافية، وعز وإذلال، وكفر

= للشهرستاني (١/ ٨٧) [مؤسسة الحلبي]، والفرق بين الفرق للبغدادى (٢١١).

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٣/ ١٥٦ - ١٦٣).

❖ مذهب المخالفين:

ضلّ في هذا الباب طائفتان؛ هما: القدرية والجبرية.

فالقدرية أثبتوا الإرادة الشرعية وأنكروا الإرادة الكونية، وزعموا أن الله لا يحب الكفر والفسوق والعصيان، فلا يدخل تحت إرادة الله وتقديره؛ لأن الأمر عندهم يستلزم الإرادة، فكل ما أمر به فقد أَرَادَهُ، والله تعالى لم يأمر بالكفر والفسوق والعصيان، فهو غير مريد لها؛ لأن الله لا يحبها ولا يرضاها^(١).

أما الجبرية فأثبتوا الإرادة الكونية وأنكروا الإرادة الشرعية وزعموا أن الكفر والفسوق والعصيان مرادة له محبوبة له، وقد جبرهم عليها ولا خيار لهم في تركها؛ لأن الأمر عندهم لا يستلزم الإرادة، وإذا كان الله تعالى لم يأمر بالكفر والفسوق والعصيان إلا أنه أراد ذلك وقدره وشاء^(٢).

❖ الرد عليهم:

ما ذهبوا إليه مخالف للنصوص الشرعية التي دلّت على الفرق بين المشيئة والمحبة وقد تقدم ذكر بعضها، ومذهب السلف قائم على التفريق بين الإرادتين وعدم التسوية بينهما، وأنه لا تلازم بين

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٣٣٦، ٤٣١)، والمحيط بالتكليف (٣٤٠).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (٨٧/١)، والفرق بين الفرق للبغداد (٢١١).

المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضا، فالمعاصي داخلة تحت مشيئة الله الكونية؛ إذ لا يحصل في ملكه شيء خارج عن إرادته، لكنها غير داخلة تحت إرادته الشرعية ومحبه، وهذا جائز عقلاً وحساً - والله المثل الأعلى - لهذا نجد أن المريض يشرب من الدواء بإرادته وهو لا يحبه، كذلك ما يحصل في الكون فهو بإرادة الله الكونية، وإن كان بعضه قد لا يحبه سبحانه، ولكنه أذن به ومكّن العبد من فعله لحكمة ترجع إليه سبحانه، وهو قادر على منعه من ذلك إذا لم يردّه إرادة كونية، فحصول المعاصي مراد لله كوناً وغير مراد شرعاً. فتعذيب العصاة على معاصيهم ليس ظلماً لهم، وإن كانت مقدرة عليهم؛ لأنهم يعذبون على أعمالهم التي عملوها باختيارهم وإرادتهم بعد قيام الحجة عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب وتحذيرهم منها^(٣).

❖ المصادر والمراجع:

١ - «الإرادة الكونية والإرادة الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية»، لنوال علي الزهراني.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٢٢/٨)، ومنهاج السنة (١٥٦/٣، ١٥٧، ١٨٠)، وشفاء العليل (٤٤) وما بعدها، وشرح الطحاوية (٧١، ٧٢، ٢٢٨، ٢٢٩) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط ١، ١٤١٨هـ]، والقضاء والقدر للمحمود (٣٤٧) وما بعدها [دار الوطن، ط ٢]، ومراتب القضاء والقدر للدبيخي (٦١) وما بعدها.

- ٢ - «إيثار الحق على الخلق»، لابن الوزير.
- ٣ - «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

التعريف شرعاً:

- صفة فعلية ثابتة لله تعالى في مقابل كيد الكائدين، وردّ مكر الماكرين. وحقيقتها إظهار أمر وإخفاء خلافه ليتوصل به إلى مراده.
- وصفة الكيد: هي كيده سبحانه بأهل الكيد مقابلة لهم بفعلهم، وجزاء لهم بجنس عملهم^(٢).
- وهي بمعنى التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم، وهي في محلها صفة كمال يحمد عليها^(٣).
- ولذلك فوصف الله تعالى بها جاء مقيداً بما يفيد الكمال والعظمة، والعدل والحكمة.

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، لكن المعنى المتعلق بوصف الله تعالى هو على جهة الكمال الذي لا يعتره نقص

(٢) انظر: الصحاح (٥٩/٢)، ولسان العرب (٣/٣٨٣)،

القاموس المحيط (٤٠٣).

(٣) انظر: إغاثة اللفهان لابن القيم (١/٣٨٨، ٢/

١١٤). وراجع: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/

١٢٩).

(٤) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (١/٣٣٥).

الكيد

التعريف لغة:

الكاف والياء والذال أصل صحيح يدل على معالجة لشيء بشدة ثم يتسع الباب، وكله راجع إلى هذا الأصل، قال أهل اللغة: الكيد المعالجة، هذا هو الأصل في الباب، ثم سمو المكر كيداً^(١).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/١٤٩).

الغير بطريق خفي، فإن كان ذلك الغير يستحق ذلك الشر كان كيدًا حسنًا، وإلا كان كيدًا سيئًا.

والله سبحانه إنما يمكر ويكيد ويستهزئ بمن يستوجب ذلك فيأخذه من حيث لا يحتسب^(٢).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾^(١٥) وَكَيْدٌ كَيْدًا^(١٦) [الطارق]، وقال تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾^(١٧) [الأعراف: ١٨٣].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «وهكذا وصف نفسه بالمكر والكيد، كما وصف عبده بذلك، ﴿وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾^(١٥) وَكَيْدٌ كَيْدًا^(١٦) [الطارق]، وليس المكر كالمكر ولا الكيد كالكيد»^(٣).

وقال ابن القيم: «وكذلك المكر ينقسم إلى محمود ومذموم، فإن حقيقته إظهار أمر وإخفاء خلافه ليتوصل به إلى مراده. فمن المحمود: مكره تعالى بأهل

بوجه من الوجوه، ولذلك لا يأتي إلا مقيدًا بما يفيد المدح والحمد، بخلاف ما قد يوصف به المخلوق من الكيد، فإنه قد يكون تعديًا وظلمًا.

الحكم:

وجوب إثبات ما أضافه الله تعالى إلى نفسه من صفة الكيد على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وأن يؤتى بذلك مقيدًا كما ورد في النصوص الشرعية، بما يفيد الكمال، ويزيل إيهام النقص.

الحقيقة:

إن الله ﷻ يوصف بالكيد على وجه الكمال، فإنه ﷻ عادل في عبادته، وموقعه بأهله، ومن يستحقه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾^(١٥) وَكَيْدٌ كَيْدًا^(١٦) [الطارق]^(١).

ولما كانت صفة الكيد - من حيث الإطلاق - من الصفات المنقسمة التي تقبل المدح وتقبل الذم، جاء وصف الله تعالى بها مقيدًا بما يدل على المدح والكمال المطلق.

فالكيد حين يتعلق بمن يستحق الكيد وفي المواقف الموجبة له يعد مدحًا لدى كل عاقل.

وذلك أن الكيد إيصال الشيء إلى

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى (١٢٩/٦).

(٣) التدمرية (٢٦). وانظر: غريب الحديث للحري (١).

(٩٤) [جامعة أم القرى، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(١) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (١١٤/٢).

الحق هو الغالب على كل كيد.

٦ - ما يكون لرسول الله وأنبيائه وأوليائه من النصر والعاقبة الحسنة، مع قلة ذات يد لديهم؛ لكنه نصر الله تعالى الذي يكيد لهم ويمكر لهم.

٧ - ما يقع على الظالمين من العقوبة والعذاب، فهم وإن فرحوا بكيدهم واعتدائهم زماناً إلا أن المال القريب هلاك وخسران، فهم يكيدون كيِّداً، والله يكيد كيِّداً، والله غالب على أمره.

❁ مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة في إثبات هذه الصفة، وهذا بناء على ما أصّلوه في نفي الصفات.

فمخالفة الجهمية بناء على أصلهم الفاسد في أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه^(٣).

ومخالفة المعتزلة بناء على أصلهم في نفي الصفات؛ لاستلزامها التشبيه، ولأن تعدد الصفات يلزم منه تعدد القدماء^(٤)، فيثبتون الكيد باعتبار أثره، ويؤوّلونه بإنزال العقوبة^(٥).

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادى (٢٢١) [دار التراث]، والملل والنحل للشهرستاني (٩٨/١) [دار المعرفة، ط ٢].

(٤) شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي (١٦٢) [مكتبة وهبة، ط ٣، ١٤١٦هـ].

(٥) انظر: تنزيه القرآن عن المطاعن لعبد الجبار (٣٥٨).

المكر مقابلة لهم بفعلهم وجزاء لهم، وكذلك الكيد ينقسم إلى نوعين، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف]^(١).

وقال ابن كثير: «ولهذا قال تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرِجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي يحبه الله ويرضاه، لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة»^(٢).

❁ الآثار:

١ - التعبّد لله تعالى بالخوف منه، وعدم أمن مكره وكيده، مع رجائه وحسن الظن به.

٢ - التجاء المؤمن إلى ربه وَجَّهَ في رد كيد الكائدين، وصرف أذى المبطلين.

٣ - الحذر من الكيد المؤدي إلى إحقاق باطل، أو إبطال حق؛ فمن كاد للباطل يكيد الله عليه للحق.

٤ - يقين المؤمنين بنصر الله تعالى؛ فهو جاعل العاقبة للمتقين، وهو لا يهدي كيد الخائنين.

٥ - قيام ما خلق الله تعالى بالعدل والحكمة؛ فمن كاد ظلماً وعدواناً لا يدوم له كيد وإن فرح به زمناً؛ فالله تعالى لا يهدي كيد الخائنين، وكيده

(١) إغاثة اللهنان (٣٨٨/١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٠١).

لجميع ما أثبتته الله تعالى لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ يقررون هذا الأصل الجامع لكل الصفات، المانع من أي ظن كاذب أو لازم باطل، ومنها صفة الكيد.

وكذلك فإن إثبات الصفات الفعلية لا يلزم منه أن تكون ذاته محلاً لحوادث مخلوقة، فهو لم يزل ولا يزال فعالاً لما يريد، والنصوص الدالة على تعدد أفعاله وتنوعها لا تكاد تحصى، وليس في شيء منها ما يدل على أن شيئاً من المخلوقات يحل في ذاته.

فنثبت فعله سبحانه بمشيئته واختياره بثبوت الدليل الشرعي عليه، ولا نرد دلالة الدليل باللوازم الباطلة.

بل إن نفي المشيئة والاختيار في أفعاله تعالى هو النقص الذي يجب أن ينزه عنه، فإثبات الكمال والحمد له أنه يخلق ما يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويعفو عن من يشاء، ويفعل ما يريد، وأنه لم يزل ولا يزال فعالاً لما يريد.

فمسألة الصفات الاختيارية هي من تمام حمده، فمن لم يقر بها لم يمكنه الإقرار بأن الله محمود ألبتة، ولا أنه رب العالمين؛ فإن الحمد ضد الذم والحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له، والذم هو الإخبار بمساوئ المذموم مع البغض له.

والله تعالى يحمد نفسه بأفعاله، فإذا

ومخالفة الأشاعرة مبنية على أصلهم في نفي الصفات الفعلية؛ لأن إثباتها يستلزم حلول الحوادث في ذات الله تعالى، وكذلك توهم النقص في إثبات هذه الصفة نظراً لجانب النقص الذي يحتمله إثباتها، فأولوها إلى صفة الإرادة التي يثبتونها ضمن الصفات العقلية السبع التي يثبتونها، فتكون الصفة عندهم بمعنى إرادة العقوبة، أو بمعنى الكيد الواقع على المكيد^(١).

❁ الرد عليهم:

- بنفي ما أحدثوه من لوازم باطلة، فإثبات الصفات لا يلزم منه تعدد القدماء، ولا التشبيه، ولا أي من اللوازم الباطلة التي يجعلها النفاة مانعة لإثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه، وأثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات.

فالله تعالى أثبت لنفسه صفات، وأثبتها لخلقها، كالعلم، والقدرة، والإرادة، والعظمة إلخ، ومن ذلك صفة الكيد، ولم يلزم من هذا الإثبات أي معنى للتشبيه والتنقص الذي يزعمه هؤلاء النفاة، بل المتقرر شرعاً وعقلاً ما أخبر به تعالى عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى).

فأهل السنة والجماعة في إثباتهم

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٥/٤١٩).

- لم يكن له فعل يقوم به باختياره امتنع
ذلك كله^(١).
- ٣ - «الرسالة التدمرية»، لابن تيمية.
- ٤ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن

عثيمين.

المصادر والمراجع:

- ١ - «إعلام الموقعين عن رب
العالمين»، لابن القيم.
- ٢ - «إغاثة اللهفان»، لابن القيم.
- ٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في
الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.
- ٦ - «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.



(١) انظر: رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية، ضمن جامع الرسائل (٥٧/٢) [دار العطاء، ط١].

حرف اللام

التعريف شرعاً:

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: لا معبود بحق إلا الله،
أو لا معبود يستحق العبادة إلا الله
تعالى.

قال الطبري: «فإنه لا إِلَهَ إِلَّا هو.
يقول: لا معبود يستحق عليك إخلاص
العبادة له إلا الله»^(٣).

وقال الشوكاني: «قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ أي: لا معبود بحق
إلا هو»^(٤).

وقال سليمان بن عبد الله: «ومعنى
(لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؛ أي: لا معبود بحق إلا إِلَه
واحد، وهو الله وحده لا شريك له»^(٥).

الأسماء الأخرى:

(لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أسماء عديدة جاءت
بها نصوص الكتاب والسنة النبوية، فهي
تسمى بكلمة الإخلاص، وكلمة التقوى،
وكلمة الحق، والكلمة الباقية، وكلمة
السواء، وشهادة التوحيد، والقول

[١٩٩٣م]، وتهذيب اللغة (٦/٤٢٢) [الدار المصرية،
ط ١، ١٣٨٧هـ]، والصاح (٦/٢٢٢٣) [دار العلم
للملايين، ط ٤].

(٣) تفسير الطبري (١٢/٣٢).

(٤) فتح القدير (١/٤٦٦) [دار الوفاء، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٥) تيسير العزيز الحميد (١/١٧٧) [دار الصميعي، ط ١].

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

التعريف لغة:

شهادة التوحيد وكلمة الإخلاص
(لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مشتملة على جزأين في
المعنى، النفي في قول: (لا إِلَهَ)،
والإثبات في قول: (إلا الله)، وبيان كل
منهما من جهة اللغة والشرع في غاية
الأهمية.

الإِلَهِ: هو الله تعالى؛ قال ابن
فارس رحمه الله: «الهمزة واللام والهاء أصل
واحد: وهو التعبد، فالإِلَهِ: الله تعالى،
وسمّي بذلك؛ لأنه معبود، ويقال: تألّه
الرجل: إذا تعبد»^(١).

الله: مشتق من (إلاه) على وزن
(فِعال)، يقال: أَلِهَ يَأْلُهُ إِلَهَةً وَالْوَهِيَّةُ
وَالْهَانِيَّةُ، فهو إلاه، بمعنى مألوه؛ فِعال
بمعنى مفعول؛ أي: معبود، والتَّأْلَهُ:
التَّعَبُّدُ، فلما دخلت عليه الألف واللام
حُذِفَت الهمزة تخفيفاً؛ لكثرة في
الكلام، وقُطِعَت الهمزة في النداء
للزومها تخفيفاً لهذا الاسم^(٢).

(١) مقاييس اللغة (١/١٢٧) [دار الجيل، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: العين (٤/٩٠) [مكتبة الهلال، ط ١].

الثابت، إلى غير ذلك من الأسماء.

الحكم:

شهادة (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) هي أصل الإيمان، وهي ركن من أركان الإسلام، وقاعدة الدين، ومبنى العقيدة الإسلامية، فبقولها يدخل العبد الإسلام فيعصم دمه، وماله، وبجحدتها أو الامتناع من قولها يكون العبد كافرًا خارجًا عن ملة الإسلام، وهي أول واجب على المكلف، وأول ما دعت إليه الرسل كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) [الأنبياء].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين، وعلماء المسلمين؛ فإنهم مجمعون على ما علم بالاضطرار من دين الرسول: أن كل كافر فإنه يدعى إلى الشهادتين، سواء كان معطلًا، أو مشرکًا، أو كتابيًا، وبذلك يصير الكافر مسلمًا، ولا يصير مسلمًا بدون ذلك»^(١).

الحقيقة:

حقيقة كلمة التوحيد (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ):
النفي والإثبات:

١ - نفي في قول: لا إِلَهَ.

٢ - إثبات في قول: إِلَّا اللَّهُ.

و(لا إِلَهَ): نفت الألوهية عن كل من

سوى الله ﷻ من مَلَكٍ مقرب أو نبي مرسل، فضلًا عن غيرهم، فليسوا بإِلَهِ ولا لهم من العبادَة شيء.

و(إِلَّا اللَّهُ): تثبت الألوهية لله وحده لا شريك له، فهو الإِلَهِ الحق، وما اتخذ من دونه من آلهة فكلها باطلة كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٢٢].

وتتمثل حقيقة لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ في إخلاص العبادَة لله ﷻ وحده لا شريك له والبراءة من عبادَة ما سواه، والقرآن الكريم والسُّنة النبوية حافلان بالنصوص التي تقرر هذه الحقيقة.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحقيقة تفسير التوحيد العلم والاعتراف بتفرد الرب بجميع صفات الكمال وإخلاص العبادَة له، وذلك يرجع إلى أمرين:

الأول: نفي الألوهية كلها عن غير الله بأن يعلم ويعتقد أنه لا يستحق الإلهية ولا شيئًا من العبودية أحد من الخلق، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا غيرهما، وأنه ليس لأحد من الخلق في ذلك حظ ولا نصيب.

والأمر الثاني: إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك له، وتفرد به معاني الألوهية كلها، وهي نعوت الكمال كلها، ولا يكفي هذا الاعتقاد وحده

وأساسه ورأس أمره وساق شجرته، وهي الكلمة التي قامت بها السماوات والأرض وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وأرسل بها جميع الرسل، وشرعت لأجلها الشرائع، وأقيم الجهاد ونصبت الموازين، وبها انقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار ومتقين وفجار، وهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وعن حقوقها السؤال والحساب، وهي حق الله تعالى على العباد، وعنها يُسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: (ماذا كنتم تعبدون؟)، و(ماذا أجبتكم المرسلين؟)، وجواب الأولى: بتحقيق (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) معرفة وإقراراً وعملاً، وجواب الثانية: بتحقيق أن (محمدًا رسول الله) معرفة وانقياداً وطاعة^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أُسِّست الملة، ونصبت القبلة، وجردت سيوف الجهاد، وهي محض حق الله على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر، وعذاب النار، وهي المنشور

حتى يحققه العبد بإخلاص الدين كله لله فيقوم بالإسلام والإيمان والإحسان، وبحقوق الله وحقوق خلقه قاصداً بذلك وجه الله وطالباً رضوانه وثوابه، ويعلم أن من تمام تفسيرها وتحقيقها البراءة من عبادة غير الله، وأن اتخاذ أنداد يحبهم كحب الله أو يطيعهم كطاعة الله أو يعمل لهم كما يعمل الله ينافي معنى (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أشد المنافاة، فتبين بذلك أنه لا بدّ من اعتقاد وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، ومن الإقرار بذلك اعتقاداً ونطقاً، ولا بدّ من القيام بعبودية الله وحده طاعة لله وانقياداً، ولا بدّ من البراءة مما ينافي ذلك عقداً وقولاً وفعلاً، ولا يتم ذلك إلا بمحبة القائمين بتوحيد الله ومولاتهم ونصرتهم، وبغض أهل الشرك ومعاداتهم، ولا تغني في هذا المقام الألفاظ المجردة، ولا الدعاوي الخالية من الحقيقة، بل لا بدّ أن يتطابق العلم والاعتقاد والقول والعمل، فإن هذه الأشياء متلازمة متى تخلف واحد منها تخلفت البقية، والله أعلم^(١).

المنزلة:

كلمة التوحيد والإخلاص (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أعلى شعب الإيمان وأصل الدين

(١) القول السديد للسعدي (١٦/٣، ١٧) ضمن المجموعة الكاملة [مركز صالح بن صالح الثقياني، ط ٢].

(٢) لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ معناها ومكانتها وفضلها للفوزان (٦، ٧).

الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به،

والحبل الذي لا يصل إلى الله من لم يتعلق بسببه، وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد، ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإيمان، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان، وهي العمود الحامل للفرض والسنة^(١).

إلا حرّمه الله على النار^(٣).

وقال ﷺ: «فإن الله قد حرم على النار من قال لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ يستغي بذلك وجه الله»^(٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأن محمداً رسول الله» الحديث^(٥).

❁ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن الشهادة لله بأنه لا إِلَهَ إِلَّا هو تتضمن إخلاص الإلهية له؛ فلا يجوز أن يتأله القلب غيره، لا بحب، ولا خوف، ولا رجاء، ولا إجلال، ولا إكرام، ولا رغبة، ولا رهبة، بل لا بد أن يكون الدين كله لله»^(٦).

وقال ابن القيم رحمه الله: «وروح هذه الكلمة وسرها: أفراد الرب - جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، وتبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إِلَهَ غيره - بالمحبة، والإجلال، والتعظيم، والخوف، والرجاء، وتوابع ذلك من التوكل،

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿أَنْ أَدْرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إِلَهَ إِلَّا الله وأنني رسول الله لا يلقي بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة»^(٢).

وقال ﷺ: «ما من عبد يشهد أن لا إِلَهَ إِلَّا الله وأن محمداً عبده ورسوله؛

(٣) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١٢٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٢)، واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٢٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٣).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٢٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٢).

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم (٨٤٣/٢) [مكتبة الرشد].

(١) الداء والدواء لابن القيم (٤٥٥) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٧).

مُعلّقة بوجود تلك الشروط واجتماعها، والتزامها والقيام بها علماً وعملاً، وهذه الشروط بمنزلة الأسنان للمفتاح كما قال وهب بن منبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمن سأله: أليس (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مفتاح الجنة؟ فقال: «بلى؛ ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك»^(٣).

وقد بلغت بالتبعية والاستقراء لنصوص الكتاب العزيز والسُّنة النبوية ثمانية شروط نظمها بعضهم بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع
محبة وانقياد والقبول لها
وزيد ثامنها الكفران منك بما
سوى الإله من الأنداد قد أُلها

فهذه الشروط الثمانية لا ينتفع قائل: (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) إلا باجتماعها والتزامها، وبيانها فيما يلي:

الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً.

الثاني: اليقين، وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك، وهو ما تدل عليه (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

الرابع: الصدق المانع من النفاق، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم غير معتقدين لمدلولها.

والإنابة والرغبة والرهبة، فلا يحب سواه، وكل ما يحب غيره فإنما يحب تبعاً لمحبهته، وكونه وسيلة إلى زيادة محبته، ولا يخاف سواه، ولا يرجى سواه، ويجتمع ذلك كله في حرف واحد، وهو أنه لا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة، فهذا تحقيق شهادة أن لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ^(١).

وقال ابن رجب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يقتضي أن لا إِلَهَ له غير الله، والإله: الذي يطاع فلا يعصى هيبه له وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاء، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله وَجَّكَ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ونقصاً في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق، بحسب ما فيه من ذلك»^(٢).

الشروط:

المراد بشروط (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ): الأمور التي يجب على العبد لزومها وتحقيقها حتى تتحقق شهادة (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وصحة الشهادة بها

(١) الداء والدواء (٤٥٧).

(٢) كتاب التوحيد لابن رجب (٤٩) [دار القاسم، ط ١].

(٣) ذكره البخاري في صحيحه معلقاً (كتاب الجنائز، ص ٢٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٣١هـ].

من جهة علم النحو؛ ليتضح معناها الذي شرع النطق بها من أجله والعمل بمقتضاه، وإعرابها فيما يلي:

لا: نافية للجنس.

إله: اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب، والخبر مرفوع بمقدر تقديره (حق)؛ أي: لا إله حق، ومن زعم أن الخبر المقدر لفظة (موجود) كما قدره المتكلمون فذلك باطل؛ فإن الآلهة الموجودة كثيرة فيلزم على ذلك كذب المعنى، كما أن تقدير الخبر (بموجود) يدل على معنى باطل، وهو أن كل موجود فهو الله - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - وهذا مذهب أهل الحلول والاتحاد.

إلا: أداة استثناء والاستثناء هنا مفرغ.

الله: اسم الله بدل من لفظ (إله) وهو بدل بعض من كل، والجملة مع خبرها المقدر: لا إله حق إلا الله^(٣).

- المسألة الثانية: هل يكفي مجرد النطق بـ(لا إله إلا الله)؟

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن مجرد النطق بكلمة (لا إله إلا الله) من غير اعتقاد القلب لها والعمل بمقتضاها ليس كافيًا لاستحقاق الجنة والنجاة من النار؛ إذ لو كان الأمر كذلك لتساوت

الخامس: المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه، والسرور بذلك بخلاف ما عليه المنافقون.

السادس: الانقياد بأداء حقوقها، وهي الأعمال الواجبة إخلاصًا لله وطلبًا لمرضاته، وهذا هو مقتضاها.

السابع: القبول المنافي للرد، وذلك بالتزام أوامر الله وترك ما نهى عنه.

الثامن: الكفر بما يُعبد من دون الله، وهو البراءة من دين المشركين^(١).

وهذه الشروط يتفاوت الناس في تحقيقها زيادة ونقصانًا؛ لأنها من الإيمان، والإيمان يزيد وينقص كما هو معتقد أهل السنة والجماعة، وليس الشأن في حفظها، إنما الشأن في تحقيقها في قلب العبد ووجود كمالها الواجب في قلبه ولسانه وجوارحه، فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها، ولو قيل له: أعددها لم يحسن ذلك، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع في كثير مما يناقضها^(٢).

المسائل المتعلقة:

- **المسألة الأولى:** إعراب (لا إله إلا الله):

عني العلماء ببيان إعراب (لا إله إلا الله)

(١) انظر: معارج القبول (٢/ ٥١٦ - ٥٢٨) [دار ابن الجوزي، ط ٦، ١٤٣٠هـ]، والشهادتان معناها وما تستلزم كل منهما للفرز (١٠٣ - ١٠٨).

(٢) معارج القبول (٢/ ٥١٦).

(٣) بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري (٣٣٧).

لا إله إلا الله وأني رسول الله؛ لا يلقى بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة»^(٤)، وغيرها من الأحاديث.

والقول الصواب فيها: أن من قال هذه الكلمة، عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها من نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله تعالى مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به فهذا هو المسلم حقاً، فإن عمل بها ظاهراً من غير اعتقاد فهو المنافق، وإن عمل بخلافها مع الشرك فهو الكافر ولو قالها بلسانه، فجماع القول في هذه المسألة: أنه لا بد من الإتيان بشروط (لا إله إلا الله)، حتى يفوز العبد بالجنة، وينجو من النار.

قال ابن القيم رحمته الله: «وما جاء من الضرب من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظن بعضهم منسوخة، وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي، واستقرار الشرع، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود، وقال المعنى: لا يدخلها خالداً، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة. والشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان، فإن هذا خلاف

منزلة المؤمنين والمنافقين عند الله وعلي، وليس الأمر كذلك؛ فإن الله تعالى أخبر عن مآل المنافقين في الآخرة، أنهم في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ (١٥٩) [النساء]، مع أنهم كانوا يقولون: لا إله إلا الله، وكان منهم من يصلي ويصوم ويزكي ويتصدق، فاستبان بذلك أنه لا بد مع النطق بها من اعتقاد معناها والعمل بمقتضاها، وهذا ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها^(١).

وبما أنه وردت نصوص قد يتوهم منها ما توهمه المرجئة وغيرهم: أن مجرد التلفظ ب (لا إله إلا الله)، يكفي في دخول الجنة، أو النجاة من النار وإن لم يعمل أي عمل، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله؛ يتبغى بذلك وجه الله»^(٢)، وكذلك ما جاء من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل، فقال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرّمه الله على النار»^(٣)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشهد أن

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠٢/٣٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ٢، ١٤٢٥هـ].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

الصالحة كل وقت وحين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء^(٢).

❁ الآثار^(٣):

لهذه الكلمة إذا قيلت بصدق وإخلاص وعمل بمقتضاها ظاهراً وباطناً واستجمعت شروطها آثار حميدة وثمرات يانعة وفوائد جمة وعواقب مرضية على الفرد والجماعة في العاجل والآجل، ومن أهم آثارها وأبرزها:

١ - اجتماع الكلمة التي تحقق القوة للمسلمين، والانتصار على عدوهم؛ إذ هم يدينون بدين واحد وعقيدة واحدة، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٢ - توفر الأمن والطمأنينة في المجتمع الواحد الذي يدين بمقتضى (لا إِلَهَ إِلَّا الله).

٣ - حصول السيادة والاستخلاف في الأرض، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

٤ - حصول الطمأنينة النفسية

المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام؛ فإن المنافقين يقولونها بالسنتهم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار، فلا بد من قول القلب، وقول اللسان، وقول القلب يتضمن معرفتها، والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته، من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله، المختصة به، التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب: علماً، ومعرفة، ويقيناً، وحالاً، ما يوجب تحريم قائلها على النار^(١).

❁ الثمرات:

من أعظم وأجل ثمرات كلمة التوحيد (لا إِلَهَ إِلَّا الله) أنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، وكل عمل صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة الطيبة، فمثلها كمثل شجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي ثمرها وأكلها كل حين، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت، بحسب ثباتها في قلب المؤمن، ومحبة القلب له، وإخلاصه فيها، وقيامه بحقوقها، وقد أخبر الله تعالى أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها الأعمال

(٢) انظر: إعلام الموقعين (٢/ ٢٩٩، ٣٠٠) [دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ].

(٣) انظر: (لا إِلَهَ إِلَّا الله) للفوزان (٣٦ - ٤١).

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٧٩) [مؤسسة المختار، ط ١،

١٤٢٢هـ].

الأشعري فيقول: «واختلف أصحابنا في معنى (الإله)؛ فمنهم من قال: إنه مشتق من الإلهية وهي قدرته على اختراع الأعيان، وهو اختيار أبي الحسن الأشعري، وعلى هذا يكون مشتقاً من صفة، وقال القدماء من أصحابنا: إنه يستحق هذا الوصف لذاته»^(٢).

فأهل الكلام إذا يجعلون توحيد الربوبية هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله عن أهل الكلام: «يجعلون معنى الإلهية القدرة على الاختراع، ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث إليهم محمد صلوات الله عليه لم يكونوا يخالفونه في هذا، بل كانوا يقولون بأن الله خالق كل شيء، حتى إنهم كانوا مقرين بالقدر، وهم مع هذا مشركون»^(٣).

وقال أيضاً: «وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين؛ حيث ظن أن الألوهية هي القدرة على الاختراع وأن من أقر بأن لا إله إلا هو القادر على الاختراع دون غيره، فقد شهد أن لا إله إلا الله، فإن المشركين كانوا يقولون بهذا وهم مشركون»^(٤).

(٢) أصول الدين للبغدادى (١٢٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٩٨/٣).

(٤) المصدر السابق (١٠١/٣).

والاستقرار الذهني لمن قال: (لا إله إلا الله) وعمل بمقتضاها؛ لأنه يعبد رباً واحداً يعرف مراده فيفعل ما يرضيه ويعرف ما يسخطه فيتقيه.

٥ - حصول السمو والرفعة لأهل (لا إله إلا الله) في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج].

٦ - عصمة الدم والمال والعرض لقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه»^(١).

هذه نبذة يسيرة من آثارها وإلا فليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة والعواقب الحميدة مثل ما لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، فهي جماع كل خير في الدنيا والآخرة.

مذهب المخالفين:

فسر أهل الكلام كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)؛ بمعنى: أنه لا قادر على الاختراع إلا الله، وهذا التفسير قاصر؛ إذ يجعل معناها محصوراً في توحيد الربوبية، وهذا ما فسره البغدادى وهو من أعلام المتكلمين، ونسبه إلى أبي الحسن

(١) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٣٩٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠).

- وتفسير أهل الكلام للإله بالقادر على الاختراع باطل، وبطلانه من وجوه:
- أولها:** أن هذا القول لا يعرف في لغة العرب وليس من استعمالهم، والقرآن جاء بلسان عربي مبين فلا يصح أن يفسر بغير لغته.
- ثانيها:** أن هذا القول مخالف لما جاء في القرآن من مدلول هذا اللفظ.
- ثالثها:** أن قولهم مخالف لأقوال الصحابة والتابعين وأهل السنة والجماعة.
- رابعها:** أنه ترتب على هذا القول الاكتفاء بتوحيد الربوبية دون الألوهية، وهذا من أعظم الباطل لمخالفته للقرآن والسنة ودعوات الأنبياء وحال المشركين، وعلى هذا فتفسيرهم للإله بالقادر على الاختراع بدعة محدثة في اللغة وفي الشرع فبطلانه في غاية الوضوح والظهور^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - رسالة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب** يجيب فيها عن سؤال حول معنى «لا إله إلا الله».
- ٢ - «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»**، للصنعاني.
- ٣ - «الشرك ومظاهره»**، لمبارك الميلي.

(١) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين لعبد الرحيم السلمي (٤٧٧) [دار المعلمة].

الله

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَكَّ اللَّهُ: «الهمزة واللام والهاء أصل واحد: وهو التعبد، فالإله: الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل؛ إذا تعبد»^(٢).

فالله مشتق من: إله على وزن: فعَال، يقال: أَلِهَ يَأْلُهُ إِلَهَةً وأُلُوهُيَّةً وأُلْهَانِيَّةً، فهو إله بمعنى مألوه فعال بمعنى مفعول؛ أي: معبود، والتَّأَلُّهُ التَّعَبُّدُ، فلما دخلت عليه الألف واللام حُذِفَتِ الهمزة تخفيفاً لكثرته في الكلام، وقُطِعَتِ الهمزة في

(٢) مقاييس اللغة (١/١٢٧) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

النداء للزومها تفخيماً لهذا الاسم^(١).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال ﷺ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (٨) [طه]، وقال تبارك وتعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٤) [الحشر].

ومن السنة حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مئة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة»^(٥).

أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الله: ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين»^(٦).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٩٢)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٧).

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/١٢٣) [مؤسسة الرسالة، ١]، وضعف إسناده أحمد شاكر في تعليقه على التفسير.

التعريف شرعاً:

لفظ (الله) هو المألوه المعبود المستحق لإفراده بالعبادة؛ لما اتصف به من صفات الكمال^(٢).

التعريف اصطلاحاً:

الله عَلمٌ على ذات الباري ﷻ، المستجمع لسائر صفات الكمال، التي لا تنبغي لأحد سواه، والتي يستحق عليها غاية الحمد والثناء^(٣).

الحكم:

يجب الإيمان بثبوت اسم الله تعالى، وأنه دال على جميع الأسماء الحسنى إجمالاً، مستلزم لجميع معانيها، وأسمائه ﷻ تفصيل وتبيين لصفات الإلهية، التي اشتق منها اسم الله^(٤).

(١) انظر: العين (٩٠/٤) [مكتبة هلال، ط١، ١٩٩٣م]، وتهذيب اللغة (٤٢٢/٦) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، والصاحح (٢٢٢٣/٦) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٢) انظر: قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (٤٦)، (٤٧) [أضواء السلف، ط٢، ١٤٢٢هـ]، وقاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له (٦٦) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٨هـ]، ومنهاج السنة (٣/٣٣٤، ٣٣٥) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ]، وبدائع الفوائد (٢/٢١٢) [دار الخير، ط١، ١٤١٤هـ].

(٣) انظر: تفسير العزيز الحميد (١٢) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢٣هـ]، وعقيدتنا عقيدة القرآن والسنة لمحمد خليل هراس (١٥٠) [دار الكتاب والسنة، ط١، ١٤٢٧هـ].

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/٣٢، ٣٣).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والله: هو الإله المعبود، فهذا الاسم أحق بالعبادة، ولهذا يقال: الله أكبر، الحمد لله، سبحانه الله، لا إله إلا الله»^(١).

به نفسه، أو سَمَّاهُ به رسول الله، وهذا هو السر في أن الأسماء الحسنى كلها تجري أوصافاً عليه؛ لأنه متضمن لها، مشتمل عليها»^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اشتقاق اسم (الله):

اختلف أهل العلم في اسم الجلال (الله)؛ أهو مشتق أم لا؟

المذهب الأول: قال جماعة من أهل العلم بأن اسم الجلالة: (الله) غير مشتق^(٥).

وحجتهم: أن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق^(٦).

المذهب الثاني: ذهب المحققون من أهل العلم إلى أن اسم الله مشتق، وهو قول ابن جرير الطبري^(٧)، ورواية عن الخليل بن أحمد^(٨)، وبه قال سيبويه^(٩).

(٤) عقيدتنا عقيدة القرآن والسنة لهراس (١٥٠).

(٥) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٢٥) [دار الثقافة العربية، ط ١، ١٩٧٤م]، وشأن الدعاء (٣٥) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، ولوامع البينات للرازي (١١٤) [دار الكتاب العربي، ط ٢]، وتفسير القرطبي (١٥٩/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وبدائع الفوائد (٣٩/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ].

(٦) انظر: نتائج الفكر للسهيلى (٤٠، ٤١)، وبدائع الفوائد لابن القيم (٢٢/١).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٢٢/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٨) أشار إلى ذلك ابن الجوزي في زاد المسير (٨/١).

(٩) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٤هـ].

(٩) انظر: الكتاب (١٩٥/٢) [مكتبة الخانجي، ط ٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فاسم الله دالٌّ على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا بالدلالات الثلاث: فإنه دال على إلهيته، المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له، مع نفي أضدادها عنه، واسم الله دالٌّ على كونه مألوهًا معبودًا، تألهه الخلائق محبة وتعظيمًا، وخضوعًا، وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته، ورحمته، المتضمنين لكمال الملك، والحمد»^(٢).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «الله: هو المألوه، المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة؛ لما اتصف به من صفات الألوهية، وهي صفات الكمال»^(٣).

وقال محمد خليل هراس رَحِمَهُ اللهُ: «وما دام لفظ الجلالة - كما قلنا - علمًا على الذات المتصفة بسائر صفات الكمال، المختصة بها، يكون مشتملاً على جميع الأسماء الحسنى إجمالاً، وتكون هي بمنزلة التفصيل لذلك الإجمال، فمن قال: (الله) فقد دخل فيه كل اسم سمي

(١) مجموع الفتاوى (١٢/١٤).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٣٢/١)، (٣٣).

(٣) تفسير السعدي (٢٧) [دار السلام، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

بمنزلة الأعلام الجامدات التي لا تدل على معنى، لا تنقسم إلى حسنى وسوأى^(٢).

فإن أسماء الله لو كانت أعلامًا محضة لم يكن هناك فرق بين اسم واسم، والفرق بين المعاني التي يدل عليها كل اسم من أسماء الله معلوم بالاضطرار، كما أن تضمنها للصفات هو مقتضى وصفها بأنها حسنى، فإنها إنما كانت حسنى لأجل معاني الكمال ونعوت الجلال التي تدل عليها^(٣).

وقال ابن القيم: «زعم السهيلي وشيخه أبو بكر بن العربي أن اسم الله غير مشتق؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق، ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل؛ ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى، ولا أَلَمَ بقلوبهم، وإنما أرادوا

وابن تيمية^(١)، وابن القيم وغيرهم.

وأجابوا عن حجتهم بأن قالوا: إن أسماء الله ﷻ تدل على الصفات وهي مشتقة منها، وصفاته دلت على أسمائه.

وهذه القاعدة من أبرز القواعد التي قام عليها معتقد أهل السنة والجماعة في هذا الباب، فأسماء الله ﷻ الحسنى أعلام وأوصاف، ليست مجرد أعلام محضة لا تدل على معان؛ بل هي بالعكس من ذلك إنما كانت حسنى وموصوفة بغاية الحسن والكمال والعظمة والجلال؛ لما دلت عليه من المعاني البالغة في الحسن غايته.

قال ابن تيمية: «وقال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، ومعلوم أن الأسماء إذا كانت أعلامًا جامدات لا تدل على معنى لم يكن فرقٌ فيها بين اسم واسم، فلا يلحد أحد في اسم دون اسم، ولا ينكر عاقل اسمًا دون اسم؛ بل قد يمتنع عن تسميته مطلقًا، ولم يكن المشركون يمتنعون عن تسمية الله بكثير من أسمائه، وإنما امتنعوا عن بعضها. وأيضًا فالله له الأسماء الحسنى دون السوأى، وإنما يتميز الاسم الحسن عن الاسم السيئ بمعناه؛ فلو كانت كلها

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (١٠٧) [مكتبة الرشد، ط ١].

(٣) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (١٩، ٢٠، ٢٢)، ومجموع الفتاوى (١٤٣/٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١]، ومنهاج السنة (١٥٩/٢) - (١٦١) و(٤٠٩/٥)، وبيان تلبس الجهمية (٢٩٨/٣)، (٢٩٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١]، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦/٣)، [دار الفضيلة، ط ١، ١٤٢٤هـ]، واقتضاء الصراط المستقيم (٨٠٠/٢، ٨٠١) [مكتبة الرشد، ط ٤، ١٤١٤هـ]، والتسعينية (٤٤٢/٢) - ٤٤٥ - ٤٥٤ - ٤٥٨ (٨١١/٣) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(١) انظر: رسالة في الرد على بعض أتباع ابن حمويه ضمن جامع المسائل (٤١٤/٤، ٤١٥) [دار عالم الفوائد، ط ٢].

أنه دال على صفة له تعالى، وهي: الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى كالعليم، والقدير، والغفور، والسميع، والبصير، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة، والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسمه الله^(١).

٣- أن هذا الاسم دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا؛ وذلك لأنه مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم الله. واسم الله دال على كونه مألوهًا معبودًا، تأله الخلاق محبة وتعظيمًا وخضوعًا وفرعًا إليه في الحوائج والنائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمد. وإلاهيته وربوبيته ورحمانيته وملكوته مستلزم لجميع صفات كماله^(٤).

الآثار:

قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى اسم (الله): «الله: ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين»^(٥).

(٣) انظر: شأن الدعاء (٢٥)، قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (٤٦، ٤٧)، منهاج السُّنة (٣/٣٣٤، ٣٣٥)، ودرء التعارض (١٤/٤ - ١٨)، ومجموع الفتاوى (١١٧/١٦)، وبدائع الفوائد (٢/٢١٢)، ومدارج السالكين (١/٤١)، وطريق الهجرتين (٨٠)، (٨١) [دار بن القيم، ط ٢، ١٤١٤هـ]، وتفسير ابن كثير (١/١٢٢)، ومعنى لا إله إلا الله (١٢١) [دار الاعتصام، ط ١]، والدر المنظم في الاسم الأعظم للسيوطي، ضمن الحاوي للفتاوى (١/٣٨١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/٣٢، ٣٣).

(٥) تقدم تخريجه.

- المسألة الثانية: خصائص اسم الله:

ذكر أهل العلم جملة من الخصائص التي اختص بها اسم الجلال (الله)، ومن ذلك:

١- اسم (الله) وَعَلَى من الأسماء المختصة به وَعَلَى، فلم يتسم به غيره^(٢).

٢- أن هذا الاسم هو الأصل في أسماء الله، وسائر الأسماء مضافة إليه، قال تعالى: **﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾** [الأعراف: ١٨٠]، فأضاف سائر الأسماء إليه، وأجراها على اعتبار أنها صفات له، ولا محالة أن الموصوف أشرف من الصفة، ولأنه يقال: الرحمن الرحيم الملك القدوس كلها أسماء الله

(١) بدائع الفوائد (١/٢٢، ٢٣). وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠/٤١٩، ٤٢٠)، ورسالة في الرد على بعض أتباع ابن حمويه ضمن جامع المسائل (٤/٤١٤، ٤١٥)، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد (٢/١٢٧، ١٢٨) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٦هـ]، وشرح القصيدة النونية لهراس (١/٤٢١) [دار الكتب العلمية، ط ٣].

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/١٢٢)، تفسير المنار

لرشيد رضا (١/٣٧).

قولهم: (الله، الله، الله) بالمد أحياناً ويدونه أخرى، أو الاختصار على الذكر بتكرار الضمير (هو).

وهذا صنيع بعض المتأخرين من المنتسبين إلى التصوف^(١)، وقد يضمنون إليه دعوى أن الذكر بالجمل التامة كـ (لا إله إلا الله)، و (الحمد لله)، و (سبحان الله)، ونحوها ذكر العامة، وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد (الله)، وذكر خاصة الخاصة هو الاسم المضممر (هو)^(٢)، وقد أبطل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ هذه الدعوى من عدة أوجه، فقال: «فأما الاسم المفرد مظهرًا، مثل: (الله، الله)، أو مضمّرًا، مثل: (هو، هو)، فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سُنّة، ولا هو مأثور أيضًا عن أحد من سلف الأمة، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين»^(٣).

فبيّن أن هذا الأمر غير مشروع لا في كتاب الله رَحِمَهُ اللهُ ولا في سُنّة رسوله رَحِمَهُ اللهُ، ولم ينقل عن أحد من سلف هذه الأمة الأخيار ذكره لله رَحِمَهُ اللهُ بهذه الطريقة، ولا فعله الأئمة المعترفون، وإنما هو صنيع

وقد جمع هذا التفسير جميع المعاني المتعلقة بهذا الاسم، وذلك من جانبين:

الأول: ما يتعلق بالله رَحِمَهُ اللهُ، وهو وصفه رَحِمَهُ اللهُ بالألوهية الذي دلّ عليه اسم (الله)، فاستحق بهذا الوصف أن يكون الإله الذي لا يشاركه أحد في هذا الوصف العظيم، فأوصاف الألوهية هي جميع أوصاف الكمال والعظمة والجلال، والكرم والبرّ والإحسان، والمنزهة من كل عيب أو نقصان، وهذه الصفات هي التي يستحق أن يؤله ويُعبد لأجلها، فهي متضمنة لجميع معاني أسمائه وصفاته كما مرّ.

الثاني: ما يتعلق بجانب العبد، وهو العبودية، فالعباد يألوهونه ويعبدونه، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزَّحْرَف: ٨٤]، يألوه أهل السماء، ويألوه أهل الأرض طوعًا وكرهًا، عبودية الخضوع لعظمته والانقياد لإرادته ومشئته، وعزته وقيوميته، كما يعبدونه ويألوه عباده المخلصون بقلوبهم وأقوالهم وجوارحهم، حسب مقاماتهم ومراتبهم في هذا التأله والتعبد.

❁ مذهب المخالفين:

خالف بعض أهل البدع؛ كالصوفية وغيرهم في مسألة الذكر باسم (الله) مفردًا أو مضمّرًا.

وذلك بتكرار هذا الاسم مجردًا مثل

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥٥٦/١٠).

(٢) نسب شيخ الإسلام هذا القول إلى أبي حامد الغزالي في رسالة العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية، ضمن مجموع الفتاوى (٣٩٦/١٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٥٥٦/١٠).

بعض المتأخرين من المنتسبين إلى هو لطيف بعباده؛ أي: رؤوف رفيق^(١).
ومعانيه دائرة حول العديد من التصوف.

المعاني، منها:

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله وصفاته»، للأشقر.
- ٢ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، لابن سعدي.
- ٥ - «شأن الدعاء»، لأبي سليمان الخطابي.
- ٦ - «شرح أسماء الله الحسنى»، للقطاني.
- ٧ - «عقيدتنا عقيدة القرآن والسنة»، للهراش.
- ٨ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٩ - «قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة»، لابن تيمية.
- ١٠ - «قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات»، لابن تيمية.

الأول: الرفق والرفقة والرحمة، يقال: لَطَفَ اللهُ لك، إذا أوصل إليك مرغوبك برفق، وأُمُّ لَطِيفَةٍ بولدها رحمة به، ومنه اللَّطْفُ: البر والتكرمة، والملاطفة المباركة، والتلطف للأمر الرفق له، واستلطف الشيء قربه منه وألصقه بجنبه.

الثاني: الصغر والخفاء والدقة والرفقة، والحركة الخفيفة، وتعاطي الأمور الدقيقة، واللطيف من الكلام ما غمض معناه وخفي^(٢).

✽ التعريف شرعاً:

لطف الله تعالى له معنيان:
الأول: أنه لا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت.

الثاني: أنه البر بعباده، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه من طرق لا يشعرون بها^(٣).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/٢٥٠).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣٤٧/١٣) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٩٥٤) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٤/١٤٢٦، ١٤٢٧) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٧٤٠) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (٢/٨٢٦) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢م].

(٣) انظر: توضيح المقاصد لابن عيسى (٢/٢٢٨).

✽ اللفظ

✽ التعريف لغة:

اللام والطاء والفاء، أصل يدل على رفق، فاللطف: الرفق في العمل، يقال:

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي لللفظ لله تعالى لا يخرج عن بعض المعاني اللغوية، إلا أن ذلك مختص بالله تعالى، فالله ﷻ باللفظ الذي هو غاية ما يكون من الجلال والكمال، وهو ﷻ منزّه عن كل نقص وعيب.

الحكم:

وجوب إثبات اللطيف اسمًا لله تعالى على غاية الكمال والجلال، بلا تكييف ولا تمثيل، وإثبات اسمه اللطيف كما ثبت ذلك في النصوص.

الحقيقة:

وصف الله ﷻ باللفظ يأتي على معنيين:

الأول: أنه لا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان].

وهذا المعنى مأخوذ من اللفظ الذي هو الدقة والغموض، فلا يخفى على الله شيء مهما صغر ودق وخفي.

الثاني: أنه البر بعباده، الموصول إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه من طرق لا يشعرون بها، ومن هذا المعنى قوله

تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى].

وفي بيان هذين المعنيين، يقول ابن القيم:

«وهو اللطيف بعبده ولعبده

واللفظ في أوصافه نوعان

إدراك أسرار الأمور بخبرة

واللفظ عند مواقع الإحسان

فيريك عزته ويبدي لطفه

والعبد في الغفلات عن ذا الشأن»^(١)

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام].

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها لما كان النبي ﷺ عندها ثم خرج إلى البقيع ثم خرجت على أثره دون أن يشعر، وفيه أنه قال لها: «ما لك يا عائش حشياً رابية؟» قالت: قلت: لا شيء. قال: «لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير» الحديث^(٢).

(١) انظر: توضيح المقاصد لابن عيسى (٢/٢٢٨)،

وراجع: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/

٢٣٢)، وشفاء العليل (١/١٤٧)، وتفسير أسماء الله

الحسنى للسعدي (٢٢٥)، والتهج الأسمى في شرح

أسماء الله الحسنى للنجدي (١/٢٦١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال البغوي: «وحقيقة اللطيف: الذي يوصل الإحسان إلى غيره بالرفق»^(١).

وقال أبو سليمان الخطابي: «اللطيف: هو البر بعباده، الذي يلفظ بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحسبون»^(٢).

وقال السعدي: «اللطيف الذي يدرك بواطن الأشياء، وخفياتها، وسرائرها، الذي يسوق إلى عبده الخير، ويدفع عنه الشر بطرق لطيفة تخفى على العباد، ومن لطفه، أنه يُري عبده عزته في انتقامه وكمال اقتداره، ثم يظهر لطفه بعد أن أشرف العبد على الهلاك»^(٣).

❁ المسائل المتعلقة:

لطف الله ﷻ بعباده له أوجه كثيرة ومتعددة^(٤):

فهو الذي خلقهم من غير حول لهم ولا قوة، وتكفل بأرزاقهم وجميع ما يحتاجون في معاشهم ومصالح دنياهم.

ومن لطفه الخاص بعباده المؤمنين هدايتهم إلى الحق وتوفيقهم إليه وتبئيتهم

(١) تفسير البغوي (٤/ ٢٨١).

(٢) شأن الدعاء (٦٢).

(٣) تفسير السعدي (٥/ ٣١٨).

(٤) انظر في هذه الأوجه بالتفصيل: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٢٥ - ٢٣٤)، وفقه الأسماء الحسنى (١٣٩ - ١٤١) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩].

على الطاعة والاستقامة، ونصرهم على عدوهم ابتداء من أنفسهم الأمارة بالسوء، وأعداءهم من الجن والإنس وغير ذلك من أوجه اللطف.

فيجب على العبد أن يعلم أن الله هو اللطيف على الكمال، وأن كل لطف إنما هو من عنده ﷻ، وكما يحب أن يلفظ الله به فعلية أن يكون لطيفاً بإخوانه المؤمنين، وأن يوصل إليهم بقدر طاقته ما عليه من بر وإحسان^(٥).

كم هو نافع للعبد أن يعرف معاني هذا الاسم العظيم ودلالاته، وأن يجاهد نفسه على تحقيق الإيمان به والقيام بما يقتضيه من عبودية الله ﷻ به، متحرراً في جميع الأحوال الفوز بالعواقب الحميدة والمآلات الرشيدة، واثقاً بربه اللطيف الخبير، الذي بيده الخير وحده، والله ذو الفضل العظيم.

❁ الآثار:

١ - دعاء المؤمن ربه تبارك وتعالى باسمه اللطيف، فيوقن في دعائه أن الله تعالى أرحم به، وأعلم بمصالحه، لا يخفى عليه ما يغيب، ولا يعزب عنه مثقال ذرة، فيكون المؤمن بذلك أسعد بالدعاء، وأيقن بالإجابة، حاضر القلب لا غافلاً ولا لاهياً.

(٥) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٢٣٦).

- ٢ - ما يورثه التفكير في اسم الله اللطيف من زيادة محبة الله تعالى؛ فهو الرحيم بعباده، الموصل لهم كل خير من حيث لا يحتسبون.
- ٣ - توكل المؤمن على ربه تبارك وتعالى؛ لعلمه ويقينه بلطف الله تعالى به، وأنه الهادي إلى أحسن الأحوال وأهدى السبل.
- ٤ - الرضا بقضاء الله تعالى وقدره؛ ففي قدره اللطف والحكمة، ولا يكون للمؤمن قضاء من ربه إلا وهو له خير.
- ٥ - التعبد لله تعالى بعلمه بكل شيء، وأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرضين، فيظل المؤمن مراقباً لربه في جميع أحواله.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٣ - «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم»، لابن عيسى.
- ٤ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

- ٥ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٦ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٧ - «صفات الله ﷻ الواردة في

- الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.
- ٨ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٩ - «كتاب النعوت، الأسماء والصفات»، للنسائي.
- ١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١١ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

اللطيف

يراجع مصطلح (اللطيف).

اللعن

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «اللام والعين والنون أصل صحيح يدلُّ على إبعاد وإطراد»^(١). وقال الجوهري: «اللعن: الطرد والإبعاد من الخير»^(٢).

التعريف شرعاً:

اللعن صفة من الصفات الفعلية الاختيارية ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، والله ﷻ يلعن ويلعن ويطرد من رحمته الكفار والفجار وغيرهم من شاء من خلقه إذا شاء^(٣).

(١) مقاييس اللغة (٤٧٨/٢) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) الصحاح (٢١٩٦/٦) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٣) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة =

الحكم:

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المدينة حرم من كذا إلى كذا. لا يقطع شجرها، ولا يحدث فيها حدث، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(٣).

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

أقوال أهل العلم:

استشهد ابن تيمية بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَذَابُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنُهُ﴾ [النساء: ٩٣] على إثبات صفة الغضب واللعن لله تعالى.

وقال محمد خليل الهراس عن هذه الآية وغيرها: «تضمنت هذه الآيات إثبات بعض صفات الفعل لله من: الرضا، والغضب، واللعن، والكره، والسخط، والمقت والأسف، وهي عند أهل الحق صفات حقيقية لله ﷻ على ما يليق به، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق... واللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، واللعين والملعون: من حقت عليه اللعنة، أو دعي عليه بها»^(٤).

وقال عبد العزيز السلمان: «تضمنت

الحقيقة:

حقيقة لعن الله ﷻ هو طرده وإبعاده من رحمته سبحانه من شاء من خلقه.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَذَابُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنُهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَاذِبِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»^(٢).

= للسقاف (٣٠٥) [دار الهجرة الرياض، ط ٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٦٣) [مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحدود، رقم ٦٧٨٣)، ومسلم (كتاب الحدود، رقم ١٦٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل المدينة، رقم ١٨٦٧) واللفظ له، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٦٦).

(٤) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على الواسطية للسلمان (٧٢ - ٧٤) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط ١٣].

شأن الخمر عشرة أصناف من الناس؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمشتراة له» ^(٣).

فالنبي ﷺ لعن في شأن الخمر عشر مجموعات من الناس لعناً عاماً مطلقاً من غير تعيين، ولكن لما جيء إليه بشارب الخمر أمر رسول الله ﷺ بضربه وتأديبه، ولما لعنه بعض القوم؛ نهاهم عن ذلك؛ فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يُلقَّب حِمَارًا، وكان يُضْحِك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتى به يومًا فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللّهُمَّ العنه، ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله! ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله» ^(٤).

فالنبي ﷺ لعن في شأن الخمر عشرة أصناف لعناً عاماً مطلقاً من غير تعيين، ولكن لما جيء إليه بشارب الخمر الذي قد سبق أن جلده في الشراب نهى

هذه الآيات الكريمات إثبات بعض الصفات الفعلية من الرضا والغضب واللعن والكره والسخط والأسف والمقت، وهذه الصفات يشتهها أهل السنّة والجماعة حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته يفعلها متى شاء» ^(١).

وقال الفوزان: «الشاهد من الآيات: أن فيها وصف الله بالغضب والرضا واللعن والانتقام والكرهية والأسف والمقت، وهذه كلها من صفات الأفعال التي يفعلها ﷻ متى شاء إذا شاء كيف شاء. وأهل السنّة يثبتون ذلك لله كما أثبتته لنفسه على ما يليق بجلاله» ^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اللعن المطلق لا يستلزم لعن المعين:

اللعن هنا عام لكل من اتصف بصفة من تلك الصفات المذكورة في النصوص، ولكن ذلك لا يدل على جواز لعن الشخص المعين المتصف بصفة من تلك الصفات، فإن الحكم الخاص يختلف عن الحكم العام؛ ولذلك يجب التفريق بين الحكم العام المطلق وبين الحكم الخاص المقيد.

فقد جاء عن النبي ﷺ؛ أنه لعن في

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب البيوع، رقم ١٢٩٥) وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه (كتاب الأشربة، رقم ٣٣٨١)، والضياء في المختارة (١٨١/٦) [دار خضر، ط ١]، وصححه الألباني في غاية المرام (رقم ٦٠) [المكتب الإسلامي، ط ٣].
(٤) أخرجه البخاري (كتاب الحدود، رقم ٦٧٨٠).

(١) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (٥٣) [مطابع المدينة، ط ١٣، ١٤٢١هـ].
(٢) شرح العقيدة الواسطية للفوزان (٤٨) [الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط ٨، ١٤٢٩هـ].

به إليه، مع لعنه ﷺ عشرة أصناف من أجل الخمر؛ فالصحيح من أقوال أهل العلم أنه لا يجوز لعن المسلم المعين^(٤).

- المسألة الثالثة: لعن عموم الكفار:

لعن الكفار من اليهود والنصارى والمشركين على سبيل العموم جائز ومشروع من أجل التحذير من أفعالهم، وقد دلت على ذلك كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وفيما يلي ذكر بعضها:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [٥٩] وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [٦٠] [هود].

وعن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال - وهو كذلك -: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». يحذر ما صنعوا^(٥). والأحاديث في ذلك كثيرة.

(٤) انظر: مجموع فتاوى لابن تيمية (٢٨٧/٢٠)، (٢٨٨).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣١).

رسول الله ﷺ عن لعنه، وهذا شخص معين، ففي لعنه ﷺ عشرة أصناف في شأن الخمر لعناً عاماً مع نهيه عن لعن هذا الشارب المعين دلالة على وجوب التفريق بين اللعن العام المطلق واللعن الخاص المعين وبين الحكم العام والحكم الخاص، والله أعلم^(١).

- المسألة الثانية: لعن المسلم:

المسلم إذا ارتكب شيئاً جاءت النصوص بلعن فاعله، فهو يلعن على وجه العموم كما جاءت النصوص، مثل: لعن الله السارق، ولعن الله أكل الربا^(٢)، ولعن الله الواصلة، ولعن الله من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً، ولعن الله الكاسيات العاريات^(٣) ونحوها، فصاحبها يلعن كما جاءت به النصوص؛ أي: على وجه الصفة والجنس، ولكن لا يلعن على وجه التعيين والتشخيص، وهذا واضح جداً لمن نظر وتأمل صنيع الرسول ﷺ مع شارب الخمر حين جيء

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٢٩/١٠ - ٣٣٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١/١٠٤٤) [بيت الأفكار الدولية].

(٢) كما عند البخاري (كتاب الطلاق، رقم ٥٣٤٧)، ومسلم (كتاب المساقاة، رقم ١٥٩٧).

(٣) كما عند أحمد (١١/٦٥٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الحظر والإباحة، رقم ٥٧٥٣)، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٣٤٦) وصححه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٦٨٣).

من لا يحب الله ورسوله، والكافر لا يحب الله ورسوله، وهذا أمر معلوم، ولكن الأفضل تركه، فإن فيه تنفيراً لهم عن الإسلام، والمسلم لا يكون طعناً، ولا لعناً، ولا سباً، واللّعان لا يصل درجة الشهداء والشفعاء عند الله يوم القيامة، ولكن إذا تعدى الواحد منهم حده وبلغ أذاه المسلمين فلا بأس في لعنه بالتعيين والدعاء عليه^(٤).

الآثار:

إن إيمان العبد بلعن الله ﷻ وطرده من رحمته ﷻ كل من اتصف بتلك الصفات المقتضية للعن يؤلّد في قلب المؤمن النفور من تلك الصفات والاجتناب من تلك الأفعال، فيبتعد المؤمن من تلك القبائح والمعاصي كل الابتعاد ويحذر كل الحذر حتى لا يتعرض للعن الله ﷻ.

مذهب المخالفين:

اللعن صفة من الصفات الفعلية الاختيارية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن

فهذه النصوص من الكتاب والسنة تدل على جواز لعن الكفار على وجه العموم من باب التحذير من أفعالهم والإبعاد والتنفير من صنيعهم^(١).

- المسألة الرابعة: لعن الكافر المعين:

ذهبت طائفة من أهل العلم إلى عدم جواز لعن الكافر المعين الحي، وذلك لأننا لا ندري ما يختم الله له، وقد جاء عن عبد الله بن عمر؛ أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الآخرة من الفجر، يقول: «اللَّهُمَّ العن فلاناً وفلاناً وفلاناً» بعدما يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد»، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ٢].

وذهب آخرون إلى جواز لعن الكافر المعين، ومما يدل على ذلك قول النبي ﷺ في شارب الخمر حين لعنه أحد الحاضرين: «لا تلعه فإنه يحب الله ورسوله»^(٣)، فهذا دليل على جواز لعن

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٧/٤٠٤ - ٤٠٦) [وزارة الأوقاف بالمغرب، ١٤١٢هـ]، وشرح السنة للبغوي (١٣/١٣٧ - ١٣٨) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢]، وشرح صحيح مسلم للنووي (٥/١٧٧ و ١٦/٧٣، ٧٤) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٠٦٩).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٧/٤٠٤ - ٤٠٦)، وشرح السنة للبغوي (١٣/١٣٧ - ١٣٨)، واللعن في القرآن الكريم لعبد القادر الجزائري (١٩، ٢٠) [مكتبة الرشد، الجزائر، ١٤٢٧هـ] ورفع اللثام عن أحكام اللعان لمрад محمد شحرور (٣٣ - ٣٥) [ط ١، ١٤٢٩هـ].

١٠ - «معجم أَلْفَاظ العَقيدة»، لعامر عبد الله فالج.

١١ - «وسطية أهل السُّنَّة بين الفرق»، لمحمد باكريم محمد باعبد الله.

الَلْفْظ بِالْقُرْآن

التعريف لغةً:

الَلْفْظ: اللام والفاء والظاء كلمةٌ صحيحة تدلُّ على طرح الشَّيْء، وغالب ذلك أن يكون من الفم. تقول: لَفْظَ بالكلام يَلْفِظُ لَفْظًا، ولفِظْتُ الشَّيْءَ من فمي^(١). والَلْفْظُ يُطْلَقُ على: المصدر الذي هو فِعْلُ الالفاظ من صوته وحركة لسانه، ويُطْلَقُ على: الملفوظ الذي لفظه الالفاظ، مثل ما يُعَبَّرُ بالتلاوة والقراءة عن: المتلو والمقروء^(٢).

القرآن: مصدر للفعل (قرأ) يقرأ قراءةً وقرآنًا؛ أي: تلا وجمعَ وضَمَّ بعضَه إلى بعضٍ، سُمي القرآن بذلك لأنه يجمع السور فيضمها^(٣).

(٢) انظر: خَلَقُ أفعال العباد للبخاري (١٠٥) [دار المعارف الرياض، ١٣٩٨هـ]، ومجموع الفتاوى (١٢/١٧٠، ١٩٧، ٥٦٧)، ودَرَّةُ التَّعَارُضِ (١/٢٦٤) [جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ]، والعقيدة السلفية في كلام ربِّ البرية لعبد الله الجديع (٢٠٩) [دار الصميعي، ط ٢، ١٤١٥هـ]، والقرآن الكريم ومنزله بين السلف ومخالفهم لمحمد هشام بن لعل محمد طاهري (١/١٢٤) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٣) انظر: الصحاح (١/٦٦)، والقاموس المحيط (٦٢).

جملة الصفات التي أنكرتها الكلاية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية. وهذه الصفة كغيرها من الصفات التي جاءت النصوص بإثباتها، فيجب إثباتها لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة القرآن الكريم والأحاديث النبوية على ذلك.

المصادر والمراجع:

- ١ - «التمهيد» (ج ١٧)، لابن عبد البر.
- ٢ - «شرح السُّنَّة» (ج ١٣)، للبغوي.
- ٣ - «شرح صحيح مسلم» (ج ٥ و ١٦)، للنووي.
- ٤ - «شرح العقيدة الواسطية»، للفوزان.
- ٥ - «شرح العقيدة الواسطية»، لمحمد خليل هراس.
- ٦ - «صفات الله وَكَيْلُ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ٧ - «فتح الباري» (ج ١)، لابن حجر العسقلاني.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٠ و ٢٠)، لابن تيمية.
- ٩ - «مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية»، لعبد العزيز محمد السلطان.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/٢٥٩) [دار الفكر، ط ٢].

التعريف شرعاً:

اللفظ بالقرآن: هو أن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، أو غير مخلوق^(١).

الحكم:

يجب على المسلم أن يتقيد بالألفاظ الشرعية، مع اجتناب كلّ محدث من القول. ومسألة اللفظ بالقرآن: من المسائل المحدثّة المبتدعة، التي لم يتكلم بها السلف الصالح.

وقد حكم الأئمة على من قال: لفظي بالقرآن مخلوق - وأراد باللفظ: الكلام الملفوظ به، المتلو المقروء - بأنه جهمي.

ومن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فقد وقع في البدعة؛ لأن السلف من أهل السُنّة لم يتكلموا في باب اللفظ، ولم يحوجهم الحال إليه، وإنما حدث الكلام في اللفظ من أهل البدع، ولأنه يدخل في هذه العبارة أفعال المخلوقين وحركاتهم وأصواتهم وهذه مخلوقة، والقول بأنها غير مخلوقة من الإحداث في الدين^(٢).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/١٩٧ - ١٩٨، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٧٣، ٣٧٤).

(٢) انظر: صريح السُنّة للطبري (٢٥، ٢٦) [دار الخلفاء، ط ١، ١٤٠٥هـ]، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (١٧٢، ١٧٣) [دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٩هـ]، ومختصر الصواعق (٤/١٣٥١ - ١٣٥٢) [مكتبة أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٥هـ]، ومجموع الفتاوى (١٢/٢٣٨).

الحقيقة:

لفظ القارئ بالقرآن وتلاوته وقراءته له وكتابته، أو قوله: لفظي بالقرآن وتلاوتي له وقراءتي له وكتابتي له؛ فهذه ألفاظ مجملة لا يصح إطلاق القول بها؛ فهي تطلق على معنيين:

المعنى الأول: الملفوظ به والمتلو والمقروء والمكتوب، وهو القرآن الكريم، وهو كلام الله، ليس فعلاً للعبد ولا مقدوراً له.

والمعنى الثاني: التلفّظ والتلاوة والقراءة والكتابة، وكلّها من فعل العبد وكسبه وسعيه.

فاللفظ والتلاوة والقراءة والكتابة إذا أضيفت إلى القرآن؛ صارت معاني مشتركة بين الملفوظ والمتلو والمقروء والمكتوب وهو كلام الله، والتلفّظ والتلاوة والقراءة والكتابة التي هي فعل العبد.

وهذا بخلاف صوت القارئ، فلا محذور في إطلاق القول بأنه مخلوق؛ لأنّ الصّوت معنى خاص بفعل العبد لا يتناول المتلو المؤدى بالصوت ألبتة؛ فالكلام كلام الباري ﷻ والصّوت صوت القارئ.

فظهر بهذا أن من أطلق هذا القول نفياً أو إثباتاً فقال: (لفظي بالقرآن مخلوق)، أو قال: لفظي بالقرآن غير

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]؛ وجه الدلالة من الآية: أَنَّ الله تعالى أثبت أَنَّ المسموع من الرسول ﷺ أو من المؤمنين - وهو المتلو والمفوظ بالسنتهم - هو كلام الله، وكلام الله غير مخلوق.

وتوعد سبحانه بالنار من قال عن المسموع من النبي ﷺ المفوظ منه: إِنَّه قول البشر؛ فقال تعالى مخبراً عنهم: ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ [٢٤] إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَاطِلِيهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾ [المدثر]؛ فدلَّ هذا على أَنَّ المفوظ المسموع كلام الله تعالى لا كلام البشر - وإلا لما توعدهم على ذلك -، وكلامه ﷻ غير مخلوق.

في اللفظ لابن قتيبة (٥٧) [دار الراجعية بالرياض، ط ١، ١٤١٢هـ]، والسنة للخلال (٦٣/٧) [دار الراجعية بالرياض، ط ١، ١٤١٥هـ]، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣٨٥/٢)، والحجة في بيان المحجة (٣٢٩/١) [دار الراجعية بالرياض، ط ١، ١٤١٩هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٢٧/٦، ٥٣١/١٢، ٥٣٤، ٥٧٩، ١٧٠، ٢٣٧، ٤٢١، ٤٣٢، ٥٣٤، ٥٦٧، ٥٧٣، ٥٨٢)، والجواب الصحيح (٤/٣٤٥)، ودرء التعارض (٢٥٦/١)، ومختصر الصواعق (١٣٥١/٤، ١٣٥٢)، ومعارج القبول (١/٢٩٢) [دار ابن القيم بالذمام، ط ١، ١٤١٠هـ]، والعقيدة السلفية في كلام رب البرية للجديع (٢٠٥)، والقرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفهم (١/١١٩، ٥٦٥)، والمسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع لعلي بن جابر العلياني (٧١٤) [دار الفضيلة بالرياض، ط ١، ١٤٢٨هـ].

مخلوق؛ فقد وقع في المحذور لا محالة؛ لأنَّه لو أطلق لفظ (الخلق) وقصد به المعنى الثاني شمل المعنى الأول وهذا قول الجهمية، ولو قال: (غير مخلوق) شمل المعنى الثاني، وهو أن أفعال العباد غير مخلوقة، وهذا باطل.

ولهذا اشتد نكير الأئمة - كالإمام أحمد بن حنبل وغيره - على إطلاق هذا القول نفياً أو إثباتاً؛ فقالوا: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي»، ومن قال: غير مخلوق؛ فهو مبتدع»^(١)؛ لما في هذا الإطلاق من الإجمال والإيهام والتباس الحق بالباطل، ولكونها من المسائل المحدثنة المبتدعة التي لم يؤثر فيها القول عن أحد من سلف الأمة، ولكونها ذريعة إلى قول أهل البدع بخلق القرآن؛ فأرادوا حسم المادة وصون القرآن أن يوصف بذلك.

فاللفظ المجمل مردود على صاحبه على كل حال^(٢).

(١) أخرجه عن الإمام أحمد: ابن جرير الطبري في صريح السنة (٣٧) [مكتبة غراس، ط ٢، ١٤٢٦هـ]، وعنه: اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣٩٢/٢) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٦هـ]. وانظر: السنة لعبد الله بن أحمد (١٦٣) [دار ابن القيم بالذمام، ط ١، ١٤٠٦هـ]، ومجموع الفتاوى (٣/١٧١، ١٩٧، ٧٤/١٢، ٣٢٥، ٤٢٣، ٥٧٣)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣٤٨/٤) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ].

(٢) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (١٦٣)، والاختلاف

الأصوات التي يقرأ بها القرآن هي أصوات العباد وهي مخلوقة، وفرَّقَ بينها وبين القرآن المتلو الذي هو كلام الله تعالى؛ فالقرآن كلام الباري ﷻ والصَّوت صوت القارئ. إلى غير ذلك من الأدلَّة الكثيرة^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري: «وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا تابعي قضى، إلا عمن في قوله الغناء والشفاء، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الأئمة الأولى: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ﷺ، فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: «اللفظية جهمية لقول الله جلَّ اسمه: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فممن يسمع؟» ثم سمعت جماعة من أصحابنا - لا أحفظ أسماءهم - يذكرون عنه أنه كان يقول: «من قال: لفظي

وثبت في «الصحيحين» من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «استذكروا القرآن؛ فلهو أشدَّ تفصيًّا من صدور الرجال من النعم بعقلها»^(١)؛ فأثبت ﷺ أن المحفوظ في صدور الرجال هو القرآن الكريم، وهو كلام الله غير مخلوق.

وفي السنن عن جابر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف؛ فيقول: «ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»^(٢)؛ فبيَّن ﷺ أن الكلام الذي يبلغه ويتلوه هو كلام الله تعالى لا كلامه، وكلام الله غير مخلوق، وإن كان يبلغه بأفعاله وصوت نفسه؛ كما قال ﷺ: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(٣)؛ فبيَّن أن

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠٣٣)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين، رقم ٧٩٠) واللفظ له.

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السنَّة، رقم ٤٧٣٤)، والترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٩٢٥) وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٢٠١)، وأحمد (٣٧٠/٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٣٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٤٧).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الوتر، رقم ١٤٦٨)، والنسائي (كتاب الافتتاح، برقمي ١٠١٥، ١٠١٦)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسنَّة فيها، رقم ١٣٤٢)، وأحمد (٤٥١/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٥٤٣)، من حديث البراء بن عازب ﷺ، وجوَّد إسناده ابن كثير في تفسيره (٦٢/١) [دار طيبة،

ط٢]، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (رقم ١٣٢٠) [مؤسسة غراس، ط١].

(٤) انظر: صريح السنَّة (٣٧)، والسنَّة للخلال (٦٣/٧)، والْحُجَّة في بيان المحجَّة (٣٢٩/١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٣/١٢)، ١٣٦، ٢٥٨، ٤٦٢، ٥٣٤، ٥٨٢، والجواب الصحيح (٣٤٨/٤)، ودرء التعارض (٢٥٨/١)، والتسعينية (٩٧١/٣) [مكتبة المعارف بالرياض، ط١]، والعقيدة السلفية في كلام ربِّ البرية للجديع (٢٤٠)، والقرآن الكريم ومنزله بين السلف ومخالفهم (٥٧١/١).

وقال الذهبي - تعليقاً على قول الإمام أحمد بن صالح: «من قال: لفظي به مخلوق فهو كافر» -: «إن قال: لفظي، وعنى به: القرآن؛ فنعم. وإن قال: لفظي، وقصد به: تلفظي وصوتي وفعلي أنه مخلوق؛ فهذا مصيب؛ فالله تعالى خالقنا وخالق أفعالنا وأدواتنا. ولكن الكفّ عن هذا هو السُّنة، ويكفي المرء: أن يؤمن بأنّ القرآن العظيم كلام الله ووحيه وتنزيله على قلب نبيه ﷺ، وأنّه غير مخلوق»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حقيقة قول الإمام أحمد والبخاري في مسألة اللفظ، والفرق بينهما:

المتواتر عن الإمام أحمد أنه كان ينكر إطلاق هذا اللفظ نفياً وإثباتاً. وإنما كان يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق كيف تصرف^(٤).

وأما ما نسب إلى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله بأنه قال بقول اللفظية، فهو غلط عليه وحسد من بعض أقرانه، وإنما غاية ما قال رحمه الله: «سمعت عبد الله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد، يقول: ما زلت أسمع من

بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: هو غير مخلوق فهو مبتدع». ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله، إذ لم يكن لنا إمام نأتم به سواه، وفيه الكفاية والمقنع، وهو الإمام المتبع^(١).

وقال ابن تيمية: «كان أحمد وغيره من السلف ينكرون على من يقول: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق؛ يقولون: من قال: هو مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع. فإنّ (اللفظ) يراد به: مصدر لفظ يلفظ لفظاً، ويراد باللفظ: الملفوظ به، وهو: نفس الحروف المنطوقة. وأما أصوات العباد ومداد المصاحف؛ فلم يتوقف أحد من السلف في أنّ ذلك مخلوق. وقد نصّ أحمد وغيره على أنّ صوت القارئ صوت العبد، وكذلك غير أحمد من الأئمة. وقال أحمد: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، يريد به القرآن؛ فهو جهمي. فالإنسان وجميع صفاته مخلوق: حركاته وأفعاله وأصواته مخلوقة، وجميع صفاته مخلوقة، فمن قال عن شيء من صفات العبد: إنّها غير مخلوقة أو قديمة؛ فهو مخطئ ضال، ومن قال عن شيء من كلام الله أو صفاته: إنّهُ مخلوق؛ فهو مخطئ ضال»^(٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/١٧٧). وانظر: ميزان الاعتدال (١/٥٤٤).

(٤) انظر: السُّنة للخلال (٧/٩٣ - ٩٦).

(١) صريح السُّنة (٢٥، ٢٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/٥٦٧).

أهل الإيمان وتثبيت جمل الاعتقاد، وكلام الإمام البخاري أوضح وأمتن من جهة أهل العلم والتحقيق^(٤).

- المسألة الثانية: حقيقة مذهب (اللفظية المثبتة): حقيقة قولهم أنهم يقولون: إن ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة، والتلاوة هي المتلو والقراءة هي المقروء. وهذا مخالف لقول السلف وسائر الأئمة، فهم لا يقولون: مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا يقولون التلاوة هي المتلو مطلقاً ولا غير المتلو مطلقاً.

وذلك أن التلاوة والقراءة كاللفظ؛ قد يراد به مصدر تلا يتلو تلاوة، وقرأ يقرأ قراءة، ولفظ يلفظ لفظاً، ومسمى المصدر هو فعل العبد وحركاته، وهذا المراد باسم التلاوة والقراءة، واللفظ مخلوق وليس ذلك هو القول المسموع الذي هو المتلو. وقد يراد باللفظ الملفوظ، وبالتلاوة المتلو، وبالقراءة المقروء، وهو القول المسموع، وذلك هو المتلو، ومعلوم أن القرآن المتلو الذي يتلوه العبد ويلفظ به غير مخلوق، وقد يراد بذلك مجموع الأمرين. فلا يجوز إطلاق الخلق على الجميع ولا نفي الخلق عن الجميع^(٥).

أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة.

قال أبو عبد الله البخاري: حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب فهو كلام الله ليس بخلق^(١).

وقال رحمه الله راداً على من نسب إليه القول باللفظ: «من نقل عني أنني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فقد كذب! وإنما قلت: إن أفعال العباد مخلوقة»^(٢)، فنجد أن الإمام البخاري كان يفرق في هذه المسألة بين ما كان متعلقاً بكلام الله وبين ما كان من فعل العبد، فالقراءة عنده غير المقروء، وقد ثبت عنده عن الإمام أحمد أنه قال: ما سمعت عالماً يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق.

فكلا الإمامين ينكران أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، فالإمام أحمد سدّ الذريعة حيث منع إطلاق لفظ (المخلوق) نفياً وإثباتاً على اللفظ، والبخاري فصل مقالته؛ لئلا تستغل ممن يقول بأن أفعال العباد غير مخلوقة^(٣). فلا تعارض حقيقة بين القولين، فكلام الإمام أحمد أسدّ وأصلح من جهة عموم

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/٣٦٤ - ٢٦٦، ٣٧٣، ٣٩٥، ٤٢١، ٤٣٠)، ومختصر الصواعق (٥١٢) [دار الحديث، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/٣٧٣، ٤٢١).

(١) خلق أفعال العباد (٢/٧٠) [دار أطلس الخضراء، ط ١٤٢٥هـ].

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/٥٠٣، ٥٣٥).

(٣) وهم القدريّة.

- المسألة الثالثة: أول من تكلم بمسألة اللفظ:

أول من ابتدع هذه المسألة^(١) هو: حسين الكرابيسي - وتابعه: تلميذه داود بن علي الأصبهاني الظاهري وطائفة -، وبدّعه الإمام أحمد بن حنبل، ووافقه على تبديعه علماء الأمصار؛ مثل: الإمام إسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم، وأحمد بن صالح المصري، وابن منده، وغيرهم كثير رحمهم الله.

وهذه المقالة المحدثّة أتوا بها ليتذرعوا بها إلى القول بخلق القرآن، فكانت هذه المقالة أضّر على الناس مما فيه تصريح بالقول بخلق القرآن، فصارت اللفظية شرًا من الجهمية كما قرر ذلك أئمة السلف وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل^(٢).

الفروق:

الفرق بين قول أهل السنة ممن يرى التفريق بين اللفظ والملفوظ وبين قول الأشاعرة:

أهل السنة الذين يفرقون بين اللفظ

والملفوظ وبين التلاوة والتمتلو، أرادوا بذلك أن أفعال العباد ليس هي كلام الله، ولا أصوات العباد هي صوت الله، وهذا مقصود صحيح.

أما الأشاعرة فيقولون: اللفظ غير الملفوظ وهو مخلوق، يريدون باللفظ: القرآن العربي، وبالملفوظ: المعنى القائم بالذات. فالله تعالى عندهم لم يتكلم بالقرآن العربي بل عندهم أن القرآن العربي مخلوق^(٣).

مذهب المخالفين:

خالف في المعتقد الحق في هذه المسألة: الجهمية القائلون بخلق القرآن؛ فكانوا يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، ويعنون: أن كلام الله مخلوق؛ تسترًا واحتماء بهذا القول عن إظهار بدعتهم!^(٤)

وخالف في هذا أيضًا: اللفظية النافية (الحلقيّة)، الذين يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة غير قديمة، والتلاوة غير الممتلو، والقراءة غير المقروء، والكتابة غير المكتوب. ويقولون: المنزل إلى الأرض من الحروف والمعاني ليس هو نفس كلام الله؛ بل ربما سموها حكاية

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٧٤/١٢)، ومختصر الصواعق المرسلة (٥٠٩) [دار الحديث، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٥٥/٧، ١٢/٢٠٦)، ودرء التعارض (١/٢٦٠).

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٦٠٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣]، والحجة في بيان المحجة (٣٤٠/١)، ومجموع الفتاوى (١٧٧/٦، ٥٧٣/١٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٨٩/١١، ٥١٠، ١٣/١٠٠)، وفتح الباري لابن حجر (٤٩٢/١٣).

(٢) انظر: السنة للخلال (٨٤/٧)، وطبقات الحنابلة لأبي يعلى (١٧٣/١، ٣٢٨) [دار المعرفة]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٠٧/٨).

اللوح المحفوظ

التعريف لغة:

اللوح: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «اللام والواو والحاء أصل صحيح معظمه مقاربة باب اللَّمعان، يقال: لاح الشيء يلوح؛ إذا لمح ولمع، والمصدر اللوح»^(٢).

اللوح: الذي يكتب فيه، وهو صفيحة من صحائف الخشب، والكتف إذا كتب عليه سمي لوحًا، واللوح: كل عريض، ولهذا يقال: الألواح من الجسد كل عظم فيه عرض^(٣).

المحفوظ: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الحاء والفاء والظاء أصل صحيح واحد يدل على مراعاة الشيء؛ يقال: حفظت الشيء حفظًا»^(٤).

والمحفوظ: من حفظت الشيء؛ أي: حرصته، وحفظته بمعنى: استظهرته، والمحافظة: المراقبة، والحفظ: نقيض النسيان، وهو التعاهد، وقلة الغفلة^(٥).

(٢) مقاييس اللغة (١٣١/٦) [دار الجبل، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٢٤٨/٥) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ومقاييس اللغة (١٣١/٦)، والصحاح للجوهري (٤٠٢/١) [دار العلم للملايين، ط ٣].

(٤) مقاييس اللغة (٨٧/٢).

(٥) انظر: الصحاح للجوهري (١١٧٢/٣)، ولسان العرب (٢٤٢/٣).

عن كلام الله كما يقوله ابن كُلاب أو عبارة عن كلام الله كما يقوله الأشعري. وقالوا: ليس كلام الله إلا مجرد المعنى وإن الحروف ليست من كلام الله^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاختلاف في اللَّفظ»، لابن قتيبة.
- ٢ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للتمي.
- ٣ - «خلق أفعال العباد»، للبخاري.
- ٤ - «السُّنة» (ج ٧)، للخلال.
- ٥ - «السُّنة»، لعبد الله بن أحمد.
- ٦ - «شرح أصول الاعتقاد» (ج ٢)، للالكائي.
- ٧ - «الشرية»، للآجري.
- ٨ - «صريح السُّنة»، لابن جرير الطبري.
- ٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣، ٦، ٧، ٨، ١٢)، لابن تيمية.
- ١٠ - «مختصر الصواعق المرسلية»، لابن القيم.

لقاء الله

يراجع مصطلح (الرؤية).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٧٥/١٢، ٣٧٦).

التعريف شرعاً:

وكل هذه الأسماء دلّ عليها القرآن الكريم في غير ما آية.

الحكم:

يجب الإيمان باللوح المحفوظ، وأن الله كتب فيه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة^(٥).

الحقيقة:

حقيقة اللوح المحفوظ هو مما استأثر الله بعلمه، فلا يعلم حقيقته وكيفيته إلا الله وَعَلَّمَ.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «اللوح المحفوظ لا نعرف ماهيته من أي شيء، أمن خشب، أم من حديد، أم من ذهب، أم من فضة، أم من زمردة؟ فالله أعلم بذلك، إنما نؤمن بأن هناك لوحاً كتب الله فيه مقادير كل شيء، وليس لنا الحق في أن نبحث وراء ذلك، لكن لو جاء في الكتاب والسنة ما يدلنا على شيء، فالواجب أن نعتقه»^(٦).

المنزلة:

الإيمان باللوح المحفوظ هو من الإيمان بالقدر؛ لأن من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بأن الله كتب كل شيء

هو الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق، وأثبت فيه كل شيء، وما هو كائن، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة^(١). قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فإن اللوح المحفوظ الذي وردت به الشريعة كتب الله فيه مقادير الخلائق، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»^(٢).

سبب التسمية:

سمي باللوح المحفوظ؛ لأن الشياطين لا يمكنهم التنزّل به؛ لأن محله محفوظ أن يصلوا إليه، وهو في نفسه محفوظ أن تقدر الشياطين على الزيادة فيه والنقصان، فالله يَحْفَظُ حفظ محله، وحفظه من الزيادة والنقصان، والتبديل^(٣).

الأسماء الأخرى:

أم الكتاب، الكتاب، الذكر، إمام مبين، الزبر^(٤)، الكتاب المكنون، الكتاب المسطور.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/١٣٤) [دار ابن حزم،

ط ١، ١٤٢٣هـ]، وشفاء العليل (١/١٦٣) [دار

البيكان، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٢) الرد على المنطقيين (٥١٨) [مؤسسة الريان، ط ١،

١٤٢٦هـ].

(٣) انظر: تفسير البغوي (٤/٥٩٢) [دار طبية الرياض،

ط ١، ١٤٢٣هـ]، والتبيان في إيمان القرآن (١٥٦)

[دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٤) انظر: شفاء العليل (١/١٦٣)، والمباحث العقديّة

المتعلقة باللوح المحفوظ لعادل بن حجي (١٣٢ -

١٤٨) [رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة].

(٥) انظر: الرسالة الوافية للداني (٦١) [دار ابن

الجوزي، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٦) شرح العقيدة الواسطية (٣/١٤٨، ١٤٩) [دار ابن

الجوزي، ط ٤، ١٤١٧هـ].

الرُّبْرِ ﴿٥٦﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾
[القمر]

ومن السُّنَّة: حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان الله تبارك وتعالى قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح ذكر كل شيء»^(٢).

وفي لفظ آخر: قال رسول الله ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض»^(٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء»^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الإمام أحمد رحمته الله: «واللوح المحفوظ حق، تستنسخ منه أعمال العباد، مما سبقت فيه المقادير والقضاء»^(٥).

وقال أبو عمرو الداني رحمته الله: «ومن

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: أحمد (١٠٧/٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وقال ابن القيم رحمته الله في اجتماع الجيوش الإسلامية (٦٨) [دار البيان، ط ٤]: «حديث صحيح، أصله في البخاري».

(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣١٩١).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٣).

(٥) السُّنَّة للإمام أحمد (٤٧) [مكتبة السُّنَّة المحمدية القاهرة، ط ١٣٧٥هـ]

عنده في اللوح المحفوظ، فلا يتم إيمان العبد إلا بالإيمان بالقدر ومراتبه التي دلَّ عليها القرآن والسُّنَّة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وتؤمن الفرقة الناجية من أهل السُّنَّة والجماعة بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين: فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله ﷻ عليم بالخلق، وهم عاملون بعلمه القديم، الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي، والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلاً: فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء»^(١).

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج]، وقال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي

(١) العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (١٤٨/٣)، (١٤٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ٢٢].

ذلك، مما هو أعلم به، إما بحجة يحتج بها على بعض ملائكته، وإما على بني آدم، وغير ذلك»^(٣).

✽ مذهب المخالفين:

خالف فلاسفة الصوفية في حقيقة اللوح المحفوظ، وادعوا أنه النفس الفلكية، وقالوا: إن العارف قد يطلع على اللوح المحفوظ، ونحو ذلك مما يعلم بطلانه بدلالة الشرع والعقل.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فإن ابن سينا وأمثاله يدعون أن ما يحصل للنفس البشرية من العلم، والإنذارات، والمنامات إنما هو فيض العقل الفعال، والنفس الفلكية، وإذا أرادوا أن يجمعوا بين الشريعة والفلسفة قالوا: إن النفس الفلكية هي اللوح المحفوظ، كما يوجد مثل ذلك في كلام أبي حامد في كتاب الإحياء^(٤)، والمضنون، وغير ذلك من كتبه، وكما يوجد في كلام من سلك سبيله من الشيوخ المتفلسفة المتصوفة، يذكرون اللوح المحفوظ، ومرادهم به النفس الفلكية، ويدعون أن العارف قد يقرأ ما في اللوح المحفوظ، ويعلم به»^(٥).

(٣) تفسير الطبري (٧/٢٦٧، ٢٦٨).

(٤) انظر: إحياء علوم الدين (٣/٢٣) [دار الكتب العلمية].

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٩/٣٩٨).

قولهم: إن الإيمان باللوح المحفوظ وبالقلم واجب، على ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ (٦١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٦٢﴾ [البروج]»^(١).

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قال العلماء: وكتاب الله تعالى ولوحه، وقلمه، والصحف المذكورة في الأحاديث كل ذلك يجب الإيمان به، وأما كيفية ذلك، وصفته فعلمها إلى الله تعالى، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء»^(٢).

✽ الحكمة:

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «فإن قال قائل: وما وجه إثباته في اللوح المحفوظ، والكتاب المبين ما لا يخفى عليه، وهو بجميعة عالم لا يخاف نسيانه؟

قيل له: لله تعالى فعل ما شاء، وجائز أن يكون كان ذلك منه امتحاناً منه لحفظته، واختباراً للمتوكلين بكتابة أعمالهم؛ فإنهم - فيما ذكر - مأمورون بكتابة أعمال العباد، ثم عرضها على ما أثبتته الله من ذلك في اللوح المحفوظ، حتى أثبت فيه ما أثبت كل يوم، وقيل: إن ذلك معنى قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٦٩) [الجاثية]، وجائز أن يكون ذلك لغير

(١) الرسالة الوافية (٦١).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/٤١٣، ٤١٤) [دار المعرفة، ط ١٠، ١٤٢٥هـ].

صَرًّا إِلَّا مَا سَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ
لَأَسْتَكْرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ
أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾
[الأعراف]

قال ابن تيمية: «فإن اللوح المحفوظ
الذي وردت به الشريعة كتب الله فيه
مقادير الخلائق، قبل أن يخلق
السموات والأرض بخمسين ألف سنة،
واللوح المحفوظ لا يطلع عليه
غير الله» (٤).

وقال سليمان بن عبد الله معلّقاً على
كلام البوصيري: «فجعل الدنيا والآخرة
من جوده، وجزم بأنه يعلم ما في اللوح
المحفوظ وكل ذلك كفر صريح» (٥).

وقال ابن باز: «اللوح المحفوظ لا
يطلع عليه إلا الله ﷻ، وهذا من كلام
مخرفي الصوفية، الذين يلبسون على
الناس ويغشونهم، نسأل الله العافية،
فاللوح المحفوظ لا يطلع عليه
إلا الله ﷻ، هو الذي جعله، وهو الذي
يطلع عليه، ومن زعم أنه يعلم ما فيه
فهو كافر يستتاب من ولادة الأمور، فإن
تاب، وإلا وجب قتله؛ حماية للمسلمين
من شره وفتنته» (٦).

(٤) الرد على المنطقيين (٥١٨، ٥١٩).

(٥) تيسير العزيز الحميد (٢٦٣) [المكتب الإسلامي،
ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٦) فتاوى نور على الدرب لابن باز (١/٢٤١) [دار
الوطن، ط ١، ١٤١٨هـ].

وهذا ظاهر البطلان بما تقدم تقريره
في المفهوم الشرعي للوح المحفوظ من
أدلة القرآن، وأقوال أهل العلم.

قال ابن تيمية: «وهذا باطل مخالف
لدين المسلمين، وغيرهم من أتباع
الرسول» (١).

وتفرع عن هذا القول ما ادعاه
البوصيري في برده من أن النبي ﷺ
يعلم ما في اللوح المحفوظ، فقال:

«فإن من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم» (٢).

وتبعه أحمد شوقي في هذا الغلو فقال:

«خططت للدين والدنيا علومهما

يا قارئ اللوح بل يا لاس القلم» (٣).

وهذا ظاهر البطلان، بل هو كفر
صريح، لا يقره النبي الكريم عليه أفضل
الصلاة والتسليم، والأدلة على بطلان
هذه الأقوال كثيرة.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّكُمْ عَلَى
الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقال تعالى:
﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ
إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تعالى في
حق نبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي
خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٠]،
وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا

(١) الرد على المنطقيين (٥١٩).

(٢) قصيدة البردة (٨) [دار الفكر].

(٣) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ (٨) [دار
الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ].

المصادر والمراجع:

معنى اسمه لغة:

اختلف في لفظ (لوط)؛ أهو عربي أم أعجمي؟ على قولين:

القول الأول: أنه اسم عربي مشتق من: لاط الشيء بقلبه؛ إذا تعلق به. قال ابن فارس: «اللام والواو والطاء كلمة تدل على اللصوق. يقال: لاط الشيء بقلبي؛ إذا لصق»^(٢).

وقال الراغب: «لوط: اسم علم، واشتقاقه من: لاط الشيء بقلبي يلوطن لوطًا وليطًا... وهذا أمر لا يلتاط بصفري؛ أي: لا يلصق بقلبي، ولطت الحوض بالطين لوطًا: ملطته به»^(٣).

القول الثاني: أنه اسم أعجمي، قال الجوهري: «ولوط: اسم ينصرف مع العجمة والتعريف»^(٤). وأورده الجواليقي في (المعرب)، وذكر أنه اسم أعجمي معرب ولم يذكر له معنى^(٥). وبه احتج الدكتور ف. عبد الرحيم على أن لوطًا اسم أعجمي، فقال: «الصحيح أنه

١ - «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج ٨)، للقاضي عياض.

٢ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٣ - «الحجة في بيان المحجة»، لأبي القاسم التيمي.

٤ - «الرد على المنطقيين»، لابن تيمية.

٥ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

٦ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

٧ - «العقيدة الواسطية»، لابن تيمية.

٨ - «العقيدة الطحاوية مع شرحها»، لابن أبي العز.

٩ - «معارج القبول»، لحافظ بن أحمد حكيم.

١٠ - «المباحث العقدية المتعلقة باللوح المحفوظ والقلم»، لعادل بن حجي.

لوط عليه السلام

اسمه ونسبه:

لوط هو: ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام؛ هاران بن آزر^(١).

(١) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٠٦/٥٠) [دار

الفكر، ١٤١٥هـ]، والمنظم في التاريخ (٢٦٢/١)

[دار الكتب العلمية، ط ١]، والبداية والنهاية (١/

٣٤٦، ٤٠٨) [دار هجر، ط ١، ١٤١٨هـ]، وتفسير

ابن كثير (١٥٧/٦) [دار طيبة، ط ٢].

(٢) مقاييس اللغة (٢٢١/٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]

وانظر: تهذيب اللغة (١٨/١٤، ١٩) [دار إحياء

التراث العربي، بيروت، ط ١]، والصحاح للجوهري

(١١٥٨/٣) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٣) المفردات في غريب القرآن (٧٥٠، ٧٥١) [دار

القلم، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٤) الصحاح للجوهري (١١٥٨/٣).

(٥) انظر: المعرب من كلام الأعجمي (٥٦٣) [دار

القلم، ط ١، ١٤١٠هـ].

وفي إقليمها أرسل بعد ذلك في حياة إبراهيم^(٥)، والله أعلم.

نبوته:

ذكر الله نبوة لوط عليه السلام ورسالته بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات].

دعوته:

دعا لوط قومه إلى الله ورسوله؛ أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم، ونهاهم عن معصية الله، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم، مما لم يسبقهم أحد من الخلائق إلى فعله، من إتيان الذكران دون الإناث^(٦).

كما حكاها الله تعالى عنه بقوله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [١١٦] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [١١٧] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾ [١١٨] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١١٩] ﴿أَتَأْتُونَ الذَّكَرَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [١٢٠] ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [١٢١] ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [١٢٢] [الشعراء].

وبقوله سبحانه: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ

معرب، قال الجوهري: «لوط اسم ينصرف مع العجمة والتعريف». وهو بالعبرية: (לוט)، وبالسريانية: (ܠܘܬ). وممن رجع القول الثاني بدر الدين العيني، فقال: «وذكر الله لوطًا في القرآن في سبعة عشر موضعًا، وهو اسم أعجمي، وفيه العَلَمِيَّة والعجمة، ولكنه صُرف لسكون وسطه، وقيل: اسم عربي من: لاط؛ لأن حبه لاط بقلب إبراهيم عليه السلام؛ أي: تعلق ولصق»^(٢).

مولده ونشأته:

الظاهر: أن لوطًا ولد في أرض الكلدانيين، وهي أرض بابل، ونشأ بها، لما ذكره ابن كثير^(٣) من أن إبراهيم ولد في أرض الكلدانيين، وأن أخاه هاران توفي فيها، فهاجر منها آزر بابنه إبراهيم وابن ابنه لوط إلى أرض الكنعانيين، وهي بلاد بيت المقدس، ومعلوم أن إبراهيم أكبر من لوط، وأنه اهتدى على يديه، كما قال الله تعالى: ﴿فَقَامَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت]، ثم أشار إليه إبراهيم أن ينزل إلى سدوم، فنزل بها^(٤)، وفيها

(١) المعرب من كلام الأعجمي (٥٦٣) الحاشية.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٦٧/١٥) [دار إحياء التراث العربي، بيروت].

(٣) انظر: البداية والنهاية (١/٣٢٥).

(٤) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/٢٨٣).

والبداية والنهاية (١/٣٢٥)، وقصص الأنبياء لابن كثير (١/٢٥٤) [دار التأليف، القاهرة، ط١، ١٣٨٨هـ]، وصحيح قصص الأنبياء لسليم الهلالي (١٥٩).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٦/٢٧٣).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٦/١٥٧).

وقال السعدي: «أرسل الله لوطاً إلى قومه، وكانوا مع شركهم، قد جمعوا بين فعل الفاحشة في الذكور، وتقطيع السبيل، وفشو المنكرات في مجالسهم، فنصحهم لوط عن هذه الأمور، وبيّن لهم قبائحها في نفسها، وما تؤول إليه من العقوبة البليغة»^(٢).

❁ قومه وموقفهم منه:

قوم لوط كانوا أمة عظيمة، قد بعثه الله إليهم في حياة إبراهيم، وكانوا يسكنون في (سدوم)^(٣) وأعمالها التي أهلكها الله بها، وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة، وهي مشهورة ببلاد الغور، متاخمة لجبال البيت المقدس، بينها وبين بلاد الكرك والشوبك^(٤). قال ابن الجوزي: «بُعث إلى أهل سدوم، فكانوا أهل كفر بالله وركوب الفاحشة»^(٥).

ولذا واجهوا نبيهم لوطاً ﷺ بالتكذيب والتهديد بالإبعاد إن لم يكف عن دعوتهم إلى توحيد الله وطاعته ونبذ الشرك، والخضوع له، ونهيهم عن الفواحش، لا سيما التي انفردوا بها عن العالمين، كما حكاها الله سبحانه عنهم

لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ ﴿٥٥﴾ [النمل].

ويقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَبْقَوْنَ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَلْعَاثُ مَا نُريدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ سُدِيدٌ ﴿٨٠﴾﴾ [هود].

ويقوله ﷺ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ كَادِيَكُمْ الْمُنْكَرُ﴾ [العنكبوت: ٢٨، ٢٩].

قال ابن كثير في هذه الآية: «يقول تعالى مخبراً عن نبيّه لوط ﷺ أنه أنكر على قومه سوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال، في إتيانهم الذكران من العالمين، ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم. وكانوا مع هذا يكفرون بالله، ويكذبون رسوله ويخالفونه ويقطعون السبيل؛ أي: يفتنون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم»^(١).

(٢) تفسير السعدي (٦٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٣) سدوم: هي إحدى مدائن قوم لوط. انظر: معجم البلدان للحموي (٣/٢٠٠) [الناشر: دار صادر].

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٣٤٠، و٥/٣٥٤، و٦/١٥٧).

(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/٢٨٣).

(١) تفسير ابن كثير (٦/٢٧٦).

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٢٠) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا تَحَرُّ أَعْمُرْ بَيْنَ فِتْنٍ لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَافَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٢٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٢٤﴾ [العنكبوت]، وقال: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلَوْا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَأَتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (٨١) [هود].

ولمَّا أراد الله إهلاك قوم لوط أمر الملائكة لوطًا أن يسري بأهله ليلاً، ولما أصبحوا قلب الله عليهم ديارهم، فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل متتابعة حتى أبادتهم وأهلكتهم، فصاروا سَمَرًا من الأسمار، وعبرة من العبر (٢).

قال ابن كثير: «إن الله تعالى أهلكهم عن آخرهم؛ بتكذيبهم نبي الله لوطًا ﷺ

فقال: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١١) [الشعراء]، وقال: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ (٤٣) [الحج]، وقال: ﴿قَالُوا لَيْن لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ (١٦٧) [الشعراء]، وقال: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ (٥٦) [النمل]، وقال: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابٍ اللَّهُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٩) [العنكبوت].

وبعد إصرارهم على الشرك والكفر، والتكذيب لنبي الله لوط، وتحديهم إياه بالإتيان بالعذاب إن كان من الصادقين، وتهديده وتوعده بالانتقام، ويأسه منهم، وعلمه باستحقاقهم العذاب، لجأ لوط إلى ربه بطلب النصر والتأييد، ودعا على هؤلاء المفسدين (١)، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٢٠) [العنكبوت]، فاستجاب الله دعاءه وأرسل إليه الملائكة لإهلاكهم، وأنجاه وأهله إلا امرأته، وأهلك أهل الكفر والتكذيب والعناد، كما قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٥٧) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (٥٨) [النمل]،

وإتيانهم الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين»^(١).
فأقتلوا الفاعل والمفعول به»^(٢)، لهذه الأمور كلها لا يجوز نسبة فاعل عمل قوم لوط إلى لوط عليه السلام^(٣).

وفاته:

قيل: إن لوطاً عليه السلام توفي عن ثمانين سنة، وعلى هذا القول تكون وفاته قبل نبي الله إبراهيم عليه السلام بسنين^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم تسمية عمل قوم لوط باللواط:

هذه التسمية غير جائزة لأمرين:

الأمر الأول: أن لوطاً لا صلة له بهذه الفاحشة النكراء، فنسبة فاعلها إليه في غاية الشناعة.

الأمر الثاني: أن في تسمية عمل قوم لوط باللواط ترويج لهذه الفاحشة وتسمية لها بغير اسمها؛ لأن عمل قوم لوط في غاية الفساد في الأرض، وأما اللواط فمن معانيها الإصلاح، كما جاء في حديث خروج الدجال وفيه: «وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله»^(٥)، وعليه فلا ينبغي أن يسمى إلا باسمه الذي سماه به النبي ﷺ، كما في حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط

وأما استعمالات بعض أهل العلم لهذا المصطلح فلا حجة فيه؛ لأن الحجة في قول الله ورسوله ﷺ، وقد علم مخالفة هذا المصطلح للشرع واللغة، واستعمالات العلماء لهذا المصطلح مبني على اجتهاد مأجورين عليه، لا سيما وأن هناك روايات ضعيفة فيها هذه التسمية، ولا حجة فيما لم يصح، والله أعلم.

- المسألة الثانية: خيانة امرأة لوط عليه السلام لزوجها وبيان نوع هذه الخيانة:

لقد تقدم بيان هلاك زوج نبي الله لوط ونجاة بقية أهله، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَهَا مِنَ الْغَيْرِينَ﴾ [النمل]، وجاء في النصوص الشرعية بيان سبب هلاكها ودخولها في النار، وهو خيانة زوجها في

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الحدود، رقم ٤٤٦٢)، والترمذي (أبواب الحدود، رقم ١٤٥٦)، وابن ماجه (كتاب الحدود، رقم ٢٥٦١)، وأحمد (٤/٤٦٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الحدود، رقم ٨٠٤٩) وصححه، وصححه ابن عبد الهادي في المحرر (١/٦٢٤) [دار المعرفة، ط ٣]، والالباني في الإرواء (٨/١٦) [المكتب الإسلامي، ط ٢].

(٥) انظر: معنى لفظ (لوط) اللغوي المتقدم، ومعجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد (٤٦١) [دار العاصمة، ط ٣] وفيهداهم اقتده لعثمان الخميس (٢٦٠) [دار إيلاف الدولية، ط ١، ١٤٣١هـ].

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٧٤).

(٢) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/٢٨٥).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشرط الساعة، رقم ٢٩٤٠).

لحرمة الأنبياء، كما قدمنا في سورة النور^(٤).

- المسألة الثالثة: عصمة الأنبياء:

اتفق أهل العلم على أن الأنبياء معصومون بعد النبوة من الشرك وكبائر الذنوب^(٥)، ومعصومون في التبليغ عن الله، ومن الصغائر الخسيسة^(٦)، وأما ما دونها من الصغائر فيجوز وقوعها منهم، لكنهم لا يقرون عليها، بل يتوبون منها وأن الله يسدهم^(٧).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بعدما حكى الخلاف بين الأصوليين في عصمة الأنبياء من الصغائر: «الذي يظهر لنا أنه الصواب في هذه المسألة أن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - لم يقع منهم ما يزرى بمراتبهم العلية، ومناصبهم السامية، ولا يستوجب خطأ منهم، ولا نقصاً فيهم - صلوات الله وسلامه عليهم -، ولو فرضنا أنه وقع منهم بعض الذنوب؛ لأنهم يتداركون ما

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ١٧١).

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٩)، وإرشاد الفحول للشوكاني (١/ ١٩٠) [دار الفضيلة، ط ١، ١٤٢١هـ]، والقول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (٢/ ٣٠٩)، وفيهدهم اقتده لعثمان الخميس (٣٣).

(٦) انظر: البرهان في أصول الفقه للجويني (فقرة: ٣٨٦ وما بعدها) [دار الأنصار، القاهرة]، وفيهدهم اقتده لعثمان الخميس (٣٣).

(٧) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٢٥٣) [ط ٦، ١٤١٧هـ].

قول الله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٌ نُّوحَ وَأَمْرَاتٌ لُّوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحریم].

والمراد بهذه الخيانة هنا: هي خيانة الدين وهي الكفر برسالتهم وتكذيب نبوتهم وشريعتهم، وعدم الدفاع عنهما، فقد أخرج ابن جرير بسند حسن^(١) عن قتادة؛ أنه قال في الآية: «هاتان زوجتا نبيي الله، لما عصتا ربهما لم يغن أزواجهما عنهما من الله شيئاً»^(٢). ولم تكن هذه الخيانة بالزنا، وإنه لم تزن زوجة نبي قط^(٣)، قال ابن كثير: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾؛ أي: في الإيمان، لم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدقاها في الرسالة، فلم يجد ذلك كله شيئاً، ولا دفع عنهما محذوراً؛ ولهذا قال: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [التحریم]؛ أي: لكفرهما، ﴿وَقِيلَ﴾؛ أي: للمرأتين: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [١٠] وليس المراد: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحشة، بل في الدين؛ فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة؛

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور لحكمت بشير ياسين (٤/ ٥١٢) [دار المآثر، المدينة النبوية، ط ١].

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١١٤) [دار هجر، ط ١].

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ٤٦) [دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ]، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٢٧)، وتفسير السعدي (٨٧٤).

هذا الإشكال، وهو العودة إلى ملة الأ أقوام، فقال: «فاعلم أن المسألة شاعت وزاعت واشتهرت وانتشرت، والخلاف فيها قديم بين أهل السُّنة والمعتزلة، وبين أهل السُّنة بعضهم لبعض، والذي روى ابن أبي حاتم عن عطية عن ابن عباس: «كانت الرسل والمؤمنون يستضعفهم قومهم ويقهرونهم ويدعونهم إلى العودة إلى ملتهم، فأبى الله لرسله والمؤمنين أن يعودوا في ملتهم وفي ملة الكفر، وأمرهم أن يتوكلوا عليه»^(٢)، وقد رواه السدي عن أشياخه، وتأوله عطية على أنه العود إلى السكوت كما كان الرسل قبل الرسالة؛ وأنهم كانوا أغفلاً قبل؛ أي: لا علم بما جاءهم من عند الله، قال: وذلك عند الكفار عود في ملتهم. وهذا الذي رأيته منصوفاً عن أئمة السلف»^(٣).

وبعضهم فرق بين حال نبينا محمد الذي كان معصوماً من الوقوع في الشرك، كما هو معروف من سيرته، وغيره من الأنبياء، فذكروا أنه لا يستحيل أن يكون على ملة قومه، ولا يلزم أن يكون قد عبد الأصنام، بل يظل على السكوت وعدم الإنكار عليهم^(٤).

وقع منهم بالتوبة، والإخلاص، وصدق الإنابة إلى الله حتى ينالوا بذلك أعلى درجاتهم، فتكون بذلك درجاتهم أعلى من درجة من لم يرتكب شيئاً من ذلك. ومما يوضح هذا قوله تعالى: ﴿...وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ أَجْبَنَهُ رَبُّهُ فَقَالَ عَلَيْهِ وَهْدَى ﴿٢٧﴾ [طه]، فانظر أي أثر يبقى للعصيان والغى بعد توبة الله عليه واجتباؤه؛ أي: اصطفاؤه إياه، وهدايته له، ولا شك أن بعض الزلات ينال صاحبها بالتوبة منها درجة أعلى من درجته قبل ارتكاب تلك الزلة. والعلم عند الله تعالى»^(١).

وأما قبل النبوة فهل كانوا على عقيدة أقوامهم من الشرك ونحوه أم لا؟ وهل يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَقَامَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وقوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٣﴾ [إبراهيم]، ففي الآية الأولى أن لوطاً آمن، وفي الثانية أن الأنبياء هُددوا؛ إما بالإخراج من القرية وإما العودة إلى ملة أقوامهم وهم لم يدخلوا فيها أصلاً، وقد أجاب الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن على

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١١٩/٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٤٤/١٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن أبي حاتم (٢٢٣٧/٧) [مكتبة نزار الباز، ط ٣].

(٣) عيون الرسائل والأجوبة على المسائل لعبد اللطيف آل الشيخ (٣٤٢/١ - ٣٤٤) [مكتبة الرشد، ط ١].

(٤) المرجع السابق (٣٤٢/١) الحاشية رقم (٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «تفسير الطبري» (ج ٢٣).
- ٢ - «تاريخ دمشق» (ج ٥٠)، لابن الهلالي.
- ٣ - «المنتظم في تاريخ الملوك أبو زيد.
- ٤ - «تفسير القرطبي» (ج ٩).
- ٥ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن الخميس.
- ٦ - «تفسير ابن كثير» (ج ٦).
- ٧ - «قصص الأنبياء» (ج ١) لابن كثير.
- ٨ - «صحيح قصص الأنبياء»، لسليم
- ٨ - «معجم المناهي اللفظية»، لبكر
- ٩ - «فبهداهم اقتده: قراءة تأصيلية
- ١٠ - «الأحاديث الصحيحة من أخبار
- في سير وقصص الأنبياء ﷺ»، لعثمان
- وقصص الأنبياء ﷺ»، لإبراهيم العلي.
- عساكر.
- والأمم» (ج ١)، لابن الجوزي.
- كثير.



حرف الميم

التعريف شرعاً:

المؤمن: هو المصدق لرسله وأنبيائه بما جاؤوا به بالآيات البينات، والبراهين القاطعات، والمؤمن خلقه من أن يظلمهم، والمؤمن عباده المؤمنين من عذابه يوم القيامة^(٣).

وكل هذه الأقوال قد جاءت بها الآثار عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة التفسير^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يشارك مدلول اسم المؤمن الشرعي

١٤١٦هـ، والمعجم الوسيط (٢٨/١) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢هـ].

(٣) انظر: شأن الدعاء (٤٥، ٤٦) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، وتفسير البغوي (٨٧/٨) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ]، وتفسير السعدي (١٠٠٧) [دار السلام، ط ٢، ١٤٢٢هـ]، ومعارج القبول (٣٦/١) [دار ابن الجوزي، ط ٦، ١٤٣٠هـ]، وعقيدتنا عقيدة القرآن والسنة لمحمد هراس (١٦٠) [دار الكتاب والسنة، ط ١، ١٤٢٧هـ].

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣٠٢/٢٣ - ٣٠٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والتوحيد لابن منده (٦٨/٢) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط ٢]، وتفسير البغوي (٨٧/٨)، وزاد المسير (٨/٢٢٥ - ٢٢٦) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٤هـ]، وتفسير القرطبي (٤٥/١٨) [دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ]، وتفسير ابن كثير (٨/٨١) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وفقه الأسماء الحسنی (١٨٠، ١٨١) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

المؤخر

يراجع مصطلح (المقدم المؤخر).

المؤمن

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان؛ أحدهما: الأمانة، التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر: التصديق، والمعنيان كما قلنا متدانيان»^(١).

المؤمن اسم فاعل من الإيمان، ومن معانيه التصديق والثقة والاطمئنان الذي هو ضد الخوف، يقال: آمَنَ يُؤْمِنُ إيمانًا فهو مؤمن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٠١] أي: بمصدق لنا التصديق الذي يكون معه أمان^(٢).

(١) مقاييس اللغة (١٣٣/١) [دار الجيل، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٥/٥١٠ - ٥١٦) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٨٦، ٨٧) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٥/٢٠٧١ - ٢٠٧٢) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٩٠، ٩١) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٥١٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤٢٠هـ].

والمؤمن: من آمن خلقه من أن يظلمهم، وأمن عباده المؤمنين من عقابه وعذابه، وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما: «هو الذي آمن الناس من ظلمه، وآمن من آمن به من عقابه»^(٣).

والمؤمن: تصديقه لأنبيائه ورسله بالحجج والبراهين، لما جاؤوا به من البينات والهدى.

والمؤمن: أن يصدق عباده ما وعدهم من التمكين، والنصر في الدنيا، وأن يصدق ما وعد عباده المؤمنين من الثواب في الآخرة.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ﴾ [الحشر: ٢٣].
وورد في السنة ما يدل على معناه، منه ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الرجل الذي قتل نفسه وفيه أنهم قالوا: «يا رسول الله صدق الله حديثك»^(٤).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قلبي الذي أقول»^(٥).

مع العديد من معانيه في اللغة، فالله تعالى هو المؤمن الذي أعطى الأمن والأمان لعباده المؤمنين، وأمنهم في الدنيا والآخرة، وهو الذي صدق رسله وأنبيائه بالحجج والأدلة والبراهين القاطعات، والمؤمن في اللغة: واهب الأمن.

الحكم:

يجب الإيمان بثبوت اسم المؤمن لله تعالى، وأنه من أسمائه الحسنی، وأنه متضمن لمعانٍ جليلة، تليق بجلاله وعظمته سلطانه.

الحقيقة:

حقيقة المؤمن تتضمن معاني عظيمة وجليلة، تتلخص فيما يأتي:

المؤمن: هو الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال، ومن هذا قول مجاهد بن جبر رضي الله عنه: «المؤمن: هو الذي وحد نفسه بقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]»^(١).

والمؤمن: تصديقه سبحانه للشاهدين له بالتوحيد، والشهادة لهم بأن ما قالوه حق وصدق، وهذا معنى قول قتادة رضي الله عنه: «المؤمن: آمن لقوله أنه حق»^(٢).

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٥٠/٥) [عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٩١/٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ].

(٢) تفسير الطبري (٥٥٢/٢٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٩هـ]، وتفسير ابن كثير (١٣/٥٠٣) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٣) تفسير البغوي (٨٧/٨) [دار طيبة، ط ١٤١٢هـ]، وتفسير ابن كثير (١٣/٥٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٠٣) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١١١).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم =

❁ أقوال أهل العلم:

❁ الآثار:

قال ابن جرير الطبري رحمته الله: «وقوله: ﴿الْمُؤْمِنُ﴾: يعني بالمؤمن: الذي يؤمن خلقه من ظلمه»^(١).

وقال ابن القيم رحمته الله: «من أسمائه المؤمن: وهو في أحد التفسيرين: المصدق، الذي يصدق الصادقين، بما يقيم لهم من شواهد صدقه، فهو صدق رسله وأنبياءه فيما بلغوا عنه، وشهد لهم بأنهم صادقون بالدلائل التي دل بها على صدقهم، قضاء وخلقاً»^(٢).

وقال السعدي رحمته الله: «المؤمن الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال والجمال، الذي أرسل رسله وأنزل كتبه بالآيات، والبراهين وصدق رسله بكل آية وبرهان، يدل على صدقهم وصحة ما جاؤوا به»^(٣).

وقال حافظ الحكمي رحمته الله: «المؤمن: الذي آمن أوليائه من خزي الدنيا، ووقاهم في الآخرة عذاب الهاوية، وآتاهم في الدنيا حسنة، وسيحلهم دار المقامة في جنة عالية»^(٤).

= ٢٤٦٨، ومسلم (كتاب الطلاق، رقم ١٤٧٩)، واللفظ له.

(١) تفسير الطبري (٢٢/٥٥٢).

(٢) مدارج السالكين (٣/٣٤٤) [دار إحياء التراث العربي، ١٦، ١٤١٩هـ].

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٩) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

(٤) معارج القبول (١/٣٦) [دار ابن الجوزي، ٦٦].

من آثار الإيمان بهذا الاسم أن العبد المؤمن إذا أحسن لا يخاف لديه رحمته الله ظلمًا ولا هضمًا، أو أن يضيع له مثقال ذرة؛ لأن الله عز وجل وعد - وهو الصادق في وعده - بتوفية العاملين المحسنين أجورهم، وإن كان مثقال ذرة؛ بل يضاعف الحسنات ويجزل المثوبات، كما أن المسيء لا يجازى إلا بمثل إساءته، ووعدته إن هو تاب وأناب واستغفر بمحو السيئات والتجاوز عن الزلات، فسيحانه من جواد محسن كريم وهاب.

وعلى المؤمن أن يكون صادقًا في أقواله وأفعاله، ويتحرى الصدق والتصديق، حتى يكتب عند الله صدقًا مصدقًا.

وإذا وفى العبد بالأمانة التي حُمِّلها وأداها على أكمل وجه، فيكون بذلك قد آمن واستحق أن يسمى بالمؤمن^(٥).

❁ المصادر والمراجع:

١ - «التوحيد»، لابن منده.

٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»،

للسعدي.

٣ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

٤ - «شرح أسماء الله»، للقططاني.

(٥) انظر في هذه الآثار: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٢٤١، ٢٤٢)، وفقه الأسماء الحسنى (١٨٢).

٥ - «عقيدتنا عقيدة القرآن والسنة»، التعريف شرعاً:

لمحمد هراس.

٦ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

٧ - «فقه الأسماء الحسنی»،

لعبد الرزاق البدر.

٨ - «الطريقة المثلى لإحصاء

أسماء الله الحسنی»، لغريب بن محمد.

٩ - «مدارج السالكين» (ج ٣)، لابن

القيم.

١٠ - «معتقد أهل السنة والجماعة في

أسماء الله الحسنی»، لمحمد خليفة

التميمي.

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

القيام بأمر النار يحتاج إلى قوة

وشدة، ولذا كان من معاني (مالك) في

اللغة: القوة والشدّة، يشهد له قول الله

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا

مَلَائِكَةٌ غُلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم].

الحكم:

يجب الإيمان بمالك ﷺ كما ورد به

النص، والإيمان به يدخل في عموم

وجوب الإيمان بالملائكة ﷺ.

الماجد

يراجع مصطلح (المجيد).

مالك

التعريف لغة:

مالك مشتق من المُلْك، وهو القوة

والشدّة^(١). قال ابن فارس: «الميم

واللام والكاف أصلٌ صحيح يدلُّ على

قوة في الشيء»^(٢). وقال ابن القيم:

«مالك هو اسم مشتق من الملك، وهو

القوة والشدّة حيث تصرفت حروفه»^(٣).

المنزلة:

الإيمان بمالك ﷺ يدخل في الإيمان

بالملائكة ﷺ، والإيمان بالملائكة هو

الركن الثاني من أركان الإيمان الستة،

وأصل من أصوله العظيمة.

الأدلة:

ورد ذكره ﷺ في قول الله تعالى:

(١) ينظر: لسان العرب (٤٩١/١٠) [دار صادر].

(٢) مقاييس اللغة (٣٥١/٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراس (٢٢٢/١) [دار

عالم الفوائد، ط ٢، ١٤٣٢هـ].

(٤) ينظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى

والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (٤٦)،

٤٧، ١٥١ - ١٥٣.

﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُوتٌ﴾ (٧٧) [الزخرف]، وقد جاء في

السُّنَّة ذكر مالك وأنه خازن النار ورؤية النبي ﷺ له، فعن سُمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي قَالَا: الَّذِي يوقِدُ النَّارَ مَالِكُ خَازِنُ النَّارِ، وَأَنَا جَبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ»^(١)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مُوسَى... وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ»^(٢).

المسائل المتعلقة^(٣):

- المسألة الأولى: أعوان خازن النار:

لمالك خازن النار أعوان من الملائكة رضي الله عنهم، وهم خزنة النار، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٧٦) [الزمر]، وقال ﷺ: ﴿تَكَادُ تَمِيزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٨) [الملك]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ

- المسألة الثانية: أسماء خزنة النار:

من أسماء خزنة النار: الزبانية، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَنْتَهِ نَادِيَهُ﴾ (١٧) [سنتع الزبانية] (١٨) [العلق]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام فمر به أبو جهل بن

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣٩)،

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٥).

(٣) ينظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى

والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (١٥١ -

١٥٣).

(٤) تفسير ابن كثير (١٦٨/٨) [دار طيبة، ط ٤].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٧٠٤٧).

- هشام فقال: يا محمد، ألم أنهك عن هذا؟ - وَتَوَعَّدَهُ - فَأَغْظَى لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وانتهره، فقال: يا محمد، بأي شيء تهددني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً! فأنزل الله: ﴿فَلْيَعْنُ نَادِيَهُ﴾ (١٧) سَنَعُ الزَّيْنَةَ ﴿١٨﴾ [العلق]، قال ابن عباس: لو دعا نادية لأخذه الزبانية^(١).
- ٣ - «البدور السافرة في أمور الآخرة»، للسيوطي.
- ٤ - «البعث»، لأبي داود السجستاني.
- ٥ - «البعث والنشور»، للبيهقي.
- ٦ - «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (ج ١)، لابن القيم.
- ٧ - «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.

- المسألة الثالثة: عدد خزنة النار:

- خزنة النار كثر، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، يشهد له حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا»^(٢). ورؤسائهم تسعة عشر، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَحْبَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَتَهُمْ وَمَا جَعَلْنَا عَدَتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا [المدثر].
- ٨ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٩ - «عالم الملائكة الأبرار»، للأشقر.
- ١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكيمي.
- ١١ - «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، للعقيل.
- ١٢ - «يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار»، لصديق حسن خان.

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (ج ١)، للسفاريني.
- ٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.

❁ المالك

يراجع مصطلح (المُلك).

❁ مالك الملك

يراجع مصطلح (المُلك).

❁ مالك الناس

يراجع مصطلح (المُلك).

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣٤٩) وقال: حسن صحيح، وأحمد (١٦٧/٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٨هـ]، وصحح الألباني إسناده في تعليقه على جامع الترمذي.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٢).

✽ التعريف شرعاً:

المُبِين: هو البَيِّن أمره، البَيِّن في ربوبيته، وملكوته، الذين أبان للخلق ما احتاجوا إليه، المبين للناس يوم القيامة حقائق ما كان يعدهم في الدنيا وكذلك الله ﷻ عن خلقه مفارق لهم بذاته مستو على عرشه عال على جميع مخلوقاته^(٣).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

تتجلى العلاقة بين المعنى اللغوي لاسم المبين ومعناه الشرعي في الارتباط الواضح بين العديد من معاني (المبين) في اللغة ومعناه الشرعي، فهو في اللغة دال على الجلاء والوضوح والانكشاف وكذلك الله ﷻ بين لعباده لا يخفى على ذوي الفطر السليمة، والمبين في اللغة الذي يُبَيِّن، والله ﷻ أبان لعباده سبل النجاة والفلاح وطرق الوصول إلى مرضاته، وجزاء كل من التزم بذلك أو خالفه غاية البيان والوضوح.

✽ الحكم:

يجب الإيمان بثبوت اسم الله المبين،

والقاموس المحيط (١٥٢٥، ١٥٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط ٥]، والمعجم الوسيط (٧٩/١، ٨٠) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢].

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/١٤١) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، والحجة في بيان المحجة (١/١٤٣، ١٤٤) [دار الزاوية، ط ١، ١٤١١هـ]

✽ مالك يوم الدين ✽

يراجع مصطلح (المُلك).

✽ المانع ✽

يراجع مصطلح (المعطي المانع).

✽ مباينة الله ✽

يراجع مصطلح (العلو).

✽ المُبِين ✽

✽ التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمه الله: «الباء والياء والنون أصل واحد؛ وهو بعد الشيء وانكشافه، فالْبَيِّن: الفراق وبان الشيء وأبان؛ إذا اتضح وانكشف، وفلان أبين من فلان؛ أي: أوضح كلاماً منه»^(١).

المبين (فعليل) من صيغ اسم الفاعل، من الفعل الثلاثي: بان، وهو من الأضداد التي تطلق على الوصل والفراق، يقال: بان يبين بيناً وبينونة، وأبان يبين إبانة؛ إذا اتضح وانكشف، ومبين بمعنى بَيِّن^(٢).

(١) مقاييس اللغة (١/٣٢٧، ٣٢٨) [دار الجيل].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٥/٤٩٥ - ٥٠٠) [الدار المصرية]، والصحاح (٥/٢٠٨٢، ٢٠٨٣) [دار العلم للملايين، ط ٤]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (١٥٧، ١٥٨) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ].

[البقرة: ٢٤٢]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ الصَّافِينَ﴾ [النساء: ٢٦].

على ما يليق بجلاله تعالى، وعظمة سلطانه.

❁ الحقيقة:

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]: «ويعلمون يومئذ أن الله هو الحق الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب، ويزول حينئذ الشك فيه عن أهل النفاق، الذين كانوا فيما كان يعدهم في الدنيا يمترون»^(٤).

وقال أبو القاسم التيمي: «ومن أسمائه تعالى: المبين: وهو البين أمره، وقيل: البين الربوبية، والملكوت، يقال: أبان الشيء معنى تبين، وقيل: أبان للخلق ما احتاجوا إليه»^(٥).

❁ المسائل المتعلقة:

- اسم الله الحق المبين:

يظهر من صنيع بعض أهل العلم أنهم أثبتوا اسم الله الحق المبين؛ أي: جعلوهما من الأسماء المقترنة؛ لورود النص بذلك، فلم يفصلوا بين الحق والمبين، وعلى ذلك يدل صنيع ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) تفسير الطبري (١٤١/١٩) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٥) الحجة في بيان المحجة (١٤٣/١، ١٤٤).

المبين هو الذي لا يخفى ولا ينكتم، والباري عَزَّ وَجَلَّ ليس بخاف ولا منكتم؛ لأن له من الأفعال الدالة عليه ما يستحيل معها أن يخفى^(١)، وهو عَزَّ وَجَلَّ المبين الذي أبان لعباده سبيل الرشاد، والموضح لهم الأعمال التي يستحقون الثواب على فعلها والأعمال التي يستحقون العقاب عليها، وبين لهم ما يأتون، وما يذرون^(٢)، وهو تعالى البين أمره في الوحداية، في ألوهيته وربوبيته وملكوته، فهو الإله الحق المبين لا شريك له^(٣).

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور]، وقال تعالى في غير ما آية: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ﴾

(١) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/١٨٩) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (٤٦/١) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ].

(٢) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٨١) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ]، وشرح أسماء الله الحسنى (٢٠٤) [دار الإيمان]، وفقه الأسماء الحسنى (٢١٤) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٣) انظر: شأن الدعاء (١٠٢) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والحجة في بيان المحجة (١/١٤٣)، (١٤٤) [دار الراية، ط١، ١٤١١هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢١٤).

قال ابن عثيمين: «وقد جمعنا بين الحق المبين، والحي القيوم، والأول والآخر، والظاهر والباطن، لوردوه هكذا في كتاب الله»^(١).

المتعال

يراجع مصطلح (العلو).

المتكبر

التعريف لغة:

المتكَبَّرُ: (متفَعَّل) من صيغ اسم الفاعل من الكَبَر. والكاف والباء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف الصَّغَر. يقال: هو كَبِيرٌ، وكُبَّار، وكُبَّار. والكَبَرُ العَظَمَةُ، وكذلك الكِبَرِيَاءُ^(٢).

يقال: كَبُرَ يَكْبُرُ؛ أي: عَظُمَ يَعْظُمُ من العظمة، فهو كبير وكُبَّار وكُبَّار، وجمعه: كِبَار، ويقال: ورثوا المجد كابرًا عن كابر؛ أي: كبيرًا عن كبير في الشرف والعزَّ. والمتكَبَّرُ من اتصف بالكبرياء، وأصله الامتناع والترفع^(٣).

التعريف شرعًا:

اسم المتكَبَّر يدل على وصف الله ﷻ بالكبرياء الدال على العظمة والامتناع

(٢) مقاييس اللغة (٨٨٣) [دار الفكر].

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٥) [دار الثقافة العربية، ط ١، ١٩٧٤م]، وتهذيب اللغة (١٠/ ٢٠٩ - ٢١٥) [الدار المصرية للتأليف]، ومقاييس اللغة (٩١٥، ٩١٦)، والصحاح (٨٠١/٤، ٨٠٢) [دار العلم للملايين، ط ٢]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٩٧، ٦٩٨) [دار القلم، ط ٢]، والقاموس المحيط (٦٠٢، ٦٠٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٥]، والمعجم الوسيط (٧٧٢/٢، ٧٧٣) [دار الدعوة، ط ٢].

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، للبيهقي.
- ٢ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.
- ٣ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للتمي.
- ٤ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٥ - «شرح أسماء الله الحسنى»، للقطاني.
- ٦ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٧ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج ١)، للحليمي.
- ٨ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لحمود النجدي.
- ٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتمي.
- ١٠ - «أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة»، للرضواني.

المتانة

يراجع مصطلح (المتين).

(١) شرح القواعد المثلى لابن عثيمين (٩٤) [دار الآثار، ط ١، ١٤٢٣هـ].

والترفع، فالله ﷻ مترفع عن الاتصاف بكل نقص وعيب وسوء، ومترفع عن مماثلة ذاته لذوات المخلوقين، وصفاته لصفات المخلوقين، وأفعاله لأفعالهم، وهذا متضمن لثبوت الكمال له ﷻ في ذاته، وصفاته، وأفعاله^(١).

ولذلك نجد الآثار في تفسير هذا الاسم تدور حول الإشارة إلى تكبره؛ أي: ترفعه وتعظيمه وامتناعه عن كل سوء ونقص وعيب^(٢).

والترفع، فالله ﷻ مترفع عن الاتصاف بكل نقص وعيب وسوء، ومترفع عن مماثلة ذاته لذوات المخلوقين، وصفاته لصفات المخلوقين، وأفعاله لأفعالهم، وهذا متضمن لثبوت الكمال له ﷻ في ذاته، وصفاته، وأفعاله^(١).

ولذلك نجد الآثار في تفسير هذا الاسم تدور حول الإشارة إلى تكبره؛ أي: ترفعه وتعظيمه وامتناعه عن كل سوء ونقص وعيب^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي لاسم المكتبر تتضح من خلال اتفاق المعنى الشرعي لهذا الاسم مع المعنى اللغوي المأخوذ منه، فمن المعاني الشرعية لهذا الاسم أنه ذو الكبرياء، الذي يدل في اللغة على

الحكم:

اسم (المتكبر) من الأسماء الحسنى الثابتة بنص القرآن الكريم وإجماع أهل العلم، وهو دالٌّ على وصف الله تعالى بالكبرياء، كما يليق بالله تعالى، دون تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

الأدلة:

ورد اسم المتكبر في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما في الحديث القدسي: «العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبتة»^(٤).

(١) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٥)، وشأن الدعاء (٤٨)، وفقه الأسماء الحسنى (٢٦٢).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٢٠).

(١) انظر: شأن الدعاء (٤٨) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، والحجة في بيان المحجة (١/١٤٧) [دار الراية، ط ١، ١٤١١هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدى (٢٣٥) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٦٢) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ].
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٣/٣٠٤، ٣٠٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وتفسير البغوي (٨/٨٨) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ]، وزاد المسير (٨/٢٢٧، ٢٢٨) [المكتب الإسلامي، ط ٣]، وتفسير القرطبي (١٨/٤٧) [دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ]، وتفسير ابن كثير (٨/٨٠) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وتفسير السعدى (٩٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن خزيمة: «وربنا الجبار المتكبر، فقال: ﴿السَّكَنُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمُّ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]»^(١).

وقال السعدي عند تفسير الآية: «اشتملت على أسماء الله الحسنى وأوصافه العلاء»، وذكر منها: المتكبر، وقال: «الذي له الكبرياء والعظمة المنتزه عن جميع العيوب والظلم والجور»^(٢).

وقال قوام السنة الأصبهاني: «أثبت الله العِزَّةَ والعِظَمَةَ والقدرة والكبر والقوة لنفسه في كتابه»^(٣).

وقال ابن تيمية: «فالكبرياء والعظمة له بمنزلة كونه حيًّا قيومًا قديمًا واجبًا بنفسه، وأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، وأنه العزيز الذي لا ينال، وأنه قهار لكل ما سواه»^(٤).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: التكبر من الصفات المختصة بالله ﷻ ولا تليق بأحد سواه:

فالله ﷻ هو وحده الملك وما سواه مملوك، وهو وحده الرب وما سواه مربوب، وهو الخالق وحده وما سواه مخلوق، المتفرد ﷻ بصفات الكمال والجمال والعظمة والجلال، لا يلحقه

فيها نقص بحال من الأحوال.

وأما العبد فهو كاسمه عبد مملوك مربوب مخلوق، مقامه الذل والخضوع والعبودية لربه وحده لا شريك له.

وأعظم ما قد يتكبر عنه العبد تكبره عن عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، والخضوع والإذعان لأوامره تبارك وتعالى، كما هو شأن إمام المتكبرين إبليس، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٦].

فكان ذلك سببًا في هلاكه وشقائه في الدنيا والآخرة، وكان سبب في هلاكه وشقاء كل من استكبر عن عبادة الله ﷻ وطاعته من الأمم والطغاة والعتاة الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم.

وقد توعد الله كل مستكبر عن عبادته وطاعته، بالخلود في العذاب، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٦].

وفي الحديث القدسي عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما عذبت»^(٥).

(١) التوحيد لابن خزيمة (٦٣/١).

(٢) تفسير السعدي (٨٥٤).

(٣) المحجة في بيان المحجة (١٩٦/٢).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣٨/٦).

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب اللباس، رقم ٤٠٩٠)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤١٧٤)، وأحمد (٤٧٣/١٤) =

- المسألة الثانية: معنى قوله ﷺ: «يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري»:

لَمَّا كَانَتِ الْعِظْمَةُ وَالْكَبْرِيَاءُ مِنْ خِصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَالْكَبْرِيَاءُ أَعْلَى مِنَ الْعِظْمَةِ، لِذَلِكَ جَعَلَهَا بِمَنْزِلَةِ الرِّدَاءِ - وَهُوَ أَشْرَفُ -، كَمَا جَعَلَ الْعِظْمَةَ بِمَنْزِلَةِ الْإِزَارِ.

كَمَا أَنَّ الْكَبْرِيَاءَ لَمَّا كَانَتْ أَعْظَمَ وَأَوْسَعَ مِنَ الْعِظْمَةِ كَانَتْ أَحَقَّ بِاسْمِ الرِّدَاءِ، فَإِنَّهُ سَبْحَانَهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى^(١).

الآثار:

مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ هُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحَقُّ لَصِفَةِ التَّكَبُّرِ وَأَمَّنْ بِمَقْتَضَى هَذَا الْأِسْمِ تَوَاضَعَ لِلَّهِ ﷻ، وَنَفَى عَنْ نَفْسِهِ أَوْصَافَ التَّعَاطُفِ وَالتَّعَالِي، فَأَخْلَصَ فِي عِبَادَتِهِ لِلَّهِ، وَتَوَاضَعَ لَخَلْقِهِ، وَلَمْ يَرِ نَفْسَهُ إِلَّا عَبْدًا ذَلِيلًا لَخَلْقِهِ وَمَوَالَاهُ، وَلَيْسَ لَهُ عَلَى خَلْقِهِ مَزِيَّةٌ وَلَا فَضْلٌ إِلَّا بِمَا فَضَّلَهُ ﷻ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ أَوْ الْإِيمَانِ، أَوْ الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ، فَكُلُّ ذَلِكَ يَرْجِعُ فِي حَقِيقَتِهِ إِلَى رَبِّهِ الْمُنْعَمِ الْمُتَفَضَّلِ وَحْدَهُ ﷻ.

وَمِنْ أَثَرِ الْإِيمَانِ بِهَذَا الْأِسْمِ أَيْضًا تَحَقُّقُ الْخَوْفِ مِنْ حَصُولِ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ الَّذِي تَوَعَّدَ اللَّهُ ﷻ وَرَسُولُهُ ﷺ كُلَّ مُتَكَبِّرٍ، كَمَا مَرَّ فِي بَعْضِ الْآيَاتِ السَّابِقَةِ، وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»^(٢)، فَيَتَعَدَّ الْعَبْدُ الْعَاقِلُ عَنْ هَذَا الْوَصْفِ الْمَذْمُومِ.

المصادر والمراجع:

- ١ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٣ - «التوحيد»، لابن خزيمة.
- ٤ - «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.
- ٥ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٦ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، لعبد الله بن محمد الغنيمان.
- ٧ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

- ٨ - «الفوائد»، لابن القيم.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١٠ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

= [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٢٨)، بلفظ: (فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٣١١). وقد جاء الحديث عند مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٢٠) بلفظ: «العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبت».

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/١٩٦)، (٢٥٣)، والفوائد لابن القيم (١٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩١).

التعريف شرعاً:

المتين: هو القوي الشديد المتناهي في القوة والقدرة، الذي لا تتناقص قوته ولا تضعف قدرته، والذي لا يلحقه في أفعاله مشقة ولا كلفة ولا تعب^(٣).

ومن فسّره بنفس معنى اسمه تعالى (القوي) لا يعني أنه مرادف له من كل وجه؛ فإن القوة تدل على القدرة التامة، والمتانة تدل على شدة القوة. فالله ﷻ من حيث إنه بالغ القدرة تامها قوي، ومن حيث إنه شديد القوة متين^(٤).

الحكم:

يجب الإيمان بهذا الاسم (المتين)، وما دلّ عليه من صفة المتانة؛ لدلالة القرآن الكريم على ذلك، ويجب إثبات ذلك لله تعالى، كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا

(٧٥٨) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٥٩١) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٨٥٣/٢) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٥٥) [دار الثقافة العربية، ط ١، ١٩٧٤م]، شأن الدعاء (٧٧) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، أحكام القرآن لابن العربي (٣٤٥/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١]، فقه الأسماء الحسنى (١٥٥) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٤) انظر: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٩٩، ١٠٠) [دار الكتب العلمية]، ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات (٢٩٨) [دار الكتاب العربي، ط ٢].

المتكلم

يراجع مصطلح الكلام

المتين

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الميم والتاء والنون أصل صحيح واحد يدل على صلابة في الشيء مع امتداد وطول»^(١).

والمتين بوزن (فعليل) صفة مشبهة، أصله الثلاثي: (متن) الدال على صلابة في الشيء مع امتداد وطول، يقال: مَتَّنَ يمتن متانة فهو متين؛ إذا قوي واشتد وصلب، والمتن من الأرض ما صلب وارتفع وانقاد، وجمعه: مِتان ومتون، ومَتَّنَ كل شيء ما ظهر منه.

والمتين من كل شيء: القوي الشديد، يقال: حبل متين، ورأي متين. ومَتَّنَ الشيء: صَيَّرَهُ مَتِينًا.

والمماتنة: المباعدة في الغاية، يقال: سار سيرًا مماتنًا؛ أي: بعيدًا، ويقال أيضًا: ماتن فلان فلانًا؛ إذا عارضه في جدل وخصومة^(٢).

(١) مقاييس اللغة (٤٩٧/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣٠٦، ٣٠٥/١٤) [الدار المصرية]، والصحاح (٢٢٠٠/٦) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن

تعطيل، ولا تمثيل^(١).

الأدلة:

صفات الجبروت، وهو من حيث المعنى
توكيد للقوي^(٤).

وقال ابن جرير الطبري: «والصواب
من القراءة في ذلك عندنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ﴿٥٨﴾ رفعا على أنه
من صفة الله جل ثناؤه؛ لإجماع الحجة
من القراءة عليه^(٥).

وقال البغوي: «﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ﴿٥٨﴾
هو القوي المقتدر المبالغ في القوة
والقدرة^(٦).

وقال ابن عثيمين: «في هذه الآية
إثبات اسمين من أسماء الله، هما:
الرزاق والمتين، وإثبات ثلاث صفات،
وهي: الرزق والقوة، وما تضمنه اسم
المتين^(٧).

وقال عبد العزيز السلمان: «ومن
أسمائه تعالى المتين، والمتانة تدل على
القوة، فالله تعالى بالغ القوة
والقدرة^(٨). وقال أيضاً: «وما يؤخذ من
الآية إثبات المتانة وهي من الصفات
الذاتية^(٩).

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢٠٥/١).

(٥) تفسير الطبري (٧٦٤٢/٩).

(٦) تفسير البغوي (١٤٣/٥) [دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٧) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢٠٥/١).

(٨) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة
الواسطية (٤٤).

(٩) الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية (١٤٤) رئاسة
إدارة البحوث العلمية وإفتاء، ط ١١، ١٩٨٢م.

ورد اسم المتين في القرآن الكريم مرة
واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ
ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ﴿٥٨﴾ [الذاريات].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:
أقرأني رسول الله ﷺ: «إني أنا الرزاق
ذو القوة المتين»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:
﴿الْمَتِينُ﴾ ﴿٥٨﴾: «الشديد»^(٣). قال ابن
عثيمين معلقاً على قول ابن عباس
المذكور: «أي: الشديد في قوته،
الشديد في عزته، الشديد في جميع

(١) انظر: تفسير البغوي (١٤٣/٥) [دار الفكر، ط ١، ١٤٢٢هـ]، ومختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية
على العقيدة الواسطية (٤٤) [مطابع المدينة، ط ١٣، ١٤٢١هـ]، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين
(٢٠٥/١) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط ٦، ١٤٢١هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الحروف والقراءات، رقم
٣٩٩٣)، والترمذي (أبواب القراءات، رقم ٢٩٤٠)
وقال: حسن صحيح، وأحمد (٦/٢٨٥) [مؤسسة
الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم
٢٩٨٣) وصححه، وصححه الألباني في صحيح سنن
أبي داود (٢/٤٩٣، رقم ٣٩٩٣) [مكتبة المعارف،
الرياض، ط ٢، ١٤٢١هـ].

(٣) أخرجه الطبري في التفسير (٧٦٤٢/٩) [دار السلام،
القاهرة، ط ٣، ١٤٢٩هـ]، وابن أبي حاتم (١٠/
٣٣١٣) [المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ]، والبيهقي في
الأسماء والصفات (١١٨/١) [مكتبة السوادى، ط ١،
١٤١٣هـ]، كما في الصحيح الميسور (٣٩٢/٤) [دار
المآثر، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

✽ المسائل المتعلقة:

✽ الثمرات:

- المسألة الأولى: حكم الإخبار عن الله بأنه شديد:

المتين معناه: الشديد، البالغ في الشدة والقوة غايتها، ولكن المتين من أسماء الله تعالى دون الشديد؛ لورود الأول في النص دون الثاني، ولكن يجوز الإخبار به؛ لأن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء، قال ابن عثيمين: «يجوز أن نخبر عن الله بأنه شديد، ولا نسمي الله بالشديد، بل نسميه بالمتين؛ لأن الله سمى نفسه بذلك»^(١). فباب الأسماء والصفات توقيفي، ويجب الوقوف في هذا الباب على ما جاء به الكتاب والسنة، ويجب التقيد بألفاظهما، ولا يتجاوز القرآن والحديث.

✽ الفروق:

الفرق بين القوي والمتين:

هناك فرق بين اسم الله تعالى القوي والمتين؛ فإن المتين فيه زيادة معنى عن القوي؛ فالقوة تدل على القدرة التامة، والمتانة تدل على شدة القوة.

فالله **وَعَلَى** من حيث إنه بالغ القدرة تامها قوي، ومن حيث إنه شديد القوة متين^(٢).

إن الله قوي متين، بالغ في القوة والقدرة والشدة غايتها، وأي قوة مهما عظمت فلن تقابل قوة الله تعالى، فهو سبحانه لا يعجزه شيء، ولا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه راد، فمن نصره الله فهو منصور، ومن خذله الله فهو مخذول، وهذا يوجب الخضوع لله، والانكسار بين يديه، والخوف منه، واللجوء إليه، والاعتصام به، والتوكل عليه، وتفويض الأمور إليه، والتبرؤ من الحول والقوة إلا به سبحانه^(٣)، قال تعالى: ﴿إِنْ يَصْرُكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَصْرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة].

قال ابن عثيمين: «الفائدة المسلكية في الإيمان بصفة القوة والرزق: أن لا نطلب القوة والرزق إلا من الله تعالى، وأن نؤمن بأن كل قوة مهما عظمت، فلن تقابل قوة الله تعالى»^(٤).

✽ الآثار:

لا شك أن الله **وَعَلَى** قوي متين، ومن

(٩٩، ١٠٠) [دار الكتب العلمية]، ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات (٢٩٨).

(٣) انظر: فقه أسماء الله الحسنى لعبد الرزاق البلر (١٥٧) [مطابع الحمضي، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٢٠٥).

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٢٠٥).

(٢) انظر: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى

لأن الله وَجَلَّ غاير بين الوصفين، فوصف نفسه بالقوة وبالمتن في هذه القوة، وهو يفيد كمال هذه الصفة والمبالغة فيها وحصول الغاية والنهاية فيها.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «أسماء الله الحسنى»: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة، لماهر مقدم.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٤ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.
- ٥ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٦ - «صفات الله وَجَلَّ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلي بن عبد القادر السقاف.
- ٧ - «فقه أسماء الله الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٨ - «الكواشف الجلية عن معاني الواسطية»، لعبد العزيز السلطان.
- ٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

المثل الأعلى

التعريف لغة:

المثل: قال ابن فارس: «الميم والثاء

شواهد قوته الكاملة وقدرته التامة المشار إليها في الآية المذكورة: أنه سبحانه تكفل بإيصال الرزق إلى جميع العالمين، ولا يستطيع ذلك أحد سواه، بل لا يستطيع أحد أن يضيق عطاء الله لأحد أو يمنع عنه ما أراد الله له، ولو اجتمع لذلك الخلق كله، فلا حول ولا قوة إلا بالله تعالى^(١).

مذهب المخالفين:

ذهب بعض من فسر هذا الاسم إلى أن إطلاق هذا اللفظ في حق الله مجاز، بناءً على أن المدلول اللغوي لهذا الاسم يدور حول الغلظة والشدة والصلابة، وهذا في حق الله محال؛ وإنما المراد به وصف الله بالقوة والمبالغة في ذلك^(٢).

والصواب: أنه لا داعي لهذا التأويل؛ لأن حبر هذه الأمة فسر المتين بالشديد، وكذلك وافقه على ذلك الكثير من الشراح والمفسرين، وهذا المعنى هو أحد المعاني المباشرة التي يدل عليها هذا الاسم في اللغة، وتفسيره باللازم مع دعوى أن حقيقته مجاز خطأ لا محالة؛

(١) انظر: تفسير السعدي (١١٣) [دار الصميعي، ط ١، ١٤١٨هـ]، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (١٢٨، ١٢٩) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط ٤، ١٤٣١هـ].

(٢) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٩٤) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]، ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات (٢٩٩).

الكمال المطلق، المتضمن للأمر الوجودية، والمعاني الثبوتية.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فإن مثل السوء هو العدم وما يستلزمه، وضده المثل الأعلى: وهو الكمال المطلق، المتضمن للأمر الوجودية، والمعاني الثبوتية، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل، كان أعلى من غيره»^(٥).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «والله المثل الأعلى؛ أي: الكمال المطلق من كل وجه، وهو منسوب إليه»^(٦).

الحكم:

يجب إثبات المثل الأعلى لله رَحِمَهُ اللهُ، والإيمان به، وأنه مختص به، دون ما سواه، مع تنزيهه عن النقص والعيب، والتمثيل بالمخلوقات^(٧).

الحقيقة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فإن قلت: ما حقيقة المثل الأعلى؟ قلت: قد أشكل هذا على جماعة من المفسرين، واستشكلوا قول السلف فيه، قلت: المثل الأعلى يتضمن الصفة العليا، وعلم العالمين بها، ووجودها العلمي،

(٥) مختصر الصواعق المرسلة (٢/٣٩٥) [أضواء السلف، ١٥، ١٤٢٥هـ]

(٦) تفسير ابن كثير (٢/٥٧٤) [دار الفكر، ١٤٠١هـ].

(٧) مجموع الفتاوى (٣/٣٠) [مكتبة ابن تيمية، ٢٥].

واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا؛ أي: نظيره، والمثل والمثال في معنى واحد»^(١).

المثل: في اللغة يطلق على عدة معان؛ أحدها: الصفة، فمثل الشيء: صفته. الثاني: الشبيه والنظير. الثالث: المثل المضروب، وهو القول السائر، الممثل مضربه بمورده غالباً^(٢).

الأعلى: قال ابن فارس: «العين واللام والحرف المعتل - ياء كان أو واواً أو ألماً - أصل واحد يدل على السمو والارتفاع لا يشذ عنه شيء، ومن ذلك: العلاء والعلو، ويقولون: تعالى النهار؛ أي: ارتفع»^(٣).

الأعلى: أفعل تفضيل، وهو مشتق من الفعل علا، والأعلى: ذو العلاء والعُلا، والعلا: جمع اسم الأعلى، وهو بمعنى العالي، والعلاء: الشرف، وذو العلاء صحاب الصفات العلاء^(٤).

التعريف شرعاً:

المثل الأعلى: هو الصفة العليا، وهو

(١) مقاييس اللغة (٥/٢٩٦) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٥/٩٥) [الدر المصرية للتأليف، ومقاييس اللغة (٥/٣٣٩)، والصاح (٥/١٨١٦) [دار العلم للملايين، ٤، ١٤٠٧هـ].

(٣) مقاييس اللغة (٤/١١٢).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (٣/١١٨، ١١٩) [دار إحياء التراث العربي، ١٥، ٢٠٠١م]، ولسان العرب (٩/٣٨٧) [دار إحياء التراث العربي، ٣، ١٤١٩هـ].

والخبر عنها وذكرها، وعبادة الرب سبحانه بواسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه وذاكره^(١).

❁ الأهمية:

معرفة المثل الأعلى من مُهِمَّات العقيدة؛ لأن الرب تبارك وتعالى تمدح بالتفرد به، وجعله طريقاً لمعرفته، وبرهاناً على توحيده، وأدلة التوحيد دائرة مع المثل الأعلى وجوداً وعدمًا، ولهذا جعل الله مثل السوء المتضمن لكل عيب ونقص للمشركين، وآلهتهم المزعومة، وأخبر أن المثل الأعلى المتضمن لجميع صفات الكمال لله وحده، وهذا التلازم يدل على بطلان الشرك، وصحة التوحيد ضرورة^(٢).

❁ الأدلة:

وصف الله تعالى نفسه بأن له المثل الأعلى، فقال ﷻ: ﴿لَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم].

❁ أقوال أهل العلم:

قال البغوي رحمه الله: «ولله المثل الأعلى الصفة العليا، وهي التوحيد، وأنه

وقال ابن تيمية رحمه الله: «قد علمنا بطريق خبر الله ﷻ عن نفسه، بل وبطريق الاعتبار أن لله المثل الأعلى، وأن الله ﷻ يوصف بصفات الكمال، موصوف بالحياة والعلم والقدرة، وهذه صفات كمال، والخالق أحق بها من المخلوق، فيمتنع أن يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق»^(٤).

وقال ابن القيم رحمه الله: «ولما كان الرب هو الأعلى، ووجه الأعلى، وكلامه الأعلى، وسمعه الأعلى، وسائر صفاته عليا، كان له المثل الأعلى، وهو أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان؛ لأنهما إن تكفأ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافأ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل ونظير، وهذا برهان قاطع من إثبات صفات الكمال، على استحالة التمثيل والتشبيه، فتأمله فإنه في غاية الظهور والقوة»^(٥).

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٣٩٦ - ٣٩٨).

(٢) انظر: حقيقة المثل الأعلى لعيسى السعدي (١٢٠)،

(١٢١) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٧هـ].

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٧٣) [دار المعرفة].

(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٥٠).

(٥) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٣٩٦ - ٣٩٨).

- وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: «وهو كل صفة كمال، والكمال من تلك الصفة، والمحبة، والإنابة التامة الكاملة في قلوب عباده المخلصين، والذكر الجليل، والعبادة منهم، فالمثل الأعلى: هو وصفه الأعلى، وما يترتب عليه»^(١).
- ٢ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
- ٣ - «التدمرية»، ابن تيمية.
- ٤ - «التحفة المهدية شرح التدمرية»، لفالح آل مهدي.
- ٥ - «الجواب الصحيح» (ج ٤)، لابن تيمية.
- ٦ - «حقيقة المثل الأعلى وآثاره»، لعيسى بن عبد الله السعدي.
- ٧ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.
- ٨ - «مختصر الصواعق المرسلة» (ج ٢)، لابن القيم.
- ٩ - «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات»، لمحمد الأمين الشنقيطي.
- ١٠ - «المقارنة بين المثل الأعلى لله ﷻ وبين قياس الأولى في حقه ﷻ»، لمحمد أبو سيف الجهني.
- ١١ - «النفي في باب صفات الله ﷻ بين أهل السنة والجماعة والمعطلة»، لأرزقي سعيداني.

الثمرات:

معرفة الرب وعبادته هي الثمرة العظمى للمثل الأعلى، وهي ثمرة فطرية عقلية، فالإيمان بها مستقر في قرارة القلوب، وأدلتها ظاهرة في الأنفس والآفاق.

وكمال العلم بمثل الرب الأعلى وصفات كماله يثمر في حياة المؤمن صدق العبادة والاستعانة، وهما أصلا السعادة في الدنيا والآخرة، وكل نوع من صفات الكمال يثمر عبادات قلبية خاصة تدفع الجوارح لفعل الطاعة وترك المعصية، وتصونها عن الشرك بمظاهره وأنواعه^(٢).

المجد

يراجع مصطلح (المجيد).

المجيء والإتيان

التعريف لغة:

المجيء: قال ابن فارس: «الجيم والياء والهمزة كلمتان من غير قياس بينهما. يقال: جاء يجيء مجيئًا. ويقال:

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد»، لسعود بن عبد العزيز العريفي.

(١) تفسير السعدي (٧٥١) [دار السلام، ط ٢، ١٤٢٢هـ]، وانظر منه: (٥١٤).

(٢) انظر: حقيقة المثل الأعلى وآثاره (١٢٠، ١٢١).

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

الحقيقة:

يوصف الله تعالى بالإتيان والمجيء حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته سلطانه، مع انتفاء المماثلة بينه وبين خلقه، فهو سبحانه يأتي إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، ويأتي إلى السماء الدنيا عشية يوم عرفة وبياهي بهم الملائكة، ويأتي يوم القيامة للقضاء بين عباده حقيقة، ولا يعلم كيفية إتيانه ومجيئه إلا هو ﷻ؛ لأن الخوض في الكيفية خوض فيما لا مدرك للعقل فيه، ولا يمكن الوصول إليه، إلا بوحى منزل، وقد جاء القرآن والسنة بإثبات ذلك على المعلوم المعهود من لغة العرب، ولم يأت بذكر الكيفية، فوجب الكف عن الخوض فيها^(٥).

الأدلة:

ما جاء بلفظ المجيء: قال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ [الفجر].

(٥) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٧)، والفتوى الحموية الكبرى (٤٥ - ٥٦) [دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ].

جاءاني فجئته؛ أي: غالبني بكثرة المجيء، فغلبته. والجئته: مصدر جاء. والجئته: مجتمع الماء حوالي الحصن وغيره. ويقال: هي جئته؛ بالكسر والتثقيب^(١). والمراد هنا هو المعنى الأول، فالمجيء في اللغة هو الإتيان، يقال: جاء يجيء مجيئًا، ويقال: جاءاني فجئته؛ أي: غالبني بكثرة المجيء فغلبته^(٢).

والإتيان: الهمزة والتاء والواو أصل يدل على مجيء الشيء وإصحابه وطاعته، تقول: أتاني فلانٌ إتيانًا وأتيًا وأتيةً وأتوةً واحدة^(٣).

التعريف شرعًا:

المجيء والإتيان: صفتان فعليتان خبريتان، ثابتان لله ﷻ بالكتاب والسنة، فهو سبحانه يجيء ويأتي يوم القيامة للفصل والقضاء بين عباده، بمشيئته وقدرته، وذلك كما يليق بجلاله وعظمته^(٤).

(١) مقاييس اللغة (٢٥٥/١) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٢٥٥/١)، والصاح (٤٢/١) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م].

(٣) مقاييس اللغة (٤١/١)، ولسان العرب (٣٦/١).

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية لهراس (١١٢) [دار الهجرة]، والصفات الإلهية لمحمد أمان الجامي (٢٤٨ - ٢٥٧) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط ١، ١٤٠٨هـ]، وصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (٤٥ و ٣١٠) [دار الهجرة الرياض، ط ٣].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ يرويه عن ربه قال: «إذا تقرب العبد إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإذا تقرب إلي ذراعًا تقربت منه باعًا، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة»^(٢).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﻋَﻠَﻴْكَ: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو الحسن الأشعري: «وأجمعوا على أنه ﻋَﻠَﻴْكَ يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفاً»^(٤).

وقال أبو نعيم الأصبهاني: «وأجمعوا أن الله فوق سماواته عال على عرشه مستو عليه، وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده

ما جاء بلفظ الإتيان: قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظَرُونَ﴾ [الأنعام].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في القمر ليلة البدر؟». قالوا: لا، يا رسول الله. قال: «فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟». قالوا: لا، يا رسول الله. قال: «فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها - شك إبراهيم - فيأتيهم الله، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه» الحديث^(١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٣٦)، وأخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٧).

(٤) رسالة إلى أهل الثغر (٢٣٦) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط ٢، ١٤٢٧هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٣٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٢).

رسول الله ﷺ: «يُنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»^(٤) عندهم مثل قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا بَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ومثل قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر]، كلهم يقول: ينزل ويتجلّى ويجيء، بلا كيف، لا يقولون: كيف يجيء؟ وكيف يتجلّى؟ وكيف ينزل؟ ولا من أين جاء؟ ولا من أين تجلّى؟ ولا من أين ينزل؟ لأنه ليس كشيء من خلقه، وتعالى عن الأشياء، ولا شريك له»^(٥).

وقال ابن تيمية: «وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده؛ فهذا يشبه من ثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واستواءه على العرش. وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر»^(٦).

وقال ابن القيم: «وصف نفسه بالسمع والبصر والفعل باليدين والمجيء والإتيان، وذلك ضد صفات الأصنام التي جعل امتناع هذه الصفات عليها منافياً لإلهيتها»^(٧).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٩٤)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٥٨).

(٥) التمهيد (١٥٣/٧) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، ١٣٩٩هـ].

(٦) مجموع الفتاوى (٤٦٦/٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٧) الصواعق المرسلّة (٩١٥/٣، ٩١٦) [دار العاصمة الرياض، ط ٣، ١٤١٨هـ].

والملائكة صفًا صفًا، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر]، وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، فيغفر لمن يشاء من مذنبى الموحدين ويعذب من يشاء»^(١).

وقال أيضًا: «وأجمعوا أن الله فوق سماواته عال على عرشه مستو عليه وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده والملائكة صفًا صفًا، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر]، وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، فيغفر لمن يشاء من مذنبى الموحدين ويعذب من يشاء»^(٢).

وقال أبو عثمان الصابوني في بيانه لعقيدة السلف: «وكذلك يشبتون ما أنزله الله عز اسمه في كتابه من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقوله عز اسمه: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر]»^(٣).

وقال ابن عبد البر: «وقول

(١) نقله عنه ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى (٤٥) - (٥٦) [دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٢) نقله عنه ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى (٤٥، ٥٦).

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٧).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: إثبات المجىء والإتيان لله تبارك وتعالى لا يلزم منه تشبيه الخالق بالمخلوق:

إثبات المجىء والإتيان وعدّها من صفات الله تعالى الفعلية الخبرية، لا يستلزم مماثلتها لمجىء الخلق وإتيانهم، بل هو إتيان ومجىء خاص به ﷺ لا يماثلها فيه شيء، والاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات، والاتفاق في الاسم الكلي المطلق لا يستلزم الاتفاق بعد الإضافة والتقييد والتخصيص، فكما أن ذاته ﷺ لا يماثلها شيء من الذوات فكذلك صفاته تعالى لا يماثلها شيء لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

- المسألة الثانية: الإتيان والمجىء من الله تعالى نوعان: مطلق ومقيد:

إذا كان مجىء رحمته أو عذابه كان مقيداً، كما في الحديث حتى جاء الله بالرحمة والخير، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، والنوع الثاني: المجىء والإتيان المطلق؛ كقوله ﷻ: ﴿وَجَاءَ رُكُوكُكَ وَالْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢] وهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه^(١).

- المسألة الثالثة: لا بد من النظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه وما يبين معناه من القرائن والدلالات:

هذا أصل عظيم ونافع جداً في فهم الكتاب والسنة والاستدلال بهما، فالنصوص الدالة على مجىء الله تعالى وإتيانه سبحانه قد يراد بها مجىء الله وإتيانه، وقد يراد بها غير ذلك. قال ابن تيمية: «وينظر في النص الوارد، فإن دلّ على هذا حمل عليه، وإن دلّ على هذا حمل عليه، وهذا كما في لفظ الإتيان والمجىء، وإن كان في موضع قد دلّ عندهم على أنه هو يأتي، ففي موضع آخر دلّ على أنه يأتي بعذابه، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَقْ أَفَّ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، وقوله: ﴿فَأَنزَلْنَاهُمْ لَللَّهُ مِّنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢] فتدبر هذا، فإنه كثيراً ما يغلط الناس في هذا الموضع^(٢). فالإتيان والمجىء قد يراد بهما إتيان الرب تعالى ومجيئه سبحانه، وقد يراد بهما إتيان عذاب الله أو آياته، فلا بد من النظر في النص الوارد في ذلك وما احتفت به من القرائن والأحوال والسياق والسباق.

✽ الآثار:

من آثار الإيمان بصفة الإتيان لله ﷻ الخوف من هذا المقام في ذلك المشهد

العظيم الذي يأتي فيه الرب وَجَّكَ للفصل بين عبادته وتنزل الملائكة وتصطف، ولا منجى يومئذ إلا برحمة الله، فالإيمان بهذه الصفة يولد للإنسان رهبة وخوفًا من الله وَجَّكَ واستقامة على دينه ^(١).

✽ مذهب المخالفين:

المجيء صفة من الصفات الفعلية الاختيارية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلائية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية ^(٢).

ونفاة هذه الصفة يؤوّلون النصوص الواردة فيها بظهور آياته أو إتيان بأسه وعذابه ونقمته، وهذا كله من التأويلات البعيدة يردّها النظم القرآني؛ لأن الله تعالى ذكر في القرآن الكريم مجيئه ومجيء الملائكة، بل ذكر إتيانه وإتيان الملائكة وإتيان بعض آياته في آية واحدة، فإن كان الذي يأتي ملكًا فهو

(١) انظر: شرح الواسطية للعثيمين (١/٢٨٣).

(٢) انظر من كتب أهل السُّنة: نقض الدارمي على المريسي (١٥٤ - ١٦١) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ]، ومختصر الصواعق المرسلة (١٠٦/٢ - ١٠٩)، وانظر من كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٢٢٩، ٢٣٠) [مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ]، وتفسير الكشف للزمخشري (١/٤١٩ - ٢/٤١٥ و ٦/٣٧٣) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ]، ومن كتب الماتريدية: مدارك التنزيل للسنفي (١/١٠٠ و ٣٥٤ و ٤/٣٣٨).

داخل في مجيء الملائكة، وإن كان شيئًا غير الملك فهو آية من آيات الله فيكون داخلًا في إتيان الآيات، ولذلك تفسير إتيان الرب في الآيات المذكورة بمجيء أمره وعذابه وآياته دون إتيان الرب وَجَّكَ تفسير خاطئ وتأويل باطل، وكلام الله تعالى منزّه عن الحشو والركاكة والتكرار المستهجن.

والقول الحق: أنه يجب إثبات هذه الصفة لله وَجَّكَ كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة الكتاب والسُّنة على ذلك.

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ٢)، للتمي.
- ٢ - «رسالة إلى أهل الثغر»، لأبي الحسن الأشعري.
- ٣ - «شرح العقيدة الواسطية»، لمحمد خليل هراس.
- ٤ - «صفات الله وَجَّكَ الواردة في الكتاب والسُّنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ٥ - «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، للصابوني.
- ٦ - «الفتوى الحموية الكبرى»، لابن تيمية.
- ٧ - «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى»، لابن عثيمين.

تفاخروا وأظهروا المجد فيما بينهم،
وأمجّد عطاءه ومجّد؛ إذا كثّره، والمآجد
والمجيد: الشريف الكثير الخير^(٣).

✽ التعريف شرعاً:

المجيد: من الأسماء الدالة على
أوصاف كثيرة، ومعناه: ذو المجد، وهو
السعة في الشرف والكرم والجود،
فالله ﷻ هو المجيد في أوصافه وأفعاله
وأقواله، فالمجد يرجع إلى عظمة
أوصافه وكثرتها وسعتها، وإلى عظمة
ملكه وسلطانه، وإلى تفردّه بالكمال
المطلق، والجلال المطلق، والجمال
المطلق، ولا يمكن للعباد أن يحيطوا
بشيء من ذلك كله^(٤).

✽ الحكم:

وجوب الإيمان بأن المجيد من
أسماء الله الحسنى، وأن المجد صفة
ذاتية ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٠/٦٨٢، ٦٨٣) [الدار
المصرية]، والصاح (٢/٥٣٦، ٥٣٧) [دار العلم
للملايين، ط٤]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب
(٧٦١، ٧٦٠) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]،
والقاموس المحيط (٤٠٦) [مؤسسة الرسالة، ط٥]،
والمعجم الوسيط (٢/٨٥٤) [دار إحياء التراث
العربي].

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٦)،
(٢٣٧) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢،
١٤٢٣هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٠٢) [دار
التوحيد، ط١، ١٤٢٩]، النهج الأسامي في شرح
أسماء الله الحسنى (١/٤٣١) [مكتبة الذهبي، ط٢،
١٤١٧هـ].

٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٥ و٦)،
لابن تيمية.

٩ - «مختصر الصواعق المرسلّة»
(ج ٢)، لابن القيم.

١٠ - «نقض عثمان بن سعيد على
المريسي الجهمي العنيد فيما افتري
على الله في التوحيد»، للدارمي.

✽ المجيد ✽

✽ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الميم والجيم
والدال أصل صحيح يدلّ على بلوغ
النهاية، ولا يكون إلا في محمود، منه
المجد: بلوغ النهاية في الكرم، والله
المآجد والمجيد، لا كرم فوق كرمه»^(١).
وقال الجوهري: «المجد: الكرم،
والمجيد: الكريم»^(٢).

والمجيد: بوزن (فعليل) صيغة مبالغة
من الثلاثي (مَجَّدَ) الدالّ على بلوغ
النهاية والغاية في الشيء، ولا يكون إلا
في المحمود، يقال: مَجَّدَ يَمَجِّدُ مَجْدًا
وتمجيدًا فهو مآجد ومجيد، وفلان مآجد
فلاّنًا في المجد فَمَجَّدَه؛ إذا غلبه في
المجد، وهو: الشرف والنبل والسعة في
المكارم والجلال، وتماجد القوم: إذا

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٩٩) [دار الكتب العلمية،
١٤٢٠هـ].

(٢) الصاح (٢/٥٣٦) [دار العلم للملايين، ط٤].

وعظمته، وقد جاء بيان ذلك وإثباته في الكتاب والسنة^(١).

❁ الحقيقة:

إبراهيم إنك حميد مجيد. اللَّهُمَّ بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن قتيبة: «مجد الله: شرفه، وكرمه»^(٤).

وقال ابن الأثير: «المجد في كلام العرب: الشرف الواسع»، وقال عن اسم الله المجيد بأنه «يجمع معنى الجليل والوهاب والكريم»^(٥).

وقال ابن القيم: «وأما المجد فهو مستلزم للعظمة والسعة والجلال؛ كما يدل عليه موضوعه في اللغة؛ فهو دالٌّ على صفات العظمة والجلال، والحمد يدل على صفات الإكرام، والله سبحانه ذو الجلال والإكرام، وهذا معنى قول العبد: (لا إله إلا الله، والله أكبر)؛ فـ (لا إله إلا الله) دال على ألوهيته وتفرده فيها، فـ (الله أكبر) مستلزم محبته التامة، و(الله أكبر) دالٌّ على مجده وعظمته، وذلك يستلزم تمجيدته وتعظيمه

اسم الله المجيد يتضمن عظمة الصفات وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه، فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته»^(٢).

❁ الأدلة:

ورد اسم المجيد في موضعين من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود]، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [دو] **الْعَرْشِ الْمَجِيدُ** [١٥] [البروج].

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: سألنا رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم، قال: «قولوا: اللَّهُمَّ صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٧٠)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٦).

وانظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٧٩ - ٨٢) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩].

(٤) غريب القرآن (١٩) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ].

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٩٨/٤) [المكتبة العلمية، بيروت].

(١) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (٣١٠) [دار الهجرة الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ] ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٨١) [مكتبة العيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٢٨) [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط٢، ١٤١٢هـ].

وممن أورد هذا الاسم ابن منده، والأصبهاني، وابن تيمية^(٥).

والصحيح: أن الاسم لا يثبت لعدم صحة إسناد الرواية التي ورد فيها ذكر هذا الاسم، والله أعلم.

- المسألة الثانية: اقتران المجيد باسم الحميد:

ورد في بعض النصوص اقتران اسم الجلال المجيد باسمه الحميد. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالحمد يتناول جنس المحامد، والثناء يقتضي تكريرها وتعييدها والزيادة في عددها، والمجد يقتضي تعظيمها وتوسيعها والزيادة في قدرها وصفتها، فهو سبحانه مستحق للحمد والثناء والمجد، ولا أحد يحسن أن يحمده كما يحمد نفسه، ولا يثني عليه كما يثني على نفسه، ولا يمجّده كما يمجّد نفسه»^(٦).

والورع، رقم ٢٤٩٥) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٥٧)، وأحمد (٢٩٤/٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٥٣٧٥)، والحديث أصله في صحيح مسلم، وليس فيه جملة: (إني جواد ماجد).

(٥) انظر: التوحيد لابن منده (١٧٨/٢) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط ٢]، والحجة في بيان المحجة (١٦٢/١) [دار الراية، ط ١، ١٤١١هـ]، ودرء التعارض (٤/١٨) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ٢، ١٤١١هـ].

(٦) درء التعارض (١٧/٤، ١٨)، وانظر: التبيان في أقسام القرآن (١٢٥، ١٢٦) [دار إحياء العلوم، ط ١، ١٤٠٩هـ]، وأسماء الله الحسنى لمأهر مقدم (٩٠) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط ٤، ١٤٣١هـ].

وتكبيره؛ ولهذا يقرن سبحانه بين هذين النوعين في القرآن كثيراً؛ كقوله: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ، عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود] (١).

وقال السعدي: «(المجيد) الذي له المجد العظيم، والمجد هو عظمة الصفات وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه، فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، التقدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته»^(٢). وقال أيضاً: «هو الموصوف بصفات المجد والكبرياء والعظمة والجلال»^(٣).

✻ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اسم الماجد.

استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بالحديث القدسي الذي فيه: «يقول الله تعالى: إني جواد ماجد واجد، إنما أمري إذا أردت شيئاً أن أقول له كن فيكون»^(٤).

(١) جلاء الأفهام (٣٦٧) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٢) الحق الواضح المبين (٢٢٨) [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط ٢، ١٤١٢هـ].

(٣) تفسير السعدي (٦٢٢/٥)، ملحق في آخر الجزء بعنوان: أصول وكمليات من أصول التفسير [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط ٢، ١٤١٢هـ].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرفائق

لحصول الكمال، وحتى يصل بتوحيده إلى الفردوس الأعلى في درجة الأنبياء والصديقين والشهداء والأبرار والصالحين.

المصادر والمراجع:

- ١ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٤)، لابن تيمية.
- ٢ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.
- ٣ - «جلاء الأفهام»، لابن القيم.
- ٤ - «تفسير السعدي».
- ٥ - «الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين»، للسعدي.
- ٦ - «شرح القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، للسعدي.
- ٧ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

- ٨ - «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، لابن القيم.
- ٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.
- ١٠ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن حمود النجدي.

- المسألة الثالثة: ختم التشهد باسم المجيد:

أشار الإمام ابن القيم إلى المعنى اللطيف الذي من أجله خُتم التشهد باسمه تعالى: المجيد، فقال: «وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترنًا بطلب الصلاة من الله على رسوله؛ كما علمناه ﷺ؛ لأنه في مقام طلب المزيد؛ والتعرض لسعة العطاء وكثرته ودوامه، فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه»^(١). لأن المجد يدل على كثرة أوصاف الكمال، وكثرة أفعال البر والخير، وتعدد العطايا والنوال، فناسب أن يكون ذلك ختامًا لأحد أعظم المطالب.

الفرق:

الفرق بين الماجد والمجيد:

الفرق بين الماجد والمجيد حصول المبالغة في معنى المجيد الذي هو مطابق لمعنى الماجد، لغة.

الآثار:

أثر هذا الاسم على العبد يتجلى في أن يعظم الله ﷻ في قلبه، بما استحقه تعالى من كمال الصفات وجلال النعوت وجمال الفعال والخصال.

وعلى العبد أن يكون في قوله وفعله مترفعًا عن النقائص والعيوب؛ طلبًا

(١) بدائع الفوائد (١/١٤٤) [دار الخير، ط ١، ١٤١٤هـ].

تعالى هو على غاية الكمال، فلا نقص فيه بوجه من الوجوه، وليس فيه أي معنى من معاني الاحتياج والافتقار إلى المحبوب.

❁ الحكم:

وجوب إثبات المحبة وصفًا فعليًا لله ﷻ على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، بلا تكيف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل^(٣).

❁ الحقيقة:

حقيقة المحبة معروفة محسوسة، لا يُفسرها شيء مثل لفظها، فهو سبحانه يحب أنبياءه ورسله وأوليائه وعباده المؤمنين، ومحبتة ﷺ سالمة من عوارض المحبة للمخلوق؛ من كونها محبة حاجة أو تملق أو انتفاع^(٤).

فهي صفة فعلية ثابتة لله تعالى، بأنه تعالى يحب من عباده من أطاعه واتقاه، وهذا تفضل وإنعام على من أحبه، وهو وصف على غاية الكمال والجلال والغنى، لا يعتريه نقص، ولا يرد عليه تشبيه.

(٣) انظر: نقض الدارمي على بشر الميرسي (٢/٨٦٨)، الرسالة التدمرية (١٠)، شرح العقيدة الطحاوية (٣٩٦).

(٤) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٣/١٥٦)، بدائع الفوائد لابن القيم (٢/١٨٢)، الحق الواضح المبين لابن سعدي (٦٩)، وشرح العقيدة الواسطية لصالح الفوزان (٤٥).

❁ محاسبة الكفار

يراجع مصطلح (الحساب).

❁ المحب

يراجع مصطلح (المحبة).

❁ المحبة

❁ التعريف لغة:

الحاء والباء أصل يدلُّ على اللزوم والثبات، ومنه: الحُبُّ، والمحبة، فالحب اشتقاقه من أحبه؛ إذا لزمه^(١).
والحُبُّ: نَقِيضُ البُغْضِ. والحُبُّ: الودادُ والمَحَبَّةُ. وأَحَبُّهُ فهو مُحِبٌّ، وهو مَحْبُوبٌ^(٢).

❁ التعريف شرعًا:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى، بأنه تعالى يحب من عباده من أطاعه واتقاه، وهو وصف على غاية الكمال والجلال والغنى، لا يعتريه نقص، ولا يرد عليه تشبيه.

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، إلا أن المعنى الشرعي المتعلق بوصف الله

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/٢٦).

(٢) لسان العرب (١/٢٨٩)، القاموس المحيط (٩٠).

ورسوله، ويحبه الله ورسوله»^(٣).

وحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»^(٤).

أما الإجماع: فقد حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له، وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء عليه السلام»^(٥).

❁ أقوال أهل العلم:

ذكر النسائي بعض ما يوصف الله تعالى به فقال: «الحب والكرهية»^(٦)، وقال: «الحب والبغض»^(٧)، وذكر الأدلة في إثبات ذلك.

وقال الدارمي في رده على المريسي إنكاره بعض الصفات ومنها الحب: «وسنقص عليه بعض ما روي في بعض هذه الأبواب من الحب والبغض والسخط والكرهية وما أشبهه»^(٨)، ثم ذكر الأدلة.

وقال أبو العباس ابن تيمية: «ووصف نفسه بالمحبة ووصف عبده بالمحبة

وقد فسّر أهل العلم من السلف محبة الله بلفظها ومعناها دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه»^(١). قال ابن القيم: «محبة لمحبيه وأوليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق؛ من كونها محبة حاجة إليه أو تملق له أو انتفاع بقربه، وسلام مما يتقوله المعطلون فيها»^(٢).

❁ الأدلة:

أما أدلة الكتاب الكريم: فمنها قوله تعالى: ﴿يَتَّيِبُهُا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوِّ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مَنِيًّا وَلَوْضَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وأيضاً ورد في آيات عدة أنه يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب المتقين.

ومن السنّة المطهرة: حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠٠٩)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٦).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٦٥).

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٥٤/٢).

(٦) كتاب النعوت (٣٥٩).

(٧) المصدر السابق (٣٦٣).

(٨) نقض الدارمي على بشر المريسي (٨٦٨/٢).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨٢/٦)، وتفسير ابن كثير

(٣٥٨/١).

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم (١١٨/٢).

المعلوم أن أسماء الله تعالى توقيفية، ولم يثبت نص صحيح في إثباته اسمًا لله تعالى، ولم يرد هذا الاسم في أي من طرق حديث تعيين الأسماء المشهور^(٤).

ولم يورد هذا الاسم من أهل العلم سوى ابن العربي المالكي^(٥)، والشرباصي^(٦).

- المسألة الثانية: علامة محبة العبد لله

تعالى:

أن يحب ما يحبه الله تعالى، ويبغض ما يسخطه الله، فيمثل أوامره، ويتجنب مناهيه، ويوالي أوليائه، ويعادي أعداءه^(٧).

- المسألة الثالثة: من أسباب محبة الله

تعالى لعبده أمور عدة:

أ- اتباع النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران].

ب- عبادة الله وحده لا شريك له وعدم الإشراك به.

ج- فعل الطاعات واجتناب المعاصي، ومن ذلك:

(٤) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٧٩ - ٨٤).

(٥) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣٤٦/٢).

(٦) انظر: موسوعة (له الأسماء الحسنى) (٢/٢) [دار الجيل، ط ٣، ١٩٩٦م].

(٧) انظر: أعلام السنة المنشورة للحكمي (٩)، ومعارج القبول له (٤٢٤/٢).

فقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] ومعلوم أن مشيئة الله ليس مثل مشيئة العبد، ولا إرادته مثل إرادته، ولا محبته مثل محبته، ولا رضاه مثل رضاه^(١).

وقال ابن أبي العز: «ولكن محبة الله وخلته، كما يليق به تعالى، كسائر صفاته»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: إطلاق اسم

(المُحِب) على الله:

اشتق بعض أهل العلم من صفة المحبة اسمًا لله وهو (المحب)، والمحب (مُفْعِل) من أبنية اسم الفاعل، من: أحب يحب حبًا ومحبة فهو محب.

ولا يصح إطلاق اسم المُحِب على الله ﷻ، وإنما هو من باب الأفعال، وباب الأفعال أوسع من باب الأسماء، وليس كل ما يصح إطلاقه فعلاً يصح اسمًا، والله أعلم^(٣).

وقد استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]. ومن

(١) الرسالة التدمرية (١٠).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٣٩٦).

(٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣٤٦/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١]، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (١٠٩، ٢٤١) [أضواء السلف، ط ١].

والاختلاف ما يرجع تحديده إلى دلالة السياق.

فما يقع في هذا الوجود فهو مما أَرَادَهُ اللهُ وَحَكَمَ كَوْنًا، سواء أحبه أو لم يحبه.

وما أَرَادَهُ اللهُ شرعًا فهو ما يحبه ويرضاه سواء وقع أو لم يقع^(٢).

الثمرات:

١ - ما يورثه التفكير في الصفة من زيادة محبة الله وَحَكَمَ؛ فهو مع غناه وعظمته سبحانه يحب عبده المتقي، بل يحب عبده المذنب المقصر في حقه حين يعود إليه ويتوب! فسبحانه من رب رؤوف رحيم، جعل السبيل إلى محبته اليسير من القول والعمل، ولكن العباد يجنون على أنفسهم بالبعد والإعراض.

٢ - مسارعة المؤمن في أسباب محبة الله تعالى للعبد، وخاصة حين يعلم مدى اليسر والسهولة فيها، مما فيه الدلالة الظاهرة على لطف الله تعالى، ورحمته بعباده.

٣ - إلحاح المؤمن في الدعاء أن يرزقه الله تعالى محبته، والرضا عنه، كما في الحديث: «أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَحُبُّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يَقْرُبُ

توبة العبد إلى الله تعالى، والتطهر، والثبات أمام العدو، وغيرها من الأمور.

د - التقرب إلى الله تعالى بالنوافل مع فعل الواجبات.

هـ - دوام ذكر الله تعالى، فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم، وصراتها الأقوم^(١).

الفروق:

الفرق بين الإرادة والمحبة:

الإرادة قد تكون للشيء دون رضا له، بخلاف المحبة التي تقتضي الرضا عن المحبوب دومًا.

فما أَرَادَهُ اللهُ تعالى قضاءً وقدرًا ليس من لازمه أن يحبه ويرضاه، وذلك راجع للحكمة البالغة التي يكون بها فعل الله تعالى وتقديره، فالإرادة ملازمة للحكمة، فما أَرَادَهُ اللهُ تعالى فهو غاية الحكمة، والحكمة حين تتعلق بإيجاد شيء مبغوض في نفسه فهذا يعني أنه مراد لغيره، وما يحصل من إيجاده من حكم وغايات محمودة خارجة عنه، كخلق إبليس، فالله أراد إيجاده لحكم يريدتها، وإن كان هو في نفسه مبغوضًا إلى الله تعالى.

فالإرادة والمحبة بينهما من الاتفاق

(٢) ينظر: الحجة في بيان المحجة (١/٤٢٣)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٨/١٨٨)، ومدارج السالكين (١/٢٥١).

(١) انظر: الزهد والورع لابن تيمية (٤٣)، والوابل الصيب لابن القيم (٦١)، والقول المفيد لابن عثيمين (٨/٢)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (٢/٢٨٧).

إلى حبك»^(١).

لهم؛ فهو سبحانه لا يحب الظالمين، ولا يحب الكافرين، ولا يحب المعتدين.

✽ مذهب المخالفين:

المحبة: صفة من الصفات الفعلية الاختيارية التي أنكرها منكرو الصفات بالكلية من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة المعطلة، كما أنكرها الكلائية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية، وهذا بناء على ما أصّلوه في نفي الصفات، بحجة التشبيه والتجسيم.

وقالوا في المحبة: إنها ضعف ولين في القلب، وإنها ميل المحب إلى ما يناسبه، والله تعالى منزه عن ذلك، فالله ﷻ عندهم لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ، وأولوا نصوص الكتاب والسنة التي تذكر المحبة بإرجاعها إلى الإرادة؛ فيفسرون المحبة بإرادة الإنعام أو إرادة الرحمة^(٢). أو بإرجاعها إلى صفة الكلام فتكون محبة الله لعباده الله هي مدحه إليهم وثناؤهم عليهم^(٣)، فأولوا المحبة بإرادة الثواب كما هو عند الأشاعرة، أو إلى نفس الثواب المعطى للمحبوب كما هو عند المعتزلة^(٤).

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (١/٣٣٣).

(٣) انظر: الكشف للزمخشري (٣/٢٢٩ و٦/٣٥٠).

(٤) ينظر: الكشف للزمخشري (١/٦٨٠) تفسير قوله تعالى: (يحبهم ويحبونه)، ومفاتيح الغيب للرازي (٩/٢٣) تفسير قوله تعالى: (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير).

٤ - التعبد لله ﷻ بمحبة كل ما يحبه الله، ومن يحبه الله، وبغض كل ما يبغضه الله سبحانه، ومن ذلك موالة المؤمنين ومعاداة الكافرين.

٥ - تواضع كل المحبوبات والمرغوبات أمام محبة الله تعالى، فيطيب المؤمن عيشاً بذلك، ويزكو نفساً، فليس دون محبة الله ﷻ شيء يزاحم مطلبه الأعلى، ومقصده الأسمى.

✽ الآثار:

١ - القلوب الطاهرة والنفوس المطمئنة التي سمت وعلت بمحبة الله تعالى، فكانت نوراً يضيء للسالك الطريق، وشاهداً جلياً على أن العزة والرفعة لمن أحبه الله ﷻ.

٢ - شرع الله تعالى اليسير الموصول إلى أعظم ما يقصده المؤمنون، وهو محبة الله تعالى.

٣ - التوفيق والحفظ والنصر والعاقبة الحسنة التي يجعلها الله تعالى للمؤمنين مما هو ظاهر الدلالة على محبته لهم.

٤ - عاقبة السوء والهلاك الواقع على الظالمين؛ وهذا من عدم محبة الله تعالى

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٢٣٥)، وأحمد (٤٢٢/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، ونقل عن البخاري أنه قال فيه مثل ذلك.

وهو تأويل باطل، فالمحبة لها حقيقة (٢).
غير حقيقة الإنعام والرحمة وإن كان بين
هذه الصفات دلالات تضمّن واستلزام.

الرد عليهم:

- ١ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
 - ٢ - «الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين»، للسعدي.
 - ٣ - «شرح العقيدة الواسطية»، لصالح الفوزان.
 - ٤ - «قاعدة في المحبة»، لابن تيمية.
 - ٥ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
 - ٦ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.
 - ٧ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السّنة التيمي.
 - ٨ - «تقريب التدمرية»، لابن عثيمين.
 - ٩ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
 - ١٠ - «نقض الدارمي على بشر المريسي».
- أن أهل الحق يثبتون المحبة صفة حقيقية لله ﷻ على ما يليق به، فلا تقتضي عندهم نقصاً ولا تشبيهاً، كما يثبتون لازم تلك المحبة، وهي إرادته سبحانه إكرام من يحبه وإثابته (١).
- وأما تأويلهم لها بصفة الإرادة أو بالثواب نفسه، فيقال لهم: يلزمكم في إثبات الإرادة نظير ما يلزمكم في إثبات المحبة؛ لأن للمخلوق إرادة، فإثبات الإرادة لله تعالى يستلزم التشبيه على قاعدتكم، وإذا فسّرتموها بالثواب، فالثواب مخلوق مفعول لا يقوم إلا بخالق فاعل، والفاعل لا بد له من إرادة الفعل، وإثبات الإرادة مستلزم للتشبيه على قاعدتكم.

المُحَدَّث

التعريف لغة:

المُحَدَّث: اسم مفعول من الفعل الثلاثي المزيّد المبني للمجهول (حُدِّثَ)، من (التحديث)؛ يعني: الكلام. و(الحديث) هو: الخبر، قليلاً كان أو كثيراً؛ فهو كلامٌ يحدث منه الشيء بعد الشيء، ومنه قولهم: رجل حُدِّث نساء؛

ثم يقال: إثباتكم إرادة الثواب أو الثواب نفسه مستلزم لمحبة العمل المثاب عليه، ولولا محبة العمل ما أثيب فاعله، فصار تأويلكم مستلزماً لما نفيتم؛ فإن أثبتموه على الوجه المماثل للمخلوق ففي التمثيل وقعتم، وإن أثبتموه على الوجه المختص بالله واللائق به أصبتم ولزمكم إثبات جميع الصفات على هذا

(٢) انظر: تقريب التدمرية (٢٧).

(١) شرح الواسطية للهراس (١٣٥).

إذا كان يتحدث إليهن^(١).

✽ التعريف شرعاً:

المُحَدَّث: «هو الذي يُحَدَّث في سرِّه وقلبه بالشيء؛ فيكون كما يُحَدَّث به»^(٢).

✽ سبب التسمية:

سمي المُحَدَّث بهذا الاسم؛ لأنه يخبر بما يلقي في رُوعه من الحديث؛ فكأن غيره - من الملائكة أو الملائ الأعلَى - حدّثه بشيء فقال: فهو يُكَلِّم ويُحَدِّث من غيره.

✽ الأسماء الأخرى:

المُحَدَّث هو: المُلْهَم، والمتفرّس، والمتوسّم.

✽ الحكم:

التحديث ليس حجة شرعية تعارض به نصوص الكتاب والسنة، أو تبنى عليه الشرائع والأحكام؛ وإنما هو صالح للاستئناس والاستشهاد به، لا أنه عمدة وأصل؛ فهو يستدلّ له بالكتاب والسنة لا به!

فالمُحَدَّث - وغيره من البشر ممن ليس بنبي - ليس معصوماً من الغلط، ولا يجب على المسلم قبول ما يقوله إن لم

يدل عليه الكتاب والسنة، بل هو لا يجوز له العمل بما يلقي في قلبه إن لم يعرضه على الكتاب والسنة، فإن وافق ذلك قبله، وإن خالف ذلك رده؛ لأنّه لا يتيقن أنّه من عند الله تعالى، وقد يكون من دسيسة الشيطان! وهذا كان حال عمر رضي الله عنه؛ فلم يكن يعتبر آراءه حقاً وصواباً؛ بل كان يتهم نفسه ولا يبرئها من الخطأ.

«وبالجملة؛ فلا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام: أنّه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه، وما يتقرّب إليه به - من فعل وترك - إلا عن طريق الوحي. فمن ادّعى أنه غني في الوصول إلى ما يرضي ربّه عن الرسل وما جاؤوا به، ولو في مسألة واحدة؛ فلا شك في زندقته. والآيات والأحاديث الدالة على هذا لا تحصى»^(٣).

✽ الحقيقة:

المُحَدَّث: هو الرجل المُلْهَم المُخاطَب، الصادق الظنّ، المصيب، الذي ألقى في رُوعه الصواب والحقّ من قبل الله تعالى أو الملائ الأعلَى؛ فيخبر به حدساً وفراصة - ولا يعلم أنّه من عند الله تعالى - فيكون كالذي حدّثه غيره بشيء فقال: ^(٤).

(٣) أعضاء البيان للشنقيطي (٢٠٤/٤) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٤) انظر: شرح السنة للبغوي (٨٣/١٤) [المكتبة =

(١) انظر: الصحاح (٢٧٨/١) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٣٦/٢) [دار الفكر، ط ٢].

(٢) مدارج السالكين (٣٩/١) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

﴿ المنزلة: ﴾

مرتبة التحديث ذات منزلة عالية، لكنها دون مرتبة الصديقية؛ فالصديق الذي يأخذ من مشكاة النبوة أكمل وأفضل وأتم مقامًا من المُحَدَّث؛ لأنه استغنى - بكمال صديقيته ومتابعته، وكمال مشربه من حوض النبوة، وتمام رضاعه من ثدي الرسالة - عن التحديث والإلهام والكشف؛ فالصديق سلّم قلبه وسرّه وظاهره وباطنه للرّسول المعصوم ﷺ الذي لا يتطرق إليه الخطأ؛ فاستغنى به عمّا دونه؛ فالذي يتلقاه من مشكاة النبوة أتمّ مما يتلقاه غيره من التحديث!

﴿ الأدلة: ﴾

دلّ على ثبوت التحديث: ما ثبت في الصحيحين؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحدّثون، فإن يك في أمتي أحد فإنّه عمر»، زاد مسلم: قال ابن وهب [وهو أحد رواة الحديث عنده]: «تفسير مُحدّثون: مُلهمون»^(١).

وفي رواية للبخاري: «لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يُكلمون من غير أن يكونوا أنبياء؛ فإن

التحديث هو المرتبة الرابعة من مراتب هداية الله تعالى لخلقه - بعد: التكليم يقظة بلا واسطة، والوحي، وإرسال الرسول الملكي؛ وثلاثتها لا تكون إلا للأنبياء -، وهو دون مرتبة الوحي الخاصّ، بل هو إلهام خاص - وهو: الوحي لغير الأنبياء -، يخص الله به من يشاء من عباده، تفضلاً وتكرّماً.

وقد اشتهر به من بين الصحابة رضي الله عنهم الفاروق عمر رضي الله عنه، وعليه نصّ الحديث؛ فهو أول المُحدّثين والمُخاطبين الملهمين من هذه الأمة وسيدهم وأفضلهم، وخصه النبي ﷺ بالذكر دون غيره؛ لكثرة إصاباته وإلهاماته التي وافق فيها الحق.

وليس هذا خاصاً بعمر رضي الله عنه؛ فإمكان تحقق ووجود التحديث والإلهام في غيره وارد ومعروف.

= الإسلامي، دمشق، ١٤٠٣هـ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣٥٠/١) [مطبعة عيسى البابي الحلبي]، ومجموع الفتاوى (٤٧٦/١٠)، ٤٦/٢٠، ٣٧٧/٢٤، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤٠١/٢) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ]، وجامع الرسائل لابن تيمية (٩٩/٢) [مطبعة المدني، ط ١، ١٤٠٥هـ]، وإعلام الموقعين (١٤٢/٤) [دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م]، وبدائع الفوائد (٨٠/١) [مكتبة نزار الباز، ط ١، ١٤١٦هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٥٠/٧) [دار المعرفة، ط ١، ١٣٧٩هـ]، وفيض القدير للمناوي (٥٠٧/٤) [دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩١هـ]، وعقيدة ختم النبوة لأحمد بن سعد الغامدي ١٢٤ [دار طيبة، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٨٩)، من حديث أبي هريرة، وأخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، رقم ٢٣٩٨)، من حديث عائشة.

يكن من أمتي منهم أحد فعمر»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال الطحاوي: «معنى قوله ﷺ: «مُحَدَّثُونَ» أي: مُلْهِمُونَ، وكذلك يُحَدَّثُونَ؛ أي: يُلْهِمُونَ حتى تنطق ألسنتهم بالحكمة كما كان لسان عمر رضي الله عنه ينطق بما كان ينطق به منها»^(٢).

- وقال الآجري: «ومعناه - أي: حديث الباب - عند العلماء - والله أعلم -: أن الله ﷻ يلقي في قلبه الحق، وينطق به لسانه، يلقيه الملك على لسانه وقلبه من الله ﷻ خصوصاً خصَّ الله الكريم به عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما قال علي رضي الله عنه: ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر»^(٣)،^(٤).

وقال ابن تيمية: «يجب على المُحَدَّث المُلْهِم المكاشف من هذه الأمة أن يزن ذلك بالكتاب والسنة، فإن وافق ذلك صدق ما ورد عليه، وإن خالف لم يلتفت إليه؛ كما كان يجب على عمر رضي الله عنه - وهو سيد المُحَدَّثِينَ - إذا ألقى في قلبه

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ)، بعد الحديث رقم ٣٦٨٩.

(٢) شرح مشكل الآثار (٣٣٩/٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (جامع معمر، رقم ٢٠٣٨٠)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٥٨٢/٢) [دار ابن القيم، ط ١] وغيرهما.

(٤) الشريعة للآجري (١٨٩١/٤) [دار الوطن، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

شيء وكان مخالفاً للسنة لم يقبل منه؛ فإنه ليس معصوماً؛ وإنما العصمة للنبوّة. ولهذا كان الصديق أفضل من عمر؛ فإن الصديق لا يتلقى من قلبه؛ بل من مشكاة النبوّة - وهي معصومة -، والمُحَدَّث يتلقى تارة عن قلبه، وتارة عن النبوّة، فما تلقاه عن النبوّة فهو معصوم يجب اتباعه، وما ألهم في قلبه: فإن وافق ما جاءت به النبوّة فهو حق، وإن خالف ذلك فهو باطل»^(٥).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: زيادة: (ولا مُحَدَّث) بعد (ولا نبي) في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ في قراءة ابن عباس رضي الله عنهما:

روى إسحاق بن راهويه في مسنده وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج] بزيادة: (ولا مُحَدَّث) بعد (ولا نبي)^(٦). والآية - على هذه

(٥) مجموع الفتاوى (٣٧٧/٢٤)، بتصرف يسير.

(٦) أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ١٦/٣) [المكتبة السلفية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٠هـ]، ووصله: إسحاق بن راهويه في مسنده (٤٨٠/٢) [مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة، ط ١، ١٤١٢هـ]، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٤١/٤) [مؤسسة الرسالة، بيروت، =

القراءة - مشكلة؛ إذ معناها: أنَّ المُحَدَّث مرسل من عند الله تعالى أو يوحى إليه!

والجواب: «هذه القراءة ليست متواترة ولا معلومة الصحة، ولا يجوز الاحتجاج بها في أصول الدين. وإن كانت صحيحة؛ فالمعنى: أنَّ المُحَدَّث كان فيمن كان قبلنا وكانوا يحتاجون إليه، وكان ينسخ ما يلقيه الشيطان إليه كذلك، وأمة محمد ﷺ لا تحتاج إلى غير محمد ﷺ»^(١).

- المسألة الثانية: كون عمر بن الخطاب رضي الله عنه محدثاً:

تقدم أن التحديث: إلهام خاص، يخص الله به من يشاء من عباده، تفضلاً وتكرماً.

وقد اشتهر به من بين الصحابة رضي الله عنهم الفاروق عمر رضي الله عنه، وعليه نص الحديث الذي أخرجه الشيخان في «صحيحيهما» أن رسول الله ﷺ قال: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدَّثُونَ، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر»^(٢)؛ قال الحميدي

= ط ١، ١٤١٥هـ، من حديث عمرو بن دينار عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصحَّح الحافظ ابن حجر إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في الفتح (٥١/٧) [دار المعرفة].

(١) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (١٥٩). وانظر: شرح مشكل الآثار (٣٤٢/٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٠/١٢)، وعقيدة ختم النبوة للغامدي (١٣٠).

(٢) سبق تخريجه.

معقَّباً على هذا الحديث: «المُلهم للصواب. تفرد بهذه الفضيلة عمر، لم يشركه فيها غيره»^(٣)، فهو أول المُحَدَّثين والمُخاطَبين المُلهمين من هذه الأمة وسيدهم وأفضلهم، وخَصَّه النبي ﷺ بالذكر دون غيره؛ لكثرة إصاباته وإلهاماته التي وافق فيها الحق.

- المسألة الثالثة: التزام المُحَدَّث بشريعة النبي ﷺ وعدم الخروج عليها:

لا يسع أحداً - مهما كان حاله ومنزله - الخروج عن شريعة النبي ﷺ وأحكام الدين، ولا أن يعارضها بكشف أو تحديث أو إلهام، أو يبني على ذلك شرائع أو أحكاماً؛ فرائيه يستدل له لا به؛ إذ «غير المعصوم لا ثقة بخواطره؛ لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان! وقد ضمنت الهداية في اتباع الشرع، ولم تضمن في اتباع الخواطر والإلهامات»^(٤).

فجميع المكلفين مأمورون بوزن أقوالهم وأعمالهم واعتقاداتهم بالكتاب والسنة، بما فيهم المُحَدَّث المُلهم عمر رضي الله عنه؛ فما وافقها قبل وعمل به، وإلا رُدَّ ولم يلتفت إليه، فكيف بمن دون عمر؟!

فالواجب «على جميع الخلق: اتباع

(٣) أخرجه ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة (٩٨) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٢٠٤/٤).

صالح للمتابعة والاستشهاد، لا أنَّه عمدة؛ لأنها في غنية - بما بعث الله تعالى به نبيها ﷺ - عن كل منام أو مكاشفة أو إلهام أو تحديث! وأما من قبلها فللحاجة إلى ذلك جعل فيهم المُحدِّثون. وهذا دالٌّ على أنَّ رسول الله ﷺ أكمل خلقه، وأكملهم شريعة، وأنَّ أمته أكمل الأمم^(٣).

❁ الفرق:

الفرق بين النبي والمُحدِّث^(٤):

النبي: يوحى إليه بوحى يعلم يقيناً أنَّه وحي من عند الله تعالى؛ فلا يحتاج إلى عرضه على وحي سابق لبيان صحته. وهو معصوم من الخطأ في التبليغ عن الله ﷻ، وإن أخطأ - برأيه واجتهاده - نزل عليه الوحي بالحق والصواب.

أما المُحدِّث: فهو المُلهم المُخاطب، الذي يُحدِّث في سره وقلبه بالشيء؛ فيكون كما يُحدِّث به، ولا يعلم أنه من عند الله تعالى.

- الفرق بين التَّحديث والإلهام:

يشترك التَّحديث والإلهام في أنَّ كلاً

الرسول ﷺ وطاعته في جميع أموره الباطنة والظاهرة، ولو كان أحد يأتيه من الله ما لا يحتاج إلى عرضه على الكتاب والسُّنة؛ لكان مستغنياً عن الرسول ﷺ في بعض دينه! وهذا من أقوال المارقين الذين يظنون أن من الناس من يكون مع الرسول ﷺ كالخضر مع موسى، ومن قال هذا فهو كافر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَخَّ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج]؛ فقد ضمن الله للرسول والنبي أن ينسخ ما يلقي الشيطان في أمنيته ولم يضمن ذلك للمُحدِّث^(١).

- المسألة الرابعة: كثرة المُحدِّثين في الأمم السابقة، وقتلهم في هذه الأمة:

يقول رسول الله ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحدِّثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر»^(٢)؛ فالنبي ﷺ جزم بوجود المُحدِّثين في الأمم السابقة، وتعليقه وجودهم في أمته بحرف الشرط (إن) يدل على كمال أمته على من قبلهم - لا نقصانها - باستغنائها بالوحي عن التَّحديث، وأنها أفضل الأمم؛ «فإنها لكمالها وكمال نبيها ﷺ وكمال شريعته لا تحتاج إلى مُحدِّث؛ بل إن وجد فهو

(١) المرجع السابق (١١/٦٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) مفتاح دار السَّعادة (٢/١٨٢)، بتصرف. وانظر: مدارج السالكين (١/٣٩)، ومجموع الفتاوى (١٧/٤٦)، والجواب الصحيح (٢/٣٨٢)، والضَّفة (١/٢٥٩)، وشرح العقيدة الأصفهانية (١٥٩)، وفتح الباري لابن حجر (٧/٥٠).

(٤) انظر: عقيدة ختم النبوة للغامدي (١٢٤).

منهما موهبة مجردة لا تنال بكسب ألبته. ويفترقان في أن الإلهام أعم من التَّحْدِيث؛ فهو عام للمؤمنين بحسب إيمانهم؛ فكل مؤمن قد ألهمه الله رشده الذي حصل به الإيمان. أمَّا التَّحْدِيث فهو إلهام خاص لا يكون لكلِّ أحد. فبين الإلهام والتَّحْدِيث عموم وخصوص؛ فكل تحديث هو إلهام، من غير عكس^(١).

❁ الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على منزلة التَّحْدِيث في الشَّرع ومدى حجيتها، وتفضيل مرتبة الصَّدِيقَةِ عليها: أنه على قدر متابعة العبد للكتاب والسُّنَّة يكون قدر الولاية لله؛ فكلَّمَا كان الولي أعظم اختصاصًا بالرسول وأخذًا عنه وموافقة له كان أفضل؛ إذ الولي لا يكون وليًّا لله إلا بمتابعة الرسول باطنًا وظاهرًا^(٢)؛ ولذا كان الصَّدِيق أفضل وأكمل وأتم مقامًا من المُحَدَّث.

ومن الثمرات أيضًا: أن قول النبي ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدَّثُونَ، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر»^(٣)، وجزمه بوجود المُحَدَّثِينَ في الأمم السابقة، وتعليقه وجودهم في

❁ مذهب المخالفين:

سبق تقرير أن التَّحْدِيث والإلهام ليس حجة شرعية تعارض به نصوص الكتاب والسُّنَّة، أو تبنى عليه الشرائع والأحكام، وقد خالف في ذلك بعض الطوائف - كالصوفية والاتحادية منهم وغيرهم -؛ فارتقوا بالإلهام والكشف والذوق وجعلوها حجة تجاوزوا بها حدود الشرع، وخرجوا بها عن أحكام الدين!

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١٨٢/٢)، بتصرف. وانظر: مدارج السالكين له (٣٩/١)، ومجموع الفتاوى (٤٦/١٧)، والجواب الصحيح (٣٨٢/٢)، والصفدية (٢٥٩/١)، وشرح العقيدة الأصفهانية كلها لابن تيمية (١٥٩)، وفتح الباري لابن حجر (٥٠/٧).

(١) انظر: مدارج السالكين (٤٤/١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢٥/٢).

(٣) سبق تخريجه.

لَأَتَمَّتْهُمْ بِدَعْوَى نَزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِمْ^(٣)! وهذا خروج عن عقيدة ختم النبوة - المتواترة تواتراً قطعياً، والمعلومة من دين الإسلام بالضرورة -، وفهم باطل فاسد للتَّحْدِيث ومدى حجَّيته في الشرع! وفيما تقدم كفاية في الرَّد عليهم.

المصادر والمراجع:

- ١ - «بغية المراتد»، لابن تيمية.
- ٢ - «الجواب الصحيح» (ج ٢)، لابن تيمية.
- ٣ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.
- ٤ - «الصفدية» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٥ - «عقيدة ختم النبوة»، لأحمد الغامدي.
- ٦ - «فتح الباري» (ج ٧)، لابن حجر.
- ٧ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٨ - «مدارج السالكين» (ج ١)، لابن القيم.
- ٩ - «مفتاح دار السعادة» (ج ٢)، لابن القيم.
- ١٠ - «منهاج السُّنَّة النبوية» (ج ٦)، لابن تيمية.

فحَكَّمُوا خَوَاطِرَهُمْ وَهُوَ اجْسَهُمْ وَقَدَّمُوا عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَجَعَلُواهَا مَعْصُومَةً مِنَ الْخَطَا وَالضَّلَالِ، وَأَطْلَقُوا عَلَيْهَا اسْمَ: الْعِلْمِ اللَّدْنِيِّ! وهذا من تلبيس إبليس وكيده بهم! فترى قائلهم يقول: «حدثني قلبي عن ربِّي»، و«نحن أخذنا عن الحي الذي لا يموت، وأنتم أخذتم عن الوسائط»، و«أنتم تأخذون علمكم ميتاً عن ميت»، و«نحن أخذنا بالحقائق وأنتم اتبعتم الرسوم»^(١)!

«ومن ظن أنه يستغني عما جاء به الرسول ﷺ بما يلقي في قلبه من الخواطر والهواجس؛ فهو من أعظم الناس كفراً، وكذلك إن ظن أنه يكتفي بهذا تارة وبهذا تارة.

فما يلقي في القلوب لا عبرة به ولا التفات إليه إن لم يعرض على ما جاء به الرسول ﷺ، ويشهد له بالموافقة؛ وإلا فهو من إلقاء النفس والشيطان»^(٢).

وقد ارتقى بعض غلاة الشيعة بالإلهام والتَّحْدِيث فجعلوه بمنزلة الوحي؛ فأثبتوه

(١) انظر مثلاً: الفتوحات المكيَّة لابن عربي (١/٣٦٥)، والجواهر والذَّهر للشعراني (٢٦٨) [بهامش الإبريز، طبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر]، وفيض القدير للمناوي (٥/٤٠١) [دار المعرفة ببيروت، ط ٢، ١٣٩١هـ].

(٢) إغاثة اللهفان (١/١٢٣) [دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٥هـ]. وانظر: تلبيس إبليس (٢٨٥)، ٣٢٩، (٣٣٠) [دار الفكر، ط ١، ١٤٢١هـ]، ومجموع الفتاوى (١٣/٢١٨)، وفتح الباري لابن حجر (١١/٣٤٥).

(٣) انظر: أصول الكافي للكليني (١/١٧٦، ٢٧١) [دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٨٨هـ]، وبحار الأنوار للمجلسي (٢٦/٦٨، ٧٣) [دار إحياء التراث، ط ٣، ١٤٠٣هـ]، وبصائر الدَّرَجَات الكبرى للضَّعْفَر (٩٣) [المختصر، طبعة النجف، ١٣٧٠هـ]. ولمزيد من التفصيل راجع: أصول مذهب الشيعة للقفاري (١/٣١٠).

موجود عن إحسانه وإنعامه، وجوده، وكرمه، ومنه وعطائه^(٣)، وهو مع كونه وصفاً لازماً له، فهو من الصفات الفعلية المتعدية، كالخلق، ونحوه.

المُحْسِن

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمه الله: «حسن: الحاء والسين والنون أصل واحد، فالْحُسْن ضد القبح؛ يقال: رجل حَسَن، وامرأة حسناء، وحسَّانة»^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الشرعي لاسم الجلال المحسن علاقة مطابقة لدلالة هذا الاسم في الشرع على ما يدل عليه في اللغة من الإنعام والوجود والكرم والإتقان ونحوها من المعاني التي بلغت غاية الكمال والجمال في حق الله عز وجل.

الحكم:

يجب إثبات اسم الله المحسن، كما ثبت ذلك في السُّنة، على ما يليق بعظمته وسلطانه، دون تحريف، أو تأويل أو تمثيل أو تعطيل^(٤).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ

التعريف شرعاً:

المحسن: هو المنعم، والمكرم، والإحسان وصف لازم له ﷻ، لا يخلو

(١) مقاييس اللغة (٥٧/٢) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣١٤/٤ - ٣١٧) [الدار المصرية]، والصحاح (٢٠٩٩/٥ - ٢١٠٠) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٢٣٥، ٢٣٦) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٥٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٥]، والمعجم الوسيط (١٧٤/١) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢هـ].

(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/ ٥١٢، ٥١٣) [دار الصحابة، ط ١، ١٤١٦هـ]، وفيض القدير شرح الجامع الصغير (٣٣٥/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٧٢) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٤) انظر: شرح القواعد المثلى لابن عثيمين (٩٤) [دار الآثار، ط ١، ١٤٢٣هـ].

التعبد لله؛ كعبد الله، وعبد الرحمن،
وعبد الغني، والسلام، والقاهر،
واللطيف، والحكيم، والعزیز، والرحيم،
والمحسن»^(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فتأمل هذه
الجلالة وهذه العظمة التي تضمنتها هذه
الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام وأحسن
سياق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١)
﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ (٢) ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ (٣)
[الناس]، وقد اشتملت هذه الإضافات
الثلاث على جميع قواعد الإيمان
وتضمنت معاني أسمائه الحسنی، أما
تضمنها لمعاني أسمائه الحسنی فإن
الرب هو القادر الخالق البارئ المصور
الحي القيوم العليم السميع البصير
المحسن... إلى غير ذلك من معاني
ربوبيته التي له منها ما يستحقه من
الأسماء الحسنی»^(٤).

وقال ابن القيم في نونيته^(٥):

«صدرت عن البر الذي هو وصفه

فالبر حينئذ له نوعان

وصف وفعل فهو بر محسن

مولی الجمیل ودائم الإحسان»

(٣) مجموع الفتاوى (٣٧٩/١) [مجمع الملك فهد
لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٥هـ].

(٤) بدائع الفوائد (٧٨٢/٢) [دار عالم الفوائد، ط ١،
١٤٢٨هـ].

(٥) الكافية الشافية (١٨١/٤) [دار عالم الفوائد، ط ١،
١٤٢٨هـ].

خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة]، ونحوها من الآيات.

ومن السُّنَّة: حديث أنس بن
مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:
«إذا حكمتُم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا،
فإن الله محسن يحب الإحسان»^(١).

وحديث شداد بن أوس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:
حفظت من رسول الله ﷺ اثنتين، قال:
«إن الله محسن يحب الإحسان إلى كل
شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا
ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم
شفرته، وليُرح ذبيحته» الحديث^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:
«وكان شيخ الإسلام الهروي قد سَمَّى
أهل بلده بعامة أسماء الله الحسنی،
وكذلك أهل بيتنا غلب على أسمائهم

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب الديات (٥٦)
[مطبعة التقدم، ط ١، ١٣٢٣هـ]، والطبراني في
المعجم الأوسط (٤٠/٦) [دار الحرمين، ط ١،
١٤١٥هـ]، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٧٥/٢)،
(٧٦) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ]، وقال
الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٦/٥) [دار الفكر،
١٤١٢هـ]: «رجاله ثقات»، وجوّد إسناده الألباني في
السلسلة الصحيحة (رقم ٤٦٩) [مكتبة المعارف،
ط ١، ١٤١٢هـ].

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (كتاب المناسك،
رقم ٨٦٠٣)، ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير
(٢٧٥/٧) [مكتبة العلوم والحكم، ط ٢، ١٤٠٤هـ]،
وقال الهيثمي في المجمع (١٩٧/٥) [مكتبة
القدسسي]: «رجاله ثقات»، وصححه الألباني في
صحيح الجامع (رقم ١٨٢٤).

❁ الأقسام:

إحسان الله لخلقه نوعان^(١):

إحسان عام لجميع الخلق: وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]؛ فإنه يشترك فيه البر والفاجر، وأهل السماء وأهل الأرض، والمكلفون، وغيرهم.

وإحسان خاص بالمتقين: كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦) [الأعراف].

❁ الآثار:

- أوجه إحسان الله لخلقه التي يقتضيها اسمه: المحسن، وهذه الأوجه كثيرة ومتعددة لا تقع تحت الحصر، ومنها:

أعظمها وأفضلها وأكثرها نفعا للعبد: أن وفقه الله ﷻ وهده للإسلام، وشرح صدره لعبادته وطاعته.

ومنها: إخراجهم من العدم، في أحسن صورة، وأكمل خلقة، وضمن لهم رزقه، قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٤) [غافر].

وفي بيان بعض أوجه إحسان الله ﷻ

(١) انظر: شرح القصيدة النونية للهراس (١٠٨/٢) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

إلى عباده التي يقتضيها اسم الجلال: المحسن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأهل السُّنَّة يقولون: هو محسن إلى العبد، متفضل عليه، بأن أرسل إليه الرسول ﷺ، وأن جعل له السمع والبصر، والفؤاد الذي يعقل به، وأن هداه للإيمان، وأن أماته عليه، فكل هذا إحسان منه إلى المؤمن وتفضل عليه، وإن كان هو قد كتب على نفسه الرحمة، وكان حقاً عليه نصر المؤمن، وحق العباد عليه إذا وحدوه ألا يعذبهم، فذاك حق أوجبته بنفسه، بكلماته التامات، وبما تستحقه نفسه المقدسة من حقائق الأسماء والصفات، لا أن شيئاً من المخلوقات أوجب عليه شيئاً، أو حرم عليه شيئاً»^(٢).

- إن الله ﷻ يحب من عباده أن يتقربوا إليه بمقتضى أسمائه، فلما كان هو المحسن فإنه يحب المحسنين، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥) [البقرة].

- ولما كان الربُّ تعالى هو (المحسن): كان التوسُّل إليه بإحسانه من

(٢) درء التعارض (٤٦٠/٧). وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/٨) (١١٥/١٠) (٢٠٢/١٨ - ٢٠٤)، ومنهاج السُّنَّة النبوية (٣١٠/٢، ٣١١). وانظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٥١٣/١) - (٥١٧)، فقد نقل القرطبي كلاماً مطوَّلاً للإقليشي توسع في بيان الجود والفضل والإحسان وأنواعه على الخلق.

أحبَّ الوسائل، كما قال ابن القيم: «أحبُّ الوسائل إلى المحسن: التوسُّل إليه بإحسانه، والاعتراف له بأن الأمر كُلُّه محض فضله وامتنانه»^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٢ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
- ٣ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.
- ٤ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.
- ٥ - «شرح القواعد المثلى»، لابن عثيمين.
- ٦ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٧ - «إثبات أن المحسن من أسماء الله الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٨ - «معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتيمي.
- ٩ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لحمود النجدي.
- ١٠ - «شرح أسماء الله الحسنى»، للقحطاني.

المُحْكَم والمتشابه

التعريف لغة:

المُحْكَم: الإحكام هو الإتقان والمنع. وأحكم الأمر؛ إذا أتقنه، والحكيم: المتقنُّ للأمر، وحَكَمَ الشيء

- كما امتدح الله ﷻ من عباده من وصل إلى مرتبة الإحسان التي هي أعلى مراتب الدين، وجاء تفسيرها في حديث النبي ﷺ لما سأله جبريل ﷺ ما الإحسان؟ فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٢).

وهذا الإحسان في عبادة الله ﷻ، والنوع الآخر من الإحسان الذي يحبه الله ﷻ ويرضاه، ويجزل عليه المثوبة والعطاء، إحسان العبد إلى غيره، بإيصال جميع أنواع الخير لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣) [التوبة]، وهذا الإحسان إلى الغير من أعظم أسباب انشراح الصدر، وطمأنينة القلب^(٤).

ومن أعظم الإحسان إلى الخلق: تعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم،

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢٣٠) [دار القلم، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: زاد المعاد (٢/ ٢٥، ٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط/ ٢٧، ١٤١٥هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٧٣).

وأحكمه: منعه من الفساد^(١).

قال الراغب الأصفهاني: «حكم أصله: منع منعاً لإصلاح. فقليل: حكمت الدابة: منعته بالحكمة وأحكمته: جعلت لها حكمة»^(٢).

والتشابه: التماثل والتناسب. قال ابن منظور: «الشُّبُه والشَّبه والشَّيْبَةُ: المِثْل، والجمع أشباه. وأشبه الشيء الشيء: ماثله. والشبهة: الالتباس. وأمور مشبهة ومشبهة: مشكلة يشبه بعضها بعضاً»^(٣). وقال ابن فارس: «الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً، والمشبهات من الأمور: المشكلات، واشتبه الأمران إذا أشكلا»^(٤).

التعريف شرعاً:

المحكم: ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما يحتمل وجوهاً، فإذا ردت إلى وجه واحد وأبطل الباقي، صار المتشابه محكماً^(٥).

وقيل: المحكم: الواضح المعنى الظاهر الدلالة، إما باعتبار نفسه أو

باعتبار غيره، والمتشابه ما لا يتضح معناه، أو لا تظهر دلالاته لا باعتبار نفسه ولا باعتبار غيره^(٦).

قال الإمام أحمد: «المحكم: الذي ليس فيه اختلاف، والمتشابه: الذي يكون في موضع كذا، وفي موضع كذا»^(٧).

وقال ابن تيمية: «المحكم: يميز الحقيقة المقصودة، والمتشابه يشبه هذا ويشبه هذا»^(٨).

الحكم:

يجب سلوك طريق أهل العلم الراسخين، الذين يؤمنون بالكتاب كله؛ محكمه ومتشابهه، وأن كلاً من عند الله، وأن نصوص الكتاب والسنة يعمل بمحكمها مع الإيمان بمتشابهها.

ويردون النصوص المتشابهة - التي احتملت في دلالتها على ما يوافق الآيات المحكمة، وعلى ما يخالفها - إلى النصوص المحكمات الواضحات بنفسها، حتى يتبين المقصود منها، ويتعين وجه الصواب فيها^(٩).

(٦) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان علي حسن (٢/٤٧٧) [مكتبة الرشد، ط ٥، ١٤٢٧هـ].

(٧) انظر: العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى (٢/٦٨٥) [ط ٢، ١٤١٠هـ].

(٨) حاشية مقدمة التفسير لابن قاسم (٥٨) [ط ٢، ١٤١٠هـ].

(٩) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٤/١٧١، ١٧٢) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء].

(١) انظر: الصحاح (٥/١٩٠١) [دار العلم، ط ٤، ١٩٩٠م]، ولسان العرب (١٢/١٤٣) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ].

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (١/٢٥١) [دار القلم].

(٣) لسان العرب (١٣/٥٠٣، ٥٠٤).

(٤) مقاييس اللغة (٣/٢٤٣) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ].

(٥) انظر: قضية المحكم والمتشابه وأثرها على القول بالتفويض لمحمود عبد الرزاق (١٠).

❁ الحقيقة:

لإحكام والتشابه إطلاقان: عام وخاص:

أولاً: الإطلاق العام:

فالمحكَّم: هو البَيِّن الواضح الذي لا يفتقر في بيان معناه إلى غيره، وذلك لوضوح مفرداته وإتقان تركيبها، والمتشابه: يقال لكل ما غمض ودق، فهو يحتاج في فهم المراد منه إلى تفكير وتأمل؛ إذ إنه محتمل لمعانٍ كثيرة ومختلفة، فهو كالمشكَل؛ لأنه دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله^(١).

ثانياً: الإطلاق الخاص:

فالتشابه الخاص: هو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر، بحيث يشبهه على بعض الناس أنه هو، أو هو مثله وليس كذلك. والإحكام الخاص: هو الفصل بينهما بحيث لا يشبه أحدهما بالآخر، وهذا التشابه إنما يكون في القدر المشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما.

ثم من الناس من لا يهتدي إلى الفصل بينهما، فيكون مشتبهاً عليه، ومنهم من يهتدي إلى ذلك، فالتشابه الذي لا يتميز قد يكون من الأمور النسبية الإضافية، بحيث يشبهه على بعض الناس دون بعض، ومثل هذا يعرف منه

أهل العلم (الراسخون فيه) ما يزيل عنه هذا الاشتباه، كما إذا اشتبه على بعض الناس ما وُعدوا به في الآخرة بما يشاهدونه في الدنيا فظن أنه مثله، فعلم العلماء أنه ليس مثله وإن كان مشابهاً له من بعض الوجوه.

وقد يكون المتشابه من الأمور التي لا يعلمها أحد من العباد، بل استأثر الله بعلمها، كما استأثر الله بالعلم بالقدر المميز بين حقائق الدنيا وحقائق الآخرة، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر^(٢).

❁ الأدلة:

من الأدلة على أن القرآن محكم كله قوله تعالى: ﴿الرَّ كُنْتُ أَكْمَتْ أَيْنُكُمْ ثُمَّ فُضِّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود].
والدليل على أنه متشابه كله قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا﴾ [الزمر: ٢٣].

والدليل على أنه محكم وبعضه متشابه، قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلَةٍ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران].

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦١/٣).

(١) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (٤٧٣/٢).

الذي ليس فيه اختلاف، والمتشابه: الذي يكون في موضع كذا وفي موضع كذا»^(٤).

وقال الطبري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وأما المحكمات: فإنهن اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل، وأثبتت حججهن وأدلتهم على ما جعلن أدلة عليه من حلال وحرام، ووعد ووعيد، وثواب وعقاب، وأمر وزجر، وخبر ومثل، وعظة وعبر، وما أشبه ذلك، ثم وصف جل ثناؤه هؤلاء الآيات المحكمات بأنهن هنَّ أم الكتاب، يعني بذلك. أنهن أصل الكتاب الذي فيه عماد الدين والفرائض والحدود، وسائر ما بالخلق إليه الحاجة من أمر دينهم، وما كلفوا من الفرائض في عاجلهم وآجلهم، وإنما سمّاهن أم الكتاب؛ لأنهن معظم الكتاب، وموضع مَفْرَع أهله عند الحاجة إليه. وأما قوله: (متشابهات) فإن معناه: متشابهات في التلاوة، مختلفات في المعنى، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾؛ يعني في المنظر، مختلفًا في المطعم»^(٥).

وقال ابن رجب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وإنما القطعيات ما جاء عن الله ورسوله من

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/٢٧٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥/١٨٨ - ١٩٢) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ].

ومن السُّنَّة: حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمع النبي ﷺ قوماً يتدارؤون^(٢)، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «المحكم:

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٥٤٧)، ومسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٦٥).

(٢) أي: يتمارون في القرآن.

(٣) أخرجه ابن ماجة (المقدمة، رقم ٨٥)، وعبد الرزاق في المصنف (جامع معمر، رقم ٢٠٣٦٧) واللفظ له، وعنه أحمد (١١/٣٥٤) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ]، والبخاري في خلق أفعال العباد (٦٣) [دار المعارف، الرياض]، وصحح إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (١/١٤) [دار العربية، ط٢]، وحسنه الألباني في تعليقه على المشكاة (رقم ٢٣٧) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٥هـ].

❁ الأقسام:

التشابه والإحكام قسمان:

الأول: تشابه وإحكام بالمعنى العام.
فالإحكام يطلق بمعنى: الإتقان،
فإحكام الكلام: إتقانه ووضوح معناه
فيتميز به الصدق من الكذب في
الأخبار، والرشد من الغي في الأوامر.
والتشابه في الكلام يطلق على تماثله
وتناسبه، بمعنى: أنه يصدق بعضه بعضاً
في أوامره، فلا يأمر بشيء في موضع
وينهى عنه في موضع آخر، ويصدق
بعضه بعضاً في أخباره، فإذا أخبر بثبوت
شيء في موضع لم يخبر بنفيه في موضع
آخر؛ والتشابه بهذا المعنى لا ينافي
الإحكام بالمعنى العام، بل يصدق كل
منهما الآخر ولا يتناقضان.

الثاني: التشابه بالمعنى الخاص؛ هو
مشابهة الشيء غيره من وجه ومخالفته له
من وجه، فيلتبس المقصود منها على
كثير من الناس، فإن رد التشابه بهذا
المعنى الخاص إلى المحكم تبين
المقصود منه وتعين وجه الصواب^(٢).

❁ المسائل المتعلقة:

- **نصوص الصفات ليست من
المتشابه:**

أخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن ليعقله
الناس ويتدبروه، حيث قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ

الآيات المحكمات البينات، والنصوص
الواضحات، فترد إليها المتشابهات،
وجميع كتب الله المنزلة متفقة على معنى
واحد، وإنما فيها محكمات ومتشابهات،
فالراسخون في العلم يؤمنون بذلك كله،
ويردون المتشابهة إلى المحكم، ويكلمون
ما أشكل عليهم فهمه إلى عالمه، والذين
في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه ابتغاء
الفتنة وابتغاء تأويله، فيضربون كتاب الله
بعضه ببعض، ويردون المحكم،
ويتمسكون بالمتشابه ابتغاء الفتنة،
ويحرفون المحكم عن مواضعه،
ويعتمدون على شبهات وخيالات لا
حقيقة لها، بل هي من وسواس الشيطان
وخيالاته، يقذفها في القلوب.

فأهل العلم والإيمان يمثلون في هذه
الشبهات ما أمروا به من الاستعانة بالله،
والانتهاء عما ألقاه الشيطان، وقد جعل
النبي ﷺ ذلك من علامات الإيمان،
وأما غيرهم فيصغون إلى تلك الشبهات،
ويعبرون عنها بالألفاظ مشتبهات، لا حرمة
لها في نفسها، وليس لها معنى يصح،
فيجعلون تلك الألفاظ محكمة لا تقبل
التأويل، فيردون كلام الله ورسوله إليها،
ويعرضونه عليها، ويحرفونه عن مواضعه
لأجلها^(١).

(١) فتح الباري لابن رجب (٢٣٩/٧، ٢٤٠) مكتبة
الغريب الأثرية، ط ١، ١٤١٧هـ.

(٢) الصواعق المرسلة (٣/٩٢١).

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ [يوسف]، وقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر]، فحُضَّ على تدبره وفقهه وعقله والتذكر به والتفكر فيه ولم يستثن من ذلك شيئاً. ونصوص الصفات من ذلك، لها معانٍ صحيحة مفهومة، فإننا نفهم من قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٍ عِلْمٌ﴾ [٣٣] معنى، ونفهم من قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٢٥٩] معنى ليس هو الأول، ونفهم من قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ معنى، ونفهم من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [٤٧] معنى. وصبيان المسلمين بل وكل عاقل يفهم هذا.

نصوص الصفات الإلهية من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، ينتج عنه استجهاال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأنهم كانوا يقرؤون هذه الآيات المتعلقة بالصفات ولا يعرفون معنى ذلك ولا ما أريد به، وهذا مخالف لمنهج السلف القائم على الإيمان بمعاني نصوص الصفات وأنها من المحكمات، وأما الكيفيات الغيبية فهي من المتشابهات التي لا يعلمها إلا الله (٢).

الحكمة:

فإن قيل: ما الحكمة من وجود المتشابه في القرآن؟
فالجواب:

١ - أن الحكمة من ذلك: ابتلاء العباد واختبارهم ليتبين الصادق في إيمانه من الشاك الجاهل الزائغ، فالصادق في إيمانه الراسخ في علمه الذي يؤمن بالله وكلماته، ويعلم أن كلام الله ﷻ ليس فيه تناقض ولا اختلاف، فيرد ما تشابه منه إلى ما كان محكماً، ليصير كله محكماً. وأما الشاك الجاهل الزائغ الذي يتبع ما تشابه منه، ليضرب كتاب الله تعالى بعضه ببعض،

ومن أدخل صفات الله أو بعض ذلك في المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، أو اعتقد أن ذلك هو المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله، فهو مخالف لاعتقاد السلف رحمهم الله الذين أجمعوا على أن كلام الله له معانٍ صحيحة، وقالوا في أحاديث الصفات: «تَمَرُّ كما جاءت»، ونهوا عن تأويلات الجهمية - وردوها وأبطلوها - التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه (١).

فالذي ذهب إليه المعطلة من أن

(٢) انظر: الصواعق المرسلة (٣/ ٩٢٠، ٩٢١).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٩٤، ٢٩٥).

- فيضل ويضل، ويكون إمامًا في الضلال والشقاء فيفتن الناس في دينهم، ويوقعهم في الشك والحيرة، ويفتن بعضهم ببعض^(١).
- ٢ - وقيل: إن الحكمة من ذلك أن القرآن لو كان كله ظاهر المعنى مكشوف الدلالة حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر. ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة، ويرتقي المتعلم فيه رتبة بعد رتبة، حتى يبلغ منتهاه، ويدرك أقصاه ولتكون للعالم فضيلة النظر، وحسن الاستخراج، ولتقع المثوبة من الله على حسن العناية^(٢).
- ٦ - «دراسات في علوم القرآن»، لمحمد بكر إسماعيل.
- ٧ - «الصواعق المرسلات»، لابن القيم.
- ٨ - «فتح الباري» (ج ٧)، لابن رجب.
- ٩ - «مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات»، لأحمد عبد الرحمن القاضي.
- ١٠ - «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة» (ج ٢)، لعثمان علي حسن.

محمد ﷺ

اسمه ونسبه:

المصادر والمراجع:

- هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^(٣).
- ١ - «الإتقان في علوم القرآن» (ج ٣)، للسيوطي.
- ٢ - «أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات»، للكرمي.
- ٣ - «الإكليل في المتشابه والتأويل»، لابن تيمية.

- ٤ - «تأويل مشكل القرآن»، لابن قتيبة.

- ٥ - «التدمرية»، لابن تيمية.

(١) تقريب التدمرية (٨٢).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٥٨) [دار الكتب العلمية]، وتقريب التدمرية (٨٢).

(٣) ذكره البخاري في صحيحه فقال: «باب مبعث النبي ﷺ» فسرده في الترجمة دون إسناد. انظر: صحيح البخاري (كتاب مناقب الأنصار، باب مبعث النبي...). وابن هشام في السيرة (١/١، ٢) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٧٥هـ]، والطبقات لخليفة بن خياط (٣) [دار طبية، الرياض، ط ٢، ١٤٠٢هـ] والبيهقي في دلائل النبوة (١٧٩/٢) [دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، ط ١، =

صريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ^(٥).
وقد حفظ الله نسب نبيه عليه السلام، فجعله
من خير الناس نسباً، وأزكاهم نسلاً،
وأطهرهم عرقاً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن
رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ
قُرُونِ بَنِي آدَمَ قُرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ
الْقُرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ» ^(٦)، وعن واثلة بن
الأُسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ
يقول: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ
إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قَرِيشًا مِنْ كِنَانَةَ،
وَاصْطَفَى مِنْ قَرِيشَ بَنِي هَاشِمٍ،
وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» ^(٧).

معنى اسمه لغة:

- من أسمائه:

أ - محمد، ولفظ (محمد) اسم
مفعول، من (حمد) فهو محمد؛ لكثرة
نعوته التي يمدح بها. قال ابن فارس:
«الحاء والميم والدال كلمة واحدة وأصل
واحد يدل على خلاف الذم. يقال:
حمدت فلاناً أحمده. ورجل محمود
ومحمد؛ إذا كثرت خصاله المحمودة غير
المذمومة» ^(٨).

وقال ابن القيم: «أما محمد، فهو

(٥) انظر: الرحيق المختوم (٣٩).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٥٧).

(٧) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٧٦).

(٨) مقاييس اللغة (٢/ ١٠٠) [دار الفكر ١٣٩٩هـ].

وانظر: تهذيب اللغة (٤/ ٢٥٢) [دار إحياء التراث

العربي، بيروت ١٩٨١]، والقاموس المحيط (٢٧٨)

[مؤسسة الرسالة، ٨، ١٤٢٦هـ].

ونسب النبي ﷺ إلى عدنان على هذه
الكيفية متفق عليه بين جميع أهل السير
والأنساب ^(١)، قال ابن الجوزي: «ولا
يختلف النسابون إلى عدنان» ^(٢).

وقال ابن كثير بعد أن سرد نسب
النبي ﷺ على مثل ما تقدم: «وهذا
النسب بهذه الصفة، لا خلاف فيه بين
العلماء، فجميع قبائل عرب الحجاز
ينتهون إلى هذا النسب؛ ولذا ذكر ابن
عباس وغيره في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي
يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ
لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن
يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
شَكُورٌ﴾ [الشورى]: لم يكن بطن من
بطون قريش إلا ولرسول الله ﷺ نسب
يتصل بهم ^(٣)، وصدق ابن
عباس رضي الله عنه ^(٤).

وأما ما فوق عدنان من النسب
فمختلف فيهم؛ في أسمائهم وعددهم،
مع اتفاق الجميع على أن عدنان من

= ١٤٠٨هـ]، والمنظّم في تاريخ الملوك والأمم (٢/ ١٩٥) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ]

(١) انظر: الرحيق المختوم للمباركفوري (٣٩) [دار
الهلal، بيروت، ط ١]، والسيرة النبوية الصحيحة
لأكرم ضياء العمري (٩٠/ ١) [مكتبة العلوم
والحكم، المدينة المنورة، ط ٦، ١٤١٥هـ].

(٢) المنظّم في تاريخ الملوك والأمم (٢/ ١٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨١٨).

(٤) البداية والنهاية (٣/ ٣٦٠) [دار هجر، ط ١]. وانظر:
صحيح السيرة النبوية للالباني (٩، ١٠) [المكتبة
الإسلامية، عمان، ط ١، ١٤٢١هـ].

اسم مفعول من (حمد) فهو محمد؛ إذا كان كثير الخصال التي يحمد عليها، ولذلك كان أبلغ من (محمود)، فإن (محموداً) من الثلاثي المجرد، و(محمد) من المضاعف؛ للمبالغة، فهو الذي يُحمد أكثر مما يُحمد غيره من البشر، ولهذا - والله أعلم - سمي به في التوراة؛ لكثرة الخصال المحمودة التي وصف بها، هو ودينه وأمته في التوراة^(١).

ب - أحمد، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعِ إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، ومن السنة الحديثان الآتيان عن جبير بن مطعم وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما.

ج - الماحي.

د - الحاشر.

هـ - العاقب.

وهذه الأسماء الثلاثة فسرها النبي ﷺ كما في حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد»^(٢).

هـ - المقفي.

و - نبي التوبة.

ز - نبي الرحمة.

يدل عليها ما ثبت من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ أنه قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء، فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»^(٣). والمقفي: هو المبعوث آخر الأنبياء وخاتمهم^(٤).

ح - الرؤوف.

ط - الرحيم.

ويدل عليهما قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَجِيمٌ﴾ [التوبة].

- ومن ألقابه وأوصافه:

أ - الشاهد.

ب - المبشر.

ج - النذير.

د - السراج.

هـ - المنير.

يدل عليها قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^(٥) [الأحزاب]. قال ابن كثير:

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٥٥).

(٤) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٢٣٢/١) [دار الفكر، ١٤٠٩هـ].

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٩٦)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٥٤).

«وقوله: ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٤٥)؛ أي:

بشيرًا للمؤمنين بجزيل الثواب، ونذيرًا

للكافرين من وبيل العقاب. وقوله:

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾^(٤٦)؛ أي: داعيًا

للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك

بذلك. ﴿وَسَرَّاجًا مُنِيرًا﴾^(٤٦)؛ أي: وأمر

ظاهر فيما جئت به من الحق؛ كالشمس

في إشراقها وإضاءتها، لا يجحدها إلا

معاند^(١). وقد جاء في تفسير هذه الآية

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «والله إنه

لموصوف في التوراة ببعض صفته في

القرآن: ﴿تَبَارَكُ الَّذِي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا

وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٤٥) [الأحزاب] وحررًا

للأميين، أنت عبيدي ورسولي، سميتك

المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب

في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة،

ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى

يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا:

لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا،

وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلْفًا»^(٢).

مولده ونشأته:

أ - مولده:

ولد رسول الله ﷺ في يوم الاثنين؛

لما ثبت من حديث أبي قتادة الطويل،

وفيه أن رسول الله ﷺ: سئل عن صوم

يوم الإثنين، قال: «فيه وُلدت، وفيه أنزل

(١) تفسير ابن كثير (٤٣٩/٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢١٢٥).

علي^(٣).

في عام الفيل؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنه

قال: «ولد النبي ﷺ عام الفيل»^(٤).

وجاء نحوه من حديث قيس بن

مخرمة، قال: «ولدت أنا ورسول الله ﷺ

عام الفيل، كنا لِدَيْن»^(٥). وهو المجمع

عليه كما يقول خليفة بن خياط^(٦)، وقال

ابن القيم: «لا خلاف أنه ولد ﷺ

بجوف مكة، وأن مولده كان عام

الفيل»^(٧).

واختلف في تاريخ يوم الولادة وشهره

على عدة أقوال^(٨)، ولعل الراجح هو

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصيام، رقم ١١٦٢).

(٤) أخرجه البزار في مسنده (٦٤/١١) [مكتبة العلوم

والحكم، ط ١]، والطحاوي في مشكل الآثار (١٥/

٢١٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم في

المستدرک (كتاب تواريخ المتقدمين، رقم ٤١٨٠)

وصححه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة

(رقم ٣١٥٢).

(٥) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٤٨) [دار الفكر،

ط ١]، ومن طريقه الترمذي (أبواب المناقب، رقم

٣٦١٩) وحسنه، وأحمد (٤٢٢/٢٩) [مؤسسة

الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة،

رقم ٥٩١٩)، وضعف سنده الألباني، لكن حسنه

بشاهده السابق. انظر: السلسلة الصحيحة (رقم

٣١٥٢).

وقوله: «كنا لدَيْن»؛ أي: مولودين في وقت واحد.

انظر: الصحاح (٥٥٤/٢) [دار العلم للملايين].

(٦) تاريخ خليفة بن خياط (٥٣) [دار القلم، ومؤسسة

الرسالة، ط ٢]. وانظر: صحيح السيرة للألباني

(١٣).

(٧) زاد المعاد (٧٦/١). وانظر: البداية والنهاية (٣/

٣٧٧).

(٨) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٢/ ٢٤٥ -

٢٤٧)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٧٤ - ٣٨٠).

وأشار ابن عثيمين إلى صنيع بعض الفلكيين هذا في أثناء ردّه على أصحاب المولد بقوله: «وقد حقق بعض الفلكيين المتأخرين ذلك، فكان في اليوم التاسع، لا في اليوم الثاني عشر»^(٤).

وعلى كلّ فالقول المستند إلى الرواية والسند أقرب للصواب من غيره فيما يبدو، والله أعلم.

ب - نشأته:

ولد النبي ﷺ يتيم الأب؛ فقد توفي والده عبد الله وهو في بطن أمه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى]، وكانت قابِلته الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف، وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية، وممن أرضعته ثوية أمة عمه أبي لهب، كما ثبت من حديث أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها؛ أنها قالت: «يا رسول الله انكح أختي بنت أبي سفيان، فقال: أوتحبين ذلك؟ فقلت: نعم لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في خير أختي، فقال النبي ﷺ: إن ذلك لا يحل لي، قلت: فإننا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة، قال: بنت أم سلمة؟ قلت: نعم، فقال: لو أنها لم تكن ربيتي في حجري ما حلت لي؛ إنها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعني وأبا سلمة ثوية، فلا

اليوم الثامن من ربيع الأول. قال الألباني معلقًا على هذه الأقوال المختلفة في تحديد تاريخ يوم الولادة وشهره: «وأما تاريخ يوم الولادة فقد ذكر فيه وفي شهره أقوال ذكرها ابن كثير في الأصل، وكلها معلقة - بدون أسانيد - يمكن النظر فيها ووزنها بميزان علم مصطلح الحديث، إلا قول من قال: إنه في الثامن من ربيع الأول، فإنه رواه مالك^(١) وغيره بالسند الصحيح، عن محمد بن جبير بن مطعم، وهو تابعي جليل، ولعله لذلك صحح هذا القول أصحاب التاريخ واعتمدوه، وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمي، ورجحه أبو الخطاب بن دحية، والجمهور على أنه في الثاني عشر منه والله أعلم»^(٢).

وذكر بعض الفلكيين أنهم توصلوا إلى أن تاريخ يوم ولادته ﷺ هو اليوم التاسع من ربيع الأول؛ اعتمادًا على علم الفلك، وذلك عن طريق تحويل السنين الرومية إلى الأيام، ثم تحويل الأيام إلى سنين قمرية، فينتج عنه ذاك التاريخ^(٣).

(١) كما في السيرة لابن كثير (١٩٩) [دار المعرفة].

(٢) صحيح السيرة النبوية للألباني (١٣).

(٣) انظر: تقويم الأزمان، بواسطة كتاب: ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية لمحمد العوشن (٨) [دار طيبة]، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية لبرزق الله (١٠٩، ١١٠) [مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ].

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (٢) / (٣٨٢) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٤هـ].

تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن^(١) .

نبوته:

ذكر الله نبوته ورسالته في غير آية من كتابه الكريم، قال الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب]، وقال الله سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتُنَفِّقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِّقِينَ لَكَذِبُونَ﴾ [المنافقون]، وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جَهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُم جَهَنَّمُ وَبَشَّ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل ما بعثني الله كمثلي رجل أتى قومًا فقال: رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء النجاء، فأطاعته طائفة فأدلجوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة فصبّحهم الجيش فاجتاحهم^(٣)».

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال

ثم أخذته حليلة السعدية لترضعه، فانتقلت به إلى بادية بني سعد، ومكث هناك أربع سنين، ثم أرجعته إلى أهله. فواصل نشأته تحت رعاية أمه وكفالة جده عبد المطلب، ثم عمه أبي طالب، ولما بلغ عمره ﷺ ست سنين توفيت والدته بالأبواء، في أثناء عودتها من زيارتها لأحوال أبيه بالمدينة، فأتت به حاضنته أم أيمن إلى جده عبد المطلب بمكة، وأخذ يحوطه بعنايته إلى أن توفي، وللنبي ثمان سنين، فأوصى به عمه أبا طالب، فأخذه أبو طالب، وأحاطه برعايته، وكان يحبه ويدينه منه ويخصه ببعض الأمور، وقد حفظ الله نبيه من أقدار الجاهلية، فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقًا، وأعظمهم حلمًا وأمانة، وأصدقهم حديثًا، وأبعدهم من الفحش والأخلاق المدنسة للرجال. ولما بلغ الأربعين بعثه الله تعالى نبيًا رسولًا، فصعد بأمر ربه. ولما أراد المشركون النيل منه وقف عمه سدًا منيعًا أمامهم، ولم ينالوا من النبي ﷺ شيئًا في حياة عمه أبي طالب، وكان يحوطه إلى أن توفي قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين^(٢).

والدلائل للبيهقي (١/ ٥٥ - ٥٨)، وزاد المعاد (١/ ٨٢)، وتاريخ الإسلام للذهبي (١/ ٤٨٣)، و٤٩٥ - (٤٩٧) [دار الغرب الإسلامي، ط ١]، والبدية والنهاية (٣/ ٤٤٤) وما بعدها، والسيرة النبوية الصحيحة للعمري (١/ ٩٣ - ١٠٣)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية لمهدي رزق الله (١٠٩ - ١١٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤٨٢)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥١٠٧)، ومسلم (كتاب الرضاع، رقم ١٤٤٩).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٥٨ - ١٦٩، و١٧٩).

شَهِدَاكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ [البقرة].

ب - انشقاق القمر: طلب المشركون من النبي ﷺ أن يريهم آية تدلهم على صدقه في دعوته؛ ليؤمنوا به، فأراهم انشقاق القمر نصفين، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتِ أَلِصَّاعُ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر]. وعن أنس رضي الله عنه: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما»^(٢).

ج - حماية جنود الله له: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: قليل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبه ويتقي بيديه، قال: قليل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»^(٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٦٨)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨٠٢).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٩٧).

رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتَ خَمْسًا لَمْ يُعْطَ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةَ فليصل، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتِ الشَّفَاعَةَ»^(١).

❁ دلائل نبوته:

دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ كثيرة، منها:

أ - القرآن الكريم: حجة الله الخالدة على خلقه، الذي أعجز البلغاء والشعراء الفصحاء من العرب الأقحاح عن الإتيان بمثله؛ بل عن الإتيان بعشر سور من مثله مفتريات؛ بل تحداهم الله أن يأتوا بسورة واحدة، فانقطعوا عاجزين، ووقفوا مُفْجَمِينَ مَبْهَتِينَ، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء، ٨٨]، وقال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود، ١٣].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٨)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١).

ذلك الإناء، فأمر الناس أن يتوضؤوا منه، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم»^(٤).

ز - تكثير الطعام القليل: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخرجت خمراً لها فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت يدي ولائتي ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ. قال: فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس، فقامت عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ: «أرسلك أبو طلحة؟» فقلت: نعم، قال: «بطعام؟»، فقلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «قوموا»، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ: «هلمي يا أم سليم ما عندك»، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففتّ وعصرت أم سليم

د - حنين جذع النخل له ﷺ: كما جاء من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ أنه قال: «كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت»^(١).

هـ - اهتزاز جبل أحد له ولمن معه: فقد ثبت من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم، فقال: «اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»^(٢).

و - نبع الماء من بين أصابعه الشريفة: كما ثبت من حديث أنس رضي الله عنه قال: «أتى النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء، فوضع يده في الإناء، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم، قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاث مائة أو زهاء ثلاث مائة»^(٣).

وعنه رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتمس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ يده في

(١) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٧٢)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٧٣)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٧٩).

ومن أسمائه:

الكتاب: كما في هذا الحديث، وفي قوله تعالى أيضًا: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [النساء: ١٠٥].

والفرقان: كما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان].

وكان نزوله في شهر رمضان، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، في اليوم الرابع والعشرين منه، فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»^(٣).

والترمذي (أبواب العلم، رقم ٢٦٦٤) وحسنه، وأحمد (٤١٠/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٦٤٣).
(٣) أخرجه أحمد (١٩١/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]، والطبراني في المعجم الأوسط (١١١/٤) [دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ]، وقال الهيثمي في المجمع (١٩٧/١) [مكتبة القدسي]: (فيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقيّة رجاله ثقات)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٤/٤، رقم ١٥٧٥) [مكتبة المعارف، ط ١].

عكة فأدمته، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «أئذن لعشرة»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: «أئذن لعشرة»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «أئذن لعشرة»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «أئذن لعشرة»، فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً»^(١).

✽ كتابه:

هو القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَلْقَلْبِ الْقُرْآنَ مِن لَّدُن حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان].

وجاء من حديث المقدم بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه...»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٧٨)، ومسلم (كتاب الأشربة، رقم ٢٠٤٠).
(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٦٠٤)،

﴿دعوته﴾

«ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آبائكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فيأياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»^(٣).

﴿قومه وموقفهم منه﴾

قومه هم أهل مكة من قريش وغيرهم، لما جاءهم من عند الله كفر به كثير منهم ونسبوه إلى السحر ورموه بالكذب، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ۖ﴾^(٤) أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ [ص]، وقال

لقد أرسل الله نبيّه محمداً بأمرين اثنين؛ هما: العلم النافع والعمل الصالح، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٥) [التوبة]، فالهدى: العلم النافع، ودين الحق: العمل الصالح، لذا النبي ﷺ دعا أمته إلى توحيد الله وإخلاص الدين له، ونبذ الشرك بشتى أنواعه، وإلى تقوى الله والبر وصلة الأرحام، وغير ذلك مما جاء في شريعة الإسلام، قال ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُجِّنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٦) [يوسف]. قال ابن كثير في تفسيرها: «يقول الله تعالى لعبد ورسوله إلى الثقلين؛ الإنس والجن، آمراً له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله؛ أي: طريقه ومسلكه وسُنَّته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي»^(٧).

ومما يبين هذا إجابة أبي سفيان لما سأله هرقل عن دعوة النبي ﷺ بقوله:

(٢) أخرجه البخاري (باب بدء الوحي، رقم ٧)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٧٣).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٩٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩).

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٢٢).

تعالى: ﴿وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر]، واشترطوا للإيمان به شروطًا تعجيزية كما حكاها الله عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [٩٦] أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ تَحِيلٍ وَعَنْبٍ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ جَلَلَهَا تَفْجِيرًا﴾ [٩٧] أَوْ تَسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بَالَهُ وَالْمَلَكِةَ قَيْلًا﴾ [٩٨] أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفُوقِكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَنَادَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِفِرْعَانَ عَرِّ هَذَا أَوْ يَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَن أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَّوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس].

وقد بين الله بطلان جميع ادعاءاتهم، وأن هؤلاء الكفار ضارعو الكفار الأولين في هذه الافتراءات، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [٩٩] [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [٤٢] مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنْ رَّبُّكَ لَدُوٌّ مَّغْفِرٌ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [٤٣] [فصلت]، وقال الله سبحانه: ﴿وَلَوْ لَقَوْلٌ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ [٤٤] لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [٤٥] ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [٤٦] فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٌ﴾ [٤٧] وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [٤٨] وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ﴾ [٤٩] وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [٥٠] وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْبَقِيَّةِ﴾ [٥١] فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [٥٢] [الحاقة].

وكفروا بالقرآن الكريم، وزعموا أنه أساطير الأولين اكتبها محمد ﷺ، كما حكاها الله عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [٥٣] [الفرقان].

ومنعوا النبي ﷺ من تبليغ دين الله للناس، وضيّقوا عليه بعد وفاة عمه أبي طالب، وأخذ يعرض نفسه الشريفة على الناس في المواسم، كما جاء من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ أنه قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس

وبعد صبر النبي ﷺ وأصحابه في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، دخل الناس في دين الله أفواجًا.

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٣٤)، والترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٩٢٥) وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٢٠١)، وأحمد (٣٧٠/٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٣٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٤٧).

وفاته:

جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقه، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني: ظئره - فقالوا: إن محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره^(٥)، وكانت هذه الأولى من باب التخلية.

توفي النبي ﷺ في العام الحادي عشر، يوم الاثنين دون خلاف^(١)، في الثاني عشر من ربيع الأول على المشهور من أقوال أهل العلم^(٢)، قال ابن خياط: «توفي ﷺ بالمدينة يوم الاثنين، لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، ويقال: لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأول، سنة إحدى عشرة»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حادثة شق صدره ﷺ:

وقعت للنبي ﷺ حادثة شق الصدر مرتين:

الأولى: وقعت له وهو صغير، وهي أنه ﷺ جاءه جبريل، فشق صدره واستخرج منه علقه سوداء، وقال: إنها حظ الشيطان منه، ثم غسله بماء زمزم، ولأمه^(٤) كما كان، فقد ثبت من حديث أنس بن مالك: «أن رسول الله ﷺ أتاه

الثانية: وقعت له ليلة الإسراء والمعراج، وكانت هذه من باب التحلية، يدل عليها حديث مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ قال: «بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فأتيت فانطلق بي، فأُتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا - قال قتادة: فقلت للذي معي: ما يعني؟ قال: إلى أسفل بطنه - فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم، ثم أعيد مكانه، ثم حُشي إيماناً وحكمة، ثم أتيت بدابة أبيض يقال له: البراق، فوق الحمار ودون البغل...»^(٦).

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٢٩/٨).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٢٩/٨)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية لمهدي رزق الله (٦٨٧)، والسيرة النبوية الصحيحة للعمري (٢/ ٥٥٣).

(٣) طبقات ابن خياط (٣).

(٤) لأمه: من التام الجرح؛ إذا التصق الجسم المقطوع ببعضه ببعض. قال ابن فارس في المقاييس (٥/ ٢٢٦): «لأمت الجرح، ولأمت الصدع؛ إذا سددت».

وهذان الحديثان وما في معناهما

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي» ^(٤).

- المسألة الثالثة: حكم سب النبي ﷺ:

ويمكن إيضاحها من ثلاث جهات:
الجهة الأولى: فيما يتعلق بالحكم عليه.

الجهة الثانية: فيما يتعلق بعقوبته وحده.

الجهة الثالثة: في حكمه إذا تاب.
أما الجهة الأولى: فمعلوم «أن كل ساب وشاتم فمستخف بالمشتموم مستهزئ به، فالاستخفاف والاستهزاء شيء واحد» ^(٥). فمن «سبه أو تنقصه ﷺ فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره» ^(٦)؛ لقول الله تعالى: ﴿...قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٥﴾ لَا تَعْدِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة]، وقوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا

يدلان على وقوع حادثة شق صدر النبي ﷺ، ويفهم منهما وقوع ذلك مرتين، خلافاً لمن توهم وجود التعارض بين الحديثين، كما أفاده ابن كثير بقوله: «ولا منافاة؛ لاحتمال وقوع ذلك مرتين؛ مرة وهو صغير، ومرة ليلة الإسراء؛ ليتأهب للوفود إلى الملأ الأعلى، ولمناجاة الرب، والمثول بين يديه تبارك وتعالى» ^(١).

- المسألة الثانية: فيما يتعلق بأبوي النبي ﷺ:

توفي والدا النبي ﷺ قبل الإسلام، أما والده عبد الله فقد توفي والنبي ﷺ في بطن أمه، وأما والدته فقد توفيت وهو في السنة السادسة من عمره، لذا هما لم يدركا الإسلام، ولكن أخبر النبي ﷺ عن حالهما في بعض الأحاديث، منها ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «في النار»، فلما قفى دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار» ^(٢).

قال النووي: «فيه: أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين... وقوله ﷺ: «إن أبي وأباك في النار» هو من حسن العشرة للتسليّة بالاشتراك في المصيبة» ^(٣).

(١) البداية والنهاية (٤١٨/٣).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠٣).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٧٩/٣) [دار إحياء

التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٦).

(٥) المحلى لابن حزم (٤١٢/١١) [إدارة الطباعة

المشرية، مصر، ط ١، ١٣٥٢هـ].

(٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢٢٣/٢).

وَالْآخِرَةَ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِمًّا ﴿٥٧﴾ «إن من سب النبي ﷺ مما هو قذف [الأحزاب]. فبين الله تعالى أن من فعل ذلك فهو كافر ملعون في الدنيا والآخرة، ومتوعد بالليم العذاب وشديد العقاب، وعليه فهذه النصوص وما في معناها تدل على كفر ساب النبي ﷺ من غير مرية، وعلى هذا فقهاء الملة، وعلماء الأمة وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن سبَّ الله أو سبَّ رسوله ﷺ كفر ظاهرًا وباطنًا، وسواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلًا له، أو كان ذاهلًا عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل.

وقد قال الإمام أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهويه، وهو أحد الأئمة يعدل بالشافعي وأحمد: قد أجمع المسلمون أن من سبَّ الله أو سبَّ رسوله ﷺ أو دفع شيئًا مما أنزل الله، أو قتل نبيًا من أنبياء الله أنه كافر بذلك، وإن كان مقرًا بما أنزل الله»^(١).

ونقل الحافظ ابن حجر عن أبي بكر الفارسي - أحد أئمة الشافعية - قوله:

«إن من سب النبي ﷺ مما هو قذف صريح كفر باتفاق العلماء»^(٢).

وأما الجهة الثانية: وهي المتعلقة بعقوبته، فقد دلت النصوص من الكتاب الكريم والسنة الصحيحة عن النبي ﷺ ومأثور سلف الأمة، وإجماع الصدر الأول من الصحابة والتابعين على قتل ساب النبي ﷺ مسلمًا كان أو كافرًا^(٣). قال الله تعالى: ﴿فَنَلُوا الذِّبْنَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الذِّبْنِ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٢٩). [التوبة].

ووجه الاستدلال بها هو أننا «أمرنا بقتالهم إلى أن يعطوا الجزية وهم صاغرون، فلا يجوز الإمساك عن قتالهم، إلا إذا كانوا صاغرين حال إعطائهم الجزية، ومعلوم أن إعطاء الجزية من حين بذلها والتزامها إلى حين تسليمها وإقباضها، فإنهم إذا بذلوا الجزية شرعوا في الإعطاء ووجب الكف عنهم إلى أن يقبضونها فيتم الإعطاء، فمتى لم يلتزموها، أو التزموها أولًا وامتنعوا من تسليمها ثانيًا، لم يكونوا معطين للجزية؛ لأن حقيقة الإعطاء لم

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢٨١/١٢).

(٣) انظر: زاد المعاد (٥٨/٥ - ٦٠) [مؤسسة الرسالة، ومكتبة المنار الإسلامية، ط ٢٦٢، ١٤٢٢هـ].

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (٣/٩٥٥، ٩٥٦) [مكتبة رمادي، ط ١، ١٤١٧هـ].

المَغُول فوضعه في بطنها، واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجلها طفل فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فجمع الناس فقال: أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام. فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعت في بطنها، واتكأت عليها حتى قتلتها. فقال النبي ﷺ: ألا تشهدوا أن دمها هدر»^(٣).

قال ابن القيم بعد أن ذكر طائفة من الأحاديث الواردة في هذا المعنى: «وفي ذلك بضعة عشر حديثاً ما بين صحاح وجسان ومشاهير، وهو إجماع الصحابة»^(٤).

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن «من سب النبي ﷺ من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله، هذا مذهب عليه عامة أهل

توجد، وإذا كان الصغار حلاً لهم في جميع المدة، فمن المعلوم أن من أظهر سب نبينا في وجوهنا، وشتم ربنا على رؤوس الملأ منا، وطعن في ديننا في مجامعنا، فليس بصاغر؛ لأن الصاغر: الذليل الحقير، وهذا فعل متعزز مراغم؛ بل هذا غاية ما يكون من الإذلال لنا والإهانة»^(١).

وجاء من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله ﷺ»، فقال محمد بن مسلمة: أنا، فأتاه فقال: أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين، فقال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب، قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهن أبناءنا فيسب أحدهم، فيقال رهن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا، ولكننا نرهنك الأمة - قال سفيان: يعني السلاح - فوعده أن يأتيه، فقتلوه ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فبينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ

(١) الصارم المسلول (٢/٣٢، ٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرهن، رقم ٢٥١٠)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٨٠١).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الحدود، رقم ٤٣٦١)، والنسائي (كتاب تحريم الدم، رقم ٤٠٧٠)، والحاكم في المستدرک (كتاب الحدود، رقم ٨٠٤٤)، وصححه على شرط مسلم، وكذا قال الألباني في الإرواء (٩٢/٥) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٤) زاد المعاد (٥/٥٥).

العلم. قال ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن حدَّ من سبَّ النبي ﷺ القتل. وممن قاله: مالك والليث وأحمد وإسحاق وهو مذهب الشافعي، قال: وحكي عن النعمان: لا يقتل - يعني: الذمي - الذي هم عليه من الشرك أعظم.

وقد حكى أبو بكر الفارسي من أصحاب الشافعي إجماع المسلمين على أن حدَّ من سبَّ النبي ﷺ القتل، كما أن حدَّ من سبَّ غيره الجلد، وهذا الإجماع الذي حكاه هذا محمول على إجماع الصدر الأول من الصحابة والتابعين، أو أنه أراد به إجماعهم على أن سبَّ النبي ﷺ يجب قتله إذا كان مسلماً، وكذلك قيده القاضي عياض، فقال: أجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين وسابّه^(١)، وكذلك حكي عن غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره.

وقال الإمام إسحاق بن راهويه أحد الأئمة الأعلام: أجمع المسلمون على أن من سبَّ الله، أو سبَّ رسوله ﷺ أو دفع شيئاً مما أنزل الله ﷻ، أو قتل نبياً من أنبياء الله ﷻ أنه كافر بذلك، وإن كان مقرراً بكل ما أنزل الله. وقال الخطابي: لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله.

(١) الشفا للقاضي عياض (٢/٢١١).

وقال محمد بن سحنون: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ والمتنقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر.

وتحرير القول فيها: أن السابَّ إن كان مسلماً فإنه يكفر، ويقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، وقد تقدم ممن حكى الإجماع على ذلك من الأئمة مثل إسحاق بن راهويه وغيره، وإن كان ذمياً فإنه يقتل أيضاً في مذهب مالك وأهل المدينة... وهو مذهب أحمد وفقهاء الحديث، وقد نصَّ أحمد على ذلك في مواضع متعددة^(٢).

ويقول في موضع آخر بعد أن ذكر بعض ألفاظ السب: «فهذا كله إذا صدر من مسلم، أو معاهد، فهو سب، فأما المسلم فيقتل به بكل حال، وأما الذمي فيقتل بذلك إذا أظهره»^(٣).

الجهة الثالثة: في حكمه إذا تاب.

اختلف في ذلك على أقوال، كما حكاها غير واحد، منهم ابن تيمية، حيث قال عن الحنابلة: «إن أصحابنا حكوا في الساب إذا تاب ثلاث روايات:

(٢) الصارم المسلول لابن تيمية (٢/١٣ - ١٦).

(٣) المصدر نفسه (٣/١٠٥).

يستتب. قال: وروى لنا مالك إلا أن يسلم الكافر، قال أشهب عنه: من سبَّ النبي ﷺ من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب. فهذه نصوصه نحو من نصوص الإمام أحمد، والمشهور من مذهبه أنه لا تقبل توبة المسلم إذا سبَّ النبي ﷺ^(٣). ويقتل عندهم حدًا لا كفرًا^(٤).

قال القاضي عياض: «فاعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدًا لا كفرًا إن أظهر التوبة منه، ولهذا لا تقبل عندهم توبته... وقال ابن سحنون: من شتم النبي ﷺ من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تُزل توبته عنه القتل»^(٥).

وأما الذمي إذا سبَّ النبي ﷺ ثم تاب وأسلم، فهل إسلامه يُسقط عنه القتل أم لا؟ لهم فيه روايتان^(٦).

وأما الشافعية فلهم وجهان في سبَّ النبي ﷺ:

الوجه الأول: أنه كالمرتد، إذا تاب سقط عنه القتل.

إحداهن: يقتل بكل حال، وهي التي نصروها كلهم، ودلَّ عليها كلام الإمام أحمد في نفس هذه المسألة، وأكثر محققهم لم يذكروا سواها.

والثانية: تقبل توبته مطلقًا.

والثالثة: تقبل توبة الكافر، ولا تقبل توبة المسلم. وتوبة الذمي التي تقبل إذا قلنا بها أن يسلم، فأما إذا أُلِّقَ وطلب عقد الذمة له ثانيًا لم يعصم ذلك دمه رواية واحدة^(١).

وقال ابن القاسم عن مالك: «أن من شتم النبي ﷺ من المسلمين قتل ولم يستتب»^(٢).

وقال ابن تيمية: «وأما مذهب مالك رحمه الله فقال مالك في رواية ابن القاسم ومطرف: من سبَّ النبي ﷺ قتل ولم يستتب، قال ابن القاسم: من سبَّه أو شتمه أو عابه أو تنقصه فإنه يقتل كالزنديق، وقال أبو مصعب وابن أبي أويس: سمعنا مالكا يقول: من سبَّ النبي ﷺ أو شتمه أو عابه أو تنقصه قُتِل، مسلمًا كان أو كافرًا، ولا يستتاب، وكذلك قال محمد بن عبد الحكم: أخبرنا أصحاب مالك أنه قال: من سبَّ النبي ﷺ أو غيره من النبيين، مسلمًا كان أو كافرًا قُتِل ولم

(١) المصدر نفسه (٥٦٣/٣).

(٢) النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات (٥٢٦/١٤) [دار الغرب الإسلامي، ط١].

(٣) الصارم المسلول (٥٧١/٣ - ٥٧٣). وانظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢١٦/٢، ٢١٧).

(٤) انظر: مختصر الصارم المسلول للبعلي (٩٤) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢٥٤/٢، ٢٥٥).

(٦) انظر: الصارم المسلول (٥٧٣/٣ - ٥٧٥)، والمجموع شرح المذهب للنووي (٤٢٧/١٩)، ومختصر الصارم المسلول للبعلي (٩٤).

الوجه الثاني: أنه يقتل، ولا يسقط عنه القتل بالتوبة^(١).

وأما الساب إذا كان ذمياً فقد اختلف أصحاب الشافعي فيه على قولين؛ ف«منهم من قال: يجب قتل الساب حتماً وإن خير في غيره. ومنهم من قال: هو كغيره من الناقضين للعهد، وفيه قولان: أضعفهما أنه يلحق بمأمنه، والصحيح منهما جواز قتله»^(٢).

لكن المنصوص عن الشافعي نفسه أنه ينتقض عهده بسب النبي ﷺ ويُقتل^(٣).

قال الخطابي في ساب النبي ﷺ: «لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله، ولكن إذا كان الساب ذمياً فقد اختلفوا فيه، فقال مالك بن أنس: من شتم النبي ﷺ من اليهود والنصارى قتل، إلا أن يسلم، وكذلك قال أحمد بن حنبل، وقال الشافعي: يقتل الذمي إذا سب النبي ﷺ وتبرأ منه الذمة»^(٤).

وأما أبو حنيفة فقد نقل عنه قولان:

أحدهما: أنه يقول بقتل ساب النبي ﷺ، ولا يقبل توبته كبقية الأئمة؛ مالك، والشافعي في المنصوص عنه،

ويشير ابن تيمية إلى اتفاق هذه

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٢١٥). وانظر:

حاشية ابن عابدين (٤/٢١٥) [دار الفكر، ١٤٢١هـ].

(٦) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/١٩٢)

[مكتبة الرشد، الرياض، ط ٢، ١٤٢٣هـ]، والصارم

المسلول (٢/٣١، و٣/٥٥٦).

(١) انظر: الصارم المسلول (٣/٥٧٥ - ٥٧٧)،

والمجموع شرح المذهب للنووي (١٩/٤٢٧)،

وتقريب الصارم المسلول لصالح الصاوي (١٨٨).

(٢) انظر: الصارم المسلول (٢/٢٩، ٣٠، و٣/٥٥٦).

(٣) انظر: الصارم المسلول (٢/٢٦).

(٤) معالم السنن للخطابي (٣/٢٩٦).

ويدفن في محل بعيد عن قبور المسلمين.

القول الثاني: أنها تقبل توبة من سبَّ الله أو سبَّ رسوله ﷺ إذا علمنا صدق توبته إلى الله، وأقر على نفسه بالخطأ، ووصف الله تعالى بما يستحق من صفات التعظيم، وذلك لعموم الأدلة الدالة على قبول التوبة؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، ومن الكفار من يسب الله ومع ذلك تقبل توبتهم، وهذا هو الصحيح، إلا أن سبَّ الرسول ﷺ تقبل توبته ويجب قتله، بخلاف من سبَّ الله، فإنها تقبل توبته ولا يقتل؛ لأن الله أخبرنا بعفوه عن حقه إذا تاب العبد، بأنه يغفر الذنوب جميعاً. أما سبَّ الرسول ﷺ فإنه يتعلق به أمران: **أحدهما:** أمر شرعي؛ لكونه رسول الله ﷺ وهذا يقبل إذا تاب.

الثاني: أمر شخصي، وهذا لا تقبل التوبة فيه؛ لكونه حق آدمي لم يعلم عفوه عنه، وعلى هذا فيقتل، ولكن إذا قتل غسلناه، وكفنناه، وصلينا عليه، ودفناه مع المسلمين.

وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية... فإن قيل: أليس قد ثبت أن من الناس من سبَّ الرسول ﷺ في حياته وقبل النبي ﷺ توبته؟

الأقوال في وجوب قتل سبَّ النبي ﷺ مع الاختلاف في سبب حكم قتله، فيقول: «فهذا الباب كله مما عدّه العلماء سباً وتنقّصاً يجب قتل قائله ولم يختلف في ذلك متقدمهم ومتأخّره وإن اختلفوا في سبب حكم قتله»^(١).

وكذلك قال أبو حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه أو برئ منه أو كذبه: إنه مرتد. وكذلك قال أصحاب الشافعي: كل من تعرض لرسول الله ﷺ بما فيه استهانة، فهو كالسبِّ الصريح؛ فإن الاستهانة بالنبي ﷺ كفر، وهل يتحتم قتله أو يسقط بالتوبة؟ على الوجهين، وقد نص الشافعي على هذا المعنى.

فقد اتفقت نصوص العلماء من جميع الطوائف على أن التنقص له كفر مبيح للدم، وهم في استتابته على ما تقدم من الخلاف»^(٢).

وقال ابن عثيمين ردّاً على سؤال: «هل تقبل توبة من سبَّ الله ﷻ أو سبَّ الرسول ﷺ؟» فأجاب بقوله: «اختلف في ذلك على قولين:

القول الأول: أنها لا تقبل توبة من سبَّ الله، أو سبَّ رسوله ﷺ، وهو المشهور عند الحنابلة، بل يقتل كافراً، ولا يصلى عليه، ولا يدعى له بالرحمة،

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٢١٩).

(٢) الصارم المسلول (٣/٩٨٢، ٩٨٣).

أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، فهو الذي فرق الله به بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغى»^(٣).

وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا﴾: «أي: اسلكوا طريقه واقتفوا أثره: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾»^(٤)؛ أي: إلى الصراط المستقيم»^(٥).

وقد مدح الله المقتدين بالرسول ﷺ فيما جاءهم به، وحصر الفلاح فيهم، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ذَلَّلُوا لَهِمْ وَبَارَأَ لَهُمُ الْغُيُوبَ﴾^(٦) وعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(٧) [الأعراف].

وثبت من حديث جابر رضي الله عنه؛ أنه قال: «رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»^(٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون

أجيب: بأن هذا صحيح، لكن هذا في حياته ﷺ، والحق الذي له قد أسقطه، وأما بعد موته فإنه لا يملك أحد إسقاط حقه ﷺ، فيجب علينا تنفيذ ما يقتضيه سبه»^(٩).

- المسألة الرابعة: وجوب الاقتداء به ﷺ:

لقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على وجوب الاقتداء بالنبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١٠) [الحشر]، وقال ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١١) [آل عمران]، وقال ﷺ: ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١٢) [الأعراف].

قال شيخ الإسلام في هذه الآيات وأمثالها: «فعلى الخلق كلهم اتباع محمد ﷺ، فلا يعبدون إلا الله، ويعبدونه بشريعة محمد ﷺ لا غيرها»^(١٣). وقال في موضع آخر: «فليس لأحد أن يسلك إلى الله إلا بما شرعه الرسول لأمته، فهو الداعي إلى الله بإذنه، الهادي إلى صراطه الذي من

(٣) مجموع الفتاوى (٥٨٦/١١).

(٤) تفسير ابن كثير (٤٩١/٣).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٢٩٧).

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٥٠/٢، ١٥١).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٢٣/١١).

تمسك بالكتاب والسنة سبق إلى كل خير؛ لأن من جاء بعده إن عمل بعمله، لم يصل إلى ما وصل إليه من سبقه إلى الإسلام، وإلا فهو أبعد منه حساً وحكماً، قوله: «فإن أخذتم يميناً وشمالاً» أي: خالفتم الأمر المذكور. وكلام حذيفة منزع من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] (٤).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كفيتم، كل بدعة ضلالة» (٥).

وجملة القول: إن الاقتداء بالنبي ﷺ والإتيان بالعبادة على وفق هديه، هو أحد شرطي قبول العبادة؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، قال ابن كثير في هذه الآية: «ولم يقل: أكثر عملاً، بل: أحسن عملاً»، ولا يكون العمل حسناً حتى يكون خالصاً لله ﷻ على شريعة رسول الله ﷺ، فمتى فقد العمل واحداً

الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» (١).

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثلي رجل أتى قومًا فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق» (٢).

والآثار السلفية المؤكدة على ضرورة الاقتداء بالنبي ﷺ كثيرة جدًا، منها ما جاء عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «يا معشر القراء استقيموا؛ فقد سبقتم سبقاً بعيداً، فإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتُمْ ضلالاً بعيداً» (٣).

قال ابن حجر موضحاً كلام حذيفة رضي الله عنه هذا: «والمراد: أنه خاطب بذلك من أدرك أوائل الإسلام، فإذا

(١) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم ٧٢٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم ٧٢٨٣)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم ٧٢٨٢).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٢٥٧/١٣).

(٥) أخرجه الدارمي في سننه (كتاب العلم، رقم ٢١١)، ووكيع في الزهد (٥٩٠) [مكتبة الدار، ط١]، والمروزي في السنة (٢٨) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط١] وغيرهم.

الكريم والسُّنَّة المطهرة فهو كافر به
وبجميع الرسل ﷺ، ومكذب لله
ورسوله ﷺ فيما أخبرا به، وإن مات
على هذا فهو خالد مخلد في النار وبئس
القرار، قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩] وقال تعالى:
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ
الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ
يُفْرِقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ
وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ
ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [١٥٦] أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا [١٥٧] وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفْرِقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ
أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧].

قال ابن كثير: «فحكم عليهم بالكفر
المحقق؛ إذ آمنوا ببعض الرسل وكفروا
ببعضهم» (٢).

قال السعدي: «هنا قسمان قد وضحا
لكل أحد: مؤمن بالله وبرسوله كلهم
وكتبه، وكافر بذلك كله.

وبقي قسم ثالث: وهو الذي يزعم أنه

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣٤١).

من هذين الشرطين بطل وحبط» (١)،
فالطرق كلها والسبل جميعها منذ مبعث
النبي ﷺ إلى قيام الساعة مسدودة على
الخلق إلا طريق المصطفى ﷺ، فطريقه
هو الموصل إلى الله، كما قال تعالى:
﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

- المسألة الخامسة: حكم من لم
يؤمن به ﷺ:

من يوم بعث الله محمدًا ﷺ نبيًا
ورسولًا، نسخت كل الشرائع السابقة،
قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وأصبح الناس جميعًا مخاطبين بشريعة
الإسلام التي جاء بها نبيُّنا محمد ﷺ،
وأمره الله أن يعلن للناس بأنه رسول الله
إليهم كافة، وأن يدعوهم إلى الله
جميعا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا
النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
الَّتِي الْأُنْبِيَاءُ الَّتِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ
وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [١٥٨].

[الأعراف].

وكل من بلغته رسالة النبي محمد ﷺ
ولم يؤمن بها، وبما جاء به من القرآن

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٠٨).

- يؤمن ببعض الرسل دون بعض، وأن هذا سبيل ينجيهِ من عذاب الله، إن هذا إلا مجرد أمانى؛ فإن هؤلاء يريدون التفريق بين الله وبين رسله. فإن من تولى الله حقيقة تولى جميع رسله؛ لأن ذلك من تمام توليه، ومن عادى أحدًا من رسله ﷺ فقد عادى الله وعادى جميع رسله، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ﴾ الآيات. وكذلك من كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل؛ بل بالرسول الذي يزعم أنه به مؤمن، ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾؛ وذلك لئلا يتوهم أن مرتبتهم متوسطة بين الإيمان والكفر^(١).
- ٦ - «زاد المعاد في هدي خير العباد» (ج ١)، لابن القيم.
- ٧ - «البداية والنهاية» (ج ٣)، لابن كثير.
- ٨ - «صحيح السيرة النبوية» للألباني.
- ٩ - «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية»، لمهدي رزق الله.
- ١٠ - «السيرة النبوية الصحيحة» (ج ١)، لأكرم ضياء العمري.
- المحو والثبات**
- يراجع مصطلح (الكتابة).

المُحيي

يراجع مصطلح (المحيي المميت).

المدح

التعريف لغة:

المدح: نقيض الهجاء، وهو: الثناء الحسن، يقال: مدحه وامتدحه بمعنى، والمدح المصدر والمدحة الاسم، والجمع: مدح، وهو المدائح، والجمع: المدائح والأماديح، ونظيره في الأمادح حديث وأحاديث^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «سيرة» (ج ١)، لابن هشام.
- ٢ - «الطبقات»، لخليفة بن خياط.
- ٣ - «تاريخ خليفة بن خياط».
- ٤ - «دلائل النبوة» (ج ٢)، للبيهقي.
- ٥ - «المنتظم في تاريخ الملوك

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٣٠٨/٥) [دار الجيل، ط ١]، ولسان العرب (٥٨٩/٢) [دار الفكر، ط ١، ١٤١٠هـ].

(١) تفسير السعدي (ص ٢١٢).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

اختصاص الممدوح بأي نوع من الفضائل والمحاسن.

✽ الأسماء الأخرى:

الثناء.

✽ الحكم:

١ - حكم المدح في حق المخلوق:

ورد التحذير من المدح والتزكية في عدد من النصوص، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٩]، قال ابن كثير رحمه الله: «قيل: نزلت في ذم التماذج والتزكية»^(٥).

وعن المقداد رضي الله عنه: «أن رجلاً جعل يمدح عثمان، فجننا المقداد على ركبتيه فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان رضي الله عنه: «ما شأنك؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب»^(٦). قال أبو سليمان الخطابي: «المداحون هم الذين اتخذوا مدح الناس عادةً، وجعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح»^(٧).

وقد اختلف العلماء في حكم مدح المخلوق على ثلاثة أقوال:

القول الأول: التحريم مطلقاً، لظاهر

والمدح من قولهم: انمدحت الأرض؛ إذا اتسعت، وتمدحت خواصر الماشية؛ أي: اتسعت شبعاً، فكأن معنى مدحته: وسعت شكره^(١).

✽ التعريف شرعاً:

المدح: هو كل ما يدل على الإخبار عن محاسن الغير، مع التجرد عن الحب والتعظيم^(٢).

وقد تنوعت عبارات العلماء في تعريفه، فقيل:

١ - هو الإخبار عن كون الممدوح مستحقاً؛ لأن يفعل به ما يفرح به أو يتلذذ به، نقله ابن القيم عن بعض المتكلمين^(٣).

٢ - وقيل: هو كل ما يدل على اختصاص الممدوح بنوع من الفضائل، قاله السفاريني وغيره^(٤).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان المدح في اللغة يطلق على الثناء الحسن، والتوسع في ذلك، أطلق في الشرع على هذا المعنى، وتوسع في ذلك حتى شمل كل ما يدل على

(١) انظر: الصحاح (٤٠٣/١) [دار الملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ]، والمصباح المنير للفيومي (٤٦٢).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٩٣/٢) [دار الكتاب العربي]، وتفسير الرازي (١٣١/١) [دار الفكر للطباعة، ط ١].

(٣) انظر: الصواعق المرسله (١٤٧١/٤) [دار العاصمة].

(٤) انظر: لوايح الأنوار (٣٣٢/١).

(٥) تفسير ابن كثير (٥٦١/١) [دار الفحاء، ط ١، ١٤١٣هـ].

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرفاق، رقم ٣٠٠٢).

(٧) معالم السنن للخطابي (١١١/٤) [المكتبة العلمية، ط ٢، ١٤٠١هـ].

في وجه مادحه ترابًا انتهى ملخصًا»^(٤).

٢ - حكم مدح الله تعالى:

إن الثناء على الله تعالى ومدحه وتسبيحه وتعظيمه وتقديسه من الطاعات والقربات التي ندب إليها ﷺ في كل وقت وفي أكثر من موضع، ومن غير تقييد، ومدح الله يكون بالثناء عليه بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلا والتمعن في معانيها التامة، فكل اسم وصفة ثبت في الكتاب والسنة شرع للمسلم مدحه بها والعمل بمقتضاها، ويكون أيضًا بذكر أفعاله الحسنة وجوده وكرمه على عباده ولطفه وصبره وحلمه على كفرهم وأذاهم وعدله مع أعدائه وفضله على أوليائه. ويكون أيضًا بالاشتغال بذكر الحمد والتسبيح والتمجيد والتهليل والمداومة على ذلك عند تجدد النعم ونزول النقم^(٥).

الحقيقة:

المدح: هو الإخبار عن محاسن الغير، إما أن يكون إخبارًا مجردًا من حب وإرادة، وإما مقرونًا بحبه وإرادته، فإن كان الأول فهو المدح، وإن كان الثاني فهو الحمد، فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه، ولهذا كان خبرًا يتضمن الإنشاء، بخلاف المدح

حديث المقداد ﷺ وغيره من الأحاديث، واختار ذلك بعض العلماء أخذًا بظاهر الأحاديث، وهو ظاهر كلام ابن الجوزي^(١).

القول الثاني: الكراهة مطلقًا، إلا في بعض الحالات التي يكون فيها، كذب أو إطراء فيحرم، ورجح ذلك البغوي وغيره^(٢).

القول الثالث: القول بالجواز لما ورد من الأحاديث والآثار الدالة على ذلك، وأما ما ورد مما يدل على التحريم كحديث المقداد ﷺ ونحوه، فيحمل على ما كان فيه إطراء ومجازفة، أو من يخاف عليه الفتنة بالمدح ونحو ذلك، وقد رجح ذلك جمع من العلماء المحققين؛ كالخطابي وابن بطال والنووي وابن حجر وغيرهم، بل قد نسب النووي إلى العلماء^(٣).

وقال ابن حجر: «قال ابن بطال: حاصل النهي: أن من أفرط في مدح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العجب؛ لظنه أنه بتلك المنزلة، فربما ضيع العمل والازدياد من الخير؛ اتكالا على ما وصف به، وأما من مدح بما فيه فلا يدخل في النهي، فقد مدح ﷺ في الشعر والخطب والمخاطبة، ولم يحث

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٠/٤٧٧) [دار الريان، ط ٢، ١٤٠٩هـ].

(٥) انظر: بدائع الفوائد (٢/٩٣)، ونصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٤/١٤٥٢) وما بعدها.

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/٤٥٣).

(٢) انظر: شرح السنة (١٣/١٥١).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٨/١٢٦).

فإنه خبر مجرد^(١).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المدح في حق

الرب ﷻ:

روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لا أحد أغير من الله، ولذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شيء أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه»^(٢).

فالله - تعالى وتقدس - يحب أن يمدحه العباد، ولهذا مدح نفسه بالصفات التي هو بها أهل، ﷻ.

ولكماله المطلق مدح نفسه؛ لأنه أهل المدح والثناء، ولأن الخلق لا يقدرّون على مدحه بما يستحق، كما قال الرسول ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإذا كان العباد يحمّدونه ويثنون عليه ويحبّونه فهو سبحانه أحق بحمد نفسه، والثناء على نفسه، والمحبة لنفسه، كما قال أفضل الخلق: «لا أحصي ثناء عليك أنت، كما أثنيت على نفسك»، فلا ثناء من مُثْنٍ أعظم من ثناء الرب على نفسه، ولا ثناء

(١) بدائع الفوائد (٩٣/٢) [دار الكتاب العربي، بيروت].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٦٣٤)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٠).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٦).

إلا بحب، ولا حب من محبوب لمحبوب أعظم من محبة الرب لنفسه، وكل ما يحبه من عباده فهو تابع لحبه لنفسه...»^(٤).

- المسألة الثانية: المدح في حق

النبي ﷺ:

محبة النبي ﷺ ومدحه والثناء عليه، وتعظيمه وتوقيره بما هو أهله، واجب على كل مسلم، قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»^(٥).

وقد أخبرنا ﷺ بعظيم قدره عند ربه، فقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم»^(٦)، وهذا فيه مدح له ﷺ، قال ابن أبي العز الحنفي: «وإنما أخبر ﷺ أنه سيّد ولد آدم؛ لأننا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، ولهذا أتبعه بقوله: «ولا فخر»»^(٧)^(٨).

(٤) منهاج السّنة النبوية (٢٨٢٧/٥). وانظر: مجموع الفتاوى (١١١/١٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، والصواعق المرسلّة (١٤٥٦/٤)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (٢٠٨/١)].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ١٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٤).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٧٨).

(٧) وردت هذه اللفظة في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أخرجه الترمذي (أبواب التفسير، رقم ٣١٤٨) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٣٠٨)، وأحمد (١٠/١٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٥٤٣) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٨) شرح العقيدة الطحاوية (١٦٣/١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ].

وقد امتدح النبي ﷺ شعراء الصحابة رضي الله عنهم؛ كحسان بن ثابت وغيره، بما وصفه الله به من الفضائل العظيمة، وسمعها النبي ﷺ وأقرها، لخلوها من الغلو والإطراء^(١).

وأما المدائح والقصائد المشتملة على الغلو والإطراء في حقه ﷺ، كالتي تقال في المولد النبوي ونحوه، من أمثال (البردة) للبوصيري، وما قيل على نسجها من القصائد، فقد اشتملت على غلو أفضى بأصحابه إلى الكفر والشرك، بل بلغ ببعضهم الغلو في مقامه ﷺ إلى وصفه بملك كل شيء، من الدنيا والآخرة واللوح والقلم، فلم يتركوا لله شيئاً^(٢).

- المسألة الثالثة: مدح العصاة والمبتدعة:

مدح العصاة والمبتدعة والثناء عليهم على وجه التزكية لهم والرضا بما هم عليه من معصية وانحراف، ومعاملتهم كأتقياء المؤمنين لا يجوز؛ لأنهم ليسوا بمنزلة المؤمنين الأتقياء؛ لذا وجب إنزال الناس منازلهم وعدم التسوية بين المؤمنين والفجار، فلا يساوى العبد

(١) انظر: فتح الباري (١٠/٤٧٧).

(٢) انظر: [إعانة المستفيد (٢/٣١٢)] مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٢هـ، وتيسير العزيز الحميد (٢٢١) [المكتب الإسلامي، ط ٦، ١٤٠٥هـ]، والقول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل للأنصاري (٢٩٧) [الرئاسة العامة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ].

الصالح التقي بالعبد الفاجر الفاسق. فعدم المساواة بينهما من العدل الذي يحبه الله ﷻ، أما المساواة بينهما فهو من الظلم الذي نفاه الله تعالى عن نفسه، قال ﷺ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٢١) [الجاثية].

وإنما يمنع من مدحهم والثناء عليهم حتى لا يظن في أنفسهم أنهم على خير فيتمادوا في غيهم وضلالهم، ولئلا يغتر الناس بهم، وهذا له دور كبير في تنبيه العصاة والمبتدعة وتخويفهم لعلهم يقلعوا عن ذنبهم ويثوبوا إلى رشدهم ويستقيموا على أمر ربهم^(٣).

- المسألة الرابعة: مدح الكفار والمنافقين:

ذكر ما عند الكفار من أخلاق محمودة على وجه الإعجاب بهم وتعظيم شأنهم والمدح لهم بلا موجب شرعي حرام؛ لأن ذلك مناقض لحكم الله فيهم والله قد ذمهم وتوعدهم وشبههم بالأنعام، كما قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَمْنَعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (١٢) [محمد]، وهذا شأن جميع أصناف الكفار.

(٣) انظر: أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة لسعود الخلف (٥١) [طبعة: ١٤٢٠هـ - ١٤٢١هـ].

- الفرق بين المدح والحمد:

الفرق بين المدح والحمد من وجوه:

١ - أن المدح يكون للحي ولغير الحي؛ كاللؤلؤ والياقوت الثمينة ونحوهما، والحمد لا يكون إلا للحي فقط.

٢ - أن المدح قد يكون قبل الإحسان وقد يكون بعده، والحمد إنما يكون بعد الإحسان.

٣ - أن المدح قد يكون منهياً عنه، كما قوله ﷺ: «احثوا في وجه المداحين التراب»^(٥)، والحمد مأمور به مطلقاً^(٦).

الآثار:

آفات المدح:

والمدح منهى عنه لأن فيه ست آفات؛ أربع في المادح، واثنان في الممدوح.

أما آفات المادح فهي:

الأولى: أنه قد يفرط في المدح فيتهي به إلى الكذب.

الثانية: أنه قد يدخله الرياء؛ فإنه بالمدح مظهر للحب، وقد يكون مظهرًا له لا معتقداً لجميع ما يقوله، فيصير به مرائياً منافقاً.

الثالثة: أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل إلى الاطلاع عليه.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) انظر: تفسير الرازي (١/١٣١).

وأما إن كان الشناء عليهم ومدحهم بسبب وموجب شرعي أو على الأقل يكون على وجه لا يدعو للفتنة بهم ولا موالاتهم فلا بأس بذلك، ومنه أن النبي ﷺ قال لأصحابه لما اشتد أذى قريش لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»^{(١)(٢)}.

الضروق:

- الفرق بين الإطراء والمدح:

المدح أعم من الإطراء، والإطراء أخص، بحيث يقال: كل إطراء مدح، ولا عكس، وذلك أن الإطراء: هو المبالغة في المدح، ومجازة الحد فيه حتى يصل إلى الكذب، ومنه قوله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، وإنما أنا عبده؛ فقولوا: عبد الله ورسوله»^(٣). قال ابن الأثير: «الإطراء: مجازة الحد في المدح، والكذب فيه»^(٤).

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٢١٣) [دار الفكر، ط١]، ومن طريقه البيهقي في الكبرى (كتاب السير، رقم ١٧٧٣٤)، وجوّد إسناده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٦٩٠) [دار ابن حزم، ط١]، والألباني في السلسلة الصحيحة (٥٧٨/٤).

(٢) الولاء والبراء والعداء في الإسلام للبدراني (٦٣)، ٦٤. وانظر: السيف البتار على من يوالي الكفار للأهدل (١٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٤٥).

(٤) النهاية في الغريب (١٣٣/٣) [دار الكتب العلمية].

- ٩ - «فتح الباري» لابن حجر.
- ١٠ - «القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل»، للأنصاري.
- ١١ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

أما آفتا الممدوح فهما:

أحدهما: أنه يحدث فيه كبراً وإعجاباً، وهما مهلكان.

الأخرى: أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به، وفتر ورضي عن نفسه، وقلّ تشمره، وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصراً، فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إحياء علوم الدين»، للغزالي.
- ٢ - «الآداب الشرعية والمنح المرعية»، لابن مفلح.
- ٣ - «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد»، للفوزان.
- ٤ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
- ٥ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٦ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٧ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

٨ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، للغنيمان.

المُذَل

يراجع مصطلح (المعز المذل).

مراتب المؤمنين

التعريف لغة:

المراتب: قال ابن فارس: «والرَّتب: ما أشرف من الأرض كالدرج، تقول: رَتَبْتُ وَرَتَّبْتُ، كقولك درجة ودرج»^(٢).

فالمراتب جمع مرتبة، وهي المنزلة، ويقال: الرَّتْب، وتطلق في الأصل على الشيء العالي، فالمرتبة المراقبة، وهي أعلى الجبل، ويقال كذلك الرَّتْب بفتح الراء والتاء، وهي الصخور المتقاربة، وبعضها أرفع من بعض، وواحدتها رَتْبَة^(٣).

والمؤمنون: هم أهل الإيمان؛ أي: المتصفون بصفات وخصال الإيمان.

التعريف اصطلاحاً:

مراتب المؤمنين هي أقسامهم ومنازلهم في الدنيا بحسب أعمالهم وإيمانهم.

(٢) مقاييس اللغة (٤٨٦/٢) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: لسان العرب (١٥١/١٠) [دار صادر، ط١].

(١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (١٦٢٧/٩) [دار الشعب]، وفتح الباري لابن حجر (٤٧٧/١٠).

فهم ثلاثة أقسام: السابق بالخيرات، والمحسنون^(٢).

والمقتصد، والظالم لنفسه.

السابق بالخيرات هو: المقرب المحسن، الذي يعبد الله كأنه يراه،

ويتقرب إليه بالنوافل بعد الفرائض، فيفعل الواجبات والمستحبات، ويترك المحرمات والمكروهات، مع تورعه عن بعض الجائزات خوفاً من أن يكون سبباً لارتكاب المنهيات.

ومن الأسماء المرادفة للظالم لنفسه: المؤمن العاصي، أو الفاسق الملي.

الحكم:

أصناف المؤمنين الثلاثة كلهم موعودون بالجنة على القول الراجح والصحيح من أقوال أهل المعتبرين^(٣)، وذلك إما ابتداءً؛ أي يدخلون الجنة بدون حساب ولا عقاب؛ وهم السابقون بالخيرات في الدنيا، وهم المقربون في الآخرة أو المحسنون، وكذلك المقتصدون وإن حوسبوا حساباً يسيراً، وإما انتهاءً؛ أي: وإن عوقبوا أو عذبوا، وأدخلوا النار فلا يخلدون فيها؛ بل يخرجون منها ويدخلون الجنة؛ وهم

والمقتصد: هو فاعل الواجب وتارك المحرم، أو هو: من امتثل الأمر، واجتنب النهي، ولم يزد على ذلك، أو هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجب وترك المحرم.

والظالم لنفسه: هو تارك المأمور فاعل المحذور، أو هو: المضيع للواجبات والمنتك للمحرمات، وقيل: هو صاحب الذنوب المصر عليها^(١).

الأسماء الأخرى:

من الأسماء المرادفة في الحقيقة لاسم السابقين بالخيرات: المقربون،

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٦٨/٢٠)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥٨/٧).

(٣) ذكر اختلاف أهل العلم في ذلك جمع من أئمة التفسير، ومن أطال في ذلك الإمام ابن القيم في كتابه طريق الهجرتين (٤٠٨/١ - ٤٤١) ورجح القول المذكور، لكن المتأمل في القول الثاني وهم من قالوا: إن الظالم لنفسه غير موعود بالجنة، فسروا الظالم بما يناسب ذلك؛ حيث قالوا فيه: إنه الكافر، وبعضهم قال: هو المنافق، وهذا قطعاً ليس من أهل الجنة، وفسروا المقتصد: بالمؤمن العاصي، وهذا عندهم موعود بالجنة، فتحقق والله أعلم أنهم متفقون على أصل المسألة، وهو أن المؤمن العاصي موعود بالجنة، وهذا مما اتفق عليه أهل السنة قاطبة.

(١) انظر لهذه التعاريف: تفسير الطبري (٤٦٨/٢٠)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦١/٥) و(٣٩١/٦) و(٣٥٨/٧) و(١٨٠/١١ - ١٨٣) و(٣٣٧/١٣)، [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، وطريق الهجرتين (٢٩١ - ٣١٤) [دار ابن القيم، ط ٢، ١٤١٤هـ]، وتفسير ابن كثير (٥٤٦/٦) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وتفسير السعدي (٦٨٩) [مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ]، وأضواء البيان (١/٤١٧) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

الظالمون لأنفسهم، وذلك بنص آية الاصطفاء؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر]. روي عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «كلهم في الجنة»^(١).

وروي ابن جرير الطبري بسنده عن كعب الأحبار رضي الله عنه؛ أنه قال: «إن الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات من هذه الأمة كلهم في الجنة»^(٢). وروي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنه قال: «هم أمة محمد، ورثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب»^(٣). وروي بسنده عن محمد ابن

الحنفية رضي الله عنه؛ أنه قال: «إنها أمة مرحومة، الظالم مغفور له، والمقتصد في الجنان عند الله، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله»^(٤). قال ابن جرير: «وإذ كان ذلك كذلك: فبين أن المصطفين من عباده هم مؤمنو أمته، وأما الظالم لنفسه، فإنه لأن يكون من أهل الذنوب والمعاصي التي هي دون النفاق والشرك عندي أشبه بمعنى الآية من أن يكون المنافق أو الكافر؛ وذلك أن الله تعالى ذكره أتبع هذه الآية قوله: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾، فعمّ بدخول الجنة جميع الأصناف الثلاثة.

فإن قال قائل: فإن قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ إنما عني به المقتصد والسابق. قيل له: وما برهانك أن ذلك كذلك من خبر أو عقل؟ فإن قال: قيام الحجة بأن الظالم من هذه الأمة سيدخل النار، ولو لم يدخل النار من هذه الأصناف الثلاثة أحد، وجب أن لا يكون لأهل الإيمان وعيد. قيل له: إنه ليس في الآية خبر أنهم لا يدخلون النار، وإنما فيها إخبار من الله تعالى ذكره، أنهم يدخلون جنات عدن، وجائز أن يدخلها الظالم لنفسه بعد عقوبة الله إياه على ذنوبه التي أصابها، وظلمه نفسه فيها، بالنار أو بما

أخرجه الطيالسي في مسنده (٦٨١/٣) [دار هجر، ط ١]، والبيهقي في البعث والنشور (٨٣، ٨٤) [مركز الأبحاث والخدمات الثقافية، ط ١، ١٤٠٦هـ]، من طرق ضعيفة الأسانيد.

قال الطبري في تفسيره (٣٧٥/١٩) [دار هجر، ط ١]: «وقد روي عن رسول الله بنحو الذي قلنا من ذلك أخبار، وإن كان في أسانيدنا نظراً، مع دليل الكتاب على صحته، على النحو الذي بينت».

(٢) تفسير الطبري (٣٦٨/١٩)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور (٨٥) رقم (٦٤).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦٨/١٩) [دار هجر، ط ١].

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (٣٧٠/١٩).

المؤذي الضار. وحقيقة المقتصد: اقتصر من الزاد على ما يبلغه، ولم يتزود ما يضره، فهو سالم غانم، لكن فاته المتاجر الرباحة. وحقيقة السابق بالخيرات: همه في تحصيل الأرباح، وشدّ أحمال التجارات الرباحة، لعلمه بمقدار الربح الحاصل، فيرى خسراناً أن يدخر شيئاً مما بيده، ولا يتجر فيه، فيجد ربحه يوم يغتبط التجار بأرباح تجارتهم^(٣).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝٢٢﴾ [فاطر].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه؛ أنه قال: قال ﷺ: «قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْذِنُ اللَّهُ﴾. فأما الذين سبقوا بالخيرات فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول

شاء من عقابه، ثم يدخله الجنة فيكون عمه خبر الله جلّ ثناؤه بقوله: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾^(١).

وقال الشنقيطي رحمته الله: «والواو يَدْخُلُونَهَا» شاملة للظالم، والمقتصد، والسابق على التحقيق، ولذا قال بعض أهل العلم: حُقّ لهذه الواو أن تكتب بماء العينين؛ فوعده الصادق بجنات عدن لجميع أقسام هذه الأمة، وأولهم الظالم لنفسه، يدل على أن هذه الآية من أرجى آيات القرآن، ولم يبق من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة، فالوعد الصادق بالجنة في الآية شامل لجميع المسلمين^(٢).

الحقيقة:

أصناف المؤمنين الثلاثة سائرون إلى الله تعالى، وإلى دار السلام، موقنون بالرجعى إليه ﷻ، لكن هم متفاوتون في التزود، وفي نفس السير، وسرعته وبطئه، فحقيقة الظالم لنفسه: مقصر في الزاد، غير آخذ منه ما يبلغه المنزل، لا في قدره، ولا في صفته، ومع ذلك فهو متزود ما يتأذى به في طريقه، ويجد غباً أذاه إذا وصل المنزل، بحسب ما تزود من ذلك

(١) تفسير الطبري (١٩/٣٧٤، ٣٧٥).

(٢) أضواء البيان (٦/١٨٤) [دار عالم الفوائد، ط ١،

١٤٢٩هـ].

(٣) انظر: طريق الهجرتين (١/٤٠٤)، وجامع العلوم

والحكم (٢/٨٦٧) [دار السلام، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

فقد أطال الكلام في بيان حقيقتهم.

بالخيرات: بمنزلة الْمُقَرَّب الذي يتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض حتى يحبه الحق^(٣).

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: «وأظهر الأقوال في المقتصد والسابق والظالم: أن المقتصد هو من امتثل الأمر واجتنب النهي ولم يزد على ذلك، وأن السابق بالخيرات هو من فعل ذلك، وزاد بالتقرب إلى الله بالنوافل، والتورع عن بعض الجائزات خوفاً من أن يكون سبباً لغيره، وأن الظالم هو المذكور في قوله: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]، والعلم عند الله تعالى»^(٤).

❁ الأقسام:

لم يُذكر أي تقسيم للأصناف الثلاثة فيما تم الوقوف عليه إلا في السابق بالخيرات، فذكر بعض أهل العلم أنهم على قسمين في الدنيا والآخرة.

فأما في الدنيا فيقول الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «وأهل هذه الدرجة على قسمين:

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦١/٥). وانظر: المرجع السابق (٣٩١/٦) و(١٨٣/١١) و(١٣/٣٣٧، ٣٨٤)، وطريق الهجرتين (٢٩١ - ٣١٤) [دار ابن القيم، ط ٢].

(٤) أضواء البيان (٤١٧/١) [دار الفكر، ١٤١٥هـ]. وانظر: المرجع السابق (٤٩٠/٥)، وتفسير ابن كثير (٥٤٦/٦) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وتفسير السعدي (٦٨٩) [مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ].

المحشر، ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته، فهم الذين يقولون: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [٣٤] إلى قوله: ﴿لَغُوبٌ﴾ [٣٥] [فاطر^(١)].

وقد جاء ذكر السابق بالخيرات والمقتصد في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد أذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش فيها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «القول الجامع: أن الظالم لنفسه هو المفطّر بترك مأمور أو فعل محظور، والمقتصد: القائم بأداء الواجبات وترك المحرمات، والسابق

(١) أخرجه أحمد (٥٧/٣٦) [مؤسسة الرسالة]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٥/٧) [مكتبة القدسي]: «رواه أحمد بأسانيد، رجال أحدها رجال الصحيح»، لكن في سنده انقطاعاً، كما ذكر محققو المسند.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٢). وقد أفاد بذلك ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧/١٠).

[المطففين]؛ ففرق بين من يشرب منها، ويشرب بها؛ فالأول قد يشرب الشارب ولا يروى، بخلاف الثاني فإنه يشرب مع الري، فالمقربون يروون بها فلا يحتاجون معها إلى ما دونها، فلهذا يشربون منها صرفاً، بخلاف أصحاب اليمين فإنها مزجت لهم مزجاً؛ كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف حيث قالوا: «يمزج لأصحاب اليمين مزجاً، ويشرب بها المقربون صرفاً» ^(٤)، وهو كما قالوا ^(٥).

والذي يظهر أن لقب أصحاب اليمين له إطلاقان:

أحدهما: عام، ويدخل فيه جميع أهل الجنة؛ كالسابقين بالخيرات، والمقتصدين، والظالمين لأنفسهم.

والثاني: إطلاق خاص بالمقتصدين، وهذا الذي يدل عليه كلام ابن القيم في مواضع، كقوله: «وهؤلاء الأصناف الثلاثة هم أهل اليمين: وهم المقتصدون، والأبرار، والمقربون، وأما الظالم لنفسه فليس من أصحاب اليمين عند الإطلاق، وإن كان مآله إلى أصحاب اليمين، كما أنه لا يسمى مؤمناً عند الإطلاق، وإن كان مصيره ومآله مصير المؤمنين، بعد أخذ الحق منه» ^(٦).

(٤) ذكره الطبري.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ١٧٦ - ١٨٠).

(٦) انظر: طريق الهجرتين (١/ ٤٠٧).

منهم من يقتصر من الدنيا على قدر ما يسد الرمق فقط، وهو حال كثير من الزهاد.

ومنهم من يفسح لنفسه أحياناً في تناول بعض شهواتها المباحة؛ لتقوى النفس بذلك، وتنشط للعمل، كما روي عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «حُبِّبْ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النَّسَاءَ وَالطَّيِّبَ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» ^(١) ^(٢).

وأما تقسيمهم في الآخرة فيقول ابن القيم رحمته الله: «وأما السابقون بالخيرات فهم نوعان: أبرار، ومقربون» ^(٣).

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن الأبرار هم من أصحاب اليمين، وهم المقتصدون؛ أي يكون لقب الأبرار قسيماً للسابقين بالخيرات؛ إذ ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ ^(٥) [الإنسان]، فهذا في حق الأبرار، وأما في حق السابقين بالخيرات فقال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ ^(٦) [الإنسان]، وعباد الله هم المقربون، وقال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ ^(٧).

(١) أخرجه النسائي (كتاب عشرة النساء، رقم ٣٩٣٩)،

وأحمد (٣٠٥/١٩) مؤسسة الرسالة، ط ١،

والحاكم (كتاب النكاح، رقم ٢٦٧٦) وصححه،

وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣١٢٤)

[المكتب الإسلامي].

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٨٧٦).

(٣) انظر: طريق الهجرتين (١/ ٤٠٧).

الجنة هي مرتبة السابقين بالخيرات، ودونها مرتبة المقتصدون، ودونها مرتبة الظالمين لأنفسهم.

تقدم ما روي عن ابن الحنفية أنه قال: «إنها أمة مرحومة، الظالم مغفور له، والمقتصد في الجنان عند الله، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله»^(٣).

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) [الواقعة]: «أي: السابقون في الدنيا إلى الخيرات، هم السابقون في الآخرة لدخول الجنات، أولئك الذين هذا وصفهم، المقربون عند الله في جنات النعيم، في أعلى عليين، في المنازل العاليات، التي لا منزلة فوقها»^(٤).

المسائل المتعلقة:

مراتب المؤمنين في الدنيا خاصة بأمة محمد ﷺ، كما روي ذلك عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «كلهم من هذه الأمة»^(٥).

وروي ابن جرير بسنده عن ابن

وأما تخصيصهم بالمقتصدين فيقول رَحِمَهُ اللهُ: «فأما مرتبة أصحاب اليمين: فأداء الواجبات وترك المحرمات، مع ارتكاب المباحات وبعض المكروهات وترك بعض المستحبات.

وأما مرتبة المقربين فالقيام بالواجبات والمندوبات وترك المحرمات والمكروهات، زاهدين فيما لا ينفعهم في معادهم متورعين عما يخافون ضرره، وخاصتهم قد انقلبت المباحات في حقهم طاعات وقربات بالنية»^(١).

وهذا الأخير هو الذي تجد ابن تيمية كثيراً ما يقرره؛ من ذلك قوله: «فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض، يفعلون ما أوجب الله عليهم، ويتركون ما حرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات، ولا الكف عن فضول المباحات.

وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المكروهات والمحرمات»^(٢).

المراتب:

تفاوت مراتب المؤمنين في الدنيا يلزم منه تفاوتهم في الجنة، فأعلى مرتبة في

(١) مدارج السالكين (١/١٠٧، ١٠٨) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (١١/١٨٤).

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (١٩/٣٧٠).

(٤) تفسير السعدي [دار السلام، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١/١٦٧) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢، والبيهقي في البعث والنشور (٨٤) مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، ط ١، وقال الهيثمي في المجمع (٧/٩٦) [مكتبة القدسي]: فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وهو سيئ الحفظ.

بالكلية، وحكموا عليه بالخلود في نار جهنم يوم القيامة، ووافقهم المعتزلة في حكمه في الآخرة، لكن خالفوهم في اسمه في الدنيا وما يترتب عليه من أحكام دنيوية، فحكموا عليه بالمنزلة بين المنزلتين؛ أي: هو عندهم بين منزلتي الإيمان والكفر، وسموه فاسقًا، فلا هو مؤمن بحال من الأحوال ولا هو كافر.

والصنف الثاني: المرجئة الذين أعطوه اسم الإيمان الكامل، فقالوا: هو مؤمن كامل الإيمان، وحكموا عليه في الآخرة بأنه من أهل الجنة ابتداءً.

فهاتان الطائفتان كل منهما على طرفي نقيض؛ إذ إن الظالم لنفسه لا يعطى اسم الإيمان الكامل، ولا ينفى عنه اسم الإيمان بالكلية؛ إذ معه أصل الإيمان، الذي ينجيه من الخلود في نار جهنم، وهذا الذي يدل عليه الكتاب والسنة، وعليه وإجماع أهل السنة:

فمن الكتاب: آية الاصطفاء التي هي أصل المسألة؛ قال ابن تيمية: «ومعلوم أن الظالم لنفسه إن أريد به من اجتنب الكبائر، والتائب من جميع من الذنوب، فذلك مقتصد، أو سابق؛ فإنه ليس أحد من بني آدم يخلو عن ذنب، لكن من تاب كان مقتصدًا أو سابقًا، كذلك من اجتنب الكبائر كفرت عنه السيئات؛ كما قال تعالى: ﴿إِنْ جَحَّتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ

عباس عليه السلام؛ أنه قال: «هم أمة محمد، ورثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب»^(١).

قال ابن تيمية رحمته الله: «لكن هذه الأصناف الثلاثة في هذه الآية هم أمة محمد عليه السلام خاصة؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(٢) [فاطر]، وأمة محمد عليه السلام هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة، وليس ذلك مختصًا بحُفاظ القرآن؛ بل كل من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء، وقسمهم إلى: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق، بخلاف الآيات التي في الواقعة، والمطففين، والانفطار فإنه دخل فيها جميع الأمم المتقدمة، كافرهم، ومؤمنهم، وهذا التقسيم لأمة محمد عليه السلام»^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

خالف أهل الأهواء والبدع أهل السنة والجماعة في مسمى الظالم لنفسه وحكمه، وهم صنفان:

الصنف الأول: الخوارج ومن وافقهم، كفروهم فسلبوه اسم الإيمان

(١) تقدم تخريجه.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/١٨٣).

خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولًا»^(٤).

وأما مذهب المرجئة الذين وصفوا الظالم لنفسه بالمؤمن الكامل ففيه مخالفة ظاهرة للقرآن والسنة كذلك:

فمن القرآن: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۚ﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٦٦﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۖ [الأنفال].

فهؤلاء الذين وصفهم الله تعالى بالمؤمنين حقًا، هم من أتوا بتلك الأعمال الظاهرة والباطنة على وجه الكمال والتمام، فلا يدخل فيهم من أخل بالواجبات، وارتكب المحرمات، وإن كانوا يدخلون في خطاب أهل الإيمان.

قال الفضيل بن عياض: «إن هذه الآية تخبرك أن الإيمان قول وعمل، وأن المؤمن إذا كان مؤمنًا حقًا فهو من أهل الجنة، فمن لم يشهد أن المؤمن حقًا من أهل الجنة فهو شاك في كتاب الله ﷻ، مكذب به، أو جاهل لا يعلم، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن حقًا، مستكمل الإيمان، ولا يُستكمل الإيمان إلا بالعمل، ولكن لا يستكمل

عنه نُكْفِرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ» [النساء: ٣١]، فلا بد أن يكون هناك ظالم لنفسه، موعود بالجنة، ولو بعد عذاب يطهر من الخطايا»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، فسمّاهم مؤمنين مع وقوعهم في كبيرة القتل، فلم يسلبهم اسم الإيمان بالكلية.

وقد تواترت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ من أنه يخرج أقوام من النار بعدما دخلوها، وهم الظالمون لأنفسهم، وأن النبي ﷺ يشفع في أقوام دخلوا النار، وهذا مما يبطل مذهب الخوارج الذين حكموا عليهم بالخلود في نار جهنم؛ منها:

حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «يخرج قوم من النار بشفاعتي محمد ﷺ فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين»^(٢).

وحديث الشفاعة الطويل وفيه: «فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة، أو خردلة من إيمان فأخرجه»^(٣).

وحديث: «إني لأعلم آخر أهل النار

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٦٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥١٠) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٧١)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٦).

عبد الإيمان، ولا يكون مؤمناً حقاً، حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه. يا سفيه ما أجهلك، لا ترضى أن تقول: أنا مؤمن حتى تقول: أنا مؤمن حقاً مستكمل الإيمان! والله لا تكون مؤمناً حقاً مستكمل الإيمان، حتى تؤدّي ما افترض الله ﷻ عليك، وتجتنب ما حرم عليك، وترضى بما قسم الله ﷻ لك، ثم تخاف مع هذا أن لا يقبل الله ﷻ منك»^(١).

ويقول ابن تيمية - في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة -: «ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقوله المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾»^(٢).

ومن السنة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»^(٣).

وهذا الحديث أورده مسلم وعنون له النووي بقوله: «باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كمال»؛ أي: مقصوده: أنه نفى عنه الاسم المطلق، الذي هو الإيمان المطلق، فليس هو بمؤمن كامل الإيمان، بل هو ناقص الإيمان.

وقال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١٤]

(٣) مجموع الفتاوى (٤٧٨/٧).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٧٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٥٧).

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٣٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/١٥١).

قال الجوهري: «تقول: رقيت الشيء أرقبه رقبواً، ورقبةً، ورقباناً بالكسر فيهما؛ إذا رصدته. وراقب الله في أمره؛ أي: خافه. والترقب: الانتظار، وكذلك الارتقاب»^(٣).

فالمراقبة إذن هي: الانتصاب لمراعاة شيء ورصده وانتظاره؛ حفظاً لأمره وحراسةً له.

التعريف شرعاً:

المراد بالمراقبة: ملاحظة العبد ربّه سبحانه وتيقنه باطلاعه على ظاهره وباطنه، واستحضار ذلك استحضاراً يثمر اجتناب المناهي وفعل الأوامر^(٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والاصطلاحي:

تضمّن المعنى الاصطلاحي للمعنى اللغوي للمراقبة ظاهر، فإن مراقبة الله هي انتصاب القلب للنظر في أوامر الرب سبحانه وحفظه فيها ومجاهدة النفس على التزام حدودها.

الحكم:

يجب على العبد مراقبة الله ﷻ في كل أحواله حتى لا يضيع أمر الله، وحتى

قال الإمام ابن عبد البر: «يريد مستكمل الإيمان، ولم يرد به نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك»^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «الإحسان في ضوء الكتاب والسنة»، لأحمد الغامدي.

٢ - «الإحسان في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة»، لرياض محمود جابر.

٣ - «أضواء البيان»، للشنقيطي.

٤ - «بحر العلوم»، للسمرقندي.

٥ - «تفسير الطبري».

٦ - «تفسير القرطبي».

٧ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

٨ - «الدّر المنثور»، للسيوطي.

٩ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

المراقبة

التعريف لغةً:

المراقبة: من الرقب. وهو: الانتصاب لمراعاة شيء. من ذلك: الرقيب. وهو: الحافظ والحارس والمنتظر^(٢).

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد / ٩ / (٢٤٣) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٣٩٩هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٤٢٧/٢) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ]، وتهذيب اللغة (١٢٨/٩) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط ١، ١٣٨٤هـ]، والقاموس

المحيط (٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط ٧، ١٤٢٤هـ].

(٣) الصحاح (١/١٣٧، ١٣٨) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٤٠٧هـ].

(٤) انظر: إحياء علوم الدين (٤/٣٦٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ]، ومدارج السالكين (٢/ ٧٩، ٨٠) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٦هـ].

فلاناً ويراعى جانبه، ويعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة، وتثمر تلك الحالة أعمالاً في الجوارح وفي القلب.

أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاتة إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه.

وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضمائر، عالم بالسرائر، رقيب على أعمال العباد، قائم على كل نفس بما كسبت، وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشارة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك.

فهذه المعرفة إذا صارت يقيناً وخلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه.

والمؤمنون في مراقبة ربهم على درجات متفاوتة كتفاوتهم في الإيمان، فمنهم الصديقون السابقون، ومنهم المقتصدون أصحاب اليمين، ومنهم المقصر الظالم لنفسه^(٣).

فالعبد لا يخلو؛ إما أن يكون في طاعة، أو في معصية، أو في مباح:

فمراقبته في الطاعة: بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات.

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٤/٣٤٦).

لا يقع فيما نهى عنه الله؛ لأن هذه المراقبة هي أساس الأعمال القلبية كلها من الحياء والسكينة والمحبة والخضوع والخشوع والخوف والرجاء ونحوها^(١)، وهذه الأعمال القلبية هي المحركة لأعمال الجوارح.

وتؤكد هذه المراقبة في الخلوات حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى، وقد جاء الوعيد الشديد لمن لا يراقب الله في خلواته، كما في حديث ثوبان؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً فيجعلها الله ﷻ هباء منثوراً». قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا؛ أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم. قال: «أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»^(٢).

❁ الحقيقة:

حقيقة المراقبة: ملاحظة الرقيب وانصراف الهمم إليه. فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال: إنه يراقب

(١) انظر: إعلام الموقعين (٤/٢٥٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٤٥)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/٢٤٦) [دار العربية، ط١]: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات»، وصححه الألباني في صحيح الترمذي والترهيب (رقم ٢٣٤٦) [مكتبة المعارف، ط٥].

فتأمل كل مقام من مقامات الدين وكل عمل من أعمال القلوب كيف تجد هذا أصله ومنبعه! (٤).

والتعبد لله ﷻ بهذه المنزلة (المراقبة) هو تعبد له باسم من أسمائه الحسنی، فإنه سبحانه القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على كل جارحة بما اجترحت، المطلع على ضمائر القلوب إذا هجست، الحسيب على خواطر عباده إذا اختلجت، الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات والأرض تحركت أو سكنت، المحاسب على النقيير والقطمير والقليل والكثير من الأعمال وإن خفيت، وإنما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت، وتنظر فيما قدّمت وأخّرت؛ فتعلم أنه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيامة وهلكت، وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضله بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت، والله ﷻ قد قال في محكم كتابه: ﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧) [الأنبياء]، فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون في

وإن كان في معصية: فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال بالتفكير.

وإن كان في مباح: فمراقبته بمراعاة الأدب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها.

ولا يخلو العبد في جملة أحواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها، ونعمة لا بد له من الشكر عليها، وكل ذلك من المراقبة (١).

وهذه المراقبة هي تعبد لله بأسمائه: الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير، اللطيف، الخبير. فمن عقل هذه الأسماء وتعبّد بمقتضاها: حصلت له المراقبة (٢).

المنزلة:

منزلة المراقبة من منازل السالكين في طريقهم إلى ربهم المرسوم لهم في قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥)، فهي منزلة جلية، والحاجة إليها ملحة عظيمة، بل هي «أساس الأعمال القلبية كلها وعمودها الذي قيامها به، ولقد جمع النبي ﷺ أصول أعمال القلب وفروعها كلها في كلمة واحدة وهي قوله في الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه» (٣).

(١) انظر: المصدر نفسه (٤/٣٥٠).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/٨١).

(٣) سيأتي تخريجه في الأدلة.

(٤) إعلام الموقعين (٤/٢٥٥).

تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه» (٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالف الناس بخلق حسن» (٤).

أقوال أهل العلم:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر، يوم تعرضون لا تخفى

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦٦٠)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٣١).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب البر والصلة، رقم ١٩٨٧) وقال: «حسن صحيح»، وأحمد (٢٨٤/٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨٣٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٢٦٥٥) [مكتبة المعارف، ط ٥].

الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات، وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة، ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات، ومحاسبتها في الخطرات واللحظات، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته» (١).

الأدلة:

من القرآن: قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

ومن السنة: ما جاء في حديث جبريل عليه السلام، أنه سأل النبي ﷺ عن الإحسان فقال له: «أن تعبد الله كأنك

منكم خافية»^(١).

٢ - النُصح في العبادة، وبذل الجُهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها^(٥).

٣ - إيثار ما أنزل الله وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله^(٦).

٤ - «مراقبة الله تعالى في الخواطر سبب لحفظها في حركات الظواهر؛ فمن راقب الله في سره حفظه الله في حركاته في سره وعلايته»^(٧).

٥ - دعاء الله سبحانه بأسمائه الحسنی: الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير، اللطيف، الخبير، فمن عقل هذه الأسماء ودعا الله بها دعاء عبادة ودعاء مسألة: حصلت له المراقبة^(٨).

٦ - الفرحه والنعيم واللذة التي يجدها في تلك المراقبة والمناجاة لله وَجَّهًا، فإن سرور القلب مع الله وفرحه به وقرّة العين به لا يشبهه شيء من نعيم الدنيا ألبتة، وليس له نظير يقاس به وهو حال من أحوال أهل الجنة^(٩).

٧ - محبة الله لعبده وقربه منه ومعيته له^(١٠).

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ: «عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحدز ممن يملك العقوبة»^(٢).

وقال عبد الله بن المبارك لرجل: «راقب الله تعالى. فسأله عن تفسيرها، فقال: كن أبداً كأنك ترى الله وَجَّهًا»^(٣).

الثمرات:

مراقبة الله ﷻ تثمر تحقيق مرتبة الإحسان، التي هي إتقان كل أعمال الإسلام والإيمان الظاهرة والباطنة، وبها تحصل الخصلة الجامعة لكل خير: تقوى الله وَجَّهًا.

ومن أفراد تلك الثمرات ما يلي:

١ - تحريك القلوب بأعمالها الجليلة. فكلما اشتدت هذه المراقبة أوجبت له من الحياء والسكينة والمحبة والخضوع والخشوع والخوف والرجاء والخشية والهيبة والتعظيم ما لا يحصل بدونها، فالمراقبة أساس الأعمال القلبية كلها وعمودها الذي قيامها به^(٤).

(٥) انظر: جامع العلوم والحكم (٤٩)، وشرح النووي على مسلم (١١٢/١) [دار المعرفة، ط ١٠، ١٤٢٥هـ].

(٦) انظر: مدارج السالكين (٨٠/٢).

(٧) المرجع السابق (٨١/٢).

(٨) انظر: المصدر نفسه.

(٩) انظر: مدارج السالكين (٨٢/٢).

(١٠) انظر: صيد الخاطر (٢٣٠) [اليمامة، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٠٣) [دار الكتب العلمية]، وابن أبي شبة في المصنف (كتاب الزهد، رقم ٣٤٤٥٩).

(٢) إحياء علوم الدين (٣٤٦/٤).

(٣) المصدر نفسه (٢٩٧/٤).

(٤) انظر: إعلام الموقعين (٢٥٥/٤)، وجامع العلوم والحكم (٤٩).

٨ - الفوز برضا الله وجنته والنجاة من

سخطه وناره.

مريم

التعريف لغة:

مريم: اسمٌ أم عيسى عليه السلام، وهو اسم عبراني، نُقِلَ للعربية على حاله لِحِفَّتِهِ، ولا معنى لمريم في العربية غير العَلَمِيَّة، إلا أنَّ العرب المتنصِّرة عاملوه معاملة الصِّفة في معنى: المرأة المتباعدة عن مشاهدة النساء؛ لأن هذه الصِّفة اشتهرت بها مريم؛ إذ هي أول امرأة عبرانية خدَّمت بيت المقدس؛ فلذلك يقولون: (امرأة مريم)؛ أي: مُعْرِضة عن صفات النساء، أو تكثير مجالسة الرجال، كما يقولون: رجل حاتم؛ بمعنى: جواد، وذلك معلوم منهم في الأعلام المشتهرة بالأوصاف.

وقيل: بل هو عربيٌّ، مشتقٌّ من (رام، يَريم).

وقيل: هو معرَّب (مارية).

وهما ضعيفان؛ والصحيح أنه عبرانيٌّ.

وينبغي أن يكون وزنها: (فَيْعَل) بفتح الفاء، وإن كان نادرًا، بل قيل: ليس في كلام العرب (فَيْعَل) بفتح الفاء والياء^(١).

(١) انظر: الاشتقاق لابن دُرَيْد - مع تعليق محقِّقه - (٣٤٧) [دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ]، وجمهرة اللغة له (باب: فَيْعَل، من أبواب: ما يُلْحَق بالرُّباعي بحرفٍ من حروف الرُّوائد)، والصحاح (٥/ ١٩٤٠) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، وتاج =

المصادر والمراجع:

- ١ - «إحياء علوم الدين» (ج ٤)، للغزالي.
- ٢ - «إعلام الموقعين» (ج ٤)، لابن القيم.
- ٣ - «إغاثة اللهفان»، لابن القيم.
- ٤ - «بستان الواعظين»، لابن الجوزي.
- ٥ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.
- ٦ - «الزهد»، لأحمد بن حنبل.
- ٧ - «صيد الخاطر»، لابن الجوزي.
- ٨ - «مختصر منهاج القاصدين»، لابن قدامة.
- ٩ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.
- ١٠ - «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها»، لعبد العزيز الجليل.

مرتكب الكبيرة

يراجع مصطلح (الكبيرة).

المرشد

يراجع مصطلح (الرشيد).

المريد

يراجع مصطلح (الإرادة).

التعريف شرعاً:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ [آل عمران]، وقوله ﷺ: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]؛ فوصفها بمقام الصَّدِّيقَةِ؛ لفرط صدقها ومبالغتها في امتثال ما يكلفها الله تعالى به، لا يصدها عن ذلك شيء؛ يوضحه قوله تعالى عنها: ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْقَاتِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم]. إلى غير ذلك من الآيات.

وصح في فضائلها ﷺ غير حديث؛ منها:

قوله ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون»^(٣)، وغير ذلك من الأحاديث.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ

مريم: هي الصَّدِّيقَةُ، أم عيسى ﷺ، مريم بنت عمران بن ماثان بن المعازر بن اليود من بني إسرائيل^(١).

الحكم:

يجب على المسلم الإيمان بأن مريم بنت عمران هي والدة المسيح عيسى ابن مريم ﷺ، وأن الله خصَّها بما لم يؤته أحداً من النساء؛ وذلك أَنَّ رُوحَ الْقُدُسِ كلمها، وظهر لها، ونفخ في درعها، ودنا منها للنَّفْخَةِ؛ فحملت بعيسى ﷺ دون أن يمسه بشر، وأنها صدَّقت بكلمات ربِّها، ولم تسأل آيةً عندما بُشِّرَتْ بعيسى ﷺ؛ ولذلك سمَّاها الله في تنزيله صِدِّيقَةً فقال: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، وقال: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْقَاتِنِينَ﴾ [التحريم]؛ فشهد لها بالصَّدِّيقَةِ، وشهد لها بالتَّصديق لكلمات البشري، وشهد لها بالقنوت^(٢).

المنزلة:

وقد مدحها الله ﷻ وأثنى عليها وذكر فضلها في مواضع عديدة من القرآن الكريم؛ منها:

= العروس (٣٠٢/٣٢) [مطبعة حكومة الكويت]، والتحرير والتنوير (٥٩٤/١)، (٢٤٣/٣) [دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م].

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣١٩/١) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٨٣/٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة ﷺ، رقم ٢٤٣١)، من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

يَكَلِّمَتِ رَبِّهَا وَكُتِّبَ وَكَانَتْ مِنَ الْقَنِينِ ﴿١٢﴾ [التحریم].

ومن السُّنَّة: قوله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسّه حين يولد؛ فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها»^(١)، وقوله ﷺ: «خير نسائها: مريم ابنة عمران، وخير نسائها: خديجة»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تسمية مريم ﷺ بأخت هارون:

استشكل البعض قول الله تعالى عن مريم ﷺ حكايةً عن قومها: ﴿يَتَّخِذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ [٢٨] [مريم]؛ ظناً منهم أنّ هارون أخاها - المذكور في الآية - هو أخو موسى ﷺ، وموسى كان قبل ابنها عيسى ﷺ بأكثر من ألف وستمئة سنة؛ فلا يتصور أن تكون أختاً لهارون ﷺ! وطعن بعض المستشرقين من نصارى العصر الحديث في القرآن الكريم لأجل هذه الآية! (٣).

وهذه «مجازفة! فإن النصارى لا

يعرفون اسم أبي مريم أم عيسى ﷺ! فليس في كتبهم ذكر لاسمه ولا لمولدها، ولكن قصتها تبتدئ فجأة بأن عذراء في بلد الناصرة مخطوبة ليوسف النجار قد حملت من غير زوج»^(٤).

وهذا الاستشكال قديم؛ سبقهم إليه أهل نجران في عهد النبي ﷺ؛ كما ثبت في «صحيح مسلم»، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: لما قدمت نجران سألتوني فقالوا: إنكم تقرأون: ﴿يَتَّخِذَ هَرُونَ﴾ [مريم: ٢٨]، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟! فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك؛ فقال: «إنهم كانوا يسمّون بأنبيائهم والصّالحين قبلهم»^(٥)؛ وفي بيانه ﷺ هذا «تجهيل لأهل نجران أن طعنوا في القرآن، على توهم أن ليس في القوم من اسمه هارون إلا هارون الرسول أخا موسى»^(٦)!

فظهر بهذا الجواب عن هذا الاستشكال؛ وأنّ هارون المذكور في الآية ليس هو هارون أخا موسى - فمريم من نسله -؛ وإنّما هو أخ لها «اسمه هارون، كان صالحاً في قومه، خاطبوها بالإضافة إليه زيادة في التوبيخ؛ أي: ما كان لأخت مثله أن تفعل فعلتك!»^(٧).

(٤) المرجع السابق، وانظر منه: (٢٤٣/٣).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الآداب، رقم ٢١٣٥).

(٦) التحرير والتنوير (٩٦/١٦).

(٧) المرجع السابق (٩٥/١٦). وانظر: تفسير الفخر =

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٥٤٨)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، رقم ٢٤٣٠).

(٣) التحرير والتنوير (٧٢/٢٠).

- المسألة الثانية: هل هي نبية:

الصحيح - وحكي إجماعاً - أنها ليست نبية، وأنه ليس في النساء نبية؛ إنما غاية ما انتهى إليه أمرها هو الصديقية؛ كما وصفها الله تعالى في كتابه الكريم في معرض بيان غاية فضلها دفعاً لغلو النصراني فيها، ولم تثبت نبوتها بدليل صريح لا من الكتاب ولا من السنة.

- المسألة الثالثة: المفاضلة بينها

وبين نساء هذه الأمة:

تقدم أن مريم الصديقة والدة المسيح ﷺ لم تكن نبية، إنما ميزها الله تعالى بأمر فضلها بها على نساء العالمين، من ذلك: تبشير الله لها بعيسى على لسان الملائكة؛ كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٤٥) [آل عمران]، وبشرها أيضاً على لسانهم بالاصطفاء على نساء العالمين والتطهير، والمراد بنساء العالمين؛ أي: اللاتي كن وقت زمانها؛ كما قال: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٦)

= الرازي (٥٣٠/٢١) [دار إحياء التراث العربي، بيروت]، وتفسير القرطبي (١٠٠/١١)، وتفسير ابن كثير (٢٢٦/٥) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، والبداية والنهاية له (٣١٩/١)، وروح المعاني للآلوسي (٨٨/١٦) [إدارة الطباعة المنيرية، مصر].

(١) تقدم تخريجه.

[آل عمران]، وكلمها جبريل ﷺ بقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (١٩) [مريم]. وقال رسول الله ﷺ في حقها: «كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون»^(١)؛ فالمراد: بلوغها النهاية في جميع الفضائل التي لنساء زمانها.

وإذا نظرنا في النصوص الواردة في تفضيل نساء هذه الأمة بعضهم على بعض، وجدنا أن خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوج النبي ﷺ هي أفضل نساء هذه الأمة^(٢)، بدليل أن اللفظ الوارد في تفضيل خديجة وهو قوله ﷺ: «خير نساؤها خديجة»^(٣). إنما يتضح تمام معناه بمعرفة الضمير على أي شيء يعود، وقد ورد ما يفسر ذلك صريحاً فقد قال ﷺ: «لقد فضلت خديجة على نساء أمتي»^(٤). فهذا النص في

(٢) انظر: عارضة الأحوذ لابن العربي (٢٥٣/١٣).

قال ابن حجر: «وزعم ابن العربي أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة، ورد بأن الخلاف ثابت قديماً وإن كان الراجح أفضلية خديجة» فتح الباري (١٣٩/٧). ولمزيد اطلاع على الخلاف الوارد في تفاضل الصحابات، انظر: كتاب مباحث المفاضلة في العقيدة لمحمد أبو سيف (٢٧٥) [دار ابن عفان].

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البزار في مسنده (٢٥٥/٤) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٤هـ]، والطبري في التفسير (٣٩٩/٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٣/٩) [مكتبة القدسي]: (فيه أبو يزيد الحميري، ولم =

=

قال ابن حجر: «فعلى هذا: مريم خير نساء الأمم الماضية، وخديجة خير نساء الأمم الكائنة»^(٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إمتاع الأسماع» (ج ١٠)، للمقريزي.
- ٢ - «تاريخ دمشق» (ج ٧٠)، لابن عساكر.
- ٣ - «تهذيب الأسماء واللغات» (ج ٢)، للنووي.
- ٤ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ٤)، (١١)، للقرطبي.
- ٥ - «الجواب الصحيح» (ج ٢)، لابن تيمية.
- ٦ - «فتح الباري» (٦، ٧)، لابن حجر.
- ٧ - «صحيح البخاري».
- ٨ - «صحيح مسلم».
- ٩ - «مختصر الفتاوى المصرية»، للبعلي الحنبلي.
- ١٠ - «منهاج السنة النبوية» (ج ٨)، لابن تيمية.

خديجة عليها السلام يدل على أنها أفضل نساء هذه الأمة. وكذلك قوله عليها السلام لعائشة - لما تكلمت على خديجة -: «ما أبدلني الله عليها السلام خيراً منها»^(١).

فلم يبق إذاً إلا المفاضلة بين مريم الصديقة وبين خديجة عليها السلام.

وإذا عرضنا النصوص الواردة في شأنهما عليهما السلام، والتي منها قوله عليها السلام: «خير نسائها مريم، وخير نساؤها خديجة»^(٢).

يظهر المساواة بينهما في الفضيلة، وأن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها، وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه. والله أعلم^(٣).

= أعرفه، وبقية رجاله وثقوا، وضعفه أحمد شاكراً في تحقيقه لتفسير الطبري.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣٥٦/٤١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٣٢٠/٤): «تفرد به أحمد أيضاً، وإسناده لا بأس به».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٩٨/١٥) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢]، وتفسير القرطبي (٤/٨٣، ٢٥٠/١٣) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، والأذكار للنووي (١٠٠)، والجواب الصحيح (٣٤٩/٢) [دار العاصمة، ط ١]، ومجموع الفتاوى (٣٩٦/٤، ٣٦٤/١١، ٢٦٦/١٨)، والضفدئية (١٩٨/١)، وتفسير ابن كثير (١٥٨/٣، ٤٢٢/٤)، والبداية والنهاية (٧٠/٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٤٧١/٦، ١٣٥/٧) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، وتحفة الأحوذى (٢٦٥/١٠)، وإمتاع الأسماع للمقريزي (٢٧٠/١٠) [دار الكتب العلمية، ط ١].

المستعان

يراجع مصطلح (المعين).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (١٠٢/٨) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ].

❖ الحقيقة:

هو إمرار الله ﷻ على يده المباركة بسطاً على ظهر آدم ﷺ.

❖ الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة» الحديث (٣).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون...» الحديث (٤).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٧٦) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٢٥٧) وصححه، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٣٩/٣) [مكتبة المعارف، ط١].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٠٣)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٧٥) وحسنه، وأحمد (٣٩٩/١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، ومالك في الموطأ (كتاب القدر، رقم ٣٣٣٧) =

❖ مستقر الأرواح

يراجع مصطلح (الروح).

❖ المسح

❖ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الميم والسين والحاء أصل صحيح، وهو إمرار الشيء على الشيء بسطاً، ومسحته بيدي مسحاً» (١).

❖ التعريف شرعاً:

ورد في الحديث الصحيح أن الله تعالى لما خلق آدم ﷺ مسح ظهره، وعلى هذا يعتبر المسح من الصفات الفعلية الخبرية (٢).

❖ الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة؛ لدلالة الحديث النبوي عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل.

(١) مقاييس اللغة (٥١٠/٢) [دار الكتب العلمية، ط١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (٣١٥) [دار الهجرة، الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٩٠) [مكتبة العيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

✽ أقوال أهل العلم:

القبضة وأنه يوم القيامة يحثو ثلاث حثيات من جهنم فيدخلهم الجنة^(٥)، ولما خلق آدم عليه الصلاة والسلام مسح ظهره يمينه فقبض قبضة فقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي أصحاب اليمين، وقبض قبضة أخرى وقال هذه للنار ولا أبالي أصحاب الشمال، ثم ردّهم في صلب آدم^(٦).

وقال أبو الحسن الكرجي: «فلنعتقد أن الله أسماء وصفات قديمة غير مخلوقة جاء بها كتابه وأخبر بها الرسول أصحابه، فيما رواه الثقات وصححه النقاد الأثبات، ودلّ القرآن المبين والحديث الصحيح المتين على ثبوتها... ونحو قوله: «ثلاث حثيات من حثيات الرب»^(٧)، وقوله: «لما خلق الله آدم مسح ظهره بيمينه»^(٨).

والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٤) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٢٠٩).

(٥) سيأتي تحريجه قريباً.

(٦) ذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (١٢٧، ١٢٨) [مكتبة دار البيان، دمشق، ط ٣، ١٤٢١هـ].

(٧) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٣٧) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٨٦)، وأحمد في المسند (٦٣٩/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وذكره ابن كثير في تفسيره (٥١٣/١) [مؤسسة الريان] من طريقين: وقال في الأول منهما: «وهذا إسناد جيد»، وقال في الآخر: «وهذا أيضاً إسناد حسن»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٦١٤) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٨) نقله عنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٧٥/٤ - ١٨٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

قال ابن سريج: «وقد صحّ وتقرر واتضح عند جميع أهل الديانة والسنة والجماعة من السلف الماضين، والصحابة والتابعين من الأئمة المهتدين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا أن جميع الآي الواردة عن الله تعالى في ذاته وصفاته والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله ﷺ في الله وفي صفاته التي صحّحها أهل النقل، وقيلها النقاد الأثبات، يجب على المرء المسلم المؤمن الموفق، الإيمان بكل واحد منه كما ورد، وتسليم أمره إلى الله ﷻ كما أمر، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وغير ذلك من صفاته المتعلقة به المذكورة في الكتاب المنزل على نبيه ﷺ. وجميع ما لفظ به المصطفى ﷺ من صفاته كغرسه جنة الفردوس بيده^(١)، وخط التوراة بيده^(٢)... وأن كلتا يديه يمين^(٣)، واختيار آدم قبضة اليمنى^(٤)، وحديث

= وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٦٦)، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٢٥٦) وصححه، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٣٠٧١).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٢٧).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣٦٨) وحسنه، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٦٧)،

من ذريته إلى يوم القيامة» الحديث (٣).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ﻻ يخلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون...» الحديث (٤).

والنبي ﷺ أعرف الناس بالله ﻻ وأكثرهم تعظيمًا وتقديسًا وتسييحًا له سبحانه، فالأخذ بما جاء وثبت عن النبي ﷺ هو الواجب المتعين، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المصادر والمراجع:

- ١ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.
- ٢ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز.
- ٣ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، لعبد الله بن محمد الغنيمة.
- ٤ - «صفات الله ﻻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

وقال ابن القيم: «ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودًا متنوعًا متصرفًا فيه مقرونًا بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك والطّي والقبض والبسط وأنه مسح ظهر آدم بيده، ثم قال له ويداه مقبوضتان: اختر. فقال: اخترت يمين ربي، وكلتا يدي يمين مباركة» (١).

مذهب المخالفين:

يعتبر المسح صفة من الصفات الفعلية الاختيارية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلائية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية (٢).

ولكن جاء ذكرها وبيانها ووصف رب العالمين بها على لسان رسول الله ﷺ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها

(١) مختصر الصواعق المرسلة (١٧١/٢) [مكتبة الرياض الحديثة، ط ١٣٤٩هـ].

(٢) انظر من كتب المعتزلة: تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار (١٥٣) [دار النهضة الحديثة، بيروت]، والكشاف للزمخشري (٥٢٩/٢ - ٥٣١) [مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٨هـ]، ومن كتب الماتريدية: مدارك التنزيل للنسفي (٦١٦/١، ٦١٧) [دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ].

التعريف شرعاً:

المُسْعَر: هو تقدير الله ﷻ لارتفاع السلع وانخفاضها، وغلائها ورخصها، وتقديره وتدبيره لأسباب ذلك كله (٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي علاقة مطابقة، فإن المُسْعَر في اللغة هو الذي يُحدّد أثمان السلع رخصاً وغلاءً، وكذلك الله ﷻ هو الذي يحدد ذلك بما يهيئه ﷻ من أسباب غلاء السلع أو رخصه بمقتضى قضائه وقدره ﷻ.

الحكم:

لم يثبت أن المُسْعَر من أسماء الله ﷻ، لكن يخبر عن الله ﷻ أنه هو المسعر، فلا تسوغ تسمية الله ﷻ بالمسعر، أو دعاؤه به، أو التعبد به فيقال: عبد المسعر؛ لعدم ثبوت النص في كونه اسماً لله ﷻ (٤).

الأدلة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غلا

[٤٣١] [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢].

(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٥٠٣) [دار الصحابة، ط ١، ١٤١٦هـ]، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٩٢٩) [المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ]، وفيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/ ٣٣٧) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ]، وسبل السلام (٢/ ٢٥) [مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط ٤، ١٣٧٩هـ].

(٤) انظر: لقاء الباب المفتوح - موقع الشيخ ابن عثيمين - رقم الشريط (٦٩)، الوجه الثاني: (١١: ٣).

٥ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤)، لابن تيمية.

٦ - «مختصر الصواعق المرسلّة» (ج ٢)، لابن القيم.

٧ - «المسائل العقدية المتعلقة بآدم ﷺ» (ج ١ - ٣)، لألطاف الرحمن بن ثناء الله.

٨ - «معارج القبول» (ج ١، ٣)، لحافظ الحكمي.

٩ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

المُسْعَر

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمه الله: «السين والعين والراء أصل واحد يدل على اشتعال الشيء، واتقاده، وارتفاعه؛ من ذلك السعير: سعير النار، واستعارها: توقدها» (١).

المُسْعَر: اسم فاعل من التسعير، والسعر: الذي يقوم عليه الثمن؛ لأنه يعلو ويرتفع، جمعه أسعار، ومنه سَعَر يُسَعَّر تسعيراً، فهو مُسْعَر؛ إذا قَدَّر الثمن وحدده (٢).

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٧٥) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٨٧، ٨٨) [الدار المصرية]، والصحاح (٢/ ٦٨٤، ٦٨٥) [دار العلم للملايين، ط ٤]، والقاموس المحيط (٥١٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٥]، والمعجم الوسيط (١/ ٤٣٠).

عن سؤال: هل المسعر من أسماء الله؟: «الذي يظهر لي أن هذه صفة من صفات الأفعال؛ يعني: أن الله هو الذي يغلي الأشياء ويرخصها، فليس من الأسماء، هذا الذي يظهر لي والله أعلم، لكن نقول كما قال الرسول»^(٣).

وقال الشيخ عبد المحسن العباد: «الذي ذكره أنه من أسماء الله هو القرطبي، وغيره ما ذكره؛ يعني: لم أقف على أحد ذكره غير القرطبي، الذين عدوا أسماء الله الحسنی، مثل ابن حزم^(٤)، ومثل ابن حجر، وكذلك ابن عثيمين، وغيرهم ما ذكروا هذا الاسم، ولكن يخبر عن الله به، ولا يوصف ولا يسمي؛ لأنه إذا سمّي؛ إذا حصل تسمية، فإن الصفة تؤخذ من الأسماء؛ لأن كل اسم تشتق منه صفة، الصفات تشتق من الأسماء، والأسماء لا تشتق من الصفات»^(٥).

وقال الشيخ صالح الفوزان: «لا يطلق على الله أنه المسعر، لكن يلحق - وهو من باب الوصف - أن الله هو المسعر؛

السعر على عهد رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله سّر لنا. فقال: «إن الله هو القابض الباسط الرازق المسعر، وإنني لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه، في دم ولا مال»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فالغلاء بارتفاع الأسعار، والرخص بانخفاضها، هما من جملة الحوادث التي لا خالق لها إلا الله وحده، ولا يكون شيء منها إلا بمشيئته وقدرته، لكن هو سبحانه قد جعل بعض أفعال العباد سبباً في بعض الحوادث، كما جعل قتل القاتل سبباً في موت القاتل، وجعل ارتفاع الأسعار قد يكون بسبب ظلم العباد، وانخفاضها قد يكون بسبب إحسان بعض الناس، ولهذا أضاف من أضاف من القدرية والمعتزلة، وغيرهم الغلاء والرخص إلى بعض الناس، وبنوا على ذلك أصولاً فاسدة»^(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ مجيباً

(١) أخرجه أبو داود (كتاب البيوع، رقم ٣٤٥١)، والترمذي (أبواب البيوع، رقم ١٣١٤) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب التجارات، رقم ٢٢٠٠)، وأحمد (٤٦/٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب البيوع، رقم ٢٥٨٧)، وابن حبان (كتاب البيوع، رقم ٤٩٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٨٤٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٥٢٠/٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ].

(٣) لقاء الباب المفتوح - موقع الشيخ ابن عثيمين - رقم الشريط (٦٩) الوجه الثاني: (١١: ٣).

(٤) بل ذكره ابن حزم من جملة الأسماء الحسنی كما في المحلى (٣١/٨) [إدارة الطباعة المنيرية، ط١، ١٣٥٢هـ].

(٥) شرح كتاب البيوع من سنن الترمذي باب ما جاء في التسعير - موقع الشيخ عبد المحسن العباد، رقم الشريط (١٥٣)، الدقيقة: (١٨: ٤٧).

المتصرف في...، كما تقول: إن الله هو المتصرف في الكون، ليس المتصرف من أسماء الله، لكن هذا من باب الوصف^(١).

■ مسلمة الفتح ■

يراجع مصطلح (الصحابة).

■ المسيح الدجال ■

✿ المصادر والمراجع:

✿ التعريف لغة:

المَسْحُ: إمرار اليد على الشيء، وإزالة الأثر عنه^(٢). ويقال: رجل ممسوح الوجه، ومسيح، وهو أن لا يبقى على أحد شَقِيَّ وجهه عين ولا حاجب إلا استوى^(٣). قال ابن فارس: «المسيح الذي أحد شَقِيَّ وجهه ممسوح، لا عين ولا حاجب، ومنه سمي الدجال مسيحًا؛ لأنه ممسوح العين»^(٤).

والدجال أصله من: دجل، والدجل هو التمويه والتغطية والخلط، ودجلة: نهر ببغداد، سُميت بذلك؛ لأنها تغطي الأرض بمائها، وهذا المعنى أيضًا في الدجال؛ لأنه يغطي الأرض بكثرة أتباعه. والدجال: الكذاب؛ لأنه يمؤّه ويغطي الحق بالباطل^(٥).

(٢) ينظر: لسان العرب (٥٩٣/٢) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٨٦٩) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٧٦٧) [دار القلم، ط ١، ١٤١٢هـ]، وإكمال المعلم (٥٢٠/١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٨٦٩).

(٤) مقاييس اللغة (٩٤٨) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩هـ].

(٥) ينظر: مقاييس اللغة (٣٥٧)، وإكمال المعلم =

١ - «المحلى»، لابن حزم.

٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٣ - «عون المعبود شرح سنن أبي داود»، للعظيم آبادي.

٤ - «سبل السلام بشرح بلوغ المرام»، للصنعاني.

٥ - «فيض القدير شرح الجامع الصغير»، للمناوي.

٦ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٧ - «النهاية في غريب الحديث»، لابن الأثير.

٨ - «نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار»، للشوكاني.

٩ - «أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة»، للرضواني.

١٠ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

(١) شرح كتاب البيوع من بلوغ المرام - موقع الشيخ صالح الفوزان - رقم الشريط (٣) الدقيقة (٠١:٠٨:٣٠).

✽ التعريف شرعاً:

الكذاب»^(٤). ولا يطلق عليه المسيح إلا موصوفاً، فيقال: المسيح الدجال، والمسيح الأعور، وهكذا^(٥).

✽ الحكم:

يجب الإيمان بظهور الدجال في آخر الزمان. وظهوره من العلامات الكبرى للساعة، والإيمان بها يدخل ضمن الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان.

✽ الحقيقة:

الدجال: رجل من بني آدم يمتحن الله به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه. فمن استجاب له يأمر الدجال السماء لتمطرهم، والأرض فتنبث لهم زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم، وترجع إليهم سمناً. ومن لا يستجيب له ويرد عليه أمره، تصيبهم السنة والجذب والقحط والعلة وموت الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وأنه تتبعه كنوز الأرض كيغاسيب النحل، ويقتل ذلك الشاب ثم يحييه، وهذا كله ليس تمويهاً بل حقيقة يمتحن الله به عباده في ذلك الزمان،

الدجال: رجل من بني آدم له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث؛ لتعريف الناس به وتحذيرهم من شره، حتى إذا خرج عرفه المؤمنون فلا يفتنون به، وخروجه من علامات الساعة الكبرى^(١).

✽ سبب التسمية:

سمي الدجال مسيحاً؛ لأنه يمسح الأرض عند خروجه ويقطع أكثر نواحيها في أربعين يوماً. وقيل: سمي الدجال بالمسيح؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة^(٢). وسمي بالدجال؛ لأنه يمويه ويغطي الحق بالباطل، ولأنه يغطي الأرض بكثرة أتباعه، فأصل الدجل كما مر معنا هو التمويه والتغطية^(٣).

✽ الأسماء الأخرى:

يسمى الدجال: مسيح الضلالة، والمسيح الأعور، كما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال في زمن عيسى عليه السلام عند نزوله: «حتى يهلك في زمانه مسيح الضلالة الأعور

= (١/٥٢٠)، وشرح سنن أبي داود للعيني (٤/٩١) [مكتبة الرشد، ١، ١٤٢٠هـ].

(١) كما سيأتي في الأحاديث الصحيحة الآتي ذكرها.
(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٧٦٧) [دار القلم، ١، ١٤١٢هـ]، وإكمال المعلم (١/٥٢٠)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٨٦٩).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (٣٥٧)، وإكمال المعلم (١/٥٢٠)، وشرح سنن أبي داود (٤/٩١).

(٤) أخرجه أحمد (١٥/٣٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٨هـ]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٨١٢)، وقوى شعيب الأرناؤوط [إسناد ابن حبان، (٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٧٦٧)، وإكمال المعلم (١/٥٢٠)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٨٦٩)].

الكتاب»^(٤)، ونقل السخاوي عن النووي وغيره من العلماء قولهم: «كان السلف يستحبون أن يلقن الصبيان أحاديث الدجال ليحفظوها، وترسخ في قلوبهم ويتوارثها الناس»^(٥).

الأدلة:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة... فإذا رجل أحمر^(٦)، جسيم، جعد الرأس، أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال»^(٧).

وعنه رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال: «إن الله تعالى ليس بأعور، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية»^(٨).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال

(٤) ذكره ابن ماجه في (كتاب الفتن، عند الحديث رقم ٤٠٧٧).

(٥) القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشرار الساعة (١٠) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٦) الأحمر: الأبيض المائل إلى الحمرة، والعرب تقول لمن علا لونه البياض: أحمر، وتسمي العجم الحمراء؛ لغلبة البياض على ألوانهم. ينظر: لسان العرب (٤/٢٠٨، ١٣/٤٣١).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٧٠٢٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧١).

(٨) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٩)، ومسلم (كتاب الفتن وأشرار الساعة، رقم ١٦٩٦).

فيضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا، يكفر المرتابون، ويزداد الذين آمنوا إيمانًا، يمكث فترة من الزمن حتى يقتله عيسى عليه السلام^(١). قال ابن القيم موضحًا حقيقة الدجال: «ومن أعظم ما يعرف به كذب المسيح الدجال أنه يدعي الإلهية، فيبعث الله عبده ورسوله مسيح الهدى ابن مريم فيقتله، ويُظهر للخلائق أنه كان كاذبًا مفتريًا. ولو كان إلها لم يقتل، فضلًا عن أن يُصلب ويُسمر ويُبصق في وجهه»^(٢).

الأهمية:

لا شك في أن فتنة الدجال أكبر فتنة وأعظم بلاء يبتلى به العبد، وسينخدع به كثير من البشر إلا من عصم الله تعالى، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال»^(٣). ونقل عن الإمام أبي محمد عبد الرحمن بن محمد المحاربي أحد أتباع التابعين قوله: «ينبغي أن يدفع هذا الحديث - يقصد حديث الدجال - إلى المؤدّب حتى يعلمه الصبيان في

(١) النهاية أو الفتن والملاحم (١/١٢١) [دار الكتب الحديثة، ط ١] بتصرف يسير.

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٣٤٥) [عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشرار الساعة، رقم ٢٩٤٦).

ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤٌ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعات يميناً وعات شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا»، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم»، قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفيناه فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا له قدره»، قلنا: يا رسول الله وما إسرعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبث، فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت ذرى، وأسبغه ضروعاً، وأمدّه خواصر، ثم يأتي القوم، فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس

رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وقد أُنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه: ك ف ر»، وفي لفظ: «الدجال مكتوب بين عينيه: ك ف ر؛ أي: كافر»^(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدثه نبي قومه؟ إنه أعور، وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار، فالتى يقول إنها الجنة هي النار، وإنني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه»^(٢).

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأننا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج، فإذا أدركن أحد فليات النهر الذي يراه ناراً، وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد. وإن الدجال ممسوح العين؛ عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه: كافر. يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب»^(٣).

وعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

(١) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧١٣١)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٣)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٣٨)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٦).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٤).

يأذن الله ﷻ بخروجه»^(٣).

وقال أبو عمرو الداني: «إن الإيمان واجب بما جاء عن رسول الله ﷺ، وثبت بالنقل الصحيح، وتداول حمله المسلمون من ذكر وعيد الآخرة، وذكر الطوام، وأشراط الساعة، وعلاماتها، واقتربها، فمن ذلك: خروج الكذاب الأعور الدجال، وفتنته، وأن له جنة ونارا، فجنته نار، وناره جنة، وأن عيسى عليه السلام يقتله فيهلك ومن معه من أهل الكفر والضلال»^(٤).

وقال ابن تيمية: «وأعظم الدجاجة فتنة الدجال الكبير الذي يقتله عيسى ابن مريم، فإنه ما خلق الله من لدن آدم إلى قيام الساعة أعظم من فتنته، وأمر المسلمين أن يستعيذوا من فتنته في صلاتهم»^(٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صفاته:

١ - أعور العين: جاء في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أعور العين اليمنى، كأن عينه عنب طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال»^(٦). وفي حديث له ﷺ:

بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوهُ فيُقْبِل ويتهلل وجهه، يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مَهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد، فيقتله»^(١).

أقوال أهل العلم:

قال الآجري: «استعاذ النبي ﷺ من الدجال»^(٢)، وعلم أمته أن يستعيذوا بالله من فتنة الدجال، فينبغي للمسلمين أن يستعيذوا بالله العظيم منه. وقد حذر أمته - في غير حديث - الدجال، ووصفه لهم، فينبغي للمسلمين أن يحذروه، ويستعيذوا بالله من زمان يخرج فيه الدجال، فإنه زمان صعب، أعاذنا الله وإياكم منه. وقد روي أنه قد خلق، وهو في الدنيا موثق بالحديد إلى الوقت الذي

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣٢)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٨٩).

(٣) الشريعة (١٩٧/٣) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٦هـ].

(٤) الرسالة الوافية (٢٤٣) [دار الإمام أحمد، ط١، ١٤٢١هـ].

(٥) جامع الرسائل (١٩٧/١) [مطبعة المدني، ط٢، ١٤٠٥هـ].

(٦) تقدم تخريجه.

قال القاضي عياض: «قوله: «أعور العين اليمنى» وهو المشهور، وفي رواية أخرى: «أعور العين اليسرى»، وقد ذكرهما معاً مسلم، وتصح الروايتان جميعاً بأن تكون المطموسة، والممسوحة، والتي ليست بجحراء ولا ناتئة هي العوراء الطافئة بالهمز، والعين اليمنى على ما جاء هنا. وتكون الجاحظة، والتي كأنها كوكب، وكأنها نخاعة، هي الطافية - بغير همز - العين الأخرى. فتجتمع الروايات والأحاديث ولا تختلف، وعلى هذا تجتمع رواية أعور العين اليمنى مع أعور العين اليسرى؛ إذ كل واحدة منهما بالحقيقة عوراء؛ إذ الأعور من كل شيء المعيب، ولا سيما بما يختص بالعين، وكلا عيني الدجال معيبة عوراء. فالممسوحة والمطموسة والطافئة بالهمز عوراء حقيقة، والجاحظة التي كأنها كوكب وهي الطافية بغير همز معيبة عوراء لعيبتها، فكل واحدة منهما عوراء، إحداها بذهابها، والأخرى بعيها»^(٧).

٢ - كثير الشعر، كما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدجال أعور العين اليسرى، جفال

«أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبه طافئة»^(١). وفي حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدجال أعور العين اليسرى»، وفي رواية: «وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة»^(٢). والظفرة: هي جلدة أو لحمه تغشى البصر تنبت عند المآقي^(٣). وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن مسيح الدجال رجل قصير، أفحج، جعد، أعور مطموس العين، ليس بناتئة ولا جحراء»^(٤). ومطموس العين؛ أي: ممسوحها من غير بخص^(٥)، والطمس: استئصال أثر الشيء، والجحراء: الذي قد انخسفت فبقي مكانها غائرًا كالبحر، يقول: إن عينه سادة لمكانها مطموسة؛ أي: ممسوحة ليست بناتئة ولا منخسفة^(٦).

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٩)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ١٦٩)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٤).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (١٨/٦٣) [دار إحياء التراث، ط ٢].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الملاحم، رقم ٤٣٢٠)، وأحمد (٤٢٣/٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، ومن طريقه الضياء في المختارة (٨/٢٦٤) [دار خضر، ط ٣]، وقال الألباني: إسناده جيد. قصة المسيح الدجال (٦٨) [المكتبة الإسلامية].

(٥) بخص العين: هو لحم عند الجفن الأسفل يظهر من الناظر عند التحديق إذا أبصر شيئاً فأنكره أو تعجب منه. ينظر: غريب الحديث للخطابي (٣/١٤٦) [جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ].

(٦) ينظر: معالم السنن (٤/٣٢٠) [دار الكتب العلمية،

ط ١، ١٤١١هـ]، والنهاية في غريب الحديث (٥٦٨).

(٧) إكمال المعلم (١/٥٢١، ٥٢٢). وينظر: القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٢١).

٦ - ومن صفاته: أنه قصير، أفحج؛ أي: أنه إذا مشى باعد بين رجله^(٦)، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن مسيح الدجال رجل قصير، أفحج، جعد، أعور، مطموس العين ليس بناتئة ولا جحراء، فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور»^(٧).

٧ - ومن صفاته: أنه أجلى الجبهة عريض النحر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وأما مسيح الضلالة، فإنه أعور العين، أجلى الجبهة، عريض النحر، فيه دفا»^(٨). والجلاء: ذهاب الشعر إلى نصف الرأس، وأجلى الجبهة: أي: انحسر الشعر عن جبهته، والدفا: الانحناء^(٩).

٨ - الدجال عقيم لا يولد له، كما دلّ عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

(٦) ينظر: معالم السنن (٤/٣٢٠).

(٧) تقدم تخريجه.

(٨) أخرجه أحمد (٢٨٢/١٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال الهيثمي في المجمع (٣٤٦/٧) [مكتبة القدسي]: (فيه المسعودي، وقد اختلط)، وأشار إلى ذلك الألباني أيضًا. انظر: السلسلة الصحيحة (٧/١٧١٤).

وجاء بنحوه من حديث الفلتان بن عاصم رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شبة في المصنف (كتاب الفتن، رقم ٣٧٤٥٨)، والبزار (١٤٣/٩) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، وقال الهيثمي: (رجاله ثقات). مجمع الزوائد (٧/٣٤٨).

(٩) ينظر: النهاية في غريب الحديث (١٦٢، ٣٠٩).

الشعر، معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار»^(١). وجفال الشعر؛ أي: كثيره^(٢).

٣ - رجل أحمر، جسيم، جعد الرأس، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة؛ فإذا رجل أحمر، جسيم، جعد الرأس... قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال»^(٣).

٤ - ومن صفاته أنه هيجان أزهر، جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه، عنه رضي الله عنه؛ أنه قال في الدجال: «أعور، هيجان، أزهر، كأن رأسه أصلة، أشبه الناس بعبد العزى بن قطن، فإما هلك الهلك، فإن ربكم ليس بأعور»^(٤).

٥ - رأس الدجال يشبه رأس الأصلة، كما دلّ عليه الحديث السابق^(٥).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٤).

(٢) ينظر: إكمال المعلم (٤٧٨/٨)، والقناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (٢١).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد (٤٨/٤، ٤٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٨هـ]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٧٩٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١١٩٣).

والهيجان: الأبيض، والعرب تعد البياض من الألوان هيجانًا. ينظر: لسان العرب (٤٣٣/١٣). والأزهر: هو الأبيض فيه حمرة. ورجل أزهر؛ أي: أبيض مشرق الوجه، والأزهر: الأبيض المستنير. ينظر: لسان العرب (٤/٣٣٢).

(٥) الأصلة: جنس من الحيات وهو أخبثها، وهي حية ضخمة قصيرة، شبه رأس الدجال بها لعظمه واستدارته. ينظر لسان العرب (١١/١٧).

يسأل تميماً الداري رحمته الله وأصحابه: «فقال: أخبروني عن نخل بيسان. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر. قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زغر^(٤). قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم. هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب، وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه. وإني مخبركم عني؛ إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج»^(٥).

- المسألة الثالثة: مكان خروجه:

يخرج من جهة المشرق، ثم يسير في الأرض فلا يترك بلداً إلا دخله ما عدا

في قصته مع ابن صياد، حينما قال له الأخير: أأست سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه لا يولد له؟» قال: بلى^(١).

٩ - مكتوب بين عيني الدجال كلمة (كافر) وهي كتابة حقيقية على ظاهرها، قال النووي: «الصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنها كتابة حقيقة جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله، ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته ولا امتناع في ذلك»^(٢). وقال ابن حجر: «وقوله: «يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب» إخبار بالحقيقة، وذلك أن الإدراك في البصر يخلقه الله للعبد كيف شاء ومتى شاء، فهذا يراه المؤمن بغير بصره، وإن كان لا يعرف الكتابة. ولا يراه الكافر ولو كان يعرف الكتابة، كما يرى المؤمن الأدلة بعين بصيرته ولا يراها الكافر، فيخلق الله للمؤمن الإدراك دون تعلم لأن ذلك الزمان تنخرق فيه العادات»^(٣).

- المسألة الثانية: علامات خروجه:

جاء في حديث الجساسة الذي ترويه فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، وفيه أن الدجال

(٤) زغر قرية بمشارف الشام. ينظر: معجم البلدان للحموي (١٤٣/٣) [دار الفكر].

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٢).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٢٧).

(٢) شرح صحيح مسلم (٨١/١٨).

(٣) فتح الباري (١٠٧/١٣).

مكة والمدينة. فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة»^(١). وجاء في حديث الجساسة الذي ترويهِ فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن النبي قال: «ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن؛ لا بل من قبل المشرق، ما هو، من قبل المشرق، ما هو، من قبل المشرق، ما هو». وأوماً بيده إلى المشرق^(٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي المسيح من قبل المشرق همته المدينة، حتى ينزل دبراً أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك»^(٣). وفي حديث النواس بن سمعان: «إنه خارج خلة بين الشام والعراق»^(٤). وقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث بأن قالوا: إن مبدأ خروجه من خراسان، من ناحية أصبهان، ثم يخرج إلى الحجاز فيما بين العراق والشام»^(٥).

- المسألة الرابعة: وقت خروجه: الذي دلَّت عليه الأحاديث أن خروجه بعد خروج المهدي، وقبل نزول عيسى عليه السلام^(٦).
- المسألة الخامسة: مدة مكث الدجال في الأرض:

يمكث أربعين يوماً، جاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: «قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفيناه فيه صلاة يوم؟ قال: لا. اقدروا له قدره»^(٧).

- المسألة السادسة: سرعة المسيح الدجال في الأرض:

جاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: «قلنا: يا رسول الله وما إسرعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح»^(٨).

- المسألة السابعة: أتباعه:

من أتباع المسيح الدجال اليهود، كما ثبت في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً»^(٩). ومن

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢٢٣٧) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٧٢)، وأحمد (١/ ١٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٦٠٨) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٩١).

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٨٠).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) ينظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١٣١٠) [دار المنهاج، ط١].

(٦) كما في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٧) تقدم تخريجه.

(٨) هو الحديث السابق نفسه.

(٩) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراف الساعة، رقم ٢٩٤٤).

وأتباعه: قبائل من المشرق من الترك والخوز وغيرهم، كما جاء في حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة»^(١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزًا وكرمان من الأعاجم. حمر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين، وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر»^(٢). قال ابن حجر: «الترك قيل: إن بلادهم ما بين مشارق خراسان إلى مغارب الصين، وشمال الهند إلى أقصى المعمور. قال البيضاوي: شبه وجوههم بالترسة لبسطها وتدويرها، وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها»^(٣). ومن أتباعه الأعراب، كما جاء في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «إن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرايت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أنني ربك؟ فيقول: نعم فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك»^(٤).

- المسألة الثامنة: امتحانه للناس:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال، فيتوجه قبله رجل من المؤمنين؛ فتلقاه المسالِح»^(٥) مسالِح الدجال فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول أعمد إلى هذا الذي خرج. قال: فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، قال: فيأمر الدجال

(هذا حديث غريب جدًا من هذا الوجه)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٨٧٣٥).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧١٢٤)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٣).

(٦) المسالِح جمع مسلح، وهو: موضع السلاح، وكل موضع مخافة يقف فيه الجند بالسلاح للمراقبة والمحافظة، والمسالِح: قوم معهم سلاح يرتبون في المراكز كالخُفراء، سموا بذلك لحملهم السلاح. ينظر: المعجم الوسيط (٤٤٢/١) [دار الدعوة]، وشرح صحيح مسلم للنووي (٧٢/١٨، ٧٣) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٩٠) واللفظ له، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩١٢).

(٣) فتح الباري (٧٠٣/٦).

(٤) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٧٧)، وقال ابن كثير في تفسيره (٤٦١/٢) [دار طيبة، ط ٢]:

فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق. وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب. فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً فإنه ماء عذب طيب»^(٤). ومع هذا كله؛ إلا أن المؤمن الصادق لا يعبأ بهذه الخوارق التي مع الدجال ولا يجزع منها، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال أكثر ما سألته، وإنه قال لي: ما يضرك منه؟ قلت: لأنهم يقولون: إن معه جبل خبز، ونهر ماء. قال: هو أهون على الله من ذلك»^(٥). قال القاضي عياض في معنى الحديث: «هو أهون على الله من أن يجعل ما يخلقه الله تعالى على يده مضلاً للمؤمنين، ومشككاً لقلوب الموقنين؛ بل ليزداد الذين آمنوا إيماناً، وليرتاب الذين في قلوبهم مرض، والكافرون، كما قال له الذي قتله ثم أحياه: ما كنت قط فيك أشد بصيرة مني الآن»^(٦).

- المسألة التاسعة: الدجال لا يدخل مكة والمدينة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال؛ إلا مكة والمدينة، وليس نقب

به فيُشَبَّحُ»^(١)، فيقول: خذوه وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً. قال: فيقول: أوما تؤمن بي؟ قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب. قال: فيؤمر به فيؤشر بالمشار^(٢)، من مفرقه حتى يفرق بين رجليه. قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم فيستوي قائماً. قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة. قال: ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. قال: فيأخذه الدجال ليدبحه؛ فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً. قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما ألقى في الجنة. فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين»^(٣). وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدجال يخرج، وإن معه ماء وناراً.

(١) الشيخ: أن يمد كالمصلوب، ينظر: الفائق في غريب الحديث (٢/٢١٩).

(٢) يؤشر بالمشار: هكذا في صحيح مسلم، ومعناها: ينشر بالمشار، قال النووي: «هكذا الرواية: (يؤشر) بالهمز، والمشار بهمزة بعد الميم، وهو الأفصح، ويجوز تخفيف الهمزة فيهما، فيجعل في الأول واوًا، وفي الثاني ياء. ويجوز (المشار) بالنون، وعلى هذا يقال: نشرت الخشبة، وعلى الأول يقال: أشرتها». ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٨/٧٤).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٨).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٥٠)، ومسلم (كتاب الفتن، رقم ٢٩٣٥).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧١٢٢)، ومسلم (كتاب الآداب، رقم ٢١٥٢).

(٦) إكمال المعلم (٨/٤٩٢).

كما ينمات الملح في الماء، فيمشي إليه، فيقتله؛ حتى إن الشجرة والحجر ينادي: يا روح الله! هذا يهودي. فلا يترك ممن كان يتبعه أحدًا إلا قتله»^(٥).

- المسألة الحادية عشرة: لماذا لم يذكر الدجال في القرآن؟

قال ابن كثير رحمته الله: «لم يذكر بصريح اسمه في القرآن احتقارًا له، حيث يدعي الإلهية وهو بشر، ينافي حاله جلال الرب وعظمته وكبريائه وتنزيهه عن النقص، فكان أمره عند الرب أحقر من أن يُذكر، وأصغر وأدخر من أن يُجلى عن أمر دعواه ويحذر؛ ولكن انتصر الرسل لجناح الرب ﷻ، فجلّوا لأمرهم عن أمره، وحذروهم ما معه من الفتن المضلة والخوارق المنقضية المضلة، فاكتفى بإخبار الأنبياء، وتواتر ذلك عن سيد ولد آدم إمام الأتقياء، عن أن يذكر أمره الحقير بالنسبة إلى جلال الله في القرآن العظيم، ووكّل بيان أمره إلى كل نبي كريم. فإن قلت: فقد ذكر فرعون في القرآن، وقد ادعى ما ادّعاه من الكذب والبهتان، والجواب: أن أمر

من أنقابها إلا عليه الملائكة صافّين تحرسها، فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق»^(١).

- المسألة العاشرة: مقتل الدجال:

عن النّوّاس بن سمعان رحمته الله قال: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة الحديث، وفيه قصة نزول عيسى عليه السلام وقتله للدجال: «فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات. ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله»^(٢). وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال في خفقة»^(٣) من الدين، وإدبار من العلم الحديث، وفيه: «ثم ينزل عيسى ابن مريم فينادي من السحر، فيقول: يا أيها الناس! ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل جني! فينطلقون، فإذا هم بعيسى ابن مريم، فتقام الصلاة، فيقال له: تقدم يا روح الله. فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم. فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه، قال: فحين يراه الكذاب ينمات»^(٤)

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) الخفقة: النعسة، شبه الدين في ذلك الزمن بالنائم. ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٢٩١/١) [دار الكتب العلمية، ١، ١٩٨٥م].

(٤) ينمات: يذوب، ينظر: الفائق في الغريب (٣٩٧/٣) [دار المعرفة].

(٥) أخرجه أحمد (٢٣/٢١٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٤/٧) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢هـ]: «رواه أحمد بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح»، وكذا ذكر الألباني، لكنه قال: «إلا أن أبا الزبير مدلس، وقد عنعنه». قصة المسيح الدجال (٧٣) [المكتبة الإسلامية].

في الصلاة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تشهد أحدكم، فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»^(٤).

٣ - الفرار من الدجال، ويفضل سكنى مكة والمدينة؛ لأنه لا يدخل الحرمين.

الآثار:

للإيمان بوجود الدجال آثار عدة، منها: التمسك بالإسلام، ومعرفة صفات الله ﷻ وأسمائه الحسنى، فيعلم الإنسان أن الدجال بشر يأكل ويشرب والله ﷻ منزه عن ذلك، وأن الدجال أعور، والله ليس بأعور، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت، والدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم.

الحكمة:

من الحكمة في ظهور الدجال: امتحان من الله ﷻ لعباده، وابتلاء لهم؛ ليحق الله الحق، ويبطل الباطل، ثم يفضحه تعالى، ويظهر للناس عجزه وضعفه، قال القاضي: «هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة

فرعون قد انقضى، وتبين كذبه لكل مؤمن وعاقل. وهذا أمر سيأتي وكائن فيما يستقبل فتنة واختباراً للعباد، فترك ذكره في القرآن احتقاراً له وامتناعاً به، إذ الأمر في كذبه أظهر من أن ينه عليه ويحذر منه، وقد يترك ذكر الشيء لوضوحه فالدجال ظاهر النقص، واضح الذم، بالنسبة إلى المقام الذي يدعيه، ويرومه من الربوبية، فترك الله ذكره والنص عليه؛ لما يعلم تعالى من عباده المؤمنين أن مثل هذا لا يهيضهم ولا يزيدهم إلا إيماناً وتسليماً لله ورسوله، وتصديقاً للحق ورداً للباطل»^(١).

- المسألة الثانية عشرة: ما يعصم من فتنة الدجال:

١ - حفظ آيات من سورة الكهف، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها، فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف»^(٢). وعن أبي الدرداء رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عَصِمَ من الدجال»، وفي رواية: «من آخر الكهف»^(٣).

٢ - التعوذ من فتنة الدجال، وخاصة

(١) النهاية أو الفتن والملاحم (١/١٢٣، ١٢٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨٠٩)، باللفظين كليهما.

(٤) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٨٨).

وجوده، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من

مقدورات الله تعالى، من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره ونهره، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشئته، ثم يُعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره ويقتله عيسى عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، هذا مذهب أهل السُّنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار^(١).

❁ مذهب المخالفين:

أنكر وجود الدجال الخوارج، والجهمية، وبعض المعتزلة وزعموا «أن أمره لو كان صحيحاً كان قدحاً في النبوة. وقد وهم جميعهم؛ فإنه لم يأت بدعوى النبوة فيكون ما جاء به كالتصديق له، ولأنه لو صح منه لم يفرق بين النبي والمنتبئ فيطعن ذلك على النبوة، وإنما جاء بدعوى الإلهية، وهو في نفس دعواه لها مكذب لدعواه بصورة حاله ونقص خلقه، وظهور سمات الحدث به وشهادة كذبه وكفره المكتتبه بين عينيه، وعجزه عن تحسين

صورته، وإزالة العور والشَّين عن نفسه^(٢). وذهب بعض المعاصرين^(٣) إلى أن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح، التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها، والأخذ بأسرارها وحكمها، وأن الدجال رمز للشر، واستعلائه وصوله جبروته، وتطايير أذاه وفتنته، إلى أن تنطفئ جذوته وتموت جمرته بسلطان الحق. كما زعم بعضهم أن المراد بقتل عيسى عليه السلام للدجال هو محق الباطل بصولة الحق^(٤). وهذا زعم باطل، فالأحاديث الصحيحة صريحة في أن الدجال رجل بعينه، وليس هناك ما يدل على أنه رمز للخرافات والدجل الباطل، وقد صحَّت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بخروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام وقتله للدجال^(٥). كما أن محق الله الباطل بصولة الحق سُنَّة كونية وقعت ولا تزال تقع. أما الدجال فيظهر في آخر

(٢) إكمال المعلم (٨/٤٧٥).

(٣) أمثال محمد عبده، ينظر: تفسير المنار (٣/٣١٧)، وأبو رية في كتابه: أضواء على السُّنة المحمدية (٢١٣)، وأبو عبيدة في تعليقاته على كتاب الفتن والملاحم لابن كثير (١/١١٨، ١١٩).

(٤) ينظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/٨٥)، [دار الصميعي، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(٥) ينظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/٨٥)، وأشراط الساعة للوالب (٣١٦) [ابن الجوزي، ط ٢٧، ١٤٣٠هـ].

(١) شرح صحيح مسلم (١٨/٧٩).

الزمان عند قرب قيام الساعة فتنة للناس وامتحاناً لهم، والله أعلم.

المشيئة

التعريف لغة:

المشيئة: مصدر من شاء، يقال: شاء يشاء مشيئة، جاء في لسان العرب: «المشيئة: الإرادة، شئت الشيء أشأؤه شيئاً ومشيتة ومشاة ومشاية»^(١)، وقال الفارابي: «شاءَ مَشِيئَةً، وهي أخص من الإرادة»^(٢).

التعريف شرعاً:

إن الله ﷻ موصوف بالمشيئة، وهي صفة من صفات الله الذاتية من حيث النوع، وصفة من صفات الله الفعلية من حيث الأفراد، وهي ثابتة لله ﷻ بنصوص الكتاب والسنة، كما يليق بجلاله وعظمته^(٣).

الأسماء الأخرى:

الإرادة.

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة

(١) لسان العرب (١٠٣/١) [دار صادر]. وانظر: تهذيب اللغة (٣٠٦/١١) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م]، والصحاح (٥٨/١) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٢) ديوان الأدب (٢١٨/٤) [مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (٥٧) [دار الهجرة، ط ٣، ١٤٢٦هـ]، وكتاب صفات الله ﷻ لصالح المسند (١٢٩، ١٣٠) [دار المدني، جدة، ط ٢، ١٤١٢هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٩٢) [مكتبة العيكان، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»، لصديق خان.
- ٢ - «الأسئلة الفائقة بالأجوبة اللائقة»، لابن حجر.
- ٣ - «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.
- ٤ - «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج ٨)، للقاضي عياض.
- ٥ - «البحر الزاخرة» (ج ١)، للسفاريني.
- ٦ - «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج ٣)، للقرطبي.
- ٧ - «التصريح بما تواتر في نزول المسيح»، لمحمد أنور الكشميري.
- ٨ - «شرح سنن أبي داود» (ج ٤)، للعيني.
- ٩ - «شرح صحيح مسلم» (ج ١٨)، للنووي.
- ١٠ - «القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة»، للسخاوي.
- ١١ - «معالم السنن» (ج ٤)، للخطابي.
- ١٢ - «النهاية أو الفتن والملاحم» (ج ١)، لابن كثير.

والمتكبرون. وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين. فقال الله ﷻ لهذه: أنت عذابي أعذب بك من أشياء، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء، ولكل واحدة منكما ملؤها»^(٣).

وعن قتيلة - امرأة من جهينة - أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون، وإنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة». ويقولون: «ما شاء الله، ثم شئت»^(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن رجلاً أتى النبي ﷺ فكلمه في بعض الأمر، فقال: ما شاء الله وشئت. فقال النبي ﷺ: «أجعلتني لله عدلاً! قل: ما شاء الله وحده»^(٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٨٥٠)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٦)، واللفظ له.
(٤) أخرجه النسائي (كتاب الإيمان والنذور، رقم ٣٧٧٣)، وأحمد (٤٣/٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الإيمان والنذور، رقم ٧٨١٥) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٦).

(٥) أخرجه ابن ماجه (كتاب الكفارات، رقم ٢١١٧)، وأحمد (٣٣٩/٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٤) [دار البشائر الإسلامية، ط ٣]، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٥٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٢] واللفظ له، وحسنه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١٠٥٦) [دار ابن حزم، ط ١]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٩).

القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل^(١).

الحقيقة:

إن مشيئة الله تعالى نافذة، فما شاءه الله تعالى كان، وما لم يشأه لم يكن، ومشيئته سبحانه شاملة لكل ما يجري في الكون، فلا يخرج شيء عن مشيئته تعالى، ولا يحدث في الكون شيء من غير مشيئته سبحانه^(٢).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَآئٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً﴾ (٢٣) ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجَّت النار والجنة، فقالت هذه: يدخلني الجبارون

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: شفاء العليل (٨٠) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤١٣هـ].

❁ أقوال أهل العلم:

وقال ابن تيمية: «وكذلك وصف نفسه

بالمشيئة، ووصف عبده بالمشيئة، وكذلك وصف نفسه بالإرادة، ووصف عبده بالإرادة، ومعلوم أَنَّ مشيئة الله ليست مثل مشيئة العبد، ولا إرادته مثل إرادته»^(٤).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المشيئة من مراتب

القدر:

الإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان، والقدر له مراتب ودرجات، والمشيئة، هي المرتبة الثالثة من مراتب القدر، قال ابن القيم: «المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة المشيئة، وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان. وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»^(٥).

فنحن معشر المسلمين نؤمن بأن الله

قال أبو الحسن الأشعري: «جملة ما عليه أهل الحديث والسنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله لا يردون من ذلك شيئاً، وأن الله سبحانه إله واحد فرد صمد، وقالوا: إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله، وإن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال ﷺ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان، وما لا يشاء لا يكون»^(١).

وقال أيضاً: «وأجمعوا على إثبات حياة الله ﷻ، لم يزل بها حياً وإرادة لم يزل بها مريداً»^(٢).

وقال أبو بكر الإسماعيلي: «ويقولون ما يقوله المسلمون بأسرهم: ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، ويقولون: لا سبيل لأحد أن يخرج عن علم الله ولا أن يغلب فعله وإرادته مشيئة الله، ولا أن يبدل علم الله، فإنه العالم لا يجهل ولا يسهو، والقادر لا يغلب عليه»^(٣).

(١) مقالات الإسلاميين (٢٩١) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣].

(٢) رسالة إلى أهل الثغر (٢٢٣) [الجامعة الإسلامية، ط ٢، ١٤٢٧هـ].

(٣) اعتقاد أئمة أهل الحديث (٥١) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (١٣/١٣).

(٥) شفاء الغليل (٨٠) [دار الكتب العلمية، ط ٢].

شاء الله ثم شئت، وما شاء الله ثم شاء فلان، كما أرشد النبي ﷺ إلى ذلك^(٢).

- المسألة الثالثة: المشيئة لا تستلزم المحبة:

ما يحصل في هذا الكون من صلاح وفساد وخير وشر لا يكون إلا بمشيئة الله تعالى، فلا يقع في ملكه إلا ما شاء، ولكن الله لا يحب الشر والفساد، وإنما يحب البر والصلاح والخير الذي أمر به وشرعه على ألسنة رسله ﷺ، فمحبه تعالى ورضاه متعلقة بالإرادة الدينية الشرعية، وليس بالإرادة الكونية القدرية التي هي بمعنى المشيئة^(٣).

- المسألة الرابعة: متى تجتمع المشيئة والقدرة؟

إن مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن ولا هو كائن، فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ الله تعالى إياه لا يكون، ليس لعدم قدرته عليه؛ فإن الله على كل شيء قدير، وإنما ذلك لعدم مشيئته سبحانه^(٤)؛

(٢) انظر: كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب مع شروحه (باب قول: ما شاء الله وشئت).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٨/١٨٧، ١٨٨)، وشفاء العليل (٨٨، ٨٩)، والقول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (٣/١٦٥) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١].

(٤) انظر: شفاء العليل (٨٨، ٨٩)، والقضاء والقدر للأشقر (٣٢، ٣٣) [دار النفائس، عمان، ط ١٣، ١٤٢٥هـ].

قد شاء كل ما في السماوات والأرض، ولا يكون شيء فيهما إلا بمشيئته تعالى، ومن الأدلة الكثيرة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة: ٤٨] فلو شاء الله لجعلكم تبعاً لشرعية واحدة، وكتاب واحد، ورسول واحد ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك، ابتلاء واختباراً لكم، فكنتم على الحالة التي أنتم عليها، فمشيئة الله مطلقة، والنافذ هو ما يشاؤه سبحانه، فهذا دليل واحد من الأدلة الكثيرة الدالة على مرتبة المشيئة من مراتب القضاء والقدر^(١).

- المسألة الثانية: حكم قول: ما شاء الله وشاء فلان:

الواجب على العبد أن يعظم الله تعالى حق التعظيم، وأن ينزهه تعالى عن جميع شوائب الشرك حتى في الكلمات والألفاظ، فلا يجوز أن يقول قائل لأحد من المخلوقين: ما شاء الله وشئت، أو: ما شاء الله وشاء فلان، ونحو ذلك من العبارات، فإنها من التنديد والتشريك في مشيئة الله تعالى، وقد نهى عنه النبي ﷺ بألفاظ واضحة صريحة، وعده أهل العلم من الشرك الأصغر، فالحذر الحذر من ذلك، وإن كان قائلاً ولا بد فليقل: ما

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/١٣٣ - ١٣٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١٣، ١٤١٩هـ].

فسبحان الله العظيم الرب الكريم، الذي ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

❁ الفرق:

الفرق بين المشيئة والإرادة:

المشيئة: لم ترد في كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ إلا كونية، فتكون المشيئة من هذا الوجه أخص من الإرادة، وقال إسحاق بن إبراهيم الفارابي: «شَاءَ مَشِيئَةً، وهي أخص من الإرادة»^(١)، وتكون الإرادة أعم من المشيئة؛ لأنها وردت في كتاب الله تعالى وفي سُنَّة رسوله ﷺ على قسمين:

القسم الأول: الإرادة القدريّة الكونية التي هي مرادفة للمشيئة، ولا تتعلق بها محبة الله ورضاه.

القسم الثاني: الإرادة الدينية الشرعية، وهذه الإرادة الشرعية مختصة بما يحبه الله ويرضاه من أمور الشرع^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

المشيئة: صفة من صفات الله الذاتية من حيث النوع وصفة من صفات الله الفعلية من حيث الآحاد، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلائية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات

الأفعال الاختيارية^(٣).

والحق الذي لا ريب فيه أنها صفة ثابتة لله تعالى، فما شاء كان وما شاء لم يكن، وهذا الذي دلت عليه أدلة الكتاب والسُنَّة، وهو الذي يقتضيه العقل السليم والفطرة المستقيمة، فلا عبرة ولا التفات إلى ما خالف ذلك.

هذا وقد زعمت المعتزلة القدريّة أن الشرك والكفر والمعاصي إنما هي تحصل باختيار العباد وإرادتهم وحدهم من غير مشيئة الله تعالى وإرادته، ولا شك أنه قول باطل وزعم فاسد مخالف لأدلة الكتاب والسُنَّة؛ بل هو مخالف لأدلة العقل السليم والفطرة المستقيمة^(٤)، فزعمت المعتزلة القدريّة أن المعاصي تحصل من غير إرادة الله ومشيئته.

والذي أوقعهم في هذا المأزق الخطير أنهم لم يفرقوا بين الأمر الكوني والأمر الشرعي، ولا بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، وقد نبّه على ذلك العلامة ابن القيم فقال: «وهنا أمر يجب التنبيه عليه والتنبه له، وبمعرفة نزول إشكالات كثيرة تعرض لمن لم يحط به علمًا، وهو أن الله سبحانه له

(٣) انظر من كتب المعتزلة: الكشف للزمخشري (٦٧٦/٤) و(٧١٣/٤، ٧١٤) [مكتبة العيكان، ١ ط، ١٤١٨هـ].

(٤) انظر: شرح أصول الاعتقاد (٨١٦/٤، ٨١٧) [دار طيبة، الرياض، ٨ ط، ١٤٢٣هـ].

(١) ديوان الأدب (٢١٨/٤).

(٢) انظر: شفاء العليل (٨٨، ٨٩).

وقدره، فإن المحبة غير المشيئة، والأمر غير الخلق^(١). وبذلك يعلم بطلان ما ذهب إليه المعتزلة القدرية في هذا الباب، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المصادر والمراجع:

- ١ - «اعتقاد أئمة أهل الحديث»، لأبي بكر الإسماعيلي.
- ٢ - «رسالة إلى أهل الشجر بباب الأبواب»، للأشعري.
- ٣ - «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (ج ٤)، لأبي القاسم الألكائي.
- ٤ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ١)، لابن أبي العز.
- ٥ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ٧ - «القضاء والقدر»، لعمر سليمان الأشقر.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣)، لابن تيمية.
- ٩ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.
- ١٠ - «مقالات الإسلاميين»، للأشعري.

(١) شفاء العليل (٨٨، ٨٩).

الخلق والأمر، وأمره سبحانه نوعان: أمر كوني قدري، وأمر ديني شرعي. فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكوني، وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكرهه، كله داخل تحت مشيئته، كما خلق إبليس وهو يبغضه، وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يبغضها، فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله، وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على السنة رسله، فما وُجِدَ منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعاً، فهو محبوب للرب واقع بمشيئته؛ كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني، ولم تتعلق به مشيئته، وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلقت به مشيئته، ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني، وما لم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته، فلفظ المشيئة كوني، ولفظ المحبة ديني شرعي، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية، فتكون هي المشيئة، وإرادة دينية فتكون هي المحبة. إذا عرفت هذا فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقوله: ﴿لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقوله: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] لا يناقض نصوص القدر والمشيئة العامة الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه

إعانتته وتوفيقه^(٥).

❖ مشيئة العبد ❖

❖ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَّصِيبٍ﴾ [الشورى].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [١٩] وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا [٣٠] [الإنسان]. وقوله تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [٢٨] وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [٢٩] [التكوير].

وعن حذيفة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»^(٦).

فهذه النصوص ظاهرة الدلالة في إثبات مشيئة العبد وإرادته، وأنه تابع في مشيئته لمشيئة الله ﷻ.

❖ أقوال أهل العلم:

قال الإمام الشافعي رحمته الله: «قال الله ﷻ

❖ التعريف لغة

المشيئة: مصدر من شاء، يقال: شاء يشاء مشيئة، جاء في لسان العرب: «المشيئة: الإرادة، شئت الشيء أشأؤه شيئاً ومشيتة ومشاة ومشاية»^(١). وقال الفارابي: «شاء مَشِيئَةً، وهي أخص من الإرادة»^(٢).

❖ التعريف شرعاً:

مشيئة العبد: هي إرادته التي بها يفعل أفعاله الاختيارية^(٣).

❖ الحكم:

يجب الإقرار بأن العبد له مشيئة وإرادة، وبناءً عليها كان التكليف، وهذه الإرادة والمشيئة تابعة لمشيئة الله ﷻ^(٤).

❖ الحقيقة:

للعبد مشيئة وهي إرادته واختياره في الفعل، لكن مشيئته موقوفة على مشيئة الرب تعالى، ولا يقع الفعل منه حتى يشاءه الله ﷻ، ومع هذا فلا بد من إرادة الفعل منه، حتى يريد من نفسه

(٥) انظر: شفاء العليل (٩٦).

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٩٨٠)، وابن ماجه (كتاب الكفارات، رقم ٢١١٨)، وأحمد (٣٨/٢٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٣٧/٢) [دار العربية، ط ٢]: (رجالہ ثقات على شرط البخاري، لكنه منقطع)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٧).

(١) لسان العرب (١٠٣/١) [دار صادر]. وانظر: تهذيب

اللغة (٣٠٦/١١) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م]، والصحاح (٥٨/١) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٢) ديوان الأدب (٢١٨/٤) [دار الشعب، القاهرة، ط ١].

(٣) مفردات القرآن للراغب (٢٧١).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٨١/١٦).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ عَنْ مَشِيئَةِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ: «فإن مشيئته نافذة عامة، لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير، ففيها ردٌّ على القدرية، الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله، والجبرية الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشيئة، ولا فعل حقيقة، وإنما هو مجبور على أفعاله، فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة وفعلًا، وجعل ذلك تابعًا لمشيئته»^(٥).

✽ مذهب المخالفين:

خالف في مشيئة العبد فرقتان؛ بناء على قولهم في خلق أفعال العباد:

الفرقة الأولى: الجبرية، حيث نفوا مشيئة العبد بناء على نفي فعل العبد وإضافته إلى الرب تعالى^(٦)، ومنهم الجهم بن صفوان حكى عنه الأشعري أنه يقول: إنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز كما يقال: تحركت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس، وإنما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله رَحِمَهُ اللهُ، إلا أنه خلق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل واختيارًا له منفردًا له بذلك كما خلق له طولًا كان به طويلًا

في كتابه العزيز: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فأعلم الله رَحِمَهُ اللهُ خلقه أن المشيئة له دون خلقه وأن لا مشيئة لهم إلا أن يشاء الله رَحِمَهُ اللهُ^(١).

وقال الشافعي أيضًا:

«فما شئتُ كان وإن لم أشأ
وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خلقتُ العباد على ما علمتُ
وفي العلم يجري الفتى والمُسن»

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ بعد أن ذكر هذه وأبيات بعدها: «كل ما في هذه الأبيات معتقد أهل السُّنة ومذهبهم في القدر لا يختلفون فيه»^(٢).

وقال السمعاني رَحِمَهُ اللهُ: «رد مشيئتهم إلى مشيئته، والمعنى: لا يريدون إلا بإرادة الله، وهو موافق لعقائد أهل السُّنة، أنه لا يفعل أحد شيئًا ولا يختاره ولا يشاؤه إلا بمشيئة الله»^(٣).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فمن قال: إن العبد لا مشيئة له ولا اختيار، أو قال: إنه لا قدرة له، أو: أنه لم يفعل ذلك الفعل، أو: لا أثر لقدرته فيه، ولم يحدث تصرفاته؛ فقد أنكر موجب الضرورة»^(٤).

(١) الاستذكار لابن عبد البر (٢٥٩/٨) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٢) الاستذكار لابن عبد البر (٢٦٥/٨).

(٣) تفسير السمعاني (١٢٤/٦) [دار الوطن، ط ١].

(٤) المصدر السابق (٢٣٧/٣ - ٢٣٨). وانظر: درة

تعارض العقل والنقل (١/٣٢٦ - ٣٢٩).

(٥) تفسير السعدي (٨٩٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٦) الملل والنحل للشهرستاني (١/٨٥) [مؤسسة الحلبي].

ولوناً كان به متلوناً^(١).

الفرقة الثانية: المعتزلة القدرية،
وهؤلاء أثبتوا مشيئة العبد وغلو في ذلك، فنفوا أن تكون مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله ﷻ، وأنكروا ذلك مدعين أن ذلك جبر يتنافى مع التكليف^(٢).

وفي بيان بطلان هذه المذاهب يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: «وأرباب هذه المذاهب مع كل طائفة منهم خطأ وصواب، وبعضهم أقرب إلى الخطأ، وأدلة كل منهم وحججه إنما تنهض على بطلان خطأ الطائفة الأخرى، لا على إبطال ما أصابوا فيه، فكل دليل صحيح للجبرية إنما يدل على إثبات قدرة الرب تعالى ومشيتته، وأنه لا خالق غيره، وأنه على كل شيء قدير، لا يستثنى من هذا العموم فرد واحد من أفراد الممكنات، وهذا حق ولكن ليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون العبد قادراً مريداً فاعلاً بمشيئته وقدرته، وأنه هو الفاعل حقيقة، وأفعاله قائمة به، وأنها قائمة به لا بالله، وكل دليل صحيح يقيمه القدرية، فإنما يدل على أفعال العباد فعل لهم قائم بهم، واقع بقدرتهم ومشيتتهم وإرادتهم،

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (٢١٩/١) [المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٢) الانتصار في الرد على القدرية الأشرار ليحيى العمراني (٢٩٤/١) [أضواء السلف، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ]، وشرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (٨٨).

وأنهم مختارون غير مضطرين ولا مجبورين، وليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون الله سبحانه قادراً على أفعالهم، وهو الذي جعلهم فاعلين^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «منهاج السنة النبوية».
- ٢ - «أقوم ما قيل في القضاء والقدر»، لابن تيمية.
- ٣ - «التكليف في ضوء القضاء والقدر»، لأحمد علي عبد العال.
- ٤ - «خلق أفعال العباد»، للبخاري.
- ٥ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٦ - «قدرة الله وقدره العبد بين السلف ومخالفهم»، لأحمد بن صالح الزهراني.
- ٧ - «القضاء والقدر»، لأبي الوفا درويش.
- ٨ - «القضاء والقدر في الإسلام»، لفاروق أحمد الدسوقي.
- ٩ - «القضاء والقدر»، لعبد الرحمن المحمود.
- ١٠ - «القضاء والقدر»، لعمر سليمان الأشقر.

مشيئة الله

التعريف لغة

المَشِيئَةُ: الإرادة، وهي مصدر شاء

(٣) شفاء العليل (٩٤).

بعلم الله ﷻ ومشيئته، ولا تكون طاعة ولا معصية ولا يقع خير ولا شر إلا بعلم الله ﷻ ومشيئته؛ إذ هو المتصرف في الكل والمدير له (٣).

❁ الحقيقة:

إن مشيئة الله تعالى نافذة؛ فما شاءه الله تعالى كان، وما لم يشأه لم يكن، ومشيئته سبحانه شاملة لكل ما يجري في الكون، فلا يخرج شيء عن مشيئته تعالى، ولا يحدث في الكون شيء من غير مشيئته سبحانه (٤).

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩) [التكوير].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ (٥٥) ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَىٰ وَأَهْلُ الْغُفْرِ﴾ (٥٦) [المدثر].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٥) [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٣٠) ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣١) [الإنسان].

يَشَاءُ مَشِيئَةً، وقالوا: كلُّ شيءٍ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - بكسر الشين مثل شِيعَةٍ؛ أي: بِمَشِيئَتِهِ، وقد شِئْتُ الشيء؛ أردته مَشِيئَةً وَمَشَاءَةً وَمَشَائِيَةً، وقيل: المشيئة هي الإرادة المتعلقة بأحد الطرفين، وقيل: هي صفة مخصصة لأحد طرفي المُقَدَّر بالوقوع (١).

❁ التعريف شرعاً:

مشيئة الله: هي إرادته الكونية القدرية التي هي موجبة لوقوع المراد ولا يمكن تخلفه عنها، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (٢).

❁ الأسماء الأخرى:

الإرادة الكونية القدرية.

❁ الحكم:

يجب الإيمان بمشيئة الله تعالى وأنها الموجبة لكل شيء؛ وإثبات عموم مشيئة الله ﷻ هي المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر الذي لا يصح الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بها. وذلك بالإيمان بأن الكون كله صغيره وكبيره ودقيقه وجليله خاضع لتلك المشيئة، فلا تسقط ورقة من شجرة إلا بعلم الله ﷻ ومشيئته، ولا تكون حركة ولا سكون إلا

(١) انظر: لسان العرب (١/١٠٣)، تاج العروس للزبيدي (١/٢٩٣)، والفروق اللغوية للعسكري.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/١٦) [مجمع الملك فهد

لطباعة المصحف الشريف، ط ٢، ١٤٢٥هـ]، وشفاء

العليل (٩٠) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤١٣هـ].

(٣) انظر: منهاج السُّنة (٥/٣١١)، وشفاء العليل (٨٠).

(٤) انظر: شفاء العليل (٨٠).

وقال أحمد بن حنبل: «الاستطاعة لله والقوة. ما شاء الله كان من ذلك، وما لم يشأ لم يكن، ليس كما يقول هؤلاء؛ يعني: المعتزلة: الاستطاعة إليهم»^(٥).

وقال ابن بطة: «فإن أهل الإثبات من أهل السنة يجمعون على الإقرار بالتوحيد وبالرسالة: بأن الإيمان قول وعمل ونية، وبأن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومجمعون على أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون»^(٦).

وقال ابن تيمية: «وأما الدرجة الثانية؛ فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة؛ وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد»^(٧).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الاحتجاج بمشيئة الله:

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا

وعن أبي قتادة رضي الله عنه حين ناموا عن الصلاة، قال النبي ﷺ: «إنَّ الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها حين شاء» فقصوا حوائجهم، وتوضؤوا إلى أن طلعت الشمس وابتضت، فقام فصلى^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة، فأريد إن شاء الله أن أختبي دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»^(٢).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه السائل قال: «اشفعوا فلتؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء»^(٣).

أقوال أهل العلم:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كل ما هو آت قريب إلا أن البعيد ما ليس بآت لا يعجل الله لعجلة أحد ولا يخف لأمر الناس، ما شاء الله لا ما شاء الناس، يريد الله أمراً ويريد الناس أمراً، ما شاء الله كان ولو كره الناس، لا مقرب لما باعد الله، ولا مبعد لما قرب الله، ولا يكون شيء إلا بإذن الله»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٧١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٧٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٧٦)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٢٧).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (جامع معمر، رقم ٢٠١٩٨)، ومن طريقه ابن بطة في الإبانة (٨٦/٤).

[دار الراجعية، ط ١].

(٥) السنة للخلال (٣/٥٥٩) [دار الراجعية، الرياض].

(٦) الإبانة لابن بطة (٢/٥٥٧).

(٧) الواسطية (٣/١٤٩) [ضمن مجموع الفتاوى].

أصلاً، بدليل أنه لو كان محرماً عليهم لصرفهم عنه؛ فإنه يفعل ما يشاء ويتحكم بعباده وفق ما يريد. وإما أنهم أرادوا معارضة الشرع بالقدر، فهم بين أنهم استدلوا بالمشيئة على رضا الله ﷻ عن فعلهم، أو استدلوا بالمشيئة على صحة فعلهم، أو عارضوا الشرع بالقدر.

قال شارح الطحاوية مبيّناً وجه إنكار الله ﷻ لقولهم: «إنه أنكر عليهم ذلك؛ لأنهم احتجوا بمشيئته على رضا ومحبته، وقالوا: لو كره ذلك وسخطه لما شاءه، فجعلوا مشيئته دليل رضا، فردّ الله عليهم ذلك، أو أنه أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليل على أمره به، أو أنه أنكر عليهم معارضة شرعه وأمره الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه بقضائه وقدره، فجعلوا المشيئة العامة دافعة للأمر، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره، دافعين بها لشرعه؛ كفعل الزنادقة، والجهال إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر»^(١).

❁ الفروق:

الفرق بين المشيئة والإرادة:

تأتي المشيئة بمعنى الإرادة، لكن استخدام الشارع حدد فرقاً واضحاً بينهما؛ فالمشيئة لم تأت كما يقول

الْقَظَنَ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ [يسر]، فهذه الآيات فيها احتجاج المشركين بالمشيئة، ولم يكذبهم الله ﷻ في كون شركهم واقع بمشيئته؛ بل النصوص الكثيرة تدل على أن كل ما وقع في هذا الكون إنما وقع بمشيئة الله ﷻ، وعليه فما الجواب عن معنى هذه الآيات التي جعلت قول المشركين ما قالوه سبباً في عذابهم كما في آية الأنعام، وعقب الله ﷻ بعدها بقوله: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ مؤكداً أن الهداية بيده ﷻ.

الجواب عن ذلك: أن مقولة المشركين هي من باب (كلمة حق أريد بها باطل)؛ فهم ما قالوا ما قالوه على وجه الإقرار لله ﷻ بعموم المشيئة والتدبير، وإنما قالوه ردّاً للحق ودعوة الرسل ﷺ، ومرادهم بقولهم هذا: إما أنهم يقولون: إن مشيئته دليل على رضا عن فعلنا وقبوله لشركنا، بدليل أنه لو كرهه لهدانا لغيره، فاستدلوا بالقدر على رضا الله ﷻ عن فعلهم. وإما أنهم أرادوا أن فعلهم حلال وليس محرماً

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/١٠٥).

للمشيئة وخلق الأعمال، وإنكارهم للقدر مبني على قولهم بالعدل الذي هو عندهم: استيفاء الحق من الغير، وأن من القبيح عقلاً أن يأمر الله وَعَلَى بالشرع ثم يقدر على العبد خلافه ^(٣).

الرد عليهم:

إن النصوص التي سبق ذكرها في الأدلة على المشيئة، وكذلك الأدلة التي سبق ذكرها في مصطلح القدر ترد على منكري القدر، وهي أدلة صريحة واضحة، وكذلك خالفوا الإجماع في ذلك، وهذا كله دليل على بطلان مذهبهم؛ بل بطلانه وفساده معلوم بضرورة الشرع والعقل والفطرة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذه المرتبة - يعني: المشيئة - قد دلَّ عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان، وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان، وما

الجرجاني: «إلا لإيجاد المعدوم أو إعدام الموجود» ^(١)، وهي التي يسميها أهل العلم: الإرادة الكونية القدريّة؛ أي: التي يكون البارئ عندها الأشياء أو يمنع وجودها.

أما الإرادة فتأتي على معنيين: الإرادة الكونية القدريّة، والإرادة الدينية الشرعية،

فالمشيئة أعم من جهة وقوعها، فتشمل ما يحب الله وَعَلَى وما لا يحب. أما الإرادة فهي أعم من جهة معناها، فهي تشمل المشيئة وتشمل الإرادة الدينية.

قال الجرجاني: «فالمشيئة أعم من وجه من الإرادة ومن تتبع مواضع استعمالات المشيئة والإرادة في القرآن يعلم ذلك، وإن كان بحسب اللغة يستعمل كل منهما مقام الآخر» ^(٢).

مذهب المخالفين:

خالف في إثبات المشيئة: المعتزلة نفاة القدر؛ فإنهم أنكروا صفات الله وَعَلَى ومنها: الإرادة وزعموا أن إرادة الله وَعَلَى مخلوقة لا في محل، وهم لا يفرقون بين الإرادة والمشيئة، ويجعلونها من باب واحد، وإنكارهم للقدر هو إنكارهم

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (١٣٢)، ١٣٣، ٤٤٠، ٤٥٧، ٤٥٨، والمغني في العدل والتوحيد (٢١٨/٦)، ومقالات الإسلاميين (١٥٣/١)، والفرق بين الفرق (١٣٣، ١٣٤، ١٥١، ١٦٩).

(١) التعريفات للجرجاني (٢٧٧) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٠٣هـ].

(٢) التعريفات للجرجاني (٢٧٧). وانظر: منهاج السنة النبوية (١٨٢/٣).

١٠ - «القضاء والقدر»، لعمر سليمان الأشقر.

مصادر التلقي عند أهل السنة

التعريف لغة:

المصدر: من مادة (صَدَرَ)، وهو أصل يدل على خلاف الورد، يُقال: صَدَرَ عن الماء، وصَدَرَ عن البلاد، إذا كان وَرَدَهَا ثم شَخَّصَ عنها^(٢).

ويسمى الموضع الذي صُدِرَ عنه: مَصْدَرًا، ومنه سُمِّيت مصادر الأفعال بذلك؛ لأن المصادر كانت أول الكلام، كقولك: الذَّهاب والسَّمْع والحِفْظ، وإنما صَدَرَتِ الأفعال عنها^(٣).

التلقي: بمعنى الاستقبال، وفلان يتلقى فلانًا؛ أي: يستقبله^(٤).

التعريف اصطلاحًا:

يقصد بمصادر التلقي عند أهل السنة - في مجال العقيدة -: الأصول التي يرجع إليها أهل السنة في استمداد المسائل والأحكام الاعتقادية، ويردُّون القول إليها عند النزاع، وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع^(٥).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣/٣٣٧) [دار الجبل، ط ٢].

(٣) انظر: لسان العرب (٤/٤٤٩) [دار صادر، ط ١].

(٤) انظر: تهذيب اللغة (٩/٢٢٨) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١هـ]، ولسان العرب (١٥/٢٥٦).

(٥) انظر: الإحكام لابن حزم (١/٩٥) [دار الحديث، ط ١، ١٤٠٤هـ]، ودم التاويل لابن قدامة (٢٢) =

لم يشأ لم يكن، وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع، وإن كان منهم في موضع آخر، فجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله، وأن يشاء ما لا يكون، وخالف الرسل كلهم وأتباعهم من نفي مشيئة الله بالكلية، ولم يثبت له سبحانه مشيئة واختيارًا أوجد بها الخلق^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «أقوم ما قيل في القضاء والقدر»، لابن تيمية.

٢ - «التكليف في ضوء القضاء والقدر»، لأحمد علي عبد العال.

٣ - «خلق أفعال العباد»، للبخاري.

٤ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٥ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

٦ - «قدرة الله وقدره العبد بين السلف ومخالفهم»، لأحمد بن صالح بن حسن الزهراني.

٧ - «القضاء والقدر»، لأبي الوفا درويش.

٨ - «القضاء والقدر في الإسلام»،

لفاروق أحمد الدسوقي.

٩ - «القضاء والقدر»، لعبد الرحمن

المحمود.

(١) شفاء العليل (٨٠).

✽ الأسماء الأخرى:

الاتباع، القرآن، الرد إلى الكتاب والسُّنة، الإجماع، السمع.

✽ الحكم:

اتفق أهل السُّنة والجماعة على وجوب الرجوع إلى الكتاب والسُّنة، وما أجمع عليه سلف الأمة، في تلقي مسائل العقيدة، والرد إليها عند النزاع، والاكتفاء بها في أبواب التوحيد والغيبيات^(١).

✽ الحقيقة:

الأصول المعتبرة عند أهل السُّنة والجماعة في علم الاعتقاد هي: القرآن، والسُّنة، والإجماع.

فالقرآن: هو كلام الله تعالى، المنزل على نبيِّه محمد ﷺ بلفظه ومعناه بواسطة جبريل، المُعجز، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس.

والسُّنة: هي كل ما نقل عن النبي محمد ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقِيَّة، أو خُلُقِيَّة.

والسُّنة المحتج بها: ما كانت صحيحة، متواترة كانت أو آحادًا، دون ما كان ضعيفًا، فالعقيدة لا يحتج فيها بالضعيف.

والمراد بالإجماع: إجماع السلف الصالح دون من عداهم.

والرجوع إلى الكتاب والسُّنة في العقيدة لا بد أن يكون منضبطًا بأصول؛ من أهمها^(٢):

١ - أن يكون الفهم للكتاب والسُّنة على وفق ما فهمه السلف الصالح، من الصحابة والتابعين، فلا يخرج عن أقوالهم فيما اتفقوا عليه^(٣).

٢ - أن يكون الفهم للكتاب والسُّنة موافقًا لقواعد اللغة العربية؛ وذلك أن القرآن قد نزل بلسان عربي مبين، وكان إنزاله بهذا اللسان المبين سبيلًا لتدبره وفهم معانيه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف]. وعامة الشبه والبدع إنما دخلت على أصحابها من قِبَل جهلهم بلسان

(٢) انظر: منهج التلقي والاستدلال بين أهل السُّنة والمبتدعة لأحمد الصويان (٤٥ - ٥٤) [المنتدى الإسلامي، ط ٢، ١٩٩٩م].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥٣/١٧) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، ورسالة في علم الباطن والظاهر له ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٢٣٦/١) [المطبعة المنيرية، ط ١، ١٣٤٣هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢١٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١١هـ].

= [الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٦هـ]، وشرح الصدور بتحريم رفع القبور للشوكاني (٥٩٣) [مكتبة العبيكان، ط ٣، ١٤٠٨هـ]، ومصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان علي حسن (٧) [دار الوطن، ط ١، ١٤١٣هـ].

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠٩/١١) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وشرح الصدور بتحريم رفع القبور للشوكاني (٥٩٣).

العرب^(١).

المنزلة:

لقد كان التزام أهل السنة والجماعة بمصادر التلقي في مسائل الاعتقاد (الكتاب والسنة والإجماع) على وفق فهم السلف الصالح هو الفارق الأساس الذي فارقوا به سائر الطوائف المبتدعة، وكان هذا الالتزام هو الضابط الذي يميز أهل السنة والجماعة عمّن عداهم من فرق الضلال.

كما دلّ على ذلك حديث الافتراق الذي قال فيه ﷺ: «... وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»^(٤)، وفي رواية: «كلها في النار إلا ملة واحدة. ف قيل له: ما الواحدة، قال: ما أنا عليه وأصحابي»^(٥).

فمن فرط في هذه المصادر الثلاثة، أو زاد عليها العقل ونحوه فقد فارق مذهب أهل السنة.

قال ابن تيمية في شرحه لحديث الافتراق: «وشعار هذه الفرق - يعني:

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، ٤٥٩٧)، وأحمد (١٣٤/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن أبي عاصم في السنة (٧٦/١) [المكتب الإسلامي، ط ١]، وحسنه الحافظ ابن حجر، كما في السلسلة الصحيحة (١/٤٥٥)، وله عدة شواهد أشار إليها الألباني في السلسلة الصحيحة، في الموضع السابق.

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٤١)، والحاكم (كتاب العلم، رقم ٤٤٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٣٣٤، رقم ٢١٢٩) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ].

ولا بدّ من التنبيه إلى أن دلالة الشرع قد تخصص دلالة اللغة وتقيدها، فلا يرجع إلى دلالة اللغة رجوعاً مجرداً عن النظر للقياس، وبيان النبي ﷺ لذلك النص، وتفسير الصحابة والسلف.

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية أن أكثر ما يقع الخطأ في التفسير من جهتين:

«إحداهما: قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها.

والثانية: قوم فسّروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به»^(٢).

٣ - جمع النصوص الواردة في الباب الواحد.

وهذا الجمع هو السبيل لفهم المسألة الشرعية على وجهها، ولذا يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضاً»^(٣).

(١) انظر: الرسالة للشافعي (٥٠) [دار الكتب العلمية]، وجامع بيان العمل وفضله لابن عبد البر (١٦٨/٢) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ].

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/٣٣٥). وانظر منه: (٢٣٦/١٩).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢١٢) [مكتبة المعارف، ط ٢]. وانظر: مجموع الفتاوى (٢٧/٣١٦ - ٣١٧)، والموافقات للشاطبي (١/٢٤٥ - ٢٤٦) [دار المعرفة].

وسنة نبيه^(٢).

✽ أقوال أهل العلم:

عقد اللالكائي لكتابه في العقائد باباً بعنوان: (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم).

ومما ذكره في مقدمته قوله: «فإن أوجب ما على المرء: معرفة اعتقاد الدين، وما كلف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلائل واليقين، والتوصل إلى طرقها، والاستدلال عليها بالحجج والبراهين، وكان من أعظم مقول وأوضح حجة ومعقول: كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله وصحابته عليهم السلام الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون»^(٣).

وقال ابن عبد البر: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله، أو صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أجمعت

(٢) الموطأ (كتاب القدر، رقم ٣٣٣٨) مؤسسة زايد بن سلطان، ط١، وفي سنده انقطاع ظاهر بين مالك والنبى صلى الله عليه وسلم.

لكن له شاهد من حديث ابن عباس عند الحاكم (كتاب العلم، رقم ٣١٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠/١) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩/١) [دار طيبة، ١٤٠٢هـ].

الخارجة عن أهل السنة - مفارقة الكتاب والسنة والإجماع، فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة»^(١).

✽ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ سَيِّءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولُ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب].

ودلَّ على الإجماع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء].

وروى مالك في الموطأ؛ أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله

(١) شرح حديث الافتراق ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣/٣٤٦).

عليه الأمة»^(١).

١ - التحقيق التام لما أمر به الشرع من الرد إلى الكتاب والسنة، والقبول لما فيهما، قولاً وعملاً واعتقاداً، والاستغناء بهما عما سواهما.

٢ - عصمة الأصول التي بنوا عليها عقائدهم، فكانت عقائدهم يقينية الثبوت، سالمة من الاختلاف والتناقض، في مقابل الاختلاف والتناقض والتنقل والشك الذي كان لازماً لأهل البدع.

٣ - تعظيم نصوص الكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح.

٤ - توقفهم عن إثبات ما لم يأت في النصوص من الأمور العقديّة، فكانت طريقتهم أسلم وأعلم وأحكم.

٥ - التزام منهج أهل السنة - بتوحيد المرجعية إلى الكتاب والسنة - كفيل بجمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم، فالوحي قد ضمن فيه الهدى، ونفى عنه الاختلاف، وأما العقول المجردة والأهواء، فمن شأنها الاضطراب والاختلاف مما ينتج عنه الافتراق. قال الله تعالى: ﴿وَأَعْيِضُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران].

قال السمعاني: «السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل، فأورثهم

وبيّن ابن تيمية الميزان الذي توزن به أقوال الناس وأعمالهم، مشيراً إلى العلاقة بين اعتمادهم الإجماع في الاستدلال، وبين تسميتهم بأهل الجماعة، فقال: «وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة، مما له تعلق بالدين، والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح، إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة»^(٢).

الثمرات:

لقد كان لمنهج أهل السنة والجماعة في التزامهم بالمصادر الشرعية للتلقي آثار حميدة، يجمل أهمها فيما يلي^(٣):

(١) جامع بيان العلم (٩٦/٢) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ].

(٢) العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٥٧/٣). وانظر: المرجع السابق (١١/٤٣٧)، الإبانة للأشعري (٢٩) [دار الأنصار، ط ١، ١٣٩٧هـ]، الحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصبهاني (٢١٠/١) [دار الراية، ط ٢، ١٤١٩هـ]، درة التعارض (١٠٥/٧) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ]، الصواعق المرسلّة (٨٣٣/٣ - ٨٣٥) [دار العاصمة، ط ٣، ١٤١٨هـ]، المسائل العقديّة التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع (٥٢) [دار الفضيلة، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٣) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد

عند أهل السنة والجماعة، د. عثمان علي حسن (٢٠٧٣/٢).

٢ - تحريف النصوص وصرفها عن معانيها الظاهرة، إما تحريف لفظ أو معنى^(٣).

فما خالف اعتقادهم مما جاء في كتاب الله فإنهم قد سلطوا عليه: طاغوت التأويل، وطاغوت المجاز^(٤)، وطاغوت تقديم العقل على النقل^(٥).

٣ - اتباع المتشابهات، وضرب بعض النصوص ببعض، وهجر النصوص الواضحة المحكمة، واتباع النصوص المشككة.

٤ - تصريح غلاتهم بأن نصوص الكتاب والسُّنة ظنية الدلالة، ولا تفيد اليقين، فلا يحتج بها في أبواب الاعتقاد^(٦).

بل إن من الفرق المبتدعة من صرح بأن الأخذ بظواهر الكتاب والسُّنة أصل

الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء، فأورثهم الافتراق والاختلاف، فإن النقل والرواية من الثقات والمتقين قلما يختلف، وإن اختلف في لفظ أو كلمة فذلك اختلاف لا يضر الدين ولا يقدح فيه، وأما دلائل العقل فقلما تتفق؛ بل عقل كل واحد يرى صاحبه غير ما يرى الآخر، وهذا بينٌ والحمد لله^(١).

✽ مذهب المخالفين:

الفرق المخالفة المبتدعة لم يحققوا الأصل الشرعي في مسألة مصادر التلقي؛ بل إنهم ضلوا فيه طردًا وعكسًا، فضلالهم من ناحيتين:

الناحية الأولى: ضلالهم فيما يتعلق بالمصادر المعتبرة للاستدلال العقدي (الكتاب، والسُّنة والإجماع).

فإنهم قد فرطوا في هذه الأصول الثلاثة، تفريطًا يخرجها عن أن تكون مصادر للتلقي في العقيدة.

ومن أوجه ضلالهم في ذلك:

١ - الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض، فيؤمنون بما يظنون مؤيدًا لبدعتهم، ويغضون الطرف عما كان صريحًا في إبطالها، فيكتمونه ويكرهون روايته^(٢).

(١) الانتصار لأصحاب الحديث (٤٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧٢/٧، ١٧٣).

(١٢/١٥) (٢٠/١٦١)، ودرء التعارض (٥/١٧٢، ١٧٣) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ]، والاعتصام للشاطبي (١/٢٢٢) [دار المعرفة، ١٤٠٢هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٦٧، ٤/٦٩)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٨٢، ٢٣٢) [المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٣٩١هـ].

(٤) انظر: درء التعارض (١/٥)، ومختصر الصواعق المرسلة (٢/٦٩٠) وما بعدها [دار أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٥هـ]، ومنهج الأشاعرة في العقيدة للحوالي.

(٥) انظر: قانون التأويل للغزالي (١٠) [المكتبة الأزهرية للتراث، ط ١، ٢٠٠٦م]، وأساس التقديس للرازي (١٧٢، ١٧٣)، والمطالب العالية له (١/٣٣٧) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٦) انظر: المحصول للرازي (١/٥٤٧ - ٥٧٦)، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين له (١٤٣).

وهم يُعرّفون المتواتر بتعريف يجعل عامة سنة المصطفى ﷺ من قسم الآحاد، ولا يدخل في تعريفهم للمتواتر إلا أحاديث معدودة على الأصابع^(٦)، فهذا موقفهم من المصدر الثاني من مصادر الاعتقاد.

٩ - مخالفة أهل البدع لكثير من إجماعات السلف في غالب أبواب العقيدة من الصفات والقدر والوعد والوعيد وغيرها مما لا يتسع المجال لتفصيله.

ومن هذه الأوجه وغيرها يتبين للناظر مقدار الانحراف الذي بلغه هؤلاء في مصادر التلقي الشرعية^(٧).

الناحية الثانية: ضلالهم في إحداث مصادر بدعية للتلقي في العقيدة.

فإن الفرق المبتدعة لم يُقَصِّرُوا في تحقيق هذه الأصول الثلاثة فحسب

من أصول الكفر - وبعضهم خففها، فقال: هو أصل الضلالة^(١)، عياداً بالله من قولهم.

٥ - عدم اعتبار بعضهم للسنة في الاستدلال على مسائل الاعتقاد، كما حكي ذلك عن بعض الخوارج وغلاة المعتزلة^(٢).

٦ - الكذب على النبي ﷺ لتأييد البدعة، وقد وقع في ذلك كثير من الرافضة وغيرهم^(٣).

٧ - الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة لتأييد البدعة، وهذا منهج قل أن يسلم منه أحد من أهل الأهواء والبدع^(٤).

٨ - عدم الاحتجاج بأحاديث الآحاد في مسائل الاعتقاد، وإنما يحتج بالمتواتر فقط^(٥).

(٢٣٠) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٠هـ]، وأساس التقديس له (١٢٧ - ١٢٩) [دار الجيل، ط ١، ١٤١٣هـ]، والإحكام للآمدي (٤٧/٢ - ٥٥) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٤هـ]، وغاية المرام له (٣٤٩) [طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط ١٣٩٠هـ]، وشرح المواقف (١٤٨/١، ١٥٠) [دار الجيل، ط ١]، والتقرير والتحجير لابن أمير الحاج (٣٧٧/١) (٣١٣/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٦) انظر: مقدمة ابن الصلاح (٢٦٧)، والغاية في شرح الهداية للسخاوي (١٤٠)، وفتح المغيث له (٤٢/٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ]، وتدريب الراوي للسيوطي (١٧٨/٢) [مكتبة الرياض الحديثة].

(٧) انظر: منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة لأحمد الصويان (٥٥ - ٧٧).

(١) انظر: شرح الكبرى للسنوسي (٨٢، ٨٣)، وشرح أم البراهين له، مطبوع مع حاشية الدسوقي (٣٨٠ - ٣٨٣).

(٢) انظر: أصول الدين للبغدادي (١١) [مطبعة الدولة، إستانبول، ط ١٣٤٦]، والصارم المسلول (١٨٤) [دار ابن حزم، ط ١، ١٤١٧هـ]، ومجموع الفتاوى (٧٣/١٩).

(٣) انظر: الجامع لأخلاق الراوي (١٣٨/١)، ومنهاج السنة النبوية (٥٩/١) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩٥/٤، ٩٦)، الاعتصام للشاطبي (١/٢٢٤، ٢٢٥).

(٥) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني (٣٨٦)، وتمهيد الأوائل له (٤٤٥)، والتفسير الكبير للرازي (٢٥/١٧)، والمحصول له (١/٢٨٥) (٢/١٥٦) (٤/١٧).

(الكتاب والسُّنَّة والإجماع)؛ بل إنهم قد ابتدعوا أصولاً أخرى للتلقي في أبواب الاعتقاد ما أنزل الله بها من سلطان، وجعلوها مقدمة على ما سواها^(١).

وأشهر ما ابتدعوه في هذا الباب: تلك القوانين والأدلة الكلامية الفلسفية، المولدة من أصول الفلاسفة القدماء - كدليل الأعراض والحوادث والتركيب - هذه القوانين التي سموها زوراً وبهتاناً: دليل العقل، أو: القواطع العقلية، والتي أبطلوا بها نصوص الوحيين، وكذا ما أحدثه أهل التصوف ونحوهم من الرجوع إلى الكشف والإلهام والرؤى والمنامات في إثبات أحكام الدين^(٢).

٧ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٨ - «الفرق المنهجي بين أهل السُّنَّة وأهل الأهواء»، لعبد الله بن عبد العزيز العنقري.

٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ - «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد»، لعثمان حسن.

١١ - «منهج التلقي والاستدلال بين أهل السُّنَّة والمبتدعة»، لأحمد الصويان.

المُصَوِّر

التعريف لغة:

المُصَوِّر: اسم فاعل من التصوير، مشتق من الأصل الثلاثي (صور) الدال على إمالة الشيء إليك، هذا القول الأول، وعليه تكون الصورة هي الشكل المائل إلى الأحوال المطابقة للمصلحة والمنفعة.

وقيل: إنه مشتق من صار يصير، وعليه تكون الصورة هي منتهى الأمر ومصيره^(٣).

وفعله: صَوَّرَ يَصَوِّرُ تصويراً وصورة فهو مَصَوَّرٌ ومُصَوِّرٌ، إذا جعل له هيئة وصورة، والصورة الهيئة والخلقة

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاعتصام»، للشاطبي.
- ٢ - «اعتقاد أهل السُّنَّة»، للإسماعيلي.
- ٣ - «جامع بيان العلم وفضله»، لابن عبد البر.
- ٤ - «خصائص أهل السُّنَّة والجماعة»، لصالح الدخيل.
- ٥ - «ذم الكلام»، للهروي.
- ٦ - «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة»، للالكائي.

(١) انظر: الاعتصام للشاطبي (١/١٣٤).

(٢) انظر: الانتصار لأصحاب الحديث للسمعاني (٤٤)،

(٨٢)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/٣٥٥) (١٣/١٣)

(١٤٣)، منهاج السُّنَّة النبوية (٧/٣٧).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٥٨٠) [دار الفكر، ط ٢]،

ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات

(٢١٧) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤١٠هـ].

الحكم:

يجب الإيمان بأن من أسماء الله سبحانه: المصوِّر، وما دلَّ عليه من صفة التصوير، ويكون إثبات ذلك لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وقد دلَّت النصوص الشرعية على ذلك.

الحقيقة:

إن الله ﷻ أعطى كل شيء صورة معينة، وهذه الصور توافق تقديره سبحانه وعلمه ورحمته، وهي متناسبة مع مصالح الخلق ومنافعهم، فالله ﷻ صوَّر جميع الموجودات، وأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة خاصة يتميز بها عن غيره من الموجودات مع كثرتها وتعدد أنواعها.

الأدلة:

ورد اسم المصوِّر مرة واحدة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر].

وأما صفة التصوير فقد وردت في نصوص عدة؛ منها قوله ﷻ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُورَهُ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران].

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام عن

والشكل، وما يُنتقش به الأعيان، والتصوير: نقش صورة الأشياء أو الأشخاص على لوح أو حائط ونحوه بالقلم أو بآلة التصوير^(١).

التعريف شرعاً:

المصور له معنيان:

١ - أن الله ﷻ هو الذي أَمَلَ خلقه وعدَّلهم إلى الأشكال والهيئات التي توافق تقديره وعلمه ورحمته، والتي تتناسب مع مصالح الخلق ومنافعهم^(٢).

٢ - أن الله ﷻ هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة، وهيئات متباينة، على غير مثال سابق، كل أحد بصورته الخاصة التي صار وانتهى إليها^(٣).

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٢/٢٢٧ - ٢٢٩) [الدار المصرية]، والصحاح (٢/٧١٦، ٧١٧) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٤٩٧) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (١/٢٨) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢].

(٢) هذا باعتبار إرجاع اشتقاقه إلى إمالة الشيء. انظر: تفسير الطبري (٢٤/٢٦٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، تفسير البغوي (٨/٣٥٦) [دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ]، النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/١٦٨، ١٦٩) [مكتبة الذهبي، ط ٢، ١٤١٧هـ].

(٣) هذا باعتبار اشتقاقه من المصير والمنتهى. انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٧) [دار الثقافة العربية، ط ١، ١٩٧٤م]، شأن الدعاء (٥١) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، الحجة في بيان المحجة (١/١٣١) [دار الراية، ط ١، ١٤١١هـ]، أحكام القرآن لابن العربي (٢/٣٤٨) [دار الكتب العلمية، ط ١، تفسير ابن كثير (٨/٨٠) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٧٠) [مجلة الجامعة الإسلامية، ع: ١١٢، ١٤٢٣هـ].

رسول الله ﷺ؛ أنه كان إذا سجد قال: «اللَّهُمَّ لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين»^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: هو المعبود الخالق، الذي لا معبود تصلح له العبادة غيره، ولا خالق سواه، البارئ الذي برأ الخلق، فأوجدتهم بقدرته، المصوِّر خلقه كيف شاء، وكيف يشاء»^(٢).

وقال البغوي: ﴿الْخَلْقُ﴾ المقدَّر والمقلب للشيء بالتدبير إلى غيره، كما قال: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: ٦]، ﴿الْبَارِئُ﴾: المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود، ﴿الْمُصَوِّرُ﴾: الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض، يقال: هذه صورة الأمر؛ أي: مثاله، فأولاً يكون خلقاً ثم برءاً ثم تصويراً^(٣).

وقال السعدي: ﴿الْخَلْقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾: الذي خلق جميع الموجودات، وبرأها، وسواها بحكمته، وصوَّرها بحمده وحكمته، وهو لم يزل

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧١).

(٢) تفسير الطبري (٥٥٥/٢٢) [دار هجر، ط ١].

(٣) معالم التنزيل (٢٢٠/٥) [دار الفكر، ط ١].

ولا يزال على هذا الوصف العظيم»^(٤).

✽ المسائل المتعلقة:

- حكم التصوير:

وردت أحاديث كثيرة تدلُّ على تحريم التصوير من حيث العموم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصوِّرون»^(٥).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»^(٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما فقال: سمعت محمداً ﷺ يقول: «من صوَّر صورة في الدنيا كُلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ»^(٧).

وعن سعيد بن أبي الحسن قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إني رجل أصور هذه الصور، فأفتني فيها. فقال له: ادن مني. فدنا منه. ثم قال: ادن مني. فدنا حتى وضع يده على رأسه، قال: أنبئك بما

(٤) تفسير السعدي (٦٢٤/٥)، ملحق في آخر الجزء بعنوان: أصول وكتليات من أصول التفسير [مركز صالح الثقافي بعنيزة، ط ٢، ١٤١٢هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥٠)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٩).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥١)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٨).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٦٣)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).

الفروق:

الفرق بين الخالق، والبارئ، والمصوِّر:

هذه الأسماء الحسنی الثلاثة وردت في سياق واحد في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وكلها متقاربة في المعنى، إلا أن أهل العلم تكلموا في الفرق بينها، ومدار كلامهم ينصب حول الترتيب الذي بين هذه الأفعال الدالة عليها هذه الأسماء، فالله تعالى هو الخالق بمعنى: أنه المقدّر للأشياء بمقتضى حكمته، البارئ بمعنى: أنه أوجدها بعد العدم، المصوِّر بمعنى: مشكّل ومهيئ ما أوجده على هذه الأشكال والهيئات التي صارت إليها وفق تقديره وحكمته، فإن اسمي الجلال: (البارئ المصوِّر) هما تفصيل لمعنى اسمه: (الخالق)^(٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «تفسير أسماء الله الحسنی»، للزجاج.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنی»، للسعدي.

- ٣ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

- ٤ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

(٤) انظر: شفاء العليل لابن القيم (١/٣٦٦)، وتفسير ابن كثير (٨/٨٠)، وفقه الأسماء الحسنی (٩٥).

سمعت من رسول الله ﷺ. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه في جهنم» وقال: إن كنت لا بد فاعلاً، فاصنع الشجر، وما لا نفس له^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ، وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه هتكه، وتلون وجهه، وقال: «يا عائشة! أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله». قالت عائشة: فقطعناه، فجعلنا منه وسادة أو وسادتين^(٢).

وللعلماء تفصيلات عدة في أحكام التصوير، إلا أنهم يرون أن نحت التماثيل محرم شرعاً.

وكثير من أهل العلم على تحريم الصور عمومًا إلا ما دعت الضرورة إليه؛ كالصور اللازمة للتعريف بالشخص في الرخص والبطاقات وجوازات السفر وغير ذلك من المستجدات، أما تصوير ما لا روح فيه كالشجر والجبل والسيارات ونحو ذلك فلا حرج فيه، والله أعلم^(٣).

(١) أخرجه مسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥٤)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٧).

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/٢٥٢ - ٢٥٦) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ١٤١٨هـ]، وفتاوى كبار العلماء في التصوير [مكتبة الرضوان، ط ٣، ١٤٢٩هـ].

والمضاف في الكلام: هو كل اسم أضيف إلى اسم آخر، فإن الأول يجزئ الثاني، ويسمى الجار مضافاً، والمجرور: مضافاً إليه^(٢).

✽ التعريف شرعاً:

المضاف إلى الله تعالى: على نوعين وردا في النصوص الشرعية؛ أحدهما: إضافة الصفة إلى الموصوف، والثاني: إضافة المخلوق إلى الخالق.

أما إضافة الوصف إلى الله فهي: ما كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به.

وأما إضافة المخلوق إلى الله تعالى: فهي كل ما يضاف إلى الله، ويكون عيناً قائمة بنفسها، أو حالاً في ذلك القائم بنفسه^(٣).

✽ الحكم:

يجب على المسلم أن يعتقد أن المضاف إلى الله تعالى منه ما هو إضافة الصفة إلى الموصوف، ومنه ما هو إضافة المخلوق إلى الخالق، ويفرق بينهما كما ورد ذلك في نصوص الكتاب والسنة^(٤).

✽ الحقيقة:

إن ما ذكر في القرآن الكريم من

٥ - «شرح أسماء الله الحسنى»، لسعيد بن القحطاني.

٦ - «شفاء العليل»، لابن القيم.

٧ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٨ - «فتاوى كبار العلماء في التصوير»، جمع وإعداد: عبد الرحمن بن سعد الشري.

٩ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

١٠ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

١١ - «معجم ألفاظ العقيدة، لعالم عبد الله فالج.

١٢ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

✽ المضاف إلى الله تعالى ✽

✽ التعريف لغة:

المضاف: من مادة (ض - ي - ف)، والضاد والياء والفاء أصل واحد صحيح، يدلُّ على ميل الشيء إلى الشيء. يقال: أَضَفْتُ الشَّيْءَ إِلَى الشَّيْءِ: أَمَلْتُهُ إِلَيْهِ، وَأَنْزَلْتُهُ عَلَيْهِ، وَأَضَفْتُهُ إِلَى كَذَا: أَلْجَأْتُهُ^(١).

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني (١٠١).

(٣) انظر: الصفات الإلهية للتميمي (٢٥).

(٤) الجواب الصحيح (١٥٥/٢ - ١٥٧). وانظر:

مجموع الفتاوى (١٧/١٥١).

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢/١١٣)، مقاييس

اللغة لابن فارس (٣/٢٩٨)، الصحاح للجوهري

(٤/١٣٩٢، ١٣٩٣).

الإضافة إلى الله تعالى، إن كان عيناً قائمة بنفسها، أو أمراً قائماً بتلك العين كان مخلوقاً؛ كقول الله تعالى في عيسى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وأما ما كان صفة لا تقوم بنفسها، ولم يذكر لها محل غير الله كان صفة له، مثل: القول، والعلم. وبهذا يفرق بين كلام الله سبحانه، وعلم الله، وبين عبد الله وبيت الله وناقة الله.

وهذا أمر معقول في الخطاب، فإذا قلت: علم فلان وكلامه ومشيتته لم يكن شيئاً بائناً عنه، والسبب في ذلك أن هذه الأمور صفات لما تقوم به، فإذا أضيفت إليه كان ذلك إضافة صفة لموصوف، إذ لو قامت بغيره لكانت صفة لذلك الغير لا لغيره^(١).

الأدلة:

النصوص الدالة على إضافة الصفة إلى الموصوف كثيرة، منها قوله ﷺ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات]، وقوله ﷺ:

﴿فَأَجِرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. وفي الحديث الصحيح: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بعلمك وأستقدرك بقدرتك»^(٢). والنصوص الدالة على إضافة المخلوق إلى الخالق كثيرة؛ منها: قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقوله سبحانه: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الحج: ١٣]، وقوله [الشمس]، وقوله ﷺ: ﴿وَطَهَّرَ بَيْنِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ١٣].

أقوال أهل العلم:

قال ابن خزيمة: «فما أضاف الله إلى نفسه على معنيين:

أحدهما: إضافة الذات، **والآخر:** إضافة الخلق، فتفهّموا هذين المعنيين»^(٣).

وقال ابن تيمية: «والمضاف إلى الله نوعان؛ فإن المضاف إما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام والحياة، وإما أن يكون عيناً قائمة بنفسها:

فالأول: إضافة صفة كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٨٢).

(٣) التوحيد (٩٢/١).

(١) انظر: شرح الأصفهانية لابن تيمية (٦٦، ٦٧)، مجموع الفتاوى (١٥١/١٧).

كالبيت، والناقة، والعبد، والرسول، والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، ومصنوع إلى صانعه، لكنها إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً يتميز به المضاف عن غيره؛ كبيت الله، وإن كانت البيوت كلها ملكاً له، وكذلك ناقة الله، والنوق كلها ملكه وخلقه، لكن هذه إضافة إلى إلهيته تقتضي محبته لها، وتكريمه وتشريفه، بخلاف الإضافة العامة إلى ربوبيته حيث تقتضي خلقه وإيجاده، فالإضافة العامة تقتضي الإيجاد، والخاصة تقتضي الاختيار، والله وَعَلَى يخلق ما يشاء ويختار مما خلقه^(٢).

❁ الأقسام:

المضاف إلى الله تعالى أنواع:

أحدهما: إضافة الصفة إلى الموصوف.

ويكون المضاف في هذا القسم صفة لا تقوم بنفسها؛ كقدرة الله، وعزة الله، وعلم الله، وهذا في النصوص كثير جداً.

والثاني: إضافة المخلوق إلى الخالق.

ويكون المضاف عيناً قائمة بنفسها، أو قائمة بغيرها، وهذه الإضافة إضافة مخلوق إلى خالقه، وهي على مرتبتين:

أ - أن تضاف إليه من جهة كونه

الْمَلِئِينَ ﴿٥٨﴾ [الذاريات]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

والثاني: إضافة عين؛ كقوله تعالى:

﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج]، وقوله: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس]، وقوله: ﴿عَيْنًا يَتَرَبُّ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان].

فالمضاف في الأول صفة لله قائمة به ليست مخلوقة له بآنة عنه، والمضاف في الثاني مملوك لله مخلوق له بآئن عنه، لكنه مفضل مشرف لما خصّه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى، كما خص ناقة صالح من بين النوق، وكما خص بيته بمكة من البيوت، وكما خص عباده الصالحين من بين الخلق^(١).

وقال ابن القيم: «المضاف إلى الله وَعَلَى نوعان:

صفات لا تقوم بأنفسها؛ كالعلم، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه، وكلامه، وإرادته، وقدرته، وحياته، صفات له غير مخلوقة، وكذلك وجهه ويده سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه؛

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية (١٥٥/٢ - ١٥٧)، ومختصر الصواعق (٤٢٢/٢).

(٢) الروح (١٥٤) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ].

سبحانه خلقها وأبدعها، وهذا شامل لجميع المخلوقات.

ب - أن تضاف إليه لما خصه الله بها مما يحبه ويرضاه ويأمر به، والله لا يضيف إليه شيئاً من المخلوقات إضافة تخصيص إلا لاختصاصه بأمر يوجب الإضافة، وإلا فمجرد كونه مخلوقاً مملوكاً لا يوجب أن يخص بالإضافة.

ومثال **المرتبة الأولى**: قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

ومثال **المرتبة الثانية**: قوله تعالى: ﴿نَافَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ [الشمس: ١٢] وقوله ﷺ: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

وضابط هذا الباب: أن المضاف إذا كان معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات وجب أن يكون صفة لله تعالى قائماً به، وامتنع أن تكون إضافته إضافة مخلوق مربوب، وإن كان المضاف عيناً قائمة بنفسها؛ كعيسى وجبريل وأرواح بني آدم، امتنع أن تكون صفة لله تعالى؛ لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره^(١).

ج - وقد يضيف الله ﷻ إليه بعض ما يقوم بخلقه كما في قوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧] قال ابن القيم: «فأضاف قتل المشركين يوم بدر إليه، وملائكته هم الذين باشره، إذ هو بأمره»^(٢).

ومن خلال السياق والقرائن المحتفة به يتبين ما يقوم بالله ويكون صفة له سبحانه، وما يكون من صفات خلقه أضافه إليه ﷻ من باب إضافة المخلوق إلى خالقه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فمن تدبر ما ورد في باب أسماء الله تعالى وصفاته، وإن دلالة ذلك في بعض المواضع على ذات الله، أو بعض صفات ذاته لا يوجب أن يكون ذلك هو مدلول اللفظ، حيث ورد حتى يكون ذلك طرداً للمثبت ونقضاً للنافي؛ بل ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه وما يبين معناه من القرآن والدلالات، فهذا أصل عظيم مهم نافع في باب فهم الكتاب والسنة والاستدلال بهما مطلقاً»^(٣).

✽ مذهب المخالفين:

أنكر المعطلة من الجهمية والمعتزلة

(٢) مختصر الصواعق (٣/ ١٢٥٠) [دار أضواء السلف ١٤٢٥هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (١٨/٦).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٤ - ١٥١، ٩/ ٢٩٠ - ٢٩١)، درء تعارض العلل والنقل (٧/ ٢٦٥ - ٢٧٠)، والجواب الصحيح (٢/ ١٥٥ - ١٦٣)، ومختصر الصواعق المرسل (٢/ ٤٢٢)، وبدائع الفوائد (٢/ ١٨٣)، شرح العقيدة الطحاوية (٤٤٢)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/ ١٦٦)، والصفات الإلهية للتميمي (٢٥).

- ٦ - «شرح الأصفهانية»، لابن تيمية.
 ٧ - «شرح القصيدة النونية» لمحمد خليل هراس.
 ٨ - «الصفات الإلهية»، للتيمي.
 ٩ - «القول المفيد»، لابن عثيمين.
 ١٠ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
 ١١ - «مختصر الصواعق المرسلة»، لابن القيم.

مطلق الإيمان

يراجع مصطلح (الإيمان).

معاوية بن أبي سفيان

اسمه ونسبه:

معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، أمير المؤمنين، وكاتب الوحي، ملك الإسلام، أبو عبد الرحمن، القرشي الأموي^(٢).

(٢) ينظر: تهذيب الكمال (١١٩/١٣) و(١٤٥/٣٢) و(٣٦١/٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٠هـ]، والإصابة (١٥١/٦) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ]، والبداية والنهاية (٤٧/٣) و(٣٥٤/٥) و(٩٥/٧) و(٢٠/٨) و(١١٧/٨) و(٢٢٦/٨) و(١٣/٢٠٦) [دار هجر، ط ١، ١٤١٨هـ]، وتاريخ الأمم والملوك (٢٦٣/٣) وما بعدها [دار التراث، ط ٢، ١٣٨٧هـ]، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٧/٥٩) [دار الفكر، ط ١، ١٤١٥هـ].

صفات الله ﷻ كلها، ولذلك جعلوا الإضافة إلى الله تعالى هنا كلها من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، ولم يعترفوا بالنوع الآخر منها، وهو إضافة الصفة إلى الموصوف.

وأما الكلابية وقدماء الأشاعرة وغيرهم، فإنهم لم يثبتوا الصفات الاختيارية المتعلقة بالمشيئة؛ كصفة الكلام، والغضب، والرضا ونحوها، بل إما أن يجعلوها من الصفات القديمة الواجبة، وإما أن يكون مخلوقاً منفصلاً عنه، ويمتنع أن يقوم به نعت أو حال أو فعل أو شيء ليس بتقديم^(١).

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على إثبات ما أثبتته الله لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ، وعليه إجماع سلف هذه الأمة وأئمتها.

المصادر والمراجع:

- ١ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
 ٢ - «التوحيد»، لابن خزيمة.
 ٣ - «الجواب الصحيح»، لابن تيمية.
 ٤ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.
 ٥ - «الروح»، لابن القيم.

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/٣٣٥، ٦/١٤٤ - ١٥١)، والجواب الصحيح (٢/١٦١)، شرح القصيدة النونية لهراس (١/١٢٠، ١٣٨، ١٣٩)، والقول المفيد لابن عثيمين (١/٤١٤)، والصفات الإلهية (٣٥).

مولده ووفاته:

مولده: ولد معاوية رضي الله عنه قبل البعثة بخمس سنين، وقيل: بسبع، وقيل: ثلاث عشرة، والأول أشهر^(١).

وفاته: اتفقت المصادر التي ترجمت لمعاوية بن أبي سفيان على أن وفاته رضي الله عنه كانت في دمشق، في يوم الخميس، وفي شهر رجب، من سنة ٦٠هـ^(٢)، وقد نقل الإمام ابن جرير الإجماع على أن وفاته كانت في رجب من سنة ٦٠هـ^(٣).

إسلامه:

لا خلاف بين أهل العلم في إسلام معاوية رضي الله عنه، ولا يشك في ذلك إلا رجل أعمى الله بصره وبصيرته^(٤)، بل إن إسلامه رضي الله عنه متواتر لا شك فيه.

وقد أبدع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في بيان هذه المسألة المهمة، حين

(١) الإصابة (١٥١/٦).

(٢) ينظر على سبيل المثال: التاريخ الكبير (٣٢٦/٧) [دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن]، وطبقات ابن سعد (٤٠٦/٧)، وطبقات خليفة (٢٩٧)، وتاريخ دمشق (٢٣٧/١٩ - ٢٤١)، والكاشف (٢/٢٧٥) [دار القبلية، ط ١، ١٤١٣هـ]، وغيرها.

(٣) تاريخ الطبري (٢٦١/٣).

(٤) اعترف الرافضة بإسلام معاوية رضي الله عنه وهم ألد خصومه، ينظر: تذكرة الفقهاء للحلي (٢٩٠/٩)، وجواهر الكلام للجواهري (٢٣٥/٢١)، والجواهر النقي للمارديني (٣٦٣/٢)، ومكاتيب الرسول للأحمدي المبانجي (٤٩١/٣) و(٧٤١/٣)، وبحوث في تاريخ القرآن وعلومه لمير محمدي زرندي (١١٦)، وبنور فاطمة اهتديت لعبد المنعم حسن (١٧٩).

سئل: «عن إسلام معاوية بن أبي سفيان متى كان؟ وهل كان إيمانه كإيمان غيره أم لا؟ وما قيل فيه غير ذلك؟». فأجاب: «إيمان معاوية بن أبي سفيان ثابت بالنقل المتواتر^(٥)، وإجماع أهل العلم على ذلك؛ كإيمان أمثاله ممن آمن عام فتح مكة... وأما إسلامه عام الفتح... فمتفق عليه بين العلماء؛ سواء كان أسلم قبل ذلك أو لم يكن إسلامه إلا عام فتح مكة؛ ولكن بعض الكذابين زعم أنه غير أباه بإسلامه، وهذا كذب بالاتفاق من أهل العلم بالحديث... وكان معاوية أحسن إسلامًا من أبيه باتفاق أهل العلم...»^(٦).

ومن الأدلة على ثبوت إسلامه رضي الله عنه: ما ثبت في «صحيح مسلم»^(٧) في قصة زواج فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، وفيها: قالت: «فلما حللت ذكرت له - أي: للنبي صلى الله عليه وسلم - أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه»^(٨)،

(٥) ينظر: منهاج السنة (٦٢/٢) [جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ].

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى (٤٦٦/٤ - ٤٧٢) [طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٧) أخرجه مسلم (كتاب الطلاق، رقم ١٤٨٠). والحديث له طرق وألفاظ تنظر في: التلخيص الحبير (٣/٣٢٠، ٣٢١)، تحت الحديث (رقم ١٤٩٣) - حاشية المحقق - [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٨) قد جاء تفسيرها في الرواية الأخرى: «أبو جهم منه =

قال الحافظ أبو نعيم: «أسلم قبيل الفتح، وقيل: عام القضية^(٤)، وهو ابن ثماني عشرة»^(٥).

وقد جزم الذهبي بأن ذلك كان في عمرة القضاء؛ فقال: «أسلم قبل أبيه في عمرة القضاء، وبقي يخاف من الخروج إلى النبي ﷺ من أبيه... وأظهر إسلامه يوم الفتح»^(٦).

القول الثاني: أنه أسلم يوم فتح مكة؛ هو وأبوه وأمه وأخوه يزيد رضي الله عنه^(٧).

ومرد الاختلاف بين أهل العلم في تحديد تاريخ إسلام معاوية رضي الله عنه يعود - والله أعلم - إلى كون معاوية رضي الله عنه كان يخفي إسلامه، ولذلك حكم من حكم من أهل العلم بأنه أسلم يوم فتح مكة؛ لأن هذا هو الذي ظهر من حاله في ذلك اليوم، وأما قبل ذلك فهو على ما عرف

وأما معاوية فصعلوك لا مال له^(١)، انكحي أسامة بن زيد، فكرهته، ثم قال: «انكحي أسامة»، فنكحته، فجعل الله فيه خيراً، واغتبطت.

وقد اختلف أهل العلم في تحديد تاريخ إسلام معاوية بن أبي سفيان؛ على قولين مشهورين، وقد حكى ابن عساكر رحمته الله بعض أقوال أهل العلم في ذلك^(٢).

القول الأول: أنه أسلم رضي الله عنه قبل الفتح^(٣).

- سواء كان ذلك عام الحديبية، وهو العام الذي صُدَّ فيه النبي ﷺ عن البيت في السنة السادسة من الهجرة.

- أو في عمرة القضاء، في السنة السابعة من الهجرة.

= شدة على النساء أو يضرب النساء، بعد هذه الرواية في صحيح مسلم، قال النووي: «فيه تأويلان مشهوران؛ أحدهما: أنه كثير الأسفار، والثاني: أنه كثير الضرب للنساء وهذا أصح، بدليل الرواية التي ذكرها مسلم بعد هذه أنه ضُربَ للنساء»، شرح صحيح مسلم (٩٧/١٠) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ]، وينظر: الاستذكار (٩٤/٣)، و(٦/١٤٩ - ١٥٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ]، والتلخيص الجبير (٣٢١/٣).

(١) قد جاء تفسيرها في الرواية الأخرى: «إن معاوية تربَّ خفيف الحال»، في الرواية التي بعدها في صحيح مسلم، قال النووي: «قليل المال جداً»، ينظر: شرح صحيح مسلم (٩٨/١٠)، وتحفة الأحوزي (٢٤١/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ]، وشرح الرُّقْزاني على الموطأ (٢٧٠/٣) [مكتبة الثقافة الدينية، ط ١].

(٢) تاريخ ابن عساكر (٥٧/٥٩) وما بعدها.

(٣) ينظر: فتح الباري (١٠٤/٧) [دار المعرفة، ط ١].

(٤) نقل قوام السُّنة في سير السُّلف الصَّالحين (٢/٦٦٣) [دار الراجعية، ط ١، ١٤٢٠هـ] رواية عن معاوية رضي الله عنه قال فيها: «أسلمت عام القضية، لقبت النبي ﷺ فقبل إسلامي»، وينظر: تاريخ الطُّبري (٣٢٨/٥)، والبداية والنَّهْية (٢١/٨)، والاستيعاب (٣/٣٩٥)، وسير أعلام النبلاء (١٢٢/٣).

(٥) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني (٥/٢٤٩٦) [دار الوطن، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٦) تاريخ الإسلام للذهبي (٣٠٨/٤) [دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣م]. وينظر: سير أعلام النبلاء (١٢٠/٣).

(٧) ينظر: الاستيعاب (٣/٣٩٥)، والإصابة (٣/٤٣٣)، ومنهاج السُّنة (٤٢٨/٤ - ٤٢٩)، و(٤/٤٣٦ - ٤٣٩)، والبداية والنَّهْية (١١٨/٨)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٢٣١/٨).

فهذا الكلام من معاوية رضي الله عنه فيه دليل واضح على أنه أسلم قبل فتح مكة، ويؤكد هذا القول منه رضي الله عنه الأمر التالي.

الأمر الثاني: جاء في «الصحيحين»^(٢)

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن معاوية رضي الله عنه قال: «قَصَّرت عن رسول الله ﷺ بِمَشَقِّصٍ».

وقد أطال الحافظ ابن حجر رحمته الله في شرح الحديث وتحقيق القول في هذا الحديث؛ بذكر الأقوال الواردة في شرحه وتأويله، وتوجيهها^(٣). فضائله:

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من جملة أصحاب النبي ﷺ الذين ثبتت لهم الفضائل العامة الواردة في الكتاب والسنة، وفي هذا المقام نشير إلى الأحاديث التي ثبتت له على وجه الخصوص، ومن ذلك:

ما ثبت عن النبي ﷺ أنه ذكر معاوية رضي الله عنه، فقال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا، وَاهْدِهِ بِهِ»^(٤).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٧٣٠)، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١٢٤٦).

(٣) ينظر: فتح الباري (٣/٥٦٥، ٥٦٦)، وعمدة القاري (١٠/٦٦، ٦٧) [دار إحياء التراث العربي]، ونيل الأوطار (٥/١٣٠، ١٣١) [دار الحديث، ط١]، فإنهما لخصا كلام ابن حجر في هذه المسألة.

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٤٢) وحسنه، وأحمد (٢٩/٤٢٦) مؤسسة الرسالة، =

من حاله، وأنه على دين قومه. لكن الذي يظهر - والله أعلم - أنه أسلم قبل الفتح وكان يخفي إسلامه، حتى كان يوم الفتح فأظهر إسلامه، ويدل على ذلك أمران:

الأمر الأول: قول معاوية رضي الله عنه نفسه:

«لما كان عام الحديبية وصدت قريش رسول الله ﷺ عن البيت، ودافعوه بالراح، وكتبوا بينهم القضية، وقع الإسلام في قلبي، فذكرت ذلك لأمي هند بنت عتبة، فقالت: «إيّاك أن تخالف أباك، أو أن تقطع أمراً دونه فيقطع عنك القوت»، وكان أبي يومئذ غائباً في سوق حَبَاشَةَ، قال: فأسلمت وأخفيت إسلامي، فوالله لقد رحل رسول الله ﷺ من الحديبية وإني مصدق به، وأنا على ذلك أكتمه من أبي سفيان، ودخل رسول الله ﷺ مكة عام عمرة القضية وأنا مسلم مصدق به، وعلم أبو سفيان بإسلامي، فقال لي يوماً: «لكن أخوك خير منك، وهو على ديني»، فقلت: لم آل نفسي خيراً، قال: فدخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح، فأظهرت إسلامي، ولقيته فرحب بي، وكتبت له»^(١).

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (متمم الصحابة/١٠٦) [مكتبة الصديق]، ومن طريقه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٥٩/٦٧) [دار الفكر]، وفي سننه أبو بكر بن أبي سبرة، وقد رمي بالوضع. وينظر: تاريخ دمشق (٥٩/٥٧) قول ابن سعد، و(٥٩/٦٠) قول أبي نعيم، و(٥٩/٦٢) قول أبي بكر الخطيب.

يقول ابن حجر الهيتمي: «فتأمل هذا الدعاء من الصادق المصدوق وأن أدعيته لأُمَّته - لا سيما أصحابه - مقبولة غير مردودة، تعلم أن الله سبحانه استجاب لرسول الله ﷺ هذا الدعاء لمعاوية؛ فجعله هادياً للناس مهدياً في نفسه، ومن جمع الله له بين هاتين المرتبتين كيف يتخيل فيه ما تقوله عليه المبطلون، ووصمه به المعاندون، معاذ الله لا يدعو رسول الله ﷺ بهذا الدعاء الجامع لمعالي الدنيا والآخرة المانع لكل نقص نسبته إليه الطائفة المارقة الفاجرة، إلا لمن علم ﷺ أنه أهل لذلك حقيق بما هنالك...» (١).

وثبت عن العرياض بن سارية رضي الله عنه؛ أنه قال: سمعت النبي ﷺ - وهو يدعو إلى السّحور في شهر رمضان - يقول: «هلم إلى الغداء المبارك»، ثم سمعته يقول: «اللَّهُمَّ علِّم معاوية الكتاب والحساب، وقِه العذاب» (٢).

وقد نقل ابن أبي يعلى الفراء في ترجمة أبي حفص عمر بن إبراهيم العكبري قوله: «سألني سائل: عن رجل حلف بالطلاق الثلاث إن معاوية رضي الله عنه في الجنة؟ فأجبت: إن زوجته لم تطلق فليقم على نكاحه، وذكرت له أن أبا بكر محمد بن عسكر سئل عن هذه المسألة بعينها؟ فأجاب بهذا الجواب. قال: وسئل شيخنا ابن بطة عن هذه المسألة بحضرتي، فأظنه ذكر جواب محمد بن عسكر فيها. وسمعت الشيخ ابن بطة يقول: سمعت أبا بكر بن أيوب يقول: سمعت إبراهيم الحربي وسئل عن هذه المسألة فقال: لم تطلق زوجته فليقم على نكاحه، قال (٣): والدليل على ذلك ما روى العرياض بن سارية؛ أنه سمع النبي ﷺ يقول لمعاوية بن أبي سفيان: «اللَّهُمَّ علِّمه الكتاب والحساب وقه العذاب»، فالتبني مجاب الدعاء فإذا وقي

حبان (كتاب إخباره رضي الله عنه عن مناقب الصحابة، رقم ٧٢١٠)، وقال الهيتمي: (فيه الحارث بن زياد، ولم أجد من وثقه، ولم يرو عنه غير يونس بن سيف، وبقية رجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف). مجمع الزوائد (٣٥٦/٩) [مكتبة القدسي].

لكن ذكر الألباني له عدة شواهد في السلسلة الصحيحة رقم (٣٢٢٧).

وللحديث طرق ومخارج، ينظر تفصيل تخريجها والكلام عليها في: منزلة معاوية بن أبي سفيان عند أهل السنّة والجماعة لأمير قروي (١/٣٨٥ - ٤٠٢). (٣) الذي يظهر - والله أعلم - أن القائل هنا صاحب الترجمة أبو حفص العكبري، ويحتمل أن ترجع إلى آخر قائل؛ وهو إبراهيم الحربي.

= [ط١]، وغيرهم، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٦٩).

وللحديث طرق ومخارج، ينظر تفصيل تخريجها والكلام عليها في: منزلة معاوية بن أبي سفيان عند أهل السنّة والجماعة والرد على شبهات الطاعنين فيه، لأمير بن أحمد قروي (١/٣٧٢ - ٣٨٤) [دار منار التوحيد، ط١].

(١) تطهير الجنان واللسان (١٤) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٢) أخرجه أحمد (٣٨٢/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن خزيمة (كتاب الصيام، رقم ١٩٣٨)، وابن

والذهبي^(٧)، وابن كثير^(٨)، وابن حجر^(٩)، والصّالحي^(١٠)، وغيرهم، كما عدّه البيهقي^(١١) والسيوطي^(١٢) من دلائل نبوّته ﷺ.

- كما أخبر رسول الله ﷺ أنّ مُلك معاوية بن أبي سفيان ﷺ مُلك ورحمة؛ إذ يقول ﷺ: «أَوَّلُ هذا الأمر نبوة ورحمة، ثمّ يكون خلافة ورحمة، ثمّ يكون ملكاً ورحمة...»^(١٣)، «فكانت نبوة النبي ﷺ نبوة ورحمة، وكانت خلافة الخلفاء الراشدين خلافة نبوة ورحمة، وكانت إمارة معاوية ملكاً ورحمة، وبعده وقع ملك عضوض»^(١٤)، وقد اتّفق العلماء على أنّ معاوية أفضل ملوك هذه الأمّة؛ فإنّ الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة وهو أوّل الملوك؛ كان ملكه ملكاً

العذاب فهو من أهل الجّة...»^(١٥).

- وثبت عن النبي ﷺ أنّه قال لمعاوية ﷺ ناصحاً له: «يا معاوية، إن وليت أمراً فاتّق الله وعبّدك واعدل»، قال: «فما زلت أظن أنّي مبتلى بعمل لقول النبي ﷺ حتى ابتليت»^(١٦).

هذا الحديث من فضائل حال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان؛ كيف وقد جاء في أوّله في بعض طرقه: أنّه ﷺ أخذ الإداوة يتتبع النبي ﷺ، فبينما هو يوضئ النبي ﷺ قال له ذلك، ثمّ تخصّصه ﷺ لمعاوية ﷺ بهذه الوصية دليل على مكانته وجليل قدره، ولذا عدّه غير واحد من أهل العلم من الأحاديث الواردة في فضائله ﷺ، ومن أوّلئك: الآجري^(٣)، واللّالكائي^(٤)، وقوام السّنّة^(٥)، والعلائي^(٦)،

(١) طبقات الحنابلة (١٩٣/٢) [دار المعرفة، بيروت]، وينظر: المقصد الأرشد لابن مفلح (٢٩١/٢) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٢) أخرجه أحمد (١٢٩/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وأبو يعلى (٣٧٠/١٣) [دار المأمون، ط ١]، وفي سند أحمد انقطاع، وفي سند أبي يعلى راوٍ ضعيف، كما أشار محققو المسند.

وانظر: منزلة معاوية بن أبي سفيان عند أهل السّنّة والجماعة لقروي (٣١٠/١ - ٣١٢).

(٣) ينظر: الشريعة (٢٤٧٧/٥) وما بعدها.

(٤) ينظر: شرح الأصول (١٤٣٩/٨) [دار طيبة، ط ٨].

(٥) ينظر: الحجّة في بيان المحجّة (٤٠٢/٢، ٤٠٣) [دار الراية، ط ٢، ١٤١٩هـ].

(٦) ينظر: تحقيق منيف الرتبة (٨٩، ٩٠) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٧) ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣١/٣).

(٨) ينظر: البداية والنهاية (٢٢٠/٦)، و(٢٠/٨)، و(٨/١٢٣) وغيرها.

(٩) ينظر: الإصابة (١٥٣/٦).

(١٠) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٨٧/١٠)، و(٣٩٠/١١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ].

(١١) ينظر: دلائل النبوة (٤٤٦/٦) [دار النفائس، ط ٢، ١٤٠٦هـ].

(١٢) كما في الخصائص الكبرى (١٩٨/٢، ١٩٩) [دار الكتب العلمية].

(١٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٨/١١) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وقال الهيثمي في المجمع (١٩٠/٥) [مكتبة القدسي]: رجاله ثقات. وجود الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٢٧٠).

(١٤) أفاده ابن تيمية في سؤال في يزيد بن معاوية، في جامع المسائل (١٥٤/٥) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٤هـ].

ورحمة... وكان في ملكه من الرحمة والحلم ونفع المسلمين ما يعلم أنه كان خيراً من ملك غيره^(١).

- وثبت عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه؛ أنه قال: «كنت أَلْعَبُ مع الصبيان فجاء رسول الله ﷺ فتواريت خلف باب، قال: فجاء فَحَطَّأَنِي حَطَّاءَةً^(٢)، وقال: اذهب وادع لي معاوية، قال: فجئت، فقلت: هو يأكل، قال: ثم قال لي: اذهب وادع لي معاوية، قال: فجئت، فقلت: هو يأكل فقال: لا أشبع الله بطنه^(٣)».

وهذا الحديث هو أصح ما روي في فضل معاوية رضي الله عنه، كما ذكر ذلك الحافظ ابن عساكر^(٤)، وقد أورد الإمام مسلم هذا الحديث بعد أحاديث من هذا القبيل؛ والتي تتعلق بدعاء النبي ﷺ على أشخاص وهو عليه الصلاة والسلام لا يريد الدعاء عليهم، وإنما هو دعاء لهم في الحقيقة؛ ولذلك بَوَّبَ عليها النووي رحمته الله بقوله: «باب من لعنه

أوردها الإمام مسلم رحمته الله :

١ - عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل على رسول الله ﷺ رجلان، فكلَّمَاهُ بشيء لا أدري ما هو فأغضباه، فلعنهما وسبهما، فلما خرجا، قلت: يا رسول الله، من أصاب من الخير شيئاً ما أصابه هذان، قال: وما ذاك؟، قالت، قلت: لعنتهما وسببتهما قال: أو ما علمت ما شارطت عليه ربي؟ قلت: اللّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فأَيُّ المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرًا^(٥)».

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «اللّهُمَّ إِنِّي أَتُخَذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تَخْلُفْنِيهِ؛ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ المؤمنين أذيت، شتمته، لعنته، جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة^(٦)».

قال النووي: «وقد فهم مسلم رحمته الله من هذا الحديث أنّ معاوية لم يكن مستحقاً للدعاء عليه، فلهذا أدخله في

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٧٨). وينظر: منهاج السنّة (٤٥٣/٧).

(٢) حَطَّأَهُ، ضرب ظهره بيده ميسوطة. ينظر: مختار الصحاح (٦٠) [المكتبة العصرية، ط ٥، ١٤٢٠هـ]، ولسان العرب (١/٥٧) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٠٤).

(٤) تاريخ دمشق (١٠٦/٥٩). وينظر: البداية والنهاية (١٢٢/٨).

(٥) صحيح مسلم (٤/٢٠٠٧).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٠٠).

(٧) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٠١).

هذا الباب، وجعله غيره من مناقب معاوية؛ لأنه في الحقيقة يصير دعاء له^(١).

مكانته:

لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مكانة عالية رفيعة عند أهل السنة والجماعة، من زمن أصحاب النبي ﷺ وإلى يوم الناس هذا^(٢)، ومن تلك الأقوال الماثورة عن سلف الأمة وعلمائها، ما يلي:

يقول الإمام الأوزاعي رحمته الله: «أدركت خلافة معاوية جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، لم ينتزعوا يدًا من طاعة، ولا فارقوا جماعة»^(٣).

وقال أيضًا: «أدركت خلافة معاوية رضي الله عنه عدة من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم: سعد، وأسماء، وجابر، وابن عمر، وزيد بن ثابت، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد، ورافع بن خديج، وأبو أمامة، وأنس بن مالك، ورجال أكثر ممن سمينا بأضعاف مضاعفة، كانوا مصابيح الهدى وأوعية العلم، حضروا من الكتاب تنزيله، وأخذوا عن رسول الله ﷺ تأويله.

(١) شرح صحيح مسلم (١٦/١٥٦).

(٢) وفي كتاب: منزلة معاوية بن أبي سفيان عند أهل السنة والجماعة (١/٤٢٣ - ٤٧٣) تتبع لتلك الأقوال التي تثبت وتبين تلك المكانة والمنزلة، فليرجع إليه للاستزادة.

(٣) الاستيعاب (٣/١٤٢٠).

ومن التابعين لهم بإحسان - إن شاء الله - منهم: المسور بن مخرمة^(٤)، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن مَحْرِيْز، في أشباه لهم، لم ينزعوا يدًا عن جماعة في أمة محمد ﷺ^(٥).

ولم يكن هذا شأنهم فحسب، بل ثبتت عنهم كلمات رائقة رائعة في الثناء على خال المؤمنين رضي الله عنه، ومما جاء عنهم في ذلك:

ما قاله الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعجبون من دهاء هرقل وكسرى، وتدعون معاوية»^(٦)، وفي لفظ عنه رضي الله عنه: «تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما؛ وعندكم معاوية»^(٧).

وقال أيضًا قبيل موته ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أشهدك على أمراء الأمصار، وإني إنما بعثتهم عليهم ليعدلو عليهم، وليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ﷺ، ويقسموا فيهم فيئهم، ويرفعوا إلي ما

(٤) الصحيح أنه صحابي جليل رضي الله عنه.

(٥) ينظر: تاريخ أبي زرعة (٧، ٢٧) [مجمع اللغة العربية، دمشق]، وتاريخ دمشق (٥٩/١٥٨).

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٥٩/١١٩)، من طريق ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن عمر به، وعلقه الذهبي في السير (٣/١٣٤)، وتاريخ الإسلام (٤/٣١١)، عن ابن أبي ذئب به.

(٧) أخرجه الطبري في التاريخ (٣/٢٦٤)، بسنده عن ابن أبي ذئب به بمثل الإسناد السابق، وينظر: الكامل في التاريخ (٣/٣٧٣).

أشكل عليهم من أمرهم»^(١).

وهو الذي يقول ﷺ: «والله ما آلو أن أختار خياركم»^(٢)، وقد جمع عمر بن الخطاب ﷺ لمعاوية ﷺ الشام كلها، وأقره عثمان بن عفان ﷺ على ذلك^(٣)، قال الذهبي رحمه الله: «حسبك بمن يؤمره عمر، ثم عثمان على إقليم - وهو ثغر - فيضبطه، ويقوم به أتم قيام، ويرضي الناس بسخائه وحلمه»^(٤)، وقال ابن تيمية رحمه الله: «ولا استعمل عمر قط؛ بل ولا أبو بكر على المسلمين منافقاً»^(٥).

وقال سعد بن أبي وقاص ﷺ: «ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب»؛ يعني: معاوية^(٦).

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «إني لأتمنى أن يزيد الله ﷻ لك معاوية من عمري في عمره»^(٧).

وقال عبد الله بن عباس ﷺ - وقد

(١) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٦٧).

(٢) أخرجه أبو عبيد في الأموال (٧١٣) (برقم ١٩٢٠) [دار الفكر، بيروت].

(٣) كما قال خليفة بن خياط رحمه الله في تاريخه (١٥٥)، و(١٧٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٣٢/٣).

(٥) مجموع الفتاوى (٦٥/٣٥).

(٦) ينظر: تاريخ دمشق (٥٩/١٦٠، ١٦١)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٥٤٤/٢) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤١٣هـ]، والسير (١٥٠/٣).

(٧) أخرجه أبو عروبة كما في المنتقى من الطبقات (٦٨) [دار البشائر، ط ١، ١٩٩٤م].

قيل له: هل لك في أمير المؤمنين معاوية؛ فإنه ما أوتر إلا بواحدة -، فقال ﷺ: «أصاب؛ إنه فقيه»^(٨)؛ أي: «يعرف أبواب الفقه»^(٩).

وثبت عنه ﷺ - في رواية - أنه قال: «ليس أحد منا أعلم من معاوية»^(١٠).

وقد قيل له ﷺ: إن معاوية لم يوتر حتى أصبح، فأوتر بركعة، فقال: «إن أمير المؤمنين عالم»^(١١).

قال أبو إسحاق السبيعي رحمه الله: «كان معاوية، وما رأينا بعده مثله»^(١٢)، وكان يقول ذلك كلما ذكر عمر بن عبد العزيز رحمه الله^(١٣).

(٨) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٦٥)، وفي رواية (رقم ٣٧٦٤) أنه قال: «دعه؛ فإنه صحب رسول الله ﷺ».

(٩) ينظر: عمدة القاري (٢٤٨/١٦).

(١٠) أخرجه الشافعي في مسنده (٨٦) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٣٧٠هـ]، وعبد الرزاق في مصنفه (كتاب الصلاة، رقم ٤٦٤١).

(١١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (متمم الصحابة/١٢٦) [مكتبة الصديق]، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (١٦٥/٥٩)، ويشهد له ما سبق.

(١٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١٢٢/١)، (١٢٣)، (٤٧)، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/١٧٢)، قال: أخبرنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، فذكره، وهذا إسناده [كوفي] صحيح، كما قال محقق الطبقات.

وأخرجه الخلال في السنة (٤٣٨/٢) (برقم ٦٧٠)، والأثر - كما في منهاج السنة (٢٣٤/٦) - من طريق محمد بن العلاء، عن أبي بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، فذكره، وهذا إسناده [كوفي] صحيح أيضاً، كما قال محقق السنة.

(١٣) كما قال أبو بكر بن عياش في رواية ابن سعد السابقة.

بيان مكانة ومنزلة هذا الصحابي الجليل .

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: كتابة معاوية رضي الله عنه للوحي:

لقد كان لمعاوية رضي الله عنه مكانة عالية، ومنزلة خاصة عند رسول الله ﷺ جعلته كاتباً بين يديه ﷺ، أميناً على وحي ربه ﷻ؛ فقد روى مسلم ^(٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أنه قال: «خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: الله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن به علينا، قال: الله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أثناني جبريل فأخبرني أن الله ﷻ يباهي بكم الملائكة». وفي رواية زيادة: «إنكم لا

وذكر ﷺ معاوية رضي الله عنه، فقال: «لو أدركتموه - أو أدركتم زمانه -؛ كان المهدي» ^(١).

وقال مجاهد بن جبر رضي الله عنه: «لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي؛ من فضله» ^(٢).

وقال إبراهيم بن ميسرة رضي الله عنه: «ما رأيتم عمر بن عبد العزيز ضرب إنساناً قط، إلا إنساناً شتم معاوية؛ فضربه أسواطاً» ^(٣).

وقال أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي رضي الله عنه [٢٤١هـ]: «معاوية ستر لأصحاب محمد ﷺ فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه» ^(٤).

إلى غير ذلك من النقول العظيمة في

(١) أخرجه الخلال في السُّنة (٤٣٩/٢) برقم (٦٧٢)، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبو سعيد الأشج، قال: ثنا أبو أسامة [حماد بن أسامة]، قال: حدثني الثقة، عن أبي إسحاق، فذكره، وقد ضعفه محقق السُّنة؛ لأجل إبهام شيخ حماد.

(٢) أخرجه الخلال في السُّنة (٤٣٨/٢) برقم (٦٦٩)، والبخاري في معجم الصحابة (٣٦٨/٥) برقم (٢١٩١)، وأبو عروبة الحراني كما في المنتقى من الطبقات (٦٧)، والأجري في الشريعة (٢٤٦٥/٥) برقم (١٩٥٣).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح الأصول (١٢٦٥/٧)، (١٢٦٦) برقم (٢٣٨٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢١١/٥٩)، من طريق ابن المبارك، عن محمد بن مسلم، عن إبراهيم بن ميسرة، فذكره، وينظر: الصارم المسلول (١٠٥٩/٣) [رمادي للنشر، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠٩/٥٩)، وينظر: البداية والنهاية (١٣٩/٨).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٠١).

وقد بَوَّبَ عليه الآجري في الشريعة (٢٤٥٩/٥): «باب ذكر صحبة معاوية رضي الله عنه للنبي ﷺ، ومنزله عنده».

تجدون رجلاً منزلته من رسول الله ﷺ أمرهم للناس»^(٤).

منزلتي، أقل حديثاً عنه مني، كنت ختنه^(١)، وكنت في كتابه، وكنت أرحل له ناقته^(٢).

وقال أيضاً: «وأما قول الرافضي: «وسموه كاتب الوحي، ولم يكتب له كلمة واحدة من الوحي»، فهذا قول بلا حجة ولا علم؛ فما الدليل على أنه لم يكتب له كلمة واحدة من الوحي، وإنما كان يكتب له رسائل.

وقوله: «إن كُتِبَ الوحي كانوا بضعة عشر أخصهم وأقربهم إليه علي»، فلا ريب أن علياً كان ممن يكتب له أيضاً، كما كتب الصلح بينه وبين المشركين عام الحديبية، ولكن كان يكتب له أبو بكر وعمر أيضاً، ويكتب له: زيد بن ثابت بلا ريب... ومعاوية رضي الله عنه^(٦).

وقال أيضاً: «هو واحد من كُتَّاب الوحي»^(٧).

وقال النووي رحمه الله: «معاوية بن أبي سفيان الخليفة أحد كتاب الوحي...»^(٨).

- المسألة الثانية: حرص معاوية رضي الله عنه على حديث النبي ﷺ:

لقد كان معاوية رضي الله عنه - إضافة إلى

وقد وردت عدة نصوص تدل على ثبوت كتابة معاوية رضي الله عنه للوحي، من ذلك:

١ - ما أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي ﷺ: «يا نبي الله، ثلاث أعطينهن، قال: «نعم». قال: عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزواجكها، قال: «نعم». قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال: «نعم». قال: وتؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين، قال: «نعم»^(٣).

قال الإمام أحمد رحمه الله فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحي، ولا أقول إنه خال المؤمنين؛ فإنه أخذها بالسيف غصباً: «هذا قول سوء رديء، يجانبون هؤلاء القوم، ولا يجالسون، ونبيّن

(١) ختن الرجل؛ المتزوج بابنته أو أخته. انظر: لسان العرب (١٣/١٣٨).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (١/٣٨٠) [دار الراية، ط ١، ١٤١١هـ]، والآن في الشريعة (٥/٢٤٦١) [دار الوطن، ط ٢]، وقال محقق الشريعة: «إسناده صحيح».

(٣) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٠١).

(٤) أخرجه الخلال في السنة (٢/٤٣٤) برقم (٦٥٩)، وصححه المحقق.

(٥) منهاج السنة النبوية (٤/٤٣٩).

(٦) المصدر السابق (٤/٤٢٧)، (٤٢٨).

(٧) المصدر السابق (٤/٤٤٢).

(٨) المجموع شرح المذهب (١/١١٤) [دار الفكر].

وعنه أنه قال: «إياكم وأحاديث؛ إلا حديثاً كان في عهد عمر؛ فإن عمر كان يخيف الناس في الله ﷻ، سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما أنا خازن، فمن أعطيته عن طيب نفس فيبارك له فيه، ومن أعطيته عن مسألة وشره، كان كالذي يأكل ولا يشبع»^(٣).

وكتب معاوية ﷺ إلى عبد الرحمن بن شبل ﷺ: «أن علم الناس ما سمعت من رسول الله ﷺ»^(٤).

- المسألة الثالثة: خلافته عمومًا ﷺ:
«كانت مدة خلافة معاوية ﷺ تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر تقريبًا، منذ أن تنازل له الحسن بن علي ﷺ، في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين إلى أن توفي في رجب سنة ستين.

وكانت خلافة معاوية ﷺ خيرًا للمسلمين، حيث زال تفكير الأعداء باستعادة المراكز التي تخلّوا عنها، إذ

كتابته للوحي - أحد رواة الحديث عن النبي ﷺ، وهذا أمر ثابت مسطر في كتب الحديث وغيرها، ومما يشهد لذلك:

أن ورّادًا مولى المغيرة بن شعبة ﷺ قال: «كتب معاوية إلى المغيرة: اكتب إلي ما سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة، فأملئ علي المغيرة، قال: سمعت النبي يقول خلف الصلاة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجند منك الجند»، وقال ابن جريج: أخبرني عبدة أن ورّادًا أخبره بهذا، ثم وفدت بعد إلى معاوية فسمعت يأمُر الناس بذلك القول^(١).

وكتب معاوية بن أبي سفيان مرة إلى مسلمة بن مخلد: «أن سل عبد الله بن عمرو بن العاص، هل سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا قدّست أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قويتها وهو غير مضطهد»، فإن قال: نعم، فاحمله إلي على البريد، فسأله فقال: نعم، فاحمله على البريد من مصر إلى الشام، فسأله معاوية فأخبره، فقال معاوية ﷺ: وأنا قد سمعته، ولكن أحببت أن أثبت^(٢).

(١) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٩٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٨٧/١٩) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وقال الهيثمي في المجمع (٢٠٩/٥)

[مكتبة القدسي]: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

والحديث المرفوع في هذه القصة ثابت، وهو مروي عن غير واحد من الصحابة. انظر: السلسلة الضعيفة (٣٥٦/١٤)، وصحيح الجامع (٨٤٣/٢).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٣٧).

(٤) أخرجه أحمد (٤٣٧/٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]،

والحاكم في المستدرک (كتاب النكاح، رقم ٢٧٧٣) وصححه، وقوى إسناده ابن حجر في الفتح (٩/١٠١) [دار المعرفة]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٦٦).

مستقلًا بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو»^(٤).

موقف المخالفين منه:

من الأمور اللافتة أن معاوية رضي الله عنه قد طعن فيه من طوائف كثيرة من أهل البدع، ولم يسلم إلا من أهل السنة والجماعة، وهذا من توفيق الله لهم، وفيما يلي بعض النقول اليسيرة الكاشفة لمواقف أبرز تلك الطوائف المنحرفة في هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه:

- **الخوارج:** قال أبو الحسن الأشعري رحمته الله: «والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر، وينكرون إمامة عثمان رضوان الله عليهم في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها، ويقولون بإمامة علي قبل أن يُحكَّم، وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم، ويكفرون معاوية وعمر بن العاص وأبا موسى الأشعري»^(٥).

- **الشيعة الإمامية الاثني عشرية:** فهم أكبر الوالغين في عرض معاوية رضي الله عنه، ومن جملة ما قالوه في حقه رضي الله عنه:

رجع المسلمون فوجهوا قوتهم إلى مناطق الشغور، وانطلقوا للجهاد والدعوة والعمل، فعادت أيام الفتح، وقطع الروم بخاصة أملهم بالرجوع إلى الأماكن التي فقدوها، لذا عُرف بدء خلافته بعام الجماعة؛ إذ توحدت كلمة المسلمين بعد اختلاف، واجتمعت جيوشهم بعد افتراق فكان ذلك خيرًا لهم، وسرورًا لأنفسهم»^(١)، وتحقق بذلك قول النبي الكريم ﷺ للحسن رضي الله عنه: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(٢).

«وقد خرج مصداق هذا القول فيه بما كان من إصلاحه بين أهل العراق وأهل الشام وتخليه عن الأمر؛ خوفًا من الفتنة، وكراهية لإراقة الدم، ويسمى ذلك العام: سنة الجماعة، وفي الخبر دليل على أن واحدًا من الفريقين لم يخرج بما كان منه في تلك الفتنة من قول أو فعل عن ملة الإسلام؛ إذ قد جعلهم النبي ﷺ مسلمين»^(٣).

قال ابن كثير رحمته الله: «انعقدت الكلمة على معاوية، وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين، فلم يزل

(١) انظر: معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وأسرته لمحمود شاكر (١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٦٢٩).

(٣) انظر: معالم السنن للخطابي (٣٧/٧) [المطبعة العلمية، ط ١، ١٣٥١هـ].

(٤) انظر: البداية والنهاية (١١٩/٨).

(٥) مقالات الإسلاميين (١٢٥) [دار فرائز شتاير، ط ٣، ١٤٠٠هـ].

منهم^(٩)، إلى غير ذلك من الأقوال الساقطة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

- المعتزلة: يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: «... إنا نعلم من حال الصحابة، وخاصة من حال علي بن أبي طالب عليه السلام، أنهم كانوا لا يعظمون صاحب الكعبة، ولا يوالونه في الله وكتابه، بل يلعنونه ويستخفون به، ولهذا فإن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول في قنوته: «اللَّهُمَّ العن معاوية بن أبي سفيان، وعمر بن العاص»...»^(١٠).

ويقول عالمهم ومقدمهم أحمد بن يحيى بن المرتضى المعتزلي - وهو يحكي معتقد المعتزلة -: «وأكثرهم على البراءة من معاوية وعمر بن العاص»^(١١).

سبحانك هذا بهتان عظيم؛ فإنه من المعلوم أن معاوية بن أبي سفيان عليه السلام من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما شهدت بذلك النصوص، والتي سبق إيراد شيء منها، وأن إسلامه مما لا يشك فيه رجل يؤمن بالله واليوم الآخر؛ وقد أبدع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في بيان هذه المسألة المهمة، حين سئل: عن إسلام

- أنه لم يسلم إلا بالاسم^(١)، وأنه بقي على جاهليته الأولى^(٢).

- ولم يمت حتى علق الصليب في عنقه^(٣).

- وأنه أحد أصحاب التواييت التي في أسفل درك الجحيم^(٤).

- وأنه يعذب في نار جهنم منذ مات، وينسبون إلى عدد من الأئمة أنهم رأوه مغلولاً في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً في واد من أودية جهنم^(٥).

- ويزعمون أيضاً أنه كان شراً من إبليس^(٦).

- وأنه إمام من أئمة الكفر^(٧).

- وأنه كان طليقاً، منافقاً، معانداً لله ولرسوله وللمؤمنين^(٨).

- وأنه كان من أعداء آل محمد، وخاصة علي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) انظر: ظلال التشيع لمحمد علي الحسني (٢٨٦).

(٢) انظر: مقدمة مرآة العقول للعسكري (٣٨/١).

(٣) انظر: الصراط المستقيم للبياضى (٥٠/٣).

(٤) انظر: الخصال للصدوق (٤٥٨/٢، ٤٨٥)، والبرهان للبحراني (٥٢٨/٤)، ومقدمة البرهان للعالمي (٢٦٣).

(٥) انظر: بصائر الدرجات الكبرى للصفار (٣٠٤ - ٣٠٧)، والاختصاص للمفيد (٢٧٥ - ٢٧٧)، وتفسير الصافي للكاشاني (٤٩١/٢).

(٦) انظر: منهاج الكرامة للحلي (١١٦).

(٧) انظر: الشافي للمرتضى (٢٨٧)، وتلخيص الشافي للطوسي (٤٦٢).

(٨) انظر: المصباح للكفعمي (٥٥٢)، والشعبة والحاكمون لمحمد مغنية (٣٩)، وأبو طالب مؤمن قريش للخنيزي (٥١).

(٩) انظر: الجمل للمفيد (٤٩)، ومنهاج الكرامة للحلي (١١٦)، والكشكول للآملي (١٦٠)، والشعبة في الميزان لمغنية (٢٥٥).

(١٠) شرح الأصول الخمسة (١٤٠، ١٤١).

(١١) كتاب طبقات المعتزلة (٨)، وكتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل (٦).

معاوية بن أبي سفيان متى كان؟ وهل كان إيمانه كإيمان غيره أم لا؟ وما قيل فيه غير ذلك؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: «إيمان معاوية بن أبي سفيان ثابت بالنقل المتواتر»^(١)، وإجماع أهل العلم على ذلك... وأما إسلامه عام الفتح... فمتفق عليه بين العلماء؛ سواء كان أسلم قبل ذلك أو لم يكن إسلامه إلا عام فتح مكة؛ ولكن بعض الكذابين زعم: أنه غير أباه بإسلامه، وهذا كذب بالاتفاق من أهل العلم بالحديث... وكان معاوية أحسن إسلامًا من أبيه باتفاق أهل العلم...»^(٢).

فكيف يحكم برده والعياذ بالله بعد ذلك؟ فضلًا عن أنه لم يسلم قط، أو يطعن في عدالته وفضله؟ وقد ثبت عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سمعت النبي ﷺ - وهو يدعو إلى السَّحُور في شهر رمضان -: «هَلُمَّ إِلَى الغداء المبارك»، ثم سمعته يقول: «اللَّهُمَّ عَلِّمْ معاوية الكتاب والحساب، وِقِهِ العذاب»^(٣).

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا»^(٤)؛ أي: «فعلوا فعلًا وجبت لهم به الجنة، أو أوجبوا

لأنفسهم المغفرة والرحمة»^(٥). قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «لم يختلف أهل السير فيما علمت أن غزاة معاوية هذه المذكورة في حديث هذا الباب، إذ غزت معه أمّ حرام كانت في خلافة عثمان»^(٦).

وفي رواية عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن خالته أمّ حرام رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «نام النبي ﷺ يومًا قريبًا مني، ثم استيقظ يبتسم، فقلت: ما أضحكك؟ قال: «أناس من أمتي عرضوا علي يركبون هذا البحر الأخضر كالمملوك على الأسرة»، قالت: فادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم نام الثانية، ففعل مثلها، فقالت مثل قولها، فأجابها مثلها، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت من الأولين»، فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازيًا أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية فلما انصرفوا من غزوهم قافلين فنزلوا الشام، فقربت إليها دابة لتركبها، فصرعتها فماتت»^(٧).

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «وفيه فضل لمعاوية رَحِمَهُ اللهُ؛ إذ جعل من غزا تحت رايته من الأولين»^(٨).

(٥) فيض القدير (٣/ ٨٤).

(٦) التمهيد (١/ ٢٤٢).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٧٨٨)، ومسلم (الإمارة، رقم ١٩١٢).

(٨) التمهيد (١/ ٢٣٥)، وانظر: الشريعة للأجري (٥/ ٢٤٤٠، ٢٤٤١) (برقم ١٩٢٢)، وشرح أصول اعتقاد =

(١) انظر: منهاج السنّة (٢/ ٦٢).

(٢) انظر: الجواب بطوله في الفتاوى (٤/ ٤٦٦ - ٤٧٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٩٢٤).

فتكفي هذه النصوص ونحوها في إبطال دعاوى المخالفين الطاعنة في هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه، والله المستعان.

المعجزة

التعريف لغة:

المُعْجَزَة: اسم فاعل من الفعل الثلاثي المزيّد (أعجَزَ)؛ ومعناها: ما أُعْجِزَ به الخصم عند التَّحَدِّي، والهَاءُ للمُبَالِغَةِ. والعين والجيم والزاي أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على الضَّعْف؛ يُقال: عَجَزَ عن الشيء يعجز عَجْزًا فهو عاجز؛ أي: ضعيف، ويُقال: أعجزني فلانٌ؛ إذا عَجَزْتُ عن طلبه وإدراكه^(١).

التعريف اصطلاحًا:

المعجزة: هي «أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد من يختاره لنبوته؛ ليدلَّ على صدقه وصحة رسالته»^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والاصطلاح:

يدور المعنى اللغوي للمعجزة حول: الضعف وعدم القدرة على طلب الشيء

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستيعاب»، لابن عبد البر.
- ٢ - «الإصابة»، لابن حجر العسقلاني.
- ٣ - «تحقيق منيف الرتبة»، للعلائي.
- ٤ - «تطهير الجنان واللسان»، لابن حجر الهيتمي.
- ٥ - «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.
- ٦ - «سؤال في يزيد بن معاوية من جامع المسائل»، لابن تيمية.
- ٧ - «سير السلف الصالحين»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

- ٨ - «الصارم المسلول»، لابن تيمية.
- ٩ - «فضائل الصَّحابة»، لأحمد بن حنبل.

- ١٠ - «المقصد الأرشد» (ج ٢)، لابن مفلح.

- ١١ - «منزلة معاوية بن أبي سفيان عند أهل السُّنَّة والجماعة والرد على شبهات الطاعنين فيه»، لأمير بن أحمد قروي.

= أهل السُّنَّة (٨/١٤٣٨)، برقم (٢٧٧٢)، فقد عدَّ الحديث من فضائل معاوية رضي الله عنه.

(١) انظر: الصحاح (٣/٨٨٣) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٤/٢٣٢) [دار الفكر، ط ٢، والقاموس المحيط (٦٦٣) مؤسسة الرسالة، ط ٥].

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (٢/١٥٧) [الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط ٢، ١٤١٢هـ]. وانظر: المعرفة في الإسلام لعبد الله القرني (١٤١) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤١٩هـ]، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة لنخبة من العلماء (١٩٩) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالسعودية، ١٤٢١هـ].

فالمعجزات أمر كبير، وبرهان منير، ما طرق العالم له معارض ألبتة، خصوصاً مع قدم النبوات وتواترها.

❁ الحقيقة:

المعجزات التي أيد الله بها أنبياءه ﷺ حق وصدق، ليست من قبيل سحر السحرة والمتنبئين والكذابين وشعوذتهم ودجلهم؛ بل هي تأييد من الله تعالى، وبرهان ساطع على صدق أنبيائه ورسله وصحة رسالتهم، فإنكارها وجحدها تكذيب للشرع وخروج عن الدين.

وهذه المعجزات مختصة بالأنبياء لا يشركهم فيها أحد غيرهم، وأنها مستلزمة لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، ولا يتصور وجودها مع انتفاء صدقهم؛ لأن من ادعى النبوة إما أن يكون صادقاً فيؤيده الله بالآيات، وإما أن يكون كاذباً فلا يؤيده بها. فهي ملازمة للنبوة؛ فتدل عليها ولو كان النبي ميّناً أو غائباً. ولا بد أن تكون في نفسها خارقة للعادة، لا يقدر عليها إلا الله تعالى، خارقة عن قدرة الإنس والجن، ولا يمكن لأحد أن يعارضها، لا بمثلها ولا بأقوى منها.

ومعجزات الأنبياء - زيادة على أنها تأييد للرسول ودلالة على صدقهم - هي من دلائل وجود وربوبية محدثها وموجدتها ﷺ وإثبات وحدانيته؛ بل هي من أقوى الطرق - التي دلّ عليها القرآن

وإدراكه، وهذه حقيقة المعجزة في اصطلاح الشرع؛ فالمقصود منها: إثبات عجز الخلق وضعفهم عن الإتيان بها أو بمثلها أو ما يقاربها، أو معارضتها؛ للدلالة على صدق الرسول ﷺ والرسالة واتباعهما. فيظهر بهذا أن بين المعنى اللغوي والشرعي تناسباً وتوافقاً واضحاً.

❁ سبب التسمية:

سمّيت المعجزة بهذا الاسم؛ لعجز الخلق وضعفهم عن الإتيان بها أو بمثلها أو ما يقاربها، أو معارضتها.

❁ الأسماء الأخرى:

المعجزة هي: البينة، والبرهان، وآيات النبوة، وعلاماتها، وأعلامها، وأدلتها، والخارق للعادة.

❁ الحكم:

يجب على المسلم أن يعتقد أن الله ﷻ أرسل رسوله ﷺ لدعوة الناس إلى توحيده ودينه، وأنه أيدهم - بعلمه وقدرته وغناه - بدلائل النبوة الكثيرة المتنوعة، والتي منها: الآيات والبيّنات والبراهين - والتي سماها المتأخرون بالمعجزات - المناسبة لأهل زمانهم؛ للدلالة على صدق نبوتهم وأنهم مرسلون من عند الله تعالى حقاً؛ ولذا يتبعها دائماً نصرهم وحصول العاقبة لهم ولأتباعهم، وإهلاك أعدائهم، مع قلة العدد والعدد!

الأدلة:

أما الأدلة على تأييد الله تعالى لأنبيائه ﷺ بالمعجزات (الآيات، والبينات، والبراهين)، وأنها دالة على صدقهم وصحة رسالتهم؛ فمنها: قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨]، وقوله ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وقوله: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالرُّبْرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِّن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٠]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]. والآيات في هذا الباب أكثر من أن تحصر، ودلالتها على المقصود ظاهرة بيّنة. والحمد لله.

وثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبيٍّ إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً

وأرشد إليها العباد - التي يستدل بها على وجود الله تعالى وتوحيده وأصحتها وأوثقها، وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله وصدق رسله واليوم الآخر.

ودلائل النبوة ومعرفة صدق النبي ليست محصورة في المعجزات - التي هي الخوارق -؛ بل تكون بالمعجزات وغيرها من الطرق الكثيرة المتنوعة - خلافاً لمن خالف في ذلك من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم -؛ مثل: النظر في أحوال الأنبياء وما اشتهروا به من الصدق والأمانة ومكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، والنظر فيما جاؤوا به من التشريعات والأخبار وما فيها من إحكام وإتقان، ينتظم مصالح العباد في الدنيا والآخرة، مما يعلم أن مثله لا يصدر إلا من نبي صادق بار، وتأييد الله تعالى لهم تأييداً مستمراً لا ينقطع، وجعل العقابة لهم ولأتباعهم ولو بعد حين، إلى غير ذلك من الدلائل المعروفة^(١).

(١) انظر: الشُّفَا للفاضل عياض (٣٤١/١) وما بعدها، (٥٢٣) [مطبوعة عيسى البابي الحلبي]، والنبُوت (١٢، ٣٦، ١١٢، ١١٤، ١٦٥، ٢٠٢ - ٢٠٦، ٢٢٠، ٢٥٩، ٢٧١، ٢٩٩)، ومجموع الفتاوى (٢٧٥/١١، ٣١١، ٣٧٩)، والجواب الصحيح (١/٣٩٩، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٥/٥، ٤٠٥، ٤١٢، ٤١٩، ٤٠٠/٦، ٤٠١، ٥٠٠)، وشرح العقيدة الأصفهانية (١٢٠، ٢٠٨) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ]، والصَّوَائِقُ الْمُرْسَلَةُ (١١٩٧/٣)، والبداية والنهاية (٩٩/٢، ٧٧/٦، ٢٨٨) [دار إحياء التراث

العربي، ط١، ١٤٠٨هـ]، والفصول في سيرة الرسول ﷺ (٢٢٨، ٢٨٧) [مؤسسة علوم القرآن بدمشق، ط٣، ١٤٠٣هـ]، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١/١٤٠، ٢/٧٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٧هـ].

به، ويؤيدهم بها سبحانه؛ كانشقاق القمر، ونزول القرآن، فإن القرآن هو أعظم معجزة الرسول على الإطلاق، وكحنين الجذع، ونبوع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك من المعجزات الكثيرة»^(٣).

المسائل المتعلقة:

١- المسألة الأولى: لفظ (المعجزة) لا يعرف في الكتاب والسنة:

من المسائل المتعلقة بالمعجزة: ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية^(٤) رَحِمَهُ اللهُ مِنْ أَنَّ لَفْظَ (المعجزات) لا يعرف في الكتاب والسنة؛ وإنما في القرآن لفظ: الآية، والبينة، والبرهان، وهذه الأسماء تدلُّ على مقصود آيات الأنبياء، وتختص بها ولا تقع على غيرها، بخلاف: (المعجزة) و(خرق العادة)، وإن كان ذلك من بعض صفاتها؛ فهي لا تكون آية وبرهاناً حتى تكون قد خرقت العادة وعجز الناس عن الإتيان بمثلاً. وسبق ذكر كثير من الآيات التي فيها هذه الألفاظ في (الأدلة)؛ فراجعها.

ثم إن إطلاق (المعجزة) على ما كان للأنبياء من خوارق العادات، و(الكرامة) على خرق العادة للأولياء؛ لم يكن

أوحاه الله إليّ؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»^(١). والقرآن ذكر أدلة وافرة على معجزات الأنبياء بأعيانهم، لم نذكرها هنا طلباً للاختصار.

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «آيات الأنبياء هي التي تعلم أنها مختصة بالأنبياء، وأنها مستلزمة لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، وهي لا بد أن تكون خارقة للعادة، خارقة عن قدرة الإنس والجن، ولا يمكن أحداً أن يعارضها. لكن كونها خارقة للعادة ولا يمكن معارضتها هو من لوازمها، ليس هو حداً مطابقاً لها. والعلم بأنها مستلزمة لصدقهم قد يكون ضرورياً؛ كانشقاق القمر، وجعل العصا حية، وخروج الناقة؛ فمجرد العلم بهذه الآيات يوجب علماً ضرورياً بأن الله جعلها آية لصدق هذا الذي استدل بها؛ وذلك يستلزم أنها خارقة للعادة، وأنه لا يمكن معارضتها؛ فهذا من جملة صفاتها، لا أن هذا وحده كاف فيها»^(٢).

وقال السعدي: «إن المعجزة هي ما يجري الله على أيدي الرسل والأنبياء من خوارق العادات التي يتحدون بها العباد، ويخبرون بها عن الله لتصديق ما بعثهم

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٤٩٨١)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٢).

(٢) النبوات (٢٠٣)، بتصرف يسير. وانظر منه: (٢٢٠).

(٣) التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة (١٠٧).

(٤) انظر: الجواب الصحيح (٤١٢/٥)، والنبؤات (٢٢٠).

معجزة لنبي من الأنبياء فهي معجزة لخاتمهم محمد ﷺ؛ وذلك أن كلاً منهم بشر بمبعثه، وأمر بمتابعته؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا أَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران]؛ فما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه العهد والميثاق: لئن بعث محمد ﷺ وهو حي ليؤمنن به وليتبعنه ولينصرنّه.

- المسألة الثالثة: كل معجزة لنبي فلنبينا ﷺ أمثالها:

ومن المسائل المتعلقة أيضاً: ما ذكره بعض العلماء^(٣) من: أن كل معجزة لنبي فلنبينا أمثالها؛ فمن ذلك مثلاً: نجاة نوح ﷺ في السفينة بالمؤمنين، ولا شك أن حمل الماء للناس من غير سفينة أعظم من السلوك عليه في السفينة - لأن حمل الماء للسفينة معتاد -، وقد مشى كثير من الأولياء على متن الماء؛ فهذا أبلغ من ركوب السفينة، وأبلغ أيضاً من فلق البحر لموسى ﷺ؛ لأن معجزته انحسار الماء، وها هنا صار الماء جسداً يمشون عليه كالأرض. وكرامات الأولياء معجزة للأنبياء؛ فهذه المعجزة منسوبة

معروفاً عن السلف والأئمة المتقدمين - كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وغيره -؛ فقد كانوا يسمّون هذا وهذا معجزات، بخلاف المتأخرين من أهل الكلام؛ فالمعجزة في اللغة وعرف المتقدمين تعم كل خارق للعادة، ويقولون لخوارق الأولياء: إنها معجزات إذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك، بخلاف ما كان آية وبرهاناً على نبوة النبي فهذا يجب اختصاصه.

وقد يسمّون (الكرامات) آيات؛ لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي؛ فهذه الكرامات إنما حصلت ببركة اتباع هذا النبي؛ فهي في الحقيقة تدخل في معجزاته - فكرامات الأولياء معجزات للأنبياء -، والدليل مستلزم للمدلول، يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول؛ فكذا ما كان آية وبرهاناً - وهو الدليل والعلم على نبوة النبي - يمتنع أن يكون لغير النبي^(١).

- المسألة الثانية: كل معجزة لنبي من الأنبياء هي معجزة لخاتمهم محمد ﷺ:

ومن المسائل المتعلقة أيضاً: ما ذكره غير واحد من العلماء^(٢) من أن: كل

(١) انظر: الجواب الصحيح (٤١٩/٥)، ومجموع الفتاوى (٣١١/١١). وانظر منه (٢٧٥/١١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، والبداية والنهاية لابن كثير (١٦٩/٦، ٢٦٦، ٢٨٩).

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢٨٩/٦).

(٣) المرجع السابق.

إلى النبي ﷺ وبركة اتباعه.

- المسألة الرابعة: دلائل النبوة لا تنحصر بالمعجزة:

دلائل النبوة ومعرفة صدق النبي ليست محصورة في المعجزات التي هي الخوارق؛ بل تكون بالمعجزات وغيرها من الطرق الكثيرة المتنوعة، خلافاً لمن خالف في ذلك من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم؛ مثل: النظر في أحوال الأنبياء وما اشتهروا به من الصدق والأمانة ومكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، والنظر فيما جاؤوا به من التشريعات والأخبار وما فيها من إحكام وإتقان، ينتظم مصالح العباد في الدنيا والآخرة، مما يعلم أن مثله لا يصدر إلا من نبي صادق بار، وتأيد الله تعالى لهم تأييداً مستمراً لا ينقطع، وجعل العقابة لهم ولأتباعهم ولو بعد حين، إلى غير ذلك من الدلائل المعروفة.

- المسألة الخامسة: معجزات الأنبياء من دلائل وجود وربوبية محدثها:

معجزات الأنبياء - زيادة على أنها تأيد للرسول ودلالة على صدقهم - هي من دلائل وجود وربوبية محدثها وموجدتها ﷺ وإثبات وحدانيته، بل هي من أقوى الطرق - التي دلَّ عليها القرآن وأرشد إليها العباد - التي يستدل بها على وجود الله تعالى وتوحيده وأصحتها وأوثقها، وأدلها على الصانع وصفاته

وأفعاله وصدق رسله واليوم الآخر، ودلائلها ضرورية بنفسها؛ ولذا يسميها الله تعالى في غير موضع من القرآن الكريم: (آيات بيّنات)؛ فهي تدل بنفسها على ثبوت الصانع كسائر الحوادث، وهي تزيد على عموم الحوادث بأن دلالة الحوادث الغريبة غير المعتادة ليست كالحوادث المعتادة، فإذا اقترن خرق العادة مع دعوى الرسالة دلَّ ذلك على وجود رب قادر على كل شيء، وأنه سبحانه أراد أن يؤيد بهذه المعجزة نبّه، وأن يقيم بها الحجة على مخالفه، وأمر باتباعه وطاعته، ولا وجه لوقوعها غير ذلك؛ فيكون التلازم بين وقوعها والدلالة على صدق النبي ضرورياً.

وبتعبير آخر نقول: لما ثبتت النبوة بحصول المعجزة؛ وجب تصديق النبي، وقبول سائر ما يخبر به عن الله تعالى واليوم الآخر والأمور الغيبية، والاستجابة لما يدعو إليه، وأعظم ما يدعو إليه: إثبات ربوبية الله تعالى، ووحدانيته، ولزوم طاعته وشرعه؛ فدل ذلك على أن المعجزات من أعظم دلائل ربوبية الله ﷻ ووحدانيته. والحمد لله.

- المسألة السادسة: معجزات الأنبياء منها الظاهر البين ومنها ما ليس كذلك:

دلائل النبوة والمعجزات - كدلائل الربوبية - منها الظاهر والبين لكل أحد (كالمعجزات الحسية)؛ لحاجة الناس

❁ الفروق:

الفرق بين دلائل النبوة والمعجزات:

تقدم بيان أنّ المعجزات نوع من أنواع دلائل النبوة الكثيرة، وأنّ دلائل النبوة لا تنحصر في المعجزات؛ فبينهما إذن عموم وخصوص؛ فكل معجزة هي من دلائل النبوة، ولا عكس.

❁ الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على الإيمان بمعجزات الأنبياء: إثبات وجود الله ﷻ، وربوبيته ووحدانيته سبحانه، وإثبات حياته وقدرته وإرادته، وعلمه بالكيلات والجزئيات، وصدق رسالة الرسل الكرام، والمبدأ والمعاد، كما تقدم تفصيله.

ومن الثمرات أيضاً: بيان شدة اعتناء رب العالمين ﷻ بأنبيائه ورسله ﷺ، وتكريمه وتعظيمه لهم؛ بتأييدهم بالآيات والمعجزات الباهرات، والبراهين والبيّنات الواضحات.

ومن الثمرات أيضاً: بيان كمال حكمة الله تعالى، وعظيم فضله على الناس ورحمته بهم؛ بإقامة الحجة عليهم بإرسال الرسل، وتأييدهم بالمعجزات التي لا تدع لمتشكك مقالاً، ولا لراغب في الحق حيرة وضلالاً إلا أبدلتها نوراً وبرهاناً.

❁ الحكمة:

تقدم أنّ الحكمة من معجزات

إلى الإقرار بالخالق والإقرار برسله، ومنها ما يختص به من عرفه (كإعجاز القرآن مثلاً)؛ فلا يلزم ضرورة أن تكون كل آية ومعجزة صالحة لكل أحد؛ بل يستدل لكل واحد بما يناسبه من الآيات والدلائل.

- المسألة السابعة: مقارنة بين معجزاته ﷺ ومعجزات غيره من الأنبياء:

أنبياء الله ﷺ عندما أرسلهم إلى أممهم وأقوامهم، أنزل معهم معجزات حتى يصدقهم الناس ويؤمنوا برسالاتهم، ويعلمون أنهم أنبياء من عند الله تعالى حقاً. واختلفت معجزات الأنبياء، وكانت معجزة كل نبي مناسبة لمن أرسل إليهم من أقوامهم، وهي معجزاتٌ وقتية حسية يراها الناس فيؤمنون بها ويستجيبون لرسولهم، وهذه المعجزات تنتهي بموتهم، وسبب ذلك أن الأنبياء والمرسلين قبل نبينا محمد ﷺ جاؤوا لأقوامهم خاصة، أما نبوة محمد ﷺ ورسالته فهي عامة للبشرية جميعاً؛ لأنه آخر الأنبياء والرسل فلا نبي بعده، ولأجل هذا كان لا بد أن تكون معجزته معجزة عالمية دائمة ومستمرة حتى بعد وفاته ﷺ، يصلح التحدي بها وإظهار إعجازها في كل زمان ومكان؛ فكانت تلك المعجزة هي كتاب الله تعالى، القرآن الكريم.

معجزات الأنبياء مختصة بهم لا يشركهم فيها غيرهم، مستلزمة لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، وأن خرقها للعادة وسلامتها من المعارضة من لوازمها وجملتها صفاتها، لا أن هذا وحده كاف فيها؛ فشرط الشيء ولوازمه قد يكون أعم منه؛ فلا يصح أن يجعل مسمى المعجزة وخرق العادة هو الحد المطابق لها طردًا وعكسًا.

ثم افترقوا فريقين: فأنكر المعتزلة خوارق العادات لغير الأنبياء؛ فنفوا كرامات الأولياء والسّحر؛ لثلاث تشبه عندهم بالمعجزات، فيؤدّي إلى التباس النبي بالوليّ بالسّاحر، وليسلم لهم دليل النبوة^(٣)! وهذا أيضًا باطل ومجازفة، مصادم للكتاب والسنة وما تواتر نقل الناس له عبر العصور من إثبات الكرامات والسّحر.

أما الأشاعرة والماتريدية؛ فيثبتون كرامات الأولياء والسّحر، ويرون أنها والمعجزات من جنس وحقيقة واحدة! ويفترقان في دعوى النبوة والتحدي بالمثل^(٤)؛ فيجيزون أن يكون كل خرق

الأنبياء: الدلالة على صدق نبوتهم وصحة رسالتهم واتباعهم، وتمييزهم عن المتنبئين الكذابين.

❁ مذهب المخالفين:

حصر المعتزلة والأشاعرة والماتريدية - خلافاً لأبي منصور الماتريدي نفسه - دلائل النبوة في المعجزات؛ فلم يصحّحوا طريقاً يقينياً لإثبات صدق الأنبياء وصحة رسالتهم إلا بالمعجزات^(١)! وهذا باطل عقلاً ونقلاً؛ فدلائل النبوة ومعرفة صدق النبي كثيرة متنوعة، والمعجزات إحداها وطريق من طرقها الصحيحة.

وقد عرّفوا جميعاً المعجزة وحدوها بأنها: «أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي يظهر على يد نبيّ، سالم من المعارضة»^(٢). وقد تقدم تقرير أن

(١) انظر للمعتزلة: المغني للقاضي عبد الجبار (١٥/

١٤٧) [المؤسسة المصرية العامة للتأليف]، وشرح الأصول الخمسة له (٥٦٨) [مكتبة وهبة، ط١، ١٣٨٤هـ]. وللأشاعرة: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات للباقلاني (٣٧)، والإنصاف له (٦١) [مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤١٣هـ]، والإرشاد للجويني (٢٦٠) [مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ]. وللماتريدية: التوحيد للماتريدي (١٨٨) [دار المشرق ببيروت]، وأصول الدين للبزدوي (٩٧) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٣٨٣هـ]، والتمهيد في أصول الدين لأبي المعين النسفي (٤٤) [دار الثقافة، القاهرة، ١٤٠٧هـ].

(٢) انظر للمعتزلة: المغني (١٥/٥٦٩)، وشرح الأصول الخمسة (٥٦٩). وللأشاعرة: البيان للباقلاني (٣٥،

٤٥)، وأصول الدين للبغدادي (١٧٠) [دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠١هـ]. وللماتريدية: التمهيد للنسفي (٤٦).

(٣) انظر: المغني لعبد الجبار (١٥/١٨٩، ٢٤١)، وأعلام النبوة للماوردي (٦٢) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ].

(٤) انظر للأشاعرة: البيان للباقلاني (٩١، ٩٦)، =

بمنزلة من سوى بين عبادة الرحمن وعبادة الشيطان والأوثان! (١).

ولئن كان جميع هؤلاء يشبثون اختصاص الأنبياء ﷺ بالمعجزات الدالة على صدقهم وصحة رسالتهم؛ فإن الشيعة الإمامية الاثني عشرية يسوون بين الأنبياء وأئمتهم في التأيد بالمعجزات؛ فيثبتون المعجزات أيضًا لأئمتهم تأييدًا من الله لهم - بزعمهم - لإثبات الإمامة وإقامة الحجة على الخلق بهؤلاء الأئمة، ويدعون أن أئمتهم يقدرّون على إحياء الموتى وإبراء الأكهم والأبرص وجميع معجزات الأنبياء (٢)؛ فالأئمة - عندهم - هم حجة الله على الخلق ولولاهم ما عُبد الله (٣)؛ ولعل هذا مرتبط أيضًا باعتقادهم في نزول الوحي على أئمتهم (٤)؛ فيحتاج الأئمة مع كل هذا

(١) الثبوت لابن تيمية (١٥٣).

(٢) انظر: ينابيع المعاجز وأصول الدلائل لهاشم البحراني (٢) [دار الكتب العلمية بقم]، وبحار الأنوار للمجلسي (٢٩/٢٧) [دار إحياء التراث، ط ٣، ١٤٠٣هـ]، وقلائد الخرائد في أصول العقائد للقزويني (٧٢) [مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٢م]، وعيون المعجزات لحسين بن عبد الوهاب (١٧)، ٢٢، ٢٥، ٣٢، ٥٧، ٨٠ [مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٣، ١٤٠٣هـ].

(٣) انظر: أصول الكافي (١٧٧/١)، (١٩٢) [دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٨٨هـ].

(٤) انظر: أصول الكافي للكليني (١٧٦/١)، ٢٧١، ٢٤٠، وبحار الأنوار للمجلسي (١٧/١٥٥)، ٢٦/٤٤، ٦٨، ٧٣، ٥٤/٢٣٧، ويصائر الدرجات الكبرى للصفار (٤٣، ٩٣) [المختصر، طبعة النجف، ١٣٧٠هـ]، والشفا للقاضي عياض =

لعادة من معجزات الأنبياء، حتى لو كان من جنس خوارق الشياطين! وهذا ظاهر البطلان، معلوم الفساد بالاضطرار من دين الرسل؛ فقولهم هذا لم يجعل «آيات الأنبياء ومعجزاتهم خاصة تتميز بها عن السحر والكهانة، وعما يكون لأحاد المؤمنين! ولم يجعلوا للنبي منزلة على عموم المؤمنين، ولا على السحرة والكهان من جهة الآيات التي يدل الله بها العباد على صدقه! وهذا افتراء عظيم على الأنبياء وعلى آياتهم، وتسوية بين أفضل الخلق وشرار الخلق، بل تسوية بين ما يدل على النبوة وما يدل على نقيضها؛ فإن ما يأتي به السحرة والكهان لا يكون إلا لكذاب فاجر عدو لله؛ فهو مناقض للنبوة! فلم يفرقوا بين ما يدل على النبوة وعلى نقيضها، وبين ما لا يدل عليها ولا على نقيضها! فإن آيات الأنبياء تدل على النبوة، وعجائب السحرة والكهان تدل على نقيض النبوة، وأن صاحبها ليس ببر ولا عدل ولا ولي لله، فضلًا عن أن يكون نبيًا، بل يتمتع أن يكون السّاحر والكاهن نبيًا؛ بل هو من أعداء الله، والأنبياء أفضل خلق الله، وإيمان المؤمنين وصلاحهم لا يناقض النبوة ولا يستلزمها؛ فهؤلاء سووا بين الأجناس الثلاثة؛ فكانوا = والإرشاد للجويني (٢٦٩). وللماتريدية: التمهيد للنسفي (٤٦).

- إلى معجزة تؤكد صدق دعواهم! فالأئمة عندهم - على هذا - أفضل وأعلم من جميع الأنبياء والمرسلين، بما فيهم أولو العزم من الرسل^(١)! وقد تعدت هذه الاعتقادات الصورة النظرية فاتخذت صورة واقعية، تمثلت في نسبة الخوارق والمعجزات لغائبهم المنتظر، ثم تجاوزوا بها إلى ادعاء حصولها عند قبور أئمتهم وأضرحتهم! ففتحوا على أنفسهم وأتباعهم أبواباً واسعة من الشرك بالله^(٢)؛ فالله المستعان.
- ٤ - «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.
- ٥ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العزّ الحنفّي.
- ٦ - «الصفدية» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٧ - «الفصول في سيرة الرسول ﷺ»، لابن كثير.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ١١، ١٥)، لابن تيمية.
- ٩ - «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (ج ٣)، لعبد الرحمن المحمود.
- ١٠ - «النبوات»، لابن تيمية.

المصادر والمراجع:

- ١ - «آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية»، لمحمد بن عبد العزيز الشايع.
- ٢ - «الجواب الصحيح» (ج ١، ٥، ٦)، لابن تيمية.
- ٣ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٨، ٩)، لابن تيمية.

المُعْزَّ

يراجع مصطلح (المعز المذل).

المُعْطِي المانع

التعريف لغة:

المُعْطِي: اسم فاعل من العطاء، وأصله الثلاثي (ع - ط - و) الدّال على الأخذ والمناولة، يقال: عطا وأعطي يعطي عطاءً وإعطاءً وعطية فهو معطٍ، والأعطية جمعها أعطيات: الهبة، وما يعطى من الهدايا، ورجل معطاء: كثير العطاء.

وتعاطي الشيء: الجرأة على تناول ما لا يجوز تناوله، والقيام على أطراف أصابع الرجلين مع رفع اليدين ليأخذه،

= (٢/١٠٧٠). ولمزيد من التفصيل راجع: أصول مذهب الشيعة للقفاري (١/٣١٠، ٢/٥٨٦، ٦١٢، ٦٢٣)، وعقيدة ختم النبوة للغامدي (١٤٣) [دار طيبة، الرياض، ١ ط، ١٤٠٥هـ].

(١) انظر: بصائر الدرجات الكبرى للضّئار (٥/٢٤٧) [طبعة إيران، ١٣٨٥هـ]، والفصول المهمة في أصول الأئمة للحرّ العاملي (١٥١) [مكتبة بصيرتي بقم]، وعيون أخبار الرضا لابن بابويه (١/٢٦٢) [طبعة إيران، ١٣١٨هـ]، والحكومة الإسلامية للخميني (٥٢) [الحركة الإسلامية، إيران، ومطبعة الخليج، الكويت]. وانظر: أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٦٢١-٦٢٩).

(٢) انظر: أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٦٢١-٦٢٩).

ومنه قوله تعالى: ﴿فَنَعَاظِي فَقَرَّ ۝١٩﴾ **التعريف شرعاً:**

[القمر] (١).

المانع: اسم فاعل من المنع، أصله الثلاثي مَنَعَ الدَّال على خلاف الإعطاء. قال ابن فارس: «الميم والنون والعين أصل واحد هو خلاف الإعطاء. ومنَعْتُهُ الشَّيْءَ مَنَعًا، وهو مانِعٌ وَمَنَاعٌ. وَمَكَانٌ مَنِيْعٌ. وهو في عِزٍّ وَمَنَعَةٍ» (٢).

يقال: منع يمنع منعًا فهو مانع ومَنَاعٌ، فالمنع: أن تحول بين شخص وشيء ما، ومنعه الشيء: حرمه منه، ومَنَاعٌ: بخيل بالأعطية، قال تعالى: ﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٌ ۝٢٥﴾ [ق].

ومانعه: نازعه، وامتنع عن الشيء: كف عنه، منعته فامتنع، وامتنع عليه الشيء: تعذر حصوله.

ومكان منيع: حصين، والمناعة: الحصانة، وهو في عزة ومنعة: حماية وممتنع عمن يروم، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٤١﴾ [النساء: ١٤١] (٣).

ومفردات ألفاظ القرآن (٧٧٩) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والمعجم الوسيط (٨٨٨/٢) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢هـ].

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦٣) [دار الثقافة العربية، ط ١]، والمنهاج في شعب الإيمان (٢٠٦/١) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩هـ]، ومدارج السالكين (١٠٣/١) [دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ]، جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام (٦٣١) [دار ابن الجوزي، ط ٣، ١٤٢٠هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٤) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٠٢/٣ - ١٠٣) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٧٨٨) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٢٤٣٠ - ٢٤٣١) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، والقاموس المحيط (١٦٩٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٦٠٩/٢) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢هـ].

(٢) مقاييس اللغة (٢٧٨/٥) [دار الجيل، ط ٢].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٩/٣) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٩٦٦) [دار الفكر، ط ٢]، والصحاح (١٢٨٧/٣) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م].

وهو الذي يعطيها لمن يشاء، ويمنعها من يشاء بحكمته ورحمته^(١).

الأدلة:

دلّت النصوص من السُّنة النبوية على ذلك، منها:

حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم، ولا تزال هذه الأمة ظاهرين على من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون»^(٣).

حديث المغيرة بن شعبة؛ أنه كتب إلى معاوية بن أبي سفيان؛ أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلّم: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللَّهُمَّ لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ»^(٤).

أقوال أهل العلم:

ذكر ابن القيم بعض الأسماء الحسنى وقال: «منها ما لا يطلق مفردة، بل مقروناً بمقابله، كالمانع والضار والمنتقم، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله بالمعطي والنافع والعفو، فهو المعطي المانع الضار النافع المنتقم العفو...»^(٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣١١٦) واللفظ له، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٣٧).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٤٤)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٩٣).

(٥) بدائع الفوائد (١/١٧٧).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

بالرجوع إلى المعنى اللغوي لاسم المعطي والمانع يتبين أن معناهما الشرعي متصل بالمعنيين الأصليين اللذين دلّ عليهما اسما المعطي والمانع بطريق المطابقة، فكلاهما دالٌّ على العطاء والمنع، فالله ﷻ يعطي ويهب من يستحق العطاء من خلقه، ويمنع من لا يستحق العطاء فيحرمه بحكمته، إلا أن معنى هذا الاسم الذي يتصف به الله تعالى هو خاص به لا يشاركه فيه أحد من المخلوقين.

الحكم:

اسم (المعطي المانع) من الأسماء الثابتة لله تعالى، كما وردت بذلك السُّنة الصحيحة.

الحقيقة:

دلّ اسم المعطي المانع أن الله تعالى متفرد بالعطاء والمنع، وأن حقيقة العطاء والمنع إليك لا إلى غيرك؛ بل هو سبحانه المتفرد بها لا يشاركه فيها أحد^(٢).

(١) تفسير السعدي (٩٤٨).

(٢) جلاء الأفهام (٤٦٠) [دار العروبة، الكويت، ط ٢، ١٤٠٧هـ].

ومن غريب ما يشار إليه هنا: أن بعض أهل العلم أورد اسم المانع دون المعطي ومن بينهم: الزجاج^(٧)، والخطابي^(٨).

المسائل المتعلقة:

اسمَي الجلال (المعطي والمانع) من الأسماء المتقابلة التي ينبغي أن يُثنى على الله بها مجموعة في سياق واحد؛ لأن الكمال المطلق من اجتماع الوصفين، وهذا لا يعني ألا يذكر اسم المعطي لوحده مطلقاً، وإنما اسم (المانع) الدال على المنع، الذي يتضمن بعض معاني النقص في بعض الأحوال إذا كان مطلقاً غير مضاف، أما إذا أُضيف إلى الله ﷻ فإن منعه تبارك وتعالى كله خير وحكمة، لا يمنع إلا لما فيه خير العباد ومصلحتهم، وفي كل منع له حكمة قد يدركها البشر وقد لا يدركونها؛ ولهذا قال أهل العلم بأن اسم (المانع) لا يُثنى به على الله ﷻ إلا بذكر مقابله (المعطي)، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: فإن هذه الأسماء المتقابلة لا يظهر الكمال المطلق فيها إلا باجتماع الوصفين، فالإعطاء المطلق من غير منع قد يكون فيه نقص وضرر،

(٧) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى (٦٣) [دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٧٤م].

(٨) انظر: شأن الدعاء (٩٣) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ].

وقال السعدي في شرح اسمَي (المعطي، المانع): «لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فجميع المصالح والمنافع منه تطلب، وإليه يرغب فيها، وهو الذي يعطيها لمن يشاء، ويمنعها من يشاء بحكمته ورحمته»^(١).

وذكر ابن عثيمين أن من الأسماء «الذي لا يطلق إلا مقروناً بغيره؛ لكون الكمال لا يحصل إلا به؛ كالضار النافع، والمنتقم والعفو، والمانع المعطي، إذ كمال التصرف لا يحصل إلا به»^(٢).

أورد هذا الاسم معظم من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها من أهل العلم، ولم يسقطه من جمعه سوى: الزجاجي، وابن العربي، وابن الوزير، وابن حجر، وصديق حسن خان، ومحمد حمود النجدي.

وبعض أهل العلم أثبت اسم المعطي دون المانع ومن بينهم: ابن حزم^(٣)، وابن عثيمين^(٤)، والقحطاني^(٥)، وعبد الرزاق البدر^(٦).

(١) تفسير السعدي (٩٤٨).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٤٦/٧).

(٣) انظر: المحلى (٣١/٨) [إدارة المطبعة المنيرية، ط١، ١٣٥٢هـ].

(٤) انظر: القواعد المثلى (٢٠) [دار الوطن، ط١، ١٤١٢هـ].

(٥) انظر: شرح أسماء الله الحسنى (١٩٧) [دار الإيمان].

(٦) انظر: فقه الأسماء الحسنى (٣٢٣) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

راضٍ قانع، فإن أغناه صرف في طاعته غناه، وإن منعه علم أنه لم يمنعه من بخل ولا عدم؛ بل ليكون منعه معقباً له ما هو أشرف وأكرم من الغنى الذي لا ينصره، فإن جاءه من أحد من الخلق سبب من أسباب الرزق فليرد ذلك إلى الواحد الحق، وإن منعه أحد من الناس فلا يرى المانع إلا الله، فيضرب عن الأسباب صفحاً، ويجعل الله هو الكل، وكل موجود مع القدرة كالظل، لا حكم له في الفعل، فلا يذم مانعاً بوجه، ويمدح معطيّاً إلا من حيث ينظر إلى الله فيمدحه لمدح الله إياه، إذ جرت بالخير يده على ما أجراهما الله^(٢).

٣ - كما ينبغي للعبد أن يعلم يقيناً أن العطاء لله ﷻ أحب إليه من المنع، كما أن العفو أحب إليه من الانتقام، فلا يتعرض لأسباب سخطه وغضبه حتى ينال منه عطاء لا منع فيه، وجوداً وكرماً لا انقطاع له، وإن هو وقع في مساخطه ومناهيه «فقد استدعى من الجواد الكريم خلاف ما هو موصوف به من الجود والإحسان والبر، وتعرض لإغضابه وإسقاطه وانتقامه، وأن يصير غضبه وسخطه في موضع رضاه، وانتقامه وعقوبته في موضع كرمه وبره وعطائه، فاستدعى بمعصيته من أفعالهما سواء

والمنع المطلق من غير إعطاء قد يكون فيه نقص وضرر على العباد، والكمال في اجتماع الإعطاء والمنع وفق الحكمة والمصلحة، وذلك شأن رب العالمين^(١).

الآثار:

١ - إيمان العبد بأن الله هو المعطي والمانع، وأنه لا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى، يدفعه إلى التوجه الصادق إلى مولاه، وإخلاص العبادة له، والتقرب إليه بالصالحات، رغبة فيما عنده من الخيرات وسائر البركات والرحمات، وخشية من الحرمان؛ لأنه تعالى هو المتفرد بالعطاء والمنع، فلا يلتفت العبد إلى غير الله بالسؤال وطلب الخيرات، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، بل يطلب ذلك كله من ماله وواهبه سبحانه.

٢ - يجب على من علم أن الله هو المعطي المانع أن يقطع من قلبه من الخلق المطامع، وأن يقف مع الله بقلب

(١) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/٢٠٦)، مجموع الفتاوى (٨/٩٤، ٩٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١، ١٤١٦هـ]، ومنهاج السنة (٥/٤١٠) [جامعة الإمام، ١، ١٤٠٦هـ]، وبيان تلبس الجهمية (٣/٣٠٠، ٣٠١) (٤/٣٧ - ٣٩) (٧/٤٦٥)، [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١، ١٤٢٦هـ]، والرسالة الأكملية (٣٩) [مطبعة المدني، ١٤٠٣هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٤).

(٢) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٣٥٧) [دار الصحابة، ١، ١٤١٦هـ].

فلحقه الشيخ وقال له: أرجع روح خادمي، فامتنع ملك الموت، فسحب منه الشيخ الظرف الذي فيه الأرواح، وكان على هيئة الزنبيل، ففترقت الأرواح وعادت إلى أبدان أصحابها، فشكى ملك الموت ذلك إلى ربه، فقال له: لم تعطه روح خادمه؟ فبسبب روح واحدة ذهبت الأرواح كلها^(٣).

وجاء في الكتاب نفسه أن رجلاً جاء إلى الغوث الأعظم - يعني: الجيلاني - وقال: «هذا الباب العالي قبلة الحاجات وملجأ النجاة، فأنا ألتجئ إليه، وأطلب ولداً ذكراً» ثم ذكر أن الشيخ أخبره بأنه سيأتيه ما طلب فلزمه الرجل حتى ولدت له أنثى، فأخذها وجاء بها إلى الشيخ وقال له: ما هكذا الطلب، فقال له الشيخ: لفها وارجع بها إلى البيت وسترى ما يظهر من وراء أستار الغيب ففعل الرجل ذلك فإذا هي ولد^(٤).

فتوجهوا انطلاقاً من هذا وأمثاله إلى غير الله بطلب المدد، والمال والصحة والولد، وتفريج الكرب، وإنجاح الطلبات، وتحقيق الرغبات، والاستغاثة بهم فيما لا يقدر عليه أحد إلا الله

أحب إليه منه، وخلاف ما هو من لوازم ذاته من الجود والإحسان^(١).

٤ - كما أن مُشاهدة العبد بقلبه تفرّد الله ﷻ بالعطاء والمنع؛ وتعبّده بمقتضاهما: يجعل حظّه منهما الشكر عند العطاء؛ والافتقار عند المنع، ولا يرى أنه ترك شيئاً؛ ولا أخذ شيئاً؛ بل الله وحده هو: المُعْطِي المانع^(٢).

❁ مذهب المخالفين:

خالف في هذا الباب طوائف من أهل البدع؛ كالصوفية وسائر القبورية، فلم يفردوا الله بالعطاء والمنع، ولم يخصصوا الله سبحانه بأنه المعطي المانع، فقد اعتقدوا في بعض المخلوقين ممن يسمونهم بالأولياء أنهم يملكون النفع والضرر، والعطاء والمنع، واخترعوا لإثبات ذلك قصصاً مملوكة وحكايات باردة؛ كمثّل ما ذكر في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني من أن أحد خدامه توفي فجاءت زوجته تتضرع وتستغيث بالشيخ وتلتجئ إليه، فتوجه الشيخ إلى المراقبة فرأى في عالم الباطن ملك الموت وهو يصعد بالأرواح المقبوضة،

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٢١٢، ٢١٣) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ]. وانظر: نفس المصدر (١/٢١١، ٢١٢)، فقه الأسماء الحسنى (٣٢٦) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/٢٠)، الفوائد (٧٩) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(٣) انظر: تفريج الخاطر في ترجمة الشيخ عبد القادر لعبد القادر محيي الدين (٢١، ٢٢) [أصل الكتاب بالفارسية لمحمد صادق القادري، ترجمه إلى العربية عبد القادر محيي الدين، وسّاء: تفريج الخاطر].
(٤) تفريج الخاطر في ترجمة الشيخ عبد القادر (٢٢).

كما أنه سيميتكم ويأتي بقوم بعدكم، إله مع الله يفعل هذه الأفعال؟ لا أحد يفعل مع الله شيئاً من ذلك حتى بإقراركم أيها المشركون، ولهذا كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله مخلصين له الدين لعلمهم أنه وحده المقتدر على دفعه وإزالته»^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٤ - «جلاء الأفهام»، لابن القيم.
- ٥ - «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.
- ٦ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.
- ٧ - «الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال»، لابن تيمية.
- ٨ - «صفات الله وعجائب الوارد في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.
- ٩ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.
- ١٠ - «مدارج السالكين» (ج ١)، لابن القيم.
- ١١ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

الواحد الأحد سبحانه، وصرفوا إليهم أنواعاً من القربات؛ كالذبح والنذر والطواف حول القبور والأضرحة، والتمسح بتربتها، وغير ذلك، فوقعوا بذلك في الشرك الصريح، قال الله تعالى: ﴿...ذَلِكَ كُفْرُكُمْ لَهُ الْمَلَكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۖ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَايِرٍ ۖ (١٤)﴾ [فاطر].

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾؛ «أي: لا يقدرون على ما تطلبون منها»^(١).

وقال الله سبحانه: ﴿أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ [النمل].

قال السعدي في تفسيرها: «أي: هل يجيب المضطر الذي أقلقته الكروب وتعسر عليه المطلوب واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله وحده؟ ومن يكشف السوء؟ أي: البلاء والشر والنقمة إلا الله وحده؟ ومن يجعلكم خلفاء الأرض يمكنكم منها ويمد لكم بالرزق ويوصل إليكم نعمه وتكونون خلفاء من قبلكم،

(١) تفسير ابن كثير (٥٤١/٦) [دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي (٦٠٨).

١٢ - «المنهاج في شعب الإيمان»، شيء ﷻ، وقد تكون خاصة بنصره للحليمي .
أوليائه وحفظهم وتأييدهم .

الحكم:

إثبات صفة المعية لله تعالى وأنها معية عامة لعموم خلقه، لا يخفى عليه من أحوالهم شيء، ولا يغيب عن علمه وتصرفه قليل ولا كثير من شؤونهم، وإثبات المعية الخاصة لمن شاء من خلقه بالتأييد والنصرة والإعانة والحفظ والرعاية منه ﷻ^(١).

الحقيقة:

صفة المعية ثابتة لله ﷻ كما أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ وأثبتها له أهل العلم تبعاً لذلك، والمفهوم منها لغة وشرعاً هو مطلق المصاحبة والمقارنة، ثم تتحدد حسب متعلقاتها الواردة في النص الشرعي، فقد تكون معية علم وإحاطة، وقد تكون معية تأييد وتوفيق، وقد تكون معية نصرة وإعزاز، وقد تكون معية حفظ ورعاية، فتتحدد معانيها حسب متعلقاتها، ولا تعني بحال أن معية الله معية اختلاط وامتزاج بخلقه، فإن ذلك معنى مرفوض ومردود شرعاً وعقلاً؛ إذ إن علو الله على خلقه علو ذاتي فهو على عرشه بائن من خلقه سبحانه، ونصوص المعية تثبت معيته

معية الله ﷻ

التعريف لغة:

الميم والعين كلمة تدلُّ على اختلاط، كما تفيد المصاحبة واجتماع شيئين وضم الشيء إلى الشيء وما أشبه ذلك، وتكون بمعنى (عند)، وأصلها: معاً، تقول: كنا معاً أي: جميعاً^(١).

التعريف شرعاً:

معية الله ﷻ: أن الله سبحانه مع خلقه بعلمه وإحاطته بهم كافة، وليس مخالطاً لهم، ومع أوليائه بالنصر والحفظ^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي مرتبط بالمعنى اللغوي من ناحية أن المعية مطلق المصاحبة، إلا أن المعنى الشرعي يفيد أن معية الله ﷻ لخلقه ليس فيها امتزاج ولا اختلاط، وإنما هي عامة لكل الخلق، لا يخفى عليه من أحوالهم شيء، وتدبيره وتصرفه بهم لا يحول دونه شيء، ولا يعجزه

(١) مقاييس اللغة (٢٧٣/٥)، والقاموس المحيط (٩٨٧)، المعجم الوسيط (٨٧٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٩٦/٣)، ومختصر الصواعق المرسله (١٢٤٦/٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٩٦/٣)، ومختصر الصواعق المرسله (١٢٤٦/٣) وما بعدها.

سبحانه لخلقه فليس بينهما تعارض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة»^(١)، فيثبت له سبحانه العلو المطلق والعلو الذاتي، وتثبت له المعية العامة والمعية الخاصة على ما يأتي بيانه في الأقسام، وليس في ذلك تعارض؛ إذ إن المعية لا يلزم منها الاختلاط ولا الامتزاج لغة ولا شرعاً، فتقول: سرت والقمر، وسرت والنجم، ولا يعني ذلك أن القمر بجانبك وملاصق لك، وإنما هو في مكانه وأنت في مكانك، والمفهوم من ذلك أنك سرت مصاحباً له ومصاحباً لك.

الأهمية:

إن معية الله لخلقه من لوازم ربوبيته سبحانه وقيوميته على كل نفس، فهو مطلع على أحوالهم محيط بهم، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فهي من لوازم الربوبية والألوهية.

الأدلة:

وردت صفة المعية في القرآن الكريم على معنيين:

المعنى الأول: المعية العامة.

وقد وردت في مواضع من القرآن الكريم، منها:

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠٣/٥).

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَزِلُّ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة].

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُنَبِّئُونَ مَا لَا يُرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [يونس].

وقوله تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَنْهُمْ بَعْدَ مَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف].

المعنى الثاني: المعية الخاصة.

وقد وردت في القرآن الكريم في مواطن كثيرة؛ منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل].

مكان، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] إنما أراد به بعلمه لا بذاته^(٤).

قال ابن رجب بعد ذكره لآيات المعية: «ولم يكن أصحاب النبي ﷺ يفهمون من هذه النصوص غير المعنى الصحيح المراد بها، يستفيدون بذلك معرفة عظمة الله وجلاله وإطلاعه على عبادته وإحاطته بهم وقربه من عابديه وإجابته لدعائهم، فيزدادون به خشية الله وتعظيمًا وإجلالًا ومهابة ومراقبة واستحياء ويعبدونه كأنهم يرونه، ثم حدث بعدهم من قل ورعه وانتكس فهمه وقصده، وضعفت عظمة الله وهيبته في صدره، وأراد أن يرى الناس امتيازهم عليهم بدقة الفهم وقوة النظر، فزعم أن هذه النصوص تدل على أن الله بذاته في كل مكان كما حكى ذلك طوائف من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم، تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

وهذا شيء ما خطر لمن كان قبلهم من الصحابة رضي الله عنهم، وهؤلاء ممن يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وقد حذر النبي ﷺ منهم في حديث عائشة المتفق عليه^(٥).

(٤) الاعتقاد للبيهقي (١١٤، ١١٥)، [دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١، ط ١].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٥٤٧)، ومسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٦٥).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو عمر الطلمنكي رحمه الله: «وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن: أن ذلك علمه، وأن الله ﷻ فوق السماوات بذاته مستوٍ على عرشه كيف شاء»^(٢).

وقال ابن أبي زيد القيرواني المالكي: «وأنه فوق عرشه المجيد بذاته، وأنه في كل مكان بعلمه»^(٣).

قال الإمام أبو بكر بن الحسين البيهقي في كتاب «الاعتقاد»: «وفي كثير من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية أن الله بذاته في كل

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٥).

(٢) انظر: بيان تلبس الجهمية لابن تيمية (٣٨/٢).

(٣) رسالة ابن أبي زيد القيرواني [مطبوعة مصطفى الحلبي، ط ٢، ١٣٦٨هـ].

والتأييد والحفظ، وهذه لأوليائه أهل طاعته، ومنها قوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ٢]. وقال ابن عثيمين: «المعية درجات: عامة مطلقة، وخاصة مقيدة بوصف، وخاصة مقيدة بشخص. فأخص أنواع المعية ما قيد بشخص، ثم ما قيد بوصف، ثم ما كان عامًّا. فالمعية العامة تستلزم الإحاطة بالخلق علمًا وقدرة وسمًّا وبصرًا وسلطانًا، وغير ذلك من معاني ربوبيته، والمعية الخاصة بنوعيتها تستلزم مع ذلك النصر والتأييد»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: لوازم المعية العامة والخاصة:

إن لازم المعية هو العلم والإحاطة والسمع والبصر والتدبير بالنسبة للمعية العامة، أما المعية الخاصة فلازمها مع ما سبق النصر والحفظ والتأييد والإعانة، والنصوص الشرعية السابقة تدل على ذلك، وكلام أهل العلم في هذا كثير مدوّن في مظانه، وأهل السنة مجمعون على أن معية الله لخلقه لا تعني بحال اختلاطه ﷻ بهم ولا مازجته لهم، بل هو سبحانه فوق عرشه مستوٍ عليه بائن من خلقه، وعلمه محيط بهم، وأكدوا أن

وتعلقوا أيضًا بما فهموه بفهمهم القاصر مع قصدهم الفساد بآيات في كتاب الله تعالى مثل قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]. فقال من قال من علماء السلف حينئذ: «إنما أراد أنه معهم بعلمه»، وقصدوا بذلك إبطال ما قال أولئك مما لم يكن أحد قبلهم قاله ولا فهمه من القرآن... وحكى ابن عبد البر وغيره إجماع العلماء من الصحابة والتابعين في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾: أن المراد علمه، وكل هذا قصدوا به رد قول من قال إنه تعالى بذاته في كل مكان»^(١).

الأقسام:

معية الله تعالى لخلقه قسمان:

١ - معية عامة: وهي بمعنى العلم والإحاطة، وهذه للخلق كافة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [النحل: ٦٢].

٢ - معية خاصة: ومعناها النصرة

(٢) انظر: مختصر الصواعق (١٢٤٦/٣) وما بعدها.

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٤٠١/١)

[دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤١٥هـ].

(١) فتح الباري لابن رجب (٣٣١/٢).

اجتناب ما حرم الله، والمصارعة إلى فعل ما أمر به من الطاعات على وجه الكمال ظاهراً وباطناً، ولا سيما إذا دخل في الصلاة التي هي أعظم صلة ومناجاة بين العبد وربّه، فيخشع قلبه، ويستحضر عظمة الله وجلاله، فتقل حركاته، ولا يسيء الأدب مع ربه بالبصق أمامه أو عن يمينه^(٢).

✽ مذهب المخالفين:

المخالفون في المعية ثلاث طوائف:

أولاً: الجهمية ومن قال بقولهم في نفي الصفات كالمعتزلة وغيرهم في نفي صفة العلم عن الله ﷻ ونفي سمعه وبصره سبحانه^(٣)، والذين ينكرون علو الله ﷻ على خلقه واستواءه على عرشه فينكرون إحاطته بخلقهم علماً وبصراً وسمماً وقدرة، فهؤلاء كلهم ينكرون معية الله لخلقهم على المفهوم الذي ورد في النصوص^(٤).

ثانياً: أهل الحلول، فهم يقولون: إنه في كل مكان ولا يخلو منه مكان، وعزاه الأشعري إلى طائفة من المعتزلة، وعزاه السجزي وابن عبد البر والعمراني

اللغة العربية لا يلزم منها إثبات المعية في أمر الاختلاط والامتزاج وإنما مطلق المصاحبة، كما سبق ذكره في المعنى اللغوي.

- المسألة الثانية: تفسير المعية بالعلم ليس تأويلاً:

تفسير أهل السُّنة للمعية بالعلم أو غيره من المعاني التي يدل عليها السياق ليس من باب التأويل؛ إذ التأويل صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى مخالف للظاهر؛ وهنا في المعية ليس فيه صرف للفظ عن ظاهره، وإنما هو من باب تفسير اللفظ ببعض معانيه وما يدل عليه السياق؛ قال قوام السُّنة الأصبهاني ﷺ: «فإن قيل: قد تأولتم قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، قلنا: ما تأولنا ذلك، وإنما الآية دلت على أن المراد بذلك العلم؛ لأنه قال في آخرها: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١)».

✽ الثمرات:

١ - الإيمان بإحاطة الله ﷻ بكل شيء، وأنه مع علوه فهو مع خلقه، لا يغيب عنه شيء من أحوالهم أبداً.

٢ - أن هذه المعية إذا استحضرتها العبد في كل أحواله؛ فإنه يستحيي من الله ﷻ أن يراه حيث نهاه، أو أن يفترقه حيث أمره، فتكون عوناً له على

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٤١٩)، (٤٤٠).

(٣) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/٨٥) [دار المعرفة، ١٤٠٤هـ].

(٤) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٢٣٥) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣].

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة (٢/٢٩١).

وقوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] أن المعية لا تعني إلا المخالطة أو المصاحبة في المكان!!
والرد عليهم من وجوه:

أولاً: أن ظاهرها ليس كما ذكرتم؛ إذ لو كان الظاهر كما ذكرتم؛ لكان في الآية تناقض أن يكون مستوياً على العرش، وهو مع كل إنسان في أي مكان! والتناقض في كلام الله تعالى مستحيل.

ثانياً: قولكم: إن المعية لا تعقل إلا مع المخالطة أو المصاحبة في المكان! هذا ممنوع؛ فالمعية في اللغة العربية اسم لمطلق المصاحبة، وهي أوسع مدلولاً مما زعمتم؛ فقد تقتضي الاختلاط، وقد تقتضي المصاحبة في المكان، وقد تقتضي مطلق المصاحبة وإن اختلف المكان؛ فهذه ثلاثة أشياء:

١ - مثال المعية التي تقتضي المخالطة أن يقال: اسقوني لبناً مع ماء؛ أي: مخلوطاً بماء.

٢ - ومثال المعية التي تقتضي المصاحبة في المكان قولك: وجدت فلاناً مع فلان يمشيان جميعاً وينزلان جميعاً.

٣ - ومثال المعية التي لا تقتضي الاختلاط ولا المشاركة في المكان: أن يقال: فلان مع جنوده. وإن كان في

إلى بشر المريسي، وذكر هذا ابن عبد البر بسنده عن وكيع قال: «كفر بشر المريسي في صفته هذه، قال: هو في كل شيء، قيل له: وفي قلنسوتك هذه؟ قال: نعم. قيل له: وفي حمارك؟ قال: نعم». ونسب هذا القول إلى النجارية الشهرستاني وعزاه ابن تيمية إليهم وإلى صوفية وعباد الجهمية. وهو قول ينسجم مع الدعوى الكفرية، وهي دعوى الحلول وكذلك دعوى وحدة الوجود^(١).

ثالثاً: قول من يقول: إن الله بذاته في كل مكان وهو مستوٍ على عرشه، عزاه الأشعري إلى زهير الأثري وأبي معاذ التومني، وعزاه ابن تيمية إلى أبي طالب المكي وأتباعه وأبي الحكم بن برجان من السالمية^(٢).

✽ الرد عليهم:

شبهة الذين يقولون: إن الله في كل مكان أو إن الله بذاته في كل مكان وهو مستوٍ على عرشه: ظنهم أن قول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]،

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٢٨٦، ٣٥١)، ورسالة السجزي إلى أهل زبيد [الجامعة الإسلامية، ط ٢]، والتمهيد لابن عبد البر (٧/١٤٣٩)، والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية للعمري (٢/٦٠٩) [أضواء السلف، ١٤١٩هـ]، والملل والنحل للشهرستاني (١/٧٧)، ومجموع الفتاوى (٢/٢٩٨).

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٣٥١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/٢٩٩).

في مكان. وإما أن يكون متعددًا؛ يعني: كل إله في جهة ضرورة تعدد الأمكنة.

خامسًا: أن نقول: قولكم هذا أيضًا يستلزم أن يكون الله حالًا في الخلق؛ فكل مكان في الخلق؛ فالله تعالى فيه، فصار هذا القول متفقًا مع قول الحلوية وأهل وحدة الوجود^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «الآثار المروية في صفة المعية»، لمحمد التيمي.

٢ - «إثبات علو الله ومباينته لخلقه والرد على من زعم أن معية الله لخلقه ذاتية»، لحمود التويجري.

٣ - «رسالة المعية»، لابن باز.

٤ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣، ٥)، لابن تيمية.

٥ - «بيان تلبس الجهمية» (ج ١)، لابن تيمية.

٦ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.

٧ - «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد»، للبيهقي.

٨ - «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.

٩ - «شرح العقيدة الواسطية» (ج ١)، لابن عثيمين.

(١) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (١/٤٠٧ - ٤٠٩).

غرفة القيادة، لكن يوجههم. فهذا ليس فيه اختلاط ولا مشاركة في مكان. ويقال: زوجة فلان معه. وإن كانت هي في المشرق وهو في المغرب. فالمعية إذاً كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله وكما هو ظاهر من شواهد اللغة: مدلولها مطلق المصاحبة، ثم هي بحسب ما تضاف إليه، فإذا قيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل]، فلا يقتضي ذلك لا اختلاطًا ولا مشاركة في المكان، بل هي معية لائقة بالله ﷻ، ومقتضاها النصر والتأييد.

ثالثًا: نقول: وصفكم الله ﷻ بهذا من أبطل الباطل وأشد التنقص لله ﷻ، والله ﷻ ذكره عن نفسه متمدحًا؛ أنه مع علوه على عرشه؛ فهو مع الخلق، وإن كانوا أسفل منه، فإذا جعلتم الله ﷻ في الأرض؛ فهذا نقص، إذ جعلتم الله ﷻ بذاته معكم في كل مكان، وأنتم تدخلون الكنيف، ويكون الإنسان في بعض أحواله في مكان يستنكف أن يكون هو فيه مع غيره أو غيره معه فيه، فكيف يقال ذلك عن الله ﷻ. هذا أعظم التنقص، حاشا ربنا من ذلك!

رابعًا: يلزم على قولكم هذا أحد أمرين لا ثالث لهما، وكلاهما ممتنع: إما أن يكون الله متجزئًا، كل جزء منه

١٠ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن

أبي العز.

لم يثبت أن المعين من أسماء الله ﷻ،
لكن يخبر عن الله ﷻ أنه هو المعين،
فلا تسوغ تسمية الله ﷻ بالمعين، أو
دعائه به، أو التعبد به فيقال:
عبد المعين، لعدم ثبوت النص في كونه
اسماً لله ﷻ.

المُعِين

التعريف لغة:

المُعِين: اسم فاعل من العون،
وفعله: عان يعين عوناً فهو معين وجمعه
أعوان، وأعان يعين عوناً ومعونة فهو
معين، وتقول: أعنته إعانة، وتعاونوا
وعاونوا: أعان بعضهم بعضاً، من
التعاون وهو التظاهر والمساعدة، ورجل
مِعْوَان: حسن المعونة، وكثير المعونة
للناس، والماعون: التعاون قال ﷻ:
﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون] (١).

الحقيقة:

المُعِين: هو الذي لا يحتاج في شيء
من أموره إلى مُعِين، وما له من
المخلوقين من ظهير، وليس له ولي من
الذل، فهو سبحانه بالغ أمره، فكل ما
يطلبه فهو يبلغه ويناله، ويصل إليه
وحده، لا يعينه أحد (٣).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا
تَصِفُونَ﴾ [يوسف]، وقال تعالى:
﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾
[الأنبياء].

ومن السُّنَّة: ما جاء عن النبي ﷺ؛
أنه قال لمعاذ بن جبل ﷺ: «يا معاذ
والله إني لأحبك، والله إني لأحبك، ثم
قال: أوصيك يا معاذ، لا تدعن في دبر
كل صلاة تقول: اللَّهُمَّ أعني على ذكرك
وشكرك وحسن عبادتك» (٤).

التعريف شرعاً:

المُعِين: هو المستعان، وهو الذي لا
يُطلب العون إلا منه؛ لأنه ﷻ غني عن
الظهير والمعين والشريك والوزير؛ بل
كل إعانة وعون فمنه وبه سبحانه
لا إله إلا هو (٢).

(١) انظر: تهذيب اللغة (٢٠٢/٣ - ٢٠٤) [الدار
المصرية]، والصحاح (٢١٦٨/٦، ٢١٦٩) [دار
العلم للملأين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ
القرآن للراغب (٥٩٨) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]،
والقاموس المحيط (١٥٧١) [مؤسسة الرسالة، ط ٥،
١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٦٣٨/٢) [دار
الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢].

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣٥٠/٢) [دار
الكتب العلمية، ط ١]، والأسنى في شرح أسماء الله
الحسنى (٥٤٥/١) [دار الصحابة، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٨/١).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥٢٢)،
والنسائي (كتاب السهو، رقم ١٣٠٣)، وأحمد =

❁ الآثار:

إذا تحقق العبد من أنه لا معين إلا الله تعالى، فإنه يبعثه على تحقيق الاستعانة به وحده لا شريك له، فيستعين به في أمور الدين والدنيا، وهذا تحقيقٌ لقوله ﷺ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥) [الفاتحة]، فالاستعانة بالله تعالى هي أحد ركني العبادة، ولهذا كان أنفع الدعاء طلب الإعانة.

قال ابن القيم رحمه الله: «فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية الماثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضاده وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأملها» (٤).

ومن تحقق من أنه لا معين إلا الله وحده، استغنى عن الخلق أجمعين، ففي ذلك صلاحه ونفعه في الدنيا والآخرة، ولهذا كانت الاستعانة بغيره تعالى فيها المضرة والهلاك والفساد» (٥).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٢ - «أحكام القرآن»، لأبي بكر ابن العربي.

(٤) مدارج السالكين (٧٥/١) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩/١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي» (١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رحمه الله: «وهو سبحانه بالغ أمره، فكل ما يطلبه فهو يبلغه ويناله، ويصل إليه وحده، لا يعينه أحد، ولا يعوقه أحد، لا يحتاج في شيء من أموره إلى معين، وما له من المخلوقين ظهير، وليس له ولي من الذل» (٢).

سئل ابن عثيمين رحمه الله عن بعض الأسماء - ومنها اسم المعين - فقال: «والمعين كذلك ليس من أسماء الله، ولكنه من صفاته، فهو الذي يعين من شاء من عباده، ومن العلماء من قال: إنه من أسماء الله؛ لأنه دالٌّ على معنى حسن، وليس فيه نقص بوجه من الوجوه» (٣).

= (٤٣٠/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ٧٥١)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥١٩٤) وصححه، وصححه النووي في الخلاصة (٤٦٨/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ١٣٦٢) [مؤسسة غراس، ط ١].

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥١٠)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٥١) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٣٠)، وابن حبان (كتاب الرقاق، رقم ٩٤٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (رقم ١٣٥٣) [مؤسسة غراس، ط ١].

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٨/١).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٠٨/١).

٣ - «مجموع الفتاوى» (ج ١)، لابن تيمية.

٤ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

٥ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٦ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لحمود النجدي.

٧ - «شرح أسماء الله الحسنى»، للقحطاني.

٨ - «أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة»، للرضواني.

٩ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

١٠ - «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين».

المُغْنِي

يراجع مصطلح (الغني).

المُغْنِي

التعريف لغة:

المُغْنِي: اسم فاعل من الإغاثة، ومادته (غ - و - ث) الدالة على الإعانة والنصرة عند الشدة. يقال: استغثته فأغثنني فهو مغيث وغياث، قال ﷺ: **إِذَا تَسْتَعِيْثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ** [الأنفال: ٩].

وَعَوَّثَ الرَّجُلُ: صرخ: واغوثاه، واستغاث: استنصر وطلب الغوث والإعانة، ومنه الاستغاثة: طلب الغوث؛ أي: النصرة والإعانة والنجدة. **والغويث**: ما أغثت به المضطر من طعام أو نجدة.

وقوله تعالى: **﴿وَلِنْ يَسْتَعِيْثُوْا يُعَاثُوْا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوْهَ﴾** [الكهف: ٢٩]، يصح أن يكون من الغوث، وهو النصرة، ويصح أن يكون من الغيث، وهو المطر^(١).

التعريف شرعاً:

المغيث: هو المنقذ من الشدائد الفادحة والكروب والمشقات، فهو سبحانه المغيث لجميع المخلوقات عندما تتعسر أمورها وتقع في الشدائد والكربات يطعم جائعهم، ويكسو عاريهم، ويخلص مكروبهم، وينزل الغيث عليهم في وقت الضرورة والحاجة، ويجب إغاثة اللفهان^(٢).

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٧٦/٨، ١٧٧) [الدار المصرية، ط ١، ١٣٨٧هـ]، ومقاييس اللغة (٧٠٨) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٢٨٩/١) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦١٧) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (٢٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٦٦٥/٢) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٧، ٢٣٨) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

الحكم:

أن: لا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله ﷻ، وأن كل غوث من عنده، وإن كان جعل ذلك على يدي غيره؛ فالحقيقة له سبحانه، ولغيره مجاز. قالوا: ومن أسمائه تعالى: المغيث والغياث. وجاء ذكر المغيث في حديث أبي هريرة، قالوا: واجتمعت الأمة على ذلك^(٣).

وقال ابن القيم رحمه الله:

«وهو المغيث لكل مخلوقاته

وكذا يجب إغاثة اللفهان»^(٤)

وقال السعدي رحمه الله: «ومن أسمائه المغيث وهو المنقذ من الشدائد الفادحة والكروب: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مَنْ ظَلَمْتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٦٣]. فالمغيث يتعلق بالشدائد والمشقات، فهو المغيث لجميع المخلوقات عندما تتعسر أمورها وتقع في الشدائد والكربات؛ يطعم جائعهم ويكسو عاريهم ويخلص مكروبهم وينزل الغيث عليهم في وقت الضرورة والحاجة، وكذلك يجب إغاثة اللفهان أي دعاء من دعاه في حالة اللفه والشدّة والاضطرار، فمن استغاثه أغاثه، وفي الكتاب والسنة من ذكر تفريجه للكربات وإزالته الشدائد وتيسيره للعسير شيء كثير جداً معروف»^(٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ١١٠، ١١١).

(٤) متن القصيدة النونية لابن القيم (٢٠٨).

(٥) الكافية الشافية (٣٨٤)، والحق الواضح المبين =

لا يصح إطلاق اسم المغيث على الله ﷻ، لافتقاره إلى الدليل الصريح على ثبوته، وإنما هو من باب الأفعال، وباب الأفعال أوسع من باب الأسماء، وليس كل ما يصح إطلاقه فعلاً يصح اسماً، والله أعلم.

كما أن هذا الاسم لم يورده في جمعه سوى قلة من أهل العلم المعتنين بجمع الأسماء الحسنی وشرحها^(١).

الحقيقة:

إن الله تعالى هو الذي يغيث العباد عند الشدائد، فيطعم جائعهم، ويكسو عاريهم، ويخلصهم من كربات الدنيا، ويجب دعاء الخائف الملهوف.

الأدلة:

استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله ﷻ في خبر الاستسقاء: «اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى: يجب على كل مكلف أن يعلم

(١) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنی للتميمي (١٠٩ - ١١١) [أضواء السلف، ١٦، ١٤١٩].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الاستسقاء، رقم ١٠١٤). ومسلم (كتاب صلاة الاستسقاء، رقم ٨٩٧).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: إطلاق اسم الغياث على الله ﷻ:

«الغياث: وأكثر ما يقال: غياث المستغيثين، ومعناه: المدرك عباده في الشدائد إذا دعوه، ومريحهم ومخلصهم»^(١). وهذا الاسم في معنى المجيب والمستجيب^(٢).

ولم يرد فيه نصٌ صحيح صريح بإطلاقه، لذا لا يعتبر من الأسماء، وإنما يصح من باب الإخبار فيقال: إن الله غياث المستغيثين ومغيثهم وغوثهم.

ومن ذكر أنه اسم من أسماء الله تعالى استدل بقول النبي ﷺ في خبر الاستسقاء الطويل: «اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا»^(٣)، وهو حديث صحيح لكن ورد من باب الطلب والدعاء والأفعال لا الأسماء، وباب الأفعال أوسع من باب الأسماء.

وقال شيخ الإسلام: «وأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله تعالى؛ فهو غياث المستغيثين لا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره، لا بملك مقرب، ولا نبي مرسل، ومن زعم أن أهل

= (٢٤٧)، كلاهما ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي [مركز صالح الثقافي، ١٤١٢هـ].

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١٢٥/١) [مكتبة السوادى].

(٢) مجموع الفتاوى (١١١/١).

(٣) تقدم تخريجه.

الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم، ونزول الرحمة بهم إلى الثلاثمائة، والثلاثمائة إلى السبعين، والسبعين إلى الأربعين، والأربعين إلى السبعة، والسبعة إلى الأربعة، والأربعة إلى الغوث فهو كاذب ضال مشرك»^(٤).

- المسألة الثانية: حكم تسمية النبي ﷺ أو أحد من البشر بالغياث أو المغيث:

لا يجوز تسمية الرسول ﷺ بالغياث أو المغيث أو الغوث؛ لأنه من الغلو والإطراء المنهي عنه، ومن باب أولى عدم جواز تسمية غيره. وكذلك لا يجوز الاستغاثة بغير الله تعالى؛ لأنه شرك وباطل^(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك عنى بالغوث ما يقوله بعضهم من أن في الأرض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً يسمونهم (النجباء) فينتقى منهم سبعون هم (النقباء)، ومنهم أربعون هم (الأبدال)، ومنهم سبعة هم (الأقطاب)، ومنهم أربعة هم (الأوتاد)، ومنهم واحد هو (الغوث)، وأنه مقيم بمكة، وأن أهل الأرض إذا نابهم نائبة في رزقهم

(٤) مجموع الفتاوى (٤٣٧/١١). وانظر: معجم المناهي

اللفظية ل بكر أبي زيد (٤٠٥) [دار العاصمة، ط ٣، ١٤١٧هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠١/١)،

ومنهاج السنة (٤٨/١) [مؤسسة قرطبة].

- ٥ - «الاستغاثة في الرد على البكري»، لابن تيمية.
- ٦ - «قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.
- ٧ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٨ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٩ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.
- ١٠ - «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

المغيرة بن شعبة رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معقب^(٣) بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس الثقفي، أبو عيسى، أو أبو محمد، أو أبو عبد الله^(٤).

مولده ووفاته:

مات المغيرة بن شعبة رضي الله عنه سنة خمسين من الهجرة، وجزم به ابن كثير

(٣) في طبعة دار هجر [تحقيق التركي]: (معتب).
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١٠/٣٠٠) [دار هجر، ط١].

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١/٥٤٩) [دار الغرب الإسلامي، ط١]، وسير أعلام النبلاء (٣/٢١) [مؤسسة الرسالة، ط٣]، والبداية والنهاية (١١/٢٢٠) [دار هجر، ط١] والإصابة في تمييز الصحابة (١٩٧/٦) [دار الجبل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ].

ونصرهم فزعوا إلى الثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وأولئك يفرعون إلى السبعين، والسبعون إلى الأربعين، والأربعون إلى السبعة، والسبعة إلى الأربعة والأربعة، إلى الواحد، وبعضهم قد يزيد في هذا وينقص في الأعداد والأسماء والمراتب، فإن لهم فيها مقالات متعددة حتى يقول بعضهم: إنه ينزل من السماء على الكعبة ورقة خضراء باسم غوث الوقت، واسم خضره على قول من يقول: منهم إن الخضر هو مرتبة وإن لكل زمان خضراً، فإن لهم في ذلك قولين، وهذا كله باطل لا أصل له في كتاب الله ولا سنة رسوله، ولا قاله أحد من سلف الأمة ولا أئمتها، ولا من المشايخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للاقتداء بهم، ومعلوم أن سيدنا رسول رب العالمين وأبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم كانوا خير الخلق في زمنهم وكانوا بالمدينة ولم يكونوا بمكة^{(١)(٢)}.

المصادر والمراجع:

١ - «المنهاج في شعب الإيمان»، للحليمي.

٢ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٣ - «الدعوات الكبير»، للبيهقي.

٤ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

(١) مجموع الفتاوى (٩٧/٢٧ - ١٠٠).

(٢) معجم المناهي اللفظية لبكر أبي زيد (٣٦٢).

فضائله:

- أنه ممن شهد بيعة الرضوان التي وقعت في الحديبية^(١٠)، وقد جاء في فضل أهلها قول رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها»^(١١).

قال ابن كثير: «وشهد الحديبية، وكان واقعاً يوم الصلح على رأس رسول الله ﷺ بالسيف صلّاً»^(١٢)، ويدل على ذلك ما جاء في حديث صلح الحديبية الطويل من رواية المسور بن مخرمة ومروان، وفيه: «فقام عروة بن مسعود... فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال له: أتحري يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أي غدر ألسنت أسعى في غدرك؟ وكان المغيرة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء»^(١٣). قال ابن هشام: «أراد عروة

وذكر أنه المشهور»^(١)، وعزاه ابن حجر إلى أكثر أهل العلم^(٢)، وحكى الخطيب البغدادي الإجماع عليه بقوله: «المغيرة مات سنة خمسين، أجمع العلماء على ذلك، ولم يختلفوا أن وفاته كانت بالكوفة»^(٣). وقيل: توفي المغيرة ﷺ سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة إحدى وخمسين^(٤)، وقيل: سنة ثمان وخمسين^(٥)، عن سبعين سنة^(٦)، ودفن بموضع يقال له: الثوية^(٧).

❁ إسلامه:

أسلم قبيل الحديبية^(٨)، وشهد المغيرة ﷺ أيضًا اليمامة، وفتح الشام، واليرموك، والقادسية. وولاه عمر ﷺ البصرة، فافتتح ميسان، وافتتح دسهميسان، وأبزقباد، وسوق الأهواز، وهمدان، وشهد فتح نهاوند^(٩).

(١) انظر: البداية والنهاية (١١/٢٢٠).

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣٠١/١٠) [دار هجر].

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١/٥٤٩).

(٤) انظر: البداية والنهاية (١١/٢٢٠)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣٠١/١٠) [دار هجر].

(٥) انظر: البداية والنهاية (١١/٢٢٠).

(٦) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١/٥٥١)، والبدية والنهاية (١١/٢٢٠).

(٧) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١/٥٥١).

(٨) انظر: المعارف لابن قتيبة (٢٩٥) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢]، وتاريخ بغداد (١/٥٤٩)، والإصابة في تمييز الصحابة (٦/١٩٨).

(٩) انظر: المعارف (٢٩)، والبدية والنهاية (١١/٢٢١)، والإصابة في تمييز الصحابة (٦/١٩٨) [دار الجيل].

(١٠) انظر: المعارف (٢٩٥)، وتاريخ بغداد (١/٥٤٩)، والإصابة في تمييز الصحابة (٦/١٩٨).

(١١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٦).

(١٢) البداية والنهاية (١١/٢٢٠) [دار هجر].

(١٣) أخرجه البخاري (كتاب الشروط، رقم ٢٧٣١).

وجعله سعد بن أبي وقاص رسوله إلى رستم.

قال ابن كثير: «كان المغيرة من دهاة العرب، وذوي آرائها... وبعثه رسول الله ﷺ بعد إسلام أهل الطائف هو وأبو سفيان بن حرب، فهزما اللات، وقد قدمنا كيفية ذلك، وبعثه الصديق إلى البحرين، وشهد اليمامة واليرموك، فأصيبت عينه يومئذ، وقيل: بل نظر إلى الشمس وهي كاسفة، فذهب ضوء عينه. وشهد القادسية، وولاه عمر فتوحاً كثيرة، منها همذان وميسان، وهو الذي كان رسول سعد إلى رستم، فكلمه بذلك الكلام البليغ، فاستنابه عمر على البصرة... وولاه الكوفة، واستمر به عثمان حيناً، ثم عزله، فبقي معزولاً حتى كان أمر الحكمين، فلحق بمعاوية، فلما قتل علي وصالح الحسن معاوية ودخل الكوفة، ولّاه معاوية عليها، فلم يزل أميرها حتى مات» (٥).

ومما يدل على فطنة المغيرة وذكائه ما ساقه الحافظ ابن عساكر بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه: «أن عمر بن الخطاب استعمل المغيرة بن شعبة على البحرين، فكرهوه وأبغضوه، قال: فعزله عنهم، قال: فخافوا أن يرده عليهم، قال: فقال دهقانهم: إن فعلتم ما أمركم

بقوله هذا: أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك، من ثقيف، فتهايج الحيان من ثقيف: بنو مالك رهط المقتولين، والأحلاف رهط المغيرة، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية، وأصلح ذلك الأمر» (١).

وقال ابن كثير: «أسلم عام الخندق بعد ما قتل ثلاثة عشر رجلاً من ثقيف مرجعهم من عند المقوقس، وأخذ أموالهم، فغرم دياتهم عروة بن مسعود» (٢).

مكانته:

كان المغيرة من كبار الصحابة رضي الله عنهم، أولي الشجاعة والسياسة والحنكة والدهاء والمهابة (٣)، وله منزلة كبيرة، يدل عليها إسناده النبي ﷺ إليه بعض المهام، وكذا من بعده الخلفاء الراشدون، فمن ذلك: إرسال النبي ﷺ إياه مع أبي سفيان بن حرب إلى الطائف لهدم اللات (٤)، وبعثه أبو بكر الصديق إلى البحرين، وولاه أمير المؤمنين عمر الفاروق فتوحاً كثيرة،

(١) سيرة ابن هشام (٣١٣/٢، ٣١٤) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ].

(٢) البداية والنهاية (١١/٢٢٠).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٢١).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣١٣/١) [دار صادر، ط ١]، الطبري في التاريخ (٣/١٠٠) [دار التراث، ط ٢]، والبيهقي في الدلائل (٥/٣٠٣) [دار الكتب العلمية، ط ١]، من عدة طرق، وكلها مرسلة أو معضلة.

(٥) انظر: البداية والنهاية (١١/٢٢٠، ٢٢١).

مستنداً، لا صحيحاً ولا واهياً، وإنما عمدتهم الكذب والافتراء النابعين عن الحقد والكراهية لهذا الصحابي الجليل ﷺ، وما كان كذلك فهو في غاية الفساد والبطلان؛ بل إن هذا الصنيع الشائن يناقض صريح الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، لما هو معلوم من أن المغيرة بن شعبة هو ممن شهد بيعة الرضوان، وقد أخبر الله في كتابه بأنه رضي عن أهل بيعة الرضوان كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح]. وثبت من حديث أم مبشر؛ أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها»^(٤).

فالطعن في هذا الصحابي ﷺ بتلك الطامات الكبرى تكذيب صريح لله ﷻ ورسوله ﷺ فيما أخبرا به في هذين النصين وما في معناهما، وهو كفر لا يشوبه إيمان، وأماره ظاهرة على الخذلان والعياذ بالله.

المصادر والمراجع:

١ - «الإصابة في تمييز الصحابة»

(ج ٦)، لابن حجر.

(٤) تقدم تخريجه.

به لم يرد علينا، قالوا: مرنا بأمرك، قال: تجمعوا مائة ألف، حتى أذهب بها إلى عمر، فأقول: إن المغيرة اختان هذا ودفعه إلي، قال: فدعا عمر المغيرة، فقال: ما يقول هذا؟ قال: كذب - أصلحك الله - إنما كانت مائتي ألف، قال: فما حملك على ذلك؟ قال: العيال والحاجة، قال: فقال عمر للعلاج: ما تقول؟ قال: لا والله لأصدقنك - أصلحك الله - والله ما دفع إلي قليلاً ولا كثيراً، قال: فقال عمر للمغيرة: ما أردت إلى هذا؟ قال: الخبيث كذب علي، فأحببت أن أخزيه»^(١).

موقف المخالفين منه:

الرافضة: وجه الروافض إلى المغيرة بن شعبة ﷺ جملة من الطعون^(٢)، فذكروا أنه هامن الأمة، وأنه من المنافقين ومن رؤوس الضلال^(٣).

الرد عليهم:

لا شك أن اتهامات الروافض للمغيرة ﷺ بتلك الطامات العظمى خالية تماماً عن الدليل والبرهان، فهم عندما أطلقوا هذه التهم لم يذكروا

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣١/٦٠) [دار الفكر].

(٢) انظر: موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة لعبد القادر عطا صوفي (١٤٠٤ - ١٤٠٧).

(٣) انظر: الإيضاح للفضل بن شاذان (٦٦) [مؤسسة انتشارات]، والحدائق الناضرة للبحراني (١٤٤/٤) [مؤسسة النشر الإسلامي].

تعالى: ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾؛ أي: لا موضع لكم. وقرئ: ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٣] بالضم؛ أي: لا إقامة لكم^(١).

المحمود: اسم المفعول من حمد، قال ابن فارس: «الحاء والميم والذال كلمة واحدة وأصل واحد يدل على خلاف الدم. يقال: حمِدْتُ فلاناً أحمده. ورجل محمود ومحمّد؛ إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة»^(٢).

التعريف شرعاً:

المقام الذي يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس؛ ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم^(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي عام، والمعنى الشرعي خاص بنبيّنا محمد ﷺ.

سبب التسمية:

أن مقام الشفاعة العظمى يحمد فيه الخلائق كلهم الأولون والآخرين

(١) الصحاح (٢٠١٧/٥) [دار العلم للملايين].

(٢) مقاييس اللغة (٢٨١) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٣) تفسير الطبري (١٧٧/٩) [دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٣هـ]، وإثبات الشفاعة (٢٠) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وتفسير القرطبي (١٤٧/١٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ]، وتفسير ابن كثير (٥٥/٩) [دار عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٥هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٨٣) [مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٧هـ].

٢ - «البداية والنهاية» (ج ١١)، لابن كثير.

٣ - «تاريخ بغداد» (ج ١)، للخطيب البغدادي.

٤ - «تاريخ دمشق» (ج ٦٠)، لابن عساكر.

٥ - «تفسير محمد بن مسعود العياشي» (ج ٢).

٦ - «سير أعلام النبلاء» (ج ٣)، للذهبي.

٧ - «سيرة ابن هشام» (ج ٢).

٨ - «فتح الباري» (ج ٥)، لابن حجر.

٩ - «المعارف»، لابن قتيبة.

١٠ - «موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة»، لعبد القادر عطا صوفي.

المفاضلة بين الأنبياء

يراجع مصطلح (النبوّة).

المقام المحمود

التعريف لغةً:

المقام: مكان القيام، والإقامة بالمكان. قال الجوهري: «المُقام والمَقَام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام؛ لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم، وقوله

المسلمون والكفار محمدًا ﷺ^(١)، فلذلك يسمى المقام مقامًا محمودًا.

الحكم:

يجب الإيمان بالمقام المحمود، وقد وعد الله به نبينا محمدًا ﷺ، فيستحب طلبه من الله له بعد الأذان، لقوله ﷺ: «من قال حين يسمع النداء: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتَ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

الحقيقة:

حقيقة المقام المحمود أنه درجة عظمى يكرم الله بها عبده محمدًا ﷺ، فيشفع للخلائق كلهم لبدء حسابهم، وليريحوا من كرب الموقف.

المنزلة:

هي منزلة عظمى لا ينالها إلا عبد الله ورسوله محمد ﷺ، فيغبطه الأولون والآخرون.

الأدلة:

من الأدلة على المقام المحمود للنبي ﷺ قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلَّيْلَ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ

مَقَامًا مَحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء]، وسئل النبي ﷺ عن هذه الآية فقال: «هي الشفاعة»^(٣).

ومن الأدلة قول النبي ﷺ: «إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ، فيشفع ليقضي بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقامًا محمودًا يحمد به أهل الجمع كلهم»^(٤)، وقوله ﷺ: «يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهملوا بذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيرحنا من مكاننا، فيأتون آدم... فيأتوني فأستأذن على ربي في داره، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقول: ارفع محمد، وقل يسمع، واشفع تُشَفِّع، وسل تُعْط، قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء]، قال: وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ»^(٥).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثًا، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع يا فلان

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣١٣٧) وقال: «حديث حسن»، وأحمد (٤٥٨/١٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني لشواهد في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٣٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٧٥).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٤٠).

(١) انظر: جلاء الأفهام (١٩٢)، وتفسير ابن كثير

(٥٥/٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦١٤).

اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود»^(١)، وثبت رفعه عن ابن عمر عند البخاري^(٢)، وأدلة الشفاعة العظمى التي هي المقام المحمود كثيرة جداً^(٣).

✽ أقوال أهل العلم:

اختلفت أقوال أهل العلم في المقام المحمود، فقال الجمهور: هو الشفاعة العظمى، ونقل ابن القيم عن جمع من أهل العلم أنه: إقعاد الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ على العرش^(٤)، ومن العلماء من قال: لا منافاة بين القولين، فيمكن الجمع بينهما، بأن كليهما من ذلك^(٥).

✽ المسائل المتعلقة:

ذكر بعض العلماء في معنى المقام المحمود: أنه إقعاد الله ﷻ نبيه محمداً

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧١٨).

(٢) أخرجه البخاري بمعناه (كتاب الزكاة، رقم ١٤٧٥)، وقد تقدم قريباً.

(٣) من مظانها: التذكرة للقرطبي (٥٩٧/٢) وما بعدها، وشرح النووي على مسلم (٥١/٣) وما بعدها [دار المعرفة، ط ١٢، ١٤٢٧هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٥١٩/١١) وما بعدها [دار السلام، ط ١، ١٤٢١هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (٢٨٢) وما بعدها [دار عالم الكتب، ط ٣]، والشفاعة للوادعي (٢٥) [دار الآثار، ط ٣، ١٤٢٠هـ].

(٤) بدائع الفوائد (١٣٧٩/٤، ١٣٨٠) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ]، ونونية ابن القيم (٨٤) [مطبعة التقدم العلمية، مصر، عام ١٣٤٤هـ].

(٥) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣٦/٢) فتوى (٤٥١) [مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ].

✽ الفروق:

الفرق بين المقام المحمود ولواء الحمد:

والمقام المحمود غير لواء الحمد^(١٠)

(٦) تفسير الطبري (١٨٢/٩). وانظر: بدائع الفوائد لابن القيم (١٣٧٩/٤، ١٣٨٠) والنونية له (٨٤)، فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣٦/٢).

(٧) درء التعارض (٢٣٧/٥) [جامعة الإمام، ط ٢].

(٨) انظر: ميزان الاعتدال (٤٣٩/٣)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٨٧٠، ٨٧١) [مكتبة المعارف].

(٩) مختصر العلو (١٩، ٢٠) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠١هـ].

(١٠) الفرقان (٦) [مكتبة المعارف، ط ١٤٠٢هـ].

رؤوس الخلائق يوم القيامة^(٢)، وسبب اختصاصه ﷺ بالمقام المحمود، وهو عموم رسالته، وكونه سبباً في امتلاء الأرض من الهدى والإيمان والعلم والعمل الصالح^(٣).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «إثبات الشفاعة»، للذهبي.
- ٢ - «التذكرة» (ج ٢)، للقرطبي.
- ٣ - «تفسير ابن كثير» (ج ٩).
- ٤ - «تفسير الطبري» (ج ٩).
- ٥ - «تفسير القرطبي» (ج ١٣).
- ٦ - «جلاء الأفهام»، لابن القيم.
- ٧ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

- ٨ - «الشفاعة»، لمقبل الوداعي.
- ٩ - «فتح الباري» (ج ١١)، لابن حجر.
- ١٠ - «فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم» (ج ٢).
- ١١ - «القيامة الكبرى»، للأشقر.
- ١٢ - «شرح صحيح مسلم» (ج ٣)، للنووي.

✽ المقت ✽

✽ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الميم والقاف والتاء

الذي يعقد للنبي ﷺ يوم القيامة، كما ورد في بعض ألفاظ الحديث: «بيدي لواء الحمد، وفي بعضها: أحمل لواء الحمد، أعطي لواء الحمد»، ويحشر تحته آدم ﷺ ومن دونه، ولواء الحمد والمقام المحمود كلاهما ذكرا في حديث: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي... فيقال لي: ارفع رأسك، سل تعط، واشفع تشفع، وقل يسمع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ١٧١]^(١).

✽ الآثار:

يبدأ الحساب بعد أن يقوم النبي محمد ﷺ مقاماً محموداً، يشفع عند ربه تعالى ليقضي بين العباد؛ فيرتاح الخلائق من أهوال الموقف.

✽ الحكمة:

إظهار رحمة الله بعباده؛ إذ يأذن لنبيه محمد ليشفع في الخلائق؛ ليخلصهم من كربات الموقف وأهواله، وإظهار فضل نبيه ﷺ على الأولين والآخرين، وإظهار منزلته العظيمة، ودرجته العالية على

(١) أخرجه الترمذي في سننه (أبواب التفسير، رقم ٣١٤٨) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٣٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٥٤٣) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٢) انظر: القيامة الكبرى (٢٣٧).

(٣) جلاء الأفهام (١٧٩).

القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبرائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ [غافر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

عن عياض بن حمار المجاشعي؛ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض؛ فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب» الحديث (٥).

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «إن الله لا يحب الشرك، ولا تكذيب الرسل، ولا يرضى ذلك، بل هو يبغض ذلك ويمقتهم ويكرهه؛ كما ذكر الله في سورة بني

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٥).

كلمة واحدة تدل على شناعة وقبح، ومقتة مقتاً فهو مقتيت وممقوت» (١). وقال الجوهري: «مَقَّتَهُ مَقْتًا، أَبْغَضَهُ» (٢). وقال ابن الأثير: «المقت في الأصل: أشد البغض» (٣). فالمقت: هو البغض الشديد من أجل أمر قبيح.

التعريف شرعاً:

المَقْت: صفة من الصفات الفعلية الخبرية الاختيارية ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، وقد جاء بيان ذلك وإثباته في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ (٤).

الأسماء الأخرى:

هناك ألفاظ أخرى قريبة من لفظ المقت، وجاءت بها النصوص الشرعية وأضافتها إلى الله تعالى، وذكرها السلف، وهي: الكره والسخط والبغض والغضب؛ فهي أيضاً من صفات الله الفعلية مثل صفة المقت.

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة؛ لدلالة

(١) مقاييس اللغة (٥١٨/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) الصحاح (٢٦٦/١) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٤٦/٤) [المكتبة العلمية، بيروت].

(٤) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (٣٢١) [دار الهجرة، ط ٣، ١٤٢٦هـ]، وصفات الله ﷻ للمسند (١١٦ - ١٢٠) [دار المدني، جدة، ط ٢، ١٤١٢هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٩٩، ٤٠٠) [مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

الصفات لا تسلب إلا عن الموات أو عمن فقد حسه أو بلغ في النهاية والضعف والعجز والجهل إلى الغاية التي لم تدع له حُبًّا ولا بغضًا ولا غضبًا»^(٣).

وقال الشيخ محمد خليل هرَّاس عن هذه الآية وغيرها: «تضمنت هذه الآيات إثبات بعض صفات الفعل لله من الرضا، والغضب، واللعن، والكره، والسخط، والمقت والأسف، وهي عند أهل الحق صفات حقيقية لله ﷻ على ما يليق به، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق»^(٤).

وقال الشيخ عبد العزيز السلمان: «تضمنت هذه الآيات الكريكات إثبات بعض الصفات الفعلية من الرضا والغضب واللعن والكره والسخط والأسف والمقت، وهذه الصفات يثبتها أهل السُّنة والجماعة حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته يفعلها متى شاء»^(٥).

وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي: «وعقوبته للعصاة والظلمة وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة تدلُّ على صفة

إسرائيل ما ذكره من المحرِّمات، ثم قال: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء]»^(١).

وقال أيضًا: «وكذلك وصف نفسه بأنه يمقت الكفار، ووصفهم بالمقت، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَنِ فَتُكْفَرُونَ﴾ [غافر]، وليس المقت مثل المقت»^(٢).

وقال ابن القيم: «إن ما وصف الله سبحانه به نفسه من المحبة، والرضا، والفرح، والغضب، والبغض، والسخط من أعظم صفات الكمال؛ إذ في العقول أنا إذا فرضنا ذاتين:

إحدهما: لا تحب شيئًا، ولا تبغضه، ولا ترضاه، ولا تفرح به، ولا تبغض شيئًا، ولا تغضب منه، ولا تكرهه، ولا تمقته.

والذات الأخرى: تحب كل جميل من الأقوال والأفعال والأخلاق والشيم، وتفرح به، وترضى به، وتبغض كل قبيح يسمي، وتكرهه، وتمقته، وتمقت أهله، وتصبر على الأذى، ولا تجزع منه، ولا تتضرر به، كانت هذه الذات أكمل من تلك الموصوفة بصفات العدم والموات والجهل الفاقدة للحس؛ فإن هذه

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (٤) / (١٤٥١) [دار العاصمة الرياض، ط ٣، ١٤١٨هـ].

(٤) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢ - ٧٤) [الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط ٣، ١٤٢٠هـ].

(٥) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (٥٣) [مطابع المدينة، ط ١٣، ١٤٢١هـ].

(١) كتاب النبوات (٢٨٨/١) [أضواء السلف، ط ١].

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

امتنع ذاك، ونصوص الكتاب والسُّنة ترد على من أوَّل هذه الصفة بغيرها أو نفاهها عن الله ﷻ، والحق الذي لا ريب فيه أنه يجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة الكتاب والسُّنة على ذلك، والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات» (ج ٢)، للبيهقي.
- ٢ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.
- ٣ - «شرح العقيدة الواسطية»، لمحمد خليل هراس.
- ٤ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ٥ - «الصواعق المرسلة» (ج ٤)، لابن القيم.
- ٦ - «صفات الله ﷻ»، لصالح علي المسند.
- ٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣)، لابن تيمية.
- ٨ - «مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية»، لعبد العزيز محمد سلمان.
- ٩ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

الغضب والسخط، والإبعاد والطرْد والإقصاء يدل على المقت والبغض»^(١).

✽ مذهب المخالفين:

المقت صفة من صفات الله الفعلية، وقد اتفق أهل السُّنة والجماعة على إثباتها لله ﷻ، وخالف في ذلك غلاة المعطلة الذين ينكرون جميع الأسماء والصفات، وهم الفلاسفة والجهمية وغلاة الصوفية، ووافقهم على ذلك المعتزلة الذين ينفون عن الله ﷻ قيام الصفات بذاته سبحانه، والكلابية يشبِّتون هذه الصفة ونحوها من الصفات الفعلية ولكنهم جعلوها صفة ذاتية واحدة أزلية، وبذلك خالفوا مذهب السلف، والأشاعرة والماتريدية لا يشبِّتون هذه الصفة، ويؤولونها بالإرادة أو يفوضونها^(٢)، ولكن من تأويلهم لها بالإرادة يلزمهم مثل ما يلزمهم من إثبات صفة المقت، فإن المخلوق أيضًا عنده إرادة، فالمعنى الذي صرفوا إليه ألفاظ النصوص مثل المعنى الذي صرفوا عنه، فإن جاز هذا جاز ذلك، وإن امتنع هذا

(١) فتاوى ورسائل عبد الرزاق عفيفي (٢/ ٥٤) [دار الفضيلة، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٤٦٩، ٤٧٠) [مكتبة السوادى، ط ١، ١٤١٣هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٦٨٤ - ٦٨٩) [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ]، ومن كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (١٨٣، ١٨٢) [مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤٠٨هـ].

١٠ - «النبوات» (ج ١)، لابن تيمية.

الرابع: في الترتيب الصناعي، تعلم الهجاء مقدم على تعلم الخط.

والمقدم نقيض المؤخر، وقدام نقيض وراء^(٣).

❏ المقتدر ❏

يراجع مصطلح (القدرة).

❏ المقتصد ❏

يراجع مصطلح (مراتب المؤمنين).

❏ المقدم المؤخر ❏

❁ التعريف لغة:

المُقدم: بوزن (مُفَعَّل)، اسم فاعل للفعل (قدَّم)، يقال: قدَّم يُقدِّم تقدِّمًا فهو مُقدِّم، وأقدَّمه وقَدَّمه بمعنى واحد، قال ابن فارس: «القاف والdal والميم أصل صحيح يدل على سبق ورعف»^(١)؛ والرفع معناه: التقدم^(٢).
ومصدر الفعل (قدَّم) هو: التقدُّم، والتقدم على أربعة أوجه:

الأول: في المكان، وهو بحسب الإضافة، يقال: فلان متقدم على فلان باعتبار المكان.

الثاني: في الزمان، نحو: عهد النبوة متقدم على الخلافة الراشدة.

الثالث: في المنزلة، نحو: فلان متقدم على فلان؟ أي: أشرف منه.

(١) مقاييس اللغة (٣٨٩/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٤٧٠/١).

❁ التعريف شرعًا:

المقدم والمؤخر: من أسمائه الحسنی المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد بمفرده على الله إلا مقرونًا بالآخر؛ فإن

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٤٥/٩، ٤٦، ٤٩) [الدار المصرية، مقاييس اللغة (٨٧٨) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، الصحاح (٢٠٠٦/٥ - ٢٠٠٨) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، مفردات ألفاظ القرآن (٦٦٠، ٦٦١) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، المعجم الوسيط (٧٢٦/٢، ٧٢٧) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢].

(٤) مقاييس اللغة (٤٢/١).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٥٥٦/٧، ٥٥٧) [الدار المصرية، ومقاييس اللغة (٦٣) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٥٧٦/٢، ٥٧٧) [دار العلم للملايين، ط ٤]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٩) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (٨/١، ٩) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢].

أنه سبحانه هو المنزل الأشياء منازلها، الذي يقدم ما يجب تقديمه حكماً وفعلاً، على ما أحب وكيف أحب، ويؤخر ما يجب تأخيره حكماً وفعلاً على ما أحب وكيف أحب، بحكمته وَعَلَى، وما قدمه فهو مقدم، وما أخره فهو مؤخر، تعالى الله علواً كبيراً ^(٣).

كما أن هذين الاسمين هما من الأسماء المتقابلة التي لا ينبغي أن يثنى على الله بها إلا مقرونة مع الأخرى؛ لأن المدح المحض والكمال المطلق في اجتماع الاسمين، ففي اقترانهما واجتماعهما دلالة على كمال ربوبية الله تعالى وانفراده سبحانه بالملك التام والتصرف الكامل والتدبير الشامل ^(٤).

الأدلة:

ورد هذان الاسمان في السُّنة النبوية في أحاديث عدة، منها:

حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٥٩) [دار الثقافة العربية، ط ١، ١٩٧٤م]، وشأن الدعاء (٨٦)، والمنهاج في شعب الإيمان (٢٠٨/١) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩]، الأسماء والصفات (٢١٠/١) [مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ]، والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٥٦، ٥٥/٣)، [مكتبة الذهي، ط ٢، ١٤١٧هـ].

(٤) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٥٨، ٢٦٤)، وتوضيح الكافية الشافية له (٣٨٩)، كلاهما من مطبوعات [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط ٢، ١٤١٢هـ].

الكمال من اجتماعهما، فهو تعالى المقدم لمن شاء والمؤخر لمن شاء بحكمته ^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

معنى المقدم والمؤخر في الشرع مأخوذ من معناه اللغوي المباشر، الذي هو ضد التقديم والتأخير، وجعل الشيء قبل غيره أو بعده، فهو اسم فاعل لما يجري بيد الله وَعَلَى من تقديم أشياء وأشخاص وتأخير أشياء وأشخاص، وفقاً لمشيئته وحكمته النافذة التابعة لحكمته.

الحكم:

اسما الجلال (المقدم والمؤخر) من الأسماء الثابتة بصريح السُّنة النبوية. وهما من أسماء الجلال المزدوجة المقترنة التي لا يطلق واحد منها على الله وَعَلَى إلا مقروناً بالآخر؛ لأن الكمال في اجتماعهما ^(٢).

الحقيقة:

يدل الاسمان (المقدم والمؤخر) على

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٨) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) انظر: شأن الدعاء (٨٦) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، والأنس في شرح أسماء الله الحسنى (٣٧٣/١) [دار الصحابة، ط ١، ١٤١٦هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٨)، وفقه الأسماء الحسنى (٢٨٠) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء:

«اللَّهُمَّ اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللَّهُمَّ اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي، اللَّهُمَّ اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير»^(١).

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللَّهُمَّ لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت السماوات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللَّهُمَّ لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاکمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال ابن القيم: «أما تضمنها لمعاني أسمائه الحسنی، فإن الرب هو القادر الخالق البارئ المعطي المانع الضار النافع المقدم المؤخر، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته، التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنی»^(٣).
وقال أيضًا:

«وهو المقدم والمؤخر ذاك الصّد

صِفَتَانِ لِلأَفْعَالِ تَابِعَتَانِ

وهما صفات الذات أيضًا إذ هما

بالذات لا بالغير قائمتان»^(٤)

وذكر الاسمين في الأسماء الحسنی ابن عثيمين في القواعد المثلى^(٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اقتران اسمي الجلال (المقدم والمؤخر):

المقدم والمؤخر من أسماء الله المزدوجة المقترنة، التي تجرى مجرى الاسم الواحد ولا يفصل بينهما، ولا تطلق على الله بمفردها، بل لا بد أن تكون مقرونة بمقابلها؛ لأن الكمال المطلق في اقتران كل منهما بما يقابله^(٦).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٩٨)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٩)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٢٠) واللفظ له، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٦٩).

(٣) بدائع الفوائد (٢/٤٧٣).

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٣/٧٣٨) [دار عالم الفوائد، ١ ط، ١٤٢٨هـ].

(٥) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/٢٧٨).

(٦) انظر: شأن الدعاء (٨٦)، والأسنى (١/٣٧٣)، =

المساجد الثلاثة على غيرها من المساجد، وفضل المساجد على غيرها من الأماكن والبقاع، وفضل الصف الأول من المساجد للرجال والصف الأخير للنساء على غيرها من الصفوف، وفضل الأركان والواجبات على المستحبات والمندوبات، وفضل الأنبياء على الخلق ثم فضل بعضهم على بعض، وفضل العلماء والصالحين على غيرهم، وقدمهم في العلم والإيمان والعمل والأخلاق وسائر الأوصاف، وأخر من آخر منهم بشيء من ذلك، وكل هذا تبع لحكمته سبحانه، يقدم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوقيفه وفضله، ويؤخر من يشاء عن ذلك بعدله^(٢).

- المسألة الثالثة: علاقة اسمي الجلال المقدم والمؤخر بمغفرة الذنوب:
لقد ورد ذكر الاسمين الكريمين: المقدم والمؤخر في الأحاديث في سياق طلب المغفرة للذنوب كلها، ماضيها ومستقبلها، وسرها وجهرها وخطئها وعمدها، وفي ذلك إشعار قوي ودليل واضح على أن الذنوب والمعاصي والسيئات من أسباب التخلف والتأخر؛

والضابط في ذلك: ما كان دالاً على المدح والكمال المطلق فهو يمكن أن يستقل وحده دون اقتران، وأما ما كان دالاً على غير المدح المحض، فهذا لا بد أن يكون مقروناً بما يقابله؛ وذلك لأن في اجتماع الاسمين والوصفين المتقابلين دلالة على كمال ربوبية الله تعالى وشموليتها^(١).

- المسألة الثانية: التقديم والتأخير من الله ﷻ قد يكون كونياً، وقد يكون شرعياً، فهو من هذا الوجه على قسمين:

أ - التقديم والتأخير الكوني: وهو تقدير الله في خلقه وتكوينه وفعله، فقد قدم الله بعض المخلوقات على بعض، وأخر بعضها عن بعض في الخلق والتقدير، وقدم الله الأسباب على مسبباتها، والشروط على مشروطاتها، وأنواع التقديم والتأخير في الخلق والتقدير بحر لا ساحل له.

ب - التقديم والتأخير الشرعي: وهو متعلق برضا الله ومحبه سبحانه لمكان أو شخص أو قول أو فعل، فقد فضل الله

= وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٨)، وفقه الأسماء الحسنى (٢٨٠) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩].

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٩٤، ٢٩٥) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٥هـ]، والحق الواضح المبين للسعدي (٢٦٤)، وتوضيح الكافية الشافية له (٣٨٩)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٢٦٤ و ٤١١ - ٤١٦) [دار إيلاف، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٦٤)، وفقه الأسماء الحسنى للبدر (٢٨٠) [مطابع الحميري، ط ١، ١٤٢٩هـ]، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٢١٨، ٢١٩) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط ٤، ١٤٣١هـ].

٢ - إن إيمان العبد بأن الله وحده هو المقدم والمؤخر يثمر كمال الذل بين يديه، وقوة الطمع فيما عنده، والخوف منه ﷻ، وعدم اليأس من روحه وعدم الأمن من مكره، وحسن الالتجاء إليه رغباً ورهباً وخوفاً وطمعاً وحرصاً ومسابقة إلى الخيرات والأعمال الصالحات^(٤).

٣ - الإيمان بهذين الاسمين وما دلّا عليه من صفة التقديم والتأخير ﷻ يقتضي تقديم ما قدمه الله وتأخير ما أخره الله تعالى، وقد كان النبي ﷺ شديد التحري لذلك، قال ابن القيم: «والنبي ﷺ كان شديد التحري لتقديم ما قدمه الله والبداة بما بدأ به، فلهذا بدأ بالصفة في السعي وقال: «نبداً بما بدأ الله به»^(٥)، وبدأ بالوجه ثم اليدين ثم الرأس في الوضوء، ولم يخل بذلك مرة واحدة، بل كان هذا وضوءه إلى أن فارق الدنيا، لم يقدم منه مؤخرًا ولم يؤخر منه مقدماً قط، ولا يقدر أحد أن ينقل عنه خلاف ذلك»^(٦). وقال أيضاً: «كان يحافظ على تقديم ما قدمه الله وتأخير ما أخره، كما بدأ بالصفة وقال: «أبدأ بما بدأ الله به»

بل من أسباب الهلاك والدمار والعذاب في الدنيا والآخرة، وأن توبة العبد إلى ربه، وأوبته إليه سبحانه، وطلبه المغفرة منه ﷻ، وعفو الله له، وستره عليه من أسباب التقدم والارتقاء والسعادة والهناء والرخاء، والحياة الطيبة الآمنة المطمئنة في الدنيا والآخرة^(١).

الآثار:

١ - إن الله ﷻ حكيم في أفعاله، وهو المقدم والمؤخر، فما قدمه كان الكمال في تقديمه، وما أخره كان الكمال في تأخيره^(٢).

فعلى العبد أن يعتقد أن الله ﷻ هو وحده المقدم والمؤخر بمشيئته وإرادته التابعة لعلمه وحكمته، لا شريك له في ذلك، وهذا يثمر كمال الذل بين يديه ﷻ، وشدة الطمع فيما عنده، والخوف منه سبحانه، وعدم اليأس من روحه، وعدم الأمن من مكره، وحسن الالتجاء إليه رغباً ورهباً، وخوفاً وطمعاً.

كما يثمر الإيمان بهذا الاسم الحرص على تقديم ما قدمه الله ﷻ وتأخير ما أخره، في المنزلة والمحبة والبغض، وذلك أوثق عرى الإيمان^(٣).

(٣٧٥)، وفقه الأسماء الحسنی (٢٨١، ٢٨٢)،

والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی (٣/ ٦٢، ٦١).

(٤) انظر: فقه الأسماء الحسنی (٢٨١).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٢١٨).

(٦) بدائع الفوائد (٢/ ٦٨٥).

(١) انظر: تفسير أسماء الله الحسنی للسعدي (٢٣٨)، وفقه الأسماء الحسنی (٢٨٠).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٤/ ١٠) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ٢، ١٤١١هـ].

(٣) انظر: الأسنی في شرح أسماء الله الحسنی (١/

- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٥ - «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.
- ٦ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٧ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.
- ٩ - «مفردات ألفاظ القرآن»، للراغب.
- ١٠ - «المنهاج في شعب الإيمان»، للحليمي.
- ١١ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لحمود النجدي.

المُقْسِط

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمه الله: «القاف والسين والطاء أصل صحيح يدل على معنيين متضادين والبناء واحد؛ فالقسط: العدل، ويقال منه: أقسط يقسط. والقسط بفتح القاف: الجور، والقسوط: العدول عن الحق»^(٢).

والمُقْسِط: اسم فاعل من القسط،

وبدأ في العيد بالصلاة ثم جعل النحر بعدها، وأخبر أن من ذبح قبلها فلا نسك له؛ تقديمًا لما بدأ الله به في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾^(٢) [الكوثر]، وبدأ في أعضاء الوضوء بالوجه، ثم اليدين، ثم الرأس، ثم الرجلين؛ تقديمًا لما قدمه الله، وتأخيرًا لما أخره، وتوسيطًا لما وسطه، وقدم زكاة الفطر على صلاة العيد تقديمًا لما قدمه في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾^(٤) وذكر أسد ربّه صَلَّى^(٥) [الأعلى]، ونظائره كثيرة^(١).

وهكذا كان شأن النبي ﷺ في جميع أمور الدين، فقد كان يقدم ما قدمه الله ويؤخر ما أخره الله، ولنا جميعًا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فيجب على كل مسلم أن يقدم شرع الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج حياته على كل منهج ودستور وقانون، وأن لا يقدم عليه عقله وهواه، وأن يراعي ما قدمه الله وما أخره في أحكامه وتشريعاته، وأن يطبق هذا التقديم والتأخير في جميع شؤونه وفي كل شعب حياته، والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

(١) زاد المعاد (٣٥١/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٢٦،

الحكم:

لم يثبت أن المقسط من أسماء الله ﷻ، لكن يخبر عن الله ﷻ أنه هو المقسط، فلا تسوغ تسمية الله ﷻ بالمقسط، أو دعاؤه به، أو التعبد به فيقال: عبد المقسط؛ لعدم ثبوت النص في كونه اسمًا لله ﷻ.

الحقيقة:

المقسط: هو العادل في قوله وعمله، فهو من جماع صفات الكمال لله تعالى، فالله ﷻ لم يزل متكلمًا بالعدل، مخبرًا به، أمرًا به، وقيامه بالقسط يتضمن أنه يقول الصدق، ويعمل بالعدل، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود]، وهذا بمنزلة قوله تعالى: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]؛ فإن الاستقامة والاعتدال متلازمان، فمن كان قوله وعمله بالقسط كان مستقيمًا، ومن كان قوله وعمله مستقيمًا كان قائمًا بالقسط^(٣).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال تعالى:

بمعنى: العدل في القسمة والحكم، والقسط: النصيب بالعدل، والإقساط: هو العدل، والقسطاس: الميزان، يعبر به عن العدالة، وأما القسط بفتح القاف وسكون السين فيدل على خلاف معنى القسط بكسر القاف، وهو الجور والظلم^(١).

التعريف شرعًا:

المُقْسِط: هو القائم بالقسط، وهو العادل في قوله وفعله، والعادل الذي لا يحيف ولا يجور^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

تتضح العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي في تطابق المعنيين؛ إذ كلاهما دالٌّ على معنى العدل، وهو في حق الله ﷻ بالغ غايته وكماله، أو ما اختص به بعض عباده من الخير دون غيرهم بمقتضى حكمته وعدله.

(١) انظر: تهذيب اللغة (٣٨٨/٨، ٣٨٩) [الدار المصرية، ط ١، ١٣٨٧هـ]، ومقاييس اللغة (٨٨٧) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (١١٥٢/٣) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٧٠) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (٨٨١) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٧٣٤/٢) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: شأن الدعاء (٩٢) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، والحجة في بيان المحجة (١٤٨/١) [دار الراية، ط ١، ومدارج السالكين (٣٣٨/٣) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧٥/١٤ - ١٧٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ٥، ١٤٢٥هـ]، ومدارج السالكين لابن القيم (٣٣٦/٣ - ٣٣٩).

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله ﻻ ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور - وفي رواية: النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»^(١).

أقوال أهل العلم:

قال قوام السُّنة التيمي رحمته الله: «واسمه تعالى المقسط؛ أي: العادل في حكمه، الذي لا يحيف والذي ولا يجور»^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «والله وتر يحب الوتر، جميل يحب الجمال، مقسط يحب المقسطين»^(٣).

وقال الشيخ حافظ حكمي رحمته الله: «المقسط: الذي أرسل رسله بالبينات، وأنزل معهم الكتاب، والميزان ليقوم الناس بالقسط، وما للظالمين من نصير»^(٤).

وقال الشيخ محمد خليل هراس رحمته الله:

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٩).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/١٤٨) [دار الراية، ١٦، ١٤١١هـ].

(٣) الرسالة الأكملية (٤٨) [مطبعة المدني، ١٤٠٣هـ].

(٤) معارج القبول (١/٤٣) [دار ابن الجوزي، ٦، ١٤٣٠هـ].

«ومن أسمائه الحسنی سبحانه: المقسط، والجامع: أما المقسط: فهو اسم فاعل؛ من أقسط: بمعنى عدل»^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنی»، للزجاج.
- ٣ - «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.
- ٤ - «الرسالة الأكملية»، لابن تيمية.
- ٥ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٦ - «شرح أسماء الله الحسنی»، للقحطاني.
- ٧ - «فقه الأسماء الحسنی»، لعبد الرزاق البدر.
- ٨ - «الطريقة المثلى لإحصاء أسماء الله الحسنی»، لغريب بن محمد.
- ٩ - «معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنی»، للتيمي.
- ١٠ - «النهج الأسمى»، للنجدي.

مقلب القلوب

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمته الله: «القاف واللام والباء أصلان صحيحان؛ أحدهما: يدل على خالص شيء وشريفه، والآخر:

(٥) انظر: عقيدتنا عقيدة القرآن والسُّنة (٢٣٥) [دار الكتاب والسُّنة، ١٦، ١٤٢٧هـ].

على ردّ شيء من جهة إلى جهة»^(١). **الحكم:**

مقلب: اسم فاعل من التقلب مأخوذ من أصله الثلاثي قَلَبَ، والقلوب: جمع قَلَب وهو أيضًا مأخوذ من الأصل الثلاثي قَلَبَ، والقاف واللام والباء أصلان صحيحان يدل أحدهما على خالص شيء وشريفه، وإليه يرجع معنى القلب والقلوب، ويدل على رد شيء من جهة إلى جهة وإليه يرجع معنى مقلب. وقيل: سُمي القلب قلبًا؛ لكثرة تقلبه، فيرجع إلى الأصل الثاني، وتقلب الأمور: تصرفها وتديرها والنظر فيها، ومنه القلب: البئر قبل أن تطوى، والقلوب والقُلُب: المتقلب وكثير القلب^(٢).

الحقيقة:

مقلب القلوب: مصرفها ومغيرها من حال إلى حال، من الطاعة إلى المعصية، ومن الإيمان إلى الكفر، والعكس، وفق إرادته ﷻ ومشيئته، وقلوب العباد كلها بين إصبعين من أصابعه، كقلب واحد، يصرفها حيث يشاء، بقدرته ﷻ، ولا يتوهم في ذلك تمثيل ولا تشبيه، الذي يؤدي إلى التعطيل، فهو القادر على كل شيء، وصفاته كلها صفات كمال، تليق بجلاله وعظمة سلطانه.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أكثر ما كان النبي ﷺ يحلف: «لا ومقلب القلوب»^(٥).

التعريف شرعًا:

مقلب القلوب: مصرفها من حال إلى حال، ومن رأي إلى رأي، من الطاعة إلى المعصية، ومن المعصية إلى الطاعة، وهكذا من حال إلى حال^(٣).

(١) مقاييس اللغة (١٧/٥) [دار الجبل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٧٢/٩ - ١٧٦) [الدار المصرية، ط ١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (٢٠٤/١ - ٢٠٦) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٨١، ٦٨٢) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٦٢، ١٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٥]، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٥٣) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢م].

(٣) انظر: فتح الباري (٢٦٦/١٥) (٣٣٧/١٧) [دار طيبة، ط ١، ١٤٢٧هـ]. وانظر: تحفة الأحوذى (٦/ ٣٤٩) [دار الفكر].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤٨٤/٢٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١، ١٤١٦هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٩١).

ثبت في الكتاب والسنة^(٤).

الآثار:

من آثار الإيمان بهذا الاسم هو المبادرة إلى الطاعات، واجتناب المعاصي والمحرمات، والخوف من العاقبة، وسوء الخاتمة، واللجوء إلى الله في كل وقت وحين، وسؤاله الثبات على الدين إلى الممات، وبخاصة عند ظهور الفتن وكثرتها وغلبتها.

وكذلك البعد عن تزكية النفس، ومجاهدتها في ترك الغرور، والاعتداد بالأعمال وحدها؛ بل على المرء أن يحرص على أن يكون ممن قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^(١) أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ^(٢) [المؤمنون].

المصادر والمراجع:

١ - «أحكام القرآن»، لأبي بكر ابن العربي.

٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٣ - «أسماء الله الثابتة في الكتابة والسنة»، للرضواني.

٤ - «كتاب التوحيد» (ج ٢)، لابن منده.

٥ - «تفسير السعدي».

(٤) مجموع الفتاوى (٢٢/٤٨٤).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»^(٢).

أقوال أهل العلم:

قال ابن منده رحمته الله - ضمن أسماء الله ﷻ المضافة إلى صفاته وأفعاله -: «ذو القوة المتين، ذو العرش المجيد مقلب القلوب»^(٣).

وقال ابن تيمية: «ومن أسمائه التي ليست في هذه التسعة والتسعين اسماً: السُّبُّوح، وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما

(١) أخرجه الترمذي (أبواب القدر، رقم ٢١٤٠) وحسنه، وأحمد (١٩/١٦٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٦هـ]، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٩٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٤).

(٣) انظر: التوحيد (٢/٢٠٣) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط ٢، ١٤١٤هـ].

ولذلك فوصف الله تعالى بها جاء مقيداً بما يفيد الكمال والعظمة، والعدل والحكمة.

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، لكن المعنى المتعلق بوصف الله تعالى هو على جهة الكمال الذي لا يعتره نقص بوجه من الوجوه، ولذلك لا يأتي إلا مقيداً بما يفيد المدح والحمد، بخلاف ما قد يوصف به المخلوق من المكر، فإنه قد يكون تعدياً وظلماً.

الحكم:

وجوب إثبات ما أضافه الله تعالى إلى نفسه من صفة المكر على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وأن يؤتى بذلك مقيداً - كما في القرآن - بما يفيد الكمال، ويزيل إيهام النقص.

الحقيقة:

لما كانت صفة المكر من الصفات المنقسمة التي تقبل المدح وتقبل الذم، جاء وصف الله تعالى بها مقيداً بما يدل على المدح والكمال المطلق. فالمكر حين يتعلق بمن يستحق المكر وفي المواقف الموجبة له يعد مدحاً لدى كل عاقل.

قال ابن تيمية - في تسمية فعل الله

٦ - «شرح رياض الصالحين»، لابن عثيمين.

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٢٢)، لابن تيمية.

٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتيمي.

المكر

التعريف لغة:

المكر: يدل على الاحتيال، والخديعة، والمَغْرَة، والتدبير على العدو^(١).

التعريف شرعاً:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى في مقابل مكر الماكرين، وردّ كيد الكائدين، يتصف الله بها على وجه الكمال تقتضي مدحاً للموصوف.

وهي بمعنى: إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، والتوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم، وهي في محلها صفة كمال يحمد عليها^(٢).

(١) انظر: الصحاح (٢/٣٨٣)، ومقاييس اللغة (٥/٣٤٥)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٧٧٤)، والقاموس المحيط (٦١٣)، والمصباح المنير (٢/٥٧٧)، والفروق اللغوية للعسكري (٢٠٦).

(٢) انظر: إعلام الموقعين (٣/٢٢٩)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٣٣٥)، والقول المفيد لابن عثيمين (٢/٦٤)، وراجع: مجموع الفتاوى (٧/١١١).

وقال أبو إسحاق الحربي: «والكيد من الله خلافة من الناس، كما المكر منه خلافة من الناس»^(٣).

وقال ابن تيمية: «وهكذا وصف نفسه بالمكر والكيد، كما وصف عبده بذلك، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [١٥] و﴿وَكَيْدًا كَيْدًا﴾ [١٦] [الطارق]، وليس المكر كالمكر ولا الكيد كالكيد»^(٤).

وقال ابن القيم: «وكذلك المكر ينقسم إلى محمود ومذموم فإن حقيقته إظهار أمر وإخفاء خلافة ليتوصل به إلى مراده، فمن المحمود: مكره تعالى بأهل المكر مقابلة لهم بفعلهم جزاء لهم»^(٥).

المسائل المتعلقة:

إذا كانت الصفة كمالاً في حال، ونقصاً في حال، لم تكن جائزة في حق الله، ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تُثبت له إثباتاً مطلقاً، ولا تُنقى عنه نفيّاً مطلقاً، بل لا بد من التفصيل، فتجوز في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً، وذلك كالمكر، والكيد، والخداع، ونحوها، فهذه الصفات تكون

سبحانه بالماكرين والكائدين والمستهزئين مكرًا وكيدًا واستهزاء -: «بل تسميته مكرًا وكيدًا واستهزاءً وسيئة وعقوبة على بابه؛ فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، وكذلك الكيد، فإن كان ذلك الغير يستحق ذلك الشر كان مكرًا حسنًا، وإلا كان مكرًا سيئًا، بل إن كان ذلك الشر الواصل حقًا لمظلوم كان ذلك المكر واجبًا في الشرع على الخلق، وواجبًا من الله بحكم الوعد، إن لم يعف المستحق، والله سبحانه إنما يمكر ويستهزئ بمن يستوجب ذلك فيأخذه من حيث لا يحتسب»^(١).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا وَمَكْرًا أَلِيمًا﴾ [آل عمران].

وقال سبحانه: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل].

أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري: «وأما الذين زعموا أن قول الله تعالى ذكره: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، إنما هو على وجه الجواب، وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة، فنأفون عن الله ﴿وَكَيْدًا﴾ ما قد أثبتته الله ﴿وَكَيْدًا﴾ لنفسه، وأوجبها لها»^(٢).

(٣) غريب الحديث للحربي (٩٤/١) [جامعة أم القرى، ط ١، ١٤٠٥هـ].

(٤) التدمرية (٢٦).

(٥) إغاثة اللهفان (٣٨٨/١).

(١) الفتاوى الكبرى (١٢٩/٦).

(٢) تفسير الطبري (٣٠٦/١).

وأوليائه من النصر والعاقبة الحسنة، مع قلة ذات اليد لديهم؛ لكنه نصر الله تعالى الذي يكيد لهم ويمكر لهم.

٧ - ما يقع على الظالمين من العقوبة والعذاب، فهم وإن فرحوا بمكرهم واعتدائهم زماناً، إلا أن المال القريب هلاك وخسران، فهم يكيدون كيِّداً، والله يكيد كيِّداً، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال].

✿ مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة في إثبات هذه الصفة، وهذا بناء على ما أصّلوه في نفي الصفات.

فمخالفة الجهمية بناء على أصلهم الفاسد في أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه^(٢).

ومخالفة المعتزلة بناء على أصلهم في نفي الصفات؛ لاستلزامها التشبيه، ولأن تعدد الصفات يلزم منه تعدد القدماء^(٣)، فيثبتون المكر باعتبار أثره، ويجعلونه استعارة لأخذ العبد من حيث لا يحتسب^(٤).

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى (٢٢١) [دار التراث]، والملل والنحل للشهرستاني (٩٨/١) [دار المعرفة، ط ٢].

(٣) شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي (١٦٢) [مكتبة وهبة، ط ٣، ١٤١٦هـ].

(٤) انظر: الكشاف للزمخشري (٣/٣٧٧).

كماً لا إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها؛ لأنها حينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله، أو أشد، وتكون نقصاً في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [آل عمران]^(١).

✿ الآثار:

١ - التعبد لله تعالى بالخوف منه، وعدم أمن مكره وكيده، مع رجائه وحسن الظن به.

٢ - التجاء المؤمن إلى ربه وتوكل في ردّ مكر الماكرين، وصرف أذى المبطلين.

٣ - الحذر من المكر المؤدي إلى إحقاق باطل، أو إبطال حق؛ فمن مكر للباطل مكر الله به للحق.

٤ - يقين المؤمنين بنصر الله تعالى؛ فهو جاعل العاقبة للمتقين، يمكر لهم لا عليهم في ردّ مكر كل مبطل.

٥ - قيام ما خلق الله تعالى بالعدل والحكمة؛ فمن مكر ظلماً وعدواناً لا يدوم له مكر وإن فرح به زماناً؛ فالله تعالى لا يهدي كيد الخائنين، ومبطل بمكره مكر المبطلين.

٦ - ما يكون لرسول الله وأنبيائه

(١) انظر: القواعد المثلى (٢٩) [مكتبة السنّة، ط ٢].

لجميع ما أثبتته الله تعالى لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ يقررون هذا الأصل الجامع لكل الصفات، المانع من أي ظن كاذب أو لازم باطل، ومنها صفة المكر.

٣ - ثم إن إثبات الصفات الفعلية لا يلزم منه أن تكون ذاته محلاً لحوادث مخلوقة، فهو لم يزل ولا يزال فعالاً لما يريد، والنصوص الدالة على تعدد أفعاله وتنوعها لا تكاد تحصى، وليس في شيء منها ما يدل على أن شيئاً من المخلوقات يحل في ذاته^(٢).

الرد عليهم:

٤ - يقال لمنكر صفة الاستهزاء والمكر: إن الله ﷻ أخبرنا أنه مكر بقوم مضوا قبلنا لم نرهم، وأخبر عن آخرين أنه خسف بهم، وعن آخرين أنه أغرقهم، فصدّقنا الله تعالى ذكره فيما أخبرنا به من ذلك، ولم نفرق بين شيء منه.

فما برهانك على تفريقك ما فرقت بينه بزعمك أنه قد أغرق وخسف بمن أخبر أنه أغرق وخسف به، ولم يمكر بمن أخبر أنه قد مكر به؟ ثم نعكس القول عليه في ذلك، فلن يقول في أحدهما شيئاً إلا ألزم في الآخر مثله.

فإن لجأ إلى أن يقول: إن الاستهزاء عبث ولعب، وذلك عن الله ﷻ منفي.

ومخالفة الأشاعرة بناء على أصلهم في نفي الصفات الفعلية؛ لأن إثباتها يستلزم حلول الحوادث في ذات الله تعالى، وكذلك توهم النقص في إثبات هذه الصفة نظراً لجانب النقص الذي يحتمله إثباتها، فأولوها إلى صفة الإرادة التي يثبتونها ضمن الصفات العقلية السبع التي يثبتونها، فتكون الصفة عندهم بمعنى إرادة العقوبة، أو بمعنى العقوبة الواقع على الممكور به^(١).

١ - بنفي ما أحدثوه من لوازم باطلة، فإثبات الصفات لا يلزم منه تعدد القدماء، ولا التشبيه، ولا أيّاً من اللوازم الباطلة التي يجعلها النفاة مانعة لإثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه، وأثبتته له رسوله ﷻ من الأسماء والصفات.

فالله تعالى أثبت لنفسه صفات، وأثبتها لخلقه؛ كالعلم، والقدرة، والإرادة، والعظمة، ومن ذلك صفة مكره بالماكرين، ولم يلزم من هذا الإثبات أي معنى للتشبيه والتقص الذي يزعمه هؤلاء النفاة، بل المتقرر شرعاً وعقلاً ما أخبر به تعالى عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

٢ - وأهل السنة والجماعة في إثباتهم

(٢) انظر: رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية ضمن جامع الرسائل (٥٧/٢) [دار العطاء، ط١، ١٤٢٢هـ].

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١/١٢٩، ١٤/١٥١).

- ٣ - «جامع الرسائل»، لابن تيمية.
 ٤ - «الرسالة التدمرية»، لابن تيمية.
 ٥ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.
 ٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف.
 ٧ - «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.
 ٨ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.
 ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

الملائكة

التعريف لغةً:

الملائكة: جمع مَلَك، وهو تخفيف المَلَك، اجتمعوا على حذف همزه، قال الكسائي: أصله مَأَلَك بتقديم الهمزة من الأَلَوَك وهي الرسالة، يقال: أَلَكْنِي إِلَيْهِ؛ أي: أرسلني إليه، ثم قلبت وقدمت اللام فقليل: مَلَأَك ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقليل: مَلَك، فلما جمعه ردوها إليه فقالوا: ملائكة وملائك^(٢). ويأتي بمعنى المُلْك، قال ابن فارس: «الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة... والاسم المُلْك؛ لأن يده فيه قوة صحيحة»^(٣).

(٢) ينظر: لسان العرب (٤٨١/١٠) [دار صادر]، والقاموس المحيط (١٢٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٢].

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (٣٥١/٥، ٣٥٢).

قليل له: إن كان الأمر عندك على ما وصفت من معنى الاستهزاء، أفلست تقول: (الله يستهزئ بهم) و(سخر الله منهم) و(مكر الله بهم) وإن لم يكن من الله عندك هزاء ولا سخرية؟ فإن قال: لا. كذب بالقرآن، وخرج عن ملة الإسلام. وإن قال: بلى. قيل له: أف تقول من الوجه الذي قلت: (الله يستهزئ بهم) و(سخر الله منهم): يلعب الله بهم ويعبث؟ - ولا لعب من الله ولا عبث.. - فإن قال: نعم؛ وصف الله بما قد أجمع المسلمون على نفيه عنه، وعلى تخطئة واصفه به، وأضاف إليه ما قد قامت الحجة من العقول على ضلال مضيفه إليه. وإن قال: لا أقول: يلعب الله بهم ولا يعبث، وقد أقول: (يستهزئ بهم) و(يسخر منهم). قيل: فقد فرقت بين معنى اللعب والعبث، والهزاء والسخرية، والمكر والخديعة. ومن الوجه الذي جاز قيل هذا، ولم يجز قيل هذا، افترق معنيهما. فعلم أن لكل واحد منهما معنى غير معنى الآخر^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، لابن القيم.
 ٢ - «إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان»، لابن القيم.

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٠٦/١).

التعريف اصطلاحاً:

الحكم:

الإيمان بالملائكة واجب، وهو ركن من أركان الإيمان في الإسلام، لا يتحقق الإيمان إلا به.

الملائكة خلق من مخلوقات الله، حجبهم الله عنا، فلا نراهم، وربما كشفهم لبعض عباده، لهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وقدرة كبيرة على التنقل، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون^(١).

الحقيقة:

خلق الله الملائكة ﷺ من نور، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»^(٢). وَخُلِقَ الْمَلَائِكَةُ كَان قَبْلَ آدَمَ ﷺ قَطْعًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (٢٨) [الحجر].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

معنى الملائكة في اللغة: هو الرسل، ولا شك أن الملائكة ﷺ هم رسل الله تعالى إلى أنبيائه ﷺ، وإلى من شاء من خلقه ﷻ، يدل عليه قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحٍ﴾ [فاطر: ١]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَلِفِي مِّنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]. وعلى القول بأنه مشتق من الملك، وهو الأخذ بقوة؛ فلأن الملائكة أولو قوة وشدة في القيام بأداء ما أوكل الله إليهم القيام به.

المنزلة:

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان عبد إلا بتحقيقه.

الأهمية:

يدل على أهمية هذا الركن أن القرآن الكريم مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، والأمر بالإيمان بهم، والتحذير من الكفر بهم، وبيان أحوالهم مع الله تعالى ومع الناس، وبيان مراتبهم وأعمالهم، حتى أن بعض سور القرآن قد

(١) ينظر: تفسير الباب (١/١٢١) [دار الكتب العلمية]، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥/١٢٣) [دار إحياء التراث العربي]، والقول المفيد على كتاب التوحيد (٣/٦٥).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٩٦).

وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن
بالقدر خيره وشره. قال: صدقت^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: يتضمن الإيمان
بالملائكة عدة أمور لا بد للعبد من
تحقيقها حتى يتحقق له الإيمان بالملائكة
وهي:

أ - الإقرار بوجودهم والتصديق بهم،
كما دلّت على ذلك النصوص المتقدمة
من أن الإيمان بهم ركن من أركان
الإيمان فلا يتحقق الإيمان إلا بذلك.

ب - الإقرار بتكريم الله لهم، كما
تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ
بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء]
وقال: ﴿يَأْتِي سَفَرٌ ۝١٥ كَرَامٌ بَرَرٌ ۝١٦﴾
[عبس]. فوصفهم بأنهم مكرمون
منه ﷺ.

ج - الإقرار بشرفهم عنده ﷺ، فقد
قال في حقهم: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ
عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت]، فوصفهم بأنهم
عنده، وهذا تشريف لهم، ومن تشريف الله
للملائكة أنه تعالى أقسم بهم في غير
موضع من كتابه وهذا لشرفهم عنده،
فقال: ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ۝١١ فَالْزَجَرَتِ زَجْرًا

سميت باسمهم. والسنة مثل القرآن مليئة
بأخبارهم وأحوالهم مبيّنة لما أجمل من
أحوالهم في القرآن، أمرة بالإيمان بهم،
كما أمر بذلك القرآن^(١).

الأدلة:

الأدلة على هذا الركن كثيرة، منها:
قول الله تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ
إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْ رُّسُلِهِ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقوله
سبحانه: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبَلَ
الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَالْمَلَائِكَةَ ۖ وَالْكِتَابَ ۖ وَالنَّبِيِّينَ ۖ﴾
[البقرة: ١٧٧].

وحكم ﷺ بالكفر والضلال على من لم
يؤمن بأركان الإيمان، ومنها الإيمان
بالملائكة، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء].

وبيّن النبي ﷺ لأمته أن الإيمان
بالملائكة ركن من أركان الإيمان، يدل
عليه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه،
حينما أتى جبريل عليه السلام النبي ﷺ في
صورة البشر، وفيه: «فقال: فأخبرني عن
الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته،

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)،
من حديث عمر رضي الله عنه. وهو بنحوه عند البخاري
(كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان،
رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) ينظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى
والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (١٦، ١٧)
[أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ].

اللَّهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ [البقرة].

و - أن لا يغلو المسلم في الملائكة فيصرف لهم شيئاً من أنواع العبادة، ولا يعتقد فيهم غير ما أمره الله به، من أنهم خلق من خلق الله لا شأن لهم في الخلق والتدبير وتصريف الأمور؛ بل هم جند من جنود الله يعملون بأمر الله، والله تعالى هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له في ذلك. وقد حذر تعالى من اتخاذ الملائكة أرباباً من دون الله، فقال ﷺ: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]، وردَّ ﷺ على من قال: إن الملائكة بنات الله، وأنهم يشفعون من دون الله تعالى، فقال: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٣٦﴾ لَا يَسْئَلُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٣٨﴾ يَقُولُ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنبياء]. فهم مع إكرام الله لهم، ورفع منزلتهم بين مخلوقاته؛ إلا أنه لم يأمر بعبادتهم ولم يتخذ منهم ولداً كما زعم من كفر، بل هم له تعالى في غاية الطاعة قولاً وفعلاً، ولا يشفعون إلا بإذنه ورضاه.

ز - الإيمان المفصل بمن جاء

﴿قَالَتِ ابْنَتُ زَكَرِيَّا﴾ [الصفافات]، وقال المولى ﷺ: ﴿فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا﴾ [الملائكة] ﴿ذَكَرًا﴾ [المرسلات].

د - موالاتهم ومحبتهم، لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، فدخل الملائكة في هذه الآية؛ لأنهم مؤمنون قائمون بطاعة ربهم، كما أخبر الله عنهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم]، وأخبر ﷺ عن موالاته الملائكة لرسوله وللمؤمنين فقال: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت] فوجبت موالاته الملائكة على المؤمنين؛ لموالاتهم لهم ونصرهم وتأيدهم واستغفارهم لهم.

هـ - الحذر من بغضهم وعداوتهم، وذلك لأن عداوة الملائكة موجبة لعداوة الله وسخطه، فهم إنما يصدر عن أمر الله وحكمه، فمن عاداهم فقد عادى ربه، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ

ب - أنهم عقلاء، قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦] وقال ﷺ: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَفِظِينَ﴾ [١٠] كَرَامًا كُنِينَ [١١] [الانفطار]. وقال تعالى في خطابه للملائكة: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٠]، فأثبت الله ﷻ للملائكة علماً واتباعاً للأوامر واجتناباً للمعاصي، وهذا كله دلالة على كمال عقولهم.

ج - أنهم ينطقون، قال تعالى: ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٢]، وقال تعالى على لسان الملائكة وهم يخاطبون الكفار في النار: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

د - أنهم موصوفون بالقوة والشدة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُم نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاطٌ شِدَادٌ﴾ [التحریم: ٦]. وقال تعالى في وصف جبريل ﷺ الذي نزل بالوحي على محمد ﷺ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] أي: ذو قوة، وقال تعالى في وصف جبريل أيضاً: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠] أي: شديد الخلق، شديد

التصريح بذكرهم من الملائكة على وجه الخصوص في الكتاب والسنة؛ كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وغيرهم ممن جاءت النصوص بتسميتهم. وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف؛ كقريب وعetid، أو بذكر وظيفته؛ كملك الموت وملك الجبال، أو من جاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة؛ كحملة العرش، والكرام الكاتبين وغيرهم، ممن أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم.

- المسألة الثانية: صفاتهم:

اشتملت نصوص الكتاب والسنة على صفات كثيرة للملائكة ﷺ، منها:

أ - أنهم أحياء، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَيْمِ نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]، فالتسبيح والصلاة، والعروج إلى السماء والنزول إلى الأرض، ومخاطبة الملائكة لربهم ولرسله وللمن شاء تعالى من خلقه، ومخاطبة الملائكة للكفار مما هو مذكور في القرآن، فيه الدلالة على حياة الملائكة.

البطش والفعل^(١).

[النجم]؛ أي: أن الذي عَلَّمَهُ هو جبريل عليه السلام^(٥)، وهذا متضمن وصف جبريل بالعلم والتعليم.

ز- أنهم كرام أبرار، قال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝﴾ [عبس]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَثِيرِينَ ۝﴾ [الانفطار].

ح- ومن صفاتهم: الحياء؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حق عثمان رضي الله عنه: «أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»^(٦).

ط- ومن صفاتهم: الحسن والجمال، فالملائكة خلقوا على أجمل صورة، قال تعالى في حق جبريل عليه السلام: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۝﴾ [النجم] قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: «ذو منظر حسن»^(٧). وقال تعالى حال النسوة اللاتي رآين يوسف عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝﴾ [يوسف] وإنما قلن ذلك لما هو مقرر عند البشر من وصف الملائكة بالجمال والحسن.

- المسألة الثالثة: خصائصهم:

اختص الله الملائكة بخصائص

هـ- عظم خلقهم: فهم موصوفون بعظم الأجسام والخلق، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَكُوتٌ غَلَاطٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦]، وعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن جبريل: «لم أره على صورته التي خُلِقَ عليها غير مرتين، رأيتُه منهبطاً من السماء ساداً عِظْمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض»^(٢)، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته، له ستمائة جناح»^(٣)، وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»^(٤).

و- العلم، فقد أثبت الله ﷻ للملائكة علماً وأثبت لنفسه علماً لا يعلمونه، وذلك في قوله تعالى مخاطباً الملائكة: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة]، وقال تعالى مخبراً عن عبده ورسوله محمد ﷺ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝﴾

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/٤٤٤، ٨/٣٣٨) [دار طيبة، ط ٤، ١٤٢٨هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٤).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السنن، رقم ٤٧٢٧)، وصححه الذهبي في العلو (رقم ٢٣٤)، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥١).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/٤٤٤).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠١).

(٧) أخرجه الطبري في التفسير (٢٢/٤٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يَغْنَى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾﴾ [النجم]، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهمْ يَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهِ وَلِيَهُمْ لَكُذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الصافات].

د - الملائكة باقون على أصل خلقتهم، لا يتوالدون ولا يتزاوجون، وهذا يدل عليه ظاهر الآيات السابقة.

هـ - أنهم لا يأكلون ولا يشربون، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثُ ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَهُ أَهْلِهِ فَجَاءَ يَعْبُدُ سَمِينَ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَعْلَمٍ عَلَيْهِ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود].

و - قدرتهم على التشكل، فقد جاؤوا إبراهيم في صورة بشر فلم يعرف أنهم ملائكة، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثُ ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الذاريات]،

اختصوا بها عن سائر المخلوقات، منها:

أ - سكن الملائكة هو السماء، فمنازلهم هي السماء، قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطِرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴿٥﴾﴾ [الشورى]، وقال ﷺ: «أُطَّتِ السماء، وحق لها أن تنط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد»^(١). وإنما ينزل الملائكة إلى الأرض تنفيذًا لأمر الله في الخلق وما أسند إليهم من تصريف شؤونهم. قال تعالى: ﴿يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهٖ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل: ٢].

ب - تفاوتهم في الخلق، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له ستمائة جناح، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحٍ مثنًى وَثَلَاثَ وَرُبْعٍ بَرِّدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١].

ج - لا يوصف الملائكة بالأنوثة، قال تعالى منكرًا على الكفار قولهم: إن الملائكة بنات الله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف]،

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الزهد، رقم ٢٣١٢) وحسنه، وأحمد (٤٠٥/٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٨هـ] واللفظ له، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٨٨٣) وصححه، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٣٨٠) [مكتبة المعارف، ط ٥].

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ ﴿٢٠﴾
[الأنبياء].

ط - مبادرتهم إلى امتثال أمر الله تعظيماً له، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر]. وهم لا يفعلون شيئاً إلا بوحية وأمره يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَسْقُوْنَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُوْنَ﴾ [الأنبياء].

ي - جعل الله الملائكة فرقاً بين الحق والباطل، فهي تنزل بأمر الله تعالى على الرسل، تفرق به بين الحق والباطل، والهدى والغى، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحياً فيه إغذار إلى الخلق، وإنذاراً لهم عقاب الله إن خالفوا أمره، قال ﷺ: ﴿فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا﴾ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١

مسعود عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»^(٤)، كما أن ما ورد في النصوص عن وجود ملائكة تقوم على الإنسان: فهناك ملك موكل بالنطفة، وملك لكتابة الأعمال، وملائكة لحفظه، وملائكة سيّاحة تبحث عن مجالس العلم، وملائكة تتعاقب على البشر، دلالة على أعدادهم الكثيرة التي لا يعلم بها إلا الله.

- المسألة الخامسة: تفاضلهم:

تفاضل الملائكة وعدم تساويهم في الفضل والمنزلة عند الله، دلّت عليه النصوص الشرعية، قال تعالى على لسان الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنِ الْإِنسَانِ﴾ [الحج: ٧٥]. وقال عليه السلام: «لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ» [النساء: ١٧٢] فأخبر أن منهم مصطفين بالرسالة ومقربين، فدلّ على فضلهم على غيرهم. وقال عن جبريل عليه السلام: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [٤] ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ [٢٠] [التكوير]؛ أي: له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٢).

صفوفاً منتظمة: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر] ويقفون بين يدي الله تعالى صفّا: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا].

ل - أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب أو صورة، فعن أبي طلحة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة تماثيل»^(١).

- المسألة الرابعة: عددهم:

عدد الملائكة لا يحصى ولا يعد، فلا يعلم عدد الملائكة عليه السلام إلا الله تعالى، قال عليه السلام: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر]. وفي حديث البيت المعمور، قال عليه السلام: «يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم»^(٢)، قال ابن حجر رحمته الله: «استدل به على أن الملائكة أكثر المخلوقات؛ لأنه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد جنسه في كل يوم سبعون ألفاً، غير ما ثبت عن الملائكة في هذا الخبر»^(٣)، وفي حديث عبد الله بن

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٢٥)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤)، واللفظ له.

(٣) فتح الباري (٧/ ٢٥٥) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

وَلَدَأْ سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٦﴾ لَا يَسْقُونَهُمْ بِأَلْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾ [الأنبياء]. فهذا صريح في براءتهم عن المعاصي وكونهم متوقفين في كل الأمور إلا بمقتضى الأمر والوحي.

وعن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه قال: «دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله! نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرًا. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم؛ ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ثلاث مرات» ^(٣).

ووجه الدلالة هنا: أن من كان منزهاً عن الوقوع في الغفلة، وكان ملازمًا لذكر الله وعبادته في كل وقته كان شبيهاً بالملائكة. أيضًا فإن الله تعالى حكى عن الملائكة أنهم طعنوا في البشر بالمعصية، ولو كانوا من العصاة، لما حسن منهم ذلك الطعن. أيضًا حكى تعالى عنهم أنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ومن كان كذلك امتنع

تعالى. وأفضل الملائكة: المقربون مع حملة العرش، وأفضل المقربين الملائكة الثلاثة الوارد ذكرهم في دعاء النبي ﷺ الذي كان يفتح به صلاة الليل فيقول: «اللَّهُمَّ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة» ^(١)، وأفضل الملائكة في الجملة من شهد منهم معركة بدر، فعن رفاعة بن رافع رضي الله عنه؛ أن جبريل جاء للنبي ﷺ، فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة» ^(٢).

- المسألة السادسة: عصمتهم:

دلت نصوص القرآن والسنة على عصمة كل الملائكة عن جميع الذنوب؛ فمنها:

قوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ^(١) [التحريم]، وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ^(٢) [النحل]، فقوله: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ^(٣) يتناول فعل جميع المأمورات وترك المنهيات؛ لأن المنهي عن الشيء مأمور بتركه. ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٣٩٩٢).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٠).

صدور المعصية منه^(١).

- المسألة السابعة: أسماء الملائكة:

للملائكة أسماء عامة مثل: الرسل، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ﴾ [فاطر: ١]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَكِئَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]. والسفيرة، قال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ [١٥] ﴿كَرَامَ بَرَقٍ﴾ [١٦] ﴿عَبَسَ﴾. والجنند، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. والملائكة الأعلى، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [٦٩] ﴿وَقَالَ: لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيَقْدِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: ٨] ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨].

كذلك للملائكة أسماء خاصة؛ منها: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، يدل عليه قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]. وقد ذكرهم النبي ﷺ في قوله: «اللَّهُمَّ رَبَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل»^(٢). ومنهم: مالك خازن النار، قال تعالى: ﴿وَنَادَا بِمَلَكِكَ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْنُوتُونَ﴾ [٧٧].

[الزخرف]. ومنهم: منكر ونكير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبر الميت - أو قال: أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر والآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل»^(٣)، الحديث. ومنهم: ملك الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتُوفَنَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [١١] [السجدة]. ومنهم: هاروت وماروت، قال تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

- المسألة الثامنة: عبادة الملائكة:

ورد في القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ، عبادات متعددة للملائكة، منها:

أ - التسبيح، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [غافر: ٧]، وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [٣٨] [فصلت].

ب - الصلاة، وشاهده قول النبي ﷺ للصحابه قبل دخوله في الصلاة: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها تبارك وتعالى؟ قال: قلنا: يا رسول الله

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧١) وحسنه، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٧)، وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٩١).

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٦٦/٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣].

(٢) تقدم تخريجه.

والملائكة من أكثر المخلوقات خشية لله ﷻ وخوفًا منه، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل].

و - المحبة، فالملائكة تحب الله تعالى وتحب من يحبه الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبيه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض»^(٥).

- المسألة التاسعة: وظائف الملائكة:

للملائكة وظائف وأعمال كلّفهم الله تعالى بها، وأعطاهم القدرة على تأديتها الوجه الأكمل. وهم بحسب ما يقومون به من وظائف وأعمال، كما يلي:

- تبليغ وحى الله ﷻ إلى رسله ﷺ، والموكل بالوحي هو جبريل، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [١٩٣] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ [الشعراء]، وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل]، وقد وصف الله جبريل عليه السلام بالقوة والأمانة على تأدية مهمته، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ

وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يَتَمَّمُونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاوُونَ فِي الصَّفِّ»^(١)، وفي حديث الإسراء: «فَرُفِعَ لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»^(٢).

ج - السجود، دلّ عليه حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم: «هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء يا رسول الله! قال رسول الله ﷺ: إني لأسمع أطيّط السماء، وما تلام أن تتط، وما فيها موضع قدم إلا وعليه ملك إما ساجدٌ وإما قائمٌ»^(٣).

د - الحج، ودليله ما جاء في حديث الإسراء الطويل، أن النبي ﷺ قال: «فَرُفِعَ لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم»^(٤).

هـ - الخشية والخوف، ولا شك أن

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثنائي (٤٢٢/١) [دار الراية، ط ١]، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٦٧/٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٨٥٢).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٩)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٣٧).

الصور ملك من الملائكة لم يثبت في تسميته حديث صحيح؛ بل الثابت ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته وأصغى سمعه، ينظر متى يؤمر»، قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا» ^(٣).

- قبض أرواح العباد، والموكل بقبضها ملك الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة]، ولملك الموت أعوان من الملائكة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام].

- ومن الأعمال التي يقومون بها ما يقوم به الملك الموكل بالجبال، وقد ورد ذكره في حديث خروج النبي ﷺ إلى أهل الطائف، وفيه: «فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين». فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ^(١) مُطَاعٌ ثُمَّ آمِينَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [التكوير].

- إنزال القطر من السماء، والموكل به هو ميكائيل عليه السلام لما ثبت في حديث ابن عباس رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام على أي شيء ميكائيل فقال: «على النبات والقطر» ^(١). وقد ورد ذكر ميكائيل عليه السلام في القرآن، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة]. وهناك ملائكة تزجر السحاب وتسوقه، كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا﴾ [الصافات]، وعلى ذلك فإنهم من أتباع ميكائيل عليه السلام.

- النفخ في الصور، والصور: هو القرن الذي ينفخ فيه، كما ورد في المسند عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال أعرابي: يا رسول الله، ما الصور؟ قال: «قرن ينفخ فيه» ^(٢). والذي ينفخ في

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش (٤٦٢) [مكتبة الرشد، ط ١]، والطبراني في الكبير (٣٧٩/١١) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وقال الهيثمي في المجمع (١٩/٩) [مكتبة القدسي]: فيه محمد بن أبي ليلى، وقد وثقه جماعة، ولكنه سيئ الحفظ، وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٤٢)، والترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٣٠) وحسنه، وأحمد (٥٣/١١) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨٤٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٨٠).

(٣) أخرجه الترمذي (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٣١) وحسنه، وأحمد (٨٩/١٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٥٦٩) [مكتبة المعارف، ط ٥].

يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»^(١).

- ومنها ما يقوم به الملك الموكل بالرحم، على ما دلّ عليه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله صلى الله عليه وسلم قد وُكِّل بالرحم ملكاً يقول: يا ربّ! نطفة. يا ربّ! علقة. يا ربّ! مضغة. فإذا أراد الله أن يقضي خلقاً، قال الملك: أي رب! ذكر أو أنثى؟ شقي أو سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه»^(٢).

- ومن أعمالهم حمل العرش، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

- ومنهم خزنة الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلم عليكم طيبتم فأدخلوها خلدن» [الزمر: ٧٣]. وقال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣١) واللفظ له، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحيض، رقم ٣١٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٦) واللفظ له.

- ومنهم خزنة النار وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُحَقِّقْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [٧] سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ [١٨] [العلق]، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [٢٠] وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا [المدرثر: ١٨].

- ومنهم زوار البيت المعمور، سبعون ألف ملك يدخلون فيه ثم لا يعودون إليه، كما ورد في حديث الإسراء الطويل؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فرُفِع لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم»^(٣).

- ومنهم ملائكة سياحون يتتبعون مجالس الذكر، لما ثبت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله، تنادوا: هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون: يسبحونك، ويكبرونك ويحمدونك،

(٣) تقدم تخريجه.

ويمجدونك»^(١).

قال: قال النبي ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر»^(٤).

- ومن أعمال الملائكة: الدعاء للمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب]. وعن أبي هريرة رضى الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث، تقول: اللَّهُمَّ اغفر له، اللَّهُمَّ ارحمه»^(٥).

- ومنها الاستغفار للمؤمنين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر].

- ومنها أنها تصلي مع المصلين خلف الإمام، لما ثبت عن أبي هريرة رضى الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده فقولوا: اللَّهُمَّ ربنا لك الحمد فإنه من وافق قوله قول

- ومن الملائكة من يتعاقبون على المسلمين في صلاة العصر وصلاة الفجر، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الملائكة يتعاقبون؛ ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم يصلون وأتيناهم يصلون»^(٢).

- ومنهم من يبلغون النبي ﷺ وهو في قبره السلام من أمته، فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله مَلَائِكَةً سِيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يَلْغَوْنَ مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»^(٣).

- ومنهم من يقفون على أبواب المساجد يوم الجمعة، يكتبون الأول فالأول، كما في حديث أبي هريرة رضى الله عنه

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٤٠٨) وهذا لفظه، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٢٣) واللفظ له، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٦٣٢).

(٣) أخرجه النسائي (كتاب صفة الصلاة، رقم ١٢٨٢)، وأحمد (٣٨٧/١، ٤٤١، ٤٥٢) [مؤسسة قرطبة، مصر (مصورة عن الطبعة الميمنية)]، والدارمي (كتاب الرقائق، رقم ٢٨١٦)، وابن حبان في صحيحه (كتاب الرقائق، رقم ٩١٤)، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير، رقم ٣٥٧٦) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٥٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢١١). ومسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٥٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٤٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٦٤٩).

الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١).

- المسألة العاشرة: موت الملائكة:

ظاهر النصوص تدلُّ على بقاء الملائكة أحياء - كلهم أو بعضهم - إلى حين النفخ في الصور، وإنما وقع الخلاف بين العلماء عند النفخ في الصور، فهل يشمل ذلك الملائكة أو لا؟ والذي ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله هو أن الملائكة تصعق عند النفخ في الصور مثلها مثل سائر المخلوقات. قال ابن تيمية: «الذي عليه أكثر الناس، أن جميع الخلق يموتون حتى الملائكة وحتى عزرائيل ملك الموت»^(٤). ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(٥) [سبأ]، قال ابن كثير رحمته الله: «إنه تعالى إذا تكلم بالوحي، سمع أهل السماوات كلامه، أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي»^(٥). وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجبر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم، قال: فيقولون: يا

- ومنها كتابة أعمال العباد وإحصاؤها عليهم، والذي يقوم بها هم الكرام الكاتبون، قال تعالى: ﴿...عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۚ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٦) [ق]، وقال تعالى: ﴿وإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۚ كِرَامًا كَنِينًا ۚ يَعْلَمُونَ مَا تَعْلَمُونَ﴾^(٧) [الانفطار].

- ومنها سؤال العباد في قبورهم، ودليله حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه - إنه ليسمع قرع نعالهم - أتاه ملكان، فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل - لمحمد ﷺ؟ - فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا»^(٢).

- ومنها حراسة المدينة من الدجال، لما روى البخاري عن أنس وأبي بكرة عن النبي ﷺ: «تحرص الملائكة المدينة من الدجال»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٢٨)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٧٤) وهذا لفظه، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٠).

(٣) أخرجه البخاري معلقًا مجزومًا به (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣٩)، ووصل حديث أنس في (كتاب الحج، رقم ١٨٨١)، ووصل حديث أبي بكرة في (كتاب

الفتن، رقم ٧١٢٥). وأخرج حديث أنس أيضًا: مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٣).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٥٩/٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ].

(٥) تفسير ابن كثير (٥١٤/٦).

العلم، ومنها: الاقتداء بالملائكة في إتقان الأعمال، والقيام بها على الوجه الأكمل. ومنها: عدم استكثار ما يقوم به العبد من العمل الصالح، إذا قارنه بما تقوم به الملائكة دون تدمير أو ملل منها. ومنها: أن يحرص العبد كل الحرص على أن يبتعد عن المعاصي والذنوب إذا علم أن الله قد وكل به ملك يكتب أقواله وأفعاله.

✽ مذهب المخالفين:

ذهبت طوائف من الإسماعيلية إلى أن الملائكة هم دعاة الإسماعيلية، يقول النعمان القاضي الإسماعيلي: «الملائكة هم الحجج، وأرباب دعوته القائمون بها، وهم الدعاة الآخذون عهده على المستجيبين لهم»^(٤)، ويقول أحمد الكرمانى: «الملائكة هم حدود الدعوة»^(٥)، في حين ذهب آخرون إلى أن الملائكة جواهر روحانية وقوى عقلية بحتة لا صلة لها بعالم الأجسام، يقول الداعي الإسماعيلي شمس الدين الطيبي عن المقربين من الملائكة: «وأما الملائكة المقربون فهم القوى العاملة في العوالم العالية والسافلة»^(٦). وقول

جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق، فيقولون: الحق الحق»^(١). قال ابن تيمية: «فقد أخبر أنهم يصعقون صعق الغشي، فإذا جاز عليهم صعق الغشي؛ جاز صعق الموت»^(٢). أما الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، فهو متناول لمن في الجنة، فإن الجنة ليس فيها موت^(٣)، والله أعلم.

✽ الآثار:

للإيمان بالملائكة آثار عظيمة، منها: العلم بعظمة الخالق ﷻ وكمال قدرته وسلطانه. ومنها: شكر الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم، وغير ذلك مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة. ومنها: محبة الملائكة على ما هداهم الله إليه من تحقيق عبادة الله على الوجه الأكمل. ومنها: الحرص على ارتياد الأماكن التي تحبها الملائكة؛ كالمساجد وحلّق

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٣٨)، وابن حبان في صحيحه (كتاب الوحي، رقم ٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال ابن القيم: (هذا الإسناد كلهم أئمة ثقات). مختصر الصواعق (٤٨٨) [دار الحديث، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٩٣) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦٠).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ٢٦٠).

(٤) الرسالة المذهبية، للقاضي النعمان (٨٤) [ضمن خمس رسائل إسماعيلية، دار الإنصاف، ١٣٧٥هـ].

(٥) راحة العقل للداعي أحمد حميد الدين الكرمانى (٥٨٢) [دار الأندلس، ط ٣، ١٩٨٣م].

(٦) الدستور ودعوة المؤمنين للحضور، للداعي =

والطبيبي الإسماعيلي قريب من قول الفلاسفة الذين زعموا أن الملائكة عقول مجردة، ونفوس مديرة لهذا العالم^(١). وممن أنكر الملائكة إياجا محمد زعيم منظمة أمة الإسلام في أمريكا، حيث إن من الأصول التي بنى عليها مذهبه: الإيمان بما هو محسوس ومشاهد فقط، وبما أن الملائكة محجوبون عن البشر، فالإيمان بهم غير وارد لديه^(٢). أيضًا فإن بعضًا ممن ينتسب إلى الإسلام ممن تأثر بالمنهج العقلي في تناول النصوص: أنكر وجود الملائكة، بزعمه أن الإيمان بالملائكة مخالف للحس، وغير واقعي، ولا يقبله كل الناس^(٣). في حين زعم آخرون أن الملائكة أرواح مجردة، ونفوا أن تتمثل الملائكة بصوت أو صورة حقيقيين، وإنما هو إشراق يقع في نفس النبي فيحصل له شيء من العلم الإلهي^(٤).

ولا شك في أن الأقوال السابقة كلها مخالفة للقرآن والسنة وإجماع السلف الصالح، فحاشا أن تكون الملائكة دعاة بدعة وضلالة كما زعمت الإسماعيلية، بل هذا تكذيب منهم للقرآن الذي نفى أن تكون الملائكة بشرًا، كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ (٨) ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَكَا يَلْبِسُونَ﴾ (٩) [الأنعام]. قال القرطبي في تفسيره: «قال ابن عباس: لو رأوا الملك على صورته لماتوا؛ إذ لا يطيقون رؤيته. وقال مجاهد وعكرمة: لقامت الساعة. وقال الحسن وقتادة: لأهلكوا بعذاب الاستئصال؛ لأن الله أجرى سنته بأن من طلب آية فأظهرت له فلم يؤمن؛ أهلكه الله في الحال، ولو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكًا؛ لنفروا من مقاربتة، ولما أنسوا به، ولداخلهم من الرعب من كلامه والاتقاء له ما يكفهم عن كلامه، ويمنعهم عن سؤاله، فلا تعم المصلحة، ولو نقله عن صورة الملائكة إلى مثل صورتهم ليأنسوا به وليسكنوا إليه لقالوا: لست ملكًا وإنما أنت بشر فلا نؤمن بك وعادوا إلى مثل حالهم»^(٥).

الطبيبي الإسماعيلي قريب من قول الفلاسفة الذين زعموا أن الملائكة عقول مجردة، ونفوس مديرة لهذا العالم^(١).

وممن أنكر الملائكة إياجا محمد زعيم منظمة أمة الإسلام في أمريكا، حيث إن من الأصول التي بنى عليها مذهبه: الإيمان بما هو محسوس ومشاهد فقط، وبما أن الملائكة محجوبون عن البشر، فالإيمان بهم غير وارد لديه^(٢).

أيضًا فإن بعضًا ممن ينتسب إلى الإسلام ممن تأثر بالمنهج العقلي في تناول النصوص: أنكر وجود الملائكة، بزعمه أن الإيمان بالملائكة مخالف للحس، وغير واقعي، ولا يقبله كل الناس^(٣). في حين زعم آخرون أن الملائكة أرواح مجردة، ونفوا أن تتمثل الملائكة بصوت أو صورة حقيقيين، وإنما هو إشراق يقع في نفس النبي فيحصل له شيء من العلم الإلهي^(٤).

= الإسماعيلي شمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطبيبي (٦٨) [ضمن أربع رسائل إسماعيلية، دار مكتبة الحياة، ط٢، ١٩٧٨م].

(١) ينظر: فصوص الحكم للفارابي (٧٣) [انتشارات بيدار، ط٢، ١٤٠٥هـ]، ورسالة في الحدود لابن سينا (٧٤) [ضمن سبع رسائل في الحكمة والطبيعات، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٢) ينظر: منظمة إياجا محمد الأمريكية دراسة وتحليل، لعبد الوهاب أبو سليمان (٧١) [دار الشروق، ط١، ١٣٩٩هـ].

(٣) ينظر: قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر لحسن حنفي (٩٣) [دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٨٧م].

(٤) ينظر: رسالة التوحيد لمحمد عبده (١٠٥، ١٠٦).

[دار إحياء العلوم، ط٤، ١٤٠٢هـ].

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٣٢٧/٨، ٣٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ].

- وليس الملائكة ﷺ جواهر عقلية أو أرواحاً مجردة كما زعم من زعم من الفلاسفة ومن تأثر بهم في هذا العصر؛ بل الملائكة خلق من خلق الله، لهم أجسام حقيقية، وأصل مادة خلقهم هي النور كما مر معنا، خصهم الله بعدم قدرة البشر على رؤيتهم إلا من استثناه الله تعالى، ومنهم النبي محمد ﷺ حيث رأى جبريل ﷺ في صورته الحقيقية، كما ثبت من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته، وله ستمائة جناح»^(١).
- ٨ - «عمدة القاري» (ج ١٥)، للعيني.
- ٩ - «القول المفيد على كتاب التوحيد» (ج ٣)، لابن عثيمين.
- ١٠ - «لوامع الأنوار البهية»، للسفاريني.
- ١١ - «معارج القبول»، لحافظ بن أحمد الحكيمي.
- ١٢ - «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، لمحمد بن عبد الوهاب العقيل.
- ١٣ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج ١)، للحليمي.

المِلَّة

التعريف لغةً:

المِلَّة - بكسر الميم - هي في اللغة: السُّنَّة والطريقة، تقول: هذا طريق مُمَلٍّ؛ أي: لِحِبِّ مسلوك، واختلف في أصل المِلَّة في اللغة، فقليل: أصلها من المَل، قال أبو هلال العسكري: «وأصل الملة في العربية من المَل، وهو أن يعدو الذئب على شيء ضرباً من العدو، فسميت الملة ملة لاستمرار أهلها عليها»^(٢).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لنخبة من العلماء.
- ٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.
- ٣ - «تفسير الباب» (ج ١)، لابن عادل الحنبلي.
- ٤ - «الجامع لشعب الإيمان» (ج ١)، للبيهقي.
- ٥ - «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.
- ٦ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.
- ٧ - «عالم الملائكة الأبرار»، لعمر بن سليمان الأشقر.

(٢) الفروق اللغوية (٢٢٠) [دار العلم والثقافة]، وانظر: لسان العرب (٦٣١/١١) [دار الفكر]، ط ١، ١٤١٠هـ.

صحيحة، وهذا القول هو الراجح لشموله جميع الديانات، بخلاف التعريف الأول فلا يشمل إلا الديانات الصحيحة. وقول ابن القيم رحمته الله كأنه أراد بذلك بيان المراد بملة إبراهيم عليه السلام التي أمرنا الله باتباعها، ولم يرد تعريف الملة على وجه العموم.

وقد ورد إطلاق لفظ الملة في القرآن بهذا المعنى، فجاء إطلاقها على دين إبراهيم عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، كما ورد إطلاقها على ديانة من لا يؤمن بالله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧] ^(٦).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

لما كانت الملة في اللغة تطلق على الدين والشرعة، أُطلقت في الاصطلاح بهذا المعنى، فصارت تطلق على الديانة سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة.

سبب التسمية:

اختلف في سبب تسمية الملة بهذا الاسم، على أقوال:

١ - قيل: سميت الملة بهذا الاسم؛ لأن الملك يملئ الوحي على

(٦) انظر: المفردات، للراغب (٧٧٣)، وعلم الملل ومناهج العلماء فيه (١٠، ١١) [دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٥هـ].

وقيل: أصلها من أملتت، يقال: أملتت الكتاب؛ أي: أملتته، قال الراغب الأصفهاني: «وأصل الملة من: أملتت الكتاب، قال تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ٢٨٢]» ^(١).

والمَلَّة بالفتح: الرماد الحار، والجمر، ومنه قولهم: خبز مَلَّة، وذلك أنه إذا دفن فيه الخبز وغيره تكرر عليه الحمي حتى ينضج ^(٢).

التعريف اصطلاحًا:

الملة اصطلاحًا: قيل: هي الدين والشرعة، وكل ما جاء عن طريق الرسل عليهم السلام، كملة الإسلام والنصرانية واليهودية ^(٣)، قال الراغب الأصفهاني: «الملة كالدين، وهي اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء» ^(٤).

وقال ابن القيم: «الملة: هي الدين، وهي مجموعة أقوال وأفعال واعتقاد ودخول الأعمال في الملة كدخول الإيمان» ^(٥).

وقيل: هي الديانة التي يدين بها جنس من البشر، سواء كانت صحيحة أم غير

(١) المفردات للراغب (٧٧٣) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]. وانظر: المصباح المنير (٤٧٤).

(٢) انظر: الصحاح (١٨٢١/٥) [دار الملايين، ط٣، والقاموس المحيط (١٣٦٧) مؤسسة الرسالة ط٢].

(٣) انظر: الصحاح (١٨٢١/٥)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٣٦٠/٤).

(٤) المفردات، للراغب الأصفهاني (٧٧٣).

(٥) تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القيم (١٢٣).

محمد ﷺ، قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران: ٩٥]، قال: «أي: اتبعوا ملة إبراهيم التي شرعها الله في القرآن على لسان محمد ﷺ وهي الطريقة التي لم يأت نبي بأكمل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أتم» (٣).

٢ - الملة الباطلة:

والملة الباطلة: هي كل ملة خارجة عن ملة الأنبياء ﷺ، ويدخل في ذلك جميع ملل الكفر، قال تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧]، ومن أمثلة ذلك، الأديان الوثنية كالهندوسية، والبوذية وغيرهما، ويدخل في ذلك الأديان المحرفة كالنصرانية واليهودية.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: نسخ جميع الملل بدين الإسلام:

نسخ الله تعالى جميع ملل الأنبياء وأديانهم بملة محمد ﷺ وهو دين الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقد بعث الله نبينا محمدا ﷺ للناس عامة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

الأنبياء ﷺ، فسميت ملة من الإماء، قال أبو المظفر السمعاني - في كلامه على الملة -: «قيل: هي عبارة عما يُملة الملك على النبي ﷺ من الوحي» (١).

٢ - وقيل: إنما سميت بذلك لاستمرار أهلها عليها، قاله أبو هلال العسكري كما تقدم.

٣ - وقيل: إنما سميت بذلك لتكرار ذلك عليهم، ذكر ذلك أبو هلال العسكري فقال: «وقيل: أصلها التكرار من قولك: طريق مليل إذا تكرر سلوكه حتى توطأ، ومنه الملل وهو تكرار الشيء على النفس حتى تضجر» (٢).

الأقسام:

١ - الملة الصحيحة:

والملة الصحيحة هي ملة الأنبياء ﷺ وهي: اسم لما شرعه الله لعباده عن طريق الأنبياء ﷺ؛ ليتوصلوا به إلى السعادة في الدنيا والآخرة، وملة الأنبياء هي التوحيد ومجانبة الشرك، قال الله تعالى عن يوسف ﷺ: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [٢٨] [يوسف: ٢٨].

وأفضل الملل والشرائع ملة نبينا

(١) تفسير السمعاني (٢/ ٢٠١).

(٢) الفروق اللغوية (٢٢٠).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٤١٠) [دار المعرفة، ط ١].

وقد نشأت هذه الدعوة بين النصارى الغربيين، وتبناها مجلس الكنائس العالمي، واستجاب لها نفر قليل من المسلمين، ممن نشأ في بلاد الغرب وتربى على الثقافات الغربية^(٢).

وقد تصدى لهذه الدعوة كثير من العلماء، وبيّنوا خطرها على المسلمين. وتوالى الفتاوى من الهيئات الشرعية، والمجامع الفقهية في بيان حقيقتها، وحكم الدعوة إليها أو اعتقاد صحتها، فمن ذلك:

ما ورد في فتوى اللجنة الدائمة حول هذه الدعوة من قولهم: «إن الدعوة إلى وحدة الأديان، إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله ﷻ، وتبطل صدق القرآن، ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام، من قرآن وسنة وإجماع»^(٣).

وقال الشيخ بكر أبو زيد، في الرد على من ينادي بطبع القرآن الكريم، مع

(٢) انظر: دعوة التقريب بين الأديان لأحمد القاضي [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٣) فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، رقم (١٩٤٠٢)، وتاريخ: ١٤١٨/١/٢٥هـ.

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ [سبأ]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿يَتَّخِذُهَا النَّاسُ﴾ وهذا خطاب للأحمر والأسود، والعربي والعجمي، ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلْئَاؤُكُمْ مَوْعِدُهُمْ﴾ [هود: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَاسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ [آل عمران: ٢٠]، والآيات في هذا كثيرة، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم»^(١).

المسألة الثانية: الدعوة إلى وحدة

الملل والأديان:

هذه الدعوة، هي دعوة كفرية خبيثة، هدفها زعزعة المسلمين عن دينهم، وصدّهم عن عقيدتهم.

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٨٣).

الملة والدين في الأصل بمعنى واحد، لا سيما في إطلاق كل منهما على جملة الشريعة، سواء كانت باطلة أم صحيحة^(٢).

- الفرق بين الملة والنحلة:

المشهور عند علماء الملل والنحل، إطلاق لفظ (النحلة) على العقائد والآراء الباطلة التي تنتحلها بعض الفرق المنحرفة، فعلى هذا تكون الملة أعم من النحلة، حيث تطلق على الديانات سواء كانت صحيحة أو باطلة^(٣).

وذهب ابن حزم إلى إطلاق هذا اللفظ على معنى (الفرقة) سواء كانت معتقداتها وآرائها صحيحة أم منحرفة، وعلى هذا تكون النحلة مرادفة للملة، لكن القول الأول هو المشهور عند أهل هذا الفن وهو الأقرب في ذلك^(٤).

المصادر والمراجع:

١ - «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان»، لبكر أبي زيد.

٢ - «تفسير ابن كثير».

٣ - «تفسير السمعاني».

٤ - «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي.

أسفار وإصحاحات اليهود والنصارى المحرفة: «كيف لا يستحي من المنتسبين إلى الإسلام من يدعو إلى طبع هذه الأسفار والإصحاحات المحرفة المفتري فيها، مع كتاب الله المعصوم (القرآن الكريم)؟ إن هذا من أعظم المحرمات، وأنكى الجنايات، ومن اعتقده صحيحاً فهو مرتد عن الإسلام»^(١).

الفروق:

- الفرق بين الملة والدين:

١ - أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي ﷺ الذي تسند إليه، نحو قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٥]، وقوله: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾ [يوسف: ٣٨]، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله تعالى، ولا إلى آحاد أمة النبي ﷺ، فلا يقال: ملة الله، ولا يقال: ملتي وملة زيد، بخلاف الدين فيقال: دين الله ودين زيد.

٢ - لا تستعمل الملة إلا في جملة الشرائع دون آحادها، ولا يقال: الصلاة ملة الله، بخلاف الدين.

٣ - تقال الملة اعتباراً بالشيء الذي شرعه الله، وأما الدين فيقال اعتباراً بمن يقيمه؛ إذ كان معناه الطاعة.

وهناك من العلماء من ذهب إلى أن

(٢) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٢٢٠)، والمفردات للراغب (٧٧٣).

(٣) انظر: علم الملل ومناهج العلماء فيه (١٩).

(٤) انظر: الفصل لابن حزم (٨٨/٢) [مكتبة السلام].

(١) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان لبكر أبي زيد [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٧هـ].

مقصود من مالك أو ملك، والجمع الملوك، والاسم المُلْك، والموضع مملكة^(٢) اهد باختصار. فالملك يتضمن معنى القوة والعزة والقدرة والتصرف والتدبير وغيرها من معاني العظمة والجلال.

التعريف شرعاً:

الملك: من صفات العظمة والكبرياء، والقهر، والتدبير لله تبارك وتعالى، ومعناه: المَلِك لجميع المملوكات، النافذ الأمر في ملكه، الذي له التصرف المطلق في كل شيء، في الخلق والأمر والجزاء بلا مدافعة ولا ممانعة، يؤتي المُلْك من يشاء وينزع المُلْك ممن يشاء، وهو الأمر الناهي المعز المذل الذي يُصَرِّف أمور عباده كما يحب، ويقلبهم كما يشاء^(٣).

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن الكريم والأحاديث النبوية عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير

(٢) الصحاح (٤/١٦٠٩، ١٦١٠) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م].

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٠) [دار المأمون، ط٥، ١٤٠٦هـ]، وشأن الدعاء (٣٩، ٤٠) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، واشتقاق أسماء الله (٤٣) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٤) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

٥ - «دعوة التقريب بين الأديان»، لأحمد القاضي.

٦ - «علم الملل ومناهج العلماء فيه»، لأحمد جود.

٧ - «الفروق اللغوية»، لأبي هلال العسكري.

٨ - «كتاب التعريفات الاعتقادية»، لسعد آل عبد اللطيف.

٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ - «مفردات ألفاظ القرآن»، للراغب الأصفهاني.

المَلِك

يراجع مصطلح (الملك).

المُلْك

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة، ثم قيل: مَلَك الإنسان الشيء يملكه مَلَكًا، والاسم المُلْك»^(١).

وقال الجوهري: «مَلَكْتُ الشيء أملكه مَلَكًا، ومَلَكْتُ الشيء تملكًا؛ أي: جعله مَلَكًا له. والمَلَكوت من المُلْك، وهو المُلْك والعِزُّ. فهو ملك، ومَلِكٌ ومَلَكٌ، كأن المَلَك مخفف من مَلِكٍ، والمَلِك

(١) مقاييس اللغة (٢/٥٢٣) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل^(١).
[الفرقان: ٢]، وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدُورُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢).
[يس: ١].

❁ الحقيقة:

إن الله ﷻ متصف بصفة الملك حقيقة، والملك فيه معنى القوة والعزة والقدرة وغيرها من معاني العظمة والجلال، والله موصوف بهذه المعاني كلها، فهو القوي العزيز القدير المالك للأمور كلها، وجميع الخلق مماليكه وعبيده، ومفتقرون إليه في جميع شؤونهم، وليس لأحد خروج عن ملكه وقدرته وسلطانه، وله التدبيرات النافذة، والتصرف الكامل، يقضي في ملكه بما يشاء، ويحكم فيه بما يريد، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه^(٣).

❁ الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [المائدة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ [المائدة: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللَّهُمَّ لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللَّهُمَّ لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاکمت؛ فاغفر لي ما قدّمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، أو: لا إله غيرك»^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟»^(٥).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، تفسير السعدي (٢٧، ٢٨) [دار الصميعي، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٢/٧٦٣) [دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٨هـ]، وطريق الهجرتين (٢٠٦) [دار ابن القيم، الدمام، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٢٠) واللفظ له، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨١٢)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٧).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «وسمى نفسه بالملك، فقال: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وسمى بعض عباده بالملك فقال: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [٧٩] [الكهف]، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهِ؟﴾ [يوسف: ٥٠]، وليس الملك كالملك» (١).

وقال ابن القيم: «وإذا أعطيت اسم الملك حقه - ولن تستطيع - علمت أن الخلق والأمر والثواب والعقاب والعطاء والحرمان أمر لازم لصفة الملك، وأن صفة الملك تقتضي ذلك ولا بد» (٢).

وقال السعدي: «المالك: هو من اتصف بصفة الملك التي من آثارها أنه يأمر وينهى، ويثيب ويعاقب، ويتصرف بمماليكه بجميع أنواع التصرفات، وأضاف الملك ليوم الدين، وهو يوم القيامة، يوم يدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها؛ لأن في ذلك اليوم يظهر للخلق تمام الظهور كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق، حتى إنه يستوي في ذلك اليوم المملوك والرعايا والعبيد والأحرار، كلهم مذعنون لعظمته، خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصه بالذكر، وإلا فهو المالك ليوم الدين

ولغيره من الأيام» (٣).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الملك:

لقد ورد اسم الملك في القرآن الكريم خمس مرات، منها: قوله تعالى: ﴿فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وأورد هذا الاسم جميع من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها تقريباً، ولم يسقطه من جمعه سوى الإمام سفيان بن عيينة، والزجاجي (٤).

وهذا الاسم مما يطلق على الله ﷻ وعلى المخلوق، قال تعالى: ﴿فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤]، ومن إطلاقه على المخلوق قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [٧٩] [الكهف]؛ لكن ملك الله ملك مطلق، وملك المخلوق ملك مقيد محدود، وإنما اكتسبه من خالقه، فهو الذي آتاه إياه، وينزعه منه متى شاء، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

- المسألة الثانية: المالك:

المالك اسم فاعل من المُلْك،

(٣) تفسير السعدي (٢٧، ٢٨).

(٤) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٧٩ - ٨٤) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩ هـ].

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٣).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (٣٦) [دار الفكر].

على قوة في الشيء وصحة، وهذا الاسم لا يطلق إلا على الله ﷻ؛ لأنه هو وحده الذي يملك التصرف في كل شيء على الحقيقة دون من سواه، الملك بيده يؤتية من يشاء وينزعه عن من يشاء، وقد يكون معناه: مالك الملوك، كما يقال: رب الأرباب، وسيد السادات، وقد يحتمل أن يكون معناه: وارث الملك يوم لا يدعي الملك مدّع، ولا ينازعه فيه منازع؛ كقوله ﷻ: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٦] ^(٦).

ولهذا جاء النهي عن التسمي بملك الملوك، أو مالك الأملاك، وما في معناه: كشاه شاه بلغة العجم ^(٧)، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أخني الأسماء يوم القيامة عند الله رجلٌ تسمّى ملك الأملاك» ^(٨)، وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه: «اشتد غضب الله على رجل تسمّى بملك الأملاك، لا ملك إلا الله» ^(٩).

وقد استدل من أثبت هذا الاسم من

وقد استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة] ^(١).

قال السعدي عند ذكر الأسماء الحسنی في آخر تفسيره: «الملك: المالك الذي له الملك، فهو الموصوف بصفة الملك وهي صفات العظمة والكبرياء والقهر والتدبير» ^(٢).

- المسألة الثالثة: المليك:

المليك (فعل) صيغة مبالغة من المُلْك، وقد استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ﴾ [القمر] ^(٣).

قال قوام السُّنة الأصبهاني: «ومن أسمائه: المليك، وهو المالك، وبناء (فعل) للمبالغة في الوصف» ^(٤).

وذكره ابن عثيمين ضمن الأسماء الحسنی في القواعد المثلى ^(٥).

- المسألة الرابعة: مالك الملك:

هو اسم مركب من اسم الفاعل: مالك، والمصدر: الملك، وكلاهما يرجع إلى الأصل الثلاثي: مَلَك، الدالّ

(١) انظر: معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنی (٨٣، ٨٤) [أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٢) تفسير السعدي (٩٤٥).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١٥٠/١).

(٤) انظر: معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنی (٨٣، ٨٤).

(٥) انظر: القواعد المثلى - ضمن مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/٢٧٧).

(٦) انظر: شأن الدعاء (٩١) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ].

(٧) والأسماء والصفات للبيهقي (٨٨/١)، ٨٩ [مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ].

(٨) انظر: زاد المعاد (٢/٣٤٠، ٣٤١) [الرسالة، ط ٢٧، ١٤١٥هـ].

وفتح الباري لابن حجر (١٠/٥٩٠) [دار المعرفة، ط ١، ١٣٧٩هـ].

(٩) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٢٠٥) واللفظ له، ومسلم (كتاب الأدب، رقم ٢١٤٣).

(٩) أخرجه أحمد (١٦/٢٤٧) [الرسالة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

والحاكم (كتاب الأدب، رقم ٧٧٢٤) وصححه.

المعاني، ومنهم من جعل الملك لعالم الشهادة، والملوك لعالم الغيب ولكن سياق الآيات والأحاديث لا يدل على هذا التفريق؛ بل كل واحد منهما يدل على الآخر، وإن كان الملوك فيه زيادة معنى في مقابل الملك، وقد يكون هذا التفريق مقبولا وسائعا عند الاجتماع، فيكون الملوك لعالم الغيب والملك لعالم الشهادة، كما هو الشأن في الإيمان والإسلام، وفي البر والتقوى، إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، والله تعالى أعلم.

الفرق:

الفرق بين الملك والمليك والمالك:

ذكر في الفرق بين هذه الأسماء الثلاثة؛ أن المالك هو الذي له ملكية الشيء، وهو المتصرف فيه بفعله، والملِك: هو المتصرف بفعله وأمره، والمليك: هو المالك العظيم الملك، فهو اسم يدل على العلو المطلق للملك في ملكه وملكته، فله علو الشأن والفهر والفوقية في وصف الملكية على الدوام، أزلا وأبداً، فهذا الاسم يشمل معنى الملك والمالك^(٤)، والله أعلم.

أهل العلم بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]^(١).

- المسألة الخامسة: مالك يوم الدين:

سُمي الله ﷻ بذلك؛ لأنه هو المتصرف وحده يوم الحساب والجزاء، وخص به يوم الدين؛ لأنه اليوم الذي لا يملك أحد فيه شيئاً مما كان الله ملكهم في الدنيا، وفي هذا اليوم لا يدعي أحد الملك سواه، قال تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر]^(٢). وقد استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة].

- المسألة السادسة: معنى ذي الملوك:

الملوك (فعلوت) من الملك؛ أي: من بيده ملك كل شيء، بمعنى: من هو مالك كل شيء كائناً ما كان، وقال بعض أهل العلم: زيادة الواو والتاء تفيد المبالغة في ذلك^(٣)، وهذا ليس بعيداً؛ فإن زيادة المباني تدل على زيادة

(١) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٧٩، ٨٠).

(٢) انظر: اشتقاق أسماء الله (٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ]، والصفات الاختيارية - ضمن جامع الرسائل لابن تيمية (٦٩/٢) [دار المدني، ط٢، ١٤٠٥هـ]، ومجموع الفتاوى (٤٤٢/٦، ٤٤٣).

(٣) انظر: أضواء البيان (٥٥٤/٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ].

(٤) انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (١٨٢) [دار العلم والثقافة، القاهرة، طعام: ١٤١٨هـ]، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٧٨، ٧٩) [شركة مكتبة وتسجيلات الإمام الذهبي، الكويت، ط٤، ١٤٣١هـ].

✽ الثمرات:

٣ - «صفات الله وَجَّكَ الواردة في

الكتاب والسُّنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٤ - «فقه الأسماء الحسنی»، لعبد الرزاق البدر.

٥ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣)، لابن تيمية.

٦ - «طريق الهجرتين وباب السعادتین»، لابن القيم.

٧ - «معتمد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنی»، لمحمد بن خليفة التميمي.

٨ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالج.

٩ - «أضواء البيان» (ج ٥)، لمحمد الأمين الشنقيطي.

من الناس من يطغى ويتجبر ويظن أنه الملك الحقيقي، وينسى أنه إنما هو مستخلف فيما آناه الله من ملك، فيتكبر ويتجبر ويعتدي على خلق الله بغير حق، ومن أمثلة ذلك ما قصه الله وَجَّكَ من شأن فرعون الذي زعم بأنه الملك بل الإله، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوْمُ آلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِّصْرَ وَهَٰذَا الْأَنْهَارُ تُجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الرَّحُوف]، وقال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ [٣٣] فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ [٣٤] [النازعات].

فأهلكه الله وَجَّكَ وقومه الذين أطاعوه ليكون عبرة لكل ظالم متكبر من ملوك الأرض يأتي بعده، وينسى نفسه وحقيقته، وأن الملك إنما هو لله وحده.

- إذا علم العبد أن الملك المطلق إنما هو لله وحده لا شريك له، حمله ذلك على الطاعة المطلقة لله وحده لا شريك له، وقدّم طاعة الله وَجَّكَ على طاعة من سواه، ولا طاعة لأحد في معصية الملك الأحد.

✽ المصادر والمراجع:

١ - «أسماء الله الحسنی: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسُّنة»، لماهر مقدم.

٢ - «الأسماء والصفات» (ج ٢)، للبيهقي.

✽ ملك الأملاك ✽

يراجع مصطلح (قاضي القضاة).

✽ ملك الجبال ✽

✽ التعريف لغة:

الملك بفتح اللام: مفرد ملائكة وملائكة، أصله مألِك بتقديم الهمزة من الألوك وهي الرسالة، ثم قلبت وقدمت اللام، فقليل: ملائِك، ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال، فقليل: ملك، فلما جمعه ردوها إليه فقالوا ملائكة

وملائك^(١).

الذي هو ركن من أركان الإيمان.

✽ المنزلة:

الإيمان بملك الجبال يدخل في الإيمان بالملائكة ﷺ، والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، وأصل من أصوله العظيمة.

✽ الأدلة:

عن عروة بن الزبير؛ أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حدثته؛ أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي؛ فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد! فقال: ذلك فيما شئت: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»^(٥).

والجبال: جمع جبل، وهو اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال^(٢).

✽ التعريف شرعاً:

مَلِكٌ عظيم من الملائكة موكل بالجبال، ومتصرف بما يرد عليه فيها من الخالق ﷻ^(٣).

✽ سبب التسمية:

سمي بهذا الاسم لأنه الملك الذي سخر الله تعالى له الجبال، وجعل أمرها بيده.

✽ الأسماء الأخرى:

اشتهر بملك الجبال، ولا يُعلم له تسمية أخرى، قال الحافظ ابن حجر: «وأما ملك الجبال فلم أقف على اسمه»^(٤).

✽ الحكم:

يجب الإيمان بملك الجبال كما ورد به النص. أيضاً فإن الإيمان به يدخل في عموم وجوب الإيمان بالملائكة ﷻ.

(١) ينظر: لسان العرب (٤٨١/١٠) [دار صادر]، والقاموس المحيط (١٢٢٩) [مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث، ط ٢، ١٤٠٧هـ].

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٩٦/١١)، والقاموس المحيط (١٢٥٨).

(٣) ينظر: عمدة القاري (١٤٢/١٥) [دار إحياء التراث العربي].

(٤) فتح الباري (٣٥٥/٦) [المطبعة السلفية، ط ٢، ١٤٠٠هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣١)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٩٥).

✽ الثمرات:

وملائكة، أصله مَأْلَك بتقديم الهمزة من الألوک وهي الرسالة، ثم قلبت وقدمت اللام فقیل: مَأْلَك ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال، فقیل: ملك، فلما جمعه ردوها إليه فقالوا: ملائكة وملائك^(١).

عِظَم مخلوقات الله تعالى، فالجبال مع قوتها وصلابتها وثقلها، إلا أن هناك من الملائكة من هو أعظم خلقًا منها.

✽ المصادر والمراجع:

والموت: ضد الحياة، وهو مفارقة الروح للبدن^(٢).

١ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة»، لنخبة من العلماء.

✽ التعريف شرعًا:

٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.

ملك عظيم من الملائكة موكل بقبض أرواح العباد^(٣).

٣ - «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.

✽ سبب التسمية:

سمي بهذا الاسم لقيامه بقبض أرواح العباد بأمر الله تعالى.

٤ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

✽ الأسماء الأخرى:

٥ - «عمدة القاري» (ج ١٥)، لبدر الدين العيني.

عزرائيل.

٦ - «عالم الملائكة الأبرار»، لعمر الأشقر.

✽ الحكم:

يجب الإيمان بملك الموت على ما وردت به النصوص، والإيمان به يدخل في عموم وجوب الإيمان بالملائكة.

٧ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ١)، للسفاريني.

✽ المنزلة:

الإيمان بملك الموت يدخل في

٨ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكيمي.

٩ - «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، لمحمد العقيل.

(١) ينظر: لسان العرب (٤٨١/١٠) [دار صادر]، والقاموس المحيط (١٢٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٢].

(٢) ينظر: لسان العرب (٨٩/٢)، والقاموس المحيط (٢٠٦).

(٣) ينظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (١٨٧) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٢هـ].

✽ مَلِكُ المَوْتِ ✽

✽ التعريف لغةً:

الملك بفتح اللام: مفرد ملائك

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: عزرائيل:

ورد في بعض الآثار أن اسم ملك الموت: عزرائيل؛ ولكنها لا تثبت، قال ابن كثير رحمه الله: «وأما ملك الموت فليس بمصرّح باسمه في القرآن، ولا في الأحاديث الصحاح»^(٤).

- المسألة الثانية: أعوان ملك

الموت:

دلّت نصوص القرآن والسنة على أن لملك الموت أعواناً؛ فمنها:

قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّيهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ أُنزِلُوا فِي غَمَرَاتٍ الْمَوْتُ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الأنعام]؛

والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٠١) مختصراً، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٥٤٩) مختصراً، وأحمد (٤٩٩/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٨هـ] واللفظ له، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ١٠٧) وصححه، وصححه ابن القيم في [إعلام الموقعين (١/١٣٧)] [دار الكتب العلمية، ط١]، والألباني في أحكام الجنائز (١٥٩) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٤) البداية والنهاية (١/١٠٦) [دار هجر، ط١].

الإيمان بالملائكة عليهم السلام، والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، وأصل من أصوله العظيمة.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتُوبُ إِلَهُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي يُكَلِّمُ بَكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: «جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فقال له: أجب ربك»^(١)، الحديث. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «فلما قضى عمر آدم، جاءه ملك الموت فقال: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود؟» الحديث^(٢).

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة! اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٣٩)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٢)، واللفظ له.
(٢) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٧٦)، وقال: حسن صحيح، والحاكم في المستدرک (كتاب التفسير، رقم ٣٢٥٧) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٢٠٨).
(٣) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، رقم ٤٧٥٣)،

فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم»^(٣).

وقد أسند الله قبض الأنفس إليه سبحانه في قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وأسنده تعالى إلى الملائكة في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]، وفي قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وأسنده إلى ملك الموت في قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، ولا تعارض بين الآيات، فالله هو الذي قضى بالموت وقدره وأمر به، فأضيف إليه التوفي لأجل ذلك، وملك الموت يتولى قبضها واستخراجها من البدن، ثم تأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، ويتولونها بعده^(٤).

- المسألة الثالثة: وجود ملائكة - غير ملك الموت - تقبض أرواح بني آدم:

ذهب بعض الصحابة والتابعين، وبعض أهل العلم إلى أن هناك ملائكة

٩٣]، وقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [٢٧] [محمد]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْسَ بِنَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

كما أن ظاهر النصوص يدل على أن أعوان ملك الموت قسمان: ملائكة الرحمة الذين يتلقفون روح المؤمن من ملك الموت، وملائكة العذاب الذين يتلقفون روح الكافر.

ويدل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن إذا قبض أته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي إلى روح الله» الحديث، وفيه: «وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجي إلى غضب الله»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إذا خرجت روح العبد المؤمن، تلقاها ملكان يصعدانها»^(٢).

وقال ابن عباس وغير واحد من السلف: «الملك الموت أعوان من الملائكة، يخرجون الروح من الجسد،

(١) أخرجه النسائي (كتاب الجنائز، رقم ١٨٣٣)، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣٠١٤)، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٣٠٢) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٢).

(٣) أخرج أثر ابن عباس رضي الله عنه: الطبري في التفسير (١/١١) (٤١٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]. وقد ذكر ابن كثير أن الأحاديث تشهد بصحة ما نقل عنه. تفسير ابن كثير (٣/٢٦٧) [دار طيبة، الإصدار الثاني، ط ٤، ١٤٢٨هـ].

(٤) ينظر: التذكرة للقرطبي (١/٢٤٨) [دار المنهاج، ط ١، ١٤٢٥هـ]، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (٢٩٤) [دار ابن خزيمة، ط ٢، ١٤١٧هـ].

- المسألة الرابعة: هل ملك الموت

يقبض أرواح جميع الأحياء؟

ذهبت طائفة من أهل العلم منهم القرطبي، وابن حجر الهيتمي، والآلوسي وغيرهم إلى أن قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢]، عام في كل ذي روح، فملك الموت يقبض أرواح الأحياء كلهم، من بني آدم وغيرهم^(٥). قال الآلوسي: «والذي ذهب إليه الجمهور أن ملك الموت لمن يعقل وما لا يعقل من الحيوان واحد»^(٦).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد»، للفرزاني.
- ٢ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة»، لنخبة من العلماء.
- ٣ - «أصول السنة»، لابن أبي زمنين.
- ٤ - «البحر الزاخر في علوم الآخرة» (ج ١)، للسفاريني.
- ٥ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.
- ٦ - «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج ١)، للقرطبي.
- ٧ - «تفسير القرآن العظيم» (ج ٣، ج ٨)، لابن كثير.

آخرون يقبضون أرواح بني آدم مع ملك الموت، وملك الموت هو الذي يرسلهم، ويستدلون بقول الله تعالى: ﴿وَالنَّارُ عَتِ غَرَقًا﴾ ① ﴿وَالنَّارُ عَتِ غَرَقًا﴾ ②. قال ابن كثير: «قال ابن مسعود وابن عباس، ومسروق، وسعيد بن جبير، وأبو صالح، وأبو الضحى، والسُّدِّي: ﴿وَالنَّارُ عَتِ غَرَقًا﴾ ③: الملائكة، يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعنف فتغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حَلَّتْه من نشاط، وهو قوله: ﴿وَالنَّارُ عَتِ غَرَقًا﴾ ④، قاله ابن عباس»^(١). قال القرطبي: «تارة يضاف إلى ملك الموت لمباشرته ذلك، وتارة إلى أعوانه من الملائكة؛ لأنهم قد يتولون ذلك أيضًا»^(٢). وقال: «فخلق الله ملك الموت وخلق جنداً يكونون معه يعملون عمله بأمره»^(٣). وقال ابن القيم: «وأكثر المفسرين على أنها الملائكة التي تنزع أرواح بني آدم من أجسامهم، وهم جماعة، كقوله: ﴿تَوَفَّاهُ رُسُلًا﴾ [الأنعام]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [النساء: ٩٧]»^(٤).

(١) تفسير ابن كثير (٨/٣١٢).

(٢) التذكرة للقرطبي (١/٢٤٨)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (٢٩٤).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١/٢٦١).

(٤) التبيان في إيمان القرآن (٢٠٧) [عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٥) ينظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١).

(٦) (٢٥٧)، والفتاوى الحديثة (٦) [الباب الحلي، ط ٢].

(٦) روح المعاني (٢١/١٦٥) [دار الحديث، ١٤٢٦هـ].

٨ - «الحبائك في أخبار الملائك»، الحكم:

للسيوطي.

٩ - «الرسالة الوافية»، لأبي عمرو الداني.

١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكمي.

المَلَل

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «مَلَلْتُهُ أَمَلْتُهُ مَلَلًا ومَلَالَةً: سَمِئْتُهُ»^(١). وقال الجوهري: «مَلَلْتُ الشَّيْءَ بالكسر، وَمَلَلْتُ مِنْهُ أَيْضًا مَلَلًا وَمَلَّةً وَمَلَالَةً: إِذَا سَمِئْتُهُ»^(٢). فالمَلَل في اللغة بمعنى السَّامة.

التعريف شرعًا:

ذكر بعض أهل العلم أن المَلَل صفة من صفات الله تعالى، وأن المَلَل المضاف إلى الله ﷻ ليس كَمَلَل المخلوقين، بل هو على الوجه اللائق بالله تعالى^(٣).

الأسماء الأخرى:

السَّامة.

إثبات هذه الصفة مختلف فيه بين أهل العلم، كما سيأتي في نقل أقوالهم، والذي يترجح في هذه المسألة - والله تعالى أعلم بالصواب - هو إثبات صفة الملل لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، مع نفي توهم النقص في حقه تعالى، بأي وجه من الوجوه. فشأن هذه الصفة شأن بقية الصفات التي تثبت لله تعالى على وجه الكمال، وإن كانت في حق المخلوقين ليست كمالًا كالاستهزاء والمكر والخداع، ويكون المعنى: إن الله تعالى لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل، لكن لا يوصف الله تعالى بهذه الصفة على وجه الإطلاق، وإنما يوصف بها بالقيود المذكور في الحديث، فهو لا يمل إلا إذا ملوا، كما أنه لا يخدع إلا المخادعين، ولا يمكر إلا بالماكرين، ولا يستهزئ إلا بالمستهزئين، ولا يسخر إلا بالساخرين، فهذه الصفات لا يجوز أن يوصف الله تعالى بها على وجه الإطلاق^(٤).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: «الواجب هو إمرار هذا الحديث كما جاء، مع الإيمان بالصفة، وأنها حق على الوجه الذي يليق بالله، من غير

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٨٩) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) الصحاح (١/١٩٨) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٣) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (٣٢٧) [دار الهجرة الرياض، ط ٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٤٠٧) [مكتبة العيكان، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٤) أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين (٢٢٩، ٢٣٠) [مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط ١، ١٤٢٧هـ].

الليل! خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله، لا يسأم الله حتى تسأموا»^(٤).

❖ أقوال أهل العلم:

أقوال أهل العلم في نسبة الملل إلى الله ﷻ ووصفه سبحانه به مختلفة، فمنهم من يرى أن هذه صفة من صفات الله تبارك وتعالى، وفيما يلي ذكر أقوالهم:

قال ابن عبد البر: «وقد بلغني عن ابن القاسم أنه لم ير بأسًا برواية الحديث أن الله ضحك، وذلك لأن الضحك من الله والتنزل والملاحة والتعجب منه ليس على جهة ما يكون من عباده»^(٥).

وقال محمد بن إبراهيم آل الشيخ: «فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتى تملُّوا» من نصوص الصفات، وهذا على وجه يليق بالباري، لا نقص فيه؛ كنصوص الاستهزاء والخداع فيما يتبادر»^(٦).

وقد سئل ابن عثيمين: هل نستطيع أن نثبت صفة الملل والهولة لله تعالى؟ فأجاب: «جاء في الحديث عن النبي ﷺ قوله: «فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتى تملُّوا».

فمن العلماء من قال: إنَّ هذا دليل

مشابهة لخلقه ولا تكييف؛ كالمكر والخداع والكيد الواردة في كتاب الله ﷻ، وكلها صفات حق تليق بالله ﷻ على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى] ^(١).

❖ الحقيقة:

المَلَل: هو الضجر والسآمة، ويوصف الله ﷻ بالملل على وجه المقابلة كما يليق بجلال الله وعظمته ^(٢).

❖ الأدلة:

أ - ما كان بلفظ الملل: عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي امرأة، فقال: «من هذه؟» فقلت: امرأة، لا تنام، تصلي، قال: «عليكم من العمل ما تطيقون، فوالله لا يَمَلُّ الله حتى تملُّوا»^(٣).

ب - ما كان بلفظ السآمة: عن عائشة زوج النبي ﷺ؛ أن الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى مرت بها وعندها رسول الله ﷺ، فقلت: هذه الحولاء بنت تويت، وزعموا أنها لا تنام الليل. فقال رسول الله ﷺ: «لا تنام

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/٤٠٣).

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢/٤٠٣)، والفتاوى والرسائل للشيخ محمد بن إبراهيم (١/٢٠٩) [مطبوعة الحكومة، مكة المكرمة، ط ١، ١٣٩٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٣)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٨٥)، واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم في الموضع السابق نفسه.

(٥) التمهيد (٧/١٥٢) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٣٩٩هـ].

(٦) الفتاوى والرسائل (١/٢٠٩).

«الواجب هو إمرار هذا الحديث كما جاء، مع الإيمان بالصفة، وأنها حق على الوجه الذي يليق بالله، من غير مشابهة لخلقه ولا تكييف؛ كالمكر والخداع والكيد الواردة في كتاب الله ﷻ، وكلها صفات حق تليق بالله ﷻ على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى]»^(٢).

والقول الثاني: هو قول من يرى أن الله تبارك وتعالى لا يوصف بالملل، وأن الحديث ليس من أحاديث الصفات.

قال ابن قتيبة في الرد على من ينسب الملل إلى الله تعالى استدلالاً بهذا الحديث: «قالوا: رويتم أن رسول الله ﷺ قال: «اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا»، فجعلتم الله تعالى يمل إذا ملوا، والله تعالى لا يمل على كل حال ولا يكل. قال أبو محمد: ونحن نقول: إن التأويل لو كان على ما ذهبوا إليه كان عظيمًا من الخطأ فاحشًا، ولكنه أراد فإن الله سبحانه لا يمل إذا ملتم، ومثال هذا قولك في الكلام: هذا الفرس لا يفتر حتى تفتر الخيل، لا تريد بذلك أنه يفتر إذا فترت، ولو كان هذا هو المراد ما كان له فضل عليها؛ لأنه يفتر معها فأية فضيلة له، وإنما تريد أنه لا يفتر إذا

على إثبات الملل لله، لكن ملل الله ليس كملل المخلوق؛ إذ إن ملل المخلوق نقص؛ لأنه يدل على سأمه وضجره من هذا الشيء، أما ملل الله؛ فهو كمال وليس فيه نقص، ويجري هذا كسائر الصفات التي نثبتها لله على وجه الكمال وإن كانت في حق المخلوق ليست كمالًا.

ومن العلماء من يقول: إن قوله: «لا يمل حتى تملوا»؛ يراد به بيان أنه مهما عملت من عمل؛ فإن الله يجازيك عليه؛ فاعمل ما بدا لك؛ فإن الله لا يمل من ثوابك حتى تمل من العمل، وعلى هذا، فيكون المراد بالملل لازم الملل.

ومنهم من قال: إن هذا الحديث لا يدل على صفة الملل لله إطلاقًا؛ لأن قول القائل: لا أقوم حتى تقوم؛ لا يستلزم قيام الثاني، وهذا أيضًا: «لا يمل حتى تملوا»؛ لا يستلزم ثبوت الملل لله ﷻ.

وعلى كل حال يجب علينا أن نعتقد أن الله تعالى مُنَزَّه عن كل صفة نقص من الملل وغيره، وإذا ثبت أن هذا الحديث دليل على الملل؛ فالمراد به ملل ليس كملل المخلوق»^(١).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة:

(١) مجموعة دروس وفتاوى الحرم المكي (١/١٥٢)
[دار اليقين، المنصورة، ودار طيبة الرياض].

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/٤٠٣).

[الشورى: ٤٠] وقوله: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، والجزاء لا يكون سيئة، والقصاص لا يكون اعتداء؛ لأنه حق وجب، وكذلك قوله ﷺ: «إن الله لا يمل حتى تملوا»؛ أي: إن من مل من عمل يعمل قطعه عنه جزاؤه، فأخرج لفظ قطع الجزاء بلفظ الملل؛ إذ كان بحدائه وجواباً له^(٢).

وقال ابن رجب: «الملل والسامة للعمل يوجب قطعه وتركه، فإذا سأم العبد من العمل ومله قطعه وتركه فقطع الله عنه ثواب ذلك العمل؛ فإن العبد إنما يجازى بعمله، فمن ترك عمله انقطع عنه ثوابه وأجره إذا كان قطعه لغير عذر من مرض أو سفر أو هرم، وسمي هذا المنع من الله مللاً وسامة مقابلة للعبد على مله وسامته، كما قال تعالى: ﴿تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهُمُ﴾ [التوبة: ٦٧] فسمى إهمالهم وتركهم نسياناً مقابلة لنسيانهم له. هذا أظهر ما قيل في هذا»^(٣).

الآثار:

إن الله ﷻ لا يمل من إعطاء عباده الصالحين المطيعين الثواب والجزاء على طاعاتهم وحسناتهم وأعمالهم الصالحة،

فترت، وكذلك تقول في الرجل البليغ في كلامه والمكثار الغزير: فلان لا ينقطع حتى تنقطع خصومه، تريد: أنه لا ينقطع إذا انقطعوا، ولو أردت أنه ينقطع إذا انقطعوا لم يكن له في هذا القول فضل على غيره، ولا وجبت له به مدحة، وقد جاء مثل هذا بعينه في الشعر المنسوب إلى ابن أخت تأبط شراً، ويقال: إنه لخلف الأحمر:

صليت مني هذيلٌ بخرقٍ

لا يمل الشرَّ حتى يملوا

لم يرد أنه يمل الشر إذا ملوه، ولو أراد ذلك ما كان فيه مدح له؛ لأنه بمنزلتهم، وإنما أراد أنهم يملون الشر وهو لا يمله^(١).

وقال ابن عبد البر: «قوله: «إن الله لا يمل حتى تملوا» فلفظ مخرج على مثال لفظ، ومعلوم أن الله ﷻ لا يمل، سواء مل الناس أو لم يملوا، ولا يدخله ملال في شيء من الأشياء، جلَّ وتعالى علواً كبيراً، وإنما جاء لفظ هذا الحديث على المعروف من لغة العرب، بأنهم كانوا إذا وضعوا لفظاً بإزاء لفظ وقبالة، جواباً له وجزاءً ذكرروه بمثل لفظه، وإن كان مخالفاً له في معناه، ألا ترى إلى قوله ﷻ: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا﴾

(٢) التمهيد (١/١٩٥، ١٩٦).

(٣) فتح الباري لابن رجب (١/١٥١، ١٥٢) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

(١) تأويل مختلف الحديث (٤٨٦، ٤٨٧) [المكتب الإسلامي، بيروت، ومؤسسة الإشراف، الدوحة، ط ٢، ١٤١٩هـ].

وعلم العبد بذلك وإيمانه به يجعله يكثر من الأعمال الصالحة ويواظب عليها ويستمر فيها.

■ المليك ■

يراجع مصطلح (الملك).

❁ المصادر والمراجع:

■ الْمُمَاسَّة ■

يراجع مصطلح (الاستواء).

■ الْمُمِيت ■

يراجع مصطلح (المحيي المميت).

■ الْمَنَّ ■

يراجع مصطلح (المنان).

■ الْمَنَان ■

❁ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الميم والنون أصلان؛ أحدهما: يدل على قطع وانقطاع، والآخر: على اصطناع خير... تقول: مَنْ يَمُنُّ مَنْناً؛ إذا صنع صنْعاً جميلاً، ومن الباب المنّة، وهي القوة التي بها قوام الإنسان»^(١).

والمَنَان: (فَعَال) من صيغ المبالغة، مأخوذ من المَنَّ الدال الصنع الجميل، يقال: مَنْ يَمُنُّ مَنْناً فهو مَنَّ، ومَنَّان، إذا صنع صنْعاً جميلاً، والمنّة: النعمة الثقيلة،

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٨٥) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

١ - «إبطال التأويلات لأخبار

الصفات» (ج٢)، للقاضي أبي يعلى الفراء.

٢ - «أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين»، لسليمان بن محمد الديخي.

٣ - «تأويل مختلف الحديث»، لابن قتيبة.

٤ - «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (ج٧)، لابن عبد البر.

٥ - «صفات الله وَجَّكَ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٦ - «فتاوى ورسائل» (ج١)، لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ.

٧ - «فتح الباري» (ج١)، لابن رجب.

٨ - «مجموعة دروس وفتاوى الحرم المكي» (ج١)، لابن عثيمين.

٩ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

١٠ - «النفى في باب صفات الله وَجَّكَ بين أهل السنة والجماعة والمعطلة»، لأرزقي بن محمد سعيداني.

وما تضمنه من الصفة: المن؛ لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثبات ذلك لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

❁ الحقيقة:

اسم المنان يدور حول معنيين:

الأول: العطاء دون عوض.

الثاني: التفاخر بالعطية من المعطي وتعدد ما صنعه.

وكلا المعنيين مما يصح إطلاقه في حق الله ﷻ، قال تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [١٧] [الحجرات]، فإن الله ﷻ لما كان هو الذي يدرّ العطاء على عباده منّا عليهم بذلك وتفضلاً كانت له المنّة في ذلك، وهو أمر مشهود للخلقة كلها، برّها وفاجرها من جزيل مواهبه، وسعة عطاياه وكريم أياديّه، وجميل صنائعه، وسعة رحمته، وبره ولطفه، وإجابته لدعوات المضطرين، وكشف كربات المكروبين، وإغاثة الملهوفين، ودفع المحن والبلايا بعد انعقاد أسبابها، وصرفها بعد وقوعها، ولطفه تعالى في ذلك إلى ما لا تبلغه الآمال.

وقد حظر الله على عباده المنّ

ويقال ذلك على وجهين؛ أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل، فيقال: منّ فلان على فلان؛ إذا أثقله بالنعمة، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ونحوها، وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى. **والثاني:** أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة، ولقبح ذلك قيل: المنّة تهدم الصنيعة، ومنه: الامتنان؛ إذا امتنّ عليه، آذاه بمنه^(١).

❁ التعريف شرعاً:

المنّان: اسم الله ﷻ الدالّ على عظيم عطائه وإنعامه على خلقه تفضلاً وكرماً بلا فائدة تعود عليه، ولا جزاء من خلقه يرجوه؛ بل هو الجود والإحسان والكرم، فقد أنعم فأجزل وأسنى النعم، وأكثر العطايا والمنح، يتدّى بالنوال قبل السؤال^(٢).

❁ الحكم:

يجب الإيمان بهذا الاسم: المنان،

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٥/٤٧١، ٤٧٢) [الدار المصرية، ط ١، ١٣٨٧هـ]، ومقاييس اللغة (٩٦٢) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٦/٢٢٠٧) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٧٧٧، ٧٧٨) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والمعجم الوسيط (٢/٨٨٨، ٨٨٩) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/٢٠٣) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩هـ]، والأسماء والصفات (١/١٧١) [مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ].

بالصنيعة واختص به صفة لنفسه؛ وذلك
لعدة أمور:

الأدلة:

١- أن من العباد تكدير وتعيير،
ومن الله ﷻ إفضال وتذكير.

٢- أن الله هو المنعم في نفس الأمر
والعباد وسائط، فهو المنعم على عبده
في الحقيقة.

٣- الامتنان استعباد وكسر وإذلال لمن
يمن عليه، ولا تصلح العبودية والذل
إلا لله.

٤- أن المنّة أن يشهد المعطي أنه هو
رب الفضل والإنعام وأنه ولي النعمة
ومسديها، وليس ذلك في الحقيقة إلا لله.

٥- أن المانّ بعبثائه يشهد نفسه مترفعًا
على الآخذ مستعليًا عليه، غنيًا عنه
عزيزًا، ويشهد ذل الآخذ وحاجته إليه
وفاقته، ولا ينبغي ذلك للعبد.

٦- أن المعطي قد تولى الله ثوابه ورد
عليه أضعاف ما أعطى، فبقي عوض ما
أعطى عند الله، فأى حق بقي له على
الآخذ، فإذا امتنّ عليه فقد ظلمه ظلمًا
بينًا؛ لأنه قد أخذ حقه من قبل الله ﷻ،
ومن هنا - والله أعلم - بطلت صدقته
بالمَنّ؛ فإنه لما كانت معاوضته ومعاملته
مع الله وعوض تلك الصدقة عنده، فلم
يرض المان بصدقته بذلك العوض،
ولاحظ العوض من الآخذ، فمنّ عليه
بما أعطاه، فأبطل معاوضته مع الله

وعن عبد الله بن زيد بن عاصم قال:
لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم
في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط
الأنصار شيئًا، فكأنهم وجدوا إذ لم
يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال:
«يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضلّالًا
فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله
بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟» كلما قال شيئًا
قالوا: الله ورسوله أمّن. قال: «ما يمنعكم
أن تجيبوا رسول الله ﷺ؟» قال: كلما قال
شيئًا قالوا: الله ورسوله أمّن. الحديث (٢).

(١) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٦٤)، وطريق الهجرتين
(٥٤١) [دار ابن القيم، ط ٢، ١٤١٤هـ]، والأسنى
في شرح أسماء الله الحسنى (٢٥٩/١، ٢٦٠) [دار
الصحابة، ط ١]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٩٩) [دار
التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٣٠)،
ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٦١).

أبواب التوحيد»^(٣).

وقال السفاريني: «ومن أسمائه المنان، وهو المنعم المعطي، من المن وهو العطاء»^(٤).

الآثار:

من عرف ربه سبحانه بهذا الاسم العظيم وأنه وحده وليّ المن والعطاء، صاحب الهبة والنعماء، أوجب له ذلك أن يحمده ربه على نعمائه، وأن يشكره على فضله وعطائه، ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقد أمر الله عباده بالشكر ونهاهم عن ضده، وأثنى على عباده الشاكرين، ووعدهم بأحسن الجزاء، وجعل الشكر سبباً لمزيد الفضل والعطاء، وحارساً وحافظاً للهبة والنعماء: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [٧] [إبراهيم]، وأوجب له كذلك ألا يستعمل نعمة الله ومنته سبحانه في معصيته، وألا يضيف النعمة إلا إلى المنعم وحده، وهو الله لا شريك له، خلاف من قال عنهم: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُوهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [٨٣] [النحل]؛ أي: بإضافة النعمة إلى غير المنعم»^(٥).

(٣) بدائع الفوائد (٢٨٢/١) [دار عالم الفوائد، ط١].

(٤) لوامع الأنوار البهية (٢٥٧/٢).

(٥) فقه الأسماء الحسنى (٢٩٩ - ٣٠١). وانظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٨٥/٣ - ٨٨) =

وعن أنس رضي الله عنه؛ أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً ورجل يصلي، ثم دعا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنْ لَكَ الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: «لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»^(١).

أقوال أهل العلم:

قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى (المنان) هو المنعم المعطي، من المن: العطاء لا من المنّة، وكثيراً ما يرد المن في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه، فالمنان من أبنية المبالغة كالوهاب»^(٢).

وقال ابن القيم معلقاً على حديث أنس السابق: «فهذا سؤال له وتوسل إليه وبحمده، وأنه الذي لا إله إلا هو المنان، فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته، وما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعاً عند المسؤول، وهذا باب عظيم من

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٥)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٤٤)، والنسائي (كتاب السهو، رقم ١٣٠٠)، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٨)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٨٩٣)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٨٥٦) وصححه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٣/٥) [مؤسسة غراس، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٦٥/٤) [المكتبة العلمية، بيروت].

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، لليهقي.
- ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٣ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.
- ٤ - «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.
- ٥ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٦ - «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيم.
- ٧ - «فقه أسماء الله الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.
- ٩ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لحمود النجدي.
- ١٠ - «أسماء الله الحسنى: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة»، لماهر مقدم.

النعمة: ما ينعم الله تعالى على عبده به من مال، وعيش^(١).

الْمُنْعِم: اسم فاعل من الإنعام، مأخوذ من: (نَعِم) الدَّال على الترفه وطيب العيش وصلاحه، والنَّعْمَة: ما ينعم الله به على عباده من مال وعيش وحالة حسنة، والنَّعْمَة التَّنْعَم، ونِعَمَ الله وأنْعَمه: عطاياه، وأنعم ينعم إنعامًا فهو منعم: أوصل الإحسان إلى غيره، والمنْعَم: كثير المال حسن الحال^(٢).

التعريف شرعًا:

المنعم: المتفضل والمحسن إلى عباده، بجميع النعم، بواسطة، وبغير واسطة^(٣).

الحكم:

لم يثبت أن المنعم من أسماء الله ﷻ، لكن يخبر عن الله ﷻ أنه هو المنعم، المتفضل على عباده، فلا تسوغ تسمية الله ﷻ بالمنعم، أو دعاؤه به، أو

الْمُنْعَم

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «النون والعين والميم فروعه كثيرة، وعندنا أنها على كثرتها راجعة إلى أصل واحد، يدل على ترفُّه، وطيب عيش، وصلاح؛ منه

(١) مقاييس اللغة (٤٤٦/٥) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].
 (٢) انظر: تهذيب اللغة (٩/٣ - ١١) [الدار المصرية، ط ١٣٨٧هـ]، ومقاييس اللغة (١٠٣٥) [دار الفكر، ط ١٤١٨هـ]، والصحاح (٢٠٤١/٥ - ٢٠٤٣) [دار العلم للملايين، ط ٤٤]، ومفردات ألفاظ القرآن (٨١٤، ٨١٥) [دار القلم، ط ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٥٠٠، ١٥٠١) [مؤسسة الرسالة، ط ٥٥]، والمعجم الوسيط (٩٣٥/٢) [دار الدعوة، ط ٢٠١٩م].
 (٣) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٣٢، ١٠/٨٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٥هـ].

«الحمد لله على كل حال، وإذا جاءه شيء يعجبه قال: الحمد لله المنعم المفضل الذي بنعمته تتم الصالحات»^(٣).

التعبيد به فيقال: عبد المنعم؛ لعدم ثبوت النص في كونه اسماً لله ﷻ.

❁ الحقيقة:

❁ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فإن العبد يدعوه إلى عبادة الله داعي الشكر، وداعي العلم؛ فإنه يشهد نعم الله عليه، وذاك داع إلى شكرها، وقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها، والله تعالى هو المنعم، المحسن، الذي ما للعباد من نعمة فمنه وحده»^(٤).

وقال أيضاً: «والله ﷻ هو المنعم، المحسن إلى عبده بالحقيقة، فإنه المتفضل بجميع النعم، وإن جرت بواسطة؛ إذ هو ميسر الوسائط، ومسبب الأسباب»^(٥).

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فيقال: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ أي: أنت وحدك المنعم، المحسن، المتفضل بهذه النعمة»^(٦).

المنعم: هو الله تعالى وحده لا شريك له، وهو المتفضل المحسن على عباده، ويمتنع أن يكون المخلوق مكافئاً له، أو متفضلاً عليه؛ بل ولا يزال الله هو المنعم المتفضل، وما من نعمة في الخلق فمنه وحده تعالى فضلاً وجوداً^(١).

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي﴾ [النمل: ١٩]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ [الفجر: ١٥].

وأما في السُّنة فقد ورد بصيغة الفعل؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تروا إلى ما قال ربكم؟ قال: ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون: الكواكب وبالكواكب»^(٢).

وقد ورد في اسم المنعم حديث لا يصح: عن التابعي حبيب بن أبي ثابت، قال: حدثنا شيخ لنا: أن رسول الله ﷺ كان إذا جاءه شيء يكرهه قال:

(٣) أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف (كتاب الدعاء، رقم ٢٩٥٥٤)، وأبو داود في المراسيل (٣٥٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والطبراني في كتاب الدعاء (٥٠١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ]، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢١٥/١) [مكتبة السوادى، ط ١، ١٤١٣هـ]، وقال أبو داود: روي متصلاً، وفيه أحاديث ضعاف، ولا يصح.

(٤) مجموع الفتاوى (٣٢/٨).

(٥) مجموع الفتاوى (٨٤/١٠).

(٦) بدائع الفوائد لابن القيم (٤٢٦/٢، ٤٢٧) [دار عالم الفوائد، ط ٢، ١٤٢٧هـ].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤١/١، ٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٧٢).

❁ الأقسام:

فعلى العبد أن يجتهد في شكر هذه النعم، وذلك بامثال ما أمر الله ﷻ به، واجتناب ما نهى عنه وزجر^(٢).

إنعام الله تعالى على خلقه ينقسم إلى قسمين ظاهرين^(١):

❁ المصادر والمراجع:

القسم الأول: الإنعام المطلق: وهو

مختص بأهل الإيمان، لا يشركهم فيه سواهم، وهو المتصل بسعادة الأبد، وبالنعيم المقيم، ودليله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿١٦٩﴾ [النساء].

القسم الثاني: مطلق الإنعام: وهو

النعمة العامة المشتركة للخلقة كلهم، برّهم وفاجرهم، ومؤمنهم، وكافرهم، ودليلها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، وقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ [النحل].

❁ الآثار:

إن هذا الاسم مستلزمٌ لتتابع نعم الله تعالى على عباده؛ بحيث لا يستطيع أحدٌ منهم أن يكافئ نعمه أبدًا، لا أقلّها؛ ولا أدنى نعمةٍ من نِعَمِهِ، فإنه تعالى هو (الْمُنْعَم) المتفضل الخالق للشكر والشاكر وما يشكر عليه.

وصنوف نِعَمِ الرَّبِّ الْمُنْعَم ﷻ لا يُحصى أهلُ سَمَواتِهِ ولا أهلُ أرضِهِ.

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/٤٢٦، ٤٢٧).

١ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، للبيهقي.

٢ - «اقتضاء الصراط المستقيم» (ج ٢)، لابن تيمية.

٣ - «بدائع الفوائد» (ج ١)، لابن القيم.

٤ - «التحفة العراقية في الأعمال القلبية»، لابن تيمية.

٥ - «التوحيد» (ج ٢)، لابن منده.

٦ - «شفاء العليل» (ج ١)، لابن القيم.

٧ - «فتح الباري» (ج ١١)، لابن حجر.

٨ - «قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.

٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ١، ٤، ٨)، لابن تيمية.

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/٢٦٢، ٢٦٣) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٨هـ]، وشفاء العليل (١/٣٤٥) [مكتبة العبيكان، ط ١]، ورسالة في وجوب اختصاص الخالق بالعبادة لابن تيمية - ضمن مجموع الفتاوى (١/٤٢، ٤٣)، وقاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة (١٠٥) [مكتبة لينة، ط ١، ١٤١٢هـ]، وتفضيل الناس على سائر الأجناس لابن تيمية - ضمن مجموع الفتاوى (٤/٣٦١)، ومجموع الفتاوى له (٨/٢٢٤، ٢٢٥)، والتحفة العراقية له (٤٥٠) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢١هـ]، واقتضاء الصراط المستقيم له (٢/٧٨٥، ٧٨٦) [مكتبة الرشد، ط ٤، ١٤١٤هـ].

١٠ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المُنْكَرُ، والآخر: النكيرُ، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟» (٤).

وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان» (٥).

وقد نقل أهل العلم إجماع أهل السنة على ذلك، قال ابن عبد البر: «وأما قوله: «إنكم تفتنون في قبوركم» (٦) فإنه أراد فتنة الملكين منكر ونكير حين يسألان العبد: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فالآثار بذلك متواترة، وأهل السنة والجماعة وهم أهل الحديث والرأي في أحكام شرائع الإسلام كلهم مجمعون على الإيمان والتصديق بذلك، إلا أنهم لا يتكلفون فيه شيئاً، ولا ينكره

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧١) وحسنه، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٧)، وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٩١).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩١٣).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ٨٦)، ومسلم (كتاب الكسوف، رقم ٩٠٥).

١١ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

منكر ونكير

التعريف لغة:

منكر ونكير: النُّكْرُ والنَّكَارَةُ والنُّكْرَاءُ، بالفتح في الكل، والنُّكْرُ بالضم: الدَّهَاءُ والفطنة، ونعت للأمر الشديد، والنَّكِيرُ: اسم للإنكار الذي معناه: التغيير، والنَّكِير: الإنكار، وهو الجحود (١).

التعريف شرعاً:

منكر ونكير: اسم للملكين الموكلين بفتنة القبر وسؤال الناس في قبورهم (٢).

الأسماء الأخرى:

يطلق عليهما: ملائكة السؤال، وكذا الفتانان.

الحكم:

وجوب الإيمان بما وردت به النصوص الشرعية من منكر ونكير، وسؤالهم الميت

(١) انظر: تهذيب اللغة (٢١٠/٩) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م]، والصحاح (٤٠١/٣) [دارالعلم للملأين، ط ٤]، والقاموس المحيط (٦٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧هـ]، وتاج العروس (٢٨٧/١٤) [دار الهداية]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢٤٠/٥) [دار الفكر].

(٢) راجع الروح لابن القيم (٥٧) [دار الكتب العلمية].

إلا أهل البدع»^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

وهذا المعتقد ثابت بالتواتر والإجماع، قال ابن عبد البر: «وأما قوله: «إنكم تفتنون في قبوركم» فإنه أراد فتنة الملكين منكر ونكير حين يسألان العبد: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فالآثار بذلك متواترة، وأهل السنة والجماعة وهم أهل الحديث والرأي في أحكام شرائع الإسلام كلهم مجمعون على الإيمان والتصديق بذلك، إلا أنهم لا يتكلفون فيه شيئاً، ولا ينكره إلا أهل البدع»^(٢).

وقال ابن القيم: «أما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة متواترة»^(٣).

✽ المسائل المتعلقة:

- عدد ملائكة السؤال:

تنوعت الروايات الحديثية الصحيحة في ذكر عدد ملائكة السؤال، فروايات جاء فيها أن الإنسان يأتيه ملك^(٤)، وفي

(١) الاستذكار لابن عبد البر (٢/٤٢٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ]، والتمهيد له (٢٢/٢٤٧) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ].

(٢) الاستذكار لابن عبد البر المالكي (٢/٤٢٣)، والتمهيد له (٢٢/٢٤٧).

(٣) الروح (٥٢).

(٤) أخرج هذه الرواية: أبو داود (كتاب السنة، رقم ٤٧٥١)، وأحمد (٢١/١١٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٧٥هـ]، وصححها الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٩٣٠).

روايات: يأتيه ملكان^(٥)، وفي بعضها: يأتيه آت^(٦)، أو يؤتى، أو يسأل، أو يقال له دون ذكر للملك أو الملكين^(٧).

ولا تعارض بين روايات «ملك» و«ملكين» والحمد لله؛ بل كل ذلك صحيح المعنى بالنسبة إلى الأشخاص، فرب شخص يأتيه ملكان فيسألانه في آن واحد عند انصراف الناس؛ لتكون الفتنة في حقه أشد وأعظم، بحسب ما اقترب من الآثام، ورب شخص يأتيانه متفرقين، فيأتيه أحدهما قبل انصراف الناس عنه، ويأتيه الآخر بعد انصرافهم عنه؛ لتكون الفتنة في حقه أخف وأقل لما عمله من صالح الأعمال، ويحتمل أن يأتيه الملكان معاً، ويكون السائل أحدهما فتحمل رواية مجيء الملك الواحد على هذا، وكذا يقال في الروايات التي جاءت بنحو: «يأتيه آت»، أو: «يؤتى»^(٨).

(٥) أخرجها البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٣٨)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٠).

(٦) أخرجه أحمد (٣٠/٥٧٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٩٧) [دار الكتب العلمية، ط ١، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/٢١٩) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٧) انظر: رسائل الآخرة (٢/٣٧٥ - ٣٩٢).

(٨) انظر: التذكرة (١٢٨، ١٢٩) [دار قباء للنشر، وشرح الصلور (١٩٨) [دار ابن كثير، ط ٢، ١٤١٣هـ]، ولوامع الأنوار البهية (٢/٧) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١١هـ]، ورسائل الآخرة (٢/٣٧٥ - ٣٩٢).

ويلحق بهؤلاء: المخالفون في عذاب القبر والذي ينكرونه، فلا شك أنهم ينكرونه إجمالاً وتفصيلاً.

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستذكار»، لابن عبد البر.
- ٢ - «تأويل مختلف الحديث»، لابن قتيبة.
- ٣ - «التذكرة في أحوال الموتى والأخرة»، للقرطبي.
- ٤ - «التمهيد»، لابن عبد البر.
- ٥ - «الروح»، لابن القيم.
- ٦ - «شرح الصدور»، للسيوطي.
- ٧ - «عمدة القاري»، للعيني.
- ٨ - «الفتاوى الحديثية»، لابن حجر الهيتمي.
- ٩ - «فيض القدير شرح الجامع الصغير»، للمناوي.
- ١٠ - «لوامع الأنوار البهية»،

للسفاريني.

١١ - «المسائل والرسائل المروية عن

وانظر في أقوال الطوائف: معالم الدين (١٧٢) [وزارة التراث القومي والثقافة، ط ١٤٠٧هـ]، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين (١١٢) [عالم الكتب، ط ١، ١٩٨٣م]، ومنهج الطالبين (٥١٨)، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة (٤١٦/١) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤١٤هـ]، والإسماعيلية المعاصرة (٩٥) [ط ١، ١٤١٤هـ]، والإسماعيلية تاريخ وعقائد (٤٥٣)، ٤٥٧، ٤٥٨ [إدارة ترجمان السُّنة، ط ١، ١٤٠٦هـ].

ولا يصح القول بأن القائم على فتنة القبر ثلاثة أو أربعة؛ إذ لا دليل عليه^(١). ولا يصح تسمية ملائكة الفتنة بناكور، ورومان، ومبشر، وبشير؛ إذ لا دليل عليها^(٢).

✽ مذهب المخالفين:

خالفت المعتزلة؛ إذ قالت بالمجاز، والرافضة والباطنية؛ إذ قالت بالتأويل الباطني.

وكلاهما مجانب الصواب، إذ تأولا المنكر والنكير بما يقتضي التحريف، ولمخالفتهما ظاهر النص، ولكون النبي ﷺ قد فسر المراد بالمنكر والنكير، وكل قول بعد قوله فضلال.

قال إمام أهل السُّنة أحمد بن حنبل لما سئل عن عذاب القبر ومنكر ونكير: «نؤمن بهذا كله، ومن أنكر واحدة من هذه فهو جهمي»^(٣).

(١) انظر: الآثار الواردة في ذلك في الموضوعات لابن الجوزي (٢٤٣/٣ - ٢٣٥) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٤٠٧هـ]، والآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية (٤٣٧، ٤٣٦/٢) [دار المعرفة].

(٢) انظر: الآلئ المصنوعة (٤٣٧/٢)، وتنزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعية (٣٧٢/٢) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠١هـ]، وشرح الصدور (٢٠٠).

(٣) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (١٧٧/٢) [دار طيبة، ط ١، ١٤١٢هـ]، والروح لابن القيم (٥٧، ٥٨) [دار الكتب العلمية]، ولوائح الأنوار السننية (١٤٩/٢، ١٥٩، ١٦٠) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ]، ورسائل الآخرة (٣٩٩ - ٣٩٤/٢).

الإمام أحمد في العقيدة»، لعبد الله السماء^(٣).
الأحمدي.

سبب التسمية:

سمي بالمهدي؛ لأنه مهتدٍ في نفسه،
ويهدي الناس إلى طريق الحق بإذن الله
تعالى.

الحكم:

الإيمان بخروج المهدي واجب،
فخروجه ثابت بأدلة صحيحة ومعتبرة عند
أهل السُّنَّة والجماعة. قال
السفاري في رَحْمَةُ اللهِ: «الإيمان بخروج
المهدي واجب، كما هو مقرر عند أهل
العلم، ومدون في عقائد أهل السُّنَّة»^(٤).

الحقيقة:

محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي،
من ذرية فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بنت رسول الله ﷺ
كما دلَّ عليه حديث أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت:
سمعت رسول الله يقول: «المهدي من
عترتي من ولد فاطمة»^(٥). وذهب آخرون
أنه من ولد فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ثم من ولد
الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال ابن القيم:

(٣) ينظر: النهاية أو الفتن والملاحم (١/٢٤ - ٣٢) [دار
الكتب الحديثة، ط١]، ولوامع الأنوار البهية (٢/
٧٥) [المكتب الإسلامي، دار أسامة].

(٤) لوامع الأنوار البهية (٢/٨٤).

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب المهدي، رقم ٤٢٨٤)
واللفظ له، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٨٦)،
والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٦٧٢)،
وقال البخاري في التاريخ الكبير (٣/٣٤٦) [دائرة
المعارف العثمانية]: في إسناده نظر.

المهاجرون

يراجع مصطلح (الصحابه).

المهدي

التعريف لغةً:

الهدى ضد الضلال وهو الرشاد،
والمهدي: الذي قد هداه الله إلى
الحق^(١)، وقد استعمل في الأسماء حتى
صار كالأسماء الغالبة، وبه سمي
المهدي الذي بشر به النبي، أنه يجيء
في آخر الزمان^(٢).

التعريف شرعاً:

رجل من آل بيت النبي ﷺ، يخرج
في آخر الزمان، يملك سبع سنين، يملأ
الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً،
يقاتل على السُّنَّة، لا يترك سُنَّة إلا
أقامها، ولا بدعة إلا رفعها، وتنعم الأمة
في عهده نعمة لم تنعمها قط، وتخرج
الأرض نباتها، وتمطر السماء قطرها،
ويعطي المال بغير عدد، ويصلي عيسى
ابن مريم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خلفه عند نزوله من

(١) ينظر: مقاييس اللغة (١٠٢٧) [دار إحياء التراث
العربي، ١٤٢٩هـ]، ولسان العرب (١٥/٣٥٣) [دار
صادر، ط٣].

(٢) ينظر: لسان العرب (١٥/٣٥٤).

منهم شيئاً، والمال يومئذ كدوس، فيقوم الرجل، فيقول: يا مهدي أعطني، فيقول: خذ^(٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب أو تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»، وفي رواية: «يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي»^(٤).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف^(٥)، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين»^(٦).

وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم؛ لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما

وفي كونه من ولد الحسن سر لطيف وهو أن الحسن رضي الله عنه ترك الخلافة لله فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق المتضمن للعدل الذي يملأ الأرض، وهذه سنة الله في عباده أنه من ترك لأجله شيئاً أعطاه الله أو أعطى ذريته أفضل منه، وهذا بخلاف الحسين رضي الله عنه؛ فإنه حرص عليها وقاتل عليها فلم يظفر بها والله أعلم^(١). إلا أنه لم يثبت فيه حديث صحيح في أنه من ولد الحسن بن علي رضي الله عنه.

الأدلة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، ويعيش سبباً أو ثمانياً؛ يعني: حججاً»^(٢).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبع، وإلا فتسع، فتنعم فيه أمتي نعمة، لم ينعموا مثلها قط، تؤتى أكلها ولا تدخر

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف (١٥١) [مكتب المطبوعات الإسلامية، ٢، ١٤٠٣هـ].

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢٢٣٢) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٨٣)، وأحمد (٢٥٤/١٧) [مؤسسة الرسالة، ١٦]، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٦٧٣) واللفظ له، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٢٨/٢، رقم ٧١١).

(٣) هو الحديث السابق نفسه، وهذا لفظ ابن ماجه.

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب المهدي، رقم ٤٢٨٢)، والترمذي (أبواب الفتن، ٢٢٣٠) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٤٢/٦) [مؤسسة الرسالة، ١٦]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٢٧٥).

(٥) أجلى الجبهة؛ أي: خفيف شعر ما بين الزعتين من الصدغين، والذي انحسر الشعر عن جبهته. وأقنى الأنف؛ أي: طويل الأنف مع دقة أرنبتها، وحذب في وسطه. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٦٢، ٧٧٥) [دار ابن الجوزي، ١٦، ١٤٢١هـ].

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب المهدي، رقم ٤٢٨٥) واللفظ له، وأحمد (٢٠٩/١٧) [مؤسسة الرسالة، ٢٦، ١٤٢٨هـ]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٨٢٦)، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٦٧٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٧٣٦).

ملئت جوراً»^(١).

أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام؛ فيساعده في قتل الدجال باب لُد بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه»^(٤).

وقال السفاريني: «والصواب الذي عليه أهل الحق: أن المهدي غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السُّنة حتى عد من معتقداتهم... وقد روي عن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم عليه السلام بروايات متعددة، وعن التابعين من بعدهم، ما يفيد مجموع العلم القطعي. فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السُّنة والجماعة»^(٥).

وقال صديق حسن خان: «الأحاديث الواردة في المهدي، على اختلاف رواياتها، كثيرة جداً، تبلغ حد التواتر المعنوي، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد... وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار، وأنه لا بد في آخر الزمان من ظهور

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟»^(٢)، وجاء في حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا. فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو الحسن الآبري: «قد تواترت الأخبار واستفاضت وكثرت بكثرة رواياتها عن المصطفى ﷺ بخروجه، وأنه من

(١) أخرجه أبو داود (كتاب المهدي، رقم ٤٢٨٣)، وأحمد (١٦٣/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، ومن طريقه الضياء في المختارة (١٧٢/٢) [دار خضر، ط ٣]، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٥٣٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٤٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٥).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ: الحارث بن أسامة في مسنده، كما ذكر ابن القيم في المنار المنيف (١٤٧، ١٤٨) [مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ١]، وقال: «هذا إسناد جيد». قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/٢٧٦، رقم ٢٢٣٦) [مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ]: «وهو كما قال ابن القيم رحمه الله: فإن رجاله كلهم ثقات، من رجال أبي داود».

والحديث رواه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٦) من دون ذكر المهدي، قال الشيخ محمد صديق خان عن حديث مسلم: «ليس فيه أيضاً ذكر المهدي؛ ولكن لا مَحْمَل له ولأمثاله من الأحاديث إلا المهدي المنتظر اهـ. ينظر الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (١٨٠، ١٨١) [دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٤) نقله عنه السخاوي في القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٧٩) [أضواء السلف، ط ١].

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢/٨٤).

دلّ عليه حديث جابر رضي الله عنه السابق ذكره، قال: قال رسول ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صلّ بنا. فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة»^(٥). قال ابن حجر الهيتمي: «خروج المهدي قبل نزول عيسى هو الحق. وأما ما قيل: إنه بعد نزوله فبعيد، والأحاديث ترد على قائله فلا ينظر إليه»^(٦). ولم يثبت تحديد وقت خروجه بشهر أو بعام، قال صديق حسن خان: «لا شك في أن المهدي يخرج في آخر الزمان، من غير تعيين لشهر وعام»^(٧).

- المسألة الثانية: شريعة المهدي:

المهدي لا يأتي بشريعة جديدة بل يحكم بشريعة الإسلام متبعاً لنبيّنا محمد ﷺ، كما دلّت عليه الأحاديث السابق ذكرها، ومنها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟»^(٨)، وحديث جابر رضي الله عنه

رجل من أهل البيت النبوي، يؤيد الدين ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويُسمى بالمهدي»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: وقت خروجه ومكانه:

يخرج المهدي من جهة الشرق، كما دلّ عليه حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل من خراسان فأتوها، فإن فيها خليفة الله المهدي»^(٢). قال ابن كثير: «يخرج المهدي ويكون ظهوره من بلاد المشرق»^(٣). ويكون وقت خروجه قبل عيسى عليه السلام ويعاصره، ويشهد مقتل الدجال»^(٤)، كما

(١) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (١٤٩)، (١٥٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٨٤)، وأحمد (٧٠/٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، والبزار (١٠/١٠٠) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٤٣٢) وصححه، وصحح إسناده البزار أيضاً، والبوصيري في مصباح الزجاجة (٤/٢٠٤) [دار العربية، ط ٢].

(٣) النهاية أو الفتن والملاحم (١/٢٩). وينظر: المنار المنيف (١٥٢).

(٤) ينظر: القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراف الساعة (٧٨)، ولوامع الأنوار البهية (٢/٨٤ - ٨٦)، والبحور الزاخرة (١/٤٧٠) [دار غراس، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٥) تقدم تخريجه..

(٦) القول المختصر في علامات المهدي المنتظر (٨٠) [دار الصحوة، ط ١]، وينظر البحور الزاخرة (١/٤٦٩).

(٧) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (١٨٢).

(٨) تقدم تخريجه..

«المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف»^(٤).

٤ - المهدي يصلحه الله ﷺ في ليلة، كما دلَّ عليه حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة»^(٥). وقد اختلف العلماء في المراد بصلاح المهدي في ليلة، هل معناه: أنه يصلحه في أمر دينه ولم يكن صالحاً؟ أو أنه يصلحه لأمر الولاية وإمارة الناس؟ والأظهر هو الثاني؛ أي: أن الله يصلح المهدي في ليلة لإمارة الناس، ويمن الله عليه بصفات تؤهله لقيادة المسلمين، ويرفع قدره في ليلة واحدة أو في ساعة واحدة من الليل؛ حيث يتفق على خلافته أهل الحل والعقد فيها^(٦). والقول بأنه كان عاصياً فيهديه الله في ليلة لا يستقيم وقيادة الناس بعلم شرعي مؤصل؛ وذلك أن المهدي يحكم بينهم ويفتيهم، ويفصل بينهم في خصوماتهم، ويقودهم في

قال: قال رسول ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا. فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة»^(١)، فصلاة عيسى عليه السلام خلف المهدي لبيان أن عيسى عليه السلام نزل متبعاً لنبينا محمد ﷺ حاكماً بشريعته ﷺ.

- المسألة الثالثة: الضوابط التي يُعرف بها المهدي، في ضوء الأحاديث السابق ذكرها:

١ - تطابق اسم المهدي مع اسم النبي ﷺ كما دلَّ عليه حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب أو تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»، وفي رواية: «يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي»^(٢).

٢ - أنه من ولد فاطمة رضي الله عنها ابنة النبي ﷺ، كما دلَّ عليه حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^(٣).

٣ - أن تنطبق عليه الصفات الخلقية الواردة التي قالها فيه الرسول ﷺ:

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٨٥)، وأحمد (٧٤/٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وأشار العقيلي إلى ضعفه في الضعفاء (٤٦٥/٤) [دار المكتبة العلمية، ط١]، وقال البوصيري: (هذا إسناد فيه مقال). مصباح الزجاجة (٢٠٤/٢) [دار العربية، ط٢].

(٦) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (٤٦٠/٢) [دار الآثار، ط١، ١٤٢٨هـ]، والمهدي وفقه أشراف الساعة (٣٦) [دار بلنسية، الدار العالمية، ط١، ١٤٢٣هـ].

وترتجي ظهوره من سرداب في سامراء، فإن ذاك ما لا حقيقة له ولا عين ولا أثر^(٤). وقال: «يخرج المهدي ويكون

ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامراء كما تزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كثير من الخذلان، وهوس شديد من الشيطان؛ إذ لا دليل عليه ولا برهان، لا من كتاب ولا من سُنَّة، ولا من معقول صحيح ولا استحسان^(٥).

كما أن بعض العلماء من أهل السُنَّة أنكروا وجود المهدي لعدم ثبوت الأدلة عندهم^(٦)؛ وهذا لا حجة لهم فيه؛ إذ إن أحاديث المهدي ثابتة وصحيحة، وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم^(٧)».

(٤) النهاية أو الفتن والملاحم (٢٤/١).

(٥) النهاية أو الفتن والملاحم (٢٩/١). وينظر: المنار المنيف (١٥٢).

(٦) ينظر: مجموعة رسائل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود (٤٩٣/٣ وما بعدها) [العبيكان، ط ١، ١٤٢٧هـ]، وتفسير المنار (٤٩٩/٩) [دار المعرفة، ط ٢].

(٧) منهج السُنَّة (٢٥٤/٨) [جامعة الإمام، ط ١]، وينظر: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر (٣٣، ٣٢).

القتال؛ وهذا العلم لا يجتمع في ليلة؛ إلا أن يكون وحياً، والوحي للأنبياء فقط^(١).

٥ - يظهر وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً، فيملأها قسماً وعدلاً، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رَحِمَهُ اللهُ وفيه: «يملأ الأرض قسماً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً^(٢)».

٦ - أنه يقسم المال بين المسلمين بالعدل والسوية، ويكثر الخير في عهده، ويصلح حال الأمة، كما دلَّ عليه حديث عن أبي سعيد الخدري رَحِمَهُ اللهُ قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة^(٣)».

✽ مذهب المخالفين:

تزعم الرافضة أن المهدي هو المحبوس في غار في سامراء من عام (٢٦٠هـ) حتى الآن، وأنه هو الذي سيخرج آخر الزمان. قال ابن كثير: «ليس بالمنتظر الذي تزعم الروافض

(١) ينظر: نهاية العالم أشرار الساعة الصغرى والكبرى (١٩٠) [دار التدمرية، ط ٨، ١٤٣١هـ].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

- ٤ - «السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها» (ج ٥)، لعثمان بن سعيد الداني.
- ٥ - «عقد الدرر في أخبار المنتظر»، ليوسف السلمي.
- ٦ - «القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراف»، للسخاوي.
- ٧ - «كتاب الفتن» (ج ١)، لنعيم بن حماد المروزي.
- ٨ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ٢)، للسفاريني.
- وروي عن مجاهد بن جبر^(١)، وعن الحسن البصري^(٢)؛ أن المهدي هو عيسى عليه السلام، وهذا غير صحيح، وما روي عنهما لم يصح إسناده إليهما. قال السفاريني: «والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السُّنة حتى عد من معتقداتهم...»^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر»، لحمود بن عبد الله التويجري.
- ٢ - «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»، لمحمد صديق خان.
- ٣ - «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان»، لعلي حسام المتقي الهندي.

المُهَيِّمِينَ

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الهاء والميم والنون ليس بشيء، فأما المهيمين وهو الشاهد، فليس من هذا، إنما هو من باب أمن، والهاء مبدلة من همزة»^(٤). والمُهَيِّمِينَ

(٤) مقاييس اللغة (٦١٢/٢) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(١) رواه ابن أبي شيبة (١٩٨/١٥) [الدار السلفية، ١٣٩٩هـ]، وفيه لبث بن أبي سليم، وهو ضعيف كثير الاضطراب، وكان قد اختلط ولم يميز، فترك حديثه. ينظر كتاب: الموسوعة في أحاديث المهدي (١٧٨) [المكتبة المكية، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٢) رواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن (٣٧٤/١) رقم (١١٠٨)، و(٣٧٦/١) رقم (١١١٩). ونعيم بن حماد لا يحتاج به، وراوي كتابه عنه ضعيف أيضًا، وفيه علل أخرى. تنظر في كتاب الموسوعة في أحاديث المهدي (١٧٥، ١٧٦).

(٣) لوامع الأنوار البهية (٨٤/٢).

ذلك الله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته ﷻ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

❁ الحقيقة:

المهيمن: المُطَّلَع على خفايا الأمور وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علماً، وهو الشهيد على خلقه بما يكون منهم من قول أو عمل. فهذا الاسم الكريم لدينا ﷻ قد أورد أهل العلم له عدة تفسيرات، فقليل إن معناه:

- الرقيب الحافظ^(٣).

- الشاهد أو الشهيد على خلقه بما يكون منهم من قول أو فعل^(٤).

- الأمين، وذلك أن أصله مؤيمن، قلبت الهمزة هاء؛ لأن الهاء أخف من الهمزة، فالله ﷻ هو الأمين على أفعال خلقه، فلا ينقص الميثب من ثوابه، ولا يزيد العاصي من العقاب على قدر معصيته^(٥).

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٢)، وشأن الدعاء (٤٦) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (١٦٨/١) [مكتبة السوادى، ط ١، ١٤١٣هـ]، أحكام القرآن لابن العربي (٣٤٧/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣٠٤/٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٢)، وشأن الدعاء (٤٦)، واشتقاق أسماء الله (٢٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ].

(٥) انظر: تفسير الطبري (٣٠٤/٢٣)، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٢)، واشتقاق أسماء الله (٢٢٨)، =

اسم فاعل من الهيمنة، مأخوذ من الفعل هيمن يهيمن هيمنة فهو مهيمن؛ إذا سيطر وصار رقيباً وحافظاً وشاهداً على الشيء.

وجاء من معاني المهيمن في اللغة: الأمين^(١).

وقال الجوهري: «المهيمن: الشاهد، وهو من آمن غيره من الخوف، وأصله أَمَّنَ مُؤَامِنٌ، بهمزتين، قُلِبَتْ الهمزة الثانية ياء كراهية لاجتماعهما، فصار مُؤَيِّمٌ، ثم صُيِّرَت الأولى هاء، كما قالوا: أراق الماء وهراقه»^(٢).

❁ التعريف شرعاً:

المهيمن: اسم من أسماء الله ﷻ دالٌّ على إحاطته سبحانه بكل شيء وسيطرته عليه، وأنه الرقيب الشهيد على كل شيء والحافظ لكل شيء، والأمين على أعمال خلقه فلا يضيع منها شيئاً.

❁ الحكم:

يجب الإيمان بهذا الاسم: المهيمن، وما دلَّ عليه من صفة الهيمنة؛ لدلالة القرآن الكريم عليها، ويجب إثبات

(١) انظر: تهذيب اللغة (٣٣٢/٦ - ٣٣٤) [الدار المصرية، ط ١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (٢٠٧١/٥)، ٢٢١٧/٦، ٢٢١٨) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، والقاموس المحيط (١٦٠٠) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٢/ ١٠٠٥) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢م].

(٢) الصحاح (٢٢١٧/٦، ٢٢١٨).

- المصدق^(١).

❁ الأدلة:

وقال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى (المهيمن): هو الرقيب، وقيل: الشاهد، وقيل: المؤتمن، وقيل: القائم بأمور الخلق»^(٤).

وقال السعدي: «المهيمن: المطلع على خفايا الأمور وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علماً»^(٥).

ورد اسم المهيمن في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

❁ أقوال أهل العلم:

عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿الْمُهَيَّمُنُ﴾ [الحشر: ٢٣] قال: «الشهيد»، وقال مرة أخرى: «الأمين»^(٢).

قال البيهقي: «المهيمن: هو الشهيد على خلقه بما يكون منهم من قول أو عمل، وهو من صفات ذاته، وقيل: هو الأمين، وقيل: هو الرقيب على الشيء والحافظ له»^(٣).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «أسماء الله الحسنى: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة»، لماهر مقدم.
- ٣ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٤ - «الاعتقاد والهداية»، للبيهقي.
- ٥ - «الجواب الصحيح»، لابن تيمية.
- ٦ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٧ - «صفات الله وَجَلَّ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلي بن عبد القادر السقاف.
- ٨ - «فقه أسماء الله الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

= وشأن الدعاء (٤٦)، والمنهاج في شعب الإيمان (٢٠٢/١، ٢٠٣) [دار الفكر، ١٥]، والأسماء والصفات (١٦٦/١ - ١٦٨).

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٠٤/٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحقيقة مذهب الاتحاديين ووحدة الوجود، ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧٢/٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١، ١٤١٦هـ]، والرد الأقوم على ما في فصوص الحكم، ضمن مجموع الفتاوى (٤٢٨/٢)، الجواب الصحيح (٢/ ٢٧٢، ٤٢٨) [دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٩٨٢/١٠)، رقم ٣٣٧٧٦ [دار السلام، القاهرة، ط٣، ١٤٢٩هـ] وإسناده حسن، كما في التفسير الصحيح (٤٧٠/٤) [دار المآثر، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٣) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (٤٢) [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ].

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٧٥/٥) [المكتبة العلمية، بيروت].

(٥) تفسير السعدي (٦٢٤/٥)، ملحق في آخر الجزء بعنوان: أصول وكمالات من أصول التفسير وكمالاته [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط٢، ١٤١٢هـ].

والهلاك^(٤)، ويسمى: الساعة الصغرى، والقيامة الصغرى^(٥).

✽ الحكم:

الإيمان بالموت واجب.

✽ الحقيقة:

الاعتقاد الجازم بأن الموت أمر وجودي يقابل الحياة، واعتقاد أن الموت الشرعي مفارقة الروح الجسد مع بقائها بعده، وأنها لا تفنى ولا تبلى بفنائها، والتصديق بكل ما جاءت به النصوص من الأمور المتعلقة به.

قال القرطبي: «قال العلماء: الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار، والحياة عكس ذلك»^(٦).

وقال الحافظ ابن حجر: «ولا يلزم

٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

✽ موانع التكفير ✽

يراجع مصطلح (التكفير).

✽ الموت ✽

✽ التعريف لغة:

ذهاب القوة من الشيء، قال ابن فارس: «الميم والواو والتاء أصل صحيح يدل على ذهاب القوة من الشيء، ومنه الموت خلاف الحياة»^(١). فالموت إذن: ضد الحياة وخلافها^(٢).

✽ التعريف شرعاً:

الموت: مفارقة الروح الجسد كلياً بالموت أو جزئياً بالنوم^(٣).

✽ الأسماء الأخرى:

الموت، والحتف، والمنون، والسام، والحمام، والردي، والحين، والوفاة،

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢٨٣/٥) [دار الجيل، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (٢٠٦)، والمصباح المنير للفيومي (٥٨٤/٢) [دار الكتب العلمية].

(٣) انظر: فتح الباري (٦٧/٢) [دار المعرفة]. وراجع: التذكرة للقرطبي (٤)، والروح لابن القيم (٣٤) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ].

(٤) انظر: الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة (١) (٢٣٢) [دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ]، ومقاييس اللغة (١٣٥/٢) [دار الجيل، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وتهذيب اللغة (٢٥٧/٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

(٥) انظر: إحياء علوم الدين (٦٤/٤) [دار المعرفة]، وتفسير غرائب القرآن وغرائب الفرقان (٤٠٤/٦) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ]، وسرقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥٣٣/٩) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ]، وروح المعاني (١٤١/٧) [دار إحياء التراث العربي].

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٣٧٧/٧) [دار الشعب].

كليهما: خلود فيما تجدون لا موت فيه أبداً»^(٣).

وفي الموت الذي تفارق فيه الروح الجسد قال تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [٢١] [عبر].

وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان»^(٤).

وفي الموت الذي هو بمعنى النوم قال ﷺ: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»^(٥).

وقد جاء الجمع بين الموتين في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٣٢٧)، وأحمد (٧٧/٣) [دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ]، وجوّد المنذري إسناده في الترغيب والترهيب (٤/٣١٧) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ]، وأورده الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤٠٧/٣) [مكتبة المعارف، ١٤١٧هـ] وقال: «حسن صحيح».

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٠١)، والترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٢٤)، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٩٨)، وأحمد (٤٠٦/١٤) [مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ]، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٣٢٦) وصححه، وصححه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح (٥٢٧/١) [المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣١٢).

من قبض الروح الموت، فالموت انقطاع تعلق الروح بالبدن ظاهراً وباطناً، والنوم انقطاعه عن ظاهره فقط»^(١).

الأدلة:

دلّ على الموت كأمر وجودي مخلوق قول الحق تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [٢] [الملك].

وقوله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة...، فيذبح» الحديث^(٢)، والناس يعرفونه يوم القيامة، وموطن ذبحه الصراط؛ لقوله ﷺ: «يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط، فيقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم ربنا، هذا الموت، ثم يقال: يا أهل النار، فيطلعون فرحين مستبشرين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم، هذا الموت، فيؤمر به فيذبح على الصراط، ثم يقال للفريقين

(١) فتح الباري (٦٧/٢) [دار المعرفة].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٣٠)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٩).

لِبَلُولِكُمْ أَنْكُمْ أَحْسَنُ عِبَادًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾
[الملك]، قال ابن كثير: «استدل بهذه الآية من قال: إن الموت أمر وجودي؛ لأنه مخلوق»^(٣).

وتقدم أنه يؤتى به يوم القيامة على صورة كبش ويذبح.

وقد فسر الفزع الأكبر في قوله تعالى:
﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء:
١٠٣] بتفاسير؛ أحدها: أنه ساعة ذبح الموت^(٤).

وكذا فسر يوم الحسرة في قوله تعالى:
﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم]،
بأنه ساعة ذبح الموت على رأي الجمهور^(٥).

- المسألة الثانية: هل الموت للروح والبدن؟

ذكر بعض أهل العلم أن الموت للروح والبدن سواء، وذهب آخرون إلى أن الموت للبدن والروح باقية، وذكر ابن القيم رحمته الله: أن موت النفوس إن أريد به مفارقتها لأجسادها وخروجها منه، فالأرواح ذائقة الموت، وإن أريد أن

وفي قوله ﷺ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه... ثم يقول: باسمك رب وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»^(١).

فالإمسك في المودة الكبرى والإرسال في الصغرى.

❁ الأقسام:

ينقسم الموت باعتبار مفارقة الروح الجسد إلى قسمين:

الأول: موت كلي: وهو الوفاة الكبرى التي تفارق فيه الروح الجسد وتنفصل عنه بالكلية فيما نسميه الموت.

والثاني: موت جزئي: وهو الوفاة الصغرى التي تفارق فيه الروح الجسد وتنفصل عنه انفصلاً جزئياً فيما نسميه النوم وما أشبه ذلك.

وعليه فحقيقة الموت هنا، مفارقة الروح الجسد كلياً بالموت أو جزئياً بالنوم^(٢).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الموت مخلوق وجودي يذبح يوم القيامة بعد استقرار أهل الدارين في داريهما.

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٢٠)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٤).

(٢) انظر: موسوعة الروح (١/١١٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٣٩٧) [دار الفكر، ١٤٠١هـ].

(٤) انظر: النكت والعيون (٣/٤٧٣) [دار الكتب العلمية]، وتفسير العز بن عبد السلام (٢/٣٣٩) [دار ابن حزم، ١٤١٦هـ].

(٥) انظر: تفسير ابن عطية (٤/١٧) [دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ]، وعمدة القاري (١٩/٢٨٣) [دار إحياء التراث العربي].

أما الجسد فيفنى بالموت ويبلى إلا عَجَب الذَّنْب؛ لقوله ﷺ: «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظمًا واحدًا وهو عَجَب الذَّنْب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»^(٦)، ويستثنى من ذلك أجساد الأنبياء لورود النص بأن أجسادهم محرمة على الأرض، كما في الحديث: «أكثرُوا عليّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة؛ فإن صلاتكم معروضة عليّ». قالوا: كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أُرِمت؟ أي: بليت. فقال: «إن الله تعالى حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»^(٧).

- المسألة الثالثة: علامات الموت:

جعل الفقهاء للموت علامات يعرف بها، ومنها: انقطاع نفس الميت، وانخساف صدغيه، وميل أنفه، وامتداد جلدة وجهه، وانفصال كفيه، واسترخاء رجليه^(٨).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٣٥)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٥٥).
(٧) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٠٤٧)، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٣٧٤)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، رقم ١٠٨٥)، وأحمد (٨٤/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والدارمي (كتاب الصلاة، رقم ١٦١٣)، وصححه النووي في الأذكار (١١٥) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٢٧).

(٨) انظر: الأم (٢٧٤/١) [دار المعرفه، ط ٢، ١٣٩٣هـ]، والمغني في فقه الإمام أحمد (١٦٢/٢) [دار الفكر، ط ١، ١٤٠٥هـ]، وشرح منتهى الإرادات (٣٤٣/١) [عالم الكتب، ط ٢، ١٩٩٦م]، والخرشي =

الروح تعدم وتضمحل وتصير عدمًا محضًا فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية في البرزخ إما في نعيم وإما في عذاب^(١).

ومما يدل على ذلك كقوله ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»^(٢).

وقوله ﷺ: «إنما نسمة المسلم طير تعلق^(٣) في شجر الجنة، حتى يرجعها الله ﷻ إلى جسده يوم القيامة»^(٤).

قال ابن تيمية: «الذي عليه الأنبياء وأتباعهم وجمهور العقلاء أن الروح تفارق البدن وتبقى بعد فراق البدن»^(٥) في مقرها المعد لها.

(١) انظر: الروح (٣٤) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٧٩)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٦).

(٣) تعلق: تأكل. انظر: النهاية (٢٨٩/٣).

(٤) أخرجه النسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٧٣)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٧١)، وأحمد (٢٥/٥٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، ومالك في الموطأ (كتاب الجنائز، رقم ٤٩) [دار الحديث، ط ٢، ١٤١٣هـ]، وابن حبان (كتاب السير، رقم ٤٦٥٧)، وصححه ابن كثير في تفسيره (١٦٤/٢) [دار طيبة، ط ٢]، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٦٩٤)، وقال عن إسناد أحمد: «وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين».

(٥) الجواب الصحيح (٢٦٨/٣).

- المسألة الرابعة: الموت علامة انتهاء الأجل:

لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، قال ابن كثير: «أي: لا يموت أحد إلا بقدر الله، وحتى يستوفي المدة التي ضربها الله له»^(١).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

فكل من مات فموته بسبب انتهاء أجله ليس غير.

والآيات الآتية تبطل زعم المعتزلة أن الأجل يتقدم ويتأخر، وأن من قتل فإنما يهلك قبل أجله، وكذلك كلما ذبح من الحيوان كان هلاكه قبل أجله؛ لأنه يجب على القاتل الضمان والدية^(٢).

- المسألة الخامسة: كراهة الموت فطرية:

فإنه لما قال ﷺ: «من أحب لقاء الله

أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: «ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه»^(٣).

والمؤمن غالباً لا يكره الموت إلا خوفاً من تقصير يؤاخذ به، أو طمعاً في خير يزداد منه، ومثل هذا يعذر صاحبه، بخلاف من كرهه لأجل متع الحياة وإيثارها على نعيم الآخرة فمذموم، قال التبريزي: «من كره الموت إيثاراً للحياة على ما بعد الموت من نعيم الآخرة كان مذموماً، ومن كرهه خشية أن يفضي إلى المؤاخذه، كأن يكون مقصراً في العمل لم يستعد له بالأهبة بأن يتخلص من التبعات، ويقوم بأمر الله كما يجب، فهو معذور، لكن ينبغي لمن وجد ذلك أن يبادر إلى أخذ الأهبة، حتى إذا حضره الموت لا يكرهه؛ بل يحبه لما يرجو بعده من لقاء الله»^(٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٧)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٣).
(٤) مشكاة المصابيح (٥/٥٨٧).

= على مختصر سيدي خليل (٢/١٢٢) [دار الفكر].
(١) تفسير ابن كثير (٢/١٢٩) [دار طيبة، ط ٢].
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/٢٢٧) [دار إحياء التراث العربي].

- المسألة السادسة: تمنى الموت
يجوز في حال دون حال:

فيجوز تمنى الموت في حال خوف
الفتنة؛ لقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ
فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب
المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة
فاقبضني إليك غير مفتون»^(١).

ويدخل في ذلك: الخوف من الفتنة
الدينية، ومثله ما جاء في تمنى مريم
الموت خوف قذفها بالفاحشة.

كما يجوز تمنى الموت شهيداً؛
لحديث: «من سأل الله الشهادة بصدق،
بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على
فراشه»^(٢).

ولا يجوز تمنى الموت في حال
الضر؛ لقوله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم
الموت لضر نزل به، فإن كان لا بدَّ
متمنياً فليقل: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ
الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة
خيراً لي»^(٣)، لما في ذلك من منافاة
للصبر والرضا بالقدر.

وأما قول يوسف ﷺ: «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٢٣٥)،
وأحمد (٤٢٢/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال
البخاري والترمذي: حسن صحيح، كما ذكر
الترمذي عقب إخرجه للحديث.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٥١)،
ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،
رقم ٢٦٨٠).

مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
تُوفِّقْنِي مُسْلِمًا وَالْحَقَّقْنِي بِالصَّلَاحِينَ ﴿١١١﴾
[يوسف]، فليس فيه تمنى الموت؛ وإنما هو
دعاء بالموت على الإسلام، لا بمطلق
الموت ولا الموت الآن^(٤).

ومثله قول السحرة بعد أن آمنوا لما
أرادهم فرعون عن دينهم وهددهم بالقتل:
«رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٦٦﴾
[الأعراف].

- المسألة السابعة: الاحتضار:

الاحتضار: هو الساعة التي يكون فيها
العبد في إقبال من الآخرة وإدبار من
الدنيا، وهو وقت حضور الموت، وقرب
مفارقة الروح البدن.

وهو أحد مفردات الإيمان باليوم
الآخر، التي تسبق الموت، وفيه تكون
السكرات، والبشارات، وحضور
الملائكة الموكلة باستلام الروح قبل
نزعها.

وقد دلت النصوص الكثيرة عليه؛
منها: قوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ
الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ
صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا
وَمِنَ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾
[المؤمنون].

(٤) انظر: شرح الطحاوية (٣٦٩) [المكتب الإسلامي،
ط ٤].

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٦﴾ فَسَلَّ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٨﴾ فَتَزُلْ مِنْ حِمِيمٍ ﴿٩٩﴾ [الواقعة].

قال ابن سعدي: «ذكر الله تعالى أحوال الطوائف الثلاث: المقربين، وأصحاب اليمين، والمكذبين الضالين في أول السورة في دار القرار، ثم ذكر أحوالهم في آخرها، عند الاحتضار والموت»^(٣)، ثم ساق الآيات بتفسيرها.

وعليه؛ فيختلف قبض الأرواح وانتزاعها، وكيفية خروجها، وما ينالها بعد ذلك.

قال عليه السلام: «نفس المؤمن تخرج رشحاً، ونفس الكافر تخرج من شدة كما تخرج نفس الحمار»^(٤).

وقد جاءت السُّنة بالتفريق بين نزاع روح المؤمن وروح الكافر وما يعقب ذلك، كما في قوله عليه السلام: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وَجُوهُهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا

(٣) تفسير السعدي (٨٣٦).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣٣/١٠) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٣٢٣) [مكتبة القدسي]، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٤/٥).

وهذا «حين تنقطع الدنيا، ويعاين الآخرة، قبل أن يذوق الموت»^(١).

وقد دلت السُّنة على ذلك، قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وَجُوهُهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَ الْبَصَرِ. وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سَوْدُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمَسْوُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَ الْبَصَرِ»^(٢).

- المسألة الثامنة: أقسام الناس عند الاحتضار وتمايزهم في قبض الروح وخروجها:

جاء تقسيم الناس عند الاحتضار كما في آخر سورة الواقعة إلى ثلاثة أقسام: مقربين، وأصحاب يمين، ومكذبين ضالين، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُفْرِينَ ﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتٌ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾

(١) تفسير الطبري (٦٩/١٩)، مؤسسة الرسالة، ط١]. وانظر: تفسير ابن كثير (٤٣٩/٥)، دار طيبة، ط٢].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنة، رقم ٤٧٥٣)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٩) مختصراً، وأحمد (٤٩٩/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين (١٣٧/١) [دار الكتب العلمية، ط١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٦١٩/٢) و(٩٠١/٣) [المكتبة الإسلامية، ١٤٠٩هـ].

الظن بالله تعالى: أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه .

قالوا: وفي حالة الصحة يكون خائفًا راجيًا، ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه؛ لأن مقصود الخوف: الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى، والإذعان له^(٤).

ولا منافاة بين الحديث الأنف وحديث امتزاج الرجاء بالخوف الذي رواه أنس وفيه قال: «أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو بالموت، فقال: «كيف تجدك؟» قال: والله يا رسول الله إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن، إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف»^(٥).

فإن الحديث الأول فيه الحث الأكيد

ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٥).

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم (٢٥٦/٩).

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ٩٨٣)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦١)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١٣٥/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١٦]، والألباني في أحكام الجنائز (٣) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت ﷻ حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء. وإنّ العبد الكافر، إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرّق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السّفود من الصّوف المبلول^(١).

- المسألة التاسعة: إحسان الظن بالله تعالى عند الاحتضار، وسؤال المغفرة والرحمة:

يتفكر المحتضر في سعة رحمة الله ومغفرته وعفوه؛ لقوله ﷻ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ»^(٢)، ففيه تغليب جانب الرجاء.

وفي هذا تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة، وقد جاء في الحديث الآخر قوله ﷻ: «أنا عند ظن عبدي بي»^(٣)، قال العلماء: معنى «حسن

(١) تقدم تخريجه .

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٥)،

وسياًتي التفريق بين الغرغرة والاحتضار .
ويمكن القول: إن الغرغرة تكون آخر
وقت الاحتضار بعد رؤية الملك وانتزاعه
الروح، وفي الحديث: «إن الله تعالى
يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»^(٥)؛ أي:
ما لم تبلغ روحه حلقومه^(٦).

ويدلُّ على قبول التوبة حال
الاحتضار وقبل المعاناة والنزع: ما ثبت
في «الصحيحين» من دعوة النبي ﷺ
عنه أبا طالب إلى التوحيد وهو في
حال الاحتضار^(٧)، قال ابن مفلح مفسراً
لحضور الوفاة: «المراد: قربت وفاته
وحضرت دلائلها، وذلك قبل المعاناة
والنزع، ولو كان في حال المعاناة
والنزع لما نفعه الإيمان؛ لقوله
تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ
قَالَ إِنِّي تَبْتُ الْفَن﴾ [النساء: ١٨]، ويدل
على أنه قبل المعاناة محاورته للنبي ﷺ
مع كفار قريش»^(٨).

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٣٧) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٥٣)،
وأحمد (١٣٢/٢) (عالم الكتب، ١٦)، وابن حبان
(كتاب الرقاق، رقم ٦٢٨)، وحسنه الألباني في
صحيح الجامع (٣٨٦/١) [المكتب الإسلامي].

(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٦٦٥/٣) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

(٧) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٠)،
ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤).

(٨) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٦٢/١) [مؤسسة
الرسالة، ٢، ١٤١٧هـ].

على إحسان الظن بالربِّ تعالى عند
الموت، وهو يتضمن تغليب جانب
الرجاء على الخوف عند الاحتضار،
والله أعلم.

وقد استحسن بعض العلماء أن يُذكر
المريض بسعة رحمة الله ولطفه وبرّه،
ليحسن ظنه بربه؛ وكذا تلقينه محاسن
عمله عند موته، لكي يحسن ظنه بربه^(١)،
كما فعل ابن عباس مع عائشة رضي الله عنها عند
موتها^(٢).

ومن إحسان الظن بالله تعالى عند
الاحتضار الدعاء بالمغفرة والرحمة تأسيّاً
بالنبي ﷺ، فإنه كان يقول في ساعة
الاحتضار: «اللَّهُمَّ اغفر لي، وارحمني،
وألحقني بالرفيق»^(٣).

- المسألة العاشرة: تقبل توبة
المحتضر ما لم يغرغر:

لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ
لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ أَسْوَءَ مِجْهَلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ
مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧].

والتوبة من قريب هي التوبة قبل
حضور الموت أي قبل الغرغرة^(٤)،

(١) انظر: سبل السلام (٩٠/٢) [مكتبة مصطفى البابي
الحلي، ٤، ١٣٧٩هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المرضى، رقم ٥٦٧٤)،
ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٤).

(٤) انظر: روح البيان (١٤٣/٢) [دار إحياء التراث
العربي].

- المسألة الحادية عشرة: تمنى الكافر والمفرط استئناف الحياة عند الاحتضار:

وذلك لإصلاح ما قد أفسد؛ لأنه في تلك الساعة ينكشف له الغطاء عما ينتظره من عذاب؛ لسوء عمله، فيحاول تدارك ذلك بالعودة إلى الحياة مرة ثانية، وإعادة التجربة مرة أخرى، ولكن هيهات، فقد فات الآوان، قال تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۚ﴾ [المؤمنين: ١٠٠].

قال ابن كثير مفسراً: «يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو المفرطين في أمر الله تعالى، وقيلهم عند ذلك، وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا؛ ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته» (٣).

- المسألة الثانية عشرة: سكرات الموت عامة، وهي على الكفار والعصاة أشد:

سكرات الموت كرباته وغمراته وشدته نتيجة الألم، وهي عامة للمؤمن والكافر.

وقد ذكر الحق تعالى السكرات في قوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

وهي المرادة بقوله تعالى في الغشي:

ولما ثبت في «الصحيحين» من دعوته ﷺ للغلام اليهودي - الذي عاده في مرض موته - إلى التوحيد (١)، فأسلم ومات عليه، فكان من الناجين، ومن الصحابة المرضيين.

أما ساعة معاينة ملك الموت ونزع الروح فإن التوبة لا تقبل؛ للحديث المتقدم في الغرغرة؛ ولقوله تعالى:

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ﴾ [النساء: ١٨]، فهذا هو المعاین الذي لا تقبل توبته؛ كتوبة فرعون لما رأى الملائكة وأدركه الغرق قال: ﴿ءَاْمَنْتُ أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاْمَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

[يونس]، فكان الجواب: ﴿ءَاْكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

[يونس].

فالتوبة مبسطة للعبد حتى يعاین قابض الأرواح، وذلك عند غرغرة بالروح، وإنما يغرغر به إذا قطع الوتين، فشخص من الصدر إلى الحلقوم، فعندها المعاينة، وعندها حضور الموت، فيجب على الإنسان أن يتوب قبل المعاينة والغرغرة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿تُؤْتُونَكَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧] (٢).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٦).

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي (١/ ٥٢) [دار قباء للنشر].

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٦) [دار الفكر].

أَلَمَّا، وقد وصف القرآن الكريم حال الظالمين في السكرات وشدة الملائكة عليهم، فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٩٣) [الأنعام].

وإن كانت المعاناة عامة ومتفاوتة المقدار، إلا أن الشهيد يخفف عليه كما دلَّ عليه ظاهر قوله ﷺ: «الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة» (٣).

- المسألة الثالثة عشرة: قول الخير عند المحتضر والدعاء له بالمغفرة إذا قبض:

عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً: «إذا حضرتم الميت فقولوا خيراً، فإن الملائكة تؤمن على ما تقولون»، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «قولي: اللَّهُمَّ اغفر له، وأعقبنا عقبى صالحة»، قالت: فأعقبني الله محمداً ﷺ (٤).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل الجهاد، رقم ١٦٦٨) وقال: حسن صحيح، والنسائي (كتاب الجهاد، رقم ٣١٦١)، وابن ماجه (كتاب الجهاد، رقم ٢٨٠٢)، وأحمد (٣٣٤/١٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والدارمي (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٥٢)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٦٠).

(٤) أخرجه بهذا السياق: أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٥)، والترمذي (أبواب الجنائز، رقم ٩٧٧) =

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعُوقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٨) أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (١٩) [الأحزاب].

والذي يغشى عليه من الموت، هو المحتضر يغشى عليه لما يعاني من سكرات الموت (١).

وفي «صحيح البخاري» أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: إن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبه فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات» ثم نصب يده، فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض، ومالت يده، قال أبو عبد الله: العلبه من الخشب والركوة من الأدم (٢).

وقد تقدم ذكر الفرق والاختلاف بين المؤمن والكافر حال الاحتضار والبشارة ونزع الروح، وكون الكافر يكون أكثر

(١) أسير التفاسير (٢٧٩/٣) [مكتبة العلوم والحكم، ط ٥، ١٤٢٤هـ]، وانظر: بيان المعاني (٢٨/٦) [مطبعة الترقى، ط ٢، ١٣٨٢هـ]، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٩٣٣/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقائق، رقم ٦٥١٠).

- المسألة الرابعة عشرة: عرض الإسلام على المُحتَضَر الكافر:

فعن سعيد بن المسيب، عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال النبي ﷺ: «أي عم، قل: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فنزلت: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّنَا لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة] (١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار» (٢).

- المسألة الخامسة عشرة: التلقين المشروع للميت يكون وقت الاحتضار:

لقوله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» (٣). قال النووي: «معناه: من حضره الموت، والمراد: ذكروه لا إله إلا الله؛ لتكون آخر كلامه كما في الحديث: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» (٤) (٥).

وهل الأمر بالتلقين للاستحباب أم للوجوب؟ وهل يكرر على المحتضر؟ ذكر بعض أهل العلم أن الأمر بهذا التلقين أمر ندب، وأجمع العلماء على هذا التلقين، وكرهوا الإكثار عليه والموالاة؛ لئلا يضجر بضيق حاله وشدة كربه؛ فيكره ذلك بقلبه ويتكلم بما لا يليق، قالوا: وإذا قاله مرة لا يكرر عليه إلا أن يتكلم بعده بكلام آخر، فيعاد التعريض به؛ ليكون آخر كلامه (٦).

- المسألة السادسة عشرة: التخيير بتأخير الموت عند الاحتضار خاص بالأنبياء:

لقوله ﷺ: «ما من نبي يمرض إلا

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩١٦).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٦)، وأحمد (٣٦٣/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٢٩٩) وصححه، وصححه الألباني في الإرواء (رقم ٦٨٧).

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي (٢١٩/٦) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ].

(٦) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٢١٩/٦)، وبداية المجتهد لابن رشد (١/١٦٤) [دار الفكر]، وشرح فتح القدير (٢/١٠٤) [دار الفكر، ط ٢].

= وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٤٧)، وأحمد (١٠١/٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣٠٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٩١). وأصله في صحيح مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٢٠). (١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٦٧٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤). (٢) تقدم تخريجه.

خَيْرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١)؛ أي: «بين الإقامة في الدنيا والرحلة إلى الآخرة؛ لتكون وفادته على الله وفادة محب مخلص مبادر»^(٢).

وفي تخيير موسى ﷺ قال النبي ﷺ: «جاء ملك الموت إلى موسى، فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله ﷻ، فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، قال: فرد إليه عينه، قال: ارجع إلى عبدي فقل له: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة، فضع يدك على متن ثور، فما وارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب، قال: رب أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر»، قال رسول الله ﷺ: «لو أنني عنده لأريتكم مقبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»^(٣).

وفي تخيير محمد ﷺ قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «لن يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخير» فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة،

ثم أفاق، فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: «اللَّهُمَّ الرفيق الأعلى» قلت: إذا لا يختارنا، وعلمت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح، قالت: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها: «اللَّهُمَّ الرفيق الأعلى»^(٤).

فإن قال قائل: ما وجه التخيير بعد أن يرى مقعده من الجنة، ولو أن أحدنا رأى مكانه من الجنة لم يتخير الدنيا عليه؟ فالجواب: أن التخيير يكون إكراماً له؛ ليكون قبض روحه عن أمره، فيجوز أن يختار تعجيل معاناة الموت لما يصير إليه، ويجوز أن يختار تأخير الموت عنه مع علمه بمنزلته إثارة لطاعة الله على حظ النفس^(٥).

- المسألة السابعة عشرة: وصاة الأنبياء ﷺ بالتوحيد عند الاحتضار وتحذيرهم من الشرك:

التوصية هي التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة، سواء كان حالة الاحتضار أو لا، وسواء كان ذلك التقدم بالقول أو الدلالة، وإن كان الشائع في العرف استعمالها في القول المخصوص حالة الاحتضار^(٦).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤٣٧)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٤).

(٥) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٢/ ٥٤٠) [دار الوطن، ط ١٤١٨هـ].

(٦) روح المعاني (١/ ٣٨٦) [دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٥٨٦) واللفظ له، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٤).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٧١٣) [مكتبة الإمام الشافعي، ط ٣، ١٤٠٨هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٣٩)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٢).

- المسألة الثامنة عشرة: حضور الشيطان ساعة الاحتضار للإفساد على المحتضر:

دلّ على ذلك ظاهر قوله تعالى: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون]، قال الشنقيطي: «والظاهر أن المعنى: أعوذ بك أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري كائناً ما كان، سواء كان ذلك وقت تلاوة القرآن أو عند حضور الموت، أو غير ذلك من جميع الشؤون في جميع الأوقات» (٢).

وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرْدِي، والهدم، والغرق، والحريق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً، وأعوذ بك أن أموت لديقاً» (٣).

وتخبط الشيطان للمحتضر يكون بإفساد دينه أو عقله (٤)، وذلك بأن يستولي عليه الشيطان عند مفارقتة الدنيا

والتوصية عند الموت تكون بأعظم المهمات التي تشغل البال، ومن أعظم ما يوصى به التوحيد، وقد ذكر تعالى وصاة إبراهيم الخليل ﷺ: ﴿وَأَنِيبْ إِلَىٰ رَبِّكَ وَأَسْلِمْ ۚ إِنَّكَ مِنَ الْإَسْلِمِ﴾، وكذا يعقوب ﷺ، قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفِهَةِ نَفْسِهِ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٢٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٢٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٢٣) [البقرة].

ولكون الشرك مما يقدح في التوحيد، فقد حذر منه خاتم النبيين ﷺ في ساعة الاحتضار، قالت عائشة وابن عباس رضي الله عنهما: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا (١)؛ أي: لسد ذريعة الشرك المؤدية إلى عبادة من فيها.

(٢) أضواء البيان (٣٥٣/٥) [دار الفكر، ط ١٤١٥هـ].
(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥٥٢)، والنسائي (كتاب الاستعاذة، رقم ٥٥٣١)، وأحمد (٢٨١/٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٤٨) وصححه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٧٤/٥) [مؤسسة غراس، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٤) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير (٤٨٨/١) [مكتبة الإمام الشافعي، ط ٣، ١٤٠٨هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الوحي، رقم ٥٨١٦)، ومسلم (كتاب المساجد، رقم ١٢١٥).

يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ [النحل].

فهذا خبر عن السعداء أخبر تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون؛ أي: مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء، وأن الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة^(٣).

وأما الأشقياء فقال تعالى يصف حالهم ومآلهم: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ ﴿٢٢﴾ [الفرقان]، والمعنى: «أي: هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم؛ بل يوم يرونهم لا بشرى يومئذ لهم، وذلك يصدق على وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار والغضب من الجبار»^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ [الأنعام].

الضروق:

الفرق بين الغرغرة والاحتضار:

الغرغرة ليست هي الاحتضار؛ بل هي

فيضله، ويحول بينه وبين التوبة، أو يعوقه عن إصلاح شأنه والخروج من مظلمة تكون قبله، أو يؤيسه من رحمة الله تعالى، أو يكره له الموت ويؤسفه على حياة الدنيا، فلا يرضى بما قضاه الله من الفناء والنقلة إلى دار الآخرة، فيختم له بسوء، ويلقى الله وهو ساخط عليه^(١).

- المسألة التاسعة عشرة: حضور الملائكة عند الاحتضار وبشارتها المتوفى بالمصير والمآل:

تحضر الملائكة الموكلة بقبض الأرواح العبد حال الاحتضار، وتبشره بما ينتظره من رحمة أو عذاب، وبما هو صائر إليه من خير أو شر.

فأما السعداء فقال تعالى يصف حالهم ومآلهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ نحن أولياؤكم في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٢١﴾ نُزُلًا مِّنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٢٢﴾ [فصلت]، فيبشرون حال احتضارهم بالخيرات وحصول المسرات^(٢).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود (٢٨٧/٤).

[دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤١٥هـ].

(٢) انظر: ابن كثير (٣/٣١٤).

(٣) انظر: المرجع نفسه (٢/٥٦٢).

(٤) انظر: المرجع نفسه (٣/٣١٤).

الحشرة عند الموت وتردد النفس^(١)، ولا يمنع أن تكون بعضه، ويدل على الفرق قبول التوبة حال الاحتضار لا حال الغرغرة كما تقدم بيانه.

وقال السفاريني: «ذهب جمعٌ إلى أن الموت عرض ومعنى، والأعراض لا تنقلب أجساماً؛ بل زعم بعضهم أن الموت عدم محض، وبه قال الزمخشري^(٦)».

وقال ابن تيمية: «وكثير من النزاع في ذلك يكون لفظياً، فإنه قد يكون عدم الشيء مستلزماً لأمر وجودي، مثل الحياة مثلاً فإن عدم حياة البدن مثلاً مستلزم لأعراض وجودية، والناس تنازعوا في الموت: هل هو عديمي أو وجودي؟ ومن قال: إنه وجودي احتج بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [المك: ٢]، فأخبر أنه خلق الموت، كما خلق الحياة.

وقال ابن تيمية: «وكثير من النزاع في ذلك يكون لفظياً، فإنه قد يكون عدم الشيء مستلزماً لأمر وجودي، مثل الحياة مثلاً فإن عدم حياة البدن مثلاً مستلزم لأعراض وجودية، والناس تنازعوا في الموت: هل هو عديمي أو وجودي؟ ومن قال: إنه وجودي احتج بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [المك: ٢]، فأخبر أنه خلق الموت، كما خلق الحياة.

ومنازعه يقول: العدم الطارئ يخلق كما يخلق الوجود، أو يقول: الموت المخلوق هو الأمور الوجودية اللازمة لعدم الحياة وحيثئذ فالنزاع لفظي^(٧)».

الثمرات:

الاحتضار وما يصحبه من سكرات هو من المصائب والشدائد والأهوال التي تصيب المؤمن؛ فتكفر به سيئاته، وتزاد حسناته، وترفع درجاته.

وقد كان السلف رحمهم الله يستشعرون هذا المعنى، قال عمر بن عبد العزيز: «ما أحب أن تهون عليّ سكرات الموت؛ إنه لآخر ما يكفر به عن المؤمن^(٤)».

مذهب المخالفين:

خالف طائفة من المعتزلة والقدرية

(١) انظر: الصحاح (٣٢٩/٢) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، وتاج العروس (٤٨٣/٥) [دار الهداية]، والقاموس المحيط (٢٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٢].

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣٠٢/٣).

(٣) زاد المسير (٨٧/٣) [المكتب الإسلامي، ط ٣].

(٤) جامع العلوم والحكم (٣٧٠) [دار المعرفة، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٥) الحاوي للفتاوي (٢٨٣/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ]، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (٥٩١/٢) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٦هـ]، وأضواء البيان (١١٥/٨) [دار الفكر، ١٤١٥هـ]، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (٤٢٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣].

(٦) لوامع الأنوار البهية (٢٣٧/٢).

(٧) درء تعارض العقل والنقل (٣٨٣/٢).

وقد رد ابن القيم على المخالفين بما يأتي:

١ - هذا الكبش والإضجاع والذبح ومعينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأً قبيحاً، وقال: الموت عرض والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح، وهذا لا يصح.

٢ - أن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح، كما ينشئ من الأعمال صوراً معينة يثاب بها ويعاقب، والله تعالى ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها، وينشئ من الأجسام أعراضاً، كما ينشئ ﷻ من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال.

٣ - لا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله، والتأويل الباطل الذي لا يوجهه عقل ولا نقل، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول ﷺ وكلامه، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح، وظن غلط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح، ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي

المصادر والمراجع:

١ - «شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور»، للسيوطي.

٢ - «حادي الأرواح»، لابن القيم.

٣ - «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (ج ٢)، للمناوي.

٤ - «مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع» لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة (ج ٢، ٣).

٥ - «الموت في الفكر الإسلامي»، للفرماوي.

٦ - «الآداب الشرعية والمنح المرعية» (ج ١)، لابن مفلح.

٧ - «الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع» (ج ١)، للشربيني.

٨ - «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة» (ج ١)، للقرطبي.

٩ - «سبل السلام» (ج ٢)، للصنعاني.

١٠ - «القيامة الصغرى»، للأشقر.

موسى عليه السلام

اسمه ونسبه:

موسى: هو ابن عمران، قيل: ابن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن

(١) انظر: حادي الأرواح لابن القيم (٢٨٣) فما بعدها.

الإناث، لما بلغه من أن هلاكه سيكون على يد رجل من بني إسرائيل سيولد قريباً^(٦)، ولذا خافت أمه لما حملت به، فألهمها الله بأن تضعه بعد الولادة في التابوت، ثم تقذفه في البحر؛ ليسلم من القتل، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ۖ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَىٰ ۖ أَنْ أَقِمْ فِي التَّابُوتِ فَاقِمْ فِي الْيَمِّ فَلْيُقَ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۖ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنَيَّ ۖ﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ كَالْفَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ﴾ [القصص].

وبعد ولادة موسى ﷺ نفذت أمه الوحي الإلهي، فأدخلت ابنها في التابوت، ورمته في البحر المتلاطم الأمواج، اعتماداً على الله، وثقة بوعده، فأنجاه الله وحماه من كل سوء، وسخر له عدوه فرعون؛ إذ التقطه جنوده من اليم وأتوا به إليه، وإذا بزوجه تشير عليه بأن يتخذه ولداً لهم، فوافق فرعون، وأخذوا يبحثوا عن من يرضعه لهم بالأجرة، فحرم الله المراضع على الطفل؛ ولذا لم يقبل إلا ثدي أمه،

(٦) انظر: فيهداهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء ﷺ لعثمان الخميس (٣٢٩) [دار إيلاف الدولية، ط ١، ١٤٣١هـ].

إسحاق بن إبراهيم^(١). وقيل: إن عمران هو ابن يصهر بن قاهث... إلخ^(٢).

معنى اسمه لغة:

موسى: اسم أعجمي معرب، أصله بالعبرانية: (موشا)، مركب من: (مو) وهو الماء، و(شا) وهو الشجر؛ لأنه وجد بين الماء والشجر^(٣). وقال الأزهري: «قال الليث: أما موسى النبي ﷺ فيقال: إن اشتقاقه من الماء والساج، فد(المو): ماء، و(سا): شجر لحال التابوت في الماء»^(٤).

وقيل: إن أصله من اللغة القبطية، وهو مركب إما من: (mo) وهو الماء، و(use) وهو بمعنى: أنقذ، وإما من: (mes) أو (meso) وهو بمعنى الطفل أو الابن^(٥).

مولده ونشأته:

ولد موسى ﷺ في العام الذي كان فرعون يذبح فيه الذكور ويستبقي فيه

(١) المعارف لابن قتيبة (٤٣/١) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٩٢م]، والمتنظم في التاريخ (١/٣٣١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ]، والبدية والنهاية لابن كثير (٣١/٢) [دار هجر، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: المتنظم في التاريخ (١/٣٣١).

(٣) انظر: المعرب للجواليقي (٥٦٧) [دار القلم، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٤) تهذيب اللغة (٨١/١٣) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م].

(٥) انظر: المعرب للجواليقي (٥٦٧).

فأعاده الله إليها من حيث لا يشعر فرعون وأعوانه بذلك، قال الله تعالى: ﴿فَالْقَظْفَةُ ۖ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (٨) وَقَالَتْ أُمُّرَأْتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ (٩) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرَجًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ (١١) وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَى تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) [القصص].

وهكذا أعاد الله موسى إلى أمه فأرضعته حتى الفطام بمقابل مادي، وهكذا نشأ موسى تحت رعاية فرعون إلى أن صار شاباً قوياً، وبدل عليه ما حكاه الله ﷻ من قول فرعون لموسى لما جاءه رسولاً يدعوهُ إلى الله: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (١٨) [الشعراء].

نبوته:

دلت النصوص الشرعية على نبوة موسى ﷺ؛ منها: قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا

يَخْرُجُ أَوْ آتِيكُمْ بِشَبَابٍ قَبَسَ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨) يَمْوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) [النمل]، وقوله ﷻ: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥١) وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) [مريم]، وقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) [الأعراف]، وقوله ﷻ: ﴿قَالَ يَمْوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) [الأعراف]، وقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٥) [المؤمنون].

وكانت نبوته قبل أيوب وبعد آل يعقوب (١). وقيل: إنه كان بينه وبين إبراهيم ألف سنة (٢).

دلائل نبوته:

أرسل الله نبيه موسى ﷺ إلى أكفر أهل الأرض في زمانه، وهو فرعون، وأيده بتسع آيات بيّنات تدل على صحة نبوته، وصدق رسالته، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْأَلُ

(١) المعارف لابن قتيبة (٤٣/١).

(٢) انظر: المنتظم في التاريخ (١/٣٣١).

﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي ثَلَاثِ نَفَسٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ [النمل]، قال ابن كثير: «أي: هاتان نبتان من تسع آيات أؤيدك بهن، وأجعلهن برهانا لك إلى فرعون وقومه» (٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمُوسَىٰ﴾ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنِيٍّ وَلِيَ فِيهَا مَثَارِبٌ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَالْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ [طه].

وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٦٣﴾ [الشعراء].

كتابه:

أنزل الله على نبيه موسى ﷺ التوراة

(٤) تفسير ابن كثير (٦/١٨٠).

بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءَ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ [الإسراء]. واختلف في تحديد هذه المعجزات (١)؛ وهي على ما ذهب إليه بعض أهل العلم كابن عباس - في رواية - ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة: نقص الثمرات، والطوفان، والبحر، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وتحويل العصا إلى حية تسعى، وخروج اليد من الجيب (٢) بيضاء، ورجحه ابن كثير بقوله: «وهذا القول ظاهر جلي حسن قوي» (٣).

ويدل على هذه الأمور النصوص التالية:

قول الله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْمِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/٢١، ٢٢) [دار هجر، ١٦، ١٤٢٢هـ]، وأحكام القرآن لابن عربي (٣/٢١٦) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ]، وتفسير القرطبي (٢/٣٠، و١٠/٣٣٥) [دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ]، وتفسير ابن كثير (٦/١٨٠).

(٢) الجيب هو الشق الذي يدخل منه الرأس، وكان موسى إذا أدخل يده تحت إبطه يتحول لون كفه من غير برص إلى بياض قوي له شعاع يبهل الناظرين. انظر: تفسير الطبري (١٨/١٩، ٢٠)، وتفسير القرطبي (٧/٢٥٧)، وتفسير السعدي (٦٠٠)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن باز (٥/٤٦).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥/١٢٤) [دار طيبة، ط ٢].

ومن فضائل التوراة: أن الله كتبها بيده، لما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنه قال: «احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى، ثلاثاً» ^(٣). وفي رواية لمسلم: «كتب لك التوراة بيده» ^(٤).

دعوته:

كان موسى عليه السلام يدعو إلى توحيد الله، والخضوع والإخلاص له، وإفراده بالربوبية وجميع خصائصه، ونبذ الكفر والشرك الذي كان يعلنه فرعون، ويفرضه على الأتباع بالقوة، كما قال الله تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿١٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿١٤﴾﴾ [النازعات]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، فأمر الله

كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المؤمنون]، والمراد بالكتاب هنا التوراة ^(١)، وقال الله تعالى في شأن التوراة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَاقُوتَ وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَحْسَنِهَا سَأَوِرُّكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي سُحَّتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأعراف].

وقد جاء في السُّنَّة تحديد وقت نزول التوراة، فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان» ^(٢).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣٢١/١).

(٢) أخرجه أحمد (١٩١/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]، والطبراني في المعجم الأوسط (١١١/٤) [دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ] واللفظ له، وقال

الهيثمي في المجمع (١٩٧/١) [مكتبة القدسي]: (فيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله ثقات)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٤/٤)، رقم (١٥٧٥) [مكتبة المعارف، ط ١].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(٤) أخرجه مسلم في الموضع السابق.

موسى وهارون عليهما السلام أن يدعوا هذا الطاغوت الكبير إلى الإيمان بالله وتوحيده، وفك بني إسرائيل من قبضته، وإرسالهم معهما وترك تعذيبهم، وأن يقولوا له قولاً ليناً كما قال تعالى: ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَأُخُوكَ يُثَارِيكَ وَلَا لَنَا فِي ذِكْرِي﴾ (٤٢) ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٤٣) ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّينًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (٤٤) ﴿فَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾ (٤٥) ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَىٰ﴾ (٤٦) ﴿فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِibَهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ (٤٧) ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ (٤٨) [طه].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠) ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْقُوتُ﴾ (١١) ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِبَيِّنَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ [الشعراء].

قومه وموقفهم منه:

قوم موسى وهارون هم فرعون وقومه وبنو إسرائيل الذين تسلط عليهم فرعون وأذلهم، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا

مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٩﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٥٠﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْلِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا﴾ [يونس: ٧٥]. وقد قص الله علينا في مواطن عديدة من كتابه الكريم مواقف فرعون وملئه من دعوة موسى وهارون من جهة، وموقف بني إسرائيل منهما من جهة أخرى:

أما فرعون وأتباعه فقد كفروا بهما وبدعوتهما، وسلكوا لتسويغ ذلك مسالك عدة، يمكن بيانها على النحو التالي:

الأول: مسلك التكذيب والالتهام بالجنون والتشكيك في صحة وجود الرب والاله الحق، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ بَنِي صَرَحَاءَ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عَلَّمَاهَا عَنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ ﴿٥٢﴾﴾ [طه].

ولما جاء موسى وهارون إلى فرعون وأخبراه بأنهما رسولا رب العالمين، قال مستنكراً كما حكاها الله عنه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ

لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ [الشعراء].

وقال الله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَانِ
لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ
بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكَ الْمِثْلَى ﴿٣٣﴾ فَاجْمَعُوا
كَيِّدَكُمْ ثُمَّ اتَّبَعُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ
اسْتَعْلَى ﴿٣٤﴾ [طه].

الرابع: السعي إلى حشد السحرة
المهرة المنتشرين في المدائن، لمبارزة
موسى على مرأى ومسمع من الناس
ومحاولة مغالبتهم إياه، قال تعالى: ﴿قَالَ
الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ
﴿٣٣﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٤﴾ قَالُوا أَنْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي
الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٥﴾ يَا نُوحُ كُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ
﴿٣٦﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا
لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنِّكُمْ لَمِنَ الْمُفَرِّينَ ﴿٣٨﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا
أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿٣٩﴾
قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ
وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿٤٠﴾
[الأعراف].

وبينما هم في هذا المشهد الرهيب
الذي يظنون أنهم هم الغالبون
المنصورون فيه، فإذا بالأمر ينقلب رأساً
على عقب، وتصير هذه الأحلام هباء
منثوراً، بعد أن أمر الله موسى بأن يلقى
عصاه لتبتلع أكاذيب السحرة الدجالين،
كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ

وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ
لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي
أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٨﴾
[الشعراء].

ولما عجز فرعون عن مواجهة هذه
الحجج الدامغة لجأ إلى التخويف،
كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَيْنَ اتَّخَذْتَ
إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٣٩﴾
[الشعراء].

الثاني: مسلك التناول على موسى،
واحتقاره والخط من مكانته، والتلبس
على الأتباع، قال الله تعالى: ﴿وَنَادَى
فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَتَقَوَّمُ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ
مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا
تُبْصِرُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ
مِهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٤١﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ آسُورَةٌ
مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلٰٓئِكَةُ مُفْتَرِينَ ﴿٤٢﴾
فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فٰسِقِينَ ﴿٤٣﴾ [الزخرف].

الثالث: رميها بالسحر وإنكار
المعجزات بعد مشاهدتها، قال الله تعالى
فيما حكاه عن فرعون: ﴿قَالَ لَيْنَ اتَّخَذْتَ
إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ
أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٤٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ
كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا
هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٤٢﴾ وَرَزَّ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ

إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَازْلَفْنَا نَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ [الشعراء].

وأما موقف بني إسرائيل من موسى وهارون فيمكن إجماله في الآتي:

الأول: أذيتهم إياه بزعمهم أنه آدر، والأدرة نفخة في الخصى^(١).

لقد قام بنو إسرائيل بأذية موسى ﷺ أذية بالغة، ومن ذلك وصفهم إياه بأنه آدر، فبرأه ربه من ذلك، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى ﷺ يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحजर بثوبه، فخرج موسى في إثره، يقول: ثوبي يا حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى، فقالوا: والله ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً»^(٢).

الثاني: عبادتهم العجل بعد ذهابه لمناجاة ربه:

عَصَاكَ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَعُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأعراف]. ولما أفلس فرعون في ميدان المناظرة، انتقل إلى التنديد والتهديد بالقتل والصلب للمؤمنين، كما حكاها الله عنه بقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ نَعَامُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضِلَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنْكَ إِلَّا ءَأَنْتَ ءَأَمَّنَّا بِرَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ [الأعراف]، فأوحى الله إلى نبيه موسى بأن يسري بالمؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَن أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّهُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٦﴾ [الشعراء].

وأرسل فرعون الشرط في مدائن مصر حاشرين؛ للقضاء على موسى وأتباعه المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ خَشِيرِينَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَهُمْ لَنَا لَغَاطُونٌ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٦٠﴾ [الشعراء].

فأهلك الله فرعون وجنوده في اليم، وأورث أرضهم بني إسرائيل، كما قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامِرٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْثَنَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَأَخْرَجْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ مِنْ مِصْرَ بِآيَاتِنَا لِيُخْرِجَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ مِصْرَ ﴿٦٠﴾ [الشعراء].

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/٣٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الغسل، رقم ٢٧٨)، ومسلم (كتاب الحيض، رقم ٣٣٩).

جُمَلْنَا أَوْرَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ
الْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ [طه].

وعاتب موسى أخاه هارون عليه السلام على
وجه الخصوص عتاباً شديداً، فأخبره
هارون بأنه نهاهم عن ذلك ولكنهم
عصوه، وكادوا يقتلونه، فتركهم انتظاراً
لمجيء موسى عليه السلام، حتى لا يكون سبباً
في تفرقتهم، كما حكاها الله عنه بقوله:

﴿قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾
أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ
لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن
تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي
﴿٩٤﴾﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ
مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَ عَلَيْهِمْ أَسَفًا قَالَ يَسْمَأُ
خَلْقَتُونِي مِن بَعْدِي أَعَجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَالْقَى
الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ
أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا
تُشْمِتْ لِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف].

ثم اتجه موسى عليه السلام إلى السامري،
ووبخه على إضلاله للناس، ونسف عجله
في اليم، وقد ذكر الله تعالى ما جرى
بينهما بقوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمَرِيُّ
﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ
قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا
وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾﴾ قَالَ
فَإِذْ هَبْ فَاثْبِتْ لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَن تَقُولَ لَا
مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ. وَانْظُرْ إِلَى
إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ

لما أراد نبي الله موسى عليه السلام أن
يذهب إلى مناجاة ربه، استخلف على
قومه أخاه هارون، فبرز من بينهم رجل
يقال له: هارون السامري، فعمد إلى ما
كانوا استعاروه من الحلي من الأقباط،
فصاغ منه عجلًا، فكان يخور كما يخور
العجل الحقيقي، وكانت الريح إذا
دخلت من دبره خرجت من فيه فيخور
كما تخور البقرة، فيرقصون حوله
ويفرحون، ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ
مُوسَى فَلْيَسَى ﴿٨٨﴾﴾ [طه] (١).

ونهاهم هارون عن هذا الشرك،
ولكنهم أصروا على هذا العمل حتى
أتاهم موسى، كما قال الله تعالى:
﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا
فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا
أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى
يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾﴾ [طه].

وأبلغ الله نبيه موسى بضلال قومه من
بعده، فرجع وهو في حال غضب شديد
ووبخ قومه على صنيعهم، كما قال
تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبًا
أَسَفًا قَالَ يَقَوْمُ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا
حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْهَدَى أَمْ أَرَدْتُمْ أَن
يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُم مَّوْعِدِي
﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَقْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٥)، وصحيح (قصص
الأنبياء لابن كثير) لسليم الهلالي (٣٢٥، ٣٢٦) [دار
غراس، ط١، ١٤٢٢هـ].

قال: «جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، قال: فرد الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما توارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب، رب أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»^(١). وكانت وفاته بعد وفاة هارون بثلاث سنين^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ما فضله الله به من التكليم:

لقد كلم الله نبيه موسى عليه السلام من غير واسطة، كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء]، وهذا تفضيل وتكريم لنبيه موسى عليه السلام بهذه الفضيلة، كما قال سبحانه: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ

لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (٩٧) ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (٩٨) [طه].

الثالث: نكول بني إسرائيل عن قتال الكفار لفتح بيت المقدس:

أمر الله بني إسرائيل أن يفتحوا الأرض المقدسة، فامتنعوا عن دخولها؛ خوفاً وهلعاً من الكفار، وقالوا لنبي الله موسى عليه السلام: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، فعاقبهم الله بالتيه أربعين سنة، قال تعالى: ﴿يَقُولُوا ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَى الْأَذْيَارِ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (٢١) ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (٢٢) ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَلَّ اللَّهُ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٣) ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (٢٤) ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٥) ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٦) [المائدة].

وفاته:

ورد ذكر وفاة نبي الله موسى عليه السلام في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٣٩)،

ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٢).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧٩/٣).

اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴿البقرة: ٢٥٣﴾.

وقال تعالى ممتنًا على موسى بوجه خاص: ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَىٰ فَخِذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف]. وقد شاركه في هذه الفضيلة من أنبياء الله: آدم ومحمد، عليهما الصلاة والسلام.

أما آدم فلما صحَّ من حديث أبي أمامة؛ أن رجلاً قال: «يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم؛ مكلم، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون»^(١).

وأما نبينا محمد فلما ثبت في ليلة المعراج، حيث جاء في حديث المعراج الطويل: «ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بما أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك،

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (كتاب التاريخ، رقم ٦١٩٠) [الرسالة، ط ٢]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٠٣٩) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وصححه الحاكم وابن كثير على شرط مسلم. انظر: البداية والنهاية (١/٢٣٧) [دار هجر، ط ١]، وصححه الألباني أيضًا في السلسلة الصحيحة (٦/٣٥٩) [مكتبة المعارف، ط ١].

فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى، فقال: مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت... فرجعت، فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكنني أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي»^(٢).

- المسألة الثانية: قصة موسى مع الخضر:

هذه القصة طويلة وخلاصتها: أن نبي الله موسى ﷺ قام خطيبًا في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا. فعتب الله عليه ذلك؛ إذ لم يرد العلم إليه، وأخبره تعالى بأن هناك من هو أعلم منه، فرغب موسى في التعلم منه، وسأل ربه عن مكانه فأخبره بأنه سيجده عند مجمع البحرين، فتجهز موسى للسفر وانطلق مع فتاه يوشع، ولما التقى بالخضر أخبره بالأمر، فاشتراط عليه الخضر الصبر، وعدم السؤال عما يفعل حتى يخبره بنفسه، فوعده موسى

(٢) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٨٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢).

الجدار الذي على وشك السقوط، وفي كل واحدة من هذه الأعمال سأله موسى واعترض عليه فيها، ولم يصبر معه، وفي آخرها فارقه الخضر كما أخبرنا الله تعالى بقوله: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقَهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۖ﴾ (٧٦) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ (٧٧) قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتَ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا ۖ فَاْنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۖ (٧٨) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ (٧٩) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي فَدَ بَلَعْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا ۖ (٨٠) فَاْنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا آتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَجَدَّتْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ (٨١) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ۖ (٨٢) [الكهف].

وبعد أن أعلن الخضر مفارقة موسى، بدأ يشرح له حقيقة ما خفي عليه في الأمور الثلاثة، كما قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۖ﴾ (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۖ (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ

بالصبر، ولكنه لما رأى بعض الأمور، التي ظاهرها مخالفة الشريعة؛ كقتله الغلام، وخرقه سفينة المساكين، وإصلاح الجدار الموجود في القرية التي أبى أهلها أن يضيفوهما - ولا شك أن إكرام الضيف من الإيمان وتركه مخالف للشريعة - لم يصبر معه كثيرًا، حيث أخذ يسأله عما يفعل ويستنكر عليه، وبعد المرة الثالثة فارقه الخضر، وشرح له حقيقة ما فعل، وأنه لم يفعل إلا ما أمره الله به. وقصته مبسطة في الكتاب والسنة؛ أما الكتاب ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۖ﴾ (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۖ﴾ (٦١) [الكهف].

ثم عشر عليه وبدأ الحوار بينهما، كما قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّنْ لَّدُنَّا عِلْمًا ۖ﴾ (٦٠) قَالَ لَهُمُ مُّوسَىٰ هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۖ (٦١) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ (٦٢) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۖ (٦٣) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۖ (٦٤) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۖ﴾ (٧٠) [الكهف].

وبعد أن تم الاتفاق بينهما انطلقا على بركة الله، وبدأ الخضر يعمل ما أمر به من خرق السفينة وقتل الغلام، وإصلاح

هَذَا نَصَبًا ﴿١٧﴾، ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله قال له فتاه: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنَسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٨﴾﴾

[الكهف]، فكان للحوث سربًا، ولهما عجبًا، قال له موسى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿١٩﴾﴾

[الكهف]، رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوب، فسلم موسى فرد عليه، فقال: وأنى بأرضك السلام، قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم؛

أَتَيْتِكَ لَتَعْلَمَنِي ﴿٢٠﴾ مِمَّا عَلَّمْتَ رُسَدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف]، قال: يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، قال: هل أتبعك ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٢٢﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٢٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿أَمْرًا ﴿٢٤﴾﴾، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة كملوهم أن

يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول ﴿٢٥﴾، فلما ركبا في السفينة، جاء عصفور فوق على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، قال له الخضر: يا موسى ما نقص علمي

أَبُوهُمَا صَدِيقًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتَهُ عَن أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف].

وأما السُّنَّة فقد روى الشيخان القصة في حديث طويل من رواية أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه، فقال له: بلى؛ لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أي رب ومن لي به؟ - وربما قال سفيان: أي رب وكيف لي به؟ - قال: تأخذ حوتًا فتجعله في مکتل، حيثما فقدت الحوت فهو ثم - وربما قال: فهو ثمة -، وأخذ حوتًا فجعله في مکتل، ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما، فرقد موسى واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف]، فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار مثل الطاق ^(١) - فقال: هكذا مثل الطاق -، فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما، حتى إذا كان من الغد ﴿قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا

﴿٢٨﴾﴾

﴿٢٩﴾﴾

﴿٣٠﴾﴾

﴿٣١﴾﴾

﴿٣٢﴾﴾

﴿٣٣﴾﴾

(١) مثل الطاق: أي كالكوة. انظر: فتح الباري لابن حجر (١/١٥١)، والمقصود: أن مكان دخوله في البحر بقي كالفتحة والشق ولم يتلاءم الماء كما كان.

(٢) النول: هو الأجر والجعل والعطية. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/١٢٩).

حائطهم ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف]، ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٧٨) . . . (٢).

- المسألة الثالثة: خروج موسى إلى مدين:

نشأ موسى في بيت فرعون حتى شب وقوي، وذات يوم خرج إلى المدينة على حين غفلة من أهلها، فوجد رجلين يقتتلان؛ أحدهما: من الفراعنة والآخر: من بني إسرائيل، فاستغاثه هذا الأخير على الأول فهبَّ موسى لنصرة المستغيث ووكز الرجل فمات، وندم موسى على ما فعل، واشتكى أهل الميت إلى فرعون، فأخذوا يبحثون عن القاتل، وفي اليوم التالي خرج موسى فوجد نفس الرجل الذي نصره بالأمس يقاتل قبطيًّا آخر، ويستغيثه عليه من جديد، فغضب موسى وقال له: إنك كثير الغواية والضلال، ومد يده ليبطش بالقبطي فظن الإسرائيلي أنه المراد بالبطش، فقال لموسى: تريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس، فسمع الفرعوني هذا الكلام وذهب مسرعًا وأبلغ قومه، فانطلقوا وأبلغوا فرعون بالأمر، فأرسل فرعون بمن يمسك بموسى، فسمع بالخبر شخص فذهب إلى موسى وسبقهم إليه وأخبره

وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر. إذ أخذ الفأس فنزع لوحًا، قال: فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحًا بالقدوم^(١)، فقال له موسى: ما صنعت؟ قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفيتهم فخرقتها ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (٧٦) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٦) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٦)، فكانت الأولى من موسى نسيانًا، فلما خرجا من البحر، مروا بغلام يلعب مع الصبيان، فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا - وأوماً سفيان بأطراف أصابعه، كأنه يقطف شيئًا - فقال له موسى: ﴿...أَقْلَتَ نَفْسًا رَزَقِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (٧٦) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَأَنبَأُوا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَتَّقَصُ أَقْقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف] مائلاً - أوماً بيده هكذا وأشار سفيان كأنه يمسح شيئًا إلى فوق، فلم أسمع سفيان يذكر مائلاً إلا مرة -، قال: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا عمدت إلى

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠١)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٨٠).

(١) القدوم هي: الحديدية التي يُنحت بها. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٦٦/٥).

ولما ورد ماء مدين، وجد قومًا من الناس يسقون بهائمهم، ووجد امرأتين حابستين غنمهما عن الورد، فسألهما موسى عن سبب وقوفهما بعيدًا عن الحوض، فأخبرتا بأنهما ينتظران حتى يسقي الرعاة الأقوياء مواشيهم ويخلو المكان؛ لضعفهما وكبر سن والدهما^(٢)، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَذْيَبٌ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا صَبِيحٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص].

فسقى لهما وذهب إلى الظل كما قال تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص].

ولما رجعا إلى أبيهما أخبرتاه بقوة الرجل وأمانته، وبإحسانه إليهما، ورجبتا في استئجاره، فطلب أبوهما بإحضاره، ﴿فَجَاءَهُنَّ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ آتِي يَدْعُوكَ لِجَعْرَتِكَ أَوْ جَرَّ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [٢٥] قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأَبَتِ اسْتَغْرَهُ ابْنُ خَيْرٍ مِّنْ اسْتَغْرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ [٢٦] قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكْهَلَكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ

الخبر، ونصحه بالخروج الفوري، فخرج موسى من مصر متجهاً نحو مدين وهي البلاد الواقعة حول خليج العقبة من عند نهايته الشمالية وشمال الحجاز وجنوب فلسطين^(١)، وقد قصَّ الله علينا قصته، فقال: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَتْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ مُّبِينٌ﴾ [١٥] قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [١٦] قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ [١٧] فَاصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ [١٨] فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ [١٩] وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوسَى ابْنُ الْمَلَأَ يَأْتَمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ [٢٠] فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [٢١]﴾ [القصص].

فنجاه الله كما قال تعالى ممتناً عليه بذلك: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢٨٧/٥ - ٢٨٨)، وقصص الأنبياء للنجار (١٦٣، ١٦٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣].

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢٨٨/٥).

خطيئتك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق؟ فقال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى مرتين^(٢).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى ﷺ عند ربهما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض، فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجياً، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً، قال آدم: فهل وجدت فيها ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه]، قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي أن أعمله، قبل أن يخلقني بأربعين سنة، قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى^(٣).

وفي هذا الحديث ضلّت طائفتان؛ **إحداهما**: أنكرت الحديث؛ لظنها أنه

ومّا أُريدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ [القصاص]، وبقي كل هذه السنين في مدين، وبعد تمام المدة زوجّه الرجل إحدى ابنتيه^(١)، فاتجه موسى قافلاً إلى بلده، كما قال تعالى: ﴿فَلَيْتَ سِينِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَمْوِسِي﴾ [طه]، وفي أثناء العودة أوحى إليه، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۖ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [٢٩] ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَ ۚ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٠] [القصاص].

- المسألة الرابعة: احتجاج آدم وموسى ﷺ:

هذه المحاجة وقعت عند الله بين أبي البشر آدم وموسى ﷺ، وهي من القصص الغيبية التي أخبرنا بها نبينا ﷺ، فيجب التسليم بها وتصديقه فيها، فقد ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى؛ فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠٩)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠٩)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢)، واللفظ له.

(١) انظر: تفسير البغوي (٢٠٢/٦) [دار طيبة، ط٤].

فريضتي وخففت عن عبادي»^(١).

- المسألة السادسة: تجلي الله للجبل حين طلب موسى رؤية الله:

لما ذهب موسى ﷺ لميقات ربه، وكلمه الله طلب من ربه رؤيته تعالى، كما حكاها الله عنه بقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وعن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ «قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] - قال حماد: هكذا وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى - قال: فساخ الجبل ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]»^(٢).

والمقصود بهذا وأمثاله من الأدلة: أن رؤية الله في الدنيا لا تقع لأحد من الخلق؛ لقول النبي ﷺ: «تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٨٧) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٧٤) وقال: «حسن صحيح»، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٦٧) وصححه، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٣٨، ٢٣٩) [مكتبة المعارف، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة ١٤٢٠هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ١٦٩).

وليس المراد نفى رؤية الله في الدارين.

- المسألة السابعة: الصحف

والألواح، أوهي التوراة أم شيء آخر؟:

اختلف في كون صحف موسى هي التوراة أم بينهما فرق؟ على قولين^(٤):

القول الأول: أنهما شيء واحد، قال

الشنقيطي: ﴿وَمَا أَوْقَى مُوسَى وَعِيسَى﴾

[البقرة: ١٣٦] لم يبين هنا ما أوتي موسى

وعيسى، ولكنه بيّنه في مواضع أخرى،

فذكر أن ما أوتي موسى هو التوراة

المعبر عنها بالصحف في قوله: ﴿صُفُفْ

إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى]، وذلك

كقوله: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾

[الأنعام: ١٥٤]، وهو التوراة بالإجماع^(٥)

وجاء عن ابن باز ما يدل على أنها

التوراة من إجابته على السؤال التالي:

«س: المعروف أن الكتب السماوية

المنزلة هي أربعة: التوراة، الزبور،

الإنجيل، القرآن. فماذا عن صحف

إبراهيم وموسى التي جاء ذكرها في

القرآن الكريم الآيتان رقم (١٨ و ١٩) من

سورة الأعلى. أرجو إعطائي نبذة

وتعريفًا عن هذه الصحف المطهرة؟

ج: قد أخبر الله سبحانه أنه أرسل

رسله بالبينات والزبر، كما قال ﷻ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ

﴿٤﴾ انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٥٠/ ٨)

[دار الوطن، ١٤١٣هـ].

﴿٥﴾ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٤٥).

أما الألواح فهي التوراة كما سماها الله تعالى بقوله: ﴿وَأَلْفَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠] (٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «المعارف»، لابن قتيبة.
- ٢ - «المعرب»، للجواليقي.
- ٣ - «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (ج ١)، لابن الجوزي.
- ٤ - «مجموع الفتاوى» (ج ١١)، لابن تيمية.
- ٥ - «البداية والنهاية» (ج ٢)، لابن كثير.
- ٦ - «تفسير ابن كثير» (ج ٥).
- ٧ - «صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير)»، لسليم الهلالي.
- ٨ - «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء»، لإبراهيم بن محمد العلي.
- ٩ - «قصص الأنبياء»، للنجار.
- ١٠ - «فبهدهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء ﷺ»، لعثمان الخميس.

فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٣﴾
بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿٥٤﴾ [النحل] والزبر هي الكتب. وقال سبحانه في سورة الحديد: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، ونص سبحانه على صفح إبراهيم وموسى في سورة: ﴿سَجَّ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿١﴾ وبيّن سبحانه من هذه الكتب والصحف: التوراة المنزلة على موسى، والزبور المنزل على داود، والإنجيل المنزل على عيسى، والقرآن المنزل على محمد ﷺ، وليس للعباد من العلم إلا ما علّمهم الله إياه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، والله ولي التوفيق» (١).

وأما ابن عثيمين فقد توقف في الأمر لما سئل قائلاً: «يحتمل أنها التوراة، ويحتمل غيرها، ولم يتبين لي فيها شيء» (٢).

القول الثاني: بل كل منهما مختلف عن الآخر. ولعل دليل هذا القول حديث أبي ذر الطويل، وفيه: «وأنزل على موسى - قبل التوراة - عشر صحائف» (٣)، وهو ضعيف جداً.

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن باز (٣٠٥/٩).

(٢) الكثر الثمين في سوالات ابن سنيّد لابن عثيمين (٥).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٦١)، قال الهيثمي في موارد الظمان (٥٤/١) [دار الكتب العلمية، بيروت]: «فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني؛ قال أبو حاتم

وغیره: کذاب»، وحکم علیه الألباني بالضعف الشديد في ضعف الترغيب والترهيب رقم ١٣٥٢ [مكتبة المعارف بالرياض، ط ١، ١٤٢١هـ].
(٤) انظر: لقاء الباب المفتوح (١٦) [ترقيم المكتبة الشاملة].

وأربعين^(٥)، وقيل غير ذلك^(٦). وهو ابن ثلاث وستين سنة^(٧)، قال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر القولين الأول والرابع: «قلت: بالأول جزم ابن نمير وغيره، وبالثاني أبو نعيم وغيره»^(٨).

واختلف في موضع موته؛ أكان بالكوفة أم في مكة؟^(٩) فقيل: مات بالكوفة^(١٠)، وقيل: بل مات بمكة^(١١).

❁ إسلامه:

أسلم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قديمًا، فهو من السابقين الأولين، واختلف في هجرته إلى الحبشة على قولين ذكرهما ابن سعد وغيره^(١٢):

القول الأول: أنه أسلم وهاجر إلى الحبشة، وبه جزم الحافظ الذهبي^(١٣)، والحافظ ابن حجر.

والقول الثاني: أنه أسلم ورجع إلى بلاد قومه، ولم يهاجر إلى الحبشة، وعزاه ابن حجر إلى الأكثرين، وعلل ذلك بأن موسى بن عقبة وابن إسحاق

❁ أبو موسى الأشعري رضي الله عنه

❁ اسمه ونسبه:

هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب ابن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر أبو موسى الأشعري، مشهور باسمه وكنيته معًا. وأمه: ظبية بنت وهب بن عك، أسلمت وماتت بالمدينة^(١).

❁ مولده ووفاته:

توفي أبو موسى الأشعري رضي الله عنه سنة اثنتين وخمسين الهجرة على الصحيح، حسب قول الحافظ ابن كثير، وقيل: توفي سنة خمس^(٢)، وقيل: سنة إحدى وخمسين^(٣)، وقيل: سنة ثلاث وخمسين^(٤)، وقيل: سنة اثنتين

(١) طبقات خليفة بن خياط (١٢٦) [دار الفكر]، والطبقات الكبرى لابن سعد (٧٨/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١]، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٧٦٢، ١٧٦٣) [دار الجيل، بيروت، ط ١]، وسير أعلام النبلاء (٣٨١/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٣]، والإصابة في تمييز الصحابة (٢١١/٤، ٢١٢) [دار الجيل، بيروت، ط ١].

(٢) انظر: طبقات خليفة بن خياط (١٢٦)، والمعارف لابن قتيبة (٢٦٦) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢]، والبداية والنهاية (٢١٣/١١) [دار هجر، ط ٣].

(٣) انظر: طبقات خليفة بن خياط (١٢٦).

(٤) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٩٧/٢)، وابن حجر في الإصابة (٢١٣/٤) وعزاه للمدائني.

(٥) انظر: المعارف لابن قتيبة (٢٦٦).

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٩٧/٢).

(٧) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٨١/٣)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢١٣/٤).

(٨) الإصابة في تمييز الصحابة (٢١٣/٤).

(٩) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢١٣/٤).

(١٠) انظر: طبقات خليفة بن خياط (١٢٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٨٠/٣).

(١١) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٨٠/٣).

(١٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧٩/٤).

(١٣) انظر سير أعلام النبلاء (٣٨٢/٢).

والواقدي لم يذكره في مهاجرة الحبشة. ثم قدم المدينة بعد فتح خيبر وصادف مجيء سفينته مجيء سفينة جعفر بن أبي طالب عليه السلام فقدموا جميعاً^(١)، وقيل: إنه أدرك غزوة خيبر وأنها أول مشاهدته^(٢).

وروى الإمام البخاري بسنده عن أبي موسى عليه السلام؛ أنه قال: «بلغنا مخرج النبي عليه السلام ونحن باليمن، فركبنا سفينة، فألقنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا، فوافقنا النبي عليه السلام حين افتتح خيبر، فقال النبي عليه السلام: لكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان»^(٣).

- ظفره ببشرى النبي عليه السلام وبيان فضل قومه.

فعن أبي موسى عليه السلام قال: «كنت عند النبي عليه السلام وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال، فأتى رسول الله عليه السلام رجلٌ أعرابي، فقال: ألا تنجز لي يا محمد ما وعدتني؟ فقال له رسول الله عليه السلام: أبشر، فقال له الأعرابي: أكثرت علي من أبشر، فأقبل رسول الله عليه السلام على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان، فقال: إن هذا قد رد البشرى فاقبلا أنتما، فقالا: قبلنا يا رسول الله، ثم دعا رسول الله عليه السلام بقدر فيه ماء، فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه، ثم قال: اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا، فأخذا القدح ففعلا ما أمرهما به رسول الله عليه السلام، فنادتاهما أم سلمة من وراء الستر: أفضلا لأمكما مما في إنائكما، فأفضلا لها منه

وفي لفظ آخر عن أبي موسى عليه السلام قال: «بلغنا مخرج النبي عليه السلام ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأخوان لي أنا أصغرهم، أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم، - إما قال: في بضع، وإما قال: في ثلاثة وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي - فركبنا سفينة، فألقنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، ووافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢١٢/٤)، وانظر أيضاً: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧٩/٤)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٧٦٢/٤).

(٢) انظر: المعارف لابن قتيبة (٢٦٦)، وسير أعلام النبلاء (٣٨٢/٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٧٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٠٢).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣١٣٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٠٢).

طائفة»^(١).

عمر بن الخطاب رضي الله عنه على البصرة بعد المغيرة رضي الله عنه، ففتح بلاد الأهواز، ومن بعدها أصبهان، ثم استعمله الخليفة الراشد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه على الكوفة^(٦).

وروى أبو زرعة الدمشقي بسنده عن مسروق قال: «كان القضاء في أصحاب محمد ﷺ في ستة: في عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي، وزيد، وأبي موسى»^(٧).

المسائل المتعلقة:

- قضية التحكيم بين علي ومعاوية:

كان أبو موسى رضي الله عنه أحد الحكمين بين علي ومعاوية، حينما وقع الخلاف بينهما في توقيت المطالبة بدم عثمان رضي الله عنه؛ حيث رأى علي رضي الله عنه تأجيله حتى تستقر أمور الخلافة، بعد أن بايعه المهاجرون والأنصار في المدينة، وطلب من جميع الأمصار البعيدة مبايعته، ومنها بلاد الشام، في حين أن معاوية رضي الله عنه رأى ضرورة البدء بمطالبة دم عثمان،

ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٣٣).

وانظر: أخبار القضاة لوكيع (١٠٠/١) [المكتبة التجارية الكبرى، ط ١].

(٦) انظر: طبقات خليفة بن خياط (١٢٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢١٢/٤).

(٧) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (٦٤٩، ٦٥٠) [مجمع اللغة العربية بدمشق] وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٨٨/٢) وقال محققو السير: «وهذا سند صحيح» (الحاشية رقم ٤).

- دعاء النبي ﷺ له بالمغفرة وبالمدخل الكريم يوم القيامة.

فقد ثبت من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «اللَّهُمَّ اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما»^(٢).

- أنه أوتي زممارًا من مزامير آل داود.

فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال له: «يا أبا موسى، لقد أوتيت زممارًا من مزامير آل داود»^(٣).

وقال البخاري في بيان فضل الأشعريين - ومنهم: أبو موسى الأشعري -: «وقال أبو موسى عن النبي ﷺ: هم مني وأنا منهم»^(٤). مكانته:

مما يبين مكانته رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ أرسله إلى اليمن قاضيًا ومعلمًا مرشدًا^(٥)، وقد استعمله أمير المؤمنين

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٢٨)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٢٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠٤٨)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٩٣).

(٤) أخرجه البخاري تعليقًا مجزومًا (كتاب المغازي، قبل حديث رقم ٤٣٨٤)، ووصله في (كتاب الشركة، رقم ٢٤٨٦)، وهو عند مسلم أيضًا (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٠٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠٣٨)،

وحويصة ابنا مسعود، وهما ابنا عم المقتول؛ لأنهما كانا أسنَّ من أخيه، فلم يطلب معاوية من ذلك إلا ما كان له من الحق أن يطلبه، وأصاب في ذلك الأثر الذي ذكرنا، وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط»^(٤).

وعليه؛ فعلي عليه السلام «خرج يريد معاوية بن أبي سفيان ومن معه بالشام، فبلغ ذلك معاوية فخرج فيمن معه من أهل الشام، والتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين، فلم يزالوا يقتتلون بها أيامًا. وقُتل بصفين عمار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت، وأبو عمرة المازني، وكانوا مع علي. ورفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها»^(٥).

فقبل منهم عليٌّ ذلك، واختار أبا موسى الأشعري، واختار معاوية عمرو بن العاص؛ ليحكم بين الطائفتين بكتاب الله ولا تأخذهما في الله لومة لائم.

قال أبو بكر ابن العربي: «والذي صحَّ من ذلك ما روى الأئمة - كخليفة بن خياط والدارقطني - أنه لما خرج الطائفة العراقية في مائة ألف، والشامية في سبعين أو تسعين ألفًا، ونزلوا على الفرات بصفين، اقتتلوا في أول يوم - وهو الثلاثاء - على الماء فغلب أهل

وتأجيل بيعة علي، ولما اشتد الخلاف في هذا بينهما وامتنع معاوية من تنفيذ أوامره رأى الخليفة الراشد علي بن أبي طالب بأن هذا خروج عن طاعته، وحاول ثنيه عن ذلك وإعادته إلى طاعته^(١). قال الإمام ابن حزم: «وأما أمر معاوية عليه السلام فبخلاف ذلك، ولم يقاتله علي عليه السلام لامتناعه من بيعته؛ لأنه كان يسعه في ذلك ما وسع ابن عمر وغيره، لكن قاتله لامتناعه من إنفاذ أوامره في جميع أرض الشام، وهو الإمام الواجبة طاعته، فعليُّ المصيب في هذا، ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان عليه السلام على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان، والكلام فيه من ولد عثمان وولد الحكم بن أبي العاص لسنته ولقوته على الطلب بذلك، كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن سهل أخا عبد الله بن سهل المقتول بخيبر بالسكوت وهو أخو المقتول، وقال له: «كبر كبر»^(٢) وروي: «الكبر الكبر»^(٣)، فسكت عبد الرحمن وتكلم محيصة

(١) انظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة لمحمد أمحزون (٢/٢٢٤) [دار طيبة، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجزية، رقم ٣١٧٣)، ومسلم (كتاب القسامة والمحاربين، رقم ١٦٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الديات، رقم ٦٨٩٨).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/١٢٤) [مكتبة الخانجي].

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٢٣).

وهاشم بن عتبة، وفيها اجتمع الحكمان أبو موسى الأشعري من قبل علي، وعمرو بن العاص من قبل معاوية بدومة الجندل في شهر رمضان، ويقال: بأذرح وهي من دومة الجندل قريب»^(٥).

ويشير القاضي ابن العربي إلى ما قرره الحكمان فيقول: «الذي روى الأئمة الثقات الأثبات أنهما لما اجتمعا للنظر في الأمر في عصبة كريمة من الناس، منهم: عبد الله بن عمر، ونحوه، عزل عمرو معاوية. ذكر الدارقطني سنده عن حصين بن المنذر قال: لما عزل عمرو معاوية جاء فضرب فسطاطه قريباً من فسطاط معاوية، ثم جعل يتكلم فبلغ ثناء معاوية، فأرسل إلي فقال: إنه بلغني عن هذا كذا وكذا، فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه، فأتيته فقلت: أخبرني عن الأمر الذي وليت أنت، وأبو موسى، كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا، والله ما كان الأمر على ما قالوا، ولكن قلت لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. قلت: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ فقال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغن عنكما، فطالما استغنى

العراق عليه، ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة^(١)، ويوم الخميس، ويوم الجمعة، وليلة السبت، ورفعت المصاحف من أهل الشام، ودعوا إلى الصلح، وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل، حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعوتين بالحق، فكان من جهة علي أبو موسى الأشعري، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص، وكان أبو موسى رجلاً تقياً ثقيلاً فقيهاً، عالمًا... أرسله النبي ﷺ إلى اليمن مع معاذ، وقدمه عمر، وأثنى عليه بالفهم»^(٢).

وكان انعقاد التحكيم في دومة الجندل^(٣). وذكر ابن سعد أنه كان في أذرح^(٤)، ولا اختلاف بينهما؛ لأنها قريب من دومة الجندل؛ لذا قال خليفة بن خياط في سنة سبع وثلاثين: «فيها وقعة صفين يوم الأربعاء، لسبع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين، وكان الصلح ليلة السبت لعشر خلون من صفر، وفيها قُتل عمار بن ياسر،

(١) قال المحقق: «يباض في جميع الأصول. وهي سنة (٦٥٨/٥٣٨ م) على الأصح». النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم لابن العربي (٣٠٨، ٣٠٩)، (الحاشية رقم ٣).

(٢) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم (٣٠٨).
(٣) انظر: تاريخ خليفة بن خياط (١٩١، ١٩٢)، البداية والنهاية لابن كثير (٥٧٠/١٠).

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٣/٣).

(٥) تاريخ خليفة بن خياط (١٩١، ١٩٢).

أمر الله عنكما»^(١).

وترك نصرته^(٢)، ويزعمون أن علياً عليه السلام لعنه^(٣)، وأن حذيفة عليه السلام أيضاً شهد عليه بالنفاق^(٤)، ويصفونه بأنه من شر الأولين والآخرين، ويلقبونه بالسامري^(٥).

الرد عليهم:

هذه الادعاءات لا أساس لها من الصحة؛ لأنها مبنية على الكذب والضغينة، وليس لها أي مستند يستحق أدنى حظ من النظر، فالروايات المنسوبة إلى النبي عليه السلام وعلي عليه السلام منحوتة نحتاً وفق أهوائهم الضالة وعقائدهم الفاسدة، ومما يدل على هذا أنها تنافي الثابت عن النبي عليه السلام من الثناء على أبي موسى عليه السلام والدعاء له بالمدخل الكريم يوم القيامة كما تقدم في فضائله، وما كان يسند إليه من المهام العظام من قبل النبي عليه السلام، ثم بعده من خلفائه.

كما تعارض هذه الادعاءات ما هو معروف من ثناء علي بن أبي طالب على أبي موسى الأشعري عليه السلام، فقد روى يعقوب الفسوي بسنده عن أبي البحري قال: «سئل علي عن أصحاب محمد عليه السلام فقال: عن أيهم تسألوني؟ قالوا: عن

فقلوه: «أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض» يدل على أن أبا موسى أثبت علياً، ويؤكد قول عمرو: «فأين تجعلني ومعاوية؟» ثم إجابته عن هذا بقوله: «وإن يستغن عنكما، فطالما استغنى أمر الله عنكما»، وهذا معناه - والله أعلم -: أنهما إن احتاج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إليهما أفاد منهما، وإن استغنى عنهما فيصبحان كبقية أفراد المسلمين والله أعلم.

وهناك روايات كثيرة في هذه القصة لا تثبت؛ إذ هي من نقل الأخباريين ممن لا يوثق بهم، والأصل المقرر عند أهل السنة في هذا: الإمساك عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم، فكلهم كما قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد]. وذكر تفاصيل ما جرى في هذه القصة ونحوها قد يورث شيئاً في النفوس، اتجاه أحد من الصحابة وهذا خلاف ما جاء في الكتاب والسنة من الثناء عليهم ومحبتهم.

موقف المخالفين منه:

الروافض:

يطعن الروافض في أبي موسى الأشعري؛ لما ينسبونه إليه من خلع علي

(٢) الإيضاح للفضل بن شاذان (٦٣) [مؤسسة انتشارات، ط ١، ١٣٦٣هـ].

(٣) انظر: الإيضاح للفضل بن شاذان (٦٣).

(٤) انظر: الصراط المستقيم للعالملي (٢٤٧/٣) [المكتبة المرتضوية].

(٥) الخصال للصدوق (٤٥٨) [منشورات جماعة

المدرسين، ١٤٠٣هـ]، والأمالى للمفيد (٣٠) [دار المفيد، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(١) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم (٣١٠)، (٣١١).

عبد الله. قال: علم القرآن وعلم السنة ثم انتهى وكفى به علماً. فقالوا: أخبرنا عن أبي موسى؟ قال: صبغ في العلم صبغاً^(١)، وكذا اختياره إياه أيضاً للتحكيم، فقد روى ابن أبي شيبه بسنده عن أبي صالح «أن علياً قال لأبي موسى: احكم ولو بحز عنقي»^(٢).

كما أن تلك الروايات تحكي ما هو معروف انتفاؤه بداهة عن جيل الصحابة الأطهار عليهم السلام، من لعن بعضهم بعضاً، وشهادة بعضهم بالنفاق على بعض.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج ٤)، لابن عبد البر.
- ٢ - «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج ٤)، لابن حجر.
- ٣ - «تاريخ خليفة بن خياط».
- ٤ - «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (ج ٢)، لمحمد أمحزون.
- ٥ - «سير أعلام النبلاء» (ج ٢)، للذهبي.
- ٦ - «الطبقات الكبرى» (ج ٤)، لابن سعد.

٧ - «طبقات خليفة بن خياط».

٨ - «المعارف»، لابن قتيبة.

- ٩ - «موقف الشيعة الإمامية الاثني عشرية من الصحابة عليهم السلام»، لعبد القادر محمد عطا صوفي.
- ١٠ - «النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم»، لابن العربي.

الموقف

التعريف لغة:

الموقف: مكان الوقوف، قال ابن فارس: «الواو، والقاف، والفاء أصل واحد يدل على تمكث في الشيء»^(٣). وهذا الفعل يأتي منه لازم ومتعد^(٤)، ومصدر الفعل المتعدي يكون وقفاً، ومصدر اللازم يكون وقوفاً، ومنه الموقف، وهو محل الوقوف حيث كان^(٥).

التعريف شرعاً:

المكان الخاص الذي أعده الله تبارك وتعالى لحشر الناس لحسابهم وفصل القضاء بينهم^(٦).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

خصص الشرع المعنى اللغوي الذي

(٣) مقاييس اللغة (١١٠١) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ].
 (٤) القاموس المحيط (٧٩٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٢٤هـ].
 (٥) مقاييس اللغة (١١٠٢)، والقاموس المحيط (٧٩٤).
 (٦) حياة الآخرة (١/٢٤١) [دار لبنه، مصر، ط ١].

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣٤٦/٢) [دار صادر، ط ١]، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٥٤٠/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠١هـ].
 (٢) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (كتاب الجمل وصفين والخوارج، رقم ٣٧٨٥٣)، ورجاله ثقات.

وقال النبي ﷺ: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» حتى يغيب أحدهم في رَشْحِهِ إلى أنصاف أذنيه^(٢)، وفي رواية: «يقوم الناس يوم القيامة لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: مكان الموقف:

يكون الموقف في «أرض بيضاء قاع صفصف، لا ترى فيها عوجًا ولا أمًا^(٤)، ولا ترى عليها ربوة يختفي الإنسان وراءها، ولا وهدة ينخفض فيها عن الأعين، بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيها، يساقون إليه زمراً، فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض»^(٥).

قال النبي ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة

هو مكان الوقوف حيث كان، إلى مكان خاص يقف فيه العباد يوم القيامة للحساب.

سبب التسمية:

سبب تسمية الموقف بالموقف هو أن الناس يقفون فيه لرب العالمين فيحاسبهم.

الحكم:

وجوب الإيمان به، وهو يدخل في الإيمان باليوم الآخر، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقُفُّوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٣٠].

الحقيقة:

يقف الناس يوم القيامة على أقدامهم إلى ما شاء الله أن يقفوا، وليست حالتهم واحدة، ولا موقفهم ولا مقامهم واحداً، ولكن لهم مواقف وأحوال^(١).

الأدلة:

من الأدلة على الموقف: قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [٥] يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [٦] [المطففين].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٣٨)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٨/١٠) مؤسسة الرسالة، [١]، والبيهقي في شعب الإيمان (٤١٥/١) مكتبة الرشد، [١] واللفظ له، وصححه سندُه محققو المسند.

(٤) قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اللَّيَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [١٥] لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا [١٦] يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا سَمْعَ إِلَّا هَمْسًا [١٧] [طه].

(٥) أحوال الميت من نفخة الصور إلى الاستقرار في الجنة أو النار (١٥، ١٦) [دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩١م].

(١) انظر: التذكرة (٥٢٨/٢، ٥٢٩) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ]، وشعب الإيمان (٤١٥/١) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ].

النَّقِيّ^(١) ليس فيها عَلمٌ لأحد^(٢).

- المسألة الثانية: مقدار الوقوف في الموقف:

نقل صاحب البحور الزاخرة في هذه المسألة عدة أقوال بأدلتها، والظاهر أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص على حسب الأعمال، بدليل كونه على المؤمنين أخف من الصلاة المكتوبة، والله ﷻ أعلم^(٣).

- المسألة الثالثة: صفة الوقوف:

بينها النبي ﷺ بقوله: «إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء]، فأول من يكسى إبراهيم^(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً»^(٥). قلت: يا رسول الله! الرجال

والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «يا عائشة! الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»^(٦)، وفي رواية: «يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً، فقالت له عائشة: يا رسول الله! فكيف بالعورات؟ فقال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس]^(٧).

- المسألة الرابعة: رؤية أهل الإسلام في الموقف ربهم:

بؤب السيوطي في كتابه «البدور السافرة» بقوله: «باب تجليه تعالى في الموقف لأهل الإسلام وامتحانهم»^(٨)، ثم ذكر قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ﴾ [القلم: ٤٢]، ثم قال: أخرج الشيخان في الموقف عن أبي هريرة قال: «قال أناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله! قال:

وهي الجلدة التي يقطعها الخائن من الذكر. انظر: فتح الباري لابن حجر (٤٦٦/١١) [دار السلام، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦١٥٦)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٥٩) واللفظ له.

(٧) أخرجه النسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٨٣)، وأحمد (١٣٥/٤١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الأهوال، رقم ٨٦٨٤) وصححه وصححه الألباني في تعليقه على سنن النسائي.

(٨) البدور السافرة (٢٣٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ].

(١) قال النووي: العفراء بالعين المهملة والمد، بيضاء إلى الحمرة، والنقي بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء، هو: اللقيح الحواري، وهو: اللبرمك، وهو: الأرض الجيدة. المنهاج (١٣٢/١٧) [دار المعرفة، ط ١٢، ١٤٢٧هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦١٥٦)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٩٠).

(٣) البحور الزاخرة (٦٢٥/١) [شركة غراس، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٤٧)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٠).

(٥) غُرلاً: بضم المعجمة وسكون الراء؛ جمع أغرل، وهو الأقلف وزنه ومعناه، وهو من بقيت غرلته،

المولد

التعريف لغة:

المولد: مشتق من الولادة، والولادة هي: حدوث الشيء عن الشيء وحصوله عنه، وهو دليل النجل والنسل^(٣).

قال الجوهري: «وميلاد الرجل: اسم للوقت الذي ولد فيه. والمولد: الموضع الذي ولد فيه»^(٤).

التعريف اصطلاحاً:

المراد بالمولد هنا: مولد النبي ﷺ.

العلاقة بين المعنى اللغوي

والاصطلاح:

العلاقة ظاهرة: فمولد النبي ﷺ هو اسم لوقت ولادته ولمكانها.

سبب التسمية:

سمي الاحتفال بالمولد مولدًا؛ لكونه يقام في تاريخ ولادة ذلك المعظم من نبي أو ولي من كل عام.

الحكم:

تخصيص يوم مولد النبي ﷺ باحتفال أو عبادة وجعله مناسبة وعيدًا: بدعة ضلالة محدثة في الشرع؛ إذ لا دليل

«هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سبحانه؟» قالوا: لا يا رسول الله! قال: «فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك»^(١)، ثم ذكر ﷺ عدة أحاديث أخرى^(٢) كلها تدل دلالة صريحة على أن المؤمنين يرون ربهم في الموقف.

المصادر والمراجع:

- ١ - «البحر الزاخرة» (ج ١)، للسفاريني.
- ٢ - «البدور السافرة في أحوال الآخرة»، للسيوطي.
- ٣ - «البعث»، لابن أبي داود.
- ٤ - «التذكرة» (ج ٢)، للقرطبي.
- ٥ - «حياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار» (ج ١)، لغالب العواجي.
- ٦ - «شعب الإيمان» (ج ١)، للبيهقي.
- ٧ - «فتح الباري» (ج ١١)، لابن حجر.
- ٨ - «الفتوى الحموية الكبرى»، لابن تيمية.
- ٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤، ٥)، لابن تيمية.
- ١٠ - «شرح صحيح مسلم» (ج ١٧)، للنووي.

(٣) انظر: مقاييس اللغة (١٤٣/٦) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ]، وتهذيب اللغة (١٧٦/١٤) [الدار المصرية للتأليف، ١٤١٣هـ]، والقاموس المحيط (٣٢٧) [مؤسسة الرسالة، ٧٧هـ، ١٤٢٤هـ].
(٤) الصحاح (٥٥٤/٢) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٧٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٢).
(٢) انظر: عدة الأحاديث بتمامها في البدور السافرة للسيوطي (٢٣٠ - ٢٣٧).

من تاريخ ميلاد المسيح ﷺ^(٢).

وقد يطلق المولد على غير مولد النبي ﷺ، ولكن مقيدًا باسم من يحتفل بمولده؛ كموالد الأولياء المحدثه من قبل الباطنية العبيديين وأشباههم من الرافضة والصوفية القبورية، ومنها: مولد علي، ومولد الحسن، ومولد الحسين، ومولد الزهراء، ومولد الخليفة الحاضر، ومولد البدوي، وغيرها^(٣).

وحقيقة الاحتفال بالمولد: تعظيم ليوم مولد هذا المعظم واحتفاء به تقريبًا إلى الله تعالى، وهذا بدعة محدثة لم يشرعها الله ولا فعلها رسوله ﷺ ولا السلف الكرام، ولا أمروا بها مع قيام المقتضي لذلك وعدم المانع^(٤).

الأدلة:

يمكن تصنيف الأدلة على تحريم هذه الموالد على ما يلي:

(٢) انظر: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب (١٠٠/٧) [دار الغرب الإسلامي، ط ١٤٠١هـ]، والبدية والنهاية (٣٧٥/٣) [دار هجر، ط ١، ١٤١٧هـ]، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني (١٣١/١) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤١٢هـ]، ووفيات الأعيان (٤٣٧/١) [دار صادر]، والإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء (١/٣٦١) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط ٢].

(٣) انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (١/٣٣٢ - ٣٣٤).

(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١٢٣/٢).

على مشروعاتها من كتاب ولا سنة ولا عمل صحابي ولا أثر عن أحد من السلف أصحاب القرون الثلاثة المفضلة، ولم تخترع هذه المحدثه إلا في القرن الرابع الهجري على أيدي العبيديين القرامطة الغلاة الباطنية؛ تشبهًا بالنصارى الذين يحتفلون بمولد المسيح ﷺ؛ وتظاهروا من العبيديين بحب النبي ﷺ مخادعةً للمسلمين، وتحسينًا لصورتهم عندهم، ولجعل هذه الموالد وسيلة لجذب الرعايا إليهم، ونشر خصائص مذهبهم الباطني الإسماعيلي وعقائده الباطلة^(١).

الحقيقة:

المولد يشمل: مولده المكاني، ومولده الزماني وهو يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل على المشهور، وفيه أقوال أخرى، الموافق لشهر أغسطس/آب من عام ٥٧٠

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١٢٣/٢) [دار إشبيلية، ط ٢، ١٤١٩هـ]، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (١/٣٣٢ - ٣٣٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ]، والإبداع في مضار الابتداء لعلي محفوظ (١٢٦) [المكتبة العلمية، ط ٥، ١٣٩١هـ]، وحكم الاحتفال بالمولد النبوي لابن باز، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء (١/٦١) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط ٢، ١٤٢٤هـ]، والقول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء (٢/٣٩٤) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط ٢].

أولاً: أدلة النهي عن الابتداء والإحداث في الدين.

وهي كثيرة منها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(١).

وفي رواية لمسلم^(٢): «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه... ويقول: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»^(٣).

وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قوله ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلح، رقم ٢٦٩٧)، ومسلم (كتاب الأفضية، رقم ١٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم في الموضع السابق.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٦٦).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٦٠٧)، والترمذي (أبواب العلم، رقم ٢٦٧٦) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٤٢)، وأحمد (٣٦٧/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

ثانياً: الأدلة الآمرة بمتابعة النبي ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم والتحذير من مخالفة سبيلهم، وهي كثيرة، ومنها:

قوله ﷺ: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» [الحشر: ٧].

وقال ﷺ: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [النور: ١٣].

وقال سبحانه: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» [الأحزاب: ٢١].

ثالثاً: أن الله ﷻ قد أكمل لنا الدين، ورسوله ﷺ قد بلغ الأمة البلاغ المبين، وليس في كتاب الله ولا في سنّة رسول الله ما يدل على مشروعية الاحتفال بهذه الموالد، ولذلك لم يفعله أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولا أحد من السلف أصحاب القرون الثلاثة المفضلة. والله ﷻ قد قال في محكم التنزيل: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» [المائدة: ٣].

ف«إحداث مثل هذه الموالد يفهم منه: أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة، وأن الرسول ﷺ لم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به، حتى جاء هؤلاء

والدارمي (كتاب العلم، رقم ٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٧) [مكتبة المعارف، ط ٥].

المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به، زاعمين: أن ذلك مما يقربهم إلى الله، وهذا بلا شك فيه خطر عظيم، واعتراض على الله سبحانه، وعلى رسوله ﷺ، والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين، وأتم عليهم النعمة. والرسول ﷺ قد بلغ البلاغ المبين، ولم يترك طريقاً يوصل إلى الجنة ويباعد من النار إلا بينه للأمة، كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم» رواه مسلم في «صحيحه»^(١). ومعلوم أن نبينا ﷺ هو أفضل الأنبياء وخاتمهم، وأكملهم بلاغاً ونصحاً، فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذي يرضاه الله سبحانه لبيّنه الرسول ﷺ للأمة، أو فعله في حياته، أو فعله أصحابه رضي الله عنهم، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الإسلام في شيء؛ بل هو من المحدثات التي حذر الرسول ﷺ منها أمته^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

من أقوال أهل العلم في إنكار بدعة الموالد:

قال تاج الدين الفاكهاني رحمته الله: «لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة، أحدثها البطّالون، وشهوة نفس اغتنى بها الأتكالون»^(٦).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١٢٣/٢).

(٤) الرد على المخالف من أصول الإسلام لبكر أبي زيد، ضمن الردود (٩) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]. وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٥٥٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٥هـ].

(٥) انظر: تصحيح الدعاء لبكر أبي زيد (٣١٦)، وحكم الانتماء له أيضاً (١٠٧، ١٥٩).

(٦) المورد في عمل المولد للفاكهاني - ضمن رسائل =

رابعاً: أن في إقامة هذه الموالد وجعلها عيداً تشبهاً ومضاهاةً بالنصارى في احتفالاتهم بعيد ميلاد المسيح، وقد نهينا

(١) صحيح مسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٨٤٤).

(٢) حكم الاحتفال بالمولد النبوي لابن باز - ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد (٥٨/١، ٥٩).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «أما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية؛ كبعض ليالي شهر ربيع الأول الذي يقال: إنها ليلة المولد، أو بعض ليالي رجب، أو ثامن عشر ذي الحجة، أو أول جمعة من رجب، أو ثامن شوال الذي يسميه الجهال (عيد الأبرار) فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف ولم يفعلوها»^(٢).

وقال أيضًا عن هذا المولد: «فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه لو كان خيرًا، ولو كان هذا خيرًا محضًا أو راجحًا لكان السلف رَحِمَهُ اللهُ أحق به منا؛ فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيمًا له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعتة وطاعته واتباع أمره، وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا، ونشر ما بعث به، والجهد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. وأكثر هؤلاء الذين تجدهم حراسًا على أمثال هذه البدع مع ما لهم من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجي لهم بهما المثوبة تجدهم فاترين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه، وإنما هم بمنزلة

وعقد ابن الحاج المالكي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «المدخل» فصلًا عن المولد، سرد فيه جملة من المفاسد والمنكرات التي تفعل في الموالد ثم قال: «وهذه المفاسد مركبة على فعل المولد إذا عمل بالسماع، فإن خلا منه وعمل طعامًا فقط ونوى به المولد ودعا إليه الإخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس نيته فقط؛ إذ إن ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين، واتباع السلف أولى بل أوجب من أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه؛ لأنهم أشد الناس اتباعًا لسنة رسول الله ﷺ وتعظيمًا له ولسنته ﷺ، ولهم قدم سبق في المبادرة إلى ذلك، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد، ونحن لهم تبع فيسعنا ما وسعهم وقد علم أن اتباعهم في المصادر والموارد، كما قال الشيخ الإمام أبو طالب المكي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه: «وقد جاء في الخبر لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً» انتهى. وقد وقع ما قاله رَحِمَهُ اللهُ بسبب ما تقدم ذكره وما سيأتي بعد؛ لأنهم يعتقدون أنهم في طاعة ومن لا يعمل عملهم يرون أنه مقصر بخيل، فإننا لله وإننا إليه راجعون»^(١).

= في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء (٨/١)، (٩).

(١) المدخل لابن الحاج (١٠/٢) [دار الفكر، ١٤٠١هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/٢٩٨).

يقول ابن التركماني في كتابه «اللمع في الحوادث والبدع»^(٣) عن هذه الأعياد النصرانية: «فصل: ومن البدعة أيضًا والخزي والبعاد ما يفعله المسلمون في نيروز النصارى ومواسمهم والأعياد من توسع النفقة، وهذه نفقة غير مخلوفة، وسيعود شرّها على المنفق في العاجل والآجل».

- المسألة الثانية: الاحتفال بيوم ميلاد

الإنسان:

وهذا فرع عن المسألة السابقة، فيكون ذلك محرّمًا منهيًا عنه؛ لما فيه من مشابهة الكفار التي نهينا عنها، وهذا ما أفتت به اللجنة الدائمة، وابن باز وابن عثيمين^(٤).

- المسألة الثالثة: الاحتفال برأس

السنة الهجرية:

وهذا أيضًا بدعة محرمة؛ لأن الأعياد مرجعها إلى الشرع وليس إلى العادات؛ فيكون في اختراع أعياد لم يدل الشرع عليها إحداث وابتداع في الدين، وفيه أيضًا تشبه بالنصارى في احتفالهم برأس السنة الميلادية كما تقدم، وهذا ما أفتت به اللجنة الدائمة، وابن باز وابن عثيمين^(٥).

(٣) (١/٢٩٣ - ٣١٦).

(٤) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢٨/٢٦٠)، ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٥/١٧٦)، ومجموع رسائل وفتاوى ابن عثيمين (٩/٣٧٦).

(٥) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢٧/٤٣٧)، ومجموع =

من يحلي المصحف ولا يقرأ فيه، أو يقرأ فيه ولا يتبعه، وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي فيه أو يصلي فيه قليلًا، وبمنزلة من يتخذ المسابيح والسجادات المزخرفة، وأمثال هذه الزخارف الظاهرة التي لم تشرع، ويصحبها من الرياء والكبر والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها^(١).

✻ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الاحتفال برأس

السنة الميلادية:

وهو المسمى: الكرسميس، أو تهنة النصارى فيه؛ فهذا احتفال بدعي محرم لا يجوز فعله ولا تهنة النصارى فيه؛ لأمرين^(٢):

الأول: أن هذا فيه تشبه بالكفار؛ لأنه

موافقة للنصارى فيما ليس من ديننا ولا عادة سلفنا، فيكون فيه مفسدة موافقتهم والتشبه بهم، وترك مصلحة مخالفتهم المقصودة للشارع.

الثاني: ما ورد من الأدلة من الكتاب

والسنة والإجماع والاعتبار في النهي عن مشابهة الكفار في أعيادهم خاصة، وما ورد في النهي عن مدهانتهم والرضا بأفعالهم.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/١٢٣، ١٢٤).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٤٧٨، ٤٧٩)، ومجموع رسائل وفتاوى ابن عثيمين (٢٥/٤٩٥) [دار الثريا، ط١، ١٤٢٩هـ].

- المسألة الرابعة: التأريخ بالتاريخ

الميلادي:

كان التاريخ الميلادي موجوداً في عهد الصحابة رضي الله عنهم، ولكنهم لم يستعملوه، بل عدلوا عنه إلى التاريخ الهجري، وهذا دليل على أنَّ المسلمين يجب أن يستقلُّوا عن عادات الكفار وتقاليدهم، لا سيَّما وأنَّ التَّاريخ الميلاديَّ رمز على دينهم؛ لأنَّه يرمز إلى تعظيم ميلاد المسيح والاحتفال به على رأس السنَّة، وهذه بدعة ابتدعتها النصارى؛ فيجب ألا نشاركهم في ذلك بالتَّاريخ بتاريخهم حتى لا نقع في التشبه بهم المنهي عنه في شريعتنا. وفي التاريخ الهجري الذي اتفق عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كفاية وغناء، وهذا ما أفتت به اللجنة الدائمة، وابن باز وابن عثيمين والفوزان^(١).

الآثار:

ترتب على إحداث هذه الموالد كثير من المخالفات الشرعية والمناهي الجلية التي تدور بين الشرك والبدعة والمعصية، وهكذا هي خطوات الشيطان. وقد نبَّه أهل العلم قديماً وحديثاً على هذه

= فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٣١/١٧)، ومجموع ورسائل وفتاوى ابن عثيمين (٢٠٣/١٦، ٢٠٤).

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٣٩٨/٢٦)، والمنتقى من فتاوى الفوزان (٢٥٧/١) [مكتبة الغرابة، ط ٢، ١٤١٧هـ].

المخالفات، فيما يلي جملة منها^(٢):

١ - الوقوع في الشرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام، وذلك بالإطراء في القصائد والمدائح والغلو في الرسول والأولياء ودعائهم من دون الله، وتقديم النذور والذبائح قرباناً لغير الله.

٢ - «الاعتقادات الباطلة والظنون الفاسدة؛ كظن بعضهم أن الرسول ﷺ يحضر المولد!

٣ - تزايد البدع والمحدثات وتكاثرها، ومن ذلك: جعل الاحتفال بالمولد أياماً عديدة، أو تكراره كل ليلة جمعة، واختراع موالد أخرى للأولياء والمعظمين، وشد الرحال إلى القبور والمزارات البدعية، واختراع أدعية محدثة مخالفة للشرع تسمى بـ(الأحزاب أو الرواتب).

٤ - الاستشهاد بالأحاديث المكذوبة

(٢) انظر: المورد في عمل المولد للفاكهاني ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد (١١/١، ١٢)، والمدخل لابن الحاج، والمعيان المعرب للونشريسي (١٠٠/٧، ١٠١، ١٠٨، ٢٥٥/٨، ٢٥٢/٩)، وتفسير المنار (٩٦/٩) [دار المعرفة، ط ٢]، وحكم الاحتفال بالمولد النبوي والرد على من أجازة للشيخ محمد بن إبراهيم - ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء (٣٧/١ - ٤٣)، والإبداع في مضار الابتداع (١٢٦ - ١٢٨)، وحكم الاحتفال بالمولد النبوي لابن باز ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد (٦١/١ - ٦٣)، والإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد (٣٥٤/١ - ٣٦٠، ٣٧٦)، والقول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد (٦٢٩/٢ - ٨٦٥).

والضعيفة، والقصص الواهية، والرؤى والخرافات الوهمية.

٥ - تعظيم البدع والنشاط فيها، والاستهانة بالسنن؛ بل بالواجبات والكسل عنها.

٦ - التشبه باليهود والنصارى في أعيادهم واحتفالاتهم بموالد معظميهم.

٧ - امتهان آيات القرآن العظيم وأحاديث الرسول الكريم ﷺ، وقلة احترامهم وتعظيمهم لها، حيث يجمعون في احتفالاتهم بينها وبين لهو الحديث ولغو الكلام، وقد يتدثون بها وقصدتهم الغناء والطرب بها.

٨ - انتهاك حرمة المساجد بهذه المنكرات، وكثرة اللغو ورفع الأصوات المنافية لآداب بيوت الله.

٩ - الأغاني وما يصاحبها من آلات اللهو من المعازف والمزامير الشيطانية.

١٠ - الشطح، والرقص، والهز والدوران الشديد المسمى بـ(الزار)، وقد يحصل في بعضها شيء من الفجور وتعاطي المسكرات والمفترات.

١١ - الافتتان بالمردان الذين يغنون ويتراقصون في هذه الاحتفالات.

١٢ - افتتان الرجال بالنساء لما يحصل في بعض اجتماعاتهم من الاختلاط، وإطلاع الرجال على النساء، وارتفاع أصوات النساء.

١٣ - خروج النساء إلى المقابر وارتكاب أنواع المحرمات من نياحة ورفع الصوت، واختلاط.

١٤ - الإسراف والتبذير وإضاعة المال في هذه الحفلات التي لا تعود بنفع في دين ولا في دنيا.

١٥ - اتخاذ هذه الموالد عند البعض لأغراض دنيوية من أكل لأموال الناس بالباطل، أو طلب جاه أو مدح، أو تعظيم متبوع من سادتهم، ونحو ذلك من الأغراض الدنيئة الخسيسة.

١٦ - اتهام أرباب هذه الموالد غيرهم ممن لا يقيمها بأقبح التهم وأشنعها؛ وهو أنه لا يحب الرسول!

«هذا الذي ذكر بعض المفاسد المشهورة المعروفة، وما في ذلك من الدسائس ودخول وساوس النفوس وشياطين الإنس والجن مما يتعذر حصره، فالسعيد السعيد من أعطى قياده للاتباع وترك الابتداع، وفقنا الله لذلك بمنه»^(١).

ولما كانت هذه الموالد بهذه الدرجة من الانحراف والضلال والفساد العقدي والأخلاقي سعى الكفار المحتلون لعدد من البلاد الإسلامية وأعوانهم من الحكومات الفاسدة إلى تشجيع هذه البدع ودعم أربابها من الفرق الضالة؛

(١) المدخل لابن الحاج (٢/٢٦).

لما وجدت من حكومات الباطل والشر إلا محاربتها والقضاء عليها^(٢).

وهذا هو ما أكده المؤرخ المصري الجبرتي عن الاستعمار الفرنسي لمصر حيث قال في كتابه «عجائب الآثار»^(٣) عن هذه الموالد ودعم الفرنسيين المحتلين لها: «ورخص فرنسا ذلك للناس لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع واجتماع النساء واتباع الشهوات والتلاهي وفعل المحرمات».

✿ مذهب المخالفين:

اتفق المخالفون في المولد مع القائلين بأنه بدعة محدثة لم تفعل في القرون الثلاثة المفضلة؛ لكنهم خالفوه في جعل هذه البدعة: بدعة حسنة، واستحبوا فعلها مستندين في ذلك إلى أن البدعة تنقسم إلى حسنة وسيئة^(٤).

والجواب عليهم من وجوه عديدة؛ منها:

الأول: جميع الأدلة القاضية بعموم

(٢) الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء (٣٥٥/١ - ٣٥٦).

(٣) (٣٠٦/٢) [دار الجبل، ط ٢، ١٩٧٨م].

(٤) انظر مثلاً: حسن المقصد في عمل المولد للسيوطي ضمن الحاوي للفتاوى (١٨٩/١) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ]، وحول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، والذخائر المحمدية لمحمد علوي المالكي، وغيرهم. وقد رد عليهم جملة من علماء الأمة.

لتخدير المسلمين، وإلهائهم عن عظام الأمور، وشغلهم بهذه الرسوم والمواسم عن الإعداد لجهاد الكافرين، وتضييعهم عن دينهم القويم وما فيه من أصول وتعاليم لو تمسكوا بها وأقاموها لسادوا على جميع العالمين، «فقد كانت فرنسا في بلاد المغرب بأقاليمه الثلاثة تساعد حتى بتخفيض تذكرة الإركاب في القطار، وكذلك بلغني أن الحكومات المصرية تفعل نحو ذلك، ومن أغرب ما نسمع عن هذا الوفاق أن حكومة اليمن الجنوبي^(١) وهي بلشفية خالصة تشجع هذه الموالد ولو بعدم إنكارها، وهي التي أنكرت الإسلام عقائد وعبادات وأحكاماً. ولهذا دلالة كبرى وهي: أن هذه الموالد ما ابتدعت إلا لضرب الإسلام، وتحطيمه والقضاء عليه. ومن هنا كان حكم الإسلام على هذه الموالد والمواسم والزرد والحضرات المنع والحرمة، فلا يبيح منها مولدًا ولا موسمًا ولا زردة ولا حضرة؛ وذلك لأنها بدع قامت على أساس تقويض العقيدة الإسلامية، وإفساد حال المسلمين، ويدلك على ذلك مناصرة أهل الباطل لها ووقوفهم إلى جنبها ومعها، ولو كان فيها ما يوقظ الروح الإسلامي، أو يحرك ضمائر المسلمين

(١) أي: قبل أن يُوحَّد شطر اليمن عام (١٩٩٠م).

ضلال كل البدع، وأن كل بدعة ضلالة ❁ المصادر والمراجع:

وليس فيها بدع حسنة. ١ - «الإبداع في مضار الابتداع»،

لعلي محفوظ.

٢ - «الاعتصام»، للشاطبي.

٣ - «اقتضاء الصراط المستقيم»

(ج ٢)، لابن تيمية.

٤ - «الإنصاف فيما قيل في المولد

من الغلو والإجحاف»، للجزائري.

٥ - «حكم الاحتفال بالمولد والرد

على من أجازه»، لمحمد بن إبراهيم آل

الشيخ.

٦ - «حكم الاحتفال بالمولد النبوي»،

لابن باز.

٧ - «الرد القوي على الرفاعي

والمجهول وابن علوي وبيان أخطائهم

في المولد»، للتوحيدي.

٨ - «فتاوى محمد رشيد رضا» (ج ٤).

٩ - «القول الفصل في حكم التوسل

بخير الرسل»، للأنصاري.

١٠ - «مجموع ورسائل وفتاوى بن

عثيمين» (ج ٩، ١٦، ٢٥).

١١ - «المدخل»، لابن الحاج

المالكي.

١٢ - «المورد في الكلام على

المولد»، للفاكهاني.

١٣ - «المواعظ والاعتبار بذكر

الخط والآثار» (ج ١)، للمقريزي.

الوجه الثاني: أن تقسيم البدعة إلى

حسنة وسيئة أو إلى الأحكام التكليفية

الخمس تقسيم باطل يقضي بإبطال عموم

الأدلة الدالة على إنكار كل البدع

المحدثة في الدين، وهو تقسيم مفتعل

مخترع متناقض.

ثم إن كلام أي عالم لا يكون

مخصصاً أو مقيداً لعموم كلام

رسول الله ﷺ.

وأقوال العلماء في إبطال هذا التقسيم

المنافض للأدلة كثيرة جداً، وردودهم في

هذه المسألة بالذات أكثر وأكثر^(١).

ومما يحتج به المخالفون: أن

هذا الاحتفال تعظيم للنبي ﷺ وإظهار

لحبه.

والجواب: أن المولد ليس من تعظيم

النبي ﷺ؛ لأن التعظيم عبادة،

والعبادات توقيفية باتفاق المسلمين،

والنبي ﷺ لم يشرع لنا الاحتفال بمولد

آدم أو إبراهيم أو موسى أو غيرهم من

الأنبياء ﷺ، ثم السلف من الصحابة

والتابعين وأئمة المذاهب متفقون على

عدم فعله وعدم مشروعيته، فلا يسوغ لنا

فعله.

(١) انظر مثلاً: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٨٦ -

١٠١)، والاعتصام (١/٣٢٧ - ٣٣٣).

عبده^(٤).

✽ الأسماء الأخرى:

من الألفاظ المرادفة لكلمة الميثاق:
العهد، الإسهاد، الفطرة.

✽ الحكم:

يجب الإيمان بأن الله تعالى أخذ الميثاق من بني آدم، فجعلهم شاهدين على أنفسهم مقرّين بربوبية الله تعالى لهم وأنهم عبيدٌ له سبحانه، فأما نطقهم وتكلمهم بذلك، فليس في شيء من الأحاديث التي تقوم بها الحجة ولا يدل عليه القرآن. فالإسهاد على أنفسهم كان على وجه الإقرار ولسان الحال، لا بلسان المقال^(٥).

✽ الحقيقة:

حقيقة الميثاق في قوله تعالى:
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾
[الأعراف: ١٧٢] فيها قولان لأهل العلم^(٦):

الأول: أن الإسهاد في الآية يُفسر بالفطرة على التوحيد، وهو مما خلقوا عليه وجبلوا عليه. والأحاديث الواردة

✽ المولى

يراجع مصطلح (الولي).

✽ الميثاق

✽ التعريف لغةً:

الميثاق: مشتق من مادة (و - ث - ق). قال ابن فارس: «الواو والشاء والقاف كلمة تدلّ على عَقْد وإحكام، وَوَثَّقْتُ الشيء: أَحْكَمْتَهُ، وناقة موثَّقة الخلق؛ أي: محكمته. والميثاق: العهد المحكم»^(١). وقال الفيروزآبادي: «الميثاق: عَقْدٌ يؤكد بيمين وعَهْد، وأخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف»^(٢).

والوِثَاقَة: مصدر الشيء الوثيق المُحْكَم، والفعل اللازم: وَثَّقَ وثاقه فهو وَثِيق. والوثيقة في الأمر: إحكامه والأخذ بالثقة، والجمع: الوثائق. والمُوثَاقَة: المعاهدة»^(٣).

✽ التعريف شرعاً:

هو إقرار بني آدم بربوبية الله تعالى، وشهادتهم على أنفسهم بأنه ربهم وهم مخلوقون له، فشهدوا على أنفسهم بأنهم

(١) مقاييس اللغة (٨٥/٦) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ].

(٢) بصائر ذوي التمييز (١٥٨/٥) [لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط ١٤١٢هـ].

(٣) تهذيب اللغة (٢٠٦/٩) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢٠٠١م]، ولسان العرب (٣٧١/١٠) [دار صادر، ط ٣].

(٤) انظر: درء التعارض لابن تيمية (٤٨٨/٨).

(٥) انظر: درء التعارض لابن تيمية (٤٨٣/٨، ٤٨٥)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (١٠٠٤/٢) [مكتبة رمادي، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٦) انظر: المصدر السابق.

مِثْقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ [الحديد]؛
أي: وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم في
صلب آدم، بأن الله ربكم لا إله لكم
سواه (٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي
ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾
[الأعراف].

ومن السُّنَّة: ما جاء عن أنس بن
مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله
تعالى لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة:
لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت
تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردت
منك أهون من هذا، وأنت في صلب
آدم: أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن
تشرك بي» (٣).

وعن هشام بن حكيم؛ أن رجلاً أتى
النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أُنبتدئ
الأعمال أم قد قضي القضاء؟ فقال
رسول الله ﷺ: «إن الله أخذ ذرية آدم
من ظهره، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم
أفاض بهم في كفة، فقال: هؤلاء في
الجنة وهؤلاء في النار، فأهل الجنة
ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار

في ذلك دالة على إثبات القدر السابق
واستخراج صور بني آدم وتميز أهل
السعادة من أهل الشقاوة.

الثاني: أن الله أخرج جميع ذرية آدم
من ظهور الآباء في صورة الذر،
وأشهدهم على أنفسهم بلسان المقال:
﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ ثم أرسل بعد
ذلك الرسل مذكرة بذلك الميثاق.

الأهمية:

أهمية الميثاق الذي أخذه الله على آدم
وذريته تتبين في أن الله تبارك وتعالى
تعرف قبل التكليف بنفسه وبعد التكليف
بالسفراء؛ لأنه لو خاطبهم وكاشفهم قبل
التكليف بلا سفير لبطل التكليف، لذا
فإن كل واحد من بني آدم يجد أثر
عهد الله وميثاقه في سويداء قلبه، فإن الله
تعالى لما تعرّف إلى عباده بنفسه يوم
الميثاق أبقى أثر معرفته وميثاقه في فطرة
كل واحد من بني آدم (١).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْقُصُونَ عَهْدَ اللَّهِ
مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ﴿٧٧﴾ [البقرة]،

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِلْيُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ

(٢) تفسير الطبري (٢٢/٣٩٠) [دار هجر، ط ١].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٥٧)،

ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم

٢٨٠٥).

(١) انظر: درء التعارض لابن تيمية (٨/٥١٠)، وميثاق

الإيمان لعيسى بن عبد الله السعدي (٢٤، ٢٥).

يسرون لعمل أهل النار»^(١).

أنفسهم بأنهم عبيده. كما يقول المملوك: هذا سيدي، فيشهد على نفسه بأنه مملوك لسيده، وذلك يقتضي أن هذا الإشهاد من لوازم الإنسان، فكل إنسان قد جعله الله مقراً بربوبيته، شاهداً على نفسه بأنه مخلوق والله خالقه. ولهذا جميع بني آدم مقرون بهذا شاهدون به على أنفسهم. وهذا أمر ضروري لهم لا ينفك عنه مخلوق، وهو مما خلقوا عليه وجبلوا عليه، وجعل علماً ضرورياً لهم، لا يمكن أحداً جحده»^(٤).

وقال ابن كثير رحمته الله: «يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكمهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه»^(٥).

وقال ابن أبي العز الحنفي: «أخبر سبحانه أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكمهم وأنه لا إله إلا هو. وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام، وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وإلى أصحاب الشمال، وفي بعضها الإشهاد عليهم بأن الله ربهم»^(٦).

(٤) درء التعارض لابن تيمية (٤٨٨/٨).

(٥) تفسير ابن كثير (٥٠٠/٣) [دار طيبة، ط ٢].

(٦) شرح الطحاوية (٢١٤) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط ١، ١٤١٨هـ].

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللَّهُمَّ أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت»^(٢) الحديث. قال ابن بطال رحمته الله: «يريد العهد الذي أخذه الله على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم: أأست بربكم؟ فأقروا له بالربوبية وأذعنوا له بالوحدانية»^(٣).

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فإشهادهم على أنفسهم جعلهم شاهدين على أنفسهم؛ أي: مقرين له بربوبيته، كما قال في تمام الكلام: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا» [الأعراف: ١٧٢]، فقولهم: بلى شهدنا، هو إقرارهم بربوبيته، وهو شهادتهم على أنفسهم بأنه ربهم وهم مخلوقون به، فشهدوا على

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنّة (٧٣/١)، (٧٤) [المكتب الإسلامي، ط ١]، والطبراني في المعجم الكبير (١٦٨/٢٢) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٤١٥هـ] واللفظ له، والبيهقي في القضاء والقدر (٢٢٥) [مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤٢١هـ]، وحسن إسناده الهيثمي في المجمع (١٨٧/٧) [مكتبة القدسي]، وصححه الألباني في ظلال السنّة [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٠هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٠٦).

(٣) فتح الباري (٩٩/١)، (١٠٠).

المسائل المتعلقة:

- معاني الميثاق الوارد في النصوص:

وردت كلمة (ميثاق) في النصوص بمعاني عدة، غير المعنى المراد به هنا.

فقد وردت بمعنى العهد الذي أخذه الله تعالى على عباده ألا ينقضوه^(١)، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [البقرة].

ووردت أيضًا بمعنى ما أخذه الله على بني إسرائيل من امتثال ما أنزل الله من التوراة^(٢)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣]

ووردت أيضًا بمعنى ما أخذه الله على الأنبياء ﷺ من إقامة دين الله، وإبلاغ رسالته وأن يصدق بعضهم بعضًا، ويأمر بعضهم بالإيمان بعضًا^(٣)، قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

ووردت أيضًا بمعنى عقد النكاح^(٤)، قال تعالى: ﴿وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١].

ووردت أيضًا بمعنى العقود والعهود والمواثيق التي عقدها رسول الله ﷺ مع بعض المشركين^(٥)، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ [النساء: ٩٠].

ووردت أيضًا بمعنى البيعة التي بايع الصحابة رسول الله ﷺ عليها^(٦)، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧].

ووردت أيضًا بمعنى العهد والعقد مطلقًا مما يكون بين الخلق وخالقهم أو بعضهم مع بعض^(٧)، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد: ٢٠].

مذهب المخالفين:

ذهب بعض أهل العلم من أهل السنة وغيرهم إلى أن الله أخرج جميع ذرية آدم من ظهور الآباء ونثرهم كالذر، وأشهدهم على أنفسهم بلسان المقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ ثم أرسل بعد ذلك الرسل مذكرة بذلك الميثاق^(٨).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٣٤٧).

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/٩٣)، والتحريز والتنوير لابن عاشور (١/٥٨٢).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/١٢٤)، وتفسير ابن كثير (٣/٤٦٩).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/١٠٣)، وتفسير ابن كثير (١/٤٦٧).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/٣٠٨).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٦/١٠٨)، وتفسير ابن كثير (٢/٣٠).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٩/٣٠٧)، وتفسير النسفي (٢/٤٠٩).

(٨) انظر: درء التعارض لابن تيمية (٨/٤٨٣)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/١٠٠٤).

❖ الرد عليهم:

٥ - «الروح»، لابن القيم.

٦ - «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٧ - «العهد والميثاق في القرآن الكريم»، لناصر العمر.

٨ - «فتح الباري» (ج ١)، لابن حجر.

٩ - «الفطرة: حقيقتها ومذاهب الناس فيها»، لعلي بن عبد الله القرني.

١٠ - «ميثاق الإيمان»، لعيسى بن عبد الله السعدي.

❖ الميزان ❖

❖ التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الواو والزاء والنون بناءً يدل على تعديل واستقامة: ووزنتُ الشيء وزنًا، والزنّة: قدرُ وزنِ الشيء، والأصل وَزْنَةٌ»^(٢).

وأصل الميزان: مؤزان؛ قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها، وجمعه: موازين^(٣)، وجائز أن تقول للميزان الواحد بأوزانه: موازين^(٤).

(٢) مقاييس اللغة (١٠٧/٦) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ]، وانظر: تهذيب اللغة (١٧٦/١٣) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٦٣/٧)، ولسان العرب لابن منظور (٤٤٦/١٣) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ]، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة (٣٦٤) [دار قباء للنشر]، وفتح الباري لابن حجر (٥٤٧/١٣)، وفتح القدير (١٩١/٢) [دار الفكر، ط ١٤٠٣هـ].

(٤) انظر: لسان العرب (٤٤٦/١٣).

أن الاستخراج والاستنطاق لم يرد فيهما شيء من الأحاديث التي تقوم بها الحجة ولا يدل عليهما القرآن. وأن معنى الشهادة في قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ يراد بها الإقرار، ولا يلزم في هذا النطق، بل الشهادة تكون حالاً ومقالاتاً، فالشهادة على النفس معناها الإقرار؛ أي: جعلهم مقربين بهذا الميثاق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧] وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر حالاً لا مقالاً، فإنهم كانوا مقربين لما هو كفر، فكان ذلك شهادتهم على أنفسهم، وإن لم ينطقوا بذلك. وكذلك قوله: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ القول: قد يكون باللفظ، وقد يكون بالحال^(١).

❖ المصادر والمراجع:

١ - «أحكام أهل الذمة» (ج ٢)، لابن القيم.

٢ - «أخذ الميثاق»، لعبد العزيز العثيم.

٣ - «تفسير ابن كثير» (ج ٣).

٤ - «درء تعارض العقل والنقل» (ج ٨)، لابن تيمية.

(١) انظر: درء التعارض لابن تيمية (٤٨٥/٨)، وشرح الطحاوية (٢١٤).

على ثبوته، وهو أحد مفردات اليوم الآخر.

الحقيقة:

دلَّت النصوص الشرعية أنه ينصب يوم القيامة ميزان لوزن أعمال العباد، وسجلاتها، وله لسان وكفتان، والغاية من ذلك أن لا تظلم نفس شيئاً، ويظهر بذلك عدل الله تعالى.

أحد مفردات يوم القيامة الكائنة في العرصات بعد البعث وقبل دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَنُضِعُّ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَهَى بَنَاءَ حَسِينٍ﴾ (٤٧) [الأنبياء]، وقال ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٦) ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٧) ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٨) ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (٩) [القارعة].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» (٤).

ويطلق الميزان على واحد المثاقيل التي يوزن بها الأشياء، وعلى الآلة التي يوزن بها الأشياء، قال ابن منظور: «العرب يسمون الأوزان التي يُوزَنُ بها التمر وغيره، المُسَوَّاةَ من الحجارة والحديد، الموازين، واحدها: ميزان، وهي المثاقيل، واحدها: مِثْقَال، ويقال للآلة التي يُوزَنُ بها الأشياء: ميزانٌ أيضاً» (١).

التعريف شرعاً:

هو ميزان حقيقي له كفتان، ينصب يوم القيامة لوزن العمال وأعمالهم وصحائف أعمالهم (٢).

قال السفاريني: «قال علماؤنا: نؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، قالوا: وله لسان وكفتان توزن به صحائف الأعمال» (٣).

سبب التسمية:

جاءت التسمية موافقة لطبيعة عمل الميزان؛ إذ توضع فيه الأشياء التي تظهر مقدار ما للعبد من حسنات وما عليه من سيئات؛ إظهاراً لعدل الله تعالى.

الحكم:

الإيمان به واجب؛ لدلالة النصوص

(١) المرجع السابق (١٣/٤٤٦).

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي (٣٥٩، ٣٦٠)، رسائل

الآخرة للبيدي (٢/١١٢٥).

(٣) لوامع الأنوار للسفاريني (٢/١٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٤٠٦،

ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،

رقم ٢٦٩٤).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «إن الله ﻻ يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتتكر من هذا شيئاً؟ أظلمتكَ كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم» قال: «فتوضع السجلات في كفة» قال: «فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم»^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال الإمام أحمد بن حنبل: «والإيمان بالميزان، كما جاء يوزن العبد يوم القيامة، فلا يزن جناح بعوضة، وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر، والإيمان به والتصديق به، والإعراض

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٣٩) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٣٠٠)، وأحمد (٥٧٠/١١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب الإيمان، رقم ٢٢٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٥).

عمن رد ذلك وترك مجادلته»^(٢).

وقال أيضاً: «نؤمن بالصراط والميزان والجنة والنار والحساب، لا ندفع ذلك ولا نرتاب»^(٣).

وقال الطحاوي: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب، وقراءة الكتاب والثواب والعقاب، والصراط والميزان»^(٤).

وقال السفاريني: «قال علمائنا: نؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، قالوا: وله لسان وكفتان توزن به صحائف الأعمال»^(٥).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صفات الميزان:

دلّت نصوص السُّنة على أن للميزان كفتين، وأنه من الكبر بمكان، بحيث لو وزن فيه السماوات والأرض لوسعهن، وقد تقدم في أدلة السُّنة الآنفه إثبات الكفة، وأما كبر الميزان وعظمه؛ فلقوله ﷺ: «يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعها، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟

(٢) انظر: رسالة الإمام أحمد برواية ابن عبدوس في شرح اعتقاد أهل السُّنة للالكائي (١٥٨/١).

(٣) انظر: رواية ابنه عبد الله عنه في شرح اعتقاد أهل السُّنة للالكائي (١١٧٩/٦).

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوي لابن أبي العز (٤٠٤). وانظر: اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (١٠٣).

(٥) لوامع الأنوار للسفاريني (١٨٤/٢).

فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك^(١).

وأما إثبات اللسان للميزان فجاء موقوفًا على ابن عباس^(٢)، والحسن البصري^(٣)، وقد نقل أبو إسحاق الزجاج إجماع أهل السُّنة على الإيمان بالميزان، وأن له لسانًا وكفتين^(٤).

- المسألة الثانية: عدد الموازين:

ذكر الميزان في السُّنة تارة بلفظ الأفراد وتارة بلفظ الجمع، وأما القرآن الكريم فبلفظ الجمع فحسب كما تقدم؛ ولذلك اختلف العلماء في الميزان من حيث عدده: أهو ميزان واحد أم موازين متعددة؟ على قولين^(٥):

أحدهما: أنه ميزان واحد، عبّر عنه بلفظ الجمع، باعتبار تعدد الأعمال أو الأشخاص.

(١) أخرجه الحاكم (كتاب الأهوال، رقم ٨٧٣٩) وصححه، لكن تعقبه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦١٩/٢)، وبيّن أن السند ليس صحيحًا، ثم قال: «وقد رواه الآجري في الشريعة موقوفًا على سلمان، وإسناده صحيح، وله حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي».

(٢) ذكره البيهقي في الشعب (٤٤٧/١) [مكتبة الرشد، ط ١].

(٣) انظر: زاد المسير (١٧١/٣) [المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٤٠٧هـ]، وشرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة (١٠٧٣/٣).

(٤) انظر: فتح الباري (٥٤٨/١٣) مختصرًا.

(٥) انظر: رسائل الآخرة (١١٣٤/٢) فما بعد.

قال الألوسي: «المشهور الصحيح: أن الميزان مطلقًا واحد، وجمعه باعتبار تعدد الأوزان والموزونات»^(٦)، وحكى ابن عطية الإجماع عليه^(٧)، ورجحه جماعة من المتقدمين والمتأخرين^(٨).

والآخر: أن الموازين متعددة، أخذًا بظاهر الآيات القرآنية الدالة على جمع الموازين.

قالوا: فيكون «لكل شخص ميزانًا أو لكل عمل ميزانًا، فيكون الجمع حقيقة»^(٩)، وهو قول جماعة^(١٠).

- المسألة الثالثة: الأشياء التي يقع عليها الوزن:

دلّت النصوص على وزن العامل وعمله وصحيفة العمل:

أما العامل؛ فلحديث ابن مسعود؛ أنه كان يجتني سواكًا من الأراك، وكان

(٦) روح المعاني (٨/ ٨٥) [دار إحياء التراث، ط ٤].

(٧) انظر: لوائح الأنوار السنية (١٩٥/٢) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥هـ]، والنشر الطيب على شرح الشيخ الطيب (٢/ ٢٨٤) [المطبعة الإسلامية، ط ١، ١٣٥٢هـ].

(٨) انظر: فتح الباري (١٣/ ٥٤٧)، ولوائح الأنوار السنية (٢/ ١٩٤)، ولوائح الأنوار [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١١هـ]، وشرح حديث جبريل - ضمن مجموع فتاوى ابن عثيمين (٣/ ١٧٩) [دار الوطن، ط الأخيرة، ١٤١٣هـ].

(٩) فتح الباري (١٣/ ٥٤٧).

(١٠) انظر: لوائح الأنوار السنية (٢/ ١٩٥)، والنشر الطيب على شرح الطيب (٢/ ٢٨٤)، وتفسير الرازي (٨/ ٢٩) [دار الفكر، ط ٣، ١٤٠٥هـ]، وتفسير القرطبي (١١/ ٢٩٣) [دار إحياء التراث العربي]، وأضواء البيان (٤/ ٥٨٤، ٥٨٥)، فتح القدير (٢/ ١٩١).

الكفار»^(٣).

وللجمع بين الآيات يقال: إن الوزن بالنسبة للكفار يوم القيامة ليس عامًّا؛ بل هو خاص بالبعض منهم؛ لأن من الكفار «من يعجل به إلى النار بغير حساب وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسْمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (٤١) [الرحمن]»^(٤).

ومن أهل العلم من رأى أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن؛ لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك، ولا منافاة بينها، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة. وقال: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَقِيْمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا﴾»^{(٥)(٦)}.

- المسألة الخامسة: وقت الميزان:

إذا انقضى الحساب للعباد كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن

(٣) التذكرة (٣٥٩).

(٤) لوائح الأنوار (٢/٢٠٤). وانظر: رسائل الآخرة للبيدي (٢/١١٤٥).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٢٩)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٥).

(٦) انظر: معارج القبول (٢/٨٤٥ فما بعدها)، وشرح الواسطية لابن عثيمين (٥٠٢، ٥٠٣).

دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «م تضحكون؟» قالوا: «يا نبي الله، من دقة ساقه»، فقال: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»^(١).

وأما العمل؛ فلقوله ﷺ: «ليس شيء أثقل في الميزان من خلق حسن»^(٢)، وتقدم حديث: «كلمتان خفيفتان».

وأما صحيفة العمل؛ فلحديث صاحب البطاقة المتقدم آنفاً.

- المسألة الرابعة: وزن الكافر:

ورد نوعان من الآيات في وزن الكافر، بعضها أثبت الوزن له؛ كقول تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وبعضها نفاه؛ كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتِيَتِ رَبَّهُمْ وَلِقَائِهِمْ حُطِّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف]. قال القرطبي عقب الآيات السابقة: «وهذه الآيات إخبار لوزن أعمال

(١) أخرجه أحمد (٩٨/٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٦٩)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٥٠٦/١٩) [دار هجر، ط ١]: «إسناده جيد قوي»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٧٥٠).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٧٩٩)، والترمذي (كتاب البر والصلة، رقم ٢٠٠٢) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٤٢٧/١٠) [دار الكتاب العربي، ط ١٤٠٧هـ]، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١٧٧) [دار الصديق، ط ٢، ١٤١٥هـ].

ويقال لهم: إن قلب الأعراض أعياناً يوم القيامة داخل في نطاق القدرة الإلهية، والعقل السليم لا يحيل ذلك.

قال السفاريني: «نهج المعتزلة مبين لنهج الرسول؛ فإن الله تعالى قادر على تجسيم الأعراض والإتيان بها في أحسن صورة، وأقبح صورة، وهذا غير محال في العقل، وقد ثبت به النقل فوجب اعتقاده والمصير إليه»^(٤).

أضف إلى ذلك أن الأمور الأخروية توقيفية لا مجال للعقل فيها؛ لأنها لا تعلم إلا بالوحي.

ومن شبهاتهم قولهم: إن الأعمال معلومة لله تعالى، فوزنها عبث لا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه ففعله قبيح، والرب تعالى منزّه عن ذلك، ثم فسروا الميزان بالعدل والإنصاف^(٥).

ويقال لهم: إن الله تعالى منزّه عن العبث و«لعل في الوزن حكمة لم نطلع عليها، وعدم اطلاعنا على الحكمة لا يوجب العبث»^(٦)، وقد تقدم ذكر جملة من الحكم المترتبة على الوزن.

وأما تفسيرهم الميزان بالعدل والإنصاف فباطل؛ لأنه صرف للفظ عن

إظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها^(١).

الحكمة:

للوذن الكائن يوم القيامة في العرصات حكم متعددة، منها^(٢):

١ - امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا.

٢ - إظهار علامة السعادة والشقاوة في الأخرى.

٣ - تعريف العباد ما لهم وما عليهم من خير وشر.

٤ - إقامة الحجة عليهم.

٥ - الإعلام بأن الله عادل لا يظلم.

مذهب المخالفين:

أنكرت الجهمية والمعتزلة البغداديون الميزان، وتأولوه بالعدل، إذ زعمت أن الأعمال أعراض لا تقوم بنفسها، وإن أمكن إعادتها لم يمكن وزنها^(٣).

(١) انظر: التذكرة للقرطبي (٣٠٩).

(٢) انظر: زاد المسير (١٧١/٣).

(٣) انظر: لوائح الأنوار السننية (١٨٠/٢)، ومقالات الإسلاميين (١٦٤/٢) [المكتبة العصرية، ١٤١١هـ]، درء التعارض (٨٠/٣)، شرح ابن عيسى على النونية (٨٣/١)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/٥٤٨)، وزاد المسير (١٧٠/٣)، وتفسير القرطبي (١٦٥/٧)، وتفسير الطبري (٤٣٣/٥) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ]، وروح المعاني (٨٤/٨)، والنهاية في الفتن والملاحم (٢٢٩/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨]، والتذكرة (٣١٤)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧٥/٨) [مصطفى الحلبي، ط ١، ١٣٨١هـ].

(٤) لوائح الأنوار السننية (١٨١/٢).

(٥) انظر: لوائح الأنوار السننية (١٨٠/٢)، وروح المعاني (٨٤/٨)، وتفسير الرازي (٢٩/٥).

(٦) لوائح الأنوار السننية (١٨٠/٢).

الحقيقة إلى المجاز، وهو ممتنع.

وبنحو الشبهتين الآنفتين اعترضت الإباضية^(١)، والجواب واحد.

❖ ميكائيل ❖

❖ التعريف لغةً:

ميكائيل اسم، يقال: هو (ميكا) أضيف إلى (إيل)، وميكائين بالنون لغة، يهمز ولا يهمز، ويقال: ميكال وهو لغة^(٢)، وفي اسمه ﷺ لغات عدة^(٣).

❖ التعريف شرعاً:

ملك من الملائكة الكرام؛ بل من أعيانهم، ورد ذكره في القرآن والسنة، وهو ذو مكانه عالية، ومنزلة رفيعة عند ربه، وله وظائف يقوم بها بأمر الله ﷻ^(٤).

❖ الحكم:

الإيمان بميكائيل واجب ويدخل في عموم وجوب الإيمان بالملائكة، الذي هو الركن الثاني من أركان الإيمان.

❖ المنزلة:

ميكائيل من أعيان الملائكة ﷻ، ولا شك في أن تخصيص الله تعالى، وتخصيص رسوله ﷺ بميكائيل بالذكر يدل على المنزلة العظيمة، والمكانة الرفيعة التي له ﷻ.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٢/٢٦٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ].

(٤) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/٦٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٣٢هـ].

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.
- ٢ - «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة»، للقرطبي.
- ٣ - «شرح اعتقاد أهل السنة»، للالكائي.
- ٤ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٥ - «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.
- ٦ - «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، لابن حزم.
- ٧ - «لوائح الأنوار السنية»، للسفاريني.
- ٨ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٩ - «مجموع فتاوى ابن عثيمين».
- ١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكيمي.

(١) انظر: الإباضية عقيدة ومذهباً (١٢١، ١٦٠) [دار الجبل، ١٩٨٦]، والأصول الإيمانية لدى الفرق الإسلامية (٤٨٤) [دار المعرفة الجامعية، ط ١، ١٤١٤هـ]، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١٦) [الندوة العالمية، ط ٢، ١٤٠٩هـ].

(٢) ينظر: لسان العرب (٢٩٠/١٥) [دار صادر].

❁ الأدلة:

وَمَلَكَيْتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ
فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ [البقرة]،
وعطفهما على الملائكة، مع أنهما من
جنسهم لشرفهما، من قبيل عطف
الخاص على العام، فإنهما دخلا في
الملائكة، ثم عموم الرسل، ثم خصصا
بالذكر^(٣). أيضًا فإن في تخصيص
النبي ﷺ له مع جبريل وإسرافيل في
دعائه الذي كان يفتح به صلاة الليل
فيقول: «اللَّهُمَّ رب جبريل وميكائيل
وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم
الغيب والشهادة»^(٤) دلالة على فضل
وتشريف الثلاثة على سائر الملائكة^(٥).

- المسألة الثانية: وظيفته:

ميكائيل عليه السلام موكل بالقطر والغيث،
لما ثبت في حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن
النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام على أي شيء
ميكائيل فقال: «على النبات والقطر»^(٦)،
وهناك ملائكة تزجر السحاب وتسوقه،
كما دل عليه قوله تعالى: ﴿فَالزَّيْحَاتِ

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرُّسُلُ بِمَا
أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَكَيْتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]
وميكائيل داخل في عموم الملائكة أيضًا
ورد ذكره ﷺ في القرآن الكريم في
قوله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَكَيْتِهِ
وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ
لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٩٨﴾ [البقرة]، حيث بين تعالى
أن من عادى جبريل أو ميكائيل فقد
عادى الله ﷻ.

كما ذكره النبي ﷺ في دعائه الذي
كان يفتح به صلاة الليل فقال: «اللَّهُمَّ
رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر
السماوات والأرض عالم الغيب
والشهادة»^(١)، وعن سُمرة بن
جندب رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ:
«رأيت الليلة رجلين أتياني، فقالا: الذي
يوقد النار: مالك خازن النار، وأنا
جبريل، وهذا ميكائيل»^(٢).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: فضل ميكائيل:

ميكائيل عليه السلام ذو مكانة عالية، ومنزلة
رفيعة عند ربه، ولذا خصّه الله بالذكر مع
جبريل في قوله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣٤٦/١) [دار طيبة، ط ٤، ١٤٢٨هـ].

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) ينظر: عون المعبود (٤٧١/٢) [دار الفكر، ط ٣، ١٣٩٩هـ].

(٦) أخرجه ابن أبي شيبه في كتاب العرش (٤٦٢) [مكتبة
الرشد، ط ١]، والطبراني في الكبير (٣٧٩/١١)
[مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وقال الهيثمي في المجمع
(١٩/٩) [مكتبة القدسي]: فيه محمد بن أبي ليلى،
وقد وثقه جماعة، ولكنه سيئ الحفظ، وبقيّة رجاله
ثقات.

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم
٧٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣٦).

زَجْرًا ﴿٢﴾ [الصفات]، وعلى ذلك فإنهم من أتباع ميكائيل ﷺ .

٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.

٣ - «الجامع لشعب الإيمان» (ج ١)، للبيهقي.

٤ - «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.

٥ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٦ - «عالم الملائكة الأبرار»، لعمر الأشقر.

٧ - «لوامع الأنوار البهية» (ج ١)، للسفاريني.

٨ - «معارج القبول» (ج ٢)، للحكمي.

٩ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج ١)، للحليمي.

١٠ - «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، لمحمد العقيل.

١ - المسألة الثالثة: خصائصه ﷺ :

نزوله مع جبريل ﷺ على النبي ﷺ ،

كما حديث أبي بن كعب رضي الله عنه ؛ أن النبي ﷺ قال : «أتاني جبريل عن يميني، وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف واحد، فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ سبعة أحرف، كلها شاف كاف»^(١).

ومن خصائص ميكائيل: قتاله ومدافعته عن الرسول ﷺ هو وجبريل ﷺ يوم أحد، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض، ما رأيتهما قبل ولا بعد. يعني: جبريل وميكائيل ﷺ» وفي رواية: «يقاتلان عنه كأشد القتال»^(٢).

ومن خصائص ميكائيل: قتاله ومدافعته عن الرسول ﷺ هو وجبريل ﷺ يوم أحد، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض، ما رأيتهما قبل ولا بعد. يعني: جبريل وميكائيل ﷺ» وفي رواية: «يقاتلان عنه كأشد القتال»^(٢).

ومن خصائص ميكائيل: قتاله ومدافعته عن الرسول ﷺ هو وجبريل ﷺ يوم أحد، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض، ما رأيتهما قبل ولا بعد. يعني: جبريل وميكائيل ﷺ» وفي رواية: «يقاتلان عنه كأشد القتال»^(٢).

ومن خصائص ميكائيل: قتاله ومدافعته عن الرسول ﷺ هو وجبريل ﷺ يوم أحد، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض، ما رأيتهما قبل ولا بعد. يعني: جبريل وميكائيل ﷺ» وفي رواية: «يقاتلان عنه كأشد القتال»^(٢).

ومن خصائص ميكائيل: قتاله ومدافعته عن الرسول ﷺ هو وجبريل ﷺ يوم أحد، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض، ما رأيتهما قبل ولا بعد. يعني: جبريل وميكائيل ﷺ» وفي رواية: «يقاتلان عنه كأشد القتال»^(٢).

ومن خصائص ميكائيل: قتاله ومدافعته عن الرسول ﷺ هو وجبريل ﷺ يوم أحد، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض، ما رأيتهما قبل ولا بعد. يعني: جبريل وميكائيل ﷺ» وفي رواية: «يقاتلان عنه كأشد القتال»^(٢).

ومن خصائص ميكائيل: قتاله ومدافعته عن الرسول ﷺ هو وجبريل ﷺ يوم أحد، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض، ما رأيتهما قبل ولا بعد. يعني: جبريل وميكائيل ﷺ» وفي رواية: «يقاتلان عنه كأشد القتال»^(٢).

المصادر والمراجع:

١ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة»، لنخبة من العلماء.



(١) أخرجه النسائي (كتاب الافتتاح، رقم ٩٤١)، وأحمد (٦٩/٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٩]، والضياء في المختارة (٣/٣٣٥) [دار خضر، ط ٣]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٨٤٣).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٠٦).

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
حرف الغين	٢١٩١	الفِرَاسَة	٢٢٧١
الغبراء	٢١٩١	الفرح	٢٢٧٧
غربة الإسلام	٢١٩١	الفردوس	٢٢٨٠
الغضب	٢١٩٥	الفرق الضالة	٢٢٨٦
الغفران	٢١٩٩	الفرقة الناجية	٢٢٨٦
الغفَّار	٢١٩٩	الفسق	٢٢٩٠
الغفور	٢٢٠٤	الفَطْر	٢٢٩٤
الغلبة	٢٢٠٤	الفطرة	٢٢٩٤
الغلو	٢٢٠٥	الفقه الأكبر	٢٢٩٨
الغنى	٢٢١١	الفناء	٢٢٩٨
الغني	٢٢١١	الفوقية	٢٣٠٠
الغوث	٢٢١٧	حرف القاف	٢٣٠١
الغول	٢٢١٧	القائم	٢٣٠١
الغياث	٢٢٢٠	القابض	٢٣٠١
الغير	٢٢٢٠	قابل التوب	٢٣٠١
الغيرة	٢٢٢٨	القادر	٢٣٠١
الغيور	٢٢٣٣	القاهر	٢٣٠١
حرف الفاء	٢٢٣٥	القبر	٢٣٠١
الفاطر	٢٢٣٥	القبض	٢٣٠٦
فاطمة بنت النبي محمد ﷺ	٢٢٤١	القبض والبسط	٢٣٠٦
الفأل	٢٢٥١	القَبُول	٢٣١٢
الفتاح	٢٢٥٥	القدر	٢٣١٨
الفتح	٢٢٥٥	القدرة	٢٣٢٩
الفتن	٢٢٦٠	قدرة الله	٢٣٣٤
فتنة القبر	٢٢٦٦	القدس	٢٣٣٥

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
القَدَم	٢٣٣٥	الكبيرة	٢٤٣٢
القَدَم	٢٣٣٨	الكتابة (صفة لله تعالى)	٢٤٣٨
القَدُوس	٢٣٤٢	الكتابة (من مراتب القدر)	٢٤٤٥
القدير	٢٣٤٧	الكتب السماوية	٢٤٥٦
القديم	٢٣٤٧	الكرام الكاتيون	٢٤٦٥
القُرآن	٢٣٤٧	كرامات الأولياء	٢٤٧٢
القرب	٢٣٦٤	الكرسي	٢٤٧٨
القريب	٢٣٧١	الكَرم	٢٤٨٢
القرين	٢٣٧١	الكره	٢٤٨٧
القصاص	٢٣٧٥	الكرويون	٢٤٩١
القضاء والقدر	٢٣٧٩	الكريم	٢٤٩١
القلم	٢٣٧٩	الكشف	٢٤٩١
القنطرة	٢٣٨٢	الكفر	٢٥٠٠
القنوت	٢٣٨٤	الكفيل	٢٥٠٧
القنوط	٢٣٨٧	كمال الإيمان	٢٥١٠
القهار	٢٣٨٧	الكَنف	٢٥١٠
القهر	٢٣٨٨	الكهانة	٢٥١٢
القوة	٢٣٩٢	الكوثر	٢٥٢٠
القوي	٢٣٩٦	الكوني والشرعي	٢٥٢٣
القياس	٢٣٩٦	الكيد	٢٥٣١
قيام الحجة	٢٤٠٧		
القيامة الصغرى	٢٤١٨	حرف اللام	٢٥٣٧
القيامة الكبرى	٢٤١٨	لا إله إلا الله	٢٥٣٧
القيّم	٢٤١٨	الله	٢٥٤٦
القيوم	٢٤١٨	اللطيف	٢٥٥٢
القيومية	٢٤٢٤	اللطيف	٢٥٥٥
		اللعن	٢٥٥٥
		اللَّفْظ بالقرآن	٢٥٦٠
الكافي	٢٤٢٥	حرف الكاف	٢٤٢٥
الكبر	٢٤٢٧	لقاء الله	٢٥٦٧
الكبير	٢٤٢٧	اللوح المحفوظ	٢٥٦٧
		لوط ﷺ	٢٥٧٢

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
المؤخر	٢٥٨١	المدح	٢٦٥٣
المؤمن	٢٥٨١	المُذَل	٢٦٥٩
الماجد	٢٥٨٤	مراتب المؤمنين	٢٦٥٩
مالك	٢٥٨٤	المراقبة	٢٦٦٩
المالك	٢٥٨٦	مرتكب الكبيرة	٢٦٧٤
مالك الملك	٢٥٨٦	المرشد	٢٦٧٤
مالك الناس	٢٥٨٦	المريد	٢٦٧٤
مالك يوم الدين	٢٥٨٧	مريم عليها السلام	٢٦٧٤
المانع	٢٥٨٧	المستعان	٢٦٧٨
مباينة الله	٢٥٨٧	مستقر الأرواح	٢٦٧٩
المُبين	٢٥٨٧	المسح	٢٦٧٩
المتانة	٢٥٨٩	المُسْعَر	٢٦٨٢
المتعال	٢٥٨٩	مسلمة الفتح	٢٦٨٤
المتكبر	٢٥٨٩	المسيح الدجال	٢٦٨٤
المتكلم	٢٥٩٣	المشيئة	٢٦٩٨
المتين	٢٥٩٣	مشيئة العبد	٢٧٠٤
المثل الأعلى	٢٥٩٦	مشيئة الله	٢٧٠٦
المجد	٢٥٩٩	مصادر التلقي عند أهل السنة	٢٧١١
المجيء والإتيان	٢٥٩٩	المُصَوِّر	٢٧١٨
المجيد	٢٦٠٥	المضاف إلى الله تعالى	٢٧٢٢
محاسبة الكفار	٢٦٠٩	مطلق الإيمان	٢٧٢٦
المحب	٢٦٠٩	معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه	٢٧٢٦
المحبة	٢٦٠٩	المعجزة	٢٧٤١
المُحَدَّث	٢٦١٤	المُعِز	٢٧٥٠
المُحْسِن	٢٦٢٢	المُعْطِي المانع	٢٧٥٠
المُحْكَم والمُتَشَابِه	٢٦٢٥	معية الله عز وجل	٢٧٥٧
محمد صلى الله عليه وسلم	٢٦٣١	المُعِين	٢٧٦٤
المحو والثبات	٢٦٥٣	المُغْنِي	٢٧٦٦
المُحْيِي	٢٦٥٣	المُغِيث	٢٧٦٦
		المغيرة بن شعبة رضي الله عنه	٢٧٦٩

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
المفاضلة بين الأنبياء	٢٧٧٣	المُمت	٢٨٣٢
المقام المحمود	٢٧٧٣	المن	٢٨٣٢
المقت	٢٧٧٦	المنان	٢٨٣٢
المقتدر	٢٧٨٠	المنعم	٢٨٣٦
المقتصد	٢٧٨٠	منكر ونكير	٢٨٣٩
المقدم المؤخر	٢٧٨٠	المهاجرون	٢٨٤٢
المُقسط	٢٧٨٥	المهدي	٢٨٤٢
مقلب القلوب	٢٧٨٧	المهيمن	٢٨٤٨
المكر	٢٧٩٠	موانع التكفير	٢٨٥١
الملائكة	٢٧٩٤	الموت	٢٨٥١
الملة	٢٨١٢	موسى عليه السلام	٢٨٦٧
الملك	٢٨١٧	أبو موسى الأشعري عليه السلام	٢٨٨٦
الملك	٢٨١٧	الموقف	٢٨٩٢
ملك الأملاك	٢٨٢٢	المولد	٢٨٩٥
ملك الجبال	٢٨٢٢	المولى	٢٩٠٥
ملك الموت	٢٨٢٤	الميثاق	٢٩٠٥
الملل	٢٨٢٨	الميزان	٢٩٠٩
المليك	٢٨٣٢	ميكائيل	٢٩١٥
المماسة	٢٨٣٢		



موسوعة العقيدة والأديان
والفرق والمذاهب المعاصرة

عَلَّمَ

العقيدة والادوية والفقه والمنهاج المعاصرة

تَصْنِيفُ وَأَعْدَادُ

مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَكَادِمِيِّينَ وَالْبَاحِثِينَ الْمُتَخَصِّصِينَ فِي جَامِعَاتِ الْعَالَمِ

مُراجعة وتقديم

عَدَدٌ مِنْ بَكَارِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُخْتَصِّينَ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ

المشرف العام

صَاحِبُ السَّمَوَاتِ الْأَعْلَى

د. شیعو دین سیدان بن محمد آل نبی عود

أستاذ العقيدة والذاهب الشارح في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض

العقيدة

الجزء السادس (ن - ي)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَوَسُوعَتَا

العَقِيَّةُ وَالْأَوْيَاةُ وَالْفَرْقُ وَالْمُزَاهِبُ وَالْمُعَاصِرَةُ

ن - ي

ح سعود بن سلمان بن محمد آل سعود، ١٤٣٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل سعود، سعود بن سلمان بن محمد

موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة . / سعود

ابن سلمان بن محمد آل سعود - الرياض، ١٤٣٩ هـ

٦ مج.

ردمك ٩-٥٨٤٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٠-٥٨٥٥-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٦)

١- العقيدة الإسلامية ٢- المذاهب - موسوعات أ- العنوان

١٤٣٩/٢٠٥٥

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٢٠٥٥

ردمك: ٩-٥٨٤٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٠-٥٨٥٥-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٦)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م



موسوعة العقيدة والأديان
والفرق والمذاهب المعاصرة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص.ب. ٧٤٨٠ الرمز البريدي ١١٤٦٢

<http://IslamicCreed.net>

info@islamiccreed.net

دار التوحيد للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب. ١٠٤٦٤ الرمز البريدي ١١٤٣٣

هاتف ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ - فاكس ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤

darattawheed@yahoo.com



موسوعة العقيدة والأديان
والفرق والمذاهب المعاصرة
Encyclopedia of the Creed, Religions,
Sects, and Contemporary Ideologies

موسوعة عقيدتنا

العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة

تصنيف وإعداد

مجموعة من الأكاديميين والباحثين المختصين في جامعات العالم

مراجعة وتقديم

عدد من كبار العلماء والمختصين في العالم الإسلامي

المشرف العام

صاحب السمو الأمير

د. شمس الدين محمد بن سلمان بن محمد آل سعود

أستاذ العقيدة والمذاهب الشاركة في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض

العقيدة

الجزء السادس (ن - ي)

دار التوجيه للنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حرف النون

المجرمين^(٥).

■ التعريف لغةً ■

■ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي خصص المعنى اللغوي، فالنار في اللغة تشمل كل نار، وفي الشرع النار التي يعذب الله تعالى بها العصاة.

■ سبب التسمية:

سميت النار بذلك؛ لأنها سريعة الحركة والاضطراب^(٦).

■ الأسماء الأخرى:

جهنم، الجحيم، الحطمة، السعير، سقر، هاوية، السموم، لظى.

■ الحكم:

ويجب الإيمان بأنها حق، والإيمان بها جزء من الإيمان بيوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان، وهي موجودة الآن، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْقُؤْا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران]، وقال النبي ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن

أصلها: النون والواو والراء، و«النار مؤنثة وقد تُدَكَّر»^(١) وهي من الواو؛ لأن تصغيرها نويرة، والجمع نور ونيران انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها»^(٢).

قال ابن فارس: «النون والواو والراء أصل صحيح يدل على الإضاءة واضطراب وقلة الثبات. منه النور والنار سُمِّيَا بذلك من طريقة الإضاءة، ولأن ذلك يكون مضطرباً سريع الحركة»^(٣)، والنار: تقال للهب، وللحرارة المجردة، ولنار جهنم، ولنار الحرب^(٤).

■ التعريف شرعاً:

هي الدار التي أعدها الله للكافرين به، المتمردين على شرعه، المكذبين لرسله، وهي عذابه الذي يعذب فيه أعداءه، وسجنه الذي يسجن فيه

(١) القاموس المحيط (٤٥٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

(٢) الصحاح (٨٣٩/٢) [دار العلم للملايين].

(٣) مقاييس اللغة (١٠٠٣) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٤) ينظر: المفردات (٨٢٨) [دار القلم، ط ٣، ١٤٢٣هـ].

(٥) الجنة والنار (١١) [دار النفائس، ط ٧، ١٤١٨هـ].

(٦) انظر: مقاييس اللغة (١٠٠٣).

محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»^(١).

❁ الحقيقة:

هي نار حقيقة، وأشد حرارة من نار الدنيا بكثير، قال النبي ﷺ: «ناركم هذه التي يُوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم» قالوا: والله؛ إن كانت لكافية يا رسول الله! قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلها مثل حرها»^(٢).

❁ الأدلة:

الأدلة على النار في نصوص الوحي كثيرة جداً، منها ما تقدم، ومنها: قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) [الليل]، وغيرها من الآيات الكثيرة.

ومن السنة: قول النبي ﷺ: «أنذرتكم النار، أنذرتكم النار»، حتى لو كان رجل كان في أقصى السوق سمعه، وسمع

(٣) أخرجه أحمد (٣٤٩/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]،

والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨٥٤)، والحاكم

(كتاب الجمعة، رقم ١٠٥٨) وصححه، وصححه

الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٦٥٩)

[مكتبة المعارف، ط ٥].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠٤).

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٨) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٦٥)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٣) واللفظ له.

الآخرون، وهذا هو الصواب؛ لعدم ورود نص صريح صحيح يحدد موقعها، ومن الذين توقفوا في تحديد موقعها: السيوطي^(٧) وولي الله الدهلوي والقنوجي^(٨) وغيرهم^(٩).

- المسألة الثانية: فناء النار أو عدم

فنائها:

هذه مسألة عظيمة، والكلام فيها قديم، وليست وليدة الزمن القريب، وقد تكلم فيها العلماء قديماً وحديثاً^(١٠)، والقول بفنائها قول باطل مردود وصاحبه على غير صواب^(١١)، والذي عليه جمهور المسلمين أن النار باقية بإبقاء الله لها أبداً سرمداً على دهر الدهور، قال القرطبي: «فمن قال: إنهم يخرجون منها، وأن النار تبقى خالية بجملتها خاوية على عروشها، وأنها تفتنى

(٧) إتمام الدراية لقراءة النقاية (١٥) [مطبعة مظهر العجايب، كلكتة، ١٨٦٤م].

(٨) يقظة أولي الأبصار (٤٦).

(٩) الجنة والنار للأشقر (٢١).

(١٠) كالغزالي في المقصد الأسنى، وابن عطية في المحرر الوجيز، والفخر الرازي في التفسير الكبير، والقرطبي في التذكرة، والذهبي في وصف النار، وابن القيم في حادي الأرواح، وابن رجب في التخويف من النار، وابن الوزير في إيثار الحق، والصنعاني في رفع الستار، والسفاريني في لوامع الأنوار، والقنوجي في يقظة أولي الاعتبار، والألوسي في جلاء العينين، والشنقيطي في دفع إيهاض الاضطراب عن آيات الكتاب، وغيرهم في مصنفاتهم.

(١١) الغاية (٤٢٦) [دار الفاسم، ط ١، ١٤٢٦هـ] ناقلاً كلام الفوزان.

للمبتدعة في قولهم: إنها لم تخلق حتى الآن^(١).

وقال ابن كثير «استدل كثير من أئمة السُّنة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن، **﴿أُعِدَّتْ﴾**؛ أي: أرصدت وهيئت، وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك»^(٢).

ونقل ابن أبي العز الحنفي على ذلك اتفاق أهل السُّنة، فقال: «اتفق أهل السُّنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن»^(٣).

وقال ابن عثيمين: «الجنة والنار موجودتان الآن ودليل ذلك من الكتاب والسُّنة»^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: مكان النار:

اختلفت أقوال أهل السُّنة في مكان النار^(٥)، بعد أن اتفقوا على وجودها وأنها مخلوقة الآن^(٦)، فقال بعضهم: هي في الأرض السفلى، وقال الآخرون: هي في السماء، وتوقف فيها

(١) تفسر القرطبي (٣٥٦/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ].

(٢) تفسير ابن كثير (٣١٨/١) [دار عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٦١٥).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٥٤/٢) [دار الثريا، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

(٥) انظر: التخويف من النار (٦٢)، ويقظة أولي الأبصار (٤٣).

(٦) شرح العقيدة الطحاوية (٦١٥).

وأئمتها وسائر أهل السُّنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم، ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك»^(٤).

وقال أيضًا: «إن نعيم الجنة، وعذاب النار دائمان مع تجدد الحوادث فيهما»^(٥).

وقال ابن القيم: «ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشوبه خبث، وخبث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفتيان، ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفتى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبث المحض»^(٦). وقال صديق حسن خان: «أجمعوا على أن عذاب الكفار لا ينقطع، كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع»^(٧).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٠٧/١٨) [مجمع الملك فهد، ١٤٢٥هـ].

(٥) منهاج السُّنة النبوية (١/١٤٦، ١٤٧) [جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ].

(٦) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب (٤٢، ٤٣) [دار عالم الفوائد]. وانظر: طريق الهجرتين (٢٩٦، ٢٩٧) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٧) يقطعة أولى الاعتبار (٣٩) [دار التراث الإسلامي].

وتهلك، فهو خارج عن مقتضى المعقول، ومخالف لما جاء به الرسول ﷺ، وما أجمع عليه أهل السُّنة والأئمة العدول: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء، ١١٥]، وإنما تخلى جهنم، وهي الطبقة العليا التي فيها العصاة من أهل التوحيد»^(١).

- المسألة الثالثة: نقل إجماع فرق الأمة على أبدية النار وعدم فنائها:

قال ابن حزم: «اتفقت فرق الأمة كلها على أن لا فناء للجنة ولا لنعيمها، ولا للنار ولا لعذابها، إلا جهنم بن صفوان، وأبا الهذيل العلاف وبعض الروافض»^(٢). وقال القرطبي: «أجمع العلماء وأهل السُّنة على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها؛ كإبليس، وفرعون، وهامان، وأجمع أهل السُّنة أيضًا على أنه لا يبقى فيها مؤمن ولا يخلد فيها إلا كافر جاحد، وبالجمله فلا مدخل للعقول فيما اقتطع أصله الإجماع والرسول، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [النور، ٢٤]»^(٣).

وقال ابن تيمية: «اتفق سلف الأمة

(١) التذكرة (٢/٩٢٠)، [در المنهاج، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/١٤٥) [دار الجليل، ط ٢، ١٤١٦هـ].

(٣) التذكرة للقرطبي (٢/٩٢٠).

- المسألة الرابعة: ما نقل عن ابن تيمية من القول بفناء النار:

هذا النقل إما أنه لم يثبت عنه وإما أنه قول رجع منه، كما دلّت عليه نصوصه الصريحة المتقدمة ونقله الإجماع على عدم فنائها^(١)، قال الصنعاني بعد أن ذكر أثرًا عن عمر رضي الله عنه: «لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالٍ لكان لهم يوم يخرجون فيه»^(٢): «يقال: كلام عمر كغيره من الأقوال الدالة على خروج الموحدين من النار، وهو قول عليه جماهير الأئمة منهم ابن تيمية»^(٣). وقال الألباني: والظن بمن هو دون ابن تيمية علمًا ودينًا أن لا يخالف سلف الأمة وأئمتها، ولم لا وهو حامل راية الدعوة إلى اتباعهم والسير على منهجهم والتحذير من مخالفتهم والخروج على سبيلهم، كما لا يخفى ذلك على كل من اطلع على شيء من كتبه، وتغذى من طرف علمه»^(٤).

الحكمة:

ليجازي الله بها العصاة والكفار - نعوذ

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٠٧/١٨)، ومنهاج السنة النبوية (١٤٦/١، ١٤٧).

(٢) قال ابن حجر: أخرجه عبد بن حميد في تفسيره من رواية الحسن عن عمر قوله، وهو منقطع. فتح الباري (٤٢٢/١١) [دار المعرفة].

(٣) رفع الستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار (٦٧) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ].

(٤) مقدمة الألباني لكتاب رفع الستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار (١٥).

بالله منها - كما يجازي المتقين بالجنة - نسأل الله الفوز بها -، وأن المتقين والفجار ليسوا سواء، قال تعالى: ﴿...قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص].

مذهب المخالفين:

زعمت المعتزلة ومن وافقهم أن النار لم تخلق بعد، قال ابن أبي العز في شرح قول الطحاوي: «والجنة والنار مخلوقتان»: «اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل على ذلك أهل السنة، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية؛ فأنكرت ذلك وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة»^(٥)، وقول المبتدعة من المعتزلة وغيرهم مخالف لأدلة كثيرة؛ منها: قول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران]، فقد أعدّها الله وعبر عنها بصيغة الماضي، وفي حديث صحيح: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة، فقال النبي ﷺ: تدرون ما هذا؟ قال: قلنا: الله

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٦١٥) [دار عالم الكتب، ط٣، ١٤١٨هـ].

تقدم من الأدلة في رد قول المعتزلة بأنها مخلوقة حقيقة وليست خيالاً ووهماً، وأن أهلها يرونها عين القين، وأن يقال لهم: ﴿أُظْلِفُوا إِلَى مَا كُتِبَ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ (٢٩) **أُظْلِفُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ** (٣٠) لَا ظِلِيلَ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) **إِنَّمَا تَرْمِي بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ** (٣٢) **كَأَنَّهُ جَمَلٌ صَفَرٌ** (٣٣) **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ** (٣٤) [المرسلات].

وزعمت الفلاسفة أن العذاب في النار للروح فقط؛ وذلك لأنهم ينكرون المعاد الجسماني. قال ابن تيمية: «أما طوائف من الكفار وغيرهم من الصابئة والفلاسفة ومن وافقهم فيقولون بحشر الأرواح فقط وأن النعيم والعذاب للأرواح فقط» (٥)، وقول منكري المعاد الجسماني، وأن العذاب يقع على الروح دون الجسد مخالف لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَائِبَتْنَا سَوْفَ نُصْلِحُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]، والجلد يكون للجسد لا للروح، وقوله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (١٥) [محمد]، والأمعاء أيضاً تكون للبدن لا للروح، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع» (٦)، وهذه كلها تدل أن

ورسوله أعلم! قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها» (١)، فسقوط الحجر قبل سبعين خريف، وسماع صوته زمن النبي ﷺ دليل صريح على أن النار مخلوقة من قبل، وهي موجودة الآن.

وزعمت الباطنية أن النار ليست حقيقية، وإنما هي مثال وخيال (٢)، فأولوها تأويلات مختلفة، والمقصود من جميعها إنكار أن تكون هناك نار حقيقة، فقال أحدهم: «أما النار فإنها مستعملة في صلاح المعيشة وطبخ الأشياء النية، غير أنها تفسد الصور الطبيعية، وتجعلها مجهولة بحيث لا توقف على صورة ذي صورة» (٣). وقال الآخر: «إن الجحيم عبارة عن الباطل والفناء والألم، وأهل الجحيم هم أهل الباطل والفناء والألم، وأن أبواب الجحيم السبعة كما ورد في القرآن، وأن هذه الأبواب السبعة هي الحواس الخمسة الطاهرة والخيال والوهم» (٤)، ويبطل مزاعم الباطنية ما

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٤).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/٢٣٦).

(٣) النبايع لأبي يعقوب السجستاني الإسماعيلي (١٣٨) [المكتب التجاري للطباعة، ١٥، ١٩٦٥م].

(٤) الإسماعيلية تاريخ وعقائد (٤٦١) [إدارة ترجمان السنة] نقلاً عن (سي وشش صحيفة) (٦٧، ٨٦٨) لسهراب ولي بدخشاني الإسماعيلي.

(٥) مجموع فتاوى (٤/٣١٤).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٥١)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٥٢).

١٠ - «الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب» (٤٢)، لابن القيم.

❖ النار التي تحشر الناس ❖

❖ التعريف لغة:

النار: تقال للهبب الذي يبدو للحاسة، وللحرارة المجردة^(٢)، قال ابن فارس: «النون والواو والراء أصل صحيح يدل على إضاءة واضطراب وقلة ثبات. منه النور والنار، سُمِّيَا بذلك من طريقة الإضاءة، ولأن ذلك يكون مضطربًا سريع الحركة»^(٣).

والحشر: هو السَّوق والبعث والانبعاث. وأهل اللغة يقولون: الحشر الجمع مع سَوْقٍ، وكلُّ جمع حَشْر. والعرب تقول: حَشَرْتُ مَالَ بَنِي فُلَانٍ السنة كأنَّها جمعت؛ أي: ذهبت به وأتت عليه. ولا يقال الحشر إلا في الجماعة، وسمي يوم القيامة يوم الحشر؛ لأن الخلائق تجمع فيه^(٤).

❖ التعريف شرعًا:

هي آخر أشراف الساعة المؤذنة بانتهاء الدنيا، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة، ويكون خروجها من اليمن، من

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٨٢٨) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ].

(٣) مقاييس اللغة (٣٦٨/٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (٦٦/٢)، ومفردات ألفاظ القرآن (٢٣٧)، والصحاح (٥٣٩) [دار الحديث، ١٤٣٠هـ].

العذاب يكون للبدن، كما أن هناك أدلة تدل أن العذاب يكون كذلك للروح، مثل قوله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وصار أهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت. فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم»^(١).

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «أصول الإسماعيلية»، لسليمان السلومي.
- ٢ - «البحور الزاهرة» (ج ٢)، للسفاريني.
- ٣ - «البدور السافرة»، للسيوطي.
- ٤ - «التخويف من النار»، لابن رجب.
- ٥ - «رفع الستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار»، للصنعاني.
- ٦ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز
- ٧ - «طريق الهجرتين»، لابن القيم.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤، ١٣، ١٨)، لابن تيمية.
- ٩ - «منهاج السنة النبوية» (ج ١٧)، لابن تيمية.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٤٨)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٥٠).

«أما أول أشرار الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»^(٣). وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ستخرج نار قبل يوم القيامة من بحر حضرموت - أو: من حضرموت - تحشر الناس. قالوا: فبما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: عليكم بالشام»^(٤).

❁ أقوال أهل العلم:

قال السفاريني: «وآخر الآيات العظام والعلامات الجسام: حشر النار للناس من المشرق إلى المغرب ومن اليمن إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام وهو أرض الشام، كما أتى ذلك مصرحاً به في محكم الأخبار، وفي صحيح الآثار»^(٥). وقال صديق حسن خان: «ويجب الإيمان بكل ما أخبر النبي ﷺ، وصح به الخبر عنه، مما شهدناه أو غاب عنا أنه صدق وحق، سواء في ذلك ما عقلناه، أو جهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه، وكان يقظة لا مناماً، ومن ذلك: أشرار الساعة وتخرج الدابة والنار»^(٦). وقال

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٢٩).
(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢٢١٧) وقال: حسن صحيح، وأحمد (١٤٥/٩) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٨هـ]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٧٦٨).

(٥) لوامع الأنوار البهية (١٤٩/٢) [المكتب الإسلامي].
(٦) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (١٢٧ - ١٢٩) [ط ١، ١٤٠٤هـ].

قعره عدن، ثم تنتشر في الأرض فتحيط بالناس تحشرهم إلى أرض المحشر. قال القاضي عياض: «هذا الحشر في الدنيا قبل قيام الساعة، وهو آخر أشراتها»^(١).

❁ الحكم:

يجب الإيمان بخروج نار في آخر الزمان تسوق الناس إلى أرض المحشر، وهي من علامات الساعة الكبرى، التي تدخل ضمن الإيمان باليوم الآخر.

❁ الأدلة:

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نذاكر، فقال: «ما تذكرون؟» قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات. فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم»، وفي رواية: «نار تخرج من قعره عدن ترحل الناس، تنزل معهم إذا نزلوا، وتقبل معهم حيث قالوا»^(٢). وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) إكمال المعلم (٣٩١/٨) [دار الوفاء، ط ١، ١٤١٩هـ].
(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشرار الساعة، رقم ٢٩٠١).

رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تُضيء لها أعناق الإبل ببصرى»^(٣). فاختلاف مكان الظهور بين بنص الأحاديث، فضلاً عن أن نار الحجاز معدودة في أشراط الساعة الصغرى، كما أن كثيراً من العلماء قد جزم بوقوعها، فقد ذكر القرطبي والنووي، وأبو شامة، وابن كثير، وابن حجر العسقلاني، والسخاوي، والبرزنجي وغيرهم أن هذه النار ظهرت في عام (٦٥٤هـ)^(٤).

- المسألة الثالثة: وقت خروج النار:

ورد في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه؛ أن خروج النار هو آخر الآيات، في حين جاء في حديث أنس رضي الله عنه؛ أن خروج النار أول الآيات، والجمع بينهما أن يقال: إن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات الواردة معها في حديث حذيفة رضي الله عنه، وأوليتها المذكورة في حديث أنس رضي الله عنه، باعتبار أنها أول

التوجيهي: «والحق أن النار التي أخبر النبي ﷺ بخروجها في آخر الزمان في عدة أحاديث صحيحة؛ أنها نار على الحقيقة، وهي من أشراط الساعة، ومن أنكر خروجها أو شك في ذلك؛ فهو ممن لم يحقق الشهادة بأن محمداً رسول الله»^(١).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: النار التي خرجت من عدن سنة ٦٥٢هـ:

ذهب السيوطي والبرزنجي إلى أن النار التي تحشر الناس هي التي خرجت من عدن سنة ٦٥٢هـ في خلافة المستعصم، وكان يظهر شررها في الليل إلى البحر، ويصعد منها دخان عظيم في النهار^(٢). وفيما ذهب إليه نظر؛ وذلك أن هذه النار هي التي تقوم بعدها القيامة بنص الحديث.

- المسألة الثانية: النار التي خرجت في الحجاز سنة ٦٥٤هـ:

هذه النار هي غير التي تقود الناس إلى محشرهم، وقد ورد ذكر هذه النار في حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن

(١) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (١٤٠/٣) [دار الصميعي، ط٢، ١٤١٤هـ].

(٢) ينظر: تاريخ الخلفاء (٤٠١) [مطبعة السعادة، ط١، ١٣٧١هـ]، والإشاعة لأشراط الساعة (١٢٠) [دار المنهاج، ط١، ١٤١٧هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧١١٨)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٠٢).

(٤) ينظر: التذكرة للقرطبي (٣/١٢٣٦) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ]، وشرح صحيح مسلم (٣٨/١٨) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٢هـ]، وذيل الروضتين (١٩٠) [دار الجيل، ط٢، ١٩٧٤هـ]، والنهاية أو الفتن والملاحم (١٤/١) [دار الكتب الحديثة، ط١]، وفتح الباري (٨٥/١٣) [المطبعة السلفية، ط٢، ١٤٠٠هـ]، والقناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٦٦) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ]، والإشاعة لأشراط الساعة (٩٠) [دار المنهاج، ط١، ١٤١٧هـ].

تخلف أكلته النار. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: رسول الله ﷺ: «يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير. ويحشر بقيتهم النار: تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا»^(٣). قال الحافظ ابن حجر: «فإن الذي في الحديث ورد على القصد من الخلاص من الفتنة، فمن اغتنم الفرصة؛ سار على فسحة من الظهر، ويسر في الزاد، راغبًا فيما يستقبله راهبًا فيما يستدبره وهؤلاء هم الصنف الأول في الحديث. ومن توانى حتى قلَّ الظهر وضاق عن أن يسعهم لركوبهم، اشتركوا وركبوا عقبة فيحصل اشتراك الاثنين في البعير الواحد، وكذا الثلاثة، ويمكنهم كل من الأمرين، وأما الأربعة في الواحد فالظاهر من حالهم التعاقب؛ وقد يمكنهم إذا كانوا خفافًا أو أطفالًا، وأما العشرة فبالتعاقب وسكت عمًا فوقها إشارة إلى أنها المنتهى في ذلك، وعمًا بينها وبين الأربعة إيجازًا واختصارًا، وهؤلاء هم الصنف الثاني في الحديث. وأما الصنف الثالث فعبر عنه بقوله:

الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلًا، بل يقع بانتهائها النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة رضي الله عنه، فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا^(١).

- المسألة الرابعة: مكان خروجها:

جاء في بعض الروايات بأن خروجها يكون من عدن، وفي بعضها الآخر أنها تحشر الناس من المشرق إلى المغرب؛ فيجاب عن ذلك: بأن كون النار تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، والمراد بقوله ﷺ: «تحشر الناس من المشرق إلى المغرب» إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب^(٢).

- المسألة الخامسة: هيئة الناس حينما

تحشرهم النار: الناس عندما تحشرهم هذه النار على ثلاثة أقسام: القسم الأول: راغبون طاعمون كاسون راكبون. والقسم الثاني: يمشون تارة ويركبون تارة، يعتقبون على البعير الواحد. والقسم الثالث: تحشرهم النار وتحيط بهم وتسوقهم لأرض المحشر ومن

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٢٢)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦١).

(١) ينظر: القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراف الساعة (٦٤).

(٢) ينظر: فتح الباري (١١/٣٨٦).

- المسألة السابعة: حشر النار للناس

في الدنيا:

أن حشر النار للناس إنما يقع في الدنيا، ويشمل من كان حيًا وقت خروجها، وليس المراد به الحشر بعد القيام من القبور الذي يعم الخلق كلهم الأحياء منهم والأموات، بدليل سؤال الصحابة للنبي في الحديث: «فيم تأمرنا يا رسول الله؟ قال: عليكم بالشام»^(٥). قال الخطابي: «هذا الحشر يكون قبل قيام الساعة، تحشر [النار] الناس أحياء إلى الشام، وأما الحشر من القبور إلى الموقف فهو على خلاف هذه الصورة: من الركوب على الإبل والتعاقب عليها. وإنما هو على ما ورد في حديث ابن عباس في الباب: حفاة عراة مشاة»^(٦)»^(٧).

✽ مذهب المخالفين:

ذهب بعض المعاصرين إلى أن هذه النار يمكن حملها على نار الفتنة التي يمتحن بها الدين، وتعرض لها العقيدة^(٨)، وهذا تأويل فاسد مردود على

«تحشر بقيتهم النار» إشارة إلى أنهم عجزوا عن تحصيل ما يركبونه، ولم يقع في الحديث بيان حالهم بل يحتمل أنهم يمشون أو يسحبون فرارًا من النار التي تحشرهم»^(١).

- المسألة السادسة: النار تحشر

الناس إلى الشام:

هذه النار تقود الناس إلى الشام التي هي أرض المحشر، كما دلّ عليه حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «ها هنا تحشرون، ها هنا تحشرون (ثلاثًا) ركبًا ومشاة وعلى وجوهكم» فأشار بيده إلى الشام، فقال: «إلى ها هنا تحشرون»^(٢). وحديث ابن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ستخرج نار قبل يوم القيامة من بحر حضرموت - أو من حضرموت - تحشر الناس. قالوا: فيم تأمرنا يا رسول الله؟ قال: عليكم بالشام»^(٣). وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الشام أرض المحشر والمنشر»^(٤).

(١) فتح الباري (١١/٣٨٨).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٢٤) وحسنه، وأحمد (٢١٣/٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٦٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٣٠٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه الربيعي في فضائل الشام (٨) [المجمع العلمي العربي بدمشق، ط ١]، وسنده ضعيف جدًا، كما ذكر الألباني في تخريجه (١٤) [مكتبة المعارف،

ط ١]. وله طريق آخر عند ابن عساكر (١٧٤/١)، صححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام (الموضع السابق)، وذكر له شاهدًا آخر أيضًا.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٢٤)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٠).

(٧) فتح الباري (١١/٣٨٧).

(٨) ينظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشرط الساعة (٣/١٤٢).

- قائله، وهو من تحريف الكلم عن مواضعه، «والحق أن النار التي أخبر النبي ﷺ بخروجها في آخر الزمان في عدة أحاديث صحيحة؛ أنها نار على الحقيقة، وهي من أشراط الساعة، ومن أنكر خروجها أو شك في ذلك؛ فهو ممن لم يحقق الشهادة بأن محمداً رسول الله»^(١).
- ٩ - «فتح الباري» (ج ١١)، لابن حجر العسقلاني.
- ١٠ - «القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة»، للسخاوي.
- ١١ - «الفتن والملاحم» (ج ١)، لابن كثير

الناصر

يراجع مصطلح (النصير).

النافع

يراجع مصطلح (النافع الضار).

النبوة

التعريف لغة:

النبوة: للنبوة في اللغة معان ثلاثة؛ **الأول**: الإتيان بالخبر، من النبأ وهو الخبر. **الثاني**: الارتفاع، من النبوة وهي الارتفاع. **الثالث**: الطريق، فمن النبي كغني بمعنى الطريق، والأنبياء طُرُق الهدى^(٢). ومن «النبأ: الخبر؛ لأنه يأتي من مكان إلى مكان، ومن همز النبي؛ فلأنه أنبأ عن الله تعالى»^(٣).

(٢) انظر المعاني الثلاثة في: تهذيب اللغة (٤٨٦/١٥) [دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م]، والقاموس المحيط (١٢٢٧) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

(٣) مقاييس اللغة (١٠١٠).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» (ج ٣)، لحمود التويجري.
- ٢ - «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»، لصديق خان.
- ٣ - «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.
- ٤ - «أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار»، لعبد الملك بن حبيب الأندلسي.
- ٥ - «أشراط الساعة»، ليوسف الوابل.
- ٦ - «البحر الزاخرة» (ج ١)، للسفاريني.
- ٧ - «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج ٣)، للقرطبي.
- ٨ - «شرح صحيح مسلم» (ج ١٨)، للنووي.
- (١) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (١٤٠/٣).

التعريف شرعاً:

النبوة: خبر خاص يكرم الله ﷺ به أحداً من عباده؛ فيميزه عن غيره بإلقائه إليه، ويوقفه به على شريعته^(١).

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنى اللغوي عام، فخصّه الشارع بالإخبار عن الله.

سبب التسمية:

لأنها إخبار عن الله تعالى، وهي رفعة لصاحبها؛ لما فيها من التشريف والتكريم، وهي الطريق الموصلة إلى الله سبحانه^(٢).

الحكم:

الإيمان بنبوة الأنبياء واجب بل ركن من أركان الإيمان، وأنها مئة، ورحمة، وفضل من الله تفضل بها على عباده لشدة حاجتهم إليها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء]، وقال النبي ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة»^(٣).

الحقيقة:

حقيقة النبوة: أنها «واسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه، وسفارة بين الملك وعبيده، ودعوة من الرحمن الرحيم تبارك وتعالى لخلقهم ليُخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فهي نعمة مهداة من الله تبارك وتعالى إلى عبيده، وفضل إلهي يتفضل بها عليهم. هذا في حق المرسل إليهم، أما في حق المرسل نفسه، فهي امتنان من الله يمن بها عليه، واصطفاء من الرب له من بين سائر الناس، وهبة ربانية يختصّه الله بها من بين الخلق كلّهم. والنبوة لا تنال بعلم ولا رياضة، ولا تدرك بكثرة طاعة أو عبادة، ولا تأتي بتجويع النفس أو إظمائها كما يظنّ من في عقله بلادة، وإنما هي محض فضل إلهي، ومجرد اصطفاء رباني، وأمر اختياري؛ فهو ﷺ كما أخبر عن نفسه: ﴿يَخْنُقُ رَحْمَتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران]، فالنبوة إذاً لا تأتي باختيار النبي، ولا تنال بطلبه»^(٤).

المنزلة:

النبوة: منزلة شريفة فاضلة؛ بل هي أفضل منازل البشر بعد الرسالة،

مرسلاً، وصوّب الإرسال: البزار، والدارقطني في اللعل (١٠٥/١٠) [دار طيبة، ط١].

(٤) مقدمة محقق كتاب النبوات (١٩) [الجامعة الإسلامية، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ].

(١) انظر: شعب الإيمان للبيهقي (٢٨٠/١) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ]، وحقوق النبي ﷺ على أمته (٦٢/١) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: حقوق النبي ﷺ على أمته (٦٣/١).

(٣) أخرجه البزار (١٢٢/١٦) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ١٠٠)، من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

لكن أخرجه الدارمي (كتاب دلائل النبوة، رقم ١٥)

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صفات الأنبياء:

إن الأنبياء ﷺ وإن كانوا من البشر يأكلون ويشربون ويصحبون ويمرضون، وتعريضهم العوارض التي تمر على البشر إلا أنهم يتصفون بأوصاف جليلة هي بالنسبة لهم من أزم اللوازم؛ كالصدق، والأمانة، والفتانة، والعفة، والشجاعة، والسلامة من العيوب المنفرة، والعصمة عن الكبائر وفي التبليغ، قال الله تعالى عن الأنبياء: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام، ٨٦]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

- المسألة الثانية: دلائل النبوة:

دلائل النبوة لكل نبي تختلف عن نبي آخر وهي تدل على صدق ذلك النبي، ومن أبرز تلك الدلائل الآيات التي يجريها الله على يديه ويعجز عن الإتيان بها غير نبي، ومن الدلائل كذلك إخبار النبي بأمور مستقبلية تحققت في حياة نبي أو بعد وفاته، أو أمور حسية تتحقق في الحال من استجابة الدعاء ونحوها، ودلائل نبوة الأنبياء كثيرة، وقد خص بعض العلماء لذكر بعض دلائل نبوة محمد ﷺ مؤلفات ذوات أجزاء عديدة؛ كأبي نعيم الأصفهاني، وأبي بكر البيهقي، وأبي بكر الفريابي وغيرهم.

اصطفى الله الأنبياء واختارهم على الناس؛ فالنبوة لا تنال بالجهد والرياضة؛ بل يهبها الله لمن يشاء من عباده.

✽ الأهمية:

تظهر أهمية النبوة في أمور؛ منها:

١ - العباد لا يدركون بعقولهم الأمور الغيبية التي هي من أصول إيمانهم، وفي النبوة إخبار بها.

٢ - الخلق بحاجة إلى القدوة حسنة في معاشهم، وحاملو النبوات قدوة حسنة للخلق.

٣ - في النبوة تبصير الناس بما خلقوا له من عبادة الله وحده، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات، ٥٦].

✽ الأدلة:

دلّت أدلة كثيرة على إرسال الله الأنبياء والرسول؛ منها: قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

وقول النبي ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وُبعثت إلى الناس كافة، وأُعطيت الشفاعة»^(١).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٨)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١).

- أن أموالهم لا تورث بل هي صدقة:
لحديث: «لا نورث ما تركناه صدقة»^(٤).

- أنهم يقبرون حيث يموتون:
لحديث: «ما قبض الله نبياً إلا في
الموضع الذي يحب أن يدفن فيه»^(٥).

- المسألة الرابعة: عددهم:

ورد حديث في عدد الرسل: أنهم
ثلاثمائة وخمسة عشر، وأن عدد الأنبياء
مائة ألف وعشرون ألفاً^(٦). وضعفه بعض

- المسألة الثالثة: خصائص الأنبياء
كثيرة؛ منها:

- الوحي: قال الله تعالى: ﴿وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾
[النحل: ٤٣].

- العصمة في التبليغ: ولذا ألزم
الأمم بطاعتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ
الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾
[الحشر: ٧].

- التخيير عند الموت: لحديث: «ما
من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا
والآخرة»^(١). ومنها: أن الأرض لا تأكل
أجسادهم، قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ
قَدْحَ حَرَمٍ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ
الْأَنْبِيَاءِ»^(٢).

- أنهم أحياء في قبورهم يصلون:
لحديث: «الأنبياء أحياء في قبورهم
يصلون»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٥٨٦) واللفظ
له، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٤).
(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٠٤٧)،
والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٣٧٤)، وابن ماجه
(كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، رقم ١٠٨٥)،
وأحمد (٨٤/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والدارمي
(كتاب الصلاة، رقم ١٦١٣)، وصححه النووي في
الأذكار (١١٥) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، والألباني في
السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٢٧).

(٣) أخرجه البزار (٢٩٩/١٣) [مكتبة العلوم والحكم،
ط ١]، وأبو يعلى (١٤٧/٦) [دار المأمون، ط ١]،
وصححه المناوي في فيض القدير (١٨٤/٣) [المكتبة
التجارية الكبرى، ط ١]، وجوّد الألباني إسناده في
السلسلة الصحيحة (١٨٩/٢).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣٠٩٢٣)،
ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٧).

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠١٨)،
وقال: (هذا حديث غريب، وعبد الرحمن بن أبي
بكر المليكي يضعف من قبل حفظه)، لكن ذكر له
الألباني شواهد، وقواه بها. انظر: أحكام الجنائز
(١٣٧) [المكتب الإسلامي، ط ٤].

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٤٣٢/٣٥) [مؤسسة
الرسالة، ط ١]، وابن حبان في صحيحه (كتاب البر
والإحسان، رقم ٣٦١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢]،
١٤١٤هـ [واللفظ له، والطبراني في المعجم الكبير
(٢١٧/٨) [مكتبة العلوم والحكم بالموصل، ط ٢]،
١٤٠٤هـ]، من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه، وفيه: قال:
قلت: يا رسول الله؟ كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف
وعشرون ألفاً»، قلت: يا رسول الله؟ كم الرسل من
ذلك؟ قال: «ثلاث مائة وثلاثة عشر جمًّا غفيرًا»...
الحديث.

قال الهيثمي في موارد الظمان (٥٤/١) [دار الكتب
العلمية]: «فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني،
قال أبو حاتم وغيره: كذاب».
وأما إسناد أحمد والطبراني ففيه المسعودي، وقد
اختلف، كما ذكر الهيثمي في المجمع (١٦٠/١)
[مكتبة القدسي].

لكن صحّحه الألباني بمجموع طرقه وشواهد؛ كما
في السلسلة الصحيحة (٦/ القسم الأول/ ٣٦٣/
رقم ٢٦٦٨) [مكتبة المعارف بالرياض، ط ١]،
١٤١٦هـ.

تفاضل، وإنما تتفاضل بأمور آخر زائدة عليها، ولذلك منهم رسل، وأولو عزم، ومنهم من اتُخذ خليلاً، ومنهم من كَلَّمَ الله، ورفع بعضهم درجات... وهذا قول حسن؛ فإنه جمع بين الآي والأحاديث من غير نسخ^(٢).

- المسألة السادسة: سبُّ الأنبياء كفر

بالإجماع:

قال القاضي عياض في من استخف بمحمد ﷺ، أو بأحد من الأنبياء، أو أزرى عليهم، أو آذاهم، أو قتل نبياً أو حاربه، فهو كافر بإجماع^(٣)، وقال ابن تيمية في الأنبياء: «المسلمون آمنوا بهم كلهم ولم يفرقوا بين أحد منهم، فإن الإيمان بجميع النبيين فرض واجب، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلهم، ومن سب نبياً من الأنبياء فهو كافر يجب قتله باتفاق العلماء، وفي استنابته نزاع»^(٤).

- المسألة السابعة: ختم النبوة:

سلسلة الأنبياء قد ختمت بالنبي محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فمن ادعى النبوة فهو من أظلم الظالمين وأكفر الكفار، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن

العلماء، منهم الشيخ ابن باز، حيث قال: وجميع الأحاديث في هذا الباب ضعيفة، بل عدَّ ابن الجوزي حديث أبي ذر من الموضوعات، والمقصود أنه ليس في عدد الأنبياء والرسول خبر يعتمد عليه، فلا يعلم عددهم إلا الله ﷻ، لكنهم جمٌّ غير^(١).

- المسألة الخامسة: التفضيل بين

الأنبياء:

التفضيل بين الأنبياء ثابت، قال الله ﷻ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، وأما ما ورد في بعض الأحاديث الصحيحة من النهي عن تفضيل بعض الأنبياء على بعض، فقد جمع العلماء بين تلك الأحاديث والنصوص القرآنية بأوجه متعددة، منها ما نقله القرطبي فقال: «إن المنع من التفضيل إنما هو من جهة النبوة التي هي خصلة واحدة لا تتفاضل فيها، وإنما التفضيل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطف والمعجزات المتباينات، وأما النبوة في نفسها فلا

= وقد ورد في تعدادهم أحاديث أخرى؛ من رواية: أبي أمامة وأنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وجابر ﷺ وغيرهم. وقد ضَعُفَ الأحاديث الواردة في عددهم: الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نصر المروزي وغيرهما.

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢/٦٦، ٦٧).

(٢) تفسير القرطبي (٤/٢٥٥) [البقرة: ٢٥٣].

(٣) الشفاء (٢/٢٨٣) [دار الكتب العلمية].

(٤) الصفدية (٥٥٥) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٣هـ].

أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿٧﴾ [الأنعام: ٩٣]. قال القاضي عياض: «وكذلك [أي: نكفر] من ادعى نبوة أحد

مع نبينا ﷺ أو بعده، أو من ادعى النبوة لنفسه، أو جَوَزَ اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها، وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة، أو أنه يصعد إلى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين؛ فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي ﷺ؛ لأنه أخبر ﷺ أنه خاتم النبيين لا نبي بعده، فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعاً إجماعاً وسمعاً»^(١).

- المسألة الثامنة: نبوة النساء:

ذهب جمهور العلماء من أئمة أهل السنة والجماعة - وحكاه غير واحد إجماعاً^(٢) - أن الله لم يبعث نبياً إلا من الرجال الذكور، وأنه ﷺ لم يوح إلى امرأة من بنات بني آدم ﷺ وحي تشريع؛ فليس في النساء نبوة؛ وإنما فيهن صديقات.

واحتجوا لذلك بقول الله تعالى في غير موضع من القرآن: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا

(١) الشفاء (٢/ ٢٨٥، ٢٨٦).

(٢) انظر: الأذكار للنووي (١٠٠) [دار الملاح، ١٣٩١هـ]، ومجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٦، ١١/ ٣٦٤، ١٨/ ٢٦٦)، والصّنفديّة لابن تيمية (١/ ١٩٨) [ط٢، ١٤٠٦هـ]، وتفسير ابن كثير (٣/ ١٥٩، ٤/ ٤٢٣) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

هذا فضلاً عن علو مرتبة الذكورة على الأنوثة، وأن النبوة والرسالة تقتضي

(٣) لوامع الأنوار البهية للسفاري (٢/ ٢٦٥) [المكتب الإسلامي، بيروت].

برسول^(٢)، وعلى هذا كل رسول نبي وليس كل نبي رسول^(٣).

❁ الآثار:

من الآثار: العلم بسعة رحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الأنبياء ليهدوهم إلى صراط الله العزيز الحميد، ويبينوا لهم كيفية عبادة الله تعالى.

ومنها: شكر الله تعالى على هذه النعمة الكبرى. **ومنها:** محبة الأنبياء ﷺ وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده^(٤).

❁ الحكمة:

الحكمة من النبوة: إقامة الحجة على الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾

(٢) النبوات (١/٧١٤).

(٣) انظر: الشفاء للقاضي عياض (١/٢٥٠) [دار الكتب العلمية]، وتفسير القرطبي (١٤/٤٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ]، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/٢٩٠، ٧/١٨)، وشرح العقيدة الطحاوية (١٥٥)، [دار عالم الكتب، ط٣، ١٤١٨هـ]، وروح المعاني (١٠/٢٥٦) [دار الفكر]، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/٣٦٤) رقم (٢٦٦٨)، وكتاب التعريفات الاعتقادية (١٨٠، ٣١٤) [دار الوطن، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر: شرح أصول الإيمان (١٤٦) [ط١ مجمع الملك فهد].

الإبلاغ والظهور للناس والاشتهار بالدعوة، والأنوثة تقتضي التستر وتنافي الاشتهار لما بينهما من التمانع! ثم إن نفوس الرجال - بحسب الطبع - تميل في ذواتهن؛ فيغفلون عن مقالهن^(١).

❁ الفرق:

الفرق بين النبوة والرسالة:

قيل: يوجد فرق بين النبوة والرسالة، وقيل: هما شيء واحد. والذين قالوا هما مختلفان اختلفوا في الفرق بين الرسول والنبي على أقوال، وأضبطها - والله أعلم - قول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، إذ يقول: «النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبي بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليلبغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان يعمل بالشرعية قبله ولم يرسل هو إلى أحد يلبغه عن الله رسالة فهو نبي وليس

(١) انظر: المُفْهِم للقرطبي (٦/٣١٤، ٣٣٢) [دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/٨٣، ١٣/٢٥٠) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، والجواب الصحيح لَمَنْ بَدَّلَ دِينَ الْمَسِيحِ (٢/٣٤٩) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٣٩٦، ١١/٣٦٤، ١٨/٢٦٦)، والصَّفْدِيَّةُ لَهُ (١/١٩٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢/٧٠) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٦/٤٤٧، ٤٧٠، ٤٧٣) [دار المعرفة ببيروت، ١٣٧٩هـ]، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/٢٦٥)، والرُّسُل والرِّسَالَاتُ للأشقر (٨٦) [دار النفائس بالأردن، ط١٢، ١٤٢٣هـ].

وأعلى درجة من النبوة^(٥)، ولهذا يقول الخميني: «إن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل»^(٦)، وزعمهم هذا باطل بإجماع المسلمين.

وزعم ملاحدة الصوفية أن النبوة تنال بالجهد والرياضة، وأن الولاية أفضل من النبوة^(٧)، حيث ينشد بعضهم: مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي^(٨)، و«هذا قلب للحقيقة التي اتفق عليها المسلمون، وهو أن الرسول أفضل من النبي الذي ليس برسول، والنبي أفضل من الولي الذي ليس بنبي، والرسالة تنتظم النبوة والولاية، كما أن النبوة تنتظم الولاية»^(٩)، كما أجمعوا

(٥) أصول الكافي (١/ ١٧٥) [دار الكتب الإسلامية طهران، ط ٣، ١٣٨٨هـ]، وأصول مذهب الشيعة (٢/ ٧٩٤ - ٧٩٥) [دار الرضا، ط ٣، ١٤١٨هـ] نقلًا عن ودائع النبوة في الولاية والمقتل (١١٤)، [دار العلم ١٣٩١هـ]

(٦) الحكومة الإسلامية (٥٢) [منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى].

(٧) انظر: الفتوحات المكية (٢/ ٩٠) [دار الكتب العربية الكبرى]، وفصوص الحكم (٦٢ - ٦٤) [دار الكتاب العربي]، وانظر: إبطال القول بوحدة الوجود (٨٩) [دار ابن عباس، ط ١، ٢٠٠٦م] وبمثل قولهم قالت الباطنية. انظر: الإسماعيلية تاريخ عقائد (٣٢٢)، أصول الإسماعيلية (٥٨٧).

(٨) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (١٩٦)، [دار الفضيلة]، ومجموع الفتاوى (٢/ ٢٢١)، وشرح العقيدة الطحاوية (٧٤٣). وانظر: درء التعارض (٥/ ٣٥٥).

(٩) الصفدية (٢٥٤) [أضواء السلف، ط ١، ١٢٢٤هـ].

[إبراهيم]. ويبيّن النبي ﷺ هذه الحكمة لأهل نجران بقوله: «أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد»^(١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «هذا من جملة إحسانه إلى الخلق بالتعليم والهداية وبيان ما ينفعهم وما يضرهم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فبيّن تعالى أن هذا من مَنِّه على عباده المؤمنين»^(٢).

✽ مذهب المخالفين:

ضلّت الفلاسفة ولم يعرفوا النبوة على حقيقتها^(٣)، وجعلوها مكتسبة بعد توفر الشروط التي وضعوها^(٤)، لكن إنكار النبوات مخالفة لإجماع الأمم. وجعلها مكتسبة تناقض منهم في القول، إذ لم نر منهم - حتى الآن - نبياً اكتسب النبوة.

وزعم غلاة الرافضة أن الإمامة أجل

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٨٥) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ١٣١).

(٣) النبوات (١/ ١٩٥، ١٩٧)، ومنهاج السنّة (٢/ ٤١٥، ٤٣٥)، [جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ]، ودرء التعارض (٥/ ٣٥٣)، [جامعة الإمام، ط ٢، ١٤١١هـ].

(٤) انظر: الإسماعيلية تاريخ وعقائد (٣٢٢) [إدارة ترجمان السنّة]، وأصول الإسماعيلية (٥٨٦) [دار الفضيلة، ط ١، ١٤٢٢هـ].

- ٤ - «درء تعارض العقل والنقل»
أبو بكر الصديق، ولم يحصل له ذلك
الفضل إلا بشدة اتباعه للنبي محمد ﷺ.
- ٥ - «دلائل النبوة» (ج ٥)، للبيهقي.
- ٦ - «زاد المعاد» (ج ٣)، لابن القيم.
- ٧ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٨ - «الصفدية»، لابن تيمية.
- ٩ - «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، لابن تيمية.
- ١٠ - «منهاج السنّة» (ج ١)، لابن تيمية.
- ١١ - «النبوات»، لابن تيمية.

❏ نبوة النساء ❏

يراجع مصطلح (النبوة).

❏ النذر ❏

❁ التعريف لغة:

يطلق النذر في اللغة على الإلزام والإيجاب، يقال: نذر؛ إذا أُلزم وأوجب، وجمعه نذور، وأصل كلمة النذر تدل على تخويف أو خوف، قال ابن فارس - بعد كلامه على أصل الكلمة -: «ومنه النذر، وهو أنه يخاف إذا أخلف»^(٢).

ويطلق على النذر في اللغة: النَّحْب،

على أن أفضل الأولياء بعد الأنبياء هو أبو بكر الصديق، ولم يحصل له ذلك الفضل إلا بشدة اتباعه للنبي محمد ﷺ.

قال ابن تيمية فيمن فضّل غير النبي عليه أو جعل النبوة مكتسبة: «وهؤلاء من جنس القرامطة الباطنية الملاحدة، لكن هؤلاء ظهوروا في قالب التصوف والتنسك ودعوى التحقيق والتأله، وأولئك ظهوروا في قالب التشيع والموالاة، فأولئك يعظمون شيوخهم حتى يجعلوهم أفضل من الأنبياء، وقد يعظمون الولاية حتى يجعلوها أفضل من النبوة، وهؤلاء يعظمون أمر الإمامة حتى قد يجعلون الأئمة أعظم من الأنبياء والإمام أعظم من النبي كما يقوله الإسماعيلية، وكلاهما أساطين الفلاسفة الذين يجعلون النبي فيلسوفًا، ويقولون: إنه يختص بقوة قدسية، ثم منهم من يفضل النبي على الفيلسوف، ومنهم من يفضل الفيلسوف على النبي، ويزعمون أن النبوة مكتسبة»^(١).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «أصول مذهب الشيعة» (ج ٢)، للقفاري.
- ٢ - «إبطال القول بوحدة الوجود»، لعلي القاري.
- ٣ - «حقوق النبي ﷺ على أمته» (ج ١)، للتميمي.

المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه»^(٦).

٣ - وقال البهوتي: «هو: إلزام مكلف مختار نفسه لله تعالى شيئاً غير محال بكل قول يدل عليه»^(٧).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان النذر في اللغة يطلق على الإلزام والإيجاب، جاء المعنى الشرعي موافقاً للمعنى اللغوي، إلا أنه خصص ذلك بإيجابه على نفسه ما لم يوجبه الشرع عليه.

الأسماء الأخرى: النَّحْبُ^(٨).

الحكم:

أثنى الله تعالى على الذين يوفون بنذرهم ومدحهم على ذلك، وهذا يدل على أنه محبوب لله تعالى، وكل محبوب له تعالى فهو عبادة، وقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]، هذا أمر منه سبحانه بالوفاء بالنذور، والأمر يدل على أنه عبادة؛ لأن العبادة ما أمر به شرعاً.

وقد اختلف العلماء في حكم ابتداء النذر على ثلاثة أقوال:

(٦) الجامع لأحكام القرآن الكريم (٤٥٧/٢١).

(٧) الروض المربع شرح زاد المستقنع (٣٧٥/١).

(٨) انظر: فتح الباري لابن حجر (٥١٨/٨).

ومنه قوله ﷺ: «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ» [الأحزاب: ٢٣]، قال الطبري: «والنحب: النذر في كلام العرب»^(١)، وهو أيضاً يدل على الإلزام والإيجاب.

وفي لغة أهل الحجاز إطلاق لفظ النذر على الأرش في الجراحات، قال ابن الأثير: «وأهل الحجاز يُسْمُون الأرش نَذْرًا، وأهل العراق يُسْمُونه أَرْشًا»^(٢)، وقد سار بعض الفقهاء كالشافعي وغيره على لغة أهل الحجاز، فسموا ما يجب في الجراحات من الديات نذرًا^(٣).

التعريف شرعاً:

قال ابن عثيمين: «هو إلزام المكلف نفسه شيئاً غير واجب»^(٤).

ومن أقوال العلماء المقاربة لهذا التعريف، ما يلي:

١ - قال الراغب الأصفهاني: «النذر: أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر»^(٥).

٢ - وقال القرطبي: «هو إيجاب

(١) تفسير الطبري (١٤٥/١١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٩/٥).

(٣) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (١٤/١٩٧).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢٣٦/١) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (٧٩٧).

بقية القربات، وقد رجح ذلك الصنعاني^(٥).

ب - التفريق بين النذر المعلق والنذر المطلق، فقالوا: إن المكروه في الابتداء هو النذر المعلق بشرط؛ بدليل قول النبي ﷺ: «لا تنذروا فإن النذر لا يغني من القدر بشيء»^(٦)، وفي رواية: «إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئاً لم يكن الله قدره له، ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج»^(٧)، فهذه الرواية ظاهرة في أن المراد بالنذر المنهي عنه هو النذر الذي يريد العبد به أن ينفع نفسه بجلب نفع أو دفع ضرر، أما النذر الذي لا مشاركة فيه بل هو على وجه التقرب الخالص المحض فهذا مستحب ابتداءً، لورود المدح على الوفاء به في النصوص - كما تقدم -، وهذا القول هو اختيار الشنقيطي رحمه الله^(٨).

والقول الأول هو الراجح في هذه المسألة، وهو قول جمهور العلماء - كما تقدم -، ورجحه كثير من المحققين من العلماء؛ كابن قدامة، والنووي، وابن حجر، وغيرهم^(٩).

(٥) انظر: سبل السلام شرح بلوغ المرام (٢١٢/٤).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب النذر، رقم ١٦٤٠).

(٧) أخرجه مسلم في الموضع السابق.

(٨) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٦٧٧/٥).

(٩) انظر: المغني لابن قدامة (٢٢١/١٣)، المجموع شرح المذهب (٤٥١/٨)، وفتح الباري (٥٧٨/١١).

القول الأول: أن ابتداء النذر بنوعيه المطلق والمعلق مكروه، وهذا قول جمهور العلماء، واستدلوا بنهي النبي ﷺ عن النذر، وقوله: «إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل»^(١)، قالوا: فنهى النبي ﷺ دليل على كراهيته له^(٢).

القول الثاني: أن ابتداء النذر بنوعيه حرام يأثم بفعله، واستدلوا بالحديث السابق على التحريم، وقالوا: إنه يشعر بعدم الثقة بالله تعالى، لا سيما النذر المعلق، وهذا رواية عند الحنابلة، مال إليها شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣)، وتبعه على ذلك ابن عثيمين^(٤).

والقول الثالث: التفصيل في حكم النذر:

وهؤلاء اختلفوا في التفصيل على قولين:

أ - «القول بالتفريق بين النذر في التقرب بالأموال وبين غيرها من العبادات؛ كالصلاة والصيام ونحوهما، فقالوا بتحريم النذر في الأموال دون

(١) أخرجه البخاري (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٦٦٩٣)، ومسلم (كتاب النذر، رقم ١٦٣٩) واللفظ له.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة (٢٢١/١٣) [دار هجر، ط ١، ١٤٠٨هـ]، والمجموع شرح المذهب (٨/٤٥١) [مكتبة الآثار، جدة]، وشرح مسلم للنووي (٨٨/١٦)، وفتح الباري لابن حجر (٥٧٨/١١)، وسبل السلام للصنعاني (٢١٢/٤)، وأضواء البيان (٦٧٧/٥).

(٣) جامع المسائل لابن تيمية (١٢٨/٣).

(٤) انظر: القول المفيد (٢٤٩/١).

❁ الحقيقة:

«إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئاً لم يكن الله قدره له، ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج»^(٤).

النذر هو إلزام المكلف نفسه شيئاً لم يكن لازماً عليه شرعاً؛ تعظيماً للمندور له.

❁ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والنذر ما يقصد به التقرب إلى الله، ولهذا أوجب سبحانه الوفاء بالنذر؛ لأن صاحبه التزم طاعة الله، فأوجب على نفسه ما يحبه الله ويرضاه؛ قصداً للتقرب بذلك الفعل إلى الله»^(٥).

وقال أيضاً: «وأما النذر للموتى من الأنبياء والمشايخ وغيرهم، أو لقبورهم، أو المقيمين عند قبورهم، فهو نذر شرك ومعصية لله تعالى، سواء كان النذر نفقة، أو ذهباً، أو غير ذلك، وهو شبيه بمن ينذر للكنائس، والرهبان، وبيوت الأصنام، وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»، وقد اتفق العلماء على أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به؛ بل عليه كفارة يمين في أحد قولي العلماء، وهذا إذا كان النذر لله، وأما إذا كان النذر لغير الله فهو كمن يحلف بغير الله، وهذا شرك فيستغفر الله

ولا شك أن النذر عبادة عظيمة من أجل العبادات التي أمر الله تعالى بها، والدليل على ذلك، قوله تعالى: ﴿يُؤْتُونَ بِالْذِّكْرِ وَبِحَافُونَ يَوْمًا كَانَ سُوءٌ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان]، فقد أثنى الله عليهم ومدحهم لوفائهم بالنذر، وهذا يدل على أن ذلك محبوب لله تعالى، وكل محبوب له تعالى فهو عبادة، وقوله تعالى: ﴿وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]، وهذا أمر منه سبحانه بالوفاء بالنذور.

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿يُؤْتُونَ بِالْذِّكْرِ وَبِحَافُونَ يَوْمًا كَانَ سُوءٌ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان]، وقال تعالى: ﴿وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩].

ومن السنة: قوله ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه»^(١).

وقوله ﷺ: «إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل»^(٢).

وقوله ﷺ: «لا تنذروا فإن النذر لا يغني من القدر بشيء»^(٣)، وفي رواية:

(١) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان والنذور، رقم ٦٧٠٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) مجموع الفتاوى (٣٥/٣٣٤) [مجمع الملك لطباعة المصحف].

أحدهما: معلق على حصول نفع؛ كقوله: إن شفى الله مريضى، فعلىَّ الله نذر كذا، أو: إن نجاني الله من الأمر الفلاني المخوف، فعلىَّ الله نذر كذا، ونحو ذلك.

والثاني: ليس معلقاً على نفع للناذر؛ كأن يتقرب إلى الله تقرباً خالصاً بنذر كذا، من أنواع الطاعة، وأن النهي إنما هو في القسم الأول؛ لأن النذر فيه لم يقع خالصاً للتقرب إلى الله، بل بشرط حصول نفع للناذر^(٤).

المسائل المتعلقة:

- النذر لغير الله ﷻ:

وهذا القسم داخل في الشرك الأكبر، وذلك أن النذر لله تعالى عبادة يثاب المسلم على الوفاء بها، فكان صرفه لغير الله داخلًا في الشرك الأكبر^(٥).

وقد نبّه كثير من العلماء على خطورة النذر لغير الله، ودخول صاحبه في الشرك الأكبر، كغيره من العبادات التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى، وذلك لما شاهدوا ظهور تلك البدعة الشركية وانتشارها في أزمانهم^(٦).

منه، وليس في هذا وفاء ولا كفارة، ومن تصدق بالنقود على أهل الفقر والدين فأجره على رب العالمين^(١).

وقال الصنعاني رحمه الله - في شرحه لحديث النهي عن النذر -: «قلت: القول بتحريم النذر هو الذي دلّ عليه الحديث، ويزيد تأكيداً تعليله بأنه لا يأتي بخير؛ فإنه يصير إخراج المال فيه من باب إضاعة المال، وإضاعة المال محرمة، فيحرم النذر بالمال كما هو ظاهر قوله: «وإنما يستخرج به من البخيل»، وأما النذر بالصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة ونحوها من الطاعات فلا تدخل في النهي^(٢).

- وقال عبد الرحمن بن حسن: «إن الناذر لله تعالى وحده قد علّق رغبته به وحده؛ لعلمه بأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، والنذر عبادة، فإذا صرف لغير الله صار ذلك شركاً بالله؛ لالتفاتة إلى غيره فيما يرغب فيه أو يرهّب، فجعله شريكاً لله في العبادة^(٣).

وقال الشنقيطي رحمه الله: «نذر القربة على نوعين:

(١) مجموع الفتاوى (١١/٥٠٤).

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام، للصنعاني (٤/٢١٢).

(٣) قرة عيون الموحدين لعبد الرحمن بن حسن (٨٥) بتصرف [الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٣، ١٤٠٤هـ]. وانظر: نواقض الإيمان القولية والعملية (٢٩٣).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٥/٦٧٧).

(٥) انظر: قرة عيون الموحدين لعبد الرحمن بن حسن (٨٥)، ونواقض الإيمان القولية والعملية (٢٩٣).

(٦) انظر: كلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١١/٥٠٤)، وصاحب تيسير العزيز الحميد (٢٠٣ - ٢٠٧) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ]، وكلام الشوكاني في الدر النضيد - ضمن الرسائل السلفية =

صيغة اليمين؛ إذ يصح بلفظ: الله علي نذر، أو: إن شفى الله مريضى لأتصدقن بكذا، ونحو ذلك، ولا يلزم في تأكيده ذكر معظم على وجه مخصوص، بخلاف اليمين.

٤ - اليمين المنعقدة تجب فيها الكفارة، ولو كان الحلف على طاعة، بخلاف النذر فإن نذر الطاعة يجب الوفاء به ولا تصح فيه الكفارة إلا مع العجز عنه.

- الفرق بين نذر المعصية والنذر لغير الله:

١ - نذر المعصية قصد به الله تعالى، وإن كان المنذور معصية، بخلاف النذر لغير الله فإنما قصد به غير الله من الجن والقبور ونحوها.

٢ - نذر المعصية ينعقد، لكن لا يجوز الوفاء به، وعليه كفارة يمين، بخلاف النذر لغير الله فإنه لا ينعقد أصلاً، ولا تجب فيه كفارة.

٣ - أن حكم نذر المعصية محرم يأثم عليه فاعله، وأما النذر لغير الله فهو داخل في الشرك الأكبر.

الآثار:

أ - آثار النذر لله تعالى:

١ - أن النذر لا يأتي بخير كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

٢ - أن فيه إلزاماً للنفس مما هو في

والمقصود: أن العلماء رحمهم الله قد حذروا من النذر لغير الله تعالى، وجعلوه داخلاً في الشرك كغيره من العبادات، من صلاة وصيام وذبح ونحو ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها.

وهذا النذر لغير الله لا ينعقد على الإطلاق، ولا تجب فيه كفارة كنذر المعصية، وإنما تجب فيه التوبة والاستغفار مما بدر منه من الشرك بالله تعالى.

الفروق:

الفرق بين النذر واليمين:

١ - النذر في أصله مكروه، بخلاف اليمين فلا تكره في أصلها، وإنما تكره أو تحرم بعض صورها.

٢ - النذر واليمين متقاربان، كلاهما فيه التزام فعل أو ترك، ولذا يذكران في باب واحد في كتب الفقه، بل ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن النذر نوع من اليمين، فقال: «والنذر نوع من اليمين، وكل نذر فهو يمين، فقول الناذر: لله علي أن أفعل، بمنزلة قوله: أحلف بالله لأفعلن، موجب هذين القولين التزام الفعل معلقاً بالله»^(١).

٣ - النذر يختلف في صيغته عن

= (٢٠)، وكلام الشيخ المبارك الميلي في رسالة الشرك ومظاهره (٢٣٣).

(١) مجموع الفتاوى (٢٥٨/٣٥).

- حلّ منه، وفي ذلك زيادة تكليف عليه. ٩ - «الموسوعة الفقهية الكويتية» (مادة ٣ - أن الغالب على من نذر أنه يندم نذر).
على ذلك، ويشق ذلك عليه. ١٠ - «النذر: أنواعه - أحكامه - بدعه»، لإبراهيم بن محمد الحمد.
٤ - أن صاحبه قد يعرض نفسه للإثم إذا قصّر فيما أوجب على نفسه.

النزول

ب - آثار النذر لغير الله:

- ١ - أنه يوقع في الشرك الأكبر، المخرج عن ملة الإسلام.
٢ - أن فيه ترويجاً للخرافة والدجل، بفعل مثل ذلك عند القبور.
٣ - أن فيه إفساداً للأموال وتضييعاً للأوقات من دون فائدة أو منفعة.
٤ - أن في ذلك تشجيعاً لسدنة القبور بصرف تلك النذور لهم.

المصادر والمراجع:

- ١ - «المغني»، لابن قدامة.
٢ - «مجموع الفتاوى» (ج ١، ١١)، لابن تيمية.
٣ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.
٤ - «تيسير العزيز الحميد»، سليمان بن عبد الله.

التعريف شرعاً:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى على ما تقضيه النصوص الشرعية، نزولاً يليق بجلاله وعظمته سلطانه.

الحكم:

الإيمان بنزول الله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته واجب؛ لثبوت النص

- ٥ - «الدين الخالص»، لصديق حسن.
٦ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
٧ - «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي.
٨ - «المجموع شرح المهذب»، للنووي.

(١) مقاييس اللغة (٤١٧/٥) [دار الجبل، ط ١٤٢٠هـ].
(٢) انظر: مقاييس اللغة (٤١٧/٥)، والمحيط في اللغة لابن عباد (٥٤/٩) [عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ]، والصحاح (١٨٢٩/٥) [دار العلم للملايين، ط ٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان ثلث الليل الباقي يهبط الله ﻋﻠﻰ إلى السماء الدنيا ثم تفتح أبواب السماء ثم يبسط يده فيقول: هل من سائل يعطى سؤله؟ فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر»^(٥).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن خزيمة رحمته الله: «باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي في نزول الرب ﷻ إلى السماء الدنيا كل ليلة، تشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب، من غير أن نصف الكيفية؛ لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله ﷻ لم يترك ولا نبيه ﷺ بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين

المتواتر بهذا عن رسول الله ﷺ، مع عدم معرفة كيفية نزوله ﷻ»^(١).

✽ الحقيقة:

حقيقة النزول هو مجيء الشيء من الأعلى إلى الأسفل، هذا هو الثابت في لغة العرب، وهو ما جاء به الشرع، والنزول المضاف إلى الله هو نزوله سبحانه بنفسه حقيقة، على ما يدل عليه النص، لا نزول ملائكته، أو أمره، أو نحو ذلك^(٢).

✽ الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»^(٣).

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟»^(٤).

خزيمة في التوحيد (٣١٥/١) [مكتبة الرشد، ط ٥، ١٤١٤هـ]، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٤٢٣/٧) [دار الوطن، ط ١]: [رجاله ثقات]، وقال الألباني في ظلال الجنة (٢٢٢): «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٥) أخرجه أحمد (١٩١/٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وأبو يعلى (٢١٩/٩) [دار المأمون، ط ١]، وابن خزيمة في التوحيد (٣١٩/١)، وقال الهيثمي في المجمع (١٥٣/١٠) [مكتبة القدسي]: [رواه أحمد وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح]، وصححه الألباني في الإرواء (١٩٩/٢).

(١) انظر: التوحيد (٢٨٩/١) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٠٨هـ]، والشريعة للأجري (١١٤٥/٣) [دار الوطن، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: التوحيد لابن خزيمة (٢٩٠/١)، ومختصر الصواعق المرسل (١١٠٠/٣) [أضواء السلف، ط ١]. (٣) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٤٥)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٥٨).

(٤) أخرجه أحمد (٣١٠/٢٧) رقم (٣٦٧٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٦هـ]، والدارمي (كتاب الصلاة، رقم ٧٥٨)، وابن أبي عاصم في السنن (٢٢١)، [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٠هـ]، وابن

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: خصائص الرب ﷻ

ليست كخصائص المخلوقين:

نزول الرب ﷻ لا يقاس على نزول المخلوقين، ولا يتوهم فيه ما يتوهم في المخلوقين؛ إذ لا يلزم من الاتفاق في الاسم الاتفاق في الخصائص، ولهذا يشترك الإنسان والحيوان والنبات في اسم الحياة، ويفترقون في الخصائص، فالإنسان له حياة تخصه، والحيوان له حياة تخصه، والنبات له حياة تخصه، بل الإنسان وهو حي حياته تتفاوت؛ ففي اليقظة له خصائص، وفي النوم له خصائص، وفي القبر له خصائص، وكونه جنيناً في بطن أمه له خصائص، فإذا تبينت المفارقة وعدمت المماثلة في المخلوق، فانتفأها بين الخالق والمخلوق من باب أولى وأعظم.

- المسألة الثانية: ما نقل عن بعض

الأئمة من تأويل نزول الله ﷻ^(٤).

نقل عن الإمام مالك والإمام أحمد في تأويل نزول الله ﷻ، وهذا لا يصح عنهما، وهو مخالف لما ثبت عنهما، وعن أئمة السلف من القول بإمرار نصوص الصفات، على ما جاءت، وإجرائها على ظاهرها، والألفاظ الصريحة عنهم في عدم تأويل شيء من

القول بصفته، أو بصفة الكيفية؛ إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول^(١).

وقال الآجري رحمه الله: «باب الإيمان والتصديق بأن الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، الإيمان بهذا واجب، لا يسع المسلم العاقل أن يقول كيف ينزل، ولا يرد هذا إلا المعتزلة، وأما أهل الحق، فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف؛ لأن الأخبار قد صحّت عن رسول الله ﷺ أن الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام، وعلم الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، فكما قبل العلماء منهم ذلك، كذلك قبلوا هذه السنن، وقالوا: من ردها فهو ضال خبيث يحذرون منه»^(٢).

وقال أبو عثمان الصابوني رحمه الله: «ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب ﷻ كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل، ولا تكيف، بل يثبتون ما أثبتته رسول الله ﷺ وينتهون فيه إليه، ويوردون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله تعالى»^(٣).

(١) التوحيد (٢٨٩/١) [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٢) الشريعة (١١٤٥/٣) [دار الوطن، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٤٦) [مكتبة الغرباء

الأثرية، ط ٢، ١٤١٥هـ].

(٤) انظر: صفة النزول الإلهي (٥٥٧).

وإستوائه على العرش، وهذا مذهب أئمة السلف، وأئمة الإسلام المشهورين، وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر^(٤).

وقال أيضاً: «ودنوه يوم عرفة هو لما يفعله الحاج ليلتذ من الدعاء، والذكر، والتوبة، وإلا فلو قدر أن أحداً لم يقف بعرفة لم يحصل منه سبحانه ذلك الدنو إليهم؛ فإنه يباهي الملائكة بأهل عرفة، فإذا قدر أنه ليس هناك أحد لم يحصل^(٥)».

- المسألة الرابعة: هل يقال: ينزل بذاته؟
أهل السنّة والجماعة في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

١ - القول الأول: قول من قال: ينزل بذاته، وأطلق هذه اللفظة، قال ابن عثيمين «نزل: يعني إلى السماء الدنيا؛ وذلك لأنه تواتر عن النبي ﷺ، أو اشتهر اشتهاراً قريباً من التواتر أن الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، ينزل نزولاً حقيقياً بذاته إلى السماء الدنيا؛ لأن النبي ﷺ قال: «ينزل ربنا ﷻ كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟

نصوص الصفات كثيرة، ومتواترة. قال ابن القيم: «إن المشهور عنه [أي: مالك] وعن أئمة السلف: إقرار نصوص الصفات، والمنع من تأويلها^(١)».

وقال المقرئ: «لم يتأول السلف شيئاً من أحاديث الصفات^(٢)».

- المسألة الثالثة: دنو الله ﷻ:

ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ؛ أن الله ﷻ يدنو عشية عرفة؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟^(٣)».

دنو الله تعالى من عباده المؤمنين، هو من جنس الصفات الاختيارية الفعلية الثابتة له على ما يليق بجلاله وعظمته سلطانه، ودنوه يوم عرفة هو معلق بأفعال العباد؛ إذ لو لم يقف أحد بعرفة، لم يحصل هذا الدنو.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما دنوه نفسه، وتقربه من بعض عباده، فهذا يشبه من يشب قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله،

(١) مختصر الصواعق (٣/١٢٣٧).

(٢) المواعظ والاعتبار (٢/٣٦٢) [دار صادر].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٤٨).

(٤) مجموع الفتاوى (٥/٤٦٦).

(٥) مجموع الفتاوى (٥/٢٤١).

من يستغفرني فأغفر له؟^(١)، وقائل ذلك هو النبي ﷺ، ونحن يجب علينا أن نؤمن بأنه أعلم الناس بالله ﷻ، وأنه أصدق الخلق مقالاً، وأنصحهم مقصداً، وأفصحهم نطقاً، فلا أحد أنصح من رسول الله ﷺ للخلق، ولا أحد من الخلق أفصح منه ولا أبلغ، ولا أحد من الخلق أصدق منه، ولا أحد من الخلق أعلم منه بالله. وهذه صفات أربع يتصف بها كلام الرسول ﷺ، وبها يتم الكلام، وهي: العلم والصدق والنصح والفصاحة. فإذا قال: ينزل ربنا إلى السماء الدنيا، فإن مراده يكون نزوله تعالى بذاته، وقد صرح أهل السنة بأن المراد نزوله بذاته، وصرحوا بكلمة بذاته مع أننا لا نحتاج إليها؛ لأن الأصل أن كل فعل أو اسم أضافه الله ﷻ إليه فهو إلى ذاته، فهذا هو الأصل في الكلام^(٢).

٢ - القول الثاني: قول من قال: لا ينزل بذاته، وهو قول أهل التأويل.

قال ابن رجب رحمه الله: «ومنهم من مال في حديث النزول خاصة إلى التأويل؛ كابن قتيبة، وابن عبد البر، والخطابي، وهذا نوع من تأويل أخبار الصفات»^(٣).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (٢٧٢ - ٢٧٤) [مدار الوطن، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٣) فتح الباري (٢٨٧/٩) [مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١].

٣ - القول الثالث: قول من يقول: نقول ينزل، ولا نقول بذاته، ولا بغير ذاته.

ومن هؤلاء أبو القاسم التيمي، والذهبي، قال الذهبي رحمه الله: «ومسألة النزول فالإيمان به واجب وترك الخوض في لوازمه أولى، وهو سبيل السلف، فما قال: هذا نزوله بذاته إلا إرغاماً لمن تأوله، وقال: نزوله إلى السماء بالعلم فقط، نعوذ بالله من المراء في الدين، وكذا قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر] ونحوه، فنقول: جاء، وينزل، وننهي عن القول: ينزل بذاته، كما لا نقول: ينزل بعلمه، بل نسكت ولا نتفصح على الرسول ﷺ بعبارات مبتدعة، والله أعلم»^(٤).

وتحقيق المسألة: أنه إذا كان الأمر يتعلق بباب الرد على الجهمية المعطلة ومن وافقهم، فلا بأس بذكرها؛ لأن معناها صحيح، وإن كان الأمر يتعلق بباب الإخبار بنزول الله تعالى، فلا تذكر.

قال الألباني رحمه الله: «وهذه اللفظة: بذاته، وإن كانت عندي معقولة المعنى، وأنه لا بأس من ذكرها، فهي كاللفظة الأخرى التي كثر ورودها في عقيدة

(٤) سير أعلام النبلاء (٣٣١/٢٠) [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته أن توقف أصحاب القول الثاني: إما لشكهم في ذلك وأنهم لم يتبين لهم جواز أحد الأمرين، وإما مع كون الواحد منهم قد ترجح عنده أحد الأمرين لكن يشك في ذلك لكونه ليس في الحديث، ولما يخاف من الإنكار عليه.

وقد رجح القول الثالث، حيث قال: «والقول الثالث: وهو الصواب، وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها أنه لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه، مع دنوه، ونزوله إلى سماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه، وكذلك يوم القيامة كما جاء به الكتاب والسنة، وليس نزوله كنزول أجسام بني آدم من السطح إلى الأرض بحيث يبقى السقف فوقهم؛ بل الله عز وجل منزّه عن ذلك» ^(٣).

الثمرات:

نزول الرب عز وجل يدل على أن الليل أخص بالنفحات الإلهية وتجليات الرب سبحانه لعباده، وذلك لخلو القلب، وانقطاع الشواغل، وسكون الليل ورهيبته أقوى على استحضر القلب وصفائه ^(٤).

مذهب المخالفين:

ذهب الجهمية والمعتزلة، وكثير من الأشعرية إلى تأويل نزول الله عز وجل بنزول

السلف، وهي لفظة: بائن من خلقه، وهاتان اللفظتان لم تكونا معروفتين في عهد الصحابة، ولكن لما ابتدع جهم القول بأن الله في كل مكان، اقتضى ضرورة البيان أن يتلفظ هؤلاء بلفظ بائن دون أن ينكره أحد منهم، ومثل هذا تمامًا قولهم في القرآن: إنه غير مخلوق ^(١).

- المسألة الخامسة: مسألة خلو العرش:

اختلف أهل السنة في ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: قول من قال: إن العرش يخلو منه. وإلى هذا ذهب عبد الرحمن بن محمد بن منده، الإمام المحدث المشهور، وألف مصنفًا في الرد على من قال بعدم خلو العرش منه.

القول الثاني: التوقف، فلا يقال يخلو، ولا لا يخلو. وإلى هذا ذهب الحافظ عبد الغني المقدسي، وبعض أهل الحديث.

القول الثالث: قول من قال: إن العرش لا يخلو منه. وهذا مذهب جمهور أهل السنة ونقل ذلك عن الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، وحمام بن زيد وعبيد الله بن بطة وغيرهم ^(٢).

(١) انظر: مختصر العلو (١٧، ١٨).

(٢) انظر: صفة النزول الإلهي لعبد القادر الجعفيدي

(٢٨٩، ٢٩٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/٤١٥).

(٤) انظر: أضواء البيان (٩/٣٨) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

أمره، أو رحمته، أو ملك من ملائكته^(١).

ليس له دليل من كتاب الله، ولا من سنة رسول الله، وليس له شاهد من سياق النص.

✽ الرد عليهم:

الأول: أن النزول أضيف إلى الله ﷻ بألفاظ صريحة، لا تحتل إلا أن يفسر النزول بنزول الله ﷻ، وعلى هذا مذهب أهل السنة، أعلم الناس بمراد الله، ومراد رسوله، وألفاظهم صريحة في هذا المعنى.

الثاني: أنه جاء في الحديث ما يمنع حمله على الملائكة، أو أمر الله، أو رحمته؛ وهو قوله: «من يسألني فأعطيه؟ ومن يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟»، وهذا القول لا يجوز أن يقوله ملك عن الله تعالى بالاتفاق؛ بل لا يقوله إلا ملك الملوك.

الثالث: نزول أمر الله ورحمته وملائكته ليس له حد زمني ولا مكاني، فهم ينزلون في كل وقت وساعة، وليس نزوله مقيداً بالسماء الدنيا؛ إذ لا منفعة تحصل للعباد من ذلك، وهذا بخلاف نزوله ﷻ، فقد ورد أنه ينزل إلى السماء الدنيا، وفي الشطر الثاني من الليل أو في الأسفار.

الرابع: أن من يتأول نزول الله ﷻ بنزول أمره، أو رحمته، أو ملائكته،

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «الأربعين في صفات رب العالمين»، للذهبي.
- ٢ - «التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ»، لابن خزيمة.
- ٣ - «شرح العقيدة السفارينية»، لابن عثيمين.
- ٤ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة»، لمحمد أمان جامي.
- ٥ - «صفة النزول الإلهي»، لعبد القادر الجعدي.
- ٦ - «الصفات الإلهية»، لمحمد خليفة التميمي.
- ٧ - «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، لأبي عثمان الصابوني.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٥)، لابن تيمية.
- ٩ - «مختصر الصواعق المرسلة»، لابن القيم.
- ١٠ - «النزول» لأبي الحسن، الدارقطني.

✽ نزول القرآن ✽

يراجع مصطلح (القرآن).

(١) انظر: الانتصار للباقلاني (٢/٧٣٧)، والإرشاد للجويني (١٦١، ١٦٢) [مكتبة الخانجي، ط ١٣٦٧هـ].

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم، حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»، ثم يقول أبو هريرة: «واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَوَعْدَ الْقَيِّمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (١٥٩) [النساء]» (٣). وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة» الحديث، وفيه قصة نزول عيسى عليه السلام وقتله للدجال: «فبينما هو كذلك؛ إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجرد ربح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله» (٤). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» (٥).

نزل عيسى عليه السلام

التعريف لغة:

النزل: الهبوط من علو إلى سفلى (١).

التعريف اصطلاحاً:

ينزل نبي الله عيسى عليه السلام في آخر الزمان من السماء إلى الأرض حكماً عدلاً، لا رسولاً، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، ويصلي وراء الإمام منّا؛ تكرمة من الله تعالى لهذه الأمة، ثم يتوجه لبית المقدس، ويقتل الدجال عند باب لد، ويحكم بشريعة الإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، ثم يموت، ويصلي عليه المسلمون، ويدفنونه (٢).

الحكم:

يجب الإيمان بنزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وقتله للدجال. وظهوره من العلامات الكبرى للساعة، والإيمان بها يدخل ضمن الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان.

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٧٩٩) [دار القلم، ط١]، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٤/ ١٨٨) [عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ].

(٢) ينظر: تهذيب الأسماء واللغات (٤٤/٢ - ٤٧) [دار الكتب العلمية].

وسياً في ذكر الأحاديث ضمن الأدلة.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٢٢٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٥).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراف الساعة، رقم ٢٩٣٧).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم =

وقال ابن كثير: «قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى ابن مريم ﷺ قبل يوم القيامة إماماً عادلاً، وحكماً مقسطاً»^(٤)، وقال السفاريني: «أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت النبوة قائمة به، وهو متصف بها»^(٥).

وقال الغماري: «اعلم أنه تواتر عن النبي ﷺ تواتراً لا خلاف فيه ولا نزاع، بنزول عيسى ﷺ في آخر الزمان»^(٦).

وقال محمد شفيع: «إن مسألة نزول المسيح ﷺ، وكونه هو عيسى ابن مريم النبي الإسرائيلي بعينه: مما صدعت به النصوص القرآنية، وتواترت فيه الأحاديث النبوية، وأجمعت عليه الأمة، من لدن عهد النبي الكريم ﷺ إلى يومنا هذا بحيث لا يسع فيه التأويل، ولا يسع فيه القال والقليل»^(٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «ليس بيني وبينه نبي - يعنى: عيسى - وإنه نازل؛ فإذا رأيتموه فاعرفوه؛ رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون»^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن بطة: «ثم الإيمان بأن عيسى ابن مريم ﷺ ينزل من السماء إلى الأرض، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويكون الدعوة واحدة»^(٢).

وقال القاضي عياض: «نزول عيسى ﷺ وقتله الدجال: حق وصحيح عند أهل السنة؛ للأحاديث الصحيحة في ذلك. وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته»^(٣).

= ٣٤٤٩، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٥).

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الملاحم، رقم ٤٣٢٤)، وأحمد (٣٩٨/١٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٨١٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢١٨٢).

(٢) الشرح والإبانة (١٤٧) [دار الأمر الأول، ط ١، ١٤٣٢هـ].

(٣) شرح صحيح مسلم (١٨/١٠٠) [مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٤) تفسير ابن كثير (٧/٢٣٦) [دار طيبة، ط ٤].

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢/٩٤، ٩٥) [المكتب الإسلامي]، ونحوه: البحور الزاخرة في علوم الآخرة (٢/٥١٢) [دار غراس، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٦) إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان (٢٥) [عالم الكتب، ط ٣، ١٤١٠هـ].

(٧) في تقديمه لكتاب: التصريح بما تواتر في نزول =

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: نزول عيسى عليه السلام

من أشرط الساعة، ودلالة على قربها:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمَازُتُ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١]، قال ابن كثير: «أي: أمانة ودليل على وقوع الساعة، قال مجاهد؛ أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة. وهكذا روي عن أبي هريرة، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمة، والحسن وقتادة، والضحاك، وغيرهم»^(١). وأنه عليه السلام إذا نزل يقضي على الدجال، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية فلا يقبل من أحد إلا الإسلام، ويؤمن به أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء]، ويبقى ما شاء الله له أن يعيش، ثم يتوفاه الله الوفاة الكبرى، وهذا يدل على أنه لا يزال حيًّا عليه السلام حين رفعه الله تعالى، وأن وفاته وفاة منامية.

- المسألة الثانية: المنارة التي ينزل

عليها عيسى عليه السلام:

لم يثبت حديث صحيح في تحديد المنارة التي ينزل فيها عيسى عليه السلام، وإن

رجح بعضهم أن المقصود بها منارة الجامع الأموي، قال ابن كثير: «هذا هو الأشهر في موضع نزوله: أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد رأيت في بعض الكتب: أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق فلعل هذا هو المحفوظ، وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى شرق الجامع الأموي بدمشق من شرقيته، وهذا هو الأنسب والأليق؛ لأنه ينزل وقد أقيمت الصلاة»^(٢).

- المسألة الثالثة: مدة مكثه:

يمكث في الأرض أربعين سنة، كما دلَّ عليه حديث أبي هريرة عليه السلام؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «في مكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون»^(٣). وجاء في حديث عند مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام؛ فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحداكم دخل في كب د جبل؛ لدخلته عليه

(٢) النهاية أو الفتن والملاحم (١/١٤٤، ١٤٥).

(٣) تقدم تخريجه.

= المسيح (٤٨) [دار السلام، ط ٤، ١٤٠٢هـ].

(١) تفسير ابن كثير، دار طيبة (٧/٢٣٦).

رسول الله ﷺ قال: «ينزل عيسى ابن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة»^(٥)، وهذان الحديثان يدلان دلالة ظاهرة أن الأربعين سنة تكون بعد قتله للدجال^(٦). وقيل للتوفيق بين الروایتين: إن السنين السبع هي مدة مكثه مع الإمام المهدي، وبعد تمام سبع سنين يتوفى الإمام، ويبقى عيسى ﷺ بعد ذلك ثلاثاً وثلاثين سنة^(٧)، ويشهد لهذا القول حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي مني أجلى الجبهة، أفنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين»^(٨). وقيل: إن المقصود بقوله ﷺ: «ثم يمكث الناس سبع سنين» هو الكثرة لا الحصر^(٩)، والله أعلم.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٣١/٥) [دار الحرمين]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٠٥) [دار الكتاب العربي، ط ١٤٠٢هـ]: «رجاله ثقات»، وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الضعيفة (٨٧١/١٢).

(٦) ينظر: البحور الزاهرة في علوم الآخرة (٥١٧/٢).
(٧) ينظر: فيض الباري على صحيح البخاري (٣/٢٦٢، ٢٦٣) [دار المعرفة].

(٨) أخرجه أبو داود (كتاب المهدي، رقم ٤٢٨٥) واللفظ له، وأحمد (٢٠٩/١٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٨هـ]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٨٢٦)، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٦٧٠)، وجوّد إسناده ابن القيم في المنار المنيف (١٤٤) [مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ١]، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٧٣٦).

(٩) ينظر: التصريح بما تواتر في نزول المسيح (١٢٧ - ١٢٩) الحاشية.

حتى تقبضه»^(١١). وقد وُفق بعض العلماء بين الروایتين بأن حملوا رواية السبع سنين على مدة إقامته بعد نزوله، ويكون ذلك مضافاً إلى مكثه في الأرض قبل رفعه إلى السماء وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة^(١٢). وهذا القول متوجه إذا صح أن عيسى ﷺ رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، إلا أن ابن القيم رحمه الله، قال: «وأما ما يذكر عن المسيح أنه رُفِعَ إلى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة، فهذا لا يعرف له أثر متصل يجب المصير إليه»^(١٣). كما أنه جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «حتى يأتي فلسطين باب لُدّ، فينزل عيسى ﷺ فيقتله، ثم يمكث عيسى ﷺ في الأرض أربعين سنة إماماً عادلاً، وحكماً مقسطاً»^(١٤)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

(١١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٠).

(١٢) ينظر: النهاية أو الفتن والملاحم (١٤٦/١) [دار الكتب الحديثة، ط ١]، والإشاعة لأشراط الساعة (٣٠٤) [دار المنهاج، ط ١، ١٤١٧هـ]. وفتاوى وأحكام في نبي الله عيسى (٧٣) [نشر علي العمري، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(١٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٨٤/١) [دار المؤيد، مؤسسة الرسالة، ط ٢٨، ١٤١٥هـ].

(١٤) أخرجه أحمد (١٥/٤١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٨هـ]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٨٢٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٣٣٨/٧) [مكتبة القدسي]: (رجاله رجال الصحيح، غير الحضرمي بن لاحق، وهو ثقة)، وصححه الألباني في قصة المسيح الدجال (٦٠) [المكتبة الإسلامية].

- المسألة الرابعة: زمن عيسى ابن مريم بعد نزوله زمن رغد ورخاء، وأمن وسلام:

دلّ على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص؛ فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد»^(١). قال النووي: «وإنما ذكرت القلاص؛ لكونها أشرف الإبل، التي هي أنفس الأموال عند العرب»^(٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «ثم تقع الأمانة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات، لا تضرهم»^(٣). وجاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ أنه قال في زمن عيسى ﷺ: «ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنُّ منه بيت مدر ولا وبر؛ فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفة»^(٤)، ثم يقال

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٥).

(٢) شرح صحيح مسلم (٢/٢٥٣) والقلاص: «جمع قُلوص، وهي من الإبل كالفتاة من النساء». ينظر: الموضوع نفسه.

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الملاحم، رقم ٤٣٢٤)، وأحمد (١٥٣/١٥) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٨١٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢١٨٢).

(٤) الزلفة: المرأة، شبه الأرض بها لاستوائها ونظافتها.

للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك. فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل^(٥)؛ حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس»^(٦).

- المسألة الخامسة: أن الوحي ينزل على عيسى ﷺ في ذلك الزمن^(٧):

دلّ على ذلك حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة» الحديث، وفيه قصة نزول عيسى ﷺ وقتله للدجال: «فبينما هو كذلك؛ إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرّز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج»^(٨).

- المسألة السادسة: هل يرتفع التكليف بنزل عيسى ﷺ؟

قال القرطبي: «ذهب قوم إلى أن

والمراد أن الماء يعم جميع الأرض فينظفها. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٠١) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢١هـ]، وفتح الباري (١١٧/١٣) [المطبعة السلفية، ط٢، ١٤٠٠هـ].

(٥) الرسل: اللين. وذكر في الحديث؛ لأنه يكثر في حال الرخاء والخصب. ينظر: النهاية في الغريب (٤٠١).

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) ينظر: الإعلام بحكم عيسى - ضمن الحاوي للفتاوى (٢٩٤/٢ - ٢٩٦) [المكتبة العصرية، ١٤١١هـ]، والإشاعة لأشراط الساعة (٣١٠).

(٨) تقدم تخريجه.

تعالى له في السماء قبل أن ينزل ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة؛ للحكم بحكمه بين الناس، والعمل به في نفسه، فيجتمع المؤمنون عند ذلك إليه، ويحكمونه على أنفسهم، إذ لا أحد يصلح لذلك غيره؛ ولأن تعطيل الحكم غير جائز. وأيضاً فإن بقاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف إلى أن لا يقال في الأرض: الله الله^(٤).

- المسألة السابعة: أن عيسى ﷺ عندما ينزل سيحج ويعتمر:

كما دلّ عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ليشينهما»^(٥)، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: «ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الخنزير، ويمحو الصليب، وتجمع له الصلاة، ويعطى المال حتى لا يقبل، ويضع الخراج، وينزل الروحاء، فيحج منها أو يعتمر، أو يجمعهما»^(٦).

الحكمة:

لعل الحكمة من نزول عيسى ﷺ دون غيره من الأنبياء ﷺ ما يلي:

أولاً: الرد على اليهود في زعمهم

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١٣٠١)،

(١٣٠٢) [دار المنهاج، ط ١، ١٤٢٥هـ]. وينظر:

الإعلام بحكم عيسى (٢٧٨ - ٢٨٨).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٢٥٢).

(٦) أخرجه أحمد (١٣/ ٢٨٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]،

وصححه الألباني في قصة المسيح الدجال (٩٩)

[المكتبة الإسلامية].

بنزل عيسى ﷺ يرتفع التكليف؛ لئلا يكون رسولاً إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم، وهذا أمر مردود بالأخبار التي ذكرناها من حديث أبي هريرة، وبقوله تعالى: ﴿وَوَاتَمَّ الْبَيْتُ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقوله ﷺ: «لا نبي بعدي»^(١)، وقوله: «وأنا العاقب»^(٢)، يريد آخر الأنبياء وخاتمهم. وإذا كان ذلك: فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى ينزل نبياً بشريعة متجددة غير شريعة محمد نبينا ﷺ؛ بل إذا نزل فإنه يكون يومئذ من أتباع محمد ﷺ، وقد روى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صل لنا. فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله لهذه الأمة»^(٣). فعيسى ﷺ إنما ينزل مقررًا لهذه الشريعة ومجدداً لها؛ إذ هي آخر الشرائع، ومحمد ﷺ آخر الرسل، فينزل حكماً مقسطاً، وإذا صار حكماً فإنه لا سلطان يومئذ للمسلمين، ولا إمام ولا قاضي ولا مفتي، قد قبض الله العلم، وخلا الناس منه. فينزل وقد علم بأمر الله

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٥٥)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٩٦)،

ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٥٤).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٦).

أنهم قتلوه وصلبوه؛ فبين الله تعالى كذبهم، وأنه ينزل ﷺ قبل يوم القيامة إمامًا عادلًا حكمًا مقسطًا، كما ثبت في الأحاديث.

ثانيًا: الرد على النصارى واليهود في زعمهم أن المسيح ﷺ قُتل وصلب، قال الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء].

ثالثًا: إبطال عقيدة النصارى في زعمهم أن المسيح ابن الله، وذلك أنه بعد نزوله وقتله للدجال فإنه يموت مثل البشر، كما مات غيره من الأنبياء ﷺ.

رابعًا: بيان فساد عقيدة النصارى في تعظيمهم للصليب بزعمهم أن المسيح مات على الصليب فداء للبشر عن خطيئة أبيهم آدم - بزعمهم - فأصبح الصليب علامة النصارى وشعارهم ورمزًا لحياتهم. أيضًا بيان فساد عقيدتهم في تحليل لحم الخنزير، مع أن الله حرم أكله في كل الشرائع وخاتمتها شريعة الإسلام.

خامسًا: تكذيب اليهود في زعمهم أنهم شعب الله المختار، إذ إنه ﷺ ينزل متبعًا لشريعة محمد ﷺ، ومقتديًا بأحد

أتباع الرسول محمد ﷺ في الصلاة، كما ثبت في حديث جابر بن عبد الله ؓ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة» - قال: - فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صل لنا. فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء. تكرمة الله هذه الأمة^(١). كما أنه ينزل ﷺ حاكمًا بشريعة الإسلام، ومقاتلاً مع أمة محمد ﷺ اليهود؛ كل هذا وغيره يدل على اصطفاء الله لأمة محمد ﷺ من بين سائر الأمم، فعن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: «فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام»^(٢).

سادسًا: مقاتلة اليهود الذين حاربوه ووقفوا ضد دعوته؛ وأفسدوا في البلاد والعباد، فيقاتلهم ومعه المسلمون، ويقتل مسيحيهم الدجال، كما جاء في حديث أبي أمامة ؓ عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «فيصلي بهم إمامهم؛ فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب. فيفتحون ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء،

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

جديد^(٣). وهذا تأويل باطل مردود، وهو من تحريف الكلم عن مواضعه «ومن جنس تأويلات القرامطة والباطنية، ويلزم على هذا التأويل الباطل تكذيب ما تواتر عن النبي ﷺ من الإخبار بنزل عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان حكمًا عدلاً، ومن كذب بشيء مما ثبت عن النبي ﷺ؛ فهو ممن يشك في إسلامه؛ لأنه لم يحقق الشهادة بأن محمداً رسول الله، بل قد تواترت النصوص الدالة على نزول عيسى ﷺ في آخر الزمان حكمًا عدلاً، وهي أدلة قاطعة على امتداد حياته حتى الآن»^(٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.
- ٢ - «أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار»، لعبد الملك بن حبيب الأندلسي.
- ٣ - «أشراط الساعة»، ليوسف الوابل.
- ٤ - «الإعلام بحكم عيسى ﷺ» (ضمن الحاوي للفتاوي) (ج ٢)، للسيوطي.
- ٥ - «إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان»، لعبد الله الغماري.
- ٦ - «البراهين والأدلة الكافية في

وينطلق هارباً فيدركه عند باب لُد الشرقي فيقتله؛ فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله ﷻ يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر، ولا شجر، ولا حائط، ولا دابة؛ إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق؛ إلا قال: يا عبد الله المسلم! هذا يهودي فتعال اقتله»^(١).

سابعاً: تحقيق قول الله تعالى في دين الإسلام: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة]، وذلك أن عيسى ﷺ يضع الجزية فلا يقبل من أحد إلا الإسلام.

ثامناً: إن نزول عيسى ﷺ من السماء، لدنو أجله، فيدفن في الأرض؛ إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها^(٢).

مذهب المخالفين:

ذهب بعض المعاصرين إلى إنكار نزول عيسى ﷺ، وقال: إن المراد بنزوله هو انتصار الحق وانتشاره من

(١) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٧٧)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٤٤٧/٢) [دار الراية، ط ١]، وتَمَام في فوائده (١١٦/١) [مكتبة الرشد، ط ١]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٨٧٥) [المكتب الإسلامي، ط ٢].

(٢) ينظر: التذكرة للقرطبي (٣/١٣٠٢ - ١٣٠٤)، وفتح الباري (٦/٥٦٨).

(٣) ينظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (١٤٠/٣) [دار الصميعي، ط ٢].

(٤) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (١٤٠/٣ - ١٤٣).

أَفْلَقَ ﴿١﴾؛ أي: رماه. وكذلك إذا كتب له النشرة. والتشهير من النشرة، وهي كالتعويذ والرقية^(٢).

التعريف اصطلاحًا:

حل السحر عن المسحور، وهو ضرب من الرقية والعلاج، يعالج به من كان مصابًا بالجن، أو بالسحر، ينشر بها - أي: يحل - عنه ما خامره من الداء^(٣).

سبب التسمية:

سميت نشرة؛ لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء؛ أي: يحل عنه، ويكشف ويزال^(٤).

الحكم:

النشرة: هي حل السحر عن المسحور، وهي نوعان؛

أحدهما: حل بسحر مثله، وهو

القناعة برفع المسيح وأن نزوله من أشراط الساعة، لسليمان بن عبد الرحمن بن حمدان.

٧ - «تحية الإسلام في حياة عيسى عليه السلام» ضمن مجموعة رسائل الكشميري^(ج ٢)، لمحمد أنور الكشميري.

٨ - «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج ٣)، للقرطبي.

٩ - «التصريح بما تواتر في نزول المسيح»، لمحمد أنور شاه الكشميري.

١٠ - «رفع عيسى حيًا ونزوله وقتله الدجال»، لمحمد خليل هراس.

١١ - «عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام» ضمن مجموعة رسائل الكشميري^(ج ٢)، لمحمد أنور الكشميري.

النُّشْرَة

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رحمه الله: «النون والشين والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء، وتشعبه»^(١).

والنشرة: بالضم: ضرب من الرقية يعالج به من كان يُظن أن به مسًا من الجن، أو المرض، يقال: قد نشر عنه، وانتشر: انبسط. ونشره بـ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ**

(٢) انظر: الصحاح (٨٢٨/٢) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ]، ولسان العرب (١٤٢/١٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ]، وترتيب القاموس (٣٧٢/٤) [دار عالم الكتب، ط ٤، ١٤١٧هـ].

(٣) انظر: أعلام الحديث (١٥٠٤/٣) [جامعة أم القرى، ط ١، ١٤٠٩هـ]، ومعالم السنن (٢٢٠/٤) [المطبعة العلمية، حلب، ط ١، ١٣٥٢هـ]، وشرح السنّة للبغوي (١٥٩/١٢) [المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ]، والقول السديد لابن سعد - ضمن المجموعة الكاملة له (٣٠/٣) [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط ٢، ١٤١٢هـ].

(٤) انظر: معالم السنن للخطابي (٢٢٠/٤)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥٤/٥) [دار إحياء التراث العربي]، ولسان العرب (١٤٢/١٤).

(١) مقاييس اللغة (٤٣٠/٥) [دار الجبل، ط ١٤٢٠هـ].

وقد جاء النهي عن التداوي بالأموح المحرمة؛ كالخمر، ونحوه، فعن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي ﷺ عن الخمر فنهاه أو كره أن يصنعها. فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: «إنه ليس بدواء ولكنه داء»^(٥).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن القيم: «والنشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: حل سحر بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، فإن السحر من عمله، فيتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور. والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة، فهذا جائز، بل مستحب»^(٦).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا الحديث بيّن فيه الرسول ﷺ حكم النشرة، وأنها من عمل الشيطان، وهذا يغني عن قوله إنها حرام، بل هذا أشد من قوله: إنها حرام؛ لأن ربطها بعمل الشياطين يقتضي تقبيحها، والتنفير عنها، فهي محرمة»^(٧).

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: «التحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه في هذه المسألة: أن استخراج السحر إن كان بالقرآن

محرم، وهو من عمل الشيطان، وعليه يُحمل قول الحسن: «لا يحل السحر إلا ساحر»^(١)، فيتقرب الناشر والمنشور إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور.

الثاني: النشرة بالرقية الشرعية، والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز^(٢).

✽ الأدلة:

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت - في قصة سحر النبي ﷺ -: «فأتى النبي البئر حتى استخرجه فقال: «هذه البئر التي أريتها، وكان ماءها نقاعة الحنّاء، وكان نخلها رؤوس الشياطين». قال: فاستخرج، قالت: قلت: أفلا؟ - أي: تنشّرت - . فقال: «أما والله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شرّاً»^(٣).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سئل النبي ﷺ عن النشرة فقال: «هي من عمل الشيطان»^(٤).

(١) ذكره ابن الجوزي في جامع المسانيد (٨٢/٢) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٢) انظر: إعلام الموقعين (٣٦٩/٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٦٥) واللفظ له، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢١٨٩).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠/٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وعنه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٨٦٨)، وحسن ابن حجر إسناده في فتح الباري (٢٣٣/١٠) [دار المعرفة]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٧٦٠).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الأشربة، رقم ١٩٨٤).

(٦) إعلام الموقعين (٣٠١/٤).

(٧) القول المفيد (٥٥٤/١) [دار ابن الجوزي، ط٢].

بسحر مثله فهي من عمل الشيطان، وإن كانت بالرقى، والتعاويذ المشروعة فلا بأس بذلك»^(٣).

✽ المسائل المتعلقة:

- دعوى الضرورة في جواز حل السحر بسحر مثله:

زعم بعض من أجاز حل السحر بسحر مثله أن جواز ذلك من باب الضرورة، فالضرورات تبيح المحظورات، وهذا قول مردود، ورأي مطّرح؛ لمعارضته للنصوص الشرعية في تحريم إتيان السحرة والكهنة والعرافين وسؤالهم، والزعم بأن ذلك ضرورة لا يصح؛ لأن المحظور إنما أبيح للضرورة التي يتحقق معها نفعه، كالميتة يأكلها الإنسان المضطر ويتحقق نفعها، بخلاف الشفاء من السحر قد يتحقق وقد لا يتحقق، كما أن الضرورة لا تكون جائزة ببذل الدين والتوحيد عوضاً عنها، والضرورات الخمس التي جاءت بها الشرائع أولها وأعظمها حفظ الدين، وغيره أدنى من مرتبته، فلا يبذل ما هو أعلى لتحصيل ما هو أدنى، والسحر لا يكون إلا بشرك والذي يأتي الساحر ويطلب منه حل السحر فقد رضي قوله وعمله ورضي أن يعمل به ذاك، ورضي أن يشرك ذاك بالله لأجل منفعته

كالمعوذتين، وآية الكرسي، ونحو ذلك مما تجوز الرقية به فلا مانع من ذلك، وإن كان بسحر أو ألفاظ أعجمية أو بما لا يفهم معناه، أو بنوع آخر مما لا يجوز فإنه ممنوع، وهذا واضح، وهو الصواب إن شاء الله تعالى كما ترى»^(١).

✽ الأقسام:

النُّشْرَة نوعان:

النوع الأول: نُشْرَة جائزة، وهي ما كانت بالرُّقى والتعوذات الشرعية والأدوية المباحة، وهذا ما شرعه الله تعالى لعباده في علاج السحر.

قال موفق الدين ابن قدامة رحمته الله: «وأما من يحل السَّحْر: فإن كان بشيء من القرآن، أو شيء من الذكر، والأقسام، والكلام الذي لا بأس به، فلا بأس به»^(٢).

النوع الثاني: نُشْرَة ممنوعة، وهي حل السحر بسحر مثله وهي من عمل الشيطان، فإن السحر من عمل الشيطان يتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يحب فيبطل عمله عن المسحور.

قال حافظ الحكمي رحمته الله: «النُّشْرَة: حل السحر عن المسحور، فإن كان ذلك

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٥٧، ٥٨) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٢) المغني (١٢/ ٣٠٤) [دار عالم الكتب، ط ٣، ١٤١٧هـ].

(٣) أعلام السُّنة المنشورة (١٥٥) [مكتبة السوادي، ط ٧، ١٤١٨هـ].

وهذا لا يجوز^(١).

٦ - «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»

لصالح آل الشيخ.

٧ - «السحر بين الحقيقة والخيال»

لأحمد الحمد.

٨ - «الشرك ومظاهره»

لمبارك الملي.

٩ - «فتح الباري»

لابن حجر.

١٠ - «قواعد ومسائل في توحيد

الإلهية»

لعبد العزيز الرئيس.

❏ النشور ❏

يراجع مصطلح (البعث).

❏ نصوص الصفات ❏

❁ التعريف لغة:

النصوص: جمع نص، والنص: أصله من نصّ الشيء إذا رفعه، ومنه: منصة العروس بكسر الميم، ويراد بالنص: التوقيف، والتعيين على شيء ما، ويأتي بمعنى: الرفع والظهور. وقيل: نصّ الحديث إلى فلان: رفعه إليه، ونص كل شيء: منتهاه، ومبلغ أقصاه^(٣).

والصفات: جمع صفة، وهي مشتقة من الفعل: وَصَفَ، فالواو والصاد والفاء

وحل السحر بالسحر فيه مفسد خطيرة وظاهرة، والقاعدة الشرعية: دفع المفسد أولى من جلب المصالح، يبينها الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «أما حل السحر عن المسحور بسحر مثله: فيحرم؛ فإنه معاون للساخر، وإقرار له على عمله، وتقرب إلى الشيطان بأنواع القرب ليبطل عمله عن المسحور ولهذا ترى كثيراً من السحرة الفجرة في الأزمان التي لا سيف فيها يردعهم، يتعمد سحر الناس، ممن يحبه أو يبغضه؛ ليضطره بذلك إلى سؤاله حله؛ ليتوصل بذلك إلى أموال الناس بالباطل، فيستحوذ على أموالهم ودينهم»^(٢).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «أضواء البيان»، للشنقيطي.
- ٢ - «أحكام الأدوية في الشريعة الإسلامية»، لحسن الفكي.
- ٣ - «أحكام الرقى والتمائم»، لفهد السحيمي.
- ٤ - «إعلام الموقعين»، لابن القيم.
- ٥ - «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد»، للفوزان.

(٣) مختار الصحاح للرازي (٣١٢) [المكتبة العصرية، ط ٥، ١٤٢٠هـ]، وتهذيب اللغة (١٢/٨٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م]، وتاج العروس (١٨/ ١٧٨ - ١٨٠)، ولسان العرب (٧/ ٩٧).

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٣١، ٣٣٢) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٤هـ].
(٢) معارج القبول (٢/ ٧١١، ٧١٢) [دار ابن الجوزي، ط ٦، ١٤٣٠هـ].

❖ الأسماء الأخرى:

أدلة الصفات، أخبار الصفات.

❖ الحكم:

إن باب صفات الله تعالى يُعد عند أهل السُّنَّة والجماعة من الأبواب التوقيفية، فلا يحلّ لأحد من المخلوقين أن يصف الله ﷻ بغير ما وصف به تعالى نفسه؛ بل يجب عليهم جميعاً: أن يؤمنوا بصفات الله تعالى التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله، أو على لسان رسوله ﷺ، من غير زيادة عليها، ولا نقص منها^(٤).

ويجب الإيمان بنصوص الصفات الواردة في القرآن والسُّنَّة الصحيحة وإثباتها على الوجه اللائق بالله تعالى من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل. كما يجب حفظ حرمة نصوص الصفات بإجراء أخبارها على ظواهرها، وهو اعتقاد مفهومها المتبادر إلى أذهان العامة.

ويجب الإيمان بأن هذه النصوص

أصل واحد وهو تحلية الشيء. ووصفته أصِفُّه وصفاً؛ إذا حَلَيْتُهُ وَنَعْتُهُ. والصفة: الأمانة اللازمة للشيء. والهاء في الصفة عوض عن الواو، وقيل: الوصف المصدر والصفة الحلية^(١). «والصفة والوصف تارة يراد به الكلام الذي يوصف به الموصوف؛ كقول الصحابي في ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]: أحبها؛ لأنها صفة الرحمن، وتارة يراد به المعاني التي دل عليها الكلام؛ كالعلم والقدرة^(٢)».

❖ التعريف شرعاً:

نصوص الصفات: هي الأدلة الشرعية التي جاء فيها الإخبار عن ما قام بالذات الإلهية من صفات لا تنفك عنها، كالوجه واليدين والحياة والعلم والقدرة والحكمة والسمع والبصر. أو من صفات فعلية تتعلق بمشيئة الله تعالى؛ كالمجيء والنزول، والرضا والغضب، والفرح، والضحك، والاستواء، والخلق، ونحو ذلك. مع وجوب اعتقاد مفهوم تلك النصوص المتبادر إلى أذهان عامة الأمة^(٣).

[١٤٢٢هـ]، ومدارج السالكين لابن القيم (٢/٨٤) [دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ]، والكواشف الجليلة عن معاني الواسطية لعبد العزيز السلطان (٤٢٩) [ط ١٨، ١٤١٣هـ]، وأسماء الله وصفاته وموقف أهل السُّنَّة منها لابن عثيمين [دار الشريعة، ط ١، ١٤٢٤هـ]، والصفات الإلهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية لمحمد أمان الجامي (٢٠٣) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٤) انظر: حكاية المناظرة في القرآن لابن قدامة (٤٤).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٦/١١٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (٩/٣٥٦) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٣٣٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل لابن تيمية (٢/١) [دار العطاء، ط ١،

الأدلة:

لقد اشتمل القرآن الكريم على نصوص كثيرة دالة على إثبات الصفات، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]؛ أي: الصفة العليا^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿وَلِصْنَعِ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه]، وغير هذه الآيات كثير.

ومن السنة: حديث عائشة رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٤)، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سلوه: لأي شيء يصنع ذلك؟»، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبها»^(٥). قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن أورد هذا الحديث: «تضمنت هذه السورة من وصف الله ﷻ الذي ينفي قول أهل التعطيل وقول أهل التمثيل ما صارت به هي الأصل المعتمد في مسائل الذات»^(٥). وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال

معلومة المعنى مفهومة الدلالة، مع وجوب العمل بظواهر النصوص إلا بدليل يصرفه عن الظاهر؛ لأن هذه طريقة السلف، ولأنه أحوط وأبرأ للذمة، وأقوى في التعبد والانقياد^(١).

الحقيقة:

نصوص الصفات: تُجرى على ظاهرها اللائق بكمال الله تعالى وجلاله، مع وجوب البعد عن تحريف ألفاظها ومعانيها ونفي حقائقها أو تمثيلها، ومن عرف هذه الحقيقة فقد فارق طائفتي الضلال من المعطلة والممثلة.

المنزلة:

نصوص الصفات: ذات منزلة عظيمة ورتبة شريفة؛ لدلالاتها على صفات الله تعالى الكاملة التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فقدر صفات الله عظيم، ومنزلتها رفيعة، أخذت ذلك من عظمة الله ﷻ؛ لأنه المتصف بها سبحانه، المحيط بكل شيء، المتصف بالكمال المطلق في كل شيء. وكمال عبودية العبد لربه ترجع إلى مقتضى صفاته، فهو إنما تعرف على عباده بصفاته^(٢).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٢٤/٩) [دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٧٥)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨١٣).

(٥) أمراض القلوب وشفاؤها (٦٢) [المطبعة السلفية، ط ٢، ١٣٩٩هـ].

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/٨٥، ٨٦)، وجامع العلوم والحكم (٤/٥٧)، والأصول من علم الأصول لابن عثيمين (٤٩، ٥٠) [دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/٧١)، وطريق الهجرتين وباب السعادت لابن القيم (١/٢٤٣، ٢٤٤).

وقال ابن رجب رحمته الله: «اتفق السلف الصالح على إمرار هذه النصوص كما جاءت من غير زيادة ولا نقص، وما أشكل فهمه منها، وقصر العقل عن إدراكه وكل إلى عالمه»^(٥).

وقال ابن القيم رحمته الله: «إن حفظ حرمة نصوص الأسماء والصفات بإجراء أخبارها على ظواهرها. وهو اعتقاد مفهومها المتبادر إلى أذهان العامة. ولا يعني بالعامة الجهال، بل عامة الأمة»^(٦).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ظاهر النص:

ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر، فهي باعتبار المعاني معلومة مفهومة، وباعتبار الكيفية التي عليها فغير معقولة، إذ تعقل الكيفية: فرع العلم بكيفية الذات وكنهها^(٧).

ثم نقول: إن ظاهر النصوص هو ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني وهو

في مجموع الفتاوى (٤٦/٣ - ٤٧) و(٣٥٥/٦) و(٢٩٦/١٣)، وكلام ابن رجب في فضل علم السلف على الخلف (١٣٩) [الدار السلفية].

(٥) فتح الباري لابن رجب (٣٣٤/٢) [دار ابن الجوزي].

(٦) مدارج السالكين لابن القيم (٨٤/٢، ٨٥).

(٧) القواعد المثلى لابن عثيمين (٣٤، ٣٥) [الجامعة الإسلامية، ط ٣، ١٤٢١هـ]، ومدارج السالكين (٨٤/٢).

رسول الله ﷺ: «إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور - وأشار بيده إلى عينه - وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبه طافية»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن؛ كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء»^(٢). وغيرها من الأحاديث.

✽ أقوال أهل العلم:

قال القاضي أبو يعلى رحمته الله عن نصوص الصفات: «إن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها، ولا صرفها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغاً لكانوا أسبق لما فيه من إزالة التشبيه، ورفع الشبهة، بل قد روي عنهم ما دلّ على إبطاله»^(٣).

وقال ابن قدامة رحمته الله: «وكل ما جاء في القرآن أو صحّ عن المصطفى ﷺ من صفات الرحمن وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٧)، ومسلم (كتاب الفتن وأשרات الساعة، رقم ١٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٤).

(٣) إبطال التأويلات (٧١/١) [دار إيلاف، الكويت].

(٤) لمعة الاعتقاد (٢٠). وانظر أيضًا: كلام ابن تيمية

يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق ومعنى آخر في سياق، وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه ومعنى آخر على وجه.

فلفظ (القرية) مثلاً يراد به القوم تارة، ومساكن القوم تارة أخرى. **فمن الأول:** قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمُنُّ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٨]، **ومن الثاني:** قوله تعالى عن الملائكة ضيف إبراهيم: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١]. وتقول: صنعت هذا بيدي، فلا تكون اليد كاليد في قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾ [ص: ٧٥]؛ لأن اليد في المثال أضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبة له، وفي الآية أضيفت إلى الخالق فتكون لا ثقة به، فلا أحد سليم الفطرة صريح العقل يعتقد أن يد الخالق كيد المخلوق، أو بالعكس.

إذا تقرر هذا فظاهر نصوص الصفات ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني^(١).

ثم نقول أيضًا: إنه يلزم من يقول في بعض الصفات: «الظاهر مراد أو ليس بمراد» أن يقول ذلك في سائر الصفات الأخرى؛ لأن جنسها واحد. وبيان ذلك من وجهين:

الأول: إن كان القائل يعتقد أن ظاهر النصوص المتنازع في معناها من جنس ظاهر النصوص المتفق على معناها، والظاهر هو المراد في الجميع، فإن الله تعالى لما أخبر أنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، واتفق أهل السنة وأئمة المسلمين على أن هذا على ظاهره، وأن ظاهر ذلك مراد كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه كعلمنا، وقدرته كقدرتنا.

الثاني: إن كان يظن أن ظاهر الصفات تماثل صفات المخلوقين، لزمه أن لا يكون شيء من ظاهر ذلك مرادًا، وإن كان يعتقد أن ظاهرها هو ما يليق بالخالق ويختص به، لم يكن له نفي هذا الظاهر، ونفي أن يكون مرادًا إلا بدليل يدل على النفي. وليس في العقل ولا في السمع ما ينفي هذا إلا من جنس ما ينفي به سائر الصفات، فيكون الكلام في الجميع واحدًا. وبيان هذا، أن صفاتنا منها ما هي أعيان وأجسام، وهي أبعاد لنا؛ كالوجه واليد، ومنها ما هي معان وأعراض، وهي قائمة بنا، كالسمع والبصر والكلام والعلم والقدرة. ثم إن من المعلوم أن الرب لما وصف نفسه بأنه حي عليم قدير، لم يقل المسلمون: إن ظاهر هذا غير مراد؛ لأن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا؛ فكذلك لما وصف نفسه بأنه خلق آدم بيديه، لم

(١) القواعد المثلى لابن عثيمين (٣٦، ٣٧).

ظاهره إلا بعد أن مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين، وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل.

الثاني: أنه قد عطل النصوص عما دلت عليه من إثبات الصفات.

الثالث: أنه ينفي تلك الصفات عن الله بغير علم، فيكون معطلاً لما يستحقه الرب تعالى.

الرابع: أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات، أو صفات المعدومات.

فيكون قد عطل صفات الكمال التي يستحقها الرب تعالى، ومثله بالمنقوصات والمعدومات، وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات، فيجمع في الله وفي كلام الله بين التعطيل والتمثيل، فيكون ملحدًا في أسمائه وآياته^(٤).

- المسألة الثالثة: قطعية النص:

إنّ نصوص الصفات أقسام:

- فمنها نصوص القرآن: وهي قطعية في ثبوتها وقطعية في دلالتها.

- ومنها نصوص السنة: وهذه منها المتواتر المستفيض وهو مفيد للقطع في ثبوته ودلالته.

يوجب ذلك أن يكون ظاهره غير مراد؛ لأن مفهوم ذلك في حقه كمفهومه في حقنا؛ بل صفة الموصوف تناسبه. فإذا كانت نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين، فصفاته كذاته ليست مثل صفات المخلوقين، ونسبة صفة المخلوق إليه، كنسبة صفة الخالق إليه، وليس المنسوب كالمنسوب، ولا المنسوب إليه كالمنسوب إليه، كما قال النبي ﷺ: «ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر»^(١)، فشبه الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي^(٢).

- المسألة الثانية: تأويل النص:

تأويل نصوص الصفات: هو صرف أفاظها عن ظاهرها اللائق بجلال الله سبحانه، وحققتها المفهومة منها إلى معنى يخالف الظاهر^(٣) طريقة مخالفة لطريقة الصحابة الكرام ﷺ وأئمة السلف الصالح الذين تلقوا أخبار الصفات وأجروها على ظاهرها دون تأويل ولا تحريف.

وكل من أول نصوص الصفات وصرفها عن ظاهرها فقد وقع في أربعة محاذير:

أحدها: أنه ما صرف النص عن

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٣٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٢).

(٢) التدمرية (٧٦ - ٧٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٣٦٠).

(٤) انظر: الرسالة التدمرية (٧٩ - ٨١)، وفتح الباري

لابن رجب (٧/ ٢٣٠، ٢٣١) [مكتبة الغرباء، ط ١،

١٤١٦هـ].

نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله، وهو التشبيه، وأبقوا دلالتها على ذلك. وهؤلاء هم المشبهة، ومذهبهم باطل محرم من عدة أوجه:

الأول: أنه جنائية على النصوص، وتعطيل لها عن المراد بها، فكيف يكون المراد بها التشبيه، وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

الثاني: أن العقل دلٌّ على مباينة الخالق للمخلوق في الذات والصفات، فكيف يحكم بدلالة النصوص على التشابه بينهما؟

الثالث: أن هذا المفهوم الذي فهمه المشبه من النصوص مخالف لما فهمه السلف منها، فيكون باطلاً. فإن قال المشبه: أنا لا أعقل من نزول الله ويده إلا مثل ما للمخلوق من ذلك، والله تعالى لم يخاطبنا إلا بما نعرفه ونعقله.

فجوابه من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الذي خاطبنا بذلك هو الذي قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ونهى عباده أن يضربوا له الأمثال، أو يجعلوا له أنداداً فقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]. وكلامه تعالى كله حق، يصدق بعضه بعضاً ولا يتناقض.

- ومنها خبر الآحاد: الذي اختلف أهل العلم في إفادته الظن أو العلم، والصحيح أنه يفيد العلم والعمل إذا احتقت به قرائن، كموافقته لصريح القرآن، أو تلقته الأمة بالقبول، أو قام عليه إجماع بلفظه أو معناه أو متضمناً له، ولا شك أن نصوص الأسماء والصفات التي وصلت إلينا بالسند المتصل الصحيح بطريق الآحاد هي من النوع المفيد للعلم للقرائن العديدة التي احتقت بها، ومن أهمها تلقي الأمة لها بالقبول، وإجماع الصحابة على تلقيها بالقبول، وهذا طفحت به نصوص السلف.

ولو فرض أنها لم ترق لدرجة القطع فإنَّ الشرع عوّل على خبر الآحاد في العلميات والعملات على حدٍّ سواء، ولا أدلَّ على ذلك من إرساله ﷺ الآحاد من أصحابه بالتوحيد ليبلّغوه للناس، وهذا أمر مشهور لا يحتاج إلى تدليل^(١).

❁ مذهب المخالفين:

انقسم المخالفون لأهل السنة والجماعة حيال مسألة نصوص الصفات إلى مذهبين:

المذهب الأول: من جعل المتبادر من

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥١/١٣)، ومختصر الصواعق المرسلة (٤/١٤٠٠ وما بعدها).

الثاني: أنه صرف لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ عن ظاهره. والله تعالى خاطب الناس بلسان عربي مبين ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما يقتضيه هذا اللسان العربي، والنبي ﷺ خاطبهم بأفصح لسان البشر، فوجب حمل كلام الله ورسوله ﷺ على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي، غير أنه يجب أن يصاب عن التكيف والتمثيل في حق الله ﷻ.

الثالث: أن صرف كلام الله ورسوله ﷺ عن ظاهره إلى معنى يخالفه قول على الله بلا علم، وهو محرم.

الوجه الرابع في إبطال مذهب أهل التعطيل:

أن صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها، فيكون باطلاً؛ لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنة منها»، لابن عثيمين.
- ٢ - «التدمرية»، لابن تيمية.
- ٣ - «الصفات الإلهية»، لمحمد التيمي.

(١) القواعد المثلى لابن عثيمين (٣٧ - ٤١).

ثانيها: أن يقال له: أأست تعقل الله ذاتاً لا تشبه الذات؟ فسيقول: بلى. فيقال له: فلتعقل له صفات لا تشبه الصفات، فإن القول في الصفات كالقول في الذات، ومن فرق بينهما فقد تناقض.

ثالثها: أن يقال: أأست تشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية؟ فسيقول: بلى. فيقال له: إذا عقلت التباين بين المخلوقات في هذا، فلماذا لا تعقله بين الخالق والمخلوق، مع أن التباين بين الخالق والمخلوق أظهر وأعظم، بل التماثل مستحيل بين الخالق والمخلوق.

المذهب الثاني: من جعلوا المعنى المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله، وهو التشبيه، ثم إنهم من أجل ذلك أنكروا ما دلت عليه من المعنى اللائق بالله. وهم أهل التعطيل، سواء كان تعطيلهم عاماً في الأسماء والصفات، أم خاصاً فيهما، أو في أحدهما. فهؤلاء صرفوا النصوص عن ظاهرها إلى معانٍ عینوها بعقولهم، واضطربوا في تعيينها اضطراباً كثيراً، وسموا ذلك تأويلاً وهو في الحقيقة تحريف. ومذهبهم باطل من وجوه:

أحدها: أنه جناية على النصوص، حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له.

٤ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية»، لمحمد أمان الجامي.
٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، للسقاف.
٦ - «القواعد الكلية في الأسماء والصفات»، لإبراهيم البريكات.
٧ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.
٨ - «مختصر الصواعق المرسلّة»، للموصلي.
٩ - «مدارج السالكين» (ج ٢)، لابن القيم.
١٠ - «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات»، للشنقيطي.

سأله النصر والعون، قال تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي اٰسْتَنْصَرُوْهُ بِالْاَمْرِ اٰسْتَصْرَحُوْهُ﴾ [القصص: ١٨]، ونُصِرَ القوم: أُغِيثُوا، وانتصر منه: انتقم منه (١).

التعريف شرعاً:

هو الذي يتابع آلاءه على أوليائه، الموثوق منه بألا يسلمهم ولا يخذلهم، ويكف عنهم عادية أعدائه، فالتَّصْر لا يكون إلا منه، ولا يتحقق إلا بمنته، فالمنصور من نصره الله؛ إذ لا ناصر للعباد سواه، ولا حافظ لهم إلا هو (٢).

الأسماء الأخرى:

معنى هذا الاسم قريب من معنى: المولى والمغيث والمجيب، إلا أن النصر في الأغلب لا يكون إلا على الأكفء أو ما يكون فوق الأكفء، وفيما يحتاج فيه إلى الاستعداد والمناجزة بالمجاهدة والمرابطة والمصابرة، وأما

النَّصِير

التعريف لغةً:

النَّصِير: (فعل) من صيغ المبالغة، بمعنى فاعل من النَّصْر، مأخوذ من الأصل الثلاثي (ن - ص - ر) الدال على إتيان الخير وإيتائه، من قولهم: نصرت بلد كذا إذا أتيت، والفعل منه: نصّر ينصّر نصراً فهو ناصر ونصير؛ إذا أعان غيره وأيده، والنَّصْر والنُّصْرَة: العون والتأييد، ونصره منه: نجّاه وخلّصه فهو نصير، والنَّصِير والناصر بمعنى واحد، وتناصروا: تعاونوا، والأنصار: الأعوان، والاستنصار: استمداد النصر والعون، يقال: استنصر الرجل غيره،

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٢/١٥٩، ١٦٠) [الدار المصرية، ط ١، ١٣٨٧هـ]، ومقاييس اللغة (١٠٣٠، ١٠٣١) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٢/٨٢٩) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٨٠٨، ٨٠٩) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (٦٢١) [مؤسسة الرسالة، ط ٥]، والمعجم الوسيط (٢/٩٢٥) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/٢٠٥) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩]، والأسماء والصفات للبيهقي (١٧٩/١) [مكتبة السوادى، ط ١، ١٤١٣هـ]، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/٣٤٩) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وفقه الأسماء الحسنی (٢٤٢) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

الغياث والغوث فعند الشدائد^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تسمية الله بخير

الناصرين:

ورد هذا الاسم في قوله تبارك وتعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَانَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ (١٥) [آل عمران]. وقد وردت الآية في سياق الحث على الاستعانة بالله والاعتماد عليه. قال ابن كثير: «ثم أمرهم بطاعته ومواليته، والاستعانة به، والتوكل عليه، فقال: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَانَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾» (٤).

والخلاف في عدّه من الأسماء الحسنى مبني على اختلاف أهل العلم في الأسماء المضافة، فذهب جمع من أهل العلم إلى عد الأسماء المضافة في أسماء الله الحسنى، منهم: ابن منده، وأبو القاسم الأصبهاني، وابن تيمية، قال ابن تيمية: «وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة، وثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين» (٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٠٧/٣) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٢١هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (٤٨٥/٢٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤٢٥هـ].

الحقيقة:

النصير: مبالغة من الناصر، وهو الذي يتابع آلاءه على أوليائه، الموثوق منه بآلا يسلمهم ولا يخذلهم، ويكف عنهم عادية أعدائه؛ فالنصر لا يكون إلا منه، ولا يتحقق إلا بمنته، فالمنصور من نصره الله؛ إذ لا ناصر للعباد سواه، ولا حافظ لهم إلا هو، وهو سبحانه الذي يدفع عنهم كيد الفجار وتكالب الأشرار^(٢).

الأدلة:

استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ نَعَمَ الْمَوْتُ وَنَعَمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال].

أقوال أهل العلم:

أورده البيهقي في الأسماء والصفات، كما ذكره في الأسماء الحسنى الشيخ ابن عثيمين في القواعد المثلى^(٣).

(١) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٣١٧، ٣١٨) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/٢٠٥) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ]، الأسماء والصفات للبيهقي (١٧٩/١) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ]، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/٣٤٩) [دار الكتب العلمية، ط١]، وتفسير السعدي (٣٢١)، وفقه الأسماء الحسنى (٢٤٢) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/١٧٧)، والقواعد المثلى لابن عثيمين ضمن مجموع الفتاوى والرسائل له (٣/٢٧٧).

الصيغة اللفظية التي ورد بها هذان الاسمان، فالناصر اسم فاعل والنصير صيغة مبالغة منه، فمعنى النصير: هو نفس معنى الناصر مع المبالغة في ذاك المعنى، فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

❁ الآثار:

١ - إن الله ﷻ هو النصير الذي ينصر رسله وأنبياءه ومن اتبعهم من المؤمنين، ولا ناصر سواه، ولا يكون النصر إلا منه، فالمنصور من نصره الله، والمخذول من خذله.

قال القرطبي: «فيجب على كل مكلف أن يعتقد أن النصر على الإطلاق إنما هو لله تعالى، كما قال: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وأن الخذلان منه، ولكن لا يجوز أن يقال منه: خاذل؛ لأنه لم يرد به إذن... ثم يجب عليه إن كان له قوة ينصر بها ظالماً أو مظلوماً فعل، قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا: يا رسول الله: هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تأخذ فوق يديه» (٣) (٤).

٢ - «إن المؤمنين ما لم يجاهدوا

ولا شك في أن (خير الناصرين) من هذا القبيل.

وقال أيضاً: «بل كل ما ثبت للرب تعالى من الأسماء والصفات يختص به مثل أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه أرحم الراحمين، وأنه خير الناصرين» (١).

وقال أبو القاسم الأصبهاني: «ومن أسمائه: خير الناصرين: النصر والناصر بمعنى، ومعناه: ينصر المؤمنين على أعدائهم ويثبت أقدامهم عند لقاء عدوهم ويلقي الرعب في قلوب عدوهم» (٢).

- المسألة الثانية: إطلاق اسم (الناصر) على الله:

عَدَّ بعض أهل العلم (الناصر) من أسماء الله، ومن ذكر هذا الاسم قال: إن معناه هو نفس معنى اسم: النصير. والصواب: عدم تسمية الله بهذا الاسم؛ لأنه لم يثبت بدليل صحيح صريح.

❁ الفروق:

الفرق بين الناصر والنصير:

في حقيقة الأمر لا يوجد فرق في المعنى بين الناصر والنصير، إلا من جهة

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٤٤).

(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٣١٩، ٣٢٠).

(١) بيان تلبس الجهمية (٥٠٨/٢) [مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٢هـ].

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/١٦٥) [دار الراية، ط٢، ١٤١٩هـ].

■ النفاق ■

✽ التعريف لغة:

النفاق: هو إخفاء الشيء وإغماضه، وهو مأخوذ من النّافِقَاء: موضع يُرْفَقُهُ الْيَرْبُوعُ من جُحْرِهِ، فإذا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ الْقَاصِعَاءِ ضَرَبَ النَّافِقَاءُ بِرَأْسِهِ فَاَنْتَفَقَ؛ أي: خرج. فظاهر جحره تراب كالأرض، وباطنه حفر، ومنه اشتقاق النّفّاق، فالمنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر؛ لأنّه يكتُم خلاف ما يُظهر، فكأن الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء^(٢). ولفظ (النفاق) لم تكن العرب تعرفه بهذا المعنى الخاص، وإن كان أصله الذي أخذ منه في اللغة معروفاً^(٣).

✽ التعريف شرعاً:

النفاق: هو إظهار ما يوافق الحق، وإبطان ما يخالفه؛ فمن أظهر أمام الناس ما يدل على الحق، وكان حقيقة أمره أنه على باطل من الاعتقاد، أو الفعل، فهو

أنفسهم على تحقيق الإيمان، والإتيان بمقومات النصر على الأعداء لا يتحقق لهم نصر؛ بل يتسلط عليهم أعداؤهم بسبب ذنوبهم وتقصيرهم، فيحتاج العباد للانتصار على العدو الظاهر أن يجاهدوا العدو الباطن من النفس الأمارة بالسوء والشيطان، فما لم ينتصروا على هذا العدو فلا نصر لهم^(١).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
 - ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
 - ٣ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
 - ٤ - «كتاب التوحيد»، لابن منده.
 - ٥ - «الحجة في بيان المحجة»، لأبي القاسم التيمي.
 - ٦ - «بيان تلبيس الجهمي»، لابن تيمية.
 - ٧ - «إيثار الحق على الخلق»، لابن الوزير.
 - ٨ - «معتقد أهل السُنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتيمي.
 - ٩ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.
- (١) فقه الأسماء الحسنى (٢٤٣، ٢٤٤). وانظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤٥٠/٦) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]، والفوائد لابن القيم (٥٩) [دار الكتب العلمية، ط٢]، وإغاثة اللفهان (١٨٢/٢، ١٨٣) [دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٥هـ].
- (٢) مقاييس اللغة (٤٥٤/٥، ٤٥٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]. وانظر: القاموس المحيط (٩٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٩٨/٥) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (٣٥٨/١٠، ٣٥٩) [دار صادر، ط٣]، والإيمان لابن تيمية (٢٣٥) [المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤١٦هـ].
- (٣) انظر: لسان العرب (٣٥٨/١٠، ٣٥٩)، والإيمان لابن تيمية (٢٣٥).

المنافق، واعتقاده، أو فعله هو النفاق^(١). عنها، وتحذير الناس منها^(٥).

❁ الحقيقة:

النفاق: يحصل بمخالفة السرِّ للعانية، والظاهر للباطن، مع ملازمة الوصف بالكذب، فمتى كان القول باللسان أو الفعل خلاف ما في القلب من القول والاعتقاد، حصل النفاق.

وقيل: هو اختلاف السر والعانية في العقائد والواجبات^(٢).

وقيل: هو القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد^(٣).

❁ الأسماء الأخرى:

الزندقة^(٤).

❁ الحكم:

التَّفَاق: إن كان عقدياً فهو كفر صراح، بل هو أشد منه، ولذلك جُعلت للمنافقين درجة في جهنم لا يصلها سواهم لعظم ضررهم، وشدة خطرهم، أمّا إذا كان التَّفَاق عملياً فهذا من الكبائر، ومن مات عليه فلا يخلد صاحبه في النار.

لذا يجب على المكلف الحذر من الوقوع في النفاق، والبعد عن أسبابه المفضية إليه، واتخاذ الطرق الوقائية اللازمة منه، ومعرفة صفات أهله للبعد

ويقوم النفاق على الكذب والرياء، ويكون ذلك بسبب ضعف البصيرة والعزيمة، فإذا تمت هذه الأمور استحکم النفاق. والمنافق يسعى إلى طلب العز والجاه بين أهل الإيمان وأهل الكفر، فيرضي هؤلاء ويعزهم ويرضي هؤلاء أيضاً ويعزهم. ومن هاهنا دخل عليه البلاء، فإنه أراد العزتين من الطائفتين، ولم يكن له غرض في الإيمان والإسلام ولا طاعة الله ورسوله، بل كان ميله ووجهته إلى الكفار، فقبول على ذلك بأعظم الذل وهو أن جعل مستقره في أسفل السافلين تحت الكفار^(٦).

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ

(١) انظر: المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكاني (١٩٠) [دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/١٤٠).

(٣) انظر: عارضة الأحوذى (١٠/٩٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٤٧١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١٤١٦هـ]، وطريق الهجرتين لابن القيم (٤٠٤) [دار السلفية، ط٢، ١٣٩٤هـ].

(٥) انظر: معارج القبول (٣/١٠١٩، ١٠٢٠) [دار ابن القيم، ط١، ١٤١٠هـ].

(٦) انظر: مدارج السالكين (١/٣٦٥) [دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ]، وطريق الهجرتين (٤٠٤).

خاصم فجر»^(١).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»^(٢). وعنه رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق»^(٣).

❁ أقوال أهل العلم:

سأل رجل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ما النفاق؟ قال: «أن تتكلم بالإسلام ولا تعمل به»^(٤).

وقال الحسن البصري: «من النفاق: اختلاف اللسان والقلب، واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج»^(٥).

وقال أبو جعفر الطبري: «معنى النفاق إنما هو إظهار المرء بلسانه قولاً ما هو مستبطن خلافه، فكذاك نفاق المنافق،

أَسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْلَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ يُغَدِّبُ طَائِفَةٌ لِّأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعْذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ [التوبة]، ولهذا جعلهم الله تعالى شراً من الكافرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ [النساء]. والنفاق الذي جاء ذكره في القرآن إنما المراد به النفاق الأكبر الاعتقادي المنافي للإيمان.

أما النفاق الأصغر، فقد ورد ذكره في السنة، فمن ذلك: حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً - أو: كانت فيه خصلة من أربعة، كانت فيه خصلة من النفاق - حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا

(١) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٥٩)، ومسلم (كتاب الإيمان رقم ٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٣٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإمامة، رقم ١٩١٠).

(٤) أخرجه الفريابي في صفة النفاق وذم المنافقين (١١٠) [دار الصحابة للتراث، ط ١، ١٤٠٨هـ]، وأبو نعيم في صفة النفاق ونعت المنافقين (١٤٧) [دار البشائر الإسلامية، ط ١].

(٥) أخرجه الفريابي في صفة النفاق وذم المنافقين (٩٠)، والخلال في السنة (٧٢/٥) [دار الراية، ط ١، ١٤١٠هـ]، وابن بطّة في الإبانة الكبرى (٢/ ٦٩١) [دار الراية، ط ٢، ١٤١٨هـ].

- **النفاق الأصغر**، ويسمى بـ(النفاق العملي): وهو التخلق ببعض أخلاق المنافقين الظاهرة ويكون في الأعمال ونحوها: مثل أن يكذب إذا حدث، ويخلف إذا وعد، ويخون إذا أوّتمن، أو يفجر إذا خاصم، ويتكاسل عن الصلاة^(٣).

المسائل المتعلقة:

- حكم قبول توبة الزنديق:

اختلف العلماء في قبول حكم توبة الزنديق، وهذا الخلاف يتوجه إلى ما يتعلق بالأحكام الدنيوية الظاهرة من القتل أو عدمه، وثبوت أحكام الإسلام في حقه، ونحو ذلك من الأحكام.

أما ما يتعلق بأمور الآخرة، وقبول الله تعالى لتوبة الزنديق في الباطن، فذلك راجع إلى الله ﷻ، فإذا تاب الزنديق توبة صادقة من قلبه، فإن الله ﷻ يقبل توبته، وينفعه ذلك في الآخرة، وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء^(٤).

وقد تعددت أقوال العلماء في حكم قبول توبة الزنديق ما بين القبول والردّ،

(٣) انظر: شرح السنّة للبيهقي (٧٦/١) [المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٣٤/٢٨، ٤٣٥)، ومدارج السالكين (١/ ٣٥٤ - ٣٦٧)، وتفسير ابن كثير (١٧٦/١) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وجامع العلوم والحكم (٢/ ٤٨١) [مؤسسة الرسالة، ط ٧، ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر: المغني لابن قدامة (١٢/ ٢٧١).

هو اتخاذه ما يظهر من القول بلسانه بالإيمان؛ خداعاً للمؤمنين بذلك، وهو مستبطن بقلبه غير الذي يظهره لهم بلسانه^(١).

وقال ابن تيمية: «وأساس النفاق الذي بني عليه أن المنافق لا بد أن تختلف سريرته وعلايته وظاهره وباطنه، ولهذا يصفهم الله في كتابه بالكذب كما يصف المؤمنين بالصدق؛ قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يَمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١١﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون]. وأمثال هذا كثير^(٢).

الأقسام:

ينقسم النفاق إلى قسمين:

- **النفاق الأكبر**، ويسمى بـ(النفاق الاعتقادي):

بأن يخفي تكذيب الرسول، أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله. وهذا يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار؛ كنفاق عبد الله بن أبي وغيره، وهو المعنى المتبادر عند إطلاق لفظ النفاق دون تقييد.

(١) تهذيب الآثار (٦٤٣/٢) [مطبعة المدني، القاهرة].

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٢٠).

ذلك بعد القدرة عليه، وهذا القول هو إحدى الروايات في مذهب الحنفية والمالكية والحنابلة، وقد رجح هذا القول وانتصر له شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى^(٣).

والحاصل: أن هذا القول هو الذي تؤيده الأدلة، وتجتمع عليه النصوص، فيعمل بها جميعاً من غير إسقاط لشيء منها^(٤).

❁ الفروق:

- الفرق بين الكفر والنفاق^(٥):

١ - الكفر جحد وإنكار بالظاهر والباطن، وأما النفاق فإنكار وجحد بالباطن دون الظاهر، فيكون الكفر أعم من النفاق من جهة كونه يحصل بالظاهر والباطن، والنفاق أخص من جهة أنه لا يكون إلا بالباطن.

٢ - الكفر هو أصل النفاق، والنفاق طارئ، فهو إنما ظهر في المدينة النبوية بعد أن كان للإسلام دولة ومنعة وبلاد.

٣ - النفاق أخطر من الكفر؛ لأن الكفر أمر ظاهر يمكن إدراكه، وأما النفاق فهو أمر خفي دقيق لا يعرف بيسر

والتفصيل بين من تاب قبل القدرة عليه ومن تاب بعد ذلك، وبين الداعية وغير الداعية، وغير ذلك من الأقوال الكثيرة^(١).

وفيما يلي أهم الأقوال في هذه المسألة وذلك كما يلي:

القول الأول: القول بقبول توبة الزنديق مطلقاً، وإجرائه مجرى المرتد عن دين الإسلام الذي لا يقتل إلا بعد استتابته، وقد نسب ابن حجر هذا القول إلى جمهور العلماء^(٢).

وقد رجح هذا القول جمع من المحققين منهم: ابن المنذر، والنووي، وابن حجر، والشنقيطي، وغيرهم.

القول الثاني: القول بعدم قبول توبة الزنديق مطلقاً، بل يقتل بكل حال، وقالوا: إن الزنديق لا يطلع على صلاحه؛ لأن الفساد إنما أتى مما أسره، وذلك أن نفاقه الباطل دليل على أن توبته لا تعرف، فقد يظهر التوبة والندم، غير أنه لا يتحقق منه الصدق في ذلك؛ لعدم الاطلاع على صلاحه. وهذا القول هو المشهور عن الإمام مالك وأصحابه.

القول الثالث: القول بالتفصيل فيفرق بين من تاب قبل القدرة عليه، ومن أظهر

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب (٦٣).

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب (٦٣)، والرد على الجهمية (١٨٥).

(٣) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٦٣)، وإعلام الموقعين (٣/١٤٢).

(٤) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٦٣)، وإعلام الموقعين (٣/١٤٤، ١٤٥).

(٥) انظر: المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكاني (١٩٢، ١٩٤).

٥ - «مدارج السالكين» (ج ١)، لابن القيم.

٦ - «المنافقون في القرآن الكريم»، لعبد العزيز الحميدي.

٧ - «النفاق آثاره ومفاهيمه»، لعبد الرحمن الدوسري.

٨ - «النفاق وأثره في حياة الأمة»، لأحمد جمعة سلام.

٩ - «النفاق وخطره على العقيدة»، لعبد العزيز الشهوان.

١٠ - «نواقض الإيمان الاعتقادية»، لمحمد الوهيبي.

❖ النَّفَخُ فِي الصُّورِ ❖

❖ التعريف لغة:

النفخ: نفخ الريح في الشيء، ونفخ بفمه نفخًا: أخرج منه الريح، ويقال: نفخ في البوق أو اليراع أو نحوهما؛ بعث فيه الريح بقوة من فمه؛ ليحدث صوتًا، وفي التنزيل: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الحاقة: ١٣]، وفيه: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا يَلِدْنَ إِلَهُ﴾ [آل عمران: ٤٩] (٣).
الصُّور: هو القُرْن، قاله الجوهري (٤)،

(٣) انظر: المعجم الوسيط (٩٣٨/٢) [دار الدعوة]، ولسان العرب (٦٢/٣) [دار صادر، ط ١]، ومفردات ألفاظ القرآن (٤٤٤/٢) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والمحكم والمحيط الأعظم (٣٤٤/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١].
(٤) الصحاح (٢٧٩/٣) [دار العلم للملايين، ط ٤].

وسهولة، ولهذا فإن المنافق أخطر من الكافر على كيان الأمة ودينها.

- الفرق بين النفاق والزندقة (١):

١ - النفاق: لفظ جاء وروده في الشرع، أما لفظ الزندقة فظهر لما كثرت الأعاجم في المسلمين فتكلموا به، وشاع بعد ذلك في لسان الفقهاء.

٢ - النفاق هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر. أما الزندقة فهي التعطيل والجحود للصانع والمعاد والأعمال الصالحة، أو هي وصف من لا دين له.

٣ - الزنديق يُظهر كفره ويدعو له ويُعرف ذلك عنه، أما المنافق فإنه يبطن كفره ولا يظهره، ولا يدعو له.

٤ - الزندقة أعم من النفاق، فكل زندقة نفاق وليس العكس (٢).

❖ المصادر والمراجع:

١ - «الإيمان»، لابن تيمية.
٢ - «حقيقة النفاق وأنواعه في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة»، لعلي رمضان أبو العز.
٣ - «دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة»، لعادل بن علي الشدي.

٤ - «الفسق والنفاق»، لعبد العزيز العبد اللطيف.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤٧١/٧).
(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢٧١/١٢) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

به إسرافيل، وقد ذكر الله ﷻ النفخ فيه في مواضع من كتابه^(٦).

✽ الأسماء الأخرى:

الراجفة، الرادفة.

وتسمى النفخة الأولى بالصعقة؛ لأنها تترتب عليها^(٧).

✽ الحكم:

الإيمان بالنفخ في الصور واجب، وهو أحد مفردات اليوم الآخر التي تسبق الحشر والنشر، كما وردت بذلك النصوص الشرعية^(٨).

✽ الحقيقة:

أفادت النصوص أن النفخ في الصور يقع مرتين، **الأولى**: للإفناء، وبها يهلك كل شيء إلا ما شاء الله، وتسمى الراجفة والصيحة، **والثانية**: للإنشاء، وبها يبعث كل شيء، وتسمى الرادفة، والبعثة، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر]، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات].

(٦) انظر: معارج القبول للحكمي (٧٩٩/٢)، أعلام السنة المنشورة (١٢٩).

(٧) مشكاة المصابيح (١٣٧١/٤) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٩٨٥م].

(٨) انظر: معارج القبول للحكمي (٧٩٩/٢)، أعلام السنة المنشورة (١٢٩).

وهو قول جمع من أهل التفسير^(١)، وهو الناكور أيضًا^(٢)، وقيل: الصور هو البوق بلغة أهل اليمن^(٣)، ينفخ فيه النافخ للجمع والنفير، وهو مما ينادى به للحرب، وعند الأسفار، وينادى به للصلاة عند اليهود^(٤).

✽ التعريف شرعاً:

النفخ في الصور: أوكل الله تعالى بالنفخ في القرن ملكاً قد التقمه؛ لينفخ فيه نفختي الصعق والبعث وعلى إثرها تقوم الساعة^(٥).

قال حافظ الحكمي وهو يذکر في الإيمان باليوم الآخر: «كذلك يدخل في ذلك الإيمان بالصور والنفخ فيه، الذي جعله الله سبب الفزع والصعق والقيام من القبور، وهو القرن الذي وكل الله تعالى

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢٠/٧) [دار إحياء التراث العربي]، وتفسير ابن كثير (١٤٧/٢) [دار الفكر، ١٤٠٦هـ]، وزاد المسير (٦٨/٣) [المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٤٠٧هـ]، ومعالم التنزيل (١٥٧) [دار طيبة، ١٤٠٩هـ]، وروح المعاني (١٩١) [دار إحياء التراث، ط ٤، ١٤٠٥هـ].

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٨٤١)، وتفسير الطبري (٣٠٤/١٢) [دار طيبة، ١٤٠٩هـ]، تفسير ابن كثير (٤٤٢/٤).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٢٣٩/١٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦٨/٣).

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٣٨٣/١٣) و(١٥/٣٨٥) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ]، والتحرير والتنوير (٤٠٩/٩).

(٥) انظر: رسائل الآخرة (٥٦٣/٣). وراجع: تهذيب اللغة (١٨٦/٧) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

❖ الأدلة:

وقال الحسن: «هما النفختان: أما الأولى فتميت الأحياء، وأما الثانية فتحيي الموتى»^(٣).

وقال قتادة: «هما الصيحتان، أما الأولى فتميت كل شيء بإذن الله، وأما الآخرة فتحيي كل شيء بإذن الله»^(٤).

وقال البغوي مفسراً الراجعة: «النفخة الأولى، يتزلزل ويتحرك لها كل شيء، ويموت منها جميع الخلائق، ﴿تَبْعُهَا الرَّادِفَةُ﴾^(٥) وهي النفخة الثانية، ردت الأولى»^(٥).

❖ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الصور:

ويسمى الصور أيضاً بالقرن والناقور والبوق، وتسمية الصور بالقرن وردت في كلام النبي ﷺ^(٦)، وبالناقور في كلام ابن عباس رضيهما^(٧).

ومن أدلة إثباته قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(٧٣) [الأنعام]، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمَاعًا﴾^(٩٩) [الكهف]، وقوله

من الأدلة على النفخ: قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٧٤) [الزمر]، وقوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوِّهٍ دَاخِرِينَ﴾^(٧٥) [النمل].

ومنه حديث أوس بن أوس عن النبي ﷺ قال: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي» فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ - يعني وقد بليت - قال: «إن الله ﷻ حرم على الأرض أن تاكل أجساد الأنبياء صلوات الله عليهم»^(١).

❖ أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضيهما: «الراجعة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية»^(٢).

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٠٤٧)، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٣٧٤)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، رقم ١٠٨٥)، وأحمد (٨٤/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الصلاة، رقم ١٦١٣)، وصححه النووي في الأذكار (١١٥) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٢٧).

(٢) أخرجه البخاري معلقاً مجزئاً (كتاب الرقاق، باب نفخ الصور)، ووصله الطبري في تفسيره (١٩٠/٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٣) تفسير الطبري (١٢/٤٢٥).

(٤) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/٤٠٦).

(٥) معالم التنزيل (٨/٣٢٦).

(٦) كما سيأتي قريباً.

(٧) أخرجه البخاري معلقاً مجزئاً (كتاب الرقاق، باب نفخ الصور)، ووصله الطبري في التفسير (١٨/٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط١].

- المسألة الثانية: عدد النفخات:

اختلف العلماء في عدد النفخات، فمن قائل النفخة هي الصعقة والاختلاف بينهما اختلاف في الأوصاف، وهذا مذهب من يقول بنفختين، وفي تفسير النفخة الواردة في الحديث الآنف: «قال الطيبي وتبعه ابن حجر المكي؛ أي: النفخة الأولى؛ فإنها مبدأ قيام الساعة ومقدم النشأة الثانية، ولا منع من الجمع «وفيه الصعقة»؛ أي: الصيحة وهي النفخة الأولى، فالتكرار باعتبار تغير الوصفين»^(٤).

ومن قائل: النفخة تختلف عن الصعقة، فالمراد بالنفخة الثانية، وبالصعقة النفخة الأولى، وهذا أولى لما فيه من التغير الحقيقي»^(٥).

ومن قائل: «وفيه النفخة؛ أي: وفي يوم الجمعة نفخة الصور، وهي النفخة الأولى، والنفخة الثانية وهي نفخة الصعقة، وهي الموت؛ قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَكُوتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨]، والنفخة

سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَكُوتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَخِرِينَ﴾ [النمل]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّافُورِ﴾ [المدثر].

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ فقال: قرن ينفخ فيه»^(١).

وقال ﷺ: «ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى له، وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق، ثم لا يبقى أحد إلا صعق»^(٢).

وقال ﷺ: «كيف أنعم، وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر؟» قال المسلمون: يا رسول الله، فما نقول: قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا»، وفي رواية: «كيف أنعم، وصاحب الصور قد التقم الصور وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٧٤٢)، والترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٣٠) وحسنه، وأحمد (٥٣/١١) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨٤٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٠)، وأحمد (١١٣/١١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، واللفظ له.

(٣) أخرجه الترمذي (كتاب صفة القيامة والرقائق

والورع، رقم ٢٤٣١) وحسنه، وأحمد (٨٩/١٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٨٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٣٥٦٩) [مكتبة المعارف، ط ٥].

(٤) عون المعبود (٣/٢٦٠) [دار الكتب العلمية، ط ٢]، وانظر: مرقاة المفاتيح (٣٠/٥) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٥) مرقاة المفاتيح (٣٠/٥). وانظر: فيض القدير (٢/٥٣٥) [المكتبة التجارية، ط ١، ١٣٥٦هـ].

الثالثة: نفخة البعث والحشر^(١).

وهذا يقرب أن يكون مذهب من يقول بثلاث نفخات، **الأولى**: للفرع، **الثانية**: للصعق، **والثالثة**: للبعث، وهو مذهب ابن العربي^(٢)، وابن تيمية^(٣)، وابن كثير^(٤)، والسفارينى^(٥)، والشوكاني^(٦)، وغيرهم. مستدلين لذلك بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَخِرِينَ﴾ [النمل]، معتبرين نفخة الفرع مغايرة لنفخة الصعق الواردة في سورة الزمر، ومستدلين أيضاً بحديث الصور الطويل يرفعه أبو هريرة، وفيه: «فينفخ فيه ثلاث نفخات، النفخة الأولى: نفخة الفرع، **والثانية**: نفخة الصعق، **والثالثة**: نفخة البعث والقيام لرب العالمين»^(٧).

وفي التعقيب على هذا القول قال القرطبي: «الصحيح في النفخ في الصور أنهما نفختان لا ثلاث، وأن نفخة الفرع إنما تكون راجعة إلى الصعقة؛ لأن الأمرين لازمان لهما؛ أي: فزعوا فزعاً ماتوا منه»^(٨)؛ «ولأن الله تعالى قد استثنى في نفخة الصعق كما استثنى في نفخة الفرع فدل على أنهما واحدة»^(٩).

وأما بالنسبة للحديث فلا يصح؛ لضعف إسناده واضطرابه^(١٠).

والذي يترجح من كل ما تقدم أن النفخة هي النفخة الأولى في الصور وهي الصعقة ذاتها؛ لأن الصعق مترتب عليها وامتداد لها؛ ولأن النفخ في الصور إنما يقع مرتين على الصحيح، النفخة الأولى للإفناء، والثانية للإنشاء، وبذا يجمع بين الأدلة ويزول الإشكال.

ويؤيد ما تقدم:

قول ابن عباس رضي الله عنهما: «الرافعة: النفخة الأولى، والرافدة: النفخة الثانية»^(١١)، وقول الحسن: «هما

- (١) شرح سنن أبي داود (٤/٤٦٦) [مكتبة الرشد، ط١].
- (٢) انظر: التذكرة (٢٠٩) [دار قباء للنشر]، وفتح الباري لابن حجر (٣/٣٧٧) [دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ]، وروح المعاني (٣١/٢٠) و(٢٩/٢٤) [دار إحياء التراث العربي، ط٤، ١٤٠٥هـ].
- (٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤/٢٦٠) (٣٢/١٦) [دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ].
- (٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٧٨) [دار الفكر].
- (٥) انظر: لوامع الأنوار (٢/١٦١) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١١هـ].
- (٦) انظر: فتح القدير (٤/١٥٤) [دار الفكر، ١٤٠٣هـ].
- (٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأوهال (٣٩) [مكتبة آل ياسر]، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/٢٨٣) [مكتبة الدار، ط١]، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٩/١٠) و(٢٨/١١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ]، وغيرهم، وأورده بطوله ابن كثير في

- النهاية (١٣٦ - ١٤١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ]. ومداره على إسماعيل بن رافع، وهو ضعيف أو متروك، وقد أشار ابن كثير إلى ذلك، وأن في بعض سياقه نكارة، وحكم الألباني بكنارته في ضعيف الترغيب والترهيب (رقم ٢٢٢٤).
- (٨) تفسير القرطبي (١٣/٢٤٠) [دار إحياء التراث].
- (٩) المرجع نفسه.
- (١٠) انظر: فتح الباري (١١/٣٧٧) [دار الفكر].
- (١١) تقدم تخريجه.

- المسألة الثالثة: مدة ما بين

النفختين:

قد جاءت النصوص بتحديد الفترة الزمنية بين النفختين بأربعين، ولا ندري أهى أربعون يومًا؟ أم أربعون شهرًا؟ أم أربعون سنة؟

قال عليه السلام: «بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا؟ قال: أبيت، قال: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت، «وبيلي كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه، فيه يُرْكَبُ الخلق»^(٥).

- المسألة الرابعة: ما يترتب على

النفختين^(٦):

من الآثار المترتبة على النفخة الأولى ما يأتي:

١ - أن النفخة الأولى هي بداية الساعة.

فينفخ في الصور وتقوم الساعة كما قال عبد الله بن عمرو قال: «لينفخن في الصور، والناس في طرقهم وأسواقهم ومجالسهم، وحتى إن الرجل ليغدو من بيته فلا يرجع حتى ينفخ في الصور، وهي التي قال الله: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً

النفختان: أما الأولى فتميت الأحياء، وأما الثانية فتحيا الموتى»^(١).

وفي الحديث قال عليه السلام: «ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى له، وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق، ثم لا يبقى أحد إلا صعق، ثم يرسل الله - أو: ينزل الله - قطرًا كأنه الطل أو الظل» - نعمان الشاك - «فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون»^(٢)، وقال رسول الله عليه السلام: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ»، فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ - يعني: وقد بليت - قال: «إن الله وَعَلَى حَرَمٍ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أجساد الأنبياء صلوات الله عليهم»^(٣).

وهذه النصوص تبطل قول من قال بأن النفخات ثلاث، ولا حجة لهم صحيحة فيما استدلوا به^(٤).

(١) تفسير الطبري (١٢/٤٢٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: التذكرة في أحوال الموتى والآخرة (٢٠٩) [دار قباء للنشر]، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٤٠)، وفتح الباري لابن حجر (٣/٣٧٧) [دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ]، وروح المعاني (٢٠/٣١)، (٢٤/٢٩) [دار إحياء التراث، ط٤]، ومجموع الفتاوى (٤/٢٦٠) و(١٦/٣٢) [دار عالم الكتب، ط١٤١٢هـ]، وتفسير ابن كثير (٣/٣٧٨)، ولوامع الأنوار (٢/

(١٦١) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١١هـ]، وفتح

القدر (٤/١٥٣) [دار الفكر، ١٤٠٣هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨١٤) واللفظ له، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٥٥).

(٦) انظر: رسائل الآخرة (٣/٦١٣ - ٦١٧).

وَحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ [يسر] (١)، قال الألوسي: «هي النفخة الأولى في الصور التي يموت بها أهل الأرض تأخذهم وهم يتخاصمون ويتنازعون في معاملاتهم ومتاجرهم لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها، فلا يستطيعون توصية في شيء من أمورهم إذ كانوا فيما بين أهلهم» (٢).

وهذا - والله تعالى أعلم - بعد النفخة الأولى وهلاك الخلق؛ «لأن المقصود إظهاره انفراده تعالى بالملك عند انقطاع دعوى المدعين وانتساب المنتسبين، إذ قد ذهب كل ملك وملكه وكل جبار ومتكبر وملكه، وانقطعت نسبتهم ودعاويهم، وهذا أظهر، وهو مقتضى قوله الحق: أنا الملك أين ملوك الأرض» (٥).

٤ - فناء من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور العين فإن الجنة ليس فيها موت ومتناول لغيرهم. ولا يمكن الجزم بكل من استثناءه الله، فإن الله أطلق في كتابه. وقد ثبت في «الصحيح» أن النبي ﷺ

٢ - أن النفخة الأولى يتبعها تغيير عام في الكون كله علويه وسفليه، لقوله ﷺ فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين، فليقرأ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت» وأحسبه أنه قال: «سورة هود» (٣).

٣ - أن الله يقبض الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: «أنا الملك أين ملوك الأرض».

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بَقِصَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِّمِمينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَلَىٰ

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٢٨/٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١].

(٢) روح المعاني (١٣/٣١).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣٣٣)، وأحمد (٤٢٣/٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١] واللفظ له، والحاكم (كتاب الأحوال، رقم ٨٧١٩) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٨١).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨١٢)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٧).

(٥) التذكرة (١٩٤).

[يسر]، وقال ﷺ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ [النازعات]، قال ابن كثير: «أي: فإنما هو أمر من الله تعالى لا مثنوية فيه ولا تأكيد، فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث، فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب ﷻ ينظرون» (٣).

وقد مرَّ حديث عبد الله بن عمرو المرفوع، وفيه: «ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون».

٢ - بهذه النفخة وبعد البعث تتابع أحوال القيامة.

بداية من ساعة الحشر إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار؛ لقوله ﷺ: «ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون» قال: «ثم يقال: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسؤولون»، قال: «ثم يقال: أخرجوا بعث النار» قال: «فيقال: كم؟ فيقال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون، فيومئذ يبعث الولدان شيبًا، ويومئذ يكشف عن ساق» (٤).

- المسألة الخامسة: صاحب القرن:

هو المَلَكُ الذي ينفخ في الصور، روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن

قال: «إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى آخذًا بساق العرش فلا أدري هل أفاق قبلي أم كان ممن استثناه الله» (١)، وهذه الصعقة قد قيل: إنها رابعة، وقيل: إنها من المذكورات في القرآن. وبكل حال: النبي ﷺ قد توقف في موسى وهل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه الله أم لا؟ فإذا كان النبي ﷺ لم يخبر بكل من استثنى الله لم يمكننا نحن أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء وأمثال ذلك مما لم يخبر به، وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر، والله أعلم» (٢).

- ومن الآثار المترتبة على النفخة الثانية ما يأتي:

١ - قيام الناس من القبور.

قال تعالى: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ (٥١)

(١) أخرجه البخاري (كتاب الخصومات، رقم ٢٤١١)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٢٦١). وانظر للتوسع: النذكرة للقرطبي (١٨٨ - ١٩٢)، وفتح الباري لابن حجر (٥١٢/٦، ٥١٣)، وتفسير القرطبي (١٥/٢٨٠ - ٢٨١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٢٦١)، و(١٦/٣٦)، ومعالم التنزيل (٦/١٨١)، وروح المعاني (٢٠/٣٣، ٣٤)، وفتح القدير (٤/٤٧٥)، وتفسير الطبري (١١/٢٧ - ٢٩)، وتفسير ابن كثير (٤/٦٥)، وزاد المسير (٦/١٩٥)، والنهاية في الفتن والملاحم (١/١٤٦) [دار الفكر]، ولوامع الأنوار (٢/٣٧، ٦١).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٤٦٨).

(٤) تمة حديث عبد الله بن عمرو المتقدم تخريجه.

وصاعقة^(٤).

والمراد بها شرعاً: النفخة الأولى التي ينفخها الملك في الصور، فيصعق بها من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وعلى إثرها تقوم الساعة.

وسميت بذلك؛ لأنه يتزلزل ويتحرك كل شيء، ثم منها يموت جميع الخلائق.

وتسمى: النفخة، والصعقة، والصيحة^(٥).

والإيمان بها واجب، فلا بد من الاعتقاد الجازم بحصولها، والتصديق بما دلّت عليه النصوص بشأنها. فهي إحدى مفردات اليوم الآخر التي تسبق الحشر والنشر.

ومن أدلتها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرّٰادِفَةُ﴾ [النازعات]، وقوله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله تعالى غالية، ألا إن سلعة الله الجنة، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه»^(٦).

(٤) لسان العرب (١٩/١١٢).

(٥) وانظر: نظم الدرر (٨/٣١٠) [دار الكتب العلمية، ط ١٤١٥هـ].

(٦) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرفائق والورع، رقم ٢٤٥٧) وحسنه، وأحمد (٣٥/١٦٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم في المستدرک (كتاب الرفاق، رقم ٧٨٥٢) واللفظ له، وحسنه =

النبي ﷺ قال: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينظر متى يؤمر. قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»^(١).

فيجب الإيمان بصاحب القرن ﷺ كما ورد به النص، والإيمان به يدخل في عموم وجوب الإيمان بالملائكة ﷺ. والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، وأصل من أصوله العظيمة.

ولم يثبت في تسميته شيء، وما ذكر في أن اسمه إسرافيل ﷺ، لا تقوم به الحجة، ولم يثبت فيه حديث صحيح يعول عليه^(٢)، والله أعلم.

- المسألة السادسة: النفخة الأولى:

تسمى: الراجفة، من رَجَفَ الشيءُ يَرْجُفُ رَجْفًا وَرَجْفَانًا؛ إذا تحرك واضطرب اضطراباً شديداً^(٣)، كَرَجْفَانِ البعير تحت الرحل، وكما تَرْجُفُ الشجرة إذا رَجَفَتْها الرِّيحُ، والرجفة: الزَّلْزَلَةُ، وَرَجَفَتِ الْأَرْضُ تَرْجُفُ رَجْفًا اضطربت، والرجفة في القرآن كلُّ عذابٍ أَخَذَ قومًا فهي رَجْفَةٌ وَصِيْحَةٌ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ينظر: فتح الباري (١١/٣٧٦).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١١/٣١)، وجمهرة اللغة لابن دريد (١/٢٨٨)، والمعجم الوسيط (١/٣٣٢).

والنشر، وقد ورد النص عليها.

ومن أدلتها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات]، وقوله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله تعالى غالية، ألا إن سلعة الله الجنة، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه» (٤).

قال الحسن عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات]: «هما النفختان، فأما الأولى: فتميت الأحياء، وأما الثانية: فتحيي الموتى، ثم تلا: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي مَقَامٍ يَظُنُّونَ﴾ [الزمر]» (١).

- المسألة السابعة: النفخة الثانية:

قال ابن عباس: «الرادفة: النفخة الثانية» (٥)، وقال قتادة: «هما الصيحتان، أما الأولى: فتميت كل شيء بإذن الله، وأما الآخرة: فتحيي كل شيء بإذن الله» (٦). وهو قول جمع من الصحابة والتابعين.

هي: الرادفة، من الرَّدْفُ، وهو ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئاً فهو رَدْفُهُ، يقال: كان نزل بهم أمر فردف لهم آخر أعظم منه، قال تعالى: ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات]، ويقال: جاء القوم رَدَافَى؛ أي: بعضهم يتبع بعضاً (٢).

✽ مذهب المخالفين:

ذهب بعض المخالفين لأهل السُّنَّة إلى أن الصور قرن من نور فيه ثقب على عدد الخلائق سعته أعظم ما بين السماء والأرض.

ولا شك أن هذا ليس عليه دليل من الكتاب والسُّنَّة، وحكايته تغني عن الكلام في إبطاله (٧).

وهي شرعاً: نفخة الصور الثانية، التي ينفخها الملك في الصور فتبعث على إثرها الخلائق.

وسميت بذلك؛ «لأنها ردت النفخة الأولى، كذا قال جمهور المفسرين» (٣).

والإيمان بالرادفة واجب، إذ هي أحد مفردات اليوم الآخر التي تسبق الحشر

= الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٥٤).

(١) بحر العلوم (٣/٥٢٠).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٦٨/١٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م]، والصحاح (٥٠/٥) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ولسان العرب (٩/١١٤) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ].

(٣) فتح القدير (٥/٥٢٦) [دار الفكر، ط ١٤٠٣هـ].

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) رواه البخاري معلّقاً (كتاب التفسير، رقم ١٨٨١)، ووصله الطبري في تفسيره (٤٢٤/١٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٠٦/٨) [دار الفكر، ط ١٤١٤هـ].

(٧) انظر: نظم الدرر (٨/٢٩٩)، وبستان الواعظين =

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «إعلام السُّنة المنشورة»، لحافظ الحكمي.
- ٢ - «البعث والنشور»، للبيهقي.
- ٣ - «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة»، للقرطبي.
- ٤ - «البحر الزاخر في علوم الآخرة» (ج ١)، للسفاري.
- ٥ - «البدور السافرة في أمور الآخرة»، للسيوطي.
- ٦ - «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.
- ٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٤، ١٦)، لابن تيمية.
- ٨ - «شرح العقيدة السفارينية»، لابن عثيمين.
- ٩ - «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.
- ١٠ - «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، للعقيل.
- ١١ - «البعث»، لأبي داود السجستاني.

ومن المخالفين من أنكر أن يكون الصور قرناً^(١)؛ زاعماً أن الصور جمع صورة، كما أن الصوف جمع الصوفة، والثوم جمع الثومة، وهو أيضاً قول باطل ليس عليه أثارة من علم الكتاب والسُّنة^(٢).

ولا يصح الاعتماد على قراءة من قرأ (ونفخ في الصُّور) بفتح الواو^(٣)؛ لمخالفته ظاهر القرآن؛ إذ قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر]، ومخالفته ظاهر النصوص الحديثية المتقدمة.

وقد شدَّ من قال بهذا القول وقرأ بفتح الواو في الآية السابقة عن مذهب جمهور أهل السُّنة، وأهل التفسير، وأهل اللغة^(٤).

= رياض السامعين (٣٢) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤١٩هـ]، وتفسير ابن عطية (٣٣١/٥) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ]، والتذكرة للقرطبي (٢٢٢).

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٢/١٦٠) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م].

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي (٢٠٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/٢٠)، وتفسير ابن كثير (٢/١٤٧)، وزاد المسير (٣/٦٨، ٦٩)، وتفسير الرازي (١٣/٣٠)، ولسان العرب (٤/٤٧٥).

(٣) انظر: زاد المسير (٣/٦٩)، وتفسير الرازي (٢٣/٢٩٧) [دار الفكر، ط ٣، ١٤٠٥هـ]، وتهذيب اللغة (١٢/١٦١).

(٤) انظر: التذكرة للقرطبي (٢٠٧)، والجامع لأحكام

القرآن للقرطبي (٧/٢٠)، وتفسير ابن كثير (٢/١٤٧)، وزاد المسير (٣/٦٩)، ومعالم التنزيل (٣/١٥٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢/١٦١)، ولسان العرب (٤/٤٧٥).

التعريف شرعاً:

نفس الله تعالى هي ذاته سبحانه، وهي ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته^(٤).

النفخة

يراجع مصطلح (النفخ في الصور).

الحكم:

النَّفْس (صفة لله تعالى)

التعريف لغة:

يجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل.

الحقيقة:

ورد في النصوص إضافة النفس إلى الله تعالى، والمراد بالنفس في هذه النصوص: هي ذات الله ﷻ، وليست صفة من صفات الباري ﷻ.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران)، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام: ٥٤)، وقال تعالى: ﴿وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي﴾ (طه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه،

قال ابن فارس: «النون والفاء والسين أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان، من ريح أو غيرها، وإليه يرجع فروعه. منه النفس: خروج النسيم من الجوف، والنفس: الدم، وهو صحيح؛ وذلك أنه إذا فقد الدم من بدن الإنسان فقد نفسه، ويقال للماء: نفس، وهذا على تسميته الشيء باسم غيره، ولأن قوام النفس به، والنفس قوامها بالنفس. تنفست القوس: انشقت. وشيء نفيس؛ أي: ذو نفس وخطر يتنافس به»^(١). فالنفس هي الذات والعين، وهذا من تسمية الشيء بغيره؛ لأن بقاء تلك العين والذات يكون بالنفس.

وقال الجوهري: «نَفْسُ الشيء: عينه، يؤكد به، يقال: رأيت فلاناً نفسه، وجاءني بنفسه»^(٢). وجاء في المعجم الوسيط: «النفس: ذات الشيء وعينه، يقال: جاء هو نفسه أو بنفسه»^(٣).

(١) الصحاح (٩٨٤/٣) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٢) المرجع السابق.

(٣) المعجم الوسيط (٩٤٠) [دار الدعوة، ١٤١٠هـ].

(٤) انظر: صفات الله الواردة للسقاف (٣٤٩) [دار

الهجرة الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ].

نفيت الصفات، وإذا نفيت الصفات كان لا شيء»^(٣).

وقال ابن تيمية: «غير الله لا يعلم ما في نفس الله من العلم - ونفسه هي ذاته المقدسة - إلا أن يعلمه الله بذلك، كما قال المسيح ﷺ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَ الْغُيُوبَ﴾ [المائدة: ٤].»^(٤).

وقال أيضًا: «ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه؛ كما يقال: رأيت زيدًا نفسه وعينه، وقد قال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وفي الحديث الصحيح أنه قال لأُم المؤمنين: «لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وزن بما قلتاه لوزنتهن: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله مداد كلماته»، وفي الحديث الصحيح الإلهي عن النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ»

(٣) نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد (٥٤٦، ٥٤٧) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (١٤/١٩٦، ١٩٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

وإن اقترب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن اقترب إلي ذراعًا اقتربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»^(١).

وعن أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟». قالت: نعم. قال النبي ﷺ: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال عثمان بن سعيد الدارمي: «فقد أخبر رسول الله ﷺ أن الله يخفي ذكر العبد في نفسه إذا أخفى ذكره، ويعلن ذكره إذا هو أعلن ذكره، ففرق بين علم الظاهر والباطن والجهر والخفاء، فإذا اجتمع قول الله وقول الرسولين عيسى ومحمد - صلى الله عليهما وسلم - فمن يكثر لقول جهن والمريسي وأصحابهما. فنفس الله هو الله، والنفس تجمع الصفات كلها، فإذا نفيت النفس

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٥)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٢٦).

زائدة على ذاته، لما سمعوا إدخال المتقدمين لها في ذكر الصفات، ولم يكن مقصود المتقدمين ذلك، وإنما قصدهم الرد على من ينكر ذلك من الجهمية، وزعموا أن ذلك هو ظاهر النصوص، وليس الأمر كذلك، وقد صرح أئمة السُّنة بأن المراد بالنفس هو الذات، وكلامهم كله على ذلك»^(٣).

وقال أيضًا بعد أن ذكر نصوصًا من الكتاب والسُّنة ورد فيها ذكر النفس مضافة إلى الله ﷻ: «فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النَّفْس عند جمهور العلماء: الله نفسه، التي هي ذاته، المتصفة بصفاته، المنفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ»^(٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (ج ٦)، لابن بطة العكبري.
- ٢ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٦ و ٨)، لابن تيمية.
- ٣ - «السُّنة» (ج ٦)، للخلال.

خير منهم»؛ فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النَّفْس عند جمهور العلماء: الله نفسه، التي هي ذاته، المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتًا منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ»^(١).

وقد سئل الشيخ ابن باز السؤال الآتي: «هل صفة (النفس) لله صفة ذات؟» فكان الجواب: «نعم، قال الله سبحانه عن عيسى ﷺ إنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] (نفسه)؛ يعني: ذاته»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- خطأ من يقول: إن النفس صفة من صفات الله تعالى:

إن من قال من السلف بإثبات النفس على أنها صفة زائدة على الذات إنما قالوه ردًا على الجهمية المنكرين لها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المراد بالنفس هو الذات، وهذا هو الصواب، فإن طائفة من متأخري أهل الإثبات جعلوا النفس في هذه النصوص صفة لله

(١) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٩٢، ٢٩٣).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٨/ ٣٩٥) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط ٣، ١٤٢١هـ].

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٢٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١، ١٤٢٦هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٩٢، ٢٩٣). وانظر للتفصيل: بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٥٨ - ٤٨٥).

٤ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٥ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (ج ١)، لعبد الله بن محمد الغنيان.

٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٧ - «معارج القبول» (ج ١ و ٣)، لحافظ الحكمي.

٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٩ و ١٤)، لابن تيمية.

٩ - «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (ج ٢٨)، لابن باز.

١٠ - «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، للدارمي.

■ النفس ■

يراجع مصطلح (الروح).

■ النفس الأمارة بالسوء ■

يراجع مصطلح (الروح).

■ النفس اللوامة ■

يراجع مصطلح (الروح).

■ النفس مطمئنة ■

يراجع مصطلح (الروح).

■ النفس ■

✽ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «النفس: كل شيء يُفَرَّجُ به عن مكروب، وفي الحديث: «لا تسبوا الريح؛ فإنها من نفس الرحمن»؛ يعني: أنها رُوح يُنَفَّسُ به عن المكروبين، وجاء في ذكر الأنصار: «أجد نفس ربكم من قبل اليمن»؛ يراد أن بالأنصار نفْس عن الذين كانوا يُؤَدُّون من المؤمنين بمكة»^(١).

✽ التعريف شرعاً:

النفس: فعل من أفعال الله تعالى، والله ﷻ ينفِّس عمن يشاء بما يشاء ﷻ^(٢).

✽ الحكم:

يجب الإيمان بتنفيس الله ﷻ لدلالة الأحاديث النبوية على ذلك، ويجب إثباته لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه

(١) مقاييس اللغة (٥٧٤/٢) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٩٨/٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، والقواعد المثلى لابن عثيمين (٥١) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط ٣، ١٤٠٩هـ].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نَفَسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نَفَسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّرَ على معسر يسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّلَ الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفَّتْهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» ^(٤).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن قتيبة: «ونحن نقول: إنه لم يرد بالنفس ما ذهبوا إليه، وإنما أراد أن الريح من فرج الرحمن ﷻ وروحه، يقال: اللَّهُمَّ نَفْسَ عني الأذى، وقد فرَّجَ الله عن نبيِّه ﷺ بالريح يوم الأحزاب، وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]، وكذلك قوله: «إني لأجد نفس ربكم من قبل اليمن». وهذا من الكناية؛ لأن معنى هذا أنه قال: كنت في شدة وكرب

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٩٩).

وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل.

✽ الحقيقة:

النَّفْس: بمعنى: التنفيس، وحقيقته التفريج عن المكروب، وإزالة الشدة والكرب والهم والغم ^(١).

✽ الأدلة:

عن سلمة بن نفيل السكوني رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال - وهو مؤلٌّ ظهره إلى اليمن -: «إني أجدُ نَفْسَ الرحمن من هنا» ^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أَلَا إِنَّ الْإِيمَانَ يَمَانُ، والحكمة يمانية، وأجدُ نَفْسَ ربكم من قِبَلِ الْيَمَنِ» ^(٣).

(١) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٣٠٧، ٣٠٨) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ]، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (٥١).

(٢) أخرجه البزار (١٥٠/٩) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١]، والطبراني في الكبير (٦٠/٧) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣٩١) [مكتبة السوادي، ط ١] وغيرهم، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٩٩/٢/٧)، رقم (٣٣٦٧).

(٣) أخرجه أحمد (٥٧٦/١٦، ٥٧٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والطبراني في مسند الشاميين (١٤٩/٢)، (١٥٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦/١٠) [مكتبة القدسي]: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير شبيب وهو ثقة»، لكن تعقبه الألباني، وحكم بנקارة هذه الزيادة في السلسلة الضعيفة (٢١٧/٣).

تفريجًا وفرجًا، هكذا قال أهل اللغة فيكون معنى الحديث: أن تنفيس الله تعالى عن المؤمنين يكون من أهل اليمن^(٥).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: معنى أثر: «لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن»^(٦):
النَّفْس من التنفُّس الذي هو إخراج الريح من الجوف، فهذا المعنى غير مراد هنا البتة، ولا يليق بكمال الله وغناه وعظمته سبحانه، فإنه تعالى فرد صمد، ولذلك لم يقل به أحد من أهل السُّنَّة والجماعة، وإنما نسب بعض الجهمية هذا المعنى إلى أهل السُّنَّة والجماعة كذبًا وزورًا وافتراء عليهم، وقد ردَّ عليهم أهل السُّنَّة والجماعة وتبرؤوا مما نسب عليهم، قال الدارمي: «تعالى الله عما نحله المبتطلون بأن ذلك نفس يخرج من جوف. فمن سمعت أيها المعارض أن هذا نفس يخرج من جوف الله تعالى؟ وهذا الحديث معروف معقول المعنى جهلت معناه فصرفته إلى غيره مما لم نر أحدًا يقوله أو يذهب إليه، إنما فسره

وغم من أهل مكة ففرج الله عني بالأنصار؛ يعني: أنه يجد الفرَج من قبل الأنصار وهم من اليمن، فالريح من فرج الله تعالى وروحه، كما كان الأنصار من فرج الله تعالى»^(١).

وقال ابن تيمية: «قوله ﷺ: «من اليمن» يبيِّن مقصود الحديث؛ فإنه ليس لليمن اختصاص بصفات الله تعالى حتى يظن ذلك، ولكن منها جاء الذين يحبهم ويحبونه الذين قال فيهم: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]. وقد روي أنه لما نزلت هذه الآية: سئل عن هؤلاء؛ فذكر أنهم قوم أبي موسى الأشعري^(٢)؛ وجاءت الأحاديث الصحيحة مثل قوله: «أتاكم أهل اليمن أرق قلوبًا، وألين أفئدة؛ الإيمان يمانى، والحكمة يمانية»^(٣) وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة، وفتحوا الأمصار؛ فيهم نَفْسُ الرحمن عن المؤمنين الكربات»^(٤).

وقال ابن عثيمين: «وهذا الحديث على ظاهره، والنَّفْس فيه اسم مصدر نَفَسٌ يَنْفَسُ تنفيسًا، مثل فَرَجٍ يُفَرِّجُ

(٥) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (٥١).

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في السُّنَّة (٥١٠/٢) [دار ابن القيم، ط١]، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٧٠٦)، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٠٧٥) وصححه، عن أبي بن كعب رضي الله عنه موقوفًا من قوله، ورجاله ثقات.

(١) تأويل مختلف الحديث (٣٠٧، ٣٠٨).

(٢) أخرجه الحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٢٢٠) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٨٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٥٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٩٨/٦).

والجماعة يشبّون لله ما أثبتته لنفسه، وأثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وهم لا يصفون الله بالنفس؛ لأنه لم يثبت وصفه بهذا الوصف في الكتاب والسنة^(٤).

- المسألة الثانية: بطلان ما نقل عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى من تأويل هذا الحديث:

عُزي إلى الإمام أحمد أنه لم يقل بظاهر هذا الحديث، ولكن لا يصح ذلك عنه، قال ابن تيمية: «وأما ما حكاه أبو حامد الغزالي عن بعض الحنبلية: أن أحمد لم يتأول إلا ثلاثة أشياء، وذكر منها قوله ﷺ: «إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن» فهذه الحكاية كذب على أحمد لم ينقلها أحد عنه بإسناد؛ ولا يعرف أحد من أصحابه نقل ذلك عنه. وهذا الحنبلي الذي ذكر عنه أبو حامد مجهول لا يعرف، لا علمه بما قال ولا صدقه فيما قال»^(٥).

الآثار:

إن الله ﷻ ينفس بما يشاء عمن يشاء، وإيمان العبد بذلك يجعله يلجأ إلى الله ﷻ، ولا سيما في أوقات الكروب والمشكلات، فإنه لا ينفسها عنه إلا الله ﷻ.

(٤) الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي (١١٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٩٨/٥).

العلماء على الروح الذي يأتي بها الريح من نحو اليمن؛ لأن مهب الريح من هناك من عندهم، فأما أن يقول أحد هو نفس يخرج من جوف الرحمن فما سمعنا أحداً يقوله قبلك، وأدنى ما عليك فيه الكذب أن ترمي قومًا مشنعًا عليهم ثم لا تقدر أن تثبته عليهم»^(١).

ولو كان المراد به الهواء الذي يدخل الجوف ويخرج منه بالتنفس لقال: (إني أجد ريح نفس ربكم)، ويدل على ذلك ما جاء في حديث النبي ﷺ في وصف عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء: «فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه»^(٢). فهكذا يوصف من كان له نفس يخرج من جوف، فيقال: وجدت ريح نفس فلان، فلما قال: «نفس ربكم» ولم يقل: (ريح نفس ربكم) علم أن المعنى المذكور غير صحيح وغير مراد هنا البتة.

بل معناه: أن الله ﷻ ينفس بها عمن شاء من خلقه، وهذا الحديث ليس من أحاديث الصفات، قال الألباني: «ليس الحديث من أحاديث الصفات»^(٣).

وقال عبد المحسن العباد: «أهل السنة

(١) نقض عثمان بن سعيد على المريسي العنيد (٤٠٣) - (٤٠٥).

(٢) جزء من حديث النواس بن سميان، أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراف الساعة، رقم ٢٩٣٧).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١١٠٢/٢/٧) [مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ].

المصادر والمراجع:

نوح

اسمه ونسبه:

نوح بن لامك بن مئوسلخ بن خنوخ - وهو إدريس - بن يرد - وقيل: يرد - بن هلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام ^(١).

والقول بأن إدريس عليه السلام هو الجد الثاني لنوح فيه نظر؛ إذ إن القول الصحيح أن إدريس عليه السلام كان بعد نوح عليه السلام ولم يكن قبله ^(٢).

معنى اسمه لغة:

قيل: إن نوحاً مشتق من ناح ينوح، والنوح البكاء؛ وسمي بذلك لأنه ناح على قومه، وأكثر من فعله ذلك؛ لأنهم كانوا موتى في أديانهم، هذا وإن كان الاشتقاق يعضده من وجه، إلا أن نوحاً اسم أعجمي، وانصرف لكونه على ثلاثة أحرف ^(٣).

(١) انظر: المنتظم في التاريخ (٢٣٩/١) [دار الكتب العلمية، ط ١]، والجامع لأحكام القرآن (٤٦٦/١٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والبداية والنهاية (٢٣٧/١) [دار هجر، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣١٥/٢) [دار الكتب العلمية، ط ٣]، والجامع لأحكام القرآن (٤٦٦/١٣)، والبداية والنهاية (٢٣٤/١)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٦٥/١، ٦٦) [دار ابن الجوزي، ط ٤، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣١٥/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٤٦٦/١٣).

١ - «إبطال التأويلات لأخبار الصفات»

(ج ١)، للقاضي أبي يعلى الفراء.

٢ - «الأسماء والصفات» (ج ٢)،

للبهقي.

٣ - «الانتصار لأهل السنة والحديث

في رد أباطيل حسن المالكي»،
لعبد المحسن العباد البدر.

٤ - «تأويل مختلف الحديث»، لابن

قتيبة.

٥ - «سلسلة الأحاديث الصحيحة»

(ج ٧)، للألباني.

٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب

والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٧ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٥ و ٦)،

لابن تيمية.

٩ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم

عبد الله فالح.

١٠ - «نقض عثمان بن سعيد على

المريسي الجهمي العنيد فيما افترى

على الله في التوحيد»، للدارمي.

نفي الإيمان

يراجع مصطلح (الإيمان).

نقص الإيمان

يراجع مصطلح (زيادة الإيمان

ونقصانه).

نبوته:

نوح عليه السلام: هو أول رسول أرسله الله تعالى إلى أهل الأرض بعد آدم عليه السلام، على الصحيح من أقوال أهل العلم، واختلف في عمره كم كان يوم بُعث، وقد بعثه الله تعالى بالتوحيد، وإفراد الله بالعبادة، بعد ظهور الشرك والكفر (٤).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا لَنُقَوِّنَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧)﴾ [الشعراء].

ومن السُّنَّة: ما جاء في حديث الشفاعة الطويل: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنّا مع النبي ﷺ في دعوة، فُرفِعَ إليه الذُّراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نهسة وقال: «أنا سيد القوم يوم القيامة... فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض

واستدل من قال: إنه اسم أعجمي بحديث أبي ذر رضي الله عنه المشهور، وفيه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، أربعة - يعني: من الرسل - سريانيون: آدم وشيث ونوح وأخنوخ» (١).

مولده ونشأته:

قيل: إن مولده كان بعد وفاة آدم عليه السلام بمائة وست وعشرين سنة، وقيل غير ذلك، وكان بين آدم عليه السلام ونوح عليه السلام عشرة قرون كلهم على التوحيد، فعن أبي أمامة رضي الله عنه؛ أن رجلاً قال: يا رسول الله، أنبيي كان آدم؟ قال: «نعم. مكلم». قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون» (٢).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كان بين نوح وادم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين» (٣).

(١) أخرجه ابن جرير في تاريخه (١٧١/١) [دار التراث، ط٢]، وابن حبان في صحيحه (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٦١)، وأشار إلى ضعفه ابن كثير في التفسير (٤٧٠/٢) [دار طيبة، ط٢]، وقال الألباني: «ضعيف جداً». التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٣٨٧/١) [دار باوزير، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (كتاب التاريخ، رقم ٦١٩٠) [الرسالة، ط٢]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٠٣٩)، وصححه الحاكم وابن كثير على شرط مسلم. انظر: البداية والنهاية (٢٣٧/١) [دار هجر، ط١]، وصححه الألباني أيضاً في السلسلة الصحيحة (٣٥٩/٦) [مكتبة المعارف، ط١].

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦٢١/٣) [دار هجر،

ط١]، والحاكم في المستدرک (كتاب التفسير، رقم ٣٦٥٤) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٥٤/٧).

(٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣١٥/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٤٦٦/١٣)، والبداية والنهاية (٢٣٨/١).

بعدها مثلها»^(٣).

ومن أخبار هذه السفينة قوله تعالى:
﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ
فَأَسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ
وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَكَتَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾
[المؤمنون: ٢٧]، فأمره تعالى أن يحمل
فيها من كل زوجين اثنين، من
الحيوانات، وسائر ما فيه روح من
المأكولات وغيرها؛ لبقاء نسلها^(٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمُ
فِي الْجَارِيَةِ ۖ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ
وَعِيَةٌ ۚ﴾ [الحاقة: ١٢].

وقال تعالى: ﴿فَأَنبِئْنَاهُ وَأَصْحَبَ
السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(٥)
[العنكبوت]. قال السعدي رحمه الله في تفسير
هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾؛ أي: السفينة،
أو قصة نوح: ﴿آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(٥)
يعتبرون بها، على أن من كذب الرسل،
آخر أمره الهلاك، وأن المؤمنين
سيجعل الله لهم من كل هم فرجاً، ومن
كل ضيق مخرجاً، وجعل الله أيضاً
السفينة؛ أي: جنسها آية للعالمين،
يعتبرون بها رحمة ربهم، الذي قيض لهم
أسبابها، ويسر لهم أمرها، وجعلها
تحملهم، وتحمل متاعهم، من محل إلى

وسمّاك الله عبداً شكوراً، أما ترى إلى ما
نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا
تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: ربي غضب
اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا
يغضب بعده مثله - وفي رواية: وإنه قد
كانت لي دعوة دعوت بها على قومي -
نفسي نفسي، ...»^(١).

قال ابن جرير رحمه الله: «وقد روي عن
جماعة من السلف أنه كان بين آدم ونوح
عشرة قرون، كلهم على ملة الحق، وأن
الكفر بالله إنما حدث في القرن الذي
بعث إليهم نوح عليه السلام، وقالوا: إن أول
نبي أرسله الله إلى قوم بالإنذار، والدعاء
إلى توحيده نوح عليه السلام»^(٢).

❁ دلائل نبوته:

لما كذب قوم نوح نوحاً عليه السلام،
واستكبروا وعصوا أمر ربهم، أمره الله
تعالى بصناعة الفلك، وهي السفينة
العظيمة، التي لم يكن قبلها ولا بعدها
مثلاً؛ إذ هي من دلائل نبوته.

قال ابن كثير: «فاجتمع عليهم
خطاياهم، من كفرهم وفجورهم، ودعوة
نبيهم عليهم، فعند ذلك أمره الله تعالى
أن يصنع الفلك، وهي السفينة العظيمة،
التي لم يكن لها نظير قبلها، ولا يكون

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٤٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤).

(٢) تاريخ الطبري (١/١٧٨).

(٣) البداية والنهاية (١/٢٥٦).

(٤) المصدر نفسه (١/٢٥٩).

محل، ومن قطر إلى قطر»^(١).

دعوته:

لحمير لآل ذي الكلاع: أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلمَّا هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت»^(٢).

قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وبالجملة فنوح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنما بعثه الله تعالى لما عبت الأصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد، فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض، كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة»^(٣).

قومه وموقفهم منه:

ذكر الله تعالى قصته مع قومه، وموقفهم منه في غير ما آية من كتابه العزيز؛ فكذبوه وعصوه بعدما دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه من الأصنام والأوثان، فلم يزدتهم دعاؤه إياهم إلا فرارًا وطغيانًا، وأصروا على الشرك بالله، واستكبروا استكبارًا، فكانوا كما قال تعالى حكايته عن نوح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَلَمَّ يَرْدُهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ۚ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا ۚ إِنَّهُمْ كَافِرُونَ﴾^(١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٢٠).

(٣) البداية والنهاية (١/٢٣٨).

دعا نوح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قومه إلى إفراذ الله تعالى بالعبادة، وإلى توحيده، وإلى ترك عبادة الأصنام والأوثان، ليلاً ونهارًا، سرًا وجهارًا، بالترغيب تارة، وبالترهيب تارة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَفْقَهُوا عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٠٩﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝١٢٥ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝١٢٦﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿قَالَ يَفْقَهُوا إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝١٢٧ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۝١٢٨ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّضْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۚ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٢٩﴾ [نوح].

وقد أحدث قومه الشرك بالله تعالى، وعبادة الأصنام، وكان ابتداء الشرك منهم، قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أمَّا ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأمَّا سواع فكانت لهذيل، وأمَّا يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطفان بالجوف عند سبأ، وأمَّا يعوق فكانت لهمدان، وأمَّا نسر فكانت

(١) تفسير السعدي (٧٣٧).

وفاته:

لبث نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [١٤] العنكبوت، ومكث نوح عليه السلام بعد الطوفان ما شاء الله أن يبقى، ثم توفي بعد ذلك، وقد ذكر في مكثه بعد الطوفان أقوال مختلفة، قال ابن كثير: «ثم الله أعلم كم عاش بعد ذلك»^(١).

وأما عن قبره فقد جاء من طريق مرسل عن عبد الرحمن بن سابط وغيره من التابعين: «أن قبر نوح بالمسجد الحرام»^(٢).

ومن المتأخرين من يذكر أن قبره في بلدة بالبقيع تعرف بـ«كرك نوح»، وهناك جامع قد بني بسبب ذلك، وأوقفت عليه أوقاف^(٣).

لكن لم يثبت شيء من ذلك، وهذا عام في قبور الأنبياء إلا قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة النبوية، والخلاف قائم في قبر إبراهيم عليه السلام.

(١) البداية والنهاية (٢٨١/١).

(٢) أخرجه الأزرق في أخبار مكة (٦٨/١) [دار الأندلس]، عن محمد بن سابط مرسلًا.

وانظر: البداية والنهاية (٢٨١/١) [دار هجر، ط ١].

(٣) انظر: البداية والنهاية (٢٨١/١).

ثَبَاتُهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِشْرَارًا ﴿٩﴾ [نوح]، وقال تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهِمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرُكَ الْهَيْكَلُ وَلَا نَذَرُكَ وَدًا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ [نوح]، واتهموه ومن آمن معه بالضلالة؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿قَالَ أَمَلًا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف]، واستحقروه وسخروا منه، ومن قومه المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿فَقَالَ أَمَلًا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود]، فلما رأى أن التذكير لا ينفع فيهم بوجه من الوجوه، وأنه كلما جاء قرن كان أخبث مما قبله، دعا عليهم، فقال تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ [نوح]، فأجاب الله دعوته فأهلكهم وأغرقهم جميعًا، إلا نوحًا ومن آمن معه، فقد نجاهم الله بفضلِهِ ورحمته، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَجْنَبْتَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَعْرِفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف].

مكة»، فلا يلتفت إليها، وإن ساقها بعض المتبعة مساق المسلمات^(٣).

ولكن هاهنا قاعدة عامة مفيدة؛ وهو أنه ليس في معرفة قبور الأنبياء ﷺ بأعيانهم فائدة شرعية، وليس حفظ ذلك من الدين، ولو كان من الدين لحفظه الله، كما حفظ سائر الدين، وذلك أن عامة من يسأل عن ذلك إنما قصده الصلاة عندها، والدعاء بها، ونحو ذلك من البدع المنهي عنها^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: أولية الرسالة؛ أكانت لآدم ﷺ أم لنوح ﷺ؟
استشكل بعض أهل العلم ما جاء منصوباً في حديث الشفاعة من أن نوحاً ﷺ هو أول رسول إلى أهل الأرض، مع كون آدم ﷺ قد أعطي النبوة قبله، وأجيب عن ذلك بعبارة أجوبة^(٥):

أحدها: يحتمل أن تكون الأولوية في قول أهل الموقف لنوح ﷺ مقيدة بقولهم لأهل الأرض؛ لأنه في زمن

(٣) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (١٠١) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/٤٤٤).

(٥) انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (١/٥٧٦) [دار الوفاء، ط ١، ١٤١٩هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٦/٤٢٩، ٤٣٠) [ط ١، ١٤٢١هـ]، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٦٦).

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عن قبور الأنبياء ﷺ: هل هي هذه القبور التي تزورها الناس اليوم؟ مثل: قبر نوح، وقبر الخليل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ويونس، وإلياس، واليسع، وشعيب، وموسى، وزكريا وهو بمسجد دمشق...؟ فأجاب رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «الحمد لله، القبر المتفق عليه هو قبر نبينا ﷺ، وقبر الخليل فيه نزاع، لكن الصحيح الذي عليه الجمهور أنه قبره، وأما يونس، وإلياس، وشعيب، وزكريا فلا يعرف»^(١).

وقال أيضاً: «حتى قال طائفة من العلماء - منهم: عبد العزيز الكنانى -: كل هذه القبور المضافة إلى الأنبياء لا يصح شيء منها، إلا قبر النبي ﷺ»^(٢).

وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «لم يثبت في حديث مرفوع أن إسماعيل ﷺ أو غيره من الأنبياء الكرام دفنوا في المسجد الحرام، ولم يرد شيء من ذلك في كتاب من كتب السنة المعتمدة؛ كالكتب الستة، ومسند أحمد، ومعجم الطبراني الثلاثة، وغيرها من الدواوين المعروفة... وغاية ما روي في ذلك آثار معضلات، بأسانيد واهيات موقوفات أخرجها الأزرقى في: «أخبار

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/٤٤٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ٢، ١٤٢٥هـ].

(٢) المصدر نفسه (٢٧/٤٤٦).

آدم ﷺ لم يكن للأرض أهل.

الثاني: يحتمل أن يكون آدم ﷺ إنما أرسل لبنيه فقط، ولم يكونوا كفارًا، وإنما كانوا على ملة التوحيد، وكانوا مجتمعين في بلدة واحدة، وأما نوح ﷺ فقد أرسل لبنيه وغيرهم من الأمم، وكانوا كفارًا، ومتفرقين في بلدان عدة.

الثالث: وهو أن آدم ﷺ كان نبيًا ولم يكن رسولًا، وأما نوح ﷺ فهو نبي رسول، فيكون نوح ﷺ أول رسول إلى أهل الأرض.

والأظهر أن يقال: إن نوحًا ﷺ أول الرسل والنبیین بعد الاختلاف؛ لأن أمته أول من اختلف وغير وبدل وكذب^(١)، كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [غافر: ٥].

- المسألة الثانية: عموم بعثة نوح ﷺ:

ورد في حديث الشفاعة الطويل: عن أبي هريرة ﷺ قال: كنّا مع النبي ﷺ في دعوة فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة وقال: «أنا سيد القوم يوم القيامة... فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض...»^(٢).

وهذا مما ظاهره أن نوحًا ﷺ بعث إلى أهل الأرض جميعًا، لكن مما هو معلوم قطعًا أن من خصائص نبينا محمد ﷺ أنه بعث إلى أهل الأرض جميعًا، وأرسل إلى الناس كافة، فكيف الجمع؟

الجواب: أن هذا العموم لم يكن في أصل بعثته، وإنما اتفق بالحادث الذي وقع؛ وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس؛ أي: بعد الطوفان، وأما نبينا ﷺ فعموم رسالته من أصل البعثة، فثبت اختصاصه بذلك، وأما ما جاء في حديث الشفاعة من قول أهل الموقف له، فليس المراد منه إثبات عموم رسالته؛ بل المراد منه إثبات أولية الرسالة، وعلى تقدير أن يكون مرادًا فهو مخصوص بتنصيبه ﷺ في غير ما آية من كتابه العزيز على أن إرسال نوح ﷺ كان إلى قومه، ولم يذكر أنه أرسل إلى غيرهم^(٣).

ومما اتفق عليه أهل العلم وأجمعوا عليه أن نبينا محمدًا ﷺ بعث إلى الثقلين؛ الجن والإنس^(٤)، كما جاء في الحديث عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسًا لم

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/٥٢٠). وهناك أجوبة وردود على ما ذكر.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩/١٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤٢٥هـ].

(١) انظر: معارج القبول للحكمي (٢/٨٣٢) [دار ابن الجوزي، ط ٦، ١٤٣٠هـ].

(٢) تقدم تخريجه.

بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأُنذِرُكموه، وما من نبيٍّ إلا أُنذره، لقد أُنذر نوح قومه، ولكنني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيُّ لقومه: تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور»^(٥).

- المسألة الرابعة: دعوة نوح عليه السلام على قومه:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٦) إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٧) [نوح].

وفي حديث الشفاعة الطويل: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنّا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة فُرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة وقال: «أنا سيد القوم يوم القيامة... فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبداً شكوراً، أما ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله - وفي رواية: وإنه قد كانت لي دعوةٌ دعوت بها على قومي - نفسي نفسي. اثنوا النبي صلى الله عليه وسلم...»^(٦).

دعاء نوح عليه السلام على أهل الأرض بالهلاك كان بعد أن أعلمه الله أنه لا

يعطهن أحد قبلي: ... وكان كل نبيٍّ يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود»^(١) الحديث. وقد فسر الأحمر: بالإنس، والأسود: بالجن، في أحد التفسيرات^(٢).

وجزم ابن حزم أنه لم يبعث إلى الجن نبي قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال - بعدما قرر بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى الجن -: «وإذا الأمر كما ذكرنا فلم يبعث إلى الجن نبي من الإنس ألبته قبل محمد صلى الله عليه وسلم»^(٣).

فعلى هذا يكون نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مما اختص بعموم رسالته وبعثته إلى الناس كافة، وإلى الثقلين من الإنس والجن، فيرتفع الإشكال الوارد عليه من عموم رسالة نوح عليه السلام.

- المسألة الثالثة: تحذير نوح عليه السلام من المسيح الدجال:

حذر نوح عليه السلام قومه من المسيح الدجال، وإن كان لا يتوقع خروجه في زمانهم؛ شفقة عليهم، ورحمة بهم^(٤)؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، فأثنى على الله

(١) أخرجه البخاري (كتاب التيمم، رقم ٣٣٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١) واللفظ له.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٥/٥) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط١، ١٣٤٧هـ].

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/٣٠٨) [دار الجيل، ط٢، ١٤١٦هـ].

(٤) انظر: البداية والنهاية (١/٢٥٨).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٣٧)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراف الساعة، رقم ١٦٩).

(٦) تقدم تخريجه.

يؤمن من قومه إلا من قد آمن^(١)، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِرَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود].

ونوح عليه السلام إنما دعا بهذا الدعاء؛ لأنه مع كثرة مخالطته إياهم، ومزاولته لأخلاقهم، علم بذلك نتيجة أعمالهم، وأن بقاءهم مفسدة محضة لهم ولغيرهم، لا جرم أن الله استجاب دعوته، فأغرقهم أجمعين، ونجى نوحًا ومن معه من المؤمنين^(٢).

- المسألة الخامسة: شهادة محمد صلى الله عليه وسلم

وأُمته لنوح أنه قد بلغ قومه وأنذرهم:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجيء نوح وأُمته فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول: نعم؛ أي رب. فيقول لأُمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا؛ ما جاءنا من نبي. فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد صلى الله عليه وسلم وأُمته. فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جلّ ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]^(٣).

المصادر والمراجع:

١ - «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج ١)، للقاضي عياض.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٣٣٦).

(٢) انظر: تفسير السعدي (١٠٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٣٩).

٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.

٣ - «تحفة النبلاء من قصص الأنبياء» لابن كثير، انتخب كتابه الحافظ ابن حجر العسقلاني.

٤ - «دعوة التوحيد: أصولها، الأدوار التي مرت بها، مشاهير دعائها»، لمحمد خليل هراس.

٥ - «قصص الأنبياء المعروف بالعرائس»، لأبي إسحاق الثعلبي.

٦ - «قصص الأنبياء»، للسعدي.

٧ - «قصص الأنبياء القصص الحق»، لشيبة الحمد.

٨ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ٢)، لابن أبي العز.

٩ - «المعارف»، لابن قتيبة.

١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، لحافظ الحكمي.

النُّور

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «النون والواو والراء أصل صحيح يدل على إضاءة»^(٤). وقال الجوهري: «النور: الضياء، والجمع أنوار»^(٥).

(٤) مقاييس اللغة (٢/٥٣١) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].

(٥) الصحاح (٢/٨٣٨) [دار العلم للملايين، ط ٤].

والنُّور: الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار، جمعه: أنوار، والمُنير: مرسل النور، والموضَّح والمبين، والتنوير: الإنارة، والمنارة: (مَفْعَلَة) من الاستنارة موضع النور، ومنار الأرض حدودها وأعلامها، سميت بذلك لبيانها وظهورها^(١).

✽ التعريف شرعاً:

إن الله ﷻ موصوف بالنور، ونور الله تعالى صفة ذاتية له سبحانه، ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته^(٢).

✽ الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

✽ الحقيقة:

إن الله ﷻ موصوف بالنور، والنور الذي هو صفة من صفات الله تعالى وقائم بذاته سبحانه جاء بيانه وتقريره تارة

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٥/٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٧) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، والقاموس المحيط (٦٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط٥]، والمعجم الوسيط (٩٦١/٢، ٩٦٢) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (٣٥٦) [دار الهجرة، الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة للعالم عبد الله صالح (٤٣٩، ٤٤٠) [مكتبة العيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

بتسمية الرب نوراً، وتارة بإضافة النور إليه، وتارة بأنه نور السماوات والأرض، وتارة بأن حجابهِ نور، فهذه أنواع من الأدلة جاء فيها ذكر صفة النور لله تعالى، وإضافة النور إليه ﷻ في هذه النصوص هي من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، وليست من باب إضافة المخلوق إلى الخالق والمملوك إلى المالك؛ لأنها لو كانت كذلك لكان نور الشمس ونور القمر ونور المصباح بل الأنوار كلها نوره سبحانه، وهذا معلوم الفساد بالضرورة^(٣).

✽ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْيَصْبُحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيُّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور]، وقال ﷻ: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر].

ومن السُّنَّة: عن أبي ذر رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟

(٣) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢/١٩٣) [مكتبة الرياض الحديثة، ط٢، ١٣٤٩هـ].

فقال: «نورٌ أنى أراه؟»^(١).

السموات والأرض» ثم قال: «فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير؟ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى]، لم تره العيون فتحده كيف هو، ولكن رأته القلوب في حقائق الإيمان»^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتعبد قال: «اللَّهُمَّ لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك مُلْكُ السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض»^(٢).

✽ أقوال أهل العلم:

وقال ابن تيمية: «النص في كتاب الله وسنة رسوله قد سمي الله نور السموات والأرض، وقد أخبر النص أن الله نور، وأخبر أيضًا أنه يحتجب بالنور؛ فهذه ثلاثة أنوار في النص». وقال أيضًا: «وقد أخبر الله في كتابه أن الأرض تشرق بنور ربها، فإذا كانت تشرق من نوره؛ كيف لا يكون هو نورًا؟!»^(٤).

قال ابن أبي زمنين: «واعلم بأن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياءه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به عن نفسه علمًا، والعجز عن ما لم يدع إليه إيمانًا، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه على لسان نبيه. وقد قال وهو أصدق القائلين»، وذكر جملة من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] الآية، ثم قال: «ومثل هذا في القرآن كثير. فهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض كما أخبر عن نفسه، وله وجه ونفس وغير ذلك مما وصف به نفسه ويسمع ويرى ويتكلم» ثم ذكر جملة من الأحاديث في الصفات منها قوله ﷺ في دعائه: «نور

وقال ابن القيم: «النور الذي هو من أوصافه قائم به، ومنه اشتق له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنی، والنور يضاف إليه سبحانه على أحد وجهين: إضافة صفة إلى موصوفها، ومفعول إلى فاعله، فالأول كقوله ﷻ: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]، فهذا إشراقها يوم القيامة بنوره تعالى إذا جاء

(٣) أصول السنة (٦٠ - ٧٤) [مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٣٨٦/٦ - ٣٩٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]. وانظر: مختصر الصواعق المرسلة (١٩٨/٢ - ١٩٩).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٢٠)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٦٩).

لفصل القضاء»^(١).

❁ الأقسام:

النور المضاف إلى الله تعالى على قسمين:

القسم الأول: وهو صفة لله تعالى، قائمة بذاته سبحانه كما يليق بجلاله وعظمته، وإضافة هذا النور إلى الله ﷻ من باب إضافة الصفة إلى موصوفها.

والقسم الثاني: وهو مخلوق، وإضافتها إلى الله ﷻ من باب إضافة المخلوق إلى خالقها، وهذا النور على نوعين:

أ - النور الحسي: مثل نور الشمس ونور القمر، ونور السراج وغيرها من الأنوار المحسوسة.

ب - النور المعنوي: مثل نور العلم والمعرفة والإيمان والإسلام والطاعة.

قال ابن القيم في نونيته:

والنور ذو نوعين مخلوق ووُضِّ

ف ما هما واللَّه متحدان

وكذلك المخلوق ذو نوعين مح

سوس ومعقول هما شيئان^(٢)

وقال السعدي: «ومن أسمائه الحسنی (النور)، فالنور وصفه العظيم، فأسماءه حسنى، وصفاته أكمل الصفات والنور

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (١٤) [مكتبة دار البيان، دمشق، ط ٣، ١٤٢١هـ].

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٣/ ٧٣٦).

الذي هو وصفه من جملة نعوته العظيمة، وأما النور المخلوق فهو نوعان: نور حسي: كنور الشمس والقمر والكواكب وسائر المخلوقات المدرك نورها بالابصار، والثاني: نور معنوي: وهو نور المعرفة والإيمان والطاعة، فإن لها نوراً في قلوب المؤمنين بحسب ما قام في قلوبهم من حقائق المعرفة ومواجيد الإيمان وحلاوة الطاعة وسرور المحبة، وهذا النور هو الذي يمنع صاحبه من المعاصي، ويجذبه إلى الخير، ويدعو إلى كمال الإخلاص لله، ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً»^(٣)، وهذا النور الذي يعطيه الله عبده أعظم منة منه عليه، وهو أصل الخير، وهذا النور مهما قوي فإنه مخلوق»^(٤).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: النور من أسماء الله

تعالى الحسنی:

النور اسم من أسماء الله الحسنی،

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣١٦)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٦٣).

(٤) توضيح الكافية الشافية (٣٨٨، ٣٨٩) [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط ٢، ١٤١٢هـ].

جرير الطبري: «هادي من في السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهدهاء من حيرة الضلالة يعتصمون»^(٤).

وهذا المعنى صححه ابن تيمية وأقره، ولكن كونه هاديًا لا ينافي كونه نورًا؛ لأن من عادة السلف أن يذكر أحدهم في تفسير الكلمة بعض معانيها أو لازمًا من لوازمها أو الغاية المقصودة منها أو مثلاً ينبه السامع على نظيره، فيكون ذكره للمعنى الذي ذكره من باب التمثيل وليس من باب الحصر والتحديد، وهذا كثير في كلامهم لمن تأمله، ولذلك كونه سبحانه هاديًا لا ينافي كونه نورًا بل هو معنى من معانيه، قال ابن تيمية: «قول من قال من السلف: هادي أهل السماوات والأرض، لا يمنع أن يكون في نفسه نورًا؛ فإن من عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض صفات المفسر من الأسماء أو بعض أنواعه؛ ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات للمسمى، بل قد يكونان متلازمين، ولا دخول لبقية الأنواع فيه، فقول من قال: ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]: هادي أهل السماوات والأرض كلام صحيح؛ فإن من معاني كونه نور السماوات والأرض أن يكون هاديًا لهم؛ أما أنهم نفوا ما سوى ذلك فهذا غير معلوم، وأما أنهم أرادوا ذلك فقد ثبت عن ابن

(٤) تفسير الطبري (٦٠٥١/٧).

وقد ذكره فيها وعدّه منها عامة أهل العلم الذين اعتنوا بأسماء الله الحسنى» وصنفوا فيها^(١).

فأهل السُّنَّة والجماعة كلهم يعتقدون أن النور اسم من أسماء الله الحسنى. قال ابن القيم: «النور جاء في أسمائه تعالى، وهذا الاسم مما تلقته الأمة بالقبول، وأثبتوه في أسمائه الحسنى ولم ينكره أحد من السلف، ولا أحد من أئمة أهل السُّنَّة، ومحال أن يسمى نفسه نورًا وليس له نور، ولا صفة النور ثابتة له، كما أن من المستحيل أن يكون عليماً قديرًا سميعًا بصيرًا ولا علم له ولا قدرة، بل صحة هذه الأسماء عليه مستلزمة لثبوت معانيها له، وانتفاء حقائقها عنه مستلزم لنفيها عنه، والثاني باطل قطعًا، فتعين الأول»^(٢).

- المسألة الثانية: ما أثر عن بعض السلف في تفسير النور لا يعتبر تأويلًا:

لقد أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] أنه قال: «الله سبحانه هادي أهل السماوات والأرض»^(٣)، وقال ابن

(١) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٢٢٠) [دار إيلاف الدولية، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (١٨٩/٢).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦٠٥١/٧) [دار السلام، القاهرة، ط ٣، ١٤٢٩هـ]، وإسناده حسن كما في التفسير الصحيح المسبور (٢٢١/١) [دار المآثر، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

النور عنه تبارك وتعالى، بدعوى أن ذلك مجاز، وأن معناه منور هذه السماوات والأرض بالنور المخلوق؛ لأن كل عاقل - بزعمهم - يعلم بالضرورة أن الله ﷻ ليس هو هذا النور المنبسط على الجدران، ولا هو النور الفائض من جرم الشمس أو القمر، أو أن معناه: هادي أهل السماوات والأرض، وليس له معنى سوى ذلك^(٥).

وقد أفاض كل من شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في الرد على هذه الدعوى من أوجه عدة، نختصر أبرزها، وهي:

الأول: أن النور جاء في أسمائه تبارك وتعالى، وأن هذا الاسم مما تلقته الأمة بالقبول، فلم ينكره أحد من سلف هذه الأمة وأئمتها.

الثاني: قوله ﷻ في دعائه: «اللَّهُمَّ لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن» الحديث^(٦)، وهذا يقتضي أن كونه نور السماوات والأرض مغاير لكونه رب السماوات والأرض وقيومهما، فدل ذلك على أن كونه نور

مستبعد أنه قال: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور السماوات من نور وجهه^(١). وقد تقدم عن النبي ﷺ من ذكر نور وجهه^(٢)، وفي رواية «النور» ما فيه كفاية؛ فهذا بيان معنى غير الهداية^(٣).

✽ مذهب المخالفين:

النور صفة من صفات الله الذاتية، وهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية^(٤).

وذهب المعتزلة النفاة من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم إلى نفي ثبوت اسم النور في حق الله ﷻ ونفي صفة

(١) أخرجه أبو داود في الزهد (١٥٧) [دار المشكاة، ط١]، والطبراني في الكبير (٢٠٠/٩) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، قال الهيثمي في المجمع (٨٥/١) [مكتبة القدسي]: فيه أبو عبد السلام، قال أبو حاتم: مجهول، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وعبد الله بن مكرم لم أر من ذكره.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/٣٩٠، ٣٩١). وانظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢/١٩٨، ١٩٩).

(٤) انظر من كتب أهل السنة: مجموع الفتاوى (٦/٣٧٤ - ٣٩٦)، ومختصر الصواعق المرسلة (٢/١٨٨ - ٢٠٥). وانظر من كتب المعتزلة: الكشف للزمخشري (٤/٣٠٦ و ٥/٣٢٣، ٣٢٤) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ] ومن كتب الأشاعرة: أصول الدين لعبد القاهر البغدادي (٧٨) [مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية، إستانبول، ط١، ١٣٤٦هـ]، وأساس التدريس للرازي (١٠٥ و ١٢٩، ١٣٠) [مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٦هـ]، ومن كتب الماتريدية: بحر الكلام للنسفي (١٠٣) [دار الفرفور، دمشق، ط٢، ١٤٢١هـ].

(٥) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٣/١٠٢٤، ١٠٢٥).

(٦) تقدم تخريجه قريباً.

الخامس: أن جماهير الأمة أثبتت هذا الاسم لله تعالى، وأثبتت له صفة النور، حتى متكلمة الصفاتية؛ كابن كلاب والأشعري وابن فورك ومن وافقهم أثبتوا أن الله ﷻ نور لا كالأنوار، ولم يذكروا الخلاف فيه إلا عن الجهمية والمعتزلة، فهو قول أهل البدع ويكفي هذا في بيان بطلانه^(١).

وكثير من المتصوفة الذين لم يفرقوا بين نور الله الذي هو من صفاته، وقائمة بذاته، ولا يحل بمخلوق، وبين نور الإيمان والعلم والمعرفة والطاعة والعبادة الذي يجعله الله في قلوب عباده الصالحين وقعوا في أخطاء وشطحات وضلالات عظيمة؛ وذلك لأنهم لما تألهوا وتعبدوا لاحت لهم أنوار التعبد في قلوبهم؛ لأن العبادة لها نور في القلوب، فظنوا أن هذا النور هو نور العيان فزعموا أن الله يتجلى لهم وأنهم يشاهدون نور الذات المقدسة... وبعد ذلك حصل منهم من الشطح والضلال والكلام القبيح ما الله به عليم^(٢).

السموات والأرض أمر زائد على ربوبيته لها، فإن الحديث دلّ على ثلاثة أمور؛ هي ربوبيته للسموات والأرض، وقيوميته لهما، وأنه نورهما، فكونه رباً لهما، وقيوماً لهما، ونوراً لهما أوصاف له، فأثار الربوبية والقيومية والنور قائمة بهما، وصفة الربوبية والقيومية والنور قائمة به، فنفس الصفة لا تفارقه، وآثارها تحل بغيره، ومقتضاها هو المخلوق المنفصل عنه.

الثالث: أن هذا الفهم الفاسد من أن إثبات كون الله نوراً وإثبات صفة النور لله يلزم منه أن يكون الله هو هذا النور الواقع على الجدران أو المتعلق بالأجرام منشؤه التشبيه الذي يقع فيه أهل التعطيل أولاً، ومن ثمّ ينفون ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ، وهذا فهم فاسد وإنكار للمعنى الحق، فإثبات أهل السنة والجماعة إثبات بلا تشبيه، كما أن نفهم نفي بلا تعطيل.

الرابع: أن النور صفة كمال، وضده صفة نقص؛ ولهذا سمى الله ﷻ نفسه نوراً، وأثبتته لنفسه، وسمى كتابه نوراً، وجعل مادة خلق الملائكة الذين هم من أشرف الخلق من نور، وجعل لأوليائه النور، ولأعدائه الظلمة، فثبوت النور لوأهب النور ﷻ أولى من ثبوته للمخلوق، فكل كمال لا نقص فيه ثبت للمخلوق فالخالق أولى وأحق به.

(١) انظر: فصل في الكلام على اسم الله (النور، والهادي)، ضمن مجموع الفتاوى (٣٧٤/٦ - ٣٩٦)، وبيان تلبيس الجهمية (٤٨٦/٥ - ٥٣٠، ٦٦/٨ - ٧٦)، ورسالة الحقيقة والمجاز ضمن مجموع الفتاوى (٤٦٨/٢٠ - ٤٦٩)، مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٢٤ - ١٠٦٠)، واجتماع الجيوش الإسلامية (٤٤، ٤٥) [مكتبة الرشد، ط٢، ١٤١٥هـ].

(٢) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٦١)، وتوضيح الكافية الشافية له (٣٨٩).

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.
- ٢ - «أصول السُّنة»، لابن أبي زمنين. تيمية.
- ٣ - «توضيح الكافية الشافية»، للسعدي.
- ٤ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ٥ - «الفتوى الحموية الكبرى»، لابن تيمية.
- ٦ - «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (ج ٣)، لابن القيم.
- ٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ٦)، لابن تيمية.
- ٨ - «مختصر الصواعق المرسله» (ج ٢)، لابن القيم.
- ٩ - «معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.
- ١٠ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.



حرف الهاء

لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوى^(٣).

الهادي

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رحمته الله: «الهاء والذال والحرف المعتل أصلان؛ أحدهما: التقدم للإرشاد، والآخر: بعثة لطفٍ»^(١).

والهادي: اسم فاعل من الهداية، يقال: هَدَى يَهْدِي هَدًى وهداية فهو هادٍ؛ إذا تقدّم غيره ليرشده، والهداية: الدلالة والبيان بلطف، والهْدَى خلاف الضلالة، والهادي: الدليل، يقال: هداه فاهتدى يهتدي: استرشد، واستهدى: طلب الهدى، والهدي: السيرة والسلوك^(٢).

التعريف شرعاً:

الهادي: الذي يهدي عباده إلى جميع المنافع، وإلى دفع المضار، ويعلمهم ما

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان معنى الهادي في اللغة يدور حول الإرشاد والدلالة والبيان اتفقت هذه المدلولات مع ما جاء في معنى الهادي شرعاً، فهو وَعَلَى الدَّالِ المرشد المبين بلطفه ورحمته وعنايته لجميع خلقه هداية إرشاد ودلالة، وهدي المؤمنين من عباده دلالة توفيق إلى ما فيه رضاه.

الحكم:

يجب الإيمان بثبوت اسم الهادي من أسماء الله وَعَلَى، أو صفة له وَعَلَى على ما يليق بجلاله، وعظمة سلطانه، دون تمثيل، أو تحريف، أو تعطيل^(٤).

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٤٢) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ]، ومعارج القبول لحافظ الحكمي (٤٤/١) [دار ابن الجوزي، ط ٦، ١٤٣٠هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤٨٤/٢٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١، ١٤١٦هـ]، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٠٨/١) [دار الوطن، ١٤١٣هـ].

(١) مقاييس اللغة (٤٢/٦) [دار الجبل، ط ١، ١٤٢٠هـ].
(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣٧٨/٦ - ٣٨٠) [الدار المصرية، ط ١، ومقاييس اللغة (٤٢/٦)، والصباح (٢٥٣٣/٦ - ٢٥٣٤) [دار العلم للملايين، ط ٤]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٨٣٥) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٧٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٩٧٨/٢) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢م].

الحقيقة:

الهادي: المرشد، الذي منّ بهداه على جميع خلقه، فأرشدهم إلى المعارف الفطرية الضرورية لكل مخلوق عاقلهم وحيوانهم، هداية إرشاد ودلالة إلى ما فيه قوامهم ومصلحتهم، وألهمهم كيف يطلبون الرزق، ويتقنون المضار والمهالك، وخصّ عباده المؤمنين بهداية التوفيق إلى مسالك الجنان والطرق المفضية إليها، وأكرمهم بنور توحيده، وأخذ بقلوبهم وعقولهم إلى مواضع رضاه بالتوفيق والإلهام والحفظ والल्प، ويرشدهم إلى جميع المنافع، ودفع المضار في الدنيا، وإلى الصراط المستقيم الموصل إلى الجنات، ويزحزحهم عن العذاب الأليم والدركات في الآخرة^(١).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿وَكُنْى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الكهف: ١٧].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ومن أسمائه الهادي»^(٢).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ما نصه: «س: إنني اسمي هادي، والهادي الله رَحِمَهُ اللهُ، فهل يجوز لي أن أبقي على هذا الاسم، أو أغیره إلى اسم آخر؟

فأجابت: إن أبقيت اسمك الأول فلا حرج؛ لأن لفظ الهادي اسم مشترك، مطلق على الله وعلى غيره من الناس، الذين يهدون غيرهم إلى ما ينفعهم؛ كالرسل؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد]، ومن المعلوم بأن وصف الله سبحانه بأنه الهادي، لا يشابه وصف المخلوقين، وإن غيّرت اسمك إلى عبد الهادي فلا بأس بذلك شرعاً»^(٣).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «أما الهادي فبعض العلماء أثبتته من أسماء الله، وبعضهم قال: هذا من أوصاف الله، وليس اسماً»^(٤).

الأقسام:

هداية الله للعبد على أربعة أنواع^(٥):

(١) انظر: تفسير الطبري (٦٨٠/١٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦٤) [دار الثقافة العربية، ط ١]، واشتقاق أسماء الله (١٨٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ]، وشأن الدعاء (٩٥، ٩٦) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٤٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٨٤/٢٢).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة برئاسة العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ (٤٦٧/١١) [دار العاصمة، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٠٨/١).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧٠/١٨)، =

لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ ﴿٤٣﴾
[الأعراف: ٤٣].

المسائل المتعلقة:

- تسمية غير الله بهذا الاسم:

أطلق الله ﷻ هذا الاسم على بعض خلقه من باب الوصف كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٧) [الرعد]؛ أي: «داع يدعوهم إلى الهدى من الرسل وأتباعهم، ومعهم من الأدلة والبراهين ما يدل على صحة ما معهم من الهدى» (١).

والمراد بها هداية إرشاد ودلالة، وبهذا المعنى يجوز إطلاق اسم الهادي على غير الله ﷻ، أما هداية التوفيق والإنعام فلا يملكها غير الله تعالى، ولا يجوز إطلاق اسم الهادي على غير الله ﷻ بهذا الاعتبار، وهو ما نفاه الله ﷻ عن نبيه ﷺ وغيره بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

الآثار:

يجب على العبد أن يعلم أن الهداية أكبر نعمة ينعم بها الهادي سبحانه على عبده، إذ كل نعمة دونها زائلة مضمحلة، وبقدر هدايته تكون سعادة العبد في

الأول: الهداية العامة المشتركة بين الخلق: وهي إرشاد كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها، وهي شاملة للحيوان كله ناطقه وبهيمة، مؤمنه وكافره، طيره ودوابه، فصيححه وأعجمه، وهي المرادة بقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه].

الثانية: هداية الإرشاد والبيان إلى طريقي الخير والشر، على يدي أنبيائه ورسله وما أنزل من كتبه، وبها تقوم الحجة على العباد، وهي المقصودة بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤]، وهذه أيضاً يشترك فيها جميع المكلفين، سواء آمنوا، أو كفروا.

الثالثة: هداية التوفيق والإلهام وشرح الصدور لقبول الحق والرضا به، وهي المقصودة بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١].

الرابعة: الهداية في الآخرة إلى الجنة، قال تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ (٥) ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾ (٦) [محمد]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا

= وبدائع الفوائد لابن القيم (٢/٤٤٥) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٧هـ]، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (١١٧) [دار الكتب العلمية، ط ٣].

(١) تفسير السعدي (٤١٤) [مؤسسة الرسالة، ط ١]. وانظر: تفسير ابن كثير (٤/٢٣٤) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

وافقهم، قالوا: الهدى من الله هو التوفيق والإلهام؛ وهو خلق القدرة على الإيمان^(٤)، وهذا بناء على أصل مذهبهم في القدر، وهو إنكار الأسباب، وقولهم: إن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل مقارنة له، لا قبله.

وكلا الطائفتين لم تهتد إلى نوعي الهداية معاً: فالقدريّة المعتزلة عموا عن هداية التوفيق والإلهام، والأشاعرة الجبرية عموا عن أسباب الهداية وهي هداية البيان والإرشاد، فلو اهتموا لمجموع الهدايتين معاً لاهتدوا ووقفوا إلى الصواب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ وهو يتكلم عن هداية التوفيق: «وهذه المرتبة أخص من التي قبلها - أي: هداية الإرشاد -، وهي التي ضل فيها جهال القدريّة بإنكارها، وصاح عليهم سلف الأمة - وأهل السُّنة منهم - من نواحي الأرض عصرًا بعد عصر، إلى وقتنا هذا، ولكن الجبرية ظلمتهم، ولم تنصفهم، كما ظلموا أنفسهم بإنكار الأسباب والقوى، وإنكار فعل العبد وقدرته، وأن يكون له تأثير في الفعل البتة، فلم يهتدوا لقول هؤلاء، بل زادهم ضلالاً على ضلالهم وتمسكاً بما هم عليه، وهذه المرتبة تستلزم أمرين:

(٤) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (٣٨٢/١، ٣٨٣)، وأبكار الأفكار للآمدي.

الدنيا، وفوزه وعلو درجته في الآخرة. والأنبياء رَحِمَهُمُ اللهُ - وهم أكمل الناس إيماناً وهداية - كانوا يسألون الله الهداية، وكان نبينا رَحِمَهُ اللهُ وهو أفضلهم وأكرمهم يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهدى والتقى والعفاف والغنى»^(١).

كما أمرت هذه الأمة بأن تسأل الله رَحِمَهُ اللهُ الهداية في كل ركعة من صلاتها، قال رَحِمَهُ اللهُ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة]^(٢).

✽ مذهب المخالفين:

خالف في تفسير معنى اسم الله الهادي طائفتان من أهل الأهواء والبدع^(٣):

الطائفة الأولى: المعتزلة القدريّة، ومن وافقهم قالوا: الهدى من الله هو بيان الطريق، ونصب الأدلة، وإرسال الرسل، وزعموا أن العبد هو الذي يهدي نفسه، بناء على أصلهم الفاسد في باب القدر، وهو إنكار قدرة الله تعالى وفعله على خلق أفعال العباد.

الطائفة الثانية: الأشاعرة الجبرية ومن

(١) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٢١).

(٢) انظر: النهج الأسنى (٢/ ٢٧٥، ٢٧٦) [مكتبة الذهبي، ط ٢، ١٤١٧هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ١٧٢ - ١٧٤)، وشفاء العليل لابن القيم (١٤١)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفى (١/ ١٣٧) [مكتبة الذهبي، ط ٢، ١٤١٧هـ].

أحدهما: فعل الرب تعالى: وهو الهدى.

والثاني: فعل العبد وهو الاهتداء، وهو أثر فعله ﷺ، فهو الهادي، والعبد المهتدي... فإن الله سبحانه يخبر أنه قسم هدايته للعبد قسمين: قسمًا لا يقدر عليه غيره، وقسمًا مقدورًا للعباد، فقال في القسم المقدور للغير: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٦﴾ [الشورى]، وقال في غير المقدور للغير: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَيُّ هَادِي لَهْبٍ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، ومعلوم قطعًا أن البيان والدلالة قد تحصل له، ولا تنفى عنه^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٤ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٥ - «شفاء العليل في مسائل القدر»، لابن القيم.
- ٦ - «شرح أسماء الله الحسنى»، للقطاني.
- ٧ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

(١) شفاء العليل (١٤١ - ١٤٥).

٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٩ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لمحمد حمود النجدي.

١٠ - «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.

هاروت وماروت

التعريف لغة:

اسمان أعجبيان، يجمعان على: هواريت ومواريت، ويقال: هوارته وموارته، وزعم بعضهم أنهما مشتقان من الهرت والمرت، وهو الكسر، وقوله فيه نظر، بدليل منعهم الصرف لهما، ولو كانا كما زعم لانصرفا^(٢).

التعريف شرعًا:

اسمان لملكين من الملائكة ﷺ، أنزلا إلى الأرض فتنة وابتلاء من الله لعباده^(٣).

الحكم:

يجب الإيمان بهاروت وماروت ﷺ كما ورد به النص، والإيمان بهما يدخل

(٢) ينظر: لسان العرب (١٠٣/٢، ١٠٤) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ]، وتاج العروس (٩٤/٥، ١٤١) [دار الهداية]، وتفسير البحر المحيط (١/٥١٢، ٥٣٠) [دار الفكر، ١٤٢٠هـ].

(٣) ينظر: عالم الملائكة الأبرار (١٨) [مكتبة الفلاح، ط ٤].

في عموم وجوب الإيمان بالملائكة ﷺ.

❁ الحقيقة:

ذكر أهل السير أن قصة هاروت وماروت كانت قبل زمن نوح ﷺ، قال ابن حجر: «قصة هاروت وماروت كانت من قبل زمن نوح ﷺ على ما ذكر ابن إسحاق وغيره»^(١). وأغلب ما جاء في قصتهما هو من الإسرائيليات، وليس فيها خبر صحيح يعتمد عليه، إلا ما جاء به القرآن الكريم، قال ابن كثير: «وردت في قصتهما، وما كان من أمرهما آثار كثيرة غالبها إسرائيليات»^(٢)، وقال: «وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال»^(٣).

❁ المنزلة:

الإيمان بهاروت وماروت ﷺ يدخل في الإيمان بالملائكة ﷺ، والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، وأصل من أصوله العظيمة.

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ

سُلَيْمَنَ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوُتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ [البقرة].

❁ المسائل المتعلقة:

قد يستشكل من يقف على قصة الملكين وتعليمهما الناس السحر، وهم ملائكة، والأصل في الملائكة عبادة الله تعالى وعدم عصيانه.

والجواب: أن الله تعالى هو الذي أمرهما بتعليم الناس السحر، ابتلاء منه ﷺ لعباده، فتعليم الملكين للناس ليس معصية منهما؛ بل هو بإذن الله تعالى، وذلك بعد أن أرشد ﷺ عباده إلى طريق الحق، وأمرهم باتباعه، وبين لهم طريق الضلال ونهاهم عن اتباعه. قال ابن جرير: «إن الله ﷻ قد أنزل الخير والشر كله، وبين جميع ذلك لعباده، والسحر أحد تلك المعاصي التي أخبرهم بها، ونهاهم عن العمل بها، فليس في إنزال الله إياه على الملكين، ولا في تعليم الملكين من علماء من

(١) فتح الباري (١٠/٢٢٣) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٢) البداية والنهاية (١/١٠٩) [دار هجر، ١٤١٠هـ].

(٣) تفسير ابن كثير (١/٣٦٤) [دار طيبة، ١٤٢٤هـ].

وماروت، إما أن يكونا من الجن، وإما أن يكونا ملكين من الملائكة أتيا بشريعة من الله، ونهيا عن الكفر بالله، ثم نسخ ذلك الذي أنزل على الملكين فصار كفرًا بعد أن كان إيمانًا، كما نسخ تعالى شرائع التوراة والإنجيل، فتمادت الجن على تعلم ذلك المنسوخ^(٢).

وما ذهب إليه ابن حزم رحمته الله اجتهد لا يقر عليه؛ وتوجيه بعيد كل البعد عن الصواب، وتكلف في حمل الآية على خلاف ظاهرها. فظاهر النص يفيد أنهما ملكان من الملائكة أنزلهما الله ابتلاء وامتحانًا لعباده.

وذهب آخرون إلى أن هاروت وماروت ملكان من ملوك الأرض، وليس من الملائكة، وهذا كلام باطل؛ لأنه لو ثبت لكانت القراءة بكسر اللام وليس بفتحها. والقراءة بالكسر من القراءات الشاذة، فهي على خلاف ما أجمع عليه القراء العشرة على القراءة بفتح اللام: ﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾^(٣).

المصادر والمراجع:

١ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة»، لنخبة من العلماء.

(٢) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ٣٠٥ - ٣٠٦، ٤/ ٦١ - ٦٤) [دار الجبل، ١٤٠٥هـ].

(٣) ينظر: المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (١/ ١٠٠) [المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ].

الناس إثم؛ إذ كان تعليمهما من علماه ذلك، بإذن الله لهما بتعليمه، بعد أن يخبراه بأنهما فتنة، وينهيانه عن السحر والعمل به والكفر. وإنما الإثم على من يتعلمه منهما ويعمل به، إذ كان الله - تعالى ذكره - قد نهاه عن تعلمه والعمل به، فالله - جل ثناؤه - عرّف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه، ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه. ولو كان الأمر على غير ذلك، لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم. فالسحر مما قد نهى عباده من بني آدم عنه، فغير منكر أن يكون - جل ثناؤه - علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله، وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم فيمحص المؤمن بتركه التعلم منهما، ويخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما. ويكون الملكان في تعليمهما من علمًا ذلك الله مطيعين؛ إذ كانا - عن إذن الله لهما بتعليم ذلك من علماه - يعلمان، فالملكان غير ضائرها سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما، بعد نهيهما إياه عنه، وعظتهما له؛ إذ كانا قد أديا ما أمر به بقیلهما ذلك^(١).

مذهب المخالفين:

ذهب ابن حزم إلى أن هاروت

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٢٢ - ٤٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.

قيل: إن فرعون بعد أن كان يقتل الذكور في كل عام، عدل إلى قتل الذكور في عام يسمى عام الذبح ويكف عنهم في العام الذي يليه يسمى عام المسامحة، وذلك بعد أن شكى بنو إسرائيل بأن الرجال سيفنون بهذه الطريقة، ويذكر أن هارون ولد في عام المسامحة وموسى في عام الذبح^(١).

نبوته:

دلّت النصوص الشرعية على نبوة هارون عليه السلام، كقوله تعالى في مخاطبة موسى وهارون حينما أمرهما بالدعوة إلى الله: ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٤٢]، وقال الله لموسى وهارون لما أرسلهما إلى فرعون: ﴿فَأَنبِئْهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [طه: ٤٧]. وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [٤٥] [المؤمنون]. وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [٥٢] [مريم]، وفي هذه الآية الأخيرة، إشارة إلى قبول الله دعاء موسى بإشراك أخيه هارون معه في النبوة لما أرسله الله إلى فرعون، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [١٧]

٣ - «تفسير القرآن العظيم» (ج ١)، لابن كثير.

٤ - «جامع البيان» (ج ٢)، للطبري.

٥ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ٢)، للقرطبي.

٦ - «الجامع لشعب الإيمان» (ج ١)، للبيهقي.

٧ - «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.

٨ - «سحر بابل»، لعبد الباقي أحمد سلامة.

٩ - «عالم الملائكة الأبرار»، للأشقر.

١٠ - «المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها» (ج ١)، لابن جني.

١١ - «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، للعقيل.

هارون عليه السلام

اسمه ونسبه:

هارون هو ابن عمران وأخو موسى كليم الله، كما قال الله حكاية عن موسى: ﴿هَارُونَ أَخِي﴾ [طه: ٢٠].

(١) انظر: البداية والنهاية (٣٥/٢) [دار هجر، ط ١، ١٤١٨هـ].

مِيقَاتِ رَبِّهِ: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ﴾ [طه].

وفاته:

مات هارون قبل أخيه موسى عليه السلام عقب صعودهما على الجبل^(١)، يدل لذلك ما جاء عن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله رَضِيَ عَنْكَ: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، حيث قال: «صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون، فقالت بنو إسرائيل لموسى: أنت قتلت، كان أشد حبا لنا منك، وألين لنا منك، فأذوه في ذلك، فأمر الله الملائكة فحملته فمروا به على مجالس بني إسرائيل، حتى علموا بموته فدفنوه، ولم يعرف قبره إلا الرخم^(٢)، وإن الله جعله أصم أبكم^(٣)، ومعلوم أن هذا لا

قَالَ رَبِّ أَشْجَ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونُ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ سَحَّكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذَرْتُكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٦﴾ [طه]، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُتِلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ ﴿٣٢﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَنَا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أُنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ [القصص].

دعوته:

كانت دعوة هارون إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، ونبذ الشرك، وطاعة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ﴾ ﴿٩٠﴾ [طه].

قومه وموقفهم منه:

قوم هارون هم بنو إسرائيل، الذين تسلط عليهم فرعون أعتى رؤساء زمانه، كما قال الله تعالى لهارون وأخيه موسى عليه السلام: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿٤٣﴾ [طه]، وقال الله في حكاية قول هارون لقومه في مدة ذهاب موسى إلى

(١) انظر: المنتظم في التاريخ (١/٣٧٢) [دار الكتب العلمية، ط١]، وقصص الأنبياء لابن كثير (٢/١٧٢) [دار التأليف، القاهرة، ط١، ١٣٨٨هـ]، وتحفة الأحوذى (١٠/١٦١) [دار الكتب العلمية]، وقصص الأنبياء للنجار (٢٩٨) [دار إحياء التراث العربي، ط٣]، وجاء النبي المنتظر لعبد الوهاب طوبلة (٣١) [الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢].

(٢) الرخم نوع من الطير. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٥٠٨) [المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/٣٣٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب تواريخ المتقدمين، رقم ٤١١٠) وصححه، وصححه ابن حجر في المطالب العالية (١٤/٢٥٧) [دار العاصمة، ط١].

عبادته، فافتتن به الناس، ولما نهاهم هارون لم يستجيبوا له.

مجال للرأي فيه فيكون له حكم الرفع والله أعلم.

وأما حديث: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي»^(١)، فهذا استخلاف ليس بموته كما توهمه الروافض؛ لأن هارون مات قبل موسى بثلاث سنين^(٢)، وإنما هو استخلاف في حال غيبته في غزوة تبوك، وقد حصل مثل هذا الاستخلاف لغير علي من الصحابة، ولا قائل بأنه استخلاف بعد الموت، ولم يدع لهم الإمامة كما ادّعاها الروافض لعل في وقت خلافة الأئمة الثلاثة قبله، وللحديث سبب يوضح هذه الحقيقة، فعن سعد بن وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ فقال ﷺ: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: قصة هارون عليه السلام مع السامري:

وهي أن موسى لما استخلف أخاه في قومه وذهب إلى ميقات ربه، خرج من بين القوم السامري فصنع عجلاً ودعا إلى

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤١٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧٩/٣).

(٣) تقدم تخريجه.

- المسألة الثانية: مكان هارون عليه السلام في السماوات:

لما عرج بالنبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، وجد هارون عليه السلام في السماء الخامسة، فقد ثبت في حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه: «فأتينا السماء الخامسة قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به ولنعم المجيء جاء، فأتينا على هارون فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من أخ ونبي»^(٤).

- المسألة الثالثة: إحسان موسى إلى أخيه عليه السلام بأن يكون نبياً:

لقد أحسن موسى إلى أخيه هارون عليه السلام إحساناً عظيماً، حين سأل الله الكريم بأن يمن على أخيه هارون بالنبوة، ويبعثه معه إلى بني إسرائيل نبياً ورسولاً وبشيراً ونذيراً، فقام متوجهاً إلى ربه بهذا الطلب العظيم: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝ وَاجْعَلْ لِي عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۝ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝ وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِ ۝ هَؤُلَاءِ ۝ أَشَدُّ بِهِ ۝ أَزْيَرِي ۝ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ۝ كَيْ تَسْحَكَ كَثِيرًا ۝﴾

(٤) أخرجه البخاري (كتاب بدر الخلق، رقم ٣٢٠٧)،

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤).

٥ - «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» (ج ١)، لمجير الدين العليمي.

٦ - «تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي» (ج ١٠)، للمباركفوري.

٧ - «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء»، لإبراهيم بن محمد العلي.

٨ - «فبهدهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»، لعثمان الخميس.

٩ - «قصص الأنبياء»، للنجار.

١٠ - «وجاء النبي المنتظر»، لعبد الوهاب طويلة.

الهامة

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمته الله: «الهاء والألف والميم أصلٌ صحيح يدلّ على علو في بعض الأعضاء، ثم يُستعار. فالهامة: الرأس، والجمع هائمٌ وهامات، وأما الهامة في الطير فليست في الحقيقة طيراً»^(٢).

والهامة: بتخفيف الميم: رأس كل شيء من ذوات الأرواح، وقد قيل: إنه طير من طيور الليل يألف المقابر، وقيل: هو الصدى، كأنه يعني البومة. وقد ذكر أن الهامة في الطير ليست في

﴿٣٣﴾ وَنَذَرَكْ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٦﴾

[طه]. وقال كما ذكره الله عنه: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ﴿٣٤﴾

[القصص]. قال ابن كثير: «فلما سأل ذلك قال الله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥]؛ أي: سنقوي

أمرك، ونعز جانبك بأخيك، الذي سألت له أن يكون نبياً معك. كما قال في الآية الأخرى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ ﴿٣٦﴾

[طه]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ ﴿٥٣﴾ [مريم]؛ ولهذا

قال بعض السلف: ليس أحد أعظم منة على أخيه، من موسى على هارون، عليه السلام؛ فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبياً ورسولاً معه إلى فرعون وملائته»^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «قصص الأنبياء المسمّى بالعرائس»، للثعلبي.

٢ - «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (ج ١)، لابن الجوزي.

٣ - «البداية والنهاية» (ج ٢)، لابن كثير.

٤ - «قصص الأنبياء» (ج ٢)، لابن كثير.

(٢) مقاييس اللغة (٦/٢٧) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(١) تفسير ابن كثير (٦/٢٣٦).

تنقلب هامة؛ أي: طيرًا، أو دودة، وتبقى عند قبره إذا لم يؤخذ بثأره وتقول: اسقوني من دم قاتلي، فإذا أخذ بثأره طارت.

الثالث: أن عظام الميت عمومًا - دون تخصيص المقتول منها -، أو روحه تصير طائرًا فتطير، وكانوا يسمون ذلك الطائر بالصدى.

الحكم:

على المعنى الأول: فهي نوع من أنواع الطيرة المنهي عنها شرعًا^(٥)، فتكون من الشرك بالله تعالى؛ لأن فيها اعتقاد أن مثل هذه الطيور تجلب الضرر، وأما من اعتقد أنها من جملة الأسباب، وأن الضرر هو الله تعالى، فهو من الشرك الأصغر.

وأما على المعنى الثاني: فهي من جملة الخرافات التي لا يصدق بها إلا الجاهل، وهي من أعمال الجاهلية، وقد ورد النهي الشديد في التشبه بأهل الجاهلية، ومن فعل ذلك فقد وقع في كبيرة من كبائر الذنوب.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ فِي سياق كلامه على حديث: «لا عدوى ولا هامة ولا صفر»^(٦): «وهذا مما يدل على أن المراد نفي تأثير هذه الأسباب بنفسها، من غير

الحقيقة طيرًا، إنما هو شيءٌ كما كانت العرب تقوله، كانوا يقولون: إنَّ روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة فتزقو^(١) تقول: اسقوني، اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت^(٢).

التعريف شرعًا:

اختلفت أقوال أهل العلم في تفسير الهامة الوارد ذكرها في قوله رَحِمَهُ اللهُ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة»^(٣) على أقوال عدة^(٤):

أحدها: أنَّ الهامة هي الطائر الذي كانت العرب تتشائم به، وهو من طيور الليل. وقيل: هي البومة إذا سقطت على دار أحدهم فيراها ناعية له نفسه أو أحدًا من أهله.

الثاني: أنَّ الهامة هي ما كانت تعتقده العرب من أنَّ روح القتيل - وقيل عظامه -

(١) زقا الديك يزقو زَقَوًا وزقاء: صاح. انظر: تاج العروس (٢١٩/٣٨).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٤٦٨/٦) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٢٧/٦)، والصاح (٢٠٦٣/٥) [دار العلم للملايين، ط ٣]، ولسان العرب (١٦٢/١٥) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٥٧)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٠).

(٤) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم (١٥١/١) [الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة، ط ١٠٤هـ]، ومعالم السنن للخطابي (٢٣٣/٤) [المطبعة العلمية بحلب، ط ١، ١٣٥٢هـ]، وشرح السنَّة للبخاري (١٢/١٧٠) [المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ]، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢٨٣/٥) [دار إحياء التراث العربي].

(٥) انظر: معالم السنن للخطابي (٢٣٤/٤).

(٦) تقدم تخريجه.

اعتقاد أنها بتقدير الله وقضائه، فمن أضاف شيئاً من النعم إلى غير الله، مع اعتقاد أنه ليس من الله، فهو مشرك حقيقة، ومع اعتقاد أنه من الله، فهو نوع شرك خفي^(١).

الهامة الحقيقية:

الهامة - بتخفيف الميم - في الحقيقة ليست طيراً، وإنما أطلقته العرب على ما كانت تعتقده في التشاؤم ببعض الطيور، كالبومة، إذا وقعت على بيت أحدهم اعتقد فيها أنها تنعي له نفسه، أو أحداً من أهله، فعلى هذا فهي نوع من أنواع التطير المحرم. أما ما كانت العرب تعتقده من أن عظام الميت أو روحه تصير طائراً، فتطير، وكانوا يسمونه بالصدى، أو أن عظام الميت تنقلب طائراً أو دودة، وتبقى على القبر تدور تقول: اسقوني، اسقوني. حتى يؤخذ بثأره من القاتل فتذهب، هذه من الخرافات، التي لا حقيقة لها، ولا وجود لها^(٢).

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن

(١) لطائف المعارف (١٤٢) [دار ابن كثير، طه، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم (١٥١/١)، ومعالم السنن للخطابي (٢٣٣/٤)، وشرح السنة للبيهقي (١٧٠/١٢)، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢٨٣/٥)، ولطائف المعارف (١٤٢).

رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا صفر ولا هامة» فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال إبلي، تكون في الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها؟ فقال: «فمن أعدى الأول؟»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة ولا صفر، وفرّ من المجذوم كما تفرّ من الأسد»^(٤).
وعن عطاء قال: «يقول الناس: الصفر وجع يأخذ في البطن». قيل له: فما الهامة؟ قال: «يقول الناس الهامة: التي تصرخ هامة الناس، وليست بهامة الإنسان، إنما هي دابة»^(٥).

أقوال أهل العلم:

قال أبو سليمان الخطابي رحمته الله: «وأما الهامة: فإن العرب كانت تقول: إن عظام الموتى تصير هامة فتطير، أبطل النبي ﷺ ذلك من قولهم. قلت: وتطير العامة اليوم من صوت الهامة ميراث ذلك الرأي، وهو من باب الطيرة المنهي عنها»^(٦).

وقال النووي رحمته الله: «ويجوز أن يكون المراد النوعين، فإنهما جميعاً باطلان،

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧١٧)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٠).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٠٧).

(٥) سنن أبي داود، (كتاب الطب، رقم ٣٩٨١).

(٦) معالم السنن للخطابي (٢٣٣/٤، ٢٣٤).

فبيّن النبي ﷺ إبطال ذلك، وضلال الجاهلية فيما تعتقده من ذلك»^(١).

ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين، ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»^(٥).

لكن لم يرد في الحديث السابق: «لا هامة» بتشديد الميم، وإنما المحفوظ هو تخفيفها.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله: «وقال أبو زيد: الهامة مشددة الميم، يذهب إلى واحدة الهوام؛ وهي دواب الأرض. قال أبو عبيد: ولا أرى أبا زيد حفظ هذا، وليس له معنى»^(٦).

الآثار:

١ - التشاؤم بالهامة مما يورث في القلوب التعلق بغير الله ﷻ، والخوف منه، والانصراف عن الله ﷻ، وهو المدبر المتصرف في الكون، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

٢ - الوقوع في التشبه بأهل الجاهلية في أفعالهم، وقد ورد النهي الشديد في التشبه بهم؛ لما يفضي به إلى الوقوع في الموافقة والموالاة المنهي عنهما.

قال ابن رجب رحمه الله: «قوله ﷺ: «لا هامة»: فهو نفي لما كانت الجاهلية تعتقده أنّ الميت إذا مات صارت روحه أو عظامه هامة، وهو طائر يطير، وهو شبهه باعتقاد أهل التناسخ أنّ أرواح الموتى تنتقل إلى أجساد حيوانات، من غير بعث ولا نشور! وكل هذه اعتقادات باطلة جاء الإسلام بإبطالها وتكذيبها»^(٢).

الفروق:

الفرق بين الهامة والهامة:

الهامة سبق تعريفها وأن المراد بها طائر كانت العرب تشاءم به، وهو من طيور الليل (البومة). وقيل: ما كانت تعتقده العرب من أنّ روح القتيل - وقيل: عظامه - تنقلب هامة إذا لم يؤخذ بثأره.

أما الهامة بتشديد الميم فهي واحدة الهوام ذوات السموم، وقيل: كل ما له سم يقتل، وأما ما لا يقتل سُمه فيقال له: السوام، وقيل: المراد كل نسمة تهم بسوء^(٣). وقال ابن فارس: «الهوام حشرات الأرض، سميت لهميمها؛

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٢١٥/١٤) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط ١، ١٣٤٩هـ].

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (١٤٧).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦٧٦/٧) [دار طيبة،

ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٤) مقاييس اللغة (١٣/٦).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٧١).

(٦) غريب الحديث (١٥٢/١).

الهجر

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الهاء والجيم والراء أصلان، يدلُّ أحدهما على قطيعةٍ وقَطْع، والآخر على شَدَّ شيءٍ ورَبَطه، فالأوّل الهَجْر: ضدّ الوصل، وكذلك الهَجْران. وهاجرَ القومُ من دارٍ إلى دارٍ: تَرَكُوا الأولى للثانية»^(١)، الهجر ضد الوصل، والتهاجر: التقاطع^(٢).

التعريف شرعاً:

الهجر: الإعراض بالكلية عن الشخص، والبراءة منه، وفعل ما يتأدى به زجره من المقاطعة عقوبة له على بدعة أو فسق، أو لاستصلاح أمر دنيوي، وترك السيئات ديانة لله^(٣).

وقيل: الهجر «ترك الشخص مكاملة الآخر إذا تلاقيا، وهي في الأصل الترك فعلاً كان أو قولاً».

العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

المعنيان متفقان، والشرع خصه بهجر المبتدع والفاسق.

الحقيقة:

الأصل في الهجر هو الإعراض

٣ - اعتقاد ما كان يعتقد أهل الجاهلية في الهامة يورث القلق والحزن في القلوب، وينغص على المرء معيشتة وأحواله، ولا شك أن هذا ما تحرص عليه الشياطين؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَرَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة].

المصادر والمراجع:

- ١ - «التمهيد»، لابن عبد البر.
- ٢ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٣ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.
- ٤ - «فتح الباري»، لابن حجر.
- ٥ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن.
- ٦ - «الشرك ومظاهره»، لمبارك الملي.
- ٧ - «لطائف المعارف»، لابن رجب الحنبلي.
- ٨ - «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.
- ٩ - «شرح المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية»، ليوسف السعيد.

(١) مقاييس اللغة (٣٤/٦) [دار الجيل، ١٤١١هـ].

(٢) انظر: الصحاح (٨٥١/٢) [دار العلم للملايين، ١٣٠٠].

(٣) انظر: فتح الباري (٤٩٧/١٠)، هجر المبتدع (١٩).

فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ
وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ الذِّكْرِى
مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ [الأنعام].

وقوله ﷺ: ﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي
الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا
وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا
فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤﴾﴾
[النساء].

وقوله ﷺ: «لا يحل للمؤمن أن يهجر
أخاه فوق ثلاثة أيام»^(٣)، مفهوم المخالفة
يدل على جواز الهجر دون ثلاث.

وقوله ﷺ: «سيكون في آخر أمتي
أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا
آبائكم، فإياكم وإياهم»^(٤).

وقال كعب حين تخلف عن النبي ﷺ:
ونهى النبي ﷺ المسلمين عن كلامنا،
وذكر خمسين ليلة^(٥).

الشروط:

الهجر الشرعي للمبتدعة، والفساق،
عبادة، والعبادة لا بد من توفر ركنيها؛
الإخلاص والمتابعة، فالهجر لهوى

بالكلية عن المبتدع، والفساق، والبراءة
منه. ومن مفردات الهجر:

- ١ - عدم مجالسته.
- ٢ - الابتعاد عن مجاورته.
- ٣ - ترك توقيره.
- ٤ - ترك مكالمته والحديث معه.
- ٥ - ترك السلام عليه.
- ٦ - ترك التسمية له.
- ٧ - ترك بسط الوجه له، مع عدم
هجر السلام والكلام.

- ٨ - عدم سماع كلامه وقراءته.
- ٩ - عدم مشاورته.

ونحوها من الصفات التي يتأدى بها
الزجر بالهجر، وتحصل مقاصد الشرع^(١).

المنزلة:

يؤصل علماء الإسلام هجر المبتدع
ديانة تحت قاعدة الولاء والبراء، ومفهوم
هذه القاعدة لدى أهل السنة والجماعة
هو: الحب والبغض في الله، فهم يوالون
أولياء الرحمن، ويعادون أولياء
الشیطان، وكلٌّ بحسب ما فيه من الخير
والشر^(٢).

الأدلة:

الأدلة على الهجر الشرعي، كثيرة
منها:

قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠٦٥) من
حديث أنس، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب،
رقم ٢٥٦١) من حديث ابن عمر، واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم (المقدمة، رقم ٦)، وأحمد (١٩/١٤)
[مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب العلم،
رقم ٣٥١) وصححه.

(٥) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤١٨)،
ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٩).

(١) انظر: فتح الباري (١٠/٤٩٧)، هجر المبتدع (١٩).

(٢) انظر: هجر المبتدع لبكر أبي زيد (٢٠).

النفوس ينقض الإخلاص، والهجر على خلاف الأمر ينقض المتابعة^(١).

والضوابط الشرعية للهجر، حتى يتوب المبتدع ويفيء.

الثاني: الهجر لاستصلاح أمر دينوي؛ أي: الهجر لحق العبد، وفيه جاءت أحاديث الهجر بما دون ثلاث ليال، وجميعها تفيد أن الشرع لم يرخص بهذا النوع من الهجر بين المسلمين إلا بما دون ثلاث ليال. ومنها قوله ﷺ: «لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام»^(٤). ومن الهجر هنا: هجر الوالد لولده، والزوج لزوجته، وقد هجر النبي ﷺ نساء شهرًا. وبعد أن بيّن الخطابي أن ما وراء الثلاث على المنع قال: «فأما هجران الوالد ولده والزوج لزوج، ومن كان في معناه فلا يضيق أكثر من ثلاث، وقد هجر رسول الله ﷺ نساء شهرًا»^(٥).

النوع الثالث: الهجر قضاء، وهو من العقوبات التعزيرية للمعتدين، وهذا يبحثه الفقهاء في باب التعزير.

أما هجر الكافر فقد استشكل كون هجران الفاسق أو المبتدع مشروعًا، ولا يشرع هجران الكافر، وهو أشد جرمًا منهما لكونهما من أهل التوحيد في الجملة. وأجاب البعض بأن الله أحكامًا فيها مصالح للعباد، وهو أعلم بشأنها،

وهذا الهجر يختلف باختلاف البدعة نفسها، واختلاف مبتدعها، واختلاف أحوال الهاجرين، واختلاف المكان والقوة والضعف، والقلة والكثرة، بحيث ينظر إلى مدى تحقق المقاصد الشرعية من الهجر؛ كالزجر، والتأديب، ورجوع العامة، وتحجيم المبتدع وبدعته، وضمان السنة من شائبة البدعة^(٢).

❁ الأقسام:

أقسام الهجر ثلاثة^(٣):

الأول: الهجر ديانة؛ أي: الهجر لحق الله ﷻ، وهو من عمل أهل التقوى، في هجر السيئة، وهجر فاعلها، وهذا النوع من الهجر على قسمين:

١ - هجر ترك: بمعنى هجر السيئات، وهجر قرناء السوء الذين تضر صحبتهم إلا لحاجة، أو مصلحة راجحة.

٢ - هجر تعزير: وهذا من العقوبات الشرعية التبصيرية التي توقع على المبتدع، على وجه التأديب، في دائرة

(١) انظر: هجر المبتدع لبر أبي زيد (١٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٦ - ٢١٨) مكتبة النهضة الحديثة، [١٤٠٤هـ]، هجر المبتدع (٤٩).

(٣) انظر: هجر المبتدع لبر أبي زيد (١٣ - ١٧)، وانظر أيضًا: التمهيد لابن عبد البر (١٢٧/٦) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧هـ]، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١١٧)، وفتح الباري (١٠/٤٩٢).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) معالم السنن (٤/١١٢).

الهجرة

التعريف لغةً:

الهجرة: مأخوذة من الهَجَرَ، وهو ضد الوصل؛ وهو الترك والابتعاد عن الشيء، والمهاجرة في الأصل: مصارمة الغير ومتاركته، والهجرة: ترك الشيء إلى شيء آخر، أو الانتقال من حالة إلى حالة أخرى، أو الانتقال من أرض إلى أرض^(٢). قال الراغب الأصفهاني: «الهجر والهجران: مفارقة الإنسان غيره؛ إما بالبدن؛ أو باللسان؛ أو بالقلب»^(٣).

التعريف شرعاً:

الهجرة: هي ترك الأوطان والأهل والقرباة والمعاصي في الله أو في دين الله^(٤).

الحكم:

إن المسلم حيثماً يُضيق عليه في دينه وعبادته ويمنع من إظهار دينه، والقيام بالواجبات الدينية المفروضة عليه، يتعين عليه الهجرة إلى حيث يجد المكان

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣٤/٦) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (٢٥٠/٥)، [دار صادر، ط ٣]، والصحاح (٨٥١/٢) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م].

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (٤٦٤/٢) [ط دار القلم].

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٧/١٠) [دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٥٤/١) [دار المعرفة، ط ١٣٧٩هـ].

وعليهم التسليم لأمره فيها، فجنح إلى أنه تعبد لا يعقل معناه. وأجاب آخرون بأن الهجران على مرتبتين: الهجران بالقلب، والهجران باللسان، فهجران الكافر بالقلب وبترك التودد والتعاون والتناصر، لا سيما إذا كان حربياً، وإنما لم يشرع هجرانه بالكلام لعدم ارتداعه بذلك عن كفره، بخلاف العاصي المسلم، فإنه ينزجر بذلك غالباً^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (ج ١)، للالكائي.
 - ٢ - «فتح الباري» (ج ١٠)، لابن حجر.
 - ٣ - «القول المسموع في بيان الهجر المشروع»، للغماري.
 - ٤ - «مجموع الفتاوى» (ج ٢٨، ١٠)، لابن تيمية.
 - ٥ - «نواقض الإيمان الاعتقادية»، لمحمد الوهيبي.
 - ٦ - «هجر المبتدع»، لبكر أبي زيد.
 - ٧ - «الهجر في الكتاب والسنة»، لمشهور آل سلمان.
 - ٨ - «الهجر المشروع والممنوع»، لابتسام الفالح [رسالة ماجستير].
- (١) انظر: فتح الباري (٤٩٧/١٠) بتصرف.

يجتنب الشرك صغيره وكبيره، وأن يجتنب المعاصي والكبائر، وأن يكثّر من الاستغفار والتوبة؛ لتجديد الهجرة كلما وقع فيما يضعف مسيرتها، ولذلك كان مفتاح النجاة هو التوحيد والاستغفار.

❖ الأهمية:

تتضح أهمية الهجرة في النقاط التالية:

- أنها تخلّص المؤمن من الضعف وعدم الأمن اللذين يؤثّران على إقامة الدين.

- أنها شرعت لأجل عبادة الله ﷻ بأمن وأمان؛ لإقامة كيان المجتمع المسلم، مما يهيئ نشر هذا الدين.

- أن فيها سلامة النفس، فحيثما يجد المرء نفسه مهددة بالقتل أو الهلاك المحقق من قبل الظالمين وليس له القدرة على دفع الظلم عن نفسه فله أن يهاجر طلباً للسلامة إلى حيث يجد الأمن والأمان لنفسه وأهله.

❖ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَالرَّجُزُ فَاهْجِرْ ۖ﴾ (٥)

[المدثر]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَاً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يُخْرَجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (١٠) [النساء]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي

الأمثل للمحافظة على دينه وعبادته لربه ﷻ. ولا يجوز له أن يتعذر بالضعف وعدم القدرة على إقامة دين الله، فإن أرض الله واسعة^(١).

وأما قول النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»^(٢)؛ أي: لا هجرة من مكة إلى المدينة بعد الفتح كما كانت قبله لمصيرها دار إسلام، أما الهجرة من بلاد الكفر فباقية على الدوام^(٣).

❖ الحقيقة:

الهجرة تكون من دار الكفر إلى دار الإسلام، ومن دار البدع والمعاصي إلى دار الطاعة والإيمان، وتكون بمفارقة أهل الذنوب والمعاصي والبعد عن مجالستهم والاستئناس بهم.

وكذا تحصل بالانتقال من الكفر إلى الإسلام ومن البدعة إلى السنة ومن المعصية إلى الطاعة، وهذا هو مقتضى الهجرة إلى الله ورسوله؛ لأن الهجرة إلى الله تعالى تكون بالإيمان به وتوحيده وإفراده بالعبادة خوفاً ورجاءً وحباً، وأن

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/٥٦٤) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٧٨٣)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٣٥٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨٤/١٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ]، والتيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٢/٥٠٢) [مكتبة الإمام الشافعي، ط ٣، ١٤٠٨هـ].

تقطع ما كان الجهاد»^(٣). قال السندي: «قوله: «ما كان الجهاد»؛ أي: ما دام الكفر موجوداً فالجهاد لا بد منه، وكذا الهجرة من بلاده إلى بلاد الإسلام وما جاء من أن الهجرة قد انقطعت فذاك من مكة؛ أي: إلى المدينة»^(٤).

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ: «الهجرة عند الإطلاق هي الخروج من بلد الكفر إلى دار الإيمان، والأسماء إنما تحمل على عُرفها، والهجرة في الشريعة أشهر من أن تحتاج إلى بيان، أو تختص بدليل؛ وإنما يلزم ذلك لمن ادعى غيرها»^(٥).

وقال العزّ بن عبد السلام: «الهجرة هجرتان: هجرة الأوطان، وهجرة الإثم والعدوان. وأفضلهما هجرة الإثم والعدوان؛ لما فيها من إرضاء الرحمن، وإرغام النفس والشيطان»^(٦).

وقال ابن تيمية: «وجماع الهجرة: هي هجرة السيئات وأهلها، وكذلك هجران الدعاة إلى البدع، وهجران

أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُتَضَاعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ [النساء].

ومن السُّنَّة: حديث الحارث الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أمركم بخمس الله أمرني بهن، السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة»^(١).

وحديث فضالة بن عبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «المؤمن من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب»^(٢).

وحديث جنادة بن أبي أمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنْ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ الْهَجْرَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ، فَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ أَنَا يَقُولُونَ: إِنْ الْهَجْرَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ الْهَجْرَةَ لَا

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الأمثال، رقم ٢٨٦٣) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٤٠٦/٢٨) مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ، وابن خزيمة (كتاب الصيام، رقم ١٨٩٥)، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٢٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٧٢٤) [المكتب الإسلامي].

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٣٩٣٤)، وأحمد (٣٨١/٣٩) مؤسسة الرسالة، ط ١، وابن حبان (كتاب السير، رقم ٤٨٦٢)، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة (١٦٤/٤) [دار العربية، ط ٢]، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ٥٤٩) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٥هـ].

(٣) أخرجه أحمد (١٤٢/٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال الهيثمي في المجمع (٢٥١/٥) [مكتبة القدسي]: (رجاله رجال الصحيح)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٦٧٤).

(٤) حاشية مسند الإمام أحمد للسندي (٩/٤٢٧).

(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٣/٥٩٢) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ].

(٦) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال (٣٨٣) [١٩٨٩م].

دينه في ديار الكفر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ مَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَاُولَئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧﴾ [النساء]، ولقوله ﷺ: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين. قالوا: يا رسول الله لم؟ قال: لا تراءى ناراها» (٤).

ب - ويعذر في الإقامة بين الكفار من عجز عن الهجرة إما لمرض أو إكراه على الإقامة أو ضعف كالنساء والولدان وشبههم، فالعاجز لا هجرة عليه لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨﴾ [النساء]، فَاُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٩٩﴾ [النساء].

ج - وتكون جائزة في حق من يتمكن من إظهار دينه وإقامة واجباته في دار الكفر (٥).

- المسألة الثانية: التهنة بالعام الهجري الجديد:

لم يثبت في التهنة بالعام الهجري (٤) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٦٤٥)، والترمذي (أبواب السير، رقم ١٦٠٤)، وصح إسناده ابن حجر في بلوغ المرام (١٥٥/٢) [دار أطلس، ط ٣]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٩٧/٧) [مؤسسة غراس، ط ١، ١٤٢٣هـ]. (٥) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٥/٣) رقم ٣٨٨.

الفساق، وهجران من يخالط هؤلاء كلهم أو يعاونهم» (١).

وقال ابن حجر: «وهذه الهجرة ضربان: ظاهرة وباطنة؛ فالباطنة ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان، والظاهرة الفرار بالدين من الفتن» (٢).

❁ الأقسام:

تنقسم الهجرة إلى نوعين:

- هجرة معنوية: وتتمثل في اجتناب المعاصي والذنوب والآثام، وكل ما نهى الله تعالى عنه، أو الفرار إلى الله بالسعي إلى طلب محبته وتحقيق عبوديته، ونحو ذلك.

- وهجرة حسية: تكون بمفارقة الأبدان تارة، وبمفارقة الأوطان تارة أخرى، كهجرة النبي ﷺ والصحابه ﷺ إلى المدينة (٣).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الإقامة بين الكفار:

الإقامة بين الكفار يختلف حكمها باختلاف حالات المقيمين بديار الكفر:

أ - فتكون محرمة، وذلك في حق من لا يمكنه إظهار دينه أو إقامة واجبات

(١) مجموع الفتاوى (١٥/٣١١، ٣١٢).

(٢) فتح الباري (١/٥٤) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٣) انظر: الرسالة التبوكية (١٦) [ط مكتبة المدني]، وطريق الهجرتين (٧) [الدار السلفية، ط ٢، ١٣٩٤هـ].

والتأريخ به، وعدم العدول عنه للتأريخ الميلادي؛ لأن العمل بالتأريخ الهجري دين يتقرب به العبد إلى الله؛ لارتباطه بالهلال الذي ترتبط به الكثير من العبادات والأحوال الشخصية والمعاملات، كالصوم والعيدين ووجوب الزكاة، وعدة المطلقة وغيرها، ومن القواعد الشرعية: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

ولأن التاريخ الميلادي مرتبط بعقيدة النصراني ودينهم، وهو ولادة المسيح ابن الله في زعمهم وعقيدتهم، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً^(٣).

ولكن لا مانع من الاستفادة من التقويم الميلادي بصفته تقويمًا مساعدًا للتقويم القمري تابعًا له، متى وجد مقتضى لذلك لتحقيق فيه مصلحة راجحة، ولا عيب أن نأخذ - لا أن نستبدل - من مواقيت الأمم ما يفيدنا في بعض الحالات فيما لا يتعارض مع أمر من أمور الدين^(٤).

- المسألة الرابعة: الهجرة من أماكن البدع والمعاصي:

إذا كان المكان الذي يعيش فيه الإنسان يكثر فيه الفسق أو البدعة وكان

الجديد شيء عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة الكرام، ولا عن أحد من السلف، وقد اختلف العلماء في حكم التهنة بأول العام الجديد على قولين:

الأول: الإباحة وأنها من العادات، وليست من الأمور التعبدية، ولا يُرغَّب في البدء بها، لكن من بدأك بذلك فلا بأس أن تقول: وأنت كذلك، أو ما أشبه ذلك، أما البداءة فلا أصل له^(١).

الثاني: القول بالمنع مطلقًا، وهو الراجح؛ لأنه لا يُعرف لهذا أصلٌ فهو من المحدثات، ولأن التأريخ الهجري ليس المقصود منه أن يُجعل مناسبة وتُحيًا ويصير فيها كلام وعيد وتهانٍ، وإنما جعل التأريخ الهجري من أجل تمييز العقود فقط، وقد عايش الصحابة والتابعون لهم بإحسان سنوات كثيرة بعد أن وضع هذا التأريخ، ولم يعرف عنهم أنهم كانوا يهنتون بعضهم بعضًا عند أول سنة هجرية^(٢).

- المسألة الثالثة: العدول عن التاريخ الهجري للميلادي:

إن من الواجب على المسلمين الاعتزاز بتاريخهم الهجري والتمسك به

(١) لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (١/٨٦، ٨٧)، وفتاوى نور على الدرب لابن باز.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الثانية (١/٤٥٤)، السؤال رقم ٢٠٧٩٥، والإجابات المهمة في المشاكل المدلّمة للفرزوان (٢٢٩) [ط الأولى، ١٤٢٥هـ].

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢٦/٣٩٨) رقم (١٦٢٢٩) و(٢٦/٣٩٩) رقم (٢٠٧٢٢) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء].

(٤) انظر: التأريخ الهجري (٦١ - ٦٣) وما بعدها.

الفتح ولكن جهاد ونِيَّة»^(٣)؛ أي: لا هجرة من مكة إلى المدينة بعد الفتح كما كانت قبله لمصيرها دار إسلام، أما الهجرة من بلاد الكفر فباقية على الدوام^(٤).

✽ الثمرات:

من ثمرات الهجرة:

- أنها دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- فيها إعلان العبودية الكاملة لله ﷻ والالتقاد له.
- دليل محبة الله ومحبة رسوله ﷺ.
- دليل صلاح العبد واستقامته.
- الوعد بالكرامة والفوز بالجنة.
- تفريج الكربات وحصول الخيرات.
- تمحيص للإيمان واختبار للإنسان^(٥).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «أحكام الهجر والهجرة في الإسلام»، لأبي فصيل البدراني [بحث منشور على الإنترنت].
- ٢ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ١٠)، للقرطبي.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨٤/١٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ]، والتيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٥٠٢/٢) [مكتبة الإمام الشافعي، ط ١٤٠٨هـ]، وحاشية مسند أحمد للسندي (٤٢٧/٩).

(٥) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣٥٦٦/٨) [دار الوسيلة، ط ٤].

لا يستطيع أن يقيم شعائر دينه أو لا يأمن على نفسه وأهله من الوقوع في الفتنة، فإنه يجب عليه أن يهاجر من هذه الأرض. أما إذا كان يستطيع أن يقيم شعائر الدين ويأمن على نفسه وأهله من الوقوع في الفتنة فإنه يستحب له أن يهاجر من هذه الأرض ولا يجب عليه ذلك، وفي حالة وجوب الهجرة فإن الإنسان ملام على عدم الهجرة إن كان يقدر على ذلك، فإن كان لا يقدر على الهجرة فليجتهد وسعه في الحفاظ على دينه ودين أهله حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً^(١).

- المسألة الخامسة: بقاء الهجرة:

الهجرة - التي هي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وكذا هجر المعاصي - باقية لا تنقطع إلى قيام الساعة؛ لقول النبي ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٢). وأما قول النبي ﷺ: «لا هجرة بعد

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨٤/١٨)، والموسوعة الفقهية الكويتية (١٩٠/٤٢)، (١٩١، ط ٢، وزارة الأوقاف الكويتية).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٧٩)، وأحمد (١١١/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والدارمي (كتاب السير، رقم ٢٥٥٥)، وقال الخطابي في معالم السنن (٢٣٥/٢) [المطبعة العلمية، ط ١]: (فيه مقال)، وصححه الألباني بشواهد في الإرواء (رقم ١٢٠٨) [المكتب الإسلامي، ط ٢].

وقال الجوهري: «الهُدَى: الرشد والدلالة، يقال: هداه الله للدين هدى، وهديته الطريق والبيت هداية؛ أي: عَرَفْتَهُ»^(٢).

فالهداية معناها في اللغة: الدلالة والإرشاد، ويكون بلطف، وهو عكس الإغواء والإضلال.

✽ التعريف شرعاً:

الهداية هي توفيق الله تعالى وإرشاده لما يحب، ويوصف الله ﷻ بأنه الهادي، فهو الذي يهدي خلقه وعباده إلى ما شاء^(٣).

✽ الحكم:

هي صفة ذاتية من حيث النوع، وفعلية اختيارية من حيث الآحاد، ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، ويجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

(٢) الصحاح (٦/٢٥٣٣) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م].

(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/٢٠٢) مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١/٢٠٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١٤١٦هـ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥/٦٣١)، ملحق في آخر الجزء بعنوان: أصول وكليات من أصول التفسير وكلياته لا يستغني عنها المفسر للقرآن [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط٢، ١٤١٢هـ].

٣ - «الرسالة التبوكية»، لابن القيم.

٤ - «فتح الباري» (ج١)، لابن حجر.

٥ - «مجموع الفتاوى» (ج١٥)، لابن تيمية.

٦ - «المفصل في أحكام الهجرة»،

علي نايف الشحود [موقع صيد الفوائد].

٧ - «نصرة النعيم في مكارم أخلاق

الرسول الكريم ﷺ» (ج٨).

٨ - «الهجرة إلى بلاد غير المسلمين:

حكمها، ضوابطها وتطبيقاتها»، لعماد بن عامر.

٩ - «الهجرة: دراسة عقدية»، لأمل

الخميس [رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود].

١٠ - «الهجرة: دروس وفوائد»،

لمحمد بن إبراهيم الحمد [بحث منشور على الإنترنت].

✽ الهداية ✽

✽ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الهاء والذال

والحرف المعتل أصلاً؛ أحدهما:

التقدم للإرشاد، والآخر: بعثة لطف.

فالأول قولهم: هديته الطريق هداية؛

أي: تقدمته لأرشده... وينشعب هذا

فيقال: الهدى خلاف الضلالة»^(١).

(١) مقاييس اللغة (٢/٦٠٣) [دار الكتب العلمية، ط١٤٢٠هـ].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَكُنْزِي بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا. يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم» الحديث (١).

وعن طارق بن أشيم بن مسعود الأشجعي قال: كان الرجل إذا أسلم علّمه النبي ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللَّهُمَّ اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني» (٢).

أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي: «يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً، وكلهم

(١) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٩٧).

يتقبلون في مشيئته بين فضله وعدله» (٣).

وقال ابن تيمية: «وهديته ودلالته من مقتضى اسمه الهادي، وفي الأثر المنقول عن أحمد بن حنبل أنه أمر رجلاً أن يقول: يا دليل الحيارى دلّني على طريق الصادقين، واجعلني من عبادك الصالحين» (٤).

وقال السعدي: «الهادي؛ أي: الذي يهدي ويرشد عباده إلى جميع المنافع، وإلى دفع المضار، ويعلمهم ما لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوى، ويجعل قلوبهم منيية إليه منقادة لأمره» (٥).

الأقسام:

إن الهداية المضافة إلى الله ﻻ على أنواع (٦)، وفيما يلي ذكرها:

أ - الهداية العامة: وهي هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وحياتها وما يقيمها ويصلحها، وهذه الهداية شاملة لجميع الحيوانات من البهائم والطيور والدواب وغيرها، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه].

ب - هداية الإرشاد والبيان للمكلفين:

(٣) العقيدة الطحاوية (١١) [دار ابن حزم، بيروت، ط ١].

(٤) مجموع الفتاوى (٢٠٧/١).

(٥) تفسير السعدي (٦٣١/٥)، ملحق في آخر الجزء

بعنوان: أصول وكميات من أصول التفسير وكمياته.

(٦) انظر: معجم ألفاظ العقيدة (٤٤٥، ٤٤٦) [مكتبة

العبيكان، ط ٢]، وفقه أسماء الله الحسنى (١١٥ -

١١٧).

وَعَدَّه مِنْهَا عَامَةً أَهْلَ الْعِلْمِ الَّذِينَ اعْتَنَوْا بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنِ وَصَنَفُوا فِيهَا^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهديته ودلالته من مقتضى اسمه الهادي»^(٣).

- المسألة الثانية: الجمع بين قوله:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:

٥٦] وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٦]:

إن الهداية المنفية عن النبي ﷺ في الآية الأولى هي هداية توفيق، فإن التوفيق بيد الله ﷻ، والهداية المثبتة للنبي ﷺ في الآية الثانية هي هداية دلالة وإرشاد إلى الدين الحق والصراط المستقيم^(٤).

الآثار:

إن الله تعالى أمر عباده في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ أن يطلبوا الهداية من الله ﷻ، فأمرهم أن يسألوه الهداية إلى الصراط المستقيم كل يوم وليلة في الصلوات الخمس وغيرها من الصلوات، وشرع أذكاراً وأدعية كثيرة فيها سؤال الهداية والثبات عليها، وفيها سؤال الوقاية من الزيغ والضلال، وما ذلك إلا لحاجة العباد الشديدة وأفتقارهم الدائم

وهي حجة الله على خلقه التي لا يعذب أحداً منهم إلا بعد إقامتها عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمَ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥].

ج - هداية التوفيق والإلهام وشرح الصدر لقبول الحق والرضا به، قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦].

د - هداية المؤمنين في الآخرة إلى الجنة وإلى منازلهم فيها: قال تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [٥] وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ [٦] [محمد].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده! لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تسمية الله ﷻ بالهادي:

الهادي اسم من أسماء الله الحسنی،

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٥).

(٢) انظر: معتقد أهل السنة الجماعة في أسماء الله الحسنی (٢٢١) [دار إيلاف الدولية، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠٧/١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ].

(٤) انظر: أضواء البيان (١/٥٥، ٥٤/٦، ٥٥٠) [دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ].

الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكُلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية^(٢).

والله ﷻ أعلم بنفسه وقد وصف نفسه بهذه الصفة في آيات كثيرة من القرآن الكريم، ورسوله ﷺ أعرف الناس بالله تعالى، وقد وصف النبي ﷺ ربه في أحاديثه الكثيرة بهذه الصفة، ولذا يجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته؛ لدلالة القرآن الكريم والأحاديث النبوية على ذلك، والله أعلم.

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، للبيهقي.
- ٢ - «أضواء البيان» (ج ١ و ٦)، للشنقيطي.
- ٣ - «تفسير السعدي».
- ٤ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ٥ - «العقيدة الطحاوية»، لأبي جعفر الطحاوي.

(٢) انظر: من كتب الأشاعرة: أصول الدين لعبد القاهر البغدادى (١٤٠، ١٤١) [مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية، إستانبول، ط ١، ١٣٤٦هـ] ومن كتب الماتريدية: التمهيد لقواعد التوحيد للنسفي (٣٣٧) [دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٦هـ].

إلى هداية الله لهم في جميع شؤونهم الدينية والدنيوية واضطرارهم إليه ﷻ في كل وقت ولحظة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولما كان العبد في كل حال مفتقرًا إلى هذه الهداية في جميع ما يأتيه ويذره، من أمور قد أتاها على غير الهداية؛ فهو يحتاج إلى التوبة منها، وأمور هُدي إلى أصلها دون تفصيلها أو هُدي إليها من وجه؛ فهو محتاج إلى تمام الهداية فيها ليزداد هدى، وأمور هو محتاج إلى أن يحصل له من الهداية فيها في المستقبل مثل ما حصل له في الماضي، وأمور هو خالٍ عن اعتقادٍ فيها؛ فهو محتاج إلى الهداية فيها، وأمور لم يفعلها؛ فهو محتاج إلى فعلها على وجه الهداية، إلى غير ذلك من أنواع الحاجات إلى أنواع الهدايات فرض الله عليه أن يسأل هذه الهداية في أفضل أحواله، وهي الصلاة مرات متعددة في اليوم والليلة، وقد بين أن أهل هذه النعمة مغايرون للمغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى»^(١).

❁ مذهب المخالفين:

إن هداية الله صفة ذاتية من حيث النوع، وهي صفة فعلية اختيارية من حيث الآحاد، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة

(١) الفتاوى الكبرى (٦/٦) [دار الكتب العلمية، ط ١].

الأولى: هداية التوفيق: وهي جعل الهدى في القلوب، وهي المستلزمة للاهتداء، ولا يقدر عليها إلا الله تعالى.

والثانية: هداية الدلالة والإرشاد، وتعني نصب الأدلة، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، ولا تستلزم حصول التوفيق، وإن كانت شرطاً فيه^(٣).

✽ **الأسماء الأخرى:**
التوفيق.

✽ **الحكم:**

مما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يهدي من يشاء؛ وأن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه؛ مع قولهم: إن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله^(٤).

✽ **الحقيقة:**

هو إن الله تعالى خص المؤمنين بنعمة يهتدون بها لم يعطها للكافرين^(٥). وأن الله سبحانه هو خالق أفعال العباد، فمن شاء منهم هداة ووفقه ونور بصيرته وأزاح عنه غبش الشبهات والشهوات،

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٧٢/١٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٥هـ]، وشفاء العليل لابن القيم (١٤١) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٨/٤٥٩).

(٥) انظر: منهاج السنة (٣/١٠٣).

٦ - «الفتاوى الكبرى» (ج ٦) لابن تيمية.

٧ - «مجموع الفتاوى» (ج ١)، لابن تيمية.

٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

٩ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

✽ **الهدى** ✽

✽ **التعريف لغة:**

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الهاء والدال والحرف المعتل: التقدُّم للإرشاد، والآخر: بعثة، فالأوَّل قولُهم: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ هِدَايَةً؛ أي: تقدَّمته لأرشدَه. وكلُّ متقدِّمٍ لذلك هادٍ... والأصل الآخر: الهَدْيَةُ»^(١).

والهُدَى ضدُّ الضَّلَالِ وَهُوَ الرَّشَادُ. تقول: هَدَاهُ هُدًى وَهَدًى وَهَدَايَةً وَهَدِيَّةً - بكسرهما -: أَرَشَدَهُ، فَهَدَى وَاهْتَدَى والهداية دلالة بلطف^(٢).

✽ **التعريف شرعاً:**

الهداية في الشرع على قسمين:

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤٢/٦) [دار الجبل، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٤٢/٦)، ولسان العرب (١/٦٩٨) [دار صادر، ط ١]، ومختار الصحاح (٥٨٦) [مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ].

❖ الأدلة:

جاءت النصوص الشرعية المتكاثرة التي تبين أن الهداية إلى الحق والصراط المستقيم إنما هي بيد الله ﷻ وحده، كما أن الضلالة بيده سبحانه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [٥٦] [القصر]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا يَنْهَوْنَ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [١٣٢] [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [١٧] [الحجرات]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَحِدَ لَهُ وَلَيَأْخُذَ مُرْشِدًا﴾ [١٧] [الكهف].

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يخطب الناس، يحمد الله ويشني عليه بما هو أهله، ثم يقول: «من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وخير الحديث كتاب الله»^(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة: «أن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ به من

وأخذ بيده عند الفتن والمحن، فوقاه إياها وانشرح صدره للطاعة والاستجابة للشرع والدين، وذلك كله وفق رحمة الله وحكمته وجوده وإحسانه وفضله.

❖ المنزلة:

الهداية للحق والخير هي أعظم مكاسب البشر، والضلال عن الهدى أعظم خسارة يتلى بها البشر، لهذا كانت هذه المسألة من أشرف المسائل وأعظمها وقد ضمنها الله ﷻ أعظم سور القرآن الكريم وهي سورة الفاتحة، حيث تضمنت سؤال الله ﷻ الهداية والاستعاذة من طرق أهل الغواية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [٦١] صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ [٧] [الفاتحة]، فمن تحققت له الهداية للصراط المستقيم فقد تحقق له النجاح والفوز في الدنيا والآخرة، ومن ضل عنه إلى طريق المغضوب عليهم أو الضالين، فقد خسر دنياه وأخراه وباء بالعذاب الأليم.

قال ابن القيم رحمه الله عن موضوع الهدى والضلال: «هو قلب أبواب القدر ومسائله فإن أفضل ما يقدر الله لعبده وأجل ما يقسمه له الهدى وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه الضلال، وكل نعمة دون نعمة الهدى، وكل مصيبة دون مصيبة الضلال»^(١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٦٧).

(١) شفاء العليل (٦٥) [دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ].

شُرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله...»^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الهدى أربعة أقسام: **أحدها**: الهداية إلى مصالح الدنيا، فهذا مشترك بين الحيوان الناطق، والأعجم، وبين المؤمن والكافر. **والثاني**: الهدى بمعنى دعاء الخلق إلى ما ينفعهم، وأمرهم بذلك، وهو نصب الأدلة، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، فهذا أيضاً يشترك فيه جميع المكلفين، سواء آمنوا أو كفروا... **والقسم الثالث**: الهدى الذي هو جعل الهدى في القلوب، وهو الذي يسمّيه بعضهم بالإلهام والإرشاد... **والقسم الرابع**: الهدى في الآخرة»^(٢).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «الهداية نوعان: هداية البيان، وهداية التوفيق، فالمتقون حصلت لهم الهدايتان، وغيرهم لم تحصل لهم هداية التوفيق، وهداية البيان بدون توفيق للعمل بها، ليست هداية حقيقية تامة»^(٣).

✽ الأقسام:

قد دلّت النصوص الشرعية على أن الهداية الواردة في القرآن الكريم على أربعة أنواع ولكل نوع منها حكمه وشروطه:

- (١) أخرجه أبو داود (كتاب النكاح، رقم ٢١١٨)، والترمذي (أبواب النكاح، رقم ١١٠٥) وحسنه، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٤٠٤)، وابن ماجه (كتاب النكاح، رقم ١٨٩٢)، وأحمد (٢٦٢/٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والدارمي (كتاب النكاح، رقم ٢٢٤٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ١٨٤٤) [مؤسسة غراس، ط ١].
- (٢) مجموع الفتاوى (١٨/١٧٢ - ١٧٤).
- (٣) شفاء العليل (٦٥).
- (٤) تفسير السعدي (٢٩) [دار السلام، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

عنه بعد أن أراهموه، وهذا شأنه سبحانه في كل من أنعم عليه بنعمة فكفرها فإنه يسلبه إياها بعد أن كانت نصيبه وحظه»^(٣).

فهذا النوع من الهداية ليس خاصاً بالله ﷻ وإنما هو عام يبينه كل داع إلى الخير والهدى، فالرسل ﷺ يهدون الناس فيدلّونهم على سبيل الرشاد ويحذرونهم من سبل الغواية والهلاك، وكذلك الدعاة إلى الخير من العلماء وغيرهم، فكل من دعا إلى الصلاح والخير فهو بهذا المعنى هادٍ للخير والصلاح.

النوع الثالث: الهداية بمعنى التوفيق للعمل الصالح وخلق الإيمان في القلب وجعل المدعو مستجيباً لأمر الله ﷻ، ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَحْدِلَهُ وَلِيَا مُرْشِدًا﴾ [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف] ونحوها من الآيات التي تنص على أن الهداية بيد الله ﷻ، وأن من هداه الله فهو المهتدي، ومن أضله فهو الضال، قال ابن القيم رحمه الله: «المرتبة الثالثة من مراتب الهداية هداية التوفيق والإلهام وخلق المشيئة المستلزمة

النوع الأول: الهداية العامة، وهي إعطاء كل مخلوق ما يصلح حياته ومعاشه من الأعضاء والإمكانات ثم هدايته لتلك المصالح، على حد قوله ﷻ: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه].

النوع الثاني: الهداية بمعنى الدلالة والإرشاد والبيان، ومما جاء في هذا المعنى من الآيات قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى]، قال ابن جرير رحمه الله: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإنك يا محمد لتهدي إلى صراط مستقيم عبادنا، بالدعاء إلى الله، والبيان لهم»^(١).

ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]. قال ابن جرير: «فبيننا لهم سبيل الحق وطريق الرشاد»، وقال قتادة: «بيننا لهم سبيل الخير والشر»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة]، قال ابن القيم رحمه الله: «فهداهم هدى البيان والدلالة فلم يهتدوا فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولاً بعد أن عرفوا الهدى فأعرضوا عنه، فأعماهم

(١) تفسير الطبري (٥٦١/٢١).

(٢) تفسير الطبري (٤٤٨/٢١).

(٣) شفاء العليل لابن القيم (٨٠).

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حَبَسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نَقَوْا وَهَضَبُوا، أَذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لِأَحَدِهِمْ بِمَسْكَنَةٍ فِي الْجَنَّةِ أَدْلُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»^(٢).

وروى ابن جرير بسنده عن مجاهد قال: «يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وحيث قسم الله لهم لا يخطئون، كأنهم سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحداً».

وأما ما ورد مما يتعلق بهداية أهل النار إلى دركاتهم - نسأل الله المعافاة - فقله تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ [الصافات].

قال الطبري رحمته الله في معناها: «يقول تعالى ذكره: احشروا هؤلاء المشركين وألتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، فوجههم إلى طريق الجحيم»^(٣)، وقال ابن تيمية في معناها: «قودوهم كما يقود الهادي لمن يهديه؛ ولهذا تسمى الأعناق الهوادي؛ لأنها تقود سائر البدن، وتسمى أوائل الوحش:

للفعل... وهذه المرتبة تستلزم أمرين؛ أحدهما: فعل الرب تعالى وهو الهدى، والثاني: فعل العبد وهو الاهتداء، وهو أثر فعله سبحانه، فهو الهادي والعبد المهتدي، قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى﴾، ولا سبيل إلى وجود الأثر إلا بمؤثره التام، فإن لم يحصل فعله لم يحصل فعل العبد، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدًى مِنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]، وهذا صريح في أن هذا الهدى ليس له ﷻ ولو حرص عليه ولا إلى أحد غير الله، وأن الله سبحانه إذا أضل عبداً لم يكن لأحد سبيل إلى هدايته، كما قال تعالى: ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَكَأَنَّهُ هَادٍ لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦]^(١).

النوع الرابع: الهداية إلى المنازل في الجنة، نسأل الله من فضله، وإلى الدركات في النار، نسأل الله المعافاة، وقد ورد في هذا المعنى فيما يتعلق بالهداية إلى المنازل في الجنة قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَحْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَمَا مَتَا بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَبِلُوا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْليحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ (٦) [محمد].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٤٠).

(٣) تفسير الطبري (٢٨/٢١).

(١) شفاء العليل لابن القيم (٨٠، ٨١).

طالب عم النبي ﷺ (٢).

قال ابن جرير في معنى الآية: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ يَا مُحَمَّدٌ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أن يهديه من خلقه، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله.

ولو قيل: معناه: إنك لا تهدي من أحببته لقربته منك، ولكن الله يهدي من يشاء، كان مذهباً. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦) يقول جل ثناؤه: والله أعلم من سبق له في علمه أنه يهتدي للرشاد، ذلك الذي يهديه الله فيسده ويوفقه (٣).

وقال السعدي: «يخبر تعالى أنك يا محمد - وغيرك من باب أولى - لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية للتوفيق، وخلق الإيمان في القلب، وإنما ذلك بيد الله ﷻ، يهدي من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه، ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلاله» (٤).

أما الآية الثانية: فإنها أثبتت للنبي ﷺ الهداية التي هي بمعنى الدلالة والإرشاد، قال ابن جرير في الآية: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإنك يا محمد

الهودادي»، وقال ابن كثير: «أرشدوهم إلى طريق جهنم» (١).

فهذه هداية بمعنى الإرشاد والدلالة لأهل النار إلى أماكنهم منها، نسأل الله المعافاة.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: معنى الهداية المثبتة للرسول ﷺ والهداية التي نفى الله ﷻ أن تكون إليه:

ورد في كلام الله ﷻ قوله عن نبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦) [القصص].

كما ورد في الآية الأخرى إثبات ذلك لنبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٦) [الشورى]

فالأية الأولى: نفى فيها الله ﷻ أن يكون للنبي ﷺ الهداية، والآية الأخرى أثبتت ذلك له، والآيتان ليس بينهما تنافٍ ولا تناقض؛ لأن الهداية التي نفى الله أن تكون إلى النبي ﷺ هي هداية التوفيق للخير والإيمان، وجعل أحد من الناس مهتدياً بخلق ذلك في قلبه، بدليل أن الآية نزلت في شأن أبي

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧٧٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤).

(٣) تفسير الطبري (٥٩٨/١٩).

(٤) تفسير السعدي (٦٢٥) [مؤسسة الرسالة ط١].

(١) تفسير ابن كثير (٩/٧).

كتبه لهم فلم ينتفعوا بذلك، وهذا هو غاية ما عند الله من الهداية.

وقال البغدادي لما ذكر إجماع أهل السنة على أن الله يهدي من يشاء بفضله: «وهذا خلاف قول القدرية في دعواها أن الهداية من الله تعالى على معنى الإرشاد والدعاء إلى الحق، وليس إليه من هداية القلوب شيء»^(٤).

وهذا القول منهم إنكار للمقصود بالهداية التي هي بيد الله ﷻ وحده دون خلقه قاطبة، وهي التي جاءت في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص]، وقد سبق بيان اختصاص ذلك بالله ﷻ، والمعتزلة إنما ضلوا في هذا الباب وغيره بسبب قياسهم الخالق على المخلوق، فزعموا أن ما يحسن من المخلوق يحسن من الله ﷻ وما يقبح من المخلوق يقبح من الخالق، فكانوا مشبهة الأفعال: يقول عبد الجبار المعتزلي: «ولا يجوز أن يكون الموجب لحسن أفعاله ﷻ أنه رب، مالك، ناه، آمر، ناصب للدليل، متفضل... ونحن نبين أن ما أوجب قبح القبيح متى حصل يجب كونه قبيحاً، وكذلك ما أوجب حسن الحسن، ووجوب الوجوب... وهذه القضية لا تختلف باختلاف

لتهدي إلى صراط مستقيم عبادنا، بالدعاء إلى الله، والبيان لهم»^(١).

وقال السعدي: «وأما إثبات الهداية للرسول في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٥٢] فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول يبين الصراط المستقيم، ويرغب فيه، ويبدل جهده في سلوك الخلق له، وأما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويفقههم بالفعل، فحاشا وكلا. ولهذا، لو كان قادراً عليها، لهدى من وصل إليه إحسانه، ونصره ومنعه من قومه، عمه أبا طالب... ولكن الهداية بيد الله تعالى»^(٢).

✽ مذهب المخالفين:

خالف السلف والمسلمين عموماً المعتزلة ومن أخذ بقولهم في هذا الباب، فقد أنكروا أن يكون الله ﷻ يهدي أحداً أو يضل أحداً. قال الأشعري عن مذهب المعتزلة في الهدى: «قال أكثر المعتزلة: إن الله هدى الكافرين فلم يهتدوا، ونفعهم بأن قواهم على الطاعة فلم ينتفعوا، وأصلحهم فلم يصلحوا»^(٣). ومعنى قول المعتزلة هذا أن الله بين للكافرين وأرشدهم كما فعل ذلك رسله ﷺ وأدته

(١) تفسير الطبري (٢١/٥٦١).

(٢) تفسير السعدي (٦٢٥).

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري (١/٢٠٧) [المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي (٣٣٠) [دار الآفاق الجديدة، بيروت ط٢، ١٩٧٧].

وقال: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي
الْأَسْمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا
قَدِيرًا﴾ [فاطر].

الفاعلين، وأن حكم أفعال القديم
- يعني الله ﷻ - في ذلك حكم
أفعالنا^(١).

المصادر والمراجع

- ١ - «أقوم ما قيل في القضاء
والقدر»، لابن تيمية.
- ٢ - «الإبانة»، لابن بطة.
- ٣ - «شفاء العليل»، لابن القيم.
- ٤ - «القدر»، لعبد الله بن وهب.
- ٥ - «القدر»، الفريابي.
- ٦ - «القضاء والقدر»، للبيهقي.
- ٧ - «القضاء والقدر»، لأبي الوفا
درويش.
- ٨ - «القضاء والقدر في الإسلام»،
لفاروق أحمد الدسوقي.
- ٩ - «القدر في ضوء الكتاب والسنة
ومذاهب الناس فيه»، لعبد الرحمن بن
صالح المحمود.
- ١٠ - «القضاء والقدر»، لعمر سليمان
الأشقر.
- ١١ - «القضاء والقدر»، لابن تيمية.

الهرولة

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الهاء والراء واللام.
يقولون: الهرولة بين المشي والعدو»^(٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢/٦٠٦) [دار الكتب العلمية،
ط ١٤٢٠هـ].

فهذا الغلو في التشبيه جعلهم يقولون:
إن الله ﷻ يجب عليه فعل الصلاح
لعباده، وإن لم يفعل لم يكن مريدًا
لمنفعتهم. فهذا القول منهم والقياس
الفساد جعلهم يظنون أن الله غير قادر
على هداية الخلق، وأنه - ﷻ - عن
قولهم - ليس بيده هداية أحد من الناس،
وأن مثله في هذا مثل من أرشد تائهاً عن
الطريق وبعد أن أرشده إلى الطريق تركه،
فإن وصل إلى مراده وصل وإلا فإن
الهادي قد أدى ما عليه.

وهذا مع وضوح بطلانه فإن فيه
مخالفة صريحة للنصوص الشرعية؛ في
أن من اهتدى فإن الله هو الذي هداه
وأن لو شاء الله لهدى الناس جميعًا؛
وفيه أيضًا تعجيز للخالق تبارك وتعالى
وأن قدرته في هذا مثل قدرة خلقه،
وكفى بهذا ضللاً وانحرافاً ومخالفة
لصريح القرآن وما اتفق عليه المسلمون
من أن قدرة الله لا يحدها شيء،
قال ﷻ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة].

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي
عبد الجبار (٥٩/٦، ٦٠) نقلاً عن: القضاء والقدر
في ضوء الكتاب والسنة للمحمود (٢٥٤) [دار مدار
الوطن، ط ٢].

مكانتهم، ولا يتأخر في الإحسان إليهم والإنعام عليهم، وهي كما يليق بجلال الله وعظمته تبارك وتعالى^(٤).

التعريف شرعاً:

هو مضاعفة ثواب من تقرب إلى الله ﷻ بالأعمال الصالحة^(٢).

الحكم:

يجب الإيمان بأن الله ﷻ يضاعف ثواب العبد على عمله، وهذا لكمال فضل الله ﷻ وكرمه وسعة جوده^(٣).

الحقيقة:

هي بمعنى سرعة قبول الله وإقباله على عبده المتقرب إليه، ومضاعفة مجازاته تعالى العبد على عمله أكمل من عمل العامل، وأنه ﷻ يقبل توبتهم ويرفع

(١) الصحاح (١٨٥٠/٥) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٢) انظر: بيان تلبس الجهمية (١٠٣/٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١، ١٤٢٦هـ]، وصفات الله الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (٣٦٠) [دار الهجرة، ط ٣، ١٤٢٦هـ]، معجم ألفاظ العقيدة (٤٤٩) [مكتبة العبيكان، ط ٢].

(٣) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٣٢٧) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ]، والأسماء والصفات لليهقي (٣٨٥، ٣٨٤/٢) [مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ]، والنهاية في غريب الحديث (٢٦١/٥) [المكتبة العلمية، بيروت]، وشرح صحيح مسلم للنووي (٣/١٧، ٤) [دار الفكر، ط ٣، ١٣٩٨هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٣/٣٦٤) [بيت الأفكار الدولية]، ومنة المنعم في شرح صحيح مسلم (٢٣٢/٤) [دار السلام، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وأحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين (١٨٥، ١٨٦) [مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط ١، ١٤٢٧هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٤٤٩).

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن اقترب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن اقترب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»^(٥).

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ يرويه عن ربه قال: «إذا تقرب العبد إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني مشياً أتيته هرولة»^(٦).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن

(٤) انظر: مدارج السالكين (٢٧١/٣، ٢٧٢) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٥)، واللفظ له.

(٦) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٣٦).

يقال: هذه القرينة الحسية الظاهرة لكل أحد هي أبلغ من القرينة اللفظية»^(٤).

وقال ابن القيم: «فيجد هذا المحب في باطنه ذوق معنى هذا الحديث ذوقاً حقيقياً، فذكر من مراتب القرب ثلاثة، ونبّه بها على ما دونها وما فوقها، فذكر تقرب العبد إليه بالشبر وتقربه سبحانه إلى العبد ذراعاً، فإذا ذاق العبد حقيقة هذا التقرب انتقل منه إلى تقرب الذراع، فيجد ذوق تقرب الرب إليه باعاً، فإذا ذاق حلاوة هذا القرب الثاني أسرع المشي حينئذ إلى ربه، فيذوق حلاوة إتيانه إليه هرولة، وههنا منتهى الحديث منبهاً على أنه إذا هرول عبده إليه كان قرب حبيبه منه فوق هرولة العبد إليه، فإما أن يكون قد أمسك عن ذلك لعظيم شاهد الجزاء، أو لأنه يدخل في الجزاء الذي لم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر، أو إحالة له على المراتب المتقدمة، فكأنه قيل له: وقس على هذا؛ فعلى قدر ما تبذل منك تقريباً إلى ربك يتقرب إليك بأكثر منه، وعلى هذا فلازم هذا التقرب المذكور في مراتبه؛ أي: من تقرب إلى حبيبه بروحه وجميع قواه وإرادته وأقواله وأعماله تقرب الرب منه سبحانه بنفسه في مقابلة تقرب عبده إليه، وليس القرب في هذه المراتب كلها

أتاني يمشي أنيته هرولة، ومن لقيني بقرب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة»^(١).

❁ أقوال أهل العلم:

قال أبو عيسى الترمذي: «ويروى عن الأعمش في تفسير هذا الحديث: من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً؛ يعني: بالمغفرة والرحمة، وهكذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث، قالوا: إنما معناه يقول: إذا تقرب إلي العبد بطاعتي وما أمرت، أسرع إليه بمغفرتي ورحمتي»^(٢).

وقال إسحاق بن راهويه: «من تقرب إلى الله شبراً بالعمل تقرب الله إليه بالثواب باعاً»^(٣).

وقال ابن تيمية: «لا يكون ظاهر الخطاب هو المعنى الممتنع، بل ظاهره هو المعنى الحق، ومن المعلوم أنه ليس ظاهر الخطاب أن العبد يتقرب إلى الله بحركة بدنه شبراً وذراعاً ومشياً وهرولة، لكن قد يقال: عدم ظهور هذا هو للقرينة الحسية العقلية، وهو أن العبد يعلم أن تقربه ليس على هذا الوجه، وذلك لا يمنع أن يكون ظاهر اللفظ متروكاً،

(١) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٧).

(٢) جامع الترمذي (٤/٥٨١).

(٣) مسائل الإمام أحمد وإسحاق لحرب بن إسماعيل (٣٤٥).

(٤) بيان تلبيس الجهمية (١٠٣/٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٦، ١٤٢٦هـ].

قرب مسافة حسية، ولا مماسة، بل هو قرب حقيقي، والرب تعالى فوق سماواته على عرشه والعبد في الأرض، وهذا الموضع هو سر السلوك وحقيقة العبودية^(١).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ذكر المسافة بالشبر والذراع والباع في الحديث المذكور إنما جاء من باب ضرب المثال، والمسافة الحسية المذكورة في الحديث غير مرادة بالضبط والتعيين والتحديد:

وإلى هذا يشير كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، إذ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا يكون ظاهر الخطاب هو المعنى الممتنع، بل ظاهره هو المعنى الحق، ومن المعلوم أنه ليس ظاهر الخطاب أن العبد يتقرب إلى الله بحركة بدنه شبرًا وذراعًا ومشيًا وهرولة، لكن قد يقال: عدم ظهور هذا هو للقرينة الحسية العقلية، وهو أن العبد يعلم أن تقربه ليس على هذا الوجه، وذلك لا يمنع أن يكون ظاهر اللفظ متروكًا، يقال: هذه القرينة الحسية الظاهرة لكل أحد هي أبلغ من القرينة اللفظية»^(٢).

وقال ابن القيم: «فيجد هذا المحب في باطنه ذوق معنى هذا الحديث ذوقًا

حقيقًا، فذكر من مراتب القرب ثلاثة، ونبّه بها على ما دونها وما فوقها، فذكر تقرب العبد إليه بالشبر وتقربه سبحانه إلى العبد ذراعًا، فإذا ذاق العبد حقيقة هذا التقرب انتقل منه إلى تقرب الذراع، فيجد ذوق تقرب الرب إليه باعًا، فإذا ذاق حلاوة هذا القرب الثاني أسرع المشي حينئذ إلى ربه، فيذوق حلاوة إتيانه إليه هرولة، وههنا ينتهي الحديث منبهاً على أنه إذا هرول عبده إليه كان قرب حبيبه منه فوق هرولة العبد إليه، فإما أن يكون قد أمسك عن ذلك لعظيم شاهد الجزاء، أو لأنه يدخل في الجزاء الذي لم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر، أو إحالة له على المراتب المتقدمة، فكأنه قيل له: وقس على هذا؛ فعلى قدر ما تبذل منك تقريبًا إلى ربك يتقرب إليك بأكثر منه، وعلى هذا فلازم هذا التقرب المذكور في مراتبه؛ أي: من تقرب إلى حبيبه بروحه وجميع قواه وإرادته وأقواله وأعماله تقرب الرب منه سبحانه بنفسه في مقابلة تقرب عبده إليه، وليس القرب في هذه المراتب كلها قرب مسافة حسية، ولا مماسة، بل هو قرب حقيقي، والرب تعالى فوق سماواته على عرشه والعبد في الأرض، وهذا الموضع هو سر السلوك وحقيقة العبودية»^(٣).

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٧١، ٢٧٢).

(٢) بيان تلبس الجهمية (٦/ ١٠٣).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٢٧١، ٢٧٢).

والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به^(٢)، فالقيام والقعود والماشي هنا مراد به الأمر المعنوي، كذلك الهرولة.

وحملها على معنى مضاعفة الثواب يدل عليه السياق، وهو المعنى المراد ليس من باب التأويل، إذ التأويل: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى مخالف للظاهر، ومن القواعد المقررة في هذا الشأن ما ذكره ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «كثيراً ما يغلط الناس في هذا الموضع إذا تنازع النفاة والمثبتة في صفة ودلالة نص عليها، يريد المريد أن يجعل ذلك اللفظ - حيث ورد - دالاً على الصفة وظاهراً فيها. ثم يقول النافي: وهناك لم تدل على الصفة فلا تدل هنا. وقد يقول بعض المثبتة: دلت هنا على الصفة فتكون دالة هناك؛ بل لما رأوا بعض النصوص تدل على الصفة جعلوا كل آية فيها ما يتوهمون أنه يضاف إلى الله تعالى - إضافة صفة - من آيات الصفات، كقوله تعالى: ﴿فَرَطْتُ فِي جَنِّ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

وهذا يقع فيه طوائف من المثبتة والنفاة، وهذا من أكبر الغلط، فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه.

فالعبد يمكن له أن يتقرب إلى الله ﷻ بقلبه وروحه دون أن يضطر إلى قطع مسافة، وهذا أمر مشاهد ومحسوس، والله ﷻ في تقربه إلى العبد لا يحتاج إلى ذلك من باب أولى، والمقصود من ذكرها بيان وتقرير أن الله تعالى يعطي عباده أكثر من أعمالهم، وأنه سبحانه يتقرب إليهم أكثر من تقربهم إليه، وأن العبد إن تقرب إلى ربه شيئاً تقرب الله ﷻ إليه هرولة، ولكن دون الحاجة إلى قطع مسافة حسية بل كما يليق بجلاله وعظمته ﷻ.

- المسألة الثانية: هل الهرولة من صفات الله ﷻ؟

من أهل العلم من يقول: الهرولة صفة فعلية خبرية اختيارية لله تبارك وتعالى، وعلى هذا فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية^(١).

وتفسير الهرولة المضافة إلى الله ﷻ بمضاعفة الثواب وسعة جود الله سبحانه وكرمه ليست من باب التأويل، ولا عدولاً عن ظاهر النص، فالهرولة تستعمل في الأمر الحسي والمعنوي نظير المشي والقيام والقعود، كما في حديث: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم».

(١) فتاوى اللجنة (١٩٦/٣)، وفتاوى نور على الدرب (٧٠/١) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٦٠١)، ومسلم (كتاب الفتن وأشرط الساعة، رقم ٢٨٨٦).

- وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية... فمن تدبر ما ورد في باب أسماء الله تعالى وصفاته، وإن دلالة ذلك في بعض المواضع على ذات الله، أو بعض صفات ذاته لا يوجب أن يكون ذلك هو مدلول اللفظ حيث ورد حتى يكون ذلك طردًا للمثبت ونقصًا للنافي؛ بل ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه وما يبين معناه من القرآن والدلالات، فهذا أصل عظيم مهم نافع في باب فهم الكتاب والسنة والاستدلال بهما مطلقًا^(١).
- ومن يقول بأن الهرولة صفة لله تعالى، يتعين عليه الالتزام بالنص، فإن الهرولة المضافة إلى الله ليست مطلقة، وإنما هي في مقابل ما يفعله العبد، فالواجب أن يقال: من أتى إلى الله يمشي أتاه هرولة، كما جاء في الحديث، ولا يجعلها عامة مطلقة^(٢).
- ٣ - «الأسماء والصفات» (ج ٢)، لليهقي.
- ٤ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج ٦)، لابن تيمية.
- ٥ - «تأويل مختلف الحديث»، لابن قتيبة.
- ٦ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
- ٧ - «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (ج ٣).
- ٨ - «فتاوى نور على الدرب»، لابن باز.
- ٩ - «فتح الباري» (ج ٣)، لابن حجر العسقلاني.
- ١٠ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.
- ١١ - «مدارج السالكين» (ج ٣)، لابن القيم.

أبو هريرة رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

اختلف في اسمه واسم أبيه على عدة أقوال، حتى أوصلها بعضهم إلى أربعة وأربعين قولاً^(٣).

وقال الحافظ ابن حجر بعد مناقشته

(٣) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٧٦٨/٤) [دار الجيل، ط ١]، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٦٧/٣٠٢) [دار الفكر]، والإصابة في تمييز الصحابة (٧/٤٢٥ - ٤٣١) [دار الجيل، ط ١].

المصادر والمراجع:

- ١ - «أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين»، لسليمان بن محمد الديخي.
- ٢ - «إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المختار»، لابن عثيمين.

(١) مجموع الفتاوى (١٥/٦ - ١٨).

(٢) انظر: أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين لسليمان بن محمد الديخي (١٧٨ - ١٨٨).

قال: كنت أرعى غنم أهلي، فكانت لي هريرة صغيرة، فكنت أضعها بالليل في شجرة، فإذا كان النهار ذهبت بها معي، فلعبت بها، فكنوني أبا هريرة^(٥).

ب - أبو هريرة، لما ثبت في الصحيح من أن النبي ﷺ كناه: (أبا هريرة)، فقد روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «لقيني رسول الله ﷺ وأنا جُنُب فأخذ بيدي فمشيت معه حتى قعد، فانسللت فأتيت الرجل فاغتسلت، ثم جئت وهو قاعد، فقال: أين كنت يا أبا هريرة؟ فقلت له، فقال: سبحان الله يا أبا هريرة! إن المؤمن لا ينجس»^(٦).

مولده ووفاته:

ولد قبل البعثة بثماني سنوات، ومات بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة، عن ثمانٍ وسبعين سنة^(٧). وقيل: إنه مات سنة ثمانٍ وخمسين، وقيل: سنة تسع وخمسين للهجرة^(٨).

إسلامه:

أسلم أبو هريرة رضي الله عنه في أول سنة

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٤٠) وحسنه، وقال الألباني: «حسن الإسناد». صحيح سنن الترمذي (٣/ ٥٦٠).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الغسل، رقم ٢٨٥).
(٧) انظر: الطبقات لخليفة بن خياط (١١٤)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٧٧١)، وتقريب التهذيب (٦٨٠).

(٨) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٧٧٢)، وتقريب التهذيب (٦٨٠).

الأقوال المذكورة في اسم أبي هريرة رضي الله عنه واسم أبيه: «فعند التأمل لا تبلغ الأقوال عشرة خالصة، ومرجعها من جهة صحة النقل إلى ثلاثة: عمير وعبد الله وعبد الرحمن، الأولان محتملان في الجاهلية والإسلام، وعبد الرحمن في الإسلام خاصة»^(١). وقد ذهب كثير من الأئمة إلى أن الأصح والأشهر في اسمه واسم أبيه هو: عبد الرحمن بن صخر^(٢). قال الإمام الذهبي: «اختلف في اسمه على أقوال جمّة، أرجحها: عبد الرحمن بن صخر»^(٣).

كنيته:

أ - أبو هريرة، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه جاء إلى النبي ﷺ وقال: ادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ»^(٤).

ولما رواه الترمذي بإسناده عن عبد الله بن رافع قال: «قلت لأبي هريرة: لم كُنت أبا هريرة؟ قال: أما تفرق مني؟ قلت: بلى والله إني لأهابك،

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٤٣١).

(٢) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٧٧٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ٥٧٨) [مؤسسة الرسالة، ط ٣]، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/ ٣٦٢) [دار هجر للطباعة، ط ١]، وتقريب التهذيب لابن حجر (٦٨٠) رقم (٨٤٢٦) [دار الرشيد، ١٤٠٦هـ].

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٨).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩١).

إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر؛ قد استجاب الله دعوتك، وهدي أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً، قال: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحبني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحبهم إلينا، قال: فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ حُبْ عَبْدَكَ هَذَا - يعني: أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحُبْ إليهم المؤمنين»، فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني» (٢).

- تحقق موعود النبي ﷺ فيه في الحفظ وعدم النسيان:

فقد صح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «قلت: يا رسول الله، إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه، قال: ابسط رداءك، فبسطته، قال: فغرف بيديه، ثم قال: ضمّه، فضممته، فما نسيته شيئاً بعده» (٣).

وروى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، والله الموعود، كنت رجلاً مسكيناً أخدم رسول الله ﷺ على

سبع، عام خبير، وحسن إسلامه، ولازم النبي ﷺ، وواظب على الجلوس إليه؛ رغبة في العلم، قانعاً بشبع بطنه، وكان يدور مع النبي ﷺ حيث دار، ولذا كان يحضر ما لا يحضر المهاجرون والأنصار؛ لانشغال المهاجرين بالتجارة والأنصار بحوائجهم» (١).

فضائله:

- تحقق دعاء النبي ﷺ له ولأمه رضي الله عنهما: فقد ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ»، فخرجت مستبشرة بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أُمِّي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا

(٢) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١١٩).

(١) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٧٧١)،

وسير أعلام النبلاء (٢/ ٥٨٦).

وأكثرهم حديثاً، فقد روى الإمام الترمذي بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال لأبي هريرة: «يا أبا هريرة، أنت كنت ألزماً لرسول الله ﷺ وأحفظنا لحديثه» ^(٣).

وكان متصدياً في المدينة للفتوى والتحديث عن رسول الله ﷺ، إلى أن مات فيها، ولذا حمل عنه العلم جم غفير من التابعين، وقد ذكر الإمام البخاري أنه حمل عنه العلم ثمان مئة نفس من التابعين ^(٤).

وولاه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على البحرين ثم عزله، ثم أراده على العمل فأبى عليه ^(٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ما جاء من أن عبد الله بن عمرو أكثر حديثاً من أبي هريرة رضي الله عنه.

فقد روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو؛ فإنه كان

ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: «من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئاً سمعه مني»، فبسطت ثوبي، حتى قضى حديثه ثم ضممته إلي، فما نسيت شيئاً سمعته منه» ^(١).

- دعاء النبي ﷺ له بالبركة على تمراته فتكاثر:

فقد روى الإمام الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «أتيت النبي ﷺ بتمرات فقلت: يا رسول الله ادع الله فيهن بالبركة، فضمنهن ثم دعا لي فيهن بالبركة، فقال: «خذهن واجعلن في مزودك هذا أو في هذا المزود، كلما أردت أن تأخذ منها شيئاً، فأدخل فيه يدك فخذه ولا تنثره نثرًا»، فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله، فكنا نأكل منه ونطعم، وكان لا يفارق حقوي حتى كان يوم قتل عثمان فإنه انقطع» ^(٢).

مكانته:

مكانة أبي هريرة رضي الله عنه كبيرة، ومنزلته رفيعة، فقد كان أحفظ الصحابة رضي الله عنهم،

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٣٦) وحسنه، وأحمد (٢٠/٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الألباني: «صحيح الإسناد». صحيح سنن الترمذي (٥٥٩/٣).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢٠٧/١) [دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ].

(٥) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٧٧١/٤).

(١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٢).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٣٩) وحسنه، وأحمد (٥١/١٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٥٣٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٩٣٦).

أحدهما: أن عبد الله كان مشغولاً بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم، فقلت الرواية عنه.

ثانيها: أنه كان أكثر مقامه بعد فتوح الأمصار بمصر أو بالطائف، ولم تكن الرحلة إليهما ممن يطلب العلم كالرحلة إلى المدينة، وكان أبو هريرة متصدياً فيها للفتوى والتحديث إلى أن مات، ويظهر هذا من كثرة من حمل عن أبي هريرة، فقد ذكر البخاري أنه روى عنه ثمان مئة نفس من التابعين، ولم يقع هذا لغيره.

ثالثها: ما اختص به أبو هريرة، من دعوة النبي ﷺ له بأن لا ينسى ما يحدث به.

رابعها: أن عبد الله كان قد ظفر في الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر فيها ويحدث منها، فتجنب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين^(٤).

- المسألة الثانية: ما قيل في كتابة أبي هريرة للحديث:

لم يكن أبو هريرة يكتب كما تقدم نقله عن الصحيح، ولكن جاءت رواية أشار إليها الحافظ في الفتح بقوله: «قوله: (ولا أكتب) قد يعارضه ما أخرجه ابن وهب من طريق الحسن بن عمرو بن أمية قال: تُحَدَّثُ عند أبي

يكتب ولا أكتب»^(١). فهذا وإن كان في الظاهر يدل على أن ابن عمرو كان أكثر حديثاً من أبي هريرة ﷺ، إلا أن الواقع يدل على عكسه؛ لأن المروي عن أبي هريرة هو أضعاف مضاعفة عما رواه ابن عمرو، وقد بين الحافظ ابن حجر هذا الأمر فقال: «هذا استدلال من أبي هريرة على ما ذكره من أكثرية ما عند عبد الله بن عمرو - أي: ابن العاص - على ما عنده، ويستفاد من ذلك أن أبا هريرة كان جازماً بأنه ليس في الصحابة أكثر حديثاً عن النبي ﷺ منه إلا عبد الله، مع أن الموجود المروي عن عبد الله بن عمرو أقل من الموجود المروي عن أبي هريرة بأضعاف مضاعفة»^(٢).

وهذا الإشكال غير وارد إذا اعتبر الاستثناء في قوله: «إلا ما كان من عبد الله بن عمرو؛ كان يكتب...» استثناء منقطعاً؛ «إذ التقدير: لكن الذي كان من عبد الله - وهو الكتابة - لم يكن مني، سواء لزم منه كونه أكثر حديثاً لما تقتضيه العادة أم لا»^(٣).

وأما إذا قيل: إن الاستثناء متصل فهنا يرد الإشكال، وللعلماء أجوبة عنه. قال الحافظ ابن حجر: «وإن قلنا: الاستثناء متصل فالسبب فيه من جهات:

(١) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١١٣).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢٠٧/١).

(٣) المصدر نفسه (٢٠٧/١).

(٤) المصدر نفسه (٢٠٧/١).

عجوة، فسكب إلينا، فكنا نقرن الاثنتين من الجوع، فكنا إذ قرن أحدهما قال لأصحابه: إني قد قرنت فاقرنوا»^(٥).

وهذا في عهد النبي ﷺ، وأما بعد ذلك فقد تحسنت حاله، ويدل على ذلك ما رواه البخاري بسنده عن محمد بن سيرين قال: «كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان مشقان من كتان، فتمخط، فقال: بخ بخ؛ أبو هريرة يتمخط في الكتان، لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة مغشياً علي، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أنني مجنون، وما بي من جنون، ما بي إلا الجوع»^(٦). قال الحافظ ابن حجر في هذا الحديث:

«وقال ابن بطال عن المهلب: وجه دخوله في الترجمة الإشارة إلى أنه لما صبر على الشدة التي أشار إليها من أجل ملازمة النبي ﷺ في طلب العلم، جوزي بما انفرد به من كثرة محفوظه ومنقوله من الأحكام وغيرها، وذلك ببركة صبره على المدينة»^(٧).

وللشيخ عبد الكريم الخضير تعليق نفيس في تمخط أبي هريرة في أحد

هريرة بحديث، فأخذ بيدي إلى بيته، فأرانا كتباً من حديث النبي ﷺ وقال: هذا هو مكتوب عندي»^(١)، وجمع بينها وبين رواية الصحيح الحافظ ابن عبد البر، فحمل رواية الصحيح على أنه لم يكن يكتب في عهد النبي ﷺ ثم كتب بعد ذلك، وتعقبه الحافظ ابن حجر فذكر أنه لا يلزم من وجود الحديث عنده مكتوباً أن يكون هو كاتبه، فقال: «وأقوى من ذلك أنه لا يلزم من وجود الحديث مكتوباً عنده أن يكون بخطه، وقد ثبت أنه لم يكن يكتب، فتعين أن المكتوب عنده بغير خطه»^(٢).

- المسألة الثالثة: كونه من أهل الصفة^(٣):

كان أبو هريرة رضى الله عنه من أهل الصفة، وهم: «أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا مال، إذا أتت رسول الله ﷺ صدقة، أرسل بها إليهم، ولم يصب منها شيئاً، وإذا جاءته هدية أصاب منها، وأشركهم فيها»^(٤).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «كنت في الصفة، فبعث النبي ﷺ إلينا بتمر

(١) المصدر نفسه (٢٠٧/١).

(٢) المصدر نفسه (٢٠٧/١).

(٣) الصفة: موضع مظلل في المسجد النبوي كانت تأوي إليه المساكين. انظر: فتح الباري لابن حجر (١٤٥/١).

(٤) دلائل النبوة لأبي نعيم (٤٢٢/١) [دار النفائس، بيروت، ط ٢] وسير أعلام النبلاء (٥٩١/٢).

(٥) أخرجه ابن حبان (كتاب الأطعمة، رقم ٥٢٣٣)، والحاكم (كتاب الأطعمة، رقم ٧١٣٢) وصححه، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٤٨٨٠).
(٦) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم ٧٣٢٤).
(٧) فتح الباري لابن حجر (٣٠٧/١٣).

عبد الله بن عمر: لو أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتم، وتفعلون كذا وكذا، لقلتم: كذب أبو هريرة. وإظهار مثل هذا مما تكرهه الملوك وأعوانهم؛ لما فيه من الإخبار بتغير دولهم. ومما يبين هذا أن أبا هريرة إنما أسلم عام خيبر، فليس هو من السابقين الأولين، ولا من أهل بيعة الرضوان، وغيره من الصحابة أعلم بحقائق الدين منه، وكان النبي ﷺ يحدثه وغيره بالحديث فيسمعونه كلهم، ولكن كان أبو هريرة أحفظهم للحديث ببركة حصلت له من جهة النبي ﷺ»^(٣).

قال الحافظ ابن حجر: «وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة ﷺ يكتفي عن بعضه ولا يصرح به؛ خوفاً على نفسه منهم، كقوله: أعوذ بالله من رأس الستين، وإمارة الصبيان، يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية؛ لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة... وإنما أراد أبو هريرة بقوله: «قطع»؛ أي: قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم وتضليله لسعيهم... وقال غيره: يحتمل أن يكون

الثوبين، ينص فيه على أن حصوله على الثوبين كان بعد وفاة النبي ﷺ، فيقول: «وتمخطه إما لحاجته إلى ذلك، أو إزدراء بهذين الثوبين اللذين حصل عليهما بعد مفارقة الحبيب ﷺ، فلو كان حصولهما خيراً لوجدنا في عهده ﷺ»^(١).

- المسألة الرابعة: المراد بالوعاء الذي لم يبثه أبو هريرة خوفاً من القتل، وما يتعلق به من مسائل:

ثبت عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: فأما أحدهما فبثته، وأما الآخر: فلو بثته قطع هذا البلعوم»^(٢).

وقد بين العلماء المراد بهذا الوعاء الذي كتبه أبو هريرة خوفاً من القتل، وردوا على من زعم أنه علم الباطن. ويمكن بيان هذا على النحو التالي:

أولاً: ما يتعلق بحقيقة الوعاء الذي لم يبثه أبو هريرة.

هذا الوعاء الذي لم يبلغه أبو هريرة ليس «فيه من حقائق الدين، وإنما كان في ذلك الجراب الخبر عما سيكون من الملاحم والفتن، فالملاحم والحروب التي بين المسلمين والكفار، والفتن ما يكون بين المسلمين، ولهذا قال

(١) انظر الموقع الرسمي للشيخ عبد الكريم الخضير الدرس: الشرائع النبوية (١٣) تاريخ النشر: ٢٣ محرم ١٤٣٦ هـ.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١٢٠).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/٢٥٥، ٢٥٦).

كتمانها؛ لما ذكره في الحديث الأول من الآية الدالة على ذم من كتم العلم^(٤).

وبهذا يعرف بطلان الادعاء بأن الوعاء الذي لم يبثه أبو هريرة رضي الله عنه هو علم الباطن كما يقوله بعض الصوفية وغيرهم من الباطنية.

قال ابن تيمية: «ولم ينقل أحد قط عن أبي هريرة حديثاً يوافق الباطنية، ولا حديثاً يخالف الظاهر المعلوم من الدين. ومن المعلوم أنه لو كان عنده شيء من هذا، لم يكن بد أن ينقل عنه أحد شيئاً منه، بل النقول المتواترة عنه كلها تصدق ما ظهر من الدين، وقد روى من أحاديث صفات الله وصفات اليوم الآخر وتحقيق العبادات ما يوافق أصول أهل الإيمان، ويخالف قول أهل البهتان»^(٥).

وقال ابن كثير: «وهذا الوعاء الذي كان لا يتظاهر به هو الفتن والملاحم، وما وقع بين الناس من الحروب والقتال وما سيقع، التي لو أخبر بها قبل كونها لبادر كثير من الناس إلى تكذيبه، وردوا ما أخبر به من الحق، كما قال: «لو أخبرتكم أنكم تقتلون إمامكم وتقتتلون فيما بينكم بالسيوف لما صدقتموني». وقد يتمسك بهذا الحديث طوائف من أهل الأهواء والبدع الباطلة، والأعمال

أراد مع الصنف المذكور ما يتعلق بأشراط الساعة وتغير الأحوال والملاحم في آخر الزمان فينكر ذلك من لم يألفه، ويعترض عليه من لا شعور له به»^(١). وكتمان هذا النوع من العلوم ليس من كتمان العلم في شيء، قال الإمام الذهبي: «وقد صح أن أبا هريرة كتم حديثاً كثيراً مما لا يحتاجه المسلم في دينه، وكان يقول: «لو بثته فيكم، لقطع هذا البلعوم». وليس هذا من باب كتمان العلم في شيء، فإن العلم الواجب يجب بثه ونشره، ويجب على الأمة حفظه، والعلم الذي في فضائل الأعمال مما يصح إسناده يتعين نقله ويتأكد نشره، وينبغي للأمة نقله، والعلم المباح لا يجب بثه، ولا ينبغي أن يدخل فيه إلا خواص العلماء»^(٢).

بل كان أبو هريرة - كغيره من الصحابة - من أبعد الناس عن كتمان العلم؛ ولذا كان يقول: «والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئاً أبداً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ ظَاهِراً وَمَا بَاطِناً﴾ [البقرة: ١٦٠]»^(٣). قال الحافظ ابن حجر معلقاً على هذا الحديث والآية: «إن الأحاديث المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه

(١) فتح الباري لابن حجر (٢١٦/١، ٢١٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/٦٠٣، ٦٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١١٨).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١/٢١٧).

(٥) مجموع الفتاوى (١٣/٢٥٦).

رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود، فرحمته فخلت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟ قلت: يا رسول الله شكنا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخلت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك وسيعود، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تختم الآية؛ فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخلت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخلت سبيله، قال: ما هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء على الخير -، فقال النبي ﷺ: أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال

الفسادة، ويسندون ذلك إلى هذا الجراب الذي لم يقله أبو هريرة، ويعتقدون أن ما هم عليه كان في هذا الجراب الذي لم يخبر به أبو هريرة، وما من مبطل - مع تضاد أقوالهم وأعمالهم - إلا ويدعي شيئا من هذا، وكلهم يكذبون، فإذا لم يكن أبو هريرة قد أخبر به فمن علمه من بعده؟! وإنما كان الذي فيه شيء من الفتن والملاحم قد أخبر بها هو وغيره من الصحابة^(١).

- المسألة الخامسة: قصة أبي هريرة مع الشيطان وأن ذلك لا يتنافى مع ما في القرآن:

فقد ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخلت عنه فأصبحت، فقال النبي ﷺ: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قال: قلت: يا رسول الله شكنا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخلت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك وسيعود، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١١/٣٦٩).

يا أبا هريرة؟ قال: لا، قال: ذاك شيطان^(١).

ورؤية أبي هريرة للشيطان وحواره معه لا يتنافى مع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرْنَكُمْ هُوَ وَقِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]؛ لأن المقصود بنفي رؤية الشيطان هو رؤيته على صورته التي خلق عليها. قال ابن حجر في حديث أبي هريرة هذا: «إن الشيطان من شأنه أن يكذب، وقد يتصور ببعض الصور فتمكن رؤيته، وأن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرْنَكُمْ هُوَ وَقِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها»^(٢).

❁ موقف المخالفين منه:

نال من أبي هريرة كثيرٌ من أهل الأهواء والبدع، وقد ذكر الإمام أبو بكر بن خزيمة أن الطاعن في أبي هريرة رضي الله عنه إما معطل جهمي، وإما خارجي، أو قدرى، أو جاهل، رأى كل واحد منهم فيما رواه أبو هريرة ما يبطل مذهبه ويفند بدعته^(٣).

ومنهم أيضًا الروافض وبعض أذئاب المستشرقين ممن يدعي الانتماء إلى أهل السنة والجماعة، وبيان هذا على النحو التالي:

(١) أخرجه البخاري (كتاب الوكالة، رقم ٢٣١١).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٤/٤٨٩).

(٣) انظر: المستدرك للحاكم مع التلخيص للذهبي (٣/٥١٣) [دار المعرفة، بيروت].

أ - الروافض:

اتهم الروافض الصحابي الجليل أبا هريرة رضي الله عنه بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبغض آل البيت، ووضع الأحاديث في ذمهم وتنقصهم؛ تحقيقاً لرغبة معاوية كما يدعون، وأنه كان من المواليين لبني أمية العدو الأكبر لآل البيت على حسب زعمهم^(٤).

ب - بعض أذئاب المستشرقين:

طعن بعض أذئاب المستشرقين - منهم محمود أبو ريّة - في صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي هريرة رضي الله عنه في عدالته، وسلك مسلك الروافض في اتهام هذا الصحابي الجليل راوية الإسلام، تارةً برواية الإسرائيليات ونسبها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وتارةً أخرى برميته بالكذب والافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووضع الأحاديث في ذم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واتهمه بالخيانة وسرقة أموال الدولة^(٥)، فقد عقد ترجمة فقال: «وضعه أحاديث على علي»، ثم أورد ما نقله ابن أبي الحديد عن أبي جعفر

(٤) إحقاق الحق لنور الله التستري (١٩٥)، والصرائط المستقيم لعلي البياضي (٣/٢٥٠، ٢٥١) [المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية].

(٥) انظر: أضواء على السنة المحمدية لمحمود أبي رية (١٨٠، ١٩١) [دار المعارف، القاهرة، ط٦]، والأنوار الكاشفة لما في كتاب (أضواء على السنة) من الزلل والتضليل والمجازفة، لعبد الرحمن المعلمي (١٦٣، ١٨٠) [عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ].

محمد ﷺ، ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام، إذا سمع أخبار أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ خلاف مذهبهم الذي هو ضلال، لم يجد حيلة في دفع أخباره بحجة وبرهان، كان مفزعه الواقعة في أبي هريرة رضي الله عنه.

أو قدرى اعتزل الإسلام وأهله، وكفر أهل الإسلام، الذين يتبعون الأقدار الماضية التي قدرها الله تعالى، وقضاها قبل كسب العباد لها، إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة رضي الله عنه التي قد رواها عن النبي ﷺ في إثبات القدر، لم يجد بحجة يريد صحة مقالته التي هي كفر وشرك، كانت حجته عند نفسه أن أخبار أبي هريرة رضي الله عنه لا يجوز الاحتجاج بها.

أو جاهل: يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه، إذا سمع أخبار أبي هريرة رضي الله عنه فيما يخالف مذهب من قد اجتنب مذهب وأخباره؛ تقليدًا بلا حجة ولا برهان تكلم في أبي هريرة رضي الله عنه، ودفع أخباره التي تخالف مذهب، ويحتج بأخباره على مخالفته إذا كانت أخباره موافقة لمذهبه»^(٣).

وأما اتهام الروافض للصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه بشتى أنواع التهم، كالكذب على الرسول ﷺ من أجل المال، وبغض علي وآله، فهو اتهام

الإسكافي: «إن معاوية حمل قومًا من الصحابة، وقومًا من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي رضي الله عنه تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلًا يرغب في مثله، فاختلفوا له ما أرضاه، منهم أبو هريرة»^(١).

بل وصل الأمر بالرجل - في سبيل تكذيب أبي هريرة رضي الله عنه - إلى ادعاء أنه لم يصاحب النبي ﷺ إلا عامًا واحدًا وتسعة أشهر^(٢).

✽ الرد عليهم:

أما طعن الخارجي والجهمي والقدرى والجاهل في أبي هريرة، فقد بين الإمام ابن خزيمة بطلانه بقوله: «وإنما يتكلم في أبي هريرة رضي الله عنه - لدفع أخباره من قد أعمى الله قلوبهم فلا يفهمون معاني الأخبار - إما معطل جهمي يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم الذي هو كفر، فيشتمون أبا هريرة رضي الله عنه، ويرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه؛ تمويهًا على الرعاء والسفل، أن أخباره لا تثبت بها الحجة.

وإما خارجي يرى السيف على أمة

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١/٣٥٨). وانظر: أبو هريرة لشرف الدين (٤٢) [مؤسسة أنصاريان، قم].

(٢) أعضاء على السنة المحمدية (١٧٣)، وشيخ المضيرة أبو هريرة لأبي رية (١٢٤) [منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٣].

(٣) المستدرك للحاكم مع التلخيص للذهبي (٣/٥١٣).

- الأصحاب» (ج ٤)، لابن عبد البر.
- ٢ - «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج ٧)، لابن حجر.
- ٣ - «الأنوار الكاشفة لما في كتاب (أضواء على السُّنة) من الزلل والتضليل والمجازفة»، لعبد الرحمن المعلمي.
- ٤ - «البداية والنهاية» (ج ١١)، لابن كثير.
- ٥ - «تاريخ دمشق» (ج ٦٧)، لابن عساكر.
- ٦ - «دلائل النبوة» (ج ١)، لأبي نعيم.
- ٧ - «سير أعلام النبلاء» (ج ٢)، للذهبي.
- ٨ - «الطبقات»، لخليفة بن خياط.
- ٩ - «فتح الباري» (ج ١)، لابن حجر.
- ١٠ - «نسب معد واليمن الكبير» (ج ٢)، للكلبي.

هود

اسمه ونسبه:

هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام. وقيل: هو عابر بن شالخ بن سام بن نوح عليه السلام. وقيل: هو هود بن عبد الله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام (٣).

(٣) انظر: تاريخ ابن جرير الطبري (٢١٦/١) [دار المعارف، مصر، ط ٢]، والمنتظم في التاريخ (١/ ٢٥٢) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ]، =

باطل ظالم، دافعهم إليه حقد دفين وغل شديد، فيه بوجه خاص، وفي الصحابة عليهم السلام بوجه عام، وهم متبوع محمود أبي رية، فما هو إلا بوق من أبواقهم، يجترّ مروياتهم المكذوبة، وينادي بأفكارهم المأفونة^(١). ومن الأدلة على ذلك ما تقدم في فضائل أبي هريرة رضي الله عنه، وبيان ما كان عليه من الحرص على العلم، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بالحفظ وعدم النسيان، وشهادة الصحابة له بالصدق والحفظ، كما تقدم في بيان منزلته. ومع هذا كله لم يثبت قط عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه روى رواية إسرائيلية وجعلها من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف يمكن ذلك وهو ممن روى حديث تحريم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(٢). وبهذا يظهر أيضاً بطلان دعوى رواية أبي هريرة الإسرائيليات، ونسبه إياها إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

المصادر والمراجع:

١ - «الاستيعاب في معرفة

(١) يراجع في نقض مفترياتهم وأباطيلهم كتاب: الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السُّنة من الزلل والتضليل والمجازفة، للعلامة عبد الرحمن المعلمي.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١١٠)، ومسلم (المقدمة، رقم ٣).

ودعوتهم، فقال تعالى: ﴿وَالِىَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوْرُ عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْفُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٧] وقال تعالى: ﴿وَالِىَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوْرُ عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿كَذَبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [٢٣] إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا لَنْفُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ [الشعراء: ١٢٤].

فهذه الآيات وأمثالها تدل على أن هودًا عليه السلام كان نبياً مرسلًا.

دلائل نبوته:

من آيات هود عليه السلام الخاصة: أنه تفرد في دعوة قومه، وتسفيه أحلامهم، وتضليلهم، والقدح في آلهتهم، وهم أهل بطش وقوة وجبروت، وقد خوفوه بالآلهتهم إن لم ينته؛ أن تمسه بجنون أو سوء، فتحداهم، وقال لهم جهارًا: ﴿...إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [٥٤] مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ [هود: ٥٦]، فلم يصلوا إليه بسوء، فأى آية أعظم من هذا التحدي لهؤلاء الأعداء الحريصين على إبطال دعوته بكل طريق (٤).

وقد ورد في حديث أبي ذر رضي الله عنه المشهور أن هودًا عليه السلام من جملة الأنبياء العرب، ففي الحديث أنه قال رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، أربعة - يعني: من الرسل - سريانيون: آدم، وشيث، ونوح، وأخنوخ، وهو أول من خط بالقلم، وأنزل الله تعالى على أخنوخ ثلاثين صحيفة، وأربعة من العرب: هود، وشعيب، وصالح، ونيك محمد ﷺ» (١).

معنى اسمه لغة:

هود اسم أعجمي، وانصرف لخفته؛ لأنه على ثلاثة أحرف، وقد يجوز أن يكون عربيًا من: هاد يهود (٢)، ومعناه: رجع وتاب (٣).

نبوته:

أرسل الله تعالى هودًا عليه السلام إلى عاد الأولى، وهم عادُ إرمَ، وقد ذكر في القرآن في سياق بيان إرسال الرسل

= والبداية والنهاية لابن كثير (٢٨٢/١) [دار هجر، ط١، ١٤١٧هـ].

(١) أخرجه ابن جرير في تاريخه (١٧١/١) [دار التراث، ط٢]، وابن حبان في صحيحه (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٦١)، وأشار إلى ضعفه ابن كثير في التفسير (٤٧٠/٢) [دار طيبة، ط٢]، وقال الألباني: «ضعيف جدًا». التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٣٨٧/١) [دار باوزير، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٦٣/٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ].

(٣) انظر: مقاييس اللغة (١٨/٦) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٤) انظر: قصص الأنبياء للسعدي (٣٦).

واحد، ليس له أنصار ولا أعوان،
وهو يصرخ في قومه ويناديهم
ويعجزهم (٢).

دعوتہ:

دعا هود عليه السلام قومه إلى توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة دون غيره، وترك ظلم الناس، وأمرهم بتقوى الله تعالى، وبالتوبة والاستغفار، بالترغيب تارة وبالترهيب تارة؛ وذكرهم بنعم الله عليهم، وخوفهم من عقابه وانتقامه، قال تعالى: ﴿وَالْإِنِّ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥] وقال تعالى: ﴿أَوْعَيْبُهُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩] وقال تعالى: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢] وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ٥٣] و﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [هود: ٥٤] إلى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ [الشعراء: ١٢٥].

كما دعاهم هود عليه السلام إلى الإيمان

قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وهذا وحده برهان قاطع على أن هودًا عبد الله ورسوله، وأنهم على جهل وضلال في عبادتهم غير الله؛ لأنهم لم يصلوا إليه بسوء، ولا نالوا منه مكروهًا، فدل على صدقه فيما جاءهم به، وبطلان ما هم عليه، وفساد ما ذهبوا إليه»^(١).

وقد أنكر قومه أنه جاءهم ببينة،
كما قال تعالى: ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا
بِبَيِّنَةٍ﴾ [هود: ٥٣]، وهذا إن كان
قصدهم بالبينة: البينة التي يقترحونها
فهذه غير لازمة للحق، بل اللازم أن
يأتي النبي بآية تدل على صحة ما جاء
به، وإن كان قصدهم أنه لم يأتهم ببينة
تشهد لما قاله بالصحة، فقد كذبوا في
ذلك؛ فإنه ما جاء نبي لقومه إلا
وبعث الله على يديه من الآيات ما
يؤمن على مثله البشر، ولو لم يكن له
آية إلا دعوته إياهم لإخلاص الدين لله
وحده لا شريك له، والأمر بكل عمل
صالح، وخلق جميل، والنهي عن كل
خلق ذميم من الشرك بالله، وأنواع
المنكرات، مع ما هو مشتمل عليه
هود عليه السلام من الصفات التي لا تكون
إلا لخيار الخلق وأصدقهم لكفى بها
آيات وأدلة على صدقه، ومن آياته
وبيناته الدالة على صدقه أنه شخص

(٢) انظر: تفسير السعدي (٤٤١، ٤٤٢) [دار السلام، الرياض، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(١) البداية والنهاية (١/ ٢٩٠).

فلما كانوا كذلك تكبروا واستكبروا عن عبادة الله تعالى، وكذبوا هودًا عليه السلام، ورموه بأقبح الأوصاف، قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ (١٦) [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٣) **إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّهِ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ بِاللَّهِ وَآشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ** (٥٤) [هود].

واحتجوا بأنه بشر مثلهم، وهذه حجة كل من استكبر عن اتباع الرسل، ورموه بالكذب والافتراء، وكذبوا باليوم الآخر، وبالبعث والنشور، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةِ وَآتَرَفْتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (٣٣) **وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ** (٣٤) **أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ** (٣٥) **هِيَآتْ هِيَآتْ لِمَا تُوعَدُونَ** (٣٦) **إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ** (٣٧) **إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ** (٣٨) [المؤمنون].

قال ابن كثير: «وهذا هو اعتقاد الدهرية، كما يقول بعض الجهالة من الزنادقة، أرحام تدفع، وأرض تبلع، وأما الدورية فهم الذين يعتقدون أنهم

بالبعث بعد الموت، فردوا عليه بنحو مقالة الزنادقة الدهرية الذين لا يؤمنون باليوم الآخر، وأنكروا قيام الأجسام بعد صيرورتها ترابًا وعظامًا؛ فقالوا: ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ﴾ (٣٥) **هِيَآتْ هِيَآتْ لِمَا تُوعَدُونَ** (٣٦) **إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ** (٣٧) [المؤمنون].

فهذه أصول دعوة هود عليه السلام: إفراد الله تعالى بالعبادة، وترك عبادة الأصنام، والإيمان باليوم الآخر، وما يتضمنه من البعث، والنشور، والحساب، ونحوه، وترك الظلم والطغيان والتجبر والتكبر، والثوبة إلى الله تعالى من جميع الذنوب، وأعظمها التوبة من الشرك.

❁ قومه وموقفهم منه:

أرسل الله هودًا إلى عاد الأولى، وهم عاد إرم، وليست هي عاد الآخرة، وكانوا مقيمين بالأحقاف، من رمال حضرموت، وقد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿إِرم ذاتِ الْعِمَادِ﴾ (٧) **الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ** (٨) [الفجر]، وذكر أنهم أول من عبد الأصنام بعد الطوفان، وكانوا أهل قوة وبطش وظلم وطغيان، مع ما أنعم الله عليهم من النعم، قال تعالى: ﴿أَتَنْبِئُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ (١٢٨) **وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ** (١٢٩) **وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ** (١٣٠) [الشعراء].

هود عليه السلام (٣).

والتحقيق أنه لم يثبت شيء من ذلك، وهذا عام في قبور الأنبياء عليه السلام، إلا قبر نبينا محمد عليه السلام في المدينة النبوية، وكذلك ما ذكر عن قبر إبراهيم عليه السلام وفيه نزاع معروف.

المسائل المتعلقة:

معنى الأخوة التي أثبتتها القرآن لهود عليه السلام مع قومه:

قال تعالى: ﴿وَالِىَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥]، قال أهل التفسير: يجوز أن يكون المراد بأنه بشر مثلهم، من ولد أبيهم آدم، وقالوا: ويجوز أن يكون المراد بالأخوة هنا أخوة النسب والقبيلة والقوم، لا أخوة الدين؛ إذ لا أخوة بين المسلم والكافر، ولو كان أقرب قريب، ويقال: هذا كذلك في صالح عليه السلام مع قومه، وشعيب عليه السلام وقومه (٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج ١)، للقاضي عياض.
- ٢ - «البداية والنهاية» (ج ١)، لابن كثير.

(٣) انظر: البداية والنهاية (٣٠٣/١).

(٤) ينظر: زاد المسير (٢٢٢/٣) [المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٣هـ]، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٠٦/١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ]، وتفسير السعدي (٣٣٠).

يعودون إلى هذه الدار، بعد كل ستة وثلاثين ألف سنة، وهذا كله كذب وكفر وجهل وضلال وأقوال باطلة وخيال فاسد، بلا برهان ولا دليل، يستميل عقل الفجرة الكفرة من بني آدم، الذين لا يعقلون ولا يهتدون (١).

فلما لم يستجيبوا أهلهم الله تعالى بريح عاتية، فيها عذاب أليم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بَرِيحَ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۖ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمِينَةَ آيَاتٍ ۖ خُسُوفًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ ۖ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ ۖ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَوا هَذَا عَارِضٌ مُطْرًا ۖ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ نُذِئِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ۖ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسْكَنُهُمْ ۖ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف].

وفاته:

لم يذكر شيء عن وفاته، وإنما ورد ذكر مكان قبره؛ فقيل: هو بمكة، بين الحجر وزمزم. وقيل: هو في بلاد اليمن في حضرموت (٢). وذكر آخرون: أنه بدمشق، وبجامعها مكان في حائطه القبلي يزعم بعض الناس أنه قبر

(١) البداية والنهاية (٢٩١/١).

(٢) انظر: أخبار مكة للأزرقي (١٢١/١)، والمستدرک للحاكم (٦٦٢/٢، ٦٦٣) [دار الحرمين، ط ١، ١٤١٧هـ].

- ٣ - «تحفة النبلاء من قصص الأنبياء» لابن كثير، انتخب كتابه الحافظ ابن حجر العسقلاني.
- ٤ - «دعوة التوحيد: أصولها، الأدوار التي مرت بها، مشاهير دعائها» لمحمد خليل هراس.
- ٥ - «قصص الأنبياء المعروف بالعرائس»، للثعلبي.
- ٦ - «قصص الأنبياء»، للسعدي.
- ٧ - «قصص الأنبياء القصص الحق»، لشية الحمد.
- ٨ - «كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين من كتاب المستدرك على الصحيحين» (ج ٢)، للحاكم النيسابوري.
- ٩ - «المعارف»، لابن قتيبة.
- ١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، لحافظ حكيم.
- ❑ الهيمنة ❑
- يراجع مصطلح (المهيمن).



حرف الواو

الفلاسفة، ويعني ضروري الوجود، والذي يستحيل افتراض عدم وجوده، يقول ابن سينا في تعريفه: «إن الواجب الوجود، هو الموجود الذي متى فرض غير موجود عرض منه محال، والواجب الوجود هو الضروري الوجود»^(٥). وقال التفتازاني: «الوجوب ضرورة الوجود أو اقتضاؤه أو استحالته العدم»^(٦).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المعنيان متقاربان، فلزوم الوجود يعني ضرورة الوجود، ولم يأت هذا المصطلح بهذا التركيب في كتب اللغة.

الحكم:

إن تقسيم الموجودات إلى واجب وممكن مستحدث من ابن سينا ومن جاء بعده^(٧). فالفلاسفة المتأخرون غالبًا ما

واجب الوجود

التعريف لغة:

الوجود من مادة (و - ج - د)، قال ابن فارس: «الواو والجيم والذال يدل على أصل واحد، وهو الشيء يُلفيه»^(١). و«الوجود خلاف العدم»^(٢). وأما لفظ (واجب) فيقول الجوهري: «وَجَب الشيء؛ أي: لَزِم، يَجِب وجوبًا، وأوجبته الله... ووَجَب الميت إذا سقط ومات، ويقال للقتيل: وَاجِب»^(٣). وفي اللسان: «أوجبته هو، أو استوجبته؛ أي: استحقه»^(٤). فالوجوب في اللغة هو اللزوم، كما يأتي بمعنى السقوط. ولم يأت في كتب اللغة مصطلح: (واجب الوجود) بهذا التركيب، فهو محدث، وبالنظر لمفرداته فهو يعني لازم الوجود.

التعريف اصطلاحًا:

واجب الوجود مصطلح استحدثه

(١) مقاييس اللغة (٨٦/٦) [دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ].

(٢) المصباح المنير (٨٩١/٢) [دار القلم].

(٣) الصحاح (٢٣١/١، ٢٣٢) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ]. وانظر: العين (١٩٣/٦) [دار مكتبة الهلال].

(٤) لسان العرب (٧٩٣/١) [دار صادر].

(٥) النجاة (٧٧/٢) [دار الجيل، ط ١، ١٤١٢هـ]، وانظر: معيار العلم (٣٣١) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ]، المبين (٧٩) [مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤١٣هـ]، المطالب العالية (١٣٤/١) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٧هـ].

(٦) شرح المقاصد (٤٥٨/١) [عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٩هـ].

(٧) الصفدية (١٨٠/٢) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢، =

يسمون الرب وَعَلَيْهِ: واجب الوجود^(١)،
وقلدهم في هذه التسمية متأخرو
الأشاعرة^(٢)، وهذا غير صحيح؛ لعدم
ورود هذا اللفظ في الكتاب والسنة،
فضلاً عن أن يكون من الأسماء الحسنی.

❁ الأقسام:

يقسم ابن سينا واجب الوجود إلى
قسمين واجب الوجود بذاته، وواجب
الوجود بغيره. وتابعه على هذا التقسيم
بعض متأخري المتكلمين^(٣)، ويعرف
الرازي الواجب بذاته بأنه: «الموجود
الذي تكون حقيقته غير قابلة للعدم
البتة»^(٤). وفي الصحائف: «الواجب
بالذات ما يقتضي لذاته وجوده في
الخارج»^(٥). أما الواجب بغيره فهو
الممكن.

❁ المسائل المتعلقة:

- هل يطلق واجب الوجود على الله وَعَلَيْهِ؟

= ١٤٠٦هـ. وانظر: منهاج السنة (١٣٢/٢) مؤسسة
قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ.

(١) انظر: درء التعارض (٣٩١/٢) مكتبة ابن تيمية.

(٢) انظر: شرح أسماء الله الحسنی (٣٥٩) [دار الكتاب
العربي، ط٢، ١٤١٠هـ].

(٣) انظر: النجاة (٧٧/٢)، معيار العلم (٣٣١، ٣٣٢)،
المبين (٧٩)، التعريفات (٣٠٤) [عالم الكتب،
ط١، ١٤٠٧هـ].

(٤) المطالب العالية (١٣٤/١). وانظر: المباحث
المشرقية (٢١٤/١) [دار الكتاب العربي، ط١،
١٤١٠هـ].

(٥) الصحائف الإلهية للسمرقندي (١٢٤) [مكتبة الفلاح،
ط١، ١٤٠٥هـ].

أهل السنة قد يطلقون واجب الوجود
على الله من باب الإخبار عن الله، وذلك
في المناظرات، والمناقشات، مع من
يستخدم هذا اللفظ. كما أنهم يرون أن
الوجوب الذي دل عليه الدليل هو
وجوده وَعَلَيْهِ بنفسه، واستغناؤه عن
موجد. في حين أن الفلاسفة يضيفون
إلى هذا اللفظ معاني آخر غير صحيحة
كنفي الصفات. يقول شيخ الإسلام:
«الوجوب الذي دل عليه الدليل، إنما هو
وجوده بنفسه، واستغناؤه عن موجد،
فحمل هو^(٦) هذا اللفظ ما لا دليل عليه،
مثل عدم الصفات، وأشياء غير هذه»^(٧).

❁ المصادر والمراجع:

١ - «درء التعارض» (ج ٢)، لابن
تيمية.

٢ - «الصفدية» (ج ٢)، لابن تيمية.

٣ - «منهج المتكلمين والفلاسفة
المنتسبين للإسلام في الاستدلال على
وجود الله»، ليوسف الأحمد [رسالة
دكتوراه].

٤ - «موقف الطوائف المنتسبة إلى
الإسلام من وجود الله وإيجاده
للمخلوقات»، لسيرين إلمان [رسالة
ماجستير].

(٦) أي: ابن سينا.

(٧) الصفدية (١٨١/٢). وانظر: منهاج السنة (١٣١/٢)،
١٣٢.

٥ - «المباحث المشرقية» (ج ١)، التعريف شرعاً:

للرازي. الوارث هو الباقي بعد فناء الخلق^(٢)،

٦ - «موسوعة مصطلحات الإمام الفخر الرازي».

٧ - «موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب»، لجيرار جهامي.

٨ - «النجاة في المنطق والإلهيات»،

لابن سينا.

الحكم:

يجب الإيمان بأن الله تعالى يرث الأرض ومن عليها، وأنه ﷻ خير الوارثين.

الواحد

يراجع مصطلح (الأحد).

الحقيقة:

إن الله ﷻ هو الأول والآخر، وهو خير الباقيين، يرث الأرض ومن عليها،

الوارث

التعريف لغةً:

الوارث اسم فاعل من الإرث، مأخوذ من الأصل الثلاثي (ورث) الدال على أن الشيء يكون لقوم ثم يصير لآخرين بنسب أو سبب، يقال: ورث يرث إرثاً وورثاً وميراثاً فهو وارث، فاعلاً ومفعولاً، والإرث والورث: انتقال قنينة إليك عن غيرك من غير عقد، ولا ما يجري مجرى العقد، ويطلق الوارث على من بقي بعد موت غيره، والتراث: الإرث والموروث.

وأورث يُورث: جعل غيره يرث، وورثته بمعنى واحد، وتوارثوا الشيء ورثه بعضهم من بعض^(١).

ط ١، ١٣٨٧هـ، ومقاييس اللغة (١٠٨٩) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٢٩٥/١) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٨٦٣) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (٢٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (١٠٢٤/٢) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٨٩/١٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦٥) [دار المأمون، ط ٥، ١٤٠٦هـ]، واشتقاق أسماء الله (١٧٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ]، وشأن الدعاء (٩٦) [دار الثقافة، ط ٣، ١٤١٢هـ]، والمنهاج في شعب الإيمان (١٨٩/١) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩هـ]، الأسماء والصفات للبيهقي (٤٧/١) [مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ]، وتفسير القرطبي (١٨/١٠) [دار عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٣هـ]، وأضواء البيان للشنقيطي (٤٥/١٦) [دار الفكر، ط ١، ١٤١٥هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٥٨) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٣) انظر: شأن الدعاء (٩٦، ٩٧).

(١) انظر: تهذيب اللغة (١١٧/١٥) [الدار المصرية،

وما بيد العباد فإنه كله يرجع إليه ﷺ وهو خير الوارثين.

الأدلة:

استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر]، وفي دعاء زكريا ﷺ في قوله تعالى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء].

أقوال أهل العلم:

قال الأزهري: «الوارث: صفة من صفات الله ﷻ، وهو الباقي الدائم، والله ﷻ يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين؛ أي: يبقى ويفنى من سواه، فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له»^(١).

وذكره من الأسماء الحسنی ابن خزيمة في التوحيد، والبيهقي في الأسماء والصفات وفي الاعتقاد، وابن عثيمين في القواعد المثلى^(٢).

المسائل المتعلقة:

خير الوارثين؛ ومعناه: أن الله هو الباقي الدائم، بعد فناء الخلق كلهم،

(٣) تفسير ابن كثير (٤٣٩/٩) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٢١هـ].

(٤) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/٢٠٤) [الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ].

(٥) انظر: إظهار الحق على الخلق (١٦٠) [دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م].

(١) تهذيب اللغة (٨٥/١٥) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م].

(٢) انظر: التوحيد لابن خزيمة (٨٠/١)، والأسماء والصفات للبيهقي (٤٧/١)، والاعتقاد له (٦٦)، القواعد المثلى لابن عثيمين - ضمن مجموع فتاواه (٢٧٧/٣).

ثبت في الكتاب والسُّنة، وثبت في الدعاء بها بإجماع المسلمين^(١).

ومن الملاحظ أن (خير الوارثين) جاء في سياق الدعاء، قال الله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴿[الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

✽ الآثار:

حثَّ الله عباده المؤمنين على النفقة في سبيله من المال الذي منَّ عليهم به، وجعلهم مستخلفين فيه، مذكراً لهم بأنه الوارث سبحانه، قال تعالى: ﴿إِمْؤُنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٧) [الحديد]، إلى أن قال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٌ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١٠) [الحديد]^(٢).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٢ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.
- ٣ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٤٨٥).

(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنى (٢٥٨).

- ٤ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٥ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٦ - «كتاب التوحيد»، لابن منده.
- ٧ - «إيثار الحق على الخلق»، لابن الوزير.
- ٨ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.
- ٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ١٠ - «الاعتقاد»، للبيهقي.

✽ الواسطة ✽

✽ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل والنصف. وأعدل الشيء أوسطه ووسطه»^(٣). والتوسط أن تجعل الشيء في الوسط. والتوسط بين الناس من الوساطة^(٤). ووسط الشيء ما بين طرفيه^(٥).

✽ التعريف شرعاً:

الواسطة لفظ مجمل؛ قد يراد به الرسل في تبليغهم أمر الله؛ لأن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه، وما أمر

(٣) مقاييس اللغة (٦/١٠٨) [دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ].

(٤) انظر: الصحاح (٣/١١٦٧) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ].

(٥) انظر: لسان العرب (٧/٤٢٦) [دار صادر].

إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ [التوبة].

وقوله ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة].

وقوله ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح].

وقوله ﷺ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَآ﴾ [الإسراء: ٦٧].

❁ الأقسام:

١ - الواسطة الشرعية: وهي واسطة الرسل في تبليغهم أمر الله؛ لأن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه، وما أمر به وما نهى عنه، إلا بالرسول الذين أرسلهم إلى عباده. فهم واسطة في التبليغ^(٢)، وهذه لا غنى للبشر عنها، ومن نفى هذه الواسطة وزعم الأخذ مباشرة عن الله كملاحدة الصوفية فهو كافر^(٣).

٢ - الواسطة الشريكية: كمن أثبت وسائط بين الله وبين خلقه، كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية وهذا شرك^(٤). وكذلك من جعل الملائكة

به وما نهى عنه، وما أعده لأوليائه من كرامته، وما وعد به أعداءه من عذابه، إلا بالرسول الذين أرسلهم إلى عباده، فهم واسطة في التبليغ.

وقد يراد بالواسطة أنه لا بد له من التوسط في جلب المنافع ودفع المضار؛ بأن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم؛ يسألونه ذلك ويرجعون إليه فيه، وهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء، يجتلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار^(١).

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي أخذ من المعنى اللغوي معنى التوسط بين طرفين، وخص المعنى الشرعي بالتوسط بين المخلوق والخالق.

❁ الأدلة:

الأدلة التي تنهى عن اتخاذ واسطة بين العبد وربّه، وتدعو إلى التوجه إلى الرب بالدعاء كثيرة، ومنها قوله ﷺ: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُحَمَاءَهُمْ أَزْكَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/١٢١، ١٢٢) بتصرف.

(٣) انظر: بغية المراتد (٣٩٩) [مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٠٨هـ]، وشرح الطحاوية (٢/٧٤٤).

[مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (١/١٣٥).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/١٢١ - ١٢٣) [مكتبة

النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ] بتصرف.

بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر، بل هو ﷺ يعلم السر وأخفى.

الثاني: أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه، فلا بد له من أنصار وأعوان لذلّه وعجزه، والله ﷻ ليس له ظهير ولا ولي من الذل. وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه وربّه ومليكه.

الثالث: أن يكون الملك ليس مُريدًا لنفع رعيته والإحسان إليهم إلا بمحرك يحركه من خارج؛ فإذا خاطب الملك من ينصحه ويُعظمه أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه، تحركت إرادة الملك وهِمَّتْهُ في قضاء حوائج رعيته، والله ﷻ هو رب كل شيء ومليكه، وليس كملوك الدنيا^(٤).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «بغية المرتاد»، لابن تيمية.
- ٢ - «تلخيص كتاب الاستغاثة»، لابن كثير.

٣ - «الضوابط الشرعية لسؤال المخلوق»، لعبد الله الغطيم [بحث منشور].

٤ - «الفرقان بين أولياء الرحمن»، لابن تيمية.

٥ - «قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.

(٤) مجموع الفتاوى (١/١٢٦، ١٢٧).

والأنبياء أو غيرهم وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنب، وهداية القلوب، وتفريج الكرب، فهو كافر بإجماع المسلمين^(١).

✽ مذهب المخالفين:

المخالفون في الواسطة على طرفين:

الأول: نفاة الواسطة الشرعية، ومنهم ملاحدة الصوفية، الذين يرون أن الولي يأخذ من الله بلا واسطة أحد من الأنبياء، وهذا كفر أكبر^(٢).

الثاني: مثبتة الواسطة الشركية، ومنهم عبّاد القبور الذين يتوجهون بالدعاء والسؤال لمن يقدسونه من الموتى وغيرهم، ويسمونهم الوسائط، وفعلهم شرك أكبر^(٣).

والوسائط التي بين الملوك وبين الناس تكون على أحد ثلاثة وجوه يتنزه الرب عنها:

الأول: إما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه، ومن قال إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بذلك

(١) المرجع السابق (١/١٢٤).

(٢) انظر من كتبهم: فصوص الحكم (١/٦٣) [دار الكتاب العربي]، ورد أهل السنة عليهم: بغية المرتاد (٣٩٩)، وشرح الطحاوية (٢/٧٤٤).

(٣) انظر عنهم: الرد على البكري لابن تيمية، وهو بكامله رد عليهم، ومجموع الفتاوى (١/١٢٦، ١٢٧).

✧ التعريف شرعاً:

الواسع: هو الغني الذي يسع عباده بجوده وكرمه وفضله، كما يدل على سعة علمه وقدرته، وحلمه ومغفرته، ونحوها من نعوت الكمال وصفات الجلال^(٣).

✧ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي لاسم الجلال الواسع علاقة مطابقة، فالواسع في اللغة خلاف الضيق، والله وَجِلٌ كذلك لا حدود لكماله وجلاله وعظمته وملكه وسلطانه وقوته وقدرته، وجوده وفضله وكرمه وإحسانه.

✧ الحكم:

يجب الإيمان بثبوت اسم الله الواسع، وأنه من أسمائه الحسنی، المتضمن سعة جوده، وكرمه، وعلمه وقدرته، وسعة إحاطته بكل شيء^(٤).

✧ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة، ١١٥] وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء، ١٣] وقال: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأنعام، ٨٠].

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥٣٧/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، ومختصر الصواعق المرسله (٣/١٠١٣، ١٠١٤) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٥هـ]، وتفسير ابن كثير (١/٦٦٦) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].
(٤) انظر: مختصر الصواعق المرسله (٣/١٠١٣، ١٠١٤).

٦ - «مجموع الفتاوى» (ج ١)، لابن تيمية.

٧ - «الواسطة بين الحق والخلق»، لابن تيمية.

٨ - «الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفهم»، للمرابط الشنقيطي.

✧ الواسع ✧

✧ التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الواو والسين والعين كلمة تدل على خلاف الضيق، والعسر، يقال: وَسِعَ الشيءَ واتَّسع، والوُسْع: الغنى، والله الواسع: الغني»^(١).

الواسع اسم فاعل من الوُسْع، بمعنى الغني، والوُسْع: الغنى، والوسع: القدرة والطاقة والجدة، وذو سعة؛ أي: جدة وطاقة وقدرة وغنى، وأوسع الرجل فهو موسّع: إذا كثر ماله، وأوسع الله عليه: أغناه، قال تعالى: ﴿لِيُفَقِّ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧]^(٢).

(١) مقاييس اللغة (١٠٩/٦) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].
(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣/٩٥، ٩٦) [الدار المصرية، ط ١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (٣/١٢٩٨) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٨٧٠) [دار القلم، ط ٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (٩٩٥، ٩٩٦) [مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٢/١٠٣١) [دار الدعوة، ط ٢، ١٩٧٢م].

الصفات والنعوت ومتعلقاتها، بحيث لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، واسع العظمة، والسلطان، والملك، واسع الفضل، والإحسان عظيم الجود والكرم^(٥).

✽ المسائل المتعلقة:

- الجمع بين اسمي الواسع والعليم:

أشار الإمام ابن القيم إلى السر في الجمع بين اسمي الجلال (الواسع) والعليم) في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة]، فقال: «ثم ختم الآية بإسمين من أسمائه الحسنی مطابقين لسياقها، وهما: الواسع والعليم، فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة، ولا يضيق عنها عطاؤه، فإن المضاعف واسع العطاء، واسع الغنى، واسع الفضل، ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق، فإنه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها، ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها، فإن كرمه وفضله تعالى لا يناقض حكمته؛ بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته، ويمنعه من ليس من

ومن السنة حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الصلاة في الثوب الواحد. فقال: «أوكلكم يجد ثوبين؟». ثم سأل رجل عمر فقال: «إذا وسّع الله فأوسعوا»^(١).

وورد في دعاء الجنازة عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله»^(٢).

✽ أقوال أهل العلم:

قال أبو القاسم الأصبهاني رحمته الله: «الواسع، وسعت رحمته الخلق أجمعين، وقيل: وسع رزقه الخلق أجمعين، لا تجد أحداً إلا وهو يأكل رزقه، ولا يقدر أن يأكل غير ما رزق»^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله في سياق كلامه على آية: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٦]: «فهذا السياق لا تعرض فيه للقبلة، ولا سيق الكلام لأجلها، وإنما سيق لذكر عظمة الرب، وبيان سعة علمه، وملكه، وحلمه، والواسع من أسمائه»^(٤).

وقال السعدي رحمته الله: «الواسع

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٣٦٥).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٦٣).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/١٥٠) [دار الراية، ط ١، ١٤١١هـ].

(٤) مختصر الصواعق المرسلة (٣/١٠١٤).

(٥) تفسير أسماء الله الحسنی للسعدي (٢٤٢) [مجلة

الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

أهله بحكمته وعلمه»^(١).

❁ الفروق:

الفرق بين الغني والواسع:

قال الزجاجي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فإن قال قائل: فإذا كان معنى الواسع عندك والغني سواء، فما الوجه في تكرارهما؟

قلنا له: قد مضى القول في هذا شرح قولنا: (عليم وبصير)، وما جاء في كلام العرب من اختلاف اللفظ واتفاق المعاني، اتساعاً وتبسيطاً في الكلام، فبني لمعنى واحد من صفاته لفظتان؛ ليكون ذلك أبلغ في المدح وأكمل في الوصف.

ومع ذلك فالواسع قد يتضمن من المعنى ما لا يتضمنه الغني، ويتصرف فيما لا يتصرف الغني، كقولنا: يا واسع الفضل، يا واسع الرحمة، وكقوله رَجُلٌ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]؛ أي: عَمَّتْ رحمتك كل شيء، وأحاط علمك بكل شيء»^(٢).

❁ المصادر والمراجع:

١ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.
٢ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ٢)، للأصبهاني.

٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

(١) طريق الهجرتين (٥٤٠) [دار ابن القيم، ط ٢، ١٤١٤هـ].

(٢) اشتقاق أسماء الله (٧٣).

٤ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

٥ - «شرح أسماء الله الحسنى»، للقطاني.

٦ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٧ - «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

٨ - «الطريقة المثلى لإحصاء أسماء الله الحسنى»، لغريب بن محمد.

٩ - «مختصر الصواعق المرسلة»، لابن القيم.

١٠ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

❁ الوالي

يراجع مصطلح (الولي).

❁ الوتر

❁ التعريف لغة:

قال ابن فارس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الواو والتاء والراء باب لم تجئ كلمته على قياس واحد، بل مفردات لا تتشابه. والوتر والوتر: الفرد»^(٣).

الوتر في العدد خلاف الشفع، وهو العدد المفرد، والشفع العدد المزدوج، قال تعالى: ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾ [الفجر]، وأوتر في الصلاة، صلى الصلاة

(٣) مقاييس اللغة (٨٤، ٨٣/٦) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

الحكم:

يجب الإيمان بثبوت الوتر اسمًا من أسماء الله ﷻ، يليق بجلاله، وعظمة سلطانه^(٣).

الحقيقة:

الوتر: هو المتفرد بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات، فهو اسم دال على وحدانية الله تعالى سبحانه، وتفردة بصفات الكمال، ونعوت الجلال، وأنه ليس له شريك ولا مثيل في شيء منها.

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لله تسعة وتسعون اسمًا مائة إلا واحدًا، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر»^(٤).

وعن علي رضي الله عنه قال: الوتر ليس بحتم كصلاتكم المكتوبة، ولكن سنَّ رسول الله ﷺ وقال: «إن الله وتر يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن»^(٥).

(٣) انظر: لقاء الباب المفتوح مع الشيخ ابن عثيمين - موقع الشيخ ابن عثيمين - رقم الشريط (٦٢)، الوجه (٢)، الدقيقة: (٣٤: ٢٥: ٠٠).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٤١٠)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٧).

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤١٦)، والترمذي (أبواب الوتر، رقم ٤٥٣) وحسنه، والنسائي (كتاب قيام الليل وتطوع النهار، رقم ١٦٧٥)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، رقم ١١٦٩)، وأحمد (١٧٤/٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في صحيح =

وترًا أي: بعدد مفرد من الركعات، كالواحد والثلاث والخمس ونحوها، وأوتر العدد: أفرده، والتواتر: تتابع الشيء وترًا أي: فرادى، وجاءوا تترى، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ [المؤمنون: ٤٤]؛ أي: متتابعين واحدًا بعد الآخر^(١).

التعريف شرعًا:

الوتر: هو الفرد الذي لا شريك له ولا نظير له، والواحد في ذاته وفي أسمائه وصفاته، وفي أفعاله لا معين له^(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الوتر في اللغة يدل على الوحداية والتفرد، وكذلك الله ﷻ هو الواحد الفرد الصمد، لا شريك له ولا نظير ولا كفاء ولا ند ﷻ.

(١) انظر: تهذيب اللغة (٣١٠/١٤ - ٣١٤) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، والصاح (٨٤٢/٢)، (٨٤٣) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومفردات ألفاظ القرآن (٨٥٣) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (٦٣١) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (١٠٠٩/٢، ١٠١٠) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: شأن الدعاء (١٠٤) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والمنهاج في شعب الإيمان (١٩٠/١) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ]، ونقض المنطق (٩٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ]، وفتح الباري (٢٢٧/١١) [دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ]، وتعليقات الألباني على سنن ابن ماجه (٢٠٨) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٧هـ]، وفقه الأسماء الحسنى للبدر (٣١٩) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

❁ أقوال أهل العلم:

قال مجاهد بن جبر رحمته الله: «كل شيء خلقه فهو شفع؛ السماء شفع، والوتر: الله وَعَلَيْكَ»^(١).

وقال ابن تيمية رحمته الله: «ففي الكتاب والسنة أسماء ليست في ذلك الحديث: وأيضا فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: «إن الله وتر يحب الوتر»، وليس هذا الاسم في هذه التسعة والتسعين»^(٢).

وقال ابن القيم رحمته الله: «والرب تعالى يحب أسماءه وصفاته، ويحب مقتضى صفاته، وظهور آثارها في العبد؛ فإنه جميل يحب الجمال، عفو يحب أهل العفو، كريم يحب أهل الكرم، عليم يحب أهل العلم، وتر يحب أهل الوتر، فإذا كان سبحانه يحب المتصفين بآثار صفاته، فهو معهم بحسب نصيبهم من هذا الاتصاف»^(٣).

وقال الألباني رحمته الله: ««إن الله وتر» بكسر الواو، وفتح؛ أي: واحد في ذاته، وواحد في صفاته، لا مثل له، ولا شبيهه، وواحد في أفعاله لا معين له: ﴿لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾ [الشورى]»^(٤).

وقال ابن عثيمين رحمته الله: «يحتمل أن يكون اسماً - يعني: الوتر - من أسماء الله، ويحتمل أن لا يكون؛ لأن بعض العلماء ذكر قاعدة، قال: ما جاء معرفاً بآل فهو من أسماء الله، وما لم يأت معرفاً فهو صفة من صفات الله، وبعض العلماء يقول: كل صفة من صفات الله وصف الله بها نفسه، ووصفه به رسوله فإنها اسم، وعلى هذا فيتنزل الجواب؛ إن قلنا: إن أسماء الله هي المقرونة بآل، فالوتر لا أعلم جاء مقروناً بآل، وإن قلنا: كل ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله، سواء بآل أو بغير آل فهو اسم، قلنا: إن الوتر من أسماء الله، والله أعلم»^(٥).

وقال الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله: «وهذا الحديث يدل على أن الوتر من أسماء الله، وأنه يحب مقتضى هذا الاسم الذي هو الوتر»^(٦).

❁ الآثار:

إن إيمان العبد بأن الله وترٌ يوجب

(٤) تعليقات الألباني على سنن ابن ماجه (٢٠٨) [مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٦، ١٤١٧هـ].

(٥) لقاء الباب المفتوح مع الشيخ ابن عثيمين - موقع الشيخ ابن عثيمين - رقم الشريط (٦٢) الوجه (٢)، الدقيقة: (٣٤:٢٥:٠٠).

(٦) شرح سنن الترمذي، رقم الشريط (١٧٢)، موقع الشيخ عبد المحسن العباد.

= أبي داود رقم (١٢٧٤) [مؤسسة غراس، ط١].

(١) صحيح البخاري (كتاب الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٨٤/٢٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٦، ١٤١٦هـ].

(٣) عدة الصابرين (٨٥) [دار عالم الفوائد، ط١]. وانظر كذلك: (٥٤٤).

٧ - «قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات»، لابن تيمية.

٨ - «عقيدتنا عقيدة القرآن والسنة»، لهراس.

٩ - «شأن الدعاء»، لأبي سليمان الخطابي.

١٠ - «شرح أسماء الله الحسنى»، للقطاني.

١١ - «فقه الأسماء الحسنى» لعبد الرزاق البدر.

الوجه

قال ابن فارس: «الواو والجيم والهاء أصل واحد يدل على مقابلة الشيء، والوجه مستقبل لكل شيء، يقال: وجه الرجل وغيره، وربما عبّر عن الذات بالوجه تقول: واجهت فلاناً: جعلت وجهي تلقاء وجهه»^(٢).

التعريف شرعاً:

وَجْهٌ لله ﷻ صفة من صفاته الذاتية الخبرية، ثابتة له جلّ وعلا كما يليق بجلاله وعظمته^(٣).

(٢) مقاييس اللغة (٢/٦٢٢) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: كتاب صفات الله لصالح المسند (٣٥ - ٣٨) [دار المدني، جدة، ط٢، ١٤١٢هـ]، وصفات الله للسقاف (٣٦٨) [دار الهجرة، الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٤٥٨) [مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

عليه نفى الشريك من كل وجه، في الذات والصفات والأفعال، وإقراره بتفرد الله ﷻ بالعظمة والكمال وصفات المجد والجلال، وأن يفرد بالعبادة والذل والخضوع.

كما يدل هذا الاسم على حبه ﷻ لكل وتر شرعه، حيث أمر ورغب الوتر في كثير من الأعمال والطاعات، كما في الصلوات الخمس، وقيام الليل، وأعداد الطهارة، وتكفين الميت، وغير ذلك من الشرائع، وكان ﷻ يحرص على الوتر في كثير من شؤونه، ومن حبّ الله ﷻ للوتر خصّ تسعة وتسعين اسماً من أسمائه الحسنى بأن من أحصاها دخل الجنة^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «أسماء الله وصفاته»، للأشقر.
- ٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٣ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٤ - «الحق المبين شرح الكافية الشافية»، للسعدي.

٥ - «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، لابن القيم.

٦ - «قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة»، لابن تيمية.

(١) انظر: فقه الأسماء الحسنى (٣٢٠ - ٣٢٢).

الحكم:

بصره من خلقه» (٢).

أقوال أهل العلم:

قال عبد الرحمن بن القاسم من تلاميذ الإمام مالك: «لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن، ولا يُشَبَّه يديه بشيء، ولا وجهه بشيء، ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه في القرآن، وله وجه كما وصف نفسه، يقف عندما وصف نفسه به في الكتاب، فإنه تبارك وتعالى لا مثل له وشبيه، ولكن هو الله لا إله إلا هو كما وصف نفسه» (٣).

وقال ابن خزيمة: «أثبت الله لنفسه وجهًا وصفه بالجلال والإكرام، وحكم لوجهه بالبقاء، ونفى الهلاك عنه، فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا: أننا نثبت لله ما أثبتته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجهه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبهه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عمدًا كما قاله المبطلون؛ لأن ما لا صفة له عدم، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن]، إلى غير ذلك من الآيات.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]. قال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك». فقال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]. فقال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك». قال: ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ شِعَارَ﴾ [الأنعام: ٦٥]. فقال النبي ﷺ: «هذا أيسر» (١).

وعن أبي موسى الأشعري قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله ﻻ ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٩).

(٣) نقله عنه ابن أبي زمنين في أصول السنة (٧٥) [مكتبة

الغريب الأثرية، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٥هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٦).

نصوص الصفات^(٦)، وهذا المسلك قد ارتضاه الدكتور عبد الرزاق بن طاهر معاش^(٧) في توجيه الآية المذكورة، ولكن لا يلزم من تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ بالقبلة عدم ثبوت صفة الوجه لله تعالى، فهناك آيات وأحاديث كثيرة تدل على ذلك من غير شك، وتفسير من فسرهما من السلف بالقبلة لا يفهم منه أنهم لا يرون ثبوت صفة الوجه لله تعالى، فإن إثبات صفة الوجه لله تعالى كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه أمر متفق عليه عند سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الدين.

- المسألة الثانية: حكم السؤال بوجه الله تعالى:

لا يسأل بوجه الله ﷻ إلا الجنة أو ما هو وسيلة لها ومقرب إليها، ولا يسأل بوجه الله الأشياء الحقيرة من مطالب الدنيا وحوائجها التافهة الفانية، وهذا من باب إجلال وجه الله ﷻ وإكرامه وتعظيمه سبحانه، وسؤال المرء بوجه الله ﷻ أمراً من أمور الدنيا دليل على نقصان توحيده وعدم تعظيمه لوجه الله تعالى حق تعظيمه سبحانه^(٨).

نفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه محمد ﷺ^(١).

وقال ابن تيمية: «ثبوت الوجه والصورة لله قد جاء في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة المتواترة، واتفق على ذلك سلف الأمة، وأما لفظ الوجه فلا يمكن استقصاء النصوص المثبتة له»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ما أثر عن بعض السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] لا يعتبر تأويلاً:

لقد فسر جماعة من السلف قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] بالقبلة، وهو مروى عن ابن عباس^(٣) ومجاهد^(٤) والشافعي^(٥)، وهذا الرأي انتصر له ابن تيمية، وذكر أن هذه الآية ليست من

(١) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب (١/ ٢٥ - ٢٧) [مكتبة الرشد، الرياض، ط ٥، ١٤١٤هـ].

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٥٢٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١، ١٤٢٦هـ].

(٣) أخرج عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢١٢) [مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٧هـ]، كما في التفسير الصحيح المسبور (١/ ٢٢١) [دار المآثر، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٤) أخرج عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٦٠) [دار السلام، القاهرة، ط ٣، ١٤٢٩هـ]، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٠٧) [مكتبة السوادى، ط ١، ١٤١٣هـ]، وإسناده لا ينزل عن درجة الحسن كما في التفسير الصحيح المسبور (١/ ٢٢١).

(٥) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٠٦، ١٠٧).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٤٢٩ و ٣/ ١٩٣ و ١٥/ ١٧).

(٧) انظر: مسالك أهل السنة فيما أشكل من نصوص العقيدة (٢/ ٣٨٥ - ٣٨٧) [دار ابن القيم، الرياض، ودار ابن عفا، القاهرة، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٨) انظر: المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان =

✦ مذهب المخالفين:

الوجه صفة من الصفات الذاتية الخبرية، فهي من جملة الصفات التي أنكرها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرها المتأخرون من الأشاعرة ومن وافقهم، وأولوا النصوص الواردة فيها بتأويلات باطلة، فتارة زعموا أن لفظ الوجه في النصوص المذكورة زائد، وتارة زعموا أن المراد به الذات وليس الوجه، وهذا عين الأول، وتارة أولوها بالشواب والإنعام والجزاء، وتارة زعموا أن المراد بها القبلة، وكل هذه التأويلات باطلة؛ فإن كلام الله ﷻ منزه عن الحشو والزيادة واللغو، وقد ثبت أن النبي ﷺ استعاذ بوجه الله، فلو كان المراد بالوجه الشواب أو الجزاء أو القبلة لما استعاذ النبي ﷺ بالوجه؛ لأنها كلها مخلوقة، والاستعانة بالمخلوق لا يجوز^(١)، وإن فسرت بعض هذه النصوص

= (٦/٢، ٧) [دار العسل، الرياض، ط٣، ١٤١٩هـ]،
والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٢٦ - ٥٢٨) لصالح
آل الشيخ [وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ط٢،
١٤٣٠هـ] وغيره من شروح كتاب التوحيد.

(١) انظر من كتب أهل السنة: نقض الدارمي على
المريسي (٤١٧ - ٤٣٧) [أضواء السلف، ط١،
١٤١٩هـ]، ومختصر الصواعق المرسلة (١٧٤/٢ -
١٨٨)، وانظر من كتب المعتزلة: شرح الأصول
الخمسة للقاضي عبد الجبار (٢٢٧) [مكتبة وهبة،
ط٢]، والكشاف للزمخشري (٥٣١/٤، ٩/٥)،
[مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ]، ومن كتب
الأشاعرة: أصول الدين لعبد القاهر البغدادي

بالقبلة من قبل جماعة من السلف وكان مقبولا في موضعه فلا يمكن تطبيقه في النصوص الأخرى الكثيرة الدالة على ثبوت صفة الوجه والصورة لله تعالى.

فالقول الصحيح والمذهب الحق هو ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وأجمع عليه أهل السنة والجماعة، وهو أنه يجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

✦ المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات» (ج٢)، للبيهقي.
- ٢ - «أصول السنة»، لابن أبي زمنين.
- ٣ - «اعتقاد أئمة أهل الحديث»، للإسماعيلي.
- ٤ - «بيان تلبيس الجهمية» (ج٦)، لابن تيمية.
- ٥ - «الحجة في بيان المحجة» (ج١ و٢)، للتيمي.
- ٦ - «كتاب التوحيد» (ج١)، لابن خزيمة.
- ٧ - «مجموع الفتاوى» (ج٢ و٣ و٦)، لابن تيمية.

(١٠٩، ١١٠) [مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية،
إستانبول، ط١، ١٣٤٦هـ]، وأساس التقديس للرازي
(١٥١ - ١٥٦) [مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة،
١٤٠٦هـ]، ومن كتب الماتريدية: مدارك التنزيل
للسفي (٣٢٤/١، ٢٤٩/٣).

٨ - «مختصر الصواعق المرسله» الإقرار بوجوده ﷻ، إلا من تغيرت فطرته.

٩ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

١٠ - «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، للدارمي.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المعنى اللغوي موافق للاصطلاحي في المعنى الكلي العام، إلا أنه في حق الرب له مطلق كمال الوجود.

الحكم:

يجب الإيمان بوجود الله تعالى، وأنه من صفات كماله سبحانه، وأنه ﷻ لم يسبق بعدم.

الحقيقة:

وجود الله ﷻ هو الوجود الحقيقي الكامل الذي لا يشوبه نقص بوجه من الوجوه، ووجوده لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم بل ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد]، وكل موجود يستمد وجوده من وجوده ﷻ، بل وجود كل موجود مرهون بإيجاد الله ﷻ له، وبقاؤه مرهون بإبقاء الله ﷻ له. وفي معنى الوجود يقول شيخ الإسلام: «الوجود هو الثبوت»^(٤).

وبيّن المراد بهذا اللفظ فيقول: «لفظ الوجود يريدون به تارة المصدر الذي هو

الوجود

يراجع مصطلح (وجود الله).

وجود الله تعالى

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الواو والجيم والذال يدل على أصل واحد، وهو الشيء يُلْفِيهِ»^(١). والوجود ضد العدم، مصدر وَجَدَ الشيءَ يَجِدُهُ وجودًا^(٢). و«كَوْنَ الله الشيءَ فكان؛ أي: أوجده»^(٣). والمعاني السابقة تدل على أن الموجود خلاف المعدوم، والوجود خلاف العدم، وهو الكون.

التعريف اصطلاحًا:

وجود الله ﷻ أعظم الحقائق وأكمل الوجود، فهو وجود لم يسبقه عدم، ولا يلحقه فناء، والعباد مفطورون على

(١) مقاييس اللغة (٨٦/٦) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ].

(٢) الصحاح (٥٤٧/٢) [دار العلم للملايين، ط٣].

(٣) المصباح المنير (٧٤٨/٢) [دار القلم].

(٤) الجواب الصحيح (٣٠٠/٤) [دار العاصمة، ط١،

١٤١٤هـ].

الأصل فيها، ويريدون به تارة المفعول؛ بذاته»^(٢).

وقال ابن تيمية في معرض رده على الجهمية وغيرهم: «فصار أهل السنة يصفونه بالوجود وكمال الوجود، وأولئك يصفونه بعدم كمال الوجود، أو بعدم الوجود بالكلية؛ فهم ممثلة معطلة؛ ممثلة في العقل والشرع، معطلة في العقل والشرع»^(٣).

وقد وجه سؤال إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، قال السائل: «لم أجد في أسماء الله وصفاته اسم (الموجود)، وإنما وجدت اسم (الواجد)، وعلمت في اللغة أن الموجود على وزن مفعول، ولا بد أن يكون لكل موجود موجد، كما أن لكل مفعول فاعل، ومحال أن يوجد لله موجد. ورأيت أن الواجد يشبه اسم الخالق، والموجود يشبه اسم المخلوق، وكما أن لكل موجود موجدًا؛ فلكل مخلوق خالق؛ فهل لي بعد ذلك أن أصف الله بأنه موجود؟». فأجابت اللجنة^(٤)

الجواب التالي: «وجود الله معلوم من

أي: الموجود، كما في لفظ الخلق ونحوه، وكذلك لفظ الفعل؛ فإنهم يقولون وجد هذا، وهذا صيغة فعل مبني للمفعول، فقد يريدون بذلك أنه وجده واجد، وقد يريدون بذلك أنه كان وحصل حتى صار بحيث يجده الواجد، ثم لما صار هذا المعنى هو الغالب في قصدهم، صار لفظ الموجود عندهم، والوجود، يراد به الثبوت، والكون، والحصول»^(١).

الأدلة:

قال ﷺ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقال ﷺ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) [الطور].

وقال ﷺ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) [الذاريات].

أقوال أهل العلم:

قال البيهقي: «الدائم هو الموجود لم يزل ولا يزال، ويرجع معناه إلى صفة البقاء»، وقال أيضًا: «القديم: هو الموجود لم يزل، وهذه صفة يستحقها

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (٥٣) [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ٢٢، ١٤٢٤هـ].

(٣) دقائق التفسير (١١٠/٥) [مؤسسة علوم القرآن، دمشق وبيروت، ط ٢، ١٤٠٤هـ].

(٤) كان ذلك بتوقيع كل من الشيخ: عبد العزيز بن باز، وعبد الرزاق عفيفي، وعبد الله بن غديان، وعبد الله بن قعود.

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/٣٢٨، ٣٢٩) [مؤسسة قرطبة]. وانظر: الصفدية (١/١١٩) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٤٠٦هـ].

المسائل المتعلقة:

١- المسألة الأولى: الموجود ليس من الأسماء الحسنى:

يقول ابن القيم: «أما الموجود فإنه منقسم إلى كامل وناقص، وخير وشر، وما كان مسمّاه منقسمًا لم يدخل اسمه في الأسماء الحسنى، كالشيء والمعلوم»^(٢).

كما أن الواجد والموجد ليست من أسماء الله الحسنى على الصحيح من قولَي أهل العلم^(٣).

٢- المسألة الثانية: وجود الله وَجَدَ فطري ضروري، أشد رسوخًا في النفوس من أي علم بدهي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل له به المعرفة»^(٤).

وقال أيضًا: «الذي عليه جمهور

الدين بالضرورة، وهو صفة الله بإجماع المسلمين، بل صفة الله عند جميع العقلاء حتى المشركين، لا ينازع في ذلك إلا ملحد دهري، ولا يلزم من إثبات الوجود صفة لله أن يكون له موجد؛ لأن الوجود نوعان:

الأول: وجود ذاتي، وهو ما كان وجوده ثابتًا له في نفسه، لا مكسوبًا له من غيره، وهذا هو وجود الله سبحانه وصفاته؛ فإن وجوده لم يسبقه عدم، ولا يلحقه عدم: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد].

الثاني: وجود حادث، وهو ما كان حادثًا بعد عدم، فهذا الذي لا بد له من موجد يوجده وخالق يحدثه، وهو الله سبحانه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٢] لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [١٣] [الزمر]، وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [٢٥] أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ [٣٦] [الطور].

وعلى هذا يوصف الله تعالى بأنه موجود، ويخبر عنه بذلك في الكلام، فيقال: الله موجود، وليس الوجود اسمًا، بل صفة. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم^(١).

(١٩٠، ١٩١) رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط ٣، ١٤١٩هـ.

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤١٥، ٤١٦).

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٣/ ١٩٣)، وصفات الله الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (٣٣٢)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٣٢٧ و ٣٣٢) [دار إيلاف الدولية، الجھراء، الكويت، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٢٨) (٢/ ١٥، ١٦) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ]. وانظر: منهاج السنة (٢/ ١٥٨)، بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤٧٣)، ودرء التعارض (٤/ ٣٩١) [مكتبة ابن تيمية].

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٣/

يدعى بالأسماء الحسنى؛ كما قال: ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَلَحًا جَعَلَا لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه؛ مثل أن يقال: ليس هو بقديم، ولا موجود، ولا ذات قائمة بنفسها، ونحو ذلك؛ فقليل في تحقيق الإثبات: بل هو سبحانه قديم، موجود، وهو ذات قائمة بنفسها، وقيل: ليس بشيء، فقليل: بل هو شيء؛ فهذا سائغ^(٢).

وقال أيضًا: «يفرق بين دعائه والإخبار عنه، فلا يدعى إلا بالأسماء الحسنى، وأما الإخبار عنه؛ فلا يكون باسم سيئ، لكن قد يكون باسم حسن أو باسم ليس بسيئ، وإن لم يحكم بحسنه؛ مثل: شيء وذات وموجود»^(٣).

وذكر ابن القيم: «أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كالشيء، والموجود، والقائم بنفسه، فإنه يخبر به عنه، ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العلل»، وذكر أيضًا: «أن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الإخبار لا يجب أن يكون توقيفيًا؛ كالقديم، والشيء، والموجود، والقائم بنفسه»^(٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٩/٣٠٠، ٣٠١).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/١٤٢).

(٤) بدائع الفوائد (١/٢٨٤، ٢٨٥) [دار عالم الفوائد، ط١].

العلماء أن الإقرار بالصانع فطري ضروري مغروز في الجبل^(١).

- المسألة الثالثة: هل يوصف الله ﷻ بالوجود؟

لا شك أن باب الصفات توقيفي، فلا يوصف الله ﷻ إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله، ولم نقف على دليل من الكتاب أو السنة ينص على إثبات صفة الوجود لله كما هو الشأن في صفة الحياة والعلم والسمع والبصر والكلام والاستواء والوجه واليدين وغيرها من الصفات، ولكن في مقابل من يزعم أن الله غير موجود ذكر أهل العلم أن الله يوصف بالوجود ويخبر عنه بأنه موجود، وكان ذلك لتأكيد الإثبات، وهذا سائغ؛ لأنه من باب الإخبار، وهو أوسع من باب الصفات.

قال ابن تيمية: «والناس متنازعون؛ هل يسمى الله بما صح معناه في اللغة والعقل والشرع، وإن لم يرد بإطلاقه نص ولا إجماع، أم لا يطلق إلا ما أطلق نص أو إجماع؟ على قولين مشهورين، وعامة النظار يطلقون ما لا نص في إطلاقه ولا إجماع؛ كلفظ القديم والذات ونحو ذلك، ومن الناس من يفصل بين الأسماء التي يدعى بها، وبين ما يخبر به عنه للحاجة؛ فهو سبحانه إنما

(١) منهاج السنة النبوية (٢/١٥٨).

فالأحسن أن يدرج هذا المصطلح في باب الإخبار دون باب الصفات، والله أعلم.

✽ مذهب المخالفين:

الأقوال الباطلة في صفة الوجود للرب ﷻ:

القول الأول: أن لفظ الوجود مقول بالاشتراك اللفظي، وهو قول لبعض النظار المتأخرين كالرازي في آخر كتبه والآمدي، مع اضطرابهم في ذلك^(١). وقد اعتقدوا أن القول بأن الوجود مشترك في المعنى يلزم منه أن الوجود زائد على الماهية، وهذا عندهم يفضي إلى الشك في وجود الأجسام، وإلى التسلسل^(٢).

الثاني: أن الوجود مشترك في المعنى، وأن وجود الواجب زائد على ماهيته، وهو قول لجماعة من المتكلمين^(٣).

الثالث: القول بأن وجود الرب هو الوجود المطلق، وهو أنواع:

(١) انظر: درء التعارض (٢٩٢/١). ومن كتب المتكلمين: المحصل للرازي (٥٤، ٦٨) [مكتبة الكليات الأزهرية]، والمباحث المشرقية (١٢١/١)، والمواقف للإيجي (٤٦، ٥١) [عالم الكتب]، شرح المقاصد (٣٠٧/١، ٣٠٨، ٣٢٢).

(٢) انظر: المحصل للرازي (٥٤، ٥٥).

(٣) انظر: درء التعارض (٢٩٢/١). ومن كتب المتكلمين: المباحث المشرقية (١٢٠/١، ١٢١)، والمحصل للرازي (٥٤، ٥٥)، ومعالم أصول الدين (٢٦) [دار الفكر اللبناني، ط١، ١٩٩٢م]، والمواقف (٤٩، ٥٠)، وشرح المقاصد (٣١٦/١ - ٣١٨).

أولها: أنه الوجود المطلق بشرط الإطلاق، وهو الذي لا يتعين، ولا يتخصص بحقيقة يمتاز بها عن سائر الموجودات، بل حقيقته وجود محض مطلق، بشرط نفي جميع القيود والمعينات والمخصصات^(٤)، وهذا حقيقة قول القرامطة الباطنية في وجود الرب تعالى^(٥)، فهم يقولون: لا موجود، ولا معدوم.

الثاني: أنه الوجود المطلق بشرط سلب الأمور الثبوتية، كما قاله ابن سينا وأتباعه، ويعبرون عن هذا بأن وجوده ليس عارضاً لشيء من الماهيات والحقائق^(٦). وحقيقة هذا نفي الصفات عنه، بل نفي وجوده ﷻ.

الثالث: أنه الوجود المطلق لا بشرط الإطلاق، وهو قول ملاحدة الصوفية، حيث جعلوا الله هو عين الموجودات والمخلوقات^(٧).

يقول شيخ الإسلام: «فصار أهل السُّنة يصفونه بالوجود، وكمال الوجود، وأولئك يصفونه بعدم كمال الوجود، أو بعدم الوجود بالكلية، فهم ممثلة معطلة»^(٨).

(٤) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (٥٢) [دار الكتب الإسلامية]، ودرء التعارض (٤٣٩/٣، ٢٨٥/١).

(٥) انظر: درء التعارض (٢٨٩/١).

(٦) انظر: المصدر نفسه (٢٨٥/١، ٢٨٧).

(٧) انظر: المصدر نفسه (٢٩٠/١).

(٨) مجموع الفتاوى (٢١١/١٦).

✽ الرد عليهم:

رابعاً: أن القائلين إن لفظ الوجود

مشترك لفظي كالرازي مضطربون في ذلك، ومتناقضون^(٤). يقول شيخ الإسلام رحمته الله: «وإنما جعله مشتركاً شرذمة من المتأخرين، لا يعرف هذا القول عن طائفة كبيرة، ولا نظار مشهورين، ومن حكى ذلك عن الأشعري كما حكاه الرازي فقد غلط، فإن مذهب الرجل وعامة أصحابه أن الوجود اسم عام ينقسم إلى قديم وحادث، ولكن مذهب أن وجود كل شيء عين ماهيته، وهذا مذهب جماهير العقلاء من المسلمين وغيرهم، فظن الظان أن هذا يستلزم أن يكون اللفظ مشتركاً»^(٥).

خامساً: الذي عليه أهل السُّنة والجماعة وعامة العقلاء أن وجود كل شيء في الخارج هو عين ماهيته الموجودة في الخارج، بخلاف الماهية التي في الذهن، فإنها مغايرة للموجود في الخارج؛ وأن لفظ الوجود والماهية والحقيقة ونحو ذلك من الألفاظ المتواطئة، والمشككة لتفاضل معانيها، فالمشكك نوع من المتواطئ العام الذي يراعى فيه دلالة اللفظ على القدر المشترك، سواء كان المعنى متفاضلاً في

أولاً: أن يقال: الوجود المطلق بشرط الإطلاق، أو بشرط سلب الأمور الثبوتية، مما يعلم بصريح العقل انتفاؤه في الخارج، وإنما يوجد في الذهن. وهذا مما قرروه في منطقهم اليوناني، وبينوا أن المطلق بشرط الإطلاق؛ كإنسان مطلق بشرط الإطلاق، لا يكون إلا في الأذهان دون الأعيان^(١).

ثانياً: أنه إذا جعل وجود الرب مطلقاً بشرط الإطلاق، لم يجز أن ينعت بنعت يوجب امتيازها، فلا يقال: هو واجب بنفسه، ولا ليس بواجب بنفسه، فلا يوصف بنفي، ولا إثبات؛ لأن هذا نوع من التمييز والتقييد، فلزمهم الجمع بين النقيضين والخلو عن النقيضين، وهذا من أعظم الممتنعات باتفاق العقلاء^(٢).

ثالثاً: أن أصل الغلط لمن قال بالاشتراك اللفظي هو توهمهم أنه إذا قيل: إن الوجود ينقسم إلى واجب وممكن، لزم أن يكون في الخارج وجود هو نفسه الواجب، وهو نفسه الممكن، وهذا غلط؛ فليس في الخارج بين الموجودين شيء هو نفسه فيهما^(٣). بل وجود الواجب شيء يختلف عن وجود الممكن، بكمال الواجب ونقص الممكن.

(٤) انظر تناقض الرازي في المحصل (٥٤) مع قوله في المطالب العالية (٢٩٠/١)، (٢٩١)، وفي المباحث الشرقية (١٠٦/١)، (١٠٧).
(٥) مجموع الفتاوى (٤٤٢/٢٠).

(١) انظر: درء التعارض (٢٨٥/١)، (٢٨٦).

(٢) انظر: المصدر نفسه (٢٨٨/١)، (٢٨٩).

(٣) انظر: المصدر نفسه (٢٩٢/١)، (٢٩٣).

موارده أو متماثلاً^(١).

الود

يراجع مصطلح (الودود).

الودود

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الواو والdal: كلمة تدل على محبة. وَدِدْتُهُ: أَحْبَبْتُهُ»^(٢). وقال الجوهري: «وَدِدْتُ الرجل أَوْدُهُ وَدًّا؛ إذا أَحْبَبْتُهُ، وَالْوُدُّ وَالْوَدُّ وَالْوَدُّ: المودة، تقول: بَوَدِّي أَنْ يَكُونَ كَذَا، وَالْوَدُود: الْمُحِبُّ»^(٣). والودود اسم فاعل ومفعول من الودِّ، مأخوذ من الأصل الثلاثي (و - د - د) الدال على المحبة، يقال: وَدِدْتُهُ أَوْدُهُ وَدًّا وَمَوَدَّةً فهو مودود؛ فاعلاً ومفعولاً؛ إذا أَحْبَبْتُهُ، وَالْوَدُّ أَيْضاً التمني، وهو اشتهاه وقوع ما توده وتحبه، يقال: وَدِدْتُ لَوْ تَفْعَلُ كَذَا، أَوْدٌ وَدًّا وَوَدًّا وَوَدَادَةً وَوَدَادًا: تَمَنَّيْتُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَدَدْتُ طَائِفَةً مِّنْ أَهْلِ آلِ كَتَبٍ لَّوْ يُضِلُّوكُنَّ﴾ [آل عمران: ٦٩]، وفلان وديد فلان: حبيبه، وواده وداداً؛ إذا أحبه، وتودد إليه: تحبب واجتلب وده، والودود: كثير الحب^(٤).

المصادر والمراجع:

١ - «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد»، للبيهقي.

٢ - «درء التعارض» (ج ١)، لابن تيمية.

٣ - «صفات الله وَجَلَّ الواردة في الكتاب والسنة»، للسقاف.

٤ - «الصفدية» (ج ١)، لابن تيمية.

٥ - «شن الغارات على أهل وحدة الوجود وأهل المعية للذات»، للديمانى.

٦ - «منهج المتكلمين والفلاسفة المنتسبين للإسلام في الاستدلال على وجود الله»، ليوسف الأحمد [رسالة دكتوراه].

٧ - «موقف الطوائف المنتسبة إلى الإسلام من وجود الله وإيجاده للمخلوقات»، لسيرين إلمان [رسالة ماجستير].

٨ - «وحدة الوجود في ضوء العقيدة الإسلامية»، لخضر سوندك.

٩ - «وحدة الوجود عند الصوفية»، لأحمد القصير [رسالة دكتوراه].

الوحدانية

يراجع مصطلح (الأحد).

(١) مجموع الفتاوى (١٥٦/٢) (٧٧/٣).

(٢) مقاييس اللغة (٦١٧/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].

(٣) الصحاح (١٩٨/١) [دار العلم للملايين، ط ٤].

(٤) انظر: تهذيب اللغة (٢٣٦/١٤ - ٢٣٦) [الدار المصرية، ط ١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (٥٤٩/٢) =

✽ التعريف شرعاً:

إثبات ذلك لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

✽ الحقيقة:

الودود يأتي بمعنى المودود، فالعباد يحبون ربهم، ويطيعون أوامره، وينتهون عن معاصيه.

ويأتي بمعنى الواد، وهو سبحانه يحب عباده الصالحين، ويثيبهم، ويتولاهم.

✽ الأدلة:

ورد اسم الودود في موضعين من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [البروج].

✽ أقوال أهل العلم:

قال الإمام البخاري: «قال ابن عباس: ﴿الْوُدُودُ﴾ [١٤]: الحبيب» (٤).

وقال ابن قتيبة: «ومن صفاته (الودود)، وفيه قولان: يقال: هو فَعُول بمعنى مفعول، كما يقال: رجل هَيُوب؛ أي: مَهِيْبٌ، يراد به مودود. ويقال: هو فَعُول بمعنى فاعل، كقولك: غفور بمعنى غافر؛ أي: يَوْدُ عبادَه الصالحين» (٥).

(٤) أخرجه البخاري معلقاً مجزئاً (كتاب التفسير، ٩/ ١٢٤) [دار طوق النجاة، ١٤]، ووصله الطبري في التفسير (٢٨٣/ ٢٤) [دار هجر، ١٤].
(٥) تفسير غريب القرآن (١٨) [دار الكتب العلمية، بيروت، طبع عام ١٣٩٨هـ].

الودود هو المحب المحبوب، بمعنى اسم الفاعل الواد، وبمعنى اسم المفعول المودود^(١)؛ فالله ﷻ يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء، قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه ودًا وإخلاصًا وإنابة من جميع الوجوه^(٢).

ويدخل في معناه أنه يوددهم إلى خلقه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم]^(٣).

✽ الحكم:

يجب الإيمان بهذا الاسم وهو الودود، وما تضمنه من الصفة (الود)؛ لدلالة القرآن الكريم عليها، ويجب

= [دار العلم للملايين، ٤٤]، ومفردات ألفاظ القرآن (٨٦٠، ٨٦١) [دار القلم، ٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (٤١٤، ٤١٥) [مؤسسة الرسالة، ٥٥]، والمعجم الوسيط (١٠٢٠/ ٢) [دار الدعوة، ٢، ١٩٧٢م].

(١) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٥٢) [مؤسسة الرسالة، ٢، ١٤٠٦هـ]، وشأن الدعاء (٧٤) [دار الثقافة، ٣، ١٤١٢هـ]، والنسبوات (٣٦٥/ ١) [أضواء السلف، ١، ١٤٢٠هـ]، وجلاء الأفهام (٤٤٧) [دار ابن الجوزي، ٣، ١٤٢٠هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٤٢) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) انظر: شأن الدعاء (٧٤)، وجلاء الأفهام (٤٤٧)، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٤٢).

(٣) انظر: شأن الدعاء (٧٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صفة الود لله تبارك

وتعالى:

دلَّت النصوص الشرعية على إثبات صفة الود لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود]، وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج]، فالله ﷻ يودُّ عباده الصالحين، ويحبهم ويتولاهم بالنصر والتأييد، ويكرمهم في الدنيا والآخرة.

- المسألة الثانية: بعض الحكَم والأسرار من اقتران هذا الاسم باسميه: (الغفور) و(الرحيم):

الله ﷻ يغفر للعبد ويرحمه إذا تاب وأتاب إليه؛ بل إنه يحبه ويودُّه، «فهو سبحانه الموصوف بشدة البطش، ومع ذلك هو الغفور الودود، المتودد إلى عباده بنعمه، الذي يودُّ من تاب إليه وأقبل عليه، وهو الودود أيضًا؛ أي: المحبوب، قال البخاري في صحيحه: «الودود: الحبيب»، والتحقيق أن اللفظ يدل على الأمرين: على كونه وادًّا لأوليائه ومودودًا لهم، فأحدهما بالوضع، والآخر باللزم، فهو الحبيب المحب لأوليائه يحبهم ويحبونه، وقال شعيب رحمه الله: ﴿إِنَّ رَبِّ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود]. وما ألطف اقتران اسم الودود بالرحيم وبالغفور، فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك قد

وقال ابن تيمية: «والله تعالى في القرآن يثبت الصفات على وجه التفصيل، وينفي عنه - على طريق الإجمال - التشبيه والتمثيل، فهو في القرآن يخبر أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه عزيز حكيم، غفور رحيم، وأنه سميع بصير، وأنه غفور ودود، وأنه تعالى - على عظم ذاته - يحب المؤمنين، ويرضى عنهم، ويغضب على الكفار، ويسخط عليهم، وأنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش، وأنه كلم موسى تكليمًا، وأنه تجلَّى للجبل فجعله دكًا؛ وأمثال ذلك»^(١). وقال أيضًا: «وهو سبحانه - كما ثبت في الحديث الصحيح - أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وقد بيّن الحديث الصحيح أن فرحه بتوبة التائب أعظم من فرح الفاقد ماله ومركوبه في مهلكة إذ وجدهما بعد اليأس، وهذا الفرح يقتضي أنه أعظم مودة لعبده المؤمن من المؤمنين بعضهم لبعض. كيف، وكلّ ودٌّ في الوجود فهو من فعله. فالذي جعل الودّ في القلوب هو أولى بالودّ»^(٢).

(١) مجموع الفتاوى (٣٧/٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٢) النبوات (٣٦٧/١) [أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٠هـ].

محتاج إليه بالذات وهو غني بالذات عن كل ما سواه، وهو مع ذلك يودّ عباده ويحبهم ويتودد إليهم بإحسانه إليهم وتفضله عليهم، كان له من هذا الشهود حالة صافية خالصة من الشوائب.

- يجب على العبد أن يتودد إلى ربه بامثال أمره ونهيه، كما تودد سبحانه إليه بإدراار نعمه وفضله، ويحبه كما أحبه، ومن حب العبد لله رضاه بما قضاه وقدره، وحب القرآن والقيام به، وحب الرسول ﷺ، وحب سنّته والقيام بها والدعاء إليها^(٣).

✽ مذهب المخالفين:

ذهب بعض أصحاب الطوائف المخالفة لأهل السنّة والجماعة إلى نفي محبة الله ﷻ لعباده، وقصروا تفسير اسمه تعالى: (الودود) على أنه مودود؛ أي: اسم مفعول بمعنى أن المؤمنين يحبونه، وهو لا يُحب أحدًا، وذهب بعضهم إلى أنه لا يُحب ولا يُحب، ومنهم من نفى أن تكون صفة فعلية لله ﷻ، ولهم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المحبة قديمة، فهو يحبهم في الأزل، إذا علم أنهم يموتون

يرحم من لا يحب، والرب تعالى يغفر لعبده إذا تاب إليه ويرحمه ويحبه مع ذلك، فإنه يحب التوابين، وإذا تاب إليه عبده أحبه ولو كان منه ما كان^(١).

قال ابن القيم: «الوداد وهو صفو المحبة وخالصها ولبها، و(الودود) من أسماء الرب تعالى وقرنه باسمه (الغفور) إعلانًا بأنه يغفر الذنب ويحب التائب منه ويودّه»^(٢).

✽ الآثار:

- من معاني اسم الله الودود ولطفه وتعلقه بظاهر العبد وباطنه، أن العبد يكون في حال اشتغال حب وشوق ولذة مناجاة لا أحلى منها ولا أطيب، بحسب استغراقه في شهود معنى هذا الاسم.

- إن الودود يأتي بمعنى المودود كما قال البخاري في صحيحه: «الودود: الحبيب»، فإذا استغرق العبد في مطالعة صفات الكمال التي تدعو العبد إلى حب الموصوف بها، أثمر له صفاء علمه بها وصفاء حاله في تعبه بمقتضاها.

- كما يأتي الودود بمعنى الوادّ وهو المحب، أثمر ذلك للعبد مطالعة ذلك حالًا تناسبه؛ فإنه إذا شاهد بقلبه غنيًا كريمًا جوادًا عزيزًا قادرًا، كل أحد

(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٤٢٩، ٤٣٠) [دار الصحابة، ط ١، ١٤١٦هـ]، ومدارج السالكين (١٥٠، ١٤٩/٣) [دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٢٥) [دار التوحيد، ط ١].

(١) التبيان في أقسام القرآن (١٢٤) [دار إحياء العلوم، ط ١، ١٤٠٩هـ].

(٢) مدارج السالكين (٢٢/٣).

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحْبَّوْهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَوْضَعُ لَهُ الْقَبُولَ فِي الْأَرْضِ»^(٢)، وَقَالَ فِي الْبُغْضِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٣)، قَالَ: «يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُمْ»^(٤)، وَعَنْ مُجَاهِدٍ فِي الْآيَةِ نَفْسَهَا، قَالَ: «يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُمْ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ»^(٥).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٦)، قَالَ: «مُحِبَّةً»^(٧). وَهَذَا فِيهِ إِثْبَاتُ حُبِّهِ لَهُمْ، بَعْدَ أَعْمَالِهِمْ، بِقَوْلِهِ: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٨)، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ]، فَهُوَ يُحِبُّهُمْ إِذَا اتَّبَعُوا الرَّسُولَ، وَنَظِيرُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»^(٩).

عَلَى حَالٍ مُرْضِيَةٍ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْكُفَّارَ فِي حَالِ كُفْرِهِمْ، إِذَا عَلِمَ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَيُبْغِضُ الْمُؤْمِنَ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يَرْتَدُّ، هَذَا قَوْلُ ابْنِ كَلَّابٍ وَمَنْ تَبِعَهُ، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَفْسِّرُ الْمُحِبَّةَ بِالْإِرَادَةِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ هِيَ صِفَةُ زَائِدَةٍ عَلَى الْإِرَادَةِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: يَجْعَلُونَ هَذَا مِنْ بَابِ

الْفِعْلِ، فَالْمُحِبَّةُ عِنْدَهُمْ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِمْ، وَالْإِحْسَانُ عِنْدَهُمْ لَيْسَ قَائِمًا بِهِ؛ بَلْ بَائِنٌ عَنْهُ^(١٠).

وَالنُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ وَاضِحَةٌ فِي إِثْبَاتِ الصِّفَةِ وَفِيهَا الرَّدُّ عَلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ: الْعَزِيزُ، الرَّحِيمُ، الْغَفُورُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ. وَالْوُدُودُ (فَعُولٌ) مِنَ الْوَدِّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ شُعَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾^(١١) [هُود]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾^(١٢) [الْبُرُوجُ]، فَقَرَنَهُ بِالرَّحِيمِ فِي مَوْضِعٍ، وَبِالْغَفُورِ فِي مَوْضِعٍ.

وَفُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(١٣)، بِأَنَّهُ يُحِبُّهُمْ، وَيُحِبُّهُمْ إِلَى عِبَادِهِ، كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى: يَا جِبْرِيلُ إِنِّي أَحَبُّ فَلَانًا فَأَحْبِّهِ، فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ:

(١) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١)

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٩)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٣٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الزهد، رقم ٣٤٧٨٧)، والطبري في التفسير (١٣٧/٧) [دار هجر، ط ١].

وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٤٥/٥) [دار الفكر، ١٩٩٣ م].

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٣٢/١٦، ١٣٣).

(٥) أخرجه الطبري في التفسير (٦٤٢/١٥) [دار هجر، ط ١]، وسنده حسن.

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٢).

- وكذلك قوله: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة]، إلى غير ذلك من الآيات.
- وهذه الآيات وأشباهاها تقتضي أن الله يحب أصحاب هذه الأعمال، فهو يحب التوابين، وإنما يكونون توابين بعد الذنب، ففي هذه الحال يحبهم، وهذا مبني على الصفات الاختيارية^(١).
- والكتاب والسنة، وأقوال السلف والأئمة، والأدلة العقلية، إنما تدل على إثبات هذا الاسم وما تضمنه من صفة الود والمحبة وما يلزم من ذلك كالرحمة والمغفرة^(٢).
- والمصادر والمراجع:
- ١ - «أسماء الله الحسنى: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة»، لماهر مقدم.
 - ٢ - «الأسنى في شرح أسماء الله
- الحسنى»، للقرطبي.
- ٣ - «الاعتقاد والهداية»، للبيهقي.
- ٤ - «التبيان في أقسام القرآن»، لابن القيم.
- ٥ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٦ - «جامع الرسائل»، لابن تيمية.
- ٧ - «جلاء الأفهام»، لابن القيم.
- ٨ - «الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين»، للسعدي.
- ٩ - «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيم.
- ١٠ - «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (ج ٣)، لابن القيم.
- ١١ - «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

الورع

التعريف لغة

قال ابن فارس رحمه الله: «الواو والراء والعين: أصل صحيح يدل على الكف والانقباض، منه الورع: العفة، وهي الكف عما لا ينبغي»^(٣).

الورع: التحرج، والكف عن المحارم، يقال: تورع عن كذا؛ أي: تحرج، والورع: الرجل التقي المتحرج، وقد ورع يروع ورعاً ورعة، ويقال: فلان

(١) قال شيخ الإسلام في تعريفها: «هي الأمور التي يتصف بها الرب، فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته، مثل: كلامه، وسمعه، وبصره، وإرادته، ومحبه، ورضاه، ورحمته، وغضبه، وسخطه، ومثل: خلقه، وإحسانه، وعدله، ومثل: استوائه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله، ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة»، رسالة في الصفات الاختيارية، ضمن جامع الرسائل (٣/٢) [دار المدني، ٢، ١٤٠٥هـ].

(٢) انظر: النبوات (١/ ٣٥٢ - ٣٦٩).

(٣) مقاييس اللغة (٦/ ١٠٠) [دار الجيل، ط ٢].

سَيِّئِ الرَّعَّةِ؛ أَي: قليل الورع^(١).

✽ التعريف شرعاً:

الورع: هو ترك ما قد يضر في الآخرة، وهو ترك المحرمات، أو الشبهات التي لا يستلزم تركها ترك ما فعله أرجح منها^(٢).

✽ العلاقة بين المعنى اللغوي

والشرعي:

يلتقي المعنى الاصطلاحي مع اللغوي من حيث أصل الترك، وهو جزء من حقيقة الورع كما سيأتي بيان ذلك.

✽ الحكم:

الورع قسمان من حيث الحكم^(٣):

الورع الواجب: وهو اتقاء ما يكون سبباً للذم والعقاب، وهو فعل الواجب المحقق البين، وترك المجرم المحقق البين، اللذين لا شبهة فيهما.

الورع المستحب: هو اتقاء ما يخاف أن يكون سبباً للذم والعقاب، عند عدم المعارض الراجح.

✽ الحقيقة:

(١) انظر: مقاييس اللغة (١٠٠/٦)، والصاحح للجوهري (١٢٩٦/٣) [دار العلم للملايين، ط ٣]، ولسان العرب (٢٧٢/١٥) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢١/١٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ٢، ١٤٢٥هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٣٧/٢٠، ١٣٨)، وجامع المسائل لابن تيمية (٤٥/١) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٢هـ].

حقيقة الورع: هو اجتناب الفعل واتقاؤه، والكف والإسك عنه، والحذر منه، وهو يعود إلى كراهة الأمر والنفرة منه، والبغض له، وهو اتقاء ما يكون سبباً للذم والعقاب، ويدخل فيه فعل الواجبات، وترك المحرمات، واتقاء من يخاف أن يكون سبباً للذم والعذاب، عند عدم المعارض الراجح، ويدخل في ذلك أداء الواجبات، والمشتبهات التي تشبه الواجب، وترك المحرمات، والمشتبهات التي تشبه الحرام، وإن أدخلت فيها المكروهات، يقال: يخاف أن تكون سبباً للنقص والعذاب^(٤).

✽ الأدلة:

من السُّنَّة قول النبي ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ تَدْعَ شَيْئاً لِّلَّهِ ﷻ إِلَّا أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرُ لَكَ مِنْهُ»^(٥).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدُّنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليفة، وعِفَّةٌ فِي طَعْمَةٍ»^(٦).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢١/١٠، ٥١١، ٦١٧).

(٥) أخرجه أحمد (١٧٠/٣٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وقال الهيثمي في المجمع (٢٩٦/١٠) [مكتبة القدسي]: (رجاله رجال الصحيح)، وصححه الألباني في السلسلة الضعيفة (٦٢/١).

(٦) أخرجه أحمد (٢٣٣/١١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والحاكم (كتاب الرقاق، رقم ٧٨٧٦)، وحسنه =

يترك واجباً تركه أعظم فساداً من فعله مع الشبهة»^(٣).

وقال ابن القيم رحمه الله: «الورع يطهر دنس القلب ونجاسته؛ كما يطهر الماء دنس الثوب ونجاسته»^(٤).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الورع في المباحات:

مما ذمه النبي ﷺ الورع في الأمور المباحة؛ لأنه لا مضرة فيها، أو قد تكون فيها مضرة مرجوحة؛ فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: صنع رسول الله ﷺ أمراً فترخص فيه، فبلغ ذلك ناساً من أصحابه فكأنهم كرهوه وتنزهوا عنه، فبلغه ذلك فقام خطيباً فقال: «ما بال رجال بلغهم عني أمر ترخصت فيه فكرهوه وتنزهوا عنه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية»^(٥).

قال ابن تيمية رحمه الله: «وأما الورع عما لا مضرة فيه، أو فيه مضرة مرجوحة، لما تقتزن به من جلب منفعة راجحة، أو دفع مضرة أخرى راجحة: فجهل وظلم؛ وذلك يتضمن ثلاثة أقسام لا يتورع عنها: المكافأة، والراجحة، والخالصة:

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٥١١، ٥١٢).

(٤) مدارج السالكين (٢/٢٣) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦١٠١)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٦٥)، واللفظ له.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقع، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

عن الضحاك بن مزاحم رحمه الله أنه قال: «لقد رأيتنا، وما نتعلم إلا الورع»^(٢).

قال ابن تيمية رحمه الله: «الورع المشروع: هو الورع عما قد تخاف عاقبته؛ وهو ما يعلم تحريمه، وما يشك في تحريمه، وليس في تركه مفسدة أعظم من فعله، مثل محرم معين، مثل من يترك أخذ الشبهة ورعاً مع حاجته إليها، ويأخذ بدل ذلك محرماً بيناً بتحريمه، أو

= المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٣٤٥) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٧٣٣) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٥هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٢) واللفظ له، ومسلم (كتاب المساقاة، رقم ١٥٩٩).

(٢) الزهد لوكيع (٤٧٤) [مكتبة الدار، المدينة، ط ١، ١٤٠٤هـ].

الشبه والدقائق في انتهاك المحرمات،
ويزعم أنه من الورع، وهذا باطل،
فيجب أن ينكر عليه^(٤).

عن ابن أبي نعم قال: كنت شاهداً
لابن عمر رضي الله عنه وسأله رجل عن دم
البعوض؟ فقال: ممن أنت؟ فقال: من
أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا
يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن
النبي ﷺ، وسمعت النبي ﷺ: «هما
ريحانتي من الدنيا»^(٥).

❁ الفرق:

الفرق بين الورع والزهد:

الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة،
والورع ترك ما يخشى ضرره في
الآخرة^(٦).

والزهد: هو من باب عدم الرغبة
والإرادة في المزهود فيه، والورع: من
باب وجود النفرة والكرهية للمتورع عنه.

والزهد يصلح في المباحات، دون
الورع، فلا يجوز التورع عن المباحات،

(٤) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/٣٠٣،
٣٠٤) [دار السلام، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٩٩٤)،
وأخرجه أيضاً في (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ،
رقم ٣٧٥٣).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٢١، ٥١١)، ومدارج
السالكين (١٢/٢) [دار الكتاب العربي، بيروت،
ط ٥]، والفوائد لابن القيم (١٧١) [دار عالم
الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ]، وعدة الصابرين (٢٦٤)
[دار ابن كثير، ١٤١٩هـ].

كالمباح المحض، أو المستحب، أو
الواجب فإن الورع عنها ضلالة^(١).

- المسألة الثانية: أمور ليست من الورع:

١ - يعتقد كثير من الناس أن الورع
من باب الترك فقط، فلا يرون الورع إلا
في ترك الحرام، لا في أداء الواجب،
فترى أحدهم يتورع عن الكلمة الكاذبة،
وعن الدرهم فيه شبهة؛ لكونه من مال
ظالم، أو معاملة فاسدة، أو نحو ذلك،
ومع هذا يترك أموراً واجبة عليه؛ إما
عيناً وإما كفاية، وقد تعيّن عليه: من
صلة رحم، وحق جار ومسكين،
وصاحب ويتيم، وحق مسلم، وذو
سلطان، إلى غير ذلك مما فيه نفع
للخلق في دينهم ودنياهم مما وجب
عليه^(٢).

قال شيخ الإسلام: «تمام الورع أن
يعلم الإنسان خير الخيرين وشر الشرّين،
ويعلم أنّ الشريعة مبناها على تحصيل
المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد
وتقليلها وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل
والترك من المصلحة الشرعية، والمفسدة
الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل
محرمات، ويرى ذلك من الورع»^(٣).

٢ - يقع بعض من يريد أن يتورع عن

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٦١٥).

(٢) انظر: المرجع السابق (٢٠/١٣٩، ١٤٠).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٥١٢).

فكل ما يصلح فيه الورع يصلح فيه الزهد، من غير عكس^(١).

✽ الثمرات:

- يصون النفس ويحفظها عما يشينها ويعيبها ويزري بها عند الله تعالى، وعند ملائكته، وعباده المؤمنين، وسائر خلقه.

- يزيد في إيمان العبد، ويصونه ويحفظه؛ لأن القبايح تذهب بالإيمان، أو تقلله.

- توفير الحسنات، وذلك من وجهين؛ أحدها: توفير زمانه في اكتساب الحسنات. والثاني: توفير الحسنات المفعولة عن نقصانها^(٢).

✽ مذهب المخالفين:

الخوارج والروافض والمعتزلة والصوفية ونحوهم يرون أن الورع من باب الترك، فلا يرون الورع إلا في ترك الحرام، لا في أداء الواجب.

قال شيخ الإسلام: «وهذا الورع قد يوقع صاحبه في البدع الكبار؛ فإن ورع الخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم من هذا الجنس، تورعوا عن الظلم وعن ما اعتقدوه ظلمًا من مخالطة الظلمة في زعمهم، حتى تركوا الواجبات الكبار من الجمعة والجماعة؛ والحج والجهاد؛

ونصيحة المسلمين والرحمة لهم، وأهل هذا الورع ممن أنكر عليهم الأئمة كالأئمة الأربعة وصار حالهم يذكر في اعتقاد أهل السنة والجماعة»^(٣).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «استنشاق نسيم الأنس»، لابن رجب.
- ٢ - «الفوائد»، لابن القيم.
- ٣ - «قوت القلوب»، لأبي طالب المكي.
- ٤ - «الزهد»، لأحمد بن حنبل.
- ٥ - «شعب الإيمان»، للبيهقي.
- ٦ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.
- ٧ - «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيم.
- ٨ - «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة.
- ٩ - «مجموع الفتاوى» (ج ١٠)، لابن تيمية.
- ١٠ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

✽ الورد

يراجع مصطلح (الصراط).

✽ وسائل الشوك

يراجع مصطلح (ذرائع الشوك).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٦١٨، ٦١٩).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/٤٤٨، ٤٤٩) [مؤسسة

المختار، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/١٤٠).

قد فسر الوسط في هذه الآية بأنه:
العدل^(٣).

كما جاء تفسير الوسطية بالخيرية،
والتوسط بين الإفراط والتفريط^(٤)، وهي
معانٍ متلازمة.

ويراد بوسطية أهل السنة: الحالة التي
التزم بها أهل السنة والجماعة من
التمسك بشرع الله، وسنة مصطفاه ﷺ
بلا إفراط ولا تفريط، وما اعتقده من
عقائد كانوا فيها بين طرفي الغلو
والجفاء، حتى أصبحوا أولى الطوائف
بالعدل والخيرية، فجانبوا أهل البدع
والأهواء من أهل الإفراط أو التفريط^(٥).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المعنى الاصطلاحي لأهل السنة
والجماعة راجع إلى المعنيين اللغويين
سالف الذكر.

فهم قد كانوا وسطًا بين طرفي
الإفراط والتفريط في سائر أبواب

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٣٩).
وانظر: فتح الباري لابن حجر (١٧٢/٨) [دار
المعرفة].

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٤٢/٣) [مؤسسة الرسالة،
ط ١]، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢١٩/٢)،
وتفسير ابن كثير (٢٧٥/١) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٧٣/٣ -
٣٧٥)، وانظر في تعريف الوسطية: الوسطية في
ضوء القرآن الكريم لناصر العمر (٤٠، ٤١)،
والوسطية في القرآن للصلاحي (٤١ - ٤٧) [دار
النفائس].

وسطية أهل السنة

التعريف لغة:

الوسطية في اللغة مشتقة من مادة:
وسط، وهي تدل على: العدل،
والنصف^(١).

وكلمة (وسط) إذا سُكِّنت سينها فهي
ظرف، تقول: جلست وَسَطَ القوم؛ أي:
بينهم.

وإذا فتحت سينها فقد تكون:

١ - اسمًا لما بين طرفي الشيء وهو
منه، كقولك: قبضت وَسَطَ الحبل، أو
للشيء بين الجيد والرديء.

٢ - اسمًا أو صفة بمعنى: خيار،
وأفضل، وأجود. تقول: مرعى وسط؛
أي: خيار.

وتقول: هذا وَسَطُ القوم؛ أي:
أعدلهم^(٢).

التعريف اصطلاحًا:

لقد جاء ذكر الوسط في قوله تعالى:
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:
١٤٣]، ومعنى الوسط في الآية مقارب
لمعناه اللغوي، حيث ثبت أن النبي ﷺ

(١) انظر: مقاييس اللغة (١٠٨/٦) [دار الجيل، ط ٢].

(٢) انظر: الصحاح (١١٦٧/٣) [دار العلم للملايين،
ط ٤]، ولسان العرب (٤٢٧/٧ - ٤٣٠) [دار صادر،
ط ١]، والقاموس المحيط (٤٠٥/٢)، والمصباح
المنير (٢٥٢)، ووسطية أهل السنة لمحمد با كرم
(١٥ - ١٧).

الاعتقاد والعمل، وهو ما دل عليه المعنى اللغوي الأول.

وهم - بتمسكهم بالقرآن، وبسنة المصطفى ﷺ - قد كانوا بمجموعهم خيار الفرق المنتسبة لهذه الأمة، وأفضلها وأعدلها في الأقوال والأحكام، وهذا ما دل عليه المعنى اللغوي الثاني.

❁ الحقيقة:

لقد تميز مذهب أهل السنة والجماعة بوسطيته واعتداله بين المذاهب الأخرى، والتي وقفت على طرفي نقيض، ما بين فرق غالية مُفرّطة، وفرق جافية مُفرّطة، حيث أخذت كل فرقة ببعض الأدلة دون بعض، فوقعت في جانب الإفراط أو التفريط، وهدى الله أهل السنة، فجمعوا بين مدلولات النصوص جميعاً، فكان قولهم جامعاً للحق الذي وجد بعضه عند كل فرقة، كما كان مذهبهم سالمًا من الباطل الذي وقعت فيه فرق المبتدعة نتيجة إهمالها بعض أدلة الكتاب والسنة، فمذهب أهل السنة وسط بين مذاهب أهل البدع، كما أن أمة الإسلام وسط بين أمم الكفر، ومن مظاهر وسطية أهل السنة ما يلي:

١ - وسطيتهم في باب أسماء الله وصفاته، حيث ذهب أهل السنة والجماعة إلى إثبات كل ما جاء في الكتاب، وصح في السنة من أسماء الله

وصفاته وأفعاله، على ما يليق بعظمته وجلاله، ونزهوه عن النقص ومماثلة مخلوقاته، فهم قد أثبتوا بلا تكيف ولا تمثيل، ونزّهوا بلا تحريف ولا تعطيل، فصار مذهبهم وسطًا بين طرفين:

أ - طرف الغلو والإفراط، وهم أهل التمثيل، فمنهم من شبّه الخالق بالمخلوق، فأثبتوا أسماء الله وصفاته على وجه يماثل أسماء وصفات المخلوقين، كبعض قدماء الروافض، ومنهم من شبّه المخلوق بالخالق، فأضاف إلى بعض المخلوقين شيئاً من خصائص ربوبية الله أو ألوهيته، كما يقع عند غلاة الصوفية وغلاة الرافضة.

ب - طرف الجفاء والتفريط، وهم أهل التعطيل على اختلاف طوائفهم، حيث نفوا أسماء الله وصفاته أو بعضها، كمن يعتقد أن الله تعالى لم يستو على العرش.

٢ - وسطيتهم في باب الوعد والوعيد. حيث يعتقد أهل السنة أن فاعل الكبيرة من أهل التوحيد لا يخرج عن الإسلام، ولا يخلد في النار.

فهو عندهم في الدنيا: مؤمن ناقص الإيمان، فأصل الإيمان ثابت له، وأما كمال الإيمان الواجب فزائل عنه.

وهو عندهم في الآخرة: تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه برحمته

وأدخله الجنة ابتداءً بلا عذاب، وإن شاء عذبه بعدله بما يستحقه من العذاب، ثم يخرج من النار ويصير إلى الجنة، ولا يُخلد في النار خلود الكفار.

٣ - وسطيتهم في باب القدر وأفعال العباد.

وهم بذلك وسط بين طرفين:

أ - طرف الغلو والإفراط، وهم أهل الوعيد (الوعيدية) وتمثلهم فرقنا الخوارج والمعتزلة.

ففاعل الكبيرة في الدنيا عندهم: خارج عن الإسلام، إما كافر (كما تقول الخوارج)، أو أنه ليس بمؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين المنزلتين (كما تقول المعتزلة).

وفاعل الكبيرة في الآخرة عندهم: خالدٌ مُخلدٌ في النار، لا يخرج منها أبداً، بل لا يجوز لله أن يغفر له عندهم، فهم ينكرون شفاعة النبي ﷺ وغيره من الشفعاء ممن يشفع في عصاة الموحدين أن يخرجوا من النار.

ب - طرف الجفاء والتفريط، وهم المرجئة، ويُسمَّون: (أهل الوعد).

وفاعل الكبيرة عندهم في الدنيا: مؤمن كامل الإيمان، بل إيمانه كإيمان الأنبياء، ويرى غلاتهم أنه لا يضر مع الإيمان معصية، وأن الشخص لا يكفر حتى ولو فعل جميع المكفرات المجمع على التكفير بها ما دامت معرفة الله ثابتة في قلبه، وبعضهم يكذب بالوعيد

فأهل السنة يؤمنون بقضاء الله وقدره، ومن ذلك إيمانهم بعموم علم الله وكتابته، وعموم خلقه ومشيتته، وقد دخل في هذا العموم: علمه تعالى وكتابته وخلقته ومشيتته لأفعال العباد، سواء كانت من الطاعات أو من المعاصي، كما دل عليه عموم قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، فدخل في ذلك خلق الأعيان، وخلق صفات الأعيان وحركاتها، كما دل عليه أيضاً خصوص قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات].

فأهل السنة قد أثبتوا للعبد فعلاً، وإرادة، ومشيتة، وقدرة، واختياراً، وكسباً، كل ذلك على الحقيقة، ولكنهم داخله تحت قدرة الله وإرادته ومشيتته، على ما جاء في قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْقِيَ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) [التكوير]، فالعباد هم الذين فعلوا أفعالهم وكسبوها باختيارهم على الحقيقة، وليسوا مجبورين عليها ولا مُكرهين، بل للعباد قدرة حقيقية مؤثرة

أفعال العباد، والغلو والإفراط في جانب أفعال الرب، وهم الجبرية، وهم على قسمين:

١ - جبرية خالصة، وهم الجهمية، حيث جعلوا الإنسان مجبوراً على أفعاله، كالريشة في مهب الريح، فلا قدرة له ولا استطاعة ولا اختيار ولا فعل على الحقيقة، بل الله هو الخالق لأفعال العباد، وهو الفاعل لها أيضاً.

٢ - جبرية متوسطة، وهم الأشاعرة، حيث أثبتوا للإنسان فعلاً وقدرة، إلا أنها غير مؤثرة، والقدرة غير المؤثرة وجودها كعدمها، فقولهم راجع إلى قول الجبرية الخالصة، ونزاعهم معهم لفظي^(٢).

٤ - وسطيتهم في أصحاب رسول الله ﷺ، وآل البيت رضوان الله عليهم.

فمن أصول أهل السنة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، فهم يحبونهم، ويقرون بفضلهم، ويعتقدون

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية (١/٤٥٩ - ٤٦٤) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ]، وكذلك: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٣٣٨) [دار إحياء التراث العربي، ط٣، لمع الأدلة للجويني (١٠٧) [دار عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٧هـ]، والملل والنحل للشهرستاني (١/٨٥) [دار المعرفة، ١٤٠٤هـ]، وشفاء العليل لابن القيم (٥١) [دار الفكر، ١٣٩٨هـ]، والمواقف للإيجي (٤٢٨) [دار الجيل، ط١، ١٤١٧هـ]، والتعريفات للجرجاني (٧٤) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ].

في وقوع الفعل منهم، ولكن الله هو الذي أقدرهم على ذلك، فالله هو الخالق لفعل العبد، وليس هو الفاعل له، والعبد هو الفاعل لفعله، وليس هو الخالق له، هذا حاصل قول أهل السنة في هذا الباب.

وهم بذلك قد توسطوا بين طرفين:

أ - طرف الغلو والإفراط في جانب أفعال العباد، والجفاء والتفريط في جانب أفعال الرب، وهم القدريّة النفاة، من المعتزلة وغيرهم، حيث ذهبوا إلى أن العبد هو الفاعل لفعله، وهو الخالق لفعله أيضاً، فغلّاتهم أنكروا علم الله السابق بها، وخلقه لها، والمعتزلة أثبتوا العلم السابق، وأنكروا أن تكون أفعال العباد مخلوقة أو مقدورة للرب^(١)، فأنكروا عموم قدرة الله ومشيتته وخلقه، ووصفوا الله بالنقص، حيث قالوا: إن الرب لا يقدر على عين مقدور العبد، وجعلوا العباد مشاركين لله في ربوبيته، حيث أثبتوا للعبد صفة من صفات الربوبية، وهي صفة الخلق، ولذا سُموا: بمجوس هذه الأمة، لمشابهتهم المجوس في القول بتعدد الخالقين.

ب - طرف الجفاء والتفريط في جانب

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي (٣٢٣، ٧٧٢) [مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ]، والمغني في أبواب العدل والتوحيد له (٣/٨)، والمنية والأمل لابن المرتضى (٦).

وألوهيته، فتراهم يغالون في علي (عليه السلام)، وبعض ذريته، ويفضلونهم على الأنبياء والملائكة، ويعتقدون عصمتهم، ويشبّون لهم وحيًا، وعلمًا بالغيب، وتصرفًا في الكون، ويتوجهون إليهم بالدعاء وطلب الغوث وهم أموات^(٣).

ب - طرف الجفاء والتفريط في حق آل البيت، وغيرهم من الصحابة، ألا وهم النواصب، ومنهم الخوارج الذين قالوا بكفر عثمان، وعلي (عليه السلام)، وغيرهما من الصحابة، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وقدحوا في خلافة علي (عليه السلام) وإمامته، والرافضة أيضًا الذين طعنوا في أمهات المؤمنين، وبعض آل البيت كبنو العباس وغيرهم^(٤).

هذه بعض مظاهر وسطية أهل السنة، وكذلك في سائر أبواب الاعتقاد ترى مذهب أهل السنة وسطًا بين الأقوال المتقابلة المتناقضة؛ لأنهم تمسكوا

أنهم أكمل الأمة إيمانًا وعلمًا وحكمة، وذلك لشاء الله تعالى عليهم ولسابقتهم في الدين، ونصرتهم سيد المرسلين (عليه السلام)، ولحسن بلائهم في الإسلام، وجهادهم لإعلاء كلمة التوحيد، كما أنهم يحبون أهل بيت النبي (عليه السلام)، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية النبي (عليه السلام) حيث قال: «أذكركم الله في أهل بيتي»^(١)، إلا أنهم لا يتجاوزون فيهم الحد، فلا يغلون فيهم، ولا يعتقدون عصمتهم، ولا يضيفون إليهم شيئًا مما يختص به الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

وهم بذلك قد توسطوا بين طرفين:

أ - طرف الغلو والإفراط في حق آل البيت، والجفاء والتفريط في حق بقية الصحابة، ألا وهم الرافضة، الذين سبوا صحابة النبي (عليه السلام) ولعنوهم، وكفروا أكثرهم^(٢).

وبالمقابل فقد غلوا في آل النبي (عليه السلام)، وجاوزوا بهم الحد، بل أضافوا إليهم بعض ما يختص به الله في ربوبيته

(١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٨).
(٢) انظر: البرهان للسكسكي (٦٥) [مكتبة المنار، ط ٢، ١٤١٧هـ]، والملل والنحل للشهرستاني (١/١٤٦)، والشيعة وآل البيت لإحسان إلهي ظهير (٤٤)، (١٩١)، وكذلك: الأصول من الكافي للكليني (١/١٥٤)، والروضة من الكافي له (٢٤٥)، وحق اليقين في معرفة أصول الدين لعبد الله شبر الرافضي (١/٢٧٦، ٣٠٨ - ٣٢٥)، وكشف الأسرار للخميني (١٣٧، ١٧٥، ١٧٦).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/١٢٠)، والملل والنحل للشهرستاني (١/١٧٤)، والبده والتاريخ المنسوب للمطهر بن طاهر المقدسي (٥/١٢٥) [مكتبة الثقافة الدينية]، وكذلك: بحار الأنوار للمجلسي (٢٥/٢٠٩)، وأصول الكافي (١٤٧/١)، والكافي (١/١٣٤، ٢٠٣)، وأوائل المقالات للمفيد (٨١)، وحق اليقين لعبد الله شبر (١/٢٠٩)، والحكومة الإسلامية للخميني (٥٢، ٥٣).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (١/١٦٧)، والبده والتاريخ للمقدسي (٥/١٣٥)، والتنبيه والرد للملطي (٥١) [المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٨هـ]، والملل والنحل للشهرستاني (١/١١٥)، والفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموع الرسائل الكبرى (٢٢، ٢٣).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا الذي جاءت به شريعة الاسلام هو الصراط المستقيم، وهو الذي يصلح به دين الانسان، وهذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، وهي وسط بين هذين الصنفين: أصحاب البدع، وأصحاب الفجور، أهل الإسراف، والتقصف الزائد. ولهذا كان السلف يحذرون من هذين الصنفين. قال الحسن: «هو المبتدع في دينه، والفاجر في دنياه»، وكانوا يقولون: احذروا صاحب الدنيا أغوته دنياه، وصاحب هوى متبع لهواه»^(٢).

وقال أيضاً: «ومذهب السلف بين مذهبين، وهدي بين ضاللتين، إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] رد على أهل التشبيه والتمثيل، وقوله ﴿وَهُوَ أَلْسَمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد على أهل النفي والتعطيل، فالمُمَثِّلُ أعشى، والمُعْطَلُ أعمى، المُمَثِّلُ يعبد صنماً والمُعْطَلُ يعبد عدماً»^(٣).

المسائل المتعلقة:

- مفاهيم خاطئة حول الوسطية.

المفهوم الخاطئ الأول: الخلط بين

بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فكانوا أولى الطوائف بوصف الوسطية، المتضمن للعدل والخيرية، والتوسط بين غالي الأقوال وجافيتها، والله أعلم.

الأدلة:

دلّ على فضل الوسطية آيات؛ منها:
قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]
وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء]

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان]

أقوال أهل العلم:

قال الحافظ الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ: «أما الكلام في الصفات: فإن ما رُوي منها في السنن الصحاح مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاهها قوم فأبطلوا ما أثبتته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك الى ضرب من التشبيه والتكييف، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله بين الغالي فيه والمقصر عنه»^(١).

ط، ٩، ١٤١٣هـ، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ١١٤٣) [دار الكتب العلمية، ط ١].

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٥٩).

(٣) المرجع السابق (٥/ ١٩٦).

(١) سير أعلام النبلاء (٣١/ ١٠٥) [مؤسسة الرسالة،

الوسطية الشرعية، و(بَيِّنَةُ) النفاق:

ونحوها، ممن توهم أنه يقف وسطًا بين طرفي غلوّ وجفاء، وكذلك من ظن أن الوسطية إنما تكون بالتخلي عن بعض المبادئ والشرائع الراسخة التي قررها الإسلام، كشرعية الجهاد وعقيدة الولاء والبراء، ونحو ذلك، وربما لَوَّح بعضهم بشعار الوسطية موهماً العامة والغوغاء أنه ينادي بالوسطية الشرعية، وواقعهُ أنه قد وافق الوسطية، ولكنها وسطية النفاق والخداع، والحيرة والشك، والعياذ بالله.

المفهوم الخاطئ الثاني: الخلط بين الوسطية الشرعية، و(بَيِّنَةُ) الكفر.

بَيِّنَةُ الكفر، قد ذكرها الله بعد بَيِّنَةِ النفاق السالفة بآيات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۖ﴾ [النساء].

فهذه وسطية من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، كفعل اليهود حين صدقوا بموسى ﷺ وكذبوا بـعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وأرادوا أن يتخذوا من هذا السبيل طريقًا إلى الضلالة يخدعون به جهال الناس (٣).

أما بَيِّنَةُ النفاق، فهي ما جاء في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ﴾ (٤٢) مُدْبَذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۖ﴾ (٤٣) [النساء]، فبَيِّنَةُ النفاق هي بَيِّنَةُ بين طرف الإسلام، وطرف الكفر، والتي أراد بها أصحابها المخادعة لأهل الإسلام، وخشية أن تصيبهم دائرة، فليست تلك وسطية بين غلوّ وجفاء - كما هي الحال في الوسطية الشرعية - بل هي بَيِّنَةُ بين طرف الحق، والذي هو الوسط الشرعي، وطرف الكفر، أو هي بينية تردد وتذبذب وتحير (١)، ولذا قال ﷺ في وصفهم: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً» (٢).

ولمّا كان حالهم على هذه البينية، صار أمرهم ملتبسًا على كثير من الناس، ولذا كثرت نصوص القرآن في التحذير منهم.

ويدخل في هذه الوسطية النفاقية كثير من الطوائف العلمانية والتغريبية

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٣٢).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم ٢٧٨٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٥٢).

وبالمقابل فلو قيل مثلاً إن المذهب الزيدي وسط بين أهل السنة والرافضة، أو إن المذهب الأشعري وسط بين أهل السنة والاعتزال، فإنه لو صحت هذه الوسطية (والبينية) فليست هي الوسطية الشرعية قطعاً، وكذلك ما يتخذه بعض عوام الناس من سلوك منهج بين منهج أهل الاستقامة، ومنهج أهل الضلال، سواء كان في طرف الغلو أو الجفاء، فيتوهم أنه قد حقق الوسطية بمسلكه ذاك، فكل هذا من تلبيس الشيطان، وكذلك في المسائل الفقهية التي جرى الخلاف فيها على تحريم وكراهية وجواز مثلاً، فلا يلزم أن تكون الكراهية هي الصواب لكونها وسطاً بين التحريم والجواز، بل الصواب ما شهد له الدليل الصحيح بالتحريم أو الكراهة أو الجواز.

الآثار:

لقد كان لالتزام أهل السنة بمبدأ الوسطية آثاراً حميدة، تجلّت في عقائدهم وأقوالهم، وفي سلوكهم وأعمالهم، وفي أخلاقهم وتعاملاتهم مما جعل منهجهم منهجاً متزناً، موافقاً للفطر السليمة، وللأخلاق المستقيمة.

فمن ذلك: تحقيقهم لمقتضى شرع الله، وقيامهم بدينه، والتزامهم بالعدل الذي قامت عليه السماوات والأرض، وأقرت به البشرية بجميع

ويدخل في ذلك من لفق له مذهباً أو معتقداً أخذ بعضه من شريعة الله، وبعضه من شرع من سواه، وكذا من قرر قانوناً ونظاماً مزجه بين شرع الله، وشرع من سواه، ورأى أنه قد حقق التوسط بذلك، وقد قال تعالى في أمثال هؤلاء: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْكَ أَشَدَّ عَذَابٍ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة].

المفهوم الخاطئ الثالث: التوهم أن كل قول بين قولين قد حقق الوسطية الشرعية، من غير اعتبار لموافقته للشرع.
وهذا غير لازم طرداً ولا عكساً، فقد يكون القول صواباً ولو لم يكن بين طرفين موجودين، طرف غلو وجفاء، كما أن من الأقوال ما يكون وسطاً بين قولين آخرين، ويكون هو باطلاً أيضاً، فالمعيار المُطَرَّد في وصف الوسطية هو موافقة الشرع، وبهذه الموافقة يكون هو الأفضل والأعدل والخير (كما هي الأقوال الأشهر والأصح في معنى الوسطية)، ولو لم يكن بين قولي غلو وجفاء.

فالصحابة رضي الله عنهم هم أولى الناس بوصف الوسطية الشرعية، مع أنه لم يوجد في عصرهم أهل تعطيل وتشبيه، ولم يوجد في صدرهم جبرية ولا قدرية،

أطرافها، حتى فتحوا البلاد شرقاً وغرباً. ومن آثار المنهج الوسطي عند أهل السنة: أن كان منهجهم هو الموافق لفطر الناس، فكان عامة المؤمنين ممن لم يتلبس بمذاهب أهل البدع على الاعتقاد الحق في الجملة، فيسمع نصوص الصفات فيفهمها على ظاهر معناها، ويسمع نصوص التنزيه، فيعلم أن ظاهر الصفات لا يجري على التشبيه، وهكذا في سائر أبواب الاعتقاد.

الصوف تارة والقطن تارة والكتان تارة... فالذين يمتنعون عما أباح الله من الملابس والمطاعم والمناكح تزهداً وتعبدًا بإزائهم طائفة قابلوهم، فلا يلبسون إلا أشرف الثياب، ولا يأكلون إلا ألين الطعام، فلا يرون لبس الخشن ولا أكله تكبراً وتجبراً، وكلا الطائفتين هديه مخالف لهدي النبي ﷺ، ولهذا قال بعض السلف: كانوا يكرهون الشَّهْرَتَيْنِ من الثياب، العالي والمنخفض^(١)

كما أثر فيهم ذلك أن لزموا منهج الوسط والعدل في عباداتهم العملية، فضرب أئمة السلف أروع الأمثلة في تعبداتهم، وزهدهم وورعهم، ملازمين للمنهج النبوي الوسطي في ذلك، فلم يسلكوا منهج أهل الغلو والشطح من أهل التصوف ونحوهم، ولا طريق أهل الفسق من أهل الجفاء والتقصير، بل كانوا في ذلك وسطاً.

كما أثر فيهم ذلك أن لزموا منهج الوسط والعدل في عباداتهم العملية، فضرب أئمة السلف أروع الأمثلة في تعبداتهم، وزهدهم وورعهم، ملازمين للمنهج النبوي الوسطي في ذلك، فلم يسلكوا منهج أهل الغلو والشطح من أهل التصوف ونحوهم، ولا طريق أهل الفسق من أهل الجفاء والتقصير، بل كانوا في ذلك وسطاً.

المصادر والمراجع:

- ١ - «بحوث ندوة (أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو)»، لمجموعة باحثين.
- ٢ - «العقيدة الواسطية»، لابن تيمية
- ٣ - «شرح العقيدة الواسطية»، لمحمد خليل هراس.
- ٤ - «عقيدة أهل السنة والجماعة»، لمحمد بن إبراهيم الحمد.

ولقد بلغ بهم الحال أن صار المنهج الوسطي سجية عندهم، ينحون نحوها بدون تكلف، وحتى في الأمور الدقيقة والعادية، كانوا ملازمين للوسط فيها، قال الإمام ابن القيم - بعد ذكره لأحوال بعض المتنطعين في اللباس -: «والصواب أن أفضل الطرق طريق رسول الله ﷺ التي سنَّها وأمر بها ورغب فيها وداوم عليها، وهي أن هديه في اللباس أن يلبس ما تيسر من اللباس من

❖ التعريف شرعاً:

قال ابن تيمية في تعريف الوسيلة: «هي ما يُتَقَرَّبُ إليه من الواجبات والمستحبات»^(٣). وقال أيضاً: «فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول»^(٤). وقيل: الوسيلة هي «كل سبب يوصل إلى المقصود عن طريق ما شرعه الله تعالى، وبينه في كتابه وسُنَّة نبيه»^(٥).

وقال الشنقيطي في تفسير قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]: «اعلم أن جمهور العلماء على أن المراد بالوسيلة هنا هو القربة إلى الله تعالى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، على وفق ما جاء به محمد ﷺ بإخلاص في ذلك لله تعالى... وأصل الوسيلة: الطريق التي تقرب إلى الشيء، وتوصل إليه وهي العمل الصالح بإجماع العلماء»^(٦).

والتوسل: هو التقرب إلى الله ﷻ بطاعته وعبادته، واتباع أنبيائه ورسله، وبكل عمل يحبه الله ويرضاه»^(٧). وقيل: التوسل «يراد به التوصل إلى رضوان الله

(٣) مجموع الفتاوى (١/١٩٩) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (١/٢٠٠).

(٥) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (١٧).

(٦) أعضاء البيان (١/٤٠٢) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٧) انظر: التوصل إلى حقيقة التوسل للرفاعي (١٤).

٥ - «الفتوى وأثرها في حماية المعتقد وتحقيق الوسطية»، لفهد الجهني.

٦ - «المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية»، لإبراهيم البريكان.

٧ - «مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية»، لعثمان جمعة ضميرية.

٨ - «وسطية أهل السُنَّة بين الفرق»، لمحمد باكريم.

٩ - «الوسطية في ضوء القرآن الكريم»، لناصر العمر.

١٠ - «الوسطية في القرآن الكريم»، لعلي الصلابي.

١١ - «الوصية الكبرى»، لابن تيمية.

❖ الوسيلة

❖ التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الواو والسين واللام: كلمتان متباينتان جداً، الأولى الرَّغْبَة والطَّلَب. يقال: وَسَلَ؛ إذا رَغِبَ. والواو: الراغب إلى الله ﷻ، ومن ذلك القياس الوَسِيلَة»^(١). وقال الجوهري: «الْوَسِيلَة ما يُتَقَرَّبُ به إلى الغير، والجمع الوَسِيل والوسائل، والتَّوَسِيل والتَّوَسُّل واحد، يقال: وَسَلَ فلان إلى ربه وَسِيلَة، وتَوَسَّلَ إليه بوسيلة؛ أي: تَقَرَّبَ إليه بعمل»^(٢).

(١) مقاييس اللغة (٦/١١٠) [دار الجيل، ١٤١١هـ].

(٢) الصحاح (٥/١٨٤١) [دار العلم للملايين، ٣هـ].

عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»^(٢)، والوسيلة في هذا الحديث هي منزلة في الجنة لا تنبغي إلا للرسول محمد ﷺ.

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «الوسيلة هي الأعمال الصالحة»^(٣).

وقال الشنقيطي: «وأصل الوسيلة: الطريق التي تقرب إلى الشيء، وتوصل إليه، وهي العمل الصالح بإجماع العلماء»^(٤).

❁ المسائل المتعلقة:

الوسيلة في الأحاديث الصحيحة هي منزلة في الجنة لا تنبغي إلا للرسول محمد ﷺ، وهي المذكورة في قوله ﷺ: «من قال حين يسمع النداء: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، آتَ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٥).

وقد فسرت الوسيلة بقوله ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي

والجنة؛ بفعل ما شرعه وترك ما نهى عنه»^(١).

❁ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة واضحة، فكلاهما فيه معنى التقرب والطلب، والشرع خصَّصها بالتقرب لله.

❁ الحكم:

الوسيلة بمعناها الشرعي الصحيح واجبة، وقد تكون مستحبة، إلا أن هناك من يجعل وسيلته إلى الله ما لم يشرعه الله، فحكمه مبني على حكم العمل الذي توسل به.

❁ الأدلة:

قال الله ﷻ: ﴿بَيَّأُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقال ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [٥٧] [الإسراء].

وقال النبي ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا عليَّ، فإنه من صلَّى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٣٨٤). وانظر:

شرح النووي على صحيح مسلم (٨٦/٤).

(٣) الرد على البكري (١١٩/١).

(٤) أضواء البيان (٤٠٢/١).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦١٤).

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (٤٥).

باتفاق المسلمين، وبما علم بالاضطرار من دين الإسلام، واتفق علماء المسلمين على أن الواحد من هؤلاء يستتاب، فإن تاب وأقر بوجوبها وإلا قتل»^(٤).

وقال ابن القيم: «فالزنديق يقول الاشتغال بالسير بعد الوصول عيب لا فائدة فيه، والوصول عنده هو ملاحظة عين الجمع، فإذا استغرق في هذا الشهود وفنى به عن كل ما سواه، ظن أن ذلك هو الغاية المطلوبة بالأوراد والعبادات، وقد حصلت له الغاية، فرأى قيامه بها أولى به، وأنفع له من الاشتغال بالوسيلة، فالعبادات البدنية عنده وسيلة لغاية وقد حصلت، فلا معنى للاشتغال بالوسيلة بعدها، وقد اشدت نكير السلف من أهل الاستقامة من الشيوخ على هذه الفرقة وحذروا منهم»^(٥).

المصادر والمراجع:

- ١ - «التوسل أنواعه وأحكامه»، للألباني.
- ٢ - «التوسل المشروع والممنوع»، لعبد الله المعتق [بحث منشور].
- ٣ - «التوصل إلى حقيقة التوسل»، للرفاعي.
- ٤ - «درء التعارض» (ج ٣)، لابن تيمية.

(٤) درء التعارض (٣/ ٢٧١).

(٥) مدارج السالكين (٣/ ١١٦).

إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»^(١). وهذه الوسيلة للنبي ﷺ خاصة^(٢).

مذهب المخالفين:

المخالفون هم ملاحدة الباطنية الذين لا يوجبون العمل بالشرائع على من وصل إلى حقيقة العلم، وضلال المتصوفة الذين ظنوا أن غاية العبادات هو حصول المعرفة، فإذا حصلت سقطت العبادات عنهم، وكذا كل من وافقهم^(٣). قال شيخ الإسلام مبيناً فساد مذهبهم، وحكمهم: «فالمقصود من هذا أن الصلوات الخمس لا تسقط عن أحد له عقل، سواء كان كبيراً أو صالحاً أو عالمًا، وما يظنه طوائف من جهال العبادة وأتباعهم، وجهال النظر وأتباعهم، وجهال الإسماعيلية والنصيرية، وإن كانوا كلهم جهالاً - من سقوطها عن العارفين أو الواصلين أو أهل الحضرة، أو عمّن خرقت لهم العادات أو عن الأئمة الإسماعيلية أو بعض أتباعهم، أو عمّن عرف العلوم العقلية، أو عن المتكلم الماهر في النظر أو الفيلسوف الكامل في الفلسفة، فكل ذلك باطل

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٢٠٠).

(٣) انظر: درء التعارض (٣/ ٢٧٠ - ٢٧٤)، ومدارج

السالكين (٣/ ١١٦).

- ٥ - «قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.
- ٦ - «مجموع الفتاوى» (ج ١)، لابن تيمية.
- ٧ - «تلخيص كتاب الاستغاثة»، لابن كثير.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي العموم والخصوص، فإن الوعد الشرعي مختص بالخير، أما الوعد اللغوي فيكون بالخير والشر.

وصول ثواب الأعمال

يراجع مصطلح (انتفاع الميت بسعي الحي).

الأسماء الأخرى:

يطلق على الوعد: نصوص الوعد، أهل الوعد، إنفاذ الوعد.

الحكم:

يجب الإيمان بجميع موعودات الله ﷻ ووعدته لأهل طاعته ولأهل الإيمان به، فلا أصدق منه حديثاً ولا أصدق منه قيلاً، وهو ذو الجود والكرم والرحمة والإحسان.

أقوال أهل العلم:

قال يحيى بن معاذ: «الوعد والوعيد حق. فالوعد حق العباد على الله، ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من الله. الوعيد حقه على العباد، قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم، ففعلوا فإن شاء عفا، وإن شاء أخذ لأنه حقه وأولاهما برنا تبارك وتعالى العفو

الوعد

التعريف لغةً:

الواو والعين والdal: كلمة صحيحة تدلُّ على تَرْجِيَةٍ بِقَوْلٍ. يقال: وَعَدْتُهُ أَعِدُّهُ وَعَدًّا. ويقال: وَعَدَهُ الْأَمْرَ وَبِهِ يَعِدُ عِدَّةً وَوَعْدًا وَمَوْعِدًا وَمَوْعِدَةً وَمَوْعِدًا وَمَوْعِدَةً، ويكون ذلك بخيرٍ وشرٍّ. فأما الْوَعِيدُ فلا يكون إلا بشرٍّ. يقولون: أَوْعَدْتُهُ بِكَذَا. فإذا أُسْقِطَ قِيلَ فِي الْخَيْرِ: وَعَدَ، وَفِي الشَّرِّ: أَوْعَدَ وَقَالُوا: أَوْعَدَ بِالْخَيْرِ وَبِالشَّرِّ، وَالْمَوْاعِدَةُ مِنَ الْمِيعَادِ. وَالْعِدَّةُ: الْوَعْدُ، وَجَمْعُهَا عِدَاتٌ: وَالْوَعْدُ لَا يَجْمَعُ^(١).

التعريف شرعاً:

الوعد: هو كل نص ورد فيه الوعد

(١) مقاييس اللغة (٦/٩٥) [اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ]، القاموس المحيط (٤١٦).

(٢) التذكرة للقرطبي (٢٢٧) [دار الفكر].

والكرم إنه غفور رحيم»^(١).

الاقسام:

كل من نظر في القرآن الكريم والسنة المطهرة يتبين له أن وعد الله ﷻ لأهل طاعته ثلاثة أقسام:

الأول: الوعد العام لأهل الإيمان والطاعة؛ بالرحمة والمغفرة والرضوان، ومن النصوص الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْثِقُوا بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥]، وأصحاب هذا الوعد هم كل من اتصف بالصفات المذكورة في الآيات على تفاوت في مراتبهم، ويجمعهم مرتبتان من المراتب التي صنف الله ﷻ إليها المصطفين من عباده في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر] وهما مرتبة: السابق بالخيرات، ومرتبة: المقتصد، أما الظالم لنفسه فهو من أهل الوعد في الجملة، ولكن قد يعذب على قدر ذنوبه وقد يعفى عنه، ولكنه لا يخلد في النار.

وقال ابن أبي زمنين المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن قول أهل السنة أن الوعد فضل الله ﷻ ونعمته، والوعيد عدله وعقوبته، وأنه جعل الجنة دار المطيعين بلا استثناء، وجهنم دار الكافرين بلا استثناء، وأرجى لمشيئته من المؤمنين العاصين من شاء، والله يحكم لا معقب لحكمه ولا يسأل عن فعله، وقال عز من قائل فيما وعد به المؤمنين المطيعين: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء]»^(٢).

وقال العمراني اليماني الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن من وعد الله ﷻ ثواباً على عمل عمله بفضل من الله ونعمة، ولا يوصف الله بأنه يخلف وعده، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران]، ومن أوعده عذاباً على ذنب أذنبه فإن الوعيد حق له وترك الوفاء بالوعد كرم وجود، وربنا موصوف بالجود والكرم، وكيف لا يحسن من الله العفو عن الذنب وقد أمرنا به وحضنا عليه ومدح فاعله»^(٣).

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٧٤) [دار الراية، ط ٢].

(٢) أصول السنة لابن أبي زَمِين (٢٥٦) [مكتبة الغرياء، المدينة، ١٤١٥هـ].

(٣) الانتصار في الرد على المعتزلة القدريّة الأشرار ليحيى العمراني (٣/ ٣٧٦) [أضواء السلف، الرياض، ١٤١٥هـ].

الثالث: الوعد الخاص على أعمال معينة من أتى بها استحق كذا، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة] ونحوها.

فهذا القسم من الوعد لأهل الإسلام ينقسم أهله إلى قسمين:

الأول: الذين أتوا به وهم مستقيمون على ما سواه من أوامر الشرع ومجتنبون للكبائر، فهؤلاء هم الموعودون بذلك والمستحقون على الله وَعَلَى تفضلاً منه وكرماً ما وعدهم به، وهم داخلون تحت قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن] وغيرها من الآيات.

الثاني: الذين أتوا بهذه الأعمال وهم فيما سواها مقصرون، من ترك للواجبات أو وقوع في المحرمات، فهذا الصنف مستحق لوعد الله وَعَلَى فيما وعدهم به؛ فإن الله لا يخلف وعده، ولكن قد يُعاقبهم بذنوبهم ثم يُعطيهم ما وعدهم

الثاني: الوعد الخاص المتعلق بأشخاص معينين لصفاتهم وأحوالهم، وذلك مثل أنبياء الله ورسله وَعَلَى، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالضَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجِبِينَ﴾ [مريم: ٥٨]، ويدخل في ذلك المعينون بأوصاف خاصة كصحابة رسول الله وَعَلَى وأزواجه كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا أَمْرًا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم].

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِهِمْ وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخُسْفَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد].

وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه» فبايعناه على ذلك^(٣)، وقد استدل به على ذلك أيوب السخيتاني رحمته الله، فقد روى ابن بطة رحمته الله عن سلام بن أبي مطيع قال: «شهدت أيوب وعنده رجل من المرجئة، فجعل يقول: إنما هو الكفر والإيمان قال: وأيوب ساكت، قال: فأقبل عليه أيوب فقال: أرايت قوله: ﴿وَأَخْرُوتَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾»^(٤).

فهذا الصنف ممن وقعوا في الكبائر ولم يتوبوا قبل الموت تحت المشيئة وهم المقصودون في كلام أهل العلم بأصحاب الكبائر أو الفاسق الملي، وهم باتفاق أهل السنة تحت المشيئة، فيما أن يعفو الله عنهم وإما أن يعذبهم بقدر ذنوبهم، وإذا دخلوا النار فهم لا

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ١٨)، ومسلم (كتاب الحدود، رقم ١٧٠٩).

(٤) الإبانة لابن بطة (٢/٧٥٤) رقم (١٠٥٢) [دار الراية الرياض].

به، وقد يعفو عنهم ويعطيهم ما وعدهم به، وقد يذهب ما وعدوا به لغرمائهم كما في حديث المفلس^(١)، وهذا الصنف أصحابه يدخلون تحت قول الله تعالى: ﴿وَأَخْرُوتَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة]، فهذه الآية وإن كان سبب نزولها الثلاثة الذين خَلَفُوا في غزوة تبوك^(٢)، إلا أنها قاعدة لعموم أهل الذنوب بأن من مات ولم يتب فأمره إلى الله تعالى، وهو تحت المشيئة كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وكما قال رحمته الله في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم

(١) وهو حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أندرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه، ثم طرح في النار». أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٨١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/٤٦٧) فقد رواه عن قتادة رحمته الله وغيره.

ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتْ
عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ
ذَهَبٍ وَّلُؤْلُؤًا وَّلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا
لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَهْلَنَا دَارَ الْمُقَامَةِ
مِنْ فَضْلِهِ لَا يَسْتَأْذِنُ فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا
فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ [فاطر]

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال
في هذه الآية: «هم أمة محمد ﷺ،
ورَّثهم الله كل كتاب أنزله؛ فظالمهم يغفر
له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا،
وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب»^(٢)،
وجاء نحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه^(٣).

المسائل المتعلقة:

- نصوص الوعد:

سبق بيان أن نصوص الوعد على
أقسام، والمقصود هنا بالمسألة هو
نصوص الوعد التي جاءت على بعض
الأعمال وتشعر أنها كافية في حصول
النجاة والفلاح لمن التزم مضمون الوعد
المعين، وقد تتعارض تلك النصوص في
ظاهرها مع نصوص أخرى، وهي كلها
نصوص صحيحة، ومن تلك النصوص:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ
قال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦٨/١٩) [دار هجر،
ط١]، وسنده حسن.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦٨/١٩) [دار هجر،
ط١]، وسنده ضعيف.

يخلدون فيها وإنما يخرجون منها بعد أن
يُمَحَّصُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ. كما دل على ذلك
قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ
بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:
٤٨]، وكذلك حديث عبادة بن الصامت،
وكذلك أحاديث الشفاعة كحديث أنس بن
مالك رضي الله عنه، ومما جاء فيه قوله ﷺ بعد
أن يؤذن له ﷺ بالشفاعة: «فأقول: يا
رب، أُمِّتِي أُمِّتِي، فيقول: انطلق فأخرج
منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من
إيمان، فأنتطلق فأفعل»^(١) ونحوها من
الأحاديث.

فهؤلاء أصناف أهل الوعد، وهذا
حالهم بالنسبة لِعِدَاتِ اللَّهِ ﻋَزَّ وَجَلَّ.

المراتب:

أهل الوعد على مراتب ثلاث، هي:

- ١ - السابقون بالخيرات، وهم
المقربون.
- ٢ - المقتصدون، وهم أصحاب
اليمين.
- ٣ - الظالمون لأنفسهم، وهم العصاة
من أهل الإسلام.

وقد جاء ذكر هذه المراتب في قوله
تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا
مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ
مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ اللَّهُ

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥١٠)،
ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٣).

رعيّة، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة»^(٧)

وحديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حقَّ امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة»، فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: «وإن قضيباً من أراك»^(٨)، ونحوها من الأحاديث.

وتلك الروايات في الوعد تتعارض مع الأمر بالتزام الفرائض والواجبات الدينية إذ أنها لم يرد فيها سوى تعليق الفلاح بعمل من الأعمال الواجبة كالشهادتين ونحوها قال ابن خزيمة رحمته الله: «وبيقين يعلم كل عالم من أهل الإسلام أن النبي ﷺ لم يرد بهذه الأخبار أن من قال: لا إله إلا الله أو زاد مع شهادة أن لا إله إلا الله شهادة أن محمداً رسول الله، ولم يؤمن بأحد من الأنبياء، غير محمد ﷺ ولا آمن بشيء من كتاب الله، ولا بجنة ولا نار، ولا بعث ولا حساب أنه من أهل الجنة، لا يعذب بالنار، ولئن جاز للمرجئة الاحتجاج بهذه الأخبار، وإن كانت هذه الأخبار ظاهرها خلاف أصلهم، وخلاف كتاب الله وخلاف سنن النبي ﷺ، جاز

(٧) أخرجه البخاري (كتاب الأحكام، ٧١٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٢) واللفظ له.
(٨) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٣٧).

رسول الله، لا يلقي الله بهما عبد غير شاكّ فيهما، إلا دخل الجنة»^(١).

وحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة»^(٢)

وحديث عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فيدخل النار، أو تطعمه»^(٣).

فهذه النصوص وأمثالها قد يظن ظان أنها تتعارض مع نصوص الوعيد التي وردت على بعض الأعمال مثل حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قاطع»^(٤).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»^(٥).

وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»^(٦).

وحديث معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من عبد يسترعيه الله

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٦).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٩٨٤)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٥٦).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٦).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩١).

٤ - أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتضى لذلك، ولكن المقتضى لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، وقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع، وبهذا قال الحسن، فعن الحسن بن عميرة قال: قيل للحسن: «إن ناسًا يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة. قال: من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها، دخل الجنة». وقيل لوهب بن منبه: ليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: نعم، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فمن جاء به بأسنانه فتح، وإلا لم يفتح»^(٤).

وهذا ظاهر كلام القاضي عياض، وما رجّحه النووي وابن تيمية وابن القيم وابن رجب وابن حجر، وكثير من الأئمة، وهو أنه لا بد مع (لا إله إلا الله) من عمل الصالحات وتجنب الكبائر، الذي هو تحقيق لمعناها ومقتضاها، ودليل على الصدق فيها، ومن فرط في ذلك فأمره إلى الله ﷻ إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه، وإن عاقبه بالنار فإنه لا يخلد فيها وإنما مآله إلى الجنة^(٥).

للجهمية الاحتجاج بأخبار رويت عن النبي ﷺ إذا تؤلّت على ظاهرها^(١).

وأهل العلم لهم عدة أجوبة عن ذلك بعد اتفاقهم على أن النجاة متحققة بفضل الله لمن كان من أهل المرتبتين السابق ذكرهما في مراتب أهل الوعد، أما من عداهما ممن خلطوا ووقعوا في الكبائر أو التفريط بالواجبات وأتوا ببعض الأعمال الواردة في أحاديث الوعد فلا أهل العلم أجوبة عديدة في بيان معنى الأحاديث، وهي:

١ - أن هذه الفضيلة في تلك الأحاديث هي لمن قالها عند الندم والتوبة، ومات على ذلك، وبهذا قال البخاري. وابن خزيمة^(٢).

٢ - أن المراد بدخول الجنة في هذه الأحاديث هو دخولها بعد مجازاته بما يستحق من العقوبة إن لم يغفر الله له^(٣).

٣ - أن المراد من تحريم دخول النار؛ أي: عدم دخول النار؛ أي: النار التي أعدت للكافرين التي من دخلها لا يخرج منها، بخلاف النار التي يدخلها عصاة الموحدين ممن شاء الله عقابه.

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/٨١٥) [مكتبة الرشد، الرياض ط ٥، ١٤١٤هـ].

(٢) انظر: كلام البخاري في كتاب اللباس. فتح الباري (١٠/٢٩٥). وانظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/٨٣١).

(٣) انظر شرح النووي على مسلم (١/٢١٩).

(٤) أخرجه عنهما الأصبهاني في الحجة (٢/١٥٨).

(٥) انظر الآثار السابقة وأقوال العلماء في شرح النووي على مسلم (١/٢١٩)، والانتصار في الرد على المعتزلة القدريّة (٣/٧٥٧)، وكلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب (١٤)، وفتح الباري لابن حجر (١/٢٢٦)، ومعارج القبول (١/٣٤٣)، والدين =

✽ مذهب المخالفين:

يخالف أهل السنة في نصوص الوعد طائفتان: **الأولى**: بعض المرجئة، **والثانية**: الوعيدية من الخوارج والمعتزلة **أولاً**: المرجئة:

نصوص الوعد السابق ذكرها مع الفهم الذي فهمه أهل السنة منها، فإنهم جمعوا بين مدلولها وبين مدلول النصوص الشرعية الأخرى، وكذلك ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة؛ من أن أصحاب الكبائر الذين ماتوا ولم يتوبوا من ذنوبهم أنهم تحت المشيئة، قال العمراني رحمته الله: «ومذهب أهل السنة أن الموحدين لا يكفرون بفعل شيء من المعاصي الصغائر والكبائر، وإذا عملوا الكبائر وتابوا لم تضرهم، وإن ماتوا قبل التوبة منها فأمرهم إلى الله إن شاء عذبهم عليها وإن شاء غفرها لهم»^(١).

ويوافقهم في ذلك الأشاعرة والماتريدية وأصحاب أبي حنيفة والذين من قولهم إخراج العمل من مسمى الإيمان، ويقصدون بذلك أن العمل ليس داخلاً في مسمى الإيمان لكنهم يجعلون العمل من واجباته ولوازمه وأن التفريط بالعمل أو ارتكاب الكبائر بدون توبة

= الخالص (٣/ ١٣٧ - ١٤٧)، وتيسير العزيز الحميد (٨٧ - ٩١).

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، للعمراني الشافعي (٣/ ٦٦٦).

منها يعرض فاعل ذلك للعقوبة المنصوص عليها في الشرع، وأنهم تحت المشيئة.

ويخالف في ذلك كله طائفة من المرجئة، يرون أن من أتى بعقد الإسلام فليس فيه وعيد، وأن أهل الإسلام ناجون بعقد الإسلام بدون الحاجة إلى عمل، قال الأشعري وهو يحكي كلام المرجئة في الأخبار إذا وردت من قبل الله سبحانه وظاهرها العموم على سبع فرق: فذكر أربع فرق ثم قال: «وزعمت الفرقة الخامسة من المرجئة أنه ليس في أهل الصلاة وعيد إنما الوعيد في المشركين، قالوا: وقول الله وَلَا يَكْفُرُ بِالْإِسْلَامِ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا [النساء: ٩٣] وما أشبه ذلك من آي الوعيد في المستحلين دون المحرّمين، قالوا: فأما الوعد من الله فهو واجب للمؤمنين، والله وَلَا يَكْفُرُ بِالْإِسْلَامِ لا يخلف وعده، والعفو أولى بالله، والوعد لهم قول الله: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ [الحديد: ١٦]، قُلْ يٰٓعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ [الزمر: ٥٣] وما أشبه ذلك من آي القرآن، وزعم هؤلاء أنه كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع الإيمان عمل ولا يدخل النار أحد من أهل القبلة.

وحكي عن بعض العلماء باللغة أنه قال: من أخبر الله أنه يثيبه أثابه ومن

الإرجاء وهم الذين يُعْمِلُونَ نصوص الوعد ويهملون نصوص الوعيد فيأخذون ببعض الحق ويتركون بعضاً. قال ابن خزيمة رحمته الله بعد أن ذكر نصوص الوعيد وأنه ضل فيها صنفان: «صنف: منهم الخوارج والمعتزلة، أنكرت إخراج أحد من النار ممن يدخل النار، وأنكرت هذه الأخبار التي ذكرناها في الشفاعة، الصنف الثاني: الغالية من المرجئة التي تزعم أن النار حرمت على من قال: لا إله إلا الله، تتأول هذه الأخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه اللفظة على خلاف تأويلها»^(٣).

وقال العمراني رحمته الله: «واحتجت المرجئة... بالأخبار المشهورة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة»^(٤)، وبما روى عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، حرّم على النار»^(٥)»^(٦).

فهؤلاء قد أخذوا بنصوص الوعد فيما

أخبر أنه يعاقبه من أهل القبلة لم يعاقبه ولم يعذبه وذلك يدل على كرمه، وزعم أن العرب كانت تمتدح الوعد والعفو عما توعدت عليه»^(١).

وقال الشهرستاني: اليونسية؛ أصحاب يونس بن عون النميري، زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله، والخضوع له وترك الاستكبار عليه، والمحبة بالقلب. فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن وما سوى ذلك من الطاعة فليس من الإيمان ولا يضر تركها حقيقة الإيمان، ولا يعذب على ذلك إذا كان الإيمان خالصاً، واليقين صادقاً.

وقال: ومن تمكن في قلبه الخضوع لله، والمحبة له على خلوص ويقين لم يخالفه في معصية، وإن صدرت منه معصية فلا تضره بيقينه وإخلاصه، والمؤمن إنما يدخل الجنة بإخلاصه ومحبته، لا بعمله وطاعته.

وحكى الشهرستاني عن عبيد المكتئب الذي تُنسب إليه فرقة العبيدية أنه قال: ما دون الشرك مغفور لا محالة، وإن العبد إذا مات على توحيده لا يضره ما اقترف من الآثام واجترح من السيئات^(٢).

فهذه الفرق من المرجئة هم غلاة أهل

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/١٢٤) [المكتبة المصرية ط١، ١٤٢٦هـ].

(٢) الملل والنحل (١/١٤٠) [مؤسسة الحلبي].

(٣) كتاب التوحيد لأبي بكر ابن خزيمة (٢/٧٦٩).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٦)، وأحمد (٣٦٣/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٢٩٩) وصححه، وصححه الألباني في الإرواء (رقم ٦٨٧). وليس في لفظه: (محمد رسول الله).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٩) بنحوه.

(٦) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، للعمراني الشافعي (٣/٧٥٧).

فهذه ثلاثة أنواع من الأدلة، وتحتها من الأفراد ما لا يحصى إلا بمشقة من كثرتها، بل إن ذلك يتعارض مع رسالة الإسلام ودعوة النبي ﷺ وجهاده، وفيها إبطال للشرع، ولهذا قال بعض أهل العلم: إن المرجئة قد أبطلت الملة والشرع، ومن ذلك قول سفيان: «لقد تركت المرجئة هذا الدين أرق من سابري»^(١)، وقال إبراهيم النخعي: «تركت المرجئة الدين أرق من ثوب سابري»^(٢)، وقال أيضًا: «المرجئة أخوف عندي على أهل الإسلام من عدلهم من الأزارقة»^(٣)؛ وذلك أن هذا الفهم والمعتقد يخالف أصل الإسلام ودعوة الرسول ﷺ. قال ابن الجوزي رحمه الله: «وقالت المرجئة: إن من أقر بالشهادتين وأتى بكل المعاصي لم يدخل النار أصلاً، وخالفوا الأحاديث الصحاح في إخراج الموحدين من النار. قال ابن عقيل: ما أشبه أن يكون واضع الإرجاء زنديقاً؛ فإن صلاح العالم بإثبات الوعيد واعتقاد الجزاء، فالمرجئة لما لم يمكنهم جحد الصانع لما فيه من نفور الناس ومخالفة العقل أسقطوا فائدة الإثبات،

يتعلق بحكم أصحاب الكبائر في الآخرة وزعموا أن أهل القبلة لا وعيد فيهم، وقولهم مردود بثلاثة أنواع من الأدلة:

الأول: نصوص الشرع الموجبة للأوامر الشرعية كالصلاة والزكاة وسائر أركان الإسلام، والمهددة لمن تركها أو تهاون فيها، ومنها قول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۚ﴾ [الماعون]، وقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

الثاني: النصوص الشرعية الناهية عن ارتكاب ما حرم الله ﷻ ومعصيته ومعصية رسوله ﷺ، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ﴾ [الجن].

الثالث: النصوص الشرعية التي ورد فيها ذكر عذاب خاص على بعض الأعمال وهي كثيرة، ومنها قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَتِهِمْ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۖ﴾ [النساء]، وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۖ﴾ [النساء].

(١) السَّابِرِيُّ: ثياب رقائق. لسان العرب (٤/٣٤٠).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٣٣/٧) [السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ].

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/١٠٦١) رقم (١٨٠٧) [دار طيبة، ط ٨، ١٤٢٣هـ].

(٤) الإبانة لابن بطة (٢/٨٨٩) رقم (١٢٣٣).

وهي الخشية والمراقبة، وهدموا سياسة الشرع، فهم شر طائفة على الإسلام^(١). التهّد.

الثانية: الوعيدية الخوارج والمعتزلة، هم القائلون بإنفاذ الوعيد على أهل الإسلام، فمن ارتكب ذنباً من الكبائر ومات بدون توبة فإنه مخلد في نار جهنم.

المصادر والمراجع:

١ - «الإيمان» لابن تيمية.

٢ - «تفسير الطبري».

٣ - «كتاب التوحيد»، لابن خزيمة.

٤ - «مقالات الإسلاميين»،

للأشعري.

٥ - «الملل والنحل»، للشهرستاني.

٦ - «الإبانة»، لابن بطة.

٧ - «الانتصار في الرد على المعتزلة

القدرية الأشرار»، للعمراني الشافعي.

٨ - «الدر النقي شرح ألفاظ

الخرقي»، ليوسف بن عبد الهادي.

٩ - «روح المعاني»، للآلوسي.

١٠ - «الوعيد الأخروي»، لعيسى

السعدي.

ترجية بقول. والوعيد والتوعد: بمعنى التهّد.

والوعد أعم من الوعيد، فالوعد قد يطلق في الخير والشر، فيقال: وعدت الرجل خيراً وشرّاً، وإن كان الغالب استخدامه في الخير. أما الوعيد فهو في الشر، يقال: أوعدت الرجل، ومنه قول كعب بن زهير رضي الله عنه في قصيدته المشهورة (بانت سعاد):

نَبِئْتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي

وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ

قال ابن سيده: «وفي الخير: الوعدُ والعدّة، وفي الشر: الإيعاد والوعيد».

وأنشدوا لعامر بن الطفيل:

وإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتَهُ أَوْ وَعَدْتَهُ

لَأُخْلِفَ إِيْعَادِي وَأَنْجِزَ مَوْعِدِي^(٢)

وقد جاء في القرآن: الوعد المطلق بمعنى الوعيد، حيث قال تعالى: ﴿وَسَتَجْلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: ٤٧].

التعريف شرعاً:

الوعيد: هو كل وعد بالعقوبة على

الوعيد

التعريف لغةً:

الوعيد: أصل مادتها الواو والعين والذال، وهي كلمة صحيحة تدل على

(٢) انظر: مقاييس اللغة (١٢٥/٦)، والدر النقي لابن عبد الهادي (٥٧٣/٢) [محقق في رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى]، ولسان العرب (٤٦٣/٣)، والقول السديد في خلف الوعيد لملا علي قاري (١٩) [دار الصحابة، ط ١، ١٤١٢هـ]، وروح المعاني للآلوسي (٤٠/٣/٢) [دار الفكر، ١٤٠٨هـ].

(١) تليس إبليس (٧٦) [دار الفكر، ط ١، ١٤٢١هـ].

عمل من الأعمال سواء كانت عقوبة دنيوية أو أخروية.

✽ الأسماء الأخرى:

تسمى المسألة: إنفاذ الوعيد، الفاسق الملي، حكم أصحاب الكبائر.

✽ الأقسام:

إن الناظر في النصوص يجد أن الوعيد لأهل المعاصي على نوعين:

النوع الأول: وعيد عام مطلق، وهذا النوع من الوعيد هو وعيد الله ﷻ لأهل معصيته من الكفار والمشركين بالعذاب الدنيوي والأخروي، وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يُؤِيدُونَ] [٣٦] يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة].

اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَسَىٰ إِسْرَءِيلَ اْعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ [المائدة]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [٣٦] وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَحَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [٣٧] [فاطر]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [١١٦] خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ [٩] إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِّلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ [٩١] [آل عمران].

النوع الثاني: الوعيد على أعمال

معينة دون الشرك والكفر، وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَتِهِمْ ظُلْمًا إِثْمًا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ مُّؤْمِنًا مَّتَّعِمًا

وهذا الوعيد المتعلق بالكفار نافذ فيهم بسبب كفرهم؛ لأن النصوص صريحة بإنفاذ ذلك فيهم، ومنها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ

شاء الله، ثم يخرج منها، دون أن يضيفوا ذلك إلى شخص معين من أهل الكبائر، وهؤلاء إذا دخلوا النار فإنهم لا يخلدون فيها أبدًا، بل يمكثون ما شاء الله، ثم يخرجون منها.

ثالثًا: كما يقطع أهل السنة أن من أهل الكبائر من لا يدخل النار، بل يعفو الله عنهم^(٢) بأسباب، من الشفاعة، أو المصائب المكفرة، أو رحمة أرحم الراحمين أو غير ذلك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «أهل السنة والجماعة لا يوجبون العذاب في حق كل من أتى كبيرة، ولا يشهدون لمسلم بعينه بالنار

فَجَزَّأُوهُ، جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٦﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ [البقرة]، وهذا النوع من الوعيد إن كان صاحبه من الكفار ومات على كفره فإن الوعيد نافذ فيه، أما إن كان من أهل التوحيد والإسلام فهو تحت المشيئة إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عاقبه، وسيأتي مزيد إيضاح لذلك عند الحديث عن نصوص الوعيد.

الحكم:

مذهب أهل السنة في الوعيد يتحصّل

بما يلي:

أولًا: تحقق وعيد الكفار وإنفاذه، فقد وقع اتفاق المسلمين على إنفاذه، فلا يجوز خلف الوعيد في حق الكفار إجماعًا^(١).

ثانيًا: وأما وعيد الفساق (أصحاب الكبائر من المسلمين)، فإن أهل السنة يقطعون بإنفاذ الوعيد في حقهم في الجملة؛ أي: يقطعون بأن من أصحاب الكبائر من المسلمين من يدخل النار ما

(١) انظر: القول السديد في خلف الوعيد، لملا علي قاري (٢٤، ٢٨).

(٢) ويذكر في هذه النقطة ما أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما من القطع بإنفاذ وعيد القتل العمد العدوان، ووافقه على ذلك جماعة من السلف، كزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد بن عمير. انظر: تفسير ابن كثير (٥٣٦/١)، فتح الباري لابن حجر (٤٩٦/٨).

ومع أن قول الجماهير من أهل السنة على خلاف ذلك، وأن للقاتل توبة، إلا أنه مما يلزم الإشارة إليه أن هؤلاء الذين قطعوا بإنفاذ الوعيد في حق القاتل العمد ليسوا موافقين للوعيدية من الخوارج في قولهم، فإن هذا الفريق من أهل السنة لا يقول بخلود القاتل في النار، بل يجزمون بخروج من دخل النار من الموحدين، لتواتر الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بخروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فإن «النزاع في التوبة غير النزاع في التخليد، وذلك أن القتل يتعلق به حق آدمي، فلهذا حصل فيه النزاع» مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٢٢/٧، ٢٢٣)، وانظر: مدارج السالكين (٣٩٤/١) [دار الكتاب العربي، ٢٤]، وتفسير ابن كثير (٥٣٧/١) [مكتبة دار التراث]، والوعد الأخروي (٥٣١/٢، ٥٣٢) [دار عالم الفوائد، ط١].

حتى سمعنا من فيّ نبينا ﷺ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] قال: «إني أخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة»، فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا^(٣)، وفي رواية قال: «ثم نطقنا بعد ورجونا»^(٤).

الأدلة:

وحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه» فبايعناه على ذلك^(٥).

[المكتب الإسلامي، ط١]، وجوّد إسناده الألباني في ظلال الجنة.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٩٨/٢) [المكتب الإسلامي، ط١]، والبزار (١٨٦/١٢) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، وغيرهما، وحسنه الألباني في ظلال الجنة.

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٨٥/١٠) [دار المأمون، ط١]، وابن الضريس في فضائل القرآن (٢٨) [دار الفكر، ط١]، وقال الهيثمي في المجمع (٥/٧) [مكتبة القدسي]: رجاله رجال الصحيح، غير حرب بن سريج، وهو ثقة. وصححه سننه السيوطي في الدر المنثور (٥٥٧/٢) [دار الفكر].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ١٨)، ومسلم =

لأجل كبيرة واحدة عملها، بل يجوز عندهم أن صاحب الكبيرة يدخله الله الجنة بلا عذاب، إما لحسنات تمحو كبيرته منه، أو من غيره، وإما لمصائب كفرتها عنه، وإما لدعاء مستجاب منه أو من غيره فيه، وإما لغير ذلك^(١).

سبق ذكر الأدلة على الوعيد للكفار، وكذلك بعض النصوص الدالة على الوعيد على أعمال معينة، ويدخل فيها من وقع في ذلك من المسلمين، وسبق بيان أن وعيد الكفار نافذ فيهم، أما أهل الإسلام والتوحيد فإن قول أهل السنة أنهم تحت المشيئة، وسنذكر الأدلة على ذلك، ومنها:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. قال ابن عمر رضي الله عنه عن هذه الآية: «كنا نوجب لأهل الكبائر النار حتى نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾» [النساء: ٤٨]، فنهانا رسول الله ﷺ أن نوجب لأحد من أهل الدين النار^(٢). وعنه أيضاً قال: «ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٨٠/١٢) (١٩/١٦). وينظر: القول السديد في خلف الوعيد لملا علي قاري (٣٣).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٧١/٢)، (٤٧٢)

لا إله إلا الله، وأتني رسول الله، فيدخل النار، أو تطعمه»^(٥).

فهذه النصوص بمجموعها استدلت بها أهل السنة على أن مرتكب الكبيرة من أهل الإسلام، إذا مات ولم يتب فهو تحت المشيئة، فإن شاء الله عاقبه، وإن شاء عفا عنه، والخلود في النار مدفوع عنه بالتوحيد، فإن دخل النار فإنه لا يخلد فيها، ولا بد أن يخرج منها برحمة الله ﷻ، ولا يخلد في النار إلا الكفار. قال السفاريني: «فدل الكتاب والسنة واتفاق الفرق الناجية على أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد»^(٦). وقال ابن بطال: «أجمع الفقهاء وأهل السنة أن من قتل نفسه لا يخرج بذلك من الإسلام، وأنه يصلى عليه وإثمه عليه ويدفن في مقابر المسلمين»^(٧).

كما ذكر أهل العلم أن الوعيد الوارد على بعض الكبائر له موانع تمنع من إنفاذه، ومنها^(٨):

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٣).

(٦) لوامع الأنوار البهية (١/٣٧٠).

(٧) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٠/١٣٨) [دار النوادر، دمشق، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٨) انظر: منهاج السنة (٦/٢٠٥ - ٢٣٩)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٤٨٧ - ٥٠١)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٣٦٧ - ٣٧١)، ومدارج السالكين (١/٣٩٦، ٣٩٧)، والوعيد الأخروي (٢/٥٣٤).

وكذلك النصوص التي تدل على إخراج أهل التوحيد من النار، كأحاديث الشفاعة ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه: «فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأطلق فأفعل»^(١)، وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير»^(٢).

وكذلك إذا قوبلت بأحاديث الوعد كحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما، إلا دخل الجنة»^(٣).

وحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة»^(٤).

وحديث عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يشهد أحد أن

= (كتاب الحدود، رقم ١٧٠٩).

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥١٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٣).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٧).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٦).

- ١ - التوبة، وهي أمر متفق عليه بين المسلمين، حتى الوعيدية منهم.
- ٢ - قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].
- وقال تعالى: ﴿إِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].
- والتوبة تمحو جميع السيئات، وليس شيء يغفر جميع الذنوب إلا التوبة، فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. وأما التوبة فإنه قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر]، وهذه لمن تاب.
- ٣ - الأعمال الصالحة، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]. وأعظم الأعمال الصالحة: توحيد الله، كما في الصحيح: «لن يوافي عبد يوم القيامة، يقول: لا إله إلا الله، يتغني به وجه الله، إلا حرم الله عليه النار»^(١).
- ٤ - دعاء النبي ﷺ واستغفاره في حياته وبعد مماته كشفاعته يوم القيامة، وكذا شفاعته غير النبي ﷺ من المؤمنين.
- ٥ - دعاء المؤمنين لصاحب الإثم واستغفارهم له.
- ٦ - ما يفعل بعد الموت من عمل صالح يهدي له، مثل من يتصدق عنه ويحج عنه ويصوم عنه، قال النبي ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٢).
- ٧ - المصائب الدنيوية التي يكفر الله بها الخطايا، كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «ما يصيب المؤمن من وصب، ولا نصب، ولا سقم، ولا حزن حتى ألهم يهمله، إلا كفر به من سيئاته»^(٣).
- ٨ - إقامة الحدود في الدنيا. ودل على ذلك حديث عبادة بن الصامت السابق، وفيه: «ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»^(٤).
- ٩ - ما يبتلى به المؤمن في قبره من الضغطة وفتنة الملكين.
- ١٠ - ما يحصل له في الآخرة من كرب أهوال يوم القيامة.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الهبات، رقم ١٦٣١).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٧٣).

(٤) تقدم تخريجه.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤٢٣).

وهذا يدل على أن المغفرة المعلقة بالمشيئة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، هي مغفرة لذنوب دون الشرك لم يتب منها صاحبها، إن شاء الله غفرها وإن شاء لم يغفرها، وعلى هذا المعنى اتفق سلف الأمة وسائر أهل السنة^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال يحيى بن معاذ: «الوعد والوعيد حق. فالوعد حق العباد على الله، ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا، ومن أولى بالوفاء من الله. الوعيد حقه على العباد، قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم، ففعلوا فإن شاء عفا، وإن شاء أخذ؛ لأنه حقه، وأولاهما بربنا تبارك وتعالى العفو والكرم إنه غفور رحيم»^(٣).

قال ابن أبي زمنين: «ومن قول أهل السنة أن الوعد فضل الله ﷻ ونعمته، والوعيد عدله وعقوبته، وأنه جعل الجنة دار المطيعين بلا استثناء، وجهنم دار الكافرين بلا استثناء، وأرجى لمشيئته من المؤمنين العاصين من شاء، والله يحكم لا معقب لحكمه ولا يسأل عن فعله... فوعده تبارك وتعالى للمؤمنين

١١ - ما ثبت في الصحيح أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة^(١).

١٢ - رحمة الله تعالى وعفوه عن الذنوب، دون ذنب الشرك، بلا سبب من العباد، كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، والمراد بهذه الآية من لم يتب من الذنب؛ لأن التوبة سبب لمغفرة الذنوب جميعاً، حتى الشرك، فالتائب لا فرق في حقه بين الشرك وغيره، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخَلَّدْ فِيهِ مُهْكًا ۖ﴾ [٦٩] إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ﴾ [الفرقان]، وعلى التوبة حمل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر].

فمغفرة الذنوب جميعاً بالتوبة أمر لم يعلقه الله تعالى بالمشيئة في النصوص،

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/٤٧٥) (٧/٤٨٤، ٤٨٥)، ومدارج السالكين (١/٣٩٤)، وشرح الطحاوية (٤١٩).

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/٧٤) [دار الراية].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٥).

[النساء]، وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»^(٣)، وحديث معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاشٍ لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة»^(٤). ومثلها الأحاديث التي وردت تنفي الإيمان عن فاعل بعض المعاصي وكذلك الأحاديث التي تنفي أن يكون من النبي ﷺ كحديث عُبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ليس منا من ضرب الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»^(٥).

فهذه الأحاديث يؤمن بها أهل السُّنَّة ويقولون: إن معناها يجب أن يتوافق مع سائر النصوص الأخرى الشرعية، والتي دلت على أن الله ﻋَظِيمٌ قد يعفو عن أهل التوحيد، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. قال ابن عمر رضي الله عنهما عن هذه الآية: «كنا نوجب لأهل الكبائر النار حتى نزلت هذه الآية على النبي ﷺ»: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ

المطيعين صدق، ووعيده للكفار والمشركين حق، ومن مات من المؤمنين مصرًّا على ذنبه فهو في مشيئته وخياره»^(١).

وقال يحيى العمراني الشافعي: «ومن أوعده عذابًا على ذنب أذنبه، فإن الوعيد حق له، وترك الوفاء بالوعيد كرم وجود، وربنا موصوف بالجود والكرم، وكيف لا يحسن من الله العفو عن الذنب وقد أمرنا به وحضنا عليه ومدح فاعله»^(٢).

✽ المسائل المتعلقة:

نصوص الوعيد: نصوص الوعيد الواردة في الشرع لأهل المعاصي سبق بيان أنها على نوعين:

الأول: متعلق بوعيد الكفار، وهذا نافذ فيهم وعقوبتهم به محققة لا محالة لكل من مات كافرًا أو مشرِّكًا، وليس بين أهل العلم خلاف في هذا.

الثاني: وهي مجال الحديث هنا، وهي نصوص الوعيد التي ذكرت على أعمال قد يفعلها أناس من أهل الإسلام، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتِنِ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(١).

(١) أصول السُّنَّة لابن أبي زَمِين (٢٥٦) [مكتبة الغرباء، المدينة، السعودية ط١، ١٤١٥هـ].

(٢) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للعمراني اليمني الشافعي (٣/٣٧٦) [أضواء السلف، ط١].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩١).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الأحكام، ٧١٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٢) واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٩٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٠٣).

وَيَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴿٤٨﴾ [النساء: ٤٨]، فنهانا رسول الله ﷺ أن نوجب لأحد من أهل الدين النار»^(١). وعنه أيضًا قال: «ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من فيّ نبينا ﷺ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] قال: «إني أخرجت شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي يوم القيامة»، فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا»^(٢)، وفي رواية قال: «ثم نطقنا بعد ورجونا»^(٣).

وحديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه» فبايعناه على ذلك»^(٤).

وكذلك النصوص التي تدل على إخراج أهل التوحيد من النار، كأحاديث الشفاعة، ومنها حديث أنس بن

مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومما جاء فيه قوله ﷺ بعد أن يؤذن له ﷺ بالشفاعة: «أقول: يا رب، أمّتي أمّتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل»^(٥). وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن بُرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير»^(٦).

وكذلك إذا قوبلت بأحاديث الوعد كحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما، إلا دخل الجنة»^(٧).

وحديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات وهو يعلم أنّه لا إله إلا الله، دخل الجنة»^(٨).

وحديث عتب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فيدخل النار، أو تطعمه»^(٩).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) تقدم تخريجه.

(٨) تقدم تخريجه.

(٩) تقدم تخريجه.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

حسانات عظيمة تمحو عقوبة ذلك المحرم، وقد يتلى بمصائب تكفر عنه، وقد يشفع فيه شفيع مطاع. وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولكن لم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذر الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان، سواء كان في المسائل النظرية أو العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ^(٣).

ومن أهل العلم من يقول بعدم جواز إطلاق إخلاف الوعيد، ويصرح بأن الخلف على الله تعالى غير جائز، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ [الرعد]، وقال: ﴿يَسْتَعْلِفُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج]؛ أي: إيعاده بإجماع المفسرين^(٤)، وقال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ﴾ [١٨].

فهذه النصوص بمجموعها استدلت بها أهل السنة على أن مرتكب الكبيرة من أهل الإسلام، إذا مات ولم يتب فهو تحت المشيئة، فإن شاء الله عاقبه، وإن شاء عفا عنه، والخلود في النار مدفوع عنه بالتوحيد، فإن دخل النار فإنه لا يخلد فيها، ولا بد أن يخرج منها برحمة الله ﷻ، ولا يخلد في النار إلا الكفار. قال السفاريني: «فدل الكتاب والسنة واتفاق الفرقة الناجية على أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد»^(١). وقال ابن بطال: «أجمع الفقهاء وأهل السنة أن من قتل نفسه لا يخرج بذلك من الإسلام، وأنه يصلى عليه وإثم عليه ويدفن في مقابر المسلمين»^(٢).

كما أن المعين من أهل التوحيد لا يقطع له بمضمون ذلك الوعيد وإنما يقولون بمضمونه جملة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق، لكن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد، فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار؛ لجواز أن لا يلحقه الوعيد؛ لفوات شرط أو ثبوت مانع، فقد لا يكون التحريم بلغه، وقد يتوب من فعل المحرم وقد تكون له

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٤٦/٢٣) [مجمع

الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ].

(٤) القول السديد في خلف الوعيد (٢٩).

(١) لوامع الأنوار البهية (١/٣٧٠).

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٣٨/١٠) [دار

النوادر، دمشق، ط ١، ١٤٢٩هـ].

يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ [ق.]

وعليه؛ فيقال: الخلف في الوعيد لا يجوز في حق الكافر إجماعاً.

وأما في حق عصاة المسلمين، فلم يطلقوا القول بإخلاف الوعيد، بل صرح بعضهم بعموم امتناعه، ولكن قالوا: إن النص قد أثبت العقوبة للعصاة، ووقوع هذه العقوبة على المعين متوقف على تحقق الشروط، وانتفاء الموانع، فإن العذاب قد يتخلف عن المعين من العصاة لأسباب، وهذه الشروط والموانع قد جاءت في النص، فعدم وقوع العذاب على المعين ليس إخلالاً للوعد، بل هو تحقيق للوعد الوارد في نصوص أخرى، فنصوص الوعيد للفساق مشروطة كلها بعدم العفو.

قال ابن الصلاح: «لا يقع أصلاً شيء من أخباره تعالى على خلاف مخبره، ومن ذلك الوعد، وأما الوعيد فالعفو متطرق إليه، وليس ذلك خُلُفاً في خبره فيه، فإن الوعيد مقيد من حيث المعنى بحالة عدم العفو، فإذا قال: «لأعذبن الظالم» مثلاً فتقديره: إن لم أعف عنه، أو إلى أن أسامحه أو أكرمه عليه، ونحو هذا، وهذا القيد عرف من عادة العرب في إيعاداتها، ومن أخبار الشارع عن ذلك على الجملة والعموم»^(١).

(١) فتاوى ابن الصلاح (١٦٠).

وقال الملا علي قاري في كلامه على آية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]: «عدم تجويز خُلف الوعيد في الكفار لما يلزم منه الخُلف في الأخبار، وهذه العلة بعينها موجودة فيما عدا الشرك، فيتعين أن لا يجوز الخلف فيه أيضاً، إلا أن قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ يفيد التقييد بالمشيئة، فلا يتصور الخلف فيه أيضاً، فإنه تعالى إذا قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وحملناه على ما عدا الكفر، وغفر لبعض عباده من عصاة المؤمنين، وعذب بعضهم، كيف يصح أن يقال: خالف في وعيده، والحال أن وعيده مقيد بالمشيئة، لا يقال: يجوز أن يكون خُلف الوعيد في حق من لم يشأ الله العفو عنه، فإننا نقول: هذا باطل لما طبق عليه أهل السُنَّة من أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن»^(٢).

هذه عموماً تقعيديات أهل السُنَّة في نصوص الوعيد، أما تفصيل أقوالهم في تلك النصوص فهي على النحو التالي:

النصوص التي ورد فيها الوعيد خمسة

(٢) القول السديد في خلف الوعيد (٢٩، ٣٠). وانظر نفس المرجع (٣٣، ٤٠ - ٤٣، ٤٦ - ٥٥)، ومروقة المفاتيح (٣١٢/٥، ٣١٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ]، والوعد الآخرى للسعدي (١/٢٢٨).

أجمعوا على أن المعاصي لا يخرج صاحبها من الدين ولا يكون بها كافراً، خلافاً للخوارج والمعتزلة^(٤).

القول الأول: إن المراد بذلك أن الإيمان يرتفع عنه حال المعصية، ثم إذا أُلِّق وتاب رجع إليه إيمانه، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق.

وممن قال بهذا ابن عباس رضي الله عنه. فقد روي عنه أنه كان يقول لغلمانه: «من أراد منكم الباءة زوجناه، لا يزني منكم زان إلا نزع منه نور الإيمان، فإن شاء أن يرده عليه رده عليه، وإن شاء أن يمنعه منعه»^(٥).

وبه قال أبو هريرة رضي الله عنه أيضاً فقد روي عنه أنه قال: «الإيمان نزه، فمن زنى فارقه الإيمان، فإن لام نفسه وراجع رجع إليه الإيمان»^(٦).

وبه قال عطاء وطاووس والإمام أحمد رحمهم الله^(٧)، ومن قال بهذا القول لا يعني أن إيمان العاصي زال عنه بالكلية بحيث خرج من الدين بالكلية، وإنما

أنواع نذكر كل نوع منها ونبين كلام أهل العلم في معناه:

النوع الأول: نصوص نفت الإيمان عن مرتكبي بعض الذنوب:

هناك نصوص عديدة نفت الإيمان عن فاعل بعض الكبائر ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»^(١)، وعن شريح الخزاعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»^(٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا زنى العبد خرج منه الإيمان، وكان كالظلة، فإذا انقلع منها رجع إليه الإيمان»^(٣).

وقد اختلف العلماء في معنى هذه الأحاديث إلى أقوال عدة، وذلك بعد أن

(١) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٧٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠١٦).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٦٩٠)، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٥٦) وصححه وصححه العراقي أيضاً، كما في فيض القدير (١/ ٣٦٧) [المكتبة التجارية الكبرى، ط ١]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٥٠٩).

(٤) سيأتي ذكر قولهم في أقوال المخالفين.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الإيمان والرؤيا، رقم ٣٠٣٥٢)، والآجري في الشريعة (٢/ ٥٩٦) [دار الوطن، ط ٢].

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنّة (١/ ٣٥١) [دار ابن القيم، ط ١]، والآجري في الشريعة (٢/ ٥٩٦) [دار الوطن، ط ٢].

(٧) السنّة للخلال (٣/ ٦٠٧). وانظر: مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى (٣١٩)، والتمهيد لابن عبد البر (٢٥٥/٩).

تعبيرها^(٣)، قيل: ليس هذا من الشرائط التي أخذها الله على المؤمنين، ولا الأمارات التي يعرف بها أنه الإيمان، فنفت عنهم حينئذ حقيقته ولم يزل عنهم اسمه. فإن قال قائل: كيف يجوز أن يقال: ليس بمؤمن، واسم الإيمان غير زائل عنه؟ قيل: هذا كلام العرب المستفيض عندنا غير المستنكر في إزالة العمل عن عامله إذا كان عمله على غير حقيقته، ألا ترى أنهم يقولون للصانع إذا كان ليس بمحكم لعمله: ما صنعت شيئاً ولا عملت عملاً، وإنما وقع معناها هاهنا على نفي التجويد لا على الصنعة نفسها، فهو عندهم عامل بالاسم وغير عامل في الإتيان^(٤).

وهو قول الإمام أحمد، وأخذ به القاضي أبو يعلى، ورجحه بقوة المروزي، وقال به النووي، وابن عبد البر، وابن تيمية، والسفاريني^(٥).

القول الرابع: إن أحاديث الوعيد كلها تمر كما جاءت ولا تفسر، وأنها على التأكيد والتشديد.

(٣) يقصد بذلك الآيات التي وصف المؤمنين بالصفات الكاملة.

(٤) الإيمان لأبي عبيد (٩٠). وانظر نحوه عند المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٤٠٩/٢ - ٥١٦).

(٥) مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى (٣١٩)، وشرح النووي على مسلم (٤١/٢، ٤٢)، ومجموع الفتاوى (٥٢٤/٧)، والانتصار في الرد على المعتزلة (٣/٧٠١)، والتمهيد لابن عبد البر (٢٤٣/٩)، ولوامع الأنوار البهية (٤١٦/١)، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي (٥٣٥/٢).

المقصود زال عنه نوره الذي يدفعه للخير ويحجز عنه الشر، وبقي له من الإيمان اسم لا يدفع عنه العقوبة يوم القيامة.

قال ابن تيمية في حديث أبي هريرة: «قوله: «خرج منه الإيمان فكان فوق رأسه كالظلة» دليل على أن الإيمان لا يفارقه بالكلية، فإن الظلة تظل صاحبها وهي متعلقة ومرتبطة به نوع ارتباط^(١)».

القول الثاني: إنه بارتكابه للكبائر يخرج من الإيمان إلى الإسلام، وذلك أن الإيمان مرتبة عالية والإسلام دونها، فارتكابه للذنوب ووقوعه في القبائح يتنافى مع الرتبة العالية في الدين، وهي الإيمان، فيخرج منها إلى المرتبة التي دونها وهي الإسلام، ولا يعني ذلك أنه لم يبق في قلبه شيء من الإيمان، وإنما معه إيمان ينجيه من الخلود في النار، وقد قال بهذا أبو جعفر الباقر وهو قول للإمام أحمد^(٢).

القول الثالث: أن المنفي في هذه الأحاديث هو الكمال الواجب الذي يعاقب تاركة، قال أبو عبيد القاسم بن السلام رَحِمَهُ اللهُ: «فكلما خالطت هذه المعاصي هذا الإيمان المنعوت

(١) مجموع الفتاوى (٦٧٠/٧ - ٦٧٦). وانظر: تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٥٧٣/٢).

(٢) انظر: سنن الترمذي (١٦/٥)، تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٥٠٦/٢)، والشرعية للأجري (١١٣)، ومسائل الإيمان لأبي يعلى (٣٢٠)، ومجموع الفتاوى (٢٤٤/٧).

القول السادس: أن المراد به مستحل الزنا وشرب الخمر، وأن المنفي في ذلك هو الإيمان بالكلية^(٤).

فهذه أشهر الأقوال في معنى هذه الأحاديث، وظاهر منها أن الأقوال الأربعة الأولى متقاربة، وهي تؤكد أن الكبيرة والذنوب عمومًا يؤثر على الإيمان، إما بنفي كماله، أو نوره وما يكون به خضوع لهيبة الله وجلاله، أو بإخراجه من دائرة أهل الإيمان إلى مرتبة أدنى في الدين وهي الإسلام، وإما أن يترك اللفظ الشرعي كما ورد ولا يؤول؛ ليكون أبلغ في الزجر، مع اعتقاد أن مرتكب الكبيرة لا يكفر بذلك.

النوع الثاني: النصوص التي ورد فيها وصف مرتكب بعض الذنوب بالكفر:

وردت نصوص تصف مرتكبي بعض الذنوب بالكفر، فمن ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أيا امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه»^(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا ترغبوا عن

وممن روي عنه ذلك الزهري، حيث سئل عن قول النبي ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود» وما أشبهه، فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه فقال: «من الله ﻻ العلم، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم»^(١).

وهو قول للإمام أحمد، وعزاه ابن تيمية إلى عامة علماء السلف أنهم يقرون هذه الأحاديث ويمرونها كما جاءت، ويكرهون أن تتأول تأويلات تخرجها عن مقصود الرسول ﷺ، وكذلك عزا ابن حجر إلى كثير من السلف إطلاق لفظ الأخبار في الوعيد، وعدم التعرض لتأويله ليكون أبلغ في الزجر^(٢).

القول الخامس: قول من يرى أن أحاديث الوعيد عمومًا خرجت مخرج التغليظ والمبالغة في الزجر عن المعاصي، وعزا هذا القول ابن حجر إلى الطيبي، وقد استنكر هذا القول أبو عبيد وقال عنه: أفضح ما تأول على رسول الله ﷺ وأصحابه، أن جعلوا الخبر عن الله وعن دينه وعيادًا لا حقيقة له، وهذا يؤول إلى إبطال العقاب؛ لأنه إن أمكن ذلك في واحد منها كان ممكنًا في العقوبات كلها^(٣).

(١) السنّة للخلال (٣/٥٧٩)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٦٧٤).

(٢) انظر مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى (٣١٧)، مجموع الفتاوى (٧/٦٧٤)، فتح الباري (١٣/٢٤).

(٣) الإيمان لأبي عبيد (٨٨)، والانصار في الرد على القدريّة (٣/٧٠١)، وفتح الباري (١٢/٦٠).

(٤) تعظيم قدر الصلاة (٢/٦٤٤).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦١٠٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٠).

آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كُفر»^(١). وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(٢).

فهذه الأحاديث ونحوها عند أهل السُّنة لا تدل على أن مرتكب ما ذكر فيها من ذنوب يكون كافرًا خارجًا من الإسلام، وذلك أن الله تبارك وتعالى قد وصف بعض مرتكبي الذنوب بالإيمان، ولم يكفرهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، فسماهم مؤمنين مع وجود الاقتتال، وكذلك فإن الله تعالى قد أوجب الجلد على القاذف، والقطع على السارق، وجلد رسول الله صلى الله عليه وسلم الزاني البكر وشارب الخمر، فلو كان هؤلاء كفارًا بارتكابهم للكبائر لوجب قتلهم لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة»^(٣).

وأجمع الصحابة على عدم كفر مرتكبي الذنوب، فقد روى أبو عبيد عن

وقد أجاب العلماء عن معنى الكفر

الوارد في الأحاديث السابقة بعدة أجوبة:

الجواب الأول: أن الفعل الوارد فيه لفظ الكفر إنما ذكر هكذا؛ لأنه يؤول بفاعله إلى الكفر، وذلك لأن المعاصي كما قالوا: بريد الكفر، ويخشى على المكثّر منها أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر.

الجواب الثاني: أنه أطلق عليه ذلك من باب المبالغة في التحذير والزجر عن الفعل^(٦).

الجواب الثالث: أنه أطلق عليها ذلك؛ لأنها من الأخلاق والسُّنن التي إنما يتلبس بها الكفار والمشركون.

الجواب الرابع: أنه محمول على المستحل لذلك.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الفرائض، رقم ٦٧٦٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الديات، رقم ٦٨٧٨)، ومسلم (كتاب القسامة، رقم ١٦٧٦).

(٤) الإيمان لأبي عبيد (٩٥) [مكتبة المعارف، ط ١]، وقال الألباني في التعليق عليه: «إسناده صحيح على شرط مسلم». وانظر: التمهيد (٢٥١/٩).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٣١٦).

(٦) وقد سبق بيان ما في هذا القول من الخطأ.

الجواب الخامس: أن المراد به الكفر، إلا أنه ليس الكفر المخرج من الملة، وإنما هو كفر دون كفر، وهو من الكفر العملي الذي لا يخرج صاحبه من الإسلام.

وهذا الأخير أرجحها؛ لأن الأدلة قد دلت على أن لفظ الكفر ومثله الظلم والشرك قد ورد في الشرع على معنيين أكبر وأصغر، فمما ورد في الظلم ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوها ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾» [لقمان: ١١].

فهنا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن للظلم معنيين: ظلم أكبر: وهو الشرك، وظلم أصغر: وهو ظلم العبد لنفسه بالذنوب.

ومما ورد في الشرك ما روى محمود بن لبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكَمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ وَجَّهًا

(١) أخرجه البخاري، (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٧٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٢٤).

لهم يوم القيامة إذا جزي النَّاسَ بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»^(٢).

وعن شَدَّاد بن أَوْس رضي الله عنه قال: «كُنَّا نَعُدُّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّ الرِّيَاءَ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ»^(٣)، فهنا بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن من الشرك نوع هو أصغر، أما الشرك الأكبر فهو عبادة غير الله.

ومثل ذلك في الكفر أيضًا، فقد ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أُرِيتِ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيرًا قط»^(٤).

فهنا بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الكفر يرد شرعًا على غير الكفر بالله وهو دونه في الحكم.

ومثله ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه في

(٢) أخرجه أحمد (٣٩/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسن إسناده ابن حجر في بلوغ المرام رقم (١٤٨٤) [دار أطلس، ط٣]، وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٥٠).

(٣) أخرجه البزار (٤٠٦/٨) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، والحاكم (كتاب الرقاق، رقم ٧٩٣٧) وصححه، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، غير يعلى بن شداد، وهو ثقة. مجمع الزوائد (١٠/٢٢٢) [مكتبة القدسي].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٢٩)، ومسلم (كتاب الكسوف، رقم ٩٠٧).

فيها مرتكب بعض الذنوب: بأنه ليس منه، ومن هذه النصوص:

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال، قال النبي ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»^(٥).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا»^(٦).

فهذه النصوص ونحوها للعلماء رحمهم الله أقوال في معناها:

القول الأول: أنه ليس على ديننا الكامل، أي أنه خرج من فرع من فروع الدين، وإن كان معه أصله، حكى هذا القول ابن العربي^(٧).

القول الثاني: أن النبي ﷺ بريء من فاعل ذلك، فيكون كأنه توعد بأنه لا يدخل في شفاعته مثلاً، وهذا تفسير ابن حجر حملاً لحديث: «ليس منا» على حديث: «إن رسول الله ﷺ بريء من الصالحة والحالقة والشاقة»^(٨).

القول الثالث: أن معناه: ليس من أهل الإيمان المستحقين للثواب بلا عقاب، ولهم الموالاة المطلقة والمحبة المطلقة،

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٩٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٠٣).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٠١).

(٧) انظر: فتح الباري (٣/١٦٤).

(٨) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٩٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٠٤).

قول الله ﻋَﻠَﻴْهِ: «وَمَنْ لَّمْ يَخُكْمْ يَمًا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»^(٩) [المائدة] قال: «هي به كفر، وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله»^(١١). وفي رواية أنه قال: «كفر دون كفر»^(١٢). ومثله ورد عن عطاء وطاووس وغيره^(١٣). فهذا يدل على أن الشارع أطلق الكفر على ما دون الكفر الأكبر، وهو ما يسميه العلماء: كفراً دون كفر.

فيكون المقصود والمعنى بما ورد في الشرع إطلاق اسم الكفر عليه من المعاصي التي لا توجب كفراً مخرجاً من الملة هو الكفر العملي، أو كفراً دون كفر، وهذا أرجح الأقوال في ذلك وهو الذي عليه كثير من العلماء^(١٤).

ثالثاً: النصوص التي ورد فيها قوله ﷺ: «ليس منا»:

وردت نصوص عن النبي ﷺ يصف

(١١) أخرجه الطبري (٣٥٦/١٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٥٢١/٢) [مكتبة الدار، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٣/٦).

(١٢) أخرجه الحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٢١٩) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٣/٦).

(١٣) انظر: تفسير ابن جرير (٣٥٤/١٠)، والتمهيد لابن عبد البر (٢٣٧/٤)، والسنة للخلال (١٥٩/٤ - ١٦١).

(١٤) انظر: الإيمان لأبي عبيد (٩٣)، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي (٥١٧/٢ - ٥٢٩)، وفتح الباري لابن حجر (٨٣/١)، ومجموع الفتاوى (٣٥٠/٧ - ٣٥٥)، ومدارج السالكين (٣٣٦/١)، والتمهيد لابن عبد البر (٢٣٦/٤)، وشرح الطحاوية (٣٦٣).

القول السابع: أن المعنى: ليس مثلنا، واستنكر هذا عبد الرحمن بن مهدي والإمام أحمد وغيرهم، قال عبد الرحمن بن مهدي مستنكراً له: «لو أن رجلاً عمل بكل حسنة أكان يكون مثل النبي ﷺ؟!»^(٧).

فهذه الأقوال فيها تقارب في بيان معنى الحديث، والمستنكر فيها القولان الأخيران، وما عداهما فإن معناه وفحواه متقارب جداً، والواجب في ذلك إبطال المعنى الفاسد، وهو التكفير والإخراج من الدين، ثم إثبات اللفظ أو ما يدل عليه والتشديد فيه؛ ليكون ذلك أبلغ في زجر الفاعل عن الفعل، ونهيه عنه، والله أعلم.

النوع الرابع: نصوص ورد فيها تحريم الجنة.

وردت نصوص نبوية ورد فيها تحريم الجنة على من ارتكب بعض الكبائر، منها: حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قاطع»^(٨).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»^(٩).

وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن

وإنما هو بارتكابه لذلك الفعل نقص إيمانه وصار ممن يستحق العقوبة^(١).

القول الرابع: أن هذا من أحاديث الوعيد التي يجب أن نؤمن بما ورد فيها، وتمرّ كما جاءت ولا يتكلم في تأويلها؛ حتى يكون ذلك أبلغ في الزجر، وهذا مروى عن الزهري^(٢).

وعلى هذا القول الإمام أحمد، فقد روى الخلال عنه أنه سئل عن قول النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا...» قال: «على التأكيد والتشديد، ولا أكفر إلا بترك الصلاة»^(٣).

قال ابن حجر: والأولى عند كثير من السلف إطلاق لفظ الخبر من غير تعرض لتأويله؛ ليكون أبلغ في الزجر^(٤).

القول الخامس: أن معناها أنه ليس من المطيعين لنا، ولا من المقتدين بنا، ولا من المحافظين على شرائعنا، وقال بهذا أبو عبيد^(٥).

القول السادس: أنها خرجت مخرج التغليظ^(٦).

(١) مجموع الفتاوى (١٩/٢٩٤). وانظر منه: (٧/٥٢٤).

(٢) أخرجه الخلال في السُّنة (٣/٥٧٩) وسبق ذكره.

(٣) السُّنة للخلال (٣/٥٧٩). وانظر: مسائل الإيمان

للقاضي أبي يعلى (٣١٧).

(٤) فتح الباري (١٣/٢٤).

(٥) الإيمان لأبي عبيد (٩٢)، والسُّنة للخلال (٣/٥٧٨).

(٦) حكى هذا القول القاسم بن سلام في الإيمان (٨٨)،

وذكره الباقلاني في التمهيد (٤٢٢)، وسبق بيان

بطلان مثل هذا القول.

(٧) السُّنة للخلال (٣/٥٧٦).

(٨) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٩٨٤)،

ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٥٦).

(٩) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٦).

النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»^(١).

النصوص بعدة إجابات، منها:
الأول: أنه محمول على المستحلّ لذلك إذا مات عليه.

الثاني: أنه قد استحق النار ويجوز العفو عنه.

الثالث: أنه قد حرم عليه دخول الجنة أول وهلة مع الفائزين.

الرابع: هو على معنى الدعاء منه ﷺ؛ أي: بواه الله ذلك، والمعنى: أن هذا جزاؤه وقد يعفى عنه^(٥).

النوع الخامس: نصوص توعدت أصحاب بعض الذنوب بالخلود في النار:

قد وردت نصوص في الشرع فيها الوعيد على بعض الأعمال بالخلود في النار أو تحريم الجنة، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ

وحديث معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة»^(٢).

وحديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة»، فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: «وإن قضيباً من أراك»^(٣).

ولأهل العلم عدة أقوال في بيان معناها بعد اتفاقهم على أن من مات على التوحيد فإن ماله الجنة وإن عذب قبل ذلك، قال الطيبي: «فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد، ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر، ولو عمل من أعمال البر ما عمل. هذا هو المذهب الحق الذي تظاهرت أدلة الكتاب والسنة، وإجماع من يعتد به عليه، وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعي»^(٤)، وأجابوا عن هذه

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأحكام، ٧١٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٢) واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٣٧).

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٤٤٧/٢).

(٥) انظر هذه الأقوال في: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاظمي عياض (١/٤٣٤)، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٨/٢٦١٠) [مكتبة الباز، ط ١، ١٤١٧]، وعمدة القاري (١٩/٢١)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣/٥٤٦) [دار النوادر، دمشق ط ١، ١٤٢٩هـ]، وشرح سنن أبي داود للعبني (٦/٤٥٤) [مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ]، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/٢٠٣) [مكتبة الرشد، الرياض ط ٢، ١٤٢٣هـ].

المسلمين»^(٣).

وأما معنى هذه النصوص وما أشبهها فقد اختلف أهل العلم في بيان المقصود به إلى ستة أقوال:

الأول: أن الوعيد في حق المستحل لها؛ لأنه كافر، وأما من فعلها غير مستحل لها لم يلحقه وعيد الخلود، وإن لحقه وعيد الدخول. قال السفاريني معقباً على هذا القول: وقد أنكر الإمام أحمد رحمته الله هذا القول، وقال: لو استحل ذلك ولم يفعله كان كافراً، والنبى صلى الله عليه وسلم إنما قال من فعل كذا وكذا^(٤).

والثاني: أن المراد بالخلود طول المدة والإقامة المتطاولة لا حقيقة الدوام، كما يقال: خلّد الله ملك السلطان.

والثالث: أن هذا جزاؤه، ولكن تكرم صلى الله عليه وسلم فأخبر أنه لا يخلد في النار من مات مسلماً وأنه يخرج أهل التوحيد منها^(٥)، قال ابن كثير في آية النساء في القاتل: «قال أبو هريرة^(٦) وجماعة من

الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَكَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»^(٧) [البقرة].

ومن الأحاديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحسّاه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»^(٨).

فهذه النصوص وردت بالعذاب والخلود في النار، وهي أشد نصوص الوعيد التي يدخل فيها أهل التوحيد، وأهل السنة يقولون: بأنه لا يخلد أحد من أهل التوحيد في النار بناء على نصوص أخرى قطعية.

يقول السفاريني رحمته الله: «فدلّ الكتاب والسنة واتفاق الفرقة الناجية على أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد»^(٩). وقال ابن بطال: «أجمع الفقهاء وأهل السنة أن من قتل نفسه لا يخرج بذلك من الإسلام، وأنه يصلى عليه وإثم عليه ويدفن في مقابر

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٧٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٠٩)، واللفظ له.

(٢) لوامع الأنوار البهية (١/٣٧٠).

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٠/١٣٨).

(٤) لوامع الأنوار البهية (١/٣٧٠).

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/١٢٥) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢]، وفتح الباري لابن حجر (٣/٢٢٨) [دار المعرفة، ١٣٧٩] والتوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملتن (٣٣/٢٦٧)، وإكمال المعلم بفوائد مسلم لعياض الحصري (١/٣٨٧) [دار الوفاء، مصر، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٦) أخرج قول أبي هريرة رضي الله عنه: ابن أبي حاتم في التفسير (٣/١٠٣٨) [مكتبة الباز، ط ٣]، والطبراني =

قالوا: ولهذا مدح به كعب بن زهير
رسول الله ﷺ حيث يقول:

نُبِّئْتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ

وتناظر في هذه المسألة أبو عمرو بن
العلاء وعمرو بن عبيد، فقال عمرو بن
عبيد: يا أبا عمرو لا يخلف الله وعده وقد
قال: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾
[النساء: ٩٣] الآية، فقال له أبو عمرو:
ويحك يا عمرو، من العُجْمة أُتيت، إن
العرب لا تعد إخالاف الوعيد ذمًّا بل جودًا
وكرمًا، أما سمعت قول الشاعر:

ولا يرهبُ ابنَ العمِّ ما عشتُ صولتي
ولا يختشي من سطوة المتهدد
وإني إن أوعدته أو وعدته

لمخلف إيعادي ومنجز مواعيدي

والسادس: أن هذه النصوص وأمثالها
مما ذكر فيه المقتضي للعقوبة، ولا يلزم
من وجود مقتضي الحكم وجوده، فإن
الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء
مانعه، وغاية هذه النصوص الإعلام بأن
كذا سبب للعقوبة ومقتضى لها، وقد قام
الدليل على ذكر الموانع، فبعضها
بالإجماع، وبعضها بالنص، فالتوبة مانع
بالإجماع، والتوحيد مانع بالنصوص
المتواترة التي لا مدفع لها، والحسنات
العظيمة الماحية مانعة، والمصائب الكبار
المكفرة مانعة، وإقامة الحدود في الدنيا

السلف: هذا جزاؤه إن جازاه، ومعنى
هذه الصيغة: أن هذا جزاؤه إن جوزي
عليه، وكذا كل وعيد على ذنب، لكن
قد يكون كذلك معارض من أعمال
صالحة تمنع وصول ذلك الجزاء إليه،
على قولي أصحاب الموازنة أو
الإحباط، وبتقدير دخول القاتل إلى
النار، أما على قول ابن عباس^(١) ومن
وافقه أنه لا توبة له، أو على قول
الجمهور حيث لا عمل له صالحًا ينجو
به، فليس يخلد فيها أبدًا، بل الخلود هو
المكث الطويل^(٢).

والرابع: أن في الكلام إضمارًا،
وهو: إن شاء، ومنهم من قال بإضمار
الاستثناء، والتقدير: فجزاؤه كذلك إلا
أن يعفو.

والخامس: أن هذا وعيد، وإخلاف
الوعيد لا يذم بل يمدح، والله تعالى
يجوز عليه إخلاف الوعيد، ولا يجوز
عليه خلف الوعد، والفرق بينهما أن
الوعيد حقه فإخلافه عفو وهبة وإسقاط،
وذلك موجب كرمه وجوده وإحسانه،
والوعد حق عليه أوجبه على نفسه والله
لا يخلف الميعاد.

= في الأوسط (٢٧٠/٨) [دار الحرمين]، وقال
الهيتمي: فيه محمد بن جامع العطار، وهو ضعيف.
مجمع الزوائد (٨/٧).

(١) أخرج قول ابن عباس ﷺ: مسلم (كتاب التفسير،
رقم ٣٠٢٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٥٣٧).

مضمون له فيه المغفرة، بل هو فيه بين الخوف من أن يؤاخذ بجريرة عمله، وبين أن يُغْفَرَ له ذنبه، وذلك معلق بمشيئة الله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]^(٢)، فتتم عنده المحاذرة من الوقوع في الذنب، والمبادرة إلى التوبة منه عند وقوعه.

٣ - كما يثمر في العبد عظم خوفه من الذنب الذي لا يغفره الله لصاحبه، وهو الشرك بالله، والبعد عن أسبابه، ومفارقة أهله والبراءة منهم.

٤ - حسن الظن بالناس، وعدم إسقاط ما عندهم من خير بذنب واحد - كما هو مذهب الوعيدية - بل يرجى للمحسن منهم، دون القطع له بعينه بالنجاة، ويخاف على المسيء منهم دون القطع على المعين منهم بالعذاب.

٥ - أن يحرص المذنب على فعل ما يستطيعه مما يرجى معه زوال موجب الوعيد، من التوبة والاستغفار، والأعمال الصالحة، واحتساب الأجر وتكفير الوزر فيما يصيبه من مصائب.

مذهب المخالفين:

المخالفون في حكم أهل الوعيد من المسلمين فرقان: الوعيدية وهم الخوارج والمعتزلة، والفرقة الأخرى هم المرجئة.

مانع بالنص، ولا سبيل إلى تعطيل هذه النصوص فلا بد من إعمال النصوص من الجانبين.

ومن هاهنا قامت الموازنة بين الحسنات والسيئات اعتباراً بمقتضي العقاب ومانعه وإعمالاً لأرجحها^(١).

وبه يتبين أن أهل السنة لا يقولون بإنفاذ الوعيد قطعاً ولا يردونه قطعاً وإنما يتأولون ما ورد من النصوص في ذلك تأويلاً يتوافق مع بقية النصوص التي تدل على أن أهل الإسلام تحت المشيئة على ما سبق تفصيله.

الثمرات:

إن ما تقدم تقريره في مذهب أهل السنة والجماعة في الوعيد من شأنه أن يثمر في سلوك العابد ثمرات جليلة، ومن أجلها:

١ - حسن الظن بالله، والجمع بين أوصاف كماله وجلاله - من شدة عقابه وبطشه، وصدق وعده، وعظيم عقوبته - وبين أوصاف جماله، من عظم رحمته وعفوه، وتوبته على التائبين.

٢ - أن يجمع السالك في سيره إلى الله بين الخوف والرجاء، وأن يحسن ظنه بربه ومولاه، ولا يأمن مكر خالقه، حيث يوقن أن ما أتاه من الذنوب غير

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٠١) [دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٦هـ]، ولوامع الأنوار البهية (١/ ٣٧٠).

(٢) انظر: القول السديد في خلف الوعيد (٤٩).

أولاً: الوعيدية (الخوارج والمعتزلة): بأي سبب غير التوبة^(٤).

ذهب الوعيدية - من الخوارج والمعتزلة ومن تبعهم - إلى أن الإيمان هو اعتقاد بالقلب، وقول باللسان وعمل بالجوارح^(١)، وهذا القدر لا إشكال فيه في الجملة^(٢)، وإنما الغلط عندهم أنهم قد ذهبوا إلى أن الإيمان حقيقة واحدة، إذا ذهب بعضه ذهب كله، فهو كُلاً لا يتبعُض ولا يتفاضل ولا يزيد ولا ينقص^(٣)، فمن أخل بهذا الإيمان، وارتكب كبيرة (عند بعضهم) أو أي معصية (عند بعضهم) ولقي الله على غير توبة لم يكن من أهل الوعد بالجنة، بل هو عندهم من أهل الوعيد بالنار، وهذا الوعيد لازم الإنفاذ عندهم، لا يتخلف

وبناء على مذهب هؤلاء الوعيدية في الإيمان، فقد قالوا بأمرين:

١ - التكفير والتفسيق لأصحاب الكبائر.

فالكبيرة عندهم تزيل اسم الإيمان بالكلية عن فاعلها، فإما أن يسمى صاحبها كافراً، أو مشركاً، أو كافر نعمة، أو فاسقاً، على خلاف بينهم.

٢ - الجزم بإنفاذ الوعيد بأهل الكبائر من عصاة الموحدين، ممن ترك فرضاً واجباً، أو فعل كبيرة من الكبائر، ولهذا جزموا بإنفاذ وعيد أهل الكبائر، وقطع جمهورهم بخلودهم في النار^(٥).

يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: «لا خلاف بينهم [يعني المعتزلة] أن وعيد الله بالعقاب حق لا يجوز عليه الإخلاف ولا الكذب، كما أن وعده بالثواب حق، ولا خلاف بينهم في أن مرتكب الكبائر من أهل النار، وأن من يدخل النار يكون مخلداً فيها كالكافر، وإن كان حاله في العقاب دونه»^(٦).

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١٠٥) [دار إحياء التراث، ط ٣]، والكشاف للزمخشري (١/ ١٢٨، ١٢٩) [دار الفكر، ط ١، ١٣٩٧هـ]، والانتصار للخطيب (٩٢، ٩٣) [المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٧هـ]، وكذلك: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/ ٤٨٠). وانظر أيضاً: طبقات المعتزلة لابن المرتضى (٧، ٨) [المطبعة الكاثوليكية، ط ١٣٨٠هـ]، والتفسير الكبير للرازي (٢/ ٢٣ - ٢٥) [دار الكتب العلمية، طهران، ط ٢].

(٢) يقع الغلط عند بعضهم في بعض تفصيلاته، بقول الإباضية وبعض المعتزلة: إن الإيمان لا يشمل كل الطاعات الواجبة والمندوبة، بل هو مختص بالطاعات الواجبة التي يكفر من تركها عندهم. انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (٧٠٧)، ومشارك الأنوار للسالمي الإباضي الخارجي (٣٣٢، ٣٣٣)، والوعيد الأخروي للسعدي (١/ ٤٣٧، ٤٣٨)، ومقالات الإسلاميين (٤٣٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٢٢٣).

(٤) انظر: مشارق أنوار العقول (٣٣٤، ٣٣٥).

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٨٦)، والفصل لابن حزم (٧٩/ ٤)، والتفسير الكبير (٣/ ١٤٤)، (١٤٥)، ومشارك أنوار العقول للسالمي (٢٩٤)، والوعيد الأخروي (١/ ٤٥٦).

(٦) فضل الاعتزال للقاضي عبد الجبار (٣٥٠)، وانظر: شرح الأصول الخمسة له (١٣٥، ١٣٦، ٦٤٧ - ٦٥٠)، ورسالة للقاسم الرسي الزيدي ضمن رسائل =

وقال أبو الحسن الأشعري: «وأجمعوا - الخوارج - على أن كل كبيرة كفر إلا النجذات، فإنها لا تقول ذلك، وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذابًا دائمًا»^(١).

الكبائر النار حتى نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فنهانا رسول الله ﷺ أن نوجب لأحد من أهل الدين النار»^(٢).

الرد عليهم:

وعنه أيضًا قال: «ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من في نبينا ﷺ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾» [النساء: ٤٨]، قال: «إني أخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة»، فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا»^(٣)، وفي رواية قال: «ثم نطقنا بعد ورجونا»^(٤).

وما احتج به الوعيدية من نصوص الوعيد يجاب عنه بما تقدم من دلالة النصوص الأخرى على بعض الموانع التي تمنع إنفاذه، من التوبة والحسنات والمصائب ونحوها، وتلك النصوص بمثابة المخصصات لعموم نصوص الوعيد، والمقييدات لإطلاقها، فلا يقطع بتحقيق نصوص الوعيد على جميع الأعيان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والتحقيق أن يقال: الكتاب والسنة مشتمل على نصوص الوعد والوعيد،

ما زعمه الوعيدية من الجزم بإنفاذ وعيد من لقي الله على غير توبة من أصحاب الكبائر هو أمر لا يسلم؛ لأن نصوص الوعيد مبنية على نصوص الوعد الدالة على تعليق المغفرة بمشيئة الله لما دون الشرك من الذنوب، أو على سبب آخر من الخلق، كالشفاعة، على ما تقدم تفصيله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وعن ابن عمر قال: «كنا نوجب لأهل

= العدل والتوحيد (١٢٧/١، ١٢٨) [دار الهلال]، على أن هناك من نازع في كون هذا إجماعًا عند المعتزلة، وأثبت عن بعض المعتزلة القول بجواز مغفرة الله لصاحب الكبيرة من غير توبة منه. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (١١٦).

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (٨٦) [دار فرانز شتايز، ألمانيا، ط ٣، ١٤٠٠هـ] وقوله هنا: إلا النجذات؛ يقصد أن نجدة بن عامر لا يكفر أصحاب الحدود من موافقيه، وقال: لعل الله يعذبهم بذنوبهم في غير نار جهنم ثم يدخلهم الجنة، وزعم أن النار يدخلها من خالفه في دينه وأن من نظر نظرة صغيرة أو كذب كذبة صغيرة وأصر عليها فهو مشرك، ومن زنى وسرق وشرب الخمر غير مصر عليه فهو مسلم إذا كان من موافقيه على دينه، فهو يستثنى موافقيه من الخوارج. انظر: الفرق بين الفرق (٨١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

كما أن ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهي، وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه، فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط؛ لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله، فكذلك نصوص الوعيد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة؛ لأن القرآن قد دل على أن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب، وهذا متفق عليه بين المسلمين، فكذلك في موارد النزاع.

فإن الله قد بين بنصوص معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات، وأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، وأنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وأن مصائب الدنيا تكفر الذنوب، وأنه يقبل شفاعة النبي في أهل الكبائر، وأنه لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، كما بين أن الصدقة يبطلها المن والأذى، وأن الربا يبطل العمل، وأنه إنما يتقبل الله من المتقين؛ أي: في ذلك العمل، ونحو ذلك.

فجعل للسيئات ما يوجب رفع عقابها، كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها، لكن ليس شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة، كما أنه ليس شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة.

وبهذا تبين أننا نشهد بأن: ﴿الَّذِينَ

وقال البيضاوي محيياً عن قول المعتزلة واحتجاجهم: «وأجيب بأن وعيد الفساق مشروط بعدم العفو، لدلائل منفصلة، كما هو مشروط بعدم التوبة وفقاً»^(٢).

الثانية: المرجئة.

المرجئة يرون أن من أتى بعقد الإسلام فليس فيه وعيد وأن أهل الإسلام ناجون بعقد الإسلام بدون الحاجة إلى عمل، فهم مخالفون للنصوص الشرعية التي تدل على العقوبة المرتبة على الذنوب.

المصادر والمراجع:

١ - «الجزء الأخروي»، لمحمد عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني [رسالة

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/٤٨٢ - ٤٨٤).

(٢) تفسير البيضاوي (٩٧).

غيرك»^(١).

ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى].

والوكيل اسم فاعل على وزن (فعليل)
من الوكالة، مأخوذ من الأصل الثلاثي
(وكل) الدال على اعتماد غيرك في
أمرك، يقال: وَكَّلَ يَكِلُ وَكالةً وَوَكالةً،
والوكالة: أن يعهد إلى غيره أن يعمل له
عملاً.

٢ - «حادي الأرواح»، لابن القيم.

٣ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٤ - «فتاوى ابن الصلاح».

٥ - «القول السديد في خلف

الوعيد»، لملا علي قاري.

٦ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٧ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

٨ - «الملل والنحل»، للشهرستاني.

٩ - «منهاج السنّة».

١٠ - «موانع إنفاذ الوعيد»، لعيسى

السعدي.

١١ - «الوعيد الأخروي»، لعيسى

السعدي.

والتَّوَكَّلُ: إظهار العجز عن الأمر
والاعتماد فيه على غيرك، يقال: توَكَّلَ
يَتَكَلَّ توَكَّلاً فهو متوكل، إذا أسلم أمره
إلى غيره واعتمد عليه وفوضه إليه،
والاسم التُّكْلان: الاعتماد على الغير.

وواكل وتواكل؛ إذا ضيَّع الأمر
واتكل على غيره^(٢).

التعريف شرعاً:

الوكيل: هو الكفيل بأرزاق عباده
والقائم عليهم في جميع شؤونهم،
والمعتمد عليه في جلب كل خير ودفع
كل شر في العاجل والآجل؛ وحده دون
سواه^(٣).

وقت الساعة

يراجع مصطلح (الساعة).

الوكالة

يراجع مصطلح (الوكيل).

الوكيل

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الواو والكاف
واللام: أصل صحيح يدل على اعتماد
غيرك في أمرك ومنه التوكل، وهو إظهار
العجز في الأمر والاعتماد على

(١) مقاييس اللغة (٦٤٣/٢) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٠/٣٧٢، ٣٧٢) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (٥/١٨٤٤، ١٨٤٥) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٨٨٢) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٣٨١) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٢/١٠٥٤، ١٠٥٥) [دار الدعوة، ط٢].

(٣) انظر: شأن الدعاء (٧٧) [دار الثقافة، ط٣، =

وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك. وأما عمله: فسكونه إلى وكيله، وطمأنينته إليه، وتفويضه وتسليمه أمره إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك. ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه. فبهذين الأصلين يتحقق التوكل، وهما جماعه، وإن كان التوكل دخل في عمل القلب من عمله، كما قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب، ولكن لا بد فيه من العلم، وهو إما شرط فيه، وإما جزء من ماهيته»^(٣).

❁ الحقيقة:

الاستقلال بأمر الموكول فيما توكل عليه من جميع الوجوه، والله وَعَلَى كَاف عِبَادِهِ وَحْدَهُ فِي جَمِيعِ حَاجَاتِهِمْ وَشُؤْنِهِمْ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ وَكَاف وَحْدَهُ لِحِمَايَةِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى ظَهِيرٍ وَنَصِيرٍ^(٤).

والوكيل: معناه: الكافي الكفيل، وهو عام وخاص:

أما العام: فيدل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام]؛ أي: المتكفل بأرزاق جميع المخلوقات وأقواتها، القائم بتدبير شؤون الكائنات وتصريف أمورها.

(٣) طريق الهجرتين (٢٥٧) [الدار السلفية، القاهرة، ط ١٣٩٤هـ].

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٢١/٥) [المكتبة العلمية، بيروت].

قال الخطابي: «وحقيقته: أنه الذي يستقل بالأمر الموكول إليه، ومن هذا قول المسلمين: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران]؛ أي: نعم الكفيل بأمورنا والقائم بها»^(١).

وقال السعدي: «الوكيل: المتولي تدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، والذي تولى أوليائه فيسّرهم ليسرى وجنبهم العسرى وكفاهم الأمور، فمن اتخذه وكيلاً كفاه»^(٢).

❁ الحكم:

يجب الإيمان بهذا الاسم: الوكيل، وما دل عليه من الصفة؛ لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباته لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، وإثبات ما دل عليه من الصفة من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل. كما يجب أن يفوض العبد أموره كلها لله ويتوكل عليه في قضاء حوائجه وتحصيل مقاصده الدينية والدنيوية، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن التوكل يجمع أصليين: علم القلب وعمله. أما علمه: فيقينه بكفاية وكيله، وكمال قيامه بما

= ١٤١٢هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (٢١٢/١) [مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٣هـ]، والحجة في بيان المحجة (١٤٩/١) [دار الراية، ط ١، ١٤١١هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٤٣، ٢٤٤) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

(١) شأن الدعاء (٧٧).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٤٣، ٢٤٤).

وَالْوَكَيلُ ﴿١٧٣﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧٣﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ ﴿٩﴾ [المزمل].

✽ أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري: «يعني بقوله: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كفانا الله؛ يعني: يكفيننا الله: ﴿وَيَعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ﴿١٧٣﴾ يقول: ونعم المولى لمن وليه وكفله، وإنما وصف الله تعالى نفسه بذلك؛ لأن الوكيل في كلام العرب هو: المسند إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره، فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآيات قد كانوا فوضوا أمرهم إلى الله، ووثقوا به، وأسندوا ذلك إليه؛ وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة، فقال: ونعم الوكيل الله تعالى لهم» (٣).

وقال البيهقي: «الوكيل: هو الكافي، وهو الذي يستقل بالأمر الموكل إليه، وقيل: هو الكفيل بالرزق والقيام على الخلق بما يصلحهم» (٤).

وقال ابن الأثير: «في أسماء الله

والخاص: يدل عليه قوله تعالى: ﴿...وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٨١﴾ [النساء]، وقوله: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ﴿١٧٣﴾ [آل عمران]؛ أي: نعم الكافي لمن التجأ إليه، والحافظ لمن اعتصم به، وهو خاص بعباده المؤمنين به، المتوكلين عليه» (١).

فالله سبحانه له الوكالة التامة، وهذه الصفة تجمع العلم المحيط الشامل والقدرة الكاملة لله ﷻ؛ لأن الوكالة تقتضي علم الوكيل بما هو وكيل عليه وإحاطته بتفاصيله، وقدرته التامة عليه ليتمكن من التصرف فيه، وحفظ ما هو وكيل عليه، مع حكمة ومعرفة بوجوه التصرفات، ليصرفها ويدبرها على ما هو أصلح وأنسب وأفيد وأليق، والله ﷻ هو الأحق بهذا الاسم وبهذه الصفة على الإطلاق» (٢).

✽ الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٢﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٨١﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَبَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ

(٣) تفسير الطبري (٢٠٦٤/٣) [دار السلام، القاهرة، ط ٣، ١٤٢٩هـ].

(٤) الاعتقاد والهداية للبيهقي (٤٧) [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

(١) انظر: فقه الأسماء الحسنى (٢٣٩) [دار التوحيد، ط ١، ١٤٢٩هـ]، وطريق الهجرتين (٢٥٧).

(٢) انظر: أسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٢٠٢، ٢٠٣) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط ٤، ١٤٣١هـ].

أبين من أن يحتاج فيه إلى إكثار، فيجب على كل مؤمن أن يعلم أن كل ما لا بد له منه، فالله سبحانه هو الوكيل والكفيل المتوكل بإيصاله إلى العبد، إما بنفسه فيخلق له الشيع والري، كما يخلق له الهداية في القلوب، أو بواسطة سبب ملك، أو غيره، يوكله به»^(٤).

- المسألة الثانية: جزاء التوكل

على الله:

إن الله وَعَلَى اللَّهِ جعل لكل عمل جزاء من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، فهو سبحانه لم يقل نؤته كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد على الله تعالى حق التوكل وكادته السماوات والأرض ومن فيهن لجعل له مخرجاً من ذلك وكفاه ونصره^(٥).

- المسألة الثالثة: من عرف الله حق

معرفته توكل عليه:

ينبغي للعباد أن يعلموا أن الله وكيلهم، وأنه سبحانه غني، عليم قدير

تعالى (الوكيل): هو القيم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته أنه استقل بأمر الموكول إليه»^(١).

وقال السعدي: «الوكيل: المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، الذي تولى أوليائه، فيسّرهم ليسرى، وجنبهم العسرى، وكفاهم الأمور، فمن اتخذه وكيلاً كفاه»^(٢).

وأورد هذا الاسم معظم من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها من أهل العلم.

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: أجاب بعض أهل

العلم عن إشكال قد يتوهمه من لا يفهم حقيقة هذا الاسم، قال القرطبي: «فإن قلت: إذا كان الله سبحانه قد توكل وتكفل بأرزاق عباده وإقامة خلقه، فما بال من يموت جوعاً وعطشاً؟

فالجواب: أن الله سبحانه لم يقبض أحداً حتى يستوفي رزقه الذي ضمن له وتوكل له به، وفي الحديث: «إن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها»^(٣)، وهذا

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/٢٢١) [المكتبة العلمية، بيروت].

(٢) تفسير السعدي (٥/٦٢٦)، ملحق في آخر الجزء بعنوان: أصول وكمالات من أصول التفسير وكمالاته [مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة، ط٢، ١٤١٢هـ].

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب التجارات، رقم ٢١٤٤)، وابن حبان (كتاب الزكاة، رقم ٣٢٣٩)، والحاكم

(كتاب البيوع، رقم ٢١٣٥) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/٢٠٩).

(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٥٠٧).

(٥) انظر: بدائع الفوائد (٣/٧٦٧، ٧٦٧) [دار عالم الفوائد، ١٤٢٥هـ].

يجب إخلاصها لله وحده، وهو من أجمع أنواع العبادة وأهمها؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة والطاعات الكثيرة، فإنه إذا اعتمد القلب على الله في الأمور الدينية والدنيوية ثقة به سبحانه بأنه الكفيل الوكيل لا شريك له، صحَّ إخلاصه وقويت معاملته مع الله، وحسن إسلامه وزاد يقينه، وصلحت أحواله كلها.

- التوكل هو الأصل لجميع مقامات الدين، ومنزلته منها كمنزلة الرأس من الجسد، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل^(٢).

- ينبغي للعبد أن لا يستكثر ما يسأل؛ فإن الوكيل غني، ولهذا قيل: من علامة التوحيد كثرة العيال على بساط التوكل^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
- ٢ - «أسماء الله الحسنى: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة»، لماهر مقدم.
- ٣ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
- ٤ - «الاعتقاد والهداية»، للبيهقي.

فإذا عرفوا الله ﷻ بهذا الاسم وبهذه الصفة حق لهم أن يتوكلوا عليه في جميع أمورهم، وأن يفوضوا إليه جميع شؤونهم، وبذلك يصلون إلى مقام التوكل الصحيح الذي هو من أعظم مقامات الدين.

- المسألة الرابعة: عدم استبطاء الكفاية من الله ﷻ:

لا ينبغي للعبد أن يستبطئ كفاية الله له إذا بذل أسبابها وتوكل عليه ﷻ، فإن الله بالغ أمره في الوقت الذي قدره له، قال ابن القيم: «فلما ذكر كفايته للمتوكل عليه فربما أوهم ذلك تعجيل الكفاية وقت التوكل، فعقبه بقوله: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق)؛ أي: وقتاً لا يتعداه، فهو يسوقه إلى وقته الذي قدره له؛ فلا يستعجل المتوكل ويقول: قد توكلت ودعوت، فلم أر شيئاً ولم تحصل لي الكفاية، فالله بالغ أمره في وقته الذي قدره له»^(١).

الآثار:

- التوكل على الله وحده، وتفويض الأمور كلها إليه، والاعتماد عليه في جلب النعماء ودفع الضر والبلاء، مقام عظيم من مقامات الدين الجليلة، وفريضة عظيمة من فرائض الله على عباده

(١) إعلام الموقعين (٤٩/٦) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٢) فقه الأسماء الحسنى (٢٤٠).

(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٥٠٨).

- ٥ - «بدائع الفوائد» (ج ٣)، لابن القيم.
- ٦ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ٧ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٨ - «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.
- ٩ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ١٠ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

الولاء والبراء

التعريف لغةً:

البراء: مصدر برئت، وهو مأخوذ من مادة (برأ) التي تدلّ على التّباعّد من الشّيء ومزايلته، ومن ذلك: البرء، وهو السّلامة من السّقم، والوصف من ذلك: براء على لغة أهل الحجاز، وأنا بريء منك على لغة غيرهم، وقد جاءت اللّغتان في القرآن الكريم، والبراءة تكون من العيب والمكروه ونحوهما، فتقول: برئت منك ومن الدّيون والعيوب براءة وبرئت من المرض برءًا، وأهل الحجاز يفتحون الرّاء في الفعل والباء في المصدر، فيقولون: برأت برءًا، وبارأت شريكي؛ إذا فارقتّه. ويقال: برئ إذا تخلّص، وبرئ إذا تنزّه وتباعد، وبرأ: إذا أعذر وأنذر. وأصل البرء والبراء والتّبرؤ: التّقصّي ممّا يكره مجاورته، ولذلك قيل: برأت من المرض، ومن فلان وتبرأت وأبرأته من كذا، وبرأته^(٣).

الولاء: مادته في اللغة تدل على معنى القرب، قال ابن فارس: «الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قرب. من ذلك الولي: القرب. يقال: تباعد بعد ولي؛ أي: قرب. وجلس مما يليني؛ أي: يقاريني»^(١).

والولي: ضد العدو. يقال منه: تولاه. والولي: التابع المحب. ووالى فلان فلانًا: إذا أحبه، والموالاة: المتابعة. والمولى: المعتيق، والمعتق، وابن العم، والناصر، والجار، والمحب. والولي: الصهر، وكل من

(٢) انظر: مقاييس اللغة (١٠٦٤، ١٠٦٥)، والصّاح للجوهري (٣٧٩/٧) [دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠م]، وتهذيب اللغة (٣٢١/١٥ - ٣٢٥) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م]، والقاموس المحيط (١٢٣٢) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٢٣٦/١، ٢٣٧) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (٣٢/١) [دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ]، والصّاح للجوهري (٣٦/١)، =

(١) مقاييس اللغة (١٠٦٤) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٢هـ].

الحكم:

يجب على المؤمن أن يوالي الله ورسوله والمؤمنين، وأن يحذر من موالاة الكفار والمشركين.

التعريف شرعاً:

فيتلخص مما سبق أن البراء يأتي بمعنى: التنزه، والتخلص، والبعد، والبغض.

كما يجب على كل مسلم أن يبرأ من كل ما برأ منه الله ورسوله ﷺ، ويبغض ذلك ويعاديه ويجانبه، ولا يركن ويوالي الكفر وأهله ولا الفسوق وأهله أبداً على الدوام. وأن يحقق عقيدة البراء بقلبه تحقيقاً كاملاً ويظهر مقتضياتها على الجوارح واللسان بحسب القدرة والإمكان.

الولاء هو: «التقارب بين المسلمين بقلوبهم، وتحابهم في الله، وتناصرهم وتعاضدهم لله ﷻ»^(١).

والبراء: هو بغض جميع الأمور التي تُسخط الله تعالى من الكفر والفسوق والعصيان ومخالفة ذلك كله ومعاداته والتخلص منه.

الحقيقة:

الولاء يقتضي التحاب والجمع، فحقيقته إنما هي بحب ما أحبه الله تعالى، وبجمع ما جمع الله بينه، فالمؤمن يجمع بين المؤمنين في المحبة والنصرة، ولا يفرق بينهم لأجل ما يتميز به بعضهم عن بعض مثل الأنساب، والبلدان، والتحالف على المذاهب، والطرائق، والمسالك، والصدقات وغير ذلك؛ بل يُطي كل من ذلك حقه^(٣).

وقيل: هو بغض الطواغيت التي تُعبّد من دون الله تعالى (من الأصنام المادية والمعنوية: كالأهواء والآراء)، وبُغض الكفر - بجميع ملله - وأتباعه الكافرين، ومعاداة ذلك كله^(٢).

الأسماء الأخرى:

من الألفاظ المرادفة للولاء: الموالاتة، الحب.

ومن الألفاظ المرادفة للبراء: المعاداة، البغض.

والبراء: هو بغض جميع الأمور التي تُسخط الله تعالى من الكفر والفسوق والعصيان ومخالفة ذلك كله، ومعاداته والتخلص منه^(٤).

= (٣٧)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٨٦/١) [دار القلم].

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة (٢٥٦/١) [دار العاصمة، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٢) الولاء والبراء في الإسلام لأبي عاصم الشحات البركاتي (٤) [دار الدعوة الإسلامية، ط ١، ١٤٣٣هـ]. وانظر: محاضرات في العقيدة والدعوة (٢٥٦/١).

(٣) انظر: قاعدة في المحبة لابن تيمية (١٣٣) [مكتبة التراث الإسلامي].

(٤) انظر: محاضرات في العقيدة والدعوة (٢٥٦/١).

الأهمية:

أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة كالنصرة، والأنس، والمعاونة، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك»^(٣).

٤ - بتحقيقه يستكمل الإيمان الواجب، كما دل على ذلك ما رواه أبو أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أحب الله، وأبغض الله، وأعطي الله، ومنع الله، فقد استكمل الإيمان»^(٤).

٥ - بتحقيقه يجد العبد طعم الإيمان، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»^(٥).

كما تظهر أهمية البراء من كل ما يسخط الله ورسوله ﷺ في النقاط الآتية:

- ١ - أنه من لوازم لا إله إلا الله.
- ٢ - أن الإيمان لا يتحقق إلا به.
- ٣ - تحقيقه أوثق عرى الإيمان.
- ٤ - يجد الإنسان إذا حققه حلاوة الإيمان.

الولاء له أهمية جلية ومكانة سامية في الدين، لما يأتي:

١ - هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «إن تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضي أن لا يحب إلا الله، ولا يبغض إلا الله، ولا يوالي إلا الله، ولا يعادي إلا الله، وأن يحب ما يحبه الله، ويبغض ما أبغضه»^(١).

٢ - هو أوثق عرى الإيمان، دل على ذلك ما رواه ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «أي عرى الإيمان أظنه قال: أوثق؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله»^(٢).

٣ - لأنه يترتب عليه أعمال كثيرة من أعمال القلوب والجوارح.

قال الشيخ عبد اللطيف بن حسن آل الشيخ: «أصل الموالاة: الحب. وأصل المعاداة: البغض، وينشأ عنهما من

(١) مجموع الفتاوى (٣٣٧/٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤١٦هـ].

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢١٥/١١) [مكتبة العلوم والحكم، ط ٢، ١٤٠٤هـ]، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٠/٧) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وسنده ضعيف جداً، كما ذكر الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٧٢٩). لكن هناك شواهد لجملة الحب والبغض في الله.

(٣) الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف آل الشيخ (٢٩٦) [دار العلوم ط، ١٣٨٩هـ].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السنّة، رقم ٤٦٨١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٨٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ١٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٣).

مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرًا يُكْرَهُ وَيَذَارُ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ وَحَدَّثَهُ ﴿٤﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ
تَقَةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال:
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جهاراً غير سر يقول:
«إِنْ آل أَبِي ^(١) لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا
وَلِيِّي اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ لَهُمْ
رَحِمٌ أَبْلَهَا بِإِلَهِهَا» ^(٢).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: «مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَأَبْغَضَ اللَّهَ،
وَأَعْطَى اللَّهَ، وَمَنَعَ اللَّهَ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ
الْإِيمَانَ» ^(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حِلَاوَةَ
الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ
مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ
إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا
يَكْرَهُ أَنْ يَقْذِفَ فِي النَّارِ» ^(٤).

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه،
قال: قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْتَرَطَ عَلَيَّ.

٥ - أَنْ التَّبَرُّؤَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَابَّ
الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَنَحْنُ
مَأْمُورُونَ بِالسَّيْرِ عَلَى طَرِيقِهِمْ.

٦ - عَنَايَةُ الْمُصْطَفَى صلى الله عليه وسلم بِغُرُزِ هَذِهِ
الْعَقِيدَةِ فِي نَفُوسِ أَصْحَابِهِ.

الأدلة:

١ - مِنْ أَدْلَةِ الْوَلَاءِ:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى:
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة]، وقال
تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا
وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى
يُهَاجَرُوا﴾ [الأنفال: ٧٩]، فأخبر تعالى أن
المهاجرين والأنصار بعضهم أولياء
بعض.

٢ - وَمِنْ أَدْلَةِ الْبِرَاءِ:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
عَدُوَّيْ وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمُ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ
كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]،
وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي
إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ

(١) أي: أقربائي من النسب من لم يُسلم منهم.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٩٩٠)،
ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٥).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

نهاكم ربكم من موالاة أعدائه وأهل الكفر به»^(٢).

وقال ابن عطية: «نهى الله تعالى المؤمنين بهذه الآية عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء في النصرة والخلطة المؤدية إلى الامتزاج والمعاوضة. وحُكم هذه الآية باق. وكل من أكثر مخالطة هذين الصنفين فله حظه من هذا المقت الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وأما معاملة اليهودي والنصراني من غير مخالطة ولا ملاسة فلا تدخل في النهي، وقد عامل رسول الله ﷺ يهوديًا ورهنه درعه»^(٣)»^(٤).

وقال ابن تيمية: «والبراءة ضد الولاية، وأصل البراءة البغض، وأصل الولاية الحب، وهذا لأن حقيقة التوحيد: أن لا يحب إلا الله ويحب ما يحبه الله، فلا يحب إلا الله، ولا يبغض إلا الله»^(٥).

وقال أيضًا: «على المؤمن أن يعادي في الله، ويوالي في الله، فإن كان هناك

فقال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتنصح للمسلم، وتبرأ من الكافر»^(١).

✽ أقوال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤] «وهذا نهى من الله عباده المؤمنين أن يتخلقوا بأخلاق المنافقين، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فيكونوا مثلهم في ركوب ما نهاهم عنه من موالاة أعدائه.

يقول لهم جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا توالوا الكفار فتؤازروهم من دون أهل مِلَّتكم ودينكم من المؤمنين، فتكونوا كمن أوجبت له النار من المنافقين. ثم قال جل ثناؤه متوعداً: من اتخذ منهم الكافرين أولياء من دون المؤمنين، إن هو لم يرتدع عن موالاته، وينزجر عن مخالفته أن يلحقه بأهل ولايتهم من المنافقين الذين أمر نبيهم ﷺ بتبشيرهم بأن لهم عذاباً أليماً، يقول: لا تعرضوا لغضب الله، بإيجابكم الحجة على أنفسكم في تقدمكم على ما

(٢) تفسير الطبري (٣٣٦/٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٩١٦).

(٤) تفسير ابن عطية (٢٠٣/٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (٤٦٥/١٠). وانظر: المرجع نفسه (٤٩٩/٢٠)، وتفسير ابن كثير (١٤٠/٣) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(١) أخرجه أحمد (٤٩١/٣١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والطبراني في المعجم الكبير (٣١٤/٢) [مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤١٥هـ]، وصححه محققو المسند.

وهم الأنبياء، والصديقون، والشهداء، والصالحون، وعلى رأسهم نبينا ﷺ، فإن محبته متقدمة على محبة كل أحد، كما دل عليه ما رواه أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين»^(٥).

ثم الصحابة، وعلى رأسهم أمهات المؤمنين، وأهل بيته الطاهرين، والخلفاء الأربعة، ثم سائر الصحابة أجمعين على مراتب بينهم في الفضل والتقدم، ثم التابعون، وسلف هذه الأمة من أهل القرون المفضلة.

النوع الثاني: من يبغض بغضاً مطلقاً بحيث لا مودة معها، وهم الكفار والمشركون والمنافقون. قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة].

النوع الثالث: من يحب من وجه، ويبغض من وجه آخر، وهم العصاة من

مؤمن فعليه أن يواليه - وإن ظلمه - فإنّ الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية. وإذا اجتمع في الرجل الواحد: خير وشرّ وفجور، وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة، استحقّ من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحقّ من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشرّ^(١).

وقال عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ: «أصل الموالاة: الحب، وأصل المعاداة: البغض؛ وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة، كالنصرة، والأنس، والمعاونة، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك من الأعمال»^(٢).

وقال السعديّ: «وحيث إنّ الولاء والبراء تابعان للحبّ والبغض فإنّ أصل الإيمان أن تحبّ في الله أنبياءه وأتباعهم، وتبغض في الله أعداءه وأعداء رسله»^(٣).

❁ الأقسام:

الناس فيما يجب في حقهم من الولاء والبراء على ثلاثة أنواع^(٤):

النوع الأول: من يحب محبة خالصة،

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٨، ٢٠٩).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/٣٢٥) [ط٦، ١٤١٧هـ].

(٣) الفتاوى السعدية (١/٩٨) [مكتبة المعارف، ط٢، ١٤٠٢هـ].

(٤) الولاء والبراء للفضوزان (٢٧ - ٣٢) [دار الوطن، ١٤١١هـ]، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (٣١٧ - ٣١٩).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ١٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٤).

التبرؤ من الإسلام وأهله، وبغض كل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأشياء والأشخاص وكراهية ذلك ومعاداته^(٣).

وللبراء مرتبتان:

- الأولى: البراء القلبي، المتمثل في حب القلب وبغضه وإرادته وكراهته لكل ما يغضب الله تعالى ويسخطه. وهذه البراءة القلبية لا بد أن تكون كاملة جازمة، لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان.

- الثانية: البراء العملي، وهو فعل البدن، فهذا منوط بالقدرة والاستطاعة^(٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: مظاهر موالة المسلمين:

لموالة المسلمين مظاهر عديدة^(٥) منها ما يأتي:

١ - الهجرة إلى بلاد المسلمين، وترك بلاد الكفار، فالمسلم مطالب بترك بلاد الكفار لأجل الفرار بالدين^(٦) لأن الهجرة لا تنقطع إلى يوم القيامة، والدليل على ذلك ما رواه معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تنقطع الهجرة

المؤمنين، فيحبون بقدر ما فيهم من طاعة، ويبغضون بقدر ما فيهم من معصية^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والواجب على كل مسلم أن يكون حبه وبغضه، وموالاته ومعاداته تابعاً لأمر الله ورسوله، فيحب ما أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله، ويوالي من يوالي الله ورسوله، ويعادي من يعادي الله ورسوله. ومن كان فيه ما يوالى عليه من حسنات، وما يعادي عليه من سيئات عومل بموجب ذلك، كفساق أهل الملة؛ إذ هم مستحقون للثواب والعقاب، والموالة والمعادة، والحب والبغض بحسب ما فيهم من البر والفجور فإن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»^(٢).

- كما ينقسم البراء إلى قسمين:

القسم الأول: البراء المشروع، وهو البراءة والبغض لكل ما يسخط الله تعالى وبغضه، من الفساد والكفر والمعاصي، ومن تلبس بشيء من ذلك اعتقاداً أو قولاً أو عملاً.

القسم الثاني: البراء الممنوع، هو

(٣) انظر: مفهوم عقيدة الولاء والبراء وأحكامها (٧٣ - ٨٩).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٣١/٢٨).

(٥) انظر: الولاء والبراء للفوزان (١٧ - ٢٦).

(٦) انظر: شرح رسالة الدلائل في حكم موالة أهل الإشراك للفوزان (٨٣ - ٨٨) [١٤٢٨هـ].

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠٨/٢٨)، ٢٠٩، و(٩٥/٣٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٣٨٤، ٣٥٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٩٤/٣٥، ٩٥).

قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً. المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره. التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»^(٤).

٥ - الدعاء لهم والاستغفار لهم، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر].

٦ - الفرق بضعفائهم، دل على ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا»^(٥).

وعن مصعب بن سعد قال: رأى سعد رضي الله عنه أن له فضلاً على من دونه، فقال النبي ﷺ: «هل تنصرون وترزقون

حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»^(١).

٢ - نصرة المسلمين، والدفاع عنهم، ومعاونتهم بما أمكن، وتراحمهم وتعاطفهم. قال تعالى: ﴿أَسْتَصِرُّكُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلْتُمْ النَّصْرَ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ يَبِينُكُمْ وَيَبِينُهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال]، وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه»^(٢).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٣).

٣ - نصحتهم، وعدم غشهم وخيانتهم.

٤ - احترامهم، والتجنب عن طعنهم، وعيبهم، وتنقصهم. والدليل على هذه المظاهر الثلاثة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٧٩)، وأحمد (١١١/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب السير، رقم ٢٥٥٥)، وقال الخطابي في معالم السنن (٢٣٥/٢) [المطبعة العلمية، ط١]: (فيه مقال)، وصححه الألباني بشواهد في الإرواء (رقم ١٢٠٨) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠٢٦)، ومسلم (كتاب البر والصلة، رقم ٢٥٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠١١)، ومسلم (كتاب البر والصلة، رقم ٢٥٨٦).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠٦٤)، مسلم (كتاب البر والصلة، رقم ٢٥٦٤)، واللفظ له.

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٩٤٣) واللفظ له، والترمذي (أبواب البر والصلة، رقم ١٩٢٠) وقال: حسن صحيح، وأحمد (١١/٣٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٠٠) [مكتبة المعارف، ط٥].

إلا بضغفائكم»^(١).

- المسألة الثانية: النهي عن موالة الكفار:

قد نهى الله تعالى عن موالة الكفار والمشركين. قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ نَفْسَكُمْ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْلِيَاكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة].

فهذه الآيات ناهية عن موالة الكفار والمشركين وأهل الكتاب، ومبينة أن المؤمن لا يوالي الكافر ولو كان أقرب قريب له، فإن الموالة بين الكافر والمؤمن منتفية في كل حال.

- المسألة الثالثة: مظاهر موالة الكفار:

لموالة الكفار مظاهر^(٢)، منها ما يلي:

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨٩٦).

(٢) انظر: الولاء والبراء للفوزان (٧ - ١٦)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (٣٠٨ - ٣١٣).

١ - التشبه بهم في الملبس والكلام ونحوهما، فإن التشبه بالكفار منهي عنه، وهو منبئ عن محبتهم، وقد روى ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «من تشبه بقوم فهو منهم»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد، ثم اجتمعا في دار غربة كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم، وإن كانا في مصرهما لم يكونا متعارفين أو كانا متهاجرين؛ وذلك لأن الاشتراك في البلد نوع وصف اختصا به عن بلد الغربة، فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالة لهم، فكيف بالمشابهة في أمور دينية، فإن إفضاءها إلى نوع من الموالة أكثر وأشد والمحبة والموالة لهم تنافي الإيمان»^(٤).

٢ - الإقامة في بلادهم وعدم الهجرة منها إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين.

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب اللباس، رقم ٤٠٣١)، وأحمد (١٢٣/٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وجوّد سنده شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم (٢٦٩/١) [دار العاصمة، ط ٦]، وحسن إسناده الألباني في الإرواء (١٠٩/٥).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (٥٩٤/١).

وهي «عامّة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع، وينص هذه الآية» (٣).

٣ - السفر إلى بلاد الكفار لغرض النزهة، فإن السفر إلى بلادهم من غير ضرورة - كالتجارة، وتعليم ما لا يمكن تعليمه إلا بالسفر إلى بلادهم - محرم (٤).

٤ - الثقة بهم، وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين، واتخاذهم بطانة ومستشارين. قال تعالى: ﴿يَأْتِيَنَّكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران]، فنهى الله تعالى المؤمنين أن يتخذوا بطانة من المنافقين فيطلعونهم على سرائرهم، وما يضمرونه لأعدائهم؛ لأنهم بجهدهم وطاقتهم لا يقصرون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعون من المكر والخديعة، ويودّون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم (٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٢٢٨).

(٤) انظر: الدرر السنية (٢/٣٦١) [٧ط، ١٤٢٥هـ]، ودروس في شرح نواقض الإسلام للفوزان (١٥٧ - ١٦١).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٣/١٦٤).

فإن الإقامة في بلد الكفار تدل على موالة الكافرين، وقد حرم الله تعالى الإقامة في بلد الكفار لمن قدر على الهجرة. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) [النساء]، فتوعد الله من تخلف عن الهجرة من غير عذر بأن مصيرهم في الآخرة جهنم، ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٩٧)؛ يعني: وساءت جهنم لأهلها الذين صاروا إليها مصيرًا ومسكنًا ومأوى (١).

روى البخاري في صحيحه عن محمد بن عبد الرحمن أبي الأسود قال: «قطع على أهل المدينة بعث، فاكتتبت فيه، فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاني عن ذلك أشد النهي، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السهم فيرمى به، فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب عنقه فيقتل، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ﴾» (٢).

(١) انظر: تفسير الطبري (٩، ١٠٠، ١٠١) [مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ].

(٢) صحيح البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧٠٨٥).

أبي العالية، وطاوس، والربيع بن أنس،
والمثنى بن الصباح نحو ذلك^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله:
«وأما أعياد المشركين، فجمعت الشبهة،
والشهوة، والباطل، ولا منفعة فيها في
الدين، وما فيها من اللذة العاجلة،
فعاقبتها إلى ألم، فصارت زورًا.
وحضورها: شهودها.

وإذا كان الله قد مدح ترك شهودها
الذي هو مجرد الحضور برؤية أو سماع،
فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من
العمل الذي هو عمل الزور لا مجرد
شهوده، ثم مجرد هذه الآية فيها الحمد
لهؤلاء والثناء عليهم، وذلك وحده يفيد
الترغيب في ترك شهود أعيادهم وغيرها
من الزور، ويقتضي الندب إلى ترك
حضورها وقد يفيد كراهية حضورها
لتسمية الله لها زورًا»^(٤).

ومن السنة ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه
قال: «قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم
يومان يلعبون فيهما، فقال: ما هذان
اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في
الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: إن الله
قد أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الأضحى

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٧٣٧/٨).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (٤٨٣/١) [دار إشبيلية،
١٤١٩هـ]. وانظر: مجموع الفتاوى (٣٢٥/٢٥) -
٣٢٨، ٣٣٣ [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف،
١٤١٦هـ].

روى ابن أبي حاتم عن ابن أبي
الدهقان، قال: قيل لعمر بن
الخطاب رضي الله عنه: «أن ههنا غلامًا من أهل
الحيرة حافظ كاتب، فلو اتخذه كاتبًا،
فقال: قد اتخدت إذا بطانة من دون
المؤمنين»^(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «ففي هذا
الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل
الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي
فيها استطالة على المسلمين، وإطلاع
على دواخل أمورهم التي يخشى أن
يفشوها إلى الأعداء من أهل
الحرب»^(٢).

٥ - التاريخ بتواريخهم، لا سيما ما
يعبر عن طقوسهم وأعيادهم، ولهذا أرخ
السلف بتاريخ الهجرة ليميزوا بذلك عن
تاريخ الكفار.

٦ - المشاركة في أعيادهم، أو
مساعدتهم في إقامتها، وقد دل على
تحريم ذلك الكتاب والسنة، فمن الكتاب
قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ
الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(١)
[الفرقان]، وقد فسر غير واحد من السلف
الزور بأعياد المشركين، كما رواه ابن
أبي حاتم عن الضحاك وقال: وروى عن

(١) أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف (كتاب الأدب،
رقم ٢٥٨٧٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٥٣/٣)
[مكتبة الباز، ٣].

(٢) تفسير ابن كثير (١٦٦/٣).

ويوم الفطر»^(١).

عَجَّلَتْ لَهُمْ طِيَابَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»^(٣).

٨ - الاستغفار لهم والترحم عليهم.
قال تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة]، قال الطبري في تفسير الآية: «يقول تعالى ذكره: ما كان ينبغي للنبي محمد ﷺ والذين آمنوا به ﴿أَنْ يَسْتَغْفِرُوا﴾» يقول: أن يدعوا بالمغفرة للمشركين، ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم ﴿أُولَى قُرْبَى﴾ ذوي قرابة لهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾» يقول: من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان، وتبين لهم أنهم من أهل النار؛ لأن الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك، فلا ينبغي لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله»^(٤).

٩ - التسمي بأسمائهم، فبعض المسلمين يسمون أولادهم بأسماء الكفار، وهو من الأمور التي يسبب الانفصال بينهم وبين سلفهم، وقد رغب النبي ﷺ في أسماء شرعية فقال: «إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله، وعبد الرحمن»^(٥).

قال شيخ الإسلام: «وجه الدلالة: أن العيدين الجاهليين لم يقرهما رسول الله ﷺ، ولا تركهم يلعبون فيهما على العادة، بل قال: «إن الله قد أبدلكم بهما يومين آخرين»، والإبدال من الشيء يقتضي ترك المبدل منه؛ إذ لا يجمع بين البديل والمبدل منه، ولهذا لا تستعمل هذه العبارة إلا فيما ترك اجتماعهما»^(٢).

٧ - مدحهم، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم دون النظر إلى عقائدهم الفاسدة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه]، فما أعطاه الله الكفار من الدنيا كله ابتلاء واختبار منه ﷺ، وقد عجلت لهم طيباتهم في الدنيا كما قال النبي ﷺ: «لما قال له عمر بن الخطاب: ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم وسَّعَ عليهم وأعطوا الدنيا، وهم لا يعبدون الله، وكان متكئًا، فقال: أوفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١١٣٤)، والنسائي (كتاب العيدين، رقم ١٥٥٦) [مكتبة المعارف، ط ١]، وأحمد (٢٢٥/٢١) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، والحاكم (كتاب صلاة العيدين، رقم ١٠٩١) وصححه على شرط مسلم، وكذا قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (٤٨٦/١)، والألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ١٠٣٩) [مؤسسة غراس، ط ١].

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٤٨٦/١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٦٨)، ومسلم (كتاب الطلاق، رقم ١٤٧٩).

(٤) تفسير الطبري (٥٠٩/١٤).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الآداب، رقم ٢١٣٢).

- المسألة الرابعة: من مظاهر البراء من الكفار:

١ - بغض الشرك والكفر والنفاق وأهله عموماً.

٢ - هجر بلاد الكفر وعدم السفر إليهم إلا لحاجة، مع القدرة على إظهار شعائر الإسلام.

٣ - أن لا يناصر الكفار ولا يعينهم على المسلمين.

٤ - أن لا يستعين بهم من غير حاجة ولا يتخذهم بطانة له يحفظون سره.

٥ - أن لا يشاركهم في أعيادهم وأفراحهم ولا يهنئهم بها، وأن لا يستغفر لهم ولا يترحم عليهم.

٦ - هجر مجالسهم المحتوية على منكراتهم، وعدم صداقتهم ومخاللتهم.

٧ - عدم المداينة والمجاملة لهم على حساب الدين.

٨ - أن لا يعظم الكافر بلفظ أو فعل.

٩ - عدم التولي العام لهم.

١٠ - أن لا يبدأهم بالسلام من غير موجب.

١١ - ترك اتباع أهوائهم وطاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام.

١٢ - عدم الركون إلى الكفرة الظالمين.

١٣ - ترك التشبه بالكفار في الأفعال الظاهرة^(١).

- المسألة الخامسة: متى يكون التولي كفراً؟

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وفي الحديث: «من تشبه بقوم فهو منهم».

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذه النصوص وما ورد في معناها مثل: أثر عبد الله بن عمرو أنه قال: «من بنى بأرض المشركين، وصنع نيروزهم، ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة»^(٢).

أن هذا قد يحمل على التشبه المطلق، الذي يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه صار منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفراً أو معصية أو شعاراً للكفر أو للمعصية كان حكمه كذلك^(٣).

كما بيّن السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحنة]، أن هذا الظلم يكون بحسب التولي، فإن كان تولياً تاماً صار ذلك كفراً مخرجاً عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ وما هو دون ذلك^(٤).

[مصدر الكتاب: موقع مشكاة الإسلامية].

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (كتاب الجزية، رقم ١٨٨٦٣، ١٨٨٦٤).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٣٨).

(٤) انظر: تفسير السعدي (٨٥٦).

(١) الولاء والبراء والعداء في الإسلام للبدراني (٤٨)

فقال رسول الله ﷺ: «لقد صدقكم»، قال عمر: يا رسول الله! دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «إنه قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»^(١).

قال ابن العربي: «من كثر تطلعه على عورات المسلمين، وبنه عليهم، ويعرف عدوهم بأخبارهم لم يكن بذلك كافرًا إذا كان فعله لغرض دنيوي، واعتقاده على ذلك سليم، كما فعل حاطب بن أبي بلتعة حين قصد بذلك اتخاذ اليد ولم ينو الردة عن الدين»^(٢).

قال ابن تيمية: «وقد تحصل للرجل موادتهم لرحم أو حاجة، فتكون ذنبًا ينقص به إيمانه، ولا يكون به كافرًا كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة»^(٣).

- المسألة السادسة: إن ولاء المؤمن لا يكون إلا لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

وعلى هذا فلا يكون الولاء لطائفة معينة، ولا لقبيلة معينة، ولا لشيخ معين، وكذلك لا يكون البراء على ذلك، وإنما يكون الولاء للطاعة وأهلها،

وذكر بعض أهل العلم أن تولي الكافر إذا كان لدينه - وليس لأمر دنيوية - أن هذا كفر، وقد تكون معصية أو كبيرة من الكبائر إذا كانت لغرض دنيوي، وعلى هذا الأخير حمل بعض أهل العلم قصة حاطب بن بلتعة التي رواها عبيد الله بن أبي رافع قال: سمعت عليًا رضي الله عنه يقول: «بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود، قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة ومعها كتاب، فخذوه منها، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب ما هذا؟ قال: يا رسول الله لا تعجل علي؛ إني كنت امرئًا ملصقًا في قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهلهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي وما فعلت كفرًا، ولا ارتدادًا، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام،

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠٠٧)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٤)، واللفظ للبخاري.

(٢) أحكام القرآن (٢٢٥/٤) [دار الكتب العلمية]. وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٩٩/٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٥٢٣/٧).

بكر رضي الله عنه قالت: «قدمت عليّ أُمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدتهم مع أبيها، فاستفتت رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن أُمي قدمت عليّ وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: نعم صليها»^(٢).

قال ابن عينة: فأنزل الله وَعَلَىٰ أَهْلِ الْبَيْتِ أَنْ لَا يَتَّخِذُوا آلَ اللَّهِ عِزًّا الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ^(٣). وقال تعالى في حق الوالدين إذا كانا كافرين: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

فأمر الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين الكافرين، وهذا يدل على أن ذلك لا ينافي معاداتهما في الدين، ولا يدخل في النهي عن موالاة الكفار.

وكذلك لا تعد من موالاتهم أن يستفاد من مخترعاتهم وخبراتهم، فقد استأجر النبي ﷺ ابن أريقط الليثي ليدله على الطريق وهو كافر^(٤)، واستدان من بعض اليهود^(٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجزية، رقم ٣١٨٣)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٠٣).

(٣) أخرجه بهذه الزيادة البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٩٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الإجارة، رقم ٢٢٦٣).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٠٩٦).

وانظر: إيثار الحق على الخلق (٣٧٠، ٣٧١) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٧هـ]، ودروس في شرح نواقض الإسلام للفوزان (٩٢ - ٩٤).

والبراء من المعصية وأهلها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وليس لأحد أن يعلق المدح، والذم، والحب، والبغض، والموالة، والمعاداة، والصلاة، واللعن بغير الأسماء التي علق الله بها ذلك: مثل أسماء القبائل، والمدائن، والمذاهب، والطرائق المضافة إلى الأئمة والمشايع ونحو ذلك مما يراد بها التعريف... فذكر الأزمان، والعدل بأسماء الإيثار، والولاء، والبلد والانتساب إلى عالم، أو شيخ إنما يقصد بها التعريف به ليميز عن غيره، فأما الحمد والذم، والحب، والبغض والموالة، والمعاداة، فإنما تكون بالأشياء التي أنزل الله بها سلطانه، وسلطانه كتابه، فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أي صنف كان...»^(١).

- المسألة السابعة: معاملة الكفار في الأمور الدنيوية كالتيجارة، وإجراء العقود المالية، أو مهادنتهم من ولي أمر المسلمين لا تعد من موالاة الكفار:

قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُوا آلَ اللَّهِ عِزًّا الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة]، وعن أسماء بنت أبي

- المسألة الثامنة: حقيقة الحب في الله والبغض في الله:

أحب المؤمن أخاه المؤمن محبة خالصة لله، لا لغرض دنيوي.

فمن اعترت محبته لغيره شائبة نفع دنيوي، فإن محبته لا تكون خاصة لله على التمام، وضابط ذلك أن تحب الشخص لما فيه من الطاعة، لا بمقدار انتفاعك الدنيوي منه، بل تحبه وإن لم تحصل منه على نفع دنيوي.

قال يحيى بن معاذ رحمته الله: «حقيقة الحب في الله: أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء»^(٣).

وعليه، فمن أحب إنساناً لمجرد النفع الدنيوي الذي يلقاه منه، من عطاء المال والنصرة ونحو ذلك، فإنما أحب ذلك النفع الذي وصله، فلا يكون محباً لذلك الشخص في الله، وإن زعم ذلك فهو كاذب، وذلك من دسائس النفوس، ونفاق الأقوال، وكثير من محبة الخلق لبعضهم هي من هذا القبيل، وهذا الحب لا ثواب عليه في الآخرة ولا نفع، وإنما النافع ما كان حباً في الله والله وحده^(٤).

- وقد جاءت النصوص الكثيرة التي تؤكد هذا المعنى، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾

محبة المسلم لأخيه المسلم في الله، وبغضه لأعداء الله في الله، من أوجب الواجبات التي أمر بها الشرع، وهي أوثق عرى الإيمان.

قال الإمام مالك: «الحب في الله والبغض في الله من الفرائض»^(١).

وبغض الكافرين ومعاداتهم والبراءة منهم من أوجب واجبات الدين، بل إنها مقدمة في كتاب الله على البراءة من الأوثان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤].

ومحبة المؤمن لأخيه المؤمن في الله، إنما هي ثمرة من محبته لله، ومن تمام محبة الإنسان لله، كما أنها موجبة لمحبة الله.

فإن من تمام حب الله: حب ما يحبه الله، والله يحب الأنبياء والصالحين، فكان حبهم من ثمرات حبه تعالى، ومن أحب شخصاً في الله، كان المحبوب لذاته هو الله^(٢).

والمحبة في الله إنما تتحقق إذا ما

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٢٧/٨) مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ.

(٢) انظر: قاعدة في الزهد والورع لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (٦٠٧/١٠، ٦٠٨) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، ودرء التعارض له (١٥/٤) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ].

(٣) فتح المجيد (٣٣٨).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٠٩/١٠).

- المسألة التاسعة: اجتماع الحب في الله والبغض في الله في الشخص الواحد:

الأصل في المسلم ثبوت المحبة في حقه، فأما من كمل إيمانه فإنه يُحبُّ جملة، وأما من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فإنه يُحبُّ بقدر ما فيه من الطاعة، ويبغض بقدر ما فيه من المعصية، فقد يجتمع في الشخص ولاية من وجه، وعداوة من وجه^(٣).

ولهذا روى عمر بن الخطاب أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقَّب حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يوماً، فأمر به، فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإذا اجتمع في الرجل الواحد: خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر،

[المجادلة: ٢٢]، وقال ﷺ: «الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ» [الزخرف]، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(١).

قال السعدي رحمه الله: «إن الله عقد الأخوة والموالاة والمحبة بين المؤمنين كلهم، ونهى عن موالاة الكافرين كلهم - من يهود ونصارى ومجوس ومشركين وملحدين ومارقين وغيرهم ممن ثبت في الكتاب والسنة الحكم بكفرهم، وهذا الأصل متفق عليه بين المسلمين، وكل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية، فإنه تجب محبته وموالاته ونصرته، وكل من كان بخلاف ذلك فإنه يجب التقرب إلى الله ببغضه ومعاداته وجهاده باللسان واليد بحسب القدرة، فالولاء والبراء تابع للحب والبغض، والحب والبغض هو الأصل، وأصل الإيمان أن تحب في الله أنبياءه وأتباعهم، وأن تبغض في الله أعداءه وأعداء رسله»^(٢).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٤٠٥)، الولاء والبراء في الإسلام لمحمد بن سعيد القحطاني (١٣٦) [دار طيبة، ط ١].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الحدود، رقم ٦٧٨٠).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠١١)، ومسلم (كتاب البر والصلة، رقم ٢٥٨٦).

(٢) الفتاوى السعدية (٩٨/١) [المؤسسة السعدية، الرياض].

البراء الشرعي على تلك المحبة الطبيعية؛ إذ المودة الشرعية للمؤمن والبراء الشرعي من الكافر هو الأصل والحاكم في التعامل مع الناس، اعتقادًا وفعلاً.

ومما استدل به القائلون بجواز هذه المحبة الطبيعية للزوجة الكتابية ونحوها ما يلي:

١ - قوله تعالى في حق أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، حيث فسرهما كثير من أهل العلم بـ: من أحببت هدايته^(٢)، وفسرها جمع منهم بـ: من أحببت شخصه لقربته^(٣)، ولا تعارض بين التفسيرين، ولا مانع من الجمع بينهما والله أعلم، فتكون الآية - على القول الثاني - دليلاً للمسألة.

٢ - الجمع بين إباحة الشرع لنكاح المؤمن من الكتابية العفيفة، كما في قوله تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الْطَّيِّبَاتُ﴾ إلى أن قال: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥]، وإباحة المودة بين الزوجين عموماً، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ عَائِنِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، كاللص تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السُّنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم^(١).

- المسألة العاشرة: المحبة الطبيعية للقريب الكافر ونحوه:

إذا تحقق عند المؤمن البغض الشرعي للكافر، والبراءة الشرعية منه، ولكن وُجِدَ من هذا الكافر ما يقتضي أن يحب جبلة وطبعًا - لا شرعًا - كأن يكون هذا الكافر أبًا أو أمًّا أو ابنًا للمسلم، أو تكون الكافرة زوجة كتابية له، وكذا إذا ما توجه الكافر بإحسان للمسلم، فوجد المسلم في نفسه محبة طبيعية لهؤلاء، فالأقرب والله أعلم أن هذه المحبة لا تنافي البغض الشرعي، ولا يآثم المسلم إذا وجدها في قلبه مع استقرار البراءة الشرعي منهم، ومن دينهم؛ إذ لا تعارض بين البغض الشرعي، والمحبة الطبيعية، فالجهة منفكة، ولكن بشرط أن يقف بهذه المحبة عند حدها القلبي الجبلي، فلا يترحم عليهم، ولا يصلي عليهم، بل إن وُجِدَ ما يقتضي محاربتهم وقتالهم (كأن يكون الأب الكافر في جيش الكفار) قاتلهم، وقَدِّم مقتضى

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٨٢/١٨)، وتفسير البغوي (٢١٥/٦)، وتفسير السمعاني (١٤٩/٤) [دار الوطن، ط١، ١٤١٨هـ]، وزاد المسير (٢٣٢/٦) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ]

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٨٢/١٨)، ومعاني القرآن للفراء (٣٠٧/٢) [عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٣هـ]، وفتح القدير للشوكاني (٢٢٤/٤) [دار الفكر].

(١) يُنظر: مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٨، ٢٠٩).

كمن سرق ماله، وقتل قريبه، ونحو ذلك، بل كما تكره المرأة زوجها كرهاً طبيعياً لأي سبب معتبر فتخالعه، وكما يكره الرجل زوجته فيطلقها، أو يمسكها على كراهته لها، وقد قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيجعلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. والشاهد منها إثبات وقوع الكراهة، وعدم إنكارها، بل الندب لإمساك المرأة مع تلك الكراهة لما يرجى من خير كثير^(٣).

فلا تعارض بين ذلك الظلم وبين ثبوت أصل المحبة الشرعية لذلك المسلم، فإنها محبة له من أجل ما في قلبه من الإيمان، وكما تقرر في المسألة السالفة أن البغض الشرعي لا يعارض الحب الطبيعي، فكذلك ههنا الكره الطبيعي لا يعارض الحب الشرعي، لانفكاك الجهة بينهما في المسألتين، وإن حصل تدافع بين لوازم المحبة الشرعية والكره الطبيعي فالمقدم قطعاً ما كان لازماً للمحبة الشرعية، فلا يجوز بحال أن يحمله ذلك الكره الطبيعي على ظلم أخيه المسلم وإضاعة حقوقه، بل ينبغي مدافعة ذلك الكره، وعدم الركون إليه^(٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢٢/٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٢هـ]، وتفسير ابن كثير (٢/٢٤٣) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(٤) انظر: (حب الكافر لذاته مع بغض كفره هل يجوز =

وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، قال ابن عباس: «الْمُؤَدَّةُ: حُبُّ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ»^(١)، فدل عموم هذه الآية على جواز وقوع المحبة الطبيعية بين الزوج المسلم وزوجته الكتابية.

وأما نصوص البغض للكافرين والبراءة منهم، فهي ثابتة ولا شك، وهي محمولة على البراءة الشرعية من الكافر ومن كفره، فلا تعارض المحبة الطبيعية إذا وُجد سببها^(٢).

- المسألة الحادية عشرة: الكره الطبيعي للمسلم الذي وقع منه موجب ذلك الكره.

وهي مقابلة للمسألة السابقة، فإن الأصل هو ثبوت المحبة الشرعية من المسلم لأخيه المسلم، وإن وقع منه ظلم له، فذلك الظلم لا يزيل تلك المحبة الشرعية، ولكن قد يقع في قلبه كره طبيعي وجبلي لمن ظلمه من المسلمين،

(١) تفسير القرطبي (١٧/١٤) [دار الشعب]، وتفسير ابن كثير (٣٠٩/٦).

(٢) انظر: أحكام القرآن للكنيا الهراسي (١٣٢/١) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٥هـ]، وإيثار الحق على الخلق لابن الوزير (٣٧٣، ٣٧٤) [دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٨٧م]، وإعانة المستفيد للفوزان (٢٥٨/١) [مؤسسة الرسالة]، والقول المفيد على كتاب التوحيد (٣٩٤/١) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٤هـ]، والعقد الثمين (٣٤٤/٨، ٣٤٥) [مكتبة الطبري، ط ١، ١٤٠٣هـ]، وبحث: (المحبة الطبيعية للقريب الكافر ونحوه) لتميم القاضي، منشور في مجلة التأصيل، العدد الخامس.

- المسألة الثانية عشرة: أن بغض الكفار ومعاداتهم، لا ينافي البر والإقسط في حق غير الحربي منهم.

ما تقدم تقريره من وجوب بغض الكافرين ومعاداتهم لا يعارض ما قرره الشريعة من وجوب العدل معهم، والبر والإقسط في حق من لم يكن محارباً لنا منهم.

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ نَبَرُّوهُمْ وَنُقْصِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) [الممتحنة]

يقول القرافي في كتابه (الفروق) لما فرّق بين مسألة بغضهم، ومراعاة البر والإحسان إليهم قال: «وسر الفرق أن عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا لهم؛ لأنهم في جوارنا، فيتعين علينا برهم في كل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودة في القلب، ولا تعظيم شعائر الكفر، فمتى أدّى إلى أحد هذين، امتنع وصار من قبل ما نهى عنه في الآية» (١).

ومما يدخل في ذلك: الإهداء لهم، وقبول هديتهم، فقد قبل النبي ﷺ هدية من ملك أيلة، وهي بغلة بيضاء وبرد (٢)، وثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهدى حلة لأخ له من أهل مكة قبل أن يسلم (٣).

ومما يدخل في ذلك: عيادة مرضاهم، فقد زار النبي ﷺ غلاماً يهودياً - كان يخدمه - قبل موته (٤). وكذلك قصة عيادة النبي ﷺ لعمه أبي طالب قبيل وفاته (٥).

كما أن تلك العداوة والبغض للكافرين لا تعارض ما تقتضيه مصلحة دعوتهم إلى الإسلام من لين القول - من غير ذلة - والمجادلة بالحسنى، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلَاغٍ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال الله لموسى وهارون عليهما السلام في دعوتهما لفرعون: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) [طه]

وهذا اللين والحكمة يجب ألا يوصلا

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجزية، رقم ٣١٦١)،

ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ١٣٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الهبة، رقم ٢٦١٩)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢٠٦٨).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٦).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧٧٢)،

ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤).

= شرعاً؟ مقال للشيخ البراك، نُشر في مجلة البيان، عدد ٣١٠، جمادى الآخرة، (١٤٣٤هـ)، وبحث: (المحبة الطبيعية للقريب الكافر ونحوه) لتميم القاضي، منشور في مجلة التأصيل، العدد الخامس. (١) الفروق للقرافي (٢٩/٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ].

تتحقق كثير من الشعائر الإسلامية، كالجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتتحقق التفرقة بين المؤمنين والكفار.

✽ مذهب المخالفين:

وجدت بعض المفاهيم الخاطئة والعقائد الفاسدة لدى بعض الناس في عقيدة البراء، والتي نشأت من الجهل والهوى والغلو، وهذه المفاهيم وقع فيها طائفتان:

- طائفة غلت وأسرفت حتى خرجت عن المشروع، حيث توهمت أن البراء من الكفار ومعاداتهم وبغضهم يجيز ظلمهم والاعتداء عليهم وسلب حقوقهم، فأجازت لنفسها ظلم الكفار، وأخذ أموالهم، والاعتداء على أعراضهم ودمائهم، دون تفريق بين أحوالهم وأشخاصهم.

- وطائفة أهملت وفرطت حتى أنكرت شرعية البراء من الكفار، ومعاداتهم، لظنها استلزام ذلك لما نُهي عنه من ظلمهم والاعتداء عليهم، أو لسوء فهمها لمبدأ التسامح والمحبة في الإسلام، فدعت إلى محبتهم وموادتهم ونزع عداوتهم.

والحق أن كلا الطائفتين ضلّت عن سواء السبيل.

فإن البراء من الكفار ومعاداتهم

لمسلم إلى محبتهم وترك بغضهم وعداوتهم، بل بغضهم ثابت، وإنما المحبة لهدايتهم.

- المسألة الثالث عشرة: ما يُشرع

لمن أحب أخاً له في الله:

يُشرع لمن أحب أخاً له في الله أن يخبره بتلك المحبة.

فعن المقدم بن معديكرب عن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنّه يحبّه»^(١).

✽ الآثار:

من الآثار الحميدة المترتبة على البراء من كل عمل لا يرضي الله:

- محبة الله لأوليائه المؤمنين التي هي أعظم ما تنافس فيه المتنافسون.

- معية الله لأوليائه المؤمنين بنصرتهم وتأييدهم وتسديدهم وإجابة دعائهم.

- بيان صفة أولياء الله وفضائلهم المتنوعة.

- الولاء والبراء يقتضي عدم الاحتكام إلى أيّ طاغوت في أيّ حكم من الأحكام الدنيوية أو الدنيوية.

- ومن آثار الحب في الله والبغض في الله أنه من أوثق عرى الإيمان، وبه

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥١٢٤)، والترمذي (أبواب الزهد، رقم ٢٣٩٢) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٤٠٨/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٤١٧).

- وبغضهم لا يجوز ظلمهم والبغي عليهم،
فالإسلام يأمر بالعدل حتى مع الأعداء
ويحرم ظلمهم، بل إن مجرد الكذب
عليهم لا يجوز.
- أما الطائفة التي أنكرت العداوة
والبراء والبغض للكفار لظنها بأن ذلك
ملازم لظلمهم والاعتداء عليهم فليس
الأمر كذلك، فلا تلازم بين الأمرين،
فالمؤمن يبرأ من الكفار ويعاديهم
وببغضهم، ومع ذلك فهو لا يظلمهم بل
يسلك معهم العدل في قوله وفعله
ويحسن إلى غير المحاربين منهم
ويتألفهم ويحب لهم الهداية، فالعدل مع
الكافر وعدم ظلمه لا يعني مودته أو عدم
بغضه^(١).
- موالاة أهل الإشراك»، للفوزان.
- ٦ - «قاعدة في المحبة»، لابن تيمية.
- ٧ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
- ٨ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.
- ٩ - «الموالاتة والمعاداة في الشريعة
الإسلامية»، لمحماس بن عبد الله
الجلعود.
- ١٠ - «الولاء والبراء»، للفوزان.
- ١١ - «الولاء والبراء والعداء في
الإسلام»، للبدراني.

❖ الولاء ❖

يراجع مصطلح (الولاء والبراء).

❖ الولاية (صفة الله) ❖

يراجع مصطلح (الولي).

❖ الولي ❖

❖ التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الواو واللام والياء
أصل صحيح يدل على قرب، من ذلك
الوَلِيُّ: القُرْبُ، يقال: تباعد بعد وَلِيٍّ؛
أي: قرب^(٢)، والوَلِيّ صيغة مبالغة من
اسم فاعل (الوالي) من الولاية، مأخوذ
من الأصل الثلاثي (ولي) الدال على

❖ المصادر والمراجع:

- ١ - «اقتضاء الصراط المستقيم»،
لابن تيمية.
- ٢ - «حقيقة الولاء والبراء في الكتاب
والسنة بين تحريف الغالين وتأويل
الجاهلين»، لعصام السناني.
- ٣ - «الدرر السنية في الأجوبة
النجدية» (ج ٢).
- ٤ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن
أبي العز الحنفي.
- ٥ - «شرح رسالة الدلائل في حكم

(٢) مقاييس اللغة (٢/٦٤٥) [دار الكتب العلمية، ط
١٤٢٠هـ].

(١) مفهوم عقيدة الولاء والبراء وأحكامها (٩٠ - ٩٢).
بتصرف.

✽ الأسماء الأخرى:

المولى، الوالي.

✽ الحكم:

يجب إثبات اسم الله الولي والإيمان به لدلالة النصوص عليه^(٣).

✽ الحقيقة:

إن الله ﷻ هو ولي المؤمنين، فهو ناصرهم، ومعينهم على أعدائهم وأعدائهم، وهو ﷻ المتولي للأمر كلها.

✽ الأدلة:

ورد اسم الولي في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى]، وقوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَالَ اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة].

✽ أقوال أهل العلم:

ذكره البيهقي في الأسماء والصفات، وفي الاعتقاد^(٤).

(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/١٧٤)، الحجة في بيان المحجة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ، الحجة في بيان المحجة (١٥٠/١) [دار الراية، ط١، ١٤١١هـ].

(٤) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/١٧٤)، الحجة في بيان المحجة لأصبهاني (١/١٥٠).

(٤) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/١٧٤)، والاعتقاد له (٦٢).

القرب والدنو، يقال: ولي وتولى يتولى ولاية فهو ولي ومولى، والولي: القرب، يقال: جلس مما يليني؛ أي: بقربي.

والولاء والولاية والمؤالاة: النصر، والتأييد، وتولاه: اتخذه ولياً.

وتولى الأمر يتولاه ولاية: ملكه وقام به، من الولاية: الملك والسلطان، واستولى عليه: ظهر وغلب عليه، وتمكن منه.

والولي: المحب والصاحب والحليف والناصر والمعتق، وكل من تولى أمراً فقام به وتعاوده^(١).

✽ التعريف شرعاً:

الولي: المتولي لجميع شؤون خلقه والقائم بذلك، والناصر لعباده المؤمنين الذي يتولى نصرهم وإرشادهم في الدنيا، ويتولى يوم الحساب جزاءهم وثوابهم^(٢).

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٥/٤٤٧ - ٤٥٤) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، ومقاييس اللغة (١١٠٤) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والصاحح (٦/٢٥٢٨ - ٢٥٣٠) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٨٨٥ - ٨٨٧) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (١٧٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط٥]، والمعجم الوسيط (٢/١٠٥٧، ١٠٥٨) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٥٥) [دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٧٤م]، واشتقاق أسماء الله (١١٣) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ]، وشأن الدعاء (٧٨) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والمنهاج في شعب الإيمان (١/٢٠٤) [دار الفكر، ط١]، والأسماء والصفات للبيهقي (١/١٧٤) [مكتبة

المراتب:

ولاية الله ﷻ لعباده وتوليّه لهم نوعان:

الأول: ولاية عامة، وهي إثبات جميع معاني الملك لله ﷻ على خلقه، وتصريفه سبحانه وتديره لجميع الكائنات وشؤونهم، وأنهم جميعاً طوعاً وتدبيره، ولا خروج لأحد منهم عن نفوذ مشيئته وشمول قدرته، وهذا يشمل المؤمن والكافر والبر والفاجر، والجماد والنبات، وسائر الموجودات، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِينِ﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا كَلٌّ لِّنَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس]، ومعنى كونه ﷻ مولى الكافرين: أنه المالك لهم المتصرف فيهم بما يشاء، المتولي لهم الولاية العامة.

النوع الثاني: الولاية الخاصة: الملازمة للمحبة، والتي تقتضي النصر والتأييد، والعناية واللطف، والتوفيق لعباده المؤمنين الموحدين، قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ﴾ [الأنفال]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]،

وقال قوام السُّنة الأصبهاني: «ومن أسمائه: الولي؛ ومعناه: الناصر لعباده المؤمنين، وقيل: المتولي للأمر كلها»^(١).

وذكره ضمن الأسماء الحسنى الشيخ ابن عثيمين في القواعد المثلى^(٢).

الأقسام:

الولاية تنقسم إلى قسمين^(٣):

القسم الأول: ولاية مطلقة، وهذه لله ﷻ، لا تصلح لغيره، كالسيادة المطلقة.

القسم الثاني: ولاية مقيدة، وهذه تكون لغيره الله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحریم: ٤]

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من كنت مولاه، فعلي مولاه»^(٤).

وتكون هذه الولاية بمعنى النصر والمتولي للأمر والسيد والعتيق ونحو ذلك.

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١٢٦/٣)، (١٢٧) [دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٨هـ].

(٢) الحجة في بيان المحجة (١٥٠/١).

(٣) انظر: القواعد المثلى ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٢٧٧/٣).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧١٤) وحسنه، وأحمد (٢٩/٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٥٧٦) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٠/٤).

يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ
وَالْكَسَلِ وَالْجَبْنِ وَالْبَخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ
الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتْ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا،
أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا،
اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ،
وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ،
وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا» (٣).

قال ابن أبي العز الحنفي: «مذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضا، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى، كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات»^(٤).

- المسألة الثانية: المولى:

المولى اسم من أسماء الله، وهو بمعنى: الناصر والمعين، وهو المأمول منه النصر والمعونة؛ لأنه المالك، ولا مفرغ للمملوك إلا مالكة^(٥).

وقد استدل من أثبت هذا الاسم من

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٢٢).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٦٨٥) [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ].

(٥) انظر: شأن الدعاء (١٠١) [دار الثقافة، ط، ١٤١٢هـ]، والمنهاج في شعب الإيمان (١/٢٠٤) [دار الفكر، ط، ١٣٩٩هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (١/١٧٥)، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٣٠٦).

فالمنفى هنا عن الكفار الولاية الخاصة
المقتضية للنصر والتأييد والتوفيق، لا
الولاية العامة المقتضية للملك والتدبير،
ولا تعارض بينهما^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ولاية الله تعالى:

ولاية الله تعالى صفة من الصفات
الفعلية، ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله
وعظمته، وقد جاء بيان ذلك وإثباته في
القرآن الكريم والأحاديث النبوية
الصحيحة (٢).

والواجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف ولا تمثيل. قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران].

عن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم
إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٨٩)
[مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤١٧هـ]، وفقه الأسماء
الحسنى (١٦٨، ١٦٩) [دار التوحيد، ط١،
١٤٢٩هـ].

(٢) انظر: صفات الله ﷻ الواردة للسقاف (٣٧٤) [دار الهجرة الرياض، ط ٣، ١٤٢٦هـ].

على الله ﷻ؛ لافتقاره إلى دليل يثبت به، وإنما استند من أثبتته من أهل العلم إلى وروده في بعض طرق حديث تعيين الأسماء المشهور، والصحيح أن هذا التعيين لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ وإنما هو مدرج في الحديث، كما رجح ذلك كثير من أهل العلم الخبيرين بالصناعة الحديثية، والله أعلم^(٣).

- المسألة الرابعة: هل يجوز إطلاق: أن الله ولي الكافرين؟

لم يطلق في النصوص أن الله ﷻ ولي الكافرين؛ لأن الله ﷻ وإن كان قد أنعم على الكافرين وهو المتولي لجميع شؤونهم المدبر لها إلا أنهم قابلوا ذلك بالكفر والجحود والنكران لهذه النعم، ولم يقرروا بها لمسديها عليهم، في حين أن المؤمنين قابلوا نعمه بالشكر والإقرار والطاعة والتوحيد، فاستحقوا بذلك ولاية الله ﷻ ظاهراً وباطناً.

كما أنه لما كان من معاني الولي المحب والناصر والمعين لم يجز إطلاق أن الله ولي الكافرين حتى لا يتبادر إلى ذهن السامع أن المراد به الولاية الخاصة التي تقتضي المحبة والنصرة والعون والتأييد والتوفيق^(٤).

أهل العلم بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ نِعَمَ الْمَوَلَىٰ نِعَمٌ﴾ [النفال]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَىٰ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد]. وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول: «اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهزم وعذاب القبر، اللَّهُمَّ آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشيع، ومن دعوة لا يستجاب لها»^(١).

وأورد هذا الاسم معظم من اعتنى بجمع الأسماء الحسنی، ولم يسقطه سوى: الزجاج، وابن منده، والزرجاني، وابن حزم، وابن العربي، وابن الوزير، وصديق خان، والسعدي.

- المسألة الثالثة: الوالي:

الوالي هو المالك للخلق، المتولي لجميع شؤونهم والراعي لمصالحهم، والمتصرف بمشيئته فيها، ينفذ فيها حكمه، ويجري فيها حكمه^(٢).

ولا يصح إطلاق اسم الوالي

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنی للزجاج (٦١)،

وشأن الدعاء (٨٩)، الأسماء والصفات للبيهقي (١)

(١٧٤)، الحجة في بيان المحجة (١/١٦١).

(٣) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله

الحسنی للتميمي (٨٤ - ٩٥) [أضواء السلف، ط ١،

١٤١٩هـ].

(٤) انظر: اشتقاق أسماء الله (١١٤)، والأسنى في شرح =

المسألة الخامسة: حصول ولاية الله تعالى:

التي يمنحها الله ﷻ لبعض من يستحق ذلك من عباده عند الحاجة.

إن تحقيق ولاية الله ﷻ عند أهل السنة والجماعة من الأمور المكتسبة التي ينالها العبد متى ما حقق قام بأسبابها الموجبة لها، من الإيمان الصادق وتقوى الله ﷻ بطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر، كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ [يونس].

أما عند أهل البدع وخاصة الصوفية منهم وأهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود بالأخص، فإن الولاية عندهم هبة من الله ﷻ يعطيها لمن يشاء من عباده، فنسبونها بهتاناً وزوراً إلى الفسقة والمجانين والزنادقة والملحدين بمجرد حصول بعض الخوارق والشعوذات الشيطانية على يدي هؤلاء المزعومين، والحقيقة أنها أحوال شيطانية، وليست من الكرامات الإلهية التي يجريها الله ﷻ على يد بعض أوليائه الذين حققوا الولاية الصحيحة بالتزام كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، كما أن حصول هذه الكرامات والخوارق ليست شرطاً في نسبة الولاية لمن يستحقها؛ بل إنها من المكافآت

الفرق بين: الولي، والوالي، والمولى:

الفرق بين: الولي، والوالي، والمولى،

كل من الولي والوالي والمولى أسماء متقاربة يدور معناها حول الملك والسلطان والقدرة، وهذا بمقتضى الولاية العامة، والمحبة والنصرة والعون والتأييد والتوفيق، وهذا بمقتضى الولاية

(١) انظر للتفصيل في هذا الموضوع: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية، وأولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي لعبد الرحمن دمشقية.

= أسماء الله الحسنى (١/٣٠١، ٣٠٢) [دار الصحابة، ١٤١٦هـ]، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٨٩).

سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيدنه» (١)(٢).

٢ - تقتضي مغفرة الذنوب إذا وقعت من عباد الله المؤمنين، ولا تقتضي العصمة منها، ويدل على ذلك ما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في غزوة أحد: «أن أبا سفيان قال بعد أن أصيب المسلمون: أفي القوم محمد؟ قال النبي ﷺ: لا تجيبوه، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: لا تجيبوه، فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت عدو الله، أبقى الله عليك ما يخزيك، قال أبو سفيان: اعل هبل، فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجل، قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم» (٣).

فمع ما وقع من بعضهم من ذنوب ومخالفة لأمر النبي ﷺ إلا أنه لم ينف عنهم أن يكون الله ﷻ مولاهم، وأنهم أولياء الله الولاية الخاصة.

كما أن في هذه الحادثة في هذه

الخاصة بالمؤمنين، والفرق بينها من جهة الصيغة المستخدمة، وبيانه فيما يلي:

الولي أعم متعلقاً؛ إذ إنه أكثر شمولاً لمعاني الولاية بنوعيتها العامة والخاصة، والوالي أكثر تعلقاً بالولاية العامة، والمولى أكثر تعلقاً بالولاية الخاصة.

الآثار:

١ - جاءت نصوص الكتاب والسنة مبينة للأسباب التي نال بها المؤمنون من عباده ولاية الله ﷻ، منها:

أ - «تحقيق الإيمان الصادق والتقوى في السر والعلن، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٦) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٧) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكُلِّ شَيْءٍ ذِكْرٌ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٨)﴾ [يونس].

ب - الاجتهاد في التقرب إلى الله ﷻ بطاعته، وذلك بأداء فرائض الإسلام، ثم التزود من النوافل ورغائب الدين، كما في الحديث القدسي أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٢).

(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنی (١٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٠٤٣).

- ٢ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي .
 ٣ - «شأن الدعاء»، للخطابي .
 ٤ - «الأسماء والصفات»، للبيهقي .
 ٥ - «الحجة في بيان المحجة»،
 للأصبهاني .

- ٣ - إذا عرف المسلم ما تقدم جاهد نفسه على ملازمة طاعة الله ﷻ وطاعة نبيه ﷺ والعمل بما أمراه، والانتهاز عما نهيا عنه، حتى تتحقق له ولاية الله ﷻ وما يترتب عليها .
- مذهب المخالفين:

- الولاية صفة من الصفات الفعلية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية.
- والصحيح أنه يجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة القرآن الكريم والأحاديث النبوية على ذلك .

- ١١ - «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي .
- التعريف لغة:

- قال ابن فارس: «الواو والهاء والباء: كلمات لا ينقاس بعضها على بعض. تقول: وهَبْتُ الشَّيْءَ أَهْبُهُ هَبَّةً وَمَوْهَبًا. وَاتَّهَبْتُ الهبة: قَبِلْتُهَا. وَالْمَوْهَبَةُ: قُلْتُ يَسْتَنْقِعُ فِيهِ الْمَاءُ؛ وَالْجَمْعُ مَوَاهِبُ. وَيُقَالُ: أَوْهَبَ إِلَيَّ مِنَ الْمَالِ كَذَا؛ أَيْ:

المصادر والمراجع:

- ١ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج .

(١) انظر: النهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للنجدي (٢/٤٧، ٤٨) [مكتبة الذهبي، ط ٢، ١٤١٧هـ].

وارتفع. وأصبح فلانٌ مُوهَّباً لكذا؛ أي: مُعَدَّاً له^(١). والوهاب مبالغة من الهبة، مأخوذ من الأصل الثلاثي (و ه ب) الدال على إعطاء الشيء بلا عوض، يقال: وهب يهب وهباً وهبة وموهبة فهو واهب ووهاب وموهوب، والهبة: أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض، ورجل وهاب ووهابة: كثير الهبة لأمواله^(٢).

الحكم:

يجب إثبات اسم الوهاب، وما دل عليه من الصفة: (الوهاب) لله تعالى، على الوجه اللائق بالله تعالى، كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة^(٥).

الحقيقة:

أن الله ﷻ هو الوهاب كثير العطايا، يهب ما لا يمكن أن يهبه سواه، فهو واهب الحياة وواهب كل نعمة ابتداءً من رزق وولد ومال وهداية بلا ثمن ولا مقابل، وفوق ذلك يهب الجنة لمن أطاعه وليست الجنة ثمناً مقابلًا للطاعة، وهذا العطاء منه سبحانه هو حقيقة ومقتضى اسمه الوهاب واتصافه ﷻ بذلك.

الأدلة:

ورد اسم الوهاب في مواضع عدة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾

(٤) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٢٦)، وفقه الأسماء الحسنى (١١٩).

(٥) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٥٣) [دار الثقافة العربية، ط٣، ١٤١٢هـ]، وشرح القصيدة النونية لأحمد بن إبراهيم (٢٣٤/٢) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٦هـ].

التعريف شرعاً:

الوهاب: الذي شمل الكائنات بأسرها ببره وهباته وكرمه، فهو مولى الجميل، ودائم الإحسان، وواسع المواهب، يجود بالنوال قبل السؤال، المتفضل بالعطايا التي عمّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته، من غير أن يتوقع عوضاً^(٣).

(١) مقاييس اللغة (١٤٦/٦) [دار الجيل، ط٢].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٤٦٣/٦، ٤٦٤) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، والصاح (٢٣٥/١) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومفردات ألفاظ القرآن (٨٨٤، ٨٨٥) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٨٢، ١٨٣) [مؤسسة الرسالة، ط٥]، والمعجم الوسيط (١٠٥٩/٢) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٠١/٢١) [الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، واشتقاق أسماء الله (١٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ]، وشأن الدعاء (٥٣) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والمنهاج في شعب الإيمان (٢٠٦/١) [دار الفكر، ط١]، والأسماء والصفات لليهقي (١٩١/١) [مكتبة السوادى، ط١، ١٤١٣هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٧٣) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (١١٩) [دار التوحيد، ط١].

[ص]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران].

❁ أقوال أهل العلم:

قال الزجاج: «الوَّهَّاب هو (فَعَّال) من قولك: وهبت أهب هبة، والهبة تمليك الشيء بلا مثل، والمثل في الشرع على وجهين قيمة وثمن، والله تعالى وهَّاب الهبات كلها»^(١).

وقال أبو سليمان الخطابي: «الوَّهَّاب: هو الذي يجود بالعطاء عن ظهر يد من غير استثابة، ومعنى الهبة: التمليك بغير عوض يأخذه الوهاب من الموهوب له، فكل من وهب شيئاً من عرض الدنيا لصاحبه، فهو واهب، ولا يستحق أن يسمى وهاباً إلا من تصرف مواهبه في أنواع العطايا فكثرت نوافله ودامت.

والمخلوقون إنما يملكون أن يهبوا مالا، أو نوالاً في حال دون حال، ولا يملكون أن يهبوا شفاء لسقيم، ولا ولداً لعقيم، ولا هدى لضلال، ولا عافية لذي بلاء، والله الوهاب سبحانه يملك جميع ذلك، وسع الخلق جوده، ورحمته، فدامت مواهبه واتصلت منه وعوائده»^(٢).

(١) تفسير أسماء الله الحسنى (٣٨) [دار المأمون للتراث، ط ٥، ١٤٠٦هـ].

(٢) شأن الدعاء للخطابي (٥٣) [دار الثقافة العربية، ط ٣، ١٤١٢هـ].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

«وكذلك الوهاب من أسمائه

فانظر مواهبه مدى الأزمان

أهل السماوات العلى والأرض عن

تلك المواهب ليس ينفكان»^(٣)

وأورد هذا الاسم جميع من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها من أهل العلم.

❁ الآثار:

١ - الإيمان باسم الله الوهاب يغرس في النفوس محبة الله العظيم، ويدفعها إلى القيام بحمده وشكره، ويقوي رجاءها وتعلقها بربها الكريم، الذي غمر خلقه بهبات عظيمة، وعطايا جسيمة، ومنن جليلة ليست محصورة بعدد، ولا مقصورة على مُدَد، بل يده سحاء الليل والنهار لا تغيضها نفقة.

٢ - على العبد أن يحمد الله ﷻ على جميع مواهبه وعطاياه، وإن كان الحمد نفسه هبة ونعمة منه تستوجب الحمد، ولذا قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «الحمد لله الذي لا يؤدي شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه توجب مؤدي ماضي نعمه بأدائها نعمة حادثة يجب عليه شكره بها»^(٤).

(٣) شرح القصيدة النونية لأحمد بن إبراهيم (٢/ ٢٣٤).

(٤) الرسالة (٧، ٨) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٢م].

- فالعبد دائر في حياته كلها بين الحمد والشكر، فالحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، حمدًا لا ينقطع ولا يبديد ولا يفنى عدد ما حمده الحامدون، له الحمد والشكر، وله المنة والفضل، بيده الأمر كله، ولا إله غيره، العزيز الوهاب^(١).
- ٣ - كما أن العبد مندوب إلى أن يتصف بهذا الوصف، وهو مندرج تحت قوله تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج]، فكل ما يؤدي العبد من واجب ليس هبة، وكل ما أولى من معروف لم يجب عليه يبتغي به وجه الله تعالى فهو هبة مندوب إليها^(٢).
- المصادر والمراجع:**
- ١ - «الأسماء والصفات» (ج ١)، للبيهقي.
- ٢ - «الحجة في بيان المحجة» (ج ١)، للأصبهاني.
- ٣ - «الأسنى في شرح أسماء الله
- الحسنى»، للقرطبي.
- ٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.
- ٥ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
- ٦ - «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.
- ٧ - «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للحمود النجدي.
- ٨ - «شأن الدعاء»، للخطابي.
- ٩ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
- ١٠ - «أسماء الله الحسنى: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها»، لماهر مقدم.

الوهاب

يراجع مصطلح (الوهاب).



(١) انظر: فقه الأسماء الحسنى (١٢١).

(٢) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٣٩٩).

حرف الياء

يأذن الله في خروجهم آخر الزمان^(٣).

■ يأجوج ومأجوج ■

التعريف لغة:

يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان، فلا اشتقاق لهما. وقيل: عريان، وعلى هذا يكون اشتقاقهما من أجيج النار: وهو التهابها. وقيل من الأجة، وهي الاختلاط أو شدة الحر. وقيل من الأج: وهو العدو السريع. أو من الأجاج: وهو الماء الشديد الملوحة. وقيل: مأجوج من: ماج؛ إذا اضطرب، ويشهد له قول الله تعالى: ﴿وَتَرْكَبُهُمْ بِعَصْفِ يَوْمَئِذٍ يُؤْجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩]^(١).

التعريف شرعاً:

أصل يأجوج ومأجوج من البشر من ذرية آدم وحواء عليهما السلام^(٢). وهما من سلالة يافث ولد نوح عليه السلام. وقد كانوا يعبثون في الأرض ويؤذون أهلها، فحصرهم ذو القرنين في مكانهم خلف السد، حتى

(١) ينظر: الصحاح (٢٩) [دار المعرفة، ط ٢، ١٤٢٨هـ]، ولسان العرب (٢/٢٠٦، ٢٠٧) [دار صادر، ط ٣].

(٢) زعم بعضهم أن آدم نام فاحتلم فاختلط منه بتراب؛ فتولد منه يأجوج ومأجوج، وهو قول منكر لا أصل له. ينظر: فتح الباري (٦/٤٤٥).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

لا شك في أن يأجوج ومأجوج في سرعة انتشارهم في الأرض، وإفسادهم فيها مثلهم مثل النار في سرعة انتشارها، وعظم فسادها.

الحكم:

يجب الإيمان بخروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان. وظهورهم من العلامات الكبرى للساعة، والإيمان بخروجهم يدخل ضمن الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ (٩٢) قَالُوا يَٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ

(٣) ينظر: الفتن والملاحم (١/١٥٣) [دار الكتب الحديثة، ط ١]، وفتح الباري (١٣/١١٣).

النار؟ قال: من كل ألف: تسع مئة وتسعة وتسعين. فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى؛ ولكن عذاب الله شديد. قالوا: يا رسول الله! وأينا ذلك الواحد؟ قال: أبشروا. فإن منكم رجل، ومن يأجوج ومأجوج ألف. ثم قال: والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. فكبرنا، فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فكبرنا، فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. فكبرنا، فقال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود»^(٣).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء. ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه؛ حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٤٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٢٢).

قال ابن حجر في فتح الباري (١٣/١١٥): «عقد العشرة أن يجعل طرف السبابة اليمنى في باطن طي عقدة الإبهام العليا، وعقد التسعين أن يجعل طرف السبابة اليمنى في أصلها، ويضمها ضمًا محكمًا بحيث تنطوي عقدتها حتى تصير مثل الحية المطوقة».

الْصَّافِينَ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دُكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ [الكهف]، وقال تعالى: ﴿حَقَّقْ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء]. وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، أن النبي ﷺ دخل عليها فزعا يقول: «لا إله إلا الله! ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها. قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فتح الله من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا، وعقد بيده تسعين»^(٢). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك. فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٤٦)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٨٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٤٧)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٨٨١).

واليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النَّغْفَ^(١) في رقابهم؛ فيصبحون فَرَسَى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زَهْمُهُمْ^(٢) وَنَتْنُهُمْ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البُحْتِ^(٣) فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا لا يَكُنُّ منه بيت مدر، ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلْفَةِ^(٤)، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردّي بركتك^(٥)، الحديث.

وعن النّوّاس بن سَمْعَانَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيوقد المسلمون من قِسيِّ يأجوج، ومأجوج، ونشأبهم،

والذي يرسل الله عليهم سبع سنين»^(٦). وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غدًا، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس، حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غدًا إن شاء الله تعالى، واستثنوا، فيعودون إليه، وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشقون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع عليها الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله نغفًا في أقفائهم، فيقتلهم بها. قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن، وتشكر شكرًا، من لحومهم»^(٧).

أقوال أهل العلم:

قال أبو عمرو الداني: «إن الإيمان

(٦) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٧٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٤٠).

(٧) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣١٥٣) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٨٠) واللفظ له، وأحمد (٣٦٩/١٦) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٧٣٥).

(١) النَّغْفُ: دود يكون في أنوف الإبل والغنم. وقيل: هو الدود الأبيض الذي يكون في النوى. ينظر: غريب الحديث (٢٠٣/٤) [دائرة المعارف العثمانية، ط ١، ١٣٨٧هـ].

(٢) الزَّهْمُ: رائحة اللحم المتفنن. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٠٦) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٣) البُحْتُ: نوع من الإبل تتميز بطول أعناقها. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٦٤).

(٤) الزَّلْفَةُ: المرأة، شبه الأرض بها لاستوائها ونظافتها. والمراد أن الماء يعم جميع الأرض فينظفها. ينظر:

النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٠١) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢١هـ]، وفتح الباري (١١٧/١٣) [المطبعة السلفية ومكتبتها، ط ٢، ١٤٤٠هـ].

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشرط الساعة، رقم ٢٩٣٧).

وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَنْبَعَ سَبَّأًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ [الكهف].

واجب بما جاء عن رسول الله ﷺ، وثبت بالنقل الصحيح، وتداول حملة المسلمون من ذكر وعيد الآخرة، وذكر الطوام، وأشراط الساعة، وعلاماتها، واقترباها، فمن ذلك خروج يأجوج ومأجوج، وهم ذرء جهنم^(١).

- المسألة الثانية: موقع السد:

الذي تدل عليه الآيات أن السد بني بين جبلين، لقول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ [الكهف: ٩٣]، والسدان: هما جبلان متقابلان. ثم قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦]؛ أي: حاذى به رؤوس الجبلين وذلك بزبر الحديد، ثم أفرغ عليه نحاسًا مذابًا، فكان السد محكمًا، وحجز به بين يأجوج ومأجوج ومجاوريهم. وذهب بعض العلماء والباحثين إلى أن موقع السد معروف بدليل ما رواه البخاري أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «رأيت السد مثل البرد المحبّر». قال: رأيت^(٤)، وأقر النبي ﷺ الصحابي على أنه رأى السد.

وقال صديق حسن خان: «ويجب الإيمان بكل ما أخبر النبي ﷺ، وصح به الخبر عنه، مما شهدناه أو غاب عنا أنه صدق وحق، سواء في ذلك ما عقلناه، أو جهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه، وكان يقظة لا منامًا، ومن ذلك: أشراط الساعة... ويخرج يأجوج ومأجوج»^(٣).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: جهة السد:

هو في جهة الشرق كما دل عليه قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ

(١) الرسالة الوافية (٢٤٣) [دار الإمام أحمد، ط١، ١٤٢١هـ].

(٢) لوامع الأنوار البهية (١١٦/٢) [المكتب الإسلامي، مكتبة أسامة].

(٣) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (١٢٧، ١٢٨ [ط١، ١٤٠٤هـ].

(٤) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (كتاب الأنبياء،

باب قصة يأجوج ومأجوج)، ووصله ابن أبي عمر في مسنده، كما ذكر الحافظ في الفتح (٣٨٦/٦) [دار المعرفة].

(٥) ينظر: ذو القرنين وسد الصين (١٨٧)، وما بعدها =

عيسى ﷺ آخر الزمان، فإن معرفة جميع بقاع الأرض، والإحاطة بما فيها من المخلوقات لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، الذي أحاط بكل شيء علماً، ولا يلزم من عدم اكتشافنا لمكان سد يأجوج ومأجوج، أنه غير موجود؛ فقد يكون الله ﷻ صرف رؤية الناس عنه، أو جعل بينه وبين الناس موانع تمنع من الوصول إليه، كما حصل مع بني إسرائيل في التيه^(٢). ولعل هذا أسلم؛ فإنه لا يعيننا تحديد مكان السد، أو أن قبائل يأجوج ومأجوج قد خرجوا أو لم يخرجوا؛ بل نقف عند ما أخبرنا به الله ﷻ، وما أخبرنا به رسوله ﷺ، وهو أن سد يأجوج ومأجوج موجود إلى أن يندك، وتخرج منه قبائل يأجوج ومأجوج، وذلك عند دنو الساعة^(٣)، والله أعلم.

- المسألة الرابعة: وقت خروجهم:

دلّت الأحاديث التي سبق ذكرها أن خروجهم يكون بعد مقتل الدجال، وقبل موت عيسى والمهدي ﷺ.

- المسألة الخامسة: لا قتال بعد هلاك

يأجوج ومأجوج:

يدلّ عليه حديث سلمة بن نفيل رضي الله عنه

(٢) ينظر: نهاية العالم أشرار الساعة الصغرى والكبرى (٣٣٣) [التدمرية، ط ٨، ١٤٣١هـ].

(٣) ينظر: أشرار الساعة (٣٧٧) [دار ابن الجوزي، ط ٢٧، ١٤٣٠هـ].

القول: إن الله تعالى قد حجب رؤيته عن بقية خلقه في الجملة، حتى يأتي إذنه تعالى بخروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان ويقع منهم ما يقع من الفساد والإفساد والله أعلم.

- المسألة الثالثة: هل خرجت قبائل

يأجوج ومأجوج؟

ذهب بعض العلماء إلى أن قبائل يأجوج ومأجوج قد خرجت، وهو ليس بالخروج الذي هو من علامات قرب الساعة؛ بل هو خروج من محل إلى محل، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ [الحشر: ٢]، وكقوله ﷻ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٥]، وأما الخروج المراد المترتب عليه فسادهم وإفسادهم فهو خروجهم على نبي الله عيسى ﷺ ومن معه، وسيكون قرب قيام الساعة^(١). وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن السد باقٍ حتى الآن لم يندك، وأن قبائل يأجوج ومأجوج لم تخرج بعد، وإنما يرتبط خروجها بنزول

= [دار غراس، ط ١، ١٤٢٤هـ]، ورسالتان في فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج (٧٣ - ٧٩) [دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٤هـ].

(١) ينظر: رسالتان في فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج (٨٣، ٨٤)، والصين ويأجوج ومأجوج (٧٠)، وما بعدها وعقيدة الإسلام في حياة عيسى (٣٦١ - ٣٦٨) [المجلس العلمي، ط ١، ١٤٤٦هـ].

قال: «بينما أنا جالس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله! إن الخيل قد سببت ووضع السلاح، وزعم أقوام أن لا قتال، وأن قد وضعت الحرب أوزارها. قال رسول الله ﷺ: كذبوا الآن جاء القتال، وإنه لا تزال من أمتي أمة يقاتلون في سبيل الله لا يضرهم من خالفهم، يزيغ الله قلوب قوم يرزقهم منهم يقاتلون حتى تقوم الساعة، ولا تضع الحرب أوزارها حتى يخرج يأجوج ومأجوج»^(١). وخروج يأجوج ومأجوج من علامات قيام الساعة، فبخروجهم يتوقف القتال؛ ولذا فإن الله عندما يريد إهلاكهم يسلط عليهم الدود في رقابهم فيهلكهم.

قال: «بينما أنا جالس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله! إن الخيل قد سببت ووضع السلاح، وزعم أقوام أن لا قتال، وأن قد وضعت الحرب أوزارها. قال رسول الله ﷺ: كذبوا الآن جاء القتال، وإنه لا تزال من أمتي أمة يقاتلون في سبيل الله لا يضرهم من خالفهم، يزيغ الله قلوب قوم يرزقهم منهم يقاتلون حتى تقوم الساعة، ولا تضع الحرب أوزارها حتى يخرج يأجوج ومأجوج»^(١). وخروج يأجوج ومأجوج من علامات قيام الساعة، فبخروجهم يتوقف القتال؛ ولذا فإن الله عندما يريد إهلاكهم يسلط عليهم الدود في رقابهم فيهلكهم.

- المسألة السادسة: يحج إلى بيت الله الحرام، بعد خروج يأجوج ومأجوج: كما دلّ عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج»^(٢)، على الأمن والرخاء الذي يصيب المسلمين بعد أن يهلك الله يأجوج ومأجوج.

الحكمة:

إن في خلق يأجوج ومأجوج خيراً

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (كتاب السير، رقم ٨٦٥٩)، والطبراني في مسند الشاميين (٣/٣٨٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٥٩٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراف الساعة» (ج ٣)، لعمود التويجري
- ٢ - «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»، لمحمد صديق خان.
- ٣ - «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.
- ٤ - «أشراط الساعة»، ليوסף الوابل.
- ٥ - «البحور الزاهرة في علوم الآخرة» (ج ١)، للسفاريني.
- ٦ - «ذو القرنين وسد الصين»، لمحمد الطباخ.
- ٧ - «عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام ضمن مجموعة رسائل الكشميري» (ج ٢)، لمحمد أنور الكشميري.

(٣) فتح الباري (٦/٤٤٥).

٨ - «فتاوى محمد رشيد رضا» (ج ٢). يقنط، وقنط يقنط^(٣).

٩ - «القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراف الساعة»، للسخاوي.

١٠ - «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (ج ٥، ٩)، لابن باز.

١١ - «نهاية العالم أشراف الساعة الصغرى والكبرى»، لمحمد العريفي.

التعريف شرعاً:

قطع الرجاء والأمل من الله تعالى فيما يخافه ويرجوه، واستبعاد الفرج واليأس منه^(٥).

اليأس والقنوط

التعريف لغة:

اليأس: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الياء والهمزة والسين كلمتان؛ إحداهما: اليأس: قطع الرجاء، ويقال: إنه ليست ياء في صدر كلمة بعدها همزة إلا هذه؛ يقال منه: يئس ييأس. والكلمة الأخرى: ألم تيأس؛ أي: ألم تعلم»^(١).

اليأس: القنوط، وقيل: هو ضد الرجاء، وقطع الأمل. يقال: يئس من الشيء ييأس، أيست منه آيس يأساً، مثل: يئست منه أيأس^(٢).

والقنوط: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «القاف والنون والطاء كلمة صحيحة تدل على اليأس من الشيء، يقال: قنط

الحكم:

اليأس من رَوْحِ الله، والقنوط من رحمة الله ذنبان عظيمان، وهما من كبائر الذنوب كما دلّ على ذلك الكتاب والسُّنة، وأقوال سلف الأمة، وقد نص جمع من أهل العلم على عدّهما من كبائر الذنوب، وهما ينافيان كمال التوحيد الواجب، وقد ينقلان عن ملة الإسلام؛ لأنهما قد يصلان بالعبد إلى اعتقاد سوء الظن بالله تعالى، والكفر بوعده ووعيده^(٦).

(٣) مقاييس اللغة (٣٢/٥).

(٤) انظر: الصحاح (١١٥٥/٣)، ولسان العرب لابن منظور (٣١٩/١١)، وترتيب القاموس (٧٠٠/٣).

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد (٨٨٥/٢) [دار الصميعي، ط ١، ١٤٢٨هـ]، وفتح المجيد (٤١٤، ٤١٦) [دار الأثير، ط ١٥، ١٤٣٤هـ]، والقول المفيد (١٠٦/٢ - ١٠٧) [دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٣هـ].

(٦) انظر: العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز =

(١) مقاييس اللغة (١٥٣/٦) [دار الجبل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: الصحاح (٩٩٢/٣) [دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ]، ولسان العرب (٤٣١/١٥) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣]، وترتيب القاموس المحيط (٦٦٨/٤) [دار عالم الكتب، ط ٤، ١٤١٧هـ].

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧) [يوسف]، وقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (٥٦) [الحجر]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

ومن السنة حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر، قال: «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله» (٤).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أكبر الكبائر: الإشراف بالله والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله» (٥).

لابن سعدي - ضمن المجموعة الكاملة (٣٧/٣) [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط ٢، ١٤١٢هـ]، والقول المفيد لابن عثيمين (١٠٣/٢ - ١٠٧).

(٤) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٧١/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٣١/٣) [مكتبة الباز، ط ٣]، وقال ابن كثير في تفسيره (٢٧٩/٢) [دار طيبة، ط ٢]: «في إسناده نظر والأشبه أن يكون موقوفاً».

وأخرجه موقوفاً: الطبراني في الكبير (٢٥٢/١٢) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٦/٧) [مكتبة القدسي].

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (جامع معمر، رقم ١٩٧٠١)، وابن جرير في تفسيره (٢٤٣/٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١]، والطبراني في الكبير (١٥٦/٩) =

قال الإمام الطحاوي رحمته الله: «والأمن واليأس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة» (١).

وقال ابن القيم رحمته الله: «فمن قنط من رحمته ويئس من رَوْحه فقد ظن به ظن السوء» (٢).

❁ الحقيقة:

حقيقة اليأس من رَوْحِ الله والقنوط من رحمة الله: هو فقد الرجاء بالكلية أو ضعفه في قلب العبد، مما ينتج عنه غلبة الخوف وشدته، وهما استبعاد رحمة الله تعالى، واستبعاد حصول المطلوب، واستبعاد زوال المكروه، وذلك كله سوء ظن بالله تعالى، وجهل به، وبسعة رحمته، ومغفرته، فهما يستلزمان الطعن في قدرته ﻋَظَمَ لأن من علم أن الله تعالى على كل شيء قدير لم يستبعد شيئاً على قدرة الله تعالى. والطعن في رحمته سبحانه؛ لأن من علم أن الله رحيم لا يستبعد أن يرحمه الله سبحانه، ولهذا كان القانط من رحمة الله ضالاً (٣).

= الحنفى (٤٥٦/٢) [مؤسسة الرسالة، ط ١٣، ١٤١٩هـ]، والكبائر وتبيين المحارم للذهبي (١٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١٣]، والقول المفيد لابن عثيمين (١٠٦/٢ - ١٠٨).

(١) انظر: العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز الحنفى (٤٥٦/٢).

(٢) زاد المعاد (٢٣٠/٣) [مؤسسة الرسالة، ط ٢٧].

(٣) انظر: زاد المعاد (٢٣٠/٣)، والزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (١١٤)، والقول السديد

وقال ابن عثيمين رحمته الله: «فالقنوط من رحمة الله لا يجوز؛ لأنه سوء ظن بالله وَعَلَيْكَ، وذلك من وجهين: **الأول**: أنه طعن في قدرته سبحانه؛ لأن من علم أن الله على كل شيء قدير لم يستبعد شيئاً على قدرة الله. **الثاني**: أنه طعن في رحمته سبحانه؛ لأنه من علم أن الله رحيم لا يستبعد أن يرحمه سبحانه، ولهذا كان القنوط من رحمة الله ضالاً» (٤).

المسائل المتعلقة:

- أسباب القنوط:

للقنوط من رحمة الله واليأس من روجه سيان:

أحدهما: أن يسرف العبد على نفسه ويتجراً على المحارم فيصّر عليها ويصمم على الإقامة على المعصية ويقطع طمعه من رحمة الله؛ لأجل أنه مقيم على الأسباب التي تمنع من الرحمة، فلا يزال كذلك حتى يصير له هذا وصفاً وحُلُقاً لازماً، وهذا غاية ما يريده الشيطان من العبد، ومتى وصل إلى هذا الحد لم يرج له خير إلا بتوبة نصوح وإقلاع قوي.

الثاني: أن يقوى خوف العبد بما جنت يده من الجرائم، ويضعف علمه بما لله من واسع الرحمة والمغفرة،

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل وفاته بثلاث يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن» (١).

أقوال أهل العلم:

قال ابن القيم رحمته الله وهو يعدد الكبائر: «الكبائر... القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، وتوابع هذه الأمور التي هي أشد تحريماً من الزنا، وشرب الخمر وغيرهما من الكبائر الظاهرة، ولا صلاح للقلب ولا للجسد إلا باجتنابها، والتوبة منها، وإلا فهو قلب فاسد، وإذا فسد القلب فسد البدن» (٢).

وقال ابن قاسم رحمته الله: «القنوط: استبعاد الفرج، واليأس منه، والفرق بينهما لطيف، وسوء ظن بالله تعالى، وهو يقابل الأمن من مكر الله، وكلاهما ذنب عظيم، منافيان لكمال التوحيد، ذكرهما المصنف تنبيهاً على أنه لا يجوز لمن خاف الله أن يقنط من رحمته، بل يكون خائفاً راجياً، يخاف ذنبه، ويعمل بطاعة الله ويرجو رحمة ربه» (٣).

= [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وصححه ابن كثير في تفسيره (٢٧٩/٢) [دار طيبة، ط ٢]، والهيتمي في مجمع الزوائد (١٠٤/١) [مكتبة القدسي].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٧).

(٢) مدارج السالكين (١/١٣٣).

(٣) حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (٢٥٦، ٢٥٧) [ط ١٤، ١٤٢٤هـ].

(٤) القول المفيد (١٠٣/٢، ١٠٤).

ابن مسعود^(٢).

- أو أن بينهما فرقاً: فيكون القنوط أبلغ وأشد من اليأس^(٣)، على قول البعض، أو أن اليأس أشد من القنوط على قول البعض؛ لأن القنوط حكم على أهله بالضلال، وأما اليأس فقد حكم لأهله بالكفر.

قال سليمان بن عبد الله رحمته الله: «فعلى هذا يكون الفرق بينه - أي: القنوط - وبين اليأس كالفرق بين الاستغاثة والدعاء فيكون القنوط من اليأس؛ وظاهر القرآن أن اليأس أشد لأنه حكم لأهله بالكفر، ولأهل القنوط بالضلال»^(٤).

- أو يقال: إن القنوط أعم من اليأس؛ لأن الرحمة المضافة إلى القنوط أعم من الروح؛ فالرحمة تشمل جلب النعم، ودفع النقم، وروح الله عز وجل يطلق في الغالب في الخلاص من المصائب، فهو بمعنى التنفيس والتفريج، فيكون إذاً هذا من باب عطف الخاص على العام^(٥).

الفرق بين اليأس والاستيئاس:

الاستيئاس مقبول ومشروع،

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١٠٧/٢).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (١١٣/٤) [دار

إحياء التراث العربي]، ولسان العرب (٣١٩/١١).

(٤) تيسير العزيز الحميد (٨٨٦/٢).

(٥) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٨٦، ٣٨٧) [دار

التوحيد، ط ١، ١٤٢٤هـ].

ويظن بجهله أن الله لا يغفر له، ولا يرحمه ولو تاب وأتاب، وتضعف إرادته فييأس من الرحمة، وهذا من المحاذير الضارة الناشئة من ضعف علم العبد بربه وما له من الحقوق، ومن ضعف النفس وعجزها ومهانتها.

فلو عرف هذا ربه، ولم يخلد إلى الكسل، لعلم أن أدنى سعي يوصله إلى ربه وإلى رحمته وجوده وكرمه^(١).

الفرق:

الفرق بين اليأس والقنوط:

اليأس والقنوط في أصل المعنى هما بمعنى واحد، لكن قد يفترقان:

- إما أن يقال: إن اليأس والقنوط إذا اجتماعا افترقا، فيكون القنوط بمعنى استبعاد رحمة الله تعالى، واستبعاد حصول المطلوب، وأما اليأس: فهو استبعاد حصول المكروه، وأما إذا افترقا اجتماعاً أي: أنهما بمعنى واحد: وهو قطع الرجاء.

وقال ابن عثيمين رحمته الله في شرح قول ابن مسعود رحمته الله: «المراد بالقنوط: أن يستبعد رحمة الله، ويستبعد حصول المطلوب، والمراد باليأس هنا أن يستبعد الإنسان زوال المكروه، وإنما قلنا ذلك لئلا يحصل تكرار في كلام

(١) انظر: القول السديد لابن سعدي - ضمن المجموعة الكاملة (٣٧/٣).

والاستمرار في الذنوب والمعاصي.

قال أبو قلابة: الرجل يصيب الذنب فيقول: قد هلكت ليس لي توبة، فييأس من رحمة الله، وينهمك في المعاصي، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ١١٠]، ولكن اليأس محرم يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ١١٠]، فالاستيئاس هو

٤ - سبب لفساد القلب: فالقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، وتوابع هذه الأمور التي هي أشد تحريمًا من الزنا، وشرب الخمر وغيرهما من الكبائر الظاهرة، ولا صلاح للقلب ولا للجسد إلا باجتنابها، والتوبة منها، وإلا فهو قلب فاسد، وإذا فسد القلب فسد البدن^(٤).

❁ المصادر والمراجع:

١ - «أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة»، لسهل العتيبي.

٢ - «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.

٣ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٤ - «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، لابن القيم.

٥ - «الزواج عن اقتراف الكبائر»، لابن حجر الهيتمي.

(٤) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٤٠).

(٥) مدارج السالكين (١/ ١٣٣).

فالرسل ﷺ قد يصلوا إليه، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾ [يوسف: ١١٠]، ولكن اليأس محرم يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ١١٠]، فالاستيئاس هو ألا يجد العبد طريقًا إلى حل المشكلة ولكن يعرف ويوقن أن الله طرائق وحلولًا أكثر من أنفاس المخلوقات، فالعبد هنا يائس من آرائه وفكره، موقن في ربه ووسع فضله وعلمه. أما اليأس فهو قاطع للرجاء والأمل من الله فيما يرومه ويقصده^(١).

❁ الآثار:

١ - أن فيه تكذيبًا لله ولرسوله.

اليأس من رحمة الله، وتفريجه من صفة الكافرين، إذ فيه إمّا التكذيب بالربوبية، وإمّا الجهل بصفات الله تعالى^(٢).

٢ - الفتور والكسل عن فعل الطاعات والغفلة عن ذكر الله، فالقائض آيس من نفع الأعمال، ومن لازم ذلك تركها^(٣).

٣ - اليأس من روح الله والقنوط من رحمته؛ يؤدي إلى ترك العمل،

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ١٨١ - ١٨٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف].

(٢) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ٢٧٤) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٣) انظر: الزواج عن اقتراف الكبائر (١/ ١٢٢).

في قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبْشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ [آل عمران: ٣٩]: «(يَحْيَى) لم ينصرف؛ لأنه فعل مستقبل سمي به»^(٣). وذكر غير واحد أن هذا هو المشهور عن المفسرين، قال ابن عادل الحنبلي: «و(يَحْيَى) فيه قولان: أحدهما - وهو المشهور عند المفسرين -: أنه منقول من الفعل المضارع، وقد سَمَوْا بالأفعال كثيرًا، نحو: يعيش، ويعمر، ويموت. قال قتادة: «سُمِّيَ يحيى؛ لأن الله أحياه بالإيمان»، وقال الزَّجَّاج: «حيي بالعلم»، وعلى هذا فهو ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل، نحو يزيد ويشكر وتغلب»^(٤).

ورجح الزمخشري كونه اسمًا أعجميًا، فقال: «ويحيى إن كان أعجميًا - وهو الظاهر - فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى، وإن كان عربيًا فللتعريف»^(٥). وتبعه في ذلك أبو حيان^(٦) وغيره. قال السيوطي: «ويحيى اسم عجمي وقيل: عربي»^(٧). ورده الدكتور ف. عبد الرحيم بقوله: «يحيى بن زكريا عليه السلام»، هذا الاسم العربي، المقابل

٦ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٧ - «القول السديد في مقاصد التوحيد»، للسعدي.

٨ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٩ - «الكبائر وتبيين المحارم»، للذهبي.

١٠ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.

يحيى عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو يحيى ابن نبي الله زكريا عليه السلام.

معنى اسمه لغة:

يحيى: اسم عربي، سمي به؛ أخذًا من الفعل المضارع (يحيى) ومعناه يعيش، وهو نقيض الموت، كقول الله تعالى: ﴿يَهْلِكُ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]، وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [١٣] [الأعلى]، قال الأزهرى: «قال الليث: يقال: حيي يحيى فهو حي»^(١)، وقال ابن دريد: «والحي: ضد الميت؛ حيي يحيى حياة طيبة»^(٢)، وقال النحاس

(٣) إعراب القرآن للنحاس (١/٣٧٤) [عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ].

(٤) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٥/١٩٤).

(٥) الكشف للزمخشري (١/٣٥٩) [دار الكتاب العربي، بيروت، ٣، ١٤٠٧هـ].

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٣/١٠٨) [دار الفكر].

(٧) الإتيان في علوم القرآن (٤/٧٧).

(١) تهذيب اللغة (٥/١٨٣) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١، ٢٠٠١م]. وانظر: القاموس المحيط (١٢٧٧) [مؤسسة الرسالة، ٨، ١٤٢٦هـ].

(٢) جمهرة اللغة (١/٢٣٢) [دار العلم للملايين، ١، ١٩٧٧].

للإيمان»^(٥). وقال ابن كثير: «قال قتادة وغيره: إنما سمي يحيى؛ لأن الله تعالى أحياه بالإيمان»^(٦).

ونقل السيوطي عن الكرمانى تعليقه وجه تسمية يحيى يحيى على هذا القول فقال: «إنما سمي به؛ لأنه أحياه الله بالإيمان، وقيل: لأنه حي به رحم أمه، وقيل: لأنه استشهد والشهداء أحياء»^(٧).

وقال السعدي: «وسماه الله له (يحيى)، وكان اسماً موافقاً لمسماه؛ يحيا حياة حسية، فتم به المنة، ويحيا حياة معنوية، وهي حياة القلب والروح، بالوحي والعلم والدين»^(٨).

الثالث: أنه لا دليل على الجزم بأنه أعجمي إلا إن قيل: إن أباه أعجمي، والأعجمي يسمي ابنه بالاسم الأعجمي، وهذا يردده الواقع المشاهد، فكم من الأعاجم يسمون أبناءهم بمحمد وأحمد وعلي وصالح، إلى غير ذلك.

الرابع: أن الكتب المتخصصة ببيان الأسماء الأعجمية^(٩) أدرجت اسم (زكريا)، وبينت كونه أعجمياً، ولم تدرج اسم (يحيى). وأما جزم الزمخشري ومن

ليوحنا بالسريانية، وليس معرباً، وإن رجح الزمخشري كونه معرباً»^(١).

وهذا هو الراجح؛ لأمر:

الأمر الأول: أن هذا الاسم لم يكن معروفاً لدى العجم أصلاً، وأن أول من سمي يحيى هو نبي الله يحيى، سماه الله به، ولم يكل تسميته إلى أبويه، وأخبر سبحانه أنه لم يتسم أحد قبل يحيى بيحيى، فقال تعالى: ﴿يَزَكِّرْنا إِنَّا نُبَشِّرْكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم]. روى الإمام عبد الرزاق بسند صحيح^(٢) عن قتادة أنه قال في قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾: «لم يسم أحد قبله يحيى»^(٣).

الثاني: أن الاسم الأعجمي لا اشتقاق له في العربية، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن (يحيى) مشتق من الحياة، وهذا يدل على أنه عربي. فقد روى الطبري بسند حسن^(٤) عن قتادة في قوله: ﴿يَزَكِّرْنا إِنَّا نُبَشِّرْكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ [مريم: ٧] أنه قال: «عبد أحياء الله

(١) الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء للدكتور ف. عبد الرحيم (١٩٢) [دار القلم، ط ١، ١٤١٣هـ].

(٢) انظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور لحكمت بشير ياسين (٣٣٣/٣).

(٣) تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني (٤/٢) [مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ].

(٤) انظر: الصحيح المسبور (٣/٣٣٣).

(٥) تفسير الطبري (٣٧٠/٥) [دار هجر، ط ١].

(٦) تفسير ابن كثير (٣٧/٢).

(٧) الإتيان في علوم القرآن (٧٧/٤).

(٨) تفسير السعدي (٤٩٠).

(٩) كالمعرب للجواليقي، والإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء للدكتور ف. عبد الرحيم.

صلوات الله عليهما - فرحبا ودعوا لي بخير...»^(٣).

✽ كتابه:

كان بنو إسرائيل مأمورين بالتوراة، فكانوا يتدارسونها بينهم، ولما بلغ يحيى عليه السلام سن التمييز أمره الله بتعلم الكتاب، وهو هذه التوراة، وذلك بحفظ ألفاظها، ومعرفة معانيها، والأخذ بها بقوة، وذلك بالعمل بأوامرها وترك نواهيها^(٤)، فقال سبحانه: ﴿يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (١٢) [مريم].

وقد ذكر ابن كثير: «أن الله علمه الكتاب، وهو التوراة التي كانوا يتدارسونها بينهم، ويحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار. وقد كان سنّه إذ ذاك صغيراً، فلهذا نوّه بذكره، وبما أنعم به عليه وعلى والديه، فقال: ﴿يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: تعلم الكتاب بقوة؛ أي: بجِد وحرص واجتهاد، ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (١٢)؛ أي: الفهم والعلم والجد والعزم، والإقبال على الخير، والإكباب عليه، والاجتهاد فيه، وهو صغير حدث السن»^(٥).

تبعه بأن (يحيى) اسم أعجمي دون ذكر دليل ففيه نظر؛ ولذا رده الدكتور ف. عبد الرحيم كما تقدم، والله أعلم.

✽ مولده ونشأته:

ولد يحيى بن زكريا عليه السلام قبل عيسى عليه السلام بستة أشهر^(١)، وبشر بمجيئه، ثم جاء وظهر عيسى عليه السلام في زمن يحيى بن زكريا عليه السلام، كما سيتضح من حديث الحارث الأشعري^(٢).

✽ نبوته:

ذكر الله نبوة يحيى عليه السلام في القرآن الكريم، فقد أورد اسمه ضمن أنبيائه ورسله الكرام عليهم السلام، فقال سبحانه: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الْمُضْلِمِينَ﴾ (٨٥) [الأنعام].

وذكره النبي ﷺ ضمن الأنبياء الذين لقيهم في السماوات، كما جاء في حديث الإسراء والمعراج عن النبي ﷺ قال: «ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا -

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢)، واللفظ له.

(٤) انظر: تفسير السعدي (٤٩٠).

(٥) تفسير ابن كثير (٢١٦/٥). وانظر: الشفا بتعريف =

(١) انظر: المنتظم لابن الجوزي (٧/٢) [دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ].

(٢) سيأتي تخريجه. وانظر أيضاً: رحمة للعالمين لمحمد سليمان (٥٣٩).

وقال الشنقيطي: «والكتاب: التوراة؛ أي: خذ التوراة بقوة؛ أي: بجهد واجتهاد، وذلك بتفهم المعنى أولاً حتى يفهمه على الوجه الصحيح، ثم يعمل به من جميع الجهات، فيعتقد عقائده، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ويتأدب بآدابه، ويتعظ بمواعظه، إلى غير ذلك من جهات العمل به، وعامة المفسرين على أن المراد بالكتاب هنا: التوراة، وحكى غير واحد عليه الإجماع، وقيل: هو كتاب أنزل على يحيى، وقيل: هو اسم جنس يشمل الكتب المتقدمة، وقيل: هو صحف إبراهيم، والأظهر قول الجمهور: إنه التوراة، كما قدمنا»^(١).

دعوته:

دعوة نبي الله يحيى عليه السلام كانت إلى خمس مسائل، في مقدمتها: الدعوة إلى تحقيق توحيد الله، وإفراده بالعبادة، والتحذير من الشرك، والأمر بالبعد عنه، وعدم صرف شيء من خصائص الله لغيره كائناً من كان، وهذه الخصال الخمس قد جاء بيانها في حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطئ بها، فقال عيسى:

إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم وإما أنا أمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس، فامتلاً المسجد وتعدوا على الشرف، فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وأمركم أن تعملوا بهن، أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن مثل من أشرك بالله كمثّل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال: هذه داري وهذا عملي فاعمل وأد إلي، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكّم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، وأمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثّل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثّل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم، وأمركم أن تذكروا الله، فإن مثل ذلك كمثّل رجل خرج العدو في أثره سراعاً، حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه

= حقوق المصطفى (٢٠٨/١) [دار الفحاء، عمان، ط ٢].

(١) أعضاء البيان (٣/٣٧٨) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

من الشيطان إلا بذكر الله. قال النبي ﷺ: «وأنا أمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية، فإنه من جثا جهنم، فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال: وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سمّاكم المسلمين المؤمنين عباد الله»^(١).

❁ قومه وموقفهم منه:

قوم يحيى بن زكريا ﷺ هم بنو إسرائيل، كما تقدم في حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها»^(٢).

وقد كذبوه وآذوه، بل اعتدوا عليه حتى مات ﷺ مقتولاً مظلوماً، وقد أدخله بعض المفسرين تحت الفريق المقتول الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾^(٣).

[البقرة]، قال الشوكاني: «ومن الفريق المكذّبين عيسى ومحمد، ومن الفريق المقتولين يحيى وزكريا»^(٣).

وذكر في قتله أسباب؛ من أشهرها: أن ملك دمشق في ذلك الوقت أراد الزواج من إحدى محارمه، قيل: إنها خالته، وقيل: عمته، وقيل غير ذلك، فسئل يحيى عن حكم هذا الزواج، فأجاب بأنها لا تحل له، وكانت تلك المرأة تريد الملك، فأرادت الانتقام من يحيى، فذهبت إلى الملك وطلبت منه أن يتزوجها ويجعل مهرها إحضار رأس نبي الله يحيى بن زكريا ﷺ فطلب منها غير هذا، فأصرت على هذا الطلب الوحيد، فقتله وجاءها برأسه^(٤).

وفي تحديد مكان قتله قولان:

أحدهما: أنه في الصخرة التي بيت المقدس، لما نقله الثوري عن شمر بن عطية من أنه قتل على الصخرة التي بيت المقدس سبعون نبياً، منهم يحيى بن زكريا ﷺ.

والآخر: أنه في دمشق، لما نقله أبو عبيد القاسم بن سلام بسنده عن سعيد بن

(٣) فتح القدير للشوكاني (١/١٣٠) [دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط ١، ١٤١٤هـ].

(٤) انظر: صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) لسليم الهاللي (٤٤٨) [دار غراس، ط ١، ١٤٢٢هـ]، وفيه ادهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لعثمان الخميس (٤٢٩، ٤٢٨) [دار إيلاف الدولية، ط ١، ١٤٣١هـ].

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الأمثال، رقم ٢٨٦٣) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٤٠٦/٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ]، وابن خزيمة (كتاب الصيام، رقم ١٨٩٥)، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٢٢٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٧٢٤) [المكتب الإسلامي].

(٢) تقدّم تخريجه.

وجماعة: هو الذي لا يأتي النساء»^(٥).

ففي هذا بيان لمعنى الحصور، وهو الذي لا يأتي النساء، وعدم إتيانه للنساء لم يكن لآفة وإنما كان باختياره انقطاعاً للعبادة.

قال ابن جرير: «قوله تعالى: ﴿وَحْصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣٩) يعني بذلك: ممتنعاً من جماع النساء»^(٦).

وقال البغوي: «والحضور: أصله من الحصر، وهو الحبس، والحضور في قول ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وعطاء والحسن: الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن، وهو على هذا القول، (فعول) بمعنى (فاعل)؛ يعني: أنه يحصر نفسه عن الشهوات»^(٧).

وقال ابن حجر: «وأصل الحصر: الحبس والمنع، يقال لمن لا يأتي النساء، أعم من أن يكون ذلك بطبعه كالعنين، أو بمجاهدة نفسه، وهو الممدوح والمراد في وصف السيد يحيى عليه السلام»^(٨).

وقال العيني: «وعند الشافعي التخلي

المسيب من أن يختنصر قدم دمشق، فإذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي، فسأل عنه فأخبروه، فقتل على دمه سبعين ألفاً فسكن، وصحح ابن كثير هذا الأخير إلى سعيد بن المسيب، وذكر أن هذا يقتضي أنه قتل بدمشق»^(١).

وفاته:

مات يحيى بن زكريا عليه السلام مقتولاً مظلوماً^(٢)، وهو شاب^(٣)، وقد تقدّم تفصيل ذلك.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: معنى كون

يحيى عليه السلام حضوراً:

قال الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْحَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحْصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣٩) [آل عمران]. قال البخاري: «وقال ابن جبير: ﴿وَحْصُورًا﴾ لا يأتي النساء»^(٤).

وقال السمعاني: «والحضور: قال سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك وعطاء

(١) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير (٣٦٤/٢) [مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط ١، ١٣٨٨هـ] وصحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) لسليم الهلالي (٤٤٨).

(٢) انظر: صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) لسليم الهلالي (٤٤٨).

(٣) انظر: فبهدهم اقتده لعثمان الخميس (٤٢٨، ٤٢٩).

(٤) صحيح البخاري (٣٣/٦) [دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ]، وذكر ابن حجر أنه جاء موصولاً في تفسير

الثوري. انظر: فتح الباري لابن حجر (٢٠٩/٨).

(٥) تفسير السمعاني (٣١٦/١) [دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ].

(٦) تفسير الطبري (٣٧٦/٥) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٧) تفسير البغوي (٤٣٧/١) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٨) فتح الباري لابن حجر (٢٠٩/٨).

للعادة أفضل؛ لقوله وَيَحْيَى في يحيى - عليه الصلاة والسلام -: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ وهو الذي لا يأتي النساء مع القدرة على إتيانهن، فمدح الله به»^(١).

وقال الشنقيطي: «والتحقيق في معنى قوله: ﴿وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩]، أنه الذي حصر نفسه عن النساء مع القدرة على إتيانهن؛ تبتلاً منه، وانقطاعاً لعبادة الله، وكان ذلك جائزاً في شرعه، وأما سنة النبي ﷺ فهي التزويج وعدم التبتل»^(٢).

وأما ما قيل في تفسير الحصور بمعنى المحصور عن النساء لِعَنَةِ وعدم القدرة على إتيانهن، فهذا غير صحيح؛ لأن هذا نقص وعيب في الرجال، وليس هو من فعله حتى يمدح به.

قال الشنقيطي: «أما قول من قال: إن الحصور: (فعل) بمعنى (مفعول)، وأنه محصور عن النساء؛ لأنه عني لا يقدر على إتيانهن فليس بصحيح؛ لأن العنة عيب ونقص في الرجال، وليست من فعله حتى يثنى عليه بها، فالصواب - إن شاء الله - هو ما ذكرنا، واختاره غير واحد من العلماء، وقول من قال: إن الحصور هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر... قول ليس بالصواب في معنى

الآية، بل معناها هو ما ذكرنا»^(٣).

- المسألة الثانية: فيما يتعلق بالقبر الذي في الجامع الأموي:

قيل: إن يحيى ﷺ مدفون في الجامع الأموي، لما رواه أبو الحسن الربيعي بإسناده عن زيد بن واقد قال: «وكلني الوليد على العمال في بناء جامع دمشق، فوجدنا فيه مغارة، فعرفنا الوليد ذلك، فلما كان الليل وافى وبين يديه الشمع، فنزل فإذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع، وإذا فيها صندوق ففتح الصندوق، فإذا فيه سبط وفي السبط رأس يحيى بن زكريا، فأمر به الوليد فرد إلى المكان، وقال: اجعلوا العمود الذي فوقه مغيراً من الأعمدة، فجعلوا عليه عموداً مسطاً الرأس»^(٤).

وهذا الأثر غير صحيح؛ لأن في إسناده إبراهيم الغساني، وقد كذبه غير واحد، قال الألباني: «ونحن نقطع ببطلان قولهم، وأن أحداً من الصحابة والتابعين لم ير قبراً ظاهراً في مسجد بني أمية أو غيره، بل غاية ما جاء فيه بعض الروايات عن زيد بن أرقم بن واقد، أنهم في أثناء العمليات، وجدوا مغارة فيها

(٣) المصدر نفسه (٣/٣٨٤).

(٤) فضائل الشام ودمشق للربيعي (٣٣) [مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ط ١، ١٩٥٠م]، ورواه من طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/٢٤١) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٩٣/٢٠) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ].

(٢) أضواء البيان (٣/٣٨٤).

وليس هناك دليل صحيح في تحديد مكان قبر يحيى عليه السلام ولا زكريا، ولا غيرهما من الأنبياء، إلا قبر نبينا محمد عليه السلام. خلافاً لما يدعى أن قبري يحيى وزكريا موجودان في هذا الجامع الأموي، وهي دعوى خالية عن الحجة والبرهان.

المصادر والمراجع:

- ١ - «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» (ج ١)، للقاضي عياض.
- ٢ - «تاريخ دمشق» (ج ٦٤)، لابن عساكر.
- ٣ - «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (ج ٢)، لابن الجوزي.
- ٤ - «قصص الأنبياء» (ج ٢)، لابن كثير.
- ٥ - «صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير)» لسليم الهلالي.
- ٦ - «فتح القدير» (ج ١)، للشوكاني.
- ٧ - «أضواء البيان» (ج ٣)، للشنقيطي.
- ٨ - «رحمة للعالمين»، لمحمد سليمان.
- ٩ - «فبهدهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -»، لعثمان الخميس.
- ١٠ - «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء»، لإبراهيم بن محمد العلي.

صندوق فيه سفت (وعاء كامل) وفي السفت رأس يحيى بن زكريا عليه السلام مكتوب عليه: هذا رأس يحيى عليه السلام، فأمر به الوليد فرد إلى المكان، وقال: اجعلوا العمود الذي فوقه مغيراً من الأعمدة، فجعل عليه عموداً مسبكاً بسفت الرأس... وإسناده ضعيف جداً؛ فيه إبراهيم بن هشام الغساني، كذبه أبو حاتم وأبو زرعة^(١)، وقال الذهبي: متروك^(٢).

ومع هذا فإننا نقطع أنه لم يكن في المسجد صورة قبر، حتى أواخر القرن الثاني؛ لما أخرجه الربيعي وابن عساكر عن الوليد بن مسلم، أنه سئل: أين بلغك رأس يحيى بن زكريا؟ قال: بلغني أنه ثم، وأشار بيده إلى العمود المسفت الرابع من الركن الشرقي، فهذا يدل على أنه لم يكن هناك قبر في عهد الوليد بن مسلم، وقد توفي سنة أربع وتسعين ومائة، وأما كون ذلك الرأس هو رأس يحيى عليه السلام فلا يمكن إثباته، ولذلك اختلف المؤرخون اختلافاً كثيراً، وجمهورهم على أن رأس يحيى عليه السلام مدفون في مسجد حلب، ليس في مسجد دمشق^(٣).

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٤٣/٢) [مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٢٧١هـ].
(٢) ميزان الاعتدال للذهبي (٧٣/١) [دار المعرفة، ط ١].
(٣) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (٦٣، ٤٦) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤].

الحكم:

يجب إثبات صفة اليد لله سبحانه على الوجه اللائق بجلاله وعظمته؛ لدلالة الكتاب والسنة على ثبوتها لله تعالى^(٤).

الحقيقة:

حقيقة اليد هي اليد المعروفة لغة، وهي في حق الله يد حقيقية لائقة بالله موصوفة بالكف والأصابع والقبض والبسط والساعد ونحو ذلك مما جاء في الشرع من أوصافها، الله أعلم بكيفيتها^(٥).

الأدلة:

دلّت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة والإجماع على ثبوت صفة اليد لله كما يليق بجلاله وعظمته، منها قول الله تعالى: ﴿قَالَ يٰٓإِبْرٰهٖمُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله ﴿وَعَلَىٰ بَلِّ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُوقِئُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومن السنة حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٦).

اليد (صفة لله تعالى)

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الياء والذال: أصل بناء اليَدِ للإنسان وغيره، ويستعار في المنة فيقال له: عليه يدٌ. وتصغير اليد يُدِيَّة. وَجَمَعَ نَاسٌ يَدَ الإنسان على الأيادي وَيَدَيْتُهُ: ضَرَبْتُ يَدَهُ»^(١). وقال الأزهري نقلاً عن ابن الأعرابي: «اليَدُ النُّعْمَةُ، واليَدُ القُوَّةُ، واليد القُدرة، واليَدُ المَلِكُ، واليَدُ السلطان، واليَدُ الطاعة، واليد المجاعة، واليد الأكل، وتُجمع يَدُ النعمة: أيادي ويديًا، وتُجمع اليَدُ التي في الجسد: الأيدي»^(٢). ومن هذه النقول يتضح لنا أن اليد تأتي لمعان عديدة، ولكن من خلال القرائن والسياق يتضح المعنى المراد في كل موطن من تلك المعاني العديدة.

التعريف شرعاً:

يد الله: هي يد حقيقية لائقة بالله موصوفة بالكف والأنامل والأصابع والقبض والبسط، الله أعلم بكيفيتها^(٣).

(١) مقاييس اللغة (١٥١/٦) [دار الجبل، ط ٢].

(٢) تهذيب اللغة (١٦٩، ١٦٨/١٤) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م].

(٣) انظر: الحجة في بيان المحجة (٢/٢٧٦ - ٢٧٨) [دار الراية، الرياض، ط ٢، ١٤١٩ هـ]، ومختصر الصواعق المرسلة (٤٠٥) [دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢ هـ].

(٤) انظر: الحجة في بيان المحجة (٢/٢٧٦ - ٢٧٨).

(٥) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٤٠٥).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٩).

﴿٨٣﴾ [يس]، وقال: ﴿وَتَعَزُّ مِنْ نَشَاءٍ وَتُذِلُّ مِنْ نَشَاءٍ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢١﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ [يس]: [٧١] ﴿٣﴾.

وقال أبو القاسم الأصبهاني بعد أن أورد جملة من الأحاديث الدالة على صفة اليدين: «وأمثال هذه الأحاديث، فإذا تدبره متدبر، ولم يتعصب بان له صحة ذلك وأن الإيمان واجب، وأن البحث عن كيفية ذلك باطل، وهذا لأن اليد في كلام العرب تأتي بمعنى القوة يقال لفلان يد في هذا الأمر أي: قوة وهذا المعنى لا يجوز في قوله: ﴿لَمَّا خَلَقَتْ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]؛ لأنه لا يقال: لله قوتان. ومنها: اليد بمعنى النعمة والصناعة، يقال: فلان عند فلان يد؛ أي: نعمة وصناعة، وأيديت عن فلان يدًا؛ أي: أسديت إليه نعمة، ويديت عليه؛ أي: أنعمت عليه، وهذا المعنى أيضًا لا يجوز في الآية؛ لأن تشية اليد تبطله، ولا يقال لله نعمتان وقد تكون اليد بمعنى: الملك والتصرف. يقال: هذه الدار في يد فلان؛ أي: في تصرفه وملكه، وهذا أيضًا لا يجوز لتشية اليد، وليس لله تعالى ملكان وتصرفان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي ﷺ: فحج آدم موسى، فحج آدم موسى» ^(١).

قال أبو الحسن الأشعري: «وأجمعوا على أنه ﷻ يسمع ويرى وأن له تعالى يدين مبسوطتين» ^(٢).

❁ أقوال أهل العلم:

قال ابن خزيمة: «باب ذكر إثبات اليد للخالق البارئ ﷻ والبيان أن الله تعالى له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله أنه خلق آدم بيديه. قال ﷻ لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقال ﷻ تكذيبًا لليهود حين قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، فكذبهم في مقالتهم وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] وأعلمنا أن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، و﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وقال: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

(١) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(٢) رسالة إلى أهل النغر (٢٢٥) مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٢، ١٤٢٢هـ.

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ١١٨) [دار الرشد، ط ١، ١٤٠٨هـ].

عمرو عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله، على منابر من نور، عن يمين الرحمن ﻋَﻠَﻲ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»^(٣).

فهذه النصوص - وغيرها كثير - صريحة في إثبات يدين حقيقتين لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته، وعلى ضوئها أجمع السلف الصالح.

- المسألة الثانية: الجمع بين ورود اليد بصيغة الأفراد والتثنية والجمع:

وردت اليد بصيغة الأفراد كما في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وبصيغة التثنية كما في قوله سبحانه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وبصيغة الجمع كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ [يس: ٧١].

فيجمع بين هذه النصوص، فيقال: إن لله يدين لا أكثر؛ لقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] ومجيء اليد بصيغة الأفراد لا يمنع ما ثبت لله من أن له يدين اثنتين؛ لأن المفرد المضاف يفيد العموم والشمول، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]

ف (نعمت) مفرد مضاف يشمل نعمًا

ومنها اليد التي هي معروفة، فإذا لم تحتمل الأوجه التي ذكرنا لم يبق إلا اليد المعلوم كونها، والمجهولة كيفيتها، ونحن نعلم يد المخلوق وكيفيتها لأننا نشاهدها ونعاينها فنعرفها، ونعلم أحوالها، ولا نعلم كيفية يد الله تعالى؛ لأنها لا تشبه يد المخلوق، وعلم كيفيتها علم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى»^(١).

وقال ابن القيم: «ورد لفظ اليد في القرآن، والسنة، وكلام الصحابة، والتابعين؛ في أكثر من مائة موضع، ورودًا متنوعًا، متصرفًا فيه، مقرونًا بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك، والطي، والقبض، والبسط، والمصافحة»^(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: مذهب أهل السنة إثبات يدين لله ﷻ بصيغة التثنية:

مذهب أهل السنة والجماعة: إثبات يدين حقيقتين لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته، لدلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على ذلك، قال الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومن السنة حديث عبد الله بن

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٧٦ - ٢٧٨).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٤٠٥).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٢٧).

كثيرة، ولذا قال: ﴿لَا تُحْصَوْهَا﴾.

وأما مجيء اليد بالتثنية فيدل على أن الله يدين لا أكثر؛ لقوله تعالى في قصة خلق آدم ﷺ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] ووجه الاستدلال: أن الله لو خلقه بأكثر من يدين لذكر ذلك لأن المقام مقام تشريف، فكلما ازدادت الصفة التي بها خلق الشيء ازداد تعظيم الشيء.

ولما ثبت أيضًا في السُّنَّة من حديث أبي هريرة وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغيض ما في يده، وقال: عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان، يخفض ويرفع»^(١). وأما مجيء اليد بصيغة الجمع كما في قوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ [يس: ٧١] فلا يخالف أيضًا ثبوت اليدين لله؛ لما يلي:

أولاً: أن أقل الجمع اثنان لنصوص عديدة؛ منها: قوله تعالى ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُولَئِهِ أَسْدُسُ﴾ [النساء: ١١] فالإخوة جمع والمراد الاثنان؛ لأن الأخ الواحد لا يحجب الأم عن الثلث، وإنما يحجبها اثنان فصاعدًا^(٢)، ويحصل أيضًا

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١١، ٧٤١٩)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٩٣).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٢٢٨) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

فضل صلاة الجماعة باثنين، وعليه فالمراد بالأيدي اليدان.

ثانيًا: أن الاثنین قد يخاطبان بلفظ الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ نُؤَبِّأُ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٤] فالخطاب في أوله مع الاثنین ثم عبر عن القلبین بالقلوب؛ لأن لكل واحد من الاثنین قلبًا واحدًا لا أكثر لقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤] والمرأة كذلك.

الثالث: أو يقال: إن المراد بالجمع في الآية: التعظيم، وعليه فلا تخالف بين ورود اليد بصيغة الإفراد والتثنية والجمع^(٣)، وسيأتي مزيد بيان لهذه الآية.

- المسألة الثالثة: من أوصاف اليد: الكف، اليمين، الساعد: **أولاً: الكف:**

فقد جاءت النصوص الشرعية بوصف اليد المضافة إلى الله بـ(الكف)، قال ابن فارس: «الكاف والفاء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على قبض وانقباض، من ذلك الكَفُّ

(٣) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٢/٣٣٨، ٣٣٩) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٢هـ]، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٢٩٩ - ٣٠٢) [دار ابن الجوزي، الرياض، ط ٥، ١٤١٩هـ]، والصفات الإلهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه لمحمد أمان الجامي (٣٠٤ - ٣٠٩) [الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

الثالث: الساعد:

وجاء وصف اليد المضافة إلى الله بـ(الساعد)، فقد روى الإمام أحمد بإسناده عن أبي الأحوص عن أبيه عن النبي ﷺ، وفيه: «ساعد الله أشد من ساعدك»^(٤). وهو دال على ثبوت صفة الساعد لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته^(٥).

- المسألة الرابعة: هل لله تعالى شمال؟

ورد ذكر الشمال في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله ﷻ السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون. ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»^(٦).

فإطلاق الشمال على إحدى يدي الرحمن هو من باب التسمية وكلاهما يمين من حيث الشرف والفضل، ولذا

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٣/٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٠هـ]، وابن حبان (المقدمة، رقم ٥٦١٥)، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٦٥) وصححه، وصححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٦٦/٨) [دار باوزير، جدة، ١٤٢٤هـ].

(٥) انظر: مقدمة محقق كتاب الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية لسليمان الطوفي (١٢٩/١) [مكتبة العيكان، ط ١، ١٤١٩هـ].

(٦) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٨).

للإنسان، سميت بذلك لأنها تقيض الشيء^(١).

وأما تعريف صفة الكف في الشرع فهي: صفة ذاتية خبرية ثابتة لله كما يليق بجلاله وعظمته.

ومما ورد في بيان ثبوتها لله ﷻ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن، حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله»^(٢).

ثانيًا: اليمين:

فقد جاءت النصوص بوصف يد الله باليمين، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر].

ومن السنة حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله، على منابر من نور، عن يمين الرحمن ﷻ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا»^(٣).

(١) مقاييس اللغة (١٢٩/٥) [دار الجبل، ط ٢]. وانظر: تهذيب اللغة (٣٣٥/٩).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠١٤).

(٣) تقدم تخريجه.

اليدين لله^(٤).

الثاني: حمل الجمع على التثنية لما تقدم من النصوص التي جاء فيها لفظ الجمع مراداً به التثنية.

الثالث: أن المراد بـ(أيدينا) الذات الموصوفة باليد، وهذا تعبير سائغ كما في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم]؛ أي: بما عملوا. وعليه فإن الأنعام لم يخلقها الله بيده، بخلاف آدم ﷺ فهو مخلوق باليدين^(٥).

الفروق:

الفرق بين اليد والأيد:

تختلف اليد عن الأيد تمامًا؛ فاليد هي اليد المعروفة التي يبطش بها والأيد هي القوة^(٦)، ولذا يفرقون بينهما في المعاجم اللغوية فيجعلون هذه غير تلك^(٧). فالأيد من آد يئيد أيادًا؛ إذا قوي واشتد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات] قال ابن كثير في تفسيرها: «(بأيد)؛ أي:

فهو لا يعارض حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما الذي قال فيه: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله، على منابر من نور، عن يمين الرحمن رجلاً، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»^(١).

وقد جمع بذلك بعض أهل العلم، قال ابن باز في هذين الحديثين ونحوهما: «كلها أحاديث صحيحة عند علماء السنة، وحديث ابن عمر مرفوع صحيح، وليس موقوفًا، وليس بينها اختلاف بحمد الله. فالله سبحانه توصف يده باليمين والشمال من حيث الاسم، كما في حديث ابن عمر وكلتاها يمين مباركة من حيث الشرف والفضل، كما في الأحاديث الصحيحة الأخرى^(٢)»^(٣).

- المسألة الخامسة: المراد بقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس: ٧١].

هو أحد الأمور التالية:

الأول: أن المراد بالجمع هنا التعظيم وهو لا يعارض ما جاء من ثبوت

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣٦٨) وحسنه، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٦٧)، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٤) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٢٠٩).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (١٢٦/٢٥)

(٤) وهذا الوجه رجحه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسير الآية. انظر: أضواء البيان (٧/ ٢٨٧) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٥) انظر: شرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن عثيمين (٣٠١/١، ٣٠٢).

(٦) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ١٩١).

(٧) انظر: مقاييس اللغة (١/ ١٦٣).

الرابع: أن حمل اليد على القدرة أو النعمة مجازاً مردود؛ لأن المجاز لا يصح استعماله بلفظ التثنية، وصفة اليد قد جاءت في النصوص الشرعية مثناة وهذا لا يعرف استعماله قط إلا في اليد الحقيقية.

الخامس: أن يد النعمة والقدرة لا يتجاوز بها لفظ اليد، فلا يتصرف فيها بما يتصرف في اليد الحقيقية، فلا يقال: فيها إصبع وإصبعان ولا كف، ولا يمين ولا شمال، ولا ساعد.

السادس: أن اقتران لفظ الطي والقبض والبسط، والإمساك باليد يجعلها يدًا حقيقية.

السابع: أن حمل اليد في قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] على القدرة يسقط الفضيلة التي خص الله به آدم؛ لأن جميع المخلوقات خلقت بالقدرة، وما كان كذلك فهو باطل.

الثامن: أن يد القدرة والنعمة لا يعرف استعمالها البتة إلا في حق من له يد حقيقة.

التاسع: أن الله لم ينكر على اليهود إثبات اليد له، وإنما أنكر عليهم وصفها بالنقص والعيب، وهذا يدل على ثبوت اليد له تعالى^(٣).

بقوة. قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والثوري، وغير واحد^(١).

✽ مذهب المخالفين:

ذهبت الجهمية والمعتزلة والرافضة ومتأخرو الأشاعرة وغيرهم إلى تأويل صفة اليمين بالذات، أو القدرة أو النعمة أو العناية والاهتمام ونحو ذلك^(٢).

✽ الرد عليهم:

تأويل اليد بالقدرة أو النعمة أو العناية والاهتمام ونحو ذلك من التأويلات كلها مردودة، لما يلي:

الأول: أن إطلاق لفظ (اليد) على القدرة أو النعمة خلاف الأصل.

الثاني: أن ذلك التأويل خلاف الظاهر أيضًا.

الثالث: أن تأويل اليد بالقدرة أو النعمة صرف للفظ عن الأصل والظاهر بغير دليل، وهو مردود.

(١) تفسير ابن كثير (٧/٤٢٤). وانظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٣٠٣) والصفات الإلهية لمحمد أمان الجامي (٣٠٦).

(٢) انظر: نقض الدارمي على المريسي (٦٣) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ]، وأصول الدين لعبد القاهر البغدادي (١١١) [طبع ونشر مدرسة الإلهيات، دار الفنون التركية، إستانبول، ط١، ١٣٤٦هـ]، والإرشاد إلى قواطع الأدلة للجويني (١٥٥) [مكتبة الخانجي، ١٣٦٩هـ]، وأساس التقديس للرازي (١٦١ - ١٦٧) [مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة]. والعقائد السلفية بأدلتها العقلية والعقلية لأحمد بن حجر البنعلي (١/١١٥، ١١٦) [دار الكتب القطرية، ط١، ١٤١٥هـ].

(٣) انظر: بيان تلبس الجهمية (٧/٣٧٢ - ٣٧٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، =

العاشر: أن تأويل اليد أو الكف ونحوهما بالناية والاهتمام بالشأن فاسد لمصادمته النصوص الصريحة في معناها كقوله ﷺ: «فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله على صدري فعلمت ما في السماوات والأرض»^(١). فالتعبير عن الاهتمام والاعتناء بمثل هذا اللفظ ظاهر البطلان في اللغة حقيقة أو مجازاً^(٢).

الحادي عشر: أن تأويل اليدين بالنعمة أو القدرة ونحوهما في مثل قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] ممتنع؛ لأنه إذا أضيف الفعل إلى الفاعل ثم عدي بالباء إلى يده أو يديه فهو مما باشرته يده^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «بيان تلبس الجهمية»، لابن تيمية.
- ٢ - «الحجة في بيان المحجة» (ج/ ٢)، للأصبهاني.

= ١٤٢٦هـ. ومختصر الصواعق المرسله (٣٩٩)، والعقائد السلفية بأدلتها العقلية والعقلية لأحمد بن حجر البعلبي (١١٥/١، ١١٦).

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٢٣٥)، وأحمد في مسنده (٤٢٢/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الترمذي: حسن صحيح، ونقل عن البخاري مثل ذلك. وصححه الإمام أحمد أيضاً، وقواه ابن خزيمة، كما في تهذيب التهذيب (٦/ ١٨٦) [دار الفكر، ط١].

وانظر: إرواء الغليل (رقم ٦٨٤).

(٢) انظر: بيان تلبس الجهمية (٣٧٢/٧) وما بعدها.

(٣) انظر: الصواعق المرسله (٢٧٠/١) [دار العاصمة، الرياض، ٣، ١٤١٨هـ].

٣ - «الرد على الجهمية»، لابن منده.

٤ - «رسالة إلى أهل الشجر»، لأبي الحسن الأشعري.

٥ - «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.

٦ - «العقائد السلفية بأدلتها العقلية والعقلية» (ج ١)، لأحمد بن حجر البعلبي.

٧ - «كتاب التوحيد» (ج ١)، لابن خزيمة.

٨ - «كتاب التوحيد» (ج ٢)، لابن منده.

٩ - «مختصر الصواعق المرسله»، للموصلي.

١٠ - «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، للددارمي.

يزيد بن معاوية

اسمه ونسبه:

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، الخليفة أبو عبد الرحمن وأبو خالد القرشي الأموي^(٤). سمّاه والده أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان باسم أخيه يزيد بن

(٤) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩٤/٦٥) [دار

الفكر، ١٤١٥هـ]، وسير أعلام النبلاء (٣٦، ٣٥/٤)

[مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ]، والبداية والنهاية

لابن كثير (٢٢٣/١٠) [دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ]، =

أبي سفيان رضي الله عنه (١).

مولده ووفاته:

ولد يزيد بن معاوية سنة خمس وعشرين للهجرة، في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتوفي في اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين للهجرة (٢).

قول أهل السنة فيه:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن يزيد بن معاوية رضي الله عنه من خلفاء المسلمين، الذين لهم حسنات وسيئات، ولكن مع ذلك لا يحبونه ولا يمدحونه، كما يفعل الغلاة فيه، ولا يسبونه ولا يكفرونه، كما يفعل الروافض، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا القول هو أعدل الأقوال فيه وفي أمثاله (٣)، وهو المنصوص عن إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل كما سيأتي قريباً (٤)، وعليه فأهل السنة وسط في أمره، كما هو شأنهم في جميع أمور الدين.

= وتهذيب التهذيب لابن حجر (١١/٣٦٠، ٣٦١) [دائرة المعارف النظامية، الهند، ط ١، ١٣٢٦هـ].

(١) جامع المسائل لابن تيمية (٥/١٤٥) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٠/٢٢٣)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١١/٣٦١)، وتعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة لابن حجر (٢/٣٧٧) [دار البشائر، ط ١، ١٩٩٦م].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٤٨١ - ٤٨٣)، والبدية والنهاية لابن كثير (٩/٢٣٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٤٨٣).

أما كونهم لا يحبونه ولا يمدحونه؛ فلما وقع في خلافته من حوادث فظيعة، وأمور شنيعة، من أنكرها قتل الحسين ووقعة الحرة (٥)، وما لحق بالصحابة في المدينة النبوية من المقتلة العظيمة والمصائب الكبيرة.

روى الخلال بإسناده عن مهنا أنه قال: «سألت أحمد عن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، قال: هو فعل بالمدينة ما فعل، قلت: وما فعل؟ قال: قتل بالمدينة من أصحاب النبي ﷺ وفعل، قلت: وما فعل؟ قال: نهبها. قلت: فيذكر عنه الحديث؟ قال: لا يذكر عنه الحديث ولا ينبغي لأحد أن يكتب عنه حديثاً» (٦).

وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام فقال: «وقد سئل أحمد بن حنبل، عن يزيد: أكتب عنه الحديث؟ فقال: لا، ولا كرامة، أليس هو الذي فعل بأهل الحرة ما فعل؟ وقال له ابنه: إن قومًا يقولون: إنا نحب يزيد. فقال: هل يحب يزيد أحد فيه خير؟ فقال له: فلماذا لا تل عنه؟ فقال: ومتى رأيت أباك يل عن أحداً؟» (٧).

وقال ابن تيمية: «يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الذي تولى على المسلمين بعد أبيه معاوية بن أبي سفيان... وهو الذي

(٥) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٩/٢٣٤).

(٦) السنة للخلال (٣/٥٢٠) [دار الراية، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ] وقال المحقق: «إسناده صحيح».

(٧) جامع المسائل لابن تيمية (٥/١٤٩).

ب - أنه كان مع أول جيش غزا القسطنطينية، فقد ثبت من حديث أم حرام عن النبي ﷺ أنه قال: «أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم»^(٥).

قال ابن تيمية: «يزيد هذا الذي ولي الملك هو أول من غزا القسطنطينية، غزاها في خلافة أبيه معاوية. وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له»^(٦).

وقال ابن كثير في بيان موقف الناس من يزيد: «الناس في يزيد بن معاوية أقسام... وطائفة أخرى لا يحبونه ولا يسبونهم؛ لما يعلمون من أنه لم يكن زنديقاً كما تقوله الرافضة، ولما وقع في زمانه من الحوادث الفظيعة، والأمور المستنكرة البشعة الشنيعة، فمن أنكرها قتل الحسين بن علي بكربلاء»^(٧).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: مقتل الحسين ودعوى حمل رأسه إلى يزيد وسبي أهل بيته:

يعتقد الروافض أن يزيد بن معاوية

قتل الحسين في خلافته، وهو الذي جرى بينه وبين أهل الحرة ما جرى، وليس هو من الصحابة، ولا من الخلفاء الراشدين المهديين، بل هو خليفة من الخلفاء الذين تولوا بعد الخلفاء الراشدين، كأمثاله من خلفاء بني أمية وبني العباس، وهؤلاء الخلفاء لم يكن فيهم من هو كافر، بل كلهم كانوا مسلمين، ولكن لهم حسنات وسيئات، كما لأكثر المسلمين»^(١).

وأما كونهم لا يسبونهم ولا يلعنونه فلأمور؛ منها:

أ - لما يعلمونه من إسلامه، وعدم خروجه من الملة، فقد روى الخلال بإسناده عن أبي طالب أنه قال: «سألت أبا عبد الله - يعني الإمام أحمد - من قال: لعن الله يزيد بن معاوية، قال: لا أتكلم في هذا، قلت: ما تقول؟ فإن الذي تكلم به رجل لا بأس به وأنا صائر إلى قولك، فقال أبو عبد الله: قال النبي: «لعن المؤمن كقتله»^(٢)، وقال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم»^(٣) وقد صار يزيد فيهم»^(٤).

(١) المصدر نفسه (٥/ ١٤١ - ١٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦١٠٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١١٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٥٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٣٣).

(٤) السنّة للخلال (٣/ ٥٢١)، وقال المحقق: «إسناده صحيح».

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٩٢٤).

(٦) جامع المسائل لابن تيمية (٥/ ١٤٧)، والحديث عن أم حرام بنت ملحان لا ابن عمر كما نبّه عليه المحقق، ولفظه هو المذكور قبله.

(٧) البداية والنهاية (٩/ ٢٣٤).

باب مسجد دمشق. فروي عن فاطمة بنت علي أنها قالت: لما أجلسنا بين يدي يزيد بن معاوية رق لنا أول شيء وألطفنا، ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إليه، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية. يعنيني، وكنت جارية وضيئة، فأرعبت وفرقت، وظننت أنه يفعل ذلك، فأخذت بثياب أختي، وهي أكبر مني وأعقل، فقالت: كذبت والله ولعنت، ما ذاك لك ولا له. فغضب يزيد (لعنه الله) فقال: بل كذبت والله، لو شئت لفعلته»^(٣).

الرد عليهم:

كل ما ذكره الروافض فيه تلبيس وتدليس وكذب وبهتان، يتضح ذلك من خلال بيان أسباب خروج الحسين إلى العراق، وما ترتب على ذلك من الاعتداء عليه وقتله مظلوماً، على النحو التالي:

بدأ قوم من شيعة العراق يحرضون الحسين على الخروج إليهم من خلال رسائلهم المتتالية، وكتبهم المتعاقبة التي يشكون فيها من تغيير الشريعة وفشو الظلم، ويطلبون منه أن يأتيهم؛ ليباعوه وينصروه على إقامة الشرع والعدل، فوافق الحسين على هذا، وأخذ يتجهز

سعى في قتل سبط رسول الله ﷺ؛ تشفياً من رسول الله ﷺ وانتقاماً منه، وأخذاً بثأر أقربائه، كعتبة وأخي جده شيبة وخاله الوليد بن عتبة وغيرهم، ممن قتلهم أصحاب النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب وغيره يوم بدر وغيرها، وقالوا: تلك أحقاد بدرية وآثار جاهلية وأنشدوا عنه:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت..
تلك الرؤوس على رُبي جيرون
نec الغراب فقلتُ نَحْ أو لا تَنَحْ
فلقد قضيتُ من النبيّ دُيوني

وقالوا: إنه تمثل بشعر ابن الزبير الذي أنشده يوم أحد^(١).

قال محمد بن جرير الطبري الشيعي في شأن الحسين: «وقتل بكربلاء غربي الفرات، قتله عبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن بأمر يزيد بن معاوية»^(٢).

ونسب الصدوق إلى سكينه أنها قالت: «والله ما رأيت أقسى قلباً من يزيد... وأقبل يقول وينظر إلى الرأس:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا
جزعَ الخرج من وقع الأسل
ثم أمر برأس الحسين فنصب على

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٤٨١).

(٢) دلائل الجنة لمحمد بن جرير الشيعي (١٧٨).

(٣) الأُمالي للصدوق (٢٣٠، ٢٣١) [مؤسسة البعثة، قم، ط ١، ١٤١٧هـ].

[مؤسسة البعثة، قم، ط ١، ١٤١٣هـ].

الثغر»^(٤). فدافع عليه السلام هو وأهل بيته ومن كان معهم حتى قُتلوا جميعاً، ولم يبق منهم إلا علي بن الحسين والذرية، وحمل هؤلاء الظلمة رأس الحسين إلى عبيد الله بن زياد، فأخذ ينكت على ثناياه بالقضيب، كما ثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «أتي عبيدُ الله بن زياد برأس الحسين بن علي، فجعل في طست فجعل ينكت، وقال في حسنه شيئاً، فقال أنس رضي الله عنه: كان أشبههم برسول الله ﷺ، وكان مخضوباً بالوسمة»^(٥).

ثم حمل علي بن الحسين وأهل بيته إلى يزيد، قال ابن تيمية: «الثابت أنه لما حُمِلَ علي بن الحسين وأهل بيته إلى يزيد وقع البكاء في بيت يزيد - لأجل القرابة التي كانت بينهم - لأجل المصيبة، وروي أن يزيد قال: لعن الله ابن مرجانة - يعني: ابن زياد - لو كان بينه وبين الحسين قرابة لما قتله، وقال: قد كنت أَرْضَى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين.

وأنه خيّر علي بن الحسين بين مقامه عنده، وبين الرجوع إلى المدينة، فاختر الرجوع، فجهزه أحسن جهاز.

للخروج، وحينئذ أشار عليه أهل العلم والفضل كابن عمر وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم بعدم الخروج إليهم، وذكروا له: «أن هؤلاء يغرونه، وأنهم لا يوفون بقولهم، ولا يقدر على مطلوبه، وأن أباه كان أعظم حرمة منه وأتباعاً؛ ولم يتمكن من مراده، فظن الحسين أنه يبلغ مراده، فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل، فأووه أولاً، ثم قتلوه ثانياً، فلما بلغ الحسين ذلك طلب الرجوع فأدركته السرية الظالمة»^(١) بقيادة عمر بن سعد الذي أرسله عبيد الله بن زياد أمير العراق كما هو ثابت بالنقل الصحيح، وكان عمر بن سعد قد امتنع عن مقاتلة الحسين، حتى أرغبه وأرهبه عبيد الله^(٢)، فبدأ في تنفيذ الأمر، فطلب منهم الحسين «أن يذهب إلى يزيد، أو يرجع إلى المدينة، أو يذهب إلى الثغر»^(٣)، لكن عبيد الله بن زياد منعه من ذلك، وطلب من سرية أن تأسر له الحسين، فبدأت هذه السرية في قتاله، و«لم تمكنه من طاعة الله ورسوله، لا من ذهابه إلى يزيد، ولا من رجوعه إلى بلده، ولا إلى

(١) المسائل والأجوبة لابن تيمية (٧٨) [مكتبة الفاروق، القاهرة، ط ١، ١٤٢٥هـ]، وجامع المسائل له (٦/ ٢٦٠).

(٢) انظر: رأس الحسين لابن تيمية (١٩٩) [دار الريان، ط ٢، ١٤٠٨هـ].

(٣) المسائل والأجوبة لابن تيمية (٧٨)، وجامع المسائل له (٦/ ٢٦٠).

(٤) المسائل والأجوبة لابن تيمية (٧٨)، وجامع المسائل له (٦/ ٢٦٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ)، رقم (٣٧٤٨).

يعرف مكانه^(٤)، وذكر بعضهم أنه دفن في البقيع بالمدينة النبوية^(٥)، وقيل: إنه في الشام على الأغلب^(٦)، وبهذا يعلم بطلان المشاهد التي يدعى في كل منها أنها موضع رأس الحسين^(٧).

وأما دعوى سبي ذرية الحسين فهي كذب محض؛ لما هو معلوم من أنه لم يُسب قط في الإسلام أحد من بني هاشم، لا علوي ولا غير علوي، في جميع عصور خلفاء المسلمين من الأمويين وغيرهم، حتى مكّن الروافض كابن العلقمي وغيره الكفار من أهل الكتاب والمشركين من الترك من سبي بعض الهاشميات لما قدموا بغداد، بل لم يقتل بنو مروان أحداً من بني هاشم، إلا زيد بن علي قتل في خلافة هشام، وكان عبد الملك أرسل إلى الحجاج إياي ودماء بني هاشم، فلم يمس الحجاج أحداً منهم لا علويًا ولا عباسيًا، بل لما تزوج الحجاج بفاطمة بنت عبد الله بن جعفر انتزعها منه؛ لكونه غير كفء لها^(٨).

- المسألة الثانية: وقعة الحرة:

مما له تعلق وثيق بشأن يزيد هذه

(٤) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (١٥٨/٤)، ورأس الحسين له (١٩٧).

(٥) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣٦٦/٥).

(٦) انظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٣٦٦/٦).

(٧) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (١٥٨/٤).

(٨) انظر: المصدر نفسه (٢٦٢/٦).

ويزيد لم يأمر بقتل الحسين، ولكن أمر بدفعه عن منازعته في الملك. ولكن لم يقتل قتلَ الحسين ولم ينتقم منهم، فهذا مما أنكر على يزيد^(١).

وكلام شيخ الإسلام هذا صريح في أن يزيد لم يأمر بقتل الحسين ولم يرض به، لكن؛ أساءه ذلك أم لا؟ فإن الرواية في لعنه عبيد الله بن زياد؛ لقتله الحسين، دليل على أن مقتل الحسين ساءه، ولكن في ثبوتها نظر؛ حيث أشار إليها ابن تيمية بصيغة التمریض، وهو نوع من التضعيف، وقد ذكر ابن كثير - في حديثه عن موقف يزيد من مقتل الحسين عليه السلام - أن ذلك «لم يكن ذلك من علم منه، ولعله لم يرض به ولم يسؤه»^(٢).

وأما القول بحمل رأس الحسين إلى يزيد بالشام وتنكيته على ثناياه بالقضيب، وأن أبا برزة كان حاضرًا وأنكر عليه هذا فليس بصحيح على الإطلاق؛ لمجيئ هذا الخبر بإسناد تالف، إذ فيه انقطاع أو جهالة، ولأن أبا برزة لم يكن بالشام عند يزيد بل كان بالعراق^(٣).

والذي اتفق عليه المؤلفون في مقتل الحسين، أن رأس الحسين عليه السلام لا

(١) المسائل والأجوبة لابن تيمية (٧٩، ٨٠)، وجامع المسائل له (٢٦١/٦).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٢٣٤/٩).

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣٦٦/٥).

قلت: وما فعل؟ قال: قتل بالمدينة من أصحاب النبي ﷺ»^(٤).

وقال ابن تيمية: «وأما ما فعله بأهل الحرة، فإنهم لما خلعوه وأخرجوا نوابه وعشيرته، أرسل إليهم مرة بعد مرة يطلب الطاعة، فامتنعوا، فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره إذا ظهر عليهم أن يبيع المدينة ثلاثة أيام وهذا هو الذي عظم إنكار الناس له من فعل يزيد»^(٥).

والشاهد أن ما حدث في وقعة الحرة محسوب على يزيد وسبب لوم عليه، مع التنبيه على أن كثيراً مما ذكر في يوم الحرة غير ثابت.

❁ موقف المخالفين منه:

المخالفون لأهل السنة في شأن يزيد بن معاوية طوائف، وهم على طرفي نقيض، ويمكن بيان مواقفهم على النحو التالي:

الفريق الأول: من يحب يزيد

ويتولاه:

المحبون له منهم من يظن أنه إمام عدل، ومنهم من يبالغ فيه، حتى يدعي أنه من الصحابة الذين ولدوا على عهد النبي ﷺ وحمله على يديه وبرك عليه،

(٤) السنة للخلال (٣/٥٢٠) [دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ]، وقال المحقق: «إسناده صحيح».

(٥) منهاج السنة النبوية (٤/٥٧٥) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ].

الوقعة العظيمة؛ وسببها أن ناساً من أهل المدينة حكوا عن يزيد بعض القبائح والمعاصي، كشرب الخمر وتأخير الصلاة عن وقتها، فعزم أكثر الناس على خلعه، فيقوم الرجل في المسجد فيخلع عمامته ويقول: خلعت يزيد كخلعي هذه العمامة، ويقوم الآخر فيخلع حذاءه ويقول: خلعت يزيد كخلعي هذا الحذاء، وولوا عبد الله بن مطيع على قریش، وعبد الله بن حنظلة بن أبي عامر على الأنصار، ومعقل بن سنان الأشجعي على قبائل المهاجرين، واعتزل الناس كل من عبد الله بن عمر بن الخطاب وأهل بيته، وعلي بن الحسين زين العابدين، وقد قال ابن عمر لأهله: لا يخلعن أحد منكم يزيد فيكون الفصيل^(١). ولما وصل خبرهم إلى يزيد بن معاوية أرسل إليهم «سرية يقدمها رجل يقال له: مسلم بن عقبة. وإنما يسميه السلف مسرف بن عقبة»^(٢).

قال ابن كثير: «وكذلك من الأمور المنكرة جداً وقعة الحرة، وما كان من الأمور القبيحة بالمدينة النبوية»^(٣).

وتقدم ما ذكره مهنّي، حيث قال: «سألت أحمد عن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، قال: هو فعل بالمدينة ما فعل،

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٩/٢٤٥، ١١/٦١٤).

(٢) المصدر نفسه (٩/٢٤٥).

(٣) المصدر نفسه (٩/٢٣٤).

هذيان محض، لا يستحق أدنى حظ من النظر؛ لمناقضته صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أنه لا نبي بعد نبينا محمد ﷺ. قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين» (٤).

ولذا قال ابن تيمية: «وأما من قال: إنه كان من الأنبياء فإنه كافر مرتد يستتاب، فإن تاب وإلا قتل» (٥).

الفريق الثاني: من يصرح بتكفيره (٦)، ويلهج بسبه ولعنه، وهؤلاء هم الروافض. فقد حشى الصدوق أماليه بأمور غريبة منكرة حول يزيد؛ منها زعمه أن يزيد سبى ذرية الحسين، وساق في ذلك روايات طويلة، وفيها: «قالت سكينه: والله ما رأيت أقسى قلباً من يزيد، ولا رأيت كافراً ولا مشركاً شراً

بل يعتقد فيه أنه أفضل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بل طغى بعضهم في الغلو فقال بنبوته، وهؤلاء هم غالبية العدوية والأكراد ونحوهم» (١). وقد أشار ابن كثير إلى هذا الصنف فقال: «الناس في يزيد بن معاوية أقسام؛ فمنهم من يحبه ويتولاه، وهم طائفة من أهل الشام والنواصب» (٢).

الرد عليهم:

لا شك أن هذا الغلو في يزيد في منتهى البطلان ينبئ عن ضلال صاحبه لأمر؛ منها:

الأمر الأول: أن يزيد ليس من الصحابة فضلاً عن أن يكون من الخلفاء الراشدين المهديين باتفاق العلماء؛ إذ ولد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه كما تقدم في ترجمته، فكيف يعد من الصحابة رضي الله عنهم؟! وعليه ف«من قال: إن يزيد هذا كان من الصحابة فهو كاذب مفتر، يُعرّف أنه لم يكن من الصحابة، فإن أصر على ذلك عوقب عقوبة تردعه... ومن جعله من الخلفاء الراشدين المهديين فهو أيضاً ضال مبتدع كاذب» (٣).

الأمر الثاني: أن ادعاء نبوة يزيد أو غيره من الناس بعد النبي محمد ﷺ

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٣٥)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٦).

(٥) جامع المسائل لابن تيمية (٥/١٤٧).

(٦) انظر: إقبال الأعمال لابن طاووس (٨٩/٣) [مكتب الإعلام الإسلامي، ط ١، ١٤١٦هـ].

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٤٨٢).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٩/٢٣٤).

(٣) جامع المسائل لابن تيمية (٥/١٤٧).

منه، ولا أجفى منه»^(١).

الثاني: أن يزيد بن معاوية لم يقتل الحسين، بل «لم يكن ذلك من علم منه، ولعله لم يرض به ولم يسؤه»^(٤)، كما تقدم بيانه.

وقد أشار شيخ الإسلام إلى هذا الموقف الرافضي بقوله: «افترق الناس في يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثلاث فرق: طرفان ووسط. فأحد الطرفين قالوا: إنه كان كافراً منافقاً»^(٢).

الثالث: زعمهم أن يزيد قتل الحسين تشفياً وأخذاً بثأر من قُتل من أقاربه في بدر والجاهلية كما تفيده الأبيات السابقة التي نسبت إليه وأنه تمثل بها فهو غير صحيح عنه، بل هو مما افترى عليه للنيل منه؛ ولذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن من قال: «إنه قتل الحسين تشفياً وأخذاً بثأر أقاربه من الكفار، فهو أيضاً كاذب مفتر»^(٥).

ونسب الكليني إلى أبي عبد الله أنه قال: «ثلاثة هم شرار الخلق ابتلي بهم خيار الخلق... ويزيد بن معاوية لعنه الله قاتل الحسين بن علي وعاداه حتى قتله»^(٣).

❁ الرد عليهم:

لا شك أن قتل الحسين عليه السلام وقع في خلافة يزيد بن معاوية، وهو من الجرائم العظيمة والمصائب الكبيرة، ولكن مع ذلك فإن ما نسجته الروافض حول قتل الحسين من الأكاذيب، ثم الحكم من خلالها على يزيد بالكفر والزندقة والنفاق مردود، وبيان هذا على النحو التالي:

الأول: أن التكفير عند الروافض أمر لا خطام له ولا زمام؛ فقد كفروا خيار الأمة كأبي بكر وعمر وجميع الصحابة إلا القليل النادر منهم، وعليه فتكفير يزيد أسهل عليهم بكثير.

وقال ابن كثير: «وأما الروافض فيشغبون عليه، ويشنعون ويفترون عليه أشياء كثيرة ليست فيه، ويتهمه كثير منهم أو أكثرهم بالزندقة، ولم يكن كذلك»^(٦).

وأما ما ذكروه من أن يزيد طلب من الناس أن يبايعوه بأنهم عبيد له فهذا كذب مكشوف لا يستحق أدنى حظ من النظر؛ فهناك عدد من الناس لم يخلعوا إمامة يزيد كابن عمر وأهل بيته، ولم يصبهم يزيد بشيء.

❁ المصادر والمراجع:

١ - «السنة» (ج ٣)، للخلال.

(١) الأمالي للصدوق (٢٢٨) مؤسسة البعثة، قم، ط ١، ١٤١٧هـ.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (٢٣٤/٩).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٨١/٤).

(٥) جامع المسائل لابن تيمية (١٤٨/٥).

(٣) الكافي للكليني (٢٣٤/٨) [تصحيح: علي أكبر

(٦) البداية والنهاية لابن كثير (٢٣٤/٩).

الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٤].

❁ معنى اسمه لغة:

اليسع اسم اختلف فيه؛ أهو أعجمي أم عربي؟ والحق أنه اسم أعجمي، إلا أنه يجز بالكسرة، ولا ينون^(٢).

❁ نبوته:

ذكر الله ﷻ نبيه اليسع في القرآن العظيم في موضعين، فقال تعالى:

﴿وَأِسْمَعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكَلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَفَرِيَةٍ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدُهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٩٠) [الأنعام]، وقال تعالى:

﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ (٩٨) [ص].

❁ المسائل المتعلقة:

الأخبار في اليسع عليه السلام التي لم تثبت: فقد ذكر في قصته عليه السلام أخبار تروى، لكن ليس عليها دليل صحيح يعتمد عليه، ومن ذلك:

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط (١٧٨/٤) [دار الكتب العلمية، ط ١]، وتفسير القرطبي (٤٤٩/٨) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ].

٢ - «جامع المسائل» (ج ٥)، لابن تيمية.

٣ - «المسائل والأجوبة» لابن تيمية.

٤ - «رأس الحسين»، لابن تيمية.

٥ - «منهاج السنة النبوية» (ج ٤)، لابن تيمية.

٦ - «البداية والنهاية» (ج ١٠)، لابن كثير.

٧ - «تهذيب التهذيب» (ج ١١)، لابن حجر.

٨ - «كتاب الأربعين»، لمحمد طاهر الشيرازي.

٩ - «إقبال الأعمال» (ج ٣)، لابن طاووس.

❁ اليسع عليه السلام ❁

❁ اسمه ونسبه:

اليسع بن عدي بن شويلخ بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن يعقوب. وقيل: هو الأسباط بن عدي بن شولم بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، ويقال: هو ابن عم إلياس عليه السلام^(١).

(١) انظر: تاريخ الرسل والملوك للطبري (٤٦٤/١) [دار المعارف، مصر، ط ٢]، والمنتظم في تاريخ الملوك والأئمة لابن الجوزي (٣٨٥/١) [دار الكتب العلمية، ط ١]، والبداية والنهاية (٢٨٥/٢) [دار هجر، ط ١، ١٤١٧هـ].

أ - ما قيل في نسبه:

ف قيل: إنه اليسع بن أخطوب بن العجوز.

وقيل: اليسع هو الأسباط بن عدي بن شوتلم بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل^(١).

ب - ما روي من اجتماع اليسع بالخضر عليه السلام كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين، وأنهما يحجان ويعتمران كل عام، ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل، وأنهما لا يزالان أحياء.

وكل ذلك إما موضوع مكذوب، وإما ضعيف جداً لا تقوم به حجة؛ كما قال ابن الجوزي^(٢)، وابن حجر^(٣).

فتبين إذن أن هذه الأخبار والأقوال «كلها لا تستند إلى دليل صحيح، وفيما ذكره الله ﷻ عنه في محكم كتابه كفاية، والعلم عند الله ﷻ»^(٤).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج ١، ٢)، لابن حجر.
- ٢ - «تفسير البحر المحيط» (ج ٤)، لأبي حيان.
- ٣ - «تفسير السعدي».
- ٤ - «تفسير الطبري» (ج ٩، ٢٠).
- ٥ - «تفسير ابن كثير» (ج ٢).
- ٦ - «الزهر النضر في أخبار الخضر»، لابن حجر.
- ٧ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٨ - «تفسير القرطبي» (ج ١٨).
- ٩ - «قصص الأنبياء»، لابن كثير.
- ١٠ - «قصص الأنبياء القصص الحق»، لشية الحمد.
- ١١ - «معارج القبول» (ج ٢)، لحافظ الحكمي.
- ١٢ - «الموضوعات» (ج ١، ٣)، لابن الجوزي.

يعقوب عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام^(٥)، كما قال تعالى في

- (٥) انظر: تفسير الطبري (٥٩٣/١) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٣٣٠) [دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ]، وتفسير ابن كثير (٤٤٧/١) [دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ].

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٨٤/٩)، وقصص الأنبياء لابن كثير (٣٢٧) [مكتبة نزار الباز، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٢) انظر: الموضوعات لابن الجوزي (١٩٩/١)، ٢٠٠، ٣/٣٠ [المكتبة السلفية، ط ١، ١٣٨٦هـ].

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١١٠/١)، ٢/٢٩٣ [دار الجيل، ط ١]، والزهر النضر في حال الخضر (٧٥) [مجمع البحوث الإسلامية، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٤) قصص الأنبياء القصص الحق (٢١٦) [مكتبة المعارف، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام، ومهيّجاً لهم بذكر أبيهم إسرائيل، وهو نبي الله يعقوب عليه السلام (٥).

معنى اسمه لغة:

سمي يعقوب عليه السلام بهذا الاسم؛ لخروجه وهو آخذ بعقب أخيه (٦).
وأما اسمه الآخر وهو: إسرائيل، فمعناه: عبد الله كما ذكر ابن جرير الطبري وغيره (٧).

مولده ونشأته:

ولد يعقوب في حياة كل من جده إبراهيم وجدته سارة كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ (٦). [هود]، وهذا يقتضي وقوعه في حال حياتهما؛ لتقر أعينهما بذلك، وهو الغرض من البشارة. قال ابن كثير: «فقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود] دليل على أنها تستمتع بوجود ولدها إسحاق، ثم من بعده يولد ولده يعقوب؛ أي: يولد في حياتهما؛ لتقر أعينهما به، كما قرت

بشارة سارة زوج نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ (٦). [هود]، فدلّت الآية على نسبه المذكور. وجاء هذا في حق يوسف بن يعقوب عليه السلام من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «الكريم ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام» (١).

وجاءت تسمية يعقوب بإسرائيل في كثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [البقرة]. قال ابن جرير الطبري: «وكان يعقوب يدعى إسرائيل، بمعنى عبد الله وصفوته من خلقه؛ وإيل: هو الله، وإسرا: هو العبد، كما قيل: جبريل بمعنى عبد الله» (٢). ونص ابن الجوزي على أنه اسم ثانٍ أعجمي ليعقوب، معناه عبد الله (٣)، خلافاً لمن اعتبره لقباً له (٤).

وقال ابن كثير: «يقول تعالى آمراً بني إسرائيل بالدخول في الإسلام،

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٩٠).
(٢) تفسير الطبري (١/٥٩٣).

(٣) انظر: زاد المسير (١/٥٩) [دار الكتاب العربي، ١، ١٤٢٢هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٣٣٠).

(٤) انظر: الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء للدكتور ف عبد الرحيم (١٩٥) [دار القلم، ١].

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (١/٢٤١)، والجامع لأحكام القرآن (١/٣٣٠)، والبداية والنهاية لابن كثير (١/٤٤٧) [دار هجر، ١، ١٤١٨هـ].

(٦) انظر: البداية والنهاية (١/٤٤٧)، والإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء (١٩٥).

(٧) تفسير الطبري (١/٥٩٣)، وزاد المسير (١/٥٩).

وجه إلى أبنائه سؤالاً؛ ليعلم مدى تمسكهم بتوحيد الله وإفراده بالعبادة، فقال كما حكاها الله عنه في محكم تنزيله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة]. قال ابن كثير: «يقول تعالى محتجاً على المشركين من العرب أبناء إسماعيل، وعلى الكفار من بني إسرائيل - وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام - بأن يعقوب لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له» (٣).

وفاته:

جاء يعقوب وأهل بيته من البدو إلى مصر عند ابنه نبي الله يوسف وعمره مائة وثلاثون عاماً، ثم مات بعد أن عاش معه سبع عشرة سنة، ودفن بالمغارة بالشام بجوار قبر أبيه إسحاق وجده إبراهيم عليه السلام؛ تنفيذاً لوصيته بذلك (٤).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: بناءه بيت المقدس: ذكر المؤرخون أن نبي الله يعقوب بن إسحاق عليه السلام هو الذي بنى بيت المقدس

(٣) تفسير ابن كثير (١/٤٤٧).

(٤) انظر: صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) لسليم الهالبي (٢٢٦) [دار غراس، ط ١، ١٤٢٢هـ].

بوالده. ولو لم يرد هذا لم يكن لذكر يعقوب وتخصيص التنصيب عليه من دون سائر نسل إسحاق فائدة، ولما عين بالذكر دل على أنهم يتمتعان به ويسران بمولده، كما سراً بمولد أبيه من قبله» (١).

وذهب بعض أهل العلم إلى أن يعقوب عليه السلام نبئ أيضاً في زمان إبراهيم عليه السلام (٢).

نبوته:

أخبر الله بأن يعقوب عليه السلام هو من الذين اصطفاهم الله لرسالته، فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٤٧) [ص]. وذكره سبحانه ضمن أنبيائه الموحى إليهم فقال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ [النساء: ١٦٣].

دعوته:

كانت دعوة يعقوب عليه السلام إلى توحيد الله وإخلاص الدين له، ونبذ الشرك والبعث عنه، حتى إنه في آخر لحظات حياته

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١/٣٧٤).

(٢) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/٣٠٩) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ].

بعد بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بيت الله الحرام، وبه يقول أهل الكتاب أيضًا، ورجحه ابن كثير بقوله: «وهذا متجه، ويشهد له ما ذكرناه من الحديث»^(١). وكانت المدة بين بناء المسجدين أربعين سنة، ويدل عليه ما جاء عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله، أيُّ مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام. قال: قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله؛ فإن الفضل فيه»^(٢).

- المسألة الثانية: تحريم يعقوب بعض الطعام على نفسه وبيان أسبابه:

أحلَّ الله سبحانه لبني إسرائيل جميع الأطعمة، إلا ما حرّمه إسرائيل - وهو يعقوب عليه السلام - منها على نفسه، وذلك قبل نزول التوراة، فقال سبحانه: ﴿كُلُّ أَطْعَامٍ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ [آل عمران: ٩٣].

وقد جاء في السُّنة بيان سبب هذا التحريم، وهو أنه مرض مرضًا شديدًا، فنذر الله أنه إن شفاه الله من هذا المرض

ليحرم على نفسه أحب الطعام والشراب إليه، فلما برئ نفذ ما نذر به، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: «حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنها، لا يعلمهن إلا نبي، فكان فيما سأله: أيُّ الطعام حرم إسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة؟ قال صلى الله عليه وسلم: «فأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرضًا شديدًا فطال سقمه، فنذر الله نذرًا لئن شفاه الله من سقمه، ليحرم أحب الشراب إليه، وأحب الطعام إليه، فكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها؟» فقالوا: اللّهُمَّ نعم»^(٣).

- المسألة الثالثة: محنته في ابنه يوسف وصبره على ذلك:

نزغ الشيطان بين يوسف وإخوته من أبيه، فقد شعروا بحب أبيه له أكثر منهم، فكادوا لإبعاده عن وجه أبيهم، فأخذوه من أبيهم بحجة أن يلعب معهم، وبعد مشاورات فيما يفعلون به أجمعوا

(٣) أخرجه أحمد (١٢٣/٣) [دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤١٦هـ]، وصحح إسناده أحمد شاكر، وأورده إبراهيم العلي في الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء (١٠٢) [دار القلم والدار الشامية، ط ١، ١٤١٦هـ].

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣٧٥/١) ويعني بالحديث حديث أبي ذر الآتي.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٦٦)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢٠).

يعقوب زاد حزنه وقال كما حكاه الله عنه: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٨٢) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَّاسَفُ عَلَى يَوْسُفَ وَاتَّيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٣﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٤﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرَيِّ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ [يوسف].

وبعد مناشدة إخوة يوسف ليوسف مناشدة طويلة واسترحامه واستعطافه وتكرار المجيء إليه، كشف لهم الغطاء عن حقيقته قائلاً: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ (٨٦) قَالُوا أَيْنَ نَآئِكَ لَأَتَّ يَوْسُفَ قَالَ أَنَا يَوْسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴿٨٧﴾ [يوسف].

بعد ذلك طلب يوسف من أخيه هذا أن يرجع إلى أبيه الذي قد أرهقه الحزن، وكاد يذهب بصره من أجل ذلك، حاملاً معه قميصه ليلقيه على وجه أبيه؛ ليذهب ما به، كما قال الله تعالى: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣) [يوسف]، ولما جاء البشير وألقى القميص على وجه أبيه ارتد بصيراً، ثم أتوا بأهلهم أجمعين، وطلب إخوة يوسف من أخيه وأبيهم أن يستغفروا الله لهم، وهكذا من الله على يعقوب وابنه ﷺ وجمعهما

على إلقائه في الحب ورموه فيها، كما قال الله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ [يوسف: ١٥]، ورجعوا إلى أبيهم ليكون زاعمين أن يوسف أكله الذئب، فلم يصدقهم على ذلك، بل شعر بكذبهم وبمكرهم فيه، ودعا ربه أن يرزقه الصبر الجميل، كما حكاه الله عنه بقوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (١٨) [يوسف].

وحفظ الله يوسف وجاء أناس واستخرجوه وباعوه بثمن بخس على عزيز مصر، وهناك حصلت ليوسف محن سجن بسببها سنين، ثم من الله عليه وخرج من السجن ومكنه الله في مصر، حيث أصبح موظفاً على خزائن الأرض، وفي بعض السنين اشتدت المجاعة وجاء إخوة يوسف ليشتروا منه فعرفهم، وجهازهم ولم يأخذ منهم المال وأعلمهم بأنه لن يبيع إليهم إذا جاؤوا للشراء منه مرة أخرى حتى يأتوه بأخ لهم من أبيهم، فأخبروا أباهم، وبعد محاولات أعطاهم إياه، ولما وصلوا إلى يوسف جهازهم وأدخل صواع الملك في متاع أخيه خفية؛ ليكون ذلك وسيلة لإبقائه معه، ثم أعلن فقدان الصواع، وأخيراً استخرجها من وعاء أخيه، واعتبره سارقاً وأنه سيبقى محبوساً عنده، ولما بلغ الخبر

بعد ربح من الزمان. هذا ملخص محنة يعقوب وصبره عليها.

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «تفسير الطبري» (ج ١).
- ٢ - «المنتظم في التاريخ» (ج ١)، لابن الجوزي.

- ٣ - «زاد المسير في التفسير» (ج ١)، لابن الجوزي.

- ٤ - «الجامع لأحكام القرآن» (ج ١)، للقرطبي.

- ٥ - «تفسير ابن كثير» (ج ١).

- ٦ - «البداية والنهاية» (ج ١) لابن كثير.

- ٧ - «صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير)» لسليم الهلالي.

- ٨ - «قصص الأنبياء ومناقب القبائل من التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن»، لأحمد حاج محمد عثمان.

- ٩ - «الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء»، للدكتور ف عبد الرحيم.

- ١٠ - «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء ﷺ»، لإبراهيم العلي.

✽ اليقين ✽

✽ التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الياء والقاف والنون يَيقِن، واليقين: زوال الشك؛

يقال: يَيقِن، واستيقنت، وأيقنت»^(١).

اليقين: هو العلم، وإزاحة الشك، وتحقيق الأمر، يقال من ذلك: أيقن يوقن إيقاناً فهو موقن، ويقن ييقن يقناً فهو يقن، واستيقنَه: علمه وتحققه، واليقين: نقيض الشك^(٢).

✽ التعريف شرعاً:

اليقين: هو العلم التام، الواصل إلى القلب، الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل والداعي إليه^(٣).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «اليقين: استقرار الإيمان في القلب علماً وعملاً»^(٤).

✽ الحكم:

اليقين بالله فرض لازم على كل مؤمن في كل ما يشترط له، كمسائل التوحيد، والإيمان باليوم والآخر، ونحوه، لا يتحقق الإيمان إلا به، وهو رأس العبادات القلبية، وهو قلب الإيمان ولبه، وهو أعلى درجات الإيمان^(٥).

(١) مقاييس اللغة (١٥٧/٦) [دار الجليل، بيروت، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢٤٥/٩) [دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م]، ولسان العرب (١٣/٤٥٧)، وترتيب القاموس المحيط (٦٨٠/٤) [دار عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٣) تفسير السعدي (٣٠، ٧٠٤) [دار السلام، ط ٢، ١٤٢٢هـ].

(٤) جامع المسائل لابن تيمية (٢٦٠/٣) [دار عالم الفوائد، ط ٤، ١٤١٧هـ].

(٥) الفوائد (٨٦/١).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «اليقين: الإيمان كله»^(١).

❁ الحقيقة:

حقيقة اليقين: هو الإيمان بالله تعالى، وبأسمائه وصفاته، وبأمره ونهيه، وبالיום والآخر، واستقرار ذلك في القلب، والعمل بموجب ذلك.

قال ابن القيم رحمته الله: «اليقين هو الوقوف على ما قام بالحق من أسمائه وصفاته، ونعوت كماله، وتوحيده. وهذه الثلاثة أشرف علوم الخلائق: علم الأمر والنهي، وعلم الأسماء والصفات، والتوحيد، وعلم المعاد واليوم الآخر»^(٢).

❁ المنزلة:

اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وعمل القوم إنما كان عليه، وإشاراتهم

(١) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم (كتاب الإيمان، ١٠/١) [دار طوق النجاة، ط ١]، ووصله الحافظ في التلخيص (٢١/٢، ٢٢) [المكتب الإسلامي ودار عمار، ط ١] من طرق عدة، وصحح إسناده.

(٢) مدارج السالكين (٣٧٩/٢) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٥، ١٤١٩هـ]. وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٣١٣، ٣١٤)، وبيان تلبس الجهمية (٨/٤٥٤، ٤٥٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٦هـ]، والقول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٧٨/٢) [دار ابن الجوزي، ط ٣، ١٤١٩هـ].

كلها إليه، وإذا تزوج الصبر باليقين؛ ولد بينهما حصول الإمامة في الدين. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة]، وخصّ عليه السلام أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين، فقال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات]، وخصّ أهل اليقين بالهدى والفلاح بين العالمين، فقال سبحانه: ﴿...وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [٤] وَأُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [٥] [البقرة]. فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح وهو حقيقة الصّدّيقية، وقطب هذا الشيء الذي عليه مداره^(٣)، واليقين هو أعلى درجات الإيمان^(٤).

❁ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة].

ومن السنة ما رواه أبو بكر رضي الله عنه، قال

(٣) مدارج السالكين (٣٧٥/٢) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٥، ١٤١٩هـ].

(٤) القول المفيد (٧٨/٢).

النبي ﷺ: «سلوا الله العفو والعافية، واليقين في الآخرة والأولى»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقام بلال ينادي، فلما سكنت؛ قال رسول الله ﷺ: «من قال مثل هذا يقيناً دخل الجنة»^(٢).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن الله تبارك وتعالى بقسطه وحلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»^(٣).

✽ أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «اليقين: يتضمن اليقين في القيام بأمر الله، وما وعد الله أهل طاعته، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره، فإذا أرضيتهم - يعني: الناس - بسخط الله لم تكن موقناً لا بوعده ولا برزقه؛ فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك: إما ميل إلى ما في أيديهم من الدنيا: فيترك القيام فيهم بأمر الله؛ لما يرجوه منهم، وإما لضعف

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٥٨) وحسنه، وأحمد (١٨٥/١) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ] واللفظ له، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٣٨) وصححه.

(٢) أخرجه النسائي (كتاب الأذان، رقم ٦٧٤)، والحاكم (كتاب الصلاة، رقم ٧٣٥) وصححه، وحسنه الألباني في تحقيق المشكاة (رقم ٦٧٦) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٥م].

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٥٠٣) [دار الكتب العلمية]، وابن أبي الدنيا في الرضا عن الله (١١١) [الدار السلفية، بومباي، ط ١، ١٤١٠هـ] واللفظ له.

وقال السعدي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل]: «أي: بلغ معهم الإيمان إلى أن وصل إلى درجة اليقين، وهو العلم التام الواصل إلى القلب، الداعي إلى العمل، ويقينهم بالآخرة يقتضي كمال سعيهم لها، وحذرهم من أسباب العذاب، وموجبات العقاب، وهذا أصل كل خير»^(٤).

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «واليقين أعلى درجات الإيمان، وقد يراد به العلم، كما تقول: تيقنت هذا الشيء؛ أي: علمته يقيناً لا يعتريه شك»^(٥).

(٤) مجموع الفتاوى (٥١/١).

(٥) مدارج السالكين (٣٧٥/٢).

(٦) تفسير السعدي (٧٠٤).

(٧) القول المفيد (٧٨/٢).

المراتب:

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨] وقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وكذلك يجب الإيمان بما أوجب الله الإيمان به، كاليقين بالوحدانية، والإيمان باليوم الآخر، وأمثالها، لكن مما لا يجب فيه اليقين أمران:

أحدهما: كتفاصيل الثواب والعقاب، ومعاني بعض الأسماء والصفات، ونحوها.

الثاني: ما وقع فيه النزاع من المسائل الدقيقة قد لا يقدر فيه على دليل يفيد اليقين، وليس على المؤمن أن يترك ما يقدر عليه من اعتقاد قوى غالب ظنه، لعجزه عن تمام اليقين، بل ذلك هو الذي يقدر عليه، لا سيما إذا كان مطابقاً للحق^(٢).

فلا يشترط إذاً اليقين في جميع مسائل الاعتقاد؛ لأن من مسائل العقيدة ما اختلف فيه العلماء، وما كان مختلفاً فيه بين أهل العلم فليس يقيناً؛ لأن اليقين لا يمكن نفيه أبداً، فمثلاً اختلف العلماء رحمهم الله في عذاب القبر: هل هو واقع على البدن، أو على الروح؟ واختلف العلماء رحمهم الله أيضاً في

مراتب اليقين ثلاث، منصوص عليها في القرآن الكريم: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

فعلم اليقين: ما علمه بالسماع، والخبر، والقياس؛ مثل من علم بالإيمان، أو أخبره به من يصدقه، أو وجد من آثار أحوال أهل الإيمان ما يدل عليه.

وعين اليقين: هو ما شاهده وعينه بالبصر؛ مثل من يعاين أحوال أهل الإيمان واليقين والصدق، ما يعرف به مواجيدهم، وأذواقهم، وإن كان هذا في الحقيقة لم يشاهد ما ذاقوه ووجدوه، ولكن شاهد ما يدل عليه، لكن هو أبلغ من المخبر، والمستدل بآثارهم.

وحق اليقين: ما باشره، ووجده، وذاقه، وعرفه بالاعتبار، فيحصل له من الذوق والوجد في نفسه ما كان سمعه^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اشتراط اليقين في الاعتقاد:

ما أوجب الله فيه العلم واليقين وجب فيه ما أوجبه الله من ذلك؛ كقوله تعالى:

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٦٤٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ٢ط]، ومدارج السالكين (٣٧٧/٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٣١٣، ٣١٤)، وبيان تلبس الجهمية (٨/٤٥٤، ٤٥٥).

وَلَكِنْ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴿٤٣﴾ الآية... فمن أعظم الأدلة على تفاوت الإيمان ومراتبه حتى الأنبياء، فهذا طلب الطمأنينة مع كونه مؤمناً، فإذا كان محتاجاً إلى الأدلة التي توجب له الطمأنينة فكيف بغيره^(٥).

- المسألة الثالثة: معنى قوله تعالى:

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٤٤) [الحجر].

معنى اليقين: ما يوقن به من الموت، وما بعده باتفاق أئمة السلف^(٦)؛ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤٤) قَالُوا لَوْ نَكُنْ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ نَكُنْ نَاطِقِينَ ﴿٤٦﴾ الْمُسَكِّينَ ﴿٤٧﴾ وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٨﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٩﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٥٠﴾ [المدثر].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: واعبد ربك حتى يأتيك الموت، الذي هو موقن به، ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»^(٧).

فذكر هذا القول الذي عليه أهل التأويل، ولم يذكر قولاً غيره.

ويدل على ذلك حديث أم العلاء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت: اقتسم المهاجرون قرعة، فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه في

الذي يوزن؛ أهى الأعمال، أم صحائف الأعمال، أم صاحب العمل؟ فالحاصل: أن مسائل العقيدة ليست كلها مما لا بد فيه من اليقين؛ لأن اليقين أو الظن حسب تجاذب الأدلة، وتجاذب الأدلة حسب فهم الإنسان وعلمه^(١).

- المسألة الثانية: معنى قوله تعالى:

﴿لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

معنى الآية: ليزداد يقيني، أو ليزداد إيماني، روى ذلك ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ عن جماعة من أئمة السلف: منهم سعيد بن جبیر، وقتادة بن دعامة، والضحاك بن مخلد، والربيع بن أنس، وإبراهيم النخعي، وغيرهم^(٢).

قال ابن بطّة رَحِمَهُ اللهُ: «يريد لأزداد إيماناً إلى إيماني، بذلك جاء التفسير»^(٣).

وقد احتج بها أبو عبد الله البخاري في صحيحه على زيادة الإيمان ونقصانه^(٤).

قال محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «وأما قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْجِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى

(١) شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (٣٠٧) دار الوطن للنشر، ط ١، ١٤٢٦هـ.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٦٠/٤) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٨٣٣/٢) [دار الراجية، ط ١، ١٤٠٩هـ].

(٤) صحيح البخاري (٦٠).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٧٣) [جامعة الإمام محمد بن سعود].

(٦) انظر: الرد على الشاذلي في حزيه لابن تيمية (٥١) [دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ].

(٧) تفسر الطبري (١٤/١٥٤).

سقوط الطهارة للعجز عن استعمالها لعدم أو خوف ضرر وسقوطها بالجنون وسقوط فعلها بالإغماء وفي وجوب القضاء نزاع مشهور، ونحو ذلك مما هو معروف في مواضعه^(٣).

❁ الثمرات:

يشمر المقامات العلية، كمحبة الله تعالى، والتوكل عليه، والشكر له، والرضا به، والخوف منه، والإنابة إليه، فهو مادة جميع المقامات والحامل بها.

ومن ثمرات اليقين: أنه يورث الطمأنينة والسكينة، وثباتاً في العقيدة، ورسوخاً في الإيمان، فينفي الشك، ويزيل الهم والغم^(٤).

ومن ثمراته أنه هو والصبر ينال العبد المؤمن بهما الإمامة في الدين؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة].

❁ مذهب المخالفين:

أهل الكلام من المعتزلة، والأشاعرة وغيرهم يقولون: إن مسائل العقيدة، أو المسائل الخبرية، وهي ما يسمونها بأصول الدين يجب فيها اليقين القطعي،

أبياتنا، فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفي وغُسل وكُفّن في أثوابه دخل رسول الله ﷺ. فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال النبي ﷺ: «وما يدريك أن الله أكرمهم». فقلت: بأبي أنت يا رسول الله ﷺ فمن يكرمه الله؟ فقال: «أما هو فقد جاءه اليقين والله إنني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي». قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً^(١).

وقد حكى غير واحد من أهل العلم الإجماع على المعنى المذكور؛ منهم ابن القيم حيث قال: «وهو الموت بإجماع أهل العلم كلهم»^(٢).

وقد خالف القرامطة والباطنية ومن وافقهم من جهال المتصوفة في معنى اليقين، وفسّروه بسقوط التكاليف والواجبات الشرعية، على من يعتقدونهم من الأولياء الواصلين.

ومن المعلوم أن هذا خلاف دين الإسلام؛ وأنه قد عُلِمَ بالاضطرار من دين الإسلام أن الصلوات الخمس لا تسقط عن أحد من الأولياء، ولا عن شيء من واجباتها إلا لعذر شرعي، مثل

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٤٣).

(٢) بدائع التفسير (١٠٨/٢) [دار ابن الجوزي، ط ١،

١٤٢٧هـ]. وانظر: الإجماع في التفسير لمحمد

الخضيري (٢٣٤) [دار الوطن].

(٣) الرد على الشاذلي (٥٠) [دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ].

(٤) مدارج السالكين (٣٧٥/٢) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٥، ١٤١٩هـ].

❁ المصادر والمراجع:

- ١ - «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
- ٢ - «الرضا عن الله بقضائه»، لابن أبي الدنيا.
- ٣ - «الزهد الكبير»، لأبي بكر البيهقي.
- ٤ - «الزهد»، لابن أبي الدنيا.
- ٥ - «الصبر والثواب عليه»، لابن أبي الدنيا.
- ٦ - «الفوائد»، لابن القيم.
- ٧ - «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن.
- ٨ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
- ٩ - «مدارج السالكين»، لابن القيم.
- ١٠ - «نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، لمجموعة من الباحثين.
- ١١ - «اليقين»، لمحمد العلي.

❁ يوسف عليه السلام ❁

❁ اسمه ونسبه:

هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، كما ثبت من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال في يوسف: «الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم».

ولا يجوز عندهم الاستدلال عليها إلا بالأدلة التي يزعمون أنها تفيد القطع كالعقل، وقد يوجبون القطع فيها على كل أحد^(١).

وهذا الذي قالوه باطل مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة؛ بيانه من وجهين^(٢):

أحدهما: أن الأدلة والتي يزعمونها هي كثيراً ما تكون من الأغلوطات، فضلاً عن أن تكون من الظنيات، فضلاً عن أن تكون من القطعيات.

الثاني: يجب اليقين فيما أمرنا فيه باليقين: كاليقين بالوحدانية، والإيمان بالرسول، والإيمان باليوم الآخر، ونحو ذلك مما أمرنا فيه باليقين مما يمكن إثباته بأدلة يقينية، وأما ما لا يجب علينا فيه اليقين؛ كتفاصيل الثواب والعقاب، ومعاني بعض الأسماء والصفات، أو مما تنازع فيه العلماء من دقائق المسائل، فهذه إذا اعتقدها الإنسان اعتقاداً قوياً غالب ظنه، بحسب طاقته وقدرته فهو اعتقاد ينفع صاحبه، ويسقط به عنه الفرض، إذا لم يقدر على أكثر من ذلك.

(١) انظر: شرح الفقه الأكبر للماتريدي (١٥) [طبع على نفقة الشؤون الدينية، قطر]، وشرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى للسنوسي (١١). وانظر: مجموع الفتاوى (٣/٣١٣)، وبيان تلبس الجهمية (٨/٤٥٤).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٣١٣، ٣١٤)، وبيان تلبس الجهمية (٨/٤٥٤، ٤٥٥).

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ^(١).
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾
 [يوسف].

معنى اسمه لغة:

يوسف اسم أعجمي عبراني، معناه: يزيد ^(٢). ونقل الجوهري في ضبطه ثلاث لغات، فقال: «قال الفراء: يوسف ويوسف ويوسف ثلاث لغات، وحكى فيه الهمز أيضاً» ^(٣).

نبوته:

جاءت البشرى بنبوة يوسف في رؤيا سالحة رآها يوسف في حال صغره وأخبر بها أباه يعقوب، كما أخبر الله عنه: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف]، ففسرها أبوه بالنبوة؛ ولذا أمره بكتمانها عن إخوته؛ حرصاً على سلامته، كما قال تعالى:

﴿قَالَ يَبْنَئُ لَكَ كَبْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٩٠).

(٢) انظر: المعرّب للجواليقي (٦٤٤) [دار القلم، ط ١، ١٤١٠هـ]، والإعلام بأصول الإعلام الواردة في قصص الأنبياء للدكتور ف عبد الرحيم (٢٠٢)، (٢٠٣) [دار القلم، ط ١، ١٤١٣هـ].

(٣) الصحاح (١٣٣١/٤) [دار العلم للملايين، ط ٤]، وانظر: القاموس المحيط (٧٩٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٨].

وذكر الله نبوة يوسف عليه السلام ذكراً صريحاً في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [غافر].

وذكره عليه السلام في سياق تضمّن ذكر عدد من أنبيائه ورسله عليهم السلام، فقال سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام].

دعوته:

كان يوسف عليه السلام يدعو إلى الإيمان بالله وتوحيده بالعبادة وإفراده بخصائصه، ونبذ الشرك وعبادة غير الله، والبراءة منها ومن أهلها، ويؤكد أنه في هذا تابع للملة الحنيفية السمحة، التي كان عليها آباؤه أئمة التوحيد: إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، ثم حقر شأن المعبودات من دون الله، وبين عدم استحقاقها للألوهية الحقّة، كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿...إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ

مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ [غافر].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ يعني: أهل مصر، قد بعث الله فيهم رسولاً من قبل موسى، وهو يوسف عليه السلام، كان عزيز أهل مصر، وكان رسولاً يدعو إلى الله أمته القبط، فما أطاعوه تلك الساعة إلا لمجرد الوزارة والجاه الديني؛ ولهذا قال: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾؛ أي: يئستم فقلتم طامعين: ﴿لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ وذلك لكفرهم وتكذيبهم، ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ ﴿٣٤﴾؛ أي: كحالكم هذا» (٢).

وفاته:

توفي يوسف عليه السلام في مصر ودفن فيها، ثم أخرج منها على يد نبي الله موسى عليه السلام، لما رواه الحاكم من حديث أبي موسى الأشعري قال: «أتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابياً فأكرمه، فقال له: ائتنا، فأتاه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سل حاجتك، فقال: ناقة نركبها، وأعترأ يحلبها أهلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل؟ قال: إن موسى

ءَابَأَنِي إِتْرَهيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْطَحِي السَّجْنَاءُ أَبَابُ مْتَفَرِّقَاتٍ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتِمَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ [يوسف].

قومه وموقفهم منه:

قومه هم أهل مصر القبط، بعثه الله إليهم رسولاً بعد موت ملكهم (١)، يدعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، وكان عزيز مصر فأطاعوه في الظاهر؛ طمعاً فيما عنده من الوزارة والجاه الديني، وأما في قرارة أنفسهم فقد كانوا في شك من نبوته ودعوته الحقّة، وكانوا ينتظرون موته، ولما مات قالوا: لن يبعث الله من بعده نبياً؛ لكفرهم به، قال الله تعالى مخاطباً أهل مصر قوم موسى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣١٢/١٥) [دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ]، وتفسير ابن كثير (٧/١٤٣) [دار طيبة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، والبداية والنهاية (٨٩/٢) [دار هجر، ط ١، ١٤١٨هـ]، وتفسير السعدي (٧٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

(٢) تفسير ابن كثير (٧/١٤٣). وانظر: تفسير السعدي (٧٣٧).

مَلِكٌ كَرِيمٌ ﴿٣٦﴾ [يوسف].

ولا غرابة فيما حصل للنسوة؛ إذ وهب الله نبيه يوسف شطر الحسن كما في حديث المعراج الطويل وفيه: «ثم عرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف ﷺ، إذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب ودعا لي بخير»^(٢).

وفي شطر الجمال الذي أوتيهِ يوسف ﷺ عدة أقوال: منها: أنه على النصف من جمال أبينا آدم ﷺ، قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قال السهيلي وغيره من الأئمة: معناه: أنه كان على النصف من حسن آدم ﷺ؛ لأن الله تعالى خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه فكان في غاية نهايات الحسن البشري، ولهذا يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم وحسنه، ويوسف كان على النصف من حسن آدم»^(٣).

وقيل: إنه أعطي شطر الجمال مطلقاً، قال المناوي: «حُظًّا عَظِيمًا مِنْ حُسْنِ أَهْلِ الدُّنْيَا»^(٤)، وقيل: إنه أعطي الناس

لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلوا الطريق، فقال: ما هذا؟ فقال علماءهم: إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا، قال: فمن يعلم موضع قبره؟ قالوا: عجوز من بني إسرائيل، فبعث إليها فأتته، فقال: دليني على قبر يوسف، قالت: حتى تعطيني حكمي، قال: ما حكمك؟ قالت: أكون معك في الجنة، فكره أن يعطيها ذلك، فأوحى الله إليه: أن أعطاها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة - موضع مستنقع ماء - فقالت: أنضبوا هذا الماء، فأنضبوا، قالت: احفروا واستخرجوا عظام يوسف، فلما أقفلوها إلى الأرض إذا الطريق مثل ضوء النهار»^(١).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ما وهب الله يوسف ﷺ من الجمال:

كان نبيُّ الله يوسف ﷺ جميلاً جداً، يدل عليه ما حكاه الله ﷻ من قول النسوة لما رأينه: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٣٦/١٣) [دار المأمون للتراث، دمشق، ط١]، وعنه ابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٧٢٣)، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٥٢٣) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣١٣) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٨٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢)، واللفظ له.
(٣) البداية والنهاية (٢٣٦/١) [ط إحياء التراث].
(٤) فيض القدير (٢/٢) [المكتبة التجارية الكبرى].

قالوا: ويحقق ذلك ما رواه الترمذي من حديث قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: «ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه حسن الصوت، وكان نبيكم أحسنهم وجهاً وأحسنهم صوتاً» ^(٣) ^(٤).

قال ابن القيم: «والظاهر أن معناه: أن يوسف عليه السلام اختص عن الناس بشطر الحسن، واشترك الناس كلهم في شطره، فانفرد عنهم بشطره وحده، هذا ظاهر اللفظ، فلماذا يعدل عنه؟ واللام في (الحسن) للجنس لا للحسن المعين والمعهود المختص بالنبي صلى الله عليه وسلم، وما أدري ما الذي حملهم على العدول عن هذا إلى ما ذكروه. وحديث أنس لا ينافي هذا، بل يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الأنبياء وجهاً وأحسنهم صوتاً، ولا يلزم من كونه صلى الله عليه وسلم أحسنهم وجهاً، أن لا يكون يوسف اختص عن الناس

في زمانه شطر الجمال وهو أخذ الشطر الآخر، أو أن المعنى أنه أعطي بعض الجمال؛ حكى ذلك ملا علي القاري عن بعض أهل العلم: فقال: «أن يكون المعنى: نصف جنس الحسن مطلقاً، أو نصف حسن جميع أهل زمانه. وقيل: بعضه؛ لأن الشطر كما يراد به نصف الشيء قد يراد به بعضه مطلقاً» ^(١). وقد استبعد القاري القول الأخير.

وقيل: إنه أعطي شطر الحسن الخَلقي وأعطى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الكمال في الحسن خَلْقاً وَخُلُقاً، قال ابن هبيرة: «والذي أرى أن كل الحسن ما شمل الخُلُق والخَلْق في المعنى والصورة فلما كان يوسف عليه السلام قد ملك أحد قسمي الحسن وهو الصورة كان ذلك شطر الحسن، والذي أراه أنه جمع لمحمد صلى الله عليه وسلم الحالان في الخُلُق والخَلْق، المعنى والصورة، فأعطى الحسن كله» ^(٢)، وقيل: إن يوسف عليه السلام أعطي شطر الحسن الذي أعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم، قال ابن القيم رحمته الله: «قالت طائفة: المراد منه: أن يوسف أوتي شطر الحسن الذي أوتيّه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فالنبي صلى الله عليه وسلم بلغ الغاية في الحسن، ويوسف بلغ شطر تلك الغاية،

(٣) أخرجه الترمذي في الشمائل (رقم ٣٠٣) [دار إحياء التراث العربي]، عن قتادة مرسلاً. وفيه حسام بن مصك، وهو مطروح الحديث كما قال الإمام أحمد، وضعفه غير واحد، وعدّ الذهبي هذا الحديث من مناكيره. انظر: ميزان الاعتدال (٢/٢٢١) [دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م]. والحديث ضعفه الألباني في أصل صفة الصلاة (٢/٥٦٩) [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢٧هـ]. والذي في الشمائل للترمذي بلفظ «ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه حسن الصوت، وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم حسن الوجه حسن الصوت وكان لا يرجع». وقد ذكره كثير من أهل العلم باللفظ الذي ذكره ابن القيم رحمته الله هنا.

(٤) بدائع الفوائد لابن القيم (٣/١١٦٧) [دار عالم الفوائد].

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/٣٧٦٦) [دار الفكر، بيروت].

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/١١٦) [دار الوطن].

أخبر الله بذلك بقوله: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف]، ولما يئست منه قامت إليه،

فتسابقا إلى جهة الباب، يريد يوسف الفرار منها، وتريد هي الإمساك به، فسبقها ومسكته من قميصه ففد من خلف وتمكن يوسف من الخروج من البيت والفرار خارجه، قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا آيَاتٍ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ فُدِّتْ مِّنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٦﴾ وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ فُدِّتْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ فُدِّتْ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٣٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف].

وبعد ثبوت براءة يوسف ﷺ لزوجها قال لها: إنه من كيدكن، وأمرها بالاستغفار، وأمر يوسف بالإعراض عن هذا الموضوع، ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، حيث لامت بعض نساء المدينة امرأة العزيز على مراودتها لفتاها، فإذا بالمرأة تسعى لتسويغ ما فعلت، فجمعت أولئك النساء، وأعطت

بشطر الحسن، واشتركوا هم في الشطر الآخر، ويكون النبي ﷺ شارك يوسف فيما اختص به من الشطر، وزاد عليه بحسن آخر من الشطر الثاني والله أعلم^(١).

والأظهر والله أعلم أن الأرجح في معنى هذا: هو القول الأول وهو أنه اختص بشطر حسن آدم ﷺ، أو أن الحسن جعل شطران فكان في يوسف أحد شطريه واقتسم الناس الشطر الآخر، كما رجحه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ. والله أعلم.

- المسألة الثانية: ابتلاء يوسف بكيد امرأة العزيز:

لما أجمع إخوة يوسف على إبعاده عن وجه أبيهم ألقوه في غيابة الجب، ولما جاء قوم من المارة إلى البئر وأدخلوا دلوهم تعلق به يوسف وخرج إليهم، ففرحوا به وباعوه على أهل مصر، فقال الذي اشتراه كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّجِدَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٢١]، وترعرع يوسف في بيت العزيز، وبعد أن شب افتتنت امرأة العزيز بجماله، وراودته عن نفسه، وغلقت الأبواب، ثم دعت، لكنه استعصم وأبى أن يلبي طلبها، كما

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (٣/ ١١٦٦، ١١٦٧).

مِنْهُ نَبَّأَنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ [يوسف]، وبعد أن دعاها إلى الإيمان بالله وتوحيده والبعد عن الشرك، وبيّن لهما بطلان ألوهية غير الله، نبأهما بتأويل الرؤيا، وقال للذي ظن أنه ناجٍ منهما اذكر شأني عند الملك، فخرج الناجي ونسي أمر يوسف، وبقي يوسف في السجن سنين طويلة، حتى رأى الملك رؤيا وأراد تفسيرها من قومه، فلم يجد أحداً يفسرها له، فحينها تذكر الرجل يوسف وعلمه بتأويل الرؤيا، فطلب من الملك أن يرسله إلى يوسف ليخبرهم بتأويل الرؤيا، فأذن له وذهب وسأل يوسف عنها فأخبره بتأويلها.

ولما سمع به الملك أمر بإخراجه من السجن، فرفض يوسف الخروج حتى تظهر للناس براءته من تهمة النساء، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِهِ فَمَا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رَيْكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ الْإِنْسَانِ النَّاتِي فَطَعَنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ إِنَّكَ خَصَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْفٰلٰسِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف]. وبعد ظهور براءة يوسف للعيان، إذا بالملك يطلب إحضار يوسف إليه؛ لاستخلاصه لنفسه، وهكذا مكّن الله ليوسف في

كل واحدة منهن سكيناً، وأخرجت عليهن يوسف لتريهن جماله الباهر، لعلهن يعذرنها في مراودتها إياه، فإذا بالنسوة يقطعن أيديهن وهن ينظرن إليه، ويقلن: حاشى لله ما هذا بشراً. فتجيبن امرأة العزيز بأن هذا الجمال الذي رأيته هو الذي حملني على المراودة، وهددت بسجن يوسف إن لم يفعل ما تأمره به، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٢١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكْسِبَنَّهُ وَلْيَكُونَا مِنَ الصّٰغِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف]. ويستجيب زوجها لمطلبها فيسجن يوسف بغير جريمة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لِيَسْجُنُوهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يوسف].

ومكث يوسف في السجن مدة طويلة يضيق المقام عن سرد جميع ما وقع فيها، وخلاصتها: أنه دخل السجن، ودخل معه فتیان وسألاه عن رؤيا لهما، كما قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ

الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَأْتُونِي بِهَذِهِ أَسْتَحْلِصُهَا لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكَ ۝ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [يوسف]. وبعد موت الملك حل يوسف محلّه، وصار عزيز مصر وصاحب الأمر فيها.

- المسألة الثالثة: مكان يوسف عليه السلام في السماوات:

جاء في الصحيح ما يثبت كون يوسف عليه السلام في السماء الثالثة، كما في حديث مالك بن صعصعة الطويل في الإسراء والمعراج عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: «ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح»^(١).

المصادر والمراجع:

١ - «المعرب من كلام الأعجمي»، للجواليقي.

٢ - «تفسير القرطبي» (ج ١٥).

٣ - «صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير)» لسليم الهلالي.

٤ - «تفسير ابن كثير» (ج ٧).

٥ - «البداية والنهاية» (ج ٢)، لابن كثير.

٦ - «تفسير السعدي» (٧٣٧).

٧ - «قصص الأنبياء»، للنجار.

٨ - «الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء»، للدكتور ف. عبد الرحيم.

٩ - «فبهذا هم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عليه السلام» لعثمان الخميس.

١٠ - «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء»، لإبراهيم بن محمد العلي.

يوشع بن نون عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو يوشع بن نون عليه السلام، كذا جاء اسمه في الصحيحين من حديث أبي بن كعب الآتي ذكره. وزاد بعض المؤرخين أن نوناً هو ابن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام^(٢).

(٢) انظر: المعارف لابن قتيبة (٤٤) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٩٢م]، والمنتظم في التاريخ (٣٧٧/١)، والكامل في التاريخ (١٧٤/١) =

(١) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٨٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤).

[الكهف: ٦٣] الآية، قال: فرجعا يقصان في آثارهما فوجدا في البحر...»^(١).

معنى اسمه لغة:

يوشع هو بالعبرية يشوع ولما عرّب قدمت الواو على الشين فصار يوشع. وأصله بالعبرية: يهوشع ويهوشوع، ومعناه: الله هو الخلاص^(٢).

نبوته:

دلّت على نبوة يوشع بن نون ﷺ السُّنة الصحيحة، إذ هو المقصود بما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع...»^(٣). وسيأتي تحت دلائل نبوته التصريح بأن النبي الذي حبست له الشمس هو يوشع بن نون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن تلك القرية المشار إليها هي بيت المقدس، وأما القول بأنها أريحا فلم تثبت الرواية في ذلك^(٤).

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧٢٧)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٨٠).

(٢) انظر: المعرّب للجواليقي (٦٤٤) [دار القلم، ط ١، ١٤١٠هـ]، والإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء للدكتور ف عبد الرحيم (٢٠٣)، (٢٠٤) [دار القلم، ط ١، ١٤١٣هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣١٢٤)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٤٧).

(٤) وانظر: المنتظم في التاريخ (٣٧٧/١)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٩٦/١)، ٣٩٧ [مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٥هـ].

وجاءت الإشارة إلى يوشع في القرآن الكريم بقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّى أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠].

وعن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قام موسى خطيباً في بني إسرائيل فقيل له: أي الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه، وأوحى إليه: بلى؛ عبد من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أي رب كيف السبيل إليه؟ قال: تأخذ حوتاً في مكمل، فحيثما فقدت الحوت فاتبعه، قال: فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون، ومعهما الحوت، حتى انتهيا إلى الصخرة، فنزلا عندها، قال: فوضع موسى رأسه فنام، قال سفيان وفي حديث غير عمرو قال: وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة، لا يصيب من مائها شيء إلا حيي، فأصاب الحوت من ماء تلك العين، قال: فتحرك وانسل من المكمل فدخل البحر، فلما استيقظ موسى ﴿...قَالَ لِفَتْنِهِ إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢] الآية، قال: ولم يجد النصب حتى جاوز ما أمر به، قال له فتاه يوشع بن نون: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخَرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ﴾

= [دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ]، والبداية والنهاية (٢٢٧/٢) [دار هجر، ط ١، ١٤١٨هـ].

وقد بعث الله يوشع بن نون بعد نبي الله موسى عليه السلام ^(١). كثير: «فيه أن هذا كان من خصائص يوشع عليه السلام» ^(٤).

✽ كتابه:

ذكر ابن الجوزي أن يوشع بن نون عليه السلام كان يدعو الناس إلى تورا موسى عليه السلام، ويقيم أحكامها عليهم ^(٥).

✽ وفاته:

قيل: إنه توفي عن عشر ومئة سنة، وقيل: عن عشرين ومئة، وقيل: عن سبع وعشرين ومئة سنة، بعد وفاة موسى عليه السلام بسبع وعشرين سنة ^(٦).

✽ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ما قيل من تحوّل النبوة من موسى إلى يوشع بن نون:

ذكر بعض العلماء أن نبي الله موسى في آخر عمره حولت النبوة منه إلى يوشع بن نون، ولم تبق عنده حتى الممات، وكان يسأل يوشع عما أحدث الله إليه من الأوامر والنواهي، حتى قال له: يا كليم الله، إني كنت لا أسألك عما يوحي الله إليك، حتى تخبرني أنت ابتداء من تلقاء نفسك. فعند ذلك كره موسى الحياة، وأحب الموت ^(٧).

(٤) البداية والنهاية (٢/٢٣٦).

(٥) انظر: المنتظم في التاريخ (١/٣٧٧).

(٦) انظر: تاريخ الطبري (١/٢٦١)، والمنتظم (١/٣٧٩).

(٧) انظر: تاريخ الطبري (١/٢٥٥)، والبده والتاريخ =

قال ابن جرير: «إن الله عز وجل لما انقضت الأربعون سنة بعث يوشع بن نون نبياً فأخبرهم أنه نبي، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين، فبايعوه وصدقوه فهزم الجبارين واقتحموا عليهم فقتلوه» ^(٢).

✽ دلائل نبوته:

أعطى الله نبيه يوشع بن نون عليه السلام معجزة عظيمة لم ينلها أحد من الخلق سواه، وهي حبس الشمس له، وذلك حين توجه بالمؤمنين إلى فتح بيت المقدس، وكاد يدركه الليل قبل أن يدخلها، فسأل ربه أن يحبسها فحبست، كما جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع، ليالي سار إلى بيت المقدس» ^(٣)، قال ابن

(١) انظر: الأخبار الطوال لأحمد الدينوري (١٢) [دار إحياء الكتب العربي، ط ١]، وتاريخ الطبري (١/٢٥٧) [دار الكتب العلمية، ط ١]، والكامل في التاريخ (١/١٧٣) والبداية والنهاية (٢/١٩٩).

(٢) تاريخ الطبري (١/٢٥٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/٣٢٥) مؤسسة قرطبة بمصر (مصورة عن المطبعة الميمنية)، وصحّح إسناده: ابن كثير في البداية والنهاية (١/٣٧٦)، و/٦ (٣١٣) [دار إحياء التراث العربي، ط ٢]، وابن حجر في فتح الباري (٦/٢٢١) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٠٢).

قال: فالآن يا رب. وسأل الله أن يدينه إلى بيت المقدس رمية بحجر، وقد أجيب إلى ذلك صلوات الله وسلامه عليه^(٢).

- المسألة الثانية: فتح بيت المقدس على يدي يوشع بن نون عليه السلام:

لقد ذكر جمهور أهل العلم أن هارون عليه السلام توفي في التيه، وبعده بنحو سنتين توفي نبي الله موسى عليه السلام، ثم بعث الله نبيه يوشع بن نون عليه السلام، وخرج بالقوم من التيه وقصد بهم بيت المقدس^(٣). وقد تقدم في حديث أبي هريرة أن نبي الله يوشع بن نون عليه السلام منع أن يكون في جيشه من هو معلق قلبه بأمر يوهن عزمه على الجهاد في سبيل الله، ويشعب عليه أفكاره، ويعوق تفانيه في قتال أعداء الله ورسوله، حيث قال لهم كما في حديث أبي هريرة عليه السلام: «لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما بين بها، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر ولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا فحبست، حتى فتح الله عليه،

وهذا القول باطل؛ لخلوّه عن الحجة والبرهان، ولمناقضته ما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: فردّ الله إليه عينه، وقال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال أي رب ثم مه؟ قال: ثم الموت، قال فالآن، فسأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فقال رسول الله ﷺ: فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر^(١). فهذا يدل على استمرار نبوة موسى عليه السلام حتى الممات. قال ابن كثير في رد هذا الادعاء: «لم يزل الأمر والوحي والتشريع والكلام من الله إليه في جميع أحواله، حتى توفاه الله ﷻ، ولم يزل معزّزاً مكرّماً مدلّلاً وجيهاً عند الله، كما قدمنا في الصحيح من قصة فقهه عين ملك الموت، ثم بعثه الله إليه إن كان يريد الحياة فليضع يده على جلد ثور، فله بكل شعرة وارت يده سنة يعيشها، قال: ثم ماذا؟ قال: الموت.

= للمقدسي (٩٦/٣) [مكتبة الثقافة الدينية]، والكامل في التاريخ (١٧٢/١)، والبداية والنهاية (٢٢٨/٢).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٣٩)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٢).

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢٢٨/٢).

(٣) انظر: الكامل في التاريخ (١٧٤/١)، وصحيح قصص الأنبياء للهلال (٢٧٩) [دار غراس، ط١].

فجمع الغنائم، فجاءت - يعني: النار - وقالوا: حبة في شعرة^(٣).

المصادر والمراجع:

- ١ - «المعارف»، لابن قتيبة.
- ٢ - «الأخبار الطوال»، لأحمد الدينوري.
- ٣ - «تاريخ الطبري» (ج ١).
- ٤ - «البدء والتاريخ» (ج ٣)، لابن طاهر المقدسي.
- ٥ - «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (ج ١)، لابن الجوزي.
- ٦ - «الكامل في التاريخ» (ج ١)، لابن الأثير.
- ٧ - «البداية والنهاية» (ج ٢)، لابن كثير.
- ٨ - «صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير)» لسليم الهلالي.
- ٩ - «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (ج ١)، للألباني.
- ١٠ - «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء ﷺ»، لإبراهيم العلي.

اليوم الآخر

التعريف لغة:

اليوم: الياء والواو والميم: كلمة واحدة هي: اليوم الواحد من الأيام،

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠٣، ومسلم (كتاب التفسير، رقم ٣٠١٥).

فجمع الغنائم، فجاءت - يعني: النار - لتأكلها، فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولاً فليباعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فليباعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول فجأؤوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا^(١). وقد أمر الله تعالى أتباع يوشع بن نون ﷺ أن يدخلوا المدينة التي فتحوها بفضل من الله سجدًا قائلين: حطة؛ أي: حط عنا ذنوبنا التي سلفت، فلم يمتثلوا أمر الله، بل عاندوا وبدلوا كلام الله وحرّفوه عن مواضعه^(٢)، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة]، وثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدًا وقولوا: حطة، فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم،

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: صحيح قصص الأنبياء للهلالي (٣٨١).

وهو مذكر، وجمعه أيام، وأصله أيّوأم. بعده سواه^(٤)، وقال ابن حجر: «قيل له ذلك؛ لأنه آخر أيام الدنيا أو آخر الأزمنة المحدودة»^(٥).

❁ الأسماء الأخرى:

اليوم الموعود، ويوم القيامة، ويوم الحساب، ويوم الدين، والساعة، ولكل اسم دلالة الخاصة.

❁ الحكم:

والإيمان به واجب على الإجمال، وعلى التفصيل فيما ثبت عند المكلف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «على كل مكلف أن يقر بما ثبت عنده، من أن الرسول أخبر به وأمر به، وأما ما أخبر به الرسول ولم يبلغه أنه أخبر به، ولم يمكنه العلم بذلك، فهو لا يعاقب على ترك الإقرار به مفصلاً، وهو داخل في إقراره بالمجمل العام»^(٦).

ومنكره كافر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء].

❁ الحقيقة:

التصديق الجازم بمجيئه وما يقع فيه من أهوال يوم القيامة من محاسبة العباد وعرض الأعمال، ووزنها، والمرور على الصراط، ودخول الجنة أو النار، وغير

واحد إليه ترجع فروعه، ويأتي الآخر في اللغة بعدة معان، منها: الباقي، والتالي للأول، والغائب، ونقيض وخلاف المتقدم، ومقابل الأول، ولا يتعدد^(٢).

❁ التعريف شرعاً:

اليوم الآخر: هو يوم القيامة الذي لا يوم بعده، والذي تعاد فيه الأرواح إلى الأجساد، وتبعث فيه الخلائق للجزاء والحساب^(٣).

❁ سبب التسمية:

سمي بذلك؛ «لأنه آخر يوم، لا يوم

(١) انظر: مقاييس اللغة (١٥٩/٦) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (٦٤٩/١٢) [دار صادر، ط٣]، وترتيب القاموس المحيط (٦٨٥/٤) [دار الفكر، ط٣]، والنهاية في غريب الحديث (٣٠٣/٥) [دار الفكر]، والكلديات (٩٨١) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٣هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٧٠/١)، وغريب الحديث لابن الجوزي (٢٩/١) [دار الكتاب العربي، ١٣٩٦هـ]، ولسان العرب (١٥/٤، ١٤)، وترتيب القاموس (١٢٠/١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥٠/١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، ومعالم التنزيل (٦٥/١) [دار طيبة، ١٤٠٩هـ]، ومجموع الفتاوى (١٤٥/٣) [دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ].

(٤) تفسير الطبري (٢٧١/١).

(٥) فتح الباري (١١٨/١) [دار الفكر].

(٦) مجموع الفتاوى (٣٢٧/٣).

ذلك مما يقع في هذا اليوم العظيم مما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة. الصور فالبعث وما بعده إلى الاستقرار في دار القرار^(٣).

❁ الأدلة:

- المسألة الثانية: هل يعلم وقت

اليوم الآخر؟

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْآلِرَ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ فِى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْآلِرَ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ولما سأل جبريل ﷺ النبي ﷺ عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١).

❁ الثمرات:

للإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة؛ منها^(٤):

وقال ﷺ: «سلوا الله العفو والعافية واليقين في الآخرة والأولى»^(٢).

❁ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الأمور التي يتضمنها الإيمان باليوم الآخر:

يتضمن الإيمان باليوم الآخر ثلاثة أمور: الإيمان بأشراط الساعة التي هي من مقدماته، والبرزخ وما يجري فيه إذ هو أول منازل الآخرة، والنفخ في

١ - حث العبد على فعل الطاعات والمسابقة في الخيرات رغبة في الثواب الكائن في ذلك اليوم.

٢ - دفع العبد إلى ترك المعاصي والمنكرات؛ خوفاً من العقاب الكائن في ذلك اليوم.

٣ - تسليّة المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

٤ - وقوف العبد على فضل الله وعدله، في المجازاة على الأعمال الصالحة والسيئة.

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واللفظ له. وأخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، و(كتاب التفسير، رقم ٤٧٧٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٥٨) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٤٩)، وأحمد (١/١٨٥) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ] واللفظ له، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٣٨) وصححه.

(٣) انظر: النهاية في الفتن والملاحم (١/٤٠ - ١٨٤)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/٧٥٤ - ٧٥٩) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ]، ومجموع الفتاوى (٣/١٤٥).

(٤) انظر: تفسير السعدي (٣٧)، وعقيدة أهل السنة والجماعة (١٩).

✽ مذهب المخالفين:

خالف في اليوم الآخر الفلاسفة والدهرية والباطنية وغيرهم^(١).

✽ المصادر والمراجع:

- ١ - «الإيمان باليوم بالآخر»، للحمد.
- ٢ - «تفسير القرآن العظيم» (ج ٤)، لابن كثير.
- ٣ - «تلبس إبليس»، لابن الجوزي.
- ٤ - «رسائل الآخرة» (ج ١)، للعبدي.
- ٥ - «شرح العقيدة الطحاوية» (ج ٢)، لابن أبي العز.
- ٦ - «فتح الباري» (ج ١)، لابن حجر.
- ٧ - «القيامة الكبرى» الأشقر.
- ٨ - «مجموع الفتاوى» (ج ٣)، لابن تيمية.
- ٩ - «الملل والنحل» (ج ٢)، للشهرستاني.
- ١٠ - «النهاية في الفتن والملاحم» (ج ١)، لابن كثير.

✽ يوم الحسرة

✽ التعريف لغة:

الانحسار: الانكشاف، يقال: حسرت كمي عن ذراعي أحسره حسراً: كشفت. ورجل حاسر لا عمامة على رأسه، وامرأة حاسر؛ إذا حسرت عنها ثيابها، ورجل حاسر: لا درع عليه ولا بيضة على رأسه^(٢).

✽ التعريف اصطلاحاً:

أشد الندامة، والتلهف على الشيء الذي فات ولا يمكن تدراكه. وهي الغم الذي يصيب الكافر على ما فاتته، والندم على عصيانه، كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه، أو انحسر قواه من فرط غم أو أدركه إعياء عن تدارك ما فرط منه، قال تبارك وتعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بَحْسَرَتُ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْصَرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١]^(٣).

✽ يوم الحساب

يراجع مصطلح (يوم القيامة).

(١) انظر: الملل والنحل (٥٨/٢، ٢٣٥) فما بعد [دار المعرفة، ط ١، ١٤١٠هـ]، وتفسير ابن كثير (٤/ ١٣٧) [دار الفكر، ١٤٠٦هـ]، وتلبس إبليس (١٢٥) [دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٥هـ]، ومجموع الفتاوى (٣/ ٢٩، ٣١)، ودائرة المعارف الإسلامية (٤٠٤/٧) فما بعد [دار الفكر].

(٢) ينظر: مفردات الراغب (٢٣٤) [دار القلم، ط ١، ١٤١٢هـ]، ولسان العرب (١٨٧/٤) [دار صادر].

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٨٧/١٦) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ]، ومفردات الراغب (٢٣٤)، وأضواء البيان للشنقيطي (٣٥٢/٤) [عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٦هـ].

❁ الحقيقة:

وما ل إليه (٢).

حقيقة يوم الحسرة على الإجمال:

هو يوم الحساب، أضيف اليوم إلى الحسرة لشدة ندم الكفار فيه على التفریط، ولكثرة ما يحدث فيه من تحسر المجرمين على ما أضاعوا فيه من أسباب النجاة، فكان ذلك اليوم كأنه مما اختصت به الحسرة، فهو يوم حسرة بالنسبة إليهم وإن كان يوم فرح بالنسبة إلى الصالحين (١).

حقيقة يوم الحسرة على التفصيل:

فيه أقوال، أشهرها ما يأتي:

القول الأول: سمي يوم الحسرة كذلك لأن الكفار يرون أعمالهم الخبيثة التي استحقوا بها العقوبة من الله، ومعاصيهم وآثامهم حسرة وندامة يوم القيامة، ويتحسرون لم عملوها؟ وهلا عملوا بغيرها مما يرضي الله تعالى ذكره، فندموا على ما فرط منهم من أعمالهم الرديئة؛ إذ رأوا عقابها وجزاءها من الله؛ لأن الله أخبر أنه يريهم أعمالهم ندمًا عليهم. كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كَرَّهْنَا فَنَتَّبِعُوا مَنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة]

وقد نقل هذا القول أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ اللهُ عَنْ جماعة من المفسرين،

(١) ينظر: أضواء البيان (٤/٣٥٢).

القول الثاني: إن يوم الحسرة حين

يرى الكفار مقاعدهم من الجنة لو كانوا مؤمنين؛ لأن الله رَجَّلَ يريهم أعمالهم التي فرضها عليهم في الدنيا فضيَعوها ولم يعملوا بها، حتى استوجب غيرهم بطاعته ربَّه ما كان الله أعدَّ لهم، لو كانوا عملوا بها في حياتهم، من المساكن والنعم، فصار ما فاتهم من الثواب - الذي كان الله أعدَّ لهم عنده لو كانوا أطاعوه في الدنيا؛ إذ عاينوه عند دخول النار أو قبل ذلك - أسَى وندامة وحسرة عليهم. فأورثت مساكنهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له، وأدخلوهم مساكن أهل الإيمان بالله من النار، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم، والحياة التي لا موت بعدها، فإيا لها حسرة وندامة (٣).

ومما استدل به أصحاب هذا القول ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ إِلَّا رَأَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ؛ لِيَزِدَّ شُكْرًا. وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إِلَّا أَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ؛ لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةٌ» (٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢/٧٣، ٧٥)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٢/٥٦٩) [دار المنهاج، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢/٧٤، ١٦/٨٧).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٦٩).

هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩] (٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم» (٣).

قال الآلوسي رحمته الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩]: «إن ظاهر الحديث... كما لا يخفى على المتتبع قاض بأن يوم الحسرة يوم يذبح الموت وينادي بالخلود. ولعل التخصيص لما أن الحسرة يومئذ أعظم الحسرات لأنه هناك تنقطع الآمال وينسد باب الخلاص من الأهوال» (٤). ومما يقوي هذا القول:

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٣٠)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٤٨)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٥٠).

(٤) روح المعاني (٥٧٥/١٦) [دار الحديث، ١٤٢٦هـ]، وينظر: البحور الزاهرة في علوم الآخرة (٤٧٩/٢) [غراس للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٨هـ].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - في قصة ذكرها - فقال: «فليس نفسٌ إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة وبيت في النار، وهو يوم الحسرة. قال: فيرى أهل النار الذين في الجنة، فيقال لهم: لو عملتم! فتأخذهم الحسرة. قال: فيرى أهل الجنة البيت الذي في النار، فيقال: لولا أن من الله عليكم» (١).

القول الثالث: يوم الحسرة هو يوم ذبح الموت، فاستيقن الكفار عندئذ الخلود في النار، فلو مات أحد فرحاً مات أهل الجنة، ولو مات أحد حزنًا مات أهل النار، وهو قول الجمهور، ويدل عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٢٩٦/٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ]، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٥١٩)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، قال أحمد شاكر رحمته الله: «وهو كما قال»، وقال قبل ذلك: «الحديث موقوف من كلام ابن مسعود ولكنه - وإن كان موقوفًا لفظًا - فإنه مرفوع حكمًا؛ لأنه في صفة آخر الزمان، وما يأتي من الفتن، ثم فناء الدنيا، ثم البعث والنشور والشفاعة، وما إلى ذلك، مما لا يعلم بالرأي» اهـ. انظر: تفسير الطبري (٢٩٧/٣) [مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ].

نص حديث أبي سعيد رضي الله عنه المذكور سابقاً، كما أن قراءة النبي ﷺ الآية بعد ذكره ذبح الموت تدل على أن المراد بيوم الحسرة هو يوم ذبح الموت ^(١).

القول الرابع: قيل يوم الحسرة المراد بذلك يوم القيامة مطلقاً، وهو مروى عن بعض السلف، منهم ابن عباس رضي الله عنهما ^(٢)، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ^(٣). وذلك أن أهل النار من أول أمرهم وهم في سخط الله، فهم في حال حسرة لكثرة الحسرات والتأسف على ما فرطوا، وهذه الحسرات تقع لهم في مواطن عديدة. ومن هنا قيل: المراد بالحسرة جنسها فيشمل ذلك حسرتهم فيما ذكر وحسرتهم عند أخذ الكتب بالشمائل وغير ذلك ^(٤).

قال الرازي: «وأما يوم الحسرة فلا شبهة في أنه يوم القيامة من حيث يكثرت التحسر من أهل النار» ^(٥).

ويمكن الجمع بين الأقوال كلها بأن يقال: إن يوم القيامة كله حسرة على الكافرين، وأشدّه حسرة عليهم يوم يذبح الموت، فيستيقن الكافر يومئذ أن مصيره

إلى النار خالداً مخلداً فيها، والله أعلم. عموم الحسرة للخلق كافة:

ذهب بعض العلماء من المفسرين وغيرهم إلى أن الحسرة يوم القيامة عامة تشمل المؤمن والكافر، فالمؤمن يتحسر على قلة عمله وإحسانه، والكافر يتحسر على تفريطه وعصيانه. قال الرازي: «وقيل: يتحسر أيضاً في الجنة إذا لم يكن من السابقين الواصلين إلى الدرجات العالية والأول هو الصحيح؛ لأن الحسرة غم، وذلك لا يليق بأهل الثواب» ^(٦). وقد يجاب عن قول الرازي بأن الحسرة تكون في عرصات القيامة قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار؛ ولكن يشكل عليه قوله ﷻ: ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩]؛ أي: فرغ من الحساب، وفصل بين الفريقين، وذهب أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وذبح الموت ونودي كل من الفريقين بالخلود ^(٧). ويمكن أن يقال بأن الحسرة تشمل عصاة الموحدين ممن سيدخل النار ثم يخرج منها، أما من دخل الجنة ابتداء فلا، والله أعلم.

المصادر والمراجع:

١ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج ١)، للحليمي.

(٦) تفسير الرازي (٢١/٢٢١).

(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/٢٣٤).

(١) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي (٤/٣٥٤).

(٢) أخرجه الطبري في التفسير (١٥/٥٤٧) [دار هجر، ط ١].

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/٢٣٤) [دار طيبة، ط ٤].

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/٢٣٤).

(٥) تفسير الرازي (٢١/٢٢١) [دار إحياء التراث العربي، ط ٣].

٢ - «الجامع لشعب الإيمان» (ج ٢)، مصدر من قام يقوم، ودخلها التأنيث للبيهقي.

٣ - «العاقبة»، لعبد الحق الإشيلي.

٤ - «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة»، للقرطبي.

٥ - «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، لابن القيم.

٦ - «البحور الزاهرة في علوم الآخرة» (ج ٢)، للسفاريني.

٧ - «يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار»، لصديق حسن خان.

٨ - «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم» (ج ٢)، لابن عيسى.

٩ - «معارج القبول» (ج ٢)، لحافظ الحكمي.

١٠ - «القيامة الكبرى»، لعمر الأشقر.

✽ التعريف شرعاً:

يوم القيامة: هو يوم البعث والقيام من القبور، وهو اليوم الآخر الذي لا يوم بعده، وهو يوم يقوم فيه الخلق بين يدي الحي القيوم^(٥)؛ ليحاسبهم ويجازيهم بما عملوا إما بدار النعيم وإما بالعذاب الأليم^(٦).

✽ سبب التسمية:

قال السيوطي في سبب تسمية يوم القيامة بهذا الاسم: لقيام الخلق من قبورهم، وقيامهم لرب العالمين، ولقيام الروح والملائكة صفًا^(٧)، وقيل في تسمية يوم البعث والحشر يوم القيامة أربعة أقوال: «الأول: لوجود هذه الأمور فيها [أي: المحشر والوقوف ونحوهما].

الثاني: لقيام الخلق كلهم من قبورهم إليها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣]، **والثالث:** لقيام الناس لرب العالمين، كما روى الشيخان

✽ يوم القيامة ✽

✽ التعريف لغةً:

يوم: قال ابن فارس: «الياء والواو والميم كلمة واحد، وهي اليوم واحد الأيام، ثم يستعبرونه في الأمر العظيم»^(١).
واليوم: هو النهار، وقيل: «مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها»^(٢). القيامة:

(١) مقاييس اللغة (١١١) [دار الفكر، ط ٢، ١٤١٨هـ].

(٢) تهذيب اللغة (١٥/٦٤٥) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٧هـ].

(٣) التذكرة (٢/٥٤٧) [دار المنهاج، ط ١، ١٤٢٥هـ].

(٤) لسان العرب (٧/٥٤٤) [دار الحديث ط ١٤٢٣هـ].

(٥) تهذيب اللغة (٩/٣٦٠).

(٦) انظر: معجم ألفاظ العقيدة (٤٥٣) [مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٧هـ].

(٧) البذور السافرة (١٤٣) [دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ].

المنزلة:

الإيمان بيوم القيامة ركن من أركان الإيمان الستة، كما في حديث جبريل المشهور.

الأهمية:

تظهر أهمية يوم القيامة في أنه يوم الجزاء، قال تعالى: ﴿وَأَنقُضُ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحَّجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ [آل عمران].

الأدلة:

الأدلة على قيام يوم القيامة كثيرة جداً، منها قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ [يَوْمَ عَظِيمٍ] يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ [المطففين]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحَّجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ [آل عمران]، وقوله سبحانه: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَمَّتْهُ طَوِيرُهُ فِي عَنُقِهِ وَخُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً

عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين] قال: «يقوم أحدهم في رُشحه إلى أنصاف أذنيه»^(١)، قال ابن عمر: يقومون مائة سنة، ويروى عن كعب: يقومون ثلاثمائة سنة، والرابع: لقيام الروح والملائكة صفًا، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبا: ٣٨]^(٢).

الأسماء الأخرى:

الآخرة، الآزفة، الحاقة، الزلزلة، الصاخة، الواقعة، الطامة، الغاشية، القارعة، يوم البعث، يوم التغابن، يوم التلاق، يوم التناد، يوم الجمع، يوم الوعيد، يوم الخروج، يوم الخلود، يوم الدين، يوم الفتح، يوم الفصل، الساعة^(٣).

الحكم:

الإيمان به ركن من أركان الإيمان الستة من أنكره أو شك فيه بعد قيام الحجة عليه فليس بمسلم.

الحقيقة:

يوم القيامة يوم حقيقي، يقوم فيه الناس بأجسادهم وأرواحهم لرب العالمين.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣١)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٢).

(٢) التذكرة للقرطبي (٢/٥٤٧)، والبحر الزاخرة للسفاريني (١/٦٢١) [دار غراس، ط ١، ١٤٢٨هـ].

(٣) البدور السافرة (١٤٣، ١٤٤).

صَنَّاكَ وَتَحَشَّرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ ❀ **المراتب:** [طه].

يوم القيامة ليس منزلاً واحداً، بل فيه منازل مختلفة، تبدأ بالنفخ في الصور، بعده البعث والحشر، والموقف والشفاعة، والحساب وفصل القضاء، والميزان والحوض، والصراط والقنطرة، ثم دار القرار.

❀ المسائل المتعلقة:

- **المسألة الأولى:** تسمية يوم القيامة بيوم الحسرة:

سمي بذلك؛ لأن الكافر يتحسر على ما فرط ويندم على ما قدم (٦).

والحسرة: أشد الندامة، والتلهف على الشيء الذي فات ولا يمكن تدراكه. وهي الغم الذي يصيب الكافر على ما فاته، والندم على عصيانه (٧).

وأضيف اليوم إلى الحسرة؛ لشدة ندم الكفار فيه على التفريط، ولكثرة ما يحدث فيه من تحسر المجرمين على ما أضاعوا فيه من أسباب النجاة، فكان ذلك اليوم كأنه مما اختصت به الحسرة، فهو يوم حسرة بالنسبة إليهم، وإن كان يوم فرح بالنسبة إلى الصالحين (٨).

(٦) ينظر: مفردات الراغب (٢٣٤) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ]، ولسان العرب (١٨٧/٤) [دار صادر].

(٧) ينظر: تفسير الطبري (٨٧/١٦) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ]، ومفردات الراغب (٢٣٤)، وأضواء البيان للشنقيطي (٣٥٢/٤) [عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٨) ينظر: أضواء البيان (٣٥٢/٤).

ومن السنة قول النبي ﷺ: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» (١).

❀ أقوال أهل العلم:

قال القاضي عياض: «من أنكر الجنة أو النار، أو البعث أو الحساب، أو القيامة فهو كافر بالإجماع للنص عليه، وإجماع الأمة على صحة نقله متواتراً» (٢). وقال السفاريني: «قد دلَّ على قيام الناس من الأجداث الكتاب والسنة وإجماع الأمة» (٣).

❀ الأقسام:

١ - **القيامة الصغرى**، وهي موت الإنسان، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «قيامة الرجل موته» (٤)، وقال علقمة عن رجل قد مات: «أما هذا فقد قامت عليه قيامته» (٥).

٢ - **القيامة الكبرى**، وهي التي يقوم فيه الناس لرب العالمين.

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واللفظ له.

وأخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، و(كتاب التفسير، رقم ٤٧٧٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الشفا (٢٩٠/٢) [دار الكتب العلمية].

(٣) البحور الزاهرة (٦٠٧/١) [شركة غراس، ط١].

(٤) أخرجه الطبري في التفسير (٤٦٨/٢٣) [دار هجر، ط١].

(٥) المرجع السابق.

- المسألة الثانية: سبب حسرة الكفار:

في ذلك أقوال، أشهرها ما يأتي:

القول الأول: لأن الكفار يرون

أعمالهم الخبيثة التي استحقوا بها العقوبة من الله، ومعاصيهم وآثامهم حسرة وندامة يوم القيامة، ويتحسرون لم عملوها؟ وهلا عملوا بغيرها مما يُرضي الله تعالى ذكره؟ فندموا على ما فرط منهم من أعمالهم الرديئة، إذ رأوا عقابها وجزاءها من الله؛ لأن الله أخبر أنه يريهم أعمالهم ندمًا عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَاكَ بِكُرٍّ فَتَنْبَرَأُ مِنْهُمْ كَمَا تَنْبَرَأُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَفَعَمَلُهُمْ حَسَرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة] وقد نقل هذا القول أبو جعفر الطبري رحمته الله عن جماعة من المفسرين، ومال إليه ^(١).

القول الثاني: أن يوم الحسرة حين

يرى الكفار مقاعدهم من الجنة لو كانوا مؤمنين؛ لأن الله ﷻ يريهم أعمالهم التي فرضها عليهم في الدنيا فضيَعوها ولم يعملوا بها، حتى استوجب غيرهم بطاعته ربّه ما كان الله أعدّ لهم، لو كانوا عملوا بها في حياتهم، من المساكن والنعم. فصار ما فاتهم من الثواب - الذي كان الله أعدّه لهم عنده لو كانوا أطاعوه في

الدنيا، إذ عاينوه عند دخول النار أو قبل ذلك - أسى وندامة وحسرة عليهم. فأورثت مساكنهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له، وأدخلوهم مساكن أهل الإيمان بالله من النار، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم، والحياة التي لا موت بعدها، فيا لها حسرة وندامة ^(٢).

ومما استدل به أصحاب هذا القول ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة إلا رأى مقعده من النار لو أساء؛ ليزداد شكرًا. ولا يدخل النار أحد إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن؛ ليكون عليه حسرة» ^(٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - في قصة ذكرها - فقال: «فليس نفسٌ إلا وهي تنظر إلى بيتٍ في الجنة وبيتٍ في النار، وهو يومُ الحسرة. قال: فيرى أهلُ النار الذين في الجنة، فيقال لهم: لو عملتم! فتأخذهم الحسرة. قال: فيرى أهلُ الجنة البيت الذي في النار، فيقال: لولا أن من الله عليكم» ^(٤).

القول الثالث: يوم الحسرة هو يوم

ذبح الموت، فاستيقن الكفار عندئذ الخلود في النار، فلو مات أحد فرحًا مات أهل الجنة، ولو مات أحد حزنًا

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٧٤/٢، ٨٧/١٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٦٩).

(٤) تقدم تخريجه.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٧٣/٢، ٧٥)، والتذكرة

بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٥٦٩/٢) [دار

المنهاج، ١٦، ١٤٢٥هـ].

المتتبع قاض بأن يوم الحسرة يوم يذبح الموت وينادي بالخلود. ولعل التخصيص لما أن الحسرة يومئذ أعظم الحسرات لأنه هناك تنقطع الآمال وينسد باب الخلاص من الأهوال^(٣). ومما يقوي هذا القول: نص حديث أبي سعيد رضي الله عنه المذكور سابقاً، كما أن قراءة النبي ﷺ الآية بعد ذكره ذبح الموت تدل على أن المراد بيوم الحسرة هو يوم ذبح الموت^(٤).

القول الرابع: قيل يوم الحسرة المراد بذلك يوم القيامة مطلقاً، وهو مروي عن بعض السلف منهم ابن عباس رضي الله عنهما^(٥)، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم^(٦).

وذلك أن أهل النار من أول أمرهم وهم في سخط الله، فهم في حال حسرة لكثرة الحسرات والتأسف على ما فرطوا، وهذه الحسرات تقع لهم في مواطن عديدة. ومن هنا قيل: المراد بالحسرة جنسها، فيشمل ذلك حسرتهم فيما ذكر وحسرتهم عند أخذ الكتب بالشمال وغير ذلك^(٧).

مات أهل النار. وهو قول الجمهور. ويدل عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنذَرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩]^(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم»^(٢). قال الألوسي رحمته الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩]: «إن ظاهر الحديث... كما لا يخفى على

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٣٠)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٤٨)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٥٠).

(٣) روح المعاني (١٦/٥٧٥) [دار الحديث، ١٤٢٦هـ]. وينظر: البحور الزاخرة في علوم الآخرة (٢/٤٧٩) [غراس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٤) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي (٤/٣٥٤).
(٥) أخرجه الطبري في التفسير (١٥/٥٤٧) [دار هجر، ط١].

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/٢٣٤) [دار طيبة، الإصدار الثاني، ط٤، ١٤٢٨هـ].

(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/٢٣٤).

دخل الجنة ابتداء فلا، والله أعلم.

- المسألة الرابعة: وقت قيام الساعة:

لا يعلم ذلك إلا الله تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾

[لقمان: ٣٤]، وسأل جبريل ﷺ النبي ﷺ

بقوله: متى الساعة؟ قال: «ما المسؤول

عنها بأعلم من السائل»^(٣)، فإذا كان لا

يعلمه أفضل الملائكة وأفضل الرسل،

فغيرهما من باب أولى؛ فلا يعلمه إلا الله

تعالى، قال ابن رجب: إن الله استأثر

بعلم الساعة، ولم يطلع عليه أحدًا من

خلقه، وهو من مفاتيح الغيب الخمس

التي لا يعلمها إلا الله^(٤).

- المسألة الخامسة: مدة يوم القيامة:

ورد في بعض الأحاديث الصحيحة أن

مقدار يوم القيامة: خمسون ألف سنة،

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة

قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من

صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها

حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له

صفائح من نار، فأحمر عليها في نار

جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره،

كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره

خمسین ألف سنة، حتى يقضى بين العباد

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، و(كتاب

التفسير، رقم ٤٧٧٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم

٩)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث

عمر بن الخطاب ﷺ.

(٤) فتح الباري لابن رجب (٤/ ٧٠).

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال كلها

بأن يقال: إن يوم القيامة كله حسرة على

الكافرين، وأشد حسرة عليهم يوم يذبح

الموت، فيستيقن الكافر يومئذ أن مصيره

إلى النار خالدًا مخلدًا فيها، والله أعلم.

- المسألة الثالثة: عموم الحسرة

للخلق كافة:

ذهب بعض العلماء من المفسرين

وغيرهم إلى أن الحسرة يوم القيامة عامة

تشمل المؤمن والكافر، فالؤمن يتحسر

على قلة عمله وإحسانه، والكافر يتحسر

على تفريطه وعصيانه. قال الرازي:

«وقيل: يتحسر أيضًا في الجنة إذا لم

يكن من السابقين الواصلين إلى

الدرجات العالية والأول هو الصحيح؛

لأن الحسرة غم، وذلك لا يليق بأهل

الثواب»^(١). وقد يجاب عن قول الرازي

بأن الحسرة تكون في عرصات القيامة

قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل

النار النار؛ ولكن يشكل عليه قوله ﷺ:

﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩]؛ أي: فرغ

من الحساب، وفصل بين الفريقين،

وذهب أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار

إلى النار وذبح الموت وتؤدي كل من

الفريقين بالخلود^(٢). ويمكن أن يقال:

بأن الحسرة تشمل عصاة الموحدين ممن

سيدخل النار ثم يخرج منها، أما من

(١) تفسير الرازي (٢١/ ٢٢١).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٣٤).

العباد ليست ضائعة بل سيجزون بما عملوا يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦١﴾ [المجادلة]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عِدْنُ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ [طه].

الحكمة:

من حكمة يوم القيامة أن تجزى كل نفس بما كسبت، ويظهر عدل الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَىٰ﴾ (١٥) [طه]، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَمَلِ﴾ (٤١) [فصلت]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (١٨٥) [آل عمران].

مذهب المخالفين:

١ - المنكرون ليوم القيامة، وهم مشركو العرب الذين ردّ الله تعالى على زعمهم فقال: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِن هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٢٤) وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمُ

فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بَطَحَ لها بقاع قرقر^(١) أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلًا واحدًا، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بَطَحَ لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئًا ليس فيها عقصاء ولا جلهاء ولا عضباء^(٢) تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار^(٣).

الآثار:

من آثار الإيمان بيوم القيامة السلوك الحسن، والطمأنينة القلبية والصحة النفسية فيجتنب العبد ما يسخط الله ويحبلى، ويبذل جهده فيما يرضيه؛ لأن أعمال

(١) أي: بسط لها ومد لها بأرض مستوية.

(٢) العقصاء: الملتوية القرون، والجلحاء: التي لا قرون لها، والعضباء: التي انكسر قرنها الداخل.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٨٧).

غيبته فهذا ما شرطه الله تعالى ذكره في قوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ (١٥) [طه]، والعلة في خفائها أن دعوته علمية لا عملية كدعوة الرسل، والدعوة العلمية لا تدرك ولا تصاب إلا بجهد واجتهاد في الطلب، والدعوة العملية بالقهر والقسر» (٢).

وقد صرح بعض الإسماعيلية الباطنية أن القيامة هي قيام قائم القيامة الكبرى، صاحب البطشة العظمى، محمد بن إسماعيل (٣)، وقال أحد دعاة الإسماعيلية الباطنية: «والقيامة موسومة أيضاً بيوم الفصل؛ لأن الفصل إنما يكون بعد الخصومة والمنازعة، وهكذا القائم يفصل بين أهل الأديان ويظهر، وألزم أهل الأديان الرجوع إلى الحقائق والقرار عليها» (٤)، لذا جعلهم الغزالي من الزنادقة وقال عنهم: «فلم يبق عندهم للطاعة ثواب، ولا للمعصية عقاب،

(٢) كتاب الافتخار للداعي الإسماعيلي أبي يعقوب السجستاني (١٩٤) [دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٠م].

(٣) الإسماعيلية تاريخ وعقائد (٤٤٨) [إدارة ترجمان السُّنة]، نقلاً بالواسطة عن أحد الإسماعيلية المعاصرين. أصول الإسماعيلية [دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر: إثبات النبوات لأبي يعقوب السجستاني الإسماعيلي (١٩١) [دار المشرق، ط٢]، والإسماعيلية تاريخ وعقائد (٤٥٢) نقلاً عن إثبات النبوات للسجستاني.

إَيْنُنَا بَيْنَتْ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُؤَا بِتَابِئِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٠﴾ قُلِ اللَّهُ يُجْزِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾ [الجاثية]، وقد ردّ الله ﷻ على زعم مشركي العرب فقال: ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٥٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥٣﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٤﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥٥﴾ [الإسراء].

٢ - المتأولون ليوم القيامة والحشر والنشر والحساب والنعيم والعذاب في القيامة، وهم الباطنية، فإذا ورد ذكر القيامة في كلام الباطنية فهم لا يقصدون بها ما يقصد بها الأنبياء وأتباعهم، بل الباطنية يقصدون بها ما يسمونه قيام القائم المنتظر لديهم (١)، واستدل أحد دعائهم أن المراد بالقيامة هو قيام المنتظر لديهم بأدلة عقلية وتأويلات باطنية للنصوص، ثم قال: «وأما غيبته ولم يظهر له أثر من وقت

(١) قال عارف تامر الإسماعيلي الباطني: معنى قيام القيامة لدى إخوان الصفاء: هو ظهور القائم المنتظر. انظر: جامعة الجامعة (٨٨) [دار مكتبة الحياة، ط٢].

- ٥ - «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة»، للقرطبي.
- ٦ - «البدور السافرة في أمور الآخرة»، للسيوطي.
- ٧ - «البحور الزاهرة في علوم الآخرة» (ج ٢)، للسفاري.
- ٨ - «يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار»، لصديق حسن خان.
- ٩ - «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم» (ج ٢)، لابن عيسى.
- ١٠ - «معارج القبول» (ج ٢)، لحافظ الحكمي.
- فانحل عنهم اللجام، وانهمكوا في الشهوات انهمك الأنعام، وهؤلاء أيضًا زنادقة: لأن أصل الإيمان هو الإيمان بالله وباليوم الآخر، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر^(١).

المصادر والمراجع:

- ١ - «الإسماعيلية تاريخ وعقائد»، لإحسان إلهي ظهير.
- ٢ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
- ٣ - «مختصر الصواعق المرسلة» (ج ١)، لابن القيم.
- ٤ - «الجامع لشعب الإيمان» (ج ٢)، للبيهقي.



(١) المتقدم من الضلال (٧٧) [دار الأندلس، ط ٦].

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
١ - الفاتحة		
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٢	١٠٥٦ ، ١٣٤٣ ، ١٤٢٠
﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	٣	١٣٦٠
﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	٤	١٢٥٢ ، ٢٨٢٠ ، ٢٨٢١
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	١٧٦ ، ١٧٧ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ١٩٤٤ ، ١٩٨١ ، ١٩٨٢ ، ٢٦٧٢ ، ٢٧٦٥
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	١٨١٠
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝...﴾	٦ ، ٧	١٨٠٥ ، ١٨٩٠ ، ١٩٠٠ ، ٢٢٢١ ، ٢٨٣٧ ، ٣٠١٦ ، ٣٠٣٧ ، ٣٠٤١
٢ - البقرة		
﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ...﴾	٤ - ٥	١٨١١ ، ٣٢٢٧
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾	٨	١٤٨٠
﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾	١٠	٢٩٧٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ...﴾	٦ ، ٧	١٨٩٧
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ...﴾	٨ - ١٠	١٧٩٠
﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّافِهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	١٣	١٩٣
﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾	١٤	١٩٠ ، ١٩٣
﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾	١٥	١٩٣
﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٢٠	٢٣٣٠ ، ٢٣٣١ ، ٢٣٣٤
﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	٢١	٧٩٣ ، ٧٩٦ ، ١٩٨١
﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٢٢	٣٤٤ ، ٤١١ ، ٢٩٦٨
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ...﴾	٢٣ ، ٢٤	٢٩٢٠ ، ٢٦٣٨ ، ٢٩٠
		٢٩٢٣
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾	٢٦	١٠٩١
﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ﴾	٢٧	٢٩٠٦ ، ٢٩٠٨
﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾	٢٨	٥١٩ ، ٢٠٣٤
﴿ثُمَّ أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾	٢٩	١٩٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٣٠	١١٧٢ ، ١٠٣١ ، ٣٦١
﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ . . .﴾	٣١ - ٣٣	٢٧٩٩ ، ٢٧٩٨ ، ٢٧٩٥ ، ٢٣٤٥ ، ٢٣٤٢ ، ١٥٣٣
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾	٣٤	٢٥٩٢ ، ٢٥٠٦ ، ٢٥٠٣
﴿وَقُلْنَا يٰٓكَادُمْ أَتَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَعَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾	٣٥	٩٠١ ، ١٠ ، ٦
﴿فَلَقَّحْ ءَادَمَ مِنْ رَّبِّهِ كَيْتَ قَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ الرَّحِيمُ﴾	٣٧	٧٦٠ ، ٧٥٩
﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هَدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	٣٨	٤٣٩ ، ٧
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	٣٩	٣١٢٤ ، ٢٦٥٣ ، ٢٥٢٩ ، ١٤٤١
﴿يَنبِئُ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا بَغْيِيَ الْآلِ أَنْمَتَ عَلَيْهِمْ وَأَوْفُوا بِعِدَّتِي﴾	٤٠	٣٢٢٢ ، ١٤٢٩ ، ١١٤٠
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُو الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	٤٤	١١٣٥ ، ٣٨٣ ، ١٨١ ، ١٧٨
﴿فَقُتِبُوا إِلَىٰ بَارِيكَمْ فَأَقْلُبُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾	٥٤	٤٩١
﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْأَقْصِيَّةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا . . .﴾	٥٨ ، ٥٩	٣٢٤٣ ، ٥٧٩ ، ٥١٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالصَّهَابِيَّةَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾	٦٢	١٠٧٥
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾	٦٣	٢٩٠٨ ، ٢٥٢٩
﴿لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَجِدْنَا حُرًّا﴾	٦٧	١٩٥
﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	٧٣	٢٥٢٩
﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	٧٤	١٨٣٥
﴿أَفَتَعْمَلُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾	٧٥	٨١١
﴿قَالُوا اتَّخَذُواهُمْ يَمًا فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾	٧٦	٢٢٥٦
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا﴾	٨٣	٩٥
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾	٨٥	٣١٠٨
﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾	٨٧	٣٢٠٠ ، ١٤٧٥
﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	٩٧	٨٦٠
﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾	٩٨	٨٦١ ، ٨٦٠ ، ٨٥٨ ، ٦٨٢
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ ءَابَتَ بَيْنَتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفٰٓسِقُونَ﴾	٩٩	٢٩١٦ ، ٢٨٠٦ ، ٢٨٠٤ ، ٢٧٩٧ ، ٨٦٣
﴿وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا الشَّيْطٰٓنُ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمٰٓنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٰٓنُ﴾	١٠٢	٢٥٢٩ ، ٢٢٩١
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعُوا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾	١٠٤	١٥٤٠ ، ٨٣٦ ، ٨٣٥ ، ٨٣٤
﴿مَّا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾	١٠٦	٣٠١٨ ، ٢٨٠٤ ، ٢٥٢٧ ، ١٥٥١ ، ١٥٥٠ ، ١٥٤٨ ، ١٥٤٧ ، ٥٤٣ ، ١٥٤٢
﴿وَمَنْ يَتَّبِدْ الْكُفْرَ بِالْإِبْرٰٓئِيلِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ﴾	١٠٨	١٢٩٣ ، ٣٣٤
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمٰٓنِكُمْ كُفَّارًا﴾	١٠٩	٢٣٥٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَيْسَ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ﴾	١١٣	٤١٠
﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾	١١٥	٣٠٨٣، ٣٠٧٦
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَدِثُونَ﴾	١١٦	٣٠٧٧، ٢٣٨٧، ٢٣٨٦
﴿يَدْبِغُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	١١٧	٢٤٣٩، ٥١٠، ٥٠٩، ٥٠٦، ٤٦٧
﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾	١٢٣	٢٠١٥
﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾	١٢٤	٣٤، ٣٢
﴿وَعَهْدًا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْنَ اللَّطَائِفِينَ وَالْعَظِيمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾	١٢٥	٢٥٩
﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا...﴾	١٢٨، ١٢٧	١٢٥٩، ٧٥٨، ٢٦٣
﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾	١٢٩	٢٢٢٦، ٢٠٩٧، ١٤٠٩
﴿وَمَنْ يَرْعُبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ...﴾	١٣٠ - ١٣٣	٢٠٥٦، ٤١
﴿قَالَ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	١٣٥	٢٢٣، ٢٢٤، ٧٧٤، ٢٨٦٤، ١٠٧٦
﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾	١٣٦	١٤٤، ١٤٢
﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾	١٣٦	١٣٨٢، ٤٧١، ٤٦٩، ١٤٩
﴿فَسَيُجَنِّبُكُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	١٣٧	٢٨٨٤، ٢٤٥٨، ١٧٧٨
﴿صَبَغَةَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾	١٣٨	٢٤٢٦
﴿أَمْرٌ نَقُولُوا إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾	١٤٠	٢٠٩٣
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾	١٤٣	٧٥٦، ٢٥٩
﴿وَكَيْفَ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾	١٤٥	٦٧٥، ٤٦٩، ٢٣٠، ٦٤
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾	١٥٢	٣١٠٦، ٣١٠١، ٣٠٠٤، ٢٠٩٤
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	١٥٣	٦٩٧
﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِلَيْهِ رَجِعُونَ﴾	١٥٥، ١٥٦	١٦٩٤، ١٣٠١، ١٢٩٧
﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخُونَ﴾	١٥٧	١٧٥٣، ١٧٨
﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾	١٥٨	٢٣٢٧، ١٧٥٣
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أُنْزِلَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ...﴾	١٥٩، ١٦٠	٢٣٢٧، ١٧٥٣، ١٥٧٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ...﴾	١٦١، ١٦٢	١٦٩٩
﴿وَاللَّهُكَ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾	١٦٣	٣٠٥٩، ٧٥٨
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الَّتِي تَجْرِي﴾	١٦٤	٣١٢٤، ٢٥٥٩
﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾	١٦٥	٨٧، ٢٣٥، ٣٤٠، ٧٩٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَا لَنَا كَرَّةٌ فَتَنَّبَرَأَ مِنْهُمْ كَمَا تَنَّبَرَأُوا مِنَّا﴾	١٦٧	٣٢٥٣، ٣٢٤٧، ٣٢٤٦
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾	١٧٠	٢٠٨١، ١٨٩٦، ٦٩٦، ٤٦، ٤٢
﴿صُمُّكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾	١٧١	٢٠٨١
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾	١٧٢	١٩٣٩، ١٦٩٤
﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾	١٧٤	٩١٩
﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَن تُولُوا وُجُوهَكُمْ فَقُلْ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾	١٧٧	٢٧، ٥١٢، ١٣٨٦، ١٧٨٨، ٣٢٤٥، ٢٧٩٦
﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَتْبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾	١٧٨	٦٨٨
﴿يُبْدِلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	١٨١	١٦١٢
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾	١٨٣	٢٥٢٧، ٢٤٤١
﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾	١٨٥	٢٥٢٧، ٧١٥، ١٢٣، ٢٧٠٣، ٢٦٤٠
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾	١٨٦	٣٠٧٤، ٢٣٦٥، ١٥٨٩، ٣١٩
﴿أَحِلَّ لَكُمُ لَيْلَةُ الصِّيَامِ أَلْفَتْ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾	١٨٧	٢١٨٧
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَىٰ الْمُحْكَمِ﴾	١٨٨	١٢٩١
﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ﴾	١٨٩	٥١٣، ٥١٢، ٢٦
﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْتَدُوا﴾	١٩٠	٩٧
﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾	١٩٣	٩٧
﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾	١٩٤	٢٨٣١، ٩٧
﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	١٩٥	٩٣، ٩٤، ٩٨، ٢٦١١، ٣٠٩٦، ٢٦٢٥
﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾	٢٠٠	١٢٩٥
﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	٢٠٢	٩٢٥، ٩٢٤
﴿لَا يُحِبُّ الْفُسَادُ﴾	٢٠٥	٢٧٠٣
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾	٢٠٨	٢٠٥٩
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَفُصِّي الْأَمْرُ﴾	٢١٠	٢٦٨٠، ٢٦٠٣، ٢٦٠٢، ٩٤٥
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	٢١٣	٢٨٦، ١٣٩٣، ١٨٥٦
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ﴾	٢١٦	٢٢٢٣، ٦٠٠، ٥٩٧
﴿وَلَا يَرْأُونَ يَفْقَهُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَظَلَمُوا﴾	٢١٧	٢٥٠١، ١٤٨١، ١٣٧٢، ١٣٦٧
﴿وَإِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٢١٨	١٣٥١، ٩٥٦
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ النَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	٢٢٢	٣٠٩٦، ٧٦٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَاللَّهُ عَزُورٌ حَلِيمٌ﴾	٢٢٥	١٧٥٠ ، ١٠٥١
﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٢٢٨	١٠٣٧
﴿وَلَا تَنَحِّدُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُولًا﴾	٢٣١	٤٦٣
﴿لَا تُكَلِّفْ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾	٢٣٣	٧١٦
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾	٢٣٤	٥٢٠ ، ٢٠٣٤
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾	٢٣٥	٢٦٧٣
﴿وَعَلَى الْمَوْسَى قَدَرُهُ وَعَلَى الْقَمَرِ قَدَرُهُ﴾	٢٣٦	٢٣٢٩
﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾	٢٣٨	٢٣٨٥ ، ٢٣٨٤
﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ﴾	٢٤٢	٢٥٨٩
﴿وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْضُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	٢٤٥	٢٣٠٧
﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾	٢٤٧	٨٦٧ ، ٢٥٢٩
﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ﴾	٢٤٩	٩٥٥
﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾	٢٥٠	١٢١٥
﴿فَهَرَمُوهُمْ يَأْذِيبُ اللَّهُ وَفَتَلْ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾	٢٥١	٣٨٥ ، ١٢١٢ ، ١٢١٥
﴿يَاكَ أَرْسَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾	٢٥٣	١٢٣ ، ٤٥٨ ، ٦٧٩ ، ٨٥٩
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾	٢٥٥	٢٨٧٦ ، ٢٩٣٤ ، ٢٣٦ ، ٦٧٩ ، ٧٢٣ ، ٨٩١
٩٣٢ ، ٩٩٠ ، ٩٩٤ ، ١١٠٠ ، ١٥٨٧ ، ١٦٨٩ ، ١٦٩٠ ، ١٨٢٢ ، ١٩١٦ ، ٢٠٦٧ ، ٢٠٦٨ ، ٢٠٩٦ ، ٢١٢٤ ، ٢١٢٧ ، ٢٤٢٠ ، ٢٤٧٨ ، ٢٤٨٠ ، ٢٥٣٨ ، ٢٥٤١ ، ٢٥٤٨ ، ٢٧٢٣ ، ٢٩٦٤ ، ٣٠٦٠		
﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾	٢٥٦	١٦٥٢ ، ١٩١٠ ، ١٩١١
﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾	٢٥٧	١٨١٠ ، ٣١٧٧
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾	٢٥٨	٣٢ ، ١٩٣٤
﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِبَةٌ عَلَى غَرُوبِهَا﴾	٢٥٩	٢٤٧٢ ، ٢٨٥٢
﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبُ﴾	٢٦٠	٣٨ ، ٣٩ ، ٣٢٣٠
﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ﴾	٢٦١	٣٠٧٧
﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾	٢٦٢	٣١١٥
﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾	٢٦٣	١٠٥١ ، ٢٢١٣
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾	٢٦٤	١٤٥٩
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَكِيمٌ﴾	٢٦٧	١٠٦٥
﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾	٢٦٨	٢٣٧٥
﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا﴾	٢٦٩	١٠٢٩ ، ١٠٣٨ ، ٢٠٨١
﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾	٢٧٢	٣٠١٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَحْسَبُهُ الْجَاهِلُ أَغْيَا مِمَّنَ التَّعَفُّفِ﴾	٢٧٣	٨٤٢
﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾	٢٧٥	٣١٤١، ٣١٢٥، ٨٩٠، ٥٩١
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾	٢٧٨	٧٠٠
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	٢٨١	٣٢٥١
﴿إِذَا تَدَابَعْتُمْ بَيْنِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	٢٨٢	٢٨١٣، ١٦٣، ٥٥
﴿وَلِإِن تَبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾	٢٨٤	٧١٥
﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِئَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ وَرُسُلِهِ﴾	٢٨٥	٢٤٥٨، ٨٦٠، ٧١٥، ٢١٨
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾	٢٨٦	٢٩١٦، ٢٧٩٦، ٢٤٦٠
		٧١٥، ٥٨٩، ٥٦٥، ١٦٧
		٢٠٩٤، ٢٠٧٤

٣ - آل عمران

﴿إِنَّمَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْغَنِيُّ﴾	١، ٢	٢٤٢٢، ٢٤٢٠، ١١٠٠، ٢٣٥
﴿وَزَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ﴾	٣، ٤	٢٤٦١، ١٤٦٥، ٨٠٩
﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	٦	٢٧١٩، ٢٠٥٦، ٦٥١، ٦٤٤
﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾	٧	٢٦٢٨، ١٨٩٥، ١٨٩٤
		٢٦٣١، ٢٦٢٩
﴿رَبَّنَا لَا تُفِضْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾	٨	٣١٨٣
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ لَا يُخْلِفُ الْعَهْدَ﴾	٩	٣١٣٢، ٣١١٤، ٨٤٠
﴿قُلْ أَؤْتِيكُمْ بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾	١٥	٣١١٤، ١٨٩١، ٨٩٨
﴿رَبَّنَا إِنَّا ءَامِنَا فَاعْفُ رَنَّا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾	١٦	؟؟؟
﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا ءَامِنَا فَاعْفُ رَنَّا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾	١٦، ١٧	٢٣٨٧، ٨١٧
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُوا الْعِلْمَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾	١٨	٢٧٨٦، ٢٥٨٣، ١٧٢١، ١٠٦٠
﴿وَإِنَّ الَّذِينَ عِندَ اللَّهِ لَإِيسَلَمُوا وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾	١٩	٩٢٥، ٣٠٨، ٢٢٨، ٢٢٢
		٢٤٦١، ٢٣١٣، ١٢٥٩، ١٢٥٧
﴿قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَاسَلَمْتُ فَإِن ءَاسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾	٢٠	٢٨١٥
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُعْذِرُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ﴾	٢٣	١٨٩٧
﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنَزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾	٢٦	٢٦٩٩، ٢٠٥٧، ٦٢٠
		٣٢٠٥، ٢٨٢١، ٢٨١٩
﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٢٨	٢٩٨٩، ١٢٦٩، ١٢٦٨
		٣١٦١، ٣١٥٦، ٢٩٩٠
﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٣١	٢٦١١، ١٨١٧، ٧٩٥
		٣٠٩٥، ٢٦٥١، ٢٦١٢
﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾	٣٢	١٦١٩، ١٠٠٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	٣٣	٢١٨٤ ، ١٣٩٢
﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	٣٥	٢٠٩٧ ، ١٦١٢
﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْجُرَابُ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾	٣٧	٢٥٠٨ ، ٢٤٧٣ ، ١٤٧٨ ، ١٣٧٦
﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً . . .﴾	٣٨ - ٤١	١٦٢٦ ، ١٤٧٧ ، ١٤٧٥
﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾	٤٢	٢٦٧٨ ، ٢٦٧٦
﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمُ أَهْلُهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ﴾	٤٤	١٤٧٨
﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يَبْشِيرُكِ بِكِفْلٍ مِنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾	٤٥	٢٦٧٨
﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾	٤٦	١٧٤٢
﴿يَسَاءَ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٤٧	٢٤٣٩
﴿إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾	٤٩	٢٩٧٨ ، ٢١٨٠
﴿وَمَصَدَقًا لِّمَا بَيَّنَّ يَدَىٰ مِنَ التَّورَةِ وَلِأَحَدٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ . . .﴾	٥١ ، ٥٢	٢١٨١ ، ١٣٤٣
﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾	٥٢	٢١٨١
﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾	٥٤	٢٧٩٢ ، ٢٧٩١
﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُحْيِيَّ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٥٥	٢١٨٣ ، ١٤١١ ، ١٤٠٩
﴿إِنِّ مِثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٥٩	٢٣٩٩ ، ٢١٨٤ ، ١٨١٦
﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَّيْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَوُ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾	٦٤	٢٥٢٧ ، ٣٣٩
﴿يَتَّهَلَّ الْكِتَابَ لَمْ تَحَاجُّوْا فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّورَةُ وَالْإِنْجِيلُ﴾	٦٥ - ٦٦	٢٩
﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾	٦٧	١٢٦٠ ، ٢٢٣ ، ٢٩
﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٨	٣١٧٧ ، ٢٩
﴿وَدَّتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾	٦٩	٣٠٩١
﴿يَتَّهَلَّ الْكِتَابَ لَمْ تَلْسَوْا الْحَقَّ بِالْبَطِلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٧١	٤٠٨
﴿وَقَالَتِ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	٧٢	١٩٢
﴿يَخْضُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾	٧٤	٢٩٣١
﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوَنَ أَسْمَانَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾	٧٨	٤٠٨
﴿مَا كَانَ لِإِسْرَءِيلَ أَنْ يَنْتَهِىَ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْعَهْدَ وَالنَّبُوَّةَ﴾	٧٩	٦٦٢
﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾	٨٠	٢٧٩٧
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا ءَاتَيْنَاكُمْ مِن كِتَابٍ وَحَكْمَةٍ﴾	٨١	٢٧٤٥ ، ٣٥٨
﴿أَفَعَدَّ دِينَ اللَّهِ يَجْعَلُونَ وَلَهُ ءَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٨٣	٢٢٢
﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾	٨٤	٢٨
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٨٥	٢٢٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ١٥٣
		٢٨١٤ ، ٢٣١٣ ، ٢٠٩١ ، ١٣٧٠ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٦ ، ١١٥٦ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ...﴾	٩٠، ٩١	٣١٢٤
﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّيَ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ...﴾	٩٣	٣٢٢٤
﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾	٩٥	٢٨١٦، ٢٨١٤
﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾	٩٧	١٦٦، ١٦٤، ١٦٣
﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَعُوا اللَّهَ...﴾	١٠١ - ١٠٣	٣٠٦، ٣٠٥، ٢٨٢
	٣٠٧، ٥٥٠، ٧٠٠، ٨٧٧، ٢٥٤٥، ٢٧١٥	
﴿وَاغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	١٠٣	
﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾	١٠٤	٣٧٨
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾	١٠٥	٣١٠، ٣٠٨، ٣٠٦، ٣٠٥
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾	١٠٦	٤٢٨
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾	١١٠	١٧٧٤، ١٧٦٦، ٦٨٧، ٣٧٨
﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾	١١٤	٣٧٨
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْجَدُوا بِطَانَةِ مَنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُوَكُمْ خِبَالًا﴾	١١٨	٣١٦٢
﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾	١٢٢	٨٢٨
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾	١٢٨	٢٥٦٠
﴿وَأَقْبُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾	١٣١	٢٩٢٣، ٢٩١٩
﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾	١٣٣	٩٠٢، ٩٠٠
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾	١٤٤	١٩٧٧، ٩٨٨، ٩٨٧، ٥٥٠، ٥٤٥
﴿يَطُتُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾	١٤٥	٨٤٣
﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا﴾	١٥٤	٢٨٥٥
﴿كَلَّ اللَّهُ مَوْلَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾	١٥٠	٣١٧٦، ٢٩٧١
﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ يَمَّا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾	١٥١	٣١٢٤
﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾	١٥٢	٢٧٠٤، ٢٠٧٥
﴿يَطُتُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾	١٥٤	٢٤٤١، ٢٤٣٩، ٩٥٦، ٦١
﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾	١٥٩	١٠٧١، ٨٢٩، ١٣٣
﴿إِنْ يَصْرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَحْذِلكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَصْرُكُمُ﴾	١٦٠	٢٩٧٢، ٢٥٩٦، ٢٣٩٦
﴿أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٦﴾...﴾	١٦٢، ١٦٣	١٥٥٣، ١٤٠٣
﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾	١٦٤	٢٩٣٧، ٢٨٣٤، ٢٨٣٣
﴿هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾	١٦٧	٢٥٠٤
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾	١٦٩	١٤٤٤، ١١٠٢، ٥١٨
		٢٠٢٣، ١٧١٩، ١٤٥٣، ١٤٤٦
﴿وَرَحِمَ يَمَّا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾	١٧٠	٢٠٢٣، ١٧١٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾	١٧٣	٩٧٠، ٣١٤٩، ٣١٥٠
﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ الَّذِي تَوَكَّلْتُمْ عَلَيْهِ ۖ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٧٤	١٤٠٣
﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۚ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	١٧٥	١١٩٨، ١١٩٩
﴿وَلَا يَحْزَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّهِمْ حَتَّىٰ لَا تُفْسِدَهُمْ﴾	١٧٨	١٠٣٣
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾	١٧٩	٢٥٧٢
﴿وَلَا يَحْزَنَ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا أَنٰتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾	١٨٠	٣١٢٢
﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾	١٨١	٦٣٢، ١٦٠٩، ١٦١٤، ٢٤٣٩
﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَيْكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾	١٨٢	١٩٦١
﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۖ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾	١٨٤	٢٧٤٣
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ تُحْرِكُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾	١٨٥	٧٩٨، ٣٢٥١، ٣٢٥٦
﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا﴾	١٩٣	٢٤
﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي ۖ فَنُتِلُوا وَفُتِلُوا﴾	١٩٥	٤٦٤
﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ جَنَّتْ نَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ خَالِدِينَ فِيهَا﴾	١٩٨	٢٤
﴿إِن شَاءَ اللَّهُ سَرِيعَ الْحِسَابِ﴾	١٩٩	٩٢٥

٤ - النساء

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾	١	٤٩٨، ١٤٢٦، ١٤٣٧
﴿وَلَا تُؤْثَرُوا السَّهْلَةَ ۚ آمَوْلُكُمْ إِلَيَّ جَمَعَ اللَّهُ لَكُمْ قِسْمًا﴾	٥	١٧٢٥، ٢٦٧٣
﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ ۖ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾	٦	٩٤٥، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آَلِيَتَمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾	١٠	٥٠٢، ٢٢٨٩، ٣١٢٢
﴿يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَزْوَاجِكُمْ﴾	١١	٢٢٥٠، ٣٢٠٧
﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾	١٣	١٠١٢، ٣١١٤
﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾	١٧	٧٣، ٧٤، ٧٦٢، ٧٦٧
﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾	١٨	٧٣، ٧٤، ٧٦٢، ٢٨٥٩، ٢٨٦٠
﴿وَعَاشِرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۖ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَتَخَسَّوْا أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾	١٩	٣١٧١
﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾	٢١	٢٩٠٨
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْوَالُهُمْ وَبَنَاتُهُمْ وَأَخَوَتُهُمْ﴾	٢٣	٢٥٢٦
﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي سَنَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۖ﴾	٢٦ - ٢٨	١٢٤، ٧٦٠، ١٠٣٧
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾	٣٠	٢٥٢٧، ٢٥٨٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾	٣١	٢٤٣٢، ٢٤٣٤، ٢٤٣٦، ٢٦٦٧
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾	٣٣	١٧٢١
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾	٣٥	١٩٩٨
﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾	٣٦	٧٩٣، ٢٢٢٥
﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	٣٨	١٤٥٩
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا ذَرًّا﴾	٤٠	١٩٦١
﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾	٤٥	٢٤٢٥
﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾	٤٦	٥٧٩، ٥٨٠
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾	٤٨	١٦٤٤، ١٦٣٩، ١٦٤٤، ٣١٣٠، ٣١٢٩، ٣١٢٦، ٣١١٧، ٢٤٣٥، ٢٢٠١، ٢٠٣٢، ١٦٧١، ١٦٥٠، ١٦٤٩
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُونَ أَنَّهُمْ بِلِ اللَّهِ يُزَكَّى مَن يَشَاءُ﴾	٤٩	١٤٩، ٢٦٥٥
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّلُوعِ﴾	٥١	٨٥٠، ١٩٠٩، ١٩١١
﴿فَلَنَجْجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾	٥٢	٢١٧١، ٢١٧٦
﴿وَإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَّبِعْتَنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمَا تَضَيَّتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ﴾	٥٦	٢٩٢٤
﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْجِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾	٥٧	٩٠٣
﴿وَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا أَلَامَنْتَ إِلَى أَهْلِهَا﴾	٥٨	٥٢٤، ١٦١٠، ١٦١٣
﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾	٥٩	٤١، ٢٧٨، ٢٨٢، ٣٥٣
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	٦٠	٢٠٨٤، ٢٠٩٢، ٢٢٢٦، ٢٤٩٥، ٢٧١٤
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	٦٤	٤٢٢، ٤١٩، ٤٢
﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اقْتُلُوا دِيَارَكُمْ مَا فَعَلُوهُ...﴾	٦٦ - ٦٨	٢٠١٣، ٢٠١٢، ١٨٠٦
﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾	٦٩	٢٨٥، ٦٨٠، ١٠١٢
﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾	٧١	١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٧١٨، ١٧١٩، ١٧٤٢، ١٧٨٩، ١٧٩٣، ٢٨٣٨، ٣١١٥
﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾	٧٨	١٤٠
﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾	٧٩	١٧٢١
﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيطًا﴾	٨٠	١٠١٤، ١٦١٩، ١٧٠٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾	٨١	٣١٥٠ ، ٣١٥٠ ، ٨٢٩
﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾	٨٣	٧١٠ ، ٤٢٨ ، ٤٢٢
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾	٨٦	٩٧٢ ، ٩٦٨ ، ٩١٧
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	٨٧	٥٢٨
﴿فَلَن يَجْعَلَ لَهُ سَبِيلًا﴾	٨٨	١٩٠٠
﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾	٩٠	٢٩٠٨
﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَا فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤَمَّنَةٍ وَدِيَّةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾	٩٢	٢٦٦٩ ، ٢٤٣٥ ، ٤٨١ ، ١٣٨
﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾	٩٣	٢٢٢٤ ، ٧٧٠ ، ١٣٦
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيْتُوا﴾	٩٤	٣١٤٣ ، ٣١٤١ ، ٣١٢٤ ، ٣١٢٢ ، ٢٥٥٧
﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٩٥	٧٠٧ ، ٧٠٣
﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِيَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ﴾	٩٧	٦٨٢
﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾	٩٨	٢٨٢٧ ، ٢٨٢٦ ، ١٩٩٦
﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾	٩٩	٣١٦٢ ، ٣٠٣٣ ، ٣٠٣١
﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾	١٠٠	٣٠٣٣ ، ١٩٩٦ ، ٣١٦٢
﴿وَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾	١٠٣	٢٠٧٥ ، ٢٠٧٣ ، ١٩٩٦
﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾	١٠٤	٣١٦٢ ، ٣٠٣٣
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾	١٠٥	٣٠٣٣ ، ١٩٩٦ ، ٣١٦٢
﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾	١٠٨	٢٠٧٥ ، ٢٠٧٣ ، ١٩٩٦
﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾	١١٣	٣١٦٢ ، ٣٠٣٣
﴿وَمَنْ يُضَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	١١٥	٣٠٣١
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾	١١٦	٢٤٤١ ، ٢٤٣٩ ، ١٢٩٧
﴿إِنْ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنْسَانًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ ...﴾	١١٧ - ١٢٠	١٣٥١
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾	١٢٤	٢٦٤٠ ، ١٣٢٥
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾	١٢٥	٢٧٥٨
﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾	١٢٦	١١٤٦ ، ١٠٣٨
﴿وَإِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كِلَا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَسِيعًا حَكِيمًا﴾	١٣٠	٢٩٢٢ ، ٢٧١٤ ، ٢٤١٢ ، ٦٤
﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾	١٣١	١٨٩١
﴿كُونُوا قَوْمِينَ بِالْإِقْطَاطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ﴾	١٣٥	١٨٩٢ ، ١٧٣١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكُنَّ الَّذِينَ نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾	١٣٦	١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٧٧٨ ، ٢٣٥٢ ، ٢٤٥٨ ، ٢٦٥٣ ، ٢٧٩٦ ، ٢٢٤٤
﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾	١٣٩	٢٠٥٥
﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾	١٤٠	٣٠٢٨
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ يَكْفُرُونَ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾	١٤١	٢٧٥١ ، ٢٢٥٨
﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ يُخْلِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَالِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾	١٤٢	١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١٤٥٧
﴿مُذَبِّحِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾	١٤٣	١٦٦٢ ، ١٦٦٤ ، ٢٢٣٠ ، ٣١٠٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	١٤٤	٣١٥٧
﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾	١٤٥	١٣٧١ ، ٢٥٠٦ ، ٢٥٤٤ ، ٢٩٧٥
﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾	١٤٦	١٣٧١ ، ١٥٢٣
﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾	١٤٧	١٦٩٣ ، ١٦٩٧ ، ١٦٩٩
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يُؤْيَدُونَ أَنْ يُفْرِقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾	١٥٠ - ١٥٢	١٣٨٦ ، ٢٦٥٣ ، ٣١٠٧
﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ...﴾	١٥٧ ، ١٥٨	١٤١١ ، ١٤١٢ ، ٢١٢٤ ، ٢١٨٣ ، ٢٩٥٧
﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾	١٥٩	١٤٠٩ ، ١٤١١ ، ٢١٨٢
﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾	١٦٣	٢٨ ، ١٢٠ ، ١٤٢ ، ٢٥٩
﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾	١٦٤	٢٨ ، ٥٨٠ ، ١٣٩٣ ، ١٤٦٤ ، ٢٢٢٣
﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾	١٦٥	٣٨٦ ، ٧٠٥ ، ١٠٣٠
﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾	١٦٦	٢٠٩٦
﴿يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾	١٧١	٢١٨٠ ، ٢٢٠٧ ، ٢٧٢٣
﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾	١٧٢	١٠٦٣ ، ٢٨٠٢
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مِنَّةٍ﴾	١٧٥	٢٨٢ ، ١٨٠٦

٥ - المائدة

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾	١	١٢٣ ، ١٠١٧
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾	٢	٢٧ ، ١٧٥ ، ٥١٣ ، ١٥٤٨
﴿حَرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةَ وَالذَّمَّ وَطَمَ الْخَنَزِيرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾	٣	٢٢٢ ، ٤١٥ ، ١٠٠٩
﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	٤	١١١١ ، ١١١٥ ، ١١٩٩ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٤ ، ١٣٠١ ، ١٣٩٤ ، ٢٥٢٦ ، ٢٨٩٧
﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الْفَلَيْحُ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾	٥	٩٢٤ ، ٣١٧٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَالِمَكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاثَقْتُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾	٧	٢٩٠٨
﴿فِيمَا نَقِضَهُمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾	١٣	٥٨٠
﴿وَمِمَّنِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُّكَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾	١٤	٤٠٨
﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾	١٦	٣٠٣٨
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾	١٧	٢٨١٨ ، ١٥٢٤
﴿نَحْنُ أَنْبَاؤُ اللَّهِ وَاجْتَوَيْنَا﴾	١٨	١٤٣١
﴿يَقُولُوا ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَى آذَانِكُمْ...﴾	٢١ - ٢٦	٨٢٨ ، ١٣٥٠ ، ١٣٦٦ ، ٢٥٢٦ ، ٢٨٧٦
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقِيلُ مِنْ أَحَدِهِمَا...﴾	٢٧ - ٣٠	١١٩٩ ، ٧
﴿بَعَثَ اللَّهُ غُلَامًا يَتِيمًا فِي الْأَرْضِ لِیُرِیَ كَیْفَ یُورِی سَوَاءَ أَخِيهِ﴾	٣١	٢٥٢٧ ، ٢٣٠٢
﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾	٣٣	٢٥١٤ ، ٢٠٤١
﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُ عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾	٣٤	١٥٤٤
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾	٣٥	٣١١١ ، ٣١١٠ ، ٨١٧ ، ٨١٦ ، ١٧٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ...﴾	٣٦ ، ٣٧	٣١٢٤
﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾	٣٨	١٣٢
﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ﴾	٤١	٤٧١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٦ ، ٥٧٩
﴿سَنُفَوِّتُكَ بِالْكَذِبِ﴾	٤٢	١٧٨٥ ، ١٦٢٨ ، ٥٨٢
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾	٤٤	١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤
﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى عَالِيهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ...﴾	٤٦ ، ٤٧	١١٤٠ ، ١١٩٩ ، ٢٥٠١ ، ٢٨٧١ ، ٣١٣٩
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾	٤٨	٢١٨١ ، ٤٠٥
﴿وَإِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾	٤٩	٢٣٥٠ ، ٢٤٦١ ، ٢٦٥٣ ، ٢٧٠١
﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوفُونَ﴾	٥٠	١٠٢٠
﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾	٥١	٨٤٤ ، ٨٨٥ ، ١٠١٧ ، ٢٣٦٢
﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾	٥٢	٣١٦٥ ، ٣١٥٧ ، ٢١٤٦
﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ رَبِّدَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾	٥٤	٢٢٥٦
﴿إِنَّمَا وَدَّعَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقُومُونَ الصَّلَاةَ﴾	٥٥	٢٩٩٤ ، ٢٦١٢ ، ٢٦١١ ، ١٣٦٧
﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا﴾	٥٧	٢١٤٦
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾	٦٤	٢٣٠٨ ، ١٨٢٧ ، ٥٦٥
﴿يَتَأْتِيهِ الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾	٦٧	٣٢٠٤ ، ٣٢٠٥ ، ٣٢٠٦ ، ٣٢٠٦
		١٠١٤ ، ٢٧٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾	٧٢	١٥٩٩ ، ١٦٣٩ ، ١٦٤٤
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحِدٌ﴾	٧٣	١٦٤٨ ، ١٦٤٩ ، ١٦٥٠ ، ١٦٧١ ، ١٦٢٤
﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾	٧٥	٢١٨٤ ، ٢٦٧٦ ، ٢٩٣٥
﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ لَا تَعْلَمُوا فِي رِيبِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾	٧٧	٢٢٠٧
﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾	٧٨ ، ٧٩	٣٧٨
﴿لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾	٨٠	١٥٥٣
﴿فَأَنذَرَهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾	٨٥	٩٨
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَيِّبَتْ مَا أَعْلَى اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْدُوا﴾	٨٧	٥٩١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾	٩٠	٤١٥
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾	٩١	١٧٣١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾	٩٥	١٩٩٨
﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	٩٨	١٣٤٩ ، ٣٢٢٩
﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِغَةٍ وَلَا وِصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ﴾	١٠٣	٢٥٢٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾	١٠٥	٣٨٤
﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِبِي ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَيْكَ﴾	١١٠	٦٥٩ ، ٨٥٩ ، ٢١٧٨ ، ٢١٨٠
﴿وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾	١١٤	١٣٧٥ ، ١٣٧٦
﴿قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾	١١٦	٢٩٩١ ، ٢٩٩٠ ، ١٧٤٥ ، ١٢٦٨
﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾	١١٧ ، ١١٨	١٠٨٧ ، ١٤٢٦
﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾	١١٩	١٤٠٣ ، ١٧٨٦ ، ١٧٩٠ ، ١٨٢٧
﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	١٢٠	٢٨١٨ ، ٣٠٤٧ ، ١٨٥٥

٦ - الأنعام

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾	١	١٠٥٦
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾	٢	٥٥ ، ٥٦
﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ فِي الْأَرْضِ﴾	٣	٢١٣٢
﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُطْرَقُونَ﴾	٨ ، ٩	٢٨١١
﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾	١٢	١٢٦٨ ، ١٣٥٩ ، ٢٤٤١
﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أُتَّخَذُ وَلِيًّا فَأُطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُلْعَمُ﴾	١٤	٢٢٣٦
﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	١٥	١١٤١ ، ١١٩٩
﴿وَلِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾	١٧	١٧٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ. وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾	١٨	١٠٣٧، ٢١٢٤، ٢١٢٦، ٢٣٨٩، ٢٣٩٠
﴿قُلْ أَتَىٰ مَنِيَّ أَكْبَرُ شَهَدَةٍ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾	١٩	١٧٢٤، ١٧٢٦، ١٧٢٧، ١٧٢٨، ٢٣٥٠، ٢٦٤٠، ٢٨١٥
﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُفِّقُوا عَلَىٰ رَيْبِهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾	٣٠	٢٨٩٣
﴿فَقَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِهِ اللَّهِ﴾	٣١	١٣٣٢
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَسْأَلُكُمْ﴾	٣٨	٩٧٨
﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾	٤٤	٣٨٨، ٢٢٥٦
﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾	٥٠	١٥٨٧، ٢٠٩٣، ٢٥٧٢
﴿وَإِذَا جَاءَ لَكَ الْبُرْتُ يُؤْمِنُونَ بِمَا بَيْنَنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾	٥٤	٤٦٣، ١٨٥٧، ٢٩٨٩، ٢٩٩٠
﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَنْبِيَاءَ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمَجْرِمِينَ﴾	٥٥	٣٣٤، ٨٤٧
﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾	٥٧	١٩٩٧
﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾	٥٨	٢٠٩٩
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾	٥٩	٢٣٢٠
﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾	٦٠	١٤١٠، ١٤١١
﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾	٦١	٩٨٩، ١٤١١، ٢٣٦٧، ٢٨٢٦، ٢٨٢٥، ٢٨٠٦
﴿ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾	٦٢	٩١٨، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٧٢، ٣١٧٦، ١٠١٦
﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾	٦٣	١٥٨، ٢٧٦٧
﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أُنُوفِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا﴾	٦٥	١٧٠، ١٧١، ٢٣٣١، ٣٠٨٢
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾	٦٨	٣٠٢٨
﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾	٧١	١٨٨
﴿وَلَهُ الْمَثَلُ يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾	٧٣	٢٩٨٠
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ أَنْتَخِذْ أَسْمَاءًا إِلَهُهُ إِنِّي أَرَأَيْتَ إِنْ آتَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾	٧٤	٣١، ٢٥٦، ٣٤١، ١٨٦٦
﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٧٥	٢٨، ٣١، ٣٦
﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ...﴾	٧٦	٣١، ٣٥، ٣٦، ٨٨٨
﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾	٧٧	٣١، ٣٦
﴿فَلَمَّا رَأَىٰ السَّمَاءَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾	٧٨	٣١
﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	٧٩	١٠٧٤، ١١٩٠، ٢٢٣٧، ٢٢٣٩
﴿وَسَاجِدًا قَوْمَهُ قَالَ أَلْتَعْجَبُونِي بِأَلَلِّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ...﴾	٨٠ - ٨١	٣٢، ٣٦، ١٢٠١، ٣٠٧٦
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾	٨٢	١١٤، ٧٩٨، ٣١٣٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَبَلَّغْنَا هَاجِرَتَهُمَا وَإِسْمَاعِيلَ عَلَى نَفْسِهِ يَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ شَأْنِهِ﴾	٨٣	٣٦ ، ٣٥٧ ، ٦٧٦ ، ١٣٣٩ ، ٣٢٢٠ ، ٢١٣٠ ، ١٣٩٢
﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾	٨٤	١٤٥ ، ٢٠٨ ، ٣٥٧ ، ٤٨٥ ، ١٣٩٢
﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾	٨٥	٣٥٧ ، ١٣٩٢ ، ١٤٧٥
﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	٨٦	٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ١٣٩٢ ، ٢٩٣٢
﴿وَمِنَ آبَائِهِمْ ذُرِّيَّتِهِمْ وَإِبْرَاهِيمَ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	٨٧	٣٢٢٠
﴿وَذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ﴾	٨٨	١٦٣٩ ، ١٦٤٩ ، ١٦٧١ ، ٣٢٢٠ ، ١٨٥٦
﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾	٨٩	٣٧٢
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ أَفْئِدَةً﴾	٩٠	١١١٤ ، ٣٢٢٠
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾	٩١	١٣٩٦
﴿وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾	٩٣	٨٠ ، ١٤٣٣ ، ١٧٢٧ ، ٢٩٣٤ ، ٢٧٩٨ ، ٢٨٢٥ ، ٢٨٦١ ، ٢٨٦٥ ، ٢٨٦٦
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾	٩٧	٧٤٨
﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾	٩٩	١٣٨
﴿يَبْدِئُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ إِنَّهُ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾	١٠١	٤٩٤ ، ٥٠٧
﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾	١٠٢	٣١٣ ، ٢٣٢١ ، ٣١٤٩
﴿لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	١٠٣	٩٣٠ ، ٢٥٥٤
﴿أَتَبِعَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾	١٠٦	٤٢
﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	١٠٨	١٢٩٣ ، ١٥١٩ ، ١٥٢١
﴿وَنَقَلِبْ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصُرَهُمْ﴾	١١٠	٢٧٨٨
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾	١١٢	٥٦٤ ، ٥٨٠ ، ١٧٣٢
﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾	١١٤	١٠١٦
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدًّا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	١١٥	٢٠١٦ ، ٢٧٨٦
﴿وَإِن طَئِعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ بِضُلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾	١١٦	١٠٣٣ ، ١٦٢٣
﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾	١١٧	٢٠٩٩
﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ عَلَيْهِ﴾	١١٩	٦٥٨ ، ٢٠٩٩
﴿وَذَرُوا ظُلْهَرَ الْأَثَرِ وَبِاطِنَهُ﴾	١٢٠	٩٠
﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِجْعَلِيلُوكُمْ وَإِن أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾	١٢١	٣٥٣ ، ٥٩٣ ، ١٢٧٤ ، ١٦٥٨ ، ١٦٥٩ ، ١٧٣٢ ، ١٧٣٥
﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾	١٢٤	٦٨٠ ، ١١١٣ ، ٢٤٩٤
﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ﴾	١٢٥	١٢٣ ، ١٢٤ ، ٢٥٢٧ ، ٢٧٠٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا نَمْعَ شَرِّ الْإِنْسِ قَدِ اسْتَكْبَرُوا مِنَ الْإِنْسِ﴾	١٢٨	١٨٠ ، ٥٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٤٥٥
﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَظْمِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	١٢٩	١٤٥٥
﴿نَمْعَ شَرِّ الْإِنْسِ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُزِدُّونَكُمْ...﴾	١٣٠ ، ١٣١	٢٤٠٩
﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾	١٣٢	١٨
﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ﴾	١٣٣	٢٤٠٣ ، ٢٢١٣ ، ١٨٢٧
﴿قُلْ بَلْ مِثْلَ إِزْهَعَمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	١٣٥	٣٦
﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	١٤٤	١٨٩٥
﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ...﴾	١٤٨ ، ١٤٩	٢٧٠٩ ، ٢٧٠٨
﴿قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ﴾	١٥٠	٥٩٢ ، ٥٩١
﴿قُلْ تَكَلَّوْا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾	١٥١	٨٣٤
﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾	١٥٣	٤٢ ، ٣٠٦ ، ١٨٠٦ ، ١٨٠٩
﴿قُلْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾	١٥٤	٢٦٥٢ ، ٢٢٠٦
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾	١٥٦	٢٨٨٤
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾	١٥٨	١١٦٤
﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَنَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾	١٥٩	١٩٣٢ ، ١٩٣٤ ، ٢٦٠٢
﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا فِيمَا مَلَئَ إِزْهَعَمَ حَنِيفًا﴾	١٦١	٢٠٨٥
﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦١﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ...﴾	١٦٢ ، ١٦٣	٢٤١٩ ، ١٠٧٣
﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِّي رَبِّي وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾	١٦٤	١٢٧٢
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾	١٦٥	١٤١٢ ، ١٣٤٣

٧ - الأعراف

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾	٣	٢٠٥٩ ، ١٠٠١
﴿فَلْيَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلْيَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾	٦	٤٦٤
﴿فَلْيَقْضِ عَلَيْهِمْ يُعْلَمُ وَمَا كُنَّا عَلَيْهِمْ﴾	٧	٢٧٥٨ ، ٢٠٩٦
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾	١١	١٨١٦
﴿قَالَ مَا مَنَّكَ عَلَى أَنْتُمْ إِذْ أَمَرْتُكُمْ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾	١٢	١٧٣٥ ، ١٧٣٢
﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا﴾	١٨	٩٠٢
﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾	٢٢	٦
﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٢٣	١١ ، ١٣٤٣
﴿يَبْنِي آدَمَ لَا يَفِينَكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ آوَيْنَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾	٢٧	٣٠٦١ ، ١٧٣١
﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾	٢٨	٥٨٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾	٢٩	١٢٢٢
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمُ وَالْبَغْيُ يَغْيِرُ الْحَقَّ﴾	٣٣	٧٢٢، ١٧٠٨، ٢٢٣٠
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتُنْفِذُونَ﴾	٣٤	٥٤، ٥٦
﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمُ ابْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾	٤٠	١٤٥٠
﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾	٤٣	٣٠٣٧، ٣٠١٥
﴿وَيَبْنِيهَا جِبَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ...﴾	٤٦ - ٤٩	٢٩٨
﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	٥٢	٢٦٠٤، ٣٣٤
﴿حَتَّى يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِي نُسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾	٥٣	٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٤، ٥٦٥
﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾	٥٤	١٩٦، ١٩٨، ٢٠٣، ٣١٨
		٧٤١، ٨٠٢، ١١٨٦، ١٨٢٧، ٢٥٢٤
﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾	٥٥	١٢٢٧
﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	٥٦	٩٦، ٩٨، ١٣٥٥، ١٣٥٩، ٢٦٢٥
﴿هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا﴾	٥٧	١٣٩
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾	٥٩	٢٩٩٧، ٢٩٩٩
﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾	٦٠	٣٠٠٠
﴿كَذَّبُوهُ فَأَجْتَبَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾	٦٤	٣٠٠٠
﴿وَالِإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	٦٥	١٣٩٢، ٣٠٦٤، ٣٠٦٥، ٣٠٦٧
﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾	٦٦	٣٠٦٦
﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٦٧	٣٠٦٤
﴿أَوْحَيْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾	٦٩	٣٠٦٥
﴿وَالِإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾	٧٣	١٣٩٢، ١٧٣٧، ١٧٣٨
﴿وَادْعُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾	٧٤	١٧٣٨
﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَقَوَّمُوا لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِرِسَالَةٍ مِنْ رَبِّي وَصَحْتُ لَكُمْ﴾	٧٩	٢٤٥٨
﴿وَالِإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾	٨٥	١٣٩٢، ١٦٨٣، ١٦٨٦
﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾	٨٦	١٦٨٣، ١٦٨٦
﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾	٨٧	١٠١٦، ١٠١٨، ١٦٨٤
﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعَيْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ﴾	٨٨	١٦٨٤
﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾	٨٩	١٦٨٤، ٢٢٥٦، ٢٢٥٧، ٢٢٥٨
﴿وَقَالَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ قَوْمِهِ لَبِئْسَ أَتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ﴾	٩٠	١٦٨٤
﴿يَتَقَوَّمُوا لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِرِسَالَةٍ مِنْ رَبِّي وَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَامَنُوا عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾	٩٣	١٥٩٦، ١٦٨٣، ١٦٨٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَقْبَلُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	٩٦	٢٢٥٧
﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ يَقَابِلُونَ ﴿٩٧﴾ ...﴾	٩٨ ، ٩٧	٣٨٨
﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾	٩٩	١٣٥٦ ، ١٢٠٥ ، ٣٨٨ ، ٣٨٧
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ يَتْلُو آيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَطَلَمُوا بِهَا﴾	١٠٣	٢٨٦٩
﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِجْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ ...﴾	١٠٩ - ١١٦	٢٨٧٣
﴿فَلَمَّا آلَقُوا سَحَابًا عَابَتِ النَّاسَ وَأَسْهَبَهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَاطِرٍ﴾	١١٦	١٥٤٩
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ ...﴾	١١٧ - ١٢٢	٢٨٧٤ ، ٢٨٧٣
﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَاَمَنْتُ بِهِ قَبْلَ أَن ءَاذَنَ لَكَ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرُتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ ...﴾	١٢٣ - ١٢٦	٢٨٥٦ ، ٢٨٧٤
﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْعَوْا بِأَرْحَابِكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْاَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ﴾	١٢٨	١٧٦
﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾	١٣٠	٢٨٧٠
﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ أَحْسَنَةٌ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَرُوا بِمُوسَىٰ﴾	١٣١	١٩٤٤ ، ٦٢٥
﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَ ءَايَتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾	١٣٣	٢٨٧٠
﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْضَعُونَ مُشْرِفَ الْاَرْضِ وَمَكْرَئِهَا أَلَىٰ بَرَكْنَا فِيهَا﴾	١٣٧	٥٦٩
﴿أَجْعَلْ لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمُ ۚ﴾	١٣٨	٤١٦
﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرِيكَ﴾	١٤٣	٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ١٣٣٦ ، ٢٨٨٤ ، ٢٠٦٢ ، ٢٦٠٣
﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلْمِي فَخُذْ مَا ءَاتَيْنَاكَ﴾	١٤٤	٢٨٧٧ ، ٢٨٦٩
﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾	١٤٥	٢٨٧١ ، ٢٤٣٩ ، ٨٠٩
﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَيُّفًا قَالَ فِئْسَمَا خَلَفْتُونِي مِن بَعْدِي﴾	١٥٠	٢٨٨٥ ، ٢١٩٧
﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	١٥١	١٣٦١
﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَىٰ الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي سُجَّتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾	١٥٤	٢٨٧١
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	١٥٦	١٣٦٠ ، ١٣٥٨
﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّسُولَ الَّتِي الْاٰمَنَ الَّذِي يَحْدُوهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾	١٥٧	٣٧٩ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٥ ، ٢٦٥١ ، ١٣٨٢
﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ﴾	١٥٨	١٠٠٢ ، ١٢٦٠ ، ١٣٨٩ ، ٢٨١٥ ، ٢٦٥٣
﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾	١٥٩ ، ١٦٠	١٤٤ ، ١٤٣
﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ يَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾	١٦٤	٣٨٦
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾	١٧٢	٢٦٧٩ ، ١٨٩٦ ، ١٠٧٦ ، ٢٩٠٨ ، ٢٩٠٧ ، ٢٩٠٦ ، ٢٩٠٥ ، ٢٦٨١
﴿أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ ءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾	١٧٣	١٨٩٦
﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِىٰ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا وَلِيكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	١٧٨	٣٠٤٣ ، ١٨٩٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾	١٨٠	٩٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٣٣٠ ، ٦٧٧ ، ٧٨٥ ، ٧٨٧ ، ٧٩٠ ، ٨١٧ ، ٨٨٤ ، ١٢٥٥ ، ١٥٢٧ ، ١٦٦٨ ، ١٦٦٩ ، ١٧٢٦ ، ١٧٢٩ ، ١٨٢٧ ، ١٨٣٠ ، ٢٣٥٧ ، ٢٥٤٨ ، ٢٥٥١ ، ٣٠٨٨
﴿وَأُمِّلِ لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾	١٨٣	٢٥٣٣ ، ٢٥٣٤
﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَ هَادِيٍّ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	١٨٦	١٨٩٩ ، ١٩٠٠ ، ٣٠١٧ ، ٣٠٤٤
﴿يَسْتَلْذِقُونَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنَهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُحِيطُ بِهَا لَوْحًا إِلَّا هُوَ﴾	١٨٧	١٥١٤
﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾	١٨٨	١٠١٣ ، ٢٥٧٢
﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَفَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	١٩٠	٦٦٤ ، ١٦٥٤ ، ١٦٥٦
﴿أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ﴾	١٩١	٧٩٦
﴿أَلَهُمْ أَزْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطْشُونَ بِهَا﴾	١٩٥	٢٣٤٠
﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ تَوَكَّلِ الصَّالِحِينَ﴾	١٩٦	١٧٤٤ ، ٣١٧٩
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾	١٩٩	٩٧
﴿وَمَا يَزْعَمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	٢٠٠	١٧٠ ، ١٤١٨
﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾	٢٠٤	١٥٦٤

٨ - الأنفال

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	١	١٠١١ ، ١٢٦٨
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ...﴾	٢ - ٤	١٤٧ ، ١٥٠ ، ٣٠١ ، ٤٣٥ ، ٤٦٩ ، ٤٨١ ، ٦٤٢ ، ٦٨١ ، ٨٢٨ ، ١٤٩٢ ، ٢٦٦٨ ، ٢٦٦٩
﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾	٧	٩٩٧
﴿إِذْ تَسْتَعِيضُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَوِّفِينَ﴾	٩	١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٧٦٦
﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	١٢	٣٤٩
﴿أَوْ مُتَحَرِّجًا إِلَيَّ فَثَبِّتْهُ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾	١٦	١١٠٣ ، ٢١٩٦
﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾	١٧	٢٧٢٥
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿١٢﴾...﴾	٢٠ ، ٢١	٢٨٣ ، ١٦٠٤ ، ٢٧١٤
﴿إِنْ سَرَ الدَّوَابَّ عِنْدَ اللَّهِ أَلْصُقُ إِلَيْكُمْ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾	٢٢	٢٤١٧
﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾	٢٣	١٥٩٨
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾	٢٤	١٨٩٨
﴿وَأَتَّقُوا فَتْنَةً لَا تُضِييَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾	٢٥	٢٢٦٢
﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾	٣٠	٢٧٩٢ ، ٢٧٩١ ، ٢٥٣٣ ، ٢٢٣٠
﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾	٣٣	١٢٠٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٣٦	١٢٧٩
﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾	٣٨	١٣٧١ ، ٣١٢٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ يَوْمَ الْمَوْتِ وَبِعَمِّ النَّصِيرِ﴾	٤٠	٢٩٧١، ٣١٧٦، ٣١٧٨
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْفَرَقَ﴾	٤١	١٦
﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾	٤٢	٣١٩٦
﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنْكَ كُفْرُهُمْ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	٤٣	١٢٦٨
﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٤٥	١٣٠١
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾	٤٦	٢٨٦، ٣١٠، ٨٤٧
﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَلِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ﴾	٤٩	٣٠١
﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَلَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرِيحُوتُ وَجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ﴾	٥٠	٢٨٢٥، ٢٨٢٦
﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ سَدِيدٌ الْعِقَابِ﴾	٥٢	٢٣٩٤
﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾	٦٠	١٤٠
﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٢	٩٧٠
﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ حَسْبَكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٤	٩٧٠
﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾	٧١	١١٢٣
﴿أَسْتَنْصِرُكُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾	٧٢	٣١٦٠
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٧٩	٣١٥٦
٩ - التوبة		
﴿وَإِذَا أَسْلَخَ الْإِبْرَهْمُ الْحَرَمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ﴾	٥	٣٧٤، ١٦٤٩
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾	٦	٨٣، ٢٣٦٣، ٢٥٦٣
﴿وَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فِي الَّذِينَ﴾	١١	٣٧٤، ٣١٢٨
﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	١٣	١١٤١
﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾	١٤	١٦٣٣
﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾	١٧	٢٩٠٩
﴿لِيَبْشِرَهُمْ رَبُّهُمْ رَحِمَةً مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَيْمٌ ثَقِيلٌ﴾	٢١	١٠٧٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤
﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾	٢٤	١٠٠٧
﴿فَقُتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ﴾	٢٩	٢٦٤٥
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾	٣٠	١٦٧٩
﴿أَتَعْبُدُونَ أَجْبَارَهُمْ وَرَبَّهُنَّهْم أَرْكَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ﴾	٣١	٣٤٠، ٥٩٠، ٥٩٣، ٦٩٦
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾	٣٣	١٢٥٦، ١٦٥٧، ٣٠٧٤
﴿وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٣٤	١٢٨٥، ١٢٨٨
﴿إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَلَاثَ أُتُنِينَ﴾	٤٠	٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ١٠٠٤، ٢٧٥٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿عَمَّا أَتَى اللَّهُ لَكُمْ إِذْ أَخَذْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُ أَنْ تَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾	٤٣	٢٠٧٣
﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	٤٥	٣٠١
﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾	٤٦	٢٤٨٨ ، ٢٢٣٠
﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾	٥١	٢٥٢٧ ، ٢٤٤١ ، ٨٢٩
﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	٥٤	٢٣١٦
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾	٥٩	١٤٠٦
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾	٦٠ ، ٦١	٢٨٣
﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾	٦٤ - ٦٦	١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٨٣
﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾	٦٧	٢٨٣١ ، ٢٣٠٦ ، ٣٧٨
﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكَثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾	٦٩	٢٢٦٤
﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾	٧٠	٢٧٤٣ ، ٢٨
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾	٧١	٣١٥٦ ، ٢٧٩٧ ، ٣٧٨
﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ حَتَّى تُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾	٧٢	٣١١٤
﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جَيْدُ الْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطُ عَلَيْهِمْ﴾	٧٣ - ٧٤	٢٩٧٥ ، ٢٦٣٧ ، ١٠٠٦
﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغَيْبِ﴾	٧٨	٢٠٩٩
﴿فَيَسْحَرُونَ مِنْهُمْ سِحْرَ اللَّهِ مِنْهُمْ﴾	٧٩	١٩٣
﴿فَإِنْ رَجَعْتَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوا لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾	٨٣	١١٦٧
﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِيَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى﴾	٩٦	١٤٠١
﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾	١٠٠	١٤٠١ ، ١٠٨٩ ، ٤٠
﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾	١٠١	٣١١٥ ، ٢٠٣٧ ، ١٧٦٤ ، ١٧٦٣ ، ١٧٥٩ ، ١٥٧٩ ، ١٥٦١
﴿خَاطَبُوا عَمَلًا صَلَاحًا وَآخِرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾	١٠٢	٢٠٢٢
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾	١٠٣	٢٦٦٤
﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾	١٠٤	١٥٧٤ ، ١٢٢٢
﴿فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسِرُّدُونَ إِلَى عَذَابِ الْعَذَابِ﴾	١٠٥	٢٣١٦ ، ٧٥٨
﴿وَأَخْرَجَتْ مُجُودٌ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	١٠٦	٢٠٩٨ ، ٥٢٥
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾	١١١	٣١١٦ ، ١٥١
﴿الَّذِينَ كَانُوا يَتَدَابَعُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾	١١٢	٤٦٤
﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾	١١٣	٧٦٤
﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾	١١٤	١٩١٥ ، ١١٤٩ ، ٧٢٩ ، ٧٦
		٣١٦٤ ، ٢٨٦٢ ، ١٩١٨ ، ١٩١٧
		١٠٥٢ ، ١٠٥١ ، ٣٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ بِئَرَتَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾	١١٥	٢٤١٢ ، ٣٠٣٨ ، ٣٠٤٣
﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾	١١٧	٧٧١
﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	١١٨	٧٥٨ ، ١٣٦٠
﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾	١١٩	٧٩٥
﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾	١٢٠	١٠٠٢ ، ٢٦٢٦
﴿فَقُولَا نَعَرُ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾	١٢٢	٩٣٦
﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ هَلْ ذُكِّرْتُ بِهَٰذَا مِنْ قَبْلِ﴾	١٢٤ ، ١٢٤٥	١٤٩٢
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾	١٢٨	١٣١٩ ، ١٣٥٧ ، ١٣٦٤ ، ٢٦٣٤
﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾	١٢٩	٢٠٤٩

١٠ - يونس

﴿إِنْ رَيْتُمْ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾	٣	١٩٨ ، ٢١٢٥
﴿وَلَوْ يُعِجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾	١١	١٧٤٧
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِشُرَٰئِنَ﴾	١٥	٢٦٤٢
﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا﴾	١٨	٤١٣
﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	٢٥	١٠٦٥ ، ١٨٥٦
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنِ وَرِيدَةٍ﴾	٢٦	٩٦ ، ٩٨ ، ١٣٢٩
﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ﴾	٣٠	٣١٧٦
﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾	٣١	٣١٨ ، ١٥٨٨ ، ١٦٧٧
﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٣٣	٢٥٢٦
﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا لِلخَلْقِ ثُمَّ يَعْبُدُهِ قُلِ اللَّهُ يَسْجُدُ لِلخَلْقِ ثُمَّ يَعْبُدُهِ﴾	٣٤	١١٨٦
﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾	٣٦	٤٦
﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَقْرَأَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ . . .﴾	٣٨ ، ٣٧	٢٨٩
﴿يَتَابِعُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾	٥٧	٢٣٥٨
﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾	٥٨	٢٢٧٨
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْنَاهُ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾	٥٩	٢٥٢٧
﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾	٦١	٢٣٢١ ، ٢٤٤٦ ، ٢٧٥٨
﴿إِنَّ الْبِرَّ لَشَيْءٌ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	٦٥	٢٠٥٥
﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾	٧١	٦٢
﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	٧٢	٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ١٢٥٩
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا﴾	٧٥	٢٨٧٢
﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	٨٥	٢٢٦٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	٩٠	٧٤، ٢٨٦٠
﴿ءَالْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾	٩١	٧٤، ٢٨٦٠
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مِنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾	٩٩	١٨٥٥
﴿وَأَنْ أَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	١٠٥	١٠٧٣، ١٠٧٤
﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾	١٠٦	١٥٩
﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾	١٠٩	١٠١٨
﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦﴾ ...﴾	٦٢ - ٦٤	٣١٨٠، ٣١٧٩، ٧٠٢

١١ - هود

﴿الرَّ كُنْتُ أَهَكَّتْ ءَابَنَهُمْ ثُمَّ فَضَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾	١	٢٦٢٨
﴿وَأِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبُّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾	٣	٧٧١
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾	٦	١٣٧٤، ١٣٧٧
﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ﴾	٧	٢٠٤٩، ٢٦٥٢
﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾	١٢	٣١٥٠
﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَرِيهِ قُلْ فَأَنَّا نَعْبُدُ سُبُرَ مِثْلِهِ مُقَرَّبِينَ وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطْعَمُوا ...﴾	١٣، ١٤	٢٨٩، ٢٦٣٨
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِيَ إِلَيْهِمْ أَعْمَلُهُمْ فِيهَا ...﴾	١٥، ١٦	١٦٦١، ١٦٦٢، ١٦٦٣، ١٦٦٦
﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَآلِنَارُ مَوْعِدُهُ﴾	١٧	٢٨١٥
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾	١٨	٩٤٧، ٢٠٥٣، ٢٥١١
﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾	٢٠	١٦٣، ١٦٧
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾	٢٣	١٠٨
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ...﴾	٢٥، ٢٦	٢٩٩٧، ٢٩٩٩
﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرِيكَ أَتَّبِعُكَ﴾	٢٧	٣٠٠٠
﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ﴾	٣٦	٣٠٠٤
﴿وَأَصْنَعَ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾	٣٧	٥٢٥، ٢١٨٦
﴿وَصَنَعَ الْفَلَكَ وَكَلَّمَ مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأً مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾	٣٨	١٩٢
﴿وَفَقِيَ الْأَمْرُ﴾	٤٤	٢٣٢٦
﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾	٤٥	١٠١٦، ١٠١٨، ١٠٣٨
﴿إِنِّي أَعْظُمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾	٤٦	٨٤٤
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾	٤٧	٢٠٦٢
﴿وَالِلَّ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾	٥٠	٢٤١٦، ٣٠٦٤
﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾	٥٢	٣٠٦٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ...﴾	٥٣ - ٥٦	٣٠٦٦ ، ٣٠٦٥ ، ٣٠٦٤
﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾...	٥٤ - ٥٧	٩٩٣
﴿وَبَلَّغْ عَادَ جَحْدُوا بِبَايَتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ. وَأَتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾...	٥٩ ، ٦٠	٢٢٩١ ، ٨٥٤
﴿وَإِلَّا تَتُوبَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقْتُلُوكَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾	٦١	٢٣٦٥ ، ١٧٣٨
﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى...﴾	٦٩ - ٧٣	٢٦١ ، ٢٦٠ ، ٣٠
﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾	٧٠	٢٨٠٠ ، ١١٤٤
﴿وَأَمَّا أَنَّهُ فَأَيَّمَهُ فَضْجَتْ فَشَرَّنَهَا بِاسْتَحْقَ وَمِنْ وَرَاءِ اسْتَحْقَ يَعْقُوبُ﴾	٧١	٣٢٢
﴿قَالُوا أَنْتَجِدِينَ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتِ اللَّهِ وَرَكَّةً. عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾	٧٣	٢٦٠٨ ، ٢٦٠٧ ، ١٠٦٥
﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُ بِهِمْ وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾...	٧٧ - ٨٠	٢٥٧٥ ، ١٥٣١
﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُؤْسُ رَبِّكَ لَنَ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَنشُرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾	٨١	٢٥٧٦ ، ١٣٨٤
﴿وَإِلَّا مَدِينٌ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَقْتُلُوكَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾...	٨٤ ، ٨٥	١٦٨٧ ، ١٦٨٣
﴿يَسْعَيْبُ أَصْلُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾	٨٧	١٦٨٦ ، ١٦٨٤ ، ١٣٩٩ ، ١٠٥٢
﴿وَيَقْتُلُوكَ لَا يَجْعَلُوكَ شَقِيقًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾...	٨٩ ، ٩٠	٣٠٩٢ ، ١٦٨٥ ، ١٦٨٤
﴿قَالُوا يَسْعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا وَمَا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِيْنَا ضَعِيفًا﴾	٩١	٣٠٩٥ ، ٣٠٩٣
﴿قَالَ يَقْتُلُوكَ أَرَهْطِي أَعَزَّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا﴾...	٩٢ ، ٩٣	١٦٨٤ ، ١٩٢
﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَنَيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾	٩٤	١٦٨٥
﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾	١٠١	٣٤٢
﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَلَّ لِمَا يُرِيدُ﴾	١٠٧	١٠٨٣ ، ٣١٧
﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مُجْدُوْرٍ﴾	١٠٨	٩٠٣
﴿وَإِنِ الْحَسَنَتِ يُذْهِبِ السَّيِّئَاتِ﴾	١١٤	٣١٢٨ ، ٢٠٧٥
﴿فَقُلْ لَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنَہُوتِ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾...	١١٦ ، ١١٧	٣٨٥
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾...	١١٨ ، ١١٩	٢٥٢٧ ، ١٢٥
﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ. فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾	١٢٣	٣١٥٠ ، ٨٢٩

١٢ - يوسف

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	٢	٢٧١٢ ، ٢٦٣٠
﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾	٣	٢٦٤٠
﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَخِيهِ يَأْقُوبَ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾	٤	٣٢٣٣ ، ١٣١٠ ، ١٤٦
﴿قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْصُصْ رُءُوكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ﴾...	٥ ، ٦	٣٢٣٣ ، ١٤٦ ، ١٤٢
﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾	١٥	٣٢٢٥
﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾	١٧	٢٥٨٢ ، ٤٦٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا وَ عَلَى قَيْصِيهِ يَدْمِرُ كَذِبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾	١٨	٣٢٢٥ ، ٢٧٦٤
﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾	٢١	٣٢٣٧ ، ٢٢٠٥ ، ٢٢٠٤
﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَاءُ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَتْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾	٢٣	٣٢٣٧
﴿كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾	٢٤	١١٤
﴿وَأَسْتَبَقُوا الْآبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصِيهِ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيْهَا سَيْدَهَا لَدَا الْآبَابِ ...﴾	٢٥ - ٢٩	٣٢٣٧ ، ١٦٢٧
﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتُنْهَى عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ...﴾	٣٠ - ٣٢	٣٢٣٥ ، ٢٧٩٩ ، ٢٤٦٧
﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لِيَسْجُنَهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾	٣٥	٣٢٣٨
﴿وَوَدَّخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾	٣٦	٣٢٣٨ ، ٥٦٤ ، ٥٦٣ ، ٩٣ ، ٨٣
﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾	٣٧ - ٤٠	٢٨١٣ ، ٢٣٩٠ ، ٣٤١
﴿فَيَسْقَىٰ رَبَّهُ خَمْرًا﴾	٤١	٣٢٣٤ ، ٢٨١٦ ، ٢٨١٤
﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَأْتُونِي بِهَذَا فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ ...﴾	٥٠ - ٥٢	٣٢٣٨ ، ٢٨١٩ ، ٢٥٢
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَأَمَّارٌ بِالسُّوءِ﴾	٥٣	١٤٤١ ، ٤٦٤
﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَأْتُونِي بِهَذَا اسْتَخْضَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ آمِينَ﴾	٥٤ - ٥٦	٣٢٣٩ ، ٢٠٩٩ ، ٩٩٢
﴿قَالَ هَذَا أَمْرُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَرْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾	٦٤	١٣٦١ ، ٩٩٣
﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ آخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ آخِيهِ﴾	٧٦	٢٥٣٤ ، ٢٥٣٣ ، ١٢٥٢
﴿فَلَمَّا أَتَى الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِهُ آيَةٌ أَوْ يُنْكِرَ اللَّهُ لَهُ وَهُوَ خَيْرُ الْمُتَكِبِينَ﴾	٨٠	١٠١٧
﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ ...﴾	٨٣ - ٨٦	٣٢٢٥
﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾	٨٧	١٣٥٦ ، ١٢٠٤ ، ٨٩٥
﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾	٨٩ ، ٩٠	٣٢٢٥
﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾	٩١	١٤٣
﴿قَالَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	٩٢	١٣٦١ ، ١٣٦٠
﴿أَذْهَبُوا بِقِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِهُ إِنِّي بَاتٍ بِصِيرًا وَأَتُوفٍ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٩٣	٣٢٢٥
﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	٩٨	٢٢٠١
﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَبَّابَتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾	١٠٠	٢٦٢٣ ، ١٠٦١ ، ١٠٢٩ ، ٨٩
﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٠١	٢٨٥٦ ، ٢٢٣٩ ، ٢٢٣٦ ، ١١٩١
﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾	١٠٣	١٠٣٣
﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾	١٠٨	٢٦٤١
﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلَ وَطَلُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾	١١٠	٣١٩٥
﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾	١١١	١١١٤

الآية	رقمها	الصفحة
١٣ - الرعد		
﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾	٢	١٩٨ ، ١٤٠٩
﴿وَلَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُكُمْ إِذْ دَا كُنَّا تَرْبَا إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	٥	٥٢٧ ، ٢٠١٢
﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾	٧	٣٠١٤ ، ٣٠١٥
﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾	٩	٢١٢٨ ، ٢٤٢٩
﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾	١١	٩٩٠
﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَتَاخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾	١٦	٨٥ ، ٨٠٣ ، ١٣٤٧ ، ١٤٣٥
		٢٣٨٩ ، ٢٣٩٠
﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾	١٨	٩٦
﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ﴾	٢٠	٢٩٠٨
﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾	٢٣	٢٨٠٧
﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾	٢٧	٢٢٣٠
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	٢٨	٣٠١ ، ١٠٥٩ ، ١٣٠١
﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾	٣١	٣١٣٢
﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾	٣٣	٢٤١٨ ، ٢٤٢٢
﴿مِثْلُ النِّجْنَةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا﴾	٣٥	٩٠٣
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾	٣٨	١٣٨٠ ، ٢٧٤٣
﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾	٣٩	٥٨ ، ٢٤٥٢ ، ٢٤٥٣ ، ٢٥٧٠
﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	٤١	٩٢٥
١٤ - إبراهيم		
﴿الرَّ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾	١	٢٩٣٦
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ﴾	٤	١٨٥٦
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَكُنَّ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾	٥	١٧٥٢
﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَجْبُكُمْ لَمِنْ شَكْرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾	٧	١٣٣ ، ١٠٦٠ ، ١٦٩٣
		٢٣٢٧ ، ٢٨٣٥ ، ١٦٩٧
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيرٌ حَكِيمٌ﴾	٨	٢٢١٤
﴿وَأَنَا لَفِي شَكِّ يَمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾	٩	٢٥٠٧
﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٠	١١٩٣ ، ٢٢٣٦ ، ٢٢٣٨
		٢٢٤٠ ، ٣٠٨٦
﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾	١١	١٣٨١ ، ٢٨٣٤
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾	١٣	٤٦٤ ، ٢٥٧٩
﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ۖ﴾	١٥ - ١٧	٨٥٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمًا اسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾	١٨	١٨٩١
﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾	٢٢	١٧٣٠
﴿يَسِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾	٢٧	٧٣٢، ١٨٢٧، ٢٠٢٦، ٢٢٦٨، ٢٢٦٧، ٢٠٢٧
﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾	٣٠	٤١١
﴿وَأِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾	٣٤	٢١٨٧، ٣٢٠٦
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾...﴾	٣٥، ٣٦	٣٧، ٤٥٠، ١٨٦٦
﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي رِزْقٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ﴾	٣٧	٢٥٦، ٢٥٧، ٤٦٢
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ﴾	٣٩	٢٥٦
﴿رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ آجَلٍ قَرِيبٍ﴾	٤٤	٢٧٨٠
﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾	٤٨	٩٧٨، ٢٣٨٩

١٥ - الحجر

﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُنَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾	٦	٢٦٤٢
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٩	٩٩٣، ٢٣٦١، ٢٤٦٠
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَجِ الْأَوَّلِينَ﴾	١٠	١٣٨٠
﴿وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾	٢١	٢٣٠٧
﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ الْفَاذِ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْثَقِقَ كُفُّهُمْ﴾	٢٢	١٥٢٩
﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾	٢٣	١٠٤، ٣٠٧٢
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾...﴾	٢٦، ٢٧	٨٨٩، ٨٩٠
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾...﴾	٢٨، ٢٩	١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ٢٧٩٥
﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾	٣٠	٢٨٠١
﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُذِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾...﴾	٣٩، ٤٠	٩٧١
﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾	٤١	١٨١١
﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾	٤٢	٩٧١
﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾	٤٤	١٩٧٨
﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ شُرُرٍ مُتَقَلِّبِينَ﴾	٤٧	١٧٧١
﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾	٥٢	١١٤٤
﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾	٥٦	٣١٩٢
﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَلُّوا﴾	٦٨	٢٢٤٧
﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَايَتَذَكَّرُ لِقَائِهِ﴾	٧٥	٢٢٧٢
﴿وَإِنْ كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ لَطَالِيْمٍ ﴿٧٨﴾ فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ﴿٧٩﴾...﴾	٧٨، ٧٩	١٦٨٥، ١٦٨٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَيَّدْنَاهُمْ بِأَيِّدِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨٧﴾...﴾	٨٠ ، ٨١	١٧٣٩
﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٨﴾﴾	٨٦	١١٨٧
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَتَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٩﴾﴾	٨٧	٢٠١٣ ، ٦٧١
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٠﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾...﴾	٩٢ ، ٩٣	٩٤٥ ، ٤٦٤
﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٢﴾﴾	٩٥	٢٤٢٦
﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٣﴾﴾	٩٩	٣٢٣٠ ، ١٩٨٦

١٦ - النحل

﴿يُرْسِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا ﴿١﴾﴾	٢	٢٨٠٠ ، ٢٥٤١
﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٢﴾﴾	٤	٥١٠
﴿وَعَلَّمْنَاهُ صِلَاً وَأَلْتَجَمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾	١٦	٧٤٨
﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾	١٧	٧٩٦
﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا ﴿٥﴾﴾	١٨	٢٨٣٨ ، ٢٢١٦
﴿فَأَقْصَىٰ اللَّهُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴿٦﴾﴾	٢٦	٢٦٠٤
﴿الَّذِينَ نُوَفِّيهِمُ الْمُلْكَ طَيِّبِينَ يَقُولُوا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾	٣٢	٢٨٦٥ ، ٢٨٢٥ ، ٧٨
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٨﴾﴾	٣٦	١٦٧٤ ، ١٣٨٠ ، ٧٩٣ ، ٨
﴿إِنْ تَحْرِضْ عَلَىٰ هُدْيِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴿٩﴾﴾	٣٧	٢٤٦١ ، ١٩٨١ ، ١٩١١ ، ١٩١٠
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَشَاءُ أَهْلَ الذِّكْرِ... ﴿١٠﴾﴾	٤٤ ، ٤٣	٣٠٤٤
﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخِفَّ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ ﴿١١﴾﴾	٤٥	٢٩٣٣ ، ٢٨٨٥ ، ٢٨٨٤
﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١٢﴾﴾	٥٠	٣٨٨
﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا لِلَّذِينَ آتَيْنَا بِهَا نِعْمًا هُوَ إِلَهُكُمْ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونِ ﴿١٣﴾﴾	٥١	٢٨٠٥ ، ٢٨٠٣ ، ٢١٢٤
﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ تَعَمُّقٍ فَمِنْ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مِنْكُمْ الظُّرُفُ فَلْيَتَذَكَّرُوا ﴿١٤﴾﴾	٥٣	١٤٢٩
﴿وَيَعْمَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿١٥﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ... ﴿١٦﴾﴾	٥٧ - ٦٠	٢٧٢٣ ، ٩١٠
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١٧﴾﴾	٦١	٢٩٦٤ ، ٢٥٩٩ ، ٢٤٠٤ ، ٢٤٠٣ ، ٢٤٠٢ ، ٢٤٠١ ، ٢١٢٦
﴿وَيَعْمَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴿١٨﴾﴾	٦٢	٢٨٥٥ ، ١٠٥٣
﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴿١٩﴾﴾	٦٨	٢٤٠٣
﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْزَلِكُمْ بَيْنَ وَحَدَّةٍ ﴿٢٠﴾﴾	٧٢	٣٤٧
﴿فَلَا تَصْرِيحُوا لِلَّهِ الْإِمْتِنَانُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾	٧٤	٢٥٢٩
﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٢٢﴾﴾	٧٨	٢٩٦٨
﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾	٨٣	١٠٧٧
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴿٢٤﴾﴾	٩٠	٢٨٣٨ ، ٢٨٣٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾	٩١	٢٥٠٨
﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾	٩٣	١٨٥٦
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِئىُّ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾	٩٧	٢١٧٤ ، ٧٩٨
﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَرْكُؤْنَ﴾	٩٩	١٧٣٢
﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	١٠٢	٢٨٠٥ ، ٢٣٥١ ، ٨٦٤ ، ٨٥٩
﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٥﴾ ...﴾	١٠٥ ، ١٠٦	٧٠٥ ، ٣٢٤ ، ٣٢٣
﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثَمَّ جَاهِدُوا﴾	١١٠	٢١٤٩ ، ١٣٦٩ ، ١٣٦٧
﴿فَكُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلٰلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾	١١٤	٩٥٧
﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ عَرَّ بَاغٍ﴾	١١٥	١٦٩٤
﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	١٢٠	٢٢٢١
﴿وَمَا تَلْنٰهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾	١٢٢	٢٣٨٦ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٣ ، ٧٧٨
﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	١٢٣	١٧٤٢
﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	١٢٥	٣٢
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُخْسِتُونَ﴾	١٢٨	٣١٧٢
﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٦﴾ ...﴾	١٢٠ - ١٢٣	٢٧٦٣ ، ٢٧٦٠ ، ٢٧٥٨ ، ٩٨
١٧ - الإسراء		١٦٩٣ ، ٣٤
﴿سُبْحٰنَ الَّذِى أَسْرٰى عَسْبِدِيۦءَ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾	١	١٤٣٩ ، ١٠١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٠
﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾	٣	١٦٩٣
﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولٰٓئِهٖمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولٰٓئِى سَدِيقٍ﴾	٥	٢٥٢٧
﴿وَإِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾	٧	٩٥
﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلِّى هِىَ أَقْوَمُ﴾	٩	٢٣٦٢
﴿وَكُلِّ إِنْسٰنٍ أَلَمِنَهُ طَعْمُهُ فِي عُنُقِهِۦ وَنُخِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَتَبًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣٦﴾ ...﴾	١٣ ، ١٤	١٧٨٠ ، ٩٤٨ ، ٩١٧
﴿مَنْ أَهْتَدٰى فَأِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِا وَلَا نُزْرَ وَارِدَةٌ وَزَرَ أُخْرٰى﴾	١٥	٣٢٥١ ، ٢٤٧١
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ﴾	١٧	٥٨٩ ، ٥٨٨ ، ٤٣٣ ، ٣٥٤
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾	١٨	٢٤١٣ ، ٢٤٠٩ ، ١٩٠٠ ، ١٧١٧ ، ١٧١٦ ، ١٣٨٣
﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا﴾	٢٢	١٣٩٤ ، ١٣٩٣
﴿وَقَضٰى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلٰهًا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ لِلَّذِينَ إِحْسَنًا﴾	٢٣	١٦٦٢
﴿إِن تَكُونُوا صٰلِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّلِينَ غَفُورًا﴾	٢٥	٧٧٩
﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهُا كُلَّ الْبَسْطِ﴾	٢٩	٢٥٢٦ ، ٩٥
		١٧٤٥
		٢٣٠٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾	٣٠	١٣٧٥، ١٣٧٨، ١٣٠٧
﴿وَلَا تَقُولُوا أَوْلَدُكُمْ خَشِيَ إِلَهُمُ لَنَنزِلَنَّهُمْ وَإِنَّا لَنَاسِخٌ لَّهُمْ وَلَا نَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾	٣١	١١٤٣
﴿وَلَا تَقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾	٣٢	٥٨٧
﴿كُلْ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾	٣٦	٢٥٥، ٦٩٦، ٩٣٣، ١٣٢٤، ١٨٣٠، ١٧٠٨
﴿ذَلِكَ بِمَا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾	٣٨	٢٧٧٨، ٢٤٨٨، ٥٣٤
﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَّا لَكُنَّا بِالسَّيْلِ سَبيلاً﴾	٣٩	١٠٣٨، ١٠٢٩
﴿يَسْجُدْ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسْجِدُ بِحَمْدِهِ﴾	٤٢	٢٠٤٨
﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾	٤٤	١٥٣٤، ١٥٣٣، ١٠٥١، ٦٠٧
﴿قُلْ كُونُوا حِجَابًا أَوْ حِيدًا ﴿٥٥﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْفُرُ فِي صُدُورِهِمْ...﴾	٤٦	٢٤١٧، ١٨٩٨
﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلنَّاسِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾	٥٠، ٥١	٣٢٥٧، ٢٢٣٧، ٢٢٣٥
﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾	٥٣	١٧٣١
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾	٥٥	٤٥٨، ٦٧٦، ٦٧٩، ١٢١٣
﴿وَإِن مِّن قَرَبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾	٥٧	٢٩٣٤، ٢٠٩٩، ١٤٦٤
﴿وَأَنبِئْنَا نَمُودَ الثَّاقَةَ مُبِيرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾	٥٨	١٣٥١، ٨٣٩، ٨١٦، ٣١١
﴿وَمَا جَعَلْنَا الرِّيَاءَ الَّتِي أَرَيْتُكَ إِلَّا فَتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾	٥٩	١٩٨٣
﴿وَرَادَا مَكَّكُمْ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن دَعَا إِلَىٰ إِثْمِهِ﴾	٦٠	٢٩٦٦
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الدَّرَجَاتِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾	٦٧	١٧٣٨
﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِسْمِهِ فَمَن أَوْفَىٰ وُكَيْتِهِ يَمِيسِهِ فَأُولَئِكَ﴾	٧٠	١٣١٦، ٢١٣
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾	٧١	٣٠٧٤
﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾	٧٩	٦٧٦، ٦٧٥
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٨٢	١٧٨١
﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾	٨٥	٢٧٧٦، ٢٧٧٤
﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْتِيَكَ لَكَ حَقٌّ تَفْجُرُ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ...﴾	٨٨	٢٣٥٨، ١٤١٨
﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا...﴾	٩٠ - ٩٣	٢٣٧٤، ١٤٣٤، ٧٢٣
﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُم أُولِيَاءَ مِن دُونِهِ...﴾	٩٠ - ٩٣	٢٦٣٨، ٢٣٥٥، ٢٩٣
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّسَيِّئَةِ بَنِي إِسْرَءِيلَ...﴾	٩٨، ٩٧	٢٦٤٢، ٦٠٨
﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾	٩٨، ٩٧	١٨٩٠، ٩٧٩، ٥٢٨
	١٠١، ١٠٢	٢٨٧٠، ٢٨٦٩، ٢٧٤٣
	١١٠	١٣٦٠، ٦٦٣، ٢٤٦، ٢٤١
		٣١٠٦، ٢٥٥٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكُوتِ﴾	١١١	٢٤٣١
١٨ - الكهف		
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ...﴾	٢، ١	١٠٥٦، ١٩٠١
﴿وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رِسَدًا﴾	١٠	١٣٩٨، ١٣٩٩
﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ...﴾	٢٣، ٢٤	١٥٤، ٢٦٩٩
﴿وَلَا يَشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾	٢٦	١٦٥٥
﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾	٢٨	١٤٨٥، ١٧٤٦
﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾	٢٩	١٣٨، ٣١٦، ٨٥٥، ٢٣٢٨، ٢٧٦٦، ٢٩٢٠
﴿يُحْمَلُونَ فِيهَا مِنْ آسَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾	٣١	٩٠٤
﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ. قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٢٥﴾...﴾	٣٥ - ٣٧	٢٥٠٣
﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾	٣٩	٢٣٩٣
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾	٤٥	٢٣٣٠، ٢٣٣١
﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾	٤٧	٩٧٨
﴿وَعَرَّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾	٤٨	٢٠٥٢
﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَلِّئُنَا﴾	٤٩	٨٣، ٣٥٢، ١٠١٨، ١٩٦١، ٢٤٦٨، ٢٤٧١
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾	٥٠	١٧٣١، ٢٢٩٢
﴿مِمَّا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾	٥١	٣٢٠، ٣٢١، ١١٩٢
﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾	٥٨	١٣٥٨
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ لَا أَنْبِئُكُمْ بِخَبَرٍ أَبْلَغَ مِنْ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ...﴾	٦٠، ٦١	٢٨٧٨، ٢٨٧٩، ٣٢٤٠
﴿قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي عَدَاةٌ لِقَوْمٍ سَفَرْنَا هَذَا نَصَبًا﴾	٦٢	٢٨٧٩، ٣٢٤٠
﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخَرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾	٦٣	٢٨٧٩، ٣٢٤٠
﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرَادُوا عَلَى آثَارِهَا فَصَصًا﴾	٦٤	٢٨٧٩
﴿وَمِمَّا عَلَّمَتْ رُسُلًا﴾	٦٦	٢٨٧٩
﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٧٨﴾...﴾	٦٧، ٦٩	٢٨٧٩
﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾	٧٤	٣٧٧
﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾	٧٧	٢٨٨٠
﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾	٧٩	٢٨١٩
﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٨٥﴾...﴾	٦٥ - ٨٢	١١٥٤، ١١٥٥، ١٧٤٥، ٢٨٧٨، ٢٨٨٠
﴿وَوَالَيْتَنِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًا ﴿٨٨﴾ فَأَنْبِئْ سَبِيًا ﴿٨٩﴾...﴾	٨٤، ٨٥	١٣٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجدهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ ٩٠ - ٩٣	٩٣ - ٩٠	٣١٨٨
﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ ٩٣ - ٩٩	٩٩ - ٩٣	٣١٨٦
﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الضَّالِّينَ﴾	٩٦	٣١٨٨
﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾	٩٧	٢١٣١ ، ١٩٤٩
﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ وَفُيْضَ فِي الصُّورِ جَمْعَهُمْ جَمْعًا﴾	٩٩	٣١٨٥ ، ٢٩٨٠
﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾	١٠١	١٦٧ ، ١٦٥ ، ١٦٣
﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾	١٠٥	٢٩١٣
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ ١٠٧ - ١٠٨ ، ١٤٤٠ ، ٢٢٨٠ ، ٢٢٨٢	١٠٧ - ١٠٨ ، ١٤٤٠ ، ٢٢٨٠ ، ٢٢٨٢	٢٢٨٣
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجِدْتُ﴾	١١٠	١٠١٠ ، ٨٩٩ ، ١١٢
١٠١٢ ، ١٣٠١ ، ١٣٣٥ ، ١٦٣٩ ، ١٦٤٤ ، ١٦٤٥ ، ١٩٨٠ ، ٢١٧٤ ، ٢٦٥٢		
١٩ - مريم		
﴿كَهَيْعَصَ ﴿١﴾ ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ...﴾	١ - ٨	٢٢٥٠ ، ١٤٧٦ ، ١٤٧٧
﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ ءَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ ١٠ ، ١١	١٠ ، ١١	٣١٩٧
﴿وَيَسْمِعِيْ خُذِ الْكِتَابَ يَقُوْهُ وَءَايَتُنَا الْحَكَمُ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةٌ...﴾ ١٢ ، ١٣	١٢ ، ١٣	١٤٧٥
﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةٌ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالَدَيْهِ...﴾	١٣ - ١٥	٣١٩٨
﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١١﴾...﴾	١٦ - ٢٦	١٤٧٧
٢١٨٤ ، ٢٣٢٥ ، ٢٣٢٦ ، ٢٤٧٣ ، ٢٦٧٨ ، ٢٨٠١		
﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوْكَ أَمْرًا سَوًى وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بِغِيًّا﴾	٢٨	٢٦٧٧
﴿فَأَنَّتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يُنَمِرُهُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿١٧﴾...﴾	٢٧ - ٣٤	٢١٧٩ ، ٤٠٥
﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٣٩	٣٢٤٨ ، ٢٨٥٣ ، ١٤٤١
٣٢٥٥ ، ٣٢٥٤ ، ٣٢٤٩		
﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صَدِيقًا نَّبِيًّا ﴿١١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ...﴾	٤١ - ٤٥	١٦١٤ ، ٥٢٤ ، ٣١
﴿فَلَمَّا أَتَاهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾	٤٩	٢٠٨
﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِذْ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿١٠﴾...﴾	٥١ ، ٥٢	٢٨٦٩
﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَرُونَ نَبِيًّا﴾	٥٣	٣٠٢٣ ، ٣٠٢٠
﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِذْ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾	٥٤	٢٦١ ، ٢٥٩
﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِذْ كَانَ صَدِيقًا نَّبِيًّا ﴿١٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿١٧﴾...﴾	٥٦ ، ٥٧	١٢٠ ، ١١٨ ، ١١٦
﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾	٥٨	٣١١٥
﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾	٦٤	٨٦٣ ، ٨٦٠
﴿هَلْ نَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾	٦٥	٨٨٤ ، ٧٤٤ ، ٦٣١ ، ٨٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَوَيْلٌكَ لَشَحْشَرَتِهِمْ وَالشَّيْطَانِ ثُمَّ لَنَحْضَرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثَّةً...﴾	٦٨ ، ٦٩	٤٦٤ ، ٩٧٨
﴿وَلَنِ يَنْكُرُ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾	٧١	٤٣٦ ، ١٧٩٩ ، ١٨٠٠
﴿ثُمَّ نَسِجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَّةً﴾	٧٢	١٧٩٩ ، ١٨٠٠ ، ١٨٠١ ، ١٨٠٣
﴿كَلَّا سَتَكُنُّبُ مَا يَقُولُ﴾	٧٩	٢٤٣٩
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانِ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرَهُمْ آذَا﴾	٨٣	٢٥٢٧
﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾	٨٥ ، ٨٦	٤٣٩
﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا عِندَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾	٩٣	١٩٨٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾	٩٦	١٧٤٢ ، ٣٠٩٢ ، ٣٠٩٥

٢٠ - طه

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾	٥	٤٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٣١٩
﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾	٦	١٩٨
﴿وَلَنِ يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْسِرَّ وَخَفَى﴾	٧	٢٠٩٨
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾	٨	٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤٨
﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا يُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾	١٥	٣٢٥٧ ، ٣٢٥٦ ، ٣٩٤
﴿وَمَا تِلْكَ بِسَمِينِكَ يَمْوَسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا...﴾	١٧ - ٢٣	٢٨٧٠
﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾...﴾	٢٤ - ٣٦	٣٠٢٠ ، ٣٠٢١ ، ٣٠٢٢
﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٢٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ﴿٢٨﴾...﴾	٣٧ - ٣٩	٢١٨٥ ، ١٨٢٣ ، ٥٢٥
﴿وَقُلْتَ نَفْسًا فَجِيعًاكَ مِنَ الْعَمْرِ وَفَنَّاكَ فَوْهًا فَلَيْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدِينٍ﴾	٤٠	٢٨٨٢ ، ٢٨٨١
﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾	٤١	٢٩٨٩
﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا نَبَأًا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾...﴾	٤٢ - ٤٨	٢٨٧٢
﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا نَبَأًا فِي ذِكْرِي﴾	٤٢	٣٠٢٠
﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَنَا لَعَلَّهُ يُبْذَرُ أَوْ يُخْشَى﴾	٤٣ ، ٤٤	٣١٧٢ ، ٣٠٢١
﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾	٤٦	٢٧٥٩ ، ١٦١٦ ، ٥٢٥
﴿فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾	٤٧	٣٠٢٠
﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَى ﴿٤٨﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٤٩﴾...﴾	٤٩ - ٥٢	٢٨٧٢ ، ٣٤٤
﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾	٥٠	٩٩٢ ، ٣٠١٥ ، ٣٠٣٧ ، ٣٠٤٣
﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾	٥٢	٢٤٤٦
﴿وَمِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾	٥٥	١١٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا...﴾	٦٣ ، ٦٤	٢٨٧٣
﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَهُمْ يَخْلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ إِنَّمَا تَسْعَى﴾	٦٦	١٥٤٢ ، ١٥٤٩ ، ١٥٥٠
﴿وَلَا يَفْلُحُ السَّالِحُ حَيْثُ أَتَى﴾	٦٩	١٥٤٠ ، ١٥٥٠
﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ٧٦﴾...﴾	٧٤ - ٧٦	١٧٤٤ ، ٣٢٥٦
﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ بِنَاسٍ﴾	٧٧	١١٤٣
﴿وَمَنْ يَخْلِلْ عَلَيْهِ عَصِي فَعَدَّ هُوَى﴾	٨١	٢١٩٦
﴿وَلَا تَطْعُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ عَصِي وَمَنْ يَخْلِلْ عَلَيْهِ عَصِي فَعَدَّ هُوَى﴾	٨١	٢١٩٧
﴿وَلِيَّ لَقْفَارٍ لَمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾	٨٢	٢٢٠٠ ، ٢٢٠٣
﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَقَوْمِ لِمَ يَعِدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا...﴾	٨٦ ، ٨٧	٢٨٧٥
﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾	٨٨	٢٨٧٥
﴿أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا تَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾	٨٩	٢٤٠٣
﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾	٩٠	٣٠٢١
﴿فَأَنبِئُونِي وَاطِيعُوا أَمْرِي ٩١﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَدُوِّينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ٩٢﴾...﴾	٩٠ ، ٩١	٢٨٧٥
﴿قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ٩٣﴾ أَلَّا تَتَّبِعَ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي ٩٤﴾...﴾	٩٢ - ٩٤	١١٤٣ ، ٢٤٦٦ ، ٢٨٧٥
﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُ ٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ...﴾	٩٥ - ٩٨	٢٨٧٥ ، ٢٨٧٦
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْبَيْتِ الَّذِي يُبْسَفُ لَكَ رَبِّكَ ١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ١٠٦﴾...﴾	١٠٥ - ١٠٧	٤٣٨
﴿وَنُفِثَتْ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾	١٠٨	١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾	١١٠	٧٢٢ ، ٧٨٦
﴿وَعَنَتِ الْأُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾	١١١	١١٠١ ، ٢٤٢٠
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَفُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا﴾	١١٢	١٩٦٢ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٦
﴿فَنَعْلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾	١١٤	٩٩٦ ، ١١٥٧ ، ٢٨١٩
﴿فَأَكْلًا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهَا سَوءُ نَهْمًا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ...﴾	١٢١ ، ١٢٢	٢٠٦٢ ، ٢٥٧٩ ، ٢٨٨٢
﴿قَالَ أَهِيطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِنَّمَا يُلَيْسُكُمْ مِنِّي هُدًى﴾	١٢٣	٦
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾	١٢٤	١٢٩٧ ، ١٨٨٦ ، ٣٢٥١
﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾	١٣٠	٦٠٦
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	١٣١	١٤٨٥ ، ٣١٦٤

٢١ - الأنبياء

﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾	١	٩٢٤
﴿أَفَنُتْلُوا السِّحْرَ وَأَنشُرُ بُصُرُونَ﴾	٣	١٥٤١
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوُا أَهْلَ الذِّكْرِ...﴾	٧ ، ٨	١٣٩٠ ، ٢٩٣٥
﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ١٦﴾ يُسْحِقُونَ الْإِيلَ...﴾	١٩ ، ٢٠	٥٥٧ ، ٢٠٦٤ ، ٢٨٠١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	٢٢	١٢٤٥ ، ٦٠٨
﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُنْشِتُونَ﴾	٢٣	٢٤٤٨ ، ٢٣٢٤ ، ١٨٩١
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾	٢٥	٢٥٤١ ، ٢٥٣٩ ، ٢٠٩١ ، ١٩٨١
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ ...﴾	٢٦ - ٢٩	١١٤١ ، ١٦٨٩ ، ١٦٩٠
﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾	٣٠	٢٤٦٦ ، ٢٧٩٦ ، ٢٧٩٧ ، ٢٨٠١ ، ٢٨٠٣
﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ﴾	٣٢	٩٩٤
﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾	٣٤	١١٥٦ ، ١١٥٢ ، ٣٥٨
﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾	٣٥	٢٢٦٢ ، ١٠٣٣
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾	٤٥	١١٥٢
﴿وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تَظْلِمَ نَفْسٌ شَيْئًا﴾	٤٧	١٢٥٤ ، ٩٧٢ ، ٩٤٥ ، ٩١٨
﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾	٥٠	٢٣٧٨ ، ٢٦٧٢ ، ٢٧٨٧ ، ٢٩١٠ ، ٢٩١٣
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ ﴿٥١﴾ أَفِ لَكَ ...﴾	٥١ - ٦٧	٥٦٩
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ﴾	٥١	٣٢ ، ٣١
﴿وَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بَالِهَتَنَا بِتَابِرِهِمْ﴾	٦٢	٣٤ ، ٢٨
﴿بَلْ فَعَلَهُ كَيْدُهُمْ هَذَا﴾	٦٣	٣٥
﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ...﴾	٦٨ - ٧٠	٣٧ ، ٣٥
﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾	٧٢	٣٣ ، ٣٠
﴿وَادْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾	٧٥	١٧٤٢
﴿وَأَنْوَبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الصُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	٨٣	١٧٤٤
﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾	٨٤	١٣٦١ ، ٤٨٧
﴿وَلِئَلَّيْسَ كَيْدُ الْإِنْسَانِ إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ ...﴾	٨٥ ، ٨٦	٤٨٧
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا لَهٗ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾	٨٥ ، ٨٦	١٣٠٣ ، ٢٦١ ، ١١٦
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا لَهٗ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾	٨٥ ، ٨٦	١٧٤٢ ، ١٣٩٢ ، ١٣٠٥
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا لَهٗ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾	٨٩ ، ٩٠	١٤٠٥ ، ١١٣٥ ، ٩٥٨
﴿وَالَّتِي أَحْصَلَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً﴾	٩١	٣٠٧٣ ، ٣٠٧٢ ، ١٤٧٧ ، ١٤٣١ ، ١٤٢٩ ، ١٤٠٧
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾	٩٤	٢١٨٤
﴿حَقٌّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾	٩٦	٢٤٤٢
﴿لَا يَخْرُجُ مِنْ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ﴾	١٠٣	٣١٨٦
﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ تُعِيدُهُ﴾	١٠٤	٢٨٥٣ ، ٤٤٥ ، ٤٣٩ ، ٤٣٦
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا﴾	١٠٥	٢٨٩٤ ، ١٩٣٥ ، ٩٧٩ ، ٣٤
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا﴾	١٠٥	٢٤٣٩ ، ١٧٤٢ ، ١٤٦٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧	٢٩٣١ ، ١٠١٤
﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾	١٠٨	٣٤٠
﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾	١١٢	٢٧٦٤ ، ١٧٦
٢٢ - الحج		
﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾	٢ ، ١	٤٤٥ ، ٤٤٢ ، ٤٣٨
﴿فَإِذَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾	٥	١٣٨
﴿يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ ۝١١﴾	١١	١٧٥٣
﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾	١٣	٢٠٠١
﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	١٧	١٧٢٤
﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾	٢٥	٣٢٩
﴿وَطَهَّرَ بَنِي اللَّطَّافِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾	٢٦	٢٧٢٥ ، ٢٧٢٤ ، ٢٧٢٣
﴿وَلَوْ أَنَّا لَأَبْرَهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا ۝٢٦﴾	٢٦ - ٢٣	٦٧١
﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾	٢٩	٢٩٤١ ، ٢٩٣٩
﴿وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآَنَعُمُ﴾	٣٠	٢٠٦٩ ، ٦٧٣ ، ٤٤٧
﴿حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ۝٣١﴾	٣١	٢٥٤٦ ، ١٤٥٠ ، ١٣٥٠ ، ١٠٧٤
﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾	٣٢	٢٠٦٩ ، ٦٧٣
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَسْكَاتًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ ۝٣٤﴾	٣٤ ، ٣٥	١٢٧٢ ، ١٠٩ ، ١٠٨
﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ بِنَآئِهِ التَّقْوَىٰ وَبِكُمْ ۝٣٧﴾	٣٧	١٢٧٩
﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَاوَا الزَّكَاةَ ۝٤١﴾	٤١	٣٨٥ ، ٣٧٨
﴿وَإِنْ يَكْذِبُواكَ فَتَدَبَّ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ۝٤٢﴾	٤٢ - ٤٤	٢٥٧٦ ، ١٦٨٦
﴿فَكَأَيُّ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِسَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ۝٤٥﴾	٤٥ ، ٤٦	١٧٤٠ ، ٦٦٦
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۝٤٦﴾	٤٦	٢٠٨٦ ، ٢٠٨٦ ، ١٢٩١
﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾	٤٧	٣١٣٢ ، ٣١٢٣
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْفَى الشَّيْطَانُ ۝٥٢﴾	٥٢ ، ٥٣	٢٦٢٠ ، ٢٦١٨ ، ٧٦٩
﴿وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۝٥٤﴾	٥٤	٣٠١٤ ، ١٠٨ ، ١٠٧
﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِلَيْكَ اللَّهُ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾	٥٨	١٣٧٦
﴿ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ۝٦٢﴾	٦٢	٢٥٣٩ ، ٢٤٢٩
﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْكَ اللَّهُ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾	٦٤	١٠٦٥
﴿إِنَّ اللَّهَ يَالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	٦٥	١٣١٩
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۝٧٠﴾	٧٠	٢٤٤٨ ، ٢٤٤٦ ، ٢٤٤٢ ، ٢٣٢١
﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ ضَرِبْ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ إِلَٰهَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۝٧٣﴾	٧٣	١١٨٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿اللَّهُ يَصْطَلِي رَبِّكَ الْمَلَكَةَ رَسُولًا وَرَبَّكَ النَّاسِ إِلَهُكَ اللَّهُ سَجِيحٌ بَصِيرٌ﴾	٧٥	٦٨٠ ، ١٠١٤ ، ١٣٨٠
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ...﴾	٧٨ ، ٧٧	٢٨٢ ، ٤٧٢ ، ٧١٥
		٣١٨٤ ، ٢٨١٣
٢٣ - المؤمنون		
﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾	٢ ، ١	١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ٢٤٤٠
﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾...﴾	٩ - ٢	٢٢٨١
﴿أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْآخِرَةَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤﴾	١١ - ١٠	٢٢٨٢ ، ٢٢٨٠
﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٥﴾	١٤	٥١٠ ، ١١٨٦ ، ١١٨٨ ، ٢٤٠٠
﴿مَا هَذَا إِلَّا بشرٌ يَمْلِكُ يُريدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾	٢٤	٦٧٥
﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْبَعْ أَفْئِكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنْزِيلُ...﴾	٢٧	٢٩٩٨
﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيمَانِ الْآخِرَةِ وَأُفِّرْنَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾	٣٣ - ٣٨	١٩٢ ، ٣٠٦٦
﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا ﴿٦﴾	٤٤	١٣٨١ ، ٣٠٧٩
﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٧﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ...﴾	٤٥ ، ٤٦	٢٨٦٩ ، ٢٨٧٢ ، ٣٠٢٠
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٨﴾	٤٩	٢٨٧١
﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَى ثَوْبٍ ذَاتِ قِرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٩﴾	٥٠	٢١٧٩ ، ٢١٨٠
﴿يَتَأْتِيَ الرُّسُلَ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾	٥١	١٩٣٩
﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿١١﴾...﴾	٥٧ - ٦١	٧٧٨ ، ١١٤١ ، ١١٤٢
		١١٩٩ ، ١٣٥٣ ، ١٢٠٠ ، ١٧٩٦ ، ٢٧٨٩
﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُمْ مُكَرَّمٌ ﴿١٢﴾	٦٩	١١٤٦
﴿قَالُوا أَهَذَا مَثَنًا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْلًا أَوَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٣﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ...﴾	٨٢ ، ٨٣	٣٢٥٧
﴿قُلْ لِيَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ...﴾	٨٤ - ٨٧	٤٩ ، ٢٠٤٨
﴿وَمَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كُنَّ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ...﴾	٩١	٧٥٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥
		١٦٧٩ ، ١٨٣٥
﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الْقَاطِطِينَ ﴿١٥﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١٦﴾	٩٧ ، ٩٨	٧٨ ، ١٧٠ ، ٢٨٦٤
﴿حَقٌّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٧﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا...﴾	٩٩ - ١٠٠	٦٩ ، ٧٤ ، ٥١٦ ، ٥١٧
		٢٨٦٠ ، ٢٨٥٦
﴿تَلَفَحَ وَجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿١٨﴾	١٠٤	١٣٨
﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٩﴾	١٠٩	١٣٦٠ ، ١٣٦٢
﴿أَفَحَبِيبُكُمْ أَمَّا خَلَفْنَكُمْ عَسَا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿٢٠﴾	١١٥	١٠٣٩
﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿٢١﴾	١١٦	٩٩٦ ، ٢٠٤٩
﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ...﴾	١١٧	١٥٩ ، ١٨٨ ، ١٦٥٠
		١٦٥١ ، ١٩٨٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾	١١٨	١٣٦٢

٢٤ - النور

﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾	٢	١٣١٨
﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً...﴾	٤	٢٢٩٢
﴿وَالْحَنُوسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	٩	٢١٩٦
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾	١٠	٧٥٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسِبُهُمْ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُمْ خَيْرٌ لَكُمْ...﴾	١١	٢٤٢٨ ، ١٩٧٠
﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ...﴾	١٦	٢٠١٣ ، ١٩٧٨
﴿يُعْظَمُ اللَّهُ أَنْ نَعْبُدُوهُ لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	١٧	١٩٧٦
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	٢٠	١٣١٩
﴿يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ...﴾	٢١	١٤٤٣ ، ٤٦
﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولَؤُلَافُ الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ...﴾	٢٢	٢٠٧٧ ، ٢٠٧٤ ، ٥٤٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾	٢٣	١٩٧٧
﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾	٢٥	٢٥٨٩ ، ٩٩٦
﴿الْحَيِّثُ لِلْحَيِّثِينَ وَالْحَيِّثُونَ لِلْحَيِّثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبَاتِ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ...﴾	٢٦	١٩٧٠
﴿وَتَوَنَّبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٣١	٧٦٥ ، ٧٦٤
﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾	٣٢	٢٢١٤
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كِشْفُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ...﴾	٣٥	٣٠٠٨ ، ٣٠٠٦ ، ٣٠٠٥
﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	٣٩	٩٢٥
﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾	٤٠	٢٩٢٢
﴿أَنْزَلَ اللَّهُ يُسْحَجَ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَتْ...﴾	٤١	٦٠٧
﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ...﴾	٤٧ - ٥٢	٢٣١٤ ، ١٠٢٠
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا...﴾	٥١ ، ٥٢	٢٨٣ ، ١٠١٢ ، ١١٤١
﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلْتُمْ...﴾	٥٤	٢٨٥ ، ١٠٠٤ ، ١٠١٤ ، ١٦٠٧
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾	٥٥	٢٥٤٥ ، ١١٦٦ ، ٥٥٠
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	٥٦	١٠١١
﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَشِّرَةً طَيِّبَةً﴾	٦١	٥٦٩
﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا...﴾	٦٣	٢٨٦ ، ١٠٠٦ ، ١٦٠٧ ، ٢٨٩٧

٢٥ - الفرقان

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	٢٦٤٠ ، ١٣٨٩ ، ١٠١٠
---	---	--------------------

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا﴾	٢	٣١٣، ١١٩٣، ٢٣٢٢، ٢٨١٨، ٢٣٣٠
﴿وَقَالُوا اسْطِطِيزُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَنَبَهَا فَهُمْ عَلَىٰ بُعْدٍ وَأَصِيلًا﴾	٥	٢٦٤٢
﴿فَلَمْ أَزَلْهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾	٦	٢٦٤٢
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾	٢٠	١٣٩٠
﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾	٢٢	٢٨٦٥، ٧٩، ٦٩
﴿وَيَوْمَ تَشْقَىٰ السَّمَاءُ بِالسَّيْمِ وَزُلْ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾	٢٥	٢٧٩٨
﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾	٢٦ - ٢٢	٢٨٢٠، ٤٣٦
﴿يُوَلِّيٰ لِيَنِّي لَوْ أَخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا﴾	٢٨	١١٧٨
﴿وَكُنْ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾	٣١	٣٠٣٧، ٣٠١٤
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ...﴾	٣٢	٢٣٥٢
﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْوِيرًا﴾	٣٣	٥٨٣
﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُوءُ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾	٣٤	٩٧٩
﴿وَفَرُّوْنَا بِذَلِكَ كَيْدًا﴾	٣٨	١٣٩٤
﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ...﴾	٤٤	٢٤١٧، ٢٤١٢، ١٣٨٣
﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَدَئَ رَحْمَتِهِ﴾	٤٨	٢٥٢٧
﴿وَنُوحِثْ عَلَىٰ آلِي الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾	٥٨	١١٠٢، ١١٠٠
﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ...﴾	٥٩	٣٢١، ٣١٩، ١٩٨
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾	٦٠	١٣٦٥
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ الْبَيْتَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾	٦٢	١٥٢٦
﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾	٦٧	٣١٠٦
﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ...﴾	٦٨ - ٧٠	٣١٢٩، ٧٧٠
﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾	٧٢	٣١٦٣
﴿فَلَمْ يَأْتِ بِعَبْدٍ يَخْلُقْ لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾	٧٧	١٢٢٧

٢٦ - الشعراء

﴿لَعَلَّكَ بَئِجْ نَفْسَكَ إِلَّا بِكُونِ مُؤْمِنِينَ﴾	٣، ٤	١٨٥٥
﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	١١ - ١٧	٢٨٧٢، ١٠٠١
﴿قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيدًا وَلَمِثْتَ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِنِينَ﴾	١٨	٢٨٦٩
﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٢٣ - ٢٨	٣٤٢، ٨٠٥، ١٦٧٨
﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٢٤	٢٨٧٣
﴿قَالَ لَيْنِ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ السَّجُونِ﴾	٢٩ - ٣٤	٢٨٧٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعَبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾	٥٢	٢٨٧٤
﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَلَأَيْنِ خَاشِعِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ ...﴾	٥٣ - ٥٦	٢٨٧٤
﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَعَارٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ ...﴾	٥٧ - ٦٦	٢٨٧٤ ، ٢٨٧٠
﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾	٨٠	١٦٣٣
﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الذِّبِّ﴾	٨٢	٢٠٦٢
﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْفِقُ ﴿١١٠﴾ ...﴾	١٠٥ - ١٠٧	٢٩٩٧ ، ١٣٨٠
﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾	١١٣	٩١٩
﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾	١٢٣	١٣٨٠
﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾	١٤١	١٣٨٠
﴿وَنَجِّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَتًّا فَرِهِينَ﴾	١٤٩	١٣٦
﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾	١٦٠	٢٥٧٦
﴿قَالُوا لَيْنَ لَّهْ تَنْتَه يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾	١٦٧	٢٥٧٦
﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾	١٧٦	١٦٨٧
﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾	١٧٧	١٦٨٨ ، ١٦٨٧
﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الطُّلُوعِ إِنَّهُمْ كَانَ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	١٨٩	١٦٨٥
﴿فَلَا تَنْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾	٢١٣	٣٤٠
﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾	٢١٤	١٨
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾	٢١٧	١٣٦٠
﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْفِقُ ﴿٢٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾	١٢٣ - ١٢٥	٣٠٦٤
﴿أَتُتْبَنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ مَاءً تَنْفُثُونَ ﴿٢٢٨﴾ وَتَسْجُدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿٢٢٩﴾ ...﴾	١٢٨ - ١٣٠	٣٠٦٦
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣١﴾ ...﴾	١٣١ - ١٣٥	٣٠٦٥
﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا نُنْفِقُ ﴿٢٤٢﴾ ...﴾	١٤١ - ١٥٢	١٧٣٨ ، ١٧٣٧
﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ ...﴾	١٥٤ - ١٥٦	١٧٣٨
﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ ﴿٢٥٨﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ ...﴾	١٥٣ - ١٥٨	١٧٣٩
﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا نُنْفِقُ ﴿٢٦٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٢٦٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ ...﴾	١٦١ - ١٦٦	٢٥٧٤
﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نُنْفِقُ ﴿٢٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٢٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ ...﴾	١٧٧ - ١٨٠	١٦٨٣
﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ ﴿٢٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ...﴾	١٨٥ - ١٨٧	١٦٨٦ ، ١٦٨٤
﴿وَلِنَبِّئَنَّ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٢٩٣﴾ ...﴾	١٩٢ - ١٩٥	٨٦٢ ، ٨٦٠ ، ٨٥٩
		٢٨٠٥ ، ٢٣٥١ ، ١٥٨٩ ، ٨٦٥ ، ٨٦٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِنَّكَ لَتَلَقَى الْفَرِيقَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلَيْهِ﴾	٦	٢٦٤٠
﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَتَابِئُكُمْ مِنْهَا يَحْيَىٰ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ...﴾	٧ - ٩	٢٨٦٩
﴿وَأَلْقَى عَصَاهُ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ...﴾	١٠ - ١٢	٢٨٧٠
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ...﴾	١٥ - ١٩	١٥٨٩ ، ١٥٩٠ ، ١٥٩١
﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾	١٧	٨٨٨
﴿وَقَالَ رَبِّ آوِزْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَتِي﴾	١٩	٢٨٣٧ ، ٢٣٥٧
﴿وَتَنقَدَّ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَٰذِهِدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَٰسِقِينَ ﴿٢٠﴾...﴾	٢٠ - ٣١	١٥٩٢ ، ١٥٩١
﴿أَحْطَطُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾	٢٢	١١٥٨
﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾	٢٣	٢٠٤٨ ، ١٠٦١
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾	٢٦	٢٠٤٧ ، ٢٠١٣
﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْثُوْنَ فِيْ أَمْرِى مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُوْا ﴿٣٢﴾...﴾	٣٢ - ٣٥	١٥٩٣
﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمٰنُ قَالَ أَتَيْدُوْنَ بِمَالٍ فَمَا آتٰنِيَّ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتٰكُمُ...﴾	٣٦ ، ٣٧	١٥٩٣
﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرْيَمٌ﴾	٤٠	٢٤٨٣
﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٤٤	١٥٩٣
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُوْدَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فِئْرَكانٍ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾...﴾	٤٥ - ٥٠	١٧٣٧ ، ١٧٣٩
﴿قَالُوا أَطِيعُوا يَا بَنِي إِسْمٰعِيلَ قَالُوا سَمِعْنَا وَعُطِيقْنَا عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّفْتَنُونَ﴾	٤٧	١٩٤٤
﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	٥٠	٢٧٩١
﴿وَلَوْ لَمْ يَدْعُوا إِلَىٰ لِقَايِهِمْ أَنْفُسُكَ أَنْفُسُهُمْ وَأَنْتُمْ مُّبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾...﴾	٥٤ ، ٥٥	٢٥٧٤ ، ٢٥٧٥
﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْهُ آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾	٥٦	٢٥٧٦
﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغٰيِبِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾	٥٧ ، ٥٨	٢٥٧٦ ، ٢٥٧٧
﴿أَمِنْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾	٦٠	١٣٣
﴿أَمِنْ يُحْيِي الْمَٰيْطَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾	٦٢	١٨٣ ، ٢٧٥٦
﴿أَمِنْ يَبْدُو الْخَالِقَ ثَمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُولَٰئِكَ مَعَ اللَّهِ﴾	٦٤	١٦٧٧
﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾	٦٥	٧٠٧ ، ٧٤٧ ، ٨٩١ ، ١٥٨٧
﴿وَمَا مِنْ غَٰيِبَةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾	٧٥	٢٠٤٢ ، ٢١٠٦ ، ٢٥٧٢
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾	٧٨	٦٢٠
﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الْقُلُوبَ إِذَا دُعِيَ الدَّاعِيَ إِذَا وَلَوْ مَدَّيْنِ﴾	٨٠	١٥٩٨
﴿وَلِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾	٨٢	١٢٠٧ ، ١٢٠٨
﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي الْفُضُوفِ فَنُفِخُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾	٨٧	٢٩٨٠ ، ٢٩٨١ ، ٢٩٨٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبًا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾	٨٨	٨٨٥ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣٨ ، ١٨٦٣ ، ١٨٦٤
٢٨ - القصص		
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾	٤	٢١٢٣
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ إِذًا خِفَتْ عَلَيْهِ كَأَلْفَيْهِ فِي الْبَرِّ﴾	٧	٢٨٦٨
﴿وَالْقِطْعَةُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَزًا...﴾	٨ - ١٣	٢٥٢٦ ، ٢٨٦٩
﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ...﴾	١٥ - ٢١	١٨٩٠ ، ١٣٩٩ ، ١٣٩٨
﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾	١٤	٣٠٤٣ ، ٣٠٤١ ، ٣٠١٤ ، ٢٨٨١
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	١٦	١٩٧ ، ١٤٥
﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِآلَامِهِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾	١٨	٢٠٦٢
﴿فَخَرَّ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾	٢١	٢٩٧٠
﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾	٢٣	١٢٠١
﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَبَرٍ فَقِيرٌ﴾	٢٤	٢٨٨١
﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِخْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ...﴾	٢٥ - ٢٨	٢٨٨٢ ، ١٠٩٧
﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا...﴾	٢٩ ، ٣٠	٢٨٨٢ ، ١٨١٧
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٢٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ...﴾	٣٣ - ٣٥	٣٠٢٣ ، ٣٠٢١
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ بَنَآئُهُمَا أَلَمَّا مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ عَرِّي﴾	٣٨	٢٨٧١ ، ١٦٧٩
﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾	٥٠	٤٦
﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾	٥٢	١٥٨٥
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾	٥٦	١٩١٩ ، ٣٠١٧ ، ٣٠٣٨ ، ٣٠٤١ ، ٣٠٤٥ ، ٣٠٤٦ ، ٣١٧٠
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا﴾	٥٩	١٧١٧
﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَغَسَّىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾	٦٧	٧٦٢
﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾	٦٨	١٨١٦ ، ١٤٣٧ ، ١٠٨٢
﴿يَاكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ جُعِلَ لَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾	٨٣	١٤٨٥
﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾	٨٨	١٧٢٧ ، ١٢٢٣ ، ١٠١٦
		٣٠٨٢ ، ١٧٢٩ ، ١٧٢٨

٢٩ - العنكبوت

﴿إِنَّمَا أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَمُرُّوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ ﴿١﴾﴾	١ - ٣	٢٢٦٢ ، ١٧٩٠ ، ١٧٨٦ ، ٦٤١
﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾	٦	٢٢١٤
﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾	٩	١٧٤٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾	١٠	٢٠٩٩
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾	١٤	٣٠٠٠
﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾	١٥	٢٩٩٨
﴿وَإِذْ رَهَبَهُمْ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ...﴾	١٦ - ١٧	٤٤٩، ٤٤٧، ٣١
		١١٨٦، ١١٨٥
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	١٩	٥٢٨
﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ﴾	٢٤	٣٣
﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	٢٥	٤٤٧
﴿فَأَمَّا لَهُ لَوْلَ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	٢٦	٢٥٧٩، ٢٥٧٤
﴿وَوَعَيْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾	٢٧	٣٤
﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَجِسَّةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ...﴾	٢٨، ٢٩	٢٥٧٦، ٢٥٧٥
﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ...﴾	٣٠ - ٣٤	٢٩٦٦، ٢٥٧٦
﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ...﴾	٥٠، ٥١	٢١١٨، ٢١١٥، ٢٨٨
		٢٤٩٦، ٢٣٥٥، ٢٣٥٤
﴿إِنْ أَرْضِي وَسِعَةً﴾	٥٦	٢٧٢٥
﴿وَكَايْنٍ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّا كَاشِعُونَ الْعَلِيمُ﴾	٦٠	١٣٧٧
﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...﴾	٦١ - ٦٣	١٥٨٨، ٨٠٤، ٣٤٣
﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكَ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾	٦٥	١٤٠٨، ١٤٠٧
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾	٦٨	٢٥٠٢
٣٠ - الروم		
﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُبَيِّنُ الْمَجْرُمُونَ﴾	١٢	١٥١٤
﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُبَيِّنُ الْبَاقِرُونَ﴾	١٤	٩٤٧
﴿يُخْرِجُ الْبَاقِرَ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾	١٩	٢٣٩٨
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾	٢١	٣١٧٠، ١٠٧١
﴿وَلَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لُحْمٍ قَنِينٌ﴾	٢٦	٢٣٨٧، ٢٣٨٦
﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	٢٧	٢٦٠٠، ٢٥٩٩، ٢٤٠٤
﴿فَاقْهَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ...﴾	٣٠ - ٣٢	٣٩١، ٣٠٩، ٣٠٦
		٢٢٩٥، ٢٢٣٧، ٢٠٩٤، ١٠٧٧، ١٠٧٤، ٨٠٢، ٦٩١، ٦٩٠
﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً...﴾	٣٣، ٣٤	١٦٤٥، ٣٩٢، ٣٩١
﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾	٣٣	٣٩٢
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾	٤١	٣٢٠٩، ٨٤٧، ٥٠٤، ٣٨٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾	٤٧	٤٦٣ ، ٨١٩ ، ١٣٨١ ، ٢٣١٤ ، ١٨٥٨
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾	٥٤	١٣٩ ، ٢٣٩٣
﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيَسُوْا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾	٥٥	١٥١٤
﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ...﴾	٥٨ ، ٥٩	١٨٩٣
٣١ - لقمان		
﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾	١١	١١٩٢
﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٣	٨٣٥ ، ١٦٣٩ ، ١٦٧١ ، ٣١٣٨ ، ٢٠١٣ ، ٢٠١٢ ، ١٦٧٧
﴿أَنْ أَسْكَرُ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾	١٤	١٧٠١
﴿وَأِنْ جَهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾	١٥	٥١٤ ، ٣١٦٧
﴿يَبْنِيْ إِيَّاهُ إِنْ تَكُ مُتَقَالِحِينَ مِنْ خَرَدٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾	١٦	٢٥٥٤
﴿وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرَّ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾	١٧	٣٧٩ ، ٣٨٠
﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾	٢٢	٤١٩ ، ٤٢٠
﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَجَدُّهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾	٢٨	٩٢٤ ، ١١٩٢
﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾	٣٠	٢٤٢٩
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾	٣١	١٧٥٢
﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَاطِلٌ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾	٣٢	٨٠٢
﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾	٣٤	١٥١٥ ، ٣٢٤٥ ، ٣٢٥٥

٣٢ - السجدة

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٢	٢١٢٤
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾	٤	١٩٨
﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾	٧	٨٨٥ ، ١٠٣٠ ، ١٢٣٠ ، ٢٦٢٣
﴿قُلْ يَتُوبُكُمْ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي إِلَيْكُمْ تُحْشَرُونَ﴾	١١	٢٨٠٤ ، ٢٨٠٦ ، ٢٨٢٥ ، ٢٨٢٦
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾	١٣	١٨٥٥
﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾	١٦	١٣٧٦ ، ١٤٣١
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	١٧	٨٩٨ ، ١٧٤٣ ، ١٧٤٥
﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَتْ فَاقِصًا لَا يَسْتَوِي ۚ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾	١٨ - ٢٠	٩٠١ ، ٢٢٩١ ، ٢٢٩٢
﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ يَا أَيُّهَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾	٢٤	٣٠١٥ ، ٣٢٢٧ ، ٣٢٣١
﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾	٢٩	٢٢٥٧

٣٣ - الأحزاب

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرِجَالٍ مِنَ الْقَبِيلِ فِي جُوفِهِ﴾	٤	٣٢٠٧
--	---	------

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾	٥	٧٠٥
﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾	٦	١٠١١، ١١٤٦، ١٩٩٨
﴿وَلَا أَخْذًا مِنَ النَّبِيِّنَ يَتْلِفُهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوْحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ﴾	٧	٤٥٨، ١٣٩١، ٢٩٠٨
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾	٩	٢٩٩٣
﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ؛ أَي: لَا مَوْضِعَ لَكُمْ. وَقرئ: لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾	١٣	٢٧٧٣
﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ قَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾	١٦	٦١
﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾	١٧	٩٥٧
﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّنَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا...﴾	١٨، ١٩	٧٥، ٢٨٦١
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...﴾	٢١	٤١، ٢٨٩٧
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾	٢٣	١٩٢٧، ٢٩٣٩
﴿لِيُخْرِجَ اللَّهُ الصِّدِّيقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾	٢٤	١٧٨٥
﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلٌ لَّا يُؤْمِنُونَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبِّهَا...﴾	٢٨، ٢٩	١٠٠٦، ١٩٧٢، ٢٢٤٦
﴿بِئْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ...﴾	٣٢ - ٣٤	١٤، ١٧، ١٩، ٢٠
		٨٤٤، ١١٤٦، ٢٢٤٥، ٢٢٤٦، ٢٢٤٧
﴿وَالْخٰشِعِينَ وَالْخٰشِعَتِ وَالْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَتِ وَالصَّائِمِينَ﴾	٣٥	١١٣٥، ١٣٠١
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾	٣٦	٢٨٣، ١٧٦٥، ١٨٩١، ٢٧١٤
﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾	٣٨	٤٦١، ٢٣١٩، ٢٣٢٥
﴿الَّذِينَ يُلَاقُونَ رُسُلًا مِنْ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَ اللَّهَ وَيَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾	٣٩	٩٦٨، ١١٤١، ١٣٨٠، ٢٤٥٨
﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾	٤٠	١١١١، ١١١٣، ١١٤٦
		١٣٨٢، ١٣٩٤، ٢٦٣٧، ٢٩٣٤، ٢٩٥٦، ٣٢١٨
﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾	٤١	٤٧٢
﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾	٤٣	١٣٥٩، ١٥٧٤
﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ...﴾	٤٥، ٤٦	٢٦٣٤، ٢٦٣٥
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾	٥١	١٠٥١، ١٠٥٣
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾	٥٢	١٤٢٦
﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾	٥٣	١٠١١، ١٠٩٧، ١١٤٨
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَواتٌ عَلَيْهِ﴾	٥٦	١٠، ١٠٠٧، ١٥٦٩
		١٥٧٠، ١٨٤٨، ١٨٤٩، ٢٧٩٨، ٢٨٠٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾	٥٨، ٥٧	١٠٠٣، ١٥٢١، ١٧٤٧
		٢٦٤٤
﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾	٦٣	٩٢٤، ١٥١٥
﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾	٦٤	٢٥٥٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾	٦٧	٤٦، ١٦٥٥، ١٦٥٨
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَهَارَهُ اللَّهُ وَمَا قَالُوا﴾	٦٩	٣٠٢١
﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾	٧١	٢٨٥، ١٠١٢
﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾	٧٣	٧٦٠

٣٤ - سبأ

﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ﴾	٢	٢٢٠١
﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ﴾	٣	٩٢٠، ٩٢٣
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾	٩	٣٩١
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوِيٍّ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَآلَنَّا لَهُ الْخَدِيدَ﴾	١٠	١٢١٣، ١٤٦٤
﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ . . .﴾	١٢، ١٣	٨٨٩، ١٥٩١، ١٦٩٣
﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾	١٤	١٦٩٤، ١٦٩٦، ١٧٠٠
﴿بَلَدَةً طِبَئًا وَرَبِّ غَفُورٍ﴾	١٥	٨٩١، ١٥٩٢
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾	١٩	١٧٥٢
﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ﴾	٢١	٩٩٣
﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾	٢٢	٤١٣، ١٦٧٧، ١٦٧٨
﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُمْ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾	٢٣	١٦٨٩، ١٦٩٠، ٢٤٢٩
﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾	٢٦	٢٧٩٨، ٢٨٠٩
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾	٢٨	١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٩
﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾	٣٩	١٢٧٩
﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي﴾	٥٠	٢٣٦٥

٣٥ - فاطر

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحٍ مَّتَنَّىٰ وَتِلْكَ وَرَبُّكَ﴾	١	٢٢٣٦، ٢٧٩٥، ٢٨٠٠، ٢٨٠٤
﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾	٢	٢٢٥٦، ٢٢٥٧، ٢٢٥٨
﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِندَ اللَّهِ يَرْفُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾	٣	١١٨٥، ١٦٧٧
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْخَبْرَةُ الْأُنْثَىٰ وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ . . .﴾	٥، ٦	١٧٣١، ١٨٩٢
﴿أَفَمَن رَّبَّنَا لَهُ سُبُوحٌ عَلَيْهِ قُرْءَاهُ حَسْبًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ . . .﴾	٨	١٨٥٦
﴿مَن كَانَ يَرْثُ الْعَرَةَ فَلِلَّهِ الْعَرَةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾	١٠	١٨٢٣، ١٨٢٧، ٢٠٥٥
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ﴾	١١	٥٦، ٥٩، ٦٠
﴿ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ . . .﴾	١٣، ١٤	١٥٩٩، ٢٧٥٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾	١٥	٢٢١٤ ، ٢٢١٣ ، ١٠٦٥
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِيلَةٍ لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾	١٨	١٥٦٢
﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾	٢١	١٩٥٦
﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾	٢٢	١٥٩٨
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	٢٤	١٣٩٤ ، ١٣٨١ ، ٨
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	٢٨	١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١٢٠٢ ، ٢٠٩٩
﴿وَإِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ . . .﴾	٢٩ ، ٣٠	١٦٩٨ ، ٤٧٢ ، ٩٥٧
﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾	٣١	٥٢٤
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ . . .﴾	٣٢ - ٣٥	١٦٩٩ ، ٤٤٥ ، ٤٤٣
	٣٦ ، ٣٧	٣١١٧ ، ٣١١٤ ، ٢٦٦٧ ، ٢٦٦٣
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ . . .﴾	٣٦ ، ٣٧	٣١٢٤
﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكُنَاهُمَا﴾	٤١	٢٠٦٩ ، ١٠٥٤
﴿وَمَا كَانَتْ أَلْفٌ لِّعِجْرَةٍ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾	٤٤	٣٠٤٧ ، ١٨٥٥
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾	٤٥	٢٠٧٧ ، ١٧٤٧

٣٦ - يس

﴿يَا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ﴾	١٢	٢٥٧٠ ، ٣٩٧ ، ٣٩٥ ، ١٣٦
﴿يَا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ غُلًّا فَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾	٨ ، ٩	٢٥٢٩
﴿قَالُوا يَا نَحْنُ نَقُصِّرُهُمْ لِيَوْمٍ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ قُوَّةُهُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ شَايَءٌ إِلَّا أَعْيُنُهُمْ﴾	١٨ ، ١٩	٢٠٢١ ، ١٩٤٤ ، ٦٢٥
﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	٢٢	٢٢٣٧
﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَبَاحَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ مُحْجَمُونَ﴾	٢٩	١٥١٤
﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾	٣٩	٢٣٣٥
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ﴾	٤٧	٢٧٠٩
﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَبَاحَةٌ وَاحِدَةٌ تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾	٤٩ ، ٥٠	٢٩٨٤ ، ٢٩٨٣ ، ١٨١٣
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾	٥١	٢٩٨٥ ، ٢٣٠٢
﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾	٥٨	١٥٦٧ ، ١٣٤٣
﴿وَأَمْتَدُوا إِلَيْهَا الْمُجْرِمُونَ﴾	٥٩	٩٤٧
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾	٦٠	١٧٣٣ ، ١٦٥٥
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ أَنْصَابًا﴾	٧١	٣٢٠٦ ، ٣٢٠٥ ، ٢١٨٧
		٣٢٠٩ ، ٣٢٠٧
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٨٢	٢٥٢٦ ، ١٨٣٠ ، ١٨١٦ ، ٩٢٤
﴿فَسُبْحَنَّ الَّذِي يَدُوهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	٨٣	٣٢٠٥ ، ٢٨١٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَالصَّفَاتِ صَفًا ۝ فَالْتَجَرَّتْ رَحْمًا ۝ فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا﴾	١ - ٣	٢٧٩٧، ٢٨٠٦، ٢٩١٦
﴿إِنَّ إِلَهَهُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾	٤، ٥	١٣٤٧، ٧٧٤
﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمًا إِلَّا عَلًى وَيُقَدُّونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾	٨	٢٨٠٤
﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾	١٢	٢٠١٣، ٢٠١٢
﴿وَقَالُوا يُبَوِّلُنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾	٢٠، ٢١	٤٣٨
﴿أَحْسِرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَاهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ مِنْ دُونِ اللَّهِ . . .﴾	٢٢، ٢٣	٣٠٤٤
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ . . .﴾	٣٥، ٣٦	٧٨٠، ٧٩٧، ٢٣١٤
﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾	٤٠	٨٩٥
﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾	٧٩، ٨٠	٩٣
﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾	٨٣	١١٨٤
﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾	٨٨	٧٥٠
﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾	٨٩	٣٧
﴿قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	٩٥، ٩٦	٣١٥، ٣١٣، ١٣٦
﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَبِّحِينَ ۝ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ . . .﴾	٩٩ - ١٠٢	٢٦٠
﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ فَبَسَّرْنَاهُ بَغُلٍّ حَلِيمٍ ۝ . . .﴾	١٠٠ - ١٠٧	٢١٩، ٢٥٦، ٢٦٢
﴿سَلِّمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۝ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ . . .﴾	١٠٩ - ١١٢	١٧٨٨، ١٧٨٤، ١٠٥٢
﴿وَلَقَدْ مَكَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾	١١٤	٢٨٣٤
﴿سَلِّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾	١٢٠، ١٢١	١٥٧٢، ٩٣
﴿وَلَئِنْ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَأَلَا تَتَّقُونَ ۝ . . .﴾	١٢٣ - ١٣٢	١١٨٨، ٣٥٧، ٣٥٦
﴿وَإِنْ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾	١٣٣	٢٥٧٤
﴿وَلَذِكْرٌ لَكُمُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْحِحِينَ ۝ وَإِلَّا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	١٣٧، ١٣٨	١٦١
﴿فَأَنسَيْنَاهُمْ آلَ إِلَهِكَ الْبَنَاتِ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ۝ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا . . .﴾	١٤٩ - ١٥٤	٢٨٠٠
﴿وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾	١٥٨	٥٢٩
﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾	١٥٩	١٥٣٣
﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾	١٦٤	٢٨٠٢

﴿وَجِبْرًا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ۝ وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾	٤، ٥	٧٨٠، ٢٦٤١
﴿أَمْرٌ عِنْدَهُ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾	٩	٣١٨٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ١٧﴾ . . . ﴿١٩﴾	١٧ - ١٩	١٢١٣
﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُمْ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ٢٠﴾	٢٠	١٢١٢
﴿وَهَلْ أَنتَكَ نَبِيُّ الْخَصَمِ إِذْ سُورُوا بِالْمِحْرَابِ ٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ . . . ﴿٢٥﴾	٢١ - ٢٥	١٢١٤
﴿يَبْدَأُورُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَحُكْمٌ بَيْنَ النَّاسِ يَالْحَقُّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى . . . ﴿٢٦﴾	٢٦	١٨٩٣ ، ١٢١٢ ، ١٠٢٠ ، ٣٦١
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا . . . ﴿٢٧﴾	٢٧ ، ٢٨	٢٩٢٣ ، ١٠٣٩
﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَرِيِّ الصَّغِيَتُ الْيَتَامَى ٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ . . . ﴿٣٣﴾	٣١ - ٣٣	١٥٩٣
﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ٣٤﴾	٣٤	١٥٩٥ ، ١٥٩٤
﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى سَعْيٍ أَلَسْتُ بِرَبِّهِ ٤١﴾	٤١	٤٨٧
﴿أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَكَ هَذَا مُبَشِّرٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ٤٢﴾ وَوَعَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمَنْ لَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةٌ مِنَّا . . . ﴿٤٤﴾	٤٢ - ٤٤	٤٨٩ ، ٤٨٨ ، ٤٨٧ ، ٤٨٦
﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ٤٥﴾ . . . ﴿٤٧﴾	٤٥ - ٤٧	٣٢٢٣ ، ٢٠٧
﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ٤٨﴾	٤٨	٣٢٢٠ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٣
﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ٥٤﴾	٥٤	٩٠٣
﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ٦٦﴾	٦٦	٢٢٠٠
﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ٦٩﴾	٦٩	٢٨٠٤
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِمْ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَجِدِينَ ٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ . . . ﴿٧٤﴾	٧٢ - ٧٤	٩
﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَدْنَى ٧٥﴾	٧٥	٣٢٠٤ ، ٢٩٦٦ ، ١٧٣٤ ، ٩
﴿قَالَ فَخَرَجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ٧٨	٧٧ ، ٧٨	٣٢١١ ، ٣٢١٠ ، ٣٢٠٧ ، ٣٢٠٥
﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٥﴾	٨٥	٩٠٢
﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾	٨٦	٤٦٤

٣٩ - الزمر

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَاغْبِذْ اللَّهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ٢﴾ أَلَا لِلَّهِ . . . ﴿٣﴾	٢ ، ٣	١٣٤٤ ، ٧٧٩ ، ٤١٣ ، ١١٢
﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونٍ أُمَّهَاتِكُمْ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ٦﴾	٦	٢٧٢٠ ، ١١٩٢ ، ٦٤٤
﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنَى عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ٧﴾	٧	٢٧٠٣ ، ١٦٩٧ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠١
﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ٨﴾	٨	٤١١
﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ عَائَةَ الْأَبْلَى سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ٩﴾	٩	٢٣٨٧ ، ١٨٩٣
﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ١١﴾	١١	٧٩٣ ، ١١٢
﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ١٤﴾	١٤	٧٩٥ ، ١١٢
﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى . . . ﴿١٧﴾	١٧ ، ١٨	٢٣٥٣ ، ٣٩٢ ، ٣٩١
﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ ٢٣﴾	٢٣	٢٦٢٨ ، ٢٤٦١
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ ٢٩﴾	٢٩	١١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّكَ مِثٌّ وَإِنَّهُمْ مِثْنُونَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ﴾	٣٠، ٣١	٢٣٧٦
﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ﴾	٣١	٢٣٧٦
﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ...﴾	٣٣ - ٣٥	٩٣، ٩٤، ٤٧١، ٥٤٢
		١٧٨٦، ١٧٨٨، ١٧٩٦
﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾	٣٦	٩٧٠، ٢٤٢٥، ٢٤٢٦، ٢٢٢٧
﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَازِلِهَا﴾	٤٢	١٤١٠، ١٤١١، ١٤٣٣
		٢٨٢٦، ٢٨٢٧، ٢٨٥٢، ٢٨٥٥
﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾	٤٥	٨٥
﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾	٤٦	١٠١٦، ٢٢٣٦
﴿قُلِ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾	٥٣	٧١١، ٧٧٠، ١٥٢٢
		٢٠٧٥، ٢٢٠١، ٢٦٥٠، ٣١٢٠، ٣١٢٨، ٣١٢٩، ٣١٩٢
﴿وَأَنبِئُونَا بِأَيِّكُمْ رَزَقْنَا وَنَسِئُوا لَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾	٥٤	٢١٩، ٤١٩
﴿وَأَنبِئُونَا بِأَيِّكُمْ رَزَقْنَا وَنَسِئُوا لَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾	٥٥	٦٧٨، ٢٣٥٣
﴿وَأَنبِئُونَا بِأَيِّكُمْ رَزَقْنَا وَنَسِئُوا لَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ...﴾	٥٥ - ٥٨	٩٤، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦
		١٢٧٠، ٣٠٥١، ٣٢٤٦
﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٣٧﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾	٦٢، ٦٣	٣١٥، ٢٣٢٧، ٣١٠٣
		٣٠٨٧
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾	٦٧	٢٧١، ٤٣٧، ٤٣٨، ١١٠٤
		١٩٣٥، ١٩٣٦، ١٩٣٧، ٢٠٦٩، ٢٣١٠، ٢٣٣٣، ٢٤٢٨، ٢٤٣١، ٢٩٨٤، ٣٢٠٨
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾	٦٨	١٤٥٢، ١٨١٣، ١٨١٤
		٢٨١٠، ٢٩٧٩، ٢٩٨٠، ٢٩٨١، ٢٩٨٤، ٢٩٨٧، ٢٩٨٨
﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً وَنُحِيطُ بِهِ بِأَلْيَتَيْنِ وَأَلْشَدَّاءِ﴾	٦٩	٩٤٥، ٣٠٠٥، ٣٠٠٦
﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾	٧١	٢٥٨٦
﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾	٧٣	١١١٩، ١١٢٠، ٢٨٠٧
﴿وَنَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِن حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾	٧٥	٢٧٩٨
٤٠ - غافر		
﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾	٢	٧٦٥
﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾	٣	٧٥٧، ٧٦٠، ٢٢١٥، ٢٢١٦
﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ﴾	٥	١٣٩٣، ٣٠٠٢
﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾	٧	١٠٦١، ١٣٥٩، ٢٠٤٩
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَادِلُونَ لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾	١٠	٢٤٨١، ٢٦٢٥، ٢٨٠٤، ٢٨٠٧، ٢٨٠٨، ٣٠٧٨
﴿قَالُوا رَبَّنَا آتِنَا أَثْنَيْنِ وَأَحْيِنَا أَثْنَتَيْنِ﴾	١١	٢٧٧٧، ٢٧٧٨
		٥١٩، ٢٠٣٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾	١٢	٨٥
﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾	١٥	٢١٣٠
﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾	١٦	٢٨٢١ ، ١٨١٨ ، ٦٢٠
﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ﴾	١٨	٩٨٠ ، ٤٣٦
﴿يَقُومُوا لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَضُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾	٢٩	١٩٤٩
﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾	٣٤	٣٢٣٤ ، ٣٢٣٣ ، ١٤٣
﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ﴾	٣٥	٨٥٥ ، ٢٥٢
﴿وَقَالَ يَزْعُونُ يَهْتَمُّ ابْنُ لِي صَرِيحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾	٣٦ ، ٣٧	٢٨٧٢
﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ﴾	٤٦	٢٠٢٢
﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾	٤٩	٢٨٠٧ ، ٢٥٨٦
﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾	٥١	٢٨٩٣
﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾	٦٠	١٨٤ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٣ ، ٢٥٩٢ ، ٢٣٥٧ ، ١٦٥١ ، ١٢٢٧
﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾	٦٤	٢٦٢٥ ، ٦٥٥ ، ٦٥٢ ، ٦٥١ ، ١٠
﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾	٦٥	١١٠١
﴿أَدْخِلُوا آلَ آدَمَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا نَسُوا اللَّهَ فَنَسُوا أَوْتَارَ الْمُنْكَرِينَ﴾	٧٦	٢٥٩٢
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾	٧٨	١٣٩٣ ، ١٣٨١
٤١ - فَصَّلَتْ		
﴿وَجَعَلُوا لَهُ أَمَانًا﴾	٩	٤١٠
﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾	١٢	٢٥٢٦ ، ٢٣٢٦
﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾	١٥	٢٣٩٥ ، ٢٣٩٣ ، ١٣٩
﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾	١٧	٢٧٢٤ ، ٢٤٠١
﴿وَفِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرَسُوا لَهُمْ﴾	٢٥	٣٠٤٣
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ . . .﴾	٣٠ - ٣٢	٢٨٦٥ ، ٢٧٩٧
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	٣٣	٢١٧٤
﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَيِّحُونَ لَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾	٣٨	٢٨٠٤ ، ٢٨٠١ ، ٢٧٩٦
﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٣٩	١٩٣٧
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي عَائِلَتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي﴾	٤٠	٣٣٠
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَأْذِرُوا بِآذِكُمْ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكُنْبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ . . .﴾	٤١ - ٤٣	٢٦٤٢
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	٢٣٥١ ، ٢٣٤٩ ، ٢٨٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾	٤٤	٢٣٥٨
﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	٤٦	٣٢٥٦
﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾	٤٩ - ٥١	١٤٠٨
﴿سَرَّيْهِمْ أَإِنَّا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾	٥٣	٢٥٢٩، ١٧٢٤، ١٣٤٧، ١٠٣١

٤٢ - الشورى

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾	٤	٢٠٦٨، ٢٠٦٧
﴿كَذَٰلِكَ أَسْمَوْتُ يَتَفَطَّرَتِ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾	٥	٢٨٠٠
﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾	٦	٩٩٣
﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾	٧	٢٢٥٩
﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾	٩	٣١٧٥
﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾	١٠	٢٢٣٦، ١٦٠٧، ٢٨٣
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	١١	٥٢٤، ٢٥٥، ٨٧، ٨٦، ٤٩
﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ أَسَافَةَ قَرِيبٍ﴾	١٧	٩٢٤
﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾	١٩	٢٥٥٤، ١٣٧٧
﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾	٢٠	١٦٦٢، ١٤٨٦
﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾	٢١	١٦٥٥، ٥٩٠، ٤٩٥
﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَيِّنُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٢٣	٢٦٣٣
﴿وَيَمَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَيِّقُ الْحَقَّ يَكْمِلُنَّهُ﴾	٢٤	٩٩٧
﴿وَلَوْ سَظَّ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾	٢٧	٢٣٠٧، ١٣٧٨
﴿هُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَضَوْا وَلِنَشْرَحَ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾	٢٨	٣١٧٥
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾	٣٠	٢١٩٨، ٢٠٧٧، ٢٠٧٤
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾	٣٣	١٧٥٢
﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ كَثِيرَ الْإِلَافِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَعْفِرُونَ﴾	٣٧	٢٤٣٢
﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾	٤٠	٢٨٣١، ٢٠٧٧، ٤٠١
﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾	٥١	٥٧٦، ٣٤٧
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾	٥٣، ٥٢	٢٦٥٣، ١٨١١، ١٨٠٦
		٣٠٤٥، ٣٠٤٣، ٣٠٣٨، ٣٠١٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾	٦	١٣٨١
﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِنَّا إِلَهُكُمُ مُنْقِلُونَ﴾	١٣، ١٤	١١٧٣
﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾	١٩	٢٨٠٠
﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِيْبٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَوْهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾	٢٣	١٨٩٦، ١٦٧٣، ١٦٥١
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي...﴾	٢٦، ٢٧	٢٢٣٩، ١١٩٠
﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيبِينَ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾...﴾	٣١، ٣٢	١٣٨٠، ١٣٥٧، ١٣٣٩
﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ سَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾	٣٦	٢١٣٠، ١٤٠٩
﴿فَاسْتَمِيعْ يَا الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	٤٣	٢٣٧٣، ٢٣٧٢
﴿أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾	٤٥	٢٧٨
﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوِي أَلِيسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ...﴾	٥١ - ٥٤	٣٣٩
﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّنِينَ﴾	٥٣	٢٨٧٣، ٢٨٢٢
﴿فَلَمَّا أَتَوْا آتَوْنَا أَنْفَقْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٥٥	٢٣٧١
﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾	٥٦	٢١٩٧، ٢١٩٦
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾	٦٠	١٥٧٧
﴿وَإِنَّهُمْ لَعِلَّمُوا لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُكُ بِهَا﴾	٦١	١١٦٤
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	٦٦	٢٠٩٦، ١٤١٠، ١٤٠٩
﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾	٦٧	٢٩٥٣، ٢١٨٢
﴿يَنْبَغَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾	٦٨	١٥١٤
﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾	٧٦	٣١٦٩
﴿وَنَادُوا بِمَلِكِكُمْ لِيَقْضَ عَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنِكُوتٌ﴾	٧٧	١٩٨٤
﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾	٨٠	١٩٦١
﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾	٨٤	٢٨٠٤، ٢٥٨٦
﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُونَ اللَّهُ فَأَيُّ الْيَوْمِ يَكُونُ﴾	٨٧	٢٤٧١، ١٦٠٨، ١٣٨٤، ١١٦٣
		٢٥٥٢، ٢١٣٢، ٣٤١
		١٢٢٨، ٩٧٧، ٥٣١
		٢٢٩٥، ١٣٤٤

٤٤ - الدخان

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾	٣، ٤	٢٤٥٠
﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٥﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	١١، ١٠	١٢١٩، ١٢١٨، ١٢١٧
﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾	١١	١٢٢٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾	١٢	١٢١٧
﴿عَابِدُونَ﴾	١٥	١٢١٩
﴿فَأَمْرٌ يَعْبَادِي لَيْلًا﴾	٢٣	١٤٠
﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾	٣٥	٥٣١
﴿وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾	٥٤	٩٠٤

٤٥ - الجاثية

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾	١٣	٢٧٢٣
﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ . . .﴾	١٨ ، ١٩	٣١٧٥ ، ٣١٧٧ ، ٣١٧٩
﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٢١	٢٦٥٨
﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ . . .﴾	٢٤ - ٢٦	١٥٢٦ ، ١٥٢٧ ، ١٥٢٨
﴿هَذَا كَلِمَاتٌ يُطِيقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٢٩	٣٢٥٧ ، ٣٢٥٦
﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾	٣٢	٢٤٧١ ، ٢٤٥١
﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ . . .﴾	٣٦ ، ٣٧	٢٥٠٧ ، ١٠٦٦

٤٦ - الأحقاف

﴿مَّا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	٣	٢٥٠٧ ، ٢٥٠٣ ، ١٨٩٧
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾	٥	٨٢١
﴿وَمَا آدْرَىٰ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾	٩	٢٠٦٥
﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي﴾	١٥	٢٨٣٥
﴿وَالَّذِي قَالَ لِيُؤَلِّدِيهِ أَفٍ لَّكُمْ أَعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾	١٧	١٨٣
﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّظِيرٌ . . .﴾	٢٤ ، ٢٥	٣٠٦٧
﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾	٢٩	٨٨٨
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ يَخْفَافًا﴾	٣٣	٥٢٨
﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾	٣٥	٤٥٧

٤٧ - محمد

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾	٣	٤٢
﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَغْنَتْهُمُ فَشَدُّوا الرِّقَابَ فَإِنَّا مَتَّ بَعْدُ . . .﴾	٤ - ٦	٣٠٤٤ ، ٣٠٣٨ ، ٣٠١٥
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلُ أَعْمَالِهِمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ . . .﴾	٨ ، ٩	٢٥٠٦
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَىٰ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾	١١	٣١٧٨ ، ٣١٧٦
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًىٰ لَهُمْ﴾	١٢	٢٦٥٨ ، ١٣٨٣
﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ﴾	١٥	٢٩٢٤ ، ٢٢٨٥ ، ٨٩٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾	١٨	٢٦٦
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾	١٩	٣٢٢٩ ، ٣١٦٠ ، ٢٥٤١ ، ٧٨٠
﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾	٢١	١٧٨٦
﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾	٢٢	٩٩٨
﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	٢٤	١٨٩٨
﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبِرُهُمْ﴾	٢٧	٢٨٢٦
﴿وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾	٢٨	١٥٥٣ ، ١٥٥٤
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعْرِفْنَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفْنَهُمْ فِي لَحَنِ الْقَوْلِ﴾	٣٠	٢٢٧٣

٤٨ - الفتح

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾	٤	١٤٩٢
﴿وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾	٦	٢١٩٧
﴿يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُعَزِّرُوهُ وَنُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	٩	١٩١٨ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٣
﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾	١٠	٣٢٠٦ ، ٣٢٠٥
﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾	١٣	١٠٠٣
﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾	١٤	٢٢٢٤
﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرٍ لِنَأْخُذُهَا دُونَنا نَتَّبِعْكُمْ﴾	١٥	٢٣٦٣ ، ١١٦٧
﴿قُلِ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرَةٌ إِلَى يَوْمِ الْأُولَى أَبْرِئْ شَيْدٍ لِقَبْلُوتِهِمْ أَوْ يُسْلَمُونَ﴾	١٦	١١٦٧
﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾	١٨	١٧٥٩ ، ١٥٥٧ ، ١٧٥٩
﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾	٢٧	٢٧٧٢ ، ٢٢٢٤ ، ١١٦٣
﴿يُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾	٢٩	١٣٩٢ ، ٦٨٧ ، ٦٨٠
﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾	٦٢	٢٦٣٧ ، ٢٤٠٤ ، ١٧٥٩

٤٩ - الحجرات

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْقُوا اللَّهَ . . .﴾	٢ ، ١	١١٤٦ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٥
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلَإِيكُمْ الْإِيمَنُ وَرَبَّنَّهْ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّ إِلَيْكُمْ الْكُفْرُ﴾	٧	٢٢٩١ ، ١٤٤٣ ، ١٣٩٩ ، ٣٥٠
﴿وَلَنْ طَافِقَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَنَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾	٩	٣١٣٧ ، ٢٦٦٨ ، ٢٤٣٥
﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَتَمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَنِ﴾	١١	٢٢٩١ ، ٧٦٤
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾	١٣	١٤٣٧ ، ٦٨٥ ، ١٨
﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ . . .﴾	١٥ ، ١٤	٤٧٩ ، ١٥٣ ، ١٥٢
﴿يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُوتُوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾	١٧	٢٦٦٩ ، ١٧٨٦

الآية

رقمها

الصفحة

٥٠ - ق

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ (١١)	٩ - ١١	١٣٣ ، ١٣٩
﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١٦) إِذْ يَنْتَقِي الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ... ﴿﴾	١٦ - ١٨	١٧٢٥ ، ٢٤٦٨ ، ٢٣٦٧ ، ٢٤٦٦ ، ٢٤٦٧ ، ٢٨٠٩
﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾	١٩	٧٥ ، ٢٨٦٠
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ هَذَا مَا لَدَى عَيْنِي﴾ (٢٣) أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارٍ عَنِدٍ ﴿﴾ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ... ﴿﴾	٢٣ - ٢٧	٢٣٧٢ ، ٢٧٥١
﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَمْتُ إِلَيْكَ بِالْوَعْدِ﴾ (٢٨) مَا يُدِلُّ الْقَوْلَ لَدَى... ﴿﴾	٢٨ ، ٢٩	٦١ ، ٣١٣٢
﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّلٍ حَفِظٍ﴾ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ... ﴿﴾	٣٢ - ٣٤	١٤٣٢ ، ١١٤١
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾	٣٧	٢٩٩ ، ١٦٠٨
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	٣٨	١٨٣٥
﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾	٤٥	٨٥٥

٥١ - الذاريات

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ (٢١) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿﴾	٢٠ ، ٢١	١٢٣٠ ، ٣٠٨٦ ، ٣٢٢٧
﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثٌ ضَيْفٌ لِزُرْعِهِمُ الْمَكْرَمِينَ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا... ﴿﴾	٢٤ - ٢٨	٢٤٦٦ ، ٢٨٠٠
﴿وَأَقْبَلَتْ أُمْرَاتُهُ فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ... ﴿﴾	٢٩ ، ٣٠	٣٠
﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥) فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿﴾	٣٥ ، ٣٦	٤٨٠ ، ٣١٨٩
﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾	٤١	١٥٢٩
﴿وَالنَّمَاءَ بَلَيْنَةً يَأْخُذُهُمْ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾	٤٧	٣٢٠٩
﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرُمَةٌ ذَرِيرٌ مُبِينٌ﴾	٥٠	١١٤١
﴿قُولُوا عَنْهُمْ مَا أَنْتَ بِمَلُومٌ﴾	٥٤	٣٨٦
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٤٦٥ ، ٧٩٣ ، ٨٨٨ ، ٨٩٠
﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾	٥٨	٢٩٣٢ ، ٢٣١٣ ، ٢٠٩١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٧٠ ، ١٠٣٩ ، ١٠٣٣ ، ١٠٢٩ ، ٨٩٢
		٢٧٢٣ ، ٢٥٩٥ ، ٢٣٩٣ ، ١٣٧٥

٥٢ - الطور

﴿وَالْيَبِيتِ الْعَمَّورِ﴾	٤	٥٥٦
﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	١٩	٩٠٣
﴿وَرَزَقْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾	٢٠	٩٠٤
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٢١) أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ لَهُ بَلْ لَا يَوْمُنَا ﴿﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿﴾	٢١ ، ٣٣ ، ٣٤	٢٨٩ ، ٢٩٣
﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ... ﴿﴾	٣٥ ، ٣٦	٤٥٤ ، ٣٠٨٦ ، ٣٠٨٧
﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾	٤٥	١٨١٥
﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾	٤٨	٥٢٥ ، ٢١٨٥ ، ٢١٨٦

الآية	رقمها	الصفحة
٥٣ - النجم		
﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَبْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣...﴾	١ - ٥	١٣٧٣، ٨٦٢، ١٥٨٩، ٢٠٦١، ٢٠٩٣، ٢٧٩٨، ٢٧٩٩
﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٤ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٥ وَهُمْ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾	٥، ٦	٢٧٩٩، ٨٦٢
﴿وَمَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتَمْنُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾	٨، ٩	٢١٥
﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥﴾	١١ - ١٣	٢١١، ١٣٣١
﴿وَمَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾	١٣ - ١٥	٢١٥، ٨٦٤، ٩٠١
﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ۝٢٠ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝٢١...﴾	١٧	٢١٣
﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ ۝٢٦﴾	١٩ - ٢٣	٣٤١، ٤١٣، ١٨٦٦، ٢٤٠٣
﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْتَوُونَ لِلْمَلِكَةِ نَسِيَةً الْأُنثَىٰ ۝٢٧ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ...﴾	٢٦	١٩١٦
﴿رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ ۝٣٠﴾	٢٧، ٢٨	٢٨٠٠
﴿الَّذِينَ يَحْتَبِرُونَ كَثِيرَ الْآثِمِرِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا أَلَمٌ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ ۝٣٢﴾	٣٠	٢٠٩٩
﴿أَمْ لَمْ يَلْبَسْنَا بِمَا فِي صُحُفٍ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۝٣٧...﴾	٣٢	١٤٩، ١٥١، ٢٢٠٢
﴿وَاللَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝٤٨﴾	٣٦ - ٣٩	٣٩٤، ٣٩٧، ٤٠٢
﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَىٰ ۝٥٦﴾	٤٨	١٧٧٧
﴿أَرَأَيْتَ الْآزِفَةَ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾	٥٦	١٧٧٧
٥٤ - القمر		
﴿أَفْتَرَبِ السَّاعَةَ وَأَنْشَأَ الْقَمَرَ ۝١﴾	١	٢٦٣٨
﴿حِكْمَةً بَلِغَةً ۝٥﴾	٥	١٠٢٩
﴿تَجْرَىٰ بِأَعْيُنِنَا ۝١٤﴾	١٤	٢١٨٥، ٢١٨٦، ٢١٨٧
﴿وَلَقَدْ سَرَّنا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝١٧﴾	١٧	١٤١٥
﴿فَنَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝٢٩﴾	٢٩	٢٧٥١
﴿فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧﴾	٤٧	١٨٩٩، ١٩٠٠
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾	٤٩	٣١٥، ٢٣١٩، ٢٣٢٧، ٢٣٣٠
﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢﴾	٥٢، ٥٣	٢٥٧٠
﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ ۝٥٥﴾	٥٥	٢٣٣١، ٢٨٢٠
٥٥ - الرحمن		
﴿يَنْهَمَا بَرِّحٌ لَا يَبْيِغَانِ ۝٢٠﴾	٢٠	٥١٥
﴿وَكُلُّ الْجَوَارِ الْيُنُكُاتِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۝٢٤﴾	٢٤	٢١٤٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿كُلَّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ رَبِّيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾	٢٦، ٢٧	١٠٣، ٥٣٧، ٨٧٠
﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾	٢٩	١٣٣٩
﴿يَعْرِفُ الْمَجْرُومَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾	٤١	٤٣٨، ٢٩١٣
﴿وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾	٤٦	٨٩٩
﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ﴾	٦٢	٨٩٩
﴿نَبِّزَكَ أَنْتُمْ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾	٧٨	٨٧٠

٥٦ - الواقعة

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾	١٠، ١١	٢٦٦٦
﴿وَفَكَهْمٌ كَثِيرٌ ﴿٢١﴾ لَا مَقْطُوعٌ وَلَا مَمْنُوعٌ﴾	٣٢، ٣٣	٩٠٣
﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِقْدَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾	٤٩، ٥٠	٨٤٠
﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾	٧٤	٦٧٠
﴿إِنَّهُ لَقَرَّاءٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾	٧٧ - ٧٩	٢٣٦٠
﴿وَيَفْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ﴾	٨٢	١٥٨، ١٥٩
﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حَبِيذٌ تُنظَرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ...﴾	٨٣ - ٨٥	٢٣٦٧، ١٤٥٣
﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ...﴾	٨٨ - ٩٣	٧١، ١٩٠٠
		١٤٤٥، ٢٨٥٧

٥٧ - الحديد

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	٣	١٠٤، ٤٥٣، ٥٣٧، ١٩٥٠
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾	٤	١٩٨، ٥٦٦، ١٨١٩، ٢٣٣٣
		٢٧٥٨، ٢٧٥٩، ٢٧٦٠، ٢٧٦١، ٢٧٦٢
﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَخِّلِينَ فِيهِ﴾	٧	٣٠٧٣
﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِلْيُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾	٨	٢٩٠٦
﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبْنَئُ لَيْسَ خَيْرُكُمْ مِنَ الْفَالِطَةِ إِلَى النَّورِ﴾	٩	١٠١٠
﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾	١٠	٦٨١، ١٥٥٧، ١٥٦١
		١٧٥٩، ١٧٦١، ١٧٦٣، ٢١٦٧، ٢٨٩١، ٣٠٧٣، ٣١١٥
﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِس مِنْ نُورِكُمْ﴾	١٣	٢٩٨
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِلذِّكْرِ لِلَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾	١٦	١١٣٥، ١١٣٦، ٣١٢٠
﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهِدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾	١٩	٦٣٨، ١٧١٩، ١٧٩٣
﴿كَذَلِكَ غِيبَ الْكَفَّارَ بَنَاءً﴾	٢٠	٧٠٢
﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَعْرِفَةِ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	٢١	٤٨٢، ٨٩٨، ٩٠٠، ٩٠٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾	٢٢	٢٤٤٧ ، ٦٢٥
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾	٢٥	٢٨٨٥ ، ٢٧٤٣ ، ٢٠٨٥ ، ١٦٠٣
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾	٢٦	١٢٠
﴿ثُمَّ فَتَنَّا عَلَىٰ آبَائِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾	٢٧	٢١٨١ ، ٤٩٥

٥٨ - المجادلة

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾	١	١٦١٥ ، ١٦١٤ ، ١٦٠٩ ، ١٦٠٨
﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَآتَا﴾	٤	١٦٧
﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾	٦	٩١٩ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ١٧٢٥
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾	٧	٣٢٥٦ ، ١٧٨١
﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَرَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	١٠	٢٢٢٠ ، ٣٠٢٧
﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾	١١	١٣٣٩
﴿أَتَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾	١٦	٨٨٨
﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلِيَا أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	٢١	٢٢٣٠ ، ٢٢٠٤ ، ١١٦٢
﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرُسُلَهُ﴾	٢٢	٢٥٩٦ ، ٢٥٢٧ ، ٢٤٤٦ ، ٢٣٩٤
		٤٧١ ، ٣١٥٨ ، ٣١٦١ ، ٣١٦٨

٥٩ - الحشر

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	١	١٥٣٣
﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾	٢	٣١٨٩ ، ٢٦٠٤
﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيَنَةٍ أَوْ نَضَعْتُهَا فَأَيْمَنَ عَلَىٰ أَصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾	٥	١٣٦
﴿مَّا لَفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَاللَّسْوَلِ وَلِلَّذِي الْفَرَقَ وَالْيَسَنَىٰ﴾	٧	١٧ ، ٤٢٤ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٤
﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُنَافِقُونَ فَضَّلْنَا مِنَ اللَّهِ﴾	٨	٢٩٣٣ ، ٢٨٩٧ ، ٢٦٥١ ، ١٧٠٤ ، ١٠١٤
﴿وَالَّذِينَ نَبَّؤُوا الدَّارَ وَالْآيَمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخْرِجُونَ مِنْ هَاجَرٍ إِلَيْهِمْ﴾	٩	٢٠٠٦ ، ١٧٨٧
﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾	١٠	٢٠٠٦ ، ١٨٨٣
﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّوَا اللَّهَ وَلِتُنَظَّرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾	١٨	١٣١٩ ، ٣٩٨ ، ١٠٠٨
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ سَوَا اللَّهَ فَأَسْهَمُوا أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	١٩	٣١٦٠ ، ٢٠٠٦ ، ١٧٦٩ ، ١٧٦٨
﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشْيَةً مِّنْ مَّصَدَعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾	٢١	٢٦٧٣
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾	٢٢	٢٢٩١
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلَمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾	٢٣	٢٦٣١ ، ١١٣٦
		٢٠٩٦
		٢٣٤٤ ، ١٥٦٦ ، ٨٥٣
		٢٥٨٣ ، ٢٥٩١ ، ٢٥٩٢ ، ٢٨١٩ ، ٢٨٥٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾	٢٤	٢٤١، ٢٤٧، ٤٩١، ٥١٠
٢٧٢١، ٢٧١٩، ١٨٦٤، ١١٨٧، ١١٨٦، ١٠٢٩، ٦٥٨، ٦٥١، ٦٤٤، ٦٤٣		
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾...	٢٢ - ٢٤	٢٥٤٨، ٧٨٦، ١٠٢١
		١٧٠٥٤، ١٠٦٨، ١٦٣٤، ١٧٠١، ١٧٠٢

٦٠ - الممتحنة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾	١	٣١٥٦
﴿فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ أَسْوَءُ حَسَنَةٍ فِي إِثْرِهِمْ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَوْمُهُمْ﴾	٤	٣١٦٨، ٣١٥٦، ٣٢
﴿لَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقِيلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾	٨	٣١٦٧، ٣١٦٧، ٥١٤
﴿وَمَنْ يُؤْلَمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	٩	٣١٦٧، ٣١٦٥
﴿وَالَّذِينَ حَكَّمَهُ اللَّهُ يُحْكَمُ بِحُكْمِ اللَّهِ يَنْهَكُكُمْ﴾	١٠	١٠١٧

٦١ - الصف

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	١	١٥٣٣
﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	٣	٢٧٧٧، ٣٨٣
﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾	٦	٢٦٣٤، ٢١٨٤، ٢١٨٠
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَصْوَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَصَارِيَ إِلَى اللَّهِ﴾	١٤	٢١٨١

٦٢ - الجمعة

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ﴾	١	٢٣٤٤، ١٥٣٣، ٦٠٨، ٦٠٧
﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾	٢	٢٥٢٧
﴿وَأُخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾	٣	١٥٨٥
﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾	٩	٣٩٤
﴿خَيْرُ الزَّانِفِينَ﴾	١١	١٣٧٦

٦٣ - المنافقون

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾	١	٢٩٧٦، ٢٦٣٧، ١٧٨٥
﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيهِمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾	٣	٢٥٠٣، ١٤٨١
﴿وَإِذَا رَأَتْهُمْ نَعُجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾	٤	٨٦٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلَاحِظُوا أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ...﴾	٩ - ١١	١٣٧٦، ٦٩، ٥٦، ٥٤

٦٤ - التغابن

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾	١	٢٣٣٠
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾	٢	٢٣٢٠
﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَهُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾	٣	٢٧١٩، ٦٤٤
﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾	٨	١٠٠٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ الْغَايَةِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾	٩	٨٤٠ ، ٣١١٥
﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾	١١	٣٠١٥
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِهِمْ وَلَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾	١٤	٤٠١ ، ٢٢٠٣
﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾	١٥	٢٢٦٤
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفُسُكُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِكُمْ﴾	١٦	١٦٣ ، ١٦٧
﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾	١٧	١٦٩٩

٦٥ - الطلاق

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُمْرُكُمْ يُعْظَى بِهِ...﴾	٣ ، ٢	٧٠٢ ، ٨٣١ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾	٥ ، ٤	٩٧٢ ، ٩٧١ ، ١٢٠٢ ، ٢٠١٦ ، ٢٤٢٦ ، ٢٤٢٧ ، ٣١٥١ ، ٣١٥٢
﴿لِيُفَقِّ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ﴾	٧	٧٠٢ ، ٣٠٧٦ ، ٧١٦
﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾	١١	١٣٧٥
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾	١٢	١٠٢٩

٦٦ - التحريم

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَ مَرَضَاتُ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	١	٥٩١ ، ٩٨٦ ، ١٦٢٨
﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	٢	٤٦١ ، ٩٨٦
﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾	٣	٩٨٦
﴿إِنْ نَوَيْتَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾	٤	٨١٣ ، ٨٦٣ ، ٩٨٦
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْلًا أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾	٦	٢٥٨٥ ، ٢٥٨٦ ، ٢٧٦٤
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُبُورًا إِلَى اللَّهِ قَوْلَهُ نَصُوحًا عَنْ رِيكُمْ أَنْ يَكْفُرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾	٨	٢٧٩٧ ، ٢٧٩٨ ، ٢٨٠١ ، ٢٨٠٣
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ﴾	١٠	١٧٤٢ ، ١٩٧٨ ، ٢٥٧٨
﴿وَمِمَّنْ آتَتْ عِمْرَانَ ابْنَتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾	١٢	١٦٨ ، ١٤٣٦ ، ٢١٧٨
		٢١٨٤ ، ٢٣٨٦ ، ٢٥٢٤ ، ٢٥٢٥ ، ٢٦٧٦

٦٧ - الملك

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	١	٥٦٩ ، ٦٢٠
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾	٢	١١٢ ، ٤٦٦ ، ٢٨٥٢
﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾	٣	٢٨٥٣ ، ٢٨٦٦
﴿وَلَقَدْ رَزَقْنَا آلَ إدْنَا بِمَصِيبٍ وَجَعَلْنَاهَا دُجُومًا لِلشَّيْطَانِ﴾	٥	٧٤٨
﴿كَكَادُ تَمَيُّزٍ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾	٨	٤٣٣ ، ٢٥٨٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	١٢	١١٤١
﴿وَأَسِرُوا فَوَلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلَيْهِ يَدَاتُ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ...﴾	١٣، ١٤	٢٥٥٤، ١١٨٧، ١٨١٩
﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾	٢٠	٢٣٩٦
٦٨ - القلم		
﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُورُنَّ﴾	١	٢٤٥١، ٢٣٨٠
﴿وَرَأَيْكَ لَعَلَّيْ خُلِّي عَظِيمٍ﴾	٤	١٢٥٨
﴿وَإِذْ أَوْفَوْا بِعَهْدِكُمْ مُصْرِحِينَ ﴿٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ﴾	١٧، ١٨	١٤٧
﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسْمِعُونَ﴾	٢٨	٦٠٦
﴿إِنَّ لِلْمُتَفِينِ عِنْدَ رَبِّهِمْ حَبَّتَ الْغَيْمِ ﴿٢٩﴾ أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾	٣٤، ٣٥	١٢٦٤، ٩٠٢
﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُورِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾	٤٢	٢٨٩٤، ٧١٩
﴿خَنِيعَةً أَنْصَرُّهُمْ﴾	٤٣	١٥١٨، ١٥١٧، ١١٣٤
٦٩ - الحاقة		
﴿وَلَمَّا عَادَ فَأَتَوْا بِرَبِّهِمْ صَرَخَ عَلَيْهِ ﴿١﴾ سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَفَنِيَةً أَتَابَ...﴾	٦ - ٨	٣٠٦٧
﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي اللَّيْلَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبَاءَ آذُنٍ وَعِيةٍ﴾	١١، ١٢	٢٩٩٨، ١٩٠٩
﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ تَدْكَأُ دَكَّةً وَاحِدَةً﴾	١٣ - ١٥	٢٩٧٨، ٤٣٨
﴿وَالْمَلَائِكَةُ عَلَى أَزْجَائِهَا وَسُجِّلَ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةً﴾	١٧	٢٠٤٧، ١٠٦٢، ١٠٦١
﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾	١٨	٢٨٠٧، ٢٠٤٩
﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَتَبَهُ يَسْمِئِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَوْفُوا بِكُتُبِهِ ﴿١٩﴾...﴾	١٩ - ٢٩	٢٠٥٢
﴿وَلَوْ يَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٢٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٢٦﴾...﴾	٤٤ - ٥٢	٢٤٧٠، ٢٦٤٢، ٢٠٦١
٧٠ - المعارج		
﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾...﴾	١ - ١٠	٩٢٢
﴿مَنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ...﴾	٣، ٤	٢١٢٤، ٩٢٣، ٨٥٩
﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَعْدَادِ سِرَاطًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُؤْصُونَ ﴿٤٢﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ...﴾	٤٣، ٤٤	٢٧٩٨، ٢١٢٩
٩٨٠، ٣٢٥٠		
٧١ - نوح		
﴿قَالَ يَقُولُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا...﴾	٢ - ٤	٢٩٩٩
﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٣﴾ وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِيَنْغَرِبَ لَهُمْ...﴾	٦ - ٩	٣٠٠٠، ٢٩٩٩
﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾	١٠	٧٧١
﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾	١٣	٢٠٧١، ٦٦٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّزَّ يَزُوهُ مَا لَهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾...	٢١ - ٢٤	١٧٤٤ ، ٦٧٤ ، ٦٦٠ ، ٣٠٠٠ ، ١٨٦٨
﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَبَابًا﴾...	٢٦ ، ٢٧	٣٠٠٣ ، ٣٠٠٠
٧٢ - الجن		
﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾	١	٨٨٩
﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾	٦	١٧٢ ، ١٧٤ ، ٨٨٩ ، ١٤٥٥
﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰءَ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا﴾...	١٣ - ١٥	٨٩٠
﴿لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَّاءً عَذَقًا﴾...	١٦ - ١٧	٢٢٦٤ ، ٢٢٣٠
﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾	١٨	١٧٤ ، ١٢٢٣ ، ١٤٣٠ ، ١٩٨٥
﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾	١٩	١٠١٠
﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ صَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾...	٢١ ، ٢٢	١٢٩٣ ، ١٠١٣
﴿وَمَن يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾	٢٣	١٠٠٢ ، ٢٢٩١ ، ٣١٢٢
﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾	٢٨	٩١٨
٧٣ - المرمل		
﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾	٩	٣١٥٠
﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَّهِيلاً﴾	١٤	٤٣٨
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْهِ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾...	١٥ ، ١٦	٤٦٥
٧٤ - المدثر		
﴿وَالرَّجَزُ فَأَهْجُرْ﴾	٥	٣٠٣١
﴿فَإِذَا نَفَرَ فِي الْغَافِرِ﴾	٨	٢٩٨١
﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينَدًا﴾	١٦	٢٥٠٦
﴿فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا بَحْرٌ مُُّؤْتَرٌ﴾...	٢٤ - ٢٦	٢٥٦٣
﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾...	٣٠ - ٣١	٢٤٤٨ ، ٢٥٨٧ ، ٢٨٠٢
﴿تَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾...	٣٦ ، ٣٧	٢٣٢٨ ، ٣١٦
﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾	٣٨	١٤١٢
﴿وَمَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾...	٤٢ - ٤٧	٢٤٧٠ ، ٣٢٣٠ ، ١٩٨٦
﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾	٤٨	١١٤٩ ، ١٩١٦
﴿وَمَن شَاءَ ذَكَرْهُ﴾...	٥٥ ، ٥٦	٨٧٣ ، ٢٣٢١ ، ٢٧٠٧
٧٥ - القيامة		
﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾...	١ - ٣	١٤٤١ ، ١٤٤٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَطَاعَتْ﴾	٢٣ ، ٢٢	١٣٣٠ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٢ ، ١٤٠٣
﴿أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ نُفُوسٌ مِنْ مَتْنِي يُمْنَى﴾	٤٠ ، ٣٦	٤٦٥
٧٦ - الإنسان		
﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾	١	١٤٣٦
﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُفُوسٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿...﴾	٣ ، ٢	١٩٠١
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَوْنَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾	٥	٢٦٦٥ ، ٢٤
﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾	٦	٢٧٢٤ ، ٢٦٦٥
﴿يُؤْتُونَ بِالْذِّكْرِ وَحَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ ﴿٧﴾ وَطَعْمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حَيْثُ...﴾	٨ ، ٧	٢٩٤١ ، ٤٤٠
﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَاجِهَ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ ﴿٨﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا...﴾	٩ ، ١٠	٤٤٠
﴿فَوَقَّهَهُمُ اللَّهُ سَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَهُ وَشُرُورًا﴾ ﴿٩﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾	١١ ، ١٢	٤٤٠
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾	٢٣	٢٦٤٠
﴿إِنْ هَلِدْهُ تَذْكِرَةً فَمَنْ شَاءَ اخْتَدِ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ﴿١٠﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ...﴾	٢٩ - ٣١	٢٣٢١ ، ١٥٥٥ ، ٣١٦
		٢٧٠٧ ، ٢٧٠٤ ، ٢٧٠٠ ، ٢٦٩٩ ، ٢٣٢٨
٧٧ - المرسلات		
﴿فَالْفَرَقَتْ فَرَقًا﴾ ﴿١﴾ فَاَلْمَلَقَيْتِ ذِكْرًا﴾ ﴿٢﴾ عَذْرًا أَوْ تَنْذَرًا﴾	٤ - ٦	٢٧٩٧ ، ٢٨٠١
﴿فَقَدَرْنَا فَنِعَمَ الْقَدِيرُونَ﴾	٢٣	٢٣٣١
﴿أَطْلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٣﴾ أَطْلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ ﴿٤﴾...﴾	٢٩ - ٣٤	٢٩٢٤
﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٤٣	٩٠٣
٧٨ - النبأ		
﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾	٢٩	٩١٨
﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾	٣٨	٣٢٥١ ، ٢٨٠٢ ، ١٤٣٤
٧٩ - النازعات		
﴿وَالنَّازِعَاتُ غَرَقًا﴾ ﴿١﴾ وَالنَّشِيطَاتُ تَشَاطَا﴾	١ ، ٢	٢٨٢٧
﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّالِجَةُ﴾ ﴿٢﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾	٦ ، ٧	٢٩٨٠ ، ٢٩٧٩ ، ١٨١٣
		٢٩٨٧ ، ٢٩٨٦
﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾	١٠	٤٣٩
﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ﴿٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾	١٣ ، ١٤	٢٩٨٥ ، ١٤٥٢
﴿فَاحْشَرْنَا فَنَادَىٰ﴾ ﴿٤﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْغَلِيَّةُ﴾	٢٣ ، ٢٤	٢٨٧١ ، ٢٨٢٢ ، ٣٤٤
﴿وَمَا مِنْ حَافٍ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿٥﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾	٤٠ ، ٤١	١٨٩٣ ، ٤٦٤
٨٠ - عبس		
﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ ﴿١﴾ كَرَامٍ بَرَرَةٍ﴾	١٥ - ١٦	٢٧٩٩ ، ٢٧٩٦ ، ٢٤٦٦
		٢٨٠٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ذُمَّ أَنَاذَهُ فَاقْبَرُوهُ﴾	٢١	٢٨٥٢ ، ٢٣٠٢
﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ﴾	٣٧	٢٨٩٤

٨١ - التكوير

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾	٥	٢٣٧٩
﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ﴾	١٩ - ٢١	٢٨٠٢ ، ٢٧٩٨ ، ٨٦١ ، ٢٨٠٦ ، ٢٨٠٥
﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْئِثَةِ الْغَالِيَةِ﴾	٢٣	٨٦٤
﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٢٨ ، ٢٩	٣١٠٣ ، ٢٧٠٧ ، ٢٧٠٤

٨٢ - الانفطار

﴿يَنبَأُهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ ...﴾	٦ - ٨	٢٤٨٥ ، ٢٤٨٣ ، ٦٥١ ، ٦٠١
﴿كَرَامًا كَتَبِينَ﴾	١١	١١٦٣
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾	١٣	٥١٢ ، ٢٤ ، ٢٣
﴿كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِاللَّيْلِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كَرَامًا كَتَبِينَ﴾	٩ - ١١	٢٧٩٩ ، ٢٧٩٨ ، ٢٤٧٠
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١١﴾ كَرَامًا كَتَبِينَ ﴿١٢﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾	١٠ - ١٢	٢٨٠٩ ، ٢٤٦٦
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي حِيمٍ﴾	١٣ ، ١٤	٢٦ ، ٢٥

٨٣ - المطففين

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْغَالِيَةِ﴾	٤ - ٦	٣٢٥١ ، ٢٨٩٣ ، ٩٢٢
﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	١٤	١٨٩٨
﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾	١٥	١٣٣٢ ، ١٣٣٠ ، ١٣٢٩
﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْفُوعٌ ﴿٢٠﴾ ...﴾	١٨ - ٢٨	١٠٦٣ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٦٦٥ ، ٢٣٧٠
﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَصْحَكُونَ ﴿٢١﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنْظَرُونَ ﴿٢٥﴾ ...﴾	٣٤ - ٣٦	١٩٤

٨٤ - الانشقاق

﴿يَنبَأُهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾	٦	١٣٣٥
﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ سِيبِيهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ مُحَاسَبٌ حِسَابًا سِيرًا ﴿٨﴾ ...﴾	٧ - ٩	١٧٨١ ، ٩٤٧ ، ٩٤٦ ، ٩٢٠
﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصَلَ سَعِيرًا﴾	١٠ - ١٢	٢٠٥٢ ، ٢٤٧٠ ، ١٧٨١

٨٥ - البروج

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾	١٤ ، ١٥	٢٠٤٩ ، ٢٠٤٨ ، ٢٠٤٧
﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١٦﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾	٢١ - ٢٢	٣٠٩٥ ، ٣٠٩٣ ، ٣٠٩٢ ، ٢٦٠٧ ، ٢٥٧٠ ، ٢٣٨٠ ، ٢٣٦٠
		٢٥٧١

الآية	رقمها	الصفحة
٨٦ - الطارق		
﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾	٤	٩٩٠ ، ٢٤٦٦ ، ٢٤٧٠
﴿وَهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٥) ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾	١٦ ، ١٥	٢٥٣٣ ، ٢٧٩١
٨٧ - الأعلى		
﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾	١	٢١٢٥ ، ٢١٢٧ ، ٢٣٤٥ ، ٢٨٨٥
﴿الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى﴾	٢	١٩٦
﴿سُنْفِرُكَ فَلَا تَنسَى﴾ (١) ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾	٦ ، ٧	٢٠٦١
﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَبْيُحُ﴾	١٣	٣١٩٦
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٢) ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾	١٤ ، ١٥	٢٧٨٥
﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (١٨) ﴿صُغِفَ إِبرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾	١٨ ، ١٩ ، ٣٠ ، ١١٧ ، ٨١٣ ، ١٧٧٨ ،	٢٨٨٤
٨٩ - الفجر		
﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾	٣	٣٠٧٨
﴿إِذْ ذَاتَ الْوَعْدِ﴾ (٧) ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ فِيهَا الْبَلَدُ﴾	٧ ، ٨	٣٠٦٦
﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾	١٥	٢٤٨٣ ، ٢٨٣٧
﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾	٢١	٤٣٨ ، ٢٦٠١
﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾	٢٢	٣١٨ ، ٣١٩ ، ٥٧٦ ، ١٠٨٢
﴿يَتَابَعُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٧٧) ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ (٧٨) ... ﴿	٢٧ - ٣٠	١٤٤٤ ، ١٤٤١ ، ١٤٣٣
		١٤٤٥
٩٠ - البلد		
﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ (٨) ﴿وَلَسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾	٨ - ١٠	٧١٨ ، ١٩٠١
٩١ - الشمس		
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهُ﴾ (٧) ﴿فَلْهَمَّهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٨) ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (٩) ... ﴿	٧ - ١٠	٣٤٩ ، ٨٥٥
﴿نَافَعَهُ اللَّهُ وَسَفَّاهَا﴾	١٣	٨٩٥ ، ٢٧٢٣ ، ٢٧٢٤
		٢٧٢٥
٩٢ - الليل		
﴿وَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَافَّى﴾ (٩) ﴿وَصَدَقَ بِالْحَقِّ﴾ (١٠) ﴿فَسَيَّبِرُهُ لِلْبُيُوتِ﴾ (١١) ... ﴿	٥ - ١٠	٢٣٢١ ، ٢٤٤٧
﴿فَأَنْذَرْتُكَ نَارًا تَلْفَلْ﴾ (١٢) ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾	١٤ - ١٥	٢٩٢٠
﴿إِلَّا ابْنَاءَ وَجْوٍ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾	٢٠	٢١٢٧
٩٣ - الضحى		
﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَزَوَّى﴾	٦	٢٦٣٦

الآية	رقمها	الصفحة
٩٤ - الشَّرح		
﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾	٤	١٤٠٩
﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾	٨ ، ٧	١٣٥٠ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ٣٠٧٤
٩٥ - التين		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	٤	١٠
﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ الْخَافِينَ﴾	٨	١٠١٨ ، ١٠١٦
٩٦ - العلق		
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾	٢ ، ١	١١٢٨
﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾	٣	٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ١١٢٨ ، ٢٤٨٤ ، ٢٤٨٣
﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	٥ ، ٤	٣٢٨
﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ﴾	١٨ ، ١٧	٢٥٨٧ ، ٢٥٨٨ ، ٢٨٠٧
٩٧ - القدر		
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾	١	٢٣٦٠
٩٨ - البيّنة		
﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾	١	١٢٦٢
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ . . .﴾	٥	١١٢ ، ١٠٧٤ ، ١٦٦٦ ، ١٩٨١
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ . . .﴾	٨ ، ٧	١١٤١ ، ١٤٠١ ، ١٧٠٩
٩٩ - الزلزلة		
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ . . .﴾	٨ ، ٧	١٤١٢ ، ١٧٠٩ ، ٣١٥٩
١٠٠ - العاديات		
﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾	١٠	٩٤٨
١٠١ - القارعة		
﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ . . .﴾	٩ - ٦	٢٩١٠
١٠٢ - التكاثر		
﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾	١	١٤٨٦
١٠٣ - العصر		
﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . . .﴾	٣ - ١	١٤٧ ، ١٧٥٣

الآية	رقمها	الصفحة
١٠٧ - الماعون		
﴿قَوْلُ الْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾	٤ - ٧	١٤٥٩ ، ١٦٦٢ ، ٢٧٦٤ ، ٣١٢٢
١٠٨ - الكوثر		
﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾	١	١٠٨٥ ، ٢٥٢٠ ، ٢٥٢١
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾	٢	١٢٧٢ ، ١٢٧٥ ، ٢٥٢٠
﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾	٣	٢١٧٠ ، ٢١٧١ ، ٢١٧٢ ، ٢٥٢١ ، ٢٥٢٠
١٠٩ - الكافرون		
﴿قُلْ بَنَاتُهَا الْكَافِرُونَ﴾	١	٧٩٥ ، ٢٣٤٥
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾	٦	١٢٥٦
١١٠ - النصر		
﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾	١	٢٢٥٦
﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾	٣	٧٥٨
١١١ - المسد		
﴿سَبِّحْ لِلنَّارِ ذَاتِ الْهَبِ﴾	٣	٧١٩
١١٢ - الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	١ ، ٢	٨٢ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٧٤٠ ، ٢١٢٦ ، ٢٣٤٥ ، ٢٩٦٣ ، ٢٩٦٤ ، ١٨٣٥ ، ١٨٣٤ ، ١٨٢١ ، ٧٧٩ ، ٧٧٤
﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	٣ - ٤	٨٥ ، ٨٦ ، ٦٣١ ، ٧٤٠ ، ٧٧٤ ، ٧٩٠ ، ٢١٢٦
١١٣ - الفلق		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾	١ ، ٢	١٧٠ ، ٢٩٥٩
	٥	٩٥١
١١٤ - الناس		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾	١	١٣٤٣ ، ٢٦٢٤

فهرس الأحاديث

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ١١٤٨ ، ١١١٩ ، ٩٠١ أتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد
١٨٤٥ آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر
٢٦٣٨ أرسلك أبو طلحة؟
١٦٧٨ ، ١٦٧١ ، ١٦٥٠ ، ١٦٣٩ أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: عبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً...
٣٠٣٢ أمركم بخمس الله أمرني بهن، السمع والطاعة...
٢٤٧٩ آية الكرسي، ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة
٢٩٧٥ آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان
٢٧٨٤ أبدأ بما بدأ الله به
٥١٣ أبر البر أن يصل الرجل وُد أبيه
٥٣٩ أبشر، فأنت عتيق الله من النار
٦٣٨ أبشروا وبشروا من وراءكم، أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة
٨٤٤ أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سُنَّة الجاهلية
٢١٦٨ ابنا العاص مؤمنان، عمرو وهشام
٩٦٦ ابناي هذان إمامان، قاما أو قعدا
٩٦٧ ، ٩٦١ ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين
١٦٢٩ أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا؛ يعني: بلالاً رضي الله عنه
٢١٣٧ ، ١٩٢٧ ، ١٧٦٢ ، ١٥٥٧ ، ١٤٧٠ أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة
١٢٨٤ أبو ذر وعاء ملى علمًا، ثم أوكئ عليه
٢٩٩٤ أتاكم أهل اليمن أرق قلوبًا، وألين أفئدة؛ الإيمان يمانى، والحكمة يمانية
١٥٤٣ أتانا كتاب عمر رضي الله عنه قبل موته بسنة أن اقتلوا كل ساحر
٢٢٨٥ أتاني جبريل بمثل المرأة البيضاء فيها نكتة سوداء
٢٩١٧ أتاني جبريل عن يميني، وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: اقرأ القرآن
٨٨٩ أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن
١٤٤٧ أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق
٢٦٥١ اتبعوا ولا تتبدعوا؛ فقد كفيتهم، كل بدعة ضلالة
١١٧٩ اتخذ الله إبراهيم خليلًا، وموسى نجيًا، واتخذني حبيبًا
٦٧٧ أتدرون بما دعا الله؟
٤٨٠ ، ٤٦٩ أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟
١٥٩ أتدرون ما قال ربكم الليلة؟ قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر
١٥٨ أتدرون ماذا قال ربكم
١٨٥٨ أتدري ما حق الله على العباد؟

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٤٦٤ أتدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم.
- ١٢٨٦ أترى أحدًا؟
- ٣٨٢ أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم، والله لقد كلمته فيما بيني وبينه
- ١٨٧٨ أتشهد أني رسول الله؟
- ٢٢٣١، ١٦٣٥، ٢٢٩ أتعجبون من غيرة سعد، فوالله لأنا أغير منه، والله أغير مني
- ٢٣٠٤ أتعلم بها قبر أخي، وأدفن إليه من مات من أهلي
- ٢٦٧٢ اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن
- ٧٠٠ اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم
- ٢٢٧٣ اتقوا فراسة العلماء؛ فإنهم ينظرون بنور الله
- ٢٤٩٨ اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله
- ٧٠٠ اتقوا النار ولو بشق تمرة
- ١٧٥٤ اتقي الله واصبري
- ١١٢٥، ٨٦٣ أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: هذه خديجة قد أتت
- ٢٦٣٨ أتى النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء، فوضع يده في الإناء
- ١٢٨٨ أتيت أبا ذر وهو جالس عند الجمرة الوسطى، وقد اجتمع عليه الناس يستفتونه
- ٣٠٥٥ أتيت النبي ﷺ بتمرات فقلت: يا رسول الله ادع الله فيهن بالبركة
- ٢٦٣٨، ١٧٩٦، ١٧٩٣، ٥٣٩ اثبت أحد، فإنما عليك نبئ وصديق وشهيدان
- ٨٥٩ أجب عني. اللهم أيده بروح القدس.
- ٢٤٣٤، ٢٤٣٣، ١٥٤١، ٨٣٥ اجتنبوا السبع الموبقات...
- ٢٦٩٩ أجعلني لله عدلاً! قل: ما شاء الله وحده
- ٩٠٢ أجواف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت
- ١٢١٦ أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ﷺ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود
- ١٢٨٥ أحببت أن أجعلك مع أصحابك، وخفت عليك جهال الناس
- ٢٨٨٢، ٢٤٤٩ احتج آدم وموسى ﷺ عند ربهما، فحج آدم موسى
- ٢٤٤١، ٢٤٤٠، ٢٤٣٩، ١١٦١، ١٢، ١٢ احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا...
- ٣٢٠٥، ٢٨٨٢، ٢٨٧١، ٢٤٥٤ احتجبت النار والجنة، فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون
- ٢٦٩٩ احتوا في وجه المداحين التراب
- ٢٦٥٨ احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز
- ٢٣٢٦ الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك
- ٩٤، ٩١ أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا
- ١٩٤٧ احفروا، وأوسعوا، وأحسنوا، وادفنوا الاثنين والثلاثة في القبر
- ٢٣٠٢ أخبروه أن الله يحبه
- ٢٩٦٤، ١٨٢٣، ٧٨٧ أخبريه أنك اختي
- ٣٧ أخنى الأسماء يوم القيامة عند الله رجلٌ تسمى ملك الأملاك
- ٢٨٢٠ أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك
- ٦٢١، ٦٢٠، ٦١٩ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر...
- ١٦٤٥، ١٦٤٣، ١٦٤١، ١٦٣٩، ١٤٥٩

طرف الحديث

رقم الصفحة

- أخي وخليلي، عاش وحده، ومات وحده، ويبعث وحده، طوبى له
أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه
إدريس رُفِع فلم يمِت، كما رفع عيسى
ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله
أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد
ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً
إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك
إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبيه
إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه
إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها
إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن
إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم
إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي
إذا أعطيت شيئاً من غير أن تسأل فكل وتصدق
إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب
إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء
إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلا فليناد: يا عباد الله احبسوا
إذا أوى أحدكم إلى فراشه... ثم يقول: باسمك رب وضعت جنبي
إذا بلغ البنين سلماً فاخرج منها
إذا بوع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما
إذا تشهد أحدكم، فليستعذ بالله من أربع
إذا تقرب العبد إلي شبراً تقرب إليه ذراعاً
إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة
إذا حضرتم الميت فقولوا خيراً، فإن الملائكة تؤمن على ما تقولون
إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإن الله محسن يحب الإحسان
إذا خرجت روح العبد المؤمن، تلقاها ملكان يصعدانها
إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار
إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟
إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليغزم المسألة
إذا دُعي أحدكم فليجب، فإن كان صائماً فليصل، وإن كان مفطراً فليطعم
إذا ذكر أصحابي فأمسكوا
إذا ذكر الصالحون فحيّاهلا بعمر
إذا ذكرت الصالحين فحيّ أهلاً بعمر
إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب
إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سَمَّى الله فاحذروهم
إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل من خراسان فأتوها
إذا رأيتم الرجل بالموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن به

طرف الحديث

رقم الصفحة

- إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب ٢٦٥٤
- إذا رأيتموني قد قبضت، فخذوا في جهازي وكفنوني في ثلاثة أثواب ٢١٦٧
- إذا زنى العبد خرج منه الإيمان، وكان كالظلة ٣١٣٤
- إذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة ٢٢٨٥، ٢٢٨٤، ٩٠١
- إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي ٣١١١، ١٠١٠، ١٠٠٧
- إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت ٣٢٥٤، ٣٢٤٨، ٢٩٢٥
- إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء ٣٩٨
- إذا ضل أحدكم شيئاً - أو أراد أحدكم عوناً - وهو بأرض ليس بها أنيس ١٨٦
- إذا عاين ٧٩
- إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد ٢٨٠٨
- إذا قام أحدكم - أو قال: الرجل - في صلاته يقبل الله عليه بوجهه ٢٤٦٧
- إذا قبر الميت - أو قال: أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان ٢٨٣٩، ٢٨٠٤، ١٨٨٦
- إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاعاً لقوله ٢٤٢٩، ٢١٢٧، ١٤٥٥
- إذا كان ثلث الليل الباقي يهبط الله ﷻ إلى السماء الدنيا ٢٩٤٥
- إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة ٢٨٠٨
- إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: تتبع كل أمة ما كانت تعبد ٤١٥
- إذا كان يوم القيامة جعل الله السماوات على إصبع ٢٧٠
- إذا كانت لكم إلى الله حاجة فسلوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم ٨٢٦
- إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه، فلا يحدث به الناس ١٣٠٩
- إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية... ٤٠٣، ٣٩٦
- إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة... ٣١٢٨
- إذا مات الرجل منكم فدفنتموه، فليقم أحدكم عند رأسه... ٧٣٠
- إذا مكثت النطفة في رحم المرأة أربعين ليلة جاءها الملك فاختلجها ١١٨٨
- إذا نصح العبد سيده وأحسن عبادة ربه كان له أجره مرتين ١٦٢٨
- إذا هم العبد بالحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ٢٤٦٩
- إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة ١٢٨٩
- إذا وسع الله فأوسعوا ٣٠٧٧
- أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي ٣١٠٥، ٢١٤٤، ١٠٠٩، ١٦
- أذن لنا رسول الله ﷺ في قتال بني بكر حتى أصبنا منهم ثأرنا وهو بمكة ٢١٥٩
- أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ٢٧٩٩، ١٠٦١
- أذنب عبد ذنباً فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال: تبارك وتعالى أذنب عبدي... ٢٢٠٢
- أذهب الباس رب الناس، اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك ١٦٣٢، ١٤٢٠
- أذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر ٢١٤٦
- أذهب فوار أباك، ثم لا تُحدثن شيئاً حتى تأتيني ١٩١٩
- أذهب وادع لي معاوية ٢٧٣٢
- أذهب يا سلمان فققر لها، فإذا فرغت فأتني أكون أنا أضعها بيدي ١٥٨٥
- أذهبوا فادفنوا صاحبكم ٢٣٠٢

طرف الحديث

رقم الصفحة

- أربع إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة... ٣٠٩٧
- أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن، وذكر منها: الاستسقاء بالنجوم ١٦٢
- أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر بالأحساب... ٨٤٦، ١٥٧
- أربع كلهن فاسق، يقتلن في الحل والحرم: الحدأة، والغراب... ٢٢٩١
- أربع من كن فيه كان منافقًا - أو: كانت فيه خصلة... ٢٩٧٥
- أربعة يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئًا، ورجل أحمق... ٢٤١٠، ٤٣٣
- أربعة يوم القيامة يدلون بحجة: أصم لا يسمع، ورجل أحمق... ١٧١٧
- أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز ١٣٥١
- أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله ٣٢٢٤
- أربعون يومًا: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمع ٢٦٩٢
- ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتبك أمري ١٢٨١
- أرسل ملك الموت إلى موسى ﷺ، فلما جاءه صكه ففقا عينه ٣٢٤٢
- أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء ٤٤٧
- أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة ١١٢٦
- أرض كالفضة نقية لم يسل فيها دم، ولم يعمل فيها خطيئة ٩٧٨
- الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف ١٤٥٣، ١٤٣٦
- أرواح الشهداء في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش ١٧١٩
- أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش ١٤٤٦
- أروني ابني، ما سميتموه؟ ٢٢٤٥
- أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن ٣١٣٨
- ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك ١٤٨٦
- أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل ﷺ ١٤٤٥
- أسألك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك ١٥١١
- أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب إلى حبك ٢٦١٢
- استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ٢٦٤٣
- استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ١١٢٩
- الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى... ١٠٩٦
- استحيوا من الله حق الحياء ١٠٩٧
- استذكروا القرآن؛ فلهو أشد تفصيًا من صدور الرجال من النعم بعقلها ٢٥٦٣
- استعيذوا بالله من عذاب القبر ٢٢٦٨، ٢٠٢٧، ٥١٧
- استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل ٧٣٠، ٣٩٩
- استووا حتى أثني على ربي ﷻ ٢٣٠٨
- أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه ١١٥، ١١٢
- أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال: لا إله إلا الله ١٧٠٦
- اسكن أحد - أظنه ضربه برجله - فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان ٢٠٠٤
- اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ١٩٢٨، ١٤٧٠
- الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله... ٢٢٣

طرف الحديث

رقم الصفحة

- الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً
 الإسلام يزيد ولا ينقص
 أسلم الناس، وآمن عمرو بن العاصي
 اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ إِلَهٌ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ...
 أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم ...
 اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة
 اشتد غضب الله رجل تسمى بملك الأملاك، لا ملك إلا الله
 أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل
 أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله
 أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله
 اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء
 اشفعوا فلتؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء
 أشهد أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله لا يلقى بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة
 أشهد أن لا إله إلا الله، وأنني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما، إلا دخل الجنة
 ٣١٣١، ٣١٢٧، ٣١١٧
 أصاب؛ إنه فقيه
 أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر
 أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل
 أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا مال
 أظنت السماء، وحق لها أن تظن، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد
 أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة
 أعانني عليه فأسلم
 اعبد الله كأنك تراه
 أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
 اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك
 أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر ...
 أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي وكان النبي يبعث
 أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب
 أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الناس
 أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين
 اعقلها وتوكل
 أعليه دين؟
 أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا حسن
 أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم
 أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك
 أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت، الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون
 أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر

طرف الحديث

رقم الصفحة

- أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ١٧١ ، ١٧٠
أعوذ بوجهك ٣٠٨٢ ، ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٩
أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية ٢٦٨٩ ، ٢٦٨٨
أعور، هَجَانٌ، أَزْهَرُ، كَانَ رَأْسُهُ أَصْلَةً، أَشْبَهَ النَّاسَ بَعْدَ الْعِزَى ٢٦٩٠
أعينوا أخاكم ١٥٨٥
اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه ٥٣٠
أغيظ رجل على الله يوم القيامة، وأخبثه وأغيظه عليه ٦٢٠
أف لك، أف لك ٢٠٣٠ ، ١٤٤٩
أفأنت من أهل الجنة؟ ١٤٩
افتح له وبشره بالجنة ٢١٥٩ ، ٢٠٠٤
افتقرت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة ١٦٢٣
افتقرت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة ٥٠٢
أفضل الصلاة طول القنوت ٢٣٨٦
أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ٢٢٤٢ ، ١١٣٠
أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ ٥٧٧
أفلا أكون عبداً شكوراً ١٦٩٤
أفلا وكلت الأولى كما وكلت الأخرى ١٤٩
أفلح إن صدق ١٧٨٦ ، ٦٩٢
أفلح وأبيه إن صدق ١٠٤٤
أقال لا إله إلا الله وقتلته؟! ٧٠٨
أقبلت وأنا راكب على حمار أتان، وأنا يومئذ قد ناهزت سن الاحتلام ١٩٩٤
أقبلوا البشرى يا بني تميم ٢٤٤٧ ، ٦١٥
أقراني جبريل على حرف، فلم أزل أستزیده حتى انتهى إلى سبعة أحرف ٨٦٢
أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء ٢٣٦٥ ، ١٤٣٩
أقرؤوا يس على موتاكم ٧٩
أقول فيها برأبي، فإن كان صواباً فمن الله ١٣٢٢
أكبر الكبائر الإشراك بالله ٣١٩٢ ، ١٦٧٧ ، ١٦٧٠ ، ١٦٣٨
اكتب عثمان ٢٠٠٥
اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ١٩٩٨
أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة؛ فإن صلاتكم معروضة علي ٢٨٥٤
أكرم الناس يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، نبي من نبي من نبي ١٤٥
أكرمهم أقتاهم ٢٠٧
اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا ٢٨٣٠
أكّلها أنعم منها ٢٥٢١
أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ١٤٩٣
ألا أذنتموني بها؟ ٣٩٨
ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ١٨٦٧ ، ٤١٦

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ١٤٥٩ ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟
 ٢٦٨٧ ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدثه نبي قومه؟ إنه أعور
 ١٠٩٢ ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله
 ٢٠٠٥ ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة؟
 ٢٧٩٩ ، ٢٠٠٤ ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة
 ٢٦٤٥ ، ١٩١ ألا اشهدوا أن دمها هدر
 ١٠٤١ ، ٨٢٠ ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت
 ٢٩٩٣ ألا إن الإيمان يمان، والحكمة يمانية، وأجد نفس ربكم من قبل اليمن
 ٣٦٦ إلا أن تروا كفراً بواحا عندكم فيه من الله برهان
 ٢٧٧٧ ، ١٠٧٤ ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا
 ٢٢٦٨ ، ٢٠٢٧ ألا إن فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه فتنه القبر
 ٢٢٨٧ ، ٨٧٨ ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة
 ٢٤٣٤ ، ٢٤٣٣ ، ١٦٧٧ ، ١٦٧١ ، ١٦٥٠ ، ١٦٤٩ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله
 ٢٦٩٢ ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن؛ لا بل من قبل المشرق
 ٢٦٣٩ ، ٢٣٥٠ ، ١٦١٩ ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته...
 ٦٧١ ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا شهرنا هذا
 ٣٠٢٢ ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي
 ٨٦٣ ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟
 ٢٨٠٤ ، ٢٨٠١ ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها تبارك وتعالى؟
 ٢٦٤١ ، ٢٥٦٣ ، ٢٣٦٣ ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي
 ٦٥٤ ، ٦٥٣ ، ٦٥٢ إلا رقماً في ثوب
 ٨٤٤ ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع
 ٣٦١ ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته
 ٥٠٤ ألا ليؤدبن رجال عن حوضي كما يؤدب البعير الضال
 ١٧٤٣ ، ١٧٤١ ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله
 ٤٧٢ ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح لها سائر الجسد
 ١٠٨٧ ألا وإنه سيجاء برجال من أمي فيؤخذ بهم ذات الشمال،
 ١٧١٧ الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين
 ١٧١٧ ، ١٧١٦ ، ٤٣٤ الله أعلم بما كانوا عاملين
 ٢٤٣٠ الله أكبر الأكبر، حسبي الله ونعم الوكيل، الله أكبر الأكبر
 ١٩ اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً
 ١١٢ اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً
 ٣٠٠٧ اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً
 ٢٧٢٩ اللهم اجعله هادياً مهدياً، واهد به
 ١٥٥٨ اللهم استجب لسعد إذا دعاك
 ١٥٣٧ اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي
 ١٨٣ اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، مريئاً مريعاً، نافعاً غير ضار، عاجلاً غير آجل

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ١٠٠٩ اللَّهُمَّ اشهد، اللَّهُمَّ اشهد
 ١٢١٩ اللَّهُمَّ أعني عليهم بسبع كسيع يوسف
 ٢٠٧٦ ، ١٥٥٣ ، ١٤٠١ ، ٦٧٨ اللَّهُمَّ أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك
 ٢٧٦٨ ، ٢٧٦٧ اللَّهُمَّ أغثنا، اللَّهُمَّ أغثنا، اللَّهُمَّ أغثنا
 ٢٠٢٤ اللَّهُمَّ اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين
 ٢٨٨٨ اللَّهُمَّ اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلًا كريمًا
 ٣٠٧٧ ، ٢٤٨٣ ، ٢٠٧٦ ، ٢٠٧٤ اللَّهُمَّ اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله
 ٢٧٨٢ ، ٢٠٦٣ اللَّهُمَّ اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري
 ٢٨٥٩ ، ٧٣ اللَّهُمَّ اغفر لي، وارحمني، وألحقتني بالرفيق الأعلى
 ٣٠٣٧ ، ٨٥٧ اللَّهُمَّ اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني
 ١٩٣٠ اللَّهُمَّ اكفني طلحة بن عبيد الله؛ فإنه حمل علي هؤلاء وألبهم
 ٢٥٥٩ اللَّهُمَّ العن فلانًا وفلانًا وفلانًا
 ٢٧٣٩ اللَّهُمَّ العن معاوية بن أبي سفيان، وعمر بن العاص
 ٥٨ اللَّهُمَّ إن كنت كتبتني شقيًا فامحني واكتبني سعيدًا
 ٨٢٤ ، ٨١٦ اللَّهُمَّ إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا
 ٤٥٤ ، ١٠٤ اللَّهُمَّ أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء
 ١٥٦٨ ، ١٥٦٦ ، ٨٧٠ اللَّهُمَّ أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام
 ١١٧٤ ، ١١٧٢ اللَّهُمَّ أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل
 ٢٧٣٢ اللَّهُمَّ إنما أنا بشر، فأني المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرًا
 ٢٧٣٢ اللَّهُمَّ إني أتخذ عندك عهدًا لن تخلفنيه؛ فإنما أنا بشر
 ٩٦٢ اللَّهُمَّ إني أحبه، فأحبه
 ٩٧٤ اللَّهُمَّ إني أحبهما، فأحبهما
 ١٠٧٠ اللَّهُمَّ إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان
 ١٣٤٥ ، ٥٠٨ ، ٢٣٥ اللَّهُمَّ إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت، المنان، بديع السماوات
 ١٣٤٥ ، ٢٣٥ اللَّهُمَّ إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد
 ١٥٣١ اللَّهُمَّ إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به
 ٢٨٥٦ اللَّهُمَّ إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين
 ٣٠١٦ اللَّهُمَّ إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى
 ٢٧٢٣ ، ٢٣٥٧ ، ٢٣٣٠ ، ٢٠٩٦ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ
 ٢٧٣٣ اللَّهُمَّ إِنِّي أشهدك على أمراء الأمصار، وإني إنما بعثتهم عليهم ليعدلوا
 ٢٠٧٤ اللَّهُمَّ إني أعوذ برضاك من سخطك وبغفوك من عقوبتك
 ٢٨٦٤ ، ٧٨ اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من التردى، والهدم، والغرق، والحريق
 ٣١٧٨ ، ٣١٧٧ اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهزم وعذاب القبر
 ٢٠٢٣ اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال
 ٢٢٦٨ ، ٢٠٢٧ اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من فتنة النار، ومن عذاب النار
 ٢٢٦٣ اللَّهُمَّ إني أعوذ من فتنة المحيا، وفتنة الممات
 ٣٠٥٤ ، ٣٠٥٣ اللَّهُمَّ اهْدِ آمَّ أَبِي هريرة

طرف الحديث

رقم الصفحة

- اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي ثَمَارِنَا، وَفِي مَدَنَّا
 ٥٦٩
 اللَّهُمَّ بَعْلَمَكَ الْغَيْبَ وَقَدَّرْتَكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْنِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي
 ٢٠٩٧
 اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ
 ٥٢٩
 اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ
 ٧٠
 اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا - يَعْنِي: أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ
 ٣٠٥٤
 اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي، وَأَنْتَ تَوَفَّاها، لَكَ مَمَاتُها وَمَحْيَاها
 ١٤٣٣
 اللَّهُمَّ رَبِّ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
 ٢١٨، ٦٨٢،
 ٢٩١٦، ٢٨٠٤، ٢٨٠٣، ٢٢٣٦، ٨٦١
 اللَّهُمَّ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ
 ٢٤٥٩، ١٩٥٠، ٥٣٧، ٤٠٦
 اللَّهُمَّ رَبِّ النَّاسِ مُذْهَبِ الْبَاسِ أَشْفِ أَنْتَ الشَّافِي
 ١٦٣٢
 اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى
 ٧٧
 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى
 ١٥٧٤
 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ
 ١٨٥٠
 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
 ١٨٥٠
 اللَّهُمَّ عَلِّمْ مَعَاوِيَةَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ، وَقِهِ الْعَذَابَ
 ٢٧٤٠، ٢٧٣٠
 اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَقِهِ الْعَذَابَ
 ٢٧٣٠
 اللَّهُمَّ فَشِّعْهُ فِيَّ وَشَفِّعْنِي فِيهِ
 ٨٢٤
 اللَّهُمَّ فَفِّعْهُ فِي الدِّينِ
 ١٩٩٦
 اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى
 ١٤٤٤
 اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثْنًا يَبْعُدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ
 ١٦٧٢، ٤٤٧
 اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ
 ١٩٤٦
 اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ
 ١١٠١
 اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ٩٩٦، ١٣٨٧، ٢٧٨٢، ٢٨١٨، ٣٠٠٦، ٣٠٠٩
 اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نَوَّارُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
 ٢٤٢١
 اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نَوَّارُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
 ٢٤٢١
 اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ
 ٢٣٠٨
 اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ
 ٢٧٢٠، ١١٨٨، ٦٤٤
 اللَّهُمَّ مَصْرَفُ الْقُلُوبِ صَرَفَ قُلُوبِنَا عَلَى طَاعَتِكَ
 ٢٧٨٩
 اللَّهُمَّ مِنْ أَحْيَيْتَهُ مِنْهُ فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنْهُ فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ
 ٢٨٥٢
 اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ
 ٣٧٣، ٣٦١
 اللَّهُمَّ مَنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزَلْهُمْ
 ٩٢٥
 اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا
 ٢٠
 أَلَمْ تَرَوْا إِلَى مَا قَالَ رَبِّكُمْ؟ قَالَ: مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ
 ٢٨٣٧
 أَلَيْسَ الَّذِي أَمْسَاهُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يَمْشِيهِ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 ٩٧٩
 أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ
 ١٧٦٣
 أَلَيْسُوا يَحْرَمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتَحَرَّمُونَهُ، وَيَحْلُونَ مَا حَرَّمَ فَتَحْلُونَهُ؟
 ١٦٥٥
 أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ
 ٢٧٢٧

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ١٩٩٠ أما أبوه فحواري النبي ﷺ - يريد الزبير - ، وأما جده فصاحب الغار
- ٢٧٧٠ أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء
- ٢٠٢٥ أما الذي رأيته يُسْقَى شِدْقُهُ؛ فكذابٌ يحدث بالكذبة، فَتُحْمَلُ عنه
- ١٣٢٩ أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا تضامون أو لا تضاهون في رؤيته
- ١٦٥٦ ، ٥٩١ أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلّوه
- ١٣٣٣ أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة: أني قمت من الليل فتوضأت
- ٢٧٣٥ أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني...
- ٢٩٢٦ أما أول أشرار الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب
- ١٥ أما بعد؛ ألا أيها الناس؛ فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب
- ٢٨٩٧ أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد
- ٥٤٥ أما بعد، فإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات
- ٢١٣٦ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي
- ٢٢٤٢ أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟
- ١٩٨٧ أما عثمان فقد جاءه والله اليقين
- ٣٢٥٢ أما هذا فقد قامت عليه قيامته
- ٣٢٣١ ، ١٧٠٩ أما هو فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير
- ٦٨٥ أما والله، إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له
- ١٩١٥ ، ١٩١٧ ، ١٩١٨ أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك
- ١٣٩٨ الإمام ضامنٌ، والمؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين
- ٢٤٦٢ ، ٢٣٥٠ ، ١٤٦٦ ، ٨١١ ، ٤٠٧ أُمْتُهَوَكُونُ فِيهَا يَابْنَ الْخَطَابِ؟!
- ٣٩٦ أمر امرأة ماتت أمها وعليها صوم أن تصوم عن أمها
- ١٠٠٩ أمر النبي ﷺ بالإحسان إلى أهل بيته، وأن يعرف لهم قدرهم
- ٢٥٤٠ ، ٦٩٣ ، ٢٢٩ ، ٢٢٦ أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...
- ٢٥٤٥ ، ١٧٠٦ ، ٥٥٠ ، ٤٧١ أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...
- ١٧٦١ أَمَرْنَا خَيْرَ مَنْ بَقِيَ، وَلَمْ نَأَلْ
- ١٨٣٢ أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ
- ٩٦٢ أَمْسِكْ عَلَيْكَ أَبَا بَكْرٍ سِتِّينَ، وَعَمْرَ عَشْرًا، وَعُثْمَانَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَعَلَيَّ كَذَا
- ١٧٢٧ أَمْعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟
- ٣١٥٦ إِنْ أَلَّ أَبِي لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ
- ٣٠٢٦ إِنْ أَبَاكُمَا كَانَ يَعُوذُ بِهَا إِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَةِ...
- ١٤٤٧ إِنْ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثُّدِيِّ، وَإِنْ لَهُ لَظُّرَيْنِ...
- ١١٧٩ إِنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ
- ٨٨٠ إِنْ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
- ٢٧٣٨ إِنْ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
- ٢٦٤٣ ، ٤٣٤ إِنْ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ
- ٧٥٦ إِنْ أَتَقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا
- ٣١٦٤ إِنْ أَحَبَّ أَصْنَانُكُمْ إِلَى اللَّهِ: عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ١٥٣٤ إن أحب الكلام إلى الله : سبحان الله وبحمده
- ٢٨٥٤ ، ٢٠٣٠ ، ٢٠٢٨ إن أحذكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي
- ٢٤٥٠ ، ١٤٣٨ ، ١٤٣٦ ، ٥٤ إن أحذكم يُجمع في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقه . . .
- ٦٢٣ إن أخنع اسم عند الله
- ٣١٣٨ إن أخوف ما أخاف عليكم الشَّرك الأصغر
- ٩٠٠ إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دني . . .
- ٢١٦٣ ، ١١٦٨ إن أستخلفت فقد استخلفت من هو خير مني أبو بكر
- ٢٧٢٠ ، ٦٥٧ ، ٦٥٣ ، ٦٤٨ ، ٦٤٥ إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون
- ١٥٥٩ إن أصابته الإمرة فذاك ، وإلا فليستعن به الوالي
- ٦٥٤ ، ٦٤٩ إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة
- ٨١٨ أن أعرابياً قام يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال : يا رسول الله هلك المال
- ٢٧٢٠ ، ٦٤٨ ، ٦٤٥ إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة
- ٢٩٠٦ إن الله أخذ ذرية آدم من ظهره ، ثم أشهدهم على أنفسهم
- ٥٣٣ إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل . . .
- ٢٦٣٢ ، ١٥ إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة
- ٣٢٠٠ ، ٣١٩٩ إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها
- ٥٥٠ إن الله بعث محمداً ﷺ والعلم شريد ، والإسلام غريب طريد
- ٥٤١ إن الله بعثني إليكم فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت . .
- ٨٦٤ إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل : إن الله قد أحب فلاناً
- ٩٢٠ إن الله تبارك وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير فظيع
- ١٤٥٨ إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم
- ٢٨٥٤ إن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء
- ١١٢ إن الله تعالى حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله
- ٦٦ إن الله تعالى قد أجاز أمتي أن تجتمع على ضلالة
- ٢٦٨٦ إن الله تعالى ليس بأعور ، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى
- ٢٣٨٢ إن الله تعالى يجلس يوم القيامة على القنطرة التي بين الجنة والنار
- ٢٨٥٩ ، ٧٣ إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
- ٢٢٨٦ إن الله جعل في الجنة وادياً أفيح ، وجعل فيه كتاباً من المسك الأبيض
- ١٩٣٩ ، ٨٨٥ ، ٨٨٤ ، ٨٨٣ إن الله جميل ، يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس
- ١١٤ إن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله
- ٢٤٨٨ إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعاً وهات
- ١١٦٢ إن الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه : إن رحمتي تغلب غضبي
- ١٤٥٣ أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة
- ٢٣٢٨ ، ٣١٦ ، ٣١١ إن الله خلق كل صانع وصنعه ، إن الله خلق صانع الخزم وصنعه
- ١٩٨٧ إن الله خلق للجنة أهلاً ، خلقهم لها وهم في أصلا بآبائهم
- ٥٤٣ إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبد ما عند الله
- ١٤١٦ ، ١٤١٤ إن الله رفيق

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٣٩٩ إن الله ﷻ ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة
- ٧٦٥ إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار
- ١٥٣٦ إن الله ﷻ ستر يحب الستر
- ١٧٨٠ إن الله ﷻ سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة
- ٢٥٢٥ إن الله ﷻ إذا أراد رحمة أمة من عباده، قبض نبيها قبلها
- ٢٩٨٣، ١٨١٣ إن الله ﷻ حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء
- ١٥٣٦، ١٠٩٢ إن الله ﷻ حيي ستر يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستر
- ٢٦٨١، ٢٦٧٩ إن الله ﷻ خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية
- ٢٩٣٣، ١٤٣٩ إن الله ﷻ قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء
- ٢٨٠٧ إن الله ﷻ قد وُكِّل بالرحم ملكًا يقول: يا رب! نطفة...
- ٣٠٨٢، ٢٧٨٧، ١٣٣٩ إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه
- ٣٢٠٤، ٢٣١٠، ١٩٣١ إن الله ﷻ يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار...
- ٢٩١١ إن الله ﷻ يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة
- ٣١٨٠، ٢٦٦٣، ٥٩٦ إن الله ﷻ قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب...
- ٢٧٠٨، ٢٥٢٤ إن الله ﷻ قبض أرواحكم حين شاء، وردّها حين شاء
- ٣١٦٣ إن الله ﷻ قد أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر
- ٣١٦٤ إن الله ﷻ قد أبدلكم بهما يومين آخرين
- ١٢٧٣، ٩٧، ٩٥، ٩٤ إن الله ﷻ كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة
- ٢٤٤١ إن الله ﷻ كتب التوراة بيده
- ٢٤٣٤ إن الله ﷻ كتب على ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة
- ٢٤٣٩ إن الله ﷻ كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي
- ٢٤٣٩ إن الله ﷻ كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام
- ١٥٠٦ إن الله ﷻ كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال
- ٢٩٦٥، ٢١٨٦، ١٨٢٣ إن الله ﷻ لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور
- ٢٥٠١، ٩٤٨ إن الله ﷻ لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطي بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة
- ٢٦٧ إن الله ﷻ لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد
- ١١٢ إن الله ﷻ لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتغي به وجهه
- ١٣٣١ إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه
- ١٣٣٩ إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط ويخفضه
- ١٣٢٤ إن الله ﷻ لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً
- ١٥٤٥ إن الله ﷻ لم يجعل شفاءكم فيما حُرِّم عليكم
- ٥٧٧ إن الله ﷻ ما كلم أحداً إلا من وراء حجاب، وإنه أحيا أباك وكلمه كفاحاً
- ٢٦٢٣ إن الله ﷻ محسن يحب الإحسان إلى كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة
- ١٠٢٢، ١٠١٦ إن الله ﷻ هو الحَكَم، وإليه الحُكْم
- ١٨٦٤، ١١٨٧ إن الله ﷻ هو الخالق القابض الباسط الرزاق المسعر
- ١٧٤٣ إن الله ﷻ هو السلام، فإذا صلى أحدكم، فليقل: التحيات لله...
- ١٥٦٦ إن الله ﷻ هو السلام، فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله...

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٢٦٨٣ إن الله هو القابض الباسط الرازق المسرّ
- ٢٣٠٨ ، ١٣٧٥ إن الله هو المسرّ القابض الباسط الرازق
- ٨٧ أن الله هو الواحد الأحد، والإله الحق الذي لا شريك له ولا نظير
- ٣٠٨٠ ، ٣٠٧٩ إن الله وتر يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن
- ١٨٦٧ إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام
- ٣٢٣ إن الله وضع عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه
- ١٨٧٤ إن الله يتراعى لعباده المؤمنين يوم القيامة في غير صورته
- ٢٤ إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفاء، الذين إذا غابوا لم يُقتدوا
- ٢٦١٠ إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي
- ٢٥١١ ، ٢٠٥٣ ، ٩٤٧ إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كفه ويستره فيقول: أتعرف ذنبك كذا؟
- ١٤٠١ ، ٨٧٧ ، ٣٠٧ إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه...
- ١٣٣٩ إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين
- ٢٣٢٢ ، ١٨٦٣ ، ٣١٣ إن الله يصنع كل صانع وصنعه
- ٢٢٢٩ إن الله يغار، وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله
- ٧٦٥ إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرر
- ٨٧٠ إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي
- ٤٣٧ إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على أصبع، والأرضين على أصبع
- ١٣٦٣ إن الله ينظر إلى عبده يوم القيامة وهو غضبان، فيقول: خذوه
- ١٠٤١ إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم
- ٦٥ إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسواد الأعظم
- ١٧٢ أن امرأة من بني مخزوم سرت، فأتي بها النبي ﷺ فعاذت بأمر سلمة...
- ٣٩٩ إن أمتي افئلت نفسها، وأظنها لو تكلمت تصدقت
- ٢٧٣٤ إن أمير المؤمنين عالم
- ٢٦٣٧ ، ٢٦٧ أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقيتين
- ١٢١٠ إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة
- ٢٤٣٨ ، ٢٤٤٩ ، ٢٤٤٧ ، ٢٣٨٠ ، ٢٠٥٠ ، ٦١٤ إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب...
- ٩٤٨ إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته
- ٢٦٧ إن بين يدي الساعة أياماً ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم
- ٢٢٦٢ إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً
- ٢٩٧٥ أن تتكلم بالإسلام ولا تعمل به
- ٤١١ أن تجعل لله نداً وهو خلقك
- ١٤٠ أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس
- ٢٦٧٢ ، ٢٦٢٥ ، ١٩٨١ ، ٥١٤ أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك
- ٣٢٥٢ ، ٣٢٤٥ ، ٢٣١٩ ، ١٣٨٢ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
- ٢٧٩٦ ، ٨٦٠ أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره
- ١٩٧١ أن جبريل، جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء
- ٣٠٤١ أن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ١٠٨٦ إن حوذي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن
- ١١٧٧ إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع
- ١٦١٩ إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاته
- ٢٦٩٤ إن الدجال يخرج، وإن معه ماء و ناراً
- ١٢٩١ إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا
- ١١٧٢ إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر ما تعملون
- ٢٢٨٦ إن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أفيح فيه كشب مسك
- ١٠٩٢ إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه
- ١٨١٧ إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله
- ٩٢٨، ٩٢٧ إن ربي وعدني أن يُدْخِلَ الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب
- ١١٤٢ إن رجلاً حضره الموت، فلما يئس من الحياة أوصى أهله
- ٥٥٩ أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي
- ٧ أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟
- ٩٩٩ إن الرحم أخذت بحجزة الرحمن
- ٩٩٨ إن الرحم شُجَّةٌ آخذة بحُجزة الرحمن، يصل من وصلها
- ١١٦١ إن رحمتي تغلب غضبي
- ٢٦٤٢ أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه
- ٣١٣٩ إن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة والحالقة والشاقة
- ٩٨٣ أن رسول الله ﷺ طلق حفصة، فأثاه جبريل فقال: راجعها
- ٩٨٦ أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها
- ١٤١٨، ١٤١٩ أن رسول الله ﷺ نهى عن الرقي
- ٢٠٤٣ أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن
- ١٤١٤ إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه
- ٢٤٤٣، ٢٣٥٩، ١٦٤٥، ١٤١٩، ١٤١٨، ٨٣٥ إن الرقي والتمايم والتولة شرك
- ١٤٣٣ إن الروح إذا قبض تبعه البصر
- ١٥٦٧ إن السلام اسم من أسماء الله تعالى، وضعه الله في الأرض، فأفشوا السلام بينكم
- ١٩٧٢ أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة
- ٨٢٤ إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذلك، فهو خير
- ٢٧٧٤ إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن
- ٣٢٤١، ١٣٩٢ إن الشمس لم تجس على بشر إلا ليوشم، ليالي سار إلى بيت المقدس
- ٧٥١ إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته
- ٧٤٨ إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد، ولكن يخوف الله به عباده
- ١٧٣٢ إن الشيطان عرض لي فشد علي ليقطع الصلاة علي؛ فأمكنني الله منه
- ١٧٣٤، ٨٩٠ إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم
- ٢٤٧٠ إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ المسيء
- ١٤٤٩ إن صاحبكم قد حبس على باب الجنة بدين كان عليه
- ٢٦٦١ إن الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات من هذه الأمة كلهم في الجنة

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٢١٥٠ ، ٣٢٣ إن عادوا فُعد
- ١١٧٩ إن العباس يحشر بين حبيب و خليل
- ٢٨٠٩ إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه . . .
- ٢٨٥٧ ، ٧٠ إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة
- ٢٧٣٧ أن علّم الناس ما سمعت من رسول الله ﷺ
- ١٤٧٣ أن علياً عليه السلام انتهى إلى طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وقد مات
- ٢٤٤٣ إن عليه تميمه
- ٣١٧٢ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهدى حلة لأخ له من أهل مكة قبل أن يسلم
- ٢١٦٩ إن عمرو بن العاصي من صالح قريش
- ٢١٧٦ ، ٨٥٠ إن العيافة والطرق والطيرة من الجيت
- ٨٥٦ إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار، وضره مثل أحد
- ١٩٧٦ أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرّحى
- ٢٠٨٦ إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد
- ٢٢٨٢ ، ٢٢٨٠ ، ٢٠٤٨ ، ١٧٢٠ ، ٨٩٩ إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله
- ٢٣٢٨ ، ٣١٦ إن فيك خلتين يحبهما الله: الحلم والأناة
- ٢٣٠٢ إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه
- ٢٩٦٥ ، ٢٧٨٩ ، ١٨٢٣ ، ٢٧١ إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن
- ٧٠ إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن ﷻ يقلبها
- ٢١٠٦ إن قومًا يحسبون أبا جاد وينظرون في النجوم، ولا أرى لمن فعل ذلك من خلاق
- ٩٦٨ إن كان أحدكم مادحًا لا محالة؛ فليقل: أحسب كذا وكذا
- ٧٠٣ إن كان كما قال وإلا رجعت عليه
- ١٨٩٦ إن كذبًا عليّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار
- ١٧١٦ أن كل مولود يولد على الفطرة، وإنما يهوده وينصره أبواه
- ٦٥٨ إن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له
- ٢٣٠٤ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرقاً إلا سويته
- ٧٣٥ أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت
- ٢٣٨٣ إن لجهنم سبع قناطر
- ١٤٦٩ إن لكل نبي حوارياً، وحواري الزبير
- ١٠٨٦ إن لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارداً
- ٢٠٣٢ إن للشهيد عند الله ﷻ ست خصال: أن يغفر له في أول دفعة من دمه . . .
- ٢٣٧٤ ، ٣٥١ إن للشيطان كُمة بابن آدم، وللملك كُمة
- ١٦٩٤ إن للطاعم الشاكر من الأجر مثل ما للصائم الصابر
- ١٨٨٧ ، ١٨٨٦ إن للقبر ضغطة، لو كان أحد ناجياً منها نجا سعد بن معاذ
- ٢٣٤٩ إن لله أهلين من الناس
- ٢٤٨ ، ٢٤٥ إن لله تسعة وتسعين اسماً
- ٦٧٧ ، ٢٤٧ ، ٢٤١ إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة
- ٢٤٩ إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٢٥٤٧ إن الله تسعة وتسعين اسمًا، مئة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة
- ٢٢٧٣ إن الله ﷻ عبادًا يعرفون الناس بالتوسُّم
- ٢٨٠٨ ، ١٥٩٧ إن الله ﷻ ملائكة سياحين في الأرض، يبلغوني من أمتي السلام
- ١٥٠٨ إن الله في الأرض حاضرًا
- ١٦٠٠ ، ١٥٧٠ إن الله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام
- ٢٨٠٧ ، ١٢٩٧ إن الله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر
- ١١٦٨ إن لم تجدني فأتني أبا بكر
- ٢٦٣٣ إن لي أسماءً: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر
- ١٠٨٥ إن لي حوضًا ما بين أيلة إلى صنعاء، عرضه كطوله
- ٢٣١٥ إن مثل ما بعثني الله به ﷻ من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا
- ٣٢١٨ ، ١٣٩٥ ، ١١١١ إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي: كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله
- ٤٣ إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه
- ٢٦٨٩ إن مسيح الدجال رجل قصير، أفحج، جعد...
- ٣٢٠٩ ، ٣٢٠٨ ، ٣٢٠٦ ، ٣٧٣ إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن
- ٦٥٢ إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه الصورة
- ٣٩٧ إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علمًا علمه ونشره
- ٤٠١ إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي
- ١٦٠٠ إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا علي من الصلاة فيه
- ١٦٠١ ، ٨ إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه قبض...
- ٥٤٣ إن من آمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر
- ٢٦٩٣ إن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرايت إن بعثت لك أباك وأمك...
- ٢١٩٤ إن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر
- ٢٨٧٩ ، ١١٥٤ أن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟
- ٢٨٢٦ إن المؤمن إذا قبض أته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء
- ١٥٩٧ إن الميت إذا وضع في قبره، إنه ليسمع خفق نعالهم إذا انصرفوا
- ٢٠٢٥ إن الميت ليُعَذَّب ببكاء أهله عليه
- ٣٨٤ إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه
- ٢٠٤٩ إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض
- ٢٩٨٥ إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق
- ٢٧٧٤ إن الناس يصيرون يوم القيامة جثًا، كل أمة تتبع نبيها
- ٤٨٨ ، ٤٨٧ إن نبي الله أيوب لبث به بلاء ثمانى عشرة سنة
- ٥١٨ أن النبي ﷺ رأى ليلة المعراج آدم في السماء الدنيا
- ٢٣٥٨ أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات
- ١٣٣٣ إن نبيًا ﷺ رأى ربه بفؤاده
- ٢٩٤١ ، ٢٩٤٠ إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئًا لم يكن الله قدره له
- ٣١٥١ إن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٣٠٣٢ إن الهجرة لا تنقطع ما كان الجهاد
- ٣٦٢ إن هذا الأمر في قریش لا يعاديهم أحد إلا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدين
- ١١٤٨ إنَّ هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله
- ٢٨٨٧ إن هذا قد رد البشرى فاقبلاً أنتما
- ٢٢٤٢ ، ٩٦١ إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة
- ٣١٨٧ إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس
- ٢٤٠٧ إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه
- ١٥١٥ إن يعيش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة
- ٢٤٩٨ إن يكن في أمتي محدثون فعمرو
- ٢٦٩٩ أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون، وإنكم تشركون
- ١٦٦٢ ، ١١٤ أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه
- ١٥٢٧ أنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار
- ٢٩٨٤ أنا الملك أين ملوك الأرض
- ٦٦٣ أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب
- ١١٤٦ أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً
- ١٢٥٩ ، ٢٢٣ أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات
- ٣٠٣٣ أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين
- ٣٤٦ أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته
- ٣٠٠٣ ، ٣٠٠٢ ، ٢٩٩٧ ، ١٦٢٧ ، ١٠١٤ ، ٣٧ ، ٣٥ ، ٢٩ ، ١٠ أنا سيد القوم يوم القيامة . . .
- ٢٦٥٦ ، ١٦٢٨ أنا سيد ولد آدم
- ٢٧٧٦ ، ٦٢١ ، ٧ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، ويبيدي لواء الحمد ولا فخر
- ٥٢٩ ، ٣٥ أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر . . .
- ٢٨٥٨ ، ٧٢ أنا عند ظن عبدي بي
- ١٠٨٧ ، ١٠٨٦ أنا فرطكم على الحوض
- ٢١٣٩ إنّا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم نفلس عليك خيراً ساقه الله إليك . . .
- ٢٦٣٣ أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة
- ١٣٩٥ ، ١١١٢ أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحي بي الكفر
- ٧٦٦ أَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ؛ وَأَنَا نَبِيُّ التَّوْبَةِ
- ٢٧٤٠ أناس من أمتي عرضوا علي يركبون هذا البحر الأخضر كالمملوك على الأسرة
- ٢٩٣٣ ، ٥١٨ الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون
- ١٣٨١ الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد
- ١٠٣ أنت الآخر فليس بعدك شيء
- ١٩٥٢ أنت الظاهر فليس فوقك شيء
- ٥٣٩ أنت عتيق الله من النار
- ٢٢٤٧ أنت على مكانك وأنت على خير
- ٢٧٤٠ أنت من الأولين
- ٦٣٩ انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي . . .

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٤٤١ انتدب الله لمن يخرج في سبيله، لا يخرج به إلا الإيمان بي والجهاد في سبيلي . . .
- ١٦٣ أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء
- ١٧٦٣ أنتم خير أهل الأرض
- ٢٩٢٠ أنذرتكم النار، أنذرتكم النار
- ٧٣٥ انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهناً؛ فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً
- ٢٣٥٤ أنزل (أو: أنزلت) عليّ آيات لم يُر مثلهن قط: المعوذتين
- ٤٠٦ أنزل التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان . . .
- ١٧٧٨ ، ٨١٢ أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان
- ٢٥٢١ أنزلت عليّ ألفاً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكِتَابَ﴾
- ١٩٠ أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حقٌ إلا قام
- ٨١٠ أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى؛ أهلكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟
- ٤١٥ الأنصاب حجارة كانوا يذبحون لها
- ١٧٥٩ ، ٥٣٤ الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق
- ٢٩٧٢ انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً
- ٣١٦٦ انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة ومعها كتاب، فخذوه منها
- ٢١٣٧ انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام
- ٨٤٥ ، ٨٤٣ ، ٨٤٢ إنك امرؤ فيك جاهلية
- ٧٧٤ إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى
- ١٤٦٩ إنك تقاتل علياً وأنت ظالم له؟
- ٧٩٤ إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى
- ٦٩١ إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله . . .
- ٢٦٤٠ إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله
- ١٤٨٦ إنك لم تتل عمل الآخرة بشيء أفضل من الزهد في الدنيا وإياك ومذاق الأخلاق ودناءتها
- ٣٠٩٧ إنك لن تدع شيئاً لله ﷻ إلا أبدلك الله به ما هو خير لك منه
- ٢٨٩٤ إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً ثم قرأ: ﴿...كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾
- ٣٠٥٤ إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ
- ٢٨٣٩ إنكم تفتنون في قبوركم
- ١٦١٢ إنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً
- ٩٧٩ ، ٣٤ إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً
- ١٨٩٣ إنما أخشى عليكم اثنين: طول الأمل، واتباع الهوى
- ٢٠٦٢ ، ١٣٩٠ إنما أنا بشر مثلكم؛ أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني
- ٢٧٣٧ إنما أنا خازن، فمن أعطيته عن طيب نفس فيبارك له فيه
- ٢٩٣١ إنما أنا رحمة مهداة
- ٣٠٥ إنما أهلك من كان قبلكم اختلافتهم في الكتاب
- ٣٠٦ إنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم
- ٦٢٧ إنما الشؤم في ثلاث
- ٦٢٦ إنما الشؤم في ثلاثة: في الفرس والدار والدابة

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ١٧٥٤ إنما الصبر عند الصدمة الأولى
- ٢٠٥٢ إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب
- ١١٥١ إنما سمي الخضر: أنه جلس على فروة بيضاء؛ فإذا هي تهتز من خلفه خضراء
- ٢٦٥١ إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثله رجل أتى قومًا
- ٢٨٥٤ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٤ ، ١٤٣٨ إنما نسمة المسلم طير تعلق في شجر الجنة
- ٨٤٦ إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا؛ كانوا يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعًا
- ٢٦٢٨ إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض
- ٢٢٤٢ إنما هي بضعة مني، يريني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها
- ٢٤٦٨ إنما يكتب الخير والشر، لا يكتب يا غلام أسرج الفرس
- ٢٦٩٢ إنه خارج خلة بين الشام والعراق
- ٢٥٠٨ أنه ذكر رجلًا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار
- ٨٧٧ إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة...
- ١٩٣٩ إنه طيب لا يقبل إلا طيبًا
- ٣١٦٦ إنه قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر
- ٢٤٧٣ إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون...
- ١٢٨٣ إنه قد وجهت لي أرض ذات نخل لا أراها إلا يثرب
- ٢٩٤١ ، ٢٩٤٠ ، ١٣٤ إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل
- ٢٦٩١ إنه لا يولد له؟
- ١٤٤٤ إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يحيى أو يخير
- ٢٩١٣ إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة
- ٢٩٦٠ إنه ليس بدواء ولكنه داء
- ٥٥٧ إنه مسجد في السماء، تحته الكعبة، لو خرَّ لخرَّ عليها
- ٤٩٦ إنه من يعيش منكم بعدي فيسرى اختلافاً كثير فعليكم بسُنِّي وسُنَّة الخلفاء الراشدين
- ١٩٣٩ إنه وتر يحب الوتر
- ٢٩٢٦ ، ١٢١٩ ، ١٢١٨ ، ١٢٠٨ ، ١١٣٣ إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات
- ١٢٨٣ إنها مباركة، إنها طعام طعم
- ٢٦٧٦ إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم
- ١١٧٦ ، ٧٤ إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل
- ٢٩٩٥ إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن
- ٢٩٩٣ إني أجد نفس الرحمن من هنا
- ١٤٠١ إني أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا
- ٣١٤٦ ، ٣١٣١ ، ٣١٢٦ إني أخبرت شفاعةي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة
- ٢٥٩٤ إني أنا الرزاق ذو القوة المتين
- ١٩٧٢ إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمرني أبويك
- ٢١٦٣ إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل
- ١٤٢٩ ، ١٤٠٦ إني صليت صلاة رغبة ورهبة، سألت الله ﷻ لأمتي ثلاثًا
- ٤٤ إني على علم من الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من الله...

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ١٠٨٥ إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً
- ٢٦٩٠ إني قد حدثكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا
- ٢٨٤ إني قد خلفت فيكم اثنتين لن تضلوا بعدهما أبداً: كتاب الله وسُنَّتِي
- ٢٧٣٤ إني لأتمنى أن يزيد الله ﷻ معاوية من عمري في عمره
- ٢٩٩٣ إني لأجد نفس ربيكم من قبل اليمن
- ٢٨٠٥ إني لأسمع أطيح السماء، وما تلام أن تنط، وما فيها موضع قدم إلا وعليه ملك إما ساجد وإما قائم
- ٢٦٦٧ إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً
- ٣٠٠٣ إني لأنذركموه، وما من نبي إلا أنذره، لقد أنذر نوح قومه...
- ١٢٧٣ إني لست أكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا أكل إلا ما ذكر اسم الله عليه
- ٨٣٩ إني لكم فرط على الحوض، ..
- ١٠٨٦ إني والله لأنظر إلى حوضي الآن
- ١٢٠٩ إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة؛ ولكن جمعتكم لأن تميماً...
- ٢٠٠٤ اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد
- ١٩١٦ أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو متعل بتلعين يغلي منهما دماغه
- ١٧١٣ أو غير ذلك يا عائشة؟ إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها...
- ٢٦٣٥ أوتحين ذلك؟
- ١٩٢٨ أوجب طلحة
- ١١٧٧ أوصاني خليلي بثلاث
- ٧٤٨ أوصيك بتقوى الله، وإياك وعلم النجوم فإنه يدعو إلى الكهانة
- ٢٨٩٧ أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً
- ١٧٠٨ أوغير ذلك يا عائشة؟ إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها
- ١٢٧٣، ٤٤٩، ٤٤٧ أوف بنذكرك؛ فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم
- ٣١٦٤ أوفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا
- ٣٠٧٧ أوكلكم يجد ثوبين؟
- ١٩٣٣ أول الآيات: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى
- ٢٧٤٠ أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا
- ٣٢١٣ أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم
- ٣٢١٣ أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له
- ٢٥٧ أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل
- ١٣٠٨، ١١٢٧ أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم
- ٢٤٥١، ٢٣٨١ أول ما خلق الله القلم
- ١٠١٢ أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر
- ٩٤٨ أول ما يقضى بين الناس في الدماء
- ٢٣٧٧ أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء
- ٢٥٨ أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة
- ١٩٩٠ أول مولود ولد في الإسلام عبد الله بن الزبير...
- ٢٧٣١ أول هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكاً ورحمة...

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ١٢٩٤ أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصالح، بنوا على قبره مسجدًا
 ١٣٢٤ أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إن قلت في آية من كتاب الله برأيي أو بما لا أعلم
 ٣١٥٥ أي عرى الإيمان أظنه قال: أوثق؟
 ٢٨٦٢، ٧٦ أي عم، قل: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله
 ١٩٧٠، ٥٤٣ أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة
 ٩٦٥ إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث
 ٢٢٠٨، ١٧٤٤ إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين
 ٤٠١ إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة
 ١١٧٨ اتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً
 ١١٧٨ اتوا إبراهيم خليل الرحمن
 ١٣٩٣ اتوا نوحاً؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض
 ٢١٥١، ٢١٥٠ ائذنوا له، مرحباً بالطيب المطيب
 ١٩٦٨ ائذني له؛ فإنه عمك، تربت يمينك
 ٦٧٩ أيعجز أحداكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟
 ٣١٣٦، ٧٠٣ أيما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما
 ٣٩٩ أيما مسلم يشهد له أربعة بخير إلا أدخله الله الجنة
 ٤٦٩، ٤٧٤، ٦٧٧ الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله
 ١٤٩٣، ١٠٩٦، ٦٨٢
 ٦٤٢ الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إمطة الأذى
 ١٨١ الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض تكذيبه توحيده
 ٣١٣٤ الإيمان نزه، فمن زنى فارقه الإيمان، فإن لام نفسه وراجع إليه الإيمان
 ١٢٨٩ أين أراه السائل عن الساعة؟
 ١٩٧١ أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟
 ٣٠٥٣ أين كنت يا أبا هر؟
 ٨٤٦ أين يذهب هؤلاء؟
 ٢٤١٧ أينما لقيتموهم فاقتلوهم
 ٥٢٤ أيها الناس! اربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً
 ١٩٣٩ أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين...
 ٥٩١ أيها الناس! إنه ليس بي تحریم ما أحل الله لي، ولكنها شجرة أكره ريحها
 ٥٩١، ٤٦١ أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا
 ٢١٥٧ إيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً آخر
 ١٩٣١، ١٢١٩، ١٢١٨ بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان...
 ٢٢٦٣ بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم
 ١٤١٠ باسمك اللهم أموت وأحيا
 ٣١٣١، ٣١٢٦ بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا
 ٥٢٨ بخ بخ لخمس من لقي الله مستيقناً بهن دخل الجنة

طرف الحديث

رقم الصفحة

- بخ بخ؛ أبو هريرة يتمخط في الكتان، لقد رأيته في ما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة ٣٠٥٧
- بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء ٢١٩٤، ٢١٩٢، ١٦٢٣
- بديع السماوات والأرض ٢٢٣٦
- البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس ٥١٣
- البر ما سكنت إليه النفس، وأطمأن إليه القلب ٥١٣
- بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى سقيمنا بإذن ربنا ١٤٢١
- بُعْثَ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً ٢٦٣٢
- بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي، ونحن نحو من ثمانين رجلاً ٢١٧٠
- بعين الله تبارك وتعالى ٢١٨٦
- بل عارية مضمونة ١٧٩
- بل هو حسن ٢٢٤٥
- بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه ٢٨٨٧
- بلغني أن قومًا يفضلوني على أبي بكر وعمر ١٧٧٤
- بني الإسلام على خمس... ١٩٨٢، ١٧٠٥، ٢٢٥، ٢٢٣
- بهذا أمرتم أو بهذا بعثتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ٢٣٢٢
- بيت في السماء يقال له: الضُّرَّاح، وهو بحيال الكعبة من فوقها ٥٥٦
- بيدي لواء الحمد ٢٧٧٦
- بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ٢٥٠٦، ١٦٥٢، ١٦٤١
- بين النفختين أربعون ٢٩٨٣
- بيننا أنا عند البيت بين النائم واليقظان ٢١٤
- بيننا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة ٢٦٤٢
- بيننا أنا قائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم ١٠٨٧
- بيننا أنا نائم رأيته أطوف بالكعبة... فإذا رجل أحمر ٢٦٩٠، ٢٦٨٦
- بيننا أنا نائم رأيته في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ٢١٥٨
- بينما امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما ١٥٩٥
- بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر، حافتاه قباب الدرّ المجوّف ٢٥٢١
- بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص ٢١٥٦
- بينما أنا نائم شربت - يعني: اللبن - حتى أنظر إلى الرّبيّ يجري في ظفري ٢١٥٦
- بينما أيوب يغتسل عرياناً خرّ عليه رجلٌ جرادٍ من ذهب ٤٨٨
- بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء حُسف به، فهو يتجلجل ٢٠٣١، ٢٠٢٤، ١١٥
- بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته وبرده إذ حُسف به الأرض ٢٠٢٥
- بينما كلب يطفئ بركية، كاد يقتله العطش إذ رأته بغي ١١٥
- تحاتت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ٢٣٣٨، ١٩٦١، ٨٥٥
- تحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل... ٢٤٦١
- تحرس الملائكة المدينة من الدجال ٢٨٠٩
- تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ٢٩٢٨
- تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل ٩٨٠، ٤٣٨

طرف الحديث

رقم الصفحة

- تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما؛ وعندكم معاوية
 ٢٧٣٣
 تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاخُؤِهِمْ وَتَوَادُّهُمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ
 ٣١٦٩
 تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه
 ٢٧١٤ ، ١٦٠٤ ، ٢٨٣
 ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر
 ٢٩٦٧
 تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره
 ٤٩٨
 تطلع الشمس من مغربها، وتخرج الدابة على الناس ضحى
 ١٩٣٢
 تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتصلّي الصلاة المكتوبة
 ٣١٥٧
 تعجبون من دهاء هرقل وكسرى، وتدعون معاوية
 ٢٧٣٣
 تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً...
 ٢٢٦٢
 تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت
 ٢٨٨٤ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٠
 تَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ
 ٢٢٦١
 تعين صانعاً أو تصنع لأحرق
 ١٧٩
 تفترق الأمة على نيف وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة
 ٢٢٨٨
 تقتل عمّار الفئة الباغية
 ٢١٥١
 تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده
 ٨٥٣
 تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة، ثم تصير ملكاً
 ١١٦٦
 تكون في أمتي فرقان فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق
 ٨٨١
 تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها
 ١١٦٥
 تلزم جماعة المسلمين وإمامهم
 ٣٦١
 تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ
 ١٤٦١
 تلك الكلمة الحق يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه...
 ٢٣٧٣ ، ٨٩١
 تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين، يقتلها أولى الطائفتين بالحق
 ٨٨١
 تنزيه الله نفسه عن كل سوء
 ٦٠٨
 تؤدون الحق الذي عليكم، وتسالون الله الذي لكم
 ٣٦٦
 تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت
 ٥٢٨
 ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل..
 ١٩٣٣ ، ١٢٠٨
 ثلاث حثيات من حثيات الرب
 ٢٦٨٠
 ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...
 ٣١٥٦ ، ٣١٥٥ ، ١٠٠٧
 ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة...
 ٩٨١
 ثم انطلقنا، فإذا نحن بغلمان وجوار يلعبون بين نهري
 ١٤٤٧
 ثم تقع الأمانة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل
 ٢٩٥٥
 ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر يمد يديه...
 ١٣٤٥
 ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريباً من قيامه
 ٢١٢٧
 ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح
 ٣٢٣٩
 ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح
 ٢١٨٣
 ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح
 ٢٨٨٣
 ثم عرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل
 ٣٢٣٥

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٣١٩٨ ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل
 ١٢٠ ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل
 ٢٨٧٧ ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمرت على موسى
 ١٣٧٧ ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات
 ١٠٦٩ ثم يتحنن الله برحمته على من فيها
 ٢٨٢٥ ثم يجيء ملك الموت ﷺ حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة!
 ٩٢٨ ثم يحثي لي ربي بكفيه ثلاث حثيات
 ٢١٩٣ ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض...
 ٢٩٥٥ ثم يرسل الله مطراً لا يكره منه بيت مدر ولا وبر؛ فيغسل الأرض
 ١٧١٣، ١٤٣٧ ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح
 ٢٩٨٥ ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون
 ٢٢٤٤ جاء أبو بكر إلى فاطمة حين مرضت، فاستأذن
 ١٧٦٢ جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟
 ٢٧٠ جاء خبر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال: إنه إذا كان يوم القيامة...
 ٢٨٧٦، ٢٨٦٣، ٢٨٢٥، ٧٧ جاء ملك الموت إلى موسى ﷺ، فقال له: أجب ربك
 ١٩١١، ١٩٠٩، ٨٥٠ الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان
 ٢٠٠٦ جلس قوم من أهل العراق فذكروا أبا بكر وعمر، فنالوا منهما
 ١٤٤٤ جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين
 ٣١٠ الجماعة رحمة، والفرقة عذاب
 ١٥٥٧ جمع لي رسول الله ﷺ يوم أحد أبويه كليهما
 ٨٩٠ الجن ثلاثة أصناف: فصنف يطير في الهواء
 ٨٩٩ جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما...
 ٦١٥ جنتك لنسألك عن أول هذا الأمر
 ٢٦٧٢ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا
 ٢٦٦٤ حُبِّ إِلَيَّ من دياركم النساء والطيب، وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة
 ٢٩٥٤ حتى يأتي فلسطين باب لُد، فينزل عيسى ﷺ فيقتله
 ٢٦٨٥ حتى يهلك في زمانه مسيح الضلالة الأعور الكذاب
 ٢٣ الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة
 ١٥٤٣ حد الساحر ضربة بالسيف
 ٢٢٤٣ حسيك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران، وخديجة
 ٩٧٤، ٩٦١ الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة
 ٩٧٤ حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحبِّ حسيناً
 ٦٠٠، ٥٩٧ حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات
 ١٧٤٥ حُفِظَا بصلاح أبيهما، وما ذكر منهما صلاح
 ٢٤٥١ الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم
 ٣٠٥٨ حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: فأما أحدهما فبثته
 ٣٠٩٨، ٦٧١ الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ١٥٦٣ الحمد لله ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه
- ٢٨٥٢ ، ١٤١٠ الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماننا وإليه النشور
- ٧٣٠ الحمد لله الذي أخرجه بي من النار
- ٢٤٢٦ الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي
- ٢٨٦٢ ، ٧٢٩ ، ٧٦ الحمد لله الذي أنقذه من النار
- ٢١٥٥ الحمد لله الذي لم يجعل مني بيد رجل سجد لله سجدة واحدة
- ١٨٠٣ الحمد لله الذي نجانا منك بعد الذي أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحدا
- ٥٤٩ الحمد لله الذي هدى فكفى، وأعطى فأعفى.
- ١٩١٧ الحمد لله الذي هداك يا عم
- ١٦١٥ ، ١٦١٠ الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات
- ٢٢١٣ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين...
- ٢٨٣٧ الحمد لله على كل حال، وإذا جاءه شيء يعجبه قال: الحمد لله المنعم
- ١٠٧٤ الحنفية السمحة
- ١٠٩٩ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٦ الحياء خير كله
- ١٠٩٦ الحياء شعبة من الإيمان
- ١٠٩٩ ، ١٠٩٧ الحياء كله خير
- ١٠٩٧ ، ١٠٩٦ الحياء لا يأت إلا بخير
- ١٠٩٦ الحياء من الإيمان
- ١٦٠٠ حياتي خير لكم تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، ووفاتي خير لكم...
- ١١٢٦ خدمت رسول الله ﷺ، قبل البعثة خمسة عشر سنة...
- ٢٣٢٥ خدمت النبي ﷺ عشر سنين...
- ٣٠٥٥ خذهن واجعلهن في مزودك هذا أو في هذا المزود
- ١١٣١ خذوا شطر دينكم عن الحميراء
- ٥٦٩ خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين
- ٣١٣٥ خرج منه الإيمان فكان فوق رأسه كالظلة
- ١٧ خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود
- ١٨٧٨ خرجنا حجاجا أو عُمَارًا ومعنا ابن صائد
- ١٢٨١ خرجنا من قومنا غفار، وكانوا يحلون الشهر الحرام
- ١١٣٧ خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظامي
- ١٤٦٤ ، ١٢١٦ خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ ﷺ الْقُرْآنَ، فكان يأمر بدوابه فتسرج
- ٩٦٢ الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا
- ١١٦٥ الخلافة في أمتي ثلاثون سنة
- ٢٠٠٦ ، ١١٦٤ ، ٩٦٢ خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك - أو ملكه - من يشاء
- ١٨٧٢ ، ١٨٧١ خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعًا
- ١٠ خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك
- ٩٩٨ خلق الله الخلق، فلما فرغ منه، قامت الرحم، فأخذت بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ...
- ٦ خلق الله ﷻ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد...

طرف الحديث

رقم الصفحة

- خلقت عبادي حنفاء كلهم
 خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار
 خمس بخمس: ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم
 خمس من الفطرة
 خمس من فعل واحدة منهن كان ضامناً على الله ﷻ
 خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم
 خيار ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد
 خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم
 خير الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، وخير الناس بعد أبي بكر عمر
 خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم
 خير نساها خديجة
 خير نساها مريم، وخير نساها خديجة
 خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم...
 الدجال أعور العين اليسرى، جفال الشعر
 الدجال مكتوب بين عينيه: ك ف ر؛ أي: كافر
 الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها: خراسان
 دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تسقها، ولم ترسلها
 دخلت مع أبي ذر على عثمان رضي الله عنه، فلما دخل حسر عن رأسه
 الدعاء هو العبادة
 دعه فإن الحياء من الإيمان
 دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة
 دعوها فإنها خبيثة
 الدنيا سبعة آلاف سنة، وأنا في آخرها ألفاً
 الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة
 الدين النصيحة
 ذاق طعم الإيمان: من رضي الله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً
 ذاك إبراهيم عليه السلام
 ذاك امرؤ يدعى في الملائكة الأعلى ذا النورين، كان ختن رسول الله
 ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدقهم
 ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة
 ذكر رسول الله ﷺ يوماً خديجة فأتطب في الثناء
 ذلك إبراهيم عليه السلام
 ذو منظر حسن
 رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته، له ستمائة جناح
 رأى محمد ربه بفؤاده مرتين
 الراجعة: النفخة الأولى، والرافدة: النفخة الثانية
 الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء

طرف الحديث

رقم الصفحة

- رأيت جبريل عليه السلام ، فإذا أقرب من رأيتُ به شبهًا دحية بن خليفة
 رأيت ربي تبارك وتعالى
 رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر ، فالتمس الوضوء فلم يجدوه
 رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر
 رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع إصبعيه
 رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح
 رأيت السد مثل البرد المحبّر . قال : رأيته
 رأيت الليلة رجلين أتياني قالا : الذي يوقد النار مالك . . .
 رأيت النبي ﷺ وكان الحسن يشبهه
 رأيت النبي ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وأبو بكر
 رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر ، ويقول : لتأخذوا مناسككم . . .
 رأيت عليًا رافعًا حضنيه يقول : اللَّهُمَّ إني أبرأ إليك من دم عثمان
 رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجرُ قُضْبَه في النار
 رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض
 رأيت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قلب ، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا . . .
 رأيت ليلة أسري بي موسى ، . . . ورأيتُ مالكا خازن النار
 رأيت نورًا
 رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شُلَّت
 رأيتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من حرير
 رأييتي دخلت الجنة ، فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة
 رب أشعث مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره
 رب أعني ولا تُعن علي ، وانصرنني ولا تنصر علي
 رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم
 رب اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم
 رب اغفر وارحم ، وتجاوز عما تعلم ؛ إنك أنت الأعز الأكرم
 رب ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله
 رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه
 رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين ، والحمة ، والنملة
 رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ . . .
 رفعت الأقلام ، وجفت الصحف
 الرؤيا الصالحة من الله ، والحلم من الشيطان
 رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة
 الرؤيا تجيء على موافقة النبوة ، لا أنها جزء باق من النبوة
 الرؤيا ثلاثة : فرويا الصالحة بشري من الله . . .
 الرؤيا من الله والحلم من الشيطان
 الريح من روح الله تأتي بالرحمة وبالعذاب . . .
 زينوا القرآن بأصواتكم

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ساعد الله أشد من ساعدك
سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ ...
سأل موسى السبيل إلى لقيه
سألت ربي اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم، فأعطانيهم
سألت عائشة، عن المسح على الخفين
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر
سبحان الله! إنَّ المسلم لا ينجس
سبحان الله: تنزيه الله وتبرئته
سبحان الله! ماذا أنزل الليلة من الفتنة، ماذا أنزل من الخزائن
سبحان الله: هذا كما قال قوم موسى:
سبحان الله يا أبا هر! إن المؤمن لا ينجس
سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة
سبحان من يذنب عبده ويستحيي هو
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي
سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدك
سبحانه ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة
سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل ...
سبق رسول الله، وصلى أبو بكر، وثلاث عمر، ثم خطبنا فتنة ما شاء الله
سبح قدوس رب الملائكة والروح
ستخرج نار قبل يوم القيامة من بحر حضرموت تحشر الناس.
ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم
ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة ...
سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق يقال له: لبيد
سر الله فلا تكلفه
سلام على من اتبع الهدى
السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين
السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون
السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون
سلمان سابق فارس
سلمان منا أهل البيت
سلوا الله العفو والعافية، واليقين في الآخرة والأولى
سلوا الله لي الوسيلة
سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟
سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات ...
السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية
سمعت عائشة وسئلت: من كان رسول الله مستخلفاً لو استخلفه؟
سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول، وهو يطوف بالكعبة

طرف الحديث

رقم الصفحة

- السُّنَّة ما سَنَّه الله ورسوله ﷺ، لا تجعلوا خطأ الرأي سُنَّةً للأمة
سيد الاستغفار أن تقول: اللَّهُمَّ أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك
السيد الله تبارك وتعالى...
سيف طالما قاتل به بين يدي رسول الله
سيكون عليكم أمراء يأمرونكم بما لا يفعلون
سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم
سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟
سيوقد المسلمون من قِسيّ يأجوج، ومأجوج، ونُشَابِهِمْ...
الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء
شراك من نار أو شراكا من نار
الشرك بالله، واليأس من روح الله
شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر رضي الله عنه فعزله
الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق...
الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قبة خضراء
شهدت عليًا حين قتل أهل النهروان، قال: التمسوا في القتلى
الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة
شيبتي هود وأخواتها
شيبتي هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت
صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد
الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله
صبرًا آل ياسر، مودعكم الجنة
صدق الخبيث
صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون
صغارهم دعاميص الجنة، يتلقى أحدهم أباه فيأخذ
الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم
صلى الله عليك وعلى زوجك
ضحك ربنا ﷺ من قنوط عباده
ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران
ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: باسم الله ثلاثًا
طلق حفصة تطلقه، فأثاه جبريل، فقال: يا محمد طلقت حفصة تطلقه
طلق حفصة ثم راجعها
الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان
طوبى للغرباء
طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا
طول القنوت في الصلاة يخفف سكرات الموت
الطيرة شرك
عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل

طرف الحديث

رقم الصفحة

- عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت ٢٠١٢
- عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك إلا للمؤمن ١٦٩٤
- عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ١٧٥٣
- عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلمّا سمعن صوتك ابتدن الحجاب ٢١٥٧
- العجز والكيس من القدر ٣١١
- عجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل؟ ٣٢٣٤
- عرضت على الأمم، يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان ٤٤٠
- العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبت ٢٥٩٠
- على النبات والقطر ٢٩١٦ ، ٢٨٠٦
- على مصافكم كما أنتم ١٣٣٣
- علي خير البشر، ومن أبى فقد كفر ٦٨٦
- عليك باين أبي طالب، فسله؛ فإنه كان يسافر مع رسول ﷺ ١٩٧٥
- عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد ٣٠٦
- عليكم بسُنَّتِي وَسُنَّةَ الخلفاء الراشدين المهادين، تمسكوا بها ١٥٧٩ ، ٤٢٨ ، ٤٢٤ ، ٤٢٢
- عليكم بسُنَّتِي وَسُنَّةَ الخلفاء الراشدين المهادين عضوا عليها ١١٦٥
- عليكم بسُنَّتِي وَسُنَّةَ الخلفاء الراشدين المهادين من بعدي ٤٢٩
- عليكم بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله ١١٥٠
- عليكم من العمل ما تطلقون، فوالله لا يملّ الله حتى تملّوا ٢٨٢٩
- عمّار ما عرض عليه أمران إلا اختار الأرشد منهما ٢١٥٠
- العهد الذي بيننا وبينهم ترك الصلاة، فمن تركها فقد كفر ٧٠٣
- العيافة والطرق والطيرة من الجبت ١٩٢٣ ، ٨٥١
- غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع... ٣٢٤٠
- غزا نبي من الأنبياء فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور ١٣٩٢
- غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله ١٢٨٣
- غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم ٢٦٨٧
- فأبواه يهودانه... ٦٩١
- فأتينا السماء الخامسة قيل: من هذا؟ قال: جبريل ٣٠٢٢
- فأتينا السماء الرابعة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل ١١٩ ، ١١٦
- فأتينا السماء السابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل ٥٥٧
- فاجعل هذه عن نفسك، ثم حج عن شبرمة ٤٠٠
- فأخبرني عن الإيمان؛ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ١٣٨٦
- فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم ٢٦٢٨
- فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ١٢٨٩
- فإذا نهر من دم فيه رجل، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة ٢٠٣١
- فأذهب فإذا رأيتهما قتل: بسم الله أجيبني رسول الله ﷺ ٢٢١٩
- فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا ٢٩٠
- فأزحفت عليه بالطريق فعني لشأنها إن هي أبدعت ٤٩٤

طرف الحديث

رقم الصفحة

- فاصنع الشجر وما لا نفس له
فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني
فأقول: يا رب، أُمِّي أُمِّي، فيقول: انطلق فأخرج منها...
فاكتني بابنك عبد الله بن الزبير
فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله
فألقي ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس
فأما الركوع فعظموا فيه الرب
فأما فتنة القبر، فهي تفتنون، وعني تسألون
فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل
فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله؛ يبتغي بذلك وجه الله
فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها
فإن الشيطان لا يتخلل بي
فإن عمر بن الخطاب منهم
فإن لله حاضرًا سيحسه
فإن لله عبادًا لا نراه
فإن لله في الأرض حاضرًا سيحسه عليكم
فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة، إلا عائشة
فأنا موضع اللبنة؛ جئت فختمت الأنبياء
فأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب
فأنطلق فأتني تحت العرش، فأقع ساجدًا لرَبِّي ﷻ ثم يفتح الله...
فانطلق فجعل يتفل ويقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
فانطلقنا فأتيناه على رجل كره المرأة كأكره ما أنت راء رجلاً امرأة
فانطلقنا فأتيناه على روضة معتمّة فيها من كل لون الربيع
فبينما هو كذلك؛ إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت...
فبينما هو كذلك؛ إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة...
فتح الله من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا، وعقد بيده تسعين
فتنة الرجل في أهله، وماله، وجاره تكفرها الصلاة والصدقة
فحج آدم موسى، فحج آدم موسى
فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا
فذلك سعي الناس بينهما
فرج سقف بيتي وأنا بمكة؛ فنزل جبريل...
فرُفِع لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور
فرفعت إليه امرأة صبيًا فقالت: ألهذا حج؟
فسيراني في اليقظة
فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام
فُضِّلَت على الأنبياء بست
فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم...
٦٨٠

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ١٣١٤ فقد رأى الحق
- ١٨١٤ فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور
- ٢٩٩٥ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه
- ٨٨٩ فلقد هممت أن أربطه حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون أو كلكم
- ٤٧٨ فلم لا تتبعوني؟
- ٢٨٢٥ فلما قضي عمر آدم، جاءه ملك الموت
- ٤٨٨ فلما كان ذات يوم أبطأت عليه فأوحى الله إلى أيوب
- ١١٩ فلما مر جبريل بإدريس قال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح
- ٣٢٥٣، ٣٢٤٨ فليس نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة وبيت في النار
- ٩٣٦ فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله
- ٧٧٤، ٣٣٩ فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله
- ٦٥ فليزلم الجماعة
- ٩٠٤ فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه
- ٢٠١٨ فمن أعدى الأول؟
- ٤٣٣ فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها سحب إليها
- ٢٠١٥ فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ﷺ؟ رحم الله موسى
- ٢٨٠٦ فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت
- ١٣١٣ فنعست في صلاتي حتى استقلت، فإذا أنا بربي ﷻ في أحسن صورة...
- ٩٢٣ فهذا يوم القيامة، جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة
- ١٢٧٥ فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟
- ٢٥٢٥ فهو فضلي أوتي من أشياء
- ١١٤٩ فهي نائلة - إن شاء الله - من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً
- ٢٠٣١ فوالذي نفس أبي القاسم بيده لتكلم بالكلمة أوبقت ديناه وآخرته
- ٥٤٦ فوالله لكان الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه
- ١٩٧٠ في الذي لم يرتع منها
- ٧٥ في الرفيق الأعلى
- ١٨٧٥ في صورته التي يعرفونها
- ١٨٧٥، ١٨٧١، ٨٥٣ فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم
- ١٨٧٦، ١٨٧٥ فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون
- ١٨٧١ فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا
- ١٨٧٥ فيرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة
- ٢٩٥٧ فيصلي بهم إمامهم؛ فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب
- ٢٠٢٥ فيصنع به إلى يوم القيامة
- ١٨٨٦ فيضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه
- ٢٤٩ فيفتح عليّ من محامده بما لا أحسبه الآن
- ٢٩٥٧ فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية
- ١٣٦١ فيقول الله ﷻ: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون

- ٢٦٦٧ فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة، أو خردلة من إيمان فأخرجه
- ١٨٨٢ فيقول: يابن آدم ما يصريني منك أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟
- ٢٣٥١ فيقولون: يا جبريل؛ ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق. فيقولون: الحق الحق فيكشف عن ساقه
- ١٥١٧، ١٥١٩ فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه
- ٤٣٨ فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون
- ٢٩٥٣ فيه وُلدت، وفيه أنزل علي
- ٢٦٣٤ فيوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله
- ١١٧٦ قال الله: أنا الرحمن، وهي الرحم شقت لها اسمًا من اسمي
- ١٣٦٠ قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك
- ٢٢١٣ قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني...
- ١٣٥١ قال الله ﷻ: إذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه
- ٢٤٦٩ قال الله ﷻ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
- ١٧٤٥، ١٧٤٣ قال الله ﷻ: الكبرياء رداي، والعظمة إزاري
- ٢٠٦٧ قال الله ﷻ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقًا كخلقي
- ٦٦٠ قال الله ﷻ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي
- ١١٨٦، ٦٤٨ قال الله ﷻ: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر
- ١٥٢٦ قال الله: كذَّبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك
- ٥٢٨، ٨٢ قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله: إذا مات فحرقوه، ثم اذروا نصفه
- ٢٤١٠ قال سليمان بن داود ﷺ: لأطوفن الليلة بمائة امرأة
- ١٥٩٤ قال له آدم: يا موسى؛ اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده...
- ٨١٠ قام موسى خطيبًا في بني إسرائيل فقليل له: أي الناس أعلم؟ قال: أنا
- ٣٢٤٠ القبر أول منازل الآخرة، فإن ينج منه فما بعده أيسر منه
- ٥١٦ قبل النبي ﷺ هدية من ملك أيلة
- ٣١٧٢ قد أوفى الله حق الغريم وبرئ منهما الميت
- ٤٠٠ قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به
- ١٠٠٩ قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هلك
- ١٠٠٩ قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم
- ٩١٩ قد عجب الله من صنعكما بضيفكما الليلة
- ٢٠١٢ قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي فعمر
- ٣٥٤ قد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال، يكلمون...
- ٣٤٨ قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي...
- ٢٤٩٨، ٣٤٧ قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]
- ٢٨٨٤ قرن ينفخ فيه
- ٢٩٨١، ٢٨٠٦ قریش ولادة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجر الناس تبع لفاجرهم
- ٥٤٧ قصرت عن رسول الله ﷺ بمشقة
- ٢٧٢٩ قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت
- ١٧٩٦

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٢٢٣٦ قل: اللَّهُمَّ عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض، رب كل شيء
 ١٩١٩ قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة
 ٢١٦٠، ٢١٤٧ قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ قال: أبو بكر
 ٢٧٢ قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن
 ٣٩٨، ٧٦ قولني: اللَّهُمَّ اغفر له، واعقبنا عقبى صالحة
 ١٧٠ قولوا: اللَّهُمَّ إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر
 ٢٠٧٤ قولني: اللَّهُمَّ إنك عفو تحب العفو فاعف عني
 ٢٦٠٦، ١٠٦٥، ١٠٠٨، ١٥ قولوا: اللَّهُمَّ صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم
 ٧١٥ قولوا: سمعنا وأطعنا
 ٢١٩٤ قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا
 ٢٩٨ قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم
 ١٦٢٨ قوموا إلى سيدكم
 ٣٢٥٢ قيامة الرجل موته
 ٣٢٤٣، ٥٧٩ قيل لبني إسرائيل: ﴿وَأَذْكُرُوا الْيَوْمَ الَّذِي كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾، فبدلوا
 ١٥٨٤ كاتب يا سلمان
 ١١٧٣ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبر ثلاثًا
 ٦٦٢ كان اسمي عبد عمرو، فلما أسلمت سماني رسول الله ﷺ
 ٣٢١٥ كان أشبههم برسول الله ﷺ، وكان مخضوبًا بالوسمة
 ١٢١٦ كان أعبد البشر
 ٢٥٦٩ كان الله تبارك وتعالى قبل كل شيء وكان عرشه على الماء
 ٢٥٦٩، ٢٤٤٧، ٢٣٨١، ٤٥٤، ٥٤ كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء
 ١٧٢٧ كان الله ولم يكن شيء قبله
 ٢٣١٩، ٢٠٥٠ كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء
 ٢١٤٩ كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر
 ٢٩٩٧ كان بين نوح وأدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق
 ١٢١٤ كان داود النبي فيه غيرة شديدة، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب
 ١٥٤١ كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن
 ٨٦٢ كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان
 ٥٦٩ كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بأنيتهم فيها الماء
 ٢٢٧ كان رسول الله ﷺ إذا غزا قومًا لم يغز حتى يصبح
 ١٤٢٠ كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات
 ٦٠٦ كان رسول الله ﷺ يسبح على الراحلة قبل أي وجه توجه
 ٢١٦٢ كان رسول الله ﷺ يسمر مع أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين
 ١٩٤٧ كان رسول الله ﷺ يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة
 ٢٣٤٥ كان رسول الله ﷺ يقرأ في الوتر ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾...
 ١٤٧٦ كان زكريا نجارًا
 ٢١٦١ كان عمر إذا سلك بنا طريقًا وجدناه سهلًا

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٧٢٩ كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض
- ٢٠٣١ كان في بني إسرائيل رجلان: كان أحدهما مجتهدًا في العبادة
- ١٣٠٤ كان الكفل - وفي رواية: ذو الكفل - من بني إسرائيل، لا يتورع من ذنب عمله
- ١٣٨١ كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث إلى كل أحمر وأسود
- ٢١٠ كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح
- ٢٦٣٨ كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم
- ٨٣٩ كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن؛ فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم
- ٨٧٨ ، ٨٤٧ كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر
- ١٥٩٢ كان نبي الله سليمان إذا قام في مصلاه، رأى شجرة نابتة بين يديه
- ١٥٣٠ كان النبي ﷺ إذا كان يوم الريح والغيم عرف ذلك في وجهه، وأقبل وأدبر
- ١١٨ كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك
- ١٣٨١ كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس كافة
- ٦٧٤ كان هؤلاء قومًا صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم
- ٩٢٧ كان يحشي على رأسه ثلاث حَبَّاتٍ؛ أي: ثلاث غُرَفٍ بيديه، واحداً منها حَبَّةٌ
- ١٣٩٥ ، ١١١٢ كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء؛ كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي...
- ٢٨٧٤ كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض
- ٢٥٧٨ كانت الرسل والمؤمنون تستضعفهم قومهم ويقهرونهم
- ١٣١٠ كانت رؤيا الأنبياء وحياً
- ١٩١١ كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها، في جهة واحدة
- ٦٧٩ كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق
- ٥١٣ كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيوت من ظهره
- ٣٨٨ الكبائر الإشراف بالله ﷻ، والأمن من مكر الله
- ٢٤٣٣ الكبائر: كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب
- ٢٨٨٩ كبر كبر
- ٢٠٦٩ الكبرياء رداي، والعظمة إزار، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار
- ٢٤٥١ كتب الله أعمال بني آدم وما هم عاملون إلى يوم القيامة
- ٢٤٤٧ كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض
- ٨٠٢ ، ٦١٥ ، ٥٤ ، ٢٣٨١ ، ٢٣١٩ ، ٢٠٥٠ ، ٢٥٦٩ ، ٢٤٤٩ كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة
- ١١٦٢ كتب في كتابه - وهو يكتب على نفسه، وهو وضع عنده على العرش...
- ٢٤٤١ ، ٢٤٤٠ ، ٢٤٣٩ ، ١١٦٢ كتب لك التوراة بيده
- ١٧٦٢ كذبت لا يدخلها؛ فإنه شهد بذرًا والحديبية
- ١٨٥٩ كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك
- ٢٤٧٩ الكرسي موضع القدمين
- ٢٤٧٩ ، ٢٣٤٠ الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره
- ٢٣٤١ ، ٢٣٣٩ الكرسي موضع القدمين، وله أطياف كأطياف الرحل
- ٢٤٨٠ كرسية علمه

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٣٢٢٢ ، ١٤٣ الكرم ابن الكرم، ابن الكرم، يوسف بن يعقوب
 ١١٤٢ كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً
 ٢٦٥٠ ، ١٠١٤ ، ١٠٠٤ كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى
 ٥٠٠ كل بدعة ضلالة
 ٤٩٦ كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة
 ٦٠٦ كل تسييح في القرآن فهو صلاة
 ٢٣٢٨ ، ٢٣١٩ ، ٣١٦ كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز
 ٢٤٥٣ كل شيء غير السعادة والشقاء، فإنهما قد فرغ منهما
 ٢٧٠٨ كل ما هو آت قريب إلا أن البعيد ما ليس بآت
 ٢٠٨٢ كل مسكر خمر، وكل خمر حرام
 ١٨٦٧ ، ٦٥٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٥ كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه في جهنم
 ٢٧٢١ ، ٢٢٨٩
 ١٧١٦ ، ١٠٧٧ كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه
 ٢٠٣٢ كل ميت يختم على عمله، إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله
 ١٧٠٨ كلا والذي نفسه بيده؛ إن الشملة لتلتهب عليه ناراً
 ١٧٣٢ الكلب الأسود شيطان
 ١٠٧٧ ، ١٠٧٦ كلكم ضال إلا من هديته...
 ٢٢٥٣ الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم
 ٢٩١٠ ، ٢٠٦٨ ، ٦٠٩ كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان
 ٢٩١٣ كلمتان خفيفتان
 ١٦٢٢ كلها في النار إلا السواد الأعظم
 ٥٠٢ كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة
 ٢٦٦١ كلهم في الجنة
 ٢٦٦٥ كلهم من هذه الأمة
 ١٢٥٣ كما تدين تدان
 ١١٢٥ كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا ثلاث
 ٢٦٧٧ ، ٢٦٧٥ ، ١١٢٩ كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا: مريم...
 ١٩٧٠ كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية...
 ٢١٩٢ ، ١٤٨٦ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل
 ٢١٥١ كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم
 ١٧٦١ كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا
 ٢١٦٠ ، ٦٨١ كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر...
 ١٦٣ كنا نصلي مع النبي ﷺ في شدة الحر
 ٣١٣٨ كنّا نعد على عهد رسول الله ﷺ أن الرباء الشرك الأصغر
 ٣١٤٦ ، ٣١٣١ ، ٣١٢٦ كنا نوجب لأهل الكباير النار حتى نزلت هذه الآية على النبي
 ١٩٩٥ كنت أنا وأمي من المستضعفين، أنا من الولدان وأمي من النساء
 ١٢٨٤ كنت عند أبي الدرداء إذ دخل عليه رجل من أهل المدينة فسأله فقال: أين تركت أبا ذر؟

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٣٠٥٧ كنت في الصفة، فبعث النبي ﷺ إلينا بتمر عجوة
- ٢٢٣٦ كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان
- ١٤٨٦ كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها
- ٢٠٢٥ كَيِّتَان
- ٢٩٥١ ، ٢٨٤٥ ، ٢٨٤٤ كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟
- ٢٩٨٦ ، ٢٩٨١ ، ٢٨٠٦ كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن
- ٢٩٨١ كيف أنعم، وصاحب الصور قد التقم الصور
- ٩٢٢ كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة
- ٣٢٣ كيف تجد قلبك؟
- ٢٨٥٨ ، ١٣٥١ كيف تجدك؟
- ٢٣٤٥ كيف يُقَدَّس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم
- ١٧٤٩ لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله
- ٢٦٥٦ ، ٢٢٢٩ لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن
- ٢٦٥٦ ، ٢٤٩ لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك
- ٢٠٠٨ لا أخلع سربالاً سربليه الله
- ١٤٠ لا؛ اعملوا فكل ميسر لما خلق له
- ١٧٨٦ لا، إلا أن تطوع
- ٢٨٦١ ، ٧٥ لا إله إلا الله، إن للموت سكرات
- ١٠٥١ لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض
- ٢٠٦٨ لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم
- ٢٢٠٠ لا إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما
- ٢٢٠٥ لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده
- ٢٧٣٧ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم لا مانع لما أعطيت
- ٢٧٥٢ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد
- ٣١٨٦ لا إله إلا الله! ويل للعرب من شر قد اقترب
- ٦٦٢ لا، أنت عبد الله
- ٤٣٥ لا أهولنك
- ٤٧٥ لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له
- ٢٣٥٩ لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك
- ٣٦١ لا بد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة
- ٩٨٦ لا؛ بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له
- ٣٩١ لا؛ بل مؤمن منيب، لا بل مؤمن منيب
- ٩٥١ لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً
- ١٥٠١ لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً
- ١٢٩٤ لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها
- ٩٥١ لا تحاسدوا إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار
- ٣١٦٠ لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا

طرف الحديث

رقم الصفحة

- لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي ٨٦٢
- لا تحلفوا بأبائكم ولا بالطواغيت ١٩١١
- لا تحلفوا بالطواغي ولا بأبائكم ١٠٤٢
- لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام ١٣٠٩
- لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة ٢٠٤٧ ، ١٠٦٣
- لا تخيروني من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ١٨١٤ ، ٤٤١ ، ١٣٨٨
- لا تدخل الملائكة بيتًا فيه تماثيل أو تصاوير ١٨٦٩
- لا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورة إلا رقمًا في ثوب ٦٥٢
- لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا تماثيل ١٨٦٩
- لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة تماثيل ٢٨٠٢
- لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، ١٧٤٠ ، ٨٤٦
- لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم ١٧٣٩
- لا تذهب أو تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي ٢٨٤٦ ، ٢٨٤٣
- لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض ٢٥٠٥ ، ٢٥٠٢
- لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر ٣١٣٦ ، ٢٥٠٥
- لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب ١٩٣٤
- لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه ٢٣٣٩
- لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد. حتى يضع رب العزة فيها قدمه ٢٤٨٣
- لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ١٩٠٤
- لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين ١٩٠٦
- لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ٨٤٥
- لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة ٢٩٥٦
- لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ٢٩٥٧ ، ١٩٠٨ ، ١٩٠٧ ، ١٩٠٤
- لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله، قاهرين لعدوهم ٢١٩٣
- لا تسبوا أحدًا من أصحابي ٢٠٣٨
- لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد... ١٧٧٢ ، ١٧٦١
- لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم... ١٧٥٩
- لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد... ٦٨٠
- لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي ١٠٠٨
- لا تسبوا الدهر ١٥٢٦
- لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون... ١٥٣٠ ، ١٥٢٩
- لا تسبوا الريح؛ فإنها من نفس الرحمن ٢٩٩٢
- لا تستطيعونه ٢٣٨٦
- لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام... ١٥٠١
- لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها ١٥٠١
- لا تضرك الفتنة ٢١٤٠
- لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبده ٢٦٥٨ ، ١٢٩٣ ، ١٠١٢ ، ١٠١٠

طرف الحديث

رقم الصفحة

- لا تفعلوا، لا يموتن فيكم ميت ما كنت بين أظهركم ألا آذنتموني به
 لا تقبّحوا الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته
 لا تقتله
 لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله
 لا تقولوا: السلام على الله؛ فإن الله هو السلام
 لا تقولوا للمنافق: سيد، فإنه إن يك سيدًا؛ فقد أسخطم ربكم ﷺ
 لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان
 لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز
 لا تقوم الساعة حتى تضطرب ألياث نساء دوس على ذي الخلصة
 لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها
 لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزًا وكرمان من الأعاجم
 لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله
 لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبًا من ثلاثين
 لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً
 لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال ويفيض
 لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس
 لا تلعن الرياح، فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئاً...
 لا تلعه فإنه يحب الله ورسوله
 لا تلعه، فوالله! ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله
 لا تنام الليل! خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله، لا يسأم الله حتى تسأموا
 لا تذروا فإن النذر لا يغني من القدر بشيء
 لا تسنا يا أخي من دعائك
 لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة
 لا تؤذيني في عاتشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكراً غيرها
 لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق
 لا رقية إلا من عين أو حمة
 لا شخص أغير من الله
 لا شيء أغير من الله
 لا صلاة إلا بآم القرآن
 لا طيرة
 لا طيرة وخيرها الفأل
 لا عدوى ولا صفر ولا هامة
 لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة
 لا عدوى ولا طيرة ولا غول
 لا عدوى ولا طيرة ولا هامة
 لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر
 لا عدوى ولا طيرة، وأحب الفأل الصالح

طرف الحديث

رقم الصفحة

- لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم... ٣٠٢٥، ٢٠١٨، ١٨٤٤
- لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل ٢٢٥٣، ٢٠١٨، ٦٢٥
- لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح، الكلمة الحسنة ١٩٤٧
- لا عدوى ولا غول ولا صفر ٢٢١٩
- لا عقر في الإسلام ١٥٠٠، ١٢٧٦
- لا قدّست أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قوياها وهو غير مضطهد ٢٧٣٧
- لا، كانوا إذا حلّوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه ١٦٥٦
- لا نبي بعدي ٢٩٥٦
- لا نورث ما تركنا صدقة ٢٩٣٣، ٢٢٥٠، ٢٢٤٩، ١٤٧٧
- لا نورث؛ ما تركنا فهو صدقة ٢٢٥١، ٢٢٥٠، ٢٢٤٩، ٢٢٤٤، ٢٢٤٣، ١٥٩٠، ١٤٧٦
- لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ٣٠٣٥، ٣٠٣١
- لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك ٢١٥٦، ١٠٠٧
- لا، ولكن هذا قبر فلان، بعثته ساعياً على بني فلان ٢٠٣٠، ١٤٤٩
- لا ومقلب القلوب ٢٧٨٨
- لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ١٢٠٠
- لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن ييني بها ولما بين بها ٣٢٤٢
- لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ٢٨٥٦
- لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو ٢٨٥٨، ١٣٥١
- لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث ٣١٣٧، ١٥٤٤، ١٣٦٨، ٨٧٧
- لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام ٣٠٢٩، ٣٠٢٨
- لا يخاف ابن آدم يوم القيامة أن يظلم فيزداد عليه في سيئاته ١٩٦١
- لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه سيئات غيره، ولا يهضم فينقص من حسناته ١٩٦٥
- لا يدخل أحد الجنة إلا رأى مقعده من النار لو أساء؛ ليزداد شكراً ٣٢٥٣، ٣٢٤٧
- لا يدخل الجنة قاطع ٣١٤٠، ٣١١٨
- لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ٣١٤١، ٣١٣٠، ٣١١٨، ٢٥٩٢، ٨٨٣
- لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه ٣١٤٠، ٣١١٨
- لا يدخل المدينة ولا مكة وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة؟ ١٨٧٨
- لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها ١٨٠١، ١٧٦٣، ١٥٥٧
- لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللآلئ والعزى ٢٧٧٢، ٢٧٧٠
- لا يرث المؤمن الكافر ٤٥٢
- لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه ٢٥٠١، ١٩١٩
- لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ٢٢٩١، ٢٢٩٠
- لا يزال طائفة من أمتي على الحق منصورين، لا يضرهم من خالفهم ١٩٠٦
- لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ١٩٠٥
- لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله ٥٩٧
- لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ١٢٩٧
- لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ١٩٠٤

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٤٨١ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق... .
- ٣١٣٤ ، ٢٦٦٨ ، ١٤٩٣ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر... .
- ١٥٠٧ لا يسأل بوجه الله إلا الجنة
- ٥٢٩ لا يسمع صوته شجر ولا مدر ولا حجر ولا جن ولا إنس إلا شهد له
- ١٧٠١ ، ١٦٩٦ ، ١٦٩٤ ، ١٠٥٨ لا يشكر الله من لا يشكر الناس
- ٣١٣١ ، ٣١٢٧ ، ٣١١٨ لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فيدخل النار، أو تطعمه
- ٢٠١٨ لا يعدي شيء شيئاً
- ٦٨٦ لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلا جلدته حد المفتري
- ٢٢٥١ لا يفتسم ورثتي ديناراً ولا درهماً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة
- ٣٣٤ لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك، اسق ربك
- ١٥٢٦ لا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر، فإن الله هو الدهر
- ١١٤٢ لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع
- ١٣٥٤ لا يمت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه تعالى
- ٣١٩٣ ، ٩٥٩ ، ٩٥٧ ، ٩٥٦ لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن
- ٢٨٥٨ ، ٧٢ لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ
- ١٣١٤ لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي
- ٢١٨ لا ينتهب الرجل نُهبة ذات سرف وهو مؤمن
- ٢٠٢٠ ، ٢٠١٩ لا يوردن ممرض على مصح
- ٣١٥٨ ، ٢٦٥٦ ، ١٧٠٥ ، ١٠٠٧ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين
- ٢٣٢٠ لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: بشهادة أن لا إله إلا الله... .
- ٧٦ لأستغفرن لك ما لم أنه عنك
- ٣١٣٣ لأعذبن الظالم
- ٢٢٥٨ لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه
- ٢٦٧٠ ، ٢٦١٠ ، ٢١٤٤ ، ٢١٣٧ لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله
- ٢٣٥٣ لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد
- ١٦٤٥ ، ١٠٤٢ لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً
- ٢٦٨٧ لأننا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان
- ٢١٢٩ لبيك ذا المعارج، لبيك ذا الفواضل، فلم يعب على أحد منهم شيئاً
- ١٠٠٤ لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه
- ١٦٧٥ ، ٤٥١ لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع
- ٢١٤٥ ، ١٤٧١ لتقاتلنه وأنت ظالم له
- ٢٣٧٨ ، ٢٣٧٧ ، ٩٨٢ لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء
- ١٣٠٢ لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به
- ١٦٥٧ لسنا نعبدهم
- ١٥٥٧ لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة
- ١٩١٦ ، ١١٤٩ لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه
- ٢٥٥٦ لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ١٢٧٨ لعن الله من ذبح لغير الله
 ١٢٧٢ لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله
 ٢٥٥٦ لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة
 ٣٢١٣ لعن المؤمن كقتله
 ٢٥٥٧ لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها...
 ١٤٩٩ لعن زوارات القبور
 ٢٣٠٥، ١٥٠١، ١٤٩٩ لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا
 ٢٨٦٤، ٢٥٥٨
 ٢٣٥، ٥٠٧، ٨٧٠، ١٣٤٥ لقد دعا الله باسمه العظيم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى
 ٢٨٣٥، ٢٤٢٢
 ٨٤ لقد سألت الله بالاسم الذي إذا دعي به أجاب
 ٢٦٧٧، ١١٣٠ لقد فضلت خديجة على نساء أمتي، كما فضلت مريم على نساء العالمين
 ٢٩٩٠، ١٠٦٢ لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت اليوم لوزنتهن
 ٢٦١٦، ٢١٥٧، ٣٤٨ لقد كان فيما قبلكم من الأمم أناس محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر
 ٢٦٢٠، ٢٦١٩، ٢٦١٨
 ٢٦١٦ لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء
 ٢٨٢٣، ١٦١٠ لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة
 ١١٦٩ لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد
 ٢٨٦٢، ٧٢٨، ٧٢٦، ٧٦ لقنوا موتاكم لا إله إلا الله
 ٧٢٦ لقنوا موتاكم لا إله إلا الله، فإنه من كان آخر كلمته: لا إله إلا الله
 ٧٢٦ لقنوا هلكاكم قول: لا إله إلا الله
 ١٤٧٠ لكل نبي حوارى وحوارى الزبير
 ٢٧٠٨ لكل نبي دعوة، فأريد إن شاء الله أن أختبي دعوتي، شفاعاً لأمتي يوم القيامة
 ٢٨٨٧ لكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان
 ١٧١٩ للشهيد عند الله ست خصال، يغفر له في أول دفعة
 ٧٦٥ لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم فقد دابته...
 ٢٢٧٧، ٧٦٥ لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دوية مهلكة
 ٣٠٧٩ لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحداً، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة
 ٢٧٩٩، ٨٦٤ لم أره على صورته التي خُلق عليها غير مرتين
 ١٩١٧ لم أسمع
 ١٩٦٨ لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين
 ٢٢٣١ لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها؛ إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع
 ١٧١١ لم يبق بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن الرجل الصالح أو ترى له
 ٢٤٩٦ لم يبق من النبوة إلا المبشرات
 ١٠٨٧ لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم
 ١٦٣٦ لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله
 ١٢٦٩، ١٢٦٨، ٣٧ لم يكذب إبراهيم النبي ﷺ قط إلا ثلاث كذبات...

طرف الحديث

رقم الصفحة

- لم يكن النبي ﷺ سبًا ولا فحاشًا ولا لعانًا ١٥٢١
- لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك ١٧٩٧، ٥٣٩
- لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله ﷻ أرواحهم في أجواف طير خضر ٢٠٢٣، ١٤٤٦
- لما اقترب آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي ٨٢٥، ١١
- لما توفي رسول الله ﷺ... فلما قعد أبو بكر ﷺ على المنبر ٢١٣٩
- لما توفيت دفنها زوجها علي ليلًا، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها ٢٢٤٢
- لما خلق الله آدم مسح ظهره يمينه ٢٦٨٠
- لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته ٢٦٨١، ٢٦٧٩، ١٢١٣، ٥٨
- لما خلق الله آدم، ونفخ فيه الروح قال له - ويده مقبوضتان -: اختر أيهما شئت ٢٣١٠
- لما خلق الله الخلق كتب في كتابه إن رحمتي تغلب غضبي ١١٨٦
- لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه ١١٦٢
- لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه ٦٤٤
- لما عُرج بي رأيت إدريس في السماء الرابعة ١١٩
- لما عرج بي ربي ﷻ مررت بقوم لهم أظفار من نحاس ٢٠٣١
- لما غسل النبي ﷺ ذهب يلتمس منه ما يلتمس من الميت فلم يجده. ١٩٤٠
- لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم؟ ٢١٧١
- لما قضى الله الخلق، كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي ٢١٩٦، ١٣٥٨، ٦٧٨
- لما نفى عثمان أبا ذر إلى الربرة، وأصابه بها قدره ١٢٨٦
- لما نفخ الله في آدم الروح، فبلغ الروح رأسه عطس ١٤٣٧، ١٤٣٣
- لملك الموت أعوان من الملائكة، يخرجون الروح من الجسد ٢٨٢٦
- لن يبرح هذا الدين قائمًا يقاتل عليه عصاة من المسلمين حتى تقوم الساعة ١٩٠٥
- لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة ٣٦٣
- لن يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخير ٢٨٦٣، ٧٧
- لن يوافي عبد يوم القيامة، يقول: لا إله إلا الله، يبتغي به وجه الله، إلا حرم الله عليه النار ٣١٢٨
- لو اتفقتما لي ما شاورت غيركما ٢١٦٢
- لو اجتمع الناس على قتل عثمان لرُموا بالحجارة كما رُمي قوم لوط ٢٠٠٥
- لو أخبرتكم أنكم تقتلون إمامكم وتقتلون فيما بينكم بالسيوف لما صدقتموني ٣٠٥٩
- لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي ١٨٨٧
- لو أن أباك أسلم فتصدقت عنه، أو صمت، أو أعتقت عنه؛ نفعه ذلك ٣٩٦
- لو أنكم تولّكتم على الله حقّ تولّكته لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا ٨٢٩
- لو بثثته فيكم، لقطع هذا البلعوم ٣٠٥٩
- لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل ١٩٧٢
- لو جمع علم نساء هذه الأمة كان علم عائشة أكثر من علمهنّ ١٩٧٢
- لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد ٢٦٥٨
- لو دنا مني لاخطفتة الملائكة عضوًا عضوًا ٢٦٣٧
- لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار واديًا سلكت وادي الأنصار ٥٤٧
- لو سيرني عثمان إلى صرار لسمعت وأطعت ٢٠٠٥

طرف الحديث

رقم الصفحة

- لو قلت: نعم! لوجبت ولما استطعتم... ٥٩١
- لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال أو رجل من هؤلاء ١٥٨٥
- لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر ١١٧٨
- لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عاليج لكان لهم يوم يخرجون فيه ٢٩٢٣
- لو لم يبق من الدهر إلا يوم؛ لبعث الله رجالًا من أهل بيتي يملأها عدلاً ٢٨٤٣
- لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ٢٠٣٥
- لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله ﷻ أن يسمعكم من عذاب القبر ٥١٧
- ليت رجالًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة ١٥٥٨
- ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج ٣١٩٠
- ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبي ١٠٨٨
- ليس أحد منّا أعلم من معاوية ٢٧٣٤
- ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ٢٠٥٢ ، ٩٤٦
- ليس البر أن تصلوا ولا أن تعملوا ٥١٥ ، ٥١٤
- ليس بيني وبينه نبي - يعنى: عيسى - وإنه نازل؛ فإذا رأيتموه فاعرفوه ٢٩٥٢
- ليس الدين الرأي ولكنه السمع ١٦٠٢
- ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه ٣١٣٨
- ليس الرجل بأمين على نفسه، إن أجعته، أو أخفته أو حبسته ٣٢٦
- ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال ١٤٨٥
- ليس شيء أثقل في الميزان من خلق حسن ٢٩١٣
- ليس على أهلك كرب بعد اليوم ٢٢٨١
- ليس فيما دون خمس أواق صدقة، وليس فيما دون خمس ذود صدقة ١٢٨٧
- ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجته أحب لقاء الله ٦٩
- ليس من الإنسان شيء إلا يبلَى، إلا عظمًا واحدًا ٢٨٥٤ ، ١٤٣٨
- ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال؛ إلا مكة والمدينة ٢٦٩٤
- ليس منّا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له ٢١٠٦ ، ١٥٤١
- ليس منا من ضرب الخدود، وشقّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية ٣١٣٠
- ليس منا من لطم الخدود وشقّ الجيوب ودعا بدعوى أهل الجاهلية ٣١٣٩ ، ٣١٣٦ ، ٨٤٤
- ليقتلني القوم ٢٠٠٩
- ليلزم كل إنسان مصلاه ١٢٠٩
- ما أبالي حين أقتل مُسلمًا ١٢٦٩
- ما أبدلني الله ﷻ خيرًا منها ٢٦٧٨
- ما أبدلني الله ﷻ خيرًا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس ١١٣٠
- ما أحب أن تهون على سكرات الموت؛ إنه لآخر ما يكفر به عن المؤمن ٢٨٦٦
- ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد ثم يعافيه ويرزقهم ١٧٤٧
- ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله ١٧٤٨ ، ١٧٤٧
- ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد ١٧١٩
- ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه ١٥٦٠ ، ١٥٥٩

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ١٥٦٠ ما أسلم أحد قبلي
- ٦٦٢ ما اسمك؟
- ١٩٧٣ ما أشكل علينا - أصحاب رسول الله ﷺ - حديث قط فسلنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا
- ١٥٣٤ ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده
- ١٢٨٤ ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر
- ١٢١٦ ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده
- ٣٢٥٥ ما المسؤول عنها بأعلم من السائل
- ١٥١٥ ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها
- ٢٦٦ ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها
- ٦٢٨ ما أمضاك أو ردك
- ١٦٢٤ ، ١٥٧٨ ما أنا عليه وأصحابي
- ١٠٨٥ ما أنتم بجزء من مائة ألف جزء ممن يرد علي الحوض يوم القيامة
- ١٥٨ ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين
- ٨٤٨ ما بال دعوى أهل الجاهلية
- ٣٠٩٨ ما بال رجال بلغهم عني أمر ترخصت فيه فكرهوه وتنزهوا عنه
- ٢٨٩٨ ما بعث الله من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم
- ٢٦٨٦ ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال
- ٢٩٢٤ ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع
- ٢٩٢٦ ، ١٢١٨ ، ١٢٠٨ ، ١١٣٣ ما تذكرون؟
- ٥٩٨ ما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددني عن قبض نفس عبدي المؤمن
- ٣٢٠٨ ، ٣١٩ ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب..
- ٥٢١ ما توطن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر إلا تشبش الله له
- ٢٣٢٠ ما جرى ذباب بين اثنين إلا بقدر
- ٤٢١ ما حلفت بعدها أثرًا ولا ذاكراً
- ٨٢٥ ما خرج رجل من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك
- ١٩٧٥ ما رأيت أحدًا أشبه سمًا ودلاً وهدياً برسول الله
- ١٩٧٣ ما رأيت أحدًا أعلم بسنن رسول الله ﷺ ولا أفقه في رأي... .
- ١٩٧٣ ما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله ولا بسنة عن رسول الله ﷺ... .
- ٢٧٣٤ ما رأيت أحدًا بعد عثمان أفضى بحق من صاحب هذا الباب
- ١٩٧٥ ما رأيت أحدًا قط أصدق من فاطمة غير أبيها
- ٢١٦٠ ما رأيت أحدًا قط بعد رسول الله ﷺ من حين قبض
- ١٩٧٥ ما رأيت أحدًا كان أصدق لهجة منها، إلا أن يكون الذي ولدها
- ١٩٧٥ ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها
- ١٩٩٠ ما رأيت مصلبًا أحسن صلاة من ابن الزبير
- ١٤٩٢ ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن
- ٢٣٠٢ ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه
- ٢٩٩٠ ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٢٦٩٤ ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال أكثر ما سألته
 ٢٦٩٩ ما شاء الله، ثم شئت
 ١٨٤٨ ما شئت، فإن زدت فهو خير لك
 ٥٤٣ ما ظنك باثنين الله ثالثهما
 ١١٢٦، ١١٢٥ ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة
 ٢٤٧، ٢٤١ ما قال عبد قط إذا أصابه هم وحزن: اللهم إني عبدك، وابن عبدك
 ٢٩٣٣ ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه
 ٢٠٠٦ ما كان في القوم أوكد بيعة من عثمان كانت بإجماعهم
 ٥٧٧ ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك؛ فكلمه كفاحاً
 ٢٥٥٣ ما لك يا عائش حشياً رابية؟
 ١٧١٩ ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا...
 ١٥٩٧، ١٥٧٠ ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد ﷺ
 ١٧٩٠، ١٧٨٦، ٧٣٢ ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً...
 ٣٠٥٥ ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو
 ٢٧٤٣، ١١٤٧، ٢٩٣، ٢٩٠ ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر
 ١٧١٢ ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث...
 ١١٣٦ ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها...
 ٣٧٣ ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة
 ٢٣٧٧ ما من رجل تكون له إبل، أو بقر، أو غنم لا يؤدي حقها...
 ٣٢٥٥، ٩٨١، ٩٨٠، ٩٤٦، ٩٢٢ ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها...
 ٣١٤١، ٣١٣٠، ٣١١٨، ٣٧٣ ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت
 ٢٥٤٣، ٢٥٤٠ ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله
 ١٦١٢ ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله
 ٣٢٦ ما من كلام أتكلم به بين يدي سلطان يدرأ عني..
 ٨٥٧ ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله...
 ٢٢٩٧، ٢٢٩٥، ٢٠٩٣، ٦٩٠ ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه
 ٢٦٧٦ ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسّه حين يولد
 ٣٩٨ ما من ميت يصلّي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة
 ٢٦٨٧ ما من نبي إلا وقد أُنذر أُمته الأعور الكذاب
 ٣٧٩ ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون
 ٢٩٣٣، ٢٨٦٢، ٧٧ ما من نبي يمرض إلا خيّر بين الدنيا والآخرة
 ٧٣٢ ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله...
 ١١٥٧، ١١٥٣، ٣٥٨ ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ
 ٢٩٤٧ ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة
 ٩١٩ ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان
 ٥٧٧ ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حجاب يحجبه ولا ترجمان
 ١٤٠ ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٢٣٧٢ ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن
- ٢٤٤٧، ٢٣٢١ ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها
- ١٢١٩ ما نمت الليلة حتى أصبحت
- ١٦٣٣ ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني
- ١٢٩٩ ما هذا الذي أراكم تصنعون؟
- ٧٣٥ ما هذه؟
- ٦٥٤ ما هذه النمرقة؟
- ٣٢٣ ما وراءك؟
- ١٥٠٦ ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم
- ١٢٨٦ ما يسرنني أن لي مثله ذهباً أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير
- ٣١٢٨ ما يصيب المؤمن من وصب، ولا نصب، ولا سقم...
- ١٧٥٣ ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله
- ٢٦٤٠ ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً
- ١٧ المتشعب بما لم يعط كلابس ثوبي زور
- ١٢٩٧ مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت
- ١٢٩٧ مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت
- ٢٣٤٩ مثل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة
- ٣٧٩ مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة
- ٢٣٨٦ مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله
- ٣١٠٧ مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تَعِيرُ إلى هذه مَرَّةً وإلى هذه مَرَّةً
- ٣١٦٠ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد
- ٢٦٣٦ مثلي ومثل ما بعثنى الله كمثل رجل أتى قومًا فقال: رأيت الجيش بعيني
- ٥٠٤ المدينة حرم فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى مُحْدِثًا فعليه لعنة الله
- ٢٥٥٦ المدينة حرم من كذا إلى كذا. لا يقطع شجرها، ولا يحدث فيها حدث
- ١١٦ مرحبًا بالنبّي الصالح والأخ الصالح. فقلت: من هذا؟ قال: إدريس
- ١٨ مروا أبا بكر فليصل بالناس
- ١٥٢١ المستبان ما قالاً فعلى البادئ، ما لم يعتد المظلوم
- ١٩٩٧ مسح النبي ﷺ رأسي ودعا لي بالحكمة
- ٢٠٢٣ ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارًا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى
- ٢٨٠٨ الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه
- ٢٨٠٨ الملائكة يتعاقبون؛ ملائكة بالليل وملائكة بالنهار
- ١٥٠٧ ملعون من سأل بوجه الله، وملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله
- ٢١٥٠ ملئ عمار إيمانًا إلى مشاشه
- ٢٩١٣ مم تضحكون؟
- ٢٠٠١ من آذى العباس فقد آذاني، إنما عم الرجل صنو أبيه
- ٩٧٥، ٣٧٠، ٨٧٧ من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم... من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة
- ٢٥١٥، ٢٠٤١، ٢٠٤٠، ١٥٤٧

طرف الحديث

رقم الصفحة

- من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ١٥٤٦ ، ١٥٤٧ ، ٢٠٤٠ ، ٢٠٤١ ، ٢٥١٣ ، ٢٥١٤
- من أحال على غائب لم ينتصف منه! وما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان! ١١٥٥
- مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْطَلَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ٥٦
- من أحب لقاء الله أحب لقاء الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ٦٩ ، ٧٤ ، ١٣٣٤ ، ٢٠٢٩ ، ٢٤٨٨ ، ٢٨٥٥
- من أحب الله، وأبغض الله، وأعطى الله، ومنع الله فقد استكمل الإيمان ٣١٥٥ ، ٣١٥٦
- من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد ٢٣٧ ، ٤٠١ ، ٤٩٥ ، ٥٠٠ ، ٧٣١ ، ١٣٠١ ، ٢٨٩٧
- من أحصاها دخل الجنة ٢٥٢
- من أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ٢٦٩٦
- من ادَّعى قومًا ليس له فيهم؛ فليتبوأ مقعده من النار ١٧
- من أراد بحبوحه الجنة فليزِم الجماعة ٦٥
- من أراد منكم الباءة زوجناه، لا يزني منكم زان إلا نزع منه نور الإيمان ٣١٣٤
- من استحيا من الله استحيا الله منه ١٠٩٨ ، ١٠٩٢
- من استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف ٢٩٨
- من اشتكى منكم شيئًا أو اشتكاه أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء ٢٣٤٤
- من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله ١٧٠٥
- من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض ١٨١٣ ، ٢٩٨٠ ، ٢٩٨٣
- من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد ٧٤٦
- من اقتبس علمًا من النجوم، اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد ٧٤٨
- من اقتطع حقَّ امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار ٣١١٨ ، ٣١٤١
- من أكل من هذه الشجرة الخبيثة شيئًا فلا يقربنا في المسجد ٥٩١
- من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ٩٧١
- من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله ١٩٥٩
- من أنظر معسرًا، أو وضع له، أظله الله في ظل عرشه يوم القيامة ١٩٥٧
- من أنفق زوجين في سبيل الله دعت خزنة الجنة أي قل هلم ١١٢٠
- من بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع ٣٦١ ، ٣٧٠
- من بدل دينه فاقتلوه ١٣٦٨
- من بنى بأرض المشركين، وصنع نيروزهم ٣١٦٥
- من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه ١٩٣٣ ، ٧٦٠
- من تشبه بقوم فهو منهم ٦٩٧ ، ٧٣٨ ، ٣١٦١ ، ٣١٦٥
- من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذًا فليعذ به ١٧٢
- من تعار من الليل، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له... ١٠٥٧ ، ٦٠٧ ، ٨٦
- من تعلق تيممة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له ٢٤٤٣ ، ٧٣٥
- من تعلق شيئًا وكل إليه ٧٣٧ ، ٧٣٨
- من تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا ٣١٨
- من جاءكم وأمركم على رجل واحد... ٩٧٥
- من جعل الهموم همًا واحدًا همَّ المعاد كفاه الله همَّ دنياه ٩٧١

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٢٦٩٦ من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال
 ١٠٤٢ من حلف بغير الله فقد أشرك
 ١٦٤٥ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٢ ، ٨١٨ من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك
 ٧٠٠ من حلف على يمين، ثم رأى أتقى الله منها، فليأت التقوى
 ١٦٤٦ ، ١٠٤٤ من حلف فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله
 ٣١٣٩ من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا
 ٢٩٨٧ ، ٢٩٨٦ ، ١٢٠٠ من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل
 ١٢٠٠ من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء
 ٣٩٧ ، ١٣٦ من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه
 ١٣١٤ من رأيي فقد رأي الحق
 ١٣١٤ من رأيي فقد رأي الحق
 ١٣١٤ من رأيي في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي
 ١٣١١ من رأيي في المنام فقد رأيي حقًا، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي
 ٢٠٠٩ من رأيي في المنام فقد رأيي؛ فإن الشيطان لا يتمثل بي
 ٨٧٨ من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه
 ٣٧٩ من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه
 ١٦٤٦ ، ٦٢٥ من رده الطيرة من حاجة فقد أشرك
 ٢٨٥٦ من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه
 ٦٣٨ من سأل الله القتل في سبيله صادقاً من قلبه أعطاه الله أجر الشهادة
 ١٥٠٧ من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً، فليستقل أو ليستكثر
 ١٠٨٩ من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
 ٢٣١١ من سره أن يسطر له في رزقه أو ينسأ له في أثره؛ فليصل رحمه
 ٥٩٣ من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات
 ٦١ ، ٦٠ من سره أن ينسأ له في أجله، فليصل رحمه
 ٢٩٨٤ ، ٤٣٦ من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي العين...
 ١٤٥٩ من سمع سمع الله به، ومن يراني يراني الله به
 ٤٩٨ ، ٣٩٧ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها
 ١٦٢٨ من سيدكم؟
 ١٣٣٩ من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً، ويخفي آخرين
 ٤٠٠ من شربة؟
 ١٥١٤ من شرار الناس من تدركههم الساعة وهم أحياء
 ٣١٢١ من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، حرّم على النار
 ٢٩١٩ ، ٢١٨٠ من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله
 ٢٣٠ ، ٢٢٧ من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم
 ١٨٤٩ من صلى علي من أمتي صلاة مخلصاً من قلبه؛ صلى الله عليه
 ١٨٤٨ ، ١٠٠٧ من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً
 ٢٧٢٠ ، ٦٤٨ ، ٦٤٥ من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أن يتفخ فيها الروح، وليس بنافع

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٢٤٤٣ من علق تيممة؛ فقد أشرك
 ٢٨٩٧، ١٣٠٢، ٤٩٥ من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد
 ٣١٤٠ من غشنا فليس منا...
 ١٤٩٢ من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص معه
 ١٤٥٩ من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله
 ٨٩٨ من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
 ١٥١٢ من قال حين يخرج إلى الصلاة: اللّهُمَّ إني أسألك بحق السائلين عليك
 ٣١١١، ٢٧٧٤ من قال حين يسمع النداء: اللّهُمَّ رب هذه الدعوة التامة...
 ٦٠٩ من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده...
 ٢٠٩٨ من قال حين يمسي: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء
 ٦٠٩، ٦٠٧ من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر
 ٤٧٩ من قال في يوم: سبحان الله وبحمده مائة مرة، حطت خطاياها
 ١٧٨٦ من قال: لا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة
 ١٩٨٢ من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه
 ١٦٥٢ من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله
 ٣٢٢٨ من قال مثل هذا يقيئاً دخل الجنة
 ١٦١ من قال: مطرنا بنوء كذا
 ٢٣١٥ من قبل مني الكلمة التي عرضت على عمي فردها علي فهي له نجاة
 ٣١٤٢ من قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم
 ٢٠٣٢ من قتله بطنه فإنه لن يعذب في قبره
 ١٤٤٦ من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت
 ١٠٩٧ من قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه
 ٢٨٦٢ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة
 ٣١٢١ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة
 ٧٢٧ من كان آخر كلامه من الدنيا: لا إله إلا الله دخل الجنة
 ٧٢٦، ٧٦ من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة
 ٧٣٢ من كان آخر كلمته: لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة
 ١٧٥٩، ١٥٧٨ من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ
 ٢٣٧٧ من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحللل منها
 ٢٤٣٣ من الكبائر شتم الرجل والديه
 ٣٦٦ من كره من أميره شيئاً فليصبر
 ٣١٧٦، ٢١٣٧ من كنت مولاه فعلي مولاه
 ٢٦٤٥ من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله
 ٣١٦٠ من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا
 ١٣٥٤ من لم يسأل الله يغضب عليه
 ١٦٧٨، ١٦٧١، ١٦٥٠، ١٦٣٩ من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك...
 ٣٠٦ من مات مفارقاً للجماعة مات ميتة جاهلية

طرف الحديث

رقم الصفحة

- من مات وعليه صيام صام عنه وليه ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠٠
- من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق ٢٩٧٥
- من مات وهو يدعو الله ندًا دخل النار ٤١١
- من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار ١٢٢٣
- من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صادقًا... ٧٣٢
- من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة ٣١١٨ ، ٣١٢٧ ، ٣١٣١
- من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقى فتنة القبر ٢٠٣٢
- من محمد النبي ﷺ لبني زهير بن أقيش... ٦٩١
- من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه ٢٩٤١
- من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه ٢٩٤١
- من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ٢٩٩٣
- من نوقش الحساب عذب ٩٢٠
- من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به ٢٥٧٦
- من يأت بني قريظة فيأتينني بخبرهم؟ ١٤٧٠
- من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئًا سمعه مني ٣٠٥٥
- من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ٢٧٣٧ ، ١٢٥٧
- من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم ٢٧٥٢
- من يسألني فأعطيه؟ ومن يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟ ٢٩٥٠
- من يضم أو يضيف هذا؟ ١٨٨٢
- من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهل بيتي... ١٩
- من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وخير الحديث كتاب الله ٣٠٤١ ، ١٨٩٠
- المهدي من عترتي من ولد فاطمة ٢٨٤٦ ، ٢٨٤٢
- المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة ٢٨٤٦
- المهدي مني أجلى الجبهة، أقتى الأنف ٢٩٥٤ ، ٢٨٤٦ ، ٢٨٤٣
- موت الفجأة أخذه أسف ٧٩
- موت الفجأة راحة للمؤمن وأخذه أسف للفاجر ٧٩
- المؤدّة: حُبُّ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ ٣١٧١
- المؤدّن يغفر له مدى صوته، ويشهد له كل رطب ويابس ٥٢٩
- المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ١٧٦
- المؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضًا، ثم شبك بين أصابعه ٣١٦٠
- المؤمن من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب ٣٠٣٢
- الميزان بيد الرحمن إن شاء يرفع أقوامًا ويضع آخرين ٢٧١
- ناركم هذه التي يؤقد ابن آدم جزء من سبعين جزءًا من حر جهنم ٢٩٢٠
- الناس تبع لقريش في هذا الشأن ٣٦٢
- الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض ١١٤٨
- نبدأ بما بدأ الله به ٢٧٨٤
- النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود والوليدة ١٤٤٨

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ١٧٩٩ نجيء نحن يوم القيامة. . .
- ٣٨ نحن أحق بالشك من إبراهيم
- ٩٠١ نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة
- ٢٣٧٧ نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلاق
- ٨٦٢ نزل جبريل فأمني، فصليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه
- ٢٨٧١، ٢٦٣٩، ٢١٨١، ١٢١٣ نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان
- ٢٠٣٠ نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة
- ٤٩٧، ٤٩٩ نغم البدعة هذه
- ١٤٠ نعم المال الصالح مع الرجل الصالح
- ١٩٩٦ نعم ترجمان القرآن ابن عباس
- ٤٠٠، ٣٩٥ نعم، حُجِّي عنها، أرايت لو كان على أمك دين أكنت قاضية؟
- ٣١٦٧، ٥١٤ نعم صليها
- ٢٣٧٦ نعم، ليكررن عليكم، حتى يؤدي إلى كل ذي حق حقه
- ١٩١٦، ١٩١٥، ١١٤٩ نعم، هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار
- ١٩١٦ نعم، وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى ضحضاح
- ٨٧٨ نعم وفيه دخن
- ٢٨٥٧، ٧١ نفس المؤمن تخرج رشحا، ونفس الكافر تخرج من شدقه
- ١٤٤٨ نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه
- ٢٣٠٤ نهى النبي ﷺ أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها، وأن يبنى عليها
- ١٥٠١ نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يُبنى عليه
- ٢٣٠٤ نهى رسول الله ﷺ أن يكتب على القبر شيء
- ٦٤٥ نهى عن ثمن الدم، وثمر الكلب، وكسب البغي، ولعن آكل الربا
- ٣٦٩ نهانا كبرأؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ قال: لا تسبوا أمراءكم
- ١٤٩٨ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
- ٣٠٠٦، ١٣٣١، ٢١٤ نور أنى أراه؟!
- ٣٠٠٦ نور السماوات والأرض
- ٢٩٢٩ ها هنا تحشرون، ها هنا تحشرون، ها هنا تحشرون
- ١٤٤٩ ها هنا من بني فلان أحد؟
- ٢٥٧٧ هاتان زوجتا نبي الله، لما عصتا ربهما لم يغن أزواجهما عنهما
- ١٧١١ هذا أثبتتم عليه خيرا فوجب له الجنة، وهذا أثبتتم شرا فوجب له النار
- ١٥٥٩ هذا خالي فليُرني امرؤ خاله
- ١٩٢٨ هذا ممن قضى نَحْبَه
- ٢٩٦٠ هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نقاعة الحنأ، وكأن نخلها رؤوس الشياطين
- ١٨٧٥ هل بينكم وبينه علامة؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساقه فيسجدون له
- ٥٥٦ هل تدرن ما البيت المعمور؟ قالوا: الله ورسوله أعلم
- ١١٣٦ هل ترون قبلي ها هنا، والله ما يخفى علي ركوعكم ولا خشوعكم
- ٢٨٩٤ هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ١٣٣٢ هل تضارون في القمر ليلة البدر وتبقى هذه الأمة
٢٦٠١ هل تضارون في القمر ليلة البدر؟
١٣٣٢ هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم
٣١٦٠ هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم
٣٩٩ هل عليه من دين؟
١٢٧٣ ، ٤٤٧ هل كان فيها عيد من أعيادهم؟
١٢٧٥ ، ١٢٧٣ ، ٤٤٨ ، ٤٤٧ ، ٤١٦ هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟
٢٢٠٨ هلك المتنطعون - قالها ثلاثاً -
٢٧٤٠ ، ٢٧٣٠ هلّم إلى الغداء المبارك
٧٧٩ هم الذين لا يسترقون، ولا يكتون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون
٣١١٧ ، ٢٦٦٦ ، ٢٦٦١ هم أمة محمد، ورّثهم الله كل كتاب أنزله
١٠٨٦ هم الشعث رؤوساً الدنس ثياباً، الذين لا ينكحون المتنعمات
٣٠٩٩ ، ٩٧٤ ، ٩٦٢ هما ریحانتاي من الدنيا
٢٥٨٢ هو الذي آمن الناس من ظلمه، وآمن من آمن به من عقابه
٥٥٧ هو بحيال الكعبة من فوقها
٦٠٧ هو تنزيه الله من كل سوء
١٥٤٥ هو من عمل الشيطان
٢٥٢١ هو نهر أعطانيه الله ﷻ في الجنة، ترابه المسك
٢٧٧٤ هي الشفاعة
٢٩٦٠ هي من عمل الشيطان
١٠٧ واجعلني لك مخبئاً
١٦٧ وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم
١٨١٧ وإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللَّهُمَّ ربنا لك الحمد
١٣٩٥ ، ١١٢ وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون
١٦٩ وأعوذ برضاك من سخطك
٢٠٦٧ وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي
٧٠ وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات
١٦٩ وأعوذ بكلمات الله التامات
١٥٩٧ والذي بعثني بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم
٢٣٦٦ والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم
٤٩٢ والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله
٢٥٢٢ والذي نفس محمد بيده لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها
١٢٦٠ ، ١٢٥٧ ، ١٠٠٣ ، ٢٢٣ ، ٤٤ والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة...
٢٦٥٣ ، ٢٤٠٩ ، ٢٣١٣ ، ١٥١٥ ، ١٣٨٩ ، ١٣٧٠
٢٣٥٣ والذي نفسي بيده؛ إنها لتعدل ثلث القرآن
٦٧١ والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله...
١٠٩٠ والذي نفسي بيده لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها...

طرف الحديث

رقم الصفحة

- والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره...
والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم...
والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب
والذي نفسي بيده؛ لقراءة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرأني
والذي نفسي بيده لو كان موسى ﷺ حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني
والذي نفسي بيده، ليهلن ابن مريم بفتح الروحاء حاجًّا...
والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكيمًا مقسطًا
والذي نفسي بيده؛ ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل...
والله أعلم بمن يجاهد في سبيله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله
والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن
والله إني لرسول الله حقًّا وإن كذبتوني
والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن
والله لولا آياتي في كتاب الله ما حدثتكم شيئًا أبدًا...
والله لينزلن ابن مريم حكمًا عادلًا، فليكرن الصليب
والله ما آلو أن أختار خياركم
وأما الرجل الطويل الذي رأيت في الروضة: فإنه إبراهيم
وأما الشيخ الذي رأيت في أصل الشجرة: فذاك إبراهيم ﷺ
وأما مسيح الضلالة، فإنه أعور العين، أجلى الجبهة، عريض النحر
وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا...
وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان
وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة
وإن الشيطان لا يترأى بي
وإن الكافر... تعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه
وإن من فتنته أن معه جنة ونارًا، فناره جنة، وجنته نار
وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد
وأنت الظاهر فليس فوقك شيء
وأنزل على إبراهيم عشر صحائف
وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف
وأنزل عليك التوراة
وإنما يستخرج به من البخيل
وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي
وإنه سيؤتى برجال من أمتي
وإنه قد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور
وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت
وأهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي
وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله
وبعثت إلى كل أحمر وأسود

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٢٧١٣ وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة
 ٢٢٨٨ ، ٨٧٩ وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة
 ٢٠٩٧ وجاء عصفور فوق على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة
 ١٧١٠ وجبت
 ١٧٥٤ وجدنا خير عيشنا بالصبر
 ٢٦٣ وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف
 ٢٢٣٧ وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيئاً وما أنا من المشركين
 ١٧٧٢ وحبه دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان
 ١٠٩٥ والحياء شعبة من الإيمان
 ١٩٤٧ وخيرها الفأل
 ١٩٩٣ وددت أني وليت ابن الزبير من ذلك ما تولى
 ١٢٧٠ ، ١٢٦٨ وذلك في ذات الإله
 ١٣١٢ والرؤيا ثلاثة: رؤيا الصالحة بشرى من الله...
 ٥٠٠ ، ٤٩٧ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة
 ٩٢٧ وعدني ربي سبحانه أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً
 ٤٤٠ ، ٣٨٨ وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين
 ٢٠٦٧ وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله
 ٢٠١٩ وفر من المجذوم فرارك من الأسد
 ٦٤٠ والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه
 ١٤٤٨ والمولود في الجنة، والوئيد في الجنة
 ١٣٣٩ والميزان بيد الرحمن يرفع أقواماً، ويخفيض آخرين إلى يوم القيامة
 ١١٤٨ والنبي نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء...
 ٢٢٨٤ الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة، فسلوا الله أن يوتياني الوسيلة
 ٢٢٦٧ وقد أريتكم تفتنون في قبوركم، يسأل أحداكم: ما كنت تقول؟
 ٢٣٧٣ ، ٢٣٧٢ وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة
 ٢٥٨٢ وقلمما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق
 ١٩٨٨ وكان أول مولود ولد في الإسلام
 ١٣٨٩ ، ١٣٨١ وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس كافة
 ١٩٩٥ وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك
 ٨١٠ وكتب لك التوراة بيده
 ١٣١٠ وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم
 ٥٥١ وكفر من كفر من العرب
 ١٢٣ وكَلَّ الله بالرحم ملكاً، فيقول: أي رب نطفة
 ٢٧٣٤ ولا استعمل عمر قط؛ بل ولا أبو بكر على المسلمين منافقاً
 ١٠٨٩ ولا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أن أحداكم أنفق...
 ٣٠٩٥ ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...
 ١٤٢٢ ولا يسترقون

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه ١٥١٤
- ولد النبي ﷺ عام الفيل ٢٦٣٤
- ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل، كنا لَدين ٢٦٣٤
- ولكن أخوة الإسلام ومودته ١١٧٩
- ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به؛ فإنني لن أكذب على الله ﷻ ٢٠٦١
- ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ١٠٦٣ ، ١٠٦٢
- ولكن صاحبكم خليل الله ١١٧٦
- ولكن عليكم بإبراهيم ﷺ؛ فإنه خليل الله ١١٧٨
- ولم يكن يجلس يقرأ عند القبر، ولا يلقي الميت كما يفعله الناس اليوم ٧٣١
- ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر خليلاً... ١١٧٦
- وما أدراك أنها رقية؟ خذوها، واضربوا لي بسهم ٢٣٥٨
- وما سكت عنه فهو عفو ١٥٦٤
- وما منعك أن تأذني؟ عمك؟ ١٩٦٨
- وما يدريك أن الله أكرمه ٣٢٣١ ، ١٧٠٩
- وما يمنعني، لا تكونوا أعواناً للشيطان على أخيكم ٢٠٧٤
- ومن أحصاها دخل الجنة ٢٥٠
- ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلفي ١١٨٩ ، ٦٥٨ ، ٦٥٧
- ومن بطاً به عمله لم يسرع به نسبه ١٨
- ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ٣٧٧
- ومن رأيي في المنام فقد رأيي، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي ١٣١٤
- ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ٣٠٦٣
- ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة ٢٤٣٥
- وهل ترك عقيل من رباع أو دور! ١٩١٩
- وهل رأيته يا عبد الله؟... فإن ذاك جبريل، وهو الذي شغلني عنك ١٩٩٦
- ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه، فيه يركب الخلق ٢٩٨٣
- ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ٢١٥١
- ويحك أو هبلت، أو جنة واحدة هي؟ إنها جنات كثيرة ٢٢٨١
- ويلك فمن يعدل إذا لم أكن أعذل؟ ٨٨٢
- يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ ٥٤٠
- يا أبا جهل بن هشام، ويا عتبة بن ربيعة، ويا شيبه بن ربيعة ١٥٩٧
- يا أبا ذر أربعة - يعني: من الرسل - سريانين... ٣٠٦٤ ، ٢٩٩٧ ، ١٧٣٧ ، ١١٧
- يا أبا ذر أعيرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية... ١٥٢١
- يا أبا ذر إنني أراك ضعيفاً وإنني أحب لك ما أحب لنفسي ١٢٨٩
- يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ ٢٣٥٣ ، ٦٧٨
- يا أبا هريرة إن الله خلق السماوات والأرضين وما بينهما في ستة أيام ١٩٩
- يا أبا هريرة، أنت كنت ألزمتنا لرسول الله ﷺ وأحفظنا لحديثه ٣٠٥٥
- يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ ٣٠٦٠

طرف الحديث

رقم الصفحة

- يا أمة محمد: ما أحد أغير من الله أن يرى عبده أو أمته تزني
يا أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصم
يا أيها الناس، عليكم بتقواكم، ولا يستهوينكم الشيطان
يا أيها الناس هلموا إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسؤولون
يا بني كعب بن لؤي! أنقذوا أنفسكم من النار
يا بنية ألا تحيين ما أحب؟
يا جابر: إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره...
يا جابر! ما لي أراك منكسراً؟
يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث
يا حي يا قيوم؛ برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله
يا خال! قل: لا إله إلا الله
يا خير البرية
يا رسول الله أنبي كان آدم؟
يا رسول الله، إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه
يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام
يا رسول الله؟ أي الناس أحب إليك؟
يا رسول الله صدق الله حديثك
يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك
يا زبير، أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم
يا زبير، تحب علياً؟
يا سعد، ارم فداك أبي وأمي
يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه...
يا عائش، هذا جبريل يقرئك السلام
يا عائشة! أئند الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله
يا عائشة، أما عند ثلاث فلا، أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا
يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض
يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق
يا عائشة: لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم
يا عائشة! هذا جبريل يقرأ عليك السلام.
يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً
يا عبد الله بن حوالة، أكتبك؟ فقلت: ما خار الله لي ورسوله
يا عثمان أفطر عندنا
يا عدي اطرح عنك هذا الوثن
يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك
يا علي، أتجبه؟
يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله
يا عم قل: لا إله إلا الله

طرف الحديث

رقم الصفحة

- ٩٨٤ يا عمر ألا أدلك على ختن خير من عثمان . . .
- ١٧٦ يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك
- ١٩٧٥ يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين . . .
- ٧٣٠ يا فلان ، قل : لا إله إلا الله
- ١٥٠٦ يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة . . .
- ٧٩٣ يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ، وحق العباد على الله؟
- ١٩٨١ يا معاذ هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟
- ١٦٩٤ يا معاذ! والله إني لأحبك . أوصيك يا معاذ لا تدعن . . .
- ٢٧٦٤ يا معاذ والله إني لأحبك ، والله إني لأحبك
- ٢٧٣١ يا معاوية ، إن وليت أمرًا فاتق الله ﷻ واعدل
- ٢٨٣٤ يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضلّالاً فهداكم الله بي
- ١٦٣ يا معشر الشباب ، من استطاع الباءة فليتزوج
- ٢٦٥١ يا معشر القراء استقيموا ؛ فقد سبقتم سبقاً بعيداً
- ١٨ يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - ؛ اشتروا أنفسكم
- ١٥٣٧ ، ٤٧١ يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه
- ١٠٢٣ يا معشر المهاجرين ، خمس إذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن . . .
- ٢٧٨٩ ، ٢٧١ يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك
- ٢٠٩٧ يا موسى إني على علم من علم الله علّمنيه لا تعلمه أنت
- ٢٧٣٦ يا نبي الله ، ثلاث أعطينهن ، قال : نعم
- ١١٧٠ ياأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر
- ٢٤١٤ يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه الصلاة ، ولا صياماً
- ٢٦٩٢ يأتي المسيح من قبل المشرق همته المدينة
- ١٠٠٠ يأخذ بحق الرحمن
- ٣١٨٦ يبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون
- ٥٣٠ يبعث كل عبد على ما مات عليه
- ٢٨٩٤ يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً
- ٩٧٩ ، ٥٣٠ يبعث الناس يوم القيامة ، فأكون أنا وأمتي على تل
- ٢٦٩٢ يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً
- ٢٤٦٦ ، ٩٩٠ يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار
- ٣٨٣ يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقنابه
- ١٤٤١ يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف . . .
- ١٨٠٠ يجمع الله تبارك وتعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة
- ٨٤٠ يجمع الله الناس - الأولين والآخرين - في صعيد واحد . . .
- ٨٤٠ يجمع الله الناس يوم القيامة . . .
- ٢٦٩٣ يجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة ثم ترجف المدينة
- ٣٠٠٤ يجيء نوح وأمه فيقول الله تعالى : هل بلغت؟ فيقول : نعم
- ٢٧٧٤ يجلس المؤمنون يوم القيامة حتى يهيموا بذلك . . .

طرف الحديث

رقم الصفحة

- يحبهم ويحبهم ٣٠٩٥
- يحشر الله العباد أو قال: الناس عراة غرلاً بُهْمًا ١٢٥٤
- يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس ٩٧٩
- يحشر الناس حفاة عراة، فأول من يلقي بثوب إبراهيم عليه السلام ٩٧٨
- يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين ٢٩٢٨
- يحشر الناس يوم القيامة - أو قال: العباد - عراة، غرلاً، بُهْمًا ١٢٥٣
- يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف، فمن رجحت حسناته . . ٩٧٨
- يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً ٢٨٩٤ ، ٩٧٨
- يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء ٢٨٩٣ ، ٩٧٨
- يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد فينادي: أين المتقون ٩٧٨
- يحشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتيع ١٩١١
- يحمل الأرض على إصبع ٢٧١
- يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين، فيبعث الله عيسى . . ٢٩٥٣
- يخرج الدجال في خفقة من الدين، وإدبار من العلم ٢٦٩٥
- يخرج الدجال، فيتوجه قبله رجل من المؤمنين ٢٦٩٣
- يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث ٢٨٤٧ ، ٢٨٤٣
- يخرج قوم من النار بشفاعه محمد ﷺ فيدخلون الجنة يسمون الجهنمين ٢٦٦٧
- يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير ٣١٣١ ، ٣١٢٧
- يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ٣٠٣٨ ، ٢٣٨٢ ، ٢٣٧٧
- يد الله ملائ لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار ٣٢٠٧ ، ١٣٣٩
- يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ١١٤٨ ، ٨٢٩
- يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا ٢٨٠٢
- يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ٢٣٦١
- يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربه ﷻ حتى يضع عليه كنفه ١٧٨٠
- يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم ٢٥٨ ، ٢٦٣
- يرحمها الله، والذي نفسي بيده لقد كانت أحب الناس . . ١٩٦٩
- يرد الناس النار كلهم، ثم يصدرون عنها بأعمالهم ١٨٠١
- يشرب بها المقربون صُرْفًا، ويمزج لأصحاب اليمين مزجًا ٢٥
- يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق ١١٤
- يصعدون بها، فلا يمرون بها على ملائ من الملائكة ١٤٥٠
- يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك ٥٥٧
- يضحك الله إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة ١٨٨٢
- يضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمّتي أول من يجيز ١٧٩٩
- يطوي الله ﷻ السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى ٣٢٠٨
- يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: عرضتان معاذير وخصومات ٢٠٥٢
- يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير ١٧٨٢
- يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك ٢٠٢٩

طرف الحديث

رقم الصفحة

- يقال لهم: أحيوا ما خلقتهم ٦٥٧
- يقال: ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الأنبياء ١٣٦١
- يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه ٢٩٨٤ ، ٢٨١٨ ، ١٩٣٦ ، ١١٠٤ ، ٤٣٧
- يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ٨٨١
- يقول ابن آدم: مالي، مالي. قال: وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفريت ١٤٨٦
- يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني ٢٩٩٠ ، ٩٥٧
- يقول الله تعالى: أنا قاهر لكم اليوم، آخذكم بقوتي وشدتي ١٩٦١
- يقول الله تعالى: إني جواد ماجد واجد ٢٦٠٧
- يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ٢٥٩٢ ، ٢٥٩١ ، ٢٤٣٠ ، ٢٠٧٠
- يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة... ٢٩٠٦
- يقول الله تعالى: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ٢٢٠٢
- يقول الله تعالى: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك ٣١٨٦
- يقول الله تعالى: يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فسلوني الهدى ٩٠٩
- يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني ٢٧٥٩
- يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي، وأنا معه حين يذكرني ٣٠٤٨ ، ٢٩٨٩
- يقول الله ﷻ: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ٢٦٠١ ، ٣٠٤٨
- يقول الله: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك ٤٤٣
- يقوم أحدهم في رُشحه إلى أنصاف أذنيه ٣٢٥١
- يقوم الناس لرَبِّ العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة ٩٢٣
- يقوم الناس يوم القيامة لرَبِّ العالمين حتى يغيب أحدهم في رُشحه ٢٨٩٣
- اليقين: الإيمان كله ٣٢٢٧
- يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ١٥١٧
- يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبع، وإلا فتسع ٢٨٤٣
- يُلقي في النار، وتقول: هل من مزيد. حتى يضع قدمه فتقول قط قط ٢٣٣٩
- يمر أولكم كالبرق ١٧٩٩
- يمزج لأصحاب اليمين مزجاً، ويشرب بها المقربون صرفاً ٢٦٦٤
- يملاً الأرض قسماً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ٢٨٤٧
- يمين الله ملأى لا يغيضها، سحاء الليل والنهار ٢٣٠٧
- ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ ٢٩٤٥
- ينزل الله فيه - يعني: يوم القيامة - على كرسية يثبط به ٢٤٨٠
- يُنزل ربُّنا إلى السماء الدنيا ٢٦٠٢ ، ٥٧٥
- ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ٣١٩
- ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ٢٩٤٧ ، ٢٩٤٥ ، ٣١٨
- ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الخنزير، ويمحو الصليب ٢٩٥٦
- ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا ٢٨٤٥ ، ٢٨٤٤
- ينزل عيسى ابن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة ٢٩٥٤
- ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدره ٣٦٧

طرف الحديث

رقم الصفحة

٢٩٨٣ ، ٢٩٨١	ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى له
٦٧٩	يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به
٣٢٥٤ ، ٣٢٤٨ ، ٢٨٥٢	يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة
٢٨٥٢	يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط
٢٨٠٢ ، ٢٥٨٦	يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها
١٥٢٧	يؤذني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر
١٧١١	يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار
٢٩١١	يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعها
١٩٩٧	اليوم مات جبر هذه الأمة! ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً
١٧٣٤	يئس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب

فهرس المصطلحات

- الآحاد (حديث أو خبر الآحاد): ٢٨٤، ٢٦٩، ٦١٦، ٩٣٤ - ٩٤١، ١٣٧٣، ١٤١٥، ١٦٠٦، ١٦٠٧، ١٦٢١، ١٩١٨، ٢٠٩٣، ٢٢٧٨، ٢٧٠٢، ٢٧١٧، ٢٩٦٨، ٣٠٣٦، ٣٠٣٩
- آل البيت: ١٣، ١٤، ١٦، ١٧، ٢٠، ٨٢١، ١٤٨٢، ٢١٤٤، ٢٢٤٦ - ٢٢٤٨، ٣٠٦١، ٣١٠٥
- الأبرار: ١١، ٢٢ - ٢٦، ٤٤٠، ٤٨٢، ٥١٢، ٨٩٨، ١٠٦٦، ١٧٩٠، ٢٣٧٠، ٢٥٢٥، ٢٦٦٠، ٢٦٦٤، ٢٨٩٩
- الاتباع: ٤٠ - ٤٧، ٤٣٠، ٥٧٢، ١٦٠٤، ١٧٥٧، ١٩١٢، ١٩٨٤، ٢٠٦٤، ٢٣١٦، ٢٧١٢
- الاتحاد: ٤٧، ٥٢، ٧٨٢، ١٠٤٧، ١٠٤٩، ٢٤٩٩
- الأجل: ٥٣ - ٥٦، ١٢٣، ٥٩٩، ٢٢٠٣، ٢٤٥٣، ٢٨٠٧، ٢٨٥٥، ٢٨٨٢
- الإجماع: ٦٢ - ٦٤، ٦٦ - ٦٨، ١٤٩، ١٧٢، ٢١٩، ٢٤٧، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣١١، ٣٢٥، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧٠، ٤٠٣، ٤٧٠، ٥٠٣، ٥٢٩، ٥٣٣، ٥٤٧، ٥٥٢، ٦٦٥، ٧١٩، ٨٠٥، ٨٨٩، ٩٠٠، ٩٣٧، ٩٣٨، ١٠٤١، ١٠٤٤، ١٠٨٩، ١١١٢، ١٣١٣، ١٣٢٣، ١٣٣٠، ١٣٣٧، ١٣٥٨، ١٤٠١، ١٤١٥، ١٤٣٤، ١٤٣٦، ١٤٩٨، ١٥٤١، ١٥٥٣، ١٥٦٠، ١٥٦٣، ١٦١٠، ١٦٢٣، ١٦٢٤، ١٦٩٩، ١٧١٢، ١٧٦٦، ١٧٩٦، ١٧٢٤، ١٩٥١، ١٩٥٤، ١٩٧٧، ٢٠٠٦، ٢٠٤٣، ٢٠٦١، ٢١١٣، ٢١٢٤، ٢١٦٥، ٢٣٥٠، ٢٦١٠، ٢٦٤٦، ٢٧١٠، ٢٧١٢، ٢٧١٤، ٢٧١٥، ٢٧٢٧، ٢٧٧٠، ٢٩١٢، ٢٩٢٢، ٢٩٢٣، ٣١٩٩، ٣٢٣١
- الأحد: ٨٠ - ٨٧، ٢٣٥، ٧٨١، ٧٨٥، ١١٧٩، ١٣٤٥، ١٨١٠، ١٨٣٤، ١٨٥٩، ٢١٢٦، ٢٧٥٦، ٢٨٢٢، ٣٠٧١، ٣٠٩١
- الإحسان: ٨٩ - ٩٩، ١٠٩، ٣٠٣، ٣٢٨، ٤٨٦، ٥١١، ٥١٤، ٦٧٥، ٧٧٩، ٩٥٠، ٩٥٣، ٩٥٦، ١٠٥٩، ١٠٧٢، ١١٨٢، ١١٨٣، ١٢٠١، ١٢٥٩، ١٢٧٣، ١٣٦٤، ١٤٢٧، ١٥٠١، ١٦٠٠، ١٦٩٦، ١٦٩٨، ١٧٠٠، ١٧٢٦، ١٨٨١، ١٩٨١، ٢٠٧٦، ٢٣١٤، ٢٣١٧، ٢٣١٩، ٢٤٨٦، ٢٥٥٣، ٢٥٥٤، ٢٦٢٣، ٢٦٢٥، ٢٦٥٨، ٢٦٦٩، ٢٦٧١ - ٢٦٧٣، ٢٨٣٥، ٢٨٣٦، ٣٠٤٨، ٣١٣٨، ٣١٨٢
- الأحوال: ٩٩ - ١١٠، ٦٩٤، ١٥٤٩، ١٧٦٧، ١٧٨٤، ١٧٨٧، ١٧٩٥، ٢٤٧٤، ٢٩٣٤
- الإختبات: ١٠٧ - ١١٠، ١١٣٥، ١٢٠٣
- الإخلاص: ٧، ٨٤، ٩١، ٩٥، ٩٦، ١١٠ - ١١٥، ٢٢٤، ٤١٨، ٤٧٠، ٦٢٩، ٦٣٨، ٦٨٥، ٧٢٧، ٧٢٩، ٧٦٧، ٧٩٤، ٧٩٥، ٨٩٩، ٩٥٨، ٩٧١، ١٠٧٣، ١٠٧٥، ١٢٢٥، ١٤٥٧، ١٤٦١، ١٦٥٨، ١٦٦٤، ١٦٦٦، ١٦٨٩، ١٧٨٤، ١٧٨٨، ١٧٩٣ - ١٧٩٥، ١٨١٠، ١٩٤٨، ١٩٨٣، ٢١٧٤، ٢٣١٦، ٢٤٣٥، ٢٥٣٧، ٢٥٤١، ٢٥٤٦، ٣٠٠٧، ٣٠٢٨، ٣٠٢٩
- الإرادة: ٢٠، ١٢٢ - ١٢٧، ١٣٤، ١٦٦، ٣٠٠، ٥٩٨، ٦٣٨، ٧٢١، ٧٧٦، ٧٩٢، ٧٩٥، ١٠٣٢، ١٠٧١، ١١٨٣، ١٣٧٨، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٦٦٠، ١٨٠٧، ١٨٢٥، ١٨٦٤، ٢٠٧٧، ٢٠٨٧، ٢٢٠٣، ٢٢٦٠، ٢٤٩٠، ٢٥٢٧ - ٢٥٣٠، ٢٥٣٤، ٢٦١٢ - ٢٦١٤، ٢٦٧٤، ٢٦٩٨، ٢٧٠٢ - ٢٧٠٤، ٢٧٠٦، ٢٧٠٧، ٢٧٠٩، ٢٧١٠، ٢٧٩٣، ٣٠٩٥
- أزل: ٥٧، ١٠٥، ١٢٧ - ١٢٩، ١٣١، ١٥٥، ٢٤٤، ٢٤٨، ٦١٣، ٦١٥، ٦١٦، ٨٦٢، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١١٩١، ١٢٤٠، ١٣٧٨، ١٨١٦، ١٨١٧، ١٨٢٠، ٢١٠٣، ٢٣٢٦، ٢٤٥١، ٢٤٥٢، ٣٠٩٤

- الأزلي: ١٢٢، ١٢٧، ١٢٨، ١٣١، ٤٦٧، ٥٣٨، ٧٨٨، ١٨٢٨، ٢٣٣٥، ٢٣٣٧، ٢٤٤٩
- الأسباب: ٦١، ١٠٥، ١٠٦، ١٣١، ١٣٤، ١٣٨، ١٤٠، ١٥٩، ٣٩٣، ٤٤٢، ٤٥٥، ٤٥٦، ٥١٨، ٥٧١، ٥٧٢، ٦٢٤، ٦٢٦، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٤٧، ٧٨١، ٨٢٣، ٨٢٧، ٨٣٠، ٨٣١، ٩١٠، ٩٧١، ٩٨٥، ١٠٣٤، ١٠٥٩، ١٠٨٧، ١١٣٨، ١٢٢٧، ١٣١٧، ١٣٥٠، ١٤٢٠، ١٤٨٩، ١٦٣٣، ١٦٩٦، ١٧٠٠، ١٧١١، ١٧٤٢، ١٨٤٣، ١٨٤٧، ١٨٨٨، ١٨٩٥، ١٩٤٣، ١٩٨٧، ٢٠١٧، ٢٠٢٠، ٢٠٣٢، ٢٠٤٤، ٢١٠٠، ٢١١٧، ٢١١٨، ٢١٧٧، ٢٢٠٨، ٢٢١٨، ٢٢٥٤، ٢٢٥٩، ٢٣١١، ٢٣٣٢، ٢٥١٧، ٢٧٥٤، ٢٧٨٣، ٢٨٣٧، ٢٨٧٢، ٣٠١٦، ٣٠٢٤، ٣١٩٣، ٣٠٧٥
- الاستثناء في الإسلام: ١٥٣، ١٥٢، ١٤٦
- الاستثناء في الإيمان: ١٤٦، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٥
- الاستسقاء بالأنواء: ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦١
- الاستطاعة: ١٦٢، ١٦٧، ١٧٧، ٧١٨، ١٤١٥، ٢٧٠٨، ٣٠١٦
- الاستعاضة: ١٦٨، ١٧٥، ١٨٠، ١٨١، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ٢٤١٣، ٢٦٢٩
- الاستغاثة: ١٧٤، ١٧٥، ١٨٢، ١٨٩، ١٩٦، ٣٤٤، ٧٣٥، ٨١٥، ٨٢٠، ٨٢٣، ١٢٢٦، ١٥٠٨، ٢٤١٣، ٢٧٦٦، ٢٧٦٨، ٢٧٦٩، ٣١٩٤، ١٥٢٤، ١٩٦، ١٩٢، ١٩٠، ١٨٩، ٢٨٢٩، ٢٧٩٤، ٢٧٩٣، ١٧٠٤، ١٦٨٤
- الاستواء: ١٩٦، ٢٠٥، ٣١٩، ٥٦١، ٧٢٢، ٧٢٤، ٩٣٣، ٩٤٣، ١٦٩٥، ١٨١٩، ١٨٣٣، ١٨٤٠، ٢٠٥٠، ٢١٣٢، ٢١٣٣، ٢٢٢٣، ٢٨٣٢، ٥٥٦، ٢١٧، ٢٠٩، ١١٩، ١١٦، ٢٩، ١٦٤، ١٣١٠، ١٣١٦، ١٣٣٤، ١٤٣٩، ١٤٤٥، ١٩١٤، ٢١٨٣، ٢٦٤٢، ٢٦٤٣، ٢٨٠٥، ٢٨٠٧، ٣٠٢٢، ٣١٩٨، ٣٢٣٩
- إسرافيل: ٢١٨، ٢١٩، ١٤٥٢، ٢٩٧٩، ٢٩٣٥، ٢٩٨٦
- اسم الله الأعظم: ٢٣٣، ٢٣٩، ٥٠٨، ٦٧٦، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ٢٤٢٢
- أشراط الساعة: ٢٦٥، ٢٦٩، ١١٣٢، ١١٣٤، ١٢٠٧، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٨، ١٢٢٠، ١٤١٠، ١٩٣١، ١٩٣٢، ١٩٣٥، ٢٩٢٥ - ٢٩٢٧، ٢٩٣٠، ٢٩٥٣، ٢٩٥٨، ٣١٨٨، ٣١٩٠، ٣١٩١
- أصول الدين: ٦٧، ١٠١، ٢٢٠، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٣، ٣٠٦، ٥٠٠، ٦٨٩، ١١١٥، ١٦٠٨، ١٦١٩، ٢٠٩٠، ٢٠٩١، ٢١١١، ٢١١٢، ٢١٢١، ٢٢٩٢، ٢٤١٢، ٢٤١٧، ٢٦١٨، ٢٩٦، ٢٣٥٤، ٢٣٥٦
- إعجاز القرآن: ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٦
- الأعراف: ٢٩٧، ٢٩٩، ١٦٨٧، ١٧١٥
- أعمال القلوب: ٩٣، ١١٠، ٢٩٩، ٣٠٤، ٤٧١، ٤٨٢، ٦٧٣، ٨١٧، ٨٣٢، ٩٦٠، ١٠٩٦، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٧٢٥، ١٧٨٨، ١٧٨٩، ١٧٩١، ٢٣٨٧، ٢٦٧١، ٣١٥٥، ٣١٥٨، ٣١٩٥، ٣٢٢٧، ٣٢٢٨
- أفعال الله: ٣١٧، ٣٢١، ٥٨٩، ٥٩٣، ٦١٢، ٧١٧، ١٠٢٨، ١٠٣٢، ١٠٣٥، ١٠٣٧، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٧٨، ١٠٨٢، ١٤٠٢، ١٤٢٥، ١٨٥٤، ١٨٥٧، ١٨٦٥، ٢٤٤٥، ٢٤٥٤، ٢٩٩٢
- أفعال العباد: ١٢، ١٣٧، ١٦٦، ٢٩٦، ٣١٠ - ٣١٣، ٣١٥، ٧٨٤، ١٨٥٤، ١٨٨٩، ١٩٦٣، ٢١٠٣، ٢٢٠٩، ٢٣٢٥، ٢٣٢٧، ٢٥٦٢، ٢٥٦٥، ٢٦٨٣، ٢٧٠٥، ٢٧٠٦، ٣٠١٦، ٣٠٤٠، ٣١٠٤
- الإكراه: ٣٢٢، ٣٢٦، ٧٠٥، ١٣٦٩، ٢٣٨٧، ٣٠٣٣
- الإلحاد: ٥٢، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥١، ٣٢٩ - ٣٣٢، ٣٥٣، ٦٦٦، ٧٨٧، ٨٠٧، ١٠٨٠، ١٤٨٣، ٢٥٤٦، ٢٥٠٤
- الإمامة: ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٧٠، ٣٧٣ - ٣٧٥، ٤٢٦، ٤٥٦، ٥٤٨، ٥٥٢، ٥٥٨، ٦٧٥، ٩٦٧، ١١٣٢، ١٤٠٤، ١٤٧٣، ١٦٠١، ١٧٤٥، ١٧٥٦، ١٧٧٦، ٢١٤٧، ٢١٥٣، ٢١٧٥، ٢٧٤٩، ٢٩٣٧، ٢٩٣٨، ٣٠٢٢، ٣٢٢٧، ٣٢٣١

- الإنجيل: ٤٠٤ - ٤١٠، ٤٩٥، ٨١٠، ١١٢٨، ١١٤٦، ١٢١٣، ١٢٦٠، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ٢١٧٠، ٢١٨١، ٢٤٠٤، ٢٤٥٧، ٢٤٦١، ٢٦٣٩، ٢٨٧١، ٢٨٨٤
- الأنساد: ٢٤٥ - ٤١٠، ٤١٢، ٤٤٦، ٧٥٢، ١٠٤٢، ٢١٣٣، ٢٣٤٣، ٢٥٤١
- الأنصاب: ٤١١، ٤١٤ - ٤١٧، ٤٤٦، الانقياد: ٢١٩، ٢٢٤، ٢٧٤، ٢٨٠، ٣٢٥، ٣٧٥، ٤١٧، ٤٢٠، ٤٧٢، ٦٣٨، ٦٤١، ٦٧٢، ٧٨٠، ٧٩٥، ١٠١٧، ١٠٢٢، ١٢٥٢، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٣٨٢، ١٤١٥، ١٥٦٥، ١٦٥٤، ١٧٠٤، ١٧٨٨، ١٧٩٣، ١٩٨٠، ٢٣١٣، ٢٣١٦، ٢٣١٧، ٢٣٨٥، ٢٥٤٢
- أهل الأثر: ٧٦، ٤٢١ - ٤٢٤، ٤٢٧، ٨٧٦، ١٤٥٢، ١٥٦٢، ١٥٧٨، ١٦٢٢، ١٩٠٤، ٢١١٢، ٢٢٨٧
- أهل الحديث: ٢٧٥، ٢٨٦، ٣٠٧، ٣٢١، ٤٢٢ - ٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٦٩٢، ٨٧٦، ٩٣٥، ٩٤٢، ١١٦٨، ١١٧١، ١٤٥٢، ١٥٧٨، ١٦٢٢، ١٧١٠، ١٧٤٨، ١٩٠٤ - ١٩٠٦، ١٩٢٢، ٢٠٣٨، ٢١٤١، ٢٢٥١، ٢٢٨٧، ٢٣٦٥، ٢٤٩٣، ٢٧٠٠، ٢٧٠٣، ٢٧١٥، ٢٨٣٩، ٢٨٤٠، ٢٩٤٩، ٣٠٨٤
- أهل الحل والعقد: ٣٦٤، ٤٢٦، ٢٠٠٨، ٢٨٤٧
- أهل الفترة: ٤٣١ - ٤٣٣، ٤٣٥، ١٧١٨، ٢٤٠٨، ٢٤١٦
- أولو العزم: ٢١، ٤٥٦ - ٤٦٠، ٦٧٦، ٦٧٩، ١١١٦، ١١١٧، ١١٥٧، ١١٨٤، ١٣٨٦، ١٣٨٨، ١٣٩٠، ١٣٩١، ٢٧٥٠
- الإيجاد: ٤٦٥ - ٤٦٧، ٤٩٢، ٦٤٦، ٦٥٩، ٧٢٠، ١١٨٥، ١١٩٠، ١٤٣٧، ١٦٢٩، ٢٢٣٨، ٢٧٢٤
- البدعة: ٢٨٦، ٣٠٧، ٣٦١، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٩٤ - ٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٥، ٥٧٠، ٦٩٥، ٧١٨، ٨٢٢، ٨٧٦، ١٠٢١، ١٦١٧، ١٨٠٣، ٢٢٩٢، ٢٢٩٧، ٢٥٦١، ٢٧١٦، ٢٧١٧، ٢٨٩٨، ٢٩٠٠، ٢٩٠٣، ٢٩٠٤، ٢٩٤٢، ٣٠٢٩، ٣٠٣١، ٣٠٣٤
- البرزخ: ١٧٧، ١٧٨، ٣٩٥، ٤٤٢، ٥١٥ - ٥١٨، ٦٨٢، ١١٠٠، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٨٨٥، ١٨٨٦، ٢٠٢٢، ٢٠٢٤، ٢٠٢٨، ٢٠٣٠، ٢٠٣١، ٢٠٣٥ - ٢٠٣٧، ٢٨٥٤
- البعث: ٢٤٤، ٢٩٩، ٤٦٣، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٢، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٩، ٥٢٧ - ٥٣٠، ٥٣٢، ٩٧٧، ١٠٨٥، ١١٩٠، ١٤١٠، ١٤٥٢، ١٥٨٨، ١٧٨١، ١٧٩٩، ١٨١٤، ١٨١٥، ١٨٨٥، ٢٠٢٣، ٢٠٢٥، ٢٠٢٨، ٢٠٣٤، ٢٣٧٦، ٢٥٢٧، ٢٨٥٩، ٢٩١٠، ٢٩٦٢، ٢٦٨٢، ٢٩٨٥، ٣٠٦٦، ٣٢٥٠ - ٣٢٥٢
- البيت المعمور: ٥٥٥ - ٥٥٨، ٢٨٠٢، ٢٨٠٥، ٢٨٠٧
- التأويل: ٨٢، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٨٧، ٣٣٧، ٥٦٠ - ٥٦٨، ٥٨٢، ٥٨٣، ٦٠٧، ٦٦٤، ٧٠٦، ٧٨٨، ٨٩٦، ٩١٩، ٩٩٩، ١٠٢٢، ١٠٢٥، ١٠٧٠، ١٠٩٠، ١١٣٠، ١٣١٦، ١٤٧٩، ١٦٦٣، ١٨٠٢، ١٨٠٤، ١٨٢٨، ١٨٦١، ١٩٠٥، ١٩٥٥، ١٩٩٦، ٢٠٩٣، ٢١٢٢، ٢١٩٧، ٢٢٥١، ٢٢٦٢، ٢٤٠٨، ٢٥٩٦، ٢٦٢٩، ٢٧١٦، ٢٧٦١، ٢٨٣٠، ٢٩٤٨، ٢٩٥٢، ٢٩٦٥، ٣٠٥١، ٣١٧٧، ٣٢١٠، ٣٢٣٠
- التبرك: ٥٦٨ - ٥٧٤، ٥٧٤، ٢٤٤٥
- التجلي: ٥٧٤، ٥٧٧، ٢٤٩٢
- التحسين والتقبيح: ٥٨٤، ٥٨٨، ٥٨٩، ٧١٧، ١٨٥٧، ١٨٩٦
- تلقين الميت: ٧٢٥، ٧٣٠، ٧٣١
- التنزيه: ٨٤، ٥٦٦، ٦٠٣، ٦٠٥، ٦٠٨، ٦٧٠، ٧٥٢ - ٧٥٦، ٧٨٧، ٧٨٩، ٧٩٠، ٨٦٨، ٩٣٣، ١٠٨٣، ١٥٣٢ - ١٥٣٤، ١٨٣٤، ١٨٣٩، ٢٣٤٤، ٢٣٤٦، ٣١٠٩
- التوبة: ١١، ٧٣، ٧٤، ٧٨، ٨٠، ١٠٩، ٣٩٣، ٤٤٢، ٤٩٦، ٥٠٣، ٥٢٢، ٧١١، ٧٥٧ - ٧٥٩، ٧٦١ - ٧٧٢، ٧٨٥، ١٠٤٤، ١٠٩٤، ١١٦٧، ١٢١٠، ١٢١٧، ١٣٦٢، ١٣٧٢، ١٤٢٣، ١٤٨٢، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٣٧، ١٧٩٦، ١٩٣٣، ١٩٣٤، ٢٠٩٢، ٢٢٠٠، ٢٢٠١، ٢٢٠٢، ٢٢٧٨، ٢٣١٦، ٢٤٣٥

- ٢٤٤٤ ، ٢٦٣٣ ، ٢٦٤٧ ، ٢٦٤٩ ، ٢٨٥٩ ، ٢٨٦٠ ، ٢٨٦٥ ، ٢٨٦٦ ، ٢٩٤٣ ، ٢٩٧٧ ، ٣٠٣٥ ، ٣٠٣٩ ، ٣٠٦٦ ، ٣١٢٠ ، ٣١٢٨ ، ٣١٢٩ ، ٣١٤٤ ، ٣١٤٧ ، ٣١٥٩
- التوسل: ٥٧٤ - ٨١٤ ، ٨٢٠ ، ٨٢٢ ، ٨٢٦ ، ١٢٢٨ ، ١٥١٠ ، ١٦٩١ ، ٢٣٥٦ ، ٢٦٢٤ ، ٢٦٢٥ ، ٣٠٧٥ ، ٣١١٠
- التوكل: ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٤٥٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٨٥ ، ٧٣٦ ، ٧٧٩ ، ٧٣١ ، ٧٩٢ ، ٨٢٦ - ٨٣٣ ، ٩٥٩ ، ٩٢٧ ، ١١٠٢ ، ١٣٥٤ ، ١٤٢١ ، ١٦٣٣ ، ١٩٤٦ ، ١٩٤٨ ، ١٩٨٧ ، ٢١٠٠ ، ٢١١٠ ، ٢٢٢٠ ، ٢٣٣٢ ، ٢٣٤٦ ، ٢٤٢٧ ، ٢٥٤٠ ، ٣١٤٨ ، ٣١٤٩ ، ٣١٥١ ، ٣١٥٢
- الجن: ٤٤ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ٢٢٢ ، ٤١٢ ، ٤٦٥ ، ٥٢٩ ، ٧٧٣ ، ٧٩٣ ، ٨٣٩ ، ٨٨٧ - ٨٩٣ ، ٨٩٧ ، ٩٩٢ ، ١١١٣ ، ١١٥٦ ، ١١٧٣ ، ١٢٥٨ ، ١٢٧٨ ، ١٥٤٠ ، ١٥٩١ ، ١٥٩٢ ، ١٧٣٠ ، ١٧٣٢ ، ١٧٣٤ ، ١٧٣٥ ، ١٩١٢ ، ٢٠٣٦ ، ٢٠٩٢ ، ٢١٤٣ ، ٢١٤٤ ، ٢٢١٧ ، ٢٢١٨ ، ٢٢٢٠ ، ٢٣١٣ ، ٢٣٤٩ ، ٢٣٧٢ ، ٢٣٧٥ ، ٢٤٠٩ ، ٢٤٧٣ ، ٢٤٧٦ ، ٢٥١٣ ، ٢٥١٤ ، ٢٥٥٤ ، ٢٨٦٥ ، ٢٩٣٢ ، ٢٩٤٣ ، ٢٩٥٩ ، ٣٠٠٢ ، ٣٠٠٣ ، ٣٠١٩
- الجوهر الفرد: ٩١٢ - ٩١٥ ، ١٢٣٣ ، ١٢٤٨ ، ١٢٥٠ ، الحشر: ٤٤٤ ، ٥١٥ ، ٩٧٧ ، ١٤٥٢ ، ٢٩٢٥ ، ٢٩٢٦ ، ٢٩٢٨ ، ٢٩٢٩ ، ٢٩٧٩ ، ٢٩٨٥ ، ٢٩٨٦ ، ٢٩٨٧
- الحوادث: ١٢٤ - ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٥٥ ، ٢٠١ ، ٣١٥ ، ٣٧٥ ، ٤٢٣ ، ٤٥٥ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٩٥٧ ، ١٠٥٠ ، ١٠٧٨ - ١٠٨٣ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٧ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٣٧٨ ، ١٥٢٥ ، ١٥٢٦ ، ١٥٤٠ ، ١٥٥٥ ، ١٦١١ ، ١٦٧٦ ، ١٧٧٠ ، ١٨٢٠ ، ١٨٨٤ ، ١٨٩٦ ، ١٩٣٧ ، ٢٠٧٧ ، ٢١٠٦ ، ٢١٧٥ ، ٢١٧٦ ، ٢٢٧٨ ، ٢٣٦٠ ، ٢٤٥٢ ، ٢٤٩٠ ، ٢٥٣٤ ، ٢٦٨٣ ، ٢٧٤٦ ، ٢٧٩٣ ، ٢٩٠٠ ، ٢٩٢٢ ، ٣٢١٣
- الحوض: ٩٣٩ ، ١٠٨٤ - ١٠٨٦ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٤٢٨ ، ٢٥٢٢ ، ٢٥٢٣ ، ٢٥٧٢ ، ٢٨٨١ ، الدابة (خروجها): ١٩٦ ، ٢٦٨ ، ٨٠٠ ، ١٠١٥ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٨ ، ١٠٣٥ ، ١٢٠٧ - ١٢١١ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢٢٩ ، ١٧٥١ ، ١٨٥٣ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٢ - ١٩٣٤ ، ٢٠١٥ ، ٢٤٧٥ ، ٢٦٢٦ ، ٢٩٢٦
- الدخان (من علامات يوم القيامة): ٢٦٨ ، ١١٣٣ ، ١٢٠٨ ، ١٢١٧ ، ١٢٢٠ ، ١٩٣١ ، ٢٩٢٦ ، رؤية الله تعالى: ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٧٧ ، ١٣١٣ ، ١٣٢٨ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٥ - ١٣٣٧ ، ١٥١٨ ، ٢٨٨٤
- الرقى: ١٧٢ ، ٨٣٥ ، ١٤١٦ - ١٤٢٤ ، ١٦٤٥ ، ٢٣٥٩ ، الرقيب: ٩١٧ ، ٩٦٩ ، ١٠١٩ ، ١٠٨٧ ، ١٤٢٥ - ١٤٢٧ ، ١٧٢٤ ، ١٧٢٥ ، ١٨٣٨ ، ٢٤٦٦ ، ٢٦٦٩ - ٢٦٧١ ، ٢٦٧٣ ، ٢٨٤٩ ، ٢٨٥٠ ، الرمال: ١١٦٤ ، ١٤٢٨ ، الرهبة: ١١٤٠ ، ١١٤٤ ، ١٢٠٣ ، ١٤٠٧ ، ١٧٢٨ - ١٤٣١
- الروح: ٩ ، ٥٤ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ١٨٨ ، ٢١٣ ، ٥١٦ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٣١ ، ٦٤٥ ، ٦٤٨ ، ٦٥٠ ، ٧٣٢ ، ٧٦٧ ، ٧٧٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦٢ - ٨٦٥ ، ٨٦٧ ، ٩٠٣ ، ٩٥٤ ، ١٢٥٧ ، ١٢٧١ ، ١٤١١ ، ١٤٣٢ - ١٤٤١ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٥٠ - ١٤٥٦ ، ١٥٨٩ ، ١٧١٣ ، ١٧٣٤ ، ٢٠٢٦ ، ٢٠٣٠ ، ٢٠٣٣ ، ٢٠٣٤ ، ٢٠٣٨ ، ٢٠٣٩ ، ٢٠٨٦ ، ٢١٨١ ، ٢٢٦٦ ، ٢٢٦٨ ، ٢٢٦٩ ، ٢٢٨٦ ، ٢٣١٠ ، ٢٣٤٣ ، ٢٣٥١ ، ٢٣٧٤ ، ٢٤٥٠ ، ٢٦٧٨ ، ٢٧٢٠ ، ٢٨٠٢ ، ٢٨٠٥ ، ٢٨٢٤ ، ٢٨٢٦ - ٢٨٥١ ، ٢٨٥٤ ، ٢٨٥٦ ، ٢٨٥٧ ، ٢٨٥٩ ، ٢٨٦١ ، ٢٩٠٣ ، ٢٩٢٤ ، ٢٩٩٢ ، ٢٩٩٥ ، ٣١٩٤ ، ٣٢٢٧ ، ٣٢٢٩ ، ٣٢٥٠ ، ٣٢٥١ ، الريباء: ١١٣ ، ٤١١ ، ٥٧٧ ، ٩١٨ ، ١١٣٨ ، ١٢٩٧ ، ١٤٥٦ - ١٤٦١ ، ١٦٣٩ ، ١٦٤٣ - ١٦٤٦ ، ١٦٦١ ، ١٦٦٤ ، ١٦٧١ ، ٢٦٥٨ ، ٢٩٠٠ ، ٣١٣٨

- الزبور: ١١٤٦، ١٢١٣، ١٢١٦، ١٤٦٣ - ١٤٦٧، ١٧٤٢، ٢١٨١، ٢٤٣٩، ٢٤٦١، ٢٦٣٩، ٢٨٨٤، ٢٨٧١
- سب الدين: ١٥٢٠، ١٥٢٨
- سب الريح: ١٥٢٨ - ١٥٣١
- سب الصحابة: ٥٥٤، ١٥٣١، ١٧٧١ - ١٧٧٣
- سب النبي: ٦٣، ٣٢٣، ١٢٩٣، ١٥٢٣، ١٥٣٢، ٢١٤٩، ٢٦٤٣ - ٢٦٤٨
- السبوح: ١١٨٨، ١٣٤٣، ١٣٦٢، ١٥٣٢ - ١٥٣٤، ١٦٢٧، ١٩٤٠، ٢٣٤٤، ٢٣٤٥، ٢٧٨٩
- الستار: ١٥٣٥، ١٥٣٧، ٢٢٠١، ٢٩٢٥، ٣٠٥٢
- الستير: ١٥٣٥ - ١٥٣٧
- السحر: ٢٩٠، ٧٤٦، ٧٤٨، ٨٣٣ - ٨٣٦، ٨٤٩، ٨٥١، ١١١٣، ١٥٣٨ - ١٥٥٢، ١٩٠٩، ١٩١١، ١٩١٣، ١٩٢٣، ٢٠٤١، ٢١٠٥، ٢١٠٩، ٢١٧٥، ٢١٧٧، ٢٥١٣، ٢٥٢٠، ٢٦٤٠، ٢٦٩٥، ٢٧٤٩، ٢٩٥٩ - ٢٩٦٢، ٣٠١٨، ٣٠١٩
- السنخط: ١٣٣٠، ١٤٠٠، ١٤٠٣، ١٥٥٢ - ١٥٥٥، ١٧٥٥
- سريع الحساب: ٩٢٤ - ٩٢٦، ١٥٥٦
- السكوت: ٣٣٦، ٣٨٠، ٣٨٦، ١٥٦٢ - ١٥٦٤، ١٧٧٠، ٢٣٨٥، ٢٥٧٨
- سماع الأموات: ١٥٩٦، ١٥٩٨ - ١٦٠٠
- سؤال الله بالمخلوق: ١٥١٠
- سؤال الخلق: ١٥٠٥، ١٥٠٧، ١٥٠٩
- الشرك الأصغر: ٤١١، ٥٧١، ٦٢٤، ٦٦٢، ٧٣٤، ٧٣٨، ٨٣٢، ٨٣٤، ٨٣٦، ١٠٤١، ١٤٥٧، ١٤٥٩، ١٦٣٩، ١٦٤١ - ١٦٤٨، ١٦٥٣، ١٦٥٦، ١٦٦١، ١٨٤٣، ٢٠١٧، ٢١٩٥، ٢٢١٨، ٢٧٠١، ٣٠٢٤، ٣١٣٨
- الشرك الأكبر: ١٥٩، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٩، ٤١٤، ٤١٦، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥١، ٥٧٢، ٥٩٢، ٦٦٢، ٧٣٤، ٧٣٨، ٧٤٧، ٧٧٧، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٣، ٨٣٤، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٥، ١٤١٨، ١٤٢٨، ١٦٣٩ - ١٦٦٦، ١٦٥٧، ١٦٦١، ١٦٦٣، ١٦٦٦، ١٦٧٢، ١٦٧٥، ١٦٧٧، ١٦٨٠، ١٩٢٣، ٢٠١٧، ٢١٩٥، ٢٢١٨، ٢٣١٨، ٢٩٠١، ٢٩٤٢، ٢٩٤٤، ٣١٣٨
- السابق بالخيرات: ١٥١٣، ٢٦٦٠، ٢٦٦٢، ٢٦٦٣ - ٢٦٦٥، ٣١١٤، ٣١١٧
- السابقون الأولون: ٤٢٩، ٥٥٤، ٦٨١، ١٢٨٠، ١٤٧٠، ١٥١٣، ١٥٥٩، ١٥٦١، ١٧٦٣، ١٧٦٤، ٢٠٠٣، ٢١٤١، ٢١٤٩، ٢١٥٠، ٢٦٣٠، ٢٨٨٦، ٢٨٩٩، ٣٠٥٨
- الساعة: ٨، ٥٥، ٥٧، ٧٤، ٢٦٥ - ٢٦٩، ٢٩٠، ٤٣٨، ٤٤٢، ٤٥٢، ٦١٤، ٦٧٦، ٧٣٠، ٧٦٧، ٨٤٤، ٨٨٢، ٩٢٤، ٩٤٧، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١١١٥، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٦٣، ١١٧٣، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢١١، ١٢١٧ - ١٢٢٠، ١٢٨٩، ١٣٨٨، ١٤٠٨، ١٤١٠، ١٥١٣ - ١٥١٦، ١٧٦١، ١٨٠٠، ١٨١٤، ١٨٧٨، ١٩٠٤، ١٩٠٥، ١٩٠٦، ١٩٣١ - ١٩٣٥، ٢٠٠٣، ٢٠٢٢، ٢٠٢٤، ٢٠٢٥، ٢٠٣٥، ٢٠٣٨، ٢٠٥٠، ٢٠٩٦، ٢١٨٢، ٢١٨٥، ٢١٩٣، ٢٢٦٢، ٢٣٤٩، ٢٣٧٩، ٢٣٨٠، ٢٤٣٨، ٢٤٤٧، ٢٤٤٩، ٢٤٥٧، ٢٤٦٤، ٢٤٧٣، ٢٤٩١، ٢٥٠٣، ٢٥٠٧، ٢٦٣٧، ٢٦٥٢، ٢٦٨٥، ٢٦٨٦، ٢٦٨٨، ٢٦٩٣، ٢٦٩٨، ٢٨١١، ٢٨٥١، ٢٨٥٦، ٢٨٦٠، ٢٨٩٩، ٢٩٢٥ - ٢٩٢٧، ٢٩٢٩، ٢٩٣٠، ٢٩٥٣، ٢٩٥٨، ٢٩٧٩، ٢٩٨١، ٢٩٨٣، ٢٩٨٥، ٢٩٨٦، ٣٠٣٥، ٣٠٥٩، ٣١٤٨، ٣١٨٨، ٣١٨٩، ٣١٩٠، ٣٢٣٤، ٣٢٤٥، ٣٢٤٦، ٣٢٥١، ٣٢٥٥ - ٣٢٥٧
- الساق: ١٥١٦ - ١٥١٩
- سب الله تعالى: ١٩١، ١٢٩٣، ١٥٢٠ - ١٥٢٤، ٢٦٤٤، ٢٦٤٦، ٢٦٤٩، ١٥٣١

- الشفاعة: ١٠، ٢٩، ٣٧، ١١٥، ١٢٠، ١٢١، ٢٤٩، ٣٤٢، ٤١٣، ٤٥٨، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٤٠، ١٠١٠، ١٠١١، ١١٤٦، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٧٨، ١٣٩١، ١٣٩٣، ١٦٨٨، ١٦٨٩، ١٦٩٢، ١٧٨١، ١٨١٧، ١٩١٦، ٢٢٥٨، ٢٤٠٥، ٢٥٢٢، ٢٦٣٧، ٢٦٦٧، ٢٧٧٣ - ٢٧٧٥، ٢٩٣٢، ٢٩٩٧، ٣٠٠١ - ٣٠٠٣، ٣١١١، ٣١١٢، ٣١١٧، ٣١٢١، ٣١٢٥، ٣١٢٧، ٣١٣١
- صحف إبراهيم: ٣٠، ١١٧، ٨١٢، ٨١٣، ١٢١٣، ١٧٧٦ - ١٧٧٨، ٢١٨١، ٢٤٥٩، ٢٦٣٩، ٢٨٧١، ٢٨٨٤، ٢٨٨٥، ٣١٩٩
- الصرط المستقيم: ١١٦، ٢٨٥، ٣٥٩، ٥٩٥، ٦٧٥، ٧٩٠، ١٦١٨، ١٨٠٤ - ١٨١٢، ١٩٨٠، ٢٠١٦، ٢٢٥٦، ٢٣٦٩، ٢٦٥٠، ٣٠١٤، ٣٠٣٧، ٣٠٣٨، ٣٠٤١، ٣٠٤٦، ٣١٠٦
- ضمة القبر: ١٨٨٧، ١٩٠٢
- الطاغوت: ٨، ٢٨٣، ٣٩١، ٣٩٢، ٧٩٣، ٨٥١، ١٠٢٢، ١٦٧٤، ١٨١٠، ١٩٠٨ - ١٩١٣، ٢٨٧٢، ٢٤٦١، ١٩٨١
- طلوع الشمس من مغربها: ٢٦٨، ٧٦٧، ١٢٠٨، ١٢١٠، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٩٣١ - ١٩٣٣
- الطيرة: ٦٢٤، ٦٢٩، ١٦٤٦، ١٨٤٢، ١٨٤٣، ١٩٤٢ - ١٩٤٨، ٢١٧٧، ٢١٧٥، ٢٢٥١، ٢٢٥٣، ٢٢٥٤، ٣٠٢٤، ٣٠٢٥
- عذاب القبر: ١٧٠، ٥١٧ - ٥١٩، ٧٣١، ١٤٥٠، ١٧١٩، ١٨٨٥، ١٨٨٧، ١٨٨٨، ٢٠٢١ - ٢٠٢٧، ٢٠٣٠، ٢٠٣٢ - ٢٠٣٥، ٢٠٣٩، ٢٠٥٤، ٢٢٦٨، ٢٢٧٠، ٢٥٣٩، ٢٦٩٢، ٢٨٤٠، ٢٨٤١، ٣٢٢٩
- عصمة الأنبياء: ٢٠٥٩ - ٢٠٦١، ٢٠٦٣، ٢٠٦٤، ٢٥٧٧
- علم الكلام: ١٠٢، ٢٧٦، ٧٧٣، ٩٣٨، ١٠٨٠، ١٤٨٢، ١٨٦٥، ٢٠٨٩، ٢١١٠ - ٢١١٥، ٢١١٧ - ٢١٢٢، ٢٢٠٩
- فتنة القبر: ٣٩٥، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤٤٢، ٢٠٢٦، ٢٠٢٧، ٢٠٣٢، ٢٢٦٣، ٢٢٦٦ - ٢٢٦٨، ٢٢٧٠
- الفردوس: ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠١، ١٧٢٠، ٢٠٤٨، ٢٠٤٩، ٢٢٨٠، ٢٢٨٦، ٢٢٨٦، ٢٦٨٠
- الفرقة الناجية: ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٣٠، ٤٣١، ٥١٥، ٦٧٥، ٨٧٦، ١٥٧٨، ١٦٢٢، ١٦٢٤، ١٦٨١، ١٧٦٧، ١٩٠٤، ٢١٥٦، ٢٢٨٦ - ٢٢٨٨، ٢٣١٧، ٢٥٦٩، ٣١٢٧، ٣١٣٢، ٣١٤٢
- الفطرة: ٤٥٤، ٥٨١، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٨، ٧٩٩، ١٠٧٣، ١٠٧٧، ١٢٣٨، ١٢٩٨، ١٤٠٦، ١٤٢٩، ١٤٤٧، ١٧١٦، ١٨١٢، ٢٠٨٣، ٢٠٩٣، ٢١٣٤، ٢١٧٦، ٢٢٣٨، ٢٢٥٣، ٢٢٩٤ - ٢٢٩٨، ٢٢٩٨، ٢٢٩٩، ٢٢٩٩
- الفقه الأكبر: ٢٧٥، ١٦٨١، ٢٠٩١، ٢٠٩٨
- الفناء: ٧٨، ١٠٣، ٣٩٣، ٥٣٦ - ٥٣٨، ٧٤٤، ٧٨١، ٧٨٢، ٢٢٩٨ - ٢٣٠٠، ٢٨٦٥
- القبض والبسط: ٢٣٠١، ٢٣٠٦، ٢٣٠٧، ٢٣١٠ - ٢٣١٢
- القدر: ١٢، ٥٤، ٦٠، ٦١، ٦٨، ٩٠، ١٢٣، ١٣٥، ١٣٩، ١٤٠، ١٦٥، ١٦٦، ١٩٤، ٢١٤، ٢١٥، ٣١١، ٣١٢، ٣٧٦، ٤٣٠، ٦١٠، ٦٣٢، ٦٣٥، ٦٧٦، ٦٨٠، ٧١٥، ٧١٧، ٧٢٥، ٧٤١، ٩٨٩، ١٠٢٩، ١٠٣١، ١٢٣٨، ١٣٤٣، ١٣٤٨، ١٤٨٥، ١٤٨٩، ١٦٨٢، ١٧٢٨، ١٧٩٥، ١٨٥٤، ١٨٥٥، ١٩٠١، ١٩٤٧، ١٩٥٣، ١٩٥٤، ١٩٦٣، ١٩٨٧، ٢٠٧٤، ٢٠٨٠، ٢٠٨١، ٢٠٨٩، ٢١١٤، ٢١٢١، ٢١٢٣، ٢١٢٤، ٢١٢٦، ٢١٢٧، ٢٢٠٨، ٢٢٤٣، ٢٢٤٨، ٢٣١٨ - ٢٣٢٥، ٢٣٢٧، ٢٣٣٢، ٢٣٦٠، ٢٣٧٩، ٢٤٤٢، ٢٤٤٥، ٢٤٤٦، ٢٤٤٨، ٢٤٥٠، ٢٤٥٣، ٢٤٥٥، ٢٤٦٠، ٢٦٢٧، ٢٧٠٠، ٢٧٠٣، ٢٧٠٥، ٢٧١٠، ٢٨٨٣، ٢٩٤٠، ٢٩٤١، ٣٠١٦، ٣٠١٧، ٣٠٤٧، ٣٠٦٢، ٣٠٩٠، ٣١٠٣، ٣١٤٥
- القرين: ١٤٥٩، ٢٣٧١ - ٢٣٧٥
- القلم: ٥٥، ٥١٠، ٦١٤، ٦١٥، ٧٢٤، ٢٠٤٩، ٢٠٥٠، ٢٠٨٠، ٢٠٨١، ٢٣٧٩ - ٢٣٨١، ٢٤٣٨، ٢٤٤٧، ٢٤٤٨، ٢٤٤٩، ٢٤٥١، ٢٤٦٩، ٢٤٧٠، ٢٥٧١

- القيامة الصغرى: ٨٠، ٤٤٤، ٥١٦، ١٤١٢، ١٤١٨، ٢٨٦٧، ٣٢٥٢
- القيامة الكبرى: ٤٤٤، ١٧٨٣، ٢٤١٨، ٣٢٥٢، ٣٢٥٧
- كرامات الأولياء: ٢٤٧٢، ٢٤٧٣، ٢٤٧٥ - ٢٤٧٨، ٢٤٧٨
- اللوح المحفوظ: ٥٨، ٩١٨، ٩٩١، ٩٩٢، ١٣١٧، ١٣٧٧، ٢٣٢١، ٢٣٦٠، ٢٣٦٢، ٢٣٧٩، ٢٣٨١، ٢٤٤٢، ٢٤٤٥، ٢٤٤٦، ٢٤٤٨، ٢٤٥٠ - ٢٤٥٢، ٢٤٥٤، ٢٤٩٢، ٢٥٦٧ - ٢٥٦٧
- المتشابه: ٦٠٣، ٦٥٣، ١٨٦١، ١٨٩٤، ١٨٩٥، ٢٢٠٩، ٢٦٢٦، ٢٦٢٧، ٢٦٢٩، ٢٦٣١
- المحكم: ٥٠٧، ٦٥٣، ١٠٢٦، ١٠٣٥، ١١٩٠، ١٨٩٥، ١٩٩٨، ٢٠٧٧، ٢١٣٧، ٢١٨٨، ٢٢٠٩، ٢٦٢٥، ٢٦٢٦، ٢٦٢٨، ٢٦٢٩، ٢٩٠٥
- المسيح الدجال: ١٧٠، ١٤٥٩، ١٨٢٣، ١٨٧٨، ١٩٠٧، ٢٠٢٣، ٢١٨٢، ٢١٨٦، ٢٢٦٦، ٢٦٨٤، ٢٦٨٥، ٢٦٨٦، ٢٦٩٢، ٢٦٩٦، ٢٩٥٢، ٢٩٦٥، ٣٠٠٣
- المقام المحمود: ٥٣٠، ٩٧٩، ٢٧٧٣، ٢٧٧٥
- منكر ونكير: ٢٨٠٤، ٢٨٣٩، ٢٨٤٠
- المهدي: ٤٥٩، ١٩٧٨، ٢٦٩٢، ٢٧٣٥، ٢٨٤٢ - ٢٨٤٨، ٢٩٥٤
- الموقف: ١٨٦، ٤٣٩، ٤٤٢، ٧٢٩، ٩٤٧، ٩٧٧، ٩٨١، ١٠٨٤، ١١٤٣، ١٣٣١، ١٥٧١، ١٦٩٠، ١٨٧٥، ١٩٥٦، ٢٣٦٣، ٢٦٤١، ٢٧٧٤، ٢٧٧٦، ٢٨٩٢ - ٢٨٩٥، ٢٩٢٩، ٣٠٠٢، ٣٠٠١
- الميزان: ٢٧١، ٢٨٦، ٦٠٩، ١٠٥٦، ١٣٣٩، ١٣٨٧، ١٦٠٣، ١٧٨١، ١٧٨٢، ٢٠١٦، ٢٠٦٨، ٢٠٨٥، ٢٧١٥، ٢٧٨٦، ٢٩٠٩، ٢٩١٠ - ٢٩١٤، ٣٢٠٧
- هاروت وماروت: ٨٣٤، ٨٣٥، ١٥٤٠، ٢٨٠٤، ٣٠١٧ - ٣٠١٩
- واجب الوجود: ٤٥٤، ٧٨٠، ٩٩٧، ١٢٣٣، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٤٧، ١٨٣٩، ٣٠٦٩، ٣٠٧٠
- وحدة الوجود: ٤٨، ٥٠، ٥٣، ٣٩٣، ٧٨١، ٨٠٥، ١٠٥٠، ١٦٧٨، ١٦٧٩، ١٨٤٠، ٢٤٩٧، ٢٧٦٢، ٢٧٦٣، ٣٠٩١
- الولاء والبراء: ٥١٥، ٩٢٦، ١٢٦٤، ٣٠٢٨، ٣١٠٧، ٣١٥٨، ٣١٧٣، ٣١٧٤
- يأجوج ومأجوج: ٢٦٨، ١٢١٠، ١٩٣٢، ٢٩٥٥، ٣١٨٥، ٣١٩٠
- اليقين: ٣٨، ٣٩، ١١٣، ١١٨، ١٤٨، ٢٨٠، ٣٣٧، ٦٠٢، ٦٣٩، ٦٩٤، ٧٩٥، ٩٠٧، ٩٣٥، ٩٣٨، ٩٥٥، ١١١٥، ١١٣٥، ١١٣٧، ١١٥٦، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٩، ١٤٤٢، ١٤٨٧، ١٤٩٥، ١٦٠٧، ١٧٠٩، ١٧٥٥، ١٧٨٧، ١٩٨٧، ٢٠٥٣، ٢١٠٠، ٢١٢١، ٢٢٠٥، ٢٢٢٠، ٢٢٥٩، ٢٣١٤، ٢٣٤٦، ٢٣٩٥، ٢٤٠٥، ٢٤٧٠، ٢٥٤١، ٢٦٤١، ٢٧١٦، ٣٢٢٦ - ٣٢٣٢
- اليوم الآخر: ٢٤٤، ٤٣٦، ٤٨٤، ٥١٦، ٥٦١، ٧٢٤، ٩٤٨، ١٠٤٨، ١٣٨٧، ١٤٣٤، ١٧٨٣، ١٨١٣، ٢٢٨٠، ٢٣٦٠، ٢٤٦٢، ٢٩١٠، ٢٩٧٩، ٢٩٨٦، ٢٩٨٧، ٣٠٥٩، ٣٢٤٣، ٣٢٤٤، ٣٢٤٥، ٣٢٤٦، ٣٢٥٠، ٣٢٥٨
- يوم القيامة: ٨، ١٠، ٢٩، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٥٨، ١١٤، ١٦٣، ١٨٦، ١٩٢ - ١٩٤، ٢٤٤، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٩٠، ٢٩٣، ٣١٨، ٣٣٠، ٣٦٧، ٣٨٣، ٣٨٨، ٤١٥، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٦ - ٤٣٨، ٤٤٠ - ٤٤٢، ٥٠٤، ٥١٦، ٥٢٨ - ٥٣٠، ٥٤٥، ٥٥٣، ٥٦٠، ٥٧٥، ٥٧٦، ٦٠٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٤٥، ٦٤٨ - ٦٥٠، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٧، ٦٦٠، ٦٧٩، ٨١٦، ٨٢٢، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤٦، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٧٠، ٩٠٠ - ٩٠٢، ٩١٩، ٩٢٣، ٩٢٧، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٧٧ - ٩٨٢، ٩٩٣، ١٠١٣، ١٠٣٣، ١٠٦٣، ١٠٧٤، ١٠٨٠، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١١١١، ١١١٩، ١١٤٣، ١١٤٧، ١١٤٨، ١٢١٣، ١٢١٧، ١٢١٩، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٨، ١٣١٤، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٥، ١٣٣٩، ١٣٦٣، ١٣٧٥، ١٣٨٩، ١٤٠٣

٢٥١٠	٢٤٧١	٢٤٧٠	٢٤٥١	٢٤٤٩	١٤٤١	١٤٣٩	١٤٣٨	١٤٣٤	١٤١٠
٢٥٨١	٢٥٥٩	٢٥٢٢	٢٥٢١	٢٥١١	-	١٥١٦	١٥١٣	١٥٠٦	١٤٤٥
٢٦٧٠	٢٦٦٦	٢٦٠٢	-	٢٦٠٠	٢٥٨٧	١٦٢٧	١٦٢٢	١٥٧٦	١٥١٨
٢٧٣٢	٢٧٢١	٢٧٢٠	٢٦٨١	٢٦٨٠	١٧١٨	١٧١٦	١٧٠٦	١٦٩٠	١٦٨٩
٢٧٧٤	٢٧٧٣	٢٧٦٠	٢٧٥٨	٢٧٤٣	١٧٨٢	١٧٨٠	١٧٧٩	١٧٦١	١٧٢٢
-	٢٨٥٢	٢٨٢٠	٢٨١٩	٢٨٠١	٢٧٧٦	١٨١٣	١٨٠٠	-	١٧٩٨
٢٨٩٥	-	٢٨٩٣	٢٨٩١	٢٨٨٨	٢٨٥٤	١٨٧٤	١٨٦٧	١٨٥٢	١٨٣٠
٢٩١٤	٢٩١٣	٢٩١١	٢٩١٠	٢٩٠٦	-	١٩٣١	١٩١٩	١٩١٦	١٩١١
٢٩٢٩	٢٩٢٦	٢٩٢٥	٢٩٢٣	٢٩٢٠	١٩٣٣	١٩٧٠	١٩٦١	-	١٩٥٦
٢٩٥٦	٢٩٥٣	٢٩٥٢	٢٩٤٩	٢٩٤٧	١٩٣٦	٢٠٣٢	-	٢٠٣٠	٢٠٢٨
٢٩٩٣	٢٩٨٥	٢٩٨٤	٢٩٦٦	٢٩٥٧	٢٠٢٤	٢١٥٥	٢٠٥٢	٢٠٥١	٢٠٤٩
٣٠٠٦	٣٠٠٣	٣٠٠٢	٢٩٩٩	٢٩٩٧	٢٠٤٧	٢٢٩٠	٢٢٨٥	٢٢٥٧	٢١٨٢
٣١٢٩	٣١٢٨	٣١٢٦	٣١٢٤	٣١٢٢	٢١٦٥	٢٣٢٠	٢٣١١	٢٣١٠	٢٢٩٥
٣١٥٩	٣١٤٦	٣١٣٨	٣١٣٥	٣١٣١	٢٢٩٣	-	٢٣٧٦	٢٣٦٥	٢٣٦٠
٣٢٤٤	٣٢٠٨	٣٢٠٥	٣١٦٠	٣١٦٥	٢٣٥٦	٢٤٣١	٢٤٢٨	٢٤١٨	٢٤١٠
					٢٣٨٢	٢٤٤٨	٢٤٤٥	٢٤٤٢	٢٤٣٦
					-				

فهرس مواد الموسوعة حسب الترتيب الموضوعي

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
المواد المتعلقة بعلم العقيدة			
أصول الدين	٢٧٤	الرؤى والأحلام	١٣٠٧
الدين	١٢٥٥	القياس	٢٣٩٦
الشريعة	١٦٨٠	الكشف	٢٤٩١
العقيدة	٢٠٩٠	المواد المتعلقة بمنهج التلقي والاستدلال	
علم الكلام	٢١١٠	الاتباع	٤٠
علم المكافحة	٢١٢٢	الاعتصام بالكتاب والسنة	٢٧٧
الفقه الأكبر	٢٢٩٨	تقديم النقل على العقل	٦٨٩
الملة	٢٨١٢	حديث الآحاد	٩٣٤
		القبول	٢٣١٢
المواد المتعلقة بأهل السنة والجماعة		وسطية أهل السنة	٣١٠١
أهل الأثر	٤٢١	المواد المتعلقة بالإيمان بالله تعالى	
أهل الحديث أو أصحاب الحديث	٤٢٣	الإيمان بالله تعالى	٤٦٨
أهل السنة والجماعة	٤٢٦	المواد المتعلقة بالتوحيد	
الجماعة أو أهل الجماعة	٨٧٥	تحقيق التوحيد	٥٨٩
السلف	١٥٧٧	التوحيد	٧٧٢
السواد الأعظم	١٦٢٢	التوحيد الإرادي	٧٨٤
الطائفة المنصورة	١٩٠٣	توحيد الأسماء والصفات	٧٨٤
الغبراء	٢١٩١	توحيد الألوهية	٧٩١
الفرقة الناجية	٢٢٨٦	توحيد الربوبية	٨٠٠
المواد المتعلقة بمصادر التلقي		توحيد العبادة	٨٠٧
الإجماع	٦٢	التوحيد العلمي الخبري	٨٠٧
السمع	١٦٠١	التوحيد العملي	٨٠٧
السنة	١٦١٦	التوحيد الفعلي	٨٠٧
العقل	٢٠٧٩	توحيد القصد والطلب	٨٠٧
الفتوة	٢٢٩٤	التوحيد القولي الاعتقادي	٨٠٧
القرآن	٢٣٤٧	توحيد المعرفة والإثبات	٨٠٧
مصادر التلقي عند أهل السنة	٢٧١١	المواد المتعلقة بتوحيد الربوبية	
المواد المتعلقة بمصادر التلقي البدعية		الاتحاد	٤٧
الإلهام	٣٤٥	الإلحاد	٣٢٩
الرأي	١٣٢١		

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
السحر	١٥٣٨	الهجرة	٣٠٣٠
سؤال الخلق	١٥٠٥	الواسطة	٣٠٧٣
سؤال الله بال مخلوق	١٥١٠	وسائل الشرك	٣١٠٠
شد الرحال	١٦٣٧	الوسيلة	٣١١٠
الشرك	١٦٣٧	الولاء	٣١٧٤
الشرك الأصغر	١٦٤٢	الولاء والبراء	٣١٥٣
الشرك الأكبر	١٦٤٧	اليأس والقنوط	٣١٩١
الشرك الخفي	١٦٥٣		
شرك الطاعة	١٦٥٤	المواد المتعلقة بتوحيد الأسماء والصفات	
شرك النية والقصد	١٦٦٠	الأحوال	٩٩
الشرك في الألوهية	١٦٦٩	الألفاظ المجملة	٣٣٣
الشفاعة	١٦٨٨	التأويل	٥٦٠
صفر	١٨٤٢	التحريف	٥٧٨
الصنم	١٨٦٥	التركيب	٦٠٠
الطاغوت	١٩٠٨	التشبيه	٦٣٠
الطرق	١٩٢٢	التعطيل	٦٦٥
الطيرة	١٩٤٢	التكييف	٧٢١
العبادة	١٩٧٩	التمثيل	٧٣٩
العدوى	٢٠١٦	التنزيه	٧٥٢
العرافة	٢٠٣٩	توحيد الأسماء والصفات	٧٨٤
علم التأثير	٢١٠٤	الجسم	٨٦٦
علم التسيير	٢١٠٤	الجهة	٩٠٤
علم الحروف	٢١٠٤	الجوهر الفرد	٩١٢
علم الخط	٢١١٠	الحد	٩٢٩
العمل الصالح	٢١٧٣	الحركة	٩٤١
العيافة	٢١٧٥	حلول الحوادث	١٠٥٠
الغلو	٢٢٠٥	الحوادث	١٠٧٨
الغول	٢٢١٧	الحيز	١١٠٣
الفأل	٢٢٥١	الشرك في الأسماء والصفات	١٦٦٧
القنوت	٢٣٨٤	ظاهر النص	١٩٥٥
القنوط	٢٣٨٧	المضاف إلى الله تعالى	٢٧٢٢
الكهانة	٢٥١٢		
لا إله إلا الله	٢٥٣٧	المواد المتعلقة بأسماء الله تعالى	
المدح	٢٦٥٣	الأحد	٨٠
النذر	٢٩٣٨	أحسن الخالقين	٩٩
النشرة	٢٩٥٩	أحكم الحاكمين	٩٩
الهامة	٣٠٢٣	الآخر (من أسماء الله تعالى)	١٠٣
		أرحم الراحمين	١٢٧

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
أسرع الحاسبين	٢١٩	الديان	١٢٥٢
اسم الله الأعظم	٢٣٣	ذو الطول	١٣٠٢
الاسم والمسمى	٢٤٠	ذو المعارج	١٣٠٥
الأسماء الحسنى	٢٤٥	الرافع الخافض	١٣٣٨
الأعز	٢٩٩	الرب	١٣٧١
الأعلم	٢٩٩	الرزاق/الرازق	١٣٧٤
الأعلى	٢٩٩	الرشيد	١٣٩٧
الأقرب	٣٢٢	رفيع الدرجات	١٤١٢
الأقوى	٣٢٢	الرفيق	١٤١٣
الأكبر	٣٢٢	الرقيب	١٤٢٥
الأكرم	٣٢٧	الرؤوف	١٣١٨
الأول	٤٥٣	السبح	١٥٣٢
البارئ	٤٩١	الستار	١٥٣٥
الباطن	٤٩٤	الستير	١٥٣٥
البديع	٥٠٦	المجيد	٢٦٠٥
بديع السماوات والأرض	٥٠٦	المحب	٢٦٠٩
البصير	٥٢٣	المحسن	٢٦٢٢
التوابع	٧٥٧	المحيي	٢٦٥٣
جامع الناس	٨٣٩	المذل	٢٦٥٩
الجلال	٨٦٩	المرشد	٢٦٧٤
الجليل	٨٦٩	المريد	٢٦٧٤
الجواد	٩٠٨	المستعان	٢٦٧٨
الحاسب	٩٤٤	المسعر	٢٦٨٢
الحافظ	٩٢٦	المُصوّر	٢٧١٨
الحاكم	٩٢٦	المعز	٢٧٥٠
الحسيب	٩٦٧	المعطي المانع	٢٧٥٠
الحفيظ	٩٩١	المعين	٢٧٦٤
الحق	٩٩٥	المغني	٢٧٦٦
الحكم	١٠١٥	المغيث	٢٧٦٦
الحكيم	١٠٣٥	المقتدر	٢٧٨٠
الحليم	١٠٥٠	المقدم المؤخر	٢٧٨٠
الحميد	١٠٦٤	المُقسِط	٢٧٨٥
الحنان	١٠٦٨	مقلب القلوب	٢٧٨٧
الحي (من أسماء الله)	١١٠٠	المليك	٢٨١٧
ال خليفة (من أسماء الله)	١١٩٤	المليك	٢٨٣٢
خير الناصرين	١٢٠٥	ال مميت	٢٨٣٢
خير الوارثين	١٢٠٥	ال مَنَّان	٢٨٣٢

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
المُنْعَم	٢٨٣٦	التقديم والتأخير	٦٨٩
المُهَيِّم	٢٨٤٨	التقرب	٦٨٩
المؤخر	٢٥٨١	التوبة	٧٦٣
المولى	٢٩٠٥	الجبروت	٨٥٢
المؤمن	٢٥٨١	الجمال	٨٨٣
الناصر	٢٩٣٠	الجميل	٨٨٣
النافع	٢٩٣٠	جنب الله	٨٩٣
التَّصْيِير	٢٩٧٠	الجود	٩١١
النور	٣٠٠٤	الحثو	٩٢٦
الهادي	٣٠١٣	الحجزة	٩٢٩
الواحد	٣٠٧١	الحرف والصوت	٩٤١
الوارث	٣٠٧١	الحقو	٩٩٨
الواسع	٣٠٧٦	الحكمة	١٠٢٨
الوالي	٣٠٧٨	الحياء (صفة لله تعالى)	١٠٩١
الوتر	٣٠٧٨	خداع الله للمنافقين	١١٢٠
الودود	٣١٠٠	الخط (من صفات الله تعالى)	١١٦١
الوكيل	٣١٤٨	الْخَلْق	١١٨٥
الْوَلِيّ	٣١٧٤	خلق القرآن	١١٩٤
الوهاب	٣١٨١	الذات	١٢٦٧
المواد المتعلقة بصفات الله تعالى		الرَّجُل	١٣٥٧
الإتيان	٥٣	الرَّحمة	١٣٥٧
الإرادة	١٢٢	الرِّضَا	١٤٠٠
الأزليّ	١٢٧	الرَّوْح	١٤٣٢
الاستواء	١٩٦	رؤية الله	١٣٢٨
الأصابع	٢٧٠	الساق	١٥١٦
أفعال الله	٣١٧	السَّخَطُ	١٥٥٢
الإماتة	٣٥٩	السُّكُوت	١٥٦٢
الأمر	٣٧٦	السَّمْع (صفة لله)	١٦٠٨
البشاشة	٥٢٠	الشخص	١٦٣٤
البغض	٥٣٣	الشكر (صفة لله تعالى)	١٦٩٢
البقاء	٥٣٦	الشهيد (صفة لله تعالى)	١٧٢٣
التجلي	٥٧٤	الشيء	١٧٢٦
التحليل والتحرير	٥٨٩	الصبر (صفة لله تعالى)	١٧٤٦
التردد	٥٩٥	الصفات الاختيارية	١٨١٥
التشريع	٦٣٧	الصفات الخبرية الفعلية	١٨٢١
التصوير (صفة لله)	٦٤٣	الصفات الذاتية	١٨٢١
		صفات الله ﷻ	١٨٢٦

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الصفات المثبتة والصفات المنفية	١٨٤١	القيومية	٢٤٢٤
الصفة والموصوف	١٨٤١	الكبر	٢٤٢٧
الصنع	١٨٦٢	الكتابة (صفة لله تعالى)	٢٤٣٨
الصورة (صفة لله تعالى)	١٨٧٠	الكرسي	٢٤٧٨
الضحك (صفة لله تعالى)	١٨٨١	الكرم	٢٤٨٢
الطي	١٩٣٥	الكره	٢٤٨٧
الظل	١٩٥٥	الكنف	٢٥١٠
ظل العرش	١٩٥٥	الكيد	٢٥٣١
الظلم المنفي عن الله تعالى	١٩٦٠	اللطف	٢٥٥٢
العجب (صفة لله تعالى)	٢٠١١	اللفظ بالقرآن	٢٥٦٠
العرش	٢٠٤٧	لقاء الله	٢٥٦٧
العزة	٢٠٥٤	مباينة الله	٢٥٨٧
العطاء والمنع	٢٠٦٦	المتانة	٢٥٨٩
العظمة	٢٠٦٦	المثل الأعلى	٢٥٩٦
العفو	٢٠٧٢	المجد	٢٥٩٩
العلم	٢٠٩٥	المجيء والإتيان	٢٥٩٩
العلو	٢١٢٣	المحبة	٢٦٠٩
العين (صفة لله تعالى)	٢١٨٥	المسح	٢٦٧٩
الغضب	٢١٩٥	مشيئة الله	٢٧٠٦
الغفران	٢١٩٩	معية الله ﷻ	٢٧٥٧
الغنى	٢٢١١	المقت	٢٧٧٦
الغير	٢٢٢٠	المكر	٢٧٩٠
الغيرة	٢٢٢٨	الملك	٢٨١٧
الفتح	٢٢٥٥	الملل	٢٨٢٨
الفرح	٢٢٧٧	المماساة	٢٨٣٢
الفطر	٢٢٩٤	المن	٢٨٣٢
الفوقية	٢٣٠٠	النزول	٢٩٤٤
القبض	٢٣٠٦	نصوص الصفات	٢٩٦٢
القبض والبسط	٢٣٠٦	النفس	٢٩٩٢
القدرة	٢٣٢٩	النفس (صفة لله تعالى)	٢٩٨٩
قدرة الله	٢٣٣٤	الهداية	٣٠٣٦
القدس	٢٣٣٥	الهرولة	٣٠٤٧
القدم	٢٣٣٨	الهيمنة	٣٠٦٨
القدم	٢٣٣٥	واجب الوجود	٣٠٦٩
القرب	٢٣٦٤	الوجه	٣٠٨١
القهر	٢٣٨٨	الوجود	٣٠٨٥
القوة	٢٣٩٢	وجود الله تعالى	٣٠٨٥

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الوحدانية	٣٠٩١	الرَّبُّور	١٤٦٣
الود	٣٠٩١	صُحُف إبراهيم ؑ	١٧٧٦
الوكالة	٣١٤٨	صحف موسى	١٧٨٣
الولاية (صفة الله)	٣١٧٤	الْقُرْآن	٢٣٤٧
الوهب	٣١٨٤	الْكُتُب السماوية	٢٤٥٦
اليد (صفة لله تعالى)	٣٢٠٤	المحكم والمتشابه	٢٦٢٥
		نزول القرآن	٢٩٥٠
المواد المتعلقة بالإيمان بالملائكة			
إسرافيل	٢١٨	المواد المتعلقة بالإيمان بالرسل والأنبياء	
الإيمان بالملائكة	٢٧٩٤	المواد المتعلقة بالنبوة والرسالة	
البيت المعمور	٥٥٥	الاتِّباع	٤٠
التفاضل	٦٧٥	دلائل النبوة	١٢٢٩
تكليف الملائكة	٧١٤	الرسالات السماوية	١٣٧٩
جبريل	٨٥٨	الرُّسُل	١٣٨٤
الجن	٨٨٧	الرسول	١٣٩٧
الحفظة	٩٨٩	صفات الرسل	١٨٢٦
حملة العرش	١٠٦١	عصمة الأنبياء	٢٠٥٩
خازن الجنة	١١١٨	المُعْجِزَة	٢٧٤١
خازن النار	١١٢٠	المفاضلة بين الأنبياء	٢٧٧٣
الرقب والعقيد	١٤٢٧	النبوة	٢٩٣٠
الروح (روح القدس)	١٤٥٦	نبوة النساء	٢٩٣٨
الشیطان	١٧٣٠	المواد المتعلقة بالأنبياء والرسل السابقين	
الكرام الكاتبون	٢٤٦٥	إبراهيم ؑ	٢٧
الكروبيون	٢٤٩١	إدريس ؑ	١١٦
الملائكة	٢٧٩٤	آدم ؑ	٥
ملك الأملاك	٢٨٢٢	الأسباط	١٤١
ملك الجبال	٢٨٢٢	إسحاق ؑ	٢٠٦
ملك الموت	٢٨٢٤	إسماعيل ؑ	٢٥٥
ميكائيل	٢٩١٥	إلياس ؑ	٣٥٥
هاروت وماروت	٣٠١٧	الأنبياء المختلف في نبوتهم	٣٩٤
		أولو العزم	٤٥٦
المواد المتعلقة بالإيمان بالكتب			
إعجاز القرآن	٢٨٧	الإيمان بالرسل	٤٨٤
الإنجيل	٤٠٤	أيوب ؑ	٤٨٤
الإيمان بالكتب	٤٨٤	الخضر ؑ	١١٥٠
تحريف الكتب السماوية	٥٨٤	الخليل	١١٩٤
تفاضل القرآن	٦٨٨	داود ؑ	١٢١٢
التوراة	٨٠٨	ذو الكفل ؑ	١٣٠٢

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
رفع عيسى ﷺ	١٤٠٩	الفراسة	٢٢٧١
زكريا ﷺ	١٤٧٤	كرامات الأولياء	٢٤٧٢
سليمان ﷺ	١٥٨٩	المُحدَّث	٢٦١٤
شعيب ﷺ	١٦٨٢	المواد المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر	
صالح ﷺ	١٧٣٧	المواد المتعلقة بأشراط الساعة	
الصلاة على الأنبياء وغيرهم	١٨٤٥	ابن صياد	١٨٧٧
عيسى ﷺ	٢١٧٨	أشراط الساعة	٢٦٥
لوط ﷺ	٢٥٧٢	الخشوفات الثلاث	١١٣٢
مريم ﷺ	٢٦٧٤	الدابة	١٢٠٧
موسى ﷺ	٢٨٦٧	الدخان	١٢١٧
نزول عيسى ﷺ	٢٩٥١	طلوع الشمس من مغربها	١٩٣١
نوح ﷺ	٢٩٩٦	غربة الإسلام	٢١٩١
هارون ﷺ	٣٠٢٠	الفتن	٢٢٦٠
هود ﷺ	٣٠٦٣	المسيح الدجال	٢٦٨٤
يحيى ﷺ	٣١٩٦	المهدي	٢٨٤٢
اليسع ﷺ	٣٢٢٠	النار التي تحشر الناس	٢٩٢٥
يعقوب ﷺ	٣٢٢١	نزول عيسى	٢٩٥١
يوسف ﷺ	٣٢٣٢	يأجوج ومأجوج	٣١٨٥
يوشع بن نون ﷺ	٣٢٣٩	المواد المتعلقة بالحياة البرزخية	
المواد المتعلقة بنبينا محمد ﷺ		الاحتضار	٦٩
أبو طالب	١٩١٤	البرزخ	٥١٥
الإسراء والمعراج	٢٠٩	تلقين الميت	٧٢٥
آل البيت	١٣	الحياة البرزخية	١١٠٠
حقوق الرسول ﷺ	١٠٠٠	الرُّوح	١٤٣٢
خاتم النبيين ﷺ	١١٠٩	سماع الأموات	١٥٩٦
ختم النبوة	١١٢٠	ضغطة القبر	١٨٨٥
خصائص النبي ﷺ	١١٤٥	ضمة القبر	١٩٠٢
الخُلة	١١٧٤	عذاب القبر ونعيمه	٢٠٢١
السلام على النبي ﷺ	١٥٦٨	عرض المقعد	٢٠٥٤
شهادة أن محمداً رسول الله	١٧٠٢	فتنة القبر	٢٢٦٦
الصلاة على النبي ﷺ	١٨٤٥	القبر	٢٣٠١
طاعة الرسول	١٩٠٨	مستقر الأرواح	٢٦٧٩
عموم الرسالة	٢١٧٥	منكر ونكير	٢٨٣٩
محمد ﷺ	٢٦٣١	الموت	٢٨٥١
المواد المتعلقة بالأولياء والكرامات		النفس	٢٩٩٢
خاتم الأولياء	١١٠٩		

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
المواد المتعلقة بالحياة الآخرة		النشور	٢٩٦٢
الأعراف	٢٩٧	التَّفَخُّ في الصور	٢٩٧٨
انتفاع الميت بسعي الحي	٣٩٤	النفخة	٢٩٨٩
إهداء ثواب الأعمال	٤٢١	الورود	٣٠٩١
أهل الفترة	٤٣١	وصول ثواب الأعمال	٣١١٣
أحوال القيامة	٤٣٥	وقت الساعة	٣١٤٨
الإيمان باليوم الآخر	٤٨٤	اليوم الآخر	٣٢٤٣
البعث	٥٢٧	يوم الحساب	٣٢٤٦
تطابير الصحف	٦٦١	يوم الحسرة	٣٢٤٦
التفاضل	٦٧٥	يوم القيامة	٣٢٥٠
الجنة	٨٩٧	المواد المتعلقة بالإيمان بالقضاء والقدر	
الحساب	٩٤٤	الأجل	٥٣
الحشر	٩٧٧	الاحتجاج بالقدر	٦٨
الحوض	١٠٨٤	الإرادة الشرعية	١٢٧
الراجفة	١٣٣٨	الإرادة الكونية	١٢٧
الرادفة	١٣٣٨	الأسباب	١٣١
السَّاعة	١٥١٣	الاستطاعة	١٦٢
الشفاعة	١٦٨٨	أفعال العباد	٣١٠
صحف الأعمال	١٧٧٩	الإيمان بالقضاء والقدر	٢٣٧٩
الصراط	١٧٩٨	التحسين والتقبيح العقليان	٥٨٤
الصُّعْفَةُ	١٨١٢	تكليف ما لا يطاق	٧١٤
الصور	١٨٧٠	الختم	١١٢٠
عرصات القيامة	٢٠٥١	الصالح والأصلح	١٨٥٣
العَرَضُ	٢٠٥١	الضلال	١٨٨٨
الفردوس	٢٢٨٠	الطبع	١٩٢٢
القرين	٢٣٧١	القدر	٢٣١٨
القصاص	٢٣٧٥	القضاء والقدر	٢٣٧٩
القنطرة	٢٣٨٢	القلم	٢٣٧٩
القيامة الصغرى	٢٤١٨	الكتابة (من مراتب القدر)	٢٤٤٥
القيامة الكبرى	٢٤١٨	الكوني والشرعي	٢٥٢٣
الكوثر	٢٥٢٠	المحو والثبات	٢٦٥٣
اللوح المحفوظ	٢٥٦٧	المشيئة	٢٦٩٨
محاسبة الكفار	٢٦٠٩	مشيئة العبد	٢٧٠٤
المقام المحمود	٢٧٧٣	الهدى	٣٠٤٠
الموقف	٢٨٩٢	المواد المتعلقة بالصحابية	
الميزان	٢٩٠٩	أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ	٥٣٩
النار	٢٩١٩		

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
أبو ذر الغفاري رضي الله عنه	١٢٨٠	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣٧٦
أبو موسى الأشعري رضي الله عنه	٢٨٨٦	أهل الحل والعقد	٤٢٦
أبو هريرة رضي الله عنه	٣٠٥٢	أولو الأمر	٤٥٦
الأنصار	٤١٧	البيعة	٥٥٨
أهل بدر	٤٣٥	التغلب	٦٧٥
أهل بيعة الرضوان	٤٣٥	الخروج على الامام	١١٣٢
أهل بيعة العقبة	٤٣٥	الخلافة الراشدة	١١٦٤
التفاضل	٦٧٥	خليفة الله	١١٩٤
الحسن بن علي رضي الله عنه	٩٦٠	الرعية	١٤٠٤
الحسين بن علي رضي الله عنه	٩٧٣	السمع والطاعة	١٦٠١
حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنها	٩٨٢	عام الجماعة	١٩٧٨
خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها	١١٢٤	العهد بالإمامة	٢١٧٥
الزبير بن العوام رضي الله عنه	١٤٦٨	الغلبة	٢٢٠٤
سب الصحابة	١٥٣١	يزيد بن معاوية	٣٢١١
سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه	١٥٥٦	المواد المتعلقة بالأسماء والأحكام	
سلمان الفارسي رضي الله عنه	١٥٨٠	الأبرار	٢٢
الصحابة	١٧٥٦	الإحسان	٨٩
الطعن في الصحابة	١٩٢٦	الاستثناء في الإسلام	١٤٦
طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه	١٩٢٦	الاستثناء في الإيمان	١٤٧
عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين رضي الله عنها	١٩٦٧	الاستهزاء	١٨٩
عبد الله بن الزبير رضي الله عنه	١٩٨٨	الإسلام	٢١٩
عبد الله بن عباس رضي الله عنه	١٩٩٤	الإسلام الحقيقي	٢٣٣
عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي الله عنه	٢٠١١	الإسلام الحكمي	٢٣٣
عدالة الصحابة	٢٠١٤	الإسلام الخاص	٢٣٣
العشرة المبشرون بالجنة رضي الله عنهم	٢٠٥٩	أصحاب الكبيرة	٢٧٣
علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رضي الله عنه	٢١٣٥	أصحاب اليمين	٢٧٣
عمار بن ياسر رضي الله عنه	٢١٤٨	الإكراه	٣٢٢
عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه	٢١٥٣	أهل الوعد	٤٣٥
عمرو بن العاص رضي الله عنه	٢١٦٧	أهل الوعيد	٤٣٥
فاطمة بنت النبي محمد رضي الله عنها	٢٢٤١	الإيمان	٤٦٨
مسلمة الفتح	٢٦٨٤	الإيمان المطلق	٤٨٤
معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه	٢٧٢٦	بلوغ الحجة	٥٥٥
المغيرة بن شعبة رضي الله عنه	٢٧٦٩	التفاضل	٦٧٥
المهاجرون	٢٨٤٢	التكفير	٧٠٢
المواد المتعلقة بالإمامة والخلافة		الحب في الله والبغض في الله	٩٢٦
الإمامة	٣٥٩	الدين	١٢٥٥

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الردة	١٣٦٦	نقص الإيمان	٢٩٩٦
الزندقة	١٤٧٨	الوعد	٣١١٣
زيادة الإيمان ونقصانه	١٤٩١	الوعيد	٣١٢٣
السابق بالخيرات	١٥١٣	الولاء	٣١٧٤
السابقون الأولون	١٥١٣	الولاء والبراء	٣١٥٣
السب	١٥١٩	المواد المتعلقة بالبدع	
سب الدين	١٥٢٨	الافتراق	٣٠٤
سب الله تعالى	١٥٣١	البدعة	٤٩٤
سب النبي ﷺ	١٥٣٢	البدعة الإضافية	٥٠٥
الشرك	١٦٣٧	البدعة التركية	٥٠٥
الشرك الأصغر	١٦٤٢	البدعة التعبدية	٥٠٥
الشرك الأكبر	١٦٤٧	البدعة الجزئية	٥٠٥
الشرك الخفي	١٦٥٣	البدعة الحسنة	٥٠٥
شرك الطاعة	١٦٥٤	البدعة الحقيقية	٥٠٥
شرك النية والقصد	١٦٦٠	البدعة السيئة	٥٠٥
الشهادة لمعين بجنة أو نار	١٧٠٧	البدعة العادية	٥٠٥
الشهداء	١٧١٨	البدعة العملية	٥٠٥
الصالحون	١٧٤١	البدعة الفعلية	٥٠٥
الصدّيقون	١٧٩١	البدعة الكلية	٥٠٥
الصراط المستقيم	١٨٠٤	البدعة المفسدة (غير المكفرة)	٥٠٥
الظالم لنفسه	١٩٤٩	البدعة المكفرة	٥٠٥
الفسق	٢٢٩٠	التقليد	٦٨٩
قيام الحجة	٢٤٠٧	حكم المبتدع	١٠٢١
الكبيرة	٢٤٣٢	الفرق الضالة	٢٢٨٦
الكفر	٢٥٠٠	المولد	٢٨٩٥
كمال الإيمان	٢٥١٠	الهجر	٣٠٢٧
اللعن	٢٥٥٥	المواد المتعلقة بأعمال القلوب	
مراتب المؤمنين	٢٦٥٩	الإنبابة	٣٩٠
مرتكب الكبيرة	٢٦٧٤	البر	٥١١
مطلق الإيمان	٢٧٢٦	البراء	٥١٥
المقتصد	٢٧٨٠	التسبيح	٦٠٥
موانع التكفير	٢٨٥١	التصديق	٦٣٧
النفاق	٢٩٧٣	التعظيم	٦٦٨
النفس الأمارة بالسوء	٢٩٩٢	التقوى	٦٩٩
النفس اللوامة	٢٩٩٢	الحسب	٩٤٩
النفس المطمئنة	٢٩٩٢	الحسد	٩٤٩
نفي الإيمان	٢٩٩٦	الحمد	١٠٥٥

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الحياء	١٠٩٤	الفاطر	٢٢٣٥
الخشوع	١١٣٤	الفتاح	٢٢٥٥
الخشية	١١٣٩	القابطس	٢٣٠١
الخشوع	١١٦١	قابل التوب	٢٣٠١
الخوف	١١٩٨	القادر	٢٣٠١
الذكر	١٢٩٥	القاهر	٢٣٠١
الرجبة	١٤٠٤	القائم	٢٣٠١
الزهد	١٤٨٤	القدوس	٢٣٤٢
الشكر	١٦٩٢	القدير	٢٣٤٧
الصبر	١٧٤٦	القديم	٢٣٤٧
الصدق	١٧٨٣	القريب	٢٣٧١
الفناء	٢٢٩٨	القهار	٢٣٨٧
المراقبة	٢٦٦٩	القوي	٢٣٩٦
الورع	٣٠٩٦	القيم	٢٤١٨
اليقين	٣٢٢٦	القيوم	٢٤١٨
سريع الحساب	١٥٥٦	الكافي	٢٤٢٥
السلام	١٥٦٥	الكبير	٢٤٢٧
السيد	١٦٢٥	الكريم	٢٤٩١
الشافعي	١٦٣١	الكفيل	٢٥٠٧
الشكور	١٦٩٨	اللطف	٢٥٥٥
الصمد	١٨٥٨	الله	٢٥٤٦
الطيب	١٩٣٨	الماجد	٢٥٨٦
الظاهر الباطن	١٩٤٩	مالك	٢٥٨٤
العدل	٢٠١٤	المالك	٢٥٨٦
العظيم	٢٠٧٢	مالك الملك	٢٥٨٦
العنق	٢٠٧٢	مالك الناس	٢٥٨٦
العلي	٢١٣٥	مالك يوم الدين	٢٥٨٧
العليم	٢١٤٨	المانع	٢٥٨٧
الغفار	٢١٩٩	المبين	٢٥٨٧
الغفور	٢٢٠٤	المتعالي	٢٥٨٩
الغني	٢٢١١	المتكبر	٢٥٨٩
الغوث	٢٢١٧	المتكلم	٢٥٩٣
الغياث	٢٢٢٠	المتين	٢٥٩٣
الغيور	٢٢٣٣		

فهرس مواد الموسوعة حسب الترتيب الهجائي

المجلد الأول

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
آدم ﷺ	٥	الاستثناء في الإيمان	١٤٧
آل البيت	١٣	الاستسقاء بالأنواء	١٥٦
الأبرار	٢٢	الاستطاعة	١٦٢
إبراهيم ﷺ	٢٧	الاستعاذة	١٦٨
الاتباع	٤٠	الاستعانة	١٧٥
الاتحاد	٤٧	الاستغاثة	١٨٢
الإتيان	٥٣	الاستهزاء	١٨٩
الأجل	٥٣	الاستواء	١٩٦
الإجماع	٦٢	إسحاق ﷺ	٢٠٦
الاحتجاج بالقدر	٦٨	الإسراء والمعراج	٢٠٩
الاحتضار	٦٩	إسرافيل	٢١٨
الأحد	٨٠	أسرع الحاسبين	٢١٩
الإحسان	٨٩	الإسلام	٢١٩
أحسن الخالقين	٩٩	الإسلام الحقيقي	٢٣٣
أحكم الحاكمين	٩٩	الإسلام الحكمي	٢٣٣
الأحلام	٩٩	الإسلام الخاص	٢٣٣
الأحوال	٩٩	اسم الله الأعظم	٢٣٣
الآخر (من أسماء الله تعالى)	١٠٣	الاسم والمسمى	٢٤٠
الإخبات	١٠٧	الأسماء الحسنى	٢٤٥
الإخلاص	١١٠	إسماعيل ﷺ	٢٥٥
إدريس ﷺ	١١٦	أشراط الساعة	٢٦٥
الإرادة	١٢٢	الأصابع	٢٧٠
الإرادة الشرعية	١٢٧	أصحاب الكيرة	٢٧٣
الإرادة الكونية	١٢٧	أصحاب اليمين	٢٧٣
أرحم الراحمين	١٢٧	أصول الدين	٢٧٤
الأزلي	١٢٧	الاعتصام بالكتاب والسنة	٢٧٧
الأسباب	١٣١	إعجاز القرآن	٢٨٧
الأسباط	١٤١	الأعراف	٢٩٧
الاستثناء في الإسلام	١٤٦	الأعز	٢٩٩
		الأعلى	٢٩٩
		الأعلم	٢٩٩

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
أعمال القلوب	٢٩٩	أهل بيعة العقبة	٤٣٥
الافتراق	٣٠٤	أهوال القيامة	٤٣٥
أفعال العباد	٣١٠	الأوثان	٤٤٥
أفعال الله	٣١٧	الأول	٤٥٣
الأقرب	٣٢٢	أولو الأمر	٤٥٦
الأقوى	٣٢٢	أولو العزم	٤٥٦
الأكبر	٣٢٢	الإيجاب	٤٦٠
الإكراه	٣٢٢	الإيجاد	٤٦٥
الأكرم	٣٢٧	الإيمان	٤٦٨
الإلحاد	٣٢٩	الإيمان المطلق	٤٨٤
الألفاظ المجملة	٣٣٣	الإيمان بالرسول	٤٨٤
الإله	٣٣٨	الإيمان بالكتب	٤٨٤
الإلهام	٣٤٥	الإيمان باليوم الآخر	٤٨٤
إلياس عليه السلام	٣٥٥	أيوب عليه السلام	٤٨٤
الإمامة	٣٥٩	حرف الباء	٤٩١
الإمامة	٣٥٩	البارئ	٤٩١
الأمر	٣٧٦	الباطن	٤٩٤
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣٧٦	البدعة	٤٩٤
الأمن من مكر الله	٣٨٦	البدعة الإضافية	٥٠٥
الإنابة	٣٩٠	البدعة التركية	٥٠٥
الأنبياء المختلف في نبوتهم	٣٩٤	البدعة التعبدية	٥٠٥
انتفاع الميت بسعي الحي	٣٩٤	البدعة الجزئية	٥٠٥
الإنجيل	٤٠٤	البدعة الحسنة	٥٠٥
الأنداد	٤١٠	البدعة الحقيقية	٥٠٥
الأنصاب	٤١٤	البدعة السيئة	٥٠٥
الأنصار	٤١٧	البدعة العادية	٥٠٥
الانقياد	٤١٧	البدعة العملية	٥٠٥
إهداء ثواب الأعمال	٤٢١	البدعة الفعلية	٥٠٥
أهل الأثر	٤٢١	البدعة الكلية	٥٠٥
أهل الحديث أو أصحاب الحديث	٤٢٣	البدعة المفسدة (غير المكفرة)	٥٠٥
أهل الحل والعقد	٤٢٦	البدعة المكفرة	٥٠٥
أهل السنة والجماعة	٤٢٦	البدع	٥٠٦
أهل الفترة	٤٣١	بديع السماوات والأرض	٥٠٦
أهل الوعد	٤٣٥	البر	٥١١
أهل الوعيد	٤٣٥	البراء	٥١٥
أهل بدر	٤٣٥	البرزخ	٥١٥
أهل بيعة الرضوان	٤٣٥		

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
البشيرة	٥٢٠	أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ	٥٣٩
البصير	٥٢٣	بلوغ الحجة	٥٥٥
البعث	٥٢٧	البيت المعمور	٥٥٥
البغض	٥٣٣	البيعة	٥٥٨
البقاء	٥٣٦		

المجلد الثاني

حرف التاء	٥٥٩	تقديم النقل على العقل	٦٨٩
التألي على الله	٥٥٩	التقديم والتأخير	٦٨٩
التأويل	٥٦٠	التقرب	٦٨٩
التبرك	٥٦٨	التقليد	٦٨٩
التجلي	٥٧٤	التقوى	٦٩٩
التحريف	٥٧٨	التكفير	٧٠٢
تحريف الكتب السماوية	٥٨٤	تكليف الملائكة	٧١٤
التحسين والتقيح العقليان	٥٨٤	تكليف ما لا يطاق	٧١٤
تحقيق التوحيد	٥٨٩	التكوين	٧٢٠
التحليل والتحرير	٥٨٩	التكييف	٧٢١
التردد	٥٩٥	تلقين الميت	٧٢٥
التركيب	٦٠٠	التمائم	٧٣٣
التسيح	٦٠٥	التمثيل	٧٣٩
التسلسل	٦١١	التنجيم	٧٤٥
التسمي بقاضي القضاة	٦١٨	التنزيه	٧٥٢
التشاؤم	٦٢٤	التوابع	٧٥٧
التشبيه	٦٣٠	التوبة	٧٦٣
التشريع	٦٣٧	التوحيد	٧٧٢
التصديق	٦٣٧	التوحيد الإرادي	٧٨٤
التصوير (صفة لله)	٦٤٣	توحيد الأسماء والصفات	٧٨٤
التصوير	٦٤٧	توحيد الألوهية	٧٩١
تطابير الصحف	٦٦١	توحيد الربوبية	٨٠٠
التطرف	٦٦١	توحيد العبادة	٨٠٧
التعبد لغير الله	٦٦١	التوحيد العلمي الخبري	٨٠٧
التعطيل	٦٦٥	التوحيد العملي	٨٠٧
التعظيم	٦٦٨	التوحيد الفعلي	٨٠٧
التغلب	٦٧٥	توحيد القصد	٨٠٧
التفاضل	٦٧٥	التوحيد القولي الاعتقادي	٨٠٧
تفاضل القرآن	٦٨٨	توحيد المعرفة والإثبات	٨٠٧

المجلد الثالث

١٢٢٩	دعاء المسألة	١١٠٩	حرف الخاء
١٢٢٩	دلائل النبوة	١١٠٩	خاتم الأولياء
١٢٢٩	دليل الإحكام والإتقان	١١٠٩	خاتم النبيين ﷺ
١٢٣١	دليل الاختصاص	١١١٨	خازن الجنة
١٢٣٥	دليل الإمكان	١١٢٠	خازن النار
١٢٣٩	دليل التطبيق	١١٢٠	ختم النبوة
١٢٤٣	دليل التمانع	١١٢٠	الختم
١٢٤٦	دليل حدوث الأجسام	١١٢٠	خداع الله للمنافقين
١٢٤٩	دليل حدوث الأعراض	١١٢٤	خديجة أم المؤمنين ﷺ
١٢٥٢	الديان	١١٣٢	الخروج على الإمام
١٢٥٥	الدين	١١٣٢	الخشوفات الثلاث
١٢٦٧	حرف الذال	١١٣٤	الخشوع
١٢٦٧	الذات	١١٣٩	الخشية
١٢٧٠	الذبح	١١٤٥	خصائص النبي ﷺ
١٢٨٠	الذبح لغير الله	١١٥٠	الخضر ﷺ
١٢٨٠	أبو ذر الغفاري ﷺ	١١٦١	الخضوع
١٢٩١	ذرائع الشرك	١١٦١	الخط (من صفات الله تعالى)
١٢٩٥	الذكر	١١٦٤	الخط على الأرض
١٣٠٢	ذو الطول	١١٦٤	الخلافة الراشدة
١٣٠٢	ذو الكفل ﷺ	١١٧٤	الحلة
١٣٠٥	ذو المعارج	١١٨٥	الحلق
١٣٠٧	حرف الراء	١١٩٤	خلق القرآن
١٣٠٧	الرؤى والأحلام	١١٩٤	الخليفة (من أسماء الله)
١٣١٨	الرؤوف	١١٩٤	خليفة الله
١٣٢١	الرأي	١١٩٤	الحليل
١٣٢٨	رؤية الله	١١٩٨	الخوف
١٣٣٨	الراجعة	١٢٠٥	خير الناصرين
١٣٣٨	الرادفة	١٢٠٥	خير الوارثين
١٣٣٨	الرافع الخافض	١٢٠٧	حرف الدال
١٣٤١	الرب	١٢٠٧	الدابة
١٣٤٦	الربوبية	١٢١٢	داود ﷺ
١٣٤٩	الرجاء	١٢١٧	الدخان
١٣٥٧	الرجل	١٢٢١	الدعاء
		١٢٢٩	دعاء العبادة

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٥١٣	السابق بالخيرات	١٣٥٧	الرَّحْمَة
١٥١٣	السابقون الأولون	١٣٦٦	الرَّذَة
١٥١٣	السَّاعَة	١٣٧٤	الرَّزَاق/ الرَّاَاق
١٥١٦	الساق	١٣٧٩	الرسالات السماوية
١٥١٩	السَّبِّ	١٣٨٤	الرُّسُل
١٥٢٤	سب الدهر	١٣٩٧	الرسول
١٥٢٨	سب الدين	١٣٩٧	الرَّشيد
١٥٢٨	سب الريح	١٤٠٠	الرَّض ا
١٥٣١	سب الصحابة	١٤٠٤	الرعية
١٥٣١	سب الله تعالى	١٤٠٤	الرغبة
١٥٣٢	سب النبي ﷺ	١٤٠٩	رفع عيسى ﷺ
١٥٣٢	السُّبُوح	١٤١٢	رفيع الدرجات
١٥٣٥	السَّتَار	١٤١٣	الرفيق
١٥٣٥	السَّيِّر	١٤١٦	الرُّفَى
١٥٣٨	السَّحَر	١٤٢٥	الرَّقِيبُ
١٥٥٢	السَّحْطُ	١٤٢٧	الرقيب والعتيد
١٥٥٦	سريع الحساب	١٤٢٨	الرمال
١٥٥٦	سعد بن أبي وقاص ﷺ	١٤٢٨	الرهبة
١٥٦٢	السُّكُوت	١٤٣٢	الرُّوح
١٥٦٥	السَّلام	١٤٥٦	الرُّوح (روح القدس)
١٥٦٨	السلام على النبي ﷺ	١٤٥٦	الرَّيَاء
١٥٧٧	السَّلف	١٤٦٣	حرف الزين
١٥٨٠	سلمان الفارسي ﷺ	١٤٦٣	الرَّيْبُور
١٥٨٩	سليمان ﷺ	١٤٦٨	الزبير بن العوام ﷺ
١٥٩٦	سماع الأموات	١٤٧٤	زكريا ﷺ
١٦٠١	السمع والطاعة	١٤٧٨	الزندقة
١٦٠١	السَّمْع	١٤٨٤	الرُّهْد
١٦٠٨	السَّمْع (صفة لله)	١٤٩١	زيادة الإيمان ونقصانه
١٦١٦	السُّنَّة	١٤٩٧	زيارة القبور
١٦٢٢	السواد الأعظم	١٥٠٥	حرف السين
١٦٢٥	السَّيِّد	١٥٠٥	سؤال الخلق
		١٥١٠	سؤال الله بال مخلوق

المجلد الرابع

١٦٣٧	شد الرحال	١٦٣١	حرف الشين
١٦٣٧	الشَّرْك	١٦٣١	الشَّافِي
١٦٤٢	الشرك الأصغر	١٦٣٤	الشخص

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الشرك الأكبر	١٦٤٧	صفات الرسل	١٨٢٦
الشرك الخفي	١٦٥٣	صفات الله ﷻ	١٨٢٦
شرك الطاعة	١٦٥٤	الصفات المثبتة والصفات المنفية	١٨٤١
شرك النية والقصد	١٦٦٠	الصفة والموصوف	١٨٤١
الشُّرك في الأسماء والصفات	١٦٦٧	صَفَر	١٨٤٢
الشرك في الألوهية	١٦٦٩	الصلاة على الأنبياء وغيرهم	١٨٤٥
الشُّرك في الربوبية	١٦٧٦	الصَّلَاة على النبي ﷺ	١٨٤٥
الشريعة	١٦٨٠	الصلاح والأصلح	١٨٥٣
شعيب عليه السلام	١٦٨٢	الصمد	١٨٥٨
الشفاعة	١٦٨٨	الصنع	١٨٦٢
الشكر	١٦٩٢	الصنم	١٨٦٥
السُّكُور	١٦٩٨	الصور	١٨٧٠
الشهادة	١٧٠٢	الصورة (صفة لله تعالى)	١٨٧٠
شهادة أن محمداً رسول الله	١٧٠٢	ابن صَيَّاد	١٨٧٧
الشهادة لمعين بجنة أو نار	١٧٠٧	حرف الضاد	
الشهداء	١٧١٨	الضحك (صفة لله تعالى)	١٨٨١
الشهيد (صفة لله تعالى)	١٧٢٣	ضغطة القبر	١٨٨٥
الشَّيء	١٧٢٦	الضلال	١٨٨٨
الشَّيْطَان	١٧٣٠	ضمة القبر	١٩٠٢
حرف الصاد	١٧٣٧	حرف الطاء	١٩٠٣
صالح عليه السلام	١٧٣٧	الطائفة المنصورة	١٩٠٣
الصالحون	١٧٤١	طاعة الرسول	١٩٠٨
الصَّبْر (صفة لله تعالى)	١٧٤٦	الطاغوت	١٩٠٨
الصَّبْر	١٧٥١	أبو طالب	١٩١٤
الصَّحابة	١٧٥٦	الطبع	١٩٢٢
صحف إبراهيم عليه السلام	١٧٧٦	الطرق	١٩٢٢
صحف الأعمال	١٧٧٩	الطعن في الصحابة	١٩٢٦
صحف موسى عليه السلام	١٧٨٣	طلحة بن عبيد الله عليه السلام	١٩٢٦
الصَّدق	١٧٨٣	طلوع الشمس من مغربها	١٩٣١
الصَّدِيقون	١٧٩١	الطي	١٩٣٥
الصُّرَّاط	١٧٩٨	الطَّيْب	١٩٣٨
الصراط المستقيم	١٨٠٤	الطيرة	١٩٤٢
الصَّعْقة	١٨١٢	حرف الظاء	١٩٤٩
الصفات الاختيارية	١٨١٥	الظالم لنفسه	١٩٤٩
الصفات الخبرية الفعلية	١٨٢١	الظاهر الباطن	١٩٤٩
الصفات الذاتية	١٨٢١	ظاهر النص	١٩٥٥

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الظل	١٩٥٥	العظيم	٢٠٧٢
ظل العرش	١٩٥٥	العَقُو	٢٠٧٢
الظلم المنفي عن الله تعالى	١٩٦٠	العَقُو	٢٠٧٨
	١٩٦٧	العقل	٢٠٧٩
حرف العين		العقيدة	٢٠٩٠
عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين ﷺ	١٩٦٧	العلم	٢٠٩٥
عام الجماعة	١٩٧٨	علم التأثير	٢١٠٤
العبادة	١٩٧٩	علم التسيير	٢١٠٤
عبد الله بن الزبير ﷺ	١٩٨٨	علم الحروف	٢١٠٤
عبد الله بن عباس ﷺ	١٩٩٤	علم الخط	٢١١٠
عثمان بن عفان أمير المؤمنين ﷺ	٢٠٠٢	علم الكلام	٢١١٠
العجب (صفة لله تعالى)	٢٠١١	علم المكاشفة	٢١٢٢
عدالة الصحابة	٢٠١٤	العلو	٢١٢٣
العدل	٢٠١٤	العلي	٢١٣٥
العدوى	٢٠١٦	علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ﷺ	٢١٣٥
عذاب القبر ونعيمه	٢٠٢١	العليم	٢١٤٨
العرافة	٢٠٣٩	عمَّار بن ياسر ﷺ	٢١٤٨
العرش	٢٠٤٧	عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ﷺ	٢١٥٣
عرصات القيامة	٢٠٥١	عمرو بن العاص ﷺ	٢١٦٧
العَرَض	٢٠٥١	العمل الصالح	٢١٧٣
عرض المقعد	٢٠٥٤	عموم الرسالة	٢١٧٥
العزة	٢٠٥٤	العهد بالإمامة	٢١٧٥
العشرة المبشرون بالجنة	٢٠٥٩	العيافة	٢١٧٥
عصمة الأنبياء	٢٠٥٩	عيسى ﷺ	٢١٧٨
العطاء والمنع	٢٠٦٦	العين (صفة لله تعالى)	٢١٨٥
العظمة	٢٠٦٦		

المجلد الخامس

	٢١٩١	حرف الغين	٢١٩١
الغنى	٢٢١١	الغبراء	٢١٩١
الغني	٢٢١١	غربة الإسلام	٢١٩١
الغوث	٢٢١٧	الغضب	٢١٩٥
الغول	٢٢١٧	الغفران	٢١٩٩
الغياث	٢٢٢٠	الغَفَّار	٢١٩٩
الغير	٢٢٢٠	الغفور	٢٢٠٤
الغيرة	٢٢٢٨	الغلبة	٢٢٠٤
الغيور	٢٢٣٣	الغلو	٢٢٠٥

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٣٤٧	القدير	٢٢٣٥	حرف الفاء
٢٣٤٧	القديم	٢٢٣٥	الفاطر
٢٣٤٧	القرآن	٢٢٤١	فاطمة بنت النبي محمد ﷺ
٢٣٦٤	القرب	٢٢٥١	الفال
٢٣٧١	القريب	٢٢٥٥	الفتاح
٢٣٧١	القرين	٢٢٥٥	الفتح
٢٣٧٥	القصاص	٢٢٦٠	الفتن
٢٣٧٩	القضاء والقدر	٢٢٦٦	فتنة القبر
٢٣٧٩	القلم	٢٢٧١	الفِرَاسَة
٢٣٨٢	القنطرة	٢٢٧٧	الفرح
٢٣٨٤	القنوت	٢٢٨٠	الفردوس
٢٣٨٧	القنوط	٢٢٨٦	الفرق الضالة
٢٣٨٧	القهار	٢٢٨٦	الفرقة الناجية
٢٣٨٨	القهر	٢٢٩٠	الفسق
٢٣٩٢	القوة	٢٢٩٤	الفَطْر
٢٣٩٦	القوي	٢٢٩٤	الفطرة
٢٣٩٦	القياس	٢٢٩٨	الفقه الأكبر
٢٤٠٧	قيام الحجة	٢٢٩٨	الفناء
٢٤١٨	القيامة الصغرى	٢٣٠٠	الفوقية
٢٤١٨	القيامة الكبرى	٢٣٠١	حرف القاف
٢٤١٨	القيّم	٢٣٠١	القائم
٢٤١٨	القيوم	٢٣٠١	القابض
٢٤٢٤	القيومية	٢٣٠١	قابل التوب
٢٤٢٥	حرف الكاف	٢٣٠١	القادر
٢٤٢٥	الكافي	٢٣٠١	القاهر
٢٤٢٧	الكبر	٢٣٠١	القبر
٢٤٢٧	الكبير	٢٣٠٦	القبض
٢٤٣٢	الكبيرة	٢٣٠٦	القبض والبسط
٢٤٣٨	الكتابة (صفة لله تعالى)	٢٣١٢	القبول
٢٤٤٥	الكتابة (من مراتب القدر)	٢٣١٨	القدر
٢٤٥٦	الكتب السماوية	٢٣٢٩	القدرة
٢٤٦٥	الكرام الكاتبون	٢٣٣٤	قدرة الله
٢٤٧٢	كرامات الأولياء	٢٣٣٥	القدس
٢٤٧٨	الكرسي	٢٣٣٥	القدّم
٢٤٨٢	الكرم	٢٣٣٨	القدّم
٢٤٨٧	الكره	٢٣٤٢	القدّوس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الكروبيون	٢٤٩١	المتكلم	٢٥٩٣
الكريم	٢٤٩١	المتين	٢٥٩٣
الكشف	٢٤٩١	المثل الأعلى	٢٥٩٦
الكفر	٢٥٠٠	المجد	٢٥٩٩
الكفيل	٢٥٠٧	المجيء والإتيان	٢٥٩٩
كمال الإيمان	٢٥١٠	المجيد	٢٦٠٥
الكَف	٢٥١٠	محاسبة الكفار	٢٦٠٩
الكهانة	٢٥١٢	المحب	٢٦٠٩
الكوثر	٢٥٢٠	المحبة	٢٦٠٩
الكوني والشرعي	٢٥٢٣	المُحَدَّث	٢٦١٤
الكيد	٢٥٣١	المُحْسِن	٢٦٢٢
		المُحْكَم والمُتَشَابِه	٢٦٢٥
	حرف اللام	محمد ﷺ	٢٦٣١
لا إله إلا الله	٢٥٣٧	المحو والثبات	٢٦٥٣
اللَّه	٢٥٤٦	المُحْيِي	٢٦٥٣
اللطف	٢٥٥٢	المدح	٢٦٥٣
اللطيف	٢٥٥٥	المُذِل	٢٦٥٩
اللعن	٢٥٥٥	مراتب المؤمنين	٢٦٥٩
اللفظ بالقرآن	٢٥٦٠	المراقبة	٢٦٦٩
لقاء الله	٢٥٦٧	مرتكب الكبيرة	٢٦٧٤
اللوح المحفوظ	٢٥٦٧	المرشد	٢٦٧٤
لوط عليه السلام	٢٥٧٢	المريد	٢٦٧٤
		مريم عليها السلام	٢٦٧٤
	حرف الميم	المستعان	٢٦٧٨
المؤخَّر	٢٥٨١	مستقر الأرواح	٢٦٧٩
المؤمن	٢٥٨١	المسح	٢٦٧٩
الماجد	٢٥٨٤	المُسْعَر	٢٦٨٢
مالك	٢٥٨٤	مسلمة الفتح	٢٦٨٤
المالك	٢٥٨٦	المسيح الدجال	٢٦٨٤
مالك الملك	٢٥٨٦	المشيئة	٢٦٩٨
مالك الناس	٢٥٨٦	مشيئة العبد	٢٧٠٤
مالك يوم الدين	٢٥٨٧	مشيئة الله	٢٧٠٦
المانع	٢٥٨٧	مصادر التلقي عند أهل السُّنَّة	٢٧١١
مباينة الله	٢٥٨٧	المُصَوِّر	٢٧١٨
المُبين	٢٥٨٧	المُضَاف إلى الله تعالى	٢٧٢٢
المتانة	٢٥٨٩	مطلق الإيمان	٢٧٢٦
المتعال	٢٥٨٩	معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه	٢٧٢٦
المتكبر	٢٥٨٩		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٨٢٤	مَلَك الموت	٢٧٤١	المعجزة
٢٨٢٨	المَلَل	٢٧٥٠	المُعَرَّ
٢٨٣٢	الملِك	٢٧٥٠	المُعْطِي المانع
٢٨٣٢	المُماَسَة	٢٧٥٧	مَعِيَة الله ﷻ
٢٨٣٢	المُمت	٢٧٦٤	المُعِين
٢٨٣٢	المَمَر	٢٧٦٦	المُغْنِي
٢٨٣٢	المَمَّان	٢٧٦٦	المُغِيث
٢٨٣٦	المُتَمِّم	٢٧٦٩	المَغِيرَة بن شعبَة ﷺ
٢٨٣٩	منكر ونكير	٢٧٧٣	المفاضلة بين الأنبياء
٢٨٤٢	المهاجرون	٢٧٧٣	المقام المحمود
٢٨٤٢	المَهْدي	٢٧٧٦	المقت
٢٨٤٨	المُهَيِّين	٢٧٨٠	المقتدر
٢٨٥١	موانع التكفير	٢٧٨٠	المقتصد
٢٨٥١	الموت	٢٧٨٠	المَقْدَم المؤخَّر
٢٨٦٧	موسى ﷺ	٢٧٨٥	المُقْسِط
٢٨٨٦	أبو موسى الأشعري ﷺ	٢٧٨٧	مقلب القلوب
٢٨٩٢	الموقف	٢٧٩٠	المكر
٢٨٩٥	المولد	٢٧٩٤	الملائكة
٢٩٠٥	المولى	٢٨١٢	المولَة
٢٩٠٥	الميثاق	٢٨١٧	المَلِك
٢٩٠٩	الميزان	٢٨١٧	المُلْك
٢٩١٥	ميكائيل	٢٨٢٢	ملك الأملاك
		٢٨٢٢	ملك الجبال

المجلد السادس

٢٩٥٩	النُّشْرَة	٢٩١٩	حرف النون
٢٩٦٢	النشور	٢٩١٩	النار
٢٩٦٢	نصوص الصفات	٢٩٢٥	النار التي تحشر الناس
٢٩٧٠	النَّصِير	٢٩٣٠	الناصر
٢٩٧٣	النفاق	٢٩٣٠	النافع
٢٩٧٨	النَّفْخ في الصُّور	٢٩٣٠	النبوة
٢٩٨٩	النفخة	٢٩٣٨	نبوة الساء
٢٩٨٩	النَّفْس (صفة لله تعالى)	٢٩٣٨	النذر
٢٩٩٢	النفس	٢٩٤٤	التزول
٢٩٩٢	النفس الأمارة بالسوء	٢٩٥٠	نزول القرآن
٢٩٩٢	النفس اللوامة	٢٩٥١	نزول عيسى ﷺ

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
النفس المطمئنة	٢٩٩٢	وسائل الشرك	٣١٠٠
النفس	٢٩٩٢	وسطية أهل السنة	٣١٠١
نفي الإيمان	٢٩٩٦	الوسيلة	٣١١٠
نقص الإيمان	٢٩٩٦	وصول ثواب الأعمال	٣١١٣
نوح عليه السلام	٢٩٩٦	الوعد	٣١١٣
النور	٣٠٠٤	الوعيد	٣١٢٣
		وقت الساعة	٣١٤٨
حرف الهاء	٣٠١٣	الوكالة	٣١٤٨
الهادي	٣٠١٣	الوكيل	٣١٤٨
هاروت وماروت	٣٠١٧	الولاء والبراء	٣١٥٣
هارون عليه السلام	٣٠٢٠	الولاء	٣١٧٤
الهامة	٣٠٢٣	الولاية (صفة الله)	٣١٧٤
الهجر	٣٠٢٧	الولي	٣١٧٤
الهجرة	٣٠٣٠	الوهاب	٣١٨١
الهداية	٣٠٣٦	الوهاب	٣١٨٤
الهدى	٣٠٤٠		
الهرولة	٣٠٤٧	حرف الياء	٣١٨٥
أبو هريرة عليه السلام	٣٠٥٢	يأجوج ومأجوج	٣١٨٥
هود عليه السلام	٣٠٦٣	اليأس والقنوط	٣١٩١
الهيمنة	٣٠٦٨	يحيى عليه السلام	٣١٩٦
		اليد (صفة الله تعالى)	٣٢٠٤
حرف الواو	٣٠٦٩	يزيد بن معاوية	٣٢١١
واجب الوجود	٣٠٦٩	اليسع عليه السلام	٣٢٢٠
الواحد	٣٠٧١	يعقوب عليه السلام	٣٢٢١
الوارث	٣٠٧١	اليقين	٣٢٢٦
الواسطة	٣٠٧٣	يوسف عليه السلام	٣٢٣٢
الواسع	٣٠٧٦	يوشع بن نون عليه السلام	٣٢٣٩
الوالي	٣٠٧٨	اليوم الآخر	٣٢٤٣
الوتر	٣٠٧٨	يوم الحساب	٣٢٤٦
الوجه	٣٠٨١	يوم الحسرة	٣٢٤٦
الوجود	٣٠٨٥	يوم القيامة	٣٢٥٠
وجود الله تعالى	٣٠٨٥	فهرس الآيات	٣٢٥٩
الوحدانية	٣٠٩١	فهرس الأحاديث	٣٣٢٨
الود	٣٠٩١	فهرس المصطلحات	٣٣٩٠
الودود	٣٠٩١	فهرس مواد الموسوعة حسب الترتيب الموضوعي	٣٣٩٨
الورع	٣٠٩٦	فهرس المواد حسب الترتيب الهجائي	٣٤١٠
الورود	٣١٠٠		